T. C.
MİLLİ EĞİTİM BAKANLIĞI
RAGIP PAŞA KİTAPLIĞI
MÜDÜRLÜĞÜ
Sayı: 156

حسبي الله وحده
من الكتب التي وقفها الفقير
الى الله ربه ذي المواهب
محمد المدعو بين الصدور براغب
١١٧٥ وقفي عبده

٢١٠

T. C.
MİLLİ EĞİTİM BAKANLIĞI
RAGIP PAŞA KİTAPLIĞI
MÜDÜRLÜĞÜ
Sayı: 156

RAĞIP P.
Ka. N
209
210

T. C.
Ragıp Paşa Kütüphanesi

الحمد لله الذي أنزل القرآن كلاماً مؤلفاً منظماً ونزّله بحسب المصالح منجماً وجعله بالتحميد مفتتحاً
وبالاستعاذة مختتماً وأوحاه على قسمين متشابهاً ومحكماً وفصّله سوراً وسوّره آيات وميّز بينهن
بفصول وغايات وما هي إلا صفات مبتدئ مبتدع وسمات منشئ مخترع فسبحان من استأثر
بالأولية والقدم ووسم كل شيء سواه بالحدوث عن العدم أنشأه كتاباً ساطعاً تبيانه قاطعاً
برهانه وحياً ناطقاً ببينات وحجج قرآناً عربياً غير ذي عوج مفتاحاً للمنافع الدينية والدنياوية
مصدقاً لما بين يديه من الكتب السماوية معجزاً باقياً دون كل معجز على وجه كل زمان دائراً من
بين سائر الكتب على كل لسان في كل مكان أفحم به من طولب بمعارضته من العرب العرباء وأبكم
من تحدى به من مصاقع الخطباء فلم يتصدّ للإتيان بما يوازيه أو يدانيه واحد من فصحائهم ولم
ينهض لمقدار أقصر سورة منه ناهض من بلغائهم على أنهم كانوا أكثر من حصى البطحاء وأوفر عدداً من
رمال الدهناء ولم ينبض منهم عرق العصبية مع اشتهارهم بالإفراط في المضادة والمضارّة وإلقائهم
الشراشر على المعازّة والمعارّة ولقائهم دون المناضلة عن أحسابهم الخطط وركوبهم في كل ما يرومونه
الشطط إن أتاهم أحد بمفخرة أتوه بمفاخر وإن رماهم بمأثرة رموه بمآثر وقد جرّد لهم الحجة أولاً
والسيف آخراً فلم يعارضوا إلا السيف وحده على أن السيف القاضب مخراق لاعب إن لم تمض
الحجة حدّه فما أعرضوا عن معارضة الحجة إلا لعلمهم أن البحر قد زخر فطمّ على الكواكب وأن الشمس قد
أشرقت فطمست نور الكواكب على خير من أوحي إليه حبيب الله أبي القاسم محمد بن عبد الله
ابن عبد المطلب بن هاشم ذي اللواء المرفوع في بني لؤي ذي الفرع المنيف في عبد مناف بن قصي المثبت
بالعصمة المؤيد بالحكمة الشادخ الغرة الواضح التحجيل النبي الأمي المكتوب في التوراة والإنجيل
وعلى آله الأطهار وخلفائه من الأختان والأصهار وعلى جميع المهاجرين والأنصار اعلم
أن متن كل علم وعمود كل صناعة طبقات العلماء فيه متدانية وأقدام الصناع فيه متقاربة
أو متساوية إن سبق العالم العالم لم يسبقه إلا بخطى يسيرة أو تقدم الصانع الصانع لم يتقدمه
إلا بمسافة قصيرة وإنما الذي تباينت فيه الرتب وتحاكت فيه الركب ووقع فيه الاستباق
والتناضل وعظم فيه التفاوت والتفاضل حتى انتهى الأمر إلى أمد من الوهم متباعد وترقى إلى أن
عدّ ألف بواحد ما في العلوم والصناعات من محاسن النكت والفقر ومن لطائف معان يدق فيها
مباحث الفكر ومن غوامض أسرار محتجبة وراء أستار لا يكشف عنها من الخاصة إلا أوحدهم
وأخصهم وإلا واسطتهم وفصّهم وعامتهم عماة عن إدراك حقائقها بأحداقهم عناة في التقليد

لا يمنّ عليهم بجزّ نواصيهم وإطلاقهم ثم إن أملأ العلوم بما يغمر القرائح وأنهضها بما يبهر
الألباب القوارح من غرائب نكت يلطف مسلكها ومستودعات أسرار يدق سلكها
التفسير الذي لا يتم لتعاطيه وإجالة النظر فيه كل ذي علم كما ذكر الجاحظ في كتاب نظم القرآن
فالفقيه وإن برز على الأقران في علم الفتاوى والأحكام والمتكلم وإن بزّ أهل الدنيا في
صناعة الكلام وحافظ القصص والأخبار وإن كان من ابن القرية أحفظ والواعظ وإن كان
من الحسن البصري أوعظ والنحوي وإن كان أنحى من سيبويه واللغوي وإن علك اللغات بقوة
لحييه لا يتصدى منهم أحد لسلوك تلك الطرائق ولا يغوص على شيء من تلك الحقائق إلا رجل
قد برع في علمين مختصين بالقرآن وهما علم المعاني وعلم البيان وتمهل في ارتيادهما آونة وتعب
في التنقير عنهما أزمنة وبعثته على تتبع مظانهما همة في معرفة لطائف حجة الله وحرص على استيضاح
معجزة رسول الله بعد أن يكون آخذاً من سائر العلوم بحظ جامعاً بين أمرين تحقيق وحفظ كثير
المطالعات طويل المراجعات قد رجع زماناً ورجع إليه وردّ وردّ عليه فارساً في علم الإعراب
مقدماً في جملة الكتاب وكان مع ذلك مسترسل الطبيعة منقادها مشتعل القريحة وقّادها
يقظان النفس درّاكاً للمحة وإن لطف شأنها منتبهاً على الرمزة وإن خفي مكانها لا كزّاً جاسياً ولا
غليظاً جافياً متصرفاً ذا دربة بأساليب النظم والنثر مرتاضاً غير ريّض بتلقيح بنات الفكر قد علم
كيف يرتب الكلام ويؤلف وكيف ينظم ويرصف طالما دفع إلى مضايقه ووقع في مداحضه
ومزالقه ولقد رأيت إخواننا في الدين من أفاضل الفئة الناجية العدلية الجامعين بين علم
العربية والأصول الدينية كلما رجعوا إليّ في تفسير آية فأبرزت لهم بعض الحقائق من الحجب
أفاضوا في الاستحسان والتعجب واستطيروا شوقاً إلى مصنف يضم أطرافاً من ذلك حتى اجتمعوا
إليّ مقترحين أن أملي عليهم الكشف عن حقائق التنزيل وعيون الأقاويل في وجوه التأويل
فاستعفيت فأبوا إلا المراجعة والاستشفاع بعظماء الدين وعلماء العدل والتوحيد والذي
حداني على الاستعفاء على علمي أنهم طلبوا ما الإجابة إليه علي واجبة لأن الخوض فيه كفرض العين ما أرى
عليه الزمان من رثاثة أحواله وركاكة رجاله وتقاصر هممهم عن أدنى عدد هذا العلم فضلاً
أن تترقى إلى الكلام المؤسس على علمي المعاني والبيان فأمليت عليهم مسألة في الفواتح وطائفة من
الكلام في حقائق سورة البقرة وكان كلاماً مبسوطاً كثير السؤال والجواب طويل الذيول والأذناب
وإنما حاولت به التنبيه على غزارة نكت هذا العلم وأن يكون لهم مناراً ينتحونه ومثالاً يحتذونه
فلما صمّم العزم على معاودة جوار الله والإناخة بحرم الله فتوجهت تلقاء مكة وجدت في
مجتازي بكل بلدة من فيها مسكة من أهلها وقليل ما هم عطشى الأكباد إلى العثور على ذلك المملى
متطلعين إلى إيناسه حراصاً على اقتباسه فهزّ ما رأيت من عطفي وحرّك الساكن من نشاطي فلما
حططت الرحل بمكة إذا أنا بالشعبة السنية من الدوحة الحسنية الأمير الشريف الإمام
شرف آل رسول الله أبي الحسن علي بن حمزة بن وهاس أدام الله مجده وهو النكتة والشامة
في بني الحسن مع كثرة محاسنهم وجموم مناقبهم أعطش الناس كبداً وألهبهم حشى وأوفاهم رغبة حتى
ذكر أنه كان يحدث نفسه في مدة غيبتي عن الحجاز مع تزاحم ما هو فيه من المشاغل بقطع الفيافي وطي
المهامه والوفادة علينا بخوارزم ليتوصل إلى إصابة هذا الغرض فقلت قد ضاقت المستعفى

الحيل وعييت به العلل ورأيتني قد تداخلت مني السن وتقعقع الشن وناهزت العشر التي سمتها العرب دقاقة الرقاب فأخذت في طريقة أخصر من الأولى مع ضمان التكثير من الفوائد والفحص عن السرائر ووفق الله وسدد ففرغ منه في مقدار خلافة أبي بكر رضي الله عنه وكان يقدر تمامه في أكثر من ثلاثين سنة وما هي إلا آية من آيات هذا البيت المحرم وبركة أفيضت علي من بركات هذا الحرم المعظم أسأل الله تعالى أن يجعل ما تعبت فيه منه سببا ينجيني ونورا لي على الصراط يسعى بين يدي وبيميني ونعم المسؤول

سورة فاتحة الكتاب مكية وقيل مكية ومدنية لأنها نزلت بمكة مرة وبالمدينة أخرى وتسمى أم القرآن لاشتمالها على المعاني التي في القرآن من الثناء على الله بما هو أهله ومن التعبد بالأمر والنهي ومن الوعد والوعيد وسورة الكنز والوافية لذلك وسورة الحمد والمثاني لأنها تثنى في كل ركعة وسورة الصلوة لأنها تكون فاضلة أو مجزية بقراءتها فيها وسورة الشفا والشافية وهي سبع آيات بالاتفاق إلا أن منهم من عد أنعمت عليهم دون التسمية ومنهم من مذهبه على العكس بسم الله الرحمن الرحيم قراء المدينة والبصرة والشام وفقهاؤها على أن التسمية ليست بآية من الفاتحة ولا من غيرها من السور وإنما كتبت للفصل والتبرك بالابتداء بها كما بدئ بذكرها في كل أمر ذي بال وهو مذهب أبي حنيفة ومن تابعه ولذلك لا يجهر بها عندهم في الصلوة وقراء مكة والكوفة وفقهاؤهما على أنها آية من الفاتحة ومن كل سورة وعليه الشافعي وأصحابه ولذلك يجهرون بها وقالوا قد أثبتها السلف في المصحف مع توصيتهم بتجريد القرآن ولذلك لم يثبتوا آمين فلولا أنها من القرآن لما أثبتوها وعن ابن عباس من تركها فقد ترك مائة وأربع عشرة آية من كتاب الله فإن قلت بم تعلقت الباء قلت بمحذوف تقديره بسم الله أقرأ أو أتلو لأن الذي يتلو التسمية مقروء كما أن المسافر إذا حل أو ارتحل فقال بسم الله والبركات كان المعنى بسم الله أحل وبسم الله أرتحل وكذلك الذابح وكل فاعل يبدأ في فعله ببسم الله كان مضمرا ما جعل التسمية مبدأ له ونظيره في حذف متعلق الجار قوله تعالى في تسع آيات إلى فرعون وقومه أي اذهب في تسع آيات وكذلك قول العرب في الدعاء للمعرس بالرفاء والبنين وقول الأعرابي باليمن والبركة بمعنى أعرست أو نكحت ومنه قوله فقلت إلى الطعام فقال منهم فريق نحسد الإنس الطعاما فإن قلت لم قدرت المحذوف متأخرا قلت لأن الأهم من الفعل والمتعلق به هو المتعلق به لأنهم كانوا يبدؤن بأسماء آلهتهم فيقولون باسم اللات باسم العزى فوجب أن يقصد الموحد معنى اختصاص اسم الله عز وعلا بالابتداء وذلك بتقديمه وتأخير الفعل كما فعل في قوله إياك نعبد حيث صرح بتقديم الاسم إرادة للاختصاص والدليل عليه قوله بسم الله مجريها ومرسيها فإن قلت فقد قال اقرأ باسم ربك فقدم الفعل قلت هناك تقديم الفعل أوقع لأنها أول سورة نزلت فكان الأمر بالقراءة أهم فإن قلت ما معنى تعلق اسم الله تعالى بالقراءة قلت فيه وجهان أحدهما أن يتعلق بها تعلق القلم بالكتبة في قولك كتبت بالقلم على معنى أن المؤمن لما اعتقد أن فعله لا يجيء معتدا به في الشرع واقعا على السنة حتى يصدر بذكر الله تعالى لقوله عليه السلام كل أمر ذي بال لم يبدأ فيه باسم الله فهو أبتر إلا كان فعلا كلا فعل جعل فعله مفعولا باسم الله

كما يفعل الكتب بالقلم والثاني أن يتعلق بها تعلق الدهن بالإنبات في قوله تنبت بالدهن على معنى متبركا باسم الله أقرأ وكذلك قول الداعي للمعرس بالرفاء والبنين أعرست ملتبسا بالرفاء والبنين وهذا الوجه أعرب وأحسن فإن قلت فكيف قال الله متبركا باسم الله أقرأ قلت هذا مقول على ألسنة العباد كما يقول الرجل الشعر على لسان غيره وكذلك قوله الحمد لله رب العالمين إلى آخره وكثير من القرآن على هذا المنهاج ومعناه تعليم عباده كيف يتبركون باسمه وكيف يحمدونه ويمجدونه ويعظمونه فإن قلت من حق حروف المعاني التي جاءت على حرف واحد أن تبنى على الفتحة التي هي أخت السكون نحو كاف التشبيه ولام الابتداء وواو العطف وفائه وغير ذلك فما بال لام الإضافة وبائها بنيتا على الكسر قلت أما اللام فللفصل بينها وبين لام الابتداء وأما الباء فلكونها لازمة للحرفية والجر والاسم أحد الأسماء العشرة التي بنوا أوائلها على السكون فإذا نطقوا بها مبتدئين زادوا همزة لئلا يقع ابتداؤهم بالساكن إذ كان دأبهم أن يبتدؤا بالمتحرك ويقفوا على الساكن لسلامة لغتهم من كل لكنة ولوضعها على غاية من الإحكام وإذا وقعت في الدرج لم تفتقر إلى زيادة شيء ومنهم من لم يزدها واستغنى عنها بتحريك الساكن فقال سم وسم قال باسم الذي في كل سورة سمه وهو من الأسماء المحذوفة الأعجاز كيد ودم وأصله سمو بدليل تصريفه كأسماء وسمي وسميت واشتقاقه من السمو لأن التسمية تنويه بالمسمى وإشادة بذكره ومنه قيل للقب النبز من النبز بمعنى النبر وهو رفع الصوت والنبز قشر النخلة الأعلى فإن قلت فلم حذفت الألف في الخط وأثبتت في قوله باسم ربك قلت قد اتبعوا في حذفها حكم الدرج دون الابتداء الذي هو وضع الخط لكثرة الاستعمال وقالوا وطولت الباء تعويضا من طرح الألف وعن عمر بن عبد العزيز أنه قال لكاتبه طول الباء وأظهر السنات ودور الميم والله أصله الإله قال معاذ الإله أن تكون كظبية ونظيره الناس أصله الأناس قال إن المنايا يطلعن على الأناس الآمنينا فحذفت الهمزة وعوض عنها حرف التعريف ولذلك قيل في النداء يا الله بالقطع كما يقال يا إله والإله من أسماء الأجناس كالرجل والفرس يقع على كل معبود بحق أو باطل ثم غلب على المعبود بحق كما أن النجم اسم لكل كوكب ثم غلب على الثريا وكذلك السنة على عام القحط والبيت على الكعبة والكتاب على كتاب سيبويه وأما الله بحذف الهمزة فمختص بالمعبود بالحق لم يطلق على غيره ومن هذا الاسم اشتق تأله وأله واستأله كما قيل استنوق واستحجر في الاشتقاق من الناقة والحجر فإن قلت اسم هو أم صفة قلت بل اسم غير صفة ألا تراك تصفه ولا تصف به لا تقول شيء إله كما لا تقول شيء رجل وتقول إله واحد صمد كما تقول رجل كريم خير وأيضا فإن صفاته تعالى لا بد لها من موصوف تجري عليه فلو جعلتها كلها صفات بقيت غير جارية على اسم موصوف بها وهذا محال فإن قلت هل لهذا الاسم اشتقاق قلت معنى الاشتقاق أن ينتظم الصيغتين فصاعدا معنى واحد وصيغة هذا الاسم وصيغة قولهم أله إذا تحير ومن أخواته دله وعله ينتظمها معنى التحير والدهشة وذلك أن الأوهام تتحير في معرفة المعبود وتدهش الفطن ولذلك كثر الضلال وفشا الباطل وقل النظر الصحيح فإن قلت هل تفخم لامه قلت نعم قد ذكر الزجاج أن تفخيمها سنة وعلى ذلك العرب كلهم وإطباقهم عليه دليل أنهم ورثوه كابرا

عن كابر. الرحمن فعلان من رحم كغضبان وسكران من غضب وسكر وكذلك الرحيم فعيل منه
كمريض وسقيم من مرض وسقم وفي الرحمن من المبالغة ما ليس في الرحيم ولذلك قالوا رحمن الدنيا
والاخرة ورحيم الدنيا ويقولون ان الزيادة في البنا لزيادة المعنى وقال الزجاج في الغضبان
هو الممتلي غضبا ومما طن على اذني من ملح العرب انهم يسمون مركبا من مراكبهم بالشقدف وهو
مركب خفيف ليس في ثقل محامل العراق فقلت في طريق الطائف لرجل منهم ما اسم هذا
المحمل اردت المحمل العراقي فقال اليس ذا اسمه الشقدف قلت بلى فقال هذا اسمه الشقنداف
فزاد في بنا الاسم لزيادة المسمى وهو من الصفات الغالبة كالدبران والعيوق والصعق
لم يستعمل في غير الله عز وعلا كما ان الله من الاسماء الغالبة واما قول بني حنيفة رحمان
اليمامة وقول شاعرهم فيه وانت غيث الورى لا زلت رحمانا فباب من تعنتهم
في كفرهم كيف تقول الله رحمان اتصرفه ام لا قلت اقيسه على اخواته من
بابه اعني نحو عطشان وغرثان وسكران فلا اصرفه قد شرط في امتناع صرف
فعلان ان يكون فعلان فعلى واختصاصه بالله يحظر ان يكون فعلان فعلى فلم تمنعه الصرف
قلت كما حظر ذلك ان يكون له مؤنث على فعلى كعطشى فقد حظر ان يكون له مؤنث على فعلانة
كندمانة فاذا لا عبرة بامتناع التانيث للاختصاص العارض فوجب الرجوع الى الاصل قبل الاختصاص
وهو القياس على نظائره فان قلت ما معنى وصف الله تعالى بالرحمة ومعناها العطف
والحنو ومنها الرحم لانعطافها على ما فيها هو مجاز عن انعامه على عباده لان الملك
اذا عطف على رعيته ورق لهم اصابهم بمعروفه وانعامه كما انه اذا ادركته الفظاظة والقسوة
عنف بهم ومنعهم خيره ومعروفه فان قلت فلم قدم ما هو ابلغ من الوصفين على ما هو
دونه والقياس الترقي من الادنى الى الاعلى كقولهم فلان عالم نحرير وشجاع باسل وجواد فياض
لما قال الرحمن فتناول جلائل النعم وعظائمها واصولها اردفه الرحيم كالتتمة والرديف
ليتناول ما دق منها ولطف الحمد لله رب العالمين الحمد والمدح اخوان وهو الثنا
والندا على الجميل من نعمة وغيرها تقول حمدت الرجل على انعامه وحمدته على حسبه وشجاعته
واما الشكر فعلى النعمة خاصة وهو بالقلب واللسان والجوارح قال
افادتكم النعما مني ثلاثة يدي ولساني والضمير المحجبا والحمد باللسان وحده
فهو احدى شعب الشكر ومنه قوله عليه السلام الحمد راس الشكر ما شكر الله عبد لم يحمده
وانما جعله راس الشكر لان ذكر النعمة باللسان والثنا على موليها اشيع لها وادل على مكانها
من الاعتقاد واداب الجوارح لخفاء عمل القلب وما في عمل الجوارح من الاحتمال بخلاف عمل
اللسان وهو النطق الذي يفصح عن كل خفي ويجلي كل مشتبه والحمد نقيضه الذم والشكر
نقيضه الكفران وارتفاع الحمد بالابتداء وخبره الظرف الذي هو لله واصله النصب
الذي هو قراءة بعضهم باضمار فعله على انه من المصادر التي ينصبها العرب بافعال مضمرة
في معنى الاخبار كقولهم شكرا وكفرا وعجبا وما اشبه ذلك ومنها سبحانك ومعاذ الله ينزلونها
منزلة افعالها ويسدون بها مسدها ولذلك لا يستعملونها معها ويجعلون استعمالها
كالشريعة المنسوخة والعدل بها عن النصب الى الرفع على الابتداء للدلالة على ثبات المعنى

واستقراره

واستقراره ومنه قال تعالى قالوا سلاما قال سلام رفع السلام الثاني للدلالة على ان ابرهيم
صلوات الله عليه حياهم بتحية احسن من تحيتهم لان الرفع دال على معنى ثبات السلام لهم دون
تجدده وحدوثه والمعنى نحمد الله حمدا ولذلك قيل اياك نعبد واياك نستعين لانه بيان
لحمدهم له كانه قيل كيف تحمدون فقيل اياك نعبد فان قلت ما معنى التعريف فيه قلت
هو نحو التعريف في ارسلها العراك وهو تعريف الجنس ومعناه الاشارة الى ما يعرفه كل احد
من ان الحمد ما هو والعراك ما هو من بين اجناس الافعال والاستغراق الذي يتوهمه كثير
من الناس وهم منهم وقرا الحسن البصري الحمد لله بكسر الدال لاتباعها اللام وقرا ابرهيم
ابن ابي عبلة الحمد لله بضم اللام لاتباعها الدال والذي جسرهما على ذلك والاتباع انما
يكون في كلمة واحدة كقولهم منحدر الجبل ومغيرة تنزل الكلمتين منزلة كلمة لكثرة استعمالهما
مقترنتين واشف القراءتين قراءة ابرهيم حيث جعل الحركة البنائية تابعة للاعرابية
التي هي اقوى بخلاف قراءة الحسن الرب المالك ومنه قول صفوان لابي سفيان لان يربني رجل
من قريش احب الي من ان يربني رجل من هوازن تقول ربه يربه فهو رب كما تقول نم عليه ينم
ويجوز ان يكون وصفا بالمصدر للمبالغة كما وصف بالعدل ولم يطلقوا الرب الا في الله وحده
وهو في غيره على التقييد بالاضافة كقولهم رب الدار ورب الناقة قال تعالى ارجع الى
ربك انه ربي احسن مثواي وقرا زيد بن علي رب العالمين بالنصب على المدح وقيل بما دل
عليه الحمد لله كانه قال نحمد الله رب العالمين العالم اسم لذوي العلم من الملائكة والثقلين
وقيل كل ما علم به الخالق من الاجسام والاعراض لم جمع ليشمل كل
جنس مما سمي به فان قلت فهو اسم غير صفة وانما تجمع بالواو والنون صفات العقلاء او
ما في حكمها من الاعلام ساغ ذلك لمعنى الوصفية فيه وهي الدلالة على معنى العلم
الرحمن الرحيم مالك يوم الدين قرئ ملك يوم الدين ومالك وملك بتخفيف اللام
وقرا ابو حنيفة ملك يوم الدين بلفظ الفعل ونصب اليوم وقرا ابو هريرة مالك
بالنصب وقرا غيره ملك بالنصب على المدح ومنهم من قرا مالك بالرفع وملك هو الاختيار
لانه قراءة اهل الحرمين ولقوله لمن الملك اليوم ولقوله ملك الناس ولان الملك يعم
والملك يخص ويوم الدين يوم الجزا ومنه قولهم كما تدين تدان وبيت الحماسة
ولم يبق سوى العدوان دناهم كما دانوا فان قلت ما هذه الاضافة
هي اضافة اسم الفاعل الى الظرف على طريق الاتساع مجرى مجرى المفعول به كقولهم
يا سارق الليلة اهل الدار والمعنى على الظرفية ومعناه مالك الامر كله في يوم الدين كقوله
لمن الملك اليوم فان قلت فاضافة اسم الفاعل اضافة غير حقيقية فلا تكون معطية
معنى التعريف فكيف ساغ وقوعه صفة للمعرفة انما تكون غير حقيقية اذا اريد
باسم الفاعل الحال او الاستقبال فكان في تقدير الانفصال كقولك مالك الساعة او غدا
فاما اذا قصد معنى الماضي كقولك هو مالك عبده امس او زمان مستمر كقولك زيد مالك
العبيد كانت الاضافة حقيقية كقولك مولى العبيد وهذا هو المعنى في مالك يوم الدين
ويجوز ان يكون المعنى ملك الامور يوم الدين كما قال تعالى ونادى اصحاب الجنة اصحاب النار

ونادى أصحاب الأعراف والدليل عليه قراءة أبي حنيفة ملك يوم الدين وهذه الأوصاف
التي أجريت على الله سبحانه وتعالى من كونه ربا مالكا للعالمين لا يخرج منهم شيء من ملكوته وربوبيته
ومن كونه منعما بالنعم كلها الظاهرة والباطنة والجلائل والدقائق ومن كونه مالكا للأمر كله
في العاقبة يوم الثواب والعقاب بعد الدلالة على اختصاص الحمد به وأنه به حقيق في قوله
الحمد لله دليل على أن من كانت هذه صفاته لم يكن أحد أحق منه بالحمد والثناء عليه بما هو أهله
إياك نعبد وإياك نستعين إيا ضمير منفصل للمنصوب واللواحق التي تلحقه من الكاف
والهاء والياء في قولك إياك وإياه وإياي لبيان الخطاب والغيبة والتكلم ولا محل لها من
الإعراب كما لا محل للكاف في أرأيتك وليست بأسماء مضمرة وهو مذهب الأخفش وعليه المحققون
وأما ما حكاه الخليل عن بعض العرب إذا بلغ الرجل الستين فإياه وإيا الشواب فشيء شاذ لا يعول
عليه وتقديم المفعول لقصد الاختصاص كقوله تعالى قل أفغير الله تأمروني أعبد قل أغير
الله أبغي ربا والمعنى نخصك بالعبادة ونخصك بطلب المعونة **وقرئ** إياك بتخفيف الياء وأياك
بفتح الهمزة والتشديد وهياك بقلب الهمزة هاء **قال طفيل** الغنوي
فهياك والأمر الذي إن توسعت ... موارده ضاقت عليك مصادره
والعبادة
أقصى غاية الخضوع والتذلل ومنه ثوب ذو عبدة إذا كان في غاية الصفاقة وقوة النسج
ولذلك لم تستعمل إلا في الخضوع لله تعالى لأنه مولى أعظم النعم فكان حقيقا بأقصى غاية الخضوع
فإن قلت لم عدل عن لفظ الغيبة إلى لفظ الخطاب **قلت** هذا يسمى الالتفات في
علم البيان قد يكون من الغيبة إلى الخطاب ومن الخطاب إلى الغيبة ومن الغيبة إلى التكلم كقوله
تعالى حتى إذا كنتم في الفلك وجرين بهم وقوله تعالى والله الذي أرسل الرياح فتثير سحابا فسقناه
وقد التفت امرؤ القيس ثلاث التفاتات في ثلاثة أبيات
تطاول ليلك بالأثمد ... ونام الخلي ولم ترقد
وبات وباتت له ليلة ... كليلة ذي العائر الأرمد
وذلك من نبإ جاءني ... وخبرته عن أبي الأسود
وذلك على عادة افتنانهم في الكلام وتصرفهم
فيه ولأن الكلام إذا نقل من أسلوب إلى أسلوب كان ذلك أحسن تطرية لنشاط السامع وإيقاظا
للإصغاء إليه من إجرائه على أسلوب واحد وقد تختص مواقعه بفوائد ومما اختص به هذا
الموضع أنه لما ذكر الحقيق بالحمد وأجرى عليه تلك الصفات العظام تعلق العلم بمعلوم عظيم
الشأن حقيق بالثناء وغاية الخضوع له والاستعانة في المهمات فخوطب ذلك المعلوم المتميز
بتلك الصفات فقيل إياك يا من هذه صفاته نخص بالعبادة والاستعانة لا نعبد غيرك
ولا نستعينه ليكون الخطاب أدل على أن العبادة له لذلك التميز الذي لا تحق العبادة إلا
به **فإن قلت** لم قرنت الاستعانة بالعبادة **قلت** ليجمع بين ما يتقرب به العباد
إلى ربهم وبين ما يطلبونه ويحتاجون إليه من جهته **فإن قلت** لم قدمت العبادة على
الاستعانة **قلت** لأن تقديم الوسيلة قبل طلب الحاجة ليستوجبوا الإجابة إليها
فإن قلت لم أطلقت الاستعانة **قلت** ليتناول كل مستعان فيه والأحسن أن تراد
الاستعانة به وبتوفيقه على أداء العبادة ويكون قوله اهدنا بيانا للمطلوب من المعونة
كأنه قيل كيف أعينكم فقالوا اهدنا الصراط المستقيم وإنما كان أحسن لتلاؤم الكلام وأخذ

بعضه

بعضه بحجزة بعض **وقرأ** ابن حبيش نستعين بكسر النون **اهدنا الصراط المستقيم صراط
الذين أنعمت عليهم** هدى أصله أن يتعدى باللام أو بإلى كقوله إن هذا القرآن يهدي للتي
هي أقوم وإنك لتهدي إلى صراط مستقيم فعومل معاملة اختار في قوله تعالى واختار موسى قومه
ومعنى طلب الهداية وهم مهتدون طلب زيادة الهدى بمنح الألطاف كما في قوله تعالى والذين
اهتدوا زادهم هدى والذين جاهدوا فينا لنهدينهم سبلنا **وعن** علي رضي الله عنه وأبي
اهدنا ثبتنا وصيغة الأمر والدعاء واحدة لأن كل واحد منهما طلب وإنما يتفاوتان في الرتبة
وقرأ عبد الله أرشدنا السراط الجادة من سرط الشيء إذا ابتلعه لأنه يسرط السابلة إذا
سلكوه كما سمي لقما لأنه يلتقمهم والصراط من قلب السين صادا لأجل الطاء كقولك مصيطر في
مسيطر وقد تشم الصاد صوت الزاي **وقرئ** بهن جميعا وفصاحهن إخلاص الصاد وهي
لغة قريش وهي الثابتة في الإمام ويجمع سرطا نحو كتاب وكتب ويذكر ويؤنث كالطريق والسبيل
والمراد به طريق الحق وهو ملة الإسلام صراط الذين أنعمت عليهم بدل من الصراط المستقيم
وهو في حكم تكرير العامل كأنه قيل اهدنا الصراط المستقيم اهدنا صراط الذين أنعمت عليهم
كما قال الله تعالى للذين استضعفوا لمن آمن منهم **فإن قلت** ما فائدة البدل وهلا قيل اهدنا
الصراط الذين أنعمت عليهم **قلت** فائدته التوكيد لما فيه من التثنية والتكرير والإشعار
بأن الطريق المستقيم بيانه وتفسيره صراط المسلمين ليكون ذلك شهادة لصراط المسلمين
بالاستقامة على أبلغ وجه وآكده كما تقول هل أدلك على أكرم الناس وأفضلهم فلان فيكون
ذلك أبلغ في وصفه بالكرم والفضل من قولك هل أدلك على فلان الأكرم الأفضل لأنك
ثنيت ذكره مجملا أولا ومفصلا ثانيا وأوقعت فلانا تفسيرا وإيضاحا للأكرم الأفضل فجعلته
علما في الكرم والفضل فكأنك قلت من أراد رجلا جامعا للخصلتين فعليه بفلان فهو المشخص
المعين لاجتماعهما فيه غير مدافع ولا منازع والذين أنعمت عليهم هم المؤمنون وأطلق الإنعام
ليشمل كل إنعام لأن من أنعم الله عليه بنعمة الإسلام لم تبق نعمة إلا أصابته واشتملت عليه **وعن**
ابن عباس رضي الله عنهما هم أصحاب موسى قبل أن يغيروا وقيل هم الأنبياء **وقرأ** ابن مسعود
صراط من أنعمت عليهم **غير المغضوب عليهم ولا الضالين** غير المغضوب عليهم بدل
من الذين أنعمت عليهم على معنى أن المنعم عليهم هم الذين سلموا من غضب الله والضلال أو صفة
على معنى أنهم جمعوا بين النعمة المطلقة وهي نعمة الإيمان وبين السلامة من غضب الله والضلال
فإن قلت كيف صح أن يقع غير صفة للمعرفة وهو لا يتعرف وإن أضيف **قلت** الذين
أنعمت عليهم لا توقيت فيه فهو **كقوله** ولقد أمر على اللئيم يسبني ولأن المغضوب عليهم
والضالين خلاف المنعم عليهم فليس في غير إذن الإبهام الذي يأبى عليه أن يتعرف وقرئ
بالنصب على الحال وهي قراءة رسول الله صلى الله عليه وسلم وعمر بن الخطاب ورويت عن ابن
كثير وذو الحال الضمير في عليهم والعامل أنعمت وقيل المغضوب عليهم هم اليهود لقوله
تعالى من لعنه الله وغضب عليه والضالون هم النصارى لقوله قد ضلوا من قبل **فإن
قلت** ما معنى غضب الله **قلت** هو إرادة الانتقام من العصاة وإنزال العقوبة بهم
وأن يفعل بهم ما يفعله الملك إذا غضب على من تحت يده نعوذ بالله من غضبه ونسأله رضاه

فان قلت اى فرق بين عليهم الاولى والثانية الاولى محلها النصب على المفعولية والثانية محلها الرفع على الفاعلية فان قلت لم دخلت لا فى ولا الضالين لما فى غير من معنى النفى كانه قيل لا المغضوب عليهم ولا الضالين وتقول انا زيدا غير ضارب مع امتناع قولك انا زيدا مثل ضارب لانه بمنزلة قولك انا زيدا لا ضارب وعن عمر وعلى رضى الله عنهما انهما قرءا وغير الضالين ايوب السختيانى ولا الضألين بالهمز كما قرأ عمرو بن عبيد ولا جأن وهذه لغة من جد فى الهرب من التقاء الساكنين ومنها ما حكاه ابو زيد من قولهم شأبة ودأبة آمين صوت سمى به الفعل الذى هو استجب كما ان رويد وحيهل وهلم اصوات سميت بها الافعال التى هى امهل واسرع واقبل وعن ابن عباس رضى الله عنهما سألت رسول الله صلى الله عليه وسلم عن معنى آمين فقال افعل وفيه لغتان مد الفه وقصرها قال ويرحم الله عبدا قال آمينا وقال امين فزاد الله ما بيننا بعدا وعن النبى صلى الله عليه وسلم لقننى جبريل عليه السلام آمين عند فراغى من قراءة الفاتحة وقال انه كالختم على الكتاب وليس من القرآن بدليل انه لم يثبت فى المصاحف وعن الحسن لا يقولها الامام لانه الداعى وعن ابى حنيفة مثله والمشهور عنه وعن اصحابه انه يخفيها وروى الاخفاء عبد الله بن مغفل وانس عن رسول الله صلى الله عليه وسلم وعند الشافعى يجهر بها وعن وائل بن حجر ان النبى صلى الله عليه وسلم كان اذا قرأ ولا الضالين قال آمين ورفع بها صوته النبى صلى الله عليه وسلم انه قال لابى بن كعب رضى الله عنه الا اخبرك بسورة لم ينزل فى التوراة والانجيل والقرآن مثلها قلت بلى يا رسول الله قال فاتحة الكتاب انها السبع المثانى والقرآن العظيم الذى اوتيته وعن حذيفة بن اليمان ان النبى صلى الله عليه وسلم قال ان القوم ليبعث الله عليهم العذاب حتما مقضيا فيقرأ صبى من صبيانهم فى الكتاب الحمد لله رب العالمين فيسمعه الله تعالى فيرفع عنهم بذلك العذاب اربعين سنة

وفى رواية مدنية وهى مائتان وسبع وثمانون آية غير آية نزلت يوم عرفة بمنا وهى قوله تعالى واتقوا يوما ترجعون فيه الى الله بسم الله الرحمن الرحيم الم اعلم ان الالفاظ التى يتهجى بها اسماء مسمياتها الحروف المبسوطة التى منها ركبت الكلم فقولك ضاد اسم سمى به ضه من ضرب اذا تهجيته وكذلك را با اسمان لقولك ره به وقد روعيت فى هذه التسمية لطيفة وهى ان المسميات لما كانت الفاظا كاساميها وهى حروف وحدان والاسامى عدد حروفها مرتق الى الثلاثة اتجه لهم طريق الى ان يدلوا فى التسمية على المسمى فلم يغفلوها وجعلوا المسمى صدر كل اسم منها كما ترى الا الالف فانهم استعاروا الهمزة مكان مسماها لانه لا يكون الا ساكنا ومما يضاهيها فى ايداع اللفظ دلالة على المعنى التهليل والحوقلة والحيعلة والبسملة وحكمها ما لم تلها العوامل ان تكون ساكنة الاعجاز موقوفة كاسماء الاعداد فيقال الف لام ميم كما تقول واحد اثنان ثلاثة فاذا وليتها العوامل ادركها الاعراب كقولك هذه الف وكتبت الفا ونظرت الى الف وهكذا كل اسم عمدت الى تادية ذاته فحسب قبل ان يحدث فيه بدخول العوامل شىء من تاثيراتها فحقك ان تلفظ به موقوفا الا ترى انك اذا اردت ان تلقى على الحاسب اجناسا مختلفة ليرفع حسبانها كيف تصنع وكيف تلقيها اغفالا من سمة الاعراب فتقول دار غلام جارية ثوب بساط ولو اعربت ركبت شططا فان قلت

لم قضيت لهذه الالفاظ بالاسمية وهلا زعمت انها حروف كما وقع فى عبارات المتقدمين قلت قد استوضحت بالبرهان النير انها اسماء غير حروف فعلمت ان قولهم خليق بان يصرف الى التسامح وقد وجدناهم متسامحين فى تسمية كثير من الاسماء التى لا يقدح اشكال فى اسميتها كالظروف وغيرها بالحروف مستعملين الحرف فى معنى الكلمة وذلك ان قولك الف دلالته على وسط حروف قال وقام دلالة فرس على الحيوان المخصوص لا فصل فيما يرجع الى التسمية بين الدلالتين الا ترى ان الحرف ما دل على معنى فى غيره وهذا كما ترى دال على معنى فى نفسه ولانها متصرف فيها بالامالة كقولك با تا وبالتفخيم كقولك ياها وبالتعريف والتنكير والجمع والتصغير والوصف والاسناد والاضافة وجميع ما للاسماء المتصرفة ثم انى عثرت من جانب الخليل بن احمد على نص فى ذلك قال سيبويه قال الخليل يوما وسأل اصحابه كيف تقولون اذا اردتم ان تلفظوا بالكاف التى فى لك والباء التى فى ضرب فقيل نقول باكاف فقال انما جئتم بالاسم ولم تلفظوا بالحرف وقال اقول كه به وذكر ابو على فى كتاب الحجة فى يس وامالة يا انهم قالوا فى النداء يا زيد فاما لوا وان كان حرفا قال فاذا كانوا قد اما لوا ما لا يمال من الحروف من اجل الياء فلان يميلوا الاسم الذى هو يس اجدر الا ترى ان هذه الحروف اسماء لما يلفظ بها فان قلت من اى قبيل هى من الاسماء امعربة ام مبنية بل هى اسماء معربة وانما سكنت سكون زيد وعمرو وغيرهما من الاسماء حيث لا يمسها اعراب لفقد مقتضيه وموجبه والدليل على ان سكونها وقف وليس ببناء انها لو بنيت لحذى بها حذو كيف واين وهؤلاء ولم يقل صاد قاف نون مجموعا فيها بين الساكنين فلم لفظ المتهجى بما آخره الف منها مقصورا فلما اعرب مد فقال هذه باء وهاء وذلك يخيل ان وزانها وزان قولك لا مقصورة فاذا جعلتها اسما مددت فقلت كتبت لاء قلت هذا التخييل يضمحل بما لخصته من الدليل والسبب فى ان قصرت متهجاة ومدت حين مسها الاعراب ان حال التهجى خليقة بالاخف الاوجز واستعمالها فيه اكثر فقد تبين انها اسماء حروف المعجم وانها من قبيل المعربة وان سكون اعجازها عند الهجاء لاجل الوقف فما وجه وقوعها على هذه الصورة فواتح للسور قلت فيه اوجه احدها وعليه اطباق الاكثر انها اسماء للسور وقد ترجم صاحب الكتاب الباب الذى كسره على ذكرها فى حد ما لا ينصرف بباب اسماء السور وهى فى ذلك على ضربين احدهما ما لا يتأتى فيه اعراب نحو كهيعص والمر والثانى ما يتأتى فيه الاعراب وهو اما ان يكون اسما فردا كصاد وقاف ونون او اسماء عدة مجموعها على زنة مفرد كحم وطس ويس فانها موازنة لهابيل وقابيل وكذلك طسم يتأتى فيها ان تفتح نونها وتصير ميم مضمومة الى طس فيجعلا اسما واحدا كدارابجرد فالنوع الاول محكى ليس الا واما النوع الثانى فسائغ فيه الامران الاعراب والحكاية قال قاتل محمد بن طلحة السجاد وهو شريح بن اوفى العبسى

يذكرنى حاميم والرمح شاجر فهلا تلا حاميم قبل التقدم

فاعرب حاميم ومنعها الصرف وهكذا كل ما اعرب من اخواتها لاجتماع سببى منع الصرف فيها وهما العلمية والتأنيث والحكاية ان تجىء بالقول بعد نقله على استيفاء صورته الاولى كقولك دعنى من تمرتان وبدأت بالحمد لله وقرأت سورة انزلناها وقال

وجدنا فى كتاب بنى تميم احق الخيل بالركض المعار

ذو الرمة

قد يقال

وقال الاخر سمعت الناس ينتجعون غيثا فقلت لصيدح انتجعي بلالا
تنادوا بالرحيل غدا وفي ترحالهم نفسي وروى منصوبا ومجرورا ويقول اهل
الحجاز في استعلام من يقول رايت زيدا من زيدا وقال سيبويه سمعت من العرب لا من اين يا فتى
فان قلت فما وجه قراءة من قرأ صاد وقاف ونون مفتوحات الاوجه ان يقال
ذلك نصب وليس بفتح وانما لم يصحبه التنوين لامتناع الصرف على ما ذكرت وانتصابها بفعل مضمر
نحو اذكر وقد اجاز سيبويه مثل ذلك في حم وطس لو قرئ به وحكى ابو سعيد السيرافي ان بعضهم
قرا ياسين ويجوز ان يقال حركت لالتقاء الساكنين كما قرأ من قرأ ولا الضالين فان قلت
فلا زعمت انها مقسم بها وانها نصبت نصب قولهم نعم الله لافعلن على حذف حرف الجر واعمال
فعل القسم وقال ذو الرمة الا رب من قلبي له الله ناصح وقال الاخر
فذاك امانة الله الثريد ان القران والقلم بعد هذه الفواتح محلوف بهما فلو زعمت
ذلك لجمعت بين قسمين على مقسم عليه واحد وقد استكرهوا ذلك قال الخليل في قوله تعالى والليل
اذا يغشى والنهار اذا تجلى وما خلق الذكر والانثى الواوان الاخريان ليستا بمنزلة الاولى ولكنهما
الواوان اللتان تضمان الاسماء الى الاسماء في قولك مررت بزيد وعمرو والاولى بمنزلة الباء والتاء
قال سيبويه قلت للخليل فلم لا يكون الاخريان بمنزلة الاولى فقال انما اقسم بهذه الاشياء على شيء ولو
كان انقضى قسمه بالاول على شيء لجاز ان يستعمل كلاما اخر فيكون كقولك بالله لافعلن تالله لاخرجن
اليوم ولا يقوى ان تقول وحقك وحق زيد لافعلن والواو الاخرة واو قسم لا يجوز الا مستكرها
قال وتقول وحياتي ثم حياتك لافعلن فثم هاهنا بمنزلة الواو وهذا لا سبيل فيما نحن بصدده
الا ان تجعل الواو للعطف لمخالفة الثاني الاول في الاعراب فان قلت فقدرها مجرورة باضمار
الباء القسمية لا بحذفها فقد جاء عنهم الله لافعلن مجرورا ونظيره قولهم لاه ابوك غير انها فتحت
في موضع الجر لكونها غير مصروفة واجعل الواو للعطف حتى يستتب لك المصير الى نحو ما اشرت
اليه هذا لا يبعد عن الصواب ويعضده ما رووا عن ابن عباس رضي الله عنهما انه قال
اقسم الله بهذه الحروف فان قلت فما وجه قراءة بعضهم صاد وقاف بالكسر
وجهها ما ذكرت من التحريك لالتقاء الساكنين والذي يبسط من عذر المحرك ان الوقف لما استمر بهذه
الاسامي شاكلت لذلك ما اجتمع في اخره ساكنان من المبنيات فعوملت تارة معاملة الان واخرى
معاملة هؤلاء هل تسوغ لي في المحكية مثل ما سوغت لي في المعربة من ارادة معنى
القسم قلت لا عليك في ذلك وان تقدر حرف القسم مضمرا في نحو قوله تعالى حم والكتاب
المبين كانه قيل اقسم بهذه السورة وبالكتاب المبين انا جعلناه واما قوله عليه السلام حم
لا ينصرون فيصلح ان يقضى له بالجر والنصب جميعا على حذف الجار واضماره فان قلت فما
معنى تسمية السور بهذه الالفاظ خاصة كان المعنى في ذلك الاشعار بان الفرقان
ليس الا كلما عربية معروفة التركيب من مسميات هذه الالفاظ كما قال الله تعالى قرانا عربيا
فان قلت فما بالها مكتوبة في المصحف على صور الحروف انفسها لا على صور اساميها
لان الكلم لما كانت مركبة من ذوات الحروف واستمرت العادة متى تهجيت ومتى قيل للكاتب
اكتب كيت وكيت ان تلفظ بالاسماء وتقع في الكتابة الحروف انفسها عمل على تلك الشاكلة

المالوفة في كتابة هذه الفواتح وايضا فان شهرة امرها واقامة السن الاسود والاحمر لها وان اللافظ
بها غير متهجاة لا تحلى بطائل منها وان بعضها مفرد لا يخطر ببال غير ما هو عليه من مورده امنت وقوع
اللبس فيها وقد اتفقت في خط المصحف اشياء خارجة عن القياسات التي يبنى عليها علم الخط
والهجاء ثم ما عاد ذلك بضير ولا نقصان لاستقامة اللفظ وبقاء الحفظ وكان اتباع خط
المصحف سنة لا تخالف قال عبد الله بن درستويه في كتابه المترجم بكتاب الكتاب المتمم في
الخط والهجاء خطان لا يقاسان خط المصحف لانه سنة وخط العروض لانه يثبت فيه ما اثبته اللفظ
ويسقط عنه ما اسقطه والوجه الثاني ان يكون ورود هذه الاسماء هكذا مسرودة على نمط
التعديد كالايقاظ وقرع العصا لمن تحدي بالقران وبغرابة نظمه وكالتحريك للنظر في ان هذا
المتلو عليهم وقد عجزوا عنه عن اخرهم كلام منظوم من عين ما ينظمون منه كلامهم ليؤديهم النظر
الى ان يستيقنوا ان لم تتساقط مقدرتهم دونه ولم تظهر معجزتهم عن ان ياتوا بمثله بعد المراجعات
المتطاولة وهم امراء الكلام وزعماء الحوار وهم الحراص على التساجل في اقتضاب الخطب والمتهالكون
على الافتنان في القصيد والرجز ولم يبلغ من الجزالة وحسن النظم المبالغ التي بزت بلاغة كل
ناطق وشقت غبار كل سابق ولم يتجاوز الحد الخارج من قوى الفصحاء ولم يقع وراء مطامح اعين
البصراء الا لانه ليس بكلام البشر وانه كلام خالق القوى والقدر وهذا القول من القوة
والخلاقة بالقبول بمنزل ولناصره على الاول ان يقول ان القران انما نزل بلسان العرب مصبوبا
في اساليبهم واستعمالاتهم والعرب لم تتجاوز ما سموا به مجموع اسمين ولم يسموا احد منهم بمجموع ثلاثة
اسماء واربعة وخمسة والقول بانها اسماء السور حقيقة يخرج الى ما ليس في لغة العرب ويؤدي
ايضا الى صيرورة الاسم والمسمى واحدا فان اعترضت عليه بانه قول مقول على وجه الدهر
وانه لا سبيل الى رده اجابك بان له محملا سوى ما يذهب اليه وانه نظير قول الناس فلان يروي
قفا نبك وعفت الديار ويقول الرجل لصاحبه ما قرات فيقول الحمد لله وبراءة من الله ويوصيكم
الله في اولادكم والله نور السموات والارض وليست هذه الجمل باسامي هذه القصائد وهذه
السور وانما تعني رواية القصيدة التي ذاك استهلالها وتلاوة السورة او الاية التي تلك
فاتحتها فلما جرى الكلام على اسلوب من يقصد التسمية واستفيد منه ما يستفاد من التسمية قالوا
ذلك على سبيل المجاز دون الحقيقة وللمجيب عن الاعتراض على الوجه الاول ان يقول التسمية
بثلاثة اسماء فصاعدا مستنكرة لعمري وخروج عن كلام العرب ولكن اذا جعلت اسما واحدا على طريقة
حضرموت فاما غير مركبة منثورة نثر اسماء العدد فلا استنكار فيها لانها من باب التسمية بما حقه
ان يحكى حكاية كما سموا بتأبط شرا وبرق نحره وشاب قرناها وكما لو سمي بزيد منطلق او ببيت
شعر وناديك بتسوية سيبويه بين التسمية بالجملة والبيت من الشعر وبين التسمية بطائفة من
اسماء حروف المعجم دلالة قاطعة على صحة ذلك واما تسمية السورة كلها بفاتحتها فليست بتصيير
الاسم والمسمى واحدا لانها تسمية مؤلف بمفرد والمؤلف غير المفرد الا ترى انهم جعلوا اسم
الحرف مؤلفا منه ومن حرفين مضمومين اليه كقولهم صاد فلم يكن من جعل الاسم والمسمى واحدا
حيث كان الاسم مؤلفا والمسمى مفردا والوجه الثالث ان ترد السور مصدرة بذلك ليكون
اول ما يقرع الاسماع مستقلا بوجه من الاعراب وتقدمة من دلائل الاعجاز وذلك ان النطق

بالحروف انفسها كانت العرب فيه مستوية الاقدام الاميون منهم واهل الكتاب بخلاف النطق باسامي
الحروف فانه كان مختصا بمن خط وقرأ وخالط اهل الكتاب وتعلم منهم وكان مستغربا مستبعدا من
الامي التكلم بها استبعاد الخط والتلاوة كما قال عز وجل وما كنت تتلو من قبله من كتاب ولا
تخطه بيمينك اذا لارتاب المبطلون فكان حكم النطق بذلك مع اشتهار انه لم يكن ممن اقتبس
شيئا من اهله حكم الاقاصيص المذكورة في القرآن التي لم تكن قريش ومن دان بدينها في شيء من الاحاطة
بها في ان ذلك حاصل له من جهة الوحي وشاهد بصحة نبوته وبمنزلة ان يتكلم بالرطانة من غير
ان يسمعها من احد **واعلم** انك اذا تأملت ما اورده الله تعالى في الفواتح من هذه الاسما
وجدتها نصف اسامي حروف المعجم اربعة عشر سواء وهي الالف واللام والميم والصاد
والرا والكاف والها والبا والعين والطا والسين والحا والقاف والنون في
تسع وعشرين سورة على عدد حروف المعجم ثم اذا نظرت في هذه الاربعة عشر وجدتها مشتملة
على انصاف اجناس الحروف بيان ذلك ان فيها من المهموسة نصفها الصاد والكاف والها
والسين والحا ومن المجهورة نصفها الالف واللام والميم والرا والعين والطا
والقاف والبا والنون ومن الشديدة نصفها الالف والطا والكاف والقاف
ومن الرخوة نصفها اللام والميم والرا والصاد والها والعين والسين والحا والبا
والنون ومن المطبقة نصفها الصاد والطا ومن المنفتحة نصفها الالف واللام والميم
والرا والكاف والها والعين والسين والحا والقاف والبا والنون ومن
المستعلية نصفها القاف والصاد والطا ومن المنخفضة نصفها الالف واللام
والميم والرا والكاف والها والبا والعين والسين والحا والنون ومن حروف
القلقلة نصفها القاف والطا ثم اذا استقريت الكلم وتراكيبها رأيت الحروف التي ألغى الله
ذكرها من هذه الاجناس المعدودة مكثورة بالمذكورة منها فسبحان الذي دقت في كل شيء حكمته
وقد علمت ان معظم الشيء وجله ينزل منزلة كله وهو المطابق للطائف التنزيل واختصاراته
فكأن الله عز وعلا عدد على العرب الالفاظ التي منها تراكيب كلامهم اشارة الى ما ذكرت من التبكيت
لهم والزام الحجة اياهم ومما يدل على انه تعمد بالذكر من حروف المعجم اكثرها وقوعا في تراكيب الكلم
ان الالف واللام لما تكاثر وقوعهما فيها جاءتا في معظم هذه الفواتح مكررتين وهي فواتح سورة
البقرة وآل عمران والروم والعنكبوت ولقمان والسجدة والاعراف والرعد ويونس
وابراهيم وهود ويوسف والحجر فهلا عددت باجمعها في اول القرآن وما لها
جاءت مفرقة على السور **قلت** لان اعادة التنبيه على ان المتحدى به مؤلف منها لا غير وتجديده
في غير موضع واحد اوصل الى الغرض واقره في الاسماع والقلوب من ان يفرد ذكره مرة وكذلك
مذهب كل تكرير جاء في القرآن فمطلوب به تمكين المكرر في النفوس وتقريره **فان قلت**
فهلا جاءت على وتيرة واحدة ولم اختلفت اعداد حروفها فوردت ص وق ون على حرف وطه
وطس ويس وحم على حرفين والم والر وطسم على ثلاثة احرف والمص والمر على اربعة
احرف وكهيعص وحم عسق على خمسة احرف قلت هذا على عادة افتنانهم في اساليب الكلام
وتصرفهم فيه على طرق شتى ومذاهب عدة وكما ان ابنية كلماتهم على حرف وحرفين الى خمسة احرف

لم تتجاوز ذلك سلك بهذه الفواتح ذلك المسلك **فان قلت** فما وجه اختصاص كل سورة
بالفاتحة التي اختصت بها اذا كان الغرض هو التنبيه والمبادي كلها في تأدية هذا
الغرض سواء لا مفاضلة كان تطلب وجه الاختصاص ساقطا كما اذا سمى الرجل بعض اولاده
زيدا والآخر عمرا لم يقل لم خصصت ولدك هذا بزيد وذاك بعمرو ولان الغرض هو التمييز وهو
حاصل اية سلك وكذلك لا يقال لم سمي هذا الجنس بالرجل وذاك بالفرس ولم قيل للاعتماد
الضرب وللانتصاب القيام ولنقيضه القعود فما بالهم عدوا بعض هذه الفواتح
آية دون بعض **قلت** هذا علم توقيفي لا مجال للقياس فيه كمعرفة السور اما الم فآية حيث
وقعت من السور المفتتحة بها وكذلك المص آية والمر لم تعد آية والر ليست بآية في سورها
الخمس وطسم آية في سورتيها وطه ويس آيتان وطس ليست بآية وحم آية في سورها كلها
وحم عسق آيتان وكهيعص آية واحدة وص وق ونون ثلاثتها لم تعد آية هذا مذهب
الكوفيين ومن عداهم لم يعدوا شيئا منها آية **فان قلت** فكيف عد ما هو في حكم كلمة واحدة
آية كما عد الرحمن وحده ومدهامتان وحدها آيتين على طريق التوقيف **فان قلت**
ما حكمها في باب الوقف يوقف على جميعها وقف التمام اذا حملت على معنى مستقل غير
محتاج الى ما بعده وذلك اذا لم تجعل اسما للسور ونعق بها كما ينعق بالاصوات او جعلت
وحدها اخبار ابتداء محذوف الم الله اي هذه الم ثم ابتدأ فقال
الله لا اله الا هو **فان قلت** هل لهذه الفواتح محل من الاعراب نعم لها محل
فيمن جعلها اسما للسور لانها عنده كسائر الاسماء والاعلام **فان قلت** ما محلها
يحتمل الاوجه الثلاثة اما الرفع فعلى الابتداء واما النصب والجر فلما مر من صحة القسم
بها وكونها بمنزلة الله والله على اللغتين ومن جعلها اسما للسور لم يتصور ان يكون لها
محل في مذهبه كما لا محل للجمل المبتدأة وللمفردات المعددة ذلك الكتاب لا ريب فيه
هدى للمتقين **فان قلت** لم صحت الاشارة بذلك الى ما ليس ببعيد وقعت
الاشارة الى الم بعد ما سبق التكلم به وتقضى والمقضي في حكم المتباعد وهذا في كل كلام يحدث
الرجل بحديث ثم يقول وذلك ما لا شك فيه ويحسب الحاسب ثم يقول فذلك كذا وكذا
تعالى لا فارض ولا بكر عوان بين ذلك وقال ذلكما مما علمني ربي ولانه لما وصل
من المرسل الى المرسل اليه وقع في حد البعد كما تقول لصاحبك وقد اعطيته شيئا احتفظ بذلك
وقيل معناه ذلك الكتاب الذي وعدوا به **فان قلت** لم ذكر اسم الاشارة والمشار اليه
مؤنث وهو السورة لا اخلو من ان اجعل الكتاب خبره او صفته فان جعلته خبره
كان ذلك في معناه ومسماه مسماه فجاز اجراء حكمه عليه في التذكير كما اجرى عليه في التأنيث في قولهم
من كانت امك وان جعلته صفته فانما اشير به الى الكتاب صريحا لان اسم الاشارة مشار به
الى الجنس الواقع صفة له تقول هند ذلك الانسان او ذلك الشخص فعل كذا **وقال**
الذبياني نبئت نعمى على الهجران عاتبة سقيا ورعيا لذاك العاتب الزاري
فان قلت اخبرني عن تأليف ذلك الكتاب مع الم ان جعلت الم اسما للسورة
ففي التأليف وجوه ان يكون الم مبتدأ وذلك مبتدأ ثانيا والكتاب خبره والجملة خبر المبتدأ

الاول ومعناه ان ذلك هو الكتاب الكامل كان ما عداه من الكتب في مقابلته ناقص وانه الذي يستاهل ان يسمى كتابا كما تقول هو الرجل اى الكامل في الرجولية الجامع لما يكون في الرجال من مرضيات الخصال وكما قال

وان الذي حانت بفلج دماؤهم هم القوم كل القوم يا ام خالد

وان يكون الكتاب صفة ومعناه هو ذلك الكتاب الموعود وان يكون الم خبر مبتدا محذوف اى هذه الم ويكون ذلك خبرا ثانيا او بدلا على ان الكتاب صفة وان يكون هذه الم جملة وذلك الكتاب جملة اخرى وان جعلت الم بمنزلة الصوت كان ذلك مبتدا خبره الكتاب اى ذلك الكتاب المنزل هو الكتاب الكامل او الكتاب صفته والخبر ما بعده او قدر مبتدا محذوف اى هو يعني المولف من هذه الحروف ذلك الكتاب وقرا عبد الله الم تنزيل الكتاب لا ريب فيه وتاليف هذا ظاهر والريب مصدر رابني اذا حصل فيك الريبة وحقيقة الريبة قلق النفس واضطرابها ومنه ما روى الحسن بن علي رضي الله عنهما انه قال سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول دع ما يريبك الى ما لا يريبك فان الشك ريبة وان الصدق طمانينة اى فان كون الامر مشكوكا فيه مما تقلق له النفس ولا تستقر وكونه صحيحا صادقا مما تطمئن له وتسكن ومنه ريب الزمان وهو ما يقلق النفوس ويشخص بالقلوب من نوائبه ومنه انه مر بظبي حاقف فقال لا يريبه احد بشيء فان قلت كيف نفي الريب على سبيل الاستغراق وكم من مرتاب فيه قلت ما نفي ان احدا لا يرتاب فيه وانما المنفي كونه متعلقا للريب ومظنة له لانه من وضوح الدلالة وسطوع البرهان بحيث لا ينبغي لمرتاب ان يقع فيه الا ترى الى قوله وان كنتم في ريب مما نزلنا على عبدنا فاتوا بسورة من مثله فما ابعد وجود الريب منهم وانما عرفهم الطريق الى مزيل الريب وهو ان يحزروا انفسهم ويروزوا قواهم في البلاغة هل تتم للمعارضة ام تتضاءل دونها فيتحققوا عند عجزهم ان ليس فيه مجال للشبهة ولا مدخل للريبة فان قلت فهلا قدم الظرف على الريب كما قدم على الغول في قوله لا فيها غول قلت لان القصد في ايلاء الريب حرف النفي نفي الريب عنه واثبات انه حق وصدق لا باطل وكذب كما كان المشركون يدعونه ولو اولي الظرف لقصد الى ما يبعد عن المراد وهو ان كتابا آخر فيه الريب لا فيه كما قصد في قوله لا فيها غول تفضيل خمر الجنة على خمور الدنيا بانها لا تغتال العقول كما تغتالها هي كانه قيل ليس فيها ما في غيرها من هذا العيب والنقيصة وقرا ابو الشعثاء لا ريب فيه بالرفع والفرق بينها وبين المشهورة ان المشهورة توجب الاستغراق وهذه تجوزه والوقف على فيه هو المشهور وعن نافع وعاصم انهما وقفا على لا ريب ولا بد للواقف من ان ينوي خبرا ونظيره قوله تعالى قالوا لا ضير وقول العرب لا باس وهي كثيرة في لسان اهل الحجاز والتقدير لا ريب فيه فيه هدى الهدى مصدر على فعل كالسرى والبكاء وهو الدلالة الموصلة الى البغية بدليل وقوع الضلالة في مقابلته تعالى اولئك الذين اشتروا الضلالة بالهدى وقال تعالى لعلى هدى او في ضلال مبين ويقال مهدي في موضع المدح كمهتد ولان اهتدى مطاوع هدى ولن يكون المطاوع في خلاف معنى اصله الا ترى الى نحو غمه فاغتم وكسره فانكسر واشباه ذلك فان قلت فلم قيل هدى للمتقين والمتقون هم المهتدون قلت هو كقولك للعزيز المكرم اعزك

الله واكرمك تريد طلب الزيادة الى ما هو ثابت فيه واستدامته كقوله تعالى اهدنا الصراط المستقيم ووجه آخر وهو انه سماهم عند مشارفتهم لاكتساء لباس التقوى متقين كقول رسول الله صلى الله عليه وسلم من قتل قتيلا فله سلبه وعن ابن عباس رضي الله عنهما اذا اراد احدكم الحج فليعجل فانه يمرض المريض وتضل الضالة وتكون الحاجة فسمى المشارف للقتل والمرض والضلال قتيلا ومريضا وضالة ومنه قوله عز وجل ولا يلدوا الا فاجرا كفارا اى صائرا الى الفجور والكفر فان قلت فهلا قيل هدى للضالين قلت لان الضالين فريقان فريق علم بقاؤهم على الضلالة وهم المطبوع على قلوبهم وفريق علم ان مصيرهم الى الهدى فلا يكون هدى للفريق الباقين على الضلالة فبقي ان يكون هدى لهؤلاء فلو جيء بالعبارة المفصحة عن ذلك لقيل هدى للصائرين الى الهدى بعد الضلال فاختصر الكلام باجرائه على الطريقة التي ذكرنا فقيل هدى للمتقين وايضا فقد جعل ذلك سلما الى تصدير السورة التي هي اولى الزهراوين وسنام القرآن واول المثاني بذكر اولياء الله والمرتضين من عباده والمتقي في اللغة اسم فاعل من قولهم وقاه فاتقى والوقاية فرط الصيانة ومنه فرس واق وهذه الدابة تقي من وجاها اذا اصابه ضلع من غلظ الارض ورقة الحافر فهو يقي حافره ان يصيبه ادنى شيء يؤلمه وهو في الشريعة الذي يقي نفسه ما يستحق به العقوبة من فعل او ترك واختلف في الصغائر وقيل الصحيح انه لا يتناولها لانها تقع مكفرة عن مجتنب الكبائر وقيل يطلق على الرجل اسم المؤمن لظاهر الحال والمتقي لا يطلق الا عن خبرة كما لا يجوز اطلاق العدل الا على المختبر ومحل هدى للمتقين الرفع لانه خبر مبتدا محذوف او خبر مع لا ريب فيه لذلك او مبتدا اذا جعل الظرف المقدم خبرا عنه ويجوز ان ينتصب على الحال والعامل فيه معنى الاشارة او الظرف والذي هو ارسخ عرقا في البلاغة ان يضرب عن هذه المحال صفحا وان يقال ان قوله الم جملة برأسها او طائفة من حروف المعجم مستقلة بنفسها وذلك الكتاب جملة ثانية ولا ريب فيه ثالثة وهدى للمتقين رابعة وقد اصيب بترتيبها مفصل البلاغة وموجب حسن النظم حيث جيء بها متناسقة هكذا من غير حرف نسق وذلك لمجيئها متآخية آخذا بعضها بعنق بعض فالثانية متحدة بالاولى معتنقة لها وهلم جرا الى الثالثة والرابعة بيان ذلك انه نبه اولا على انه الكلام المتحدى به ثم اشير اليه بانه الكتاب المنعوت بغاية الكمال فكان تقريرا لجهة التحدي وشدا من اعضاده ثم نفى عنه ان يتشبث به طرف من الريب فكان شهادة وتسجيلا بكماله لانه لا كمال اكمل مما للحق واليقين ولا نقص انقص مما للباطل والشبهة وقيل لبعض العلماء فيم لذتك فقال في حجة تتبختر اتضاحا وفي شبهة تتضاءل افتضاحا ثم اخبر عنه بانه هدى للمتقين فقرر بذلك كونه يقينا لا يحوم الشك حوله لا يأتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه ثم لم تخل كل واحدة من الاربع بعد ان رتبت هذا الترتيب الانيق ونظمت هذا النظم السري من نكتة ذات جزالة ففي الاولى الحذف والرمز الى الغرض بالطف وجه وارشقه وفي الثانية ما في التعريف من الفخامة وفي الثالثة ما في تقديم الريب على الظرف وفي الرابعة الحذف ووضع المصدر الذي هو هدى موضع الوصف الذي هو هاد وايراده منكرا والايجاز في ذكر المتقين زادنا الله اطلاعا على اسرار كلامه وتبيينا لنكت تنزيله وتوفيقا للعمل بما فيه

الذين يؤمنون بالغيب ويقيمون الصلوة ومما رزقناهم ينفقون الذين يؤمنون إما
موصول بالمتقين على أنه صفة مجرورة أو مدح منصوب أو مرفوع بتقدير أعني الذين يؤمنون
أو هم الذين يؤمنون وإما منقطع عن المتقين مرفوع على الابتداء مخبر عنه بأولئك على هدى
فإذا كان موصولا كان الوقف على المتقين حسنا غير تام وإذا كان منقطعا كان وقفا تاما
ما هذه الصفة أواردة بيانا وكشفا للمتقين أم مسرودة مع المتقين تفيد
غير فائدتها أم جاءت على سبيل المدح والثناء كصفات الله تعالى الجارية عليه تمجيدا
قلت يحتمل أن ترد على طريق البيان والكشف لاشتمالها على ما أسست عليه حال المتقين
من فعل الحسنات وترك السيئات أما الفعل فقد انطوى تحت ذكر الإيمان الذي هو أساس
الحسنات ومنبعها وذكر الصلوة والصدقة لأن هاتين أما العبادات البدنية والمالية
وهما العيار على غيرهما ألم تر كيف سمى رسول الله صلى الله عليه وسلم الصلوة عماد الدين وجعل
الفاصل بين الإسلام والكفر ترك الصلوة وسمى الزكوة قنطرة الإسلام
وقيل للمشركين الذين لا يؤتون الزكوة فلما كانتا بهذه المثابة كان من شأنهما استجرار سائر العبادات
واستتباعها ومن ثم اختصر الكلام اختصارا بأن استغني عن عد الطاعات بذكر ما هو كالعنوان
لها والذي إذا وجد لم تتوقف أخواته أن يقترن به مع ما في ذلك من الإفصاح عن فضل هاتين
العبادتين وأما الترك فكذلك ألا ترى إلى قوله إن الصلوة تنهى عن الفحشاء والمنكر
ويحتمل أن لا تكون بيانا للمتقين وتكون صفة برأسها دالة على فعل الطاعات ويراد بالمتقين الذين
يجتنبون المعاصي ويحتمل أن تكون مدحا للموصوفين بالتقوى وتخصيصا للإيمان بالغيب وإقام
الصلوة وإيتاء الزكوة بالذكر إظهارا لإنافتها على سائر ما يدخل تحت حقيقة هذا الاسم من الحسنات
والإيمان إفعال من الأمن يقال أمنته وآمنته غيري ثم يقال آمنه إذا صدقه وحقيقته آمنه
التكذيب والمخالفة وأما تعديته بالباء فلتضمينه معنى أقر واعترف وأما ما حكى أبو زيد
عن العرب ما آمنت أن أجد صحابة أي ما وثقت فحقيقته صرت ذا أمن به أي ذا سكون وطمأنينة
وكلا الوجهين حسن في يؤمنون بالغيب أي يعترفون به أو يثقون بأنه حق ويجوز أن لا يكون
بالغيب صلة للإيمان وأن يكون في موضع الحال أي يؤمنون غائبين عن المؤمن به وحقيقته
ملتبسين بالغيب كما قال الله عز وعلا الذين يخشون ربهم بالغيب ليعلم أني لم أخنه بالغيب
ويعضده ما روي أن أصحاب عبد الله ذكروا أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم وإيمانهم
فقال ابن مسعود إن أمر محمد كان بينا لمن رآه والذي لا إله غيره ما آمن مؤمن أفضل
من إيمان بغيب ثم قرأ هذه الآية **فإن قلت** فما المراد بالغيب إن جعلته صلة وإن جعلته
حالا **قلت** إن جعلته صلة كان بمعنى الغائب إما تسمية بالمصدر من قولك غاب الشيء غيبا
كما سمي الشاهد بالشهادة عالم الغيب والشهادة والعرب تسمي
المطمئن من الأرض غيبا وعن النضر بن شميل شربت الإبل حتى وارت غيوب كلاها يريد بالغيب
الخمصة التي تكون في موضع الكلية إذا بطنت الدابة انتفخت وإما أن يكون فيعلا فخفف كما
قيل قيل وأصله قيل والمراد به الخفي الذي لا ينفذ فيه ابتداء إلا علم اللطيف الخبير وإنما نعلم
منه نحن ما أعلمناه أو نصب لنا دليلا عليه ولهذا لا يجوز أن يطلق فيقال فلان يعلم الغيب وذلك

نحو الصانع وصفاته والنبوات وما يتعلق بها والبعث والنشور والحساب والوعد والوعيد
وغير ذلك وإن جعلته حالا كان بمعنى الغيبة **فإن قلت** ما الإيمان الصحيح
أن يعتقد الحق ويعرب عنه بلسانه ويصدقه بعمله فمن أخل بالاعتقاد وإن شهد وعمل فهو منافق
ومن أخل بالشهادة فهو كافر ومن أخل بالعمل فهو فاسق ومعنى إقامة الصلوة تعديل أركانها
وحفظها من أن يقع زيغ في فرائضها وسننها وآدابها من أقام العود إذا قومه والدوام
عليها والمحافظة كما قال تعالى الذين هم على صلوتهم دائمون والذين هم على صلواتهم
يحافظون من قامت السوق إذا نفقت وأقامها **قال**
أقامت غزالة سوق الضراب لأهل العراقين حولا قميطا لأنها إذا حوفظ
عليها كانت كالشيء النافق الذي تتوجه إليه الرغبات ويتنافس فيه المحصلون وإذا عطلت
وأضيعت كانت كالشيء الكاسد الذي لا يرغب فيه أو التجلد والتشمر لأدائها وأن لا يكون
في مؤديها فتور عنها ولا توان من قولهم قام بالأمر وقامت الحرب على ساقها وفي ضده
قعد عن الأمر وتقاعد عنه إذا تقاعس وتثبط أو أداؤها فعبر عن الأداء بالإقامة لأن
القيام بعض أركانها كما عبر عنه بالقنوت والقنوت القيام وبالركوع وبالسجود وقالوا سبح
إذا صلى لوجود التسبيح فيها فلولا أنه كان من المسبحين والصلوة فعلة من صلى كالزكوة
وكتبها بالواو على لفظ المفخم وحقيقة صلى حرك الصلوين لأن المصلي يفعل ذلك في ركوعه وسجوده
ونظيره كفر اليهودي إذا طأطأ رأسه وانحنى عند تعظيم صاحبه لأنه ينثني على الكاذتين وهما
الكاذتان وقيل للداعي مصل تشبيها في تخشعه بالراكع والساجد وإسناد الرزق إلى نفسه
للإعلام بأنهم ينفقون الحلال الطلق الذي يستأهل أن يضاف إلى الله ويسمى رزقا منه وأدخل
من التبعيضية صيانة لهم وكفا عن الإسراف والتبذير المنهي عنه وقدم مفعول الفعل دلالة
على كونه أهم كأنه قال ويخصون بعض المال الحلال بالتصدق به وجائز أن يراد به الزكوة
المفروضة لاقترانه بأخت الزكوة وشقيقتها وهي الصلوة وأن تراد هي وغيرها من النفقات
في سبل الخير لمجيئه مطلقا يصلح أن يتناول كل منفق وأنفق الشيء وأنفده أخوان وعن يعقوب
نفق الشيء ونفد واحد وكل ما جاء مما فاؤه نون وعينه فاء فدال على معنى الخروج والذهاب
ونحو ذلك إذا تأملت والذين يؤمنون بما أنزل إليك وما أنزل من قبلك وبالآخرة
هم يوقنون والذين يؤمنون هم غير الأولين أم هم الأولون وإنما وسط
العاطف كما يوسط بين الصفات في قولك هو الشجاع والجواد وفي قوله
إلى الملك القرم وابن الهمام وليث الكتيبة في المزدحم
بالهف زيابة للحارث الصابح فالغانم فالآيب **قلت** يحتمل أن يراد بهؤلاء
مؤمنو أهل الكتاب كعبد الله بن سلام وأضرابه من الذين آمنوا فاشتمل إيمانهم على كل وحي
أنزل من عند الله وأيقنوا بالآخرة إيقانا زال معه ما كانوا عليه من أنه لا يدخل الجنة إلا من
كان هودا أو نصارى وأن النار لن تمسهم إلا أياما معدودات واجتماعهم على الإقرار
بالنشأة الأخرى وإعادة الأرواح في الأجساد ثم افتراقهم فرقتين منهم من قال تجري حالهم
في التلذذ بالمطاعم والمشارب والمناكح على حسب مجراها في الدنيا ودفعه آخرون فزعموا

ان ذلك انما احتيج اليه في هذه الدار من اجل نماء الاجسام ولمكان التوالد والتناسل واهل الجنة
مستغنون عنه فلا يتلذذون الا بالنسيم والارواح العبقة والسماع اللذيذ والفرح والسرور
واختلافهم في الدوام والانقطاع فيكون المعطوف غير المعطوف عليه ويحتمل ان يراد وصف
الاولين ووسط العاطف على معنى انهم الجامعون بين تلك الصفات وهذه **فان قلت**
فان اريد بهؤلاء غير اولئك فهل يدخلون في جملة المتقين ام لا ان عطفتهم على
الذين يؤمنون بالغيب دخلوا وكانت صفة التقوى مشتملة على الزمرتين من مؤمني اهل الكتاب
وغيرهم وان عطفتهم على المتقين لم يدخلوا وكانه قيل هدى للمتقين وهدى للذين يؤمنون
بما انزل اليك **فان قلت** قوله بما انزل اليك ان عني به القرآن باسره والشريعة عن آخرها
فلم يكن ذلك منزلا وقت ايمانهم فكيف قيل انزل بلفظ المضي وان اريد به المقدار الذي سبق
انزاله وقت ايمانهم فهو ايمان ببعض المنزل واشتمال الايمان على الجميع بالغه ومترقبه واجب
المراد المنزل كله وانما عبر عنه بلفظ المضي وان كان بعضه مترقبا تغليبا للموجود على ما لم
يوجد كما يغلب المتكلم على المخاطب والمخاطب على الغائب فيقال انا وانت فعلنا وانت وزيد تفعلان
ولانه اذا كان بعضه نازلا وبعضه منتظر النزول جعل كان كله قد نزل وانتهى نزوله ويدل عليه
قوله انا سمعنا كتابا انزل من بعد موسى ولم يسمعوا جميع الكتاب ولا كان كله منزلا ولكن سبيله سبيل
ما ذكرنا ونظيره قولك كل ما خطب به فلان فهو فصيح وما تكلم بشيء الا وهو نادر ولا تريد بهذا الماضي
فحسب دون الآتي لكونه معقودا بعضه ببعض ومربوطا آتيه بماضيه **وقرا** يزيد بن قطيب
بما انزل اليك وما انزل من قبلك على لفظ ما سمي فاعله وفي تقديم الآخرة وبناء يوقنون على
هم تعريض باهل الكتاب وبما كانوا عليه من اثبات امر الآخرة على خلاف حقيقته وان قولهم
ليس بصادر عن ايقان وان اليقين ما عليه من آمن بما انزل اليك وما انزل من قبلك والايقان
اتقان العلم بانتفاء الشك والشبهة عنه والآخرة تانيث الآخر الذي هو نقيض الاول
وهي صفة الدار بدليل قوله تعالى تلك الدار الآخرة وهي من الصفات الغالبة وكذلك الدنيا
وعن نافع انه خففها بان حذف الهمزة والقى حركتها على اللام كقوله دابة الارض **وقرا**
ابو حية النميري يؤقنون بالهمز جعل الضمة في جار الواو كانها فيه فقلبها قلب واو وجوه ووقتت
ونحوه لحب المؤقدان الي موسى وجعدة اذ اضاءهما الوقود **اولئك على هدى من ربهم**
واولئك هم المفلحون اولئك على هدى الجملة في محل الرفع ان كان الذين يؤمنون بالغيب
مبتدأ والا فلا محل لها ونظم الكلام على الوجهين انك اذا نويت الابتداء بالذين يؤمنون
بالغيب فقد ذهبت به مذهب الاستئناف وذلك انه لما قيل هدى للمتقين فاختص المتقون
بان الكتاب لهم هدى اتجه لسائل ان يسال فيقول ما بال المتقين مخصوصين بذلك فوقع قوله
الذين يؤمنون بالغيب الى ساقته كانه جواب لهذا السؤال المقدر وجيء بصفة المتقين المنطوي
تحتها خصائصهم التي استوجبوا بها من الله ان يلطف بهم ويفعل بهم ما لا يفعل بمن ليسوا على
صفتهم اي الذين هؤلاء عقائدهم واعمالهم احقاء بان يهديهم الله ويعطيهم الفلاح ونظيره
قولك احب رسول الله صلى الله عليه وسلم الانصار الذين قارعوا دونه وكشفوا الكرب
عن وجهه اولئك اهل المحبة وان جعلته تابعا للمتقين وقع الاستئناف على اولئك كانه

قيل ما للمستقلين بهذه الصفات قد اختصوا بالهدى فاجيب بان اولئك اهل المحبة الموصوفين غير
مستبعد ان يفوزوا دون الناس بالهدى عاجلا وبالفلاح آجلا ان هذا النوع من
الاستئناف يجيء تارة باعادة اسم من استؤنف عنه الحديث كقولك قد احسنت الى زيد زيد
حقيق بالاحسان وتارة باعادة صفته كقولك احسنت الى زيد صديقك القديم اهل لذلك
منك فيكون الاستئناف باعادة الصفة احسن وابلغ لانطوائها على بيان الموجب وتلخيصه **فان**
قلت هل يجوز ان يجري الموصول الاول على المتقين وان يرتفع الثاني على الابتداء واولئك خبره
نعم على ان يجعل اختصاصهم بالهدى والفلاح تعريضا باهل الكتاب الذين لم يؤمنوا
بنبوة رسول الله صلى الله عليه وسلم وهم ظانون انهم على الهدى وطامعون انهم ينالون الفلاح
عند الله وفي اسم الاشارة الذي هو اولئك ايذان بان ما يرد عقيبه فالمذكورون قبله اهل لاكتسابه
من اجل الخصال التي عددت لهم كما قال حاتم ولله صعلوك ثم عدد له خصالا فاضلة
ثم عقب تعديدها بقوله فذلك ان يهلك فحسنى ثناؤه وان عاش لم يقعد ضعيفا مذمما
ومعنى الاستعلاء في قوله على هدى مثل لتمكنهم من الهدى واستقرارهم عليه وتمسكهم به شبهت حالهم
بحال من اعتلى الشيء وركبه ونحوه على الحق وعلى الباطل وقد صرحوا بذلك في قولهم جعل الغواية
مركبا وامتطى الجهل واقتعد غارب الهوى ومعنى هدى من ربهم اي منحوه من عنده واوتوه من
قبله وهو اللطف والتوفيق الذي اعتضدوا به على اعمال الخير والترقي الى الافضل فالافضل ونكر
هدى ليفيد ضربا مبهما لا يبلغ كنهه ولا يقادر قدره كانه قيل على اي هدى كما تقول لو ابصرت فلانا
لابصرت رجلا وقال الهذلي فلا وابي الطير المربة بالضحى على خالد لقد وقعت على لحم
والنون في من ربهم ادغمت بغنة وبغير غنة فالكسائي وحمزة ويزيد وورش في رواية وابن
كثير لم يغنوها وقد اغنها الباقون الا ابا عمرو فقد روي عنه فيها روايتان وفي تكرير اولئك
تنبيه على انهم كما ثبتت لهم الاثرة بالهدى فهي ثابتة لهم بالفلاح فجعلت كل واحدة من الاثرتين في
تمييزهم بها عن غيرهم بالمثابة التي لو انفردت كفت مميزة على حيالها لم جاء مع العاطف
وما الفرق بينه وبين قوله اولئك كالانعام بل هم اضل اولئك هم الغافلون قد
اختلف الخبران ههنا فلذلك دخل العاطف بخلاف الخبرين ثمة فانهما متفقان لان التسجيل عليهم
بالغفلة وتشبيههم بالبهائم شيء واحد فكانت الجملة الثانية مقررة لما في الاولى فهي من العطف
بمعزل وهم فصل وفائدته الدلالة على ان الوارد بعده خبر لا صفة والتوكيد وايجاب ان
فائدة المسند ثابتة للمسند اليه دون غيره او هو مبتدأ والمفلحون خبره والجملة خبر اولئك ومعنى
التعريف في المفلحون الدلالة على ان المتقين هم الناس الذين بلغك انهم يفلحون في الآخرة كما اذا بلغك ان انسانا
قد تاب من اهل بلدك فاستخبرت من هو فقيل زيد التائب اي هو الذي اخبرت بتوبته او على انهم
الذين ان حصلت صفة المفلحين وتحققوا ما هم وتصوروا بصورتهم الحقيقية فهم هم لا يعدون
تلك الحقيقة كما تقول لصاحبك هل عرفت الاسد وما جبل عليه من فرط الاقدام ان زيدا هو
هو فانظر كيف كرر الله عز وجل التنبيه على اختصاص المتقين بنيل ما لا يناله احد على طرق شتى
وهي ذكر اسم الاشارة وتكريره وتعريف المفلحين وتوسيط الفصل بينه وبين اولئك ليبصرك
مراتبهم ويرغبك في طلب ما طلبوا وينشطك لتقديم ما قدموا ويثبطك عن الطمع الفارغ

والرجا الكاذب والتمني على الله ما لا تقتضيه حكمته ولم تسبق به كلمته اللهم زيّنا بلباس التقوى
واحشرنا في زمرة الذين صُدّرت بذكرهم سورة البقرة والمفلح الفائز بالبغية كأنه الذي انفتحت
له وجوه الظفر ولم تستغلق عليه والمفلج بالجيم مثله ومنه قولهم للمطلّقة استفلجي بأمرك بالحاء والجيم
والتركيب دالّ على معنى الشق والفتح وكذلك أخواته في الفاء والعين نحو فلق وفلذ وفلى إن
الذين كفروا سواء عليهم أأنذرتهم أم لم تنذرهم لا يؤمنون لما قدّم ذكر أوليائه وخالصة
عباده بصفاتهم التي أهّلتهم لإصابة الزلفى عنده وبيّن أن الكتاب هدى ولطف لهم خاصة قفّى على
أثره بذكر أضدادهم وهم العتاة المردة من الكفار الذين لا ينفع فيهم الهدى ولا يجدي عليهم
اللطف وسواء عليهم وجود الكتاب وعدمه وإنذار الرسول وسكوته فإن قلت لم قطعت
قصة الكفار عن قصة المؤمنين ولم تعطف كنحو قوله تعالى إن الأبرار لفي نعيم وإن الفجار لفي جحيم
وغيره من الآي الكثيرة ليس هاتين القصتين وزان ما ذكرت لأن الأولى فيما نحن فيه
مسوقة لذكر الكتاب وأنه هدى للمتقين وسيقت الثانية لأن الكفار من صفتهم كيت وكيت
فبين الجملتين تباين في الغرض والأسلوب وهما على حدّ لا مجال فيه للعاطف
هذا إذا زعمت أن الذين يؤمنون جار على المتقين فأما إذا ابتدأته وبنيت الكلام لصفة المؤمنين
ثم عقّبته بكلام آخر في صفة أضدادهم كان مثل تلك الآي المتلوّة قلت قد مرّ لي أن الكلام
المبتدأ عقيب المتقين سبيله الاستئناف وأنه مبني على تقدير سؤال فذلك إدراج له في حكم المتقين
وتابع له في المعنى وإن كان مبتدأ في اللفظ فهو في الحقيقة كالجاري عليه والتعريف في الذين كفروا
يجوز أن يكون للعهد وأن يراد بهم ناس بأعيانهم كأبي لهب وأبي جهل والوليد بن المغيرة وأضرابهم
وأن يكون للجنس متناولا كل من صمّم على كفره تصميما لا يرعوي بعده وغيرهم ودلّ على تناوله للمصرّين
الحديث عنهم باستواء الإنذار وتركه عليهم وسواء اسم بمعنى الاستواء وُصف به كما يوصف
بالمصادر ومنه قوله تعالى تعالوا إلى كلمة سواء بيننا وبينكم في أربعة أيام سواء للسائلين
بمعنى مستوية وارتفاعه على أنه خبر لأنّ وأأنذرتهم أم لم تنذرهم في موضع المرتفع على الفاعلية
كأنه قيل إن الذين كفروا مستوٍ عليهم إنذارك وعدمه كما تقول إن زيدا مختصم أخوه وابن عمه أو
يكون أأنذرتهم أم لم تنذرهم في موضع الابتداء وسواء خبرا مقدما بمعنى سواء عليهم إنذارك وعدمه
والجملة خبر لأنّ الفعل أبدا خبر لا مخبر عنه فكيف صحّ الإخبار عنه في هذا الكلام
قلت هو من جنس الكلام المهجور فيه جانب اللفظ إلى جانب المعنى وقد وجدنا العرب يميلون
في مواضع من كلامهم مع المعاني ميلا بيّنا من ذلك قولهم لا تأكل السمك وتشرب اللبن معناه
لا يكن منك أكل السمك وشرب اللبن وإن كان ظاهر اللفظ على ما لا يصح من عطف الاسم على الفعل
والهمزة وأم مجرّدتان لمعنى الاستواء وقد انسلخ عنهما معنى الاستفهام رأسا قال سيبويه جرى
هذا على حرف الاستفهام كما جرى على حرف النداء قولك اللهم اغفر لنا أيتها العصابة يعني أن هذا
جرى على صورة الاستفهام ولا استفهام كما أن ذلك جرى على صورة النداء ولا نداء ومعنى
الاستواء استواؤهما في علم المستفهم عنهما لأنه قد علم أن أحد الأمرين كائن إما الإنذار وإما عدمه
ولكن لا بعينه فكلاهما معلوم بعلم غير معيّن وقرئ أأنذرتهم بتحقيق الهمزتين والتخفيف أعرب
وأكثر وبتخفيف الثانية بين بين وبتوسيط ألف بينهما محققتين وبتوسيطها والثانية

بين بين وبحذف حرف الاستفهام وبحذفه وإلقاء حركته على الساكن قبله كما قرئ قد افلح فإن
قلت ما تقول فيمن يقلب الثانية ألفا هو لاحن خارج عن كلام العرب خروجين
أحدهما الإقدام على جمع الساكنين على غير حدّه وحدّه أن يكون الأول حرف لين والثاني حرفا
مدغما نحو قوله الضالين وخويصة والثاني إخطاء طريق التخفيف لأن طريق تخفيف الهمزة
المتحركة المفتوح ما قبلها أن تخرج بين بين فأما القلب ألفا فهو تخفيف الهمزة الساكنة
المفتوح ما قبلها كهمزة رأس والإنذار التخويف من عقاب الله بالزجر عن المعاصي
ما موقع لا يؤمنون قلت إما أن يكون جملة مؤكدة للجملة قبلها أو خبرا لأنّ
والجملة قبلها اعتراض ختم الله على قلوبهم وعلى سمعهم وعلى أبصارهم غشاوة ولهم عذاب
عظيم الختم والكتم أخوان لأن في الاستيثاق من الشيء بضرب الخاتم عليه كتما له وتغطية لئلا
يتوصّل إليه ولا يطّلع عليه والغشاوة الغطاء فعالة من غشّاه إذا غطّاه وهذا البناء لما
يشتمل على الشيء كالعصابة والعمامة ما معنى الختم على القلوب والأسماع
وتغشية الأبصار قلت لا ختم ولا تغشية ثَمّ على الحقيقة وإنما هو من باب المجاز ويحتمل
أن يكون من كلا نوعيه وهما الاستعارة والتمثيل أما الاستعارة فأن تجعل قلوبهم لأن
الحق لا ينفذ فيها ولا يخلص إلى ضمائرها من قبل إعراضهم عنه واستكبارهم عن قبوله واعتقاده
وأسماعهم لأنها تمجّه وتنبو عن الإصغاء إليه وتعاف استماعه كأنها مستوثق منها بالختم
وأبصارهم لأنها لا تجتلي آيات الله المعروضة ودلائله المنصوبة كما تجتليها أعين المعتبرين
المستبصرين كأنما غطّي عليها وحجبت وحيل بينها وبين الإدراك وأما التمثيل فأن تمثّل حيث
لم يستنفعوا بها في الأغراض الدينية التي كلّفوها وخلقوا من أجلها بأشياء ضرب حجاز بينها وبين
الاستنفاع بها بالختم والتغطية وقد جعل بعض المازنيين الحبسة في اللسان والعيّ ختما عليه
فقال ختم الإله على لسان عذافر ختما فليس على الكلام بقادر
فإن قلت وإذا أراد النطق خلت لسانه لحما يحركه لصقر ناقر
لم أسند الختم إلى الله تعالى وإسناده إليه يدل على المنع من قبول الحق والتوصل إليه بطرقه
وهو قبيح والله يتعالى عن فعل القبيح علوا كبيرا لعلمه بقبحه وعلمه بغناه عنه وقد نصّ على تنزيه
ذاته بقوله تعالى وما أنا بظلام للعبيد وما ظلمناهم ولكن كانوا هم الظالمين إن الله لا يأمر
بالفحشاء ونظائر ذلك مما نطق به التنزيل قلت القصد إلى صفة القلوب بأنها كالمختوم
عليها وأما إسناد الختم إلى الله عز وجل فلينبّه على أن هذه الصفة في فرط تمكّنها وثبات قدمها
كالشيء الخلقي غير العرضي ألا ترى إلى قولهم فلان مجبول على كذا ومفطور عليه يريدون أنه
بليغ في الثبات عليه وكيف يتخيّل ما خيّل إليك وقد وردت الآية ناعية على الكفار شناعة
صفتهم وسماجة حالهم ونيط بذلك الوعيد بعذاب عظيم ويجوز أن تضرب الجملة كما هي
وهي ختم الله على قلوبهم مثلا كقولهم سال به الوادي إذا هلك وطارت به العنقاء إذا أطال
الغيبة وليس للوادي ولا للعنقاء عمل في هلاكه ولا في طول غيبته وإنما هو تمثيل مثّلت حاله
في هلاكه بحال من سال به الوادي وفي طول غيبته بحال من طارت به العنقاء فكذلك مثّلت
حال قلوبهم فيما كانت عليه من التجافي عن الحق بحال قلوب ختم الله عليها نحو قلوب الأغتام

التي هي في خلوها عن الفطن كقلوب البهائم او تخال قلوب البهائم انفسها او يخاله قلوب مقدرا ختم الله عليها حتى لا تعي شيئا ولا تفقه وليس له عز وجل فعل في تجافيها عن الحق ونبوها عن قبوله وهو متعال عن ذلك ويجوز ان يستعار الاسناد في نفسه من غير الله لله فيكون الختم مسندا الى اسم الله على سبيل المجاز وهو لغيره حقيقة تفسير هذا ان للفعل ملابسات شتى يلابس الفاعل والمفعول به والمصدر والزمان والمكان والمسبب له فاسناده الى الفاعل حقيقة وقد يسند الى هذه الاشياء على طريق المجاز المسمى استعارة وذلك لمضاهاتها للفاعل في ملابسة الفعل كما يضاهي الرجل الاسد في جرأته فيستعار له اسمه فيقال في المفعول به عيشة راضية وماء دافق وفي عكسه سيل مفعم وفي المصدر شعر شاعر وذيل ذائل وفي الزمان نهاره صائم وليله قائم وفي المكان طريق سائر ونهر جار واهل مكة يقولون صلى المقام وفي المسبب بنى الامير المدينة وناقة ضبوث وحلوب

وقال اذا رد عافي القدر من يستعيرها فالشيطان هو الخاتم في الحقيقة او الكافر الا ان الله سبحانه لما كان هو الذي اقدره ومكنه اسند اليه الختم كما يسند الفعل الى المسبب ووجه رابع وهو انهم لما كانوا على القطع والبت ممن لا يؤمن به ولا تغني عنهم الايات والنذر ولا تجدي عليهم الالطاف المحصلة ولا المقربة ان اعطوها لم يبق بعد استحكام العلم بانه لا طريق الى ان يؤمنوا طوعا واختيارا طريق الى ايمانهم الا القسر والالجاء واذا لم يبق طريق الا ان يقسرهم الله ويلجئهم ثم لم يقسرهم ولم يلجئهم لئلا ينتقض الغرض في التكليف عبر عن ترك القسر والالجاء بالختم اشعارا بانهم الذين ترامى امرهم في التصميم على الكفر والاصرار عليه الى حد لا ينتهون عنه الا بالقسر والالجاء وهي الغاية القصوى في وصف لجاجهم في الغي واستشرائهم في الضلال والبغي ووجه خامس وهو ان يكون حكاية لما كان الكفرة يقولونه تهكما بهم من قولهم قلوبنا في اكنة مما تدعونا اليه وفي آذاننا وقر ومن بيننا وبينك حجاب ونظيره في الحكاية والتهكم قوله لم يكن الذين كفروا من اهل الكتاب والمشركين منفكين حتى تأتيهم البينة فان قلت اللفظ يحتمل ان تكون الاسماع داخلة في حكم الختم وفي حكم التغشية فعلى ايهما يعول على دخولها في حكم الختم لقوله عز وجل وختم على سمعه وقلبه وجعل على بصره غشاوة ولوقفهم على سمعهم دون قلوبهم فان قلت اي فائدة في تكرير الجار في قوله وعلى سمعهم قلت لو لم يكرر لكان انتظاما للقلوب والاسماع في تعدية واحدة وحين استجد للاسماع تعدية على حدة كان ادل على شدة الختم في الموضعين ووحد السمع كما وحد البطن في قوله كلوا في بعض بطنكم تعفوا يفعلون ذلك اذا امن اللبس فاذا لم يؤمن كقولك فرسهم وثوبهم وانت تريد الجمع رفضوه ولك ان تقول السمع مصدر في اصله والمصادر لا تجمع فلمح الاصل يدل عليه جمع الاذن في قوله وفي آذاننا وقر وان تقدر مضافا محذوفا اي وعلى حواس سمعهم وقرأ ابن ابي عبلة وعلى اسماعهم فان قلت هل منع ابا عمرو والكسائي من امالة الابصار ما فيه من حرف الاستعلاء وهو الصاد لان الراء المكسورة تغلب المستعلية لما فيها من التكرير كان فيها كسرتين وذلك اعون شيء على الامالة وان يمال له ما لا يمال والبصر

نور العين وهو ما يبصر به الرائي ويدرك المرئيات كما ان البصيرة نور القلب وهو ما به يستبصر ويتأمل وكأنهما جوهران لطيفان خلقهما الله فيهما آلتين للابصار والاستبصار وقرئ غشاوة بالكسر والنصب وغشاوة بالضم والرفع وغشاوة بالفتح والنصب وغشوة بالكسر والرفع وغشوة بالفتح والرفع والنصب وعشاوة بالعين غير المعجمة والرفع من العشا والعذاب مثل النكال بناء ومعنى لانك تقول اعذب عن الشيء اذا امسك عنه كما تقول نكل عنه ومنه العذب لانه يقمع العطش ويردعه بخلاف الملح فانه يزيده ويدل عليه تسميتهم اياه نقاخا لانه ينقخ العطش اي يكسره وفراتا لانه يرفته على القلب ثم اتسع فيه فسمي كل الم فادح عذابا وان لم يكن نكالا اي عقابا يرتدع به الجاني عن المعاودة والفرق بين العظيم والكبير ان العظيم نقيض الحقير والكبير نقيض الصغير فكان العظيم فوق الكبير كما ان الحقير دون الصغير ويستعملان في الجثث والاحداث جميعا تقول رجل عظيم وكبير تريد جثته او خطره ومعنى التنكير ان على ابصارهم نوعا من الاغطية غير ما يتعارفه الناس وهو غطاء التعامي عن آيات الله ولهم من بين الآلام العظام نوع عظيم لا يعلم كنهه الا الله اللهم اجرنا من عذابك ولا تبلنا بسخطك يا واسع المغفرة ومن الناس من يقول آمنا بالله وباليوم الآخر وما هم بمؤمنين افتتح سبحانه بذكر الذين اخلصوا دينهم لله وواطأت فيه قلوبهم ألسنتهم ووافق سرهم علنهم وفعلهم قولهم ثم ثنى بالذين محضوا الكفر ظاهرا وباطنا قلوبا وألسنة ثم ثلث بالذين آمنوا بافواههم ولم تؤمن قلوبهم وابطنوا خلاف ما اظهروا وهم الذين قال فيهم مذبذبين بين ذلك لا الى هؤلاء ولا الى هؤلاء وسماهم المنافقين وكانوا اخبث الكفرة وابغضهم اليه وامقتهم عنده لانهم خلطوا بالكفر تمويها وتدليسا وبالشرك استهزاء وخداعا ولذلك انزل فيهم ان المنافقين في الدرك الاسفل من النار ووصف حال الذين كفروا في آيتين وحال الذين نافقوا في ثلاث عشرة آية نعى عليهم فيها خبثهم ومكرهم وفضحهم وسفههم واستجهلهم واستهزأ بهم وتهكم بفعلهم وسجل بطغيانهم وعمههم ودعاهم صما بكما عميا وضرب لهم الامثال الشنيعة وقصة المنافقين عن آخرها معطوفة على قصة الذين كفروا كما تعطف الجملة على الجملة واصل ناس اناس حذفت همزته تخفيفا كما قيل لوقة في الوقة وحذفها مع لام التعريف كاللازم لا يكاد يقال الاناس ويشهد لاصله انسان واناسي وانس وسموا لظهورهم وانهم يؤنسون اي يبصرون كما سمي الجن لاجتنانهم ولذلك سموا بشرا ووزن ناس فعال لان الزنة على الاصول الا ترى انك تقول في وزن قه افعل وليس معك الا العين وحدها وهو من اسماء الجمع كرخال واما نويس فمن المصغر الآتي على خلاف مكبره كانيسيان وعشيشية ولام التعريف فيه للجنس ويجوز ان يكون للعهد والاشارة الى الذين كفروا المار ذكرهم كانه قيل ومن هؤلاء من يقول وهم عبد الله بن ابي واصحابه ومن كان في حالهم من اهل التصميم على النفاق ونظير موقعه موقع القوم في قولك نزلت في بني فلان فلم يقروني والقوم لئام ومن في من يقول موصوفة كانه قيل ومن الناس ناس يقولون كذا كقوله من المؤمنين رجال ان جعلت اللام للجنس وان جعلتها للعهد فموصولة كقوله ومنهم الذين يؤذون النبي فان قلت كيف يجعلون بعض اولئك والمنافقون غير المختوم على

قلوبهم **قلت** الكفر جمع الفريقين وصيرهم جنساً واحداً وكون المنافقين نوعاً من نوعي هذا الجنس مغايراً للنوع الاخر بزيادة زادوها على الكفر الجامع بينهما من الخديعة والاستهزاء لا يخرجهم من ان يكونوا بعضاً من الجنس فان الاجناس انما تنوعت لمغايرات وقعت بين بعضها وبعض وتلك المغايرات انما تأبى بالنوعية ولا تأبى الدخول تحت الجنسية **فان قلت** لم اختص بالذكر الايمان بالله والايمان باليوم الاخر اختصاصهما بالذكر كشف عن افراطهم في الخبث وتماديهم في الدعارة لان القوم كانوا يهوداً وايمان اليهود بالله ليس بايمان لقولهم عزير ابن الله وكذلك ايمانهم باليوم الاخر لانهم يعتقدونه على خلاف صفته وكان قولهم آمنا بالله وباليوم الاخر خبثاً مضاعفاً وكفراً موجهاً لان قولهم هذا لو صدر عنهم لا على وجه النفاق وعقيدتهم عقيدتهم فهو كفر لا ايمان فاذا قالوه على وجه النفاق خديعة للمسلمين واستهزاء بهم واروهم انهم مثلهم في الايمان الحقيقي كان خبثاً الى خبث وكفراً الى كفر وايضاً فقد اوهموا في هذا المقال انهم احتازوا الايمان من جانبيه واكتنفوه من قطريه واحاطوا باوله واخره وفي تكرير الباء انهم ادعوا كل واحد من الايمانين على صفة الصحة والاستحكام **فان قلت** كيف طابق قوله وما هم بمؤمنين قولهم آمنا بالله وباليوم الاخر والاول في ذكر شأن الفعل لا الفاعل والثاني في ذكر شأن الفاعل لا الفعل القصد الى انكار ما ادعوه ونفيه فسلك في ذلك طريق ادى الى الغرض المطلوب وفيه من التوكيد والمبالغة ما ليس في غيره وهو اخراج ذواتهم وانفسهم من ان تكون طائفة من طوائف المؤمنين لما علم من حالهم المنافية لحال الداخلين في الايمان واذا شهد عليهم بانهم في انفسهم على هذه الصفة فقد انطوى تحت الشهادة عليهم بذلك نفي ما انتحلوا اثباته لانفسهم على سبيل القطع والبت **ونحوه** قوله تعالى يريدون ان يخرجوا من النار وما هم بخارجين منها هو ابلغ من قولك وما يخرجون منها لم جاء الايمان مطلقاً في الثاني وهو مقيد في الاول **قلت** يحتمل ان يراد التقييد ويترك لدلالة المذكور عليه وان يراد بالاطلاق انهم ليسوا من الايمان في شيء قط لا من الايمان بالله وباليوم الاخر ولا من الايمان بغيرهما ما المراد باليوم الاخر **قلت** يجوز ان يراد به الوقت الذي لا حد له وهو الابد الدائم الذي لا ينقطع لتأخره عن الاوقات المنقضية وان يراد الوقت المحدود من النشور الى ان يدخل اهل الجنة الجنة واهل النار النار لانه اخر الاوقات المحدودة الذي لا حد للوقت بعده **يخادعون الله والذين آمنوا وما يخدعون الا انفسهم وما يشعرون** والخدع ان يوهم صاحبه خلاف ما يريد به من المكروه من قولهم ضب خادع وخدع اذا امر الحارش يده على باب جحره اوهمه اقباله عليه ثم خرج من باب اخر **فان قلت** كيف ذلك ومخادعة الله والمؤمنين لا تصح لان العالم الذي لا تخفى عليه خافية لا يخدع والحكيم الذي لا يفعل القبيح لا يخدع والمؤمنون وان جاز ان يخدعوا لم يجز ان يخدعوا الا ترى الى قوله واستمطروا من قريش كل منخدع **وقول** ذي الرمة ان الكريم وذا الاسلام يختلب **قلت** جاء النعت بالانخداع ولم يأت بالخدع فيه وجوه احدها ان يقال كانت صورة صنعهم مع الله حيث يظاهرون بالايمان وهم كافرون صورة صنع الخادعين وصورة صنع الله معهم حيث امر باجراء احكام المسلمين عليهم وهم عنده في عداد شرار الكفرة واهل الدرك الاسفل

من النار صورة صنع الخادع وكذلك صورة صنع المؤمنين معهم حيث امتثلوا امر الله فيهم فاجروا احكامهم عليهم والثاني ان يكون ذلك ترجمة عن معتقدهم وظنهم ان الله ممن يصح خداعه لان من كان ادعاؤه الايمان بالله نفاقاً لم يكن عارفاً بالله ولا بصفاته ولا ان لذاته تعلقاً بكل معلوم ولا انه غني عن فعل القبائح فلم يبعد من مثله تجويز ان يكون الله في زعمه مخدوعاً ومصاباً بالمكروه من وجه خفي وتجويز ان يدلس على عباده ويخدعهم والثالث ان يذكر الله ويراد به الرسول لانه خليفته في ارضه والناطق عنه باوامره ونواهيه مع عباده كما يقال قال الملك كذا ورسم كذا وانما القائل والراسم وزيره او بعض خاصته الذين قولهم قوله ورسمهم رسمه مصداقه ان الذين يبايعونك انما يبايعون الله يد الله فوق ايديهم ومن يطع الرسول فقد اطاع الله والرابع ان يكون من قولهم اعجبني زيد وكرمه فيكون المعنى يخادعون الذين آمنوا بالله وفائدة هذه الطريقة قوة الاختصاص ولما كان المؤمنون من الله بمكان سلك بهم ذلك المسلك ومثله والله ورسوله احق ان يرضوه وكذلك ان الذين يؤذون الله ورسوله ونظيره في كلامهم علمت زيداً فاضلاً الغرض فيه ذكر احاطة العلم بفضل زيد لا به نفسه لانه كان معلوماً له قديماً كانه قيل علمت فضل زيد ولكن ذكر زيد توطئة وتمهيد لذكر فضله **فان قلت** هل للاقتصار بخادعت على واحد وجه صحيح وجهه ان يقال عني به فعلت الا انه اخرج في زنة فاعلت لان الزنة في اصلها للمغالبة والمباراة والفعل متى غولب فيه فاعله جاء ابلغ واحكم منه اذا زاوله وحده من غير مغالب ولا مبار لزيادة قوة الداعي اليه ويعضده قراءة من قرأ يخدعون الله والذين آمنوا وهو ابو حيوة ويخادعون بيان ليقول ويجوز ان يكون مستانفاً كانه قيل ولم يدعون الايمان كاذبين وما نفعهم في ذلك فقيل يخادعون عن كانوا يخادعون **قلت** كانوا يخادعون عن اغراضهم ومقاصدهم منها متاركتهم واعفاؤهم عن المحاربة وعما يطرقون به من سواهم من الكفار ومنها اصطناعهم بما يصطنعون به المؤمنين من اكرامهم والاحسان اليهم واعطائهم الحظوظ من المغانم ونحو ذلك من الفوائد ومنها اطلاعهم لاختلاطهم على الاسرار التي كانوا حراصاً على اذاعتها الى منابذيهم **فان قلت** فلو اظهر عليهم حتى لا يبلوا الى هذه الاغراض بخداعهم عنها لم يظهر عليهم لما احاط به علماً من المصالح التي لو ظهر عليها لانقلبت مفاسد واستبقاء ابليس وذريته ومتاركتهم وما هم عليه من اغواء المكلفين واضلالهم اشد من ذلك ولكن السبب فيه ما علمه الله تعالى من المصلحة ما المراد بقوله وما يخادعون الا انفسهم **قلت** يجوز ان يراد وما يعاملون تلك المعاملة المشبهة بمعاملة المخادعين الا انفسهم لان ضررها يلحقهم ومكرها يحيق بهم كما تقول فلان يضار فلاناً وما يضار الا نفسه اي دائرة الضرار راجعة اليه وغير متخطية اياه وان يراد حقيقة المخادعة اي وهم في ذلك يخدعون انفسهم حيث يمنونها الاباطيل ويكذبونها فيما يحدثونها به وانفسهم كذلك تمنيهم وتحدثهم بالاماني وان يراد وما يخدعون فجيء به على لفظ يفاعلون للمبالغة **وقرئ** وما يخدعون ويخدعون من خدع ويخدعون بفتح الياء بمعنى يختدعون ويخدعون ويخادعون على لفظ ما لم يسم فاعله

والنفس ذات الشيء وحقيقته يقال عندي كذا نفسا ثم قيل للقلب نفس لأن النفس به ألا ترى إلى
قولهم المرء بأصغريه وكذلك بمعنى الروح وللدم نفس لأن قوامها بالدم وللماء نفس لفرط
حاجتها إليه وجعلنا من الماء كل شيء حي وحقيقة نفس الرجل يعني عين
أصيبت نفسه كقولهم صدر الرجل وقولهم فلان يؤامر نفسيه إذا تردد في الأمر واتجه له
رأيان وداعيان لا يدري على أيهما يعرج كأنهم أرادوا داعيي النفس وهاجسي النفس فسموهما
نفسين إما لصدورهما عن النفس وإما لأن الداعيين لما كانا كالمشيرين عليه والآمرين له
شبهوهما بذاتين فسموهما نفسين والمراد بالأنفس ههنا ذواتهم والمعنى بمخادعتهم ذواتهم
أن الخداع لاصق بهم لا يعدوهم إلى غيرهم ولا يتخطاهم إلى من سواهم ويجوز أن يراد قلوبهم
ودواعيهم وآراؤهم والشعور علم الشيء علم حس من الشعار ومشاعر الإنسان حواسه
والمعنى أن لحوق ضرر ذلك بهم كالمحسوس وهم لتمادي غفلتهم كالذي لا حس له في قلوبهم مرض
فزادهم الله مرضا ولهم عذاب أليم بما كانوا يكذبون واستعمال المرض في القلب يجوز
أن يكون حقيقة ومجازا فالحقيقة أن يراد الألم كما تقول في جوفه مرض والمجاز أن يستعار
لبعض أعراض القلب كسوء الاعتقاد والغل والحسد والميل إلى المعاصي والعزم عليها واستشعار
الهوى والجبن والضعف وغير ذلك مما هو فساد وآفة شبيهة بالمرض كما استعيرت الصحة
والسلامة في نقائض ذلك والمراد به هنا ما في قلوبهم من سوء الاعتقاد والكفر أو من الغل
والحسد والبغضاء لأن صدورهم كانت تغلي على رسول الله صلى الله عليه وسلم والمؤمنين غلا
وحنقا ويبغضونهم البغضاء التي وصفها الله في قوله قد بدت البغضاء من أفواههم وما
تخفي صدورهم أكبر ويتحرقون عليهم حسدا إن تمسسكم حسنة تسؤهم وناهيك بما كان
من ابن أبي وقول سعد بن عبادة لرسول الله صلى الله عليه وسلم اعف عنه يا رسول الله
واصفح فوالله لقد أعطاك الله الذي أعطاك ولقد اصطلح أهل هذه البحيرة أن يعصبوه بالعصابة
فلما رد الله ذلك بالحق الذي أعطاكه شرق بذلك أو يراد ما تداخل قلوبهم من الضعف والجبن
والخور لأن قلوبهم كانت قوية إما لقوة طمعهم فيما كانوا يتحدثون به أن ريح الإسلام تهب
حينا ثم تسكن ولواءه يخفق أياما ثم يقر فضعفت حين ملكها اليأس عند إنزال الله على رسوله
النصر وإظهار دين الحق على الدين كله وإما لجراءتهم وجسارتهم في الحروب فضعفت جبنا وخورا
حين قذف الله في قلوبهم الرعب وشاهدوا شوكة المسلمين وإمداد الله لهم بالملائكة قال
رسول الله صلى الله عليه وسلم نصرت بالرعب مسيرة شهر ومعنى زيادة الله إياهم مرضا
أنه كلما أنزل على رسوله الوحي فسمعوه كفروا به فازدادوا كفرا إلى كفرهم فكأن الله هو الذي
زادهم ما ازدادوه إسنادا للفعل إلى المسبب له كما أسنده إلى السورة في قوله فزادتهم
رجسا إلى رجسهم لكونها سببا أو كلما زاد رسوله نصرة وتبسطا في البلاد ونقصا من أطراف
الأرض ازدادوا حسدا وغلا وبغضا وازدادت قلوبهم ضعفا وقلة طمع فيما عقدوا به
رجاءهم وجبنا وخورا ويحتمل أن يراد بزيادة المرض الطبع وقرأ أبو عمرو في رواية الأصمعي
مرض ومرضا بسكون الراء يقال ألم فهو أليم كوجع فهو وجيع ووصف العذاب به نحو قوله
تحية بينهم ضرب وجيع وهذا على طريقة قولهم جد جده والألم في الحقيقة للمؤلم كما أن الجد

للجاد

للجاد والمراد بكذبهم قولهم آمنا بالله وباليوم الآخر وفيه رمز إلى قبح الكذب وسماجته وتخييل
أن العذاب الأليم لاحق لهم من أجل كذبهم ونحوه قوله مما خطيئاتهم أغرقوا والقوم كفرة
وإنما خصت الخطيئات استعظاما لها وتنفيرا عن ارتكابها والكذب الإخبار بالشيء على خلاف
ما هو به وهو قبيح كله وأما ما يروى عن إبراهيم صلوات الله عليه أنه كذب ثلاث كذبات
فالمراد به التعريض ولكن لما كانت صورته صورة الكذب سمي به وعن أبي بكر رضي الله
عنه وروي مرفوعا إياكم والكذب فإنه مجانب للإيمان يكذبون من كذبه الذي
هو نقيض صدقه ومن كذب الذي هو مبالغة في كذب كما بولغ في صدق فقيل صدق ونظيرهما
بان الشيء وبين وقلص الثوب وقلص أو بمعنى الكثرة كقولهم موتت البهائم وبركت الإبل
أو من قولهم كذب الوحشي إذا جرى شوطا ثم وقف لينظر ما وراءه لأن المنافق متوقف
متردد في أمره ولذلك قيل له مذبذب وقال رسول الله صلى الله عليه وسلم مثل المنافق
كمثل الشاة العائرة بين الغنمين تعير إلى هذه مرة وإلى هذه مرة وإذا قيل لهم لا تفسدوا
في الأرض قالوا إنما نحن مصلحون ألا إنهم هم المفسدون ولكن لا يشعرون وإذا قيل
لهم آمنوا كما آمن الناس قالوا أنؤمن كما آمن السفهاء ألا إنهم هم السفهاء ولكن لا يعلمون
وإذا قيل لهم معطوف على يكذبون ويجوز أن يعطف على يقول آمنا لأنك لو قلت ومن الناس
من إذا قيل لهم لا تفسدوا كان صحيحا والأول أوجه والفساد خروج الشيء عن حال الاستقامة
وكونه منتفعا به ونقيضه الصلاح وهو الحصول على الحالة المستقيمة النافعة والفساد في
الأرض هيج الحروب والفتن لأن في ذلك فساد ما في الأرض وانتفاء الاستقامة عن أحوال
الناس والزروع والمنافع الدينية والدنيوية وإذا تولى سعى في
الأرض ليفسد فيها ويهلك الحرث والنسل أتجعل فيها من يفسد فيها ويسفك الدماء ومنه
قيل لحرب كانت بين طيء حرب الفساد وكان فساد المنافقين في الأرض أنهم كانوا يمالئون
الكفار ويمالئونهم على المسلمين بإفشاء أسرارهم إليهم وإغرائهم عليهم وذلك مما يؤدي إلى
هيج الفتن بينهم فلما كان ذلك من صنيعهم مؤديا إلى الفساد قيل لهم لا تفسدوا كما تقول للرجل
لا تقتل نفسك بيدك ولا تلق نفسك في النار إذا أقدم على ما هذه عاقبته وإنما لقصر الحكم على
شيء كقولك إنما ينطلق زيد أو لقصر الشيء على حكم كقولك إنما زيد كاتب ومعنى إنما نحن مصلحون
أن صفة المصلحين خلصت لهم وتمحضت من غير شائبة قادح فيها من وجه من وجوه الفساد وألا
مركبة من همزة الاستفهام وحرف النفي لإعطاء معنى التنبيه على تحقق ما بعدها والاستفهام
إذا دخل على النفي أفاد تحقيقا كما قال تعالى أليس ذلك بقادر ولكونها في هذا المنصب
من التحقيق لا تكاد تقع الجملة بعدها إلا مصدرة بنحو ما يتلقى به القسم وأختها التي هي أما من مقدمات
اليمين وطلائعها أما والذي لا يعلم الغيب غيره أما والذي أبكى وأضحك رد الله ما ادعوه
من الانتظام في جملة المصلحين أبلغ رد وأدله على سخط عظيم والمبالغة فيه من جهة الاستئناف
وما في كلتا الكلمتين ألا وإن من التأكيدين وتعريف الخبر وتوسيط الفصل وقوله لا يشعرون
أتوهم في النصيحة من وجهين أحدهما تقبيح ما كانوا عليه لبعده من الصواب وجره إلى الفساد
والفتنة والثاني تبصيرهم الطريق الأسد من اتباع ذوي الأحلام ودخولهم في عدادهم

فكان من جوابهم أن سفهوهم لفرط سفههم وجهلوهم لتمادي جهلهم وفي ذلك تسلية للعالم مما يلقى من الجهلة **فإن قلت** كيف صح أن يسند قيل إلى لا تفسدوا وآمنوا وإسناد الفعل إلى الفعل مما لا يصح **قلت** الذي لا يصح هو إسناد الفعل إلى معنى الفعل وهذا إسناد له إلى لفظه كأنه قيل وإذا قيل لهم هذا القول وهذا الكلام فهو نحو قولك ألف ضرب من ثلاثة أحرف ومنه زعموا مطية الكذب وما في كما يجوز أن تكون كافة مثلها في ربما ومصدرية مثلها في بما رحبت واللام في الناس للعهد أي كما آمن رسول الله صلى الله عليه وسلم ومن معه وهم ناس معهودون أو عبد الله بن سلام وأشياعه لأنهم من جلدتهم ومن أبناء جنسهم أي كما آمن أصحابكم وإخوانكم أو للجنس أي كما آمن الكاملون في الإنسانية أو جعل المؤمنون كأنهم الناس على الحقيقة ومن عداهم كالبهائم في فقد التمييز بين الحق والباطل والاستفهام في أنؤمن في معنى الإنكار واللام في السفهاء مشار بها إلى الناس كما تقول لصاحبك إن زيدا قد سعى بك فيقول أو قد فعل السفيه ويجوز أن يكون للجنس وينطوي تحته الجاري ذكرهم على زعمهم واعتقادهم لأنهم عندهم أعرق الناس في السفه **فإن قلت** لم سفهوهم واستركوا عقولهم وهم العقلاء المراجيح **قلت** لأنهم لجهلهم وإخلالهم بالنظر وإنصاف أنفسهم اعتقدوا أن ما هم فيه هو الحق وأن ما عداه باطل ومن ركب الباطل كان سفيها ولأنهم كانوا في رياسة وسطة في قومهم ويسار وكان أكثر المؤمنين فقراء ومنهم موال كصهيب وبلال وخباب فدعوهم سفهاء تحقيرا لشأنهم أو أرادوا عبد الله بن سلام وأشياعه ومفارقتهم دينهم وما غاظهم من إسلامهم وفت في أعضادهم قالوا ذلك على سبيل التجلد توقيا من الشماتة بهم مع علمهم أنهم من السفه بمعزل والسفه سخافة العقل وخفة الحلم **فإن قلت** لم فصلت هذه الآية بلا يعلمون والتي قبلها بلا يشعرون **قلت** لأن أمر الديانة والوقوف على أن المؤمنين على الحق وهم على الباطل يحتاج إلى نظر واستدلال حتى يكتسب الناظر المعرفة وأما النفاق وما فيه من البغي المؤدي إلى الفتنة والفساد في الأرض فأمر دنيوي مبني على العادات معلوم عند الناس خصوصا عند العرب في جاهليتهم وما كان قائما بينهم من التغاور والتناحر والتحارب والتحازب فهو كالمحسوس المشاهد ولأنه قد ذكر السفه وهو جهل فكان ذكر العلم معه أحسن طباقا له **وإذا لقوا الذين آمنوا قالوا آمنا وإذا خلوا إلى شياطينهم قالوا إنا معكم إنما نحن مستهزؤن الله يستهزئ بهم ويمدهم في طغيانهم يعمهون** مساق هذه الآية بخلاف ما سيقت له أول قصة المنافقين فليس بتكرير لأن تلك في بيان مذهبهم والترجمة عن نفاقهم وهذه في بيان ما كانوا يعملون عليه مع المؤمنين من التكذيب لهم والاستهزاء بهم ولقائهم بوجوه المصادقين وإيهامهم أنهم معهم فإذا فارقوهم إلى شطارهم صدقوهم ما في قلوبهم **وروي** أن عبد الله بن أبي وأصحابه خرجوا ذات يوم فاستقبلهم نفر من أصحاب رسول الله عليه السلام فقال عبد الله انظروا كيف أرد هؤلاء السفهاء عنكم فأخذ بيد أبي بكر الصديق رضي الله عنه فقال مرحبا بالصديق سيد بني تيم وشيخ الإسلام وثاني رسول الله في الغار الباذل نفسه وماله ثم أخذ بيد عمر رضي الله عنه فقال مرحبا بسيد بني عدي الفاروق القوي في دين الله الباذل نفسه وماله لرسول الله صلى الله عليه وسلم ثم أخذ بيد علي رضي الله عنه فقال مرحبا بابن عم رسول الله وختنه

سيد بني هاشم ما خلا رسول الله ثم افترقوا فقال لأصحابه كيف رأيتموني فعلت فأثنوا عليه خيرا فنزلت ويقال لقيته ولاقيته إذا استقبلته قريبا منه وهو جاري ملاقي ومراقي **وقرأ** أبو حنيفة وإذا لاقوا وخلوت بفلان وإليه إذا انفردت معه ويجوز أن يكون من خلا بمعنى مضى وخلاك ذم أي عداك ومضى عنك ومنه القرون الخالية ومن خلوت به إذا سخرت منه وهو من قولك خلا فلان بعرض فلان يعبث به ومعناه وإذا أنهوا السخرية بالمؤمنين إلى شياطينهم وحدثوهم بها كما تقول أحمد إليك فلانا وأذمه إليك وشياطينهم الذين ماثلوا الشياطين في تمردهم وقد جعل سيبويه نون الشياطين في موضع من كتابه أصلية وفي آخر زائدة والدليل على أصالتها قولهم تشيطن واشتقاقه من شطن إذا بعد لبعده من الصلاح والخير ومن شاط إذا بطل إذا جعلت نونه زائدة ومن أسمائه الباطل إنا معكم إنا مصاحبوكم وموافقوكم على دينكم **فإن قلت** لم كانت مخاطبتهم المؤمنين بالجملة الفعلية وشياطينهم بالجملة الاسمية محققة **قلت** ليس ما خاطبوا به المؤمنين جديرا بأقوى الكلامين وأوكدهما لأنهم في ادعاء حدوث الإيمان منهم ونشئه من قبلهم لا في ادعاء أنهم أوحديون في الإيمان غير مشقوق فيه غبارهم وذلك إما لأن أنفسهم لا تساعدهم عليه إذ ليس لهم من عقائدهم باعث ومحرك وهكذا كل قول لم يصدر عن أريحية وصدق رغبة واعتقاد وإما لأنه لا يروج عنهم لو قالوه على لفظ التوكيد والمبالغة وكيف يقولونه ويطمعون في رواجه وهم بين ظهراني المهاجرين والأنصار الذين مثلهم في التوراة والإنجيل ألا ترى إلى حكاية قول المؤمنين ربنا إننا آمنا وأما مخاطبة إخوانهم فهم فيما أخبروا به عن أنفسهم من الثبات على اليهودية والقرار على اعتقاد الكفر والبعد من أن يزلوا عنه على صدق رغبة ووفور نشاط وارتياح للتكلم به وما قالوه من ذلك فهو رائج عنهم متقبل منهم فكان مظنة للتحقيق ومئنة للتوكيد **فإن قلت** أنى تعلق قوله إنما نحن مستهزؤن بقوله إنا معكم **قلت** هو توكيد له لأن قوله إنا معكم معناه الثبات على اليهودية وقوله إنما نحن مستهزؤن رد للإسلام ودفع له منهم لأن المستهزئ بالشيء المستخف به منكر له ودافع لكونه معتدا به ودفع نقيض الشيء تأكيد لثباته أو بدل منه لأن من حقر الإسلام فقد عظم الكفر أو استئناف كأنهم اعترضوا عليهم حين قالوا لهم إنا معكم فقالوا لهم إن صح ذلك فما لكم توافقون أهل الإسلام فقالوا إنما نحن مستهزؤن والاستهزاء السخرية والاستخفاف وأصل الباب الخفة من الهزء وهو القتل السريع وهزأ يهزأ مات على المكان عن بعض العرب مشيت فلغبت فظننت لأهزأن على مكاني وناقته تهزأ به أي تسرع وتخف **فإن قلت** لا يجوز الاستهزاء على الله تعالى لأنه متعال عن القبيح والسخرية من باب العيب والجهل ألا ترى إلى قوله قالوا أتتخذنا هزوا قال أعوذ بالله أن أكون من الجاهلين فما معنى استهزائه بهم **قلت** معناه إنزال الهوان والحقارة بهم لأن المستهزئ غرضه الذي يرميه هو طلب الخفة والزراية ممن يهزأ به وإدخال الهوان والحقارة عليه والاشتقاق كما ذكرنا شاهد لذلك وقد كثر التهكم في كلام الله بالكفرة والمراد به تحقير شأنهم وازدراء أمرهم والدلالة على أن مذاهبهم حقيقة بأن يسخر منها الساخرون ويضحك الضاحكون ويجوز أن يراد به ما مر في يخادعون

من أنه تجرى عليهم أحكام المسلمين في الظاهر وهو مبطن بادخار ما يراد بهم وقيل سمي جزاء الاستهزاء
باسمه   جزاء سيئة سيئة مثلها   فمن اعتدى عليكم فاعتدوا عليه **فإن قلت**
كيف ابتدئ قوله الله يستهزئ بهم ولم يعطف على الكلام قبله   هو استئناف في غاية
الجزالة والفخامة وفيه أن الله عز وجل هو الذي يستهزئ بهم الاستهزاء الأبلغ الذي ليس استهزاؤهم
إليه باستهزاء ولا يؤبه له في مقابلته لما ينزل بهم من النكال ويحل بهم من الهوان والذل وفيه
أن الله هو الذي يتولى الاستهزاء بهم انتقاما للمؤمنين ولا يحوج المؤمنين أن يعارضوهم باستهزاء
مثله **فإن قلت** فهلا قيل الله مستهزئ بهم ليكون طبقا لقوله إنما نحن مستهزئون **قلت**
لأن يستهزئ يفيد حدوث الاستهزاء وتجدده وقتا بعد وقت وهكذا كانت نكايات الله فيهم
وبلاياه النازلة بهم أولا يرون أنهم يفتنون في كل عام مرة أو مرتين وما كانوا يخلون في أكثر
أوقاتهم من تهتك أستار وتكشف أسرار ونزول في شأنهم واستشعار حذر من أن ينزل فيهم
يحذر المنافقون أن تنزل عليهم سورة تنبئهم بما في قلوبهم قل استهزئوا إن الله مخرج ما تحذرون
ويمدهم في طغيانهم من مد الجيش وأمده إذا زاده وألحق به ما يقويه ويكثره وكذلك مد
الدواة وأمدها زادها ما يصلحها ومددت السراج والأرض إذا استصلحتهما بالزيت والسماد
ومده الشيطان في الغي وأمده إذا واصله بالوساوس حتى يتلاحق غيه ويزداد انهماكا فيه
فإن قلت لم زعمت أنه من المدد دون المد في العمر والإملاء والإمهال
كفاك دليلا على أنه من المدد دون المد قراءة ابن كثير وابن محيصن ويمدهم وقراءة نافع
وإخوانهم يمدونهم على أن الذي بمعنى أمهله إنما هو مد له مع اللام كأملى له **فإن قلت**
فكيف جاز أن يوليهم الله مددا في الطغيان وهو فعل الشياطين ألا ترى إلى قوله وإخوانهم
يمدونهم في الغي **قلت** إما أن يحمل على أنهم لما منعهم الله ألطافه التي يمنحها المؤمنين
وخذلهم بسبب كفرهم وإصرارهم عليه بقيت قلوبهم يتزايد الرين والظلمة فيها تزايد الانشراح
والنور في قلوب المؤمنين فسمي ذلك التزايد مددا وأسند إلى الله سبحانه لأنه مسبب عن فعله
بهم بسبب كفرهم وإما على منع القسر والإلجاء وإما على أن يسند فعل الشيطان إلى الله تعالى
لأنه بتمكينه وإقداره والتخلية بينه وبين إغواء عباده **فإن قلت** فما حملهم على تفسير المد
في الطغيان بالإمهال وموضوع اللغة كما ذكرت لا يطاوع عليه   استجرهم إلى ذلك
خوف الإقدام على أن يسندوا إلى الله ما أسند إلى الشياطين ولكن المعنى الصحيح ما طابقه اللفظ
وشهد لصحته وإلا كان بمنزلة الأروى من النعام ومن حق مفسر كتاب الله الباهر وكلامه المعجز
أن يتعاهد في مذاهبه بقاء النظم على حسنه والبلاغة على كمالها وما وقع به التحدي سليما من
القادح فإذا لم يتعاهد أوضاع اللغة فهو من تعاهد النظم والبلاغة على مراحل ويعضد
ما قلناه قول الحسن في تفسيره في ضلالتهم يتمادون وأن هؤلاء من أهل الطبع والطغيان
الغلو في الكفر ومجاوزة الحد في العتو **وقرأ** زيد بن علي رضي الله عنهما في طغيانهم بالكسر
وهما لغتان كلقيان ولقيان وغنيان وغنيان   أي نكتة في إضافته إليهم
قلت فيها أن الطغيان والتمادي في الضلالة مما اقترفته أنفسهم واجترحته أيديهم
وأن الله بريء منه ردا لاعتقاد الكفرة القائلين لو شاء الله ما أشركنا ونفيا لوهم من عسى يتوهم

يتوهم عند إسناد المد إليه لو لم يضف الطغيان إليهم أن الطغيان فعله فلما أسند المد إليه
على الطريق الذي ذكرنا أضاف الطغيان إليهم ليميط الشبهة ويقلعها ويدفع في صدر من يلحد
في صفاته ومصداق ذلك أنه حين أسند المد إلى الشياطين أطلق الغي ولم يقيده بالإضافة
في قوله وإخوانهم يمدونهم في الغي والعمه مثل العمى إلا أن العمى عام في البصر والرأي والعمه
في الرأي خاصة وهو التحير والتردد لا يدري أين يتوجه **ومنه** قوله بالجاهلين العمه
أي الذين لا رأي لهم ولا دراية بالطرق وسلك أرضا عمهاء لا منار بها أولئك الذين
اشتروا الضلالة بالهدى فما ربحت تجارتهم وما كانوا مهتدين ومعنى اشتراء الضلالة
بالهدى اختيارها عليه واستبدالها به على سبيل الاستعارة لأن الاشتراء فيه إعطاء بدل وأخذ
آخر **ومنه** أخذت بالجمة رأسا أزعرا   وبالثنايا الواضحات الدردرا
وبالطويل العمر عمرا جيدرا   كما اشترى المسلم إذ تنصرا   **وعن**
وهب قال الله عز وجل فيما يعيب به بني إسرائيل تفقهون لغير الدين وتعلمون لغير العمل
وتبتاعون الدنيا بعمل الآخرة **فإن قلت** كيف اشتروا الضلالة بالهدى وما كانوا على
هدى   جعلوا لتمكنهم منه وإعراضهم عنه كأنه في أيديهم فإذا تركوه إلى الضلالة فقد
عطلوه واستبدلوها به ولأن الدين القيم هو فطرة الله التي فطر الناس عليها فكل من ضل
فهو مستبدل خلاف الفطرة والضلالة الجور عن القصد وفقد الاهتداء يقال ضل منزله
وضل دريص نفقه فاستعير للذهاب عن الصواب في الدين والربح الفضل على رأس المال
ولذلك سمي الشف من قولك أشف بعض ولده على بعض إذا فضله ولهذا على هذا شف
والتجارة صناعة التاجر وهو الذي يبيع ويشتري للربح وناقة تاجرة كأنها من حسنها
وسمنها تبيع نفسها **وقرأ** ابن أبي عبلة تجاراتهم **فإن قلت** كيف أسند الخسران إلى
التجارة وهو لأصحابها   هو من الإسناد المجازي وهو أن يسند الفعل إلى شيء يتلبس
بالذي هو في الحقيقة له كما تلبست التجارة بالمشترين   هل يصح ربح عبدك وخسرت
جاريتك على الإسناد المجازي **قلت** نعم إذا دلت الحال وكذلك الشرط في صحة رأيت
أسدا وأنت تريد المقدام إن لم تقم حال دالة لم يصح **فإن قلت** هب أن شراء الضلالة
بالهدى وقع مجازا في معنى الاستبدال فما معنى ذكر الربح والتجارة كأن ثم مبايعة على الحقيقة
هذا من الصنعة البديعة التي تبلغ بالمجاز الذروة العليا وهو أن تساق كلمة مساق
المجاز ثم تقفى بأشكال لها وأخوات إذا تلاحقن لم تر كلاما أحسن منه ديباجة وأكثر ماء ورونقا
وهو المجاز المرشح وذلك نحو قول العرب في البليد كأن أذني قلبه خطلاوان وجعلوه كالحمار
ثم رشحوا ذلك روما لتحقيق البلادة فادعوا لقلبه أذنين وادعوا لها الخطل ليمثلوا
البلادة تمثيلا يلحقها ببلادة الحمار مشاهدة معاينة **ونحوه**
ولما رأيت النسر عز ابن داية   وعشش في وكريه جاش له صدري   لما شبه
الشيب بالنسر والشعر الفاحم بالغراب أتبعه ذكر التعشيش والوكر   **ونحوه**
قول بعض فتاك العرب في أمه   فما أم الردين وإن أدلت   بعالمة بأخلاق الكرام
إذا الشيطان قصع في قفاها   تنفقناه بالحبل التؤام

اى اذا دخل الشيطان فى قلبها استخرجناه منها فتأبّيه بالحبل المتين المحكم يريد اذا حرّدته وانّ انتم الخلق اجتهدتنا فى ازالة غضبها واما طلبنا ما يسوء من خلقها استعارا لنصيح اولا ثم رشح التشبيه الشلق ثم الحبل النوار فكذلك لما ذكر سبحانه الشرى اتبعه ما يشاكله ويواخيه وما يكمل ويتم بانضمامه اليه تمثيلا لخسارهم وتصويرا لحقيقته **فان قلت** ما معنى قوله فما ربحت تجارتهم وما كانوا مهتدين **قلت** معناه ان الذى يطلبه التجار فى متصرفاتهم شيئان سلامة رأس المال والربح وهؤلاء قد اضاعوا الطلبتين معا لان رأس مالهم كان هو الهدى فلم يبق لهم مع الضلالة وحين لم يبق فى ايديهم الا الضلالة لم يوصفوا باصابة الربح وان ظفروا بما ظفروا به من الاغراض الدنيوية لان الضال خاسر دامر ولانه لا يقال لمن لم يسلم له رأس ماله قد ربح وما كانوا مهتدين لطرق التجارة كما يكون التجار المتصرفون العالمون بما يربح فيه ويخسر

مثلهم كمثل الذى استوقد نارا فلما اضاءت ما حوله ذهب الله بنورهم وتركهم فى ظلمات لا يبصرون لما جاء بحقيقة صفتهم عقبها بضرب المثل زيادة فى الكشف وتتميما للبيان ولضرب العرب الامثال واستحضار العلماء المثل والنظائر شأن ليس بالخفى فى ابراز خبيات المعانى ورفع الاستار حتى تريك المتخيل فى صورة المحقق والمتوهم فى معرض المتيقن والغائب كأنه مشاهد وفيه تبكيت للخصم الالد وقمع لسورة الجامح الابى ولامر ما اكثر الله فى كتابه المبين وسائر كتبه امثاله وفشت فى كلام رسول الله صلى الله عليه وسلم وكلام الانبياء والحكماء

وتلك الامثال نضربها للناس وما يعقلها الا العالمون ومن سور الانجيل سورة الامثال والمثل فى اصل كلامهم بمعنى المثل وهو النظير يقال مثل ومثل ومثيل كشبه وشبه وشبيه ثم قيل للقول السائر الممثل مضربه بمورده مثل ولم يضربوا مثلا ولا راوه اهلا للتسيير ولا جديرا بالتداول والقبول الا قولا فيه غرابة من بعض الوجوه ومن ثم حوفظ عليه وحمى من التغيير **فان قلت** ما معنى مثلهم كمثل الذى استوقد نارا وما مثل المنافقين ومثل الذى استوقد نارا حتى شبه احد المثلين بصاحبه **قلت** قد استعير المثل استعارة الاسد للمقدام للحال او الصفة او القصة اذا كان لها شأن وفيها غرابة كأنه قيل حالهم العجيبة الشأن كحال الذى استوقد نارا وكذلك قوله مثل الجنة التى وعد المتقون اى وفيما قصصنا عليك من العجائب قصة الجنة العجيبة ثم اخذ فى بيان عجائبها ولله المثل الاعلى اى الوصف الذى له شأن من العظمة والجلالة مثلهم فى التوراة اى صفتهم وشأنهم المتعجب منه ولما فى المثل من معنى الغرابة قالوا فلان مثلة فى الخير والشر فاشتقوا منه صفة للعجيب الشأن **فان قلت** كيف مثلت الجماعة بالواحد **قلت** وضع الذى موضع الذين **كقوله** تعالى وخضتم كالذى خاضوا والذى سوغ وضع الذى موضع الذين ولم يجز وضع القائم موضع القائمين ولا نحوه من الصفات امران احدهما ان الذى لكونه وصلة الى وصف كل معرفة بجملة وتكاثر وقوعه فى كلامهم ولكونه مستطالا بصلته حقيق بالتخفيف ولذلك نهكوه بالحذف فحذفوا ياءه ثم كسرته ثم اقتصروا به على اللام وحدها فى اسماء الفاعلين والمفعولين والثانى ان جمعه ليس بمنزلة جمع غيره بالواو والنون انما ذلك علامة لزيادة الدلالة الا ترى ان سائر الموصولات لفظ الجمع والواحد فيهن واحد وقصد جنس المستوقدين او اريد الجمع او الفوج الذى استوقد نارا

على ان المنافقين وذوات نفسهم لم يشبهوا بذات المستوقد حتى يلزم منه تشبيه الجماعة بالواحد وانما شبهت قصتهم بقصة المستوقد **ونحوه** قوله تعالى مثل الذين حملوا التوراة ثم لم يحملوها كمثل الحمار يحمل اسفارا وقوله ينظرون اليك نظر المغشى عليه من الموت ووقود النار سطوعها وارتفاع لهبها ومن اخواته وقل فى الجبل اذا صعد وعلا والنار جوهر لطيف مضىء حار محرق والنور ضوءها وضوء كل نير وهو نقيض الظلمة واشتقاقها من نار ينور اذا نفر لان فيها حركة واضطرابا والنور مشتق منها والاضاءة فرط الانارة ومصداق ذلك قوله تعالى هو الذى جعل الشمس ضياء والقمر نورا وهى فى الاية متعدية ويحتمل ان تكون غير متعدية مسندة الى ما حوله والتأنيث للحمل على المعنى لان ما حول المستوقد اماكن واشياء ويعضده قراءة ابن ابى عبلة ضاءت وفيه وجه اخر وهو ان يستتر فى الفعل ضمير النار ويجعل اشراق ضوء النار حوله بمنزلة اشراق النار نفسها على ان ما مزيدة او موصولة فى معنى الامكنة وحوله نصب على الظرف وتأليفه للدوران والاطافة وقيل للعام حول لانه يدور **فان قلت** اين جواب لما **قلت** فيه وجهان احدهما ان جوابه ذهب الله بنورهم والثانى انه محذوف كما حذف فى قوله فلما ذهبوا به وانما جاز حذفه لاستطالة الكلام مع امن الالباس للدال عليه وكان الحذف اولى من الاثبات لما فيه من الوجازة مع الاعراب عن الصفة التى حصل عليها المستوقد بما هو ابلغ من اللفظ فى اداء المعنى كانه قيل فلما اضاءت ما حوله خمدت فبقوا خابطين فى ظلام متحيرين متحسرين على فوت الضوء خائبين بعد الكدح فى احياء النار **فان قلت** فاذا قدر الجواب محذوفا فبم يتعلق ذهب الله بنورهم **قلت** يكون كلاما مستأنفا كانهم لما شبهت حالهم بحال المستوقد الذى طفئت ناره اعترض سائل فقال ما بالهم قد اشبهت حالهم حال هذا المستوقد فقيل له ذهب الله بنورهم او يكون بدلا من جملة التمثيل على سبيل البيان **فان قلت** قد رجع الضمير فى هذا الوجه الى المنافقين فما مرجعه فى الوجه الثانى **قلت** مرجعه الذى استوقد نارا لانه فى معنى الجمع واما جمع هذا الضمير وتوحيده فى حوله فللحمل على اللفظ تارة وعلى المعنى اخرى **فان قلت** فما معنى اسناد الفعل الى الله تعالى فى قوله ذهب الله بنورهم **قلت** اذا طفئت النار بسبب سماوى ريح او مطر فقد اطفأها الله وذهب بنور المستوقد ووجه اخر وهو ان يكون المستوقد فى هذا الوجه مستوقد نار لا يرضاها الله ثم اما ان تكون نارا مجازية كنار الفتنة والعداوة للاسلام وتلك النار متقاصرة مدة اشتعالها قليلة البقاء الا ترى الى قوله كلما اوقدوا نارا للحرب اطفأها الله واما نارا حقيقية اوقدها الغواة ليتوصلوا بالاستضاءة بها الى بعض المعاصى ويهتدوا بها فى طرق العيث فاطفأها الله وخيب امانيهم **فان قلت** كيف صح فى النار المجازية ان توصف باضاءة ما حول المستوقد **قلت** هو خارج على طريقة المجاز المرشح فاحسن تدبره **فان قلت** فهلا قيل ذهب الله بضوئهم لقوله فلما اضاءت **قلت** ذكر النور ابلغ لان الضوء فيه دلالة على الزيادة فلو قيل ذهب الله بضوئهم لاوهم الذهاب بالزيادة وبقاء ما يسمى نورا والغرض ازالة النور عنهم رأسا وطمسه اصلا الا ترى كيف ذكر عقيبه وتركهم فى ظلمات والظلمة عبارة عن عدم النور وانطماسه وكيف جمعها وكيف نكرها وكيف اتبعها ما يدل على انها ظلمة مبهمة لا يتراءى فيها شبحان وهو قوله لا يبصرون **فان قلت** فلم وصفه

هذا على مذهب قولهم للباطل صولة ثم يضمحل ولريح الضلالة عصفة ثم تخفت بالاضاءة
ونار العرفج مثل لنزوة كل طماح والفرق بين اذهبه وذهب به ان معنى اذهبه ازاله وجعله ذاهبا ويقال ذهب به اذا استصحبه ومضى به معه وذهب السلطان بماله اخذه فلما ذهبوا به اذا لذهب كل اله بما خلق ومنه ذهبت به الخيلاء والمعنى اخذ الله نورهم وامسكه وما يمسك الله فلا مرسل له فهو ابلغ من الاذهاب **وقرا** اليمانى اذهب الله نورهم وترك بمعنى طرح وخلى اذا علق بواحد كقولهم تركه ترك ظبى ظله فاذا علق بشيئين كان مضمنا معنى صير فيجرى مجرى افعال القلوب ومنه قول عنترة

فتركته جزر السباع ينشنه

ومنه قوله وتركهم فى ظلمات اصله هم فى ظلمات ثم دخل ترك فنصب الجزئين والظلمة عدم النور وقيل عرض ينافى النور واشتقاقها من قولهم ما ظلمك ان تفعل كذا اى ما منعك وشغلك لانها تسد البصر وتمنع الرؤية **وقرا** الحسن ظلمات بسكون اللام وقرا اليمانى فى ظلمة على التوحيد والمفعول الساقط من لا يبصرون من قبيل المتروك المطرح الذى لا يلتفت الى اخطاره بالبال لا من قبيل المقدر المنوى كان الفعل غير متعد اصلا نحو يعمهون فى قوله عز وجل ويذرهم فى طغيانهم يعمهون **فان قلت** فيم شبهت حالهم بحال المستوقد **قلت** فى انهم غب الاضاءة خبطوا فى ظلمة وتورطوا فى حيرة **فان قلت** واين الاضاءة فى حال المنافق وهل هو ابدا الا حائر خابط فى ظلماء الكفر **قلت** المراد ما استضاؤا به قليلا من الانتفاع بالكلمة المجراة على السنتهم ووراء استضاءتهم بنور هذه الكلمة ظلمة النفاق التى ترمى بهم الى ظلمة سخط الله وظلمة العقاب السرمد ويجوز ان يشبه بذهاب الله بنور المستوقد اطلاع الله على اسرارهم وما افتضحوا به بين المؤمنين واتسموا به من سمة النفاق والاوجه ان يراد به الطبع لقوله تعالى صم بكم عمى وفى الاية تفسير اخر وهو انهم لما وصفوا بانهم اشتروا الضلالة بالهدى عقب ذلك بهذا التمثيل ليمثل هداهم الذى باعوه بالنار المضيئة ما حول المستوقد والضلالة التى اشتروها وطبع بها على قلوبهم بذهاب الله بنورهم وتركه اياهم فى الظلمات وتنكير النار للتعظيم **صم بكم عمى فهم لا يرجعون** كانت حواسهم سليمة ولكن لما سدوا عن الاصاخة الى الحق مسامعهم وابوا ان ينطقوا به السنتهم وان ينظروا ويتبصروا بعيونهم جعلوا كانما ايفت مشاعرهم وانتقضت بناها التى بنيت عليها للاحساس والادراك **كقوله**

صم اذا سمعوا خيرا ذكرت به وان ذكرت بسوء عندهم اذنوا

اصم عما ساءه سميع

اصم عن الشىء الذى لا اريده واسمع خلق الله حين اريد

فاصممت عمرا واعميته عن الجود والفخر يوم الفخار

فان قلت كيف طريقته عند علماء البيان **قلت** طريقة قولهم هم ليوث للشجعان وبحور للاسخياء الا ان هذا فى الصفات وذاك فى الاسماء وقد جاءت الاستعارة فى الاسماء والصفات والافعال جميعا تقول رايت ليوثا ولقيت صما عن الخير ودجا الاسلام واضاء الحق **فان قلت** هل يسمى ما فى الاية استعارة **قلت** مختلف فيه والمحققون على تسميته تشبيها بليغا لا استعارة لان المستعار له مذكور وهم المنافقون والاستعارة انما تطلق حيث يطوى ذكر المستعار له ويجعل الكلام خلوا صالحا لان يراد به المنقول عنه والمنقول اليه لولا دلالة الحال او فحوى الكلام **كقول زهير**

لدى اسد شاكى السلاح مقذف له لبد اظفاره لم تقلم

ومن ثم ترى المفلقين السحرة منهم كانهم يتناسون التشبيه ويضربون عن توهمه صفحا **قال ابو تمام**

ويصعد حتى يظن الجهول بان له حاجة فى السماء

ولبعضهم

لا تحسبوا ان فى سرباله رجلا ففيه غيث وليث مسبل مشبل

وليس لقائل ان يقول طوى ذكرهم عن الجملة بحذف المبتدا فاتسلق بذلك الى تسميته استعارة لانه فى حكم المنطوق به نظيره قول من يخاطب الحجاج

اسد على وفى الحروب نعامة فتخاء تنفر من صفير الصافر

ومعنى لا يرجعون انهم لا يعودون الى الهدى بعد ان باعوه او عن الضلالة بعد ان اشتروها تسجيلا عليهم بالطبع او اراد انهم بمنزلة المتحيرين الذين بقوا جامدين فى مكانهم لا يبرحون ولا يدرون ايتقدمون ام يتاخرون وكيف يرجعون الى حيث ابتدؤا منه **او كصيب من السماء فيه ظلمات ورعد وبرق يجعلون اصابعهم فى اذانهم من الصواعق حذر الموت والله محيط بالكافرين** ثنى الله سبحانه فى شانهم بتمثيل اخر ليكون كشفا لحالهم بعد كشف وايضاحا غب ايضاح وكما يجب على البليغ فى مظان الاجمال والايجاز ان يجمل ويوجز فكذلك الواجب عليه فى موارد التفصيل والاشباع ان يفصل ويشبع

يرمون بالخطب الطوال وتارة وحى الملاحظ خيفة الرقباء

ومما ثنى من التمثيل فى التنزيل قوله وما يستوى الاعمى والبصير ولا الظلمات ولا النور ولا الظل ولا الحرور وما يستوى الاحياء ولا الاموات والا ترى الى ذى الرمة كيف صنع فى قصيدته

اذاك ام نمش بالوشى اكرعه اذاك ام خاضب بالسى مرتعه

فقد شبه المنافق فى التمثيل الاول بالمستوقد نارا واظهاره الايمان بالاضاءة وانقطاع انتفاعه بانطفاء النار وما ذا شبه فى التمثيل الثانى بالصيب وبالظلمات وبالرعد والبرق وبالصواعق **قلت** لقائل ان يقول شبه دين الاسلام بالصيب لان القلوب تحيا به حياة الارض بالمطر وما يتعلق به من شبه الكفار بالظلمات وما فيه من الوعد والوعيد بالرعد والبرق وما يصيب الكفرة من الافزاع والبلايا والفتن من جهة اهل الاسلام بالصواعق والمعنى او كمثل ذوى صيب والمراد كمثل قوم اخذتهم السماء على هذه الصفة فلقوا منها ما لقوا هذا تشبيه اشياء باشياء فاين ذكر المشبهات وهلا صرح به كما فى قوله تعالى وما يستوى الاعمى والبصير والذين امنوا وعملوا الصالحات ولا المسىء **وفى قول** امرئ القيس

كان قلوب الطير رطبا ويابسا لدى وكرها العناب والحشف البالى

كما جاء ذلك صريحا فقد جاء مطويا ذكره على سنن الاستعارة

وما يستوى البحران هذا عذب فرات سائغ شرابه وهذا ملح اجاج ضرب الله مثلا رجلا فيه شركاء متشاكسون ورجلا سلما لرجل والصحيح الذى عليه علماء البيان لا يتخطونه ان التمثيلين جميعا من جملة التمثيلات المركبة دون المفرقة لا يتكلف لواحد واحد شىء يقدر شبهه به وهو القول الفحل والمذهب الجزل بيانه ان العرب تاخذ اشياء فرادى معزولا بعضها من بعض لم ياخذ هذا بحجزة ذاك فتشبهها بنظائرها كما فعل امرؤ القيس وجاء فى القران وتشبه كيفية حاصلة من مجموع اشياء قد تضامت وتلاصقت حتى عادت شيئا واحدا باخرى مثلها كقوله

تعالى مثل الذين حملوا التوراة ثم لم يحملوها الآية الغرض تشبيه حال اليهود في جهلها بما معها من التوراة وآياتها الباهرة بحال الحمار في جهله بما يحمل من اسفار الحكمة وتساوي الحالتين عنده من حمل اسفار الحكمة وحمل ما سواها من الاوقار لا يشعر من ذلك الا بما يمر بدفيه من الكد والتعب

واضرب لهم مثل الحيوة الدنيا كماء انزلناه من السماء المراد قلة بقاء زهرة الدنيا كقلة بقاء الخضر فاما ان يراد تشبيه الافراد بالافراد غير منوط بعضها ببعض ومصيرة شيئا واحدا فلا فكذلك لما وصف الله وقوع المنافقين في ضلالتهم وما خبطوا فيه من الحيرة والدهشة شبهت حيرتهم وشدة الامر عليهم بما يكابد من طفئت ناره بعد ايقادها في ظلمة الليل وكذلك من اخذته السماء في الليلة المظلمة مع رعد وبرق وخوف من الصواعق **فان قلت** الذي تقدره في المفرق من التشبيه من حذف المضاف وهو قولك او كمثل ذوي صيب هل يقدر مثله في المركب منه قلت لولا طلب الراجع في قوله يجعلون اصابعهم في آذانهم ما يرجع اليه لكنت مستغنيا عن تقديره لاني اراعي الكيفية المنتزعة من مجموع الكلام فلا علي اولي حرف التشبيه مفردا يتأتى التشبيه به ام لم يله الا ترى الى قوله انما مثل الحيوة الدنيا الآية كيف ولي الماء الكاف وليس الغرض تشبيه الدنيا بالماء ولا بمفرد آخر يتمحل لتقديره ومما هو بين في هذا **قول** لبيد

وما الناس الا كالديار واهلها ... بها يوم حلوها وغدوا بلاقع

لم يشبه الناس بالديار وانما شبه وجودهم في الدنيا وسرعة زوالهم وفنائهم بحلول اهل الديار فيها وسرعة نهوضهم عنها وتركها خلاء خاوية **فان قلت** اي التمثيلين ابلغ قلت الثاني لانه ادل على فرط الحيرة وشدة الامر وفظاعته ولذلك أخر وهم يتدرجون في نحو هذا من الاهون الى الاغلظ **فان قلت** لم عطف احد التمثيلين على الآخر بحرف الشك **قلت** او في اصلها لتساوي شيئين فصاعدا في الشك ثم اتسع فيها فاستعيرت للتساوي في غير الشك وذلك قولك جالس الحسن او ابن سيرين تريد انهما سيان في استصواب ان تجالسهما ومنه قوله تعالى ولا تطع منهم آثما او كفورا اي الآثم والكفور متساويان في وجوب عصيانهما فكذلك قوله او كصيب معناه ان كيفية قصة المنافقين مشبهة لكيفيتي هاتين القصتين وان القصتين سواء في استقلال كل واحدة منهما بوجه التمثيل فبايتهما مثلتها فانت مصيب وان مثلتها بهما جميعا فكذلك والصيب المطر الذي يصوب اي ينزل ويقع ويقال للسحاب صيب ايضا **قال الشماخ**

وأسحم دان صادق الرعد صيب

وتنكير صيب لانه اريد نوع من المطر شديد هائل كما نكرت النار في التمثيل الاول وقرئ او كصائب والصيب ابلغ والسماء هذه المظلة وعن الحسن انها موج مكفوف **فان قلت** قوله من السماء ما الفائدة في ذكره والصيب لا يكون الا من السماء قلت الفائدة فيه انه جاء بالسماء معرفة فنفى ان يتصوب من سماء اي من افق واحد من بين سائر الآفاق لان كل افق من آفاقها سماء كما ان كل طبقة من الطباق سماء في قوله عز وجل واوحى في كل سماء امرها والدليل عليه قوله

ومن بعد ارض بيننا وسماء

والمعنى انه غمام مطبق آخذ بآفاق السماء كما جاء بصيب وفيه مبالغات من جهة التركيب والبناء والتنكير امد ذلك بان جعله مطبقا وفيه ان السحاب من السماء ينحدر ومنها يأخذ ماءه لا كزعم من يزعم انه يأخذه من البحر ويؤيده قوله تعالى وينزل من السماء من جبال فيها من برد **فان قلت** بم ارتفع ظلمات قلت بالظرف على

الانفاق

الانفاق ولاعتماده على موصوف والرعد الصوت الذي يسمع من السحاب كأن اجرام السحاب تضطرب وتنتفض اذا حدتها الريح فتصوت عند ذلك من الارتعاد والبرق الذي يلمع من السحاب من برق الشيء بريقا اذا لمع **فان قلت** قد جعل الصيب مكانا للظلمات فلا يخلو من ان يراد به السحاب او المطر فايهما اريد فما ظلماته قلت اما ظلمات السحاب فاذا كان اسحم مطبقا فظلمتا سحمته وتطبيقه مضمومة اليهما ظلمة الليل واما ظلمة المطر فظلمة تكاثفه وانسجامه بتتابع القطر وظلمة اظلال غمامه مع ظلمة الليل **فان قلت** كيف يكون المطر مكانا للبرق والرعد وانما مكانهما السحاب قلت اذا كانا في اعلاه ومصبه وملتبسين به في الجملة فهما فيه الا تراك تقول فلان في البلد وما هو منه الا في حيز يشغله جرمه **فان قلت** هلا جمع الرعد والبرق اخذا بالابلغ **كقول** البحتري

يا عارضا متلفعا ببروده ... يختال بين بروقه ورعوده

وكما قيل ظلمات قلت فيه وجهان احدهما ان يراد العينان ولكنهما لما كانا مصدرين في الاصل يقال رعدت السماء رعدا وبرقت برقا روعي حكم اصلهما بان ترك جمعهما وان اريد معنى الجمع والثاني ان يراد الحدثان كأنه قيل وارعاد وابراق وانما جاءت هذه الاشياء منكرات لان المراد انواع منها كأنه قيل فيه ظلمات داجية ورعد قاصف وبرق خاطف وجاز رجوع الضمير في يجعلون الى اصحاب الصيب مع كونه محذوفا قائما مقامه الصيب **كما قال تعالى** او هم قائلون لان المحذوف باق معناه وان سقط لفظه الا ترى الى حسان كيف عول على بقاء معناه في قوله

يسقون من ورد البريص عليهم ... بردى يصفق بالرحيق السلسل

حيث ذكر يصفق لان المعنى ماء بردى ولا محل لقوله يجعلون لكونه مستأنفا لانه لما ذكر الرعد والبرق على ما يؤذن بالشدة والهول فكأن قائلا قال فكيف حالهم مع مثل ذلك الرعد فقيل يجعلون اصابعهم في آذانهم ثم قال فكيف حالهم مع مثل ذلك البرق فقيل يكاد البرق يخطف ابصارهم **فان قلت** رؤوس الاصابع هي التي تجعل في الآذان فهلا قيل اناملهم قلت هذا من الاتساعات في اللغة التي لا يكاد الحاصر يحصرها

فاغسلوا وجوهكم وايديكم الى المرافق فاقطعوا ايديهما اراد البعض الذي هو الى المرفق والذي الى الرسغ وايضا في ذكر الاصابع من المبالغة ما ليس في ذكر الانامل **فان قلت** فالاصبع التي تسد بها الاذن اصبع خاصة فلم ذكر الاسم العام دون الخاص قلت لان السبابة فعالة من السب فكان اجتنابها اولى باداب القرآن الا ترى انهم قد استبشعوها فكنوا عنها بالمسبحة والسباحة والمهللة والدعاءة **فان قلت** فهلا ذكر بعض هذه الكنايات قلت هي الفاظ مستحدثة لم يتعارفها الناس في ذلك العهد وانما احدثوها بعد وقوله من الصواعق متعلق بيجعلون اي من اجل الصواعق يجعلون اصابعهم في آذانهم كقولك سقاه من العيمة والصاعقة قصفة رعد تنقض معها شقة من نار قالوا تنقدح من السحاب اذا اصطكت اجرامه وهي نار لطيفة حديدة لا تمر بشيء الا اتت عليه الا انها مع حدتها سريعة الخمود يحكى انها سقطت على نخلة فاحرقت نحو النصف ثم طفئت ويقال صعقته الصاعقة اذا اهلكته فصعق اي مات اما بشدة الصوت واما بالاحراق **ومنه** قوله تعالى

وخرّ موسى صعقا الحسن من الصواقع وليس بقلب للصواعق لان كلا البنائين سواء في التصرف واذا استويا كان كل واحد بناء على حياله الا تراك تقول صقعه على رأسه وصقع الديك وخطيب مصقع مجهر بخطبته ونظيره جذب وجبذ ليس بقلب لاستوائهما في التصرف وبناؤها اما ان تكون صفة لقصفة الرعد او للرعد والتاء مبالغة كما في الراوية او مصدرا كالكاذبة والعافية وقرأ ابن ابي ليلى حذار الموت وانتصب على انه مفعول له كقوله

واغفر عوراء الكريم ادخاره ... واعرض عن شتم اللئيم تكرما

والموت فساد بنية الحيوان وقيل عرض لا يصح معه احساس معاقب للحيوة واحاطة الله للكافرين مجاز والمعنى انهم لا يفوتونه كما لا يفوت المحاط به المحيط به حقيقة وهذه الجملة اعتراض لا محل لها

يكاد البرق يخطف ابصارهم كلما اضاء لهم مشوا فيه واذا اظلم عليهم قاموا ولو شاء الله لذهب بسمعهم وابصارهم ان الله على كل شيء قدير

والخطف الاخذ بسرعة وقرأ مجاهد يخطف بكسر الطاء والفتح افصح واعلى وعن ابن مسعود يختطف وعن الحسن يخطّف بفتح الياء والخاء واصله يختطف وعنه يخطّف بكسرهما على اتباع الياء الخاء وعن زيد بن علي رضي الله عنهما يخطّف من خطّف وعن ابيّ يتخطف من قوله تعالى ويتخطف الناس من حولهم كلما اضاء لهم استيناف ثالث كانه جواب لمن يقول كيف يصنعون في تارتي خفوق البرق وخفيته وهذا تمثيل لشدة الامر على المنافقين بشدته على اصحاب الصيب وما هم فيه من غاية التحير والجهل بما يأتون وما يذرون اذا صادفوا من البرق خفقة مع خوف ان يخطف ابصارهم انتهزوا تلك الخفقة فرصة فخطوا خطوات يسيرة فاذا خفي وفتر لمعانه بقوا واقفين متقيدين عن الحركة ولو شاء الله لزاد في قصيف الرعد فاصمهم او في ضوء البرق فاعماهم واضاء اما متعد كلما نور لهم ممشى ومسلكا اخذوه والمفعول محذوف واما غير متعد بمعنى كلما لمع لهم مشوا في مطرح نوره وملقى ضوئه ويعضده قراءة ابن ابي عبلة كلما ضاء لهم والمشي جنس الحركة المخصوصة فاذا اشتد فهو سعي فاذا ازداد فهو عدو فان قلت كيف قيل مع الاضاءة كلما ومع الاظلام اذا قلت لانهم حراص على وجود ما همهم به معقود من امكان المشي وتأتيه فكلما صادفوا منه فرصة انتهزوها وليس كذلك التوقف والتحبس واظلم يحتمل ان يكون غير متعد وهو الظاهر وان يكون متعديا منقولا من ظلم الليل وتشهد له قراءة يزيد بن قطيب اظلم على ما لم يسم فاعله وجاء في شعر حبيب بن اوس

هما اظلما حاليّ ثمت اجليا ... ظلاميهما عن وجه امرد اشيب

وهو وان كان محدثا لا يستشهد بشعره في اللغة فهو من علماء العربية فاجعل ما يقوله بمنزلة ما يرويه الا ترى الى قول العلماء الدليل عليه بيت الحماسة فيقتنعون بذلك لوثوقهم بروايته واتقانه ومعنى قاموا وقفوا وثبتوا في مكانهم ومنه قامت السوق اذا ركدت وقام الماء اذا جمد ومفعول شاء محذوف لان الجواب يدل عليه والمعنى ولو شاء الله ان يذهب بسمعهم وابصارهم لذهب بها ولقد تكاثر هذا الحذف في شاء واراد لا يكادون يبرزون المفعول الا في الشيء المستغرب كنحو قوله

فلو شئت ان ابكي دما لبكيته

لو اردنا ان نتخذ لهوا ولو اراد الله ان يتخذ ولدا واراد ولو شاء الله لذهب بسمعهم

بقصيف الرعد وابصارهم بوميض البرق وقرأ ابن ابي عبلة لاذهب باسماعهم بزيادة الباء كقوله ولا تلقوا بايديكم والشيء ما صح ان يعلم ويخبر عنه قال سيبويه في ساقة الباب المترجم بباب مجاري اواخر الكلم من العربية وانما يخرج التأنيث من التذكير الا ترى ان الشيء يقع على كل ما اخبر عنه من قبل ان يعلم أذكر هو ام انثى والشيء مذكر وهو اعم العام كما ان الله اخص الخاص يجري على الجسم والعرض والقديم تقول شيء لا كالاشياء اي معلوم لا كسائر المعلومات وعلى المعدوم والمحال فان قلت كيف قيل على كل شيء قدير وفي الاشياء ما لا تعلق به للقادر كالمستحيل وفعل قادر آخر قلت مشروط في حد القادر ان لا يكون الفعل مستحيلا فالمستحيل مستثنى في نفسه عند ذكر القادر على الاشياء كلها فكانه قيل على كل شيء مستقيم قدير ونظيره فلان امير على الناس اي على من وراءه منهم ولم يدخل فيهم نفسه وان كان من جملة الناس واما الفعل بين قادرين فمختلف فيه فان قلت مم اشتقاق القدير قلت من التقدير لانه يوقع فعله على مقدار قوته واستطاعته وما يتميز به عن العاجز

يا ايها الناس اعبدوا ربكم الذي خلقكم والذين من قبلكم لعلكم تتقون

لما عدد الله تعالى فرق المكلفين من المؤمنين والكفار والمنافقين وذكر صفاتهم واحوالهم ومصارف امورهم وما اختصت به كل فرقة مما يسعدها ويشقيها ويحظيها عند الله ويرديها اقبل عليهم بالخطاب وهو من الالتفات المذكور عند قوله تعالى اياك نعبد واياك نستعين وهو فن من الكلام جزل فيه هز وتحريك من السامع كما اذا قلت لصاحبك حاكيا عن ثالث لك ان فلانا من قصته كيت وكيت فقصصت عليه ما فرط منه ثم عدلت بخطابك الى الثالث فقلت يا فلان من حقك ان تلزم الطريقة الحميدة في مجاري امورك وتستوي على جادة السداد في مصادرك ومواردك نبهته بالالتفات نحوه فضل تنبيه واستدعيت اصغاءه الى ارشادك زيادة استدعاء واوجدته بالانتقال من الغيبة الى المواجهة هازا من طبعه ما لا يجده اذا استمررت على لفظ الغيبة وهكذا الافتنان في الحديث والخروج فيه من صنف الى صنف يستفتح الآذان للاستماع ويستهش الانفس للقبول وبلغنا باسناد صحيح عن ابراهيم عن علقمة ان كل شيء نزل فيه يا ايها الناس فهو مكي ويا ايها الذين آمنوا فهو مدني فقوله يا ايها الناس اعبدوا ربكم خطاب لمشركي مكة ويا حرف وضع في اصله لنداء البعيد صوت يهتف به الرجل بمن يناديه واما نداء القريب فله اي والهمزة ثم استعمل في مناداة من سها وغفل وان قرب تنزيلا له منزلة من بعد فاذا نودي به القريب المفاطن فذلك للتأكيد المؤذن بان الخطاب الذي يتلوه معني به جدا فان قلت فما بال الداعي يقول في جؤاره يا رب ويا الله وهو اقرب اليه من حبل الوريد واسمع به وابصر قلت هو استقصار منه لنفسه واستبعاد لها من مظان الزلفى وما يقربه الى رضوان الله ومنازل المقربين هضما لنفسه واقرارا عليها بالتفريط في جنب الله مع فرط التهالك على استجابة دعوته والاذن لندائه وابتهاله واي وصلة الى نداء ما فيه الالف واللام كما ان ذو والذي وصلتان الى الوصف باسماء الاجناس ووصف المعارف بالجمل وهو اسم مبهم يفتقر الى ما يوضحه ويزيل ابهامه فلا بد ان يردفه اسم جنس او ما يجري مجراه يتصف به حتى يصح المقصود بالنداء

فالذي يعمل فيه حرف النداء سواء والاسم التابع له صفته كقولك يا زيد الظريف إلا أن أيا لا
يستقل بنفسه استقلال زيد فلم ينفك من الصفة وفي هذا التدرج من الإبهام إلى التوضيح
ضرب من التأكيد والتشديد وكلمة التنبيه المقحمة بين الصفة وموصوفها لفائدتين معاضدة
حرف النداء ومكانفته بتأكيد معناه ووقوعها عوضا مما يستحقه أي من الإضافة فإن
قلت لم كثر في كتاب الله النداء على هذه الطريقة ما لم يكثر في غيره لاستقلاله
بأوجه التأكيد وأسباب من المبالغة لأن كل ما نادى الله له عباده من أوامره ونواهيه
وعظاته وزواجره ووعده ووعيده واقتصاص أخبار الأمم الدارجة عليهم وغير ذلك مما أنطق
به كتابه أمور عظام وخطوب جسام ومعان عليهم أن يتيقظوا لها ويميلوا بقلوبهم وبصائرهم
إليها وهم عنها غافلون فاقتضت الحال أن ينادوا بالآكد الأبلغ فإن قلت لا يخلو الأمر
بالعبادة من أن يكون متوجها إلى المؤمنين والكافرين جميعا أو إلى كفار مكة خاصة على ما
روي عن علقمة والحسن فالمؤمنون عابدون ربهم فكيف أمروا بما هم ملتبسون به وهل
هو إلا كقول القائل فلو أني فعلت كنت من تسأله وهو قائم أن يقوما وأما
الكفار فلا يعرفون الله ولا يقرون به فكيف يعبدونه المراد بعبادة المؤمنين
ازديادهم منها وإقبالهم وثباتهم عليها وأما عبادة الكفار فمشروط فيها ما لا بد لها منه
وهو الإقرار كما يشترط على المأمور بالصلاة شرائطها من الوضوء والنية وغيرهما وما لا بد للفعل
منه فهو مندرج تحت الأمر به وإن لم يذكر حيث لم ينفعل إلا به وكان من لوازمه على أن
مشركي مكة كانوا يعرفون الله ويعترفون به ولئن سألتهم من خلقهم ليقولن الله
فإن قلت فقد جعلت قوله اعبدوا متناولا شيئين معا الأمر بالعبادة والأمر
بازديادها الازدياد من العبادة عبادة وليس شيئا آخر فإن قلت ربكم
ما المراد به قلت كان المشركون معتقدين ربوبيتين ربوبية الله وربوبية آلهتهم فإن
خصوا بالخطاب فالمراد به اسم يشترك فيه رب السموات والأرض والآلهة التي كانوا يسمونها
أربابا وكان قوله الذي خلقكم صفة موضحة مميزة وإن كان الخطاب للفرق جميعا فالمراد
ربكم على الحقيقة والذي خلقكم صفة جرت عليه على طريق المدح والتعظيم ولا يمتنع
هذا الوجه في خطاب الكفرة خاصة إلا أن الأول أوضح وأصح والخلق إيجاد الشيء على تقدير
واستواء يقال خلق النعل إذا قدرها وسواها بالمقياس وقرأ أبو عمرو خلقكم بالإدغام
وقرأ أبو السميفع وخلق من قبلكم وفي قراءة زيد بن علي رضي الله عنه والذين من قبلكم
وهي قراءة مشكلة ووجهها على إشكالها أن يقال أقحم الموصول الثاني بين الأول وصلته
تأكيدا كما أقحم جرير في قوله يا تيم تيم عدي لا أبا لكم تيما الثاني بين الأول وما
أضيف إليه وكإقحامهم لام الإضافة بين المضاف والمضاف إليه في لا أبا لك ولعل للترجي
أو الإشفاق تقول لعل زيدا يكرمني ولعله يهينني لعله
يتذكر أو يخشى لعل الساعة قريب ألا ترى إلى قوله والذين آمنوا مشفقون منها وقد
جاءت على سبيل الإطماع في مواضع من القرآن ولكن لأنه إطماع من كريم رحيم إذا أطمع فعل
ما يطمع فيه لا محالة لجري إطماعه مجرى وعده المحتوم وفاؤه به قال من قال إن لعل بمعنى

كى

كي ولعل لا تكون بمعنى كي ولكن الحقيقة ما ألقيت إليك وأيضا فمن ديدن الملوك وما عليه
أوساط أمرهم ورسومهم أن يقتصروا في مواعيدهم التي يوطنون أنفسهم على إنجازها على
أن يقولوا عسى ولعل ونحوهما من الكلمات أو يخيلوا إخالة أو يظفر منهم بالرمزة أو الابتسامة
أو النظرة الحلوة فإذا عثر على شيء من ذلك منهم لم يبق للطالب ما عندهم شك في النجاح والفوز
بالمطلوب فعلى مثله ورد كلام مالك الملك ذي العزة والكبرياء أو يجيء على طريق الإطماع دون
التحقيق لئلا يتكل العباد كقوله يا أيها الذين آمنوا توبوا إلى الله توبة نصوحا عسى ربكم
أن يكفر عنكم سيئاتكم فلعل التي في الآية ما معناها وما موقعها قلت
ليست مما ذكرناه في شيء لأن خلقكم لعلكم تتقون لا يجوز أن تحمل على رجاء الله تقواهم لأن
الرجاء لا يجوز على عالم الغيب والشهادة وحمله على أن يخلقهم راجين للتقوى ليس بسديد
أيضا ولكن لعل واقعة في الآية موقع المجاز لا الحقيقة لأن الله عز وجل خلق عباده ليتعبدهم
بالتكليف وركب فيهم العقول والشهوات وأزاح العلة في أقدارهم وتمكينهم وهداهم
النجدين ووضع في أيديهم زمام الاختيار وأراد منهم الخير والتقوى فهم في صورة المرجو منهم
أن يتقوا لترجح أمرهم وهم مختارون بين الطاعة والعصيان كما ترجحت حال المرتجي بين أن
يفعل وأن لا يفعل ومصداقه قوله ليبلوكم أيكم أحسن عملا وإنما يبلو ويختبر من تخفى عليه
العواقب ولكن شبه بالاختبار بناء أمرهم على الاختيار كما خلق المخاطبين
لعلهم يتقون فكذلك خلق الذين من قبلهم لذلك فلم قصره عليهم دون من قبلهم قلت
لم يقصره عليهم ولكن غلب المخاطبين على الغائبين في اللفظ والمعنى على إرادتهم جميعا
فإن قلت فهلا قيل تعبدون لأجل اعبدوا أو اتقوا لمكان تتقون ليتجاوب طرفا
النظم ليست التقوى غير العبادة حتى يؤدي ذلك إلى تنافر النظم وإنما التقوى
قصارى أمر العابد ومنتهى جهده فإذا قال اعبدوا ربكم الذي خلقكم للاستيلاء على أقصى
غايات العبادة كان أبعث على العبادة وأشد إلزاما لها وأثبت لها في النفوس ونحوه أن
تقول لعبدك احمل خريطة الكتب فما ملكتك يميني إلا لجر الأثقال ولو قلت لحمل خرائط
الكتب لم يقع من نفسه ذلك الموقع قدم سبحانه وتعالى من موجبات عبادته وملزمات
حق الشكر له خلقهم أحياء قادرين أولا لأنه سابقة أصول النعم ومقدمتها والسبب في
التمكن من العبادة والشكر وغيرهما الذي جعل لكم الأرض فراشا والسماء بناء وأنزل من
السماء ماء فأخرج به من الثمرات رزقا لكم فلا تجعلوا لله أندادا وأنتم تعلمون ثم
خلق الأرض التي هي مكانهم ومستقرهم الذي لا بد لهم منه وهي بمنزلة عرصة المسكن ومتقلبه
ومفترشه ثم خلق السماء التي هي كالقبة المضروبة والخيمة المطنبة على هذا القرار ثم ما سواه
عز وجل من شبه عقد النكاح بين المقلة والمظلة بإنزال الماء منها عليها والإخراج به من بطنها
أشباه النسل المنتج من الحيوان من ألوان الثمار رزقا لبني آدم ليكون لهم ذلك معتبرا ومتسلقا
إلى النظر الموصل إلى التوحيد والاعتراف ونعمة يتعرفونها فيقابلونها بلازم الشكر
ويتفكرون في خلق أنفسهم وخلق ما فوقهم وتحتهم وأن شيئا من هذه المخلوقات كلها لا
يقدر على إيجاد شيء منها فيتيقنوا عند ذلك أن لا بد لها من خالق ليس كمثلها حتى لا يجعلوا

المخلوقات

المخلوقات له اندادا وهم يعلمون انها لا تقدر على نحو ما هو عليه قادر والموصول مع صلته اما
ان يكون في محل النصب وصفا كالذي خلقكم او على المدح والتعظيم واما ان يكون رفعا على
الابتداء وفيه ما في النصب من المدح **وقرأ** يزيد الشامي بساطا وقرأ طلحة مهادا ومعنى
جعلها فراشا وبساطا ومهادا للناس انهم يقعدون عليها وينامون ويتقلبون كما يتقلب احدهم
على فراشه وبساطه ومهاده **فان قلت** هل فيه دليل على ان الارض مسطحة وليست بكرية
قلت ليس فيه الا ان الناس يفترشونها كما يفعلون بالمفارش وسواء كانت على شكل السطح او
على شكل الكرة فالافتراش غير مستنكر ولا مدفوع لعظم حجمها واتساع جرمها وتباعد اطرافها
واذا كان متسهلا في الجبل وهو وتد من اوتاد الارض فهو في الارض ذات الطول والعرض اسهل
والبناء مصدر سمي به المبني بيتا كان او قبة او خباء او طرافا وابنية العرب اخبيتهم ومنه بنى
على امرأته لانهم كانوا اذا تزوجوا ضربوا عليها خباء جديدا **فان قلت** ما معنى اخراج الثمرات
بالماء وانما خرجت بقدرته ومشيئته **قلت** المعنى انه جعل الماء سببا في خروجها ومادة
لها كماء الفحل في خلق الولد وهو قادر على ان ينشئ الاجناس كلها بلا اسباب ولا مواد كما انشأ
نفوس الاسباب والمواد ولكن له في انشاء الاشياء مدرجا لها من حال الى حال وناقلا من
مرتبة الى مرتبة حكما ودواعي يجدد فيها لملائكته والنظار بعيون الاستبصار من عباده عبرا
وافكارا صالحة وزيادة طمأنينة وسكون الى عظيم قدرته وغرائب حكمته ليس ذلك في انشائها
بغتة من غير تدريج وترتيب ومن في من الثمرات للتبعيض بشهادة قوله فاخرجنا به من
كل الثمرات وقوله تعالى فاخرجنا به ثمرات ولان المنكرين اعني ماء ورزقا يكتنفانه وقد
قصد بتنكيرهما معنى البعضية كانه قيل وانزلنا من السماء بعض الماء فاخرجنا به بعض الثمرات
ليكون بعض رزقكم وهذا هو المطابق لصحة المعنى لانه لم ينزل من السماء الماء كله ولا اخرج
بالمطر جميع الثمرات ولا جعل الرزق كله في الثمرات ويجوز ان يكون للبيان كقولك انفقت
من الدراهم الفا **فان قلت** بم انتصب رزقا **قلت** ان كانت من للتبعيض كان انتصابه
بانه مفعول له وان كانت مبينة كان مفعولا لاخرج **فان قلت** فالثمر المخرج بماء السماء
كثير جم فلم قيل الثمرات دون الثمر والثمار **قلت** فيه وجهان احدهما ان يقصد
بالثمرات جماعة الثمرة التي في قولك ادركت ثمرة بستانه تريد ثماره ونظيره قولهم كلمة
الحويدرة لقصيدته وقولهم للقرية المدرة وانما هي مدر متلاحق والثاني ان الجموع يتعاور
بعضها موقع بعض لالتقائها في الجمعية كقوله كم تركوا من جنات وثلثة
قروء ويعضد الوجه الاول قراءة محمد بن السميفع من الثمرة على التوحيد ولكم صفة جارية على
الرزق ان اريد به العين وان جعل اسما للمعنى فهو مفعول به كانه قيل رزقا اياكم **فان قلت**
بم تعلق فلا تجعلوا فيه ثلاثة اوجه ان يتعلق بالامر اي اعبدوا ربكم فلا تجعلوا
له اندادا لان اصل العبادة واساسها التوحيد وان لا يجعل لله ند ولا شريك او بلعل
على ان ينتصب تجعلوا انتصاب فاطلع في قوله تعالى لعلي ابلغ الاسباب اسباب السموات فاطلع
الى اله موسى في رواية حفص عن عاصم اي خلقكم لكي تتقوا وتخافوا عقابه فلا تشبهوه بخلقه
او بالذي جعل لكم اذا رفعته على الابتداء اي هو الذي خصكم بهذه الآيات العظيمة والدلائل

النيرة الشاهدة بالوحدانية فلا تتخذوا له شركاء والند المثل ولا يقال الا للمثل المخالف
المناوي **قال جرير** اتيما تجعلون الي ندا وما تيم لذي حسب نديد
وناددت الرجل خالفته ونافرته من ند يند ندودا اذا نفر ومعنى قولهم ليس لله ند ولا ضد
نفي ما يسد مسده ونفي ما ينافيه **فان قلت** كانوا يسمون اصنامهم باسمه ويعظمونها
بما يعظم به من القرب وما كانوا يزعمون انها تخالف الله وتناويه **قلت** لما تقربوا اليها
وعظموها وسموها آلهة اشبهت حالهم حال من يعتقد انها آلهة مثله قادرة على مخالفته
ومضادته فقيل لهم ذلك على سبيل التهكم فكما تهكم بهم بلفظ الند شنع عليهم واستفظع
شأنهم بان جعلوا اندادا كثيرة لمن لا يصح ان يكون له ند قط **وفي ذلك** قال زيد بن عمرو
ابن نفيل حين فارق دين قومه اربا واحدا ام الف رب ادين اذا تقسمت الامور
وقرأ محمد بن السميفع فلا تجعلوا لله ندا **فان قلت** ما معنى وانتم تعلمون **قلت**
معناه وحالكم وصفتكم انكم من صحة تمييزكم بين الصحيح والفاسد والمعرفة بدقائق الامور وغوامض
الاحوال والاصابة في التدابير والدهاء والفطنة بمنزلة لا تدفعون عنه وهكذا كانت العرب
خصوصا ساكنو الحرم من قريش وكنانة لا يصطلى بنارهم في استحكام المعرفة بالامور وحسن الاحاطة
بها ومفعول تعلمون متروك كانه قيل وانتم من اهل العلم والمعرفة والتوبيخ فيه آكد اي انتم
العرافون المميزون ثم ان ما انتم عليه من امر ديانتكم من جعل الاصنام لله اندادا هو غاية
الجهل ونهاية سخافة العقل ويجوز ان يقدر وانتم تعلمون انه لا يماثل او وانتم تعلمون
ما بينه وبينها من التفاوت او وانتم تعلمون انها لا تفعل مثل افعاله
هل من شركائكم من يفعل من ذلكم من شيء **وان كنتم في ريب مما نزلنا على عبدنا فأتوا بسورة من
مثله وادعوا شهداءكم من دون الله ان كنتم صادقين** لما احتج عليهم بما يثبت الوحدانية
ويحققها ويبطل الاشراك ويهدمه وعلم الطريق الى اثبات ذلك وتصحيحه وعرفهم ان من
اشرك فقد كابر عقله وغطى ما انعم عليه من معرفته وتمييزه عطف على ذلك ما هو الحجة على اثبات
نبوة محمد صلى الله عليه وسلم وما يدحض الشبهة في كون القرآن معجزا واراهم كيف يتعرفون
اهو من عند الله كما يدعي ام هو من عند نفسه كما يدعون بارشادهم الى ان يحزروا انفسهم ويذوقوا
طباعهم وهم ابناء جنسه واهل جلدته **فان قلت** لم قيل مما نزلنا على لفظ التنزيل دون
الانزال **قلت** لان المراد النزول على سبيل التدريج والتنجيم وهو من مجازه لمكان التحدي
وذلك انهم كانوا يقولون لو كان هذا من عند الله مخالفا لما يكون من عند الناس لم ينزل هكذا
نجوما سورة بعد سورة وآيات غب آيات على حسب النوازل وكفاء الحوادث وعلى سنن ما نرى عليه
اهل الخطابة والشعر من وجود ما يوجد منهم مفرقا حينا فحينا وشيئا فشيئا حسب ما يعن لهم من
الاحوال المتجددة والحاجات السانحة لا يلقي الناظم ديوان شعره دفعة ولا يرمي الناثر بمجموع
خطبه او رسائله ضربة فلو انزله الله لانزله خلاف هذه العادة جملة واحدة **قوله
تعالى** وقال الذين كفروا لولا نزل عليه القرآن جملة واحدة فقيل ان ارتبتم في هذا الذي
وقع انزاله هكذا على مهل وتدريج فهاتوا انتم نوبة واحدة من نوبه وهلموا نجما فردا من نجومه
سورة من اصغر السور او آيات شتى مفتريات وهذه غاية التبكيت ومنتهى ازاحة العلل

وقرئ على عبادنا يريد رسول الله وامته والسورة الطائفة من القرآن المترجمة التي
اقلها ثلاث آيات وواوها ان كانت اصلا فاما ان تسمى بسورة المدينة وهي حائطها لانها
طائفة من القرآن محدودة محوزة على حيالها كالبلد المسور او لانها محتوية على فنون من
العلم واجناس من الفوائد كاحتواء سورة المدينة على ما فيها واما ان تسمى بالسورة
التي هي الرتبة. النابغة: ولرهط حراب وقد سورة في المجد ليس غرابها بمطار
لاحد معنيين لان السور بمنزلة المنازل والمراتب يترقى فيها القارئ وهي في انفسها مترتبة
طوال واوساط وقصار او لرفعة شانها وجلالة محلها في الدين وان جعلت واوها منقلبة
عن همزة فلانها قطعة وطائفة من القرآن كالسؤرة التي هي البقية من الشيء والفضلة
منه **فان قلت** ما فائدة تفصيل القرآن وتقطيعه سورا ليست الفائدة في
ذلك واحدة ولامر ما انزل الله التورية والانجيل والزبور وسائر ما اوحاه الى انبيائه على
هذا المنهاج مسورة مترجمة السور وبوب المصنفون في كل فن كتبهم ابوابا موشحة الصدور
بالتراجم ومن فوائده ان الجنس اذا انطوت تحته انواع واشتمل على اصناف كان احسن وانبل
وافخم من ان يكون بيانا واحدا ومنها ان القارئ اذا ختم سورة او بابا من الكتاب ثم اخذ
في آخر كان انشط له واهز لعطفه وابعث على الدرس والتحصيل منه لو استمر على الكتاب
بطوله ومثله المسافر اذا علم انه قطع ميلا او طوى فرسخا او انتهى الى راس بريد نفس ذلك
منه ونشطه للسير ومن ثم جزأ القراء القرآن اسباعا واجزاء وعشورا واخماسا ومنها
ان الحافظ اذا حذق السورة اعتقد انه اخذ من كتاب الله طائفة مستقلة بنفسها لها فاتحة
وخاتمة فيعظم عنده ما حفظه ويجل في نفسه ويغتبط به **ومنه** حديث انس رضي الله عنه
كان الرجل اذا قرأ البقرة وآل عمران جد فينا ومن ثم كانت القراءة في الصلوة بسورة تامة
افضل ومنها ان التفصيل بسبب تلاحق الاشكال والنظائر وملاءمة بعضها لبعض وبذلك
تتلاحظ المعاني ويتجاوب النظم الى غير ذلك من الفوائد والمنافع من مثله متعلق بسورة
صفة لها اي بسورة كائنة من مثله والضمير لما نزلنا او لعبدنا ويجوز ان يتعلق بقوله
فاتوا والضمير للعبد وما مثله حتى ياتوا بسورة من ذلك المثل **قلت**
معناه فاتوا بسورة مما على صفته في البيان الغريب وعلو الطبقة في حسن النظم او فاتوا
ممن هو على حاله من كونه بشرا عربيا او اميا لم يقرأ الكتب ولم ياخذ من العلماء ولا قصد
الى مثل ونظير هنالك ولكنه نحو قول القبعثرى للحجاج وقد قال له لاحملنك على الادهم مثل
الامير حمل على الادهم والاشهب اراد من كان على صفة الامير من السلطان والقدرة وبسطة
اليد ولم يقصد احدا يجعله مثلا للحجاج ورد الضمير الى المنزل اوجه
فاتوا بسورة مثله فاتوا بعشر سور مثله على ان ياتوا بمثل هذا القرآن لا ياتون بمثله
ولان القرآن جدير بسلامة الترتيب والوقوع على اصح الاساليب والكلام مع رد الضمير
الى المنزل احسن ترتيبا وذلك ان الحديث في المنزل لا في المنزل عليه وهو مسوق اليه ومربوط
به فحقه ان لا ينفك عنه برد الضمير الى غيره الا ترى ان المعنى وان ارتبتم في ان القرآن منزل
من عند الله فهاتوا انتم نبذا مما يماثله ويجانسه وقضية الترتيب لو كان الضمير مردودا

الى رسول الله عليه السلام ان يقال وان ارتبتم في ان محمدا منزل عليه فهاتوا قرآنا من
مثله ولانه اذا خوطبوا جميعا وهم الجم الغفير بان ياتوا بطائفة يسيرة من جنس ما اتى به
واحد منهم كان ابلغ في التحدي من ان يقال لهم ليات واحد آخر بنحو ما اتى به هذا الواحد
ولان هذا التفسير هو الملائم لقوله وادعوا شهداءكم والشهداء جمع شهيد بمعنى الحاضر
او القائم بالشهادة ومعنى دون ادنى مكان من الشيء ومنه الشيء الدون وهو الدني
الحقير ودون الكتب اذا جمعها لان جمع الاشياء ادناء بعضها من بعض وتقليل المسافة
بينها يقال هذا دون ذاك اذا كان احط منه قليلا ودونك هذا اصله خذه من دونك
اي من ادنى مكان منك فاختصر واستعير للتفاوت في الاحوال والرتب فقيل زيد دون عمرو
في الشرف والعلم **ومنه** قول من قال لعدوه وقد راآه بالثناء عليه انا دون هذا وفوق
ما في نفسك واتسع فيه فاستعمل في كل تجاوز حد الى حد وتخطي حكم الى حكم
لا يتخذ المؤمنون الكافرين اولياء من دون المؤمنين اي لا يتجاوزوا ولاية المؤمنين الى
ولاية الكافرين **وقال امية** يا نفس ما لك دون الله من واق اي اذا تجاوزت وقاية
الله ولم تناليها لم يقك غيره ومن دون الله متعلق بادعوا او بشهداءكم فان علقته
بشهداءكم فمعناه ادعوا الذين اتخذتموهم آلهة من دون الله وزعمتم انهم يشهدون لكم
يوم القيامة انكم على الحق او ادعوا الذين يشهدون لكم بين يدي الله **من قول**
الاعشى تريك القذى من دونها وهي دونه اي تريك القذى قدامها وهي قدام القذى
لرقتها ولطافتها وصفائها وفي امرهم ان يستظهروا بالجماد الذي لا ينطق في معارضة
القرآن المعجز بفصاحته غاية التهكم بهم او ادعوا شهداءكم من دون الله اي من دون اوليائه
ومن غير المؤمنين ليشهدوا لكم انكم اتيتم بمثله وهذا من المساهلة وارخاء العنان
والاشعار بان شهداءهم وهم مدارة القوم الذين هم وجوه المشاهد وفرسان المقاولة
والمناقلة تابى عليهم الطباع وتجمح بهم الانسانية والانفة ان يرضوا لانفسهم الشهادة بصحة
الفاسد البين عندهم فساده واستقامة المحال الجلي في عقولهم احالته وتعليقه بالدعاء
في هذا الوجه جائز وان علقته بالدعاء فمعناه ادعوا من دون الله شهداءكم يعني لا تستشهدوا
بالله ولا تقولوا الله يشهد ان ما ندعيه حق كما يقوله العاجز عن اقامة البينة على صحة
دعواه وادعوا الشهداء من الناس الذين شهادتهم بينة تصحح بها الدعاوى عند الحكام
وهذا تعجيز لهم وبيان لانقطاعهم وانخذالهم وان الحجة قد بهرتهم ولم تبق لهم متشبثا غير
قولهم الله يشهد انا صادقون وهذا تسجيل منهم على انفسهم بتناهي العجز وسقوط القدرة
وعن بعض العرب انه سئل عن نسبه فقال قرشي والحمد لله فقيل له قولك والحمد لله في
هذا المقام ريبة او ادعوا من دون الله شهداءكم بمعنى ان الله شاهدكم لانه اقرب اليكم
من حبل الوريد وهو بينكم وبين اعناق رواحلكم والجن والانس شاهدوكم فادعوا كل
من يشهدكم واستظهروا به من الجن والانس الا الله تعالى لانه القادر وحده على ان ياتي
بمثله دون كل شاهد من شهدائكم فهو في معنى قوله تعالى قل لئن اجتمعت الانس والجن على
ان ياتوا بمثل هذا القرآن لا ياتون بمثله **فان لم تفعلوا ولن تفعلوا فاتقوا النار التي**

وقودها الناس والحجارة اعدت للكافرين لما ارشدهم الى الجهة التي منها يتعرفون امر
النبي صلى الله عليه وسلم وما جاء به حتى يعثروا على حقيقته وسره وامتياز حقه من باطله قال
لهم فاذا لم تعارضوه ولم يتسهل لكم ما تبغون وبان لكم انه معجوز عنه فقد صرح الحق عن
محضه ووجب التصديق فامنوا وخافوا العذاب المعد لمن كذب وفيه دليل على
اثبات النبوة صحة كون المتحدى به معجزا والاخبار بانهم لن يفعلوا وهو غيب لا يعلمه الا الله
تعالى **فان قلت** انتفاء اتيانهم بالسورة واجب فهلا جيء باذا الذي للوجوب دون ان
التي للشك **قلت** فيه وجهان احدهما ان يساق القول معهم على حسب حسبانهم
وطمعهم وان العجز عن المعارضة كان قبل التامل كالمشكوك فيه لديهم لاتكالهم على فصاحتهم
واقتدارهم على الكلام والثاني ان يتهكم بهم كما يقول الموصوف بالقوة الواثق من
نفسه بالغلبة على من يقاويه ان غلبتك لم ابق عليك وهو يعلم انه غالبه ويتيقنه تهكما
به **فان قلت** لم عبر عن الاتيان بالفعل واي فائدة في تركه اليه **قلت** لانه فعل من
الافعال تقول اتيت فلانا فيقال لك نعم ما فعلت والفائدة فيه انه جار مجرى الكناية
التي تعطيك اختصارا ووجازة تغنيك عن طول المكنى عنه الا ترى ان الرجل يقول ضربت
زيدا في موضع كذا على صفة كذا وشتمته ونكلت به ويعد كيفيات وافعالا فتقول له بئس
ما فعلت ولو ذكرت ما انبته عنه لطال عليك وكذلك لو لم يعدل عن لفظ الاتيان
الى لفظ الفعل لاستطيل ان يقال فان لم تاتوا بسورة من مثله ولن تاتوا بسورة من مثله
فان قلت ولن تفعلوا ما محلها **قلت** لا محل لها لانها جملة اعتراضية **فان قلت**
ما حقيقة لن في باب النفي **قلت** لا ولن اختان في نفي المستقبل الا ان في لن توكيدا
وتشديدا تقول لصاحبك لا اقيم غدا فان انكر عليك قلت لن اقيم غدا كما تفعل في انا
مقيم واني مقيم وهي عند الخليل في احدى الروايتين عنه اصلها لا ان وعند الفراء لا ابدلت
الفها نونا وعند سيبويه واحدى الروايتين عن الخليل حرف مقتضب لتاكيد نفي
المستقبل **فان قلت** من اين لك انه اخبار بالغيب على ما هو به حتى يكون معجزة
قلت لانهم لو عارضوه بشيء لم يمتنع ان يتواصفه الناس ويتناقلوه اذ خفاء مثله فيما
عليه مبنى العادة محال لا سيما والطاعنون فيه اكثر عددا من الذابين عنه فحين لم
ينقل علمنا انه اخبار بالغيب على ما هو به فكان معجزة **فان قلت** ما معنى اشتراطه في
اتقاء النار انتفاء اتيانهم بمثله بسورة من مثله **قلت** انهم اذا لم ياتوا بها وتبين
عجزهم عن المعارضة صح عندهم صدق رسول الله صلى الله عليه وسلم واذا صح عندهم
صدقه ثم لزموا العناد ولم ينقادوا ولم يشايعوا استوجبوا العقاب بالنار فقيل لهم
ان استبنتم العجز فاتركوا العناد فوضع فاتقوا النار موضعه لان اتقاء النار لصيقه
وضميمه ترك العناد من حيث انه من نتائجه لان من اتقى النار ترك المعاندة ونظيره
ان يقول الملك لحشمه ان اردتم الكرامة عندي فاحذروا سخطي يريد فاطيعوني واتبعوا
امري وافعلوا ما هو نتيجة حذر السخط وهو من باب الكناية التي هي شعبة من شعب
البلاغة وفائدته الايجاز الذي هو من حلية القرآن وتهويل شان العناد بانابة اتقاء

النار

النار منابه وابرازه في صورته مشيعا ذلك بتهويل صفة النار وتفظيع امرها والوقود
ما ترفع به النار واما المصدر فمضموم وقد جاء فيه الفتح قال سيبويه وسمعنا من العرب
من يقول وقدت النار وقودا عاليا ثم قال والوقود اكثر والوقود الحطب
وقرا عيسى بن عمر الهمداني بالضم تسمية بالمصدر كما تقول فلان فخر قومه وزين
بلده ويجوز ان يكون مثل قولك حيوة المصباح السليط اي ليست حيوته الا به
فكان نفس السليط حيوته **فان قلت** صلة الذي والتي يجب ان تكون قصة معلومة
للمخاطب فكيف علموا اولئك ان نار الاخرة توقد بالناس والحجارة **قلت** لا يمتنع
ان يتقدم لهم بذلك سماع من اهل الكتاب او سمعوه من رسول الله عليه السلام او
سمعوا قبل نزول هذه الاية قوله تعالى في سورة التحريم نارا وقودها الناس والحجارة
فان قلت فلم جاءت النار الموصوفة بهذه الجملة منكرة في سورة التحريم وههنا معرفة
قلت تلك الاية نزلت بمكة فعرفوا منها نارا موصوفة بهذه الصفة ثم نزلت هذه
الاية بالمدينة مشارا بها الى ما عرفوه اولا **فان قلت** ما معنى قوله وقودها الناس
والحجارة **قلت** معناه انها نار ممتازة عن غيرها من النيران بانها لا تتقد الا بالناس
والحجارة وبان غيرها ان اريد احراق الناس بها او احماء الحجارة اوقدت اولا بوقود
ثم طرح فيها ما يراد احراقه او احماؤه وتلك اعاذنا الله منها برحمته الواسعة توقد
بنفس ما يحرق ويحمى بالنار وبانها لافراط حرها وشدة ذكائها اذا اتصلت بما لا
تشتعل به نار اشتعلت وارتفع لهبها **فان قلت** انار الجحيم كلها موقدة بالناس والحجارة
ام هي نيران شتى منها نار بهذه الصفة **قلت** بل هي نيران شتى منها نار توقد بالناس
والحجارة يدل على ذلك تنكيرها في قوله تعالى قوا انفسكم واهليكم نارا فانذرتكم
نارا تلظى ولعل لكفار الجن وشياطينهم نارا وقودها الشياطين كما ان لكفرة الانس
نارا وقودها هم جزاء لكل جنس بما يشاكله من العذاب **فان قلت** لم قرن الناس بالحجارة
وجعلت الحجارة معهم وقودا **قلت** لانهم قرنوا بها انفسهم في الدنيا حيث نحتوها
اصناما وجعلوها لله اندادا وعبدوها من دونه قال تعالى انكم وما تعبدون
من دون الله حصب جهنم وهذه الاية مفسرة لما نحن فيه فقوله انكم وما تعبدون
من دون الله في معنى الناس والحجارة وحصب جهنم في معنى وقودها ولما اعتقد
الكفار في حجارتهم المعبودة من دون الله انها الشفعاء والشهداء الذين يستشفعون
بهم ويستدفعون المضار عن انفسهم بمكانهم جعلها الله عذابهم فقرنهم بها محماة في نار جهنم
ابلاغا في ايلامهم واغراقا في تحسيرهم ونحوه ما يفعله بالكافرين الذين جعلوا ذهبهم وفضتهم
عدة وذخيرة فشحوا بها ومنعوها من الحقوق حيث يحمى عليها في نار جهنم فتكوى بها جباههم
وجنوبهم وقيل هي حجارة الكبريت وهو تخصيص بغير دليل وذهاب عما هو المعنى الصحيح
الواقع المشهود له بمعاني التنزيل اعدت هيئت لهم وجعلت عدة لعذابهم وقرا
عبد الله اعتدت من العتاد بمعنى العدة **وبشر الذين امنوا وعملوا الصالحات
ان لهم جنات تجري من تحتها الانهار كلما رزقوا منها من ثمرة رزقا قالوا هذا الذي**

رزقنا من قبل وأتوا به متشابها ولهم فيها أزواج مطهرة وهم فيها خالدون من عادته
عز وعلا في كتابه أن يذكر الترغيب مع الترهيب ويشفع البشارة بالإنذار إرادة التنشيط
لاكتساب ما يزلفه والتثبيط عن اقتراف ما يتلفه فلما ذكر الكفار وأعمالهم وأوعدهم
بالعقاب قفاه ببشارة عباده الذين جمعوا بين التصديق والأعمال الصالحة من
فعل الطاعات وترك المعاصي وحموها من الإحباط بالكفر والكبائر بالثواب فإن
قلت من المأمور بقوله وبشر قلت يجوز أن يكون رسول الله صلى الله عليه وسلم
وأن يكون كل أحد كما قال صلى الله عليه وسلم بشر المشائين إلى المساجد في الظلم بالنور
التام يوم القيامة لم يأمر بذلك واحدا بعينه وإنما كل أحد مأمور به وهذا الوجه
أحسن وأجزل لأنه يؤذن بأن الأمر لعظمه وفخامة شأنه محقوق بأن يبشر به كل من قدر
على البشارة به فإن قلت علام عطف هذا الأمر ولم يسبق أمر ولا نهي يصح عطفه عليه
قلت ليس الذي اعتمد بالعطف هو الأمر حتى يطلب له مشاكل من أمر أو نهي يعطف عليه
إنما المعتمد بالعطف هو جملة وصف ثواب المؤمنين فهي معطوفة على جملة وصف
عقاب الكافرين كما تقول زيد يعاقب بالقيد والإرهاق وبشر عمرا بالعفو والإطلاق
ولك أن تقول هو معطوف على قوله فاتقوا كما تقول يا بني تميم احذروا عقوبة ما جنيتم
وبشر يا فلان بني أسد بإحساني إليهم وفي قراءة زيد بن علي رضي الله عنه وبشر على لفظ
المبني للمفعول عطفا على أعدت والبشارة الإخبار بما يظهر سرور المخبر به ومن ثم
قال العلماء إذا قال لعبيده أيكم بشرني بقدوم فلان فهو حر فبشروه فرادى عتق أولهم
لأنه هو الذي أظهر سروره بخبره دون الباقين ولو قال مكان بشرني أخبرني عتقوا جميعا
لأنهم جميعا أخبروه ومنه البشرة لظاهر الجلد وتباشير الصبح ما ظهر من أوائل ضوئه
وأما فبشرهم بعذاب أليم فمن العكس في الكلام الذي يقصد به الاستهزاء الزائد في
غيظ المستهزأ به وتألمه واغتمامه كما يقول الرجل لعدوه أبشر بقتل ذريتك ونهب مالك
ومنه فأعتبوا بالصيلم والصالحة نحو الحسنة في جريها مجرى الاسم قال الحطيئة
كيف الهجاء وما تنفك صالحة من آل لأم بظهر الغيب تأتيني والصالحات
كل ما استقام من الأعمال بدليل العقل والكتاب والسنة واللام للجنس فإن قلت
أي فرق بين لام الجنس داخلة على المفرد وبينها داخلة على المجموع قلت إذا دخلت على المفرد
كان صالحا لأن يراد به الجنس إلى أن يحاط به وأن يراد به بعضه إلى الواحد منه وإذا دخلت
على المجموع صلح أن يراد به جميع الجنس وأن يراد به بعضه لا إلى الواحد لأن وزانه في تناول الجمعية
في الجنس وزان المفرد في تناول الجنسية والجمعية في جمل الجنس لا في وحدانه فإن قلت
فما المراد بهذا المجموع مع اللام قلت الجملة من الأعمال الصحيحة المستقيمة في الدين على حسب
حال المؤمن في مواجب التكليف والجنة البستان من النخل والشجر المتكاثف المظلل
بالتفاف أغصانه قال زهير تسقي جنة سحقا أي نخلا طوالا والتركيب دائر على معنى
الستر وكأنها لتكاثفها وتظليلها سميت بالجنة التي هي المرة من مصدر جنه إذا ستره كأنها
سترة واحدة لفرط التفافها وسميت دار الثواب جنة لما فيها من الجنان فإن

قلت

قلت الجنة مخلوقة أم لا قلت قد اختلف في ذلك والذي يقولُ إنها مخلوقة يستدل
بسكنى آدم وحواء الجنة وبمجيئها في القرآن على نهج الأسماء الغالبة اللاحقة بالأعلام كالنبي
والرسول والكتاب ونحوها فإن قلت ما معنى جمع الجنة وتنكيرها قلت الجنة اسم
لدار الثواب كلها وهي مشتملة على جنان كثيرة مرتبة مراتب على حسب استحقاقات العاملين
لكل طبقة منهم جنات من تلك الجنان فإن قلت أما يشترط في استحقاق الثواب
بالإيمان والعمل الصالح أن لا يحبطهما المكلف بالكفر والإقدام على الكبائر وأن لا يندم
على ما أوجده من فعل الطاعة وترك المعصية فهلا شرط ذلك قلت لما جعل
الثواب مستحقا بالإيمان والعمل الصالح والبشارة مختصة بمن يتولاهما وركز في العقول
أن الإحسان إنما يستحق فاعله عليه المثوبة والثناء إذا لم يتعقبه بما يفسده ويذهب بحسنه
وأنه لا يبقى مع وجود مفسده إحسانا وأعلم بقوله لنبيه عليه السلام وهو أكرم الناس
عليه وأعزهم لئن أشركت ليحبطن عملك وقال للمؤمنين ولا تجهروا له بالقول كجهر
بعضكم لبعض أن تحبط أعمالكم كان اشتراط حفظهما من الإحباط والندم كالداخل تحت الذكر
فإن قلت كيف صورة جري الأنهار من تحتها قلت كما ترى الأشجار النابتة على
شواطئ الأنهار الجارية وعن مسروق أن أنهار الجنة تجري في غير أخدود وأنزه البساتين
وأكرمها منظرا ما كانت أشجاره مظللة والأنهار في خلالها مطردة ولولا أن الماء الجاري من
النعمة العظمى واللذة الكبرى وأن الجنان والرياض وإن كانت آنق شيء وأحسنه لا تروق
النواظر ولا تبهج الأنفس ولا تجلب الأريحية والنشاط حتى يجري فيها الماء وإلا كان الأنس
الأعظم فائتا والسرور الأوفر مفقودا وكانت كتماثيل لا أرواح فيها وصور لا حياة لها
لما جاء الله بذكر الجنات مشفوعا بذكر الأنهار الجارية من تحتها مسوقين على قران واحد كالشيئين
لا بد لأحدهما من صاحبه ولما قدمه على سائر نعوتها والنهر المجرى الواسع فوق الجدول
ودون البحر يقال لبردى نهر دمشق وللنيل نهر مصر واللغة العالية النهر بفتح الهاء
ومدار التركيب على السعة وإسناد الجري إلى الأنهار من الإسناد المجازي كقولهم بنو
فلان يطؤهم الطريق وصيد عليه يومان فإن قلت لم نكرت الجنات وعرفت الأنهار
قلت أما تنكير الجنات فقد ذكر وأما تعريف الأنهار فأن يراد الجنس كما تقول لفلان
بستان فيه الماء الجاري والتين والعنب وألوان الفواكه تشير إلى الأجناس التي في علم المخاطب
أو يراد أنهارها فعوض التعريف باللام من تعريف الإضافة كقوله تعالى واشتعل الرأس
شيبا أو يشار باللام إلى الأنهار المذكورة في قوله تعالى فيها أنهار من ماء غير آسن وأنهار من
لبن لم يتغير طعمه الآية وقوله كلما رزقوا لا يخلو من أن يكون صفة ثانية لجنات أو خبر مبتدإ
محذوف أو جملة مستأنفة لأنه لما قيل إن لهم جنات لم يخل خلد السامع أن يقع فيه أثمار
تلك الجنات أشباه ثمار الدنيا أم أجناس أخر لا تشابه هذه الأجناس فقيل إن ثمارها أشباه
ثمار جنة الدنيا أي أجناسها أجناسها وإن تفاوتت إلى غاية لا يعلمها إلا الله فإن قلت
ما موقع من ثمرة قلت هو كقولك كلما أكلت من بستانك من الرمان شيئا حمدتك فموقع
من ثمرة موقع قولك من الرمان كأنه قيل كلما رزقوا من الجنات من أي ثمرة كانت من تفاحها أو رمانها

اوعنبها او غير ذلك. رزقنا قالوا ذلك. من الاولى والثانية كلتاهما لابتداء الغاية لان الرزق قد ابتدئ من الجنات والرزق من الجنات قد ابتدئ من ثمرة وتنزيله تنزيل ان تقول رزقني فلان فيقال لك من اين فتقول من بستانه فيقال من اى ثمرة رزقك من بستانه فتقول من الرمان. وتحريره ان رزقوا جعل مطلقا مبتدأ من ضمير الجنات ثم جعل مقيدا بالابتداء من ثمرة وليس المراد بالثمرة التفاحة الواحدة او الرمانة الفذة على هذا التفسير وانما المراد النوع من انواع الثمار. ووجه اخر وهو ان يكون من ثمرة بيانا على منهاج قولك رايت منك اسدا تريد انت اسد وعلى هذا يصح ان يراد بالثمرة النوع من الثمار والجناة الواحدة. فان قلت كيف قيل هذا الذي رزقنا من قبل وكيف تكون ذات الحاضر عندهم في الجنة هي ذات الذي رزقوه في الدنيا قلت معناه هذا مثل الذي رزقنا من قبل وشبهه بدليل قوله تعالى واتوا به متشابها وهذا كقولك ابو يوسف ابو حنيفة تريد انه لاستحكام الشبه كان ذاته ذاته. فان قلت الام يرجع الضمير في قوله واتوا به قلت الى المرزوق في الدنيا والاخرة جميعا لان قوله هذا الذي رزقنا من قبل انطوى تحته ذكر ما رزقوه في الدارين ونظيره قوله تعالى ان يكن غنيا او فقيرا فالله اولى بهما اى بجنسي الغنى والفقير لدلالة قوله غنيا او فقيرا على الجنسين ولو رجع الضمير الى المتكلم به لقيل اولى به على التوحيد. فان قلت لاى غرض يتشابه ثمر الدنيا وثمر الجنة وما بال ثمر الجنة لم يكن اجناسا اخر قلت لان الانسان بالمالوف انس والى المعهود اميل واذا راى ما لم يالفه نفر عنه طبعه وعافته نفسه ولانه اذا ظفر بشيء من جنس ما سلف له به عهد وتقدم له معه الف وراى فيه مزية ظاهرة وفضيلة بينة وتفاوتا بينه وبين ما عهد بليغا افرط ابتهاجه واغتباطه وطال استعجابه واستغرابه وتبين كنه النعمة فيه وتحقق مقدار الغبطة به ولو كان جنسا لم يعهده وان كان فائقا حسب ان ذلك الجنس لا يكون الا كذلك فلا يتبين موقع النعمة حق التبيين فحين ابصروا الرمانة من رمان الدنيا ومبلغها في الحجم وان الكبرى لا تفضل عن حد البطيخة الصغيرة ثم يبصرون رمانة الجنة تشبع السكن والنبقة من نبق الدنيا في حجم الفلكة ثم يرون نبق الجنة كقلال هجر كما راوا ظل الشجرة من شجر الدنيا وقدر امتداده ثم يرون الشجرة في الجنة يسير الراكب في ظلها مائة عام لا يقطعه كان ذلك ابين للفضل واظهر للمزية واجلب للسرور وازيد في التعجب من ان يفاجئوا ذلك الرمان وذلك النبق من غير عهد سابق بجنسهما وترديدهم هذا القول ونطقهم به عند كل ثمرة يرزقونها دليل على تناهي الامر وتمادي الحال في ظهور المزية وتمام الفضيلة وعلى ان ذلك التفاوت العظيم هو الذي يستملي تعجبهم ويستدعي تبجحهم في كل اوان. وعن مسروق نخل الجنة نضيد من اصلها الى فرعها وثمرها امثال القلال كلما نزعت ثمرة عادت مكانها اخرى وانهارها تجري في غير اخدود والعنقود اثنتا عشرة ذراعا. ويجوز ان يرجع الضمير في واتوا به الى الرزق كما ان هذا اشارة اليه ويكون المعنى ان ما يرزقونه من ثمرات الجنة ياتيهم متجانسا كما يحكى عن الحسن يؤتى احدهم بالصحفة فياكل منها ثم يؤتى بالاخرى فيقول هذا الذي اتينا به من قبل فيقول الملك كل فاللون واحد والطعم مختلف. وعنه صلى الله عليه وسلم والذي نفس محمد بيده ان الرجل

من اهل الجنة ليتناول الثمرة لياكلها فما هي بواصلة الى فيه حتى يبدل الله مكانها مثلها فاذا ابصروها والهيئة هيئة الاولى قالوا ذلك والتفسير الاول هو هو. فان قلت كيف موقع قوله واتوا به متشابها من نظم الكلام قلت هو كقولك فلان احسن بفلان ونعم ما فعل وراى من الراي كذا وكان صوابا ومنه قوله عز وجل وجعلوا اعزة اهلها اذلة وكذلك يفعلون وما اشبه ذلك من الجمل التي تساق في الكلام معترضة للتقرير. والمراد بتطهير الازواج ان طهرن مما يختص بالنساء من الحيض والاستحاضة وما لا يختص بهن من الاقذار والادناس. ويجوز لمجيئه مطلقا ان يدخل تحته الطهر من دنس الطباع وطبع الاخلاق الذي عليه نساء الدنيا مما يكتسبن بانفسهن ومما ياخذنه من اعراق السوء والمناصب الردية والمناشئ المفسدة ومن سائر عيوبهن ومثالبهن وخبثهن وكيدهن. فان قلت فهلا جاءت الصفة مجموعة كالموصوف قلت هما لغتان فصيحتان يقال النساء فعلن وهن فاعلات وفواعل والنساء فعلت وهي فاعلة ومنه بيت الحماسة:

واذا العذارى بالدخان تقنعت ... واستعجلت نصب القدور فملت

والمعنى وجماعة ازواج مطهرة. وقرا زيد بن علي مطهرات. وقرا عبيد بن عمير مطهرة بمعنى متطهرة وفي كلام بعض العرب ما احوجني الى بيت الله فاطهر به اطهرة اى فاتطهر به تطهرة. فان قلت فهلا قيل طاهرة قلت في مطهرة فخامة لصفتهن ليست في طاهرة وهي الاشعار بان مطهرا طهرهن وليس ذلك الا الله عز وجل المريد لعباده الصالحين ان يخولهم كل مزية فيما اعد لهم. والخلد الثبات الدائم والبقاء اللازم الذي لا ينقطع. وما جعلنا لبشر من قبلك الخلد افان مت فهم الخالدون. وقال امرؤ القيس:

الا انعم صباحا ايها الطلل البالي ... وهل ينعمن من كان في العصر الخالي

وهل ينعمن الا سعيد مخلد ... قليل الهموم ما يبيت باوجال

ان الله لا يستحيي ان يضرب مثلا ما بعوضة فما فوقها فاما الذين امنوا فيعلمون انه الحق من ربهم واما الذين كفروا فيقولون ماذا اراد الله بهذا مثلا يضل به كثيرا ويهدي به كثيرا وما يضل به الا الفاسقين. سيقت هذه الاية لبيان ان ما استنكره الجهلة والسفهاء واهل العناد والمراء من الكفار واستغربوه من ان تكون المحقرات من الاشياء مضروبا بها المثل ليس بموضع للاستنكار والاستغراب من قبل ان التمثيل انما يصار اليه لما فيه من كشف المعنى ورفع الحجاب عن الغرض المطلوب وادناء المتوهم من المشاهد فان كان المتمثل له عظيما كان المتمثل به مثله وان كان حقيرا كان المتمثل به كذلك فليس العظم والحقارة في المضروب به المثل اذا الا امرا تستدعيه حال المتمثل له وتستجره الى نفسها فيعمل الضارب للمثل على حسب تلك القضية الا ترى الى الحق لما كان واضحا ابلج كيف تمثل له بالضياء والنور والى الباطل لما كان بضد صفته كيف تمثل له بالظلمة. ولما كانت حال الالهة التي جعلها الكفار اندادا لله لا حال احقر منها واقل ولذلك جعل بيت العنكبوت مثلها في الضعف والوهن وجعلت اقل من الذباب واخس قدرا وضربت لها البعوضة

فالذي دونها مثلاً لم يستنكر ولم يستبدع ولم يقل للممثل استحي من تمثيلها بالبعوضة لأنه
مصيب في تمثيله محق في قوله سائق للمثل على قضية مضربه محتذ على مثال ما يحكيه وليستدعيه
وليبان أن المؤمنين الذين عادتهم الإنصاف والعمل على العدل والتسوية والنظر في الأمور
بناظر العقل إذا سمعوا بمثل هذا التمثيل علموا أنه الحق الذي لا تمر الشبهة بساحته والصواب
الذي لا يرتع الخطأ حوله وأن الكفار الذين غلبهم الجهل على عقولهم وغصبهم على بصائرهم فلا يتفطنون
ولا يلقون أذهانهم أو عرفوا أنه الحق إلا أن حب الرياسة وهوى الإلف والعادة لا يخليهم
أن ينصفوا فإذا سمعوه عاندوا وكابروا وقضوا عليه بالبطلان وقابلوه بالإنكار وأن ذلك سبب
زيادة هدى المؤمنين وإنما لذلك الفاسقين في غيهم وضلالهم والعجب منهم كيف أنكروا ذلك وما
زال الناس يضربون الأمثال بالبهائم والطيور وأحناش الأرض والحشرات والهوام وهذه
أمثال العرب بين أيديهم مسيرة في حواضرهم وبواديهم قد تمثلوا فيها بأحقر الأشياء فقالوا أجمع
من ذرة وأجرأ من الذباب وأسمع من قراد وأصرد من جراد وأضعف من فراش وآكل من السوس
وقالوا في البعوضة أضعف من بعوضة وأعز من مخ البعوض وكلفتني مخ البعوض ولقد
ضربت الأمثال في الإنجيل بالأشياء المحقرة كالزوان والنخالة وحبة الخردل والحصاة والأرضة
والدود والزنابير والتمثيل بهذه الأشياء وبأحقر منها مما لا يغني استقامته وصحته على من به
أدنى مسكة ولكن ديدن المحجوج المبهوت الذي لا يبقى له متمسك بدليل ولا متشبث بأمارة
ولا إقناع أن يرمي لفرط الحيرة والعجز عن إعمال الحيلة بدفع الواضح وإنكار المستقيم والتعويل
على المكابرة والمغالطة إذا لم يجد سوى ذلك معولاً وعن الحسن وقتادة لما ذكر الله الذباب
والعنكبوت في كتابه وضرب للمشركين به المثل ضحكت اليهود وقالوا ما يشبه هذا كلام الله فأنزل
الله تعالى هذه الآية والحياء تغير وانكسار يعتري الإنسان من تخوف ما يعاب به ويذم واشتقاقه
من الحياة يقال حيي الرجل كما يقال نسي وحشي وشظي الفرس إذا اعتلت هذه الأعضاء جعل
الحيي لما يعتريه من الانكسار والتغير منتكس القوة منتقص الحياة كما يقال فلان هلك حياء
من كذا ومات حياء ورأيت الهلاك في وجهه من شدة الحياء وذاب حياء وجمد في مكانه خجلاً فإن
قلت كيف جاز وصف القديم سبحانه وتعالى به ولا يجوز عليه التغير والخوف والذم وذلك
في حديث سلمان رضي الله عنه قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم إن الله حيي كريم يستحيي إذا
رفع العبد إليه يديه أن يردهما صفراً حتى يضع فيهما خيراً   هو جار على سبيل التمثيل
مثل تركه تخييب العبد وأنه لا يرد يديه صفراً من عطائه لكرمه بترك من يترك رد المحتاج
إليه حياء منه وكذلك معنى قوله إن الله لا يستحيي أي لا يترك ضرب المثل بالبعوضة
ترك من يستحيي أن يتمثل بها لحقارتها ويجوز أن تقع هذه العبارة في كلام الكفرة فقالوا أما
يستحيي رب محمد أن يضرب مثلاً بالذباب والعنكبوت فجاءت على سبيل المقابلة وإطباق الجواب
على السؤال وهو فن من كلامهم بديع وطراز عجيب منه قول أبي تمام

من مبلغ أفناء يعرب كلها   أني بنيت الجار قبل المنزل

وشهد رجل عند شريح فقال إنك لسبط الشهادة فقال الرجل إنها لم تجعد عني فقال لله بلادك وقبل شهادته
فالذي سوغ بناء الجار وتجعيد الشهادة هو مراعاة المشاكلة ولولا بناء الدار لم يصح بناء الجار وسبوطة

الشهادة لقبح التجعيد في الشهادة ولله در أمر التنزيل وإحاطته بفنون البلاغة وشعبها لا تكاد تستغرب منها فناً
إلا عثرت عليه فيه على أقوم مناهجه وأسد مدارجه وقد استعير الحياء فيما لا يصح فيه

إذا ما استحين الماء يعرض نفسه   كرعن بسبت في إناء من الورد

وقرأ ابن كثير في رواية شبل يستحي بياء واحدة وفيه لغتان التعدي بالجار والتعدي بنفسه يقولون استحييت
منه واستحييته وهما محتملتان ههنا وضرب المثل اعتماده وصنعه من ضرب اللبن وضرب
الخاتم وفي الحديث اصطنع رسول الله خاتماً من ذهب   وما هذه إبهامية وهي التي إذا
اقترنت باسم نكرة أبهمته إبهاماً وزادته شياعاً وعموماً كقولك أعطني كتاباً ما تريد أي كتاب
كان أو صلة للتأكيد كالتي في قوله فبما نقضهم ميثاقهم كأنه قيل لا يستحيي أن يضرب مثلاً حقاً
أو البتة هذا إذا انتصبت بعوضة فإن رفعتها فهي موصولة صلتها الجملة لأن التقدير هو بعوضة
فحذف صدر الجملة كما حذف في تماماً على الذي أحسن ووجه آخر حسن جميل وهو أن تكون التي
فيها معنى الاستفهام لما استنكفوا من تمثيل الله لأصنامهم بالمحقرات قال إن الله لا يستحيي أن يضرب
للأنداد ما شاء من الأشياء المحقرة مثلاً بله البعوضة فما فوقها كما يقال فلان لا يبالي بما وهب
ما دينار وما ديناران والمعنى أن الله يتمثل للأنداد وحقارة شأنها بما لا شيء أصغر منه
وأقل كما لو تمثل بالجزء الذي لا يتجزأ وبما لا يدركه لتناهيه في صغره إلا هو وحده بلطفه أو بالمعدوم
كما تقول العرب أقل من لا شيء في العدد ولقد ألم به قوله تعالى إن الله يعلم ما يدعون من دونه
من شيء وهذه القراءة تعزى إلى رؤبة بن العجاج وهو أمضغ العرب للشيح والقيصوم والمشهود له بالفصاحة
وكانوا يشبهون به الحسن وما أظنه ذهب في هذه القراءة إلا إلى هذا الوجه وهو المطابق لفصاحته
وانتصب بعوضة بأنها عطف بيان لمثلاً أو مفعول ليضرب ومثلاً حال عن النكرة مقدمة عليه
أو انتصبا مفعولين لأن ضرب أجري مجرى جعل واشتقاق البعوض من البعض وهو القطع كالبضع
والعضب يقال بعضه البعوض   وأنشد

لنعم البيت بيت أبي دثار   إذا ما خاف بعض القوم بعضا

ومنه بعض الشيء لأنه قطعة منه والبعوض في أصله صفة على فعول كالقطوع فغلبت وكذلك الخموش فما فوقها فيه
معنيان أحدهما فما تجاوزها وزاد عليها في المعنى الذي ضربت فيه مثلاً وهو القلة والحقارة
نحو قولك لمن يقول فلان أسفل الناس وأنذلهم هو فوق ذاك تريد هو أبلغ وأعرق فيما وصف به
من السفالة والنذالة والثاني فما زاد عليها في الحجم كأنه قصد بذلك رد ما استنكروه من ضرب
المثل بالذباب والعنكبوت لأنهما أكبر من البعوضة كما تقول لصاحبك وقد ذم من عرفته يشح
بأدنى شيء فقال فلان بخيل بالدرهم والدرهمين هو لا يبالي أن يبخل بنصف درهم فما فوقه تريد
بما فوقه ما بخل فيه وهو الدرهم والدرهمان كأنك قلت فضلاً عن الدرهم والدرهمين ونحو
في الاحتمالين ما سمعناه في صحيح مسلم عن إبراهيم عن الأسود قال دخل شباب من قريش على عائشة
وهي بمنى وهم يضحكون فقالت ما يضحككم قالوا فلان خر على طنب فسطاط فكادت عنقه أو عينه
أن تذهب فقالت لا تضحكوا إني سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم قال ما من مسلم يشاك شوكة
فما فوقها إلا كتبت له بها درجة ومحيت عنه بها خطيئة يحتمل فما عدا الشوكة وتجاوزها في القلة
وهي نخبة النملة في قوله صلى الله عليه وسلم ما أصاب المؤمن من مكروه فهو كفارة لخطاياه حتى

لجنة البقلة وهى عضتها ويحتمل ما هو اشد من الشوكة واوجع كالجرو على طنب الفسطاط

فان قلت كيف يضرب المثل بما دون البعوضة وهى النهاية فى الصغر **قلت** لم يرد

لان جناح البعوضة اقل منها واصغر بدرجات وقد ضربه رسول الله عليه السلام مثلا للدنيا

وفى خلق الله حيوان اصغر منها ومن جناحها تمارا ينه فى تضاعيف الكتب العتيقة دويبة

لا يكاد يجليها للبصر الحاد الا تحركها فاذا سكنت فالسكون يواريها ثم اذا لوحت لها بيدك حادت

عنها وتجنبت مضرتها فسبحان من يدرك صورة تلك واعضاءها الظاهرة والباطنة وتفاصيل

خلقتها ويبصر بصرها ويطلع على ضميرها ولعل فى خلقه ما هو اصغر منها سبحان الذى خلق الازواج

كلها مما تنبت الارض ومن انفسهم ومما لا يعلمون **وانشدت لبعضهم**

يا من يرى مد البعوض جناحها فى ظلمة الليل البهيم الاليل

ويرى عروق نياطها فى نحرها والمخ فى تلك العظام النحل

اغفر لعبد تاب عن فرطاته ما كان منه فى الزمان الاول

واما حرف فيه معنى الشرط ولذلك يجاب بالفاء وفائدته فى الكلام ان يعطيه فضل توكيد

تقول زيد ذاهب فاذا قصدت توكيد ذاك وانه لا محالة ذاهب وانه بصدد الذهاب

وانه منه عزيمة قلت اما زيد فذاهب ولذلك قال سيبويه فى تفسيره مهما يكن من شىء فزيد ذاهب

وهذا التفسير مدل بفائدتين بيان كونه توكيدا وانه فى معنى الشرط ففى ايراد الجملتين مصدرتين

به وان لم يقل فالذين امنوا يعلمون والذين كفروا يقولون احماد عظيم لامر المؤمنين واعتداد

بعلمهم انه الحق ونعى على الكافرين اغفالهم حظهم وعنادهم ورميهم بالكلمة الحمقاء والحق الثابت

الذى لا يسوغ انكاره يقال حق الامر اذا ثبت ووجب وحقت كلمة ربك وثوب محقق محكم

النسج وماذا فيه وجهان ان تكون ذا اسما موصولا بمعنى الذى فتكون كلمتين وان تكون

ذا مركبة مع ما مجعولتين اسما واحدا فتكون كلمة واحدة فهو على الوجه الاول مرفوع المحل على

الابتداء وخبره ذا مع صلته وعلى الثانى منصوب المحل فى حكم ما وحده لو قلت ما اراد الله

والاصوب فى جوابه ان يجىء على الاول مرفوعا وعلى الثانى منصوبا ليطابق الجواب السؤال وقد

جوزوا عكس ذلك كما تقول فى جواب من قال ما رايت خيرا اى المرئى خير وفى جواب ما الذى

رايته خيرا اى رايت خيرا قوله تعالى ويسألونك ماذا ينفقون قل العفو بالرفع

والنصب على التفسيرين والارادة نقيض الكراهة وهى مصدر اردت الشىء اذا طلبته

نفسك ومال اليه قلبك وفى حدود المتكلمين الارادة معنى يوجب للحى حالا لاجلها يقع منه

الفعل على وجه دون وجه وقد اختلفوا فى ارادة الله تعالى فبعضهم على ان للبارى مثل

صفة المريد منا التى هى القصد وهى امر زائد على كونه عالما غير ساه وبعضهم على ان معنى

ارادته لافعاله هو انه فعلها وهو غير ساه ولا مكره ومعنى ارادته لافعال غيره امره بها

والضمير فى انه الحق للمثل او لان يضرب وفى قولهم ماذا اراد الله بهذا استرذال

واستحقار كما قالت عائشة رضى الله عنها فى عبد الله بن عمرو بن العاص يا عجبا لابن عمرو

هذا ومثلا نصب على التمييز كقولك لمن اجاب بجواب غث ماذا اردت بهذا جوابا ولمن

حمل سلاحا رديا كيف تنتفع بهذا سلاحا او على الحال هذه ناقة

الله لكراهته وقوله يضل به كثيرا ويهدى به كثيرا جار مجرى التفسير والبيان للجملتين المصدرتين

باما وان فريق العالمين بانه الحق وفريق الجاهلين المستهزئين به كلاهما موصوف بالكثرة

وان العلم بكونه حقا من باب الهدى الذى ازداد به المؤمنون نورا الى نورهم وان الجهل بحسن

مورده من باب الضلالة التى زادت الجهلة خبطا فى ظلماتهم **فان قلت** لم وصف المهديون

بالكثرة والقلة صفتهم وقليل من عبادى الشكور وقليل ما هم الناس كابل مائة لا تجد فيها راحلة

وجدت الناس اخبر تقله **قلت** اهل الهدى كثير فى انفسهم وحين يوصفون بالقلة انما

يوصفون بها بالقياس الى اهل الضلال وايضا فان القليل من المهديين كثير فى الحقيقة وان

قلوا فى الصورة فسموا ذهابا الى الحقيقة كثيرا **قال**

ان الكرام كثير فى البلاد وان قلوا كما غيرهم قل وان كثروا

واسناد الاضلال الى الله تعالى اسناد الفعل الى السبب لانه لما ضرب المثل فضل به قوم واهتدى قوم تسبب لضلالهم

وهداهم **وعن** مالك بن دينار انه دخل على محبوس قد اخذ بمال عليه وقيد فقال يا ابا يحيى اما

ترى ما نحن فيه من القيود فرفع مالك راسه فرأى سلة فقال لمن هذه السلة فقال لى فامر بها تنزل

فاذا دجاج واخبصة فقال مالك هذه وضعت القيود على رجلك زيد بن على يضل

به كثيرا وكذلك وما يضل به الا الفاسقون والفسق الخروج عن القصد **قال**

رؤبة فواسقا عن قصدها جوائرا والفاسق فى الشريعة الخارج عن امر الله بارتكاب

الكبيرة وهو النازل بين المنزلتين اى بين منزلة المؤمن والكافر وقالوا اول من حد له هذا

الحد ابو حذيفة واصل بن عطاء وعن اشياعه وكونه بين بين ان حكمه حكم المؤمن فى انه يناكح

ويوارث ويغسل ويصلى عليه ويدفن فى مقابر المسلمين وهو كالكافر فى الذم واللعن والبراءة

منه واعتقاد عداوته وان لا تقبل له شهادة ومذهب مالك بن انس والزيدية ان الصلاة

لا تجزى خلفه ويقال للخلفاء المردة من الكفار الفسقة وقد جاء الاستعمالان فى كتاب

الله عز وجل بئس الاسم الفسوق بعد الايمان يريد اللمز والتنابز ان المنافقين هم الفاسقون

الذين ينقضون عهد الله من بعد ميثاقه ويقطعون ما امر الله به ان يوصل

ويفسدون فى الارض اولئك هم الخاسرون النقض الفسخ وفك التركيب **فان

قلت** من اين ساغ استعمال النقض فى ابطال العهد **قلت** من حيث تسميتهم العهد

بالحبل على سبيل الاستعارة لما فيه من ثبات الوصلة بين المتعاهدين **ومنه** قول ابن التيهان

فى بيعة العقبة يا رسول الله ان بيننا وبين القوم حبالا ونحن قاطعوها فنخشى ان الله اعزك

واظهرك ان ترجع الى قومك وهذا من اسرار البلاغة ولطائفها ان يسكتوا عن ذكر الشىء

المستعار ثم يرمزوا اليه بذكر شىء من روادفه فينبهوا بتلك الرمزة على مكانه ونحوه قولك

شجاع يفترس اقرانه وعالم يغترف منه الناس واذا تزوجت امراة فاستوثرها لم يقل

هذا الا وقد نبهت على الشجاع والعالم بانهما اسد وبحر وعلى المراة بانها فراش والعهد

الموثق وعهد اليه فى كذا اذا اوصاه به ووثقه عليه واستعهد منه اذا اشترط عليه

واستوثق منه والمراد بهؤلاء الناقضين لعهد الله احبار اليهود المتعنتون او منافقوهم

او الكفار جميعا **فان قلت** فما المراد بعهد الله

التوحيد كأنه أمرهم وقررهم فوثقه عليهم وهو معنى قوله تعالى وأشهدهم على أنفسهم ألست بربكم قالوا بلى أو أخذ الميثاق عليهم بأنهم إذا بعث إليهم رسول يصدقه الله بمعجزاته صدقوه واتبعوه ولم يكتموا ذكره فيما تقدمه من الكتب المنزلة عليهم وأوفوا بعهدي أوف بعهدكم وقوله في الإنجيل لعيسى عليه السلام سأنزل عليك كتابا فيه نبأ بني إسرائيل وما أريته إياهم من الآيات وما أنعمت عليهم وما نقضوا من ميثاقهم الذي واثقوا به وما ضيعوا من عهده إليهم وحسن صنعه للذين قاموا بميثاق الله وأوفوا بعهده ونصروا أنبياءه وكيف أنزل بأسه ونقمته بالذين غدروا ونقضوا ميثاقه ولم يوفوا بعهده لأن اليهود فعلوا باسم عيسى ما فعلوا باسم محمد صلى الله عليه وسلم من التحريف والجحود وكفروا به كما كفروا به وقيل هو أخذ الله العهد عليهم أن لا يسفكوا دماءهم ولا يبغي بعضهم على بعض ولا يقطعوا أرحامهم وقيل عهد الله إلى خلقه ثلاثة عهود العهد الأول الذي أخذه على جميع ذرية آدم الإقرار بربوبيته وهو قوله تعالى وإذ أخذنا من النبيين ميثاقهم وعهد خص به العلماء وهو قوله تعالى وإذ أخذ الله ميثاق الذين أوتوا الكتاب لتبيننه للناس ولا تكتمونه والضمير في ميثاقه للعهد وهو ما وثقوا به عهد الله من قبوله وإلزامه أنفسهم ويجوز أن يكون بمعنى توثقته كما أن الميعاد والميلاد بمعنى الوعد والولادة ويجوز أن يرجع الضمير إلى الله تعالى أي من بعد توثقته عليهم أو من بعد ما وثق به عهده من آياته وكتبه وإنذار رسله ومعنى قطعهم ما أمر الله به أن يوصل قطعهم الأرحام وموالاة المؤمنين وقيل قطعهم ما بين الأنبياء من الوصلة والاتحاد والاجتماع على الحق في إيمانهم ببعض وكفرهم ببعض **فإن قلت** ما الأمر قلت طلب الفعل ممن هو دونك وبعثه عليه وبه سمي الأمر الذي هو واحد الأمور لأن الداعي الذي يدعو إليه من يتولاه شبه بآمر يأمره به فقيل له أمر تسمية للمفعول به بالمصدر كأنه مأمور به كما قيل له شأن والشأن الطلب والقصد يقال شأنت شأنه أي قصدت قصده هم الخاسرون لأنهم استبدلوا النقض بالوفاء والقطع بالوصل والفساد بالصلاح وعقابها بثوابها **كيف تكفرون بالله وكنتم أمواتا فأحياكم ثم يميتكم ثم يحييكم ثم إليه ترجعون** معنى الهمزة التي في كيف مثله في قولك أتكفرون ومعكم ما يصرفكم عن الكفر ويدعو إلى الإيمان وهو الإنكار والتعجب ونظيره قولك أتطير بغير جناح وكيف تطير بغير جناح **فإن قلت** قولك أتطير بغير جناح إنكار للطيران لأنه مستحيل بغير جناح وأما الكفر فغير مستحيل مع ما ذكر من الإماتة والإحياء قلت قد أخرج في صورة المستحيل لما قوي من الصارف عن الكفر والداعي إلى الإيمان **فإن قلت** قد تبين أمر الهمزة وأنها لإنكار الفعل والإيذان باستحالته في نفسه أو لقوة الصارف عنه فما تقول في كيف حيث كان إنكارا للحال التي يقع عليها كفرهم قلت حال الشيء تابعة لذاته فإذا امتنع ثبوت الذات تبعه امتناع ثبوت الحال فكان إنكار حال الكفر لأنها تبيع ذات الكفر ورديفها إنكارا لذات الكفر وثباتها على طريق الكناية وذلك أقوى لإنكار الكفر وأبلغ وتحريره أنه إذا أنكر أن يكون لكفرهم حال يوجد عليها وقد علم أن كل موجود لا ينفك من حال وصفة عند وجوده ومحال أن يوجد بغير صفة من الصفات كان إنكارا لوجوده على الطريق البرهاني والواو في قوله وكنتم أمواتا للحال

فإن قلت فكيف صح أن يكون حالا وهو ماض ولا يقال جئت وقام الأمير ولكن وقد قام إلا أن يضمر قد قلت لم تدخل الواو على كنتم أمواتا وحده ولكن على جملة قوله تعالى كنتم أمواتا إلى ترجعون كأنه قيل كيف تكفرون بالله وقصتكم هذه وحالكم أنكم كنتم أمواتا نطفا في أصلاب آبائكم فجعلكم أحياء ثم يميتكم بعد هذه الحياة ثم يحييكم بعد الموت ثم يحاسبكم **فإن قلت** بعض القصة ماض وبعضها مستقبل والماضي والمستقبل كلاهما لا يصح أن يقع حالا حتى يكون فعلا حاضرا وقت وجود ما هو حال عنه فما الحاضر الذي وقع حالا قلت هو العلم بالقصة كأنه قيل كيف تكفرون بالله وأنتم عالمون بهذه القصة بأولها وآخرها **فإن قلت** فقد آل المعنى إلى قولك على أي حال تكفرون في حال علمكم بهذه القصة فما وجه صحته قلت قد ذكرنا أن معنى الاستفهام في كيف الإنكار وأن إنكار الحال متضمن لإنكار الذات على سبيل الكناية فكأنه قيل ما أعجب كفركم مع علمكم بحالكم هذه **فإن قلت** إن اتصل علمهم بأنهم كانوا أمواتا فأحياهم ثم يميتهم لم يتصل بالإحياء الثاني والرجوع قلت قد تمكنوا من العلم بهما بالدلائل الموصلة إليه فكان ذلك بمنزلة حصول العلم وكثير منهم علموا ثم عاندوا والأموات جمع ميت كالأقوال في جمع قيل **فإن قلت** كيف قيل لهم أموات في حال كونهم جمادا وإنما يقال ميت فيما تصح فيه الحياة من البنى قلت بل يقال ذلك لعادم الحياة كقوله تعالى بلدة ميتا وآية لهم الأرض الميتة أموات غير أحياء ويجوز أن يكون استعارة لاجتماعهما في أن لا روح ولا إحساس **فإن قلت** ما المراد بالإحياء الثاني قلت يجوز أن يراد به الإحياء في القبر وبالرجوع النشور وأن يراد به النشور وبالرجوع المصير إلى الجزاء **فإن قلت** لم كان العطف الأول بالفاء والأعقاب بثم قلت لأن الإحياء الأول قد تعقب الموت بغير تراخ وأما الموت فقد تراخى عن الإحياء والإحياء الثاني كذلك متراخ عن الموت إن أريد به النشور تراخيا ظاهرا وإن أريد به إحياء القبر فمنه يكتسب العلم بتراخيه والرجوع إلى الجزاء أيضا متراخ عن النشور **فإن قلت** من أين أنكر اجتماع الكفر مع القصة التي ذكرها إلا أنها مشتملة على آيات بينات تصرفهم عن الكفر أم على نعم جسام حقها أن تشكر ولا تكفر قلت يحتمل الأمرين جميعا لأن ما عدده آيات وهي مع كونها آيات من أعظم النعم **هو الذي خلق لكم ما في الأرض جميعا ثم استوى إلى السماء فسواهن سبع سماوات وهو بكل شيء عليم** لكم لأجلكم ولانتفاعكم به في دنياكم ودينكم أما الانتفاع الدنيوي فظاهر وأما الانتفاع الديني فالنظر فيه وما فيه من عجائب الصنع الدالة على الصانع القادر الحكيم وما فيه من التذكير بالآخرة وبثوابها وعقابها لاشتماله على أسباب الأنس واللذة من فنون المطاعم والمشارب والفواكه والمناكح والمراكب والمناظر الحسنة البهية وعلى أسباب المشقة والكره من أنواع المكاره كالنيران والصواعق والسباع والأحناش والسموم والغموم والمخاوف وقد استدل بقوله خلق لكم على أن الأشياء التي يصح أن ينتفع بها ولم تجر مجرى المحظورات في العقل خلقت في الأصل مباحة مطلقا لكل أحد أن يتناولها ويستنفع بها **فإن قلت** هل لقول من زعم أن المعنى خلق لكم الأرض وما فيها وجه صحة قلت إن أراد بالأرض الجهات السفلية دون الغبراء كما تذكر السماء وتراد به الجهات العلوية جاز ذلك فإن الغبراء

وأسبابها واقعة في الجهات السفلية . وجميعا نصب على الحال من الموصول الثاني . والاستواء الاعتدال والاستقامة يقال استوى العود وغيره اذا قام واعتدل ثم قيل استوى اليه كالسهم المرسل اذا قصده قصدا مستويا من غير ان يلوي على شيء ومنه استعير قوله ثم استوى الى السماء اي قصد اليها بإرادته ومشيئته بعد ما خلق ما في الارض من غير ان يريد فيما بين ذلك خلق شيء آخر . والمراد بالسماء جهات العلو كأنه قيل ثم استوى الى فوق . والضمير في فسواهن ضمير مبهم . وسبع سموات تفسيره كقولهم ربه رجلا . وقيل الضمير راجع الى السماء والسماء في معنى الجنس . وقيل جمع سماءة . والوجه العربي هو الاول . ومعنى تسويتهن تعديل خلقهن وتقويمه واخلاؤه من العوج والفطور او اتمام خلقهن . وهو بكل شيء عليم فمن ثم خلقهن خلقا مستويا محكما من غير تفاوت مع خلق ما في الارض على حسب حاجات اهلها ومنافعهم ومصالحهم .

فإن قلت ما معنى ثم قلت الاستواء الى السماء انما هو بمعنى التراخي والمهلة فيما بين الخلقين . ما فسرت به معنى الاستواء الى السماء فضمه ثم لا عطا به معنى التراخي والمهلة ثم ههنا لما بين الخلقين من التفاوت وفضل خلق السموات على خلق الارض لا للتراخي في الوقت كما في قوله ثم كان من الذين امنوا على انه لو كان بمعنى التراخي في الوقت لم يلزم ما اعترضت به لان المعنى انه حين قصد الى السماء لم يحدث فيما بين ذلك اي في تضاعيف القصد اليها خلقا آخر . فإن قلت اما يناقض هذا قوله والارض بعد ذلك دحاها

لا لان جرم الارض تقدم خلقه خلق السماء واما دحوها فمتأخر . وعن الحسن خلق الله الارض في موضع بيت المقدس كهيئة الفهر عليها دخان ملتزق بها ثم اصعد الدخان وخلق منه السموات وامسك الفهر في موضعها وبسط منها الارض فذلك قوله تعالى كانتا رتقا وهو الالتزاق . وإذ قال ربك للملائكة إني جاعل في الارض خليفة قالوا أتجعل فيها من يفسد فيها ويسفك الدماء ونحن نسبح بحمدك ونقدس لك قال إني أعلم ما لا تعلمون . واذ نصب باضمار اذكر ويجوز ان ينتصب بقالوا . والملائكة جمع ملأك على الاصل كالشمائل في جمع شمأل والحاق التاء لتأنيث الجمع . وجاعل من جعل الذي له مفعولان دخل على المبتدأ والخبر وهما قوله في الارض خليفة فكانا مفعوليه ومعناه مصير في الارض خليفة . والخليفة من يخلف غيره . والمعنى خليفة منكم لانهم كانوا سكان الارض فخلفهم فيها آدم وذريته . فإن قلت فهلا قيل خلائف او خلفاء . قلت اريد بالخليفة آدم عليه السلام واستغنى بذكره عن ذكر بنيه كما يستغنى بذكر ابي القبيلة في قولك مضر وهاشم او اريد من يخلفكم او خلقا يخلفكم فوحد لذلك . خليفة بالقاف . ويجوز ان يريد خليفة مني لان آدم عليه السلام كان خليفة الله في ارضه وكذلك كل نبي انا جعلناك خليفة في الارض . فإن قلت لاي غرض اخبرهم بذلك . قلت ليسألوا ذلك السؤال ويجابوا بما اجيبوا به فيعرفوا حكمته في استخلافهم قبل كونهم صيانة لهم عن اعتراض الشبهة في وقت استخلافهم . وقيل ليعلم عباده المشاورة في امورهم قبل ان يقدموا عليها وعرضها على ثقاتهم ونصحائهم وان كان هو بعلمه وحكمته البالغة غنيا عن المشاورة . أتجعل فيها تعجب من ان يستخلف مكان اهل الطاعة اهل المعصية وهو الحكيم الذي لا يفعل الا الخير ولا يريد الا الخير . فإن قلت من اين عرفوا ذلك حتى تعجبوا منه وانما هو غيب . قلت عرفوه باخبار من الله تعالى او من جهة اللوح او ثبت في علمهم ان

الملائكة وحدهم هم الخلق المعصومون وكل خلق سواهم ليسوا على صفتهم . او قاسوا احد الثقلين على الآخر حيث اسكنوا الارض فافسدوا فيها قبل سكنى الملائكة . ويسفك بضم الفاء ويسفك ويسفك من اسفك وسفك . والواو في ونحن للحال كما تقول اتحسن الى فلان وانا احق منه بالاحسان . والتسبيح تبعيد الله من السوء وكذلك التقديس من سبح في الارض والماء وقدس في الارض اذا ذهب فيها وابعد . وبحمدك في موضع الحال اي نسبح حامدين لك وملتبسين بحمدك لانه لولا انعامك علينا بالتوفيق واللطف لم نتمكن من عبادتك . أعلم ما لا تعلمون اي اعلم من المصالح في ذلك ما هو خفي عليكم . فإن قلت هلا بين لهم تلك المصالح . قلت كفى العباد ان يعلموا ان افعال الله كلها حسنة وحكمة وان خفي عليهم وجه الحسن والحكمة على انه قد بين لهم بعض ذلك فيما اتبعه من قوله وعلم آدم الاسماء كلها . وعلم آدم الأسماء كلها ثم عرضهم على الملائكة فقال أنبئوني بأسماء هؤلاء إن كنتم صادقين قالوا سبحانك لا علم لنا إلا ما علمتنا إنك أنت العليم الحكيم قال يا آدم أنبئهم بأسمائهم فلما أنبأهم بأسمائهم قال ألم أقل لكم إني أعلم غيب السموات والأرض وأعلم ما تبدون وما كنتم تكتمون وإذ قلنا للملائكة اسجدوا لآدم فسجدوا إلا إبليس أبى واستكبر وكان من الكافرين . واشتقاقهم آدم من الادمة ومن اديم الارض نحو اشتقاقهم يعقوب من العقب وادريس من الدرس وابليس من الابلاس . وما آدم الا اسم اعجمي واقرب امره ان يكون على فاعل كآزر وعازر وعابر وشالخ وفالغ واشباه ذلك . الاسماء كلها اي اسماء المسميات فحذف المضاف اليه لكونه معلوما مدلولا عليه بذكر الاسماء لان الاسم لا بد له من مسمى وعوض منه اللام كقوله واشتعل الرأس شيبا . فإن قلت هلا زعمت انه حذف المضاف واقيم المضاف اليه مقامه وان الاصل وعلم آدم مسميات الاسماء . قلت لان التعليم وجب تعليقه بالاسماء لا بالمسميات لقوله انبئوني باسماء هؤلاء انبئهم باسمائهم فلما انبأهم باسمائهم فكما علق الانباء بالاسماء لا بالمسميات ولم يقل انبئوني بهؤلاء وانبئهم بهم وجب تعليق التعليم بها . فإن قلت فما معنى تعليمه اسماء المسميات . قلت اراه الاجناس التي خلقها وعلمه ان هذا اسمه فرس وهذا اسمه بعير وهذا اسمه كذا وهذا اسمه كذا وعلمه احوالها وما يتعلق بها من المنافع الدينية والدنيوية . ثم عرضهم اي عرض المسميات وانما ذكر لان في المسميات العقلاء فغلبهم . وانما استنبأهم وقد علم عجزهم عن الانباء على سبيل التبكيت . ان كنتم صادقين يعني في زعمكم اني استخلف في الارض مفسدين سفاكين للدماء ارادة للرد عليهم وان فيمن يستخلفه من الفوائد العلمية التي هي اصول الفوائد كلها ما يستأهلون لاجله ان يستخلفوا فأراهم بذلك وبين لهم بعض ما اجمل من ذكر المصالح في استخلافهم في قوله اني اعلم ما لا تعلمون . وقوله الم اقل لكم اني اعلم غيب السموات والارض استحضار لقوله لهم اني اعلم ما لا تعلمون الا انه جاء به على وجه ابسط من ذلك واشرح . وقرئ وعلم آدم على البناء للمفعول . وقرأ عبد الله عرضهن . وفي قراءة أبي عرضها . والمعنى عرض مسميات هن او مسمياتها لان العرض لا يصح في الاسماء . وقرئ انبيهم بقلب الهمزة ياء وانبهم بحذفها والهاء مكسورة فيهما . السجود لله تعالى على سبيل العبادة ولغيره على وجه

التكرمة كما سجدت الملائكة لادم وابو يوسف واخوته له ويجوز ان تختلف الاحوال
والاوقات فيه وقرأ ابو جعفر للملائكة اسجدوا بضم التاء للاتباع ولا يجوز استهلاك
الحركة الاعرابية بحركة الاتباع الا في لغة ضعيفة كقولهم الحمد لله الا ابليس استثناء
متصل لانه كان جنيا واحدا بين اظهر الالوف من الملائكة مغمورا بهم فغلبوا عليه في قوله
تعالى فسجدوا ثم استثنى منهم استثناء واحد منهم ويجوز ان يجعل منقطعا ابى امتنع مما
امر به واستكبر عنه وكان من الكافرين من جنس كفرة الجن وشياطينهم فلذلك ابى واستكبر
كان من الجن ففسق عن امر ربه **وقلنا يا ادم اسكن انت وزوجك
الجنة وكلا منها رغدا حيث شئتما ولا تقربا هذه الشجرة فتكونا من الظالمين فأزلهما
الشيطان عنها فاخرجهما مما كانا فيه وقلنا اهبطوا بعضكم لبعض عدو ولكم في
الارض مستقر ومتاع الى حين** السكنى من السكون لانها نوع من اللبث والاستقرار
وانت تاكيد للمستكن في اسكن ليصح العطف عليه ورغدا وصف للمصدر اي كلا رغدا واسعا
رافها وحيث للمكان المبهم اي اي مكان في الجنة شئتما اطلق لهما الاكل من الجنة على وجه
التوسعة البالغة المزيحة للعلة حيث لم يحظر عليهما بعض الاكل ولا بعض المواضع الجامعة
للماكولات من الجنة حتى لا يبقى لهما عذر في التناول من شجرة واحدة من بين اشجارها الفائتة
للحصر وكانت الشجرة فيما قيل الحنطة او الكرمة او التينة **وقرئ** ولا تقربا بكسر التاء
وهذي والشجرة بكسر الشين والشيرة بكسر الشين والياء وعن ابي عمرو انه كرهها وقال
يقرا بها برابر مكة وسودانها من الظالمين من الذين ظلموا انفسهم بمعصية الله تعالى فتكونا
جزم عطف على تقربا او نصب جواب للنهي الضمير في عنها للشجرة اي فحملهما الشيطان على
الزلة بسببها وتحقيقه فاصدر الشيطان زلتهما عنها وعن هذه مثلها في قوله تعالى وما
فعلته عن امري **وقوله** ينهون عن اكل وعن شرب وقيل فازلهما عن الجنة بمعنى اذهبهما
عنها وابعدهما كما تقول زل عن مرتبته وزل عني ذاك اذا ذهب عنك وزل من الشهر
كذا فازالهما مما كانا فيه من النعيم والكرامة او من الجنة ان كان الضمير للشجرة في عنها
وقرا عبد الله فوسوس لهما الشيطان عنها وهذا دليل على ان الضمير للشجرة لان المعنى صدر
وسوسته عنها **فان قلت** كيف توصل الى ازلالهما ووسوسته لهما بعد ما قيل له اخرج منها فانك
رجيم **قلت** يجوز ان يمنع دخولها على جهة التقريب والتكرمة كدخول الملائكة ولا يمنع
ان يدخل على جهة الوسوسة ابتلاء لادم وحوا وقيل كان يدنو من السماء فيكلمهما وقيل
قام عند الباب فنادى **وروى** انه اراد الدخول فمنعه الخزنة فدخل في فم الحية حتى دخلت
به وهم لا يشعرون قيل اهبطوا خطاب لادم وحوا وابليس وقيل والحية والصحيح
انه لادم وحوا والمراد هما وذريتهما لانهما لما كانا اصل الانس ومتشعبهم جعلا كانهما الانس
كلهم والدليل عليه قوله تعالى قال اهبطا منها جميعا بعضكم لبعض عدو ويدل على ذلك
قوله فمن تبع هداي فلا خوف عليهم ولا هم يحزنون والذين كفروا وكذبوا باياتنا اولئك
اصحاب النار هم فيها خالدون وما هو الا حكم يعم الناس كلهم ومعنى بعضكم لبعض عدو ما عليه
الناس من التعادي والتباغي وتضليل بعضهم لبعض والهبوط النزول الى الارض مستقر

موضع استقرار او استقرار ومتاع وتمتع بالعيش الى حين يريد الى يوم القيامة وقيل الى الموت
**فتلقى ادم من ربه كلمات فتاب عليه انه هو التواب الرحيم قلنا اهبطوا منها جميعا
فاما ياتينكم مني هدى فمن تبع هداي فلا خوف عليهم ولا هم يحزنون والذين
كفروا وكذبوا باياتنا اولئك اصحاب النار هم فيها خالدون** معنى تلقي الكلمات
استقبالها بالاخذ والقبول والعمل بها حين علمها **وقرئ** بنصب ادم ورفع الكلمات
على انها استقبلته بان بلغته واتصلت به **فان قلت** ما هن **قلت** قوله تعالى ربنا
ظلمنا انفسنا الاية ابن مسعود ان احب الكلام الى الله ما قاله ابونا حين اقترف
الخطيئة سبحانك اللهم وبحمدك وتبارك اسمك وتعالى جدك لا اله الا انت ظلمت نفسي فاغفر
لي انه لا يغفر الذنوب الا انت **وعن** ابن عباس رضي الله عنهما قال يا رب الم تخلقني بيدك
قال بلى قال يا رب الم تنفخ في الروح من روحك قال بلى قال يا رب الم تسبق رحمتك غضبك
قال بلى قال الم تسكني جنتك قال بلى قال يا رب ان تبت واصلحت اراجعي انت الى الجنة قال
نعم واكتفى بذكر توبة ادم دون توبة حوا لانها كانت تبعا له كما طوى ذكر النساء في اكثر القران
والسنة لذلك وقد ذكرها في قوله تعالى قالا ربنا ظلمنا انفسنا فتاب عليه فرجع عليه
بالرحمة والقبول **فان قلت** لم كرر قلنا اهبطوا **قلت** للتاكيد ولما نيط به من زيادة قوله
فاما ياتينكم مني هدى **فان قلت** ما جواب الشرط الاول **قلت** الشرط الثاني مع جوابه
كقولك ان جئتني فان قدرت احسنت اليك والمعنى فاما ياتينكم مني هدى برسول ابعثه اليكم
وكتاب انزله عليكم بدليل قوله تعالى والذين كفروا وكذبوا باياتنا في مقابلة قوله فمن تبع
هداي **فان قلت** فلم جيء بكلمة الشك واتيان الهدى كائن لا محالة لوجوبه **قلت** للايذان
بان الايمان بالله والتوحيد لا يشترط فيه بعثة الرسل وانزال الكتب وانه ان لم يبعث رسولا
ولم ينزل كتابا كان الايمان به وتوحيده واجبا لما ركب فيهم من العقول ونصب لهم من الادلة
ومكنهم من النظر والاستدلال **فان قلت** الخطيئة التي اهبط بها ادم ان كانت كبيرة فالكبيرة
لا تجوز على الانبياء وان كانت صغيرة فلم جرى عليه ما جرى بسببها من نزع اللباس والاخراج
من الجنة والاهباط من السماء كما فعل بابليس ونسبته الى الغي والعصيان ونسيان العهد وعدم
العزيمة والحاجة الى التوبة **قلت** ما كانت الا صغيرة مغمورة باعمال قلبه من الاخلاص
والافكار الصالحة التي هي اجل الاعمال واعظم الطاعات وانما جرى عليه ما جرى تعظيما
للخطيئة وتفظيعا لشانها وتهويلا ليكون ذلك لطفا له ولذريته في اجتناب الخطايا واتقاء
المآثم والتنبيه على انه اخرج من الجنة بخطيئة واحدة فكيف يدخلها ذو خطايا جمة **وقرئ**
فمن تبع هدي فلا خوف بالفتح **يا بني اسرائيل اذكروا نعمتي التي انعمت عليكم واوفوا
بعهدي اوف بعهدكم واياي فارهبون وامنوا بما انزلت مصدقا لما معكم ولا
تكونوا اول كافر به ولا تشتروا باياتي ثمنا قليلا واياي فاتقون** اسرائيل هو يعقوب
عليه السلام لقب له ومعناه في لسانهم صفوة الله وقيل عبد الله وهو بزنة ابراهيم واسمعيل
غير منصرف مثلهما لوجود العلمية والعجمة **وقرئ** اسرائل واسرائل وذكرهم النعمة
ان لا يخلوا بشكرها ويعتدوا بها ويستعظموها ويطيعوا مانحها واراد بها ما انعم على

ابائهم بما عاهد عليهم من الانجاء من فرعون وعذابه ومن الغرق ومن العفو عن اتخاذ العجل والتوبة عليهم وغير ذلك وما انعم به عليهم من ادراك زمن محمد صلى الله عليه وسلم المبشر به في التورية والانجيل والعهد يضاف الى المعاهد والمعاهد جميعا يقال اوفيت بعهدي اي بما عاهدت عليه **كقوله تعالى** ومن اوفى بعهده من الله واوفيت بعهدك اي بما عاهدتك عليه ومعنى واوفوا بعهدي واوفوا بما عاهدتموني عليه من الايمان بي والطاعة لي ومن اوفى بما عاهد عليه الله ومنهم من عاهد الله رجال صدقوا ما عاهدوا الله عليه اوف بعهدكم بما عاهدتكم عليه من حسن الثواب على حسناتكم واياي فارهبون فلا تنقضوا عهدي وهو من قولك زيدا رهبته وهو اوكد في افادة الاختصاص من اياك نعبد **وقرئ** اوف بالتشديد اي ابالغ في الوفاء بعهدكم كقوله تعالى ويجوز ان يريد بقوله واوفوا بعهدي ما عاهدوا عليه ووعدوه من الايمان بنبي الرحمة والكتاب المعجز ويدل عليه قوله تعالى وامنوا بما انزلت مصدقا لما معكم اول كافر به اول من كفر به او اول فريق او فوج كافر به او ولا يكن كل واحد منكم اول كافر به كقولك كسانا حلة اي كل واحد منا وهذا تعريض بانه كان يجب ان يكونوا اول من يؤمن به لمعرفتهم به وبصفته ولانهم كانوا المبشرين بزمان من اوحي اليه والمستفتحين على الذين كفروا به وكانوا يعدون اتباعه اول الناس كلهم فلما بعث كان امرهم على العكس **كقوله تعالى** لم يكن الذين كفروا من اهل الكتاب والمشركين منفكين حتى تاتيهم البينة الى قوله وما تفرق الذين اوتوا الكتاب الا من بعد ما جاءتهم البينة فلما جاءهم ما عرفوا كفروا به ويجوز ان يراد ولا تكونوا مثل اول كافر به يعني من اشرك به من اهل مكة اي ولا تكونوا وانتم تعرفونه مذكورا في التورية موصوفا مثل من لم يعرفه وهو مشرك لا كتاب له وقيل الضمير في به لما معكم لانهم اذا كفروا بما يصدقه فقد كفروا به والاشتراء استعارة للاستبدال كقوله اشتروا الضلالة بالهدى **وقوله**

كما اشترى المسلم اذ تنصرا

فاني شريت الحلم بعدك بالجهل يعني ولا تستبدلوا باياتي ثمنا قليلا والا فالثمن هو المشترى به والثمن القليل الرياسة التي كانت لهم في قومهم خافوا عليها الفوات لو اصبحوا اتباعا لرسول الله صلى الله عليه وسلم فاستبدلوها وهي بدل قليل ومتاع يسير بايات الله وبالحق الذي كل كثير اليه قليل وكل كبير اليه حقير فما بال القليل الحقير وقيل كانت عامتهم يعطون احبارهم من زروعهم وثمارهم ويهدون اليهم الهدايا ويرشونهم الرشى على تحريفهم الكلم وتسهيلهم لهم ما صعب عليهم من الشرائع وكان ملوكهم يدرون عليهم الاموال ليكتموا ويحرفوا ولا تلبسوا الحق بالباطل وتكتموا الحق وانتم تعلمون واقيموا الصلوة واتوا الزكوة واركعوا مع الراكعين اتامرون الناس بالبر وتنسون انفسكم وانتم تتلون الكتاب افلا تعقلون الباء التي في بالباطل ان كانت صلة مثلها في قولك لبست الشيء بالشيء وخلطته به كان المعنى ولا تكتبوا في التورية ما ليس منها فيختلط الحق المنزل بالباطل الذي كتبتم حتى لا يميز بين حقها وباطلكم وان كانت باء الاستعانة كالتي في قولك كتبت بالقلم كان المعنى ولا تجعلوا الحق ملتبسا مشتبها بباطلكم الذي تكتبو

ويكتموا

وتكتموا جزم داخل تحت حكم النهي بمعنى ولا تكتموا او منصوب باضمار ان والواو بمعنى الجمع اي ولا تجمعوا لبس الحق بالباطل وكتمان الحق كقولك لا تاكل السمك وتشرب اللبن **فان قلت** لبسهم وكتمانهم ليسا بفعلين متميزين حتى ينهوا عن الجمع بينهما لانهم اذا لبسوا الحق بالباطل فقد كتموا الحق **قلت** بل هما متميزان لان لبس الحق بالباطل ما ذكرنا من كتبهم في التورية ما ليس منها وكتمانهم الحق ان يقولوا لا نجد في التورية صفة محمد عليه السلام او حكم كذا او يمحوا ذلك او يكتبوه على خلاف ما هو عليه **وفي** مصحف عبد الله وتكتمون بمعنى كاتمين وانتم تعلمون في حال علمكم انكم لابسون كاتمون وهو اقبح لهم لان الجهل بالقبيح ربما عذر راكبه واقيموا الصلوة يعني صلوة المسلمين وزكوتهم واركعوا مع الراكعين منهم لان اليهود لا ركوع في صلوتهم وقيل الركوع الخضوع والانقياد لما يلزمهم في دين الله ويجوز ان يراد بالركوع الصلوة كما يعبر عنها بالسجود وان يكون امرا بان تصلى مع المصلين يعني في الجماعة كانه قيل واقيموا الصلوة وصلوها مع المصلين لا منفردين اتامرون الهمزة للتقرير مع التوبيخ والتعجيب من حالهم والبر سعة الخير والمعروف ومنه البر لسعته ويتناول كل خير ومنه قولهم صدقت وبررت وكان الاحبار يامرون من نصحوه في السر من اقاربهم وغيرهم باتباع محمد صلى الله عليه وسلم ولا يتبعونه وقيل كانوا يامرون بالصدقة ولا يتصدقون واذا اتوا بصدقات ليفرقوها خانوا فيها **وعن** محمد بن واسع بلغني ان ناسا من اهل الجنة اطلعوا على ناس من اهل النار فقالوا لهم قد كنتم تامروننا باشياء عملناها فدخلنا الجنة قالوا كنا نامركم بها ونخالف الى غيرها وتنسون انفسكم وتتركونها من البر كالمنسيات وانتم تتلون الكتاب تبكيت مثل قوله وانتم تعلمون يعني تتلون التورية وفيها نعت محمد عليه السلام او فيها الوعيد على الخيانة وترك البر ومخالفة القول العمل افلا تعقلون توبيخ عظيم بمعنى افلا تفطنون لقبح ما اقدمتم عليه حتى يصدكم استقباحه عن ارتكابه وكانكم في ذلك مسلوبوا العقول لان العقول تاباه وتدفعه **ونحوه** اف لكم ولما تعبدون من دون الله افلا تعقلون واستعينوا بالصبر والصلوة وانها لكبيرة الا على الخاشعين الذين يظنون انهم ملاقوا ربهم وانهم اليه راجعون يا بني اسرائيل اذكروا نعمتي التي انعمت عليكم واني فضلتكم على العالمين واستعينوا على حوائجكم الى الله بالصبر والصلوة اي بالجمع بينهما وان تصلوا صابرين على تكاليف الصلوة محتملين لمشاقها وما يجب فيها من اخلاص القلب وحفظ النيات ودفع الوساوس ومراعاة الاداب والاحتراس من المكاره مع الخشية والخشوع واستحضار العلم بانه انتصاب بين يدي جبار السموات ليسال فك الرقاب عن سخطه وعذابه **ومنه** قوله تعالى وامر اهلك بالصلوة واصطبر عليها او واستعينوا على البلايا والنوائب بالصبر عليها والالتجاء الى الصلوة عند وقوعها وكان رسول الله صلى الله عليه وسلم اذا حزبه امر فزع الى الصلوة **وعن** ابن عباس رضي الله عنهما انه نعي اليه اخوه قثم وهو في سفر فاسترجع وتنحى عن الطريق فصلى ركعتين اطال فيهما الجلوس ثم قام يمشي الى راحلته وهو يقول واستعينوا بالصبر والصلوة وقيل الصبر الصوم لانه حبس عن المفطرات ومنه قيل لشهر رمضان شهر الصبر

ويجوز أن يراد بالصلوة الدعاء وأن يستعان على البلايا بالصبر والالتجاء إلى الدعاء والابتهال
إلى الله في دفعه وإنها الضمير للصلوة أو للاستعانة ويجوز أن يكون لجميع الأمور التي أمر
بها بنو إسرائيل ونهوا عنها من قوله تعالى اذكروا نعمتي إلى واستعينوا لكبيرة لشاقة ثقيلة
من قولك كبر على هذا الأمر كبر على المشركين ما تدعوهم إليه **فإن قلت** ما لها لم تثقل
على الخاشعين والخشوع في نفسه مما يثقل **قلت** لأنهم يتوقعون ما ادخر للصابرين على متاعبها
فتهون عليهم ألا ترى إلى قوله الذين يظنون أنهم ملاقوا ربهم أي يتوقعون لقاء ثوابه
ونيل ما عنده ويطمعون فيه **وفي** مصحف عبد الله يعلمون ومعناه يعلمون أن لا بد من لقاء
الجزاء فيعملون على حسب ذلك ولذلك فسر يظنون بيتيقنون وأما من لم يوقن بالجزاء ولم
يرج الثواب كانت عليه مشقة خالصة فثقلت عليه كالمنافقين والمرائين بأعمالهم ومثله
من وعد على بعض الأعمال والصنائع أجرة زائدة على مقدار عمله فتراه يزاوله برغبة ونشاط
وانشراح صدر ومضاحكة لحاضريه كأنه يستلذ مزاولته بخلاف عامل يتسخره بعض الظلمة
ومن ثم قال رسول الله صلى الله عليه وسلم وجعلت قرة عيني في الصلوة وكان يقول يا بلال
روحنا والخشوع الإخبات والتطامن ومنه الخشعة الرملة المتطامنة وأما الخضوع
فاللين والانقياد ومنه خضعت بقولها إذا لينته وأني فضلتكم نصب عطف على نعمتي
أي اذكروا نعمتي وتفضيلي على العالمين على الجم الغفير من الناس باركنا
فيها للعالمين يقال رأيت عالما من الناس يراد الكثرة **واتقوا يوما لا تجزي نفس عن نفس
شيئا ولا تقبل منها شفاعة ولا يؤخذ منها عدل ولا هم ينصرون** يوما يريد يوم
القيامة لا تجزي لا تقضي عنها شيئا من الحقوق **ومنه** الحديث في جذعة ابن نيار تجزي
عنك ولا تجزي عن أحد بعدك وشيئا مفعول به ويجوز أن يكون في موضع مصدر
أي قليلا من الجزاء **كقوله تعالى** ولا يظلمون شيئا ومن قرأ لا تجزئ من أجزأ عنه إذا
أغنى عنه فلا يكون في قراءته إلا بمعنى شيئا من الإجزاء وقرأ أبو السرار الغنوي لا تجزي نسمة
عن نسمة شيئا وهذه الجملة منصوبة المحل صفة ليوما **فإن قلت** فأين العائد منها إلى الموصوف
قلت هو محذوف تقديره لا تجزي فيه ونحوه ما أنشده أبو علي تروحي أجدر أن تقيلي
أي بمكان أجدر بأن تقيلي فيه ومنهم من ينزل فيقول اتسع فيه فأجري مجرى المفعول به فحذف
الجار ثم حذف الضمير كما حذف من قوله أم مال أصابوا ومعنى التنكير أن نفسا من الأنفس
لا تجزي عن نفس منها شيئا من الأشياء وهو الإقناط الكلي القطاع للمطامع وكذلك قوله
ولا تقبل منها شفاعة ولا يؤخذ منها عدل أي فدية لأنها معادلة للمفدى **ومنه** الحديث
لا يقبل منه صرف ولا عدل أي توبة ولا فدية قتادة ولا يقبل منها شفاعة
على بناء الفعل للفاعل وهو الله عز وجل ونصب الشفاعة وقيل كانت اليهود تزعم أن آباءهم
الأنبياء يشفعون لهم فأويسوا **فإن قلت** هل فيه دليل على أن الشفاعة لا تقبل للعصاة
قلت نعم لأنه نفى أن تقضي نفس عن نفس حقا أخلت به من فعل أو ترك ثم نفى أن يقبل
منها شفاعة شفيع فعلم أنها لا تقبل للعصاة **فإن قلت** الضمير في ولا تقبل منها إلى أي
النفسين يرجع **قلت** إلى الثانية العاصية غير المجزي عنها وهي التي لا يؤخذ منها

عدل ومعنى لا تقبل منها شفاعة إن جاءت بشفاعة شفيع لم تقبل منها ويجوز أن يرجع إلى النفس
الأولى على أنها لو شفعت لها لم تقبل شفاعتها كما لا تجزي عنها شيئا ولو أعطت عدلا عنها
لم يؤخذ منها ولا هم ينصرون يعني ما دلت عليه النفس المنكرة من النفوس الكثيرة والتذكير
بمعنى العباد والأناسي كما تقول ثلاثة أنفس **وإذ نجيناكم من آل فرعون يسومونكم
سوء العذاب يذبحون أبناءكم ويستحيون نساءكم وفي ذلكم بلاء من ربكم عظيم**
أصل آل أهل ولذلك يصغر بأهيل فأبدلت هاؤه ألفا وخص استعماله بأولي الخطر
والشأن كالملوك وأشباههم ولا يقال آل الإسكاف والحجام وفرعون علم لمن ملك العمالقة
كقيصر لملك الروم وكسرى لملك الفرس ولعتو الفراعنة اشتقوا تفرعن فلان إذا
عتا وتجبر **وفي** ملح بعضهم قد جاء موسى الكليم فزاد في أقصى تفرعنه وفرط عرامه
أنجاكم وأنجيتكم يسومونكم من سامه خسفا إذا أولاه ظلما **قال** عمرو بن
كلثوم إذا ما الملك سام الناس خسفا أبينا أن نقر الخسف فينا وأصله من سام
السلعة إذا طلبها كأنه بمعنى يبغونكم سوء العذاب ويريدونكم عليه والسوء مصدر السيئ
يقال أعوذ بالله من سوء الخلق وسوء الفعل يراد قبحهما ومعنى سوء العذاب والعذاب كله
سيئ أشده وأفظعه كأنه قبحه بالإضافة إلى سائره ويذبحون بيان لقوله يسومونكم
ولذلك ترك العاطف يضاهون قول الذين كفروا **وقرأ**
الزهري يذبحون بالتخفيف كقولك قطعت الثياب وقطعتها وقرأ عبد الله يقتلون وإنما
فعلوا بهم ذلك لأن الكهنة أنذروا فرعون بأنه يولد مولود يكون على يديه هلاكه كما أنذر
نمروذ فلم يغن عنهما اجتهادهما في التحفظ وكان ما شاء الله والبلاء المحنة إن أشير بذلكم إلى صنيع
فرعون والنعمة إن أشير به إلى الإنجاء **وإذ فرقنا بكم البحر فأنجيناكم وأغرقنا آل فرعون
وأنتم تنظرون وإذ واعدنا موسى أربعين ليلة ثم اتخذتم العجل من بعده وأنتم
ظالمون ثم عفونا عنكم من بعد ذلك لعلكم تشكرون** فرقنا فصلنا بين بعضه
وبعض حتى صارت فيه مسالك لكم **وقرئ** فرقنا بمعنى فصلنا يقال فرق بين الشيئين
وفرق بين الأشياء لأن المسالك كانت اثني عشر على عدد الأسباط **فإن قلت** ما معنى بكم
قلت فيه أوجه أن يراد أنهم كانوا يسلكونه ويتفرق الماء عند سلوكهم فكأنما فرق بهم كما
يفرق بين الشيئين بما يوسط بينهما وأن يراد فرقناه بسببكم وبسبب إنجائكم وأن يكون
في موضع الحال بمعنى فرقناه ملتبسا بكم تدوس بنا الجماجم والتريبا أي تدوسها
ونحن راكبوها **وروي** أن بني إسرائيل قالوا لموسى أين أصحابنا لا نراهم قال سيروا فإنهم
على طريق مثل طريقكم قالوا لا نرضى حتى نراهم فقال اللهم أعني على أخلاقهم السيئة فأوحى إليه
أن قل بعصاك هكذا فقال بها على الحيطان فصارت فيها كوى فتراءوا وتسامعوا كلامهم
وأنتم تنظرون إلى ذلك وتشاهدونه لا تشكون فيه لما دخل بنو إسرائيل مصر بعد هلاك
فرعون ولم يكن لهم كتاب ينتهون إليه وعد الله موسى أن ينزل عليه التوراة وضرب له
ميقاتا ذا القعدة وعشر ذي الحجة وقيل أربعين ليلة لأن الشهور غررها بالليالي وقرئ
وعدنا لأن الله تعالى وعده الوحي ووعده المجيء للميقات إلى الطور من بعده من بعد مضيه

الى الطور وانتم ظالمون باشراككم ثم عفونا عنكم حين تبتم من بعد ذلك من بعد ارتكابكم الامر العظيم وهو اتخاذكم العجل لعلكم تشكرون لارادة ان تشكروا النعمة في العفو عنكم واذ اتينا موسى الكتاب والفرقان لعلكم تهتدون الكتاب والفرقان يعني الجامع بين كونه كتابا منزلا وفرقانا يفرق بين الحق والباطل يعني التورية كقولك رايت الغيث والليث تريد الرجل الجامع بين الجود والجراءة ونحوه قوله تعالى ولقد اتينا موسى وهرون الفرقان وضياء وذكرا يعني الكتاب الجامع بين كونه فرقانا وضياء وذكرا او التورية والبرهان الفارق بين الكفر والايمان من العصا واليد وغيرهما من الايات او الشرع الفارق بين الحلال والحرام وقيل الفرقان انفراق البحر وقيل النصر الذي فرق بينه وبين عدوه يوم الفرقان يريد يوم بدر واذ قال موسى لقومه يا قوم انكم ظلمتم انفسكم باتخاذكم العجل فتوبوا الى بارئكم فاقتلوا انفسكم ذلكم خير لكم عند بارئكم فتاب عليكم انه هو التواب الرحيم حمل قوله فاقتلوا انفسكم على الظاهر وهو البخع وقيل معناه قتل بعضهم بعضا وقيل امر من لم يعبد العجل ان يقتلوا العبدة وروي ان الرجل كان يبصر ولده ووالده وجاره وقريبه فلم يمكنه المضي لامر الله فارسل الله ضبابة وسحابة سوداء لا يتباصرون تحتها وامروا ان يحتبوا بافنية بيوتهم ويأتي الذين لم يعبدوا العجل بيوتهم وقيل لهم اصبروا فلعن الله من مد طرفه او حل حبوته او اتقى بيده او رجل فيقولون آمين فقتلوهم الى المساء حتى دعا موسى وهرون وقالا يا رب هلكت بنو اسرائيل البقية البقية فكشفت السحابة ونزلت التوبة فسقطت الشفار من ايديهم وكانت القتلى سبعين الفا **قلت** ما الفرق بين الفاآت الاولى للتسبيب لا غير والثانية للتعقيب لان المعنى فاعزموا على التوبة فاقتلوا انفسكم من قبل ان الله تعالى جعل توبتهم قتل انفسهم ويجوز ان يكون القتل تمام توبتهم فيكون المعنى فتوبوا فاتبعوا التوبة القتل تتمة لتوبتكم والثالثة متعلقة بمحذوف ولا يخلو اما ان ينتظم في قول موسى لهم فتتعلق بشرط محذوف كانه قال فان فعلتم فقد تاب عليكم واما ان يكون خطابا من الله لهم على طريقة الالتفات فيكون التقدير ففعلتم ما امركم به موسى فتاب عليكم بارئكم **فان قلت** من اين اختص هذا الموضع بذكر البارئ البارئ هو الخالق الذي خلق الخلق بريا من التفاوت ما ترى في خلق الرحمن من تفاوت ومتميزا بعضه من بعض بالاشكال المختلفة والصور المتباينة فكان فيه تقريع بما كان منهم من ترك عبادة العالم الحكيم الذي براهم بلطف حكمته على الاشكال المختلفة ابرياء من التفاوت والتنافر الى عبادة البقر التي هي مثل في الغباوة والبلادة في امثال العرب ابلد من ثور حتى عرضوا انفسهم لسخط الله ونزول امره بان يفك ما ركبه من خلقهم وينثر ما نظم من صورهم واشكالهم حين لم يشكروا النعمة في ذلك وغمطوها بعبادة من لا يقدر على شيء منها واذ قلتم يا موسى لن نؤمن لك حتى نرى الله جهرة فاخذتكم الصاعقة وانتم تنظرون ثم بعثناكم من بعد موتكم لعلكم تشكرون قيل القائلون السبعون الذين صعقوا وقيل قاله عشرة الاف منهم جهرة عيانا وهي مصدر من قولك جهر بالقراءة وبالدعاء كان الذي يرى بالعين جاهر بالرؤية والذي يرى بالقلب مخافت بها وانتصابها على المصدر لانها نوع من الرؤية فنصبت بفعلها كما تنصب القرفصاء بفعل الجلوس او على الحال بمعنى ذوي جهرة **وقرئ** جهرة بفتح الهاء وهي اما مصدر كالغلبة واما جمع جاهر وفي هذا الكلام دليل على ان موسى راددهم القول وعرفهم ان رؤية ما لا يجوز عليه ان يكون في جهة محال وان من استجاز على الله الرؤية فقد جعله من جملة الاجسام او الاعراض فرادوه بعد بيان الحجة ووضوح البرهان ولجوا فكانوا في الكفر كعبدة العجل فسلط الله عليهم الصعقة كما سلط على اولئك القتل تسوية بين الكفرين ودلالة على عظمهما بعظم المحنة والصاعقة ما صعقهم اي اماتهم وقيل نار وقعت من السماء فاحرقتهم وقيل صيحة جاءت من السماء وقيل ارسل الله جنودا سمعوا بحسها فخروا صعقين ميتين يوما وليلة وموسى عليه السلام لم تكن صعقته موتا ولكن غشية بدليل قوله تعالى فلما افاق والظاهر انه اصابهم ما ينظرون اليه لقوله تعالى وانتم تنظرون **وقرأ** علي رضي الله عنه فاخذتكم الصعقة لعلكم تشكرون نعمة البعث بعد الموت او نعمة الله بعد ما كفرتموها اذا رأيتم بأس الله في رميكم بالصاعقة واذاقتكم الموت وظللنا عليكم الغمام وانزلنا عليكم المن والسلوى كلوا من طيبات ما رزقناكم وما ظلمونا ولكن كانوا انفسهم يظلمون وظللنا وجعلنا الغمام يظلكم وذلك في التيه سخر الله لهم السحاب يسير بسيرهم يظلهم من الشمس وينزل بالليل عمود من نار يسيرون في ضوئه وثيابهم لا تتسخ ولا تبلى وينزل عليهم المن وهو الترنجبين مثل الثلج من طلوع الفجر الى طلوع الشمس لكل انسان صاع ويبعث الله الجنوب فتحشر عليهم السلوى وهي السماني فيذبح الرجل منها ما يكفيه كلوا على ارادة القول وما ظلمونا يعني فظلموا بان كفروا هذه النعم وما ظلمونا فاختصر الكلام بحذفه لدلالة وما ظلمونا عليه واذ قلنا ادخلوا هذه القرية فكلوا منها حيث شئتم رغدا وادخلوا الباب سجدا وقولوا حطة نغفر لكم خطاياكم وسنزيد المحسنين القرية بيت المقدس وقيل اريحا من قرى الشام امروا بدخولها بعد التيه والباب باب القرية وقيل هو باب القبة التي كانوا يصلون اليها وهم لم يدخلوا بيت المقدس في حيوة موسى امروا بالسجود عند الانتهاء الى الباب شكرا لله تعالى وتواضعا وقيل السجود ان ينحنوا ويتطامنوا داخلين ليكون دخولهم بخشوع واخبات وقيل طوطئ لهم الباب ليخفضوا رؤسهم فلم يخفضوها ودخلوا متزحفين على اوراكهم حطة فعلة من الحط كالجلسة والركبة وهي خبر مبتدإ محذوف اي مسئلتنا حطة او امرك حطة والاصل النصب بمعنى حط عنا ذنوبنا حطة وانما رفعت لتعطي معنى الثبات **كقوله** صبر جميل فكلانا مبتلى والاصل صبرا على اصبر صبرا وقرأ ابن ابي عبلة بالنصب على الاصل وقيل معناه امرنا حطة اي ان نحط في هذه القرية ونستقر فيها **فان قلت** هل يجوز ان تنصب حطة في قراءة من نصبها بقولوا على معنى قولوا هذه الكلمة لا يبعد والاجود ان تنصب باضمار فعلها وتنصب محل ذلك المضمر بقولوا **وقرئ** يغفر لكم على البناء للمفعول بالياء والتاء وسنزيد المحسنين اي من كان محسنا منكم كانت تلك الكلمة سببا في زيادة ثوابه ومن كان مسيئا كانت له توبة ومغفرة

فبدل الذين ظلموا قولا غير الذي قيل لهم فانزلنا على الذين ظلموا رجزا من السماء بما كانوا يفسقون فبدل الذين ظلموا اى وضعوا مكان حطة قولا غيرها يعنى انهم امروا بقول معناه التوبة والاستغفار فخالفوه الى قول ليس معناه ما امروا به ولم يمتثلوا امر الله وليس الغرض انهم امروا بلفظ بعينه وهو لفظ الحطة فجاؤا بلفظ آخر مستقل بمعنى ما امروا به لم يؤاخذوا به كما لو قالوا مكان حطة نستغفرك ونتوب اليك او اللهم اعف عنا وما اشبه ذلك وقيل قالوا مكان حطة حنطة وقيل قالوا بالنبطية حطا سمقاثا او حنطة حمرا استهزاء منهم بما قيل لهم وعدولا عن طلب ما عند الله الى طلب ما يشتهون من اعراض الدنيا وفى تكرير الذين ظلموا زيادة فى تقبيح امرهم وايذان بان انزال الرجز عليهم لظلمهم وقد جاء فى سورة الاعراف فارسلنا عليهم على الاضمار والرجز العذاب وقرئ بضم الراء انه مات منهم فى ساعة بالطاعون اربعة وعشرون الفا وقيل سبعون الفا واذ استسقى موسى لقومه فقلنا اضرب بعصاك الحجر فانفجرت منه اثنتا عشرة عينا قد علم كل اناس مشربهم كلوا واشربوا من رزق الله ولا تعثوا فى الارض مفسدين عطشوا فى التيه فدعا لهم موسى بالسقيا فقيل له اضرب بعصاك الحجر واللام اما للعهد والاشارة الى حجر معلوم فقد روى انه حجر طورى حمله معه وكان حجرا مربعا له اربعة اوجه كانت تنبع من كل وجه ثلاثة اعين لكل سبط عين تسيل فى جدول الى السبط الذى امروا ان يسقيهم وكانوا ستمائة الف وسعة المعسكر اثنا عشر ميلا وقيل اهبطه آدم من الجنة فتوارثوه حتى وقع الى شعيب عليه السلام فدفعه اليه مع العصا وقيل هو الحجر الذى وضع عليه ثوبه حين اغتسل اذ رموه بالادرة ففر به فقال له جبريل عليه السلام يقول الله تعالى ارفع هذا الحجر فان لى فيه قدرة ولك فيه معجزة فحمله فى مخلاته واما للجنس اى اضرب الشىء الذى يقال له الحجر وعن الحسن لم يامره ان يضرب حجرا بعينه قال وهذا اظهر فى الحجة وابين فى القدرة انهم قالوا كيف بنا لو افضينا الى ارض ليست فيها حجارة فحمل حجرا فى مخلاته نزلوا القاه وقيل كان يضربه بعصاه فينفجر ويضربه بها فييبس فقالوا ان فقد موسى عصاه متنا عطشا فاوحى اليه لا تقرع الحجارة وكلمها تطعك لعلهم يعتبرون وقيل كان من رخام وكان ذراعا فى ذراع وقيل مثل رأس الانسان وقيل كان من آس الجنة طوله عشرة اذرع على طول موسى وله شعبتان تتقدان فى الظلمة وكان يحمل على حمار فانفجرت الفاء متعلقة بمحذوف اى فضرب فانفجرت اوفان ضربت فقد انفجرت كما ذكرنا فى قوله تعالى فتاب عليكم وهى على هذا فاء فصيحة لا تقع الا فى كلام بليغ وقرئ عشرة بكسر الشين وفتحها وهما لغتان كل اناس كل سبط مشربهم عينهم التى يشربون منها كلوا على ارادة القول من رزق الله مما رزقكم من الطعام وهو المن والسلوى ومن ماء العيون وقيل الماء ينبت منه الزروع والثمار فهو رزق يؤكل منه ويشرب والعثى اشد الفساد فقيل لهم لا تتمادوا فى الفساد فى حال فسادكم لانهم كانوا متمادين فيه واذ قلتم يا موسى لن نصبر على طعام واحد فادع لنا ربك يخرج لنا مما تنبت الارض من بقلها وقثائها وفومها وعدسها وبصلها قال اتستبدلون الذى هو ادنى

بالذى

بالذى هو خير اهبطوا مصرا فان لكم ما سألتم وضربت عليهم الذلة والمسكنة وباؤا بغضب من الله ذلك بانهم كانوا يكفرون بآيات الله ويقتلون النبيين بغير الحق ذلك بما عصوا وكانوا يعتدون كانوا فلاحة فنزعوا الى عكرهم فاجتووا ما كانوا فيه من النعمة وطلبت انفسهم الشقاء على طعام واحد اراد واما رزقوا فى التيه من المن والسلوى فان قلت هما طعامان فما لهم قالوا على طعام واحد قلت ارادوا بالواحد ما لا يختلف ولا يتبدل ولو كان على مائدة الرجل الوان عدة يداوم عليها كل يوم لا يبدلها قيل لا يأكل فلان الا طعاما واحدا يراد بالوحدة نفى التبدل والاختلاف ويجوز ان يريدوا انهما ضرب واحد لانهما معا من طعام اهل التلذذ والترف ونحن قوم فلاحة اهل زراعات فما نريد الا ما الفناه وضرينا به من الاشياء المتفاوتة كالبقول والحبوب ونحو ذلك ومعنى يخرج لنا يظهر لنا ويوجد والبقل ما انبتته الارض من الخضر والمراد به اطايب البقول التى يأكلها الناس كالنعناع والكرفس والكراث واشباهها وقرئ وقثائها بالضم والفوم الحنطة ومنه فوموا لنا اى اخبزوا وقيل الثوم ويدل عليه قراءة ابن مسعود وثومها وهو للعدس والبصل اوفق الذى هو ادنى الذى هو اقرب منزلة وادون مقدارا والدنو والقرب يعبر بهما عن قلة المقدار فيقال هو دانى المحل وقريب المنزلة كما يعبر بالبعد عن عكس ذلك فيقال بعيد المحل وبعيد الهمة يريدون الرفعة والعلو وقرأ زهير الفرقبى ادنا بالهمز من الدناءة اهبطوا مصرا وقرئ اهبطوا بالضم اى انحدروا اليه من التيه يقال هبط الوادى اذا نزل به وهبط منه اذا خرج وبلاد التيه ما بين بيت المقدس الى قنسرين وهى اثنا عشر فرسخا فى ثمانية فراسخ ويحتمل ان يريد العلم وانما صرفه مع اجتماع السببين فيه وهما التعريف والتأنيث لسكون وسطه كقوله ونوحا ولوطا وفيهما العجمة والتعريف وان اريد به البلد فما فيه الا سبب واحد وان اريد به مصر من الامصار وفى مصحف عبد الله وقرأ به الاعمش اهبطوا مصر بغير تنوين كقوله ادخلوا مصر وقيل هو مصرائيم فعرب وضربت عليهم الذلة جعلت الذلة محيطة بهم مشتملة عليهم فهم فيها كما يكون فى القبة من ضربت عليه او الصقت بهم حتى لزمتهم ضربة لازب كما يضرب الطين على الحائط فيلزمه فاليهود صاغرون اذلاء اهل مسكنة ومدقعة اما على الحقيقة لتصاغرهم وتفاقرهم خيفة ان يضاعف عليهم الجزية وباؤا بغضب من الله من قولك باء فلان بفلان اذا كان حقيقا بان يقتل به لمساواته له ومكافاته اى صاروا احقاء بغضبه ذلك اشارة الى ما تقدم من ضرب الذلة والمسكنة والخلاقة بالغضب اى ذلك بسبب كفرهم وقتلهم الانبياء وقد قتلت اليهود لعنوا اشعياء وزكريا ويحيى وغيرهم فان قلت قتل الانبياء لا يكون الا بغير الحق فما فائدة ذكره قلت معناه انهم قتلوهم بغير الحق عندهم لانهم لم يقتلوا ولا افسدوا فى الارض فيقتلوا وانما نصحوهم ودعوهم الى ما ينفعهم فقتلوهم فلو سئلوا وانصفوا من انفسهم لم يذكروا وجها يستحقون به القتل عندهم وقرأ على رضى الله عنه ويقتلون بالتشديد ذلك تكرار للاشارة بما عصوا بسبب ارتكابهم انواع المعاصى

واعتدائهم حدود الله في كل شيء مع كفرهم بآيات الله وقتلهم الانبياء وقيل هو اعتداؤهم في
السبت ويجوز أن يشار بذلك الى الكفر وقتل الانبياء على معنى أن ذلك بسبب عصيانهم
واعتدائهم لانهم انهمكوا فيهما وغلوا حتى قست قلوبهم فجسروا على جحود الآيات وقتل الانبياء
أو ذلك الكفر والقتل مع ما عصوا **إن الذين آمنوا والذين هادوا والنصارى
والصابئين من آمن بالله واليوم الآخر وعمل صالحا فلهم أجرهم عند ربهم ولا خوف
عليهم ولا هم يحزنون** إن الذين آمنوا بألسنتهم من غير مواطأة القلوب وهم المنافقون
والذين هادوا والذين تهودوا يقال هاد يهود وتهود اذا دخل في اليهودية وهو
هائد والجمع هود والنصارى وهو جمع نصران يقال رجل نصران وامرأة نصرانة قال
نصرانة لم تحنف والياء في نصراني للمبالغة كالتي في أحمري سموا لانهم نصروا المسيح والصابئين
وهو من صبأ اذا خرج من الدين وهم قوم عدلوا عن دين اليهودية والنصرانية وعبدوا الملائكة
من آمن من هؤلاء الكفرة ايمانا خالصا ودخل في ملة الاسلام دخولا اصيلا وعمل صالحا
فلهم أجرهم الذي يستوجبونه بايمانهم وعملهم **فإن قلت** ما محل من آمن **قلت** الرفع
ان جعلته مبتدأ خبره فلهم اجرهم والنصب ان جعلته بدلا من اسم إن والمعطوف عليه فخبر
إن في الاول الجملة كما هي وفي الثاني فلهم والفاء لتضمن من معنى الشرط **وإذ أخذنا ميثاقكم
ورفعنا فوقكم الطور خذوا ما آتيناكم بقوة واذكروا ما فيه لعلكم تتقون ثم توليتم
من بعد ذلك فلولا فضل الله عليكم ورحمته لكنتم من الخاسرين** وإذ أخذنا ميثاقكم
بالعمل على ما في التوراة ورفعنا فوقكم الطور حتى قبلتم وأعطيتم الميثاق وذلك أن موسى
عليه السلام جاءهم بالالواح فرأوا ما فيها من الآصار والتكاليف الشاقة فكبرت عليهم
وأبوا قبولها فأمر جبريل فقلع الطور من أصله وظلله فوقهم وقال لهم موسى إن قبلتم
والا ألقي عليكم حتى قبلوا خذوا على ارادة القول ما آتيناكم من الكتاب بقوة بجد وعزيمة
واذكروا ما فيه واحفظوا ما في الكتاب وادرسوه ولا تنسوه ولا تغفلوا عنه لعلكم تتقون
رجاء منكم أن تكونوا متقين أو قلنا خذوا واذكروا ارادة أن تتقوا ثم توليتم ثم أعرضتم
عن الميثاق والوفاء به فلولا فضل الله عليكم بتوفيقكم للتوبة لخسرتم **وقرئ** خذوا
ما آتيتكم وتذكروا واذكروا **ولقد علمتم الذين اعتدوا منكم في السبت فقلنا لهم كونوا
قردة خاسئين فجعلناها نكالا لما بين يديها وما خلفها وموعظة للمتقين** السبت
مصدر سبتت اليهود اذا عظمت يوم السبت وان ناسا منهم اعتدوا فيه اي جاوزوا ما
حد لهم فيه من التجرد للعبادة وتعظيمه واشتغلوا بالصيد وذلك ان الله ابتلاهم فما كان
يبقى حوت في البحر الا أخرج خرطومه يوم السبت فاذا مضى تفرق كما قال تعالى تأتيهم حيتانهم
يوم سبتهم شرعا ويوم لا يسبتون لا تأتيهم كذلك نبلوهم فحفروا حياضا عند البحر وشرعوا
اليها الجداول فكانت الحيتان تدخلها فيصطادونها يوم الاحد فذلك الحبس في الحياض
هو اعتداؤهم قردة خاسئين خبران اي كونوا جامعين بين القردية والخسوء وهو الصغار
والطرد فجعلناها يعني المسخة نكالا عبرة تنكل من اعتبر بها اي تمنعه ومنه النكل للقيد
لما بين يديها لما قبلها وما خلفها وما بعدها من الامم والقرون لان مسخهم ذكر في كتب

الاولين

الاولين فاعتبروا بها واعتبر بها من بلغتهم من الآخرين أو أريد بما بين يديها ما بحضرتها
من القرى والامم وقيل نكالا عقوبة منكلة لما بين يديها لاجل ما تقدمها من ذنوبهم
وما تأخر منها وموعظة للمتقين للذين نهوهم عن الاعتداء من صالحي قومهم أو لكل
متق سمعها **وإذ قال موسى لقومه إن الله يأمركم أن تذبحوا بقرة قالوا أتتخذنا
هزوا قال أعوذ بالله أن أكون من الجاهلين قالوا ادع لنا ربك يبين لنا ما هي
قال إنه يقول إنها بقرة لا فارض ولا بكر عوان بين ذلك فافعلوا ما تؤمرون**
كان في بني اسرائيل شيخ موسر فقتل ابنه بنو أخيه ليرثوه وطرحوه على باب مدينة ثم جاؤا
يطالبون بديته فأمرهم الله أن يذبحوا بقرة ويضربوه ببعضها ليحيا فيخبرهم بقاتله
قالوا أتتخذنا هزوا أتجعلنا مكان هزء أو أهل هزء أو مهزوا بنا أو الهزء نفسه لفرط
الاستهزاء من الجاهلين لان الهزء في مثل هذا من باب الجهل والسفه **وقرئ** هزؤا
بضمتين وهزءا بسكون الزاي نحو كفؤا وكفءا   حفص هزوا بضمتين والواو وكذلك
كفوا والعياذ واللياذ من واد واحد **وفي** قراءة عبد الله سل لنا ربك ما هي سؤال عن
حالها وصفتها وذلك انهم تعجبوا من بقرة ميتة يضرب ببعضها ميت فيحيى فسألوا عن صفة
تلك البقرة العجيبة الشأن الخارجة عما عليه البقر والفارض المسنة وقد فرضت فروضا
قال خفاف بن ندبة: لعمري لقد أعطيت ضيفك فارضا * تساق اليه ما تقوم على رجل
وكأنها سميت فارضا لانها فرضت سنها اي قطعتها وبلغت آخرها والبكر الفتية والعوان
النصف: نواعم بين أبكار وعون وقد عونت **فإن قلت** بين يقتضي
شيئين فصاعدا فمن أين جاز دخوله على ذلك **قلت** لانه في معنى شيئين حيث وقع مشارا
به الى ما ذكر من الفارض والبكر **فإن قلت** كيف جاز أن يشار به الى مؤنثين وانما هو
للاشارة الى واحد مذكر **قلت** جاز ذلك على تأويل ما ذكر وما تقدم للاختصار في
الكلام كما جعلوا فعل نائبا عن أفعال جمة تذكر قبله تقول للرجل نعم ما فعلت وقد ذكر
لك أفعالا كثيرة وقصة طويلة كما تقول له ما أحسن ذلك وقد يجري الضمير مجرى اسم الاشارة
في هذا **قال** أبو عبيدة قلت لرؤبة في قوله:

فيها خطوط من سواد وبلق * كأنه في الجلد توليع البهق

ان اردت الخطوط فقل كأنها وان اردت السواد والبلق فقل كأنهما فقال أردت كأن ذاك ويلك والذي
حسن منه أن أسماء الاشارة تثنيتها وجمعها وتأنيثها ليست على الحقيقة وكذلك الموصولات
ولذلك جاء الذي بمعنى الجمع ما تؤمرون اي ما تؤمرونه بمعنى ما تؤمرون به من قوله
أمرتك الخير او أمركم بمعنى مأموركم تسمية للمفعول بالمصدر كضرب الامير **قالوا ادع
لنا ربك يبين لنا ما لونها قال انه يقول انها بقرة صفراء فاقع لونها تسر الناظرين**
الفقوع اشد ما يكون من الصفرة وانصعه يقال في التوكيد اصفر فاقع ووارس كما يقال
اسود حالك وحانك وابيض يقق ولهق واحمر قانئ وذريحي واخضر ناضر ومدهام وأورق
خطباني وأرمك رداني **فان قلت** فاقع ههنا واقع خبرا عن اللون فلم يقع توكيدا لصفراء
قلت لم يقع خبرا عن اللون وانما وقع توكيدا لصفراء الا انه ارتفع اللون به ارتفاع

الفاعل واللون من سببها وملتبس بها فلم يكن فرق بين قولك صفراء فاقعة وصفراء فاقع لونها
فان قلت فهلا قيل صفراء فاقعة واى فائدة فى ذكر اللون قلت الفائدة فيه
التوكيد لان اللون اسم للهيئة وهى الصفرة فكانه قيل شديدة الصفرة صفرتها فهو من
قولك جد جده وجنونك مجنون وعن وهب اذا نظرت اليها خيل اليك ان شعاع
الشمس يخرج من جلدها والسرور لذة فى القلب عند حصول نفع او توقعه وعن
على رضى الله عنه من لبس نعلا صفراء قل همه لقوله تسر الناظرين وعن الحسن صفراء
فاقع لونها سوداء شديدة السواد ولعله مستعار من صفة الابل لان سوادها تعلوه
صفرة وبه فسر قوله تعالى جمالات صفر الاعشى
تلك خيلى منه وتلك ركابى هن صفر اولادها كالزبيب قالوا ادع لنا ربك يبين لنا
ما هى ان البقر تشابه علينا وانا ان شاء الله لمهتدون ما هى مرة ثانية تكرير
للسؤال عن حالها وصفتها واستكشاف زائد ليزدادوا بيانا لوصفها وعن النبى صلى
الله عليه وسلم لو اعترضوا ادنى بقرة فذبحوها لكفتهم ولكن شددوا فشدد الله عليهم
والاستقصاء شؤم وعن بعض الخلفاء انه كتب الى عامله بان يذهب الى قوم فيقطع
اشجارهم ويهدم دورهم فكتب اليه بايهما ابدأ فقال ان قلت لك بقطع الشجر سألتنى
باى نوع منها ابدأ عمر بن عبد العزيز اذا امرتك ان تعطى فلانا شاة سألتنى
اضائن ام ماعز فان بينت لك قلت اذكر ام انثى فان اخبرتك قلت اسود ام ابيض
فاذا امرتك بشىء فلا تراجعنى وفى الحديث اعظم الناس جرما من سأل عن شىء لم يحرم
فحرم لاجل مسألته ان البقر تشابه علينا اى ان البقر الموصوف بالتعوين والصفرة
كثير فاشتبه علينا ايها نذبح تشابه بمعنى تتشابه بطرح التاء وادغامها
فى الشين وتشابهت ومتشابهة ومتشابه وقرأ محمد ذو الشامة ان الباقر يشابه
بالياء والتشديد جاء فى الحديث لو لم يستثنوا لما بينت لهم آخر الابد اى لو لم يقولوا ان شاء
الله والمعنى انا لمهتدون الى البقرة المراد ذبحها او الى ما خفى علينا من امر القاتل قال
انه يقول انها بقرة لا ذلول تثير الارض ولا تسقى الحرث مسلمة لا شية فيها قالوا
الآن جئت بالحق فذبحوها وما كادوا يفعلون لا ذلول صفة لبقرة بمعنى بقرة غير
ذلول يعنى لم تذلل للكراب واثارة الارض ولا هى من النواضح التى يسنى عليها لسقى الحروث
ولا الاولى للنفى والثانية مزيدة لتوكيد الاولى لان المعنى لا ذلول تثير وتسقى على ان الفعلين
صفتان لذلول كانه قيل لا ذلول مثيرة وساقية وقرأ ابو عبد الرحمن السلمى لا ذلول
بمعنى لا ذلول هناك اى حيث هى وهو نفى لذلها ولان توصف به فيقال هى ذلول ونحوه
قولك مررت بقوم لا بخيل ولا جبان اى فيهم او حيث هم تسقى بضم التاء من
اسقى مسلمة سلمها الله من العيوب او معفاة من العمل سلمها اهلها منه كقوله
او معبر الظهر ينبى عن وليته ما حج ربه فى الدنيا ولا اعتمرا او مخلصة
اللون من سلم له كذا اذا خلص له لم يشب صفرتها شىء من الالوان لا شية فيها لا لمعة
فى نقبتها من لون آخر سوى الصفرة فهى صفراء كلها حتى قرنها وظلفها وهى فى الاصل مصدر

وشاه وشيا وشية اذا خلط بلونه لونا آخر ومنه ثور موشى القوائم الآن جئت بالحق
اى بحقيقة وصف البقرة وما بقى اشكال فى امرها فذبحوها اى فحصلوا البقرة الجامعة
لهذه الاوصاف كلها فذبحوها وما كادوا يفعلون استثقال لاستقصائهم واستبطاء
وانهم لتطويلهم المفرط وكثرة استكشافهم ما كادوا يذبحونها وما كادت تنتهى سؤالاتهم وما
كاد ينقطع خيط اسهابهم فيها وتعمقهم وقيل ما كادوا يذبحونها لغلاء ثمنها وقيل لخوف
الفضيحة فى ظهور القاتل وروى انه كان فى بنى اسرائيل شيخ صالح له عجلة فاتى بها
الغيضة وقال اللهم انى استودعكها لابنى حتى يكبر وكان برا بوالديه فشبت وكانت من
احسن البقر واسمنه فساوموها اليتيم وامه حتى اشتروها بملء مسكها ذهبا وكانت
البقرة اذ ذاك بثلاثة دنانير وكانوا طلبوا البقرة الموصوفة اربعين سنة
كانت البقرة التى تناولها الامر بقرة من شق البقر غير مخصوصة ثم انقلبت
مخصوصة بلون وصفات فذبحوا المخصوصة فما فعل الامر الاول قلت رجع منسوخا
لانتقال الحكم الى البقرة المخصوصة والنسخ قبل الفعل جائز على ان الخطاب كان لابهامه
متناولا لهذه البقرة الموصوفة كما تناول غيرها ولو وقع الذبح عليها بحكم الخطاب قبل
التخصيص لكان امتثالا له فكذلك اذا وقع عليها بعد التخصيص واذ قتلتم نفسا
فادارأتم فيها والله مخرج ما كنتم تكتمون فقلنا اضربوه ببعضها كذلك يحيى
الله الموتى ويريكم آياته لعلكم تعقلون واذ قتلتم نفسا خوطبت الجماعة
لوجود القتل فيهم فادارأتم فاختلفتم واختصمتم فى شأنها لان المتخاصمين يدرأ بعضهم
بعضا اى يدفعه ويزحمه او تدافعتم بمعنى طرح قتلها بعضكم على بعض فدفع المطروح
عليه الطارح او لان الطرح فى نفسه دفع او دفع بعضكم بعضا عن البراءة واتهمه والله
مخرج ما كنتم تكتمون مظهر لا محالة ما كتمتم من امر القتل لا يتركه مكتوما فان قلت
كيف اعمل مخرج وهو فى معنى المضى قد حكى ما كان مستقبلا فى وقت التدارؤ كما
حكى الحاضر فى قوله باسط ذراعيه وهذه الجملة اعتراض بين المعطوف والمعطوف
عليه وهما ادارأتم فقلنا والضمير فى اضربوه اما ان يرجع الى النفس والتذكير على تأويل
الشخص والانسان واما الى القتيل لما دل عليه من قوله ما كنتم تكتمون ببعضها ببعض
البقرة واختلف فى البعض الذى ضرب به فقيل لسانها وقيل فخذها اليمنى وقيل
عجبها وقيل العظم الذى يلى الغضروف وهو اصل الاذن وقيل الاذن وقيل البضعة بين
الكتفين والمعنى فضربوه فحيى فحذف ذلك لدلالة قوله تعالى كذلك يحيى الله الموتى
روى انهم لما ضربوه قام باذن الله واوداجه تشخب دما وقال قتلنى فلان وفلان
لابنى عمه ثم سقط ميتا فاخذا وقتلا ولم يورث قاتل بعد ذلك كذلك يحيى الله
الموتى اما ان يكون خطابا للذين حضروا حياة القتيل بمعنى وقلنا لهم كذلك يحيى الله
الموتى يوم القيامة ويريكم آياته ودلائله على انه قادر على كل شىء لعلكم تعقلون تعملون
على قضية عقولكم وان من قدر على احياء نفس واحدة قدر على احياء الانفس كلها لعدم الاختصاص
حتى لا تنكروا البعث واما ان يكون خطابا للمنكرين فى زمن محمد عليه السلام فان

قلت: هلّا جاء ابتداءً ولم شرط في إجابته ذبح البقرة وضربه ببعضها. الأسباب والشروط حِكَم وفوائد وإنما شرط ذلك لما في ذبح البقرة من التقرّب وأداء التكليف واكتساب الثواب والإشعار بحسن تقديم القربة على الطلب، وما في التشديد عليهم لتشديدهم من اللطف لهم ولآخرين في ترك التشديد والمسارعة إلى امتثال أوامر الله وارتسامها على الفور من غير تفتيش وتكثير سؤال، ونفع اليتيم بالتجارة الرابحة والدلالة على بركة البرّ بالأبوين والشفقة على الأولاد، وتجهيل الهازئ بما لا يعلم كنهه ولا يطّلع على حقيقته من كلام الحكماء. وبيان أنّ من حقّ المتقرّب إلى ربه أن يتنوّق في اختيار ما يتقرّب به، وأن يختاره فتيّ السن غير قحم ولا ضرع، حسن اللون بريًّا من العيوب يونق من ينظر إليه، وأن يغالي بثمنه كما يروى عن عمر رضي الله عنه أنه ضحّى بنجيبة بثلثمائة دينار. وأن الزيادة في الخطاب نسخ له، وأن النسخ قبل الفعل جائز وإن لم يجز قبل وقت الفعل وإمكانه لأدائه إلى البداء. وليعلم بما أمر من مسّ الميت بالميت وحصول الحياة عقيبه أن المؤثر هو المسبّب لا الأسباب، لأن الموتين الحاصلين في الجسمين لا يعقل أن يتولّد منهما حياة.

فإن قلت: فما للقصة لم تقصّ على ترتيبها وكان حقها أن يقدّم ذكر القتيل والضرب ببعض البقرة على الأمر بذبحها وأن يقال: وإذ قتلتم نفسًا فادّارأتم فيها فقلنا اذبحوا بقرة واضربوه ببعضها.

قلت: كل ما قصّ من قصص بني إسرائيل إنما قصّ تعديدًا لما وجد منهم من الجنايات وتقريعًا لهم عليها ولما جدّد فيهم من الآيات العظام، وهاتان قصتان كل واحدة منهما مستقلة بنوع من التقريع وإن كانتا متصلتين متحدتين، فالأولى لتقريعهم على الاستهزاء وترك المسارعة إلى الامتثال وما يتبع ذلك، والثانية للتقريع على قتل النفس المحرّمة وما تبعه من الآية العظيمة. وإنما قدّمت قصة الأمر بذبح البقرة على ذكر القتيل لأنه لو عمل على عكسه لكانت قصة واحدة ولذهب الغرض في تثنية التقريع. ولقد روعيت نكتة بعدما استؤنفت الثانية استئناف قصة برأسها أن وصلت بالأولى دلالة على اتحادهما بضمير البقرة لا باسمها الصريح في قوله: اضربوه ببعضها، حتى تبيّن أنهما قصتان فيما يرجع إلى التقريع وتثنيته بإخراج الثانية مخرج الاستئناف مع تأخيرها، وأنها قصة واحدة بالضمير الراجع إلى البقرة.

ثُمَّ قَسَتْ قُلُوبُكُمْ مِنْ بَعْدِ ذَلِكَ فَهِيَ كَالْحِجَارَةِ أَوْ أَشَدُّ قَسْوَةً وَإِنَّ مِنَ الْحِجَارَةِ لَمَا يَتَفَجَّرُ مِنْهُ الْأَنْهَارُ وَإِنَّ مِنْهَا لَمَا يَشَّقَّقُ فَيَخْرُجُ مِنْهُ الْمَاءُ وَإِنَّ مِنْهَا لَمَا يَهْبِطُ مِنْ خَشْيَةِ اللَّهِ وَمَا اللَّهُ بِغَافِلٍ عَمَّا تَعْمَلُونَ

معنى ثم قست: استبعاد القسوة من بعد ما ذكر مما يوجب لين القلوب ورقتها. **ونحوه**: ثم أنتم تمترون. وصفة القلوب بالقسوة والغلظ مثل لنبوّها عن الاعتبار، وأن المواعظ لا تؤثر فيها. وذلك إشارة إلى إحياء القتيل أو إلى جميع ما تقدم من الآيات المعدودة. فهي كالحجارة فهي في قسوتها مثل الحجارة، أو أشد قسوة منها. وأشدّ معطوف على الكاف إما على معنى: أو مثل أشد قسوة، فحذف المضاف وأقيم المضاف إليه مقامه، وتعضده قراءة الأعمش بنصب الدال عطفًا على الحجارة. وإما على: أو هي في أنفسها أشد قسوة. والمعنى أن من عرف حالها شبّهها بالحجارة أو بجوهر أقسى منها وهو الحديد مثلًا، أو من عرفها شبّهها بالحجارة أو قال هي أقسى من الحجارة.

فإن قلت: لِمَ قيل أشد قسوة وفعل القسوة مما يخرج منه أفعل التفضيل وفعل التعجب؟ لكونه أبين وأدلّ على فرط القسوة. ووجه

آخر وهو أن لا يقصد معنى الأقسى ولكن قصد وصف القسوة بالشدة كأنه قيل: اشتدت قسوة الحجارة وقلوبهم أشد قسوة. **وقرئ**: قساوة. وترك ضمير المفضّل عليه لعدم الالتباس كقولك: زيد كريم وعمرو أكرم. وقوله: وإن من الحجارة بيان لفضل قلوبهم على الحجارة في شدة القسوة وتقرير لقوله: أو أشد قسوة. وإن بالتخفيف وهي إن المخففة من الثقيلة التي تلزمها اللام الفارقة، ومنها قوله: وإن كل لما جميع لدينا محضرون. والتفجّر: التفتّح بالسعة والكثرة. **وقرأ** مالك بن دينار: ينفجر. يشقق: يتشقق، وبه قرأ الأعمش. والمعنى أن من الحجارة ما فيه خروق واسعة يتدفق منها الماء الكثير الغزير، ومنها ما ينشق انشقاقًا بالطول أو بالعرض فينبع منه الماء أيضًا. يهبط: يتردّى من أعلى الجبل. **وقرئ**: يهبُط بضم الباء. والخشية مجاز عن انقيادها لأمر الله وأنها لا تمتنع على ما يريد فيها، وقلوب هؤلاء لا تنقاد ولا تفعل ما أمرت به. **وقرئ**: يعملون بالياء والتاء، وهو وعيد.

أَفَتَطْمَعُونَ أَنْ يُؤْمِنُوا لَكُمْ وَقَدْ كَانَ فَرِيقٌ مِنْهُمْ يَسْمَعُونَ كَلَامَ اللَّهِ ثُمَّ يُحَرِّفُونَهُ مِنْ بَعْدِ مَا عَقَلُوهُ وَهُمْ يَعْلَمُونَ

أفتطمعون: الخطاب لرسول الله صلى الله عليه وسلم والمؤمنين. أن يؤمنوا لكم: أن يحدثوا الإيمان لأجل دعوتكم ويستجيبوا لكم، كقوله: فآمن له لوط. يعني اليهود. وقد كان فريق منهم طائفة ممن سلف منهم يسمعون كلام الله وهو ما يتلونه من التوراة ثم يحرفونه كما حرفوا صفة رسول الله وآية الرجم. وقيل: كان قوم من السبعين المختارين سمعوا كلام الله حين كلم موسى بالطور وما أمر به ونهى، ثم قالوا: سمعنا الله يقول في آخره: إن استطعتم أن تفعلوا هذه الأشياء فافعلوا، وإن شئتم فلا تفعلوا ولا بأس. **وقرئ**: كلم الله. من بعد ما عقلوه من بعد ما فهموه وضبطوه بعقولهم ولم تبق لهم شبهة في صحته، وهم يعلمون أنهم كاذبون مفترون. والمعنى: إن كفر هؤلاء وحرّفوا التوراة فلهم سابقة في ذلك.

وَإِذَا لَقُوا الَّذِينَ آمَنُوا قَالُوا آمَنَّا وَإِذَا خَلَا بَعْضُهُمْ إِلَى بَعْضٍ قَالُوا أَتُحَدِّثُونَهُمْ بِمَا فَتَحَ اللَّهُ عَلَيْكُمْ لِيُحَاجُّوكُمْ بِهِ عِنْدَ رَبِّكُمْ أَفَلَا تَعْقِلُونَ

وإذا لقوا يعني اليهود قالوا، قال منافقوهم: آمنا بأنكم على الحق وأن محمدًا هو الرسول المبشّر به. وإذا خلا بعضهم الذين لم ينافقوا إلى بعض الذين نافقوا قالوا عاتبين عليهم: أتحدثونهم، إنكارًا أن يحدثوا المؤمنين بما فتح الله عليهم في كتابهم، فينافقون المؤمنين، وبما يفتنون اليهود. ليحاجوكم به عند ربكم: ليحتجوا عليكم بما أنزل ربكم في كتابه، جعلوا محاجتهم به وقولهم هو في كتابكم هكذا محاجة عند الله. ألا تراك تقول: هو في كتاب الله هكذا، وهو عند الله هكذا، بمعنى واحد.

أَوَلَا يَعْلَمُونَ أَنَّ اللَّهَ يَعْلَمُ مَا يُسِرُّونَ وَمَا يُعْلِنُونَ ۝ وَمِنْهُمْ أُمِّيُّونَ لَا يَعْلَمُونَ الْكِتَابَ إِلَّا أَمَانِيَّ وَإِنْ هُمْ إِلَّا يَظُنُّونَ

يعلم جميع ما يسرون وما يعلنون، ومن ذلك إسرارهم الكفر وإعلانهم الإيمان. ومنهم أميّون لا يحسنون الكتب فيطالعوا التوراة ويتحققوا ما فيها. لا يعلمون الكتاب التوراة. إلا أماني: إلا ما هم عليه من أمانيهم، وأن الله يعفو عنهم ويرحمهم ولا يؤاخذهم بخطاياهم، وأن آباءهم الأنبياء يشفعون لهم، وما تمنّيهم أحبارهم من أن النار لا تمسّهم إلا أيامًا معدودة. وقيل: إلا أكاذيب مختلقة سمعوها من علمائهم فتقبّلوها على التقليد. قال أعرابي لابن دأب في شيء حدّث به: أهذا شيء رويته

ام تمنيته اى اختلقته وقيل الاما يقرؤن من قوله تمنى كتاب الله اول ليلة والاشتقاق
من منى اذا قدر لان المتمنى يقدر فى نفسه ويحزر ما يتمناه وكذلك المختلق والقارى يقدر
ان الكلمة كذا بعد كذا والا امانى من الاستثنا المنقطع وقرئ امانى بالتخفيف ذكر
العلما الذين عاندوا بالتحريف مع العلم والاستيقان ثم العوام الذين قلدوهم ونبه على
انهم فى الضلال سوا لان العالم عليه ان يعمل بعلمه وعلى العامى ان لا يرضى بالتقليد والظن
وهو متمكن من العلم فويل للذين يكتبون الكتاب بايديهم ثم يقولون هذا من عند
الله ليشتروا به ثمنا قليلا فويل لهم مما كتبت ايديهم وويل لهم مما يكسبون وقالوا
لن تمسنا النار الا اياما معدودة قل اتخذتم عند الله عهدا فلن يخلف الله عهده
ام تقولون على الله ما لا تعلمون يكتبون الكتاب المحرف بايديهم تاكيد وهو من مجاز
التاكيد كما تقول لمن ينكر معرفة ما كتبه يا هذا كتبته بيمينك هذه مما يكسبون من الرشى
اياما معدودة اربعين يوما عدد ايام عبادة العجل وعن مجاهد كانوا يقولون مدة
الدنيا سبعة الاف سنة وانما نعذب مكان كل الف سنة يوما فلن يخلف متعلق بمحذوف
تقديره ان اتخذتم عند الله عهدا فلن يخلف الله عهده وام اما ان تكون معادلة بمعنى
اى الامرين كائن على سبيل التقرير لان العلم واقع بكون احدهما ويجوز ان تكون
منقطعة بلى من كسب سيئة واحاطت به خطيئته فاولئك اصحاب النار هم فيها خالدون و
والذين امنوا وعملوا الصالحات اولئك اصحاب الجنة هم فيها خالدون بلى
اثبات لما بعد حرف النفى وهو قوله لن تمسنا النار اى بلى تمسكم ابدا بدليل قوله هم فيها
خالدون من كسب سيئة من السيات اى كبيرة من الكبائر واحاطت به خطيئته تلك
واستولت عليه كما يحيط العدو ولم يتفص عنها بالتوبة وقرئ خطاياه وخطياته
وقيل فى الاحاطة كان ذنبه اغلب من طاعته وسال رجل الحسن فقال سبحان الله الا
اراك ذا لحية وما تدرى ما الخطيئة انظر فى المصحف فكل اية نهى الله فيها عنها واخبرك انه
من عمل بها ادخله النار فهى الخطيئة المحيطة واذ اخذنا ميثاق بنى اسرائيل لا تعبدون
الا الله وبالوالدين احسانا وذى القربى واليتامى والمساكين وقولوا للناس
حسنا واقيموا الصلوة واتوا الزكوة ثم توليتم الا قليلا منكم وانتم معرضون
لا تعبدون اخبار فى معنى النهى كما تقول تذهب الى فلان تقول له كذا تريد الامر وهو
ابلغ من صريح الامر والنهى لانه كانه سورع الى الامتثال والانتهاء فهو يخبر عنه وتنصره
قراة عبد الله وابى لا تعبدوا ولا بد من ارادة القول ويدل عليه ايضا قوله وقولوا وقوله
وبالوالدين احسانا اما ان يقدر وتحسنون بالوالدين او واحسنوا وقيل هو جواب قوله
اخذنا ميثاق بنى اسرائيل اجراه مجرى القسم كانه قيل واذ اقسمنا عليهم لا تعبدون وقيل
معناه ان لا تعبدوا فلما حذفت ان رفع كقوله الا ايهذا الزاجرى احضر الوغى ويدل
عليه قراة عبد الله ان لا تعبدوا ويحتمل ان لا تعبدوا ان تكون ان فيه مفسرة وان تكون
ان مع الفعل بدلا عن الميثاق كانه قيل اخذنا ميثاق بنى اسرائيل توحيدهم وقرئ
بالتاء حكاية لما خوطبوا به وبالياء لانهم غيب حسنا قولا هو حسن فى نفسه لافراط حسنه

وقرئ حسنا وحسنى على المصدر كبشرى ثم توليتم على طريقة الالتفات اى توليتم
عن الميثاق ورفضتموه الا قليلا منكم قيل هم الذين اسلموا منهم وانتم معرضون وانتم
قوم عادتكم الاعراض عن المواثيق والتولية واذ اخذنا ميثاقكم لا تسفكون دماءكم
ولا تخرجون انفسكم من دياركم ثم اقررتم وانتم تشهدون لا تسفكون دماءكم
ولا تخرجون انفسكم لا يفعل ذلك بعضكم ببعض جعل غير الرجل نفسه اذا اتصل
به اصلا او دينا وقيل اذا قتل غيره فكانما قتل نفسه لانه يقتص منه ثم اقررتم
بالميثاق واعترفتم على انفسكم بلزومه وانتم تشهدون عليها كقولك فلان مقر
على نفسه بكذا شاهد عليها وقيل وانتم تشهدون اليوم يا معشر اليهود على اقرار
اسلافكم بهذا الميثاق ثم انتم هؤلاء تقتلون انفسكم وتخرجون فريقا منكم من ديارهم
تظاهرون عليهم بالاثم والعدوان وان ياتوكم اسارى تفدوهم وهو محرم
عليكم اخراجهم افتؤمنون ببعض الكتاب وتكفرون ببعض فما جزاء من
يفعل ذلك منكم الا خزى فى الحيوة الدنيا ويوم القيامة يردون الى اشد
العذاب وما الله بغافل عما تعملون اولئك الذين اشتروا الحيوة الدنيا
بالاخرة فلا يخفف عنهم العذاب ولا هم ينصرون ثم انتم هؤلاء استبعاد لما
اسند اليهم من القتل والاجلاء والعدوان بعد اخذ الميثاق منهم واقرارهم وشهادتهم
والمعنى ثم انتم بعد ذلك هؤلاء المشاهدون يعنى انكم قوم اخرون غير اولئك المقرين
تنزيلا لتغير الصفة منزلة تغير الذات كما تقول رجعت بغير الوجه الذى خرجت به
وقوله تقتلون بيان لقوله ثم انتم هؤلاء وقيل هؤلاء موصول بمعنى الذين وقرئ
تظاهرون بحذف التاء وادغامها وتتظاهرون باثباتها وتظهرون بمعنى تتظهرون
اى تتعاونون عليهم وقرئ تفدوهم وتفادوهم واسرى واسارى وهو ضمير
الشان ويجوز ان يكون مبهما تفسيره اخراجهم افتؤمنون ببعض الكتاب اى بالفداء
وتكفرون ببعض اى بالقتال والاجلاء وذلك ان قريظة كانوا حلفاء الاوس والنضير
حلفاء الخزرج فكان كل فريق يقاتل مع حلفائه واذا غلبوا خربوا ديارهم واخرجوهم
واذا اسر رجل من الفريقين جمعوا له حتى يفدوه فعيرتهم العرب وقالت كيف
تقاتلونهم ثم تفدونهم فيقولون امرنا ان نفديهم وحرم علينا قتالهم ولكنا نستحيى
ان نذل حلفاءنا والخزى قتل بنى قريظة واسرهم واجلاء بنى النضير وقيل الجزية وانما
رد من فعل منهم ذلك الى اشد العذاب لان عصيانه اشد وقرئ يردون وتعملون
بالياء والتاء فلا يخفف عنهم عذاب الدنيا بنقصان الجزية ولا ينصرهم احد بالدفع عنهم
وكذلك عذاب الاخرة ولقد اتينا موسى الكتاب وقفينا من بعده بالرسل واتينا
عيسى ابن مريم البينات وايدناه بروح القدس افكلما جاءكم رسول بما لا تهوى
انفسكم استكبرتم ففريقا كذبتم وفريقا تقتلون الكتاب التورية اتاه
اياها جملة واحدة ويقال قفاه اذا اتبعه من القفا نحو ذنبه من الذنب وقفاه به اتبعه
اياه يعنى وارسلنا على اثره الكثير من الرسل كقوله ثم ارسلنا رسلنا تترى وهم يوشع

واشمويل وشمعون وداود وسليمان وشعيا وارميا وعزير وحزقيل والياس واليسع ويونس وزكريا ويحيى وغيرهم صلوات الله عليهم اجمعين وقيل عيسى بالسريانية ايشوع ومريم بمعنى الخادم وقيل مريم بالعربية من النساء كالزير من الرجال وبه فسر قول رؤبة قلت لزير لم تصله مريمه ووزن مريم عند النحويين مفعل لان فعيلا بفتح الفاء لم يثبت في الابنية كما ثبت نحو عثير وعليب البينات المعجزات الواضحات والحجج كاحياء الموتى وابراء الاكمه والابرص والاخبار بالمغيبات وايدناه ومنه آجده بالجيم اذا قواه يقال الحمد لله الذي آجدني بعد ضعف واوجدني بعد فقر بروح القدس بالروح المقدسة كما تقول حاتم الجود ورجل صدق ووصفها بالقدس كما قال وروح منه فوصفه بالاختصاص والتقريب للكرامة وقيل لانه لم تضمه الاصلاب ولا ارحام الطوامث وقيل جبريل وقيل بالانجيل كما قال في القران وروحا من امرنا وقيل باسم الله الاعظم الذي كان يحيي الموتى بذكره والمعنى ولقد آتينا يا بني اسرائيل انبياءكم ما آتيناهم فكلما جاءكم رسول منهم بالحق استكبرتم عن الايمان به فوسط بين الفاء وما تعلقت به همزة التوبيخ والتعجيب من شانهم ويجوز ان يريد ولقد آتيناهم ما آتيناهم ففعلتم ما فعلتم ثم وبخهم على ذلك ودخول الفاء لعطفه على المقدر **فان قلت** هلا قيل وفريقا قتلتم **قلت** هو على وجهين ان يراد الحال الماضية لان الامر فظيع فاريد استحضاره في النفوس وتصويره في القلوب وان يراد وفريقا تقتلونهم بعد لانكم حول قتل محمد عليه السلام لولا اني اعصمه منكم ولذلك سحرتموه وسممتم له الشاة وقال عليه السلام عند موته ما زالت اكلة خيبر تعاودني فهذا اوان قطعت ابهري **وقالوا قلوبنا غلف بل لعنهم الله بكفرهم فقليلا ما يؤمنون** غلف جمع اغلف اي هي خلقة وجبلة مغشاة باغطية لا يتوصل اليها ما جاء به محمد ولا تفقهه مستعار من الاغلف الذي لم يختن كقولهم قلوبنا في اكنة مما تدعونا اليه ثم رد الله ان تكون قلوبهم مخلوقة كذلك لانها خلقت على الفطرة والتمكن من قبول الحق بان الله لعنهم وخذلهم بسبب كفرهم فهم الذين غلفوا قلوبهم بما احدثوا من الكفر الزائغ عن الفطرة وتسببوا بذلك لمنع الالطاف التي تكون للمتوقع ايمانهم وللمؤمنين فقليلا ما يؤمنون فايمانا قليلا يؤمنون وما مزيدة وهو ايمانهم ببعض الكتاب ويجوز ان تكون القلة بمعنى العدم وقيل غلف تخفيف غلف جمع غلاف اي قلوبنا اوعية للعلم فنحن مستغنون بما عندنا عن غيره وروي عن ابي عمرو قلوبنا غلف بضمتين **ولما جاءهم كتاب من عند الله مصدق لما معهم وكانوا من قبل يستفتحون على الذين كفروا فلما جاءهم ما عرفوا كفروا به فلعنة الله على الكافرين** كتاب من عند الله هو القرآن مصدق لما معهم من كتابهم لا يخالفه **وقرئ** مصدقا على الحال **فان قلت** كيف جاز نصبها عن النكرة **قلت** اذا وصف النكرة تخصص فصح انتصاب الحال عنه وقد وصف كتاب بقوله من عند الله وجواب لما محذوف وهو كذبوا به واستهانوا بمجيئه وما اشبه ذلك يستفتحون على الذين كفروا يستنصرون على المشركين اذا قاتلوهم قالوا اللهم انصرنا

بالنبي المبعوث في آخر الزمان الذي نجد نعته وصفته في التورية ويقولون لاعدائهم من المشركين قد اظل زمان نبي يخرج بتصديق ما قلنا فنقتلكم معه قتل عاد وارم وقيل معنى يستفتحون يفتحون عليهم ويعرفونهم ان نبيا يبعث منهم قد قرب اوانه والسين للمبالغة اي يسألون انفسهم الفتح عليهم كالسين في استعجب واستسخر او يسأل بعضهم بعضا ان يفتح عليهم فلما جاءهم ما عرفوا من الحق كفروا به بغيا وحسدا وحرصا على الرياسة على الكافرين اي عليهم وضعا للظاهر موضع المضمر للدلالة على ان اللعنة لحقتهم لكفرهم واللام للعهد ويجوز ان يكون للجنس ويدخلوا فيه دخولا اوليا **بئسما اشتروا به انفسهم ان يكفروا بما انزل الله بغيا ان ينزل الله من فضله على من يشاء من عباده فباءوا بغضب على غضب وللكافرين عذاب مهين** ما نكرة منصوبة مفسرة لفاعل بئس بمعنى بئس شيئا اشتروا به انفسهم والمخصوص بالذم ان يكفروا واشتروا بمعنى باعوا بغيا حسدا وطلبا لما ليس لهم وهو علة اشتروا ان ينزل لان ينزل او على ان ينزل اي حسدوه على ان ينزل الله من فضله الذي هو الوحي على من يشاء وتقتضي حكمته ارساله فباءوا بغضب على غضب فصاروا احقاء بغضب مترادف لانهم كفروا بنبي الحق وبغوا عليه وقيل كفروا بمحمد بعد عيسى عليهما السلام وقيل بعد قولهم عزير ابن الله وقولهم يد الله مغلولة وغير ذلك من انواع كفرهم **واذا قيل لهم آمنوا بما انزل الله قالوا نؤمن بما انزل علينا ويكفرون بما وراءه وهو الحق مصدقا لما معهم قل فلم تقتلون انبياء الله من قبل ان كنتم مؤمنين ولقد جاءكم موسى بالبينات ثم اتخذتم العجل من بعده وانتم ظالمون** بما انزل الله مطلق فيما انزل الله من كل كتاب قالوا نؤمن بما انزل علينا مقيد بالتورية ويكفرون بما وراءه اي قالوا ذلك والحال انهم يكفرون بما وراء التورية وهو الحق مصدقا لما معهم منها غير مخالف له وفيه رد لمقالتهم لانهم اذا كفروا بما يوافق التورية فقد كفروا بها ثم اعترض عليهم بقتلهم الانبياء مع ادعائهم الايمان بالتورية والتورية لا تسوغ قتل الانبياء وانتم ظالمون يجوز ان يكون حالا اي عبدتم العجل وانتم واضعون العبادة غير موضعها وان يكون اعتراضا بمعنى وانتم قوم عادتكم الظلم **واذ اخذنا ميثاقكم ورفعنا فوقكم الطور خذوا ما آتيناكم بقوة واسمعوا قالوا سمعنا وعصينا واشربوا في قلوبهم العجل بكفرهم قل بئسما يامركم به ايمانكم ان كنتم مؤمنين** وكرر رفع الطور لما نيط به من زيادة ليست مع الاولى مع ما فيه من التوكيد واسمعوا ما امرتم به في التورية قالوا سمعنا قولك وعصينا امرك **فان قلت** فكيف طابق قوله جوابهم طابقه من حيث انه قال لهم اسمعوا وليكن سماعكم سماع تقبل وطاعة فقالوا سمعنا ولكن لا سماع طاعة واشربوا في قلوبهم العجل اي تداخلهم حبه والحرص على عبادته كما يتداخل الثوب الصبغ وقوله في قلوبهم بيان لمكان الاشراب كقوله انما ياكلون في بطونهم نارا بكفرهم بسبب كفرهم بئسما يامركم به ايمانكم بالتورية لانه ليس في التورية عبادة العجاجيل واضافة الامر الى ايمانهم تهكم **كقوله** قوم شعيب اصلواتك تامرك ان نترك

وكذلك اضافة الايمان اليهم وقوله ان كنتم مؤمنين تشكيك في ايمانهم وقدح في صحة دعواهم له **قل ان كانت لكم الدار الآخرة عند الله خالصة من دون الناس فتمنوا الموت ان كنتم صادقين ولن يتمنوه ابدا بما قدمت ايديهم والله عليم بالظالمين** خالصة نصب على الحال من الدار الآخرة والمراد الجنة اي سالمة لكم خاصة بكم ليس لاحد سواكم فيها حق يعني ان صح قولكم لن يدخل الجنة الا من كان هودا او نصارى واللام للجنس وقيل للعهد وهم المسلمون فتمنوا الموت لان من ايقن انه من اهل الجنة اشتاق اليها وتمنى سرعة الوصول الى النعيم والتخلص من الدار ذات الشوائب كما روي عن المبشرين بالجنة ما روي كان علي رضي الله عنه يطوف بين الصفين في غلالة فقال له ابنه الحسن رضي الله عنه ما هذا بزي المحاربين فقال يا بني لا يبالي ابوك على الموت سقط ام عليه الموت سقط **وعن** حذيفة انه كان يتمنى الموت فلما احتضر قال حبيب جاء على فاقة لا افلح من ندم يعني على التمني وقال عمار بصفين الآن الاقي الاحبة محمدا وحزبه وكان كل واحد من العشرة يحب الموت ويحن اليه وعن رسول الله صلى الله عليه وسلم لو تمنوا الموت لغص كل انسان بريقه فمات مكانه وما بقي على وجه الارض يهودي بما قدمت ايديهم بما اسلفوا من موجبات النار من الكفر بمحمد عليه السلام وما جاء به وتحريف كتاب الله وسائر انواع الكفر والعصيان وقوله ولن يتمنوه ابدا من المعجزات لانه اخبار بالغيب وكان كما اخبر به كقوله تعالى ولن تفعلوا **فان قلت** ما ادراك انهم لم يتمنوا لانهم لو تمنوا لنقل ذلك كما نقل سائر الحوادث ولكان ناقلوه من اهل الكتاب وغيرهم من اولي المطاعن في الاسلام اكثر من الذر وليس منهم احد نقل ذلك التمني من اعمال القلوب وهو سر لا يطلع عليه احد فمن اين علمت انهم لم يتمنوا **قلت** ليس التمني من اعمال القلوب انما هو قول الانسان بلسانه ليت لي كذا فاذا قاله قالوا تمنى وليت كلمة التمني ومحال ان يقع التحدي بما في القلوب والضمائر ولو كان التمني بالقلوب وتمنوا لقالوا قد تمنينا الموت في قلوبنا ولم ينقل انهم قالوا ذلك لم يقولوه لانهم علموا انهم لا يصدقون **قلت** كم حكي عنهم من اشياء قاولوا بها المسلمين من افترائهم على الله وتحريف كتابه وغير ذلك مما علموا انهم غير مصدقين فيه وما لا محمل له الا الكذب البحت ولم يبالوا فكيف يمتنعون من ان يقولوا ان التمني من افعال القلوب وقد فعلناه مع احتمال ان يكونوا صادقين في قولهم واخبارهم عن ضمائرهم وكان الرجل يخبر عن نفسه بالايمان فيصدق مع احتمال ان يكون كاذبا لانه امر خاف لا سبيل الى الاطلاع عليه والله عليم بالظالمين تهديد لهم **ولتجدنهم احرص الناس على حيوة ومن الذين اشركوا يود احدهم لو يعمر الف سنة وما هو بمزحزحه من العذاب ان يعمر والله بصير بما يعملون** هو من وجد بمعنى علم المتعدي الى مفعولين في قولهم وجدت زيدا ذا الحفاظ ومفعولاه هم احرص **فان قلت** لم قال على حيوة بالتنكير لانه اراد حيوة مخصوصة وهي الحيوة المتطاولة ولذلك كانت القراءة بها اوقع من قراءة ابي على الحيوة ومن الذين اشركوا محمول على المعنى لان معنى احرص الناس احرص من

الناس **فان قلت** الم يدخل الذين اشركوا تحت الناس بلى ولكنهم افردوا بالذكر لان حرصهم شديد ويجوز ان يراد واحرص من الذين اشركوا فحذف لدلالة احرص الناس عليه وفيه توبيخ عظيم لان الذين اشركوا لا يؤمنون بعاقبة وما يعرفون الا الحيوة الدنيا فحرصهم عليها لا يستبعد لانها جنتهم فاذا زاد عليهم في الحرص من له كتاب وهو مقر بالجزاء كان حقيقا باعظم التوبيخ **فان قلت** لم زاد حرصهم على حرص المشركين لانهم علموا لعلمهم بحالهم انهم صائرون الى النار لا محالة والمشركون لا يعلمون ذلك وقيل اراد بالذين اشركوا المجوس لانهم كانوا يقولون لملوكهم عش الف نيروز والف مهرجان **وعن** ابن عباس رضي الله عنهما هو قول الاعاجم زي هزار سال وقيل ومن الذين اشركوا كلام مبتدأ اي ومنهم ناس يود احدهم على حذف الموصوف والذين اشركوا على هذا مشار به الى اليهود لانهم قالوا عزير ابن الله والضمير في وما هو لاحدهم وان يعمر فاعل بمزحزحه اي وما احدهم بمن يزحزحه من النار تعميره وقيل الضمير لما دل عليه يعمر من مصدره وان يعمر بدل منه ويجوز ان يكون هو مبهما وان يعمر موضحه والزحزحة التبعيد والانجاء **فان قلت** يود احدهم ما موقعه هو بيان لزيادة حرصهم على طريق الاستئناف كيف اتصل لو يعمر بيود احدهم **قلت** هي حكاية لودادتهم ولو في معنى التمني وكان القياس لو اعمر الا انه جرى على لفظ الغيبة لقوله يود احدهم كقولك حلف بالله ليفعلن **قل من كان عدوا لجبريل فانه نزله على قلبك باذن الله مصدقا لما بين يديه وهدى وبشرى للمؤمنين من كان عدوا لله وملائكته ورسله وجبريل وميكال فان الله عدو للكافرين** **روي** ان عبد الله بن صوريا من احبار فدك حاج رسول الله صلى الله عليه وسلم وسأله عمن يهبط عليه بالوحي فقال جبريل عليه السلام فقال ذاك عدونا ولو كان غيره لآمنا بك وقد عادانا مرارا واشدها انه انزل على نبينا ان بيت المقدس سيخربه بخت نصر فبعثنا من يقتله فلقيه ببابل غلاما مسكينا فدفع عنه جبريل عليه السلام وقال ان كان ربكم امره بهلاككم فانه لا يسلطكم عليه وان لم يكن اياه فعلى اي حق تقتلونه وقيل امره الله ان يجعل النبوة فينا فجعلها في غيرنا **وروي** انه كان لعمر رضي الله عنه ارض باعلى المدينة وكان ممره على مدارس اليهود وكان يجلس اليهم ويسمع كلامهم فقالوا يا عمر قد احببناك وانا لنطمع فيك فقال والله ما اجيئكم لحبكم ولا اسألكم لاني شاك في ديني وانما ادخل عليكم لازداد بصيرة في امر محمد صلى الله عليه وسلم وارى آثاره في كتابكم ثم سألهم عن جبريل فقالوا ذاك عدونا يطلع محمدا على اسرارنا وهو صاحب كل خسف وعذاب وان ميكائيل يجيء بالخصب والسلام فقال لهم وما منزلتهما من الله قالوا اقرب منزلة جبريل عن يمينه وميكائيل عن يساره وميكائيل عدو لجبريل فقال عمر رضي الله عنه لئن كانا كما تقولون فما هما بعدوين ولانتم اكفر من الحمير ومن كان عدوا لاحدهما كان عدوا للآخر ومن كان عدوا لهما كان عدوا لله ثم رجع عمر رضي الله عنه فوجد جبريل عليه السلام قد سبقه بالوحي فقال

النبي عليه السلام لقد وافقك ربك يا عمر فقال عمر لقد رأيتني في دين الله بعد ذلك أصلب من
الحجر **وقرئ** جبرئيل بوزن قفشليل وجبرئل بحذف الياء وجبريل بحذف الهمزة وجبريل
بوزن قنديل وجبرال بلام مشددة وجبرائيل بوزن جبراعيل وجبرائل بوزن
جبراعل ومنع الصرف فيه للتعريف والعجمة وقيل معناه عبد الله الضمير في نزله
للقرآن ونحو هذا الإضمار أعني إضمار ما لم يسبق ذكره فيه فخامة لشأن صاحبه حيث
يجعل لفرط شهرته كأنه يدل على نفسه ويكتفي عن اسمه الصريح بذكر شيء من صفاته على قلبك
أي حفظه إياك وفهمكه بإذن الله بتيسيره وتسهيله **فإن قلت** كان حق الكلام
أن يقال على قلبي قلت جاءت على حكاية كلام الله كما تكلم به كأنه قيل قل ما تكلمت به
من قولي من كان عدوا لجبريل فإنه نزله على قلبك كيف استقام قوله
فإنه نزله جزاء للشرط **قلت** فيه وجهان أحدهما أن عادى جبريل أحد من أهل الكتاب
فلا وجه لمعاداته حيث نزل كتابا مصدقا للكتب بين يديه فلو أنصفوا لأحبوه وشكروا له
صنيعه في إنزاله ما ينفعهم ويصحح المنزل عليهم والثاني إن عاداه أحد فالسبب في
عداوته أنه نزل عليك القرآن مصدقا لكتابهم وموافقا له وهم كارهون للقرآن ولموافقته
لكتابهم ولذلك كانوا يحرفونه ويجحدون موافقته له كقولك إن عاداك فلان فقد
آذيته وأسأت إليه أفرد الملكان بالذكر لفضلهما كأنهما من جنس آخر وهو مما ذكر أن
التغاير في الوصف ينزل منزلة التغاير في الذات ميكال بوزن قنطار
وميكائيل كميكاعيل وميكائل كميكاعل وميكئل كميكعل وميكئيل كميكعيل قال ابن جني
العرب إذا نطقت بالأعجمي خلطت فيه عدو للكافرين أراد عدو لهم فجاء بالظاهر ليدل
على أن الله إنما عاداهم لكفرهم وأن عداوة الملائكة كفر وإذا كانت عداوة الأنبياء كفرا
فما بال الملائكة وهم أشرف والمعنى من عاداهم عاداه الله وعاقبه أشد العقاب **ولقد**
أنزلنا إليك آيات بينات وما يكفر بها إلا الفاسقون أوكلما عاهدوا عهدا نبذه
فريق منهم بل أكثرهم لا يؤمنون إلا الفاسقون إلا المتمردون من الكفرة
وعن الحسن إذا استعمل الفسق في نوع من المعاصي وقع على أعظم ذلك النوع من كفر وغيره
ابن عباس قال ابن صوريا لرسول الله صلى الله عليه وسلم ما جئتنا بشيء نعرفه وما
أنزل عليك من آية فنتبعك بها فنزلت واللام في الفاسقون للجنس والأحسن أن تكون
إشارة إلى أهل الكتاب أوكلما الواو للعطف على محذوف معناه أكفروا بالآيات
البينات وكلما عاهدوا **وقرأ** أبو السمال بسكون الواو على أن الفاسقون بمعنى الذين
فسقوا فكأنه قيل وما يكفر بها إلا الذين فسقوا أو نقضوا عهد الله مرارا كثيرة وقرئ
عوهدوا وعهدوا واليهود موسومون بالغدر ونقض العهود وكم أخذ الله الميثاق
منهم ومن آبائهم فنقضوا وكم عاهدوا رسول الله فلم يفوا الذين عاهدت منهم ثم
ينقضون عهدهم في كل مرة والنبذ الرمي بالذمام ورفضه عبد الله نقضه
فريق منهم وقال فريق منهم لأن منهم من لم ينقض بل أكثرهم لا يؤمنون بالتوراة
وليسوا من الدين في شيء فلا يعدون نقض المواثيق ذنبا ولا يبالون به **ولما جاءهم رسول**

من عند الله مصدق لما معهم نبذ فريق من الذين أوتوا الكتاب كتاب الله
وراء ظهورهم كأنهم لا يعلمون كتاب الله يعني التوراة لأنهم بكفرهم برسول الله المصدق
لما معهم كافرون بها نابذون لها وقيل كتاب الله القرآن نبذوه بعد ما لزمهم تلقيه
بالقبول كأنهم لا يعلمون أنه كتاب الله لا يداخلهم فيه شك يعني أن علمهم بذلك رصين
ولكنهم كابروا وعاندوا ونبذوه وراء ظهورهم مثل لتركهم وإعراضهم عنه مثل ما يرمى
به وراء الظهر استغناء عنه وقلة التفات إليه **وعن** الشعبي هو بين أيديهم يقرؤونه
ولكنهم نبذوا العمل به وعن سفيان أدرجوه في الديباج والحرير وحلوه بالذهب
ولم يحلوا حلاله ولم يحرموا حرامه **واتبعوا ما تتلو الشياطين على ملك سليمان**
وما كفر سليمان ولكن الشياطين كفروا يعلمون الناس السحر وما أنزل على الملكين
ببابل هاروت وماروت وما يعلمان من أحد حتى يقولا إنما نحن فتنة فلا تكفر فيتعلمون
منهما ما يفرقون به بين المرء وزوجه وما هم بضارين به من أحد إلا بإذن الله ويتعلمون
ما يضرهم ولا ينفعهم ولقد علموا لمن اشتراه ما له في الآخرة من خلاق ولبئس ما
شروا به أنفسهم لو كانوا يعلمون واتبعوا أي نبذوا كتاب الله واتبعوا ما تتلو الشياطين
يعني واتبعوا كتب السحر والشعوذة التي كانت تقرؤها على ملك سليمان أي على عهد ملكه
وفي زمانه وذلك أن الشياطين كانوا يسترقون السمع ثم يضمون إلى ما سمعوا أكاذيب
يلفقونها ويلقونها إلى الكهنة وقد دونوها في الكتب يقرؤونها ويعلمونها الناس
وفشا ذلك في زمن سليمان حتى قالوا إن الجن تعلم الغيب وكانوا يقولون هذا علم سليمان
وما تم لسليمان ملكه إلا بهذا العلم وبه تسخر الجن والإنس والريح التي تجري بأمره وما كفر
سليمان تكذيب للشياطين ودفع لما بهتت به سليمان من اعتقاد السحر والعمل به وسماه كفرا
ولكن الشياطين هم الذين كفروا باستعمال السحر وتدوينه يعلمون الناس السحر يقصدون
به إغواءهم وإضلالهم وما أنزل على الملكين عطف على السحر أي ويعلمونهم ما أنزل على
الملكين وقيل هو عطف على ما تتلوا أي واتبعوا ما أنزل وهاروت وماروت عطف بيان
للملكين علمان لهما والذي أنزل عليهما هو علم السحر ابتلاء من الله للناس من تعلمه منهم وعمل
به كان كافرا ومن تجنبه أو تعلمه لا ليعمل به ولكن ليتوقاه ولئلا يغتر به كان مؤمنا
عرفت الشر لا للشر لكن لتوقيه كما ابتلى قوم طالوت بالنهر فمن شرب منه
فليس مني ومن لم يطعمه فإنه مني الحسن على الملكين بكسر اللام على أن المنزل
عليهما علم السحر كانا ملكين ببابل وما يعلم الملكان أحدا حتى ينبهاه وينصحاه ويقولا له إنما
نحن فتنة أي ابتلاء واختبار من الله فلا تكفر فلا تتعلم معتقدا أنه حق فتكفر فيتعلمون
الضمير لما دل عليه من أحد أي فيتعلم الناس من الملكين ما يفرقون به بين المرء وزوجه أي علم
السحر الذي يكون سببا في التفريق بين الزوجين من حيلة وتمويه كالنفث في العقد ونحو
ذلك مما يحدث الله عنده الفرك والنشوز والخلاف ابتلاء منه لا أن السحر له أثر في نفسه
بدليل قوله وما هم بضارين به من أحد إلا بإذن الله لأنه ربما أحدث الله عنده فعلا من
أفعاله وربما لم يحدث ويتعلمون ما يضرهم ولا ينفعهم لأنهم يقصدون به الشر وفيه

ان اجتنابه اصلح كتعلم الفلسفة التي لا يؤمن ان تجر الى الغواية ولقد علم هؤلاء اليهود ان من اشتراه اي استبدل ما تتلوا الشياطين من كتاب الله ما له في الآخرة من خلاق من نصيب ولبئس ما شروا به انفسهم اي باعوها وقرأ الحسن الشياطون ومن بعض العرب بستان فلان حوله بساتون وقد ذكر وجهه فيما بعد الزهري هاروت وماروت بالرفع على هما هاروت وماروت وهما اسمان اعجميان بدليل منع الصرف ولو كانا من الهرت والمرت وهو الكسر كما زعم بعضهم لانصرفا وقرأ طلحة وما يعلمان من اعلم وقرئ بين المرء بضم الميم وكسرها مع الهمزة والمر بالتشديد على تقدير التخفيف والوقف كقولهم فرج واجرا الوصل مجرى الوقف الاعمش وما هم بضاري بطرح النون والاضافة الى احد والفصل بينهما بالظرف فان قلت كيف يضاف الى احد وهو مجرور بمن قلت جعل الجار جزءا من المجرور كيف اثبت لهم العلم اولا في قوله ولقد علموا على سبيل التوكيد القسمي ثم نفاه عنهم في قوله لو كانوا يعلمون قلت معناه لو كانوا يعملون بعلمهم جعلهم حين لم يعملوا به كانهم منسلخون عنه ولو انهم آمنوا واتقوا لمثوبة من عند الله خير لو كانوا يعلمون ولو انهم آمنوا برسول الله عليه السلام والقرآن واتقوا الله فتركوا ما هم عليه من نبذ كتاب الله واتباع كتب الشياطين لمثوبة من عند الله خير وقرئ لمثوبة كمشورة ومشورة لو كانوا يعلمون ان ثواب الله خير مما هم فيه وقد علموا لكنه جهلهم لترك العمل بالعلم فان قلت كيف اوثرت الجملة الاسمية على الفعلية في جواب لو قلت لما في ذلك من الدلالة على ثبات المثوبة واستقرارها كما عدل عن النصب الى الرفع في سلام عليكم لذلك فهلا قيل لمثوبة الله خير قلت لان المعنى لشيء من الثواب خير لهم ويجوز ان يكون قوله ولو انهم آمنوا تمنيا لايمانهم على سبيل المجاز عن ارادة الله ايمانهم واختيارهم له كانه قيل وليتهم آمنوا ثم ابتدئ لمثوبة من عند الله خير يا ايها الذين آمنوا لا تقولوا راعنا وقولوا انظرنا واسمعوا وللكافرين عذاب اليم كان المسلمون يقولون لرسول الله صلى الله عليه وسلم اذا القى عليهم شيئا من العلم راعنا يا رسول الله اي راقبنا وانتظرنا وتأن بنا حتى نفهمه ونحفظه وكانت لليهود كلمة يتسابون بها عبرانية او سريانية وهي راعينا فلما سمعوا بقول المؤمنين راعنا افترصوه وخاطبوا به الرسول عليه السلام وهم يعنون به تلك المسبة فنهي المؤمنون عنها وامروا بما هو في معناها وهو انظرنا من نظره اذا انتظره وقرأ ابي انظرنا من النظرة اي امهلنا حتى نحفظ وقرأ عبد الله بن مسعود راعونا على انهم كانوا يخاطبونه بلفظ الجمع للتوقير وقرأ الحسن راعنا بالتنوين من الرعن وهو الهوج اي لا تقولوا قولا راعنا منسوبا الى الرعن بمعنى رعنيا كدارع ولابن لانه لما اشبه قولهم راعينا وكان سببا في السب اتصف بالرعن واسمعوا واحسنوا سماع ما يكلمكم به رسول الله ويلقي عليكم باذان واعية واذهان حاضرة حتى لا تحتاجوا الى الاستعادة وطلب المراعاة او واسمعوا سماع قبول وطاعة ولا يكن سماعكم مثل سماع اليهود حيث قالوا سمعنا

وعصينا

وعصينا او واسمعوا ما امرتم به بجد حتى لا ترجعوا الى ما نهيتم عنه تاكيدا عليهم ترك تلك الكلمة وروي ان سعد بن معاذ سمعها منهم فقال يا اعداء الله عليكم لعنة الله والذي نفسي بيده لئن سمعتها من رجل منكم يقولها لرسول الله لاضربن عنقه فقالوا او لستم تقولونها فنزلت وللكافرين ولليهود الذين تهاونوا برسول الله عليه السلام وسبوه عذاب اليم ما يود الذين كفروا من اهل الكتاب ولا المشركين ان ينزل عليكم من خير من ربكم والله يختص برحمته من يشاء والله ذو الفضل العظيم من الاولى للبيان لان الذين كفروا جنس تحته نوعان اهل الكتاب والمشركون لم يكن الذين كفروا من اهل الكتاب والمشركين والثانية مزيدة لاستغراق الخير والثالثة لابتداء الغاية والخير الوحي وكذلك الرحمة كقوله تعالى اهم يقسمون رحمة ربك والمعنى انهم يرون انفسهم احق بان يوحى اليهم فيحسدونكم وما يحبون ان ينزل عليكم شيء من الوحي والله يختص بالنبوة من يشاء ولا يشاء الا ما تقتضيه الحكمة والله ذو الفضل العظيم اشعار بان ايتاء النبوة من الفضل العظيم ان فضله كان عليك كبيرا ما ننسخ من آية او ننسها نأت بخير منها او مثلها الم تعلم ان الله على كل شيء قدير روي انهم طعنوا في النسخ فقالوا الا ترون الى محمد يأمر اصحابه بامر ثم ينهاهم عنه ويأمرهم بخلافه ويقول اليوم قولا ويرجع عنه غدا فنزلت ما ننسخ من آية وما ننسخ بضم النون من انسخ او ننسأها وقرئ ننسها وننسها بالتشديد وتنسها وتنسها على خطاب الرسول وقرأ عبد الله ما ننسك من آية او ننسخها وقرأ حذيفة ما ننسخ من آية او ننسكها ونسخ الآية ازالتها بابدال اخرى مكانها وانساخها الامر بنسخها وهو ان يأمر جبريل بان يجعلها منسوخة بالاعلام بنسخها ونسؤها تأخيرها واذهابها لا الى بدل وانساؤها ان يذهب بحفظها عن القلوب والمعنى ان كل آية تذهب بها على ما توجبه المصلحة من ازالة لفظها وحكمها معا او من ازالة احدهما الى بدل او غير بدل نأت بآية خير منها للعباد اي بآية العمل بها اكثر للثواب او مثلها في ذلك ان الله على كل شيء قدير فهو يقدر على الخير وما هو خير منه وعلى مثله في الخير الم تعلم ان الله له ملك السموات والارض وما لكم من دون الله من ولي ولا نصير ام تريدون ان تسألوا رسولكم كما سئل موسى من قبل ومن يتبدل الكفر بالايمان فقد ضل سواء السبيل له ملك السموات والارض فهو يملك اموركم ويدبرها ويجريها على حسب ما يصلحكم وهو اعلم بما يتعبدكم به من ناسخ ومنسوخ لما بين لهم انه مالك امورهم ومدبرها على حسب مصالحهم من نسخ الآيات وغيره وقررهم على ذلك بقوله الم تعلم اراد ان يوصيهم بالثقة به فيما هو اصلح لهم مما يتعبدهم به وينزل عليهم وانهم لا يقترحوا على رسولهم ما اقترحه آباء اليهود على موسى من الاشياء التي كانت عاقبتها وبالا عليهم كقولهم اجعل لنا الها أرنا الله جهرة وغير ذلك ومن يتبدل الكفر بالايمان ومن ترك الثقة بالآيات المنزلة وشك فيها واقترح غيرها فقد ضل سواء

السبيل ﴿ودّ كثير من أهل الكتاب لو يردّونكم من بعد إيمانكم كفارا حسدا من عند أنفسهم من بعد ما تبيّن لهم الحقّ فاعفوا واصفحوا حتّى يأتي الله بأمره إنّ الله على كلّ شيء قدير * وأقيموا الصلوة وآتوا الزكوة وما تقدّموا لأنفسكم من خير تجدوه عند الله إنّ الله بما تعملون بصير﴾ روي أنّ فنحاص بن عازوراء وزيد بن قيس ونفرا من اليهود قالوا لحذيفة بن اليمان وعمّار بن ياسر رضي الله عنهما بعد وقعة أحد ألم تروا ما أصابكم ولو كنتم على الحقّ ما هزمتم فارجعوا إلى ديننا فهو خير لكم وأفضل ونحن أهدى منكم سبيلا فقال عمّار كيف نقض العهد فيكم قالوا شديد قال فإنّي قد عاهدت أن لا أكفر بمحمّد ما عشت فقالت اليهود أمّا هذا فقد صبأ وقال حذيفة وأمّا أنا فقد رضيت بالله ربّا وبمحمّد نبيّا وبالإسلام دينا وبالقرآن إماما وبالكعبة قبلة وبالمؤمنين إخوانا ثمّ أتيا رسول الله عليه السلام وأخبراه فقال أصبتما خيرا وأفلحتما فنزلت **فإن قلت** بم تعلّق قوله من عند أنفسهم قلت فيه وجهان أحدهما أن يتعلّق بودّ على معنى أنّهم تمنّوا أن ترتدّوا عن دينكم وتمنّيهم ذلك من عند أنفسهم ومن قبل شهوتهم لا من قبل التديّن والميل مع الحقّ لأنّهم ودّوا ذلك من بعد ما تبيّن لهم أنّكم على الحقّ فكيف يكون تمنّيهم من قبل الحقّ وإمّا أن يتعلّق بحسدا أي حسدا متبالغا منبعثا من أصل نفوسهم فاعفوا واصفحوا فاسلكوا معهم سبيل العفو والصفح عمّا يكون منهم من الجهل والعداوة حتّى يأتي الله بأمره الذي هو قتل بني قريظة وإجلاء بني النضير وإذلالهم بضرب الجزية عليهم إنّ الله على كلّ شيء قدير فهو يقدر على الانتقام منهم من خير من حسنة صلوة أو صدقة أو غيرهما تجدوه عند الله تجدوا ثوابه عنده إنّ الله بما تعملون بصير عالم لا يضيع عنده عمل عامل ﴿وقالوا لن يدخل الجنّة إلّا من كان هودا أو نصارى تلك أمانيّهم قل هاتوا برهانكم إن كنتم صادقين﴾ الضمير في وقالوا لأهل الكتاب من اليهود والنصارى والمعنى وقالت اليهود لن يدخل الجنّة إلّا من كان هودا وقالت النصارى لن يدخل الجنّة إلّا من كان نصارى فلفّ بين القولين ثقة بأنّ السامع يردّ إلى كلّ فريق قوله وأمنا من الإلباس لما علم من التعادي بين الفريقين وتضليل كلّ واحد منهما لصاحبه ونحوه قالوا كونوا هودا أو نصارى والهود جمع هائد كعائذ وعوذ وبازل وبزل **فإن قلت** كيف قيل كان هودا على توحيد الاسم وجمع الخبر قلت حمل الاسم على لفظ من والخبر على معناه كقراءة الحسن إلّا من هو صالوا الجحيم **وقوله تعالى** فإنّ له نار جهنّم خالدين وقرأ أبيّ بن كعب إلّا من كان يهوديّا أو نصرانيّا **فإن قلت** لم قيل تلك أمانيّهم وقولهم لن يدخل الجنّة أمنيّة واحدة **قلت** أشير بها إلى الأماني المذكورة وهي أمنيّتهم أن لا ينزل على المؤمنين خير من ربّهم وأمنيّتهم أن يردّوهم كفّارا وأمنيّتهم أن لا يدخل الجنّة غيرهم أي تلك الأماني الباطلة أمانيّهم وقوله قل هاتوا برهانكم متّصل بقولهم لن يدخل الجنّة إلّا من كان هودا أو نصارى وتلك أمانيّهم اعتراض أو أريد أمثال تلك الأمنيّة أمانيّهم على حذف المضاف وإقامة المضاف إليه

مقامه يريد أنّ أمانيّهم جميعا في البطلان مثل أمنيّتهم هذه والأمنيّة أفعولة من التمنّي مثل الأضحوكة والأعجوبة هاتوا برهانكم هلمّوا حجّتكم على اختصاصكم بدخول الجنّة إن كنتم صادقين في دعواكم وهذا أهدم شيء لمذهب المقلّدين وأنّ كلّ قول لا دليل عليه فهو باطل غير ثابت وهات صوت بمنزلة ها بمعنى أحضر ﴿بلى من أسلم وجهه لله وهو محسن فله أجره عند ربّه ولا خوف عليهم ولا هم يحزنون﴾ بلى إثبات لما نفوه من دخول غيرهم الجنّة من أسلم وجهه لله من أخلص نفسه له لا يشرك به غيره وهو محسن في عمله فله أجره الذي يستوجبه **فإن قلت** من أسلم وجهه كيف موقعه قلت يجوز أن يكون بلى ردّا لقولهم ثمّ يقع من أسلم كلاما مبتدأ ويكون من متضمّنا لمعنى الشرط وجوابه فله أجره وأن يكون من أسلم فاعلا لفعل محذوف أي بلى يدخلها من أسلم ويكون قوله فله أجره كلاما معطوفا على يدخلها من أسلم ﴿وقالت اليهود ليست النصارى على شيء وقالت النصارى ليست اليهود على شيء وهم يتلون الكتاب كذلك قال الذين لا يعلمون مثل قولهم فالله يحكم بينهم يوم القيامة فيما كانوا فيه يختلفون﴾ على شيء أي على شيء يصحّ ويعتدّ به وهذه مبالغة عظيمة لأنّ المحال والمعدوم يقع عليهما اسم الشيء فإذا نفي إطلاق اسم الشيء عليه فقد بولغ في ترك الاعتداد به إلى ما ليس بعده وهذا كقولهم أقلّ من لا شيء وهم يتلون الكتاب الواو للحال والكتاب للجنس أي قالوا ذلك وحالهم أنّهم من أهل العلم والتلاوة للكتب وحقّ من حمل التوراة أو الإنجيل أو غيرهما من كتب الله وآمن به أن لا يكفر بالباقي لأنّ كلّ واحد من الكتابين مصدّق للثاني شاهد بصحّته وكذلك كتب الله جميعا متواردة في تصديق بعضها بعضا كذلك أي مثل ذلك الذي سمعت به على ذلك المنهاج قال الجهلة الذين لا علم عندهم ولا كتاب كعبدة الأصنام والمعطّلة ونحوهم قالوا لكلّ أهل دين ليسوا على شيء وهذا توبيخ عظيم لهم حيث نظموا أنفسهم مع علمهم في سلك من لا يعلم **روي** أنّ وفد نجران لمّا قدموا على رسول الله صلّى الله عليه وسلّم أتاهم أحبار اليهود فتناظروا حتّى ارتفعت أصواتهم فقالت اليهود ما أنتم على شيء من الدين وكفروا بعيسى والإنجيل وقالت النصارى لهم نحوه وكفروا بموسى والتوراة فالله يحكم بين اليهود والنصارى يوم القيامة بما يقسم لكلّ فريق منهم من العقاب الذي استحقّه **وعن الحسن** حكم الله بينهم أن يكذّبهم ويدخلهم النار ﴿ومن أظلم ممّن منع مساجد الله أن يذكر فيها اسمه وسعى في خرابها أولئك ما كان لهم أن يدخلوها إلّا خائفين لهم في الدنيا خزي ولهم في الآخرة عذاب عظيم﴾ أن يذكر ثاني مفعولي منع لأنّك تقول منعته كذا ومثله وما منعنا أن نرسل وما منع الناس أن يؤمنوا ويجوز أن يحذف حرف الجرّ مع أن ولك أن تنصبه مفعولا له بمعنى منعها كراهة أن يذكر وهو حكم عامّ لجنس مساجد الله وأنّ مانعها من ذكر الله مفرط في الظلم والسبب فيه أنّ النصارى كانوا يطرحون في بيت المقدس الأذى ويمنعون الناس أن يصلّوا فيه وأنّ الروم غزوا أهله فخرّبوه

واحرقوا التوراة وقتلوا وسبوا وقيل منع المشركين رسول الله صلى الله عليه وسلم ان
يدخل المسجد الحرام عام الحديبية **فان قلت** فكيف قيل مساجد الله وانما وقع
المنع والتخريب على مسجد واحد وهو بيت المقدس او المسجد الحرام لا باس ان يجئ
الحكم عاما وان كان السبب خاصا كما تقول لمن اذى صالحا واحدا ومن اظلم ممن اذى
الصالحين وكما قال عز وجل ويل لكل همزة لمزة والمنزول فيه الاخنس بن شريق
وسعى في خرابها بانقطاع الذكر او بتخريب البنيان وينبغي ان يراد بمن منع العموم
كما اريد بمساجد الله ولا يراد الذين منعوا باعيانهم من اولئك النصارى او المشركين
اولئك المانعون ما كان لهم ان يدخلوها اي ما كان ينبغي لهم ان يدخلوا مساجد الله
الا خائفين على حال التهيب وارتعاد الفرائص من المؤمنين ان يبطشوا بهم فضلا ان
يستولوا عليها ويلوها ويمنعوا المؤمنين منها والمعنى ما كان الحق والواجب الا ذلك
لولا ظلم الكفرة وعتوهم وقيل ما كان لهم في حكم الله يعني ان الله قد حكم وكتب في
اللوح انه ينصر المؤمنين ويقويهم حتى لا يدخلوها الا خائفين **روي** انه لا يدخل
بيت المقدس احد من النصارى الا متنكرا مسارقة **وقال** قتادة لا يوجد نصراني في
بيت المقدس الا انهك ضربا وابلغ اليه في العقوبة وقيل نادى رسول الله صلى الله عليه
وسلم الا لا يحجن بعد هذا العام مشرك ولا يطوفن بالبيت عريان وقرا عبد الله
الا خيفا وهو مثل صيم وقد اختلف الفقهاء في دخول الكافر المسجد فجوزه ابو حنيفة
ولم يجوزه مالك وفرق الشافعي بين المسجد الحرام وغيره وقيل معناه النهي عن تمكينهم
من الدخول والتخلية بينهم وبينه وما كان لكم ان تؤذوا رسول
الله خزي قتل وسبي او ذلة بضرب الجزية وقيل فتح مدائنهم قسطنطينية ورومية
وعمورية **ولله المشرق والمغرب فاينما تولوا فثم وجه الله ان الله واسع عليم**
ولله المشرق والمغرب اي بلاد المشرق والمغرب والارض كلها لله وهو مالكها ومتوليها
فاينما تولوا ففي اي مكان فعلتم التولية يعني تولية وجوهكم شطر القبلة بدليل قوله
تعالى فول وجهك شطر المسجد الحرام وحيث ما كنتم فولوا وجوهكم شطره فثم وجه
الله اي جهته التي امر بها ورضيها والمعنى انكم اذا منعتم ان تصلوا في المسجد الحرام او في
بيت المقدس فقد جعلت لكم الارض مسجدا فصلوا في اي بقعة شئتم من بقاعها وافعلوا
التولية فيها فان التولية ممكنة في كل مكان لا يختص امكانها في مسجد دون مسجد ولا في
مكان دون مكان ان الله واسع الرحمة يريد التوسعة على عباده والتيسير عليهم عليم
بمصالحهم **وعن** ابن عمر رضي الله عنهما نزلت في صلوة المسافر على الراحلة اينما توجهت
وعن عطاء عميت القبلة على قوم فصلوا الى انحاء مختلفة فلما اصبحوا تبينوا خطاهم
فعذروا وقيل معناه فاينما تولوا للدعاء والذكر ولم يرد الصلوة **وقرا** الحسن
فاينما تولوا بفتح التاء من التولي يريد فاينما توجهوا القبلة **وقالوا اتخذ الله ولدا
سبحانه بل له ما في السموات والارض كل له قانتون** وقالوا بغير
واو يريد الذين قالوا المسيح ابن الله وعزير ابن الله والملائكة بنات الله سبحانه

تنزيه

تنزيه له عن ذلك وتبعيد بل له ما في السموات والارض هو خالقه ومالكه ومن جملته
الملائكة وعزير والمسيح كل له قانتون منقادون لا يمتنع شيء منهم على تكوينه وتقديره
ومشيته ومن كان بهذه الصفة لم يجانس ومن حق الولد ان يكون من جنس الوالد
والتنوين في كل عوض من المضاف اليه اي كل ما في السموات والارض ويجوز ان يراد
كل من جعلوه لله ولدا له قانتون مطيعون عابدون مقرون بالربوبية منكرون
لما اضافوا اليهم **فان قلت** كيف جاء بما الذي لغير اولي العلم مع قوله قانتون
قلت هو سبحان ما سخركن لنا وكانه جاء بما دون من تحقيرا لهم وتصغيرا
لشانهم كقوله تعالى وجعلوا بينه وبين الجنة نسبا **بديع السموات والارض واذا
قضى امرا فانما يقول له كن فيكون** يقال بدع الشيء فهو بديع كقولك بزع الرجل
فهو بزيع وبديع السموات من اضافة الصفة المشبهة الى فاعلها اي بديع سمواته
وارضه وقيل البديع بمعنى المبدع كما ان السميع **في قول** عمرو
امن ريحانة الداعي السميع بمعنى المسمع وفيه نظر كن فيكون من كان التامة اي احدث
فيحدث وهذا مجاز من الكلام وتمثيل ولا قول ثم كما لا قول **في قوله**
اذ قالت الانساع للبطن الحق وانما المعنى ان ما قضاه من الامور واراد كونه فانما
يتكون ويدخل تحت الوجود من غير امتناع ولا توقف كما ان المامور المطيع الذي يؤمر
فيمتثل لا يتوقف ولا يمتنع ولا يكون منه الاباء اكد بهذا استبعاد الولادة لان من كان
بهذه الصفة من القدرة كانت حاله مباينة لاحوال الاجسام في توالدها
بديع السموات مجرورا على انه بدل من الضمير في له **وقرا** المنصور بالنصب على المدح
**وقال الذين لا يعلمون لولا يكلمنا الله او تاتينا اية كذلك قال الذين من
قبلهم مثل قولهم تشابهت قلوبهم قد بينا الايات لقوم يوقنون** وقال
الذين لا يعلمون وقال الجهلة من المشركين وقيل من اهل الكتاب ونفى عنهم العلم
لانهم لم يعملوا به لولا يكلمنا الله هلا يكلمنا كما يكلم الملائكة وكلم موسى استكبارا منهم
وعتوا او تاتينا اية جحودا لان يكون ما اتاهم من ايات الله ايات واستهانة بها
تشابهت قلوبهم اي قلوب هؤلاء ومن قبلهم في العمى **كقوله تعالى** اتواصوا
به قد بينا الايات لقوم يوقنون اي لقوم ينصفون فيوقنون انها ايات يجب الاعتراف بها والاذعان
لها والاكتفاء بها عن غيرها **انا ارسلناك بالحق بشيرا ونذيرا ولا تسال عن اصحاب
الجحيم** انا ارسلناك لان تبشر وتنذر لا لتجبر على الايمان وهذه تسلية لرسول الله
عليه السلام وتسرية عنه لانه كان يغتم ويضيق صدره لاصرارهم وتصميمهم على
الكفر ولا نسالك عن اصحاب الجحيم ما لهم لم يؤمنوا بعد ان بلغت وبلغت جهدك في دعوتهم
كقوله تعالى فانما عليك البلاغ وعلينا الحساب وقرى ولا تسال على النهي روي
انه قال ليت شعري ما فعل ابواي فنهي عن السؤال عن احوال الكفرة والاهتمام باعداء
الله وقيل معناه تعظيم ما وقع فيه الكفار من العذاب كما تقول كيف فلان سائلا
عن الواقع في بلية فيقال لك لا تسال عنه ووجه التعظيم ان المستخبر يجزع ان يجري

على لسانه ما هو فيه لفظاعته فلا تسأل ولا تكلفه ما يضجره إذ أنت يا مستخبر لا تقدر على استماع خبره لانحياشه السامع وإضجاره فلا تسأل وتعضد القراءة الأولى قراءة عبد الله ولن تسأل وقراءة أبي وما تسأل **ولن ترضى عنك اليهود ولا النصارى حتى تتبع ملتهم قل إن هدى الله هو الهدى ولئن اتبعت أهواءهم بعد الذي جاءك من العلم ما لك من الله من ولي ولا نصير** كأنهم قالوا لن نرضى عنك وإن أبلغت في طلب رضانا حتى تتبع ملتنا إقناطاً منهم لرسول الله صلى الله عليه وسلم عن دخولهم في الإسلام فحكى الله تعالى كلامهم ولذلك قال قل إن هدى الله هو الهدى على طريقة إجابتهم عن قولهم يعني أن هدى الله الذي هو الإسلام هو الهدى بالحق والذي يصح أن يسمى هدى وهو الهدى كله ليس وراءه هدى وما تدعون إلى اتباعه ما هو بهدى إنما هو هوى ألا ترى إلى قوله ولئن اتبعت أهواءهم أي أقوالهم التي هي أهواء وبدع بعد الذي جاءك من العلم أي من الدين المعلوم صحته بالبراهين الصحيحة **الذين آتيناهم الكتاب يتلونه حق تلاوته أولئك يؤمنون به ومن يكفر به فأولئك هم الخاسرون يا بني إسرائيل اذكروا نعمتي التي أنعمت عليكم وأني فضلتكم على العالمين واتقوا يوماً لا تجزي نفس عن نفس شيئاً ولا يقبل منها عدل ولا تنفعها شفاعة ولا هم ينصرون** الذين آتيناهم الكتاب هم مؤمنو أهل الكتاب يتلونه حق تلاوته لا يحرفونه ولا يغيرون ما فيه من نعت رسول الله صلى الله عليه وسلم أولئك يؤمنون بكتابهم دون المحرفين ومن يكفر به من المحرفين فأولئك هم الخاسرون حيث اشتروا الضلالة بالهدى **وإذ ابتلى إبراهيم ربه بكلمات فأتمهن قال إني جاعلك للناس إماماً قال ومن ذريتي قال لا ينال عهدي الظالمين** ابتلى إبراهيم ربه بكلمات اختبره بأوامر ونواه واختبار الله عبده مجاز عن تمكينه من اختيار أحد الأمرين ما يريد الله وما يشتهيه العبد كأنه يمتحنه ما يكون منه حتى يجازيه على حسب ذلك **وقرأ** أبو حنيفة رحمة الله عليه وهي قراءة ابن عباس إبراهيم ربه رفع إبراهيم ونصب ربه والمعنى أنه دعاه بكلمات من الدعاء فعل المختبر هل يجيبه إليهن أم لا الفاعل في القراءة المشهورة يلي الفعل في التقدير فتعليق الضمير به إضمار قبل الذكر **قلت** الإضمار قبل الذكر أن يقال ابتلى ربه إبراهيم فأما ابتلى إبراهيم ربه أو ابتلى ربه إبراهيم فليس واحد منهما بإضمار قبل الذكر أما الأول فقد ذكر فيه صاحب الضمير قبل الضمير ذكراً ظاهراً وأما الثاني فإبراهيم فيه متقدم في المعنى وليس كذلك ابتلى ربه إبراهيم فإن الضمير فيه قد تقدم لفظاً ومعنى فلا سبيل إلى صحته والمستكن في فأتمهن في إحدى القراءتين لإبراهيم بمعنى فقام بهن حق القيام وأداهن أحسن التأدية من غير تفريط وتوان **ونحوه** وإبراهيم الذي وفى وفي الأخرى لله تعالى بمعنى فأعطاه ما طلبه لم ينقص منه شيئاً ويعضده ما روي عن مقاتل أنه فسر الكلمات بما سأل إبراهيم ربه في قوله تعالى رب اجعل هذا البلد آمناً واجعلنا مسلمين لك وابعث فيهم رسولاً ربنا تقبل منا **فإن قلت** ما العامل في إذ **قلت** إما مضمر نحو واذكر

إذ ابتلى أو وإذ ابتلاه كان كيت وكيت وإما قال إني جاعلك **فإن قلت** ما موقع قال هو على الأول استئناف كأنه قيل فماذا قال له ربه حين أتم الكلمات فقيل قال إني جاعلك للناس إماماً وعلى الثاني جملة معطوفة على ما قبلها ويجوز أن يكون بياناً لقوله ابتلى وتفسيراً له فيراد بالكلمات ما ذكره من الإمامة وتطهير البيت ورفع قواعده والإسلام قبل ذلك في قوله تعالى إذ قال له ربه أسلم وقيل في الكلمات هي خمس في الرأس الفرق وقص الشارب والسواك والمضمضة والاستنشاق وخمس في البدن الختان والاستحداد والاستنجاء وتقليم الأظفار ونتف الإبط وقيل ابتلاه بثلاثين سهماً من شرائع الإسلام عشر في براءة التائبون العابدون وعشر في الأحزاب إن المسلمين والمسلمات وعشر في المؤمنون وسأل سائل إلى قوله والذين هم على صلواتهم يحافظون وقيل هي مناسك الحج كالطواف والسعي والرمي والإحرام والتعريف وغيرهن وقيل ابتلاه بالكوكب والقمر والشمس والختان وذبح ابنه والنار والهجرة والإمام اسم من يؤتم به على زنة الآلة كالإزار لما يؤتزر به أي يأتمون بك في دينهم ومن ذريتي عطف على الكاف كأنه قال وجاعل بعض ذريتي كما يقال لك سأكرمك فتقول وزيداً لا ينال عهدي الظالمين **وقرئ** الظالمون أي من كان ظالماً من ذريتك لا يناله استخلافي وعهدي إليه بالإمامة وإنما ينال من كان عادلاً بريئاً من الظلم وقالوا في هذا دليل على أن الفاسق لا يصلح للإمامة وكيف يصلح لها من لا يجوز حكمه وشهادته ولا تجب طاعته ولا يقبل خبره ولا يقدم للصلاة **وكان** أبو حنيفة رحمة الله عليه يفتي سراً بوجوب نصرة زيد بن علي رضي الله عنهما وحمل المال إليه والخروج معه على اللص المتغلب المتسمي بالإمام والخليفة كالدوانيقي وأشباهه وقالت له امرأة أشرت على ابني بالخروج مع إبراهيم ومحمد ابني عبد الله بن الحسن حتى قتل فقال ليتني مكان ابنك وكان يقول في المنصور وأشياعه لو أرادوا بناء مسجد وأرادوني على عد آجره لما فعلت **وعن** ابن عيينة لا يكون الظالم إماماً قط وكيف يجوز نصب الظالم للإمامة والإمام إنما هو لكف الظلمة فإذا نصب من كان ظالماً في نفسه فقد جاء المثل السائر من استرعى الذئب ظلم **وإذ جعلنا البيت مثابة للناس وأمناً واتخذوا من مقام إبراهيم مصلى وعهدنا إلى إبراهيم وإسماعيل أن طهرا بيتي للطائفين والعاكفين والركع السجود** والبيت اسم غالب للكعبة كالنجم للثريا مثابة للناس مباءة ومرجعاً للحجاج والعمار يتفرقون عنه ثم يثوبون إليه أي يثوب إليه أعيان الذين يزورونه أو أمثالهم وأمناً وموضع أمن **كقوله تعالى** حرماً آمناً ويتخطف الناس من حولهم ولأن الجاني يأوي إليه فلا يتعرض له حتى يخرج مثابات لأنه مثابة لكل من الناس لا يختص به واحد منهم سواء العاكف فيه والباد واتخذوا على إرادة القول أي وقلنا اتخذوا منه موضع صلاة تصلون فيه وهو على وجه

الاختيار والاستحباب دون الوجوب **وعن** النبي صلى الله عليه وسلم انه اخذ بيد عمر فقال
هذا مقام ابراهيم فقال عمر رضي الله عنه افلا نتخذه مصلى فقال لم اومر بذلك فلم تغب الشمس
حتى نزلت **وعن** جابر بن عبد الله رضي الله عنه ان النبي صلى الله عليه وسلم استلم الحجر
ورمل ثلثة اشواط ومشى اربعة حتى اذا فرغ عمد الى مقام ابراهيم عليه السلام فصلى خلفه
ركعتين وقرأ واتخذوا من مقام ابراهيم مصلى وقيل مصلى مدعى ومقام ابراهيم الحجر
الذي فيه اثر قدميه والموضع الذي كان فيه الحجر حين وضع عليه قدميه وهو الموضع
الذي يسمى مقام ابراهيم عمر رضي الله عنه انه سأل المطلب بن ابي وداعة هل
تدري اين كان موضعه الاول قال نعم فاراه موضعه اليوم **وعن** عطا مقام
ابراهيم عرفة والمزدلفة والجمار لانه قام في هذه المواضع ودعا فيها وعن النخعي الحرم
كله مقام ابراهيم واتخذوا بلفظ الماضي عطفا على جعلنا اي واتخذ الناس
من مكان ابراهيم الذي وسم به لاهتمامه به واسكان ذريته عنده قبلة يصلون اليها
عهدنا امرناهما ان طهرا بيتي بان طهرا او اي طهرا والمعنى طهراه من الاوثان والانجاس
وطواف الجنب والحائض والخبائث كلها او اخلصاه لهؤلاء لا يغشاه غيرهم والعاكفين
المجاورين الذين عكفوا عنده اي اقاموا لا يبرحون او المعتكفين ويجوز ان يريد
بالعاكفين الواقفين يعني القائمين في الصلوة كما قال تعالى للطائفين والقائمين
والركع السجود والمعنى للطائفين والمصلين لان القيام والركوع والسجود هيآت المصلي

واذ قال ابرهيم رب اجعل هذا بلدا امنا وارزق اهله من الثمرات من امن منهم بالله واليوم الاخر قال ومن كفر فامتعه قليلا ثم اضطره الى عذاب النار وبئس المصير

اي اجعل هذا البلد او هذا المكان بلدا امنا ذا امن **كقوله** عيشة
راضية او امنا من فيه كقولك ليل نائم ومن امن منهم بدل من اهله يعني وارزق المؤمنين
من اهله خاصة ومن كفر عطف على من امن كما عطف ومن ذريتي على الكاف في جاعلك
فان قلت لم خص ابراهيم عليه السلام المؤمنين حتى رد عليه قاس
الرزق على الامامة فعرف الفرق بينهما لان الاستخلاف استرعاء يختص بمن ينصح للمرعي
وابعد الناس عن النصيحة الظالم بخلاف الرزق فانه قد يكون استدراجا للمرزوق
والزاما للحجة له والمعنى وارزق من كفر فامتعه ويجوز ان يكون ومن كفر مبتدأ
متضمنا معنى الشرط وقوله فامتعه جوابا للشرط اي ومن كفر فانا امتعه **وقرئ**
فامتعه فاضطره فالزه الى عذاب النار لزَّ المضطر الذي لا يملك الامتناع مما اضطر
اليه وقرأ أُبيّ فنمتعه قليلا ثم نضطره وقرأ يحيى بن وثاب فاِضطره بكسر الهمزة
وقرأ ابن عباس فامتعه قليلا ثم اضطره على لفظ الامر والمراد الدعاء من ابراهيم عليه
السلام دعا ربه بذلك **فان قلت** فكيف تقدير الكلام على هذه القراءة
قلت ضمير ابراهيم اي قال ابراهيم بعد مسألته اختصاص المؤمنين بالرزق ومن
كفر فامتعه قليلا ثم اضطره ابن محيصن فاطّره بادغام الضاد في الطاء

كما قالوا اطّجع وهي لغة مرذولة لان الضاد من الحروف الخمسة التي يدغم فيها ما يجاورها ولا
تدغم هي فيما يجاورها وهي حروف ضم شفر واذ يرفع ابرهيم القواعد من البيت

واسمعيل ربنا تقبل منا انك انت السميع العليم

يرفع حكاية حال ماضية والقواعد
جمع قاعدة وهي الاساس والاصل لما فوقه وهي صفة غالبة ومعناها الثابتة ومنه
قعدك الله اي اسأل الله ان يقعدك اي يثبتك ورفع الاساس البناء عليها لانها اذا
بني عليها نقلت عن هيئة الانخفاض الى هيئة الارتفاع وتطاولت بعد التقاصر ويجوز
ان يكون المراد بها سافات البناء لان كل ساف قاعدة للذي يبنى عليه ويوضع فوقه
ومعنى رفع القواعد رفعها بالبناء لانه اذا وضع سافا فوق ساف فقد رفع السافات
ويجوز ان يكون المعنى واذ يرفع ابراهيم ما قعد من البيت اي استوطأ يعني جعل هيئة
القاعدة المستوطأة مرتفعة عالية بالبناء **وروي** انه كان مؤسسا قبل ابراهيم
فبنى على الاساس ان الله تعالى انزل البيت ياقوتة من يواقيت الجنة له بابان
من زمرد شرقي وغربي وقال لادم عليه السلام اهبطت لك ما يطاف به كما يطاف
حول عرشي فتوجه ادم من ارض الهند اليه ماشيا وتلقته الملائكة فقالوا بر حجك
يا ادم لقد حججنا هذا البيت قبلك بالفي عام وحج ادم اربعين حجة من ارض الهند الى مكة
على رجليه فكان على ذلك الى ان رفعه الله ايام الطوفان الى السماء الرابعة فهو البيت المعمور
ثم ان الله تعالى امر ابراهيم عليه السلام ببنائه وعرفه جبريل عليه السلام مكانه وقيل
بعث الله تعالى سحابة اظلته ونودي ان ابن على ظلها لا تزد ولا تنقص **وقيل** بناه من خمسة
اجبل طور سينا وطور زيتا ولبنان والجودي واسسه من حراء وجاء جبريل عليه السلام
بالحجر الاسود من السماء وقيل تمخض ابو قبيس فانشق عنه وقد خبئ فيه في ايام الطوفان وكان
ياقوتة بيضاء من الجنة فلما لمسته الحيض في الجاهلية اسود وقيل كان ابراهيم يبني
واسمعيل يناوله الحجارة ربنا واجعلنا مسلمين لك ومن ذريتنا امة مسلمة لك

وارنا مناسكنا وتب علينا انك انت التواب الرحيم

ربنا اي يقولان ربنا وهذا
الفعل في محل النصب على الحال وقد اظهره عبد الله في قراءته ومعناه يرفعانها قائلين ربنا انك
انت السميع لدعائنا العليم بضمائرنا ونياتنا **فان قلت** هلا قيل قواعد البيت واي فرق
بين العبارتين في ابهام القواعد وتبيينها بعد الابهام ما ليس في اضافتها لما
في الايضاح بعد الابهام من تفخيم شان المبين مسلمين لك مخلصين لك اوجهنا من قوله
اسلم وجهه لله او مستسلمين يقال اسلم له وسلم واستسلم اذا خضع واذعن والمعنى
زدنا اخلاصا واذعانا لك **وقرئ** مسلمين على الجمع كانهما ارادا انفسهما وهاجر او اجريا
التثنية على حكم الجمع لانها منه ومن ذريتنا واجعل من ذريتنا امة مسلمة لك ومن للتبعيض
او للتبيين كقوله وعد الله الذين امنوا منكم **وانما** خصا ذريتهما بالدعاء
لانهم احق بالشفقة والنصيحة قوا انفسكم واهليكم نارا ولان اولاد الانبياء اذا صلحوا
صلح بهم غيرهم وشايعوهم على الخير الا ترى ان المتقدمين من العلماء والكبراء اذا كانوا على
السداد كيف يتسببون لسداد من وراءهم وقيل اراد بالامة امة محمد صلى الله عليه وسلم

وارنا منقول من رأى بمعنى ابصر او عرف ولذلك لم يتجاوز مفعولين اى وبصرنا متعبداتنا في الحج او عرفناها وقيل مذابحنا **وقرئ** وارنا بسكون الرا قياسا على فخذ في فخذ وقد استرذلته لان الكسرة منقولة من الهمزة الساقطة دليل عليها فاسقاطها اجحاف ابو عمرو باشمام الكسرة وقرا عبد الله وارهم مناسكهم وتب علينا ما فرط منا من الصغاير او استتابا للذريتها **ربنا وابعث فيهم رسولا منهم يتلو عليهم آياتك ويعلمهم الكتاب والحكمة ويزكيهم انك انت العزيز الحكيم** وابعث فيهم في الامة المسلمة رسولا منهم من انفسهم **روى** انه قيل له قد استجيب لك وهو في آخر الزمان فبعث الله فيهم محمدا عليه السلام قال صلى الله عليه وسلم انا دعوة ابي ابراهيم وبشرى عيسى ورؤيا امي يتلو عليهم آياتك يقرا عليهم ويبلغهم ما توحي اليه من دلايل وحدانيتك وصدق انبيائك ويعلمهم الكتاب القرآن والحكمة الشريعة وبيان الاحكام ويزكيهم ويطهرهم من الشرك وساير الارجاس ويحل لهم الطيبات ويحرم عليهم الخبائث **ومن يرغب عن ملة ابراهيم الا من سفه نفسه ولقد اصطفيناه في الدنيا وانه في الآخرة لمن الصالحين** ومن يرغب انكار واستبعاد لان يكون في العقلاء من يرغب عن الحق الواضح الذي هو ملة ابراهيم ومن سفه في محل الرفع على البدل من الضمير في يرغب وصح البدل لان من يرغب غير موجب كقولك هل جاءك احد الا زيد سفه نفسه امتهنها واستخف بها واصل السفه الخفة ومنه زمام سفيه وقيل انتصاب النفس على التمييز نحو غبن رايه والم راسه ويجوز ان يكون في شذوذ تعريف المميز **نحو** قوله ولا بفزارة الشعر الرقابا اجب الظهر ليس له سنام وقيل معناه سفه في نفسه فحذف الجار كقولهم زيد ظني مقيم اى في ظني والوجه هو الاول وكفى شاهدا له بما جاء في الحديث الكبر ان تسفه الحق وتغمص الناس وذلك انه اذا رغب عما لا يرغب عنه عاقل قط فقد بالغ في اذالة نفسه وتعجيزها حيث خالف بها كل نفس عاقلة ولقد اصطفيناه بيان لخطاء راى من يرغب عن ملته لان من جمع الكرامة عند الله في الدارين بان كان صفوته وخيرته في الدنيا وكان مشهودا له بالاستقامة على الخير في الآخرة لم يكن احد اولى بالرغبة في طريقته منه **اذ قال له ربه اسلم قال اسلمت لرب العالمين** اذ قال ظرف لاصطفيناه اى اخترناه في ذلك الوقت او انتصب باضمار اذكر استشهادا على ما ذكر من حاله كانه قيل اذكر ذلك الوقت لتعلم انه المصطفى الصالح الذي لا يرغب عن ملة مثله ومعنى قال له اسلم اخطر بباله النظر في الدلايل المودية الى المعرفة والاسلام فقال اسلمت اى فنظر وعرف وقيل اسلم اى اذعن واطع **وروى** ان عبد الله بن سلام دعا ابني اخيه سلمة ومهاجرا الى الاسلام فقال لهما قد علمتما ان الله تعالى قال في التورية اني باعث من ولد اسمعيل نبيا اسمه احمد فمن آمن به فقد اهتدى ورشد ومن لم يؤمن به فهو ملعون فاسلم سلمة وابى مهاجر ان يسلم فنزلت **ووصى بها ابراهيم بنيه ويعقوب يا بني ان الله اصطفى لكم الدين فلا تموتن الا وانتم مسلمون** **قرئ** واوصى ووصى في مصاحف اهل الحجاز والشام والضمير في بها لقوله اسلمت لرب العالمين على تاويل الكلمة والجملة ونحوه رجوع

الضمير

الضمير في قوله وجعلها كلمة باقية الى قوله انني براء مما تعبدون الا الذي فطرني وقوله كلمة باقية دليل على ان التانيث على تاويل الكلمة ويعقوب عطف على ابراهيم داخل في حكمه والمعنى ووصى بها يعقوب بنيه ايضا ويعقوب بالنصب عطفا على بنيه ومعناه ووصى بها ابراهيم بنيه ونافلته يعقوب يا بني على اضمار القول عند البصريين وعند الكوفيين متعلق بوصى لانه في معنى القول **ونحوه قول القائل**

رجلان من ضبة اخبرانا انا راينا رجلا عريانا

بكسر الهمزة فهو في تقدير القول عندنا وعندهم يتعلق بفعل الاخبار وفي قراءة ابي وابن مسعود رضي الله عنهما ان يا بني ان الله اصطفى لكم الدين اعطاكم الدين الذي هو صفوة الاديان وهو دين الاسلام ووفقكم للاخذ به فلا تموتن معناه ولا يكن موتكم الا على حال كونكم ثابتين على الاسلام فالنهي في الحقيقة من كونهم على خلاف حال الاسلام اذا ماتوا كقولك لا تصل الا وانت خاشع فلا تنهاه عن الصلوة ولكن عن ترك الخشوع في حال صلوته **فان قلت** فاي نكتة في ادخال حرف النهي على الصلوة وليس بمنهي عنها النكتة فيه اظهار ان الصلوة التي لا خشوع فيها كلا صلوة فكانه قال انهاك عنها اذا لم تصلها على هذه الحالة الا ترى الى قوله عليه السلام لا صلوة لجار المسجد الا في المسجد فكانه كالتصريح بقولك لجار المسجد لا تصل الا في المسجد وكذا المعنى في الآية اظهار ان موتهم لا على الثبات على الاسلام موت لا خير فيه وانه ليس بموت السعداء ومن حق هذا الموت ان لا يحل فيهم وتقول في الامر ايضا مت وانت شهيد وليس مرادك الامر بالموت ولكن بالكون على صفة الشهداء اذا مات وانما امرته بالموت اعتدادا بميتته واظهارا لفضلها على غيرها وانها حقيقة بان يحث عليها **ام كنتم شهداء اذ حضر يعقوب الموت اذ قال لبنيه ما تعبدون من بعدي قالوا نعبد الهك واله آبائك ابراهيم واسمعيل واسحق الها واحدا ونحن له مسلمون** ام كنتم شهداء ام المنقطعة ومعنى الهمزة فيها الانكار والشهداء جمع شهيد بمعنى الحاضر اى ما كنتم حاضرين يعقوب عليه السلام اذ حضره الموت اى حين احتضر والخطاب للمؤمنين بمعنى ما شاهدتم ذلك وانما حصل لكم العلم به من طريق الوحي وقيل الخطاب لليهود لانهم كانوا يقولون ما مات نبي الا على اليهودية الا انهم لو شهدوه وسمعوا ما قاله لبنيه وما قالوه لظهر لهم حرصه على ملة الاسلام ولما ادعوا عليه اليهودية فالآية منافية لقولهم فكيف يقال لهم ام كنتم شهداء ولكن الوجه ان تكون ام متصلة على ان يقدر قبلها محذوف كانه قيل اتدعون على الانبياء اليهودية ام كنتم شهداء اذ حضر يعقوب الموت يعني ان اوائلكم من بني اسرائيل كانوا مشاهدين له اذ اراد بنيه على التوحيد وملة الاسلام وقد علمتم ذلك فما لكم تدعون على الانبياء ما هم منه براء **وقرئ** حضر بكسر الضاد وهي لغة ما تعبدون اى شيء تعبدون وما عام في كل شيء فاذا علم فرق بما ومن وكفاك دليلا قول العلماء من لما يعقل ولو قيل من تعبدون لم يعم الا اولي العلم وحدهم ويجوز ان يقال ما تعبدون سؤال عن صفة المعبود كما تقول ما زيد تريد افقيه ام طبيب ام غير ذلك من الصفات وابراهيم واسمعيل واسحق عطف بيان لآبائك وجعل اسمعيل وهو

عمه من جملة آبائه لان العم اب والخالة ام لانخراطهما فى سلك واحد وهو الاخوة لاتفاوت بينهما وسنه قوله عليه السلام عم الرجل صنو ابيه اى لاتفاوت بينهما كما لاتفاوت بين صنوى النخلة وقال فى العباس هذا بقية آبائى وقال ردوا على ابى فانى اخشى ان تفعل به قريش ما فعلت ثقيف بعروة بن مسعود **وقرأ** ابى واله ابراهيم بطرح آبائك

ابيك وفيه وجهان ان يكون واحدا وابراهيم وحده عطف بيان له وان يكون جمعا بالواو والنون قال وفدّيننا بالابينا والها واحدا بدل من اله آبائك **كقوله** بالناصية ناصية كاذبة او على الاختصاص اى نريد باله آبائك الها واحدا ونحن له مسلمون حال من فاعل نعبد او من مفعوله لرجوع الهاء اليه فى له ويجوز ان تكون جملة معطوفة على نعبد وان تكون جملة اعتراضية مؤكدة اى ومن حالنا انا له مسلمون مخلصون بالتوحيد او مذعنون **تلك امة قد خلت لها ما كسبت ولكم ما كسبتم ولا تسئلون عما كانوا يعملون** تلك اشارة الى الامة المذكورة التى هى ابراهيم ويعقوب وبنوهما الموحدون والمعنى ان احدا لا ينفعه كسب غيره متقدما كان او متأخرا فكما ان اولئك لا ينفعهم الا ما اكتسبوا فكذلك انتم لا ينفعكم الا ما اكتسبتم وذلك انهم افتخروا بابائهم **ونحوه** قول رسول الله عليه السلام يا بنى هاشم لا ياتينى الناس باعمالهم وتاتونى بانسابكم ولا تسئلون عما كانوا يعملون ولا تؤاخذون بسيئاتهم كما لا تنفعكم حسناتهم **وقالوا كونوا هودا او نصارى تهتدوا قل بل ملة ابراهيم حنيفا وما كان من المشركين** بل ملة ابراهيم بل نكون ملة ابراهيم اى اهل ملته كقول عدى بن حاتم انى من دين يريد من اهل دين وقيل بل نتبع ملة ابراهيم ملة ابراهيم بالرفع اى ملته ملتنا او امرنا ملته او نحن ملته بمعنى اهل ملته وحنيفا حال من المضاف اليه كقولك رايت وجه هند قائمة والحنيف المائل عن كل دين باطل الى دين الحق والحنف الميل فى القدمين وتحنف اذا مال **وانشد** ولكنا خلقنا اذ خلقنا حنيفا ديننا عن كل دين وما كان من المشركين تعريض باهل الكتاب وغيرهم لان كلا منهم يدعى اتباع ابراهيم وهو على الشرك **قولوا آمنا بالله وما انزل الينا وما انزل الى ابراهيم واسمعيل واسحق ويعقوب والاسباط وما اوتى موسى وعيسى وما اوتى النبيون من ربهم لا نفرق بين احد منهم ونحن له مسلمون فان آمنوا بمثل ما آمنتم به فقد اهتدوا وان تولوا فانما هم فى شقاق فسيكفيكهم الله وهو السميع العليم صبغة الله ومن احسن من الله صبغة ونحن له عابدون** قولوا خطاب للمؤمنين ويجوز ان يكون خطابا للكافرين اى قولوا لتكونوا على الحق والا فانتم على الباطل وكذلك قوله بل ملة ابراهيم يجوز ان يكون على بل اتبعوا انتم ملة ابراهيم او كونوا اهل ملته والسبط الحافد وكان الحسن والحسين رضى الله عنهما سبطى رسول الله صلى الله عليه وسلم والاسباط حفدة يعقوب ذرارى ابنائه الاثنى عشر لا نفرق بين احد منهم لا نؤمن ببعض ونكفر ببعض كما فعلت اليهود والنصارى واحد فى معنى الجماعة ولذلك صح دخول بين عليه بمثل ما آمنتم به من باب التبكيت لان دين الحق واحد لا مثل له وهو دين الاسلام ومن يبتغ غير الاسلام دينا فلن يقبل منه فلا يوجد

اذن دين آخر مماثل دين الاسلام فى كونه حقا حتى ان آمنوا بذلك الدين المماثل له كانوا مهتدين فقيل فان آمنوا بكلمة الشك على سبيل الفرض والتقدير اى فان حصلوا دينا آخر مثل دينكم مساويا له فى الصحة والسداد فقد اهتدوا وفيه ان دينهم الذى هم عليه وكل دين سواه مغاير له غير مماثل لانه هدى وحق وما سواه باطل وضلال ونحو هذا قولك للرجل الذى تشير عليه هذا هو الرأى الصواب فان كان عندك رأى اصوب منه فاعمل به وقد علمت ان لا اصوب من رأيك ولكنك تريد تبكيت صاحبك وتوقيفه على ان ما رأيت لا رأى وراءه ويجوز ان لا تكون الباء صلة وتكون باء الاستعانة كقولك كتبت بالقلم وعملت بالقدوم اى فان دخلوا فى الايمان بشهادة مثل شهادتكم التى آمنتم بها **وقرأ** ابن عباس وابن مسعود بما آمنتم اى بالذى آمنتم به وان تولوا عما تقولون لهم ولم ينصفوا فما هم الا فى شقاق اى فى مناواة ومعاندة لا غير وليسوا من طلب الحق فى شئ او وان تولوا عن الشهادة والدخول فى الايمان بها فسيكفيكهم الله ضمان من الله لاظهار رسول الله صلى الله عليه وسلم عليهم وقد انجز وعده بقتل قريظة وسبيهم واجلاء بنى النضير ومعنى السين ان ذلك كائن لا محالة وان تأخر الى حين وهو السميع العليم وعيد لهم اى يسمع ما ينطقون به ويعلم ما يضمرون من الحسد والغل وهو معاقبهم عليه او وعد لرسول الله عليه السلام بمعنى يسمع ما تدعو به ويعلم نيتك وما تريده من اظهار دين الحق وهو مستجيب لك وموصلك الى مرادك صبغة الله مصدر مؤكد منتصب عن قوله آمنا بالله كما انتصب وعد الله عما تقدمه وهى فعلة من صبغ كالجلسة من جلس وهى الحالة التى يقع عليها والمعنى تطهير الله لان الايمان يطهر النفوس والاصل فيه ان النصارى كانوا يغمسون اولادهم فى ماء اصفر يسمونه المعمودية ويقولون هو تطهير لهم واذا فعل الواحد منهم بولده ذلك قال الآن صار نصرانيا حقا فامر المسلمون بان يقولوا لهم قولوا آمنا بالله وصبغنا الله بالايمان صبغة لا مثل صبغتنا وطهرنا به تطهيرا لا مثل تطهيرنا او يقول المسلمون صبغنا الله بالايمان صبغته ولم نصبغ صبغتكم وانما جئ بلفظ الصبغة على طريقة المشاكلة كما تقول لمن يغرس الاشجار اغرس كما يغرس فلان تريد رجلا يصطنع الكرام ومن احسن من الله صبغة يعنى انه يصبغ عباده بالايمان ويطهرهم به من اوضار الكفر فلا صبغة احسن من صبغته وقوله ونحن له عابدون عطف على آمنا بالله وهذا العطف يرد قول من زعم ان صبغة الله بدل من ملة ابراهيم او نصب على الاغراء بمعنى عليكم صبغة الله لما فيه من فك النظم واخراج الكلام عن التئامه واتساقه وانتصابها على انها مصدر مؤكد هو الذى ذكره سيبويه والقول ما قالت حذام **قل أتحاجوننا فى الله وهو ربنا وربكم ولنا اعمالنا ولكم اعمالكم ونحن له مخلصون ام تقولون ان ابراهيم واسمعيل واسحق ويعقوب والاسباط كانوا هودا او نصارى قل أانتم اعلم ام الله ومن اظلم ممن كتم شهادة عنده من الله وما الله بغافل عما تعملون تلك امة قد خلت لها ما كسبت ولكم ما كسبتم ولا تسئلون عما كانوا يعملون** **وقرأ** زيد بن ثابت أتحاجونا بادغام النون والمعنى أتجادلوننا فى شأن الله

واصطفائه النبي صلى الله عليه وسلم من العرب دونكم وتقولون لو انزل الله على احد لانزل علينا وترون انكم احق بالنبوة منا وهو ربنا وربكم نشترك جميعا في انا عباده وهو ربنا وهو يصيب برحمته وكرامته من يشاء من عباده هم فوضى في ذلك لا يختص به عجمي دون عربي اذا كان اهلا للكرامة. لنا اعمالنا ولكم اعمالكم يعني ان العمل هو اساس الامر وبه العبرة وكما ان لكم اعمالا يعتبرها الله في اعطاء الكرامة ومنعها فنحن كذلك. ثم قال ونحن له مخلصون فجاء بما هو سبب الكرامة اي نحن له موحدون نخلصه بالايمان فلا تستبعدوا ان يؤهل اهل اخلاصه لكرامة بالنبوة. وكانوا يقولون نحن احق بان تكون النبوة فينا لانا اهل كتاب والعرب عبدة اوثان. ام تقولون يحتمل فيمن قرأ بالتاء ان تكون ام معادلة للهمزة في اتحاجوننا بمعنى اي الامرين تأتون المحاجة في حكمة الله ام ادعاء اليهودية والنصرانية على الانبياء والمراد بالاستفهام عنهما انكارهما معا. وان تكون منقطعة بمعنى بل اتقولون والهمزة للانكار ايضا. وفيمن قرأ بالياء لا تكون الا منقطعة. قل أانتم اعلم ام الله يعني ان الله شهد لهم بملة الاسلام في قوله تعالى ما كان ابراهيم يهوديا ولا نصرانيا ولكن كان حنيفا مسلما. ومن اظلم ممن كتم شهادة عنده من الله اي كتم شهادة الله التي عنده انه شهد بها وهي شهادته لابراهيم بالحنيفية ويحتمل معنيين احدهما ان اهل الكتاب لا احد اظلم منهم لانهم كتموا هذه الشهادة وهم عالمون بها. والثاني انا لو كتمنا هذه الشهادة لم يكن احد اظلم منا فلا نكتمها وفيه تعريض بكتمانهم شهادة الله لمحمد بالنبوة في كتبهم وسائر شهاداته. ومن في قوله شهادة عنده من الله مثلها في قولك هذه شهادة مني لفلان اذا شهدت له ومثله براءة من الله ورسوله.

سيقول السفهاء من الناس ما ولاهم عن قبلتهم التي كانوا عليها قل لله المشرق والمغرب يهدي من يشاء الى صراط مستقيم وكذلك جعلناكم امة وسطا لتكونوا شهداء على الناس ويكون الرسول عليكم شهيدا

سيقول السفهاء الخفاف الاحلام وهم اليهود لكراهتهم التوجه الى الكعبة وانهم لا يرون النسخ. وقيل المنافقون لحرصهم على الطعن والاستهزاء. وقيل المشركون قالوا رغب عن قبلة آبائه ثم رجع اليها والله ليرجعن الى دينهم. **فان قلت** اي فائدة في الاخبار بقولهم قبل وقوعه. **قلت** فائدته ان مفاجأة المكروه اشد والعلم به قبل وقوعه ابعد من الاضطراب اذا وقع لما يتقدمه من توطين النفس وان الجواب العتيد قبل الحاجة اليه اقطع للخصم وارد لشغبه. وقبل الرمي يراش السهم. وما ولاهم ما صرفهم عن قبلتهم وهي بيت المقدس. لله المشرق والمغرب اي بلاد المشرق والمغرب والارض كلها. يهدي من يشاء من اهلها الى صراط مستقيم وهو ما توجبه الحكمة والمصلحة من توجيههم تارة الى بيت المقدس واخرى الى الكعبة. وكذلك جعلناكم ومثل ذلك الجعل العجيب جعلناكم امة وسطا خيارا وهي صفة بالاسم الذي هو وسط الشيء ولذلك استوى فيه الواحد والجمع والمذكر والمؤنث. **ونحوه** قوله صلى الله عليه وسلم وانطوا الثبجة يريد الوسيطة بين السمينة والعجفاء وصفا بالثبج الذي هو وسط الظهر الا انه الحق تاء التأنيث مراعاة لحق الوصفية. وقيل للخيار وسط لان الاطراف يتسارع اليها الخلل والاعوار والاوساط محمية محوطة. **ومنه قول** الطائي

كانت هي الوسط المحمي فاكتنفت … بها الحوادث حتى اصبحت طرفا

وقد اكتريت بمكة جمل اعرابي للحج فقال اعطني من سطاتهنه اراد من خيار الدنانير. او عدولا لان الوسط عدل بين الاطراف ليس الى بعضها اقرب من بعض. لتكونوا شهداء على الناس **روي** ان الامم يجحدون تبليغ الانبياء فيطالب الله الانبياء بالبينة على انهم قد بلغوا وهو اعلم فيؤتى بامة محمد صلى الله عليه وسلم فيشهدون فتقول الامم من اين عرفتم فيقولون قد علمنا ذلك باخبار الله في كتابه الناطق على لسان نبيه الصادق فيؤتى بمحمد صلى الله عليه وسلم فيسأل عن حال امته فيزكيهم ويشهد بعدالتهم وذلك قوله فكيف اذا جئنا من كل امة بشهيد وجئنا بك على هؤلاء شهيدا. **فان قلت** فهلا قيل لكم شهيدا وشهادته لهم لا عليهم. قلت لما كان الشهيد كالرقيب والمهيمن على المشهود له جيء بكلمة الاستعلاء. **ومنه** قوله تعالى والله على كل شيء شهيد كنت انت الرقيب عليهم وانت على كل شيء شهيد. وقيل لتكونوا شهداء على الناس في الدنيا فيما لا يصح الا بشهادة العدول الاخيار ويكون الرسول شهيدا عليكم يزكيكم ويعلم بعدالتكم. فان قلت لم اخرت صلة الشهادة اولا وقدمت آخرا. **قلت** لان الغرض في الاول اثبات شهادتهم على الامم وفي الآخر اختصاصهم بكون الرسول شهيدا عليهم.

وما جعلنا القبلة التي كنت عليها الا لنعلم من يتبع الرسول ممن ينقلب على عقبيه وان كانت لكبيرة الا على الذين هدى الله وما كان الله ليضيع ايمانكم ان الله بالناس لرؤف رحيم قد نرى تقلب وجهك في السماء فلنولينك قبلة ترضاها فول وجهك شطر المسجد الحرام وحيث ما كنتم فولوا وجوهكم شطره وان الذين اوتوا الكتاب ليعلمون انه الحق من ربهم وما الله بغافل عما يعملون

التي كنت عليها ليست بصفة للقبلة انما هي ثاني مفعولي جعل يريد وما جعلنا القبلة الجهة التي كنت عليها وهي الكعبة لان رسول الله صلى الله عليه وسلم كان يصلي بمكة الى الكعبة ثم امر بالصلاة الى صخرة بيت المقدس بعد الهجرة تألفا لليهود ثم حول الى الكعبة فيقول وما جعلنا القبلة التي يجب ان تستقبلها الجهة التي كنت عليها اولا بمكة يعني وما رددناك اليها الا امتحانا للناس وابتلاء لنعلم الثابت على الاسلام الصادق فيه ممن هو على حرف ينكص على عقبيه لقلقه فيرتد. وما جعلنا عدتهم الا فتنة للذين كفروا الآية. ويجوز ان يكون بيانا للحكمة في جعل بيت المقدس قبلته يعني ان اصل امرك ان تستقبل الكعبة وان استقبالك بيت المقدس كان امرا عارضا لغرض وانما جعلنا القبلة الجهة التي كنت عليها قبل وقتك هذا وهي بيت المقدس لنمتحن الناس وننظر من يتبع الرسول منهم ومن لا يتبعه وينفر عنه. **وعن** ابن عباس رضي الله عنه كانت قبلته بمكة بيت المقدس الا انه كان يجعل الكعبة بينه وبينه. **فان قلت** كيف قال لنعلم ولم يزل عالما بذلك. قلت معناه لنعلمه علما يتعلق به الجزاء وهو ان نعلمه موجودا حاصلا ونحوه ولما يعلم الله الذين جاهدوا منكم ويعلم الصابرين. وقيل ليعلم رسول الله عليه السلام والمؤمنون وانما اسند علمهم الى ذاته لانهم خواصه واهل الزلفى عنده. وقيل معناه لنميز

التابع من الناكص كما قال تعالى ليميز الله الخبيث من الطيب فوضع العلم موضع التمييز لانه وان كانت لكبيرة ان هي المخففة التي تلزمها اللام الفارقة والضمير في كانت لما دل عليه قوله وما جعلنا القبلة التي كنت عليها من الردة او التحويلة او الجعلة ويجوز ان يكون للقبلة لكبيرة لثقيلة شاقة الا على الذين هدى الله الا على الثابتين الصادقين في اتباع الرسول الذين لطف بهم وكانوا اهلا للطفه وما كان الله ليضيع ايمانكم اي ثباتكم على الايمان وانكم لم تزلوا ولم ترتابوا بل شكر صنيعكم واعد لكم الثواب العظيم ويجوز ان يراد وما كان الله ليترك تحويلكم لعلمه ان تركه مفسدة واضاعة لايمانكم وقيل من كان صلى الى بيت المقدس قبل التحويل فصلوته غير ضايعة عن ابن عباس رضي الله عنهما لما وجه رسول الله صلى الله عليه وسلم الى الكعبة قالوا كيف بمن مات قبل التحويل من اخواننا فنزلت لرؤف رحيم لا يضيع اجورهم ولا يترك ما يصلحهم ويحكى عن الحجاج انه قال للحسن ما رايك في ابي تراب فقرا قوله الا على الذين هدى الله ثم قال وعلي منهم وهو ابن عم رسول الله عليه السلام وختنه على ابنته واقرب الناس اليه واحبهم الا ليعلم على البنا للمفعول ومعنى العلم المعرفة ويجوز ان يكون من متضمنة لمعنى الاستفهام معلقا عنها العلم كقولك علمت ازيد في الدار ام عمرو وقرا ابن ابي اسحق على عقبيه بسكون القاف وقرا اليزيدي لكبيرة بالرفع ووجهها ان تكون كان زائدة كما في قوله وجيران لنا كانوا كرام الاصل اذ هي لكبيرة كقولك ان زيد لمنطلق ثم وان كانت لكبيرة ليضيع بالتشديد قد نرى ربما نرى ومعناه كثرة الرؤية كقوله قد اترك القرن مصفرا انامله تقلب وجهك تردد وجهك وتصرف نظرك في جهة السماء وكان رسول الله عليه السلام يتوقع من ربه ان يحوله الى الكعبة لانها قبلة ابيه ابراهيم وادعى للعرب الى الايمان لانها مفخرتهم ومزارهم ومطافهم ولمخالفة اليهود فكان يراعي نزول جبريل والوحي بالتحويل فلنولينك فلنعطينك ولنمكننك من استقبالها من قولك وليته كذا اذا جعلته واليا له او فلنجعلنك تلي سمتها دون سمت بيت المقدس ترضيها تحبها وتميل اليها لاغراضك الصحيحة التي اضمرتها ووافقت مشية الله وحكمته شطر المسجد الحرام نحوه والطعن بالغور شطر الملوك اي تلقا المسجد الحرام عن البراء بن عازب رضي الله عنه قدم النبي صلى الله عليه وسلم المدينة فصلى نحو بيت المقدس ستة عشر شهرا ثم وجه الى الكعبة وقيل كان ذلك في رجب بعد زوال الشمس قبل قتال بدر بشهرين ورسول الله في مسجد بني سلمة وقد صلى باصحابه ركعتين من صلوة الظهر فتحول في الصلوة واستقبل الميزاب وحول الرجال مكان النساء والنساء مكان الرجال فسمي المسجد مسجد القبلتين وشطر المسجد نصب على الظرف اي اجعل تولية الوجه تلقاء المسجد اي في جهته وسمته لان استقبال عين القبلة فيه حرج عظيم على البعيد وذكر المسجد الحرام دون الكعبة دليل على ان الواجب مراعاة الجهة دون العين ليعلمون انه الحق ان التحويل الى الكعبة هو الحق لانه كان في بشارة انبيائهم برسول الله عليه السلام انه يصلي الى القبلتين يعملون قرئ بالياء والتاء ولئن اتيت الذين اوتوا الكتاب بكل آية ما تبعوا قبلتك وما انت

بتابع قبلتهم وما بعضهم بتابع قبلة بعض ولئن اتبعت اهواءهم من بعد ما جاءك من العلم انك اذا لمن الظالمين ما تبعوا جواب القسم المحذوف سد مسد جواب الشرط بكل آية بكل برهان قاطع ان التوجه الى الكعبة هو الحق ما تبعوا قبلتك لان تركهم اتباعك ليس عن شبهة تزيلها بايراد الحجة انما هو عن مكابرة وعناد مع علمهم بما في كتبهم من نعتك انك على الحق وما انت بتابع قبلتهم حسم لاطماعهم اذ كانوا ماجوا في ذلك وقالوا لو ثبت على قبلتنا لكنا نرجو ان يكون صاحبنا الذي ننتظره وطمعوا في رجوعه الى قبلتهم وقرئ بتابع قبلتهم على الاضافة وما بعضهم بتابع قبلة بعض فانهم مع اتفاقهم على مخالفتك مختلفون في شان القبلة لا يرجى اتفاقهم كما لا يرجى موافقتهم لك وذلك ان اليهود تستقبل بيت المقدس والنصارى مطلع الشمس اخبر الله عز وعلا عن تصلب كل حزب فيما هو فيه وثباته عليه فالمحق منهم لا يزله عن مذهبه لتمسكه بالبرهان والمبطل لا يقلع عن باطله لشدة شكيمته في عناده ولئن اتبعت اهواءهم بعد الافصاح عن حقيقة حاله المعلومة عنده في قوله وما انت بتابع قبلتهم كلام وارد على سبيل الفرض والتقدير بمعنى ولئن اتبعتهم مثلا بعد وضوح البرهان والاحاطة بحقيقة الامر انك اذا لمن المرتكبين الظلم الفاحش وفي ذلك لطف للسامعين وزيادة تحذير واستفظاع لحال من يترك الدليل بعد انارته ويتبع الهوى وتهييج والهاب للثبات على الحق فان قلت كيف قال وما انت بتابع قبلتهم ولهم قبلتان لليهود قبلة وللنصارى قبلة قلت كلتا القبلتين باطلة مخالفة لقبلة الحق فكانتا بحكم الاتحاد في البطلان قبلة واحدة الذين آتيناهم الكتاب يعرفونه كما يعرفون ابناءهم وان فريقا منهم ليكتمون الحق وهم يعلمون الحق من ربك فلا تكونن من الممترين ولكل وجهة هو موليها فاستبقوا الخيرات اينما تكونوا يأت بكم الله جميعا ان الله على كل شيء قدير يعرفونه يعرفون رسول الله صلى الله عليه وسلم معرفة جلية يميزونه بينه وبين غيره بالوصف المعين المشخص كما يعرفون ابناءهم لا يشتبه عليهم ابناؤهم وابنا غيرهم وعن عمر رضي الله عنه انه سال عبد الله بن سلام عن رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال انا اعلم به مني بابني قال ولم قال لاني لست اشك في محمد انه نبي فاما ولدي فلعل والدته خانت فقبل عمر رضي الله عنه راسه وجاز الاضمار وان لم يسبق له ذكر لان الكلام يدل عليه ولا يلتبس على السامع ومثل هذا الاضمار فيه تفخيم واشعار بانه لشهرته وكونه علما معلوما بغير اعلام وقيل الضمير للعلم او القرآن او التحويل القبلة وقوله كما يعرفون ابناءهم يشهد للاول وينصره الحديث عن عبد الله بن سلام رضي الله عنه فان قلت لم اختص الابناء لان الذكور اشهر واعرف وهم لصحبة الاباء الزم وبقلوبهم الصق وان فريقا منهم استثناء لمن آمن منهم او لجهالهم الذين قال فيهم ومنهم اميون لا يعلمون الكتاب الحق من ربك يحتمل ان يكون الحق خبر مبتدأ محذوف اي هو الحق او مبتدأ خبره من ربك وفيه وجهان ان تكون اللام للعهد والاشارة الى الحق الذي عليه رسول الله صلى الله عليه وسلم او الى الحق الذي في قوله ليكتمون الحق اي هذا الذي يكتمونه هو الحق من ربك وانه

تكون للجنس على معنى الحق من الله لا من غيره يعني ان الحق ما ثبت انه من الله كالذي انت عليه
وما لم يثبت انه من الله كالذي عليه اهل الكتاب فهو الباطل **فان قلت** اذا جعلت
الحق ما ثبت انه من الله كالذي انت عليه وما لم يثبت انه من الله كالذي عليه فهو الباطل
خبر مبتدأ فما محل من ربك يجوز ان يكون خبرا بعد خبر وان يكون حالا **وقرأ**
علي رضي الله عنه الحق من ربك على الابدال من الاول اي يكتمون الحق من ربك فلا
تكونن من الممترين الشاكين في كتمانهم الحق مع علمهم او في انه من ربك ولكل من اهل
الاديان المختلفة وجهة قبلة **وفي** قراءة ابي ولكل قبلة هو موليها وجهه فحذف احد
المفعولين وقيل هو لله تعالى اي الله موليها اياه ولكل وجهة على الاضافة
والمعنى وكل وجهة الله موليها فزيدت اللام لتقدم المفعول كقولك لزيد ضربت ولزيد
ابوه ضاربه **وقرأ** ابن عامر هو مولاها اي هو مولى تلك الجهة قد وليها والمعنى لكل امة
قبلة تتوجه اليها منكم ومن غيركم فاستبقوا انتم الخيرات واستبقوا اليها غيركم من امر القبلة
وغيره ومعنى آخر وهو ان يراد ولكل منكم يا امة محمد وجهة اي جهة يصلي اليها جنوبية او
شمالية او شرقية او غربية فاستبقوا الخيرات اينما تكونوا يأت بكم الله جميعا للجزاء
من موافق ومخالف لا تعجزونه ويجوز ان يكون المعنى فاستبقوا الفاضلات من الجهات
وهي الجهات المسامتة للكعبة وان اختلفت اينما تكونوا من الجهات المختلفة يأت بكم
الله جميعا يجمعكم ويجعل صلواتكم كأنها الى جهة واحدة وكأنكم تصلون حاضري المسجد
الحرام **ومن حيث خرجت فول وجهك شطر المسجد الحرام وانه للحق من ربك وما الله
بغافل عما تعملون ومن حيث خرجت فول وجهك شطر المسجد الحرام وحيث ما
كنتم فولوا وجوهكم شطره لئلا يكون للناس عليكم حجة الا الذين ظلموا منهم
فلا تخشوهم واخشوني ولاتم نعمتي عليكم ولعلكم تهتدون** ومن حيث
خرجت ومن اي بلد خرجت للسفر فول وجهك شطر المسجد الحرام اذا صليت وانه وان هذا
المأمور به **وقرئ** يعملون بالياء والتاء وهذا التكرير لتأكيد امر القبلة وتشديده
لان النسخ من مظان الفتنة والشبهة وتسويل الشيطان والحاجة الى الفصل بينه
وبين البداء فكرر عليهم ليثبتوا ويعزموا ويجدوا ولانه نيط بكل واحد ما لم ينط بالآخر
فاختلفت فوائدها الا الذين ظلموا استثناء من الناس ومعناه لئلا يكون حجة لاحد من
اليهود الا للمعاندين منهم القائلين ما ترك قبلتنا الى الكعبة الا ميلا الى دين قومه وحبا
لبلده ولو كان على الحق للزم قبلة الانبياء **فان قلت** اي حجة كانت تكون للمنصفين
منهم لو لم يحول حتى احترز من تلك الحجة ولم يبال بحجة المعاندين كانوا يقولون
ما له لا يحول الى قبلة ابيه ابراهيم كما هو مذكور في نعته في التورية **فان قلت**
كيف اطلق اسم الحجة على قول المعاندين لانهم يسوقونه سياق الحجة ويجوز
ان يكون المعنى لئلا يكون للعرب عليكم حجة واعتراض في ترككم التوجه الى الكعبة
التي هي قبلة ابراهيم واسمعيل عليهما السلام ابي العرب الا الذين ظلموا منهم وهم اهل
مكة حين يقولون بدا له فرجع الى قبلة آبائه ويوشك ان يرجع الى دينهم **وقرأ** زيد بن

علي رضي الله عنه الا الذين ظلموا منهم على ان الا للتنبيه ووقف على حجة ثم استأنف منبها فلا تخشوهم
فلا تخافوا مطاعنهم في قبلتكم فانهم لا يضرونكم واخشوني فلا تخالفوا امري وما رأيته مصلحة
لكم ومتعلق اللام محذوف معناه ولاتمامي النعمة عليكم وارادتي اهتداءكم امرتكم بذلك
او يعطف على علة مقدرة كأنه قيل واخشوني لاوفقكم ولاتم نعمتي عليكم وقيل هو معطوف
على لئلا يكون **وفي** الحديث تمام النعمة دخول الجنة وعن علي رضي الله عنه تمام النعمة
الموت على الاسلام **كما ارسلنا فيكم رسولا منكم يتلو عليكم آياتنا ويزكيكم ويعلمكم
الكتاب والحكمة ويعلمكم ما لم تكونوا تعلمون فاذكروني اذكركم واشكروا
لي ولا تكفرون يا ايها الذين آمنوا استعينوا بالصبر والصلوة ان الله مع
الصابرين ولا تقولوا لمن يقتل في سبيل الله اموات بل احياء ولكن لا تشعرون**
كما ارسلنا اما ان يتعلق بما قبله اي ولاتم نعمتي عليكم في الآخرة بالثواب كما اتممتها عليكم
في الدنيا بارسال الرسول او بما بعده اي كما ذكرتكم بارسال الرسول فاذكروني بالطاعة
اذكركم بالثواب واشكروا لي ما انعمت به عليكم ولا تكفرون ولا تجحدوا نعماءي اموات
بل احياء هم اموات بل هم احياء ولكن لا تشعرون كيف حالهم في حياتهم **وعن** الحسن ان
الشهداء احياء عند الله يعرض ارزاقهم على ارواحهم فيصل اليهم الروح والفرح كما تعرض
النار على ارواح آل فرعون غدوة وعشيا فيصل اليهم الوجع مجاهد يرزقون
ثمر الجنة ويجدون ريحها وليسوا فيها وقالوا يجوز ان يجمع الله من اجزاء الشهيد جملة
فيحييها ويوصل اليها النعيم وان كانت في حجم الذرة نزلت في شهداء بدر
وكانوا اربعة عشر **ولنبلونكم بشيء من الخوف والجوع ونقص من الاموال والانفس
والثمرات وبشر الصابرين الذين اذا اصابتهم مصيبة قالوا انا لله وانا
اليه راجعون اولئك عليهم صلوات من ربهم ورحمة واولئك هم المهتدون**
ولنبلونكم ولنصيبنكم بذلك اصابة تشبه فعل المختبر لاحوالكم هل تصبرون وتثبتون
على ما انتم عليه من الطاعة وتسلمون لامر الله وحكمه ام لا بشيء بقليل من كل واحد
من هذه البلايا وطرف منه وبشر الصابرين المسترجعين عند البلاء لان الاسترجاع
تسليم واذعان **وعن** النبي صلى الله عليه وسلم من استرجع عند المصيبة جبر الله
مصيبته واحسن عقباه وجعل له خلفا صالحا يرضاه **وروي** انه طفئ سراج رسول
الله صلى الله عليه وسلم فقال انا لله وانا اليه راجعون فقيل أمصيبة هي قال نعم
كل شيء يؤذي المؤمن فهو له مصيبة وانما قلل في قوله بشيء ليؤذن ان كل بلاء اصاب
الانسان وان جل ففوقه ما يقل اليه وليخفف عليهم ويريهم ان رحمته معهم في كل حال
لا تزايلهم وانما وعدهم ذلك قبل كونه ليوطنوا عليه نفوسهم ونقص عطف على شيء او
على الخوف بمعنى وشيء من نقص الاموال والخطاب في وبشر لرسول الله صلى الله عليه وسلم
او لكل من يتأتى منه البشارة الشافعي رضي الله عنه الخوف خوف الله والجوع صيام
رمضان والنقص من الاموال الزكوات والصدقات ومن الانفس الامراض ومن
الثمرات موت الاولاد **وعن** النبي صلى الله عليه وسلم اذا مات ولد العبد قال الله عز

عز وجل للملائكة اقبضتم ولد عبدى فيقولون نعم فيقول قبضتم ثمرة قلبه فيقولون نعم فيقول الله تعالى ماذا قال عبدى فيقولون حمدك واسترجع فيقول الله ابنوا لعبدى بيتا في الجنة وسموه بيت الحمد والصلوة الحنو والتعطف فوضعت موضع الرأفة وجمع بينها وبين الرحمة كقوله رأفة ورحمة رؤف رحيم والمعنى عليهم رأفة بعد رأفة ورحمة اى رحمة واولئك هم المهتدون لطريق الصواب حيث استرجعوا وسلموا لامر الله **ان الصفا والمروة من شعائر الله فمن حج البيت او اعتمر فلا جناح عليه ان يطوف بهما ومن تطوع خيرا فان الله شاكر عليم** الصفا والمروة علمان للجبلين كالصمان والمقطم والشعائر جمع شعيرة وهي العلامة اى من اعلام مناسكه ومتعبداته والحج القصد والاعتمار الزيارة فغلبا على قصد البيت وزيارته للنسكين المعروفين وهما في المعاني كالنجم والبيت في الاعيان واصل يطوف يتطوف فادغم **وقرئ** ان يطوف من طاف **فان قلت** كيف قيل انهما من شعائر الله ثم قيل لا جناح عليه ان يطوف بهما كان على الصفا اساف وعلى المروة نائلة وهما صنمان يروى انهما كانا رجلا وامرأة زنيا في الكعبة فمسخا حجرين فوضعا عليهما ليعتبر بهما فلما طالت المدة عبدا من دون الله فكان اهل الجاهلية اذا سعوا مسحوهما فلما جاء الاسلام وكسرت الاوثان كره المسلمون الطواف بينهما لاجل فعل الجاهلية وان لا يكون عليهم جناح في ذلك فرفع عنهم الجناح واختلف في السعي فمن قائل هو تطوع بدليل رفع الجناح وما فيه من التخيير بين الفعل والترك كقوله تعالى فلا جناح عليهما ان يتراجعا وغير ذلك **ولقوله** تعالى ومن تطوع خيرا كقوله فمن تطوع خيرا فهو خير له ويروى ذلك عن انس وابن عباس وابن الزبير رضوان الله عليهم اجمعين وتنصره قراءة ابن مسعود فلا جناح عليه ان لا يطوف بهما **وعن** ابى حنيفة رحمة الله عليه انه واجب وليس بركن وعلى تاركه دم وعندنا لا ولكن لا شئ عليه وعند مالك والشافعي هو ركن لقوله صلى الله عليه وسلم اسعوا فان الله كتب عليكم السعي ومن يطوع بمعنى ومن يتطوع فادغم **وفي** قراءة عبد الله يتطوع بخير **ان الذين يكتمون ما انزلنا من البينات والهدى من بعد ما بيناه للناس في الكتاب اولئك يلعنهم الله ويلعنهم اللاعنون الا الذين تابوا واصلحوا وبينوا فاولئك اتوب عليهم وانا التواب الرحيم** ان الذين يكتمون من احبار اليهود ما انزلنا في التورية من البينات من الايات الشاهدة على امر محمد صلى الله عليه وسلم والهدى والهداية بوصفه الى اتباعه والايمان به من بعد ما بيناه ولخصناه للناس في الكتاب في التورية لم ندع فيه موضع اشكال ولا اشتباه على احد منهم فعمدوا الى ذلك المبين الملخص فكتموه ولبسوا على الناس اولئك يلعنهم الله ويلعنهم اللاعنون الذين يتاتى منهم اللعن عليهم وهم الملائكة والمؤمنون من الثقلين واصلحوا ما افسدوا من احوالهم وتداركوا ما فرط منهم وبينوا ما بينه الله في كتابهم فكتموه او بينوا للناس ما احدثوه من توبتهم ليمحوا سمة الكفر عنهم ويعرفوا بضد ما كانوا يعرفون به ويقتدى بهم غيرهم من المفسدين **ان الذين كفروا وماتوا وهم كفار اولئك عليهم لعنة الله والملائكة والناس اجمعين خالدين فيها**

لا يخفف عنهم العذاب ولا هم ينظرون ان الذين كفروا يعني الذين ماتوا من هؤلاء الكاتمين ولم يتوبوا ذكر لعنتهم احياء ثم لعنتهم امواتا **وقرأ** الحسن والملائكة والناس اجمعون بالرفع عطفا على محل اسم الله لانه فاعل في التقدير كقولك عجبت من ضرب زيد وعمرو تريد من ان ضرب زيد وعمرو كانه قيل اولئك عليهم ان لعنهم الله والملائكة **فان قلت** ما معنى قوله والناس اجمعين وفي الناس المسلم والكافر اراد بالناس من يعتد بلعنه وهم المؤمنون وقيل يوم القيامة يلعن بعضهم بعضا خالدين فيها في اللعنة وقيل في النار الا انها اضمرت تفخيما لشانها وتهويلا ولا هم ينظرون من الانظار اى لا يمهلون ولا يؤجلون او لا ينتظرون ليعتذروا او لا ينظر اليهم نظر رحمة **والهكم اله واحد لا اله الا هو الرحمن الرحيم ان في خلق السموات والارض واختلاف الليل والنهار والفلك التي تجري في البحر بما ينفع الناس وما انزل الله من السماء من ماء فاحيا به الارض بعد موتها وبث فيها من كل دابة وتصريف الرياح والسحاب المسخر بين السماء والارض لايات لقوم يعقلون** اله واحد فرد في الالهية لا شريك له فيها ولا يصح ان يسمى غيره الها ولا اله الا هو تقرير للوحدانية بنفي غيره واثباته الرحمن الرحيم المولى لجميع النعم اصولها وفروعها ولا شئ سواه بهذه الصفة فان كل ما سواه اما نعمة واما منعم عليه وقيل كان للمشركين حول الكعبة ثلثمائة وستون صنما فلما سمعوا بهذه الاية تعجبوا وقالوا ان كنت صادقا فائت باية نعرف بها صدقك فنزلت ان في خلق السموات والارض واختلاف الليل والنهار واعتقابهما لان كل واحد منهما يعقب الاخر **كقوله تعالى** جعل الليل والنهار خلفة بما ينفع الناس بالذي ينفعهم مما تحمل فيها او بنفع الناس **قلت** قوله وبث فيها عطف على انزل ام احيا الظاهر انه عطف على انزل داخل تحت حكم الصلة لان قوله فاحيا به الارض عطف على انزل فاتصل به وصارا جميعا كالشئ الواحد فكانه قيل وما انزل في الارض من ماء وبث فيها من كل دابة ويجوز عطفه على احيا على معنى فاحيا بالمطر الارض وبث فيها من كل دابة لانهم ينمون بالخصب ويعيشون بالحيا وتصريف الرياح في مهابها قبولا ودبورا وجنوبا وشمالا وفي احوالها حارة وباردة وعاصفة ولينة وعقما ولواقح وقيل تارة بالرحمة وتارة بالعذاب والسحاب المسخر للرياح تقلبه في الجو بمشية الله يمطر حيث شاء لايات لقوم يعقلون ينظرون بعيون عقولهم ويعتبرون لانها دلائل على عظيم القدرة وباهر الحكمة **وعن** رسول الله صلى الله عليه وسلم ويل لمن قرأ هذه الاية فمج بها اى لم يتفكر فيها ولم يعتبر بها والفلك بضمتين وتصريف الريح على الافراد **ومن الناس من يتخذ من دون الله اندادا يحبونهم كحب الله والذين امنوا اشد حبا لله ولو يرى الذين ظلموا اذ يرون العذاب ان القوة لله جميعا وان الله شديد العذاب اذ تبرأ الذين اتبعوا من الذين اتبعوا ورأوا العذاب وتقطعت بهم الاسباب وقال الذين اتبعوا لو ان لنا كرة فنتبرأ منهم كما تبرءوا منا كذلك يريهم الله اعمالهم حسرات عليهم وما هم بخارجين**

من الناس انداداً امثالاً من الاصنام وقيل من الرؤسا الذين كانوا يتبعونهم ويطيعونهم ويتركون
على اوامرهم ونواهيهم واستدل له بقوله اذ تبرأ الذين اتبعوا من الذين اتبعوا ومعنى
يحبونهم يعظمونهم ويخضعون لهم تعظيم المحبوب كحب الله كتعظيم الله والخضوع له اى كما
يحب الله وهو مصدر من المبني للمفعول وانما استغنى عن ذكر من يحبه لانه غير ملبس وقيل
كحبهم الله اى يسوون بينه وبينهم في محبتهم لانهم كانوا يقرون بالله ويتقربون الى الله
فاذا ركبوا في الفلك دعوا الله مخلصين له الدين والذين آمنوا اشد حباً لله لانهم لا يعدلون
عنه الى غيره بخلاف المشركين فانهم يعدلون عن اندادهم الى الله عند الشدائد فيفزعون
اليه ويخضعون له ويجعلونهم وسائط بينهم وبينه فيقولون هؤلاء شفعاؤنا عند
الله ويعبدون الصنم زماناً ثم يرفضونه الى غيره او ياكلونه كما اكلت باهلة الهها من
حيس عام المجاعة ولو يرى الذين ظلموا اشارة الى متخذي الانداد ولو يعلم هؤلاء الذين ارتكبوا
الظلم العظيم بشركهم ان القوة لله جميعاً اى ان القدرة كلها لله على كل شيء من العقاب والثواب دون اندادهم
ويعلمون شدة عقابه للظالمين اذ عاينوا العذاب يوم القيامة لكان منهم ما لا يدخل
تحت الوصف من الندم والحسرة ووقوع العلم بظلمهم وضلالهم فحذف الجواب كما في قوله
عز وجل ولو ترى اذ وقفوا وقولهم لو رأيت فلاناً والسياط تاخذه **وقرئ**
ولو ترى على خطاب الرسول او كل مخاطب اى ولو ترى ذلك لرأيت امراً عظيماً
اذ يرون على البناء للمفعول واذ في المستقبل . ونادى اصحاب
الجنة اذ تبرأ بدل من اذ يرون العذاب اى تبرأ المتبوعون وهم الرؤسا من الاتباع
وقرئ بالجمع الاول على البناء للفاعل والثاني على البناء للمفعول اى تبرأ الاتباع من
الرؤساء ورأوا العذاب الواو للحال اى تبرؤوا في حال رؤيتهم العذاب وتقطعت
عطف على تبرأ والاسباب الوصل التي كانت بينهم من الاتفاق على دين واحد ومن
الانساب والمحاب والاتباع والاستتباع لقد تقطع بينكم
لو في معنى التمني ولذلك اجيب بالفاء الذي يجاب به التمني كانه قيل ليت لنا كرة فنتبرأ
منهم كذلك مثل ذلك الاراء الفظيع يريهم الله اعمالهم حسرات عليهم اى ندامات وحسرات
ثالث مفاعيل ارى ومعناه ان اعمالهم تنقلب حسرات عليهم فلا يرون الا حسرات
مكان اعمالهم وما هم بخارجين من النار اصله وما يخرجون فعدل به الى هذه العبارة
للمبالغة في الخلود والاقناط عن الخلاص والرجوع الى الدنيا ومجيء الضمير مثله **في قوله** هم يفرشون اللبد كل طمرة
في دلالته على قوة امرهم فيما اسند اليهم لا على الاختصاص يا ايها الناس كلوا
مما في الارض حلالاً طيباً ولا تتبعوا خطوات الشيطان انه لكم عدو مبين
انما يامركم بالسوء والفحشاء وان تقولوا على الله ما لا تعلمون واذا قيل لهم
اتبعوا ما انزل الله قالوا بل نتبع ما الفينا عليه آباءنا اولو كان آباؤهم
لا يعقلون شيئاً ولا يهتدون حلالاً مفعول كلوا او حال مما في الارض
طيباً طاهراً من كل شبهة ولا تتبعوا خطوات الشيطان فتدخلوا في حرام او شبهة
او تحريم حلال او تحليل حرام ومن للتبعيض لان كل ما في الارض ليس بماكول
وقرئ خطوات بضمتين وخطوات بضمة وسكون وخطوات بضمتين وهمزة

جعلت الضمة على الطاء كانها على الواو وخطوات بفتحتين وخطوات بفتحة وسكون والخطوة
المرة من الخطو والخطوة ما بين قدمي الخاطي وهما كالغرفة والغرفة والقبضة والقبضة
يقال اتبع خطواته ووطئ على عقبه اذا اقتدى به واستن بسنته مبين ظاهر العداوة
لا خفاء به انما يامركم بيان لوجوب الانتهاء عن اتباعه وظهور عداوته اى لا يامركم بخير
قط انما يامركم بالسوء بالقبيح والفحشاء وما يتجاوز الحد في القبح من العظائم وقيل السوء
ما لا حد فيه والفحشاء ما يجب فيه الحد وان تقولوا على الله ما لا تعلمون وهو قولكم هذا
حلال وهذا حرام بغير علم ويدخل فيه كل ما يضاف الى الله مما لا يجوز عليه **فان
قلت** كيف كان الشيطان آمراً مع قوله ليس لك عليهم سلطان شبه تزيينه
وبعثه على الشر بامر الآمر كما تقول امرتني نفسي بكذا وتحته رمز الى انكم منه بمنزلة المأمور
لطاعتكم له وقبولكم وساوسه ولذلك قال ولآمرنهم فليبتكن آذان الانعام ولآمرنهم
فليغيرن خلق الله **وقال تعالى** ان النفس لامارة بالسوء لما كان الانسان يطيعها
فيعطيها ما اشتهت لهم الضمير للناس وعدل بالخطاب عنهم على طريقة الالتفات للنداء
على ضلالهم لانه لا ضال اضل من المقلد كانه يقول للعقلاء انظروا الى هؤلاء الحمقى ماذا يقولون
قيل هم المشركون وقيل هم طائفة من اليهود دعاهم رسول الله صلى الله عليه وسلم الى الاسلام
فقالوا بل نتبع ما الفينا عليه آباءنا فانهم كانوا خيراً منا واعلم والفينا بمعنى وجدنا
بدليل قوله بل نتبع ما وجدنا عليه آباءنا اولو كان آباؤهم الواو للحال والهمزة بمعنى الرد
والتعجب معناه ايتبعونهم ولو كان آباؤهم لا يعقلون شيئاً من الدين ولا يهتدون للصواب
ومثل الذين كفروا كمثل الذي ينعق بما لا يسمع الا دعاء ونداء صم بكم عمي فهم لا يعقلون
لا بد من مضاف محذوف تقديره ومثل داعي الذين كفروا كمثل الذي ينعق او ومثل الذين
كفروا كبهائم الذي ينعق والمعنى ومثل داعيهم الى الايمان في انهم لا يسمعون من الدعاء الا
جرس النغمة ودوي الصوت من غير القاء اذهان ولا استبصار كمثل الناعق بالبهائم التي
لا تسمع الا دعاء الناعق ونداءه الذي هو تصويت بها وزجرها ولا تفقه شيئاً آخر ولا تعي
كما يفهم العقلاء ويعون ويجوز ان يراد بما لا يسمع الاصم الاصلخ الذي لا يسمع من كلام الرافع
صوته بكلامه الا النداء والتصويت لا غير من غير فهم للحروف وقيل معناه ومثلهم في اتباعهم
آباءهم وتقليدهم لهم كمثل البهائم التي لا تسمع الا ظاهر الصوت ولا تفهم ما تحته فكذلك
هؤلاء يتبعونهم على ظاهر حالهم ولا يفقهون اهم على حق ام باطل وقيل معناه ومثلهم في دعائهم
الاصنام كمثل الناعق بما لا يسمع الا ان قوله الا دعاء ونداء لا يساعد عليه لان الاصنام لا تسمع
شيئاً والنعيق التصويت يقال نعق المؤذن ونعق الراعي بالضان **قال الاخطل**
فانعق بضانك يا جرير فانما منتك نفسك في الخلاء ضلالا
واما نغق الغراب فبالغين المعجمة صم هم صم وهو رفع على الذم يا ايها الذين آمنوا كلوا
من طيبات ما رزقناكم واشكروا لله ان كنتم اياه تعبدون انما حرم عليكم
الميتة والدم ولحم الخنزير وما اهل به لغير الله فمن اضطر غير باغ ولا عاد فلا
اثم عليه ان الله غفور رحيم من طيبات ما رزقناكم من مستلذاته لانه لا يدكل ما...

لا يكون الا حلالا واشكروا لله الذى رزقكموها ان كنتم اياه تعبدون ان صح انكم تخصونه بالعبادة وتقرون انه مولى النعم وعن رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول الله تعالى انى والجن والانس فى نبا عظيم اخلق ويعبد غيرى وارزق ويشكر غيرى وقرئ حرم على البناء للفاعل وحرم على البناء للمفعول وحرم بوزن كرم اهل به لغير الله اى رفع به الصوت للصنم وذلك قول اهل الجاهلية باسم اللات والعزى غير باغ على مضطر آخر بالاستيثار عليه ولا عاد سد الجوعة

فى الميتات ما يحل وهو السمك والجراد قال رسول الله صلى الله عليه وسلم احلت لى ميتتان ودمان قلت قصد ما يتفاهمه الناس ويتعارفونه فى العادة الا ترى ان القائل اذا قال اكل فلان ميتة لم يسبق الوهم الى السمك والجراد كما لو قال اكل دما لم يسبق الى الكبد والطحال ولاعتبار العادة والتعارف قالوا من حلف لا ياكل لحما فاكل سمكا لم يحنث وان اكل لحما فى الحقيقة وقال تعالى لتاكلوا منه لحما طريا وشبهوه بمن حلف لا يركب دابة فركب كافرا لم يحنث وان سماه الله تعالى دابة فى قوله تعالى ان شر الدواب عند الله الذين كفروا فان قلت ما له ذكر لحم الخنزير دون شحمه لان الشحم داخل فى ذكر اللحم لكونه تابعا له وصفة فيه بدليل قولهم لحم سمين يريدون انه شحيم ان الذين يكتمون ما انزل الله من الكتاب ويشترون به ثمنا قليلا اولئك ما ياكلون فى بطونهم الا النار ولا يكلمهم الله يوم القيامة ولا يزكيهم ولهم عذاب اليم فى بطونهم ملء بطونهم يقال اكل فلان فى بطنه واكل فى بعض بطنه الا النار لانه اذا اكل ما يتلبس بالنار لكونها عقوبة عليه فكانه اكل النار ومنه قولهم اكل فلان الدم اذا اكل الدية التى هى بدل منه قال

اكلت دما ان لم ارعك بضرة   بعيدة مهوى القرط طيبة النشر

يأكلن كل ليلة اكافا   اراد ثمن الاكاف فسماه اكافا لتلبسه بكونه ثمنا له ولا يكلمهم الله تعريض بحرمانهم حال اهل الجنة فى تكرمة الله اياهم بكلامه وتزكيتهم بالثناء عليهم وقيل نفى الكلام عبارة عن غضبه عليهم كمن غضب على صاحبه فصرمه وقطع كلامه وقيل لا يكلمهم الله بما يحبون ولكن بنحو قوله قال اخسئوا فيها ولا تكلمون اولئك الذين اشتروا الضلالة بالهدى والعذاب بالمغفرة فما اصبرهم على النار ذلك بان الله نزل الكتاب بالحق وان الذين اختلفوا فى الكتاب لفى شقاق بعيد فما اصبرهم على النار تعجب من حالهم فى التباسهم بموجبات النار من غير مبالاة منهم كما تقول لمن يتعرض لما يوجب غضب السلطان ما اصبرك على القيد والسجن تريد انه لا يتعرض لذلك الا من هو شديد الصبر على العذاب وقيل فما اصبرهم فاى شىء صبرهم يقال اصبره على كذا وصبره بمعنى وهذا اصل معنى فعل التعجب والذى روى عن الكسائى انه قال قال لى قاضى اليمن بمكة اختصم الى رجلان من العرب فحلف احدهما على حق صاحبه فقال له ما اصبرك على الله فمعناه ما اصبرك على عذاب الله ذلك بان الله نزل اى ذلك العذاب بسبب ان الله نزل ما نزل من الكتب بالحق وان الذين اختلفوا فى كتب الله فقالوا فى بعضها حق وفى بعضها باطل وهم اهل الكتاب لفى شقاق لفى خلاف بعيد عن الحق والكتاب للجنس او كفرهم ذلك بسبب ان الله نزل القرآن بالحق كما يعلمون

وان الذين اختلفوا فيه من المشركين فقال بعضهم سحر وبعضهم شعر وبعضهم اساطير الاولين لفى شقاق بعيد يعنى ان اولئك لو لم يختلفوا ولم يشاقوا لما جسر هؤلاء ان يكفروا ليس البر ان تولوا وجوهكم قبل المشرق والمغرب ولكن البر من آمن بالله واليوم الآخر والملائكة والكتاب والنبيين وآتى المال على حبه ذوى القربى واليتامى والمساكين وابن السبيل والسائلين وفى الرقاب واقام الصلوة وآتى الزكوة والموفون بعهدهم اذا عاهدوا والصابرين فى الباساء والضراء وحين الباس اولئك الذين صدقوا واولئك هم المتقون البر اسم للخير ولكل فعل مرضى ان تولوا وجوهكم قبل المشرق والمغرب الخطاب لاهل الكتاب لان اليهود تصلى قبل المغرب الى بيت المقدس والنصارى قبل المشرق وذلك انهم اكثروا الخوض فى امر القبلة حين حول رسول الله صلى الله عليه وسلم الى الكعبة وزعم كل واحد من الفريقين ان البر التوجه الى قبلته فرد عليهم وقيل ليس البر فيما انتم عليه فانه منسوخ خارج من البر ولكن البر ما نبينه وقيل كثر خوض المسلمين واهل الكتاب فى امر القبلة فقيل ليس البر العظيم الذى يجب ان تذهلوا بشانه عن سائر صنوف البر امر القبلة ولكن البر الذى يجب الاهتمام به وصرف الهمة اليه بر من آمن وقام بهذه الاعمال وقرئ ليس البر بالنصب على انه خبر مقدم وقرأ عبد الله بان تولوا على ادخال الباء على الخبر للتاكيد كقولك ليس المنطلق بزيد ولكن البر من آمن على تاويل حذف المضاف اى بر من آمن او بتاول البر بمعنى ذى البر وكما قالت

فانما هى اقبال وادبار   وعن المبرد لو كنت ممن يقرأ القرآن لقرأت ولكن البر بفتح الباء وقرئ ولكن البار   ابن عامر ونافع ولكن البر بالتخفيف والكتاب جنس كتب الله او القرآن على حبه مع حب المال والشح به كما قال ابن مسعود ان تؤتيه وانت صحيح شحيح تامل العيش وتخشى الفقر ولا تمهل حتى اذا بلغت الحلقوم قلت لفلان كذا ولفلان كذا وقيل على حب الله وقيل على حب الايتاء يريد ان يعطيه وهو طيب النفس باعطائه وقدم ذوى القربى لانهم احق قال عليه السلام صدقتك على المسكين صدقة وعلى ذى رحمك اثنتان لانها صدقة وصلة وقال صلى الله عليه وسلم افضل الصدقة على ذى الرحم الكاشح واطلق ذوى القربى واليتامى والمراد الفقراء منهم لعدم الالتباس والمساكين الدائم السكون الى الناس لانه لا شىء له كالمسكير للدائم السكر وابن السبيل المسافر المنقطع وجعل ابنا للسبيل لملازمته له كما يقال للص القاطع الطريق وقيل هو الضيف لان السبيل يرعف به والسائلين المستطعمين قال رسول الله عليه السلام للسائل حق وان جاء على ظهر فرسه وفى الرقاب وفى معاونة المكاتبين حتى يفكوا رقابهم وقيل فى ابتياع الرقاب واعتاقها وقيل فى فك الاسارى فان قلت قد ذكر ايتاء المال فى هذه الوجوه ثم قفاه بايتاء الزكوة فهل دل ذلك على ان فى المال حقا سوى الزكوة قلت يحتمل ذلك وعن الشعبى ان فى المال حقا سوى الزكوة وتلا هذه الآية ويحتمل ان يكون ذلك بيان مصارف الزكوة او يكون حثا على نوافل الصدقات والمبار وفى الحديث نسخت الزكوة كل صدقة يعنى وجوبها ليس فى المال حق سوى الزكوة والموفون عطف على من آمن واخرج الصابرين

سوى بالاختصاص والمدح اظهارا لفضل الصبر في الشدائد ومواطن القتال على سائر الاعمال وقرئ والصابرون وقرئ والموفين والصابرين والبأساء الفقر والشدة والضراء المرض والزمانة صدقوا كانوا صادقين جادين في الدين يا ايها الذين آمنوا كتب عليكم القصاص في القتلى الحر بالحر والعبد بالعبد والانثى بالانثى فمن عفي له من اخيه شيء فاتباع بالمعروف واداء اليه باحسان ذلك تخفيف من ربكم ورحمة فمن اعتدى بعد ذلك فله عذاب اليم عن عمر بن عبد العزيز والحسن البصري وعطاء وعكرمة وهو مذهب مالك والشافعي ان الحر لا يقتل بالعبد والذكر لا يقتل بالانثى اخذا بهذه الآية ويقولون هي مفسرة لما ابهم في قوله النفس بالنفس ولان تلك واردة لحكاية ما كتب في التوراة على اهلها وهذه خوطب بها المسلمون وكتب عليهم ما فيها وعن سعيد ابن المسيب والشعبي والنخعي وقتادة والثوري وهو مذهب ابي حنيفة واصحابه انها منسوخة بقوله النفس بالنفس والقصاص ثابت بين العبد والحر والذكر والانثى ويستدلون بقوله صلى الله عليه وسلم المسلمون تتكافأ دماؤهم وبان التفاضل غير معتبر في الانفس بدليل ان جماعة لو قتلوا واحدا قتلوا به انه كان بين حيين من احياء العرب دماء في الجاهلية وكان لاحدهما طول على الآخر فاقسموا لنقتلن الحر منكم بالعبد والذكر بالانثى والاثنين بالواحد فتحاكموا الى رسول الله صلى الله عليه وسلم حين جاء الله بالاسلام فنزلت وامرهم ان يتباءوا فمن عفي له من اخيه شيء معناه فمن عفي له من جهة اخيه شيء من العفو على انه كقولك سير بزيد بعض السير وطائفة من السير ولا يصح ان يكون شيء في معنى المفعول به لان عفا لا يتعدى الى مفعول به الا بواسطة واخوه هو ولي المقتول وقيل له اخوه لانه لابسه من قبل انه وليّ الدم ومطالبه به كما تقول للرجل قل لصاحبك كذا لمن بينه وبينه ادنى ملابسة او ذكره بلفظ الاخوة ليعطف احدهما على صاحبه بذكر ما هو ثابت بينهما من الجنسية والاسلام فان قلت ان عفا يتعدى بعن لا باللام فما وجه قوله فمن عفي له يتعدى بعن الى الجاني والى الذنب فيقال عفوت عن فلان وعن ذنبه قال تعالى عفا الله عنك وقال عفا الله عنها فاذا تعدى الى الذنب قيل عفوت لفلان عما جنى كما تقول غفرت له ذنبه وتجاوزت له عنه وعلى هذا ما في الآية كانه قيل فمن عفي له عن جنايته فاستغني عن ذكر الجناية فان قلت هلا فسرت عفي بترك حتى يكون شيء في معنى المفعول به لان عفا الشيء بمعنى تركه ليس بثبت ولكن اعفاه ومنه قوله عليه السلام واعفوا اللحى فان قلت فقد ثبت قولهم عفا اثره اذا محاه وازاله فهلا جعلت معناه فمن محي له من اخيه شيء عبارة قلقة في مكانها والعفو في باب الجنايات عبارة متداولة مشهورة في الكتاب والسنة واستعمال الناس فلا يعدل عنها الى اخرى قلقة نابية عن مكانها وترى كثيرا ممن يتعاطى هذا العلم يجترئ اذا اعضل عليه تخريج وجه للمشكل من كلام الله عز وجل على اختراع لغة وادعاء على العرب ما لا تعرفه وهذه جرأة يستعاذ بالله منها فان قلت لم قيل شيء من العفو للاشعار بانه اذا عفي له طرف من العفو وبعض منه بان يعفى عن بعض الدم او عفا عنه بعض الورثة تم العفو وسقط القصاص ولم تجب الا الدية فاتباع بالمعروف فليكن اتباع

او فالامر اتباع وهذه توصية للمعفو عنه والعافي جميعا يعني فليتبع الولي القاتل بالمعروف بان لا يعنف به ولا يطالبه الا مطالبة جميلة وليؤد اليه القاتل بدل الدم اداء باحسان بان لا يمطله ولا يبخسه ذلك الحكم المذكور من العفو والدية تخفيف من ربكم ورحمة لان اهل التوراة كتب عليهم القصاص البتة وحرم عليهم العفو واخذ الدية وعلى اهل الانجيل العفو وحرم القصاص والدية وخيرت هذه الامة بين الثلاث القصاص والدية والعفو توسعة عليهم وتيسيرا فمن اعتدى بعد ذلك التخفيف فتجاوز ما شرع له من قتل غير القاتل او القتل بعد اخذ الدية فقد كان الولي في الجاهلية يؤمن القاتل بقبوله الدية ثم يظفر به فيقتله فله عذاب اليم نوع من العذاب شديد الالم في الآخرة وعن قتادة العذاب الاليم ان يقتل لا محالة ولا يقبل منه دية لقوله صلى الله عليه وسلم لا اعافي احدا قتل بعد اخذ الدية ولكم في القصاص حياة يا اولي الالباب لعلكم تتقون ولكم في القصاص حياة كلام فصيح لما فيه من الغرابة وهو ان القصاص قتل وتفويت للحياة وقد جعل مكانا وظرفا للحياة ومن اصابة محز البلاغة وتعريف القصاص وتنكير الحياة لان المعنى ولكم في هذا الجنس من الحكم الذي هو القصاص حياة عظيمة وذلك انهم كانوا يقتلون بالواحد الجماعة وكم قتل مهلهل باخيه كليب حتى كاد يفني بكر بن وائل وكان يقتل بالمقتول غير قاتله فتثور الفتنة ويقع بينهم التناحر فلما جاء الاسلام بشرع القصاص كانت فيه حياة اي حياة او نوع من الحياة وهي الحياة الحاصلة بالارتداع عن القتل لوقوع العلم بالاقتصاص من القاتل لانه اذا هم بالقتل فعلم انه يقتص منه فارتدع سلم صاحبه من القتل وسلم هو من القود فكان القصاص سبب حياة نفسين وقرأ ابو الجوزاء ولكم في القصص حياة اي فيما قص عليكم من حكم القتل والقصاص وقيل القصص القرآن اي ولكم في القرآن حياة للقلوب روحا من امرنا ويحيى من حي عن بينة لعلكم تتقون اي اريتكم ما في القصاص من استبقاء الارواح وحفظ النفوس لعلكم تتقون تعملون عمل اهل التقوى في المحافظة على القصاص والحكم به وهو خطاب له فضل اختصاص بالائمة كتب عليكم اذا حضر احدكم الموت ان ترك خيرا الوصية للوالدين والاقربين بالمعروف حقا على المتقين فمن بدله بعد ما سمعه فانما اثمه على الذين يبدلونه ان الله سميع عليم فمن خاف من موص جنفا او اثما فاصلح بينهم فلا اثم عليه ان الله غفور رحيم اذا حضر احدكم الموت اذا دنا منه وظهرت اماراته خيرا مالا كثيرا وعن عائشة رضي الله عنها ان رجلا اراد الوصية وله عيال واربعمائة دينار فقالت ما ارى فيه فضلا واراد آخر ان يوصي فسألته كم مالك فقال ثلاثة آلاف قالت كم عيالك قال اربعة قالت انما قال الله ان ترك خيرا وان هذا لشيء يسير فاتركه لعيالك وعن علي رضي الله عنه ان مولى له اراد ان يوصي وله سبعمائة فمنعه وقال قال الله ان ترك خيرا وان هذا الشيء يسير والخير هو المال الكثير وليس لك مال والوصية فاعل كتب وذكر فعلها للفاصل ولانها بمعنى ان يوصي ولذلك ذكر الراجع في قوله فمن بدله بعد ما سمعه والوصية للوارث كانت في بدء الاسلام فنسخت باية المواريث وبقوله صلى الله عليه وسلم ان الله اعطى كل ذي حق حقه

الا لا وصية لوارث وتلقي الامة له بالقبول حتى لحق بالمتواتر وان كان من الاحاد لانهم لا يتلقون
بالقبول الا الثبت الذي صحت روايته وقيل لم تنسخ والوارث يجمع له بين الوصية والميراث
بحكم الايتين وقيل ما بين بخالفه لان اية المواريث ومعناها كتب عليكم ما اوصى به الله
من توريث الوالدين والاقربين من قوله تعالى يوصيكم الله في اولادكم او كتب
على المحتضر ان يوصي للوالدين والاقربين بتوفير ما اوصى به الله لهم عليهم وان لا ينقص
من انصبائهم بالمعروف بالعدل وهو ان لا يوصي للغني ويدع الفقير ولا يتجاوز الثلث
حقا مصدر مؤكد اي حق ذلك حقا فمن بدله فمن غيره من الايصاء عن وجهه ان كان موافقا
للشرع من الاوصياء والشهود بعد ما سمعه وتحققه فانما اثمه على الذين يبدلونه فما
اثم الايصاء المغير او التبديل الا على الذين مبدليه دون غيرهم من الموصي والموصى له
لانهما بريان من الحيف ان الله سميع عليم وعيد للمبدل فمن خاف فمن توقع وعلم وهذا في
كلامهم شايع يقولون اخاف ان ترسل السماء يريدون التوقع والظن الغالب الجاري
مجرى العلم جنفا ميلا عن الحق بالخطا في الوصية او اثما او تعمدا للحيف فاصلح بينهم بين الموصى لهم
وهم الوالدان والاقربون باجرائهم على طريق الشرع فلا اثم عليه حينئذ لان تبديله تبديل
باطل الى حق ذكر من يبدله بالباطل ثم من يبدل بالحق ليعلم ان كل تبديل لا يؤثم يا ايها
الذين آمنوا كتب عليكم الصيام كما كتب على الذين من قبلكم لعلكم تتقون اياما
معدودات فمن كان منكم مريضا او على سفر فعدة من ايام اخر وعلى الذين يطيقونه
فدية طعام مسكين فمن تطوع خيرا فهو خير له وان تصوموا خير لكم ان كنتم
تعلمون كما كتب على الذين من قبلكم على الانبياء والامم من لدن آدم عليه السلام الى عهدكم
قال علي كرم الله وجهه اولهم آدم يعني ان الصوم عبادة قديمة اصلية ما اخلى الله
امة من افتراضها عليهم لم يفرضها عليكم وحدكم لعلكم تتقون بالمحافظة عليها وتعظيمها
لاصالتها وقدمها او لعلكم تتقون المعاصي لان الصائم اظلف لنفسه واردع لها من مواقعة
السوء النبي صلى الله عليه وسلم فعليه بالصوم فان الصوم وجاء او لعلكم
تنتظمون في زمرة المتقين لان الصوم شعارهم وقيل معناه انه كصومهم في عدد الايام وهو
شهر رمضان كتب على اهل الانجيل فاصابهم موتان فزادوا عشرا قبله وعشرا بعده فجعلوه
خمسين يوما وقيل كان وقوعه في البرد الشديد فشق عليهم في اسفارهم ومعايشهم فجعلوه
بين الشتاء والربيع وزادوا عشرين يوما كفارة لتحويله عن وقته وقيل الايام المعدودات
عاشوراء وثلاثة ايام من كل شهر كتب على رسول الله صلى الله عليه وسلم صيامها حين هاجر
ثم نسخت بشهر رمضان وقيل كتب عليكم كما كتب عليهم ان يتقوا المفطر بعد ان يصلوا
العشاء وبعد ان يناموا ثم نسخ ذلك بقوله تعالى احل لكم ليلة الصيام الاية ومعنى
معدودات موقتات بعدد معلوم او قلائل كقوله تعالى دراهم معدودة
واصله ان المال القليل يقدر بالعدد ويتحكر فيه والكثير يهال هيلا ويحثى حثيا ونصب
اياما بالصيام كقولك نويت الخروج يوم الجمعة او على سفر او راكب سفر فعدة فعليه
عدة وقرئ بالنصب بمعنى فليصم عدة وهذا على سبيل الرخصة وقيل مكتوب عليهما

ان يفطرا ويصوما عدة من ايام اخر واختلف في المرض المبيح للافطار فمن قائل كل مرض لان
الله لم يخص مرضا دون مرض كما لم يخص سفرا دون سفر فكما ان لكل مسافر ان يفطر فكذلك
لكل مريض وعن ابن سيرين انه دخل عليه في رمضان وهو ياكل فاعتل بوجع اصبعه
وسئل مالك عن الرجل يصيبه الرمد الشديد او الصداع المضر وليس به مرض يضجعه
فقال انه في سعة من الافطار وقائل هو المرض الذي يعسر معه الصوم ويزيد فيه لقوله
تعالى يريد الله بكم اليسر وعن الشافعي رضي الله عنه لا يفطر حتى يجهده الجهد غير المحتمل
واختلف ايضا في القضاء فعامة العلماء على التخيير وعن ابي عبيدة بن الجراح رضي الله عنه ان
الله لم يرخص لكم في فطره وهو يريد ان يشق عليكم في قضائه ان شئت فواتر وان شئت ففرق
وعن علي وابن عمر والشعبي وغيرهم انه يقضي كما فات متتابعا وفي قراءة ابي فعدة من
ايام اخر متتابعات فكيف قيل فعدة على التنكير ولم يقل فعدتها اي فعدة
الايام المعدودات قلت لما قيل فعدة والعدة بمعنى المعدود فامر بان يصوم اياما
معدودة مكانها علم انه لا يؤثر عدد على عددها فاغنى ذلك عن التعريف بالاضافة وعلى
الذين يطيقونه وعلى المطيقين للصيام الذين لا عذر بهم ان افطروا فدية طعام مسكين
نصف صاع من بر او صاع من غيره عند اهل العراق وعند اهل الحجاز مد وكان ذلك في بدء
الاسلام فرض عليهم الصوم ولم يتعودوه فاشتد عليهم فرخص لهم في الافطار والفدية
وقرأ ابن عباس رضي الله عنه يطوقونه تفعيل من الطوق اما بمعنى الطاقة او القلادة
اي يكلفونه او يقلدونه ويقال لهم صوموا وعنه يتطوقونه بمعنى يتكلفونه
او يتقلدونه ويطوقونه بادغام التاء في الطاء ويطيقونه ويتطيقونه بمعنى يتطيقونه
واصلهما يطيوقونه ويتطيوقونه على انهما من فيعل وتفيعل من الطوق فادغمت الياء في
الواو بعد قلبها ياء كقولهم تدير المكان وما بها ديار وفيه وجهان احدهما نحو معنى
يطيقونه والثاني يتكلفونه او يتكلفونه على جهد منهم وعسر وهم الشيوخ والعجائز
وحكم هؤلاء الافطار والفدية وهو على هذا الوجه ثابت غير منسوخ ويجوز ان يكون
معنى يطيقونه اي يصومونه جهدهم وطاقتهم ومبلغ وسعهم فمن تطوع خيرا فزاد
على مقدار الفدية فهو خير له فالتطوع اخير له او الخير فمن يطوع بمعنى
يتطوع وان تصوموا ايها المطيقون او المطوقون وحملتم على انفسكم وجهدتم
طاقتكم خير لكم من الفدية ويجوز ان ينتظم في الخطاب المريض والمسافر ايضا
وفي قراءة ابي رضي الله عنه والصيام خير لكم شهر رمضان الذي انزل فيه
القرآن هدى للناس وبينات من الهدى والفرقان فمن شهد منكم الشهر
فليصمه ومن كان مريضا او على سفر فعدة من ايام اخر يريد الله بكم اليسر
ولا يريد بكم العسر ولتكملوا العدة ولتكبروا الله على ما هداكم ولعلكم
تشكرون الرمضان مصدر رمض اذا احترق من الرمضاء فاضيف اليه الشهر وجعل
علما ومنع الصرف للتعريف والالف والنون كما قيل ابن داية للغراب باضافة ابن الى داية
البعير لكثرة وقوعه عليها اذا دبرت فان قلت لم سمي شهر رمضان

الصوم فيه عبادة قديمة فكأنهم سموه بذلك لارتماضهم فيه من حر الجوع ومقاساة شدته كما سموه ناتقا لأنه كان ينتقهم أي يزعجهم إضجارا بشدته عليهم وقيل لما نقلوا أسماء الشهور عن اللغة القديمة سموها بالأزمنة التي وقعت فيها فوافق هذا الشهر أيام رمض الحر **فإن قلت** فإذا كانت التسمية واقعة مع المضاف والمضاف إليه جميعا فما وجه ما جاء في الأحاديث من نحو قوله عليه السلام من صام رمضان إيمانا واحتسابا من أدرك رمضان فلم يغفر له **قلت** هو من باب الحذف لأمن الإلباس **كما قال**

بما أعيا النطاسي حذيما

أراد ابن حذيم وارتفاعه على أنه مبتدأ خبره الذي أنزل فيه القرآن أو على أنه بدل من الصيام في قوله كتب عليكم الصيام أو على أنه خبر مبتدأ محذوف **وقرئ** بالنصب على صوموا شهر رمضان أو على الإبدال من أياما معدودات أو على أنه مفعول وأن تصوموا ومعنى أنزل فيه القرآن ابتدئ فيه إنزاله وكان ذلك في ليلة القدر وقيل أنزل جملة إلى السماء الدنيا ثم نزل إلى الأرض نجوما وقيل أنزل في شأنه القرآن وهو قوله كتب عليكم الصيام كما تقول أنزل في عمر رضي الله عنه كذا وفي علي رضي الله عنه كذا **وعن** النبي صلى الله عليه وسلم نزلت صحف إبراهيم أول ليلة من رمضان وأنزلت التوراة لست مضين والإنجيل لثلاث عشرة والقرآن لأربع وعشرين هدى للناس وبينات نصب على الحال أي أنزل وهو هداية للناس إلى الحق وهو آيات واضحات مكشوفات مما يهدي إلى الحق ويفرق بين الحق والباطل **فإن قلت** ما معنى قوله وبينات من الهدى بعد قوله هدى للناس **قلت** ذكر أولا أنه هدى ثم ذكر أنه بينات من جملة ما هدى به الله وفرق به بين الحق والباطل من وحيه وكتبه السماوية الهادية الفارقة بين الهدى والضلال فمن شهد منكم الشهر فليصمه فمن كان شاهدا أي حاضرا مقيما غير مسافر في الشهر فليصم فيه ولا يفطر والشهر منصوب على الظرف وكذلك الهاء في فليصمه ولا يكون مفعولا به كقولك شهدت الجمعة لأن المقيم والمسافر كلاهما شاهدان للشهر يريد الله بكم اليسر ولا يريد بكم العسر وقد نفى عنكم الحرج في الدين وأمركم بالحنيفية السمحة التي لا إصر فيها ومن جملة ذلك ما رخص لكم فيه من إباحة الفطر في السفر والمرض ومن الناس من فرض الفطر على المريض والمسافر حتى زعم أن من صام منهما فعليه الإعادة **وقرئ** اليسر والعسر بضمتين والفعل المعلل محذوف مدلول عليه بما سبق تقديره ولتكملوا العدة ولتكبروا الله على ما هداكم ولعلكم تشكرون شرع ذلك يعني جملة ما ذكر من أمر الشاهد بصوم الشهر وأمر المرخص له بمراعاة عدة ما أفطر فيه ومن الترخيص في إباحة الفطر فقوله لتكملوا علة الأمر بمراعاة العدة ولتكبروا علة ما علم من كيفية القضاء والخروج عن عهدة الفطر ولعلكم تشكرون علة الترخيص والتيسير وهذا نوع من اللف لطيف المسلك لا يكاد يهتدي إلى تبيينه إلا النقاب المحدث من علماء البيان وإنما عدي فعل التكبير بحرف الاستعلاء لكونه مضمنا معنى الحمد كأنه قيل ولتكبروا الله حامدين على ما هداكم ومعنى ولعلكم تشكرون وإرادة أن تشكروا ولتكملوا بالتشديد **فإن قلت** هل يصح أن يكون

ولتكملوا

ولتكملوا معطوفا على علة مقدرة كأنه قيل لتعلموا ما تعملون ولتكملوا العدة أو على اليسر كأنه قيل يريد الله بكم اليسر ويريد بكم لتكملوا كقوله تعالى يريدون ليطفئوا **قلت** لا يبعد ذلك والأول أوجه ما المراد بالتكبير **قلت** تعظيم الله والثناء عليه وقيل هو تكبير يوم الفطر وقيل هو التكبير عند الإهلال

وإذا سألك عبادي عني فإني قريب أجيب دعوة الداع إذا دعان فليستجيبوا لي وليؤمنوا بي لعلهم يرشدون

فإني قريب تمثيل لحاله في سهولة إجابته لمن دعاه وسرعة إنجاحه حاجة من سأله بحال من قرب مكانه فإذا دعي أسرعت تلبيته **ونحوه** ونحن أقرب إليه من حبل الوريد وقوله صلى الله عليه وسلم هو بينكم وبين أعناق رواحلكم أن أعرابيا قال لرسول الله عليه السلام أقريب ربنا فنناجيه أم بعيد فنناديه فنزلت فليستجيبوا لي إذا دعوتهم للإيمان والطاعة كما أني أجيبهم إذا دعوني لحوائجهم **وقرئ** يرشدون ويرشدون بفتح الشين وكسرها

أحل لكم ليلة الصيام الرفث إلى نسائكم هن لباس لكم وأنتم لباس لهن علم الله أنكم كنتم تختانون أنفسكم فتاب عليكم وعفا عنكم فالآن باشروهن وابتغوا ما كتب الله لكم وكلوا واشربوا حتى يتبين لكم الخيط الأبيض من الخيط الأسود من الفجر ثم أتموا الصيام إلى الليل ولا تباشروهن وأنتم عاكفون في المساجد تلك حدود الله فلا تقربوها كذلك يبين الله آياته للناس لعلهم يتقون

كان الرجل إذا أمسى حل له الأكل والشرب والجماع إلى أن يصلي العشاء الآخرة أو يرقد فإذا صلاها أو رقد فلم يفطر حرم عليه الطعام والشراب والنساء إلى القابلة ثم إن عمر رضي الله عنه واقع أهله بعد صلاة العشاء الآخرة فلما اغتسل أخذ يبكي ويلوم نفسه فأتى النبي صلى الله عليه وسلم وقال يا رسول الله إني أعتذر إلى الله وإليك من نفسي هذه الخاطئة وأخبره بما فعل فقال صلى الله عليه وسلم ما كنت جديرا بذلك يا عمر فقام رجال فاعترفوا بما كانوا صنعوا بعد العشاء فنزلت **وقرئ** أحل لكم ليلة الصيام الرفث أي أحل الله الرفث وهو الإفصاح بما يجب أن يكنى عنه كلفظ النيك وقد أرفث الرجل وعن ابن عباس أنه أنشد وهو محرم

وهن يمشين بنا هميسا ... إن تصدق الطير ننك لميسا

فقيل له أرفثت فقال إنما الرفث ما كان عند النساء **قال تعالى** فلا رفث ولا فسوق فكني به عن الجماع لأنه لا يكاد يخلو من شيء من ذلك لم كني عنه ههنا بلفظ الرفث الدال على معنى القبح بخلاف قوله وقد أفضى بعضكم إلى بعض فلما تغشاها باشروهن أو لامستم النساء دخلتم بهن فأتوا حرثكم من قبل أن تمسوهن فما استمتعتم به منهن ولا تقربوهن **قلت** استهجانا لما وجد منهم قبل الإباحة كما سماه اختيانا لأنفسهم **فإن قلت** لم عدي الرفث بإلى لتضمنه معنى الإفضاء لما كان الرجل والمرأة يعتنقان ويشتمل كل واحد منهما على صاحبه في عناقه شبه باللباس المشتمل عليه **قال الجعدي**

إذا ما الضجيع ثنى عطفها ... تثنت فكانت عليه لباسا

فان قلت ما موقع قوله هن لباس لكم هو استئناف كالبيان لسبب الاحلال وهو انه اذا كانت بينكم وبينهن مثل هذه المخالطة والملابسة قل صبركم عنهن وصعب عليكم اجتنابهن فلذلك رخص لكم في مباشرتهن تختانون انفسكم تظلمونها وتنقصونها حظها من الخير والاختيان من الخيانة كالاكتساب من الكسب فيه زيادة وشدة فتاب عليكم حين تبتم مما ارتكبتم من المحظور وابتغوا ما كتب الله لكم واطلبوا ما قسم الله لكم واثبته في اللوح من الولد بالمباشرة اى لا تباشروا لقضاء الشهوة وحدها ولكن لابتغاء ما وضع الله تعالى له النكاح من التناسل وقيل هو نهي عن العزل لانه في الحرائر وقيل وابتغوا المحل الذي كتبه الله لكم وحلله دون ما لم يكتب لكم من المحل المحرم وعن قتادة وابتغوا ما كتب الله لكم من الاباحة بعد الحظر ابن عباس رضي الله عنهما واتبعوا وقرأ الاعمش واتوا وقيل معناه واطلبوا ليلة القدر وما كتب الله لكم من الثواب ان اصبتموها وقمتموها وهو قريب من بدع التفاسير الخيط الابيض اول ما يبدو من الفجر المعترض في الافق كالخيط الممدود والخيط الاسود ما يمتد معه من غبش الليل شبها بخيطين ابيض واسود وقال ابو دواد

فلما اضاءت لنا سدفة ... ولاح من الصبح خيط انارا

وقوله من الفجر بيان للخيط الابيض واكتفي به عن بيان الخيط الاسود لان بيان احدهما بيان للثاني ويجوز ان يكون من للتبعيض لانه بعض الفجر واوله فان قلت اهذا من باب الاستعارة ام من باب التشبيه قلت قوله من الفجر اخرجه من باب الاستعارة كما ان قولك رايت اسدا مجاز فاذا زدت من فلان رجع تشبيها فان قلت فلم زيد من الفجر حتى كان تشبيها وهلا اقتصر به على الاستعارة التي هي ابلغ من التشبيه وادخل في الفصاحة قلت لان من شرط المستعار ان يدل عليه الحال او الكلام ولو لم يذكر من الفجر لم يعلم ان الخيطين مستعاران فزيد من الفجر فكان تشبيها بليغا وخرج من ان يكون استعارة فان قلت فكيف التبس على عدي بن حاتم مع هذا البيان حتى قال عمدت الى عقالين ابيض واسود فجعلتهما تحت وسادتي فكنت اقوم من الليل فانظر اليهما فلا يتبين لي الابيض من الاسود فلما اصبحت غدوت الى رسول الله صلى الله عليه وسلم فاخبرته فضحك وقال ان كان وسادك لعريضا وروي انك لعريض القفا انما ذاك بياض النهار وسواده الليل قلت غفل عن البيان ولذلك عرض رسول الله عليه السلام بقفاه لانه مما يستدل به على بلاهة الرجل وقلة فطنته وانشدني بعض البدويات لبدوي

عريض القفا ميزانه في شماله ... قد انحص من حسب القراريط شاربه

فان قلت فما تقول فيما روي عن سهل بن سعد الساعدي انها نزلت ولم ينزل من الفجر وكان رجال اذا ارادوا الصوم ربط احدهم في رجله الخيط الابيض والخيط الاسود فلا يزال ياكل ويشرب حتى يتبينا له فنزل بعد ذلك من الفجر فعلموا انه انما يعني بذلك الليل والنهار وكيف جاز تاخير البيان وهو يشبه العبث حيث لا يفهم منه المراد اذ لا يبقى باستعارة لفقد الدلالة ولا بتشبيه قبل ذكر الفجر فلا يفهم منه اذا الا الحقيقة وهي

غير مرادة قلت اما من لا يجوز تاخير البيان وهم اكثر الفقهاء والمتكلمين وهو مذهب ابي علي وابي هاشم فلم يصح عندهم هذا الحديث واما من يجوزه فيقول ليس بعبث لان المخاطب يستفيد منه وجوب الخطاب ويعزم على فعله اذا استوضح المراد به ثم اتموا الصيام الى الليل قالوا فيه دليل على جواز النية بالنهار في صوم رمضان وعلى جواز تاخير الغسل الى الفجر وعلى نفي صوم الوصال عاكفون في المساجد معتكفون فيها والاعتكاف ان يحبس نفسه في المسجد يتعبد فيه والمراد بالمباشرة الجماع لما تقدم من قوله احل لكم ليلة الصيام الرفث الى نسائكم فالان باشروهن وقيل معناه ولا تلامسوهن بشهوة والجماع يفسد الاعتكاف وكذا اذا لمس او قبل فانزل وعن قتادة كان الرجل اذا اعتكف خرج فباشر امراته ثم رجع الى المسجد فنهاهم الله تعالى عن ذلك وقالوا فيه دليل على ان الاعتكاف لا يكون الا في المسجد وانه لا يختص به مسجد دون مسجد وقيل لا يجوز الا في مسجد نبي وهو احد المساجد الثلاثة وقيل في مسجد جامع والعامة على انه في مسجد جماعة وقرا مجاهد في المسجد تلك الاحكام التي ذكرت حدود الله فلا تقربوها فان قلت كيف قيل فلا تقربوها مع قوله فلا تعتدوها ومن يتعد حدود الله قلت من كان في طاعة الله والعمل بشرائعه فهو متصرف في حيز الحق فنهي ان يتعداه لان من تعداه وقع في حيز الباطل ثم بولغ في ذلك فنهي ان يقرب الحد الذي هو الحاجز بين حيزي الحق والباطل لئلا يداني الباطل وان يكون في الواسطة متباعدا عن الطرف فضلا ان يتخطاه كما قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ان لكل ملك حمى وحمى الله محارمه فمن رتع حول الحمى يوشك ان يقع فيه فالرتع حول الحمى وقربان حيزه واحد ويجوز ان يريد بحدود الله محارمه ونواهيه خصوصا لقوله ولا تباشروهن وهي حدود لا تقرب ولا تاكلوا اموالكم بينكم بالباطل وتدلوا بها الى الحكام لتاكلوا فريقا من اموال الناس بالاثم وانتم تعلمون ولا ياكل بعضكم مال بعض بالباطل بالوجه الذي لم يبحه الله تعالى ولم يشرعه ولا تدلوا بها ولا تلقوا امرها والحكومة فيها الى الحكام لتاكلوا بالتحاكم فريقا طائفة من اموال الناس بالاثم بشهادة الزور او باليمين الكاذبة او بالصلح مع العلم بان المقضي له ظالم وعن النبي صلى الله عليه وسلم انه قال للخصمين انما انا بشر وانتم تختصمون الي ولعل بعضكم الحن بحجته من بعض فاقضي له على نحو ما اسمع منه فمن قضيت له بشيء من حق اخيه فلا ياخذن منه شيئا فانما اقضي له قطعة من نار فبكيا وقال كل واحد منهما حقي لصاحبي فقال اذهبا فتوخيا ثم استهما ثم ليحلل كل واحد منكما صاحبه وقيل وتدلوا بها وتلقوا بعضها الى حكام السوء على وجه الرشوة وتدلوا مجزوم داخل في حكم النهي او منصوب باضمار ان كقوله وتكتموا الحق وانتم تعلمون انكم على الباطل وارتكاب المعصية مع العلم بقبحها اقبح وصاحبها احق بالتوبيخ يسألونك عن الاهلة قل هي مواقيت للناس والحج وليس البر بان تاتوا البيوت من ظهورها ولكن البر من اتقى واتوا البيوت من ابوابها واتقوا الله لعلكم تفلحون روي ان معاذ بن جبل وثعلبة

ابن غنم الانصاري رضي الله عنهما قالا يا رسول الله ما بال الهلال يبدو دقيقا مثل الخيط ثم يزيد
حتى يمتلئ ويستوي ثم لا يزال ينقص حتى يعود كما بدأ لا يكون على حالة واحدة فنزلت
مواقيت معالم يوقت بها الناس مزارعهم ومتاجرهم ومحال ديونهم وصومهم وفطرهم وعدد
ايام حيضهن ومدد حملهن وغير ذلك ومعالم للحج يعرف بها وقته كان ناس من الانصار
اذا احرموا لم يدخل احد منهم حائطا ولا دارا ولا فسطاطا من باب فان كان من اهل المدر
نقب نقبا في ظهر بيته منه يدخل ويخرج او يتخذ سلما يصعد فيه وان كان من اهل الوبر
خرج من خلف الخباء فقيل لهم ليس البر بتحرجكم من دخول الباب ولكن البر بر من اتقى ما حرم
الله **فان قلت** ما وجه اتصاله بما قبله كانه قيل لهم عند سؤالهم عن
الاهلة وعن الحكمة في نقصانها وتمامها معلوم ان كل ما يفعله الله لا يكون الا حكمة
بالغة ومصلحة لعباده فدعوا السؤال عنه وانظروا في واحدة تفعلونها انتم مما ليس
من البر في شيء وانتم تحسبونها برا ويجوز ان يجري ذلك على طريق الاستطراد لما ذكر انها
مواقيت للحج لانه كان من افعالهم في الحج ويحتمل ان يكون هذا تمثيلا لتعكيسهم في سؤالهم
وان مثلهم فيه كمثل من يترك باب البيت ويدخله من ظهره والمعنى ليس البر وما ينبغي
ان تكونوا عليه بان تعكسوا في مسائلكم ولكن البر بر من اتقى ذلك وتجنبه ولم يجسر على
مثله ثم قال واتوا البيوت من ابوابها اي وباشروا الامور من وجوهها التي يجب ان
تباشر عليها ولا تعكسوا والمراد وجوب توطين النفوس وربط القلوب على ان جميع
افعال الله حكمة وصواب من غير اختلاج شبهة ولا اعتراض شك في ذلك حتى لا يسأل
عنه لما في السؤال من الاتهام بمقارفة الشك لا يسأل عما يفعل وهم يسألون وقاتلوا
في سبيل الله الذين يقاتلونكم ولا تعتدوا ان الله لا يحب المعتدين واقتلوهم
حيث ثقفتموهم واخرجوهم من حيث اخرجوكم والفتنة اشد من القتل ولا تقاتلوهم
عند المسجد الحرام حتى يقاتلوكم فيه فان قاتلوكم فاقتلوهم كذلك جزاء الكافرين
فان انتهوا فان الله غفور رحيم المقاتلة في سبيل الله هو الجهاد لاعلاء كلمة الله
واعزاز الدين الذين يقاتلونكم الذين يناجزونكم القتال دون المحاجزين وعلى هذا
يكون منسوخا بقوله وقاتلوا المشركين كافة **وعن** ربيع بن انس هي اول اية نزلت
في القتال بالمدينة فكان رسول الله صلى الله عليه وسلم يقاتل من قاتل ويكف عمن كف
او الذين يناصبونكم القتال دون من ليس من اهل المناصبة من الشيوخ والصبيان والرهبان
والنساء او الكفرة كلهم لانهم جميعا مضادون للمسلمين قاصدون لمقاتلتهم فهم في حكم المقاتلة
قاتلوا او لم يقاتلوا وقيل لما صد المشركون رسول الله صلى الله عليه وسلم عام الحديبية
وصالحوه على ان يرجع من قابل فيخلوا له مكة ثلاثة ايام فرجع لعمرة القضاء خاف المسلمون
ان لا تفي لهم قريش ويصدوهم ويقاتلوهم في الحرم وفي الشهر الحرام وكرهوا ذلك نزلت
واطلق لهم قتال الذين يقاتلونهم منهم في الحرم والشهر الحرام ورفع عنهم الجناح في ذلك
ولا تعتدوا بابتداء القتال او بقتال من نهيتم عن قتاله من النساء والشيوخ والصبيان
والذين بينكم وبينهم عهد او بالمثلة او بالمفاجأة من غير دعوة حيث ثقفتموهم

حيث

حيث وجدتموهم في حل او حرم والثقف وجود على وجه الاخذ والغلبة ومنه رجل ثقف
سريع الاخذ لاقرانه **قال** فاما تثقفوني فاقتلوني فمن اثقف فليس الى خلود من حيث
اخرجوكم اي من مكة وقد فعل رسول الله صلى الله عليه وسلم بمن لم يسلم منهم يوم الفتح
والفتنة اشد من القتل اي المحنة والبلاء الذي ينزل بالانسان يتعذب به اشد عليه
من القتل وقيل لبعض الحكماء ما اشد من الموت قال الذي يتمنى فيه الموت جعل
الاخراج من الوطن من الفتن والمحن التي يتمنى عندها الموت **ومنه قول**
القائل لقتل بحد السيف اهون موقعا على النفس من قتل بحد فراق وقيل الفتنة
عذاب الاخرة ذوقوا فتنتكم وقيل الشرك اعظم من القتل في الحرم وذلك انهم
كانوا يستعظمون القتل في الحرم ويعيبون به المسلمين فقيل والشرك الذي هم عليه
اشد واعظم مما يستعظمونه ويجوز ان يراد وفتنتهم اياكم بصدكم عن المسجد الحرام اشد
من قتلكم اياهم في الحرم او من قتلهم اياكم ان قتلوكم فلا تبالوا بقتالهم ولا
تقاتلوهم حتى يقاتلوكم فان قاتلوكم جعل وقوع القتل في بعضهم كوقوعه فيهم يقال قتلنا
بنو فلان فان تقتلونا نقتلكم وقاتلوهم حتى لا تكون فتنة ويكون
الدين لله فان انتهوا فلا عدوان الا على الظالمين الشهر الحرام بالشهر
الحرام والحرمات قصاص فمن اعتدى عليكم فاعتدوا عليه بمثل ما اعتدى
عليكم واتقوا الله واعلموا ان الله مع المتقين وانفقوا في سبيل الله ولا
تلقوا بايديكم الى التهلكة واحسنوا ان الله يحب المحسنين حتى لا تكون
فتنة اي شرك ويكون الدين لله خالصا ليس للشيطان فيه نصيب فان انتهوا عن
الشرك فلا عدوان الا على الظالمين فلا تعتدوا على المنتهين لان مقاتلة المنتهين
عدوان وظلم فوضع قوله الا على الظالمين موضع على المنتهين او فلا تظلموا الا الظالمين
غير المنتهين سمى جزاء الظالمين ظلما للمشاكلة كقوله فمن اعتدى عليكم فاعتدوا عليه
او اريد انكم ان تعرضتم لهم بعد الانتهاء كنتم ظالمين فيسلط عليكم من يعدو عليكم قاتلهم
المشركون عام الحديبية في الشهر الحرام وهو ذو القعدة فقيل لهم عند خروجهم لعمرة القضاء
وكراهتهم القتال وذلك في ذي القعدة الشهر الحرام بالشهر الحرام اي هذا الشهر بذلك
الشهر وهتكه بهتكه يعني تهتكون حرمته عليهم كما هتكوا حرمته عليكم والحرمات
اي وكل حرمة تجري فيها القصاص من هتك حرمة اي حرمة كانت اقتص منه بان يهتك
له حرمة فحين هتكوا حرمة شهركم فافعلوا بهم نحو ذلك ولا تبالوا واكد ذلك بقوله
فمن اعتدى عليكم فاعتدوا عليه بمثل ما اعتدى عليكم واتقوا الله في حال كونكم منتصرين
ممن اعتدى عليكم فلا تعتدوا الى ما لا يحل لكم الباء في بايديكم مزيدة مثلها في اعطى بيده
للمنقاد والمعنى ولا تقبضوا التهلكة ايديكم اي لا تجعلوها آخذة بايديكم مالكة
لكم وقيل بايديكم بانفسكم وقيل تقديره ولا تلقوا انفسكم بايديكم كما يقال
اهلك فلان نفسه بيده اذا تسبب لهلاكها والمعنى النهي عن ترك الانفاق في سبيل
الله لانه سبب الهلاك او عن الاسراف في النفقة حتى يفقر نفسه ويضيع عياله او عن

الاستقتال والاخطار بالنفس او عن ترك الغزو الذى هو تقوية للعدو ان رجلا
من المهاجرين حمل على صف العدو فصاح به الناس القى بيده الى التهلكة فقال ابو ايوب
الانصارى رضى الله عنه نحن اعلم بهذه الاية وانما انزلت فينا صحبنا رسول الله عليه السلام
فنصرناه وشهدنا معه المشاهد وآثرناه على اهالينا واموالنا واولادنا فلما فشى الاسلام
وكثر اهله ووضعت الحرب اوزارها رجعنا الى اهالينا واولادنا واموالنا نصلحها ونقيم
فيها فكانت التهلكة الاقامة فى الاهل والمال وترك الجهاد ابو على فى الحلبيات
عن ابى عبيدة التهلكة والهلاك والهلك واحد قال فدل هذا من قول ابى عبيدة على ان التهلكة
مصدر ومثله ما حكاه سيبويه من قولهم التضرة والتسرة ونحوها فى الاعيان التنضبة
والتتفلة ويجوز ان يقال اصلها التهلكة كالتجربة والتبصرة ونحوهما على انها مصدر من
هلّك فابدلت من الكسرة ضمة كما جاء الجوار فى الجوار واتموا الحج والعمرة لله فان احصرتم
فما استيسر من الهدى ولا تحلقوا رؤسكم حتى يبلغ الهدى محله فمن كان منكم
مريضا او به اذى من راسه ففدية من صيام او صدقة او نسك فاذا امنتم فمن
تمتع بالعمرة الى الحج فما استيسر من الهدى فمن لم يجد فصيام ثلاثة ايام فى الحج وسبعة
اذا رجعتم تلك عشرة كاملة ذلك لمن لم يكن اهله حاضرى المسجد الحرام واتقوا
الله واعلموا ان الله شديد العقاب واتموا الحج والعمرة لله ائتوا بهما تامين كاملين
بمناسكهما وشرائطهما لوجه الله من غير توان ولا نقصان يقع منكم فيهما قال
تمام الحج ان تقف المطايا على خرقاء واضعة اللثام جعل الوقوف عليها كبعض
مناسك الحج الذى لا يتم الا به وقيل اتمامهما ان تحرم بهما من دويرة اهلك روى ذلك عن
على وابن عباس رضى الله عنهم وقيل ان تفرد لكل واحد منهما سفرا كما قال محمد حجة كوفية
وعمرة كوفية افضل وقيل ان تكون النفقة حلالا وقيل ان تخلصوهما للعبادة ولا
تشوبوهما بشىء من التجارة والاغراض الدنيوية فان قلت هل فيه دليل على وجوب العمرة
قلت ما هو الا امر باتمامهما ولا دليل فى ذلك على كونهما واجبين او تطوعين فقد
يؤمر باتمام الواجب والتطوع جميعا الا ان تقول الامر باتمامهما امر بادائهما بدليل قراءة
من قرأ واقيموا الحج والعمرة والامر للوجوب فى اصله الا ان يدل دليل على خلاف الوجوب
كما دل فى قوله فاصطادوا فانتشروا ونحو ذلك فيقال لك فقد دل الدليل على نفى الوجوب
وهو ما روى انه قيل يا رسول الله العمرة واجبة مثل الحج قال لا ولكن ان تعتمر خير لك
وعنه صلى الله عليه وسلم الحج جهاد والعمرة تطوع فان قلت فقد روى عن ابن عباس
رضى الله عنهما انه قال ان العمرة لقرينة الحج وعن عمر رضى الله عنه ان رجلا قال له انى
وجدت الحج والعمرة مكتوبين على اهللت بهما جميعا فقال هديت لسنة نبيك وقد
نظمت مع الحج فى الامر بالاتمام فكانت واجبة مثل الحج قلت كونها قرينة للحج ان القارن
يقرن بينهما وانهما يقترنان فى الذكر فيقال الحج والعمرة والحجاج والعمار ولانها الحج
الاصغر ولا دليل فى ذلك على كونها قرينة له فى الوجوب واما حديث عمر رضى الله
عنه فقد فسر الرجل كونهما مكتوبين عليه بقوله اهللت بهما واذا اهل بالعمرة وجبت

عليه

عليه كما اذا كبر بالتطوع من الصلوة والدليل الذى ذكرنا اخرج العمرة من صفة الوجوب فبقى
الحج وحده فيها فهما بمنزلة قولك صم شهر رمضان وستة من شوال فى انك تامره بفرض
وتطوع وقرأ على وابن مسعود والشعبى رضى الله عنهم والعمرة لله بالرفع كانهم قصدوا
بذلك اخراجها عن حكم الحج وهو الوجوب فان احصرتم يقال احصر فلان اذا منعه امر
من خوف او مرض او عجز الذين احصروا فى سبيل الله وقال ابن ميادة

وما هجر ليلى ان تكون تباعدت عليك ولا ان احصرتك شغول

وحصر اذا حبسه عدو عن المضى او سجن ومنه قيل للمحبس الحصير وللملك الحصير لانه محجوب
هذا هو الاكثر فى كلامهم وهما بمعنى المنع فى كل شىء مثل صده واصده وكذلك قول الفراء
وابو عمرو الشيبانى وعليه قول ابى حنيفة رحمة الله عليه كل منع عنده من عدو كان او
مرض او غيرهما معتبر فى اثبات حكم الاحصار وعند مالك والشافعى رحمة الله عليهما
منع العدو وحده وعن النبى صلى الله عليه وسلم من كسر او عرج فقد حل وعليه الحج
من قابل فما استيسر من الهدى فما تيسر منه يقال يسر الامر واستيسر كما يقال صعب واستصعب
والهدى جمع هدية كما يقال فى جدية السرج جدى وقرئ من الهدىّ بالتشديد جمع هدية
كمطية ومطى يعنى فان منعتم من المضى الى البيت وانتم محرمون بحج او عمرة فعليكم اذا اردتم
التحلل ما استيسر من الهدى من بعير او بقرة او شاة فان قلت اين ومتى ينحر هدى
المحصر قلت ان كان حاجا فبالحرم متى شاء عند ابى حنيفة يبعث ويجعل للمبعوث على يده
يوم امارة وعندهما فى ايام النحر وان كان معتمرا فبالحرم فى كل وقت عندهم جميعا ما استيسر
رفع بالابتداء اى فعليه ما استيسر او نصب على فاهدوا ما استيسر ولا تحلقوا رؤسكم
الخطاب للمحصرين اى ولا تحلوا حتى تعلموا ان الهدى الذى بعثتموه الى الحرم بلغ محله اى مكانه
الذى يجب نحره فيه ومحل الدين وقت وجوب قضائه وهو ظاهر على مذهب ابى حنيفة
فان قلت ان النبى صلى الله عليه وسلم نحر هديه حيث احصر قلت كان محصره طرف
الحديبية الذى الى اسفل مكة وهو من الحرم وعن الزهرى ان النبى صلى الله عليه وسلم
نحر هديه فى الحرم وقال الواقدى الحديبية هى طرف الحرم على تسعة اميال من مكة فمن
كان منكم مريضا فمن كان به مرض يحوجه الى الحلق او به اذى من راسه وهو القمل او الجراحة
فعليه اذا احتلق فدية من صيام ثلاثة ايام او صدقة على ستة مساكين لكل مسكين
نصف صاع من بر او نسك وهو شاة وعن كعب بن عجرة ان رسول الله صلى الله عليه
وسلم قال له لعلك اذاك هوامك قال نعم يا رسول الله قال احلق راسك وصم ثلاثة
ايام او اطعم ستة مساكين او انسك شاة وكان كعب يقول فى نزلت هذه الاية وروى
انه عليه السلام مر به وقد قرح راسه فقال كفى بهذا اذى وامره ان يحلق ويطعم او يصوم
والنسك مصدر وقيل جمع نسيكة وقرأ الحسن او نسك بالتخفيف فاذا امنتم الاحصار
يعنى فاذا لم تحصروا وكنتم فى حال امن وسعة فمن تمتع اى استمتع بالعمرة الى الحج واستمتاعه
بالعمرة الى وقت الحج انتفاعه بالتقرب بها الى الله تعالى قبل الانتفاع بتقربه بالحج وقيل
اذا احل من عمرته انتفع باستباحة ما كان محرما عليه الى ان يحرم بالحج فما استيسر من الهدى

موهدي المتعة وهو نسك عند ابي حنيفة رحمة الله عليه ويأكل منه وعند الشافعي رضي الله عنه يجري مجرى الجنايات ولا يأكل منه ويذبحه يوم النحر عندنا وعنده يجوز ذبحه اذا احرم بحجته فمن لم يجد الهدي فعليه صيام ثلاثة ايام في الحج اي في وقته وهو اشهره ما بين الاحرامين احرام العمرة واحرام الحج وهو مذهب ابي حنيفة والافضل ان يصوم يوم التروية وعرفة ويوما قبلهما وان مضى هذا الوقت لم يجزه الا الدم وعند الشافعي رضي الله عنه لا يصام الا بعد الاحرام بالحج تمسكا بظاهر قوله في الحج وسبعة اذا رجعتم بمعنى اذا نفرتم وفرغتم من افعال الحج عند ابي حنيفة وعند الشافعي هو الرجوع الى اهاليهم **وقرا** ابن ابي عبلة وسبعة بالنصب عطفا على محل ثلاثة ايام كانه قيل فصيام ثلاثة ايام كقوله عز وجل او اطعام في يوم ذي مسغبة يتيما **فان قلت** ما فائدة الفذلكة الواو قد تجيء للاباحة في نحو قولك جالس الحسن وابن سيرين الا ترى انه لو جالسهما جميعا او واحدا منهما كان ممتثلا ففذلكت نفيا لتوهم الاباحة وايضا ففائدة الفذلكة في كل حساب ان يعلم العدد جملة كما علم تفصيلا ليحاط به من جهتين فيتأكد العلم وفي امثال العرب علمان خير من علم وكذلك كاملة تأكيد اخر وفيه زيادة توصية بصيامها وان لا يتهاون بها ولا ينقص من عددها كما تقول للرجل اذا كان لك اهتمام بامر تامره به وكان منك بمنزلة الله الله لا تقصروه وقيل كاملة في وقوعها بدلا من الهدي **وفي** قراءة ابي رضي الله عنه فصيام ثلاثة ايام متتابعات ذلك اشارة الى التمتع عند ابي حنيفة رحمة الله عليه واصحابه لا متعة ولا قران لحاضري المسجد الحرام عندهم ومن تمتع منهم او قرن كان عليه دم وهو دم جناية لا يأكل منه واما القارن والمتمتع من اهل الافاق فدمهما دم نسك يأكلان منه وعند الشافعي اشارة الى الحكم الذي هو وجوب الهدي او الصيام ولم يوجب عليهم شيئا وحاضروا المسجد الحرام اهل المواقيت فمن دونها الى مكة عند ابي حنيفة رحمه الله وعنده اهل الحرم ومن كان من الحرم على مسافة لا تقصر فيها الصلوة واتقوا الله في المحافظة على حدوده وما امركم به ونهاكم عنه في الحج وغيره واعلموا ان الله شديد العقاب لمن خالف ليكون علمكم بشدة عقابه لطفا لكم في التقوى

الحج اشهر معلومات فمن فرض فيهن الحج فلا رفث ولا فسوق ولا جدال في الحج وما تفعلوا من خير يعلمه الله وتزودوا فان خير الزاد التقوى واتقون يا اولي الالباب

اي وقت الحج اشهر كقولك البرد شهران والاشهر المعلومات شوال وذو القعدة وعشر ذي الحجة عند ابي حنيفة وعند الشافعي تسع ذي الحجة وليلة يوم النحر وعند مالك ذو الحجة كله **فان قلت** ما فائدة توقيت الحج بهذه الاشهر قلت فائدته ان شيئا من افعال الحج لا يصح الا فيها والاحرام بالحج لا ينعقد ايضا عند الشافعي في غيرها وعند ابي حنيفة ينعقد الا انه مكروه **فان قلت** فكيف كان الشهران وبعض الثالث اشهرا اسم الجمع يشترك فيه ما وراء الواحد بدليل قوله تعالى فقد صغت قلوبكما فلا سؤال فيه اذن وانما كان يكون موضعا للسؤال لو قيل ثلاثة اشهر معلومات وقيل نزل بعض الشهر منزلة كله كما يقال رايتك سنة كذا او على عهد فلان ولعل العهد عشرون سنة

او اكثر وانما رآه في سنة منها **فان قلت** ما وجه مذهب مالك وهو مروي عن عروة ابن الزبير رضي الله عنه قالوا وجهه ان العمرة غير مستحبة فيها عند عمر وابن عمر رضي الله عنهما فكانها مخلصة للحج لا مجال فيها للعمرة **وعن** عمر رضي الله عنه انه كان يخفق الناس بالدرة وينهاهم عن الاعتمار فيهن وعن ابن عمر رضي الله عنهما انه قال لرجل ان اطعتني انتظرت حتى اذا اهللت المحرم خرجت الى ذات عرق فاهللت منها بعمرة وقالوا لعل من مذهب عروة جواز تاخير طواف الزيارة الى اخر الشهر معلومات معروفات عند الناس لا يشكلن عليهم وفيه ان الشرع لم يأت على خلاف ما عرفوه وانما جاء مقررا له فمن فرض فيهن الحج فمن الزمه نفسه بالتلبية او بتقليد الهدي وسوقه عند ابي حنيفة وعند الشافعي رضي الله عنه بالنية فلا رفث فلا جماع لانه يفسده او فلا فحش من الكلام ولا فسوق ولا خروج عن حدود الشريعة وقيل هو السباب والتنابز بالالقاب ولا جدال ولا مراء مع الرفقاء والخدم والمكارين وانما امر باجتناب ذلك وهو واجب الاجتناب في كل حال لانه مع الحج اسمج كلبس الحرير في الصلوة والتطريب في قراءة القرآن والمراد بالنفي وجوب انتفائها وانها حقيقة بان لا تكون **وقرئ** المنفيات الثلاث بالنصب وبالرفع ابو عمرو وابن كثير الاولين بالرفع والاخر بالنصب لانهما حملا الاولين على معنى النهي كانه قيل فلا يكونن رفث ولا فسوق والثالث على معنى الاخبار بانتفاء الجدال كانه قيل ولا شك ولا خلاف في الحج وذلك ان قريشا كانت تخالف سائر العرب فتقف بالمشعر الحرام وسائر العرب يقفون بعرفة وكانوا يقدمون الحج سنة ويؤخرونه سنة وهو النسيء فرد الى وقت واحد ورد الوقوف الى عرفة فاخبر الله تعالى انه قد ارتفع الخلاف في الحج واستدل على ان المنهي عنه هو الرفث والفسوق دون الجدال بقوله صلى الله عليه وسلم من حج فلم يرفث ولم يفسق خرج كهيئة يوم ولدته امه وانه عليه السلام لم يذكر الجدال وما تفعلوا من خير يعلمه الله حث على الخير عقيب النهي عن الشر وان يستعملوا مكان القبيح من الكلام الحسن ومكان الفسوق البر والتقوى ومكان الجدال الوفاق والاخلاق الجميلة او جعل فعل الخير عبارة عن ضبط انفسهم حتى لا يوجد منهم ما نهوا عنه وينصره قوله تعالى وتزودوا فان خير الزاد التقوى اي اجعلوا زادكم الى الاخرة اتقاء القبائح فان خير الزاد اتقاؤها وقيل كان اهل اليمن لا يتزودون ويقولون نحن متوكلون نحن نحج بيت الله افلا يطعمنا فيكونون كلا على الناس فنزلت فيهم ومعناه وتزودوا واتقوا الاستطعام وابرام الناس والتثقيل عليهم فان خير الزاد التقوى واتقون وخافوا عقابي يا اولي الالباب يعني ان قضية اللب تقوى الله ومن لم يتقه من الالباء فكانه لا لب له **ليس عليكم جناح ان تبتغوا فضلا من ربكم فاذا افضتم من عرفات فاذكروا الله عند المشعر الحرام واذكروه كما هداكم وان كنتم من قبله لمن الضالين** فضلا من ربكم عطاء منه وتفضلا وهو النفع والربح بالتجارة وكان ناس من العرب يتأثمون ان يتجروا ايام الحج واذا دخل العشر كفوا عن البيع والشرى فلم تقم لهم سوق ويسمون من يخرج بالتجارة الداج ويقولون هؤلاء الداج وليسوا بالحاج وقيل كانت عكاظ ومجنة وذو المجاز اسواقهم

في الجاهلية يتجرون فيها في أيام الموسم وكانت معايشهم منها فلما جاء الإسلام تأثموا فرفع عنهم
الجناح في ذلك وأبيح لهم وإنما يباح ما لم يشغل عن العبادة ابن عمر رضي الله
عنهما أن رجلا قال له إنا قوم نكري في هذا الوجه وإن قوما يزعمون أن لا حج لنا فقال
سأل رجل رسول الله عليه السلام عما سألت فلم يرد عليه حتى نزل ليس عليكم جناح
فدعا به فقال أنتم حجاج وعن عمر رضي الله عنه أنه قيل له هل كنتم تكرهون التجارة
في الحج فقال وهل كانت معايشنا إلا من التجارة في الحج ابن عباس فضلا من ربكم
في مواسم الحج أن تبتغوا في أن تبتغوا أفضتم دفعتم بكثرة وهو من إفاضة الماء وهو صبه
بكثرة وأصله أفضتم أنفسكم فترك ذكر المفعول كما ترك في دفعوا من موضع كذا وصبوا وفي
حديث أبي بكر رضي الله عنه صب في دقران وهو يحرش بعيره بمحجنه ويقال أفاضوا في الحديث
وعضوا فيه وعرفات علم للموقف سمي بجمع كأذرعات فإن قلت هلا منعت الصرف
وفيها السببان التعريف والتأنيث لا تخلو التاء إما أن تكون بالتاء التي
في لفظها وإما بتاء مقدرة كما في سعاد فالتي في لفظها ليست للتأنيث وإنما هي مع الألف
التي قبلها علامة جمع المؤنث ولا يصح تقدير التاء فيها لأن هذه التاء لاختصاصها بجمع
المؤنث مانعة من تقديرها كما لا تقدر تاء التأنيث في بنت لأن التاء التي هي بدل من الواو
لاختصاصها بالمؤنث كتاء التأنيث فأبت تقديرها وقالوا سميت بذلك لأنها وصفت
لإبراهيم عليه السلام فلما أبصرها عرفها وقيل إن جبريل عليه السلام حين كان يدور
به في المشاعر أراه إياها فقال عرفت وقيل التقى فيها آدم وحواء فتعارفا وقيل لأن
الناس يتعارفون فيها والله أعلم بحقيقة ذلك وهي من الأسماء المرتجلة لأن العرفة لا
تعرف في أسماء الأجناس إلا أن تكون جمع عارف وقيل فيه دليل على وجوب الوقوف
بعرفة لأن الإفاضة لا تكون إلا بعده وعن النبي صلى الله عليه وسلم الحج عرفة
من أدرك عرفة فقد أدرك الحج فاذكروا الله بالتلبية والتهليل والتكبير والثناء
والدعوات وقيل بصلاة المغرب والعشاء والمشعر الحرام قزح وهو الجبل الذي
يقف عليه الإمام وعليه الميقدة وقيل المشعر الحرام ما بين جبلي المزدلفة من مأزمي
عرفة إلى وادي محسر وليس المأزمان ولا وادي محسر من المشعر الحرام والصحيح أنه الجبل
لما روى جابر رضي الله عنه أن النبي صلى الله عليه وسلم لما صلى الفجر يعني بالمزدلفة
ركب ناقته حتى أتى المشعر الحرام فدعا وكبر وهلل ولم يزل واقفا حتى أسفر وقوله
تعالى عند المشعر الحرام معناه مما يلي المشعر الحرام قريبا منه وذلك للفضل كالقرب
من جبل الرحمة وإلا فالمزدلفة كلها موقف إلا وادي محسر أو جعلت أعقاب المزدلفة
لكونها في حكم المشعر ومتصلة به عند المشعر والمشعر المعلم لأنه معلم لعبادة ووصف
بالحرام لحرمته وعن ابن عباس رضي الله عنهما أنه نظر إلى الناس ليلة جمع فقال لقد
أدركت الناس هذه الليلة لا ينامون وقيل سميت المزدلفة وجمعا لأن آدم عليه السلام
اجتمع فيها مع حواء وازدلف إليها أي دنا منها وعن قتادة لأنه يجمع فيها بين الصلاتين
ويجوز أن يقال وصفت بفعل أهلها لأنهم يزدلفون إلى الله تعالى أي يتقربون بالوقوف

فيها كما هداكم ما مصدرية أو كافة والمعنى اذكروه ذكرا حسنا كما هداكم هداية حسنة
أو اذكروه كما علمكم كيف تذكرونه لا تعدلوا عنه وإن كنتم من قبله من قبل الهدى لمن الضالين
الجاهلين لا تعرفون كيف تذكرونه وتعبدونه وإن هي المخففة من الثقيلة واللام هي الفارقة
ثم أفيضوا من حيث أفاض الناس واستغفروا الله إن الله غفور رحيم فإذا قضيتم
مناسككم فاذكروا الله كذكركم آباءكم أو أشد ذكرا فمن الناس من يقول ربنا آتنا
في الدنيا وما له في الآخرة من خلاق ومنهم من يقول ربنا آتنا في الدنيا حسنة
وفي الآخرة حسنة وقنا عذاب النار أولئك لهم نصيب مما كسبوا والله سريع
الحساب ثم أفيضوا ثم لتكن إفاضتكم من حيث أفاض الناس ولا تكن من المزدلفة وذلك
لما كان عليه الحمس من الترفع على الناس والتعالي عليهم وتعظمهم عن أن يساووهم في الموقف وقولهم
نحن أهل الله وقطان حرمه فلا نخرج منه فيقفون بجمع وسائر الناس بعرفات فإن قلت
فكيف موقع ثم قلت نحو موقعها في قولك أحسن إلى الناس ثم لا تحسن إلى غير كريم تأتي
بثم لتفاوت ما بين الإحسان إلى الكريم والإحسان إلى غيره وبعد ما بينهما فكذلك حين أمرهم
بالذكر عند الإفاضة من عرفات قال ثم أفيضوا لتفاوت ما بين الإفاضتين وأن إحداهما صواب
والثانية خطأ وقيل ثم أفيضوا من حيث أفاض الناس وهو الحمس أي من المزدلفة إلى منى بعد
الإفاضة من عرفات وقرئ من حيث أفاض الناس بكسر السين وهو آدم عليه السلام
من قوله عز وجل ولقد عهدنا إلى آدم من قبل فنسي يعني أن الإفاضة من عرفات شرع قديم
فلا تخالفوا عنه واستغفروا الله من مخالفتكم في الموقف ونحو ذلك من جاهليتكم فإذا
قضيتم مناسككم فإذا فرغتم من عبادتكم الحجية فاذكروا الله كذكركم آباءكم فأكثروا ذكر الله
وبالغوا فيه كما تفعلون في ذكر آبائكم ومفاخرهم وأيامهم وكانوا إذا قضوا مناسكهم وقفوا
بين المسجد بمنى وبين الجبل فيعددون فضائل آبائهم ويذكرون محاسن أيامهم أو أشد ذكرا
في موضع جر عطف على ما أضيف إليه الذكر في قوله كذكركم كما تقول كذكر قريش آباءهم أو قوم
أشد منهم ذكرا أو في موضع نصب عطف على آباءكم بمعنى أو أشد ذكرا من آبائكم على أن ذكرا من
فعل المذكور فمن الناس من يقول معناه أكثروا ذكر الله ودعاءه فإن الناس من بين مقل
لا يطلب بذكر الله إلا أغراض الدنيا ومكثر يطلب خير الدارين فكونوا من المكثرين آتنا في الدنيا
اجعل إيتاءنا أي إعطاءنا في الدنيا خاصة وما له في الآخرة من خلاق أي من طلب خلاق وهو
النصيب أو ما لهذا الداعي في الآخرة من نصيب لأن همه مقصور على الدنيا والحسنتان
ما هو طلبة الصالحين في الدنيا من الصحة والكفاف والتوفيق في الخير وطلبتهم في الآخرة
من الثواب وعن علي رضي الله عنه الحسنة في الدنيا المرأة الصالحة وفي الآخرة الحوراء
وعذاب النار امرأة السوء أولئك الداعون بالحسنتين لهم نصيب مما كسبوا أي نصيب
من جنس ما كسبوا من الأعمال الحسنة وهو الثواب الذي هو المنافع الحسنة أو من أجل
ما كسبوا كقوله تعالى مما خطيئاتهم أغرقوا أو لهم نصيب مما دعوا به نعطيهم منه
ما يستوجبونه بحسب مصالحهم في الدنيا واستحقاقهم في الآخرة وسمي الدعاء كسبا لأنه من
الأعمال والأعمال موصوفة بالكسب بما كسبت أيديكم ويجوز أن يكون أولئك للفريقين

جميعا وان لكل فريق نصيبا من جنس ما كسبوا والله سريع الحساب يوشك ان يقيم القيامة ويحاسب العباد فبادروا اكثار الذكر وطلب الآخرة او وصف نفسه بسرعة حساب الخلائق على كثرة عددهم وكثرة اعمالهم ليدل على كمال قدرته ووجوب الحذر منه ۝ روى انه يحاسب الخلق في قدر حلب شاة وروي في مقدار فواق ناقة وروي في مقدار لمحة

واذكروا الله في ايام معدودات فمن تعجل في يومين فلا اثم عليه ومن تاخر فلا اثم عليه لمن اتقى واتقوا الله واعلموا انكم اليه تحشرون

الايام المعدودات ايام التشريق وذكر الله فيها التكبير في ادبار الصلوات وعند الجمار وعن عمر رضي الله عنه انه كان يكبر في فسطاطه بمنى فيكبر من حوله حتى يكبر الناس في الطريق وفي الطواف فمن تعجل فمن عجل في النفر او استعجل النفر وتعجل واستعجل يجيان مطاوعين بمعنى عجل يقال تعجل في الامر واستعجل ومتعديين يقال تعجل الذهاب واستعجله والمطاوعة اوفق لقوله ومن تاخر كما هي كذلك في قوله

قد يدرك المتاني بعض حاجته ... وقد يكون من المستعجل الزلل

لاجل المتاني في يومين بعد يوم النحر يوم القر وهو الذي يسميه اهل مكة يوم الرؤس واليوم بعده ينفر اذا فرغ من رمي الجمار كما يفعل الناس اليوم وهو مذهب الشافعي رضي الله عنه ويروى عن قتادة وعند ابي حنيفة رحمة الله عليه واصحابه ينفر قبل طلوع الفجر ومن تاخر حتى رمى في اليوم الثالث والرمي في اليوم الثالث يجوز تقديمه على الزوال عند ابي حنيفة وعند الشافعي رضي الله عنهما لا يجوز ۝ كيف قال فلا اثم عليه عند التعجل والتاخر جميعا **قلت** دلالة على ان التعجل والتاخر مخير فيهما كانه قيل فتعجلوا او تاخروا ۝ اليس التاخر بافضل **قلت** بلى ويجوز ان يقع التخيير بين الفاضل والافضل كما خير المسافر بين الصوم والافطار وان كان الصوم افضل **وقيل** ان اهل الجاهلية كانوا فريقين منهم من جعل المتعجل آثما ومنهم من جعل المتاخر آثما فورد القرآن بنفي المأثم عنهما جميعا لمن اتقى اي ذلك التخيير ونفي الاثم عن المتعجل والمتاخر لاجل الحاج المتقي لئلا يتخالج في قلبه شيء منهما فيحسب ان احدهما يرهق صاحبه آثاما في الاقدام عليه لان ذا التقوى حذر متحرز من كل ما يريبه ولانه هو الحاج على الحقيقة عند الله ثم قال واتقوا الله ليعبا بكم ويجوز ان يراد ذلك الذي مر ذكره من احكام الحج وغيره لمن اتقى لانه هو المنتفع به دون من سواه كقوله ذلك خير للذين يريدون وجه الله

ومن الناس من يعجبك قوله في الحيوة الدنيا ويشهد الله على ما في قلبه وهو الد الخصام من يعجبك قوله اي يروقك ويعظم في قلبك ومنه الشيء العجيب الذي يعظم في النفس وهو الاخنس ابن شريق كان رجلا حلو المنطق اذا لقي رسول الله عليه السلام الان له القول وادعى انه يحبه وانه مسلم وقال يعلم الله اني صادق وقيل هو عام في المنافقين كانت تحلو السنتهم وقلوبهم امر من الصبر **فان قلت** بم يتعلق قوله في الحيوة الدنيا ۝ بالقول اي يعجبك ما يقوله في معنى الدنيا لان ادعاءه المحبة بالباطل يطلب به حظا من حظوظ الدنيا ولا يريد به

الآخرة

الآخرة كما تراد بالايمان الحقيقي والمحبة الصادقة للرسول عليه السلام فكلامه اذا في الدنيا لا في الآخرة ۝ ويجوز ان يتعلق بيعجبك اي قوله حلو فصيح في الدنيا فهو يعجبك في الدنيا ولا يعجبك في الآخرة لما يرهقه في الموقف من الحبسة واللكنة ۝ او لانه لا يؤذن له في الكلام فلا يتكلم حتى يعجبك كلامه ۝ ويشهد الله على ما في قلبه اي يحلف ويقول الله شاهد على ما في قلبي من محبتك ومن الاسلام **وقرئ** ويشهد الله ۝ وفي مصحف ابي رضي الله عنه ويستشهد الله ۝ وهو الد الخصام وهو شديد الجدال والعداوة للمسلمين ۝ وقيل كان بينه وبين ثقيف خصومة فبيتهم ليلا واهلك مواشيهم واحرق زروعهم ۝ والخصام المخاصمة واضافة الالد بمعنى في كقولهم ثبت الغدر او جعل الخصام الدا على المبالغة ۝ وقيل الخصام جمع خصم كصعب وصعاب بمعنى وهو اشد الخصوم خصومة

واذا تولى سعى في الارض ليفسد فيها ويهلك الحرث والنسل والله لا يحب الفساد ۝ واذا قيل له اتق الله اخذته العزة بالاثم فحسبه جهنم ولبئس المهاد ۝ واذا تولى عنك وذهب بعد الانة القول واحلاء المنطق سعى في الارض ليفسد فيها كما فعل بثقيف ۝ وقيل واذا تولى واذا كان واليا فعل ما يفعله ولاة السوء من الفساد في الارض وباهلاك الحرث والنسل ۝ وقيل يظهر الظلم حتى يمنع الله تعالى بشؤم ظلمه القطر فيهلك الحرث والنسل **وقرئ** ويهلك الحرث والنسل على ان الفعل للحرث والنسل والرفع للعطف على سعى **وقرأ** الحسن بفتح اللام وهي لغة نحو ابى يابى وروي عنه ويهلك على البناء للمفعول ۝ اخذته العزة بالاثم من قولك اخذته بكذا اذا حملته عليه والزمته اياه اي حملته العزة التي فيه وحمية الجاهلية على الاثم الذي ينهى عنه والزمته ارتكابه وان لا يخلي عنه ضرارا ولجاجا او على رد قول الواعظ **ومن الناس من يشري نفسه ابتغاء مرضات الله والله رؤف بالعباد ۝ يا ايها الذين آمنوا ادخلوا في السلم كافة ولا تتبعوا خطوات الشيطان انه لكم عدو مبين ۝ فان زللتم من بعد ما جاءتكم البينات فاعلموا ان الله عزيز حكيم** يشري نفسه يبيعها اي يبذلها في الجهاد ۝ وقيل يامر بالمعروف وينهى عن المنكر حتى يقتل **وقيل** نزلت في صهيب بن سنان اراده المشركون على ترك الاسلام وقتلوا نفرا كانوا معه فقال لهم انا شيخ كبير ان كنت معكم لم انفعكم وان كنت عليكم لم اضركم فخلوني وما انا عليه وخذوا مالي فقبلوا منه ماله واتى المدينة ۝ والله رؤف بالعباد حيث كلفهم الجهاد فعرضهم لثواب الشهداء السلم بكسر السين وفتحها **وقرأ** الاعمش بفتح السين واللام وهو الاستسلام والطاعة اي استسلموا لله واطيعوه كافة لا يخرج احد منكم يده عن طاعته ۝ وقيل هو الاسلام والخطاب لاهل الكتاب لانهم آمنوا بنبيهم وكتابهم ۝ او للمنافقين لانهم آمنوا بالسنتهم ۝ ويجوز ان يكون كافة حالا من السلم لانها تؤنث كما تؤنث الحرب **قال** ۝

السلم تاخذ منها ما رضيت به ۝ والحرب يكفيك من انفاسها جرع ۝

على ان المؤمنين امروا بان يدخلوا في الطاعات كلها وان لا يدخلوا في طاعة دون طاعة ۝ او في شعب الاسلام وشرائعه كلها وان لا يخلوا بشيء منها **وعن** عبد الله بن سلام انه استاذن رسول الله صلى الله عليه وسلم ان يقيم على السبت وان يقرا من التورية في صلوته من الليل ۝ وكانه من الكف كانهم كفوا ان يخرج منهم احد باجتماعهم ۝ فان زللتم عن الدخول في السلم من بعد ما جاءتكم البينات اي الحجج والشواهد على ان ما دعيتم الى الدخول فيه هو الحق ۝ فاعلموا ان الله عزيز غالب لا يعجزه الانتقام منكم ۝ حكيم

لا يشعر إلا بحق **وروي** أن قارئاً قرأ غفور رحيم فسمعه أعرابي فأنكره ولم يقرأ القرآن وقال إن كان هذا كلام الله فلا يقول كذا الحكيم لا يذكر الغفران عند الزلل لأنه إغراء عليه • وقرأ أبو السمال زللتم بكسر اللام وهما لغتان نحو ضللت وضللت هل ينظرون إلا أن يأتيهم الله في ظلل من الغمام والملائكة وقضي الأمر وإلى الله ترجع الأمور • سل بني إسرائيل كم آتيناهم من آية بينة ومن يبدل نعمة الله من بعد ما جاءته فإن الله شديد العقاب • إتيان الله إتيان أمره وبأسه **كقوله** أو يأتي أمر ربك • فجاءهم بأسنا • ويجوز أن يكون المأتي به محذوفاً بمعنى أن يأتيهم الله ببأسه أو بنقمته للدلالة عليه بقوله فإن الله عزيز • في ظلل جمع ظلة وهي ما أظلك **وقرئ** ظلال وهي جمع ظلة كقلة وقلال أو جمع ظل **وقرئ** والملائكة بالرفع كقوله هل ينظرون إلا أن تأتيهم الملائكة • وبالجر عطفاً على ظلل أو على الغمام **فإن قلت** لم يأتيهم العذاب في الغمام **قلت** لأن الغمام مظنة الرحمة فإذا نزل منه العذاب كان الأمر أفظع وأهول لأن الشر إذا جاء من حيث لا يحتسب كان أغم كما أن الخير إذا جاء من حيث لا يحتسب كان أسر فكيف إذا جاء الشر من حيث يحتسب الخير • ولذلك كانت الصاعقة من العذاب المستفظع لمجيئها من حيث يتوقع الغيث ومن ثم اشتد على المتفكرين في كتاب الله تعالى قوله تعالى وبدا لهم من الله ما لم يكونوا يحتسبون • وقضي الأمر وأتم أمر إهلاكهم وتدميرهم وفرغ منه **وقرأ** معاذ بن جبل رضي الله عنه وقضاء الأمر على المصدر المرفوع عطفاً على الملائكة وقرئ ترجع وترجع على البناء للفاعل والمفعول بالتأنيث والتذكير فيهما • سل أمر للرسول صلى الله عليه وسلم أو لكل أحد وهذا السؤال سؤال تقريع كما تسأل الكفرة يوم القيامة • كم آتيناهم من آية بينة على أيدي أنبيائهم وهي معجزاتهم أو من آية في الكتب شاهدة على صحة دين الإسلام • ونعمة الله آياته وهي أجل نعمة من الله تعالى لأنها أسباب الهدى والنجاة من الضلالة وتبديلهم إياها أن الله أظهرها لتكون أسباب هداهم فجعلوها أسباب ضلالتهم • كقوله تعالى فزادتهم رجساً إلى رجسهم • أو حرفوا آيات الكتب الدالة على دين محمد عليه السلام **فإن قلت** كم استفهامية أم خبرية **قلت** تحتمل الأمرين • ومعنى الاستفهام فيها التقرير • فإن قلت ما معنى من بعد ما جاءته • قلت معناه من بعد ما تمكن من معرفتها أو عرفها • كقوله تعالى ثم يحرفونه من بعد ما عقلوه لأنه إذا لم يتمكن من معرفتها أو لم يعرفها فكأنها غائبة عنه زين للذين كفروا الحيوة الدنيا ويسخرون من الذين آمنوا والذين اتقوا فوقهم يوم القيامة والله يرزق من يشاء بغير حساب • المزين هو الشيطان زين لهم الدنيا وحسنها في أعينهم بوساوسه وحببها إليهم فلا يريدون غيرها • ويجوز أن يكون الله تعالى قد زينها لهم بأن خذلهم حتى استحسنوها وأحبوها • أو جعل إمهال المزين تزييناً • ويدل عليه قراءة من قرأ زين للذين كفروا الحيوة الدنيا على البناء للفاعل • ويسخرون من الذين آمنوا كانوا الكفرة يسخرون من المؤمنين الذين لا حظ لهم في الدنيا كابن مسعود وعمار وصهيب رضي الله عنهم وغيرهم أي لا يريدون غيرها وهم يسخرون ممن لا حظ له فيها أو ممن يطلب غيرها • والذين اتقوا فوقهم يوم القيامة لأنهم في عليين من السماء وهم في سجين من الأرض • أو حالهم عالية لحالهم لأنهم في كرامة وهم في هوان • أو هم عالون عليهم متطاولون يضحكون منهم كما يتطاول هؤلاء عليهم في الدنيا ويرون الفضل لهم عليهم فاليوم الذين آمنوا من الكفار يضحكون • والله يرزق من يشاء بغير حساب بغير تقدير يعني أنه يوسع على من توجب الحكمة التوسعة عليه كما وسع على قارون وغيره فهذه التوسعة

عليكم من جهة الله لما فيها من الحكمة وهي استدراجكم بالنعمة ولو كانت كرامة لكان أولياؤه المؤمنون أحق بها منكم **فإن قلت** لم قال من الذين آمنوا ثم قال والذين اتقوا **قلت** ليريك أنه لا يسعد عنده إلا المؤمن المتقي وليكون بعثاً للمؤمنين على التقوى إذا سمعوا ذلك كان الناس أمة واحدة فبعث الله النبيين مبشرين ومنذرين وأنزل معهم الكتاب بالحق ليحكم بين الناس فيما اختلفوا فيه وما اختلف فيه إلا الذين أوتوه من بعد ما جاءتهم البينات بغياً بينهم فهدى الله الذين آمنوا لما اختلفوا فيه من الحق بإذنه والله يهدي من يشاء إلى صراط مستقيم كان الناس أمة واحدة متفقين على دين الإسلام فبعث الله النبيين يريد فاختلفوا فبعث الله وإنما حذف لدلالة قوله ليحكم بين الناس فيما اختلفوا فيه عليه • وفي قراءة عبد الله كان الناس أمة واحدة فاختلفوا فبعث الله والدليل عليه قوله تعالى وما كان الناس إلا أمة واحدة فاختلفوا **وقيل** كان الناس أمة واحدة كفاراً فبعث الله النبيين فاختلفوا عليهم والأول الوجه **فإن قلت** متى كان الناس أمة واحدة متفقين على الحق **قلت** عن ابن عباس رضي الله عنهما أنه كان بين آدم وبين نوح عليهما السلام عشرة قرون على شريعة من الحق فاختلفوا • وقيل هم نوح ومن كان معه في السفينة • وأنزل معهم الكتاب يريد الجنس أو مع كل واحد منهم كتابه ليحكم الله • أو الكتاب المنزل عليه • فيما اختلفوا فيه من الحق ودين الإسلام الذي اختلفوا فيه بعد الاتفاق • وما اختلف فيه في الحق • إلا الذين أوتوه إلا الذين أوتوا الكتاب المنزل لإزالة الاختلاف أي ازدادوا في الاختلاف لما أنزل عليهم الكتاب وجعلوا نزول الكتاب سبباً في شدة الاختلاف واستحكامه بغياً بينهم حسداً بينهم وظلماً لحرصهم على الدنيا وقلة إنصاف منهم • ومن الحق بيان لما اختلفوا فيه أي فهدى الله الذين آمنوا للحق الذي اختلف فيه من اختلف أم حسبتم أن تدخلوا الجنة ولما يأتكم مثل الذين خلوا من قبلكم مستهم البأساء والضراء وزلزلوا حتى يقول الرسول والذين آمنوا معه متى نصر الله ألا إن نصر الله قريب • يسئلونك ماذا ينفقون قل ما أنفقتم من خير فللوالدين والأقربين واليتامى والمساكين وابن السبيل وما تفعلوا من خير فإن الله به عليم • أم منقطعة ومعنى الهمزة فيها للتقرير وإنكار الحسبان واستبعاده لما ذكر ما كانت عليه الأمم من الاختلاف على النبيين بعد مجيء البينات تشجيعاً لرسول الله صلى الله عليه وسلم والمؤمنين على الثبات والصبر مع الذين اختلفوا عليه من المشركين وأهل الكتاب وإنكارهم لآياته وعداوتهم له قال لهم على طريقة الالتفات التي هي أبلغ أم حسبتم ولما فيها معنى التوقع وهي في النفي نظيرة قد في الإثبات • والمعنى أن إتيان ذلك متوقع منتظر • مثل الذين خلوا حالهم التي هي مثل في الشدة • مستهم بيان للمثل وهو استئناف كأن قائلاً قال كيف كان ذلك المثل فقيل مستهم البأساء وزلزلوا وأزعجوا إزعاجاً شديداً شبيهاً بالزلزلة بما أصابهم من الأهوال والأفزاع حتى يقول الرسول إلى الغاية التي قال الرسول ومن معه فيها متى نصر الله أي بلغ بهم الضجر ولم يبق لهم صبر حتى قالوا ذلك ومعناه طلب النصر وتمنيه واستطالة زمان الشدة • وفي هذه الغاية دليل على تناهي الأمر في الشدة وتماديه في العظم لأن الرسل لا يقادر قدر ثباتهم واصطبارهم وضبطهم لأنفسهم لم يبق لهم صبر حتى ضجوا كان ذلك الغاية في الشدة التي لا مطمح وراءها

عليم

الا ان نصر الله قريب على ارادة القول يعني فقيل لهم ذلك اجابة لهم الى طلبتهم من عاجل النصر وقرى
حتى يقول بالنصب على اضمار ان ومعنى الاستقبال لان ان علم له وبالرفع على انه في معنى الحال
كقولك شربت الابل حتى يجي البعير يجر بطنه الا انها حال ماضية محكية **فان قلت** كيف
طابق الجواب السؤال في قوله تعالى قل ما انفقتم وهم قد سالوا عن بيان ما ينفقون واجيبوا
ببيان المصرف **قلت** قد تضمن قوله ما انفقتم من خير بيان ما ينفقونه وهو كل خير وبني الكلام
على ما هو اهم وهو بيان المصرف لان النفقة لا يعتد بها الا ان تقع موقعها **قال** الشاعر
ان الصنيعة لا تكون صنيعة ۝ حتى يصاب بها طريق المصنع ۝ وعن ابن عباس
رضي الله عنهما انه جاء عمرو بن الجموح وهو شيخ هم وله مال عظيم فقال ماذا ننفق من اموالنا
واين نضعها فنزلت ۝ وعن السدي هي منسوخة بفرض الزكوة ۝ وعن الحسن هي في التطوع ۝
كتب عليكم القتال وهو كره لكم وعسى ان تكرهوا شيئا وهو خير لكم وعسى ان تحبوا
شيئا وهو شر لكم والله يعلم وانتم لا تعلمون ۝ وهو كره لكم من الكراهة بدليل قوله وعسى
ان تكرهوا شيئا ۝ ثم اما ان يكون بمعنى الكراهة على وضع المصدر موضع الوصف مبالغة ۝
كقولها ۝ فانما هي اقبال وادبار ۝ كانه في نفسه كراهة لفرط كراهتهم له ۝ واما ان يكون فعلا بمعنى
مفعول كالخبز بمعنى المخبوز اي وهو مكروه لكم **وقرا** السلمي بالفتح على ان يكون بمعنى المضموم
كالضعف والضعف ۝ ويجوز ان يكون بمعنى الاكراه على سبيل المجاز كانهم اكرهوا عليه لشدة كراهتهم
له ومشقته عليهم ۝ ومنه قوله عز وجل حملته امه كرها ووضعته ۝ وعلى قوله وعسى ان تكرهوا
شيئا جميع ما كلفوه فان النفوس تكرهه وتنفر عنه وتحب خلافه ۝ والله يعلم ما يصلحكم وما هو
خير لكم وانتم لا تعلمون ذلك يسالونك عن الشهر الحرام قتال فيه قل قتال فيه كبير وصد
عن سبيل الله وكفر به والمسجد الحرام واخراج اهله منه اكبر عند الله والفتنة اكبر من
القتل ولا يزالون يقاتلونكم حتى يردوكم عن دينكم ان استطاعوا ومن يرتدد منكم
عن دينه فيمت وهو كافر فاولئك حبطت اعمالهم في الدنيا والاخرة واولئك اصحاب
النار هم فيها خالدون ۝ ان الذين امنوا والذين هاجروا وجاهدوا في سبيل الله اولئك
يرجون رحمة الله والله غفور رحيم ۝ بعث رسول الله صلى الله عليه وسلم عبد الله بن جحش على
سرية في جمادى الاخرة قبل قتال بدر بشهرين ليترصد عيرا لقريش فيها عمرو بن عبد الله الحضرمي
وثلاثة معه فقتلوه واسروا اثنين واستاقوا العير وفيها من تجارة الطايف وكان ذلك اول
يوم من رجب وهم يظنونه من جمادى الاخرة فقالت قريش قد استحل محمد الشهر الحرام شهرا يامن
فيه الخايف ويبذعر فيه الناس الى معايشهم فوقف رسول الله صلى الله عليه وسلم العير وعظم
ذلك على اصحاب السرية وقالوا ما نبرح حتى تنزل توبتنا ورد رسول الله عليه السلام العير
والاسارى **وعن** ابن عباس رضي الله عنه لما نزلت اخذ رسول الله عليه السلام الغنيمة ۝
والمعنى يسالك الكفار او المسلمون عن القتال في الشهر الحرام وقتال فيه بدل الاشتمال من
الشهر **وفي** قراءة عبد الله عن قتال فيه على تكرير العامل ۝ كقوله تعالى للذين استضعفوا لمن
امن ۝ وقرا عكرمة قتل فيه قل قتل فيه كبير اي اثم كبير ۝ وعن عطا انه سئل عن القتال في الشهر
الحرام فحلف بالله ما يحل للناس ان يغزوا في الحرم ولا في الشهر الحرام الا ان يقاتلوا فيه وما

نسخت والاكثر الا انا وبلغنا انها منسوخة بقوله تعالى اقتلوا المشركين حيث وجدتموهم ۝ ۝
وصد عن سبيل الله مبتدا واكبر خبره يعني وكبائر قريش من صدهم عن سبيل الله وعن المسجد الحرام
وكفرهم بالله واخراج اهل المسجد الحرام وهم رسول الله عليه السلام والمؤمنون اكبر عند الله مما
فعلته السرية من القتال في الشهر الحرام على سبيل الخطاء والبناء على الظن ۝ والفتنة الاخراج او
الشرك ۝ والمسجد الحرام عطف على سبيل الله ولا يجوز ان يعطف على الهاء في به ۝ ولا يزالون يقاتلونكم
اخبار عن دوام عداوة الكفار للمسلمين وانهم لا ينفكون عنها حتى يردوهم عن دينهم ۝ وحتى معناها
التعليل كقولك فلان يعبد الله حتى يدخل الجنة اي يقاتلونكم كي يردوكم ۝ وان استطاعوا استبعاد
لاستطاعتهم كقول الرجل لعدوه ان ظفرت بي فلا تبق علي وهو واثق بانه لا يظفر به ۝ ومن يرتدد
منكم ومن يرجع عن دينه الى دينهم ويطاوعهم على رده اليه فيمت على الردة ۝ فاولئك حبطت اعمالهم
في الدنيا والاخرة لما يفوتهم باحداث الردة مما للمسلمين في الدنيا من ثمرات الاسلام وباستدامتها
والموت عليها من ثواب الاخرة ۝ وبها احتج الشافعي رضي الله عنه على ان الردة لا تحبط الاعمال حتى
يموت عليها ۝ وعند ابي حنيفة رحمة الله عليه انها تحبطها وان رجع مسلما ۝ ان الذين امنوا والذين
هاجروا **روي** ان عبد الله بن جحش واصحابه حين قتلوا الحضرمي ظن قوم انهم ان سلموا من الاثم
فليس لهم اجر فنزلت ۝ اولئك يرجون رحمة الله **وعن** قتادة هؤلاء خيار هذه الامة ثم جعلهم
الله اهل رجاء كما تسمعون وانه من رجا طلب ۝ ومن خاف هرب يسالونك عن الخمر والميسر قل فيهما
اثم كبير ومنافع للناس واثمهما اكبر من نفعهما ويسالونك ماذا ينفقون قل العفو كذلك
يبين الله لكم الايات لعلكم تتفكرون ۝ في الدنيا والاخرة ۝ نزلت في الخمر اربع ايات
نزلت بمكة ومن ثمرات النخيل والاعناب تتخذون منه سكرا ۝ فكان المسلمون يشربونها وهي لهم
حلال ۝ ثم ان عمر ومعاذا رضي الله عنهما ونفرا من الصحابة قالوا يا رسول الله افتنا في الخمر فانها
مذهبة للعقل مسلبة للمال فنزلت فيهما اثم كبير ومنافع للناس فشربها قوم وتركها اخرون ثم
دعا عبد الرحمن بن عوف رضي الله عنهما ناسا منهم فشربوا وسكروا فام بعضهم فقرا قل يا ايها الكافرون
اعبد ما تعبدون فنزلت لا تقربوا الصلوة وانتم سكارى فقل من يشربها ۝ ثم دعا عتبان بن
مالك قوما فيهم سعد بن ابي وقاص رضي الله عنه فلما سكروا افتخروا وتناشدوا حتى انشد سعد
شعرا فيه هجاء الانصار فضربه انصاري بلحي بعير فشجه موضحة فشكى الى رسول الله عليه السلام فقال
عمر اللهم بين لنا في الخمر بيانا شافيا فنزلت انما الخمر والميسر الى قوله فهل انتم منتهون فقال عمر
رضي الله عنه انتهينا يا رب **وعن** علي رضي الله عنه لو وقعت قطرة في بير فبنيت مكانها منارة لم
اوذن عليها ۝ ولو وقعت في بحر ثم جف ونبت فيه الكلا لم ارعه **وعن** ابن عمر رضي الله عنهما
لو ادخلت اصبعي فيه لم تتبعني وهذا هو الايمان حقا ۝ وهم الذين اتقوا الله حق تقاته ۝ والخمر
ما غلا واشتد وقذف بالزبد من عصير العنب وهو حرام ۝ وكذلك نقيع الزبيب والتمر الذي لم
يطبخ فان طبخ حتى ذهب ثلثاه ثم غلا واشتد ذهب خبثه ونصيب الشيطان منه وحل شربه ما
دون السكر اذا لم يقصد بشربه اللهو والطرب عند ابي حنيفة رحمة الله عليه ۝ وعن بعض اصحابه
لان اقول مرارا هو حلال احب الي من ان اقول مرة هو حرام ۝ ولان اخر من السماء فاتقطع قطعا
احب الي من ان اتناول منه قطرة ۝ وعند اكثر الفقهاء هو حرام كالخمر ۝ وكذلك كل ما اسكر من كل

شراب وسميت خمرا لتغطيتها العقل والتمييز كما سميت سكرا لانها تسكرهما اى تحجزهما وكانها سميت
بالمصدر من خمره خمرا اذا ستره للمبالغة • والميسر القمار مصدر من يسر كالموعد والمرجع من فعلهما
يقال يسرته اذا قمرته واشتقاقه من اليسر لانه اخذ مال الرجل بيسر وسهولة من غير كد ولا تعب
او من اليسار لانه سلب يساره **وعن** ابن عباس رضي الله عنهما كان الرجل في الجاهلية يخاطر على
اهله وماله **قال** • اقول لهم بالشعب اذ ييسروننى • اى يجعلوننى ممن يقتل بالياسرون •
بالميسور **فان قلت** كيف صفة الميسر **قلت** كانت لهم عشرة اقداح • وهي الازلام
والاقلام • الفذ والتوأم • والرقيب • والحلس • والنافس • والمسبل • والمعلى • والمنيح • والسفيح
والوغد • لكل واحد منها نصيب معلوم من جزور ينحرونها ويجزؤنها عشرة اجزاء • وقيل ثمانية
وعشرين الا لثلاثة وهي المنيح والسفيح والوغد • **ولبعضهم** •
لى في الدنيا سهام • ليس فيهن ربيح • واساميهن وغد • وسفيح ومنيح • للفذ سهم
وللتوأم سهمان • وللرقيب ثلاثة • وللحلس اربعة • وللنافس خمسة • وللمسبل ستة • وللمعلى
سبعة • يجعلونها في الربابة وهي خريطة ويضعونها على يدي عدل ثم يجلجلها ويدخل يده فيخرج باسم
رجل رجل قدحا منها فمن خرج له قدح من ذوات الانصباء اخذ النصيب الموسوم به ذلك القدح
ومن خرج له قدح مما لا نصيب له لم ياخذ شيا وغرم ثمن الجزور كله وكانوا يدفعون تلك الانصبا
الى الفقراء ولا ياكلون منها ويفتخرون بذلك ويذمون من لم يدخل فيه ويسمونه البرم • وفي
حكم الميسر انواع القمار من النرد والشطرنج وغيرهما • وعن النبي صلى الله عليه وسلم اياكم وهاتين
الكعبتين المشؤمتين فانهما من ميسر العجم **وعن** على رضي الله عنه ان النرد والشطرنج من الميسر
وعن ابن سيرين كل شي فيه خطر فهو من الميسر • والمعنى يسالونك عما في تعاطيهما بدليل قوله
فيهما اثم كبير واثمهما وعقاب الاثم في تعاطيهما اكبر من نفعهما وهو الالتذاذ بشرب الخمر والقمار
والطرب فيهما والتوصل بهما الى مصادقات الفتيان ومعاشراتهم والنيل من مطاعمهم ومشاربهم
وعطاياتهم وسلب الاموال بالقمار والافتخار على الابرام **وقرئ** اثم كثير بالثاء • وفي قراءة
ابي واثمهما اقرب ومعنى الكثرة ان اصحاب الشرب والقمار يقترفون فيهما الاثام من وجوه
كثيرة • العفو نقيض الجهد وهو ان ينفق ما لا يبلغ انفاقه منه الجهد واستفراغ الوسع • •
قال • خذي العفو مني تستديمي مودتي • ويقال للارض السهلة العفو • وقرئ بالرفع والنصب
وعن النبي صلى الله عليه وسلم ان رجلا اتاه ببيضة من ذهب اصابها في بعض المغازي فقال خذها
مني صدقة فاعرض عنه رسول الله عليه السلام فاتاه من الجانب الايمن فقال له مثله فاعرض عنه
ثم اتاه من الجانب الايسر فاعرض عنه فقال هاتها مغضبا فاخذها فحذفه بها حذفا لو اصابه
لشجه او عقره ثم قال يجي احدكم بماله كله يتصدق به ويجلس يتكفف الناس انما الصدقة
عن ظهر غنى • في الدنيا والاخرة اما ان يتعلق بتتفكرون فيكون المعنى لعلكم تتفكرون •
فيما يتعلق بالدارين فتاخذون بما هو اصلح لكم كما بينت لكم ان العفو اصلح من الجهد في النفقة
او تتفكرون في الدارين فتؤثرون ابقاهما واكثرهما منافع • ويجوز ان يكون اشارة الى قوله
واثمهما اكبر من نفعهما لتتفكروا في عقاب الاثم في الاخرة والنفع في الدنيا حتى لا تختاروا النفع
العاجل على النجاة من العقاب العظيم • واما ان يتعلق بيبين على معنى يبين الله لكم الايات في امر

الدارين

الدارين وفيما يتعلق بهما لعلكم تتفكرون • ويسالونك عن اليتامى قل اصلاح لهم خير
وان تخالطوهم فاخوانكم والله يعلم المفسد من المصلح ولو شاء الله لاعنتكم ان الله عزيز
حكيم • لما نزلت ان الذين ياكلون اموال اليتامى ظلما اعتزلوا اليتامى وتحاموهم وتركوا مخالطتهم
والقيام باموالهم والاهتمام بمصالحهم فشق ذلك عليهم وكاد يوقعهم في الحرج فقيل اصلاح لهم
خير اى مداخلتهم على وجه الاصلاح لهم ولاموالهم خير من مجانبتهم • وان تخالطوهم وتعاشروهم
ولم تجانبوهم فهم اخوانكم في الدين ومن حق الاخ ان يخالط اخاه وقد حملت المخالطة على المصاهرة
والله يعلم المفسد من المصلح اى لا يخفى على الله من داخلهم بافساد واصلاح فيجازيه على حسب
مداخلته فاحذروه ولا تتحروا غير الاصلاح • ولو شاء الله لاعنتكم لحملكم على العنت وهو
المشقة واحرجكم فلم يطلق لكم مداخلتهم **وقرا** طاوس قل اصلاح اليهم ومعناه ايصال
الصلاح اليهم **وقرئ** لعنتكم بطرح الهمزة والقاء حركتها على اللام • وكذلك فلا اثم عليه
ان الله عزيز غالب يقدر على ان يعنت عباده ويحرجهم ولكنه حكيم لا يكلف الا ما يتسع فيه
طاقتهم • ولا تنكحوا المشركات حتى يؤمن ولامة مؤمنة خير من مشركة ولو اعجبتكم ولا •
تنكحوا المشركين حتى يؤمنوا ولعبد مؤمن خير من مشرك ولو اعجبكم اولئك يدعون
الى النار والله يدعوا الى الجنة والمغفرة باذنه ويبين اياته للناس لعلهم يتذكرون •
ولا تنكحوا وقرئ بضم التاء اى لا تتزوجوهن او ولا تزوجوهن والمشركات الحربيات والاية
ثابتة • وقيل المشركات الحربيات والكتابيات جميعا لان اهل الكتاب من اهل الشرك • لقوله
تعالى وقالت اليهود عزير ابن الله • وقالت النصارى المسيح ابن الله الى قوله سبحانه عما يشركون
وهي منسوخة بقوله والمحصنات من الذين اوتوا الكتاب من قبلكم وسورة المايدة كلها ثابتة
لم ينسخ منها شي قط وهو قول ابن عباس والاوزاعي **وروى** ان رسول الله عليه السلام بعث
مرثد بن ابي مرثد الغنوي الى مكة ليخرج منها ناسا من المسلمين وكان يهوى امراة في الجاهلية
اسمها عناق فاتته وقالت الا تخلو فقال ويحك ان الاسلام حال بيننا فقالت فهل لك ان تتزوج
بي قال نعم ولكن ارجع الى رسول الله فاستامره فنزلت • ولامة مؤمنة ولامراة
مؤمنة حرة كانت او مملوكة • وكذلك ولعبد مؤمن لان الناس كلهم عبيد الله واماؤه • ولو
اعجبتكم ولو كان الحال ان المشركة تعجبكم وتحبونها فان المؤمنة خير منها مع ذلك • اولئك اشارة
الى المشركات والمشركين اى يدعون الى الكفر فحقهم ان لا يوالوا ولا يصاهروا ولا يكون بينهم وبين
المؤمنين الا المناصبة والقتال • والله يدعوا الى الجنة يعني واولياء الله وهم المؤمنون
يدعون الى الجنة والمغفرة وما يوصل اليهما فهم الذين تجب موالاتهم ومصاهرتهم وان يؤثروا
على غيرهم • باذنه بتيسير الله وتوفيقه للعمل الذي يستحق به الجنة والمغفرة **وقرا** الحسن
والمغفرة باذنه بالرفع اى والمغفرة حاصلة بتيسيره • ويسئلونك عن المحيض قل هو اذى فاعتزلوا
النساء في المحيض ولا تقربوهن حتى يطهرن فاذا تطهرن فاتوهن من حيث امركم الله ان الله
يحب التوابين ويحب المتطهرين • المحيض مصدر يقال حاضت محيضا كقولك جاء مجيئا وبات
مبيتا قل هو اذى اى الحيض شي يستقذر ويؤذي من يقربه نفرة منه وكراهة له • فاعتزلوا
النساء فاجتنبوهن يعني فاجتنبوا مجامعتهن **روى** ان الجاهلية كانوا اذا حاضت المراة

لم يؤاكلوها ولم يشاربوها ولم يجالسوها على فرش ولم يساكنوها في بيت كفعل المجوس واليهود فلما
نزلت اخذ المسلمون بظاهر اعتزالهن فاخرجوهن من بيوتهم فقال ناس من الاعراب يا رسول الله البرد
شديد والثياب قليلة فان آثرناهن بالثياب هلك سائر اهل البيت وان استأثرنا بها هلكت الحيض
فقال صلى الله عليه وسلم انما امرتم ان تعتزلوا مجامعتهن اذا حضن ولم يأمركم باخراجهن من البيوت
كفعل الاعاجم **وقيل** ان النصارى كانوا يجامعونهن ولا يبالون بالحيض واليهود كانوا يعتزلونهن
في كل شيء فامر الله بالاقتصاد بين الامرين ۞ وبين الفقهاء خلاف في الاعتزال فابو حنيفة وابو
يوسف يوجبان اعتزال ما اشتمل عليه الازار ومحمد بن الحسن لا يوجب الا اعتزال الفرج ۞ وروى
محمد حديث عايشة رضي الله عنها ان عبد الله بن عمر رضي الله عنهما سألها هل يباشر الرجل امرأته
وهي حايض فقالت تشد ازارها على سفلتها ثم ليباشرها ان شاء ۞ وما روى زيد بن اسلم رضي الله عنه
ان رجلا سأل النبي صلى الله عليه وسلم ما يحل لي من امرأتي وهي حايض قال لتشد عليها ازارها ثم شأنك
باعلاها ثم قال وهذا قول ابي حنيفة وقد جاء ما هو ارخص من هذا عن عايشة رضي الله عنها انها
قالت يجتنب شعار الدم وله ما سوى ذلك **وقرئ** يطهرن بالتشديد اي يتطهرن بدليل
قوله فاذا تطهرن **وقرأ** عبد الله حتى يتطهرن ويطهرن بالتخفيف ۞ والتطهر الاغتسال
والطهر انقطاع الحيض وكلتا القراءتين مما يجب العمل به فذهب ابو حنيفة رحمة الله عليه الى ان له
ان يقربها في اكثر الحيض بعد انقطاع الدم وان لم تغتسل ۞ وفي اقل الحيض لا يقربها حتى تغتسل او يمضي
عليها وقت صلوة ۞ وذهب الشافعي رضي الله عنه الى انه لا يقربها حتى تطهر وتتطهر فتجمع بين الامرين
وهو قول واضح ويعضده قوله فاذا تطهرن ۞ من حيث امركم الله من المأتي الذي امركم الله تعالى
به وحلله لكم وهو القبل ۞ ان الله يحب التوابين مما عسى يندر منهم من ارتكاب ما نهوا عنه من
ذلك ۞ ويحب المتطهرين المتنزهين عن الفواحش ۞ او ان الله يحب التوابين الذين يطهرون انفسهم
بطهرة التوبة من كل ذنب ويحب المتطهرين من جميع الاقذار كمجامعة الحايض والطاهر قبل
الغسل واتيان ما ليس بمباح وغير ذلك نساؤكم حرث لكم فأتوا حرثكم انى شئتم وقدموا لانفسكم
واتقوا الله واعلموا انكم ملاقوه وبشر المؤمنين ۞ ولا تجعلوا الله عرضة لايمانكم
ان تبروا وتتقوا وتصلحوا بين الناس والله سميع عليم ۞ حرث لكم مواضع حرث لكم
وهذا مجاز شبههن بالمحارث تشبيها لما يلقى في ارحامهن من النطف التي منها النسل بالبذور وقوله
فأتوا حرثكم انى شئتم تمثيل اي فأتوهن كما تأتون اراضيكم التي تريدون ان تحرثوها من اي جهة
شئتم لا تحظر عليكم جهة دون جهة ۞ والمعنى جامعوهن من اي شق اردتم بعد ان يكون المأتي واحدا
وهو موضع الحرث ۞ وقوله قل هو اذى فاعتزلوا النساء من حيث امركم الله ۞ فأتوا حرثكم انى شئتم
من الكنايات اللطيفة والتعريضات المستحسنة وهذه واشباهها في كلام الله آداب حسنة
على المؤمنين ان يتعلموها ويتأدبوا بها ويتكلفوا مثلها في محاوراتهم ومكاتباتهم **وروي**
ان اليهود كانوا يقولون من جامع امرأته وهي مجبية من دبرها في قبلها كان ولدها احول فذكر
ذلك لرسول الله صلى الله عليه وسلم فقال كذبت اليهود ونزلت ۞ وقدموا لانفسكم ما يجب
تقديمه من الاعمال الصالحة وما هو خلاف ما نهيتكم عنه ۞ وقيل هو طلب الولد ۞ وقيل
التسمية على الوطء ۞ واتقوا الله فلا تجترئوا على المناهي ۞ واعلموا انكم ملاقوه فتزودوا ما لا

تفتضحون

تفتضحون به ۞ وبشر المؤمنين المستوجبين للمدح والتعظيم بترك القبايح وفعل الحسنات **فان قلت**
ما موقع قوله نساؤكم حرث لكم مما قبله **قلت** موقعه موقع البيان والتوضيح لقوله فأتوهن من
حيث امركم الله يعني ان المأتي الذي امركم الله به هو مكان الحرث ترجمة له وتفسيرا وازالة للشبهة
ودلالة على ان الغرض الاصيل في الاتيان هو طلب النسل لا قضاء الشهوة فلا تأتوهن الا من حيث
المأتي الذي يتعلق به هذا الغرض **فان قلت** ما بال يسألونك جاء بغير واو ثلث مرات ثم مع
الواو ثلاثا **قلت** كان سؤالهم عن تلك الحوادث الاول وقع في احوال متفرقة فلم يؤت بحرف
العطف لان كل واحد من السؤالات سؤال مبتدأ وسألوا عن الحوادث الاخر في وقت واحد فجيء بحرف
الجمع لذلك كانه قيل يجمعون لك بين السؤال عن الخمر والميسر والسؤال عن الانفاق والسؤال عن
كذا وعن كذا ۞ العرضة فعلة بمعنى مفعول كالقبضة والغرفة وهي اسم ما تعرضه دون الشيء من عرض
العود على الاناء فيعترض دونه ويصير حاجزا ومانعا منه تقول فلان عرضة دون الخير ۞ والعرضة
ايضا المعرض للامر **قال** فلا تجعلوني عرضة للوائم ۞ ومعنى الاية على الاولى ان الرجل كان يحلف
على بعض الخيرات من صلة رحم او اصلاح ذات بين او احسان الى احد او عبادة ثم يقول اخاف الله ان
احنث في يميني فيترك البر ارادة البر في يمينه فقيل لهم ولا تجعلوا الله عرضة اي حاجزا لما حلفتم
عليه وسمي المحلوف عليه يمينا لتلبسه باليمين كما قال النبي صلى الله عليه وسلم لعبد الرحمن بن سمرة
رضي الله عنه اذا حلفت على يمين فرأيت غيرها خيرا منها فات الذي هو خير وكفر عن يمينك اي على شيء
مما تحلف عليه ۞ وقوله ان تبروا وتتقوا وتصلحوا عطف بيان لايمانكم اي للامور المحلوف عليها
التي هي البر والتقوى والاصلاح بين الناس **فان قلت** بم تعلقت اللام في لايمانكم
قلت بالفعل اي ولا تجعلوا الله لايمانكم برزخا وحجازا ۞ ويجوز ان تتعلق بعرضة لما
فيها من معنى الاعتراض بمعنى لا تجعلوه شيئا يعترض البر من اعترضني كذا ۞ ويجوز ان تكون اللام للتعليل
ويتعلق ان تبروا بالفعل او بالعرضة اي ولا تجعلوا الله لاجل ايمانكم به عرضة لان تبروا ۞
ومعناها على الاخرى ولا تجعلوا الله معرضا لايمانكم فتبتذلوه بكثرة الحلف به ۞ ولذلك ذم
من نزل فيه ولا تطع كل حلاف مهين باشنع المذام وجعل الحلاف مقدمتها ۞ وان تبروا علة
للنهي اي ارادة ان تبروا وتتقوا وتصلحوا لان الحلاف مجترئ على الله تعالى غير معظم له فلا
يكون برا متقيا ولا يثق به الناس فلا يدخلونه في وساطتهم واصلاح ذات بينهم لا يؤاخذكم
الله باللغو في ايمانكم ولكن يؤاخذكم بما كسبت قلوبكم والله غفور حليم ۞ اللغو الساقط
الذي لا يعتد به من كلام وغيره ولذلك قيل لما لا يعتد به في الدية من اولاد الابل لغو ۞ واللغو
من اليمين الساقط الذي لا يعتد به في الايمان وهو الذي لا عقد معه والدليل عليه ولكن
يؤاخذكم بما عقدتم الايمان ۞ بما كسبت قلوبكم واختلف الفقهاء فيه فعند ابي حنيفة رحمة الله
عليه واصحابه هو ان يحلف على الشيء يظنه على ما حلف عليه ثم يظهر خلافه ۞ وهو عند الشافعي
رضي الله عنه هو قول العرب لا والله وبلى والله مما يؤكدون به كلامهم ولا يخطر ببالهم الحلف ولو
قيل لواحد منهم سمعتك اليوم تحلف في المسجد الحرام لانكر ذلك ولعله قال لا والله الف مرة وفيه
معنيان احدهما لا يؤاخذكم اي لا يعاقبكم بلغو اليمين الذي يحلفه احدكم بالظن ولكن يعاقبكم
بما كسبت قلوبكم اي اقترفته من اثم القصد الى الكذب في اليمين وهو ان يحلف على ما يعلم انه خلافه

ما يقوله وهو اليمين الغموس • والثاني لا يؤاخذكم اى لا يلزمكم الكفارة بلغو اليمين الذى لا قصد معه ولكن يلزمكم الكفارة بما كسبت قلوبكم اى بما نوت قلوبكم وقصدت من الايمان ولم يكن كسب اللسان وحده • والله غفور حليم حيث لم يؤاخذكم باللغو فى ايمانكم • للذين يؤلون من نسائهم تربص اربعة اشهر فان فاؤا فان الله غفور رحيم • وان عزموا الطلاق فان الله سميع عليم • قرأ عبد الله آلوا من نسائهم وقرأ ابن عباس رضى الله عنهما يقسمون من نسائهم **فان قلت** كيف عدى بمن وهو معدى بعلى **قلت** قد ضمن فى هذا القسم المخصوص معنى البعد فكانه قيل يبعدون من نسائهم مولين او مقسمين ويجوز ان يراد لهم من نسائهم تربص اربعة اشهر كقولك لى منك كذا والايلا من المرأة ان يقول والله لا اقربك اربعة اشهر فصاعدا على التقييد بالاشهر او لا اقربك على الاطلاق ولا يكون فيما دون اربعة اشهر الا ما يحكى عن ابراهيم النخعى وحكم ذلك انه اذا فاء اليها فى المدة بالوطى ان امكنه او بالقول ان عجز صح الفىء وحنث القادر ولزمته كفارة اليمين ولا كفارة على العاجز وان مضت الاربعة بانت بتطليقة عند ابى حنيفة وعند الشافعى رضى الله عنهما لا يصح الايلاء الا فى اكثر من اربعة اشهر ثم يوقف المولى فاما ان يفيء واما ان يطلق وان ابى طلق عليه الحاكم ومعنى فان فاؤا فى الاشهر بدليل قراءة عبد الله فان فاؤا فيهن • فان الله غفور رحيم يغفر للمولين ما عسى يقدمون عليه من طلب ضرار النساء بالايلاء وهو الغالب وان كان يجوز ان يكون على رضا منهن اشفاقا منهن على الولد من الغيل • او لبعض الاسباب لاجل الفيئة التى هى مثل التوبة • وان عزموا الطلاق فتربصوا الى مضى المدة • فان الله سميع عليم وعيد على اصرارهم وتركهم الفيئة • وعلى قول الشافعى رضى الله عنه معناه فان فاؤا وان عزموا بعد مضى المدة **فان قلت** كيف موقع الفاء اذا كانت الفيئة قبل انتهاء مدة التربص **قلت** موقع صحيح لان قوله فان فاؤا وان عزموا تفصيل لقوله للذين يؤلون من نسائهم والتفصيل يعقب المفصل كما تقول انا نزيلكم هذا الشهر فان احمدتكم اقمت عندكم الى آخره والا لم اقم الا ريثما اتحول **فان قلت** ما تقول فى قوله فان الله سميع عليم وعزمهم الطلاق مما يعلم ولا يسمع **قلت** الغالب ان العازم للطلاق وترك الفيئة والضرار لا يخلو من مقاولة ودمدمة ولا بد له من ان يحدث نفسه ويناجيها بذلك • وذلك حديث لا يسمعه الا الله كما يسمع وسوسة الشيطان • والمطلقات يتربصن بانفسهن ثلاثة قروء ولا يحل لهن ان يكتمن ما خلق الله فى ارحامهن ان كن يؤمن بالله واليوم الآخر وبعولتهن احق بردهن فى ذلك ان ارادوا اصلاحا ولهن مثل الذى عليهن بالمعروف وللرجال عليهن درجة والله عزيز حكيم • والمطلقات اراد المدخول بهن من ذوات الاقراء **فان قلت** كيف جازت ارادتهن خاصة واللفظ يقتضى العموم **قلت** بل اللفظ مطلق فى تناول الجنس صالح لكله وبعضه فجاء فى احد ما يصلح له كالاسم المشترك **فان قلت** فما معنى الاخبار عنهن بالتربص **قلت** هو خبر فى معنى الامر واصل الكلام وليتربص المطلقات واخراج الامر فى صورة الخبر تأكيد للامر واشعار بانه مما يجب ان يتلقى بالمسارعة الى امتثاله فكانهن امتثلن الامر بالتربص فهو يخبر عنه موجودا • ونحوه قولهم فى الدعاء رحمك الله اخرج فى صورة الخبر ثقة بالاستجابة كانما وجدت الرحمة فهو يخبر عنها وبناؤه على المبتدا مما زاده ايضا فضل تأكيد • ولو قيل وتتربص المطلقات لم يكن بتلك الوكادة • فان قلت هلا قيل يتربصن ثلاثة قروء كما قيل تربص اربعة اشهر وما معنى ذكر الانفس • قلت فى ذكر

الانفس

الانفس تهييج لهن على التربص وزيادة بعث لان فيه ما يستنكفن منه فيحملهن على ان يتربصن وذلك ان انفس النساء طوامح الى الرجال فامرن ان يقمعن انفسهن ويغلبنها على الطموح ويجبرنها على التربص والقروء جمع قرء او قرؤ وهو الحيض بدليل قوله صلى الله عليه وسلم دعى الصلوة ايام اقرائك • وقوله عليه السلام طلاق الامة تطليقتان وعدتها حيضتان ولم يقل طهران • وقوله تعالى واللائى يئسن من المحيض من نسائكم ان ارتبتم فعدتهن ثلاثة اشهر فاقام الاشهر مقام الحيض دون الاطهار • ولان الغرض الاصلى فى العدة استبراء الرحم والحيض هو الذى تستبرأ به الارحام دون الطهر ولذلك كان الاستبراء من الامة بالحيضة ويقال اقرأت المرأة اذا حاضت وامرأة مقرئ • وقال ابو عمرو بن العلاء دفع فلان جاريته الى فلانة تقرئها اى تمسكها عندها حتى تحيض للاستبراء **فان قلت** فما تقول فى قوله تعالى فطلقوهن لعدتهن والطلاق الشرعى انما هو فى الطهر **قلت** معناه مستقبلات لعدتهن كما تقول لقيته لثلاث بقين من الشهر تريد مستقبلا لثلاث وعدتهن الحيض الثلاث **فان قلت** فما تقول فى قول الاعشى • لما ضاع فيها من قروء نسائكا **قلت** اراد لما ضاع فيها من عدة نسائك لشهرة القروء عندهم فى الاعتداد بهن اى من مدة طويلة كالمدة التى تعتد فيها النساء استطال مدة غيبته عن اهله كل عام لاقتحامه فى الحروب والغارات وانه مر على نسائه مدة كمدة العدة ضايعة لا يضاجعهن فيها • او اراد من اوقات نسائك فان القرء والقارئ جاء فى معنى الوقت ولم يرد لا حيضا ولا طهرا **فان قلت** فعلام انتصب ثلاثة قروء **قلت** على انه مفعول به كقولك المحتكر يتربص الغلاء اى يتربصن مضى ثلاثة او على انه ظرف اى يتربصن مدة ثلاثة قروء **فان قلت** لم جاء المميز على جمع الكثرة دون القلة التى هى الاقراء **قلت** يتسعون فى ذلك فيستعملون كل واحد مكان الآخر لاشتراكهما فى الجمعية • الا ترى الى قوله بانفسهن وما هى الا نفوس كثيرة ولعل القروء كانت اكثر استعمالا فى جمع قرء من الاقراء فاوثر عليه تنزيلا للقليل الاستعمال منزلة المهمل فيكون مثل قولهم ثلاثة شسوع وقرأ الزهرى ثلاثة قرو بغير همزة • ما خلق الله فى ارحامهن من الولد او من دم الحيض وذلك اذا ارادت المرأة فراق زوجها فكتمت حملها لئلا ينتظر بطلاقها ان تضع ولئلا يشفق على الولد فيترك تسريحها او كتمت حيضها وقالت وهى حائض قد طهرت استعجالا للطلاق • ويجوز ان يراد اللائى يبغين اسقاط ما فى بطونهن من الاجنة فلا يعترفن به ويجحدنه لذلك فجعل كتمان ما فى ارحامهن كناية عن اسقاطه • ان كن يؤمن بالله واليوم الآخر تعظيم لفعلهن وان من آمن بالله وبعقابه لا يجترئ على مثله من العظائم • والبعول جمع بعل • والتاء لاحقة لتأنيث الجمع كما فى الحزونة والسهولة • ويجوز ان يراد بالبعولة المصدر من قولك بعل حسن البعولة يعنى واهل بعولتهن احق بردهن • وفى قراءة ابى رضى الله عنه بردتهن فى ذلك فى مدة ذلك التربص **فان قلت** كيف جعلوا احق بالرجعة كان للنساء حقا فيها **قلت** المعنى اذا ارادوا الرجعة وابتها المرأة وجب ايثار قوله على قولها وكان هو احق منها لا ان لها حقا فى الرجعة ان ارادوا بالرجعة اصلاحا لما بينهم وبينهن واحسانا اليهن ولم يريدوا مضارتهن • ولهن مثل الذى عليهن ويجب لهن من الحق على الرجال مثل الذى يجب لهم عليهن بالمعروف بالوجه الذى لا ينكر فى الشرع وعادات الناس فلا يكلفنهم ما ليس لهن ولا يكلفونهن ما ليس لهم ولا يعنف احد الزوجين صاحبه والمراد

قمعته واقمعته بمعنى اى قهرته

قوله ان ارتبتم اى ان شككتم فى ان عدة النساء الآيسات باى شىء يكون فاعلموا ان عدتهن ثلاثة اشهر

اى ثلاث ليال

اوله اوفى كل عام انت جاشم غزوة

والمضى ليس ظرفا

النظرة بكسر الظاء التأخير وانظرته والباء فى بطلاقها للتعدية اى لئلا يؤخر طلاقها للوضع او الى الوضع والداعى

تنزيل كان كان للنساء حقا فيها مع فضل الرجال عليهن

بالمماثلة مماثلة الواجب الواجب في كونه حسنة لا في جنس الفعل فلا يجب عليه اذا غسلت ثيابه
او خبزت له ان يفعل نحو ذلك ولكن يقابله بما يليق بالرجال ◦ درجة زيادة في الحق وفضيلة
قيل المراة تنال من اللذة مثل ما ينال الرجل وله الفضيلة بقيامه عليها وانفاقه في مصالحها
الطلاق مرتان فامساك بمعروف او تسريح باحسان ولا يحل لكم ان تاخذوا مما اتيتموهن
شيا الا ان يخافا الا يقيما حدود الله فان خفتم الا يقيما حدود الله فلا جناح
عليهما فيما افتدت به تلك حدود الله فلا تعتدوها ومن يتعد حدود الله
فاولئك هم الظالمون الطلاق بمعنى التطليق كالسلام بمعنى التسليم اى التطليق الشرعي تطليقة
بعد تطليقة على التفريق دون الجمع والارسال دفعة واحدة ولم يرد بالمرتين التثنية ولكن
التكرير كقوله تعالى ثم ارجع البصر كرتين اى كرة بعد كرة لا كرتين اثنتين ◦ ونحو ذلك من
التثانى التي يراد بها التكرير قولهم لبيك وسعديك وحنانيك وهذاذيك ودواليك ◦ وقوله
تعالى فامساك بمعروف او تسريح باحسان تخيير لهم بعد ان علمهم كيف يطلقون بين ان يمسكوا
النساء بحسن العشرة والقيام بمواجبهن وبين ان يسرحوهن السراح الجميل الذى علمهم ◦ وقيل
معناه الطلاق الرجعي مرتان لانه لا رجعة بعد الثلاث ◦ فامساك بمعروف اى برجعة ◦ او تسريح
باحسان اى بان لا يراجعها حتى تبين بالعدة ◦ او بان لا يراجعها مراجعة يريد بها تطويل العدة عليها
وضرارها ◦ وقيل بان يطلقها الثالثة في الطهر الثالث وروى ان سايلا سال رسول الله صلى
الله عليه وسلم اين الثالثة فقال عليه السلام او تسريح باحسان ◦ وعند ابى حنيفة رحمة الله
عليه واصحابه الجمع بين الطلقتين والثلاث بدعة ◦ والسنة ان لا يوقع عليها الا واحدة في طهر
لم يجامعها فيه ◦ لما روى في حديث ابن عمر رضى الله عنهما ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال له
انما السنة ان تستقبل الطهر استقبالا فتطلقها لكل قرء تطليقة ◦ وعند الشافعي رضى الله عنه
لا باس بارسال الثلاث لحديث العجلاني الذى لاعن امراته فطلقها ثلاثا بين يدى رسول الله صلى
الله عليه وسلم فلم ينكر عليه روى ان جميلة بنت عبد الله بن ابى كانت تحت ثابت بن قيس بن
شماس وكانت تبغضه وهو يحبها فاتت رسول الله صلى الله عليه وسلم فقالت يا رسول الله لا انا
ولا ثابت لا يجمع راسى وراسه شىء والله ما اعيب عليه في دين ولا خلق ولكني اكره الكفر في
الاسلام ما اطيقه بغضا انى رفعت جانب الخباء فرايته اقبل في عدة فاذا هو اشدهم سوادا
واقصرهم قامة واقبحهم وجها فنزلت وكان قد اصدقها حديقة فاختلعت منه بها وهو اول
خلع كان في الاسلام فان قلت لمن الخطاب في قوله ولا يحل لكم ان تاخذوا ان قلت للازواج
لم يطابقه قوله فان خفتم الا يقيما حدود الله وان قلت للايمة والحكام فهؤلاء ليسوا باخذين منهن
ولا بموتيهن قلت يجوز الامران جميعا ان يكون اول الخطاب للازواج واخره للايمة والحكام
ونحو ذلك غير عزيز في القران وغيره ◦ وان يكون الخطاب كله للايمة والحكام لانهم الذين يامرون
بالاخذ والايتاء عند الترافع اليهم فكانهم الاخذون والموتون ◦ مما اتيتموهن مما اعطيتموهن
من الصدقات الا ان يخافا الا يقيما حدود الله الا ان يخاف الزوجان ترك اقامة حدود الله
فيما يلزمهما من مواجب الزوجية لما يحدث من نشوز المراة وسوء خلقها ◦ فلا جناح عليهما فلا جناح
على الرجل فيما اخذ ولا عليها فيما اعطت ◦ فيما افتدت به فيما فدت به نفسها واختلعت به من

بدل

بدله مما اوتيت من المهر والخلع بالزيادة على المهر مكروه وهو جائز في الحكم روى ان امراة نشزت
على زوجها فبعث الى عمر رضى الله فاباتها في بيت الزبل ثلاث ليال ثم دعاها فقال كيف وجدت
مبيتك فقالت ما بت مذ كنت عنده اقر لعيني منهن فقال لزوجها اخلعها ولو بقرطها ◦ قال قتادة
يعني بمالها كله هذا اذا كان النشوز منها فان كان منه كره له ان ياخذ منها شيا وقرى
الا ان يخافا على البناء للمفعول وابدال الا يقيما من الف الضمير وهو من بدل الاشتمال كقولك
خيف زيد تركه اقامة حدود الله ونحوه واسروا النجوى الذين ظلموا وتعضده قراءة عبد
الله الا ان تخافا وفي قراءة ابى رضى الله عنه الا ان يظنا ويجوز ان يكون الخوف بمعنى الظن
يقولون اخاف ان يكون كذا وافرق ان يكون كذا يريدون الظن فان طلقها فلا تحل له من
بعد حتى تنكح زوجا غيره فان طلقها فلا جناح عليهما ان يتراجعا ان ظنا ان يقيما
حدود الله وتلك حدود الله يبينها لقوم يعلمون ◦ فان طلقها الطلاق المذكور الموصوف
بالتكرار في قوله الطلاق مرتان واستوفى نصابه ◦ او فان طلقها مرة ثالثة بعد المرتين
فلا تحل له من بعد من بعد ذلك التطليق حتى تنكح زوجا غيره حتى تتزوج غيره ◦ والنكاح
يسند الى المراة كما يسند الى الرجل كما التزوج ويقال فلانة ناكح في بنى فلان وقد تعلق من
اقتصر على العقد في التحليل بظاهره وهو سعيد بن المسيب رضى الله عنه والذى عليه الجمهور انه لا بد
من الاصابة لما روى عروة عن عايشة رضى الله عنها ان امراة رفاعة جاءت الى النبي صلى الله عليه وسلم
فقالت ان رفاعة طلقني فبت طلاقي وان عبد الرحمن بن الزبير تزوجني وان ما معه مثل هدبة
الثوب فقال رسول الله عليه السلام اتريدين ان ترجعي الى رفاعة قالت نعم فقال لا حتى تذوقي
عسيلته ويذوق عسيلتك وروى انها لبثت ما شاء الله ثم رجعت فقالت انه قد كان مسني فقال لها كذبت في قولك الاول فلن اصدقك في الاخر فلبثت حتى قبض رسول الله عليه السلام
فاتت ابا بكر رضى الله عنه فقالت ارجع الى زوجي الاول فقال قد عهدت رسول الله عليه السلام
حين قال لك ما قال فلا ترجعي اليه ◦ فلما قبض ابو بكر رضى الله عنه قالت مثله لعمر رضى الله عنه
فقال لان اتيتني بعد مرتك هذه لارجمنك فمنعها فان قلت فما تقول في النكاح المعقود
بشرط التحليل قلت ذهب سفيان والاوزاعي وابو عبيد ومالك وغيرهم الى انه غير جائز
وهو جائز عند ابى حنيفة رحمة الله عليه مع الكراهة ◦ وعنه انهما ان اضمرا التحليل ولم يصرحا
به فلا كراهة ◦ وعن النبي صلى الله عليه وسلم انه لعن المحلل والمحلل له ◦ وعن عمر رضى عنه لا اوتى
بمحلل ولا محلل له الا رجمتهما ◦ وعن عثمان رضى الله عنه لا الا نكاح رغبة غير مدالسة ◦ فان طلقها
الزوج الثاني ان يتراجعا ان يرجع كل واحد منهما الى صاحبه بالزواج ◦ ان ظنا ان كان في ظنهما انهما
يقيمان حقوق الزوجية ولم يقل ان علما انهما يقيمان لان اليقين مغيب عنهما لا يعلمه الا الله تعالى
ومن فسر الظن ههنا بالعلم فقد وهم من طريق اللفظ والمعنى لانك لا تقول علمت ان يقوم زيد
ولكن علمت انه يقوم ولان الانسان لا يعلم ما في الغد وانما يظن ظنا واذا طلقتم النساء فبلغن
اجلهن فامسكوهن بمعروف او سرحوهن بمعروف ولا تمسكوهن ضرارا لتعتدوا
ومن يفعل ذلك فقد ظلم نفسه ولا تتخذوا ايات الله هزوا واذكروا نعمة الله
عليكم وما انزل عليكم من الكتاب والحكمة يعظكم به واتقوا الله واعلموا انكم ملاقوه

حـ
اى ولو فعله لكان كانرا
كالبيع وقت النداء فانه
منهى عنه مع انه صحيح

حـ
حديث عمر يدل على جواز الزيادة

كاسقا لامراة عاشق

قوله عبد الرحمن بن الزبير قال
الامام النووي في شرح الصحيح
الشافعي بفتح الزاى وكسر الباء
الامر الزبير وروى ابو بكر النيسابوري
بضم الزاى وفتح الباء وكذا اخرجه
اسمعيل القاري في كتابه

إن الله بكل شيء عليم ۞ فبلغن أجلهن أي آخر عدتهن وشارفن منتهاها ۞ والأجل يقع على المدة كلها وعلى آخرها يقال لعمر الإنسان أجل وللموت الذي ينتهي به أجل وكذلك الغاية والأمد يقول النحويون من لابتداء الغاية وإلى لانتهاء الغاية قال اذا انتهى أمده ۞ ويتسع في البلوغ أيضا فيقال بلغ البلد إذا شارفه وداناه ۞ ويقال قد وصلت ولم يصل وإنما شارف ولأنه قد علم أن الإمساك بعد تقضي الأجل لا وجه له لأنها بعد تقضيه غير زوجة له وفي غير عدة منه فلا سبيل له عليها فأمسكوهن بمعروف فإما أن يراجعها من غير طلب ضرار بالمراجعة ۞ أو سرحوهن بإحسان وإما أن يخليها حتى تنقضي عدتها وتبين من غير ضرار ۞ ولا تمسكوهن ضرارا ۞ كان الرجل يطلق المرأة ويتركها حتى يقرب انقضاء عدتها ثم يراجعها لا عن حاجة ولكن ليطول العدة عليها فهو الإمساك ضرارا ۞ لتعتدوا لتظلموا ۞ وقيل لتلجئوهن إلى الافتداء ۞ فقد ظلم نفسه بتعريضها لعقاب الله ۞ ولا تتخذوا آيات الله هزوا أي جدوا في الأخذ بها والعمل بما فيها وارعوها حق رعايتها وإلا فقد اتخذتموها هزوا ولعبا ويقال لمن لم يجد في الأمر إنما أنت لاعب وهازئ ويقال كن يهوديا وإلا فلا تلعب بالتوراة ۞ وقيل كان الرجل يطلق ويعتق ويتزوج ويقول كنت لاعبا وعن رسول الله صلى الله عليه وسلم ثلاث جدهن جد وهزلهن جد ۞ الطلاق والنكاح والرجعة ۞ واذكروا نعمة الله عليكم بالإسلام وبنبوة محمد عليه السلام ۞ وما أنزل عليكم من الكتاب والحكمة من القرآن والسنة ۞ وذكرها مقابلتها بالشكر والقيام بحقها ۞ يعظكم به بما أنزل عليكم وإذا طلقتم النساء فبلغن أجلهن فلا تعضلوهن أن ينكحن أزواجهن إذا تراضوا بينهم بالمعروف ذلك يوعظ به من كان منكم يؤمن بالله واليوم الآخر ذلكم أزكى لكم وأطهر والله يعلم وأنتم لا تعلمون ۞ فبلغن أجلهن فلا تعضلوهن إما أن يخاطب به الأزواج الذين يعضلون نساءهم بعد انقضاء العدة ظلما وقسرا ولحمية الجاهلية لا يتركونهن يتزوجن من شئن من الأزواج والمعنى أن ينكحن أزواجهن الذين يرغبن فيهم ويصلحون لهن ۞ وإما أن يخاطب به الأولياء في عضلهن أن يرجعن إلى أزواجهن روي أنها نزلت في معقل بن يسار حين عضل أخته أن ترجع إلى الزوج الأول وقيل في جابر بن عبد الله رضي الله عنه حين عضل بنت عم له ۞ والوجه أن يكون خطابا للناس أي لا يوجد فيما بينكم عضل لأنه إذا وجد بينهم وهم راضون كانوا في حكم العاضلين ۞ والعضل الحبس والتضييق ومنه عضلت الدجاجة إذا نشب بيضها فلم يخرج وأنشد لابن هرمة ۞

وإن قصائدي لك فاصطنعني ۞ عقائل قد عضلن عن النكاح ۞

وبلوغ الأجل على الحقيقة ۞ وعن الشافعي دل سياق الكلامين على افتراق البلوغين ۞ إذا تراضوا إذا تراضى الخطاب والنساء بالمعروف بما يحسن في الدين والمروءة من الشرائط ۞ وقيل بمهر المثل ومن مذهب أبي حنيفة رحمه الله عليه أنها إن زوجت نفسها بأقل من مهر مثلها فللولي أن يعترض فإن قلت لمن الخطاب في قوله ذلك يوعظ به قلت يجوز أن يكون لرسول الله عليه السلام ولكل أحد ونحوه ذلك خير لكم وأطهر ۞ أزكى لكم وأطهر من أدناس الآثام ۞ وقيل أزكى لكم وأطهر أفضل وأطيب ۞ والله يعلم ما في ذلك من الزكاء والطهر وأنتم لا تعلمونه ۞ أو والله يعلم ما تستصلحون به من الأحكام والشرائع وأنتم تجهلونه والوالدات يرضعن أولادهن حولين كاملين لمن أراد أن يتم الرضاعة وعلى المولود له رزقهن وكسوتهن بالمعروف لا تكلف نفس إلا وسعها لا تضار والدة بولدها

ولا مولود له بولده وعلى الوارث مثل ذلك فإن أرادا فصالا عن تراض منهما وتشاور فلا جناح عليهما وإن أردتم أن تسترضعوا أولادكم فلا جناح عليكم إذا سلمتم ما آتيتم بالمعروف واتقوا الله واعلموا أن الله بما تعملون بصير ۞ يرضعن مثل يتربصن في أنه خبر في معنى الأمر المؤكد ۞ كاملين توكيد ۞ كقوله تلك عشرة كاملة لأنه مما يتسامح فيه تقول أقمت عند فلان حولين ولم تستكملهما وقرأ ابن عباس رضي الله عنهما أن يكمل الرضاعة وقرئ الرضاعة بكسر الراء والرضعة وأن تتم الرضاعة وأن يتم الرضاعة برفع الفعل تشبيها لأن بما لتآخيهما في التأويل ۞ فإن قلت كيف اتصل قوله لمن أراد بما قبله قلت هو بيان لمن توجه إليه الحكم كقوله تعالى هيت لك لك بيان للمهيت به أي هذا الحكم لمن أراد إتمام الرضاع ۞ وعن قتادة حولين كاملين ثم أنزل الله تعالى اليسر والتخفيف فقال لمن أراد أن يتم الرضاعة أراد أنه يجوز النقصان وعن الحسن ليس ذلك بوقت لا ينقص منه بعد أن لا يكون في الفطام ضرر ۞ وقيل اللام متعلقة بيرضعن كما تقول أرضعت فلانة لفلان ولده أي يرضعن حولين لمن أراد أن يتم الرضاعة من الآباء لأن الأب يجب عليه إرضاع الولد دون الأم وعليه أن يتخذ له ظئرا إلا إذا تطوعت الأم بإرضاعه وهي مندوبة إلى ذلك ولا تجبر عليه ۞ ولا يجوز استئجار الأم عند أبي حنيفة ما دامت زوجة له أو معتدة من نكاح ۞ وعند الشافعي يجوز فإذا انقضت عدتها جاز بالاتفاق فإن قلت فما بال الوالدات مأمورات بأن يرضعن أولادهن قلت إما أن يكون أمرا على وجه الندب وإما على وجه الوجوب إذا لم يقبل الصبي إلا ثدي أمه أو لم توجد له ظئر أو كان الأب عاجزا عن الاستئجار ۞ وقيل أراد الوالدات المطلقات وإيجاب النفقة والكسوة لأجل الرضاع ۞ وعلى المولود له وعلى الذي يولد له وهو الوالد وله في محل الرفع على الفاعلية نحو عليهم في المغضوب عليهم فإن قلت لم قيل المولود له دون الوالد قلت ليعلم أن الوالدات إنما ولدن لهم لأن الأولاد للآباء ۞ ولذلك ينسبون إليهم لا إلى الأمهات وأنشد للمأمون بن الرشيد رحمه الله ۞

فإنما أمهات الناس أوعية ۞ مستودعات وللآباء أبناء ۞

فكان عليهم أن يرزقوهن ويكسوهن إذا أرضعن ولدهم كالأظآر ۞ ألا ترى أنه ذكر باسم الوالد حيث لم يكن هذا المعنى وهو قوله تعالى واخشوا يوما لا يجزي والد عن ولده ولا مولود هو جاز عن والده شيئا ۞ بالمعروف تفسيره ما يعقبه وهو أن لا يكلف واحد منهما ما ليس في وسعه ولا يتضارا وقرئ لا تكلف بفتح التاء ولا نكلف بالنون ۞ وقرئ لا تضار بالرفع على الإخبار وهو يحتمل البناء للفاعل والمفعول وأن يكون الأصل تضارر بكسر الراء وتضارر بفتحها ۞ وقرأ لا تضار بالفتح أكثر القراء ۞ وقرأ الحسن بالكسر على النهي وهو محتمل للبناءين أيضا ويبين ذلك أنه قرئ لا تضارر ولا تضارر بالجزم وفتح الراء الأولى وكسرها وقرأ أبو جعفر لا تضار بالسكون مع التشديد على نية الوقف كما نواه أبو جعفر واختلس الضمة فظنه الراوي سكونا ۞ وعن كاتب عمر بن الخطاب رضي الله عنه لا تضرر والمعنى لا تضار والدة زوجها بسبب ولدها وهو أن تعنف به وتطلب منه ما ليس بعدل من الرزق والكسوة وأن تشغل قلبه بالتفريط في شأن الولد وأن تقول بعد ما ألفها الصبي اطلب له ظئرا وما أشبه ذلك ولا يضار مولود له امرأته بسبب ولده بأن يمنعها شيئا مما وجب عليه من رزقها وكسوتها ولا يأخذه منها وهي تريد إرضاعه ولا يكرهها على الإرضاع

وكذلك اذا كان مبنيا للمفعول نهى عن ان يلحق بها الضرار من قبل الزوج وان يلحق الضرار بالزوج من قبلها بسبب الولد ويجوز ان يكون تضار بمعنى تضر وان تكون الباء من صلته اى لا تضر والدة بولدها فلا تسيء غذاءه وتعهده ولا تفرط فيما ينبغي له ولا تدفعه الى الاب بعدما الفها ولا يضر الوالد به بان ينتزعه من يدها او يقصر في حقها فتقصر هي في حق الولد **فان قلت** كيف قيل بولدها وبولده **قلت** لما نهيت المرأة عن المضارة اضيف اليها الولد استعطافا لها عليه وانه ليس باجنبي منها فمن حقها ان تشفق عليه وكذلك الوالد • وعلى الوارث عطف على قوله وعلى المولود له رزقهن وكسوتهن وما بينهما تفسير للمعروف معترض بين المعطوف والمعطوف عليه فكان المعنى وعلى وارث المولود له مثل ما وجب عليه من الرزق والكسوة اى ان مات المولود له لزم من يرثه ان يقوم مقامه في ان يرزقها ويكسوها بالشريطة التي ذكرت من المعروف وتجنب الضرار • وقيل هو وارث الصبي الذي لو مات الصبي ورثه • واختلفوا فعند ابن ابي ليلى كل من ورثه • وعند ابي حنيفة رحمة الله عليه من كان ذا رحم محرم منه • وعند الشافعي رضي الله عنه لا نفقة فيما عدا الولاد • وقيل من ورثه من عصبته مثل الجد والاخ وابن الاخ والعم وابن العم • وقيل المراد وارث الاب وهو الصبي نفسه وانه ان مات ابوه وورثه وجبت عليه اجرة رضاعه في ماله ان كان له مال فان لم يكن له مال اجبرت الام على ارضاعه • وقيل على الوارث على الباقي من الابوين من قوله صلى الله عليه وسلم واجعله الوارث منا • فان ارادا فصالا صادرا عن تراض منهما وتشاور فلا جناح عليهما في ذلك زادا على الحولين او نقصا • وهذه توسعة بعد التحديد • وقيل هو في غاية الحولين لا يتجاوز وانما اعتبر تراضيهما في الفصال وتشاورهما اما الاب فلا كلام فيه واما الام فلانها احق بالتربية وهي اعلم بحال الصبي **وقرئ** فان ارادا استرضع منقول من ارضع يقال ارضعت المرأة الصبي واسترضعتها الصبي فتعديه الى مفعولين كما تقول انجح الحاجة واستنجحته الحاجة والمعنى ان تسترضعوا المراضع اولادكم فحذف احد المفعولين للاستغناء عنه كما تقول استنجحت الحاجة ولا تذكر من استنجحته وكذلك حكم كل مفعولين لم يكن احدهما عبارة عن الاول • اذا سلمتم الى المراضع ما آتيتم ما اردتم ايتاءه **كقوله** عز وجل اذا قمتم الى الصلوة • وقرئ ما اتيتم من اتى اليه احسانا اذا فعله ومنه قوله تعالى انه كان وعده مأتيا اى مفعولا • وروى شيبان عن عاصم ما اوتيتم اي ما آتاكم الله واقدركم عليه من الاجرة ونحوه وانفقوا مما جعلكم مستخلفين فيه وليس التسليم بشرط للجواز والصحة وانما هو ندب الى الاولى • ويجوز ان يكون بعثا على ان يكون الشيء الذي تعطاه المرضع من اهنأ ما يكون لتكون طيبة النفس راضية فيعود ذلك اصلاحا لشان الصبي واحتياطا في امره فامرنا بايتائه ناجزا يدا بيد كانه قيل اذا ادبتم اليهن يدا بيد ما اعطيتموهن بالمعروف متعلق بسلمتم امروا ان يكونوا عند تسليم الاجرة مستبشري الوجوه ناطقين بالقول الجميل مطيبين لانفس المراضع بما امكن حتى يؤمن تفريطهن بقطع معاذيرهن والذين يتوفون منكم ويذرون ازواجا يتربصن بانفسهن اربعة اشهر وعشرا فاذا بلغن اجلهن فلا جناح عليكم فيما فعلن في انفسهن بالمعروف والله بما تعملون خبير • والذين يتوفون منكم على تقدير حذف المضاف اراد وازواج الذين يتوفون منكم يتربصن • وقيل معناه يتربصن بعدهم كقولهم السمن منوان بدرهم **وقرئ** يتوفون بفتح الياء اي يستوفون آجالهم وهي قراءة علي رضي الله عنه • والذي يحكى ان ابا الاسود الدؤلي كان يمشي خلف جنازة فقال له رجل

من المتوفى بكسر الفاء فقال الله وكان احد الاسباب الباعثة لعلي رضي الله عنه على ان امره بان يضع كتابا في النحو يناقضه هذه القراءة • يتربصن بانفسهن اربعة اشهر وعشرا يعتددن هذه المدة وهي اربعة اشهر وعشرة ايام • وقيل عشرا ذهابا الى الليالي والايام داخلة معها ولا تراهم قط يستعملون التذكير فيه ذاهبين الى الايام تقول صمت عشرا ولو ذكرت خرجت من كلامهم ومن البين فيه قوله تعالى ان لبثتم الا عشرا ثم ان لبثتم الا يوما • فاذا بلغن اجلهن فاذا انقضت عدتهن فلا جناح عليكم ايها الائمة وجماعة المسلمين • فيما فعلن في انفسهن من التعرض للخطاب • بالمعروف بالوجه الذي لا ينكره الشرع • والمعنى انهن لو فعلن ما هو منكر كان على الائمة ان يكفوهن وان فرطوا كان عليهم الجناح • ولا جناح عليكم فيما عرضتم به من خطبة النساء او اكننتم في انفسكم علم الله انكم ستذكرونهن ولكن لا تواعدوهن سرا الا ان تقولوا قولا معروفا • ولا تعزموا عقدة النكاح حتى يبلغ الكتاب اجله واعلموا ان الله يعلم ما في انفسكم فاحذروه واعلموا ان الله غفور حليم • فيما عرضتم به هو ان يقول لها انك لجميلة او صالحة ومن غرضي ان اتزوج وعسى الله ان ييسر لي امرأة صالحة ونحو ذلك من الكلام الموهم انه يريد نكاحها حتى تحبس نفسها عليه ان رغبت فيه ولا يصرح بالنكاح فلا يقول اني اريد ان انكحك او اتزوجك او اخطبك • **وروى** ابن المبارك عن عبد الرحمن بن سليمان عن خالته قالت دخل علي ابو جعفر محمد بن علي رضي الله عنهم وانا في عدتي فقال قد علمت قرابتي من رسول الله عليه السلام وحق جدي علي وقدمي في الاسلام فقلت غفر الله لك اتخطبني في عدتي وانت يؤخذ عنك فقال او قد فعلت انما اخبرتك بقرابتي من رسول الله وموضعي قد دخل رسول الله عليه السلام على ام سلمة رضي الله عنها وكانت عند ابن عمها ابي سلمة فتوفي عنها فلم يزل يذكر لها منزلته من الله تعالى وهو متحامل على يده حتى اثر الحصير في يده من شدة تحامله عليها فما كانت تلك خطبة **فان قلت** اي فرق بين الكناية والتعريض **قلت** الكناية ان تذكر الشيء بغير لفظه الموضوع له والتعريض ان تذكر شيئا تدل به على شيء لم تذكره كما يقول المحتاج للمحتاج اليه جئتك لاسلم عليك ولانظر الى وجهك الكريم • ولذلك **قالوا** وحسبك بالتسليم مني تقاضيا • وكانه امالة الكلام الى عرض يدل على الغرض ويسمى التلويح لانه يلوح منه ما يريده • او اكننتم في انفسكم او سترتم واضمرتم في قلوبكم فلم تذكروه بالسنتكم لا معرضين ولا مصرحين • علم الله انكم ستذكرونهن لا محالة ولا تنفكون عن النطق برغبتكم فيهن ولا تصبرون عنه • وفيه طرف من التوبيخ كقوله تعالى علم الله انكم كنتم تختانون انفسكم **فان قلت** اين المستدرك بقوله تعالى ولكن لا تواعدوهن **قلت** هو محذوف لدلالة ستذكرونهن عليه تقديره علم الله انكم ستذكرونهن فاذكروهن ولكن لا تواعدوهن سرا • والسر وقع كناية عن النكاح الذي هو الوطء لانه مما يسر **قال الاعشى**

• فلا تقربن جارة ان سرها • عليك حرام فانكحن او تأبدا •

ثم عبر به عن النكاح الذي هو العقد لانه سبب فيه كما فعل بالنكاح • الا ان تقولوا قولا معروفا وهو ان تعرضوا ولا تصرحوا **فان قلت** بم يتعلق حرف الاستثناء **قلت** بلا تواعدوهن اي لا تواعدوهن مواعدة قط الا مواعدة معروفة غير منكرة • او لا تواعدوهن الا بان تقولوا اي لا تواعدوهن الا بالتعريض

ولا يجوز ان يكون استثناء منقطعا من سرا لاداية الى قولك لا تواعدوهن الا التعريض وقيل معناه لا تواعدوهن جماعا وهو ان يقول لها ان نكحتك كان كيت وكيت يريد ما يجرى بينهما تحت اللحاف الا ان تقولوا قولا معروفا يعنى من غير رفث والافحاش فى الكلام وقيل لا تواعدوهن سرا اى فى السر على ان المواعدة فى السر عبارة عن المواعدة بما يستهجن لان مسارتهن فى الغالب بما يستحيا من المجاهرة به **وعن** ابن عباس رضى الله عنهما الا ان تقولوا قولا معروفا هو ان يتواثقا ان لا تتزوج غيره ولا تعزموا عقدة النكاح من عزم الامر وعزم عليه وذكر العزم مبالغة فى النهى عن عقد النكاح فى العدة لان العزم على الفعل يتقدمه فاذا نهى عنه كان عن الفعل انهى ومعناه ولا تعزموا عقد عقدة النكاح وقيل معناه ولا تقطعوا عقدة النكاح وحقيقة العزم القطع بدليل قوله صلى الله عليه وسلم لا صيام لمن لم يعزم الصيام من الليل وروى لمن لم يبيت الصيام حتى يبلغ الكتاب اجله يعنى ما كتب وفرض من العدة يعلم ما فى انفسكم من العزم على ما لا يجوز فاحذروه ولا تعزموا عليه غفور حليم لا يعاجلكم بالعقوبة لا جناح عليكم ان طلقتم النساء ما لم تمسوهن او تفرضوا لهن فريضة ومتعوهن على الموسع قدره وعلى المقتر قدره متاعا بالمعروف حقا على المحسنين وان طلقتموهن من قبل ان تمسوهن وقد فرضتم لهن فريضة فنصف ما فرضتم الا ان يعفون او يعفو الذى بيده عقدة النكاح وان تعفوا اقرب للتقوى ولا تنسوا الفضل بينكم ان الله بما تعملون بصير لا جناح عليكم لا تبعة عليكم من ايجاب مهر ان طلقتم النساء ما لم تمسوهن ما لم تجامعوهن او تفرضوا لهن فريضة الا ان تفرضوا لهن فريضة او حتى تفرضوا وفرض الفريضة تسمية المهر وذلك ان المطلقة غير المدخول بها ان سمى لها مهر فلها نصف المسمى وان لم يسم لها فليس لها نصف مهر المثل ولكن المتعة والدليل على ان الجناح تبعة المهر قوله وان طلقتموهن الى قوله فنصف ما فرضتم فقوله فنصف ما فرضتم اثبات للجناح المنفى ثمة والمتعة درع وملحفة وخمار على حسب الحال عند ابى حنيفة رحمة الله عليه الا ان يكون مهر مثلها اقل من ذلك فلها الاقل من نصف مهر المثل ومن المتعة ولا ينقص من خمسة دراهم لان اقل المهر عشرة دراهم ولا ينقص من نصفها والموسع الذى له سعة والمقتر الضيق الحال وقدره مقداره الذى يطيقه لان ما يطيقه هو الذى يختص به **وقرئ** بفتح الدال والقدر والقدر لغتان **وعن** النبى صلى الله عليه وسلم انه قال لرجل من الانصار تزوج امراة ولم يسم لها مهرا ثم طلقها قبل ان يمسها امتعتها قال لم يكن عندى شئ قال متعها بقلنسوتك وعندنا اصحابنا لا تجب المتعة الا لهذه وحدها وتستحب لسائر المطلقات ولا تجب متاعا تاكيد لمتعوهن بمعنى تمتيعا بالمعروف بالوجه الذى يحسن فى الشرع والمروءة حقا صفة لمتاعا واجبا عليهم او حق ذلك حقا على المحسنين على الذين يحسنون الى المطلقات بالتمتيع وسماهم قبل الفعل محسنين كما قال صلى الله عليه وسلم من قتل قتيلا فله سلبه الا ان يعفون يريد المطلقات **فان قلت** اى فرق بين قولك الرجال يعفون والنساء يعفون **قلت** الواو فى الاول ضميرهم والنون علم الرفع والواو فى الثانى لام الفعل والنون ضميرهن والفعل مبنى لا اثر فى لفظه للعامل وهو فى محل النصب ويعفو عطف على محله والذى بيده عقدة النكاح الولى يعنى الا ان تعفو المطلقات عن ازواجهن فلا يطالبنهم بنصف المهر وتقول المراة ما رانى ولا

خذ منه ولا استخدمنى فكيف آخذ منه شيا او يعفو الولى الذى يلى عقد نكاحهن وهو مذهب الشافعى رضى الله عنه وقيل هو الزوج وعفوه ان يسوق المهر اليها كملا وهو مذهب ابى حنيفة والاول ظاهر الصحة وتسمية الزيادة على الحق عفوا فيها نظر الا ان يقال كان الغالب عندهم ان يسوق اليها المهر عند التزوج فاذا طلقها استحق ان يطالبها بنصف ما ساق اليها فاذا ترك المطالبة فقد عفا عنها او سماه عفوا على طريق المشاكلة وعن جبير بن مطعم انه تزوج امراة وطلقها قبل ان يدخل بها فاكمل لها الصداق وقال انا احق بالعفو **وعنه** انه دخل على سعد بن ابى وقاص رضى الله عنه فعرض عليه بنتا له فتزوجها فلما خرج طلقها وبعث اليها بالصداق كاملا فقيل له لم تزوجتها قال عرضها على فكرهت رده قيل فلم بعثت بالصداق قال فاين الفضل والفضل التفضل اى ولا تنسوا ان يتفضل بعضكم على بعض ولا تستقصوا **وقرا** الحسن او يعفو الذى بسكون الواو واسكان الواو والياء فى موضع النصب تشبيه لهما بالالف لانهما اختاها **وقرا** ابو نهيك وان يعفوا بالياء وقرئ ولا تنسوا بكسر الواو حافظوا على الصلوات والصلوة الوسطى وقوموا لله قانتين فان خفتم فرجالا او ركبانا فاذا امنتم فاذكروا الله كما علمكم ما لم تكونوا تعلمون والصلوة الوسطى اى الوسطى بين الصلوات او الفضلى من قولهم للافضل الاوسط وانما افردت وعطفت على الصلوات لانفرادها بالفضل وهى صلوة العصر **وعن** رسول الله صلى الله عليه وسلم انه قال يوم الاحزاب شغلونا عن الصلوة الوسطى صلوة العصر ملا الله بيوتهم نارا وقال صلى الله عليه وسلم انها الصلوة التى شغل عنها سليمان بن داود حتى توارت بالحجاب وعن حفصة رضى الله عنها انها قالت لمن كتب لها المصحف اذا بلغت هذه الاية فلا تكتبها حتى امليها عليك كما سمعت رسول الله عليه السلام يقرؤها فاملت عليه والصلوة الوسطى صلوة العصر **وروى** عن عايشة وابن عباس رضى الله عنهما والصلوة الوسطى وصلوة العصر بالواو فعلى هذه القراءة يكون التخصيص لصلوتين احديهما الصلوة الوسطى اما الظهر واما الفجر واما المغرب على اختلاف الروايات فيها والثانية العصر وقيل فضلها لما فى وقتها من اشتغال الناس بتجاراتهم ومعايشهم وعن ابن عمر رضى الله عنهما هى صلوة الظهر لانها فى وسط النهار وكان النبى صلى الله عليه وسلم يصليها بالهاجرة ولم تكن صلوة اشد على الصحابة منها وعن مجاهد هى الفجر لانها بين صلوتى النهار وصلوتى الليل وعن قبيصة بن ذويب هى المغرب لانها وتر النهار ولا تنقص فى السفر من ثلاث **وقرا** عبد الله وعلى الصلوة الوسطى وقراءة عايشة رضى الله عنها والصلوة الوسطى بالنصب على المدح **وقرا** نافع الوسطى بالصاد وقوموا لله فى الصلوة قانتين ذاكرين لله فى قيامكم والقنوت ان تذكر الله قايما وعن عكرمة كانوا يتكلمون فى الصلوة فنهوا وعن مجاهد هو الركود وكف الايدى والبصر **وروى** انهم كانوا اذا قام احدهم الى الصلوة هاب الرحمن ان يمد بصره او يلتفت او يقلب الحصى او يحدث نفسه بشئ من امور الدنيا فان خفتم فان كان بكم خوف من عدو او غيره فرجالا فصلوا راجلين وهو جمع راجل كتجار وقيام او رجل يقال رجل رجل اى راجل وقرئ فرجالا بضم الراء ورجالا بالتشديد ورجلا وعند ابى حنيفة رحمة الله عليه لا يصلون فى حال المشى والمسايفة ما لم يمكن الوقوف وعند الشافعى رضى الله عنه يصلون فى كل حال والراكب

يومي ويسقط عنه التوجه الى القبلة. فاذا امنتم فاذا زال خوفكم فاذكروا الله كما علمكم ما لم تكونوا
تعلمون من صلوة الامن او فاذا امنتم فاشكروه على الامن واذكروه بالعبادة كما احسن اليكم
بما علمكم من الشرايع وكيف تصلون في حال الخوف وفي حال الامن والذين يتوفون منكم
ويذرون ازواجا وصية لازواجهم متاعا الى الحول غير اخراج فان خرجن فلا جناح عليكم
فيما فعلن في انفسهن من معروف والله عزيز حكيم تقديره فيمن قرا وصية بالرفع ووصية
الذين يتوفون او وحكم الذين يتوفون وصية لازواجهم او والذين يتوفون اهل وصية لازواجهم
وفيمن قرا بالنصب والذين يتوفون يوصون وصية كقولك انما انت سير البريد باضمار تسير او والزم
الذين يتوفون وتدل عليه قراءة عبد الله كتب عليكم الوصية لازواجكم متاعا الى الحول مكان قوله
والذين يتوفون منكم ويذرون ازواجا وصية لازواجهم متاعا الى الحول وقرا ابي رضي الله
عنه متاع لازواجهم متاعا وروي عنه رضي الله عنه فمتاع لازواجهم ومتاعا نصب بالوصية
الا اذا اضمرت يوصون فانه نصب بالفعل وعلى قراءة ابي متاعا نصب لانه في معنى التمتيع كقولك
الحمد لله حمد الشاكرين واعجبني ضرب لك زيدا ضربا شديدا وغير اخراج مصدر موكد كقولك هذا
القول غير ما تقول او بدل من متاعا او حال من الازواج اي غير مخرجات والمعنى ان حق الذين
يتوفون عن ازواجهم ان يوصوا قبل ان يحتضروا بان تمتع ازواجهم بعدهم حولا كاملا اي ينفق
عليهن من تركته ولا يخرجن من مساكنهن وكان ذلك في اول الاسلام ثم نسخت المدة بقوله اربعة
اشهر وعشرا وقيل نسخ ما زاد منه على هذا المقدار ونسخت النفقة بالارث الذي هو الربع والثمن
واختلف في السكنى فعند ابي حنيفة رحمة الله عليه واصحابه لا سكنى لهن فيما فعلن في انفسهن
من التزين والتعرض للخطاب من معروف مما ليس بمنكر شرعا فان قلت كيف نسخت الاية
المتقدمة المتاخرة قلت قد تكون الاية متقدمة في التلاوة وهي متاخرة في التنزيل
كقوله سيقول السفهاء مع قوله قد نرى تقلب وجهك في السماء وللمطلقات متاع بالمعروف
حقا على المتقين كذلك يبين الله لكم اياته لعلكم تعقلون وللمطلقات متاع عم المطلقات
بايجاب المتعة لهن بعدما اوجبها لواحدة منهن وهي المطلقة غير المدخول بها وقال حقا على
المتقين كما قال ثمة حقا على المحسنين وعن سعيد بن جبير وابي العالية والزهري انها واجبة لكل
مطلقة وقيل قد تناولت التمتيع الواجب والمستحب جميعا وقيل المراد بالمتاع نفقة العدة
الم تر الى الذين خرجوا من ديارهم وهم الوف حذر الموت فقال لهم الله موتوا ثم احياهم
ان الله لذو فضل على الناس ولكن اكثر الناس لا يشكرون الم تر تقرير لمن سمع بقصتهم من اهل
الكتاب واخبار الاولين وتعجيب من شانهم ويجوز ان يخاطب به من لم ير ولم يسمع لان هذا الكلام
جرى مجرى المثل في معنى التعجيب روي ان اهل داوردان قرية قبل واسط وقع فيهم الطاعون
فخرجوا هاربين فاماتهم الله تعالى ثم احياهم ليعتبروا ويعلموا انه لا مفر من حكم الله وقضائه
وقيل مر عليهم حزقيل عليه السلام بعد زمان طويل وقد عريت عظامهم وتفرقت اوصالهم فلوى
شدقه واصابعه تعجبا مما راى فاوحي اليه ناد فيهم ان قوموا باذن الله فنادى فنظر اليهم قياما
يقولون سبحانك اللهم وبحمدك لا اله الا انت وقيل هم قوم من بني اسرائيل دعاهم ملكهم الى
الجهاد ففروا حذرا من الموت فاماتهم الله تعالى ثمانية ايام ثم احياهم وهم الوف فيه دليل على

الالوف

الالوف الكثيرة واختلف في ذلك فقيل عشرة وقيل ثلاثون وقيل سبعون ومن بدع التفاسير
الوف متالفون جمع آلف كقاعد وقعود فان قلت ما معنى قوله تعالى فقال لهم الله
موتوا قلت معناه فاماتهم الله تعالى وانما جيء به على هذه العبارة للدلالة على انهم ماتوا
ميتة رجل واحد بامر الله ومشيته وتلك ميتة خارجة عن العادة كانهم امروا بشيء فامتثلوه
امتثالا من غير اباء ولا توقف كقوله تعالى انما امره اذا اراد شيئا ان يقول له كن فيكون
وهذا تشجيع للمسلمين على الجهاد والتعرض للشهادة وان الموت اذا لم يكن منه بد ولم ينفع
منه مفر فاولى ان يكون في سبيل الله لذو فضل على الناس حيث يبصرهم ما يعتبرون به
ويستبصرون كما بصر اولئك وكما بصركم باقتصاص خبرهم او لذو فضل على الناس حيث احيا
اولئك ليعتبروا فيفوزوا ولو شاء لتركهم موتى الى يوم البعث والدليل على انه ساق هذه
القصة بعثا على الجهاد ما اتبعه من الامر بالقتال في سبيل الله وقاتلوا في سبيل الله
واعلموا ان الله سميع عليم سميع يسمع ما يقوله المتخلفون والسابقون عليم بما يضمرونه
وهو من وراء الجزاء من ذا الذي يقرض الله قرضا حسنا فيضاعفه له اضعافا كثيرة
والله يقبض ويبسط واليه ترجعون اقراض الله مثل لتقديم العمل الذي يطلب به ثوابه
والقرض الحسن اما المجاهدة في نفسها واما النفقة في سبيل الله اضعافا كثيرة قيل الواحد
بسبعمائة وعن السدي كثيرة لا يعلم كنهها الا الله تعالى والله يقبض ويبسط يوسع على
عباده ويقتر فلا تبخلوا عليه بما وسع عليكم لا يبدلكم الضيقة بالسعة واليه ترجعون
فيجازيكم على ما قدمتم الم تر الى الملا من بني اسرائيل من بعد موسى اذ قالوا لنبي لهم ابعث
لنا ملكا نقاتل في سبيل الله قال هل عسيتم ان كتب عليكم القتال الا تقاتلوا قالوا
وما لنا الا نقاتل في سبيل الله وقد اخرجنا من ديارنا وابنائنا فلما كتب عليهم القتال
تولوا الا قليلا منهم والله عليم بالظالمين لنبي لهم هو يوشع او شمعون او اشمويل ابعث
لنا ملكا انهض للقتال معنا اميرا نصدر في تدبير الحرب عن رايه وننتهي الى امره طلبوا من
نبيهم نحو ما كان يفعل رسول الله صلى الله عليه وسلم من التامير على الجيوش التي كان يجهزها ومن امرهم
بطاعته وامتثال اوامره وروي انه صلى الله عليه وسلم امر الناس اذا سافروا ان يجعلوا
احدهم اميرا عليهم نقاتل قرئ بالنون والجزم على الجواب وبالنون والرفع على انه حال اي
ابعثه لنا مقدرين القتال او استئناف كانه قال لهم ما تصنعون بالملك فقالوا نقاتل
وقرئ يقاتل بالياء والجزم على الجواب وبالرفع على انه صفة لملكا وخبر عسيتم الا تقاتلوا
والشرط فاصل بينهما والمعنى هل قاربتم الا تقاتلوا يعني هل الامر كما اتوقعه انكم لا تقاتلون
اراد ان يقول عسيتم الا تقاتلوا بمعنى اتوقع جبنكم عن القتال فادخل هل مستفهما عما هو
متوقع عنده ومظنون واراد بالاستفهام التقرير وتثبيت ان المتوقع كائن وانه صائب في توقعه
كقوله تعالى هل اتى على الانسان معناه التقرير وقرئ عسيتم بكسر السين وهي ضعيفة
وما لنا الا نقاتل واي داع لنا الى ترك القتال واي غرض لنا فيه وقد اخرجنا من ديارنا وابنائنا
وذلك ان قوم جالوت كانوا يسكنون ساحل بحر الروم بين مصر وفلسطين فاسروا من ابناء ملوكهم
اربعمائة واربعين الا قليلا منهم قيل كان القليل منهم ثلاثمائة وثلاثة عشر على عدد اهل بدر والله

عليم بالظالمين وعيد لهم على ظلمهم في القعود عن القتال وترك الجهاد ﴿وقال لهم نبيهم إن الله قد بعث لكم طالوت ملكا قالوا أنى يكون له الملك علينا ونحن أحق بالملك منه ولم يؤت سعة من المال قال إن الله اصطفاه عليكم وزاده بسطة في العلم والجسم والله يؤتي ملكه من يشاء والله واسع عليم ۝ وقال لهم نبيهم إن آية ملكه أن يأتيكم التابوت فيه سكينة من ربكم وبقية مما ترك آل موسى وآل هرون تحمله الملائكة إن في ذلك لآية لكم إن كنتم مؤمنين﴾ طالوت اسم أعجمي كجالوت وداود وإنما امتنع من الصرف لتعريفه وعجمته وزعموا أنه من الطول لما وصف به من البسطة في الجسم ووزنه إن كان من الطول فعلوت منه أصله طولوت إلا أن امتناع صرفه يدفع أن يكون منه إلا أن يقال هو اسم عبراني وافق عربيا كما وافق حطا حنطة وبشما لاها رحمانا رحيما بسم الله الرحمن الرحيم فهو من الطول كما لو كان عربيا وكان أحد سببيه العجمة لكونه عبرانيا ﴿أنى﴾ كيف ومن أين وهو إنكار لتملكه عليهم واستبعاد له **فإن قلت** ما الفرق بين الواوين في ﴿ونحن أحق﴾ ﴿ولم يؤت﴾ **قلت** الأولى للحال والثانية لعطف الجملة على الجملة الواقعة حالا قد انتظمتهما معا في حكم واو الحال والمعنى كيف يتملك علينا والحال أنه لا يستحق التملك لوجود من هو أحق بالملك وأنه فقير ولا بد للملك من مال يعتضد به وإنما قالوا ذلك لأن النبوة كانت في سبط لاوي بن يعقوب والملك في سبط يهوذا ولم يكن طالوت من أحد السبطين ولأنه كان رجلا سقاء أو دباغا فقيرا **وروي** أن نبيهم دعا الله حين طلبوا منه ملكا فأتى بعصا يقاس بها من يملك عليهم فلم يساوها إلا طالوت ﴿قال إن الله اصطفاه عليكم﴾ يريد أن الله هو الذي اختاره عليكم وهو أعلم بالمصالح منكم ولا اعتراض على حكم الله ثم ذكر مصلحتين أنفع مما ذكروا من النسب والمال وهما العلم المبسوط والجسامة والظاهر أن المراد بالعلم المعرفة بما طلبوه لأجله من أمر الحرب ويجوز أن يكون عالما بالديانات وبغيرها **وقيل** قد أوحي إليه ونبئ وذلك أن الملك لا بد أن يكون من أهل العلم فإن الجاهل مزدرى غير منتفع به وأن يكون جسيما يملأ العين جهارة لأنه أعظم في النفوس وأهيب في القلوب والبسطة السعة والامتداد **وروي** أن الرجل القائم كان يمد يده فينال رأسه ﴿يؤتي ملكه من يشاء﴾ أي الملك له غير منازع فيه فهو يؤتيه من يشاء من يستصلحه للملك ﴿والله واسع﴾ الفضل والعطاء يوسع على من ليس له سعة من المال ويغنيه بعد الفقر ﴿عليم﴾ بمن يصطفيه للملك ﴿فلما فصل طالوت بالجنود قال إن الله مبتليكم بنهر فمن شرب منه فليس مني ومن لم يطعمه فإنه مني إلا من اغترف غرفة بيده فشربوا منه إلا قليلا منهم فلما جاوزه هو والذين آمنوا معه قالوا لا طاقة لنا اليوم بجالوت وجنوده قال الذين يظنون أنهم ملاقوا الله كم من فئة قليلة غلبت فئة كثيرة بإذن الله والله مع الصابرين ۝ ولما برزوا لجالوت وجنوده قالوا ربنا أفرغ علينا صبرا وثبت أقدامنا وانصرنا على القوم الكافرين ۝ فهزموهم بإذن الله وقتل داود جالوت وآتاه الله الملك والحكمة وعلمه مما يشاء ولولا دفع الله الناس بعضهم ببعض لفسدت الأرض ولكن الله ذو فضل على العالمين ۝ تلك آيات الله نتلوها عليك بالحق وإنك لمن المرسلين ۝﴾ التابوت صندوق التوراة وكان موسى عليه السلام إذا قاتل قدمه فكانت تسكن نفوس بني إسرائيل ولا يفرون والسكينة السكون والطمأنينة وقيل هي صورة كانت فيه من زبرجد أو ياقوت لها

رأس كرأس الهر وذنب كذنبه وجناحان فتئن فيزف التابوت نحو العدو وهم يمضون معه فإذا استقر ثبتوا وسكنوا ونزل النصر **وعن** علي رضي الله عنه كان لها وجه كوجه الإنسان وفيها ريح هفافة ﴿وبقية﴾ هي رضاض الألواح وعصا موسى وثيابه وشيء من التوراة وكان رفعه الله تعالى بعد موسى فنزلت به الملائكة تحمله وهم ينظرون إليه فكان ذلك آية لاصطفاء الله تعالى طالوت وقيل كان مع موسى عليه السلام ومع أنبياء بني إسرائيل بعده يستفتحون به فلما غيرت بنو إسرائيل غلبهم عليه الكفار فكان في أرض جالوت فلما أراد الله تعالى أن يملك طالوت أصابهم ببلاء حتى هلكت خمس مدائن فقالوا هذا بسبب التابوت بين أظهرنا فوضعوه على ثورين فساقتهما الملائكة إلى طالوت وقيل كان من خشب الشمشاد مموها بالذهب نحوا من ثلاثة أذرع في ذراعين **وقرأ** أبي وزيد بن ثابت التابوه بالهاء وهي لغة الأنصار **فإن قلت** ما وزن التابوت **قلت** لا يخلو من أن يكون فعلوتا أو فاعولا فلا يكون فاعولا لقلة نحو سلس وقلق ولأنه تركيب غير معروف فلا يجوز ترك المعروف إليه فهو إذا فعلوت من التوب وهو الرجوع لأنه ظرف توضع فيه الأشياء وتودعه فلا يزال يرجع إليه ما يخرج منه وصاحبه يرجع إليه فيما يحتاج إليه من مودعاته وأما من قرأ بالهاء فهو فاعول عنده إلا فيمن جعل هاءه بدلا من التاء لاجتماعهما في الهمس وأنهما من حروف الزيادة ولذلك أبدلت من تاء التأنيث **وقرأ** أبو السمال سكينة بفتح السين والتشديد وهو غريب وقرئ يحمله بالياء **فإن قلت** من آل موسى وآل هرون **قلت** الأنبياء من بني يعقوب بعدهما لأن عمران هو ابن قاهث بن لاوي فكان أولاد يعقوب آلهما ويجوز أن يراد مما تركه موسى وهرون والآل مقحم لتفخيم شأنهما فصل عن موضع كذا إذا انفصل عنه وجاوزه وأصله فصل نفسه ثم كثر حذف المفعول حتى صار في حكم غير المتعدي كانفصل وقيل فصل عن البلد فصولا ويجوز أن يكون فصله فصلا وفصل فصولا كوقف وصد ونحوهما والمعنى انفصل عن بلده بالجنود **روي** أنه قال لقومه لا يخرج معي رجل بنى بناء لم يفرغ منه ولا تاجر مشتغل بالتجارة ولا رجل متزوج بامرأة لم يبن عليها ولا أبتغي إلا الشاب النشيط الفارغ فاجتمع إليه ممن اختار ثمانون ألفا وكان الوقت قيظا وسلكوا مفازة فسألوا أن يجري الله لهم نهرا فقال إن الله مبتليكم بما اقترحتموه من النهر ﴿فمن شرب منه﴾ فمن ابتدأ شربه من النهر بأن كرع فيه ﴿فليس مني﴾ فليس بمتصل بي ومتحد معي من قولهم فلان مني كأنه بعضه لاختلاطهما واتحادهما ويجوز أن يراد فليس من جملتي وأشياعي ﴿ومن لم يطعمه﴾ ومن لم يذقه من طعم الشيء إذا ذاقه ومنه طعم الشيء لمذاقه **قال**

وإن شئت لم أطعم نقاخا ولا بردا

ألا ترى كيف عطف عليه البرد وهو النوم ويقال ما ذقت غماضا ونحوه من الابتلاء ما ابتلي به أهل أيلة من ترك الصيد مع إتيان الحيتان شرعا بل هو أشد منه وأصعب وإنما عرف ذلك طالوت بإخبار من النبي وإن كان نبيا كما يروى عن بعضهم فبالوحي وقرئ بنهر بالسكون **فإن قلت** مم استثني قوله ﴿إلا من اغترف﴾ **قلت** من قوله ﴿فمن شرب منه فليس مني﴾ والجملة الثانية في حكم المتأخرة إلا أنها قدمت للعناية كما قدم والصابئون في قوله عز وجل ﴿إن الذين آمنوا والذين هادوا والصابئون﴾ ومعناه الرخصة في اغتراف الغرفة باليد دون الكروع والدليل عليه قوله ﴿فشربوا منه﴾ أي فكرعوا فيه ﴿إلا قليلا منهم﴾ وقرئ غرفة بالفتح

بمعنى المصدر وبالضم بمعنى المغروف **وقرأ** أبي والأعمش إلا قليل بالرفع وهذا من ميلهم مع المعنى
والإعراض عن اللفظ جانبا وهو باب جليل من علم العربية فلما كان معنى فشربوا منه في معنى فلم يطيعوه
حمل عليه كأنه قيل فلم يطيعوه إلا قليل منهم **ونحوه** قول الفرزدق ٭ ٭ ٭
لم يدع من المال إلا مسحت أو مجلف ٭ كأنه قال لم يبق من المال إلا مسحت أو مجلف ٭ وقيل لم يبق مع
طالوت إلا ثلثمائة وثلاثة عشر رجلا ٭ والذين آمنوا معه يعني القليل ٭ قال الذين يظنون يعني الخلص
منهم الذين نصبوا بين أعينهم لقاء الله وأيقنوه ٭ أو الذين تيقنوا أنهم يستشهدون عما قريب ويلقون
الله والمؤمنون مختلفون في قوة اليقين ونصوع البصيرة ٭ وقيل الضمير في قالوا لا طاقة لنا للكثير
الذين انخذلوا والذين يظنون هم القليل الذين ثبتوا معه كأنهم تقاولوا بذلك والنهر بينهما يظهر
أولئك عذرهم في الانخذال ويرد عليهم هؤلاء ما يعتذرون به **وروي** أن الغرفة كانت تكفي الرجل
لشربه وإداوته والذين شربوا منه اسودت شفاههم وغلبهم العطش ٭ وجالوت جبار من العمالقة
من أولاد عمليق بن عاد وكانت بيضته فيها ثلثمائة رطل ٭ وثبت أقدامنا وهب لنا ما نثبت به في مداحض
الحرب من قوة القلوب وإلقاء الرعب في قلب العدو ونحو ذلك من الأسباب ٭ كان إيشى أبو داود
في عسكر طالوت مع ستة من بنيه وكان داود سابعهم وهو صغير يرعى الغنم فأوحى إلى أشمويل أنه
داود بن إيشى هو الذي يقتل جالوت فطلبه من أبيه فجاء وقد مر في طريقه بثلاثة أحجار دعاه كل واحد
منها أن تحمله وقالت له إنك تقتل بنا جالوت فحملها في مخلاته ورمى بها جالوت فقتله وزوجه طالوت
بنته **وروي** أنه حسده وأراد قتله ثم تاب ٭ وآتاه الله الملك في مشارق الأرض المقدسة
ومغاربها وما اجتمعت بنو إسرائيل على ملك قط قبل داود ٭ والحكمة والنبوة ٭ وعلمه مما يشاء من
صنعة الدروع وكلام الطير والدواب وغير ذلك ٭ ولولا دفع الله الناس ولولا أن الله يدفع بعض
الناس ببعض ويكف بهم فسادهم لغلب المفسدون وفسدت الأرض وبطلت منافعها وتعطلت
مصالحها من الحرث والنسل وسائر ما يعمر الأرض ٭ وقيل ولولا أن الله ينصر المسلمين على الكفار لفسدت
الأرض بعيث الكفار فيها وقتل المسلمين أو لو لم يدفعهم بهم لعم الكفر ونزلت السخطة فاستؤصل
أهل الأرض ٭ تلك آيات الله يعني القصص التي اقتصها من حديث الألوف وإماتتهم وإحيائهم وتمليك
طالوت وإظهاره بالآية التي هي نزول التابوت من السماء وغلبة الجبابرة على يدي صبي ٭ بالحق باليقين
الذي لا يشك فيه أهل الكتاب لأنه في كتبهم كذلك وإنك لمن المرسلين حيث تخبر بها من غير أن تعرف
بقراءة كتاب ولا سماع أخبار تلك الرسل فضلنا بعضهم على بعض منهم من كلم الله ورفع بعضهم درجات
وآتينا عيسى ابن مريم البينات وأيدناه بروح القدس ولو شاء الله ما اقتتل الذين من بعدهم
من بعد ما جاءتهم البينات ولكن اختلفوا فمنهم من آمن ومنهم من كفر ولو شاء الله ما اقتتلوا
ولكن الله يفعل ما يريد ٭ تلك الرسل إشارة إلى جماعة الرسل التي ذكرت قصصها في السورة أو التي ثبت
علمها عند رسول الله صلى الله عليه وسلم فضلنا بعضهم على بعض لما أوجب ذلك من تفاضلهم في الحسنات
منهم من كلم الله منهم من فضله الله بأن كلمه من غير سفير وهو موسى عليه السلام ٭ وقرئ كلم الله بالنصب
وقرأ اليماني كالم الله من المكالمة ويدل عليه قولهم كليم الله بمعنى مكالمه ٭ ورفع بعضهم درجات
أي ومنهم من رفعه على سائر الأنبياء فكان بعد تفاوتهم في الفضل أفضل منهم بدرجات كثيرة والظاهر
أنه أراد محمدا صلى الله عليه وسلم لأنه هو المفضل عليهم حيث أوتي ما لم يؤته أحد من الآيات المتكاثرة

المرتقية إلى ألف آية أو أكثر ولو لم يؤت إلا القرآن وحده لكفى به فضلا منيفا على سائر ما أوتي الأنبياء لأنه
المعجزة الباقية على وجه الدهر دون سائر المعجزات وفي هذا الإبهام تفخيم لفضله وإعلاء لقدره ما لا
يخفى لما فيه من الشهادة على أنه العلم الذي لا يشتبه والمتميز الذي لا يلتبس ويقال للرجل من فعل هذا
فيقول أحدكم أو بعضكم يريد به الذي تعورف واشتهر بنحوه من الأفعال فيكون أفخم من التصريح
به وأنوه بصاحبه ٭ وسئل الحطيئة عن أشعر الناس فذكر زهيرا والنابغة ثم قال ولو شئت
لذكرت الثالث أراد نفسه ولو قال ولو شئت لذكرت نفسي لم يفخم أمره ٭ ويجوز أن يريد إبراهيم
ومحمدا عليهما السلام وغيرهما من أولي العزم من الرسل **وعن** ابن عباس رضي الله عنهما كنا في المسجد
نتذاكر فضل الأنبياء فذكرنا نوحا بطول عبادته وإبراهيم بخلته وموسى بتكليم الله إياه وعيسى
برفعه إلى السماء وقلنا رسول الله أفضل منهم بعث إلى الناس كافة وغفر له ما تقدم من ذنبه
وما تأخر وهو خاتم الأنبياء فدخل فقال فيم أنتم فذكرنا له فقال لا ينبغي لأحد أن يكون خيرا
من يحيى بن زكريا فذكر أنه لم يعمل سيئة قط ولم يهم بها **فإن قلت** فلم خص موسى وعيسى عليهما
السلام من بين سائر الأنبياء بالذكر **قلت** لما أوتيا من الآيات العظيمة والمعجزات الباهرة
ولقد بين الله تعالى وجه التفضيل حيث جعل التكليم من الفضل وهو آية من الآيات فلما كان
هذان النبيان قد أوتيا ما أوتيا من عظام الآيات خصا بالذكر في باب التفضيل وهذا دليل بين أن
من زيد تفضيلا بالآيات منهم فقد فضل على غيره ولما كان نبينا محمد عليه السلام هو الذي أوتي
منها ما لم يؤت أحد في كثرتها وعظمها كان هو المشهود له بإحراز قصبات الفضل غير مدافع اللهم
ارزقنا شفاعته يوم الدين ٭ ولو شاء الله مشيئة إلجاء وقسر ٭ ما اقتتل الذين من بعدهم من بعد الرسل لاختلافهم
في الدين وتشعب مذاهبهم وتكفير بعضهم بعضا ٭ ولكن اختلفوا فمنهم من آمن لالتزامه دين الأنبياء
ومنهم من كفر لإعراضه عنه ٭ ولو شاء الله ما اقتتلوا كرره للتأكيد ولكن الله يفعل ما يريد من الخذلان
والعصمة يا أيها الذين آمنوا أنفقوا مما رزقناكم من قبل أن يأتي يوم لا بيع فيه ولا خلة ولا شفاعة
والكافرون هم الظالمون ٭ أنفقوا مما رزقناكم أراد الإنفاق الواجب لاتصال الوعيد به من
قبل أن يأتي يوم لا تقدرون فيه على تدارك ما فاتكم من الإنفاق لأنه لا بيع فيه حتى تبتاعوا ما تنفقونه
ولا خلة حتى يسامحكم أخلاؤكم به وإن أردتم أن يحط عنكم ما في ذمتكم من الواجب لم تجدوا شفيعا يشفع
لكم في حط الواجبات لأن الشفاعة ثم في زيادة الفضل لا غير ٭ والكافرون هم الظالمون ٭ أراد والتاركون
الزكوة هم الظالمون فقال والكافرون للتغليظ كما قال في آخر آية الحج ومن كفر مكان ومن لم يحج
ولأنه جعل ترك الزكوة من صفات الكفار في قوله تعالى وويل للمشركين الذين لا يؤتون الزكوة
وقرئ لا بيع فيه ولا خلة ولا شفاعة الله لا إله إلا هو الحي القيوم لا تأخذه سنة ولا
نوم له ما في السموات وما في الأرض من ذا الذي يشفع عنده إلا بإذنه يعلم ما بين أيديهم
وما خلفهم ولا يحيطون بشيء من علمه إلا بما شاء وسع كرسيه السموات والأرض ولا يؤده
حفظهما وهو العلي العظيم ٭ الحي الباقي الذي لا سبيل عليه للفناء وهو على اصطلاح المتكلمين
الذي يصح أن يعلم ويقدر ٭ والقيوم الدائم القيام بتدبير الخلق وحفظه **وقرئ** القيام
والقيم والسنة ما يتقدم النوم من الفتور الذي يسمى النعاس **قال** ابن الرقاع العاملي ٭
٭ وسنان أقصده النعاس فرنقت ٭ في عينه سنة وليس بنائم ٭ أي لا تأخذه نعاس ولا نوم

وهو تأكيد للقيوم لأن من جاز عليه ذلك استحال أن يكون قيوماً ۞ ومنه حديث موسى صلوات
الله عليه أنه سأل الملائكة وكان ذلك من قومه كطلب الرؤية أينام ربنا فأوحى الله تعالى
إليهم أن يوقظوه ثلاثاً ولا يتركوه ينام ثم قال خذ بيدك قارورتين مملوءتين فأخذهما وألقى
الله عليه النعاس فضرب إحداهما على الأخرى فانكسرتا ثم أوحى الله إليه قل لهؤلاء إني أمسك
السموات والأرض بقدرتي فلو أخذني نوم أو نعاس لزالتا ۞ من ذا الذي يشفع عنده بيان
لملكوته وكبريائه وأن أحداً لا يتمالك أن يتكلم يوم القيامة إلا إذا أذن له في الكلام كقوله
تعالى وتقدس لا يتكلمون إلا من أذن له الرحمن يعلم ما بين أيديهم وما خلفهم ما كان قبلهم وما يكون
بعدهم والضمير لما في السموات والأرض لأن فيهم العقلاء ۞ أو لما دل عليه من ذا من الملائكة والأنبياء
من علمه من معلوماته إلا بما شاء إلا بما علم ۞ الكرسي ما يجلس عليه ولا يفضل عن مقعد القاعد
وفي قوله وسع كرسيه أربعة أوجه ۞ أحدها أن كرسيه لم يضق عن السموات والأرض لبسطته
وسعته وما هو إلا تصوير لعظمته وتخييل فقط ولا كرسي ثمة ولا قعود ولا قاعد **كقوله**
تعالى وما قدروا الله حق قدره والأرض جميعاً قبضته يوم القيامة والسموات مطويات بيمينه
من غير تصور قبضة وطي ويمين وإنما هو تخييل لعظمة شأنه وتمثيل حسي ألا ترى إلى قوله وما
قدروا الله حق قدره ۞ والثاني وسع علمه وسمي العلم كرسياً تسمية بمكانه الذي هو كرسي
العالم ۞ والثالث وسع ملكه تسمية بمكانه الذي هو كرسي الملك ۞ والرابع ما روي أنه خلق
كرسياً هو بين يدي العرش دونه السموات وهو إلى العرش كأصغر شيء **وعن** الحسن الكرسي
هو العرش ۞ ولا يؤوده ولا يثقله ولا يشق عليه حفظهما حفظ السموات والأرض ۞ وهو العلي الشأن
العظيم الملك والقدرة **فإن قلت** كيف ترتبت الجمل في آية الكرسي من غير حرف عطف
قلت ما منها جملة إلا وهي واردة على سبيل البيان لما ترتبت عليه والبيان متحد بالمبين
فلو توسط بينهما عاطف لكان كما تقول العرب بين العصا ولحائها ۞ فالأولى بيان لقيامه بتدبير
الخلق وكونه مهيمناً عليه غير ساه عنه ۞ والثانية لكونه مالكاً لما يدبره ۞ والثالثة لكبرياء
شأنه ۞ والرابعة لإحاطته بأحوال الخلق وعلمه بالمرتضى منهم المستوجب للشفاعة وغير المرتضى
والخامسة لسعة علمه وتعلقه بالمعلومات كلها أو لجلاله وعظم قدره **فإن قلت** لم
فضلت هذه الآية حتى ورد في فضلها ما ورد ۞ منه قوله صلى الله عليه وسلم ما قرئت هذه الآية
في دار إلا اهتجرتها الشياطين ثلاثين يوماً ولا يدخلها ساحر ولا ساحرة أربعين ليلة يا علي
علمها أهلك وولدك وجيرانك فما نزلت آية أعظم منها ۞ وعن علي رضي الله عنه سمعت نبيكم
على أعواد المنبر وهو يقول من قرأ آية الكرسي في دبر كل صلاة مكتوبة لم يمنعه من دخول الجنة
إلا الموت ولا يواظب عليها إلا صديق أو عابد ۞ ومن قرأها إذا أخذ مضجعه أمنه الله على نفسه
وجاره وجار جاره والأبيات حوله ۞ وتذاكر الصحابة رضوان الله عليهم أجمعين أفضل ما في القرآن
فقال لهم علي رضي الله عنه أين أنتم عن آية الكرسي ثم قال قال لي رسول الله عليه السلام يا علي سيد البشر
آدم ۞ وسيد العرب محمد ولا فخر ۞ وسيد الفرس سلمان ۞ وسيد الروم صهيب ۞ وسيد الحبشة
بلال ۞ وسيد الجبال الطور ۞ وسيد الأيام يوم الجمعة ۞ وسيد الكلام القرآن ۞ وسيد القرآن
البقرة ۞ وسيد البقرة آية الكرسي **قلت** لما فضلت له سورة الإخلاص من اشتمالها على توحيد

أن يقال لم فضلت على سورة الإخلاص

الله وتعظيمه وتمجيده وصفاته العظمى ولا مذكور أعظم من رب العزة فما كان ذكراً له كان أفضل
من سائر الأذكار ۞ وبهذا يعلم أن أشرف العلوم وأعلاها منزلة عند الله تعالى علم أهل العدل
والتوحيد ولا يغرنك عنه كثرة أعدائه ۞ فإن العرانين تلقاها محسدة **لا إكراه في الدين
قد تبين الرشد من الغي فمن يكفر بالطاغوت ويؤمن بالله فقد استمسك بالعروة الوثقى
لا انفصام لها والله سميع عليم** ۞ لا إكراه في الدين أي لم يجر الله أمر الإيمان على الإجبار والقسر
ولكن على التمكين والاختيار ۞ ونحوه قوله تعالى ولو شاء ربك لآمن من في الأرض كلهم جميعاً أ
فأنت تكره الناس حتى يكونوا مؤمنين ۞ أي لو شاء لقسرهم على الإيمان ولكنه لم يفعل وبنى الأمر
على الاختيار ۞ قد تبين الرشد من الغي قد تميز الإيمان من الكفر بالدلائل الواضحة ۞ فمن يكفر
بالطاغوت فمن اختار الكفر بالشيطان أو الأصنام والإيمان بالله ۞ فقد استمسك بالعروة
الوثقى من الحبل الوثيق المحكم المأمون انفصامها أي انقطاعها وهذا تمثيل للمعلوم بالنظر
والاستدلال بالمشاهد المحسوس حتى يتصوره السامع كأنه ينظر إليه بعينه فيحكم اعتقاده
والتيقن به ۞ وقيل هو إخبار في معنى النهي أي لا تكرهوا في الدين ثم قال بعضهم هو منسوخ
بقوله تعالى جاهد الكفار والمنافقين واغلظ عليهم ۞ وقيل هو في أهل الكتاب خاصة لأنهم
حصنوا أنفسهم بأداء الجزية **وروي** أنه كان لأنصاري من بني سالم بن عوف ابنان فتنصرا
قبل أن يبعث رسول الله عليه السلام ۞ ثم قدما المدينة فلزمهما أبوهما وقال والله لا أدعكما
حتى تسلما فأبيا فاختصموا إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال الأنصاري يا رسول الله
أيدخل بعضي النار وأنا أنظر فنزلت فخلاهما **الله ولي الذين آمنوا يخرجهم من الظلمات
إلى النور والذين كفروا أولياؤهم الطاغوت يخرجونهم من النور إلى الظلمات أولئك
أصحاب النار هم فيها خالدون** ۞ الله ولي الذين آمنوا أي أرادوا أن يؤمنوا يلطف بهم
حتى يخرجهم بلطفه وتأييده من الكفر إلى الإيمان والذين كفروا أي صمموا على الكفر أمرهم
على عكس ذلك ۞ أو الله ولي المؤمنين يخرجهم من الشبه في الدين إن وقعت لهم بما يهديهم
ويوفقهم له من حلها حتى يخرجوا منها إلى نور اليقين ۞ والذين كفروا أولياؤهم الشياطين
يخرجونهم من نور البينات التي تظهر لهم إلى ظلمات الشك **ألم تر إلى الذي حاج إبراهيم في ربه
أن آتاه الله الملك إذ قال إبراهيم ربي الذي يحيي ويميت قال أنا أحيي وأميت قال إبراهيم
فإن الله يأتي بالشمس من المشرق فأت بها من المغرب فبهت الذي كفر والله لا يهدي القوم
الظالمين** ۞ ألم تر تعجيب من محاجة نمروذ في الله وكفره به أن آتاه الله الملك متعلق بحاج
على وجهين أحدهما حاج لأن آتاه الله الملك على معنى أن إيتاء الملك أبطره وأورثه الكبر
والعتو فحاج لذلك أو على أنه وضع المحاجة في ربه موضع ما وجب عليه من الشكر على أن آتاه
الله الملك فكأن المحاجة كانت لذلك كما تقول عاداني فلان لأني أحسنت إليه تريد أنه
عكس ما كان يجب عليه من الموالاة لأجل الإحسان ۞ ونحوه قوله تعالى وتجعلون رزقكم
أنكم تكذبون ۞ والثاني حاج وقت أن آتاه الله الملك **فإن قلت** كيف جاز أن يؤتي الله
تعالى الملك الكافر **قلت** فيه قولان آتاه ما غلب به وتسلط من المال والخدم والأتباع
وأما التغليب والتسليط فلا ۞ وقيل ملكه امتحاناً لعباده ۞ وإذ قال نصب بحاج أو بدل من آتاه

اذا جعل بمعنى الوقت • انا احيي وامبت يريد اعفي عن القتل واقتل وكان الاعتراض عتيدا ولكن ابراهيم صلوات الله عليه لما سمع جوابه الاحمق لم يحاجه فيه ولكن انتقل الى ما لا يقدر فيه على نحو ذلك الجواب ليبهته اول شي • وهذا دليل على جواز الانتقال للمجادل من حجة الى حجة **وقرئ** فبهت الذي كفر اي فغلب ابراهيم الكافر **وقرا** ابو حيوة فبهت بوزن قرب • وقيل كانت هذه المحاجة حين كسر الاصنام وسجنه نمرود ثم اخرجه من السجن ليحرقه فقال له من ربك الذي تدعوا اليه فقال ربي الذي يحيي ويميت • او كالذي مر على قرية وهي خاوية على عروشها قال انى يحيي هذه الله بعد موتها فاماته الله مائة عام ثم بعثه قال كم لبثت قال لبثت يوما او بعض يوم قال بل لبثت مائة عام فانظر الى طعامك وشرابك لم يتسنه وانظر الى حمارك ولنجعلك اية للناس وانظر الى العظام كيف ننشزها ثم نكسوها لحما فلما تبين له قال اعلم ان الله على كل شي قدير • او كالذي معناه او ارايت مثل الذي فحذف لدلالة الم تر عليه لان كلتيهما كلمة تعجيب • ويجوز ان يحمل على المعنى دون اللفظ كانه قيل ارايت كالذي حاج ابراهيم • او كالذي مر على قرية والمار كان كافرا بالبعث وهو الظاهر لانتظامه مع نمرود في سلك ولكلمة الاستبعاد التي هي انى يحيي **وقيل** هو عزير او الخضر اراد ان يعاين احياء الموتى ليزداد بصيرة كما طلبه ابراهيم عليه السلام • وقوله انى يحيي اعتراف بالعجز عن معرفة طريق الاحياء واستعظام لقدرة المحيي • والقرية بيت المقدس حين خربه بخت نصر • وقيل هي التي خرج منها الالوف • وهي خاوية على عروشها تفسيره فيما بعد • يوما او بعض يوم بنا على الظن **روي** انه مات ضحى وبعث بعد مائة سنة قبل غيبوبة الشمس فقال قبل النظر الى الشمس يوما ثم التفت فراى بقية من الشمس فقال او بعض يوم **وروي** ان طعامه كان تينا وعنبا وشرابه عصيرا او لبنا فوجد التين والعنب كما جنيا والشراب على حاله • لم يتسنه لم يتغير والهاء اصلية او هاء سكت واشتقاقه من السنة على الوجهين لان لامها هاء او واو وذلك ان الشي يتغير بمرور الزمان • وقيل اصله يتسنن من الحما المسنون فقلبت نونه حرف علة كتقضي البازي • ويجوز ان يكون معنى لم يتسنه لم تمر عليه السنون التي مرت عليه يعني هو بحاله كما كان كانه لم يلبث مائة سنة • وفي قراءة عبد الله فانظر الى طعامك وهذا شرابك لم يتسن **وقرا** ابي رضي الله عنه لم يسنه بادغام التا في السين • وانظر الى حمارك كيف تفرقت عظامه ونخرت وكان له حمار قد ربطه • ويجوز ان يراد وانظر اليه سالما في مكانه كما ربطته وذلك من اعظم الايات ان يعيشه مائة عام من غير علف ولا ماء كما حفظ طعامه وشرابه من التغير • ولنجعلك اية للناس فعلنا ذلك يريد احياءه بعد الموت وحفظ ما معه • وقيل اتى قومه راكب حماره وقال انا عزير فكذبوه فقال هاتوا التورية فاخذ يهذها هذا عن ظهر قلبه وهم ينظرون في الكتاب فما خرم حرفا فقالوا هو ابن الله ولم يقرا التورية ظاهرا احد قبل عزير فذلك كونه اية • وقيل رجع الى منزله فراى اولاده شيوخا وهو شاب فاذا حدثهم بحديث قالوا حديث مائة سنة • وانظر الى العظام هي عظام الحمار او عظام الموتى الذين تعجب من احيائهم • كيف ننشزها كيف نحييها **وقرا** الحسن ننشرها من نشر الله الموتى بمعنى انشرهم فنشروا **وقرئ** بالزاي بمعنى نحركها ونرفع بعضها الى بعض للتركيب وفاعل تبين مضمر تقديره فلما تبين له ان الله على كل شي قدير فحذف الاول لدلالة الثاني عليه كما في قولهم ضربني وضربت

زيدا • ويجوز فلما تبين له ما اشكل عليه يعني امر احياء الموتى • وقرا ابن عباس رضي الله عنهما فلما تبين له على البناء للمفعول **وقرئ** قال اعلم على لفظ الامر • وقرا عبد الله قيل اعلم **فان قلت** فان كان المار كافرا كيف يسوغ ان يكلمه الله تعالى **قلت** كان الكلام بعد البعث ولم يكن اذ ذاك كافرا • واذ قال ابراهيم رب ارني كيف تحيي الموتى قال اولم تؤمن قال بلى ولكن ليطمئن قلبي قال فخذ اربعة من الطير فصرهن اليك ثم اجعل على كل جبل منهن جزءا ثم ادعهن ياتينك سعيا واعلم ان الله عزيز حكيم • ارني بصرني **فان قلت** كيف قال له اولم تؤمن وقد علم انه اثبت الناس ايمانا **قلت** ليجيب بما اجاب به لما فيه من الفائدة الجليلة للسامعين • وبلى ايجاب لما بعد النفي معناه بلى امنت • ولكن ليطمئن قلبي ليزيد سكونا وطمانينة بمضامة علم الضرورة علم الاستدلال وتظاهر الادلة اسكن للقلوب وازيد للبصيرة واليقين ولان علم الاستدلال يجوز معه التشكيك بخلاف العلم الضروري فاراد بطمانينة القلب العلم الذي لا مجال فيه للتشكيك **فان قلت** بم تعلقت اللام في ليطمئن **قلت** بمحذوف تقديره ولكن سالت ذلك ارادة طمانينة القلب • فخذ اربعة من الطير قيل طاوسا وديكا وغرابا وحمامة • فصرهن اليك بضم الصاد وكسرها بمعنى فاملهن واضممهن اليك قال

ولكن اطراف الرماح تصورها

وقال

وفرع يصيد الجيد وحف كانه على الليت قنوان الكروم الدوالح

وقرا ابن عباس رضي الله عنهما فصرهن اليك بضم الصاد وكسرها وتشديد الراء من صره يصره ويصره اذا جمعه نحو ضره يضره ويضره • وعنه فصرهن من التصرية وهي الجمع ايضا • ثم اجعل على كل جبل منهن جزءا يريد ثم جزئهن وفرق اجزاءهن على الجبال • والمعنى على كل جبل من الجبال التي بحضرتك وفي ارضك • قيل كانت اربعة اجبل • وعن السدي سبعة • ثم ادعهن قل لهن تعالين باذن الله ياتينك سعيا ساعيات مسرعات في طيرانهن او في مشيهن على ارجلهن **فان قلت** ما معنى امره بضمها الى نفسه بعد ان ياخذها **قلت** ليتاملها ويعرف اشكالها وهياتها وحلاها لئلا تلتبس عليه بعد الاحياء ولا يتوهم انها غير تلك ولذلك قال تعالى ياتينك سعيا • وروي انه امر بان يذبحها وينتف ريشها ويقطعها ويفرق اجزاءها ويخلط ريشها ودماءها ولحومها وان يمسك رءوسها • ثم امر ان يجعل اجزاءها على الجبال على كل جبل ربعا من كل طائر ثم يصيح بها تعالين باذن الله فجعل كل جزء يطير الى الاخر حتى صارت جثثا ثم اقبلن فانضممن الى رءوسهن كل جثة الى راسها **وقرئ** جزءا بضمتين وجزا بالتشديد ووجهه انه خفف بطرح همزته ثم شدد كما يشدد في الوقف اجراء للوصل مجرى الوقف • مثل الذين ينفقون اموالهم في سبيل الله كمثل حبة انبتت سبع سنابل في كل سنبلة مائة حبة والله يضاعف لمن يشاء والله واسع عليم • الذين ينفقون اموالهم في سبيل الله ثم لا يتبعون ما انفقوا منا ولا اذى لهم اجرهم عند ربهم ولا خوف عليهم ولا هم يحزنون • مثل الذين ينفقون لا بد من حذف مضاف اي مثل نفقتهم كمثل حبة • او مثلهم كمثل باذر حبة والمنبت هو الله تعالى ولكن الحبة لما كانت سببا اسند اليها الانبات كما يسند الى الارض والى الماء • ومعنى انباتها سبع سنابل اي تخرج ساقا يتشعب منه سبع شعب لكل واحدة سنبلة وهذا التمثيل تصوير للاضعاف كانها ماثلة بين عيني الناظر **فان قلت** كيف صح هذا التمثيل والممثل به غير موجود **قلت** بل هو موجود في الدخن والذرة وغيرهما وربما فرخت ساق

الذرة في الاراضي القوية المغلة فيبلغ حبها هذا المبلغ ولو لم يوجد لكان صحيحا على سبيل الفرض والتقدير **فان قلت** هلا قيل سبع سنبلات على حقه من التمييز بجمع القلة كما قال وسبع سنبلات خضر **قلت** هذا لما قدمت عند قوله ثلاثة قروء من وقوع امثلة الجمع متعاورة مواقعها والله يضاعف لمن يشاء اى يضاعف تلك المضاعفة لمن يشاء لا لكل منفق لتفاوت احوال المنفقين او يضاعف سبع المائة ويزيد عليها اضعافها لمن يستوجب ذلك ٭ المن ان يعتد على من احسن اليه باحسانه ويريه انه اصطنعه واوجب عليه حقا له وكانوا يقولون اذا صنعتم صنيعة فانسوها **ولبعضهم** ٭ وان امرا اسدى الى صنيعة ٭ وذكرنيها مرة للئيم ٭ وفي نوابغ الكلم صنوان من منح سائله ومن ٭ ومن منع نائله وضن ٭ وفيها طعم الآلاء احلى من المن ٭ وهي امر من الآلاء مع المن ٭ والاذى ان يتطاول عليه بسبب ما ازل اليه ٭ ومعنى ثم اظهار التفاوت بين الانفاق وترك المن والاذى وان تركهما خير من نفس الانفاق كما جعل الاستقامة على الايمان خيرا من الدخول فيه بقوله ثم استقاموا **فان قلت** اى فرق بين قوله لهم اجرهم وقوله فيما بعد فلهم اجرهم **قلت** الموصول لم يضمن ههنا معنى الشرط وضمنه ثمه والفرق بينهما من جهة المعنى ان الفاء فيها دلالة على ان الانفاق به استحق الاجر وطرحها عار عن تلك الدلالة

قول معروف ومغفرة خير من صدقة يتبعها اذى والله غني حليم ٭ يا ايها الذين امنوا لا تبطلوا صدقاتكم بالمن والاذى كالذي ينفق ماله رئاء الناس ولا يؤمن بالله واليوم الآخر فمثله كمثل صفوان عليه تراب فاصابه وابل فتركه صلدا لا يقدرون على شيء مما كسبوا والله لا يهدي القوم الكافرين

٭ قول معروف رد جميل ومغفرة وعفو عن السائل اذا وجد منه ما يثقل على المسؤول ٭ او نيل مغفرة من الله بسبب الرد الجميل ٭ او وعفو من جهة السائل لانه اذا رده ردا جميلا عذره ٭ خير من صدقة يتبعها اذى ٭ وصح الاخبار عن المبتدأ النكرة لاختصاصه بالصفة ٭ والله غني لا حاجة به الى منفق يمن ويؤذي ٭ حليم عن معاجلته بالعقوبة وهذا سخط منه ووعيد له ثم بالغ في ذلك بما اتبعه كالذي ينفق ماله اى لا تبطلوا صدقاتكم بالمن والاذى كابطال المنافق الذي ينفق ماله رئاء الناس لا يريد بانفاقه رضى الله ولا ثواب الآخرة ٭ فمثله كمثل صفوان مثله ونفقته التي لا ينتفع بها البتة بصفوان بحجر املس عليه تراب **وقرا** سعيد ابن المسيب رضي الله عنه صفوان بوزن كروان ٭ فاصابه وابل مطر عظيم القطر فتركه صلدا اجرد نقيا من التراب الذي كان عليه ٭ ومنه صلد جبين الاصلع اذا برق ٭ لا يقدرون على شيء مما كسبوا كقوله عز وجل فجعلناه هباء منثورا ٭ ويجوز ان تكون الكاف في محل النصب على الحال اى لا تبطلوا صدقاتكم مماثلين الذي ينفق **فان قلت** كيف قال لا يقدرون بعد قوله كالذي ينفق ٭ **قلت** اراد بالذي ينفق الجنس ٭ او الفريق الذي ينفق ولان من والذي يتعاقبان فكانه قيل كمن ينفق ٭

ومثل الذين ينفقون اموالهم ابتغاء مرضات الله وتثبيتا من انفسهم كمثل جنة بربوة اصابها وابل فآتت اكلها ضعفين فان لم يصبها وابل فطل والله بما تعملون بصير

وتثبيتا من انفسهم وليثبتوا منها ببذل المال الذي هو شقيق الروح وبذله اشق شيء على النفس على سائر العبادات الشاقة وعلى الايمان لان النفس اذا ريضت بالتحامل عليها وتكليفها ما يصعب عليها ذلت وخضعت خاضعة لصاحبها وقل طمعها في اتباعه لشهواتها وبالعكس فكان انفاق

المال تثبيتا لها على الايمان واليقين ٭ ويجوز ان يراد وتصديقا للاسلام وتحقيقا للجزاء من اصل انفسهم لانه اذا انفق المسلم ماله في سبيل الله علم ان تصديقه وايمانه بالثواب من اصل نفسه ومن اخلاص قلبه ٭ ومن على التفسير الاول للتبعيض مثلها في قولهم هز من عطفه وحرك من نشاطه وعلى الثاني لابتداء الغاية كقوله تعالى حسدا من عند انفسهم ٭ ويحتمل ان يكون المعنى وتثبيتا من انفسهم عند المؤمنين انها صادقة الايمان مخلصة فيه ويعضده قراءة مجاهد وتبيينا من انفسهم **فان قلت** فما معنى التبعيض **قلت** معناه ان من بذل ماله لوجه الله فقد ثبت بعض نفسه ومن بذل ماله وروحه معا فهو الذي ثبتها كلها ٭ وتجاهدون في سبيل الله باموالكم وانفسكم ٭ والمعنى ومثل نفقة هؤلاء في زكائها عند الله كمثل جنة وهي البستان بربوة بمكان مرتفع وخصها لان الشجر فيها ازكى واحسن ثمرا ٭ اصابها وابل مطر عظيم القطر ٭ فآتت اكلها ثمرتها ٭ ضعفين مثلي ما كانت تثمر بسبب الوابل ٭ فان لم يصبها وابل فطل فمطر صغير القطر يكفيها لكرم منبتها ٭ او مثل حالهم عند الله بالجنة على الربوة ونفقتهم الكثيرة والقليلة بالوابل والطل وكما ان كل واحد من المطرين يضعف اكل الجنة فكذلك نفقتهم كثيرة كانت او قليلة بعد ان يطلب بها وجه الله ويبذل فيها الوسع زاكية عند الله زائدة في زلفاهم وحسن حالهم عنده **وقرئ** كمثل حبة ٭ وبربوة بالحركات الثلاث وكلها بمعنى

ايود احدكم ان تكون له جنة من نخيل واعناب تجري من تحتها الانهار له فيها من كل الثمرات واصابه الكبر وله ذرية ضعفاء فاصابها اعصار فيه نار فاحترقت كذلك يبين الله لكم الآيات لعلكم تتفكرون

٭ الهمزة في ايود للانكار ٭ **وقرئ** له جنات ٭ وذرية ضعاف ٭ والاعصار الريح التي تستدير في الارض ثم تسطع نحو السماء كالعمود وهذا مثل لمن يعمل الاعمال الحسنة لا يبتغي بها وجه الله فاذا كان يوم القيامة وجدها محبطة فيتحسر عند ذلك حسرة من كانت له جنة من ابهى الجنان واجمعها للثمار فبلغ الكبر وله اولاد ضعاف والجنة معاشهم ومنتعشهم فهلكت بالصاعقة ٭ وعن عمر رضي الله عنه انه سال عنها الصحابة فقالوا الله اعلم فغضب وقال قولوا نعلم او لا نعلم فقال ابن عباس رضي الله عنه في نفسي منها شيء يا امير المؤمنين فقال قل يا ابن اخي ولا تحقر نفسك قال ضرب مثلا لعمل قال لاي عمل قال لرجل غني يعمل الحسنات ثم بعث الله له الشيطان فعمل بالمعاصي حتى اغرق اعماله كلها ٭ وعن الحسن هذا مثل قل والله من يعقله من الناس شيخ كبير ضعف جسمه وكثر صبيانه افقر ما كان الى جنته وان احدكم والله افقر ما يكون الى عمله اذا انقطعت عنه الدنيا **فان قلت** كيف قال جنة من نخيل واعناب ثم قال له فيها من كل الثمرات **قلت** النخيل والاعناب لما كانا اكرم الشجر واكثرها منافع خصهما بالذكر وجعل الجنة منهما وان كانت محتوية على سائر الاشجار تغليبا لهما على غيرهما ثم اردفهما ذكر كل الثمرات ٭ ويجوز ان يريد بالثمرات المنافع التي كانت تحصل له فيها كقوله تعالى وكان له ثمر بعد قوله جنتين من اعناب وحففناهما بنخل **فان قلت** علام عطف قوله واصابه الكبر **قلت** الواو للحال لا للعطف ومعناه ان تكون له جنة وقد اصابه الكبر ٭ وقيل يقال وددت ان يكون كذا ووددت لو كان كذا فحمل العطف على المعنى كانه قيل ايود احدكم لو كانت له جنة واصابه الكبر يا ايها

الذين آمنوا أنفقوا من طيبات ما كسبتم ومما أخرجنا لكم من الأرض ولا تيمموا الخبيث منه تنفقون ولستم بآخذيه إلا أن تغمضوا فيه واعلموا أن الله غني حميد • من طيبات ما كسبتم من جياد مكسوباتكم ومما أخرجنا لكم من الحب والثمر والمعادن وغيرها **فإن قلت** فهلا قيل وما أخرجنا لكم عطفا على ما كسبتم حتى يشتمل الطيب على المكسوب والمخرج من الأرض **قلت** معناه ومن طيبات ما أخرجنا لكم إلا أنه حذف لذكر الطيبات • ولا تيمموا الخبيث ولا تقصدوا المال الرديء منه تنفقون تخصونه بالإنفاق وهو في محل الحال **وقرأ** عبد الله ولا تأمموا **وقرأ** ابن عباس رضي الله عنهما ولا تيمموا بضم التاء ويممه وتيممه وتأممه سواء في معنى قصده ولستم بآخذيه وحالكم أنكم لا تأخذونه في حقوقكم • إلا أن تغمضوا فيه إلا بأن تتسامحوا في أخذه وتترخصوا فيه من قولك أغمض فلان عن بعض حقه إذا غض بصره ويقال للبائع أغمض أي لا تستقص كأنك لا تبصر **وقال** الطرماح •

• لم يفتنا بالوتر قوم وللضيم رجال يرضون بالإغماض •

وقرأ الزهري تغمضوا وأغمض وغمض بمعنى وعنه تغمضوا بضم الميم وكسرها من غمض يغمض ويغمض **وقرأ** قتادة تغمضوا على البناء للمفعول بمعنى إلا أن تدخلوا فيه وتجذبوا إليه • وقيل إلا أن توجدوا مغمضين • وعن الحسن لو وجدتموه في السوق يباع ما أخذتموه حتى يهضم لكم من ثمنه وعن ابن عباس رضي الله عنه كانوا يتصدقون بحشف التمر وشراره فنهوا عنه الشيطان يعدكم الفقر ويأمركم بالفحشاء والله يعدكم مغفرة منه وفضلا والله واسع عليم • أي يعدكم في الإنفاق الفقر ويقول لكم إن عاقبة إنفاقكم أن تفتقروا **وقرئ** الفقر بالضم والفقر بفتحتين • والوعد يستعمل في الخير والشر قال عز وجل النار وعدها الله الذين كفروا • ويأمركم بالفحشاء ويغريكم على البخل ومنع الصدقات إغراء الآمر للمأمور • والفاحش عند العرب البخيل • والله يعدكم في الإنفاق مغفرة لذنوبكم وكفارة لها وفضلا وأن يخلف عليكم أفضل مما أنفقتم أو ثوابا عليه في الآخرة • يؤتي الحكمة من يشاء ومن يؤت الحكمة فقد أوتي خيرا كثيرا وما يذكر إلا أولوا الألباب • يؤتي الحكمة يوفق للعلم والعمل به • والحكيم عند الله هو العالم العامل • وقرئ ومن يؤت الحكمة بمعنى ومن يؤته الله الحكمة • وهكذا قرأ الأعمش • وخيرا كثيرا تنكير تعظيم كأنه قال فقد أوتي أي خير كثير • وما يذكر إلا أولوا الألباب يريد الحكماء العلماء العمال والمراد به الحث على العمل بما تضمنت الآي في معنى الإنفاق • وما أنفقتم من نفقة أو نذرتم من نذر فإن الله يعلمه وما للظالمين من أنصار • وما أنفقتم من نفقة في سبيل الله • أو في سبيل الشيطان • أو نذرتم من نذر في طاعة الله أو في معصيته فإن الله يعلمه لا يخفى عليه وهو مجازيكم عليه • وما للظالمين الذين يمنعون الصدقات أو ينفقون أموالهم في المعاصي أو لا يفون بالنذور أو ينذرون في المعاصي من أنصار ممن ينصرهم من الله ويمنعهم من عقابه إن تبدوا الصدقات فنعما هي وإن تخفوها وتؤتوها الفقراء فهو خير لكم ويكفر عنكم من سيئاتكم والله بما تعملون خبير • ما في نعما نكرة غير موصولة ولا موصوفة ومعنى فنعما هي فنعم شيئا إبداؤها **وقرئ** بكسر النون وفتحها • وإن تخفوها وتؤتوها الفقراء وتصيبوا بها مصارفها مع الإخفاء فهو خير لكم فالإخفاء خير لكم • والمراد الصدقات المتطوع

بها فإن الأفضل في الفرائض أن يجاهر بها • وعن ابن عباس رضي الله عنهما صدقات السر في التطوع تفضل علانيتها سبعين ضعفا • وصدقة الفريضة علانيتها أفضل من سرها بخمسة وعشرين ضعفا وإنما كانت المجاهرة بالفرائض أفضل لنفي التهمة حتى إذا كان المزكي ممن لا يعرف باليسار كان إخفاؤه أفضل • والمتطوع إن أراد أن يقتدى به كان إظهاره أفضل • ونكفر قرئ بالنون مرفوعا عطفا على محل ما بعد الفاء أو على أنه خبر مبتدإ محذوف أي ونحن نكفر أو على أنه جملة من فعل وفاعل مبتدأة • ومجزوما عطفا على محل الفاء وما بعده لأنه جواب الشرط **وقرئ** ويكفر بالياء مرفوعا والفعل لله تعالى أو للإخفاء • وتكفر بالتاء مرفوعا ومجزوما والفعل للصدقات **وقرأ** الحسن بالياء والنصب بإضمار أن ومعناه إن تخفوها يكن خيرا لكم وأن يكفر عنكم ليس عليك هداهم ولكن الله يهدي من يشاء وما تنفقوا من خير فلأنفسكم وما تنفقون إلا ابتغاء وجه الله وما تنفقوا من خير يوف إليكم وأنتم لا تظلمون • ليس عليك هداهم لا يجب عليك أن تجعلهم مهديين إلى الانتهاء عما نهوا عنه من المن والأذى والإنفاق من الخبيث وغير ذلك وما عليك إلا أن تبلغهم النواهي فحسب • ولكن الله يهدي من يشاء يلطف بمن يعلم أن اللطف ينفع فيه فينتهي عما نهي عنه • وما تنفقوا من خير من مال فلأنفسكم فهو لأنفسكم لا ينتفع به غيركم فلا تمنوا به على الناس ولا تؤذوهم بالتطاول عليهم • وما تنفقون وليست نفقتكم إلا لابتغاء وجه الله ولطلب ما عنده فما بالكم تمنون بها وتنفقون الخبيث الذي لا يوجه مثله إلى الله • وما تنفقوا من خير يوف إليكم ثوابه أضعافا مضاعفة فلا عذر لكم في أن ترغبوا عن إنفاقه وأن يكون على أحسن الوجوه وأجملها • وقيل حجت أسماء بنت أبي بكر رضي الله عنهما فأتتها أمها تسألها وهي مشركة فأبت أن تعطيها فنزلت • وعن سعيد بن جبير رضي الله عنه كانوا يتقون أن يرضخوا لقراباتهم من المشركين **وروي** أن ناسا من المسلمين كانت لهم أصهار في اليهود ورضاع وقد كانوا ينفقون عليهم قبل الإسلام فلما أسلموا كرهوا أن ينفقوهم • وعن بعض العلماء لو كان شر خلق الله لكان لك ثواب نفقتك • واختلف في الواجب فجوز أبو حنيفة صرف صدقة الفطر إلى أهل الذمة وأباه غيره للفقراء الذين أحصروا في سبيل الله لا يستطيعون ضربا في الأرض يحسبهم الجاهل أغنياء من التعفف تعرفهم بسيماهم لا يسألون الناس إلحافا وما تنفقوا من خير فإن الله به عليم • الجار متعلق بمحذوف والمعنى اعمدوا للفقراء أو اجعلوا ما تنفقون للفقراء • كقوله تعالى في تسع آيات • ويجوز أن يكون خبر مبتدإ محذوف أي صدقاتكم للفقراء والذين أحصروا في سبيل الله هم الذين أحصرهم الجهاد • لا يستطيعون لاشتغالهم به • ضربا في الأرض للكسب وقيل هم أصحاب الصفة وهم نحو من أربعمائة رجل من مهاجري قريش لم يكن لهم مساكن في المدينة ولا عشائر فكانوا في صفة المسجد وهي سقيفته يتعلمون القرآن بالليل ويرضخون النوى بالنهار وكانوا يخرجون في كل سرية يبعثها رسول الله عليه السلام فمن كان عنده فضل أتاهم به إذا أمسى **وعن** ابن عباس رضي الله عنهما وقف رسول الله صلى الله عليه وسلم يوما على أصحاب الصفة فرأى فقرهم وجهدهم وطيب قلوبهم فقال أبشروا يا أصحاب الصفة فمن بقي من أمتي على النعت الذي أنتم عليه راضيا بما فيه فإنه من رفقائي في الجنة • يحسبهم الجاهل بحالهم أغنياء من التعفف مستغنين من أجل تعففهم عن المسألة • تعرفهم بسيماهم من صفرة الوجه ورثاثة الحال • والإلحاف

الالحاح وهو اللزوم وان لا يفارق الا بشيء يعطاه من قولهم لحفني من فضل لحافه اي اعطاني من فضل ما عنده • وعن النبي عليه السلام ان الله يحب الحيي الحليم المتعفف ويبغض البذي السائل الملحف ومعناه انهم ان سالوا سالوا بتلطف ولم يلحوا • وقيل هو نفي للسؤال والالحاف جميعا **كقوله**

على لاحب لا يهتدى بمناره • يريد نفي المنار والاهتداء • الذين ينفقون اموالهم بالليل والنهار سرا وعلانية فلهم اجرهم عند ربهم ولا خوف عليهم ولا هم يحزنون • بالليل والنهار سرا وعلانية يعمون الاوقات والاحوال بالصدقة لحرصهم على الخير فكلما نزلت بهم حاجة محتاج عجلوا قضاءها ولم يؤخروه ولم يتعللوا بوقت ولا حال **وقيل** نزلت في ابي بكر الصديق رضي الله عنه حين تصدق باربعين الف دينار عشرة بالليل وعشرة بالنهار وعشرة في السر وعشرة في العلانية • وعن ابن عباس رضي الله عنه نزلت في علي لم يملك الا اربعة دراهم فتصدق بدرهم ليلا وبدرهم نهارا وبدرهم سرا وبدرهم علانية • وقيل نزلت في علف الخيل وارتباطها في سبيل الله • وعن ابي هريرة رضي الله عنه كان اذا مر بفرس سمين قرأ هذه الاية الذين ياكلون الربوا لا يقومون الا كما يقوم الذي يتخبطه الشيطان من المس ذلك بانهم قالوا انما البيع مثل الربوا واحل الله البيع وحرم الربوا فمن جاءه موعظة من ربه فانتهى فله ما سلف وامره الى الله ومن عاد فاولئك اصحاب النار هم فيها خالدون • الربوا كتب بالواو على لغة من يفخم كما كتبت الصلوة والزكوة وزيدت الالف بعدها تشبيها بواو الجمع • لا يقومون اذا بعثوا من قبورهم الا كما يقوم الذي يتخبطه الشيطان اي المصروع وتخبط الشيطان من زعمات العرب يزعمون ان الشيطان يخبط الانسان فيصرع والخبط الضرب على غير استواء كخبط العشواء فورد ما كانوا يعتقدون له • والمس الجنون ورجل ممسوس وهذا ايضا من زعماتهم وان الجني يمسه فيختلط عقله • وكذلك جن الرجل معناه ضربته الجن ورأيتهم لهم في الجن قصص واخبار وعجائب وانكار ذلك عندهم كانكار المشاهدات **فان قلت** بم يتعلق قوله من المس **قلت** بلا يقومون اي لا يقومون من المس الذي بهم الا كما يقوم المصروع ويجوز ان يتعلق بيقوم اي كما يقوم المصروع من جنونه • والمعنى انهم يقومون يوم القيامة مخبلين كالمصروعين تلك سيماهم يعرفون بها عند اهل الموقف • وقيل الذين يخرجون من الاجداث يوفضون الا اكلة الربوا فانهم ينهضون ويسقطون كالمصروعين لانهم اكلوا الربوا فارباه الله في بطونهم حتى اثقلهم فلا يقدرون على الايفاض • ذلك العقاب بسبب قولهم انما البيع مثل الربوا **فان قلت** هلا قيل انما الربوا مثل البيع لان الكلام في الربوا لا في البيع فوجب ان يقال انهم شبهوا الربوا بالبيع فاستحلوه وكانت شبهتهم انهم قالوا لو اشترى الرجل ما لا يساوي الا درهما بدرهمين جاز فكذلك اذا باع درهما بدرهمين **قلت** جيء به على طريق المبالغة وهو انه قد بلغ من اعتقادهم في حل الربوا انهم جعلوه اصلا وقانونا حتى شبهوا به البيع • وقوله واحل الله البيع وحرم الربوا انكار لتسويتهم بينهما • ودلالة على ان القياس يهدمه النص لانه جعل الدليل على بطلان قياسهم احلال الله وتحريمه فمن جاءه موعظة فمن بلغه وعظ من الله وزجر بالنهي عن الربوا • فانتهى فتبع النهي وامتنع • فله ما سلف فلا يؤاخذ بما مضى منه لانه اخذ قبل نزول التحريم • وامره الى الله يحكم في شانه يوم القيامة وليس من امره اليكم شيء فلا تطالبوه به • ومن عاد الى الربوا فاولئك اصحاب النار هم فيها خالدون • وهذا دليل بين على تخليد الفساق وذكر فعل الموعظة لان تانيثها غير حقيقي ولانها في معنى الوعظ

وقرا ابي والحسن فمن جاءته • يمحق الله الربوا ويربي الصدقات والله لا يحب كل كفار اثيم يمحق الله الربوا يذهب ببركته ويهلك المال الذي يدخل فيه **وعن** ابن مسعود الربوا وان كثر الى قل • ويربي الصدقات ما يتصدق به بان يضاعف عليه الثواب ويزيد المال الذي اخرجت منه الصدقة ويبارك فيه **وفي** الحديث ما نقصت زكوة من مال قط • كل كفار اثيم تغليظ في امر الربوا وايذان بانه من فعل الكفار لا من فعل المسلمين • ان الذين امنوا وعملوا الصالحات واقاموا الصلوة واتوا الزكوة لهم اجرهم عند ربهم ولا خوف عليهم ولا هم يحزنون اخذ ما شرطوا على الناس من الربوا وبقيت لهم بقايا فامروا ان يتركوها ولا يطالبوها **روي** انها نزلت في ثقيف وكان لهم على قوم من قريش مال فطالبوهم عند المحل بالمال والربوا • وقرا الحسن ما بقي بقلب الياء الفا على لغة طي • وعنه ما بقي بياء ساكنة **ومنه قول** جرير •

هو الخليفة فارضوا ما رضي لكم • ماضي العزيمة ما في حكمه جنف •

ان كنتم مؤمنين ان صح ايمانكم يعني ان دليل صحة الايمان وثباته امتثال ما امرتم به من ذلك فان لم تفعلوا فاذنوا بحرب من الله ورسوله وان تبتم فلكم رؤس اموالكم لا تظلمون ولا تظلمون فاذنوا بحرب فاعلموا بها من اذن بالشيء اذا علم به **وقرئ** فآذنوا فاعلموا بها غيركم وهو من الاذن وهو الاستماع لانه من طرق العلم • وقرا الحسن فايقنوا وهو دليل لقراءة العامة **فان قلت** هلا قيل بحرب الله ورسوله **قلت** كان هذا ابلغ لان المعنى فاذنوا بنوع من الحرب عظيم من عند الله ورسوله **وروي** انها لما نزلت قالت ثقيف لا يدي لنا بحرب الله ورسوله • وان تبتم من الارتباء فلكم رؤس اموالكم لا تظلمون المديونين بطلب الزيادة عليها ولا تظلمون بالنقصان منها **فان قلت** هذا حكمهم ان تابوا فما حكمهم لو لم يتوبوا **قلت** قالوا يكون ما لهم فيئا للمسلمين • وروى المفضل عن عاصم لا تظلمون ولا تظلمون • وان كان ذو عسرة فنظرة الى ميسرة وان تصدقوا خير لكم ان كنتم تعلمون • وان كان ذو عسرة وان وقع غريم من غرمائكم ذو عسرة اي ذو اعسار • وقرا عثمان ذا عسرة على وان كان الغريم ذا عسرة • وقرئ ومن كان ذا عسرة فنظره فالحكم او فالامر نظرة وهي الانظار **وقرئ** فنظرة بسكون الظاء • وقرا عطا فناظره بمعنى فصاحب الحق ناظره اي منتظره او صاحب نظرته على طريقة النسب كقولهم مكان عاشب وباقل بمعنى ذو عشب وذو بقل • وعنه فناظره على الامر بمعنى فسامحه بالنظرة وياسره بها • الى ميسرة الى يسار • وقرئ بضم السين كمقبرة ومقبرة ومشرقة ومشرقة **وقرئ** بهما مضافين بحذف التاء عند الاضافة • **كقوله** •

واخلفوك عد الامر الذي وعدوا • وقوله تعالى واقام الصلوة • وان تصدقوا خير لكم ندب الى ان يتصدقوا برؤس اموالهم على من اعسر من غرمائهم او ببعضها كقوله وان تعفوا اقرب للتقوى • وقيل اريد بالتصدق الانظار لقوله صلى الله عليه وسلم لا يحل دين رجل مسلم فيؤخره الا كان له بكل يوم صدقة • ان كنتم تعلمون انه خير لكم فتعملوا به جعل من لا يعمل به وان علمه كانه لا يعلمه • وقرئ تصدقوا بتخفيف الصاد على حذف التاء • واتقوا يوما ترجعون فيه الى الله ثم توفى كل نفس ما كسبت وهم لا يظلمون • ترجعون قرئ بالبناء للفاعل والمفعول • وقرئ يرجعون بالياء على طريقة الالتفات **وقرا** عبد الله تردون • وقرا ابي تصيرون • وعن ابن

رضي الله عنهما انها اخر آية نزل بها جبريل عليه السلام وقال ضعها في رأس المائتين والثمانين من البقرة وعاش رسول الله عليه السلام بعدها احدا وعشرين يوما وقيل احدا وثمانين وقيل سبعة ايام وقيل ثلاث ساعات ﴿يا ايها الذين آمنوا اذا تداينتم بدين الى اجل مسمى فاكتبوه وليكتب بينكم كاتب بالعدل ولا يأب كاتب ان يكتب كما علمه الله فليكتب وليملل الذي عليه الحق وليتق الله ربه ولا يبخس منه شيئا فان كان الذي عليه الحق سفيها او ضعيفا او لا يستطيع ان يمل هو فليملل وليه بالعدل واستشهدوا شهيدين من رجالكم فان لم يكونا رجلين فرجل وامرأتان ممن ترضون من الشهداء ان تضل احداهما فتذكر احداهما الاخرى ولا يأب الشهداء اذا ما دعوا ولا تسأموا ان تكتبوه صغيرا او كبيرا الى اجله ذلكم اقسط عند الله واقوم للشهادة وادنى الا ترتابوا الا ان تكون تجارة حاضرة تديرونها بينكم فليس عليكم جناح الا تكتبوها واشهدوا اذا تبايعتم ولا يضار كاتب ولا شهيد﴾ اذا تداينتم اذا داين بعضكم بعضا يقال داينت الرجل اذا عاملته بدين معطيا او آخذا كما تقول بايعته اذا بعته او باعك قال رؤبة

داينت اروى والديون تقضى ... فمطلت بعضا وادت بعضا

والمعنى اذا تعاملتم بدين مؤجل فاكتبوه **فان قلت** هلا قيل اذا تداينتم الى اجل مسمى واي حاجة الى ذكر الدين كما قال داينت اروى ولم يقل بدين **قلت** ذكر ليرجع الضمير اليه في قوله فاكتبوه اذ لو لم يذكر لوجب ان يقال فاكتبوا الدين فلم يكن النظم بذلك الحسن ولانه ابين لتنويع الدين الى مؤجل وحال **فان قلت** ما فائدة قوله مسمى **قلت** ليعلم ان من حق الاجل ان يكون معلوما كالتوقيت بالسنة والاشهر والايام ولو قال الى الحصاد او الدياس او رجوع الحاج لم يجز لعدم التسمية وانما امر بكتبة الدين لان ذلك اوثق وآمن من النسيان وابعد من الجحود والامر للندب وعن ابن عباس رضي الله عنهما ان المراد به السلم وقال لما حرم الله الربوا اباح السلم وعنه اشهد ان الله اباح السلم المضمون الى اجل معلوم في كتابه وانزل فيه اطول آية بالعدل متعلق بكاتب صفة له اي كاتب مأمون على ما يكتب يكتب بالسوية والاحتياط لا يزيد على ما يجب ان يكتب ولا ينقص وفيه ان يكون الكاتب فقيها عالما بالشروط حتى يجيء مكتوبه معدلا بالشرع وهو امر للمتداينين بتخير الكاتب وان لا يستكتبوا الا فقيها دينا ولا يأب كاتب ولا يمتنع احد من الكتاب وهو معنى تنكير كاتب ان يكتب كما علمه الله مثل ما علمه الله كتابة الوثائق لا يبدل ولا يغير وقيل هو كقوله تعالى واحسن كما احسن الله اليك اي ينفع الناس بكتابته كما نفعه الله بتعليمها **وعن** الشعبي هي فرض كفاية وكما علمه الله يجوز ان يتعلق بان يكتب وبقوله فليكتب **فان قلت** اي فرق بين الوجهين **قلت** ان علقته بان يكتب فقد نهى عن الامتناع من الكتابة المقيدة ثم قيل له فليكتب يعني فليكتب تلك الكتابة لا يعدل عنها للتوكيد وان علقته بقوله فليكتب فقد نهى عن الامتناع من الكتابة على سبيل الاطلاق ثم امر بها مقيدة وليملل الذي عليه الحق ولا يكن المملي الا من وجب عليه الحق لانه هو المشهود على ثباته في ذمته واقراره به والاملال والاملاء لغتان قد نطق بهما القرآن فهي تملى عليه ولا يبخس منه من الحق شيئا والبخس النقص **وقرئ** شيا بطرح الهمزة وشيا بالتشديد سفيها محجورا عليه لتبذيره وجهله بالتصرف او ضعيفا صبيا او شيخا مختلا او لا يستطيع ان يمل هو او غير مستطيع للاملاء بنفسه لعي به او خرس فليملل وليه الذي يلي امره من وصي ان كان سفيها او صبيا او وكيل ان كان غير

مستطيع

مستطيع او ترجمان يمل عنه وهو يصدقه وقوله ان يمل هو فيه انه غير مستطيع بنفسه ولكن بغيره وهو الذي يترجم عنه واستشهدوا شهيدين واطلبوا ان يشهد لكم شهيدان على الدين من رجالكم من رجال المؤمنين والحرية والبلوغ شرط مع الاسلام عند عامة العلماء وعن علي رضي الله عنه لا تجوز شهادة العبد في شيء وعند شريح وابن سيرين وعثمان البتي انها جائزة ويجوز عند ابي حنيفة رحمة الله عليه شهادة الكفار بعضهم على بعض على اختلاف الملل فان لم يكونا فان لم يكن الشهيدان رجلين فرجل وامرأتان فليشهد رجل وامرأتان وشهادة النساء مع الرجال مقبولة عند ابي حنيفة فيما عدا الحدود والقصاص ممن ترضون ممن تعرفون عدالتهم ان تضل احداهما ان لا تهتدي احداهما للشهادة بان تنساها من ضل الطريق اذا لم يهتد له وانتصابه على انه مفعول له اي ارادة ان تضل **فان قلت** كيف يكون ضلالها مرادا لله **قلت** لما كان الضلال سببا للاذكار والاذكار مسببا عنه وهم ينزلون كل واحد من السبب والمسبب منزلة الاخر لالتباسهما واتصالهما كانت ارادة الضلال المسبب عنه الاذكار ارادة للاذكار فكانه قيل ارادة ان تذكر احداهما الاخرى ان ضلت ونظيره قولهم اعددت الخشبة ان يميل الحائط فادعمه واعددت السلاح ان يجيء عدو فادفعه **وقرئ** فتذكر بالتخفيف والتشديد وهما لغتان وفتذاكر **وقرأ** حمزة ان تضل احداهما على الشرط فتذكر بالرفع والتشديد كقوله تعالى ومن عاد فينتقم الله منه وقرئ ان تضل احداهما على البناء للمفعول والتأنيث ومن بدع التفاسير فتذكر فتجعل احداهما الاخرى ذكرا يعني انهما اذا اجتمعتا كانتا بمنزلة الذكر اذا ما دعوا ليقيموا الشهادة وقيل ليستشهدوا وقيل لهم شهداء قبل التحمل تنزيلا لما يشارف منزلة الكائن وعن قتادة كان الرجل يطوف في الحواء العظيم فيه القوم فلا يتبعه منهم احد فنزلت كنى بالسأم عن الكسل لان الكسل صفة المنافق **ومنه** الحديث لا يقول المؤمن كسلت ويجوز ان يراد من كثرت مداينته فاحتاج ان يكتب لكل دين صغير او كبير كتابا فربما مل كثرة الكتب والضمير في تكتبوه للدين او الحق صغيرا او كبيرا على اي حال كان الحق من صغر او كبر ويجوز ان يكون الضمير للكتاب وان يكتبوه مختصرا او مشبعا ولا يخلوا بكتابته الى اجله الى وقته الذي اتفق الغريمان على تسميته ذلكم اشارة الى ان تكتبوه لانه في معنى المصدر اي ذلكم الكتب اقسط اعدل من القسط واقوم للشهادة واعون على اقامة الشهادة وادنى ان لا ترتابوا واقرب من انتفاء الريب **فان قلت** مم بني افعلا التفضيل اعني اقسط واقوم **قلت** يجوز على مذهب سيبويه ان يكونا مبنيين من اقسط واقام وان يكون اقسط من قاسط على طريقة النسب بمعنى ذي قسط واقوم من قويم وقرئ ولا يسأموا ان يكتبوه بالياء فيهما **فان قلت** ما معنى تجارة حاضرة وسواء كانت المبايعة بدين او بعين فالتجارة حاضرة وما معنى ادارتها بينهم **قلت** اريد بالتجارة ما يتجر فيه من الابدال ومعنى ادارتها بينهم تعاطيهم اياها يدا بيد والمعنى الا ان تتبايعوا بيعا ناجزا يدا بيد فلا بأس ان لا تكتبوا لانه لا يتوهم فيه ما يتوهم في التداين وقرئ تجارة حاضرة بالرفع على كان التامة وقيل هي الناقصة على ان الاسم تجارة حاضرة والخبر تديرونها وبالنصب على الا ان تكون التجارة تجارة حاضرة كبيت الكتاب

بني اسد هل تعلمون بلاءنا ... اذا كان يوما ذا كواكب اشنعا

اي اذا كان اليوم يوما واشهدوا اذا تبايعتم امر بالاشهاد على التبايع مطلقا ناجزا او كالئا لانه احوط وابعد مما عسى يقع من الاختلاف ويجوز ان يراد واشهدوا اذا تبايعتم هذا التبايع يعني

التجارة الحاضرة على ان الاشهاد كاف فيه دون الكتابة. وعن الحسن ان شاء اشهد وان شاء لم يشهد. وعن الضحاك هي عزيمة من الله ولو على باقة بقل. ولا يضار يحتمل البناء للفاعل والمفعول والدليل عليه قراءة عمر ولا يضارر بالاظهار والكسر. وقراءة ابن عباس رضي الله عنهما ولا يضارر بالاظهار والفتح. والمعنى نهي الكاتب والشهيد عن ترك الاجابة الى ما يطلب منهما. وعن التحريف والزيادة والنقصان او النهي عن الضرار بهما بان يعجلا عن مهم او يلزا او لا يعطى الكاتب حقه من الجعل او يحمل الشهيد مؤونة مجيئه من بلد. وقرا الحسن ولا يضار بالكسر. **وان تفعلوا فانه فسوق بكم واتقوا الله ويعلمكم الله والله بكل شيء عليم.** وان تفعلوا وان تضاروا فان الضرار فسوق بكم. وقيل وان تفعلوا شيئا مما نهيتم عنه. **وان كنتم على سفر ولم تجدوا كاتبا فرهان مقبوضة فان امن بعضكم بعضا فليؤد الذي اؤتمن امانته وليتق الله ربه ولا تكتموا الشهادة ومن يكتمها فانه اثم قلبه والله بما تعملون عليم.** على سفر مسافرين. وقرا ابن عباس وابي رضي الله عنهما كتابا وقال ابن عباس ارايت ان وجدت الكاتب ولم تجد الصحيفة والدواة. وقرا ابو العالية كتبا. وقرا الحسن كتابا جمع كاتب. فرهن فالذي يستوثق به رهن. وقرئ فرهن بضم الهاء وسكونها وهو جمع رهن كسقف وسقف. وفرهان. فان قلت لم شرط السفر في الارتهان ولا يختص به سفر دون حضر وقد رهن رسول الله عليه السلام درعه في غير سفر. قلت ليس الغرض تجويز الارتهان في السفر خاصة ولكن السفر لما كان مظنة لاعواز الكتب والاشهاد امر على سبيل الارشاد الى حفظ المال من كان على سفر بان يقيم التوثق بالارتهان مقام التوثق بالكتب والاشهاد. وعن مجاهد والضحاك انهما لم يجوزاه الا في حال السفر اخذا بظاهر الاية. واما القبض فلا بد من اعتباره وعند مالك يصح الارتهان بالايجاب والقبول بدون القبض. فان امن بعضكم بعضا فان امن بعض الدائنين بعض المديونين لحسن ظنه به. وقرا ابي فان اومن اي امنه الناس ووصفوا المديون بالامانة والوفاء والاستغناء عن الارتهان من مثله. فليؤد الذي اؤتمن امانته حث للمديون على ان يكون عند ظن الدائن به وامنه منه وائتمانه له وان يؤدي اليه الحق الذي ائتمنه عليه فلم يرتهن منه وسمي الدين امانة وهو مضمون لائتمانه عليه بترك الارتهان منه. والقراءة ان تنطق بهمزة ساكنة بعد الذال او بياء فتقول الذي تمن. وعن عاصم انه قرا الذتمن بادغام الياء في التاء قياسا على اتسر في الافتعال من اليسر وليس بصحيح لان الياء منقلبة عن الهمزة فهي في حكم الهمزة واتزر عامي. وكذلك ريا في رؤيا. اثم خبر ان وقلبه رفع باثم على الفاعلية كانه قيل فانه ياثم قلبه. ويجوز ان يرتفع قلبه بالابتداء واثم خبر مقدم والجملة خبر ان. فان قلت هلا اقتصر على قوله فانه اثم وما فائدة ذكر القلب والجملة هي الاثمة لا القلب وحده. قلت كتمان الشهادة هو ان يضمرها ولا يتكلم بها فلما كان اثما مقترفا بالقلب اسند اليه لان اسناد الفعل الى الجارحة التي يعمل بها ابلغ. الا تراك تقول اذا اردت التوكيد هذا مما ابصرته عيني ومما سمعته اذني ومما عرفه قلبي. ولان القلب هو رئيس الاعضاء والمضغة التي ان صلحت صلح الجسد كله وان فسدت فسد الجسد كله فكانه قيل فقد تمكن الاثم في اصل نفسه وملك اشرف مكان فيه. ولئلا يظن ان كتمان الشهادة من الاثام المتعلقة باللسان فقط وليعلم ان القلب اصل متعلقه ومعدن اقترافه واللسان ترجمان عنه. ولان افعال القلوب اعظم من افعال سائر الجوارح وهي لها كالاصول التي تتشعب منها. الا ترى ان اصل الحسنات والسيئات الايمان والكفر

وهما من افعال القلوب فاذا جعل كتمان الشهادة من اثام القلوب فقد شهد له بانه من معاظم الذنوب. وعن ابن عباس اكبر الكبائر الاشراك بالله لقوله تعالى فقد حرم الله عليه الجنة. وشهادة الزور وكتمان الشهادة. وقرئ قلبه بالنصب كقوله سفه نفسه. وقرا ابن ابي عبلة اثم قلبه اي جعله اثما. **لله ما في السموات وما في الارض وان تبدوا ما في انفسكم او تخفوه يحاسبكم به الله فيغفر لمن يشاء ويعذب من يشاء والله على كل شيء قدير.** وان تبدوا ما في انفسكم او تخفوه يعني من السوء يحاسبكم به الله فيغفر لمن يشاء لمن استوجب المغفرة بالتوبة مما اظهر منه او اضمر ويعذب من يشاء ممن استوجب العقوبة بالاصرار. ولا تدخل فيما يخفيه الانسان الوساوس وحديث النفس لان ذلك مما ليس في وسعه الخلو منه ولكن ما اعتقده وعزم عليه. وعن عبد الله بن عمر رضي الله عنهما انه تلاها فقال لئن اخذنا الله بهذا لنهلكن ثم بكى حتى سمع نشيجه فذكر لابن عباس رضي الله عنه فقال يغفر الله لابي عبد الرحمن قد وجد المسلمون منها مثل ما وجد فنزل لا يكلف الله نفسا الا وسعها. وقرئ فيغفر ويعذب مجزومين عطفا على جواب الشرط. ومرفوعين على فهو يغفر ويعذب. فان قلت كيف يقرا الجازم. قلت يظهر الراء ويدغم الباء. ومدغم الراء في اللام لاحن مخطئ خطا فاحشا. وراويه عن ابي عمرو مخطئ مرتين لانه يلحن وينسب الى اعلم الناس بالعربية ما يؤذن بجهل عظيم. والسبب في نحو هذه الروايات قلة ضبط الرواة. والسبب في قلة الضبط قلة الدراية. ولا يضبط نحو هذا الا اهل النحو. وقرا الاعمش يغفر بغير فاء مجزوما على البدل من يحاسبكم كقوله:

متى تاتنا تلمم بنا في ديارنا ... تجد حطبا جزلا ونارا تاججا

ومعنى هذا البدل التفصيل لجملة الحساب لان التفصيل اوضح من المفصل فهو جار مجرى بدل البعض من الكل او بدل الاشتمال كقولك ضربت زيدا راسه واحببت زيدا عقله وهذا البدل واقع في الافعال وقوعه في الاسماء لحاجة القبيلين الى البيان. **امن الرسول بما انزل اليه من ربه والمؤمنون كل امن بالله وملائكته وكتبه ورسله لا نفرق بين احد من رسله وقالوا سمعنا واطعنا غفرانك ربنا واليك المصير.** والمؤمنون ان عطف على الرسول كان الضمير الذي التنوين نائب عنه في كل راجعا الى الرسول والمؤمنين اي كلهم امن بالله وملائكته وكتبه ورسله من المذكورين ووقف عليه. وان كان مبتدا كان الضمير للمؤمنين. ووحد ضمير كل في امن على معنى كل واحد منهم امن. وكان يجوز ان يجمع كقوله تعالى وكل اتوه داخرين. وقرا ابن عباس رضي الله عنهما وكتابه يريد القران او الجنس. وعنه الكتاب اكثر من الكتب. فان قلت كيف يكون الواحد اكثر من الجمع. قلت لانه اذا اريد بالواحد الجنس والجنسية قائمة في وحدان الجنس كلها لم يخرج منه شيء. واما الجمع فلا يدخل تحته الا ما فيه الجنسية من الجموع. لا نفرق يقولون لا نفرق. وعن ابي عمرو يفرق بالياء على ان الفعل لكل. وقرا عبد الله لا يفرقون. واحد في معنى الجمع كقوله تعالى فما منكم من احد عنه حاجزين ولذلك دخل عليه بين. سمعنا اجبنا. غفرانك منصوب باضمار فعله يقال غفرانك لا كفرانك اي نستغفرك ولا نكفرك. وقرئ وكتبه ورسله بالتخفيف. **لا يكلف الله نفسا الا وسعها لها ما كسبت وعليها ما اكتسبت ربنا لا تؤاخذنا ان نسينا او اخطانا ربنا ولا تحمل علينا اصرا كما حملته على الذين من قبلنا ربنا ولا تحملنا ما لا طاقة لنا به واعف عنا واغفر لنا وارحمنا انت مولانا فانصرنا على القوم الكافرين.** الوسع ما يسع الانسان ولا يضيق عليه ولا يحرج فيه اي لا يكلفها الا ما يتسع فيه طوقه

ويتيسر عليه دون مدى الطاقة والمجهود وهذا إخبار عن عدله ورحمته كقوله تعالى يريد الله بكم اليسر
لانه كان في امكان الانسان وطاقته ان يصلي اكثر من الخمس ويصوم اكثر من الشهر ويحج اكثر من حجة ۞ وقرأ
ابن ابي عبلة وسعها بالفتح ۞ لها ما كسبت وعليها ما اكتسبت ينفعها ما كسبت من خير ويضرها ما اكتسبت
من شر لا يؤاخذ بذنبها غيرها ولا يثاب غيرها بطاعتها **فان قلت** لم خص الخير بالكسب
والشر بالاكتساب **قلت** في الاكتساب اعتمال فلما كان الشر مما تشتهيه النفس وهي منجذبة
اليه وأمارة به كانت في تحصيله أعمل وأجد فجعلت لذلك مكتسبة فيه ولما لم تكن كذلك في
باب الخير وصفت بما لا دلالة فيه على الاعتمال اي لا تؤاخذنا بالنسيان والخطاء ان فرط منا **فان
قلت** النسيان والخطاء متجاوز عنهما فما معنى الدعاء بترك المؤاخذة بهما **قلت** ذكر النسيان
والخطاء والمراد بهما ما هما مسببان عنه من التفريط والاغفال ۞ الا ترى الى قوله وما انسانيه الا
الشيطان والشيطان لا يقدر على فعل النسيان وانما يوسوس فيكون وسوسته سببا للتفريط الذي
منه النسيان ولانهم كانوا متقين الله حق تقاته فما كانت تفرط منهم فرطة الا على وجه النسيان
والخطاء فكان وصفهم بالدعاء بذلك ايذانا ببراءة ساحتهم عما يؤاخذون به كأنه قيل ان كان النسيان
والخطاء مما يؤاخذ به فما فيهم سبب مؤاخذة الا الخطاء والنسيان ۞ ويجوز ان يدعو الانسان بما علم انه
حاصل له قبل الدعاء من فضل الله لاستدامته والاعتداد بالنعمة فيه ۞ الاصر العبء الذي يأصر
حامله اي يحبسه مكانه لا يستقل به لثقله استعير للتكليف الشاق من نحو قتل الانفس وقطع موضع النجاسة
من الجلد والثوب وغير ذلك ۞ وقرئ آصارا على الجمع ۞ وفي قراءة ابي ولا تحمل علينا بالتشديد **فان قلت**
اي فرق بين هذه التشديدة والتي في ولا تحملنا **قلت** هذه للمبالغة في حمل عليه وتلك لنقل
حمله من مفعول واحد الى مفعولين ۞ ولا تحملنا ما لا طاقة لنا به من العقوبات النازلة بمن قبلنا طلبوا
الاعفاء عن التكليفات الشاقة التي كلفها من قبلهم ثم عما نزل عليهم من العقوبات على تفريطهم في المحافظة
عليها ۞ وقيل المراد به الشاق الذي لا يكاد يستطاع من التكاليف وهذا تكرير لقوله ولا تحمل علينا اصرا ۞ مولانا
سيدنا ونحن عبيدك او ناصرنا او متولي امورنا ۞ فانصرنا فمن حق المولى ان ينصر عبيده ۞ او فان ذلك دأبك
وعادتك ۞ او فان ذلك من امورنا التي عليك توليها ۞ وعن ابن عباس رضي الله عنهما ان رسول الله صلى
الله عليه وسلم لما دعا بهذه الدعوات قيل عند كل كلمة قد فعلت ۞ وعنه عن رسول الله صلى الله عليه
وسلم من قرأ الآيتين من آخر سورة البقرة في ليلة كفتاه ۞ وعنه عليه السلام اوتيت خواتيم سورة البقرة
من كنز تحت العرش لم يؤتهن نبي قبلي ۞ وعنه عن رسول الله عليه السلام انزل الله آيتين من كنوز الجنة
كتبهما الرحمن بيده قبل ان يخلق الخلق بالفي سنة من قرأهما بعد العشاء الآخرة اجزأتاه عن قيام الليل
فان قلت هل يجوز ان يقال قرأت سورة البقرة او قرأت البقرة **قلت** لا بأس بذلك
وقد جاء في حديث النبي صلى الله عليه وسلم من آخر سورة البقرة وخواتيم سورة البقرة ۞ وعن علي رضي
الله عنه خواتيم سورة البقرة ۞ وعن عبد الله بن مسعود رضي الله عنه انه رمى الجمرة ثم قال من ههنا
والذي لا اله غيره رمى الذي انزلت عليه سورة البقرة ولا فرق بين هذا وبين قولك سورة الزخرف
وسورة الممتحنة والمجادلة واذا قيل قرأت البقرة لم يشكل ان المراد سورة البقرة كقوله تعالى واسأل
القرية ۞ وعن بعضهم انه كره ذلك وقال يقال قرأت السورة التي تذكر فيها البقرة ۞ وعن رسول الله عليه
السلام السورة التي تذكر فيها البقرة فسطاط القرآن فتعلموها فان تعلمها بركة وتركها حسرة ولن تستطيعها البطلة

بسم الله الرحمن الرحيم الم الله لا اله الا هو الحي القيوم ۞ ميم حقها ان يوقف عليها كما وقف على الف
ولام وان يبدأ ما بعدها كما تقول واحد اثنان وهي قراءة عاصم ۞ واما فتحها فهي حركة الهمزة القيت عليها
حين اسقطت للتخفيف **فان قلت** كيف جاز القاء حركتها عليها وهي همزة وصل لا تثبت في درج الكلام
فلا تثبت حركتها لان ثبات حركتها كثباتها **قلت** هذا ليس بدرج لان ميم في حكم الوقف والسكون
والهمزة في حكم الثابت وانما حذفت تخفيفا والقيت حركتها على الساكن قبلها لتدل عليها ۞ ونظيره
قولهم واحد اثنان بالقاء حركة الهمزة على الدال **فان قلت** هلا زعمت انها حركة لالتقاء الساكنين
قلت لان التقاء الساكنين لا يبالى به في باب الوقف ۞ وذلك قولك هذا ابراهيم وداود
واسحق ۞ ولو كان لالتقاء الساكنين في حال الوقف يوجب التحريك لحرك الميمان في الف لام ميم لالتقاء
الساكنين ولما انتظر ساكن آخر ۞ فان قلت انما لم يحركوا لالتقاء الساكنين في ميم لانهم ارادوا الوقف
وامكنهم النطق بساكنين فاذا جاء ساكن ثالث لم يمكن الا التحريك فحركوا ۞ قلت الدليل على ان الحركة
ليست لملاقاة الساكن انه كان يمكنهم ان يقولوا واحد اثنان بسكون الدال مع طرح الهمزة فيجمعوا بين
ساكنين كما قالوا اصيم ومديق فلما حركوا الدال علم ان حركتها هي حركة الهمزة الساقطة لا غير وليست
لالتقاء الساكنين **فان قلت** فما وجه قراءة عمرو بن عبيد بالكسر **قلت** هذه القراءة
على توهم التحريك لالتقاء الساكنين وما هي بمقبولة ۞ نزل عليك الكتاب بالحق مصدقا لما بين
يديه وانزل التوراة والانجيل من قبل هدى للناس وانزل الفرقان ان الذين كفروا بآيات الله
لهم عذاب شديد والله عزيز ذو انتقام ۞ والتوراة والانجيل اسمان اعجميان وتكلف اشتقاقهما
من الورى والنجل ووزنهما بتفعلة وافعيل انما يصح بعد كونهما عربيين **وقرأ** الحسن الانجيل
بفتح الهمزة وهو دليل على العجمة لان افعيل بفتح الهمزة عديم في اوزان العرب ۞ فان قلت لم قيل نزل
الكتاب وانزل التوراة والانجيل ۞ قلت لان القرآن نزل منجما ونزل الكتابان جملة ۞ وقرأ الاعمش
نزل عليك الكتاب بالتخفيف ورفع الكتاب ۞ هدى للناس اي لقوم موسى وعيسى ومن قال نحن متعبدون
بشرائع من قبلنا فسره على العموم **فان قلت** ما المراد بالفرقان **قلت** جنس الكتب
السماوية لان كلها فرقان يفرق بين الحق والباطل ۞ او الكتب التي ذكرها كأنه قال بعد ذكر الكتب
الثلاثة وانزل ما يفرق به بين الحق والباطل من كتبه او من هذه الكتب ۞ او اراد الكتاب الرابع
وهو الزبور كما قال وآتينا داود زبورا وهو ظاهر ۞ او كرر ذكر القرآن بما هو نعت له ومدح
من كونه فارقا بين الحق والباطل بعد ما ذكره باسم الجنس تعظيما لشأنه واظهارا لفضله ۞ بآيات
الله من كتبه المنزلة وغيرها ۞ ذو انتقام له انتقام شديد لا يقدر على مثله منتقم ۞ ان الله لا يخفى
عليه شيء في الارض ولا في السماء هو الذي يصوركم في الارحام كيف يشاء لا اله الا هو العزيز
الحكيم ۞ لا يخفى عليه شيء في العالم فعبر عنه بالسماء والارض فهو مطلع على كفر من كفر وايمان
من آمن وهو مجازيهم عليه كيف يشاء من الصور المختلفة المتفاوتة **وقرأ** طاوس تصوركم
اي صوركم لنفسه ولتعبده كقولك اثلت مالا اذا جعلته اثلة اي اصلا وتأثلته اذا اتخذته لنفسك
وعن سعيد بن جبير هذا حجاج على من زعم ان عيسى كان ربا كأنه نبه بكونه مصورا في الرحم على انه

عبد كغيره وكان لا يخفى عليه ما لا يخفى على الله هو الذي انزل عليك الكتاب منه آيات محكمات هن ام
الكتاب واخر متشابهات فاما الذين في قلوبهم زيغ فيتبعون ما تشابه منه ابتغاء الفتنة
وابتغاء تاويله وما يعلم تاويله الا الله والراسخون في العلم يقولون آمنا به كل من عند ربنا
وما يذكر الا اولوا الالباب ٭ محكمات احكمت عبارتها بان حفظت من الاحتمال والاشتباه ٭ متشابهات
محتملات ٭ هن ام الكتاب اى اصل الكتاب تحمل المتشابهات عليها وترد اليها ٭ ومثال ذلك لا تدركه
الابصار الى ربها ناظرة لا يامر بالفحشاء امرنا مترفيها **فان قلت** هلا كان القرآن كله
محكما **قلت** لو كان كله محكما لتعلق الناس به لسهولة ماخذه ولاعرضوا عما يحتاجون فيه الى الفحص
والتامل من النظر والاستدلال ولو فعلوا ذلك لعطلوا الطريق الذي لا يتوصل الى معرفة الله وتوحيده
الا به ٭ ولما في المتشابه من الابتلاء والتمييز بين الثابت على الحق والمتزلزل فيه ٭ ولما في تقادح العلماء
واتعابهم القرائح في استخراج معانيه ورده الى المحكم من الفوائد الجليلة والعلوم الجمة ونيل الدرجات
عند الله ولان المومن المعتقد ان لا مناقضة في كلام الله ولا اختلاف اذا راى فيه ما يتناقض في
ظاهره واهمه طلب ما يوفق بينه ويجريه على سنن واحد ففكر وراجع نفسه وغيره ففتح الله عليه وتبين
مطابقة المتشابه المحكم ازداد طمانينة الى معتقده وقوة في ايقانه ٭ الذين في قلوبهم زيغ هم اهل
البدع ٭ فيتبعون ما تشابه منه فيتعلقون بالمتشابه الذي يحتمل ما يذهب اليه مما لا يطابق المحكم
ويحتمل ما يطابقه من قول اهل الحق ٭ ابتغاء الفتنة طلب ان يفتنوا الناس عن دينهم ويضلوهم ٭ وابتغاء
تاويله وطلب ان يأولوه التاويل الذي يشتهونه ٭ وما يعلم تاويله الا الله والراسخون في العلم ٭
اى لا يهتدي الى تاويله الحق الذي يجب ان يحمل عليه الا الله وعباده الذين رسخوا في العلم اى ثبتوا فيه
وتمكنوا وعضوا فيه بضرس قاطع ٭ ومنهم من يقف على قوله الا الله ويبتدي والراسخون في العلم يقولون
ويفسرون المتشابه بما استاثر الله بعلمه وبمعرفة الحكمة فيه من آياته كعدد الزبانية ونحوه والاول
هو الوجه ويقولون كلام مستانف موضح لحال الراسخين بمعنى هولاء العالمون بالتاويل يقولون
آمنا به اى بالمتشابه ٭ كل من عند ربنا اى كل واحد منه ومن المحكم من عنده ٭ او بالكتاب كل من متشابهه
ومحكمه من عند الله الحكيم الذي لا يتناقض كلامه ولا يختلف كتابه ٭ وما يذكر الا اولوا الالباب
مدح للراسخين بالقاء الذهن وحسن التامل ويجوز ان يكون يقولون حالا من الراسخين **وقرا**
عبد الله ان تاويله الا عند الله ٭ وقرا ابي ويقول الراسخون ٭ ربنا لا تزغ قلوبنا بعد اذ هديتنا
وهب لنا من لدنك رحمة انك انت الوهاب ٭ لا تزغ قلوبنا لا تبلنا ببلايا تزيغ فيها قلوبنا
بعد اذ هديتنا وارشدتنا لدينك او لا تمنعنا الطافك بعد اذ لطفت بنا ٭ من لدنك رحمة من
عندك نعمة بالتوفيق والمعونة **وقرئ** لا تزغ قلوبنا بالتاء والياء ورفع القلوب ٭ ربنا
انك جامع الناس ليوم لا ريب فيه ان الله لا يخلف الميعاد ٭ جامع الناس ليوم اى لجمعهم لحساب
يوم او لجزاء يوم **كقوله** تعالى يوم يجمعكم ليوم الجمع ٭ وقرئ جامع الناس على الاصل ان الله لا يخلف
الميعاد ٭ معناه ان الالهية تنافي خلف الميعاد كقولك ان الجواد لا يخيب سائله ٭ والميعاد الموعد
ان الذين كفروا لن تغني عنهم اموالهم ولا اولادهم من الله شيئا واولئك هم وقود النار ٭ قرا علي
رضي الله عنه لن يغني بسكون الياء جدا من استثقال الحركة على حروف اللين ٭ من في قوله من الله
مثله في قوله تعالى ان الظن لا يغني من الحق شيئا ٭ والمعنى لن تغني عنهم من رحمة الله او من طاعة الله شيئا

اى

اى بدل رحمته وطاعته وبدل الحق ومنه ولا ينفع ذا الجد منك الجد اى لا ينفعه جده وحظه من الدنيا
بدلك اى بدل طاعتك وعبادتك وما عندك وفي معناه قوله عز وجل وما اموالكم ولا اولادكم
بالتي تقربكم عندنا زلفى **وقرئ** وقود بالضم بمعنى اهل وقودها ٭ والمراد بالذين كفروا من
كفر برسول الله عليه السلام ٭ وعن ابن عباس هم قريظة والنضير ٭ كداب آل فرعون والذين
من قبلهم كذبوا بآياتنا فاخذهم الله بذنوبهم والله شديد العقاب ٭ الداب مصدر داب
في العمل اذا كدح فيه فوضع موضع ما عليه الانسان من شانه وحاله ٭ والكاف مرفوع المحل تقديره
داب هولاء الكفرة كداب من قبلهم من آل فرعون وغيرهم ٭ ويجوز ان ينتصب محل الكاف بلن تغني ٭
او بالوقود اى لن تغني عنهم مثل ما لم تغن عن اولئك ٭ او توقد بهم النار كما توقد بهم تقول انك لتظلم
الناس كداب ابيك تريد كظلم ابيك ومثل ما كان يظلمهم ٭ وان فلانا لمحارف كداب ابيه تريد كما حورف
ابوه ٭ كذبوا بآياتنا تفسير لدابهم مما فعلوا وفعل بهم على انه جواب سوال مقدر عن حالهم قل للذين
كفروا ستغلبون وتحشرون الى جهنم وبئس المهاد ٭ قل للذين كفروا هم مشركوا مكة ستغلبون
يعني يوم بدر ٭ وقيل هم اليهود لما غلب رسول الله صلى الله عليه وسلم يوم بدر قالوا هذا والله
النبي الامي الذي بشرنا به موسى وهموا باتباعه فقال بعضهم لا تعجلوا حتى تنظروا الى وقعة اخرى
فلما كان يوم احد شكوا ٭ وقيل جمعهم رسول الله عليه السلام بعد وقعة بدر في سوق بني قينقاع
فقال يا معشر اليهود احذروا ما نزل بقريش واسلموا قبل ان ينزل بكم ما نزل بهم فقد عرفتم اني
نبي مرسل فقالوا لا يغرنك انك لقيت قوما اغمارا لا علم لهم بالحرب فاصبت منهم فرصة لئن قاتلتنا
لعلمت انا نحن الناس فنزلت **وقرئ** سيغلبون ويحشرون بالياء ٭ كقوله تعالى قل للذين كفروا
ان ينتهوا يغفر لهم ما قد سلف ٭ على قل لهم قولي لك سيغلبون **فان قلت** اي فرق بين القراءتين
من حيث المعنى **قلت** معنى القراءة بالتاء الامر بان يخبرهم بما سيجري عليهم من الغلبة والحشر
الى جهنم فهو اخبار بمعنى ستغلبون وتحشرون وهو الكائن من نفس المتوعد به والذي يدل عليه
اللفظ ٭ ومعنى القراءة بالياء الامر بان يحكي لهم ما اخبره به من وعيدهم بلفظه كانه قال اد اليهم
هذا القول الذي هو قولي لك سيغلبون ويحشرون قد كان لكم آية في فئتين التقتا فئة تقاتل
في سبيل الله واخرى كافرة يرونهم مثليهم راي العين والله يؤيد بنصره من يشاء ان في ذلك
لعبرة لاولي الابصار ٭ قد كان لكم آية الخطاب لمشركي قريش ٭ في فئتين التقتا يوم بدر يرونهم
مثليهم ٭ يرى المشركون المسلمين مثلي عدد المشركين قريبا من الفين او مثلي عدد المسلمين ستماية وستا
وعشرين اراهم الله اياهم مع قلتهم اضعافهم ليهابوهم ويجبنوا عن قتالهم وكان ذلك مددا لهم من
الله كما امدهم بالملائكة ٭ والدليل عليه قراءة نافع ترونهم بالتاء اى ترون يا مشركي قريش المسلمين
مثلي فئتكم الكافرة او مثلي انفسهم **فان قلت** فهذا مناقض لقوله في سورة الانفال ويقللكم في اعينهم
قلت قللوا اولا في اعينهم حتى اجترؤا عليهم ٭ فلما لاقوهم كثروا في اعينهم
حتى غلبوا فكان التقليل والتكثير في حالين مختلفين ٭ ونظيره من المحمول على اختلاف الاحوال
قوله فيومئذ لا يسال عن ذنبه انس ولا جان ٭ وقوله وقفوهم انهم مسئولون ٭ وتقليلهم تارة وتكثيرهم
اخرى في اعينهم ابلغ في القدرة واظهار الآية ٭ وقيل يرى المسلمون المشركين مثلي المسلمين على ما
قرر عليه امرهم من مقاومة الواحد الاثنين في قوله ان يكن منكم ماية صابرة يغلبوا مايتين بعد

مما كلفوا أن يقاوم الواحد العشرة في قوله إن يكن منكم عشرون صابرون يغلبوا مائتين وكذلك وصفه
ضعفهم بالقلة لأنه قليل بالإضافة إلى عشرة الأضعاف وكان الكافرون ثلاثة أمثالهم وقراءة نافع
لا تساعد عليه وقرأ ابن مصرف يرونهم على البناء للمفعول بالياء والتاء أي يريهم الله تعالى ذلك بقدرته
وقرئ فئة تقاتل وأخرى كافرة بالجر على البدل من فئتين وبالنصب على الاختصاص أو على الحال من
الضمير في التقتا رأي العين يعني رؤية ظاهرة مكشوفة لا لبس فيها معاينة كسائر المعاينات والله
يؤيد بنصره كما أيد أهل بدر بتكثيرهم في عين العدو زين للناس حب الشهوات من النساء والبنين
والقناطير المقنطرة من الذهب والفضة والخيل المسومة والأنعام والحرث ذلك متاع
الحيوة الدنيا والله عنده حسن المآب زين للناس المزين الله سبحانه وتعالى للابتلاء كما في
قوله إنا جعلنا ما على الأرض زينة لها ويدل عليه قراءة مجاهد زين للناس على تسمية الفاعل وعن
الحسن الشيطان والله زينها لهم لأنا لا نعلم أحدا أذم لها من خالقها حب الشهوات جعل الأعيان التي
ذكرها شهوات مبالغة في كونها مشتهاة محروصا على الاستمتاع بها والوجه أن يقصد تخسيسها
فيسميها شهوات لأن الشهوة مسترذلة عند الحكماء مذموم من اتبعها شاهد على نفسه بالبهيمية وقال
زين للناس حب الشهوات ثم جاء بالتفسير ليقرر أولا في النفوس أن المزين لهم حبه ما هو إلا شهوات لا
غير ثم يفسره بهذه الأجناس فيكون أقوى لتخسيسها وأدل على ذم من يستعظمها ويتهالك عليها ويرجح
طلبها على طلب ما عند الله والقنطار المال الكثير قيل ملء مسك ثور وعن سعيد بن جبير مائة ألف
دينار ولقد جاء الإسلام يوم جاء وبمكة مائة رجل قد قنطروا والمقنطرة مبنية من لفظ القنطار للتوكيد
كقولهم ألف مؤلفة وبدرة مبدرة والمسومة المعلمة من السومة وهي العلامة أو المطهمة أو
المرعية من أسام الدابة وسومها والأنعام الأزواج الثمانية ذلك المذكور متاع الحيوة قل أؤنبئكم
بخير من ذلكم للذين اتقوا عند ربهم جنات تجري من تحتها الأنهار خالدين فيها وأزواج مطهرة
ورضوان من الله والله بصير بالعباد للذين اتقوا عند ربهم جنات كلام مستأنف فيه دلالة
على بيان ما هو خير من ذلكم كما تقول هل أدلكم على رجل عالم عندي رجل عالم من صفته كيت وكيت ويجوز أن
يتعلق اللام بخير واختص المتقين لأنهم هم المنتفعون به وترتفع جنات على هو جنات وتنصره قراءة من
قرأ جنات بالجر على البدل من خير والله بصير بالعباد يثيب ويعاقب على الاستحقاق أو بصير بالذين
اتقوا وبأحوالهم فلذلك أعد لهم الجنات الذين يقولون ربنا إننا آمنا فاغفر لنا ذنوبنا وقنا
عذاب النار الصابرين والصادقين والقانتين والمنفقين والمستغفرين بالأسحار الذين
يقولون نصب على المدح أو رفع ويجوز الجر صفة للمتقين أو للعباد والواو المتوسطة بين الصفات
للدلالة على كمالهم في كل واحدة منها وقد مر الكلام في ذلك وخص الأسحار لأنهم كانوا يقدمون قيام
الليل فيحسن طلب الحاجة بعده إليه يصعد الكلم الطيب والعمل الصالح يرفعه وعن الحسن
كانوا يصلون في أول الليل حتى إذا كان السحر أخذوا في الدعاء والاستغفار هذا نهارهم وهذا ليلهم
شهد الله أنه لا إله إلا هو والملائكة وأولو العلم قائما بالقسط لا إله إلا هو العزيز الحكيم
إن الدين عند الله الإسلام وما اختلف الذين أوتوا الكتاب إلا من بعد ما جاءهم العلم بغيا
بينهم ومن يكفر بآيات الله فإن الله سريع الحساب شبهت دلالته على وحدانيته بأفعاله الخاصة
التي لا يقدر عليها غيره وبما أوحى من آياته الناطقة بالتوحيد كسورة الإخلاص وآية الكرسي

وغيرهما بشهادة الشاهد في البيان والكشف وكذلك إقرار الملائكة وأولي العلم بذلك واحتجاجهم
عليه قائما بالقسط مقيما للعدل فيما يقسم من الأرزاق والآجال ويثيب ويعاقب وما يأمر به عباده
من إنصاف بعضهم لبعض والعمل على السوية فيما بينهم وانتصابه على أنه حال مؤكدة منه كقوله وهو
الحق مصدقا فإن قلت لم جاز إفراده بنصب الحال دون المعطوفين عليه ولو قلت جاءني
زيد وعمرو راكبا لم يجز قلت إنما جاز هذا لعدم الإلباس كما جاز في قوله تعالى ووهبنا له
إسحق ويعقوب نافلة إن انتصب نافلة حالا عن يعقوب ولو قلت جاءني زيد وهند راكبا جاز لتميزه
بالذكورة فإن قلت أليس من حق المنتصب على المدح أن يكون معرفة كقولك الحمد لله الحميد
إنا معشر الأنبياء لا نورث إنا بني نهشل لا ندعي لأب قلت قد جاء نكرة كما جاء معرفة وأنشد
سيبويه فيما جاء نكرة قول الهذلي ويأوي إلى نسوة عطل وشعثا مراضيع مثل السعالي فإن
قلت هل يجوز أن يكون صفة للمنفي كأنه قيل لا إله قائما بالقسط إلا هو قلت لا يبعد
فقد رأيناهم يتسعون في الفصل بين الصفة والموصوف فإن قلت قد جعلته حالا من فاعل شهد
فهل يصح أن ينتصب حالا عن هو في لا إله إلا هو قلت نعم لأنها حال مؤكدة والحال المؤكدة لا تستدعي
أن يكون في الجملة التي هي زيادة في فائدتها عامل فيها كقولك أنا عبد الله شجاعا وكذلك لو قلت لا
رجل إلا عبد الله شجاعا وهو أوجه من انتصابه عن فاعل شهد وكذلك انتصابه على المدح فإن قلت
هل دخل قيامه بالقسط في حكم شهادة الله والملائكة وأولي العلم كما دخلت الوحدانية قلت
نعم إذا جعلته حالا من هو أو نصبا على المدح منه أو صفة للمنفي كأنه قيل شهد الله والملائكة وأولو
العلم أنه لا إله إلا هو وأنه قائم بالقسط وقرأ عبد الله القائم بالقسط على أنه بدل من هو أو خبر
مبتدأ محذوف وقرأ أبو حنيفة رحمة الله عليه قيما بالقسط العزيز الحكيم صفتان مقررتان لما
وصف به ذاته من الوحدانية والعدل يعني أنه العزيز الذي لا يغالبه إله آخر الحكيم الذي لا
يعدل عن العدل في أفعاله فإن قلت ما المراد بأولي العلم الذي عظمهم هذا التعظيم حيث جمعهم
معه ومع الملائكة في الشهادة على وحدانيته وعدله قلت هم الذين يثبتون وحدانيته وعدله
بالحجج الساطعة والبراهين القاطعة وهم علماء العدل والتوحيد وقرئ أنه بالفتح وإن الدين
بالكسر على أن الفعل واقع على أنه بمعنى شهد الله على أنه أو بأنه وقوله إن الدين عند الله الإسلام
جملة مستأنفة مؤكدة للجملة الأولى فإن قلت ما فائدة هذا التوكيد قلت فائدته
أن قوله لا إله إلا هو توحيد وقوله قائما بالقسط تعديل فإذا أردفه قوله إن الدين عند الله
الإسلام فقد آذن أن الإسلام هو العدل والتوحيد وهو الدين عند الله وما عداه فليس عنده
في شيء من الدين وفيه أن من ذهب إلى التشبيه أو ما يؤدي إليه كإجازة الرؤية أو ذهب إلى الجبر الذي
هو محض الجور لم يكن على دين الله الذي هو الإسلام وهذا بين جلي كما ترى وقرئا مفتوحين على أن
الثاني بدل من الأول كأنه قيل شهد الله أن الدين عند الله الإسلام والبدل هو المبدل منه في
المعنى فكان بيانا صريحا لأن دين الله هو التوحيد والعدل وقرئ الأول بالكسر والثاني
بالفتح على أن الفعل واقع على أن وما بينهما اعتراض مؤكد وهذا أيضا شاهد على أن دين الإسلام هو
التوحيد والعدل فترى القراءات كلها متعاضدة على ذلك وقرأ عبد الله أن لا إله إلا هو وقرأ
أبي إن الدين عند الله للإسلام وهي مقوية لقراءة من فتح الأولى وكسر الثانية وقرئ شهداء لله

بالنصب على انه حال من المذكورين قبله • وبالرفع على هو شهد الله **فان قلت** لم لا يعطف على هذه القراءة والملائكة واولوا العلم **قلت** على الضمير في شهدا وجاز لوقوع الفاصل بينهما **فان قلت** لم كرر قوله لا اله الا هو **قلت** ذكره اولا للدلالة على اختصاصه بالوحدانية وانه لا اله الا تلك الذات المتميزة ثم ذكره ثانيا بعد ما قرن باثبات الوحدانية اثبات العدل للدلالة على اختصاصه بالامرين كانه قال لا اله الا هذا الموصوف بالصفتين ولذلك قرن به قوله العزيز الحكيم لتضمنهما معنى الوحدانية والعدل • الذين اوتوا الكتاب من اليهود والنصارى • واختلافهم انهم تركوا الاسلام وهو التوحيد والعدل • من بعد ما جاءهم العلم انه الحق الذي لا محيد عنه فثلثت النصارى وقالت اليهود عزير ابن الله وقالوا كنا احق بان تكون النبوة فينا من قريش لانهم اميون ونحن اهل كتاب • وهذا جحود لله بغيا بينهم اي ما كان ذلك الاختلاف وتظاهر هؤلاء بمذهب وهؤلاء بمذهب الا حسدا بينهم وطلبا منهم للرياسة وحظوظ الدنيا واستتباع كل فريق ناسا يطؤن اعقابهم لا شبهة في الاسلام • وقيل هو اختلافهم في نبوة محمد عليه السلام حيث آمن به بعض وكفر بعض • وقيل هو اختلافهم في الايمان بالانبياء فمنهم من آمن بموسى ومنهم من آمن بعيسى • وقيل هم اليهود واختلافهم ان موسى عليه السلام حين احتضر استودع التورية سبعين حبرا من بني اسرائيل وجعلهم امناء عليها واستخلف يوشع عليه السلام فلما مضى قرن بعد قرن اختلف ابناء السبعين بعد ما جاءهم علم التورية بغيا بينهم وتحاسدا على حظوظ الدنيا والرياسة • وقيل هم النصارى واختلافهم في امر عيسى بعد ما جاءهم العلم انه عبد الله ورسوله فان حاجوك فقل اسلمت وجهي لله ومن اتبعن وقل للذين اوتوا الكتاب والاميين ااسلمتم فان اسلموا فقد اهتدوا وان تولوا فانما عليك البلاغ والله بصير بالعباد • فان حاجوك فان جادلوك في الدين فقل اسلمت وجهي لله اي اخلصت نفسي وجملتي لله وحده لم اجعل فيها لغيره شركا بان اعبده وادعوه الها معه يعني ان ديني دين التوحيد وهو الدين القديم الذي ثبتت عندكم صحته كما ثبتت عندي وما جئت بشيء بديع حتى تجادلوني فيه ونحوه قل يا اهل الكتاب تعالوا الى كلمة سواء بيننا وبينكم الا نعبد الا الله ولا نشرك به شيئا فهو دفع للمحاجة بان ما هو عليه ومن هو معه من المؤمنين هو حق اليقين الذي لا لبس فيه فما معنى المحاجة فيه • ومن اتبعن عطف على التاء في اسلمت وحسن للفاصل ويجوز ان تكون الواو بمعنى مع فيكون مفعولا معه • وقل للذين اوتوا الكتاب من اليهود والنصارى والاميين والذين لا كتاب لهم من مشركي العرب • ااسلمتم يعني انه قد اتاكم من البينات ما يوجب الاسلام ويقتضي حصوله لا محالة فهل اسلمتم ام انتم بعد على كفركم وهذا كقولك لمن لخصت له المسألة ولم تبق من طرق الكشف والبيان طريقا الا سلكته فهل فهمتها لا ام لك • ومنه قوله عز وعلا فهل انتم منتهون بعد ما ذكر الصوارف عن الخمر والميسر وفي هذا الاستفهام استقصار وتعيير بالمعاندة وقلة الانصاف لان المنصف اذا تجلت له الحجة لم يتوقف اذعانه للحق وللمعاند بعد تجلي الحجة ما يضرب اسدادا بينه وبين الاذعان وكذلك في هل فهمتها توبيخ بالبلادة وكلة القريحة • وفي فهل انتم منتهون بالتقاعد عن الانتهاء والحرص الشديد على تعاطي المنهي عنه • فان اسلموا فقد اهتدوا فقد نفعوا انفسهم حيث خرجوا من الضلال الى الهدى ومن الظلمة الى النور • وان تولوا لم يضروك فانك رسول منبه ما عليك الا ان تبلغ الرسالة وتنبه على طريق الهدى • ان الذين يكفرون بآيات الله ويقتلون النبيين بغير حق ويأمرون بالقسط من الناس فبشرهم بعذاب اليم • اولئك الذين حبطت اعمالهم في الدنيا

والاخرة وما لهم من ناصرين • قرأ الحسن يقتلون **وقرأ** حمزة ويقاتلون الذين يأمرون وقرأ عبد الله وقاتلوا • وقرأ ابي رضي الله عنه يقتلون النبيين والذين يأمرون وهم اهل الكتاب قتلوا اولوهم الانبياء وقتلوا اتباعهم وهم راضون بما فعلوا وكانوا حول قتل النبي عليه السلام والمؤمنين لولا عصمة الله • وعن ابي عبيدة بن الجراح قلت يا رسول الله اي الناس اشد عذابا يوم القيامة قال رجل قتل نبيا او رجلا امر بمعروف ونهى عن منكر ثم قرأها ثم قال يا ابا عبيدة قتلت بنو اسرائيل ثلاثة واربعين نبيا من اول النهار في ساعة واحدة فقام مائة واثنا عشر رجلا فامروا قتلتهم بالمعروف ونهوهم عن المنكر فقتلوا جميعا من اخر النهار • في الدنيا والاخرة لان لهم اللعنة والخزي في الدنيا والعذاب في الاخرة **فان قلت** لم دخلت الفاء في خبران **قلت** لتضمن اسمها معنى الجزاء كانه قيل الذين كفروا فبشرهم بمعنى من يكفر فبشرهم وان لا تغير معنى الابتداء فكان دخولها كلا دخول ولو كان مكانها ليت او لعل لامتنع ادخال الفاء لتغير معنى الابتداء • الم تر الى الذين اوتوا نصيبا من الكتاب يدعون الى كتاب الله ليحكم بينهم ثم يتولى فريق منهم وهم معرضون • اوتوا نصيبا من الكتاب يريد احبار اليهود وانهم حصلوا نصيبا وافرا من التورية ومن اما للتبعيض واما للبيان وحصلوا من جنس الكتب المنزلة • او من اللوح التورية وهي نصيب عظيم يدعون الى كتاب الله وهو التورية ليحكم بينهم وذلك ان رسول الله صلى الله عليه وسلم دخل مدارسهم فدعاهم فقال له نعيم بن عمرو والحرث بن زيد على اي دين انت قال على ملة ابراهيم قالا ان ابراهيم كان يهوديا قال لهما ان بيننا وبينكم التورية فهلموا اليها فابيا فنزلت • وقيل نزلت في الرجم وقد اختلفوا فيه **وعن** الحسن وقتادة كتاب الله القرآن لانهم قد علموا انه كتاب الله لم يشكوا فيه • ثم يتولى فريق منهم استبعاد لتوليهم بعد علمهم بان الرجوع الى كتاب الله واجب • وهم معرضون وهم قوم لا يزال الاعراض ديدنهم **وقرئ** ليحكم على البناء للمفعول • والوجه ان يراد ما وقع من الاختلاف والتعادي بين من اسلم من احبارهم وبين من لم يسلم وانهم دعوا الى كتاب الله الذي لا اختلاف بينهم في صحته وهو التورية ليحكم بين المحق والمبطل منهم • ثم يتولى فريق منهم وهم الذين لم يسلموا وذلك ان قوله ليحكم بينهم يقتضي ان يكون اختلافا واقعا فيما بينهم لا فيما بينهم وبين رسول الله عليه السلام • ذلك بانهم قالوا لن تمسنا النار الا اياما معدودات وغرهم في دينهم ما كانوا يفترون • ذلك التولي والاعراض بسبب تسهيلهم على انفسهم امر العقاب وطمعهم في الخروج من النار بعد ايام قلائل كما طمعت المجبرة والحشوية • وغرهم في دينهم ما كانوا يفترون من ان آباءهم الانبياء يشفعون لهم كما غرت اولئك شفاعة رسول الله عليه السلام في كبائرهم فكيف اذا جمعناهم ليوم لا ريب فيه ووفيت كل نفس ما كسبت وهم لا يظلمون • فكيف اذا جمعناهم فكيف يصنعون فكيف تكون حالهم وهو استعظام لما اعد لهم وتهويل لهم وانهم يقعون فيما لا حيلة في دفعه والتخلص منه وان ما حدثوا به انفسهم وسهلوه عليها تعلل بباطل وتطمع بما لا يكون **وروي** ان اول راية ترفع لاهل الموقف من رايات الكفار راية اليهود فيفضحهم الله على رؤس الاشهاد ثم يامر بهم الى النار • وهم لا يظلمون يرجع الى كل نفس على المعنى لانه في معنى كل الناس كما تقول ثلاثة انفس تريد ثلاثة اناسي • قل اللهم مالك الملك تؤتي الملك من تشاء وتنزع الملك ممن تشاء وتعز من تشاء وتذل من تشاء بيدك الخير انك على كل شيء قدير • تولج الليل في النهار وتولج

النهار في الليل وتخرج الحي من الميت وتخرج الميت من الحي وترزق من تشاء بغير حساب • الميم في اللهم
عوض من يا ولذلك لا يجتمعان وهذا بعض خصائص هذا الاسم كما اختص بالتاء في القسم وبدخول حرف الندا
عليه وفيه لام التعريف وبقطع همزته في يا الله وبغير ذلك • مالك الملك اي تملك جنس الملك فتتصرف
فيه تصرف الملاك فيما يملكون • تؤتي الملك من تشاء تعطي من تشاء النصيب الذي قسمت له واقتضته
حكمتك من الملك • وتنزع ممن تشاء النصيب الذي اعطيته منه فالملك الاول عام شامل والملكان
الاخران خاصان بعضان من الكل **وروي** ان رسول الله صلى الله عليه وسلم حين افتتح مكة وعد
امته ملك فارس والروم فقال المنافقون واليهود هيهات هيهات من اين لمحمد ملك فارس والروم
هم اعز وامنع من ذلك **وروي** ان رسول الله صلى الله عليه وسلم لما خط الخندق عام الاحزاب
وقطع لكل عشرة اربعين ذراعا واخذوا يحفرون خرج من بطن الخندق صخرة كالتل العظيم لم تعمل فيها
المعاول فوجهوا سلمان رضي الله عنه الى رسول الله صلى الله عليه وسلم يخبره فاخذ المعول من سلمان
فضربها ضربة صدعها وبرق منها برق اضاء ما بين لابتيها لكأن مصباحا في جوف بيت مظلم وكبر وكبر
المسلمون وقال اضاءت لي منها قصور الحيرة كانها انياب الكلاب • ثم ضرب الثانية فقال اضاءت لي
منها القصور الحمر من ارض الروم • ثم ضرب الثالثة فقال اضاءت لي منها قصور صنعاء واخبرني جبريل
ان امتي ظاهرة على كلها فابشروا • فقال المنافقون الا تعجبون يمنيكم ويعدكم الباطل ويخبركم انه
يبصر من يثرب قصور الحيرة ومدائن كسرى وانها تفتح لكم وانتم انما تحفرون الخندق من الفرق لا تستطيعون
ان تبرزوا فنزلت **فان قلت** كيف قال بيدك الخير فذكر الخير دون الشر **قلت** لان
الكلام انما وقع في الخير الذي يسوقه الى المؤمنين وهو الذي انكرته الكفرة فقال بيدك الخير تؤتيه
اولياءك على رغم من اعدائك • ولان كل افعال الله من نافع وضار صادر عن الحكمة والمصلحة فهو خير كله
كايتاء الملك ونزعه • ثم ذكر قدرته الباهرة بذكر حال الليل والنهار في المعاقبة بينهما وحال الحي والميت
في اخراج احدهما من الاخر وعطف عليه رزقه بغير حساب دلالة على ان من قدر على تلك الافعال
العظيمة المحيرة للافهام ثم قدر ان يرزق بغير حساب من يشاء من عباده فهو قادر على ان ينزع الملك من العجم ويذلهم
ويؤتيه العرب ويعزهم **وفي** بعض الكتب انا الله ملك الملوك قلوب الملوك ونواصيهم بيدي فان
العباد اطاعوني جعلتهم عليهم رحمة وان العباد عصوني جعلتهم عليهم عقوبة فلا تشتغلوا بسب الملوك
ولكن توبوا الي اعطفهم عليكم وهو معنى قول رسول الله صلى الله عليه وسلم كما تكونون يولى عليكم
لا يتخذ المؤمنون الكافرين اولياء من دون المؤمنين ومن يفعل ذلك فليس من الله في شيء الا ان تتقوا
منهم تقاة ويحذركم الله نفسه والى الله المصير • نهوا ان يوالوا الكافرين لقرابة بينهم او صداقة
قبل الاسلام او غير ذلك من الاسباب التي يتصادق بها ويتعاشر وقد كرر ذلك في القرآن • ومن
يتولهم منكم فانه منهم • لا تتخذوا اليهود والنصارى اولياء • لا تجد قوما يؤمنون بالله الاية • والمحبة في الله
والبغض في الله باب عظيم واصل من اصول الايمان من دون المؤمنين يعني ان لكم في موالاة المؤمنين
مندوحة عن موالاة الكافرين فلا تؤثروهم عليهم • ومن يفعل ذلك فليس من الله في شيء • ومن يوال
الكفرة فليس من ولاية الله في شيء يقع عليه اسم الولاية يعني انه منسلخ من ولاية الله رأسا وهذا امر
معقول فان موالاة الولي وموالاة عدوه متنافيان **قال**
• تود عدوي ثم تزعم انني • صديقك ليس النوك عنك بعازب •

الا ان تتقوا منهم تقاة

الا ان تخافوا من جهتهم امرا يجب اتقاؤه • وقرئ تقية قيل للمتقي تقاة وتقية كقولهم ضرب الامير لمضروبه
رخص لهم في موالاتهم اذا خافوهم والمراد بتلك الموالاة مخالقة ومعاشرة ظاهرة والقلب مطمئن
بالعداوة والبغضاء وانتظار زوال المانع من قشر العصا كقول عيسى عليه السلام كن وسطا وامش جانبا
ويحذركم الله نفسه فلا تتعرضوا لسخطه بموالاة اعدائه وهذا وعيد شديد • ويجوز ان يضمن تتقوا
معنى تحذروا وتخافوا فيعدى بمن وينتصب تقاة او تقية على المصدر **كقوله** اتقوا الله حق تقاته
قل ان تخفوا ما في صدوركم او تبدوه يعلمه الله ويعلم ما في السموات وما في الارض والله على كل
شيء قدير • قل ان تخفوا ما في صدوركم او تبدوه من ولاية الكفار او غيرها مما لا يرضي الله يعلمه ولم يخف
عليه وهو الذي يعلم ما في السموات وما في الارض لا يخفى عليه منه شيء قط فلا يخفى عليه سركم وعلنكم
والله على كل شيء قدير فهو قادر على عقوبتكم وهذا بيان لقوله ويحذركم الله نفسه وهي ذاته المتميزة
من سائر الذوات متصفة بعلم ذاتي لا يختص بمعلوم دون معلوم فهي متعلقة بالمعلومات كلها وبقدرة
ذاتية لا تختص بمقدور دون مقدور فهي قادرة على المقدورات كلها فكان حقها ان تحذر وتتقى فلا
يجسر احد على قبيح ولا يقصر عن واجب فان ذلك مطلع عليه لا محالة فلاحق به العقاب • ولو علم بعض
عبيد السلطان انه اراد الاطلاع على احواله فوكل همه بما يورد ويصدر ونصب عليه عيونا وبث من
يتجسس عن بواطن اموره لاخذ حذره وتيقظ في امره واتقى كل ما يتوقع فيه الاسترابة به فما بال من علم
ان العالم الذات الذي يعلم السر واخفى مهيمن عليه وهو آمن • اللهم انا نعوذ بك من اغترارنا بسترك
يوم تجد كل نفس ما عملت من خير محضرا وما عملت من سوء تود لو ان بينها وبينه امدا بعيدا
ويحذركم الله نفسه والله رؤف بالعباد • يوم تجد منصوب بتود والضمير في بينه لليوم اي
يوم القيامة حين تجد كل نفس خيرها وشرها حاضرين تتمنى لو ان بينها وبين ذلك اليوم وهوله
امدا بعيدا • ويجوز ان ينتصب يوم تجد بمضمر نحو اذكر ويقع على ما عملت وحده ويرتفع وما عملت على
الابتداء وتود خبره اي والذي عملته من سوء تود هي لو تباعد ما بينها وبينه • ولا يصح ان تكون
ما شرطية لارتفاع تود **فان قلت** فهل يصح ان تكون شرطية على قراءة عبد الله ودت **قلت**
لا كلام في صحته ولكن الحمل على الابتداء والخبر اوقع في المعنى لانه حكاية الكائن في ذلك اليوم واثبت
لموافقة قراءة العامة • ويجوز ان يعطف وما عملت على ما عملت ويكون تود حالا اي يوم تجد عملها
محضرا وادة تباعد ما بينها وبين اليوم او عمل السوء • محضرا كقوله عز وجل ووجدوا ما عملوا حاضرا
يعني يكتوبا في صحفهم يقرؤونه ونحوه فينبئهم بما عملوا احصاه الله ونسوه • والامد المسافة
كقوله تعالى يا ليت بيني وبينك بعد المشرقين • وكرر قوله ويحذركم الله نفسه ليكون على بال
منهم لا يغفلون عنه • والله رؤف بالعباد يعني ان تحذيره نفسه وتعريفه حالها من العلم والقدرة
من الرأفة العظيمة بالعباد لانهم اذا عرفوه حق المعرفة وحذروه دعاهم ذلك الى طلب رضاه واجتناب
سخطه **وعن** الحسن من رأفته بهم ان حذرهم نفسه • ويجوز ان يريد انه مع كونه محذورا لعلمه
وقدرته مرجو لسعة رحمته **كقوله** تعالى ان ربك لذو مغفرة وذو عقاب اليم قل ان كنتم تحبون
الله فاتبعوني يحببكم الله ويغفر لكم ذنوبكم والله غفور رحيم • قل اطيعوا الله والرسول فان
تولوا فان الله لا يحب الكافرين • محبة العباد لله مجاز عن ارادة نفوسهم اختصاصه بالعبادة دون
غيره ورغبتهم فيها ومحبة الله عباده ان يرضى عنهم ويحمد فعلهم والمعنى ان كنتم مريدين لعبادة الله

على الحنيفية فاتبعوني حتى يصح ما تدعونه من إرادة عبادته يرض عنكم ويغفر لكم وعن الحسن زعم أقوام على عهد رسول الله عليه السلام أنهم يحبون الله فأراد أن يجعل لقولهم تصديقا من عمل فمن ادعى محبته وخالف سنة رسوله فهو كذاب وكتاب الله يكذبه وإذا رأيت من يذكر محبة الله ويصفق بيديه مع ذكرها ويطرب وينعر ويصعق فلا تشك في أنه لا يعرف ما الله ولا يدري ما محبة الله وما تصفيقه وطربه وصعقته إلا لأنه تصور في نفسه الخبيثة صورة مستملحة معشقة فسماها الله بجهله ودعارته ثم صفق وطرب ونعر وصعق على تصورها وربما رأيت المني قد ملأ إزار ذلك المحب عند صعقته وحمقى العامة حواليه قد ملأوا أردانهم بالدموع لما رققهم من حاله وترى يحبون د، د يحببكم الله ويحبكم من جنة تحبه قال

احب اباثروان من حب تمره ۝ واعلم ان الرفق بالجار ارفق

ووالله لولا تمره ما حببته ۝ ولا كان ادنى من عبيد ومشرق

فإن تولوا يحتمل أن يكون ماضيا وأن يكون مضارعا بمعنى فإن تتولوا ويدخل في جملة ما يقول الرسول لهم ۝ إن الله اصطفى آدم ونوحا وآل إبراهيم وآل عمران على العالمين ۝ ذرية بعضها من بعض والله سميع عليم ۝ إذ قالت امرأة عمران رب إني نذرت لك ما في بطني محررا فتقبل مني إنك أنت السميع العليم ۝ آل إبراهيم إسمعيل وإسحق وأولادهما ۝ وآل عمران موسى وهرون ابنا عمران بن يصهر ۝ وقيل عيسى ومريم بنت عمران بن ماثان ۝ وبين العمرانين ألف وثمانمائة سنة ۝ وذرية بدل من آل إبراهيم وآل عمران بعضها من بعض يعني أن الآلين ذرية واحدة متسلسلة بعضها متشعب من بعض موسى وهرون من عمران وعمران من يصهر ويصهر من قاهث وقاهث من لاوي ولاوي من يعقوب ۝ ويعقوب من إسحق ۝ وكذلك عيسى بن مريم بنت عمران بن ماثان سليمان بن داود يهوذا بن يعقوب بن إسحق ۝ وقد دخل في آل إبراهيم رسول الله صلى الله عليه وسلم ۝ وقيل بعضها من بعض في الدين كقوله تعالى المنافقون بعضهم من بعض ۝ والله سميع عليم يعلم من يصلح للاصطفاء ۝ أو يعلم أن بعضهم من بعض في الدين ۝ أو سميع عليم لقول امرأة عمران ونيتها ۝ وإذ منصوب به ۝ وقيل بإضمار اذكر ۝ وامرأة عمران هي امرأة عمران بن ماثان أم مريم البتول جدة عيسى عليه السلام ۝ وهي حنة ابنة فاقوذ ۝ وقوله إذ قالت امرأة عمران على أثر قوله وآل عمران مما يرجح أن عمران هو عمران بن ماثان جد عيسى عليه السلام والقول الآخر يرجحه أن موسى يقرن بإبراهيم عليه السلام كثيرا في الذكر فإن قلت كانت لعمران بن يصهر بنت اسمها مريم أكبر من موسى وهرون ۝ ولعمران بن ماثان مريم البتول فما أدراك أن عمران هذا هو أبو مريم البتول دون عمران أبي مريم التي هي أخت موسى وهرون قلت كفى بكفالة زكريا دليلا على أنه عمران أبو البتول لأن زكريا ابن آذن وعمران بن ماثان كانا في عصر واحد وقد تزوج زكريا بنته إيشاع أخت مريم فكان يحيى وعيسى ابني خالة روي أنها كانت عاقرا لم تلد إلى أن عجزت فبينا هي في ظل شجرة بصرت بطائر يطعم فرخا له فتحركت نفسها للولد وتمنته فقالت اللهم إن لك علي نذرا شكرا إن رزقتني ولدا أن أتصدق به على بيت المقدس فيكون من سدنته وخدمه فحملت بمريم وهلك عمران وهي حامل ۝ محررا معتقا لخدمة بيت المقدس لا يد لي عليه ولا أستخدمه ولا أشغله بشيء وكان هذا النوع من النذر مشروعا عندهم روي أنهم كانوا ينذرون هذا النذر فإذا بلغ الغلام خير بين أن يفعل وأن لا يفعل ۝ وعن الشعبي محررا مخلصا للعبادة وما كان التحرير إلا للغلمان وإنما بنت الأمر على التقدير أو طلبت أن ترزق ذكرا فلما وضعتها

قالت رب إني وضعتها أنثى والله أعلم بما وضعت وليس الذكر كالأنثى وإني سميتها مريم وإني أعيذها بك وذريتها من الشيطان الرجيم ۝ فلما وضعتها الضمير لما في بطني وإنما أنث على المعنى لأن ما في بطنها كان أنثى في علم الله تعالى أو على تأويل الحبلة أو النفس أو النسمة فإن قلت كيف جاز انتصاب أنثى حالا من الضمير في وضعتها وهو كقولك وضعت الأنثى أنثى قلت الأصل وضعته أنثى وإنما أنث لتأنيث الحال لأن الحال وذا الحال لشيء واحد كما أنث الاسم في من كانت أمك لتأنيث الخبر ونظيره قوله فإن كانتا اثنتين ۝ وأما على تأويل الحبلة أو النسمة فهو ظاهر كأنه قيل إني وضعت الحبلة أو النسمة أنثى فإن قلت فلم قالت إني وضعتها أنثى وما أرادت إلى هذا القول قلت قالته تحسرا على ما رأت من خيبة رجائها وعكس تقديرها فتحزنت إلى ربها لأنها كانت ترجو وتقدر أن تلد ذكرا ولذلك نذرته محررا للسدانة ولتكلمها بذلك على وجه التحسر والتحزن ۝ قال الله تعالى والله أعلم بما وضعت تعظيما لموضوعها وتجهيلا لها بقدر ما وهب لها منه ۝ ومعناه والله أعلم بالشيء الذي وضعت وما علق به من عظائم الأمور ۝ وأن يجعله وولده آية للعالمين وهي جاهلة بذلك لا تعلم منه شيئا ۝ وفي قراءة ابن عباس والله أعلم بما وضعت على خطاب الله لها أي إنك لا تعلمين قدر هذا الموهوب وما علم الله من عظم شأنه وعلو قدره ۝ وقرئ وضعت بمعنى ۝ ولعل لله فيه سرا وحكمة ولعل هذه الأنثى خير من الذكر تسلية لنفسها فإن قلت فما معنى قوله وليس الذكر كالأنثى قلت هو بيان لما في قوله والله أعلم بما وضعت من التعظيم للموضوع والرفع منه ومعناه وليس الذكر الذي طلبت كالأنثى التي وهبت لها واللام فيهما للعهد فإن قلت علام عطف قوله وإني سميتها مريم قلت هو عطف على إني وضعتها أنثى وما بينهما جملتان معترضتان كقوله وإنه لقسم لو تعلمون عظيم ۝ فإن قلت فلم ذكرت تسميتها مريم لربها قلت لأن مريم في لغتهم بمعنى العابدة فأرادت بذلك التقرب والطلب إليه أن يعصمها حتى يكون فعلها مطابقا لاسمها وأن يصدق فيها ظنها بها ألا ترى كيف أتبعته طلب الإعاذة لها ولولدها من الشيطان وإغوائه ۝ وما يروى من الحديث ما من مولود يولد إلا والشيطان يمسه حين يولد فيستهل صارخا من مس الشيطان إلا مريم وابنها فالله أعلم بصحته فإن صح فمعناه أن كل مولود يطمع الشيطان في إغوائه إلا مريم وابنها فإنهما كانا معصومين وكذلك كل من كان في صفتهما كقوله تعالى لأغوينهم أجمعين إلا عبادك منهم المخلصين ۝ واستهلاله صارخا من مسه تخييل وتصوير لطمعه فيه كأنه يمسه ويضرب بيده عليه ويقول هذا ممن أغويه ونحوه من التخييل قول ابن الرومي ۝ لما تؤذن الدنيا به من صروفها ۝ يكون بكاء الطفل ساعة يولد ۝ وأما حقيقة المس والنخس كما يتوهم أهل الحشو فكلا ولو سلط إبليس على الناس ينخسهم لامتلأت الدنيا صراخا وعياطا مما يبلونا به من نخسه فتقبلها ربها بقبول حسن وأنبتها نباتا حسنا وكفلها زكريا كلما دخل عليها زكريا المحراب وجد عندها رزقا قال يا مريم أنى لك هذا قالت هو من عند الله إن الله يرزق من يشاء بغير حساب ۝ فتقبلها ربها فرضي بها في النذر مكان الذكر ۝ بقبول حسن ۝ فيه وجهان أحدهما أن يكون القبول اسم ما يقبل به الشيء كالسعوط واللدود لما يسعط به ويلد وهو اختصاصه لها بإقامتها مقام الذكر في النذر ولم يقبل قبلها أنثى في ذلك ۝ أو بأن تسلمها من أمها عقيب الولادة قبل أن تنشأ وتصلح للسدانة روي أن حنة حين ولدت مريم لفتها في خرقة وحملتها إلى المسجد ووضعتها عند الأحبار أبناء هرون وهم في بيت المقدس كالحجبة في الكعبة فقالت لهم دونكم هذه النذيرة فتنافسوا

فيها لانها كانت بنت امامهم وصاحب قربانهم وكانت بنو ماثان رؤس بنى اسرائيل واحبارهم وملوكهم
فقال لهم زكريا عليه السلام انا احق بها عندى خالتها فقالوا لا حتى نقترع عليها فانطلقوا وكانوا سبعة
وعشرين الى نهر فالقوا فيه اقلامهم فارتفع قلم زكريا فوق الماء ورسبت اقلامهم فتكفلها والثانى ان
يكون مصدرا على تقدير حذف المضاف بمعنى فتقبلها بذى قبول حسن اى بامر ذى قبول حسن وهو
الاختصاص ويجوز ان يكون معنى فتقبلها فاستقبلها كقولك تعجله بمعنى استعجله وتقصاه بمعنى
استقصاه وهو كثير فى كلامهم من استقبل الامر اذا اخذه باوله وعنفوانه **قال القطامى**
وخير الامر ما استقبلت منه ۞ وليس بان تتبعه اتباعا ۞ ومنه المثل خذ الامر بقوابله اى
فاخذها فى اول امرها حين ولدت بقبول حسن وانبتها نباتا حسنا مجاز عن التربية الحسنة العائدة
عليها بما يصلحها فى جميع احوالها **وقرئ** وكفلها زكريا بوزن وعملها وكفلها زكريا بتشديد الفاء
ونصب زكريا والفعل لله تعالى بمعنى وضمها اليه وجعله كافلا لها وضامنا لمصالحها ويؤيدها
قراءة ابى رضى الله عنه واكفلها من قوله فقال اكفلنيها **وقرا** مجاهد فتقبلها ربها وانبتها وكفلها
على لفظ الامر فى الافعال الثلاثة ونصب ربها تدعوه بذلك اى فاقبلها يا ربها وربها واجعل زكريا
كافلها قيل بنى لها زكريا محرابا فى المسجد اى غرفة يصعد اليها بسلم وقيل المحراب اشرف المجالس ومقدمها
كانها وضعت فى اشرف موضع من بيت المقدس وقيل كانت مساجدهم تسمى المحاريب **وروى** انه
كان لا يدخل عليها الا هو وحده وكان اذا خرج غلق عليها سبعة ابواب وجد عندها رزقا كان
رزقها ينزل عليها من الجنة ولم ترضع ثديا قط فكان يجد عندها فاكهة الشتاء فى الصيف وفاكهة
الصيف فى الشتاء انى لك هذا من اين لك هذا الرزق الذى لا يشبه ارزاق الدنيا وهو آت فى غير حينه
والابواب مغلقة عليك لا سبيل للداخل به اليك قالت هو من عند الله فلا تستبعد **قيل** تكلمت وهى
صغيرة كما تكلم عيسى عليه السلام وهو فى المهد وعن النبى صلى الله عليه وسلم انه جاع فى زمن قحط فاهدت
له فاطمة رضى الله عنها رغيفين وبضعة لحم آثرته بها فرجع بها اليها وقال هلمى يا بنية فكشفت عن الطبق
فاذا هو مملوء خبزا ولحما فبهتت وعلمت انها نزلت من عند الله فقال لها صلى الله عليه وسلم انى لك هذا فقالت
هو من عند الله ان الله يرزق من يشاء بغير حساب فقال صلى الله عليه وسلم الحمد لله الذى جعلك شبيهة
سيدة نساء بنى اسرائيل ثم جمع رسول الله عليه السلام على بن ابى طالب والحسن والحسين وجميع اهل
بيته عليه حتى شبعوا وبقى الطعام كما هو فاوسعت فاطمة رضى الله عنها على جيرانها ان الله يرزق من
جملة كلام مريم او من كلام رب العزة عز من قائل بغير حساب بغير تقدير لكثرته او تفضلا بغير
محاسبة ومجازاة على عمل بحسب الاستحقاق هنالك دعا زكريا ربه قال رب هب لى من لدنك ذرية
طيبة انك سميع الدعاء فنادته الملائكة وهو قائم يصلى فى المحراب ۞ هنالك فى ذلك المكان
حيث هو قاعد عند مريم فى المحراب او فى ذلك الوقت فقد يستعار هنا وثم وحيث للزمان لما رأى
حال مريم فى كرامتها على الله تعالى ومنزلتها رغب فى ان يكون له من ايشاع ولد مثل ولد اختها حنة فى
النجابة والكرامة على الله تعالى وان كانت عاقرا عجوزا فقد كانت اختها كذلك وقيل لما رأى الفاكهة
فى غير وقتها انتبه على جواز ولادة العاقر ذرية ولدا والذرية يقع على الواحد والجمع سميع الدعاء
مجيبه **وقرئ** فناداه الملائكة وقيل ناداه جبريل عليه السلام وانما قيل الملائكة على قولهم فلان
يركب الخيل ان الله يبشرك بيحيى مصدقا بكلمة من الله وسيدا وحصورا ونبيا من الصالحين ۞ ان

الله يبشرك بالفتح على بان الله وبالكسر على ارادة القول او لان النداء نوع من القول **وقرئ**
يبشرك ويبشرك من بشره وابشره ويبشرك بفتح الياء من بشره ويحيى ان كان اعجميا وهو الظاهر
فمنع الصرف للتعريف والعجمة كموسى وعيسى وان كان عربيا فللتعريف ووزن الفعل كيعمر مصدقا
بكلمة من الله مصدقا بعيسى مؤمنا به قيل هو اول من آمن به وسمى عيسى كلمة لانه لم يوجد الا بكلمة
الله وحدها وهى قوله كن من غير سبب آخر وقيل مصدقا بكلمة من الله مؤمنا بكتاب منه وسمى الكتاب
كلمة كما قيل كلمة الحويدرة لقصيدته والسيد الذى يسود قومه اى يفوقهم فى الشرف وكان يحيى
فائقا لقومه وفائقا للناس كلهم فى انه لم يركب سيئة قط ويا لها من سيادة والحصور الذى لا يقرب
النساء حصرا لنفسه اى منعا لها من الشهوات وقيل هو الذى لا يدخل مع القوم فى الميسر **قال**
الاخطل وشارب مربح بالكاس نادمنى ۞ لا بالحصور ولا فيها بسوار ۞ فاستعير لمن لا يدخل فى اللعب
واللهو **وقد روى** انه مر وهو طفل بصبيان فدعوه الى اللعب فقال ما للعب خلقت
من الصالحين ناشئا من الصالحين لانه كان من اصلاب الانبياء او كائنا من جملة الصالحين كقوله
تعالى وانه فى الآخرة لمن الصالحين قال رب انى يكون لى غلام وقد بلغنى الكبر وامرأتى عاقر
قال كذلك الله يفعل ما يشاء ۞ انى يكون لى غلام استبعاد من حيث العادة كما قالت مريم عليها السلام
وقد بلغنى الكبر كقولهم ادركته السن العالية والمعنى اثر فى الكبر واضعفنى وكانت له تسع وتسعون
سنة ولامرأته ثمان وتسعون سنة كذلك اى يفعل الله ما يشاء من الافعال العجيبة مثل ذلك الفعل
وهو خلق الولد بين الشيخ الفانى والعجوز العاقر او كذلك الله مبتدأ وخبر اى على نحو هذه الصفة
الله ويفعل ما يشاء بيان له اى يفعل ما يريد من الافاعيل الخارقة للعادات ۞ قال رب اجعل لى آية
قال آيتك الا تكلم الناس ثلاثة ايام الا رمزا واذكر ربك كثيرا وسبح بالعشى والابكار ۞
آية علامة اعرف بها الحبل لاتلقى النعمة اذا جاءت بالشكر قال آيتك الا تقدر على تكليم الناس
ثلاثة ايام وانما خص تكليم الناس ليعلمه انه يحبس لسانه عن القدرة على تكليمهم خاصة مع ابقاء قدرته
على التكلم بذكر الله ولذلك قال واذكر ربك كثيرا وسبح بالعشى والابكار يعنى فى ايام عجزك عن تكليم
الناس وهى من الآيات الباهرة **فان قلت** لم حبس لسانه عن كلام الناس **قلت**
ليخلص المدة لذكر الله لا يشغل لسانه بغيره توفرا منه على قضاء حق تلك النعمة الجسيمة وشكرها
الذى طلب الآية من اجله كانه لما طلب الآية من اجل الشكر قيل له آيتك ان تحبس لسانك الا عن الشكر
واحسن الجواب واوقعه ما كان مشتقا من السؤال ومنتزعا منه الا رمزا الا اشارة بيد او رأس
او غيرهما واصله التحرك يقال ارتمز اذا تحرك ومنه قيل للبحر الراموز **وقرا** يحيى بن وثاب
الا رمزا بضمتين جمع رموز كرسول ورسل **وقرئ** رمزا بفتحتين جمع رامز كخادم وخدم
وهو حال منه ومن الناس دفعة **كقوله** ۞
متى ما تلقنى فردين ترجف ۞ روانف اليتيك وتستطارا ۞ بمعنى الا مترامزين
كما يكلم الناس الاخرس بالاشارة ويكلمهم والعشى من حين نزول الشمس الى ان تغيب والابكار من
طلوع الفجر الى وقت الضحى وقرئ والابكار بفتح الهمزة جمع بكر كسحر واسحار يقال اتيته بكرا بفتحتين
فان قلت الرمز ليس من جنس الكلام فكيف استثنى منه **قلت** لما ادى مؤدى الكلام
وفهم منه ما يفهم منه سمى كلاما ويجوز ان يكون استثناء منقطعا واذ قالت الملائكة يا مريم ان الله

اصطفاك وطهرك واصطفاك على نساء العالمين ۝ يا مريم روي انهم كلموها شفاها معجزة لزكريا
عليه السلام او ارهاصا لنبوة عيسى عليه السلام ۝ اصطفاك اولا حين تقبلك من امك ورباك واختصك
بالكرامة السنية وطهرك مما يستقذر من الافعال ومما قرفك به اليهود ۝ واصطفاك اخرا على نساء
العالمين بان وهب لك عيسى من غير اب ولم يكن ذلك لاحد من النساء ۝ يا مريم اقنتي لربك واسجدي
واركعي مع الراكعين ۝ امرت بالصلوة بذكر القنوت والسجود لكونهما من هيأت الصلوة واركانها ثم
قيل لها واركعي مع الراكعين بمعنى ولتكن صلاتك مع المصلين اي في الجماعة ۝ او وانظمي نفسك في جملة
المصلين وكوني معهم في عدادهم ولا تكوني في عداد غيرهم ۝ ويحتمل ان يكون في زمانها من كان يقوم
ويسجد في صلوته ولا يركع وفيه من يركع فامرت بان تركع مع الراكعين ولا تكون مع من لا يركع ذلك
من انباء الغيب نوحيه اليك وما كنت لديهم اذ يلقون اقلامهم ايهم يكفل مريم وما كنت لديهم
اذ يختصمون ۝ ذلك اشارة الى ما سبق من نبا زكريا ويحيى ومريم وعيسى يعني ان ذلك من الغيوب
التي لم تعرفها الا بالوحي فان قلت لم نفيت المشاهدة وانتفاؤها معلوم بغير شبهة وترك نفي
استماع الانباء من حفاظها وهو موهوم قلت كان معلوما عندهم علما يقينا انه ليس من اهل
السماع والقراءة وكانوا منكرين للوحي فلم يبق الا المشاهدة وهي في غاية الاستبعاد والاستحالة
فنفيت على سبيل التهكم بالمنكرين للوحي مع علمهم بانه لا سماع له ولا قراءة ۝ ونحوه وما كنت بجانب الغربي
وما كنت بجانب الطور ۝ وما كنت لديهم اذ اجمعوا امرهم ۝ اقلامهم ازلامهم وهي قداحهم التي طرحوها
في النهر مقترعين ۝ وقيل هي الاقلام التي كانوا يكتبون بها التورية اختاروها للقرعة تبركا بها
اذ يختصمون في شانها تنافسا في التكفل بها فان قلت ايهم يكفل بم يتعلق قلت
محذوف دل عليه يلقون اقلامهم كانه قيل يلقونها ينظرون ايهم يكفل او ليعلموا او يقولون ۝ اذ
قالت الملائكة يا مريم ان الله يبشرك بكلمة منه اسمه المسيح عيسى ابن مريم وجيها في الدنيا
والاخرة ومن المقربين ۝ ويكلم الناس في المهد وكهلا ومن الصالحين ۝ المسيح لقب من الالقاب
المشرفة كالصديق والفاروق واصله مشيحا بالعبرانية ومعناه المبارك ۝ كقوله تعالى وجعلني
مباركا اينما كنت وكذلك عيسى عليه السلام معرب من ايشوع ومشتقهما من المسح والعيس كالراقم
في الماء فان قلت اذ قالت بم يتعلق قلت هو بدل من واذ قالت الملائكة ۝ ويجوز
ان يبدل من اذ يختصمون على ان الاختصام والبشارة وقعا في زمان واسع كما تقول لقيته سنة كذا
فان قلت لم قيل عيسى ابن مريم والخطاب لمريم قلت لان الابناء ينسبون الى الاباء لا الى
الامهات فاعلمت بنسبته اليها انه يولد من غير اب فلا ينسب الا الى امه ۝ وبذلك فضلت واصطفيت
على نساء العالمين ۝ فان قلت لم ذكر ضمير الكلمة ۝ قلت لان المسمى بها مذكر فان قلت لم
قيل اسمه المسيح عيسى ابن مريم وهذه ثلاثة اشياء ۝ الاسم منها عيسى واما المسيح والابن فلقب وصفة
قلت الاسم للمسمى علامة يعرف بها ويتميز عن غيره فكانه قيل الذي يعرف به ويتميز ممن سواه
مجموع هذه الثلاثة ۝ وجيها حال من كلمة وكذلك قوله ومن المقربين ويكلم ومن الصالحين اي
يبشرك به موصوفا بهذه الصفات ۝ وصح انتصاب الحال من النكرة لكونها موصوفة ۝ والوجاهة
في الدنيا النبوة والتقدم على الناس وفي الاخرة الشفاعة وعلو الدرجة في الجنة وكونه من المقربين
رفعه الى السماء وصحبته للملائكة ۝ والمهد ما يمهد للصبي من مضجعه سمي بالمصدر ۝ وفي المهد في محل

النصب

النصب على الحال وكهلا عطف عليه بمعنى ويكلم الناس طفلا وكهلا ومعناه يكلم الناس في هاتين
الحالتين كلام الانبياء من غير تفاوت بين حال الطفولة وحال الكهولة التي يستحكم فيها العقل ويستنبأ
فيها الانبياء قالت رب انى يكون لي ولد ولم يمسسني بشر قال كذلك الله يخلق ما يشاء ۝ اذا
قضى امرا فانما يقول له كن فيكون ۝ ومن بدع التفاسير ان قولها رب نداء لجبريل عليه السلام بمعنى
يا سيدي ويعلمه الكتاب والحكمة والتورية والانجيل ورسولا الى بني اسرائيل اني قد
جئتكم باية من ربكم اني اخلق لكم من الطين كهيئة الطير فانفخ فيه فيكون طيرا باذن الله وابرئ
الاكمه والابرص واحيي الموتى باذن الله وانبئكم بما تاكلون وما تدخرون في بيوتكم ان
في ذلك لاية لكم ان كنتم مؤمنين ۝ ومصدقا لما بين يدي من التورية ولاحل لكم بعض
الذي حرم عليكم وجئتكم باية من ربكم فاتقوا الله واطيعون ۝ ان الله ربي وربكم فاعبدوه
هذا صراط مستقيم ۝ ونعلمه عطف على يبشرك او على وجيها او على يخلق وهو كلام مبتدا وقرا عاصم
ونافع ويعلمه بالياء فان قلت علام تحمل ورسولا ومصدقا من المنصوبات المتقدمة ۝ وقوله
اني قد جئتكم ولما بين يدي يابى حمله عليها قلت هو من المضايق ۝ وفيه وجهان ۝ احدهما ان يضمر
له وارسلت على ارادة القول تقديره ونعلمه الكتاب والحكمة ويقول ارسلت رسولا باني قد جئتكم
ومصدقا لما بين يدي ۝ والثاني ان الرسول والمصدق فيهما معنى النطق فكانه قيل وناطقا باني
قد جئتكم وناطقا باني اصدق ما بين يدي ۝ وقرا اليزيدي ورسول عطفا على كلمة اني قد جئتكم اصله
ارسلت باني قد جئتكم فحذف الجار وانتصب بالفعل واني اخلق نصب بدل من اني قد جئتكم ۝ وجر بدل
من اية ۝ او رفع على هي اني اخلق لكم ۝ وقرئ اني بالكسر على الاستيناف اي اقدر لكم شيئا مثل صورة الطير
فانفخ فيه الضمير للكاف اي في ذلك الشيء المماثل لهيئة الطير فيكون طيرا فيصير طيرا كسائر الطيور
حيا طيارا ۝ وقرا عبد الله فانفخها قال كالهيئة في تخيئه ينفخ فيها ۝ وقيل لم يخلق غير الخفاش ۝ الاكمه
الذي ولد اعمى ۝ وقيل هو الممسوح العين ۝ ويقال لم يكن في هذه الامة اكمه غير قتادة بن دعامة السدوسي
صاحب التفسير وروي انه ربما اجتمع عليه خمسون الفا من المرضى من اطاق منهم اتاه ومن
لم يطق اتاه عيسى وما كانت مداواته الا بالدعاء وحده ۝ وكرر باذن الله دفعا لوهم من توهم
فيه اللاهوتية وروي انه احيا سام بن نوح وهم ينظرون فقالوا هذا سحر فارنا اية فقال يا فلان
اكلت كذا ويا فلان خبئ لك كذا ۝ وقرئ تذخرون بالذال والتخفيف ۝ ولاحل رد على قوله باية
من ربكم اي جئتكم باية من ربكم ولاحل لكم ۝ ويجوز ان يكون مصدقا مردودا عليه ايضا اي جئتكم
باية وجئتكم مصدقا ۝ وما حرم الله عليهم في شريعة موسى عليه السلام الشحوم والثروب ولحوم
الابل والسمك وكل ذي ظفر فاحل لهم عيسى عليه السلام بعض ذلك ۝ قيل احل لهم من السمك والطير
ما لا صيصية له واختلفوا في احلاله لهم السبت وقرئ حرم عليكم على تسمية الفاعل وهو
ما بين يدي من التورية ۝ او الله عز وجل ۝ او موسى عليه السلام لان ذكر التورية دل عليه ولانه
كان معلوما عندهم ۝ وقرئ حرم بوزن كرم ۝ وجئتكم باية من ربكم شاهدة على صحة رسالتي وهي
قوله ان الله ربي وربكم لان جميع الرسل كانوا على هذا القول لم يختلفوا فيه ۝ وقرئ بالفتح على البدل
من اية ۝ وقوله فاتقوا الله واطيعون اعتراض فان قلت كيف جعل هذا القول اية من ربه
قلت لان الله تعالى جعله له علامة يعرف بها انه رسول كسائر الرسل حيث هداه للنظر في ادلة

العقل والاستدلال • ويجوز أن يكون تكريرًا لقوله جئتكم بآية من ربكم أي جئتكم بآية بعد أخرى مما ذكرت لكم من خلق الطير والإبراء والإحياء والإنباء بالخفيات وبغيره من ولادتي بغير أب ومن كلامي في المهد ومن سائر ذلك **وقرئ** وجئتكم بآيات من ربكم فاتقوا الله لما جئتكم به من الآيات • وأطيعون فيما أدعوكم إليه ثم ابتدأ فقال إن الله ربي وربكم • ومعنى قراءة من فتح ولأن الله ربي وربكم فاعبدوه كقوله تعالى لإيلاف قريش فليعبدوا • ويجوز أن يكون المعنى وجئتكم بآية على أن الله ربي وربكم وما بينهما اعتراض فلما أحس عيسى منهم الكفر قال من أنصاري إلى الله قال الحواريون نحن أنصار الله آمنا بالله واشهد بأنا مسلمون • فلما أحس فلما علم منهم الكفر علمًا لا شبهة فيه كعلم ما يدرك بالحواس • وإلى الله من صلة أنصاري مضمنًا معنى الإضافة كأنه قيل من الذين يضيفون أنفسهم إلى الله ينصرونني كما ينصرني • أو يتعلق بمحذوف حالًا من الياء أي من أنصاري ذاهبًا إلى الله ملتجئًا إليه • نحن أنصار الله أي أنصار دينه ورسوله • وحواري الرجل صفوته وخالصته • ومنه قيل للحضريات الحواريات لخلوص ألوانهن ونظافتهن **قال**

• فقل للحواريات يبكين غيرنا • ولا تبكنا إلا الكلاب النوابح •

• وفي وزنه الحوالي وهو الكثير الحيلة • وإنما طلبوا شهادته بإسلامهم تأكيدًا لإيمانهم لأن الرسل يشهدون يوم القيامة لقومهم وعليهم ربنا آمنا بما أنزلت واتبعنا الرسول فاكتبنا مع الشاهدين • مع الشاهدين مع الأنبياء الذين يشهدون لأممهم أو مع الذين يشهدون بالوحدانية • وقيل مع أمة محمد عليه السلام لأنهم شهداء على الناس • ومكروا ومكر الله والله خير الماكرين • ومكروا أي الذين أحس منهم الكفر • ومكرهم أنهم وكلوا به من يقتله غيلة • ومكر الله أن رفع عيسى إلى السماء وألقى شبهه على من أراد اغتياله حتى قتل • والله خير الماكرين أقواهم مكرًا وأنفذهم كيدًا وأقدرهم على العقاب من حيث لا يشعر المعاقب • إذ قال الله يا عيسى إني متوفيك ورافعك إلي ومطهرك من الذين كفروا وجاعل الذين اتبعوك فوق الذين كفروا إلى يوم القيامة ثم إلي مرجعكم فأحكم بينكم فيما كنتم فيه تختلفون • فأما الذين كفروا فأعذبهم عذابًا شديدًا في الدنيا والآخرة وما لهم من ناصرين وأما الذين آمنوا وعملوا الصالحات فيوفيهم أجورهم والله لا يحب الظالمين • إذ قال الله ظرف لخير الماكرين • أو لمكر الله • إني متوفيك أي مستوفي أجلك ومعناه إني عاصمك من أن يقتلك الكفار ومؤخرك إلى أجل كتبته لك ومميتك حتف أنفك لا قتلًا بأيديهم • ورافعك إلى سمائي ومقر ملائكتي • ومطهرك من الذين كفروا من سوء جوارهم وخبث صحبتهم • وقيل متوفيك قابضك من الأرض من توفيت مالي على فلان إذا استوفيته • وقيل مميتك في وقتك بعد النزول من السماء ورافعك الآن • وقيل متوفي نفسك بالنوم من قوله تعالى والتي لم تمت في منامها ورافعك وأنت نائم حتى لا يلحقك خوف وتستيقظ وأنت في السماء آمن مقرب • فوق الذين كفروا إلى يوم القيامة يعلونهم بالحجة وفي أكثر الأحوال بها وبالسيف ومتبعوه هم المسلمون لأنهم متبعوه في أصل الإسلام وإن اختلفت الشرائع دون الذين كذبوه وكذبوا عليه من اليهود والنصارى • فأحكم بينكم تفسير الحكم قوله فأعذبهم • فنوفيهم أجورهم **وقرئ** فيوفيهم بالياء ذلك نتلوه عليك من الآيات والذكر الحكيم • ذلك إشارة إلى ما سبق من نبأ عيسى وغيره وهو مبتدأ خبره نتلوه من الآيات خبر بعد خبر • أو خبر مبتدأ محذوف • ويجوز أن يكون ذلك بمعنى الذي ونتلوه صلته ومن الآيات الخبر • ويجوز أن ينتصب ذلك بمضمر يفسره نتلوه • والذكر الحكيم القرآن وصفه بصفة من هو سببه • أو كأنه ينطق بالحكمة لكثرة حكمه • إن مثل عيسى عند الله كمثل آدم خلقه من تراب

ثم قال له كن فيكون • إن مثل عيسى إن شأن عيسى وحاله الغريبة كشأن آدم • وقوله خلقه من تراب جملة مفسرة لما له شبه عيسى بآدم أي خلق آدم من تراب ولم يكن ثمة أب ولا أم فكذلك حال عيسى **فإن قلت** كيف شبه به وقد وجد هو بغير أب ووجد آدم بغير أب وأم **قلت** هو مثله في أحد الطرفين فلا يمنع اختصاصه دونه بالطرف الآخر من تشبيهه به لأن المماثلة مشاركة في بعض الأوصاف • ولأنه شبه به في أنه وجد وجودًا خارجًا عن العادة المستمرة وهما في ذلك نظيران • ولأن الوجود من غير أب وأم أغرب وأخرق للعادة من الوجود من غير أب فشبه الغريب بالأغرب ليكون أقطع للخصم وأحسم لمادة شبهته إذا نظر فيما هو أغرب مما استغربه • وعن بعض العلماء أنه أسر بالروم فقال لهم لم تعبدون عيسى قالوا لأنه لا أب له قال فآدم أولى لأنه لا أبوين له • قالوا كان يحيي الموتى قال فحزقيل أولى لأن عيسى أحيا أربعة نفر وأحيا حزقيل ثمانية آلاف فقالوا كان يبرئ الأكمه والأبرص • قال فجرجيس أولى لأنه طبخ وأحرق ثم قام سالمًا • خلقه من تراب قدره جسدًا من طين • ثم قال له كن أي أنشأه بشرًا • كقوله تعالى ثم أنشأناه خلقًا آخر فيكون حكاية حال ماضية الحق من ربك فلا تكن من الممترين • الحق من ربك خبر مبتدأ محذوف أي هو الحق كقول أهل خيبر محمد والخميس • ونهيه عن الامتراء وجل رسول الله عن أن يكون ممتريًا من باب التهييج لزيادة الثبات والطمأنينة • وأن يكون لطفًا لغيره • فمن حاجك فيه من بعد ما جاءك من العلم فقل تعالوا ندع أبناءنا وأبناءكم ونساءنا ونساءكم وأنفسنا وأنفسكم ثم نبتهل فنجعل لعنة الله على الكاذبين • فمن حاجك من النصارى فيه في عيسى من بعد ما جاءك من العلم أي من البينات الموجبة للعلم • فقل تعالوا هلموا والمراد المجيء بالرأي والعزم كما تقول تعال نفكر في هذه المسألة • ندع أبناءنا وأبناءكم أي يدع كل منا ومنكم أبناءه ونساءه ونفسه إلى المباهلة • ثم نبتهل ثم نتباهل بأن نقول بهلة الله على الكاذب منا ومنكم • والبهلة بالفتح والضم اللعنة • وبهله الله لعنه وأبعده من رحمته من قولك أبهله إذا أهمله • وناقة باهل لا صرار عليها • وأصل الابتهال هذا ثم استعمل في كل دعاء يجتهد فيه وإن لم يكن التعانًا **وروي** أنه لما دعاهم إلى المباهلة قالوا حتى ننظر فلما تخالوا قالوا للعاقب وكان ذا رأيهم يا عبد المسيح ما ترى فقال والله لقد عرفتم يا معشر النصارى أن محمدًا نبي مرسل ولقد جاءكم بالفصل من أمر صاحبكم والله ما باهل قوم نبيًا قط فعاش كبيرهم ولا نبت صغيرهم ولئن فعلتم لتهلكن فإن أبيتم إلا إلف دينكم والإقامة على ما أنتم عليه فوادعوا الرجل وانصرفوا إلى بلادكم فأتوا رسول الله عليه السلام وقد غدا محتضنًا الحسين آخذًا بيد الحسن وفاطمة تمشي خلفه وعلي رضي الله عنه خلفها وهو يقول إذا أنا دعوت فأمنوا فقال أسقف نجران يا معشر النصارى إني لأرى وجوهًا لو شاء الله أن يزيل جبلًا من مكانه لأزاله بها فلا تباهلوا فتهلكوا ولا يبقى على وجه الأرض نصراني إلى يوم القيامة فقالوا يا أبا القاسم رأينا أن لا نباهلك وأن نتركك على دينك ونثبت على ديننا قال فإذا أبيتم المباهلة فأسلموا يكن لكم ما للمسلمين وعليكم ما عليهم فأبوا قال فإني أناجزكم فقالوا ما لنا بحرب العرب طاقة ولكن نصالحك على أن لا تغزونا ولا تخيفنا ولا تردنا عن ديننا على أن نؤدي إليك كل عام ألفي حلة ألف في صفر وألف في رجب وثلاثين درعًا عادية من حديد فصالحهم على ذلك وقال والذي نفسي بيده إن الهلاك قد تدلى على أهل نجران ولو لاعنوا لمسخوا قردة وخنازير ولاضطرم عليهم الوادي نارًا ولاستأصل الله نجران وأهله حتى الطير على رؤوس الشجر ولما حال الحول على النصارى

كلهم حتى يهلكوا • وعن عائشة رضي الله عنها ان رسول الله صلى الله عليه وسلم خرج وعليه مرط مرحّل من شعر
اسود فجا الحسن فادخله ثم جا الحسين فادخله ثم فاطمة ثم على رضي الله عنهم ثم قال انما يريد الله ليذهب
عنكم الرجس اهل البيت **فان قلت** ما كان دعاؤه الى المباهلة الا ليتبين الكاذب منه ومن خصمه
وذلك امر يختص به وبمن يكاذبه فما معنى ضم الابناء والنساء **قلت** ذلك اكد للدلالة على ثقته
بحاله واستيقانه بصدقه حيث استجرأ على تعريض اعزته وافلاذ كبده واحب الناس اليه لذلك ولم يقتصر
على تعريض نفسه له • وعلى ثقته بكذب خصمه حتى يهلك خصمه مع احبته واعزته هلاك الاستيصال ان
تمت المباهلة • وخص الابنا والنسا لانهم اعز الاهل والصقهم بالقلوب وربما فداهم الرجل بنفسه وحارب
دونهم حتى يقتل • ومن ثم كانوا يسوقون مع انفسهم الظعاين في الحروب لتمنعهم من الهرب ويسمون
الذادة عنها بارواحهم حماة الحقايق وقدمهم في الذكر على الانفس لينبه على لطف مكانهم وقرب منزلتهم
وليوذن بانهم مقدمون على الانفس مفدون بها • وفيه دليل لا شي اقوى منه على فضل اصحاب الكسا وفيه
برهان واضح على صحة نبوة رسول الله عليه السلام لانه لم يرو احد من موافق ولا مخالف انهم اجابوا الى
ذلك ان هذا لهو القصص الحق وما من اله الا الله وان الله لهو العزيز الحكيم • فان تولوا فان الله
عليم بالمفسدين • ان هذا الذي قص عليك من نبا عيسى لهو القصص الحق • وقرئ بتحريك الها على الاصل وبالسكون
لان اللام تنزل من هو منزلة بعضه فخفف كما خفف عضد • وهو اما فصل بين اسم ان وخبرها واما مبتدا
والقصص الحق خبره والجملة خبر ان **فان قلت** لم جاز دخول اللام على الفصل **قلت** اذا
جاز دخولها على الخبر كان دخولها على الفصل اجوز لانه اقرب الى المبتدا منه واصلها ان تدخل على المبتدا
ومن في قوله وما من اله الا الله بمنزلة البنا على الفتح في لا اله الا الله في افادة معنى الاستغراق والمراد
الرد على النصارى في تثليثهم • فان الله عليم بالمفسدين وعيد لهم بالعذاب المذكور في قوله تعالى زدناهم
عذابا فوق العذاب بما كانوا يفسدون • قل يا اهل الكتاب تعالوا الى كلمة سوا بيننا وبينكم الا
نعبد الا الله ولا نشرك به شيا ولا يتخذ بعضنا بعضا اربابا من دون الله فان تولوا فقولوا اشهدوا
بانا مسلمون • يا اهل الكتاب • قيل هم اهل الكتابين • وقيل وفد نجران • وقيل يهود المدينة • سوا بيننا
وبينكم مستوية بيننا وبينكم لا يختلف فيها القران والتورية والانجيل • وتفسير الكلمة قوله الا نعبد
الا الله ولا نشرك به شيا ولا يتخذ بعضنا بعضا اربابا من دون الله يعني تعالوا اليها حتى لا نقول عزير
ابن الله ولا المسيح ابن الله لان كل واحد منهما بعضنا بشر مثلنا ولا نطيع احبارنا فيما احدثوا من التحريم
والتحليل من غير رجوع الى ما شرع الله **كقوله** تعالى اتخذوا احبارهم ورهبانهم اربابا من دون الله
والمسيح ابن مريم وما امروا الا ليعبدوا الها واحدا • وعن عدي بن حاتم ما كنا نعبدهم يا رسول الله
قال اليس كانوا يحلون لكم ويحرمون فتاخذون بقولهم قال نعم قال هو ذاك **وعن** الفضيل
لا ابالي اطعت مخلوقا في معصية او صليت لغير القبلة • وقرئ كلمة بسكون اللام **وقرا** الحسن سواء
بالنصب بمعنى استوت استوا • فان تولوا عن التوحيد فقولوا اشهدوا بانا مسلمون اي لزمتكم الحجة فوجب
عليكم ان تعترفوا وتسلموا بانا مسلمون دونكم كما يقول الغالب للمغلوب في جدال او صراع او غيرهما اعترف
باني انا الغالب وسلم لي الغلبة • ويجوز ان يكون من باب التعريض ومعناه اشهدوا واعترفوا بانكم
كافرون حيث توليتم عن الحق بعد ظهوره • يا اهل الكتاب لم تحاجون في ابراهيم وما انزلت التورية
والانجيل الا من بعده افلا تعقلون • زعم كل فريق من اليهود والنصارى ان ابراهيم كان منهم وجادلوا

رسول الله والمؤمنين فيه فقيل لهم ان اليهودية انما حدثت بعد نزول التورية والنصرانية بعد نزول
الانجيل وبين ابراهيم وموسى عليهما السلام الف سنة وبينه وبين عيسى عليه السلام الفان فكيف يكون
ابراهيم على دين لم يحدث الا بعد عهده بازمنة متطاولة • افلا تعقلون حتى لا تجادلوا مثل هذا الجدال
المحال • ها انتم هولاء حاججتم فيما لكم به علم فلم تحاجون فيما ليس لكم به علم والله يعلم وانتم لا تعلمون
ما كان ابراهيم يهوديا ولا نصرانيا ولكن كان حنيفا مسلما وما كان من المشركين • ها انتم هولاء
ها للتنبيه وانتم مبتدا وهولاء خبره • وحاججتم جملة مستانفة مبينة للجملة الاولى يعني انتم هولاء الاشخاص
الحمقى وبيان حماقتكم وقلة عقولكم انكم جادلتم فيما لكم به علم مما نطق به التورية والانجيل فلم تحاجون
فيما ليس لكم به علم ولا ذكر له في كتابكم من دين ابراهيم • وعن الاخفش ها انتم هو أانتم على الاستفهام فقلبت
الهمزة ها ومعنى الاستفهام التعجب من حماقتهم • وقيل هولاء بمعنى الذين وحاججتم صلته والله يعلم
علم ما حاججتم فيه وانتم جاهلون به • ثم اعلمهم بانه بري من دينكم وما كان الا حنيفا مسلما وما كان من
المشركين كما لم يكن منكم واراد بالمشركين اليهود والنصارى لاشراكهم به عزيرا والمسيح ان اولى الناس
بابراهيم للذين اتبعوه وهذا النبي والذين امنوا والله ولي المؤمنين • ان اولى الناس بابراهيم ان
اخصهم به واقربهم منه من الولي وهو القرب للذين اتبعوه في زمانه وبعده • وهذا النبي خصوصا
والذين امنوا من امته **وقرئ** وهذا النبي بالنصب عطفا على الها في اتبعوه اي اتبعوه واتبعوا
هذا النبي وبالجر عطفا على ابراهيم • ودت طايفة من اهل الكتاب لو يضلونكم وما يضلون الا انفسهم
وما يشعرون • ودت طايفة هم اليهود دعوا حذيفة وعمارا ومعاذا رضوان الله عليهم الى اليهودية
وما يضلون الا انفسهم وما يعود وبال الاضلال الا عليهم لان العذاب يضاعف لهم بضلالهم واضلالهم
او وما يقدرون على اضلال المسلمين وانما يضلون امثالهم من اشياعهم يا اهل الكتاب لم تكفرون
بايات الله وانتم تشهدون • بايات الله بالتورية والانجيل وكفرهم بها انهم لا يومنون بما نطقت
به من صحة نبوة رسول الله عليه السلام وغيرها • وتشهدون تعترفون بانها ايات الله • او تكفرون
بالقران ودلايل نبوة الرسول وانتم تشهدون نعته في الكتابين • او تكفرون بايات الله جميعا وانتم
تعلمون انها حق يا اهل الكتاب لم تلبسون الحق بالباطل وتكتمون الحق وانتم تعلمون **وقرئ**
تلبسون بالتشديد • وقرا يحيى بن وثاب تلبسون بفتح البا اي تكتسون الحق كقوله صلى الله عليه وسلم
كلابس ثوبي زور **وقوله** اذا هو بالمجد ارتدى وتازرا • وقالت طايفة من اهل الكتاب امنوا
بالذي انزل على الذين امنوا وجه النهار واكفروا اخره لعلهم يرجعون • وجه النهار اوله •
قال من كان مسرورا بمقتل مالك • فليات نسوتنا بوجه نهار • والمعنى اظهروا
الايمان بما انزل على المسلمين في اول النهار واكفروا به في اخره لعلهم يشكون في دينهم ويقولون ما رجعوا
وهم اهل كتاب وعلم الا لامر قد تبين لهم فيرجعون برجوعكم • وقيل تواطا اثنا عشر من احبار يهود خيبر
وقال بعضهم لبعض ادخلوا في دين محمد اول النهار من غير اعتقاد واكفروا به اخر النهار وقولوا انا نظرنا في
كتبنا وشاورنا علماءنا فوجدنا محمدا ليس بذلك المنعوت وظهر لنا كذبه وبطلان دينه فاذا فعلتم ذلك شك
اصحابه في دينهم • وقيل هذا في شان القبلة لما صرفت الى الكعبة قال كعب بن الاشرف لاصحابه امنوا بما
انزل عليهم من الصلوة الى الكعبة وصلوا اليها في اول النهار ثم اكفروا به في اخره وصلوا الى الصخرة لعلهم يقولون
هم اعلم منا وقد رجعوا فيرجعون ولا تومنوا الا لمن تبع دينكم قل ان الهدى هدى الله ان يوتى احد مثل

ما أوتيتم أو يحاجوكم عند ربكم قل إن الفضل بيد الله يؤتيه من يشاء والله واسع عليم • يختص برحمته من يشاء والله ذو الفضل العظيم • ولا تؤمنوا متعلق بقوله أن يؤتى أحد وما بينهما اعتراض أي ولا تظهروا إيمانكم بأن يؤتى أحد مثل ما أوتيتم إلا لأهل دينكم دون غيرهم أرادوا أسروا تصديقكم بأن المسلمين قد أوتوا من كتب الله مثل ما أوتيتم ولا تفشوه إلا إلى أشياعكم وحدهم دون المسلمين لئلا يزيدهم ثباتا ودون المشركين لئلا يدعوهم إلى الإسلام • أو يحاجوكم عند ربكم عطف على أن يؤتى والضمير في يحاجوكم لأحد لأنه في معنى الجمع بمعنى ولا تؤمنوا لغير أتباعكم أن المسلمين يحاجونكم يوم القيامة بالحق ويغالبونكم عند الله بالحجة فإن قلت فما معنى الاعتراض قلت معناه أن الهدى هدى الله من شاء أن يلطف به حتى يسلم أو يزيد ثباته على الإسلام كان ذلك ولم ينفع كيدكم وحيلكم وزيكم تصديقكم عن المسلمين والمشركين وكذلك قوله قل إن الفضل بيد الله يؤتيه من يشاء يريد الهداية والتوفيق • أو يتم الكلام عند قوله إلا لمن تبع دينكم على معنى ولا تؤمنوا هذا الإيمان الظاهر وهو إيمانهم وجه النهار • إلا لمن تبع دينكم إلا لمن كانوا تابعين لدينكم ممن أسلموا منكم لأن رجوعهم كان أرجى عندهم من رجوع من سواهم ولأن إسلامهم كان أغيظ لهم وقوله أن يؤتى معناه لأن يؤتى أحد مثل ما أوتيتم قلتم ذلك ودبرتموه لا لشيء آخر يعني أن ما بكم من الحسد والبغي أن يؤتى أحد مثل ما أوتيتم من فضل العلم والكتاب دعاكم إلى أن قلتم ما قلتم والدليل عليه قراءة ابن كثير أأن يؤتى أحد مثل ما أوتيتم بزيادة همزة الاستفهام للتقرير والتوبيخ بمعنى ألأن يؤتى أحد فإن قلت فما معنى قوله أو يحاجوكم على هذا قلت معناه دبرتم ما دبرتم لأن يؤتى أحد مثل ما أوتيتم ولما يتصل به عند كفركم به من محاجتهم لكم عند ربكم • ويجوز أن يكون هدى الله بدلا من الهدى وأن يؤتى أحد خبر إن على معنى قل إن هدى الله أن يؤتى أحد مثل ما أوتيتم • أو يحاجوكم حتى يحاجوكم عند ربكم فيقرعوا باطلكم ويخصموكم ويدحضوا حجتكم وقرئ إن يؤتى أحد على أن النافية وهو متصل بكلام أهل الكتاب أي ولا تؤمنوا إلا لمن تبع دينكم وقولوا لهم ما يؤتى أحد مثل ما أوتيتم حتى يحاجوكم عند ربكم يعني ما يؤتون مثله فلا يحاجونكم ويجوز أن ينتصب أن يؤتى بفعل مضمر يدل عليه قوله ولا تؤمنوا إلا لمن تبع دينكم كأنه قيل قل إن الهدى هدى الله فلا تنكروا أن يؤتى أحد مثل ما أوتيتم لأن قولهم ولا تؤمنوا إلا لمن تبع دينكم إنكار لأن يؤتى أحد مثل ما أوتوا ومن أهل الكتاب من إن تأمنه بقنطار يؤده إليك ومنهم من إن تأمنه بدينار لا يؤده إليك إلا ما دمت عليه قائما ذلك بأنهم قالوا ليس علينا في الأميين سبيل • ويقولون على الله الكذب وهم يعلمون عن ابن عباس رضي الله عنهما من إن تأمنه بقنطار هو عبد الله بن سلام استودعه رجل من قريش ألفا ومائتي أوقية ذهبا فأداه إليه • ومن إن تأمنه بدينار فنحاص بن عازوراء استودعه رجل من قريش دينارا فجحده وخانه • وقيل المأمونون على الكثير النصارى لغلبة الأمانة عليهم والخائنون في القليل اليهود لغلبة الخيانة عليهم • إلا ما دمت عليه قائما إلا مدة دوامك عليه يا صاحب الحق قائما على رأسه متوكلا عليه بالمطالبة والتعنيف أو بالرفع إلى الحاكم وإقامة البينة عليه وقرئ يؤده إليك بكسر الهاء والوصل • وبكسرها بغير وصل وبسكونها وقرأ يحيى بن وثاب تيمنه بكسر التاء ودمت بكسر الدال من دام يدام ذلك إشارة إلى ترك الأداء الذي دل عليه لم يؤده أي تركهم أداء الحقوق بسبب قولهم ليس علينا في الأميين سبيل أي لا يتطرق علينا عتاب وذم في شأن الأميين يعنون الذين ليسوا على ملتنا من أهل الكتاب وما فعلنا بهم من حبس أموالهم والإضرار بهم لأنهم ليسوا على ديننا وكانوا يستحلون ظلم من خالفهم ويقولون لم يجعل لهم في كتابنا حرمة • وقيل بايع اليهود رجالا من قريش فلما أسلموا تقاضوهم فقالوا ليس لكم علينا حق حيث

تركتم دينكم وادعوا أنهم وجدوا ذلك في كتابهم وعن النبي صلى الله عليه وسلم أنه قال عند نزولها كذب أعداء الله ما من شيء في الجاهلية إلا وهو تحت قدمي إلا الأمانة فإنها مؤداة إلى البر والفاجر وعن ابن عباس رضي الله عنهما أنه سأله رجل فقال إنا نصيب في الغزو من أموال أهل الذمة الدجاجة والشاة قال فتقولون ماذا قال نقول ليس علينا في ذلك بأس قال هذا كما قال أهل الكتاب ليس علينا في الأميين سبيل إنهم إذا أدوا الجزية لم تحل لكم أموالهم إلا بطيبة أنفسهم • ويقولون على الله الكذب بادعائهم أن ذلك في كتابهم وهم يعلمون أنهم كاذبون بلى من أوفى بعهده من الله واتقى فإن الله يحب المتقين • بلى إثبات لما نفوه من السبيل عليهم في الأميين أي بلى عليهم سبيل فيهم وقوله من أوفى بعهده جملة مستأنفة مقررة للجملة التي سدت بلى مسدها والضمير في بعهده راجع إلى من أوفى على أن كل من أوفى بما عاهد عليه الله في ترك الخيانة والغدر فإن الله يحبه فإن قلت فهذا عام يخيل أنه لو وفى أهل الكتاب بعهودهم وتركوا الخيانة لكسبوا محبة الله قلت أجل لأنهم إذا وفوا بالعهود وفوا أول شيء بالعهد الأعظم وهو ما أخذ عليهم في كتابهم من الإيمان برسول مصدق لما معهم ولو اتقوا الله في ترك الخيانة لاتقوه في ترك الكذب على الله وتحريف كلمه • ويجوز أن يرجع الضمير إلى الله تعالى على أن كل من وفى بعهد الله واتقاه فإن الله يحبه ويدخل في ذلك الإيمان وغيره من الصالحات وما وجب اتقاؤه من الكفر وأعمال السوء فإن قلت فأين الضمير الراجع من الجزاء إلى من قلت عموم المتقين قام مقام رجوع الضمير • وعن ابن عباس رضي الله عنهما نزلت في عبد الله بن سلام وبحيرا الراهب ونظرائهما من مسلمة أهل الكتاب • إن الذين يشترون بعهد الله وأيمانهم ثمنا قليلا أولئك لا خلاق لهم في الآخرة ولا يكلمهم الله ولا ينظر إليهم يوم القيامة ولا يزكيهم ولهم عذاب أليم • يشترون يستبدلون بعهد الله بما عاهدوا عليه من الإيمان بالرسول المصدق لما معهم وأيمانهم وبما حلفوا به من قولهم والله لنؤمنن به ولننصرنه • ثمنا قليلا متاع الدنيا من الترؤس والارتشاء ونحو ذلك • وقيل نزلت في أبي رافع ولبابة بن أبي الحقيق وحيي بن أخطب حرفوا التوراة وبدلوا صفة رسول الله عليه السلام وأخذوا الرشوة على ذلك • وقيل جاءت جماعة من اليهود إلى كعب بن الأشرف في سنة أصابتهم ممتارين فقال لهم هل تعلمون أن هذا الرجل رسول الله قالوا نعم قال لقد هممت أن أميركم وأكسوكم فحرمكم الله خيرا كثيرا فقالوا لعله شبه علينا فرويدا حتى نلقاه فانطلقوا فكتبوا صفة غير صفته ثم رجعوا إليه وقالوا إنه غلطنا وليس هو بالنعت الذي نعت لنا ففرح ومارهم • وعن الأشعث بن قيس رضي الله عنه نزلت في كانت بيني وبين رجل خصومة في بئر فاختصمنا إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال شاهداك أو يمينه فقلت إذن يحلف ولا يبالي فقال من حلف على يمين يستحق بها مالا هو فيها فاجر لقي الله وهو عليه غضبان • وقيل نزلت في رجل أقام سلعة في السوق فحلف لقد أعطى بها ما لم يعطه • والوجه أن نزولها في أهل الكتاب وقوله بعهد الله يقوي رجوع الضمير في بعهده إلى الله • ولا ينظر إليهم مجاز عن الاستهانة بهم والسخط عليهم تقول فلان لا ينظر إلى فلان تريد نفي اعتداده به وإحسانه إليه ولا يزكيهم ولا يثني عليهم فإن قلت أي فرق بين استعماله فيمن يجوز عليه النظر وبين من لا يجوز عليه قلت أصله فيمن يجوز عليه النظر الكناية لأن من اعتد بالإنسان التفت إليه وأعاره نظر عينيه ثم كثر حتى صار عبارة عن الاعتداد والإحسان وإن لم يكن ثم نظر ثم جاء فيمن لا يجوز عليه النظر مجردا لمعنى الإحسان مجازا عما وقع كناية عنه فيمن يجوز عليه النظر • وإن منهم لفريقا يلوون ألسنتهم بالكتاب لتحسبوه من الكتاب وما هو من الكتاب ويقولون هو من عند الله وما هو من عند الله ويقولون على

اللّه الكذب وهم يعلمون ٭ لفريقا هم كعب بن الاشرف ومالك بن الصيف وحيي بن اخطب وغيرهم يلوون السنتهم
بالكتاب يفتلونها بقراءته عن الصحيح الى المحرّف ٭ وقرا اهل المدينة يلوّون بالتشديد كقوله تعالى لوّوا رؤسهم
وعن مجاهد وابن كثير يلون ووجهه انهما قلبا الواو المضمومة همزة ثم خففوها بحذفها والقاء حركتها
على الساكن قبلها فان قلت الام يرجع الضمير في لتحسبوه ٭ قلت الى ما دل عليه يلوون السنتهم
بالكتاب وهو المحرّف ٭ ويجوز ان يراد يعطفون السنتهم بشبه الكتاب لتحسبوا ذلك الشبه من الكتاب ٭
وقرئ ليحسبوه بالياء بمعنى يفعلون ذلك ليحسبه المسلمون من الكتاب ويقولون هو من عند الله تاكيد
لقوله هو من الكتاب وزيادة تشنيع عليهم وتسجيل بالكذب ودلالة على انهم لا يعرّضون ولا يورّون
وانما يصرّحون بانه في التورية هكذا وقد انزله الله على موسى كذلك لفرط جرأتهم على الله وقساوة قلوبهم
ويأسهم من الآخرة وعن ابن عباس رضي الله عنهما هم اليهود الذين قدموا على كعب بن الاشرف غيّروا
التورية وكتبوا كتابا بدلوا فيه صفة رسول الله عليه السلام ثم اخذت قريظة ما كتبوه فخلطوه بالكتاب
الذي عندهم ما كان لبشر ان يؤتيه الله الكتاب والحكم والنبوة ثم يقول للناس كونوا عبادا
لي من دون الله ولكن كونوا ربانيين بما كنتم تعلمون الكتاب وبما كنتم تدرسون ٭ ما كان لبشر
تكذيب لمن اعتقد عبادة عيسى عليه السلام ٭ وقيل ان ابا رافع القرظي والسيد من نصارى نجران قالوا
لرسول الله اتريد ان نعبدك ونتخذك ربا فقال معاذ الله ان نعبد غير الله وان نامر بغير عبادة
الله فما بذلك بعثني ولا بذلك امرني فنزلت ٭ وقيل قال رجل يا رسول الله نسلم عليك كما يسلم بعضنا
على بعض افلا نسجد لك ٭ قال لا ينبغي ان يسجد لاحد من دون الله ولكن اكرموا نبيكم ٭ واعرفوا الحق
لاهله ٭ والحكم والحكمة وهي السنة ٭ ولكن كونوا ربانيين ولكن يقول كونوا ٭ والرباني منسوب الى الرب
بزيادة الالف والنون كما يقال رقباني ولحياني وهو الشديد التمسك بدين الله وطاعته وعن
محمد بن الحنفية رضي الله عنه انه قال حين مات ابن عباس رضي الله عنهما اليوم مات رباني هذه الامة ٭ وعن
الحسن ربانيين علماء فقهاء ٭ وقيل علماء معلمين وكانوا يقولون الشارع الرباني العالم العامل المعلم ٭ بما كنتم
بسبب كونكم عالمين وبسبب كونكم دارسين للعلم اوجب ان تكون الربانية التي هي قوة التمسك بطاعة
الله مسببة عن العلم والدراسة وكفى به دليلا على خيبة سعي من جهد نفسه وكد روحه في جمع العلم ثم لم
يجعله ذريعة الى العمل فكان مثله مثل من غرس شجرة حسناء تونقه بمنظرها ولا تنفعه بثمرها وقرئ
تعلمون من التعليم وتعلمون من التعلم ٭ تدرسون تقرؤن وقرئ تدرسون من التدريس وتدرسون
على ان ادرس بمعنى درس كاكرم وكرم وانزل ونزل ٭ وتدرسون من التدريس ويجوز ان يكون معناه ومعنى
تدرسون بالتخفيف تدرسونه على الناس كقوله تعالى لتقرأه على الناس فيكون معناهما معنى تدرسون
من التدريس ٭ وفيه ان من علم ودرس العلم ولم يعمل به فليس من الله في شيء وان السبب بينه وبين ربه
منقطع حيث لم يثبت اليه الا للمتمسكين بطاعته ولا يامركم ان تتخذوا الملائكة والنبيين اربابا ايامركم
بالكفر بعد اذ انتم مسلمون ٭ قرئ ولا يامركم بالنصب عطفا على ثم يقول وفيه وجهان ٭ احدهما
ان تجعل لا مزيدة لتاكيد معنى النفي في قوله ما كان لبشر والمعنى ما كان لبشر ان يستنبئه الله وينصبه
للدعاء الى اختصاص الله بالعبادة وترك الانداد ثم يامر الناس بان يكونوا عبادا له ويامركم ان تتخذوا
الملائكة والنبيين اربابا كما تقول ما كان لزيد ان اكرمه ثم يهينني ولا يستخفّ بي ٭ والثاني ان تجعل لا
مزيدة والمعنى ان رسول الله صلى الله عليه وسلم كان ينهى قريشا عن عبادة الملائكة واليهود والنصارى

عن عبادة عزير والمسيح فلما قالوا له انتخذك ربا قيل لهم ما كان لبشر ان يستنبئه الله ثم يامر الناس بعبادته وينهاكم
عن عبادة الملائكة والانبياء ٭ والقراءة بالرفع على الابتداء الكلام اظهر وتنصرها قراءة عبد الله ولن يامركم
والضمير في لا يامركم وايامركم للبشر ٭ وقيل لله والهمزة في ايامركم للانكار ٭ بعد اذ انتم مسلمون دليل على ان
المخاطبين كانوا مسلمين وهم الذين استاذنوه ان يسجدوا له واذ اخذ الله ميثاق النبيين لما آتيتكم
من كتاب وحكمة ثم جاءكم رسول مصدق لما معكم لتؤمنن به ولتنصرنه قال أأقررتم واخذتم
على ذلكم اصري قالوا اقررنا قال فاشهدوا وانا معكم من الشاهدين ٭ ميثاق النبيين فيه غير وجه
احدها ان يكون على ظاهره من اخذ الميثاق على النبيين بذلك ٭ والثاني ان يضيف الميثاق الى النبيين
اضافته الى الموثق لا الى الموثق عليه كما تقول ميثاق الله وعهد الله كانه قيل واذ اخذ الله الميثاق الذي
وثقه الانبياء على اممهم ٭ والثالث ان يراد ميثاق اولاد النبيين وهم بنو اسرائيل على حذف المضاف
والرابع ان يراد اهل الكتاب وان يرد على زعمهم تهكما بهم لانهم كانوا يقولون نحن اولى بالنبوة من محمد لانا اهل
كتاب ومنا كان النبيون وتدل عليه قراءة ابيّ وابن مسعود رضي الله عنهما واذ اخذ الله ميثاق الذين اوتوا
الكتاب ٭ واللام في لما آتيتكم لام التوطئة لان اخذ الميثاق في معنى الاستحلاف وفي لتؤمنن لام جواب
القسم والشرط جميعا وان تكون موصولة بمعنى للذي آتيتكموه لتؤمنن به وقرئ لما آتيناكم وقرا
حمزة لما آتيتكم بكسر اللام ومعناه لاجل ايتائي اياكم بعض الكتاب والحكمة ثم لمجيء رسول مصدق لما معكم
لتؤمنن به على ان ما مصدرية والفعلان معها اعني آتيتكم وجاءكم في معنى المصدرين واللام داخلة للتعليل
على معنى اخذ الله ميثاقهم لتؤمنن بالرسول ولتنصرنه لاجل اني آتيتكم الحكمة وان الرسول الذي آمركم بالايمان
به ونصرته موافق لكم غير مخالف ويجوز ان تكون ما موصولة فان قلت كيف يجوز ذلك ٭
والعطف على آتيتكم وهو قوله ثم جاءكم لا يجوز ان يدخل تحت حكم الصلة لانك لا تقول للذي جاءكم
رسول مصدق لما معكم قلت بلى لان معنى ما آتيتكم لكانه قيل للذي آتيتكموه وجاءكم رسول مصدق
له وقرا سعيد بن جبير لما بالتشديد بمعنى حين آتيتكم بعض الكتاب والحكمة ثم جاءكم رسول مصدق له
وجب عليكم الايمان به ونصرته ٭ وقيل اصله لمن ما فاستثقلوا اجتماع ثلاث ميمات وهي الميمان والنون
المنقلبة ميما بادغامها في الميم فحذفوا احديها فصارت لما ومعناه لمن اجل ما آتيتكم لتؤمنن به ٭ وهذا نحو
من قراءة حمزة في المعنى ٭ اصري عهدي وقرئ اصري بالضم وسمي اصرا لانه مما يؤصر اي يشد
ويعقد ٭ ومنه الاصار الذي يعقد به ٭ ويجوز ان يكون المضموم لغة في اصر كعبر وعبر وان يكون
جمع اصار ٭ فاشهدوا فليشهد بعضكم على بعض بالاقرار وانا على ذلكم من اقراركم وتشاهدكم من
الشاهدين وهذا توكيد عليهم وتحذير من الرجوع اذا علموا بشهادة الله وشهادة بعضهم على بعض ٭
وقيل الخطاب للملائكة فمن تولى بعد ذلك فاولئك هم الفاسقون ٭ افغير دين الله يبغون وله
اسلم من في السموات والارض طوعا وكرها واليه يرجعون ٭ فمن تولى بعد ذلك الميثاق والتوكيد
فاولئك هم الفاسقون اي المتمردون من الكفار ٭ دخلت همزة الانكار على الفاء العاطفة جملة على جملة
والمعنى فاولئك هم الفاسقون فغير دين الله يبغون ثم توسطت الهمزة بينهما ٭ ويجوز ان يعطف على
محذوف تقديره ايتولون فغير دين الله يبغون وقدّم المفعول الذي هو غير دين الله على فعله لانه
اهم من حيث ان الانكار الذي هو معنى الهمزة متوجه الى المعبود بالباطل وروي ان اهل
الكتاب اختصموا الى رسول الله صلى الله عليه وسلم فيما اختلفوا فيه من دين ابراهيم عليه السلام وكل واحد

من الفريقين ادّعى انّه اولى به فقال النبي صلى الله عليه وسلم كلا الفريقين بريء من دين ابراهيم فقالوا ما نرضى
بقضائك ولا ناخذ بدينك فنزلت **وقرئ** يبغون بالياء وترجعون بالتاء وهي قراءة ابي عمرو
لان الباغين هم المتولون والراجعون جميع الناس **وقرئا** بالياء معًا وبالتاء معًا • طوعًا بالنظر
في الادلة والانصاف من نفسه • وكرهًا بالسيف او بمعاينة ما يلجئ الى الاسلام كنتق الجبل على بني اسرائيل
وادراك الغرق فرعون • والاشفاء على الموت • فلمّا راوا باسنا قالوا آمنّا بالله وحده وانتصاب طوعًا
وكرهًا على الحال بمعنى طائعين ومكرهين امر رسول الله بان يخبر عن نفسه وعمّن معه بالايمان فلذلك
وحّد الضمير في قل وجمع في آمنا • ويجوز ان يومر بان يتكلم عن نفسه كما يتكلم الملوك اجلالا من الله لقدر
نبيه قل آمنا بالله وما انزل علينا وما انزل الى ابراهيم واسمعيل واسحق ويعقوب والاسباط
وما اوتي موسى وعيسى والنبيون من ربهم لا نفرق بين احد منهم ونحن له مسلمون **فان قلت**
لم عدّي انزل في هذه الاية بحرف الاستعلاء وفيما تقدم من مثلها بحرف الانتهاء **قلت** لوجود المعنيين
جميعا لان الوحي ينزل من فوق وينتهي الى الرسل فجاء تارة باحد المعنيين واخرى بالآخر ومن قال انما
قيل علينا لقوله قل والينا لقوله قولوا تفرقة بين الرسول والمؤمنين لان الرسول ياتيه الوحي على طريق
الاستعلاء وياتيهم على وجه الانتهاء فقد تعسّف • الا ترى الى قوله تعالى بما انزل اليك وانزلنا اليك الكتاب
والى قوله آمنوا بالذي انزل على الذين آمنوا • ونحن له مسلمون موحدون مخلصون انفسنا له لا نجعل
له شريكا في عبادتها ومن يبتغ غير الاسلام دينا فلن يقبل منه وهو في الآخرة من الخاسرين • ثم
قال ومن يبتغ غير الاسلام يعني التوحيد واسلام الوجه لله دينا فلن يقبل منه وهو في الآخرة من الخاسرين
من الذين وقعوا في الخسران مطلقا من غير تقييد للشياع **وقرئ** ومن يبتغ غير الاسلام دينا
بالادغام كيف يهدي الله قوما كفروا بعد ايمانهم وشهدوا ان الرسول حق وجاءهم البينات
والله لا يهدي القوم الظالمين • كيف يهدي الله قوما كيف يلطف بهم وليسوا من اهل اللطف
لما علم الله من تصميمهم على كفرهم ودلّ على تصميمهم بانهم كفروا بعد ايمانهم وبعد ما شهدوا بان الرسول
حق وبعد ما جاءتهم الشواهد من القرآن وسائر المعجزات التي تثبت بمثلها النبوة كفروا بالنبي عليه السلام
بعد ان كانوا مؤمنين به وذلك حين عاينوا ما يوجب قوة ايمانهم من البينات • وقيل نزلت في رهط كانوا
اسلموا ثم رجعوا عن الاسلام ولحقوا بمكة منهم طعمة بن ابيرق ووحوح بن الاسلت والحارث بن سويد بن الصامت
فان قلت علام عطف قوله وشهدوا **قلت** فيه وجهان ان يعطف على ما في ايمانهم من
معنى الفعل لان معناه بعد ان آمنوا كقوله فاصّدّق واكن **وقول الشاعر** • • •
ليسوا مصلحين عشيرة • ولا ناعب • ويجوز ان تكون الواو للحال باضمار قد بمعنى كفروا وقد شهدوا ان
الرسول حق • والله لا يهدي لا يلطف بالقوم الظالمين المعاندين الذين علم الله ان اللطف لا ينفعهم
اولئك جزاؤهم ان عليهم لعنة الله والملائكة والناس اجمعين • خالدين فيها لا يخفف عنهم
العذاب ولا هم ينظرون • الا الذين تابوا من بعد ذلك واصلحوا فان الله غفور رحيم
الا الذين تابوا من بعد ذلك الكفر العظيم والارتداد واصلحوا ما افسدوا او دخلوا في الصلاح •
قيل نزلت في الحارث بن سويد حين ندم على ردته وارسل الى قومه ان سلوا هل لي من توبة فارسل
اليه اخوه الجلاس بالآية فاقبل الى المدينة فتاب وقبل رسول الله عليه السلام توبته ان الذين كفروا
بعد ايمانهم ثم ازدادوا كفرا لن تقبل توبتهم واولئك هم الضالون • ان الذين كفروا وماتوا

وهم كفار فلن يقبل من احدهم ملء الارض ذهبا ولو افتدى به اولئك لهم عذاب اليم وما لهم
من ناصرين • ثم ازدادوا كفرا هم اليهود كفروا بعيسى والانجيل بعد ايمانهم بموسى والتوراة ثم
ازدادوا كفرا بكفرهم بمحمد والقرآن • او كفروا برسول الله عليه السلام بعد ما كانوا به مؤمنين قبل
مبعثه ثم ازدادوا كفرا باصرارهم على ذلك وطعنهم فيه في كل وقت وعداوتهم له ونقضهم ميثاقه وفتنتهم
للمؤمنين وصدّهم عن الايمان به وسخريتهم بكل آية تنزل • وقيل نزلت في الذين ارتدوا ولحقوا
بمكة وازديادهم الكفر ان قالوا نقيم بمكة نتربص بمحمد ريب المنون • وان ارادوا الرجعة نافقنا
باظهار التوبة **فان قلت** قد علم ان المرتد كيف ما ازداد كفرا فانه مقبول التوبة اذا تاب
فما معنى لن تقبل توبتهم **قلت** جعلت عبارة عن الموت على الكفر لان الذي لا تقبل توبته من
الكفار هو الذي يموت على الكفر كانه قيل ان اليهود او المرتدين الذين فعلوا ما فعلوا مائتون
على الكفر داخلون في جملة من لا تقبل توبتهم **فان قلت** فلم قيل في احدى الآيتين لن تقبل بغير
فاء وفي الاخرى فلن تقبل **قلت** قد اوذن بالفاء ان الكلام بني على الشرط والجزاء وان سبب امتناع
قبول الفدية هو الموت على الكفر وبترك الفاء ان الكلام مبتدأ وخبر ولا دليل فيه على التسبيب كما
تقول الذي جاءني له درهم لم تجعل المجيء سببا في استحقاق الدرهم بخلاف قولك فله درهم **فان
قلت** فحين كان معنى لن تقبل توبتهم بمعنى الموت على الكفر فهلا جعل الموت على الكفر مسببا عن
ارتدادهم وازديادهم الكفر لما في ذلك من قساوة القلوب وركوب الرين وجرّه الى الموت على الكفر
قلت لانه كم من مرتد مزداد للكفر يرجع الى الاسلام ولا يموت على الكفر **فان قلت** فاي
فائدة في هذه الكناية اعني ان كني عن الموت على الكفر بامتناع قبول التوبة **قلت** الفائدة فيها
جليلة وهي التغليظ في شان اولئك الفريق من الكفار وابراز حالهم في صورة حال الآيسين من الرحمة
التي هي اغلظ الاحوال واشدها • الا ترى ان الموت على الكفر انما يخاف من اجل الياس من الرحمة
ذهبا نصب على التمييز • وقرا الاعمش ذهب بالرفع ردا على ملء كما يقال عندي عشرون نفسا رجال
فان قلت كيف موقع قوله ولو افتدى به **قلت** هو كلام محمول على المعنى كانه قيل فلن يقبل
من احدهم فدية ولو افتدى بملء الارض ذهبا • ويجوز ان يراد ولو افتدى بمثله كقوله تعالى ولو
ان للذين ظلموا ما في الارض جميعا ومثله معه • والمثل يحذف كثيرا في كلامهم كقولك ضربته ضرب
زيد تريد مثل ضربه • وابو يوسف ابو حنيفة تريد مثله • ولا هيثم الليلة للمطي • وقضية ولا ابا حسن
لها تريد ولا مثل هيثم • ولا مثل ابي حسن كما انه يراد في نحو قولهم مثلك لا يفعل كذا تريد انت • وذلك ان المثلين
يسدّ احدهما مسدّ الآخر فكانا في حكم شيء واحد • وان يراد فلن يقبل من احدهم ملء الارض ذهبا كان قد
تصدّق به ولو افتدى به ايضا لم يقبل منه **وقرئ** فلن نقبل من احدهم ملء الارض على البناء
للفاعل وهو الله عز وجل ونصب ملء • وملء الارض بتخفيف الهمزتين لن تنالوا البر حتى تنفقوا
مما تحبون وما تنفقوا من شيء فان الله به عليم • لن تنالوا البر لن تبلغوا حقيقة البر ولن تكونوا
ابرارا • وقيل لن تنالوا بر الله وهو ثوابه حتى تنفقوا مما تحبون حتى تكون نفقتكم من اموالكم التي تحبونها
وتؤثرونها كقوله عز وجل انفقوا من طيبات ما كسبتم **وكان** السلف رحمة الله عليهم اذا احبوا
شيئا جعلوه لله **وروي** انها لما نزلت جاء ابو طلحة رضي الله عنه فقال يا رسول الله ان احب
اموالي اليّ بيرحى فضعها يا رسول الله حيث اراك الله فقال رسول الله عليه السلام بخ بخ ذاك مال

رايح او مال رابح وانى ارى ان تجعلها فى الاقربين فقال ابو طلحة افعل يا رسول الله فقسمها فى اقاربه
وجاء زيد بن حارثة بفرس له كان يحبها فقال هذه فى سبيل الله فحمل عليها رسول الله عليه السلام اسامة
ابن زيد رضى الله عنه فكان زيدا وجد فى نفسه وقال انما اردت ان اتصدق به فقال رسول الله صلى
الله عليه وسلم اما ان الله تعالى قد قبلها منك وكتب عمر رضى الله عنه الى ابى موسى الاشعرى رضى
الله عنه ان يبتاع له جارية من سبى جلولا يوم فتحت مداين كسرى فلما جاءت اعجبته فقال ان الله تعالى يقول
لن تنالوا البر حتى تنفقوا مما تحبون فاعتقها ونزل بابى ذر رضى الله عنه ضيف فقال للراعى ايتنى
بخير ابلى فجاء بناقة مهزولة فقال خنتنى قال وجدت خير الابل فحلها فذكرت يوم حاجتكم اليه فقال ان
يوم حاجتى اليه ليوم ان اوضع فى حفرتى وقرا عبد الله حتى تنفقوا بعض ما تحبون وهذا دليل على ان من فى
مما تحبون للتبعيض ونحوه اخذت من المال ومن فى من شىء لتبيين ما تنفقوا اى من اى شىء كان طيب تحبونه
او خبيث تكرهونه فان الله عليم بكل شىء تنفقونه فيجازيكم بحسبه كل الطعام كان حلا لبنى اسرائيل الا
ما حرم اسرائيل على نفسه من قبل ان تنزل التورية قل فاتوا بالتورية فاتلوها ان كنتم صادقين
فمن افترى على الله الكذب من بعد ذلك فاولئك هم الظالمون ۰ كل الطعام كل المطعومات ۰ او كل
انواع الطعام ۰ والحل مصدر يقال حل الشىء حلا كقولك ذلت الدابة ذلا وعز الرجل عزا وفى حديث
عايشة رضى الله عنها كنت اطيبه لحله وحرمه ولذلك استوى فى الوصف به المذكر والمؤنث والواحد
والجمع قال تعالى لا هن حل لهم الا الذى حرم اسرائيل وهو يعقوب عليه السلام على نفسه لحوم الابل والبانها
وقيل العروق كان به عرق النسا فنذر ان شفى ان يحرم على نفسه احب الطعام اليه وكان ذلك احبه اليه فحرمه
وقيل اشارت عليه الاطباء باجتنابه ففعل وذلك باذن من الله فهو كتحريم الله ابتداء ۰ والمعنى ان المطاعم
كلها لم تزل حلا لبنى اسرائيل من قبل انزال التورية وتحريم ما حرم عليهم منها لظلمهم وبغيهم لم يحرم منها
شىء قبل ذلك غير المطعوم الواحد الذى حرمه ابوهم اسرائيل على نفسه فتبعوه على تحريمه وهو رد
على اليهود وتكذيب لهم حيث ارادوا براءة ساحتهم مما نعى عليهم فى قوله تعالى فبظلم من الذين هادوا حرمنا
عليهم طيبات احلت لهم الى قوله تعالى عذابا اليما ۰ وفى قوله تعالى وعلى الذين هادوا حرمنا كل ذى ظفر
ومن البقر والغنم حرمنا عليهم شحومهما الى قوله ذلك جزيناهم ببغيهم وجحود ما غاظهم واشمازوا منه
وامتعضوا مما نطق به القرآن من تحريم الطيبات عليهم لبغيهم وظلمهم فقالوا لسنا باول من حرمت
عليه وما هو الا تحريم قديم كانت محرمة على نوح وعلى ابراهيم عليهما السلام ومن بعده من بنى اسرائيل هلم
جرا الى ان انتهى التحريم الينا فحرمت علينا كما حرمت على من قبلنا وغرضهم تكذيب شهادة الله عليهم بالبغى
والظلم والصد عن سبيل الله واكل الربوا واخذ اموال الناس بالباطل وما عدد من مساويهم التى كلما
ارتكبوا منها كبيرة حرم عليهم نوع من الطيبات عقوبة لهم ۰ قل فاتوا بالتورية فاتلوها امر بان
يحاجهم بكتابهم ويبكتهم بما هو ناطق به من ان تحريم ما حرم عليهم تحريم حادث بسبب ظلمهم وبغيهم لا
تحريم قديم كما يدعونه فروى انهم لم يجسروا على اخراج التورية وبهتوا وانقلبوا صاغرين ۰
وفى ذلك الحجة البينة على صدق رسول الله عليه السلام وعلى جواز النسخ الذى يجحدونه ۰ فمن افترى على
الله الكذب بزعمه ان ذلك كان محرما على بنى اسرائيل قبل انزال التورية من بعد ما لزمتهم من الحجة
القاطعة فاولئك هم الظالمون المكابرون الذين لا ينصفون من انفسهم ولا يلتفتون الى البينات
قل صدق الله فاتبعوا ملة ابراهيم حنيفا وما كان من المشركين ۰ قل صدق الله تعريض بكذبهم كقوله

تعالى ذلك جزيناهم ببغيهم وانا لصادقون اى ثبت ان الله صادق فيما انزل وانتم الكاذبون فاتبعوا
ملة ابراهيم حنيفا وهى ملة الاسلام التى عليها محمد صلى الله عليه وسلم ومن امن معه حتى تتخلصوا من
اليهودية التى ورطتكم فى فساد دينكم ودنياكم حيث اضطرتكم الى تحريف كتاب الله لتسويغ اغراضكم
والزمتكم تحريم الطيبات التى احلها الله لابراهيم عليه السلام ان اول بيت وضع للناس للذى
ببكة مباركا وهدى للعالمين ۰ فيه ايات بينات مقام ابراهيم ومن دخله كان امنا ولله
على الناس حج البيت من استطاع اليه سبيلا ومن كفر فان الله غنى عن العالمين ۰ وضع للناس
صفة لبيت والواضع هو الله عز وجل تدل عليه قراءة من قرا وضع للناس بتسمية الفاعل وهو
الله ومعنى وضع الله بيتا للناس انه جعله متعبدا لهم فكانه قال ان اول متعبد للناس الكعبة ۰
وعن النبى صلى الله عليه وسلم انه سئل عن اول مسجد وضع للناس فقال المسجد الحرام ثم بيت المقدس
وسئل كم بينهما قال اربعون سنة ۰ وعن على رضى الله عنه ان رجلا قال له اهو اول بيت قال لا
قد كان قبله بيوت ولكنه اول بيت وضع للناس مباركا فيه الهدى والرحمة والبركة ۰ واول من
بناه ابراهيم ثم بناه قوم من العرب من جرهم ثم هدم فبنته العمالقة ثم هدم فبناه قريش ۰ وعن ابن
عباس رضى الله عنهما هو اول بيت حج بعد الطوفان ۰ وقيل هو اول بيت ظهر على وجه الماء عند
خلق السماء والارض خلقه قبل الارض بالفى عام وكان زبدة بيضاء على وجه الماء فدحيت الارض تحته
وقيل هو اول بيت بناه ادم فى الارض ۰ وقيل لما اهبط ادم قالت له الملائكة طف حول هذا البيت
فلقد طفنا قبلك بالفى عام وكان فى موضعه قبل ادم بيت يقال له الضراح فرفع فى الطوفان الى
السماء الرابعة تطوف به ملائكة السموات ۰ للذى ببكة للبيت الذى ببكة وهو علم للبلد الحرام
ومكة وبكة لغتان فيه نحو قولهم النبيط والنميط فى اسم موضع بالدهناء ونحوه من الاعتقاب امر
راتب وراتم وحمى مخطة ومغبطة ۰ وقيل مكة البلد وبكة موضع المسجد ۰ وقيل اشتقاقها من بكه
اذا زحمه لازدحام الناس فيها وعن قتادة يبك الناس بعضهم بعضا الرجال والنساء يصلى بعضهم
بين يدى بعض لا يصلح ذلك الا بمكة كانها سميت ببكة وهى الزحمة قال الشاعر ۰
اذا الشريب اخذته الاكه ۰ فخله حتى يبك بكه ۰ وقيل تبك اعناق الجبابرة اى تدقها
لم يقصدها جبار الا قصمه الله ۰ مباركا كثير الخير لما يحصل لمن حجه واعتمره وعكف عنده وطاف حوله
من الثواب وتكفير الذنوب وانتصابه على الحال من المستكن فى الظرف لان التقدير للذى ببكة هو
والعامل فيه المقدر فى الظرف من فعل الاستقرار وهدى للعالمين لانه قبلتهم ومتعبدهم مقام
ابراهيم عطف بيان لقوله تعالى ايات بينات فان قلت كيف صح بيان الجماعة بالواحد ۰
قلت فيه وجهان ۰ احدهما ان يجعل وحده بمنزلة ايات كثيرة لظهور شانه وقوة دلالته
على قدرة الله ونبوة ابراهيم عليه السلام من تاثير قدمه فى حجر صلد كقوله ان ابراهيم كان
امة ۰ والثانى اشتماله على ايات لان اثر القدم فى الصخرة الصماء اية ۰ وغوصه فيها الى الكعبين
اية ۰ والانة بعض الصخر دون بعض اية ۰ وابقاؤه دون ساير ايات الانبياء عليهم السلام اية
لابراهيم خاصة ۰ وحفظه مع كثرة اعدائه من المشركين واهل الكتاب والملاحدة الوف سنة اية ۰
ويجوز ان يراد فيه ايات بينات مقام ابراهيم وامن من دخله وكثير سواهما وفى طى الذكر
قول جرير ۰ كانت حنيفة اثلاثا فثلثهم ۰ من العبيد وثلث من مواليها ۰ وقوله عليه السلام حبب الى

من دنياكم ثلاث الطيب والنساء وقرة عيني في الصلوة وقرأ ابن عباس وابي ومجاهد وابو جعفر
المدني في رواية قتيبة آية بينة على التوحيد وفيها دليل على ان مقام ابراهيم واحد وحده عطف بيان
فان قلت كيف اجزت ان يكون مقام ابراهيم والامن عطف بيان للآيات وقوله ومن دخله كان
امنا جملة مستأنفة اما ابتدائية واما شرطية قلت اجزت ذلك من حيث المعنى لان قوله ومن
دخله كان امنا دل على امن داخله فكانه قيل فيه آيات بينات مقام ابراهيم وامن داخله الا ترى
انك لو قلت فيه آية بينة من دخله كان امنا صح لانه في معنى قولك فيه آية بينة امن من دخله فان قلت
كيف كان سبب هذا الاثر قلت فيه قولان احدهما انه لما ارتفع بنيان الكعبة وضعف ابراهيم
عن رفع الحجارة قام على هذا الحجر فغاصت فيه قدماه وقيل انه جاء زائرا من الشام الى مكة فقالت له
امرأة اسمعيل عليه السلام انزل حتى يغسل راسك فلم ينزل فجاءته بهذا الحجر فوضعته على شقه الايمن فوضع قدمه
عليه حتى غسلت شق راسه ثم حولته الى شقه الايسر حتى غسلت الشق الاخر فبقي اثر قدميه عليه ومعنى
ومن دخله كان امنا معنى قوله اولم يروا انا جعلنا حرما امنا ويتخطف الناس من حولهم وذلك بدعوة ابراهيم
عليه السلام رب اجعل هذا البلد امنا وكان الرجل لو جر كل جريرة ثم لجا الى الحرم لم يطلب وعن عمر رضي
الله عنه لو ظفرت فيه بقاتل الخطاب ما مسسته حتى يخرج منه وعن ابي حنيفة رحمة الله عليه من لزمه
القتل في الحل بقصاص او ردة او زنا فالتجأ الى الحرم لم يتعرض له الا انه لا يؤوى ولا يطعم ولا يسقى ولا يبايع
حتى يضطر الى الخروج وقيل امنا من النار وعن النبي صلى الله عليه وسلم من مات في احد الحرمين بعث
يوم القيمة امنا وعنه عليه السلام الحجون والبقيع يؤخذ باطرافهما وينثران في الجنة وهما مقبرتا
مكة والمدينة وعن ابن مسعود رضي الله عنه وقف رسول الله صلى الله عليه وسلم على ثنية الحجون
وليس بها يومئذ مقبرة فقال ليبعث الله من هذه البقعة ومن هذا الحرم كله سبعين الفا وجوههم كالقمر
ليلة البدر يدخلون الجنة بغير حساب يشفع كل واحد منهم في سبعين الفا وجوههم كالقمر ليلة البدر
وعن النبي صلى الله عليه وسلم من صبر على حر مكة ساعة من نهار تباعدت منه جهنم مسيرة مائتي عام من
استطاع بدل من الناس وروي ان النبي صلى الله عليه وسلم فسر الاستطاعة بالزاد والراحلة وكذا
عن ابن عباس رضي الله عنهما وابن عمر وعليه اكثر العلماء وعن ابن الزبير هو على قدر القوة ومذهب
مالك ان الرجل اذا وثق بقوته لزمه وعنه ذلك على قدر الطاقة وقد يجد الزاد والراحلة
من لا يقدر على السفر وقد يقدر عليه من لا راحلة له ولا زاد وعن الضحاك اذا قدر ان يؤجر نفسه
فهو مستطيع وقيل له في ذلك فقال ان كان لبعضهم ميراث بمكة اكان يتركه بل كان ينطلق اليه ولو
حبوا فكذلك يجب عليه الحج والضمير في اليه للبيت او للحج وكل ما اتى الى الشيء فهو سبيل اليه وفي هذا
الكلام انواع من التاكيد والتشديد منها قوله تعالى ولله على الناس حج البيت يعني انه حق واجب
لله في رقاب الناس لا ينفكون عن ادائه والخروج من عهدته ومنها انه ذكر الناس ثم ابدل عنه
من استطاع اليه سبيلا وفيه ضربان من التاكيد احدهما ان الابدال تثنية للمراد وتكرير له
والثاني ان الايضاح بعد الابهام والتفصيل بعد الاجمال ايراد له في صورتين مختلفتين ومنها
قوله ومن كفر مكان ومن لم يحج تغليظا على تارك الحج ولذلك قال رسول الله عليه السلام من مات ولم
يحج فليمت ان شاء يهوديا او نصرانيا ونحوه من التغليظ من ترك الصلوة متعمدا فقد كفر ومنها ذكر
الاستغناء عنه وذلك مما يدل على المقت والسخط والخذلان ومنها قوله عن العالمين وان لم يقل عنه وما

فيه من الدلالة على الاستغناء عنه ببرهان لانه اذا استغنى عن العالمين تناوله الاستغناء لا محالة ولانه يدل
على الاستغناء الكامل فكان ادل على عظم السخط الذي وقع عبارة عنه وعن سعيد بن المسيب رضي الله عنه
نزلت في اليهود فانهم قالوا الحج الى مكة غير واجب وروي انه لما نزل قوله ولله على الناس حج البيت
جمع رسول الله عليه السلام اهل الاديان كلهم فخطبهم فقال ان الله كتب عليكم الحج فحجوا فآمنت به ملة
واحدة وهم المسلمون وكفرت به خمس ملل قالوا لا نؤمن به ولا نصلي اليه ولا نحجه فنزل ومن كفر وعن
النبي صلى الله عليه وسلم حجوا قبل ان لا تحجوا فانه قد هدم البيت مرتين ويرفع في الثالثة وروي حجوا
قبل ان لا تحجوا قبل ان يمنع البر جانبه وعن ابن مسعود رضي الله عنه حجوا هذا البيت قبل ان تنبت
في البادية شجرة لا يأكل منها دابة الا نفقت وعن عمر رضي الله عنه لو ترك الناس الحج عاما واحدا ما
نوظروا وقرئ حج البيت بالكسر قل يا اهل الكتاب لم تكفرون بآيات الله والله شهيد
على ما تعملون قل يا اهل الكتاب لم تصدون عن سبيل الله من آمن تبغونها عوجا وانتم
شهداء وما الله بغافل عما تعملون يا ايها الذين آمنوا ان تطيعوا فريقا من الذين اوتوا
الكتاب يردوكم بعد ايمانكم كافرين والله شهيد الواو للحال والمعنى لم تكفرون بآيات الله التي
دلتكم على صدق محمد عليه السلام والحال ان الله شهيد على اعمالكم فمجازيكم عليها وهذه الحال توجب ان
لا تجسروا على الكفر باياته وقرأ الحسن تصدون من اصده عن سبيل الله عن دين حق علم انه سبيل
الله التي امر بسلوكها وهو الاسلام وكانوا يفتنون المؤمنين ويحتالون لصدهم عنه ويمنعون
من اراد الدخول فيه بجهدهم وقيل اتت اليهود الاوس والخزرج فذكروهم ما كان بينهم في الجاهلية
من العداوات والحروب ليعودوا لمثله تبغونها عوجا تطلبون لها اعوجاجا وميلا عن القصد والاستقا
فان قلت كيف تبغونها عوجا وهو محال قلت فيه معنيان احدهما انكم تلبسون على الناس
حتى توهموهم ان فيها عوجا بقولكم ان شريعة موسى لا تنسخ وبتغييركم صفة رسول الله عليه
السلام عن وجهها ونحو ذلك والثاني انكم تتعبون انفسكم في اخفاء الحق وابتغاء ما لا يتأتى لكم
من وجود العوج فيما هو اقوم من كل مستقيم وانتم شهداء انها سبيل الله التي لا يصد عنها الا ضال
مضل او وانتم شهداء بين اهل دينكم عدول يثقون باقوالكم ويستشهدونكم في عظائم امورهم وهم
الاحبار وما الله بغافل وعيد ومحل تبغونها نصب على الحال قيل مر شاس بن قيس اليهودي
وكان عظيم الكفر شديد الطعن على المسلمين شديد الحسد فمر على نفر من الانصار من الاوس والخزرج في
مجلس لهم يتحدثون فغاظه ذلك حيث تالفوا واجتمعوا بعد الذي كان بينهم في الجاهلية من العداوة
وقال ما لنا معهم اذا اجتمعوا من قرار فامر شابا من اليهود ان يجلس اليهم ويذكرهم يوم بعاث وينشدهم
ما قيل فيه من الاشعار وكان يوما اقتتلت فيه الاوس والخزرج وكان الظفر فيه للاوس ففعل فتنازع
القوم عند ذلك وتفاخروا وتغاضبوا وقالوا السلاح السلاح فبلغ النبي صلى الله عليه وسلم فخرج اليهم
فيمن معه من المهاجرين والانصار فقال اتدعون الجاهلية وانا بين اظهركم بعد اذ اكرمكم
الله بالاسلام وقطع به عنكم امر الجاهلية والف بين قلوبكم فعرف القوم انها نزغة من الشيطان
وكيد من عدوهم فالقوا السلاح وبكوا وعانق بعضهم بعضا ثم انصرفوا مع رسول الله عليه السلام
فما كان يوم اقبح اولا واحسن اخرا من ذلك اليوم وكيف تكفرون وانتم تتلى عليكم آيات الله وفيكم
رسوله ومن يعتصم بالله فقد هدي الى صراط مستقيم يا ايها الذين آمنوا اتقوا الله حق تقاته

ولا تموتن الا وانتم مسلمون ۝ وكيف تكفرون معنى الاستفهام فيه الانكار والتعجب والمعنى اين
يتطرق اليكم الكفر والحال ان آيات الله وهي القرآن المعجز تتلى عليكم على لسان الرسول غضة طرية وبين
اظهركم رسول الله عليه السلام ينبهكم ويعظكم ويزيح شبهكم ۝ ومن يعتصم بالله ومن يتمسك بدينه
ويجوز ان يكون حثا لهم على الالتجاء اليه في دفع شرور الكفار ومكايدهم ۝ فقد هدي فقد حصل
له الهدى لا محالة كما تقول اذا جئت فلانا فقد افلحت كان الهدى قد حصل فهو يخبر عنه حاصلا ۝
ومعنى التوقع في قد ظاهر لان المعتصم بالله متوقع للهدى كما ان قاصد الكريم متوقع للفلاح عنده
حق تقاته واجب تقواه وما يحق منها وهو القيام بالواجب واجتناب المحارم ونحوه فاتقوا
الله ما استطعتم يريد بالغوا في التقوى حتى لا تتركوا من المستطاع منها شيئا وعن عبد الله هو
ان يطاع فلا يعصى ويشكر فلا يكفر ويذكر فلا ينسى وروي مرفوعا ۝ وقيل هو ان لا تاخذه في الله لومة
لائم ويقوم بالقسط ولو على نفسه او ابنه او ابيه ۝ وقيل لا يتقي الله عبد حق تقاته حتى يخزن لسانه
والتقاة من اتقى كالتؤدة من اتأد ۝ ولا تموتن معناه ولا تكونن على حال سوى حال الاسلام اذا ادرككم
الموت كما تقول لمن تستعين به على لقاء العدو لا تاتني الا وانت على حصان فلا تنهاه عن الاتيان ولكنك
تنهاه عن خلاف الحال التي شرطت عليه في وقت الاتيان ۝ واعتصموا بحبل الله جميعا ولا تفرقوا واذكروا
نعمة الله عليكم اذ كنتم اعداء فالف بين قلوبكم فاصبحتم بنعمته اخوانا وكنتم على شفا حفرة من
النار فانقذكم منها كذلك يبين الله لكم آياته لعلكم تهتدون ۝ قولهم اعتصمت بحبله يجوز
ان يكون تمثيلا لاستظهاره به ووثوقه بحمايته بامتساك المتدلي من مكان مرتفع بحبل وثيق يامن انقطاعه
وان يكون الحبل استعارة لعهده والاعتصام لوثوقه بالعهد ۝ او ترشيحا لاستعارة الحبل بما يناسبه
والمعنى واجتمعوا على استعانتكم بالله ووثوقكم به ولا تفرقوا عنه ۝ او اجتمعوا على التمسك بعهده
الى عباده وهو الايمان والطاعة ۝ او بكتابه لقول النبي عليه السلام القرآن حبل الله المتين لا تنقضي
عجائبه ولا يخلق عن كثرة الرد من قال به صدق ومن عمل به رشد ومن اعتصم به هدي الى صراط مستقيم
ولا تفرقوا اي ولا تتفرقوا عن الحق بوقوع الاختلاف بينكم كما اختلفت اليهود والنصارى ۝ او كما كنتم
متفرقين في الجاهلية متدابرين يعادي بعضكم بعضا ويحاربه ۝ او ولا تحدثوا ما يكون عنه التفرق
ويزول معه الاجتماع والالفة التي انتم عليها مما ياباه جامعكم والمؤلف بينكم وهو اتباع الحق ۝
والتمسك بالاسلام كانوا في الجاهلية بينهم الاحن والعداوات والحروب المتواصلة فالف الله بين قلوبهم
بالاسلام وقذف فيها المحبة فتحابوا وتوافقوا وصاروا اخوانا متراحمين متناصحين مجتمعين على
امر واحد قد نظم بينهم وازال الاختلاف وهو الاخوة في الله وقيل هم الاوس والخزرج كانا
اخوين لاب وام فوقعت بينهما العداوة وتطاولت الحروب مائة وعشرين سنة الى ان اطفأ الله
ذلك بالاسلام والف بينهم برسول الله عليه السلام ۝ وكنتم على شفا حفرة من النار وكنتم مشفين
على ان تقعوا في نار جهنم لما كنتم عليه من الكفر فانقذكم منها بالاسلام والضمير للحفرة او للنار او
للشفا وانما انث لاضافته الى الحفرة وهو منها كما قال كما شرقت صدر القناة من الدم ۝
وشفا الحفرة وشفتها حرفها بالتذكير والتانيث ولامها واو الا انها في المذكر مقلوبة وفي المؤنث
محذوفة ۝ ونحو الشفا والشفة الجانب والجانبة فان قلت كيف جعلوا على حرف حفرة من النار
قلت لو ماتوا على ما كانوا عليه وقعوا في النار فمثلت حياتهم التي يتوقع بعدها الوقوع في النار

بالتعود على حرفها مشفين على الوقوع فيها ۝ كذلك مثل ذلك البيان البليغ يبين الله لكم آياته لعلكم تهتدون
ارادة ان تزدادوا هدى ولتكن منكم امة يدعون الى الخير ويامرون بالمعروف وينهون عن المنكر
واولئك هم المفلحون ۝ ولتكن منكم من للتبعيض لان الامر بالمعروف والنهي عن المنكر من فروض
الكفايات ولانه لا يصلح له الا من علم المعروف والمنكر وعلم كيف يرتب الامر في اقامته وكيف يباشر
فان الجاهل ربما نهى عن معروف وامر بمنكر ۝ وربما عرف الحكم في مذهبه وجهله في مذهب صاحبه فنهاه
عن غير منكر وقد يغلظ في موضع اللين ويلين في موضع الغلظة وينكر على من لا يزيده انكاره الا تماديا
او على من الانكار عليه عبث كالانكار على اصحاب المآصر والجلادين واضرابهم ۝ وقيل من للتبيين بمعنى وكونوا
امة تامرون كقوله عز وجل كنتم خير امة اخرجت للناس تامرون ۝ واولئك هم المفلحون هم الاخصاء
بالفلاح دون غيرهم ۝ وعن النبي صلى الله عليه وسلم انه سئل وهو على المنبر من خير الناس قال امرهم
بالمعروف وانهاهم عن المنكر واتقاهم لله واوصلهم ۝ وعنه صلى الله عليه وسلم من امر بالمعروف ونهى
عن المنكر فهو خليفة الله في ارضه وخليفة رسوله وخليفة كتابه وعن علي رضي الله عنه افضل الجهاد
الامر بالمعروف والنهي عن المنكر ومن شنئ الفاسقين وغضب لله غضب الله له ۝ وعن حذيفة رضي الله
عنه ياتي على الناس زمان يكون فيهم جيفة الحمار احب اليهم من مؤمن يامرهم بالمعروف وينهاهم عن المنكر
وعن سفيان الثوري اذا كان الرجل محببا في جيرانه محمودا عند اخوانه فاعلم انه مداهن ۝ والامر بالمعروف
تابع للمامور به ان كان واجبا فواجب وان كان ندبا فندب ۝ واما النهي عن المنكر فواجب كله لان جميع المنكر
تركه واجب لاتصافه بالقبح فان قلت ما طريق الوجوب قلت قد اختلف فيه الشيخان
فعند ابي علي السمع والعقل وعند ابي هاشم السمع وحده ۝ فان قلت ما شرائط النهي قلت ان يعلم الناهي
ان ما ينكره قبيح لانه اذا لم يعلم لم يامن ان ينكر الحسن وان لا يكون ما ينهى عنه واقعا لان الواقع لا يحسن
النهي عنه وانما يحسن الذم عليه والنهي عن امثاله ۝ وان لا يغلب على ظنه ان المنهي يزيد في منكراته وان
لا يغلب على ظنه ان نهيه لا يؤثر لانه عبث فان قلت فما شروط الوجوب قلت ان يغلب
على ظنه وقوع المعصية نحو ان يرى الشارب قد تهيا لشرب الخمر باعداد آلاته وان لا يغلب على ظنه انه
ان انكر لحقته مضرة عظيمة فان قلت كيف يباشر الانكار قلت يبتدئ بالسهل فان لم
ينفع ترقى الى الصعب لان الغرض كف المنكر قال الله تعالى فاصلحوا بينهما ثم قال فقاتلوا ۝ فان قلت
فمن يباشره قلت كل مسلم تمكن منه واختص بشرائطه وقد اجمعوا ان من راى غيره تاركا للصلاة وجب
عليه الانكار لانه معلوم قبحه لكل احد ۝ واما الانكار الذي بالقتال فالامام وخلفاؤه اولى لانهم
اعلم بالسياسة ومعهم عدتها فان قلت فمن يؤمر وينهى قلت كل مكلف وغير المكلف
اذا هم بضرر غيره منع كالصبيان والمجانين وينهى الصبيان عن المحرمات حتى لا يتعودوها كما يؤمرون
بالصلاة ليتمرنوا عليها فان قلت هل يجب على مرتكب المنكر ان ينهى عما يرتكبه قلت
نعم يجب عليه لان ترك ارتكابه وانكاره واجبان عليه فبتركه احد الواجبين لا يسقط عنه الواجب
الآخر وعن السلف مروا بالخير وان لم تفعلوا ۝ وعن الحسن انه سمع مطرف بن عبد الله يقول لا اقول ما لا
افعل فقال واينا يفعل ما يقول ود الشيطان لو ظفر بهذه منكم فلا يامر احد بمعروف ولا ينهى عن
منكر فان قلت كيف قيل يدعون الى الخير ويامرون بالمعروف قلت الدعاء الى الخير
عام في التكاليف من الافعال والتروك والامر بالمعروف والنهي عن المنكر خاص فجيء بالعام ثم عطف

عليه الخاص كقوله والصلوة الوسطى ولا تكونوا كالذين تفرقوا واختلفوا من بعد ما جاءهم البينات واولئك لهم عذاب عظيم • يوم تبيض وجوه وتسود وجوه فاما الذين اسودت وجوههم اكفرتم بعد ايمانكم فذوقوا العذاب بما كنتم تكفرون • واما الذين ابيضت وجوههم ففي رحمة الله هم فيها خالدون • كالذين تفرقوا واختلفوا وهم اليهود والنصارى من بعد ما جاءهم البينات الموجبة للاتفاق على كلمة واحدة وهي كلمة الحق • وقيل هم مبتدعوا هذه الامة وهم المشبهة والمجبرة والحشوية واشباههم • يوم تبيض وجوه نصب بالظرف وهو لهم او باضمار اذكر وقرئ تبيض وتسود بكسر حرف المضارعة وتبياض وتسواد والبياض من النور والسواد من الظلمة فمن كان من اهل نور الحق وسم ببياض اللون واسفاره واشراقه وابيضت صحيفته واشرقت وسعى النور بين يديه وبيمينه ومن كان من اهل ظلمة الباطل وسم بسواد اللون وكسوفه وكمده واسودت صحيفته واظلمت واحاطت به الظلمة من كل جانب • نعوذ بالله وبسعة رحمته من ظلمات اهل الباطل واهله • اكفرتم فيقال لهم اكفرتم والهمزة للتوبيخ والتعجيب من حالهم والظاهر انهم اهل الكتاب وكفرهم بعد الايمان تكذيبهم برسول الله عليه السلام بعد اعترافهم به قبل مجيئه • وعن عطاء تبيض وجوه المهاجرين والانصار وتسود وجوه بني قريظة والنضير • وقيل هم المرتدون • وقيل اهل البدع والاهواء • وعن ابي امامة رضي الله عنه هم الخوارج ولما راهم على درج دمشق دمعت عيناه ثم قال كلاب النار هولاء شر قتلى تحت اديم السماء وخير قتلى تحت اديم السماء الذين قتلهم هولاء فقال له ابو غالب اشيء تقوله برايك ام شيء سمعته من رسول الله عليه السلام قال بل سمعته من رسول الله غير مرة قال فما شانك دمعت عيناك قال رحمة لهم كانوا من اهل الاسلام فكفروا ثم قرا هذه الاية ثم اخذ بيده فقال ان بارض منهم كثيرا اعاذك الله منهم • وقيل هم جميع الكفار لاعراضهم عما اوجبه الاقرار حين اشهدهم على انفسهم الست بربكم قالوا بلى • ففي رحمة الله ففي نعمته وهي الثواب المخلد **فان قلت** كيف موقع قوله هم فيها خالدون بعد قوله ففي رحمة الله **قلت** موقع الاستيناف كانه قيل كيف يكونون فيها فقيل هم فيها خالدون لا يظعنون عنها ولا يموتون • تلك ايات الله نتلوها عليك بالحق وما الله يريد ظلما للعالمين • ولله ما في السموات وما في الارض والى الله ترجع الامور • تلك ايات الله الواردة في الوعد والوعيد نتلوها عليك ملتبسة بالحق والعدل من جزاء المحسن والمسيء بما يستوجبانه • وما الله يريد ظلما فيأخذ احدا بغير جرم او يزيد في عقاب مجرم او ينقص من ثواب محسن • ونكر ظلما وقال للعالمين على معنى ما يريد شيئا من الظلم لاحد من خلقه فسبحان من يحلم عمن يصفه بارادة القبائح والرضا بها • كنتم خير امة اخرجت للناس تامرون بالمعروف وتنهون عن المنكر وتومنون بالله ولو امن اهل الكتاب لكان خيرا لهم منهم المومنون واكثرهم الفاسقون • كان عبارة عن وجود الشيء في زمان ماض على سبيل الابهام وليس فيه دليل على عدم سابق ولا على انقطاع طارئ • ومنه قوله تعالى وكان الله غفورا رحيما • ومنه قوله تعالى كنتم خير امة كانه قيل وجدتم خير امة • وقيل كنتم في علم الله خير امة • وقيل كنتم في الامم قبلكم مذكورين بانكم خير امة موصوفين به • اخرجت اظهرت • وقوله تامرون كلام مستانف بين به كونهم خير امة كما تقول زيد كريم يطعم الناس ويكسوهم ويقوم بما يصلحهم • وتومنون بالله جعل الايمان بكل ما يجب الايمان به ايمانا بالله لان من امن ببعض ما يجب الايمان به من رسول وكتاب او بعث او حساب او عقاب او ثواب او غير ذلك

لم يعتد بايمانه فكانه غير مومن بالله • ويقولون نومن ببعض ونكفر ببعض ويريدون ان يتخذوا بين ذلك سبيلا اولئك هم الكافرون حقا • والدليل عليه قوله ولو امن اهل الكتاب مع ايمانهم بالله لكان خيرا لهم من الرياسة والاتباع وحظوظ الدنيا ما هو خير مما اثروا دين الباطل لاجله مع الفوز بما وعدوه على الايمان من ايتاء الاجر مرتين • منهم المومنون كعبد الله بن سلام واصحابه واكثرهم الفاسقون المتمردون في الكفر • لن يضروكم الا اذى وان يقاتلوكم يولوكم الادبار ثم لا ينصرون • لن يضروكم الا اذى الا ضررا مقتصرا على اذى بقول من طعن في الدين او تهديد او نحو ذلك وان يقاتلوكم يولوكم الادبار منهزمين ولا يضروكم بقتل او اسر • ثم لا ينصرون ثم لا يكون لهم نصر من احد ولا يمنعون منكم • وفيه تثبيت لمن اسلم منهم لانهم كانوا يوذونهم بالتلهي بهم وتوبيخهم وتضليلهم وتهديدهم بانهم لا يقدرون ان يتجاوزوا الاذى بالقول الى ضرر يبالى به مع انه وعدهم الغلبة عليهم والانتقام منهم وان عاقبة امرهم الخذلان والذل **فان قلت** هلا جزم المعطوف في قوله ثم لا ينصرون **قلت** عدل به عن حكم الجزاء الى حكم الاخبار ابتداء كانه قيل اخبركم انهم لا ينصرون **فان قلت** فاي فرق بين رفعه وجزمه في المعنى **قلت** لو جزم لكان نفي النصر مقيدا بمقاتلتهم كتولية الادبار وحين رفع كان نفي النصر وعدا مطلقا كانه قال ثم شانهم وقصتهم التي اخبركم عنها وابشركم بها بعد التولية انهم مخذولون منتف عنهم النصر والقوة لا ينهضون بعده بجناح ولا يستقيم لهم امر وكان كما اخبر من حال بني قريظة والنضير وبني قينقاع ويهود خيبر • فان قلت فما الذي عطف عليه هذا الخبر • قلت جملة الشرط والجزاء كانه قيل اخبركم انهم ان يقاتلوكم ينهزموا ثم اخبركم انهم لا ينصرون **فان قلت** فما معنى التراخي في ثم **قلت** التراخي في المرتبة لان الاخبار بتسليط الخذلان عليهم اعظم من الاخبار بتوليتهم الادبار **فان قلت** فما موقع الجملتين اعني منهم المومنون ولن يضروكم **قلت** هما كلامان واردان على طريق الاستطراد عند اجراء ذكر اهل الكتاب كما يقول القائل على ذكر فلان فان من شانه كيت وكيت ولذلك جاء من غير عطف • ضربت عليهم الذلة اينما ثقفوا الا بحبل من الله وحبل من الناس وباءوا بغضب من الله وضربت عليهم المسكنة ذلك بانهم كانوا يكفرون بايات الله ويقتلون الانبياء بغير حق ذلك بما عصوا وكانوا يعتدون • بحبل من الله في محل النصب على الحال بتقدير الا معتصمين او متمسكين او ملتبسين بحبل من الله وهو استثناء من اعم عام الاحوال والمعنى ضربت عليهم الذلة في عامة الاحوال الا في حال اعتصامهم بحبل الله وحبل الناس يعني ذمة الله وذمة المومنين اي لا عز لهم قط الا هذه الواحدة وهي التجاوهم الى الذمة لما قبلوه من الجزية • وباءوا بغضب من الله استوجبوه • وضربت عليهم المسكنة كما يضرب البيت على اهله فهم ساكنون في المسكنة غير ظاعنين عنها وهم اليهود عليهم لعنة الله وغضبه • ذلك اشارة الى ما ذكر من ضرب الذلة والمسكنة والبوا بغضب الله اي ذلك كائن بسبب كفرهم بايات الله وقتلهم الانبياء ثم قال ذلك بما عصوا اي ذلك كائن بسبب عصيانهم لله واعتدائهم لحدوده ليعلم ان الكفر وحده ليس بسبب في استحقاق سخط الله وان سخط الله يستحق بركوب المعاصي كما يستحق بالكفر ونحوه • سماحطايا هم اغرقوا • واخذهم الربا وتدينوا الجنة واكلهم اموال الناس بالباطل • ليسوا سواء من اهل الكتاب امة قائمة يتلون ايات الله اناء الليل وهم يسجدون • يومنون بالله واليوم الاخر ويامرون بالمعروف وينهون

ای یعطون ... وتوبیخهم بالرفع عطف على وفیه تثبیت ... ونحو الغرى ... وفي نسخة الصحاح بالجر والجر اولى لان ترجيح ... وفي نسخة اضرار وايذاء بالقول لا بغيره ولا في ذلك ... الرفع ... التركيب بعود الضمير من ... يوذونهم الذين اسلموا من البواقي الى الكفار

عن المنكر ويسارعون في الخيرات واولئك من الصالحين • وما تفعلوا من خير فلن تكفروه والله عليم بالمتقين • الضمير في ليسوا لاهل الكتاب اى ليس اهل الكتاب مستوين • وقوله من اهل الكتاب امة قائمة كلام مستانف لبيان قوله ليسوا سواء كما وقع قوله تامرون بالمعروف بيانا لقوله كنتم خير امة • امة قائمة مستقيمة عادلة من قولك اقمت العود فقام بمعنى استقام وهم الذين اسلموا منهم وعبر عن تهجدهم بتلاوة القرآن في ساعات الليل مع السجود لانه ابين لما يفعلون وادل على حسن صورة امرهم • وقيل عنى صلوة العشاء لان اهل الكتاب لا يصلونها وعن ابن مسعود رضي الله عنه اخر رسول الله صلى الله عليه وسلم صلوة العشاء ثم خرج الى المسجد فاذا الناس ينتظرون الصلوة فقال اما انه ليس من اهل الاديان احد يذكر الله هذه الساعة غيركم وقرأ هذه الاية • وقوله يتلون ويؤمنون في محل الرفع صفتان لامة اى امة قائمة تالون مؤمنون وصفهم بخصائص ما كانت في اليهود من تلاوة آيات الله بالليل ساجدين ومن الايمان بالله لان ايمانهم كلا ايمان لاشراكهم به عزيرا وكفرهم ببعض الكتب والرسل دون بعض ومن الايمان باليوم الاخر لانهم يصفونه بخلاف صفته ومن الامر بالمعروف والنهي عن المنكر لانهم كانوا مداهنين • ومن المسارعة في الخيرات لانهم كانوا متباطئين عنها غير راغبين فيها • والمسارعة في الخير فرط الرغبة فيه لان من رغب في الامر سارع في توليه والقيام به وآثر الفور على التراخي • واولئك الموصوفون بما وصفوا به من جملة الصالحين الذين صلحت احوالهم عند الله ورضيهم واستحقوا ثناءه عليهم • ويجوز ان يريد بالصالحين المسلمين • فلن يكفروه لما جاء وصف الله عز وجل بالشكر في قوله والله شكور حليم في معنى توفية الثواب نفى عنه نقيض ذلك • **فان قلت** لم عدى الى مفعولين وشكر وكفر لا يتعديان الا الى واحد تقول شكر النعمة وكفرها **قلت** ضمن معنى الحرمان فكانه قيل فلن تحرموه بمعنى فلن تحرموا جزاءه **وقرئ** يفعلوا ويكفروه بالياء والتاء • والله عليم بالمتقين بشارة للمتقين بجزيل الثواب ودلالة على انه لا يفوز عنده الا اهل التقوى • ان الذين كفروا لن تغني عنهم اموالهم ولا اولادهم من الله شيئا واولئك اصحاب النار هم فيها خالدون • مثل ما ينفقون في هذه الحيوة الدنيا كمثل ريح فيها صر اصابت حرث قوم ظلموا انفسهم فاهلكته وما ظلمهم الله ولكن انفسهم يظلمون • الصر الريح الباردة نحو الصرصر **قال** • لا تعدلن اتاويين تضرب بهم • تكف الصر باصحاب المحلات • **كما قالت** ليلى الاخيلية • ولم تغلب الخصم الالد وتملا الجفان سديفا يوم نكباء صرصر • **فان قلت** فما معنى قوله كمثل ريح فيها صر **قلت** فيه اوجه • احدها ان الصر في صفة الريح بمعنى الباردة فوصف بها القرة بمعنى فيها قرة صر كما تقول برد بارد على المبالغة • والثاني ان يكون الصر مصدرا في الاصل بمعنى البرد فجيء به على اصله • والثالث ان يكون من قوله تعالى لقد كان لكم في رسول الله اسوة حسنة ومن قولك ان ضيعني فلان ففي الله كاف وكافل **قال** • وفي الرحمن للضعفاء كاف • شبه ما كانوا ينفقون من اموالهم في المكارم والمفاخر وكسب الثناء وحسن الذكر بين الناس لا يبتغون به وجه الله بالزرع الذي حسه البرد فذهب حطاما • وقيل هو ما كانوا يتقربون به الى الله مع كفرهم • وقيل ما انفقوا في عداوة رسول الله عليه السلام فضاع عنهم لانهم لم يبلغوا بانفاقه ما انفقوه لاجله وشبه بحرث قوم ظلموا انفسهم فاهلك عقوبة لهم على معاصيهم لان الاهلاك عن سخط اشد وابلغ **فان قلت** فلم قال ظلموا انفسهم ولم يقتصر

الدنيا

بقوله اصابت الحرث او اصابته حرث القوم **قلت** لان الغرض تشبيه ما ينفقون بشيء يذهب على الكلية حتى لا يبقى منه شيء وحرث الكافرين الظالمين هو الذي يذهب على الكلية لا منفعة لهم فيه في الدنيا ولا في الاخرة فاما حرث المسلم المؤمن فلا يذهب على الكلية وان كان يذهب صورة الا انه لا يذهب معنى لان فيه من حصول الاعواض لهم في الاخرة والثواب بالصبر على الذهاب **فان قلت** الغرض تشبيه ما انفقوا في قلة جدواه وضياعه بالحرث الذي ضربه الصر والكلام غير مطابق للغرض حيث جعل ما ينفقون ممثلا بالريح **قلت** هو من التشبيه المركب الذي مر في تفسير قوله كمثل الذي استوقد نارا • ويجوز ان يراد مثل اهلاك ما ينفقون كمثل اهلاك الريح • او مثل ما ينفقون كمثل مهلك ريح وهو الحرث **وقرئ** تنفقون بالتاء • وما ظلمهم الله الضمير للمنفقين على معنى وما ظلمهم الله بان لم يقبل نفقاتهم ولكنهم ظلموا انفسهم حيث لم ياتوا بها مستحقة للقبول • او لاصحاب الحرث الذين ظلموا انفسهم اى وما ظلمهم الله باهلاك حرثهم ولكن ظلموا انفسهم بارتكاب ما استحقوا به العقوبة **وقرئ** ولكن بالتشديد بمعنى ولكن انفسهم يظلمونها هم • ولا يجوز ان يراد ولكنه انفسهم يظلمون على اسقاط ضمير الشان لانه انما يجوز في الشعر • يا ايها الذين آمنوا لا تتخذوا بطانة من دونكم لا يألونكم خبالا ودوا ما عنتم قد بدت البغضاء من افواههم وما تخفي صدورهم اكبر قد بينا لكم الآيات ان كنتم تعقلون • بطانة الرجل ووليجته خصيصه وصفيه الذي يفضي اليه بشقوره ثقة به شبه ببطانة الثوب كما يقال فلان شعاري **وعن** رسول الله صلى الله عليه وسلم الانصار شعار والناس دثار • من دونكم من دون ابناء جنسكم وهم المسلمون • ويجوز تعلقه بلا تتخذوا وبطانة على الوصف اى بطانة كائنة من دونكم مجاوزة لكم • لا يألونكم خبالا يقال الا في الامر يألو اذا قصر فيه ثم استعمل معدى الى مفعولين في قولهم لا آلوك نصحا ولا آلوك جهدا على التضمين • والمعنى لا امنعك نصحا • والخبال الفساد • ودوا ما عنتم ودوا عنتكم على ان ما مصدرية • والعنت شدة الضرر والمشقة واصله انهياض العظم بعد جبره اى تمنوا ان يضروكم في دينكم ودنياكم اشد الضرر وابلغه • قد بدت البغضاء من افواههم لانهم لا يتمالكون مع ضبطهم انفسهم وتحاملهم عليها ان ينفلت من السنتهم ما يعلم به بغضهم للمسلمين **وعن** قتادة قد بدت البغضاء لاوليائهم من المنافقين والكفار لاطلاع بعضهم بعضا على ذلك **وفي** قراءة عبد الله قد بدا البغضاء • قد بينا لكم الآيات الدالة على وجوب الاخلاص في الدين وموالاة اولياء الله ومعاداة اعدائه • ان كنتم تعقلون ما بين لكم فعملتم به **فان قلت** كيف موقع هذه الجمل **قلت** يجوز ان يكون لا يألونكم صفة للبطانة وكذلك قد بدت البغضاء كانه قيل بطانة غير آليكم خبالا بادية بغضاؤهم • واما قد بينا فكلام مبتدأ واحسن منه وابلغ ان تكون مستانفات كلها على وجه التعليل للنهي عن اتخاذهم بطانة • ها انتم اولاء تحبونهم ولا يحبونكم وتؤمنون بالكتاب كله واذا لقوكم قالوا آمنا واذا خلوا عضوا عليكم الانامل من الغيظ قل موتوا بغيظكم ان الله عليم بذات الصدور • ان تمسسكم حسنة تسؤهم وان تصبكم سيئة يفرحوا بها وان تصبروا وتتقوا لا يضركم كيدهم شيئا ان الله بما يعملون محيط • ها للتنبيه وانتم مبتدأ واولاء خبره اى انتم اولاء الخاطئون في موالاة منافقي اهل الكتاب • وقوله تحبونهم ولا يحبونكم بيان لخطائهم في موالاتهم

حيث يبذلون محبتهم لاهل البغضاء وقيل ها اولاء موصول تحبونهم صلته والواو في وتؤمنون للحال وانتصابها من لا يحبونكم اي لا يحبونكم والحال انكم تؤمنون بكتابهم كله وهم مع ذلك يبغضونكم فما بالكم تحبونهم وهم لا يؤمنون بشيء من كتابكم وفيه توبيخ شديد بانهم في باطلهم اصلب منكم في حقكم ونحوه فانهم يالمون كما تالمون وترجون من الله ما لا يرجون ويوصف المغتاظ والنادم بعض الانامل والبنان والابهام قال الحارث بن ظالم المري

فاقتل اقواما لئاما اذلة ۞ يعضون من غيظ روس الاباهم

قل موتوا بغيظكم دعاء عليهم بان يزداد غيظهم حتى يهلكوا به والمراد بزيادة الغيظ زيادة ما يغيظهم من قوة الاسلام وعز اهله وما لهم في ذلك من الذلة والخزي والتبار ان الله عليم بذات الصدور فهو يعلم ما في صدور المنافقين من الحنق والبغضاء وما يكون منهم في حال خلو بعضهم ببعض وهو كلام داخل في جملة المقول وخارج منها فان قلت فكيف معناه على الوجهين قلت اذا كان داخلا في جملة المقول فمعناه اخبرهم بما يسرونه من عضهم الانامل غيظا اذا خلوا وقل لهم ان الله عليم بما هو اخفى مما تسرونه بينكم وهو مضمرات الصدور فلا تظنوا ان شيئا من اسراركم يخفى عليه واذا كان خارجا فمعناه قل لهم ذلك يا محمد ولا تتعجب من اطلاعي اياك على ما يسرون فاني اعلم ما هو اخفى من ذلك وهو ما اضمروه في صدورهم ولم يظهروه بالسنتهم ويجوز ان لا يكون ثم قول وان يكون قوله قل موتوا بغيظكم امرا لرسول الله صلى الله عليه وسلم بطيب النفس وقوة الرجاء والاستبشار بوعد الله ان يهلكوا غيظا باعزاز الاسلام واذلالهم به كانه قيل حدث نفسك بذلك الحسنة الرخاء والخصب والنصرة والغنيمة ونحوها من المنافع والسيئة ما كان ضد ذلك وهذا بيان لفرط معاداتهم حيث يحسدونهم على ما نالهم من الخير ويشمتون بهم فيما اصابهم من الشدة فان قلت كيف وصفت الحسنة بالمس والسيئة بالاصابة قلت المس مستعار لمعنى الاصابة فكان المعنى واحدا الا ترى الى قوله ان تصبك حسنة تسؤهم وان تصبك مصيبة ما اصابك من حسنة فمن الله وما اصابك من سيئة فمن نفسك اذا مسه الشر جزوعا واذا مسه الخير منوعا وان تصبروا على عداوتهم وتتقوا ما نهيتم عنه من موالاتهم او وان تصبروا على تكاليف الدين ومشاقه وتتقوا الله في اجتنابكم محارمه كنتم في كنف الله فلا يضركم كيدهم وقرئ لا يضركم من ضاره يضيره ويضركم على ان ضمة الراء لاتباع ضمة الضاد كقولك مد يا هذا وروى المفضل عن عاصم لا يضركم بفتح الراء وهذا تعليم من الله وارشاد الى ان يستعان على كيد العدو بالصبر والتقوى وقد قال الحكماء اذا اردت ان تكبت من يحسدك فازدد فضلا في نفسك ان الله بما يعملون من الصبر والتقوى وغيرهما محيط ففاعل بكم ما انتم اهله وقرئ بالياء بمعنى انه عالم بما يعملون في عداوتكم فمعاقبهم عليه واذ غدوت من اهلك تبوئ المؤمنين مقاعد للقتال والله سميع عليم واذكر اذ غدوت من اهلك بالمدينة وهو غدوه الى احد من حجرة عائشة رضي الله عنها روى ان المشركين نزلوا باحد يوم الاربعاء فاستشار رسول الله عليه السلام اصحابه ودعا عبد الله بن ابي بن سلول ولم يدعه قط قبلها فاستشاره فقال عبد الله واكثر الانصار يا رسول الله اقم بالمدينة ولا تخرج اليهم فوالله ما خرجنا منها الى عدو قط الا اصاب منا ولا دخلها علينا الا اصبنا منه فكيف وانت فينا فدعهم فان اقاموا اقاموا بشر محبس وان دخلوا قاتلهم الرجال في

وجوههم

وجوههم ورماهم النساء والصبيان بالحجارة وان رجعوا رجعوا خائبين وقال بعضهم يا رسول الله اخرج بنا الى هؤلاء الاكلب لا يرون انا قد جبنا عنهم وقال عليه السلام اني قد رايت في منامي بقرا مذبحة حولي فاولتها خيرا ورايت في ذباب سيفي ثلما فاولته هزيمة ورايت كاني ادخلت يدي في درع حصينة فاولتها المدينة فان رايتم ان تقيموا بالمدينة وتدعوهم فقال رجال من المسلمين قد فاتتهم بدر واكرمهم الله بالشهادة يوم احد اخرج بنا الى اعدائنا فلم يزالوا به حتى دخل فلبس لامته فلما راوه قد لبس لامته ندموا وقالوا بئسما صنعنا نشير على رسول الله عليه السلام والوحي ياتيه وقالوا اصنع يا رسول الله ما رايت فقال لا ينبغي لنبي ان يلبس لامته فيضعها حتى يقاتل فخرج يوم الجمعة بعد صلاة الجمعة واصبح بالشعب من احد يوم السبت للنصف من شوال فمشى على رجليه فجعل يصف اصحابه للقتال كانما يقوم بهم القدح ان راى صدرا خارجا قال تاخر وكان نزوله في عدوة الوادي وجعل ظهره وعسكره الى احد وامر عبد الله بن جبير رضي الله عنه على الرماة وقال لهم انضحوا عنا بالنبل لا ياتونا من ورائنا تبوئ المؤمنين تنزلهم وقرا عبد الله للمؤمنين يعني تسوي لهم وتهيئ مقاعد للقتال مواطن ومواقف وقد اتسع في قعد وقام حتى اجريا مجرى صار واستعمل المقعد والمقام في معنى المكان ومنه قوله تعالى في مقعد صدق قبل ان تقوم من مقامك من مجلسك وموضع حكمك والله سميع لاقوالكم عليم بنياتكم وضمائركم اذ همت طائفتان منكم ان تفشلا والله وليهما وعلى الله فليتوكل المؤمنون ولقد نصركم الله ببدر وانتم اذلة فاتقوا الله لعلكم تشكرون اذ همت بدل من اذ غدوت او عمل فيه معنى سميع عليم والطائفتان حيان من الانصار بنو سلمة من الخزرج وبنو حارثة من الاوس وهما الجناحان خرج رسول الله صلى الله عليه وسلم في الف وقيل في تسعمائة وخمسين والمشركون في ثلاثة الاف ووعدهم الفتح ان صبروا فانخزل عبد الله بن ابي بثلث الناس وقال يا قوم علام نقتل انفسنا واولادنا فتبعهم عمرو بن حزم الانصاري فقال انشدكم الله في نبيكم وانفسكم فقال عبد الله لو نعلم قتالا لاتبعناكم فهم الحيان باتباع عبد الله فعصمهم الله فمضوا مع رسول الله عليه السلام وعن ابن عباس رضي الله عنهما اضمروا ان يرجعوا فعزم الله لهم على الرشد فثبتوا والظاهر انها ما كانت الا همة وحديث نفس وكما لا تخلو النفس عند الشدة من بعض الهلع ثم يردها صاحبها الى الثبات والصبر ويوطنها على احتمال المكروه كما قال عمرو بن الاطنابة

اقول لها اذا جشأت وجاشت ۞ مكانك تحمدي او تستريحي

حتى قال معاوية عليكم بحفظ الشعر فقد كدت اضع رجلي في الركاب يوم صفين فما ثبتني الا قول عمرو بن الاطنابة ولو كانت عزيمة لما ثبتت معها الولاية والله تعالى يقول والله وليهما ويجوز ان يريد والله ناصرهما ومتولي امرهما فما لهما يفشلان ولا يتوكلان على الله فان قلت ما معنى ما روي من قول بعضهم عند نزول الاية والله ما يسرنا انا لم نهم بالذي هممنا به وقد اخبرنا الله بانه وليهما قلت معنى ذلك فرط الاستبشار بما حصل لهم من الشرف بثناء الله وانزاله فيهم اية ناطقة بصحة الولاية وان تلك الهمة غير الماخوذ بها لانها لم تكن عن عزيمة وتصميم كانت سببا لنزولها والفشل الجبن والخور وقرا عبد الله والله وليهم كقوله تعالى وان

طائفتان من المؤمنين اقتتلوا امرهم بان لا يتوكلوا الا عليه ولا يفوضوا امورهم الا اليه
ثم ذكرهم ما يوجب عليهم التوكل مما يسّر لهم يوم بدر وهم في حال قلة وذلة ❁ والاذلة جمع قلة
والذل لأن جمع الكثرة ذِلال جمع القلة ليدل على انهم على ذلتهم كانوا قليلا ❁ وذلتهم ما كان بهم من
ضعف الحال وقلة السلاح والمال والمركوب وذلك انهم خرجوا على النواضح يعتقب النفر منهم على
البعير الواحد وما كان معهم الا فرس واحد ❁ وقلتهم انهم كانوا ثلثمائة وبضعة عشر وكان عدوهم
في حال كثرة زهاء الف مقاتل ومعهم مائة فرس ❁ والشكة والشوكة ❁ وبدر اسم ماء بين مكة
والمدينة كان لرجل يسمى بدرا فسمي به ❁ فاتقوا الله في الثبات مع الرسول لعلكم تشكرون
بتقواكم ما انعم به عليكم من نصرته ❁ او لعلكم ينعم الله عليكم نعمة اخرى تشكرونها فوضع الشكر
موضع الانعام لانه سبب له ❁ **إذ تقول للمؤمنين ألن يكفيكم أن يمدكم ربكم بثلاثة آلاف من**
الملائكة منزلين ❁ بلى إن تصبروا وتتقوا ويأتوكم من فورهم هذا يمددكم ربكم
بخمسة آلاف من الملائكة مسومين ❁ وما جعله الله إلا بشرى لكم ولتطمئن قلوبكم
به وما النصر إلا من عند الله العزيز الحكيم ❁ اذ تقول ظرف لنصركم على ان يقول لهم
ذلك يوم بدر او بدل ثان من اذ غدوت على ان يقول لهم يوم احد **فان قلت** كيف
يصح ان يقول لهم يوم احد ولم تنزل فيه الملائكة **قلت** قاله لهم مع اشتراط الصبر
والتقوى عليهم فلم يصبروا عن الغنائم ولم يتقوا حيث خالفوا امر رسول الله عليه السلام
فلذلك لم تنزل الملائكة ولو تموا على ما شرط عليهم لنزلت وانما قدم لهم الوعد بنزول
الملائكة لتقوى قلوبهم ويعزموا على الثبات ويثقوا بنصر الله ❁ ومعنى ألن يكفيكم انكار
ان لا يكفيهم الامداد بثلاثة آلاف من الملائكة وانما جيء بلن الذي هو لتاكيد النفي للاشعار بانهم
كانوا لقلتهم وضعفهم وكثرة عدوهم وشوكته كالآيسين من النصر ❁ وبلى ايجاب لما بعد لن
بمعنى بلى يكفيكم الامداد بهم فاوجب الكفاية ❁ ثم قال ان تصبروا وتتقوا يمددكم باكثر
من ذلك العدد ❁ مسومين للقتال ويأتوكم يعني المشركين من فورهم هذا من قولك قفل
من غزوته وخرج من فوره الى غزوة اخرى ❁ وجاء فلان ورجع من فوره ❁ ومنه قول ابي حنيفة
رحمة الله عليه الامر على الفور لا على التراخي وهو مصدر من فارت القدر اذا غلت فاستعير
للسرعة ثم سميت به الحالة التي لا ريث فيها ولا تعريج على شيء من صاحبها فقيل خرج من فوره
كما تقول من ساعته لم يلبث ❁ والمعنى انهم ان يأتوكم من ساعتهم هذه يمددكم ربكم بالملائكة
في حال اتيانهم لا يتأخر نزولهم عن اتيانهم يريد ان الله يعجل نصرتكم وييسر فتحكم ان صبرتم
واتقيتم **وقرئ** منزلين بالتشديد ومنزلين بكسر الزاي بمعنى منزلين النصر ❁ ومسومين
بفتح الواو وكسرها بمعنى معلَمين ومعلِمين انفسهم او خيلهم ❁ قال الكلبي معلمين بعمائم صفر
مرخاة على اكتافهم ❁ وعن الضحاك معلمين بالصوف الابيض في نواصي الدواب واذنابها ❁
وعن مجاهد مجزوزة اذناب خيلهم ❁ وعن قتادة كانوا على خيل بلق ❁ وعن عروة بن الزبير
كانت عمامة الزبير يوم بدر صفراء فنزلت الملائكة كذلك ❁ وعن رسول الله صلى الله عليه
وسلم انه قال لاصحابه تسوموا فان الملائكة قد تسومت ❁ وما جعله الله الا ان يمدكم
اي وما جعل الله امدادكم بالملائكة الا بشارة لكم بانكم تنصرون ❁ ولتطمئن به قلوبكم

كما كانت السكينة لبني اسرائيل بشارة بالنصر وطمأنينة لقلوبهم ❁ وما النصر الا من عند الله لا من
عند المقاتلة اذا تكاثروا ولا من عند الملائكة والسكينة ولكن ذلك مما يقوّي به الله
رجاء النصرة والطمع في الرحمة ويربط على قلوب المجاهدين ❁ العزيز الذي لا يغالب في حكمه
الحكيم الذي يعطي النصر ويمنعه لما يرى من المصلحة ❁ **ليقطع طرفا من الذين كفروا أو يكبتهم**
فينقلبوا خائبين ❁ ليس لك من الأمر شيء أو يتوب عليهم أو يعذبهم فإنهم ظالمون ❁ ولله
ما في السموات وما في الأرض يغفر لمن يشاء ويعذب من يشاء والله غفور رحيم ❁ ليقطع
طرفا من الذين كفروا ليهلك طائفة منهم بالقتل والاسر وهو ما كان يوم بدر من قتل سبعين
واسر سبعين من رؤساء قريش وصناديدهم ❁ او يكبتهم او يخزيهم ويغيظهم بالهزيمة فينقلبوا
خائبين غير ظافرين بمبتغاهم **ونحوه** ورد الله الذين كفروا بغيظهم لم ينالوا خيرا ويقال
كبته بمعنى كبده اذا ضرب كبده بالغيظ والحرقة ❁ وقيل في قول ابي الطيب ❁ ❁
لأكبت حاسدا وأرى عدوا ❁ هو من الكبد والرية ❁ واللام متعلقة بقوله ولقد نصركم الله
او بقوله وما النصر الا من عند الله ❁ او يتوب عطف على ما قبله وليس لك من الامر شيء اعتراض
والمعنى ان الله مالك امرهم فاما ان يهلكهم او يهزمهم او يتوب عليهم ان اسلموا او يعذبهم
ان اصروا على الكفر وليس لك من امرهم شيء انما انت عبد مبعوث لانذارهم ومجاهدتهم
وقيل ان يتوب منصوب باضمار ان وان يتوب في حكم اسم معطوف بأو على الامر او على شيء
اي ليس لك من امرهم شيء او من التوبة عليهم او من تعذيبهم ❁ او ليس لك من امرهم شيء او التوبة
عليهم او تعذيبهم ❁ وقيل او بمعنى الا كقولك لألزمنك او تعطيني حقي على معنى ليس لك من امرهم
شيء الا ان يتوب الله عليهم فتفرح بحالهم او يعذبهم فتتشفى منهم **وقيل** شجّه عليه السلام
عتبة بن ابي وقاص يوم احد وكسر رباعيته فجعل صلى الله عليه وسلم يمسح الدم عن وجهه
وسالم مولى حذيفة رضي الله عنه يغسل الدم عن وجهه وهو يقول كيف يفلح قوم خضبوا
وجه نبيهم بالدم وهو يدعوهم الى ربهم فنزلت **وقيل** اراد ان يدعو عليهم فنهاه الله
لعلمه ان فيهم من يؤمن **عن** الحسن يغفر لمن يشاء بالتوبة ولا يشاء ان يغفر الا للتائبين ويعذب
من يشاء ولا يشاء ان يعذب الا المستوجبين للعذاب **وعن** عطاء يغفر لمن يتوب اليه ويعذب
من لقيه ظالما واتباعه قوله او يتوب عليهم او يعذبهم فانهم ظالمون تفسير بين لمن يشاء وانهم
المتوب عليهم او الظالمون ❁ ولكن اهل الاهواء والبدع يتصامّون ويتعامون عن آيات الله
فيخبطون خبط عشواء ويطيبون انفسهم بما يفترون على ابن عباس رضي الله عنه من قولهم يهب
الذنب الكبير لمن يشاء ويعذب من يشاء على الذنب الصغير ❁ **يا أيها الذين آمنوا لا تأكلوا الربوا**
أضعافا مضاعفة واتقوا الله لعلكم تفلحون ❁ لا تأكلوا الربوا اضعافا مضاعفة نهي
عن الربوا مع توبيخ بما كانوا عليه من تضعيفه كان الرجل منهم اذا بلغ الدين محله زاد في الاجل
فاستغرق بالشيء الطفيف مال المديون ❁ **واتقوا النار التي أعدت للكافرين ❁ وأطيعوا الله**
والرسول لعلكم ترحمون ❁ واتقوا النار الآية كان ابو حنيفة رحمة الله عليه يقول هي اخوف
آية في القرآن حيث اوعد الله المؤمنين بالنار المعدة للكافرين ان لم يتقوه في اجتناب محارمه
وقد امد ذلك بما اتبعه من تعليق رجاء المؤمنين لرحمته بتوفرهم على طاعته وطاعة رسوله

قوله وما النصر الا من عند الله لا من عند المقاتلة يشبه قولك ما جاء الا زيد لا عمرو الا انه يقال قوله لا من عند المقاتلة من عطف الجملة على الجملة اي ليس النصر عند المقاتلة

كانما ورد اعلاه والرحيله ❁
تمامه
او له ❁ ورود له ابدا الليالي الجليلة ❁
ثان وعدته ومما تثنيله ❁
وجود له بالفنا مرو لو قليلا ❁
فانما تجود به قليله ❁

ذكر بعد ذلك يوم ثبّتن رمي عبد الله بن قمية الحارثي رسول الله عليه السلام فكسر رباعيته وشج وجهه ❁ وذكرهنا انه فعل ذلك عتبة فيه وجهان

قوله اضعافا مضاعفة حال من الربوا ❁ ومضاعفة صفة اضعافا فيكون معنى الاضعاف المضاعفة ستة امثال لان اقل الاضعاف ثلاثة امثال فاذا ضوعفت تصير ستة امثال هذا هو معناها اللغوي واما في الآية فالمراد به الكثرة ❁ والله اعلم

ومن تأمل هذه الآيات وامثالها لم تحدث نفسه بالأطماع الفارغة والتمني على الله ۝ وفي ذكره
تعالى لعل وعسى في نحو هذه المواضع وان قال الناس ما قالوا ما لا يخفى على العارف الفطن من دقة
مسلك التقوى وصعوبة اصابة رضا الله وعزة التوصل الى رحمته وثوابه وَسَارِعُوا إِلَى
مَغْفِرَةٍ مِّن رَّبِّكُمْ وَجَنَّةٍ عَرْضُهَا السَّمَاوَاتُ وَالْأَرْضُ أُعِدَّتْ لِلْمُتَّقِينَ ۝ الَّذِينَ يُنفِقُونَ
فِي السَّرَّاءِ وَالضَّرَّاءِ وَالْكَاظِمِينَ الْغَيْظَ وَالْعَافِينَ عَنِ النَّاسِ وَاللَّهُ يُحِبُّ الْمُحْسِنِينَ ۝ في مصاحف
اهل المدينة والشام سارعوا بغير واو وقرأ الباقون بالواو وتنصره قراءة ابي وعبد
الله وسابقوا ۝ ومعنى المسارعة الى المغفرة والجنة الاقبال على ما تستحقان به ۝ عرضها السموات
والارض اي عرضها عرض السموات والارض ۝ كقوله تعالى عرضها كعرض السماء والارض والمراد
وصفها بالسعة والبسطة فشبهت باوسع ما علمه الناس من خلقه وابسطه ۝ وخص العرض لانه في العادة
ادنى من الطول ۝ كقوله تعالى بطائنها من استبرق ۝ وعن ابن عباس رضي الله عنهما كسبع سموات
وسبع ارضين لو وصل بعضها ببعض ۝ في السراء والضراء في حال الرخا واليسر وحال الضيقة والعسر
لا يخلون بان ينفقوا في كلتا الحالتين ما قدروا عليه من قليل او كثير ۝ كما حكي عن بعض السلف انه ربما
تصدق ببصلة وعن عائشة رضي الله عنها انها تصدقت بحبة عنب ۝ او في جميع الاحوال
لانها لا تخلو من حال مسرة ومضرة لا يمنعهم حال فرح وسرور ولا حال محنة وبلاء من المعروف
وسواء عليهم كان الواحد منهم في عرس او في حبس فانه لا يدع الاحسان ۝ وافتتح بذكر الانفاق لانه
اشق شيء على النفس وادله على الاخلاص ۝ ولانه كان في ذلك الوقت اعظم الاعمال للحاجة اليه في
مجاهدة العدو ومواساة فقراء المسلمين ۝ كظم القربة اذا ملأها وشد فاها ۝ وكظم البعير اذا
لم يجتر ۝ ومنه كظم الغيظ وهو ان يمسك على ما في نفسه منه بالصبر ولا يظهر له اثر وعن
النبي عليه السلام من كظم غيظا وهو يقدر على انفاذه ملأ الله قلبه امنا وايمانا ۝ وعن عائشة
رضي الله عنها ان خادما لها غاظها فقالت لله در التقوى ما تركت لذي غيظ شفاء ۝ والعافين
عن الناس اذا جنى عليهم احد لم يؤاخذوه وروى ينادي مناد يوم القيامة اين الذين كانت
اجورهم على الله فلا يقوم الا من عفا ۝ وعن ابن عيينة انه رواه للرشيد وقد غضب على رجل
فخلاه وعن النبي صلى الله عليه وسلم ان هؤلاء من امتي قليل الا من عصم الله وقد كانوا كثيرا في الامم
التي مضت ۝ والله يحب المحسنين يجوز ان تكون اللام للجنس فيتناول كل محسن ويدخل تحته هؤلاء
المذكورون وان تكون للعهد فتكون اشارة الى هؤلاء وَالَّذِينَ إِذَا فَعَلُوا فَاحِشَةً أَوْ ظَلَمُوا أَنفُسَهُمْ
ذَكَرُوا اللَّهَ فَاسْتَغْفَرُوا لِذُنُوبِهِمْ وَمَن يَغْفِرُ الذُّنُوبَ إِلَّا اللَّهُ وَلَمْ يُصِرُّوا عَلَىٰ مَا فَعَلُوا وَهُمْ
يَعْلَمُونَ ۝ أُولَٰئِكَ جَزَاؤُهُم مَّغْفِرَةٌ مِّن رَّبِّهِمْ وَجَنَّاتٌ تَجْرِي مِن تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا
وَنِعْمَ أَجْرُ الْعَامِلِينَ ۝ والذين عطف على المتقين اي اعدت للمتقين وللتائبين وقوله اولئك اشارة
الى الفريقين ۝ ويجوز ان يكون والذين مبتدأ خبره اولئك ۝ فاحشة فعلة متزايدة القبح ۝ او
ظلموا انفسهم او اذنبوا اي ذنب كان ۝ وقيل الفاحشة الزنا وظلم النفس ما دونه من القبلة واللمسة
ونحوهما ۝ وقيل الفاحشة الكبيرة وظلم النفس الصغيرة ۝ ذكروا الله تذكروا عقابه او وعيده
او نهيه او حقه العظيم وجلاله الموجب للخشية والحياء منه ۝ فاستغفروا لذنوبهم فتابوا عنها
لقبحها نادمين عازمين ۝ ومن يغفر الذنوب الا الله وصف لذاته بسعة الرحمة وقرب المغفرة

حال ... لبعد حال

وان التائب عنده من الذنب كمن لا ذنب له وانه لا مفزع للمذنبين الا فضله وكرمه وان عدله
يوجب المغفرة للتائب لان العبد اذا جاء في الاعتذار والتنصل باقصى ما يقدر عليه وجب العفو والتجاوز
وفيه تطييب لنفوس العباد وتنشيط للتوبة وبعث عليها وردع عن اليأس والقنوط وان الذنوب وان
جلت فان عفوه اجل وكرمه اعظم ۝ والمعنى انه وحده معه مصححات المغفرة ۝ وهذه جملة معترضة
بين المعطوف والمعطوف عليه ۝ ولم يصروا ولم يقيموا على قبيح فعلهم غير مستغفرين وعن النبي
صلى الله عليه وسلم ما اصر من استغفر وان عاد في اليوم سبعين مرة ۝ وروي لا كبيرة مع الاستغفار
ولا صغيرة مع الاصرار ۝ وهم يعلمون حال من فعل الاصرار وحرف النفي منصب عليهما معا والمعنى
وليسوا ممن يصرون على الذنوب وهم عالمون بقبحها وبالنهي عنها وبالوعيد عليها لانه قد يعذر
من لا يعلم قبح القبيح ۝ وفي هذه الآيات بيان قاطع ان الذين آمنوا على ثلاث طبقات متقون وتائبون
ومصرون وان الجنة للمتقين منهم دون المصرين ومن خالف في ذلك فقد كابر عقله وعاند ربه
قال ونعم اجر العاملين بعد قوله جزاؤهم لانهما في معنى واحد وانما خالف بين اللفظين لزيادة
التنبيه على ان ذلك جزاء واجب على عمل واجر مستحق عليه لا كما يقول المبطلون وروي ان الله عز
وجل اوحى الى موسى عليه السلام ما اقل حياء من يطمع في جنتي بغير عمل ۝ كيف اجود برحمتي على من يبخل
بطاعتي وعن شهر بن حوشب طلب الجنة بلا عمل ذنب من الذنوب ۝ وانتظار الشفاعة بلا سبب
نوع من الغرور ۝ وارتجاء الرحمة ممن لا يطاع حمق وجهالة وعن الحسن رحمة الله عليه يقول الله
يوم القيامة جوزوا الصراط بعفوي وادخلوا الجنة برحمتي واقتسموها باعمالكم وعن رابعة
البصرية رحمة الله عليها انها كانت تنشد ۝ ۝ ۝ ۝
ترجو النجاة ولم تسلك مسالكها ۝ ان السفينة لا تجري على اليبس ۝ والمخصوص
بالمدح محذوف تقديره ونعم اجر العاملين ذلك يعني المغفرة والجنات قَدْ خَلَتْ مِن قَبْلِكُمْ سُنَنٌ
فَسِيرُوا فِي الْأَرْضِ فَانظُرُوا كَيْفَ كَانَ عَاقِبَةُ الْمُكَذِّبِينَ ۝ هَٰذَا بَيَانٌ لِّلنَّاسِ وَهُدًى وَمَوْعِظَةٌ
لِّلْمُتَّقِينَ ۝ وَلَا تَهِنُوا وَلَا تَحْزَنُوا وَأَنتُمُ الْأَعْلَوْنَ إِن كُنتُم مُّؤْمِنِينَ ۝ قد خلت من قبلكم سنن يريد
ما سنه الله في الامم المكذبين من وقائعه كقوله تعالى وقتلوا تقتيلا سنة الله في الذين خلوا
من قبل ۝ ثم لا يجدون وليا ولا نصيرا سنة الله التي قد خلت من قبل ۝ هذا بيان للناس ايضاح لسوء عاقبة
ما هم عليه من التكذيب يعني حثهم على النظر في سوء عواقب المكذبين قبلهم والاعتبار بما يعاينون
من آثار هلاكهم ۝ وهدى وموعظة للمتقين يعني انه مع كونه بيانا وتنبيها للمكذبين فهو زيادة
تثبيت وموعظة للذين اتقوا من المؤمنين ۝ ويجوز ان يكون قوله قد خلت جملة معترضة للبعث
على الايمان وما يستحق به ما ذكر من اجر العاملين ويكون قوله هذا بيان اشارة الى ما لخص وبين
من امر المتقين والتائبين والمصرين ۝ ولا تهنوا ولا تحزنوا تسلية من الله لرسوله وللمؤمنين عما
اصابهم يوم احد وتقوية من قلوبهم ۝ يعني ولا تضعفوا عن الجهاد لما اصابكم اي لا يورثنكم ذلك
وهنا وجبنا ولا تبالوا به ولا تحزنوا على من قتل منكم وجرح ۝ وانتم الاعلون وحالكم انكم اعلى
منهم واغلب لانكم اصبتم منهم يوم بدر اكثر مما اصابوا منكم يوم احد ۝ او وانتم الاعلون شانا
لان قتالكم لله ولاعلاء كلمته وقتالهم للشيطان ولاعلاء كلمة الكفر ولان قتلاكم في الجنة وقتلاهم
في النار ۝ او هي بشارة لهم بالعلو والغلبة اي وانتم الاعلون في العاقبة وان جندنا لهم الغالبون ان كنتم

الوجوب مذهب المعتزلة وعند
اهل السنة لا يجب على الله شيء
البتة

يريد بذلك رد ما يقول اهل السنة والجماعة
من ان كل ذلك بفضل الله تعالى ورحمته
ولو تأملت ظهر لك ان البطلان يقول
بوجوب الشيء على الله تعالى كيف وجميع
طاعات العباد لا تكافي اقل نعمة انعمها
الله تعالى على العبد فكيف يجب عليه
تعالى بسبب طاعة العبد ثوابه مع ان
الطاعة قصورية تصور انها من مكافأة
اقل نعمة من نعمه تعالى الله عما يقوله
المبطلون فانه الحاكم
علي وهو المعطي المانع
يفعل ما يشاء
ويحكم ما يريد

قبله
ما بال نفسك ترضى ان تدنسها
وثوب نفسك مغسول من الدنس
كانها قالت يا الله ترضى بدنس نفسك
ولا ترضى بدنس ثوبك كما قال تعالى وثيابك
فطهر ثم قالت ترجو النجاة في الآخرة ولم
تسلك سبيل النجاة ان السفينة لا تجري على اليبس
وكذلك النجاة لا تدرك بالامل بل بترك الدنيا
والاخلاص في العمل

قوله من قلوبهم رد به للتبعيض
ومعنى التبعيض فيه انه تقوية للقلوب
من بعض الوجوه ۝ والله اعلم

مومنين متعلق بالنهي بمعنى ولا تهنوا ان صح ايمانكم على ان صحة الايمان توجب قوة القلب والثقة بصنع الله وقلة المبالاة باعدائه او بالاعلون اى ان كنتم مصدقين بما يعدكم الله ويبشركم به من الغلبة

ان يمسسكم قرح فقد مس القوم قرح مثله وتلك الايام نداولها بين الناس وليعلم الله الذين امنوا ويتخذ منكم شهداء والله لا يحب الظالمين وليمحص الله الذين امنوا ويمحق الكافرين

قرئ قرح بفتح القاف وضمها وهما لغتان كالضعف والضعف وقيل هو بالفتح الجراح وبالضم المها **وقرا** ابو السمال قرح بفتحتين وقيل القرح والقرح كالطرد والطرد والمعنى ان نالوا منكم يوم احد فقد نلتم منهم قبله يوم بدر ثم لم يضعف ذلك قلوبهم ولم يثبطهم عن معاودتكم بالقتال فانتم اولى ان لا تضعفوا **ونحوه** فانهم يالمون كما تالمون وترجون من الله ما لا يرجون وقيل كان ذلك يوم احد فقد نالوا منهم قبل ان تخالفوا امر رسول الله عليه السلام **فان قلت** كيف قيل قرح مثله وما كان قرحهم يوم احد مثل قرح المشركين **قلت** بل كان مثله ولقد قتل يومئذ خلق من الكفار الا ترى الى قوله تعالى ولقد صدقكم الله وعده اذ تحسونهم باذنه حتى اذا فشلتم وتنازعتم في الامر وعصيتم من بعد ما اراكم ما تحبون وتلك الايام تلك مبتدا والايام صفته ونداولها خبره ويجوز ان يكون تلك الايام مبتدا وخبرا كما تقول هي الايام تبلي كل جديد والمراد بالايام اوقات الظفر والغلبة نداولها نصرفها بين الناس نديل تارة لهؤلاء وتارة لهؤلاء **كقوله** وهو من ابيات الكتاب

فيوما علينا ويوما لنا ويوما نساء ويوما نسر

وفي امثالهم الحرب سجال وعن ابي سفيان انه صعد الجبل يوم احد فمكث ساعة ثم قال اين ابن ابي كبشة اين ابن ابي قحافة اين ابن الخطاب فقال عمر رضي الله عنه هذا رسول الله وهذا ابو بكر وها انا عمر فقال ابو سفيان يوم بيوم والايام دول والحرب سجال فقال عمر رضي الله عنه لا سوا قتلانا في الجنة وقتلاكم في النار فقال انكم تزعمون ذلك فقد خبنا اذا وخسرنا والمداولة مثل المعاورة **قال**

يرد المياه فلا يزال مداولا في الناس بين تمثل وسماع

بنا لداولت بينهم الشيء فتداولوه

وليعلم الله الذين امنوا فيه وجهان احدهما ان يكون المعلل محذوفا معناه وليتميز الثابتون على الايمان من الذين على حرف فعلنا ذلك وهو من باب التمثيل بمعنى فعلنا ذلك فعل من يريد ان يعلم من الثابت على الايمان منكم من غير الثابت والا فالله عز وجل لم يزل عالما بالاشياء قبل كونها وقيل معناه وليعلمهم علما يتعلق به الجزاء وهو ان يعلمهم موجودا منهم الثبات والثاني ان تكون العلة محذوفة وهذا عطف عليه معناه وفعلنا ذلك ليكون كيت وكيت وليعلم الله وانما حذف للايذان بان المصلحة فيما فعل ليست بواحدة ليسليهم عما جرى عليهم وليبصرهم ان العبد يسوءه ما يجري عليه من المصائب ولا يشعر ان لله تعالى في ذلك من المصالح ما هو غافل عنه ويتخذ منكم شهداء وليكرم ناسا منكم بالشهادة يريد المستشهدين يوم احد او ويتخذ منكم من يصلح للشهادة على الامم يوم القيامة بما يبتلى به صبركم من الشدائد من قوله تعالى لتكونوا شهداء على الناس والله لا يحب الظالمين اعتراض بين بعض التعليل وبعض ومعناه والله لا يحب من ليس من هؤلاء الثابتين على الايمان المجاهدين في سبيل الله الممحصين من الذنوب والتمحيص التطهير والتصفية ويمحق الكافرين ويهلكهم ان كانت الدولة على المؤمنين فللتمييز والاستشهاد والتمحيص وغير ذلك مما هو اصلح لهم وان كانت على الكافرين فلمحقهم ومحو اثارهم ام حسبتم ان تدخلوا الجنة ولما يعلم الله الذين جاهدوا منكم ويعلم الصابرين ام منقطعة ومعنى الهمزة فيها الانكار

ولما يعلم الله بمعنى ولما تجاهدوا لان العلم متعلق بالمعلوم فنزل نفي العلم منزلة نفي متعلقه لانه منتف بانتفائه يقول الرجل ما علم الله في فلان خيرا يريد ما فيه خير حتى يعلمه ولما بمعنى لم الا ان فيه ضربا من التوقع فدل على نفي الجهاد فيما مضى وعلى توقعه فيما يستقبل وتقول وعدني ان يفعل كذا ولما تريد ولم يفعل وانا اتوقع فعله **وقرئ** ولما يعلم الله بفتح الميم وقيل اراد النون الخفيفة ولما يعلمن فحذفها ويعلم الصابرين نصب باضمار ان والواو بمعنى الجمع كقولك لا تاكل السمك وتشرب اللبن **وقرا** الحسن بالجزم على العطف وروى عبد الوارث عن ابي عمرو ويعلم بالرفع على ان الواو للحال كانه قيل ولما تجاهدوا وانتم صابرون ولقد كنتم تمنون الموت من قبل ان تلقوه فقد رايتموه وانتم تنظرون ولقد كنتم تمنون الموت خوطب به الذين لم يشهدوا بدرا وكانوا يتمنون ان يحضروا مشهدا مع رسول الله عليه السلام ليصيبوا من كرامة الشهادة ما نال شهداء بدر وهم الذين الحوا على رسول الله عليه السلام في الخروج الى المشركين وكان رايه في الاقامة بالمدينة يعني وكنتم تمنون الموت قبل ان تشاهدوه وتعرفوا شدته وصعوبة مقاساته فقد رايتموه وانتم تنظرون اى رايتموه معاينين مشاهدين له حين قتل بين ايديكم من قتل من اخوانكم واقاربكم وشارفتم ان تقتلوا وهذا توبيخ لهم على تمنيهم الموت وعلى ما تسببوا له من خروج رسول الله عليه السلام بالحاحهم عليه ثم انهزامهم عنه وقلة ثباتهم عنده **فان قلت** كيف يجوز تمني الشهادة وفي تمنيها تمني غلبة الكافر المسلم **قلت** قصد متمني الشهادة الى نيل كرامة الشهداء لا غير ولا يذهب وهمه الى ذلك المتضمن كما ان من يشرب دواء الطبيب النصراني قاصد الى حصول المامول من الشفاء ولا يخطر بباله ان فيه جر منفعة واحسان الى عدو الله وتنفيقا لصناعته **ولقد قال** عبد الله بن رواحة حين نهض الى موتة وقيل له ردكم الله

لكنني اسال الرحمن مغفرة وضربة ذات فرغ تقذف الزبدا

او طعنة بيدي حران مجهزة بحربة تنفذ الاحشاء والكبدا

حتى يقولوا اذا مروا على جدثي ارشدك الله من غاز وقد رشدا

وما محمد الا رسول قد خلت من قبله الرسل افان مات او قتل انقلبتم على اعقابكم ومن ينقلب على عقبيه فلن يضر الله شيئا وسيجزي الله الشاكرين لما رمى عبد الله بن قمئة الحارثي رسول الله صلى الله عليه وسلم بحجر وكسر رباعيته وشج وجهه اقبل يريد قتله فذب عنه مصعب بن عمير رضي الله عنه وهو صاحب الراية يوم بدر ويوم احد حتى قتله ابن قمئة وهو يرى انه رسول الله عليه السلام فقال قد قتلت محمدا وصرخ صارخ الا ان محمدا قد قتل وقيل كان الصارخ الشيطان ففشا في الناس خبر قتله فانكفؤا فجعل رسول الله عليه السلام يدعو الي عباد الله حتى انحازت اليه طائفة من اصحابه فلامهم على هربهم فقالوا يا رسول الله فديناك بابائنا وامهاتنا اتانا خبر قتلك فرعبت قلوبنا فولينا مدبرين فنزلت **وروي** انه لما صرخ الصارخ قال بعض المسلمين ليت عبد الله بن ابي ياخذ لنا من ابي سفيان امانا وقال ناس من المنافقين لو كان نبيا لما قتل ارجعوا الى اخوانكم والى دينكم فقال انس بن النضر عم انس بن مالك رضي الله عنه يا قوم ان كان قتل محمد فان رب محمد حي لا يموت وما تصنعون بالحياة بعد رسول الله فقاتلوا على ما قاتل عليه وموتوا على ما مات عليه ثم قال اللهم اني اعتذر اليك

مما يقول هؤلاء وابرأ اليك مما جاء به هؤلاء ثم شد بسيفه فقاتل حتى قتل وعن بعض المهاجرين انه مر
بانصاري يتشحط في دمه فقال له يا فلان اشعرت ان محمدا قد قتل فقال ان كان قد قتل فقد بلغ فقاتلوا على
دينكم والمعنى وما محمد الا رسول قد خلت من قبله الرسل فسيخلو كما خلوا وكما ان اتباعهم بقوا متمسكين
بدينهم بعد خلوهم فعليكم ان تتمسكوا بدينه بعد خلوه لان الغرض من بعثة الرسل تبليغ الرسالة والزام
الحجة لا وجوده بين اظهر قومه افان مات الفاء معلقة للجملة الشرطية بالجملة قبلها على معنى التسبيب
والهمزة لانكار ان يجعلوا خلو الرسل قبله سببا لانقلابهم على اعقابهم بعد هلاكه بموت او قتل مع علمهم
ان خلو الرسل قبله وبقاء دينهم متمسكا به يجب ان يجعل سببا للتمسك بدين محمد عليه السلام لا للانقلاب
عنه **فان قلت** لم ذكر القتل وقد علم انه لا يقتل **قلت** لكونه مجوزا عند المخاطبين
فان قلت اما علموه من ناحية قوله والله يعصمك من الناس **قلت** هذا مما يختص بالعلماء منهم
وذوي البصيرة الا ترى انهم سمعوا خبر قتله فهربوا على انه يحتمل العصمة من الناس واضلالهم والانقلاب
على الاعقاب الادبار عما كان رسول الله عليه السلام يقوم به من امر الجهاد وغيره وقيل الارتداد
وما ارتد احد من المسلمين ذلك اليوم الا ما كان من قول المنافقين ويجوز ان يكون على وجه
التغليظ عليهم فيما كان منهم من الفرار والانكشاف عن رسول الله عليه السلام واسلامه
فلن يضر الله شيئا بمعنى فما ضر الا نفسه لان الله تعالى لا يجوز عليه المضار والمنافع وسيجزي الله
الشاكرين الذين لم ينقلبوا كانس بن النضر واضرابه وسماهم شاكرين لانهم شكروا نعمة الله بالاسلام
فيما فعلوا وما كان لنفس ان تموت الا باذن الله كتابا مؤجلا ومن يرد ثواب الدنيا نؤته
منها ومن يرد ثواب الاخرة نؤته منها وسنجزي الشاكرين المعنى ان موت الانفس
محال ان يكون الا بمشية الله فاخرجه مخرج فعل لا ينبغي لاحد ان يقدم عليه الا ان ياذن الله له
فيه تمثيلا ولان ملك الموت هو الموكل بذلك فليس له ان يقبض نفسا الا باذن الله وهو على معنيين
احدهما تحريضهم على الجهاد وتشجيعهم على لقاء العدو باعلامهم ان الحذر لا ينفع وان احدا لا يموت قبل
بلوغ اجله وان خوض المهالك واقتحم المعارك والثاني ذكر ما صنع الله برسوله عند غلبة العدو
والتفافهم عليه واسلام قومه له نهزة للمختلس من الحفظ والكلاءة وتاخير الاجل كتابا مصدر مؤكد
لان المعنى كتب الموت كتابا مؤجلا موقتا له اجل معلوم لا يتقدم ولا يتاخر ومن يرد ثواب الدنيا تعريض
بالذين شغلتهم الغنائم يوم احد نؤته منها اي من ثوابها وسنجزي الجزاء المبهم الذين شكروا نعمة
الله فلم يشغلهم شيء عن الجهاد **وقرئ** يؤته وسيجزي بالياء فيهما وكاين من نبي قاتل معه ربيون
كثير فما وهنوا لما اصابهم في سبيل الله وما ضعفوا وما استكانوا والله يحب الصابرين
قرئ قاتل وقتل بالتشديد والفاعل ربيون او ضمير النبي عليه السلام ومعه ربيون حال عنه
بمعنى قتل كاينا معه ربيون والقراءة بالتشديد تنصر الوجه الاول وعن سعيد بن جبير ما سمعنا بنبي
قتل في القتال والربيون الربانيون **وقرئ** بالحركات الثلاث فالفتح على القياس والضم
والكسر من تغييرات النسب **وقرئ** فما وهنوا بكسر الهاء والمعنى فما وهنوا عند قتل النبي وما
ضعفوا عن الجهاد بعده وما استكانوا للعدو وهذا تعريض بما اصابهم من الوهن والانكسار
عند الارجاف بقتل النبي عليه السلام وبضعفهم عند ذلك عن مجاهدة المشركين واستكانتهم لهم حين
ارادوا ان يعتضدوا بالمنافق عبد الله بن ابي في طلب الامان من ابي سفيان وما كان قولهم الا ان

قالوا ربنا اغفر لنا ذنوبنا واسرافنا في امرنا وثبت اقدامنا وانصرنا على القوم الكافرين
وما كان قولهم الا هذا القول وهو اضافة الذنوب والاسراف الى انفسهم مع كونهم ربانيين هضما لها
واستقصارا والدعاء بالاستغفار منها مقدما على طلب تثبيت الاقدام في مواطن الحرب والنصرة على
العدو ليكون طلبهم الى ربهم عن زكاء وطهارة وخضوع اقرب الى الاستجابة فاتاهم الله ثواب الدنيا
وحسن ثواب الاخرة والله يحب المحسنين فاتاهم الله ثواب الدنيا من النصرة والغنيمة والعز
وطيب الذكر وخص ثواب الاخرة بالحسن دلالة على فضله وتقدمه وانه هو المعتد به عنده تربت وقد
عرض الدنيا والله يريد الاخرة يا ايها الذين امنوا ان تطيعوا الذين كفروا يردوكم على اعقابكم
فتنقلبوا خاسرين بل الله مولاكم وهو خير الناصرين ان تطيعوا الذين كفروا قال علي بن ابي
طالب رضي الله عنه نزلت في قول المنافقين للمؤمنين عند الهزيمة ارجعوا الى اخوانكم وادخلوا
في دينهم **وعن** الحسن ان تستنصحوا اليهود والنصارى وتقبلوا منهم لانهم كانوا يستغوونهم ويوقعون
لهم الشبه في الدين ويقولون لو كان نبيا حقا لما غلب ولما اصابه واصحابه ما اصابهم وانما هو رجل
حاله كحال غيره من الناس يوما له ويوما عليه **وعن** السدي ان تستكينوا لابي سفيان واصحابه وتستامنوهم
يردوكم الى دينهم وقيل هو عام في جميع الكفار وان على المؤمنين ان يجانبوهم ولا يطيعوهم في شيء ولا
ينزلوا على حكمهم ولا على مشاورتهم حتى لا يستجروهم الى موافقتهم بل الله مولاكم اي ناصركم لا تحتاجون
معه الى نصرة احد وولايته **وقرئ** بالنصب على بل اطيعوا الله مولاكم سنلقي في قلوب
الذين كفروا الرعب بما اشركوا بالله ما لم ينزل به سلطانا وماواهم النار وبئس مثوى
الظالمين سنلقي **قرئ** بالنون والياء والرعب بسكون العين وضمها قيل قذف الله
في قلوب المشركين الخوف يوم احد فانهزموا الى مكة من غير سبب ولهم القوة والغلبة وقيل ذهبوا
الى مكة فلما كانوا ببعض الطريق قالوا ما صنعنا شيئا قتلنا منهم ثم تركناهم ونحن قاهرون ارجعوا
فاستاصلوهم فلما عزموا على ذلك القى الله في قلوبهم الرعب فامسكوا بما اشركوا بسبب اشراكهم
اي كان السبب في القاء الله الرعب في قلوبهم اشراكهم به ما لم ينزل به سلطانا الهة لم ينزل الله
باشراكها حجة **فان قلت** كان ثم حجة حتى ينزلها الله فيصح لهم الاشراك **قلت**
لم يعن ان هناك حجة الا انها لم تنزل عليهم لان الشرك لا يستقيم ان يقوم عليه حجة وانما المراد
نفي الحجة ونزولها جميعا **كقوله** ولا ترى الضب بها ينجحر ولقد صدقكم الله وعده
اذ تحسونهم باذنه حتى اذا فشلتم وتنازعتم في الامر وعصيتم من بعد ما اراكم ما تحبون
منكم من يريد الدنيا ومنكم من يريد الاخرة ثم صرفكم عنهم ليبتليكم ولقد عفا عنكم
والله ذو فضل على المؤمنين ولقد صدقكم الله وعده وعدهم الله النصر بشرط الصبر والتقوى
في قوله تعالى ان تصبروا وتتقوا وياتوكم من فورهم هذا يمددكم ويجوز ان يكون الوعد قوله
تعالى سنلقي في قلوب الذين كفروا الرعب فلما فشلوا وتنازعوا لم يرعبهم وقيل لما رجعوا الى
المدينة قال ناس من المؤمنين من اين اصابنا هذا وقد وعدنا الله النصر فنزلت وذلك ان رسول
الله عليه السلام جعل احدا خلف ظهره واستقبل المدينة واقام الرماة عند الجبل وامرهم
ان يثبتوا في مكانهم ولا يبرحوا كانت الدولة للمسلمين او عليهم فلما اقبل المشركون جعل الرماة يرشقون
خيلهم والباقون يضربونهم بالسيوف حتى انهزموا والمسلمون على اثارهم يحسونهم اي يقتلونهم قتلا

دبرها حتى اذا فشلتم والفشل الجبن وضعف الرأى وتنازعوا فقال بعضهم قد انهزم المشركون فما موقفنا
ههنا وقال بعضهم لا نخالف امر رسول الله عليه السلام فممن ثبت مكانه عبد الله بن جبير رضي الله عنه امير
الرماة في نفر دون العشرة وهم المعنيون بقوله ومنكم من يريد الآخرة ونفر اعقابهم ينتهبون وهم الذين
ارادوا الدنيا فكر المشركون على الرماة وقتلوا عبد الله بن جبير واقبلوا على المسلمين وحالت الريح دبورا
وكانت صبا حتى هزموهم وقتلوا من قتلوا وهو قوله ثم صرفكم عنهم ليبتليكم ليمتحن صبركم على المصائب وثباتكم
على الايمان عندها ۞ ولقد عفا عنكم لما علم من ندمكم على ما فرط منكم من عصيان امر النبي عليه السلام والله
ذو فضل على المؤمنين يتفضل عليهم بالعفو او هو متفضل عليهم في جميع الاحوال سواء اديل لهم او اديل عليهم
لان الابتلاء رحمة كما ان النصرة رحمة **فان قلت** اين متعلق حتى اذا **قلت** محذوف تقديره حتى اذا
فشلتم منعكم نصره ۞ ويجوز ان يكون المعنى صدقكم الله وعده الى وقت فشلكم اذ تصعدون ولا
تلوون على احد والرسول يدعوكم في اخراكم فاثابكم غما بغم لكيلا تحزنوا على ما فاتكم ولا ما اصابكم
والله خبير بما تعملون ۞ اذ تصعدون نصب بصرفكم او بقوله ليبتليكم او باضمار اذكر والاصعاد
الذهاب في الارض والابعاد فيه يقال اصعد في الجبل واصعد في الارض يقال اصعدنا من مكة
الى المدينة **وقرأ** الحسن رحمة الله عليه تصعدون يعني في الجبل وتعضده لاولى قراءة ابي
اذ تصعدون في الوادي **وقرأ** ابو حيوة تصعدون بفتح التاء وتشديد العين من تصعد
في السلم ۞ وقرأ الحسن تلوون بواو واحدة وقد ذكرنا وجهها **وقرئ** يصعدون ولا يلوون بالياء
والرسول يدعوكم كان يقول الي عباد الله الي عباد الله انا رسول الله من يكر فله الجنة ۞ في اخراكم
في ساقتكم وجماعتكم الاخرى وهي المتأخرة يقال جئت في آخر الناس واخراهم كما تقول في اولهم واولاهم
بتأويل مقدمتهم وجماعتهم الاولى ۞ فاثابكم عطف على صرفكم ۞ اى فجازاكم الله غما حين صرفكم عنهم وابتلاكم
بسبب غم اذقتموه رسول الله عليه السلام بعصيانكم له او غما مضاعفا غما بعد غم وغما متصلا بغم
من الاغتمام بما ارجف به من قتل رسول الله عليه السلام ۞ والجرح والقتل وظفر المشركين وفوت
الغنيمة والنصر ۞ لكيلا تحزنوا لتتمرنوا على تجرع الغموم وتضروا باحتمال الشدائد فلا تحزنوا بعد على
فائت من المنافع ولا على مصيب من المضار ۞ ويجوز ان يكون الضمير في فاثابكم للرسول عليه السلام اى
فآساكم في الاغتمام وكما غمكم ما نزل به من كسر الرباعية والشجة وغيرهما غمه ما نزل بكم فاثابكم غما
اغتمه لاجلكم بسبب غم اغتممتموه لاجله ولم يثربكم على عصيانكم ومخالفتكم لامره وانما فعل ذلك
ليسليكم وينفس عنكم لئلا تحزنوا على ما فاتكم من نصر الله ولا على ما اصابكم من غلبة العدو ۞ ثم انزل
عليكم من بعد الغم امنة نعاسا يغشى طائفة منكم وطائفة قد اهمتهم انفسهم يظنون بالله غير الحق
ظن الجاهلية يقولون هل لنا من الامر من شيء قل ان الامر كله لله يخفون في انفسهم ما لا يبدون
لك يقولون لو كان لنا من الامر شيء ما قتلنا ههنا قل لو كنتم في بيوتكم لبرز الذين كتب عليهم
القتل الى مضاجعهم وليبتلي الله ما في صدوركم وليمحص ما في قلوبكم والله عليم بذات الصدور
انزل الله الامن على المؤمنين وازال عنهم الخوف الذي كان بهم حتى نعسوا وغلبهم النوم **وعن**
ابي طلحة غشينا النعاس ونحن في مصافنا فكان السيف يسقط من يد احدنا فيأخذه ثم يسقط فيأخذه
وما احد الا يميل تحت حجفته **وعن** ابن الزبير رضي الله عنه لقد رأيتني مع رسول الله عليه السلام
حين اشتد علينا الخوف فارسل الله علينا النوم والله اني لاسمع قول معتب بن قشير والنعاس

يغشاني يقول لو كان لنا من الامر شيء ما قتلنا ههنا ۞ والامنة **وقرئ** امنة بسكون الميم كانها
المرة من الامن ۞ ونعاسا بدل من امنة ۞ ويجوز ان يكون هو المفعول وامنة حالا منه مقدمة عليه
عليه كقولك رأيت راكبا رجلا ۞ او مفعولا له بمعنى نعستم امنة ۞ ويجوز ان يكون حالا من المخاطبين
بمعنى ذوي امنة ۞ او على انه جمع آمن كبار وبررة ۞ يغشى **وقرئ** بالياء والتاء ردا على النعاس
او على الامنة ۞ طائفة منكم هم اهل الصدق واليقين وطائفة هم المنافقون ۞ قد اهمتهم انفسهم
ما بهم الا هم انفسهم لا هم الدين ولا هم رسول الله عليه السلام والمسلمين ۞ او قد اوقعتهم انفسهم
وما حل بهم في الهموم والاشجان فهم في التشاكي والتباث ۞ غير الحق في حكم المصدر ومعناه يظنون
بالله غير الظن الحق الذي يجب ان يظن به وظن الجاهلية بدل منه ۞ ويجوز ان يكون المعنى يظنون
بالله ظن الجاهلية وغير الحق تأكيد ليظنون كقولك هذا القول غير ما تقول وهذا القول
لا قولك ۞ وظن الجاهلية كقولك حاتم الجود ورجل صدق يريد الظن المختص بالملة الجاهلية
ويجوز ان يراد ظن اهل الجاهلية اى لا يظن مثل ذلك الظن الا اهل الشرك الجاهلون بالله يقولون
لرسول الله عليه السلام هل لنا من الامر من شيء معناه هل لنا معاشر المسلمين من امر الله نصيب
قط يعنون النصر والاظهار على العدو ۞ قل ان الامر كله لله ولاوليائه المؤمنين وهو النصر والغلبة
كتب الله لاغلبن انا ورسلي ۞ وان جندنا لهم الغالبون ۞ يخفون في انفسهم ما لا يبدون لك معناه
يقولون لك فيما يظهرون هل لنا من الامر من شيء سؤال المؤمنين المسترشدين وهم فيما يبطنون
على النفاق ۞ يقولون في انفسهم او بعضهم لبعض منكرين لقولك لهم ان الامر كله لله لو كان لنا من
الامر شيء اى لو كان الامر كما قال محمد ان الامر كله لله ولاوليائه وانهم الغالبون لما غلبنا قط ولما
قتل من المسلمين من قتل في هذه المعركة ۞ قل لو كنتم في بيوتكم يعني من علم الله منه انه يقتل ويصرع
في هذه المصارع وكتب ذلك في اللوح لم يكن بد من وجوده فلو قعدتم في بيوتكم لبرز الذين علم
الله انهم يقتلون الى مضاجعهم وهي مصارعهم ليكون ما علم انه يكون والمعنى ان الله كتب في اللوح
قتل من يقتل من المؤمنين وكتب مع ذلك انهم الغالبون لعلمه ان العاقبة في الغلبة لهم وان دين
الاسلام يظهر على الدين كله وان ما ينكبون به في بعض الاوقات تمحيص لهم وترغيب في الشهادة
وحرصهم على الشهادة مما يحرضهم على الجهاد فتحصل الغلبة ۞ وقيل معناه هل لنا من التدبير من شيء
يعنون لم نملك شيئا من التدبير حيث خرجنا من المدينة الى احد وكان الرأي ان نقيم ولا نبرح كما
كان رأي عبد الله بن ابي وغيره ولو ملكنا شيئا من التدبير لما قتلنا في هذه المعركة ۞ قل ان التدبير كله
لله يريد ان الله عز وجل دبر الامر كما جرى ولو اقمتم بالمدينة ولم تخرجوا من بيوتكم لما نجا من القتل
من قتل منكم **وقرئ** كتب عليهم القتال ۞ وكتب عليهم القتل على البناء للفاعل ۞ ولبرز بالتشديد
وضم الباء ۞ وليبتلي الله وليمتحن ما في صدور المؤمنين من الاخلاص ويمحص ما في قلوبهم من وساوس
الشيطان فعل ذلك ۞ او فعل ذلك لمصالح جمة وللابتلاء والتمحيص **فان قلت** كيف
موقع الجمل التي بعد قوله وطائفة **قلت** قد اهمتهم صفة لطائفة ويظنون صفة
اخرى ۞ او حال بمعنى قد اهمتهم انفسهم ظانين ۞ او استئناف على وجه البيان للجملة قبلها
ويقولون بدل من يظنون **فان قلت** كيف صح ان يقع ما هو مسألة عن الامر بدلا من
الاخبار بالظن **قلت** كانت مسألتهم صادرة عن الظن فلذلك جاز ابداله منه ويخفون

قال من يقولون وقل ان الامر كله لله اعتراض بين الحال وذى الحال ويقولون بدل من يخفون
والاجود ان يكون استينافا ان الذين تولوا منكم يوم التقى الجمعان انما استزلهم الشيطان ببعض
ما كسبوا ولقد عفا الله عنهم ان الله غفور حليم استزلهم طلب منهم الزلل ودعاهم اليه
ببعض ما كسبوا من ذنوبهم والمعنى ان الذين انهزموا يوم احد كان السبب فى توليتهم انهم كانوا
اطاعوا الشيطان فاقترفوا ذنوبا فلذلك منعتهم التاييد وتقوية القلوب حتى تولوا وقيل
استزلال الشيطان اياهم هو التولى وانما دعاهم اليه بذنوب قد تقدمت منهم لان الذنب يجر الى
الذنب كما ان الطاعة تجر الى الطاعة وتكون لطفا فيها وقال الحسن رحمه الله استزلهم بقبول ما
زين لهم من الهزيمة وقيل بعض ما كسبوا هو تركهم المركز الذى امرهم رسول الله عليه السلام
بالثبات فيه فجرهم ذلك الى الهزيمة وقيل ذكرهم تلك الخطايا فكرهوا لقاء الله معها فاخروا
الجهاد حتى يصلحوا امرهم ويجاهدوا على حال مرضية فان قلت لم قيل ببعض ما كسبوا
قلت هو كقوله تعالى ويعفو عن كثير ولقد عفا الله عنهم لتوبتهم واعتذارهم والله غفور للذنب
حليم لا يعاجل بالعقوبة يا ايها الذين امنوا لا تكونوا كالذين كفروا وقالوا لاخوانهم اذا ضربوا
فى الارض او كانوا غزى لو كانوا عندنا ما ماتوا وما قتلوا ليجعل الله ذلك حسرة فى قلوبهم
والله يحيى ويميت والله بما تعملون بصير وقالوا لاخوانهم اى لاجل اخوانهم كقوله
تعالى وقال الذين كفروا للذين امنوا لو كان خيرا ما سبقونا اليه ومعنى لاخوانهم اتفاقهم فى الجنس
او النسب اذا ضربوا فى الارض اذا سافروا فيها وابعدوا للتجارة او غيرها او كانوا غزى جمع
غاز كعاف وعفى كقوله على الحيام من اجون وقرئ بتخفيف الزاى على حذف التاء
من غزاة فان قلت كيف قيل اذا ضربوا مع قالوا قلت هو على حكاية الحال الماضية كقوله حين
يضربون فى الارض فان قلت ما متعلق ليجعل قلت قالوا اى قالوا ذلك واعتقدوه
ليكون حسرة فى قلوبهم على ان اللام مثلها فى ليكون لهم عدوا وحزنا او لا تكونوا بمعنى لا تكونوا
مثلهم فى النطق بذلك القول واعتقاده ليجعله الله حسرة فى قلوبهم خاصة ويصون منها قلوبكم
فان قلت ما معنى اسناد الفعل الى الله تعالى قلت معناه ان الله عز وعلا عند اعتقادهم
ذلك المعتقد الفاسد يضع الغم والحسرة فى قلوبهم ويضيق صدورهم عقوبة فاعتقاده فعلهم
وما يكون عنده من الغم والحسرة وضيق الصدر فعل الله عز وجل كقوله تعالى يجعل صدره
ضيقا حرجا كانما يصعد فى السماء ويجوز ان يكون ذلك اشارة الى ما دل عليه النهى اى لا تكونوا
مثلهم ليجعل الله انتفاء كونكم مثلهم حسرة فى قلوبهم لان مخالفتهم فيما يقولون ويعتقدون ومضادتهم
مما يغمهم ويغيظهم والله يحيى ويميت رد لقولهم اى الامر بيده قد يحيى المسافر والغازى ويميت
المقيم والقاعد كما يشاء وعن خالد بن الوليد رضى الله عنه انه قال عند موته ما فى موضع
شبر الا وفيه ضربة او طعنة وها انا ذا اموت كما يموت العير فلا نامت اعين الجبناء والله
بما تعملون بصير فلا تكونوا مثلهم وقرئ بالياء يعنى الذين كفروا ولئن قتلتم فى سبيل
الله او متم لمغفرة من الله ورحمة خير مما يجمعون لمغفرة جواب القسم وهو ساد مسد جواب
الشرط وكذلك لالى الله تحشرون كذب الكافرين اولا فى زعمهم ان من سافر من اخوانهم او غزا
لو كان بالمدينة لما مات ونهى المسلمين عن ذلك لانه سبب التقاعد عن الجهاد ثم قال لهم ولئن

تم عليكم ما تخافونه من الهلاك بالموت والقتل فى سبيل الله فان ما تنالونه من المغفرة والرحمة بالموت
فى سبيل الله خير مما تجمعون من الدنيا ومنافعها لو لم تموتوا وعن ابن عباس رضى الله عنهما خير
من طلاع الارض ذهبة حمراء وقرئ بالياء اى يجمع الكفار ولئن متم او قتلتم لالى الله تحشرون
لالى الله تحشرون لالى الرحيم الواسع الرحمة المثيب العظيم الثواب تحشرون ولوقوع اسم الله
هذا الموقع مع تقديمه وادخال اللام على الحرف المتصل به شان ليس بالخفى وقرئ متم
بضم الميم وكسرها من مات يموت ومات يمات فبما رحمة من الله لنت لهم ولو كنت فظا غليظ
القلب لانفضوا من حولك فاعف عنهم واستغفر لهم وشاورهم فى الامر فاذا عزمت فتوكل على
الله ان الله يحب المتوكلين ما مزيدة للتوكيد والدلالة على ان لينه لهم ما كان الا برحمة من الله
ونحوه فبما نقضهم ميثاقهم ومعنى الرحمة ربطه على جاشه وتوفيقه للرفق والتلطف بهم حتى اثابهم
غما بغم واساهم بالمباثة بعد ما خالفوه وعصوا امره وانهزموا وتركوه ولو كنت فظا جافيا غليظ
القلب قاسيه لانفضوا من حولك لتفرقوا عنك حتى لا يبقى حولك احد منهم فاعف عنهم فيما يختص بك
واستغفر لهم فيما يختص بحق الله اتماما للشفقة عليهم وشاورهم فى الامر يعنى فى امر الحرب ونحوه مما لم ينزل
عليك فيه وحى ليستظهر برايهم ولما فيه من تطييب قلوبهم والرفع من اقدارهم وعن الحسن رحمة
الله عليه قد علم الله انه ما به اليهم حاجة ولكنه اراد ان يستن به من بعده وعن النبى صلى الله
عليه وسلم ما تشاور قوم قط الا هدوا لارشد امرهم وعن ابى هريرة رضى الله عنه ما رايت
احدا اكثر مشاورة من اصحاب رسول الله عليه السلام وقيل كانت سادات العرب اذا لم يشاوروا
فى الامر شق عليهم فامر الله رسوله بمشاورة اصحابه لئلا يثقل عليهم استبداده
بالراى دونهم وقرئ وشاورهم فى بعض الامر فاذا عزمت فاذا قطعت الراى على شىء بعد
الشورى فتوكل على الله فى امضاء امرك على الارشد الاصلح فان ما هو اصلح لك لا يعلمه الا الله لا
انت ولا من تشاور وقرئ فاذا عزمت بضم التاء بمعنى فاذا عزمت لك على شىء وارشدتك
فتوكل على ولا تشاور بعد ذلك احدا ان ينصركم الله فلا غالب لكم وان يخذلكم فمن ذا الذى
ينصركم من بعده وعلى الله فليتوكل المؤمنون ان ينصركم الله كما نصركم يوم بدر فلا احد يغلبكم
وان يخذلكم كما خذلكم يوم احد فمن ذا الذى ينصركم وهذا تنبيه على ان الامر كله لله وعلى
وجوب التوكل عليه ونحوه ما يفتح الله للناس من رحمة فلا ممسك لها وما يمسك فلا مرسل
له من بعده من بعد خذلانه او هو من قولك ليس لك من يحسن اليك من بعد فلان تريد اذا جاوزته
وقرا عبيد بن عمير وان يخذلكم من اخذله اذا جعله مخذولا وفيه ترغيب فى الطاعة وفيما
يستحقون به النصر من الله والتاييد وتحذير من المعصية ومما يستوجبون به العقوبة بالخذلان
وعلى الله وليخص المؤمنون ربهم بالتوكل والتفويض اليه لعلمهم انه لا ناصر سواه ولان ايمانهم
يوجب ذلك ويقتضيه وما كان لنبى ان يغل ومن يغلل يات بما غل يوم القيامة ثم توفى كل
نفس ما كسبت وهم لا يظلمون يقال غل شيئا من المغنم غلولا واغل اغلالا اذا اخذه فى خفية
يقال اغل الجازر اذا سرق من اللحم شيئا مع الجلد والغل الحقد الكامن فى الصدر ومنه قوله صلى
الله عليه وسلم من بعثناه على عمل فغل شيئا جاء يوم القيامة يحمله على عنقه وقوله هدايا الولاة
غلول وعنه ليس على المستعير غير المغل ضمان وعنه لا اغلال ولا اسلال ويقال اغله اذا

وجده غالاً كقولك اخلته واجبنته ومعنى وما كان لنبي ان يغل وما صح له ذلك يعني ان النبوة
تنافي الغلول وكذلك من قرأ على البنا للمفعول فهو راجع الى معنى الاول لان معناه وما صح له ان
يوجد غالاً ولا يوجد غالاً الا اذا كان غالاً وفيه وجهان احدهما ان يبرأ رسول الله عليه السلام
من ذلك وينزه وينبه على عصمته بان النبوة والغلول متنافيان لئلا يظن به ظان شيئاً منه والا
لا يسترسب به احد كما روى ان قطيفة حمراء فقدت يوم بدر فقال بعض المنافقين لعل رسول الله
اخذها وروى انها نزلت في غنائم احد حين ترك الرماة المركز وطلبوا الغنيمة وقالوا نخشى
ان يقول رسول الله من اخذ شيئاً فهو له وان لا يقسم الغنائم كما لم يقسمها يوم بدر فقال لهم رسول
الله عليه السلام الم اعهد اليكم ان لا تتركوا المركز حتى يأتيكم امري فقالوا تركنا بقية اخواننا وقوفا
فقال صلى الله عليه وسلم بل ظننتم انا نغل ولا نقسم لكم والثاني ان يكون مبالغة في النهي لرسول الله
عليه السلام على ما روى انه بعث طلائع فغنمت غنائم فقسمها ولم يقسم للطلائع فنزلت يعني وما كان
لنبي ان يعطي قوماً ويمنع اخرين بل عليه ان يقسم بالسوية وسمى حرمان بعض الغزاة غلولاً تغليظاً
وتقبيحاً لصورة الامر ولو قرئ ان يغل من اغل بمعنى غل لجاز يأت بما غل يوم القيامة يأت بالشيء الذي
غله بعينه يحمله كما جاء في الحديث جاء يوم القيامة يحمله على عنقه وروى الا لا اعرفن احدكم يأتي
ببعير له رغاء وببقرة لها خوار وشاة لها ثغاء فينادي يا محمد يا محمد فاقول لا املك لك من
الله شيئاً قد بلغتك وعن بعض جفاة الاعراب انه سرق نافجة مسك فتليت عليه الآية
فقال اذاً احملها طيبة الريح خفيفة المحمل ويجوز ان يراد يأت بما احتمل من وباله وتبعته واثمه
فان قلت هلا قيل ثم توفى ما كسب ليتصل به قلت جيء بعام دخل تحته كل كاسب
من الغال وغيره فاتصل به من حيث المعنى وهو ابلغ واثبت لانه اذا علم الغال ان كل كاسب خيراً او
شراً مجزي موفى جزاؤه علم انه غير متخلص من تبعته مع عظم ما اكتسب وهم لا يظلمون اي يعدل بينهم
في الجزاء كل جزاؤه على قدر كسبه افمن اتبع رضوان الله كمن باء بسخط من الله ومأواه جهنم
وبئس المصير هم درجات عند الله والله بصير بما يعملون هم درجات اي هم متفاوتون
كما تتفاوت الدرجات كقوله

أنصب للمنية تعتريهم • رجالي ام هم درج السيول

وقيل ذوو درجات والمعنى
تفاوت منازل المثابين منهم ومنازل المعاقبين او التفاوت بين الثواب والعقاب والله
بصير بما يعملون عالم باعمالهم ودرجاتها فمجازيهم على حسبها لقد من الله على المؤمنين اذ
بعث فيهم رسولاً من انفسهم يتلو عليهم آياته ويزكيهم ويعلمهم الكتاب والحكمة وان كانوا من قبل
لفي ضلال مبين لقد من الله على المؤمنين على من آمن مع رسول الله من قومه وخص المؤمنين
منهم لانهم هم المنتفعون بمبعثه من انفسهم من جنسهم عربياً مثلهم وقيل من ولد اسمعيل عليه
السلام كما انهم من ولده فان قلت فما وجه المنة عليهم في ان كان من انفسهم قلت اذا
كان منهم كان اللسان واحداً فسهل اخذ ما يجب عليهم اخذه عنه وكانوا واقفين على احواله في
الصدق والامانة فكان ذلك اقرب لهم الى تصديقه والوثوق به وفي كونه من انفسهم شرف
لهم كقوله تعالى وانه لذكر لك ولقومك وفي قراءة النبي عليه السلام وقراءة فاطمة رضي الله
عنها من انفسهم اي من اشرفهم لان عدنان ذروة ولد اسمعيل ومضر ذروة نزار بن معد بن عدنان

وخندف ذروة مضر ومدركة ذروة خندف وقريش ذروة مدركة وذروة قريش محمد
المصطفى صلى الله عليه وعلى آله وفيما خطب به ابو طالب في تزويج خديجة رضي الله عنها وقد حضر
معه بنو هاشم ورؤساء مضر الحمد لله الذي جعلنا من ذرية ابراهيم وزرع اسمعيل وضئضئ
معد وعنصر مضر وجعلنا حضنة بيته وسواس حرمه وجعل لنا بيتاً محجوجاً وحرماً آمناً
وجعلنا الحكام على الناس ثم ان ابن اخي هذا محمد بن عبد الله من لا يوزن به فتى من قريش الا رجح به
وهو والله بعد هذا له نبأ عظيم وخطر جليل وقرئ لمن من الله على المؤمنين اذ بعث فيهم
وفيه وجهان ان يراد لمن من الله على المؤمنين منه او بعثه اذ بعث فيهم فحذف لقيام الدلالة
او يكون اذ في محل الرفع كاذا في قولك اخطب ما يكون الامير اذا كان قائماً بمعنى لمن من الله على المؤمنين
وقت بعثه يتلو عليهم آياته بعد ما كانوا اهل جاهلية لم يطرق اسماعهم شيء من الوحي ويزكيهم
ويطهرهم من دنس القلوب بالكفر ونجاسة سائر الجوارح بملابسة المحرمات وسائر الخبائث
وقيل ويأخذ منهم الزكاة ويعلمهم الكتاب والحكمة القرآن والسنة بعد ما كانوا اجهل الناس
وابعدهم من دراسة العلوم وان كانوا من قبل بعثة الرسول لفي ضلال ان هي المخففة
من الثقيلة واللام هي الفارقة بينها وبين النافية وتقديره وان الشأن والحديث كانوا
من قبل في ضلال مبين ظاهر لا شبهة فيه اولما اصابتكم مصيبة قد اصبتم مثليها قلتم انى هذا
قل هو من عند انفسكم ان الله على كل شيء قدير اصابتكم مصيبة يريد ما اصابهم يوم احد
من قتل سبعين منهم قد اصبتم مثليها يوم بدر من قتل سبعين واسر سبعين ولما نصب بقلتم
واصابتكم في محل الجر باضافة لما اليه وتقديره اقلتم حين اصابتكم وانى هذا نصب لانه مقول
والهمزة للتقرير والتقريع فان قلت علام عطفت الواو هذه الجملة قلت على ما مضى
من قصة احد من قوله تعالى ولقد صدقكم الله وعده ويجوز ان يكون معطوفة على محذوف
كانه قيل افعلتم كذا وقلتم حينئذ كذا انى هذا من اين هذا كقوله انى لك هذا لقوله تعالى من
عند انفسكم والمعنى انتم السبب فيما اصابكم لاختياركم الخروج من المدينة او لتخليتكم المركز وعن
علي رضي الله عنه لاخذكم الفداء من اسارى بدر قبل ان يؤذن لكم ان الله على كل شيء قدير فهو قادر
على النصر وعلى ان يصيب بكم تارة ويصيب منكم اخرى وما اصابكم يوم احد يوم التقى جمعكم
وجمع المشركين فهو كائن باذن الله اي بتخليته استعار الاذن لتخلية الكفار وانه لم يمنعهم
منهم ليبتليهم لان الاذن مخل بين المأذون له ومراده وما اصابكم يوم التقى الجمعان
فباذن الله وليعلم المؤمنين وليعلم الذين نافقوا وقيل لهم تعالوا قاتلوا في سبيل الله
او ادفعوا قالوا لو نعلم قتالاً لاتبعناكم هم للكفر يومئذ اقرب منهم للايمان يقولون
بافواههم ما ليس في قلوبهم والله اعلم بما يكتمون وليعلم وهو كائن ليتميز المؤمنون من
المنافقين وليظهر ايمان هؤلاء ونفاق هؤلاء وقيل لهم من جملة الصلة عطف على نافقوا وانما
لم يقل فقالوا لانه جواب لسؤال اقتضاه دعاء المؤمنين لهم الى القتال كانه قيل فماذا قالوا لهم
فقيل قالوا لو نعلم ويجوز ان يقتصر بالصلة على نافقوا ويكون وقيل لهم كلاماً مبتدأ قسم الامر
عليهم بين ان يقاتلوا للآخرة كما يقاتل المؤمنون وبين ان يقاتلوا ان لم يكن بهم غم الآخرة دفعاً
عن انفسهم واهليهم واموالهم فابوا القتال وجحدوا القدرة عليه رأساً لنفاقهم ودغلهم وذلك

ما روى أن عبد الله بن أبيّ انخزل مع حلفائه فقيل له فقال ذلك. وقيل أو ادفعوا العدو بتكثيركم
سواد المجاهدين وإن لم تقاتلوا لأن كثرة السواد مما يروع العدو ويكسر منه. وعن سهل
ابن سعد الساعدي وقد كف بصره لو أمكنني لبعت داري ولحقت بثغر من ثغور المسلمين فكنت
بينهم وبين عدوهم فقيل وكيف وقد ذهب بصرك قال لقوله تعالى أو ادفعوا أراد أكثر سوادهم
ووجه آخر وهو أن يكون معنى قولهم لو نعلم قتالا لو نعلم ما يصح أن يسمى قتالا لاتبعناكم يعنون
أن ما أنتم فيه لخطأ رأيكم وزللكم عن الصواب ليس بشيء ولا يقال لمثله قتال إنما هو إلقاء
بالأنفس إلى التهلكة لأن رأي عبد الله كان في الإقامة بالمدينة وما كان يستصوب الخروج
هم للكفر يومئذ أقرب منهم للإيمان يعني أنهم قبل ذلك اليوم كانوا يتظاهرون بالإيمان وما
ظهرت منهم أمارة تؤذن بكفرهم فلما انخزلوا عن عسكر المؤمنين وقالوا ما قالوا تباعدوا بذلك وابتعدوا
عن الإيمان المظنون بهم واقتربوا من الكفر وقيل هم لأهل الكفر أقرب نصرة منهم لأهل الإيمان لأن
تقليلهم سواد المسلمين بالانخزال تقوية للمشركين. يقولون بأفواههم لا يتجاوز إيمانهم أفواههم
ومخارج الحروف منهم ولا تعي قلوبهم منه شيئا وذكر الأفواه مع القلوب تصوير لنفاقهم وأن إيمانهم
موجود في أفواههم معدوم في قلوبهم خلاف صفة المؤمنين في مواطأة قلوبهم لأفواههم.
والله أعلم بما كانوا يكتمون من النفاق وبما يجري بعضهم مع بعض من ذم المؤمنين وتجهيلهم
وتخطئة رأيهم والشماتة بهم وغير ذلك لأنكم تعلمون بعض ذلك علما مجملا بأمارات وأنا أعلم
كله علم إحاطة بتفاصيله وكيفياته. الذين قالوا لإخوانهم وقعدوا لو أطاعونا ما قتلوا قل
فادرؤوا عن أنفسكم الموت إن كنتم صادقين. الذين قالوا في إعرابه أوجه أن يكون نصبا على الذم أو على الرد
على الذين نافقوا أو رفعا على هم الذين قالوا أو على الإبدال من واو يكتمون. ويجوز أن يكون
مجرورا بدلا من الضمير في بأفواههم أو قلوبهم كقوله

على حالة لو أن في القوم حاتما ... على جوده لضن بالماء حاتم

لإخوانهم لأجل إخوانهم
من جنس المنافقين المقتولين يوم أحد أو إخوانهم في النسب وفي سكنى الدار. وقعدوا أي قالوا
وقد قعدوا عن القتال لو أطاعنا إخواننا فيما أمرناهم به من القعود ووافقونا فيه لما قتلوا كما
لم نقتل. قل فادرؤوا عن أنفسكم الموت إن كنتم صادقين معناه قل إن كنتم صادقين في أنكم وجدتم
إلى دفع القتل سبيلا وهو القعود عن القتال فجدوا إلى دفع الموت سبيلا يعني أن ذلك الدفع
غير مغن عنكم لأنكم إن دفعتم القتل الذي هو أحد أسباب الموت لم تقدروا على دفع سائر أسبابه
المبثوثة ولا بد لكم من أن يتعلق بكم بعضها. وروي أنه مات يوم قالوا هذه المقالة سبعون
منافقا. فإن قلت فقد كانوا صادقين في أنهم دفعوا القتل عن أنفسهم بالقعود فما معنى قوله
إن كنتم صادقين. قلت معناه أن النجاة من القتل يجوز أن يكون سببها القعود عن القتال
وأن يكون غيره لأن أسباب النجاة كثيرة وقد يكون قتال الرجل سبب نجاته ولو لم يقاتل لقتل
فما يدريكم أن سبب نجاتكم القعود وأنكم صادقون في مقالتكم وما أنكرتم أن يكون السبب غيره
ووجه آخر إن كنتم صادقين في قولكم لو أطاعونا وقعدوا ما قتلوا يعني أنهم لو أطاعوكم وقعدوا
لقتلوا قاعدين كما قتلوا مقاتلين وقوله فادرؤوا عن أنفسكم الموت استهزاء بهم أي إن كنتم رجالا دفاعين
لأسباب الموت فادرؤوا جميع أسبابه حتى لا تموتوا. ولا تحسبن الذين قتلوا في سبيل الله أمواتا

بل

الثغر موضع المخافة من فروج البلدان

بل أحياء عند ربهم يرزقون. ولا تحسبن الخطاب لرسول الله عليه السلام أو لكل أحد. وقرئ
بالياء على ولا يحسبن رسول الله أو ولا يحسبن حاسب. ويجوز أن يكون الذين قتلوا فاعلا ويكون
التقدير ولا يحسبنهم الذين قتلوا أمواتا أي ولا يحسبن الذين قتلوا أنفسهم أمواتا. فإن قلت
كيف جاز حذف المفعول الأول. قلت هو في الأصل مبتدأ فحذف كما حذف المبتدأ في قوله
أحياء والمعنى هم أحياء لدلالة الكلام عليهما. وقرئ ولا تحسبن بفتح السين وقتلوا بالتشديد
وأحياء بالنصب على معنى بل احسبهم أحياء. عند ربهم مقربون عنده ذوو زلفى كقوله فالذين
عند ربك. يرزقون مثل ما يرزق سائر الأحياء يأكلون ويشربون وهو تأكيد لكونهم أحياء
ووصف لحالهم التي هم عليها من التنعم برزق الله تعالى. فرحين بما آتاهم الله من فضله
ويستبشرون بالذين لم يلحقوا بهم من خلفهم ألا خوف عليهم ولا هم يحزنون. فرحين
بما آتاهم الله من فضله وهو التوفيق في الشهادة وما ساق إليهم من الكرامة والتفضيل على
غيرهم من كونهم أحياء مقربين معجلا لهم رزق الجنة ونعيمها. وعن رسول الله عليه السلام
لما أصيب إخوانكم بأحد جعل الله أرواحهم في أجواف طير خضر تدور في أنهار الجنة وتأكل من
ثمارها وتأوي إلى قناديل معلقة في ظل العرش. ويستبشرون بإخوانهم المجاهدين الذين لم
يلحقوا بهم أي لم يقتلوا فيلحقوا بهم من خلفهم يريد الذين من خلفهم قد بقوا بعدهم وهم قد
تقدموهم. وقيل لم يلحقوا بهم لم يدركوا فضلهم ومنزلتهم. ألا خوف عليهم بدل من الذين
والمعنى ويستبشرون بما تبين لهم من حال من تركوا خلفهم من المؤمنين وهو أنهم يبعثون آمنين
يوم القيامة بشرهم الله بذلك فهم مستبشرون به. وفي ذكر حال الشهداء واستبشارهم بمن
خلفهم بعث للباقين بعدهم على ازدياد الطاعة والجد في الجهاد والرغبة في نيل منازل الشهداء
وإصابة فضلهم وإحماد لحال من يرى نفسه في خير فيتمنى مثله لإخوانه في الله وبشرى للمؤمنين
بالفوز في المآب. يستبشرون بنعمة من الله وفضل وأن الله لا يضيع أجر المؤمنين. وكرر
يستبشرون ليعلق به ما هو بيان لقوله ألا خوف عليهم ولا هم يحزنون من ذكر النعمة والفضل
وأن ذلك أجر لهم على إيمانهم يجب في عدل الله وحكمته أن يحصل لهم ولا يضيع. وقرئ وإن
الله بالفتح عطفا على النعمة والفضل وبالكسر على الابتداء وعلى أن الجملة اعتراض وهي قراءة الكسائي
وتعضدها قراءة عبد الله والله لا يضيع. الذين استجابوا لله والرسول من بعد ما أصابهم
القرح للذين أحسنوا منهم واتقوا أجر عظيم. الذين استجابوا مبتدأ خبره للذين أحسنوا أو
صفة للمؤمنين أو نصب على المدح. وروي أن أبا سفيان وأصحابه لما رجعوا من أحد فبلغوا
الروحاء ندموا وهموا بالرجوع فبلغ ذلك رسول الله عليه السلام فأراد أن يرهبهم ويريهم من
نفسه وأصحابه قوة فندب أصحابه للخروج في طلب أبي سفيان وقال لا يخرجن معنا إلا من حضر
يومنا بالأمس فخرج رسول الله عليه السلام مع جماعة حتى بلغوا حمراء الأسد وهي من المدينة على
ثمانية أميال وكان بأصحابه القرح فتحاملوا على أنفسهم حتى لا يفوتهم الأجر وألقى الله الرعب
في قلوب المشركين فذهبوا فنزلت. ومن في للذين أحسنوا منهم للتبيين مثلها في قوله تعالى
وعد الله الذين آمنوا وعملوا الصالحات منهم مغفرة لأن الذين استجابوا لله والرسول
قد أحسنوا كلهم واتقوا لا بعضهم. وعن عروة بن الزبير رضي الله عنه قالت لي عائشة
رضي الله عنها إن أبويك لمن الذين استجابوا لله والرسول تعني أبا بكر والزبير رضي الله عنهما

روحا موضع بين مكة والمدينة

الذين قال لهم الناس ان الناس قد جمعوا لكم فاخشوهم فزادهم ايمانا وقالوا حسبنا ونعم الوكيل ● الذين قال لهم الناس ان الناس قد جمعوا لكم روى ان ابا سفيان نادى عند انصرافه من
احد يا محمد موعدنا موسم بدر لقابل ان شئت فقال عليه السلام ان شاء الله فلما كان القابل خرج
ابو سفيان في اهل مكة حتى نزل مر الظهران فالقى الله الرعب في قلبه فبدا له ان يرجع فلقي نعيم
ابن مسعود الاشجعي وقد قدم معتمرا فقال يا نعيم اني واعدت محمدا ان نلتقي بموسم بدر وان
هذا عام جدب ولا يصلحنا الا عام نرعى فيه الشجر ونشرب فيه اللبن وقد بدا لي ولكن ان خرج
محمد ولم اخرج زاده ذلك جراءة فالحق بالمدينة فثبطهم ولك عندي عشر من الابل فخرج نعيم فوجد
المسلمين يتجهزون فقال لهم ما هذا بالرأي اتوكم في دياركم وقراركم فلم يفلت منكم احد الا شريد
افتريدون ان تخرجوا وقد جمعوا لكم عند الموسم فوالله لا يفلت منكم احد وقيل مر
بابي سفيان ركب من عبد القيس يريدون المدينة للميرة فجعل لهم حمل بعير من زبيب ان ثبطوهم فكره
المسلمون الخروج فقال عليه السلام والذي نفسي بيده لاخرجن ولو لم يخرج معي احد فخرج في سبعين
راكبا وهم يقولون حسبنا الله ونعم الوكيل ● وقيل هي الكلمة التي قالها ابراهيم عليه السلام حين
القي في النار حتى وافوا بدرا واقاموا بها ثماني ليال وكانت معهم تجارات فباعوها واصابوا خيرا
ثم انصرفوا الى المدينة سالمين غانمين ورجع ابو سفيان الى مكة فسمى اهل مكة جيشه جيش السويق
وقالوا انما خرجتم لتشربوا السويق فالناس الاولون المثبطون والآخرون ابو سفيان واصحابه
فان قلت كيف قيل الناس ان كان نعيم هو المثبط وحده قلت قيل ذلك لانه من جنس
الناس كما يقال فلان يركب الخيل ويلبس البرود وما له الا فرس واحد وبرد فرد ولانه حين قال
ذلك لم يخل من ناس من اهل المدينة يضامونه ويصلون جناح كلامه ويثبطون مثل تثبيطه
فان قلت الام يرجع المستكن في فزادهم قلت الى المقول الذي هو ان الناس قد جمعوا
لكم فاخشوهم كانه قيل قالوا لهم هذا الكلام فزادهم ايمانا ● او الى مصدر قالوا كقولك من صدق
كان خيرا له ● او الى الناس اذا اريد به نعيم وحده فان قلت كيف زادهم نعيم او مقوله
ايمانا قلت لما لم يسمعوا قوله واخلصوا عنده النية والعزم على الجهاد واظهروا حمية الاسلام
كان ذلك اثبت ليقينهم واقوى لاعتقادهم كما يزداد الايقان بتناصر الحجج ● ولان خروجهم على اثر
تثبيطه الى وجهة العدو طاعة عظيمة والطاعات من جملة الايمان لان الايمان اعتقاد واقرار
وعمل ● وعن ابن عمر رضي الله عنهما قلنا يا رسول الله ان الايمان يزيد وينقص قال نعم يزيد حتى
يدخل صاحبه الجنة وينقص حتى يدخل صاحبه النار ● وعن عمر رضي الله عنه انه كان ياخذ بيد
الرجل فيقول قم بنا نزدد ايمانا ● وعنه لو وزن ايمان ابي بكر بايمان هذه الامة لرجح به ● حسبنا
الله محسبنا الله اي كافينا يقال احسبه الشيء اذا كفاه ● والدليل على انه بمعنى المحسب انك تقول هذا
رجل حسبك فتصف به النكرة لان اضافته لكونه في معنى اسم الفاعل غير حقيقية ● ونعم الوكيل
ونعم الموكول اليه هو فانقلبوا بنعمة من الله وفضل لم يمسسهم سوء واتبعوا رضوان الله
والله ذو فضل عظيم ● فانقلبوا فرجعوا من بدر بنعمة من الله وهي السلامة وحذر العدو منهم
وفضل وهو الربح في التجارة كقوله تعالى ليس عليكم جناح ان تبتغوا فضلا من ربكم لم يمسسهم
سوء لم يلقوا ما يسوءهم من كيد عدو ● واتبعوا رضوان الله بجرأتهم وخروجهم ● والله ذو فضل
عظيم قد تفضل عليهم بالتوفيق فيما فعلوا ● وفي ذلك تحسير لمن تخلف عنهم واظهار لخطاء رأيهم

حيث

قوله انما ذلكم الشيطان يريد بالشيطان القايل ان
الناس قد جمعوا لكم ويدل عليه قوله والمراد
بالشيطان نعيم وكذا قوله او ابو سفيان
يدل عليه لان ابا سفيان قال لنعيم
ثبطهم فابو سفيان هو الحامل على التثبيط

حيث حرموا انفسهم ما فاز به هؤلاء ● وروى انهم قالوا هل يكون هذا غزوا فاعطاهم الله
ثواب الغزو ورضي عنهم انما ذلكم الشيطان يخوف اولياءه فلا تخافوهم وخافون ان كنتم
مؤمنين ● الشيطان خبر ذلكم بمعنى انما ذلكم المثبط هو الشيطان ● ويخوف اولياءه جملة مستانفة
بيان لشيطنته ● او الشيطان صفة لاسم الاشارة ● ويخوف الخبر والمراد بالشيطان نعيم
او ابو سفيان ● ويجوز ان يكون على تقدير حذف المضاف بمعنى انما ذلكم قول الشيطان اي
قول ابليس لعنه الله يخوف اولياءه يخوفكم اولياءه الذين هم ابو سفيان واصحابه ● ويدل عليه
قراءة ابن عباس رضي الله عنهما وابن مسعود رضي الله عنه يخوفكم اولياءه ● وقوله فلا تخافوهم
وقيل يخوف اولياءه القاعدين عن الخروج مع رسول الله عليه السلام فان قلت
فالام رجع الضمير في فلا تخافوهم على هذا التفسير قلت الى الناس في قوله ان الناس قد
جمعوا لكم فلا تخافوهم فتقعدوا عن القتال وتجبنوا وخافون فجاهدوا مع رسولي وسارعوا الى
ما يأمركم به ● ان كنتم مؤمنين يعني ان الايمان يقتضي ان تؤثروا خوف الله على خوف الناس
ولا يخشون احدا الا الله ● ولا يحزنك الذين يسارعون في الكفر انهم لن يضروا الله شيئا
يريد الله الا يجعل لهم حظا في الاخرة ولهم عذاب عظيم ● يسارعون في الكفر يقعون فيه
سريعا ويرغبون فيه اشد رغبة وهم الذين نافقوا من المتخلفين ● وقيل هم قوم ارتدوا عن الاسلام
فان قلت ما معنى قوله ولا يحزنك ومن حق الرسول ان يحزن لنفاق من نافق وارتداد من
ارتد قلت معناه لا يحزنوك لخوف ان يضروك ويعينوا عليك ● الا ترى الى قوله انهم لن يضروا
الله شيئا يعني انهم لا يضرون بمسارعتهم في الكفر غير انفسهم وما وبال ذلك عائدا على غيرهم ثم بين
كيف يعود وباله عليهم بقوله يريد الله الا يجعل لهم حظا في الاخرة اي نصيبا من الثواب ولهم
بدل الثواب عذاب عظيم وذلك ابلغ ما ضر به الانسان نفسه فان قلت هلا قيل لا يجعل الله
لهم حظا في الاخرة واي فائدة في ذكر الارادة قلت فائدته الاشعار بان الداعي الى حرمانهم
وتعذيبهم قد خلص خلوصا لم يبق معه صارف قط حين سارعوا في الكفر تنبيها على تماديهم
في الطغيان وبلوغهم الغاية فيه حتى ان ارحم الراحمين يريد ان لا يرحمهم ● ان الذين اشتروا
الكفر بالايمان لن يضروا الله شيئا ولهم عذاب اليم ● ان الذين اشتروا الكفر بالايمان
اما ان يكون تكريرا للتذكير للتاكيد والتسجيل عليهم بما اضاف اليهم واما ان يكون عاما للكفار
والاول خاصا فيمن نافق وارتد عن الاسلام ● او على العكس ● وشيئا نصب على المصدر لان
المعنى شيئا من الضرر وبعض الضرر ● ولا يحسبن الذين كفروا انما نملي لهم خير لانفسهم انما
نملي لهم ليزدادوا اثما ولهم عذاب مهين ● الذين كفروا فيمن قرأ بالتاء نصب وانما نملي
لهم خير لانفسهم بدل منه اي ولا تحسبن ان ما نملي للكافرين خير لهم وان مع ما في حيزه ينوب عن
المفعولين كقوله تعالى ام تحسب ان اكثرهم يسمعون ● وما مصدرية بمعنى ولا تحسبن ان
املاءنا خير وكان حقها في قياس علم الخط ان تكتب مفصولة ولكنها وقعت في الامام متصلة
فلا تخالف وتتبع سنة الامام في خط المصاحف فان قلت كيف صح مجيء البدل ولم يذكر
الا احد المفعولين ولا يجوز الاقتصار بفعل الحسبان على مفعول واحد قلت صح ذلك
من حيث ان التعويل على البدل والمبدل منه في حكم المنحى الا تراك تقول جعلت متاعك بعضه
فوق بعض مع امتناع سكوتك على متاعك ● ويجوز ان يقدر مضاف محذوف على ولا تحسبن

الذين كفروا أصحاب أن الإملاء خير لأنفسهم، أو ولا تحسبن حال الذين كفروا أن الإملاء خير لأنفسهم، وهو فيمن قرأ بالياء رفع، والفعل متعلق بأن وما في حيزه، والإملاء لهم تخليتهم وشأنهم، مستعار من أملى لفرسه إذا أرخى الطول ليرعى كيف شاء، وقيل هو إمهالهم وإطالة عمرهم، والمعنى ولا تحسبن أن الإملاء خير لهم من منعهم أو قطع آجالهم. إنما نملي لهم ما هذه حقها أن تكتب متصلة لأنها كافة دون الأولى، وهذه جملة مستأنفة تعليل للجملة قبلها كأنه قيل ما بالهم لا يحسبون الإملاء خيرا لهم فقيل إنما نملي لهم ليزدادوا إثما. **فإن قلت** كيف جاز أن يكون ازدياد الإثم غرضا لله تعالى في إملائه لهم؟ **قلت** هو علة للإملاء وما كل علة بغرض، ألا تراك تقول قعدت عن الغزو للعجز والفاقة وخرجت من البلد لمخافة الشر، وليس شيء منها بغرض لك، وإنما هي علل وأسباب، فكذلك ازدياد الإثم جعل علة للإملاء وسببا فيه. **فإن قلت** فكيف يكون ازدياد الإثم علة للإملاء كما كان العجز علة للقعود عن الحرب؟ **قلت** لما كان في علم الله المحيط بكل شيء أنهم مزدادون إثما فكان الإملاء وقع من أجله وبسببه على طريق المجاز. **وقرأ** يحيى بن وثاب بكسر الأولى وفتح الثانية ولا يحسبن بالياء على معنى ولا يحسبن الذين كفروا أن إملاءنا لازدياد الإثم كما يفعلون، وإنما هو ليتوبوا ويدخلوا في الإيمان. وقوله إنما نملي لهم خير لأنفسهم اعتراض بين الفعل ومعموله، ومعناه أن الإملاء خير لأنفسهم إن عملوا فيه وعرفوا إنعام الله عليهم بتفسيح المدة وترك المعاجلة بالعقوبة. **فإن قلت** ما معنى قوله ولهم عذاب مهين على هذه القراءة؟ **قلت** معناه ولا تحسبوا أن إملاءنا لزيادة الإثم وللتعذيب، والواو للحال كأنه قيل ليزدادوا إثما معدا لهم عذاب مهين.

ما كان الله ليذر المؤمنين على ما أنتم عليه حتى يميز الخبيث من الطيب وما كان الله ليطلعكم على الغيب ولكن الله يجتبي من رسله من يشاء فآمنوا بالله ورسله وإن تؤمنوا وتتقوا فلكم أجر عظيم

اللام لتأكيد النفي، على ما أنتم عليه من اختلاط المؤمنين المخلص والمنافق، حتى يميز الخبيث من الطيب حتى يعزل المنافق عن المخلص. **وقرئ** يميز من ميزه، وفي رواية عن ابن كثير يميز من أماز بمعنى ميز. **فإن قلت** لمن الخطاب في أنتم؟ **قلت** للمصدقين جميعا من أهل الإخلاص والنفاق، كأنه قيل ما كان الله ليذر المخلصين منكم على الحال التي عليها من اختلاط بعضكم ببعض وأنه لا يعرف مخلصكم من منافقكم لاتفاقكم على التصديق جميعا حتى يميزهم منكم بالوحي إلى نبيه وإخباره بأحوالكم. ثم قال وما كان الله ليطلعكم على الغيب، أي وما كان الله ليؤتي أحدا منكم علم الغيوب فلا تتوهموا عند إخبار الرسول بنفاق الرجل وإخلاص الآخر أنه يطلع على ما في القلوب اطلاع الله فيخبر عن كفرها وإيمانها، ولكن الله يرسل الرسول فيوحي إليه ويخبره بأن في الغيب كذا وأن فلانا في قلبه النفاق وفلانا في قلبه الإخلاص، فيعلم ذلك من جهة إخبار الله لا من جهة اطلاعه على المغيبات. ويجوز أن يراد لا يترككم مختلطين حتى يميز الخبيث من الطيب بأن يكلفكم التكاليف الصعبة التي لا يصبر عليها إلا الخلص الذين امتحن الله قلوبهم كبذل الأرواح في الجهاد وإنفاق الأموال في سبيل الله، فيجعل ذلك عيارا على عقائدكم وشاهدا بضمائركم حتى يعلم بعضكم ما في قلب بعض من طريق الاستدلال لا من جهة الوقوف على ذات الصدور والاطلاع عليها، فإن ذلك مما استأثر الله به. وما كان الله ليطلع أحدا منكم على الغيب ومضمرات القلوب حتى يعرف صحيحها من فاسدها مطلعا عليها، ولكن الله يجتبي من رسله من يشاء فيخبره ببعض

المغيبات. فآمنوا بالله ورسله بأن تقدروه حق قدره وتعلموه وحده مطلعا على الغيوب، وأن تنزلوهم منازلهم بأن تعلموهم عبادا مجتبين لا يعلمون إلا ما علمهم الله ولا يخبرون إلا بما أخبرهم الله به من الغيوب، وليسوا من علم الغيب في شيء. **وعن** السدي قال الكافرون إن كان محمد صادقا فليخبرنا من يؤمن منا ومن يكفر، فنزلت.

ولا يحسبن الذين يبخلون بما آتاهم الله من فضله هو خيرا لهم بل هو شر لهم سيطوقون ما بخلوا به يوم القيامة ولله ميراث السموات والأرض والله بما تعملون خبير

ولا تحسبن، من قرأ بالتاء قدر مضافا محذوفا، أي ولا تحسبن بخل الذين يبخلون هو خيرا لهم، وكذلك من قرأ بالياء وجعل فاعل يحسبن ضمير رسول الله عليه السلام أو ضمير أحد، ومن جعل فاعله الذين يبخلون كان المفعول الأول عنده محذوفا تقديره ولا يحسبن الذين يبخلون بخلهم هو خيرا لهم، والذي سوغ حذفه دلالة يبخلون عليه، وهو فصل. **وقرأ** الأعمش بغير هو. سيطوقون تفسير لقوله هو شر لهم، أي سيلزمون وبال ما بخلوا به إلزام الطوق، وفي أمثالهم تقلدها طوق الحمامة إذا جاء بهنة يسب بها ويذم. وقيل يجعل ما بخل به من الزكوة حية يطوقها في عنقه يوم القيامة تنهشه من قرنه إلى قدمه وتنقر رأسه وتقول أنا مالك. وعن النبي صلى الله عليه وسلم في مانع الزكوة يطوق بشجاع أقرع، وروي بشجاع أسود. وعن النخعي سيطوقون بطوق من نار. ولله ميراث السموات والأرض، أي وله ما فيهما مما يتوارثه أهلهما من مال وغيره، فما لهم يبخلون عليه بملكه ولا ينفقونه في سبيله. **ونحوه** وأنفقوا مما جعلكم مستخلفين فيه. **وقرئ** بما يعملون بالياء والتاء، فالتاء على طريقة الالتفات وهي أبلغ في الوعيد، والياء على الظاهر.

لقد سمع الله قول الذين قالوا إن الله فقير ونحن أغنياء سنكتب ما قالوا وقتلهم الأنبياء بغير حق ونقول ذوقوا عذاب الحريق

سنكتب ما قالوا في صحائف الحفظة أو سنحفظه ونثبته في علمنا لا ننساه كما يثبت المكتوب. قال ذلك اليهود حين سمعوا قول الله تعالى من ذا الذي يقرض الله قرضا حسنا، فلا يخلو إما أن يقولوه عن اعتقاد لذلك أو عن استهزاء بالقرآن، وأيهما كان فالكلمة عظيمة لا تصدر إلا عن متمردين في كفرهم. ومعنى سماع الله له أنه لم يخف عليه وأنه أعد له كفاءه من العقاب. سنكتب ما قالوا في صحائف الحفظة أو سنحفظه ونثبته في علمنا لا ننساه كما يثبت المكتوب. **فإن قلت** كيف قال لقد سمع الله ثم قال سنكتب، وهلا قيل ولقد كتبنا؟ **قلت** ذكر وجود السماع أولا مؤكدا بالقسم، ثم قال سنكتب على جهة الوعيد، بمعنى لن يفوتنا أبدا إثباته وتدوينه كما لن يفوتنا قتلهم الأنبياء، وجعل قتلهم الأنبياء قرينة له إيذانا بأنهما في العظم أخوان، وبأن هذا ليس بأول ما ركبوه من العظائم، وأنهم أصلاء في الكفر ولهم فيه سوابق، وأن من قتل الأنبياء لم يستبعد منه الاجتراء على مثل هذا القول. **وروي** أن رسول الله عليه السلام كتب مع أبي بكر رضي الله عنه إلى يهود بني قينقاع يدعوهم إلى الإسلام وإلى إقام الصلوة وإيتاء الزكوة وأن يقرضوا الله قرضا حسنا، فقال فنحاص اليهودي إن الله فقير حين سألنا القرض، فلطمه أبو بكر رضي الله عنه وقال لولا الذي بيننا وبينكم من العهد لضربت عنقك، فشكاه إلى رسول الله عليه السلام وجحد ما قاله، فنزلت. **ونحوه** قوله يد الله مغلولة. ونقول ذوقوا وننتقم منهم بأن نقول لهم يوم القيامة ذوقوا عذاب الحريق كما أذقتم المسلمين الغصص، يقال للمنتقم منه أحس وذق

وقال ابو سفيان لحمزة رضي الله عنه ذق عقق وقرأ حمزة سيكتب بالياء على البناء للمفعول
ويقول بالياء وقرأ الحسن والاعرج سيكتب بالياء وتسمية الفاعل • وقرأ ابن مسعود
ويقال ذوقوا ذلك بما قدمت ايديكم وان الله ليس بظلام للعبيد • ذلك اشارة الى
ما تقدم من عقابهم • وذكر الايدي لان اكثر الاعمال تزاول بهن فجعل كل عمل كالواقع بالايدي
على سبيل التغليب فان قلت فلم عطف قوله وان الله ليس بظلام للعبيد على ما قدمت
ايديكم وكيف جعل كونه غير ظلام للعبيد شريكا لاجتراحهم السيئات في استحقاق التعذيب
قلت معنى كونه غير ظلام للعبيد انه عادل عليهم ومن العدل ان يعاقب المسيء منهم ويثيب
المحسن • الذين قالوا ان الله عهد الينا الا نؤمن لرسول حتى يأتينا بقربان تأكله النار
قل قد جاءكم رسل من قبلي بالبينات وبالذي قلتم فلم قتلتموهم ان كنتم صادقين • عهد
الينا امرنا في التورية واوصانا بان لا نؤمن لرسول حتى يأتينا بهذه الآية الخاصة وهو ان
يرينا قربانا تنزل نار من السماء فتأكله كما كان انبياء بني اسرائيل • تلك آيتهم كان يتقرب بالقربان
فيقوم النبي ويدعو فتنزل نار من السماء فتأكله • وهذه دعوى باطلة وافتراء على الله لان
اكل النار القربان لم يوجب الايمان للرسول الآتي به الا لكونه آية ومعجزة فهو اذن وسائر
الآيات سواء فلا يجوز ان يعينه الله تعالى من بين الآيات وقد الزمهم الله ان انبياءهم
جاؤهم بالآيات الكثيرة التي اوجبت عليهم التصديق وجاؤهم ايضا بهذه الآية التي
اقترحوها فلم قتلوهم ان كانوا صادقين ان الايمان يلزمكم باتيانها • وقرئ بقربان بضمتين
ونظيره السلطان فان قلت ما معنى قوله وبالذي قلتم قلت معناه ومعنى الذي
قلتموه من قولكم قربان تأكله النار ومؤداه كقوله ثم يعودون لما قالوا اي لمعنى ما قالوا •
فان كذبوك فقد كذب رسل من قبلك جاؤوا بالبينات والزبر والكتاب المنير • في مصاحف
اهل الشام وبالزبر وهي الصحف • والكتاب المنير التورية والانجيل والزبور • وهذه تسلية
لرسول الله عليه السلام من تكذيب قومه وتكذيب اليهود • كل نفس ذائقة الموت وانما توفون
اجوركم يوم القيامة فمن زحزح عن النار وادخل الجنة فقد فاز وما الحيوة الدنيا
الا متاع الغرور قرأ اليزيدي ذائقةٌ الموتَ على الاصل • وقرأ الاعمش ذائقةُ الموت
بطرح التنوين مع النصب كقوله • ولا ذاكر الله الا قليلا • فان قلت كيف اتصل به
قوله وانما توفون اجوركم قلت اتصاله به على ان كلكم تموتون لا بد لكم من الموت
ولا توفون اجوركم على طاعاتكم ومعاصيكم عقيب موتكم وانما توفونها يوم قيامكم
عن القبور فان قلت فهذا يوهم نفي ما يروى ان القبر روضة من رياض الجنة او حفرة
من حفر النار قلت كلمة التوفية تزيل هذا الوهم لان المعنى ان توفية الاجور وتكميلها يكون
ذلك اليوم وما يكون قبل ذلك فبعض الاجور • الزحزحة التنحية والابعاد تكرير الزح
وهو الجذب بعجلة • فقد فاز فقد حصل له الفوز المطلق المتناول لكل ما يفاز به ولا غاية
للفوز وراء النجاة من سخط الله والعذاب السرمد ونيل رضوان الله والنعيم المخلد • اللهم
وفقنا لما ندرك به عندك الفوز في المآب • وعن النبي صلى الله عليه وسلم من احب ان يزحزح
عن النار ويدخل الجنة فلتدركه منيته وهو يؤمن بالله واليوم الآخر ويأتي الى الناس

ما يحب ان يؤتى اليه • وهذا شامل للمحافظة على حقوق الله وحقوق العباد • شبه الدنيا بالمتاع
الذي يدلس به على المستام ويغر حتى يشتريه ثم يتبين له فساده ورداءته • والشيطان هو
المدلس الغرور • وعن سعيد بن جبير انما هذا لمن آثرها على الآخرة فاما من طلب الآخرة بها
فانها متاع بلاغ • لتبلون في اموالكم وانفسكم ولتسمعن من الذين اوتوا الكتاب
من قبلكم ومن الذين اشركوا اذى كثيرا وان تصبروا وتتقوا فان ذلك من عزم الامور
خوطب المؤمنون بذلك ليوطنوا انفسهم على احتمال ما سيلقون من الاذى والشدائد والصبر
عليها حتى اذا لقوها لقوها وهم مستعدون لا يرهقهم ما يرهق من تصيبه الشدة بغتة
فينكرها وتشمئز منها نفسه والبلاء في الانفس القتل والاسر والجراح وما يرد عليها من انواع المخاوف
والمصائب وفي الاموال الانفاق في سبيل الخير وما يقع فيها من الآفات وما يسمعون من اهل الكتاب
المطاعن في الدين الحنيف وصد من اراد الايمان وتخطئة من آمن • وما كان من كعب بن الاشرف
من هجائه لرسول الله عليه السلام وتحريض المشركين ومن فنحاص ومن بني قريظة والنضير • فان
ذلك فان الصبر والتقوى من عزم الامور من معزومات الامور اي مما يجب العزم عليه من الامور
او مما عزم الله ان يكون يعني ان ذلك عزمة من عزمات الله لا بد لكم ان تصبروا وتتقوا •
واذ اخذ الله ميثاق الذين اوتوا الكتاب لتبيننه للناس ولا تكتمونه فنبذوه وراء
ظهورهم واشتروا به ثمنا قليلا فبئس ما يشترون • واذكر وقت اخذ الله
ميثاق اهل الكتاب لتبيننه الضمير للكتاب اكد عليهم ايجاب بيان الكتاب واجتناب كتمانه
كما يؤكد على الرجل اذا عزم عليه وقيل له آلله لتفعلن • فنبذوه وراء ظهورهم فنبذوا الميثاق
وتأكيده عليهم يعني لم يراعوه ولم يلتفتوا اليه • والنبذ وراء الظهر مثل في الطرح وترك
الاعتداد ونقيضه جعله نصب عينيه والقاه بين عينيه وكفى به دليلا على انه مأخوذ على العلماء
ان يبينوا الحق للناس وما علموه وان لا يكتموا منه شيئا لغرض فاسد من تسهيل على الظلمة وتطييب
لنفوسهم واستجلاب لمسارهم او لجر منفعة وحطام دنيا • او لتقية مما لا دليل عليه ولا امارة •
او لبخل بالعلم وغيرة ان ينسب اليه غيرهم • وعن النبي صلى الله عليه وسلم من كتم علما عن اهله
الجم بلجام من نار • وعن طاوس انه قال لوهب اني ارى الله سوف يعذبك بهذه الكتب • وقال والله
لو كنت نبيا فكتمت العلم كما تكتمه لرأيت ان الله سيعذبك • وعن محمد بن كعب لا يحل لاحد من
العلماء ان يسكت على علمه ولا يحل لجاهل ان يسكت على جهله حتى يسأل • وعن علي رضي الله عنه ما
اخذ الله على اهل الجهل ان يتعلموا حتى اخذ على اهل العلم ان يعلموا • وقرئ ليبيننه ولا يكتمونه
بالياء لانهم غيب وبالتاء على حكاية مخاطبتهم كقوله تعالى وقضينا الى بني اسرائيل في الكتاب لتفسدن
ولا تحسبن الذين يفرحون بما اتوا ويحبون ان يحمدوا بما لم يفعلوا فلا تحسبنهم بمفازة
من العذاب ولهم عذاب اليم • لا تحسبن خطاب لرسول الله عليه السلام واحد المفعولين
الذين يفرحون والثاني بمفازة • وقوله فلا تحسبنهم تأكيد تقديره لا تحسبنهم فلا تحسبنهم فائزين
وقرئ لا تحسبن فلا تحسبنهم بضم الباء على خطاب المؤمنين • ولا يحسبن فلا يحسبنهم
بالياء وفتح الباء فيهما على ان الفعل للرسول • وقرأ ابو عمرو بالياء وفتح الباء في الاول وضمها
في الثاني على ان الفعل للذين يفرحون والمفعول الاول محذوف على لا يحسبنهم الذين يفرحون بمفازة

بمعنى لا تحسبن انفسهم الذين يفرحون فائزين * فلا تحسبنهم تاكيد ومعنى بما اتوا بما فعلوا واتى وجا
يستعملان بمعنى فعل قال الله تعالى انه كان وعده ماتيا * لقد جئت شيا فريا * ويدل عليه
قراءة ابى يفرحون بما فعلوا **وقرئ** آتوا بمعنى اعطوا * وعن على رضى الله عنه بما اوتوا وحتى
بمفازة من العذاب بمنجاة منه **وروى** ان رسول الله عليه السلام سال اليهود عن شئ مما فى
التوراة فكتموا الحق واخبروه بخلافه واروه انهم قد صدقوه واستحمدوا اليه وفرحوا بما فعلوا
فاطلع الله رسوله على ذلك وسلاه بما انزل من وعيدهم اى لا تحسبن اليهود الذين يفرحون بما
فعلوا من تدليسهم عليك ويحبون ان تحمدهم بما لم يفعلوا من اخبارك بالصدق عما سالتهم عنه
ناجين من العذاب * ومعنى يفرحون بما اوتوا بما اوتوه من علم التورية * وقيل يفرحون بما فعلوا
من كتمان نعت رسول الله عليه السلام * ويحبون ان يحمدوا بما لم يفعلوا من اتباع دين ابراهيم عليه
السلام حيث ادعوا ان ابراهيم كان على اليهودية وانهم على دينه * وقيل هم قوم تخلفوا عن الغزو
مع رسول الله عليه السلام فلما قفل اعتذروا اليه بانهم راوا المصلحة فى التخلف واستحمدوا اليه
بترك الخروج * وقيل هم المنافقون يفرحون بما اتوا من اظهار الايمان للمسلمين ومنافقتهم
وتوصلوا بذلك الى اغراضهم ويستحمدون اليهم بالايمان الذى لم يفعلوه على الحقيقة لابطانهم
الكفر * ويجوز ان يكون شاملا لكل من ياتى بحسنة فيفرح بها فرح اعجاب ويحب ان يحمده الناس
ويثنوا عليه بالديانة والزهد وبما ليس فيه ولله ملك السموات والارض والله على كل شئ
قدير * ولله ملك السموات والارض فهو يملك امرهم * والله على كل شئ قدير فهو يقدر على عقابهم
ان فى خلق السموات والارض واختلاف الليل والنهار لآيات لاولى الالباب *
لآيات لادلة واضحة على الصانع وعظيم قدرته وباهر حكمته لاولى الالباب للذين يفتحون بصائرهم
للنظر والاستدلال والاعتبار ولا ينظرون اليها نظر البهائم غافلين عما فيها من عجائب الفطر * وفى
النصائح الصغار املا عينيك من زينة هذه الكواكب * واجلهما فى جملة هذه العجائب متفكرا فى قدرة
مقتدرها * متدبرا حكمة مدبرها * قبل ان يسافر بك القدر ويحال بينك وبين النظر **وعن**
ابن عمر رضى الله عنهما قلت لعائشة رضى الله عنها اخبرينى باعجب ما رايت من رسول الله عليه السلام فبكت
واطالت ثم قالت كل امره عجب اتانى فى ليلتى فدخل فى لحافى حتى الصق جلده بجلدى ثم قال يا عائشة هل
لك ان تاذنى الليلة فى عبادة ربى فقلت يا رسول الله انى لاحب قربك واحب هواك قد اذنت لك
فقام الى قربة من ماء فى البيت فتوضا ولم يكثر من صب الماء ثم قام يصلى فقرا من القرآن وجعل يبكى
حتى بلغ الدموع حقويه ثم جلس فحمد الله واثنى عليه وجعل يبكى ثم رفع يديه فجعل يبكى حتى رايت دموعه
قد بلت الارض فاتاه بلال يؤذنه بصلوة الغداة فرآه يبكى فقال له يا رسول الله ابتكى وقد غفر الله
لك ما تقدم من ذنبك وما تاخر فقال عليه السلام يا بلال افلا اكون عبدا شكورا * ثم قال وما لى
لا ابكى وقد انزل الله على فى هذه الليلة ان فى خلق السموات والارض ثم قال ويل لمن قراها ولم يتفكر
فيها * وروى ويل لمن لاكها بين فكيه ولم يتامل فيها **وعن** على رضى الله عنه ان النبى صلى الله عليه وسلم
كان اذا قام من الليل يتسوك ثم ينظر الى السماء ثم يقول ان فى خلق السموات والارض **وحكى** ان
الرجل من بنى اسرائيل كان اذا عبد الله ثلاثين سنة اظلته سحابة فعبدها فتى من فتيانهم فلم * فقالت
له امه لعل فرطة فرطت منك فى مدتك قال ما اذكر قالت لعلك نظرت مرة الى السماء ولم تعتبر

قال

قال لعل قالت فما اتيت الا من ذاك * الذين يذكرون الله قياما وقعودا وعلى جنوبهم ويتفكرون
فى خلق السموات والارض ربنا ما خلقت هذا باطلا سبحانك فقنا عذاب النار *
يذكرون الله ذكرا دائبا على اى حال كانوا من قيام وقعود واضطجاع لا يخلون بالذكر فى اغلب احوالهم
وعن ابن عمر وعروة بن الزبير رضى الله عنهما وجماعة انهم خرجوا يوم العيد الى المصلى فجعلوا يذكرون
الله فقال بعضهم اما قال الله تعالى يذكرون الله قياما وقعودا فقاموا يذكرون الله على اقدامهم
وعن النبى صلى الله عليه وسلم من احب ان يرتع فى رياض الجنة فليكثر ذكر الله * وقيل معناه يصلون
فى هذه الاحوال على حسب استطاعتهم قال رسول الله صلى الله عليه وسلم لعمران بن الحصين صل قائما
فان لم تستطع فقاعدا فان لم تستطع فعلى جنب تومى ايماء * وهذه حجة للشافعى رضى الله عنه فى اضجاع
المريض على جنبه كما فى اللحد **وعند** ابى حنيفة رحمة الله عليه انه يستلقى حتى اذا وجد خفة
قعد * وعلى جنوبهم نصب على الحال عطفا على ما قبله كانه قيل قياما وقعودا ومضطجعين *
ويتفكرون فى خلق السموات والارض وما يدل عليه اختراع هذه الاجرام العظام وابداع
صنعتها وما دبر فيها مما تكل الافهام عن ادراك بعض عجائبه على عظم شان الصانع وكبرياء سلطانه
وعن سفيان الثورى انه صلى خلف المقام ركعتين ثم رفع راسه الى السماء فلما راى الكواكب غشى
عليه * وكان يبول الدم من طول حزنه وفكرته **وعن** النبى صلى الله عليه وسلم بينما رجل مستلق على فراشه
اذ رفع راسه فنظر الى النجوم والى السماء فقال اشهد ان لك ربا وخالقا اللهم اغفر لى فنظر الله اليه فغفر
له **وعن** النبى عليه السلام لا عبادة كالتفكر * وقيل الفكرة تذهب الغفلة * وتحدث للقلب الخشية
كما تحدث الماء للزرع النبات * وما جليت القلوب بمثل الاحزان ولا استنارت بمثل الفكرة **وروى**
عن النبى عليه السلام لا تفضلونى على يونس بن متى فانه كان يرفع له فى كل يوم مثل عمل اهل الارض
قالوا وانما كان ذلك التفكر فى امر الله الذى هو عمل القلب لان احدا لا يقدر ان يعمل بجوارحه فى اليوم
مثل عمل اهل الارض * ما خلقت هذا باطلا على ارادة القول اى يقولون ذلك وهو فى محل الحال
بمعنى يتفكرون قائلين والمعنى ما خلقته خلقا باطلا بغير حكمة بل خلقته لداعى حكمة عظيمة وهو ان
تجعلها مساكن للمكلفين وادلة لهم على معرفتك ووجوب طاعتك واجتناب معصيتك ولذلك وصل به
قوله فقنا عذاب النار لانه جزاء من عصى ولم يطع **فان قلت** هذا اشارة الى ماذا **قلت**
الى الخلق على ان المراد به المخلوق كانه قيل ويتفكرون فى مخلوق السموات والارض اى فيما خلق
منهما * ويجوز ان يكون اشارة الى السموات والارض لانها فى معنى المخلوق كانه قيل ما خلقت هذا
المخلوق العجيب باطلا * وفى هذا ضرب من التعظيم **كقوله** تعالى ان هذا القرآن يهدى للتى
هى اقوم * ويجوز ان يكون باطلا حالا من هذا وسبحانك اعتراض للتنزيه من العبث وان يخلق شيا
بغير حكمة ربنا انك من تدخل النار فقد اخزيته وما للظالمين من انصار * فقد اخزيته فقد
ابلغت فى اخزائه وهو نظير قوله فقد فاز **ونحوه** فى كلامهم من ادرك مرعى الصمان فقد ادرك *
ومن سبق فلانا فقد سبق * وما للظالمين اللام اشارة الى من يدخل النار واعلام بان من يدخل
النار فلا ناصر له بشفاعة ولا غيرها * ربنا اننا سمعنا مناديا ينادى للايمان ان آمنوا بربكم
فآمنا ربنا فاغفر لنا ذنوبنا وكفر عنا سيئاتنا وتوفنا مع الابرار * تقول سمعت رجلا
يقول كذا وسمعت زيدا يتكلم فتوقع الفعل على الرجل وتحذف المسموع لانك وصفته بما يسمع

وجعله حالا عندنا غناك عن ذكره ولولا الوصف او الحال لم يكن منه بد وان يقال سمعته كلام فلان وقوله **فان قلت** فاى فائدة فى الجمع بين المنادى وينادى **قلت** ذكر النداء مطلقا ثم مقيدا بالايمان تفخيما لشان المنادى لانه لا منادى اعظم من مناد ينادى للايمان ونحوه قولك مررت بهاد يهدى للاسلام وذلك ان المنادى اذا اطلق ذهب الوهم الى مناد للحرب او لاطفاء النائرة او لاغاثة المكروب او لكفاية بعض النوازل او لبعض المنافع وكذلك الهادى قد يطلق على من يهدى للطريق ويهدى لسداد الراى وغير ذلك فاذا قلت ينادى للايمان ويهدى للاسلام فقد رفعت من شان المنادى والهادى وفخمته ويقال دعاه لكذا والى كذا ونديه له واليه وناداه له واليه ونحوه هداه للطريق واليه وذلك ان معنى انتهاء الغاية ومعنى الاختصاص واقعان جميعا والمنادى هو الرسول ادعوا الى الله ادع الى سبيل ربك **وعن** محمد بن كعب القرآن ان آمنوا اى آمنوا او بان آمنوا ذنوبنا كبائرنا سيئاتنا صغائرنا مع الابرار مخصوصين بصحبتهم معدودين فى جملتهم والابرار جمع بر او بار كرب وارباب وصاحب واصحاب ربنا وآتنا ما وعدتنا على رسلك ولا تخزنا يوم القيامة انك لا تخلف الميعاد على رسلك على هذه صلة للوعد فى قولك وعد الله الجنة على الطاعة والمعنى ما وعدتنا على تصديق رسلك الا تراه كيف اتبع ذكر المنادى للايمان وهو الرسول وقوله آمنا وهو التصديق ويجوز ان يكون متعلقا بمحذوف اى ما وعدتنا منزلا على رسلك او محمولا على رسلك لان الرسل يحملون ذلك فانما عليه ما حمل وقيل على السنة رسلك والموعود هو الثواب وقيل النصرة على الاعداء **فان قلت** كيف دعوا الله بانجاز ما وعد والله لا يخلف الميعاد **قلت** معناه طلب التوفيق فيما يحفظ عليهم اسباب انجاز الميعاد او هو باب من اللجاء الى الله والخضوع له كما كان الانبياء عليهم السلام يستغفرون مع علمهم انهم مغفور لهم يقصدون بذلك التذلل لربهم والتضرع اليه واللجاء الذى هو سيما العبودية فاستجاب لهم ربهم انى لا اضيع عمل عامل منكم من ذكر او انثى بعضكم من بعض فالذين هاجروا واخرجوا من ديارهم واوذوا فى سبيلى وقاتلوا وقتلوا لاكفرن عنهم سيئاتهم ولادخلنهم جنات تجرى من تحتها الانهار ثوابا من عند الله والله عنده حسن الثواب يقال استجاب له واستجابه فلم يستجبه عند ذاك مجيب انى لا اضيع **قرئ** بالفتح على حذف الباء وبالكسر على ارادة القول **وقرئ** لا اضيع بالتشديد من ذكر او انثى بيان لعامل بعضكم من بعض اى يجمع ذكوركم واناثكم اصل واحد فكل واحد منكم من الآخر اى من اصله او كانه منه لفرط اتصالكم واتحادكم وقيل المراد وصلة الاسلام وهذه جملة معترضة بينت بها شركة النساء مع الرجال فيما وعد الله عباده العاملين **وروى** ان ام سلمة رضى الله عنها قالت يا رسول الله انى اسمع الله يذكر الرجال فى الهجرة ولا يذكر النساء فنزلت فالذين هاجروا تفصيل لعمل العامل منهم على سبيل التعظيم له والتفخيم كانه قال فالذين عملوا هذه الاعمال السنية الفائقة وهى المهاجرة عن اوطانهم فارين الى الله بدينهم من دار الفتنة واضطروا الى الخروج من ديارهم التى ولدوا فيها ونشأوا بما سامهم المشركون من الخسف واوذوا فى سبيلى من اجله وبسببه يريد سبيل الدين وقاتلوا وقتلوا وغزوا المشركين واستشهدوا **وقرئ** وقتلوا بالتشديد وقتلوا وقاتلوا على التقديم بالتخفيف والتشديد وقتلوا وقتلوا على بناء الاول للفاعل والثانى

المفعول

للمفعول وقتلوا وقاتلوا على بنائهما للفاعل ثوابا فى موضع المصدر المؤكد بمعنى اثابة او تثويبا من عند الله لان قوله لاكفرن عنهم ولادخلنهم فى معنى لاثيبنهم وعنده مثل اى يختص به وبقدرته وفضله لا يثيبه غيره ولا يقدر عليه كما يقول الرجل عندى ما تريد يريد اختصاصه به وبملكه وان لم يكن بحضرته وهذا تعليم من الله كيف يدعى وكيف يبتهل اليه ويتضرع وتكرير ربنا من باب الابتهال واعلام بما يوجب حسن الاجابة وحسن الاثابة من احتمال المشاق فى دين الله والصبر على صعوبة تكاليفه وقطع لاطماع الكسالى المتمنين عليه وتسجيل على من لا يرى الثواب موصولا اليه بالعمل بالجهل والغباوة **وروى** عن جعفر الصادق رضى الله عنه من حزبه امر فقال خمس مرات ربنا انجاه الله مما يخاف واعطاه ما اراد وقرأ هذه الآية **وعن** الحسن حكى الله عنهم انهم قالوا خمس مرات ربنا ثم اخبر انه استجاب لهم الا انه اتبع ذلك رافع الدعاء وما يستجاب به فلا بد من تقديمه بين يدى الدعاء لا يغرنك تقلب الذين كفروا فى البلاد لا يغرنك الخطاب لرسول الله عليه السلام او لكل احد اى لا تنظر الى ما هم عليه من سعة الرزق والمضطرب ودرك العاجل واصابة حظوظ الدنيا ولا تغتر بظاهر ما ترى من تبسطهم فى الارض وتصرفهم فى البلاد يتكسبون ويتجرون ويتدهقنون **وروى** عن ابن عباس رضى الله عنهما هم اهل مكة وقيل هم اليهود **وروى** ان ناسا من المؤمنين كانوا يرون ما كانوا فيه من الخصب والرخاء ولين العيش فيقولون ان اعداء الله فيما نرى من الخير وقد هلكنا من الجوع والجهد **فان قلت** كيف جاز ان يغتر رسول الله بذلك حتى ينهى عن الاغترار به **قلت** فيه وجهان احدهما ان مدره القوم ومتقدمهم يخاطب بشىء فيقوم خطابه مقام خطابهم جميعا فكانه قيل لا يغرنكم والثانى ان رسول الله عليه السلام كان غير مغرور بحالهم فاكد عليه ما كان عليه وثبت على التزامه **كقوله** عز وجل فلا تكونن ظهيرا للكافرين ولا تكونن من المشركين ولا تطع المكذبين وهذا فى النهى نظير قوله فى الامر اهدنا الصراط المستقيم يا ايها الذين آمنوا آمنوا وقد جعل النهى فى الظاهر للتقلب وهو فى المعنى للمخاطب وهذا من تنزيل السبب منزلة المسبب لان التقلب لو غره لاغتر به فمنع السبب ليمتنع المسبب **وقرئ** لا يغرنك بالنون الخفيفة متاع قليل ثم مأواهم جهنم وبئس المهاد متاع قليل خبر مبتدأ محذوف اى ذلك متاع قليل وهو التقلب فى البلاد اراد قلته فى جنب ما فاتهم من نعيم الآخرة او فى جنب ما اعد الله للمؤمنين من الثواب او اراد انه قليل فى نفسه لانقضائه وكل زائل قليل قال رسول الله عليه السلام ما الدنيا فى الآخرة الا مثل ما يجعل احدكم اصبعه فى اليم فلينظر بم يرجع وبئس المهاد وساء ما مهدوا لانفسهم لكن الذين اتقوا ربهم لهم جنات تجرى من تحتها الانهار خالدين فيها نزلا من عند الله وما عند الله خير للابرار النزل والنزل ما يقام للنازل **قال** ابو الشعر الضبى وكنا اذا الجبار بالجيش ضافنا جعلنا القنا والمرهفات له نزلا وانتصابها اما على الحال من جنات لتخصصها بالوصف والعامل اللام ويجوز ان يكون بمعنى مصدر مؤكد كانه قيل رزقا او عطاء من عند الله وما عند الله من الكثير الدائم خير للابرار مما يتقلب فيه الفجار من القليل الزائل **وقرأ** مسلمة بن محارب والاعمش نزلا بالسكون

محارب

وقرأ يزيد بن القعقاع لكنّ الذين اتقوا بالتشديد • وان من اهل الكتاب لمن يؤمن بالله وما انزل اليكم وما انزل اليهم خاشعين لله لا يشترون بآيات الله ثمنا قليلا اولئك لهم اجرهم عند ربهم ان الله سريع الحساب • وان من اهل الكتاب عن مجاهد نزلت في عبد الله ابن سلام وغيره من مسلمة اهل الكتاب • وقيل في اربعين من اهل نجران واثنين وثلاثين من الحبشة • وثمانية من الروم كانوا على دين عيسى عليه السلام فاسلموا • وقيل في اصحمة النجاشي ملك الحبشة • ومعنى اصحمة عطية بالعربية • وذلك انه لما مات نعاه جبريل عليه السلام الى رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال اخرجوا فصلوا على اخ لكم مات بغير ارضكم فخرج النبي عليه السلام الى البقيع ونظر الى ارض الحبشة فابصر سرير النجاشي وصلى عليه واستغفر له فقال المنافقون انظروا الى هذا يصلي على علج نصراني لم يره قط وليس على دينه فنزلت • ودخلت لام الابتداء على اسم ان لفصل الظرف بينهما كقوله تعالى وان منكم لمن ليبطئن • وما انزل اليكم من القرآن وما انزل اليهم من الكتابين • خاشعين لله حال من فاعل يؤمن لان من يؤمن في معنى الجمع • لا يشترون بآيات الله ثمنا قليلا كما يفعل من لم يسلم من احبارهم وكبارهم • اولئك لهم اجرهم عند ربهم اي ما خص بهم من الاجر وما وعدوه في قوله تعالى اولئك يؤتون اجرهم مرتين • يؤتكم كفلين من رحمته • ان الله سريع الحساب لنفوذ علمه في كل شيء فهو عالم بما يستوجبه كل عامل من الاجر • ويجوز ان يراد ان ما توعدون لآت قريب بعد ذكر الموعد • يا ايها الذين آمنوا اصبروا وصابروا ورابطوا واتقوا الله لعلكم تفلحون • اصبروا على الدين وتكاليفه وصابروا اعداء الله في الجهاد اي غالبوهم في الصبر على شدائد الحرب لا تكونوا اقل صبرا منهم وثباتا • والمصابرة باب من الصبر ذكر بعد الصبر على ما يجب الصبر عليه تخصيصا لشدته وصعوبته • ورابطوا واقيموا في الثغور رابطين خيلكم فيها مترصدين مستعدين للغزو قال تعالى ومن رباط الخيل ترهبون به عدو الله وعدوكم وعن النبي صلى الله عليه وسلم من رابط يوما وليلة في سبيل الله كان كعدل صيام شهر وقيامه لا يفطر ولا ينفتل عن صلوته الا لحاجة عن النبي صلى الله عليه وسلم من قرأ سورة آل عمران اعطي بكل آية منها امانا على جسر جهنم وعنه صلى الله عليه وسلم من قرأ السورة التي يذكر فيها آل عمران يوم الجمعة صلى الله عليه وملائكته حتى تجب الشمس

بسم الله الرحمن الرحيم يا ايها الناس اتقوا ربكم الذي خلقكم من نفس واحدة وخلق منها زوجها وبث منهما رجالا كثيرا ونساء واتقوا الله الذي تساءلون به والارحام ان الله كان عليكم رقيبا • يا ايها الناس يا بني آدم خلقكم من نفس واحدة فرعكم من اصل واحد وهو نفس آدم عليه السلام ابيكم فان قلت علام عطف قوله وخلق منها زوجها قلت فيه وجهان احدهما ان يعطف على محذوف كانه قيل من نفس واحدة انشأها وخلق منها زوجها وانما حذف لدلالة المعنى عليه والمعنى شعبكم من نفس واحدة هذه صفتها وهي انه انشأها من تراب • وخلق زوجها حواء عليها السلام من ضلع من اضلاعها • وبث منهما نوعي جنس الانس وهما الذكور والاناث فوصفها بصفة هي بيان وتفصيل لكيفية خلقهم منها • والثاني ان يعطف على خلقكم ويكون الخطاب في يا ايها الناس للذين بعث اليهم رسول الله عليه السلام • والمعنى خلقكم من نفس آدم لانهم من جملة الجنس المفرع منه • وخلق منها امكم حواء وبث منهما رجالا كثيرا ونساء غيركم من الامم الفائتة للحصر فان قلت الذي يقتضيه سداد نظم الكلام وجزالته ان يجاء عقيب الامر بالتقوى بما يوجبها او يدعو اليها ويبعث عليها فكيف كان خلقه اياهم من نفس واحدة على التفصيل الذي ذكره موجبا للتقوى وداعيا اليها قلت لان ذلك مما يدل على القدرة العظيمة ومن قدر على نحوه كان قادرا على كل شيء • ومن المقدورات عقاب العصاة فالنظر فيه يؤدي الى ان يتقى القادر عليه ويخشى عقابه ولانه يدل على النعمة السابغة عليهم فحقهم ان يتقوه في كفرانها والتفريط فيما يلزمهم من القيام بشكرها • او اراد بالتقوى تقوى خاصة وهي ان يتقوه فيما يتصل بحفظ الحقوق بينهم فلا يقطعوا ما يجب عليهم وصله فقيل اتقوا ربكم الذي وصل بينكم حيث جعلكم صنوانا مفرعة من ارومة واحدة فيما يجب على بعضكم لبعض فحافظوا عليه ولا تغفلوا عنه وهذا المعنى مطابق لمعاني السورة وقرئ وخالق منها زوجها وباث منهما بلفظ اسم الفاعل وهو خبر مبتدأ محذوف تقديره وهو خالق • تساءلون به تتساءلون به فادغمت التاء في السين وقرئ تسالون بطرح التاء الثانية اي يسأل بعضكم بعضا بالله وبالرحم فيقول بالله وبالرحم افعل كذا على سبيل الاستعطاف وانا شدك الله والرحم • او تسألون غيركم بالله والرحم فقيل تفاعلون موضع تفعلون للجمع كقولك رأيت الهلال وتراءيناه وتنصره قراءة من قرأ تسألون به مهموزا وغير مهموز وقرئ والارحام بالحركات الثلاث فالنصب على وجهين • اما على واتقوا الله والارحام • او ان يعطف على محل الجار والمجرور كقولك مررت بزيد وعمرا وينصره قراءة ابن مسعود رضي الله عنه تساءلون به وبالارحام • والجر على عطف الظاهر على المضمر وليس بسديد لان الضمير المتصل متصل كاسمه والجار والمجرور كشيء واحد فكانا في قولك مررت به وزيد وهذا غلامه وزيد شديدي الاتصال فلما اشتد الاتصال لتكرره اشبه العطف على بعض الكلمة فلم يجز ووجب تكرير العامل كقولك مررت به وبزيد وهذا غلامه وغلام زيد الا ترى الى صحة قولك رأيتك وزيدا ومررت بزيد وعمرو لما لم يقو الاتصال لانه لم يتكرر وقد تمحل لصحة هذه القراءة بانها على تقدير تكرير الجار ونظيرها • فاليوم قربت تهجونا وتشتمنا • فاذهب فما بك والايام من عجب • والرفع على انه مبتدأ خبره محذوف كانه قيل والارحام كذلك على معنى والارحام مما يتقى • او والارحام مما يتساءل به • والمعنى انهم كانوا يقرون بان لهم خالقا وكانوا يتساءلون بذكر الله والرحم فقيل لهم اتقوا الله الذي خلقكم واتقوا الذي تتناشدون به واتقوا الارحام فلا تقطعوها • او واتقوا الله الذي تتعاطفون باذكاره وباذكار الرحم وقد آذن عز وعلا اذ قرن الارحام باسمه ان صلتها منه بمكان كما قال تعالى الا تعبدوا الا اياه وبالوالدين احسانا • وعن الحسن رحمه الله اذا سألك بالله فاعطه واذا سألك بالرحم فاعطه • وللرحم حجنة عند العرش • ومعناه ما روي عن ابن عباس رضي الله عنهما الرحم معلقة بالعرش فاذا اتاها الواصل بشت به وكلمته واذا اتاها القاطع احتجبت منه • وسئل ابن عيينة عن قول رسول الله عليه السلام تخيروا لنطفكم فقال يقول لاولادكم وذلك ان يضع ولده في الحلال الم تسمع قوله تعالى تساءلون به والارحام واول صلته ان يختار له الموضع الحلال فلا يقطع رحمه ولا نسبه فانما للعاهر الحجر • ثم يختار الصحة ويجتنب الدعوة ولا يضعه موضع سوء يتبع شهوته وهواه

بغير هدى من الله ﴿وآتوا اليتامى أموالهم ولا تتبدلوا الخبيث بالطيب ولا تأكلوا أموالهم
إلى أموالكم إنه كان حوبا كبيرا﴾ اليتامى الذين مات آباؤهم فانفردوا عنهم واليتم الانفراد ومنه
الرملة اليتيمة والدرة اليتيمة وقيل اليتم في الأناسي من قبل الآباء وفي البهائم من قبل الأمهات
فإن قلت كيف جمع اليتيم وهو فعيل كمريض على يتامى قلت فيه وجهان أن يجمع على
يتمى كأسرى لأن اليتم من وادي الآفات والأوجاع ثم يجمع فعلى على فعالى كأسارى وأن يجمع
على فعائل لجري اليتيم مجرى الأسماء نحو صاحب وفارس فيقال يتائم ثم يتامى على القلب وحق هذا الاسم
أن يقع على الصغار والكبار لبقاء معنى الانفراد عن الآباء إلا أنه قد غلب أن يسموا به قبل أن يبلغوا
مبلغ الرجال فإذا استغنوا بأنفسهم عن كافل وقائم عليهم وانتصبوا كفاة يكفلون غيرهم ويقومون
عليهم زال عنهم هذا الاسم وكانت قريش تقول لرسول الله عليه السلام يتيم أبي طالب إما على القياس
وإما حكاية للحال التي كان عليها صغيرا ناشئا في حجر عمه توضيعا له وأما قوله صلى الله عليه وسلم
لا يتم بعد الحلم فما هو إلا تعليم شريعة لا لغة يعني أنه إذا احتلم لم تجر عليه أحكام الصغار
فإن قلت فما معنى قوله وآتوا اليتامى أموالهم قلت إما أن يراد باليتامى الصغار
وبإيتائهم الأموال أن لا يطمع فيها الأولياء والأوصياء وولاة السوء وقضاته ويكفوا عنها أيديهم
الخاطفة حتى تأتي اليتامى إذا بلغوا سالمة غير محذوفة وإما أن يراد الكبار تسمية لهم يتامى على
القياس أو لقرب عهدهم إذا بلغوا بالصغر كما تسمى الناقة عشراء بعد وضعها على أن فيه إشارة إلى أن
لا يؤخر دفع أموالهم إليهم عن حد البلوغ ولا يمطلوا إن أونس منهم الرشد وأن يؤتوها قبل أن يزول
عنهم اسم اليتامى والصغار وقيل هي في رجل من غطفان كان معه مال كثير لابن أخ له يتيم
فلما بلغ طلب المال فمنعه عمه فترافعا إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم فنزلت فلما سمعها العم قال
أطعنا الله وأطعنا الرسول نعوذ بالله من الحوب الكبير فدفع ماله إليه فقال رسول الله صلى الله
عليه وسلم ومن يوق شح نفسه ويطع ربه هكذا فإنه يحل داره يعني جنته فلما قبض الفتى ماله
أنفقه في سبيل الله فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم ثبت الأجر ثبت الأجر وبقي الوزر قالوا يا رسول
الله قد عرفنا أنه ثبت الأجر فكيف بقي الوزر وهو ينفق في سبيل الله فقال رسول الله صلى الله
عليه وسلم ثبت أجر الغلام وبقي الوزر على والده ولا تتبدلوا الخبيث بالطيب ولا تستبدلوا الحرام
وهو مال اليتامى بالحلال وهو مالكم وما أبيح لكم من المكاسب ورزق الله المبثوث في الأرض
فتأكلوه مكانه أو ولا تستبدلوا الأمر الخبيث وهو اختزال أموال اليتامى بالأمر الطيب وهو
حفظها والتورع منها والتفعل بمعنى الاستفعال غير عزيز منه التعجل بمعنى الاستعجال والتأخر
بمعنى الاستئخار قال ذو الرمة فيا كرم السكن الذين تحملوا عن الدار والمستخلف المتبدل
أراد ويا لؤم ما استخلفته الدار واستبدلته وقيل هو أن يعطي رديا ويأخذ جيدا وعن
السدي أن يجعل شاة مهزولة مكان سمينة وهذا ليس بتبدل إنما هو تبديل إلا أن يكارم صديقا
له فيأخذ منه عجفا مكان سمينة من مال الصبي ولا تأكلوا أموالهم إلى أموالكم ولا تنفقوها
معها وحقيقته ولا تضموها إليها في الإنفاق حتى لا تفرقوا بين أموالكم وأموالهم قلة مبالاة
بما لا يحل لكم وتسوية بينه وبين الحلال فإن قلت قد حرم عليهم أكل مال اليتامى وحده
ومع أموالهم فلم ورد النهي عن أكله معها قلت لأنهم إذا كانوا مستغنين عن أموال اليتامى بما

رزقهم

رزقهم الله من مال حلال وهم على ذلك يطمعون فيها كان القبح أبلغ والذم أحق ولأنهم كانوا يفعلون
كذلك فنعى عليهم فعلهم وسمع بهم ليكون أزجر لهم والحوب الذنب العظيم ومنه قوله عليه
السلام إن طلاق أم أيوب لحوب فكأنه قيل إنه كان ذنبا عظيما كبيرا وقرأ الحسن حوبا بفتح الحاء وهو
مصدر حاب حوبا وقرئ حابا ونظير الحوب والحاب القول والقال والطرد والطرد
﴿وإن خفتم ألا تقسطوا في اليتامى فانكحوا ما طاب لكم من النساء مثنى وثلاث ورباع فإن
خفتم ألا تعدلوا فواحدة أو ما ملكت أيمانكم ذلك أدنى ألا تعولوا﴾ ولما نزلت الآية
في اليتامى وما في أكل أموالهم من الحوب الكبير خاف الأولياء أن يلحقهم الحوب بترك الإقساط في
حقوق اليتامى وأخذوا يتحرجون من ولايتهم وكان الرجل منهم ربما كان تحته العشر من الأزواج
والثمان والست فلا يقوم بحقوقهن ولا يعدل بينهن فقيل لهم إن خفتم ترك العدل في حقوق
اليتامى فتحرجتم منها فخافوا أيضا ترك العدل بين النساء فقللوا عدد المنكوحات لأن من
تحرج من ذنب أو تاب عنه وهو مرتكب مثله فهو غير متحرج ولا تائب لأنه إنما وجب أن يتحرج
من الذنب ويتاب عنه لقبحه والقبح قائم في كل ذنب وقيل كانوا لا يتحرجون من الزنا
وهم يتحرجون من ولاية اليتامى فقيل إن خفتم الجور في حق اليتامى فخافوا الزنا فانكحوا ما
حل لكم من النساء ولا تحوموا حول المحرمات وقيل كان الرجل يجد اليتيمة لها مال وجمال
أو يكون وليها فيتزوجها ضنا بها عن غيره فربما اجتمعت عنده عشر منهن فيخاف لضعفهن وفقد
من يغضب لهن أن يظلمهن حقوقهن ويفرط فيما يجب لهن فقيل لهم إن خفتم ألا تقسطوا في يتامى
النساء فانكحوا من غيرهن ما طاب لكم ويقال للإناث اليتامى كما يقال للذكور وهو جمع يتيمة
على القلب كما قيل أيامى والأصل أيايم ويتايم وقرأ النخعي تقسطوا بفتح التاء على أن لا مزيدة
مثلها في لئلا يعلم يريد وإن خفتم أن تجوروا ما طاب لكم ما حل لكم من النساء لأن منهن ما حرم
كاللاتي في آية التحريم وقيل ما ذهابا إلى الصفة ولأن الإناث من العقلاء يجرين مجرى غير العقلاء
ومنه قوله تعالى أو ما ملكت أيمانكم مثنى وثلاث ورباع معدولة عن أعداد مكررة وإنما
منعت الصرف لما فيها من العدلين عدلها عن صيغها وعدلها عن تكررها وهي نكرات يعرفن بلام
التعريف تقول فلان ينكح المثنى والثلاث والرباع ومحلهن النصب على الحال مما طاب تقديره
فانكحوا الطيبات لكم معدودات هذا العدد ثنتين ثنتين وثلاثا ثلاثا وأربعا أربعا
فإن قلت الذي أطلق للناكح في الجمع أن يجمع بين ثنتين أو ثلاث أو أربع فما معنى التكرير في
مثنى وثلاث ورباع قلت الخطاب للجميع فوجب التكرير ليصيب كل ناكح يريد الجمع ما أراد
من العدد الذي أطلق له كما تقول للجماعة اقتسموا هذا المال وهو ألف درهم درهمين درهمين
وثلاثة ثلاثة وأربعة أربعة ولو أفردت لم يكن له معنى فإن قلت فلم جاء العطف
بالواو دون أو قلت كما جاء بالواو في المثال الذي حذوته لك ولو ذهبت تقول اقتسموا
درهمين درهمين أو ثلاثة ثلاثة أو أربعة أربعة أعلمت أنه لا يسوغ لهم أن يقتسموه إلا على أحد
أنواع هذه القسمة وليس لهم أن يجمعوا بينها فيجعلوا بعض القسم على تثنية وبعضه على تثليث
وبعضه على تربيع وذهب معنى تجويز الجمع بين أنواع القسمة التي دلت عليه الواو وتحريره
أن الواو دلت على إطلاق أن يأخذ الناكحون من أرادوا نكاحها من النساء على طريق الجمع إن

هذا مذهب أبي هاشم فإنه قال لا التوبة عن بعض الذنوب دون بعض خلافا لغيره وعند أهل السنة صحيحة والله أعلم

الضعف بفتح الضاد في العقل وبضمها في البدن

حذوت النعل بالنعل حذوا إذا قدرت كل واحد على صاحبها

شاؤوا مختلفين في تلك الاعداد وان شاؤوا متفقين فيها محظورا عليهم ما وراء ذلك وقرأ ابراهيم
وثلث وربع على القصر من ثلاث ورباع • فان خفتم الا تعدلوا بين هذه الاعداد كما خفتم ترك
العدل فيما فوقها فواحدة فالزموا او فاختاروا واحدة وذروا الجمع راسا فان الامر
كله يدور مع العدل فاينما وجدتم العدل فعليكم به وقرئ فواحدة بالرفع على فالمقنع
واحدة • او فحسبكم واحدة • او ما ملكت ايمانكم سوى في السهولة واليسر بين الحرة الواحدة
وبين الاماء من غير حصر ولا توقيت عدد ولعمري انهن اقل تبعة واقصر شغبا واخف مؤنة من
المهاير لا عليك اكثرت منهن ام اقللت عدلت بينهن في القسم ام لم تعدل عزلت عنهن ام لم
تعزل وقرأ ابن ابي عبلة من ملكت • ذلك اشارة الى اختيار الواحدة والتسري ادنى ان لا
تعولوا اقرب من ان لا تميلوا من قولهم عال الميزان عولا اذا مال وميزان فلان عائل • وعال
الحاكم في حكمه اذا جار وروي ان اعرابيا حكم عليه حاكم فقال له اتعول علي • وقد روت
عائشة رضي الله عنها عن رسول الله صلى الله عليه وسلم الا تعولوا الا تجوروا • والذي
يحكى عن الشافعي رضي الله عنه انه فسر الا تعولوا ان لا تكثر عيالكم فوجهه ان يجعل من قولك
عال الرجل عياله يعولهم كقولك مانهم يمونهم اذا انفق عليهم لان من كثر عياله لزمه ان يعولهم
وفي ذلك ما يصعب عليه المحافظة على حدود الورع وكسب الحلال والرزق الطيب وكلام مثله من
اعلام العلم وائمة الشرع ورؤوس المجتهدين حقيق بالحمل على الصحة والسداد وان لا يظن به تحريف
تعيلوا الى تعولوا فقد روي عن عمر بن الخطاب رضي الله عنه لا تظنن بكلمة خرجت من
في اخيك سوءا وانت تجد لها في الخير محملا وكفى بكتابنا المترجم بكتاب شافي العي من كلام الشافعي شاهدا
بانه كان اعلى كعبا واطول باعا في علم كلام العرب من ان يخفى عليه مثل هذا ولكن للعلماء طرقا واساليب
فسلك في تفسير هذه الكلمة طريقة الكنايات فان قلت كيف يقل عيال الرجل من تسرى وفي
السراري نحو ما في المهاير قلت ليس كذلك لان الغرض بالتزوج التوالد والتناسل بخلاف
التسري ولذلك جاز العزل عن السراري بغير اذنهن فكان التسري مظنة لقلة الولد بالاضافة
الى التزوج كتزوج الواحدة بالاضافة الى تزوج الاربع وقرأ طاوس ان لا تعيلوا من اعال الرجل
اذا كثر عياله وهذه القراءة تعضد تفسير الشافعي رضي الله عنه من حيث المعنى الذي قصده •
وآتوا النساء صدقاتهن نحلة فان طبن لكم عن شيء منه نفسا فكلوه هنيئا مريئا • صدقاتهن
مهورهن • وفي حديث ابن عباس لها بالصدقة وقرئ صدقاتهن بفتح الصاد وسكون
الدال تخفيف صدقاتهن • وصدقاتهن بضم الصاد وسكون الدال جمع صدقة بوزن غرفة
وقرئ صدقتهن بضم الصاد والدال على التوحيد وهو تثقيل صدقة كقولك في ظلمة ظلمة •
نحلة من نحله كذا اذا اعطاه اياه ووهبه له عن طيبة من نفسه نحلة ونحلا • ومنه حديث
ابي بكر الصديق رضي الله عنه اني كنت نحلتك جاد عشرين وسقا بالعالية • وانتصابها على
المصدر لان النحلة والايتاء بمعنى الاعطاء فكأنه قيل وانحلوا النساء صدقاتهن نحلة اي اعطوهن
مهورهن عن طيبة انفسكم • او على الحال من المخاطبين اي آتوهن صدقاتهن ناحلين طيبي النفوس
بالاعطاء • او من الصدقات اي منحولة معطاة عن طيبة الانفس • وقيل نحلة من الله عطية من
عنده وتفضلا منه عليهن • وقيل النحلة الملة • ونحلة الاسلام خير النحل • وفلان ينتحل كذا اي

يدين به والمعنى آتوهن مهورهن ديانة على انها مفعول لها • ويجوز ان يكون حالا من الصدقات
اي دينا من الله شرعه وفرضه والخطاب للازواج • وقيل للاولياء لانهم كانوا ياخذون مهور
بناتهم وكانوا يقولون هنيئا لك النافجة لمن تولد له بنت يعنون تاخذ مهرها فتنفج به مالك
اي تعظمه • الضمير في منه جار مجرى اسم الاشارة كانه قيل عن شيء من ذلك كما قال الله تعالى قل
اؤنبئكم بخير من ذلكم بعد ذكر الشهوات ومن الحجج المسموعة من افواه العرب ما روي عن رؤبة انه
قيل له في قوله كانه في الجلد توليع البهق • فقال اردت كان ذاك • او يرجع الى ما هو في معنى
الصدقات وهو الصداق لانك لو قلت وآتوا النساء صداقهن لم تخل بالمعنى فهو نحو قوله فاصدق
واكن من الصالحين كانه قيل اصدق • ونفسا تمييز وتوحيدها لان الغرض بيان الجنس والواحد
يدل عليه • والمعنى فان وهبن لكم شيئا من الصداق وتجافت عنه نفوسهن طيبات غير مخبثات بما
يضطرهن الى الهبة من شكاسة اخلاقكم وسوء معاشرتكم • فكلوه فانفقوه قالوا فان وهبت له
ثم طلبت منه بعد الهبة علم انها لم تطب عنه نفسا وعن الشعبي ان رجلا اتى مع امرأته شريحا
في عطية اعطتها اياه وهي تطلب ان ترجع فقال شريح رد عليها فقال الرجل اليس قد قال الله
فان طبن فقال لو طابت نفسها عنه لما رجعت فيه • وعنه اقيلها فيما وهبت ولا اقيله لانهن
يخدعن وحكي ان رجلا من آل ابي معيط اعطته امرأته الف دينار كان لها عليه فلبث شهرا
ثم طلقها فخاصمته الى عبد الملك بن مروان فقال الرجل اعطتني طيبة بها نفسها فقال عبد
الملك فاين الاية التي بعدها فلا تأخذوا منه شيئا اردد عليها وعن عمر رضي الله عنه
انه كتب الى قضاته ان النساء يعطين رغبة ورهبة فايما امرأة اعطت ثم ارادت ان ترجع
فذلك لها وعن ابن عباس رضي الله عنه ان رسول الله عليه السلام سئل عن هذه الاية فقال
اذا جادت لزوجها بالعطية طائعة غير مكرهة لا يقضي به عليكم سلطان ولا يؤاخذكم الله به
في الاخرة وروي ان ناسا كانوا يتأثمون ان يرجع احدهم في شيء مما ساق الى امرأته فقال
الله تعالى ان طابت نفس واحدة من غير اكراه ولا خديعة فكلوه سائغا هنيئا • وفي الاية دليل
على ضيق المسلك في ذلك ووجوب الاحتياط حيث بنى الشرط على طيب النفس فقيل فان طبن ولم
يقل فان وهبن او سمحن اعلاما بان المراعى هو تجافي نفسها عن الموهوب طيبة • وقيل فان طبن
لكم عن شيء منه ولم يقل فان طبن لكم عنها بعثا لهن على تقليل الموهوب وعن الليث بن سعد
لا يجوز تبرعها الا باليسير • وعن الاوزاعي لا يجوز تبرعها ما لم تلد او تقم في بيت زوجها سنة
ويجوز ان يكون تذكير الضمير لينصرف الى الصداق الواحد فيكون متناولا بعضه ولو انث
لتناول ظاهره هبة الصداق كله لان بعض الصدقات واحدة منها فصاعدا • والهنيء والمريء
صفتان من هنؤ الطعام ومرؤ اذا كان سائغا لا تنغيص فيه • وقيل الهنيء ما يلذه الاكل
والمريء ما تحمد عاقبته • وقيل ما ينساغ في مجراه • وقيل لمدخل الطعام من الحلقوم الى فم المعدة
المريء لمروء الطعام فيه وهو انسياغه ونصبهما وصفا للمصدر اي اكلا هنيئا مريئا • او حالا من الضمير
اي كلوه وهو هنيء مريء • وقد يوقف على فكلوه ويبتدأ هنيئا مريئا على الدعاء • وعلى انهما صفتان
اقيمتا مقام المصدرين كانه قيل هنأ مرأ وهذه عبارة عن التحليل والمبالغة في الاباحة وازالة
التبعة ولا تؤتوا السفهاء اموالكم التي جعل الله لكم قياما وارزقوهم فيها واكسوهم وقولوا

لكم قولا معروفا ۝ السفهاء المبذرون اموالهم الذين ينفقونها فيما لا ينبغي ولا يدي لهم باصلاحها
وتثميرها والتصرف فيها والخطاب للاولياء واضاف الاموال اليهم لانها من جنس ما يقيم به الناس
معايشهم كما قال ولا تقتلوا انفسكم فمما ملكت ايمانكم من فتياتكم المؤمنات والدليل على انه خطاب
للاولياء في اموال اليتامى قوله وارزقوهم فيها واكسوهم ۝ جعل الله لكم قياما اي تقومون بها وتنتعشون
ولو ضيعتموها لضعتم فكانها في انفسكم قيامكم وانتعاشكم وقرئ قيما بمعنى قياما كما جاء عوذا
بمعنى عياذا وقرأ عبد الله بن عمر رضي الله عنهما قواما بالواو وقوام الشيء ما يقام به كقولك
هو ملاك الامر لما يملك به ۝ وكان السلف يقولون المال سلاح المؤمن ولان اترك ما لا يحاسبني
الله عليه خير من ان احتاج الى الناس ۝ وعن سفيان وكانت له بضاعة يقلبها لولاها لتمندل بي بنو العباس
وعن غيره وقيل له انها تدنيك من الدنيا لئن ادنتني من الدنيا لقد صانتني عنها ۝ وكانوا يقولون اتجروا
واكتسبوا فانكم في زمان اذا احتاج احدكم كان اول ما ياكل دينه ۝ وربما راى رجلا في جنازة فقال
له اذهب الى دكانك ۝ وارزقوهم فيها واجعلوها مكانا لرزقهم بان تتجروا فيها وتتربحوا حتى تكون
نفقتهم من الارباح لا من صلب المال فلا ياكلها الانفاق ۝ وقيل هو امر لكل احد ان لا يخرج ماله الى احد
من السفهاء قريب او اجنبي رجل او امراة يعلم انه يضعه فيما لا ينبغي ويفسده ۝ قولا معروفا ۝
قال ابن جريج عدة جميلة ان صلحتم ورشدتم سلمنا اليكم اموالكم وعن عطاء اذا ربحت
اعطيتك وان غنمت في غزاتي جعلت لك حظا ۝ وقيل ان لم يكن ممن وجبت عليك نفقته فقل عافانا
الله واياك بارك الله فيك ۝ وكل ما سكنت اليه النفس واحبته لحسنه عقلا او شرعا من قول او عمل
فهو معروف وما انكرته ونفرت منه لقبحه فهو منكر ۝ وابتلوا اليتامى حتى اذا بلغوا النكاح
فان انستم منهم رشدا فادفعوا اليهم اموالهم ولا تاكلوها اسرافا وبدارا ان يكبروا ومن
كان غنيا فليستعفف ومن كان فقيرا فلياكل بالمعروف ۝ فاذا دفعتم اليهم اموالهم فاشهدوا
عليهم وكفى بالله حسيبا ۝ وابتلوا اليتامى واختبروا عقولهم وذوقوا احوالهم ومعرفتهم بالتصرف
قبل البلوغ حتى اذا تبينتم منهم رشدا اي هداية دفعتم اليهم اموالهم من غير تاخير عن حد البلوغ وبلوغ
النكاح ان يحتلم لانه يصلح للنكاح عنده ولطلب ما هو مقصود به وهو التوالد ۝ والايناس الاستيضاح
فاستعير للتبين ۝ واختلف في الابتلاء والرشد فالابتلاء عند ابي حنيفة رحمة الله عليه واصحابه ان
يدفع اليه ما يتصرف فيه حتى يستبين حاله فيما يجيء منه والرشد التهدي الى وجوه التصرف ۝ وعن
ابن عباس رضي الله عنهما الصلاح في العقل والحفظ للمال وعند مالك والشافعي رحمة
الله عليهما الابتلاء ان يتتبع احواله وتصرفه في الاخذ والاعطاء ويتبصر مخايله وميله الى الدين ۝
والرشد الصلاح في الدين لان الفسق مفسدة للمال فان قلت فان لم يونس منه رشد الى حد
البلوغ قلت عند ابي حنيفة رحمة الله عليه ينتظر الى خمس وعشرين سنة لان مدة بلوغ الذكر
عنده بالسن ثماني عشرة سنة فاذا زادت عليها سبع سنين وهي مدة معتبرة في تغير احوال الانسان
لقوله صلى الله عليه وسلم مروهم بالصلوة لسبع دفع اليه ماله اونس منه رشد او لم يونس ۝ وعند
اصحابه لا يدفع ابدا الا بايناس الرشد فان قلت ما معنى تنكير الرشد قلت معناه نوعا
من الرشد وهو الرشد في التصرف والتجارة او طرفا من الرشد ومخيلة من مخايله حتى لا ينتظر به تمام
الرشد فان قلت كيف نظم هذا الكلام قلت ما بعد حتى الى فادفعوا اليهم اموالهم جعل

الفج تتكلون اليم والنبل ... لانه من التلد وهو الزرع والغلس محبة لانه يرفع الزرع او يرفعه الايدي بالمسح

غاية للابتلاء وهي حتى التي يقع بعدها الجمل كالتي في قوله ۝
فما زالت القتلى تمج دماءها ۝ بدجلة حتى ماء دجلة اشكل ۝ والجملة الواقعة
بعدها جملة شرطية لان اذا متضمنة معنى الشرط وفعل الشرط بلغوا النكاح وقوله فان انستم
منهم رشدا فادفعوا اليهم اموالهم جملة من شرط وجزاء واقعة جوابا للشرط الاول الذي هو اذا
بلغوا النكاح فكانه قيل وابتلوا اليتامى الى وقت بلوغهم فاستحقاقهم دفع اموالهم اليهم بشرط
ايناس الرشد منهم ۝ وقرا ابن مسعود فان احستم بمعنى احسستم قال ۝
احسن به فهن اليه شوس ۝ وقرئ رشدا بفتحتين ورشدا بضمتين ۝ اسرافا وبدارا مسرفين
ومبادرين كبرهم او لاسرافكم ومبادرتكم كبرهم تفرطون في انفاقها وتقولون ننفق كما نشتهي
قبل ان يكبر اليتامى فينتزعوها من ايدينا ۝ ثم قسم الامر بين ان يكون الوصي غنيا وبين ان يكون
فقيرا فالغني يستعفف من اكلها ولا يطمع ويقنع بما رزقه الله من الغنى اشفاقا على اليتيم وابقاء على ماله
والفقير ياكل قوتا مقدرا محتاطا في تقديره على وجه الاجرة ۝ او استقراضا على ما في ذلك من
الاختلاف ۝ ولفظ الاكل بالمعروف والاستعفاف مما يدل على ان للوصي حقا لقيامه عليها وعن
النبي صلى الله عليه وسلم ان رجلا قال له ان في حجري يتيما افاكل من ماله قال بالمعروف غير متاثل
مالا ولا واق مالك بماله فقال افاضربه قال مما كنت ضاربا منه ولدك وعن ابن عباس رضي الله
عنهما ان ولي اليتيم قال له افاشرب من لبن ابله قال ان كنت تبغي ضالتها وتلوط حوضها وتهنا جرباها
وتسقيها يوم ورودها فاشرب غير مضر بنسل ولا ناهك في الحلب ۝ وعنه يضرب بيده مع ايديهم فلياكل
بالمعروف ولا يلبس عمامة فما فوقها وعن ابراهيم النخعي لا يلبس الكتان والحلل ولكن ما سد الجوعة
ووارى العورة وعن محمد بن كعب يتقرم تقرم البهيمة وينزل نفسه منزلة الاجير فيما لا بد منه
وعن الشعبي ياكل من ماله بقدر ما يعين فيه ۝ وعنه كالميتة يتناول عند الضرورة ويقضي ۝ وعن
مجاهد يستسلفه فاذا ايسر ادى وعن سعيد بن جبير رضي الله عنه ان شاء شرب فضل اللبن
وركب الظهر ولبس ما يستره من الثياب واخذ القوت ولا يجاوزه فان ايسر قضاه وان اعسر فهو في
حل وعن عمر بن الخطاب رضي الله عنه اني نزلت نفسي من مال الله منزلة والي اليتيم ان استغنيت
استعففت وان افتقرت اكلت بالمعروف واذا ايسرت قضيت ۝ واستعفف ابلغ من عف كانه طالب
زيادة العفة ۝ فاشهدوا عليهم بانهم تسلموها وقبضوها وبرئت عنها ذممكم وذلك ابعد من
التخاصم والتجاحد وادخل في الامانة وبراءة الساحة الا ترى انه اذا لم يشهد فادعي عليه
صدق مع اليمين عند ابي حنيفة رحمة الله عليه واصحابه ۝ وعند مالك والشافعي رضي الله عنهما
لا يصدق الا ببينة فكان في الاشهاد الاستحراز من توجه الحلف المفضي الى التهمة او من وجوب
الضمان اذا لم يقم البينة ۝ وكفى بالله حسيبا اي كافيا في الشهادة عليكم بالدفع والقبض او محاسبا
فعليكم بالتصادق واياكم والتكاذب للرجال نصيب مما ترك الوالدان والاقربون
وللنساء نصيب مما ترك الوالدان والاقربون مما قل منه او كثر نصيبا مفروضا ۝
الاقربون هم المتوارثون من ذوي القرابات دون غيرهم مما قل منه او كثر بدل من ما ترك
بتكرير العامل ۝ ونصيبا مفروضا نصب على الاختصاص بمعنى اعني نصيبا مفروضا مقطوعا واجبا
لا بد لهم من ان يحوزوه ولا يستاثر به ويجوز ان ينتصب انتصاب المصدر المؤكد كقوله

اشكله حمرة يخالطها بياض وقوله اشكل اي احمر وهو نوع من الحمرة والدم اشكل اذا كان بياض وحمرة

بايديهم وبانه يتبرى ... بصير بالدجى هاد غموس ... ان القتال من المطايا احسن به

غير متاثل اي غير متخذ منه اصل مال لنفسه

قوله ولا ناهك اي مستقص مبالغ فيه عن النبي صلى الله عليه وسلم انه راى رجلا يحلب فقال دع داعي اللبن اي اترك بقية في الضرع لانها تدعو ما فيها من اللبن الباقية

تقرم اي اخذ شيئا قليلا والقرمة الشيء القليل

تعالى فريضة من الله كانه قيل قسمة مفروضة وروى ان اوس بن صامت الانصارى ترك امرأته ام كجة وثلث بنات فزوى ابنا عمه سويد وعرفطة او قتادة وعرفجة ميراثه عنهن وكان اهل الجاهلية لا يورثون النساء والاطفال ويقولون لا يرث الا من طاعن بالرماح وذاد عن الحوزة وحاز الغنيمة فجاءت ام كجة الى رسول الله صلى الله عليه وسلم فى مسجد الفضيخ فشكت اليه فقال ارجعى حتى انظر ما يحدث الله فنزلت فبعث اليهما لا تفرقا من مال اوس شيئا فان الله قد جعل لهن نصيبا ولم يبين حتى يبين فنزلت يوصيكم الله فاعطى ام كجة الثمن والبنات الثلثين والباقى ابنى العم ۝ واذا حضر القسمة اولوا القربى واليتامى والمساكين فارزقوهم منه وقولوا لهم قولا معروفا ۝ واذا حضر القسمة اى قسمة التركة اولوا القربى ممن لا يرث ۝ فارزقوهم منه الضمير لما ترك الوالدان والاقربون وهو امر على الندب قال الحسن رحمة الله عليه كان المؤمنون يفعلون ذلك اذا اجتمعت الورثة حضرهم هؤلاء فرضخوا لهم بالشىء من رثة المتاع فحضهم الله على ذلك تأديبا من غير ان يكون فريضة قالوا ولو كان فريضة لضرب له حد ومقدار كما لغيره من الحقوق وروى ان عبد الله بن عبد الرحمن بن ابى بكر رضى الله عنه قسم ميراث ابيه وعائشة رضى الله عنها حية فلم يدع فى الدار احدا الا اعطاه وتلا هذه الآية ۝ وقيل هو على الوجوب ۝ وقيل هو منسوخ باية الميراث كالوصية وعن سعيد بن جبير رضى الله عنه ان ناسا يقولون نسخت والله ما نسخت ولكنها مما تهاون به الناس ۝ والقول المعروف ان يلطفوا لهم القول ويقولوا خذوا بارك الله عليكم ويعتذروا اليهم ويستقلوا ما اعطوهم ولا يستكثروه ولا يمنوا عليهم وعن الحسن والنخعى رحمة الله عليهما ادركنا الناس وهم يقسمون على القرابات والمساكين واليتامى من العين يعنيان الورق والذهب فاذا قسم الورق والذهب وصارت القسمة الى الارضين والرقيق وما اشبه ذلك قالوا لهم قولا معروفا كانوا يقولون لهم بورك فيكم ۝ وليخش الذين لو تركوا من خلفهم ذرية ضعافا خافوا عليهم فليتقوا الله وليقولوا قولا سديدا ۝ لو مع ما فى حيزه صلة للذين والمراد بهم الاوصياء امروا بان يخشوا الله فيخافوا على من فى حجورهم من اليتامى ويشفقوا عليهم خوفهم على ذريتهم لو تركوهم ضعافا وشفقتهم عليهم وان يقدروا ذلك فى انفسهم ويصوروه حتى لا يجسروا على خلاف الشفقة والرحمة ويجوز ان يكون المعنى وليخشوا على اليتامى من الضياع ۝ وقيل هم الذين يجلسون الى المريض فيقولون ان ذريتك لا يغنون عنك من الله شيئا فقدم مالك فيستغرقه بالوصايا فامروا بان يخشوا ربهم او يخشوا على اولاد المريض ويشفقوا عليهم شفقتهم على اولاد انفسهم لو كانوا ۝ ويجوز ان يتصل بما قبله وان يكون امرا للورثة بالشفقة على الذين يحضرون القسمة من ضعفاء اقاربهم واليتامى والمساكين وان يتصوروا انهم لو كانوا اولادهم بقوا خلفهم ضائعين محتاجين هل كانوا يخافون عليهم الحرمان والخيبة فان قلت ما معنى وقوع لو تركوا وجوابه صلة للذين قلت معناه وليخش الذين صفتهم وحالهم انهم لو شارفوا ان يتركوا خلفهم ذرية ضعافا وذلك عند احتضارهم خافوا عليهم الضياع بعدهم لذهاب كافلهم وكاسبهم كما قال القائل

لقد زاد الحياة الى حبا ۝ بناتى انهن من الضعاف

احاذر ان يرين البؤس بعدى ۝ وان يشربن رنقا بعد صاف

وقرئ ضعفاء وضعافى وضعافى نحو سكارى وسكارى ۝ والقول السديد من الاوصياء

ان لا يؤذوا اليتامى ويكلموهم كما يكلمون اولادهم بالادب الحسن والترحيب ويدعوهم بيا بنى ويا ولدى ۝ ومن الجالسين الى المريض ان يقولوا له اذا اراد الوصية لا تسرف فى وصيتك فتجحف باولادك مثل قول رسول الله عليه السلام لسعد انك ان تترك ورثتك اغنياء خير من ان تدعهم عالة يتكففون الناس ۝ وكان الصحابة رضوان الله عليهم يستحبون ان لا تبلغ الوصية الثلث وان الخمس افضل من الربع والربع من الثلث ۝ ومن المتقاسمين ميراثهم ان يلطفوا القول ويجملوه للحاضرين ۝ ان الذين ياكلون اموال اليتامى ظلما انما ياكلون فى بطونهم نارا وسيصلون سعيرا ۝ ظلما ظالمين او على وجه الظلم من اولياء السوء وقضاته ۝ فى بطونهم ملء بطونهم يقال اكل فلان فى بطنه وفى بعض بطنه قال كلوا فى بعض بطنكم تعفوا ۝ ومعنى ياكلون نارا ياكلون ما يجر الى النار فكانه نار فى الحقيقة وروى انه يبعث آكل مال اليتيم يوم القيمة والدخان يخرج من قبره ومن فيه وانفه واذنيه وعينيه فيعرف الناس انه كان ياكل مال اليتيم فى الدنيا وقرئ سيصلون بضم الياء وتشديد اللام وتخفيفها ۝ سعيرا نارا من النيران مبهمة الوصف ۝ يوصيكم الله فى اولادكم للذكر مثل حظ الانثيين فان كن نساء فوق اثنتين فلهن ثلثا ما ترك وان كانت واحدة فلها النصف ولابويه لكل واحد منهما السدس مما ترك ان كان له ولد فان لم يكن له ولد وورثه ابواه فلامه الثلث فان كان له اخوة فلامه السدس من بعد وصية يوصى بها او دين آباؤكم وابناؤكم لا تدرون ايهم اقرب لكم نفعا فريضة من الله ان الله كان عليما حكيما ۝ يوصيكم الله يعهد اليكم ويامركم فى اولادكم فى شان ميراثهم بما هو العدل والمصلحة وهذا اجمال تفصيله للذكر مثل حظ الانثيين فان قلت هلا قيل للانثيين مثل حظ الذكر او للانثى نصف حظ الذكر قلت ليبدأ ببيان حظ الذكر لفضله كما ضوعف حظه لذلك ۝ ولان قوله للذكر مثل حظ الانثيين قصد الى بيان فضل الذكر وقولك للانثيين مثل حظ الذكر قصد الى بيان نقص الانثى وما كان قصدا الى بيان فضله كان ادل على فضله من القصد الى بيان نقص غيره عنه ولانهم كانوا يورثون الذكور دون الاناث وهو السبب لورود الآية فقيل كفى الذكور ان ضوعف لهم نصيب الاناث فلا يتمادى فى حظهن حتى يحرمن مع ادلائهن من القرابة بمثل ما يدلون به فان قلت فان حظ الانثيين الثلثان فكانه قيل للذكر الثلثان قلت اريد حال الاجتماع لا الانفراد اى اذا اجتمع الذكر والانثيان كان له سهمان كما ان لهما سهمين ۝ واما فى حال الانفراد فالابن ياخذ المال كله والبنتان تاخذان الثلثين والدليل على ان الغرض حكم الاجتماع انه اتبعه حكم الانفراد وهو قوله فان كن نساء فوق اثنتين فلهن ثلثا ما ترك ۝ والمعنى للذكر منهم اى من اولادكم فحذف الراجع اليه لانه مفهوم كقولهم السمن منوان بدرهم ۝ فان كن نساء فان كانت البنات او المولودات نساء خلصا ليس معهن رجل يعنى بنات ليس معهن ابن فوق اثنتين ۝ ويجوز ان يكون خبرا ثانيا لكان وان يكون صفة لنساء اى نساء زائدات على اثنتين ۝ وان كانت واحدة وان كانت البنت او المولودة منفردة فذة ليس معها اخرى فلها النصف وقرئ واحدة بالرفع على كان التامة والقراءة بالنصب اوفق لقوله فان كن نساء وقرأ زيد بن ثابت النصف بالضم والضمير فى ترك للميت لان الآية لما كانت فى الميراث علم ان التارك هو الميت فان قلت قوله للذكر مثل حظ الانثيين

كلام مسوق لبيان حظ الذكر من الاولاد لا لبيان حظ الانثيين فكيف صح ان يردف قوله فان كن نساء وهو لبيان حظ الاناث **قلت** وان كان مسوقا لبيان حظ الذكر الا انه لما فقه منه وتبين حظ الانثيين مع اخيهما كان كانه مسوق للامرين جميعا فلذلك صح ان يقال فان كن نساء **فان قلت** هل يصح ان يكون الضميران في كن وكانت مبهمين ويكون نساء وواحدة تفسيرا لهما على ان كان تامة **قلت** لا ابعد ذلك **فان قلت** لم قيل فان كن نساء ولم يقل وان كانت امراة **قلت** لان الغرض ثمة خلوصهن اناثا لا ذكر فيهن ليميز بين ما ذكر من اجتماعهن مع الذكور في قوله للذكر مثل حظ الانثيين وبين انفرادهن واريد ههنا ان يميز بين كون البنت مع غيرها وبين كونها وحدها لا قرينة لها **فان قلت** قد ذكر حكم البنتين في حال اجتماعهما مع الابن وحكم البنات والبنت في حال الانفراد ولم يذكر حكم البنتين في حال الانفراد فما حكمهما وما باله لم يذكر **قلت** اما حكمهما فمختلف فيه فابن عباس ابى تنزيلهما منزلة الجماعة لقوله تعالى فان كن نساء فوق اثنتين فاعطاهما حكم الواحدة وهو ظاهر مكشوف واما سائر الصحابة رضوان الله عليهم فقد اعطوهما حكم الجماعة والذي يعلل به قولهم ان قوله للذكر مثل حظ الانثيين قد دل على ان حكم الانثيين حكم الذكر وذلك ان الذكر كما يحوز الثلثين مع الواحدة فالانثيان كذلك يحوزان الثلثين فلما ذكر ما دل على حكم الانثيين قيل فان كن نساء فوق اثنتين فلهن ثلثا ما ترك على معنى فان كن جماعة بالغات ما بلغن من العدد فلهن ما للانثيين وهو الثلثان لا يتجاوزنه لكثرتهن ليعلم ان حكم الجماعة حكم الثنتين بغير تفاوت وقيل ان البنتين امس رحما بالميت من الاختين فاوجبوا لهما ما اوجب الله للاختين ولم يروا ان يقصروا بهما عن حظ من هو ابعد رحما منهما وقيل ان البنت لما وجب لها مع اخيها الثلث كانت احرى ان يجب لها الثلث اذا كانت مع اخت مثلها ويكون لاختها معها مثل ما كان يجب لها ايضا مع اخيها لو انفردت معه فوجب لهما الثلثان ولابويه الضمير للميت ولكل واحد منهما بدل من لابويه بتكرير العامل وفائدة هذا البدل انه لو قيل ولابويه السدس لكان ظاهره اشتراكهما فيه ولو قيل ولابويه السدسان لاوهم قسمة السدسين عليهما على التسوية وعلى خلافها **فان قلت** فهلا قيل ولكل واحد من ابويه السدس واي فائدة في ذكر الابوين اولا ثم في الابدال منهما **قلت** لان في الابدال والتفصيل بعد الاجمال تاكيدا وتشديدا كالذي تراه في الجمع بين المفسر والتفسير والسدس مبتدا وخبره لابويه والبدل متوسط بينهما للبيان **وقرا** الحسن ونعيم بن ميسرة السدس بالتخفيف وكذلك الثلث والربع والثمن والولد يقع على الذكر والانثى ويختلف حكم الاب في ذلك فان كان ذكرا اقتصر بالاب على السدس وان كان انثى عصب مع اعطاء السدس **فان قلت** قد بين حكم الابوين في الارث مع الولد ثم حكمهما مع عدمه فهلا قيل فان لم يكن له ولد فلامه الثلث واي فائدة في قوله وورثه ابواه **قلت** معناه وان لم يكن له ولد وورثه ابواه فحسب فلامه الثلث مما ترك كما قال لكل واحد منهما السدس مما ترك لانه اذا ورثه ابواه مع احد الزوجين كان للام ثلث ما بقي بعد اخراج نصيب الزوج لا ثلث ما ترك الا عند ابن عباس رضي الله عنه والمعنى ان الابوين اذا خلصا تقاسما الميراث للذكر مثل حظ الانثيين **فان قلت** ما العلة في ان كان لها ثلث ما بقي دون ثلث المال **قلت** فيه وجهان احدهما ان الزوج انما

يستحق

يستحق ما يسهم له بحق العقد لا بالقرابة فاشبه الوصية في قسمة ما وراءه والثاني ان الاب اقوى في الارث من الام بدليل انه يضعف عليها اذا خلصا ويكون صاحب فرض وعصبة وجامعا بين الامرين فلو ضرب لها الثلث كملا لادى الى حط نصيبه عن نصيبها الا ترى ان امراة لو تركت زوجا وابوين فصار للزوج النصف وللام الثلث والباقي للاب حازت الام سهمين والاب سهما واحدا فينقلب الحكم الى ان يكون للانثى مثل حظ الذكرين فان كان له اخوة فلامه السدس الاخوة يحجبون الام عن الثلث وان كانوا لا يرثون مع الاب فيكون لها السدس وللاب خمسة الاسداس ويستوي في الحجب الاثنان فصاعدا الا عند ابن عباس رضي الله عنهما وعنه انهم ياخذون السدس الذي حجبوا عنه الام **فان قلت** فكيف صح ان يتناول الاخوة الاخوين والجمع خلاف التثنية **قلت** الاخوة تفيد معنى الجمعية المطلقة بغير كمية والتثنية كالتثليث والتربيع في افادة الكمية وهذا موضع الدلالة على الجمع المطلق فدل بالاخوة عليه **وقرئ** فلامه بكسر الهمزة اتباعا للجرة الا ترى انها لا تكسر في قوله عز وعلا وجعلنا ابن مريم وامه اية من بعد وصية متعلق بما تقدمه من قسمة المواريث كلها لا بما يليه وحده كانه قيل قسمة هذه الانصباء من بعد وصية يوصي بها **وقرئ** يوصى بها بالتخفيف والتشديد ويوصى بها على البناء للمفعول مخففا **فان قلت** ما معنى او **قلت** معناها الاباحة وانه ان كان احدهما او كلاهما قدم على قسمة المواريث كقولك جالس الحسن او ابن سيرين **فان قلت** لم قدمت الوصية على الدين والدين مقدم عليها في الشريعة **قلت** لما كانت الوصية مشبهة للميراث في كونها ماخوذة من غير عوض كان اخراجها مما يشق على الورثة ويتعاظمهم ولا تطيب انفسهم بها فكان اداؤها مظنة للتفريط بخلاف الدين فان نفوسهم مطمئنة الى ادائه فلذلك قدمت على الدين بعثا على وجوبها والمسارعة الى اخراجها مع الدين ولذلك جيء بكلمة او للتسوية بينهما في الوجوب ثم اكد ذلك ورغب فيه بقوله اباؤكم وابناؤكم لا تدرون من انفع لكم من ابائكم وابنائكم الذين يموتون امن اوصى منهم ام من لم يوص يعني ان من اوصى ببعض ماله فعرضكم لثواب الاخرة بامضاء وصيته فهو اقرب لكم نفعا واحضر جدوى ممن ترك الوصية فوفر عليكم عرض الدنيا وجعل ثواب الاخرة اقرب واحضر من عرض الدنيا ذهابا الى حقيقة الامر لان عرض الدنيا وان كان عاجلا قريبا في الصورة الا انه فان فهو في الحقيقة الابعد الاقصى وثواب الاخرة وان كان اجلا الا انه باق فهو في الحقيقة الاقرب الادنى **وقيل** ان الابن ان كان ارفع درجة من ابيه في الجنة سال ان يرفع ابوه اليه فيرفع وكذلك الاب ان كان ارفع درجة من ابنه سال ان يرفع ابنه اليه فانتم لا تدرون في الدنيا ايهم اقرب لكم نفعا وقيل قد فرض الله الفرائض على ما هو عنده حكمة ولو وكل ذلك اليكم لم تعلموا ايهم لكم انفع فوضعتم انتم الاموال على غير حكمة وقيل الاب تجب عليه النفقة على الابن اذا احتاج وكذلك الابن اذا كان محتاجا فهما في النفع لا يدرى ايهما اقرب نفعا وليس شيء من هذه الاقاويل بملائم للمعنى ولا مجاوب له لان هذه الجملة اعتراضية ومن حق الاعتراض ان يؤكد ما اعترض بينه ويناسبه والقول ما تقدم فريضة نصبت نصب المصدر المؤكد اي فرض ذلك فرضا ان الله كان عليما بمصالح خلقه حكيما في كل ما فرض وقسم من المواريث وغيرها ولكم نصف ما ترك ازواجكم ان لم يكن لهن ولد فان كان لهن ولد فلكم

الربع مما تركن من بعد وصية يوصين بها او دين ولهن الربع مما تركتم ان لم يكن لكم ولد فان كان لكم ولد فلهن الثمن مما تركتم من بعد وصية توصون بها او دين وان كان رجل يورث كلالة او امرأة وله اخ او اخت فلكل واحد منهما السدس فان كانوا اكثر من ذلك فهم شركاء في الثلث من بعد وصية يوصى بها او دين غير مضار وصية من الله والله عليم حليم فان كان لهن ولد منكم او من غيركم جعلت المرأة على النصف من الرجل بحق الزواج كما جعلت كذلك بحق النسب والواحدة والجماعة سواء في الربع والثمن وان كان رجل يعني الميت يورث من ورث اي يورث منه وهو صفة لرجل وكلالة خبر كان اي وان كان رجل موروث منه كلالة او يجعل يورث خبر كان وكلالة حالا من الضمير في يورث وقرئ يورث ويورث بالتخفيف والتشديد على البناء للفاعل وكلالة حالا او مفعولا به **فان قلت** ما الكلالة **قلت** ينطلق على ثلثة على من لم يخلف ولدا ولا والدا وعلى من ليس بولد ولا والد من المخلفين وعلى القرابة من غير جهة الولد والوالد ومنه قولهم ما ورث المجد عن كلالة كما تقول ما صمت عن عي وما كف عن جبن والكلالة في الاصل مصدر بمعنى الكلال وهو ذهاب القوة من الاعياء **قال** الاعشى فآليت لا ارثي لها من كلالة فاستعيرت للقرابة من غير جهة الولد والوالد لانها بالاضافة الى قرابتهما كالة ضعيفة واذا جعل صفة للموروث او الوارث فبمعنى ذي كلالة كما تقول فلان من قرابتي تريد من ذوي قرابتي ويجوز ان تكون صفة كالهجاجة والفقاقة للاحمق **فان قلت** فان جعلتها اسما للقرابة في الاية فعلام تنصبها **قلت** على انها مفعول له اي يورث لاجل الكلالة او يورث غيره لاجلها **فان قلت** فان جعلت يورث على البناء للمفعول من اورث فما وجهه **قلت** الرجل حينئذ هو الوارث لا الموروث **فان قلت** فالضمير في قوله فلكل واحد منهما الى من يرجع حينئذ **قلت** الى الرجل والى اخيه او اخته وعلى الاول اليهما **فان قلت** اذا رجع الضمير اليهما افاد استواءهما في حيازة السدس من غير مفاضلة الذكر الانثى فهل تبقى هذه الفائدة قائمة في هذا الوجه **قلت** نعم لانك اذا قلت السدس له او لواحد من الاخ او الاخت على التخيير فقد سويت بين الذكر والانثى وعن ابي بكر الصديق رضي الله عنه انه سئل عن الكلالة فقال اقول فيه برأي فان كان صوابا فمن الله وان كان خطأ فمني ومن الشيطان والله منه بريء الكلالة ما خلا الولد والوالد **وعن** عطاء والضحاك ان الكلالة هو الموروث **وعن** سعيد بن جبير رضي الله عنه هو الوارث وقد اجمعوا على ان المراد اولاد الام وتدل عليه قراءة ابي وله اخ او اخت من الام **وقرأ** سعد بن ابي وقاص رضي الله عنه وله اخ او اخت من ام وقيل انما استدل على ان الكلالة ههنا الاخوة للام خاصة بما ذكر في اخر السورة من ان للاختين الثلثين وان للاخوة كل المال فعلم ههنا لما جعل للواحد السدس وللاثنين الثلث ولم يزادوا على الثلث شيئا انه يعني بهم الاخوة للام والا فالكلالة عامة لمن عدا الولد والوالد من سائر الاخوة الاخياف والاعيان واولاد العلات وغيرهم غير مضار حال اي يوصي بها وهو غير مضار لورثته وذلك ان يوصي بزيادة على الثلث او يوصي بالثلث فما دونه ونيته مضارة ورثته ومغاضبتهم لا وجه الله تعالى **وعن** قتادة كره الله الضرار في الحياة وعند الممات ونهى عنه **وعن** الحسن المضارة في الدين ان يوصي

بلين

بدين ليس عليه ومعناه الاقرار وصية من الله مصدر مؤكد اي يوصيكم الله بذلك وصية كقوله فريضة من الله ويجوز ان تكون منصوبة بغير مضار اي لا يضار وصية من الله وهو الثلث فما دونه بزيادة على الثلث او وصية من الله بالاولاد وان لا يدعهم عالة باسراف في الوصية وتنصر هذا الوجه قراءة الحسن غير مضار وصية من الله بالاضافة والله عليم بمن جار او عدل في وصيته حليم عن الجائر لا يعاجله وهذا وعيد **فان قلت** فيوصي ضمير الرجل اذا جعلته الموروث فكيف تعمل اذا جعلته الوارث **قلت** كما عملت في قوله تعالى فلهن ثلثا ما ترك لانه علم ان التارك والموصي هو الميت **فان قلت** فاين ذو الحال فيمن قرأ يوصى بها على ما لم يسم فاعله **قلت** يضمر يوصي فينتصب عن فاعله لانه لما قيل يوصى بها علم ان ثمة موصيا كما قال يسبح له فيها بالغدو والآصال رجال على ما لم يسم فاعله فعلم ان ثمة مسبحا فاضمر يسبح فكما كان رجال فاعل ما يدل عليه يسبح كان غير مضار حالا عما يدل عليه يوصى بها تلك حدود الله ومن يطع الله ورسوله يدخله جنات تجري من تحتها الانهار خالدين فيها وذلك الفوز العظيم ومن يعص الله ورسوله يدخله نارا خالدا فيها وله عذاب مهين تلك اشارة الى الاحكام التي ذكرت في باب اليتامى والوصايا والمواريث وسماها حدودا لان الشرائع كالحدود المضروبة الموقتة للمكلفين لا يجوز لهم ان يتجاوزوها ويتخطوها الى ما ليس لهم بحق يدخله قرئ بالياء والنون وكذلك ندخله نارا وقيل يدخله وخالدين حملا على لفظ من ومعناه وانتصاب خالدين وخالدا على الحال **فان قلت** هل يجوز ان يكونا صفتين لجنات ونارا **قلت** لا لانهما جريا على غير من هما له فلا بد من الضمير وهو قولك خالدين هم فيها وخالدا هو فيها واللاتي يأتين الفاحشة من نسائكم فاستشهدوا عليهن اربعة منكم فان شهدوا فامسكوهن في البيوت حتى يتوفاهن الموت او يجعل الله لهن سبيلا يأتين الفاحشة يرهقنها يقال اتى الفاحشة وجاءها وغشيها ورهقها بمعنى **وفي** قراءة ابن مسعود يأتين بالفاحشة والفاحشة الزنا لزيادتها في القبح على كثير من القبائح فامسكوهن في البيوت قيل معناه فخلدوهن محبوسات في بيوتكم وكان ذلك عقوبتهن في اول الاسلام ثم نسخ بقوله تعالى الزانية والزاني الاية ويجوز ان تكون غير منسوخة بان يترك ذكر الحد لكونه معلوما بالكتاب والسنة ويوصى بامساكهن في البيوت بعد ان يحددن صيانة لهن عن مثل ما جرى عليهن بسبب الخروج من البيوت والتعرض للرجال او يجعل الله لهن سبيلا هو النكاح الذي يستغنين به عن السفاح وقيل السبيل هو الحد لانه لم يكن مشروعا ذلك الوقت **فان قلت** ما معنى يتوفاهن الموت والتوفي والموت بمعنى واحد كانه قيل حتى يميتهن الموت **قلت** يجوز ان يراد حتى يتوفاهن ملائكة الموت **كقوله** تعالى الذين تتوفاهم الملائكة ان الذين توفاهم الملائكة قل يتوفاكم ملك الموت او حتى يأخذهن الموت ويستوفي ارواحهن واللذان يأتيانها منكم فآذوهما فان تابا واصلحا فاعرضوا عنهما ان الله كان توابا رحيما واللذان يأتيانها يريد الزاني والزانية فآذوهما فوبخوهما وذموهما وقولوا لهما اما استحييتما اما خفتما الله فان تابا واصلحا وغيرا الحال فاعرضوا عنهما واقطعوا التوبيخ والمذمة فان التوبة تمنع استحقاق الذم والعقاب ويحتمل ان يكون خطابا للشهود العاثرين على سرهما ويراد بالايذاء ذمهما

لان المصدر المؤكد لا يكون مضافا الى الفاعل في تركيب النحو وها هنا لا يقع مضافا اليه بل الى الحق

اي خالدين صفة لجنات وخالدا صفة لنار

لان الخلود ليس بفعلها وانما هو فعل الاهل فلو كانت صفة لها لم يكن بد حينئذ من الضمير بارزا كما مثله في الكتاب ولما لم يظهر علم انه حال فاعرفه

وتعنيفهما وتهديدهما بالرفع الى الامام والحد فان تابا قبل الرفع الى الامام فاعرضوا عنهما ولا تتعرضوا لهما وقيل نزلت الاولى في السحاقات وهذه في اللواطين وقرئ واللذان بتشديد النون واللذأن بالهمزة وتشديد النون • انما التوبة على الله للذين يعملون السوء بجهالة ثم يتوبون من قريب فاولئك يتوب الله عليهم وكان الله عليما حكيما • التوبة من تاب الله عليه اذا قبل توبته وغفر له يعني انما القبول والغفران واجب على الله تعالى لهؤلاء • بجهالة في موضع الحال اي يعملون السوء جاهلين سفهاء لان ارتكاب القبيح مما يدعوا اليه السفه والشهوة لا مما تدعوا اليه الحكمة والعقل وعن مجاهد من عصى الله فهو جاهل حتى ينزع عن جهالته • من قريب من زمان قريب والزمان القريب ما قبل حضرة الموت • الا ترى الى قوله حتى اذا حضر احدهم الموت فبين ان وقت الاحتضار هو الوقت الذي لا يقبل فيه التوبة فبقي ما وراء ذلك في حكم القريب وعن ابن عباس رضي الله عنه قبل ان ينزل به سلطان الموت • وعن الضحاك كل توبة قبل الموت فهو قريب • وعن النخعي ما لم يؤخذ بكظمه وروى ابو ايوب عن رسول الله صلى الله عليه وسلم ان الله يقبل توبة العبد ما لم يغرغر • وعن عطاء ولو قبل موته بفواق ناقة وعن الحسن رحمه الله ان ابليس قال حين اهبط الى الارض وعزتك لا افارق ابن آدم ما دام روحه في جسده فقال تعالى وعزتي وجلالي لا اغلق عليه باب التوبة ما لم يغرغر فان قلت ما معنى من في قوله من قريب قلت معناه التبعيض اي يتوبون بعض زمان قريب كانه سمى ما بين وجود المعصية وبين حضرة الموت زمانا قريبا ففي اي جزء تاب من اجزاء هذا الزمان فهو تائب من قريب والا فهو تائب من بعيد فان قلت ما فائدة قوله فاولئك يتوب الله عليهم بعد قوله انما التوبة على الله لهم قلت قوله انما التوبة على الله اعلام بوجوبه عليه كما يجب على العبد بعض الطاعات • وقوله فاولئك يتوب الله عليهم عدة بانه يفي بما وجب عليه واعلام بان الغفران كائن لا محالة كما يعد العبد الوفاء بالواجب • وليست التوبة للذين يعملون السيئات حتى اذا حضر احدهم الموت قال اني تبت الآن ولا الذين يموتون وهم كفار اولئك اعتدنا لهم عذابا اليما • ولا الذين يموتون عطف على الذين يعملون السيئات سوى بين الذين سوفوا توبتهم الى حضرة الموت وبين الذين ماتوا على الكفر في انه لا توبة لهم لان حضرة الموت اول احوال الآخرة فكما ان المائت على الكفر قد فاتته التوبة على اليقين فكذلك المسوف الى حضرة الموت لمجاوزة كل منهما اوان التكليف والاختيار • اولئك اعتدنا لهم في الوعيد نظير قوله فاولئك يتوب الله عليهم في الوعد ليتبين ان الامرين كائنان لا محالة فان قلت من المراد من الذين يعملون السيئات اهم الفساق من اهل القبلة ام الكفار قلت فيه وجهان احدهما ان يراد الكفار لظاهر قوله وهم كفار • وان يراد الفساق لان الكلام انما وقع في الزانيين والاعراض عنهما ان تابا واصلحا ويكون قوله وهم كفار واردا على سبيل التغليظ كقوله عز وجل ومن كفر فان الله غني عن العالمين • وقوله صلى الله عليه وسلم فليمت ان شاء يهوديا وان شاء نصرانيا من ترك الصلوة متعمدا فقد كفر لان من كان مصدقا ومات وهو لا يحدث نفسه بالتوبة حاله قريبة من حال الكافر لانه لا يجترئ على ذلك الا قلب مصمت • يا ايها الذين آمنوا لا يحل لكم ان ترثوا النساء كرها ولا تعضلوهن لتذهبوا ببعض ما آتيتموهن الا ان يأتين بفاحشة

مبينة

مبينة وعاشروهن بالمعروف فان كرهتموهن فعسى ان تكرهوا شيئا ويجعل الله فيه خيرا كثيرا وان اردتم استبدال زوج مكان زوج وآتيتم احداهن قنطارا فلا تأخذوا منه شيئا اتأخذونه بهتانا واثما مبينا وكيف تأخذونه وقد افضى بعضكم الى بعض واخذن منكم ميثاقا غليظا • ولا تنكحوا ما نكح آباؤكم من النساء الا ما قد سلف انه كان فاحشة ومقتا وساء سبيلا • كانوا يبلون النساء بضروب من البلايا ويظلمونهن بانواع من الظلم فزجروا عن ذلك • كان الرجل اذا مات له قريب من اب او اخ او حميم عن امرأة القى ثوبه عليها وقال انا احق بها من كل احد فقيل لا يحل لكم ان ترثوا النساء كرها اي ان تأخذوهن على سبيل الارث كما تحاز المواريث وهن كارهات لذلك او مكرهات • وقيل كان يمسكها حتى تموت فقيل لا يحل لكم ان تمسكوهن حتى ترثوا منهن وهن غير راضيات بامساككم • وكان الرجل اذا تزوج امرأة ولم تكن من حاجته حبسها مع سوء العشرة والقهر لتفتدي منه بمالها وتختلع فقيل ولا تعضلوهن لتذهبوا ببعض ما آتيتموهن • والعضل الحبس والتضييق • ومنه عضلت المرأة بولدها اذا اختنقت رحمها به فخرج بعضه وبقي بعضه • الا ان يأتين بفاحشة مبينة وهي النشوز وشكاسة الخلق وايذاء الزوج واهله بالبذاء والسلاطة اي الا ان يكون سوء العشرة من جهتهن فقد عذرتم في طلب الخلع • وتدل عليه قراءة ابي رضي الله عنه الا ان يفحشن عليكم وعن الحسن الفاحشة الزنا فان فعلت حل لزوجها ان يسألها الخلع وقيل كانوا اذا اصابت امرأة فاحشة اخذ منها ما ساق اليها واخرجها وعن ابي قلابة ومحمد بن سيرين رحمة الله عليهما لا يحل الخلع حتى يوجد رجل على بطنها وعن قتادة لا يحل له ان يحبسها ضرارا حتى تفتدي منه يعني وان زنت • وقيل نسخ ذلك بالحدود • وكانوا يسيئون معاشرة النساء فقيل لهم وعاشروهن بالمعروف وهو النصفة في المبيت والنفقة والاجمال في القول • فان كرهتموهن فلا تفارقوهن لكراهة الانفس وحدها فربما كرهت النفس ما هو اصلح في الدين واحمد وادنى الى الخير واحبت ما هو بضد ذلك ولكن للنظر في اسباب الصلاح • وكان الرجل اذا طمحت عينه الى استطراف امرأة بهت التي تحته ورماها بفاحشة حتى يلجئها الى الافتداء منه بما اعطاها ليصرفه الى تزوج غيرها فقيل وان اردتم استبدال زوج الآية • والقنطار المال العظيم من قنطرت الشيء اذا رفعته • ومنه القنطرة لانها بناء مشيد قال •

• كقنطرة الرومي اقسم ربها • لتكتنفن حتى تشاد بقرمد •

وعن عمر بن الخطاب رضي الله عنه انه قام خطيبا فقال ايها الناس لا تغالوا بصدق النساء فلو كانت مكرمة في الدنيا او تقوى عند الله لكان اولاكم بها رسول الله عليه السلام ما اصدق امرأة من نسائه اكثر من اثنتي عشرة اوقية فقامت اليه امرأة فقالت له يا امير المؤمنين لم تمنعنا حقا جعله الله لنا والله يقول وآتيتم احداهن قنطارا فقال عمر بن الخطاب كل احد اعلم من عمر ثم قال لاصحابه تسمعونني اقول مثل هذا فلا تنكرونه حتى ترد علي امرأة ليست من اعلم النساء • والبهتان ان تستقبل الرجل بامر قبيح تقذفه به وهو بريء منه لانه يبهت عند ذلك اي يتحير وانتصب بهتانا على الحال اي باهتين وآثمين او على انه مفعول له وان لم يكن غرضا كقولك قعد عن القتال جبنا • والميثاق الغليظ حق الصحبة والمضاجعة كانه قيل واخذن به منكم ميثاقا غليظا اي بافضاء بعضكم الى بعض ووصفه بالغلظ

لقوته وعظمه ❁ فقد قالوا صحبة عشرين يوما قرابة فكيف بما يجري بين الزوجين من الاتحاد والامتزاج
وقيل هو قول الولي انكحتك على ما في كتاب الله من امساك بمعروف او تسريح باحسان وعن
النبي صلى الله عليه وسلم استوصوا بالنساء خيرا فانهن عوان في ايديكم اخذتموهن بامانة الله
واستحللتم فروجهن بكلمة الله ❁ كانوا ينكحون روابهم وناس منهم يمقتونه من ذوي مروآتهم ويسمونه
نكاح المقت وكان المولود عليه يقال له المقتي ومن ثمة قيل ومقتا كانه قيل هو فاحشة في دين
الله بالغة في القبح قبيح ممقوت في المروءة ولا مزيد على ما يجمع القبحين وقرئ لا تحل لكم بالتاء على
أن ترثوا النساء بمعنى الوراثة وكرها بالفتح والضم من الكراهة والاكراه ❁ وقرئ بفاحشة مبينة
من ابانت بمعنى تبينت او بينت كما قرئ مبينة بكسر الياء وفتحها ❁ ويجعل الله بالرفع على انه في موضع
الحال ❁ وأتيتم أحديهن بوصل همزة احديهن كما قرئ فلا اثم عليه **فان قلت** تعضلوهن ما وجه
اعرابه **قلت** النصب عطفا على ان ترثوا ولا لتاكيد النفي اي لا يحل لكم ان ترثوا النساء ولا ان
تعضلوهن **فان قلت** اي فرق بين تعديته ذهب بالباء وبينها بالهمزة **قلت** اذا عدي
بالباء فمعناه الاخذ والاستصحاب كقوله فلما ذهبوا به واما الاذهاب فكالازالة **فان
قلت** الا ان ياتين ما هذا الاستثناء **قلت** هو استثناء من اعم عام الظرف او المفعول له
كانه قيل ولا تعضلوهن في جميع الاوقات الا وقت ان ياتين بفاحشة ❁ او ولا تعضلوهن لعلة
من العلل الا ان ياتين بفاحشة **فان قلت** من اي وجه صح قوله فعسى ان تكرهوا جزاء للشرط
قلت من حيث المعنى فان كرهتموهن فاصبروا عليهن مع الكراهة فلعل لكم فيما تكرهونه خيرا
كثيرا ليس فيما تحبونه **فان قلت** كيف استثنى ما قد سلف مما نكح اباؤكم **قلت** كما
استثني غير ان سيوفهم من قوله ولا عيب فيهم يعني ان امكنكم ان تنكحوا ما قد سلف فانكحوه فلا
يحل لكم غيره وذلك غير ممكن ❁ والغرض المبالغة في تحريمه وسد الطريق الى اباحته كما يعلق بالمحال
في التابيد في نحو قولهم حتى يبيض القار وحتى يلج الجمل في سم الخياط حرمت عليكم امهاتكم وبناتكم
واخواتكم وعماتكم وخالاتكم وبنات الاخ وبنات الاخت وامهاتكم اللاتي ارضعنكم
واخواتكم من الرضاعة وامهات نسائكم وربائبكم اللاتي في حجوركم من نسائكم اللاتي
دخلتم بهن فان لم تكونوا دخلتم بهن فلا جناح عليكم وحلائل ابنائكم الذين من اصلابكم
وان تجمعوا بين الاختين الا ما قد سلف ان الله كان غفورا رحيما ❁ معنى حرمت عليكم
امهاتكم تحريم نكاحهن لقوله ولا تنكحوا ما نكح اباؤكم من النساء ولان تحريم نكاحهن هو الذي يفهم
من تحريمهن كما يفهم من تحريم الخمر تحريم شربها ومن تحريم لحم الخنزير تحريم اكله وقرئ وبنات
الاخت بتخفيف الهمزة وقد نزل الله الرضاعة منزلة النسب حتى سمى المرضعة اما للرضيع والمراضعة
أختا وكذلك زوج المرضعة ابوه وابواه جداه واخته عمته وكل ولد ولد له من غير المرضعة
قبل الرضاع وبعده فهم اخوته واخواته لابيه وام المرضعة جدته واختها خالته وكل من ولد لها
من هذا الزوج فهم اخوته واخواته لابيه وامه ومن ولدها من غيره فهم اخوته واخواته لامه
ومنه قوله صلى الله عليه وسلم يحرم من الرضاع ما يحرم من النسب ❁ وقالوا تحريم الرضاع
كتحريم النسب الا في مسألتين احديهما انه لا يجوز للرجل ان يتزوج اخت ابنه من النسب ويجوز ان
يتزوج اخت ابنه من الرضاع لان المانع في النسب وطؤه امها وهذا المعنى غير موجود في الرضاع ❁

والثانية

والثانية لا يجوز ان يتزوج ام اخته من النسب ويجوز في الرضاع لان المانع في النسب وطء الاب اياها
وهذا المعنى غير موجود في الرضاع ❁ من نسائكم متعلق بربائبكم ومعناه ان الربيبة من المرأة المدخول
بها محرمة على الرجل حلال له اذا لم يدخل بها **فان قلت** هل يصح ان يتعلق بقوله وامهات
نسائكم **قلت** لا يخلو اما ان يتعلق بهن وبالربائب فتكون حرمتهن وحرمة الربائب غير
مبهمتين جميعا ❁ واما ان يتعلق بهن دون الربائب فتكون حرمتهن غير مبهمة وحرمة الربائب
مبهمة فلا يجوز الاول لان معنى من مع احد المتعلقين خلاف معناه مع الآخر ❁ الا ترى انك اذا
قلت وامهات نسائكم من نسائكم اللاتي دخلتم بهن فقد جعلت من لبيان النساء وتمييز
المدخول بهن من غير المدخول بهن واذا قلت وربائبكم من نسائكم اللاتي دخلتم بهن فانك
جاعل من لابتداء الغاية كما تقول بنات رسول الله عليه السلام من خديجة رضي الله عنها ❁
وليس يصح ان يعني بالكلمة الواحدة في خطاب واحد معنيان مختلفان ❁ ولا يجوز الثاني لان ما
يليه هو الذي يستوجب التعليق به ما لم يعترض امر لا يرد الا ان تقول اعلقه بالنساء والربائب
واجعل من للاتصال **كقوله** تعالى المنافقون والمنافقات بعضهم من بعض ❁ ❁
فاني لست منك ولست مني ❁ ما انا من دد ولا الدد مني ❁ وامهات النساء متصلات بالنساء
لانهن امهاتهن كما ان الربائب متصلات بامهاتهن لانهن بناتهن هذا وقد اتفقوا على ان تحريم
امهات النساء مبهم دون تحريم الربائب على ما عليه ظاهر كلام الله **وقد روي** عن النبي
صلى الله عليه وسلم في رجل تزوج امرأة ثم طلقها قبل ان يدخل بها انه قال لا باس ان يتزوج
ابنتها ولا يحل له ان يتزوج امها **وعن** عمر وعمران بن الحصين رضي الله عنهما ان الام تحرم بنفس
العقد **وعن** مسروق هي مرسلة فارسلوا ما ارسل الله **وعن** ابن عباس رضي الله عنهما
ابهموا ما ابهم الله الا ما روي عن علي وابن عباس وزيد وابن عمر وابن الزبير رضوان الله عليهم
اجمعين انهم قرؤا وامهات نسائكم اللاتي دخلتم بهن وكان ابن عباس يقول والله ما نزل الا
هكذا **وعن** جابر روايتان ❁ وعن سعيد بن المسيب عن زيد رضي الله عنهما اذا ماتت عنده
فاخذ ميراثها كره ان يخلف على امها واذا طلقها قبل ان يدخل بها فان شاء فعل اقام الموت
مقام الدخول في ذلك كما قام مقامه في باب المهر ❁ وسمي ولد المرأة من غير زوجها ربيبا وربيبة
لانه يربهما كما يرب ولده في غالب الامر ثم اتسع فيه فسميا بذلك وان لم يربهما **فان قلت**
ما فائدة قوله في حجوركم **قلت** فائدته التعليل للتحريم وانهن لاحتضانكم لهن او لكونهن
بصدد احتضانكم وفي حكم التقلب في حجوركم اذا دخلتم بامهاتهن وتمكن بدخولكم حكم
الزواج وثبتت الخلطة والالفة وجعل الله بينكم المودة والرحمة وكانت الحال خليقة
بان تجروا اولادهن مجرى اولادكم كانكم في العقد على بناتهن عاقدون على بناتكم ❁ وعن علي انه
شرط ذلك في التحريم وبه اخذ داود **فان قلت** ما معنى دخلتم بهن **قلت** هي
كناية عن الجماع كقولهم بنى عليها وضرب عليها الحجاب يعني ادخلتموهن الستر والباء للتعدية
واللمس ونحوه يقوم مقام الدخول عند ابي حنيفة رحمة الله عليه **وعن** عمر رضي الله عنه
انه خلا بجارية فجردها فاستوهبها ابن له فقال انها لا تحل لك **وعن** مسروق انه
امر ان تباع جاريته بعد موته وقال اما اني لم اصب منها الا ما يحرمها على ولدي من اللمس

والنظر وعن الحسن في الرجل يملك الأمة فيغمزها لشهوة او يقبلها او يكشفها انها لا تحل لولده
بحال وعن عطاء وحماد بن ابي سليمن اذا نظر الى فرج امرأة فلا ينكح امها ولا ابنتها وعن
الاوزاعي اذا دخل بالامة فعراها ولمسها بيده واغلق الباب وارخى الستر فلا يحل له نكاح
ابنتها وعن ابن عباس وطاوس وعمرو بن دينار ان التحريم لا يقع الا بالجماع وحده الذين من
اصلابكم دون من تبنيتم وقد تزوج رسول الله صلى الله عليه وسلم زينب بنت جحش الاسدية
بنت عمته اميمة بنت عبد المطلب حين فارقها زيد بن حارثة رضي الله عنه وقال عز وجل لكيلا
يكون على المؤمنين حرج في ازواج ادعيائهم وان تجمعوا في موضع الرفع عطفه على المحرمات اي
وحرم عليكم الجمع بين الاختين والمراد حرمة النكاح لان التحريم في الآية تحريم النكاح واما
الجمع بينهما في ملك اليمين فعن عثمان وعلي رضي الله عنهما انهما قالا احلتهما آية وحرمتهما
آية يعنيان هذه الآية وقوله او ما ملكت ايمانكم فرجح علي التحريم وعثمان التحليل الا ما قد
سلف ولكن ما مضى مغفور بدليل قوله ان الله كان غفورا رحيما والمحصنات من النساء الا
ما ملكت ايمانكم كتاب الله عليكم واحل لكم ما وراء ذلكم ان تبتغوا باموالكم محصنين
غير مسافحين فما استمتعتم به منهن فآتوهن اجورهن فريضة ولا جناح عليكم
فيما تراضيتم به من بعد الفريضة ان الله كان عليما حكيما والمحصنات القراءة بفتح
الصاد وعن طلحة بن مصرف انه قرأ بكسر الصاد وهن ذوات الازواج لانهن احصن فروجهن
بالتزويج فهن محصنات ومحصنات الا ما ملكت ايمانكم يريد ما ملكت ايمانهم من اللاتي سبين
ولهن ازواج في دار الكفر فهن حلال لغزاة المسلمين وان كن محصنات وفي معناه قول
الفرزدق وذات حليل انكحتها رماحنا حلال لمن يبني بها لم تطلق كتاب الله عليكم مصدر
مؤكد اي كتب الله ذلك عليكم كتابا وفرضه فرضا وهو تحريم ما حرم فان قلت علام عطف
قوله واحل لكم قلت على الفعل المضمر الذي نصب كتاب الله اي كتب الله عليكم تحريم ذلك
واحل لكم ما وراء ذلكم ويدل عليه قراءة اليماني كتب الله عليكم واحل لكم وروي عن اليماني كتب
الله عليكم على الجمع والرفع اي هذه فرائض الله عليكم ومن قرأ واحل لكم على البناء للمفعول فقد
عطفه على حرمت ان تبتغوا مفعول له بمعنى بين لكم ما يحل مما يحرم ارادة ان يكون ابتغاؤكم
باموالكم التي جعل الله لكم قياما في حال كونكم محصنين غير مسافحين لئلا تضيعوا اموالكم وتفقروا
انفسكم فيما لا يحل لكم فتخسروا دنياكم ودينكم ولا مفسدة اعظم مما يجمع بين الخسرانين والاحصان
العفة وتحصين النفس من الوقوع في الحرام والاموال المهور وما يخرج في المناكح فان قلت
اين مفعول تبتغوا قلت يجوز ان يكون مقدرا وهو النساء والاجود ان لا يقدر وكانه
قيل ان تخرجوا اموالكم ويجوز ان يكون ان تبتغوا بدلا مما وراء ذلكم والمسافح الزاني من
السفح وهو صب المني وكان الفاجر يقول للفاجرة سافحيني وماذيني من المذي فما استمتعتم
به منهن فما استمتعتم به من المنكوحات من جماع او خلوة صحيحة او عقد عليهن فآتوهن
اجورهن عليه فاسقط الراجع الى ما لانه لا يلبس كقوله عز وعلا ان ذلك لمن عزم الامور
باسقاط منه ويجوز ان يكون ما في معنى النساء ومن للتبعيض او البيان ويرجع الضمير اليه
على اللفظ في به وعلى المعنى في فآتوهن اجورهن مهورهن لان المهر ثواب على البضع فريضة

حال من الاجور بمعنى مفروضة او وضعت موضع ايتاء لان الايتاء مفروض او مصدر مؤكد
اي فرض ذلك فريضة فيما تراضيتم به من بعد الفريضة فيما تحط عنه من المهر او تهب
له من كله او يزيد لها على مقداره وقيل فيما تراضيتم به من مقام او فراق وقيل
نزلت في المتعة التي كانت ثلاثة ايام حين فتح الله مكة على رسوله ثم نسخت كان الرجل ينكح المرأة
وقتا معلوما ليلة او ليلتين او اسبوعا بثوب او غير ذلك ويقضي منها وطره ثم يسرحها سميت
متعة لاستمتاعه بها او لتمتيعه لها بما يعطيها وعن عمر رضي الله عنه لا اوتى برجل تزوج
امرأة الى اجل الا رجمتهما بالحجارة وعن النبي صلوات الرحمن عليه وسلامه انه اباحها ثم
اصبح يقول يا ايها الناس اني كنت امرتكم بالاستمتاع من هذه النساء الا ان الله حرم ذلك الى
يوم القيامة وقيل ابيح مرتين وحرم مرتين وعن ابن عباس رضي الله عنهما هي محكمة لم تنسخ
وكان يقرأ فما استمتعتم به منهن الى اجل مسمى ويروى انه رجع عن ذلك عند موته وقال
اللهم اني اتوب اليك من قولي بالمتعة وقولي في الصرف ومن لم يستطع منكم طولا ان ينكح
المحصنات المؤمنات فمن ما ملكت ايمانكم من فتياتكم المؤمنات والله اعلم بايمانكم
بعضكم من بعض فانكحوهن باذن اهلهن وآتوهن اجورهن بالمعروف محصنات
غير مسافحات ولا متخذات اخدان فاذا احصن فان اتين بفاحشة فعليهن نصف
ما على المحصنات من العذاب ذلك لمن خشي العنت منكم وان تصبروا خير لكم والله غفور
رحيم الطول الفضل يقال لفلان على فلان طول اي زيادة وفضل وقد طاله طولا فهو
طائل قال لقد زادني حبا لنفسي انني بغيض الى كل امرئ غير طائل ومنه قولهم
ما خلا منه بطائل اي بشيء يعتد به مما له فضل وخطر ومنه الطول في الجسم لانه زيادة
فيه كما ان القصر قصور فيه ونقصان والمعنى ومن لم يستطع زيادة في المال وسعة يبلغ
بها نكاح الحرة فلينكح امة قال ابن عباس رضي الله عنهما من ملك ثلثمائة درهم فقد وجب عليه
الحج وحرم عليه نكاح الاماء وهو الظاهر وعليه مذهب الشافعي رضي الله عنه واما ابو حنيفة
رحمة الله عليه فيقول الغني والفقير سواء في جواز نكاح الامة ويفسر الآية بان من لم يملك فراش
الحرة على ان النكاح هو الوطء فله ان ينكح امة وفي رواية عن ابن عباس رضي الله عنه انه قال ومما
وسع الله على هذه الامة نكاح الامة واليهودية والنصرانية وان كان موسرا وكذلك قوله
من فتياتكم المؤمنات الظاهر انه لا يجوز نكاح الامة الكتابية وهو مذهب اهل الحجاز وعند
اهل العراق يجوز نكاحها ونكاح الامة المؤمنة افضل فحملوه على الفضل لا على الوجوب واستشهدوا
على ان الايمان ليس بشرط بوصف الحرائر به مع علمنا انه ليس بشرط فيهن على الاتفاق ولكنه افضل
فان قلت لم كان نكاح الامة منحطا عن نكاح الحرة قلت لما فيه من اتباع الولد الام
في الرق ولثبوت حق المولى فيها وفي استخدامها ولانها ممتهنة مبتذلة خراجة ولاجة وذلك
كله نقصان راجع الى الناكح ومهانة والعزة من صفات المؤمنين وقوله من فتياتكم اي من
فتيات المؤمنين لا من فتيات غيركم وهم المخالفون في الدين فان قلت فما معنى قوله
والله اعلم بايمانكم قلت معناه الله اعلم بتفاضل ما بينكم وبين ارقائكم في الايمان ورجحانه
ونقصانه فيهم وفيكم وربما كان ايمان الامة ارجح من ايمان الحرة والمرأة افضل في الايمان من الرجل

وفي المؤمنين ان لا يعتبروا الا فضل الايمان لا فضل الاحساب والانساب وهذا تأنيس بنكاح
الاماء وترك الاستنكاف منه بعضكم من بعض اي تنزوا ارقاؤكم متواصلون متناسبون
لاشتراككم في الايمان لا يفضل حر عبدا الا برجحان فيه باذن اهلهن اشتراط لاذن الموالي في
نكاحهن ويحتج به لقول ابي حنيفة ان لهن ان يباشرن العقد بانفسهن لانه اعتبر اذن الموالي لا عقدهم
وآتوهن اجورهن بالمعروف وادوا اليهن مهورهن بغير مطل وضرار واحواج الى الاقتضاء
واللز فان قلت الموالي هم ملاك مهورهن لا هن والواجب اداؤها اليهم لا اليهن فلم قيل وآتوهن
قلت لانهن وما في ايديهن مال الموالي فكان اداؤها اليهن اداء الى الموالي او على ان اصله
فآتوا مواليهن فحذف المضاف محصنات عفائف والاخدان الاخلاء في السر كانه قيل غير
مجاهرات بالسفاح ولا مسرات له فاذا احصن بالتزويج وقرئ احصن فعليهن نصف ما على
المحصنات اي الحرائر من العذاب من الحد كقوله وليشهد عذابهما ويدرؤا عنها العذاب
ولا رجم عليهن لان الرجم لا يتنصف ذلك اشارة الى نكاح الاماء لمن خشي العنت منكم لمن خاف
الاثم الذي تؤدي اليه غلبة الشهوة واصل العنت انكسار العظم بعد الجبر فاستعير لكل مشقة
وضرر ولا ضرر اعظم من مواقعة المآثم وقيل اريد به الحد لانه اذا هويها خشي ان يواقعها
فيحد فيتزوجها وان تصبروا في محل الرفع على الابتداء وصبركم عن نكاح الاماء متعففين خير
لكم وعن النبي صلى الله عليه وسلم الحرائر صلاح البيت والاماء هلاك البيت يريد الله
ليبين لكم ويهديكم سنن الذين من قبلكم ويتوب عليكم والله عليم حكيم والله
يريد ان يتوب عليكم ويريد الذين يتبعون الشهوات ان تميلوا ميلا عظيما يريد
الله ان يخفف عنكم وخلق الانسان ضعيفا يريد الله ليبين لكم اصله يريد الله ان يبين
لكم فزيدت اللام مؤكدة لارادة التبيين كما زيدت في لا ابا لك لتأكيد اضافة الاب والمعنى
يريد الله ان يبين لكم ما هو خفي عنكم من مصالحكم وافاضل اعمالكم وان يهديكم مناهج من
كان قبلكم من الانبياء والصالحين والطرق التي سلكوها في دينهم لتقتدوا بهم ويتوب عليكم
ويرشدكم الى الطاعات ان قصرتم بها كانت كفارات لسيئاتكم فيتوب عليكم ويحكم لكم والله يريد ان
يتوب عليكم ان تفعلوا ما تستوجبون به ان يتوب عليكم ويريد الفجرة الذين يتبعون الشهوات
ان تميلوا ميلا عظيما وهو الميل عن القصد والحق ولا ميل اعظم منه بمساعدتهم وموافقتهم على
اتباع الشهوات وقيل هم اليهود وقيل المجوس كانوا يحلون نكاح الاخوات من الاب وبنات الاخ
وبنات الاخت فلما حرمهن الله قالوا فانكم تحلون بنت الخالة والعمة والخالة والعمة عليكم حرام
فانكحوا بنات الاخ والاخت فنزلت يقول يريدون ان تكونوا زناة مثلهم يريد الله ان يخفف عنكم
باحلال نكاح الامة وغيره من الرخص وخلق الانسان ضعيفا لا يصبر عن الشهوات وعلى مشاق
الطاعات وعن سعيد بن المسيب ما ايس الشيطان من بني آدم قط الا اتاهم من قبل النساء
فقد اتى علي ثمانون سنة وذهبت احدى عيني وانا اعشو بالاخرى وان اخوف ما اخاف علي فتنة
النساء وقرئ ان يميلوا بالياء والضمير للذين يتبعون الشهوات وقرأ ابن عباس
رضي الله عنهما وخلق الانسان على البناء للفاعل ونصب الانسان وعنه رضي الله عنه ثماني
آيات في سورة النساء هي خير لهذه الامة مما طلعت عليه الشمس وغربت يريد الله ليبين لكم

والله يريد ان يتوب عليكم يريد الله ان يخفف عنكم ان تجتنبوا كبائر ما تنهون عنه ان
الله لا يغفر ان يشرك به ان الله لا يظلم مثقال ذرة ومن يعمل سوءا او يظلم نفسه ما
يفعل الله بعذابكم يا ايها الذين آمنوا لا تأكلوا اموالكم بينكم بالباطل الا ان تكون
تجارة عن تراض منكم ولا تقتلوا انفسكم ان الله كان بكم رحيما بالباطل بما لم تبحه
الشريعة من نحو السرقة والخيانة والغصب والقمار وعقود الربوا الا ان تكون تجارة
الا ان تقع تجارة وقرئ تجارة على الا ان تكون التجارة تجارة عن تراض منكم
والاستثناء منقطع معناه ولكن اقصدوا كون تجارة عن تراض او ولكن كون تجارة عن تراض
غير منهي عنه وقوله عن تراض صفة لتجارة اي تجارة صادرة عن تراض وخص التجارة بالذكر
لان اسباب الرزق اكثرها متعلق بها والتراضي رضى المتبايعين بما تعاقدا عليه في حالة
البيع وقت الايجاب والقبول وهو مذهب ابي حنيفة رحمة الله عليه وعند الشافعي رضي
الله عنه تفرقهما عن مجلس العقد متراضيين ولا تقتلوا انفسكم من كان من جنسكم من المؤمنين
وعن الحسن لا تقتلوا اخوانكم او ولا يقتل الرجل نفسه كما يفعله بعض الجهلة وعن عمرو
بن العاص انه تأول في التيمم لخوف البرد فلم ينكر عليه رسول الله عليه السلام وقرأ
علي رضي الله عنه ولا تقتّلوا بالتشديد ان الله كان بكم رحيما ما نهاكم عما يضركم الا لرحمته
عليكم وقيل معناه انه امر بني اسرائيل بقتلهم انفسهم ليكون توبة لهم وتمحيصا لخطاياهم وكان
بكم يا امة محمد رحيما حيث لم يكلفكم تلك التكاليف الصعبة ومن يفعل ذلك عدوانا وظلما
فسوف نصليه نارا وكان ذلك على الله يسيرا ذلك اشارة الى القتل اي ومن يقدم على قتل
الانفس عدوانا وظلما لا خطأ ولا اقتصاصا وقرئ عدوانا بالكسر ونصليه بتخفيف اللام
وتشديدها ونصليه بفتح النون من صلاه يصليه ومنه شاة مصلية ويصليه بالياء والضمير
لله عز وجل او لذلك لكونه سببا للصلي نارا اي نارا مخصوصة شديدة العذاب وكان ذلك
على الله يسيرا لان الحكمة تدعو اليه ولا صارف عنه من ظلم او نحوه ان تجتنبوا كبائر ما
تنهون عنه نكفر عنكم سيئاتكم وندخلكم مدخلا كريما كبائر ما تنهون عنه وقرئ
كبير ما تنهون عنه اي ما كبر من المعاصي التي نهاكم الله عنها والرسول نكفر عنكم سيئاتكم نمط
ما تستحقونه من العقاب في كل وقت على صغائركم ونجعلها كأن لم تكن لزيادة الثواب المستحق
على اجتنابكم الكبائر وصبركم عنها على عقاب السيئات والكبيرة والصغيرة انما وصفتا بالكبر
والصغر باضافتهما اما الى طاعة او معصية او ثواب فاعلهما والتكفير اماطة المستحق
من العقاب بثواب ازيد او بتوبة والاحباط نقيضه وهو اماطة الثواب المستحق بعقاب
ازيد او بندم على الطاعة وعن علي رضي الله عنه الكبائر سبع الاشراك والقتل والقذف
والزنا واكل مال اليتيم والفرار من الزحف والتعرب بعد الهجرة وزاد ابن عمر رضي
الله عنه السحر واستحلال البيت الحرام وعن ابن عباس رضي الله عنهما ان رجلا قال
له الكبائر سبع فقال هي الى سبعمائة اقرب لانه لا صغيرة مع الاصرار ولا كبيرة مع الاستغفار
وروي الى سبعين وقرئ يكفر بالياء ومدخلا بضم الميم وفتحها بمعنى المكان والمصدر فيهما
ولا تتمنوا ما فضل الله به بعضكم على بعض للرجال نصيب مما اكتسبوا وللنساء نصيب مما

الكتسبن واسئلوا الله من فضله ان الله كان بكل شيء عليما ولا تتمنوا نهوا عن التحاسد وعن تمني ما
فضل الله به بعض الناس على بعض من الجاه والمال لان ذلك التفضيل قسمة من الله صادرة عن حكمة
وتدبير وعلم باحوال العباد وبما يصلح المقسوم له من بسط في الرزق او قبض ولو بسط الله الرزق
لعباده لبغوا في الارض فعلى كل احد ان يرضى بما قسم له علما بان ما قسم له هو مصلحة ولو كان خلافه لكان
مفسدة له ولا يحسد اخاه على حظه للرجال نصيب مما اكتسبوا جعل لكل ما قسم لكل من الرجال والنساء
على حسب ما عرف الله من حاله الموجبة للبسط والقبض كسبا له واسئلوا الله من فضله ولا تتمنوا
انصباء غيركم من الفضل ولكن سلوا الله من خزائنه التي لا تنفد وقيل كان الرجال قالوا
ان الله فضلنا على النساء في الدنيا لنا سهمان ولهن سهم واحد فنرجوا ان يكون لنا اجران في الاخرة
على الاعمال ولهن اجر واحد فقالت ام سلمة رضي الله عنها ونسوة معها ليت الله كتب علينا الجهاد
كما كتبه على الرجال فيكون لنا من الاجر مثل ما لهم فنزلت ولكل جعلنا موالي مما ترك الوالدان
والاقربون والذين عاقدت ايمانكم فآتوهم نصيبهم ان الله كان على كل شيء شهيدا
مما ترك تبيين لكل اي ولكل شيء مما ترك الوالدان والاقربون من المال جعلنا موالي وراثا يلونه ويحرزونه
او ولكل قوم جعلناهم موالي نصيب مما ترك الوالدان والاقربون على ان جعلنا موالي صفة لكل والضمير
الراجع الى كل محذوف والكلام مبتدأ وخبر كما تقول لكل من خلقه الله انسانا من رزق الله اي حظ من
رزق الله او ولكل احد جعلنا موالي مما ترك اي وراثا مما ترك على ان من صلة موالي لانهم في معنى
الوراث وفي ترك ضمير كل ثم فسر الموالي بقوله الوالدان والاقربون كانه قيل من هم فقيل
الوالدان والاقربون والذين عاقدت ايمانكم مبتدأ ضمن معنى الشرط فوقع خبره مع الفاء وهو
قوله فآتوهم نصيبهم ويجوز ان يكون منصوبا على قولك زيدا فاضربه ويجوز ان يعطف على
الوالدان ويكون المضمر في فآتوهم للموالي والمراد بالذين عاقدت ايمانكم موالي الموالاة كان
الرجل يعاقد الرجل فيقول دمي دمك وهدمي هدمك وثاري ثارك وحربي حربك وسلمي
سلمك وترثني وارثك وتطلب بي واطلب بك وتعقل عني واعقل عنك فيكون للحليف السدس
من ميراث الحليف فنسخ وعن النبي صلى الله عليه وسلم انه خطب يوم الفتح فقال ما كان من حلف في
الجاهلية فتمسكوا به فانه لم يزده الاسلام الا شدة ولا تحدثوا حلفا في الاسلام وعند
ابي حنيفة لو اسلم رجل على يد رجل وتعاقدا على ان يتعاقلا ويتوارثا صح عنده وورث بحق الموالاة
خلافا للشافعي وقيل المعاقدة التبني ومعنى عاقدت ايمانكم عاقدتهم ايديكم وما سحتموهم
وقرئ عقدت بالتشديد والتخفيف بمعنى عقدت عهودهم ايمانكم الرجال قوامون
على النساء بما فضل الله بعضهم على بعض وبما انفقوا من اموالهم فالصالحات قانتات
حافظات للغيب بما حفظ الله واللاتي تخافون نشوزهن فعظوهن واهجروهن في
المضاجع واضربوهن فان اطعنكم فلا تبغوا عليهن سبيلا ان الله كان عليا كبيرا قوامون
على النساء يقومون عليهن آمرين ناهين كما يقوم الولاة على الرعايا وسموا قواما لذلك والضمير
في بعضهم للرجال والنساء جميعا يعني انما كانوا مسيطرين عليهن بسبب تفضيل الله بعضهم وهم الرجال
على بعض وهم النساء وفيه دليل على ان الولاية انما تستحق بالفضل لا بالتغلب والاستطالة
والقهر وقد ذكروا في فضل الرجال العقل والحزم والعزم والقوة والكتابة في الغالب

والفروسية

والفروسية والرمي وان منهم الانبياء والعلماء وفيهم الامامة الكبرى والصغرى والجهاد
والاذان والخطبة والاعتكاف وتكبيرات التشريق عند ابي حنيفة والشهادة في الحدود
والقصاص وزيادة السهم والتعصيب في الميراث والحمالة والقسامة والولاية
في النكاح والطلاق والرجعة وعدد الازواج واليهم الانتساب وهم اصحاب اللحى
والعمائم وبما انفقوا من اموالهم وبسبب ما اخرجوا في نكاحهن من اموالهم في المهور والنفقات
وروي ان سعد بن الربيع رضي الله عنه وكان نقيبا من نقباء الانصار نشزت عليه امراته
حبيبة بنت زيد بن ابي زهير فلطمها فانطلق بها ابوها الى رسول الله صلى الله عليه وسلم وقال
افرشته كريمتي فلطمها فقال لتقتص منه فنزلت فقال اردنا امرا واراد الله امرا والذي
اراد الله خير ورفع القصاص واختلف في ذلك فقيل لا قصاص بين الرجل وامراته فيما
دون النفس ولو شجها ولكن يجب العقل وقيل لا قصاص الا في الجرح والقتل واما اللطمة
ونحوها فلا فالصالحات قانتات مطيعات قائمات بما عليهن للازواج حافظات للغيب الغيب خلاف الشهادة
اي حافظات لمواجب الغيب اذا كان الازواج غير شاهدين لهن حفظن ما يجب عليهن حفظه
في حال الغيبة من الفروج والبيوت والاموال وعن النبي صلى الله عليه وسلم خير النساء
امراة ان نظرت اليها سرتك وان امرتها اطاعتك واذا غبت عنها حفظتك في مالها ونفسها
وتلا الآية وقيل للغيب لاسرارهم بما حفظ الله بما حفظهن الله حين اوصى بهن الازواج في
كتابه وامر رسوله فقال استوصوا بالنساء خيرا او بما حفظهن الله وعصمهن ووفقهن لحفظ
الغيب او بما حفظهن حين وعدهن الثواب العظيم على حفظ الغيب واوعدهن بالعذاب
الشديد على الخيانة وما مصدرية وقرئ بما حفظ الله بالنصب على ان ما موصولة اي
حافظات للغيب بالامر الذي يحفظ حق الله وامانة الله وهو التعفف والتحصن والشفقة
على الرجال والنصيحة لهم وقرا ابن مسعود رضي الله عنه فالصوالح قوانت حوافظ
للغيب بما حفظ الله فاصلحوا اليهن واللاتي تخافون نشوزهن ونشوصها ان تعصي زوجها ولا تطمئن اليه
واصله الانزعاج في المضاجع في المراقد اي لا تداخلوهن تحت اللحف او هي كناية عن الجماع
وقيل هو ان يوليها ظهره في المضجع وقيل في المضاجع في بيوتهن التي يبتن فيها اي لا تبايتوهن
وقرئ في المضجع وفي المضطجع وذلك لتعرف احوالهن وتحقق امرهن في النشوز امر
بوعظهن اولا ثم بهجرانهن في المضاجع ثم بالضرب ان لم ينجع فيهن الوعظ والهجران وقيل معناه
اكرهوهن على الجماع واربطوهن من هجر البعير اذا شده بالهجار وهذا من تفسير الثقلاء وقالوا
يجب ان يكون ضربا غير مبرح ولا يجرحها ولا يكسر لها عظما ويجتنب الوجه وعن النبي صلى
الله عليه وسلم علق سوطك حيث يراه اهلك وعن اسماء بنت ابي بكر الصديق رضي الله عنهما
كنت رابعة اربع نسوة عند الزبير بن العوام فاذا غضب على احدنا ضربها بعود المشجب حتى
يكسره عليها ويروى عن الزبير ابيات ولولا بنوها حولها لخبطتها فلا تبغوا عليهن
سبيلا فازيلوا عنهن التعرض بالاذى والتوبيخ والتجني وتوبوا عليهن واجعلوا ما كان منهن
كان لم يكن بعد رجوعهن الى الطاعة والانقياد وترك النشوز ان الله كان عليا كبيرا فاحذروه
واعلموا ان قدرته عليكم اعظم من قدرتكم على من تحت ايديكم وروي ان ابا مسعود

الانصاري رفع سوطه ليضرب غلاما له فبصر به رسول الله عليه السلام فصاح به ابا مسعود لله اقدر
عليك منك عليه فرمى بالسوط واعتق الغلام • او ان الله كان عليا كبيرا وانكم تعصونه على علو شانه
وكبرياء سلطانه ثم تتوبون فيتوب عليكم فانتم احق بالعفو عمن يجني عليكم اذا رجع • وان خفتم
شقاق بينهما فابعثوا حكما من اهله وحكما من اهلها ان يريدا اصلاحا يوفق الله بينهما ان
الله كان عليما خبيرا • شقاق بينهما اصله شقاقا بينهما فاضيف الشقاق الى الظرف على طريق
الاتساع كقوله تعالى بل مكر الليل والنهار واصله بل مكر في الليل والنهار • او على ان جعل البين
مشاقا والليل والنهار ماكرين على قولك نهارك صائم • والضمير للزوجين ولم يجر ذكرهما لجري
ذكر ما يدل عليهما وهو الرجال والنساء • حكما من اهله رجلا مقنعا رضا يصلح لحكومة العدل
والاصلاح بينهما • وانما كان بعث الحكمين من اهلهما لان الاقارب اعرف ببواطن الاحوال
واطلب للاصلاح وانما تسكن اليهم نفوس الزوجين ويبرز اليهم ما في ضمائرهما من الحب والبغض
وارادة الصحبة والفرقة وموجبات ذلك ومقتضياته وما يزويانه عن الاجانب ولا يحبان
ان يطلعوا عليه • فان قلت فهل يليان الجمع بينهما والتفريق ان رايا ذلك • قلت قد اختلف
فيه فقيل ليس اليهما ذلك الا باذن الزوجين • وقيل ذلك اليهما وما جعلا حكمين الا واليهما بناء
الامر على ما يقتضيه اجتهادهما • وعن عبيدة السلماني شهدت عليا رضي الله عنه وقد جاءته
امراة وزوجها ومع كل واحد منهما فئام من الناس فاخرج هؤلاء حكما وهؤلاء حكما • فقال علي رضي الله عنه
للحكمين اتدريان ما عليكما ان عليكما ان رايتما ان تفرقا فرقتما وان رايتما ان تجمعا جمعتما فقال
الزوج اما الفرقة فلا فقال علي كذبت والله لا تبرح حتى ترضى بكتاب الله لك وعليك فقالت
المراة رضيت بكتاب الله لي وعلي • وعن الحسن يجمعان ولا يفرقان • وعن الشعبي ما قضى
الحكمان جاز • والالف في ان يريدا اصلاحا ضمير الحكمين وفي يوفق الله بينهما للزوجين اي ان قصدا
اصلاح ذات البين وكانت نيتهما صحيحة وقلوبهما ناصحة لوجه الله بورك في وساطتهما واوقع
الله بطيب نفسهما وحسن سعيهما بين الزوجين الوفاق والالفة والقى في نفوسهما المودة
والرحمة • وقيل الضميران للحكمين اي ان قصدا اصلاح ذات البين والنصيحة للزوجين يوفق
الله بينهما فيتفقان على الكلمة الواحدة ويتساندان في طلب الوفاق حتى يحصل الغرض ويتم
المراد • وقيل الضميران للزوجين اي ان يريدا اصلاح ما بينهما وطلبا الخير وان يزول عنهما
الشقاق يطرح الله بينهما الالفة وابدلهما بالشقاق وفاقا وبالبغضاء مودة • ان الله
كان عليما خبيرا يعلم كيف يوفق بين المختلفين ويجمع بين المفترقين لو انفقت ما في الارض
جميعا ما الفت بين قلوبهم ولكن الله الف بينهم • واعبدوا الله ولا تشركوا به شيئا وبالوالدين
احسانا وبذي القربى واليتامى والمساكين والجار ذي القربى والجار الجنب والصاحب
بالجنب وابن السبيل وما ملكت ايمانكم ان الله لا يحب من كان مختالا فخورا • وبالوالدين
احسانا واحسنوا بهما احسانا • وبذي القربى وبكل من بينكم وبينه قربى من اخ او عم او غيرهما
والجار ذي القربى الذي قرب جواره • والجار الجنب الذي جواره بعيد • وقيل الجار القريب النسيب
والجار الجنب الاجنبي • وانشد لبلعاء بن قيس • لا يجتوينا مجاور ابدا • ذو رحم او مجاور جنب •
وقرئ والجار ذا القربى بالنصب على الاختصاص كما قرئ حافظوا على الصلوات والصلوة

الوسطى

الوسطى تنبيها على عظم حقه لادلائه بحقي الجوار والقربى • والصاحب بالجنب هو الذي صحبك بان
حصل بجنبك اما رفيقا في سفر واما جارا ملاصقا • واما شريكا في تعلم علم او حرفة • واما قاعدا
الى جنبك في مجلس او مسجد او غير ذلك من ادنى صحبة التامت بينك وبينه فعليك ان ترعى
ذلك الحق ولا تنساه وتجعله ذريعة الى الاحسان • وقيل الصاحب بالجنب المراة • وابن السبيل المسافر
المنقطع به • وقيل الضيف • والمختال التياه الجهول الذي يتكبر عن اكرام اقاربه واصحابه
ومماليكه فلا يتحفى بهم ولا يلتفت اليهم • وقرئ والجار الجنب بفتح الجيم وسكون
النون • الذين يبخلون ويامرون الناس بالبخل ويكتمون ما اتاهم الله من فضله
واعتدنا للكافرين عذابا مهينا • الذين يبخلون بدل من قوله من كان مختالا فخورا • او
نصب على الذم • ويجوز ان يكون رفعا عليه • وان يكون مبتدا خبره محذوف كانه قيل الذين
يبخلون ويفعلون ويصنعون احقاء بكل ملامة • وقرئ بالبخل بضم الباء وفتحها وبفتحتين
وبضمتين اي يبخلون بذات ايديهم وبما في ايدي غيرهم فيامرونهم بان يبخلوا به مقتا للسخاء
ممن وجد • وفي امثال العرب ابخل من الضنين بنائل غيره • قال
• وان امرا ضنت يداه على امرئ • بنيل يد من غيره لبخيل • ولقد رايتا من بلي بداء
البخل من اذا طرق سمعه ان احدا جاد على احد شخص به وحل حبوته واضطرب ودارت عيناه في راسه
كانما نهب رحله وكسرت خزانته ضجرا من ذلك وحسرة على وجوده • وقيل هم اليهود كانوا ياتون
رجالا من الانصار يتنصحون لهم ويقولون لا تنفقوا اموالكم فانا نخشى عليكم الفقر ولا تدرون ما
يكون • وقد عابهم بكتمان نعمة الله وما اتاهم من فضل الغنى والتفاقر الى الناس • وعن النبي
صلى الله عليه وسلم اذا انعم الله على عبد نعمة احب ان ترى نعمته عليه • وبنى عامل للرشيد
قصرا حذاء قصره فنم به عنده • فقال الرجل يا امير المؤمنين ان الكريم يسره ان يرى اثر نعمته فاحببت
ان اسرك بالنظر الى اثار نعمتك فاعجبه كلامه • وقيل نزلت في شان اليهود الذين كتموا صفة
رسول الله صلى الله عليه وسلم • والذين ينفقون اموالهم رئاء الناس ولا يؤمنون بالله
ولا باليوم الاخر ومن يكن الشيطان له قرينا فساء قرينا • رئاء الناس للفخار وليقال ما اسخاهم
وما اجودهم لا ابتغاء وجه الله • وقيل نزلت في مشركي مكة المنفقين اموالهم في عداوة
رسول الله عليه السلام • فساء قرينا حيث حملهم على البخل والرئاء وكل شر • ويجوز ان يكون وعيدا
لهم بان الشيطان يقرن بهم في النار • وماذا عليهم لو امنوا بالله واليوم الاخر وانفقوا مما
رزقهم الله وكان الله بهم عليما • وماذا عليهم واي تبعة ووبال عليهم في الايمان والانفاق في سبيل
الله • والمراد الذم والتوبيخ والا فكل منفعة ومفلحة في ذلك وهذا كما يقال للمنتقم ما ضرك لو
عفوت • وللعاق ما كان يرزؤك لو كنت بارا • وقد علم انه لا مضرة ولا مرزئة في العفو والبر
ولكنه ذم وتوبيخ وتجهيل بمكان المنفعة • وكان الله بهم عليما وعيد • ان الله لا يظلم مثقال
ذرة وان تك حسنة يضاعفها ويؤت من لدنه اجرا عظيما • الذرة النملة الصغيرة • وفي
قراءة عبد الله مثقال نملة • وعن ابن عباس انه ادخل يده في التراب فرفعه ثم نفخ فيه فقال
كل واحدة من هؤلاء ذرة • وقيل كل جزء من اجزاء الهباء في الكوة ذرة • وفيه دليل انه لو نقص
من الاجر ادنى شيء او اصغره او زاد في العقاب لكان ظلما وانه لا يفعله لاستحالته في الحكمة لا

لاستطالته في القدرة. وإن تك حسنة وإن تك مثقال الذرة حسنة، وإنما أنث ضمير المثقال لكونه
مضافاً إلى مؤنث. وقرئ بالرفع على كان التامة. يضاعفها يضاعف ثوابها لاستحقاقها
عنده الثواب في كل وقت من الأوقات المستقبلة غير المتناهية. وعن أبي عثمان النهدي أنه
قال لأبي هريرة رضي الله عنه بلغني عنك أنك تقول سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول
إن الله تعالى يعطي عبده المؤمن بالحسنة ألف ألف حسنة، قال أبو هريرة لا بل سمعته يقول إن الله
يعطيه ألفي ألف حسنة ثم تلا هذه الآية. والمراد الكثرة لا التحديد. ويؤت من لدنه أجراً عظيماً
ويعط صاحبها من عنده على سبيل التفضل عطاء عظيماً، وسماه أجراً لأنه تابع للأجر لا يثبت إلا
بثباته. وقرئ يضعفها بالتشديد والتخفيف من أضعف وضعّف. وقرأ ابن هرمز
نضاعفها بالنون. فكيف إذا جئنا من كل أمة بشهيد وجئنا بك على هؤلاء شهيداً. فكيف
يصنع هؤلاء الكفرة من اليهود وغيرهم إذا جئنا من كل أمة بشهيد يشهد عليهم بما فعلوا وهو
نبيهم كقوله تعالى وكنت عليهم شهيداً ما دمت فيهم. وجئنا بك على هؤلاء المكذبين شهيداً.
وعن ابن مسعود رضي الله عنه أنه قرأ سورة النساء على رسول الله صلى الله عليه وسلم حتى بلغ
قوله وجئنا بك على هؤلاء شهيداً فبكى رسول الله عليه السلام وقال حسبنا. يومئذ يود الذين
كفروا وعصوا الرسول لو تسوى بهم الأرض ولا يكتمون الله حديثاً. يا أيها الذين
آمنوا لا تقربوا الصلاة وأنتم سكارى حتى تعلموا ما تقولون ولا جنباً إلا عابري
سبيل حتى تغتسلوا وإن كنتم مرضى أو على سفر أو جاء أحد منكم من الغائط أو لامستم
النساء فلم تجدوا ماء فتيمموا صعيداً طيباً فامسحوا بوجوهكم وأيديكم إن الله كان
عفواً غفوراً. لو تسوى بهم الأرض لو يدفنون فتسوى بهم الأرض كما تسوى بالموتى. وقيل يودون
أنهم لم يبعثوا وأنهم كانوا والأرض سواء. وقيل تصير البهائم تراباً فيودون حالها. ولا يكتمون
الله حديثاً ولا يقدرون على كتمانه لأن جوارحهم تشهد عليهم. وقيل الواو للحال أي يودون
أن يدفنوا تحت الأرض وأنهم لا يكتمون حديثاً ولا يكذبون في قولهم والله ربنا ما كنا مشركين
لأنهم إذا قالوا ذلك وجحدوا شركهم ختم الله على أفواههم عند ذلك وتكلمت أيديهم وأرجلهم بتكذيبهم
والشهادة عليهم بالشرك، فلشدة الأمر عليهم يتمنون أن تسوى بهم الأرض. وقرئ تسوى بحذف
التاء من تتسوى، يقال سويته فتسوى نحو لويته فتلوى. وتسوى بإدغام التاء في السين كقوله
يسمعون. وماضيه اسوى كازكى. روي أن عبد الرحمن بن عوف رضي الله عنه صنع طعاماً وشراباً
فدعا نفراً من أصحاب رسول الله عليه السلام حين كانت الخمر مباحة فأكلوا وشربوا فلما ثملوا وجاء
وقت صلاة المغرب قدموا أحدهم ليصلي بهم فقرأ أعبد ما تعبدون وأنتم عابدون ما أعبد
فنزلت، فكانوا لا يشربون في أوقات الصلاة فإذا صلوا العشاء شربوها فلا يصبحون إلا وقد
ذهب عنهم السكر وعلموا ما يقولون ثم نزل تحريمها. ومعنى لا تقربوا الصلاة لا تغشوها ولا تقوموا
إليها واجتنبوها كقوله ولا تقربوا الزنا، ولا تقربوا الفواحش. وقيل معناه ولا تقربوا
مواضعها وهي المساجد كقوله صلى الله عليه وسلم جنبوا مساجدكم صبيانكم ومجانينكم. وقيل
هو سكر النعاس وغلبة النوم كقوله ورانوا بسكر سناتهم كل الرنوق. وقرئ سكارى
بفتح السين وسكرى على أن يكون جمعاً نحو هلكى وجوعى لأن السكر علة تلحق العقل، أو مفرداً بمعنى

وأنتم

وأنتم جماعة سكرى كقولك امرأة سكرى. وسكرى بضم السين كحبلى على أن يكون صفة للجماعة.
وحكى جناح بن حبيش كسلى وكسلى بالفتح والضم. ولا جنباً عطف على قوله وأنتم سكارى لأن محل
الجملة مع الواو النصب على الحال كأنه قيل لا تقربوا الصلاة سكارى ولا جنباً. والجنب يستوي
فيه الواحد والجمع والمذكر والمؤنث لأنه اسم جرى مجرى المصدر الذي هو الإجناب. إلا عابري
سبيل استثناء من عامة أحوال المخاطبين وانتصابه على الحال. فإن قلت كيف جمع بين
هذه الحال والحال التي قبلها. قلت كأنه قيل لا تقربوا الصلاة في حال الجنابة إلا ومعكم
حال أخرى تعذرون فيها وهي حال السفر وعبور السبيل عبارة عنه. ويجوز أن لا يكون حالاً
ولكن صفة لقوله جنباً أي ولا تقربوا الصلاة جنباً غير عابري سبيل أي جنباً مقيمين غير معذورين.
فإن قلت كيف تصح صلاتهم على الجنابة لعذر السفر. قلت أريد بالجنب الذين لم يغتسلوا
كأنه قيل لا تقربوا الصلاة غير مغتسلين حتى تغتسلوا إلا أن تكونوا مسافرين. وقال من فسر
الصلاة بالمسجد معناه لا تقربوا المسجد جنباً ولا مجتازين فيه إلا إذا كان الطريق فيه إلى الماء
أو كان الماء فيه أو احتلمتم فيه. وقيل إن رجالاً من الأنصار كانت أبوابهم في المسجد فتصيبهم
الجنابة ولا يجدون ممراً إلا في المسجد فرخص لهم. وروي أن النبي صلى الله عليه وسلم لم يأذن
لأحد أن يجلس في المسجد أو يمر فيه وهو جنب إلا لعلي بن أبي طالب رضي الله عنه لأن بيته
كان في المسجد. فإن قلت أدخل في حكم الشرط أربعة وهم المرضى والمسافرون والمحدثون
وأهل الجنابة فبمن تعلق الجزاء الذي هو الأمر بالتيمم عند عدم الماء منهم. قلت الظاهر
أنه تعلق بهم جميعاً وأن المرضى إذا عدموا الماء لضعف حركتهم وعجزهم عن الوصول إليه فلهم أن
يتيمموا، وكذلك السفر إذا عدموه لبعده، والمحدثون وأهل الجنابة كذلك إذا لم يجدوه لبعض
الأسباب. وقال الزجاج الصعيد وجه الأرض تراباً كان أو غيره وإن كان صخراً لا تراب عليه لو
ضرب المتيمم يده عليه ومسح لكان ذلك طهوره، وهو مذهب أبي حنيفة رحمة الله عليه. فإن
قلت فما يصنع بقوله تعالى في سورة المائدة فامسحوا بوجوهكم وأيديكم منه أي بعضه
وهذا لا يتأتى في الصخر الذي لا تراب عليه. قلت قالوا إن من لابتداء الغاية. فإن قلت
قولهم إنها لابتداء الغاية قول متعسف، ولا يفهم أحد من العرب من قول القائل مسحت برأسه من
الدهن ومن الماء ومن التراب إلا معنى التبعيض. قلت هو كما تقول، والإذعان للحق أحق
من المراء. إن الله كان عفواً غفوراً كناية عن الترخيص والتيسير لأن من كانت عادته أن يعفو
عن الخاطئين ويغفر لهم آثر أن يكون ميسراً غير معسر. فإن قلت كيف نظم في سلك واحد
بين المرضى والمسافرين وبين المحدثين والمجنبين، والمرض والسفر سببان من أسباب
الرخصة، والحدث سبب لوجوب الوضوء والجنابة سبب لوجوب الغسل. قلت أراد سبحانه
وتعالى أن يرخص للذين وجب عليهم التطهر وهم عادمون للماء في التيمم بالتراب فخص أولاً من بينهم
مرضاهم وسفرهم لأنهم المتقدمون في استحقاق بيان الرخصة لهم لكثرة المرض والسفر وغلبتهما
على سائر الأسباب الموجبة للرخصة، ثم عم كل من وجب عليه التطهر وأعوزه الماء لخوف عدو أو
سبع أو عدم آلة استقاء أو إرهاق في مكان لا ماء فيه أو غير ذلك مما لا يكثر كثرة المرض والسفر.
وقرئ من غيط قيل هو تخفيف غيط كهين في هين، والغيط بمعنى الغائط. ألم تر إلى الذين

أوتوا نصيبا من الكتاب يشترون الضلالة ويريدون أن تضلوا السبيل والله أعلم بأعدائكم
وكفى بالله وليا وكفى بالله نصيرا ألم تر من رؤية القلب وعدي بإلى على معنى ألم ينته علمك إليهم أو
بمعنى ألم تنظر إليهم أوتوا نصيبا من الكتاب حظا من علم التوراة وهم أحبار اليهود يشترون الضلالة
يستبدلونها بالهدى وهو البقاء على اليهودية بعد وضوح الآيات لهم على صحة نبوة رسول الله عليه
السلام وأنه هو النبي العربي المبشر به في التوراة والإنجيل ويريدون أن تضلوا أنتم أيها المؤمنون
سبيل الحق كما ضلوه وتخرطوا في سلكهم لا يكفيهم ضلالهم بل يحبون أن يضل معهم غيرهم وقرئ
أن يضلوا بالياء بفتح الضاد وكسرها والله أعلم منكم بأعدائكم وقد أخبركم بعداوة هؤلاء وأطلعكم
على أحوالهم وما يريدون بكم فاحذروهم ولا تستنصحوهم في أموركم ولا تستشيروهم وكفى بالله
وليا وكفى بالله نصيرا فثقوا بولايته ونصرته دونهم ولا تبالوا بهم فإن الله ينصركم عليهم ويكفيكم
مكرهم **من الذين هادوا يحرفون الكلم عن مواضعه ويقولون سمعنا وعصينا واسمع**
غير مسمع وراعنا ليا بألسنتهم وطعنا في الدين ولو أنهم قالوا سمعنا وأطعنا واسمع وانظرنا
لكان خيرا لهم وأقوم ولكن لعنهم الله بكفرهم فلا يؤمنون إلا قليلا من الذين هادوا
بيان للذين أوتوا نصيبا من الكتاب لأنهم يهود ونصارى وقوله والله أعلم وكفى بالله وكفى بالله
جمل توسطت بين البيان والمبين على سبيل الاعتراض أو بيان لأعدائكم وما بينهما اعتراض أو صلة
لنصيرا أي ينصركم من الذين هادوا كقوله تعالى ونصرناه من القوم الذين كذبوا ويجوز أن
يكون كلاما مبتدأ على أن يحرفون صفة مبتدأ محذوف تقديره من الذين هادوا قوم يحرفون
كقوله وما الدهر إلا تارتان فمنهما أموت وأخرى أبتغي العيش أكدح أي فمنهما تارة
أموت فيها يحرفون الكلم عن مواضعه يميلونه عنها ويزيلونه لأنهم إذا بدلوه ووضعوا مكانه
كلما غيره فقد أمالوه عن مواضعه التي وضعه الله فيها وأزالوه عنها وذلك نحو تحريفهم أسمر ربعة
عن موضعه في التوراة بوضعهم آدم طوال مكانه ونحو تحريفهم الرجم بوضعهم الحد بدله فإن
قلت كيف قيل ههنا عن مواضعه وفي المائدة من بعد مواضعه قلت أما عن مواضعه
فعلى ما فسرناه من إزالته عن مواضعه التي أوجبت حكمة الله وضعه فيها بما اقتضت شهواتهم من إبدال
غيره مكانه وأما من بعد مواضعه فالمعنى أنه كانت له مواضع هو قمن بأن يكون فيها فحين
حرفوه تركوه كالغريب الذي لا موضع له بعد مواضعه ومقاره والمعنيان متقاربان وقرئ
يحرفون الكلام والكلم بكسر الكاف وسكون اللام جمع كلمة تخفيف كلمة قولهم غير مسمع حال من المخاطب
أي اسمع وأنت غير مسمع وهو قول ذو وجهين يحتمل الذم أي اسمع منا مدعوا عليك بلا سمعت لأنه
لو أجيبت دعوتهم عليه لم يسمع فكان أصم غير مسمع قالوا ذلك اتكالا على أن قولهم لا سمعت دعوة
مستجابة أو اسمع غير مجاب إلى ما تدعو إليه ومعناه غير مسمع جوابا يوافقك فكأنك لم تسمع شيئا
أو اسمع غير مسمع كلاما ترضاه فسمعك عنه ناب ويجوز على هذا أن يكون غير مسمع مفعول اسمع أي
اسمع كلاما غير مسمع إياك لأن أذنك لا تعيه نبوا عنه ويحتمل المدح أي اسمع غير مسمع مكروها من قولك
أسمع فلان فلانا إذا سبه وكذلك قولهم راعنا يحتمل راعنا نكلمك أي ارقبنا وانتظرنا ويحتمل شبه
كلمة عبرانية أو سريانية كانوا يتسابون بها وهي راعينا فكانوا سخرية بالدين وهزؤا بالنبي صلى
الله عليه وسلم يكلمونه بكلام محتمل ينوون به الشتيمة والإهانة ويظهرون به التوقير والإكرام ليا بألسنتهم

فتلا

فتلا بها وتحريفا أي يفتلون بألسنتهم الحق إلى الباطل حيث يضعون راعنا موضع انظرنا وغير مسمع
موضع لا أسمعت مكروها أو يفتلون بألسنتهم ما يضمرونه من الشتم إلى ما يظهرونه من التوقير
نفاقا فإن قلت كيف جاؤوا بالقول المحتمل ذي الوجهين بعدما صرحوا وقالوا سمعنا وعصينا
قلت جميع الكفرة كانوا يواجهونه بالكفر والعصيان ولا يواجهونه بالسب ودعاء السوء
ويجوز أن يقولوه فيما بينهم ويجوز أن لا ينطقوا بذلك ولكنهم لما لم يؤمنوا به جعلوا كأنهم نطقوا
به وقرأ أبي وانظرنا من الإنظار وهو الإمهال فإن قلت إلام يرجع الضمير في قوله
لكان خيرا لهم قلت إلى أنهم قالوا لأن المعنى ولو ثبت قولهم سمعنا وأطعنا لكان قولهم ذلك
خيرا لهم وأقوم وأعدل وأسد ولكن لعنهم الله بكفرهم أي خذلهم بسبب كفرهم وأبعدهم عن
ألطافه فلا يؤمنون إلا إيمانا قليلا أي ضعيفا ركيكا لا يعبأ به وهو إيمانهم بمن خلقهم مع
كفرهم بغيره أو أراد بالقلة العدم كقوله قليل التشكي للمهم يصيبه أي عديم التشكي
أو إلا قليلا منهم قد آمنوا **يا أيها الذين أوتوا الكتاب آمنوا بما نزلنا مصدقا لما معكم من قبل**
أن نطمس وجوها فنردها على أدبارها أو نلعنهم كما لعنا أصحاب السبت وكان أمر الله مفعولا
أن نطمس وجوها أي نمحو تخطيط صورها من عين وحاجب وأنف وفم فنردها على أدبارها فنجعلها
على هيئة أدبارها وهي الأقفاء مطموسة مثلها والفاء للتسبيب وإن جعلتها للتعقيب على أنهم
توعدوا بعقابين أحدهما عقيب الآخر ردها على أدبارها بعد طمسها فالمعنى أن نطمس وجوها
فننكسها الوجوه إلى خلف والأقفاء إلى قدام ووجه آخر وهو أن يراد بالطمس القلب والتغيير
كما طمس أموال القبط فقلبها حجارة وبالوجوه رؤسهم ووجهاؤهم أي من قبل أن نغير أحوال الوجهاء
فنسلبهم إقبالهم ووجاهتهم ونكسوهم صغارهم وإدبارهم أو نردهم إلى حيث جاؤوا منه وهي أذرعات
الشام يريد إجلاء بني النضير فإن قلت لمن الراجع في قوله أو نلعنهم قلت للوجوه إن أريد
الوجهاء أو لأصحاب الوجوه لأن المعنى من قبل أن نطمس وجوه قوم أو يرجع إلى الذين أوتوا الكتاب
على طريقة الالتفات أو نلعنهم أو نخزيهم بالمسخ كما مسخنا أصحاب السبت فإن قلت فأين
وقوع الوعيد قلت هو مشروط بالإيمان وقد آمن منهم ناس وقيل هو منتظر ولا بد
من طمس ومسخ لليهود قبل يوم القيامة ولأن الله أوعدهم بأحد الأمرين بطمس وجوه منهم أو
بلعنهم فإن كان الطمس تبديل أحوال رؤسائهم أو إجلاءهم إلى الشام فقد كان أحد الأمرين وإن كان
غيره فقد حصل اللعن فإنهم ملعونون بكل لسان والظاهر اللعن المتعارف دون المسخ ألا ترى إلى
قوله قل هل أنبئكم بشر من ذلك مثوبة عند الله من لعنه الله وغضب عليه وجعل منهم القردة
والخنازير وكان أمر الله مفعولا فلا بد أن يقع أحد الأمرين **إن الله لا يغفر أن يشرك به ويغفر**
ما دون ذلك لمن يشاء ومن يشرك بالله فقد افترى إثما عظيما فإن قلت قد ثبت أن الله
تعالى يغفر الشرك لمن تاب منه وأنه لا يغفر ما دون الشرك من الكبائر إلا بالتوبة فما وجه قوله إن
الله لا يغفر أن يشرك به ويغفر ما دون ذلك لمن يشاء قلت الوجه أن يكون الفعل المنفي
والمثبت جميعا موجهين إلى قوله لمن يشاء كأنه قيل إن الله لا يغفر لمن يشاء الشرك ويغفر لمن يشاء
ما دون الشرك على أن المراد بالأول من لم يتب وبالثاني من تاب ونظيره قولك إن الأمير لا يبذل
الدينار ويبذل القنطار لمن يشاء تريد لا يبذل الدينار لمن لا يستأهله ويبذل القنطار لمن يستأهله

تعدا فترى إنما أي ارتكبه وهو مفتر مفتعل ما لا يصح كونه ألم تر إلى الذين يزكون أنفسهم بل الله
يزكي من يشاء ولا يظلمون فتيلا الذين يزكون أنفسهم اليهود والنصارى قالوا نحن أبناء الله وأحباؤه
وقالوا لن يدخل الجنة إلا من كان هودا أو نصارى وقيل جاء رجال من اليهود إلى رسول الله صلى
الله عليه وسلم بأطفالهم فقالوا هل على هؤلاء ذنب قال لا قالوا والله ما نحن إلا كهيئتهم ما عملناه بالنهار
كفر عنا بالليل وما عملناه بالليل كفر عنا بالنهار فنزلت ويدخل فيها كل من زكى نفسه ووصفها
بزكاء العمل وزيادة الطاعة والتقوى والزلفى عند الله فإن قلت أما قال النبي عليه
السلام والله إني لأمين في السماء أمين في الأرض قلت إنما قال ذلك حين قال له المنافقون
اعدل في القسمة اكذابا لهم إذ وصفوه بخلاف ما وصفه به ربه وشتان من شهد الله له بالتزكية
ومن شهد لنفسه أو شهد له من لا يعلم بل الله يزكي من يشاء إعلام بأن تزكية الله هي التي يعتد
بها لا تزكية غيره لأنه هو العالم بمن هو أهل للتزكية ومعنى يزكي من يشاء يزكي المرتضين من عباده
الذين عرف منهم الزكاء فوصفهم به ولا يظلمون أي الذين يزكون أنفسهم يعاقبون على تزكيتهم أنفسهم
حق جزائهم أو من يشاء يثابون على زكائهم ولا ينقص من ثوابهم ونحوه فلا تزكوا أنفسكم هو
أعلم بمن اتقى انظر كيف يفترون على الله الكذب وكفى به إثما مبينا ألم تر إلى الذين أوتوا
نصيبا من الكتاب يؤمنون بالجبت والطاغوت ويقولون للذين كفروا هؤلاء أهدى
من الذين آمنوا سبيلا أولئك الذين لعنهم الله ومن يلعن الله فلن تجد له نصيرا أم
لهم نصيب من الملك فإذا لا يؤتون الناس نقيرا أم يحسدون الناس على ما آتاهم الله
من فضله فقد آتينا آل إبراهيم الكتاب والحكمة وآتيناهم ملكا عظيما كيف يفترون
على الله الكذب في زعمهم أنهم عند الله أزكياء وكفى بزعمهم هذا إثما مبينا من بين سائر آثامهم
الجبت الأصنام وكل ما عبد من دون الله والطاغوت الشيطان وذلك أن حيي بن أخطب وكعب
ابن الأشرف اليهوديين خرجا إلى مكة مع جماعة من اليهود يحالفون قريشا على محاربة رسول الله
عليه السلام فقالوا أنتم أهل كتاب وأنتم أقرب إلى محمد منكم إلينا فلا نأمن مكركم فاسجدوا لآلهتنا
حتى نطمئن إليكم ففعلوا فهذا إيمانهم بالجبت والطاغوت لأنهم سجدوا للأصنام وأطاعوا إبليس
فيما فعلوا وقال أبو سفيان أنحن أهدى سبيلا أم محمد فقال كعب ماذا يقول محمد قال يأمر
بعبادة الله وحده وينهى عن الشرك قال وما دينكم قالوا نحن ولاة البيت نسقي الحاج ونقري
الضيف ونفك العاني وذكروا أفعالهم فقال أنتم أهدى سبيلا وصف الله اليهود بالبخل
والحسد وهما شر خصلتين يمنعون ما أوتوا من النعمة ويتمنون أن يكون لهم نعمة غيرهم فقال أم
لهم نصيب من الملك فإذا لا يؤتون أحدا مقدار نقير لفرط بخلهم والنقير النقرة في ظهر النواة
وهو مثل في القلة كالفتيل والقطمير والمراد بالملك إما ملك أهل الدنيا وإما ملك الله تعالى
كقوله قل لو أنتم تملكون خزائن رحمة ربي إذا لأمسكتم خشية الإنفاق وهذا وصف لهم
بالشح وأحسن لطباقه نظيره من القرآن ويجوز أن يكون معنى الهمزة في أم للإنكار أنهم قد أوتوا نصيبا
من الملك وكانوا أصحاب أموال وبساتين وقصور مشيدة كما تكون أحوال الملوك وأنهم لا يؤتون
أحدا مما يملكون شيئا وقرأ ابن مسعود رضي الله عنه فإذا لا يؤتوا على إعمال إذا عملها الذي هو
النصب وهي ملغاة في قراءة العامة كأنه قيل فلا يؤتون الناس نقيرا إذا أم يحسدون الناس بل أيحسدونه

رسول الله عليه السلام والمؤمنين على إنكار الحسد واستقباحه وكانوا يحسدونهم على ما آتاهم الله من
النصرة والغلبة وازدياد العز والتقدم كل يوم فقد آتينا إلزام لهم بما عرفوه من إيتاء الله
الكتاب والحكمة آل إبراهيم الذين هم أسلاف محمد صلى الله عليه وسلم وأنه ليس ببدع أن يؤتيه الله
مثل ما أوتي أسلافه وعن ابن عباس رضي الله عنهما الملك في آل إبراهيم ملك يوسف وداود
وسليمان صلوات الله عليهم وقيل استكثروا نساءه فقيل لهم كيف استكثرتم له التسع وقد كان لداود
عليه السلام مائة ولسليمان عليه السلام ثلاثمائة مهيرة وسبعمائة سرية فمنهم من آمن به ومنهم
من صد عنه وكفى بجهنم سعيرا إن الذين كفروا بآياتنا سوف نصليهم نارا كلما نضجت
جلودهم بدلناهم جلودا غيرها ليذوقوا العذاب إن الله كان عزيزا حكيما والذين
آمنوا وعملوا الصالحات سندخلهم جنات تجري من تحتها الأنهار خالدين فيها أبدا لهم
فيها أزواج مطهرة وندخلهم ظلا ظليلا فمن اليهود من آمن به أي بما ذكر من حديث آل
إبراهيم ومنهم من صد عنه وأنكره مع علمه بصحته أو من اليهود من آمن برسول الله عليه السلام ومنهم
من أنكر نبوته أو من آل إبراهيم من آمن بإبراهيم ومنهم من كفر كقوله تعالى فمنهم مهتد
وكثير منهم فاسقون بدلناهم جلودا غيرها أبدلناهم إياها فإن قلت كيف يعذب مكان
الجلود العاصية جلود لم تعص قلت العذاب للجملة الحساسة وهي التي عصت لا للجلد وعن
فضيل يجعل النضيج غير نضيج وعن رسول الله صلى الله عليه وسلم تبدل جلودهم كل يوم سبع
مرات وعن الحسن سبعين مرة يبدلون جلودا بيضا كالقراطيس ليذوقوا العذاب ليدوم
لهم ذوقه ولا ينقطع كقولك للعزيز أعزك الله أي أدامك على عزك وزادك فيه عزيزا لا يمتنع
عليه شيء مما يريده بالمجرمين حكيما لا يعذب إلا بعدل من يستحقه ظليلا صفة مشتقة من لفظ
الظل لتأكيد معناه كما يقال ليل أليل ويوم أيوم وما أشبه ذلك وهو ما كان فينانا لا جوب فيه ودائما
لا تنسخه الشمس وسجسجا لا حر فيه ولا برد وليس ذلك إلا ظل الجنة رزقنا الله بتوفيقه لما
يزلف إليه التفيؤ تحت ذلك الظل وفي قراءة عبد الله سيدخلهم بالياء إن الله يأمركم
ان تؤدوا الأمانات إلى أهلها وإذا حكمتم بين الناس أن تحكموا بالعدل إن الله نعما يعظكم
به إن الله كان سميعا بصيرا أن تؤدوا الأمانات الخطاب عام لكل أحد في كل أمانة وقيل
نزلت في عثمان بن طلحة بن عبد الدار وكان سادن الكعبة وذلك أن رسول الله صلى الله عليه وسلم
حين دخل مكة يوم الفتح أغلق عثمان باب الكعبة وصعد السطح وأبى أن يدفع المفتاح إليه وقال
لو علمت أنه رسول الله لم أمنعه فلوى علي بن أبي طالب رضي الله عنه يده وأخذه منه وفتح
ودخل رسول الله عليه السلام وصلى ركعتين فلما خرج سأله العباس رضي الله عنه أن يعطيه
المفتاح ويجمع له السقاية والسدانة فنزلت فأمر عليا أن يرده إلى عثمان ويعتذر إليه
فقال عثمان لعلي رضي الله عنه أكرهت وآذيت ثم جئت ترفق فقال لقد أنزل الله في شأنك قرآنا
وقرأ عليه الآية فقال عثمان أشهد أن لا إله إلا الله وأن محمدا رسول الله فهبط جبريل عليه
السلام وأخبر النبي عليه السلام أن السدانة في أولاد عثمان أبدا وقيل هو خطاب للولاة
بأداء الأمانات والحكم بالعدل وقرئ الأمانة على التوحيد نعما يعظكم به ما إما أن
تكون منصوبة موصوفة بيعظكم به وإما أن تكون موصولة مرفوعة به كأنه قيل نعم شيئا

يعظكم به او نعم الشيء الذي يعظكم به والمخصوص بالمدح محذوف اي نعما يعظكم به ذلك وهو المأمور
به من اداء الامانات والعدل في الحكم وقرئ نعما بفتح النون يا ايها الذين امنوا اطيعوا
الله واطيعوا الرسول واولي الامر منكم فان تنازعتم في شيء فردوه الى الله والرسول
ان كنتم تؤمنون بالله واليوم الاخر ذلك خير واحسن تاويلا لما امر الولاة باداء الامانات
الى اهلها وان يحكموا بالعدل امر الناس بان يطيعوهم وينزلوا على قضاياهم والمراد باولي الامر
منكم امراء الحق لان امراء الجور الله ورسوله بريئان منهم فلا يعطفون على الله ورسوله في وجوب
الطاعة لهم وانما يجمع بين الله ورسوله والامراء الموافقين لهما في ايثار العدل واختيار الحق
والامر بهما والنهي عن اضدادهما كالخلفاء الراشدين ومن تبعهم باحسان وكان الخلفاء يقولون
اطيعوني ما عدلت فيكم فان خالفت فلا طاعة لي عليكم وعن ابي حازم ان مسلمة بن عبد الملك
قال له الستم امرتم بطاعتنا في قوله واولي الامر منكم قال اليس قد نزعت عنكم اذا خالفتم الحق
بقوله فان تنازعتم في شيء فردوه الى الله والرسول وقيل هم امراء السرايا وعن رسول الله
صلى الله عليه وسلم من اطاعني فقد اطاع الله ومن عصاني فقد عصى الله ومن يطع اميري فقد اطاعني
ومن يعص اميري فقد عصاني وقيل هم العلماء الدينون الذين يعلمون الناس الدين ويامرونهم
بالمعروف وينهونهم عن المنكر فان تنازعتم في شيء فان اختلفتم انتم واولوا الامر منكم في شيء
من امور الدين فردوه الى الله ورسوله اي ارجعوا فيه الى الكتاب والسنة وكيف يلزم طاعة امراء
الجور وقد جنح الله الامر بطاعة اولي الامر بما لا يبقى معه شك وهو ان امرهم اولا باداء الامانات
وبالعدل في الحكم وامرهم اخرا بالرجوع الى الكتاب والسنة فيما اشكل وامراء الجور لا يؤدون امانة
ولا يحكمون بعدل ولا يردون شيئا الى كتاب ولا الى سنة انما يتبعون شهواتهم حيث ذهبت بهم فهم
منسلخون عن صفات الذين هم اولوا الامر عند الله ورسوله واحق اسمائهم اللصوص المتغلبة
ذلك اشارة الى الرد اي الرد الى الكتاب والسنة خير لكم واصلح واحسن تاويلا واحسن عاقبة وقيل
واحسن تاويلا من تاويلكم انتم الم تر الى الذين يزعمون انهم امنوا بما انزل اليك وما انزل
من قبلك يريدون ان يتحاكموا الى الطاغوت وقد امروا ان يكفروا به ويريد الشيطان
ان يضلهم ضلالا بعيدا روي ان بشرا المنافق خاصم يهوديا فدعاه اليهودي الى النبي صلى الله
عليه وسلم ودعاه المنافق الى كعب بن الاشرف ثم انهما احتكما الى رسول الله عليه السلام فقضى لليهودي
فلم يرض المنافق وقال تعال نتحاكم الى عمر بن الخطاب فقال اليهودي لعمر بن الخطاب قضى لنا
رسول الله فلم يرض بقضائه فقال للمنافق اكذلك قال نعم فقال عمر رضي الله عنه مكانكما
حتى اخرج اليكما فدخل عمر فاشتمل على سيفه ثم خرج فضرب به عنق المنافق حتى برد ثم قال هكذا
اقضي لمن لم يرض بقضاء الله ورسوله فنزلت وقال جبريل عليه السلام ان عمر فرق بين الحق والباطل
فقال له رسول الله عليه السلام انت الفاروق والطاغوت كعب بن الاشرف سماه الله تعالى
طاغوتا لافراطه في الطغيان وعداوة رسول الله عليه السلام او على التشبيه بالشيطان
والتسمية باسمه او جعل اختيار التحاكم الى غير رسول الله عليه السلام على التحاكم اليه تحاكما
الى الشيطان بدليل قوله تعالى وقد امروا ان يكفروا به ويريد الشيطان ان يضلهم ضلالا
وقرئ بما انزل وما انزل على البناء للفاعل وقرا عباس بن الفضل ان يكفروا بهن ذهابا

بالطاغوت الى الجمع كقوله اولياؤهم الطاغوت يخرجونهم واذا قيل لهم تعالوا الى ما انزل الله
والى الرسول رايت المنافقين يصدون عنك صدودا وقرا الحسن تعالوا بضم اللام
على انه حذف اللام من تعاليت تخفيفا كما قالوا ما باليت به بالة واصلها بالية كعافية وكما
قال الكسائي في اية ان اصلها ايية فاعلة فحذفت اللام فلما حذفت اللام وقعت واو الجمع
بعد اللام من تعالى فضمت فصار تعالوا نحو تقدموا ومنه قول اهل مكة تعالي بكسر اللام
للمراة وفي شعر الحمداني تعالي اقاسمك الهموم تعالي والوجه فتح اللام فكيف اذا
اصابتهم مصيبة بما قدمت ايديهم ثم جاؤك يحلفون بالله ان اردنا الا احسانا وتوفيقا
فكيف يكون حالهم وكيف يصنعون يعني انهم يعجزون عند ذلك فلا يصدرون امرا ولا
يوردونه اذا اصابتهم مصيبة بما قدمت ايديهم من التحاكم الى غيرك واتهامهم لك في الحكم
ثم جاؤك حين يصابون فيعتذرون اليك ويحلفون ما اردنا بتحاكمنا الى غيرك الا احسانا
لا اساءة وتوفيقا بين الخصمين ولم نرد مخالفة لك ولا تسخطا لحكمك ففرج عنا بدعائك
وهذا وعيد لهم على فعلهم وانهم سيندمون عليه حين لا ينفعهم الندم ولا يغني عنهم الاعتذار
عند حلول بأس الله وقيل جاء اولياء المنافق يطلبون بدمه وقد اهدره الله فقالوا
ما اردنا بالتحاكم الى عمر رضي الله عنه الا ان يحسن الى صاحبنا بحكومة العدل والتوفيق
بينه وبين خصمه وما خطر ببالنا انه يحكم له بما حكم به اولئك الذين يعلم الله ما في
قلوبهم فاعرض عنهم وعظهم وقل لهم في انفسهم قولا بليغا فاعرض عنهم لا تعاقبهم لمصلحة
في استبقائهم ولا تزد على كفهم بالموعظة والنصيحة عما هم عليه وقل لهم في انفسهم قولا بليغا
بالغا في وعظهم بالتخويف والانذار فان قلت بم تعلق قوله في انفسهم قلت بقوله
بليغا اي قل لهم قولا بليغا في انفسهم مؤثرا في قلوبهم يغتمون به اغتماما ويستشعرون منه الخوف
استشعارا وهو التوعد بالقتل والاستئصال ان نجم منهم النفاق واطلع قرنه واخبرهم ان
ما في نفوسهم من الدغل والنفاق معلوم عند الله وانه لا فرق بينكم وبين المشركين وما هذه الكافة
الا لاظهاركم الايمان واسراركم الكفر واضماره فان فعلتم ما تكشفون به غطاءكم لم يبق الا
السيف او يتعلق بقوله قل لهم اي قل لهم في معنى انفسهم الخبيثة وقلوبهم المطوية على النفاق
قولا بليغا وان الله يعلم ما في قلوبكم لا يخفى عليه فلا يغني عنكم ابطانه فاصلحوا انفسكم وطهروا
قلوبكم وداووها من مرض النفاق والا انزل الله بكم ما انزل بالمجاهرين بالشرك من انتقامه
وشرا من ذلك واغلظ او قل لهم في انفسهم خاليا بهم ليس معهم غيرهم مسارا لهم بالنصيحة لانها
في السر انجع وفي الامحاض ادخل قولا بليغا يبلغ منهم ويؤثر فيهم وما ارسلنا من رسول
الا ليطاع باذن الله ولو انهم اذ ظلموا انفسهم جاؤك فاستغفروا الله واستغفر لهم
الرسول لوجدوا الله توابا رحيما وما ارسلنا من رسول وما ارسلنا رسولا قط الا ليطاع
باذن الله بسبب اذن الله في طاعته وبانه امر المبعوث اليهم بان يطيعوه ويتبعوه لانه مؤد
عن الله فطاعته طاعة الله ومعصيته معصية الله ومن يطع الرسول فقد اطاع الله
ويجوز ان يراد بتيسير الله وتوفيقه في طاعته ولو انهم اذ ظلموا انفسهم بالتحاكم الى الطاغوت
جاؤك تائبين من النفاق متنصلين عما ارتكبوا فاستغفروا الله من ذلك بالاخلاص وبالغوا في

الاعتذار اليك من ايذائك برد قضائك حتى انتصبت شفيعا لهم الى الله ومستغفرا لوجدوا الله توابا لعلموه توابا اى لتاب عليهم ولم يقل واستغفرت لهم وعدل عنه الى طريقة الالتفات تفخيما لشأن رسول الله وتعظيما لاستغفاره وتنبيها على ان شفاعة من اسمه الرسول من الله بمكان

فلا وربك لا يؤمنون حتى يحكموك فيما شجر بينهم ثم لا يجدوا فى انفسهم حرجا مما قضيت ويسلموا تسليما فلا وربك معناه فوربك كقوله تعالى فوربك لنسألنهم ولا مزيدة لتأكيد معنى القسم كما زيدت فى لئلا يعلم لتأكيد وجوب العلم ولا يؤمنون جواب القسم فان قلت هلا زعمت انها زيدت لتظاهر لا فى لا يؤمنون قلت يأبى ذلك استواء النفى والاثبات فيه وذلك قوله فلا اقسم بما تبصرون وما لا تبصرون انه لقول رسول كريم فيما شجر بينهم فيما اختلف بينهم واختلط ومنه الشجر لتداخل اغصانه حرجا ضيقا اى لا تضيق صدورهم من حكمك وقيل شكا لان الشاك فى ضيق من امره حتى يلوح له اليقين ويسلموا وينقادوا ويذعنوا لما تأتى به من قضائك لا يعارضونه بشىء من قولك سلم لامر الله واسلم له وحقيقته سلم نفسه له واسلمها اذا جعلها سالمة له خالصة وتسليما تأكيد للفعل بمنزلة تكريره كانه قيل وينقادوا لحكمه انقيادا لا شبهة فيه بظاهرهم وباطنهم

ولو انا كتبنا عليهم ان اقتلوا انفسكم او اخرجوا من دياركم ما فعلوه الا قليل منهم ولو انهم فعلوا ما يوعظون به لكان خيرا لهم واشد تثبيتا قيل نزلت فى شأن المنافق واليهودى وقيل نزلت فى شأن المتنازعين الزبير وحاطب بن ابى بلتعة وذلك لانهما اختصما الى رسول الله صلى الله عليه وسلم فى شراج من الحرة كانا يسقيان بها النخل فقال اسق يا زبير ثم ارسل الماء الى جارك فغضب حاطب وقال لان كان ابن عمتك فتغير وجه رسول الله عليه السلام ثم قال اسق يا زبير ثم احبس الماء حتى يرجع الى الجدر واستوف حقك ثم ارسله الى جارك كان قد اشار على الزبير برأى فيه السعة له ولخصمه فلما احفظ رسول الله عليه السلام استوعب للزبير حقه فى صريح الحكم ثم خرجا فمرا على المقداد فقال قاتل الله هولاء يشهدون انه رسول الله ثم يتهمونه فى قضاء يقضى بينهم وايم الله لقد اذنبنا ذنبا مرة فى حيوة موسى فدعانا الى التوبة منه وقال اقتلوا انفسكم ففعلنا فبلغ قتلانا سبعين الفا فى طاعة ربنا حتى رضى عنا فقال ثابت بن قيس بن شماس اما والله ان الله يعلم منى الصدق لو امرنى محمد ان اقتل نفسى لقتلتها وروى انه قال ذلك ثابت وابن مسعود وعمار بن ياسر فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم والذى نفسى بيده ان من امتى رجالا للايمان اثبت فى قلوبهم من الجبال الرواسى وروى عن عمر بن الخطاب رضى الله عنه انه قال والله لو امرنا ربنا لفعلنا والحمد لله الذى لم يفعل بنا ذلك فنزلت الاية فى شأن حاطب ونزلت فى شأن هولاء ولو انا كتبنا عليهم ان اقتلوا انفسكم اى لو اوجبنا عليهم مثل ما اوجبنا على بنى اسرائيل من قتلهم انفسهم او خروجهم من ديارهم حين استتيبوا من عبادة العجل ما فعلوه الا ناس قليل منهم وهذا توبيخ عظيم والرفع على البدل من الواو فى فعلوه وقرئ الا قليلا بالنصب على اصل الاستثناء او على الا فعلا قليلا ما يوعظون به من اتباع رسول الله عليه السلام وطاعته والانقياد لما يراه ويحكم به لانه الصادق المصدوق الذى لا ينطق عن الهوى لكان خيرا لهم فى عاجلهم وآجلهم واشد تثبيتا لايمانهم وابعد من الاضطراب فيه

واذا لآتيناهم من لدنا اجرا عظيما ولهديناهم صراطا مستقيما واذا جواب لسؤال مقدر كانه قيل وماذا يكون

لهم بعد التثبيت فقيل واذا لو ثبتوا لآتيناهم لان اذا جواب وجزاء من لدنا اجرا عظيما كقوله تعالى ويؤت من لدنه اجرا عظيما فى ان المراد العطاء المتفضل به من عنده وتسميته اجرا لانه تابع للاجر لا يثبت الا بثباته ولهديناهم وللطفنا بهم ووفقناهم لازدياد الخيرات

ومن يطع الله والرسول فاولئك مع الذين انعم الله عليهم من النبيين والصديقين والشهداء والصالحين وحسن اولئك رفيقا الصديقون افاضل صحابة الانبياء الذين تقدموا فى تصديقهم كابى بكر الصديق رضى الله عنه وصدقوا فى اقوالهم وافعالهم وهذا ترغيب للمؤمنين فى الطاعة حيث وعدوا مرافقة اقرب عباد الله وارفعهم درجات عنده وحسن اولئك رفيقا فيه معنى التعجب كانه قيل وما احسن اولئك رفيقا ولاستقلاله بمعنى التعجب قرئ وحسن بسكون السين يقول المتعجب حسن الوجه وجهك وحسن الوجه وجهك بالفتح والضم مع التسكين والرفيق كالصديق والخليط فى استواء الواحد والجمع فيه ويجوز ان يكون مفردا بين به الجنس فى باب التمييز وروى ان ثوبان مولى رسول الله عليه السلام كان شديد الحب لرسول الله قليل الصبر عنه فاتاه يوما وقد تغير وجهه ونحل جسمه وعرف الحزن فى وجهه فسأله رسول الله عليه السلام عن حاله فقال يا رسول الله ما بى من وجع غير انى اذا لم ارك اشتقت اليك واستوحشت وحشة شديدة حتى القاك فذكرت الاخرة فخفت ان لا اراك هناك لانى عرفت انك ترفع مع النبيين وان ادخلت الجنة كنت فى منزل دون منزلك وان لم ادخل فذاك حين لا اراك ابدا فنزلت فقال له رسول الله عليه السلام والذى نفسى بيده لا يؤمن عبد حتى اكون احب اليه من نفسه وابويه واهله وولده والناس اجمعين وحكى ذلك عن جماعة من الصحابة رضوان الله عليهم

ذلك الفضل من الله وكفى بالله عليما ذلك مبتدأ والفضل صفته ومن الله الخبر ويجوز ان يكون ذلك مبتدأ والفضل من الله خبره والمعنى ان ما اعطى المطيعون من الاجر العظيم ومرافقة المنعم عليهم من الله لانه تفضل به عليهم تبعا لثوابهم وكفى بالله عليما بجزاء من اطاعه او اراد ان فضل المنعم عليهم ومزيتهم من الله لانهم اكتسبوه بتمكينه وتوفيقه وكفى بالله عليما بعباده فهو يوفقهم على حسب احوالهم

يا ايها الذين آمنوا خذوا حذركم فانفروا ثبات او انفروا جميعا خذوا حذركم الحذر والحذر بمعنى كالاثر والاثر يقال اخذ حذره اذا تيقظ واحترز من المخوف كانه جعل الحذر آلته التى يقى بها نفسه ويعصم بها روحه والمعنى احذروا واحترزوا من العدو ولا تمكنوه من انفسكم فانفروا اذا نفرتم الى العدو واما ثبات جماعات متفرقة سرية بعد سرية واما جميعا اى مجتمعين كوكبة واحدة ولا تتخاذلوا فتلقوا بانفسكم الى التهلكة وقرئ فانفروا بضم الفاء

وان منكم لمن ليبطئن فان اصابتكم مصيبة قال قد انعم الله على اذ لم اكن معهم شهيدا ولئن اصابكم فضل من الله ليقولن كان لم تكن بينكم وبينه مودة يا ليتنى كنت معهم فافوز فوزا عظيما اللام فى لمن للابتداء بمنزلتها فى قوله ان الله لغفور وفى ليبطئن جواب قسم محذوف تقديره وان منكم لمن اقسم بالله ليبطئن والقسم وجوابه صلة من والضمير الراجع منها اليه ما استكن فى ليبطئن والخطاب لعسكر رسول الله والمبطئ منهم المنافقون لانهم كانوا يغزون معهم نفاقا ومعنى ليبطئن ليتثاقلن وليتخلفن عن الجهاد وبطأ بمعنى ابطأ كعتم بمعنى اعتم اذا ابطأ وقرئ ليبطئن بالتخفيف يقال بطأ على فلان وابطأ عليه

وبطؤ نحو ثقل ويقال ما بطأ بك فيعدّى بالباء ويجوز ان يكون منقولا من بطؤ نحو ثقّل من ثقل فيراد
ليبطّئنّ غيره وليثبطنّه عن الغزو وكان هذا ديدن المنافق عبد الله بن أبيّ وهو الذي ثبّط الناس
يوم احد فان اصابتكم مصيبة من قتل او هزيمة فضل من الله من فتح او غنيمة ليقولنّ وقرأ
الحسن ليقولنّ بضم اللام اعادة للضمير الى معنى من لان قوله لمن ليبطئنّ في معنى الجماعة وقوله كأن لم
يكن بينكم وبينه مودّة اعتراض بين الفعل الذي هو ليقولنّ وبين مفعوله وهو يا ليتني والمعنى
كأن لم يتقدّم له معكم موادّة لان المنافقين كانوا يوادّون المؤمنين ويصادقونهم في الظاهر
وان كانوا يبغون لهم الغوائل في الباطن والظاهر انه تهكّم لانهم كانوا اعدى عدوّ للمؤمنين واشدّ
حسدا لهم فكيف يوصفون بالمودّة الا على وجه العكس تهكّما بحالهم وقرئ فافوز بالرفع
عطفا على كنت معهم لينتظم الكون معهم والفوز معنى التمني فيكونا متمنّيين جميعا ويجوز ان
يكون خبر مبتدأ محذوف بمعنى فانا افوز في ذلك الوقت فليقاتل في سبيل الله الذين يشرون
الحيوة الدنيا بالآخرة ومن يقاتل في سبيل الله فيقتل او يغلب فسوف نؤتيه اجرا عظيما
يشرون بمعنى يشترون ويبيعون قال ابن مفرغ

وشريت بردا ليتني من بعد برد كنت هامه

فالذين يشرون الحيوة الدنيا
بالآخرة هم المبطئون وعظوا بان يغيّروا ما بهم من النفاق ويخلصوا الايمان بالله ورسوله
ويجاهدوا في سبيل الله حق الجهاد والذين يبيعون هم المؤمنون الذين يستحبّون الآجلة
على العاجلة ويستبدلونها بها والمعنى ان صدّ الذين مرضت قلوبهم وضعفت نيّاتهم عن القتال
فليقاتل الثابتون المخلصون ووعد المقاتل في سبيل الله ظافرا او مظفورا به ايتاء الاجر العظيم
على اجتهاده في اعزاز دين الله وما لكم لا تقاتلون في سبيل الله والمستضعفين من الرجال
والنساء والولدان الذين يقولون ربنا اخرجنا من هذه القرية الظالم اهلها واجعل
لنا من لدنك وليّا واجعل لنا من لدنك نصيرا والمستضعفين فيه وجهان ان يكون مجرورا
عطفا على سبيل الله اي في سبيل الله وفي خلاص المستضعفين ومنصوبا على الاختصاص يعني واختص من
سبيل الله خلاص المستضعفين لان سبيل الله عامّ في كل خير وخلاص المستضعفين من المسلمين من
ايدي الكفار من اعظم الخير واخصّه والمستضعفون هم الذين اسلموا بمكة وصدّهم المشركون
عن الهجرة فبقوا بين اظهرهم مستذلّين مستضعفين يلقون منهم الاذى الشديد وكانوا يدعون الله
تعالى بالخلاص ويستنصرونه فيسّر الله لبعضهم الخروج الى المدينة وبقي بعضهم الى الفتح حتى جعل
الله لهم من لدنه خير وليّ وناصر وهو محمد صلى الله عليه وسلم فتولّاهم احسن التولّي ونصرهم اقوى
النصر ولما خرج استعمل على اهل مكة عتّاب بن اسيد فرأوا منه الولاية والنصرة كما ارادوا قال
ابن عباس كان ينصر الضعيف من القوي حتى كانوا اعزّ بها من الظلمة فان قلت لم ذكر الولدان
قلت تسجيلا بافراط ظلمهم حيث بلغ اذاهم الولدان غير المكلفين ارغاما لآبائهم وامهاتهم ومبغضة
لهم لمكانهم ولان المستضعفين كانوا يشركون صبيانهم في دعائهم استنزالا لرحمة الله بدعاء صغارهم
الذين لم يذنبوا كما فعل قوم يونس وكما وردت السنة باخراجهم في الاستسقاء وعن ابن عباس
رضي الله عنهما كنت انا وامي من المستضعفين من النساء والولدان ويجوز ان يراد بالنساء الاحرار
والحرائر وبالولدان العبيد والاماء لان العبد والامة يقال لهما الوليد والوليدة وقيل للولدان

والولايد

والولائد الولدان لتغليب الذكور على الاناث كما يقال الآباء والاخوة فان قلت لم ذكّر الظالم
وموصوفه مؤنث قلت هو صفة للقرية الا انه مسند الى اهلها فاعطي اعراب القرية لانه
صفتها وذكّر لاسناده الى الاهل كما تقول من هذه القرية التي ظلم اهلها ولو انّث فقيل الظالمة
اهلها لجاز لا لتأنيث الموصوف ولكن لان الاهل يذكّر ويؤنث فان قلت هل يجوز من
هذه القرية الظالمين اهلها قلت نعم كما تقول التي ظلموا اهلها على لغة من يقول اكلوني
البراغيث ومنه واسرّوا النجوى الذين ظلموا الذين آمنوا يقاتلون في سبيل الله والذين
كفروا يقاتلون في سبيل الطاغوت فقاتلوا اولياء الشيطان ان كيد الشيطان كان
ضعيفا رغّب المؤمنين ترغيبا وشجّعهم تشجيعا باخبارهم انهم انما يقاتلون في سبيل الله فهو
وليّهم وناصرهم واعداؤهم يقاتلون في سبيل الشيطان فلا وليّ لهم الا الشيطان وكيد الشيطان
للمؤمنين الى جنب كيد الله للكافرين اضعف شيء واوهنه الم تر الى الذين قيل لهم كفّوا ايديكم
واقيموا الصلوة وآتوا الزكوة فلما كتب عليهم القتال اذا فريق منهم يخشون الناس كخشية
الله او اشدّ خشية وقالوا ربنا لم كتبت علينا القتال لولا اخرتنا الى اجل قريب
كفّوا ايديكم اي كفّوها عن القتال وذلك ان المسلمين كانوا مكفوفين عن مقاتلة الكفار ما داموا
بمكة وكانوا يتمنّون ان يؤذن لهم فيه فلما كتب عليهم القتال بالمدينة كعّ فريق منهم لا شكّا في الدين
ولا رغبة عنه ولكن نفورا عن الاخطار بالارواح وخوفا من الموت كخشية الله من اضافة المصدر
الى المفعول فان قلت ما محلّ كخشية الله من الاعراب قلت محلها النصب على الحال من الضمير
في يخشون اي يخشون الناس مثل اهل خشية الله اي مشبهين لاهل خشية الله او اشدّ خشية
بمعنى او اشدّ خشية من اهل خشية الله واشدّ معطوف على الحال فان قلت لم عدلت عن الظاهر
وهو كونه صفة للمصدر ولم تقدّره يخشون خشية مثل خشية الله بمعنى مثل ما يخشى الله
قلت ابى ذلك قوله او اشدّ خشية لانه وما عطف عليه في حكم واحد ولو قلت يخشون الناس
اشدّ خشية لم يكن الا حالا عن ضمير الفريق ولم ينتصب انتصاب المصدر لانك لا تقول خشي
فلان اشدّ خشية فتنصب خشية وانت تريد المصدر انما تقول اشدّ خشيةٍ فتجرّها واذا نصبتها
لم يكن اشدّ خشية الا عبارة عن الفاعل حالا منه اللهم الا ان تجعل الخشية خاشية وذات خشية
على قولهم جدّ جدّه فتزعم ان معناه يخشون الناس خشية مثل خشية الله او خشية اشدّ خشية
من خشية الله ويجوز على هذا ان يكون محلّ اشدّ مجرورا عطفا على خشية الله تريد كخشية الله
او كخشية اشدّ خشية منها لولا اخرتنا الى اجل قريب استزادة في مدة الكف واستمهال الى وقت
آخر كقوله تعالى لولا اخرتني الى اجل قريب فاصّدّق قل متاع الدنيا قليل والآخرة
خير لمن اتقى ولا تظلمون فتيلا ولا تظلمون فتيلا ولا تنقصون ادنى شيء من اجوركم على مشاقّ
القتال فلا ترغبوا عنه وقرئ ولا يظلمون بالياء اينما تكونوا يدرككم الموت
ولو كنتم في بروج مشيّدة وان تصبهم حسنة يقولوا هذه من عند الله وان تصبهم سيئة
يقولوا هذه من عندك قل كلّ من عند الله فما لهؤلاء القوم لا يكادون يفقهون حديثا
ما اصابك من حسنة فمن الله وما اصابك من سيئة فمن نفسك وارسلناك للناس رسولا
وكفى بالله شهيدا وقرئ يدرككم بالرفع وقيل هو على حذف الفاء كأنه قيل فيدرككم الموت

وشبه بقول القائل من يفعل الحسنات الله يشكرها ويجوز ان يقال حمل على ما يقع موقع اينما تكونوا وهو اينما كنتم كما حمل ولا ناعب على ما يقع موقع ليسوا مصلحين وهو ليسوا بمصلحين فرفع كما رفع زهير يقول لا غائب مالي ولا حرم وهو قول نحوي سيبويه ويجوز ان يتصل بقوله ولا تظلمون فتيلا اي ولا تنقصون شيا مما كتب من آجالكم اينما تكونوا في ملاحم حروب او غيرها ثم ابتدا قوله يدرككم الموت ولو كنتم في بروج مشيدة والوقف على هذا الوجه على اينما تكونوا والبروج الحصون مشيدة مرفعة **وقرى** مشيدة من شاد القصر اذا رفعه او طلاه بالشيد وهو الجص **وقرا** نعيم بن ميسرة مشيدة بكسر اليا وصفا لها بفعل فاعلها مجازا كما قالوا قصيدة شاعرة وانما الشاعر قارضها السية تقع على البلية والمعصية والحسنة على النعمة والطاعة **قال الله تعالى** وبلوناهم بالحسنات والسيات لعلهم يرجعون وقال ان الحسنات يذهبن السيات والمعنى وان تصبهم نعمة من خصب ورخا نسبوها الى الله وان تصبهم بلية من قحط وشدة اضافوها اليك وقالوا هي من عندك وما كانت الا بشومك كما حكى الله عن قوم موسى وان تصبهم سية يطيروا بموسى ومن معه وعن قوم صالح قالوا اطيرنا بك وبمن معك **وروى** عن اليهود لعنة الله انها تشامت برسول الله عليه السلام فقالوا منذ دخل المدينة نقصت ثمارها وغلت اسعارها فرد الله عليهم بقوله قل كل من عند الله يبسط الارزاق ويقبضها على حسب المصالح ولا يكادون يفقهون حديثا فيعلموا ان الله هو الباسط القابض وكل ذلك صادر عن حكمة وصواب ثم قال ما اصابك يا انسان خطابا عاما من حسنة اي من نعمة واحسان فمن الله تفضلا منه واحسانا وامتنانا وامتحانا وما اصابك من سية اي من بلية ومصيبة فمن عندك لانك السبب فيها بما اكتسبت يداك وما اصابكم من مصيبة فبما كسبت ايديكم ويعفو عن كثير **وعن** عائشة رضي الله عنها ما من مسلم يصيبه وصب ولا نصب حتى الشوكة يشاكها وحتى انقطاع شسع نعله الا بذنب وما يعفو الله اكثر وارسلناك للناس رسولا اي رسولا للناس جميعا لست برسول العرب وحدهم انت رسول العرب والعجم **كقوله** وما ارسلناك الا كافة للناس قل يا ايها الناس اني رسول الله اليكم جميعا وكفى بالله شهيدا على ذلك فما ينبغي لاحد ان يخرج عن طاعتك واتباعك من يطع الرسول فقد اطاع الله ومن تولى فما ارسلناك عليهم حفيظا ويقولون طاعة فاذا برزوا من عندك بيت طائفة منهم غير الذي تقول والله يكتب ما يبيتون فاعرض عنهم وتوكل على الله وكفى بالله وكيلا من يطع الرسول فقد اطاع الله لانه لا يامر الا بما امر الله به ولا ينهى الا عما نهى الله عنه فكانت طاعته في امتثال ما امر به والانتهاء عما نهى عنه طاعة لله **وروى** انه قال من احبني فقد احب الله ومن اطاعني فقد اطاع الله فقال المنافقون الا تسمعون الى ما يقول هذا الرجل لقد قارف الشرك وهو نهى ان يعبد غير الله ما يريد هذا الرجل الا ان نتخذه ربا كما اتخذت النصارى عيسى فنزلت ومن تولى عن الطاعة فاعرض عنه فما ارسلناك الا نذيرا لا حفيظا ومهيمنا عليهم تحفظ عليهم اعمالهم وتحاسبهم عليها وتعاقبهم **كقوله** وما انت عليهم بوكيل ويقولون اذا امرتهم بشي طاعة اي امرنا وشاننا طاعة ويجوز النصب بمعنى اطعناك طاعة وهذا من قول المرتسم سمعا وطاعة وسمع وطاعة ونحوه **قول** سيبويه وسمعنا بعض العرب الموثوق بهم يقال له كيف اصبحت فيقول حمد الله وثنا عليه

كانه قال امري وشاني حمد الله وثنا عليه ولو نصب حمد الله وثنا عليه كان على الفعل والرفع يدل على ثبات الطاعة واستقرارها بيت طائفة زورت طائفة وسوت غير الذي تقول خلاف ما قلت وما امرت به او خلاف ما قالت وما ضمنت من الطاعة لانهم ابطنوا الرد لا القبول والعصيان لا الطاعة وانما ينافقون بما يقولون ويظهرون والتبييت اما من البيتوتة لانه قضا الامر وتدبيره بالليل يقال هذا امر بيت بليل واما من ابيات الشعر لان الشاعر يدبرها ويسويها والله يكتب ما يبيتون يثبته في صحائف اعمالهم ويجازيهم عليه على سبيل الوعيد او يكتبه في جملة ما يوحي اليك فيطلعك على اسرارهم فلا يحسبوا ان ابطانهم يغني عنهم فاعرض عنهم ولا تحدث نفسك بالانتقام منهم وتوكل على الله في شانهم فان الله يكفيك معرتهم وينتقم لك منهم اذا قوي امر الاسلام وعز انصاره **وقرى** بيت طائفة بالادغام وتذكير الفعل لان تانيث الطائفة غير حقيقي ولانها في معنى الفريق والفوج افلا يتدبرون القران ولو كان من عند غير الله لوجدوا فيه اختلافا كثيرا تدبر الامر تامله والنظر في ادباره وما يؤول اليه في عاقبته ومنتهاه ثم استعمل في كل تامل فمعنى تدبر القران تامل معانيه وتبصر ما فيه لوجدوا فيه اختلافا كثيرا لكان الكثير منه مختلفا متناقضا قد تفاوت نظمه وبلاغته ومعانيه فكان بعضه بالغا حد الاعجاز وبعضه قاصرا عنه يمكن معارضته وبعضه اخبارا بغيب قد وافق المخبر عنه وبعضه اخبارا مخالفا للمخبر عنه وبعضه دالا على معنى صحيح عند علماء المعاني وبعضه دالا على معنى فاسد غير ملتيم فلما تجاوب كله بلاغة معجزة فائتة لقوى البلغاء وتناصر صحة معان وصدق اخبار علم انه ليس الا من عند قادر على ما لا يقدر عليه غيره عالم بما لا يعلمه احد سواه **فان قلت** اليس نحو قوله فاذا هي ثعبان مبين كانها جان فوربك لنسالنهم اجمعين فيومئذ لا يسال عن ذنبه انس ولا جان من الاختلاف **قلت** ليس باختلاف عند المتدبرين واذا جاءهم امر من الامن او الخوف اذاعوا به ولو ردوه الى الرسول والى اولي الامر منهم لعلمه الذين يستنبطونه منهم ولولا فضل الله عليكم ورحمته لاتبعتم الشيطان الا قليلا هم ناس من ضعفة المسلمين الذين لم يكن فيهم خبرة بالاحوال ولا استبطان للامور كانوا اذا بلغهم خبر عن سرايا رسول الله صلى الله عليه وسلم من امن وسلامة او خوف وخلل اذاعوا به وكانت اذاعتهم مفسدة ولو ردوا ذلك الخبر الى رسول الله صلى الله عليه وسلم والى اولي الامر وهم كبار الصحابة البصرا بالامور او الذين كانوا يؤمرون منهم لعلمه لعلم تدبير ما اخبروا به الذين يستنبطونه الذين يستخرجون تدبيره بفطنهم وتجاربهم ومعرفتهم بامور الحرب ومكايدها **وقيل** كانوا يقفون من رسول الله عليه السلام واولي الامر على امن ووثوق بالظهور على بعض الاعداء او على خوف واستشعار فيذيعونه فينتشر فيبلغ الاعداء فتعود اذاعتهم مفسدة ولو ردوه الى الرسول والى اولي الامر وفوضوه اليهم وكانوا كان لم يسمعوا لعلم الذين يستنبطون تدبيره كيف يدبرونه وما ياتون ويذرون فيه وقيل كانوا يسمعون من افواه المنافقين شيا من الخبر عن السرايا مظنونا غير معلوم الصحة فيذيعونه فيعود ذلك وبالا على المؤمنين ولو ردوه

إلى الرسول وقالوا نسكت حتى نسمعه منهم ونعلم هل هو مما يذاع أو لا يذاع لعلمه الذين يستنبطو
منهم لعلم صحته وهل هو مما يذاع أو لا يذاع هؤلاء المذيعون وهم الذين يستنبطونه من الرسول
وأولي الأمر أي يتلقونه منهم ويستخرجون علمه من جهتهم يقال أذاع السر وأذاع به قال
أذاع به في الناس حتى كأنه بعلياء نار أوقدت بثقوب ويجوز أن يكون المعنى
فعلوا به الإذاعة وهو أبلغ من أذاعوه وقرئ لعلمه بإسكان اللام كقوله
فإن تجر باز له من الأدم دبرت صفحتاه وغاربه والنبط الماء يخرج من البئر
أول ما تحفر وإنباطه واستنباطه إخراجه واستخراجه فاستعير لما يستخرجه الرجل بفضل ذهنه
من المعاني والتدابير فيما يعضل ويهم ولولا فضل الله عليكم ورحمته وهو إرسال الرسول
وإنزال الكتاب لاتبعتم الشيطان لبقيتم على الكفر إلا قليلا منكم أو إلا اتباعا قليلا
فقاتل في سبيل الله لا تكلف إلا نفسك وحرض المؤمنين عسى الله أن يكف بأس الذين
كفروا والله أشد بأسا وأشد تنكيلا لما ذكر في الآي قبلها تثبطهم عن القتال وإظهارهم
الطاعة وإضمارهم خلافها قال فقاتل في سبيل الله إن أفردوك وتركوك وحدك لا تكلف إلا
نفسك غير نفسك وحدها أن تقدمها إلى الجهاد فإن الله ناصرك لا الجنود فإن شاء نصرك وحدك
كما ينصرك وحولك الألوف وقيل دعا الناس في بدر الصغرى إلى الخروج وكان أبو سفيان
واعد رسول الله عليه السلام اللقاء فيها فكره بعض الناس أن يخرجوا فنزلت فخرج وما معه
إلا سبعون لم يلو على أحد ولو لم يتبعه أحد لخرج وحده وقرئ لا تكلف بالجزم على النهي
ولا نكلف بالنون وكسر اللام أي لا نكلف نحن إلا نفسك وحدها وحرض المؤمنين وما عليك
في شأنهم إلا التحريض فحسب لا التعنيف بهم عسى الله أن يكف بأس الذين كفروا وهم قريش
وقد كف بأسهم فقد بدا لأبي سفيان وقال هذا عام مجدب وما كان معهم زاد إلا السويق
ولا يلقون إلا في عام مخصب فرجع بهم والله أشد بأسا من قريش وأشد تنكيلا تعذيبا
من يشفع شفاعة حسنة يكن له نصيب منها ومن يشفع شفاعة سيئة يكن له كفل منها
وكان الله على كل شيء مقيتا الشفاعة الحسنة هي التي روعي بها حق مسلم ودفع بها عنه
شر أو جلب إليه خير وابتغي بها وجه الله ولم يؤخذ عليها رشوة وكانت في أمر جائز لا في حد
من حدود الله ولا في حق من الحقوق والسيئة ما كان بخلاف ذلك وعن مسروق
أنه شفع شفاعة فأهدى إليه المشفوع له جارية فغضب وردها وقال لو علمت ما في قلبك لما
تكلمت في حاجتك ولا أتكلم فيما بقي منها وقيل الشفاعة الحسنة هي الدعوة للمسلم
لأنها في معنى الشفاعة إلى الله وعن رسول الله عليه السلام من دعا لأخيه المسلم بظهر
الغيب استجيب له وقال له الملك ولك مثل ذلك فذلك النصيب والدعوة على المسلم
بضد ذلك مقيتا شهيدا حفيظا وقيل مقتدرا وأقات على الشيء قال الزبير
ابن عبد المطلب وذي ضغن كففت السوء عنه وكنت على إساءته مقيتا
قال السموأل ألي الفضل أم علي إذا حوسبت إني على الحساب مقيت (مقتدرا — شاهد حافظ)
واشتقاقه من القوت لأنه يمسك النفس ويحفظها وإذا حييتم بتحية فحيوا بأحسن
منها أو ردوها إن الله كان على كل شيء حسيبا الأحسن منها أن تقول وعليكم السلام

ورحمة

ورحمة الله إذا قال السلام عليكم وأن تزيد وبركاته إذا قال ورحمة الله وروي
أن رجلا قال لرسول الله عليه السلام السلام عليك فقال وعليك السلام ورحمة الله
وقال الآخر السلام عليك ورحمة الله فقال وعليك السلام ورحمة الله وبركاته وقال الآخر
السلام عليك ورحمة الله وبركاته فقال وعليك فقال الرجل نقصتني فأين ما قال الله
وتلا الآية فقال إنك لم تترك لي فضلا فرددت عليك مثله أو ردوها أو أجيبوها بمثلها
ورد السلام ورجعه جوابه بمثله لأن المجيب يرد قول المسلم ويكرره وجواب التسليمة
واجب والتخيير إنما وقع بين الزيادة وتركها وعن أبي يوسف من قال لآخر أقرئ فلانا
السلام وجب عليه أن يفعل وعن النخعي السلام سنة والرد فريضة وعن ابن عباس
رضي الله عنهما الرد واجب وما من رجل يمر على قوم مسلمين فيسلم عليهم ولا يردون عليه
إلا نزع عنهم روح القدس وردت عليه الملائكة ولا يرد السلام في الخطبة وقراءة
القرآن جهرا ورواية الحديث وعند مذاكرة العلم والأذان والإقامة وعن
أبي يوسف رحمه الله لا يسلم على لاعب النرد والشطرنج والمغني والقاعد لحاجته
ومطير الحمام والعاري من غير عذر في حمام أو غيره وذكر الطحاوي أن المستحب رد السلام على
الطهارة وعن النبي صلى الله عليه وسلم أنه تيمم لرد السلام قالوا ويسلم الرجل إذا دخل
على امرأته ولا يسلم على أجنبية ويسلم الماشي على القاعد والراكب على الماشي وراكب
الفرس على راكب الحمار والصغير على الكبير والأقل على الأكثر وإذا التقيا ابتدرا وعن
أبي حنيفة رحمة الله عليه لا يجهر بالرد يعني الجهر الكثير وعن النبي صلى الله عليه وسلم إذا سلم
عليكم أهل الكتاب فقولوا وعليكم أي وعليكم ما قلتم لأنهم كانوا يقولون السام
عليكم وروي لا تبدأ اليهودي بالسلام وإن بدأك فقل وعليك وعن الحسن رحمة
الله عليه يجوز أن تقول للكافر وعليك السلام ولا تقل ورحمة الله فإنها استغفار
وعن الشعبي أنه قال لنصراني سلم عليه وعليك السلام ورحمة الله فقيل له فقال أليس في
رحمة الله يعيش وقد رخص بعض العلماء في أن يبدأ أهل الذمة بالسلام إذا دعت إلى
ذلك حادثة تحوج إليهم وروي ذلك عن النخعي وعن أبي حنيفة رحمة الله عليه لا تبدأه بسلام
في كتاب ولا غيره وعن أبي يوسف لا تسلم عليهم ولا تصافحهم فإذا دخلت فقل السلام على من
اتبع الهدى ولا بأس بالدعاء له بما يصلحه في دنياه على كل شيء حسيبا أي محاسبا على كل شيء
من التحية وغيرها الله لا إله إلا هو ليجمعنكم إلى يوم القيامة لا ريب فيه ومن
أصدق من الله حديثا لا إله إلا هو إما خبر للمبتدأ وإما اعتراض والخبر ليجمعنكم
ومعناه الله والله ليجمعنكم إلى يوم القيامة أي ليحشرنكم إليه والقيامة والقيام
كالطلابة والطلاب وهي قيامهم من القبور أو قيامهم للحساب قال تعالى يوم
يقوم الناس لرب العالمين ومن أصدق من الله حديثا لأنه عز وعلا صادق لا يجوز عليه
الكذب وذلك أن الكذب مستقل بصارف عن الإقدام عليه وهو قبحه الذي هو كونه
كذبا وإخبارا عن الشيء بخلاف ما هو عليه فمن كذب لم يكذب إلا لأنه محتاج إلى أن يكذب
ليجر منفعة أو يدفع مضرة أو هو غني عنه إلا أنه يجهل غناه أو هو جاهل بقبحه أو هو سفيه

لا يفرق بين الصدق والكذب في أخباره ولا يبالي بأيهما نطق وربما كان الكذب أحلى على حنكه من الصدق وعن بعض السفهاء أنه عوتب على الكذب فقال له لو غرغرت لهواتك به ما فارقته وقيل لكذاب هل صدقت قط فقال لولا أني صادق في قولي لا لقلتها فكان الحكيم الغني الذي لا يجوز عليه الحاجات العالم بكل معلوم منزهاً عنه كما هو منزه عن سائر القبائح فما لكم في المنافقين فئتين والله أركسهم بما كسبوا أتريدون أن تهدوا من أضل الله ومن يضلل الله فلن تجد له سبيلا ۝ فئتين نصب على الحال كقولك ما لك قائماً روي أن قوماً من المنافقين استأذنوا رسول الله صلى الله عليه وسلم في الخروج إلى البدو معتلين باجتواء المدينة فلما خرجوا لم يزالوا راحلين مرحلة مرحلة حتى لحقوا بالمشركين فاختلف المسلمون فيهم فقال بعضهم هم كفار وقال بعضهم هم مسلمون وقيل كانوا قوماً هاجروا من مكة ثم بدا لهم فرجعوا وكتبوا إلى رسول الله عليه السلام إنا على دينك وما أخرجنا إلا اجتواء المدينة والاشتياق إلى بلدنا وقيل هم قوم خرجوا مع رسول الله صلى الله عليه وسلم يوم أحد ثم رجعوا وقيل هم العرنيون الذين أغاروا على السرح وقتلوا يساراً وقيل هم قوم أظهروا الإسلام وقعدوا عن الهجرة ومعناه ما لكم اختلفتم في شأن قوم قد نافقوا نفاقاً ظاهراً وتفرقتم فيه فرقتين وما لكم لم تبتوا القول بكفرهم والله أركسهم أي ردهم في حكم المشركين كما كانوا بما كسبوا من ارتدادهم ولحوقهم بالمشركين واحتيالهم على رسول الله صلى الله عليه وسلم أو أركسهم في الكفر بأن خذلهم حتى ارتكسوا فيه لما علم من مرض قلوبهم أتريدون أن تهدوا أن تجعلوا من جملة المهتدين من أضل الله من جعله من جملة الضلال وحكم عليه بذلك أو خذله حتى ضل وقرئ ركسهم وركسوا فيها ودوا لو تكفرون كما كفروا فتكونون سواء فلا تتخذوا منهم أولياء حتى يهاجروا في سبيل الله فإن تولوا فخذوهم واقتلوهم حيث وجدتموهم ولا تتخذوا منهم ولياً ولا نصيراً ۝ فتكونون عطف على تكفرون ولو نصب على جواب التمني لجاز والمعنى ودوا كفركم وكونكم معهم شرعاً واحداً فيما هم عليه من الضلال واتباع دين الآباء فلا تتولوهم وإن آمنوا حتى يظاهروا إيمانهم بهجرة صحيحة هي لله ورسوله لا لغرض من أغراض الدنيا مستقيمة ليس بعدها بداء ولا تعرب فإن تولوا عن الإيمان المظاهر بالهجرة الصحيحة المستقيمة فحكمهم حكم سائر المشركين يقتلون حيث وجدوا في الحل والحرم وجانبوهم مجانبة كلية وإن بذلوا لكم الولاية والنصرة فلا تقبلوا منهم إلا الذين يصلون إلى قوم بينكم وبينهم ميثاق أو جاؤوكم حصرت صدورهم أن يقاتلوكم أو يقاتلوا قومهم ولو شاء الله لسلطهم عليكم فلقاتلوكم فإن اعتزلوكم فلم يقاتلوكم وألقوا إليكم السلم فما جعل الله لكم عليهم سبيلا ۝ إلا الذين يصلون استثناء من قوله فخذوهم واقتلوهم ومعنى يصلون إلى قوم ينتهون إليهم ويتصلون بهم وعن أبي عبيدة هو الانتساب وصل إلى فلان واتصل به إذا انتسب إليه وقيل الانتساب لا أثر له في منع القتال فقد قاتل رسول الله عليه السلام من معه من هو من أنسابهم والقوم هم الأسلميون كان بينهم وبين رسول الله عهد وذلك أنه وادع وقت خروجه إلى مكة هلال بن عويمر الأسلمي على أن لا يعينه ولا يعين

عليه

عليه وعلى أن من وصل إلى هلال ولجأ إليه فله من الجوار مثل الذي لهلال وقيل القوم بنو بكر ابن زيد مناة كانوا في الصلح أو جاؤوكم لا يخلو من أن يكون معطوفاً على صفة قوم كأنه قيل إلا الذين يصلون إلى قوم معاهدين أو قوم ممسكين عن القتال لا لكم ولا عليكم أو على صلة الذين كأنه قيل إلا الذين يتصلون بالمعاهدين أو الذين لا يقاتلونكم والوجه العطف على الصلة لقوله فإن اعتزلوكم فلم يقاتلوكم وألقوا إليكم السلم فما جعل الله لكم عليهم سبيلا بعد قوله فخذوهم واقتلوهم حيث وجدتموهم فقرر أن كفهم عن القتال أحد سببي استحقاقهم لنفي التعرض عنهم وترك الإيقاع بهم فإن قلت كل واحد من الاتصالين له تأثير في صحة الاستثناء واستحقاق إزالة التعرض الاتصال بالمعاهدين والاتصال بالكافين لأن الاتصال بهؤلاء أو هؤلاء دخول في حكمهم فهلا جوزت أن يكون العطف على صفة قوم ويكون قوله فإن اعتزلوكم تقريراً لحكم اتصالهم بالكافين واختلاطهم بهم وجريهم على سننهم قلت هو جائز ولكن الأول أظهر وأجرى على أسلوب الكلام وفي قراءة أبي بينكم وبينهم ميثاق جاؤوكم حصرت صدورهم بغير أو ووجهه أن يكون جاؤوكم بياناً ليصلون أو بدلاً أو استئنافاً أو صفة بعد صفة لقوم حصرت صدورهم في موضع الحال بإضمار قد والدليل عليه قراءة من قرأ حصرة صدورهم وحصرات صدورهم وحاصرات صدورهم وجعله المبرد صفة لموصوف محذوف على أو جاؤوكم قوماً حصرت صدورهم وقيل هو بيان لجاؤوكم وهم بنو مدلج جاؤوا رسول الله عليه السلام غير مقاتلين والحصر الضيق والانقباض أن يقاتلوكم عن أن يقاتلوكم أو كراهة أن يقاتلوكم فإن قلت كيف يجوز أن يسلط الله الكفرة على المؤمنين قلت ما كانت مكافتهم إلا لقذف الله الرعب في قلوبهم ولو شاء لمصلحة يراها من ابتلاء ونحوه لم يقذفه فكانوا متسلطين مقاتلين غير مكافين فذلك معنى التسليط وقرئ فلقتلوكم بالتخفيف والتشديد فإن اعتزلوكم فإن لم يتعرضوا لكم وألقوا إليكم السلم أي الانقياد والاستسلام وقرئ بسكون اللام مع فتح السين فما جعل الله لكم عليهم سبيلا فما أذن لكم في أخذهم وقتلهم ستجدون آخرين يريدون أن يأمنوكم ويأمنوا قومهم كلما ردوا إلى الفتنة أركسوا فيها فإن لم يعتزلوكم ويلقوا إليكم السلم ويكفوا أيديهم فخذوهم واقتلوهم حيث ثقفتموهم وأولئكم جعلنا لكم عليهم سلطاناً مبيناً ۝ ستجدون آخرين هم قوم من أسد وغطفان كانوا إذا أتوا المدينة أسلموا وعاهدوا ليأمنوا المسلمين فإذا رجعوا إلى قومهم كفروا ونكثوا عهودهم كلما ردوا إلى الفتنة كلما دعاهم قومهم إلى قتال المسلمين أركسوا فيها قلبوا فيها أقبح قلب وأشنعه وكانوا شراً فيها من كل عدو حيث ثقفتموهم حيث تمكنتم منهم سلطاناً مبيناً حجة واضحة لظهور عداوتهم وانكشاف حالهم في الكفر والغدر وإضرارهم بأهل الإسلام أو تسلطاً ظاهراً حيث أذنا لكم في قتلهم وما كان لمؤمن أن يقتل مؤمناً إلا خطأ ومن قتل مؤمناً خطأ فتحرير رقبة مؤمنة ودية مسلمة إلى أهله إلا أن يصدقوا فإن كان من قوم عدو لكم وهو مؤمن فتحرير رقبة مؤمنة وإن كان من قوم بينكم وبينهم ميثاق فدية مسلمة إلى أهله وتحرير رقبة مؤمنة فمن لم يجد فصيام شهرين

متتابعين توبة من الله وكان الله عليما حكيما ۝ وما كان لمؤمن وما صح له ولا استقام ولا لاق بحاله كقوله تعالى وما كان لنبي ان يغل ۝ وما كان لنا ان نعود فيها ۝ ان يقتل مؤمنا ابتداء غير قصاص ۝ الا خطأ الا على وجه الخطاء فان قلت بم انتصب خطأ قلت بانه مفعول له اى ما ينبغى له ان يقتله لعلة من العلل الا للخطأ وحده ۝ ويجوز ان يكون حالا بمعنى لا يقتله فى حال من الاحوال الا فى حال الخطاء وان يكون صفة للمصدر الا قتلا خطأ ۝ والمعنى ان من شان المؤمن ان ينتفى عنه وجود قتل المؤمن ابتداء البتة الا اذا وجد منه خطأ من غير قصد بان يرمى كافرا فيصيب مسلما ۝ او يرى شخصا على انه كافر فاذا هو مسلم وقرئ خطاء بالمد ۝ وخطى بوزن عمى بتخفيف الهمزة وروى ان عياش بن ابى ربيعة وكان اخا ابى جهل لامه اسلم وهاجر خوفا من قومه الى المدينة وذلك قبل هجرة رسول الله عليه السلام فاقسمت امه لا تاكل ولا تشرب ولا يؤويها سقف حتى يرجع فخرج ابو جهل ومعه الحارث ابن زيد بن ابى انيسة فاتياه وهو فى اطم ففتل منه ابو جهل فى الذروة والغارب وقال اليس محمد يحثك على صلة الرحم انصرف وبر امك وانت على دينك حتى نزل وذهب معهما فلما فسحا عن المدينة كتفاه وجلده كل واحد منهما مائة جلدة فقال للحارث هذا اخى فمن انت يا حارث لله على ان وجدتك خاليا ان اقتلك وقدما به على امه فحلفت لا تحل كتافه او يرتد ففعل ثم هاجر بعد ذلك واسلم الحارث وهاجر فلقيه عياش بظهر قباء ولم يشعر باسلامه فانحى عليه وقتله ثم اخبر باسلامه فاتى رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال قتلته ولم اشعر باسلامه فنزلت ۝ فتحرير رقبة فعليه تحرير رقبة ۝ والتحرير الاعتاق والحر والعتيق الكريم لان الكرم فى الاحرار كما ان اللؤم فى العبيد ۝ ومنه عتاق الخيل وعتاق الطير لكرامها وحر الوجه اكرم موضع منه ۝ ومنه قولهم اللئيم عبد وفلان عبد الفعل اى لئيم الفعل والرقبة عبارة عن النسمة كما عبر عنها بالراس فى قولهم فلان يملك كذا راسا من الرقيق والمراد برقبة مؤمنة كل رقبة كانت على حكم الاسلام عند عامة العلماء وعن الحسن لا تجزئ الا رقبة قد صلت وصامت ولا تجزئ الصغيرة وقاس عليها الشافعى رضى الله عنه كفارة الظهار فاشترط الايمان ۝ وقيل لما اخرج نفسا مؤمنة من جملة الاحياء لزمه ان يدخل نفسا مثلها فى جملة الاحرار لان اطلاقها من قيد الرق كاحيائها من قبل ان الرقيق ممنوع من تصرف الاحرار ۝ مسلمة الى اهله مؤداة الى ورثته يقتسمونها كما يقتسمون الميراث لا فرق بينها وبين سائر التركة فى كل شئ ۝ يقضى منها الدين وتنفذ الوصية واذا لم يبق وارث فهى لبيت المال لان المسلمين يقومون مقام الورثة كما قال رسول الله صلى الله عليه وسلم انا وارث من لا وارث له وعن عمر رضى الله عنه انه قضى بدية المقتول فجاءت امراته تطلب ميراثها من عقله فقال لا اعلم لك شيئا انما الدية للعصبة الذين يعقلون عنه فقام الضحاك بن سفيان الكلابى فقال كتب الى رسول الله صلى الله عليه وسلم يامرنى ان اورث امراة اشيم الضبابى من عقل زوجها اشيم فورثها عمر وعن ابن مسعود رضى الله عنه يرث كل وارث من الدية غير القاتل ۝ وعن شريك لا يقضى من الدية دين ولا ينفذ وصية ۝ وعن ربيعة الغرة لام الجنين وحدها وذلك خلاف قول الجماعة فان قلت على من تجب الرقبة والدية قلت

على

على القاتل الا ان الرقبة فى ماله والدية يتحملها عنه العاقلة فان لم يكن له عاقلة فهى فى بيت المال فان لم يكن ففى ماله ۝ الا ان يصدقوا الا ان يتصدقوا عليه بالدية ومعناه العفو لقوله تعالى الا ان يعفون ونحوه وان تصدقوا خير لكم وعن النبى صلى الله عليه وسلم كل معروف صدقة وقرأ الا ان يتصدقوا فان قلت بم تعلق الا ان يصدقوا وما محله قلت تعلق بعليه او بمسلمة كانه قيل وتجب عليه الدية او يسلمها الا حين يتصدقون عليه ومحلها النصب على الظرف بتقدير حذف الزمان كقولهم اجلس ما دام زيد جالسا ۝ ويجوز ان يكون حالا من اهله بمعنى الا متصدقين ۝ من قوم عدو لكم من قوم كفار اهل حرب وذلك نحو رجل اسلم فى قومه الكفار وهو بين اظهرهم لم يفارقهم فعلى قاتله الكفارة اذا قتله خطأ وليس على عاقلته لاهله شئ لانهم كفار محاربون ۝ وقيل كان الرجل يسلم ثم ياتى قومه وهم مشركون فيغزوهم جيش المسلمين فيقتل فيهم خطأ لانهم يظنونه كافرا مثلهم ۝ وان كان من قوم كفرة لهم ذمة كالمشركين الذين عاهدوا المسلمين واهل الذمة من الكتابيين فحكمه حكم مسلم من مسلمين ۝ فمن لم يجد رقبة يعنى لم يملكها ولا ما يتوصل به اليها فعليه صيام شهرين متتابعين ۝ توبة من الله قبولا من الله ورحمة منه من تاب الله عليه اذا قبل توبته يعنى شرع ذلك توبة منه او فعليكم من الرقبة الى الصوم توبة منه ومن يقتل مؤمنا متعمدا فجزاؤه جهنم خالدا فيها وغضب الله عليه ولعنه واعد له عذابا عظيما ۝ هذه الاية فيها من التهديد ۝ والايعاد ۝ والابراق والارعاد امر عظيم ۝ وخطب غليظ ۝ ومن ثم روى عن ابن عباس رضى الله عنه ما روى من ان توبة قاتل المؤمن عمدا غير مقبولة وعن سفيان كان اهل العلم اذا سئلوا قالوا لا توبة له وذلك محمول منهم على الاقتداء بسنة الله فى التغليظ والتشديد والا فكل ذنب ممحو بالتوبة وناهيك بمحو الشرك دليلا وفى الحديث لزوال الدنيا اهون على الله من قتل امرئ مسلم وفيه لو ان رجلا قتل بالمشرق وآخر رضى بالمغرب لاشرك فى دمه ۝ وفيه ان هذا الانسان بنيان الله ملعون من هدم بنيانه ۝ وفيه من اعان على قتل مؤمن بشطر كلمة جاء يوم القيامة مكتوب بين عينيه آيس من رحمة الله ۝ والعجب من قوم يقرؤن هذه الاية ويرون ما فيها ويسمعون هذه الاحاديث العظيمة وقول ابن عباس بمنع التوبة ثم لا تدعهم اشعبيتهم وطماعيتهم الفارغة واتباعهم هواهم ۝ وما يخيل اليهم مناهم ان يطمعوا فى العفو عن قاتل المؤمن بغير توبة ۝ افلا يتدبرون القرآن ام على قلوب اقفالها ۝ ثم ذكر الله سبحانه وتعالى التوبة فى قتل الخطا لما عسى يقع من نوع تفريط فيما يجب من الاحتياط والتحفظ فيه حسم للاطماع واى حسم ۝ ولكن لا حياة لمن تنادى فان قلت هل فيها دليل على خلود من لم يتب من اهل الكبائر قلت ما ابين الدليل فيها وهو تناوله قوله ومن يقتل اى قاتل كان من مسلم او كافر تائب او غير تائب الا ان التائب اخرجه الدليل فمن ادعى اخراج المسلم غير التائب فليات بدليل مثله يا ايها الذين آمنوا اذا ضربتم فى سبيل الله فتبينوا ولا تقولوا لمن القى اليكم السلم لست مؤمنا تبتغون عرض الحياة الدنيا فعند الله مغانم كثيرة كذلك كنتم من قبل فمن الله عليكم فتبينوا ان الله كان بما تعملون خبيرا ۝ فتبينوا وقرئ فتثبتوا وهما من التفعل بمعنى الاستفعال اى اطلبوا بيان الامر

وثباته ولا تتهوكوا فيه من غير روية وقرئ السلم والسلام وهما الاستسلام وقيل الاسلام وقيل التسليم الذي هو تحية اهل الاسلام لست مؤمنا وقرئ مؤمنا بفتح الميم من امنه اى لا نؤمنك واصله ان مرداس بن نهيك رجلا من اهل فدك اسلم ولم يسلم من قومه غيره فغزتهم سرية لرسول الله صلى الله عليه وسلم كان عليها غالب بن فضالة الليثي فهربوا وبقي مرداس لثقته باسلامه فلما رأى الخيل الجأ غنمه الى عاقول من الجبل وصعد فلما تلاحقوا وكبروا كبر ونزل وقال لا اله الا الله محمد رسول الله السلام عليكم فقتله اسامة بن زيد رضي الله عنه واستاق غنمه فاخبروا رسول الله عليه السلام فوجد وجدا شديدا وقال قتلتموه ارادة ما معه ثم قرأ الاية على اسامة فقال له يا رسول الله استغفر لي فقال فكيف بلا اله الا الله قال اسامة فما زال يعيدها حتى وددت ان لم اكن اسلمت الا يومئذ ثم استغفر لي وقال اعتق رقبة تبتغون عرض الحيوة الدنيا تطلبون الغنيمة التي هي حطام سريع النفاد فهو الذي يدعوكم الى ترك التثبت وقلة البحث عن حال من تقتلونه فعند الله مغانم كثيرة يغنمكموها تغنيكم عن قتل رجل يظهر الاسلام ويتعوذ به من التعرض له لتأخذوا ماله كذلك كنتم من قبل اول ما دخلتم في الاسلام سمعت من افواهكم كلمة الشهادة فحصنت دماءكم واموالكم من غير انتظار الاطلاع على مواطأة قلوبكم لالسنتكم فمن الله عليكم بالاستقامة والاشتهار بالايمان والتقدم فيه وان صرتم اعلاما فيه فعليكم ان تفعلوا بالداخلين في الاسلام كما فعل بكم وان تعتبروا ظاهر الاسلام في المكافة ولا تقولوا ان تهليل هذا لاتقاء القتل لا لصدق النية فتجعلوه سلما الى استباحة دمه وماله وقد حرمهما الله وقوله فتبينوا تكرير للامر بالتبيين ليؤكد عليهم ان الله كان بما تعملون خبيرا فلا تتهافتوا في القتل وكونوا محترزين محتاطين في ذلك لا يستوي القاعدون من المؤمنين غير اولي الضرر والمجاهدون في سبيل الله باموالهم وانفسهم فضل الله المجاهدين باموالهم وانفسهم على القاعدين درجة وكلا وعد الله الحسنى وفضل الله المجاهدين على القاعدين اجرا عظيما درجات منه ومغفرة ورحمة وكان الله غفورا رحيما غير اولي الضرر قرئ بالحركات الثلاث فالرفع صفة للقاعدون والنصب استثناء منهم او حال عنهم والجر صفة للمؤمنين والضرر المرض والعاهة من عمى او عرج او زمانة او نحوها وعن زيد بن ثابت رضي الله عنه كنت الى جنب رسول الله صلى الله عليه وسلم فغشيته السكينة فوقعت فخذه على فخذي حتى خشيت ان ترضها ثم سري عنه فقال اكتب فكتبت في كتف لا يستوي القاعدون من المؤمنين والمجاهدون فقال ابن ام مكتوم وكان اعمى يا رسول الله وكيف بمن لا يستطيع الجهاد من المؤمنين فغشيته السكينة كذلك ثم قال اقرأ يا زيد فقرأت لا يستوي القاعدون من المؤمنين فقال غير اولي الضرر قال زيد انزلها الله وحدها فالحقتها والذي نفسي بيده لكأني انظر الى ملحقها عند صدع في الكتف وعن ابن عباس رضي الله عنهما لا يستوي القاعدون عن بدر والخارجون اليها وعن مقاتل الى تبوك فان قلت معلوم ان القاعد بغير عذر والمجاهد لا يستويان فما فائدة نفي الاستواء قلت معناه الاذكار بما بينهما من التفاوت العظيم والبون البعيد ليأنف القاعد ويترفع بنفسه عن انحطاط منزلته فيهتز للجهاد ويرغب فيه وفي ارتفاع طبقته ونحوه هل يستوي الذين يعلمون والذين لا

يعلمون اريد به التحريك من حمية الجاهل وانفته ليهاب به الى التعلم ولينهض بنفسه عن صفة الجهل الى شرف العلم فضل الله المجاهدين جملة موضحة لما نفي من استواء القاعدين والمجاهدين كأنه قيل ما لهم لا يستوون فاجيب بذلك والمعنى على القاعدين غير اولي الضرر لكون الجملة بيانا للجملة الاولى المتضمنة لهذا الوصف وكلا وكل فريق من القاعدين والمجاهدين وعد الله الحسنى اى المثوبة الحسنى وهي الجنة وان كان المجاهدون مفضلين على القاعدين درجة وعن رسول الله صلى الله عليه وسلم لقد خلفتم بالمدينة اقواما ما سرتم مسيرا ولا قطعتم واديا الا كانوا معكم وهم الذين صحت نياتهم ونصحت جيوبهم وكانت افئدتهم تهوى الى الجهاد وبهم ما يمنعهم من المسير من ضرر او غيره فان قلت قد ذكر الله سبحانه مفضلين درجة ومفضلين درجات فمن هم قلت اما المفضلون درجة واحدة فهم الذين فضلوا على القاعدين الاضراء واما المفضلون درجات فالذين فضلوا على القاعدين الذين اذن لهم في التخلف اكتفاء بغيرهم لان الغزو فرض كفاية فان قلت لم نصب درجة واجرا ودرجات قلت نصب قوله درجة لوقوعها موقع المرة من التفضيل كأنه قيل فضلهم تفضيلة واحدة ونظيره قولك ضربه سوطا بمعنى ضربه ضربة واما اجرا فقد انتصب بفضل لانه في معنى اجرهم اجرا ودرجات ومغفرة ورحمة بدل من اجرا ويجوز ان ينتصب درجات نصب درجة كما تقول ضربه اسواطا بمعنى ضربات كأنه قيل وفضلهم تفضيلات ونصب اجرا عظيما على انه حال عن النكرة التي هي درجات مقدمة عليها وانتصب مغفرة ورحمة باضمار فعليهما بمعنى وغفر لهم ورحمهم مغفرة ورحمة ان الذين توفاهم الملائكة ظالمي انفسهم قالوا فيم كنتم قالوا كنا مستضعفين في الارض قالوا الم تكن ارض الله واسعة فتهاجروا فيها فاولئك مأواهم جهنم وساءت مصيرا الا المستضعفين من الرجال والنساء والولدان لا يستطيعون حيلة ولا يهتدون سبيلا توفاهم يجوز ان يكون ماضيا كقراءة من قرأ توفتهم ومضارعا بمعنى تتوفاهم كقراءة من قرأ توفاهم على مضارع وفيت بمعنى ان الله يوفي الملائكة انفسهم فيتوفونها اى يمكنهم من استيفائها فيستوفونها ظالمي انفسهم في حال ظلمهم انفسهم قالوا قال الملائكة للمتوفين فيم كنتم في اي شيء كنتم من امر دينكم وهم ناس من اهل مكة اسلموا ولم يهاجروا حين كانت الهجرة فريضة فان قلت كيف صح وقوع قوله كنا مستضعفين في الارض جوابا عن قولهم فيم كنتم وكان حق الجواب ان يقولوا كنا في كذا او لم نكن في شيء قلت معنى فيم كنتم التوبيخ بانهم لم يكونوا في شيء من الدين حيث قدروا على المهاجرة ولم يهاجروا فقالوا كنا مستضعفين اعتذارا مما وبخوا به واعتلالا بالاستضعاف وانهم لم يتمكنوا من الهجرة حتى يكونوا في شيء فبكتتهم الملائكة بقولهم الم تكن ارض الله واسعة فتهاجروا فيها ارادوا انكم كنتم قادرين على الخروج من مكة الى بعض البلاد التي لا تمنعون فيها من اظهار دينكم ومن الهجرة الى رسول الله كما فعل المهاجرون الى ارض الحبشة وهذا دليل على ان الرجل اذا كان في بلد لا يتمكن فيه من اقامة امر دينه كما يجب لبعض الاسباب والعوائق عن اقامة الدين لا تنحصر او علم انه في غير بلده اقوم بحق الله وادوم على العبادة حقت عليه المهاجرة وعن النبي صلى الله عليه وسلم من فر بدينه من ارض الى ارض وان كان شبرا من

الأرض استوجبت له الجنة وكان رفيق أبيه إبراهيم ونبيه محمد صلوات الله عليهما اللهم إن كنت
تعلم أن هجرتي إليك لم تكن إلا للفرار بديني فاجعلها سببا في خاتمة الخير ودرك المرجو من فضلك
والمبتغى من رحمتك وصل جواري لك بعكوفي عند بيتك بجوارك في دار كرامتك يا واسع المغفرة
ثم استثنى من أهل الوعيد المستضعفين الذين لا يستطيعون حيلة في الخروج لفقرهم وعجزهم ولا
معرفة لهم بالمسالك **روي** أن رسول الله صلى الله عليه وسلم بعث بهذه الآية إلى مسلمي مكة
فقال جندب بن ضمرة أو ضمرة بن جندب لبنيه احملوني فإني لست من المستضعفين وإني لأهتدي
الطريق والله لا أبيت الليلة بمكة فحملوه على سرير متوجها إلى المدينة وكان شيخا كبيرا فمات
بالتنعيم **فإن قلت** كيف أدخل الولدان في جملة المستثنين من أهل الوعيد كأنهم كانوا
يستحقون الوعيد مع الرجال والنساء لو استطاعوا حيلة واهتدوا سبيلا **قلت** الرجال
والنساء قد يكونون مستطيعين مهتدين وقد لا يكونون كذلك وأما الولدان فلا يكونون
إلا عاجزين عن ذلك فلا يتوجه عليهم وعيد لأن سبب خروج النساء من جملة أهل الوعيد إنما
هو كونهم عاجزين فإذا كان العجز متمكنا في الولدان لا ينفكون عنه كانوا خارجين من جملتهم ضرورة
هذا إذا أريد بالولدان الأطفال ويجوز أن يراد المراهقون منهم الذين عقلوا ما يعقل الرجال
والنساء فيلحقوا بهم في التكليف وإن أريد العبيد والإماء البالغون فلا سؤال **فإن قلت**
الجملة التي هي لا يستطيعون ما موقعها **قلت** هي صفة للمستضعفين أو للرجال والنساء والولدان
وإنما جاز ذلك والجمل نكرات لأن الموصوف وإن كان فيه حرف التعريف فليس لشيء بعينه **كقوله**
ولقد أمر على اللئيم يسبني فأولئك عسى الله أن يعفو عنهم وكان الله عفوا غفورا **فإن**
قلت لم قيل عسى الله أن يعفو عنهم بكلمة الإطماع **قلت** للدلالة على أن ترك الهجرة
أمر مضيق لا توسعة فيه حتى إن المضطر البين الاضطرار من حقه أن يقول عسى الله أن يعفو عني
فكيف بغيره ومن يهاجر في سبيل الله يجد في الأرض مراغما كثيرا وسعة ومن يخرج من بيته
مهاجرا إلى الله ورسوله ثم يدركه الموت فقد وقع أجره على الله وكان الله غفورا رحيما
مراغما مهاجرا وطريقا يراغم بسلوكه قومه أي يفارقهم على رغم أنوفهم والرغم الذل والهوان
وأصله لصوق الأنف بالرغام وهو التراب يقال راغمت الرجل إذا فارقته وهو يكره مفارقتك
لمذلة تلحقه بذلك **قال النابغة** الجعدي

كطود يلاذ بأركانه ... عزيز المراغم والمذهب

وقرئ مرغما وقرئ ثم يدركه
الموت بالرفع على أنه خبر مبتدأ محذوف وقيل رفع الكاف منقول من الهاء كأنه أراد أن يقف
عليها ثم نقل حركة الهاء إلى الكاف **كقوله** من عنزي سبني لم أضربه وقرئ يدركه
بالنصب على إضمار أن **كقوله** والحق بالحجاز فأستريحا فقد وقع أجره على الله فقد وجب
ثوابه عليه وحقيقة الوجوب الوقوع والسقوط فإذا وجبت جنوبها ووجبت الشمس
سقط قرصها والمعنى فقد علم الله كيف يثيبه وذلك واجب عليه **وروي** في قصة جندب
ابن ضمرة أنه لما أدركه الموت أخذ يصفق بيمينه على شماله ثم قال اللهم هذه لك وهذه
لرسولك أبايعك على ما بايعك عليه رسولك فمات حميدا فلما بلغ خبره أصحاب رسول الله عليه
السلام قالوا لو توفي بالمدينة لكان أتم أجرا وقال المشركون وهم يضحكون ما أدرك

هذا

هذا ما طلبه فنزلت وقالوا كل هجرة لغرض ديني من طلب علم أو حج أو جهاد أو فرار إلى بلد
يزداد فيه طاعة أو قناعة أو زهدا في الدنيا أو ابتغاء رزق طيب فهي هجرة إلى الله ورسوله
وإن أدركه الموت في طريقه فأجره واقع على الله وإذا ضربتم في الأرض فليس عليكم
جناح أن تقصروا من الصلوة إن خفتم أن يفتنكم الذين كفروا إن الكافرين
كانوا لكم عدوا مبينا الضرب في الأرض هو السفر وأدنى مدة السفر الذي يجوز
فيه القصر عند أبي حنيفة رحمه الله مسيرة ثلاثة أيام ولياليهن سير الإبل ومشي الأقدام
على القصد ولا اعتبار بإبطاء الضارب وإسراعه فلو سار مسيرة ثلاثة أيام ولياليهن
في يوم قصر ولو سار مسيرة يوم في ثلاثة أيام لم يقصر وعند الشافعي رضي الله عنه
أدنى مدة السفر أربعة برد مسيرة يومين وقوله فليس عليكم جناح أن تقصروا من الصلوة
ظاهره التخيير بين القصر والإتمام وأن الإتمام أفضل وإلى التخيير ذهب الشافعي وروي
عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه أتم في السفر **وعن** عائشة رضي الله عنها اعتمرت مع رسول
الله عليه السلام من المدينة إلى مكة حتى إذا قدمت مكة قلت يا رسول الله بأبي أنت وأمي
قصرت وأتممت وصمت وأفطرت فقال أحسنت يا عائشة وما عاب علي **وكان** عثمان
رضي الله عنه يتم ويقصر وعند أبي حنيفة القصر في السفر عزيمة غير رخصة لا يجوز غيره
وعن عمر رضي الله عنه صلوة السفر ركعتان تمام غير قصر على لسان نبيكم عليه السلام
وعن عائشة رضي الله عنها أول ما فرضت الصلوة فرضت ركعتين فأقرت في السفر وزيدت
في الحضر **فإن قلت** فما تصنع بقوله فليس عليكم جناح أن تقصروا **قلت** كأنهم ألفوا
الإتمام فكانوا مظنة لأن يخطر ببالهم أن عليهم نقصانا في القصر فنفي عنهم الجناح لتطيب
أنفسهم بالقصر ويطمئنوا إليه **وقرئ** تقصروا من أقصر وجاء في الحديث إقصار
الخطبة بمعنى تقصيرها **وقرأ** الزهري تقصروا بالتشديد والقصر ثابت بنص
الكتاب في حال الخوف خاصة وهو قوله إن خفتم أن يفتنكم الذين كفروا وأما في حال
الأمن فبالسنة **وفي** قراءة عبد الله من الصلوة أن يفتنكم ليس فيها إن خفتم على أنه مفعول
له بمعنى كراهة أن يفتنكم والمراد بالفتنة القتال والتعرض بما يكره وإذا كنت فيهم
فأقمت لهم الصلوة فلتقم طائفة منهم معك وليأخذوا أسلحتهم فإذا سجدوا فليكونوا
من ورائكم ولتأت طائفة أخرى لم يصلوا فليصلوا معك وليأخذوا حذرهم
وأسلحتهم ود الذين كفروا لو تغفلون عن أسلحتكم وأمتعتكم فيميلون عليكم
ميلة واحدة ولا جناح عليكم إن كان بكم أذى من مطر أو كنتم مرضى أن تضعوا
أسلحتكم وخذوا حذركم إن الله أعد للكافرين عذابا مهينا وإذا كنت فيهم
فأقمت لهم الصلوة تعلق بظاهره من لا يرى صلوة الخوف بعد رسول الله عليه السلام
حيث شرط كونه فيهم وقال من رآها بعده إن الأئمة نواب عن رسول الله في كل عصر
قوام بما كان يقوم به فكان الخطاب له متناولا لكل إمام يكون حاضر الجماعة
فعليه أن يؤمهم كما أمهم رسول الله الجماعات التي كان يحضرها والضمير في فيهم للخائفين
فلتقم طائفة منهم معك فاجعلهم طائفتين فلتقم إحداهما معك فصل بهم وليأخذوا

الضمير إما للمصلين وإما لغيرهم فإن كان للمصلين فقالوا يأخذون من السلاح ما لا يشغلهم عن الصلاة كالسيف والخنجر ونحوهما • وإن كان لغيرهم فلا كلام فيه • فإذا سجدوا فليكونوا يعني غير المصلين من ورائكم يحرسونكم • وصفة صلاة الخوف عند أبي حنيفة رحمة الله عليه أن يصلي الإمام بإحدى الطائفتين ركعة إن كانت الصلاة ركعتين والأخرى بإزاء العدو ثم تقف هذه بإزاء العدو وتأتي الأخرى فيصلي بها ركعة ويتم صلاته • ثم تقف بإزاء العدو وتأتي الأولى وتؤدي الركعة بغير قراءة وتتم صلاتها • ثم تحرس وتأتي الأخرى فتؤدي الركعة بقراءة وتتم صلاتها • والسجود على ظاهره عند أبي حنيفة وعند مالك رحمة الله عليهما بمعنى الصلاة لأن الإمام يصلي عنده بطائفة ركعة ويقف قائما حتى تتم صلاتها وتسلم وتذهب ثم يصلي بالثانية ركعة ويقف قاعدا حتى تتم صلاتها ويسلم بهم ويعضده ولتأت طائفة أخرى لم يصلوا فليصلوا معك • وقرئ وأمتعاتكم • فإن قلت كيف جمع بين الأسلحة وبين الحذر في الأخذ قلت جعل الحذر وهو التحرز والتيقظ آلة يستعملها الغازي فلذلك جمع بينه وبين الأسلحة في الأخذ وجعلا مأخوذين ونحوه قوله تعالى والذين تبوؤا الدار والإيمان جعل الإيمان مستقرا لهم ومتبوأ لتمكنهم فيه فلذلك جمع بينه وبين الدار في التبوء • فيميلون عليكم فيشدون عليكم شدة واحدة • ورخص لهم في وضع الأسلحة إن ثقل عليهم حملها بسبب ما يبلهم من مطر أو يضعفهم من مرض وأمرهم مع ذلك بأخذ الحذر لئلا يغفلوا فيهجم عليهم العدو • فإن قلت كيف طابق الأمر بالحذر قوله إن الله أعد للكافرين عذابا مهينا قلت الأمر بالحذر من العدو يوهم توقع غلبته واعتزازه فنفى عنهم ذلك الإيهام بإخبارهم أن الله يهين عدوهم ويخذله وينصرهم عليه لتقوى قلوبهم وليعلموا أن الأمر بالحذر ليس لذلك وإنما هو تعبد من الله كما قال تعالى ولا تلقوا بأيديكم إلى التهلكة • فإذا قضيتم الصلاة فاذكروا الله قياما وقعودا وعلى جنوبكم فإذا اطمأننتم فأقيموا الصلاة إن الصلاة كانت على المؤمنين كتابا موقوتا • فإذا قضيتم الصلاة فإذا صليتم في حال الخوف والقتال فاذكروا الله فصلوها قياما مسايفين ومقارعين • وقعودا جاثين على الركب مرامين • وعلى جنوبكم مثخنين بالجراح • فإذا اطمأننتم حين تضع الحرب أوزارها وأمنتم • فأقيموا الصلاة فاقضوا ما صليتم في تلك الأحوال التي هي أحوال القلق والانزعاج • إن الصلاة كانت على المؤمنين كتابا موقوتا محدودا بأوقات لا يجوز إخراجها عن أوقاتها على أي حال كنتم خوف أو أمن وهذا ظاهر على مذهب الشافعي رحمه الله في إيجابه الصلاة على المحارب في حال المسايفة والمشي والاضطراب في المعركة إذا حضر وقتها فإذا اطمأن فعليه القضاء • وأما عند أبي حنيفة رحمه الله فهو معذور في تركها إلى أن يطمئن • وقيل معناه فإذا قضيتم صلاة الخوف فأديموا ذكر الله • مهللين مكبرين مسبحين • داعين بالنصرة والتأييد في كافة أحوالكم من قيام • وقعود • واضطجاع • فإن ما أنتم فيه من خوف وحرب جدير بذكر الله ودعائه واللجأ إليه • فإذا اطمأننتم فإذا أمنتم فأقيموا الصلاة فأتموها • ولا تهنوا في ابتغاء القوم إن تكونوا تألمون فإنهم يألمون كما تألمون وترجون من الله ما لا يرجون وكان الله

عليما حكيما • ولا تهنوا ولا تضعفوا ولا تتوانوا في ابتغاء القوم في طلب الكفار بالقتال والتعرض به لهم ثم ألزمهم الحجة بقوله إن تكونوا تألمون أي ليس ما تكابدونه من الألم بالجرح والقتل مختصا بكم إنما هو أمر مشترك بينكم وبينهم يصيبهم كما يصيبكم ثم إنهم يصبرون عليه ويتشجعون فما لكم لا تصبرون مثل صبرهم مع أنكم أولى بالصبر منهم لأنكم ترجون من الله ما لا يرجون من إظهار دينكم على سائر الأديان ومن الثواب العظيم في الآخرة • وقرأ الأعرج أن تكونوا تألمون بفتح الهمزة بمعنى ولا تهنوا لأن تكونوا تألمون وقوله فإنهم تعليل • وقرئ فإنهم ييلمون كما تيلمون • وروي أن هذا في بدر الصغرى كان بهم جراح فتواكلوا • إن الله كان عليما حكيما لا يكلفكم شيئا ولا يأمركم ولا ينهاكم إلا لما هو عالم به مما يصلحكم • إنا أنزلنا إليك الكتاب بالحق لتحكم بين الناس بما أراك الله ولا تكن للخائنين خصيما • واستغفر الله إن الله كان غفورا رحيما • ولا تجادل عن الذين يختانون أنفسهم إن الله لا يحب من كان خوانا أثيما • روي أن طعمة بن أبيرق أحد بني ظفر سرق درعا من جار له اسمه قتادة بن النعمان في جراب دقيق فجعل الدقيق ينتثر من خرق فيه وخبأها عند زيد بن السمين رجل من اليهود فالتمست الدرع عند طعمة فلم توجد وحلف ما أخذها وما له بها علم فتركوه واتبعوا أثر الدقيق حتى انتهى إلى منزل اليهودي فأخذوها فقال دفعها إلي طعمة وشهد له ناس من اليهود فقالت بنو ظفر انطلقوا بنا إلى رسول الله فسألوه أن يجادل عن صاحبهم وقالوا إن لم تفعل هلك وافتضح وبرئ اليهودي فهم رسول الله عليه السلام أن يفعل وأن يعاقب اليهودي • وقيل هم أن يقطع يده • وروي أن طعمة هرب إلى مكة وارتد ونقب حائطا بمكة ليسرق أهله فسقط الحائط عليه فقتله • بما أراك الله بما عرفك وأوحى به إليك • وعن عمر رضي الله عنه لا يقولن أحدكم قضيت بما أراني الله فإن الله لم يجعل ذلك إلا لنبيه ولكن ليجتهد رأيه لأن الرأي من رسول الله عليه السلام كان مصيبا لأن الله كان يريه إياه وهو منا الظن والتكلف • ولا تكن للخائنين خصيما ولا تكن لأجل الخائنين للبراء يعني لا تخاصم اليهود لأجل بني ظفر • واستغفر الله مما هممت به من عقاب اليهودي • يختانون أنفسهم يخونونها بالمعصية • كقوله علم الله أنكم كنتم تختانون أنفسكم جعلت معصية العصاة خيانة منهم لأنفسهم كما جعلت ظلما لها لأن الضرر راجع إليهم • فإن قلت لم قيل للخائنين ويختانون أنفسهم وكان السارق طعمة وحده • قلت لوجهين • أحدهما أن بني ظفر شهدوا له بالبراءة ونصروه فكانوا شركاء له في الإثم والثاني أنه جمع ليتناول طعمة وكل من خان خيانته فلا تخاصم لخائن قط ولا تجادل عنه • فإن قلت لم قيل خوانا أثيما على المبالغة قلت كان الله عالما من طعمة بالإفراط في الخيانة وركوب المآثم ومن كانت تلك خاتمة أمره لم يشك في حاله • وقيل إذا عثرت من رجل على سيئة فاعلم أن لها أخوات • وعن عمر رضي الله عنه أنه أمر بقطع يد سارق فجاءت أمه تبكي وتقول هذه أول سرقة سرقها فاعف عنه فقال كذبت إن الله لا يؤاخذ عبده في أول مرة • يستخفون من الناس ولا يستخفون من الله وهو معهم إذ يبيتون ما لا

يرضى من القول وكان الله بما يعملون محيطا ۞ يستخفون يستترون من الناس حياء منهم
وخوفا من ضررهم ۞ ولا يستخفون من الله ولا يستحيون منه ۞ وهو معهم وهو عالم بهم مطلع
عليهم لا يخفى عليه خافٍ من سرّهم وكفى بهذه الآية ناعية على الناس ما هم فيه من قلة الحياء والخشية
من ربهم مع علمهم ان كانوا مؤمنين انهم في حضرته لا سترة ولا غفلة ولا غيبة وليس الا الكشف
الصريح والافتضاح ۞ يبيتون يدبرون ويزورون واصله ان يكون بالليل ۞ ما لا يرضى
من القول وهو تدبير طعمة ان يرمي بالدرع في دار زيد ليسرّق دونه ويحلف ببراءته ۞
فان قلت كيف سمّى التدبير قولا وانما هو معنى في النفس قلت لما حدّث بذلك
نفسه سمّي قولا على المجاز ۞ ويجوز ان يراد بالقول الحلف الكاذب الذي حلف به بعد ان
بيّته وتوريكه الذنب على اليهودي ۞ ها انتم هؤلاء جادلتم عنهم في الحيوة الدنيا فمن يجادل
الله عنهم يوم القيامة ام من يكون عليهم وكيلا ۞ ها انتم هؤلاء ها للتنبيه في
انتم واولاء وهما مبتدأ وخبر وجادلتم جملة مبيّنة لوقوع اولاء خبرا كما تقول لبعض
الاسخياء انت حاتم تجود بمالك وتؤثر على نفسك ۞ ويجوز ان يكون اولاء اسما موصولا
بمعنى الذين وجادلتم صلته ۞ والمعنى هبوا انكم خاصمتم عن طعمة وقومه في الدنيا فمن
يخاصم عنهم في الآخرة اذا اخذهم الله بعذابه وقرأ عبد الله عنه اي عن طعمة وكيلا
حافظا ومحاميا من بأس الله وانتقامه ومن يعمل سوءا او يظلم نفسه ثم يستغفر الله
يجد الله غفورا رحيما ۞ ومن يعمل سوءا قبيحا متعديا يسوء به غيره كما فعل طعمة بقتادة
واليهودي ۞ او يظلم نفسه بما يختص به كالحلف الكاذب ۞ وقيل ومن يعمل سوءا
من ذنب دون الشرك او يظلم نفسه بالشرك وهذا بعث لطعمة على الاستغفار والتوبة
لتلزمه الحجة مع العلم بما يكون منه او لقومه لما فرط منهم من نصرته والذبّ عنه ۞
ومن يكسب اثما فانما يكسبه على نفسه وكان الله عليما حكيما ۞ ومن يكسب خطيئة
او اثما ثم يرم به بريئا فقد احتمل بهتانا واثما مبينا ۞ فانما يكسبه على نفسه اي لا يتعدّاه
ضرره الى غيره فليبق على نفسه من كسب السوء ۞ خطيئة صغيرة ۞ او اثما كبيرة ۞ ثم يرم به بريئا كما رمى
طعمة زيدا ۞ فقد احتمل بهتانا واثما لانه بكسب الاثم آثم وبرمي البريء باهت فهو جامع بين
الامرين وقرأ معاذ بن جبل رضي الله عنه ومن يكسّب بكسر الكاف والسين المشددة
واصله يكتسب ولولا فضل الله عليك ورحمته لهمّت طائفة منهم ان يضلّوك وما
يضلّون الا انفسهم وما يضرّونك من شيء وانزل الله عليك الكتاب والحكمة
وعلّمك ما لم تكن تعلم وكان فضل الله عليك عظيما ۞ ولولا فضل الله عليك ورحمته
اي عصمته والطافه وما اوحى اليك من الاطلاع على سرّهم ۞ لهمّت طائفة منهم من بني
ظفر ان يضلّوك عن القضاء بالحق وتوخّي طريق العدل مع علمهم بان الجاني هو صاحبهم ۞ فقد
روي ان ناسا منهم كانوا يعلمون كنه القصة ۞ وما يضلّون الا انفسهم لان وباله عليهم
وما يضرّونك من شيء لانك انما عملت بظاهر الحال وما كان يخطر ببالك ان الحقيقة على
خلاف ذلك ۞ وعلّمك ما لم تكن تعلم من خفيّات الامور وضمائر القلوب ۞ او من امور
الدين والشرائع ۞ ويجوز ان يراد بالطائفة بنو ظفر ويرجع الضمير في منهم الى الناس

وقيل الآية في المنافقين ۞ لا خير في كثير من نجواهم الا من امر بصدقة او معروف او اصلاح
بين الناس ومن يفعل ذلك ابتغاء مرضات الله فسوف نؤتيه اجرا عظيما ۞ لا خير
في كثير من نجواهم من تناجي الناس الا من امر بصدقة الا نجوى من امر بصدقة على انه مجرور
بدل من كثير كما تقول لا خير في قيامهم الا قيام زيد ۞ ويجوز ان يكون منصوبا على الانقطاع
بمعنى ولكن من امر بصدقة ففي نجواه الخير قيل المعروف القرض وقيل اغاثة الملهوف
وقيل هو عام في كل جميل ۞ ويجوز ان يراد بالصدقة الواجب وبالمعروف ما يتصدق
به على سبيل التطوع وعن النبي عليه وسلم كلام ابن آدم كله عليه لا له الا ما كان من
امر بمعروف او نهي عن منكر ۞ او ذكر الله وسمع سفيان رجلا يقول ما اشد هذا
الحديث فقال الم تسمع الله يقول لا خير في كثير من نجواهم فهذا هو بعينه اوما سمعته
يقول والعصر ان الانسان لفي خسر فهذا هو بعينه وشرط في استيجاب الاجر العظيم ان
ينوي فاعل الخير عبادة الله والتقرب به اليه وان يبتغي به وجهه خالصا لان الاعمال
بالنيات فان قلت كيف قال الا من امر ثم قال ومن يفعل ذلك قلت قد
ذكر الآمر بالخير ليدل به على فاعله لانه اذا دخل الآمر به في زمرة الخيّرين كان الفاعل فيهم
ادخل ثم قال ومن يفعل ذلك فذكر الفاعل وقرن به الوعد بالاجر العظيم ۞ ويجوز ان
يراد ومن يأمر بذلك فعبّر عن الامر بالفعل كما يعبّر به عن سائر الافعال وقرئ
يؤتيه بالياء ومن يشاقق الرسول من بعد ما تبيّن له الهدى ويتّبع غير سبيل المؤمنين
نولّه ما تولّى ونصله جهنم وساءت مصيرا ۞ ويتبع غير سبيل المؤمنين وهو السبيل
الذي هم عليه من الدين الحنيفي القيّم وهو دليل على ان الاجماع حجة لا يجوز مخالفتها
كما لا يجوز مخالفة الكتاب والسنة لان الله عزّ وعلا جمع بين اتباع غير سبيل المؤمنين
وبين مشاقة الرسول في الشرط وجعل جزاءه الوعيد الشديد فكان اتباعهم واجبا
كموالاة الرسول ۞ نولّه ما تولّى نجعله واليا لما تولّى من الضلال بان نخذله ونخلّي بينه
وبين ما اختاره ۞ ونصله جهنم وقرئ ونَصله بفتح النون من صلاه ۞ وقيل هي
في طعمة وارتداده وخروجه الى مكة ۞ ان الله لا يغفر ان يشرك به ويغفر ما دون ذلك
لمن يشاء ومن يشرك بالله فقد ضلّ ضلالا بعيدا ۞ ان الله لا يغفر ان يشرك به تكرير
للتأكيد ۞ وقيل كرّر لقصة طعمة ۞ وروي انه مات مشركا وقيل جاء شيخ من العرب
الى رسول الله فقال اني شيخ منهمك في الذنوب الا اني لم اشرك بالله شيئا منذ عرفته
وآمنت به ولم اتخذ من دونه وليا ولم اواقع المعاصي جرأة على الله ولا مكابرة له وما توهمت
طرفة عين اني اعجز الله هربا واني لنادم تائب مستغفر فما ترى حالي عند الله فنزلت وهذا
الحديث ينزل من قرن من يشاء بالتائب من ذنبه ۞ ان يدعون من دونه الا اناثا وان يدعون
الا شيطانا مريدا لعنه الله وقال لاتخذن من عبادك نصيبا مفروضا ۞ ولاضلنهم
ولامنينهم ولآمرنهم فليبتكن آذان الانعام ولآمرنهم فليغيرن خلق الله
ومن يتخذ الشيطان وليا من دون الله فقد خسر خسرانا مبينا يعدهم ويمنيهم
وما يعدهم الشيطان الا غرورا ۞ اولئك مأواهم جهنم ولا يجدون عنها محيصا

التكلم وتشنيعه

علامه كلام ابن ادم والاخره

الجملة التي الا بعرّا اذا بعد فيج

الكلمة التالية لان الكلمة النكرة
فله وهذا يبعد مذهب اهل السنة

الا اناثا هي اللات والعزى ومناة وعن الحسن رحمة الله عليه لم يكن حي من احيا العرب
الا ولهم صنم يعبدونه يسمونه انثى بني فلان وقيل كانوا يقولون في اصنامهم هن بنات
الله وقيل المراد الملائكة لقولهم الملائكة بنات الله وقرئ اُنُثا جمع انيث
او اناث ووُثُنا واُثُنا بالتثقيل والتخفيف جمع وثن كقولك اسد واُسُد واُسْد وقلب
الواو الفا نحو اجوه في وجوه وقرأت عايشة رضي الله عنها اوثانا وان يدعون
وان يعبدون بعبادة الاصنام الا شيطانا لانه هو الذي اغراهم على عبادتها فاطاعوه
فجعلت طاعتهم له عبادة ولعنه الله وقال لاتخذن صفتان بمعنى شيطانا مريدا
جامعا بين لعنة الله وهذا القول الشنيع نصيبا مفروضا مقطوعا واجبا فرضته
لنفسي من قولهم فرض له في العطا وفرض الجند رزقه وقال الحسن من كل الف تسعماية وتسعين
الى النار ولامنينهم الاماني الباطلة من طول الاعمار وبلوغ الامال ورحمة الله للمجرمين
بغير توبة والخروج من النار بعد دخولها بالشفاعة ونحو ذلك ولبتكن اذان
نعلم بالبحاير كانوا يشقون اذان الناقة اذا ولدت خمسة ابطن وجا الخامس ذكرا وحرموا
على انفسهم الانتفاع بها وتغييرهم خلق الله فقوء عين الحامي واعفاؤه عن الركوب
وقيل الخصا وهو في قول عامة العلماء مباح في البهايم واما في بني ادم فمحظور وعند
ابي حنيفة رحمة الله عليه يكره شري الخصيان وامساكهم واستخدامهم لان الرغبة فيهم
تدعو الى خصايهم وقيل فطرة الله التي هي دين الاسلام وقيل للحسن ان عكرمة
يقول هو الخصا فقال كذب عكرمة هو دين الله وعن ابن مسعود رضي الله عنه
هو الوشم وعنه لعن الله الواشرات والمتنمصات والمستوشمات المغيرات خلق
الله وقيل التخنث والذين امنوا وعملوا الصالحات سندخلهم جنات تجري من تحتها
الانهار خالدين فيها ابدا وعد الله حقا ومن اصدق من الله قيلا وعد الله حقا مصدران
الاول مؤكد لنفسه والثاني مؤكد لغيره ومن اصدق من الله قيلا توكيد ثالث بليغ
فان قلت ما فايدة هذه التوكيدات قلت معارضة مواعيد الشيطان
الكاذبة واماني الباطلة لقرنايه بوعد الله الصادق لاوليايه وهو ترغيبا للعباد
في ايثار ما يستحقون به تنجز وعد الله على ما يتجرعون في عاقبته غصص اخلاف مواعيد
الشيطان ليس باماينكم ولا اماني اهل الكتاب من يعمل سوءا يجز به ولا يجد له من دون
الله وليا ولا نصيرا ومن يعمل من الصالحات من ذكر او انثى وهو مؤمن فاولئك يدخلون
الجنة ولا يظلمون نقيرا في ليس ضمير وعد الله اي ليس ينال ما وعد الله من الثواب
باماينكم ولا باماني اهل الكتاب والخطاب للمسلمين لانه لا يتمنى وعد الله الا من امن
به وكذلك ذكر اهل الكتاب معهم لمشاركتهم لهم في الايمان بوعد الله وعن مسروق
والسدي هي في المسلمين وعن الحسن ليس الايمان بالتمني ولكن ما وقر في القلب
وصدقه العمل ان قوما الهتهم اماني المغفرة حتى خرجوا من الدنيا ولا حسنة لهم وقالوا نحسن
الظن بالله وكذبوا لو احسنوا الظن به لاحسنوا العمل وقيل ان المسلمين واهل
الكتاب افتخروا فقال اهل الكتاب نبينا قبل نبيكم وكتابنا قبل كتابكم وقال المسلمون نحن

اولى منكم نبينا خاتم النبيين وكتابنا يقضي على الكتب التي كانت قبله فنزلت ويحتمل ان
يكون الخطاب للمشركين لقولهم ان كان الامر كما يزعم هولاء لنكونن خيرا منهم واحسن حالا
لاوتين مالا وولدا ان لي عنده للحسنى وكان اهل الكتاب يقولون نحن ابناء الله واحباؤه
لن تمسنا النار الا اياما معدودة ويعضده تقدم ذكر اهل الشرك له وعن مجاهد
ان الخطاب للمشركين قوله من يعمل سوءا يجز به وقوله ومن يعمل من الصالحات بعد ذكر
تمني اهل الكتاب نحو من قوله بلى من كسب سيئة واحاطت به خطيئته وقوله والذين
امنوا وعملوا الصالحات عقيب قوله وقالوا لن تمسنا النار الا اياما معدودة واذا
ابطل الله الاماني واثبت ان الامر كله معقود بالعمل الصالح وان من اصلح عمله فهو الفايز
ومن اساء عمله فهو الهالك تبين الامر ووجب قطع الاماني وحسم المطامع والاقبال على العمل
الصالح ولكنه نصح لا تعيه الاذان ولا تلقي اليه الاذهان فان قلت ما الفرق بين
من الاولى والثانية قلت الاولى للتبعيض اراد ومن يعمل بعض الصالحات لان كلا
لا يتمكن من كل الصالحات لاختلاف الاحوال وانما يعمل منها ما هو تكليفه وفي وسعه وكم
من مكلف لا حج عليه ولا جهاد ولا زكوة وتسقط عنه الصلوة في بعض الاحوال والثانية
لتبيين الابهام في من يعمل فان قلت كيف خص الصالحون بانهم لا يظلمون وغيرهم
مثلهم في ذلك قلت فيه وجهان احدهما ان يكون الراجع في ولا يظلمون لعمال السوء
وعمال الصالحات جميعا والثاني ان يكون ذكره عند احد الفريقين دالا على ذكره عند
الاخر لان كلا الفريقين مجزيون باعمالهم لا تفاوت بينهم ولان ظلم المسيء ان يزاد في عقابه
وارحم الراحمين معلوم انه لا يزيد في عقاب المجرم فكان ذكره مستغنى عنه واما المحسن
فله ثوابه وتوابع الثواب من فضل الله هي في حكم الثواب فجاز ان ينقص من الفضل لانه
ليس بواجب فكان نفي الظلم دلالة على انه لا يقع نقصان في الفضل ومن احسن دينا ممن
اسلم وجهه لله وهو محسن واتبع ملة ابراهيم حنيفا واتخذ الله ابراهيم خليلا
اسلم وجهه لله اخلص نفسه لله وجعلها سالمة له لا يعرف لها ربا ومعبودا سواه وهو
محسن وهو عامل للحسنات تارك للسيئات حنيفا حال من المتبع او من ابراهيم كقوله بل ملة
ابراهيم حنيفا وهو الذي تحنف اي مال عن الاديان كلها الى دين الاسلام واتخذ الله ابراهيم
خليلا مجاز عن اصطفائه واختصاصه بكرامة تشبه كرامة الخليل عند خليله والخليل المخال
وهو الذي يخالك اي يوافقك في خلالك او يسايرك في طريقك من الخل وهو الطريق
في الرمل او يسد خللك كما تسد خلله او يداخلك خلال منازلك وحجبك فان قلت
ما موقع هذه الجملة قلت هي جملة اعتراضية لا محل لها من الاعراب كنحو ما يجي في
الشعر من قولهم والحوادث جمة فايدتها تاكيد وجوب اتباع ملته لان من بلغ من الزلفى
عند الله ان اتخذه خليلا كان جديرا بان يتبع ملته وطريقته ولو جعلتها معطوفة على الجملة
قبلها لم يكن لها معنى وقيل ان ابراهيم عليه السلام بعث الى خليل له بمصر في ازمة
اصابت الناس يمتار منه فقال خليله لو كان ابراهيم يطلب الميرة لنفسه لفعلت ولكنه
يريدها للاضياف فاجتاز غلمانه ببطحاء لينة فملأوا منها الغراير حياء من الناس فلما اخبروا

قوله تعالى الا تريان الاية قيل نزلت في الوليد ابن المغيرة والمشهور انها في العاص بن وايل
قال خباب بن الارت كان لي عليه دين فاقتضيته فقال لا والله حتى تكفر بمحمد قلت لا والله
لا اكفر بمحمد لا حيا ولا ميتا ولا حين بعثت قال فاني اذا مت ثم بعثت جيتني وسيكون لي ثم مال وولد
فاعطيك وقيل صاغ له خباب حليا فاقتضاه الاجر فقال انكم تزعمون انكم تبعثون وان في
الجنة ذهبا وفضة وحريرا فانا اقضيك ثم فاني اوتى

ابراهيم صلوات الله عليه ساءه الخبر فملئته عيناه وعمدت امرأته الى غرارة منها فاخرجت احسن
حُوارى واختبزت ٭ واستنبه ابراهيم عليه السلام فاشتم رائحة الخبز فقال من اين لكم هذه
فقالت امرأته من خليلك المصرى فقال بل من عند خليلي الله عز وجل فسمّاه الله خليلا ولله
ما في السموات وما في الارض وكان الله بكل شيء محيطا ٭ ولله ما في السموات وما في الارض
متصل بذكر العمّال الصالحين والطالحين ٭ ومعناه ان له ملك اهل السموات والأرض
فطاعته واجبة عليهم ٭ وكان الله بكل شيء محيطا فكان عالما باعمالهم فمجازيهم على خيرها
وشرها فعليهم ان يختاروا لانفسهم ما هو اصلح لها ٭ ويستفتونك في النساء قل الله يفتيكم
فيهن وما يتلى عليكم في الكتاب في يتامى النساء اللاتي لا تؤتونهن ما كتب لهن وترغبون
ان تنكحوهن والمستضعفين من الولدان وان تقوموا لليتامى بالقسط وما تفعلوا
من خير فان الله كان به عليما ٭ ما يتلى في محل الرفع اى الله يفتيكم والمتلو في الكتاب
في معنى اليتامى يعنى قوله وان خفتم الا تقسطوا في اليتامى وهو من قولك اعجبنى زيد وكرمه ٭
ويجوز ان يكون ما يتلى عليكم مبتدأ وفي الكتاب خبره على انها جملة معترضة ٭ والمراد بالكتاب
اللوح المحفوظ تعظيما للمتلو عليهم وان العدل والنصفة في حقوق اليتامى من عظائم الامور
المرفوعة الدرجات عند الله التى تجب مراعاتها والمحافظة عليها والمخل بها ظالم متهاون
بما عظمه الله ونحوه وانه في ام الكتاب لدينا لعلي حكيم ٭ ويجوز ان يكون مجرورا على القسم
كانه قيل قل الله يفتيكم فيهن واقسم بما يتلى عليكم في الكتاب ٭ والقسم ايضا بمعنى التعظيم
وليس بسديد ان يعطف على المجرور في فيهن لاختلاله من حيث اللفظ والمعنى فان قلت
بم تعلق قوله في يتامى النساء قلت في الوجه الاول هو صلة يتلى اى يتلى عليكم في معناهن
ويجوز ان يكون في يتامى النساء بدلا من فيهن ٭ واما في الوجهين الاخيرين فبدل لا غير فان
قلت الاضافة في يتامى النساء ما هى قلت اضافة بمعنى من كقولك عندى سحق عمامة
وقرئ في ييامى النساء بيائين على قلب همزة ايامى ياء ٭ لا تؤتونهن ما كتب لهن وقرئ
ما كتب الله لهن اى ما فرض لهن من الميراث ٭ وكان الرجل منهم يضم اليتيمة الى نفسه ومالها فان
كانت جميلة تزوجها واكل المال وان كانت دميمة عضلها عن التزوج حتى تموت فيرثها ٭ وترغبون
ان تنكحوهن يحتمل في ان تنكحوهن لجمالهن وعن ان تنكحوهن لدمامتهن وروى ان عمر بن
الخطاب رضى الله عنه كان اذا جاءه ولى اليتيمة نظر فان كانت جميلة غنية قال زوجها غيرك
والتمس لها من هو خير منك وان كانت دميمة لا مال لها قال تزوجها فانت احق بها والمستضعفين
مجرور معطوف على يتامى النساء وكانوا في الجاهلية انما يورثون الرجال القوام بالامور دون
الاطفال والنساء ٭ ويجوز ان يكون خطابا للاوصياء كقوله تعالى ولا تتبدلوا
الخبيث بالطيب ٭ وان تقوموا مجرور كالمستضعفين بمعنى يفتيكم في يتامى النساء وفي المستضعفين
وفي ان تقوموا ٭ ويجوز ان يكون منصوبا بمعنى ويامركم ان تقوموا وهو خطاب للائمة
في ان ينظروا لهم ويستوفوا لهم حقوقهم ولا يخلوا احدا يهتضمهم وان امرأة خافت من
بعلها نشوزا او اعراضا فلا جناح عليهما ان يصالحا بينهما صلحا والصلح خير واحضرت
الانفس الشح وان تحسنوا وتتقوا فان الله كان بما تعملون خبيرا ٭ خافت من بعلها

نشوزا توقعت منه ذلك لما لاح لها من مخايله وامارته ٭ والنشوز ان يتجافى عنها بان يمنعها
نفسه ونفقته والمودة والرحمة التى بين الرجل والمرأة وان يوذيها بسبّ او ضرب ٭ والاعراض
ان يعرض عنها بان يقل محادثتها ومؤانستها وذلك لبعض الاسباب من طعن في سن او دمامة
او شيء في خلق او خُلق ٭ او ملال او طموح عين الى اخرى او غير ذلك فلا بأس بهما في ان يصلحا
بينهما وقرئ يصّالحا ويصلحا بمعنى يتصالحا ويصطلحا ونحو اصلح اصطلح فى معنى تصدّد
كل واحد من الافعال الثلاثة ومعنى الصلح ان يتصالحا على ان تطيب له نفسا عن القسمة او
عن بعضها كما فعلت سودة بنت زمعة رضى الله عنها حين كرهت ان يفارقها رسول الله عليه
السلام وعرفت مكان عائشة رضى الله عنها من قلبه فوهبت لها يومها ٭ وكما روى ان امرأة
اراد زوجها ان يطلقها لرغبته عنها وكان لها منه ولد فقالت لا تطلقنى ودعنى اقوم على ولدى وتقسم
لى في كل شهرين فقال ان كان هذا يصلح فهو احب الىّ فاقرها ٭ او تهب له بعض المهر او كله او النفقة
فان لم تفعل فليس له الا ان يمسكها باحسان او يسرحها ٭ والصلح خير من الفرقة او من النشوز
والاعراض وسوء العشرة ٭ او هو خير من الخصومة في كل شيء ٭ او الصلح خير من الخيور كما ان الخصومة
شر من الشرور ٭ وهذه الجملة اعتراض ٭ وكذا قوله واحضرت الانفس الشح ومعنى احضار الانفس الشح
ان الشح جعل حاضرا لها لا يغيب عنها ابدا ولا ينفك عنه يعنى انها مطبوعة عليه والغرض ان
المرأة لا تكاد تسمح بقسمتها ٭ وبغير قسمتها ٭ والرجل لا تكاد نفسه تسمح بان يقسم لها وان يمسكها اذا
رغب عنها واحب غيرها ٭ وان تحسنوا بالاقامة على نسائكم وان كرهتموهن واحببتم غيرهن
وتصبروا على ذلك مراعاة لحق الصحبة وتتقوا النشوز والاعراض وما يؤدى الى الاذى والخصومة
فان الله كان بما تعملون من الاحسان والتقوى خبيرا وهو يثيبكم عليه وكان عمران بن حطان
الخارجى من ادم بنى ادم وامرأته من اجملهم فاجالت في وجهه نظرها يوما ثم تابعت الحمد لله
فقال لها ما لك قالت حمدت الله على انى واياك من اهل الجنة قال كيف قالت لانك رزقت مثلى
فشكرت ورزقت مثلك فصبرت وقد وعد الله تعالى الجنة عباده الشاكرين والصابرين
ولن تستطيعوا ان تعدلوا بين النساء ولو حرصتم فلا تميلوا كل الميل فتذروها كالمعلقة
وان تصلحوا وتتقوا فان الله كان غفورا رحيما ٭ وان يتفرقا يغن الله كلا من سعته
وكان الله واسعا حكيما ٭ ولن تستطيعوا ومحال ان تستطيعوا العدل بين النساء والتسوية
حتى لا يقع ميل البتة ولا زيادة ولا نقصان فيما يجب لهن فرفع لذلك عنكم تمام العدل
وغايته وما كلفتم منه الا ما تستطيعون بشرط ان تبذلوا فيه وسعكم وطاقتكم لان تكليف
ما لا يستطاع داخل في حد الظلم وما ربك بظلام للعبيد ٭ وقيل معناه ان تعدلوا في المحبة
وعن النبى صلى الله عليه وسلم انه كان يقسم بين نسائه فيعدل ويقول هذه قسمتى فيما املك
فلا تؤاخذنى فيما تملك ولا املك يعنى المحبة لان عائشة رضى الله عنها كانت احب اليه ٭ ٭
وقيل ان العدل بينهن امر صعب بالغ من الصعوبة حدا يوهم انه غير مستطاع لانه يجب ان يسوى
بينهن في القسمة والنفقة والتعهد والنظر والاقبال والممالحة والمفاكهة
والمؤانسة وغيرها مما لا يكاد الحصر ياتى من ورائه فهو كالخارج من حد الاستطاعة هذا اذا
كن محبوبات كلهن فكيف اذا مال القلب مع بعضهن ٭ فلا تميلوا كل الميل فلا تجوروا على المرغوب

نخلة التى نطقته ... وخليقة وخليلة ٭ يتيم تعل ...

امتبر فى م قوله تتشا ... اى طابت نفسها لاجل الزوج عن نصيبها من القسمة بان وهبته منه او من اسراة ٥

اى خير وهو من جملة الخيور تعلم منه لا يكون بمعنى التفضيل

حطان بكسر الحا وهو فعلان

التمامة نخ الوجه

الاكمل ان المراد بقوله لن تستطيعوا انه محال وانه صعب وعلى انه محال فالمراد ان يكون المراد العدل بينهن فيما يجب او في المحبة

عنها كل الجور فتمنعوها قسمها من غير رضا منها يعني ان اجتناب كل الميل مما هو في حد اليسر والسعة فلا تفرطوا فيه ان وقع منكم التفريط في العدل كله وفيه ضرب من التوبيخ • فتذروها كالمعلقة وهي التي ليست بذات بعل ولا مطلقة **قال** عليه السلام هي لا ايم ولا ذات بعل • او حظها او تطليقها • او ضلّها او بين ذلك تعليقه **وفي** قراءة ابي فتذروها كالمسجونة **وفي** من كانت له امراتان يميل مع احديهما جاء يوم القيامة واحد شقيه مائل **وروى** ان عمر بن الخطاب رضي الله عنه بعث الى ازواج رسول الله عليه السلام بمال فقالت عائشة رضي الله عنها الى كل ازواج رسول الله بعث عمر رضي الله عنه مثل هذا قالوا لا بعث الى القرشيات بمثل هذا والى غيرهن بغيره فقالت ارفع راسك فان رسول الله عليه السلام كان يعدل بيننا في القسمة بماله ونفسه فرجع الرسول فاخبره فاتم لهن جميعا وكان لمعاذ رضي الله عنه امراتان فاذا كان عند احديهما لم يتوضأ في بيت الاخرى فماتتا في الطاعون فدفنهما في قبر واحد • وان تصلحوا ما مضى من ميلكم وتتداركوه بالتوبة وتتقوا فيما يستقبل غفر الله لكم **وقرئ** وان يتفارقا بمعنى وان يفارق كل واحد منهما صاحبه • يغن الله كلا يرزقه زوجا خيرا من زوجه وعيشا اهنأ من عيشه • والسعة الغنى والمقدرة والواسع الغني المقتدر • ولله ما في السموات وما في الارض ولقد وصينا الذين اوتوا الكتاب من قبلكم واياكم ان اتقوا الله وان تكفروا فان لله ما في السموات وما في الارض وكان الله غنيا حميدا • ولله ما في السموات وما في الارض وكفى بالله وكيلا • من قبلكم متعلق بوصينا او باوتوا واياكم عطف على الذين اوتوا الكتاب من قبلكم • والكتاب اسم للجنس يتناول الكتب السماوية • ان اتقوا بان اتقوا او تكون ان المفسرة لان التوصية في معنى القول وقوله وان تكفروا فان لله عطف على اتقوا لان المعنى امرناهم وامرناكم بالتقوى وقلنا لهم ولكم ان تكفروا فان لله والمعنى ان لله الخلق كله وهو خالقهم ومالكهم والمنعم عليهم باصناف النعم كلها فحقه ان يكون مطاعا في خلقه غير معصي يتقون عقابه ويرجون ثوابه • ولقد وصينا الذين اوتوا الكتاب من الامم السالفة ووصيناكم ان اتقوا الله يعني انها وصية قديمة ما زال يوصي الله بها عباده لستم بها مخصوصين لانهم بالتقوى يسعدون عنده وبها ينالون النجاة في العاقبة وقلنا لهم ولكم ان تكفروا فان لله في سمواته وارضه من الملائكة والثقلين من يوحده ويعبده ويتقيه وكان الله مع ذلك غنيا عن خلقه وعن عبادتهم جميعا مستحقا لان يحمد لكثرة نعمه وان لم يحمده احد منهم وتكرير قوله لله ما في السموات والارض تقرير لما هو موجب تقواه ليتقوه فيطيعوه ولا يعصوه لان الخشية والتقوى اصل الخير كله • ان يشأ يذهبكم ايها الناس ويأت بآخرين وكان الله على ذلك قديرا • ان يشأ يذهبكم يفنكم ويعدمكم كما اوجدكم وانشأكم ويأت باخرين ويوجد انشاء اخرين مكانكم او خلقا اخرين غير الانس • وكان الله على ذلك من الاعدام والايجاد قديرا بليغ القدرة لا يمتنع عليه شيء اراده وهذا غضب عليهم وتخويف وبيان لاقتداره • وقيل هو خطاب لمن كان يعادي رسول الله عليه السلام من العرب اي ان يشأ يمتكم ويأت بناس اخرين يوالونه **ويروى** انها لما نزلت ضرب رسول الله عليه السلام بيده على ظهر سلمان رضي الله عنه وقال انهم قوم هذا يريد ابناء فارس • من كان يريد ثواب الدنيا فعند الله ثواب الدنيا والاخرة وكان الله سميعا بصيرا • من كان يريد ثواب الدنيا كالمجاهد يريد بجهاده الغنيمة فعند الله ثواب الدنيا والاخرة

فما له يطلب احدهما دون الاخر والذي يطلبه اخسهما لان من جاهد لله خالصا لم تخطئه الغنيمة وله من ثواب الاخرة ما الغنيمة اليه كلا شيء والمعنى فعند الله ثواب الدنيا والاخرة له ان اراده حتى يتعلق الجزاء بالشرط • يا ايها الذين امنوا كونوا قوامين بالقسط شهداء لله ولو على انفسكم او الوالدين والاقربين ان يكن غنيا او فقيرا فالله اولى بهما فلا تتبعوا الهوى ان تعدلوا وان تلووا او تعرضوا فان الله كان بما تعملون خبيرا • قوامين بالقسط مجتهدين في اقامة العدل حتى لا تجوروا • شهداء لله تقيمون شهاداتكم لوجه الله كما امرتم باقامتها • ولو على انفسكم ولو كانت الشهادة على انفسكم او ابائكم او اقاربكم **فان قلت** الشهادة على الوالدين والاقربين ان يقول اشهد ان لفلان على والدي كذا او على اقاربي فما معنى الشهادة على نفسه **قلت** هي الاقرار على نفسه لانه في معنى الشهادة عليها بالزام الحق لها • ويجوز ان يكون المعنى وان كانت الشهادة وبالا على انفسكم او على ابائكم او اقاربكم وذلك ان يشهد على من يتوقع ضرره من سلطان ظالم او غيره ان يكن ان يكن المشهود عليه غنيا فلا يمنع الشهادة عليه لغناه طلبا لرضاه • او فقيرا فلا يمنعها ترحما عليه • فالله اولى بهما بالغني والفقير اي بالنظر لهما وارادة مصلحتهما ولولا ان الشهادة عليهما مصلحة لهما لما شرعها لانه انظر لعباده من كل ناظر **فان قلت** لم ثنى الضمير في اولى بهما وكان حقه ان يوحد لان قوله ان يكن غنيا او فقيرا في معنى ان يكن احد هذين **قلت** قد رجع الضمير الى ما دل عليه قوله ان يكن غنيا او فقيرا لا الى المذكور فلذلك ثنى ولم يفرد وهو جنس الغني وجنس الفقير كانه قيل فالله اولى بجنسي الغني والفقير اي بالاغنياء والفقراء **وفي** قراءة ابي فالله اولى بهم وهي شاهدة على ذلك **وقرأ** عبد الله ان يكن غني او فقير على كان التامة • ان تعدلوا يحتمل العدل والعدول كانه قيل فلا تتبعوا الهوى كراهة ان تعدلوا بين الناس • او ارادة ان تعدلوا عن الحق • وان تلووا او تعرضوا وان تلووا السنتكم عن شهادة الحق او حكومة العدل او تعرضوا عن الشهادة بما عندكم وتمنعوها **وقرئ** وان تلوا او تعرضوا بمعنى وان وليتم اقامة الشهادة او اعرضتم عن اقامتها • فان الله كان بما تعملون خبيرا وبمجازاتكم عليه • يا ايها الذين امنوا امنوا بالله ورسوله والكتاب الذي نزل على رسوله والكتاب الذي انزل من قبل ومن يكفر بالله وملائكته وكتبه ورسله واليوم الاخر فقد ضل ضلالا بعيدا • يا ايها الذين امنوا خطاب للمسلمين • ومعنى امنوا اثبتوا على الايمان وداوموا عليه وازدادوه • والكتاب الذي انزل من قبل والمراد به جنس ما انزل على الانبياء قبله من الكتب والدليل عليه قوله وكتبه **وقرئ** وكتابه على ارادة الجنس **وقرئ** نزل وانزل على البناء للفاعل • وقيل الخطاب لاهل الكتاب لانهم امنوا ببعض الكتب وكفروا ببعض **وروى** انه لعبد الله بن سلام واسد واسيد ابني كعب • وثعلبة بن قيس • وسلام ابن اخت عبد الله بن سلام وسلمة ابن اخيه • ويامين بن يامين اتوا رسول الله صلى الله عليه وسلم وقالوا يا رسول الله انا نؤمن بك وبكتابك وموسى والتورية وعزير ونكفر بما سواه من الكتب والرسل فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم بل امنوا بالله ورسوله محمد والكتاب القران وبكل كتاب

توله حتى يتعلق من حيث المعنى متعلق بقوله والمعنى فكانه قال هذا اللفظ مراد ومقدر ليتعلق الجزاء بواسطته بالشرط والا لم يكن بينهما ربط له بتفهيم المعنى

اشار الى ان البا في بالقسط للتعدية والى ان القوام بناء مبالغة

قال ابو البقاء قيل الضمير يعود الى ما دل عليه الكلام والتقدير فالله اولى بالغني والفقير وقال الامام كان حق الضمير ان يعود الى ما دل عليه تقدم ذكر الشهادة اي كان المقسم او كل احد من الشهود عليه والمشهود له وذلك ان كل واحد من الضمير يجوز ان يكون غنيا وان يكون فقيرا وقد يكونان غنيين وفقيرين قالوا والتثنية كما انتم هذا اذا كانت او على ظاهرها واما اذا كانت بمعنى الواو كما حكي عن الاخفش فالضمير عايد الى لفظ غني وفقير

توله ذا تواجه نبينة لقوله انه لعبد الله الاخره

كان قبله ثقاتا لو لا تفعل فنزلت فآمنوا كلهم وقيل هو للمنافقين كانه قيل يا ايها الذين آمنوا
نفاقا آمنوا اخلاصا **فان قلت** كيف قيل لاهل الكتاب والكتاب الذي انزل من قبل
وكانوا مومنين بالتورية والانجيل **قلت** كانوا مومنين بهما فحسب وما كانوا مومنين بكل
ما انزل من الكتب فامروا ان يومنوا بالجنس كله ولان ايمانهم ببعض الكتب لا يصح ايمانا به لان
طريق الايمان به هو المعجزة ولا اختصاص لها ببعض الكتب دون بعض فلو كان ايمانهم بما آمنوا
به لاجل المعجزة لآمنوا به كله فحين آمنوا ببعضه علم انهم لم يعتبروا المعجزة فلم يكن ايمانهم
ايمانا وهو الذي اراده عز وجل في قوله ويقولون نومن ببعض ونكفر ببعض ويريدون
ان يتخذوا بين ذلك سبيلا اولئك هم الكافرون حقا **فان قلت** لم قيل نزل على
رسوله وانزل من قبل **قلت** لان القرآن نزل مفرقا منجما في عشرين سنة بخلاف الكتب
قبله ومعنى قوله ومن يكفر بالله الآية ومن يكفر بشيء من ذلك فقد ضل لان الكفر ببعضه
كفر بكله الا ترى كيف قدم الامر بالايمان به جميعا ان الذين آمنوا ثم كفروا ثم آمنوا ثم
كفروا ثم ازدادوا كفرا لم يكن الله ليغفر لهم ولا ليهديهم سبيلا لم يكن الله ليغفر
لهم ولا ليهديهم سبيلا نفي للغفران والهداية وهي اللطف على سبيل المبالغة التي يعطيها
اللام والمراد بنفيهما نفي ما يقتضيهما وهو الايمان الخالص الثابت والمعنى ان الذين تكرر
منهم الارتداد وعهد منهم ازدياد الكفر والاصرار عليه يستبعد منهم ان يحدثوا ما يستحقون
به المغفرة ويستوجبون اللطف من ايمان صحيح ثابت يرضاه الله لان قلوب اولئك الذين هذا
ديدنهم قلوب قد ضريت بالكفر ومرنت على الردة وكان الايمان اهون شيء عندهم وادونه
حيث يبدو لهم فيه كرة بعد اخرى وليس المعنى انهم لو اخلصوا الايمان بعد تكرار الردة ونصحت
توبتهم لم تقبل منهم ولم يغفر لهم لان ذلك مقبول حيث هو بذل للطاقة واستفراغ للوسع
ولكنه استبعاد له واستغراب وانه امر لا يكاد يكون وهكذا ترى الفاسق الذي يتوب
ثم يرجع ثم يتوب ثم يرجع لا يكاد يرجى منه الثبات والغالب انه يموت على شر حال واسمج
صورة **وقيل** هم اليهود آمنوا بالتورية وبموسى ثم كفروا بالانجيل وبعيسى ثم
ازدادوا كفرا بكفرهم بمحمد صلى الله عليه وسلم بشر المنافقين بان لهم عذابا اليما الذين
يتخذون الكافرين اولياء من دون المومنين ايبتغون عندهم العزة فان العزة لله جميعا
بشر المنافقين وضع بشر مكان اخبر تهكما بهم الذين نصب على الذم او رفع بمعنى اريد الذين او
هم الذين وكانوا يمايلون الكفرة ويوالونهم ويقول بعضهم لبعض لا يتم امر محمد فتولوا اليهود
فان العزة لله جميعا يريد لاوليائه الذين كتب الله لهم العز والغلبة على اليهود وغيرهم وقال
ولله العزة ولرسوله وللمومنين وقد نزل عليكم في الكتاب ان اذا سمعتم آيات الله يكفر بها
ويستهزأ بها فلا تقعدوا معهم حتى يخوضوا في حديث غيره انكم اذا مثلهم ان الله جامع
المنافقين والكافرين في جهنم جميعا ان اذا سمعتم هي ان المخففة من الثقيلة والمعنى انه اذا
سمعتم اي نزل عليكم ان الشان كذا والشان ما افادته الجملة بشرطها وجزائها وان مع ما في
حيزها في موضع الرفع بنزل او في موضع النصب بنزل فيمن قرأ به والمنزل عليهم في الكتاب هو
ما نزل عليهم بمكة من قوله واذا رايت الذين يخوضون في آياتنا فاعرض عنهم حتى يخوضوا في

حديث غيره وذلك ان المشركين كانوا يخوضون في ذكر القرآن في مجالسهم فيستهزؤون به فنهى
المسلمون عن القعود معهم ما داموا خائضين فيه وكان احبار اليهود بالمدينة يفعلون نحو فعل
المشركين فنهوا ان يقعدوا معهم كما نهوا عن مجالسة المشركين بمكة وكان الذين يقاعدون
الخائضين في القرآن من الاحبار هم المنافقون فقيل لهم انكم مثل الاحبار في الكفر ان الله جامع
المنافقين والكافرين يعني القاعدين والمقعود معهم **فان قلت** الضمير في قوله فلا
تقعدوا معهم الى من يرجع **قلت** الى من دل عليه يكفر بها ويستهزأ بها كانه قيل فلا تقعدوا
مع الكافرين بها والمستهزئين بها **فان قلت** لم يكونون مثلهم بالمجالسة اليهم في وقت الخوض
قلت لانهم اذا لم ينكروا عليهم في وقت الخوض كانوا راضين والراضي بالكفر كافر **فان
قلت** فهلا كان المسلمون بمكة حين كانوا يجالسون الخائضين من المشركين منافقين
قلت لا لانهم كانوا لا ينكرون لعجزهم وهؤلاء لم ينكروا مع قدرتهم فكان ترك الانكار
لرضاهم الذين يتربصون بكم فان كان لكم فتح من الله قالوا الم نكن معكم وان كان للكافرين
نصيب قالوا الم نستحوذ عليكم ونمنعكم من المومنين فالله يحكم بينكم يوم القيامة
ولن يجعل الله للكافرين على المومنين سبيلا الذين يتربصون اما بدل من الذين
يتخذون واما صفة للمنافقين او نصب على الذم منهم يتربصون بكم اي ينتظرون بكم
ما يتجدد لكم من ظفر او اخفاق الم نكن معكم مظاهرين فاسهموا لنا في الغنيمة الم نستحوذ
عليكم الم نغلبكم ونتمكن من قتلكم واسركم فابقينا عليكم ونمنعكم من المومنين بان ثبطناهم
عنكم وخيلنا لهم ما ضعفت به قلوبهم ومرضوا في قتالكم وتوانينا في مظاهرتهم عليكم فهاتوا
نصيبا لنا مما اصبتم **وقرئ** ونمنعكم بالنصب باضمار ان **قال** الحطيئة
الم اك جاركم ويكون بيني وبينكم المودة والاخاء **فان قلت** لم سمي
ظفر المسلمين فتحا وظفر الكافرين نصيبا **قلت** تعظيما لشان المسلمين وتخسيسا لحظ الكافرين
لان ظفر المسلمين امر عظيم تفتح له ابواب السماء على اوليائه واما ظفر الكافرين فما هو
الا حظ دني ولمظة من الدنيا يصيبونها ان المنافقين يخادعون الله وهو خادعهم
واذا قاموا الى الصلوة قاموا كسالى يراؤون الناس ولا يذكرون الله الا قليلا يخادعون
الله يفعلون ما يفعل المخادع من اظهار الايمان وابطان الكفر وهو خادعهم وهو فاعل
بهم ما يفعل الغالب في الخداع حيث تركهم معصومي الدماء والاموال في الدنيا واعد لهم
الدرك الاسفل من النار في الآخرة ولم يخلهم في العاجل من فضيحة واحلال باس ونقمة ورعب
دائم والخادع اسم فاعل من خادعته فخدعته اذا غلبته وكنت اخدع منه وقيل يعطون على
الصراط نورا كما يعطى المومنون فيمضون بنورهم ثم يطفا نورهم ويبقى نور المومنين فينادون
انظرونا نقتبس من نوركم كسالى **قرئ** بضم الكاف وفتحها جمع كسلان كسكارى في سكران
اي يقومون متثاقلين متقاعسين كما ترى من يفعل شيئا على كره لا عن طيبة نفس ورغبة
يراؤون الناس يقصدون بصلاتهم الرياء والسمعة ولا يذكرون الله الا قليلا ولا يصلون
الا قليلا لانهم لا يصلون قط غائبين عن عيون الناس الا ما يجاهرون به وما يجاهرون به قليل
ايضا لانهم ما وجدوا مندوحة من تكلف ما ليس في قلوبهم لم يتكلفوه او ولا يذكرون الله

بالتسبيح والتهليل لا ذكرا قليلا في الندرة وهكذا ترى كثيرا من المتظاهرين بالاسلام لو صحبته الايام والليالي لم تسمع منه تهليلة ولا تسبيحة ولا تحميدة ولكن حديث الدنيا يستغرق به اوقاته لا يفتر عنه ويجوز ان يراد بالقلة العدم فان قلت ما معنى المراآة وهي مفاعلة من الرؤية قلت فيها وجهان احدهما ان المرائي يريهم عمله وهم يرونه استحسانه والثاني ان يكون من المفاعلة بمعنى التفعيل فيقال رآى الناس بمعنى رآهم كقولك نعمه وناعمه وفنقه وفانقه وعيش مفانق وروى ابو زيد رأت المرأة المرأة الرجل اذا امسكتها لترى وجهه ويدل عليه قراءة ابن ابي اسحق يرؤنهم بهمزة مشددة مثل يرعونهم اي يبصرونهم اعمالهم ويراؤنهم كذلك مذبذبين بين ذلك لا الى هؤلاء ولا الى هؤلاء ومن يضلل الله فلن تجد له سبيلا مذبذبين اما حال نحو قوله ولا يذكرون الله عن واو يراؤن اي يراؤنهم غير ذاكرين مذبذبين او منصوب على الذم ومعنى مذبذبين ذبذبهم الشيطان والهوى بين الايمان والكفر فهم مترددون بينهما متحيرون وحقيقة المذبذب الذي يذب عن كلا الجانبين اي يذاد ويدفع فلا يقر في جانب واحد كما قيل فلان يرمى به الرجوان الا ان الذبذبة فيها تكرير ليس في الذب كان المعنى كلما مال الى جانب ذب عنه وقرأ ابن عباس رضي الله عنه مذبذبين بكسر الذال بمعنى يذبذبون قلوبهم او دينهم او رايهم او بمعنى يتذبذبون كما جاء صلصل وتصلصل بمعنى وفي مصحف عبد الله متذبذبين وعن ابي جعفر مدبدبين بالدال غير المعجمة وكان المعنى اخذ بهم تارة في دبة وتارة في دبة فليسوا بماضين على دبة واحدة والدبة الطريقة ومنها دبة قريش وذلك اشارة الى الكفر والايمان لا الى هؤلاء لا منسوبين الى هؤلاء فيكونوا مؤمنين ولا الى هؤلاء ولا منسوبين الى هؤلاء فيسموا مشركين يا ايها الذين آمنوا لا تتخذوا الكافرين اولياء من دون المؤمنين اتريدون ان تجعلوا لله عليكم سلطانا مبينا لا تتخذوا الكافرين اولياء لا تتشبهوا بالمنافقين في اتخاذهم اليهود وغيرهم من اعداء الاسلام اولياء سلطانا حجة بينة يعني ان موالاة الكافرين بينة على النفاق وعن صعصعة بن صوحان انه قال لابن اخ له خالص المؤمن وخالق الكافر والفاجر فان الفاجر يرضى منك بالخلق الحسن وانه يحق عليك ان تخالص المؤمن ان المنافقين في الدرك الاسفل من النار ولن تجد لهم نصيرا الا الذين تابوا واصلحوا واعتصموا بالله واخلصوا دينهم لله فاولئك مع المؤمنين وسوف يؤت الله المؤمنين اجرا عظيما الدرك الاسفل الطبق الذي في قعر جهنم والنار سبع دركات سميت بذلك لانها متداركة اي متتابعة بعضها فوق بعض وقرئ بسكون الراء والوجه التحريك لقولهم ادراك جهنم فان قلت لم كان المنافق اشد عذابا من الكافر قلت لانه مثله في الكفر وضم الى كفره الاستهزاء بالاسلام واهله ومداجاتهم واصلحوا ما افسدوا من اسرارهم واحوالهم في حال النفاق واعتصموا بالله ووثقوا به كما يثق المؤمنون الخلص واخلصوا دينهم لله لا يبتغون بطاعاتهم الا وجهه فاولئك مع المؤمنين فهم اصحاب المؤمنين ورفقاؤهم في الدارين وسوف يؤت الله المؤمنين اجرا عظيما فيشاركونهم فيه ويساهمونهم فان قلت من المنافق قلت هو في الشريعة من اظهر الايمان وابطن الكفر واما تسمية من ارتكب ما يفسق به بالمنافق

فللتغليظ كقوله صلى الله عليه وسلم من ترك الصلوة متعمدا فقد كفر ومنه قوله صلى الله عليه وسلم ثلاث من كن فيه فهو منافق وان صام وصلى وزعم انه مسلم من اذا حدث كذب واذا وعد اخلف واذا ائتمن خان وقيل لحذيفة رضي الله عنه من المنافق فقال الذي يصف الاسلام ولا يعمل به وقيل لابن عمر رضي الله عنه ندخل على السلطان ونتكلم بكلام فاذا خرجنا تكلمنا بخلافه فقال كنا نعده من النفاق وعن الحسن اتى على النفاق زمان وهو مقروع فيه فاصبح وقد عمم وقلد واعطى سيفا يعني الحجاج ما يفعل الله بعذابكم ان شكرتم وآمنتم وكان الله شاكرا عليما ما يفعل الله بعذابكم ايتشفى به من الغيظ ام يدرك به الثار ام يستجلب به نفعا ام يستدفع به ضررا كما يفعل الملوك بعذابهم وهو الغني الذي لا يجوز عليه شيء من ذلك وانما هو امر اوجبته الحكمة ان يعاقب المسيء فان قمتم بشكر نعمته وآمنتم به فقد ابعدتم عن انفسكم استحقاق العذاب وكان الله شاكرا مثيبا موفيا اجوركم عليما بحق شكركم وايمانكم فان قلت لم قدم الشكر على الايمان قلت لان العاقل ينظر الى ما عليه من النعمة العظيمة في خلقه وتعريضه للمنافع فيشكر شكرا مبهما فاذا انتهى به النظر الى معرفة المنعم آمن به ثم شكر شكرا مفصلا فكان الشكر متقدما على الايمان وكانه اصل التكليف ومداره لا يحب الله الجهر بالسوء من القول الا من ظلم وكان الله سميعا عليما ان تبدوا خيرا او تخفوه او تعفوا عن سوء فان الله كان عفوا قديرا الا من ظلم الا جهر من ظلم استثنى من الجهر الذي لا يحبه الله جهر المظلوم وهو ان يدعو على الظالم ويذكره بما فيه من السوء وقيل هو ان يبدأ بالشتيمة فيرد على الشاتم ولمن انتصر بعد ظلمه وقيل ضاف رجل قوما فلم يطعموه فاصبح شاكيا فعوتب على الشكاية فنزلت وقرئ الا من ظلم على البناء للفاعل للانقطاع اي ولكن الظالم راكب ما لا يحبه الله فيجهر بالسوء ويجوز ان يكون من ظلم مرفوعا كانه قيل لا يحب الجهر بالسوء الا الظالم على لغة من يقول ما جاءني زيد الا عمرو بمعنى ما جاءني الا عمرو ومنه لا يعلم من في السموات والارض الغيب الا الله ثم حث على العفو وان لا يجهر احد لاحد بسوء وان كان على وجه الانتصار بعدما اطلق الجهر به وجعله محبوبا حثا على الاحب اليه والافضل عنده والادخل في الكرم والتخشع والعبودية وذكر ابداء الخير واخفاءه تشبيبا للعفو ثم عطفه عليهما اعتدادا به وتنبيها على منزلته وان له مكانا في باب الخير وسيطا والدليل على ان العفو هو الغرض المقصود بذكر ابداء الخير واخفائه قوله فان الله كان عفوا قديرا اي يعفو عن الجانين مع قدرته على الانتقام فعليكم ان تقتدوا بسنة الله ان الذين يكفرون بالله ورسله ويريدون ان يفرقوا بين الله ورسله ويقولون نؤمن ببعض ونكفر ببعض ويريدون ان يتخذوا بين ذلك سبيلا اولئك هم الكافرون حقا واعتدنا للكافرين عذابا مهينا جعل الذين آمنوا بالله وكفروا برسله او آمنوا بالله وببعض رسله وكفروا ببعض كافرين بالله ورسله جميعا لما ذكرنا من العلة ومعنى اتخاذهم بين ذلك سبيلا ان يتخذوا دينا وسطا بين الايمان والكفر كقوله تعالى ولا تجهر بصلوتك ولا تخافت بها وابتغ بين ذلك سبيلا اي طريقا وسطا في القراءة وهو ما بين الجهر والمخافتة وقد اخطأوا فانه

قوله ثلث منتدا وقوله من كن الخ صفته قوله من اذا الخ خبره والمضاف محذوف اي خصال من اذا حدث

قوله وهو مقروع فيه اي مقهور قال ابن الاثير يقال اقرع عنه اذا قهرته بكلام اي يكون من الردع يقال قدع الرجل اذا ردع

كذا في عرضت فلانا لكذا اي نصبته له فان الله تعالى خلق العباد وعرضهم للنافع

قوله بعدما اطلق الجهر الخ لا يقال لا يلزم من اطلاق الشيء الاذن فيه لانا نقول في التفسير ان الاطلاق كناية عن الاذن الخ جوازه بالسوء وقوله الاحب

التشبيب في اصطلاح الشعراء ذكر الغزل في افتتاح القصيدة وهو تحسينها وتزيينها بذكر النساء ومن ثمة سمى التشبيب تشبيبا لانه رقة لطيفة تحرك الخواطر ويشبها الى المخرج من ارتفاع درجة الى درجة في تزيينه

لا واسطة بين الكفر والايمان ولذلك قال اولئك هم الكافرون حقا اى هم الكاملون فى الكفر
وحقا تاكيد لمضمون الجملة كقولك هو عبد الله حقا اى حق ذلك حقا وهو كونهم كاملين فى الكفر
او هو صفة لمصدر الكافرين اى هم الذين كفروا كفرا حقا ثابتا يقينا لا شك فيه والذين آمنوا
بالله ورسله ولم يفرقوا بين احد منهم اولئك سوف نؤتيهم اجورهم وكان الله غفورا
رحيما فان قلت كيف جاز دخول بين على احد وهو يقتضى شيئين فصاعدا قلت ان
احدا عام فى الواحد المذكر والمؤنث وتثنيتهما وجمعهما تقول ما رايت احدا فتقصد العموم
الا انك تقول الا بنى فلان والا بنات فلان فالمعنى ولم يفرقوا بين اثنين منهم او بين جماعة
ومنه قوله تعالى لستن كاحد من النساء سوف نؤتيهم اجورهم معناه ان ايتاءها كائن لا
محالة وان تاخر فالغرض به توكيد الوعد وتثبيته لا كونه متاخرا يسألك اهل الكتاب
ان تنزل عليهم كتابا من السماء فقد سالوا موسى اكبر من ذلك فقالوا ارنا الله جهرة فاخذتهم
الصاعقة بظلمهم ثم اتخذوا العجل من بعد ما جاءتهم البينات فعفونا عن ذلك وآتينا موسى
سلطانا مبينا روى ان كعب بن الاشرف وفنحاص بن عازوراء وغيرهما قالوا لرسول الله صلى
الله عليه وسلم ان كنت نبيا صادقا فائتنا بكتاب من السماء جملة كما اتى به موسى فنزلت وقيل
كتابا الى فلان وكتابا الى فلان بانك رسول الله وقيل كتابا نعاينه حين ينزل وانما اقترحوا ذلك
على سبيل التعنت قال الحسن ولو سالوه لكى يتبينوا الحق لاعطاهم وفيما آتاهم كفاية فقد
سالوا موسى جواب لشرط مقدر معناه ان استكبرت ما سالوه منك فقد سالوا موسى اكبر من
ذلك وانما اسند السؤال اليهم وان وجد من آبائهم فى ايام موسى وهم النقباء السبعون لانهم
كانوا على مذهبهم وراضين بسؤالهم ومضاهين لهم فى التعنت جهرة عيانا بمعنى ارنا نره
جهرة بظلمهم بسبب سؤالهم الرؤية ولو طلبوا امرا جائزا لما سموا ظالمين ولما اخذتهم الصاعقة
كما سال ابراهيم عليه السلام ان يريه احياء الموتى فلم يسمه ظالما ولا رماه بالصاعقة فتبا للمشبهة
ورميا بالصواعق وآتينا موسى سلطانا مبينا تسلطا واستيلاء ظاهرا عليهم حين امرهم بان يقتلوا
انفسهم حتى تابوا عليهم فاطاعوه واحتبوا بافنيتهم والسيوف تتساقط عليهم فيا لك من سلطان
مبين ورفعنا فوقهم الطور بميثاقهم وقلنا لهم ادخلوا الباب سجدا وقلنا لهم لا تعدوا فى
السبت واخذنا منهم ميثاقا غليظا بميثاقهم بسبب ميثاقهم ليخافوا فلا ينقضوه وقلنا لهم والطور
مظل عليهم ادخلوا الباب سجدا ولا تعدوا فى السبت واخذنا منهم الميثاق على ذلك وقولهم
سمعنا واطعنا ومعاهدتهم على ان يتموا عليه ثم نقضوه بعد ذلك وقرئ لا تعدّوا
ولا تعتدوا وبادغام التاء فى الدال فبما نقضهم ميثاقهم وكفرهم بآيات الله وقتلهم الانبياء
بغير حق وقولهم قلوبنا غلف بل طبع الله عليها بكفرهم فلا يؤمنون الا قليلا وبكفرهم
وقولهم على مريم بهتانا عظيما فبما نقضهم فبنقضهم وما مزيدة للتوكيد فان قلت
بم تعلقت الباء وما معنى التوكيد قلت اما ان يتعلق بمحذوف كانه قيل فبما نقضهم
ميثاقهم فعلنا بهم ما فعلنا واما ان يتعلق بقوله حرمنا عليهم على ان قوله فبظلم من الذين
هادوا بدل من قوله فبما نقضهم ميثاقهم واما التوكيد فمعناه تحقيق ان العقاب او
تحريم الطيبات لم يكن الا بنقض العهد وما عطف عليه من الكفر وقتل الانبياء وغير

ذلك

ذلك فان قلت هلا زعمت ان المحذوف الذى تعلقت به الباء ما دل عليه قوله بل طبع
الله عليها فيكون التقدير فبما نقضهم ميثاقهم طبع الله على قلوبهم بل طبع الله عليها بكفرهم
قلت لم يصح هذا التقدير لان قوله بل طبع الله عليها بكفرهم رد وانكار لقولهم قلوبنا
غلف فكان متعلقا به وذلك انهم ارادوا بقولهم قلوبنا غلف ان الله خلق قلوبنا غلفا اى
فى اكنة لا يتوصل اليها شئ من الذكر والموعظة كما حكى الله تعالى عن المشركين وقالوا لو شاء
الرحمن ما عبدناهم وكمذهب المجبرة فقيل لهم بل خذلها الله ومنعها الالطاف بسبب كفرهم
فصارت كالمطبوع عليها لا ان تخلق غلفا غير قابلة للذكر ولا متمكنة من قبوله فان قلت
علام عطف قوله وبكفرهم قلت الوجه ان يعطف على فبما نقضهم ويجعل قوله بل طبع
الله عليها بكفرهم كلاما تبع قوله وقالوا قلوبنا غلف على وجه الاستطراد ويجوز ان يعطف
على ما يليه من قوله بكفرهم فان قلت فما معنى المجئ بالكفر معطوفا على ما فيه ذكره سواء
عطف على ما قبل حرف الاضراب او على ما بعده وهو قوله وكفرهم بآيات الله وقوله بكفرهم
قلت قد تكرر منهم الكفر لانهم كفروا بموسى ثم بعيسى ثم بمحمد صلوات الله عليهم فعطف
بعض كفرهم على بعض او عطف مجموع المعطوف على مجموع المعطوف عليه كانه قيل فبجمعهم بين
نقض الميثاق والكفر بآيات الله وقتل الانبياء وقولهم قلوبنا غلف وجمعهم بين كفرهم وبهتهم
مريم عليها السلام وافتخارهم بقتل عيسى عاقبناهم او بل طبع الله عليها بكفرهم وجمعهم بين
كفرهم وكذا وكذا والبهتان العظيم هو التزنية وقولهم انا قتلنا المسيح عيسى ابن مريم
رسول الله وما قتلوه وما صلبوه ولكن شبه لهم وان الذين اختلفوا فيه لفى شك
منه ما لهم به من علم الا اتباع الظن وما قتلوه يقينا بل رفعه الله اليه وكان الله عزيزا
حكيما فان قلت كانوا كافرين بعيسى عليه السلام اعداء له عامدين لقتله يسمونه الساحر
ابن الساحرة والفاعل ابن الفاعلة فكيف قالوا انا قتلنا المسيح عيسى ابن مريم رسول الله
قلت قالوه على وجه الاستهزاء كقول فرعون ان رسولكم الذى ارسل اليكم لمجنون
ويجوز ان يضع الله الذكر الحسن مكان ذكرهم القبيح فى الحكاية عنهم رفعا لعيسى عليه السلام عما
كانوا يذكرونه به وتعظيما لما ارادوا بمثله كقوله تعالى ليقولن خلقهن العزيز العليم
الذى جعل لكم الارض مهدا روى ان رهطا من اليهود سبوه وسبوا امه فدعا عليهم اللهم
انت ربى وبكلمتك خلقتنى اللهم العن من سبنى وسب والدتى فمسخ الله من سبهما قردة وخنازير
فاجتمعت اليهود على قتله فاخبره الله بانه يرفعه الى السماء ويطهره من صحبة اليهود فقال لاصحابه
ايكم يرضى ان يلقى عليه شبهى فيقتل ويصلب ويدخل الجنة فقال رجل منهم انا فالقى الله عليه
شبهه فقتل وصلب وقيل كان رجلا ينافق عيسى فلما ارادوا قتله قال انا ادلكم عليه
فدخل بيت عيسى ورفع عيسى عليه السلام والقى شبهه على المنافق فدخلوا عليه فقتلوه وهم
يظنون انه عيسى عليه السلام ثم اختلفوا فقال بعضهم انه اله لا يصح قتله وقال بعضهم
انه قتل وصلب وقال بعضهم ان كان هذا عيسى عليه السلام فاين صاحبنا وان كان صاحبنا
فاين عيسى وقال بعضهم رفع الى السماء وقال بعضهم الوجه وجه عيسى والبدن بدن صاحبنا
فان قلت شبه مسند الى ماذا ان جعلته مسندا الى المسيح فالمسيح مشبه به وليس بمشبه

وان سند الى المقتول فالمقتول لم يجر له ذكر **قلت** هو مسند الى الجار والمجرور وهو لهم كقولك خيل اليه كانه قيل ولكن وقع لهم التشبيه ويجوز ان يسند الى ضمير المقتول لان قوله انا قتلنا يدل عليه كانه قيل ولكن شبه لهم من قتلوه الا اتباع الظن استثناء منقطع لان اتباع الظن ليس من جنس العلم يعني ولكنهم يتبعون الظن **فان قلت** قد وصفوا بالشك والشك ان لا يترجح احد الجائزين ثم وصفوا بالظن والظن ان يترجح احدهما فكيف يكونون شاكين ظانين **قلت** اريد انهم شاكون ما لهم من علم قط ولكن ان لاحت لهم امارة فظنوا فذاك وما قتلوه يقينا وما قتلوه قتلا يقينا او ما قتلوه متيقنين كما ادعوا ذلك في قولهم انا قتلنا المسيح او يجعل يقينا تأكيدا لقوله وما قتلوه كقولك وما قتلوه حقا اي حق انتفاء قتله حقا وقيل هو من قولهم قتلت الشيء علما ونحرته علما اذا تبالغ فيه علمك وفيه تهكم لانه اذا نفى عنهم العلم نفيا كليا بحرف الاستغراق ثم قيل وما علموه علم يقين واحاطة لم يكن الا تهكما بهم وان من اهل الكتاب الا ليؤمنن به قبل موته ويوم القيمة يكون عليهم شهيدا ليؤمنن به جملة قسمية واقعة صفة لموصوف محذوف تقديره وان من اهل الكتاب احد الا ليؤمنن به ونحوه وما منا الا له مقام معلوم وان منكم الا واردها والمعنى وما من اليهود والنصارى احد الا ليؤمنن قبل موته بعيسى وبانه عبد الله ورسوله يعني اذا عاين قبل ان تزهق روحه حين لا ينفعه ايمانه لانقطاع وقت التكليف **وعن** شهر بن حوشب قال لي الحجاج اية ما قرأتها الا تخالج في نفسي شيء منها يعني هذه الاية وقال اني اوتى بالاسير من اليهود والنصارى فاضرب عنقه فلا اسمع منه ذلك فقلت ان اليهودي اذا حضره الموت ضربت الملائكة دبره ووجهه وقالوا يا عدو الله اتاك عيسى نبيا فكذبت به فيقول آمنت انه عبد نبي وتقول للنصراني اتاك عيسى نبيا فزعمت انه الله او ابن الله فيؤمن انه عبد الله ورسوله حيث لا ينفعه ايمانه قال وكان متكئا فاستوى جالسا فنظر الي وقال ممن قلت حدثني محمد بن علي ابن الحنفية رضي الله عنه فاخذ ينكت الارض بقضيبه ثم قال لقد اخذتها من عين صافية او من معدنها قال الكلبي فقلت له ما اردت الى ان تقول حدثني محمد بن علي ابن الحنفية قال اردت ان اغيظه يعني بزيادة اسم علي لانه مشهور بابن الحنفية **وعن** ابن عباس رضي الله عنه انه فسره كذلك فقال له عكرمة فان اتاه رجل فضرب عنقه قال لا تخرج نفسه حتى يحرك بها شفتيه قال وان خر من فوق بيت او احترق او اكله سبع قال يتكلم بها في الهواء ولا تخرج روحه حتى يؤمن به وتدل عليه قراءة ابي الا ليؤمنن به قبل موتهم بضم النون على معنى وان منهم احد الا سيؤمنون به قبل موتهم لان احدا يصلح للجمع **فان قلت** ما فائدة الاخبار بايمانهم بعيسى قبل موتهم **قلت** فائدته الوعيد وليكون علمهم بانهم لا بد لهم من الايمان به عن قريب عند المعاينة وان ذلك لا ينفعهم بعثا لهم وتنبيها على معاجلة الايمان به في اوان الانتفاع به وليكون الزاما للحجة لهم وكذلك قوله تعالى ويوم القيامة يكون عليهم شهيدا يشهد على اليهود بانهم كذبوه وعلى النصارى بانهم دعوه ابن الله وقيل الضميران لعيسى بمعنى وان منهم احد الا ليؤمنن بعيسى قبل موت عيسى وهم اهل الكتاب الذين يكونون في زمان نزوله **روي** انه ينزل من السماء في آخر الزمان فلا يبقى احد من اهل الكتاب

الا يؤمن به حتى تكون الملة واحدة وهي ملة الاسلام ويهلك الله في زمانه المسيح الدجال وتقع الامنة حتى ترتع الاسود مع الابل والنمور مع البقر والذئاب مع الغنم وتلعب الصبيان بالحيات ويلبث في الارض اربعين سنة ثم يتوفى ويصلي عليه المسلمون ويدفنونه ويجوز ان يراد انه لا يبقى احد من جميع اهل الكتاب الا ليؤمنن به على ان الله يحييهم في قبورهم في ذلك الزمان ويعلمهم نزوله وما انزل له ويؤمنون به حين لا ينفعهم ايمانهم وقيل الضمير في به يرجع الى الله تعالى وقيل الى محمد عليه السلام فبظلم من الذين هادوا حرمنا عليهم طيبات احلت لهم وبصدهم عن سبيل الله كثيرا واخذهم الربوا وقد نهوا عنه واكلهم اموال الناس بالباطل واعتدنا للكافرين منهم عذابا اليما فبظلم من الذين هادوا فباي ظلم منهم والمعنى ما حرمنا عليهم الطيبات الا لظلم عظيم ارتكبوه وهو ما عدد لهم من الكفر والكبائر العظيمة والطيبات التي حرمت عليهم ما ذكره في قوله تعالى وعلى الذين هادوا حرمنا كل ذي ظفر وحرمت عليهم الالبان وكلما اذنبوا ذنبا صغيرا او كبيرا حرم عليهم بعض الطيبات من المطاعم وغيرها وبصدهم عن سبيل الله كثيرا ناسا كثيرا او صدا كثيرا بالباطل بالرشوة التي كانوا ياخذونها من سفلتهم في تحريف الكتاب لكن الراسخون في العلم منهم والمؤمنون يؤمنون بما انزل اليك وما انزل من قبلك والمقيمين الصلوة والمؤتون الزكوة والمؤمنون بالله واليوم الآخر اولئك سنؤتيهم اجرا عظيما لكن الراسخون يريد من آمن منهم كعبد الله بن سلام واضرابه والراسخون في العلم الثابتون فيه المتقنون المستبصرون والمؤمنون يعني المؤمنين منهم او المؤمنين من المهاجرين والانصار وارتفع الراسخون على الابتداء ويؤمنون خبره والمقيمين نصب على المدح لبيان فضل الصلوة وهو باب واسع قد كسره سيبويه على امثلة وشواهد ولا يلتفت الى ما زعموا من وقوعه لحنا في خط المصحف وربما التفت اليه من لم ينظر في الكتاب ولم يعرف مذاهب العرب وما لهم في النصب على الاختصاص من الافتنان وغبي عليه ان السابقين الاولين الذين مثلهم في التورية ومثلهم في الانجيل كانوا ابعد همة في الغيرة على الاسلام وذب المطاعن عنه من ان يتركوا في كتاب الله ثلمة ليسدها من بعدهم وخرقا يرفوه من يلحق بهم وقيل هو عطف على بما انزل اليك اي يؤمنون بالكتب وبالمقيمين الصلوة وهم الانبياء **وفي** مصحف عبد الله والمقيمون بالواو وهي قراءة مالك بن دينار والجحدري وعيسى الثقفي انا اوحينا اليك كما اوحينا الى نوح والنبيين من بعده واوحينا الى ابراهيم واسمعيل واسحق ويعقوب والاسباط وعيسى وايوب ويونس وهرون وسليمان واتينا داود زبورا ورسلا قد قصصناهم عليك من قبل ورسلا لم نقصصهم عليك وكلم الله موسى تكليما انا اوحينا اليك جواب لاهل الكتاب عن سؤالهم رسول الله عليه السلام ان ينزل عليهم كتابا من السماء واحتجاج عليهم بان شانه في الوحي اليه كشان سائر الانبياء الذين سلفوا **وقرئ** زبورا بضم الزاي جمع زبر وهو الكتاب ورسلا نصب بمضمر في معنى اوحينا اليك وهو ارسلنا ونبأنا وما اشبه ذلك او بما فسره قصصناهم **وفي** قراءة ابي ورسل قد قصصناهم عليك من قبل ورسل لم نقصصهم وعن ابراهيم ويحيى بن وثاب انهما قرآ

وكلم الله بالنصب • ومن بدع التفاسير انه من الكلم وان معناه وجرح الله موسى باظفار المحن ومخالب الفتن رسلا مبشرين ومنذرين لئلا يكون للناس على الله حجة بعد الرسل وكان الله عزيزا حكيما • رسلا مبشرين ومنذرين الاوجه ان ينتصب على المدح • ويجوز انتصابه على التكرير فإن قلت كيف يكون للناس على الله حجة قبل الرسل وهم محجوجون بما نصبه الله من الادلة التي النظر فيها موصل الى المعرفة والرسل في انفسهم لم يتوصلوا الى المعرفة الا بالنظر في تلك الادلة ولا عرف انهم رسل الله الا بالنظر قلت الرسل منبهون عن الغفلة وباعثون على النظر كما ترى علماء اهل العدل والتوحيد مع تبليغ ما حملوه من تفصيل امور الدين وبيان احوال التكليف وتعليم الشرائع فكان ارسالهم ازاحة للعلة وتتميما لالزام الحجة لئلا يقولوا لولا ارسلت الينا رسولا فيوقظنا من سنة الغفلة وينبهنا لما وجب الانتباه له • لكن الله يشهد بما انزل اليك انزله بعلمه والملائكة يشهدون وكفى بالله شهيدا قرأ السلمي لكن الله يشهد بالتشديد فإن قلت الاستدراك لا بد له من مستدرك فما هو في قوله لكن الله يشهد قلت لما سأل اهل الكتاب انزال الكتاب من السماء وتعنتوا بذلك واحتج عليهم بقوله انا اوحينا اليك قال لكن الله يشهد بمعنى انهم لا يشهدون لكن الله يشهد • وقيل لما نزل انا اوحينا اليك قالوا ما نشهد لك بهذا فنزل لكن الله يشهد • ومعنى شهادة الله بما انزل اليه اثباته لصحته باظهار المعجزات كما تثبت الدعاوى بالبينات • وشهادة الملائكة شهادتهم بانه حق وصدق فإن قلت بم يجابون لو قالوا بم يعلم ان الملائكة يشهدون بذلك قلت يجابون بانه يعلم بشهادة الله لانه لما علم باظهار المعجزات انه شاهد بصحته علم ان الملائكة يشهدون بصحة ما شهد بصحته لان شهادتهم تبع لشهادته فإن قلت ما معنى قوله انزله بعلمه وما موقعه من الجملة قبله قلت معناه انزله ملتبسا بعلمه الخاص الذي لا يعلمه غيره وهو تاليفه على نظم واسلوب يعجز عنه كل بليغ وصاحب بيان • وموقعه مما قبله موقع الجملة المفسرة لانه بيان للشهادة وان شهادته بصحته انه انزله بالنظم المعجز الفائت للقدر • وقيل انزله وهو عالم بانك اهل لانزاله اليك وانك مبلغه • وقيل انزله بما علم من مصالح العباد مشتملا عليه • ويحتمل انه انزله وهو عالم به رقيب عليه حافظ له من الشياطين برصد من الملائكة • والملائكة يشهدون بذلك كما قال في اخر سورة الجن • الا ترى الى قوله واحاط بما لديهم والاحاطة بمعنى العلم • وكفى بالله شهيدا وان لم يشهد غيره لان التصديق بالمعجز هو الشهادة حقا • قل اي شيء اكبر شهادة قل الله ان الذين كفروا وصدوا عن سبيل الله قد ضلوا ضلالا بعيدا ان الذين كفروا وظلموا لم يكن الله ليغفر لهم ولا ليهديهم طريقا الا طريق جهنم خالدين فيها ابدا وكان ذلك على الله يسيرا • كفروا وظلموا جمعوا بين الكفر والمعاصي او كان بعضهم كافرين وبعضهم ظالمين اصحاب كبائر لانه لا فرق بين الفريقين في انه لا يغفر لهما الا بالتوبة • ولا ليهديهم طريقا لا يلطف بهم فيسلكون الطريق الموصل الى جهنم • او لا يهديهم يوم القيامة الا طريقها • يسيرا اي لا صارف له عنه • يا ايها الناس قد جاءكم الرسول بالحق من ربكم فامنوا خيرا لكم وان تكفروا فان لله ما في السموات والارض وكان الله عليما حكيما • فامنوا خيرا لكم وكذلك انتهوا خيرا لكم انتصابه بمضمر وذلك انه لما بعثهم على الايمان

وعلى الانتهاء عن التثليث علم انه يحملهم على امر فقال خيرا لكم اي اقصدوا او ائتوا امرا خيرا لكم مما انتم فيه من الكفر والتثليث وهو الايمان والتوحيد يا اهل الكتاب لا تغلوا في دينكم ولا تقولوا على الله الا الحق انما المسيح عيسى ابن مريم رسول الله وكلمته القاها الى مريم وروح منه فامنوا بالله ورسله ولا تقولوا ثلاثة انتهوا خيرا لكم انما الله اله واحد سبحانه ان يكون له ولد له ما في السموات وما في الارض وكفى بالله وكيلا • لا تغلوا في دينكم غلت اليهود في حط المسيح عن منزلته حيث جعلته مولودا لغير رشدة • وغلت النصارى في رفعه عن مقداره حيث جعلوه الها • ولا تقولوا على الله الا الحق وهو تنزيهه عن الشريك والولد وقرأ جعفر بن محمد انما المسيح بوزن السكيت • وقيل لعيسى كلمة الله وكلمة منه لانه وجد بكلمته وامره لا غير من غير واسطة اب ولا نطفة • وقيل له روح الله وروح منه لذلك لانه ذو روح وجد من غير جزء من ذي روح كالنطفة المنفصلة من الاب الحي وانما اخترع اختراعا من عند الله وقدرته خالصة • ومعنى القاها الى مريم اوصلها اليها وحصلها فيها • ثلاثة خبر مبتدأ محذوف فان صحت الحكاية عنهم انهم يقولون هو جوهر واحد ثلاثة اقانيم اقنوم الاب • واقنوم الابن • واقنوم روح القدس وانهم يريدون باقنوم الاب الذات • وباقنوم الابن العلم • وباقنوم روح القدس الحياة فتقديره الله ثلاثة • والا فتقديره الالهة ثلاثة • والذي يدل عليه القران التصريح منهم بان الله والمسيح ومريم ثلاثة الهة • وان المسيح ولد الله من مريم • الا ترى الى قوله ءانت قلت للناس اتخذوني وامي الهين من دون الله وقالت النصارى المسيح ابن الله والمشهور المستفيض عنهم انهم يقولون في المسيح لاهوتية وناسوتية من جهة الاب والام ويدل عليه قوله انما المسيح عيسى ابن مريم رسول الله فاثبت انه ولد لمريم اتصل بها اتصال الاولاد بامهاتهم وان اتصاله بالله عز وجل من حيث انه رسوله وانه موجود بامره وابتداعه جسدا حيا من غير اب فنفى ان يتصل به اتصال الابناء بالاباء • وقوله سبحانه ان يكون له ولد وحكاية الله اوثق من حكاية غيره • ومعنى سبحانه ان يكون له ولد سبحه تسبيحا من ان يكون له ولد • وقرأ الحسن ان يكون بكسر الهمزة ورفع النون • اي سبحانه ما يكون له ولد على ان الكلام جملتان • له ما في السموات وما في الارض بيان لتنزهه مما نسب اليه بمعنى ان كل ما فيهما خلقه وملكه فكيف يكون بعض ملكه جزءا منه على ان الجزء انما يصح في الاجسام وهو متعال عن صفات الاجسام والاعراض • وكفى بالله وكيلا • يكل اليه الخلق كلهم امورهم فهو الغني عنهم وهم الفقراء اليه لن يستنكف المسيح ان يكون عبدا لله ولا الملائكة المقربون ومن يستنكف عن عبادته ويستكبر فسيحشرهم اليه جميعا • لن يستنكف لن يانف ولن يذهب بنفسه عزة من نكفت الدمع اذا نحيته عن خدك باصبعك ولا الملائكة المقربون ولا من هو اعلى منه قدرا واعظم منه خطرا وهم الملائكة الكروبيون الذين حول العرش كجبريل وميكائيل واسرافيل عليهم السلام ومن في طبقتهم فإن قلت من اين دل قوله ولا الملائكة المقربون على ان المعنى ولا من فوقه قلت من حيث ان علم المعاني لا يقتضي غير ذلك وذلك ان الكلام انما سيق لرد مذهب النصارى وغلوهم

في رفع المسيح عن منزلة العبودية فوجب ان يقال لهم لن يترفع عيسى عن العبودية ولا من هو ارفع منه درجة كانه قيل لن يستنكف الملائكة المقربون من العبودية فكيف بالمسيح ويدل عليه دلالة ظاهرة بينة تخصيص المقربين لكونهم ارفع الملائكة درجة واعلاهم منزلة ومثاله قول القائل ٭ وما مثله ممن يجاود حاتم ٭ ولا البحر ذو الامواج يلتج زاخره ٭ لا شبهة انه قصد بالبحر ذي الامواج ما هو فوق حاتم في الجود ٭ ومن كان له ذوق فليذق مع هذه الآية قوله ولن ترضى عنك اليهود ولا النصارى حتى يعترف بالفرق البين وقرا علي رضي الله عنه عبيدا لله على التصغير وروي ان وفد نجران قالوا لرسول الله صلى الله عليه وسلم لم تعيب صاحبنا قال ومن صاحبكم قالوا عيسى قال واي شيء اقول قالوا تقول انه عبد الله ورسوله قال انه ليس بعار ان يكون عبدا لله قالوا بلى فنزلت اي لا يستنكف عيسى من ذلك فلا تستنكفوا له منه فلو كان موضع استنكاف لكان هو اولى بان يستنكف لان العار الصق به فان قلت علام عطف قوله ولا الملائكة قلت لا يخلو اما ان يعطف على المسيح او على اسم يكون ٭ او على المستتر في عبدا لما فيه من معنى الوصف لدلالته على معنى العبادة وقولك مررت برجل عبد ابوه فالعطف على المسيح هو الظاهر لاداء غيره الى ما فيه بعض انحراف عن الغرض وهو ان المسيح لا يانف ان يكون هو ولا من فوقه موصوفين بالعبودية او ان يعبد الله هو ومن فوقه فان قلت قد جعلت الملائكة وهم جماعة عبدا لله في هذا العطف فما وجهه قلت فيه وجهان ٭ احدهما ان يراد ولا كل واحد من الملائكة ٭ او ولا الملائكة المقربون ان يكونوا عبادا لله فحذف ذلك لدلالة عبدا لله عليه ايجازا ٭ واما اذا عطفتهم على الضمير في عبدا فقد طاح هذا السؤال فسيحشرهم بضم الشين وكسرها وبالنون فاما الذين آمنوا وعملوا الصالحات فيوفيهم اجورهم ويزيدهم من فضله واما الذين استنكفوا واستكبروا فيعذبهم عذابا اليما ولا يجدون لهم من دون الله وليا ولا نصيرا فان قلت التفصيل غير مطابق للمفصل لانه اشتمل على الفريقين والمفصل على فريق واحد قلت هو مثل قولك جمع الامام الخوارج فمن لم يخرج عليه كساه وحمله ومن خرج عليه نكل به وصحة ذلك لوجهين احدهما ان يحذف ذكر احد الفريقين لدلالة التفصيل عليه ولان ذكر احدهما يدل على ذكر الثاني كما حذف احدهما في التفصيل في قوله عقيب هذا فاما الذين آمنوا بالله واعتصموا به والثاني وهو ان الاحسان الى غيرهم مما يغمهم فكان داخلا في جملة التنكيل بهم فكانه قيل ومن يستنكف عن عبادته ويستكبر فسيعذب بالحسرة اذا راى اجور العاملين وبما يصيبه من عذاب الله يا ايها الناس قد جاءكم برهان من ربكم وانزلنا اليكم نورا مبينا ٭ البرهان والنور المبين القرآن او اراد بالبرهان دين الحق ٭ او رسول الله صلى الله عليه وسلم ٭ وبالنور المبين ما يبينه ويصدقه من الكتاب المعجز فاما الذين آمنوا بالله واعتصموا به فسيدخلهم في رحمة منه وفضل ويهديهم اليه صراطا مستقيما ٭ في رحمة منه وفضل في ثواب مستحق وتفضل ويهديهم اليه الى عبادته صراطا مستقيما وهو طريق الاسلام والمعنى توفيقهم وتثبيتهم يستفتونك قل الله يفتيكم في الكلالة ان امرؤ هلك ليس له

ولد وله اخت فلها نصف ما ترك وهو يرثها ان لم يكن لها ولد فان كانتا اثنتين فلهما الثلثان مما ترك وان كانوا اخوة رجالا ونساء فللذكر مثل حظ الانثيين يبين الله لكم ان تضلوا والله بكل شيء عليم روي انه آخر ما نزل من الاحكام كان رسول الله صلى الله عليه وسلم في طريق مكة عام حجة الوداع فاتاه جابر بن عبد الله رضي الله عنه فقال ان لي اختا فكم آخذ من ميراثها ان ماتت وقيل كان مريضا فعاده رسول الله عليه السلام فقال اني كلالة فكيف اصنع في مالي فنزلت ٭ ان امرؤ هلك ارتفع امرؤ بمضمر يفسره الظاهر ومحل ليس له ولد الرفع على الصفة لا النصب على الحال اي ان هلك امرؤ غير ذي ولد والمراد بالولد الابن وهو اسم مشترك يجوز ايقاعه على الذكر وعلى الانثى لان الابن يسقط الاخت ولا تسقطها البنت الا في مذهب ابن عباس رضي الله عنه وبالاخت التي هي لاب وام او لاب دون التي لام لان الله فرض لها النصف وجعل اخاها عصبة وقال للذكر مثل حظ الانثيين واما الاخت للام فلها السدس في آية المواريث مسوى بينها وبين اخيها وهو يرثها واخوها يرثها ان قدر الامر على العكس من موتها وبقائه بعدها ٭ ان لم يكن لها ولد اي ابن لان الابن يسقط الاخ دون البنت فان قلت الابن لا يسقط الاخ وحده فان الاب نظيره في الاسقاط فلم اقتصر على نفي الولد قلت بين حكم انتفاء الولد ووكل حكم انتفاء الوالد الى بيان السنة وهو قوله صلى الله عليه وسلم الحقوا الفرائض باهلها فما بقي فلاولى عصبة ذكر والاب اولى من الاخ وليسا باول حكمين بين احدهما بالكتاب والاخر بالسنة ٭ ويجوز ان يدل بحكم انتفاء الولد على حكم انتفاء الوالد لان الولد اقرب الى الميت من الوالد فاذا ورث الاخ عند انتفاء الاقرب فاولى ان يرث عند انتفاء الابعد ولان الكلالة تتناول انتفاء الولد والوالد جميعا فكان ذكر انتفاء احدهما دالا على انتفاء الآخر فان قلت الى من يرجع ضمير التثنية والجمع في قوله فان كانتا اثنتين وان كانوا اخوة قلت اصله فان كان من يرث بالاخوة اثنتين وان كان من يرث بالاخوة ذكورا واناثا وانما قيل فان كانتا وان كانوا كما قيل من كانت امك فكما انث ضمير من لمكان تانيث الخبر فكذلك ثني وجمع ضمير من يرث في كانتا وكانوا لمكان تثنية الخبر وجمعه والمراد بالاخوة الاخوة والاخوات تغليبا لحكم الذكورة ان تضلوا مفعول له ومعناه كراهة ان تضلوا عن رسول الله عليه السلام من قرا سورة النساء فكانما تصدق على كل مؤمن ومؤمنة ورث ميراثا واعطي من الاجر كمن اشترى محررا وبرئ من الشرك وكان في مشيئة الله من الذين يتجاوز عنهم والله اعلم بالصواب واليه المرجع والمآب

بسم الله الرحمن الرحيم ٭ يا ايها الذين آمنوا اوفوا بالعقود يقال وفى بالعهد واوفى به ومنه والموفون بعهدهم والعقد العهد الموثق شبه بعقد الحبل ونحوه قال الحطيئة ٭ قوم اذا عقدوا عقدا لجارهم ٭ شدوا العناج وشدوا فوقه الكربا ٭ وهي عقود الله التي عقدها على عباده والزمها اياهم من مواجب التكليف ٭ وقيل هي ما يعقدون بينهم من عقود الامانات ويتحالفون عليه ويتماسحون من المبايعات ونحوها والظاهر انها

عقود الله عليهم في دينه من تحليل حلاله وتحريم حرامه وانه كلام قدم مجملا ثم عقب بالتفصيل وهو قوله احلت لكم وما بعده احلت لكم بهيمة الانعام الا ما يتلى عليكم غير محلي الصيد وانتم حرم ان الله يحكم ما يريد البهيمة كل ذات اربع في البر والبحر واضافتها الى الانعام للبيان وهي الاضافة التي بمعنى من كخاتم فضة ومعناه البهيمة من الانعام الا ما يتلى عليكم الا محرم ما يتلى عليكم من القرآن من نحو قوله حرمت عليكم الميتة او الا ما يتلى عليكم آية تحريمه والانعام الازواج الثمانية وقيل بهيمة الانعام الظباء وبقر الوحش ونحوها كأنهم ارادوا ما يماثل الانعام ويدانيها من جنس البهائم في الاجترار وعدم الانياب فأضيفت الى الانعام لملابسة الشبه غير محلي الصيد نصب على الحال من الضمير في لكم اي احلت لكم هذه الاشياء لا محلين الصيد وعن الاخفش ان انتصابه عن قوله اوفوا بالعقود وقوله وانتم حرم حال عن محلي الصيد كأنه قيل احللنا لكم بعض الانعام في حال امتناعكم من الصيد وانتم محرمون لئلا نحرج عليكم ان الله يحكم ما يريد من الاحكام ويعلم انه حكمة ومصلحة والحرم جمع حرام وهو المحرم يا ايها الذين آمنوا لا تحلوا شعائر الله ولا الشهر الحرام ولا الهدي ولا القلائد ولا آمين البيت الحرام يبتغون فضلا من ربهم ورضوانا واذا حللتم فاصطادوا ولا يجرمنكم شنآن قوم ان صدوكم عن المسجد الحرام ان تعتدوا وتعاونوا على البر والتقوى ولا تعاونوا على الاثم والعدوان واتقوا الله ان الله شديد العقاب الشعائر جمع شعيرة وهي اسم ما اشعر اي جعل شعارا وعلما للنسك من مواقف الحج ومرامي الجمار والمطاف والمسعى والافعال التي هي علامات الحاج يعرف بها من الاحرام والطواف والسعي والحلق والنحر والشهر الحرام شهر الحج والهدي ما اهدي الى البيت وتقرب به الى الله من النسائك وهو جمع هدية كما يقال جدي في جمع جدية السرج والقلائد جمع قلادة وهي ما قلد به الهدي من نعل او عروة مزادة او لحاء شجر او غيره وآمو المسجد الحرام قاصدوه وهم الحجاج والعمار واحلال هذه الاشياء ان يتهاون بحرمة الشعائر وان يحال بينها وبين المتنسكين بها وان يحدثوا في اشهر الحج ما يصدون به الناس عن الحج وان يتعرض للهدي بالغصب او بالمنع من بلوغ محله واما القلائد ففيها وجهان احدهما ان يراد بها ذوات القلائد من الهدي وهي البدن وتعطف على الهدي للاختصاص وزيادة التوصية بها لانها اشرف الهدي كقوله تعالى وجبريل وميكال كأنه قيل والقلائد منها خصوصا والثاني ان ينهى عن التعرض لقلائد الهدي مبالغة في النهي عن التعرض للهدي على معنى ولا تحلوا قلائدها فضلا ان تحلوها كما قال عز وجل ولا يبدين زينتهن فنهى عن ابداء الزينة مبالغة في النهي عن ابداء مواقعها ولا آمين ولا تحلوا قوما قاصدين المسجد الحرام يبتغون فضلا من ربهم وهو الثواب ورضوانا وان يرضى عنهم اي لا تتعرضوا لقوم هذه صفتهم تعظيما لهم واستنكارا ان يتعرض لمثلهم قيل هي محكمة وعن النبي صلى الله عليه وسلم المائدة من آخر القرآن نزولا فأحلوا حلالها وحرموا حرامها وقال الحسن ليس فيها منسوخ وعن ابي ميسرة فيها ثماني عشرة فريضة وليس فيها منسوخ وقيل هي منسوخة وعن ابن عباس رضي الله عنهما كان المسلمون والمشركون يحجون جميعا فنهى الله المسلمين ان يمنعوا احدا عن حج البيت بقوله لا تحلوا ثم نزل بعد ذلك انما المشركون نجس ما كان للمشركين ان يعمروا مساجد

الله وقال مجاهد والشعبي لا تحلوا نسخ بقوله واقتلوهم حيث وجدتموهم وفسر ابتغاء الفضل بالتجارة وابتغاء الرضوان بأن المشركين كانوا يظنون بأنفسهم انهم على سداد من دينهم وان الحج يقربهم الى الله تعالى فوصفهم الله تعالى بظنهم وقرأ عبد الله ولا آمي البيت الحرام على الاضافة وقرأ حميد بن قيس والاعرج تبتغون بالتاء على خطاب المؤمنين فاصطادوا اباحة للاصطياد بعد حظره عليهم كأنه قيل فاذا حللتم فلا جناح عليكم ان تصطادوا وقرئ بكسر الفاء وقيل هو بدل من كسر الهمزة عند الابتداء وقرئ واذا احللتم يقال حل المحرم واحل جرم يجري مجرى كسب في تعديه الى مفعول واحد واثنين تقول جرم ذنبا نحو كسبه وجرمته ذنبا نحو كسبته اياه ويقال اجرمته ذنبا على نقل المتعدي الى مفعول بالهمزة الى مفعولين كقولهم اكسبته ذنبا وعليه قراءة عبد الله ولا يجرمنكم بضم الياء واول المفعولين على القراءتين ضمير المخاطبين والثاني ان تعتدوا وان صدوكم بفتح الهمزة متعلق بالشنآن بمعنى العلة والشنآن شدة البغض وقرئ بسكون النون والمعنى ولا يكسبنكم بغض قوم لان صدوكم الاعتداء ولا يحملنكم عليه وقرئ ان صدوكم على ان الشرطية وفي قراءة عبد الله ان يصدوكم ومعنى صدهم اياهم عن المسجد الحرام منع اهل مكة رسول الله عليه السلام والمؤمنين يوم الحديبية عن العمرة ومعنى الاعتداء الانتقام منهم بالحاق مكروه بهم وتعاونوا على البر والتقوى على العفو والاغضاء ولا تعاونوا على الاثم والعدوان على الانتقام والتشفي ويجوز ان يراد العموم لكل بر وتقوى وكل اثم وعدوان فيتناول بعمومه العفو والانتصار حرمت عليكم الميتة والدم ولحم الخنزير وما اهل لغير الله به والمنخنقة والموقوذة والمتردية والنطيحة وما اكل السبع الا ما ذكيتم وما ذبح على النصب وان تستقسموا بالازلام ذلكم فسق اليوم يئس الذين كفروا من دينكم فلا تخشوهم واخشون اليوم اكملت لكم دينكم واتممت عليكم نعمتي ورضيت لكم الاسلام دينا فمن اضطر في مخمصة غير متجانف لاثم فان الله غفور رحيم كان اهل الجاهلية يأكلون هذه المحرمات البهيمة التي تموت حتف انفها والفصيد وهو الدم في المباعر يشوونها ويقولون لم يحرم من فزد له وما اهل لغير الله به اي رفع الصوت به لغير الله وهو قولهم باسم اللات والعزى عند ذبحه والمنخنقة التي خنقوها حتى ماتت او انخنقت بسبب والموقوذة التي اثخنوها ضربا بعصا او حجر حتى ماتت والتي تردت من جبل او في بئر فماتت والتي نطحتها اخرى فماتت بالنطح وما اكل السبع بعضه الا ما ذكيتم الا ما ادركتم ذكاته وهو يضطرب اضطراب المذبوح وتشخب اوداجه وقرأ عبد الله والمنطوحة وفي رواية عن ابي عمرو والسبع بسكون الباء وقرأ ابن عباس رضي الله عنه واكيل السبع وما ذبح على النصب كانت لهم حجارة منصوبة حول البيت يذبحون عليها ويشرحون اللحم عليها ويعظمونها بذلك ويتقربون به اليها تسمى الانصاب والنصب واحد قال الاعشى

وذا النصب المنصوب لا تعبدنه

وقيل هو جمع والواحد نصاب وقرئ النصب بسكون الصاد وان تستقسموا بالازلام وحرم عليكم الاستقسام بالقداح كان احدهم

اذا اراد سفرا او غزوا او تجارة او نكاحا او امرا من معاظم الامور ضرب بالقداح وهي مكتوب
على بعضها نهاني ربي وعلى بعضها امرني ربي وبعضها غفل فان خرج الآمر مضى لطيته وان
خرج الناهي امسك وان خرج الغفل اجالها عودا فمعنى الاستقسام بالازلام طلب معرفة
ما قسم له مما لم يقسم له بالازلام وقيل هو الميسر وقسمتهم الجزور على الانصباء المعلومة
ذلكم فسق الاشارة الى الاستقسام او الى تناول ما حرم عليهم لان المعنى حرم تناول الميتة
وكذا وكذا فان قلت لم كان استقسام المسافر وغيره بالازلام لتعرف الحال فسقا
قلت لانه دخول في علم الغيب الذي استأثر به علام الغيوب وقال لا يعلم من في
السموات والارض الغيب الا الله واعتقاد ان اليه طريقا والى استنباطه وقوله امرني
ربي ونهاني ربي افتراء على الله وما يدريه انه امره ونهاه والكهنة والمنجمون بهذه المثابة
وان كان اراد بالرب الصنم فقد روي انهم كانوا يجيلونها عند اصنامهم فامره ظاهر اليوم
لم يرد به يوما بعينه وانما اراد الزمان الحاضر وما يتصل به ويدانيه من الازمنة الماضية
والآتية كقولك كنت بالامس شابا وانت اليوم اشيب فلا تريد بالامس اليوم الذي قبل
يومك ولا باليوم يومك ونحوه الآن في قوله

الآن لما ابيض مسربتي وعضضت من نابي على جذم

وقيل اريد يوم نزولها
وقد نزلت يوم الجمعة وكان يوم عرفة بعد العصر في حجة الوداع يئس الذين كفروا
من دينكم يئسوا منه ان يبطلوه وان ترجعوا محللين لهذه الخبائث بعد ما حرمت عليكم
وقيل يئسوا من دينكم ان يغلبوه لان الله عز وجل وفى بوعده من اظهاره على الدين كله
فلا تخشوهم بعد اظهار الدين وزوال الخوف من الكفار وانقلابهم مغلوبين مقهورين
بعد ما كانوا غالبين واخشون واخلصوا لي الخشية اكملت لكم دينكم كفيتكم امر عدوكم
وجعلت اليد العليا لكم كما يقول الملوك اليوم كمل لنا الملك وكمل لنا ما نريد اذا كفوا من
ينازعهم الملك ووصلوا الى اغراضهم ومباغيهم او اكملت لكم ما تحتاجون اليه في تكليفكم
من تعليم الحلال والحرام والتوقيف على الشرائع وقوانين القياس واصول الاجتهاد واتممت
عليكم نعمتي بفتح مكة ودخولها آمنين ظاهرين وهدم منار الجاهلية ومناسكهم وان لم يحج
معكم مشرك ولم يطف بالبيت عريان او اتممت عليكم نعمتي باكمال امر الدين والشرائع كأنه
قال اليوم اكملت لكم دينكم واتممت عليكم نعمتي بذلك لانه لا نعمة اتم من نعمة الاسلام
ورضيت لكم الاسلام دينا يعني اخترته لكم من بين الاديان وآذنتكم بانه هو الدين
المرضي وحده ومن يبتغ غير الاسلام دينا وان هذه امتكم امة واحدة فان
قلت بم اتصل قوله فمن اضطر قلت بذكر المحرمات وقوله ذلكم فسق اعتراض
اكد به معنى التحريم وكذلك ما بعده لان تحريم هذه الخبائث من جملة الدين الكامل والنعمة
التامة والاسلام المنعوت بالرضا دون غيره من الملل ومعناه فمن اضطر الى الميتة او الى غيرها
في مخمصة في مجاعة غير متجانف لاثم غير منحرف اليه كقوله غير باغ ولا عاد فان الله غفور
رحيم لا يؤاخذه بذلك يسألونك ماذا احل لهم قل احل لكم الطيبات وما علمتم من
الجوارح مكلبين تعلمونهن مما علمكم الله فكلوا مما امسكن عليكم واذكروا اسم الله

عليه واتقوا الله ان الله سريع الحساب في السؤال معنى القول فلذلك وقع بعده ماذا
احل لهم كأنه قيل يقولون لك ماذا احل لهم وانما لم يقل ماذا احل لنا حكاية لما قالوه لان
يسألونك بلفظ الغيبة كما تقول اقسم زيد ليفعلن ولو قيل لافعلن واحل لنا لكان صوابا
وماذا مبتدأ واحل لهم خبره كقولك اي شيء احل لهم ومعناه ماذا احل لهم من المطاعم كأنه
حين تلي عليهم ما حرم عليهم من خبيثات المآكل سألوا عما احل لهم منها فقيل احل لكم الطيبات
اي ما ليس بخبيث منها وهو كل ما لم يأت تحريمه في كتاب او سنة او قياس مجتهد وما علمتم
من الجوارح عطف على الطيبات اي احل لكم الطيبات وصيد ما علمتم فحذف المضاف
او تجعل ما شرطية وجوابها فكلوا والجوارح الكواسب من سباع البهائم والطير كالكلب
والفهد والنمر والعقاب والصقر والبازي والشاهين والمكلب مؤدب الجوارح
ومضريها بالصيد لصاحبها ورائضها لذلك بما علم من الحيل وطرق التأديب والتثقيف
واشتقاقه من الكلب لان التأديب اكثر ما يكون في الكلاب فاشتق من لفظه لكثرته
في جنسه او لان السبع يسمى كلبا ومنه قوله اللهم سلط عليه كلبا من كلابك فاكله
الاسد او من الكلب الذي بمعنى الضراوة يقال هو كلب بكذا اذا كان ضاريا به وانتصاب
مكلبين على الحال من علمتم فان قلت ما فائدة هذه الحال وقد استغني عنها بعلمتم
قلت فائدتها ان يكون من يعلم الجوارح نحريرا في علمه مدربا فيه موصوفا بالتكليب
تعلمونهن حال ثانية او استئناف وفيه فائدة جليلة وهي ان على كل آخذ علما ان لا يأخذه
الا من اقتل اهله علما واحبرهم دراية واغوصهم على لطائفه وحقائقه وان احتاج الى ان يضرب
اليه اكباد الابل فكم من آخذ من غير متقن قد ضيع ايامه وعض عند لقاء النحارير انامله مما
علمكم الله من علم التكليب لانه الهام من الله ومكتسب بالعقل او مما عرفكم ان تعلموه
من اتباع الصيد بارسال صاحبه وانزجاره بزجره وانصرافه بدعائه وامساك الصيد عليه
وان لا يأكل منه وقرئ مكلبين بالتخفيف وافعل وفعل يشتركان كثيرا والامساك
على صاحبه ان لا يأكل منه لقوله صلى الله عليه وسلم لعدي بن حاتم وان اكل منه فلا تأكل انما
امسك على نفسه وعن علي رضي الله عنه اذا اكل البازي فلا تأكل وفرق العلماء فاشترطوا في
سباع البهائم ترك الاكل لانها تؤدب بالضرب ولم يشترطوه في سباع الطير ومنهم من لم يعتبر
ترك الاكل اصلا ولم يفرق بين امساك الكل والبعض وعن سلمان الفارسي وسعد بن ابي
وقاص رضي الله عنهم اذا اكل الكلب ثلثيه وبقي ثلثه وذكرت اسم الله عليه فكل فان
قلت الام يرجع الضمير في قوله تعالى واذكروا اسم الله عليه قلت اما ان يرجع
الى ما امسكن على معنى وسموا عليه اذا ادركتم ذكاته او الى ما علمتم من الجوارح اي سموا عليه
عند ارساله اليوم احل لكم الطيبات وطعام الذين اوتوا الكتاب حل لكم وطعامكم
حل لهم والمحصنات من المؤمنات والمحصنات من الذين اوتوا الكتاب من قبلكم
اذا آتيتموهن اجورهن محصنين غير مسافحين ولا متخذي اخدان ومن يكفر بالايمان
فقد حبط عمله وهو في الآخرة من الخاسرين وطعام الذين اوتوا الكتاب قيل هو
ذبائحهم وقيل جميع مطاعمهم ويستوي في ذلك جميع النصارى وعن علي رضي الله عنه انه

او تجعل ما شرطية وجعلها منصوبة بكلوا كما في قوله تعالى احل لكم الطيبات

قوله والبازي بحذف الياء كانه حذف الياء واكتفى بالكسرة

التثقيف تقويم المعوج بالثقاف ويستعار للتأديب والتهذيب

عليها السلام

قوله النحارير جمع نحرير وهو الحاذق العالم

في جامع الاصول عن الترمذي عن ابي هريرة يوشك ان يضرب الناس اكباد الابل يطلبون العلم فلا يجدون احدا اعلم من عالم المدينة قال عبد الرزاق وهو مالك بن انس وكذا ابن عيينة يرويه مالك بن انس

قوله وفرق العلماء هذا الفرق قول بعض العلماء والاكثرون على ان لا فرق بل يشترط ترك الاكل منه مطلقا كما روي عن علي

وانما لم يذكر اليهود لانه لا يختلف فيهم فان ذبائح جميعهم حلال

إنما استثنى نصارى بني تغلب وقال ليسوا على النصرانية ولم يأخذوا منها إلا شرب الخمر وبه
أخذ الشافعي رضي الله عنه وعن ابن عباس رضي الله عنهما أنه سئل عن ذبائح نصارى العرب
فقال لا بأس وهو قول عامة التابعين وبه أخذ أبو حنيفة وأصحابه رحمهم الله وحكم الصابئين
حكم أهل الكتاب عند أبي حنيفة وقال صاحباه هم صنفان صنف يقرؤون الزبور ويعبدون
الملائكة وصنف لا يقرؤون كتابا ويعبدون النجوم فهؤلاء ليسوا من أهل الكتاب وأما المجوس
فقد سن بهم سنة أهل الكتاب في أخذ الجزية منهم دون أكل ذبائحهم ونكاح نسائهم وقد روي
عن ابن المسيب رضي الله عنه أنه قال إذا كان المسلم مريضا فأمر المجوسي أن يذكر اسم الله ويذبح
فلا بأس وقال أبو ثور وإن أمره بذلك في الصحة فلا بأس وقد أساء وطعامكم حل لهم فلا
عليكم أن تطعموهم لأنه لو كان حراما عليهم طعام المؤمنين لما ساغ لهم إطعامهم المحصنات الحرائر
أو العفائف وتخصيصهن بعث على تخير المؤمنين لنطفهم والإماء من المسلمات يصح نكاحهن بالاتفاق
وكذلك نكاح غير العفائف منهن وأما الإماء الكتابيات فعند أبي حنيفة رحمة الله عليه هن كالمسلمات
وخالفه الشافعي رضي الله عنه وكان ابن عمر رضي الله عنهما لا يرى نكاح الكتابيات ويحتج بقوله
ولا تنكحوا المشركات حتى يؤمن ويقول لا أعلم شركا أعظم من قولها إن ربها عيسى وعن عطاء
قد أكثر الله المسلمات وإنما رخص لهم يومئذ محصنين أعفاء ولا متخذي أخدان صدائق والخدن
يقع على الذكر والأنثى ومن يكفر بالإيمان بشرائع الإسلام وما أحل الله وحرم يا أيها
الذين آمنوا إذا قمتم إلى الصلاة فاغسلوا وجوهكم وأيديكم إلى المرافق وامسحوا
برؤوسكم وأرجلكم إلى الكعبين وإن كنتم جنبا فاطهروا وإن كنتم مرضى أو على سفر أو
جاء أحد منكم من الغائط أو لامستم النساء فلم تجدوا ماء فتيمموا صعيدا طيبا فامسحوا
بوجوهكم وأيديكم منه ما يريد الله ليجعل عليكم من حرج ولكن يريد ليطهركم وليتم
نعمته عليكم لعلكم تشكرون إذا قمتم إلى الصلاة كقوله فإذا قرأت القرآن فاستعذ
بالله وكقولك إذا ضربت غلامك فهون عليه في أن المراد إرادة الفعل فإن قلت لم
جاز أن يعبر عن إرادة الفعل بالفعل قلت لأن الفعل يوجد بقدرة الفاعل عليه
وإرادته له وهي قصده إليه وميله وخلوص داعيه فكما عبر عن القدرة على الفعل بالفعل
في قولهم الإنسان لا يطير والأعمى لا يبصر أي لا يقدران على الطيران والإبصار ومنه
قوله تعالى نعيده وعدا علينا إنا كنا فاعلين يعني إنا كنا قادرين على الإعادة كذلك عبر عن إرادة
الفعل بالفعل وذلك لأن الفعل مسبب عن القدرة والإرادة فأقيم المسبب مقام السبب
للملابسة بينهما ولإيجاز الكلام ونحوه من إقامة المسبب مقام السبب قولهم كما تدين تدان
عبر عن الفعل المبتدإ الذي هو سبب الجزاء بلفظ الجزاء الذي هو مسبب عنه وقيل معنى
قمتم إلى الصلاة قصدتموها لأن من توجه إلى الشيء وقام إليه كان قاصدا له لا محالة
فعبر عن القصد له بالقيام إليه فإن قلت ظاهر الآية يوجب الوضوء على كل قائم إلى
الصلاة محدث وغير محدث فما وجهه قلت يحتمل أن يكون الأمر للوجوب فيكون
الخطاب للمحدثين خاصة وأن يكون للندب وعن النبي صلى الله عليه وسلم والخلفاء بعده
أنهم كانوا يتوضؤون لكل صلاة وعن رسول الله عليه السلام من توضأ على طهر كتب الله له

عشر حسنات وعنه صلى الله عليه وسلم أنه كان يتوضأ لكل صلاة فلما كان يوم الفتح مسح على خفيه
فصلى الصلوات الخمس بوضوء واحد فقال له عمر بن الخطاب رضي الله عنه صنعت شيئا
لم تكن تصنعه فقال عمدا فعلته يا عمر يعني بيانا للجواز فإن قلت هل يجوز أن يكون
الأمر شاملا للمحدثين وغيرهم لهؤلاء على وجه الإيجاب ولهؤلاء على وجه الندب قلت
لا لأن تناول الكلمة الواحدة لمعنيين مختلفين من باب الإلغاز والتعمية وقيل كان الوضوء
لكل صلاة واجبا أول ما فرض ثم نسخ إلى تفيد معنى الغاية مطلقا فأما دخولها في الحكم
وخروجها فأمر يدور مع الدليل فمما فيه دليل على الخروج قوله فنظرة إلى ميسرة لأن الإعسار
علة الإنظار وبوجود الميسرة تزول العلة ولو دخلت الميسرة فيه لكان منظرا في كلتا الحالتين
معسرا وموسرا وكذلك ثم أتموا الصيام إلى الليل لو دخل الليل لوجب الوصال ومما
فيه دليل على الدخول قولك حفظت القرآن من أوله إلى آخره لأن الكلام مسوق لحفظ القرآن
كله ومنه قوله تعالى من المسجد الحرام إلى المسجد الأقصى لوقوع العلم بأنه لا يسرى به
إلى البيت المقدس من غير أن يدخله وقوله إلى المرافق وإلى الكعبين لا دليل فيه على أحد
الأمرين فأخذ كافة العلماء بالاحتياط فحكموا بدخولها في الغسل وأخذ زفر وداود بالمتيقن
فلم يدخلاها وعن النبي صلى الله عليه وسلم أنه كان يدير الماء على مرفقيه وامسحوا
برؤوسكم المراد إلصاق المسح بالرأس وماسح بعضه ومستوعبه بالمسح كلاهما ملصق للمسح برأسه
فأخذ مالك بالاحتياط فأوجب الاستيعاب أو أكثره على اختلاف الرواية وأخذ الشافعي
باليقين فأوجب أقل ما يقع عليه اسم المسح وأخذ أبو حنيفة ببيان رسول الله صلى الله عليه وسلم
وهو ما روي أنه مسح على ناصيته وقدر الناصية بربع الرأس وقرئ وأرجلكم بالنصب
فدل على أن الأرجل مغسولة فإن قلت فما تصنع بقراءة الجر ودخولها في حكم المسح قلت
الأرجل من بين الأعضاء الثلاثة المغسولة تغسل بصب الماء عليها فكانت مظنة للإسراف
المذموم المنهي عنه فعطفت على الرابع الممسوح لا لتمسح ولكن لينبه على وجوب الاقتصاد في صب
الماء عليها وقيل إلى الكعبين فجيء بالغاية إماطة لظن ظان يحسبها ممسوحة لأن المسح لم
تضرب له غاية في الشريعة وعن علي رضي الله عنه أنه أشرف على فتية من قريش فرأى في وضوئهم
تجوزا فقال ويل للأعقاب من النار فلما سمعوا جعلوا يغسلونها غسلا ويدلكونها دلكا وعن
ابن عمر رضي الله عنه كنا مع رسول الله صلى الله عليه وسلم فتوضأ قوم وأعقابهم بيض تلوح
فقال ويل للأعقاب من النار وفي رواية جابر ويل للعراقيب وعن عمر رضي الله عنه أنه
رأى رجلا يتوضأ فترك باطن قدميه فأمره أن يعيد الوضوء وذلك للتغليظ عليه وعن
عائشة رضي الله عنها لأن تقطعا أحب إلي من أن أمسح على القدمين بغير خفين وعن عطاء
والله ما علمت أن أحدا من أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم مسح على القدمين وقد ذهب
بعض الناس إلى ظاهر العطف فأوجب المسح وعن الحسن رحمة الله عليه أنه جمع بين الأمرين
وروي عن الشعبي نزل القرآن بالمسح والغسل سنة وقرأ الحسن وأرجلكم بالرفع بمعنى
وأرجلكم مغسولة أو ممسوحة إلى الكعبين وقرئ فأطهروا أي فطهروا أبدانكم
وكذلك ليطهركم وفي قراءة عبد الله فأموا صعيدا ما يريد الله ليجعل عليكم من حرج في باب

قوله أو موسرا بعض النسخ بالواو وبعضها
بأو فإن كانت بالواو فهو بدل من قوله في
كلتا الحالتين وإن كانت بأو فهو متعلق
بمحذوف أي سواء كان معسرا أو موسرا

في بعض النسخ عطفت على الثالث وقد يظن
أنه الأصوب لأنه هو الأشبه بإيراد لفظ
القرآن لكن الثالث الأعضاء الثلاثة المغسولة
عبارة عن غيره فالرابع هو بالضرورة فيتعين الرابع الأصوب
يقال تجوز في صلوته أي خففها قال في
الصحاح وقال في المغرب تجوز في الصلاة
ترخص فيها وتساهل ومنه تجوز في أخذ
الدراهم إذا أخذها ولم يردها

في باب الطهارة حتى لا يرخص لكم في التيمم ولكن يريد ليطهركم بالتراب اذا اعوزكم التطهر بالماء
وليتم نعمته عليكم وليتم برخصه انعامه عليكم بعزائمه لعلكم تشكرون نعمه واذكروا نعمة الله
عليكم وميثاقه الذي واثقكم به اذ قلتم سمعنا واطعنا واتقوا الله ان الله عليم بذات
الصدور واذكروا نعمة الله عليكم وهي نعمة الاسلام وميثاقه الذي واثقكم به اي
عاقدكم به عقدا وثيقا وهو الميثاق الذي اخذه على المسلمين حين بايعهم رسول الله عليه
السلام على السمع والطاعة في حال العسر واليسر والمنشط والمكره فقبلوا وقالوا سمعنا واطعنا
وقيل هو الميثاق ليلة العقبة وفي بيعة الرضوان يا ايها الذين آمنوا كونوا قوامين لله
شهداء بالقسط ولا يجرمنكم شنآن قوم على ان لا تعدلوا اعدلوا هو اقرب للتقوى واتقوا
الله ان الله خبير بما تعملون عدى يجرمنكم بحرف الاستعلاء مضمنا معنى فعل يتعدى به
كانه قيل ولا يحملنكم ويجوز ان يكون قوله ان تعتدوا بمعنى على ان لا تعتدوا فحذف مع ان
ونحوه قول النبي عليه السلام من اتبع على ملي فليتبع لانه بمعنى احيل وقرئ شنان بالسكون
ونظيره في المصادر ليان والمعنى لا يحملنكم بغضكم للمشركين على ان تتركوا العدل فتعتدوا
عليهم بان تنتصروا منهم وتتشفوا مما في قلوبكم من الضغائن بارتكاب ما لا يحل لكم من مثلة او
قذف او قتل اولاد او نساء او نقض عهد او ما اشبه ذلك اعدلوا هو اقرب للتقوى نهاهم
اولا ان تحملهم البغضاء على ترك العدل ثم استانف فصرح لهم بالامر بالعدل تاكيدا وتشديدا
ثم استانف فذكر لهم وجه الامر بالعدل وهو قوله تعالى هو اقرب للتقوى اي العدل اقرب
الى التقوى وادخل في مناسبتها او اقرب الى التقوى لكونه لطفا فيها وفيه تنبيه عظيم على
ان وجوب العدل مع الكفار الذين هم اعداء الله اذا كان بهذه الصفة من القوة فما الظن
بوجوبه مع المؤمنين الذين هم اولياؤه واحباؤه وعد الله الذين آمنوا وعملوا الصالحات
لهم مغفرة واجر عظيم والذين كفروا وكذبوا باياتنا اولئك اصحاب الجحيم لهم مغفرة واجر
عظيم بيان للوعد بعد تمام الكلام قبله كانه قال قدم وعدا فقيل اي شيء وعده فقيل
لهم مغفرة واجر عظيم او يكون على ارادة القول بمعنى وعدهم وقال لهم مغفرة او على اجراء
وعد مجرى قال لانه ضرب من القول او يجعل وعد واقعا على الجملة التي هي لهم مغفرة كما
وقع تركنا على قوله سلام على نوح كانه قيل وعدهم هذا القول واذا وعدهم من لا يخلف
الميعاد هذا القول فقد وعدهم مضمونه من المغفرة والاجر العظيم وهذا القول يتلقونه
به عند الموت ويوم القيامة فيسرون به ويستريحون اليه ويهون عليهم السكرات
والاهوال قبل الوصول الى الثواب يا ايها الذين آمنوا اذكروا نعمة الله عليكم اذ هم قوم
ان يبسطوا اليكم ايديهم فكف ايديهم عنكم واتقوا الله وعلى الله فليتوكل المؤمنون
روي ان المشركين راوا رسول الله صلى الله عليه وسلم واصحابه قاموا الى الصلوة الظهر
يصلون معا وذلك بعسفان في غزوة ذي انمار فلما صلوا ندموا الا كانوا اكبوا عليهم فقالوا
ان لهم بعدها صلوة هي احب اليهم من ابائهم وابنائهم يعنون صلوة العصر وهموا بان يوقعوا
بهم اذا قاموا اليها فنزل جبريل عليه السلام وروي ان رسول الله عليه السلام اتى بني
قريظة ومعه الشيخان وعلي رضي الله عنهم يستقرضهم دية مسلمين قتلهما عمرو بن امية الضمري

رضي الله عنه خطأ يحسبهما مشركين فقالوا نعم يا ابا القاسم اجلس حتى نطعمك ونقرضك فاجلسوه
في صفة وهموا بالفتك به وعمد عمرو بن جحاش الى رحا عظيمة يطرحها عليه فامسك الله
يده ونزل جبريل عليه السلام فاخبره فخرج وقيل نزل منزلا وتفرق الناس في العضاه
يستظلون بها فعلق رسول الله عليه السلام سلاحه بشجرة فجاء اعرابي فسل سيف رسول
الله عليه السلام ثم اقبل عليه فقال من يمنعك مني قال الله تعالى قالها ثلاثا فشام
الاعرابي السيف فصاح رسول الله صلى الله عليه وسلم باصحابه فاخبرهم وابى ان يعاقبه
يقال بسط اليه لسانه اذا شتمه وبسط اليه يده اذا بطش به ويبسطوا اليكم ايديهم
والسنتهم بالسوء ومعنى بسط اليد مدها الى المبطوش به الا ترى الى قولهم فلان
بسيط الباع ومديد الذراع بمعنى فكف ايديهم عنكم فمنعها ان تمد اليكم ولقد اخذ
الله ميثاق بني اسرائيل وبعثنا منهم اثني عشر نقيبا وقال الله اني معكم لئن اقمتم الصلوة
وآتيتم الزكوة وآمنتم برسلي وعزرتموهم واقرضتم الله قرضا حسنا لاكفرن
عنكم سيئاتكم ولادخلنكم جنات تجري من تحتها الانهار فمن كفر بعد ذلك منكم
فقد ضل سواء السبيل لما استقر بنو اسرائيل بمصر بعد هلاك فرعون امرهم الله تعالى
بالمسير الى اريحا ارض الشام وكان يسكنها الكنعانيون الجبابرة وقال لهم اني كتبتها
لكم دارا وقرارا فاخرجوا اليها وجاهدوا من فيها واني ناصركم وامر موسى عليه السلام
بان ياخذ من كل سبط نقيبا يكون كفيلا على قومه بالوفاء بما امروا به توثقة عليهم فاختار
النقباء واخذ الميثاق على بني اسرائيل وتكفل لهم به النقباء وسار بهم فلما دنا من ارض كنعان
بعث النقباء يتجسسون فراوا اجراما عظيمة وقوة وشوكة فهابوا فرجعوا وحدثوا قومهم
وقد نهاهم موسى عليه السلام ان يحدثوهم فنكثوا الميثاق الا كالب بن يوفنا من سبط
يهوذا ويوشع بن نون من سبط افرايم بن يوسف وكانا من النقباء والنقيب الذي ينقب
عن احوال القوم ويفتش عنها كما قيل عريف لانه يتعرفها اني معكم اني ناصركم ومعينكم
وعزرتموهم نصرتموهم ومنعتموهم من ايدي العدو ومنه التعزير وهو التنكيل والمنع
من معاودة الفساد وقرئ بالتخفيف يقال عزرت الرجل اذا حطته وكنفته والتعزير
والتأزير من واد واحد ومنه لانصرنك نصرا مؤزرا اي قويا وقيل معناه ولقد اخذنا
ميثاقهم بالايمان والتوحيد وبعثنا منهم اثني عشر ملكا يقيمون فيهم العدل ويامرونهم
بالمعروف وينهونهم عن المنكر واللام في لئن اقمتم موطئة للقسم وفي لاكفرن جواب
له وهذا الجواب ساد مسد جواب القسم والشرط جميعا بعد ذلك بعد ذلك الشرط
المؤكد المعلق بالوعد العظيم فان قلت من كفر قبل ذلك ايضا فقد ضل سواء السبيل
قلت اجل ولكن الضلال بعده اظهر واعظم لان الكفر انما عظم قبحه لعظم النعمة
المكفورة فاذا زادت النعمة زاد قبح الكفر وتمادى فبما نقضهم ميثاقهم لعناهم
وجعلنا قلوبهم قاسية يحرفون الكلم عن مواضعه ونسوا حظا مما ذكروا به ولا
تزال تطلع على خائنة منهم الا قليلا منهم فاعف عنهم واصفح ان الله يحب المحسنين
لعناهم طردناهم واخرجناهم من رحمتنا وقيل مسخناهم وقيل ضربنا عليهم الجزية

وجعلنا قلوبهم قاسية خذلناهم ومنعناهم الألطاف حتى قست قلوبهم او املينا لهم ولم نعاجلهم بالعقوبة حتى قست وقرأ عبد الله قسية اي رديّة مغشوشة من قولهم درهم قسيّ وهو من القسوة لان الذهب والفضة الخالصين فيهما لين والمغشوش فيه صلابة ويبس والقاسي والقاسح بالحاء اخوان في الدلالة على اليبس والصلابة وقرئ قسيّة بكسر القاف للاتباع يحرفون الكلم بيان لقسوة قلوبهم لانه لا قسوة اشد من الافتراء على الله وتغيير وحيه ونسوا حظا وتركوا نصيبا جزيلا وقسطا وافيا مما ذكروا به من التورية يعني ان تركهم واعراضهم عن التورية اغفال حظ عظيم او قست قلوبهم وفسدت فحرّفوا التورية وزلّت اشياء منها عن حفظهم وعن ابن مسعود رضي الله عنه قد ينسى المرء بعض العلم بالمعصية وتلا هذه الآية وقيل تركوا نصيب انفسهم مما امروا به من الايمان بمحمد صلى الله عليه وسلم وبيان نعته ولا تزال تطّلع اي هذه عادتهم وكان عليها اسلافهم كانوا يخونون الرسل وهؤلاء يخونونك ينكثون عهودك ويظاهرون المشركين على حربك ويهمّون بالفتك بك وان يسمّوك على خائنة على خيانة او على فعلة ذات خيانة او على نفس او فرقة خائنة ويقال رجل خائنة كقولهم رجل راوية للشعر للمبالغة قال

حدّثت نفسك بالوفاء ولم تكن ... للغدر خائنة مغلّ الاصبع

وقرئ على خيانة منهم الا قليلا وهم الذين آمنوا منهم فاعف عنهم واصفح ان الله يحب المحسنين بعث على مخالفتهم وقيل هو منسوخ بآية السيف وقيل فاعف عن مؤمنيهم ولا تؤاخذهم بما سلف منهم ومن الذين قالوا انا نصارى اخذنا ميثاقهم فنسوا حظا مما ذكروا به فاغرينا بينهم العداوة والبغضاء الى يوم القيمة وسوف ينبئهم الله بما كانوا يصنعون اخذنا ميثاقهم اخذنا من النصارى ميثاق من ذكر قبلهم من قوم موسى اي مثل ميثاقهم بالايمان بالله وبالرسل وبافعال الخير او اخذنا من النصارى ميثاق انفسهم بذلك فان قلت فهلا قيل من النصارى قلت لانهم انما سمّوا انفسهم بذلك ادعاء لنصرة الله وهم الذين قالوا لعيسى نحن انصار الله ثم اختلفوا بعد نسطورية ويعقوبية وملكانية انصارا للشيطان فاغرينا فالصقنا والزمنا من غري بالشيء اذا لزمه ولصق به واغراه غيره ومنه الغراء الذي يلصق به بينهم بين فرق النصارى المختلفين وقيل بينهم وبين اليهود وتجوّه وكذلك نولّي بعض الظالمين بعضا او يلبسكم شيعا ويذيق بعضكم بأس بعض يا اهل الكتاب قد جاءكم رسولنا يبيّن لكم كثيرا مما كنتم تخفون من الكتاب ويعفو عن كثير يا اهل الكتاب خطاب لليهود والنصارى مما كنتم تخفون من نحو صفة رسول الله عليه السلام ومن نحو الرجم ويعفو عن كثير مما تخفونه لا يبيّنه اذا لم تضطرّ اليه مصلحة دينية ولم تكن فيه فائدة الا افتضاحكم وصنعتكم مما لا بدّ من بيانه وكذلك الرجم وما فيه احياء شريعة واماتة بدعة وعن الحسن ويعفو عن كثير منكم لا يؤاخذه قد جاءكم من الله نور وكتاب مبين يهدي به الله من اتبع رضوانه سبل السلام ويخرجهم من الظلمات الى النور باذنه ويهديهم الى صراط مستقيم قد جاءكم من الله نور وكتاب مبين يريد القرآن لكشفه ظلمات الشرك والشك ولابانته ما كان خافيا على الناس من الحق او لانه

ظاهر الاعجاز من اتّبع رضوانه من آمن منهم سبل السلام طرق السلامة والنجاة من عذاب الله او سبل الله لقد كفر الذين قالوا ان الله هو المسيح ابن مريم قل فمن يملك من الله شيئا ان اراد ان يهلك المسيح ابن مريم وامّه ومن في الارض جميعا ولله ملك السموات والارض وما بينهما يخلق ما يشاء والله على كل شيء قدير هم الذين قالوا ان الله هو المسيح معناه بتّ القول على ان حقيقة الله هو المسيح لا غير قيل كان في النصارى قوم يقولون ذلك وقيل لم يصرّحوا به ولكن مذهبهم يؤدّي اليه حيث اعتقدوا انه يخلق ويحيي ويميت ويدبّر امر العالم فمن يملك من الله شيئا فمن يمنع من قدرته ومشيّته شيئا ان اراد ان يهلك من دعوه الها من المسيح وامّه دلالة على ان المسيح عبد مخلوق كسائر العباد واراد بعطف من في الارض على المسيح وامّه انهما من جنسهم لا تفاوت بينهما وبينهم في البشرية يخلق ما يشاء اي يخلق من ذكر وانثى ويخلق من انثى من غير ذكر كما خلق عيسى ويخلق من غير ذكر وانثى كما خلق آدم او يخلق ما يشاء كخلق الطير على يد عيسى وابراء الاكمه والابرص وغير ذلك فيجب ان ينسب اليه ولا ينسب الى البشر المجري على يده وقالت اليهود والنصارى نحن ابناء الله واحبّاؤه قل فلم يعذّبكم بذنوبكم بل انتم بشر ممن خلق يغفر لمن يشاء ويعذّب من يشاء ولله ملك السموات والارض وما بينهما واليه المصير ابناء الله اشياع ابنيه عزير والمسيح كما قيل لاشياع ابي خبيب وهو عبد الله ابن الزبير رضي الله عنه الخبيبون وكما كان يقول رهط مسيلمة نحن ابناء الله ويقول اقرباء الملك وذووه وحشمه نحن الملوك ولذلك قال المؤمن من آل فرعون لكم الملك اليوم فلم يعذّبكم بذنوبكم فان صحّ انكم ابناء الله واحبّاؤه فلم تذنبون وتعذّبون بذنوبكم فتمسخون وتمسّكم النار اياما معدودات على زعمكم ولو كنتم ابناء الله لكنتم من جنس الاب غير فاعلين للقبائح ولا مستوجبين للعقاب ولو كنتم احبّاءه لما عصيتموه ولما عاقبكم بل انتم بشر من جملة من خلق من البشر يغفر لمن يشاء وهم اهل الطاعة ويعذّب من يشاء وهم العصاة يا اهل الكتاب قد جاءكم رسولنا يبيّن لكم على فترة من الرسل ان تقولوا ما جاءنا من بشير ولا نذير فقد جاءكم بشير ونذير والله على كل شيء قدير يبيّن لكم اما ان يقدّر المبيّن وهو الدين والشرائع وحذفه لظهوره او ذكر الرسول عليه السلام لتبيينه او يقدّر ما كنتم تخفون وحذفه لتقدّم ذكره او لا يقدّر ويكون المعنى يبذل لكم البيان ومحلّه النصب على الحال اي مبيّنا لكم وعلى فترة متعلّق بجاءكم اي جاءكم على حين فتور من ارسال الرسل وانقطاع من الوحي ان تقولوا كراهة ان تقولوا فقد جاءكم متعلّق بمحذوف اي لا تعتذروا فقد جاءكم وقيل كان بين عيسى ومحمد صلوات الله عليهما خمسمائة وستون سنة وقيل ستمائة وقيل خمسمائة وبضع وستون وعن الكلبي كان بين موسى وعيسى عليهما السلام الف وسبعمائة سنة والف نبي وبين عيسى ومحمد صلوات الله عليهما اربعة انبياء ثلاثة من بني اسرائيل وواحد من العرب خالد بن سنان العبسي والمعنى الامتنان عليهم وان الرسول عليه السلام بعث اليهم حين انطمست آثار الوحي احوج ما يكونون اليه ليهشّوا اليه ويعدّوه اعظم نعمة من الله وفتح

باب الرحمة ولكن ترتهم الحجة فلا يتكلوا غدا بانه لم يرسل اليهم من ينبههم عن غفلتهم ۞ واذ قال موسى لقومه يا قوم اذكروا نعمة الله عليكم اذ جعل فيكم انبياء وجعلكم ملوكا وآتاكم ما لم يؤت احدا من العالمين ۞ جعل فيكم انبياء لانه لم يبعث في امة ما بعث في بني اسرائيل من الانبياء ۞ وجعلكم ملوكا لانه ملكهم بعد فرعون ملكه وبعد الجبابرة ملكهم ولان الملوك تكاثروا فيهم تكاثر الانبياء وقيل كانوا مملوكين في ايدي القبط فانقذهم الله فسمى انقاذهم ملكا ۞ وقيل الملك من له مسكن واسع فيه ماء جار ۞ وقيل من له بيت وخدم ۞ وقيل من له مال لا يحتاج معه الى تكلف الاعمال وتحمل المشاق ۞ ما لم يؤت احدا من العالمين من فلق البحر ۞ واغراق العدو ۞ وتظليل الغمام ۞ وانزال المن والسلوى وغير ذلك من الامور العظام ۞ وقيل اراد عالمي زمانهم ۞ يا قوم ادخلوا الارض المقدسة التي كتب الله لكم ولا ترتدوا على ادباركم فتنقلبوا خاسرين ۞ الارض المقدسة ارض بيت المقدس ۞ وقيل الطور وما حوله ۞ وقيل الشام ۞ وقيل فلسطين ودمشق وبعض الاردن ۞ وقيل سماها الله لابراهيم ميراثا لولده حين رفع على الجبل فقيل له انظر فلك ما ادرك بصرك ۞ وكان بيت المقدس قرار الانبياء ومسكن المؤمنين ۞ كتب الله لكم قسمها لكم وسماها ۞ او خط في اللوح انها لكم ۞ ولا ترتدوا على ادباركم ولا تنكصوا على اعقابكم مدبرين من خوف الجبابرة جبنا وهلعا ۞ وقيل لما حدثهم النقباء بحال الجبابرة رفعوا اصواتهم بالبكاء وقالوا ليتنا متنا بمصر وقالوا تعالوا نجعل علينا راسا ينصرف بنا الى مصر ۞ ويجوز ان يراد لا ترتدوا على ادباركم في دينكم بمخالفتكم امر ربكم وعصيانكم نبيكم ۞ فترجعوا خاسرين ثواب الدنيا والآخرة ۞ قالوا يا موسى ان فيها قوما جبارين وانا لن ندخلها حتى يخرجوا منها فان يخرجوا منها فانا داخلون ۞ الجبار فعال من جبره على الامر بمعنى اجبره عليه وهو العاتي الذي يجبر الناس على ما يريد ۞ قال رجلان من الذين يخافون انعم الله عليهما ادخلوا عليهم الباب فاذا دخلتموه فانكم غالبون وعلى الله فتوكلوا ان كنتم مؤمنين ۞ قال رجلان هما كالب ويوشع ۞ من الذين يخافون من الذين يخافون الله ويخشونه كانه قيل رجلان من المتقين ۞ ويجوز ان تكون الواو لبني اسرائيل ۞ والراجع الى الموصول محذوف تقديره من الذين يخافهم بنو اسرائيل وهم الجبابرة وهما رجلان منهم انعم الله عليهما بالايمان فآمنا قالا لهم ان العمالقة اجسام لا قلوب فيها ۞ فلا تخافوهم وازحفوا اليهم فانكم غالبوهم ۞ يشجعانهم على قتالهم ۞ وقراءة من قرأ يخافون بالضم شاهدة له وكذلك انعم الله عليهما كانه قيل من المخوفين ۞ وقيل هو من الاخافة ومعناه من الذين يخوفون من الله بالتذكرة والموعظة او يخوفهم وعيد الله بالعقاب فان قلت ما محل انعم الله عليهما قلت ان انتظم مع قوله من الذين يخافون في حكم الوصف لرجلان فمرفوع وان جعل كلاما معترضا فلا محل له فان قلت من اين علما انهم غالبون قلت من جهة اخبار موسى عليه السلام بذلك وقوله كتب الله لكم ۞ وقيل من جهة غلبة الظن وما تبيناه من عادة الله في نصرة رسله وما عهدا من صنع الله لموسى عليه السلام في قهر اعدائه وما عرفا من حال الجبابرة ۞ والباب باب قريتهم ۞ قالوا يا موسى انا لن

ندخلها ابدا ما داموا فيها فاذهب انت وربك فقاتلا انا هاهنا قاعدون ۞ لن ندخلها نفي لدخولهم في المستقبل على وجه التأكيد المؤيس ۞ وابدا تعليق للنفي المؤكد بالدهر المتطاول ۞ وما داموا فيها بيان للابد ۞ فاذهب انت وربك يحتمل ان لا يقصدوا حقيقة الذهاب ولكن كما تقول كلمته فذهب يجيبني تريد معنى الارادة والقصد للجواب كانهم قالوا اريدا قتالهم ۞ والظاهر انهم قالوا ذلك استهانة بالله ورسوله وقلة مبالاة بهما واستهزاء وقصد ذهابهما حقيقة بجهلهم وجفاهم وقسوة قلوبهم التي عبدوا بها العجل وسألوا بها رؤية الله جهرة ۞ والدليل عليه مقابلة ذهابهما بقعودهم ۞ ويحكى ان موسى وهرون عليهما السلام خرا لوجوههما قدامهم لشدة ما ورد عليهما فهموا برجمهما ولامر ما قرن الله اليهود بالمشركين وقدمهم عليهم في قوله لتجدن اشد الناس عداوة للذين آمنوا اليهود والذين اشركوا ۞ قال رب اني لا املك الا نفسي واخي فافرق بيننا وبين القوم الفاسقين ۞ لما عصوه وتمردوا عليه وقالوا ما قالوا من كلمة الكفر ولم يبق معه مطيع موافق يثق به الا هرون عليه السلام قال رب اني لا املك لنصرة دينك ۞ الا نفسي واخي وهذا من البث والحزن والشكوى الى الله والحسرة ورقة القلب التي بمثلها تستجلب الرحمة وتستنزل النصرة ونحوه قول يعقوب عليه السلام انما اشكو بثي وحزني الى الله وعن علي رضي الله عنه انه كان يدعو الناس على منبر الكوفة الى قتال البغاة فما اجابه الا رجلان فتنفس الصعداء ودعا لهما وقال اين تقعان مما اريد ۞ وذكر في اعرابه اخي وجوه ۞ ان يكون منصوبا عطفا على نفسي ۞ وعلى الضمير في اني بمعنى لا املك الا نفسي وان اخي لا يملك الا نفسه ۞ ومرفوعا عطفا على محل ان واسمها كانه قيل انا لا املك الا نفسي وهرون كذلك لا يملك الا نفسه او على الضمير في لا املك وجاز للفصل ۞ ومجرورا عطفا على الضمير في نفسي وهو ضعيف لقبح العطف على الضمير المجرور الا بتكرير الجار فان قلت اما كان معه الرجلان المذكوران قلت كانه لم يثق بهما كل الوثوق ولم يطمئن الى ثباتهما لما ذاق على طول الزمان واتصال الصحبة من احوال قومه وتلونهم فلم يذكر الا النبي المعصوم الذي لا شبهة في امره ۞ ويجوز ان يقول ذلك لفرط ضجره عندما سمع منهم تقليلا لمن يوافقه ۞ ويجوز ان يريد ومن يؤاخيني على ديني ۞ فافرق فافصل بيننا وبينهم بان تحكم لنا بما نستحق وتحكم عليهم بما يستحقون وهو في معنى الدعاء عليهم ولذلك وصل به قوله فانها محرمة عليهم على وجه التسبيب ۞ او فباعد بيننا وبينهم وخلصنا من صحبتهم كقوله ونجني من القوم الظالمين ۞ قال فانها محرمة عليهم اربعين سنة يتيهون في الارض فلا تأس على القوم الفاسقين ۞ فانها فان الارض المقدسة محرمة عليهم لا يدخلونها ولا يملكونها فان قلت فيه وجهان ۞ احدهما ان يراد كتبها لكم بشرط ان تجاهدوا اهلها فلما ابوا الجهاد قيل فانها محرمة عليهم ۞ والثاني ان يراد فانها محرمة عليهم اربعين سنة فاذا مضت الاربعون كان ما كتب فقد روي ان موسى عليه السلام سار بمن بقي من بني اسرائيل وكان يوشع على مقدمته ففتح اريحا واقام فيها ما شاء الله ثم قبض ۞

اسم موضع في الشام

وقيل لما مات موسى عليه السلام بعث يوشع نبيا فأخبرهم بأنه نبي الله تعالى وأن الله تعالى
أمره بقتال الجبابرة فصدقوه وتابعوه وسار بهم إلى أريحا وقتل الجبارين وأخرجهم وصار
الشام كله لبني إسرائيل • وقيل لم يدخل الأرض المقدسة أحد ممن قال إنا لن ندخلها وهلكوا
في التيه ونشأت نواشئ من ذرياتهم فقاتلوا الجبارين ودخلوها • والعامل في الظرف إما
محرمة وإما يتيهون ومعنى يتيهون في الأرض يسيرون فيها متحيرين لا يهتدون طريقا
والتيه المفازة التي يتاه فيها روي أنهم لبثوا أربعين سنة في ستة فراسخ يسيرون
كل يوم جادين حتى إذا أمسوا إذا هم بحيث ارتحلوا عنه وكان الغمام يظلهم من
حر الشمس ويطلع لهم عمود من نور بالليل يضيء لهم وينزل عليهم المن والسلوى ولا
تطول شعورهم وإذا ولد لهم مولود كان عليه ثوب كالظفر يطول بطوله فإن قلت
فلم كانوا ينعم عليهم بتظليل الغمام وغيره وهم معاقبون قلت كما ينزل بعض النوازل
على العصاة عركا لهم وعليهم مع ذلك النعمة متظاهرة • ومثل ذلك مثل الوالد المشفق
يضرب ولده ويؤدبه ليتأدب ويتثقف ولا يقطع عنه معروفه وإحسانه فإن
قلت هل كان معهم في التيه هرون وموسى عليهما السلام قلت اختلف في ذلك
فقيل لم يكونا معهم لأنه كان عقابا وقد طلب موسى عليه السلام إلى ربه أن يفرق بينهما
وبينهم • وقيل كانا معهم إلا أنه كان ذلك روحا لهما وسلاما لا عقوبة كالنار لإبراهيم
وملائكة العذاب وروي أن هرون عليه السلام مات في التيه ومات موسى عليه
السلام بعده فيه بسنة ودخل يوشع أريحا بعد موته بثلاثة أشهر ومات النقباء في التيه
بغتة إلا كالب ويوشع • فلا تأس فلا تحزن عليهم لأنه ندم على الدعاء عليهم فقيل إنهم أحقاء
لفسقهم بالعذاب فلا تحزن ولا تندم • واتل عليهم نبأ ابني آدم بالحق إذ قربا قربانا
فتقبل من أحدهما ولم يتقبل من الآخر قال لأقتلنك قال إنما يتقبل الله من المتقين
هما ابنا آدم لصلبه قابيل وهابيل أوحى الله تعالى إلى آدم عليه السلام أن يزوج كل واحد
منهما توأمة الآخر وكانت توأمة قابيل أجمل واسمها إقليما فحسد عليها أخاه وسخط فقال
لهما آدم عليه السلام قربا قربانا فمن أيكما قبل تزوجها فقبل قربان هابيل بأن نزلت نار
فأكلته فازداد قابيل حسدا وسخطا وتوعده بالقتل • وقيل هما رجلان من بني إسرائيل بالحق
ملتبسة بالحق والصحة • أو اتله نبأ ملتبسا بالصدق موافقا لما في كتب الأولين أو بالغرض الصحيح
وهو تقبيح الحسد لأن المشركين وأهل الكتاب كلهم كانوا يحسدون رسول الله ويبغون
عليه • أو اتل عليهم وأنت محق صادق • وإذ قربا نصب بالنبأ أي قصتهم وحديثهم
في ذلك الوقت • ويجوز أن يكون بدلا من النبأ أي اتل عليهم النبأ نبأ ذلك الوقت على
تقدير حذف المضاف • والقربان اسم ما يتقرب به إلى الله تعالى من نسيكة أو صدقة
كما أن الحلوان اسم ما يحلى أي يعطى يقال قرب صدقة وتقرب بها لأن تقرب مطاوع قرب
قال الأصمعي تقربوا قرف القمع فيعدى بالباء حتى يكون بمعنى قرب فإن قلت كيف
كان قوله إنما يتقبل الله من المتقين جوابا لقوله لأقتلنك قلت لما كان الحسد لأخيه
على تقبل قربانه هو الذي حمله على توعده بالقتل قال له إنما أتيت من قبل نفسك لانسلاخها

من

١٦١

من لباس التقوى لا من قبلي فلم تقتلني وما لك لا تعاتب نفسك ولا تحملها على تقوى الله التي
هي السبب في القبول فأجابه بكلام حكيم مختصر جامع لمعان • وفيه دليل على أن الله لا
يقبل طاعة إلا من مؤمن متق • فما أنعاه على أكثر العاملين أعمالهم وعن عامر بن عبد
الله أنه بكى حين حضرته الوفاة فقيل له ما يبكيك فقد كنت وكنت فقال إني أسمع الله
يقول إنما يتقبل الله من المتقين • لئن بسطت إلي يدك لتقتلني ما أنا بباسط يدي إليك
لأقتلك إني أخاف الله رب العالمين • إني أريد أن تبوء بإثمي وإثمك فتكون من
أصحاب النار وذلك جزاء الظالمين • ما أنا بباسط يدي إليك لأقتلك قيل كان أقوى
من القاتل وأبطش منه ولكنه تحرج عن قتل أخيه واستسلم له خوفا من الله لأن الدفع
لم يكن مباحا في ذلك الوقت قاله مجاهد وغيره • إني أريد أن تبوء بإثمي وإثمك أن تحتمل
إثم قتلي لك وإثم قتلك لي فإن قلت كيف يحتمل إثم قتله له ولا تزر وازرة وزر أخرى
قلت المراد بمثل إثمي على الاتساع في الكلام كما تقول قرأت قراءة فلان وكتبت كتابة
زيد تريد المثل وهو اتساع فاش مستفيض لا يكاد يستعمل غيره ونحوه قوله صلى الله عليه
وسلم المستبان ما قالا فعلى البادي ما لم يعتد المظلوم على أن البادي عليه إثم سبه ومثل
إثم سب صاحبه لأنه كان سببا فيه إلا أن الإثم محطوط عن صاحبه معفو عنه لأنه مكافئ
دافع عن عرضه ألا ترى إلى قوله ما لم يعتد المظلوم لأنه إذا خرج من حد المكافأة واعتدى
لم يسلم فإن قلت فحين كف هابيل عن قتل أخيه واستسلم وتحرج عما كان محظورا
ثم بعينه من الدفع فأين الإثم حتى يتحمل أخوه مثله فيجتمع عليه الإثمان قلت هو مقدر
فهو يتحمل مثل الإثم المقدر كأنه قال إني أريد أن تبوء بمثل إثمي لو بسطت إليك يدي
وقيل بإثمي بإثم قتلي وإثمك الذي من أجله لم يتقبل قربانك فإن قلت فكيف جاز أن
يريد شقاوة أخيه وتعذيبه بالنار قلت كان ظالما وجزاء الظالم حسن جائز أن
يراد ألا ترى إلى قوله وذلك جزاء الظالمين وإذا جاز أن يريده الله تعالى جاز أن يريده
العبد لأنه لا يريد إلا ما هو حسن والمراد بالإثم وبال القتل وما يجره من استحقاق
العقاب فإن قلت لم جاء الشرط بلفظ الفعل والجزاء بلفظ اسم الفاعل وهو قوله
لئن بسطت ما أنا بباسط قلت ليفيد أنه لا يفعل ما يكتسب به هذا الوصف الشنيع
ولذلك أكده بالباء المؤكدة للنفي فطوعت له نفسه قتل أخيه فقتله فأصبح من
الخاسرين • فطوعت له نفسه قتل أخيه فوسعته له ويسرته من طاع له المرتع إذا اتسع
وقرأ الحسن فطاوعت وفيه وجهان أن يكون مما جاء من فاعل بمعنى فعل • وأن يراد
أن قتل أخيه كأنه دعا نفسه إلى الإقدام عليه فطاوعته ولم يمتنع وله لزيادة الربط
كقولك حفظت لزيد ماله • وقيل قتل وهو ابن عشرين سنة وكان قتله عند عقبة حراء
وقيل بالبصرة في موضع المسجد الأعظم • فبعث الله غرابا يبحث في الأرض ليريه كيف يواري
سوأة أخيه قال يا ويلتى أعجزت أن أكون مثل هذا الغراب فأواري سوأة أخي
فأصبح من النادمين • بعث الله غرابا روي أنه أول قتيل قتل على وجه الأرض من
بني آدم ولما قتله تركه بالعراء لا يدري ما يصنع به فخاف عليه السباع فحمله في جراب على ظهره

سنة حتى ازرح وعكفت عليه السباع ٭ فبعث الله تعالى غرابين فاقتتلا فقتل احدهما الآخر
فحفر له بمنقاره ورجليه ثم القاه في الحفرة فقال يا ويلتى اعجزت ٭ وروى انه لما قتله اسود جسده
وكان ابيض فسأله آدم عليه السلام عن اخيه فقال ما كنت عليه وكيلا فقال بل قتلته ولذلك
اسود جسدك ٭ وروى ان آدم عليه السلام مكث بعد قتله مائة سنة لا يضحك وانه رثاه بشعر
وهو كذب بحت وما الشعر الا منحول ملحون وقد صح ان الانبياء معصومون من الشعر ٭ ليريه
ليريه الله او ليريه الغراب اي ليعلمه لانه لما كان سبب تعليمه فكانه قصد تعليمه على سبيل المجاز
سوأة اخيه عورة اخيه وما لا يجوز ان ينكشف من جسده ٭ والسوأة الفضيحة لقبحها قال
يا لقومي للسوأة السوآء ٭ اي للفضيحة العظيمة فكنى بها عنها ٭ فاوارى بالنصب على جواب الاستفهام
وقرئ بالسكون على فانا اوارى ٭ او على التسكين في موضع النصب للتخفيف ٭ من النادمين
على قتله لما تعب فيه من حمله وتحيره في امره وتبين له من عجزه وتلمذه للغراب واسوداد لونه وسخط
ابيه ولم يندم ندم التائبين ٭ من اجل ذلك كتبنا على بني اسرائيل انه من قتل نفسا بغير نفس
او فساد في الارض فكانما قتل الناس جميعا ومن احياها فكانما احيا الناس جميعا
ولقد جاءتهم رسلنا بالبينات ثم ان كثيرا منهم بعد ذلك في الارض لمسرفون ٭
من اجل ذلك بسبب ذلك وبعلته ٭ وقيل اصله من اجل شرا اذا جناه يأجله اجلا ومنه
قول خوات بن جبير ٭ واهل خباء صالح ذات بينهم قد احتربوا في عاجل انا آجله ٭ كانك
اذا قلت من اجلك فعلت كذا اردت من ان جنيته فعلته واوجبته ويدل عليه قولهم من جراك
فعلته اي من ان جررته بمعنى جنيته وذلك اشارة الى القتل المذكور اي من ان جنى ذلك القتل
الكتب وجره كتبنا على بني اسرائيل ٭ ومن لابتداء الغاية اي ابتدأ الكتب ونشأ من اجل ذلك
ويقال فعلت كذا لاجل كذا وقد يقال اجل كذا بحذف الجار وايصال الفعل ٭ قال ٭
اجل ان الله قد فضلكم ٭ وقرئ من اجل ذلك بحذف الهمزة وفتح النون لالقاء حركتها
عليها ٭ وقرا ابو جعفر من اجل ذلك بكسر الهمزة وهي لغة فاذا خفف كسر النون ملقيا لكسرة الهمزة
عليها ٭ بغير نفس بغير قتل نفس لا على وجه الاقتصاص ٭ او فساد عطف على نفس بمعنى او بغير
فساد في الارض وهو الشرك ٭ وقيل قطع الطريق ٭ ومن احياها ومن استنقذها من بعض
اسباب الهلكة قتل او غرق او حرق او هدم او غير ذلك ٭ فان قلت كيف شبه الواحد
بالجميع وجعل حكمه كحكمهم ٭ قلت لان كل انسان يدلي بما يدلي به الآخر من الكرامة على
الله وثبوت الحرمة فاذا قتل فقد اهين ما كرم على الله وهتكت حرمته وعلى العكس فلا فرق اذا
بين الواحد والجميع في ذلك ٭ فان قلت فما الفائدة في ذكر ذلك ٭ قلت تعظيم قتل
النفس واحيائها في القلوب ليشمئز الناس عن الجسارة عليها ويتراغبوا في المحاماة على حرمتها
لان المتعرض لقتل النفس اذا تصور قتلها بصورة قتل الناس جميعا عظم ذلك عليه فثبطه وكذلك
الذي اراد احياءها ٭ وعن مجاهد قاتل النفس جزاؤه جهنم وغضب الله والعذاب العظيم
ولو قتل الناس جميعا لم يزد على ذلك ٭ وعن الحسن رحمة الله عليه يا ابن آدم ارايت لو قتلت
الناس جميعا اكنت تطمع ان يكون لك عمل يوازي ذلك فيغفر لك به كلا انه شيء سولته
لك نفسك والشيطان فكذلك اذا قتلت واحدا ٭ بعد ذلك بعد ما كتبنا عليهم وبعد مجيء

الرسل بالآيات ٭ لمسرفون يعني في القتل ولا يبالون بعظمته ٭ انما جزاء الذين يحاربون
الله ورسوله ويسعون في الارض فسادا ان يقتلوا او يصلبوا او تقطع ايديهم
وارجلهم من خلاف او ينفوا من الارض ذلك لهم خزي في الدنيا ولهم في الآخرة
عذاب عظيم ٭ يحاربون الله ورسوله يحاربون رسول الله عليه السلام ومحاربة المسلمين
في حكم محاربته ٭ ويسعون في الارض فسادا مفسدين او لان سعيهم في الارض لما كان على
طريق الفساد نزل منزلة ويفسدون في الارض فانتصب فسادا على المعنى ٭ ويجوز ان يكون
مفعولا له اي للفساد نزلت في قوم هلال بن عويمر وكان بينه وبين رسول الله عليه
السلام عهد وقد مر بهم قوم يريدون رسول الله عليه السلام فقطعوا عليهم ٭ وقيل في
العرنيين فاوحى اليه ان من جمع بين القتل واخذ المال قتل وصلب ومن افرد القتل قتل
ومن افرد اخذ المال قطعت يده لاخذ المال ورجله لاخافة السبيل ٭ ومن افرد الاخافة
نفي من الارض ٭ وقيل هذا حكم كل قاطع طريق كافرا كان او مسلما ومعناه ان يقتلوا من غير
صلب ان افردوا القتل او يصلبوا مع القتل ان جمعوا بين القتل والاخذ ٭ قال ابو حنيفة
ومحمد رحمة الله عليهما يصلب حيا ويطعن حتى يموت ٭ او تقطع ايديهم وارجلهم من خلاف
ان اخذوا المال او ينفوا من الارض اذا لم يزيدوا على الاخافة ٭ وعن جماعة منهم الحسن
والنخعي رحمة الله عليهم ان الامام مخير بين هذه العقوبات في كل قاطع طريق من غير
تفصيل والنفي الحبس عند ابي حنيفة وعند الشافعي رضي الله عنهما النفي من بلد الى بلد لا
يزال يطلب وهو هارب فزعا ٭ وقيل ينفى من بلده وكانوا ينفونهم الى دهلك وهو بلد
في اقصى تهامة وناصع وهو من بلاد الحبشة ٭ خزي ذل وفضيحة ٭ الا الذين تابوا
من قبل ان تقدروا عليهم فاعلموا ان الله غفور رحيم ٭ الا الذين تابوا استثناء
من المعاقبين عقاب قطع الطريق خاصة ٭ واما حكم القتل والجرح واخذ المال فالى
الاولياء ان شاؤوا عفوا وان شاؤوا استوفوا ٭ وعن علي بن ابي طالب رضي الله عنه ان الحارث
ابن بدر جاءه تائبا بعدما كان يقطع الطريق فقبل توبته ودرأ عنه العقوبة ٭ يا ايها
الذين آمنوا اتقوا الله وابتغوا اليه الوسيلة وجاهدوا في سبيله لعلكم
تفلحون ٭ الوسيلة كل ما يتوسل به اي يتقرب من قرابة او صنيعة او غير ذلك فاستعيرت
لما يتوسل به الى الله تعالى من فعل الطاعات وترك المعاصي ٭ وانشد للبيد ٭
ارى الناس لا يدرون ما قدر امرهم ٭ الا كل ذي لب الى الله واسل ٭ ان الذين
كفروا لو ان لهم ما في الارض جميعا ومثله معه ليفتدوا به من عذاب يوم القيامة
ما تقبل منهم ولهم عذاب اليم ٭ ليفتدوا به ليجعلوه فدية لانفسهم وهذا تمثيل للزوم
العذاب لهم وانه لا سبيل لهم الى النجاة منه بوجه ٭ وعن النبي صلى الله عليه وسلم يقال
للكافر يوم القيامة ارايت لو كان لك ملء الارض ذهبا اكنت تفتدي به فيقول نعم فيقال
له قد سئلت ما هو ايسر من ذلك ٭ ولو ما في حيزه خبر ان ٭ فان قلت لم وحد الراجع في
قوله ليفتدوا به وقد ذكر شيئان ٭ قلت هو نحو قوله ٭ فاني وقيار بها لغريب ٭ او
على اجراء الضمير مجرى اسم الاشارة كانه قيل ليفتدوا بذلك ٭ ويجوز ان تكون الواو

في وسئلة بمعنى مع فيتوحد المرجوع اليه فان قلت بم ينصب المفعول معه قلت بما
تستدعيه لو من الفعل لان التقدير لو ثبت ان لهم ما في الارض يريدون ان يخرجوا من النار
وما هم بخارجين منها ولهم عذاب مقيم قرأ ابو واقد ان يخرجوا بضم الياء من اخرج ويشهد
لقراءة العامة قوله بخارجين منها وما يروى عن عكرمة ان نافع بن الازرق قال لابن عباس
رضي الله عنه يا اعمى البصر اعمى القلب تزعم ان قوما يخرجون من النار وقد قال الله عز وجل
وما هم بخارجين منها فقال ويحك اقرأ ما فوقها هذا للكفار فمما لفقته المجبرة وليس
باول تكاذيبهم وفراهم وكفاك بما فيه من مواجهة ابن الازرق ابن عم رسول الله عليه
السلام وهو بين اظهر اعضاده من قريش وانضاده من بني عبد المطلب وهو حبر الامة
وبحرها بالخطاب الذي لا يجسر على مثله احد من اهل الدنيا وبرفعه الى عكرمة دليلين ناصعين
ان الحديث فرية ما فيها مرية والسارق والسارقة فاقطعوا ايديهما جزاء بما كسبا نكالا
من الله والله عزيز حكيم والسارق والسارقة رفعهما على الابتداء والخبر محذوف
عند سيبويه كأنه قيل وفيما فرض عليكم السارق والسارقة اي حكمهما ووجه اخر
وهو ان يرتفعا بالابتداء والخبر فاقطعوا ايديهما ودخول الفاء لتضمنهما معنى الشرط
لان المعنى والذي سرق والتي سرقت فاقطعوا ايديهما والاسم الموصول يتضمن معنى
الشرط وقرأ عيسى بن عمر بالنصب وفضلها سيبويه على قراءة العامة لاجل الامر
لان زيدا فاضربه احسن من زيد فاضربه ايديهما يديهما ونحوه فقد صغت
قلوبكما اكتفى بتثنية المضاف اليه عن تثنية المضاف واريد باليدين اليمينان بدليل قراءة
عبد الله والسارقون والسارقات فاقطعوا ايمانهم والسارق في الشريعة من سرق
من الحرز والمقطع الرسغ وعند الخوارج المنكب والمقدار الذي يجب به القطع عشرة دراهم
عند ابي حنيفة وعند مالك والشافعي ربع دينار وعن الحسن درهم وفي مواعظه احذر
من قطع يدك في درهم جزاء ونكالا مفعول لهما فمن تاب من بعد ظلمه واصلح فان الله يتوب
عليه ان الله غفور رحيم الم تعلم ان الله له ملك السموات والارض يعذب من
يشاء ويغفر لمن يشاء والله على كل شيء قدير فمن تاب من السراق من بعد ظلمه من بعد
سرقته واصلح امره بالتفصي عن التبعات فان الله يتوب عليه ويسقط عنه عقاب الاخرة
واما القطع فلا تسقطه التوبة عند ابي حنيفة واصحابه وعند الشافعي رحمة الله عليه
في احد قوليه تسقطه من يشاء من يجب في الحكمة تعذيبه والمغفرة له من المصرين والتائبين
وقيل يسقط حد الحربي اذا سرق بالتوبة ليكون ادعى له الى الاسلام وابعد من التنفير عنه ولا
يسقطه عن المسلم لان في اقامته الصلاح للمؤمنين والحيوة ولكم في القصاص حيوة
فان قلت لم قدم التعذيب على المغفرة قلت لانه قوبل بذلك تقدم السرقة
على التوبة يا ايها الرسول لا يحزنك الذين يسارعون في الكفر من الذين قالوا امنا بافواههم
ولم تؤمن قلوبهم ومن الذين هادوا سماعون للكذب سماعون لقوم اخرين
لم ياتوك يحرفون الكلم من بعد مواضعه يقولون ان اوتيتم هذا فخذوه وان لم تؤتوه
فاحذروا ومن يرد الله فتنته فلن تملك له من الله شيئا اولئك الذين لم يرد الله ان

يطهر

يطهر قلوبهم لهم في الدنيا خزي ولهم في الاخرة عذاب عظيم قرئ لا يحزنك بضم الياء ويسرعون
والمعنى لا تهتم ولا تبال بمسارعة المنافقين في الكفر اي في اظهاره بما يلوح منهم من اثار الكيد للاسلام
ومن موالاة المشركين فاني ناصرك عليهم وكافيك شرهم يقال اسرع فيه الشيب واسرع فيه الفساد
بمعنى وقع فيه سريعا فكذلك مسارعتهم في الكفر وقوعهم وتهافتهم فيه اسرع شيء اذا وجدوا فرصة
لم يخطئوها وامنا مفعول قالوا وبافواههم متعلق بقالوا لا بامنا ومن الذين هادوا منقطع مما قبله
خبر لسماعون اي ومن اليهود قوم سماعون ويجوز ان يعطف على من الذين قالوا ويرتفع سماعون على هم
سماعون والضمير للفريقين او للذين هادوا ومعنى سماعون للكذب قابلون لما يفتريه الاحبار
ويفتعلونه من الكذب على الله وتحريف كتابه من قولك الملك يسمع كلام فلان ومنه سمع الله لمن حمده
سماعون لقوم اخرين لم ياتوك يعني اليهود الذين لم يصلوا الى مجلس رسول الله عليه السلام وتجافوا
عنه لما افرط فيهم من شدة البغضاء وتبالغ من العداوة اي قابلون من الاحبار ومن اولئك المفرطين
في العداوة الذين لا يقدرون ان ينظروا اليك وقيل سماعون الى رسول الله عليه السلام
لاجل ان يكذبوا عليه بان يمسخوا ما سمعوا منه بالزيادة والنقصان والتبديل والتغيير سماعون
من رسول الله لاجل قوم اخرين من اليهود وجهوهم عيونا ليبلغوهم ما سمعوا منه وقيل السماعون
بنو قريظة والقوم الاخرون يهود خيبر يحرفون الكلم يميلونه ويزيلونه عن مواضعه التي
وضعه الله فيها فيهملونه بغير مواضع بعد ان كان ذا مواضع ان اوتيتم هذا المحرف المزال عن
مواضعه فخذوه واعلموا انه الحق واعملوا به وان لم تؤتوه وافتاكم محمد بخلافه فاحذروا واياكم
واياه فهو الباطل والضلال روي ان شريفا من خيبر زنى بشريفة وهما محصنان وحدهما
الرجم في التورية فكرهوا رجمهما لشرفهما فبعثوا رهطا منهم الى بني قريظة ليسألوا رسول الله
عليه السلام عن ذلك وقالوا ان امركم محمد بالجلد والتحميم فاقبلوا وان امركم بالرجم فلا
تقبلوا وارسلوا الزانيين معهم فامرهم بالرجم فابوا ان ياخذوا به فقال له جبريل عليه السلام
اجعل بينك وبينهم ابن صوريا فقال هل تعرفون شابا امرد ابيض اعور يسكن فدك يقال له ابن
صوريا قالوا نعم وهو اعلم يهودي على وجه الارض ورضوا به حكما فقال له رسول الله صلى الله
عليه وسلم انشدك الله الذي لا اله الا هو الذي فلق البحر لموسى ورفع فوقكم الطور وانجاكم
واغرق ال فرعون والذي انزل عليكم كتابه وحلاله وحرامه هل تجدون فيه الرجم على من احصن
قال نعم فوثب عليه سفلة اليهود فقال خفت ان كذبته ان ينزل علينا العذاب ثم سأل
رسول الله عليه السلام عن اشياء كان يعرفها من اعلامه فقال اشهد ان لا اله الا الله وانك
رسول الله النبي الامي العربي الذي بشر به المرسلون وامر رسول الله صلى الله عليه وسلم بالزانيين
فرجما عند باب مسجده ومن يرد الله فتنته تركه مفتونا وخذلانه فلن تملك له من الله
شيئا فلن تستطيع له من لطف الله وتوفيقه شيئا اولئك الذين لم يرد الله ان يطهر من الطبع
ما يطهر به قلوبهم لانهم ليسوا من اهلها لعلمه انها لا تنفع فيهم ولا تنجع ان الذين لا يؤمنون
بايات الله لا يهديهم الله كيف يهدي الله قوما كفروا بعد ايمانهم سماعون للكذب
اكالون للسحت فان جاءوك فاحكم بينهم او اعرض عنهم وان تعرض عنهم فلن يضروك
شيئا وان حكمت فاحكم بينهم بالقسط ان الله يحب المقسطين السحت كل ما لا يحل كسبه
وهو من سحته اذا استأصله لانه مسحوت البركة كما قال تعالى يمحق الله الربوا والربوا بابه

نوى وقرئ السحت بالتخفيف والتثقيل والسحت بفتح السين على لفظ المصدر من سحته
والسحت بفتحتين والسحت بكسر السين وكانوا يأخذون الرشى على الاحكام وتحليل الحرام
وعن الحسن كان الحاكم في بني اسرائيل اذا اتاه احدهم برشوة جعلها في كمه فاراها اياه وتكلم
بحاجته فيسمع منه ولا ينظر الى خصمه فيأكل الرشوة ويسمع الكذب وحكي ان عاملا قدم
من عمله فجاءه قومه فقدم اليهم العراضة وجعل يحدثهم بما جرى له في عمله فقال اعرابي من
القوم نحن كما قال تعالى سماعون للكذب اكالون للسحت وعن النبي صلى الله عليه وسلم
كل لحم انبته السحت فالنار اولى به قيل كان رسول الله صلى الله عليه وسلم مخيرا اذا تحاكم اليه
اهل الكتاب بين ان يحكم بينهم وبين ان لا يحكم بينهم وعن عطاء والنخعي والشعبي رحمة الله
عليهم انهم اذا ارتفعوا الى حكام المسلمين فان شاؤا حكموا وان شاؤا اعرضوا وقيل هو منسوخ
بقوله وان احكم بينهم بما انزل الله وعند ابي حنيفة رحمه الله ان احتكموا الينا حملوا على حكم
الاسلام وان زنى رجل منهم بمسلمة او سرق من مسلم شيئا اقيم عليه الحد واما اهل الحجاز
فانهم لا يرون اقامة الحدود عليهم يذهبون الى انهم قد صولحوا على شركهم وهو اعظم من الحدود
ويقولون ان النبي صلى الله عليه وسلم رجم اليهوديين قبل نزول الجزية فلن يضروك شيئا
لانهم كانوا لا يتحاكمون اليه الا لطلب الايسر والاهون عليهم كالجلد مكان الرجم فاذا اعرضت
عنهم وابيت الحكومة لهم شق عليهم وتكرهوا اعراضك عنهم وكانوا خلفا بان يعادوه ويضاروه
فامن الله سربه بالقسط بالعدل والاحتياط كما حكمت بالرجم وكيف يحكمونك وعندهم
التورية فيها حكم الله ثم يتولون من بعد ذلك وما اولئك بالمؤمنين وكيف يحكمونك
تعجيب من تحكيمهم لمن لا يؤمنون به والحال ان الحكم منصوص في كتابهم الذي يدعون الايمان
به ثم يتولون من بعد ذلك ثم يعرضون من بعد تحكيمك عن حكمك الموافق لما في كتابهم لا
يرضون به وما اولئك بالمؤمنين بكتابهم كما يدعون او وما اولئك بالكاملين في الايمان
على سبيل التهكم بهم فان قلت فيها حكم الله ما موضعه من الاعراب قلت اما
ان ينتصب حالا من التورية وهي مبتدأ خبره عندهم واما ان يرتفع خبرا عنها كقولك وعندهم
التورية ناطقة بحكم الله واما ان لا يكون له محل ويكون جملة مبينة لان عندهم ما
يغنيهم عن التحكيم كما تقول عندك زيد ينصحك ويشير عليك بالصواب فما تصنع بغيره
فان قلت لم انثت التورية قلت لكونها نظيرة لموماة ودوداة ونحوهما
في كلام العرب فان قلت علام عطف ثم يتولون قلت على يحكمونك انا انزلنا التورية
فيها هدى ونور يحكم بها النبيون الذين اسلموا للذين هادوا والربانيون والاحبار
بما استحفظوا من كتاب الله وكانوا عليه شهداء فلا تخشوا الناس واخشون ولا
تشتروا بآياتي ثمنا قليلا ومن لم يحكم بما انزل الله فاولئك هم الكافرون وكتبنا
عليهم فيها ان النفس بالنفس والعين بالعين والانف بالانف والاذن بالاذن
والسن بالسن والجروح قصاص فمن تصدق به فهو كفارة له ومن لم يحكم بما
انزل الله فاولئك هم الظالمون فيها هدى يهدي للحق والعدل ونور يبين ما استبهم
من الاحكام الذين اسلموا صفة اجريت على النبيين على سبيل المدح كالصفات الجارية على القديم

سبحانه

سبحانه لا للتفصلة والتوضيح واريد باجرائها التعريض باليهود وانهم بعداء من ملة الاسلام
التي هي دين الانبياء كلهم في القديم والحديث وان اليهودية بمعزل منها وقوله الذين اسلموا
للذين هادوا اماد على ذلك والربانيون والاحبار والزهاد والعلماء من ولد هرون
الذين التزموا طريقة النبيين وجانبوا دين اليهود بما استحفظوا من كتاب الله بما سألهم
انبياؤهم حفظه من التورية اي بسبب سؤال انبيائهم اياهم ان يحفظوه من التغيير والتبديل
ومن في من كتاب الله للتبيين وكانوا عليه شهداء رقباء لئلا يبدل والمعنى يحكم باحكام
التورية النبيون بين موسى وعيسى وكان بينهما الف نبي للذين هادوا يحملونهم
على احكام التورية لا يتركونهم ان يعدلوا عنها كما فعل رسول الله عليه السلام من حملهم على
حكم الرجم وارغم انوفهم وابى عليهم ما اشتهوه من الجلد وكذلك حكم الربانيون والاحبار
المسلمون بسبب ما استحفظهم انبياؤهم من كتاب الله والقضاء باحكامه وبسبب كونهم عليه
شهداء ويجوز ان يكون الضمير في استحفظوا للانبياء والربانيين والاحبار جميعا ويكون
الاستحفاظ من الله اي كلفهم الله حفظه وان يكونوا عليه شهداء فلا تخشوا الناس نهي
للحكام عن خشيتهم غير الله في حكوماتهم وادهانهم فيها وامضائها على خلاف ما امروا
به من العدل لخشية سلطان ظالم او خيفة اذية احد من الاقرباء والاصدقاء ولا تشتروا
ولا تستبدلوا ولا تستعيضوا بآيات الله واحكامه ثمنا قليلا وهو الرشوة وابتغاء
الجاه ورضا الناس كما حرف احبار اليهود كتاب الله وغيروا احكامه رغبة في الدنيا
وطلبا للرياسة فهلكوا ومن لم يحكم بما انزل الله مستهينا به فاولئك هم الكافرون والظالمون
والفاسقون وصفهم بالعتو في كفرهم حين ظلموا آيات الله بالاستهانة وتمردوا بان
حكموا بغيرها وعن ابن عباس رضي الله عنهما ان الكافرين والظالمين والفاسقين اهل
الكتاب وعنه نعم القوم انتم ما كان من حلو فلكم وما كان من مر فهو لاهل الكتاب من
جحد حكم الله كفر ومن لم يحكم به وهو مقر فهو ظالم فاسق وعن الشعبي هذه في اهل الاسلام
والظالمون في اليهود والفاسقون في النصارى وعن ابن مسعود رضي الله عنه هو
عام في اليهود وغيرهم وعن حذيفة رضي الله عنه انتم اشبه الامم سمتا ببني اسرائيل
لتركبن طريقهم حذو النعل بالنعل والقذة بالقذة غير اني لا ادري اتعبدون العجل ام لا
في مصحف ابي وانزل الله على بني اسرائيل فيها وفيه وان الجروح قصاص والمعطوفات كلها
قرئت منصوبة ومرفوعة والرفع للعطف على محل ان النفس لان المعنى وكتبنا عليهم فيها
النفس بالنفس اما لاجراء كتبنا مجرى قلنا واما لان معنى الجملة التي هي قولك النفس بالنفس
مما يقع عليه الكتب كما تقع عليه القراءة تقول كتبت الحمد لله وقرأت سورة انزلناها
ولذلك قال الزجاج لو قرئ ان النفس بالكسر لكان صحيحا او للاستيناف والمعنى فرضنا
عليهم فيها ان النفس مأخوذة بالنفس مقتولة بها اذا قتلتها بغير حق وكذلك العين
مفقوءة بالعين والانف مجدوع بالانف والاذن مصلومة بالاذن والسن مقلوعة
بالسن والجروح قصاص ذات قصاص وهو المقاصة ومعناه ما يمكن فيه القصاص
ويعرف المساواة وعن ابن عباس رضي الله عنهما كانوا لا يقتلون الرجل بالمرأة فنزلت

لمن تصدق من أصحاب الحق به بالقصاص وعفا عنه فهو كفارة له فالتصدق به كفارة للمتصدق
يكفر الله من سيئاته ما تقتضيه الموازنة كسائر طاعاته وعن عبد الله بن عمرو يهدم عنه من
ذنوبه بقدر ما تصدق به ۝ وقيل فهو كفارة للجاني إذا تجاوز عنه صاحب الحق سقط عنه ما
لزمه وفي قراءة أبي فهو كفارته له يعني فالمتصدق كفارته له أي الكفارة التي يستحقها له
لا ينقص منها وهو تعظيم لما فعل كقوله فأجره على الله وترغيب في العفو ۝ وقفينا على آثارهم
بعيسى ابن مريم مصدقا لما بين يديه من التوراة وآتيناه الإنجيل فيه هدى ونور
ومصدقا لما بين يديه من التوراة وهدى وموعظة للمتقين ۝ وليحكم أهل
الإنجيل بما أنزل الله فيه ومن لم يحكم بما أنزل الله فأولئك هم الفاسقون ۝
قفيته مثل عقبته إذا اتبعته ثم يقال قفيته بفلان وعقبته به فتعديه إلى الثاني بزيادة
الباء فإن قلت فأين المفعول الأول في الآية قلت هو محذوف والظرف الذي هو على
آثارهم كالساد مسده لأنه إذا قفى به على أثره فقد قفى به إياه والضمير في آثارهم للنبيين في قوله
يحكم بها النبيون الذين أسلموا وقرأ الحسن الأنجيل بفتح الهمزة فإن صح عنه فلأنه أعجمي خرج
لعجمته عن زنات العربية كما خرج هابيل وآجر ۝ ومصدقا عطف على محل فيه هدى ومحله النصب
على الحال وهدى وموعظة يجوز أن ينتصبا على الحال كقوله مصدقا ۝ وأن ينتصبا مفعولا
لهما لقوله وليحكم كأنه قيل وللهدى والموعظة آتيناه الإنجيل وللحكم بما أنزل الله فيه من
الأحكام فإن قلت فإن نظمت هدى وموعظة في سلك مصدقا فما تصنع بقوله وليحكم
قلت أصنع به ما صنعت بهدى وموعظة حين جعلتهما مفعولا لهما فأقدر وليحكم أهل
الإنجيل بما أنزل الله آتيناه إياه وقرئ وليحكم على لفظ الأمر بمعنى وقلنا ليحكم وروي
في قراءة أبي وأن ليحكم بزيادة أن مع الأمر على أن أن موصولة بالأمر كقولك أمرته بأن قم
كأنه قيل وآتيناه الإنجيل وأمرنا بأن يحكم أهل الإنجيل ۝ وقيل إن عيسى عليه السلام كان متعبدا
بما في التوراة من الأحكام لأن الإنجيل مواعظ وزواجر والأحكام فيه قليلة وظاهر قوله
وليحكم أهل الإنجيل بما أنزل الله فيه يرد ذلك وكذلك قوله لكل جعلنا منكم شرعة ومنهاجا
وإن ساغ لقائل أن يقول معناه وليحكموا بما أنزل الله فيه من إيجاب العمل بأحكام التوراة
وأنزلنا إليك الكتاب بالحق مصدقا لما بين يديه من الكتاب ومهيمنا عليه فاحكم
بينهم بما أنزل الله ولا تتبع أهواءهم عما جاءك من الحق لكل جعلنا منكم شرعة ومنهاجا
ولو شاء الله لجعلكم أمة واحدة ولكن ليبلوكم في ما آتاكم فاستبقوا الخيرات إلى الله
مرجعكم جميعا فينبئكم بما كنتم فيه تختلفون ۝ وأن احكم بينهم بما أنزل الله
ولا تتبع أهواءهم واحذرهم أن يفتنوك عن بعض ما أنزل الله إليك فإن تولوا فاعلم
أنما يريد الله أن يصيبهم ببعض ذنوبهم وإن كثيرا من الناس لفاسقون ۝ فإن
قلت أي فرق بين التعريفين في قوله وأنزلنا إليك الكتاب وقوله لما بين يديه من الكتاب
قلت الأول تعريف العهد لأنه عني به القرآن ۝ والثاني تعريف الجنس لأنه عني به جنس
الكتب المنزلة ۝ ويجوز أن يقال هو للعهد لأنه لم يرد به ما يقع عليه اسم الكتاب على الإطلاق
وإنما أريد نوع معلوم منه وهو ما أنزل من السماء سوى القرآن ۝ ومهيمنا ورقيبا على سائر

الكتب لأنه يشهد لها بالصحة والثبات وقرئ ومهيمنا بفتح الميم أي هومن عليه بأن
حفظ من التغيير والتبديل كما قال تعالى لا يأتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه
والذي هيمن عليه الله عز وجل ۝ أو الحفاظ في كل بلد لو حرف حرف منه أو حركة أو سكون
لتنبه عليه كل أحد ولاشمأزوا رادين ومنكرين ذلك ولا تتبع معنى ولا تنحرف فلذلك
عدي بعن كأنه قيل ولا تنحرف عما جاءك من الحق متبعا أهواءهم ۝ لكل جعلنا منكم أيها
الناس شرعة شريعة وقرأ يحيى بن وثاب بفتح الشين ومنهاجا وطريقا واضحا في
الدين تجرون عليه ۝ وقيل هذا دليل على أنا غير متعبدين بشرائع من قبلنا ۝ لجعلكم أمة
واحدة جماعة متفقة على شريعة واحدة أو ذوي أمة واحدة أي دين واحد لا اختلاف
فيه ولكن أراد ليبلوكم فيما آتاكم من الشرائع المختلفة هل تعملون بها مذعنين معتقدين
أنها مصالح قد اختلفت على حسب الأحوال والأوقات معترفين بأن الله لم يقصد
باختلافها إلا ما اقتضته الحكمة أم تتبعون الشبه وتفرطون في العمل ۝ فاستبقوا
الخيرات فابتدروها وتسابقوا نحوها ۝ إلى الله مرجعكم استئناف في معنى التعليل
لاستباق الخيرات ۝ فينبئكم فيخبركم بما لا تشكون معه من الجزاء الفاصل بين محقكم ومبطلكم
وعاملكم ومفرطكم في العمل فإن قلت وأن احكم بينهم معطوف على ماذا قلت
على الكتاب في قوله وأنزلنا إليك الكتاب كأنه قيل وأنزلنا إليك أن احكم على أن أن وصلت
بالأمر لأنه فعل كسائر الأفعال ۝ ويجوز أن يكون معطوفا على بالحق أي أنزلناه بالحق وبأن
احكم أن يفتنوك عن بعض ما أنزل الله إليك أن يضلوك عنه ويستنزلوك وذلك أن
كعب بن أسيد وعبد الله بن صوريا وشاس بن قيس من أحبار اليهود قالوا اذهبوا بنا إلى
محمد نفتنه عن دينه فقالوا له يا محمد قد عرفت أنا أحبار اليهود وأنا إن اتبعناك اتبعنا
اليهود كلهم وإن بيننا وبين قومنا خصومة فنتحاكم إليك فتقضي لنا عليهم
ونحن نؤمن بك ونصدقك فأبى ذلك رسول الله عليه السلام فنزلت ۝ فإن تولوا عن
الحكم بما أنزل الله إليك وأرادوا غيره فاعلم أنما يريد الله أن يصيبهم ببعض ذنوبهم يعني
بذنب التولي عن حكم الله وإرادة خلافه فوضع ببعض ذنوبهم موضع ذلك وأراد أن
لهم ذنوبا جمة كثيرة العدد وأن هذا الذنب مع عظمه بعضها وواحد منها وهذا الإبهام
لتعظيم التولي واستسرافهم في ارتكابه ۝ ونحو البعض في هذا الكلام ما في قول
لبيد ۝ أو يرتبط بعض النفوس حمامها ۝ أراد نفسه وإنما قصد تفخيم شأنها بهذا الإبهام
كأنه قال نفسا كبيرة ونفسا أي نفس فكما أن التنكير يعطي معنى التكبير وهو في معنى
البعضية فكذلك إذا صرح بالبعض ۝ لفاسقون لمتمردون في الكفر معتدون فيه
يعني أن التولي عن حكم الله من التمرد العظيم والاعتداء في الكفر ۝ أفحكم الجاهلية يبغون
ومن أحسن من الله حكما لقوم يوقنون ۝ أفحكم الجاهلية يبغون ۝ فيه وجهان
أحدهما أن قريظة والنضير طلبوا إليه أن يحكم بما كان يحكم به أهل الجاهلية من
التفاضل بين القتلى وروي أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال لهم القتلى
بواء فقال بنو النضير نحن لا نرضى بذلك فنزلت ۝ والثاني أن يكون تعييرا لليهود

بأنهم أهل كتاب وعلم وهم يبغون حكم الملة الجاهلية التي هي هوى وجهل لا يصدر عن كتاب
ولا يرجع إلى وحي من الله وعن الحسن هو عام في كل من يبتغي غير حكم الله ۝ والحكم حكمان حكم
بعلم فهو حكم الله وحكم بجهل فهو حكم الشيطان وسئل طاوس عن الرجل يفضل بعض
ولده على بعض فقرأ هذه الآية وقرئ يبغون بالياء والتاء وقرأ السلمي أفحكم
الجاهلية يبغون برفع الحكم على الابتداء وإيقاع يبغون خبرا وإسقاط الراجع عنه كإسقاطه
عن الصلة في أهذا الذي بعث الله رسولا ۝ وعن الصفة في الناس رجلان رجل أهنت ورجل
أكرمت ۝ وعن الحال في مررت بهند يضرب زيد وقرأ قتادة أفحكم الجاهلية على أن
هذا الحكم الذي يبغونه إنما يحكم به أفعى نجران أو نظيره من حكام الجاهلية فأرادوا
بسفههم أن يكون محمد خاتم النبيين حكما كأولئك الحكام ۝ اللام في قوله لقوم يوقنون
للبيان كاللام في هيت لك أي هذا الخطاب وهذا الاستفهام لقوم يوقنون فإنهم هم
الذين يتبينون أن لا أعدل من الله ولا أحسن حكما منه يا أيها الذين آمنوا لا تتخذوا
اليهود والنصارى أولياء بعضهم أولياء بعض ومن يتولهم منكم فإنه منهم إن
الله لا يهدي القوم الظالمين ۝ لا تتخذوهم أولياء تنصرونهم وتستنصرونهم وتواخونهم
وتصافونهم وتعاشرونهم معاشرة المؤمنين ثم علل النهي بقوله بعضهم أولياء بعض أي
إنما يوالي بعضهم بعضا لاتحاد ملتهم واجتماعهم في الكفر فما لمن دينه خلاف دينهم ولموالاتهم
ومن يتولهم منكم فإنه من جملتهم وحكمه حكمهم وهذا تغليظ من الله وتشديد في وجوب
مجانبة المخالف في الدين واعتزاله كما قال رسول الله صلى الله عليه وسلم لا تراءى ناراهما
ومنه قول عمر رضي الله عنه لأبي موسى في كاتبه النصراني لا تكرموهم إذ أهانهم
الله تعالى ولا تأمنوهم إذ خونهم الله ولا تدنوهم إذ أقصاهم الله تعالى ۝ وروي أنه
قال له أبو موسى رضي الله عنه لا قوام للبصرة إلا به فقال مات النصراني والسلام يعني
هب أنه قد مات فما كنت تكون صانعا حينئذ فاصنعه الساعة واستغن عنه بغيره ۝ إن
الله لا يهدي القوم الظالمين يعني الذين ظلموا أنفسهم بموالاة الكفرة يمنعهم الله تعالى
ألطافه ويخذلهم مقتا لهم فترى الذين في قلوبهم مرض يسارعون فيهم يقولون نخشى
أن تصيبنا دائرة فعسى الله أن يأتي بالفتح أو أمر من عنده فيصبحوا على ما أسروا
في أنفسهم نادمين ۝ يسارعون فيهم ينكمشون في موالاتهم ويرغبون فيها ويعتذرون
بأنهم لا يأمنون أن تصيبهم دائرة من دوائر الزمان أي صرف من صروفه ودولة
من دوله فيحتاجون إليهم وإلى معونتهم وعن عبادة بن الصامت رضي الله عنه أنه
قال لرسول الله عليه السلام إن لي موالي من يهود كثيرا عددهم وإني أبرأ إلى الله ورسوله
من ولايتهم وأوالي الله ورسوله فقال عبد الله بن أبي إني رجل أخاف الدوائر لا أبرأ
من ولاية موالي وهم يهود بني قينقاع ۝ فعسى الله أن يأتي بالفتح لرسول الله على أعدائه
وإظهار المسلمين ۝ أو أمر من عنده يقطع شأفة اليهود ويجليهم عن بلادهم فيصبح
المنافقون نادمين على ما حدثوا به أنفسهم وذلك أنهم كانوا يشكون في أمر رسول
الله عليه السلام ويقولون ما نظن أن يتم له أمر وبالحري أن تكون الدولة والغلبة

هؤلاء ۝ وقيل أو أمر من عنده أو أن يؤمر النبي عليه السلام بإظهار أسرار المنافقين وقتلهم فيندموا
على نفاقهم ۝ وقيل أو أمر من عند الله لا يكون للناس فيه فعل كبني النضير الذين طرح الله في
قلوبهم الرعب فأعطوا بأيديهم من غير أن يوجف عليهم بخيل ولا ركاب ۝ ويقول الذين آمنوا
أهؤلاء الذين أقسموا بالله جهد أيمانهم إنهم لمعكم حبطت أعمالهم فأصبحوا خاسرين ۝
ويقول الذين آمنوا قرئ بالنصب عطفا على أن يأتي الله ۝ وبالرفع على أنه كلام مبتدأ أي ويقول
الذين آمنوا في ذلك الوقت وقرئ يقول بغير واو وهي في مصاحف مكة والمدينة
والشام كذلك على أنه جواب قائل يقول فماذا يقول المؤمنون حينئذ فقيل يقول الذين آمنوا
أهؤلاء الذين أقسموا فإن قلت لمن يقولون هذا القول قلت إما أن يقوله
بعضهم لبعض تعجبا من حالهم واغتباطا بما من الله عليهم من التوفيق في الإخلاص أهؤلاء
الذين أقسموا لكم بإغلاظ الأيمان أنهم أولياؤكم ومعاضدوكم على الكفار ۝ وإما أن
يقولوه لليهود لأنهم حلفوا لهم بالمعاضدة والنصرة كما حكى الله عنهم وإن قوتلتم لننصرنكم
حبطت أعمالهم من جملة قول المؤمنين أي بطلت أعمالهم التي كانوا يتكلفونها في رأي أعين الناس
وفيه معنى التعجب كأنه قيل ما أحبط أعمالهم فما أخسرهم أو من قول الله عز وجل شهادة لهم
بحبوط الأعمال وتعجبا من سوء حالهم ۝ يا أيها الذين آمنوا من يرتد منكم عن دينه فسوف
يأتي الله بقوم يحبهم ويحبونه أذلة على المؤمنين أعزة على الكافرين قرئ من يرتدد
ومن يرتد وهو في الإمام بدالين وهو من الكائنات التي أخبر عنها في القرآن قبل كونها ۝
وقيل كان أهل الردة إحدى عشرة فرقة ۝ ثلاث في عهد رسول الله عليه السلام بنو
مدلج ورئيسهم ذو الحمار وهو الأسود العنسي وكان كاهنا تنبأ باليمن واستولى على بلاده
وأخرج عمال رسول الله عليه السلام فكتب عليه السلام إلى معاذ بن جبل رضي الله عنه وإلى
سادات اليمن فأهلكه الله على يدي فيروز الديلمي بيته فقتله وأخبر رسول الله صلى الله
عليه وسلم بقتله ليلة قتل فسر المسلمون وقبض رسول الله عليه السلام من الغد وأتى خبره
في آخر شهر ربيع الأول ۝ وبنو حنيفة قوم مسيلمة تنبأ وكتب إلى رسول الله عليه السلام من
مسيلمة رسول الله إلى محمد رسول الله أما بعد فإن الأرض نصفها لي ونصفها لك فأجاب
من محمد رسول الله إلى مسيلمة الكذاب أما بعد فإن الأرض لله يورثها من يشاء من عباده
والعاقبة للمتقين فحاربه أبو بكر رضي الله عنه بجنود المسلمين وقتل على يدي وحشي قاتل
حمزة رضي الله عنه وكان يقول قتلت خير الناس في الجاهلية وشر الناس في الإسلام أراد
في جاهليتي وإسلامي ۝ وبنو أسد قوم طليحة بن خويلد تنبأ فبعث إليه رسول الله عليه السلام
خالدا فانهزم بعد القتال إلى الشام ثم أسلم وحسن إسلامه ۝ وسبع في عهد أبي بكر رضي
الله عنه فزارة قوم عيينة بن حصن ۝ وغطفان قوم قرة بن سلمة القشيري ۝ وبنو سليم
قوم الفجاءة بن عبد يا ليل ۝ وبنو يربوع قوم مالك بن نويرة ۝ وبعض بني تميم قوم
سجاح بنت المنذر التي زوجت نفسها مسيلمة الكذاب وفيها يقول أبو العلاء
المعري في كتاب استغفر واستغفري أمت سجاح ووالاها مسيلمة كذابة في بني الدنيا وكذاب
وكندة قوم الأشعث بن قيس ۝ وبنو بكر بن وائل بالبحرين قوم الحطم بن زيد وكفى الله أمرهم

على يدى ابى بكر رضى الله عنه • وفرقة واحدة فى عهد عمر رضى الله عنه • وغسان قوم جبلة بن
الايهم نصرته اللطمة وسيرته الى بلاد الروم بعد اسلامه • فسوف ياتى الله بقوم قيل لما
نزلت اشار رسول الله عليه السلام الى ابى موسى الاشعرى فقال صلى الله عليه وسلم قوم هذا • وقيل
هم الفان من النخع وخمسة آلاف من كندة وبجيلة وثلاثة آلاف من افناء الناس جاهدوا
يوم القادسية • وقيل هم الانصار • وقيل سئل رسول الله عليه السلام عنهم فضرب يده
على عاتق سلمان وقال هذا وذووه ثم قال لو كان الايمان معلقا بالثريا لناله رجال من
ابناء فارس • يحبهم ويحبونه محبة العباد لربهم طاعته وابتغاء مرضاته وان لا يفعلوا ما
يوجب سخطه وعقابه • ومحبة الله لعباده ان يثيبهم احسن الثواب على طاعتهم ويعظمهم
ويثنى عليهم ويرضى عنهم • واما ما يعتقده اجهل الناس واعداهم للعلم واهله وامقتهم
للشرع واسواهم طريقة وان كانت طريقتهم عند امثالهم من الجهلة والسفهاء شيا وهم
الفرقة المفتعلة المتفعلة من الصوف وما يدينون به من المحبة والعشق والتغنى على كراسيهم
خربها الله وفى مراقصهم عطلها الله بابيات الغزل المقولة فى المردان الذين يسمونهم شهداء
وصعقاتهم التى ابن عنها صعقة موسى عند دك الطور فتعالى الله عنه علوا كبيرا • ومن
كلماتهم كما انه بذاته يحبهم كذلك يحبون ذاته فان الهاء راجعة الى الذات دون النعوت والصفات
ومنها الحب شرطه ان تلحقهم سكرات المحبة فاذا لم يكن ذلك لم يكن فيه حقيقة فان
قلت اين الراجع من الجزاء الى الاسم المتضمن لمعنى الشرط قلت هو محذوف معناه فسوف
ياتى الله بقوم مكانهم او بقوم غيرهم او ما اشبه ذلك • اذلة جمع ذليل واما ذلول فجمعه
ذلل ومن زعم انه من الذل الذى هو نقيض الصعوبة فقد غبى عنه ان ذلولا لا يجمع على
اذلة فان قلت هلا قيل اذلة للمومنين اعزة على الكافرين قلت فيه وجهان
احدهما ان يضمن الذل معنى الحنو والعطف كانه قيل عاطفين عليهم على وجه التذلل والتواضع
والثانى انهم مع شرفهم وعلو طبقتهم وفضلهم على المومنين خافضون لهم اجنحتهم ونحوه
قوله تعالى اشداء على الكفار رحماء بينهم وقرئ اذلة واعزة بالنصب على الحال يجاهدون
فى سبيل الله ولا يخافون لومة لائم ذلك فضل الله يوتيه من يشاء والله واسع عليم
ولا يخافون لومة لائم يحتمل ان يكون الواو للحال على انهم يجاهدون وحالهم فى المجاهدة خلاف
حال المنافقين فانهم كانوا موالين لليهود لعنت فاذا خرجوا فى جيش المومنين خافوا اولياءهم
اليهود فلا يعملون شيا مما يعلمون انه يلحقهم فيه لوم من جهتهم • واما المومنون فكانوا يجاهدون
لوجه الله لا يخافون لومة لائم قط • وان يكون للعطف على ان من صفتهم المجاهدة فى سبيل الله
وانهم صلاب فى دينهم اذا شرعوا فى امر من امور الدين انكار منكر او امر بمعروف مضوا فيه كالمسامير
المحماة لا يرعهم قول قائل ولا اعتراض معترض ولا لومة لائم يشق عليه جدهم فى انكارهم
وصلابتهم فى امرهم واللومة المرة من اللوم وفيها وفى التنكير مبالغتان كانه قيل لا يخافون
شيا قط من لوم احد من اللوام وذلك اشارة الى ما وصف به القوم من المحبة والذلة
والعزة والمجاهدة وانتفاء خوف اللومة • يوتيه يوفق له من يشاء ممن يعلم ان له لطفا
واسع كثير الفواضل والالطاف • عليم بمن هو من اهلها انما وليكم الله ورسوله والذين امنوا

الذين يقيمون الصلوة ويوتون الزكوة وهم راكعون • عقب النهى عن موالاة من تجب
معاداتهم ذكر من تجب موالاتهم بقوله انما وليكم الله ورسوله والذين امنوا ومعنى انما
وجوب اختصاصهم بالموالاة فان قلت قد ذكرت جماعة فهلا قيل انما اولياؤكم •
قلت اصل الكلام انما وليكم الله فجعلت الولاية لله على طريق الاصالة ثم نظم فى سلك
اثباتها له اثباتها لرسوله عليه السلام وللمومنين على سبيل التبع ولو قيل انما اولياؤكم
الله ورسوله والذين امنوا لم يكن فى الكلام اصل وتبع وفى قراءة عبد الله انما مولاكم
فان قلت الذين يقيمون ما محله قلت الرفع على البدل من الذين امنوا • او على هم الذين
يقيمون • او النصب على المدح وفيه تمييز للخلص من الذين امنوا نفاقا او واطات قلوبهم
السنتهم الا انهم مفرطون فى العمل • وهم راكعون الواو للحال اى يعملون ذلك فى حال الركوع
وهو الخشوع والاخبات والتواضع لله تعالى اذا صلوا واذا زكوا • وقيل هو حال من
يوتون الزكوة بمعنى يوتونها فى حال ركوعهم فى الصلوة وانها نزلت فى على رضى الله عنه حين
ساله سائل وهو راكع فى صلوته كانه كان مرجا فى خنصره فلم يتكلف لخلعه كثير عمل تفسد بمثله
صلوته فان قلت كيف صح ان يكون لعلى رضى الله عنه واللفظ لفظ جماعة قلت جيء
به على لفظ الجمع وان كان السبب فيه رجلا واحدا ليرغب الناس فى مثل فعله فينالوا مثل ثوابه
ولينبه على ان سجية المومنين يجب ان تكون على هذه الغاية من الحرص على البر والاحسان وتفقد
الفقراء حتى ان لزمهم امر لا يقبل التاخير وهم فى الصلوة لم يوخروه الى الفراغ منها ومن يتول
الله ورسوله والذين امنوا فان حزب الله هم الغالبون • فان حزب الله من اقامة
الظاهر مقام المضمر ومعناه فانهم هم الغالبون ولكنهم بذلك جعلوا اعلاما لكونهم
حزب الله • واصل الحزب القوم يجتمعون لامر حزبهم • ويحتمل ان يريد بحزب الله الرسول
والمومنين ويكون المعنى ومن يتولهم فقد تولى حزب الله واعتضد بمن لا يغالب يا ايها
الذين امنوا لا تتخذوا الذين اتخذوا دينكم هزوا ولعبا من الذين اوتوا الكتاب من
قبلكم والكفار اولياء واتقوا الله ان كنتم مومنين • روى ان رفاعة بن زيد وسويد
ابن الحرث قد اظهرا الاسلام ثم نافقا وكان رجال من المسلمين يوادونهما فنزلت يعنى
ان اتخاذهم دينكم هزوا ولعبا لا يصح ان يقابل باتخاذكم اياهم اولياء بل يقابل ذلك بالبغضاء
والشنان والمنابذة وفصل المستهزئين باهل الكتاب والكفار وان كان اهل الكتاب
من الكفار اطلاقا للكفار على المشركين خاصة والدليل عليه قراءة عبد الله ومن الذين
اشركوا وقرئ والكفار بالنصب والجر وتعضد قراءة الجر قراءة ابى ومن الكفار واتقوا
الله فى موالاة الكفار وغيرهم • ان كنتم مومنين حقا لان الايمان حقا يابى موالاة اعداء
الدين واذا ناديتم الى الصلوة اتخذوها هزوا ولعبا ذلك بانهم قوم لا يعقلون •
اتخذوها الضمير للصلوة او للمناداة قيل كان رجل من النصارى بالمدينة اذا
سمع المؤذن يقول اشهد ان محمدا رسول الله قال حرق الكاذب فدخلت خادمه بنار
ذات ليلة وهو نائم فتطايرت منها شرارة فى البيت فاحترق البيت واحترق هو واهله
وقيل فيه دليل على ثبوت الاذان بنص الكتاب لا بالمنام وحده • لا يعقلون لان لعبهم

او واطات عطف على امنوا نفاقا اى امنوا تحقيقا لكنهم مفرطون

وهزؤهم من افعال السفهاء والجهلة فكأنه لا عقل لهم • قل يا اهل الكتاب هل تنقمون منا الا ان آمنا بالله وما انزل الينا وما انزل من قبل وان اكثركم فاسقون • قرأ الحسن هل تنقمون بفتح القاف والفصيح كسرها والمعنى هل تعيبون منا وتنكرون الا الايمان بالكتب المنزلة كلها وان اكثركم فاسقون • فان قلت علام عطف قوله وان اكثركم فاسقون • قلت فيه وجوه منها ان يعطف على ان آمنا بمعنى وما تنقمون منا الا الجمع بين ايماننا وبين تمردكم وخروجكم عن الايمان كأنه قيل وما تنكرون منا الا مخالفتكم حيث دخلنا في دين الاسلام وانتم خارجون منه • ويجوز ان يكون على تقدير حذف المضاف اي واعتقاد انكم فاسقون • ومنها ان يعطف على المجرور اي وما تنقمون منا الا الايمان بالله وبما انزل وبان اكثركم فاسقون • ويجوز ان تكون الواو بمعنى مع اي وما تنقمون منا الا الايمان مع ان اكثركم فاسقون • ويجوز ان يكون تعليلا معطوفا على تعليل محذوف كأنه قيل وما تنقمون منا الا الايمان لقلة انصافكم وفسقكم واتباعكم الشهوات ويدل عليه تفسير الحسن بفسقكم نقمتم ذلك علينا • وروي انه اتى رسول الله عليه السلام نفر من اليهود فسألوه عمن يؤمن به من الرسل فقال اومن بالله وما انزل الينا الى قوله ونحن له مسلمون فقالوا حين سمعوا ذكر عيسى عليه السلام ما نعلم اهل دين اقل حظا في الدنيا والآخرة منكم ولا شرا من دينكم فنزلت • وعن نعيم بن ميسرة وان اكثركم بالكسر • ويحتمل ان ينتصب وان اكثركم بفعل محذوف يدل عليه هل تنقمون اي ولا تنقمون ان اكثركم فاسقون • او يرتفع على الابتداء والخبر محذوف اي وفسقكم ثابت معلوم عندكم لانكم علمتم انا على الحق وانكم على الباطل الا ان حب الرياسة وكسب الاموال لا يدعكم فتنصفوا • قل هل انبئكم بشر من ذلك مثوبة عند الله من لعنه الله وغضب عليه وجعل منهم القردة والخنازير وعبد الطاغوت اولئك شر مكانا واضل عن سواء السبيل • ذلك اشارة الى المنقوم ولا بد من حذف مضاف قبله او قبل من تقديره بشر من اهل ذلك او دين من لعنه الله ومن لعنه الله في محل الرفع على قولك هو من لعنه الله كقوله تعالى قل افانبئكم بشر من ذلكم النار • او في محل الجر على البدل من شر • وقرئ مثوبة ومثوبة ومثلها مشورة ومشورة • فان قلت المثوبة مختصة بالاحسان فكيف جاءت في الاساءة • قلت وضعت المثوبة موضع العقوبة على طريقة قوله تحية بينهم ضرب وجيع • ومنه فبشرهم بعذاب اليم • فان قلت المعاقبون من الفريقين هم اليهود فلم شورك بينهم في العقوبة • قلت كان اليهود لعنوا يزعمون ان المسلمين ضالون مستوجبون للعقاب فقيل لهم من لعنه الله شر عقوبة في الحقيقة واليقين من اهل الاسلام في زعمكم ودعواكم • وعبد الطاغوت عطف على صلة من كأنه قيل ومن عبد الطاغوت • وفي قراءة ابي رضي الله عنه وعبدوا الطاغوت على المعنى • وقرأ ابن مسعود رضي الله عنه ومن عبدوا • وقرئ وعابد الطاغوت عطفا على القردة • وعابدي وعباد وعبد وعبد ومعناه الغلو في العبودية كقولهم رجل حذر وفطن للبليغ في الحذر والفطنة • قال • ابني لبيني ان امكم امة وان اباكم عبد • وعبد بوزن حطم وعبيد وعبد بضمتين جمع عبيد • وعبدة بوزن كفرة • وعبد واصله عبدة فحذفت التاء للاضافة او هو كخدم

في جمع خادم وعبد وعباد واعبد • وعبد الطاغوت على البناء للمفعول وحذف الراجع بمعنى وعبد الطاغوت فيهم او بينهم • وعبد الطاغوت بمعنى صار الطاغوت معبودا من دون الله كقولك امر اذا صار اميرا • وعبد الطاغوت بالجر عطفا على من لعنه الله • فان قلت كيف جاز ان يجعل الله منهم عباد الطاغوت • قلت فيه وجهان • احدهما انه خذلهم حتى عبدوها • والثاني انه حكم عليهم بذلك ووصفهم به كقوله وجعلوا الملائكة الذين هم عباد الرحمن اناثا • وقيل الطاغوت العجل لانه معبود من دون الله ولان عبادتهم للعجل مما زينه لهم الشيطان فكانت عبادتهم له عبادة للشيطان وهو الطاغوت • وعن ابن عباس رضي الله عنهما الطاغوت الكهنة وكل من اطاع احدا في معصية الله فقد عبده • وقرأ الحسن رحمة الله عليه الطواغيت • وقيل وجعل منهم القردة اصحاب السبت • والخنازير كفار اهل مائدة عيسى عليه السلام • وقيل كلا المسخين من اصحاب السبت فشبانهم مسخوا قردة ومشايخهم مسخوا خنازير • وروي انها لما نزلت كان المسلمون يعيرون اليهود ويقولون يا اخوة القردة والخنازير فينكسون رؤوسهم اولئك الملعونون الممسوخون شر مكانا جعلت الشرارة للمكان وهي لاهله وفيه مبالغة ليست في قولك اولئك شر واضل لدخوله في باب الكناية التي هي اخت المجاز • واذا جاؤكم قالوا آمنا وقد دخلوا بالكفر وهم قد خرجوا به والله اعلم بما كانوا يكتمون • نزلت في ناس من اليهود كانوا يدخلون على رسول الله عليه السلام يظهرون له الايمان نفاقا فاخبره الله بشأنهم وانهم يخرجون من مجلسك كما دخلوا لم يتعلق بهم شيء مما سمعوا به من تذكيرك بآيات الله ومواعظك • وقوله بالكفر وبه حالان اي دخلوا كافرين وخرجوا كافرين وتقديره ملتبسين بالكفر وكذلك قوله وقد دخلوا وهم قد خرجوا ولذلك دخلت قد تقريبا للماضي من الحال • ولمعنى آخر وهو انهم امارات النفاق كانت لائحة عليهم فكان رسول الله عليه السلام متوقعا لاظهار ما كتموه فدخل حرف التوقع وهو متعلق بقوله قالوا آمنا اي قالوا ذلك وهذه حالهم • وترى كثيرا منهم يسارعون في الاثم والعدوان واكلهم السحت لبئس ما كانوا يعملون • لولا ينهاهم الربانيون والاحبار عن قولهم الاثم واكلهم السحت لبئس ما كانوا يصنعون • الاثم الكذب بدليل قوله عن قولهم الاثم • والعدوان الظلم • وقيل الاثم كلمة الشرك وقولهم عزير ابن الله • وقيل الاثم ما يختص بهم والعدوان ما يتعداهم الى غيرهم • والمسارعة في الشيء الشروع فيه بسرعة • لبئس ما كانوا يصنعون كأنهم جعلوا آثم من مرتكبي المناكير لان كل عامل لا يسمى صانعا ولا كل عمل يسمى صناعة حتى يتمكن فيه ويتدرب وينسب اليه وكان المعنى في ذلك ان مواقع المعصية معه الشهوة التي تدعوه اليها وتحمله على ارتكابها واما الذي ينهاه فلا شهوة معه في فعل غيره فاذا فرط في الانكار كان اشد حالا من المواقع • ولعمري ان هذه الآية مما يقذ السامع وينعى على العلماء توانيهم • وعن ابن عباس رضي الله عنهما هي اشد آية في القرآن • وعن الضحاك ما في القرآن آية اخوف عندي منها • وقالت اليهود يد الله مغلولة غلت ايديهم ولعنوا بما قالوا بل يداه مبسوطتان ينفق كيف يشاء وليزيدن

كثيرا منهم ما انزل اليك من ربك طغيانا وكفرا والقينا بينهم العداوة والبغضاء الى يوم القيمة كلما اوقدوا نارا للحرب اطفاها الله ويسعون في الارض فسادا والله لا يحب المفسدين ۞

غل اليد وبسطها مجاز عن البخل والجود ومنه قوله تعالى ولا تجعل يدك مغلولة الى عنقك ولا تبسطها كل البسط ولا يقصد من يتكلم به اثبات يد ولا غل ولا بسط ولا فرق عنده بين هذا الكلام وبين ما وقع مجازا عنه لانهما كلامان معتقبان على حقيقة واحدة حتى انه يستعمله في ملك لا يعطي عطاء قط ولا يمنعه الا باشارته من غير استعمال يد وبسطها وقبضها ولو اعطى الاقطع الى المنكب عطاء جزلا لقالوا ما ابسط يده بالنوال لان بسط اليد وقبضها عبارتان وقعتا متعاقبتين للبخل والجود وقد استعملوها حيث لا تصح اليد كقوله ۞ جاد الحمى بسط اليدين بوابل ۞ شكرت نداه تلاعه ووهاده ۞ ومن جعل لبيد للشمال يدا في قوله ۞ اذ اصبحت بيد الشمال زمامها ۞ ويقال بسط اليأس كفيه في صدري فجعلت لليأس الذي هو من المعاني لا من الاعيان كفان ومن لم ينظر في علم البيان عمي عن تبصر محجة الصواب في تأويل امثال هذه الاية ولم يتخلص من يد الطاعن اذا عبثت به فان قلت قد صح ان قوله يد الله مغلولة عبارة عن البخل فما تصنع بقوله غلت ايديهم ومن حقه ان يطابق ما تقدم والا تنافر الكلام وزل عن سننه قلت يجوز ان يكون معناه الدعاء عليهم بالبخل والنكد ومن ثم كانوا ابخل خلق الله وانكدهم ونحوه بيت الاشتر ۞ بقيت وفري وانحرفت عن العلى ۞ ويجوز ان يكون دعاء عليهم بغل الايدي حقيقة يغلون في الدنيا اسارى وفي الاخرة معذبين باغلال جهنم ۞ والطباق من حيث اللفظ وملاحظة اصل المجاز كما تقول سبني سب الله دابره اي قطعه لان السب اصله القطع فان قلت كيف جاز ان يدعو الله عليهم بما هو قبيح وهو البخل والنكد قلت المراد به الدعاء بالخذلان الذي تقسو به قلوبهم فيزيدون بخلا الى بخلهم ونكدا الى نكدهم او بما هو مسبب عن البخل والنكد من لصوق العار بهم وسوء الاحدوثة التي تخزيهم وتمزق اعراضهم فان قلت لم ثنيت اليد في بل يداه مبسوطتان وهي مفردة في يد الله مغلولة قلت ليكون رد قولهم وانكاره ابلغ وادل على اثبات غاية السخاء له ونفي البخل عنه وذلك ان غاية ما يبذله السخي بماله من نفسه ان يعطيه بيديه جميعا فبني المجاز على ذلك وقرئ ولعنوا بسكون العين ۞ وفي مصحف عبد الله بل يداه بسطان يقال يده بسط بالمعروف ونحوه مشية سجح وناقة سرح ۞ ينفق كيف يشاء تاكيد للوصف بالسخاء ودلالة على انه لا ينفق الا على مقتضى الحكمة والمصلحة روي ان الله تعالى كان قد بسط على اليهود حتى كانوا من اكثر الناس مالا فلما عصوا الله في محمد وكذبوه كف الله تعالى ما بسط عليهم من السعة فعند ذلك قال فنحاص بن عازوراء يد الله مغلولة ورضي بقوله الاخرون فاشركوا فيه ۞ وليزيدن اي يزدادون عند نزول القران لحسدهم تماديا في الجحود وكفرا بايات الله ۞ والقينا بينهم العداوة فكلمهم ابدا مختلف وقلوبهم شتى لا يقع اتفاق بينهم ولا تعاضد ۞ كلما اوقدوا نارا كلما ارادوا محاربة احد غلبوا وقهروا ولم يقم لهم نصر من الله على احد قط وقد اتاهم الاسلام وهم في

ملك المجوس ۞ وقيل خالفوا حكم التوراة فبعث الله عليهم بخت نصر ثم افسدوا فسلط الله عليهم فطرس الرومي ثم افسدوا فسلط عليهم المجوس ۞ ثم افسدوا فسلط عليهم المسلمين وقيل كلما حاربوا رسول الله عليه السلام نصر عليهم وعن قتادة لا تلقى اليهود ببلدة الا وجدتهم من اذل الناس ۞ ويسعون ويجتهدون في الكيد للاسلام ومحو ذكر رسول الله صلى الله عليه وسلم من كتبهم ۞ ولو ان اهل الكتاب امنوا واتقوا لكفرنا عنهم سيئاتهم ولادخلناهم جنات النعيم ۞ ولو ان اهل الكتاب مع ما عددنا من سيئاتهم امنوا برسول الله عليه السلام وبما جاء به وقرنوا ايمانهم بالتقوى التي هي الشريطة في الفوز بالايمان ۞ لكفرنا عنهم تلك السيئات ولم نؤاخذهم بها ۞ ولادخلناهم مع المسلمين الجنة وفيه اعلام بعظم معاصي اليهود والنصارى وكثرة سيئاتهم ودلالة على سعة رحمة الله وفتحه باب التوبة على كل عاص وان عظمت معاصيه وبلغت مبالغ سيئات اليهود والنصارى وان الايمان لا ينجي ولا يسعد الا مشفوعا بالتقوى كما قال الحسن هذا العمود فاين الاطناب ۞ ولو انهم اقاموا التوراة والانجيل وما انزل اليهم من ربهم لاكلوا من فوقهم ومن تحت ارجلهم منهم امة مقتصدة وكثير منهم ساء ما يعملون ۞ ولو انهم اقاموا التوراة والانجيل اقاموا احكامهما وحدودهما وما فيهما من نعت رسول الله عليه السلام وما انزل اليهم من سائر كتب الله لانهم مكلفون الايمان بجميعها فكانها انزلت اليهم ۞ وقيل هو القران لوسع الله عليهم الرزق وكانوا قد قحطوا وقوله لاكلوا من فوقهم ومن تحت ارجلهم عبارة عن التوسعة ۞ وفيه ثلاثة اوجه ۞ ان يفيض عليهم بركات السماء وبركات الارض ۞ وان يكثر الاشجار المثمرة والزروع المغلة ۞ وان يرزقهم الجنان اليانعة الثمار يجتنون ما تهدل منها من رؤوس الشجر ويلتقطون ما تساقط على الارض من تحت ارجلهم منهم امة مقتصدة طائفة حالها امم في عداوة رسول الله عليه السلام ۞ وقيل هي الطائفة المؤمنة عبد الله بن سلام واصحابه وثمانية واربعون من النصارى وساء ما يعملون فيه معنى التعجب كانه قيل وكثير منهم ما اسوأ عملهم ۞ وقيل هم كعب بن الاشرف واصحابه والروم ۞ يا ايها الرسول بلغ ما انزل اليك من ربك وان لم تفعل فما بلغت رسالته والله يعصمك من الناس ان الله لا يهدي القوم الكافرين ۞ بلغ ما انزل اليك جميع ما انزل اليك واي شيء انزل اليك غير مراقب في تبليغه احدا ولا خائف ان ينالك مكروه ۞ وان لم تفعل وان لم تبلغ جميعه كما امرتك فما بلغت رسالته وقرئ رسالاته فلم تبلغ اذن ما كلفت من اداء الرسالات ولم تؤد منها شيئا قط وذلك ان بعضها ليس باولى بالاداء من بعض فاذا لم تؤد بعضها فكانك اغفلت اداءها جميعا كما ان من لم يؤمن ببعضها كان كمن لم يؤمن بكلها لادلاء كل منها بما يدليه غيرها وكونها لذلك في حكم شيء واحد والشيء الواحد لا يكون مبلغا غير مبلغ مؤمنا به غير مؤمن به وعن ابن عباس رضي الله عنه ان كتمت اية لم تبلغ رسالاتي وروي عن رسول الله صلى الله عليه وسلم بعثني الله برسالاته فضقت بها ذرعا فاوحى الله تعالى الي ان لم تبلغ رسالاتي عذبتك وضمن لي العصمة فقويت فان قلت وقوع قوله فما بلغت رسالته جزاء للشرط ما وجه صحته قلت فيه وجهان ۞ احدهما انه اذا لم يمتثل امر الله في تبليغ الرسالات وكتمها كلها

لشتا عنه

كانه لو بعث رسولا كان امرا شنيعا لاخفا بشناعته فقيل ان لم تبلغ منها ادنى شيء وان كلمة واحدة فانت كمن ركب الامر الشنيع الذي هو كتمان كلها كما عظم قتل النفس بقوله عز وجل فكانما قتل الناس جميعا ● والثاني ان يراد وان لم تفعل فلك ما يوجبه كتمان الوحي كله من العقاب فوضع السبب موضع المسبب ويعضده قول النبي صلى الله عليه وسلم اوحى الله الي ان لم تبلغ رسالاتي عذبتك ● والله يعصمك عدة من الله بالحفظ والكلاءة والمعنى والله يضمن لك العصمة من اعدائك فما عذرك في مراقبتهم فان قلت اين ضمان العصمة وقد شج وجهه يوم احد وكسرت رباعيته قلت المراد انه يعصمه من القتل وفيه ان عليه ان يحتمل كل ما دون النفس في ذات الله تعالى فما اشد تكليف الانبياء عليهم السلام ● وقيل نزلت بعد يوم احد والناس الكفار بدليل قوله ان الله لا يهدي القوم الكافرين ● ومعناه انه لا يمكنهم مما يريدون انزاله بك من الهلاك ● وعن انس رضي الله عنه كان رسول الله عليه السلام يحرس حتى نزلت فاخرج راسه من قبة ادم فقال انصرفوا ايها الناس فقد عصمني الله من الناس ● قل يا اهل الكتاب لستم على شيء حتى تقيموا التورية والانجيل وما انزل اليكم من ربكم وليزيدن كثيرا منهم ما انزل اليك من ربك طغيانا وكفرا فلا تاس على القوم الكافرين ● لستم على شيء اي على دين يعتد به حتى يسمى شيئا لفساده وبطلانه كما تقول هذا ليس بشيء تريد تحقيره وتصغير شانه ● وفي امثالهم اقل من لا شيء ● فلا تاس فلا تتاسف عليهم لزيادة طغيانهم وكفرهم فان ضرر ذلك راجع اليهم لا اليك وفي المؤمنين غنى عنهم ● ان الذين امنوا والذين هادوا والصابئون والنصارى من امن بالله واليوم الاخر وعمل صالحا فلا خوف عليهم ولا هم يحزنون ● والصابئون رفع على الابتداء وخبره محذوف والنية به التاخير عما في حيز ان من اسمها وخبرها كانه قيل ان الذين امنوا والذين هادوا والنصارى حكمهم كذا والصابئون كذلك وانشد سيبويه شاهدا له ● والا فاعلموا انا وانتم بغاة ما بقينا في شقاق ● اي فاعلموا انا بغاة وانتم كذلك فان قلت هلا زعمت ان ارتفاعه للعطف على محل ان واسمها قلت لا يصح ذلك قبل الفراغ من الخبر لا تقول ان زيدا وعمرو منطلقان فان قلت لم لا يصح والنية به التاخير فكانك قلت ان زيدا منطلق وعمرو قلت لاني اذا رفعته رفعته عطفا على محل ان واسمها والعامل في محلهما هو الابتداء فيجب ان يكون هو العامل في الخبر لان الابتداء ينتظم الجزئين في عمله كما ينتظمهما ان في عملها فلو رفعت الصابئون المنوي به التاخير بالابتداء وقد رفعت الخبر بان لاعملت فيهما رافعين مختلفين فان قلت فقوله والصابئون معطوف لا بد له من معطوف عليه فما هو قلت هو مع خبره المحذوف جملة معطوفة على جملة قوله ان الذين امنوا الى اخره ولا محل لها كما لا محل للتي عطفت عليها فان قلت ما التقديم والتاخير الا لفائدة فما فائدة هذا التقديم قلت فائدته التنبيه على ان الصابئين يتاب عليهم ان صح منهم الايمان والعمل الصالح فما الظن بغيرهم وذلك ان الصابئين ابين هولاء المعدودين ضلالا واشدهم غيا وما سموا صابئين الا لانهم صبؤا عن الاديان كلها اي خرجوا كما ان الشاعر قدم قوله وانتم تنبيها على ان المخاطبين اوغل في الوصف بالبغاة من قومه حيث عاجل به قبل الخبر الذي هو بغاة لئلا يدخل قومه في البغي قبلهم مع كونهم اوغل

فيه

فيه منهم واثبت قدما فان قلت فلو قيل والصابئين وايا كم لكان التقديم حاصلا قلت لو قيل هكذا لم يكن من التقديم في شيء لانه لا ازالة فيه عن موضعه وانما يقال مقدم ومؤخر للمزال لا للقار في مكانه ويجري هذه الجملة مجرى الاعتراض في الكلام فان قلت كيف قيل الذين امنوا ثم قيل من امن قلت فيه وجهان ان يراد بالذين امنوا الذين امنوا بالسنتهم وهم المنافقون ● وان يراد من امن من ثبت على الايمان واستقام ولم تخالجه ريبة فيه فان قلت فما محل من امن قلت اما الرفع على الابتداء وخبره فلا خوف عليهم والفاء لتضمن المبتدا معنى الشرط ثم الجملة كما هي خبر ان ● واما النصب على البدل من اسم ان وما عطف عليه او من المعطوف عليه فان قلت فاين الراجع الى اسم ان قلت محذوف تقديره من امن منهم كما جاء في موضع اخر ● وقرئ والصابيون بياء صريحة وهو من تخفيف الهمزة كقراءة من قرا يستهزيون ● والصابون وهو من صبوت لانهم صبوا الى اتباع الهوى والشهوات في دينهم ولم يتبعوا ادلة العقل والسمع ● وفي قراءة ابي والصابئين بالنصب وبها قرا ابن كثير ● وقرا عبد الله يا ايها الذين امنوا والذين هادوا والصابئون ● لقد اخذنا ميثاق بني اسرائيل وارسلنا اليهم رسلا كلما جاءهم رسول بما لا تهوى انفسهم فريقا كذبوا وفريقا يقتلون ● لقد اخذنا ميثاقهم بالتوحيد وارسلنا اليهم رسلا ليقفوهم على ما ياتون وما يذرون في دينهم ● كلما جاءهم رسول جملة شرطية وقعت صفة لرسلا والراجع محذوف اي رسول منهم بما لا تهوى انفسهم بما يخالف هواهم ويضاد شهواتهم من مشاق التكليف والعمل بالشرايع فان قلت اين جواب الشرط فان قوله فريقا كذبوا وفريقا يقتلون ناب عن الجواب لان الرسول الواحد لا يكون فريقين ولانه لا يحسن ان تقول ان اكرمت اخي اخاك اكرمت قلت هو محذوف يدل عليه قوله فريقا كذبوا وفريقا يقتلون كانه قيل كلما جاءهم رسول منهم ناصبوه وقوله فريقا كذبوا جواب مستانف لقائل يقول كيف فعلوا برسلهم فان قلت لم جيء باحد الفعلين ماضيا وبالاخر مضارعا قلت جيء يقتلون على حكاية الحال الماضية استفظاعا للقتل واستحضارا لتلك الحال الشنيعة للتعجيب منها ● وحسبوا الا تكون فتنة فعموا وصموا ثم تاب الله عليهم ثم عموا وصموا كثير منهم والله بصير بما يعملون ● قرئ ان لا تكون بالنصب على الظاهر وبالرفع على ان ان هي المخففة من الثقيلة اصله انه لا تكون فتنة فخففت ان وحذف ضمير الشان فان قلت كيف دخل فعل الحسبان على ان التي هي للتحقيق قلت نزل حسبانهم لقوته في صدورهم منزلة العلم فان قلت فاين مفعولا حسب قلت سد ما يشتمل عليه صلة ان وان من المسند والمسند اليه مسد المفعولين ● والمعنى وحسب بنو اسرائيل انهم لا يصيبهم من الله فتنة اي بلاء وعذاب في الدنيا والاخرة فعموا عن الدين وصموا حين عبدوا العجل ثم تابوا عن عبادة العجل فتاب الله عليهم ● ثم عموا وصموا كرة ثانية بطلبهم المحال غير المعقول في صفات الله وهو الرؤية ● وقرئ عموا وصموا بالضم على تقدير عماهم الله وصمهم اي رماهم وضربهم بالعمى والصمم كما يقال نزكته اذا ضربته بالنيزك وركبته اذا ضربته بركبتك ● كثير منهم بدل من الضمير ● او على قولهم اكلوني البراغيث او

خبر مبتدأ محذوف اى اولئك كثير منهم لقد كفر الذين قالوا ان الله هو المسيح ابن مريم وقال المسيح يا بنى اسرائيل اعبدوا الله ربى وربكم انه من يشرك بالله فقد حرم الله عليه الجنة ومأويه النار وما للظالمين من انصار لم يفرق عيسى صلوات الله عليه بينه وبينهم فى انه عبد مربوب كمثلهم وهو احتجاج على النصارى انه من يشرك بالله فى عبادته او فيما هو مختص به من صفاته او افعاله فقد حرم الله عليه الجنة التى هى دار الموحدين اى حرمه دخولها ومنعه منها كما يمنع المحرم من المحرم عليه وما للظالمين من انصار من كلام الله على انهم ظلموا وعدلوا عن سبيل الحق فيما تقولوا على عيسى عليه السلام فلذلك لم يساعدهم عليه ولم ينصر قولهم ورده وانكره وان كانوا معظمين له بذلك ورافعين من مقداره او من قول عيسى عليه السلام على معنى ولا ينصركم احد فيما تقولون ولا يساعدكم عليه لاستحالته وبعده عن المعقول او ولا ينصركم ناصر فى الآخرة من عذاب الله لقد كفر الذين قالوا ان الله ثالث ثلاثة وما من اله الا اله واحد وان لم ينتهوا عما يقولون ليمسن الذين كفروا منهم عذاب اليم من فى قوله وما من اله الا اله واحد للاستغراق وهى المقدرة مع لا التى لنفى الجنس فى قولك لا اله الا الله والمعنى وما اله قط فى الوجود الا اله موصوف بالوحدانية لا ثانى له وهو الله وحده لا شريك له ومن فى قوله ليمسن الذين كفروا منهم للبيان كالتى فى قوله تعالى فاجتنبوا الرجس من الاوثان **فان قلت** فهلا قيل ليمسنهم عذاب اليم **قلت** فى اقامة الظاهر مقام المضمر فائدة وهى تكرير الشهادة عليهم بالكفر فى قوله تعالى لقد كفر الذين قالوا وفى البيان فائدة اخرى وهى الاعلام فى تفسير الذين كفروا منهم انهم بمكان من الكفر والمعنى ليمسن الذين كفروا من النصارى خاصة عذاب اليم اى نوع شديد الالم من العذاب كما تقول اعطنى عشرين من الثياب تريد من الثياب خاصة لا من غيرها من الاجناس التى يجوز ان يتناولها عشرون ويجوز ان تكون للتبعيض على معنى ليمسن الذين بقوا على الكفر منهم لان كثيرا منهم تابوا من النصرانية افلا يتوبون الى الله ويستغفرونه والله غفور رحيم افلا يتوبون الا يتوبون بعد هذه الشهادة المكررة عليهم بالكفر وهذا الوعيد الشديد مما هم عليه وفيه تعجيب من اصرارهم والله غفور رحيم يغفر لهؤلاء ان تابوا ولغيرهم ما المسيح ابن مريم الا رسول قد خلت من قبله الرسل وامه صديقة كانا ياكلان الطعام انظر كيف نبين لهم الآيات ثم انظر انى يؤفكون قد خلت من قبله الرسل صفة لرسول اى ما هو الا رسول من جنس الرسل الذين خلوا من قبله جاء بآيات من الله كما اتوا بامثالها ان ابرأ الله الابرص واحيى الموتى على يده فقد احيا العصا وجعلها حية تسعى وفلق البحر وطمس على يد موسى وان خلقه من غير ذكر فقد خلق آدم من غير ذكر ولا انثى وامه صديقة اى وما امه الا كبعض النساء المصدقات للانبياء المؤمنات بهم فما منزلتهما الا منزلة بشرين احدهما نبى والآخر صحابى فمن اين اشتبه عليكم امرهما حتى وصفتموهما بما لم يوصف به سائر الانبياء وصحابتهم مع انه لا تميز ولا تفاوت بينهما وبينهم بوجه من الوجوه ثم صرح ببعدهما عما نسب اليهما فى قوله كانا ياكلان الطعام لان من احتاج الى الاغتذاء بالطعام وما

بعدهما

يتبعه من الهضم والنفض لم يكن الا جسما مركبا من عظم ولحم وعروق واعصاب واخلاط وامزجة مع شهوة وقرم وغير ذلك مما يدل على انه مصنوع مؤلف مدبر كغيره من الاجسام كيف نبين لهم الآيات اى الاعلام من الادلة الظاهرة على بطلان قولهم انى يؤفكون كيف يصرفون عن استماع الحق وتامله **فان قلت** ما معنى التراخى فى قوله ثم انظر **قلت** معناه ما بين العجبين يعنى انه بين لهم الآيات بيانا عجيبا وان اعراضهم عنها اعجب منه قل اتعبدون من دون الله ما لا يملك لكم ضرا ولا نفعا والله هو السميع العليم ما لا يملك هو عيسى عليه السلام اى شيئا لا يستطيع ان يضركم بمثل ما يضركم به الله تعالى من البلايا والمصائب فى الانفس والاموال ولا ان ينفعكم بمثل ما ينفعكم به من صحة الابدان والسعة والخصب ولان كل ما يستطيعه البشر من المضار والمنافع فباقدار الله وتمكينه فكانه لا يملك منه شيئا وهذا دليل قاطع على ان امره مناف للربوبية حيث جعله لا يستطيع ضرا ولا نفعا وصفة الرب ان يكون قادرا على كل شىء لا يخرج مقدور عن قدرته والله هو السميع العليم متعلق باتعبدون اى اتشركون بالله ولا تخشونه وهو الذى يسمع ما تقولون ويعلم ما تعتقدون او اتعبدون العاجز والله هو السميع العليم الذى يصح منه ان يسمع كل مسموع ويعلم كل معلوم ولن يكون كذلك الا وهو حى قادر قل يا اهل الكتاب لا تغلوا فى دينكم غير الحق ولا تتبعوا اهواء قوم قد ضلوا من قبل واضلوا كثيرا وضلوا عن سواء السبيل غير الحق صفة للمصدر اى لا تغلوا فى دينكم غلوا غير الحق اى غلوا باطلا لان الغلو فى الدين غلوان حق وهو ان تفحص عن حقائقه وتفتش عن اباعد معانيه وتجتهد فى تحصيل حججه كما يفعل المتكلمون من اهل العدل والتوحيد رضوان الله عليهم وغلو باطل وهو ان يتجاوز الحق ويتخطاه بالاعراض عن الادلة واتباع الشبه كما يفعل اهل الاهواء والبدع قد ضلوا من قبل هم ائمتهم فى النصرانية كانوا على الضلال قبل مبعث النبى صلى الله عليه وسلم واضلوا كثيرا ممن شايعهم على التثليث وضلوا لما بعث رسول الله عليه السلام عن سواء السبيل حين كذبوه وحسدوه وبغوا عليه لعن الذين كفروا من بنى اسرائيل على لسان داود وعيسى ابن مريم ذلك بما عصوا وكانوا يعتدون كانوا لا يتناهون عن منكر فعلوه لبئس ما كانوا يفعلون نزل الله لعنهم فى الزبور على لسان داود وفى الانجيل على لسان عيسى عليهما السلام **وقيل** ان اهل ايلة لما اعتدوا فى السبت قال داود عليه السلام اللهم العنهم واجعلهم آية فمسخوا قردة ولما كفر اصحاب عيسى بعد المائدة قال عيسى عليه السلام اللهم عذب من كفر بعد ما اكل من المائدة عذابا لم تعذبه احدا من العالمين والعنهم كما لعنت اصحاب السبت فاصبحوا خنازير وكانوا خمسة آلاف رجل ما فيهم امرأة ولا صبى ذلك بما عصوا اى لم يكن ذلك اللعن الشنيع الذى كان سبب المسخ الا لاجل المعصية والاعتداء لا لشىء آخر ثم فسر المعصية والاعتداء بقوله كانوا لا يتناهون لا ينهى بعضهم بعضا عن منكر فعلوه ثم قال لبئس ما كانوا يفعلون للتعجيب من سوء فعلهم مؤكدا لذلك بالقسم فيا حسرة على المسلمين فى اعراضهم عن باب التناهى عن المناكير وقلة عبئهم به كانه ليس من ملة الاسلام فى شىء مع ما يتلون من

كلام الله وما فيه من المبالغات في هذا الباب **فإن قلت** كيف وقع ترك التناهي عن المنكر تفسيرا للمعصية والاعتداء **قلت** من قبل ان الله عز وجل امر بالتناهي فكان الاخلال به معصية وهو اعتداء لان في التناهي حسما للفساد فكان تركه على عكسه **فإن قلت** ما معنى وصف المنكر بفعلوه ولا يكون النهي بعد الفعل **قلت** معناه لا يتناهون عن معاودة منكر فعلوه او عن مثل منكر فعلوه او عن منكر ارادوا فعله كما ترى امارات الخوض في الفسق والآلة تسوى وتهيأ فتنكر ويجوز ان يراد لا ينتهون ولا يمتنعون عن منكر فعلوه بل يصرون عليه ويداومون على فعله يقال تناهى عن الامر وانتهى عنه اذا امتنع منه وتركه ترى كثيرا منهم يتولون الذين كفروا لبئس ما قدمت لهم انفسهم ان سخط الله عليهم وفي العذاب هم خالدون ولو كانوا يؤمنون بالله والنبي وما انزل اليه ما اتخذوهم اولياء ولكن كثيرا منهم فاسقون ترى كثيرا منهم هم منافقو اهل الكتاب كانوا يوالون المشركين ويصافونهم ان سخط الله عليهم هو المخصوص بالذم ومحله الرفع كانه قيل لبئس زادهم الى الآخرة سخط الله عليهم والمعنى موجب سخط الله ولو كانوا يؤمنون ايمانا خالصا غير نفاق ما اتخذوا المشركين اولياء يعني ان موالاة المشركين كفى بها دليلا على نفاقهم وان ايمانهم ليس بايمان ولكن كثيرا منهم فاسقون متمردون في كفرهم ونفاقهم وقيل معناه ولو كانوا يؤمنون بالله وموسى كما يدعون ما اتخذوا المشركين اولياء كما لم يوالهم المسلمون لتجدن اشد الناس عداوة للذين آمنوا اليهود والذين اشركوا ولتجدن اقربهم مودة للذين آمنوا الذين قالوا انا نصارى ذلك بان منهم قسيسين ورهبانا وانهم لا يستكبرون واذا سمعوا ما انزل الى الرسول ترى اعينهم تفيض من الدمع مما عرفوا من الحق يقولون ربنا آمنا فاكتبنا مع الشاهدين وصف الله تعالى شدة شكيمة اليهود وصعوبة اجابتهم الى الحق ولين عريكة النصارى وسهولة ارعوائهم وميلهم الى الاسلام وجعل اليهود قرناء المشركين في شدة العداوة للمؤمنين بل نبه على تقدم قدمهم فيها بتقديمهم على الذين اشركوا وكذلك فعل في قوله تعالى ولتجدنهم احرص الناس على حيوة ومن الذين اشركوا ولعمري انهم لكذلك واشد وعن النبي صلى الله عليه وسلم ما خلا يهوديان بمسلم الا هما بقتله وعلل سهولة مأخذ النصارى وقرب مودتهم للمؤمنين بان منهم قسيسين ورهبانا اي علماء وعبادا وانهم قوم فيهم تواضع واستكانة ولا كبر فيهم واليهود على خلاف ذلك وفيه دليل بين على ان العلم انفع شيء واهداه الى الخير وان كان علم القسيسين وكذلك علم الآخرة والتحدث بالعاقبة وان كان في راهب والبراءة من الكبر وان كانت في نصراني ووصفهم الله تعالى برقة القلوب وانهم يبكون عند استماع القرآن وذلك نحو ما يحكى عن النجاشي انه قال لجعفر بن ابي طالب رضي الله عنه حين اجتمع في مجلسه المهاجرون الى الحبشة والمشركون وهم يغرونه عليهم ويطلبون عنتهم عنده هل في كتابكم ذكر مريم قال جعفر رضي الله عنه فيه سورة تنسب اليها فقرأها الى قوله ذلك عيسى ابن مريم وقرأ سورة طه الى قوله وهل اتاك حديث موسى فبكى النجاشي وكذلك فعل قومه الذين وفدوا على رسول الله عليه السلام وهم سبعون رجلا حين قرأ عليهم

رسول الله عليه السلام سورة يس فبكوا **فإن قلت** بم تعلقت اللام في قوله للذين آمنوا **قلت** بعداوة ومودة على ان عداوة اليهود التي اختصت المؤمنين اشد العداوات واظهرها وان مودة النصارى التي اختصت المؤمنين اقرب المودات وادناها وجودا واسهلها حصولا ووصف اليهود بالعداوة والنصارى بالمودة مما يؤذن بالتفاوت ثم وصف العداوة والمودة بالاشد والاقرب **فإن قلت** ما معنى قوله تفيض من الدمع **قلت** معناه تمتلئ من الدمع حتى تفيض لان الفيض ان يمتلئ الاناء او غيره حتى يطلع ما فيه من جوانبه فوضع الفيض الذي هو من الامتلاء موضع الامتلاء وهو من اقامة المسبب مقام السبب او قصدت المبالغة في وصفهم بالبكاء فجعلت اعينهم كانها تفيض بانفسها اي تسيل من الدمع من اجل البكاء من قولك دمعت عيناه دمعا **فإن قلت** اي فرق بين من ومن في قوله مما عرفوا من الحق **قلت** الاولى لابتداء الغاية على ان فيض الدمع ابتدأ ونشأ من معرفة الحق وكان من اجله وبسببه والثانية لتبيين الموصول الذي هو ما عرفوا من الحق ويحتمل معنى التبعيض على انهم عرفوا بعض الحق فابكاهم وبلغ منهم فكيف اذا عرفوه كله وقرأوا القرآن واحاطوا بالسنة **وقرئ** ترى اعينهم على البناء للمفعول ربنا آمنا المراد به انشاء الايمان والدخول فيه فاكتبنا مع الشاهدين مع امة محمد الذين هم شهداء على سائر الامم يوم القيمة لتكونوا شهداء على الناس وقالوا ذلك لانهم وجدوا ذكرهم في الانجيل كذلك وما لنا لا نؤمن بالله وما جاءنا من الحق ونطمع ان يدخلنا ربنا مع القوم الصالحين فاثابهم الله بما قالوا جنات تجري من تحتها الانهار خالدين فيها وذلك جزاء المحسنين وما لنا لا نؤمن بالله انكار واستبعاد لانتفاء الايمان مع قيام موجبه وهو الطمع في انعام الله عليهم بصحبة الصالحين وقيل لما رجعوا الى قومهم لاموهم فاجابوهم بذلك وارادوا وما لنا لا نؤمن بالله وحده لانهم كانوا مثلثين وذلك ليس بايمان بالله ومحل لا نؤمن النصب على الحال بمعنى غير مؤمنين كقولك ما لك قائما والواو في ونطمع واو الحال **فإن قلت** ما العامل في الحال الاولى والثانية **قلت** العامل في الاولى ما في اللام من معنى الفعل كانه قيل اي شيء حصل لنا غير مؤمنين وفي الثانية معنى هذا الفعل ولكن مقيدا بالحال الاولى لانك لو ازلتها وقلت وما لنا ونطمع لم يكن كلاما ويجوز ان يكون ونطمع حالا من لا نؤمن على انهم انكروا على انفسهم انهم لا يوحدون الله ويطمعون مع ذلك ان يصحبوا الصالحين وان يكون معطوفا على لا نؤمن على معنى وما لنا نجمع بين التثليث وبين الطمع في صحبة الصالحين او على معنى وما لنا لا نجمع بينهما بالدخول في الاسلام لان الكافر ما ينبغي له ان يطمع في صحبة الصالحين **قرأ** الحسن فآتاهم الله بما قالوا بما تكلموا به عن اعتقاد واخلاص من قولك هذا قول فلان اي اعتقاده وما يذهب اليه يا ايها الذين آمنوا لا تحرموا طيبات ما احل الله لكم ولا تعتدوا ان الله لا يحب المعتدين طيبات ما احل الله لكم ما طاب ولذ من الحلال ومعنى لا تحرموا لا تمنعوها انفسكم كمنع التحريم او لا تقولوا حرمناها على انفسنا مبالغة منكم في العزم على تركها تزهدا منكم **وروي** ان رسول الله صلى

الله عليه وسلم وصف القيامة لاصحابه يوما فبالغ واشبع الكلام في الانذار فرقوا
واجتمعوا في بيت عثمان بن مظعون واتفقوا على ان لا يزالوا صائمين قائمين وان لا يناموا
على الفرش ولا يأكلوا اللحم والودك ولا يقربوا النساء والطيب ويرفضوا الدنيا
ويلبسوا المسوح ويسيحوا في الارض ويجبوا مذاكيرهم فبلغ ذلك رسول الله صلى الله
عليه وسلم فقال لهم اني لم اومر بذلك ان لانفسكم عليكم حقا فصوموا وافطروا وقوموا
وناموا فاني اقوم وانام واصوم وافطر واكل اللحم والدسم واتي النساء فمن رغب عن سنتي
فليس مني ونزلت **وروي** ان رسول الله صلى الله عليه وسلم كان يأكل الدجاج والفالوذ
وكان يعجبه الحلوا والعسل وقال ان المؤمن حلو يحب الحلاوة **وعن** ابن مسعود رضي الله عنه
ان رجلا قال له اني حرمت الفراش فتلا هذه الاية وقال نم على فراشك وكفر عن يمينك وعن
الحسن رحمة الله عليه انه دعي الى طعام ومعه فرقد السبخي واصحابه فقعدوا على المائدة وعليها
الالوان من الدجاج المسمن والفالوذ وغير ذلك فاعتزل فرقد ناحية فسال
الحسن اهو صائم قالوا لا ولكنه يكره هذه الالوان فاقبل الحسن عليه وقال يا فريقد اترى
لعاب النحل بلباب البر بخالص السمن يعيبه مسلم وعنه انه قيل له فلان لا يأكل الفالوذ
ويقول لا اؤدي شكره قال افيشرب الماء البارد قالوا نعم قال انه جاهل ان نعمة الله عليه
في الماء البارد اكثر من نعمته عليه في الفالوذ وعنه ان الله تعالى ادب عباده فاحسن
ادبهم وقال لينفق ذو سعة من سعته ما عاب الله قوما وسع عليهم الدنيا فتنعموا واطاعوا
ولا عذر قوما زواها عنهم فعصوه ولا تعتدوا ولا تتعدوا حدود ما احل لكم الى ما
حرم عليكم او ولا تسرفوا في تناول الطيبات او جعل تحريم الطيبات اعتداء وظلما فنهى
عن الاعتداء ليدخل تحته النهي عن تحريمها دخولا اوليا لوروده على عقبه او اراد ولا
تعتدوا بذلك وكلوا مما رزقكم الله حلالا طيبا واتقوا الله الذي انتم به مؤمنون
وكلوا مما رزقكم الله اي من الوجوه الطيبة التي تسمى رزقا حلالا حال مما رزقكم الله
واتقوا الله تاكيد للتوصية بما امر به وزاده تاكيدا بقوله الذي انتم به مؤمنون
لان الايمان به يوجب التقوى في الانتهاء الى ما امر به وعما نهى عنه لا يؤاخذكم الله باللغو
في ايمانكم ولكن يؤاخذكم بما عقدتم الايمان فكفارته اطعام عشرة مساكين من
اوسط ما تطعمون اهليكم او كسوتهم او تحرير رقبة فمن لم يجد فصيام ثلاثة ايام
ذلك كفارة ايمانكم اذا حلفتم واحفظوا ايمانكم كذلك يبين الله لكم اياته
لعلكم تشكرون اللغو في اليمين الساقط الذي لا يتعلق به حكم واختلف فيه فعن
عائشة رضي الله عنها انها سئلت عنه فقالت هو قول الرجل لا والله وبلى والله وهو مذهب
الشافعي **وعن** مجاهد هو الرجل يحلف على الشيء يرى انه كذلك وليس كما ظن وهو قول
ابي حنيفة رحمه الله بما عقدتم الايمان بتعقيدكم الايمان وهو توثيقها بالقصد
والنية **وروي** ان الحسن سئل عن لغو اليمين وكان عنده الفرزدق فقال يا ابا سعيد
دعني اجب عنك فقال ولست بماخوذ بلغو تقوله اذا لم تعمد عاقدات العزائم
وقرئ عقدتم بالتخفيف وعاقدتم والمعنى ولكن يؤاخذكم بما عقدتم اذا حنثتم

فحذف

فحذف وقت المؤاخذة لانه كان معلوما عندهم او بنكث ما عقدتم فحذف المضاف
فكفارته فكفارة نكثه والكفارة الفعلة التي من شانها ان تكفر الخطيئة اي تسترها من
اوسط ما تطعمون من اقصده لان منهم من يسرف في اطعام اهله ومنهم من يقتر وهو عند ابي
حنيفة نصف صاع من بر او صاع من غيره لكل مسكين او يغديهم ويعشيهم وعند الشافعي
رضي الله عنه مد لكل مسكين **وقرا** جعفر بن محمد اهاليكم بسكون الياء والاهالي
اسم جمع لاهل كالليالي في جمع ليلة والاراضي في جمع ارض وقولهم اهلون كقولهم ارضون
بسكون الراء واما تسكين الياء في حال النصب فللتخفيف كما قالوا رأيت معدي كرب
تشبيها للياء بالالف او كسوتهم عطف على محل من اوسط **وقرئ** بضم الكاف ونحوه قدوة
في قدوة واسوة في اسوة والكسوة ثوب يغطي العورة **وعن** ابن عباس رضي الله عنه
كانت العباءة تجزي يومئذ **وعن** ابن عمر رضي الله عنهما ازار او قميص او رداء او كساء وعن
مجاهد ثوب جامع وعن الحسن ثوبان ابيضان **وقرا** سعيد بن المسيب واليماني او
كاسوتهم بمعنى او مثل ما تطعمون اهليكم اسرافا كان او تقتيرا لا تنقصونهم عن مقدار نفقتهم
ولكن تواسون بينهم وبينهم **فان قلت** ما محل الكاف **قلت** الرفع تقديره او طعامهم
كاسوتهم بمعنى كمثل طعامهم ان لم تطعموهم الاوسط او تحرير رقبة شرط الشافعي الايمان
قياسا على كفارة القتل واما ابو حنيفة واصحابه فقد جوزوا تحرير الرقبة الكافرة في كل
كفارة سوى القتل **فان قلت** ما معنى او **قلت** التخيير وايجاب احدى الكفارات
الثلث على الاطلاق بايتها اخذ المكفر فقد اصاب فمن لم يجد احديها فصيام ثلثة ايام متتابعة
عند ابي حنيفة تمسكا بقراءة ابن مسعود رضي الله عنهما فصيام ثلاثة ايام متتابعات **وعن**
مجاهد كل صوم متتابع الا قضاء رمضان ويخير في كفارة ذلك المذكور كفارة ايمانكم
ولو قيل تلك كفارة ايمانكم لكان صحيحا بمعنى تلك الاشياء او لتانيث الكفارة والمعنى
اذا حلفتم وحنثتم فترك ذكر الحنث لوقوع العلم بان الكفارة انما تجب بالحنث في الحلف
لا بنفس الحلف والتكفير قبل الحنث لا يجوز عند ابي حنيفة واصحابه ويجوز عند الشافعي بالمال
اذا لم يعص الحانث واحفظوا ايمانكم فبروا فيها ولا تحنثوا اراد الايمان التي الحنث
فيها معصية لان الايمان اسم جنس يجوز اطلاقه على بعض الجنس وعلى كله وقيل احفظوها
بان تكفروها وقيل احفظوها كيف حلفتم بها ولا تنسوها تهاونا بها كذلك مثل
ذلك البيان يبين الله لكم اياته اعلام شريعته واحكامه لعلكم تشكرون نعمته فيما
يعلمكم ويسهل عليكم المخرج منه يا ايها الذين امنوا انما الخمر والميسر والانصاب
والازلام رجس من عمل الشيطان فاجتنبوه لعلكم تفلحون انما يريد الشيطان
ان يوقع بينكم العداوة والبغضاء في الخمر والميسر ويصدكم عن ذكر الله
وعن الصلوة فهل انتم منتهون اكد تحريم الخمر والميسر وجوها من التاكيد منها
تصدير الجملة بانما ومنها انه قرنهما بعبادة الاصنام **ومنه** قوله صلى الله عليه وسلم
شارب الخمر كعابد الوثن ومنها انه جعلهما رجسا كما قال تعالى فاجتنبوا الرجس من الاوثان
ومنها انه جعلهما من عمل الشيطان والشيطان لا ياتي منه الا الشر البحت ومنها انه

الخالص

أنه أمر بالاجتناب. ومنها أنه جعل الاجتناب من الفلاح وإذا كان الاجتناب فلاحا كان الارتكاب
خيبة ومحقة. ومنها أنه ذكر ما ينتج منهما من الوبال وهو وقوع التعادي والتباغض
بين أصحاب الخمر والقمر وما يؤديان إليه من الصد عن ذكر الله وعن مراعاة أوقات الصلوة
وقوله تعالى فهل أنتم منتهون من أبلغ ما ينهى به كأنه قيل قد تلي عليكم ما فيهما من أنواع
الصوارف والموانع فهل أنتم مع هذه الصوارف منتهون أم أنتم على ما كنتم عليه كأن لم
توعظوا ولم تزجروا **فإن قلت** إلام يرجع الضمير في قوله فاجتنبوه **قلت** إلى
المضاف المحذوف كأنه قيل إنما شأن الخمر والميسر أو تعاطيهما أو ما أشبه ذلك ولذلك
قال رجس من عمل الشيطان **فإن قلت** لم جمع الخمر والميسر مع الأنصاب والأزلام أولا
ثم أفردهما آخرا **قلت** لأن الخطاب مع المؤمنين وإنما نهاهم عما كانوا يتعاطونه من
شرب الخمر واللعب بالميسر وذكر الأنصاب والأزلام لتأكيد تحريم الخمر والميسر وإظهار أن
ذلك من أعمال أهل الجاهلية وأهل الشرك فوجب اجتنابه بأسره وكأنه لا مباينة بين
من عبد صنما وأشرك بالله في علم الغيب وبين من شرب خمرا أو قامر. ثم أفردهما بالذكر ليري
أن المقصود بالذكر الخمر والميسر. وقوله عن الصلوة اختصاص للصلوة من بين الذكر كأنه
قيل وعن الصلوة خصوصا **وأطيعوا الله وأطيعوا الرسول واحذروا فإن توليتم
فاعلموا أنما على رسولنا البلاغ المبين.** واحذروا وكونوا حذرين خاشين لأنهم إذا
حذروا دعاهم الحذر إلى اتقاء كل سيئة وعمل كل حسنة. ويجوز أن يراد واحذروا ما عليكم
في الخمر والميسر. أو في ترك طاعة الله والرسول. فإن توليتم فاعلموا أنكم لم تضروا بتوليكم
الرسول لأن الرسول ما كلف إلا البلاغ المبين بالآيات وإنما ضررتم أنفسكم حين أعرضتم
عما كلفتموه **ليس على الذين آمنوا وعملوا الصالحات جناح فيما طعموا إذا ما اتقوا
وآمنوا وعملوا الصالحات ثم اتقوا وآمنوا ثم اتقوا وأحسنوا والله يحب المحسنين**
رفع الجناح عن المؤمنين في أي شيء طعموه من مستلذات المطاعم ومشتهياتها إذا ما اتقوا
ما حرم عليهم منها وآمنوا وثبتوا على الإيمان والعمل الصالح وازدادوه. ثم اتقوا وآمنوا
ثم ثبتوا على التقوى والإيمان. ثم اتقوا وأحسنوا ثم ثبتوا على اتقاء المعاصي وأحسنوا
أعمالهم أو أحسنوا إلى الناس وواسوهم بما رزقهم الله من الطيبات. وقيل لما نزل تحريم الخمر
قال الصحابة يا رسول الله فكيف بإخواننا الذين ماتوا وهم يشربون الخمر ويأكلون مال
الميسر فنزلت يعني أن المؤمنين لا جناح عليهم في أي شيء طعموه من المباحات إذا اتقوا المحارم
ثم اتقوا وآمنوا ثم اتقوا وأحسنوا على معنى أن أولئك كانوا على هذه الصفة ثناء عليهم
وحمدا لأحوالهم في الإيمان والتقوى والإحسان. ومثاله أن يقال لك هل على زيد
فيما فعل جناح فتقول وقد علمت أن ذلك أمر مباح ليس على أحد جناح في المباح إذا اتقى
المحارم وكان مؤمنا محسنا تريد أن زيدا تقي مؤمن محسن وأنه غير مؤاخذ بما فعل **يا أيها
الذين آمنوا ليبلونكم الله بشيء من الصيد تناله أيديكم ورماحكم ليعلم الله من
يخافه بالغيب فمن اعتدى بعد ذلك فله عذاب أليم.** نزلت عام الحديبية ابتلاهم
الله بالصيد وهم محرمون وكثر عندهم حتى كان يغشاهم في رحالهم فيستمكنون من صيده

أخذا بأيديهم وطعنا برماحهم. ليعلم الله من يخافه بالغيب ليتميز من يخاف عقاب الله وهو
غائب منتظر في الآخرة فيتقي الصيد ممن لا يخافه فيقدم عليه. فمن اعتدى فصاد بعد ذلك
الابتلاء فالوعيد لاحق به **فإن قلت** ما معنى التقليل والتصغير في قوله بشيء من الصيد
قلت قلل وصغر ليعلم أنه ليس بفتنة من الفتن العظام التي تدحض عندها أقدام الثابتين
كالابتلاء ببذل الأرواح والأموال وإنما هو شبيه بما ابتلي به أهل أيلة من صيد السمك
وأنهم إذا لم يثبتوا عنده فكيف يثبتون عند ما هو أشد منه **وقرأ** إبراهيم يناله
بالياء. **يا أيها الذين آمنوا لا تقتلوا الصيد وأنتم حرم ومن قتله منكم متعمدا
فجزاء مثل ما قتل من النعم يحكم به ذوا عدل منكم هديا بالغ الكعبة أو كفارة
طعام مساكين أو عدل ذلك صياما ليذوق وبال أمره عفا الله عما سلف.
ومن عاد فينتقم الله منه والله عزيز ذو انتقام.** حرم محرمون جمع حرام
كردح في جمع رداح. والتعمد أن يقتله وهو ذاكر لإحرامه أو عالم أن ما يقتله مما يحرم
عليه قتله فإن قتله وهو ناس لإحرامه أو رمى صيدا وهو يظن أنه ليس بصيد فإذا هو
صيد أو قصد برميه غير صيد فعدل السهم عن رميته فأصاب صيدا فهو مخطئ **فإن
قلت** محظورات الإحرام يستوي فيها العمد والخطأ فما بال التعمد مشروطا في الآية
قلت لأن مورد الآية فيمن تعمد. فقد روي أنه عن لهم في عمرة الحديبية حمار وحش
فحمل عليه أبو اليسر فطعنه برمحه فقتله فقيل له إنك قتلت الصيد وأنت محرم فنزلت
ولأن الأصل فعل المتعمد والخطأ لاحق به للتغليظ ويدل عليه قوله ليذوق وبال أمره
ومن عاد فينتقم الله منه **وعن** الزهري نزل الكتاب بالعمد ووردت السنة بالخطأ
وعن سعيد بن جبير لا أرى في الخطأ شيئا أخذا باشتراط العمد في الآية. وعن الحسن
روايتان. فجزاء مثل ما قتل برفع جزاء ومثل جميعا بمعنى فعليه جزاء مماثل ما قتل من الصيد
وهو عند أبي حنيفة رحمة الله عليه قيمة الصيد يقوم حيث صيد فإن بلغت قيمته ثمن هدي
تخير بين أن يهدي من النعم ما قيمته قيمة الصيد وبين أن يشتري بقيمته طعاما فيعطي
كل مسكين نصف صاع من بر أو صاعا من غيره وإن شاء صام عن طعام كل مسكين يوما فإن
فضل ما لا يبلغ طعام مسكين صام عنه يوما أو تصدق به. وعند محمد والشافعي مثله
نظيره من النعم فإن لم يوجد له نظير من النعم عدل إلى قول أبي حنيفة **فإن قلت** فما
يصنع من يفسر المثل بالقيمة بقوله من النعم وهو تفسير للمثل وبقوله هديا بالغ الكعبة
قلت قد خير من أوجب القيمة بين أن يشتري بها هديا أو طعاما أو يصوم كما خير الله
تعالى في الآية فكان قوله من النعم بيانا للهدي المشترى بالقيمة في أحد وجوه التخيير لأن
من قوم الصيد واشترى بالقيمة هديا فأهداه فقد جزى بمثل ما قتل من النعم على أن
التخيير الذي في الآية بين أن يجزي بالهدي أو يكفر بالإطعام أو الصوم إنما يستقيم
استقامة ظاهرة بغير تعسف إذا قوم ونظر بعد التقويم أي الثلثة يختار فأما إذا عمد
إلى النظير وجعله الواجب وحده من غير تخيير فإذا كان شيئا لا نظير له قوم حينئذ ثم خير
بين الإطعام والصوم ففيه نبو عما في الآية ألا ترى إلى قوله تعالى أو كفارة طعام مساكين

او عدل ذلك صياما كيف خير بين الاشيا الثلاثة ولا سبيل الى ذلك الا بالتقويم وقرا عبد الله فجزاؤه
مثل ما قتل وقرى فجزاء مثل ما قتل على الاضافة واصله فجزاء مثل ما قتل بنصب مثل بمعنى فعليه ان يجزى مثل
ما قتل ثم اضيف كما تقول عجبت من ضرب زيد وقرا السلمى على الاصل وقرا محمد بن مقاتل فجزاء مثل ما قتل
بنصبهما بمعنى فليجز جزاء مثل ما قتل وقرا الحسن من النعْم بسكون العين استثقل الحركة على حرف الحلق
فسكنه يحكم به بمثل ما قتل ذوا عدل منكم حكمان عادلان من المسلمين قالوا وفيه دليل على ان المثل القيمة
لان التقويم مما يحتاج الى النظر والاجتهاد دون الاشيا المشاهدة وعن قبيصة انه اصاب ظبيا وهو
محرم فسال عمر رضى الله عنه فشاور عبد الرحمن بن عوف رضى الله عنه ثم امره بذبح شاة فقال قبيصة
لصاحبه والله ما علم امير المومنين حتى سال غيره فاقبل عليه ضربا بالدرة وقال اتغمص الفتيا وتقتل
الصيد وانت محرم قال الله تعالى يحكم به ذوا عدل منكم فانا عمر وهذا عبد الرحمن وقرا محمد بن جعفر
ذو عدل منكم اراد يحكم به من يعدل منكم ولم يرد الوحدة وقيل اراد الامام هديا حال عن
جزاء فيمن وصفه بمثل لان الصفة خصصته فقربته من المعرفة او بدل عن مثل فيمن نصبه او عن محله
فيمن جره ويجوز ان ينتصب حالا عن الضمير فى به ووصف هديا ببالغ الكعبة لان اضافته غير
حقيقية ومعنى بلوغه الكعبة ان يذبح بالحرم فاما التصدق به فحيث شئت عند ابى حنيفة
وعند الشافعى رحمة الله عليهما فى الحرم فان قلت بم يرتفع كفارة من ينصب جزاء قلت
تجعلها خبر مبتدا محذوف كانه قيل او الواجب عليه كفارة او يقدر فعليه ان يجزى جزاء او
كفارة فيعطفها على ان يجزى وقرى او كفارة طعام مساكين على الاضافة وهذه الاضافة
مبينة كانه قيل او كفارة من طعام مساكين كقولك خاتم فضة بمعنى خاتم من فضة وقرا
الاعرج او كفارة طعام مسكين وانما وحده لانه واقع موقع التبيين فاكتفى بالواحد الدال
وقرى او عدل ذلك بكسر العين والفرق بينهما ان عدل الشى ما عادله من غير جنسه
كالصوم والاطعام وعدله ما عدل به فى المقدار ومنه عدلا الحمل لان كل واحد منهما عدل
بالاخر حتى اعتدلا كان المفتوح تسمية بالمصدر والمكسور بمعنى المفعول به كالذبح ونحوه
ونحوهما الحمل والحمل وذلك اشارة الى الطعام وصياما تمييز للعدل كقولك لى مثله رجلا
والخيار فى ذلك الى قاتل الصيد عند ابى حنيفة وابى يوسف وعند محمد الى الحكمين ليذوق
متعلق بقوله فجزاء اى فعليه ان يجازى او يكفر ليذوق سوء عاقبة هتكه لحرمة الاحرام
والوبال المكروه والضرر الذى يناله فى العاقبة من عمل سوء لثقله عليه من قوله تعالى فاخذناه
اخذا وبيلا والطعام الوبيل هو الذى يثقل على المعدة فلا يستمرئ عفا الله عما سلف لكم
من الصيد فى حال الاحرام قبل ان تراجعوا رسول الله وتسالوه عن جوازه وقيل عما سلف
لكم فى الجاهلية منه لانهم كانوا متعبدين بشرائع من قبلهم وكان الصيد فيها محرما ومن عاد
الى قتل الصيد وهو محرم بعد نزول النهى عنه فينتقم الله منه فينتقم خبر مبتدا محذوف تقديره
فهو ينتقم الله منه ولذلك دخلت الفاء ونحوه فمن يؤمن بربه فلا يخاف يعنى ينتقم
منه فى الاخرة واختلف فى الكفارة على العائد فعن عطاء وابراهيم وسعيد بن جبير
والحسن رضى الله عنهم وجوبها وعليه عامة العلماء وعن ابن عباس وشريح انه لا كفارة
عليه تعلقا بالظاهر وانه لم يذكر الكفارة احل لكم صيد البحر وطعامه متاعا لكم وللسيارة

وحرم عليكم صيد البر ما دمتم حرما واتقوا الله الذى اليه تحشرون صيد البحر مصيدات
البحر مما يوكل ومما لا يوكل وطعامه وما يطعم من صيده والمعنى احل لكم الانتفاع بجميع
ما يصاد فى البحر واحل لكم اكل الماكول منه وهو السمك وحده عند ابى حنيفة وعند
ابن ابى ليلى جميع ما يصاد فيه على ان تفسير الاية عنده احل لكم صيد حيوان البحر وان
تطعموه متاعا لكم مفعول له اى احل لكم تمتيعا لكم وهو فى المفعول له بمنزلة قوله
تعالى ووهبنا له اسحق ويعقوب نافلة فى باب الحال لان قوله متاعا لكم مفعول له
مختص بالطعام كما ان نافلة حال مختصة بيعقوب يعنى احل لكم طعامه تمتيعا لتنائكم
ياكلونه طريا ولسيارتكم يتزودونه قديدا كما تزود موسى عليه السلام الحوت فى مسيره
الى الخضر وقرى وطعمه وصيد البر ما صيد فيه وهو ما يفرخ فيه وان كان يعيش
فى الماء فى بعض الاوقات كطير الماء عند ابى حنيفة واختلف فيه فمنهم من حرم على المحرم
كل شى يقع عليه اسم الصيد وهو قول عمر وابن عباس رضى الله عنهما وعن ابى هريرة
وعطا ومجاهد وسعيد بن جبير انهم اجازوا للمحرم اكل ما صاده الحلال وان صاده لاجله
اذا لم يدل ولم يشر وكذلك ما ذبحه قبل احرامه وهو مذهب ابى حنيفة رحمة الله
عليه واصحابه وعند مالك والشافعى واحمد رضى الله عنهم لا يباح له ما صيد لاجله فان
قلت فما يصنع ابو حنيفة رحمة الله عليه بعموم قوله صيد البر قلت قد اخذ
ابو حنيفة بالمفهوم من قوله وحرم عليكم صيد البر ما دمتم حرما لان ظاهره انه صيد
المحرمين دون صيد غيرهم لانهم هم المخاطبون فكانه قيل وحرم عليكم ما صدتم فى البر
فيخرج منه مصيد غيرهم ومصيدهم حين كانوا غير محرمين ويدل عليه قوله عز وجل يا ايها
الذين امنوا لا تقتلوا الصيد وانتم حرم وقرا ابن عباس رضى الله عنه وحرم
عليكم صيد البر اى الله عز وجل وقرى ما دمتم بكسر الدال فيمن يقول دام يدام
جعل الله الكعبة البيت الحرام قياما للناس والشهر الحرام والهدى والقلائد
ذلك لتعلموا ان الله يعلم ما فى السموات وما فى الارض وان الله بكل شى عليم
البيت الحرام عطف بيان على جهة المدح لا على جهة التوضيح كما تجى الصفة كذلك قياما
للناس انتعاشا لهم فى امر دينهم ودنياهم ونهوضا الى اغراضهم ومقاصدهم فى معاشهم
ومعادهم لما يتم لهم من امر حجهم وعمرتهم وتجارتهم وانواع منافعهم وعن عطا بن
ابى رباح لو تركوه عاما واحدا لم ينظروا ولم يوخروا والشهر الحرام والشهر الذى
يودى فيه الحج وهو ذو الحجة لان لاختصاصه من بين الاشهر باقامة موسم الحج فيه شانا
قد عرفه الله تعالى وقيل عنى به جنس الاشهر الحرم والهدى والقلايد والمقلد
منه خصوصا وهو البدن لان الثواب فيه اكثر وبهاء الحج معه اظهر ذلك اشارة
الى جعل الكعبة قياما للناس او الى ما ذكر من حفظ حرمة الاحرام بترك الصيد وغيره
لتعلموا ان الله يعلم كل شى وهو عالم بما يصلحكم وينعشكم مما امركم به وكلفكم
اعلموا ان الله شديد العقاب وان الله غفور رحيم ما على الرسول الا البلاغ والله
يعلم ما تبدون وما تكتمون شديد العقاب لمن انتهك محارمه غفور رحيم

لمن حافظ عليها ما على الرسول إلا البلاغ تشديد في إيجاب القيام بما أمر به وأن الرسول قد
فرغ مما وجب عليه من التبليغ وقامت عليكم الحجة ولزمتكم الطاعة فلا عذر لكم في التفريط
قل لا يستوي الخبيث والطيب ولو أعجبك كثرة الخبيث فاتقوا الله يا أولي الألباب
لعلكم تفلحون البون بين الخبيث والطيب بعيد عند الله وإن كان قريبا عندكم فلا
تعجبوا بكثرة الخبيث حتى تؤثروه لكثرته على الطيب القليل فإن ما تتوهمونه في الكثرة
من الفضل لا يوازي النقصان في الخبث وفوات الطيب وهو عام في حلال المال وحرامه
وصالح العمل وطالحه وصحيح المذاهب وفاسدها وجيد الناس ورديهم فاتقوا الله وآثروا
الطيب وإن قل على الخبيث وإن كثر ومن حق هذه الآية أن تكفح بها وجوه المجبرة إذا افتخروا
بالكثرة كما قيل وكاثر بسعد إن سعدا كثيرة ولا ترج من سعد وفاء ولا نصرا
وكما قيل لا يدهمنك من دهمائهم عدد فإن جلهم بل كلهم بقر وقيل نزلت في حجاج
اليمامة حين أراد المسلمون أن يوقعوا بهم فنهوا عن الإيقاع بهم وإن كانوا مشركين
يا أيها الذين آمنوا لا تسألوا عن أشياء إن تبد لكم تسؤكم وإن تسألوا عنها حين ينزل
القرآن تبد لكم عفا الله عنها والله غفور حليم قد سألها قوم من قبلكم ثم أصبحوا
بها كافرين الجملة الشرطية والمعطوفة عليها أعني قوله إن تبد لكم تسؤكم وإن
تسألوا عنها حين ينزل القرآن تبد لكم صفة لأشياء والمعنى لا تكثروا مسألة رسول
الله صلى الله عليه وسلم حتى تسألوه عن تكاليف شاقة عليكم إن أفتاكم بها وكلفكم
إياها تغمكم وتشق عليكم وتندموا على السؤال عنها وذلك نحو ما روي أن سراقة بن مالك
أو عكاشة بن محصن قال يا رسول الله الحج علينا كل عام فأعرض عنه رسول الله عليه السلام
حتى أعاد مسألته ثلاث مرات فقال صلى الله عليه وسلم ويحك وما يؤمنك أن أقول نعم والله
لو قلت نعم لوجبت ولو وجبت ما استطعتم ولو تركتم لكفرتم فاتركوني ما تركتكم فإنما
هلك من كان قبلكم بكثرة سؤالهم واختلافهم على أنبيائهم فإذا أمرتكم بأمر فخذوا منه
ما استطعتم وإذا نهيتكم عن شيء فاجتنبوه وإن تسألوا عنها حين ينزل القرآن وإن تسألوا
عن هذه التكاليف الصعبة في زمان الوحي وهو ما دام الرسول بين أظهركم يوحى إليه تبد
لكم تلك التكاليف التي تسؤكم وتؤمروا بتحملها فتعرضون أنفسكم لغضب الله بالتفريط
فيها عفا الله عنها عفا الله عما سلف من مسألتكم فلا تعودوا إلى مثلها والله غفور
حليم لا يعاجلكم فيما يفرط منكم بعقوبته **فإن قلت** كيف قال لا تسألوا عن أشياء
ثم قال قد سألها ولم يقل سأل عنها **قلت** الضمير في سألها ليس براجع إلى الأشياء حتى
يجب تعديته بعن وإنما هو راجع إلى المسألة التي دل عليها لا تسألوا يعني قد سأل هذه
المسألة قوم من الأولين ثم أصبحوا بها أي بمرجوعها أو بسببها كافرين وذلك أن بني إسرائيل
كانوا يستفتون أنبياءهم عن أشياء فإذا أمروا بها تركوها فهلكوا ما جعل الله من بحيرة
ولا سائبة ولا وصيلة ولا حام ولكن الذين كفروا يفترون على الله الكذب وأكثرهم
لا يعقلون كان أهل الجاهلية إذا نتجت الناقة خمسة أبطن آخرها ذكر بحروا أذنها أي
شقوها وحرموا ركوبها ولا تطرد عن ماء ولا مرعى وإذا لقيها المعيي لم يركبها واسمها البحيرة

وكان الرجل إذا قدم من سفر أو برئ من مرض قال ناقتي سائبة وجعلها كالبحيرة في تحريم
الانتفاع بها وقيل كان الرجل إذا أعتق عبدا قال هو سائبة فلا عقل بينهما ولا ميراث
وإذا ولدت الشاة أنثى فهي لهم وإن ولدت ذكرا فهو لآلهتهم وإن ولدت ذكرا وأنثى
قالوا وصلت أخاها فلم يذبحوا الذكر لآلهتهم وإذا نتجت من صلب الفحل عشرة أبطن قالوا
قد حمى ظهره فلا يركب ولا يحمل عليه ولا يمنع من ماء ولا مرعى ومعنى ما جعل ما شرع ذلك
ولا أمر بالتبحير والتسييب وغير ذلك ولكنهم بتحريمهم ما حرموا يفترون على الله الكذب
وأكثرهم لا يعقلون فلا ينسبون التحريم إلى الله تعالى حتى يفتروا ولكنهم يقلدون في
تحريمها كبارهم وإذا قيل لهم تعالوا إلى ما أنزل الله وإلى الرسول قالوا حسبنا ما وجدنا
عليه آباءنا أولو كان آباؤهم لا يعلمون شيئا ولا يهتدون الواو في قوله تعالى أولو كان
آباؤهم واو الحال قد دخلت عليها همزة الإنكار وتقديره أحسبهم ذلك ولو كان آباؤهم
لا يعلمون شيئا ولا يهتدون والمعنى أن الاقتداء إنما يصح بالعالم المهتدي وإنما يعرف
اهتداؤه بالحجة يا أيها الذين آمنوا عليكم أنفسكم لا يضركم من ضل إذا اهتديتم إلى الله
مرجعكم جميعا فينبئكم بما كنتم تعملون كان المؤمنون تذهب أنفسهم حسرة على أهل
العتو والعناد من الكفرة يتمنون دخولهم في الإسلام فقيل لهم عليكم أنفسكم وما كلفتم
من إصلاحها والمشي بها في طرق الهدى لا يضركم الضلال عن دينكم إذا كنتم مهتدين كما قال
الله تعالى لنبيه فلا تذهب نفسك عليهم حسرات وكذلك من يتأسف على
ما فيه الفسقة من الفجور والمعاصي ولا يزال يذكر معايبهم ومناكيرهم فهو مخاطب به
وليس المراد ترك الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر فإن من تركهما مع القدرة عليهما فليس
بمهتد وإنما هو بعض الضلال الذين فصلت الآية بينهم وبينه وعن ابن مسعود رضي الله
عنه أنها قرئت عنده فقال إن هذا ليس بزمانها إنها اليوم مقبولة ولكن يوشك أن يأتي
زمان تأمرون فلا يقبل منكم فحينئذ عليكم أنفسكم فهي على هذا تسلية لمن يأمر وينهى فلا
يقبل منه وبسط لعذره وعنه ليس هذا زمان تأويلها قيل فمتى قال إذا جعل دونها
السيف والسوط والسجن وعن أبي ثعلبة الخشني أنه سئل عن ذلك فقال للسائل
سألت عنها خبيرا سألت رسول الله صلى الله عليه وسلم عنها فقال ائتمروا بالمعروف
وتناهوا عن المنكر حتى إذا ما رأيت شحا مطاعا وهوى متبعا ودنيا مؤثرة وإعجاب كل
ذي رأي برأيه فعليك بنفسك ودع أمر العوام وإن من ورائكم أياما الصبر فيهن كقبض
على الجمر للعامل منهم مثل أجر خمسين رجلا يعملون مثل عمله وقيل كان الرجل إذا أسلم
قالوا له سفهت آباءك ولاموه فنزلت عليكم أنفسكم من أسماء الفعل بمعنى الزموا إصلاح أنفسكم
ولذلك جزم جوابه وعن نافع عليكم أنفسكم بالرفع وقرئ لا يضركم وفيه وجهان
أن يكون خبرا مرفوعا وتنصره قراءة أبي حيوة لا يضيركم وأن يكون جوابا للأمر مجزوما
وإنما ضمت الراء اتباعا لضمة الضاد المنقولة إليها من الراء المدغمة والأصل لا يضرركم
ويجوز أن يكون نهيا ولا يضركم بكسر الضاد وضمها من ضاره يضيره ويضوره يا أيها الذين
آمنوا شهادة بينكم إذا حضر أحدكم الموت حين الوصية اثنان ذوا عدل منكم

او آخران من غيركم ان انتم ضربتم في الارض فاصابتكم مصيبة الموت تحبسونهما من بعد الصلوة فيقسمان بالله ان ارتبتم لا نشترى به ثمنا ولو كان ذا قربى ولا نكتم شهادة الله انا اذا لمن الآثمين ❁ ارتفع اثنان على انه خبر للمبتدا الذى هو شهادة بينكم على تقدير شهادة بينكم شهادة اثنين ❁ او على انه فاعل شهادة بينكم على معنى فيما فرض عليكم ان يشهد اثنان وقرا الشعبى شهادة بينكم بالتنوين وقرا الحسن شهادة بالنصب والتنوين على ليقم شهادة اثنان ❁ واذا حضر ظرف للشهادة وحين الوصية بدل منه وفى ابداله منه دليل على وجوب الوصية وانها من الامور اللازمة التى ما ينبغى ان يتهاون بها المسلم ويذهل عنها ❁ وحضور الموت مشارفته وظهور امارات بلوغ الاجل ❁ منكم من اقاربكم من غيركم من الاجانب ❁ ان انتم ضربتم فى الارض يعنى ان وقع الموت فى السفر ولم يكن معكم احد من عشيرتكم فاستشهدوا اجنبيين على الوصية وجعل الاقارب اولى لانهم اعلم باحوال الميت وبما هو اصلح وهم له انصح ❁ وقيل منكم من المسلمين ومن غيركم من اهل الذمة ❁ وقيل هو منسوخ لا تجوز شهادة الذمى على المسلم وانما جازت فى اول الاسلام لقلة المسلمين وتعذر وجودهم فى حال السفر وعن مكحول نسخها قوله تعالى واشهدوا ذوى عدل منكم روى انه خرج بديل بن ابى مريم مولى عمرو بن العاصى رضى الله عنهما وكان من المهاجرين مع عدى بن بدا وتميم بن اوس وكانا نصرانيين الى الشام فمرض بديل وكتب كتابا فيه ما معه وطرحه فى متاعه ولم يخبر به صاحبيه وامرهما ان يدفعا متاعه الى اهله ومات ففتشا متاعه فاخذا اناء من فضة فيه ثلثمائة مثقال منقوشا بالذهب فغيباه فاصاب اهل بديل الصحيفة فطالبوهما بالاناء فجحدا فرفعوهما الى رسول الله عليه السلام فنزلت ❁ تحبسونهما تقفونهما وتصبرونهما للحلف ❁ من بعد الصلوة بعد صلوة العصر لانه وقت اجتماع الناس ❁ وعن الحسن بعد العصر او الظهر لان اهل الحجاز كانوا يقعدون للحكومة بعدهما وفى حديث بديل انها لما نزلت صلى رسول الله عليه السلام صلوة العصر ودعا بعدى وتميم فاستحلفهما عند المنبر فحلفا ثم وجد الاناء بمكة فقالوا انا اشتريناه من عدى وتميم ❁ وقيل هى صلوة اهل الذمة وهم يعظمون صلوة العصر ❁ ان ارتبتم اعتراض بين القسم والمقسم عليه والمعنى ان ارتبتم فى شانهما واتهمتموهما فحلفوهما ❁ وقيل ان اريد بهما الشاهدان فقد نسخ تحليف الشاهدين وان اريد الوصيان فليس بمنسوخ تحليفهما وعن على رضى الله عنه انه كان يحلف الشاهد والراوى اذا اتهمهما والضمير فى به للقسم وفى كان للمقسم له يعنى لا نستبدل بصحة القسم بالله عرضا من الدنيا اى لا نحلف بالله كاذبين لاجل المال ولو كان من نقسم له قريبا منا على معنى ان هذه عادتهم فى صدقهم وامانتهم ابدا انهم يتحرون الصدق والحق من غير ميل الى قريب ولا نسيب كما قال تعالى كونوا قوامين بالقسط شهداء لله ولو على انفسكم او الوالدين والاقربين ❁ شهادة الله اى الشهادة التى امر الله بحفظها وتعظيمها وعن الشعبى انه وقف على شهادة ثم ابتدا آلله بالمد على طرح حرف القسم وتعويض همزة الاستفهام منه وروى عنه بغير مد على ما ذكره سيبويه ان منهم من يحذف حرف القسم ولا يعوض منه همزة الاستفهام فيقول الله لقد كان كذا وقرئ للاثمين بحذف الهمزة وطرح حركتها على اللام وادغام نون من

فيها كقوله تعالى دلوكه فان قلت ما موقع تحبسونهما قلت هو استيناف كلام كانه قيل بعد اشتراط العدالة فيهما فكيف نعمل ان ارتبنا بهما فقيل تحبسونهما فان قلت كيف فسرت الصلوة بصلوة العصر وهى مطلقة قلت لما كانت معروفة عندهم بالتحليف بعدها اغنى ذلك عن التقييد كما لو قلت فى بعض ائمة الفقه اذا صلى اخذ فى الدرس علم انها صلوة الفجر ويجوز ان تكون اللام للجنس وان يقصد بالتحليف على اثر الصلوة ان تكون الصلوة لطفا فى النطق بالصدق وناهية عن الكذب والزور ان الصلوة تنهى عن الفحشاء والمنكر ❁ فان عثر على انهما استحقا اثما فآخران يقومان مقامهما من الذين استحق عليهم الاوليان فيقسمان بالله لشهادتنا احق من شهادتهما وما اعتدينا انا اذا لمن الظالمين ❁ فان عثر فان اطلع على انهما استحقا اثما اى فعلا ما اوجب اثما واستوجبا ان يقال انهما لمن الآثمين ❁ فآخران فشاهدان آخران يقومان مقامهما من الذين استحق اى من الذين استحق عليهم الاثم ومعناه من الذين جنى عليهم وهم اهل الميت وعشيرته وفى قصة بديل انه لما ظهرت خيانة الرجلين حلف رجلان من ورثته انه اناء صاحبهما وان شهادتهما احق من شهادتهما والاوليان الاحقان بالشهادة لقرابتهما ومعرفتهما وارتفاعهما على هما الاوليان كانه قيل ومن هما فقيل الاوليان ❁ وقيل هما بدل من الضمير فى يقومان او من آخران ❁ ويجوز ان يرتفعا باستحق اى من الذين استحق عليهم انتداب الاوليين منهم للشهادة لاطلاعهم على حقيقة الحال وقرئ الاولين على انه وصف للذين استحق عليهم مجرور او منصوب على المدح ومعنى الاولية التقدم على الاجانب فى الشهادة لكونهم احق بها وقرئ الاولين على التثنية وانتصابه على المدح وقرا الحسن الاولان ويحتج به من يرى رد اليمين على المدعى وابو حنيفة واصحابه لا يرون ذلك فوجهه عندهم ان الورثة قد ادعوا على النصرانيين انهما قد اختانا فحلفا فلما ظهر كذبهما ادعيا الشراء فيما كتما فانكر الورثة فكانت اليمين على الورثة لانكارهم الشراء فان قلت فما وجه قراءة من قرا استحق عليهم الاوليان على البناء للفاعل وهو على رضى الله عنه وابى وابن عباس قلت معناه من الورثة الذين استحق عليهم الاوليان من بينهم بالشهادة ان يجردوهما للقيام بالشهادة ويظهروا بهما كذب الكاذبين ❁ ذلك ادنى ان ياتوا بالشهادة على وجهها او يخافوا ان ترد ايمان بعد ايمانهم واتقوا الله واسمعوا والله لا يهدى القوم الفاسقين ❁ ذلك الذى تقدم من بيان الحكم ادنى ان ياتى الشهداء على نحو تلك الحادثة بالشهادة على وجهها او يخافوا ان ترد ايمان ان تكرر ايمان شهود آخرين بعد ايمانهم فيفتضحوا بظهور كذبهم كما جرى فى قصة بديل واسمعوا سمع اجابة وقبول ❁ يوم يجمع الله الرسل فيقول ماذا اجبتم قالوا لا علم لنا انك انت علام الغيوب ❁ يوم يجمع بدل من المنصوب فى قوله واتقوا الله وهو بدل الاشتمال كانه قيل واتقوا الله يوم جمعه ❁ او ظرف لقوله لا يهدى اى لا يهديهم طريق الجنة يومئذ كما يفعل بغيرهم ❁ او ينصب باضمار اذكروا ويوم يجمع الله الرسل كان كيت وكيت ❁ وماذا منتصب باجبتم انتصاب مصدره على معنى اى اجابة اجبتم ولو اريد الجواب لقيل بماذا اجبتم فان قلت ما معنى سؤالهم قلت توبيخ

توبيخهم كما كان سؤال الموؤدة توبيخا للوائد **فان قلت** فكيف يقولون لا علم لنا وقد علموا بما اجيبوا **قلت** يعلمون ان الغرض بالسؤال توبيخ اعدائهم فيكلون الامر الى علمه واحاطته بما منوا به منهم وكابدوا من سوء اجابتهم اظهارا للتشكي واللجا الى ربهم في الانتقام منهم وذلك اعظم على الكفرة وافت في اعضادهم واجلب لحسرتهم وسقوطهم في ايديهم اذا اجتمع توبيخ الله وتشكي انبيائه عليهم ومثاله ان ينكب بعض الخوارج على السلطان خاصة من خواصه قد عرفها السلطان واطلع على كنهها وعزم على الانتصار له منه فيجمع بينهما ويقول له ما فعل بك هذا الخارجي وهو عالم بما فعل به يريد توبيخه وتبكيته فيقول له انت اعلم بما فعل بي تفويضا للامر الى علم سلطانه واتكالا عليه واظهارا للشكاية وتعظيما لما حل به منه وقيل من هول ذلك اليوم يفزعون ويذهلون عن الجواب ثم يجيبون بعدما تثوب اليهم عقولهم بالشهادة على اممهم وقيل معناه علمنا ساقط مع علمك ومغمور به لانك علام الغيوب ومن علم الخفيات لم تخف عليه الظواهر التي منها اجابة الامم لرسلهم فكانه لا علم لنا الى جنب علمك وقيل لا علم لنا بما كان منهم بعدنا وانما الحكم للخاتمة وكيف يخفى عليهم امرهم وقد رأوهم سود الوجوه زرق العيون موبخين **وقرئ** علام الغيوب بالنصب على ان الكلام قد تم بقوله تعالى انك انت اي انك الموصوف باوصافك المعروفة من العلم وغيره ثم نصب علام الغيوب على الاختصاص او على النداء او هو صفة لاسم ان اذ قال الله يا عيسى ابن مريم اذكر نعمتي عليك وعلى والدتك اذ ايدتك بروح القدس تكلم الناس في المهد وكهلا واذ علمتك الكتاب والحكمة والتوراة والانجيل واذ تخلق من الطين كهيئة الطير باذني فتنفخ فيها فتكون طيرا باذني وتبرئ الاكمه والابرص باذني واذ تخرج الموتى باذني واذ كففت بني اسرائيل عنك اذ جئتهم بالبينات فقال الذين كفروا منهم ان هذا الا سحر مبين اذ قال الله بدل من يوم يجمع الله والمعنى انه يوبخ الكافرين يومئذ بسؤال الرسل عن اجابتهم وبتعديد ما اظهر على ايديهم من الآيات العظام فكذبوهم وسموهم سحرة او جاوزوا حد التصديق الى ان اتخذوهم آلهة كما قال بعض بني اسرائيل فيما اظهر على يد عيسى عليه السلام من البينات والمعجزات هذا سحر مبين واتخذه بعضهم وامه الهين ايدتك قويتك **وقرئ** آيدتك على افعلتك بروح القدس بالكلام الذي يحيى به الدين واضافه الى القدس لانه سبب الطهر من اوضار الآثام والدليل عليه قوله تعالى تكلم الناس وفي المهد في موضع الحال لان المعنى تكلمهم طفلا وكهلا الا ان في المهد فيه دليل على حد من الطفولة وقيل روح القدس جبريل عليه السلام ايد به لتثبيت الحجة **فان قلت** ما معنى قوله في المهد وكهلا **قلت** معناه تكلمهم في هاتين الحالتين من غير ان يتفاوت كلامك في حين الطفولة وحين الكهولة الذي هو وقت كمال العقل وبلوغ الاشد والحد الذي يستنبأ فيه الانبياء والتوراة والانجيل خصا بالذكر مما تناوله الكتاب والحكمة لان المراد بهما جنس الكتاب والحكمة وقيل الكتاب الخط والحكمة الكلام المحكم الصواب كهيئة الطير هيئة مثل هيئة الطير باذني بتسهيلي فتنفخ فيها الضمير للكاف لانها صفة الهيئة التي كان يخلقها عيسى وينفخ فيها ولا يرجع الى الهيئة المضا

الها لانها ليست من خلقه ولا نفخه في شيء وكذلك الضمير في فتكون تخرج الموتى تخرجهم من القبور وتبعثهم **قيل** اخرج سام بن نوح ورجلين وامرأة وجارية واذ كففت بني اسرائيل عنك يعني اليهود حين هموا بقتله وقيل لما قال الله تعالى لعيسى اذكر نعمتي عليك كان يلبس الشعر ويأكل الشجر ولا يدخر شيئا لغد يقول مع كل يوم رزقه لم يكن له بيت فيخرب ولا ولد فيموت اينما امسى بات واذ اوحيت الى الحواريين ان آمنوا بي وبرسولي قالوا آمنا واشهد باننا مسلمون اوحيت الى الحواريين امرتهم على السنة الرسل مسلمون مخلصون من اسلم وجهه لله اذ قال الحواريون يا عيسى ابن مريم هل يستطيع ربك ان ينزل علينا مائدة من السماء قال اتقوا الله ان كنتم مؤمنين عيسى في محل النصب على اتباع حركته حركة الابن كقولك يا زيد بن عمرو وهي اللغة الفاشية ويجوز ان يكون مضموما كقولك يا زيد بن عمرو والدليل عليه قوله احار بن عمرو كأني خمر لان الترخيم لا يكون الا في المضموم **فان قلت** كيف قالوا هل يستطيع ربك بعد ايمانهم واخلاصهم **قلت** ما وصفهم الله بالايمان والاخلاص وانما حكى ادعاءهم لهما ثم اتبعه قوله اذ قالوا فآذن ان دعواهم كانت باطلة وانهم كانوا شاكين وقوله تعالى هل يستطيع ربك كلام لا يرد مثله عن مؤمنين معظمين لربهم وكذلك قول عيسى لهم معناه اتقوا الله لا تشكوا في اقتداره واستطاعته ولا تقترحوا عليه ولا تحكموا ما تشتهون من الآيات فتهلكوا اذا عصيتموه بعدها ان كنتم مؤمنين ان كانت دعواكم للايمان صحيحة **وقرئ** هل تستطيع ربك اي هل تستطيع سؤال ربك والمعنى هل تسأله ذلك من غير صارف يصرفك عن سؤاله والمائدة الخوان اذا كان عليه الطعام وهي من ماده اذا اعطاه ورفده كانها تميد من تقدم اليه قالوا نريد ان نأكل منها وتطمئن قلوبنا ونعلم ان قد صدقتنا ونكون عليها من الشاهدين ونكون عليها من الشاهدين نشهد عليها عند الذين لم يحضروها من بني اسرائيل او نكون من الشاهدين لله بالوحدانية ولك بالنبوة عاكفين عليها على ان عليها في موضع الحال وكانت دعواهم لارادة ما ذكروا كدعواهم للايمان والاخلاص وانما سأل عيسى واجيب ليلزموا الحجة بكمالها ويرسل عليهم العذاب اذا خالفوا **وقرئ** ويعلم بالياء على البناء للمفعول وتعلم وتكون بالتاء والضمير للقلوب قال عيسى ابن مريم اللهم ربنا انزل علينا مائدة من السماء تكون لنا عيدا لاولنا وآخرنا وآية منك وارزقنا وانت خير الرازقين قال الله اني منزلها عليكم فمن يكفر بعد منكم فاني اعذبه عذابا لا اعذبه احدا من العالمين اللهم اصله يا الله فحذف حرف النداء وعوضت منه الميم وربنا نداء ثان تكون لنا عيدا اي يكون يوم نزولها عيدا قيل هو يوم الاحد ومن ثمة اتخذه النصارى عيدا وقيل العيد السرور العائد ولذلك يقال يوم عيد فكان معناه تكون لنا سرورا وفرحا **وقرأ** عبد الله تكن على جواب الامر ونظيرهما يرثني ويرثني لاولنا وآخرنا بدل من لنا بتكرير العامل اي لمن في زماننا من اهل ديننا ولمن يأتي بعدنا وقيل يأكل منها آخر الناس كما يأكل اولهم ويجوز للمتقدمين منا والاتباع **وفي** قراءة زيد لاولانا واخرانا والتأنيث بمعنى الامة والجماعة عذابا بمعنى تعذيبا والضمير في لا اعذبه للمصدر ولو اريد بالعذاب ما يعذب

بدلهم يكن بعد من البلاء. روي أن عيسى عليه السلام لما أراد الدعاء لبس صوفاً ثم قال اللهم أنزل علينا فنزلت سفرة حمراء بين غمامتين غمامة فوقها وأخرى تحتها وهم ينظرون إليها حتى سقطت بين أيديهم فبكى عيسى وقال اللهم اجعلني من الشاكرين اللهم اجعلها رحمة ولا تجعلها مثلة وعقوبة. وقال لهم ليقم أحسنكم عملاً يكشف عنها ويذكر اسم الله عليها ويأكل منها فقال شمعون رأس الحواريين أنت أولى بذلك فقام عيسى عليه السلام فتوضأ وصلى وبكى ثم كشف المنديل وقال بسم الله خير الرازقين فإذا سمكة مشوية بلا فلوس ولا شوك تسيل دسماً وعند رأسها ملح وعند ذنبها خل وحولها من ألوان البقول ما خلا الكراث وإذا خمسة أرغفة على واحد منها زيتون وعلى الثاني عسل وعلى الثالث سمن وعلى الرابع جبن وعلى الخامس قديد فقال شمعون يا روح الله أمن طعام الدنيا أم من طعام الآخرة فقال ليس منهما ولكنه شيء اخترعه الله بالقدرة العالية كلوا ما سألتم واشكروا يمددكم الله ويزدكم من فضله فقال الحواريون يا روح الله لو أريتنا من هذه الآية آية أخرى فقال يا سمكة احيي بإذن الله فاضطربت ثم قال لها عودي كما كنت فعادت مشوية ثم طارت المائدة ثم عصوا بعدها فمسخوا قردة وخنازير. وروي أنهم لما سمعوا بالشريطة وهي قوله فمن يكفر بعد منكم فإني أعذبه قالوا لا نريد فلم تنزل. وعن الحسن والله ما نزلت ولو نزلت لكانت عيداً إلى يوم القيامة لقوله وآخرنا والصحيح أنها نزلت. وإذ قال الله يا عيسى ابن مريم أأنت قلت للناس اتخذوني وأمي إلهين من دون الله قال سبحانك ما يكون لي أن أقول ما ليس لي بحق إن كنت قلته فقد علمته تعلم ما في نفسي ولا أعلم ما في نفسك إنك أنت علام الغيوب. سبحانك من أن يكون لك شريك. ما يكون لي ما ينبغي لي أن أقول قولاً لا يحق لي أن أقوله. في نفسي في قلبي والمعنى تعلم معلومي ولا أعلم معلومك ولكنه سلك بالكلام طريق المشاكلة وهو من فصيح الكلام وبينه فقيل في نفسك لقوله في نفسي. إنك أنت علام الغيوب تقرير للجملتين معاً لأن ما انطوت عليه النفوس من جملة الغيوب ولأن ما يعلمه علام الغيوب لا ينتهي إليه علم أحد. ما قلت لهم إلا ما أمرتني به أن اعبدوا الله ربي وربكم وكنت عليهم شهيداً ما دمت فيهم فلما توفيتني كنت أنت الرقيب عليهم وأنت على كل شيء شهيد. أن في قوله أن اعبدوا الله إن جعلتها مفسرة لم يكن لها بد من مفسَّر والمفسر إما فعل القول وإما فعل الأمر وكلاهما لا وجه له أما فعل القول فيحكى بعده الكلام من غير أن يوسط بينهما حرف التفسير لا تقول ما قلت لهم إلا أن اعبدوا الله ولكن ما قلت لهم إلا اعبدوا الله. وأما فعل الأمر فمسند إلى ضمير الله فلو فسرته باعبدوا الله ربي وربكم لم يستقم لأن الله لا يقول اعبدوا الله ربي وربكم. وإن جعلتها موصولة بالفعل لم تخل من أن تكون بدلاً من ما أمرتني به أو من الهاء في به وكلاهما غير مستقيم لأن البدل هو الذي يقوم مقام المبدل منه ولا يقال ما قلت لهم إلا أن اعبدوا الله بمعنى ما قلت لهم إلا عبادة الله لأن العبادة لا تقال. وكذلك إذا جعلته بدلاً من الهاء لأنك لو أقمت أن اعبدوا الله مقام الهاء فقلت إلا ما أمرتني بأن اعبدوا الله لم يصح لبقاء الموصول بغير راجع إليه من صلته. فإن قلت فكيف يصنع قلت

يحمل فعل القول على معناه لأن معنى ما قلت لهم إلا ما أمرتني به ما أمرتهم إلا بما أمرتني به حتى يستقيم تفسيره بأن اعبدوا الله ربي وربكم. ويجوز أن تكون أن موصولة عطف بيان للهاء لا بدلاً. وكنت عليهم شهيداً رقيباً كالشاهد على المشهود عليه أمنعهم من أن يقولوا ذلك ويتدينوا به. فلما توفيتني كنت أنت الرقيب عليهم تمنعهم من القول به بما نصبت لهم من الأدلة وأنزلت عليهم من البينات وأرسلت إليهم من الرسل. إن تعذبهم فإنهم عبادك وإن تغفر لهم فإنك أنت العزيز الحكيم. إن تعذبهم فإنهم عبادك الذين عرفتهم عاصين جاحدين لآياتك مكذبين لأنبيائك. وإن تغفر لهم فإنك أنت العزيز القوي القادر على الثواب والعقاب. الحكيم الذي لا يثيب ولا يعاقب إلا عن حكمة وصواب. فإن قلت المغفرة لا تكون للكفار فكيف قال وإن تغفر لهم. قلت ما قال إنك تغفر لهم ولكنه بنى الكلام على إن عذبتهم عدلت لأنهم أحقاء بالعذاب وإن غفرت لهم مع كفرهم لم تعدم في المغفرة وجه حكمة لأن المغفرة حسنة لكل مجرم في المعقول بل متى كان المجرم أعظم جرماً كان العفو عنه أحسن. قال الله هذا يوم ينفع الصادقين صدقهم لهم جنات تجري من تحتها الأنهار خالدين فيها أبداً رضي الله عنهم ورضوا عنه ذلك الفوز العظيم. قرئ هذا يوم ينفع بالرفع والإضافة وبالنصب إما على أنه ظرف لقال وإما على أن هذا مبتدأ والظرف خبر ومعناه هذا الذي ذكرنا من كلام عيسى عليه السلام واقع يوم ينفع. ولا يجوز أن يكون فتحاً كقوله تعالى يوم لا تملك لأنه مضاف إلى متمكن. وقرأ الأعمش يومٌ ينفع بالتنوين كقوله واتقوا يوماً لا تجزي. فإن قلت ما معنى قوله ينفع الصادقين صدقهم إن أريد صدقهم في الآخرة فليست الآخرة بدار عمل وإن أريد صدقهم في الدنيا فليس بمطابق لما ورد فيه لأنه في معنى الشهادة لعيسى بالصدق فيما يجيب به يوم القيامة. قلت معناه الصدق المستمر بالصادقين في دنياهم وآخرتهم. وعن قتادة متكلمان تكلما يوم القيامة أما إبليس فقال إن الله وعدكم وعد الحق فصدق يومئذ وكان قبل ذلك كاذباً فلم ينفعه صدقه وأما عيسى فكان صادقاً في الحياة وبعد الممات فنفعه صدقه. لله ملك السماوات والأرض وما فيهن وهو على كل شيء قدير. فإن قلت في السماوات والأرض العقلاء وغيرهم فهلا غلب العقلاء فقيل ومن فيهن. قلت ما يتناول الأجناس كلها تناولاً عاماً ألا ترى أنك تقول إذا رأيت شبحاً من بعيد ما هو قبل أن تعرف أعاقل هو أم غيره فكان أولى بإرادة العموم. عن النبي صلى الله عليه وسلم من قرأ سورة المائدة أعطي من الأجر عشر حسنات ومحي عنه عشر سيئات ورفع له عشر درجات بعدد كل يهودي ونصراني يتنفس في الدنيا.

[illegible]

بسم الله الرحمن الرحيم الحمد لله الذي خلق السماوات والأرض وجعل الظلمات والنور ثم الذين كفروا بربهم يعدلون. جعل يتعدى إلى مفعول واحد إذا كان بمعنى أحدث وأنشأ كقوله تعالى وجعل الظلمات والنور وإلى مفعولين إذا كان بمعنى صيّر كقوله

تعالى وجعلوا الملائكة الذين هم عباد الرحمن إناثا. والفرق بين الخلق والجعل أن الخلق فيه معنى التقدير. وفي الجعل معنى التضمين كإنشاء شيء من شيء أو تصيير شيء شيئا أو نقله من مكان إلى مكان. ومن ذلك وجعل منها زوجها. وجعل الظلمات والنور لأن الظلمات من الأجرام المتكاثفة والنور من النار. وجعلناكم أزواجا. أجعل الآلهة إلها واحدا. فإن قلت لم أفرد النور. قلت للقصد إلى الجنس كقوله والملك على أرجائها. أو لأن الظلمات كثيرة لأنه ما من جنس من أجناس الأجرام إلا وله ظل وظله هو الظلمة بخلاف النور فإنه من جنس واحد وهو النار. فإن قلت علام عطف قوله ثم الذين كفروا بربهم يعدلون. قلت إما على قوله تعالى الحمد لله على معنى أن الله تعالى حقيق بالحمد على ما خلق لأنه ما خلقه إلا نعمة. ثم الذين كفروا به يعدلون فيكفرون نعمته. وإما على قوله خلق السموات على معنى أنه خلق ما خلق مما لا يقدر عليه أحد سواه ثم هم يعدلون به ما لا يقدر على شيء منه. فإن قلت فما معنى ثم. قلت استبعاد أن يعدلوا به بعد وضوح آيات قدرته وكذلك ثم أنتم تمترون استبعاد لأن يمتروا فيه بعد ما ثبت أنه محييهم ومميتهم. هو الذي خلقكم من طين ثم قضى أجلا وأجل مسمى عنده ثم أنتم تمترون. ثم قضى أجلا أجل الموت وأجل مسمى عنده أجل القيامة. وقيل الأجل الأول ما بين أن يخلق إلى أن يموت والثاني ما بين الموت والبعث وهو البرزخ. وقيل الأول النوم والثاني الموت. فإن قلت المبتدأ النكرة إذا كان خبره ظرفا وجب تأخيره فلم جاز تقديمه في قوله وأجل مسمى عنده. قلت لأنه تخصص بالصفة فقارب المعرفة كقوله ولعبد مؤمن خير من مشرك. فإن قلت الكلام السائر أن يقال عندي ثوب جيد ولي عبد كيس وما أشبه ذلك فما أوجب التقديم. قلت أوجبه أن المعنى وأي أجل مسمى عنده تعظيما لشأن الساعة فلما جرى فيه هذا المعنى وجب التقديم. وهو الله في السموات وفي الأرض يعلم سركم وجهركم ويعلم ما تكسبون. في السموات متعلق بمعنى اسم الله كأنه قيل وهو المعبود فيها. ومنه قوله تعالى وهو الذي في السماء إله وفي الأرض إله. أو وهو المعروف بالإلهية أو المتوحد بالإلهية فيها. أو هو الذي يقال له الله فيها لا يشرك به في هذا الاسم. ويجوز أن يكون الله في السموات خبرا بعد خبر على معنى أنه الله وأنه في السموات والأرض بمعنى أنه عالم بما فيهما لا يخفى عليه منه شيء كأن ذاته فيهما. فإن قلت كيف موقع قوله يعلم سركم وجهركم. قلت إن أردت المتوحد بالإلهية كان تقريرا له لأن الذي استوى في علمه السر والعلانية هو الله وحده وكذلك إذا جعلت في السموات خبرا بعد خبر وإلا فهو كلام مبتدأ بمعنى هو يعلم سركم وجهركم أو خبر ثالث. ويعلم ما تكسبون من الخير والشر ويثيب عليه ويعاقب. وما تأتيهم من آية من آيات ربهم إلا كانوا عنها معرضين. من في من آية للاستغراق وفي من آيات ربهم للتبعيض يعني وما يظهر لهم دليل من الأدلة التي يجب فيها النظر والاستدلال إلا كانوا عنه معرضين تاركين للنظر لا يلتفتون إليه ولا يرفعون به رأسا لقلة خوفهم وتدبرهم للعواقب. فقد كذبوا بالحق لما جاءهم فسوف يأتيهم أنباء ما كانوا به يستهزؤن. فقد كذبوا مردود على كلام محذوف كأنه قيل إن كانوا معرضين عن الآيات فقد كذبوا بما هو أعظم آية وأكبرها

وهو الحق لما جاءهم يعني القرآن الذي تحدوا به على تبالغهم في الفصاحة فعجزوا عنه فسوف يأتيهم أنباء الشيء الذي كانوا به يستهزؤن وهو القرآن أي أخباره وأحواله بمعنى سيعلمون بأي شيء استهزؤا وسيظهر لهم أنه لم يكن بموضع استهزاء وذلك عند إرسال العذاب عليهم في الدنيا أو يوم القيامة أو عند ظهور الإسلام وعلو كلمته. ألم يروا كم أهلكنا من قبلهم من قرن مكناهم في الأرض ما لم نمكن لكم وأرسلنا السماء عليهم مدرارا وجعلنا الأنهار تجري من تحتهم فأهلكناهم بذنوبهم وأنشأنا من بعدهم قرنا آخرين. مكن له في الأرض جعل له مكانا فيها ونحوه أرض له. ومنه قوله تعالى إنا مكنا له في الأرض أولم نمكن لهم. وأما مكنته في الأرض فأثبته فيها. ومنه قوله تعالى ولقد مكناهم فيما إن مكناكم فيه. ولتقارب المعنيين جمع بينهما في قوله مكناهم في الأرض ما لم نمكن لكم. والمعنى لم نعط أهل مكة نحو ما أعطينا عادا وثمود وغيرهم من البسطة في الأجسام والسعة في الأموال والاستظهار بأسباب الدنيا. والسماء المظلة لأن الماء ينزل منها إلى السحاب أو السحاب أو المطر. والمدرار المغزار. فإن قلت أي فائدة في ذكر إنشاء قرن آخرين بعدهم. قلت الدلالة على أنه لا يتعاظمه أن يهلك قرنا ويخرب بلاده منهم فإنه قادر على أن ينشئ مكانهم آخرين يعمر بهم بلاده كقوله ولا يخاف عقباها. ولو نزلنا عليك كتابا في قرطاس فلمسوه بأيديهم لقال الذين كفروا إن هذا إلا سحر مبين. كتابا مكتوبا في قرطاس في ورق. فلمسوه بأيديهم ولم يقتصر بهم على الرؤية لئلا يقولوا إنما سكرت أبصارنا ولا تبقى لهم علة. لقالوا إن هذا إلا سحر مبين تعنتا وعنادا للحق بعد ظهوره. وقالوا لولا أنزل عليه ملك ولو أنزلنا ملكا لقضي الأمر ثم لا ينظرون. لقضي الأمر لقضي أمر إهلاكهم ثم لا ينظرون بعد نزوله طرفة عين إما لأنهم إذا عاينوا الملك قد نزل على رسول الله عليه السلام في صورته وهي آية لا شيء أبين منها وأيقن ثم لا يؤمنون كما قال تعالى ولو أننا نزلنا إليهم الملائكة لم يكن بد من إهلاكهم كما أهلك أصحاب المائدة وإما لأنه يزول الاختيار الذي هو قاعدة التكليف عند نزول الملك فيجب إهلاكهم وإما لأنهم إذا شاهدوا ملكا في صورته زهقت أرواحهم من هول ما يشاهدون. ومعنى ثم بعد ما بين الأمرين قضاء الأمر وعدم الإنظار جعل عدم الإنظار أشد من قضاء الأمر لأن مفاجأة الشدة أشد من نفس الشدة. ولو جعلناه ملكا لجعلناه رجلا وللبسنا عليهم ما يلبسون. ولو جعلناه ملكا ولو جعلنا الرسول ملكا كما اقترحوا لأنهم كانوا يقولون لولا أنزل على محمد ملك وتارة يقولون ما هذا إلا بشر مثلكم. ولو شاء ربنا لأنزل ملائكة. لجعلناه رجلا لأرسلناه في صورة رجل كما كان ينزل جبريل عليه السلام في أعم الأحوال في صورة دحية لأنهم لا يبقون مع رؤية الملائكة في صورهم. وللبسنا عليهم ولخلطنا عليهم ما يخلطون على أنفسهم حينئذ فإنهم يقولون إذا رأوا الملك في صورة الإنسان هذا إنسان وليس بملك فإن قال لهم الدليل على أني ملك أني جئت بالقرآن المعجز وهو ناطق بأني ملك لا بشر كذبوه كما كذبوا محمدا صلى الله عليه وسلم فإذا فعلوا ذلك خذلوا كما هم مخذولون الآن فهو لبس الله عليهم. ويجوز أن يراد وللبسنا عليهم حينئذ مثل ما يلبسون على أنفسهم الساعة

في كفرهم بآيات الله البينة وقرأ ابن محيصن ولبسنا بلام واحدة وقرأ الزهري وللبّسنا عليهم ما يلبّسون بالتشديد ۞ ولقد استهزئ برسل من قبلك فحاق بالذين سخروا منهم ما كانوا به يستهزءون ۞ ولقد استهزئ تسلية لرسول الله عليه السلام عما كان يلقى من قومه ۞ فحاق بهم فأحاط بهم الشيء الذي كانوا يستهزءون به وهو الحق حيث أهلكوا من أجل الاستهزاء به ۞ قل سيروا في الأرض ثم انظروا كيف كان عاقبة المكذبين فإن قلت أي فرق بين قوله فانظروا وبين قوله ثم انظروا قلت جعل النظر مسببا عن السير في قوله فانظروا فكأنه قيل سيروا لأجل النظر ولا تسيروا سير الغافلين وأما قوله قل سيروا في الأرض ثم انظروا فمعناه إباحة السير في الأرض للتجارة وغيرها من المنافع وإيجاب النظر في آثار الهالكين ونبه على ذلك بثم لتباعد ما بين الواجب والمباح ۞ قل لمن ما في السموات والأرض قل لله كتب على نفسه الرحمة ليجمعنكم إلى يوم القيامة لا ريب فيه الذين خسروا أنفسهم فهم لا يؤمنون ۞ لمن ما في السموات والأرض سؤال تبكيت ۞ وقل لله تقرير لهم أي هو لله لا خلاف بيني وبينكم ولا تقدرون أن تضيفوا شيئا منه إلى غيره ۞ كتب على نفسه الرحمة أي أوجبها على ذاته في هدايتكم إلى معرفته ونصب الأدلة لكم على توحيده بما أنتم مقرون به من خلق السموات والأرض ثم أوعدهم على إغفالهم النظر وإشراكهم به من لا يقدر على خلق شيء بقوله ليجمعنكم إلى يوم القيامة فيجازيكم على إشراككم وقوله الذين خسروا أنفسهم نصب على الذم أو رفع أي أريد الذين خسروا أنفسهم ۞ أو أنتم الذين خسروا أنفسهم فإن قلت كيف جعل عدم إيمانهم مسببا عن خسرانهم والأمر على العكس قلت معناه الذين خسروا أنفسهم في علم الله لاختيارهم الكفر ۞ وله ما سكن في الليل والنهار وهو السميع العليم ۞ وله عطف على لله ۞ ما سكن في الليل والنهار من السكنى وتعديه بفي كما في قوله وسكنتم في مساكن الذين ظلموا أنفسهم ۞ وهو السميع العليم يسمع كل مسموع ويعلم كل معلوم فلا يخفى عليه شيء مما يشتمل عليه الملوان ۞ قل أغير الله أتخذ وليا فاطر السموات والأرض وهو يطعم ولا يطعم قل إني أمرت أن أكون أول من أسلم ولا تكونن من المشركين ۞ قل إني أخاف إن عصيت ربي عذاب يوم عظيم ۞ أولي غير الله همزة الاستفهام دون الفعل الذي هو أتخذ لأن الإنكار في اتخاذ غير الله وليا لا في اتخاذ الولي فكان أولى بالتقديم ونحوه أفغير الله تأمروني أعبد ۞ آلله أذن لكم وقرئ فاطر السموات بالجر صفة لله ۞ وبالرفع على المدح وقرأ الزهري فطر السموات ۞ وعن ابن عباس رضي الله عنهما ما عرفت ما فاطر السموات والأرض حتى أتاني أعرابيان يختصمان في بئر فقال أحدهما أنا فطرتها أي ابتدأتها ۞ وهو يطعم ولا يطعم وهو يرزق ولا يرزق كقوله عز وجل ما أريد منهم من رزق وما أريد أن يطعمون ۞ والمعنى أن المنافع كلها من عنده ولا يجوز عليه الانتفاع وقرئ ولا يطعم بفتح الياء ۞ وروى ابن المأمون عن يعقوب وهو يطعم ولا يطعم على بناء الأول للمفعول والثاني للفاعل والضمير لغير الله وقرأ الأشهب وهو يطعم ولا يطعم على بنائهما للفاعل وفسر بأن معناه وهو يطعم ولا يستطعم ۞ وحكى الأزهري أطعمت

بمعنى

بمعنى استطعمت ونحوه أفدت ۞ ويجوز أن يكون المعنى وهو يطعم تارة ولا يطعم أخرى على حسب المصالح كقولك هو يعطي ويمنع ويبسط ويقدر ويغني ويفقر ۞ أول من أسلم لأن النبي صلى الله عليه وسلم سابق أمته في الإسلام كقوله تعالى وبذلك أمرت وأنا أول المسلمين وكقول موسى عليه السلام سبحانك تبت إليك وأنا أول المؤمنين ۞ ولا تكونن وقيل لي لا تكونن من المشركين ومعناه أمرت بالإسلام ونهيت عن الشرك ۞ من يصرف عنه يومئذ فقد رحمه وذلك الفوز المبين ۞ من يصرف عنه العذاب يومئذ فقد رحمه الله تعالى الرحمة العظمى وهي النجاة كقولك إن أطعمت زيدا من جوعه فقد أحسنت إليه تريد فقد أتممت الإحسان إليه أو فقد أدخله الجنة لأن من لم يعذب لم يكن له بد من الثواب وقرئ من يصرف عنه على البناء للفاعل والمعنى من يصرف الله عنه في ذلك اليوم فقد رحمه بمعنى من يدفع الله عنه ويحفظه وقد علم من المدفوع عنه وترك ذكر المصروف لكونه معلوما أو مذكورا قبله وهو العذاب ۞ ويجوز أن ينتصب يومئذ بيصرف انتصاب المفعول به أي من يصرف الله عنه ذلك اليوم أي هوله فقد رحمه ۞ وينصر هذه القراءة قراءة أبي من يصرف الله عنه وإن يمسسك الله بضر فلا كاشف له إلا هو وإن يمسسك بخير فهو على كل شيء قدير ۞ وإن يمسسك الله بضر من مرض أو فقر أو غير ذلك من بلاياه فلا قادر على كشفه إلا هو ۞ وإن يمسسك بخير من غنى أو صحة فهو على كل شيء قدير فكان قادرا على إدامته أو إزالته ۞ وهو القاهر فوق عباده وهو الحكيم الخبير ۞ فوق عباده تصوير للقهر والعلو بالغلبة والقدرة كقوله وإنا فوقهم قاهرون ۞ قل أي شيء أكبر شهادة قل الله شهيد بيني وبينكم وأوحي إلي هذا القرآن لأنذركم به ومن بلغ أئنكم لتشهدون أن مع الله آلهة أخرى قل لا أشهد قل إنما هو إله واحد وإنني بريء مما تشركون ۞ الشيء أعم العام لوقوعه على كل ما يصح أن يعلم ويخبر عنه فيقع على القديم والجرم والعرض والمحال والمستقيم ولذلك صح أن يقال في الله تعالى شيء لا كالأشياء كأنك قلت معلوم لا كسائر المعلومات ولا يصح جسم لا كالأجسام وأراد أي شهيد أكبر شهادة فوضع شيئا مقام شهيد ليبالغ بالتعميم ۞ قل الله شهيد بيني وبينكم يحتمل أن يكون تمام الجواب عند قوله قل الله بمعنى الله أكبر شهادة ثم ابتدئ شهيد بيني وبينكم أي هو شهيد بيني وبينكم ۞ وأن يكون الله شهيد بيني وبينكم هو الجواب لدلالته على أن الله إذا كان هو الشهيد بينه وبينهم فأكبر شيء شهادة شهيد له ۞ ومن بلغ عطف على ضمير المخاطبين من أهل مكة أي لأنذركم به وأنذر كل من بلغه القرآن من العرب والعجم وقيل من الثقلين ۞ وقيل من بلغه إلى يوم القيامة ۞ وعن سعيد بن جبير من بلغه القرآن فكأنما رأى محمدا صلى الله عليه وسلم ۞ أئنكم لتشهدون تقرير لهم مع إنكار واستبعاد ۞ قل لا أشهد شهادتكم ۞ الذين آتيناهم الكتاب يعرفونه كما يعرفون أبناءهم الذين خسروا أنفسهم فهم لا يؤمنون ۞ الذين آتيناهم الكتاب يعني اليهود والنصارى ۞ يعرفونه يعرفون رسول الله عليه السلام بحليته ونعته الثابت له في الكتابين معرفة خالصة كما يعرفون أبناءهم بحلاهم ونعوتهم لا يخفون عليهم ولا يلتبسون بغيرهم وهذا استشهاد لأهل مكة بمعرفة أهل الكتاب به وبصحة نبوته ثم قال الذين خسروا أنفسهم من المشركين ومن أهل الكتاب الجاحدين

فهم لا يؤمنون ۝ ومن أظلم ممن افترى على الله كذبا أو كذب بآياته إنه لا يفلح الظالمون
جمعوا بين أمرين متناقضين فكذبوا على الله ما لا حجة عليه وكذبوا بما ثبت بالحجة البينة
والبرهان الصحيح حيث قالوا لو شاء الله ما أشركنا ولا آباؤنا ۝ وقالوا والله أمرنا بها وقالوا
الملائكة بنات الله ۝ وهؤلاء شفعاؤنا عند الله ۝ ونسبوا إليه تحريم البحائر والسوائب
وذهبوا فكذبوا القرآن والمعجزات وسموها سحرا ولم يؤمنوا بالرسول ۝ ويوم نحشرهم
جميعا ثم نقول للذين أشركوا أين شركاؤكم الذين كنتم تزعمون ۝ ويوم نحشرهم
ناصبه محذوف تقديره ويوم نحشرهم كان كيت وكيت فترك ليبقى على الإبهام الذي هو أدخل
في التخويف ۝ أين شركاؤكم أي آلهتكم التي جعلتموها شركاء لله وقوله الذين كنتم تزعمون معناه
تزعمونهم شركاء فحذف المفعولان وقرئ يحشرهم ثم يقول بالياء فيهما وإنما يقال لهم ذلك
على جهة التوبيخ ۝ ويجوز أن يشاهدوهم إلا أنهم حين لا ينفعونهم ولا يكون منهم ما رجوا
من الشفاعة فكأنهم غيب عنهم وأن يحال بينهم وبينهم في وقت التوبيخ ليفقدوهم في
الساعة التي علقوا بهم الرجاء فيها فيروا مكان خزيهم وحسرتهم ۝ ثم لم تكن فتنتهم إلا أن قالوا
والله ربنا ما كنا مشركين ۝ فتنتهم كفرهم والمعنى لم تكن عاقبة كفرهم الذي لزموه أعمارهم
وقاتلوا عليه وافتخروا به وقالوا دين آبائنا إلا جحوده والتبرؤ منه والحلف على الانتفاء من
التدين به ۝ ويجوز أن يراد ثم لم يكن جوابهم إلا أن قالوا فسمي فتنة لأنه كذب وقرئ
يكن بالتاء وفتنتهم بالنصب وإنما أنث أن قالوا لوقوع الخبر مؤنثا كقولهم من كانت أمك ۝
وقرئ بالياء ونصب الفتنة وبالياء والتاء مع رفع الفتنة وقرئ ربنا بالنصب على
النداء ۝ انظر كيف كذبوا على أنفسهم وضل عنهم ما كانوا يفترون ۝ وضل عنهم وغاب
عنهم ما كانوا يفترونه أي يفترون ألوهيته وشفاعته فإن قلت كيف يصح أن يكذبوا
حين يطلعون على حقائق الأمور وعلى أن الكذب والجحود لا وجه له قلت الممتحن ينطق
بما ينفعه وبما لا ينفعه من غير تمييز بينهما حيرة ودهشا ألا تراهم يقولون ربنا أخرجنا
منها فإن عدنا فإنا ظالمون وقد أيقنوا بالخلود ولم يشكوا فيه ۝ وقالوا يا مالك ليقض
علينا ربك وقد علموا أنه لا يقضى عليهم ۝ وأما قول من يقول معناه ما كنا مشركين عند أنفسنا وما
علمنا أنا على خطأ في معتقدنا وحمل قوله انظر كيف كذبوا على أنفسهم يعني في الدنيا فتمحل وتعسف
وتحريف لأفصح الكلام إلى ما هو عي وإقحام لأن المعنى الذي ذهبوا إليه ليس هذا الكلام
بمترجم عنه ولا منطبق عليه وهو ناب عنه أشد النبو وما أدري ما يصنع ذلك بقوله
تعالى يوم يبعثهم الله جميعا فيحلفون له كما يحلفون لكم ويحسبون أنهم على شيء ألا إنهم هم الكاذبون
بعد قوله ويحلفون على الكذب وهم يعلمون فشبه كذبهم في الآخرة بكذبهم في الدنيا ومنهم
من يستمع إليك وجعلنا على قلوبهم أكنة أن يفقهوه وفي آذانهم وقرا وإن يروا كل
آية لا يؤمنوا بها حتى إذا جاءوك يجادلونك يقول الذين كفروا إن هذا إلا أساطير
الأولين ۝ ومنهم من يستمع إليك حين تتلو القرآن روي أنه اجتمع أبو سفيان والوليد
والنضر وعتبة وشيبة وأبو جهل وأضرابهم يستمعون تلاوة رسول الله صلى الله عليه وسلم
فقالوا للنضر يا أبا قتيلة ما يقول محمد فقال والذي جعلها بيته يعني الكعبة ما أدري ما يقول

إلا أنه يحرك لسانه ويقول أساطير الأولين مثل ما حدثتكم عن القرون الماضية فقال أبو سفيان
إني لأراه حقا فقال أبو جهل كلا فنزلت ۝ والأكنة على القلوب والوقر في الآذان مثل في نبو
قلوبهم ومسامعهم عن قبوله واعتقاد صحته ووجه إسناد الفعل إلى ذاته وهو قوله وجعلنا
للدلالة على أنه أمر ثابت فيهم لا يزول عنهم كأنهم مجبولون عليه ۝ أو هي حكاية لما كانوا ينطقون
به من قولهم وفي آذاننا وقر ومن بيننا وبينك حجاب وقرأ طلحة وقرا بكسر الواو ۝ حتى إذا
جاءوك يجادلونك هي حتى التي يقع بعدها الجمل والجملة قوله إذا جاءوك يقول الذين كفروا
ويجادلونك في موضع الحال ۝ ويجوز أن تكون الجارة ويكون إذا جاءوك في محل الجر بمعنى
حتى وقت مجيئهم ويجادلونك حال وقوله يقول الذين كفروا تفسير له والمعنى أنه بلغ تكذيبهم
الآيات إلى أنهم يجادلونك ويناكرونك وفسر مجادلتهم بأنهم يقولون إن هذا إلا أساطير
الأولين فيجعلون كلام الله وأصدق الحديث خرافات وأكاذيب وهي الغاية في التكذيب
وهم ينهون عنه وينأون عنه وإن يهلكون إلا أنفسهم وما يشعرون ۝ وهم ينهون
الناس عن القرآن أو عن الرسول وأتباعه ويثبطونهم عن الإيمان به وينأون عنه بأنفسهم
فيضلون ويضلون ۝ وإن يهلكون بذلك إلا أنفسهم ولا يتعداهم الضرر إلى غيرهم وإن كانوا
يظنون أنهم يضرون رسول الله عليه السلام وقيل هو أبو طالب لأنه كان ينهى
قريشا عن التعرض لرسول الله صلى الله عليه وسلم وينأى عنه فلا يؤمن به وروي أنهم
اجتمعوا إلى أبي طالب وأرادوا برسول الله سوءا فقال

والله لن يصلوا إليك بجمعهم ۝ حتى أوسد في التراب دفينا
فاصدع بأمرك ما عليك غضاضة ۝ وابشر بذاك وقر منه عيونا
ودعوتني وزعمت أنك ناصح ۝ ولقد صدقت وكنت ثم أمينا
وعرضت دينا لا محالة أنه ۝ من خير أديان البرية دينا
لولا الملامة أو حذاري سبة ۝ لوجدتني سمحا بذاك مبينا

فنزلت ولو ترى إذ وقفوا على النار فقالوا يا ليتنا نرد ولا نكذب بآيات ربنا ونكون
من المؤمنين ۝ ولو ترى جوابه محذوف تقديره ولو ترى لرأيت أمرا شنيعا ووقفوا على
النار أروها حتى يعاينوها أو اطلعوا عليها اطلاعا هي تحتهم أو أدخلوها فعرفوا مقدار عذابها
من قولك وقفته على كذا إذا فهمته وعرفته وقرئ وقفوا على البناء للفاعل من وقف
عليه وقوفا يا ليتنا نرد تم تمنيهم ثم ابتدأوا ولا نكذب بآيات ربنا ونكون من المؤمنين
واعدين الإيمان كأنهم قالوا ونحن لا نكذب ونؤمن على وجه الإثبات وشبهه سيبويه
بقولهم دعني ولا أعود بمعنى دعني وأنا لا أعود تركتني أو لم تتركني ۝ ويجوز أن يكون
معطوفا على نرد ۝ أو حالا على معنى يا ليتنا رددنا غير مكذبين وكائنين من المؤمنين فيدخل
تحت حكم التمني فإن قلت يدفع ذلك قوله وإنهم لكاذبون لأن المتمني لا يكون كاذبا
قلت هذا تمن قد تضمن معنى العدة فجاز أن يتعلق به التكذيب كما يقول الرجل ليت
الله يرزقني مالا فأحسن إليك وأكافئك على صنيعك فهذا متمن في معنى الواعد فلو رزق
مالا ولم يحسن إلى صاحبه ولم يكافئه كذب كأنه قال إن رزقني الله مالا كافأتك على الإحسان

وقرئ ولا نكذب ونكون بالنصب باضمار ان على جواب التمني ومعناه ان رددنا لم نكذب
ونكن من المؤمنين ❊ بل بدا لهم ما كانوا يخفون من قبل ولو ردوا لعادوا لما نهوا عنه
وانهم لكاذبون ❊ وقالوا ان هي الا حياتنا الدنيا وما نحن بمبعوثين ❊ بل بدا
لهم ما كانوا يخفون من الناس من قبائحهم وفضائحهم في صحفهم وبشهادة جوارحهم عليهم
فلذلك تمنوا ما تمنوا ضجرا لا انهم عازمون على انهم لو ردوا لآمنوا ❊ وقيل هو في المنافقين
وانه يظهر نفاقهم الذي كانوا يسرونه ❊ وقيل هو في اهل الكتاب وانه يظهر لهم ما كانوا
يخفونه من صحة نبوة رسول الله صلى الله عليه وسلم ولو ردوا الى الدنيا بعد وقوفهم
على النار ❊ لعادوا لما نهوا عنه من الكفر والمعاصي ❊ وانهم لكاذبون فيما وعدوا من
انفسهم لا يفون به ❊ وقالوا عطف على لعادوا اي ولو ردوا لكفروا ولقالوا ان هي الا
حياتنا الدنيا كما كانوا يقولون قبل معاينة القيمة ❊ ويجوز ان يعطف على قوله وانهم
لكاذبون على معنى وانهم لقوم كاذبون في كل شيء وهم الذين قالوا ان هي الا حياتنا الدنيا
وكفى به دليلا على كذبهم ❊ ولو ترى اذ وقفوا على ربهم قال اليس هذا بالحق قالوا بلى
وربنا قال فذوقوا العذاب بما كنتم تكفرون ❊ وقفوا على ربهم مجاز عن الحبس
للتوبيخ والسؤال كما يوقف العبد الجاني بين يدي سيده ليعاتبه ❊ وقيل وقفوا على
جزاء ربهم ❊ وقيل عرفوه حق التعريف قال مردود على قول قائل قال ماذا قال لهم ربهم
اذ وقفوا عليه فقيل قال اليس هذا بالحق وهذا تعيير من الله لهم على التكذيب وقولهم
لما كانوا يسمعون من حديث البعث والجزاء ما هو بحق وما هو الا باطل ❊ بما كنتم تكفرون
بكفركم ❊ قد خسر الذين كذبوا بلقاء الله حتى اذا جاءتهم الساعة بغتة قالوا يا حسرتنا على ما
فرطنا فيها وهم يحملون اوزارهم على ظهورهم الا ساء ما يزرون ❊ بلقاء الله ببلوغ الآخرة
وما يتصل بها ❊ وقد حقق الكلام فيه في موضع آخر ❊ وحتى غاية لكذبوا لا لخسر لان خسرانهم لا غاية
له اي ما زال بهم التكذيب الى حسرتهم وقت مجيء الساعة ❊ فان قلت اما يتحسرون عند موتهم
قلت لما كان الموت وقوعا في احوال الآخرة ومقدماتها جعل من جنس الساعة وسمي باسمها ولذلك
قال رسول الله صلى الله عليه وسلم من مات فقد قامت قيامته ❊ او جعل مجيء الساعة بعد الموت
لسرعته كالواقع بغير فترة ❊ بغتة فجاءة وانتصابها على الحال بمعنى باغتة ❊ او على المصدر كانه
قيل بغتتهم الساعة بغتة ❊ فرطنا فيها الضمير للحيوة الدنيا جيء بضميرها وان لم يجر لها ذكر لكونها
معلومة ❊ او للساعة على معنى قصرنا في شانها وفي الايمان بها كما تقول فرطت في فلان ومنه
فرطت في جنب الله ❊ يحملون اوزارهم على ظهورهم كقوله تعالى فبما كسبت ايديكم
لانه اعتيد حمل الاثقال على الظهور كما الف الكسب بالايدي ❊ ساء ما يزرون بئس شيئا
يزرون وزرهم كقوله تعالى ساء مثلا القوم ❊ وما الحيوة الدنيا الا لعب ولهو وللدار
الآخرة خير للذين يتقون افلا تعقلون ❊ جعل اعمال الدنيا لعبا ولهوا واشتغالا
بما لا يعني ولا يعقب منفعة كما تعقب اعمال الآخرة المنافع العظيمة وقوله للذين يتقون
دليل على ان ما سوى اعمال المتقين لعب ولهو ❊ وقرأ ابن عباس ولدار الآخرة ❊ وقرئ
تعقلون بالياء والتاء ❊ قد نعلم انه ليحزنك الذي يقولون فانهم لا يكذبونك ولكن

الظالمين

الظالمين بآيات الله يجحدون ❊ قد في قد نعلم بمعنى ربما الذي تجيء لزيادة الفعل وكثرته
كقوله ولكنه قد يهلك المال نائله ❊ والهاء في انه ضمير الشأن ليحزنك قرئ
بفتح الياء وضمها ❊ والذي يقولون هو قولهم ساحر كذاب ❊ لا يكذبونك قرئ بالتشديد
والتخفيف من كذبه اذا جعله كاذبا في زعمه واكذبه اذا وجده كاذبا والمعنى ان تكذيبك
امر راجع الى الله لانك رسوله المصدق بالمعجزات فهم لا يكذبونك في الحقيقة وانما يكذبون
الله بجحود آياته فانته عن حزنك لنفسك وانهم كذبوك وانت صادق وليشغلك عن ذلك
ما هو اهم وهو استعظامك لجحود آيات الله والاستهانة بكتابه ونحوه قول السيد لغلامه
ان هم يهينوك فانما اهانوني ❊ ومن هذه الطريقة قوله تعالى ان الذين يبايعونك انما
يبايعون الله ❊ وقيل فانهم لا يكذبونك بقلوبهم ولكنهم يجحدون بالسنتهم ❊ وقيل فانهم
لا يكذبونك لانك عندهم الصادق الموسوم بالصدق ولكنهم يجحدون بآيات الله ❊
وعن ابن عباس رضي الله عنهما كان رسول الله عليه السلام يسمى الامين فعرفوا انه لا
يكذب في شيء ولكنهم يجحدون بآيات الله وكان ابو جهل يقول ما نكذبك وانك عندنا
لصدوق وانما نكذب ما جئتنا به وروي ان الاخنس بن شريق قال لابي جهل يا ابا الحكم
اخبرني عن محمد اصادق هو ام كاذب فانه ليس عندنا احد غيرنا فقال له والله ان محمدا
لصادق وما كذب قط ولكن اذا ذهب بنو قصي باللواء والسقاية والحجابة والنبوة فما
ذا يكون لسائر قريش فنزلت ❊ وقوله ولكن الظالمين من اقامة الظاهر مقام المضمر
للدلالة على انهم ظلموا في جحودهم ❊ ولقد كذبت رسل من قبلك فصبروا على ما كذبوا
واوذوا حتى اتاهم نصرنا ولا مبدل لكلمات الله ولقد جاءك من نبإ المرسلين ❊ ولقد
كذبت تسلية لرسول الله عليه السلام وهذا دليل على ان قوله فانهم لا يكذبونك ليس بنفي
لتكذيبه وانما هو من قولك لغلامك ما اهانوك ولكنهم اهانوني ❊ على ما كذبوا واوذوا
على تكذيبهم وايذائهم ولا مبدل لكلمات الله لمواعيده من قوله ولقد سبقت كلمتنا
لعبادنا المرسلين انهم لهم المنصورون ❊ ولقد جاءك من نبإ المرسلين بعض انبائهم وقصصهم
وما كابدوا من مصابرة المشركين ❊ وان كان كبر عليك اعراضهم فان استطعت ان
تبتغي نفقا في الارض او سلما في السماء فتأتيهم بآية ولو شاء الله لجمعهم على الهدى
فلا تكونن من الجاهلين ❊ كان يكبر على النبي صلى الله عليه وسلم كفر قومه واعراضهم
عما جاء به فنزل لعلك باخع نفسك ❊ انك لا تهدي من احببت ❊ وان كان كبر عليك
اعراضهم فان استطعت ان تبتغي نفقا منفذا تنفذ فيه الى ما تحت الارض حتى تطلع
لهم آية يؤمنون بها ❊ او سلما في السماء فتأتيهم بآية فافعل يعني انك لا تستطيع ذلك
والمراد بيان حرصه على اسلام قومه وتهالكه عليه وانه لو استطاع ان يأتيهم بآية من
تحت الارض او من فوق السماء لاتى بها رجاء ايمانهم ❊ وقيل كانوا يقترحون الآيات
فكان يود ان يجابوا اليها لتمادي حرصه على ايمانهم ❊ فقيل له ان استطعت كذا فافعل
دلالة على انه بلغ من حرصه انه لو استطاع ذلك لفعله حتى يأتيهم بما اقترحوا لعلهم يؤمنون
ويجوز ان يكون ابتغاء النفق في الارض او السلم في السماء هو الاتيان بالآية كانه قيل

لو استطعت النفوذ الى ما تحت الارض او الرقي في السماء لعلّ ذلك يكون لك آية يؤمنون عندها وحذف جوابه كما تقول ان شئت ان تقوم بنا الى فلان نزوره ولو شاء الله لجمعهم على الهدى بان يأتيهم بآية ملجئة ولكنه لا يفعل لخروجه عن الحكمة فلا تكونن من الجاهلين من الذين يجهلون ذلك ويرومون ما هو خلافه انما يستجيب الذين يسمعون والموتى يبعثهم الله ثم اليه يرجعون انما يستجيب الذين يسمعون يعني ان الذين تحرص على ان يصدقوك بمنزلة الموتى الذين لا يسمعون وانما يستجيب من يسمع كقوله تعالى انك لا تسمع الموتى والموتى يبعثهم الله مثل لقدرته على الجائهم الى الاستجابة بانه هو الذي يبعث الموتى من القبور يوم القيمة ثم اليه يرجعون للجزاء فكان قادرا على هؤلاء الموتى بالكفران يحييهم بالايمان وانت لا تقدر على ذلك وقيل معناه وهؤلاء الموتى يعني الكفرة يبعثهم الله ثم اليه يرجعون فحينئذ يسمعون واما قبل ذلك فلا سبيل الى استماعهم وقرئ يرجعون بالياء وقالوا لولا نزل عليه آية من ربه قل ان الله قادر على ان ينزل آية ولكن اكثرهم لا يعلمون لولا نزل عليه آية نزل بمعنى انزل وقرئ ان ينزل بالتشديد والتخفيف وذكر الفعل والفاعل مؤنث لان تأنيث آية غير حقيقي وحسن للفصل وانما قالوا ذلك مع تكاثر ما انزل من الآيات على رسول الله صلى الله عليه وسلم لتركهم الاعتداد بما انزل عليه كانه لم ينزل عليه شيء من الآيات عنادا منهم قل ان الله قادر على ان ينزل آية تضطرهم الى الايمان كنتق الجبل على بني اسرائيل ونحوه او آية ان جحدوها جاءهم العذاب ولكن اكثرهم لا يعلمون ان الله قادر على ان ينزل تلك الآية وان صارفا من الحكمة يصرفه عن انزالها وما من دابة في الارض ولا طائر يطير بجناحيه الا امم امثالكم ما فرطنا في الكتاب من شيء ثم الى ربهم يحشرون امم امثالكم مكتوبة ارزاقها وآجالها واعمالها كما كتبت ارزاقكم وآجالكم واعمالكم ما فرطنا ما تركنا وما اغفلنا في الكتاب في اللوح المحفوظ من شيء لم نكتبه ولم نثبت ما وجب ان يثبت مما يختص به ثم الى ربهم يحشرون يعني الامم كلها من الدواب والطير فيعوضها وينصف بعضها من بعض كما روي انه يأخذ للجماء من القرناء فان قلت كيف قيل الا امم مع افراد الدابة والطائر قلت لما كان قوله وما من دابة ولا طائر دالا على معنى الاستغراق ومغنيا عن ان يقال وما من دواب ولا طير حمل قوله الا امم على المعنى فان قلت هلا قيل وما من دابة ولا طائر الا امم امثالكم وما معنى زيادة قوله في الارض ويطير بجناحيه قلت معنى ذلك زيادة التعميم والاحاطة كانه قيل وما من دابة قط في جميع الارضين السبع وما من طائر قط في جو السماء من جميع ما يطير بجناحيه الا امم امثالكم محفوظة احوالها غير مهمل امرها فان قلت فما الغرض في ذكر ذلك قلت الدلالة على عظم قدرته ولطف علمه وسعة سلطانه وتدبيره تلك الخلائق المتفاوتة الاجناس المتكاثرة الاصناف وهو حافظ لما لها وما عليها مهيمن على احوالها لا يشغله شأن عن شأن وان المكلفين ليسوا بمخصوصين بذلك دون من عداهم من سائر الحيوان وقرأ ابن ابي عبلة ولا طائر بالرفع على المحل كانه قيل وما دابة ولا طائر وقرأ علقمة ما فرطنا بالتخفيف والذين كذبوا بآياتنا صم وبكم في الظلمات من يشأ الله يضلله ومن يشأ يجعله على صراط مستقيم

فان قلت كيف اتصل قوله والذين كذبوا بآياتنا قلت لما ذكر من خلائقه وآثار قدرته ما يشهد لربوبيته وينادي على عظمته قال والمكذبون صم لا يسمعون كلام المنبه بكم لا ينطقون بالحق خابطون في ظلمات الكفر فهم غافلون عن تأمل ذلك والتفكر فيه ثم قال ايذانا بانهم من اهل الطبع من يشأ الله يضلله اي يخذله ويخليه وضلاله لم يلطف به لانه ليس من اهل اللطف ومن يشأ يجعله على صراط مستقيم اي يلطف به لان اللطف يجدي عليه قل أرأيتكم ان اتاكم عذاب الله او اتتكم الساعة أغير الله تدعون ان كنتم صادقين بل اياه تدعون فيكشف ما تدعون اليه ان شاء وتنسون ما تشركون أرأيتكم اخبروني والضمير الثاني لا محل له من الاعراب لانك تقول أرأيتك زيدا ما شأنه فلو جعلت للكاف محلا لكنت كانك تقول أرأيت نفسك زيدا ما شأنه وهو خلف من القول ومتعلق الاستخبار محذوف تقديره أرأيتكم ان اتاكم عذاب الله او اتتكم الساعة من تدعون ثم بكّتهم بقوله أغير الله تدعون بمعنى أتخصون آلهتكم بالدعوة فيما هو عادتكم اذا اصابكم ضر ام تدعون الله دونها بل اياه تدعون بل تخصونه بالدعاء دون الآلهة فيكشف ما تدعون اليه اي ما تدعونه الى كشفه ان شاء ان اراد ان يتفضل عليكم ولم يكن مفسدة وتنسون ما تشركون وتتركون آلهتكم ولا تذكرونها في ذلك الوقت لان اذهانكم مغمورة بذكر ربكم وحده اذ هو القادر على كشف الضر دون غيره ويجوز ان يتعلق الاستخبار بقوله أغير الله تدعون كانه قيل أرأيتكم أغير الله تدعون ان اتاكم عذاب الله فان قلت ان علقت الاستخبار به فما تصنع بقوله فيكشف ما تدعون اليه مع قوله او اتتكم الساعة وقوارع الساعة لا تكشف عن المشركين قلت قد اشترط في الكشف المشيئة وهو قوله ان شاء ايذانا بانه ان فعل كان له وجه من الحكمة الا انه لا يفعل لوجه آخر من الحكمة ارجح منه ولقد ارسلنا الى امم من قبلك فاخذناهم بالبأساء والضراء لعلهم يتضرعون البأساء والضراء البؤس والضر وقيل البأساء القحط والجوع والضراء المرض ونقصان الانفس والاموال والمعنى ولقد ارسلنا اليهم الرسل فكذبوهم فاخذناهم لعلهم يتضرعون يتذللون ويتخشعون لربهم ويتوبون عن ذنوبهم فلولا اذ جاءهم بأسنا تضرعوا ولكن قست قلوبهم وزين لهم الشيطان ما كانوا يعملون فلولا اذ جاءهم بأسنا تضرعوا معناه نفي التضرع كانه قيل فلم يتضرعوا اذ جاءهم بأسنا ولكنه جاء بلولا ليفيد انه لم يكن لهم عذر في ترك التضرع الا عنادهم وقسوة قلوبهم واعجابهم باعمالهم التي زينها الشيطان لهم فلما نسوا ما ذكروا به فتحنا عليهم ابواب كل شيء حتى اذا فرحوا بما اوتوا اخذناهم بغتة فاذا هم مبلسون فقطع دابر القوم الذين ظلموا والحمد لله رب العالمين فلما نسوا ما ذكروا به من البأساء والضراء اي تركوا الاتعاظ به ولم ينجع فيهم ولم يزجرهم فتحنا عليهم ابواب كل شيء من الصحة والسعة وصنوف النعمة ليزاوج عليهم بين نوبتي الضراء والسراء كما يفعل الاب المشفق بولده يخاشنه تارة ويلاطفه اخرى طلبا للصلاح حتى اذا فرحوا بما اوتوا من الخير والنعم لم يزيدوا على الفرح والبطر من غير انتداب للشكر ولا تصد للتوبة والاعتذار اخذناهم بغتة فاذا هم مبلسون واجمون

ايبون محشورون . فقطع دابر القوم اخرهم لم يترك منهم احد قد استؤصلت شأفتهم والحمد
لله رب العالمين ايذان بوجوب الحمد لله عند هلاك الظلمة وانه من اجل النعم واجزل
القسم وقرئ فقطع بالتشديد . قل ارأيتم ان اخذ الله سمعكم وابصاركم وختم
على قلوبكم من اله غير الله يأتيكم به انظر كيف نصرف الآيات ثم هم يصدفون .
ان اخذ الله سمعكم وابصاركم بان يصمكم ويعميكم . وختم على قلوبكم بان يغطي عليها ما يذهب
عنده فهمكم وعقلكم . يأتيكم به اي يأتيكم بذلك اجرا للضمير مجرى اسم الاشارة . او بما اخذ وختم
عليه . يصدفون يعرضون عن الآيات بعد ظهورها . قل ارأيتكم ان اتاكم عذاب الله
بغتة او جهرة هل يهلك الا القوم الظالمون . لما كانت البغتة ان يقع الامر من
غير ان يشعر به وتظهر اماراته قيل بغتة او جهرة وعن الحسن ليلا او نهارا وقرئ
بغتة او جهرة . هل يهلك اي ما يهلك هلاك تعذيب وسخط الا الظالمون وقرئ
هل يهلك بفتح الياء . وما نرسل المرسلين الا مبشرين ومنذرين فمن آمن واصلح فلا خوف عليهم
ولا هم يحزنون . والذين كذبوا بآياتنا يمسهم العذاب بما كانوا يفسقون . الا
مبشرين ومنذرين من آمن بهم وبما جاءوا به واطاعهم ومن كذبهم وعصاهم ولم نرسلهم ليقترح
بهم ويقترح عليهم الآيات بعد وضوح امرهم بالبراهين القاطعة . واصلح ما يجب اصلاحه
مما كلفه . جعل العذاب ماسا كأنه حي يفعل بهم ما يريد من الآلام . ومنه قولهم لقيت منه
الامرين والاقورين حيث جمعوا جمع العقلاء وقوله تعالى اذا رأتهم من مكان
بعيد سمعوا لها تغيظا وزفيرا . قل لا اقول لكم عندي خزائن الله ولا اعلم الغيب ولا
اقول لكم اني ملك ان اتبع الا ما يوحى الي قل هل يستوي الاعمى والبصير افلا تتفكرون
اي لا ادعي ما يستبعد في العقول ان يكون لبشر من ملك خزائن الله وهي قسمه بين الخلق وارزاقه
وعلم الغيب واني من الملائكة الذين هم اشرف جنس خلقه الله وافضله واقربه منزلة
منه اي لم ادع الالهية والملكية لانه ليس بعد الالهية منزلة ارفع من منزلة الملائكة
حتى تستبعدوا دعواي وتستنكروها وانما ادعي ما كان مثله لكثير من البشر وهو النبوة
هل يستوي الاعمى والبصير مثل للضال والمهتدي . ويجوز ان يكون مثلا لمن اتبع ما يوحى
اليه ومن لم يتبع . او لمن ادعى المستقيم وهو النبوة . والمحال وهو الالهية او الملكية
افلا تتفكرون فلا تكونوا ضالين اشباه العميان . او فتعلموا اني ما ادعيت ما لا يليق بالبشر
او فتعلموا ان اتباع ما يوحى الي مما لا بد لي منه فان قلت اعلم الغيب ما محله من الاعراب
قلت النصب عطفا على محل قوله عندي خزائن الله لانه من جملة المقول كأنه قال لا
اقول لكم هذا القول ولا هذا القول . وانذر به الذين يخافون ان يحشروا الى ربهم
ليس لهم من دونه ولي ولا شفيع لعلهم يتقون . وانذر به الضمير راجع الى قوله ما يوحى الي
الذين يخافون ان يحشروا هم قوم داخلون في الاسلام مقرون بالبعث الا انهم مفرطون
في العمل فينذرهم بما اوحي اليه لعلهم يتقون اي يدخلون في زمرة اهل التقوى من المسلمين
واما اهل الكتاب لانهم مقرون بالبعث . واما ناس من المشركين علم من حالهم انهم يخافون
اذا سمعوا بحديث البعث ان يكون حقا فيهلكوا فهم ممن يرجى ان ينجع فيهم الانذار دون المتمردين

منهم فأمر ان ينذر هؤلاء وقوله ليس لهم من دونه ولي ولا شفيع في موضع الحال من يحشروا
بمعنى يخافون ان يحشروا غير منصورين ولا مشفوعا لهم ولا بد من هذه الحال لان كلا
محشور فالمخوف انما هو الحشر على هذه الحال . ولا تطرد الذين يدعون ربهم بالغداة والعشي
يريدون وجهه ما عليك من حسابهم من شيء وما من حسابك عليهم من شيء فتطردهم فتكون
من الظالمين . ذكر غير المتقين من المسلمين وامر بانذارهم ليتقوا ثم اردفهم ذكر المتقين منهم
وامره بتقريبهم واكرامهم وان لا يطيع فيهم من اراد بهم خلاف ذلك واثنى عليهم بانهم
يواصلون دعاء ربهم اي عبادته ويواظبون عليها . والمراد بذكر الغداة والعشي الدوام
وقيل معناه يصلون صلاة الصبح والعصر ووصفهم بالاخلاص في عبادتهم بقوله يريدون
وجهه والوجه يعبر به عن ذات الشيء وحقيقته روي ان رؤساء من المشركين قالوا
لرسول الله عليه السلام لو طردت هؤلاء الاعبد يعنون فقراء المسلمين وهم عمار وصهيب
وخباب وسلمان رضي الله عنهم واضرابهم وارواح جبابهم وكانت عليهم جباب من صوف
جلسنا اليك وحادثناك فقال صلى الله عليه وسلم ما انا بطارد المؤمنين فقالوا فاقمهم
عنا اذا جئنا فاذا قمنا فاقعدهم معك ان شئت فقال صلى الله عليه وسلم نعم طمعا في ايمانهم
وروي ان عمر رضي الله قال له لو فعلت حتى ننظر الى ما ذا يصيرون قالوا فاكتب بذلك كتابا
فدعا بالصحيفة وبعلي رضي الله عنه ليكتب فنزلت فرمى بالصحيفة واعتذر عمر رضي الله عنه
من مقالته قال سلمان رضي الله عنه وخباب فينا نزلت فكان رسول الله عليه السلام
يقعد معنا ويدنو منا وندنو منه حتى تمس ركبنا ركبته وكان يقوم عنا اذا اراد القيام
فنزلت واصبر نفسك مع الذين يدعون ربهم فترك القيام عنا الى ان نقوم عنه وقال
الحمد لله الذي لم يمتني حتى امرني ان اصبر نفسي مع قوم من امتي معكم المحيا ومعكم الممات ما
عليك من حسابهم من شيء كقوله تعالى ان حسابهم الا على ربي . وذلك انهم طعنوا في دينهم
واخلاصهم فقال ما عليك من حسابهم من شيء بعد شهادته لهم بالاخلاص وبارادة وجه
الله في اعمالهم على معنى وان كان الامر على ما يقولون عند الله فما يلزمك الا اعتبار الظاهر والا[تسام]
بسيرة المتقين وان كان لهم باطن غير مرضي فحسابهم عليهم لازم لهم لا يتعدى اليك كما ان
حسابك عليك لا يتعدى اليهم كما قال تعالى ولا تزر وازرة وزر اخرى فان قلت اما
كفى قوله ما عليك من حسابهم من شيء حتى ضم اليه وما من حسابك عليهم من شيء قلت
قد جعلت الجملتان بمنزلة جملة واحدة وقصد بهما مؤدى واحد وهو المعنى في قوله ولا
تزر وازرة وزر اخرى ولا يستقل بهذا المعنى الا الجملتان جميعا كأنه قيل لا تؤاخذ انت
ولا هم بحساب صاحبه . وقيل الضمير للمشركين والمعنى لا يؤاخذون بحسابك ولا انت
بحسابهم حتى يهمك ايمانهم ويحركك الحرص عليه الى ان تطرد المؤمنين . فتطردهم جواب
النفي فتكون من الظالمين جواب النهي ويجوز ان يكون عطفا على فتطردهم على وجه
التسبب لان كونه ظالما مسبب عن طردهم وقرئ بالغدوة والعشي . وكذلك
فتنا بعضهم ببعض ليقولوا أهؤلاء من الله عليهم من بيننا أليس الله باعلم بالشاكرين
وكذلك فتنا ومثل ذلك الفتن العظيم فتنا بعض الناس ببعض اي ابتليناهم بهم وذلك ان

المشركين كانوا يقولون للمسلمين اهولاء الذين من الله عليهم من بيننا اى انعم عليهم بالتوفيق
لاصابة الحق ولما يسعدهم عنده من دوننا ونحن المقدمون والرؤساء وهم العبيد والفقراء انكارا
لان يكون امثالهم على الحق وممنونا عليهم من بينهم بالخير ونحوه أألقي الذكر عليه من بيننا لو
كان خيرا ما سبقونا اليه ومعنى فتناهم ليقولوا ذلك خذلناهم فافتتنوا حتى كان افتتانهم
سببا لهذا القول لانه لا يقول مثل قولهم هذا الا مخذول مفتون اليس الله باعلم بالشاكرين
اى الله اعلم بمن يقع منه الايمان والشكر فيوفقه للايمان وبمن يصمم على كفره فيخذله ويمنعه
التوفيق ⊙ واذا جاءك الذين يؤمنون باياتنا فقل سلام عليكم كتب ربكم على نفسه الرحمة
انه من عمل منكم سوءا بجهالة ثم تاب من بعده واصلح فانه غفور رحيم ⊙ وكذلك
نفصل الايات ولتستبين سبيل المجرمين ⊙ فقل سلام عليكم اما ان يكون امرا بتبليغ سلام
الله اليهم واما ان يكون امرا بان يبدأهم بالسلام اكراما لهم وتطييبا لقلوبهم وكذلك
قوله كتب ربكم على نفسه الرحمة من جملة ما يقول لهم ليبشرهم بسعة رحمة الله وقبوله
التوبة منهم وقرئ انه فانه بالكسر على الاستيناف كان الرحمة استفسرت فقيل انه من
عمل منكم وبالفتح على الابدال من الرحمة بجهالة فى موضع الحال اى عمله وهو جاهل وفيه
معنيان احدهما انه فاعل فعل الجهلة لان من عمل ما يؤدى الى الضرر فى العاقبة وهو عالم
بذلك او ظان فهو من اهل السفه والجهل لا من اهل الحكمة والتدبير ومنه قول
الشاعر على انها قالت عشية زرتها ⊙ جهلت على عمد ولم تك جاهلا ⊙ والثانى انه
جاهل بما يتعلق به من المكروه والمضرة ومن حق الحكيم ان لا يقدم على شىء حتى يعلم حاله
وكيفيته وقيل انها نزلت فى عمر رضى الله عنه حين اشار باجابة الكفرة الى ما سالوا ولم
يعلم انها مفسدة وقرئ وليستبين بالياء والتاء مع رفع السبيل لانها تذكر وتؤنث
وبالتاء على خطاب الرسول صلى الله عليه وسلم مع نصب السبيل يقال استبان الامر وتبين
واستبنته وتبينته والمعنى ومثل ذلك التفصيل البين نفصل ايات القرآن ونلخصها فى صفة
احوال المجرمين من هو مطبوع على قلبه لا يرجى اسلامه ومن يرى فيه امارة القبول وهو الذى
يخاف اذا سمع ذكر القيامة ومن دخل فى الاسلام الا انه لا يحفظ حدوده ولتستوضح سبيلهم
فتعامل كلا منهم بما يجب ان يعامل به فصلنا ذلك التفصيل ⊙ قل انى نهيت ان اعبد الذين
تدعون من دون الله قل لا اتبع اهواءكم قد ضللت اذا وما انا من المهتدين ⊙ نهيت
صرفت وزجرت بما ركب فى من ادلة العقل وبما اوتيت من ادلة السمع عن عبادة ما تعبدون
من دون الله وفيه استجهال لهم ووصف بالاقتحام فيما كانوا فيه على غير بصيرة قل لا اتبع
اهواءكم اى لا اجرى فى طريقتكم التى سلكتموها فى دينكم من اتباع الهوى دون اتباع الدليل
وهو بيان للسبب الذى منه وقعوا فى الضلال وتنبيه لكل من اراد اصابة الحق ومجانبة
الباطل قد ضللت اذا اى ان اتبعت اهواءكم فانا ضال وما انا من الهدى فى شىء يعنى انكم
كذلك قل انى على بينة من ربى وكذبتم به ما عندى ما تستعجلون به ان الحكم الا لله يقض
الحق وهو خير الفاصلين قل لو ان عندى ما تستعجلون به لقضى الامر بينى وبينكم
والله اعلم بالظالمين ⊙ ولما نفى ان يكون الهوى متبعا نبه على ما يجب اتباعه بقوله قل انى على

بينة

بينة من ربى ومعنى قوله انى على بينة من ربى وكذبتم به اى من معرفة ربى وانه لا معبود
سواه على حجة واضحة وشاهد صدق وكذبتم به انتم حيث اشركتم به غيره يقال انا على بينة
من هذا الامر وانا على يقين منه اذا كان ثابتا عندك بدليل ثم عقبه بما دل به على انتفاء
تكذيبهم بالله وشدة غضبه عليهم لذلك وانهم احقاء بان يغافصوا بالعذاب المستأصل
فقال ما عندى ما تستعجلون به يعنى العذاب الذى استعجلوه فى قولهم فامطر علينا حجارة
من السماء ان الحكم الا لله فى تاخير عذابكم يقضى الحق اى القضاء الحق فى كل ما يقضى من
التاخير والتعجيل فى اقسامه وهو خير الفاصلين اى القاضين وقرئ يقص الحق اى
يتبع الحق والحكمة فيما يحكم به ويقدره من قص اثره لو ان عندى اى فى قدرتى وامكانى
ما تستعجلون به من العذاب لقضى الامر بينى وبينكم لاهلكتكم عاجلا غضبا لربى
وامتعاضا من تكذيبكم به ولتخلصت منكم سريعا والله اعلم بالظالمين وبما يجب فى
الحكمة من كنه عقابهم وقيل على بينة من ربى على حجة من جهة ربى وهى القرآن وكذبتم به اى
بالبينة وذكر الضمير على تاويل البيان او القرآن فان قلت بم انتصب الحق قلت بانه
صفة لمصدر يقضى اى يقضى القضاء الحق ويجوز ان يكون مفعولا به من قولهم قضى الدرع
اذا صنعها اى يصنع الحق ويدبره وفى قراءة عبد الله يقضى بالحق فان قلت لم
اسقطت الياء فى الخط قلت اتباعا للخط اللفظ وسقوطها فى اللفظ لالتقاء الساكنين
وعنده مفاتح الغيب لا يعلمها الا هو ويعلم ما فى البر والبحر وما تسقط من ورقة
الا يعلمها ولا حبة فى ظلمات الارض ولا رطب ولا يابس الا فى كتاب مبين ⊙ جعل للغيب
مفاتح على طريق الاستعارة لان المفاتح يتوصل بها الى ما فى المخازن المستوثق منها بالاغلاق
والاقفال ومن علم مفاتحها وكيف يفتح توصل اليها فاراد انه هو المتوصل الى المغيبات وحده
لا يتوصل اليها غيره كمن عنده مفاتح اقفال المخازن ويعلم فتحها فهو المتوصل الى ما فى المخازن
والمفاتح جمع مفتح وهو المفتاح وقرئ مفاتيح وقيل هى جمع مفتح بفتح الميم وهو المخزن
ولا حبة ولا رطب ولا يابس عطف على ورقة وداخل فى حكمها كانه قيل وما يسقط من شىء من هذه
الاشياء الا يعلمه وقوله الا فى كتاب مبين كالتكرير لقوله الا يعلمها لان معنى الا يعلمها
ومعنى الا فى كتاب مبين واحد والكتاب المبين علم الله او اللوح وقرئ ولا
حبة ولا رطب ولا يابس بالرفع وفيه وجهان ان يكون عطفا على محل من ورقة وان
يكون رفعا على الابتداء وخبره الا فى كتاب مبين كقولك لا رجل منهم ولا امراة الا فى
الدار ⊙ وهو الذى يتوفاكم بالليل ويعلم ما جرحتم بالنهار ثم يبعثكم فيه ليقضى اجل
مسمى ثم اليه مرجعكم ثم ينبئكم بما كنتم تعملون ⊙ وهو الذى يتوفاكم بالليل الخطاب
للكفرة اى انتم منسدحون الليل كله كالجيف ويعلم ما جرحتم بالنهار ما كسبتم من الاثام
فيه ثم يبعثكم فيه ثم يبعثكم من القبور فى شان ذلك الذى قطعتم به اعماركم من النوم
بالليل وكسب الاثام بالنهار ومن اجله كقولك فيم دعوتنى فيقول فى امر كذا ليقضى اجل
مسمى وهو الاجل الذى سماه وضربه لبعث الموتى وجزائهم على اعمالهم ثم اليه مرجعكم
الى موقف حسابه ثم ينبئكم بما كنتم تعملون فى ليلكم ونهاركم وهو القاهر فوق

عباده ويرسل عليكم حفظة حتى إذا جاء أحدكم الموت توفته رسلنا وهم لا يفرطون
حفظة ملائكة حافظين لأعمالكم وهم الكرام الكاتبون وعن أبي حاتم السجستاني أنه كان
يكتب عن الأصمعي كل شيء يلفظ به من فوائد العلم حتى قال فيه أنت شبيه الحفظة تكتب
لغط اللفظة فقال أبو حاتم وهذا أيضاً مما يكتب فإن قلت الله تعالى غني بعلمه عن
كتبة الملائكة فما فائدتها قلت فيها لطف للعباد لأنهم إذا علموا أن الله رقيب عليهم
والملائكة الذين هم أشرف خلقه موكلون بهم يحفظون عليهم أعمالهم ويكتبونها عليهم
في صحائف تعرض على رؤوس الأشهاد في مواقف القيامة كان ذلك أزجر لهم عن القبيح وأبعد
من السوء توفته رسلنا أي استوفت روحه وهم ملك الموت وأعوانه وعن مجاهد
جعلت الأرض له مثل الطست يتناول من يتناوله وما من أهل بيت إلا ويطوف عليهم
في كل يوم مرتين وقرئ توفاه ويجوز أن يكون ماضياً ومضارعاً بمعنى تتوفاه ويفرطون
بالتشديد والتخفيف فالتفريط التواني والتأخير عن الحد والإفراط مجاوزة الحد أي
لا ينقصون مما أمروا به ولا يزيدون فيه ثم ردوا إلى الله مولاهم الحق ألا له الحكم
وهو أسرع الحاسبين ردوا إلى الله أي إلى حكمه وجزائه مولاهم مالكهم الذي يلي
عليهم أمورهم الحق العدل الذي لا يحكم إلا بالحق ألا له الحكم يومئذ لا حكم فيه لغيره
وهو أسرع الحاسبين لا يشغله حساب عن حساب وقرئ الحق بالنصب على المدح كقولك
الحمد لله الحق قل من ينجيكم من ظلمات البر والبحر تدعونه تضرعاً وخفية لئن أنجيتنا
من هذه لنكونن من الشاكرين قل الله ينجيكم منها ومن كل كرب ثم أنتم تشركون
ظلمات البر والبحر مجاز عن مخاوفهما وأهوالهما يقال لليوم الشديد يوم مظلم ويوم ذو
كواكب أي اشتدت ظلمته حتى عاد كالليل ويجوز أن يراد ما يشفون عليه من الخسف في
البر والغرق في البحر بذنوبهم فإذا دعوا وتضرعوا كشف الله عنهم الخسف والغرق فنجوا من
ظلماتهما لئن أنجيتنا على إرادة القول من هذه من هذه الظلمة والشدة وقرئ
ينجيكم بالتخفيف والتشديد وأنجانا وخفية بالضم والكسر قل هو القادر على أن
يبعث عليكم عذاباً من فوقكم أو من تحت أرجلكم أو يلبسكم شيعاً ويذيق بعضكم
بأس بعض انظر كيف نصرف الآيات لعلهم يفقهون هو القادر هو الذي عرفتموه
قادراً وهو الكامل القدرة عذاباً من فوقكم كما أمطر على قوم لوط وعلى أصحاب الفيل الحجارة
وأرسل على قوم نوح الطوفان أو من تحت أرجلكم كما أغرق فرعون وخسف بقارون
وقيل من فوقكم من قبل أكابركم وسلاطينكم ومن تحت أرجلكم من قبل سفلتكم وعبيدكم
وقيل هو حبس المطر والنبات أو يلبسكم شيعاً أو يخلطكم فرقاً مختلفين على أهواء شتى كل
فرقة منكم مشايعة لإمام ومعنى خلطهم أن ينشب القتال بينهم فيختلطوا ويشتبكوا
في ملاحم القتال من قوله وكتيبة لبستها بكتيبة حتى إذا التبست نفضت لها يدي
وعن النبي صلى الله عليه وسلم سألت الله أن لا يبعث على أمتي عذاباً من فوقهم أو من تحت أرجلهم
فأعطاني ذلك وسألته أن لا يجعل بأسهم بينهم فمنعني وأخبرني جبريل عليه السلام أن
فناء أمتي بالسيف وعن جابر بن عبد الله رضي الله عنه لما نزل من فوقكم قال النبي صلى

الله عليه

الله عليه وسلم أعوذ بوجهك فلما نزل أو من تحت أرجلكم أو يلبسكم شيعاً قال هاتان أهون ومعنى
الآية الوعيد بأحد أصناف العذاب المعدودة وكذب به قومك وهو الحق قل لست
عليكم بوكيل لكل نبإ مستقر وسوف تعلمون والضمير في قوله وكذب به راجع إلى العذاب
وهو الحق أي لا بد أن ينزل بهم قل لست عليكم بوكيل بحفيظ وكل إلي أمركم أمنعكم من التكذيب
إجباراً إنما أنا منذر لكل نبإ لكل شيء ينبأ به يعني أنباءهم بأنهم يعذبون وإيعادهم به مستقر
وقت استقرار وحصول لا بد منه وقيل الضمير في به للقرآن وإذا رأيت الذين يخوضون
في آياتنا فأعرض عنهم حتى يخوضوا في حديث غيره وإما ينسينك الشيطان فلا تقعد
بعد الذكرى مع القوم الظالمين يخوضون في آياتنا في الاستهزاء بها والطعن فيها وكانت
قريش في أنديتهم يفعلون ذلك فأعرض عنهم فلا تجالسهم وقم عنهم حتى يخوضوا في حديث
غيره فلا بأس أن تجالسهم حينئذ وإما ينسينك الشيطان وإن شغلك بوسوسته حتى
تنسى النهي عن مجالستهم فلا تقعد معهم بعد الذكرى بعد أن تذكر النهي وقرئ ينسينك
بالتشديد ويجوز أن يراد وإن كان الشيطان ينسينك قبل النهي قبح مجالسة المستهزئين لأنها
مما تنكره العقول فلا تقعد بعد الذكرى بعد أن ذكرناك قبحها ونبهناك عليه معهم وما على
الذين يتقون من حسابهم من شيء ولكن ذكرى لعلهم يتقون وما على الذين يتقون من
حسابهم من شيء وما يلزم المتقين الذين يجالسونهم شيء مما يحاسبون عليه من ذنوبهم ولكن
عليهم أن يذكروهم ذكرى إذا سمعوهم يخوضون بالقيام عنهم وإظهار الكراهة لهم وموعظتهم
لعلهم يتقون لعلهم يجتنبون الخوض حياء أو كراهة لمساءتهم ويجوز أن يكون الضمير للذين يتقون
أي يذكرونهم إرادة أن يثبتوا على تقواهم ويزدادوها وروي أن المسلمين قالوا لئن كنا نقوم
كلما استهزؤوا لم نستطع أن نجلس في المسجد الحرام وأن نطوف فرخص لهم فإن قلت ما محل ذكرى
قلت يجوز أن يكون نصباً على ولكن يذكرونهم ذكرى أي تذكيراً أو رفعاً على ولكن عليهم ذكرى
ولا يجوز أن يكون عطفاً على محل من شيء كقولك ما في الدار من أحد ولكن زيد لأن قوله من
حسابهم يأبى ذلك وذر الذين اتخذوا دينهم لعباً ولهواً وغرتهم الحياة الدنيا وذكر به أن تبسل
نفس بما كسبت ليس لها من دون الله ولي ولا شفيع وإن تعدل كل عدل لا يؤخذ منها
أولئك الذين أبسلوا بما كسبوا لهم شراب من حميم وعذاب أليم بما كانوا يكفرون
اتخذوا دينهم لعباً ولهواً أي دينهم الذي كان يجب أن يأخذوا به لعباً ولهواً وذلك أن عبادة
الأصنام وما كانوا عليه من تحريم البحائر والسوائب وغير ذلك من باب اللعب واللهو واتباع
هوى النفس والعمل بالشهوة من جنس الهزل دون الجد أو اتخذوا ما هو لعب ولهو من عبادة
الأصنام وغيرها ديناً لهم أو اتخذوا دينهم الذي كلفوه ودعوا إليه وهو دين الإسلام لعباً
ولهواً حيث سخروا به واستهزؤوا وقيل جعل الله لكل قوم عيداً يعظمونه ويعمرونه بذكر اسم
الله والناس كلهم من المشركين وأهل الكتاب اتخذوا عيدهم لعباً ولهواً غير المسلمين فإنهم اتخذوا
عيدهم كما شرعه الله تعالى ومعنى ذرهم أعرض عنهم ولا تبال بتكذيبهم واستهزائهم ولا
تشغل قلبك بهم وذكر به أي بالقرآن أن تبسل نفس مخافة أن تسلم إلى الهلكة والعذاب
وترتهن بسوء كسبها وأصل الإبسال المنع لأن المسلم إليه يمنع المسلم قال

وابسالى بنى بغير جرم، ومنه هذا عليك بسل اى حرام محظور، والباسل الشجاع لامتناعه من قرنه او لانه شديد البسور يقال بسر الرجل اذا اشتد عبوسه فاذا زاد قالوا بسل والعابس منقبض الوجه، وان تعدل كل عدل وان تفد كل فداء، والعدل الفدية لان الفادى يعدل المفدى بمثله، وكل عدل نصب على المصدر، وفاعل يوخذ منها لا ضمير العدل لان العدل ههنا مصدر فلا يسند اليه الاخذ، واما فى قوله ولا يوخذ منها عدل فبمعنى المفدى به فصح اسناده اليه، اولئك اشارة الى المتخذين دينهم لعبا ولهوا، قيل نزلت فى ابى بكر الصديق رضى الله عنه حين دعاه ابنه عبد الرحمن الى عبادة الاوثان، قل اندعو من دون الله ما لا ينفعنا ولا يضرنا ونرد على اعقابنا بعد اذ هدانا الله كالذى استهوته الشياطين فى الارض حيران له اصحاب يدعونه الى الهدى ائتنا قل ان هدى الله هو الهدى وامرنا لنسلم لرب العالمين، وان اقيموا الصلوة واتقوه وهو الذى اليه تحشرون، وهو الذى خلق السموات والارض بالحق ويوم يقول كن فيكون، قل اندعوا نعبد من دون الله الضار النافع ما لا يقدر على نفعنا ولا مضرتنا ونرد على اعقابنا راجعين الى الشرك بعد اذ انقذنا الله منه وهدانا للاسلام، كالذى استهوته الشياطين كالذى ذهبت به مردة الجن والغيلان فى الارض فى المهمه، حيران تائها ضالا عن الجادة لا يدرى كيف يصنع، له اى لهذا المستهوى اصحاب رفقة، يدعونه الى الهدى الى ان يهدوه الطريق المستوى او سمى الطريق المستقيم بالهدى يقولون له ائتنا وقد اعتسف المهمه تابعا للجن لا يجيبهم ولا ياتيهم وهذا مبنى على ما تزعمه العرب وتعتقده ان الجن تستهوى الانسان والغيلان تستولى عليه كقوله تعالى كالذى يتخبطه الشيطان من المس، فشبه به الضال عن طريق الاسلام التابع لخطوات الشيطان والمسلمون يدعونه اليه فلا يلتفت اليهم، قل ان هدى الله وهو الاسلام هو الهدى وحده وما وراءه ضلال وغىّ ومن يبتغ غير الاسلام دينا، فماذا بعد الحق الا الضلال فان قلت ما محل الكاف فى قوله كالذى استهوته قلت النصب على الحال من الضمير فى نرد على اعقابنا اى انكص مشبهين من استهوته الشياطين فان قلت ما معنى استهوته قلت هو استفعال من هوى فى الارض اذا ذهب فيها كان معناه طلبت هويه وحرصت عليه، فان قلت ما محل امرنا، قلت النصب عطفا على محل قوله ان هدى الله هو الهدى على انهما مقولان كانه قيل قل هذا القول وقل امرنا لنسلم فان قلت ما معنى اللام فى لنسلم قلت هى تعليل للامر بمعنى امرنا وقيل لنا اسلموا لاجل ان نسلم فان قلت فاذا كان هذا واردا فى شان ابى بكر الصديق رضى الله عنه فكيف قيل للرسول عليه السلام قل اندعو قلت للاتحاد الذى كان بين رسول الله صلى الله عليه وسلم خصوصا بينه وبين ابى بكر رضى الله عنه فان قلت علام عطف قوله وان اقيموا قلت على موضع لنسلم كانه قيل وامرنا ان نسلم وان اقيموا، ويجوز ان يكون التقدير وامرنا لان نسلم ولان اقيموا اى للاسلام ولاقامة الصلوة، قوله الحق وله الملك يوم ينفخ فى الصور عالم الغيب والشهادة وهو الحكيم الخبير، قوله الحق مبتدأ ويوم يقول خبره مقدما عليه وانتصابه بمعنى الاستقرار كقولك يوم الجمعة القتال واليوم بمعنى الحين والمعنى انه خلق السموات والارض قائما بالحق والحكمة وحين يقول لشىء من الاشياء كن فيكون ذلك الشىء

قوله

قوله الحق والحكمة اى لا يكون شيا من السموات والارض وسائر المكونات الا عن حكمة وصواب، ويوم ينفخ ظرف لقوله وله الملك كقوله لمن الملك اليوم، ويجوز ان يكون قوله الحق فاعل يكون على معنى وحين يقول لقوله الحق اى لقضائه الحق كن فيكون قوله الحق وانتصاب اليوم بمحذوف دل عليه قوله بالحق كانه قيل وحين يكون ويقدر يقوم بالحق، عالم الغيب هو عالم الغيب وارتفاعه على المدح، واذ قال ابراهيم لابيه آزر اتتخذ اصناما آلهة انى اريك وقومك فى ضلال مبين، آزر اسم ابى ابراهيم، وفى كتب التواريخ ان اسمه بالسريانية تارح، والاقرب ان يكون وزن آزر فاعل مثل تارح وعابر وعازر وشالخ وفالغ وما اشبهها من اسمائهم وهو عطف بيان لابيه وقرئ آزر بالضم على النداء وقيل آزر اسم صنم فيجوز ان ينبز به للزوم عبادته كما نبز ابن قيس بالرقيات اللاتى كان يشبب بهن فقيل ابن قيس الرقيات وفى شعر بعض المحدثين،

ادعى باسماء نبزا فى قبائلها ، كان اسماء اضحت بعض اسمائى،

او اريد عابد آزر فحذف المضاف واقيم المضاف اليه مقامه وقرئ ءازرا تتخذ اصناما آلهة بفتح الهمزة وكسرها بعد همزة الاستفهام وزاى ساكنة وراء منصوبة منونة وهو اسم صنم ومعناه اتعبد ازرا على الانكار، ثم قال اتتخذ اصناما آلهة تثبيتا لذلك وتقريرا وهو داخل فى حكم الانكار لانه كالبيان له، وكذلك نرى ابراهيم ملكوت السموات والارض وليكون من الموقنين، فلما جن عليه الليل رأى كوكبا قال هذا ربى فلما افل قال لا احب الآفلين، فلما جن عليه الليل عطف على قال ابراهيم لابيه وقوله وكذلك نرى ابراهيم جملة معترضة بين المعطوف والمعطوف عليه والمعنى ومثل ذلك التعريف والتبصير نعرف ابراهيم ونبصره ملكوت السموات والارض يعنى الربوبية والالهية ونوفقه لمعرفتها ونرشده بما شرحنا صدره وسددنا نظره وهديناه لطريق الاستدلال، وليكون من الموقنين فعلنا ذلك، ونرى حكاية حال ماضية وكان ابوه وقومه يعبدون الاصنام والشمس والقمر والكواكب فاراد ان ينبههم على الخطاء فى دينهم وان يرشدهم الى طريق النظر والاستدلال ويعرفهم ان النظر الصحيح مؤد الى ان شيئا منها لا يصح ان يكون الها لقيام دليل الحدوث فيها وان وراءها محدثا احدثها وصانعا صنعها ومدبرا دبر طلوعها وافولها وانتقالها ومسيرها وسائر احوالها، هذا ربى قول من ينصف خصمه مع علمه بانه مبطل فيحكى قوله كما هو غير متعصب لمذهبه لان ذلك ادعى الى الحق وانجى من الشغب ثم يكر عليه بعد حكايته فيبطله بالحجة، لا احب الآفلين لا احب عبادة الارباب المتغيرين من حال الى حال المتنقلين من مكان الى مكان المحتجبين بستر فان ذلك من صفات الاجرام، فلما رأى القمر بازغا قال هذا ربى فلما افل قال لئن لم يهدنى ربى لاكونن من القوم الضالين، بازغا مبتدئا فى الطلوع، لئن لم يهدنى ربى تنبيه لقومه على ان من اتخذ القمر الها وهو نظير الكواكب فى الافول فهو ضال وان الهداية الى الحق بتوفيق الله ولطفه، فلما رأى الشمس بازغة قال هذا ربى هذا اكبر فلما افلت قال يا قوم انى برىء مما تشركون انى وجهت وجهى للذى فطر السموات والارض حنيفا وما انا من المشركين، هذا

اكبر من باب استعمال النصفة ايضا مع خصومه انى برئ مما تشركون من الاجرام التى تجعلونها
شركاء لخالقها انى وجهت وجهى للذى فطر السموات والارض اى للذى دلت هذه المحدثات
عليه وعلى انه مبتدئها ومبتدعها وقيل هذا كان نظره واستدلاله فى نفسه فحكاه
الله تعالى والاول اظهر لقوله لئن لم يهدنى ربى وقوله يا قوم انى برئ مما تشركون
فان قلت لم احتج عليهم بالافول دون البزوغ وكلاهما انتقال من حال الى حال قلت
الاحتجاج بالافول اظهر لانه انتقال مع خفاء واحتجاب فان قلت ما وجه التذكير فى
قوله هذا ربى والاشارة للشمس قلت جعل المبتدا مثل الخبر لكونهما عبارة عن شئ
واحد كقولهم ما جاءت حاجتك ومن كانت امك ولم تكن فتنتهم الا ان قالوا وكان اختيار
هذه الطريقة واجبا لصيانة الرب عن شبهة التانيث الا تراهم قالوا فى صفة الله علام
ولم يقولوا علامة وان كانت العلامة ابلغ احترازا من علامة التانيث وقرئ ترى
ابراهيم ملكوت السموات بالتاء ورفع الملكوت ومعناه تبصره دلائل الربوبية وحاجه
قومه قال اتحاجونى فى الله وقد هدان ولا اخاف ما تشركون به الا ان يشاء ربى
شيئا وسع ربى كل شئ علما افلا تتذكرون وحاجه قومه قال اتحاجونى فى الله وكانوا
حاجوه فى توحيد الله تعالى ونفى الشركاء عنه منكرين لذلك وقد هدان يعنى الى التوحيد
ولا اخاف ما تشركون به وقد خوفوه ان معبوداتهم تصيبه بسوء الا ان يشاء ربى شيئا
الا وقت مشية ربى شيئا يخاف فحذف الوقت يعنى لا اخاف معبوداتكم فى وقت قط لانها
لا تقدر على منفعة ولا مضرة الا اذا شاء ربى ان يصيبنى بمخوف من جهتها ان اصبت ذنبا
استوجب به انزال المكروه مثل ان يرجمنى بكوكب او بشقة من الشمس او القمر او يجعلها
قادرة على مضرتى وسع ربى كل شئ علما اى ليس بعجب ولا مستبعد ان يكون فى علمه انزال
المخوف بى من جهتها افلا تتذكرون فتميزوا بين الصحيح والفاسد والقادر والعاجز وكيف
اخاف ما اشركتم ولا تخافون انكم اشركتم بالله ما لم ينزل به عليكم سلطانا فاى الفريقين
احق بالامن ان كنتم تعلمون الذين امنوا ولم يلبسوا ايمانهم بظلم اولئك لهم
الامن وهم مهتدون وكيف اخاف لتخويفكم شيئا مأمون الخوف لا يتعلق به ضرر
بوجه وانتم لا تخافون ما يتعلق به كل مخوف وهو اشراككم بالله ما لم ينزل به باشراكه
سلطانا اى حجة لان الاشراك لا يصح ان يكون عليه حجة كانه قال وما لكم تنكرون على الامن
فى موضع الامن ولا تنكرون على انفسكم الامن فى موضع الخوف ولم يقل فاينا احق بالامن
انا ام انتم احترازا من تزكية نفسه فعدل عنه الى قوله فاى الفريقين يعنى فريقى المشركين
والموحدين ثم استانف الجواب عن السؤال بقوله الذين امنوا ولم يلبسوا ايمانهم بظلم اى
لم يخلطوا ايمانهم بمعصية تفسقهم وابى تفسير الظلم بالكفر لفظ اللبس وتلك حجتنا
اتيناها ابراهيم على قومه نرفع درجات من نشاء ان ربك حكيم عليم وتلك اشارة
الى جميع ما احتج به ابراهيم على قومه من قوله فلما جن عليه الليل الى قوله وهم مهتدون ومعنى
اتيناها ارشدناه اليها ووفقناه لها نرفع درجات من نشاء يعنى فى العلم والحكمة وقرئ
بالتنوين ووهبنا له اسحق ويعقوب كلا هدينا ونوحا هدينا من قبل ومن ذريته

داود

داود وسليمان وايوب ويوسف وموسى وهرون وكذلك نجزى المحسنين وزكريا
ويحيى وعيسى والياس كل من الصالحين واسمعيل واليسع ويونس ولوطا وكلا
فضلنا على العالمين ومن ابائهم وذرياتهم واخوانهم واجتبيناهم وهديناهم
الى صراط مستقيم ومن ذريته الضمير لنوح او لابراهيم وداود عطف على نوحا اى
وهدينا داود ومن ابائهم فى موضع النصب عطفا على كلا بمعنى وفضلنا بعض ابائهم ذلك
هدى الله يهدى به من يشاء من عباده ولو اشركوا لحبط عنهم ما كانوا يعملون ولو
اشركوا مع فضلهم وتقدمهم وما رفع لهم من الدرجات لكانوا كغيرهم فى حبوط اعمالهم
كما قال لئن اشركت ليحبطن عملك اولئك الذين اتيناهم الكتاب والحكم والنبوة فان
يكفر بها هؤلاء فقد وكلنا بها قوما ليسوا بها بكافرين اتيناهم الكتاب يريد الجنس
فان يكفر بها بالكتاب والحكم والنبوة او بالنبوة هؤلاء يعنى اهل مكة قوما هم الانبياء
المذكورون ومن تابعهم بدليل قوله اولئك الذين هدى الله فبهداهم اقتده وبدليل
وصل قوله فان يكفر بها هؤلاء بما قبله وقيل هم اصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم
وكل من امن به وقيل كل مؤمن من بنى ادم وقيل الملائكة وادعى الانصار انها هم وعن
مجاهد هم الفرس ومعنى توكيلهم بها انهم وفقوا للايمان بها والقيام بحقوقها كما يوكل
الرجل بالشئ ليقوم به ويتعهده ويحافظ عليه والباء فى بها صلة كافرين وفى بكافرين تاكيد
النفى اولئك الذين هدى الله فبهداهم اقتده قل لا اسالكم عليه اجرا ان هو الا ذكرى
للعالمين فبهداهم اقتده فاختص هداهم بالاقتداء ولا تقتد الا بهم وهذا معنى تقديم
المفعول والمراد بهداهم طريقتهم فى الايمان بالله وتوحيده واصول الدين دون الشرائع
فانها مختلفة وهى هدى ما لم تنسخ فاذا نسخت لم تبق هدى بخلاف اصول الدين فانها هدى
ابدا والهاء فى اقتده للوقف تسقط فى الدرج واستحسن ايثار الوقف لثبات الهاء فى المصحف
وما قدروا الله حق قدره اذ قالوا ما انزل الله على بشر من شئ قل من انزل الكتاب الذى
جاء به موسى نورا وهدى للناس تجعلونه قراطيس تبدونها وتخفون كثيرا وعلمتم
ما لم تعلموا انتم ولا اباؤكم قل الله ثم ذرهم فى خوضهم يلعبون وما قدروا الله
حق قدره وما عرفوه حق معرفته فى الرحمة على عباده واللطف بهم حين انكروا بعثة الرسل
والوحى اليهم وذلك من اعظم رحمته واجل نعمته وما ارسلناك الا رحمة للعالمين او ما
عرفوه حق معرفته فى سخطه على الكافرين وشدة بطشه بهم ولم يخافوه حين جسروا على تلك
المقالة العظيمة من انكار النبوة والقائلون هم اليهود بدليل قراءة من قرأ تجعلونه بالتاء
وكذلك تبدونها وتخفون وانما قالوا ذلك مبالغة فى انكار انزال القران على رسول الله
صلى الله عليه وسلم فالزموا ما لا بد لهم من الاقرار به من انزال التوراة على موسى عليه السلام
وادرج تحت الالزام توبيخهم وان نعى عليهم سوء جهلهم لكتابهم وتحريفهم وابداء بعض واخفاء
بعض فقيل جاء به موسى وهو نور وهدى للناس حتى غيروه ونقصوه وجعلوه قراطيس مقطعة
وورقات مفرقة ليتمكنوا مما راموا من الابداء والاخفاء وروى ان مالك بن الصيف
من احبار اليهود ورؤسائهم قال له رسول الله صلى الله عليه وسلم انشدك بالذى انزل

التورية على موسى هل تجد فيها ان الله يبغض الحبر السمين قد سمنته من مالك الذي تطعمك اليهود
فضحك القوم فغضب ثم التفت الى عمر رضي الله عنه فقال ما انزل الله على بشر من شيء فقال
له قومه ويلك ما هذا الذي بلغنا عنك فقال انه اغضبني فنزعوه وجعلوا مكانه كعب بن الاشرف
وقيل القائلون قريش وقد الزموا انزال التورية لانهم كانوا يسمعون من اليهود بالمدينة
ذكر موسى والتورية وكانوا يقولون لو انا انزل علينا الكتاب لكنا اهدى منهم وعلمتم ما لم تعلموا
انتم ولا اباؤكم الخطاب لليهود اي علمتم على لسان محمد عليه السلام مما اوحي اليه ما لم تعلموا
انتم وانتم حملة التورية ولم يعلمه اباؤكم الاقدمون الذين كانوا اعلم منكم ان هذا القرآن
يقص على بني اسرائيل اكثر الذي هم فيه يختلفون وقيل الخطاب لمن امن من قريش كقوله
تعالى لتنذر قوما ما انذر اباؤهم قل الله اي انزله الله فانهم لا يقدرون ان يناكروه ثم
ذرهم في خوضهم في باطلهم الذي يخوضون فيه ولا عليك بعد الزام الحجة ويقال لمن كان في عمل
لا يجدي عليه انما انت لاعب ويلعبون حال من ذرهم او من خوضهم ويجوز ان يكون في
خوضهم حالا من يلعبون وان يكون صلة له او لذرهم وهذا كتاب انزلناه مبارك مصدق
الذي بين يديه ولتنذر ام القرى ومن حولها والذين يؤمنون بالآخرة يؤمنون به
وهم على صلاتهم يحافظون مبارك كثير المنافع والفوائد ولتنذر معطوف على ما دل عليه صفة
الكتاب كانه قيل انزلناه للبركات وتصديق ما تقدمه من الكتب والانذار وقرئ لينذر بالتاء والياء
وسميت مكة ام القرى لانها مكان اول بيت وضع للناس ولانها قبلة اهل القرى كلها ومحجهم ولانها
اعظم القرى شانا ولبعض المجاورين فمن يلق في بعض القريات رحله فام القرى ملقى رحالي ومنتابي
والذين يؤمنون بالآخرة يصدقون بالعاقبة ويخافونها يؤمنون بهذا الكتاب وذلك ان اصل
الدين خوف العاقبة فمن خافها لم يزل به الخوف حتى يؤمن وخص الصلاة لانها عماد الدين ومن حافظ
عليها كانت لطفا له في المحافظة على اخواتها ومن اظلم ممن افترى على الله كذبا او قال اوحي الي ولم يوح
اليه شيء ومن قال سانزل مثل ما انزل الله ولو ترى اذ الظالمون في غمرات الموت والملائكة باسطوا
ايديهم اخرجوا انفسكم اليوم تجزون عذاب الهون بما كنتم تقولون على الله غير الحق وكنتم
عن آياته تستكبرون افترى على الله كذبا فزعم ان الله تعالى بعثه نبيا او قال اوحي الي ولم يوح اليه شيء
وهو مسيلمة الحنفي الكذاب او كذاب صنعاء الاسود العنسي وعن النبي صلى الله عليه وسلم رايت فيما
يرى النائم كان في يدي سوارين من ذهب فكبرا علي واهماني فاوحى الله تعالى الي ان انفخهما فنفختهما فطارا
فاولتهما الكذابين اللذين انا بينهما كذاب اليمامة مسيلمة وكذاب صنعاء الاسود العنسي ومن
قال سانزل مثل ما انزل الله هو عبد الله بن سعد بن ابي سرح القرشي كان يكتب لرسول الله صلى الله عليه
فكان اذا املى عليه سميعا عليما كتب هو عليما حكيما واذا قال عليما حكيما كتب غفورا رحيما فلما نزلت ولقد
خلقنا الانسان من سلالة من طين الى آخر الآية عجب عبد الله من تفصيل خلق الانسان فقال فتبارك
الله احسن الخالقين فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم اكتبها فكذلك نزلت فشك عبد الله
وقال لئن كان محمد صادقا لقد اوحي الي كما اوحي اليه ولئن كان كاذبا لقد قلت كما قال فارتد
عن الاسلام ولحق بمكة ثم رجع مسلما قبل فتح مكة وقيل هو النضر بن الحارث والمستهزئون
ولو ترى جوابه محذوف اي لرايت امرا فظيعا اذ الظالمون يريد الذين ذكرهم من اليهود

والمتنبئة

والمتنبئة فتكون اللام للعهد ويجوز ان تكون للجنس فيدخل فيه هؤلاء لاشتماله وغمرات الموت
شدائده وسكراته واصل الغمرة ما يغمر من الماء فاستعيرت للشدة الغالبة باسطوا ايديهم
يبسطون اليهم ايديهم يقولون هاتوا ارواحكم اخرجوها الينا من اجسادكم وهذه عبارة عن
العنف في السياق والالحاح والتشديد في الازهاق من غير تنفيس وامهال وانهم يفعلون
بهم فعل الغريم الملظ يبسط يده الى من عليه الحق ويعنف عليه في المطالبة ويقول له اخرج
ما لي عليك الساعة ولا اريم مكاني حتى انزعه من احداقك وقيل معناه باسطوا ايديهم
عليهم بالعذاب اخرجوا انفسكم خلصوها من ايدينا اي لا تقدرون على الخلاص اليوم
تجزون يريدون به وقت الاماتة وما يعذبون به من شدة النزع وان يريدوا
الوقت الممتد المتطاول الذي يلحقهم فيه العذاب في البرزخ والقيامة والهون الهوان
الشديد واضافة العذاب اليه كقولك رجل سوء يريد العراقة في الهوان والتمكن فيه
عن آياته تستكبرون فلا تؤمنون بها ولقد جئتمونا فرادى كما خلقناكم اول مرة وتركتم
ما خولناكم وراء ظهوركم وما نرى معكم شفعاءكم الذين زعمتم انهم فيكم شركاء لقد
تقطع بينكم وضل عنكم ما كنتم تزعمون فرادى منفردين عن الاموال والاولاد وما حرصتم
عليه وآثرتموه من دنياكم او عن الاوثان التي زعمتم انها شفعاؤكم وشركاء لله كما خلقناكم
اول مرة على الهيئة التي ولدتم عليها في الانفراد وتركتم ما خولناكم ما تفضلنا به عليكم في الدنيا
فشغلتم به عن الآخرة وراء ظهوركم لم ينفعكم ولم تحتملوا منه نقيرا ولا قدمتموه لانفسكم
فيكم شركاء في استعبادكم لانهم حين دعوها آلهة وعبدوها فقد جعلوها لله شركاء فيهم
وفي استعبادهم وقرئ فرادا بالتنوين وفراد مثل ثلاث وفردى كسكرى فان
قلت كما خلقناكم في اي محل هو قلت في محل النصب صفة لمصدر جئتمونا اي مجيئا مثل
خلقنا لكم تقطع بينكم اي تقطع وصلكم كما تقول جمع بين الشيئين تريد اوقع الجمع بينهما على
اسناد الفعل الى مصدره بهذا التاويل ومن رفع فقد اسند الفعل الى الظرف كما تقول
قوتل خلفكم وامامكم وفي قراءة عبد الله لقد تقطع ما بينكم ان الله فالق الحب والنوى
يخرج الحي من الميت ومخرج الميت من الحي ذلكم الله فانى تؤفكون فالق الحب والنوى
بالنبات والشجر وعن مجاهد اراد الشقين اللذين في النواة والحنطة يخرج الحي من الميت اي
الحيوان والنامي من النطف والبيض والحب والنوى ويخرج هذه الاشياء الميتة من الحيوان
والنامي فان قلت كيف قال ومخرج الميت من الحي بلفظ اسم الفاعل بعد قوله يخرج الحي من
الميت قلت عطفه على فالق الحب والنوى لا على الفعل ويخرج الحي من الميت موقعه موقع
الجملة المبينة لقوله تعالى فالق الحب والنوى بالنبات والشجر الناميين من جنس اخراج الحي
من الميت لان النامي في حكم الحيوان الا ترى الى قوله يحيي الارض بعد موتها ذلكم الله ذلكم
المحيي والمميت هو الله الذي تحق له الربوبية فانى تؤفكون فكيف تصرفون عنه وعن
توليه الى غيره فالق الاصباح وجاعل الليل سكنا والشمس والقمر حسبانا ذلك تقدير
العزيز العليم الاصباح مصدر سمي به الصبح وقرأ الحسن بفتح الهمزة جمع صبح وانشد
قوله افني رباحا وبني رباح تناسخ الامساء والاصباح بالكسر والفتح مصدرين

وجمع سنى وسنح فان قلت فما معنى فلق الصبح والظلمة هي التي تنفلق عن الصبح كما قال
تفرّى ليل عن بياض نهار قلت فيه وجهان احدهما ان يراد فالق ظلمة الاصباح وهي الغبش
في آخر الليل ومنقضاه الذي يلي الصبح والثاني ان يراد فالق الاصباح الذي هو عمود الفجر
عن بياض النهار واسفاره وقالوا انشق عمود الفجر وانصدع الفجر وسموا الفجر فلقا بمعنى مفلوق
وقال الطائي وازرق الفجر يبدو قبل ابيضه وقرئ فالق الاصباح وجاعل الليل
بالنصب على المدح وقرأ النخعي فلق الاصباح وجعل الليل السكن ما يسكن اليه الرجل ويطمئن
استئناسا به واسترواحا اليه من زوج او حبيب ومنه قيل للنار سكن لانه يستأنس بها الا
تراهم سموها المؤنسة والليل يطمئن اليه المتعب بالنهار لاستراحته فيه وجمامه ويجوز ان
يراد وجعل الليل مسكونا فيه من قوله عز وجل لتسكنوا فيه والشمس والقمر قرئ بالحركات
الثلاث فالنصب على اضمار فعل دل عليه جاعل الليل اي وجعل الشمس والقمر حسبانا او يعطفان
على محل الليل فان قلت كيف يكون لليل محل والاضافة حقيقية لان اسم الفاعل المضاف
اليه في معنى المضي ولا تقول زيد ضارب عمرا امس قلت ما هو في معنى المضي وانما هو دال
على جعل مستمر في الازمنة المختلفة وكذلك فالق الحب وفالق الاصباح كما تقول الله قادر عالم
فلا تقصد زمانا دون زمان والجر عطف على لفظ الليل والرفع على الابتداء والخبر محذوف
تقديره والشمس والقمر مجعولان حسبانا او محسوبان حسبانا ومعنى جعل الشمس والقمر
حسبانا جعلهما على حسبان لان حساب الاوقات يعلم بدورهما وسيرهما والحسبان بالضم مصدر
حسب كما ان الحسبان بالكسر مصدر حسب ونظيره الكفران والشكران ذلك اشارة الى جعلهما
حسبانا اي ذلك التسيير بالحساب المعلوم تقدير العزيز الذي قهرهما وسخرهما العليم بتدبيرهما
وتدويرهما وهو الذي جعل لكم النجوم لتهتدوا بها في ظلمات البر والبحر قد فصلنا الآيات
لقوم يعلمون في ظلمات البر والبحر في ظلمات الليل بالبر والبحر واضافها اليهما لملابستها لهما
او شبه مشتبهات الطرق بالظلمات وهو الذي انشأكم من نفس واحدة فمستقر ومستودع
قد فصلنا الآيات لقوم يفقهون من فتح قاف المستقر كان المستودع اسم مكان مثله او
مصدرا ومن كسرها كان اسم فاعل والمستودع اسم مفعول والمعنى فلكم مستقر في الرحم
ومستودع في الصلب او مستقر فوق الارض ومستودع تحتها او فمنكم مستقر ومنكم
مستودع فان قلت لم قيل يعلمون مع ذكر النجوم ويفقهون مع ذكر انشاء بني آدم قلت
كان انشاء الانس من نفس واحدة وتصريفهم بين احوال مختلفة الطف وادق صنعة وتدبيرا
فكان ذكر الفقه الذي هو استعمال فطنة وتدقيق نظر مطابقا له وهو الذي انزل من
السماء ماء فاخرجنا به نبات كل شيء فاخرجنا منه خضرا نخرج منه حبا متراكبا ومن النخل
من طلعها قنوان دانية وجنات من اعناب والزيتون والرمان مشتبها وغير متشابه
انظروا الى ثمره اذا اثمر وينعه ان في ذلكم لآيات لقوم يؤمنون فاخرجنا بالماء نبات
كل شيء نبت كل صنف من اصناف النامي يعني ان السبب واحد وهو الماء والمسببات صنوف
مفتنة كما قال تسقى بماء واحد ونفضل بعضها على بعض في الاكل فاخرجنا منه من النبات خضرا
شيئا غضا اخضر يقال اخضر وخضر كاعور وعور وهو ما تشعب من اصل النبات الخارج من الحبة

نخرج منه من الخضر حبا متراكبا وهو السنبل وقنوان رفع بالابتداء ومن النخل خبره ومن طلعها
بدل منه كانه قيل وحاصلة من طلع النخل قنوان ويجوز ان يكون الخبر محذوفا لدلالة اخرجنا
عليه تقديره ومخرجة من طلع النخل قنوان ومن قرأ يخرج منه حب متراكب كان قنوان عنده
معطوفا على حب والقنوان جمع قنو ونظيره صنو وصنوان بضم القاف وبفتحها
على انه اسم جمع كركب لان فعلان ليس من زيادات التكسير دانية سهلة المجتنى معرضة للقاطف
كالشيء الداني القريب المتناول ولان النخلة وان كانت صغيرة ينالها القاعد فانها تأتي بالثمر
لا تنتظر الطول وقال الحسن رحمة الله عليه دانية قريب بعضها من بعض وقيل ذكر القريبة
وترك ذكر البعيدة لان النعمة فيها اظهر ودل بذكر القريبة على ذكر البعيدة كقوله
عز وعلا سرابيل تقيكم الحر وقوله وجنات من اعناب فيه وجهان احدهما ان يراد وثم
جنات من اعناب اي مع النخل والثاني ان يعطف على قنوان على معنى وحاصلة او ومخرجة
من النخل قنوان وجنات من اعناب اي من نبات اعناب وقرئ وجنات بالنصب عطفا
على نبات كل شيء اي واخرجنا به جنات من اعناب وكذلك قوله والزيتون والرمان
والاحسن ان ينتصبا على الاختصاص كقوله تعالى والمقيمين الصلوة لفضل هذين
الصنفين مشتبها وغير متشابه يقال اشتبه الشيئان وتشابها كقولك استويا وتساويا والافتعال
والتفاعل يشتركان كثيرا وقرئ متشابها وغير متشابه وتقديره والزيتون متشابها
وغير متشابه والرمان كذلك كقوله كنت منه ووالدي بريا والمعنى بعضه متشابها وبعضه
غير متشابه في القدر واللون والطعم وذلك دليل على التعمد دون الاهمال انظروا الى
ثمره اذا اثمر اذا اخرج ثمره كيف يخرجه ضئيلا ضعيفا لا يكاد ينتفع به وانظروا الى حال ينعه
ونضجه كيف يعود شيئا جامعا لمنافع وملاذ نظر اعتبار واستبصار واستدلال على قدرة مقدره
ومدبره وناقله من حال الى حال وقرئ وينعه بالضم يقال ينعت الثمرة ينعا وينعا وقرأ
ابن محيصن ويانعه وقرئ وثمره وجعلوا لله شركاء الجن وخلقهم وخرقوا له بنين
وبنات بغير علم سبحانه وتعالى عما يصفون ان جعلت لله شركاء مفعولي جعلوا نصبت
الجن بدلا من شركاء وان جعلت لله لغوا كان شركاء الجن مفعولين قدم ثانيهما على الاول فان
قلت فما فائدة التقديم قلت فائدته استعظام ان يتخذ لله شريك من كان ملكا او جنيا
او انسيا او غير ذلك ولذلك قدم اسم الله على الشركاء وقرئ الجن بالرفع كانه قيل من
هم فقيل الجن وبالجر على الاضافة التي للتبيين والمعنى اشركوهم في عبادته لانهم اطاعوهم
كما يطاع الله تعالى وقيل هم الذين زعموا ان الله تعالى خالق الخير وكل نافع وابليس خالق الشر
وكل ضار وخلقهم وخلق الجاعلين لله شركاء ومعناه وعلموا ان الله تعالى خالقهم دون الجن
ولم يمنعهم علمهم ان يتخذوا من لا يخلق شريكا للخالق وقيل الضمير للجن وقرئ وخلقهم اي
اختلاقهم للافك يعني وجعلوا لله خلقهم حيث نسبوا قبائحهم الى الله في قولهم والله امرنا بها
وخرقوا له وخلقوا له اي فعلوا له بنين وبنات وهو قول اهل الكتابين في المسيح وعزير وقول
قريش في الملائكة يقال خلق الافك وخرقه واختلقه واخترقه بمعنى وسئل الحسن عنه
فقال كلمة عربية كانت العرب تقولها كان الرجل اذا كذب كذبة في نادي القوم يقول له بعضهم

تدخرقها والله • ويجوز ان يكون من خرق الثوب اذا شقه اي اشتقوا له بنين وبنات **وقرئ** وخرّقوا بالتشديد للتكثير لقوله بنين وبنات **وقرا** ابن عمر وابن عباس رضي الله عنهما وحرّفوا له بمعنى وزوّروا له اولادا لان المزوّر محرّف مغيّر للحق الى الباطل • بغير علم من غير ان يعلموا حقيقة ما قالوه من خطا او صواب ولكن رميا بقول عن عمى وجهالة من غير فكر وروية • **بديع السموات والارض انى يكون له ولد ولم تكن له صاحبة وخلق كل شيء وهو بكل شيء عليم** • بديع السموات من اضافة الصفة المشبهة الى فاعلها كقولك فلان بديع الشعر اي بديع شعره • او هو بديع في السموات والارض كقولك فلان ثبت الغدر اي ثابت فيه والمعنى انه عديم النظير والمثل فيهما • وقيل البديع بمعنى المبدع وارتفاعه على انه خبر مبتدا محذوف • او هو مبتدا وخبره انى يكون له ولد • او فاعل تعالى **وقرئ** بالجر ردا على قوله وجعلوا لله • او على سبحانه • وبالنصب على المدح وفيه ابطال الولد من ثلاثة اوجه احدها ان مبدع السموات والارض وهي اجسام عظيمة لا يستقيم ان يوصف بالولادة لان الولادة من صفات الاجسام ومخترع الاجسام لا يكون جسما حتى يكون والدا • والثاني ان الولادة لا تكون الا بين زوجين من جنس واحد وهو متعال عن مجانس فلم يصح ان تكون له صاحبة فلم تصح الولادة • والثالث انه ما من شيء الا وهو خالقه والعالم به ومن كان بهذه الصفة كان غنيا عن كل شيء والولد انما يطلبه المحتاج **وقرئ** لم يكن له صاحبة بالياء وانما جاز للفصل **كقوله** لقد ولدنا لا يخبطل امرتنوء **ذلكم الله ربكم لا اله الا هو خالق كل شيء فاعبدوه وهو على كل شيء وكيل** ذلكم اشارة الى الموصوف بما تقدم من الصفات وهو مبتدا وما بعده اخبار مترادفة وهي الله ربكم لا اله الا هو خالق كل شيء اي ذلكم الجامع لهذه الصفات فاعبدوه مسبب عن مضمون الجملة على معنى ان من استجمعت له هذه الصفات كان هو الحقيق بالعبادة فاعبدوه ولا تعبدوا من دونه من بعض خلقه • ثم قال وهو على كل شيء وكيل يعني هو مع تلك الصفات مالك لكل شيء من الارزاق والآجال رقيب على الاعمال • **لا تدركه الابصار وهو يدرك الابصار وهو اللطيف الخبير** البصر هو الجوهر اللطيف الذي ركبه الله في حاسة النظر به تدرك المبصرات فالمعنى ان الابصار لا تتعلق به ولا تدركه لانه متعال ان يكون مبصرا في ذاته لان الابصار انما تتعلق بما كان في جهة اصلا او تابعا كالاجسام والهيئات وهو يدرك الابصار وهو للطف ادراكه للمدركات يدرك تلك الجواهر اللطيفة التي لا يدركها مدرك • وهو اللطيف يلطف عن ان تدركه الابصار • الخبير بكل لطيف فهو يدرك الابصار لا تلطف عن ادراكه وهذا من باب اللف • **قد جاءكم بصائر من ربكم فمن ابصر فلنفسه ومن عمي فعليها وما انا عليكم بحفيظ** قد جاءكم بصائر من ربكم هو وارد على لسان رسول الله عليه السلام لقوله وما انا عليكم بحفيظ والبصيرة نور القلب الذي به يستبصر كما ان البصر نور العين الذي به تبصر اي جاءكم من الوحي والتنبيه على ما يجوز على الله وما لا يجوز ما هو للقلوب كالبصائر • فمن ابصر الحق وآمن فلنفسه ابصر واياها نفع • ومن عمي عنه فعلى نفسه عمي واياها ضر بالعمى • وما انا عليكم بحفيظ احفظ اعمالكم واجازيكم عليها انما انا منذر والله هو الحفيظ عليكم • **وكذلك نصرف الآيات**

وليقولوا

وليقولوا درست ولنبينه لقوم يعلمون • وليقولوا جوابه محذوف تقديره وليقولوا درست نصرفها ومعنى درست قرأت وتعلمت **وقرئ** دارست اي دارست العلماء • ودرست بمعنى تقدمت هذه الآيات وعفت كما قالوا اساطير الاولين • ودرست بضم الراء مبالغة في درست اي اشتد دروسها • ودُرست على البناء للمفعول بمعنى قرئت او عفيت ودارست وفسروها بدارست اليهود محمدا صلى الله عليه وسلم • وجاز الاضمار لان الشهرة بالدراسة كانت لليهود عندهم • ويجوز ان يكون الفعل للآيات وهو لاهلها اي دارس اهل الآيات وحملتها محمدا عليه السلام وهم اهل الكتاب • ودرس اي درس محمد عليه السلام • ودارسات هي دارسات اي قديمات • او ذات درس كعيشة راضية **فان قلت** اي فرق بين اللامين في ليقولوا ولنبينه **قلت** الفرق بينهما ان الاولى مجاز والثانية حقيقة وذلك ان الآيات صرفت للتبيين ولم تصرف ليقولوا دارست ولكن لانه حصل هذا القول بتصريف الآيات كما حصل التبيين شبه به فسيق مساقه • وقيل ليقولوا كما قيل لنبينه **فان قلت** الام يرجع الضمير في قوله ولنبينه **قلت** الى الآيات لانها في معنى القرآن كانه قيل وكذلك نصرف القرآن • او الى القرآن وان لم يجر ذكره لكونه معلوما او الى التبيين الذي هو مصدر الفعل كقولهم ضربته زيدا • ويجوز ان يراد فيمن قرا درست ودارست درست الكتاب ودارسته فيرجع الى الكتاب المقدر • **اتبع ما اوحي اليك من ربك لا اله الا هو واعرض عن المشركين ولو شاء الله ما اشركوا وما جعلناك عليهم حفيظا وما انت عليهم بوكيل** لا اله الا هو اعتراض اكد به ايجاب اتباع الوحي لا محل له من الاعراب • ويجوز ان يكون حالا من ربك وهي حال مؤكدة كقوله وهو الحق مصدقا • **ولا تسبوا الذين يدعون من دون الله فيسبوا الله عدوا بغير علم كذلك زينا لكل امة عملهم ثم الى ربهم مرجعهم فينبئهم بما كانوا يعملون** • ولا تسبوا الآلهة الذين يدعون من دون الله فيسبوا الله وذلك انهم قالوا عند نزول قوله انكم وما تعبدون من دون الله حصب جهنم لتنتهين عن سب آلهتنا او لنهجون الهك • وقيل كان المسلمون يسبون آلهتهم فنهوا لئلا يكون سبهم سببا لسب الله **فان قلت** سب الآلهة حق وطاعة فكيف صح النهي عنه وانما يصح النهي عن المعاصي **قلت** رب طاعة علم انها تكون مفسدة فتخرج عن ان تكون طاعة فيجب النهي عنها لانها معصية لا لانها طاعة كالنهي عن المنكر هو من اجل الطاعات فاذا علم انه يؤدي الى زيادة الشر انقلب معصية ووجب النهي عن ذلك النهي كما يجب النهي عن المنكر **فان قلت** فقد روي عن الحسن ومحمد بن سيرين رحمة الله عليهما انهما حضرا جنازة فرأى محمد نساء فرجع فقال الحسن لو تركنا الطاعة لاجل المعصية لاسرع ذلك في ديننا **قلت** ليس هذا مما نحن بصدده لان حضور الرجال الجنازة طاعة وليس بسبب لحضور النساء فانهن يحضرنها حضر الرجال او لم يحضروا بخلاف سب الآلهة وانما خيل الى محمد رحمة الله عليه انه مثله حتى نبه عليه الحسن • عدوا ظلما وعدوانا **وقرئ** عُدُوّا بضم العين وتشديد الواو بمعناه يقال عدى فلان عدوا وعُدُوّا وعدوانا وعداء • ابن كثير عَدُوّا بفتح العين بمعنى اعداء • بغير علم على جهالة بالله وبما يجب ان يذكر به كذلك زينا لكل امة مثل ذلك التزيين زينا لكل امة من امم الكفار سوء عملهم اي خليناهم وشأنهم

ولم نكفهم حتى حسن عندهم سوء عملهم • او امهلنا الشيطان حتى زين لهم • او زيناه في زعمهم وقولهم
ان الله امرنا بهذا وزينه لنا • فينبئهم فيوبخهم عليه ويعاقبهم ويجازيهم • واقسموا بالله جهد
ايمانهم لئن جاءتهم اية ليؤمنن بها قل انما الايات عند الله وما يشعركم انها اذا جاءت
لا يؤمنون • لئن جاءتهم اية من مقترحاتهم ليؤمنن بها قل انما الايات عند الله وهو قادر عليها
ولكنه لا ينزلها الا على موجب الحكمة • او انما الايات عند الله لا عندي فكيف اجيبكم اليها وآتيكم
بها • وما يشعركم وما يدريكم انها ان الاية التي يقترحونها اذا جاءت لا يؤمنون بها يعني انا
اعلم انها اذا جاءت لا يؤمنون بها وانتم لا تدرون بذلك • وذلك ان المؤمنين كانوا يطمعون
في ايمانهم اذا جاءت تلك الاية ويتمنون مجيئها فقال تعالى وما يدريكم انهم لا يؤمنون على معنى
انكم لا تدرون ما سبق علمي به من انهم لا يؤمنون • الا ترى الى قوله كما لم يؤمنوا به اول مرة وقيل
انها بمعنى لعلها من قول العرب ائت السوق انك تشتري لحما • وقال امرؤ القيس •
• عوجا على الطلل المحيل لاننا • نبكي الديار كما بكى ابن حذام • ويقويها قراءة ابي
لعلها اذا جاءتهم لا يؤمنون وقرئ انها بالكسر على ان الكلام قد تم قبله بمعنى وما يشعركم
ما يكون منهم ثم اخبرهم بعلمه فيهم فقال انها اذا جاءت لا يؤمنون البتة • ومنهم من جعل لا مزيدة
في قراءة الفتح وقرئ وما يشعرهم انها اذا جاءتهم لا يؤمنون • اي يحلفون بانهم يؤمنون عند
مجيئها وما يشعرهم ان تكون قلوبهم حينئذ كما كانت عند نزول القرآن وغيره من الايات مطبوعا
عليها فلا يؤمنون بها • ونقلب افئدتهم وابصارهم كما لم يؤمنوا به اول مرة ونذرهم
في طغيانهم يعمهون • ونقلب افئدتهم ونذرهم عطف على لا يؤمنون داخل في حكم وما
يشعركم بمعنى وما يشعركم انهم لا يؤمنون وما يشعركم انا نقلب افئدتهم وابصارهم اي نطبع
على قلوبهم وابصارهم فلا يفقهون ولا يبصرون الحق كما كانوا عند نزول اياتنا اولا لا يؤمنون
بها لكونهم مطبوعا على قلوبهم • وما يشعركم انا نذرهم في طغيانهم اي نخليهم وشأنهم لا نكفهم
عن الطغيان حتى يعمهوا فيه وقرئ ويقلب ويذرهم اي الله عز وجل وقرأ الاعمش
وتقلب افئدتهم وابصارهم على البناء للمفعول ولو اننا نزلنا اليهم الملائكة وكلمهم الموتى
وحشرنا عليهم كل شيء قبلا ما كانوا ليؤمنوا الا ان يشاء الله ولكن اكثرهم يجهلون • ولو
اننا نزلنا اليهم الملائكة كما قالوا لولا انزل علينا الملائكة • وكلمهم الموتى كما قالوا فأتوا بآبائنا •
وحشرنا عليهم كل شيء قبلا كما قالوا او تأتي بالله والملائكة قبيلا • قبلا كفلاء بصحة ما بشرنا به
وانذرنا • او جماعات • وقيل قبلا مقابلة وقرئ قبلا اي عيانا • الا ان يشاء الله مشيئة
اكراه واضطرار • ولكن اكثرهم يجهلون فيقسمون بالله جهد ايمانهم على ما لا يشعرون من حال
قلوبهم عند نزول الايات • او ولكن اكثر المسلمين يجهلون ان هؤلاء لا يؤمنون الا ان يضطرهم
فيطمعون في ايمانهم اذا جاءت الاية المقترحة وكذلك جعلنا لكل نبي عدوا شياطين الانس
والجن يوحي بعضهم الى بعض زخرف القول غرورا ولو شاء ربك ما فعلوه فذرهم
وما يفترون • وكذلك جعلنا لكل نبي عدوا وكما خلينا بينك وبين اعدائك كذلك فعلنا
بمن قبلك من الانبياء واعدائهم لم نمنعهم من العداوة لما فيه من الامتحان الذي هو سبب ظهور
الثبات والصبر وكثرة الثواب والاجر • وانتصب شياطين على البدل من عدوا • او على انهما

معقولان

مفعولان كقوله وجعلوا لله شركاء الجن • يوحي بعضهم الى بعض يوسوس شياطين الجن
الى شياطين الانس وكذلك بعض الجن الى بعض وبعض الانس الى بعض • وعن مالك
ابن دينار ان شيطان الانس اشد علي من شيطان الجن لاني اذا تعوذت بالله ذهب شيطان
الجن عني وشيطان الانس يجيئني فيجرني الى المعاصي عيانا • زخرف القول ما زينه من
القول والوسوسة والاغراء على المعاصي ويموهه • غرورا خدعا واخذا على غرة ولو
شاء ربك ما فعلوه ما فعلوا ذلك اي ما عادوك • او ما اوحى بعضهم الى بعض زخرف
القول بان يكفهم ولا يخليهم وشأنهم • ولتصغى اليه افئدة الذين لا يؤمنون بالاخرة
وليرضوه وليقترفوا ما هم مقترفون • ولتصغى جوابه محذوف تقديره وليكون
ذلك جعلنا لكل نبي عدوا على ان اللام لام الصيرورة وتحقيقها ما ذكر والضمير في
اليه يرجع الى ما رجع اليه الضمير في فعلوه اي ولتميل الى ما ذكر من عداوة الانبياء ووسوسة
الشيطان افئدة الكفار وليرضوه لانفسهم وليقترفوا ما هم مقترفون من الاثام افغير
الله ابتغي حكما وهو الذي انزل اليكم الكتاب مفصلا والذين اتيناهم
الكتاب يعلمون انه منزل من ربك بالحق فلا تكونن من الممترين • افغير الله
ابتغي حكما على ارادة القول اي قل يا محمد افغير الله اطلب حاكما يحكم بيني وبينكم ويفصل
المحق منا من المبطل وهو الذي انزل اليكم الكتاب المعجز مفصلا مبينا فيه الفصل بين
الحق والباطل والشهادة لي بالصدق وعليكم بالافتراء ثم عضد الدلالة على ان القرآن
حق بعلم اهل الكتاب انه حق لتصديقه ما عندهم وموافقته له • فلا تكونن من
الممترين من باب التهييج والالهاب كقوله تعالى فلا تكونن من المشركين او فلا
تكونن من الممترين في ان اهل الكتاب يعلمون انه منزل بالحق ولا يريبك جحود اكثرهم
وكفرهم به • ويجوز ان يكون فلا تكونن خطابا لكل احد على معنى انه اذا تعاضدت
الادلة على صحته وصدقه فما ينبغي ان يمتري فيه احد • وقيل الخطاب لرسول الله عليه الصلاة و
السلام خطاب لامته • وتمت كلمات ربك صدقا وعدلا لا مبدل لكلماته وهو السميع
العليم • وتمت كلمات ربك اي تم كل ما اخبر به وامر ونهى ووعد واوعد صدقا وعدلا
لا مبدل لكلماته لا احد يبدل شيئا من ذلك مما هو اصدق واعدل • وصدقا وعدلا
نصب على الحال • كلمة ربك اي ما تكلم به • وقيل هي القرآن • وان تطع
اكثر من في الارض يضلوك عن سبيل الله ان يتبعون الا الظن وان هم الا يخرصون
ان ربك هو اعلم من يضل عن سبيله وهو اعلم بالمهتدين • وان تطع اكثر الناس
اضلوك لان الاكثر في غالب الامر يتبعون اهواءهم ثم قال ان يتبعون الا الظن وهو
ظنهم ان اباءهم كانوا على الحق فهم يقلدونهم • وان هم الا يخرصون يقدرون انهم على شيء •
او يكذبون في ان الله حرم هذا واحل ذاك • وقرئ من يضل بضم الياء اي يضله الله
فكلوا مما ذكر اسم الله عليه ان كنتم باياته مؤمنين • فكلوا مسبب عن انكار اتباع
المضلين الذين يحلون الحرام ويحرمون الحلال وذلك انهم كانوا يقولون للمسلمين
انكم تزعمون انكم تعبدون الله فما قتل الله احق ان تأكلوا مما قتلتم انتم فقيل للمسلمين

ان كنتم متحققين بالايمان فكلوا مما ذكر اسم الله عليه خاصة دون ما ذكر عليه اسم غيره من آلهتهم او مات حتف انفه وما ذكر اسم الله عليه هو المذكى بسم الله وما لكم الا تأكلوا مما ذكر اسم الله عليه وقد فصل لكم ما حرم عليكم الا ما اضطررتم اليه وان كثيرا ليضلون باهوائهم بغير علم ان ربك هو اعلم بالمعتدين وما لكم الا تأكلوا واي غرض لكم في ان لا تأكلوا وقد فصل لكم وقد بين لكم ما حرم عليكم مما لم يحرم وهو قوله تعالى حرمت عليكم الميتة وقرئ فصل لكم ما حرم عليكم على تسمية الفاعل وهو الله عز وجل الا ما اضطررتم اليه مما حرم عليكم فانه حلال لكم في حال الضرورة وان كثيرا ليضلون قرئ بفتح اليا وضمها اي يضلون فيحرمون ويحللون باهوائهم وشهواتهم من غير تعلق بشريعة وذروا ظاهر الاثم وباطنه ان الذين يكسبون الاثم سيجزون بما كانوا يقترفون ظاهر الاثم وباطنه ما اعلنتم منه وما اسررتم وقيل ما عملتم وما نويتم وقيل ظاهره الزنا في الحوانيت وباطنه الصديقة في السر ولا تأكلوا مما لم يذكر اسم الله عليه وانه لفسق وان الشياطين ليوحون الى اوليائهم ليجادلوكم وان اطعتموهم انكم لمشركون وانه لفسق الضمير راجع الى مصدر الفعل الذي دخل عليه حرف النهي يعني وان الاكل منه لفسق او الى الموصول على ان اكله لفسق او جعل ما لم يذكر اسم الله عليه في نفسه فسقا فان قلت قد ذهب جماعة من المجتهدين الى جواز اكل ما لم يذكر اسم الله عليه بنسيان او عمد قلت قد تاوله هولاء بالميتة وبما ذكر غير اسم الله عليه كقوله او فسقا اهل لغير الله به ليوحون ليوسوسون الى اوليائهم من المشركين ليجادلوكم بقولهم ولا تأكلوا مما قتله الله وبهذا يرجح تاويل من تاوله بالميتة انكم لمشركون لان من اتبع غير الله في دينه فقد اشرك به ومن حق ذي البصيرة في دينه ان لا يأكل مما لم يذكر اسم الله عليه كيف ما كان لما يرى في الآية من التشديد العظيم وان كان ابو حنيفة رحمه الله مرخصا في النسيان دون العمد ومالك والشافعي رحمهما الله فيهما او من كان ميتا فاحييناه وجعلنا له نورا يمشي به في الناس كمن مثله في الظلمات ليس بخارج منها كذلك زين للكافرين ما كانوا يعملون وكذلك جعلنا في كل قرية اكابر مجرميها ليمكروا فيها وما يمكرون الا بانفسهم وما يشعرون مثل الذي هداه الله تعالى بعد الضلالة ومنحه التوفيق لليقين الذي يميز به بين المحق والمبطل والمهتدي والضال بمن كان ميتا فاحياه الله تعالى وجعل له نورا يمشي به في الناس مستضيئا به فيميز بعضهم من بعض ويفصل بين حلاهم ومن بقي على الضلالة بالخابط في الظلمات لا ينفك منها ولا يتخلص ومعنى قوله تعالى كمن مثله في الظلمات ليس بخارج منها كمن صفته هذه وهي قوله تعالى في الظلمات ليس بخارج منها بمعنى هو في الظلمات ليس بخارج منها كقوله تعالى مثل الجنة التي وعد المتقون فيها انهار اي صفتها هذه وهي قوله فيها انهار زين للكافرين اي زينه الشيطان او الله عز وعلا على قوله زينا لهم اعمالهم ويدل عليه قوله وكذلك جعلنا في كل قرية اكابر مجرميها يعني وكما جعلنا في مكة صناديدها ليمكروا فيها كذلك جعلنا في كل قرية اكابر مجرميها ومعناه خليناهم ليمكروا وما كففناهم عن المكر وخص الاكابر لانهم هم الحاملون على الضلال والماكرون

بالناس

بالناس امرنا مترفيها وقرئ اكبر مجرميها على قولك اكابر قومهم واكابر قومهم وما يمكرون الا بانفسهم لان مكرهم يحيق بهم وهذه تسلية لرسول الله عليه السلام ووعد له بالنصرة واذا جاءتهم آية قالوا لن نؤمن حتى نؤتى مثل ما اوتي رسل الله الله اعلم حيث يجعل رسالاته سيصيب الذين اجرموا صغار عند الله وعذاب شديد بما كانوا يمكرون روي ان الوليد بن المغيرة قال لو كانت النبوة حقا لكنت اولى بها منك لاني اكبر منك سنا واكثر منك مالا ان ابا جهل قال زاحمنا بنو عبد مناف في الشرف حتى اذا صرنا كفرسي رهان قالوا منا نبي يوحى اليه والله لا نرضى به ولا نتبعه ابدا الا ان يأتينا وحي كما يأتيه فنزلت ونحوها قوله تعالى بل يريد كل امرئ منهم ان يؤتى صحفا منشرة الله اعلم كلام مستأنف للانكار عليهم وان الله لا يصطفي للنبوة الا من علم انه يصلح لها وهو اعلم بالمكان الذي يضعها فيه منهم سيصيب الذين اجرموا من اكابرها صغار وقماءة بعد كبرهم وعظمهم وعذاب شديد في الدارين من الاسر والقتل وعذاب النار فمن يرد الله ان يهديه يشرح صدره للاسلام ومن يرد ان يضله يجعل صدره ضيقا حرجا كانما يصعد في السماء كذلك يجعل الله الرجس على الذين لا يؤمنون فمن يرد الله ان يهديه ان يلطف به ولا يريد ان يلطف الا من له لطف يشرح صدره للاسلام يلطف به حتى يرغب في الاسلام وتسكن اليه نفسه ويحب الدخول فيه ومن يرد ان يضله ان يخذله ويخليه وشانه وهو الذي لا لطف له يجعل صدره ضيقا حرجا يمنعه الطافه حتى يقسو قلبه وينبو عن قبول الحق وينسد فلا يدخله الايمان وقرئ ضيقا بالتخفيف والتشديد حرجا بالكسر وحرجا بالفتح وصفا بالمصدر كانما يصعد في السماء كانما يزاول امرا غير ممكن لان صعود السماء مثل فيما يمتنع ويبعد من الاستطاعة ويضيق عنه المقدرة وقرئ يصعد واصله يتصعد وقرا عبد الله يتصعد ويصاعد واصله يتصاعد ويصعد من صعد ويصعد من اصعد يجعل الله الرجس يعني الخذلان ومنع التوفيق وصفه بنقيض ما يوصف به التوفيق من الطيب او اراد الفعل المؤدي الى الرجس وهو العذاب من الارتجاس وهو الاضطراب وهذا صراط ربك مستقيما قد فصلنا الآيات لقوم يذكرون لهم دار السلام عند ربهم وهو وليهم بما كانوا يعملون وهذا صراط ربك وهذا طريقه الذي اقتضته الحكمة وعادته في التوفيق والخذلان مستقيما عادلا مطردا وانتصابه على انه حال مؤكدة كقوله تعالى وهو الحق مصدقا لهم لقوم يذكرون دار السلام دار الله يعني الجنة اضافها الى نفسه تعظيما لها او دار السلامة من كل آفة وكدر عند ربهم في ضمانه كما تقول لفلان عندي حق لا ينسى او ذخيرة لهم لا يعلمون كنهها كقوله تعالى فلا تعلم نفس ما اخفي لهم من قرة اعين وهو وليهم مواليهم ومحبهم او ناصرهم على اعدائهم بما كانوا يعملون بسبب اعمالهم او متوليهم بجزاء ما كانوا يعملون ويوم يحشرهم جميعا يا معشر الجن قد استكثرتم من الانس وقال اولياؤهم من الانس ربنا استمتع بعضنا ببعض وبلغنا اجلنا الذي اجلت لنا قال النار مثواكم خالدين

إلا ما شاء الله إن ربك حكيم عليم ويوم نحشرهم منصوب بمحذوف أي واذكر يوم نحشرهم أو ويوم نحشرهم قلنا يا معشر الجن أو ويوم نحشرهم وقلنا يا معشر الجن كان ما لا يوصف لفظاعته والضمير لمن يحشر من الثقلين وغيرهم والجن هم الشياطين قد استكثرتم من الإنس أضللتم منهم كثيرا وجعلتموهم أتباعكم فحشر معكم منهم الجم الغفير كما تقول استكثر الأمير من الجنود واستكثر فلان من الأشياع وقال أولياؤهم من الإنس الذين أطاعوهم واستمعوا إلى وسوستهم ربنا استمتع بعضنا ببعض أي انتفع الإنس بالشياطين حيث دلوهم على الشهوات وعلى أسباب التوصل إليها وانتفع الجن بالإنس حيث أطاعوهم وساعدوهم على مرادهم وشهوتهم في إغوائهم وقيل استمتاع الإنس بالجن ما في قوله تعالى وأنه كان رجال من الإنس يعوذون برجال من الجن وأن الرجل كان إذا نزل واديا وخاف قال أعوذ برب هذا الوادي يعني به كبير الجن واستمتاع الجن بالإنس اعتراف الإنس لهم بأنهم يقدرون على الدفع عنهم وإجارتهم لهم وبلغنا أجلنا الذي أجلت لنا يعنون يوم البعث وهذا الكلام اعتراف بما كان منهم من طاعة الشياطين واتباع الهوى والتكذيب بالبعث واستسلام لربهم وتحسر على حالهم خالدين فيها إلا ما شاء الله أي يخلدون في عذاب النار الأبد كله إلا ما شاء الله إلا الأوقات التي ينقلون فيها من عذاب النار إلى عذاب الزمهرير فقد روي أنهم يدخلون واديا فيه من الزمهرير ما يميز بعض أوصالهم من بعض فيتعاوون ويطلبون الرد إلى الجحيم ويكون من قول الموتور الذي ظفر بواتره ولم يزل يحرق عليه أنيابه وقد طلب إليه أن ينفس عن خناقه أهلكني الله إن نفست عنك إلا إذا شئت وقد علم أنه لا يشاء إلا التشفي منه بأقصى ما يقدر عليه من التعنيف والتشديد فيكون قوله إلا إذا شئت من أشد الوعيد مع تهكم بالموعد لخروجه في صورة الاستثناء الذي فيه إطماع إن ربك حكيم لا يفعل شيئا إلا بموجب الحكمة عليم بأن الكفار يستوجبون عذاب الأبد وكذلك نولي بعض الظالمين بعضا بما كانوا يكسبون نولي بعض الظالمين بعضا نخليهم حتى يتولى بعضهم بعضا كما فعل الشياطين وغواة الإنس أو نجعل بعضهم أولياء بعض يوم القيامة وقرناءهم كما كانوا في الدنيا بما كانوا يكسبون بسبب ما كسبوا من الكفر والمعاصي يا معشر الجن والإنس ألم يأتكم رسل منكم يقصون عليكم آياتي وينذرونكم لقاء يومكم هذا قالوا شهدنا على أنفسنا وغرتهم الحياة الدنيا وشهدوا على أنفسهم أنهم كانوا كافرين يقال لهم يوم القيامة على جهة التوبيخ ألم يأتكم رسل منكم واختلف في أن الجن هل بعث إليهم رسل منهم فتعلق بعضهم بظاهر الآية ولم يفرق بين مكلفين ومكلفين أن يبعث إليهم رسول من جنسهم لأنهم به آنس وله آلف وقال آخرون الرسل من الإنس خاصة وإنما قيل رسل منكم لأنه لما جمع الثقلان في الخطاب صح ذلك وإن كان من أحدهما كقوله تعالى يخرج منهما اللؤلؤ والمرجان وقيل أراد رسل الرسل من الجن إليهم ولوا إلى قومهم منذرين وعن الكلبي كانت الرسل قبل أن بعث محمد صلى الله عليه وسلم يبعثون إلى الإنس ورسول الله عليه السلام إلى الجن والإنس قالوا شهدنا على أنفسنا حكاية

لتصديقهم

لتصديقهم وإيجابهم قوله تعالى ألم يأتكم لأن الهمزة الداخلة على نفي إتيان الرسل للإنكار فكان تقريرا لهم وقولهم شهدنا على أنفسنا إقرار منهم بأن حجة الله لازمة لهم وأنهم محجوجون بها فإن قلت ما لهم مقرين في هذه الآية جاحدين في قوله والله ربنا ما كنا مشركين قلت تتفاوت الأحوال والمواطن في ذلك اليوم المتطاول فيقرون في بعضها ويجحدون في بعض أو يريد شهادة أيديهم وأرجلهم وجلودهم حين يختم على أفواههم فإن قلت لم كرر ذكر شهادتهم على أنفسهم قلت الأولى حكاية لقولهم كيف يقولون ويعترفون والثانية ذم لهم وتخطئة لرأيهم ووصف لقلة نظرهم لأنفسهم وأنهم قوم غرتهم الحياة الدنيا واللذات الحاضرة فكان عاقبة أمرهم أن اضطروا إلى الشهادة على أنفسهم بالكفر والاستسلام لربهم واستيجاب عذابه وإنما قال ذلك تحذيرا للسامعين من مثل حالهم ذلك أن لم يكن ربك مهلك القرى بظلم وأهلها غافلون ذلك إشارة إلى ما تقدم من بعثة الرسل إليهم وإنذارهم سوء العاقبة وهو خبر مبتدإ محذوف أي الأمر ذلك وأن لم يكن ربك مهلك القرى تعليل أي الأمر ما قصصنا عليك لانتفاء كون ربك مهلك القرى بظلم ولك أن تجعله بدلا من ذلك كقوله تعالى وقضينا إليه ذلك الأمر أن دابر هؤلاء مقطوع بظلم بسبب ظلم أقدموا عليه أو ظالما على أنه لو أهلكهم وهم غافلون لم ينبهوا برسول وكتاب لكان ظالما وهو متعال عن الظلم وعن كل قبيح ولكل درجات مما عملوا وما ربك بغافل عما يعملون ولكل من المكلفين درجات منازل مما عملوا من جزاء أعمالهم وما ربك بغافل عما يعملون بساه عنه يخفى عليه مقاديره وأحواله وما يستحق عليه من الأجر وربك الغني ذو الرحمة إن يشأ يذهبكم ويستخلف من بعدكم ما يشاء كما أنشأكم من ذرية قوم آخرين إنما توعدون لآت وما أنتم بمعجزين وربك الغني عن عباده وعن عبادتهم ذو الرحمة يترحم عليهم بالتكليف ليعرضهم للمنافع الدائمة إن يشأ يذهبكم أيها العصاة ويستخلف من بعدكم ما يشاء من الخلق المطيع كما أنشأكم من ذرية قوم آخرين من أولاد قوم آخرين لم يكونوا على مثل صفتكم وهم أهل سفينة نوح عليه السلام قل يا قوم اعملوا على مكانتكم إني عامل فسوف تعلمون المكانة تكون مصدرا يقال مكن مكانة إذا تمكن أبلغ التمكن وبمعنى المكان يقال مكان ومكانة ومقام ومقامة وقوله اعملوا على مكانتكم يحتمل اعملوا على تمكنكم من أمركم وأقصى استطاعتكم وإمكانكم واعملوا على جهتكم وحالكم التي أنتم عليها يقال للرجل إذا أمر أن يثبت على حاله على مكانتك يا فلان أي اثبت على ما أنت عليه لا تنحرف عنه إني عامل أي عامل على مكانتي التي أنا عليها والمعنى اثبتوا على كفركم وعداوتكم لي فإني ثابت على الإسلام وعلى مصابرتكم فسوف تعلمون أينا تكون له العاقبة المحمودة وطريقة هذا الأمر طريقة قوله اعملوا ما شئتم وهي التخلية والتسجيل على المأمور بأنه لا يأتي منه إلا الشر فكأنه مأمور به وهو واجب عليه حتم ليس له أن يتفصى عنه ويعمل بخلافه من تكون له عاقبة الدار إنه لا يفلح الظالمون فإن قلت ما موضع من الرفع إذا كان بمعنى أي وعلق عنه فعل العلم أو النصب إذا كان بمعنى الذي وعاقبة

الدار العاقبة الحسنى التي خلق الله هذه الدار لها وهذا طريق من الانذار لطيف المسلك فيه انصاف في المقال وادب حسن مع تضمن شدة الوعيد والوثوق بان المنذر محق وان المنذر مبطل وجعلوا لله مما ذرأ من الحرث والانعام نصيبا فقالوا هذا لله بزعمهم وهذا لشركائنا فما كان لشركائهم فلا يصل الى الله وما كان لله فهو يصل الى شركائهم ساء ما يحكمون كانوا يعينون اشياء من حرث ونتاج لله تعالى واشياء منهما لآلهتهم فاذا راوا ما جعلوه لله زاكيا ناميا يزيد في نفسه خيرا رجعوا فجعلوه للآلهة واذا زكا ما جعلوه للاصنام تركوه لها واعتلوا بان الله غني وانما ذلك لحبهم آلهتهم وايثارهم لها وقوله مما ذرأ فيه ان الله كان اولى بان يجعل له الزاكي لانه هو الذي ذرأه وزكاه ولا يرد الى ما لا يقدر على ذرء ولا تزكية بزعمهم وقرئ بالضم اي بزعموا انه لله والله لم يامرهم بذلك ولا شرع لهم تلك القسمة التي هي من الشرك لانهم اشركوا بين الله وبين اصنامهم في القربة فلا يصل الى الله اي لا يصل الى الوجوه التي كانوا يصرفونه اليها من قرى الضيفان والتصدق على المساكين فهو يصل الى شركائهم من انفاق عليها بذبح نسائك عندها والاجراء على سدنتها ونحو ذلك ساء ما يحكمون في ايثار آلهتهم على الله وعملهم على ما لم يشرع لهم وكذلك زين لكثير من المشركين قتل اولادهم شركاؤهم ليردوهم وليلبسوا عليهم دينهم ولو شاء الله ما فعلوه فذرهم وما يفترون وكذلك ومثل ذلك التزيين وهو تزيين الشرك في قسمة القربات بين الله والآلهة او ومثل ذلك التزيين البليغ الذي علم من الشياطين والمعنى ان شركاءهم من الشياطين او من سدنة الاصنام زينوا لهم قتل اولادهم بالوأد او بنحرهم للآلهة وكان الرجل يحلف في الجاهلية لئن ولد له كذا غلاما لينحرن احدهم كما حلف عبد المطلب زين على البناء للفاعل الذي هو شركاؤهم ونصب قتل اولادهم وزين على البناء للمفعول الذي هو القتل ورفع شركاؤهم باضمار فعل دل عليه زين كأنه قيل لما قيل زين لهم قتل اولادهم من زينه فقيل زينه لهم شركاؤهم واما قراءة ابن عامر قتل اولادهم شركائهم برفع القتل ونصب الاولاد وجر الشركاء على اضافة القتل الى الشركاء والفصل بينهما بغير الظرف فشيء لو كان في مكان الضرورات وهو الشعر لكان سمجا مردودا كما سمج ورد زج القلوص ابي مزاده فكيف به في الكلام المنثور فكيف به في القرآن المعجز بحسن نظمه وجزالته والذي حمله على ذلك ان راى في بعض المصاحف شركائهم مكتوبا بالياء ولو قرأ بجر الاولاد والشركاء لان الاولاد شركاؤهم في اموالهم لوجد في ذلك مندوحة عن هذا الارتكاب ليردوهم ليهلكوهم بالاغواء وليلبسوا عليهم دينهم وليخلطوا عليهم ويشبهوه ودينهم ما كانوا عليه من دين اسمعيل عليه السلام حتى زلوا عنه الى الشرك وقيل دينهم الذي وجب ان يكونوا عليه وقيل معناه وليوقعوهم في دين ملتبس فان قلت ما معنى اللام ان كان التزيين من الشياطين فهو على حقيقة التعليل وان كان من السدنة فعلى معنى الصيرورة ولو شاء الله مشيئة قسر ما فعلوه ما فعل المشركون ما زين لهم من القتل او لما فعل الشياطين او السدنة التزيين او الارداء او اللبس او جميع ذلك

ان جعلت الضمير جاريا مجرى اسم الاشارة وما يفترون وما يفترونه من الافك او وافتراءهم وقالوا هذه انعام وحرث حجر لا يطعمها الا من نشاء بزعمهم وانعام حرمت ظهورها وانعام لا يذكرون اسم الله عليها افتراء عليه سيجزيهم بما كانوا يفترون حجر فعل بمعنى مفعول كالذبح والطحن ويستوي في الوصف به المذكر والمؤنث والواحد والجمع لان حكمه حكم الاسماء غير الصفات وقرأ الحسن وقتادة حجر بضم الحاء وعن ابن عباس رضي الله عنه حرج وهو من التضييق وكانوا اذا عينوا اشياء من حروثهم وانعامهم لآلهتهم قالوا لا يطعمها الا من نشاء يعنون خدم الاوثان والرجال دون النساء وانعام حرمت ظهورها يعني البحائر والسوائب والحوامي وانعام لا يذكرون اسم الله عليها في الذبح وانما يذكرون عليها اسماء الاصنام وقيل لا يحجون عليها ولا يلبون على ظهورها والمعنى انهم قسموا انعامهم فقالوا هذه انعام حجر وهذه انعام محرمة الظهور وهذه انعام لا يذكرون اسم الله عليها فجعلوها اجناسا بهواهم ونسبوا ذلك التحجير الى الله تعالى افتراء عليه اي فعلوا ذلك كله على جهة الافتراء وانتصابه على انه مفعول له او حال او مصدر مؤكد لان قولهم ذلك في معنى الافتراء وقالوا ما في بطون هذه الانعام خالصة لذكورنا ومحرم على ازواجنا وان يكن ميتة فهم فيه شركاء سيجزيهم وصفهم انه حكيم عليم قد خسر الذين قتلوا اولادهم سفها بغير علم وحرموا ما رزقهم الله افتراء على الله قد ضلوا وما كانوا مهتدين كانوا يقولون في اجنة البحائر والسوائب ما ولد منها حيا فهو خالص للذكور لا تأكل منه الاناث وما ولد ميتا اشترك فيه الذكور والاناث وانث خالصة للحمل على المعنى لان ما في معنى الاجنة وذكر محرم للحمل على اللفظ ونظيره قوله تعالى ومنهم من يستمع اليك حتى اذا خرجوا من عندك ويجوز ان تكون التاء للمبالغة مثلها في راوية الشعر وان تكون مصدرا وقع موقع الخالص كالعافية اي ذو خالصة ويدل عليه قراءة من قرأ خالصة بالنصب على ان قوله لذكورنا هو الخبر وخالصة مصدر مؤكد ولا يجوز ان تكون حالا متقدمة لان المجرور لا يتقدم عليه حاله ابن عباس رضي الله عنهما خالصه على الاضافة وفي مصحف عبد الله خالص وان يكن ميتة وان يكن ما في بطونها ميتة وقرئ وان تكن بالتأنيث على ان تكن الاجنة ميتة اهل مكة وان تكن ميتة بالتأنيث والرفع على كان التامة وتذكير الضمير في قوله فهم فيه شركاء لان الميتة لكل ميت ذكر او انثى فكانه قيل وان يكن ميت فهم فيه شركاء سيجزيهم وصفهم اي جزاء وصفهم الكذب على الله في التحليل والتحريم من قوله تعالى وتصف السنتهم الكذب ان لهم الحسنى ولا تقولوا لما تصف السنتكم الكذب هذا حلال وهذا حرام نزلت في ربيعة ومضر والعرب الذين كانوا يئدون بناتهم مخافة السبي والفقر سفها بغير علم لخفة احلامهم وجهلهم بان الله تعالى هو الرازق لاولادهم لا هم وقرئ قتلوا بالتشديد ما رزقهم الله من البحائر والسوائب وغيرها وهو الذي انشأ جنات معروشات وغير معروشات والنخل والزرع مختلفا اكله والزيتون والرمان متشابها وغير متشابه كلوا من ثمره اذا اثمر وآتوا حقه يوم حصاده ولا تسرفوا انه لا يحب المسرفين انشأ جنات من الكروم معروشات مسموكات وغير معروشات متروكات على وجه الارض لم تعرش

وقيل المعروشات ما في الارياف والعمران مما غرسه الناس واهتموا به فعرشوه وغير معروشات ما انبته الله وحشيا في البراري والجبال فهو غير معروش يقال عرشت الكرم اذا جعلت له دعائم وسمكا تعطف عليه القضبان وسقفه البيت عرشه مختلفا اكله في اللون والطعم والحجم والرائحة وقرئ اكله بالضم والسكون وهو ثمره الذي يوكل والضمير للنخل والزرع داخل في حكمه لكونه معطوفا عليه ومختلفا حال مقدرة لانه وقت الانشا كذلك فادخلوها خالدين وقرئ ثمره بضمتين فان قلت ما فائدة قوله اذا اثمر وقد علم انه اذا لم يثمر لم يوكل منه لما ابيح لهم الاكل من ثمره قيل اذا اثمر ليعلم ان اول وقت الاباحة وقت اطلاع الشجر الثمر لئلا يتوهم انه لا يباح الا اذا ادرك واينع وآتوا حقه يوم حصاده الاية مكية والزكوة انما فرضت بالمدينة فاريد بالحق ما كان يتصدق به على المساكين يوم الحصاد وكان ذلك واجبا حتى نسخه افتراض العشر ونصف العشر وقيل مدنية والحق هو الزكوة المفروضة ومعناه واعزموا على ايتاء الحق واقصدوه واهتموا به يوم الحصاد حتى لا تؤخروه عن اول وقت يمكن فيه الايتاء ولا تسرفوا في الصدقة كما روى عن ثابت بن قيس انه صرم خمسماية نخلة ففرق ثمرها كله ولم يدخل منه شيئا الى منزله ولا تبسطها كل البسط فتقعد ملوما محسورا ومن الانعام حمولة وفرشا كلوا مما رزقكم الله ولا تتبعوا خطوات الشيطان انه لكم عدو مبين حمولة وفرشا عطف على جنات اي وانشا من الانعام ما يحمل الاثقال وما يفرش للذبح او ينسج من وبره وصوفه وشعره الفرش وقيل الحمولة الكبار التي تصلح للحمل والفرش الصغار كالفصلان والعجاجيل والغنم لانها دانية من الارض للطافة اجرامها مثل الفرش المفروش عليها ولا تتبعوا خطوات الشيطان في التحليل والتحريم من عند انفسكم كما فعل اهل الجاهلية ثمانية ازواج من الضان اثنين ومن المعز اثنين قل آلذكرين حرم ام الانثيين اما اشتملت عليه ارحام الانثيين نبئوني بعلم ان كنتم صادقين ثمانية ازواج بدل من حمولة وفرشا اثنين زوجين اثنين يريد الذكر والانثى كالجمل والناقة والثور والبقرة والكبش والنعجة والتيس والعنز والواحد اذا كان وحده فهو فرد فاذا كان معه غيره من جنسه سمي كل واحد منهما زوجا وهما زوجان بدليل قوله تعالى خلق الزوجين الذكر والانثى والدليل عليه قوله تعالى ثمانية ازواج ثم فسرها بقوله من الضان اثنين ومن المعز اثنين ومن الابل اثنين ومن البقر اثنين ونحو تسميتهم الفرد بالزوج بشرط ان يكون معه آخر من جنسه تسميتهم الزجاجة كاسا بشرط ان يكون فيها خمر والضان والمعز جمع ضائن وماعز كتاجر وتجر وقرئ اثنان على الابتداء والمعز وقرئا بفتح العين اي من المعزى آلذكرين الهمزة في الذكرين للانكار والمراد بالذكرين الذكر من الضان والذكر من المعز وبالانثيين الانثى من الضان والانثى من المعز على طريق الجنسية والمعنى انكار ان يحرم الله من جنسي الغنم ضانها ومعزها شيئا من نوعي ذكورها واناثها ولا مما تحمل اناث الجنسين وكذلك الذكران من جنسي الابل والبقر والانثيان منهما وما تحمل اناثهما وذلك انهم كانوا يحرمون ذكورة الانعام تارة واناثها تارة واولادها كيف ما كانت ذكورا او اناثا او مختلطة تارة وكانوا يقولون قد حرمها الله تعالى فانكر ذلك عليهم نبئوني بعلم اخبروني بامر معلوم من جهة الله يدل على تحريم ما حرمتم

ان

ان كنتم صادقين في ان الله تعالى حرمه ومن الابل اثنين ومن البقر اثنين قل آلذكرين حرم ام الانثيين اما اشتملت عليه ارحام الانثيين ام كنتم شهداء اذ وصاكم الله بهذا فمن اظلم ممن افترى على الله كذبا ليضل الناس بغير علم ان الله لا يهدي القوم الظالمين ام كنتم شهداء بل أكنتم شهداء ومعنى الهمزة الانكار يعني ام شاهدتم ربكم حين امركم بهذا التحريم وذكر المشاهدة على مذهبهم لانهم كانوا لا يؤمنون برسوله فهم يقولون الله حرم هذا الذي نحرمه فتهكم بهم في قوله تعالى ام كنتم شهداء على معنى اعرفتم التوصية به مشاهدين لانكم لا تؤمنون بالرسل فمن اظلم ممن افترى على الله كذبا فنسب اليه تحريم ما لم يحرم ليضل الناس وهو عمرو بن لحي بن قمعة الذي بحر البحائر وسيب السوائب فان قلت فصل بين بعض المعدود وبعضه ولم يوال بينه فقد وقع الفاصل بينهما اعتراضا غير اجنبي من المعدود وذلك ان الله عز وجل من على عباده بانشا الانعام لمنافعهم وباباحتها لهم فاعترض بالاحتجاج على من حرمها والاحتجاج على من حرمها تاكيد وتشديد للتحليل والاعتراضات في الكلام لا تساق الا للتوكيد قل لا اجد فيما اوحي الي محرما على طاعم يطعمه الا ان يكون ميتة او دما مسفوحا او لحم خنزير فانه رجس او فسقا اهل لغير الله به فمن اضطر غير باغ ولا عاد فان ربك غفور رحيم فيما اوحي الي تنبيه على ان التحريم انما يثبت بوحي الله لا بهوى النفس محرما طعاما محرما من المطاعم التي حرمتموها الا ان يكون ميتة الا ان يكون الشيء المحرم ميتة او دما مسفوحا اي مصبوبا سائلا كالدم في العروق لا كالكبد والطحال وقد رخص في دم العروق بعد الذبح او فسقا عطف على المنصوب قبله سمى ما اهل به لغير الله فسقا لتوغله في باب الفسق ومنه قوله تعالى ولا تاكلوا مما لم يذكر اسم الله عليه وانه لفسق واهل صفة له منصوبة المحل ويجوز ان يكون مفعولا له من اهل اي اهل لغير الله به فسقا فان قلت فعلام يعطف اهل والام يرجع الضمير في به على هذا القول يعطف على يكون ويرجع الضمير الى ما يرجع اليه المستكن في يكون فمن اضطر فمن دعته الضرورة الى اكل شيء من هذه المحرمات غير باغ على مضطر مثله تارك لمواساته ولا عاد متجاوز قدر حاجته من تناوله فان ربك غفور رحيم لا يواخذه وعلى الذين هادوا حرمنا كل ذي ظفر ومن البقر والغنم حرمنا عليهم شحومهما الا ما حملت ظهورهما او الحوايا او ما اختلط بعظم ذلك جزيناهم ببغيهم وانا لصادقون ذو الظفر ما له اصبع من دابة او طائر وكان لبعض ذوات الظفر حلالا لهم فلما ظلموا حرم ذلك عليهم فعم التحريم كل ذي ظفر بدليل قوله تعالى فبظلم من الذين هادوا حرمنا عليهم طيبات احلت لهم وقوله ومن البقر والغنم حرمنا عليهم شحومهما كقولك من زيد اخذت ماله تريد بالاضافة زيادة الربط والمعنى انه حرم عليهم لحم كل ذي ظفر وشحمه وكل شيء منه وترك البقر والغنم على التحليل لم يحرم منهما الا الشحوم الخالصة وهي الثروب وشحوم الكلى وقوله الا ما حملت ظهورهما يعني الا ما اشتمل على الظهور والجنوب من السحفة او الحوايا او ما اشتمل على الامعاء او ما اختلط بعظم وهو شحم الالية وقيل الحوايا عطف

على تحريمهما وأو بمنزلتها في قولهم جالس الحسن أو ابن سيرين ذلك الجزاء جزيناهم وهو تحريم
الطيبات ببغيهم بسبب ظلمهم وإنا لصادقون فيما أوعدنا به العصاة لا نخلفه كما لا نخلف
ما وعدناه أهل الطاعة فلما عصوا وبغوا ألحقنا بهم الوعيد وأحللنا بهم العقاب **فإن
كذبوك فقل ربكم ذو رحمة واسعة ولا يرد بأسه عن القوم المجرمين** فإن كذبوك
في ذلك وزعموا أن الله تعالى واسع الرحمة وأنه لا يؤاخذ بالبغي ويخلف الوعيد جودا
وكرما فقل لهم ربكم ذو رحمة واسعة لأهل طاعته ولا يرد بأسه مع سعة رحمته عن القوم
المجرمين فلا يغتر برجاء رحمته عن خوف نقمته **سيقول الذين أشركوا لو شاء الله ما
أشركنا ولا آباؤنا ولا حرمنا من شيء كذلك كذب الذين من قبلهم حتى ذاقوا بأسنا
قل هل عندكم من علم فتخرجوه لنا إن تتبعون إلا الظن وإن أنتم إلا تخرصون**
سيقول الذين أشركوا إخبار بما سوف يقولونه ولما قالوه قال وقال الذين أشركوا لو شاء
الله ما عبدنا من دونه من شيء يعنون بكفرهم وتمردهم أن شركهم وشرك آبائهم وتحريمهم
ما أحل الله بمشيئة الله وإرادته ولولا مشيئته لم يكن شيء من ذلك كمذهب المجبرة بعينه
كذلك كذب الذين من قبلهم أي جاءوا بالتكذيب المطلق لأن الله عز وجل ركب في العقول
وأنزل في الكتب ما دل على غناه وبراءته من مشيئة القبائح وإرادتها والرسل أخبروا بذلك
فمن علق وجود القبائح من الكفر والمعاصي بمشيئة الله وإرادته فقد كذب التكذيب
كله وهو تكذيب الله وكتبه ورسله ونبذ أدلة العقل والسمع وراء ظهره حتى ذاقوا
بأسنا حتى أنزلنا عليهم العذاب بتكذيبهم قل هل عندكم من علم من أمر معلوم يصح الاحتجاج
به فيما قلتم فتخرجوه لنا وهذا من التهكم والشهادة بأن مثل قولهم محال أن تكون له حجة
إن تتبعون إلا الظن في قولكم هذا وإن أنتم إلا تخرصون تقدرون أن الأمر كما تزعمون
أو تكذبون **وقرئ** كذلك كذب الذين من قبلهم بالتخفيف **قل فلله الحجة البالغة
فلو شاء لهداكم أجمعين** قل فلله الحجة البالغة يعني فإن كان الأمر كما زعمتم أن ما أنتم
عليه بمشيئة الله يقتضي أن تعلقوا دين من خالفكم أيضا بمشيئته فتوالوهم ولا تعادوهم
وتوافقوهم ولا تخالفوهم لأن المشيئة تجمع بين ما أنتم عليه وبين ما هم عليه **قل هلم
شهداءكم الذين يشهدون أن الله حرم هذا فإن شهدوا فلا تشهد معهم ولا
تتبع أهواء الذين كذبوا بآياتنا والذين لا يؤمنون بالآخرة وهم بربهم يعدلون**
هلم يستوي فيه الواحد والجمع والمذكر والمؤنث عند الحجازيين وبنو تميم تؤنث وتجمع
والمعنى هاتوا شهداءكم وقربوهم **فإن قلت** كيف أمره باستحضار شهدائهم الذين
يشهدون أن الله حرم ما زعموه محرما ثم أمره بأن لا يشهد معهم
وهم شهداء الباطل ليلزمهم الحجة ويلقمهم الحجر ويظهر للمشهود لهم بانقطاع الشهداء أنهم ليسوا
على شيء لتساوي أقدام الشاهدين والمشهود لهم في أنهم لا يرجعون إلى ما يصح التمسك به وقوله
فلا تشهد معهم يعني فلا تسلم لهم ما شهدوا به ولا تصدقهم لأنه إذا سلم لهم فكأنه شهد معهم
مثل شهادتهم وكان واحدا منهم ولا تتبع أهواء الذين كذبوا بآياتنا من وضع الظاهر موضع
المضمر للدلالة على أن من كذب بآيات الله وعدل به غيره فهو متبع للهوى لا غير لأنه لو تبع

الدليل لم يكن إلا مصدقا بالآيات موحدا لله تعالى **فإن قلت** هلا قيل هلم شهداء يشهدون
أن الله حرم هذا وأي فرق بينه وبين المنزل المراد أن يحضروا شهداءهم الذين علم
أنهم يشهدون لهم وينصرون قولهم وكان المشهود لهم يقلدونهم ويثقون بهم ويعتضدون
بشهادتهم ليهدم ما يقومون به فيحق الحق ويبطل الباطل فأضيفت الشهداء إليهم وجيء
بالذين للدلالة على أنهم شهداء معروفون موسومون بالشهادة لهم وبنصرة مذهبهم
والدليل عليه قوله فإن شهدوا فلا تشهد معهم ولو قيل هلم شهداء يشهدون لكان معناه
هاتوا أناسا يشهدون بتحريم ذلك فكان الظاهر طلب شهداء بالحق وذلك ليس بالغرض
ويناقضه قوله فإن شهدوا فلا تشهد معهم **قل تعالوا أتل ما حرم ربكم عليكم ألا
تشركوا به شيئا وبالوالدين إحسانا ولا تقتلوا أولادكم من إملاق نحن نرزقكم
وإياهم ولا تقربوا الفواحش ما ظهر منها وما بطن ولا تقتلوا النفس التي
حرم الله إلا بالحق ذلكم وصاكم به لعلكم تعقلون ولا تقربوا مال اليتيم إلا
بالتي هي أحسن حتى يبلغ أشده وأوفوا الكيل والميزان بالقسط لا نكلف
نفسا إلا وسعها وإذا قلتم فاعدلوا ولو كان ذا قربى وبعهد الله أوفوا
ذلكم وصاكم به لعلكم تذكرون وأن هذا صراطي مستقيما فاتبعوه
ولا تتبعوا السبل فتفرق بكم عن سبيله ذلكم وصاكم به لعلكم تتقون**
تعال من الخاص الذي صار عاما وأصله أن يقوله من كان في مكان عال لمن هو أسفل منه ثم كثر واتسع حتى عم
وما حرم منصوب بفعل التلاوة بمعنى أتل الذي حرمه ربكم أو بحرم بمعنى أتل أي شيء حرم ربكم لأن التلاوة من
القول وأن في ألا تشركوا مفسرة ولا للنهي **فإن قلت** هلا قلت هي التي تنصب الفعل وجعلت أن
لا تشركوا بدلا مما حرم وجب أن يكون لا تشركوا ولا تقربوا ولا تقتلوا ولا تتبعوا السبل
نواهي لانعطاف الأوامر عليها وهي قوله تعالى وبالوالدين إحسانا لأن التقدير وأحسنوا
بالوالدين إحسانا وأوفوا وإذا قلتم فاعدلوا وبعهد الله أوفوا **فإن قلت** فما
تصنع بقوله وأن هذا صراطي مستقيما فاتبعوه فيمن قرأ بالفتح وإنما يستقيم عطفه على أن لا
تشركوا إذا جعلت أن هي الناصبة للفعل حتى يكون المعنى أتل عليكم نفي الإشراك والتوحيد
وأتل عليكم أن هذا صراطي مستقيما **قلت** اجعل قوله وأن هذا صراطي مستقيما علة للاتباع
بتقدير اللام **كقوله تعالى** وأن المساجد لله فلا تدعوا مع الله أحدا بمعنى ولأن
هذا صراطي مستقيما فاتبعوه والدليل عليه القراءة بالكسر كأنه قيل واتبعوا صراطي لأنه
مستقيم أو واتبعوا صراطي إنه مستقيم فإذا جعلت أن مفسرة لفعل التلاوة
وهو معلق بما حرم ربكم وجب أن يكون ما بعده منهيا عنه محرما كله كالشرك وما بعده
مما دخل عليه حرف النهي فما تصنع بالأوامر **قلت** لما وردت هذه الأوامر مع النواهي
وتقدمهن جميعا فعل التحريم واشتركن في الدخول تحت حكمه علم أن التحريم راجع إلى أضدادها
وهي الإساءة إلى الوالدين وبخس الكيل والميزان وترك العدل في القول ونكث عهد
الله من إملاق من أجل فقر ومن خشيته كقوله تعالى خشية إملاق ما ظهر منها وما
بطن مثل قوله ظاهر الإثم وباطنه إلا بالحق كالقصاص والقتل على الردة والرجم

الا بالتي هي احسن الا بالخصلة التي هي احسن ما يفعل بمال اليتيم وهي حفظه وتثميره والمعنى احفظوه عليه حتى يبلغ اشده فادفعوه اليه بالقسط بالسوية والعدل لا نكلف نفسا الا وسعها الا ما يسعها ولا تعجز عنه وانما اتبع الامر بايفاء الكيل والميزان ذلك لان مراعاة الحد من القسط الذي لا زيادة فيه ولا نقصان مما يجري فيه الحرج فامر ببلوغ الوسع وان ما وراءه معفو عنه واذا قلتم فاعدلوا ولو كان ذا قربى ولو كان المقول له او عليه في شهادة او غيرها من اهل قرابة القائل فما ينبغي ان يزيد في القول او ينقص **كقوله تعالى** ولو على انفسكم او الوالدين والاقربين **وقرئ** وان هذا صراطي بتخفيف ان واصله وانه هذا صراطي على ان الهاء ضمير الشان والحديث وقرا الاعمش وهذا صراطي وفي مصحف عبد الله وهذا صراط ربكم وفي مصحف ابي وهذا صراط ربك ولا تتبعوا السبل الطرق المختلفة في الدين من اليهودية والنصرانية والمجوسية وسائر البدع والضلالات فتفرق بكم فتفرقكم ايادي سبا عن سبيله عن صراط الله المستقيم وهو دين الاسلام وقرئ فتفرق بادغام التاء **وروى** ابو وائل عن ابن مسعود رضي الله عنه عن رسول الله صلى الله عليه وسلم انه خط خطا ثم قال هذا سبيل الرشد ثم خط عن يمينه وعن شماله خطوطا ثم قال هذه سبل على كل سبيل منها شيطان يدعوا اليه ثم تلا هذه الاية وان هذا صراطي مستقيما فاتبعوه **وعن** ابن عباس رضي الله عنهما هذه الايات محكمات لم ينسخهن شيء من جميع الكتب وقيل انهن ام الكتاب من عمل بهن دخل الجنة ومن تركهن دخل النار كعب الاحبار رضي الله عنه والذي نفس كعب بيده ان هذه الايات لاول شيء في التورية ثم اتينا موسى الكتاب تماما على الذي احسن وتفصيلا لكل شيء وهدى ورحمة لعلهم بلقاء ربهم يؤمنون **فان قلت** علام عطف قوله ثم اتينا موسى الكتاب على وصاكم به **فان قلت** كيف صح عطفه عليه بثم والايتاء قبل التوصية بدهر طويل هذه التوصية قديمة لم تزل توصيها كل امة على لسان نبيها كما قال ابن عباس رضي الله عنهما محكمات لم ينسخهن شيء من جميع الكتب فكانه قيل ذلكم وصيكم به يا بني ادم قديما وحديثا ثم اعظم من ذلك انا اتينا موسى الكتاب وانزلنا هذا الكتاب المبارك وقيل هو معطوف على ما تقدم قبل شطر السورة من قوله ووهبنا له اسحق ويعقوب تماما على الذي احسن تماما للكرامة والنعمة على الذي احسن على من كان محسنا صالحا يريد جنس المحسنين وتدل عليه قراءة عبد الله على الذين احسنوا او اراد به موسى عليه السلام اي تتمة للكرامة على العبد الذي احسن الطاعة في التبليغ وفي كل ما امر به او تماما على الذي احسن موسى من العلم والشرائع من احسن الشيء اذا اجاد معرفته اي زيادة على علمه على وجه التتميم وقرا يحيى بن يعمر على الذي احسن اي على الذي هو احسن بحذف المبتدا كقراءة من قرا مثلا ما بعوضة بالرفع اي على الذي هو احسن دين وارضاه او اتينا موسى الكتاب تماما اي تاما كاملا على احسن ما يكون عليه الكتب اي على الوجه والطريق الذي هو احسن وهو معنى قول الكلبي اتم له الكتاب على احسنه ان تقولوا انما انزل الكتاب على طائفتين من قبلنا وان كنا عن دراستهم لغافلين ان تقولوا كراهة ان تقولوا على طائفتين

يريد من اهل التورية واهل الانجيل وان كنا ان هي المخففة من الثقيلة واللام هي الفارقة بينها وبين النافية والاصل وانه كنا عن دراستهم غافلين على ان الهاء ضمير الشان عن دراستهم عن قراءتهم اي لم نعرف مثل دراستهم او تقولوا لو انا انزل علينا الكتاب لكنا اهدى منهم فقد جاءكم بينة من ربكم وهدى ورحمة فمن اظلم ممن كذب بايات الله وصدف عنها سنجزي الذين يصدفون عن اياتنا سوء العذاب بما كانوا يصدفون لكنا اهدى منهم لحدة اذهاننا وثقابة افهامنا وغزارة حفظنا لايام العرب ووقائعها وخطبها واشعارها واسجاعها وامثالها على انا اميون **وقرئ** ان يقولوا او يقولوا بالياء فقد جاءكم بينة من ربكم تبكيت لهم وهو على قراءة من قرا يقولوا على لفظ الغيبة احسن لما فيه من الالتفات والمعنى ان صدقتم فيما كنتم تعدون من انفسكم فقد جاءكم بينة من ربكم فحذف الشرط وهو من احاسن الحذوف فمن اظلم ممن كذب بايات الله بعد ما عرف صحتها وصدقها او تمكن من معرفة ذلك وصدف عنها الناس فضل واضل سنجزي الذين يصدفون عن اياتنا سوء العذاب **كقوله** تعالى الذين كفروا وصدوا عن سبيل الله زدناهم عذابا فوق العذاب هل ينظرون الا ان تاتيهم الملائكة او ياتي ربك او ياتي بعض ايات ربك يوم ياتي بعض ايات ربك لا ينفع نفسا ايمانها لم تكن امنت من قبل او كسبت في ايمانها خيرا قل انتظروا انا منتظرون الملائكة ملائكة الموت او العذاب او ياتي ربك او ياتي كل ايات ربك بدليل قوله او ياتي بعض ايات ربك يريد ايات القيامة والهلاك الكلي وبعض الايات اشراط الساعة كطلوع الشمس من مغربها وغير ذلك **وعن** البراء بن عازب رضي الله عنه كنا نتذاكر الساعة اذ اشرف علينا رسول الله عليه السلام فقال ما تتذاكرون قلنا نتذاكر الساعة قال انها لا تقوم حتى تروا قبلها عشر ايات الدخان ودابة الارض وخسفا بالمشرق وخسفا بالمغرب وخسفا بجزيرة العرب والدجال وطلوع الشمس من مغربها وياجوج وماجوج ونزول عيسى ونارا تخرج من عدن لم تكن امنت من قبل صفة لقوله نفسا وقوله او كسبت في ايمانها خيرا عطف على امنت والمعنى ان اشراط الساعة اذا جاءت وهي ايات ملجئة مضطرة ذهب اوان التكليف عندها فلم ينفع الايمان حينئذ نفسا غير مقدمة ايمانها من قبل ظهور الايات او مقدمة ايمانها غير كاسبة خيرا في ايمانها فلم يفرق كما ترى بين النفس الكافرة اذا امنت في غير وقت الايمان وبين النفس التي امنت في وقتها ولم تكسب خيرا ليعلم ان قوله الذين امنوا وعملوا الصالحات جمع بين قرينتين لا ينبغي ان تنفك احديهما عن الاخرى حتى يفوز صاحبهما ويسعد والا فالشقوة والهلاك قل انتظروا انا منتظرون وعيد **وقرئ** ان ياتيهم الملائكة بالياء والتاء ابن سيرين لا تنفع بالتاء لكون الايمان مضافا الى ضمير المؤنث الذي هو بعضه كقولك ذهبت بعض اصابعه ان الذين فرقوا دينهم وكانوا شيعا لست منهم في شيء انما امرهم الى الله ثم ينبئهم بما كانوا يفعلون فرقوا دينهم اختلفوا فيه كما اختلفت اليهود والنصارى وفي

الحديث افترقت اليهود على احدى وسبعين فرقة كلها في الهاوية الا واحدة وهي الناجية وافترقت النصارى على ثنتين وسبعين فرقة كلها في الهاوية الا واحدة وتفترق امتي على ثلث وسبعين كلها في الهاوية الا واحدة وقيل فرقوا دينهم فآمنوا ببعض وكفروا ببعض فارقوا دينهم اي تركوه وكانوا شيعا فرقا كل فرقة تشيع اماما لها لست منهم في شيء اي من السؤال عنهم وعن تفرقهم او من عقابهم وقيل هي منسوخة باية السيف **من جاء بالحسنة فله عشر امثالها ومن جاء بالسيئة فلا يجزى الا مثلها وهم لا يظلمون** عشر امثالها على اقامة صفة الجنس المميز مقام الموصوف تقديره عشر حسنات امثالها وقرئ عشرٌ امثالُها برفعهما جميعا على الوصف وهذا اقل ما وعد من الاضعاف وقد وعد بالواحد سبعمائة ووعد ثوابا بغير حساب ومضاعفة الحسنات فضل ومكافاة السيئات عدل وهم لا يظلمون لا ينقصون من ثوابهم ولا يزاد على عقابهم **قل انني هداني ربي الى صراط مستقيم دينا قيما ملة ابراهيم حنيفا وما كان من المشركين** دينا نصب على البدل من محل الى صراط لان معناه هداني صراطا بدليل قوله تعالى ويهديكم صراطا مستقيما والقيم فيعل من قام كسيد من ساد وهو ابلغ من القائم قيما والقيم مصدر بمعنى القيام وصف به وملة ابراهيم عطف بيان وحنيفا حال من ابراهيم **قل ان صلاتي ونسكي ومحياي ومماتي لله رب العالمين لا شريك له وبذلك امرت وانا اول المسلمين** قل ان صلاتي ونسكي وعبادتي وتقربي كله وقيل وذبحي وجمع بين الصلوة والذبح كما في قوله تعالى فصل لربك وانحر وقيل صلوتي وحجي من مناسك الحج ومحياي ومماتي وما اتيه في حياتي واموت عليه من الايمان والعمل الصالح لله رب العالمين خالصة لوجهه وبذلك من الاخلاص امرت وانا اول المسلمين لان اسلام كل نبي متقدم على اسلام امته **قل اغير الله ابغي ربا وهو رب كل شيء ولا تكسب كل نفس الا عليها ولا تزر وازرة وزر اخرى ثم الى ربكم مرجعكم فينبئكم بما كنتم فيه تختلفون** قل اغير الله ابغي ربا جواب عن دعائهم له الى عبادة آلهتهم والهمزة للانكار اي منكر ان ابغي ربا غيره وهو رب كل شيء فكل من دونه مربوب ليس في الوجود من له الربوبية غيره كما قال افغير الله تأمروني اعبد ولا تكسب كل نفس الا عليها جواب عن قولهم اتبعوا سبيلنا ولنحمل خطاياكم **وهو الذي جعلكم خلائف الارض ورفع بعضكم فوق بعض درجات ليبلوكم فيما آتاكم ان ربك سريع العقاب وانه لغفور رحيم** جعلكم خلائف الارض لان محمدا صلى الله عليه وسلم خاتم النبيين فخلفت امته سائر الامم او جعلكم يخلف بعضهم بعضا او هم خلفاء الله في ارضه تملكونها وتتصرفون فيها ورفع بعضكم فوق بعض في الشرف والرزق ليبلوكم فيما آتاكم من نعمة الجاه والمال كيف تشكرون تلك النعمة وكيف يصنع الشريف بالوضيع والحر بالعبد والغني بالفقير ان ربك سريع العقاب لمن كفر نعمته وانه لغفور رحيم لمن قام بشكرها ووصف العقاب بالسرعة لان ما هو آت قريب عن رسول الله صلى الله عليه وسلم انزلت علي سورة الانعام جملة واحدة يشيعها سبعون

الف ملك لهم زجل بالتسبيح والتحميد فمن قرأ سورة الانعام صلى عليه واستغفر له اولئك السبعون الف ملك بعدد كل اية من سورة الانعام يوما وليلة

وقيل مكية غير ثماني ايات واسئلهم عن القرية التي الى قوله واذ نتقنا الجبل وهي مائتان وخمس ايات وقيل ست ايات **المص كتاب انزل اليك فلا يكن في صدرك حرج منه لتنذر به وذكرى للمؤمنين** كتاب خبر مبتدأ محذوف اي هو كتاب وانزل اليك صفته والمراد بالكتاب السورة فلا يكن في صدرك حرج منه اي شك منه كقوله تعالى فان كنت في شك مما انزلنا اليك وسمي الشك حرجا لان الشاك ضيق الصدر حرجه كما ان المتيقن منشرح الصدر منفسحه اي لا تشك في انه منزل من الله تعالى او حرج من تبليغه لانه كان يخاف قومه وتكذيبهم له واعراضهم عنه واذاهم فكان يضيق صدره من الاذى ولا ينبسط له فآمنه الله ونهاه عن المبالاة بهم فان قلت بم تعلق قوله لتنذر بانزل اي انزل اليك لانذارك به او بالنهي لانه اذا لم يخفهم انذرهم وكذلك اذا ايقن انه من عند الله شجعه اليقين على الانذار لان صاحب اليقين جسور متوكل على ربه متكل على عصمته فان قلت فما محل ذكرى يحتمل الحركات الثلاث النصب باضمار فعلها كانه قيل لتنذر به وتذكر تذكيرا لان الذكرى اسم بمعنى التذكير والرفع عطفا على كتاب او بانه خبر مبتدأ محذوف والجر للعطف على محل ان تنذر اي للانذار والذكرى فان قلت النهي في قوله فلا يكن متوجه الى الحرج فما وجهه هو من قولهم لا اريتك ههنا **اتبعوا ما انزل اليكم من ربكم ولا تتبعوا من دونه اولياء قليلا ما تذكرون وكم من قرية اهلكناها فجاءها بأسنا بياتا او هم قائلون** اتبعوا ما انزل اليكم من القرآن والسنة ولا تتبعوا من دونه من دون الله اولياء ولا تتولوا من دونه من شياطين الجن والانس فيحملوكم على عبادة الاوثان والاهواء والبدع ويضلوكم عن دين الله وما انزل اليكم وامركم باتباعه وعن الحسن يا ابن آدم امرت باتباع كتاب الله وسنة محمد والله ما نزلت اية الا وهو يحب ان تعلم فيم انزلت وما معناها وقرأ مالك بن دينار ولا تبتغوا من الابتغاء ومن يبتغ غير الاسلام دينا ويجوز ان يكون الضمير في من دونه لما انزل على ولا تتبعوا من دون دين الله دين اولياء قليلا ما تذكرون حيث تتركون دين الله وتتبعون غيره تذكرون بحذف التاء وتتذكرون بالياء وقليلا نصب بتذكرون اي تذكرون تذكرا قليلا وما مزيدة لتوكيد القلة فجاءها فجاء اهلها بياتا مصدر واقع موقع الحال بمعنى بائتين يقال بات بياتا حسنا وبيتة حسنة وقوله هم قائلون حال معطوفة على بياتا كانه قيل فجاءهم بأسنا بائتين او قائلين فان قلت هل يقدر حذف المضاف الذي هو الاهل قبل قرية او قبل الضمير في اهلكناها انما يقدر المضاف للحاجة ولا حاجة فان القرية تهلك

كم اهلكنا اهلها وانما قدرناه قبل الضمير في جاءها لقوله او هم قائلون **فان قلت** لا يقال جاءني زيد هو فارس بغير واو فما بال قوله هم قائلون **قلت** قدر بعض النحويين الواو محذوفة ورده الزجاج وقال لو قلت جاءني زيد راجلا او هو فارس او جاءني زيد هو فارس لم يحتج فيه الى واو لان الذكر قد عاد على الاول والصحيح انها اذا عطفت على حال قبلها حذفت الواو استثقالا لاجتماع حرفي عطف لان واو الحال هي واو العطف استعيرت للوصل فقولك جاءني زيد راجلا او هو فارس كلام فصيح وارد على حده واما جاءني زيد هو فارس فخبيث **فان قلت** فما معنى قوله اهلكناها فجاءها باسنا والاهلاك انما هو بعد مجيء الباس **قلت** معناه اردنا اهلاكها كقوله اذا قمتم الى الصلوة وانما خص هذان الوقتان وقت البيات ووقت القيلولة لانهما وقتا الغفلة والدعة فيكون نزول العذاب فيهما اشد وافظع وقوم لوط اهلكوا بالليل وقت السحر وقوم شعيب وقت القيلولة فما كان دعويهم اذ جاءهم باسنا الا ان قالوا انا كنا ظالمين فلنسئلن الذين ارسل اليهم ولنسئلن المرسلين فلنقصن عليهم بعلم وما كنا غائبين فما كان دعويهم ما كانوا يدعونه من دينهم وينتحلونه من مذهبهم الا اعترافهم ببطلانه وفساده وقولهم انا كنا ظالمين فيما كنا عليه ويجوز فما كان استغاثتهم الا قولهم هذا لانه لا مستغاث من الله بغيره من قولهم دعويهم يا لكعب ويجوز فما كان دعاؤهم ربهم الا اعترافهم لعلمهم ان الدعاء لا ينفعهم وان لات حين دعاء فلا يزيدون على ذم انفسهم وتحسرهم على ما كان منهم ودعويهم نصب خبر لكان وان قالوا رفع اسمه ويجوز العكس فلنسئلن الذين ارسل اليهم مسند الى الجار والمجرور وهو اليهم ومعناه فلنسئلن المرسل اليهم وهم الامم يسألهم عما اجابوا به رسلهم كما قال تعالى ويوم يناديهم فيقول ماذا اجبتم المرسلين ويسأل المرسلين عما اجيبوا به كما قال تعالى يوم يجمع الله الرسل فيقول ماذا اجبتم فلنقصن عليهم على الرسل والمرسل اليهم ما كان منهم بعلم عالمين باحوالهم الظاهرة والباطنة واقوالهم وافعالهم وما كنا غائبين عنهم وعما وجد منهم **فان قلت** فاذا كان عالما بذلك وكان يقصه عليهم فما معنى سؤالهم **قلت** معناه التوبيخ والتقريع والتقرير اذا فاهوا به بالسنتهم وشهد عليهم انبياؤهم والوزن يومئذ الحق فمن ثقلت موازينه فاولئك هم المفلحون ومن خفت موازينه فاولئك الذين خسروا انفسهم بما كانوا باياتنا يظلمون والوزن يومئذ الحق يعني وزن الاعمال والتمييز بين راجحها وخفيفها ورفعه على الابتداء وخبره يومئذ والحق صفته او والوزن يومئذ يسأل الله الامم ورسلهم الوزن الحق اي العدل **وقرئ** القسط واختلف في كيفية الوزن فقيل توزن صحائف الاعمال بميزان له لسان وكفتان ينظر اليه الخلائق تاكيدا للحجة واظهارا للنصفة وقطعا للمعذرة كما يسالهم عن اعمالهم فيعترفون بها بالسنتهم وتشهد عليهم ايديهم وارجلهم وجلودهم وتشهد عليهم الانبياء والملائكة والاشهاد وكما تثبت في صحائفهم فيقرؤنها في موقف الحساب

وقيل

وقيل هي عبارة عن القضاء السوي والحكم العادل فمن ثقلت موازينه جمع ميزان او موزون اي فمن رجحت اعماله الموزونة التي لها وزن وقدر وهي الحسنات او ما توزن به حسناتهم **وعن** الحسن وحق لميزان توضع فيه الحسنات ان يثقل وحق لميزان توضع فيه السيئات ان يخف بما كانوا يظلمون يكذبون بها ظلما كقوله تعالى فظلموا بها ولقد مكناكم في الارض وجعلنا لكم فيها معايش قليلا ما تشكرون ولقد خلقناكم ثم صورناكم ثم قلنا للملائكة اسجدوا لادم فسجدوا الا ابليس لم يكن من الساجدين مكناكم في الارض جعلنا لكم فيها مكانا وقرارا او ملكناكم فيها واقدرناكم على التصرف فيها وجعلنا لكم فيها معايش جمع معيشة وهي ما يعاش به من المطاعم والمشارب وغيرها او ما يتوصل به الى ذلك والوجه تصريح الياء وعن ابن عامر انه همز تشبيها بصحائف ولقد خلقناكم ثم صورناكم يعني خلقنا اباكم ادم طينا غير مصور ثم صورناه بعد ذلك الا ترى الى قوله ثم قلنا للملائكة اسجدوا لادم من الساجدين ممن سجد لادم الا تسجد لا في ان لا تسجد صلة بدليل قوله تعالى ما منعك ان تسجد لما خلقت بيدي ومثلها لئلا يعلم اهل الكتاب بمعنى ليعلم **فان قلت** ما فائدة زيادتها **قلت** توكيد معنى الفعل الذي تدخل عليه وتحقيقه كانه قيل ليتحقق علم اهل الكتاب قال ما منعك الا تسجد اذ امرتك قال انا خير منه خلقتني من نار وخلقته من طين قال فاهبط منها فما يكون لك ان تتكبر فيها فاخرج انك من الصاغرين وما منعك ان تحقق السجود وتلزمه نفسك اذ امرتك لان امري بالسجود اوجبه عليك ايجابا وحتمه حتما لا بد لك منه **فان قلت** لم سأله عن المانع من السجود وقد علم ما منعه **قلت** للتوبيخ ولاظهار معاندته وكفره وكبره وافتخاره باصله وازدرائه باصل ادم وانه خالف امر ربه معتقدا انه غير واجب عليه لما راى ان سجود الفاضل للمفضول خارج من الصواب **فان قلت** كيف يكون قوله انا خير منه جوابا لما منعك وانما الجواب ان يقول منعني كذا **قلت** قد استانف قصة اخبر فيها عن نفسه بالفضل على ادم وبعلة فضله عليه وان اصله من نار واصل ادم من طين فعلم منها الجواب وزيادة عليه وهو انكار الامر واستبعاد ان يكون مثله مامورا بالسجود لمثله كانه يقول من كان على هذه الصفة كان مستبعدا ان يؤمر بما امر به فاهبط منها من السماء التي هي مكان المطيعين المتواضعين من الملائكة الى الارض التي هي مقر العاصين المتكبرين من الثقلين فما يكون لك فما يصح لك ان تتكبر فيها وتعصي فاخرج انك من الصاغرين من اهل الصغار والهوان على الله وعلى اوليائه لتكبرك كما تقول للرجل قم صاغرا اذا اهنته وفي ضده قم راشدا وذلك انه لما اظهر الاستكبار البس الصغار **وعن** عمر رضي الله عنه من تواضع لله رفع الله حكمته وقال انتعش نعشك الله ومن تكبر وعدا طوره وهصه الله الى الارض قال انظرني الى يوم يبعثون قال انك من المنظرين قال فبما اغويتني لاقعدن لهم صراطك المستقيم **فان قلت** لم اجيب الى استنظاره وانما استنظر ليفسد عباده ويغويهم **قلت** لما في ذلك من ابتلاء العباد وفي مخالفته

من اعطوا الثواب وحكمه حكم ما خلق في الدنيا من صنوف الزخارف وانواع الملاذ والملاهي
وما ركب في الانفس من الشهوات ليمتحن بها عباده فبما اغويتني فبسبب اغوائك اياي
لاقعدن لهم وهو تكليفه اياه ما وقع به في الغي فلم يثبت كما ثبتت الملائكة مع كونهم افضل
منه ومن آدم انفسا ومناصب وعن الاصم رحمه الله امرتني بالسجود فحملني الانف على
معصيتك والمعنى فبسبب وقوعي في الغي لاجتهدن في اغوائهم حتى يفسدوا بسببي كما
فسدت بسببهم **فان قلت** بم تعلقت الباء فان تعلقها بلاقعدن تصد عنه لام القسم
لا تقول والله بزيد لامرن تعلقت بفعل القسم المحذوف تقديره فبما اغويتني
اقسم بالله لاقعدن اي فبسبب اغوائك اقسم ويجوز ان تكون الباء للقسم اي فاقسم
باغوائك لاقعدن وانما اقسم بالاغواء لانه كان تكليفا والتكليف من احسن افعال
الله لكونه تعريضا لسعادة الابد فكان جديرا بان يقسم به ومن تكاذيب المجبرة ما حكوا
عن طاوس انه كان في المسجد الحرام فجاء رجل من كبار الفقهاء يرمى بالقدر فجلس اليه فقال له
طاوس تقوم او تقام فقام الرجل فقيل له اتقول هذا الرجل فقيه فقال ابليس لعنه
الله افقه منه قال رب بما اغويتني وهذا يقول انا اغوي نفسي وما ظنك بقوم بلغ من
تهالكهم على اضافة القبائح الى الله ان لفقوا الاكاذيب على الرسول والصحابة والتابعين
وقيل ما للاستفهام كانه قيل باي شيء اغويتني ثم ابتدأ لاقعدن واثبات الالف اذا ادخل
حرف الجر على ما الاستفهامية قليل شاذ واصل الغي الفساد ومنه غوي الفصيل اذا بشم
والبشم فساد لاقعدن لهم صراطك المستقيم لاعترضن لهم على طريق الاسلام كما يتعرض
العدو على الطريق ليقطعه على السابلة وانتصابه على الظرف **كقوله**
كما عسل الطريق الثعلب وشبهه الزجاج بقولهم ضرب زيد الظهر والبطن اي على الظهر
والبطن **وعن** رسول الله صلى الله عليه وسلم ان الشيطان قعد لابن آدم باطرقة قعد له
بطريق الاسلام فقال له تدع دين آبائك فعصاه فاسلم ثم قعد له بطريق الهجرة فقال له
تدع ديارك وتتغرب فعصاه فهاجر ثم قعد له بطريق الجهاد فقال له تقاتل فتقتل فيقسم
مالك وتنكح امرأتك فعصاه فقاتل ثم لآتينهم من بين ايديهم ومن خلفهم وعن ايمانهم
وعن شمائلهم ولا تجد اكثرهم شاكرين قال اخرج منها مذءوما مدحورا لمن تبعك منهم
لاملأن جهنم منكم اجمعين ثم لآتينهم من الجهات الاربع التي ياتي منها العدو في الغالب
وهذا مثل لوسوسته اليهم وتسويله ما امكنه وقدر عليه **كقوله تعالى**
واستفزز من استطعت منهم بصوتك واجلب عليهم بخيلك ورجلك كيف
قيل من بين ايديهم ومن خلفهم بحرف الابتداء وعن ايمانهم وعن شمائلهم بحرف المجاوزة
قلت المفعول فيه عدى اليه الفعل نحو تعديته الى المفعول به فكما اختلفت حروف التعدية
في ذاك اختلفت في هذا وكانت لغة تؤخذ ولا تقاس وانما يفتش عن صحة موقعها فقط
فلما سمعناهم يقولون جلس عن يمينه وعلى يمينه وعن شماله وعلى شماله قلنا معنى على يمينه انه
تمكن من جهة اليمين تمكن المستعلي من المستعلى عليه ومعنى عن يمينه انه جلس متجافيا عن
صاحب اليمين منحرفا عنه غير ملاصق له ثم كثر حتى استعمل في المتجافي وغيره كما ذكرنا في تعالى

ونحوه من المفعول به قولهم رميت عن القوس وعلى القوس ومن القوس لان السهم يبعد
عنها ويستعليها اذا وضع على كبدها للرمي ويبتدئ الرمي منها وكذلك قالوا جلس
بين يديه وخلفه بمعنى في لانهما ظرفان للفعل ومن بين يديه ومن خلفه لان الفعل
يقع في بعض الجهتين كما تقول جئته من الليل تريد بعض الليل **وعن** شقيق رحمه
الله عليه ما من صباح الا قعد لي الشيطان على اربعة مراصد من بين يدي ومن خلفي
وعن يميني وعن شمالي اما من بين يدي فيقول لا تخف فان الله غفور رحيم فاقرأ وإني
لغفار لمن تاب وآمن وعمل صالحا واما من خلفي فيخوفني الضيعة على مخلفي فاقرأ وما من
دابة في الارض الا على الله رزقها واما قبل يميني فياتيني من قبل الثناء فاقرأ والعاقبة
للمتقين واما من قبل شمالي فياتيني من قبل الشهوات فاقرأ وحيل بينهم وبين ما يشتهون
ولا تجد اكثرهم شاكرين قاله تظنيا بدليل قوله تعالى ولقد صدق عليهم ابليس ظنه
وقيل سمعه من الملائكة باخبار الله لهم مذءوما من ذأمه اذا ذمه **وقرأ** الزهري
مذوما بالتخفيف مثل مسول في مسؤول واللام في لمن تبعك موطئة للقسم لاملأن جواب
وهو ساد مسد جواب الشرط منكم منك ومنهم فغلب ضمير المخاطب كما في قوله انكم قوم
تجهلون وروى عصمة عن عاصم لمن تبعك بكسر اللام بمعنى لمن تبعك منهم هذا الوعيد
وهو قوله لاملأن جهنم منكم اجمعين على ان لاملأن في محل الابتداء ولمن تبعك
خبره ويا آدم اسكن انت وزوجك الجنة فكلا من حيث شئتما ولا تقربا هذه الشجرة
فتكونا من الظالمين فوسوس لهما الشيطان ليبدي لهما ما ووري عنهما من
سوآتهما وقال ما نهاكما ربكما عن هذه الشجرة الا ان تكونا ملكين او تكونا من الخالدين
ويا آدم وقلنا يا آدم هذه الشجرة والاصل الياء والهاء بدل منها ويقال وسوس
اذا تكلم كلاما خفيا يكرره ومنه وسوس الحلي وهو فعل غير متعد كولولت المرأة ووعوع
الذئب ورجل موسوس بكسر الواو ولا يقال موسوس بالفتح ولكن موسوس له وموسوس
اليه وهو الذي تلقى اليه الوسوسة ومعنى وسوس له فعل الوسوسة لاجله ووسوس
اليه القاها اليه ليبدي لهما جعل ذلك غرضا له ليسوءهما اذا رأيا ما يؤثران ستره وان
لا يطلع عليه مكشوفا وفيه دليل على ان كشف العورة من عظائم الامور وانه لم يزل
مستهجنا في الطباع مستقبحا في العقول **فان قلت** ما للواو المضمومة في ووري لم تقلب
همزة كما في اويصل قلت لان الثانية مدة كالف وارى وقد جاء في قراءة عبد الله اوري
بالقلب الا ان تكونا ملكين الا كراهة ان تكونا ملكين وفيه دليل على ان الملائكة بالمنظر
الاعلى وان البشرية تلمح مرتبتها كلا ولا ملكين بكسر اللام كقوله وملك لا يبلى
من الخالدين من الذين لا يموتون ويبقون في الجنة ساكنين **وقرئ** من سوآتهما
سوتهما بالواو المشددة وقاسمهما اني لكما لمن الناصحين فدلاهما بغرور فلما ذاقا
الشجرة بدت لهما سوآتهما وطفقا يخصفان عليهما من ورق الجنة وناداهما ربهما
الم انهكما عن تلكما الشجرة واقل لكما ان الشيطان لكما عدو مبين وقاسمهما واقسم
لهما اني لكما لمن الناصحين **فان قلت** ان تقسم لصاحبك ويقسم لك تقول قاسمت فلانا

خالفته ومنه قوله تعالى تقاسموا بالله لنبيتنه واهله **قلت** كانه قال لهما اقسم لكما انى لمن الناصحين وقالا له اتقسم بالله انك لمن الناصحين فجعلوا ذلك مقاسمة بينهم او اقسم لهما بالنصيحة واقسما له بقبولها او اخرج قسم ابليس على زنة المفاعلة لانه اجتهد فيها اجتهاد المقاسم فدلاهما فنزلهما الى الاكل من الشجرة بغرور بما غرهما به من القسم بالله وعن قتادة وانما يخدع المؤمن بالله ابن عمر رضى الله عنهما انه كان اذا راى من عبده طاعة وحسن صلوة اعتقه فكان عبيده يفعلون ذلك طلبا للعتق فقيل له انهم يخدعونك فقال من خدعنا بالله انخدعنا له فلما ذاقا الشجرة وجدا طعمها آخذين في الاكل منها وقيل الشجرة هي السنبلة وقيل شجرة الكرم بدت لهما سوآتهما اى تهافت عنهما اللباس وظهرت لهما عوراتهما وكانا لا يريانها من انفسهما ولا احدهما من الآخر وعن عايشة رضى الله عنها ما رايته منه ولا راى منى وعن سعيد بن جبير رضى الله عنه كان لباسهما من جنس الاظفار وعن وهب كان لباسهما نورا يحول بينهما وبين النظر ويقال طفق يفعل كذا بمعنى جعل يفعل وقرا ابو السمال وطفقا بالفتح يخصفان ورقة فوق ورقة على عوراتهما ليستترا بها كما يخصف النعل بان تجعل طرقة على طرقة وتوثق بالسيور **وقرا** الحسن يخصفان بكسر الخاء وتشديد الصاد واصله يختصفان وقرا الزهرى يخصفان من اخصف وهو منقول من خصف اى يخصفان انفسهما وقرئ يخصفان من خصف بالتشديد من ورق الجنة قيل كان ورق التين الم انهكما عتاب من الله وتوبيخ وتنبيه على الخطا حيث لم يحذرا ما حذرهما الله من عداوة ابليس لعنه الله **وروى** انه قال لآدم الم يكن لك فيما منحتك من شجر الجنة مندوحة عن هذه الشجرة فقال بلى وعزتك ولكن ما ظننت ان احدا من خلقك يحلف بك كاذبا قال فبعزتى لاهبطنك الى الارض ثم لا تنال العيش الا كدا فاهبط وعلم صنعة الحديد وامر بالحرث فحرث وسقى وحصد وداس وذرى وعجن وخبز قالا ربنا ظلمنا انفسنا وان لم تغفر لنا وترحمنا لنكونن من الخاسرين قال اهبطوا بعضكم لبعض عدو ولكم في الارض مستقر ومتاع الى حين وسميا ذنبهما وان كان صغيرا مغفورا ظلما لانفسهما وقالا لنكونن من الخاسرين على عادة الاولياء والصالحين فى استعظامهم الصغير من السيئات واستصغارهم العظيم من الحسنات اهبطوا الخطاب لآدم وحوا وابليس وبعضكم لبعض عدو فى موضع الحال اى متعادين يعاديهما ابليس ويعاديانه مستقر استقرار او موضع استقرار ومتاع وانتفاع بعيش الى حين الى انقضاء آجالكم وعن ثابت البنانى لما اهبط آدم وحضرته الوفاة احاطت به الملائكة فجعلت حواء تدور حولهم فقال لها خلى ملائكة ربى فانما اصابنى الذى اصابنى فيك فلما توفى غسلته الملائكة بماء وسدر وترا وحنطته وكفنته فى وتر من الثياب وحفروا له ولحدوا ودفنوه بسرنديب بارض الهند وقالوا لبنيه هذه سنتكم بعده قال فيها تحيون وفيها تموتون ومنها تخرجون يا بنى آدم قد انزلنا عليكم لباسا يوارى سوآتكم وريشا ولباس التقوى ذلك خير ذلك من آيات الله لعلهم يذكرون جعل ما فى الارض منزلا من السماء لانه قضى ثم وكتب ومنه وانزل لكم من الانعام ثمانية

ازواج

والريش لباس الزينة استعير من ريش الطير لانه لباسه وزينته اى انزلنا عليكم لباسين لباسا يوارى سوآتكم ولباسا يزينكم لان الزينة غرض صحيح كما قال عز وجل لتركبوها وزينة ولكم فيها جمال **وقرا** عثمان رضى الله عنه ورياشا جمع ريش كشعب وشعاب ولباس التقوى ولباس الورع والخشية من الله تعالى وارتفاعه على الابتداء وخبره اما الجملة التى هى ذلك خير كانه قيل ولباس التقوى هو خير لان اسماء الاشارة تقرب من الضماير فيما يرجع الى عود الذكر واما المفرد الذى هو خير وذلك صفة للمبتدا كانه قيل ولباس التقوى المشار اليه خير ولا تخلو الاشارة من ان يراد بها تعظيم لباس التقوى او ان تكون اشارة الى اللباس المواري للسوءة لان مواراة السوءة من التقوى تفضيلا له على لباس الزينة وقيل لباس التقوى خبر مبتدا محذوف اى وهو لباس التقوى ثم قيل ذلك خير **وفى** قراءة عبد الله وابى ولباس التقوى خير وقيل المراد بلباس التقوى ما يلبس من الدروع والجواشن والمغافر وغيرها مما يتقى به فى الحروب ولباس التقوى بالنصب عطفا على لباسا وريشا ذلك من آيات الله الدالة على فضله ورحمته على عباده يعنى انزال اللباس لعلهم يذكرون فيعرفوا عظيم النعمة وهذه الآية واردة على سبيل الاستطراد عقيب ذكر بدو السوآت وخصف الورق عليها اظهارا للمنة فيما خلق من اللباس ولما فى العرى وكشف العورة من المهانة والفضيحة واشعارا بان التستر باب عظيم من ابواب التقوى يا بنى آدم لا يفتننكم الشيطان كما اخرج ابويكم من الجنة ينزع عنهما لباسهما ليريهما سوآتهما انه يراكم هو وقبيله من حيث لا ترونهم انا جعلنا الشياطين اولياء للذين لا يؤمنون لا يفتننكم الشيطان لا يمحننكم بان لا تدخلوا الجنة كما محن ابويكم بان اخرجهما منها ينزع عنهما لباسهما حال اى اخرجهما نازعا لباسهما بان كان سببا فى ان نزع عنهما انه يراكم هو تعليل للنهى وتحذير من فتنته بانه بمنزلة العدو المداجى يكيدكم ويغتالكم من حيث لا تشعرون **وعن** مالك بن دينار رحمة الله عليه ان عدوا يراك ولا تراه لشديد المؤنة الا من عصم الله وقبيله وجنوده من الشياطين وفيه دليل بين ان الجن لا يرون ولا يظهرون للانس وان اظهارهم انفسهم ليس فى استطاعتهم وان زعم من يدعى رؤيتهم زور ومخرقة انا جعلنا الشياطين اولياء للذين لا يؤمنون اى خلينا بينهم وبينهم لم نكفهم عنهم حتى تولوهم واطاعوهم فيما سولوا لهم من الكفر والمعاصى وهذا تحذير آخر ابلغ من الاول **فان قلت** علام عطف وقبيله على الضمير فى يراكم المؤكد بهو والضمير فى انه ضمير الشان والحديث **وقرا** اليزيدى وقبيله بالنصب وفيه وجهان ان تعطفه على اسم ان وان تكون الواو بمعنى مع واذا عطفته على اسم ان وهو الضمير فى انه كان راجعا الى ابليس عليه اللعنة واذا فعلوا فاحشة قالوا وجدنا عليها آباءنا والله امرنا بها قل ان الله لا يامر بالفحشاء اتقولون على الله ما لا تعلمون الفاحشة ما تبالغ فى قبحه من الذنوب اى اذا فعلوها اعتذروا بان آباءهم كانوا يفعلونها فاقتدوا بهم وبان الله امرهم بان يفعلوها وكلاهما باطل من العذر لان احدهما تقليد والتقليد ليس بطريق للعلم والثانى افتراء على الله تعالى والحاد فى صفاته كانوا يقولون لو كره منا ما نفعله لنقلنا عنه **وعن** الحسن رحمة الله عليه ان الله تعالى

بعث محمدا صلى الله عليه وسلم الى العرب وهم قدرية مجبرة يحملون ذنوبهم على الله وتصديقه قوله عز وجل واذا فعلوا فاحشة قل ان الله لا يأمر بالفحشاء لان فعل القبيح مستحيل عليه لعدم الداعي ووجود الصارف فكيف يأمر بفعله اتقولون على الله ما لا تعلمون انكار لاضافتهم القبيح اليه وشهادة على ان مبنى قولهم على الجهل المفرط وقيل المراد بالفاحشة طوافهم بالبيت عراة قل امر ربي بالقسط واقيموا وجوهكم عند كل مسجد وادعوه مخلصين له الدين كما بدأكم تعودون فريقا هدى وفريقا حق عليهم الضلالة انهم اتخذوا الشياطين اولياء من دون الله ويحسبون انهم مهتدون بالقسط بالعدل وبما قام في النفوس انه مستقيم حسن عند كل مميز وقيل بالتوحيد واقيموا وجوهكم وقل اقيموا وجوهكم اي اقصدوا عبادته مستقيمين اليها غير عادلين الى غيرها عند كل مسجد في كل وقت سجود او في كل مكان سجود وهو الصلوة وادعوه واعبدوه مخلصين له الدين اي الطاعة مبتغين بها وجهه خالصا كما بدأكم تعودون كما انشأكم ابتداء يعيدكم احتج عليهم في انكارهم الاعادة بابتداء الخلق والمعنى انه يعيدكم فيجازيكم على اعمالكم فاخلصوا له العبادة فريقا هدى وهم الذين اسلموا اي وفقهم الله للايمان وفريقا حق عليهم الضلالة اي كلمة الضلالة وعلم الله انهم يضلون ولا يهتدون وانتصاب قوله وفريقا بفعل يفسره ما بعده كأنه قيل وخذل فريقا حق عليهم الضلالة انهم ان الفريق الذين حق عليهم الضلالة اتخذوا الشياطين اولياء اي تولوهم بالطاعة فيما امروهم به وهذا دليل على ان علم الله لا اثر له في ضلالهم وانهم هم الضالون باختيارهم وتوليهم الشياطين دون الله يا بني آدم خذوا زينتكم عند كل مسجد وكلوا واشربوا ولا تسرفوا انه لا يحب المسرفين خذوا زينتكم اي ريشكم ولباس زينتكم عند كل مسجد كلما صليتم او طفتم وكانوا يطوفون عراة وعن طاوس لم يأمرهم بالحرير والديباج وانما كان احدهم يطوف عريانا ويدع ثيابه وراء المسجد وان طاف وهي عليه ضرب وانتزعت منه لانهم قالوا لا نعبد الله في ثياب اذنبنا فيها وقيل تفاؤلا ليتعروا من الذنوب كما تعروا من الثياب وقيل الزينة المشط وقيل الطيب والسنة ان يأخذ الرجل احسن هيئته للصلوة وكان بنو عامر في ايام حجهم لا يأكلون الطعام الا قوتا ولا يأكلون دسما يعظمون بذلك حجهم فقال المسلمون فانا احق ان نفعل فقيل لهم وكلوا واشربوا ولا تسرفوا وعن ابن عباس رضي الله عنهما كل ما شئت والبس ما شئت ما اخطأتك خصلتان سرف ومخيلة ويحكى ان الرشيد كان له طبيب نصراني حاذق فقال لعلي بن الحسين بن واقد ليس في كتابكم من علم الطب شيء والعلم علمان علم الابدان وعلم الاديان فقال له قد جمع الله الطب كله في نصف آية من كتابه فقال وما هي قال قوله تعالى كلوا واشربوا ولا تسرفوا فقال النصراني ولا يؤثر من رسولكم شيء في الطب فقال قد جمع رسولنا عليه السلام الطب في الفاظ يسيرة قال وما هي قال قوله المعدة بيت الداء والحمية رأس كل دواء واعط كل بدن ما عودته فقال النصراني ما ترك كتابكم ولا نبيكم لجالينوس طبا قل من حرم زينة الله التي اخرج لعباده والطيبات من الرزق قل هي

للذين آمنوا في الحيوة الدنيا خالصة يوم القيمة كذلك نفصل الآيات لقوم يعلمون زينة الله من الثياب وكل ما يتجمل به والطيبات من الرزق المستلذات من المآكل والمشارب ومعنى الاستفهام في من انكار تحريم هذه الاشياء وقيل كانوا اذا احرموا حرموا الشاة وما يخرج منها من لحمها وشحمها ولبنها قل هي للذين آمنوا في الحيوة الدنيا غير خالصة لهم لان المشركين شركاؤهم فيها خالصة يوم القيمة لا يشركهم فيها احد فان قلت هلا قيل هي للذين آمنوا ولغيرهم قلت لينبه على انها خلقت للذين آمنوا على طريق الاصالة وان الكفرة تبع لهم كقوله تعالى ومن كفر فامتعه قليلا ثم اضطره الى عذاب النار وقرئ خالصة بالنصب على الحال وبالرفع على انها خبر بعد خبر قل انما حرم ربي الفواحش ما ظهر منها وما بطن والاثم والبغي بغير الحق وان تشركوا بالله ما لم ينزل به سلطانا وان تقولوا على الله ما لا تعلمون الفواحش ما تفاحش قبحه اي تزايد وقيل هي ما يتعلق بالفروج والاثم عام لكل ذنب وقيل شرب الخمر والبغي الظلم والكبر افرده بالذكر كما قال تعالى وينهى عن الفحشاء والمنكر والبغي ما لم ينزل به سلطانا فيه تهكم لانه لا يجوز ان ينزل برهانا بان يشرك به غيره وان تقولوا على الله وان تتقولوا عليه وتفتروا الكذب من التحريم وغيره ولكل امة اجل فاذا جاء اجلهم لا يستأخرون ساعة ولا يستقدمون يا بني آدم اما يأتينكم رسل منكم يقصون عليكم آياتي فمن اتقى واصلح فلا خوف عليهم ولا هم يحزنون ولكل امة اجل وقت معين لاهل مكة بالعذاب النازل في اجل معلوم عند الله كما نزل بالامم وقرئ فاذا جاء آجالهم وقال ساعة لانها اقل الاوقات في استعمال الناس يقول المستعجل لصاحبه في ساعة يريد اقصر وقت واقربه اما يأتينكم هي ان الشرطية ضمت اليها ما مؤكدة لمعنى الشرط ولذلك لزمت فعلها النون الثقيلة او الخفيفة فان قلت فما جزاء هذا الشرط قلت الفاء وما بعده من الشرط والجزاء والمعنى فمن اتقى واصلح منكم والذين كذبوا منكم وقرئ تأتينكم بالتاء والذين كذبوا بآياتنا واستكبروا عنها اولئك اصحاب النار هم فيها خالدون فمن اظلم ممن افترى على الله كذبا او كذب بآياته اولئك ينالهم نصيبهم من الكتاب حتى اذا جاءتهم رسلنا يتوفونهم قالوا اين ما كنتم تدعون من دون الله قالوا ضلوا عنا وشهدوا على انفسهم انهم كانوا كافرين فمن اظلم فمن اشنع ظلما ممن تقول على الله ما لم يقله او كذب ما قاله اولئك ينالهم نصيبهم من الكتاب اي مما كتب لهم من الارزاق والاعمار حتى اذا جاءتهم رسلنا حتى غاية لنيلهم نصيبهم واستيفائهم له اي الى وقت وفاتهم وهي حتى التي يبتدأ بعدها الكلام والكلام ههنا الجملة الشرطية وهي اذا جاءتهم رسلنا قالوا ويتوفونهم حال من الرسل اي متوفيهم والرسل ملك الموت واعوانه وما وقعت موصولة باين في خط المصحف وكان حقها ان تفصل لانها موصولة يعني اين الآلهة الذين تدعون ضلوا عنا غابوا عنا فلا نراهم ولا ننتفع بهم اعترافا منهم بانهم لم يكونوا على شيء فيما كانوا عليه وانهم لم يحمدوا هم في العاقبة قال ادخلوا في امم قد خلت من قبلكم من الجن والانس في النار كلما دخلت امة لعنت اختها حتى اذا اداركوا فيها جميعا قالت اخراهم لاولاهم ربنا هؤلاء اضلونا فآتهم عذابا ضعفا من النار قال لكل ضعف ولكن لا تعلمون قال ادخلوا اي يقول الله عز وجل يوم القيمة لاولئك الذين قال فيهم فمن اظلم ممن افترى

على الله كذبا او كذب بآياته وهم كفار العرب في امم في موضع الحال اي كائنين في جملة امم وفي غمارهم
مصاحبين لهم اي دخلوا في النار مع امم قد خلت من قبلكم وتقدم زمانهم زمانكم لعنت اختها
التي ضلت بالاقتداء بها حتى اذا اداركوا فيها اي تداركوا بمعنى تلاحقوا واجتمعوا في النار
قالت اخراهم منزلة وهي الاتباع والسفلة لاولاهم منزلة وهي القادة والرؤوس ومعنى لاولاهم
لاجل اولاهم لان خطابهم مع الله لا معهم عذابا ضعفا مضاعفا لكل ضعف لان كلا من القادة
والاتباع كانوا ضالين مضلين ولكن لا تعلمون قرئ بالياء والتاء وقالت اولاهم لاخراهم
فما كان لكم علينا من فضل فذوقوا العذاب بما كنتم تكسبون ان الذين كذبوا بآياتنا
واستكبروا عنها لا تفتح لهم ابواب السماء ولا يدخلون الجنة حتى يلج الجمل في سم الخياط
وكذلك نجزي المجرمين لهم من جهنم مهاد ومن فوقهم غواش وكذلك نجزي الظالمين
فما كان لكم علينا من فضل عطفوا هذا الكلام على قول الله تعالى للسفلة لكل ضعف اي فقد ثبت
ان لا فضل لكم علينا وانا متساوون في استحقاق الضعف فذوقوا العذاب من قول القادة
او من قول الله لهم جميعا لا تفتح لهم ابواب السماء لا يصعد لهم عمل صالح اليه يصعد الكلم
الطيب كلا ان كتاب الابرار لفي عليين وقيل ان الجنة في السماء فالمعنى لا يؤذن لهم في
صعود السماء ولا يطرق لهم اليها ليدخلوا الجنة وقيل لا تصعد ارواحهم اذا ماتوا كما تصعد
ارواح المؤمنين وقيل لا تنزل عليهم البركة ولا يغاثون ففتحنا ابواب السماء وقرئ لا
تفتح بالتشديد ولا يفتح بالياء ولا تفتح بالتاء والبناء للفاعل ونصب الابواب على ان الفعل
للآيات وبالياء على ان الفعل لله تعالى … ابن عباس رضي الله عنهما الجمل بوزن القمل
وسعيد بن جبير الجمل بوزن النغر وقرئ الجمل بوزن القفل والجمل بوزن النصب والجمل
بوزن الحبل ومعناها القلس الغليظ لانه حبال جمعت وجعلت جملة واحدة وعن ابن عباس
رضي الله عنهما ان الله تعالى احسن تشبيها من ان يشبه بالجمل يعني ان الحبل مناسب للخيط الذي يسلك
في سم الابرة والبعير لا يناسبه الا ان قراءة العامة اوقع لان سم الابرة مثل في ضيق المسلك
يقال اضيق من خرت الابرة وقالوا للدليل الماهر خريت لاهتدائه في المضايق المشبهة باخرات
الابر والجمل مثل في عظم الجرم قال جسم الجمال واحلام العصافير ان الرجال ليسوا
بجزر تراد منهم الاجسام فقيل لا يدخلون الجنة حتى يكون ما لا يكون ابدا من ولوج هذا الحيوان
الذي لا يلج الا في باب واسع في ثقب الابرة وعن ابن مسعود رضي الله عنه انه سئل عن الجمل
فقال زوج الناقة استجهالا للسائل واشارة الى ان طلب معنى آخر تكلف … في سم
الخياط بالحركات الثلاث وقرأ عبد الله في سم المخيط والخياط والمخيط كالحزام والمحزم ما يخاط
به وهو الابرة وكذلك ومثل ذلك الجزاء الفظيع نجزي المجرمين ليؤذن ان الاجرام هو
السبب الموصل الى العقاب وان كل من اجرم عوقب وقد كرره فقال وكذلك نجزي الظالمين
لان كل مجرم ظالم لنفسه مهاد فراش غواش اغطية وقرئ غواش بالرفع كقوله تعالى وله
الجوار المنشآت في قراءة عبد الله والذين آمنوا وعملوا الصالحات لا نكلف نفسا الا وسعها
اولئك اصحاب الجنة هم فيها خالدون لا نكلف نفسا الا وسعها جملة معترضة بين المبتدأ
والخبر للترغيب في اكتساب ما لا يكتنهه وصف الواصف من النعيم الخالد مع التعظيم بما هو

في الوسع وهو الامكان الواسع غير الضيق من الايمان والعمل الصالح وقرئ لا تكلف
نفس ونزعنا ما في صدورهم من غل تجري من تحتهم الانهار وقالوا الحمد لله الذي هدانا
لهذا وما كنا لنهتدي لولا ان هدانا الله لقد جاءت رسل ربنا بالحق ونودوا ان تلكم
الجنة اورثتموها بما كنتم تعملون من كان في قلبه غل على اخيه في الدنيا نزع منه فسلمت
قلوبهم وطهرت ولم يكن بينهم الا التواد والتعاطف وعن علي رضي الله عنه اني لارجو
ان اكون انا وعثمان وطلحة والزبير منهم هدانا لهذا اي وفقنا لموجب هذا الفوز
العظيم وهو الايمان والعمل الصالح وما كنا لنهتدي اللام لتوكيد النفي يعني
وما كان يستقيم ان نكون مهتدين لولا هداية الله وتوفيقه وفي مصاحف اهل الشام
ما كنا لنهتدي بغير واو على انها جملة موضحة للاولى لقد جاءت رسل ربنا بالحق فكان
لنا لطفا وتنبيها على الاهتداء فاهتدينا يقولون ذلك سرورا واغتباطا بما نالوا وتلذذا
بالتكلم به لا تقربا وتعبدا كما ترى من رزق خيرا في الدنيا يتكلم بنحو ذلك ولا يتمالك
ان لا يقوله للفرح لا للقربة ان تلكم الجنة ان مخففة من الثقيلة تقديره ونودوا بانه
تلكم الجنة اورثتموها والضمير ضمير الشان والحديث او تكون بمعنى اي لان المناداة
من القول كانه قيل وقيل لهم تلكم الجنة اورثتموها بما كنتم تعملون بسبب اعمالكم لا
بالتفضل كما تقول المبطلة ونادى اصحاب الجنة اصحاب النار ان قد وجدنا ما وعدنا
ربنا حقا فهل وجدتم ما وعد ربكم حقا قالوا نعم فاذن مؤذن بينهم ان لعنة
الله على الظالمين الذين يصدون عن سبيل الله ويبغونها عوجا وهم بالآخرة
كافرون ان في ان قد وجدنا يحتمل ان تكون مخففة من الثقيلة وان تكون مفسرة
كالتي سبقت آنفا وكذلك ان لعنة الله على الظالمين وانما قالوا لهم ذلك اغتباطا بحالهم
وشماتة باصحاب النار وزيادة في غمهم ولتكون حكايته لطفا لمن سمعها وكذلك قول
المؤذن بينهم لعنة الله على الظالمين وهو ملك يأمره الله تعالى فينادي بينهم نداء يسمع
اهل الجنة واهل النار وقرئ ان لعنة الله بالتشديد والنصب … الاعمش
ان لعنة الله بالكسر على ارادة القول او على اجراء اذن مجرى قال فان قلت هلا
قيل ما وعدكم ربكم كما قيل ما وعدنا ربنا … قلت حذف ذلك تخفيفا لدلالة وعدنا
عليه ولقائل ان يقول اطلق ليتناول كل ما وعد الله من البعث والحساب والثواب
والعقاب وسائر احوال القيامة لانهم كانوا مكذبين بذلك اجمع ولان الموعود كله مما
ساءهم وما نعيم اهل الجنة الا عذاب لهم فاطلق لذلك وبينهما حجاب وعلى الاعراف رجال
يعرفون كلا بسيماهم ونادوا اصحاب الجنة ان سلام عليكم لم يدخلوها وهم يطمعون
وبينهما حجاب يعني بين الجنة والنار او بين الفريقين وهو السور المذكور في قوله تعالى
فضرب بينهم بسور وعلى الاعراف وعلى اعراف الحجاب وهو السور المضروب بين الجنة والنار
وهي اعاليه جمع عرف استعير من عرف الفرس وعرف الديك رجال من المسلمين من آخرهم دخولا
في الجنة لقصور اعمالهم كأنهم المرجون لامر الله يحبسون بين الجنة والنار الى ان يأذن الله
لهم في دخول الجنة يعرفون كلا من زمر السعداء والاشقياء بسيماهم بعلامتهم التي اعلمهم الله

بالهمهم الله تعالى ذلك او تعرفهم الملائكة اذا نظروا الى اصحاب الجنة نادوهم بالتسليم
عليهم وإذا صرفت أبصارهم تلقاء أصحاب النار قالوا ربنا لا تجعلنا مع القوم الظالمين
ونادى أصحاب الأعراف رجالا يعرفونهم بسيماهم قالوا ما أغنى عنكم جمعكم وما كنتم
تستكبرون أهؤلاء الذين أقسمتم لا ينالهم الله برحمة ادخلوا الجنة لا خوف عليكم
ولا أنتم تحزنون وإذا صرفت ابصارهم تلقاء اصحاب النار ورأوا ما فيه من العذاب استعاذوا
بالله وفزعوا الى رحمته ان لا يجعلهم معهم ونادوا رجالا من رؤس الكفرة يقولون لهم
اهؤلاء الذين اقسمتم لا ينالهم الله برحمة اشارة الى اهل الجنة الذين كان الرؤسا يستهينون
بهم ويحتقرونهم لفقرهم وقلة حظوظهم من الدنيا وكانوا يقسمون ان الله لا يدخلهم الجنة
ادخلوا الجنة يقال لاصحاب الاعراف ادخلوا الجنة وذلك بعد ان يحبسوا على الاعراف وينظروا
الى الفريقين ويعرفوهم بسيماهم ويقولوا ما يقولون وفائدة ذلك بيان ان الجزاء على قدر
الاعمال وان التقدم والتأخر على حسبها وان احدا لا يسبق عند الله الا بسبقه في العمل ولا
يتخلف عنده الا بتخلفه فيه وليرغب السامعون في حال السابقين ويحرصوا على احراز
قصبتهم وليتصوروا ان كل احد يعرف ذلك اليوم بسيماه التي استوجب ان يوسم بها من اهل
الخير والشر فيرتدع المسيء عن اساءته ويزيد المحسن في احسانه وليعلم ان العصاة يوبخهم
كل احد حتى اقصر الناس عملا وقوله تعالى واذا صرفت ابصارهم فيه ان صارفا يصرف
ابصارهم لينظروا فيستعيذوا ويستغيثوا وقرأ الاعمش واذا قلبت ابصارهم وقرئ ادخلوا
الجنة على البنا للمفعول عكرمة دخلوا الجنة فإن قلت كيف لاءم هذين القولين
قوله لا خوف عليكم ولا انتم تحزنون قلت تأويله ادخلوا الجنة او دخلوا الجنة مقولا
لهم لا خوف عليكم ولا انتم تحزنون فإن قلت ما محل قوله لم يدخلوها وهم يطمعون
قلت لا محل له لانه استيناف كان سائلا سأل عن حال اصحاب الاعراف فقيل لم يدخلوها
وهم يطمعون يعني حالهم ان دخولهم الجنة استأخر عن دخول اهل الجنة فلم يدخلوها لكونهم
محبوسين وهم يطمعون لم ييأسوا ويجوز ان يكون له محل بان يقع صفة لرجال ما
اغنى عنكم جمعكم المال او كثرتكم واجتماعكم وما كنتم تستكبرون واستكباركم عن الحق
وعلى الناس وقرئ تستكثرون من الكثرة ونادى أصحاب النار أصحاب الجنة أن
أفيضوا علينا من الماء أو مما رزقكم الله قالوا إن الله حرمهما على الكافرين الذين اتخذوا
دينهم لهوا ولعبا وغرتهم الحياة الدنيا فاليوم ننساهم كما نسوا لقاء يومهم هذا وما
كانوا بآياتنا يجحدون افيضوا علينا فيه دليل على ان الجنة فوق النار او مما رزقكم الله
من غيره من الاشربة لدخوله في حكم الافاضة ويجوز ان يراد او القوا علينا مما رزقكم
الله من الطعام والفاكهة كقوله علفتها تبنا وماء باردا وانما يطلبون ذلك مع يأسهم
من الاجابة اليه حيرة في امرهم كما يفعل المضطر الممتحن حرمهما على الكافرين منعهم شراب
الجنة وطعامها كما يمنع المكلف ما يحرم عليه ويحظر كقوله
حرام على عيني ان تطعم الكرى فاليوم ننساهم نفعل بهم فعل الناسين الذين ينسون
عبيدهم من الخير لا يذكرونهم به كما نسوا لقاء يومهم هذا كما فعلوا بلقائه فعل الناسين

علم

فلم يخطروه ببالهم ولم يهتموا به ولقد جئناهم بكتاب فصلناه على علم هدى ورحمة لقوم يؤمنون
هل ينظرون إلا تأويله يوم يأتي تأويله يقول الذين نسوه من قبل قد جاءت رسل ربنا
بالحق فهل لنا من شفعاء فيشفعوا لنا أو نرد فنعمل غير الذي كنا نعمل قد خسروا أنفسهم
وضل عنهم ما كانوا يفترون فصلناه على علم عالمين كيف نفصل احكامه ومواعظه وقصصه
وسائر معانيه حتى جاء حكيما قيما غير ذي عوج وقرأ ابن محيصن فضلناه بالضاد المعجمة بمعنى فضلناه
على جميع الكتب عالمين انه اهل للتفضيل عليها وهدى ورحمة حال من منصوب فصلناه كما ان على
علم حال من مرفوعه الا تأويله الا عاقبة امره وما يؤول اليه من تبين صدقه وظهور صحة ما
نطق به من الوعد والوعيد قد جاءت رسل ربنا بالحق اي تبين وصح انهم جاءوا بالحق او نرد جملة
معطوفة على الجملة التي قبلها داخلة في حكم الاستفهام كانه قيل هل لنا من شفعاء او هل نرد ورافعه منها
ووقوعه موقعا يصلح للاسم كما تقول ابتداء هل يضرب زيد ولا يطلب له فعل آخر يعطف عليه فلا
يقدر هل يشفع لنا شافع او نرد ابن ابي اسحق او نرد بالنصب عطفا على فيشفعوا او
تكون او بمعنى حتى ان اي يشفعوا لنا حتى نرد فنعمل وقرأ الحسن بنصب نرد ورفع فنعمل بمعنى
فنحن نعمل إن ربكم الله الذي خلق السماوات والأرض في ستة أيام ثم استوى على العرش
يغشي الليل النهار يطلبه حثيثا والشمس والقمر والنجوم مسخرات بأمره ألا له الخلق
والأمر تبارك الله رب العالمين يغشي الليل النهار يغشي بالتشديد اي يلحق
الليل بالنهار او النهار بالليل يحتملهما جميعا والدليل على الثاني قراءة حميد بن قيس يغشى الليل
النهار بفتح الياء ونصب الليل ورفع النهار اي يدرك النهار الليل ويطلبه حثيثا حسن
الملاءمة لقراءة حميد بامره بمشيئته وتصريفه وهو متعلق بمسخرات اي خلقهن جاريات
بمقتضى حكمته وتدبيره وكما يريد ان يصرفها سمى ذلك امرا على التشبيه كانهن مأمورات
وقرئ والشمس والقمر والنجوم مسخرات بالرفع ولما ذكر انه خلقهن مسخرات بامره قال
ألا له الخلق والامر اي هو الذي خلق الاشياء وهو الذي صرفها على حسب ارادته ادعوا ربكم
تضرعا وخفية إنه لا يحب المعتدين ولا تفسدوا في الأرض بعد إصلاحها وادعوه
خوفا وطمعا إن رحمت الله قريب من المحسنين تضرعا وخفية نصب على الحال اي ذوي تضرع
وخفية وكذلك خوفا وطمعا والتضرع تفعل من الضراعة وهي الذل اي تذللا وتملقا وقرئ
خفية وعن الحسن رحمة الله عليه ان الله يعلم القلب التقي والدعاء الخفي ان كان الرجل لقد
جمع القرآن وما يشعر به جاره وان كان الرجل لقد فقه الفقه الكثير ولا يشعر الناس به وان
كان الرجل ليصلي الصلوة الطويلة وعنده الزور وما يشعرون به ولقد ادركنا اقواما ما كان على
الارض من عمل يقدرون على ان يعملوه في السر فيكون علانية ابدا ولقد كان المسلمون يجتهدون
في الدعاء وما يسمع لهم صوت ان كان الا همسا بينهم وبين ربهم وذلك ان الله تعالى يقول ادعوا
ربكم تضرعا وخفية وذكر عبدا صالحا رضي فعله فقال اذ نادى ربه نداء خفيا وبين دعوة السر ودعوة العلانية
سبعون ضعفا انه لا يحب المعتدين اي المجاوزين ما امروا به في كل شيء من الدعاء وغيره وعن
ابن جريج هو رفع الصوت بالدعاء وعنه الصياح في الدعاء مكروه وبدعة وقيل هو الاسهاب
في الدعاء وعن النبي صلى الله عليه وسلم سيكون قوم يعتدون في الدعاء وحسب المرء ان يقول

دعوة مجابة

اللهم انى اسئلك الجنة وما قرب اليها من قول وعمل واعوذ بك من النار وما قرب اليها من قول
وعمل ثم قرأ قوله انه لا يحب المعتدين ان رحمة الله قريب من المحسنين كقوله تعالى واني
لغفار لمن تاب وامن وعمل صالحا وانما ذكر قريب على تاويل الرحمة بالرحم او الترحم او لانه صفة
موصوف محذوف اى شئ قريب او على تشبيهه بفعيل الذى بمعنى مفعول كما شبه ذاك به فقيل
قتلاء واسراء او على انه بزنة المصدر الذى هو النقيض والضغيب او لان تانيث الرحمة
غير حقيقى وهو الذى يرسل الرياح نشرا بين يدى رحمته حتى اذا اقلت سحابا ثقالا
سقناه لبلد ميت فانزلنا به الماء فاخرجنا به من كل الثمرات كذلك نخرج الموتى لعلكم
تذكرون قرئ نشرا وهو مصدر نشر وانتصابه اما لان ارسل ونشر متقاربان فكانه
قيل نشرها نشرا واما على الحال بمعنى منتشرات ونشرا جمع نشور ونشرا تخفيف نشر كرسل
ورسل وقرأ مسروق نشرا بمعنى منشورات فعل بمعنى مفعول كنقض وحسب ومنه قولهم ضم
نشره وبشرا جمع بشير وبشرا بتخفيفه وبشرا بفتح الباء مصدر من بشره بمعنى بشره اى باشرات
وبشرى بين يدى رحمته امام نعمته وهى الغيث الذى هو من اجل النعم واحسنها اثرا اقلت
حملت ورفعت واشتقاق الاقلال من القلة لان الرافع المطيق يرى ما يرفعه قليلا سحابا ثقالا
سحائب ثقالا بالماء جمع سحابة سقناه الضمير للسحاب على اللفظ ولو حمل على المعنى كالثقال لانث
كما لو حمل الوصف على اللفظ لقيل ثقيلا لبلد ميت لاجل بلد ليس فيه حيا ولسقيه وقرئ
ميت فانزلنا به بالبلد او بالسحاب او بالسوق وكذلك فاخرجنا به كذلك مثل ذلك الاخراج بدء
وهو اخراج الثمرات نخرج الموتى لعلكم تذكرون فيؤديكم التذكر الى انه لا فرق بين الاخراجين
اذ كل واحد منهما اعادة للشئ بعد انشائه والبلد الطيب يخرج نباته باذن ربه والذى خبث
لا يخرج الا نكدا كذلك نصرف الايات لقوم يشكرون البلد الطيب الارض الكريمة
التربة والذى خبث الارض السبخة التى لا تنبت ما ينتفع به باذن ربه بتيسيره وهو فى موضع
الحال كانه قيل يخرج نباته حسنا وافيا لانه واقع فى مقابلة نكدا والنكد الذى لا خير فيه
يخرج نباته اى يخرجه البلد وينبته وقوله تعالى والذى خبث صفة للبلد ومعناه
والبلد الخبيث لا يخرج نباته الا نكدا فحذف المضاف الذى هو النبات واقيم المضاف اليه الذى
هو الراجع الى البلد مقامه الا انه كان مجرورا بارزا فانقلب مرفوعا مستكنا لوقوعه موقع
الفاعل او يقدر ونبات الذى خبث وقرئ نكدا بفتح الكاف على المصدر اى ذا نكد ونكدا
باسكانها للتخفيف كقوله نزه عن الريب بمعنى نزه وهذا مثل لمن ينجع فيه الوعظ والتنبيه من
المكلفين ولمن لا يؤثر فيه شئ من ذلك وعن مجاهد ادم وذريته منهم خبيث وطيب وعن
قتادة المؤمن سمع كتاب الله بعقله فوعاه وانتفع به كالارض الطيبة اصابها الغيث فانبتت
والكافر بخلاف ذلك وهذا التمثيل واقع على اثر ذكر المطر وانزاله بالبلد الميت واخراج الثمرات
به على طريق الاستطراد كذلك مثل ذلك التصريف نصرف الايات نرددها ونكررها لقوم
يشكرون نعمة الله وهم المؤمنون ليفكروا فيها ويعتبروا بها يصرف بالياء اى يصرفها
الله لقد ارسلنا نوحا الى قومه فقال يا قوم اعبدوا الله ما لكم من اله غيره انى اخاف
عليكم عذاب يوم عظيم لقد ارسلنا جواب قسم محذوف فان قلت ما لهم لا يكادون

يطلعون بهذه اللام الا مع قد وقل عنهم نحو قوله حلفت لها بالله حلفة فاجر لناموا قلت انما
كان كذلك لان الجملة القسمية لا تساق الا تاكيدا للجملة المقسم عليها التى هى جوابها فكانت
مظنة لمعنى التوقع الذى هو معنى قد عند استماع المخاطب كلمة القسم قيل ارسل نوح وهو ابن
خمسين سنة وكان نجارا وهو نوح بن لمك بن متوشلخ بن اخنوخ واخنوخ اسم ادريس النبى عليه
السلام وقرئ غيره بالحركات الثلاث فالرفع على المحل كانه قيل ما لكم اله غيره والجر على
اللفظ والنصب على الاستثناء بمعنى ما لكم من اله الا اياه كقولك ما فى الدار من احد الا زيدا
وغير زيد ما موقع الجملتين بعد قوله اعبدوا الله قلت الاولى بيان لوجه
اختصاصه بالعبادة والثانية بيان للداعى الى عبادته لانه هو المحذور عقابه دون من كانوا
يعبدونه من دون الله واليوم العظيم يوم القيامة او يوم نزول العذاب عليهم وهو الطوفان
قال الملأ من قومه انا لنراك فى ضلال مبين قال يا قوم ليس بى ضلالة ولكنى رسول
من رب العالمين الملأ الاشراف والسادة وقيل الرجال ليس معهم نساء فى ضلال فى
ذهاب عن طريق الصواب والحق ومعنى الرؤية رؤية القلب فان قلت لم قال ليس بى
ضلالة ولم يقل ضلال كما قالوا الضلالة اخص من الضلال فكانت ابلغ فى نفى الضلال
عن نفسه كانه قال ليس بى شئ من الضلال كما لو قيل لك الك تمر فقلت ما لى تمرة فان قلت
كيف وقع قوله ولكنى رسول استدراكا للانتفاء عن الضلالة كونه رسولا من الله
مبلغا رسالاته ناصحا فى معنى كونه على الصراط المستقيم فصح لذلك ان يكون استدراكا للانتفاء
عن الضلالة ابلغكم رسالات ربى وانصح لكم واعلم من الله ما لا تعلمون او عجبتم ان جاءكم
ذكر من ربكم على رجل منكم لينذركم ولتتقوا ولعلكم ترحمون وقرئ ابلغكم بالتخفيف
فان قلت كيف موقع قوله ابلغكم فيه وجهان احدهما ان يكون كلاما مستانفا بيانا لكونه رسول رب العالمين والثانى ان يكون صفة لرسول فان قلت
كيف جاز ان يكون صفة والرسول لفظه لفظ الغائب جاز ذلك لان الرسول وقع
خبرا عن ضمير المخاطب فكان فى معناه كما قال انا الذى سمتنى امى حيدره رسالات ربى ما اوحى
الى فى الاوقات المتطاولة او فى المعانى المختلفة من الاوامر والنواهى والمواعظ والزواجر
والبشائر والنذائر ويجوز ان يريد رسالاته اليه والى الانبياء قبله من صحف جده ادريس
وهى ثلثون صحيفة ومن صحف شيث وهى خمسون صحيفة وانصح لكم يقال نصحته ونصحت له
وفى زيادة اللام مبالغة ودلالة على امحاض النصيحة وانها وقعت خالصة للمنصوح له
مقصودا بها جانبه لا غير فرب نصيحة ينتفع بها الناصح فيقصد النفعين جميعا ولا نصيحة امحض
من نصيحة الله ورسوله واعلم من الله ما لا تعلمون اى من صفات الله واحواله يعنى قدرته
الباهرة وشدة بطشه على اعدائه وان باسه لا يرد عن القوم المجرمين وقيل لم يسمعوا بقوم حل
بهم العذاب قبلهم فكانوا امنين لا يعلمون ما علمه نوح بوحى الله اليه او اراد واعلم من
جهة الله اشياء لا علم لكم بها قد اوحى الى بها او عجبتم الهمزة للانكار والواو للعطف والمعطوف
عليه محذوف كانه قيل اكذبتم وعجبتم ان جاءكم من ان جاءكم ذكر موعظة من ربكم على رجل منكم
على لسان رجل منكم كقوله عز وجل وعدتنا على رسلك وذلك انهم كانوا يتعجبون من

من نبوة نوح عليه السلام ويقولون ما سمعنا بهذا في آبائنا الأولين يعنون إرسال البشر ولو
شاء ربنا لأنزل ملائكة لينذركم ليحذركم عاقبة الكفر ولتتقوا ولتوجد منكم التقوى وهي الخشية
بسبب الإنذار ولعلكم ترحمون ولترحموا بالتقوى إن وجدت منكم فكذبوه فأنجيناه والذين
معه في الفلك وأغرقنا الذين كذبوا بآياتنا إنهم كانوا قوما عمين والذين معه قيل
كانوا أربعين رجلا وأربعين امرأة وقيل تسعة بنوه سام وحام ويافث وستة ممن
آمن به فإن قلت في الفلك بم يتعلق هو متعلق بمعه كأنه قيل والذين
استقروا معه في الفلك أو صحبوه في الفلك ويجوز أن يتعلق بفعل الإنجاء أي أنجيناهم
في السفينة من الطوفان عمين عمي القلوب غير مستبصرين وقرئ عامين والفرق
بين العمي والعامي أن العمي يدل على عمى ثابت والعامي على عمى حادث ونحوه قوله تعالى وضائق
به صدرك وإلى عاد أخاهم هودا قال يا قوم اعبدوا الله ما لكم من إله غيره أفلا
تتقون قال الملأ الذين كفروا من قومه إنا لنراك في سفاهة وإنا لنظنك من
الكاذبين أخاهم واحدا منهم من قولك يا أخا العرب للواحد منهم وإنما جعل واحدا منهم
لأنهم أفهم عن رجل منهم وأعرف بحاله في صدقه وأمانته وهو هود بن شالخ بن أرفخشذ بن سام
ابن نوح وأخاهم عطف على نوحا وهودا عطف بيان له فإن قلت لم حذف العاطف
من قوله قال يا قوم ولم يقل فقال كما في قصة نوح هو على تقدير سؤال سائل قال
فما قال لهم هود فقيل قال يا قوم اعبدوا الله وكذلك قال الملأ فإن قلت لم وصف
الملأ بالذين كفروا دون الملأ من قوم نوح كان في أشراف قوم هود من آمن به منهم
مرثد بن سعد الذي أسلم وكان يكتم إسلامه فأريدت التفرقة بالوصف ولم يكن في أشراف
قوم نوح مؤمن ونحوه قوله تعالى وقال الملأ من قومه الذين كفروا وكذبوا بلقاء الآخرة
ويجوز أن يكون وصفا واردا للذم لا غير في سفاهة في خفة حلم وسخافة عقل حيث تهجر
دين قومك إلى دين آخر وجعلت السفاهة ظرفا على طريق المجاز أرادوا أنه متمكن فيها غير منفك
عنها قال يا قوم ليس بي سفاهة ولكني رسول من رب العالمين أبلغكم رسالات
ربي وأنا لكم ناصح أمين أوعجبتم أن جاءكم ذكر من ربكم على رجل منكم لينذركم واذكروا
إذ جعلكم خلفاء من بعد قوم نوح وزادكم في الخلق بسطة فاذكروا آلاء الله لعلكم
تفلحون وفي إجابة الأنبياء عليهم السلام من نسبهم إلى الضلالة والسفاهة بما أجابوهم به
من الكلام الصادر عن الحلم والإغضاء وترك المقابلة بما قالوا لهم مع علمهم بأن خصومهم أضل
الناس وأسفههم أدب حسن وخلق عظيم وحكاية الله عز وجل ذلك تعليم لعباده كيف
يخاطبون السفهاء وكيف يغضون عنهم ويسبلون أذيالهم على ما يكون منهم ناصح أمين أي
عرفته فيما بينكم بالنصح والأمانة فما حقي أن أتهم وأنا لكم ناصح فيما أدعوكم إليه أمين على
ما أقول لكم لا أكذب فيه خلفاء من بعد قوم نوح أي خلفتموهم في الأرض أو جعلكم
ملوكا في الأرض قد استخلفكم فيها بعدهم في الخلق بسطة فيما خلق من أجرامكم ذهابا في
الطول والبدانة قيل كان أقصرهم ستين ذراعا وأطولهم مائة ذراع فاذكروا آلاء الله
في استخلافكم وبسطة أجرامكم وما سواهما من عطاياه وواحد الآلاء إلى ونحوه إنى وآناء وضلع

وأضلاع وعنب وأعناب فإن قلت إذ في قوله إذ جعلكم خلفاء ما وجه انتصابه
هو مفعول به وليس بظرف أي اذكروا وقت استخلافكم قالوا أجئتنا لنعبد الله وحده ونذر
ما كان يعبد آباؤنا فأتنا بما تعدنا إن كنت من الصادقين أجئتنا لنعبد الله وحده
أنكروا واستبعدوا اختصاص الله وحده بالعبادة وترك دين الآباء في اتخاذ الأصنام
شركاء معه حبا لما نشؤوا عليه وإلفا لما صادفوا آباءهم يتدينون به فإن قلت ما معنى
المجيء في قوله أجئتنا فيه أوجه أن يكون لهود عليه السلام مكان معتزل يتحنث فيه
كما كان يفعل رسول الله صلى الله عليه وسلم قبل المبعث فلما أوحي إليه جاء قومه يدعوهم
وأن يريدوا به الاستهزاء لأنهم كانوا يعتقدون أن الله تعالى لا يرسل إلا الملائكة فكأنهم
قالوا أجئتنا من السماء كما يجيء الملك وأن لا يريدوا حقيقة المجيء ولكن التعرض بذلك والقصد
كما يقال ذهب يشتمني ولا تراد حقيقة الذهاب كأنهم قالوا أقصدتنا لنعبد الله وحده
وتعرضت لنا بتكليف ذلك فأتنا بما تعدنا استعجال منهم للعذاب قال قد وقع عليكم
من ربكم رجس وغضب أتجادلونني في أسماء سميتموها أنتم وآباؤكم ما نزل الله بها
من سلطان فانتظروا إني معكم من المنتظرين قد وقع عليكم أي حق عليكم ووجب أو قد
نزل عليكم جعل المتوقع الذي لا بد من نزوله بمنزلة الواقع ونحوه قولك لمن طلب إليك
بعض المطالب قد كان ذلك وعن حسان أن ابنه عبد الرحمن لسعه زنبور وهو طفل
فجاء يبكي فقال له يا بني ما لك فقال لسعني طوير كأنه ملتف في بردي حبرة فضمه إلى صدره
وقال له يا بني قد قلت الشعر والرجس العذاب من الارتجاس وهو الاضطراب في أسماء
سميتموها في أشياء ما هي إلا أسماء ليس تحتها مسميات لأنكم تسمونها آلهة ومعنى الإلهية
فيها معدوم ومحال وجوده وهذا كقوله تعالى ما يدعون من دونه من شيء ومعنى سميتموها
سميتم بها من قولك سميته زيدا فأنجيناه والذين معه برحمة منا وقطعنا دابر الذين
كذبوا بآياتنا وما كانوا مؤمنين وقطع دابرهم استئصالهم وتدميرهم عن آخرهم
وقصتهم أن عادا قد تبسطوا في البلاد ما بين عمان وحضرموت وكانت لهم أصنام يعبدونها
صداء وصمود والهباء فبعث الله إليهم هودا نبيا وكان من أوسطهم وأفضلهم حسبا
فكذبوه وازدادوا عتوا وتجبرا فأمسك الله تعالى عنهم القطر ثلاث سنين حتى جهدوا
وكان الناس إذا نزل بهم بلاء طلبوا إلى الله الفرج منه عند بيته الحرام مسلمهم ومشركهم
وأهل مكة إذ ذاك العماليق أولاد عمليق بن لاوذ بن سام بن نوح عليه السلام وسيدهم
معاوية بن بكر فجهزت عاد إلى مكة من أماثلهم سبعين رجلا منهم قيل بن عنز ومرثد
ابن سعد الذي كان يكتم إسلامه فلما قدموا نزلوا على معاوية بن بكر وهو بظاهر مكة
خارجا من الحرم فأنزلهم وأكرمهم وكانوا أخواله وأصهاره فأقاموا عنده شهرا
يشربون الخمر وتغنيهم الجرادتان قينتان كانتا لمعاوية فلما رأى طول مقامهم وذهولهم
باللهو عما قدموا له أهمه ذلك وقال قد هلك أخوالي وأصهاري وهؤلاء على ما هم عليه
وكان يستحيي أن يكلمهم خيفة أن يظنوا به ثقل مقامهم عليه فذكر ذلك للقينتين فقالتا
قل شعرا نغنيهم به لا يدرون من قاله فقال معاوية ألا يا قيل ويحك قم فهينم لعل الله يبعثنا غماما

فبقي ارض عاد ان عادا قد امسوا لا يبينون الكلاما فلما غنتا به قالوا
ان قومكم يتغوثون من البلاء الذي نزل بهم وقد ابطأتم عليهم فادخلوا الحرم
واستسقوا لقومكم فقال لهم مرثد بن سعد والله لا تسقون بدعائكم ولكن ان اطعتم نبيكم
وتبتم الى الله سقيتم واظهر اسلامه فقالوا لمعوية احبس عنا مرثدا لا يقدمن معنا مكة
فانه قد اتبع دين هود وترك ديننا ثم دخلوا مكة فقال قيل اللهم اسق عادا ما كنت تسقيهم
فانشا الله سحابات ثلثا بيضا وحمرا وسودا ثم ناداه مناد من السما يا قيل اختر لنفسك
ولقومك فقال اخترت السودا فانها اكثرهن ماء فخرجت على عاد من واد لهم يقال له المغيث
فاستبشروا بها وقالوا هذا عارض ممطرنا فجاءتهم منها ريح عقيم فاهلكتهم ونجا هود والمؤمنون
معه فاتوا مكة فعبدوا الله فيها حتى ماتوا **فان قلت** ما فايدة نفي الايمان عنهم في قوله تعالى
وما كانوا مؤمنين مع اثبات التكذيب بآيات الله هو تعريض بمن آمن منهم كمرثد بن
سعد ومن نجا مع هود عليه السلام كانه قال وقطعنا دابر الذين كذبوا منهم ولم يكونوا مثل
من امن منهم ليؤذن ان الهلاك خص المكذبين ونجى الله المؤمنين **وإلى ثمود أخاهم صالحا قال
يا قوم اعبدوا الله ما لكم من إله غيره قد جاءتكم بينة من ربكم هذه ناقة الله لكم
آية فذروها تأكل في أرض الله ولا تمسوها بسوء فيأخذكم عذاب أليم** **وقرئ**
الى ثمود بمنع الصرف بتأويل القبيلة والى ثمود بالصرف بتأويل الحي او باعتبار الاصل لانه
اسم ابيهم الاكبر وهو ثمود بن عابر بن ارم بن سام بن نوح عليه السلام وقيل سميت ثمود لقلة
مائها من الثمد وهو الماء القليل وكانت مساكنهم الحجر بين الحجاز والشام الى وادي القرى قد جاءتكم
بينة اية ظاهرة وشاهد على صحة نبوتي وكانه قيل ما هذه البينة فقال هذه ناقة الله لكم اية
وآية نصب على الحال والعامل فيها ما دل عليه اسم الاشارة من معنى الفعل كانه قيل اشير اليها
آية ولكم بيان لمن هي له آية موجبة عليه الايمان خاصة وهم ثمود لانهم عاينوها وسائر
الناس اخبروا عنها وليس الخبر كالمعاينة كانه قال لكم خصوصا وانما اضيفت الى اسم الله تعظيما
لها وتفخيما لشانها وانها جاءت من عنده مكونة من غير فحل وطروقة آية من آياته كما تقول
آية الله **وروي** ان عادا لما اهلكت عمرت ثمود بلادها وخلفوهم في الارض وكثروا وعمروا
اعمارا طوالا حتى ان الرجل كان يبني المسكن المحكم فينهدم في حياته فنحتوا البيوت من الجبال
وكانوا في سعة ورخاء من العيش فعتوا على الله وافسدوا في الارض وعبدوا الاوثان فبعث الله
تعالى اليهم صالحا وكانوا قوما عربا وصالح من اوسطهم نسبا فدعاهم الى الله فلم يتبعه الا
قليل منهم مستضعفون فحذرهم وانذرهم فسالوه اية فقال اية اية تريدون قالوا تخرج
معنا الى عيدنا في يوم معلوم لهم من السنة فتدعو الهك وندعو الهتنا فان استجيب لك
اتبعناك وان استجيب لنا اتبعتنا فقال صالح نعم فخرج معهم ودعوا اوثانهم وسالوها الاجابة
فلم تجبهم ثم قال سيدهم جندع بن عمرو واشار الى صخرة منفردة في ناحية الجبل يقال لها الكاثبة
اخرج لنا من هذه الصخرة ناقة مخترجة جوفاء وبراء والمخترجة التي شاكلت البخت فان فعلت
صدقناك واجبناك فاخذ صالح عليه السلام عليهم المواثيق لئن فعلت ذلك لتؤمنن
ولتصدقن قالوا نعم فصلى ودعا فتمخضت الصخرة تمخض النتوج بولدها فانصدعت عن ناقة

عشرا جوفاء وبراء كما وصفوا لا يعلم ما بين جنبيها الا الله وعظماؤهم ينظرون ثم نتجت ولدا مثلها
في العظم فامن به جندع ورهط من قومه ومنع اعقابهم ناس من رؤسهم ان يؤمنوا فمكثت الناقة
مع ولدها ترعى الشجر وتشرب الماء وكانت ترد غبا فاذا كان يومها وضعت راسها في البير فما
ترفعه حتى تشرب كل ما فيها ثم تتفحج فيحتلبون ما شاؤوا حتى تمتلئ اوانيهم فيشربون ويدخرون
قال ابو موسى الاشعري رضي الله عنه اتيت ارض ثمود فذرعت مصدر الناقة فوجدته
ستين ذراعا وكانت الناقة اذا وقع الحر تصيفت بظهر الوادي فتهرب منها انعامهم فتهبط
الى بطنه واذا وقع البرد تشتت ببطن الوادي فتهرب مواشيهم الى ظهره فشق ذلك عليهم وزينت
عقرها لهم امراتان عنيزة ام غنم وصدقة بنت المختار لما اضرت به من مواشيهما وكانتا كثيرتي
المواشي فعقروها واقتسموا لحمها وطبخوه فانطلق سقبها حتى رقي جبلا اسمه قارة فرغا ثلثا
وكان صالح قال لهم ادركوا الفصيل عسى ان يرفع عنكم العذاب فلم يقدروا عليه وانفجت الصخرة
بعد رغائه فدخلها فقال لهم صالح عليه السلام تصبحون غدا وجوهكم مصفرة وبعد غد
ووجوهكم محمرة واليوم الثالث ووجوهكم مسودة ثم يصبحكم العذاب فلما راوا العلامات
طلبوا ان يقتلوه فانجاه الله تعالى الى ارض فلسطين ولما كان اليوم الرابع وارتفع الضحى تحنطوا
بالصبر وتكفنوا بالانطاع فاتتهم صيحة من السماء فتقطعت قلوبهم فهلكوا تأكل في ارض الله
اي الارض ارض الله والناقة ناقة الله فذروها تاكل في ارض ربها فليست الارض لكم ولا ما
فيها من النبات من انباتكم ولا تمسوها بسوء ولا تضربوها ولا تطردوها ولا تريبوها بشيء
من الاذى اكراما لاية الله **وروي** ان رسول الله عليه السلام حين مر بالحجر في غزوة تبوك
قال لاصحابه لا يدخلن احد منكم القرية ولا تشربوا من مائها ولا تدخلوا على هؤلاء المعذبين
الا ان تكونوا باكين ان يصيبكم مثل الذي اصابهم وقال صلى الله عليه وسلم يا علي اتدري من
اشقى الاولين قال الله ورسوله اعلم قال عاقر ناقة صالح اتدري من اشقى الاخرين قال الله
ورسوله اعلم قال قاتلك **وقرا** ابو جعفر في رواية تاكل في ارض الله وهو في موضع الحال
بمعنى الاكلة **واذكروا اذ جعلكم خلفاء من بعد عاد وبوأكم في الأرض تتخذون من سهولها
قصورا وتنحتون الجبال بيوتا فاذكروا آلاء الله ولا تعثوا في الأرض مفسدين**
وبوأكم ونزلكم والمباءة المنزل في الارض في ارض الحجر بين الحجاز والشام من سهولها قصورا
اي تبنونها من سهولة الارض بما تعملون منها من الرهص واللبن والاجر **وقرا** الحسن
وتنحتون بفتح الحاء وتنحاتون باشباع الفتحة **كقوله** ينباع من ذفرى اسيل حرة **فان
قلت** علام انتصب بيوتا على الحال كما تقول خط هذا الثوب قميصا وابر هذه
القصبة قلما وهي من الحال المقدرة لان الجبل لا يكون بيتا في حال النحت ولا الثوب
والقصبة قميصا في حال الخياطة والبري وقيل كانوا يسكنون السهول في الصيف والجبال
في الشتا **قال الملأ الذين استكبروا من قومه للذين استضعفوا لمن آمن منهم
أتعلمون أن صالحا مرسل من ربه قالوا إنا بما أرسل به مؤمنون** للذين استضعفوا
للذين استضعفهم رؤسا الكفار واستذلوهم ولمن آمن منهم بدل من للذين استضعفوا
فان قلت الضمير في منهم راجع الى ماذا الى قومه او الى الذين استضعفوا **فان قلت**

هل لاختلاف المرجعين اثر في اختلاف المعنى قلت نعم وذلك ان الراجع اذا رجع الى قومه فقد جعل من امن مفسرا لمن استضعف منهم فدل ان استضعافهم كان مقصورا على المؤمنين واذا رجع الى الذين استضعفوا لم يكن الاستضعاف مقصورا عليهم ودل ان المستضعفين كانوا مؤمنين وكافرين اتعلمون ان صالحا مرسل من ربه شيء قالوه على سبيل الطنز والسخرية كما تقول للمجسمة اتعلمون ان الله فوق العرش فان قلت كيف صح قولهم انا بما ارسل به مؤمنون جوابا عنه سالوهم عن العلم بارساله فجعلوا ارساله امرا معلوما مكشوفا مسلما لا يدخله ريب كانهم قالوا العلم بارساله وبما ارسل به مما لا كلام فيه ولا شبهة تدخله لوضوحه وانارته وانما الكلام في وجوب الايمان به فنخبركم انا به مؤمنون ولذلك كان جواب الكفرة انا بالذي امنتم به كافرون فوضعوا امنتم به موضع ارسل به ردا لما جعله المؤمنون معلوما واخذوه مسلما قال الذين استكبروا انا بالذي امنتم به كافرون فعقروا الناقة وعتوا عن امر ربهم وقالوا يا صالح ائتنا بما تعدنا ان كنت من المرسلين فاخذتهم الرجفة فاصبحوا في دارهم جاثمين فعقروا الناقة اسند العقر الى جميعهم لانه كان برضاهم وان لم يباشره الا بعضهم وقد يقال للقبيلة الضخمة انتم فعلتم كذا وما فعله الا واحد منهم وعتوا عن امر ربهم وتولوا عنه واستكبروا عن امتثاله عاتين وامر ربهم ما امر به على لسان صالح عليه السلام من قوله تعالى فذروها تاكل في ارض الله او شان ربهم وهو دينه ويجوز ان يكون المعنى وصدر عتوهم عن امر ربهم كان امر ربهم بتركها كان هو السبب في عتوهم ونحو عن هذه ما في قوله تعالى وما فعلته عن امري ائتنا بما تعدنا ارادوا من العذاب وانما جاز الاطلاق لانه كان معلوما واستعجالهم له لتكذيبهم به ولذلك علقوه بما هم به كافرون وهو كونه من المرسلين الرجفة الصيحة التي زلزلت لها الارض واضطربوا لها في دارهم في بلادهم او في مساكنهم جاثمين هامدين لا يتحركون موتى يقال الناس جثم اي قعود لا حراك بهم ولا ينبسون نبسة ومنه المجثمة التي جاء النهي عنها وهي البهيمة تربط وتجمع قوائمها لترمى وعن جابر رضي الله عنه ان النبي صلى الله عليه لما مر بالحجر قال لا تسالوا الايات فقد سالها قوم صالح فاخذتهم الصيحة فلم يبق منهم الا رجل واحد كان في حرم الله قالوا من هو قال ابو رغال فلما خرج من الحرم اصابه ما اصاب قومه وروي ان صالحا كان بعثه الى قوم فخالف امره انه عليه السلام مر بقبر ابي رغال فقال اتدرون من هذا قالوا الله ورسوله اعلم فذكر قصة ابي رغال وانه دفن ههنا ودفن معه غصن من ذهب فابتدروه وبحثوا عليه باسيافهم فاستخرجوا الغصن فتولى عنهم وقال يا قوم لقد ابلغتكم رسالة ربي ونصحت لكم ولكن لا تحبون الناصحين فتولى عنهم الظاهر انه كان مشاهدا لما جرى عليهم وانه تولى عنهم بعد ما ابصرهم جاثمين تولي مغتم متحسر على ما فاته من ايمانهم يتحزن لهم ويقول يا قوم لقد بذلت فيكم وسعي ولم الو جهدا في ابلاغكم والنصيحة لكم ولكن لا تحبون الناصحين ويجوز ان يتولى عنهم تولي ذاهب عنهم منكر لاصرارهم حين راى العلامات قبل نزول العذاب وروي ان عقرهم الناقة كان يوم الاربعاء ونزل بهم العذاب يوم السبت انه خرج في مائة وعشرة من المسلمين وهو يبكي فالتفت فراى الدخان ساطعا فعلم انهم قد هلكوا وكانوا الفا وخمسمائة دار

وروي انه رجع بمن معه فسكنوا ديارهم فان قلت كيف صح خطاب الموتى وقوله ولكن لا تحبون الناصحين قلت قد يقول الرجل لصاحبه وهو ميت وكان قد نصحه فلم يسمع منه حتى القى بنفسه في التهلكة يا اخي كم نصحتك وكم قلت لك فلم تقبل مني وقوله ولكن لا تحبون الناصحين حكاية حال ماضية ولوطا اذ قال لقومه اتاتون الفاحشة ما سبقكم بها من احد من العالمين ولوطا وارسلنا لوطا واذ ظرف لارسلنا او واذكر لوطا واذ بدل منه بمعنى واذكر وقت قال لقومه اتاتون الفاحشة اتفعلون السيئة المتمادية في القبح ما سبقكم بها ما عملها قبلكم والباء للتعدية من قولك سبقته بالكرة اذا ضربتها قبله ومنه قوله صلى الله عليه وسلم سبقك بها عكاشة من احد من العالمين من الاولى زائدة لتوكيد النفي وافادة معنى الاستغراق والثانية للتبعيض فان قلت ما موقع هذه الجملة هي جملة مستانفة انكر عليهم اولا بقوله اتاتون الفاحشة ثم وبخهم عليها فقال انتم اول من عملها او على انه جواب لسؤال مقدر كانهم قالوا لم لا ناتيها فقال ما سبقكم بها احد فلا تفعلوا ما لم تسبقوا به انكم لتاتون الرجال شهوة من دون النساء بل انتم قوم مسرفون انكم لتاتون الرجال بيان لقوله اتاتون الفاحشة والهمزة مثلها في اتاتون للانكار والتعظيم وقرئ انكم على الاخبار المستانف لتاتون الرجال من اتى المراة اذا غشيها شهوة مفعول له اي للاشتهاء لا حامل لكم عليه الا مجرد الشهوة من غير داع اخر ولا ذم اعظم منه لانه وصف لهم بالبهيمية وانه لا داعي لهم من جهة العقل البتة كطلب النسل ونحوه او حال بمعنى مشتهين تابعين للشهوة غير ملتفتين الى السماجة بل انتم قوم مسرفون اضرب عن الانكار الى الاخبار عنهم بالحال التي توجب ارتكاب القبائح وتدعو الى اتباع الشهوات وهو انهم قوم عادتهم الاسراف وتجاوز الحدود في كل شيء فمن ثمة اسرفوا في باب قضاء الشهوة حتى تجاوزوا المعتاد الى غير المعتاد ونحوه بل انتم قوم عادون وما كان جواب قومه الا ان قالوا اخرجوهم من قريتكم انهم اناس يتطهرون وما كان جواب قومه الا ان قالوا يعني ما اجابوه بما يكون جوابا عما كلمهم به لوط عليه السلام من انكار الفاحشة وتعظيم امرها ووسمهم بسمة الاسراف الذي هو اصل الشر كله ولكنهم جاؤا بشيء اخر لا يتعلق بكلامه ونصيحته من الامر باخراجه ومن معه من المؤمنين من قريتهم ضجرا بهم وبما يسمعونه من وعظهم ونصحهم وقولهم انهم اناس يتطهرون سخرية بهم وبتطهرهم من الفواحش وافتخارا بما كانوا فيه من القذارة كما يقول الشطار من الفسقة لبعض الصلحاء اذا وعظهم ابعدوا عنا هذا المتقشف وارحونا من هذا المتزهد فانجيناه واهله الا امراته كانت من الغابرين وامطرنا عليهم مطرا فانظر كيف كان عاقبة المجرمين واهله ومن يختص به من ذويه او من المؤمنين من الغابرين من الذين غبروا في ديارهم اي بقوا فهلكوا والتذكير لتغليب الذكور على الاناث وكانت كافرة موالية لاهل سدوم وروي انها التفتت فاصابها حجر فماتت وقيل كانت المؤتفكة خمس مدائن وقيل كانوا اربعمائة الف بين الشام والمدينة فامطر الله عليهم الكبريت والنار وقيل خسف بالمقيمين منهم وامطرت الحجارة على مسافريهم وشذاذهم وقيل امطر

عليهم ثم خسف بهم وروى ان تاجرا منهم كان في الحرم فوقف له الحجر اربعين يوما حتى قضى
تجارته وخرج من الحرم فوقع عليه اى فرق بين مطر وامطر قلت يقال مطرتهم
السماء وواد ممطور وفي نوابغ الكلم حرى غير ممطور حرى ان يكون غير ممطور ومعنى مطرتهم
اصابتهم بالمطر كقولهم غاثتهم ووبلتهم وجادتهم ورهمتهم ويقال امطرت عليهم كذا بمعنى
ارسلته عليهم ارسال المطر فامطرنا عليهم حجارة من السماء وامطرنا عليهم حجارة من سجيل
ومعنى وامطرنا عليهم مطرا وارسلنا عليهم نوعا من المطر عجيبا يعني الحجارة الا ترى الى قوله
فساء مطر المنذرين والى مدين اخاهم شعيبا قال يا قوم اعبدوا الله ما لكم من اله غيره
قد جاءتكم بينة من ربكم فاوفوا الكيل والميزان ولا تبخسوا الناس اشياءهم ولا
تفسدوا في الارض بعد اصلاحها ذلكم خير لكم ان كنتم مؤمنين كان يقال لشعيب
عليه السلام خطيب الانبياء لحسن مراجعته قومه وكانوا اهل بخس للمكاييل والموازين قد
جاءتكم بينة من ربكم معجزة شاهدة بصحة نبوتي اوجبت عليكم الايمان بي والاخذ بما امركم
به والانتهاء عما انهاكم عنه فاوفوا ولا تبخسوا فان قلت ما كانت معجزته
قلت قد وقع العلم بانه كانت له معجزة لقوله تعالى قد جاءتكم بينة من ربكم ولانه لا بد لمدعي
النبوة من معجزة تشهد له وتصدقه والا لم تصح دعواه وكان متنبيا لا نبيا غير ان معجزته
لم تذكر في القرآن كما لم يذكر اكثر معجزات نبينا عليه السلام فيه ومن معجزات شعيب عليه
السلام ما روى من محاربة عصا موسى التنين حين دفع اليه غنمه وولادة الغنم الدرع خاصة
حين وعده ان يكون له الدرع من اولادها ووقوع عصا آدم على يده في المرات السبع وغير ذلك
من الآيات لان هذه كلها كانت قبل ان يستنبأ موسى فكانت معجزات لشعيب عليه السلام فان
قلت كيف قيل الكيل والميزان وهلا قيل المكيال والميزان كما في سورة هود اريد
بالكيل آلة الكيل وهو المكيال او سمي ما يكال به بالكيل كما قيل العيش لما يعاش به او اريد
فاوفوا الكيل ووزن الميزان ويجوز ان يكون الميزان كالميعاد والميلاد بمعنى المصدر ويقال
بخسته حقه اذا انقصته اياه ومنه قيل للمكس البخس وفي امثالهم تحسبها حمقاء وهي باخس وقيل
اشياءهم لانهم كانوا يبخسون الناس كل شيء في مبايعاتهم او كانوا مكاسين لا يدعون
شيئا الا مكسوه كما يفعل امراء الحرمين وروى انهم كانوا اذا دخل الغريب بلدهم اخذوا
دراهمه الجياد وقالوا هي زيوف فقطعوها قطعا ثم اخذوها بنقصان ظاهر او اعطوه
بدلها زيوفا بعد اصلاحها بعد الاصلاح فيها اى لا تفسدوا فيها بعد ما اصلح فيها الصالحون
من الانبياء واتباعهم العاملين بشرائعهم واضافته كاضافة قوله تعالى بل مكر الليل والنهار
بمعنى بل مكركم في الليل والنهار او بعد اصلاح اهلها على حذف المضاف ذلكم اشارة الى ما
ذكر من الوفاء بالكيل والميزان وترك البخس والافساد في الارض او الى العمل بما امرهم به
ونهاهم عنه ومعنى خير لكم يعني في الانسانية وحسن الاحدوثة وما تطلبونه من التكسب
والتربح لان الناس ارغب في متاجرتكم اذا عرفوا منكم الامانة والتسوية ان كنتم مؤمنين
ان كنتم مصدقين لي في قولي ذلكم خير لكم ولا تقعدوا بكل صراط توعدون وتصدون
عن سبيل الله من آمن به وتبغونها عوجا واذكروا اذ كنتم قليلا فكثركم وانظروا

كيف

كيف كان عاقبة المفسدين ولا تقعدوا بكل صراط ولا تقتدوا بالشيطان في قوله
لاقعدن لهم صراطك المستقيم فتقعدوا بكل صراط اى بكل منهاج من مناهج الدين والدليل
على ان المراد بالصراط سبيل الحق قوله تعالى وتصدون عن سبيل الله ومحل توعدون وما
عطف عليه النصب على الحال اى ولا تقعدوا موعدين وصادين عن سبيل الله وباغيها عوجا
فان قلت صراط الحق واحد وان هذا صراطي مستقيما فاتبعوه ولا تتبعوا السبل فتفرق
بكم عن سبيله فكيف قيل بكل صراط قلت صراط الحق واحد ولكنه يتشعب الى معارف وحدود
واحكام كثيرة مختلفة فكانوا اذا راوا احدا يشرع في شيء منها اوعدوه وصدوه فان قلت
الام يرجع الضمير في من آمن به قلت الى كل صراط تقديره توعدون من آمن به وتصدون عنه
فوضع الظاهر الذي هو سبيل الله موضع الضمير زيادة في تقبيح امرهم ودلالة على عظم ما يصدون
عنه وقيل كانوا يجلسون على الطرق والمراصد فيقولون لمن مر بهم ان شعيبا كذاب فلا يفتننكم
عن دينكم كما كان يفعل قريش بمكة وقيل كانوا يقطعون الطرق وقيل كانوا عشارين وتبغونها
عوجا وتطلبون لسبيل الله عوجا اى تصفونها للناس بانها سبيل معوجة غير مستقيمة لتصدوهم
عن سلوكها والدخول فيها او يكون تهكما بهم وانهم يطلبون لها ما هو محال لان طريق الحق
لا يعوج واذكروا اذ كنتم قليلا اذ مفعول به غير ظرف اى واذكروا على جهة الشكر وقت
كونكم قليلا عددكم فكثركم الله ووفر عددكم قيل ان مدين بن ابراهيم تزوج بنت لوط فولدت
فرمى الله في نسلها بالبركة والنماء فكثروا وفشوا ويجوز اذ كنتم مقلين فقرا فكثركم فجعلكم
مكثرين موسرين او كنتم اقلة اذلة فاعزكم بكثرة العدد والعدد عاقبة المفسدين آخر
من افسد قبلكم من الامم كقوم نوح وهود وصالح ولوط وكانوا قريبي العهد مما اصاب
المؤتفكة وان كان طائفة منكم آمنوا بالذي ارسلت به وطائفة لم يؤمنوا فاصبروا
حتى يحكم الله بيننا وهو خير الحاكمين فاصبروا فتربصوا وانتظروا حتى يحكم الله بيننا اى بين
الفريقين بان ينصر المحقين على المبطلين ويظهرهم عليهم وهذا وعيد للكافرين بانتقام
الله منهم كقوله تعالى فتربصوا انا معكم متربصون او هو موعظة للمؤمنين
وحث على الصبر واحتمال ما كان يلحقهم من اذى المشركين الى ان يحكم الله بينهم وينتقم لهم
منهم ويجوز ان يكون خطابا للفريقين اى ليصبر المؤمنون على اذى الكفار وليصبر الكفار
على ما يسوءهم من ايمان من آمن منهم حتى يحكم الله فيميز الخبيث من الطيب وهو خير الحاكمين
لان حكمه حق وعدل لا يخاف فيه الحيف قال الملأ الذين استكبروا من قومه لنخرجنك
يا شعيب والذين آمنوا معك من قريتنا او لتعودن في ملتنا قال اولو كنا
كارهين قد افترينا على الله كذبا ان عدنا في ملتكم بعد اذ نجانا الله منها وما يكون
لنا ان نعود فيها الا ان يشاء الله ربنا وسع ربنا كل شيء علما على الله توكلنا ربنا افتح
بيننا وبين قومنا بالحق وانت خير الفاتحين اى ليكونن احد الامرين اما اخراجكم واما
عودكم في الكفر فان قلت كيف خاطبوا شعيبا بالعود في الكفر في قولهم او لتعودن في
ملتنا وكيف اجابهم بقوله ان عدنا في ملتكم بعد اذ نجانا الله منها وما يكون لنا ان نعود
فيها والانبياء عليهم السلام لا يجوز عليهم من الصغائر الا ما ليس فيه تنفير فضلا عن الكبائر فضلا

عن الكفر قلت لما قالوا لنخرجنك يا شعيب والذين آمنوا معك فعطفوا على ضميره الذين دخلوا
في الإيمان منهم بعد كفرهم قالوا لتعودن فغلّبوا الجماعة على الواحد فجعلوهم عائدين جميعا إجراء
للكلام على حكم التغليب وعلى ذلك أجرى شعيب عليه السلام جوابه فقال إن عدنا في ملتكم
بعد إذ نجانا الله منها وهو يريد عود قومه إلا أنه نظم نفسه في جملتهم وإن كان بريا من ذلك
إجراء لكلامه على حكم التغليب   فما معنى قوله تعالى وما يكون لنا أن نعود فيها إلا أن
يشاء الله والله تعالى متعال أن يشاء ردة المؤمنين وعودهم في الكفر قلت معناه إلا أن
يشاء الله خذلاننا ومنعنا الألطاف لعلمه أنها لا تنفع فينا وتكون عبثا والعبث قبيح لا يفعله
الحكيم والدليل عليه قوله وسع ربنا كل شيء علما أي هو عالم بكل شيء مما كان وما يكون فهو يعلم أحوال
عباده كيف تتحول وقلوبهم كيف تتقلب وكيف تقسو بعد الرقة وتمرض بعد الصحة وترجع إلى
الكفر بعد الإيمان على الله توكلنا في أن يثبتنا على الإيمان ويوفقنا لازدياد الإيقان ويجوز
أن يكون قوله إلا أن يشاء الله حسما لطمعهم في العود لأن مشيئة الله لعودهم في الكفر محال خارج
عن الحكمة أولو كنا كارهين الهمزة للاستفهام والواو واو الحال تقديره أنعيد فيها في ملتكم في حال
كراهتنا ومع كوننا كارهين وما يكون لنا وما ينبغي لنا وما يصح ربنا افتح بيننا احكم بيننا والفتاحة
الحكومة أو أظهر أمرنا حتى ينفتح ما بيننا وبين قومنا وينكشف بأن تنزل عليهم عذابا يتبين
معه أنهم على الباطل وأنت خير الفاتحين كقوله وهو خير الحاكمين فإن قلت كيف أسلوب
قوله قد افترينا على الله كذبا إن عدنا في ملتكم   هو إخبار مقيد بالشرط وفيه
وجهان أحدهما أن يكون كلاما مستأنفا فيه معنى التعجب كأنهم قالوا ما أكذبنا على الله إن
عدنا في الكفر بعد الإسلام لأن المرتد أبلغ في الافتراء من الكافر لأن الكافر مفتر على الله الكذب حيث
يزعم أن لله ندا ولا ند له والمرتد مثله في ذلك وزائد عليه حيث يزعم أنه قد تبين له ما خفي
عليه من التمييز بين الحق والباطل والثاني أن يكون قسما على تقدير حذف اللام بمعنى والله
لقد افترينا على الله كذبا وقال الملأ الذين كفروا من قومه لئن اتبعتم شعيبا إنكم إذا
لخاسرون فأخذتهم الرجفة فأصبحوا في دارهم جاثمين وقال الملأ الذين كفروا
من قومه أي أشرافهم للذين دونهم يثبطونهم عن الإيمان لئن اتبعتم شعيبا إنكم إذا لخاسرون لاستبدالكم
الضلالة بالهدى كقوله أولئك الذين اشتروا الضلالة بالهدى فما ربحت تجارتهم وقيل تخسرون
باتباعه فوائد البخس والتطفيف لأنه ينهاكم عنهما ويحملكم على الإيفاء والتسوية فإن قلت
ما جواب القسم الذي وطأته اللام في لئن اتبعتم وجواب الشرط   قوله إنكم إذا لخاسرون
ساد مسد الجوابين الذين كذبوا شعيبا كأن لم يغنوا فيها الذين كذبوا شعيبا كانوا
هم الخاسرين   الذين كذبوا شعيبا مبتدأ خبره كأن لم يغنوا فيها وكذلك كانوا هم الخاسرين
وفي هذا الابتداء معنى الاختصاص كأنه قيل الذين كذبوا شعيبا هم المخصوصون بأن أهلكوا واستؤصلوا
كأن لم يقيموا في دارهم لأن الذين اتبعوا شعيبا قد أنجاهم الله الذين كذبوا شعيبا هم المخصوصون
بالخسران العظيم دون أتباعه فإنهم الرابحون وفي هذا الاستئناف والابتداء وهذا التكرير
مبالغة في رد مقالة الملأ لأشياعهم وتسفيه لرأيهم واستهزاء بنصحهم لقومهم واستعظام لما جرى
عليهم فتولى عنهم وقال يا قوم لقد أبلغتكم رسالات ربي ونصحت لكم فكيف آسى على قوم

كافرين

كافرين الأسى شدة الحزن قال العجاج وانحلبت عيناه من فرط الأسى اشتد حزنه على قومه
ثم أنكر على نفسه فقال فكيف يشتد حزني على قوم ليسوا بأهل للحزن عليهم لكفرهم واستحقاقهم ما
نزل بهم ويجوز أن يريد لقد أعذرت إليكم في الإبلاغ والنصيحة والتحذير مما حل بكم فلم تسمعوا قولي
ولم تصدقوا نصحي فكيف آسى عليكم يعني أنه لا يأسى عليهم لأنهم ليسوا أحقاء بالأسى وقرأ يحيى بن وثاب
فكيف إيسى بكسر الهمزة وما أرسلنا في قرية من نبي إلا أخذنا أهلها بالبأساء والضراء
لعلهم يضرعون إلا أخذنا أهلها بالبأساء بالبؤس والفقر والضراء بالضر والمرض لاستكبارهم
عن اتباع نبيهم وتعززهم عليه لعلهم يضرعون ليتضرعوا ويتذللوا ويحطوا أردية الكبر والعزة
ثم بدلنا مكان السيئة الحسنة حتى عفوا وقالوا قد مس آباءنا الضراء والسراء فأخذناهم
بغتة وهم لا يشعرون ثم بدلنا مكان السيئة الحسنة أي أعطيناهم بدل ما كانوا فيه من البلاء
والمحنة الرخاء والسعة والصحة كقوله تعالى وبلوناهم بالحسنات والسيئات حتى عفوا
كثروا ونموا في أنفسهم وأموالهم من قولهم عفا النبات وعفا الشحم والوبر إذا كثرت ومنه
قوله صلى الله عليه وسلم وأعفوا اللحى وقال الحطيئة بمستأسد القريان عاف نباته وقال
ولكنا نعض السيف منها بأسوق عافيات الشحم كوم   وقالوا قد مس آباءنا الضراء والسراء يعني
وأبطرتهم النعمة وأشروا فقالوا هذه عادة الدهر يعاقب في الناس بين الضراء والسراء وقد
مس آباءنا نحو ذلك وما هو بابتلاء من الله لعباده فلم يبق بعد ابتلائهم بالحسنات والسيئات إلا
أن نأخذهم بالعذاب فأخذناهم أشد الأخذ وأفظعه وهو أخذهم فجأة من غير شعور منهم
ولو أن أهل القرى آمنوا واتقوا لفتحنا عليهم بركات من السماء والأرض ولكن كذبوا
فأخذناهم بما كانوا يكسبون اللام في القرى إشارة إلى القرى التي دل عليها قوله وما
أرسلنا في قرية من نبي كأنه قال ولو أن أهل تلك القرى الذين كذبوا وأهلكوا آمنوا بدل كفرهم
واتقوا المعاصي مكان ارتكابها لفتحنا عليهم بركات من السماء والأرض لآتيناهم بالخير من كل وجه
وقيل أراد المطر والنبات ولكن كذبوا فأخذناهم بسوء كسبهم ويجوز أن تكون اللام في القرى
للجنس فإن قلت ما معنى فتح البركات عليهم قلت تيسيرها عليهم كما يتيسر أمر الأبواب
المستغلقة بفتحها ومنه قولهم فتح على القارئ إذا تعذرت عليه القراءة فيسرتها عليه بالتلقين
أفأمن أهل القرى أن يأتيهم بأسنا بياتا وهم نائمون أوأمن أهل القرى أن يأتيهم بأسنا
ضحى وهم يلعبون أفأمنوا مكر الله فلا يأمن مكر الله إلا القوم الخاسرون البيات
يكون بمعنى البيتوتة يقال بات بياتا ومنه قوله تعالى فجاءها بأسنا بياتا أو هم قائلون ويكون
بمعنى التبييت كالسلام بمعنى التسليم يقال بيته العدو بياتا فيجوز أن يراد أن يأتيهم بأسنا
بائتين أو وقت بيات أو مبيتا أو مبيتين أو يكون بمعنى تبييتا كأنه قيل أن يبيتهم بأسنا بياتا وضحى
نصب على الظرف يقال أتانا ضحى وضحيا وضحاء والضحى في الأصل اسم لضوء الشمس إذا أشرقت
وارتفعت والفاء والواو في أفأمن وأوأمن حرفا عطف دخلت عليهما همزة الإنكار فإن قلت
ما المعطوف عليه ولم عطفت الأولى بالفاء والثانية بالواو   المعطوف عليه قوله
فأخذناهم بغتة وقوله ولو أن أهل القرى إلى يكسبون وقع اعتراضا بين المعطوف والمعطوف عليه
وإنما عطفت بالفاء لأن المعنى فعلوا وصنعوا فأخذناهم بغتة أبعد ذلك أمن أهل القرى أن يأتيهم

بأسنا بياتا وآمنوا أن يأتيهم بأسنا ضحى وقرئ أو أمن على العطف بأو وهم يلعبون يشتغلون
بما لا يجدي عليهم كأنهم يلعبون فإن قلت فلم رجع فعطف بالفاء قوله أفأمنوا مكر الله
هو تقرير لقوله أفأمن أهل القرى ومكر الله استعارة لأخذه العبد من حيث لا يشعر
ولاستدراجه فعلى العاقل أن يكون في خوفه من مكر الله كالمحارب الذي يخاف من عدوه الكمين
والبيات والغيلة وعن الربيع بن خثيم أن ابنته قالت له ما لي أرى الناس ينامون ولا أراك
تنام قال يا بنتاه إن أباك يخاف البيات أراد قوله أن يأتيهم بأسنا بياتا أولم يهد للذين
يرثون الأرض من بعد أهلها أن لو نشاء أصبناهم بذنوبهم ونطبع على قلوبهم فهم لا
يسمعون قرئ أولم يهد بالياء كان أن لو نشاء مرفوعا بأنه فاعله بمعنى أولم يهد للذين
يخلفون من خلا قبلهم في ديارهم ويرثونهم أرضهم هذا الشأن وهو أنا لو نشاء أصبناهم بذنوبهم
كما أصبنا من قبلهم وأهلكنا الوارثين كما أهلكنا الموروثين وإذا قرئ بالنون فهو منصوب
كأنه قيل أولم نهد الله للوارثين هذا الشأن بمعنى أولم نبين لهم أنا لو نشاء أصبناهم بذنوبهم
كما أصبنا من قبلهم وإنما عدى فعل الهداية باللام لأنه بمعنى التبيين فإن قلت بم تعلق
قوله ونطبع على قلوبهم فيه أوجه أن يكون معطوفا على ما دل عليه معنى أولم يهد كأنه
قيل يغفلون عن الهداية ونطبع على قلوبهم أو على يرثون الأرض أو يكون منقطعا بمعنى ونحن نطبع
على قلوبهم فإن قلت هل يجوز أن يكون ونطبع بمعنى وطبعنا كما كان لو نشاء بمعنى لو شئنا
ويعطف على أصبناهم لا يساعد عليه المعنى لأن القوم كانوا مطبوعا على قلوبهم موصوفين
بصفة من قبلهم من اقتراف الذنوب والإصابة بها وهذا التفسير يؤدي إلى خلوهم عن هذه
الصفة وأن الله لو شاء لاتصفوا بها تلك القرى نقص عليك من أنبائها ولقد جاءتهم
رسلهم بالبينات فما كانوا ليؤمنوا بما كذبوا من قبل كذلك نطبع على قلوب الكافرين
تلك القرى نقص عليك من أنبائها كقوله هذا بعلي شيخا في أنه مبتدأ وخبر وحال ويجوز أن تكون
القرى صفة لتلك ونقص خبرا وأن تكون القرى نقص خبرا بعد خبر فإن قلت ما معنى
تلك القرى حتى يكون كلاما مفيدا هو مفيد ولكن بشرط التقييد بالحال كما يفيد
بشرط التقييد بالصفة في قولك هو الرجل الكريم فإن قلت ما معنى الإخبار عن القرى بنقص
عليك من أنبائها معناه أن تلك القرى المذكورة نقص عليك بعض أنبائها ولها أنباء
غيرها لم نقصها عليك فما كانوا ليؤمنوا عند مجيء الرسل بالبينات بما كذبوا من آيات الله من
قبل مجيء الرسل أو فما كانوا ليؤمنوا إلى آخر أعمارهم بما كذبوا به أولا حين جاءتهم الرسل أي استمروا على
التكذيب من لدن مجيء الرسل إليهم إلى أن ماتوا مصرين لا يرعوون ولا تلين شكيمتهم في كفرهم
وعنادهم مع تكرر المواعظ عليهم وتتابع الآيات ومعنى اللام تأكيد النفي وأن الإيمان كان منافيا
لحالهم في التصميم على الكفر وعن مجاهد هو كقوله تعالى ولو ردوا لعادوا لما نهوا عنه كذلك
مثل ذلك الطبع الشديد يطبع الله على قلوب الكافرين وما وجدنا لأكثرهم من عهد
وإن وجدنا أكثرهم لفاسقين وما وجدنا لأكثرهم من عهد الضمير للناس على الإطلاق
أي وما وجدنا لأكثر الناس من عهد يعني أن أكثرهم نقض عهد الله وميثاقه في الإيمان والتقوى
وإن وجدنا وإن الشأن والحديث وجدنا أكثرهم فاسقين خارجين عن الطاعة مارقين والآية

اعتراض

اعتراض ويجوز أن يرجع الضمير إلى الأمم المذكورين وأنهم كانوا إذا عاهدوا الله في ضر
ومخافة قالوا لئن أنجيتنا لنؤمنن ثم نجاهم نكثوا كما قال قوم فرعون لموسى عليه السلام لئن
كشفت عنا الرجز لنؤمنن لك إلى قوله إذا هم ينكثون والوجود بمعنى العلم من قولك وجدت
زيدا ذا الحفاظ بدليل دخول إن المخففة واللام الفارقة ولا يسوغ ذلك إلا في المبتدأ
والخبر والأفعال الداخلة عليهما ثم بعثنا من بعدهم موسى بآياتنا إلى فرعون وملائه
فظلموا بها فانظر كيف كان عاقبة المفسدين من بعدهم الضمير للرسل في قوله ولقد جاءتهم رسلهم
أو للأمم فظلموا بها فكفروا بآياتنا أجرى الظلم مجرى الكفر لأنهما من واد واحد إن الشرك
لظلم عظيم أو فظلموا الناس بسببها حين أوعدوهم وصدوهم عنها وآذوا من آمن بها ولأنه
إذا وجب الإيمان بها فكفروا بدل الإيمان كان كفرهم بها ظلما فلذلك قيل فظلموا بها أي
كفروا بها واضعين الكفر غير موضعه وهو موضع الإيمان وقال موسى يا فرعون إني
رسول من رب العالمين يقال لملوك مصر الفراعنة كما يقال لملوك فارس الأكاسرة
فكأنه قال يا ملك مصر وكان اسمه قابوس وقيل الوليد بن مصعب بن الريان حقيق
على أن لا أقول على الله إلا الحق قد جئتكم ببينة من ربكم فأرسل معي بني إسرائيل
قال إن كنت جئت بآية فأت بها إن كنت من الصادقين حقيق على أن لا أقول على الله
إلا الحق فيه أربع قراءات المشهورة وحقيق علي أن لا أقول وهي قراءة نافع وحقيق أن
لا أقول وهي قراءة عبد الله وحقيق بأن لا أقول وهي قراءة أبي وفي المشهورة إشكال ولا
تخلو من وجوه أحدها أن يكون مما يقلب من الكلام لأمن الإلباس كقوله
وتشقى الرماح بالضياطرة الحمر ومعناه وتشقى الضياطرة بالرماح وحقيق علي أن لا أقول
وهي قراءة نافع والثاني أن ما لزمك فقد لزمته فلما كان قول الحق حقيقا عليه كان هو حقيقا
على قول الحق أي لازما له والثالث أن يضمن حقيق معنى حريص كما ضمن هيجني معنى ذكرني في
بيت الكتاب والرابع وهو الأوجه الأدخل في نكت القرآن أن يغرق موسى عليه السلام في
وصف نفسه بالصدق في ذلك المقام لا سيما وقد روي أن عدو الله فرعون قال له لما قال
إني رسول من رب العالمين كذبت فيقول أنا حقيق على قول الحق أي واجب علي قول الحق أن
أكون أنا قائله والقائم به ولا يرضى إلا بمثلي ناطقا به فأرسل معي بني إسرائيل فخلهم حتى يذهبوا
معي راجعين إلى الأرض المقدسة التي هي وطنهم ومولد آبائهم وذلك أن يوسف عليه السلام
لما توفي وانقرضت الأسباط غلب فرعون نسلهم فاستعبدهم فأنقذهم الله بموسى وكان بين
اليوم الذي دخل يوسف مصر واليوم الذي دخله موسى أربعمائة عام فإن قلت كيف
قال له فأت بها بعد قوله إن كنت جئت بآية معناه إن كنت جئت من عند من أرسلك
بآية فأتني بها وأحضرها عندي ليصح دعواك ويثبت صدقك فألقى عصاه فإذا هي ثعبان
مبين ثعبان مبين ظاهر أمره لا يشك في أنه ثعبان وروي أنه كان ثعبانا ذكرا أشعر
فاغرا فاه بين لحييه ثمانون ذراعا وضع لحيه الأسفل في الأرض ولحيه الأعلى على سور القصر
ثم توجه نحو فرعون ليأخذه فوثب فرعون من سريره وهرب وأحدث ولم يكن أحدث قبل ذلك
وهرب الناس وصاحوا وحمل على الناس فانهزموا فمات منهم خمسة وعشرون ألفا قتل بعضهم

بيضاء ودخل فرعون البيت وصاح يا موسى خذه وأنا أومن بك وأرسل معك بني إسرائيل فأخذه
موسى فعاد عصا ونزع يده فإذا هي بيضاء للناظرين فإن قلت بم يتعلق للناظرين
قلت يتعلق ببيضاء والمعنى فإذا هي بيضاء للنظارة ولا تكون بيضاء للنظارة إلا إذا كان
بياضها بياضا عجيبا خارجا عن العادة يجتمع الناس للنظر إليه كما تجتمع النظارة للعجائب وذلك
ما يروى أنه أرى فرعون يده وقال له ما هذه فقال يدك ثم أدخلها جيبه وعليه مدرعة صوف ونزعها
فإذا هي بيضاء بياضا نورانيا غلب شعاعها شعاع الشمس وكان موسى عليه السلام آدم شديد
الأدمة قال الملأ من قوم فرعون إن هذا لساحر عليم يريد أن يخرجكم من أرضكم فماذا
تأمرون قالوا أرجه وأخاه وأرسل في المدائن حاشرين يأتوك بكل ساحر عليم
إن هذا لساحر عليم أي عالم بالسحر ماهر فيه قد أخذ عيون الناس بخدعة من خدعه حتى خيل إليهم
العصا والآدم أبيض فإن قلت قد عزي هذا الكلام إلى فرعون في سورة الشعراء وأنه قاله
للملأ وعزي هاهنا إليهم قلت قد قاله هو وقالوه هم فحكي قوله ثمة وقولهم هنا أو قاله
ابتداء فتلقنه منه الملأ فقالوه لأعقابهم أو قالوه عنه للناس على طريق التبليغ كما يفعل الملوك
يرى الواحد منهم الرأي فيكلم به من يليه من الخاصة ثم تبلغه الخاصة العامة والدليل عليه أنهم
أجابوه في قولهم أرجه وأخاه وأرسل في المدائن حاشرين يأتوك بكل ساحر عليم وقرئ سحار
أي يأتوك بكل ساحر مثله في العلم والمهارة أو خير منه وكانت هذه مؤامرة مع القبط وقولهم
فماذا تأمرون من آمرته فأمرني بكذا إذا شاورته فأشار عليك برأي وقيل فماذا تأمرون من
كلام فرعون قاله للملأ لما قالوا له إن هذا لساحر عليم يريد أن يخرجكم كأنه قيل فماذا تأمرون
قالوا أرجه وأخاه ومعنى أرجه وأخاه أخرهما وأصدرهما عنك حتى ترى رأيك فيهما وتدبر أمرهما
وقيل احبسهما وجاء السحرة فرعون قالوا إن لنا لأجرا إن كنا نحن الغالبين قال نعم
وإنكم لمن المقربين فإن قلت هلا قيل وجاء السحرة فرعون فقالوا قلت هو على
تقدير سائل سأل ما قالوا إذ جاؤه فأجيب بقوله قالوا أإن لنا لأجرا أي جعلا على الغلبة وقرئ
إن لنا لأجرا على الإخبار وإثبات الأجر العظيم وإيجابه كأنهم قالوا لا بد لنا من أجر والتنكير للتعظيم
كقول العرب إن له لإبلا وإن له لغنما يقصدون الكثرة فإن قلت وإنكم لمن المقربين ما الذي
عطف عليه قلت هو معطوف على محذوف سد مسده حرف الإيجاب كأنه قال إيجابا لقولهم
إن لنا لأجرا نعم إن لكم لأجرا وإنكم لمن المقربين أراد أني لا أقتصر بكم على الثواب وحده وإن
لكم مع الثواب ما يقل معه الثواب وهو التقريب والتعظيم لأن المثاب إنما يتهنأ بما يصل إليه
ويغتبط به إذا نال معه الكرامة والرفعة وروي أنه قال لهم تكونون أول من يدخل وآخر
من يخرج وروي أنه دعا برؤساء السحرة ومعلميهم فقال لهم ما صنعتم قالوا قد عملنا سحرا لا يطيقه
سحرة أهل الأرض إلا أن يكون أمرا من السماء فإنه لا طاقة لنا به وروي أنهم كانوا ثمانين
ألفا وقيل سبعين ألفا وقيل بضعة وثلاثين ألفا واختلفت الروايات فمن مقل ومن مكثر
وقيل كان يعلمهم مجوسيان من أهل نينوى وقيل قال فرعون لا نغالب موسى إلا بما هو منه
يعني السحر قالوا يا موسى إما أن تلقي وإما أن نكون نحن الملقين قال ألقوا فلما ألقوا
سحروا أعين الناس واسترهبوهم وجاؤا بسحر عظيم تخييرهم إياه أدب حسن راعوه

معه كما يفعل أهل الصناعات إذا التقوا كالمتناظرين قبل أن يتخاوضوا في الجدال والمتصارعين
قبل أن يتآخذوا للصراع وقولهم وإما أن نكون نحن الملقين فيه ما يدل على رغبتهم في أن
يلقوا قبله من تأكيد ضميرهم المتصل بالمنفصل وتعريف الخبر أو تعريف الخبر وإقحام الفصل وقد
سوغ لهم موسى ما تراغبوا فيه ازدراء لشأنهم وقلة مبالاة بهم وثقة بما كان بصدده من التأييد
السماوي وأن المعجزة لن يغلبها سحر أبدا سحروا أعين الناس أروها بالحيل والشعوذة وخيلوا
إليها ما الحقيقة بخلافه كقوله تعالى يخيل إليه من سحرهم أنها تسعى روي أنهم ألقوا حبالا
غلاظا وخشبا طوالا فإذا هي أمثال الحيات قد ملأت الأرض وركب بعضها بعضا واسترهبوهم
وأرهبوهم إرهابا شديدا كأنهم استدعوا رهبتهم بسحر عظيم في باب السحر وروي أنهم
لونوا حبالهم وخشبهم وجعلوا فيها ما يوهم الحركة قيل جعلوا فيها الزئبق وأوحينا إلى
موسى أن ألق عصاك فإذا هي تلقف ما يأفكون ما يأفكون ما موصولة أو مصدرية
بمعنى ما يأفكونه أي يقلبونه عن الحق إلى الباطل ويزورونه أو إفكهم تسمية للمأفوك بالإفك
روي أنها لما تلقفت ملء الوادي من الخشب والحبال ورفعها موسى عليه السلام فرجعت
عصا كما كانت وأعدم الله تعالى بقدرته تلك الأجرام العظيمة أو فرقها أجزاء لطيفة قالت
السحرة لو كان هذا سحرا لبقيت حبالنا وعصينا فوقع الحق وبطل ما كانوا يعملون فغلبوا
هنالك وانقلبوا صاغرين فوقع الحق فحصل وثبت ومن بدع التفاسير فوقع قلوبهم
أي فأثر فيها من قولهم فاس وقيع وانقلبوا صاغرين وصاروا أذلاء مبهوتين وألقي السحرة
ساجدين قالوا آمنا برب العالمين رب موسى وهارون وألقي السحرة وخروا
سجدا كأنما ألقاهم ملق لشدة خرورهم وقيل لم يتمالكوا مما رأوا فكأنهم ألقوا وعن قتادة
كانوا أول النهار كفارا سحرة وفي آخره شهداء بررة وعن الحسن تراه ولد في الإسلام ونشأ بين
المسلمين يبيع دينه بكذا وكذا وهؤلاء كفار نشأوا في الكفر بذلوا أنفسهم لله قال فرعون آمنتم
به قبل أن آذن لكم إن هذا لمكر مكرتموه في المدينة لتخرجوا منها أهلها فسوف تعلمون
لأقطعن أيديكم وأرجلكم من خلاف ثم لأصلبنكم أجمعين آمنتم به على الإخبار أي فعلتم
هذا الفعل الشنيع توبيخا لهم وتقريعا وقرئ أآمنتم بحرف الاستفهام ومعناه الإنكار
والاستبعاد إن هذا لمكر مكرتموه في المدينة إن صنعكم هذا لحيلة احتلتموها أنتم وموسى
في مصر قبل أن تخرجوا إلى هذه الصحراء قد تواطأتم على ذلك لغرض لكم وهو أن تخرجوا منها القبط
وتسكنوا بني إسرائيل وكان هذا الكلام من فرعون تمويها على الناس لئلا يتبعوا السحرة في
الإيمان وروي أن موسى قال للساحر الأكبر أتؤمن بي إن غلبتك فقال لآتين بسحر لا يغلبه
سحر وإن غلبتني لأومنن بك وفرعون يسمع فلذلك قال ما قال فسوف تعلمون وعيد أجمله
ثم فصله بقوله لأقطعن وقرئ لأقطعن بالتخفيف وكذلك ثم لأصلبنكم من خلاف من
كل شق طرفا وقيل إن أول من قطع من خلاف وصلب لفرعون قالوا إنا إلى ربنا منقلبون
إنا إلى ربنا منقلبون فيه أوجه أن يريدوا إنا لا نبالي بالموت لانقلابنا إلى لقاء ربنا ورحمته
وخلاصنا منك ومن لقائك أو ننقلب إلى الله يوم الجزاء فيثيبنا على شدائد القطع والصلب
أو إنا جميعا يعني أنفسهم وفرعون ننقلب إلى الله فيحكم بيننا أو إنا لا محالة ميتون منقلبون

الى الله فما تقدر ان تفعل بنا الا ما لا بد لنا منه وما تنقم منا الا ان آمنا بآيات ربنا لما جاءتنا
ربنا افرغ علينا صبرا وتوفنا مسلمين وما تنقم منا الا ان آمنا وما تعيب منا الا الايمان
بآيات الله اراد وما تعيب منا الا ما هو اصل المناقب والمفاخر كلها وهو الايمان ومنه
قوله ولا عيب فيهم غير ان سيوفهم بهن فلول من قراع الكتائب افرغ علينا صبرا اوسعه هب لنا صبرا
واكثره علينا حتى يفيض علينا ويغمرنا كما يفرغ الماء افراغا وعن بعض السلف ان احدكم ليفرغ
على اخيه ذنوبا ثم يقول قد مازحتك اى يغمره بالحياء والخجل او صب علينا ما يطهرنا من اوضار
الآثام وهو الصبر على ما توعدنا به فرعون لانهم علموا انهم اذا استقاموا وصبروا كان ذلك
مطهرة لهم وتوفنا مسلمين ثابتين على الاسلام وقال الملأ من قوم فرعون أتذر موسى
وقومه ليفسدوا في الارض ويذرك وآلهتك قال سنقتل ابناءهم ونستحيي نساءهم
وانا فوقهم قاهرون ويذرك عطف على ليفسدوا لانه اذا تركهم ولم يمنعهم وكان ذلك
مؤديا الى ما دعوه فسادا والى تركه وترك آلهته فكانه تركهم لذلك او هو جواب للاستفهام
بالواو كما يجاب بالفاء نحو قول الحطيئة
الم اك جاركم ويكون بيني وبينكم المودة والاخاء والنصب باضمار ان تقديره
ايكون منك ترك موسى ويكون تركه اياك وآلهتك وقرئ ويذرك وآلهتك بالرفع
عطفا على أتذر بمعنى أتذره وايذرك اى اتطلق له ذلك او يكون مستأنفا او حالا على معنى
أتذره وهو يذرك وآلهتك وقرأ الحسن ويذرك بالجزم كانه قيل يفسدوا كما قرئ واكن
من الصالحين كانه قيل اصدق وقرأ انس رضي الله عنه ونذرك بالنون والنصب اى يصرفنا
عن عبادتك فنذرها وقرئ ويذرك والاهتك اى عبادتك وروي انهم قالوا
له ذلك لانه وافق السحرة على الايمان ستمائة الف نفس فارادوا بالفساد في الارض ذلك وخافوا
ان يغلبوا على الملك وقيل صنع فرعون لقومه اصناما وامرهم ان يعبدوها تقربا اليه كما
يعبد عبدة الاصنام الاصنام ويقولون ليقربونا الى الله زلفى ولذلك قال انا ربكم الاعلى
سنقتل ابناءهم يعني سنعيد عليهم ما كنا محناهم به من قتل الابناء ليعلموا انا على ما كنا عليه من القهر
والغلبة وانهم مقهورون تحت ايدينا كما كانوا وان غلبة موسى لا اثر لها في ملكنا واستيلائنا
ولئلا يتوهم العامة انه هو المولود الذي تحدث المنجمون والكهنة بذهاب ملكنا على يده
فيثبطهم ذلك عن طاعتنا ويدعوهم الى اتباعه وانه منتظر بعد قال موسى لقومه
استعينوا بالله واصبروا ان الارض لله يورثها من يشاء من عباده والعاقبة
للمتقين قال موسى لقومه استعينوا بالله قال لهم ذلك حين قال فرعون سنقتل ابناءهم
تجزعوا منه وتضجروا فسكنهم وسلاهم ووعدهم النصرة عليهم وذكرهم ما وعد الله بني
اسرائيل من اهلاك القبط وتوريثهم ارضهم وديارهم فان قلت لم اخليت هذه الجملة
عن الواو وادخلت على التي قبلها قلت هي جملة مبتدأة مستأنفة واما وقال الملأ فمعطوفة
على ما سبقها من قوله قال الملأ من قوم فرعون وقوله ان الارض لله يجوز ان تكون اللام للعهد
ويراد ارض مصر خاصة كقوله تعالى واورثنا الارض وان تكون للجنس فيتناول
ارض مصر لانها من جنس الارض كما قال ضمرة انما المرء باصغريه فاراد بالمرء الجنس ومن ضمنه

يتناوله

يتناوله ثانيا واولا والعاقبة للمتقين بشارة بان الخاتمة المحمودة للمتقين منهم ومن
القبط وان المشيئة متناولة لهم وقرأ والعاقبة للمتقين بالنصب ابي وابن مسعود
رضي الله عنهما عطفا على الارض قالوا اوذينا من قبل ان تأتينا ومن بعد ما جئتنا
قال عسى ربكم ان يهلك عدوكم ويستخلفكم في الارض فينظر كيف تعملون
اوذينا من قبل ان تأتينا يعنون قتل ابنائهم قبل مولد موسى عليه السلام
الى ان استنبئ واعادته عليهم بعد ذلك وما كانوا يستعبدون به ويمتهنون فيه من انواع
الخدم والمهن ويمسون به من العذاب عسى ربكم ان يهلك عدوكم تصريح بما رمز اليه
من البشارة قبل وكشف عنه وهو اهلاك فرعون واستخلافهم بعده في ارض مصر فينظر
كيف تعملون فيرى الكائن منكم من العمل حسنه وقبيحه وشكر النعمة وكفرانها ليجازيكم على حسب
ما يوجد منكم وعن عمرو بن عبيد رحمه الله انه دخل على المنصور قبل الخلافة وعلى مائدته
رغيف او رغيفان فطلب زيادة لعمرو فلم توجد فقرأ عمرو هذه الآية ثم دخل عليه بعد
ما استخلف فذكر له ذلك وقال قد بقي فينظر كيف تعملون ولقد اخذنا آل فرعون
بالسنين ونقص من الثمرات لعلهم يذكرون بالسنين بسني القحط والسنة من الاسماء
الغالبة كالدابة والنجم ونحو ذلك وقد اشتقوا منها فقالوا اسنت القوم بمعنى اقحطوا
وقال ابن عباس رضي الله عنه اما السنون فكانت لباديتهم واهل مواشيهم واما نقص
الثمرات فكان في امصارهم وعن كعب يأتي على الناس زمان لا تحمل النخلة الا تمرة لعلهم
يذكرون فيتنبهوا على ان ذلك لاصرارهم على الكفر وتكذيبهم لآيات الله ولان الناس في حال
الشدة اضرع خدودا والين اعطافا وارق افئدة وقيل عاش فرعون اربعمائة سنة ولم
ير مكروها في ثلاثمائة وعشرين سنة ولو اصابه في تلك المدة وجع او جوع او حمى لما ادعى
الربوبية فاذا جاءتهم الحسنة قالوا لنا هذه وان تصبهم سيئة يطيروا بموسى ومن
معه الا انما طائرهم عند الله ولكن اكثرهم لا يعلمون فاذا جاءتهم الحسنة من الخصب
والرخاء قالوا لنا هذه اى هذه مختصة بنا ونحن مستحقوها ولم نزل في النعمة والرفاهية
واللام مثلها في قولك الجل للفرس وان تصبهم سيئة من ضيقة وجدب يطيروا بموسى ومن
معه يتطيروا بهم ويتشاءموا ويقولوا هذه بشؤمهم ولولا مكانهم لما اصابتنا كما قالت الكفرة
لرسول الله عليه السلام هذه من عندك فان قلت كيف قيل فاذا جاءتهم الحسنة باذا وتعريف
الحسنة وان تصبهم سيئة بان وتنكير السيئة قلت لان جنس الحسنة وقوعه كالواجب لكثرته
واتساعه واما السيئة فلا تقع الا في الندرة ولا يقع الا شيء منها ومنه قول بعضهم قد عددت
ايام البلاء فهلا عددت ايام الرخاء طائرهم عند الله اى سبب خيرهم وشرهم عند الله وهو
حكمه ومشيئته والله هو الذي يشاء ما يصيبهم من الحسنة والسيئة وليس شؤم احد ولا يمنه
بسبب فيه كقوله تعالى قل كل من عند الله ويجوز ان يكون معناه الا انما سبب
شؤمهم عند الله وهو عملهم المكتوب عنده الذي يجري عليهم ما يسوءهم لاجله ويعاقبون
له بعد موتهم بما وعدهم الله في قوله تعالى النار يعرضون عليها الآية ولا طائر اشأم
منه وقرأ الحسن انما طيرهم عند الله وهو اسم لجمع طائر غير تكسير ونظيره التجر والركب

الاسم الطائرون والطائرات

وعند ابي الحسن هو تكسير **وقالوا مهما تأتنا به من آية لتسحرنا بها فما نحن لك بمؤمنين**
مهما هي ما المضمنة معنى الجزاء ضمت اليها ما المزيدة المؤكدة للجزاء في قولك متى ما تخرج اخرج اينما
تكونوا يدرككم الموت فاما انذهبن بك الا ان الالف قلبت هاء استثقالا لتكرير المتجانسين
وهو المذهب السديد البصري ومن الناس من زعم ان مه هي الصوت الذي يصوت به الكاف
وما للجزاء كأنه قيل كف ما تأتنا به من آية لتسحرنا بها فما نحن لك بمؤمنين **فان قلت** ما
محل مهما قلت الرفع بمعنى ايما شيء تأتنا به او النصب بمعنى ايما شيء تحضرنا تأتنا به ومن
آية تبيين لمهما والضميران في به وبها راجعان الى مهما الا ان احدهما ذكر على اللفظ والثاني انث
على المعنى لانه في معنى الآية **ونحوه** قول زهير
ومهما يكن عند امرئ من خليقة ❊ وان خالها تخفى على الناس تعلم ❊ وهذه الكلمة في
عداد الكلمات التي يحرفها من لا يد له في علم العربية فيضعها غير موضعها ويحسب مهما بمعنى
متى ما ويقول مهما جئتني اعطيتك وهذا من وضعه وليس من كلام واضع العربية في شيء ثم يذهب
فيفسر مهما تأتنا به من آية بمعنى الوقت فيلحد في آيات الله وهو لا يشعر وهذا وامثاله مما يوجب
الجثو بين يدي الناظر في كتاب سيبويه **فان قلت** كيف سموها آية ثم قالوا لتسحرنا بها قلت
ما سموها آية لاعتقادهم انها آية وانما سموها اعتبارا لتسمية موسى وقصدوا
بذلك الاستهزاء والتلهي **فأرسلنا عليهم الطوفان والجراد والقمل والضفادع والدم**
آيات مفصلات فاستكبروا وكانوا قوما مجرمين الطوفان ما طاف بهم وغلبهم من مطر
او سيل قيل طغى الماء فوق حروثهم وذلك انهم مطروا ثمانية ايام في ظلمة شديدة لا يرون
شمسا ولا قمرا ولا يقدر احد ان يخرج من داره وقيل ارسل الله عليهم السماء حتى كادوا يهلكون
وبيوت بني اسرائيل وبيوت القبط مشتبكة فامتلأت بيوت القبط ماء حتى قاموا في الماء الى تراقيهم
فمن جلس غرق ولم يدخل بيوت بني اسرائيل قطرة وفاض الماء على وجه ارضهم وركد فمنعهم
من الحرث والبناء والتصرف ودام عليهم سبعة ايام **وعن** ابي قلابة الطوفان الجدري وهو
اول عذاب وقع فيهم فبقي في الارض وقيل هو الموتان وقيل الطاعون فقالوا لموسى ادع
لنا ربك يكشف عنا ونحن نؤمن بك فدعا فرفع عنهم فما آمنوا فنبت لهم تلك السنة من الكلأ
والزرع ما لم يعهد بمثله فاقاموا شهرا فبعث الله عليهم الجراد فاكلت عامة زروعهم وثمارهم
ثم اكلت كل شيء حتى الابواب وسقوف البيوت والثياب ولم يدخل بيوت بني اسرائيل منها شيء
ففزعوا الى موسى عليه السلام ووعدوه التوبة فكشف عنهم بعد سبعة ايام خرج موسى عليه
السلام الى الفضاء فاشار بعصاه نحو المشرق والمغرب فرجع الجراد الى النواحي التي جاء منها فقالوا
ما نحن بتاركي ديننا فاقاموا شهرا فسلط الله عليهم القمل وهو الحمنان في قول ابي عبيدة كبار
القردان وقيل الدبا وهو اولاد الجراد قبل نبات اجنحتها وقيل البراغيث **وعن** سعيد بن
جبير رضي الله عنه السوس فاكل ما ابقاه الجراد ولحس الارض وكان يدخل بين ثوب احدهم
وبين جلده فيمصه وكان يأكل احدهم طعاما فيمتلئ قملا وكان يخرج احدهم عشرة اجربة الى الرحى
فلا يرد منها الا يسيرا **وعن** سعيد بن جبير كان الى جنبهم كثيب اعفر فضربه موسى بعصاه فصار
قملا فاخذت في ابشارهم واشعارهم واشفار عيونهم وحواجبهم ولزم جلودهم كأنه الجدري فصاحوا

ومرجوا وفزعوا الى موسى عليه السلام فرفع عنهم فقالوا قد تحققنا الآن انك ساحر وعزة فرعون
لا نصدقك ابدا فارسل الله عليهم بعد شهر الضفادع فدخلت بيوتهم وامتلأت منها آنيتهم
واطعمتهم فلا يكشف احد شيئا من ثوب ولا طعام ولا شراب الا وجد فيه الضفادع وكان الرجل
اذا اراد ان يتكلم وثب الضفدع الى فيه وكانت تمتلئ منها مضاجعهم فلا يقدرون على الرقاد
فشكوا وكانت تقذف بانفسها في القدور وهي تغلي وفي التنانير وهي تفور فشكوا الى موسى وقالوا ارحمنا
هذه المرة فما بقي الا ان نتوب التوبة النصوح ولا نعود فاخذ عليهم العهود ودعا فكشف
الله عنهم ثم نقضوا العهد فارسل الله عليهم الدم فصارت مياههم دما فشكوا الى فرعون فقال
انه سحركم وكان يجمع بين القبطي والاسرائيلي على اناء واحد فيكون ما يلي الاسرائيلي ماء وما يلي القبطي
دما ويستقيان من ماء واحد فيخرج للقبطي الدم وللاسرائيلي الماء حتى ان المرأة القبطية تقول
لجارتها الاسرائيلية اجعلي الماء في فيك ثم مجيه في فيّ فيصير الماء في فيها دما وعطش فرعون حتى اشفى
على الهلاك فكان يمص الاشجار الرطبة فاذا مضغها صار ماؤها الطيب ملحا اجاجا **وعن** سعيد
ابن المسيب رضي الله عنه سال عليهم النيل دما وقيل سلط الله عليهم الرعاف **وروى** ان
موسى عليه السلام مكث فيهم بعدما غلب السحرة عشرين سنة يريهم هذه الآيات
قد لما اراهم اليد والعصا ونقص النفوس والثمرات قال يا رب ان عبدك هذا علا في الارض فخذه
بعقوبة تجعلها له ولقومه نقمة ولقومي عظة ولمن بعدي آية فحينئذ بعث الله عليهم الطوفان
ثم الجراد ثم ما بعده من النقم **وقرأ** الحسن والقمل بفتح القاف وسكون الميم يريد القمل المعروف
آيات مفصلات نصب على الحال ومعنى مفصلات مبينات ظاهرات لا يشكل على عاقل انها من
آيات الله التي لا يقدر عليها غيره وانها عبرة لهم ونقمة على كفرهم او فصل بين بعضها وبعض بزمان
سوء يمتحن فيه احوالهم وينظر ايستقيمون على ما وعدوا ام ينكثون الزاما للحجة عليهم **ولما وقع عليهم**
الرجز قالوا يا موسى ادع لنا ربك بما عهد عندك لئن كشفت عنا الرجز لنؤمنن لك
ولنرسلن معك بني اسرائيل فلما كشفنا عنهم الرجز الى اجل هم بالغوه اذا هم ينكثون
بما عهد عندك ما مصدرية والمعنى بعهده عندك وهو النبوة والباء اما ان تتعلق بقوله ادع
لنا ربك على وجهين احدهما اسعفنا الى ما نطلب اليك من الدعاء لنا بحق ما عندك من عهد
الله وكرامته بالنبوة او ادع الله لنا متوسلا اليه بعهده عندك واما ان يكون قسما
مجابا بلنؤمنن لك اي اقسمنا بعهد الله عندك لئن كشفت عنا الرجز لنؤمنن لك الى اجل
هم بالغوه الى حد من الزمان هم بالغوه لا محالة فمعذبون فيه لا ينفعهم ما تقدم لهم من
كما الامهال وكشف العذاب الى حلوله اذا هم ينكثون جواب لما يعني فلما كشفنا عنهم فاجؤوا
النكث وبادروه ولم يؤخروه ولكن لما كشف عنهم نكثوا **فانتقمنا منهم فاغرقناهم في اليم**
بانهم كذبوا بآياتنا وكانوا عنها غافلين فانتقمنا منهم فاردنا الانتقام منهم فاغرقناهم
واليم البحر الذي لا يدرك قعره وقيل هو لجة البحر ومعظم مائه واشتقاقه من التيمم لان
المستنفعين به يقصدونه بانهم كذبوا بآياتنا اي كان اغراقهم بسبب تكذيبهم بالآيات وغفلتهم
عنها وقلة فكرهم فيها **واورثنا القوم الذين كانوا يستضعفون مشارق الارض**
ومغاربها التي باركنا فيها وتمت كلمت ربك الحسنى على بني اسرائيل بما صبروا ودمرنا

ما كان يصنع فرعون وقومه وما كانوا يعرشون القوم الذين كانوا يستضعفون
هم بنو اسرائيل كان يستضعفهم فرعون وقومه والارض ارض مصر والشام ملكها بنو اسرائيل
بعد الفراعنة والعمالقة وتصرفوا كيف شاؤوا في اطرافها ونواحيها الشرقية والغربية
باركنا فيها بالخصب وسعة الارزاق كلمة ربك الحسنى قوله ونريد ان نمن على الذين استضعفوا
في الارض الى قوله ما كانوا يحذرون والحسنى تانيث الاحسن صفة للكلمة ومعنى تمت على بني
اسرائيل مضت عليهم واستمرت من قولك تم على الامر اذا مضى عليه بما صبروا بسبب صبرهم
وحسبك به حاثا على الصبر ودالا على ان من قابل البلاء بالجزع وكله الله اليه ومن قابله بالصبر
وانتظار النصر ضمن الله له الفرج وعن الحسن عجبت ممن خف كيف خف وقد سمع قوله وتلا
الاية ومعنى خف طاش جزعا وقلة صبر ولم يرزن رزانة اولى الصبر وقرأ عاصم في رواية
وتمت كلمات ربك الحسنى ونظيره من آيات ربه الكبرى ما كان يصنع فرعون وقومه ما كانوا
يعملون ويسوون من العمارات وبناء القصور وما كانوا يعرشون من الجنات وهو الذي
انشأ جنات معروشات او وما كانوا يرفعون من الابنية المشيدة في السماء كصرح هامان
وغيره يعرشون بالضم والكسر وذكر اليزيدي ان الكسر افصح وبلغني انه قرأ بعض
الناس يغرسون من غرس الاشجار وما احسبه الا تصحيفا منه وهذا اخر ما قص الله من نبأ فرعون
والقبط وتكذيبهم بآيات الله وظلمهم ومعاصيهم ثم اتبعه اقتصاص نبأ بني اسرائيل وما احدثوه
بعد انقاذهم من ملكة فرعون واستعباده ومعاينتهم الآيات العظام ومجاوزتهم البحر من عبادة
البقر وطلب رؤية الله جهرة وغير ذلك من انواع الكفر والمعاصي ليعلم حال الانسان وانه
كما وصفه ظلوم كفار جهول كنود الا من عصمه الله وقليل من عبادي الشكور وليسلي رسول
الله عليه السلام مما رأى من بني اسرائيل بالمدينة وجاوزنا ببني اسرائيل البحر فأتوا على قوم
يعكفون على اصنام لهم قالوا يا موسى اجعل لنا الها كما لهم آلهة قال انكم قوم تجهلون
وروي انه عبر بهم موسى عليه السلام يوم عاشوراء بعد ما اهلك الله فرعون وقومه فصاموه
شكرا لله تعالى فأتوا على قوم فمروا عليهم يعكفون على اصنامهم يواظبون على عبادتها وكانت تماثيل بقر
قال ابن جريج كانت تماثيل بقر وذلك اول شان العجل وقيل كانوا قوما من لخم وقيل كانوا من
الكنعانيين الذين امر موسى بقتالهم وقرئ وجوزنا بمعنى اجزنا يقال اجاز المكان وجوزه
وجاوزه بمعنى جازه كقولك اعلاه وعلاه وعالاه وقرئ يعكفون بضم الكاف وكسرها اجعل
لنا الها صنما نعكف عليه كما لهم آلهة اصنام يعكفون عليها وما كافة للكاف ولذلك وقعت
الجملة بعدها وعن علي رضي الله عنه ان يهوديا قال له اختلفتم بعد نبيكم قبل ان تجف ماؤه
فقال قلتم اجعل لنا الها ولما تجف اقدامكم انكم قوم تجهلون تعجب من قولهم على اثر ما رأوا من
الآية العظمى والمعجزة الكبرى فوصفهم بالجهل المطلق واكده لانه لا جهل اعظم مما رأى منهم
ولا اشنع ان هؤلاء متبر ما هم فيه وباطل ما كانوا يعملون ان هؤلاء يعني عبدة تلك التماثيل
متبر ما هم فيه مدمر مكسر ما هم فيه من قولهم اناء متبر اذا كان فضاضا ويقال لكسار الذهب التبر
اي يتبر الله ويهدم دينهم الذي هم عليه على يدي ويحطم اصنامهم هذه ويتركها رضاضا وباطل
ما كانوا يعملون اي ما عملوا شيئا من عبادتها فيما سلف الا وهو باطل مضمحل لا ينتفعون به وان كان

في زعمهم تقربا الى الله تعالى كما قال وقدمنا الى ما عملوا من عمل فجعلناه هباء منثورا وفي ايقاع هؤلاء
اسما لان وتقديم خبر المبتدا من الجملة الواقعة خبرا لها وسم لعبدة الاصنام بانهم هم المعرضون
للتبار وانه لا يعدوهم البتة وانه لهم ضربة لازب وليحذرهم عاقبة ما طلبوا ويبغض اليهم ما
احبوا قال اغير الله ابغيكم الها وهو فضلكم على العالمين اغير الله ابغيكم الها اغير المستحق للعبادة
اطلب لكم معبودا وهو فعل بكم ما فعل دون غيره من الاختصاص بالنعمة التي لم يعطها احد غيركم
لتختصوه بالعبادة ولا تشركوا به غيره ومعنى الهمزة الانكار والتعجب من طلبتهم مع كونهم مغمورين
في نعمة الله عبادة غيره واذ انجيناكم من آل فرعون يسومونكم سوء العذاب يقتلون
ابناءكم ويستحيون نساءكم وفي ذلكم بلاء من ربكم عظيم يسومونكم سوء العذاب يبغونكم
شدة العذاب من سام السلعة اذا طلبها فان قلت ما محل يسومونكم قلت هو
استئناف لا محل له ويجوز ان يكون حالا من المخاطبين او من آل فرعون وذلكم اشارة الى
الانجاء او الى العذاب والبلاء النعمة او المحنة وقرئ يقتلون بالتخفيف وواعدنا موسى
ثلاثين ليلة واتممناها بعشر فتم ميقات ربه اربعين ليلة وقال موسى لاخيه هرون
اخلفني في قومي واصلح ولا تتبع سبيل المفسدين روي ان موسى عليه السلام وعد بني اسرائيل
وهو بمصر ان اهلك الله عدوهم اتاهم بكتاب من عند الله فيه بيان ما يأتون وما يذرون فلما
هلك فرعون سأل موسى ربه الكتاب فامره بصوم ثلاثين وهو شهر ذي القعدة فلما اتم الثلاثين
انكر خلوف فيه فتسوك فقالت الملائكة كنا نشم من فيك رائحة المسك فافسدته بالسواك
وقيل اوحى الله اليه اما علمت ان خلوف فم الصائم اطيب عندي من ريح المسك فامره الله تعالى
ان يزيد عليها عشرة ايام من ذي الحجة لذلك وقيل امره الله بان يصوم ثلاثين يوما وان يعمل
فيها بما يقربه من الله تعالى ثم انزلت عليه التوراة في العشر وكلم فيها ولقد اجمل ذكر الاربعين
في سورة البقرة وفصلها ههنا وميقات ربه ما وقت له من الوقت وضربه له واربعين ليلة
نصب على الحال اي تم بالغا هذا العدد وهرون عطف بيان لاخيه وقرئ بالضم على النداء
اخلفني في قومي كن خليفتي فيهم واصلح وكن مصلحا او واصلح ما يجب ان يصلح من امور بني اسرائيل
ومن دعاك منهم الى الافساد فلا تتبعه ولا تطعه ولما جاء موسى لميقاتنا وكلمه ربه قال رب
ارني انظر اليك قال لن تراني ولكن انظر الى الجبل فان استقر مكانه فسوف تراني فلما تجلى
ربه للجبل جعله دكا وخر موسى صعقا فلما افاق قال سبحانك تبت اليك وانا اول المؤمنين
لميقاتنا لوقتنا الذي وقتنا له وحددنا ومعنى اللام الاختصاص فكانه قيل واختص مجيئه بميقاتنا
كما تقول اتيته لعشر خلون من الشهر وكلمه ربه من غير واسطة كما يكلم الملك وتكليمه ان يخلق
الكلام منطوقا به في بعض الاجرام كما خلقه مخطوطا في اللوح وروي ان موسى عليه السلام
كان يسمع ذلك الكلام من كل جهة وعن ابن عباس رضي الله عنهما كلمه اربعين يوما واربعين
ليلة وكتب له الالواح وقيل انما كلمه في اول الاربعين ارني انظر اليك ثاني مفعولي ارني محذوف
اي ارني نفسك انظر اليك فان قلت الرؤية عين النظر فكيف قيل ارني انظر اليك
قلت معنى ارني نفسك اجعلني متمكنا من رؤيتك بان تتجلى لي فانظر اليك واراك فان قلت فكيف
قال لن تراني ولم يقل لن تنظر الي لقوله انظر اليك قلت لما قال ارني بمعنى اجعلني متمكنا من

الطلب لعله

الرؤية التي هي الإدراك علم أن الطلبة هي الرؤية لا النظر الذي لا إدراك معه فقيل لن تراني
ولم يقل لن تنظر إلي **فإن قلت** كيف طلب موسى عليه السلام ذلك وهو من أعلم الناس بالله
وصفاته وما يجوز عليه وما لا يجوز وبتعاليه عن الرؤية التي هي إدراك ببعض الحواس
وذلك إنما يصح فيما كان في جهة وما ليس بجسم ولا عرض فمحال أن يكون في جهة ومنع المجبرة
إحالته في العقول غير لازم لأنه ليس بأول مكابرتهم وارتكابهم وكيف يكون طالبه وقد
قال حين أخذت الذين قالوا أرنا الله جهرة الرجفة أتهلكنا بما فعل السفهاء منا إلى
قوله تضل بها من تشاء فتبرأ من فعلهم ودعاهم سفهاء وضلالا ما كان طلبه
الرؤية إلا ليبكت هؤلاء الذين دعاهم سفهاء وضلالا وتبرأ من فعلهم وليلقمهم الحجر
وذلك أنهم حين طلبوا الرؤية أنكر عليهم وأعلمهم الخطأ ونبههم على الحق فلجوا وتمادوا في
لجاجهم وقالوا لا بد ولن نؤمن لك حتى نراه فأراد أن يسمعوا النص من عند الله باستحالة
ذلك وهو قوله لن تراني ليتيقنوا وينزاح عنهم ما دخلهم من الشبهة فلذلك قال رب أرني
أنظر إليك **فإن قلت** فهلا قال أرهم ينظروا إليك لأن الله سبحانه إنما كلم موسى
عليه السلام وهم يسمعون فلما سمعوا كلام رب العزة أرادوا أن يري موسى ذاته فيبصروه
معه كما أسمعه كلامه فسمعوه معه إرادة مبنية على قياس فاسد فلذلك قال موسى عليه
السلام أرني أنظر إليك ولأنه إذا زجر عما طلب وأنكر عليه في نبوته واختصاصه وزلفته عند
الله وقيل له لن يكون ذلك كان غيره أولى بالإنكار ولأن الرسول إمام أمته فكان ما يخاطب
أو يخاطب راجعا إليهم وقوله أنظر إليك وما فيه من معنى المقابلة التي هي محض التشبيه
والتجسيم دليل على أنه ترجمة عن مقترحهم وحكاية لقولهم وجل صاحب الجمل أن يجعل الله منظورا
إليه مقابلا بحاسة النظر فكيف بمن هو أعرق في معرفة الله من واصل بن عطاء وعمرو بن
عبيد والنظام وأبي الهذيل والشيخين **فإن قلت** ما معنى لن تأكيد النفي الذي
تعطيه لا وذلك أن لا تنفي المستقبل تقول لا أفعل غدا فإذا أكدت نفيها قلت لن أفعل غدا
والمعنى أن فعله ينافي حالي كقوله تعالى لن يخلقوا ذبابا ولو اجتمعوا له فقوله لا تدركه
الأبصار نفي للرؤية فيما يستقبل ولن تراني تأكيد وبيان لأن المنفي مناف لصفاته **فإن
قلت** كيف اتصل الاستدراك في قوله ولكن انظر إلى الجبل بما قبله اتصل به
على معنى أن النظر إلي محال فلا تطلبه ولكن عليك بنظر آخر وهو أن تنظر إلى الجبل الذي يرجف بك
وبمن طلبت الرؤية لأجلهم كيف أفعل به وكيف أجعله دكا بسبب طلبك الرؤية لتستعظم
ما أقدمت عليه بما أريك من عظم أثره كأنه عز وعلا حقق عند طلب الرؤية ما مثله عند
نسبة الولد إليه في قوله تعالى وتخر الجبال هدا أن دعوا للرحمن ولدا فإن استقر مكانه
كما كان مستقرا ثابتا ذاهبا في جهاته فسوف تراني تعليق لوجود الرؤية بوجود ما لا يكون
من استقرار الجبل مكانه حين يدكه دكا ويسويه بالأرض وهذا كلام مدمج بعضه في بعض
وارد على أسلوب عجيب ونمط بديع ألا ترى كيف تخلص من النظر إلى النظر بكلمة الاستدراك
ثم كيف بني الوعيد بالرجفة الكائنة بسبب طلب النظر على الشريطة في وجود الرؤية أعني قوله
تعالى فإن استقر مكانه فسوف تراني فلما تجلى ربه للجبل فلما ظهر له اقتداره وتصدى له أمره

وإرادته جعله دكا أي مدكوكا مصدر بمعنى مفعول كضرب الأمير والدك والدق أخوان
كالشك والشق **وقرئ** دكاء والدكاء اسم للرابية الناشزة من الأرض كالدكة أو أرضا دكاء مستوية
ومنه قولهم ناقة دكاء متواضعة السنام وعن الشعبي قال لي الربيع بن خثيم ابسط يدك دكاء
أي مدها مستوية وقرأ يحيى بن وثاب دكا أي قطعا دكا جمع دكاء وخر موسى صعقا من
هول ما رأى وصعق من باب فعلته ففعل يقال صعقته فصعق وأصله من الصاعقة
ويقال لها الصاقعة من صقعه إذا ضربه على رأسه ومعناه خر مغشيا عليه غشية كغشية
الموت **وروي** أن الملائكة مرت عليه وهو مغشي عليه فجعلوا يلكزونه بأرجلهم ويقولون
يا ابن النساء الحيض أطمعت في رؤية رب العزة فلما أفاق من صعقته قال سبحانك أنزهك
مما لا يجوز عليك من الرؤية وغيرها تبت إليك من طلب الرؤية وأنا أول المؤمنين بأنك
لست بمرئي ولا مدرك بشيء من الحواس **فإن قلت** فإن كان طلب الرؤية للغرض الذي
ذكرته فمم تاب من إجرائه تلك المقالة العظيمة وإن كان لغرض صحيح على لسانه
من غير إذن فيه من الله فانظر إلى إعظام الله أمر الرؤية في هذه الآية وكيف أرجف الجبل
بطالبيها وجعله دكا وكيف أصعقهم ولم يخل كليمه من نفيان ذلك مبالغة في إعظام الأمر وكيف
سبح ربه ملتجئا إليه وتاب من إجراء تلك الكلمة على لسانه وقال أنا أول المؤمنين ثم تعجب من
المتسمين بالإسلام المتسمين بأهل السنة والجماعة كيف اتخذوا هذه العظيمة مذهبا ولا
يغرنك تسترهم بالبلكفة فإنه من منصوبات أشياخهم والقول ما قال بعض العدلية فيهم
لجماعة سموا هواهم سنة ❁ وجماعة حمر لعمري موكفه ❁
قد شبهوه بخلقه وتخوفوا ❁ شنع الورى فتستروا بالبلكفه ❁ وتفسير آخر
وهو أن يريد بقوله أرني أنظر إليك عرفني نفسك تعريفا واضحا جليا كأنها إراءة في جلائها
بآية مثل آيات القيامة التي تضطر الخلق إلى معرفتك أنظر إليك أعرفك معرفة اضطرار كأني
أنظر إليك كما جاء في الحديث سترون ربكم كما ترون القمر ليلة البدر بمعنى ستعرفونه معرفة
جلية هي في الجلاء كإبصاركم القمر إذا امتلأ واستوى قال لن تراني أي لن تطيق معرفتي على
هذه الطريقة ولن تحتمل قوتك تلك الآية المضطرة ولكن انظر إلى الجبل فإني أورد عليه وأظهر
عليه آية من تلك الآيات فإن ثبت لتجليها واستقر مكانه ولم يتضعضع فسوف تراني فسوف تثبت
لها وتطيقها فلما تجلى ربه للجبل فلما ظهرت له آية من آيات قدرته وعظمته جعله دكا
وخر موسى صعقا لعظم ما رأى فلما أفاق قال سبحانك تبت إليك مما اقترحت وتجاسرت
وأنا أول المؤمنين بعظمتك وجلالك وأن شيئا لا يقوم لبطشك وبأسك **قال يا موسى
إني اصطفيتك على الناس برسالاتي وبكلامي فخذ ما آتيتك وكن من الشاكرين**
اصطفيتك على الناس اخترتك على أهل زمانك وآثرتك عليهم برسالاتي وهي أسفار التوراة
وبكلامي وبتكليمي إياك فخذ ما آتيتك ما أعطيتك من شرف النبوة والحكمة وكن من الشاكرين
على النعمة في ذلك فهي من أجل النعم وقيل خر موسى صعقا يوم عرفة وأعطي التوراة يوم
النحر **فإن قلت** كيف قيل اصطفيتك على الناس وكان هارون مصطفى مثله ونبيا
أجل ولكنه كان تابعا له وردءا ووزيرا والكليم هو موسى والأصيل في حمل الرسالة

وكتبنا له في الالواح من كل شيء موعظة وتفصيلا لكل شيء فخذها بقوة وأمر قومك
يأخذوا بأحسنها سأريكم دار الفاسقين ذكروا في عدد الالواح وفي جوهرها وطولها
انها كانت عشرة الواح وقيل سبعة وقيل لوحين وانها كانت من زمرد جاء بها جبريل عليه
السلام وقيل من زبرجدة خضراء وياقوتة حمراء وقيل امر الله موسى بقطعها من صخرة صماء
لينها له فقطعها بيده وشققها باصابعه وعن الحسن كانت من خشب نزلت من السماء فيها
التورية وان طولها كانت عشرة اذرع وقوله من كل شيء في محل النصب مفعول كتبنا وموعظة
وتفصيلا بدل منه والمعنى كتبنا له كل شيء كان بنو اسرائيل محتاجين اليه في دينهم من المواعظ
وتفصيل الاحكام وقيل انزلت التورية وهي سبعون وقر بعير يقرأ الجزء منها في سنة لم
يقرأها الا اربعة نفر موسى ويوشع وعزير وعيسى صلوات الله عليهم اجمعين وعن مقاتل
كتب في الالواح اني انا الله الرحمن الرحيم لا تشركوا بي شيئا ولا تقطعوا السبيل ولا
تحلفوا باسمي كاذبا فان من حلف باسمي كاذبا فلا ازكيه ولا تقتلوا ولا تزنوا ولا تعقوا
الوالدين فخذها فقلنا له خذها عطفا على كتبنا ويجوز ان يكون بدلا من قوله فخذ ما آتيتك
والضمير في فخذها للالواح او لكل شيء لانه في معنى الاشياء او للرسالات او للتورية ومعنى
بقوة بجد وعزيمة فعل اولي العزم من الرسل يأخذوا باحسنها اي فيها ما هو حسن واحسن
كالاقتصاص والعفو والانتصار والصبر فمرهم ان يحملوا على انفسهم في الاخذ بما هو ادخل في
الحسن واكثر للثواب **كقوله تعالى** واتبعوا احسن ما انزل اليكم وقيل يأخذوا بما هو
واجب او ندب لانه احسن من المباح ويجوز ان يراد يأخذوا بما امروا به دون ما نهوا
عنه على قولك الصيف احر من الشتاء سأريكم دار الفاسقين يريد دار فرعون وقومه
وهي مصر كيف اقفرت منهم ودمروا لفسقهم لتعتبروا فلا تفسقوا مثل فسقهم فينكل بكم
مثل نكالهم وقيل منازل عاد وثمود والقرون الذين اهلكهم الله لفسقهم في ممركم عليها
في اسفاركم وقيل دار الفاسقين نار جهنم **وقرأ** الحسن سأوريكم وهي لغة فاشية بالحجاز
يقال اورني كذا واوريته ووجهه ان يكون من اوريت الزند كان المعنى بينه لي وانره
لاستبينه وقرئ سأورثكم وهي قراءة حسنة يصححها قوله واورثنا القوم الذين كانوا
يستضعفون **سأصرف عن آياتي الذين يتكبرون في الارض بغير الحق وان يروا كل**
آية لا يؤمنوا بها وان يروا سبيل الرشد لا يتخذوه سبيلا وان يروا سبيل الغي
يتخذوه سبيلا ذلك بانهم كذبوا بآياتنا وكانوا عنها غافلين سأصرف عن آياتي
بالطبع على قلوب المتكبرين وخذلانهم فلا يفكرون فيها ولا يعتبرون بها غفلة وانهماكا
فيما يشغلهم عنها من شهواتهم **وعن** الفضيل بن عياض ذكر لنا عن رسول الله صلى الله عليه وسلم
اذا عظمت امتي الدنيا نزع عنها هيبة الاسلام واذا تركوا الامر بالمعروف والنهي عن المنكر
حرمت بركة الوحي وقيل سأصرفهم عن ابطالها وان اجتهدوا كما اجتهد فرعون ان يبطل آية
موسى بان جمع لها السحرة فابى الله الا علو الحق وانتكاس الباطل ويجوز سأصرفهم عنها وعن
الطعن فيها والاستهانة بها وتسميتها سحرا باهلاكهم وفيه انذار للمخاطبين من عاقبة الذين
يصرفون عن الآيات لتكبرهم وكفرهم بها لئلا يكونوا امثالهم فيسلك بهم سبيلهم بغير الحق فيه وجها

ان يكون حالا بمعنى يتكبرون غير محقين لان التكبر بالحق لله وحده وان يكون صلة لفعل التكبر
اي يتكبرون بما ليس بحق وما هم عليه من دينهم وان يروا كل آية من الآيات المنزلة عليهم لا يؤمنوا
بها **وقرأ** مالك بن دينار وان يروا بضم الياء وقرئ سبيل الرشد والرشاد كقولهم
السقم والسقم والسقام وما اسفه من ركب المفازة فان رأى طريقا مستقيما اعرض عنه
وتركه وان رأى معتسفا مرديا اخذ فيه وسلكه ففاعل نحو ذلك في دينه اسفه ذلك في محل
الرفع او النصب على معنى ذلك الصرف بسبب تكذيبهم او صرفهم الله ذلك الصرف بسببه
والذين كذبوا بآياتنا ولقاء الآخرة حبطت اعمالهم هل يجزون الا ما كانوا يعملون
ولقاء الآخرة يجوز ان يكون من اضافة المصدر الى المفعول به اي ولقائهم الآخرة ومشاهدتهم
احوالها ومن اضافة المصدر الى الظرف بمعنى ولقاء ما وعد الله في الآخرة **واتخذ قوم موسى**
من بعده من حليهم عجلا جسدا له خوار الم يروا انه لا يكلمهم ولا يهديهم سبيلا اتخذوه
وكانوا ظالمين من بعده من بعد فراقه اياهم الى الطور **فان قلت** لم قيل واتخذ قوم
موسى عجلا والمتخذ هو السامري فيه وجهان احدهما ان ينسب الفعل اليهم لان رجلا
منهم باشره ووجد فيما بين اظهرهم كما يقال بنو تميم قالوا كذا وفعلوا والقائل والفاعل
واحد ولانهم كانوا مريدين لاتخاذه راضين به فكانهم اجمعوا عليه والثاني ان يراد واتخذوه
الها وعبدوه **وقرئ** من حليهم بضم الحاء والتشديد جمع حلي كثدي وثدي ومن حليهم بالكسر
للاتباع كدلي ومن حليهم على التوحيد والحلي اسم ما يتحسن به من الذهب والفضة **فان**
قلت لم قال من حليهم ولم يكن الحلي لهم وانما كانت عواري في ايديهم الاضافة
تكون بادنى ملابسة وكونها عواري في ايديهم كفى به ملابسة على انهم قد تملكوها بعد المهلكين
كما ملكوا غيرها من املاكهم الا ترى الى قوله فاخرجناهم من جنات وعيون وكنوز ومقام كريم
كذلك واورثناها بني اسرائيل جسدا بدنا ذا لحم ودم كسائر الاجساد والخوار صوت البقر
قال الحسن ان السامري قبض قبضة من تراب من اثر فرس جبريل يوم قطع البحر فقذفه في في العجل
فكان عجلا له خوار **وقرأ** علي رضي الله عنه جؤار بالجيم والهمزة من جأر اذا صاح وانتصاب جسدا
على البدل من عجلا الم يروا حين اتخذوه الها انه لا يقدر على كلام ولا على هداية سبيل حتى لا
يختاروه على من لو كان البحر مدادا لكلماته لنفد البحر قبل ان تنفد كلماته وهو الذي هدى الخلق
الى سبل الحق ومناهجه بما ركز في العقول من الادلة وبما انزل في كتبه ثم ابتدأ فقال اتخذوه اي
اقدموا على ما اقدموا عليه من الامر المنكر وكانوا ظالمين واضعين كل شيء في غير موضعه فلم
يكن اتخاذ العجل بدعا منهم ولا اول مناكيرهم **ولما سقط في ايديهم ورأوا انهم قد ضلوا**
قالوا لئن لم يرحمنا ربنا ويغفر لنا لنكونن من الخاسرين ولما سقط في ايديهم ولما اشتد
ندمهم وحسرتهم على عبادة العجل لان من شأن من اشتد ندمه وحسرته ان يعض يده غما فتصير يده
مسقوطا فيها لان فاه قد وقع فيها وسقط مسند الى في ايديهم وهو من باب الكناية **وقرأ** ابو
السميفع سقط في ايديهم على تسمية الفاعل اي وقع العض فيها وقال الزجاج معناه سقط الندم
في ايديهم اي في قلوبهم وانفسهم كما يقال حصل في يده مكروه وان كان محالا ان يكون في اليد
تشبيها لما يحصل في القلب وفي النفس بما يحصل في اليد ويرى بالعين ورأوا انهم قد ضلوا

وتبيّنوا ضلالهم تبيّنا كانّهم ابصروه بعيونهم وقرى لئن لم ترحمنا ربّنا وتغفر لنا بالتاء وربّنا بالنصب
على النداء وهذا كلام التائبين كما قال آدم وحوّا عليهما السلام وان لم تغفر لنا وترحمنا ولمّا رجع
موسى الى قومه غضبان اسفا قال بئسما خلفتموني من بعدي أعجلتم امر ربّكم
والقى الالواح واخذ برأس اخيه يجرّه اليه قال ابن امّ انّ القوم استضعفوني
وكادوا يقتلونني فلا تشمت بي الاعداء ولا تجعلني مع القوم الظالمين الاسف
الشديد الغضب فلمّا آسفونا انتقمنا منهم وقيل هو الحزين خلفتموني قمتم مقامي وكنتم
خلفاي من بعدي وهذا الخطاب امّا ان يكون لعبدة العجل من السامري واشياعه او لوجوه
بني اسرائيل وهم هرون عليه السلام والمؤمنون معه ويدلّ عليه قوله اخلفني في قومي
والمعنى بئس ما خلفتموني حيث عبدتم العجل مكان عبادة الله او حيث لم تكفّوا من عبد
غير الله فان قلت اين ما يقتضيه بئس من الفاعل والمخصوص بالذمّ قلت الفاعل
مضمر يفسّره ما خلفتموني والمخصوص بالذمّ محذوف تقديره بئس خلافة خلفتمونيها من
بعدي خلافتكم فان قلت اي معنى لقوله من بعدي بعد قوله خلفتموني قلت معناه
من بعد ما رأيتم مني من توحيد الله ونفي الشركاء عنه واخلاص العبادة له او من بعد ما
كنت احمل بني اسرائيل على التوحيد واكفّهم عمّا طمحت نحوه ابصارهم من عبادة البقر حين قالوا
اجعل لنا الها كما لهم آلهة ومن حقّ الخلفاء ان يسيروا بسيرة المستخلف من بعده ولا يخالفوه
ونحوه فخلف من بعدهم خلف اي من بعد اولئك الموصوفين بالصفات الحميدة يقال عجل
عن الامر اذا تركه غير تامّ ونقيضه تمّ عليه واعجله عنه غيره ويضمّن معنى سبق فيعدّى تعديته
يقال عجلت الامر والمعنى أعجلتم عن امر ربّكم وهو انتظار موسى عليه السلام حافظين
لعهده وما وصّاكم به فبنيتم الامر على ان الميعاد قد بلغ آخره ولم ارجع اليكم فحدّثتم انفسكم
بموتي فغيّرتم كما غيّرت الامم بعد انبيائهم وروي ان السامري قال لهم حين اخرج لهم العجل
وقال لهم هذا الهكم واله موسى ان موسى لن يرجع وانه قد مات وروي انهم عدّوا عشرين
يوما بلياليها فجعلوها اربعين ثم احدثوا ما احدثوا والقى الالواح وطرحها لما
لحقه من فرط الدهش وشدّة الضجر عند استماعه حديث العجل غضبا لله وحميّة لدينه
وكان في نفسه حديدا شديد الغضب وكان هرون الين منه جانبا ولذلك كان احبّ
الى بني اسرائيل من موسى وروي ان التوراة كانت سبعة اسباع فلمّا القى الالواح
تكسّرت فرفع منها ستّة اسباعها وبقي سبع واحد وكان فيما رفع تفصيل كل شيء وفيما بقي
الهدى والرحمة واخذ برأس اخيه اي بشعر رأسه يجرّه اليه بذؤابته وذلك لشدّة ما ورد
عليه من الامر الذي استفزّه وذهب بفطنته وظنّا باخيه انّه فرّط في الكفّ ابن امّ قرئ بالفتح
تشبيها بخمسة عشر وبالكسر على طرح ياء الاضافة وابن امّي بالياء وابن امّ بكسر الهمزة والميم وقيل
كان اخاه لابيه وامّه فان صحّ فانما اضافه الى الام اشارة الى انهما من بطن واحد وذلك ادعى
الى العطف والرقّة واعظم للحقّ الواجب ولانها كانت مؤمنة فاعتدّ بنسبها ولانها هي التي قاست
فيه المخاوف والشدائد فذكّره حقّها ان القوم استضعفوني يعني انّي لم آل جهدا في كفّهم
بالوعظ والانذار وبما بلغته طاقتي من بذل القوّة في مضادّتهم حتى قهروه واستضعفوه

ولم

ولم يبق الا ان يقتلوني فلا تشمت بي الاعداء فلا تفعل بي ما هو امنيّتهم من الاستهانة بي والاساءة اليّ
وقرئ فلا تشمت بي الاعداء على نهي الاعداء عن الشماتة والمراد ان لا تحلّ بي ما يشمتون بي
لاجله ولا تجعلني مع القوم الظالمين ولا تجعلني في موجدتك عليّ وعقوبتك لي قرينا لهم وصاحبا
او ولا تعتقد انّي واحد من الظالمين مع براءتي منهم ومن ظلمهم قال ربّ اغفر لي ولاخي
وادخلنا في رحمتك وانت ارحم الراحمين لمّا اعتذر اليه اخوه وذكر له شماتة الاعداء
قال ربّ اغفر لي ولاخي ليرضي اخاه وليظهر لاهل الشماتة رضاه عنه فلا تتمّ لهم شماتتهم واستغفر
لنفسه ممّا فرط منه الى اخيه ولاخيه ان عسى فرّط في حسن الخلافة وطلب ان لا يتفرّقا عن رحمته
ولا تزال منتظمة لهما في الدنيا والآخرة انّ الذين اتّخذوا العجل سينالهم غضب من
ربّهم وذلّة في الحيوة الدنيا وكذلك نجزي المفترين غضب من ربّهم هو ما امروا
به من قتل انفسهم والذلّة خروجهم من ديارهم لانّ ذلّ الغربة مثل مضروب وقيل هو ما نال
ابناءهم وهم بنو قريظة والنضير من غضب الله بالقتل والجلاء ومن الذلّة بضرب الجزية المفترين
المكذّبين على الله ولا فرية اعظم من قول السامري هذا الهكم واله موسى ويجوز ان يتعلّق
في الحيوة الدنيا بالذلّة وحدها ويراد سينالهم غضب في الآخرة وذلّة في الحيوة الدنيا كقوله
تعالى وضربت عليهم الذلّة والمسكنة وباؤوا بغضب من الله والذين عملوا السيّئات ثمّ تابوا
من بعدها وآمنوا انّ ربّك من بعدها لغفور رحيم والذين عملوا السيّئات
من الكفر والمعاصي كلّها ثمّ تابوا ثمّ رجعوا من بعدها الى الله واعتذروا اليه وآمنوا
واخلصوا الايمان انّ ربّك من بعدها من بعد تلك العظائم لغفور لستور عليهم محّاء لما كان
منهم رحيم منعم عليهم بالجنّة وهذا حكم عامّ يدخل تحته متّخذو العجل ومن عداهم عظم جنايتهم
اوّلا ثمّ اردفها تعظيم رحمته ليعلم انّ الذنوب وان جلّت وعظمت فانّ عفوه وكرمه اعظم
واجلّ ولكن لا بدّ من حفظ الشريطة وهي وجود التوبة والانابة وما وراءه طمع فارغ
واشعبيّة باردة لا يلتفت اليها حازم ولمّا سكت عن موسى الغضب اخذ الالواح وفي
نسختها هدى ورحمة للذين هم لربّهم يرهبون ولمّا سكت عن موسى الغضب
هذا مثل كأنّ الغضب كان يغريه على ما فعل ويقول له قل لقومك كذا والق الالواح
وجرّ برأس اخيك اليك فترك النطق بذلك وقطع الاغراء ولم يستحسن هذه الكلمة ولم يستفصحها
كلّ ذي طبع سليم وذوق صحيح الا لذلك ولانّه من قبيل شعب البلاغة والا فما لقراءة معوية
ابن قرّة ولمّا سكن عن موسى الغضب لا تجد النفس عندها شيئا من تلك الهزّة وطرفا من تلك
الروعة وقرئ ولمّا سكت واسكت اي اسكته الله او اخوه باعتذاره اليه وتنصّله والمعنى
ولمّا طفئ غضبه اخذ الالواح التي القاها وفي نسختها وفيما نسخ منها اي كتب والنسخة فعلة بمعنى
مفعول كالخطبة لربّهم يرهبون دخلت اللام لتقدّم المفعول لانّ تأخّر الفعل عن مفعوله
يكسبه ضعفا ونحوه للرؤيا تعبرون وتقول لك ضربت واختار موسى قومه سبعين
رجلا لميقاتنا فلمّا اخذتهم الرجفة قال ربّ لو شئت اهلكتهم من قبل واياي
اتهلكنا بما فعل السفهاء منّا ان هي الا فتنتك تضلّ بها من تشاء وتهدي من
تشاء انت وليّنا فاغفر لنا وارحمنا وانت خير الغافرين واختار موسى قومه اي

من قومه بحذف الجار وايصال الفعل كقوله منا الذي اختير الرجال سماحة قيل اختار
من اثني عشر سبطا من كل سبط ستة حتى تتاموا اثنين وسبعين فقال ليتخلف منكم رجلان
فتشاحوا فقال ان لمن قعد منكم مثل اجر من خرج فقعد كالب ويوشع وروي انه لم يصب
الا ستين شيخا فاوحى الله تعالى اليه ان تختار من الشبان عشرة فاختارهم فاصبحوا شيوخا
وقيل كانوا ابناء ما عدا العشرين ولم يتجاوزوا الاربعين قد ذهب عنهم الجهل والصبا
فامرهم موسى عليه السلام ان يصوموا ويتطهروا ويطهروا ثيابهم ثم خرج بهم الى طور سينا
لميقات ربه وكان امره ربه ان ياتيه في سبعين من بني اسرائيل فلما دنا موسى من الجبل وقع
عليه عمود الغمام حتى تغشى الجبل كله ودنا موسى ودخل فيه فقال للقوم ادنوا فدنوا حتى
اذا دخلوا في الغمام وقعوا سجدا فسمعوه وهو يكلم موسى يامره وينهاه افعل ولا تفعل
ثم انكشف الغمام فاقبلوا اليه فطلبوا الرؤية فوعظهم وزجرهم وانكر عليهم فقالوا يا
موسى لن نؤمن لك حتى نرى الله جهرة فقال رب ارني انظر اليك يريد ان يسمعوا الرد والانكار
من جهته فاجيب بلن تراني ورجف بهم الجبل فصعقوا ولما كانت الرجفة قال موسى رب لو
شئت اهلكتهم من قبل واياي وهذا تمن منه للاهلاك قبل ان يرى ما رأى من تبعة طلب
الرؤية كما يقول النادم على الامر اذا رأى سوء المغبة لو شاء الله لاهلكني قبل هذا اتهلكنا
بما فعل السفهاء منا يعني اتهلكنا جميعا يعني نفسه واياهم لانه انما طلب الرؤية زجرا للسفهاء
وهم طلبوه سفها وجهلا ان هي الا فتنتك اي محنتك وابتلاؤك حين كلمتني وسمعوا كلامك
فاستدلوا بالكلام على الرؤية استدلالا فاسدا حتى افتتنوا وضلوا تضل بها من تشاء وتهدي
من تشاء تضل بالمحنة الجاهلين غير الثابتين في معرفتك وتهدي العالمين بك الثابتين بالقول
الثابت وجعل ذلك اضلالا من الله وهدى منه لان محنته لما كانت سببا لان ضلوا واهتدوا
فكانه اضلهم بها وهداهم على الاتساع في الكلام انت ولينا مولانا القائم بامورنا واكتب
لنا في هذه الدنيا حسنة وفي الآخرة انا هدنا اليك قال عذابي اصيب به من اشاء
ورحمتي وسعت كل شيء فساكتبها للذين يتقون ويؤتون الزكوة والذين هم
بآياتنا يؤمنون واكتب لنا واثبت لنا واقسم في هذه الدنيا حسنة عافية وحياة طيبة
او توفيقا في الطاعة وفي الآخرة الجنة هدنا اليك تبنا اليك وهاد اليه يهود اذا رجع
وتاب والهود جمع هائد وهو التائب ولبعضهم يا راكب الذنب هدهد
واسجد كانك هدهد وقرأ ابو وجزة السعدي هدنا اليك بكسر الهاء من هاده يهيده
اذا حركه واماله ويحتمل امرين ان يكون مبنيا للفاعل والمفعول بمعنى حركنا اليك انفسنا
واملناها او حركنا اليك واملنا على تقدير فعلنا كقولك عدت يا مريض بكسر العين
فعلت من العيادة ويجوز عدت بالاشمام وعدت باخلاص الضمة فيمن قال عود المريض
وقول القول ويجوز على هذه اللغة ان يكون هدنا بالضم فعلنا من هاده يهيده عذابي
من حاله وصفته اني اصيب به من اشاء اي من وجب علي في الحكمة تعذيبه ولم يكن في العفو
عنه مساغ لكونه مفسدة واما رحمتي فمن حالها وصفتها انها واسعة تبلغ كل شيء ما من
مسلم ولا كافر ولا مطيع ولا عاص الا وهو متقلب في نعمتي وقرأ الحسن رحمه الله من اساء

من

من الاساءة فساكتبها هذه الرحمة كتبة خاصة منكم يا بني اسرائيل للذين يكونون في آخر الزمان
من امة محمد صلى الله عليه وسلم الذين هم بجميع كتبنا واياتنا يؤمنون لا يكفرون بشيء منها
الذين يتبعون الرسول النبي الامي الذي يجدونه مكتوبا عندهم في التوراة والانجيل
يامرهم بالمعروف وينهاهم عن المنكر ويحل لهم الطيبات ويحرم عليهم الخبائث ويضع
عنهم اصرهم والاغلال التي كانت عليهم فالذين آمنوا به وعزروه ونصروه
واتبعوا النور الذي انزل معه اولئك هم المفلحون الذين يتبعون الرسول الذي
نوحي اليه كتابا مختصا به وهو القرآن النبي صاحب المعجزات الذي يجدونه يجد نعته اولئك
الذين يتبعونه من بني اسرائيل مكتوبا عندهم في التوراة والانجيل ويحل لهم الطيبات
ما حرم عليهم من الاشياء الطيبة كالشحوم وغيرها او ما طاب في الشريعة والحكم مما ذكر
اسم الله عليه من الذبائح وما خلا كسبه من السحت ويحرم عليهم الخبائث ما يستخبث من نحو
الدم والميتة ولحم الخنزير وما اهل لغير الله به او ما خبث في الحكم كالربوا والرشوة وغيرها
من المكاسب الخبيثة الاصر الثقل الذي يأصر صاحبه اي يحبسه من الحراك لثقله وهو مثل
لثقل تكليفهم وصعوبته نحو اشتراط قتل الانفس في صحة توبتهم وكذلك الاغلال مثل لما
كان في شرائعهم من الاشياء الشاقة نحو بت القضاء بالقصاص عمدا كان او خطأ من غير شرع الدية
وقطع الاعضاء الخاطئة وقرض موضع النجاسة من الجلد والثوب واحراق الغنائم وتحريم
العروق في اللحم وتحريم السبت وعن عطاء كانت بنو اسرائيل اذا قامت تصلي لبسوا المسوح
وغلوا ايديهم الى اعناقهم وربما ثقب الرجل ترقوته وجعل فيها طرف السلسلة واوثقها
الى السارية يحبس نفسه على العبادة وقرئ آصارهم على الجمع وعزروه ومنعوه حتى
لا يقوى عليه عدو وقرئ بالتخفيف واصل العزر المنع ومنه التعزير للضرب دون
الحد لانه منع من معاودة القبيح الا ترى الى تسميته الحد والحد هو المنع والنور
القرآن فان قلت ما معنى قوله انزل معه وانما انزل مع جبريل معناه
انزل مع نبوته لان استنباءه كان مصحوبا بالقرآن مشفوعا به ويجوز ان يتعلق باتبعوا
اي واتبعوا القرآن المنزل مع اتباع النبي عليه السلام والعمل بسنته وبما امر به ونهى
عنه او واتبعوا القرآن كما اتبعه مصاحبين له في اتباعه فان قلت كيف انطبق
هذا الجواب على قول موسى عليه السلام ودعائه لما دعا لنفسه ولبني اسرائيل
اجيب بما هو منطو على توبيخ بني اسرائيل على استجازتهم الرؤية على الله وعلى كفرهم بآيات
الله العظام التي اجراها على يد موسى وعرض بذلك في قوله تعالى الذين هم بآياتنا
يؤمنون واريد ان يكون استماع اوصاف اعقابهم الذين آمنوا برسول الله وما جاء
به كعبد الله بن سلام رضي الله عنه وغيره من اهل الكتابين لطفا لهم وترغيبا في اخلاص
الايمان والعمل الصالح وفي ان يحشروا معهم ولا يفرق بينهم وبين اعقابهم عن رحمة
الله التي وسعت كل شيء قل يا ايها الناس اني رسول الله اليكم جميعا الذي له ملك
السموات والارض لا اله الا هو يحيي ويميت فآمنوا بالله ورسوله النبي
الامي الذي يؤمن بالله وكلماته واتبعوه لعلكم تهتدون قل اني رسول الله اليكم

جميعا قيل بعث كل رسول الى قومه خاصة وبعث محمد صلى الله عليه وسلم الى كافة الانس
وكافة الجن وجميعا نصب على الحال من **فان قلت** الذى له ملك السموات
والارض ما محله **قلت** الاحسن ان يكون منتصبا باضمار اعنى وهو الذى يسمى النصب
على المدح ويجوز ان يكون جرا على الوصف وان حيل بين الصفة والموصوف بقوله
اليكم جميعا وقوله لا اله الا هو بدل من الصلة التى هى له ملك السموات والارض وكذلك
يحيى ويميت وفى لا اله الا هو بيان للجملة قبلها لان من ملك العالم كان هو الاله على الحقيقة
وفى يحيى ويميت بيان لاختصاصه بالالهية لانه لا يقدر على الاحياء والاماتة غيره وكلماته
وما انزل عليه وعلى من تقدمه من الرسل من كتبه ووحيه **وقرئ** وكلمته على الافراد
وهى القرآن او اراد جنس ما كلم به وعن مجاهد اراد عيسى ابن مريم وقيل هى الكلمة التى
تكون عنها عيسى وجميع خلقه وهى قوله كن وانما قيل ان عيسى كلمة الله فخص بهذا الاسم
لانه لم يكن لكونه سبب غير الكلمة ولم يكن من نطفة تمنى لعلكم تهتدون ارادة ان تهتدوا
فان قلت هلا قيل فآمنوا بالله وبى بعد قوله انى رسول الله اليكم **قلت** عدل
عن المضمر الى الاسم الظاهر لتجرى عليه الصفات التى اجريت عليه ولما فى طريقة الالتفات
من مزية البلاغة وليعلم ان الذى وجب الايمان به واتباعه هو هذا الشخص المستقل
بانه النبى الامى الذى يؤمن بالله وكلماته كائنا من كان انا او غيرى اظهارا للنصفة وتفاديا
من العصبية لنفسه ومن قوم موسى امة يهدون بالحق وبه يعدلون ومن قوم
موسى امة هم المؤمنون التائبون من بنى اسرائيل لما ذكر الذين تزلزلوا منهم فى الدين وارتابوا
حتى اقدموا على العظيمتين عبادة العجل واستجازة رؤية الله ذكر ان منهم امة موقنين
ثابتين يهدون الناس بكلمة الحق ويدلونهم على الاستقامة ويرشدونهم وبالحق يعدلون
بينهم فى الحكم لا يجورون او اراد الذين وصفهم ممن ادرك النبى عليه السلام وآمن به من
اعقابهم وقيل ان بنى اسرائيل لما قتلوا انبياءهم وكفروا وكانوا اثنى عشر سبطا تبرأ سبط
منهم مما صنعوا واعتذروا وسألوا الله ان يفرق بينهم وبين اخوانهم ففتح الله لهم نفقا فى
الارض فساروا فيه سنة ونصفا حتى خرجوا من وراء الصين وهم هنالك حنفاء مسلمون
يستقبلون قبلتنا وذكر عن رسول الله صلى الله عليه وسلم ان جبريل عليه السلام ذهب
به ليلة الاسراء نحوهم فكلمهم فقال لهم جبريل هل تعرفون من تكلمون قالوا لا قال لهم
هذا محمد النبى الامى فآمنوا به وقالوا يا رسول الله ان موسى اوصانا من ادرك منكم احمد
فليقرأ عليه منى السلام فرد محمد على موسى عليهما السلام السلام ثم اقرأهم عشر سور من
القرآن نزلت بمكة ولم تكن نزلت فريضة غير الصلاة والزكاة وامرهم ان يقيموا
مكانهم وكانوا يسبتون فامرهم ان يجمعوا ويتركوا السبت وعن مسروق قرئت
بين يدى عبد الله فقال له رجل انى منهم فقال له عبد الله يعنى لمن كان فى مجلسه من المؤمنين
وهل يزيد صالحا وكم عليهم شيئا من يهتدى بالحق وبه يعدل وقيل لو كانوا فى طرف من
الدنيا متمسكين بشريعة ولم يبلغهم نسخها كانوا امة ودين وهذا من باب الفرض والتقدير
والا فقد طار الخبر بشريعة محمد عليه السلام الى كل افق وتغلغل فى كل نفق ولم يبق الله اهل

مدر ولا وبر ولا سهل ولا جبل ولا بر ولا بحر فى مشارق الارض ومغاربها الا وقد القاه اليهم
وملأ به مسامعهم والزمهم به الحجة وهو سائلهم عنه يوم القيمة وقطعناهم اثنتى عشرة
اسباطا امما واوحينا الى موسى اذ استسقاه قومه ان اضرب بعصاك الحجر
فانبجست منه اثنتا عشرة عينا قد علم كل اناس مشربهم وظللنا عليهم الغمام وانزلنا
عليهم المن والسلوى كلوا من طيبات ما رزقناكم وما ظلمونا ولكن كانوا
انفسهم يظلمون وقطعناهم وصيرناهم قطعا اى فرقا وميزنا بعضهم من بعض لقلة
الالفة بينهم **وقرئ** وقطعناهم بالتخفيف اثنتى عشرة اسباطا كقولك اثنتى
عشرة قبيلة والاسباط اولاد الولد جمع سبط وكانوا اثنتى عشرة قبيلة من اثنى عشر
ولدا من ولد يعقوب عليه السلام **فان قلت** مميز ما عدا العشرة مفرد فما وجه
مجيئه مجموعا وهلا قيل اثنى عشر سبطا **قلت** لو قيل ذلك لم يكن تحقيقا لان المراد وقطعناهم
اثنتى عشرة قبيلة وكل قبيلة اسباط لا سبط فوضع اسباطا موضع قبيلة **ونظيره**
بين رماحى مالك ونهشل وامما بدل من اثنتى عشرة بمعنى وقطعناهم امما لان كل
اسباط كانت امة عظيمة وجماعة كثيفة العدد وكل واحدة كانت تؤم خلاف ما تؤمه
الاخرى لا تكاد تأتلف وقرئ اثنتى عشرة بكسر الشين فانبجست فانفجرت والمعنى واحد
وهو الانفتاح بسعة وكثرة **قال** العجاج وكيف غربى دالج تبجسا **فان قلت** فهلا قيل
فضرب فانبجست **قلت** لعدم الالباس وليجعل الانبجاس مسببا عن الايحاء بضرب الحجر
للدلالة على ان الموحى اليه لم يتوقف عن اتباع الامر وانه من انتفاء الشك عنه بحيث لا حاجة
الى الافصاح به وقوله كل اناس نظير قوله اثنتى عشرة اسباطا يريد كل امة من تلك الامم
الاثنتى عشرة والاناس اسم جمع غير تكسير نحو رخال وثناء وتؤام واخوات لها ويجوز
ان يقال ان الاصل الكسر والتكسير والضمة بدل من الكسرة كما ابدلت فى نحو سكارى وغيارى
من الفتحة وظللنا عليهم الغمام وجعلناه ظليلا عليهم فى التيه وكلوا على ارادة القول وما
ظلمونا وما رجع الينا ضرر ظلمهم بكفرانهم النعم ولكن كانوا يضرون انفسهم ويرجع وبال
ظلمهم اليهم واذ قيل لهم اسكنوا هذه القرية وكلوا منها حيث شئتم وقولوا حطة
وادخلوا الباب سجدا نغفر لكم خطيئاتكم سنزيد المحسنين فبدل الذين ظلموا
منهم قولا غير الذى قيل لهم فارسلنا عليهم رجزا من السماء بما كانوا يظلمون
واذ قيل لهم واذكر اذ قيل لهم والقرية بيت المقدس **فان قلت** كيف اختلفت العبارة
ههنا وفى سورة البقرة **قلت** لا بأس باختلاف العبارتين اذا لم يكن هناك تناقض
ولا تناقض بين قوله اسكنوا هذه القرية فكلوا منها وبين قوله وكلوا لانهم اذا سكنوا
القرية فتسببت سكناهم للاكل منها فقد جمعوا فى الوجود بين سكناها والاكل منها
وسواء قدموا الحطة على دخول الباب او اخروها فهم جامعون فى الايجاد بينهما وترك
ذكر الرغد لا يناقض اثباته وقوله نغفر لكم خطاياكم سنزيد المحسنين موعد بشيئين بالغفران
وبالزيادة وطرح الواو لا يخل بذلك لانه استيناف مرتب على تقدير قول القائل
وماذا بعد الغفران فقيل له سنزيد المحسنين وكذلك زيادة منهم زيادة بيان

وأرسلنا وأنزلنا ويظلمون ويفسقون من وادٍ واحد وقرئ نغفر لكم خطاياكم وتغفر لكم
خطاياكم وخطاياتكم وخطيئتكم على البناء للمفعول وسئلهم عن القرية التي كانت حاضرة البحر
إذ يعدون في السبت إذ تأتيهم حيتانهم يوم سبتهم شرعا ويوم لا يسبتون لا تأتيهم
كذلك نبلوهم بما كانوا يفسقون وسلهم وسل اليهود وقرئ واسألهم وهذا السؤال
معناه التقرير والتقريع بقديم كفرهم وتجاوزهم لحدود الله والإعلام بأن هذا من علومهم
التي لا تعلم إلا بكتاب أو وحي فإذا أعلمهم به من لم يقرأ كتابهم علم أنه من جهة الوحي ونظيره
همزة الاستفهام التي يراد بها التقرير في قولك أعدوتم في السبت والقرية أيلة وقيل
مدين وقيل طبرية والعرب تسمي المدينة قرية وعن أبي عمرو بن العلاء ما رأيت قرويين
أفصح من الحسن والحجاج يعني رجلين من أهل المدن حاضرة البحر قريبة منه راكبة لشاطئه
إذ يعدون في السبت إذ يتجاوزون حد الله فيه وهو اصطيادهم في يوم السبت وقد نهوا
عنه وقرئ يعدّون بمعنى يعتدون أدغمت التاء في الدال ونقلت حركتها إلى العين
ويُعِدّون من الإعداد وكانوا يعدّون آلات الصيد يوم السبت وهم مأمورون بأن لا
يشتغلوا فيه بغير العبادة والسبت مصدر سبتت اليهود إذا عظمت سبتها بترك الصيد
والاشتغال بالتعبد فمعناه يعدون في تعظيم هذا اليوم وكذلك قوله يوم سبتهم
معناه يوم تعظيمهم أمر السبت ويدل عليه قوله تعالى ويوم لا يسبتون وقراءة عمر بن عبد
العزيز ويوم إسباتهم وقرئ لا يسبتون بضم الياء وقرأ علي رضي الله عنه يوم لا يسبتون
بضم الياء من أسبتوا وعن الحسن لا يسبتون على البناء للمفعول أي لا يدار عليهم السبت ولا
يؤمرون بأن يسبتوا فإن قلت إذ يعدون وإذ تأتيهم ما محلهما من الإعراب
أما الأول فمجرور بدل من القرية والمراد بالقرية أهلها كأنه قيل واسألهم عن أهل
القرية وقت عدوانهم في السبت وهو من بدل الاشتمال ويجوز أن يكون منصوبا بكانت
أو بحاضرة وأما الثاني فمنصوب بيعدون ويجوز أن يكون بدلا بعد بدل والحيتان
السمك وأكثر ما تستعمل العرب الحوت في معنى السمكة شرعا ظاهرة على وجه الماء وعن
الحسن تشرع على أبوابهم كأنها الكباش البيض يقال شرع علينا فلان إذا دنا منا وأشرف
علينا وشرعت على فلان في بيته فرأيته يفعل كذا كذلك نبلوهم مثل ذلك البلاء الشديد
نبلوهم بسبب فسقهم وإذ قالت أمة منهم لم تعظون قوما الله مهلكهم أو معذبهم
عذابا شديدا قالوا معذرة إلى ربكم ولعلهم يتقون وإذ قالت معطوف على إذ
يعدون وحكمه حكمه في الإعراب أمة منهم جماعة من أهل القرية من صلحائهم الذين ركبوا
الصعب والذلول في موعظتهم حتى أيسوا من قبولهم لآخرين كانوا لا يقلعون عن وعظهم
لم تعظون قوما الله مهلكهم أي مخترمهم ومطهر الأرض منهم أو معذبهم عذابا شديدا
لتماديهم في الشر وإنما قالوا ذلك لعلمهم أن الوعظ لا ينفع فيهم قالوا معذرة إلى ربكم
أي موعظتنا إبلاء عذر إلى الله ولئلا ننسب في النهي عن المنكر إلى بعض التفريط ولعلهم يتقون
ولطمعنا في أن يتقوا بعض الاتقاء وقرئ معذرة بالنصب أي وعظناهم معذرة إلى
ربكم أو اعتذرنا معذرة فلما نسوا ما ذكروا به أنجينا الذين ينهون عن السوء وأخذنا

الذين ظلموا بعذاب بئيس بما كانوا يفسقون فلما نسوا يعني أهل القرية فلما تركوا
ما ذكرهم به الصالحون ترك الناسي لما ينساه أنجينا الذين ينهون عن السوء وأخذنا الظالمين
الراكبين للمنكر فإن قلت الأمة الذين قالوا لم تعظون من أي الفريقين هم أمن فريق
الناجين أم المعذبين من فريق الناجين لأنهم من فريق الناهين وما قالوا ما قالوا
إلا سائلين عن علة الوعظ والغرض فيه حيث لم يروا فيه غرضا صحيحا لعلمهم بحال القوم وإذا
علم الناهي حال المنهي وأن النهي لا يؤثر فيه سقط عنه النهي وربما وجب الترك لدخوله في
باب العبث ألا ترى أنك لو ذهبت إلى المكاسين القاعدين على المآصر والجلادين المرتبين
للتعذيب لتعظهم وتكفهم عما هم فيه كان ذلك عبثا منك ولم يكن إلا سببا للتلهي بك وأما الآخرون
فإنما لم يعرضوا عنهم إما لأن يأسهم لم يستحكم كما استحكم يأس الأولين ولم يخبروهم كما خبروهم
أو لفرط حرصهم وجدهم في أمرهم كما وصف الله رسوله في قوله فلعلك باخع نفسك وقيل الأمة
هم الموعوظون لما وعظوا قالوا للواعظين لم تعظون منا قوما تزعمون أن الله مهلكهم أو معذبهم
وعن ابن عباس رضي الله عنهما أنه قال ليت شعري ما فعل بهؤلاء الذين قالوا لم تعظون
قوما قال عكرمة جعلني الله فداك ألا ترى أنهم كرهوا ما هم عليه وخالفوهم وقالوا لم تعظون
قوما الله مهلكهم فلم أزل به حتى عرفته أنهم قد نجوا وعن الحسن نجت فرقتان وهلكت فرقة
وهم الذين أخذوا الحيتان وروي أن اليهود لعنهم الله أمروا باليوم الذي أمرنا به وهو
يوم الجمعة فتركوه واختاروا السبت فابتلوا به وحرم عليهم فيه الصيد وأمروا بتعظيمه
فكانت الحيتان تأتيهم يوم السبت شرعا بيضا سمانا كأنها المخاض لا يرى الماء من كثرتها ويوم
لا يسبتون لا تأتيهم فكانوا كذلك برهة من الدهر ثم جاءهم إبليس فقال لهم إنما نهيتم عن
أخذها يوم السبت فاتخذوا حياضا تسوقون الحيتان إليها يوم السبت فلا تقدر على الخروج
منها وتأخذونها يوم الأحد وأخذ رجل منهم حوتا وربط في ذنبه خيطا إلى خشبة في الساحل ثم
شواه يوم الأحد فوجد جاره ريح السمك فتطلع في تنوره فقال له إني أرى الله سيعذبك
فلما لم يره عذب أخذ في السبت القابل حوتين فلما رأوا أن العذاب لا يعاجلهم صادوا وأكلوا
وملحوا وباعوا وكانوا نحوا من سبعين ألفا فصار أهل القرية أثلاثا ثلث نهوا وكانوا نحوا من
اثني عشر ألفا وثلث قالوا لم تعظون قوما وثلث هم أصحاب الخطيئة فلما لم ينتهوا قال المسلمون
إنا لا نساكنكم فقسموا القرية بجدار للمسلمين باب وللمعتدين باب ولعنهم داود عليه السلام
فأصبح الناهون ذات يوم في مجالسهم ولم يخرج من المعتدين أحد فقالوا إن للناس شأنا فعلوا
الجدار فنظروا فإذا هم قردة ففتحوا الباب ودخلوا عليهم فعرفت القردة أنسباءها من
الإنس والإنس لا يعرفون أنسباءهم من القرود فجعل القرد يأتي نسيبه فيشم ثيابه ويبكي
فيقول ألم ننهكم فيقول برأسه بلى وقيل صار الشبان قردة والشيوخ خنازير وعن
الحسن أكلوا والله أوخم أكلة أكلها أهلها أثقلها خزيا في الدنيا وأطولها عذابا في الآخرة
هاه وايم الله ما حوت أخذه قوم فأكلوه أعظم عند الله من قتل رجل مسلم ولكن الله جعل
موعدا والساعة أدهى وأمر بئيس شديد يقال بؤس يبؤس بأسا إذا اشتد فهو بئيس
وقرئ بيس بوزن حيد وبيس على تخفيف العين ونقل حركتها إلى الفاء كما يقال كبد

وكيد وبيئس على قلب الهمزة ياء كذيب في ذئب وبئس على فيعل بكسر الهمزة وفتحها وبيس بوزن
ريس على قلب همزة بئيس ياء وادغام الياء فيها وبيس على تخفيف بيئس كهين في هين وبائس
على فاعل فلما عتوا عن ما نهوا عنه قلنا لهم كونوا قردة خاسئين فلما عتوا عما نهوا عنه
فلما تكبروا عن ترك ما نهوا عنه كقوله تعالى وعتوا عن امر ربهم قلنا لهم كونوا قردة عبارة
عن مسخهم قردة كقوله تعالى انما امره اذا اراد شيئا ان يقول له كن فيكون والمعنى ان الله
عذبهم اولا بعذاب شديد فعتوا بعد ذلك فمسخهم وقيل فلما عتوا تكرير لقوله فلما
نسوا والعذاب البئيس هو المسخ واذ تاذن ربك ليبعثن عليهم الى يوم القيمة من
يسومهم سوء العذاب ان ربك لسريع العقاب وانه لغفور رحيم تاذن ربك
عزم ربك وهو تفعل من الايذان وهو الاعلام لان العازم على الامر يحدث به نفسه
ويؤذنها بفعله واجرى مجرى فعل القسم كعلم الله وشهد الله ولذلك اجيب بما يجاب به
القسم وهو ليبعثن والمعنى واذ حتم ربك وكتب على نفسه ليبعثن على اليهود الى يوم القيمة
من يسومهم سوء العذاب فكانوا يؤدون الجزية الى المجوس الى ان بعث الله محمدا عليه السلام
فضربها عليهم فلا تزال مضروبة عليهم الى اخر الدهر ومعنى ليبعثن عليهم ليسلطن عليهم
كقوله تعالى بعثنا عليكم عبادا لنا اولي باس شديد وقطعناهم في الارض امما منهم
الصالحون ومنهم دون ذلك وبلوناهم بالحسنات والسيئات لعلهم يرجعون
وقطعناهم في الارض امما وفرقناهم فيها فلا يكاد يخلو بلد من فرقة منهم منهم الصالحون
الذين امنوا منهم بالمدينة او الذين وراء الصين ومنهم دون ذلك ومنهم ناس دون
ذلك الوصف منحطون عنه وهم الكفرة والفسقة فان قلت ما محل دون ذلك
قلت الرفع وهو صفة لموصوف محذوف معناه ومنهم ناس منحطون عن الصلاح ونحوه
وما منا الا له مقام معلوم بمعنى وما منا احد الا له مقام وبلوناهم بالحسنات والسيئات
بالنعم والنقم لعلهم ينتهون فينيبون فخلف من بعدهم خلف ورثوا الكتاب ياخذون
عرض هذا الادنى ويقولون سيغفر لنا وان ياتهم عرض مثله ياخذوه الم يؤخذ عليهم
ميثاق الكتاب ان لا يقولوا على الله الا الحق ودرسوا ما فيه والدار الاخرة خير
للذين يتقون افلا تعقلون فخلف من بعد المذكورين خلف وهم الذين كانوا في زمن
رسول الله صلى الله عليه وسلم ورثوا الكتاب التورية بقيت في ايديهم بعد سلفهم يقرؤنها
ويقفون على ما فيها من الاوامر والنواهي والتحليل والتحريم ولا يعملون بها ياخذون
عرض هذا الادنى اي حطام هذا الشيء الادنى يريد الدنيا وما يتمتع به منها وفي قوله هذا
الادنى تخسيس وتحقير والادنى اما من الدنو بمعنى القرب لانه عاجل قريب واما من
دنو الحال وسقوطها وقلتها والمراد ما كانوا ياخذونه من الرشى في الاحكام وعلى تحريف
الكلم للتسهيل على العامة ويقولون سيغفر لنا لا يواخذنا الله بما اخذنا وفاعل يغفر
الجار والمجرور وهو لنا ويجوز ان يكون الاخذ الذي هو مصدر ياخذون وان ياتهم
عرض مثله ياخذوه الواو للحال اي يرجون المغفرة وهم مصرون عائدون الى مثل فعلهم
غير تائبين وغفران الذنوب لا يصح الا بالتوبة والمصر لا غفران له الم يؤخذ عليهم ميثاق

الكتاب

الكتاب يعني قوله في التورية من ارتكب ذنبا عظيما فانه لا يغفر له الا بالتوبة ودرسوا ما فيه
في الكتاب من اشتراط التوبة في غفران الذنوب والذي عليه المجبرة هو مذهب اليهود
بعينه كما ترى وعن مالك بن دينار ياتي على الناس زمان ان قصروا عما امروا به قالوا سيغفر
لنا لم نشرك بالله شيئا كل امرهم الى الطمع خيارهم فيه المداهنة فهؤلاء من هذه الامة اشباه
الذين ذكرهم الله وتلا الاية والدار الاخرة خير من ذلك العرض الخسيس للذين يتقون الرشى
ومحارم الله وقرئ ورثوا الكتاب وان لا تقولوا بالتاء وادارسوا بمعنى تدارسوا وافلا
تعقلون بالياء والتاء فان قلت ما موقع قوله ان لا يقولوا على الله الا الحق قلت هو عطف
بيان لميثاق الكتاب ومعنى ميثاق الكتاب الميثاق المذكور في الكتاب وان اثبات المغفرة بغير فيهم
توبة خروج عن ميثاق الكتاب وافتراء على الله وتقول عليه بما ليس بحق وان فسر ميثاق الكتاب
بما تقدم ذكره كان ان لا يقولوا مفعولا له ومعناه لئلا يقولوا ويجوز ان تكون ان مفسرة
ولا يقولوا نهيا كانه قيل الم يقل لهم لا يقولوا على الله الا الحق فان قلت علام عطف
قوله ودرسوا ما فيه على الم يؤخذ عليهم لانه تقرير فكانه قيل اخذ عليهم ميثاق
الكتاب ودرسوا ما فيه والذين يمسكون بالكتاب واقاموا الصلوة انا لا نضيع
اجر المصلحين والذين يمسكون بالكتاب فيه وجهان احدهما ان يكون مرفوعا بالابتداء
وخبره انا لا نضيع اجر المصلحين والمعنى انا لا نضيع اجرهم لان المصلحين في معنى الذين يمسكون
بالكتاب كقوله تعالى ان الذين امنوا وعملوا الصالحات انا لا نضيع اجر من احسن عملا
والثاني ان يكون مجرورا عطفا على الذين يتقون ويكون قوله انا لا نضيع اعتراضا وقرئ
يمسكون بالتشديد وتنصره قراءة ابي والذين مسكوا بالكتاب فان قلت التمسك
بالكتاب يشتمل على كل عبادة ومنها اقامة الصلوة فكيف افردت قلت اظهارا لمزية
الصلوة لكونها عماد الدين وفارقة بين الكفر والايمان وقرا ابن مسعود والذين استمسكوا
بالكتاب واذ نتقنا الجبل فوقهم كانه ظلة وظنوا انه واقع بهم خذوا ما اتيناكم
بقوة واذكروا ما فيه لعلكم تتقون واذ نتقنا الجبل فوقهم قلعناه ورفعناه
كقوله تعالى ورفعنا فوقهم الطور ومنه نتق السقاء اذا نفضه ليقتلع الزبدة منه
والظلة كل ما اظلك من سقيفة او سحاب وقرئ بالطاء من اطل عليه اذا اشرف وظنوا انه
واقع بهم وعلموا انه ساقط عليهم وذلك انهم ابوا ان يقبلوا احكام التورية لغلظها وثقلها
فرفع الله تعالى الطور على رؤسهم مقدار عسكرهم وكان فرسخا في فرسخ وقيل لهم ان قبلتموها بما فيها والا
ليقعن عليكم فلما نظروا الى الجبل خر كل رجل منهم ساجدا على حاجبه الايسر وهو ينظر بعينه اليمنى
الى الجبل فرقا من سقوطه فلذلك لا ترى يهوديا يسجد الا على حاجبه الايسر ويقولون هي السجدة
التي رفعت عنا بها العقوبة ولما نشر موسى عليه السلام الالواح وفيها كتاب الله لم يبق
جبل ولا شجر ولا حجر الا اهتز فلذلك لا ترى يهوديا يقرا عليه التورية الا اهتز وانغض لها
راسه خذوا ما اتيناكم على ارادة القول اي وقلنا خذوا ما اتيناكم او قائلين خذوا
ما اتيناكم من الكتاب بقوة وعزم على احتمال مشاقه وتكاليفه واذكروا ما فيه من الاوامر
والنواهي فلا تنسوه او واذكروا ما فيه من التعريض للثواب العظيم فارغبوا فيه ويجوز

ان يراد خذوا ما اتيناكم من الاية العظيمة بقوة ان كنتم تطيقونه كقوله تعالى ان
استطعتم ان تنفذوا من اقطار السموات والارض فانفذوا واذكروا ما فيه من الدلالة على
القدرة الباهرة والانذار لعلكم تتقون ما انتم عليه وقرا ابن مسعود رضي الله عنه
وتذكروا وقرئ واذكروا بمعنى وتذكروا واذ اخذ ربك من بني آدم من ظهورهم
ذرياتهم واشهدهم على انفسهم الست بربكم قالوا بلى شهدنا ان تقولوا يوم القيمة
انا كنا عن هذا غافلين من ظهورهم بدل من بني آدم بدل البعض من الكل ومعنى اخذ ذرياتهم
من ظهورهم اخراجهم من اصلابهم نسلا واشهادهم على انفسهم وقوله تعالى الست بربكم قالوا بلى
شهدنا من باب التمثيل والتخييل ومعنى ذلك انه نصب لهم الادلة على ربوبيته ووحدانيته
وشهدت بها عقولهم وبصائرهم التي ركبها فيهم وجعلها مميزة بين الضلالة والهدى فكانه
اشهدهم على انفسهم وقررهم وقال لهم الست بربكم وكانهم قالوا بلى انت ربنا شهدنا على انفسنا
واقررنا بوحدانيتك وباب التمثيل واسع في كلام الله ورسوله وفي كلام العرب ونظيره
قوله عز وعلا انما قولنا لشيء اذا اردناه ان نقول له كن فيكون وقوله فقال لها وللارض
ائتيا طوعا او كرها قالتا اتينا طائعين وقوله اذا قالت الانساع للبطن الحق
قالت له ريح الصبا قرقار ومعلوم انه لا قول ثم وانما هو تمثيل وتصوير للمعنى ان تقولوا
مفعول له اي فعلنا ذلك من نصب الادلة الشاهدة على صحتها العقول كراهة ان تقولوا
يوم القيمة انا كنا عن هذا غافلين لم ننبه عليه او كراهة ان تقولوا انما اشرك اباؤنا من
قبل وكنا ذرية من بعدهم فاقتدينا بهم لان نصب الادلة على التوحيد وما نبهوا عليه قائم
معهم فلا عذر لهم في الاعراض عنه والاقبال على التقليد والاقتداء بالاباء كما لا عذر لابائهم
في الشرك وادلة التوحيد منصوبة لهم فان قلت بنو آدم وذرياتهم من هم
عنى بني آدم اسلاف اليهود الذين اشركوا بالله حيث قالوا عزير ابن الله وبذرياتهم
الذين كانوا في عهد رسول الله من اخلافهم المقتدين بابائهم والدليل على انها في المشركين
واولادهم قوله تعالى او تقولوا انما اشرك اباؤنا من قبل والدليل على انها في اليهود
الايات التي عطفت عليها هي والتي عطفت عليها وهي على نمطها واسلوبها وذلك قوله وسئلهم
عن القرية واذ قالت امة منهم واذ تاذن ربك واذ نتقنا الجبل فوقهم واتل عليهم نبا الذي
اتيناه اياتنا او تقولوا انما اشرك اباؤنا من قبل وكنا ذرية من بعدهم افتهلكنا
بما فعل المبطلون وكذلك نفصل الايات ولعلهم يرجعون افتهلكنا بما فعل
المبطلون اي كانوا السبب في شركنا لتاسيسهم الشرك وتقدمهم فيه وتركه سنة لنا وكذلك
ومثل ذلك التفصيل البليغ نفصل الايات لهم ولعلهم يرجعون وارادة ان يرجعوا
عن شركهم نفصلها وقرئ ذريتهم على التوحيد وان يقولوا بالياء واتل عليهم نبا الذي
اتيناه اياتنا فانسلخ منها فاتبعه الشيطان فكان من الغاوين واتل على اليهود
نبا الذي اتيناه اياتنا فانسلخ منها هو عالم من علماء بني اسرائيل وقيل من الكنعانيين اسمه
بلعم بن باعوراء اوتي علم بعض كتب الله فانسلخ منها من الايات بان كفر بها ونبذها وراء ظهره
فاتبعه الشيطان فلحقه الشيطان وادركه وصار قرينا له او فاتبعه خطواته وقرئ

فاتبعه

فاتبعه بمعنى فتبعه فكان من الغاوين فصار من الضالين الكافرين وروي ان قومه طلبوا
اليه ان يدعو على موسى ومن معه فابى وقال كيف ادعو على من معه الملائكة فالحوا عليه ولم يزالوا
به حتى فعل ولو شئنا لرفعناه بها ولكنه اخلد الى الارض واتبع هواه فمثله كمثل
الكلب ان تحمل عليه يلهث او تتركه يلهث ذلك مثل القوم الذين كذبوا باياتنا
فاقصص القصص لعلهم يتفكرون ولو شئنا لرفعناه بها لعظمناه ورفعناه الى منازل
الابرار من العلماء بتلك الايات ولكنه اخلد الى الارض مال الى الدنيا ورغب فيها وقيل مال
الى السفالة فان قلت كيف علق رفعه بمشية الله ولم يعلق بفعله الذي يستحق به
الرفع المعنى ولو لزم العمل بالايات ولم ينسلخ منها لرفعناه بها وذلك ان مشية الله
رفعه تابعة للزومه الايات فذكرت المشية والمراد ما هي تابعة له ومسببة عنه كانه
قيل ولو لزمها لرفعناه بها الا ترى الى قوله ولكنه اخلد الى الارض فاستدرك المشية باخلاده
الذي هو فعله فوجب ان يكون ولو شئنا في معنى ما هو فعله ولو كان الكلام على ظاهره لوجب
ان يقال ولو شئنا لرفعناه بها ولكنا لم نشا فمثله كمثل الكلب فصفته التي هي مثل في الخسة
والضعة كصفة الكلب في اخس احواله واذلها وهي حال دوام اللهث به واتصاله سواء حمل
عليه اي شد عليه وهيج فطرد او ترك غير متعرض له بالحمل عليه وذلك ان سائر الحيوان لا
يكون منه اللهث الا اذا هيج منه وحرك والا لم يلهث والكلب يتصل لهثه في الحالتين جميعا وكان
حق الكلام ان يقال ولو شئنا لرفعناه بها ولكنه اخلد الى الارض فحططناه ووضعنا منزلته
فوضع قوله فمثله كمثل الكلب موضع فحططناه ابلغ حط لان تمثيله بالكلب في اخس احواله واذلها
في معنى ذلك وعن ابن عباس رضي الله عنهما الكلب منقطع الفؤاد يلهث ان حمل عليه او لم يحمل
عليه وقيل معناه ان وعظته فهو ضال وان لم تعظه فهو ضال كالكلب ان طردته فسعى لهث
وان تركته على حاله لهث فان قلت ما محل الجملة الشرطية النصب على الحال
كانه قيل كمثل الكلب ذليلا دائم الذلة لاهثا في الحالتين وقيل لما دعا بلعم على موسى عليه
السلام خرج لسانه فوقع على صدره وجعل يلهث كما يلهث الكلب ساء مثلا القوم الذين
كذبوا باياتنا وانفسهم كانوا يظلمون من يهد الله فهو المهتدي ومن يضلل
فاولئك هم الخاسرون ذلك مثل القوم الذين كذبوا باياتنا من اليهود بعد ما قرءوا
نعت رسول الله عليه السلام في التورية وذكر القران المعجز وما فيه وبشروا الناس باقتراب
مبعثه وكانوا يستفتحون به فاقصص قصص بلعم الذي هو نحو قصصهم لعلهم يتفكرون فيحذرون
مثل عاقبته اذا ساروا نحو سيرته وزاغوا شبه زيغه ويعلمون انك علمته من جهة الوحي فيزدادوا
ايقانا بك وتزداد الحجة لزوما لهم ساء مثلا القوم اي مثل القوم او ساء اصحاب مثل القوم
وقرا الجحدري ساء مثل القوم وانفسهم كانوا يظلمون اما ان يكون معطوفا على كذبوا فيدخل
في حيز الصلة بمعنى الذين جمعوا بين التكذيب بايات الله وظلم انفسهم واما ان يكون كلاما
منقطعا عن الصلة بمعنى وما ظلموا الا انفسهم بالتكذيب وتقديم المفعول به للاختصاص
كانه قيل وخصوا انفسهم بالظلم لم يتعدها الى غيرها فهو المهتدي حمل على اللفظ واولئك
هم الخاسرون حمل على المعنى ولقد ذرانا لجهنم كثيرا من الجن والانس لهم قلوب لا يفقهون

بها ولهم أعين لا يبصرون بها ولهم آذان لا يسمعون بها أولئك كالأنعام بل هم
أضل أولئك هم الغافلون كثيرا من الجن والإنس هم المطبوع على قلوبهم الذين علم الله أنه
لا لطف لهم وجعلهم في أنهم لا يلقون أذهانهم إلى معرفة الحق ولا ينظرون بعيونهم إلى ما خلق الله
نظر اعتبار ولا يسمعون ما يتلى عليهم من آيات الله سماع تدبر كأنهم عدموا فهم القلوب وإبصار
العيون واستماع الآذان وجعلهم لإعراقهم في الكفر وشدة شكائمهم فيه وأنه لا يأتي منهم إلا
أفعال أهل النار مخلوقين للنار دلالة على توغلهم في الموجبات وتمكنهم فيما يؤهلهم لدخول
النار ومنه كتاب عمر بن الخطاب رضي الله عنه إلى خالد بن الوليد رضي الله عنه بلغني أن
أهل الشام اتخذوا لك دلوكا عجن بخمر وإني لأظنكم آل المغيرة ذرء النار ويقال لمن كان عريقا
في بعض الأمور ما خلق فلان إلا لكذا والمراد وصف حال اليهود في عظم ما أقدموا عليه من
تكذيب رسول الله صلى الله عليه وسلم مع علمهم أنه النبي الموعود وأنهم من جملة الكثير الذين
لا يكاد الإيمان يتأتى منهم كأنهم خلقوا للنار أولئك كالأنعام في عدم الفقه والنظر للاعتبار
والاستماع للتدبر بل هم أضل من الأنعام عن الفقه والاعتبار والتدبر أولئك هم الغافلون
الكاملون في الغفلة وقيل الأنعام تبصر منافعها ومضارها فتلزم بعض ما تبصره وهؤلاء
أكثرهم يعلم أنه معاند فيقدم على النار ولله الأسماء الحسنى فادعوه بها وذروا الذين يلحدون
في أسمائه سيجزون ما كانوا يعملون ومن خلقنا أمة يهدون بالحق وبه يعدلون
ولله الأسماء الحسنى التي هي أحسن الأسماء لأنها تدل على معان حسنة من تمجيد وتقديس وغير ذلك
فادعوه بها فسموه بتلك الأسماء وذروا الذين يلحدون في أسمائه واتركوا تسمية الذين يميلون
عن الحق والصواب فيها فيسمونه بغير الأسماء الحسنى وذلك أن يسموه بما لا يجوز عليه كما
سمعنا البدو يقولون بجهلهم يا أبا المكارم يا أبيض الوجه يا سخي أو أن يأبوا تسميته ببعض
أسمائه الحسنى يقولوا يا الله ولا يقولوا يا رحمن وقد قال الله عز وجل قل ادعوا الله أو ادعوا
الرحمن أيا ما تدعوا فله الأسماء الحسنى ويجوز أن يراد ولله الأوصاف الحسنى وهي الوصف
بالعدل والخير والإحسان وانتفاء شبه الخلق فصفوه بها وذروا الذين يلحدون في أوصافه
فيصفونه بمشيئة القبائح وخلق الفحشاء والمنكر وبما يدخل في التشبيه كالرؤية ونحوها وقيل
إلحادهم في أسمائه تسميتهم الأصنام آلهة واشتقاقهم اللات من الله والعزى من العزيز لما
قال ولقد ذرأنا لجهنم كثيرا فأخبر أن كثيرا من الثقلين عاملون بأعمال أهل النار أتبعه قوله
وممن خلقنا أمة يهدون بالحق وعن النبي صلى الله عليه وسلم أنه كان يقول إذا قرأها هذه
لكم وقد أعطي القوم بين أيديكم مثلها ومن قوم موسى أمة يهدون بالحق وعنه صلى
الله عليه وسلم إن من أمتي قوما على الحق حتى ينزل عيسى عليه السلام وعن الكلبي هم الذين
آمنوا من أهل الكتاب وقيل هم العلماء والدعاة إلى الدين والذين كذبوا بآياتنا
سنستدرجهم من حيث لا يعلمون وأملي لهم إن كيدي متين الاستدراج استفعال
من الدرجة بمعنى الاستصعاد أو الاستنزال درجة بعد درجة قال الأعشى

فلو كنت في جب ثمانين قامة ورقيت أسباب السماء بسلم
ليستدرجنك القول حتى تهره وتعلم أني عنكم غير مفحم

ومنه

ومنه درج الصبي إذا قارب بين خطاه وأدرج الكتاب طواه شيئا بعد شيء ودرج القوم
مات بعضهم في أثر بعض ومعنى سنستدرجهم سنستدنيهم قليلا قليلا إلى ما يهلكهم ويضاعف
عقابهم من حيث لا يعلمون ما يراد بهم وذلك أن يواتر الله نعمه عليهم مع انهماكهم في الغي فكلما
جدد عليهم نعمة ازدادوا بطرا وجددوا معصية فيتدرجون في المعاصي بسبب ترادف النعم ظانين
أن مواترة النعم أثرة من الله وتقريب وإنما هي خذلان منه وتبعيد فهو استدراج نعوذ
بالله منه وأملي لهم عطف على سنستدرجهم وهو داخل في حكم السين إن كيدي متين سماه
كيدا لأنه شبيه بالكيد من حيث إنه في الظاهر إحسان وفي الحقيقة خذلان أولم يتفكروا
ما بصاحبهم من جنة إن هو إلا نذير مبين أولم ينظروا في ملكوت السموات والأرض
وما خلق الله من شيء وأن عسى أن يكون قد اقترب أجلهم فبأي حديث بعده يؤمنون
من يضلل الله فلا هادي له ويذرهم في طغيانهم يعمهون ما بصاحبهم بمحمد صلى الله عليه
وسلم من جنة من جنون وكانوا يقولون شاعر مجنون وعن قتادة أن النبي صلى الله عليه
وسلم علا الصفا فدعاهم فخذا فخذا يحذرهم بأس الله فقال قائلهم إن صاحبكم هذا لمجنون
بات يهوت إلى الصباح أولم ينظروا نظر استدلال في ملكوت السموات والأرض فيما تدلان
عليه من عظم الملك والملكوت الملك العظيم وما خلق الله من شيء وفيما خلق الله مما يقع عليه
اسم الشيء من أجناس لا يحصرها العدد ولا يحيط بها الوصف وأن عسى أن مخففة من الثقيلة
والأصل وأنه عسى على أن الضمير ضمير الشأن والمعنى أولم ينظروا في أن الشأن والحديث
عسى أن يكون قد اقترب أجلهم ولعلهم يموتون عما قريب فيسارعوا إلى النظر وطلب الحق وما
ينجيهم قبل مغافصة الأجل وحلول العقاب ويجوز أن يراد باقتراب الأجل اقتراب الساعة
ويكون من كان التي فيها ضمير الشأن فإن قلت بم يتعلق قوله فبأي حديث بعده يؤمنون
قلت بقوله عسى أن يكون قد اقترب أجلهم كأنه قيل لعل أجلهم قد اقترب فما لهم لا يبادرون
الإيمان بالقرآن قبل الفوت وماذا ينتظرون بعد وضوح الحق وبأي حديث أحق منه يريدون
أن يؤمنوا وقرئ ويذرهم بالياء والنون والرفع على الاستئناف ويذرهم بالياء والجزم
عطفا على محل فلا هادي له كأنه قيل من يضلل الله لا يهده أحد ويذرهم يسألونك عن
الساعة أيان مرساها قل إنما علمها عند ربي لا يجليها لوقتها إلا هو ثقلت في السموات
والأرض لا تأتيكم إلا بغتة يسألونك كأنك حفي عنها قل إنما علمها عند الله ولكن
أكثر الناس لا يعلمون يسألونك قيل إن قوما من اليهود قالوا يا محمد أخبرنا متى الساعة
إن كنت نبيا فإنا نعلم متى هي وكان ذلك امتحانا منهم مع علمهم أن الله تعالى قد استأثر بعلمها وقيل
السائلون قريش والساعة من الأسماء الغالبة كالنجم للثريا وسميت القيامة بالساعة لوقوعها
بغتة أو لسرعة حسابها أو على العكس لطولها أو لأنها عند الله على طولها كساعة من الساعات
عند الخلق أيان بمعنى متى وقيل اشتقاقه من أي فعلان منه لأن معناه أي وقت وأي فعل
من أويت إليه لأن البعض آو إلى الكل متساند إليه قاله ابن جني وأبى أن يكون من أين لأنه
زمان وأين مكان وقرأ السلمي إيان بكسر الهمزة مرساها إرساؤها أو وقت إرسائها
أي إثباتها وإقرارها وكل شيء ثقيل رسوه ثباته واستقراره ومنه رسى الجبل وأرسى السفينة

والمرسى الاجر الذى ترسى به ولا اثقل من الساعة بدليل قوله تعالى ثقلت فى السموات والارض والمعنى متى يرسيها الله تعالى انما علمها اى علم وقت ارسائها عنده قد استأثر به لم يخبر به احدا من ملك مقرب ولا نبى مرسل يكاد يخفيها من نفسه ليكون ذلك ادعى الى الطاعة وازجر عن المعصية كما اخفى الاجل الخاص وهو وقت الموت لذلك لا يجليها لوقتها الا هو اى لا تزال خفية لا يظهر امرها ولا يكشف خفاء علمها الا هو وحده اذا جاء بها فى وقتها بغتة لا يجليها بالخبر عنها قبل مجيئها احد من خلقه لاستمرار الخفاء بها على غيره الى وقت وقوعها ثقلت فى السموات والارض اى كل من اهلها من الملائكة والثقلين اهمه شان الساعة ويود ان يتجلى له علمها وشق عليه خفاؤها وثقل عليه او ثقلت فيها لان اهلها يتوقعونها ويخافون شدائدها واهوالها او لان كل شئ لا يطيقها ولا يقوم لها فهى ثقيلة فيها لا تأتيكم الا بغتة الا فجاة على غفلة منكم وعن النبى صلى الله عليه وسلم ان الساعة تهيج بالناس والرجل يصلح حوضه والرجل يسقى ماشيته والرجل يقوم سلعته فى سوقه والرجل يرفع ميزانه ويخفضه كانك حفى عنها كانك عالم بها وحقيقته كانك بليغ فى السؤال عنها لان من بالغ فى المسالة عن الشئ والتنقير عنه استحكم علمه فيه ورصن وهذا التركيب معناه المبالغة ومنه احفاء الشارب واحتفاء البقل استيصاله واحفى فى المسالة اذا الحف وحفى بفلان وتحفى به بالغ فى البر به وعن مجاهد استحفيت عنها السؤال حتى علمت وقرا ابن مسعود رضى الله عنه كانك حفى بها اى عالم بها بليغ فى العلم بها وقيل عنها متعلق بيسألونك اى يسألونك عنها كانك حفى اى عالم بها وقيل ان قريشا قالوا له ان بيننا وبينك قرابة فقل لنا متى الساعة فقيل يسألونك عنها كانك حفى تتحفى بهم فتختصهم بتعليم وقتها لاجل القرابة وتزوى علمها عن غيرهم ولو اخبرت بوقتها لمصلحة عرفها الله تعالى فى اخبارك به لكنت مبلغه القريب والبعيد من غير تخصيص كسائر ما اوحى اليك وقيل كانك حفى بها تحبه وتؤثره يعنى انك تكره السؤال عنها لانه من علم الغيب الذى استأثر الله به ولم يؤته احدا من خلقه فان قلت لم كرر يسألونك وانما علمها عند الله قلت للتاكيد ولما جاء به من زيادة قوله كانك حفى عنها وعلى هذا تكرير العلماء الحذاق فى كتبهم لا يخلون المكرر من فائدة زائدة منهم محمد بن الحسن صاحب ابى حنيفة رحمة الله عليه ولكن اكثر الناس لا يعلمون انه العالم بها وانه المختص بالعلم بها قل لا املك لنفسى نفعا ولا ضرا الا ما شاء الله ولو كنت اعلم الغيب لاستكثرت من الخير وما مسنى السوء ان انا الا نذير وبشير لقوم يؤمنون قل لا املك هو اظهار للعبودية والانتفاء عما يختص بالربوبية من علم الغيب اى انا عبد ضعيف لا املك لنفسى اجتلاب نفع ولا دفع ضر كالمماليك والعبيد الا ما شاء ربى ومالكى من النفع لى والدفع عنى ولو كنت اعلم الغيب لكانت حالى على خلاف ما هى عليه من استكثار الخير واستغزار المنافع واجتناب السوء والمضار حتى لا يمسنى شئ منها ولم اكن غالبا مرة ومغلوبا اخرى فى الحروب ورابحا وخاسرا فى التجارات ومصيبا ومخطئا فى التدابير ان انا الا عبد ارسلت نذيرا وبشيرا وما من شانى ان اعلم الغيب لقوم يؤمنون يجوز ان يتعلق بالنذير والبشير جميعا لان النذارة والبشارة انما ينفعان فيهم او يتعلق بالبشير وحده ويكون المتعلق بالنذير محذوفا اى الا نذير للكافرين وبشير لقوم يؤمنون هو الذى

خلقكم

خلقكم من نفس واحدة وجعل منها زوجها ليسكن اليها فلما تغشاها حملت حملا خفيفا فمرت به فلما اثقلت دعوا الله ربهما لئن آتيتنا صالحا لنكونن من الشاكرين من نفس واحدة وهى نفس آدم وجعل منها زوجها وهى حواء خلقها من جسد آدم عليهما السلام من ضلع من اضلاعه او من جنسها كقوله تعالى جعل لكم من انفسكم ازواجا ليسكن اليها ليطمئن اليها ويميل ولا ينفر لان الجنس الى الجنس اميل وبه آنس واذا كانت بعضا منه كان السكون والمحبة ابلغ كما يسكن الانسان الى ولده ويحبه محبة نفسه لكونه بضعة منه وقال ليسكن فذكر بعد ما انث فى قوله واحدة منها زوجها ذهابا الى معنى النفس ليبين ان المراد بها آدم لان الذكر هو الذى يسكن الى الانثى ويتغشاها فكان التذكير احسن طباقا للمعنى والتغشى كناية عن الجماع وكذلك الغشيان والاتيان حملت حملا خفيفا خف عليها ولم تلق منه ما تلقى بعض الحبالى من حملهن من الكرب والاذى ولم تستثقله كما يستثقلنه وقد تسمع بعضهن تقول فى ولدها ما كان اخفه على كبدى حين حملته فمرت به فمضت به الى وقت ميلاده من غير اخداج ولا ازلاق وقيل حملت حملا خفيفا يعنى النطفة فمرت به فقامت به وقعدت وقرا ابن عباس رضى الله عنهما فاستمرت به وقرا يحيى بن يعمر فمرت به بالتخفيف وقرا غيره فمارت به من المرية كقوله تعالى افتمارونه وافتمرونه ومعناه فوقع فى نفسها ظن الحمل وارتابت به فلما اثقلت حان وقت ثقل حملها كقولك اقربت وقرئ اثقلت على البناء للمفعول اى اثقلها الحمل دعوا الله ربهما دعا آدم وحواء ربهما ومالك امرهما الذى هو الحقيق بان يدعى ويلتجأ اليه فقالا لئن آتيتنا لئن وهبت لنا صالحا ولدا سويا قد صلح بدنه وقيل ولدا ذكرا لان وقرئ م الذكورة من الصلاح والجودة والضمير فى آتيتنا ولنكونن لهما ولكل من يتناسل من ذريتهما فلما آتاهما صالحا جعلا له شركاء فيما آتاهما فتعالى الله عما يشركون ايشركون ما لا يخلق شيئا وهم يخلقون ولا يستطيعون لهم نصرا ولا انفسهم ينصرون فلما آتاهما ما طلباه من الولد الصالح السوى جعلا له شركاء اى جعل اولادهما له شركاء على حذف المضاف واقامة المضاف اليه مقامه وكذلك فيما آتاهما اى آتى اولادهما وقد دل على ذلك بقوله تعالى فتعالى الله عما يشركون حيث جمع الضمير وآدم وحواء بريئان من الشرك ومعنى اشراكهم فيما آتاهم الله تسميتهم اولادهم بعبد العزى وعبد مناف وعبد شمس وما اشبه ذلك مكان عبد الله وعبد الرحمن وعبد الرحيم ووجه آخر وهو ان يكون الخطاب لقريش الذين كانوا فى عهد رسول الله صلى الله عليه وسلم وهم آل قصى الا ترى الى قوله فى قصة ام معبد

فيا لقصى ما زوى الله عنكم ۞ به من فخار لا يبارى وسودد ۞

ويراد هو الذى خلقكم من نفس قصى وجعل من جنسها زوجها عربية قرشية ليسكن اليها فلما آتاهما ما طلبا من الولد الصالح السوى جعلا له شركاء فيما آتاهما حيث سميا اولادهما الاربعة بعبد مناف وعبد العزى وعبد قصى وعبد الدار وجعل الضمير فى يشركون لهما ولاعقابهما الذين اقتدوا بهما فى الشرك وهذا تفسير حسن لا اشكال فيه وقرئ شركا اى ذوى شرك وهم الشركاء او احداثا لله اشراكا فى الولد اجريت الاصنام مجرى اولى العلم فى قوله تعالى وهم يخلقون بناء على اعتقادهم فيها وتسميتهم اياها آلهة والمعنى ايشركون ما لا يقدر على خلق شئ

كالخلق لله وهم يخلقون لأن الله تعالى خالقهم أو لا يقدرون على اختلاق شيء لأنه جماد وهم يخلقون
لأن عبدتهم يختلقونهم فهم أعجز من عبدتهم ولا يستطيعون لهم لعبدتهم نصرا ولا أنفسهم ينصرون
فيدفعون عنها ما يعتريها من الحوادث بل عبدتهم هم الذين يدفعون عنهم ويحامون عليهم
وإن تدعوهم إلى الهدى لا يتبعوكم سواء عليكم أدعوتموهم أم أنتم صامتون إن الذين
تدعون من دون الله عباد أمثالكم فادعوهم فليستجيبوا لكم إن كنتم صادقين وإن
تدعوهم وإن تدعوا هذه الأصنام إلى الهدى إلى ما هو هدى ورشاد وإلى أن يهدوكم والمعنى وإن
تطلبوا منهم كما تطلبون من الله الخير والهدى لا يتبعوكم إلى مرادكم وطلبتكم ولا يجيبوكم كما يجيبكم
الله ويدل عليه قوله تعالى فادعوهم فليستجيبوا لكم إن كنتم صادقين سواء عليكم أدعوتموهم أم
صمتم عن دعائهم في أنه لا فلاح معهم فإن قلت هلا قيل أم صمتم ولم وضعت الجملة الاسمية
موضع الفعلية لأنهم كانوا إذا حزبهم أمر دعوا الله دون أصنامهم كقوله تعالى وإذا
مس الناس ضر فكانت حالهم المستمرة أن يكونوا صامتين عن دعوتهم فقيل إن دعوتموهم لم تفترق
الحال بين إحداثكم دعاءهم وبين ما أنتم عليه من عادة صمتكم عن دعائهم إن الذين تدعون من
دون الله أي تعبدونهم وتسمونهم آلهة من دون الله عباد أمثالكم وقوله عباد أمثالكم استهزاء
بهم أي قصارى أمرهم أن يكونوا أحياء عقلاء فإن ثبت ذلك فهم عباد أمثالكم لا تفاضل بينكم
ثم أبطل أن يكونوا عبادا أمثالهم فقال ألهم أرجل يمشون بها وقيل عباد أمثالكم مملوكون
أمثالكم وقرأ سعيد بن جبير رضي الله عنه إن الذين تدعون من دون الله عبادا أمثالكم
بتخفيف إن ونصب عبادا أمثالكم والمعنى ما الذين تدعون من دون الله عبادا أمثالكم
على إعمال إن النافية عمل ما الحجازية ألهم أرجل يمشون بها أم لهم أيد يبطشون بها أم لهم
أعين يبصرون بها أم لهم آذان يسمعون بها قل ادعوا شركاءكم ثم كيدون فلا تنظرون
إن وليي الله الذي نزل الكتاب وهو يتولى الصالحين والذين تدعون من دونه
لا يستطيعون نصركم ولا أنفسهم ينصرون قل ادعوا شركاءكم واستعينوا بهم في عداوتي
ثم كيدون جميعا أنتم وشركاؤكم فلا تنظرون فإني لا أبالي بكم وكان يقول هذا إلا واثق بعصمة
الله وكانوا قد خوفوه آلهتهم فأمر أن يخاطبهم بذلك كما قال قوم هود له إن نقول إلا اعتراك
بعض آلهتنا بسوء فقال إني بريء مما تشركون من دونه فكيدوني جميعا ثم لا تنظرون إن وليي
الله أي ناصري عليكم الله الذي نزل الكتاب الذي أوحى إلي كتابه وأعزني برسالته وهو يتولى
الصالحين ومن عادته أن ينصر الصالحين من عباده وأنبيائه ولا يخذلهم وإن تدعوهم
إلى الهدى لا يسمعوا وتراهم ينظرون إليك وهم لا يبصرون خذ العفو وأمر
بالعرف وأعرض عن الجاهلين ينظرون إليك يشبهون الناظرين إليك لأنهم صوروا
أصنامهم بصورة من قلب حدقته إلى الشيء ينظر إليه وهم لا يبصرون وهم لا يدركون المرئي
العفو ضد الجهد أي خذ ما عفا لك من أفعال الناس وأخلاقهم وما أتى منهم وتسهل من غير
كلفة ولا تداقهم ولا تطلب منهم الجهد وما يشق عليهم حتى لا ينفروا كقوله عليه السلام يسروا
ولا تعسروا قال خذي العفو مني تستديمي مودتي ولا تنطقي في سورتي حين أغضب وقيل
خذ الفضل وما تسهل من صدقاتهم وذلك قبل نزول آية الزكاة فلما نزلت أمر أن يأخذهم

بها

بها طوعا أو كرها والعرف المعروف والجميل من الأفعال وأعرض عن الجاهلين ولا تكافئ السفهاء
بمثل سفههم ولا تمارهم واحلم عنهم وأغض على ما يسوؤك منهم وقيل لما نزلت الآية سأل جبريل
عليه السلام فقال لا أدري حتى أسأل ثم رجع فقال يا محمد إن ربك أمرك أن تصل من قطعك
وتعطي من حرمك وتعفو عمن ظلمك وعن جعفر الصادق رضي الله عنه أمر الله نبيه بمكارم
الأخلاق وليس في القرآن آية أجمع لمكارم الأخلاق منها وإما ينزغنك من الشيطان
نزغ فاستعذ بالله إنه سميع عليم إن الذين اتقوا إذا مسهم طيف من الشيطان
تذكروا فإذا هم مبصرون وإخوانهم يمدونهم في الغي ثم لا يقصرون وإما ينزغنك
من الشيطان نزغ وإما ينخسنك منه نخس بأن يحملك بوسوسته على خلاف ما أمرت به فاستعذ
بالله ولا تطعه والنزغ والنسغ الغرز والنخس كأنه ينخس الناس حين يغريهم على المعاصي
وجعل النزغ نازغا كما قيل جد جده وروي أنها لما نزلت قال رسول الله عليه السلام كيف
يا رب والغضب فنزل وإما ينزغنك ويجوز أن يراد بنزغ الشيطان اعتراء الغضب كقول
أبي بكر رضي الله عنه إن لي شيطانا يعتريني طيف من الشيطان لمة منه مصدر من قولهم طاف
به الخيال يطيف طيفا قال أنى ألم بك الخيال يطيف أو هو تخفيف طيف فيعل من طاف
يطيف كلين أو من طاف يطوف كهين طائف وهو يحتمل الأمرين أيضا وهذا تأكيد
وتقرير لما تقدم من وجوب الاستعاذة بالله عند نزغ الشيطان وأن المتقين هذه عادتهم
إذا أصابهم أدنى نزغ من الشيطان وإلمام بوسوسته تذكروا ما أمر الله به ونهى عنه فأبصروا
السداد ودفعوا ما وسوس به إليهم ولم يتبعوه أنفسهم وأما إخوان الشياطين الذين
ليسوا بمتقين فإن الشياطين يمدونهم في الغي أي يكونون مددا لهم فيه ويعضدونهم
وقرئ يمدونهم من الإمداد ويمادونهم بمعنى يعاونونهم ثم لا يقصرون ثم لا يمسكون
عن إغوائهم حتى يصروا ولا يرجعوا وقوله تعالى وإخوانهم يمدونهم كقوله
قوم إذا الخيل جالوا في كواثبها في أن الخبر جار على غير ما هو له ويجوز أن يراد بالإخوان الشياطين
ويرجع الضمير المتعلق به إلى الجاهلين فيكون الخبر جاريا على من هو له والأول أوجه لأن إخوانهم
في مقابلة الذين اتقوا فإن قلت لم جمع الضمير في إخوانهم والشيطان مفرد المراد
الجنس كقوله تعالى أولياؤهم الطاغوت وإذا لم تأتهم بآية قالوا لولا اجتبيتها قل إنما أتبع ما
يوحى إلي من ربي هذا بصائر من ربكم وهدى ورحمة لقوم يؤمنون وإذا قرئ
القرآن فاستمعوا له وأنصتوا لعلكم ترحمون اجتبى الشيء بمعنى جباه لنفسه أي جمعه
كقولك اجتمعه أو جبى إليه فاجتباه أي أخذه كقولك جليت إليه العروس فاجتلاها ومعنى
لولا اجتبيتها هلا اجتمعتها افتعالا من عند نفسك لأنهم كانوا يقولون إن هذا إلا إفك
مفترى أو هلا أخذتها منزلة عليك مقترحة قل إنما أتبع ما يوحى إلي ولست بمفتعل
للآيات أو لست بمقترح لها هذا بصائر هذا القرآن بصائر من ربكم أي حجج بينة يعود المؤمنون
بها بصراء بعد العمى أو هو بمنزلة بصائر القلوب وإذا قرئ القرآن فاستمعوا له وأنصتوا
ظاهره وجوب الاستماع والإنصات وقت قراءة القرآن في صلاة وغير صلاة وقيل كانوا
يتكلمون في الصلاة فنزلت ثم صار سنة في غير الصلاة أن ينصت القوم إذا كانوا في مجلس

بقراءته القرآن وقيل معناه اذا تلا عليكم الرسول القرآن عند نزوله فاستمعوا له وقيل
معناه فاستمعوا له فاعملوا بما فيه ولا تجاوزوه واذكر ربك في نفسك تضرعا وخيفة
ودون الجهر من القول بالغدو والآصال ولا تكن من الغافلين ان الذين عند
ربك لا يستكبرون عن عبادته ويسبحونه وله يسجدون واذكر ربك في نفسك
هو عام في الاذكار من قراءة القرآن والدعاء والتسبيح والتهليل وغير ذلك تضرعا وخيفة
متضرعا وخائفا ودون الجهر ومتكلما كلاما دون الجهر لان الاخفاء ادخل في الاخلاص
واقرب الى حسن التفكر بالغدو والآصال لفضل هذين الوقتين او اراد الدوام ومعنى
بالغدو باوقات الغدو وهي الغدوات وقرئ والايصال من آصل اذا دخل في الاصيل كاقصر
واعتم وهو مطابق للغدو ولا تكن من الغافلين من الذين يغفلون عن ذكر الله ويلهون عنه
ان الذين عند ربك هم الملائكة صلوات الله عليهم ومعنى عند دنو الزلفة والقرب من رحمة
الله وفضله لتوفرهم على طاعة الله تعالى وابتغاء مرضاته وله يسجدون ويختصونه بالعبادة
ولا يشركون به غيره وهو تعريض بمن سواهم من المكلفين عن النبي صلى الله عليه وسلم من قرأ
سورة الاعراف جعل الله يوم القيامة بينه وبين ابليس سترا وكان آدم شفيعا له يوم القيامة

بسم الله الرحمن الرحيم يسألونك عن الانفال قل الانفال لله والرسول فاتقوا الله واصلحوا
ذات بينكم واطيعوا الله ورسوله ان كنتم مؤمنين النفل الغنيمة لانها من فضل الله وعطائه
قال لبيد ان تقوى ربنا خير نفل والنفل ما ينفله الغازي اي يعطاه زائدا على سهمه
من المغنم وهو ان يقول الامام تحريضا على البلاء في الحرب من قتل قتيلا فله سلبه او قال لسرية
ما اصبتم فهو لكم او فلكم نصفه او ربعه ولا يخمس النفل ويلزم الامام الوفاء بما وعد منه
وعند الشافعي رضي الله عنه في احد قوليه لا يلزم ولقد وقع اختلاف بين المسلمين في غنائم يوم
بدر وفي قسمتها فسألوا رسول الله صلى الله عليه وسلم كيف تقسم ولمن الحكم في قسمتها اللمهاجرين
ام للانصار ام لهم جميعا فقيل له قل لهم هي لرسول الله صلى الله عليه وسلم وهو الحاكم فيها
خاصة يحكم فيها ما يشاء ليس لاحد غيره فيها حكم وقيل شرط لمن كان له بلاء في ذلك اليوم
ان ينفله فتسارع شبانهم حتى قتلوا سبعين واسروا سبعين فلما يسر الله الفتح اختلفوا فيما
بينهم وتنازعوا فقال الشبان نحن المقاتلون وقال الشيوخ والوجوه الذين كانوا عند الرايات
كنا ردءا لكم وفئة تنحازون اليها ان انهزمتم وقالوا لرسول الله صلى الله عليه وسلم المغنم قليل
والناس كثير فان تعط هؤلاء ما شرطت لهم حرمت اصحابك فنزلت وعن سعد بن ابي وقاص
رضي الله عنه قتل اخي عمير يوم بدر فقتلت به سعيد بن العاص واخذت سيفه فاعجبني فجئت به
الى رسول الله عليه السلام فقلت ان الله قد شفى صدري من المشركين فهب لي هذا السيف
فقال ليس هذا لي ولا لك اطرحه في القبض فطرحته وبي ما لا يعلمه الا الله من قتل اخي
واخذ سلبي فما جاوزت الا قليلا حتى جاءني رسول الله صلى الله عليه وسلم وقد انزلت سورة
الانفال فقال يا سعد انك سألتني السيف وليس لي وانه قد صار لي فاذهب فخذه وعن

عبادة

عبادة بن الصامت رضي الله عنه نزلت فينا يا معشر اصحاب بدر حين اختلفنا في النفل وساءت فيه
اخلاقنا فنزعه الله تعالى من ايدينا وجعله لرسول الله عليه السلام فقسمه بين المسلمين على
السواء وكان في ذلك تقوى الله وطاعة رسوله واصلاح ذات البين وقرأ ابن محيصن
يسلونك علنفال بحذف الهمزة والقاء حركتها على اللام وادغام نون عن في اللام وقرأ ابن
مسعود رضي الله عنه يسألونك الانفال اي يسألك الشبان ما شرطت لهم من الانفال فان
قلت ما معنى الجمع بين ذكر الله والرسول في قوله قل الانفال لله والرسول
معناه ان حكمها مختص بالله ورسوله يأمر الله بقسمتها على ما تقتضيه حكمته ويمتثل الرسول امر
الله فيها وليس الامر في قسمتها مفوضا الى رأي احد والمراد ان الذي اقتضته حكمة الله وامر به
رسوله ان يواسي المقاتلة المشروط لهم التنفيل الشيوخ الذين كانوا عند الرايات فيقاسموهم
على السوية ولا يستأثروا بما شرط لهم فانهم ان فعلوا لم يؤمن ان يقدح ذلك فيما بين المسلمين
من التحاب والتصافي فاتقوا الله في الاختلاف والتخاصم وكونوا متحدين متآخين في الله
واصلحوا ذات بينكم وتآسوا وتساعدوا فيما رزقكم وتفضل به عليكم وعن عطاء كان الاصلاح
بينهم ان دعاهم وقال اقسموا غنائمكم بالعدل فقالوا لقد اكلنا وانفقنا فقال ليرد بعضكم
على بعض فان قلت ما حقيقة قوله ذات بينكم احوال بينكم يعني ما بينكم من
الاحوال حتى تكون احوال الفة ومحبة واتفاق كقوله تعالى بذات الصدور وهي مضمراتها
لما كانت الاحوال ملابسة للبين قيل لها ذات البين كقولهم اسقني ذا انائك يريدون ما في الاناء
من الشراب وقد جعل التقوى واصلاح ذات البين وطاعة الله ورسوله من لوازم الايمان
وموجباته ليعلمهم ان كمال الايمان موقوف على التوفر عليها ومعنى قوله ان كنتم مؤمنين ان كنتم
كاملي الايمان واللام في قوله انما المؤمنون اشارة اليهم اي انما الكاملو الايمان الذين من
صفتهم كيت وكيت والدليل عليه قوله اولئك هم المؤمنون حقا انما المؤمنون الذين اذا ذكر
الله وجلت قلوبهم واذا تليت عليهم آياته زادتهم ايمانا وعلى ربهم يتوكلون الذين
يقيمون الصلوة ومما رزقناهم ينفقون وجلت قلوبهم فزعت وعن ام الدرداء
رضي الله عنها الوجل في القلب كاحتراق السعفة اما تجد له قشعريرة قال بلى قالت فادع
الله فان الدعاء يذهبه يعني فزعت لذكره استعظاما له وتهيبا من جلاله وعزة سلطانه
وبطشه بالعصاة وعقابه وهذا الذكر خلاف الذكر في قوله تعالى ثم تلين جلودهم وقلوبهم
الى ذكر الله لان ذلك ذكر رحمته ورأفته وثوابه وقيل هو الرجل يريد ان يظلم او يهم بمعصية
فيقال له اتق الله فينزع وقرئ وجلت بالفتح وهي لغة نحو وبق في وبق وفي قراءة عبد
الله فرقت زادتهم ايمانا ازدادوا بها يقينا وطمأنينة نفس لان تظاهر الادلة اقوى
للمدلول عليه واثبت لقدمه وقد حمل على زيادة العمل وعن ابي هريرة رضي الله عنه
الايمان بضع وسبعون شعبة اعلاها شهادة ان لا اله الا الله وادناها اماطة الاذى
عن الطريق والحياء شعبة من الايمان وعن عمر بن عبد العزيز رضي الله عنه ان للايمان
سننا وفرائض وشرائع فمن استكملها استكمل الايمان ومن لم يستكملها لم يستكمل الايمان
وعلى ربهم يتوكلون ولا يفوضون امورهم الى غير ربهم ولا يخشون ولا يرجون الا اياه

جمع بين اعمال القلوب من الخشية والاخلاص والتوكل وبين اعمال الجوارح من الصلوة والصدقة
اولئك هم المؤمنون حقا لهم درجات عند ربهم ومغفرة ورزق كريم كما اخرجك ربك من بيتك بالحق وان فريقا من المؤمنين لكارهون حقا صفة للمصدر المحذوف اى اولئك هم المؤمنون ايمانا حقا او مصدر مؤكد للجملة التى هى اولئك هم المؤمنون كقولك هو عبد الله حقا اى حق ذلك حقا وعن الحسن ان رجلا ساله امؤمن انت قال الايمان ايمانان فان كنت تسألنى عن الايمان بالله وملائكته وكتبه ورسله واليوم الآخر والجنة والنار والبعث والحساب فانا مؤمن وان كنت تسألنى عن قوله انما المؤمنون فوالله لا ادرى امنهم انا ام لا وعن الثورى من زعم انه مؤمن بالله حقا ثم لم يشهد انه من اهل الجنة فقد آمن بنصف الآية وهذا الزام منه يعنى كما لا يقطع بانه من اهل ثواب المؤمنين حقا فلا يقطع بانه مؤمن حقا وبهذا تعلق من يستثنى فى الايمان وكان ابو حنيفة ممن لا يستثنى فيه وحكى عنه انه قال لقتادة لم تستثنى فى ايمانك قال اتباعا لابراهيم فى قوله والذى اطمع ان يغفر لى فقال له هلا اقتديت به فى قوله تعالى اولم تؤمن قال بلى درجات شرف وكرامة وعلو منزلة ومغفرة وتجاوز لسيآتهم ورزق كريم نعيم الجنة يعنى لهم منافع حسنة دائمة على سبيل التعظيم وهذا معنى الثواب كما اخرجك ربك فيه وجهان احدهما ان يرتفع محل الكاف على انه خبر مبتدأ محذوف تقديره هذه الحال كحال اخراجك يعنى ان حالهم فى كراهة ما رأيت من تنفيل الغزاة مثل حالهم فى كراهة خروجك للحرب والثانى ان ينتصب على انه صفة مصدر الفعل المقدر فى قوله الانفال لله والرسول اى الانفال استقرت لله والرسول وثبتت مع كراهتهم ثباتا مثل ثبات اخراج ربك اياك من بيتك وهم كارهون ومن بيتك يريد بيته بالمدينة او المدينة نفسها لانها مهاجره ومسكنه فهى فى اختصاصها به كاختصاص البيت بساكنه بالحق اى اخراجا ملتبسا بالحكمة والصواب الذى لا محيد عنه وان فريقا من المؤمنين لكارهون فى موضع الحال اى اخرجك فى حال كراهتهم وذلك ان عير قريش اقبلت من الشام فيها تجارة عظيمة ومعها اربعون راكبا منهم ابو سفيان وعمرو بن العاص وعمرو بن هشام فاخبر جبريل رسول الله صلى الله عليه وسلم فاخبر المسلمين فاعجبهم تلقى العير لكثرة الخير وقلة القوم فلما خرجوا بلغ اهل مكة خبر خروجهم فنادى ابو جهل فوق الكعبة يا اهل مكة النجا النجا على كل صعب وذلول عيركم اموالكم ان اصابها محمد لم تفلحوا بعدها ابدا وقد رأت اخت العباس بن عبد المطلب رؤيا فقالت لاخيها انى رأيت عجبا رأيت كأن ملكا نزل من السماء فاخذ صخرة من الجبل ثم حلق بها فلم يبق بيت من بيوت مكة الا اصابه حجر من تلك الصخرة فحدث بها العباس فقال ابو جهل ما يرضى رجالهم ان يتنبأوا حتى تتنبأ نساؤهم فخرج ابو جهل بجميع اهل مكة وهم النفير وفى المثل السائر لا فى العير ولا فى النفير فقيل له ان العير اخذت طريق الساحل ونجت فارجع بالناس الى مكة فقال لا والله لا يكون ذلك ابدا حتى ننحر الجزور ونشرب الخمور ونقيم القينات والمعازف ببدر فيتسامع جميع العرب بمخرجنا وان محمدا لم يصب العير وانا قد اعضضناه فمضى بهم الى بدر وبدر ماء كانت العرب تجتمع فيه لسوقهم يوما فى السنة ونزل جبريل عليه السلام فقال يا محمد ان الله وعدكم احدى الطائفتين اما العير واما قريشا فاستشار النبى صلى الله عليه وسلم اصحابه وقال

ما تقولون ان القوم قد خرجوا من مكة على كل صعب وذلول فالعير احب اليكم ام النفير قالوا بل العير احب الينا من لقاء العدو فتغير وجه رسول الله عليه السلام ثم ردد عليهم فقال ان العير قد مضت على ساحل البحر وهذا ابو جهل قد اقبل فقالوا يا رسول الله عليك بالعير ودع العدو فقام عند غضب رسول الله عليه السلام ابو بكر وعمر رضى الله عنهما فاحسنا ثم قام سعد بن عبادة فقال انظر امرك فامض فوالله لو سرت الى عدن ابين ما تخلف عنك رجل من الانصار ثم قال المقداد بن عمرو يا رسول الله امض لما امرك الله فانا معك حيث ما احببت لا نقول لك كما قالت بنو اسرائيل لموسى اذهب انت وربك فقاتلا انا ههنا قاعدون ولكن اذهب انت وربك فقاتلا انا معكما مقاتلون ما دامت عين منا تطرف فضحك النبى صلى الله عليه وسلم ثم قال اشيروا على ايها الناس وهو يريد الانصار لانهم قالوا له حين بايعوه على العقبة انا برآء من ذمامك حتى تصل الى ديارنا فاذا وصلت الينا فانت فى ذمامنا نمنعك مما نمنع منه ابناءنا ونساءنا فكان النبى صلى الله عليه وسلم يتخوف ان لا تكون الانصار ترى عليهم نصرته الا على عدو دهمه بالمدينة فقام سعد بن معاذ فقال لكأنك تريدنا يا رسول الله قال اجل قال قد آمنا بك وصدقناك وشهدنا ان ما جئت به هو الحق واعطيناك على ذلك عهودنا ومواثيقنا على السمع والطاعة فامض يا رسول الله لما اردت فوالذى بعثك بالحق لو استعرضت بنا هذا البحر فخضته لخضناه معك ما تخلف منا رجل واحد وما نكره ان تلقى بنا عدونا وانا لصبر عند الحرب صدق عند اللقاء ولعل الله يريك منا ما تقر به عينك فسر بنا على بركة الله ففرح رسول الله عليه السلام ونشطه قول سعد ثم قال سيروا على بركة الله وابشروا فان الله قد وعدنى احدى الطائفتين والله لكأنى الآن انظر الى مصارع القوم وروى انه قيل لرسول الله عليه السلام حين فرغ من بدر عليك بالعير ليس دونها شىء فناداه العباس وهو فى وثاقه لا يصلح فقال له رسول الله عليه السلام لم قال لان الله وعدك احدى الطائفتين وقد اعطاك ما وعدك وكانت الكراهة من بعضهم لقوله تعالى وان فريقا من المؤمنين والحق الذى جادلوا فيه رسول الله تلقى النفير لايثارهم عليه تلقى العير بعدما تبين بعد اعلام رسول الله بانهم ينصرون وجدالهم قولهم ما كان خروجنا الا للعير وهلا قلت لنا لنستعد ونتأهب وذلك لكراهتهم القتال ثم شبه حالهم فى فرط فزعهم ورعبهم وهم يسار بهم الى الظفر والغنيمة بحال من يعتل الى القتل ويساق على الصغار الى الموت المتيقن وهو مشاهد لاسبابه ناظر اليها لا يشك فيها وقيل كان خوفهم لقلة العدد وانهم كانوا رجالة وروى انه ما كان فيهم الا فارسان **يجادلونك فى الحق بعدما تبين كانما يساقون الى الموت وهم ينظرون واذ يعدكم الله احدى الطائفتين انها لكم وتودون ان غير ذات الشوكة تكون لكم ويريد الله ان يحق الحق بكلماته ويقطع دابر الكافرين** اذ منصوب باضمار اذكروا انها لكم بدل من احدى الطائفتين والطائفتان العير والنفير وغير ذات الشوكة العير لانه لم يكن فيها الا اربعون فارسا والشوكة كانت فى النفير لعددهم وعدتهم والشوكة الحدة مستعارة من واحدة الشوك ويقال شوك القنا لشباها ومنها قولهم شائك السلاح اى تتمنون ان تكون لكم العير لانها الطائفة التى لا حدة لها ولا شدة ولا تريدون الطائفة الاخرى ان يحق

الحق ان يثبته ويعليه بكلماته بآياته المنزلة في محاربة ذات الشوكة وبما امر الملائكة من نزولهم
للنصرة وبما قضى من اسرهم وقتلهم وطرحهم في قليب بدر والدابر الآخر فاعل من دبر اذا ادبر ومنه دابرة
الطائر وقطع الدابر عبارة عن الاستئصال يعني انكم تريدون الفائدة العاجلة وسفساف
الامور وان لا تلقوا ما يرزؤكم في ابدانكم واحوالكم والله عز وعلا يريد معالي الامور وما يرجع
الى عمارة الدين ونصرة الحق وعلو الكلمة والفوز في الدارين وشتان ما بين المرادين ولذلك
اختار لكم الطائفة ذات الشوكة وكسر قوتهم بضعفكم وغلب كثرتهم بقلتكم واعزكم واذلهم
وحصل لكم ما لا تعارض دناءة العير وما فيها **وقرئ** بكلمته على التوحيد **ليحق الحق ويبطل
الباطل ولو كره المجرمون اذ تستغيثون ربكم فاستجاب لكم اني ممدكم بالف من
الملائكة مردفين** **فان قلت** بم تعلق قوله ليحق الحق بمحذوف تقديره ليحق
الحق ويبطل الباطل فعل ذلك ما فعله الا لهما وهو اثبات الاسلام واظهاره وابطال الكفر
ومحقه **فان قلت** اليس هذا تكريرا لا لان المعنيين متباينان وذلك ان الاول
تمييز بين الارادتين وهذا بيان لغرضه فيما فعل من اختيار ذات الشوكة على غيرها لهم ونصرهم
عليها وانه ما نصرهم ولا خذل اولئك الا لهذا الغرض الذي هو سيد الاغراض ويجب ان يقدر
المحذوف متاخرا حتى يفيد معنى الاختصاص وينطبق عليه المعنى وقيل قد تعلق بيقطع **فان
قلت** بم يتعلق اذ تستغيثون هو بدل من اذ يعدكم وقيل بقوله ليحق الحق ويبطل
الباطل واستغاثتهم انهم لما علموا انه لا بد من القتال طفقوا يدعون الله يقولون اي رب
انصرنا على عدوك يا غياث المستغيثين اغثنا وعن عمر رضي الله عنه ان رسول الله عليه
السلام نظر الى المشركين وهم الف والى اصحابه وهم ثلثمائة فاستقبل القبلة ومد يديه يدعو
اللهم انجز لي ما وعدتني اللهم ان تهلك هذه العصابة لا تعبد في الارض فما زال كذلك حتى
سقط رداؤه فاخذه ابو بكر رضي الله عنه فالقاه على منكبه والتزمه من ورائه وقال يا نبي
الله كفاك مناشدتك ربك فانه سينجز لك ما وعدك اني ممدكم اصله باني ممدكم فحذف
الجار وسلط عليه استجاب فنصب محله وعن ابي عمرو انه قرأ اني ممدكم بالكسر على ارادة القول
او على اجراء استجاب مجرى قال لان الاستجابة من القول **فان قلت** هل قاتلت الملائكة
يوم بدر اختلف فيه فقيل نزل جبريل عليه السلام في خمسمائة ملك على الميمنة
وفيها ابو بكر رضي الله عنه وميكائيل عليه السلام في خمسمائة على الميسرة وفيها علي بن ابي
طالب رضي الله عنه في صور الرجال عليهم ثياب بيض وعمائم بيض قد ارخوا اذنابها بين
اكتافهم فقاتلت وقيل قاتلت يوم بدر ولم تقاتل يوم الاحزاب ويوم حنين **وعن** ابي
جهل انه قال لابن مسعود من اين كان ذلك الصوت الذي كنا نسمع ولا نرى شخصا قال من
الملائكة فقال ابو جهل هم غلبونا لا انتم **وروي** ان رجلا من المسلمين بينما هو يشتد في اثر
رجل من المشركين اذ سمع صوت ضربة بالسوط فوقه فنظر الى المشرك قد خر مستلقيا وشق وجهه
فحدث الانصاري رسول الله عليه السلام فقال صدقت ذاك من مدد السماء وعن ابي داود
المازني تبعت رجلا من المشركين لاضربه يوم بدر فوقع راسه بين يدي قبل ان يصل اليه
سيفي وقيل لم يقاتلوا وانما كانوا يكثرون السواد ويثبتون المؤمنين والا فملك واحد

كاف في اهلاك اهل الدنيا كلهم فان جبريل اهلك بريشة من جناحه مدائن قوم لوط واهلك
بلاد ثمود وقوم صالح بصيحة واحدة **وقرئ** مردفين بكسر الدال وفتحها من قولك ردفه اذا تبعه
ومنه قوله تعالى ردف لكم بعض الذي تستعجلون بمعنى ردفكم واردفته اياه اذا اتبعته ويقال
اردفته كقولك اتبعته اذا جئت بعده فلا يخلو المكسور الدال من ان يكون بمعنى متبعين بعضهم
بعضا او متبعين بعضهم لبعض او بمعنى متبعين اياهم المؤمنين اي يتقدمونهم فيتبعونهم انفسهم
او متبعين لهم يشيعونهم ويتقدمونهم بين ايديهم وهم على ساقتهم ليكونوا على اعينهم وحفظهم او
بمعنى متبعين انفسهم ملائكة اخرين او متبعين غيرهم من الملائكة ويعضد هذا الوجه قوله عز
وعلا في سورة آل عمران بثلاثة آلاف من الملائكة منزلين بخمسة آلاف من الملائكة مسومين
ومن قرأ مردفين بالفتح فهو بمعنى متبعين او متبعين **وقرئ** مردفين بكسر الراء وضمها
وتشديد الدال واصله مرتدفين اي مترادفين او متبعين من ارتدفه فادغمت تاء الافتعال
في الدال فالتقى ساكنان فحركت الراء بالكسر على الاصل او اتباع الدال وبالضم على اتباع الميم
وعن السدي بآلاف من الملائكة على الجمع ليوافق ما في سورة آل عمران **فان قلت** فيم يعتذر
لمن قرأ على التوحيد ولم يفسر المردفين بارداف الملائكة ملائكة اخرين والمردفين بارتدافهم
غيرهم بان المراد بالالف من قاتل منهم او الوجوه منهم الذين من سواهم اتباع لهم
فان قلت الام يرجع الضمير في وما جعله الله الى قوله اني ممدكم لان المعنى
فاستجاب لكم بامدادكم فيمن قرأ بالكسر **قلت** الى قوله اني ممدكم لانه مفعول
القول المضمر فهو في معنى القول ويجوز ان يرجع الى الامداد الذي يدل عليه ممدكم **وما
جعله الله الا بشرى ولتطمئن به قلوبكم وما النصر الا من عند الله ان الله عزيز حكيم**
الا بشرى لكم الا بشارة لكم بالنصر كالسكينة لبني اسرائيل يعني انكم استغثتم وتضرعتم لقلتكم
وذلتكم فكان الامداد بالملائكة بشارة لكم بالنصر وتسكينا منكم وربطا على قلوبكم وما
النصر الا من عند الله يريد ولا تحسبوا النصر من الملائكة فان الناصر هو الله لكم وللملائكة
او وما النصر بالملائكة وغيرهم من الاسباب الا من عند الله والمنصور من نصره الله **اذ يغشيكم
النعاس امنة منه وينزل عليكم من السماء ماء ليطهركم به ويذهب عنكم رجز الشيطان
وليربط على قلوبكم ويثبت به الاقدام** اذ يغشاكم بدل ثان من اذ يعدكم او منصوب
بالنصر او بما في من عند الله من معنى الفعل او بما جعله الله او باضمار اذكر **وقرئ**
يغشيكم بالتخفيف والتشديد ونصب النعاس والضمير لله عز وجل وامنة مفعول له
فان قلت اما وجب ان يكون فاعل الفعل المعلل والعلة واحدا بلى ولكن
لما كان معنى يغشاكم النعاس تنعسون انتصب امنة على ان النعاس والامنة لهم والمعنى اذ تنعسون
امنة بمعنى امنا اي لامنكم ومنه صفة لها اي امنة حاصلة لكم من الله **فان قلت** فعلى
غير هذه القراءة يجوز ان تكون الامنة بمعنى الايمان اي ينعسكم ايمانا منه او
على يغشيكم النعاس فتنعسون امنا **فان قلت** هل يجوز ان ينتصب على ان الامنة للنعاس
الذي هو فاعل يغشاكم اي يغشاكم النعاس لامنه على اسناد الامن الى النعاس اسناد مجازي
وهو لاصحاب النعاس على الحقيقة او على انه انامكم في وقت كان من حق النعاس في مثل ذلك

الوقت الخوف أن لا يقدر على غشيانكم وإنما غشيكم أمنة حاصلة له من الله لولاها لم يغشكم على طريقة التمثيل والتخييل لا تبعد فصاحة القرآن عن احتماله وله فيه نظائر وقد ألم به من قال ۞
يهاب النوم أن يغشى عيونا ۞ تهابك فهو نفار شرود ۞
وقرئ أمنة بسكون الميم ونظيرها من أمنة حيي حيوة ونحوا من أمنة رحم رحمة والمعنى أن ما كان بهم من الخوف كان يمنعهم من النوم فلما طامن الله قلوبهم وأمنهم رقدوا وعن ابن عباس رضي الله عنهما النعاس في القتال أمنة من الله وفي الصلوة وسوسة من الشيطان ويُنزل قرئ بالتخفيف والتثقيل وقرأ الشعبي ما ليطهركم به قال ابن جني ما موصولة وصلتها حرف الجر بما جره فكأنه قال ما للطهور ورجز الشيطان وسوسته إليهم وتخويفه إياهم من العطش وقيل الجنابة لأنها من تخييله وقرئ رجس الشيطان وذلك أن إبليس تمثل لهم وكان المشركون قد سبقوهم إلى الماء ونزل المؤمنون في كثيب أعفر تسوخ فيه الأقدام على غير ماء وناموا فاحتلم أكثرهم فقال لهم أنتم يا أصحاب محمد تزعمون أنكم على الحق وأنتم تصلون على غير وضوء وعلى الجنابة وقد عطشتم ولو كنتم على حق ما غلبكم هؤلاء على الماء وما ينتظرون بكم إلا أن يجهدكم العطش فإذا قطع العطش أعناقكم مشوا إليكم فقتلوا من أحبوا وساقوا بقيتكم إلى مكة فحزنوا حزنا شديدا وأشفقوا فأنزل الله المطر فمطروا ليلا حتى جرى الوادي واتخذ رسول الله عليه السلام الحياض على عدوة الوادي وسقوا الركاب واغتسلوا وتوضؤوا وتلبد الرمل الذي كان بينهم وبين العدو حتى ثبتت عليه الأقدام وزالت وسوسة الشيطان وطابت النفوس والضمير في به للماء ويجوز أن يكون للربط لأن القلب إذا تمكن فيه الصبر والجراءة ثبتت القدم في مواطن القتال إذ يوحي ربك إلى الملائكة أني معكم فثبتوا الذين آمنوا سألقي في قلوب الذين كفروا الرعب فاضربوا فوق الأعناق واضربوا منهم كل بنان ۞ إذ يوحي يجوز أن يكون بدلا ثالثا من إذ يعدكم وأن ينتصب بيثبت أني معكم مفعول يوحي وقرئ إني بالكسر على إرادة القول أو على إجراء يوحي مجرى يقول كقوله تعالى أني ممدكم والمعنى أني معكم على التثبيت فثبتوهم وقوله سألقي فاضربوا يجوز أن يكون تفسيرا لقوله أني معكم فثبتوا ولا معونة أعظم من إلقاء الرعب في قلوب الكفرة ولا تثبيت أبلغ من ضرب أعناقهم واجتماعهما غاية النصرة ويجوز أن يكون غير تفسير وأن يراد بالتثبيت أن يخطروا ببالهم ما تقوى به قلوبهم وتصح عزائمهم ونياتهم في القتال وأن يظهروا ما يتيقنون به أنهم ممدون بالملائكة وقيل كان الملك يتشبه بالرجل الذي يعرفون وجهه فيأتي فيقول إني سمعت المشركين يقولون والله لئن حملوا علينا لننكشفن ويمشي بين الصفين فيقول أبشروا فإن الله تعالى ناصركم لأنكم تعبدونه وهؤلاء لا يعبدونه وقرئ الرعب بالتثقيل فوق الأعناق أي أعالي الأعناق التي هي المذابح لأنها مفاصل فكان إيقاع الضرب فيها حزا وتطييرا للرؤوس وقيل أراد الرؤوس لأنها فوق الأعناق يعني ضرب الهام قال وأضرب هامة البطل المشيح ۞
غشيته وهو في جأواء باسلة ۞ عضبا أصاب سواء الرأس فانفلقا ۞ والبنان الأصابع يريد بها الأطراف والمعنى فاضربوا المقاتل والشوى لأن الضرب إما واقع على مقتل أو غير مقتل فأمرهم بأن يجمعوا عليهم النوعين معا ويجوز أن يكون قوله تعالى سألقي إلى قوله كل بنان عقيب قوله فثبتوا الذين آمنوا تلقينا للملائكة ما يثبتونهم به كأنه قال قولوا لهم قولي سألقي في

قلوب

قلوب الذين كفروا الرعب أو كأنهم قالوا كيف نثبتهم فقيل قولوا لهم قولي سألقي فالضاربون على هذا هم المؤمنون ذلك بأنهم شاقوا الله ورسوله ومن يشاقق الله ورسوله فإن الله شديد العقاب ۞ ذلكم فذوقوه وأن للكافرين عذاب النار ۞ ذلك الإشارة إلى ما أصابهم من الضرب والقتل والعقاب العاجل ومحله الرفع على الابتداء وبأنهم خبره أي ذلك العقاب وقع عليهم بسبب مشاقتهم والمشاقة مشتقة من الشق لأن كلا المتعاديين في شق خلاف شق ناحية وشبك في المبار عن اشتقاق المعاداة فقلت لأن هذا في عدوة وذاك في عدوة كما قيل المخاصمة والمشاقة لأن هذا في خصم أي في جانب وذاك في خصم وهذا في شق وذاك في شق والكاف في ذلك لخطاب الرسول أو لخطاب كل أحد وفي ذلكم للكفرة على طريقة الالتفات ومحل ذلكم الرفع على ذلكم العقاب أو العقاب ذلكم فذوقوه ويجوز أن يكون نصبا على عليكم ذلكم فذوقوه كقولك زيدا فاضربه وأن للكافرين عطف على ذلكم في وجهيه أو نصب على أن الواو بمعنى مع والمعنى ذوقوا هذا العذاب العاجل مع الآجل الذي لكم في الآخرة فوضع الظاهر موضع المضمر وقرأ الحسن وإن للكافرين بالكسر يا أيها الذين آمنوا إذا لقيتم الذين كفروا زحفا فلا تولوهم الأدبار ۞ زحفا حال من الذين كفروا والزحف الجيش الدهم الذي يرى لكثرته كأنه يزحف أي يدب دبيبا من زحف الصبي إذا دب على استه قليلا قليلا سمي بالمصدر والجمع زحوف والمعنى إذا لقيتموهم للقتال وهم جم كثير وأنتم قليل فلا تفروا فضلا أن تدانوهم أو تساووهم أو حال من الفريقين أي إذا لقيتموهم متزاحفين هم وأنتم أو حال من المؤمنين كأنهم أشعروا بما كان سيكون منهم يوم حنين حين تولوا مدبرين وهم زحف من الزحوف اثنا عشر ألفا وتقدمة نهي لهم عن الفرار يومئذ وفي قوله تعالى ومن يولهم يومئذ دبره إشارة عليه ومن يولهم يومئذ دبره إلا متحرفا لقتال أو متحيزا إلى فئة فقد باء بغضب من الله ومأواه جهنم وبئس المصير فلم تقتلوهم ولكن الله قتلهم وما رميت إذ رميت ولكن الله رمى وليبلي المؤمنين منه بلاء حسنا إن الله سميع عليم إلا متحرفا لقتال هو الكر بعد الفر يخيل عدوه أنه منهزم ثم يعطف عليه وهو باب من خدع الحرب ومكايدها أو متحيزا إلى فئة إلى جماعة أخرى من المسلمين سوى الفئة التي هو فيها وعن ابن عمر رضي الله عنهما خرجت سرية وأنا فيهم ففروا فلما رجعوا إلى المدينة استحيوا فدخلوا البيوت فقلت يا رسول الله نحن الفرارون فقال بل أنتم العكارون وأنا فئتكم وانهزم رجل من القادسية فأتى المدينة إلى عمر رضي الله عنه فقال يا أمير المؤمنين هلكت فررت من الزحف فقال عمر رضي الله عنه أنا فئتك وعن ابن عباس رضي الله عنهما أن الفرار من الزحف من أكبر الكبائر فإن قلت ثم انتصب إلا متحرفا على الحال وإلا لغو أو على الاستثناء من المولين أي ومن يولهم إلا رجلا منهم متحرفا أو متحيزا وقرأ الحسن دبره بالسكون ووزن متحيز متفيعل لا متفعل لأنه من حاز يحوز فبناء متفعل منه متحوز لما كسروا أهل مكة وقتلوا وأسروا أقبلوا على التفاخر فكان القائل يقول قتلت وأسرت ولما طلعت قريش قال رسول الله صلى الله عليه وسلم هذه قريش قد جاءت بخيلائها وفخرها يكذبون رسولك اللهم إني أسألك ما وعدتني فأتاه جبريل عليه السلام فقال خذ قبضة من تراب فارمهم بها فقال النبي عليه السلام لما التقى الجمعان لعلي رضي الله عنه أعطني قبضة من حصباء الوادي فرمى

بهاني وجوههم وقال شاهت الوجوه فلم يبق مشرك الا شغل بعينيه فانهزموا وردفهم المؤمنون
يقتلونهم ويأسرونهم فقيل لهم فلم تقتلوهم والفاء جواب شرط محذوف تقديره ان افتخرتم بقتلهم
فانتم لم تقتلوهم ولكن الله قتلهم لانه هو الذي انزل الملائكة والقى الرعب في قلوبهم وشاء
النصر والظفر وقوى قلوبكم واذهب عنها الفزع والجزع وما رميت يا محمد اذ رميت
ولكن الله رمى يعني ان الرمية التي رميتها لم ترمها انت على الحقيقة لانك لو رميتها لما بلغ اثرها الا
ما يبلغه اثر رمي البشر ولكنها كانت رمية الله حيث اثرت ذلك الاثر العظيم فاثبت الرمية لرسول
الله عليه السلام لان صورتها وجدت منه ونفاها عنه لان اثرها الذي لا يطيقه البشر فعل
الله عز وجل فكان الله هو فاعل الرمية على الحقيقة وكأنها لم توجد من الرسول اصلا وقرئ ولكن
الله قتلهم ولكن الله رمى بتخفيف لكن ورفع ما بعده وليبلي المؤمنين وليعطيهم بلاء حسنا عطاء جميلا
قال زهير فابلاهما خير البلاء الذي يبلو والمعنى وللاحسان الى المؤمنين فعل ما فعل وما فعله
الا لذلك ان الله سميع لدعائهم عليم باحوالهم ذلكم وان الله موهن كيد الكافرين ان تستفتحوا
فقد جاءكم الفتح وان تنتهوا فهو خير لكم وان تعودوا نعد ولن تغني عنكم فئتكم شيئا ولو كثرت
وان الله مع المؤمنين ذلكم اشارة الى البلاء الحسن ومحله الرفع اي الغرض ذلكم وان الله موهن
معطوف على ذلكم يعني ان الغرض ابلاء المؤمنين وتوهين كيد الكافرين وقرئ موهن بالتشديد وقرئ
على الاضافة وعلى الاصل الذي هو التنوين والاعمال ان تستفتحوا فقد جاءكم الفتح خطاب لاهل
مكة على سبيل التهكم وذلك انهم حين ارادوا ان ينفروا تعلقوا باستار الكعبة وقالوا اللهم انصر
اقرانا للضيف واوصلنا للرحم وافكنا للعاني ان كان محمد على حق فانصره وان كنا على حق فانصرنا
وروي انهم قالوا اللهم انصر اعلى الجندين واهدى الفئتين واكرم الحزبين وروي ان ابا
جهل قال يوم بدر اللهم اينا كان افجر واقطع للرحم فاحنه اليوم اي فاهلكه وقيل ان تستفتحوا
خطاب للمؤمنين وان تنتهوا خطاب للكافرين يعني وان تنتهوا عن عداوة رسول الله فهو خير لكم
واسلم وان تعودوا لمحاربته نعد لنصرته عليكم وان الله قرئ بالفتح على ولان الله معين المؤمنين
كان ذلك وقرئ بالكسر وهذه اوجه وتعضدها قراءة ابن مسعود رضي الله عنه والله مع
المؤمنين وقرئ ولن يغني عنكم بالياء للفصل يا ايها الذين آمنوا اطيعوا الله ورسوله ولا
تولوا عنه وانتم تسمعون ولا تكونوا كالذين قالوا سمعنا وهم لا يسمعون ان شر
الدواب عند الله الصم البكم الذين لا يعقلون ولا تولوا قرئ بطرح احدى التائين
وادغامها والضمير في عنه لرسول الله صلى الله عليه وسلم لان المعنى واطيعوا رسول الله كقوله
تعالى والله ورسوله احق ان يرضوه ولان طاعة الرسول وطاعة الله شيء واحد من يطع
الرسول فقد اطاع الله فكان رجوع الضمير الى احدهما كرجوعه اليهما كقولك الاحسان والاجمال
لا ينفع في فلان ويجوز ان يرجع الى الامر بالطاعة اي ولا تولوا عن هذا الامر وامتثاله وانتم
تسمعونه او ولا تولوا عن رسول الله ولا تخالفوه وانتم تسمعون اي تصدقون لانكم مؤمنون
لستم كالصم المكذبين من الكفرة ولا تكونوا كالذين قالوا سمعنا اي ادعوا السماع وهم لا يسمعون
لانهم ليسوا بمصدقين فكانهم غير سامعين والمعنى انكم تصدقون بالقرآن والنبوة فاذا توليتم عن طاعة
الرسول في بعض الامور من قسمة الغنائم وغيرها كان تصديقكم كلا تصديق واشبه سماعكم

سماع

سماع من لا يؤمن ثم قال ان شر الدواب اي ان شر من يدب على وجه الارض او ان شر البهائم الذين
هم صم عن الحق لا يعقلونه جعلهم من جنس البهائم ثم جعلهم شرها ولو علم الله فيهم خيرا لاسمعهم ولو
اسمعهم لتولوا وهم معرضون يا ايها الذين آمنوا استجيبوا لله وللرسول اذا دعاكم
لما يحييكم واعلموا ان الله يحول بين المرء وقلبه وانه اليه تحشرون ولو علم الله
في هؤلاء الصم البكم خيرا اي انتفاعا باللطف لاسمعهم للطف بهم حتى يسمعوا سماع المصدقين
ثم قال ولو اسمعهم لتولوا يعني ولو لطف بهم لما نفع فيهم اللطف فلذلك منعهم الطافه او ولو
لطف بهم فصدقوا لارتدوا بعد ذلك وكذبوا ولم يستقيموا وقيل هم بنو عبد الدار بن قصي
لم يسلم منهم الا رجلان مصعب بن عمير وسويد بن حرملة كانوا يقولون نحن صم بكم عمي عما جاء به محمد
لا نسمعه ولا نجيبه فقتلوا جميعا باحد وكانوا اصحاب اللواء وعن ابن جريج هم المنافقون وعن
الحسن اهل الكتاب اذا دعاكم وحد الضمير ايضا كما وحده فيما قبله لان استجابة رسول الله عليه
السلام كاستجابته وانما يذكر احدهما مع الاخر للتوكيد والمراد بالاستجابة الطاعة والامتثال
وبالدعوة البعث والتحريض وروي ابو هريرة رضي الله عنه ان النبي صلى الله عليه وسلم
مر على باب ابي بن كعب فناداه وهو في الصلوة فعجل في صلوته ثم جاء فقال ما منعك عن اجابتي
قال كنت اصلي قال الم تخبر فيما اوحي الي استجيبوا لله وللرسول قال لاجرم لا تدعوني الا
اجبتك وفيه قولان احدهما ان هذا مما اختص به رسول الله عليه السلام والثاني ان
دعاءه كان لامر لم يحتمل التأخير واذا وقع مثله للمصلي فله ان يقطع صلوته لما يحييكم من علوم
الديانات والشرائع لان العلم حيوة كما ان الجهل موت ولبعضهم
لا تعجبن الجهول حلته • فذاك ميت وثوبه كفن • وقيل لمجاهدة الكفار
لانهم لو رفضوها لغلبوهم وقتلوهم كقوله تعالى ولكم في القصاص حيوة وقيل للشهادة
كقوله تعالى بل احياء عند ربهم واعلموا ان الله يحول بين المرء وقلبه يعني انه يميته فتفوته الفرصة
التي هو واجدها وهي التمكن من اخلاص القلب ومعالجة ادوائه وعلله ورده سليما كما يريده
الله فاغتنموا هذه الفرصة واخلصوا قلوبكم لطاعة الله ورسوله واعلموا انكم اليه تحشرون
فيثيبكم على حسب سلامة القلوب واخلاص الطاعة وقيل معناه ان الله قد يملك على العبد
قلبه فيفسخ عزائمه ويغير نياته ومقاصده ويبدله بالخوف امنا وبالامن خوفا وبالذكر نسيانا
وبالنسيان ذكرا وما اشبه ذلك مما هو جائز على الله تعالى فاما ما يثاب عليه العبد ويعاقب
من افعال القلوب فلا والمجبرة على انه يحول بين المرء والايمان اذا كفر وبينه وبين الكفر
اذا آمن تعالى الله عما يقول الظالمون علوا كبيرا وقيل معناه انه يطلع على كل ما يخطر المرء
بباله لا يخفى عليه شيء من ضمائره فكانه بينه وبين قلبه وقرئ بين المر بتشديد الراء
ووجهه انه قد حذف الهمزة والقى حركتها على الراء كالخب ثم نوى الوقف على لغة من يقول
مررت بعمر واتقوا فتنة لا تصيبن الذين ظلموا منكم خاصة واعلموا ان الله شديد
العقاب فتنة ذنبا قيل هو اقرار المنكر بين اظهرهم وقيل افتراق الكلمة وقيل فتنة
عذابا وقوله لا تصيبن لا تخلو من ان يكون جوابا للامر او نهيا بعد امر او صفة لفتنة فاذا
كانت جوابا فالمعنى ان اصابتكم لا تصب الظالمين منكم خاصة ولكنها تعمكم وهذا كما تحكي ان علما

بني اسرائيل نهوا عن المنكر تعذيرا فعمهم الله بالعذاب واذا كانت نهيا بعد امر فكانه قيل واحذروا
ذنبا او عقابا ثم قيل لا تتعرضوا للظلم فيصيب العقاب او اثر الذنب ووباله من ظلم منكم خاصة
وكذلك اذا جعلته صفة على ارادة القول كانه قيل واتقوا فتنة مقولا فيها لا تصيبن
ونظيره قوله حتى اذا جن الظلام واختلط جاؤا بمذق هل رايت الذئب قط اي بمذق
مقول فيه هذا القول لانه سمار فيه لون الورقة التي هي لون الذئب ويعضد المعنى الاخير
قراءة ابن مسعود لتصيبن على جواب القسم المحذوف وعن الحسن نزلت في علي وعمار وطلحة
والزبير رضوان الله عليهم وهو يوم الجمل خاصة قال الزبير رضي الله عنه نزلت فينا وقراناها
زمانا وما ارانا من اهلها فاذا نحن المعنيون بها وعن السدي نزلت في اهل بدر فاقتتلوا يوم
الجمل وروي ان الزبير كان يساير النبي صلى الله عليه وسلم يوما اذ اقبل علي رضي الله عنه فضحك
اليه الزبير رضي الله عنه فقال له رسول الله عليه السلام كيف حبك لعلي فقال يا رسول الله بابي
انت وامي اني احبه كحبي لولدي او اشد حبا قال فكيف انت اذا سرت اليه تقاتله فان قلت
كيف جاز ان تدخل النون المؤكدة في جواب الامر قلت لان فيه معنى النهي اذا قلت انزل عن
الدابة لا يطرحك فكذلك جاز لا يطرحنك ولا تصيبن ولا يحطمنكم فان قلت فما معنى من في
قوله الذين ظلموا منكم قلت التبعيض على الوجه الاول والتبيين على الثاني لان المعنى لا
تصيبنكم خاصة على ظلمكم لان الظلم منكم اقبح من سائر الناس واذكروا اذ انتم قليل مستضعفون
في الارض تخافون ان يتخطفكم الناس فآواكم وايدكم بنصره ورزقكم من الطيبات
لعلكم تشكرون يا ايها الذين آمنوا لا تخونوا الله والرسول وتخونوا اماناتكم
وانتم تعلمون اذ انتم نصبه على انه مفعول به مذكور لا ظرف اي اذكروا وقت كونكم اقلة اذلة
مستضعفين في الارض ارض مكة قبل الهجرة تستضعفكم قريش تخافون ان يتخطفكم الناس لان
الناس كانوا جميعا لهم اعداء منافين مضادين فآواكم الى المدينة وايدكم بنصره بمظاهرة
الانصار وبامداد الملائكة يوم بدر ورزقكم من الطيبات من الغنائم لعلكم تشكرون
ارادة ان تشكروا هذه النعم وعن قتادة رضي الله عنه كان هذا الحي من العرب اذل الناس
واشقاهم عيشا واعراهم جلدا وابينهم ضلالا يؤكلون ولا ياكلون فمكن الله لهم في البلاد ووسع
لهم في الرزق والغنائم وجعلهم ملوكا معنى الخون النقص كما ان معنى الوفاء التمام ومنه تخونه
اذا انتقصه ثم استعمل في ضد الامانة والوفاء لانك اذا خنت الرجل في شيء فقد ادخلت عليه
النقصان فيه وقد استعير فقيل خان الدلو الكرب وخان المشتار السبب لانه اذا انقطع
به فكانه لم يف له ومنه قوله وتخونوا اماناتكم والمعنى لا تخونوا الله بان تعطلوا فرائضه
ورسوله بان لا تستنوا به وامانتكم فيما بينكم بان لا تحفظوها وانتم تعلمون تبعة ذلك ووباله
وقيل وانتم تعلمون انكم تخونون يعني ان الخيانة توجد منكم عن تعمد لا عن سهو وقيل وانتم
علماء تعلمون قبح القبيح وحسن الحسن وروي ان رسول الله صلى الله عليه وسلم حاصر يهود
بني قريظة احدى وعشرين ليلة فسالوا الصلح كما صالح اخوانهم بني النضير على ان يسيروا
الى اذرعات واريحا من ارض الشام فابى رسول الله عليه السلام الا ان ينزلوا على حكم سعد
ابن معاذ فابوا وقالوا ارسل الينا ابا لبابة مروان بن المنذر وكان مناصحا لهم لان عياله وماله

في ايديهم فبعثه اليهم فقالوا له ما ترى هل ننزل على حكم سعد فاشار الى حلقه انه الذبح قال ابو لبابة
فما زالت قدماي حتى علمت اني قد خنت الله ورسوله فنزلت فشد نفسه على سارية من سواري
المسجد وقال والله لا اذوق طعاما ولا شرابا حتى اموت او يتوب الله علي فمكث سبعة ايام
حتى خر مغشيا عليه ثم تاب الله عليه فقيل له قد تيب عليك فحل نفسك فقال والله لا احلها حتى يكون
رسول الله عليه السلام هو الذي يحلني فجاءه فحله بيده فقال ان من تمام توبتي ان اهجر دار قومي
التي اصبت فيها الذنب وان انخلع من مالي فقال له رسول الله عليه السلام يجزيك الثلث ان تتصدق
به وعن المغيرة نزلت في قتل عثمان بن عفان رضي الله عنه وقيل اماناتكم ما ائتمنكم الله عليه
من فرائضه وحدوده فان قلت وتخونوا جزم هو ام نصب قلت يحتمل ان يكون جزما
داخلا في حكم النهي وان يكون نصبا باضمار ان كقوله وتكتموا الحق وقرا مجاهد وتخونوا
امانتكم على التوحيد واعلموا انما اموالكم واولادكم فتنة وان الله عنده اجر عظيم جعل
الاموال والاولاد فتنة لانهم سبب الوقوع في الفتنة وهي الاثم او العذاب او محنة من الله ليبلوكم
كيف تحافظون فيهم على حدوده وان الله عنده اجر عظيم فعليكم ان تنوطوا بطلبه وبما يؤدي اليه
هممكم وتزهدوا في الدنيا ولا تحرصوا على جمع المال وحب الولد حتى تورطوا انفسكم من اجلهما
كقوله تعالى المال والبنون زينة الحياة الدنيا وقيل هي من جملة ما نزل في ابي لبابة وما فرط
منه لاجل ماله وولده يا ايها الذين آمنوا ان تتقوا الله يجعل لكم فرقانا ويكفر عنكم
سيئاتكم ويغفر لكم والله ذو الفضل العظيم فرقانا نصرا لانه يفرق بين الحق والباطل وبين
الكفر باذلال حزبه والاسلام باعزاز اهله ومنه قوله تعالى يوم الفرقان او بيانا وظهورا
يشهر امركم ويبث صيتكم وآثاركم في اقطار الارض من قولهم بت افعل كذا حتى سطع الفرقان اي طلع
الفجر او مخرجا من الشبهات وتوفيقا وشرحا للصدور او تفرقة بينكم وبين غيركم من اهل الاديان بان
فضلا ومزية في الدنيا والآخرة واذ يمكر بك الذين كفروا ليثبتوك او يقتلوك او يخرجوك
ويمكرون ويمكر الله والله خير الماكرين لما فتح الله عليه ذكره مكر قريش به حين كان بمكة ليشكر
نعمة الله في نجاته من مكرهم واستيلائه عليهم وما اتاح له من حسن العاقبة والمعنى واذكر اذ
يمكرون بك وذلك ان قريشا لما اسلمت الانصار وبايعوه فرقوا ان يتفاقم امره فاجتمعوا في
دار الندوة متشاورين في امره فدخل عليهم ابليس في صورة شيخ وقال انا شيخ من نجد وما انا
من تهامة دخلت مكة فسمعت باجتماعكم فاردت ان احضركم ولن تعدموا مني رايا ونصحا فقال
ابو البختري رايي ان تحبسوه في بيت وتشدوا وثاقه وتسدوا بابه غير كوة تلقون اليه طعامه
وشرابه منها وتتربصوا به ريب المنون فقال ابليس بئس الراي ياتيكم من يقاتلكم من قومه
ويخلصه من ايديكم فقال هشام بن عمرو رايي ان تحملوه على جمل وتخرجوه من بين اظهركم فلا
يضركم ما صنع واسترحتم فقال بئس الراي يفسد قوما غيركم ويقاتلكم بهم فقال ابو جهل
انا ارى ان تاخذوا من كل بطن غلاما وتعطوه سيفا صارما فيضربوه ضربة رجل واحد فيتفرق
دمه في القبائل فلا يقوى بنو هاشم على حرب قريش كلهم فاذا طلبوا العقل عقلناه واسترحنا
فقال الشيخ صدق هذا الفتى هو اجودكم رايا فتفرقوا على راي ابي جهل مجمعين على قتله فاخبر
جبريل عليه السلام رسول الله عليه السلام وامره ان لا يبيت في مضجعه واذن له الله في الهجرة فامر

علياً رضي الله عنه فنام في مضجعه وقال له اتشح ببردتي فانه لن يخلص اليك امر تكرهه وباتوا مترصدين
فلما اصبحوا ثاروا الى مضجعه فابصروا علياً رضي الله عنه فبهتوا وخيب الله سعيهم واقتصوا اثره فابطل
مكرهم ليثبتوك ليسجنوك او يوثقوك او يثخنوك بالضرب والجرح من قولهم ضربوه حتى اثبتوه
لا حراك به ولا براح وفلان مثبت وجعا وقرئ ليثبتوك بالتشديد وقرأ النخعي ليبيتوك من
البيات وعن ابن عباس رضي الله عنه ليقيدوك وهو دليل لمن فسره بالايثاق ويمكرون
ويخفون المكايد له ويمكر الله ويخفي الله ما اعد لهم حتى ياتيهم بغتة والله خير الماكرين اي مكره
انفذ من مكر غيره وابلغ تاثيرا او لانه لا ينزل الا ما هو حق وعدل ولا يصيب الا بما هو مستوجب
واذا تتلى عليهم اياتنا قالوا قد سمعنا لو نشاء لقلنا مثل هذا ان هذا الا اساطير الاولين
لو نشاء لقلنا مثل هذا نفاجة منهم وصلف تحت الراعدة فانهم لم يتوانوا في مشيئتهم لو ساعدتهم الاستطاعة
والا فما منعهم ان كانوا مستطيعين ان يشاؤوا غلبة من تحداهم وقرعهم بالعجز حتى يفوزوا بالقدح المعلى
دونه مع فرط انفتهم واستنكافهم ان يغلبوا في باب البيان خاصة وان يماتنهم واحد فيتطاولوا
بامتناع المثنية ومع ما علم وظهر ظهور الشمس من حرصهم على ان يقهروا رسول الله عليه السلام
وتهالكهم على ان يغمروه وقيل قائله النضر بن الحرث المقتول صبرا حين سمع اقتصاص الله
احاديث القرون لو شئت لقلت مثل هذا وهو الذي جاء من بلاد فارس بنسخة حديث رستم
واسفنديار فزعم ان هذا مثل ذاك وانه من جملة تلك الاساطير واذ قالوا اللهم ان كان
هذا هو الحق من عندك فامطر علينا حجارة من السماء او ائتنا بعذاب اليم وهو القائل
ان كان هذا هو الحق وهذا اسلوب من الجحود بليغ يعني ان كان القران هو الحق فعاقبنا على انكاره
بالسجيل كما فعلت باصحاب الفيل او بعذاب اخر ومراده نفي كونه حقا واذا انتفى كونه حقا لم يستوجب
منكره عذابا فكان تعليق العذاب بكونه حقا مع اعتقاده انه ليس بحق كتعليقه بالمحال في قولك
ان كان الباطل حقا فامطر علينا حجارة وقوله تعالى هذا هو الحق تهكم بمن يقول على سبيل التخصيص
والتعيين هذا هو الحق وقرأ الاعمش هو الحق بالرفع على ان هو مبتدأ غير فصل وهو في القراءة
الاولى فصل ويقال امطرت السماء كقولك انجمت واسبلت ومطرت كقولك هتنت وهتلت وقد
كثر الامطار في معنى العذاب ما فائدة قوله من السماء والامطار لا يكون الا منها
قلت كانه اريد ان يقال فامطر علينا السجيل وهي الحجارة المسومة للعذاب فوضع حجارة من
السماء موضع السجيل كما تقول صب عليه مسرودة من حديد تريد درعا بعذاب اليم اي بنوع
اخر من جنس العذاب الاليم يعني ان امطار السجيل بعض العذاب الاليم فعذبنا به او بنوع اخر من انواعه
وعن معاوية انه قال لرجل من سبأ ما اجهل قومك حين ملكوا عليهم امرأة قال اجهل من قومي
قومك قالوا لرسول الله عليه السلام حين دعاهم الى الحق ان كان هذا هو الحق فامطر علينا
حجارة ولم يقولوا ان كان هذا هو الحق فاهدنا له وما كان الله ليعذبهم وانت فيهم وما
كان الله معذبهم وهم يستغفرون اللام لتاكيد النفي والدلالة على ان تعذيبهم وانت
بين اظهرهم غير مستقيم في الحكمة لان عادة الله وقضية حكمته ان لا يعذب قوما عذاب
استئصال ما دام نبيهم بين اظهرهم وفيه اشعار بانهم مرصدون بالعذاب اذا هاجرت عنهم
والدليل على هذا الاشعار قوله تعالى وما لهم الا يعذبهم الله وانما يصح هذا بعد اثبات التعذيب

كانه قال وما كان الله ليعذبهم وانت فيهم وهو معذبهم اذا فارقتهم وما لهم الا يعذبهم الله وهم
يستغفرون في موضع الحال ومعناه نفي الاستغفار عنهم اي ولو كانوا ممن يؤمن ويستغفر من
الكفر لما عذبهم كقوله تعالى وما كان ربك ليهلك القرى بظلم واهلها مصلحون ولكنهم
لا يؤمنون ولا يستغفرون ولا يتوقع ذلك منهم وقيل معناه وما كان الله معذبهم وفيهم من
يستغفر وهم المسلمون بين اظهرهم ممن تخلف عن رسول الله صلى الله عليه وسلم من المستضعفين
وما لهم الا يعذبهم الله وهم يصدون عن المسجد الحرام وما كانوا اولياءه ان اولياؤه
الا المتقون ولكن اكثرهم لا يعلمون وما لهم الا يعذبهم الله واي شيء لهم في انتفاء العذاب
عنهم يعني لا حظ لهم في ذلك وهم معذبون لا محالة وكيف لا يعذبون وحالهم انهم يصدون عن
المسجد الحرام كما صدوا رسول الله عليه السلام عام الحديبية واخراجهم رسول الله عليه السلام
والمؤمنين من الصد وكانوا يقولون نحن ولاة البيت والحرم فنصد من نشاء وندخل من نشاء
وما كانوا اولياءه وما استحقوا مع اشراكهم وعداوتهم للدين ان يكونوا ولاة امره وارباب
ان اولياؤه الا المتقون من المسلمين ليس كل مسلم ايضا ممن يصلح لان يلي امره انما يستاهل ولايته
من كان برا تقيا فكيف بالكفرة عبدة الاصنام ولكن اكثرهم لا يعلمون كانه استثنى من كان
يعلم وهو يعاند ويطلب الرياسة او اراد بالاكثر الجميع كما يراد بالقلة العدم وما كان
صلاتهم عند البيت الا مكاء وتصدية فذوقوا العذاب بما كنتم تكفرون المكاء
فعال بوزن الثغاء والرغاء من مكا يمكو اذا صفر ومنه المكاء كانه سمي بذلك لكثرة مكائه واصله
الصفة نحو الوضاء والفراء وقرئ مكا بالقصر ونظيرهما البكا والبكاء والتصدية التصفيق
تفعلة من الصدا او من صد يصد اذا قومك منه يصدون وقرأ الاعمش وما كان صلاتهم
بالنصب على تقديم خبر كان على اسمه فان قلت ما وجه هذا الكلام هو من قوله
وما كنت اخشى ان يكون عطاؤه اداهم سودا او محدرجة سمرا والمعنى انه
وضع القيود والسياط موضع العطاء ووضعوا المكاء والتصدية موضع الصلوة وذلك
انهم كانوا يطوفون بالبيت عراة الرجال مع النساء وهم مشبكون بين اصابعهم يصفرون فيها
ويصفقون وكانوا يفعلون نحو ذلك اذا قرأ رسول الله صلى الله عليه وسلم في صلوته يخلطون
عليه فذوقوا عذاب القتل والاسر يوم بدر بسبب كفركم وافعالكم التي لا يقدم عليها
الا الكفرة قيل نزلت في المطعمين يوم بدر كان يطعم كل واحد منهم كل يوم عشر جزر وقيل
قالوا لكل من كانت له تجارة في العير اعينوا بهذا المال على حرب محمد لعلنا ندرك منه ثارنا
بما اصيب منا ببدر وقيل نزلت في ابي سفيان وقد استاجر ليوم احد الفين من الاحابيش سوى
من استجاش من العرب وانفق عليهم اربعين اوقية والاوقية اثنان واربعون مثقالا ان
الذين كفروا ينفقون اموالهم ليصدوا عن سبيل الله فسينفقونها ثم تكون عليهم
حسرة ثم يغلبون ليصدوا عن سبيل الله اي كان غرضهم في الانفاق الصد عن اتباع محمد صلى
الله عليه وسلم وهو سبيل الله وان لم يكن عندهم كذلك ثم تكون عليهم حسرة اي يكون عاقبة
انفاقها ندما وحسرة فكانت ذاتها تصير ندما وتنقلب حسرة ثم يغلبون اخر الامر وان
كانت الحرب بينهم وبين المؤمنين سجالا قبل ذلك فيرجعون طلقاء كتب الله لاغلبن انا ورسلي

والذين كفروا الى جهنم يحشرون ليميز الله الخبيث من الطيب ويجعل الخبيث بعضه على
بعض فيركمه جميعا فيجعله في جهنم اولئك هم الخاسرون والذين كفروا والكافرون منهم
الى جهنم يحشرون لان منهم من اسلم وحسن اسلامه ليميز الله الخبيث الفريق الخبيث من الكفار من
الفريق الطيب من المؤمنين فيجعل الفريق الخبيث بعضه على بعض فيركمه جميعا عبارة عن الجمع
والضم حتى يتراكبوا كقوله تعالى كادوا يكونون عليه لبدا يعني لفرط ازدحامهم اولئك
اشارة الى الفريق الخبيث وقيل ليميز المال الخبيث الذي انفقه المشركون في عداوة رسول
الله صلى الله عليه وسلم من المال الطيب الذي انفقه المسلمون كابي بكر وعمر وعثمان رضي الله
عنهم في نصرته فيركمه فيجعله في جهنم في جملة ما يعذبون به كقوله تعالى فتكوى بها جباههم
وجنوبهم الاية واللام على هذا متعلقة بقوله ثم تكون عليهم حسرة وعلى الاول بيحشرون
اولئك اشارة الى الذين كفروا وقرئ ليميز على التخفيف قل للذين كفروا ان ينتهوا يغفر لهم
ما قد سلف وان يعودوا فقد مضت سنة الاولين قل للذين كفروا من ابي سفيان
واصحابه اي قل لاجلهم هذا القول وهو ان ينتهوا ولو كان بمعنى خاطبهم به لقيل ان تنتهوا يغفر
لكم وهي في قراءة ابن مسعود ونحوه وقال الذين كفروا للذين امنوا لو كان خيرا ما سبقونا اليه
خاطبوا به غيرهم لاجلهم ليسمعوه اي ان ينتهوا عما هم عليه من عداوة رسول الله عليه السلام
وقتاله بالدخول في الاسلام يغفر لهم ما قد سلف لهم من العداوة وان يعودوا لقتاله
فقد مضت سنة الاولين منهم الذين حاق بهم مكرهم يوم بدر او فقد مضت سنة الذين
تحزبوا على انبيائهم من الامم فدمروا فليتوقعوا مثل ذلك ان لم ينتهوا وقيل معناه ان الكفار
اذا انتهوا عن الكفر واسلموا غفر لهم من الكفر والمعاصي وخرجوا منها كما تنسل الشعرة من العجين
ومنه قول رسول الله صلى الله عليه وسلم الاسلام يجب ما قبله وقيل الحربي اذا اسلم لم تبق
عليه تبعة قط واما الذمي فلا يلزمه قضاء حقوق الله وتبقى عليه حقوق الادميين وبه احتج
ابو حنيفة رضي الله عنه في ان المرتد اذا اسلم لم يلزمه قضاء العبادات المتروكة في حال الردة
وقبلها وفسروا ان يعودوا بالارتداد وقرئ يغفر على ان الضمير لله تعالى وقاتلوهم حتى
لا تكون فتنة ويكون الدين كله لله فان انتهوا فان الله بما يعملون بصير وان
تولوا فاعلموا ان الله مولاكم نعم المولى ونعم النصير وقاتلوهم حتى لا تكون فتنة الى ان
لا يوجد فيهم شرك قط ويكون الدين كله لله ويضمحل عنهم كل دين باطل ويبقى فيهم دين الاسلام
وحده فان انتهوا عن الكفر واسلموا فان الله بما يعملون بصير يثيبهم على توبتهم واسلامهم وقرئ
تعملون بالتاء فيكون المعنى فان الله بما تعملون من الجهاد في سبيله والدعوة الى دينه والاخراج
من ظلمة الكفر الى نور الاسلام بصير يجازيكم عليه احسن الجزاء فان تولوا ولم ينتهوا فان الله
مولاكم اي ناصركم ومعينكم فثقوا بولايته ونصرته واعلموا انما غنمتم من شيء فان لله خمسه
وللرسول ولذي القربى واليتامى والمساكين وابن السبيل ان كنتم امنتم بالله وما
انزلنا على عبدنا يوم الفرقان يوم التقى الجمعان والله على كل شيء قدير انما غنمتم
ما موصولة ومن شيء بيانه قيل من شيء حتى الخيط والمخيط فان لله مبتدأ خبره محذوف تقديره
فحق او فواجب ان لله خمسه وروى الجعفي عن ابي عمرو فان لله بالكسر وتقويه قراءة النخعي فلله

خمسه

خمسه والمشهور اكد واثبت للايجاب كانه قيل فلابد من ثبات الخمس فيه ولا سبيل الى الاخلال
به والتفريط فيه من حيث انه اذا حذف الخبر واحتمل غير واحد من المقدرات كقولك ثابت واجب
حق لازم وما اشبه ذلك كان اقوى لايجابه من النص على واحد وقرئ خمسه بالسكون فان قلت
كيف قسمة الخمس عند ابي حنيفة رحمة الله عليه انها كانت في عهد رسول الله عليه السلام
على خمسة اسهم سهم لرسول الله عليه السلام وسهم لذوي قرباه من بني هاشم وبني المطلب دون
بني عبد شمس وبني نوفل استحقوه حينئذ بالنصرة والمظاهرة لما روي عن عثمان وجبير بن مطعم
رضي الله عنهما انهما قالا لرسول الله عليه السلام هؤلاء اخوتك بنو هاشم لا ننكر فضلهم لمكانك الذي
جعلك الله منهم ارايت اخواننا بني المطلب اعطيتهم وحرمتنا وانما نحن وهم بمنزلة واحدة فقال النبي
صلى الله عليه وسلم انهم لم يفارقونا في جاهلية ولا اسلام انما بنو هاشم وبنو المطلب شيء واحد
وشبك بين اصابعه وثلاثة اسهم لليتامى والمساكين وابن السبيل واما بعد رسول الله صلى
الله عليه وسلم فسهمه ساقط بموته وكذلك سهم ذوي القربى وانما يعطون لفقرهم فهم اسوة سائر
الفقراء ولا يعطى اغنياؤهم فيقسم على اليتامى والمساكين وابن السبيل واما عند الامام الشافعي
رضي الله عنه فيقسم على خمسة اسهم سهم لرسول الله صلى الله عليه وسلم يصرف الى ما كان يصرفه
اليه من مصالح المسلمين كعدة الغزاة من الكراع والسلاح ونحو ذلك وسهم لذوي القربى من
اغنيائهم وفقرائهم يقسم بينهم للذكر مثل حظ الانثيين والباقي للفرق الثلاث وعند مالك بن انس
رضي الله عنه الامر فيه مفوض الى اجتهاد الامام ان راى قسمه بين هؤلاء وان راى قسمه
بين هؤلاء وان راى اعطاه بعضهم دون بعض وان راى غيرهم اولى واهم فغيرهم فان قلت
ما معنى ذكر الله وعطف الرسول وغيره عليه يحتمل ان يكون معنى لله وللرسول
لرسول الله كقوله تعالى والله ورسوله احق ان يرضوه وان يراد بذكره ايجاب سهم
سادس يصرف الى وجه من وجوه القرب وان يراد بقوله فان لله خمسه ان من حق الخمس
ان يكون متقربا به اليه لا غير ثم خص من وجوه القرب هذه الخمسة تفضيلا لها على غيرها كقوله
تعالى وجبريل وميكائيل فعلى الاحتمال الاول مذهب الامامين وعلى الثاني ما قال ابو العالية
انه يقسم على ستة اسهم سهم لله تعالى يصرف الى رتاج الكعبة وعنه كان رسول الله عليه السلام
ياخذ الخمس فيضرب بيده فيه فياخذ منه قبضة فيجعلها للكعبة وهو سهم الله ثم يقسم ما بقي
على خمسة وقيل ان سهم الله لبيت المال وعلى الثالث مذهب مالك بن انس رضي الله عنهما
وعن ابن عباس رضي الله عنه انه كان يقسم على ستة لله وللرسول سهمان وسهم لاقاربه حتى قبض
فاجرى ابو بكر رضي الله عنه الخمس على ثلاثة وكذلك روي عن عمر رضي الله عنه ومن بعده من الخلفاء
وروي ان ابا بكر رضي الله عنه منع بني هاشم الخمس وقال انما لكم ان يعطى فقيركم ويزوج ايمكم
ويخدم من لا خادم له منكم فاما الغني منكم فهو بمنزلة ابن سبيل غني لا يعطى من الصدقة شيئا
ولا يتيم موسر وعن زيد بن علي رضي الله عنهما كذلك قال ليس لنا ان نبني منه قصورا ولا ان
نركب منه البراذين وقيل الخمس كله للقرابة وعن علي رضي الله عنه انه قيل له ان الله تعالى
قال واليتامى والمساكين فقال ايتامنا ومساكيننا وعن الحسن في سهم رسول الله صلى الله عليه وسلم
انه لولي الامر من بعده وعن الكلبي ان الاية نزلت ببدر وقال الواقدي كان الخمس في غزوة بني

فيقاع بعد بدر بشهر وثلثة ايام للنصف من شوال على راس عشرين شهرا من الهجرة فان قلت بم تعلق
قوله ان كنتم امنتم بالله بمحذوف يدل عليه واعلموا المعنى ان كنتم امنتم بالله فاعلموا ان الخمس
من الغنيمة يجب التقرب به فاقطعوا عنه اطماعكم واقتنعوا بالاخماس الاربعة وليس المراد بالعلم العلم
المجرد ولكنه العلم المضمن بالعمل والطاعة لامر الله لان العلم المجرد يستوي فيه المومن والكافر وما
انزلنا معطوف على بالله اى ان كنتم امنتم بالله وبالمنزل على عبدنا وقرئ عُبُدِنا كقوله تعالى وعَبُدَ
الطاغوت يوم الفرقان يوم بدر والجمعان الفريقان من المسلمين والكافرين والمراد ما انزل عليه
من الايات والملئكة والفتح يومئذ والله على كل شيء قدير يقدر ان ينصر القليل على الكثير والذليل
على العزيز كما فعل بكم ذلك اليوم اذ انتم بالعدوة الدنيا وهم بالعدوة القصوى والركب
اسفل منكم ولو تواعدتم لاختلفتم في الميعاد ولكن ليقضي الله امرا كان مفعولا اذ
بدل من يوم الفرقان والعدوة شط الوادي بالكسر والضم والفتح وقرئ بهن وبالعدية على قلب الوا
و ياء لان بينها وبين الكسرة حاجزا غير حصين كما في الصبية والدنيا والقصوى تانيثا الادنى والاقصى
فان قلت كلتاهما فعلى من بنات الواو فلم جاءت احداهما بالياء والثانية بالواو
القياس هو قلب الواو ياء كالعليا واما القصوى فكالقود في مجيئه على الاصل وقد جاء القصيا الا
ان استعمال القصوى اكثر كما كثر استعمال استصوب مع مجيء استصاب واغيلت مع اغالت والعدوة
الدنيا مما يلي المدينة والقصوى مما يلي مكة والركب اسفل منكم يعني الركب الاربعين الذين
كانوا يقودون العير اسفل منكم بالساحل واسفل نصب على الظرف معناه مكانا اسفل من مكانكم
وهو مرفوع المحل لانه خبر للمبتدأ فان قلت ما فائدة هذا التوقيت وذكر مراكز الفريقين
وان العير كانت اسفل منهم الفائدة فيه الاخبار عن الحال الدالة على قوة شان العدو
وتكامل عدته وتمهد اسباب الغلبة له وضعف شان المسلمين والتياث امرهم وان غلبتهم في مثل
هذه الحال ليست الا صنعا من الله تعالى ودليلا على ان ذلك امر لم يتيسر الا بحوله وقوته وباهر
قدرته وذلك ان العدوة القصوى التي اناخ بها المشركون كان فيها الماء وكانت ارضا لا باس
بها ولا ماء بالعدوة الدنيا وهي خبار تسوخ فيها الارجل ولا يمشى فيها الا بتعب ومشقة وكانت
العير وراء ظهور العدو مع كثرة عددهم فكانت الحماية دونها تضاعف حميتهم وتشحذ في المقاتلة
عنها نياتهم ولهذا كانت العرب تخرج الى الحرب بظعنهم واموالهم ليبعثهم الذب عن الحريم والغيرة على
الحرم على بذل جهيداهم في القتال وان لا يتركوا وراءهم ما يحدثون انفسهم بالانحياز اليه فيجمع
ذلك قلوبهم ويضبط هممهم ويوطن نفوسهم على ان لا يبرحوا مواطنهم ولا يخلوا مراكزهم ويبذلوا
منتهى نجدتهم وقصارى شدتهم وفيه تصوير ما دبر الله تعالى من امر وقعة بدر ليقضي الله
امرا كان مفعولا من اعزاز دينه واعلاء كلمته حين وعد المسلمين احدى الطائفتين مبهمة غير مبينة
حتى خرجوا ليأخذوا العير راغبين في الخروج وشخص بقريش مرعوبين مما بلغهم من تعرض رسول
الله صلى الله عليه وسلم لاموالهم حتى نفروا ليمنعوا عيرهم وسبب الاسباب حتى اناخ هؤلاء
بالعدوة الدنيا وهؤلاء بالعدوة القصوى ووراءهم العير يحامون عليها حتى قامت الحرب على
ساق وكان ما كان ولو تواعدتم انتم واهل مكة وتواضعتم بينكم على موعد تلتقون فيه
للقتال لخالف بعضكم بعضا فثبطكم قلتكم وكثرتهم عن الوفاء بالموعد وثبطهم ما في قلوبهم من تهيب

رسول الله صلى الله عليه وسلم والمومنين فلم يتفق لكم من التلاقي ما وفقه الله وسبب له ليقضي
متعلق بمحذوف اى ليقضي امرا كان واجبا ان يفعل وهو نصر اوليائه وقهر اعدائه دبر ذلك
ليهلك من هلك عن بينة ويحيى من حي عن بينة وان الله لسميع عليم وقوله ليهلك بدل
منه واستعير الهلاك والحيوة للكفر والاسلام اى ليصدر كفر من كفر عن وضوح بينة لا عن مخالجة
شبهة حتى لا يبقى له على الله حجة ويصدر اسلام من اسلم ايضا عن يقين وعلم بانه دين الحق الذي
يجب الدخول فيه والتمسك به وذلك ان ما كان من وقعة بدر من الايات الغر المحجلة التي
من كفر بعدها كان مكابرا لنفسه مغالطا لها وقرئ ليهلك بفتح اللام وحيي باظهار
التضعيف لسميع عليم يعلم كيف يدبر اموركم ويسوي مصالحكم او لسميع عليم بكفر من كفر
وعقابه وبايمان من امن وثوابه اذ يريكهم الله في منامك قليلا ولو اريكهم كثيرا لفشلتم
ولتنازعتم في الامر ولكن الله سلم انه عليم بذات الصدور اذ يريكهم الله نصبه باضمار
اذكر او هو بدل ثان من يوم الفرقان او متعلق بقوله لسميع عليم اى يعلم المصالح اذ يقللهم
في عينك في منامك في رؤياك وذلك ان الله عز وجل اراهم اياه في رؤياه قليلا فاخبر بذلك اصحابه
فكان تثبيتا لهم وتشجيعا على عدوهم وعن الحسن رحمه الله في منامك في عينك لانها مكان
النوم كما قيل للقطيفة المنامة لانه ينام فيها وهذا تفسير فيه تعسف وما احسب الرواية فيه
صحيحة عن الحسن وما يلائم علمه بكلام العرب وفصاحته لفشلتم لجبنتم وهبتم الاقدام ولتنازعتم
في الراي وتفرقت فيما تصنعون كلمتكم وترجحتم بين الثبات والفرار ولكن الله سلم اى عصم
وانعم بالسلامة من الفشل والتنازع والاختلاف انه عليم بذات الصدور يعلم ما سيكون
فيها من الجراة والجبن والصبر والجزع واذ يريكموهم اذ التقيتم في اعينكم قليلا ويقللكم
في اعينهم ليقضي الله امرا كان مفعولا والى الله ترجع الامور واذ يريكموهم الضميران له
مفعولان يعني واذ يبصركم اياهم وقليلا نصب على الحال وانما قللهم في اعينهم تصديقا لرؤيا رسول
الله عليه السلام وليعاينوا ما اخبرهم به فيزداد يقينهم ويجدوا ويثبتوا قال ابن مسعود رضي
الله عنه لقد قللوا في اعيننا حتى قلت لرجل الى جنبي اتراهم سبعين قال اراهم مائة فاسرنا منهم
رجلا فقلنا كم كنتم قال الفا ويقللكم في اعينهم حتى قال قائل منهم انما هم اكلة جزور فان قلت
الغرض في تقليل الكفار في اعين المومنين ظاهر فما الغرض في تقليل المومنين في اعينهم
قد قللهم في اعينهم قبل اللقاء ثم كثرهم فيها بعده ليجترئوا عليهم قلة مبالاة بهم ثم تفجاهم الكثرة
فيبهتوا ويهابوا وتفل شوكتهم حين يرون ما لم يكن في حسابهم وتقديرهم وذلك قوله تعالى
يرونهم مثليهم راى العين ولئلا يستعدوا لهم وليعظم الاحتجاج عليهم باستيضاح الاية البينة
من قلتهم اولا وكثرتهم اخرا فان قلت باي طريق يبصرون الكثير قليلا بان يستر
الله عنهم بعضه بساتر او يحدث في عيونهم ما يستقلون به الكثير كما احدث في اعين الحول
ما يرون به الواحد اثنين قيل لبعضهم ان الاحول يرى الواحد اثنين وكان بين يديه ديك
واحد فقال ما لي لا ارى هذين الديكين اربعة يا ايها الذين امنوا اذا لقيتم فئة
فاثبتوا واذكروا الله كثيرا لعلكم تفلحون اذا لقيتم اذا حاربتم جماعة من الكفار

ترك أن يصفها لأن المؤمنين ما كانوا يلقون إلا الكفار واللقاء اسم للقتال غالب فاثبتوا لقتالهم
ولا تفروا واذكروا الله كثيرا في مواطن الحرب مستظهرين بذكره مستنصرين به داعين له على عدوكم
اللهم اخذلهم اللهم اقطع دابرهم لعلكم تفلحون لعلكم تظفرون بمرادكم وفيه إشعار بأن على
العبد أن لا يفتر عن ذكر ربه أشغل ما يكون قلبا وأكثر ما يكون هما وأن تكون نفسه مجتمعة لذلك
وإن كانت متوزعة عن غيره وناهيك بما في خطب أمير المؤمنين في أيام صفين وفي مشاهده مع
البغاة والخوارج من البلاغة والبيان ولطائف المعاني وبليغات المواعظ والنصائح دليلا على
أنهم كانوا لا يشغلهم عن ذكر الله شاغل وإن تفاقم الأمر **وأطيعوا الله ورسوله ولا تنازعوا**
فتفشلوا وتذهب ريحكم واصبروا إن الله مع الصابرين ولا تنازعوا قرئ بتشديد
التاء فتفشلوا منصوب بإضمار أن أو مجزوم لدخوله في حكم النهي ويدل على الثاني قراءة
من قرأ وتذهب ريحكم بالتاء والنصب وقراءة من قرأ ويذهب ريحكم بالياء والجزم والريح
الدولة شبهت في نفوذ أمرها وتمشيه بالريح وهبوبها فقيل هبت رياح فلان إذا دالت له
الدولة ونفذ أمره ومنه قوله يا صاحبيّ ألا لا حيّ بالوادي * إلا عبيد قعود بين أذواد
أتنظران قليلا ريث غفلتهم * أم تعدوان فإن الريح للعادي
وقيل لم يكن قط نصر إلا بريح يبعثها الله تعالى وفي الحديث نصرت بالصبا وأهلكت عاد بالدبور
حذرهم بالنهي عن التنازع واختلاف الرأي نحو ما وقع لهم بأحد لمخالفتهم رسول الله صلى الله عليه وسلم
من فشلهم وذهاب ريحهم **ولا تكونوا كالذين خرجوا من ديارهم بطرا ورئاء الناس ويصدون**
عن سبيل الله والله بما يعملون محيط كالذين خرجوا من ديارهم أهل مكة حين نفروا
لحماية العير فأتاهم رسول أبي سفيان وهم بالجحفة أن ارجعوا فقد سلمت عيركم فأبى أبو جهل وقال
حتى نقدم بدرا نشرب بها الخمور وتعزف علينا القيان ونطعم بها من حضرنا من العرب فذلك بطرهم
ورئاؤهم الناس بإطعامهم فوافوها فسقوا كؤوس المنايا مكان الخمر وناحت عليهم النوائح مكان
القيان فنهاهم أن يكونوا مثلهم بطرين مرائين بأعمالهم وأن يكونوا من أهل التقوى والكآبة
والحزن من خشية الله مخلصين أعمالهم لله **وإذ زين لهم الشيطان أعمالهم وقال لا غالب لكم**
اليوم من الناس وإني جار لكم فلما تراءت الفئتان نكص على عقبيه وقال إني بريء منكم
إني أرى ما لا ترون إني أخاف الله والله شديد العقاب واذكر إذ زين لهم الشيطان
أعمالهم التي عملوها في معاداة رسول الله صلى الله عليه وسلم ووسوس إليهم أنهم لا يغلبون ولا
يطاقون وأوهمهم أن اتباع خطوات الشيطان وطاعته مما يجيرهم فلما التقى الفريقان نكص
الشيطان وتبرأ منهم أي بطل كيده حين نزلت جنود الله وكذا عن الحسن رحمه الله كان ذلك
على سبيل الوسوسة ولم يتمثل لهم وقيل لما اجتمعت قريش على السير ذكرت الذي بينها وبين
بني كنانة من الحرب فكاد ذلك يثنيهم فتمثل لهم إبليس في صورة سراقة بن مالك بن جعشم الشاعر
الكناني وكان من أشرافهم في جند من الشياطين معه راية وقال لا غالب لكم اليوم وإني مجيركم
من بني كنانة فلما رأى الملائكة تنزل نكص وقيل كانت يده في يد الحارث بن هشام فلما نكص
قال له الحارث إلى أين أتخذلنا في هذه الحال فقال إني أرى ما لا ترون ودفع في صدر الحارث
وانطلق وانهزموا فلما بلغوا مكة قالوا هزم الناس سراقة فبلغ ذلك سراقة فقال والله

من القدرة والنوع

ما شعرت بمسيركم حتى بلغتني هزيمتكم فلما أسلموا علموا أنه الشيطان وفي الحديث ما رؤي إبليس
يوما أصغر ولا أدحر ولا أغيظ من يوم عرفة لما يرى من نزول الرحمة إلا ما رؤي يوم بدر فإن
قلت هلا قيل لا غالبا لكم كما يقال لا ضاربا زيدا عندنا لو كان لكم مفعولا لغالب بمعنى
لا غالبا إياكم لكان الأمر كما قلت ولكنه خبر تقديره لا غالب كائن لكم **إذ يقول المنافقون**
والذين في قلوبهم مرض غر هؤلاء دينهم ومن يتوكل على الله فإن الله عزيز حكيم
إذ يقول المنافقون بالمدينة والذين في قلوبهم مرض يجوز أن يكون من صفة المنافقين وأن يراد
الذين هم على حرف ليسوا بثابتي الأقدام في الإسلام وعن الحسن هم المشركون غر هؤلاء يعنون
المسلمين اغتروا بدينهم وأنهم يتقوون به وينصرون من أجله فخرجوا وهم ثلاثمائة وبضعة
عشر إلى زهاء ألف ثم قال جوابا لهم ومن يتوكل على الله فإن الله عزيز غالب يسلط القليل الضعيف
على الكثير القوي **ولو ترى إذ يتوفى الذين كفروا الملائكة يضربون وجوههم وأدبارهم**
وذوقوا عذاب الحريق ولو ترى ولو عاينت وشاهدت لأن لو ترد المضارع إلى معنى الماضي
كما ترد إن الماضي إلى معنى الاستقبال وإذ نصب على الظرف وقرئ يتوفى بالياء والتاء والملائكة
رفعها بالفعل ويضربون حال منهم ويجوز أن يكون في يتوفى ضمير الله عز وجل والملائكة
مرفوعة بالابتداء ويضربون خبر وعن مجاهد أدبارهم أستاههم ولكن الله كريم يكني وإنما
خصوها بالضرب لأن الخزي والنكال في ضربها أشد وبلغني عن أهل الصين أن عقوبة الزاني
عندهم أن يصبر ثم يعطى الرجل القوي البطش شبا على من حديد كهيئة الطبق فيه رزانة وله
مقبض فيضرب به على دبره ضربة واحدة بقوته فيجحد في مكانه وقيل يضربون ما أقبل منهم وما
أدبر وذوقوا معطوف على يضربون على إرادة القول أي ويقولون ذوقوا عذاب الحريق أي
مقدمة عذاب النار أو ذوقوا عذاب الآخرة بشارة لهم به وقيل كانت معهم مقامع من حديد
كلما ضربوا بها التهبت النار أو ويقال لهم يوم القيامة ذوقوا وجواب لو محذوف أي لرأيت
أمرا فظيعا منكرا **ذلك بما قدمت أيديكم وأن الله ليس بظلام للعبيد كدأب آل**
فرعون والذين من قبلهم كفروا بآيات الله فأخذهم الله بذنوبهم إن الله قوي شديد
العقاب ذلك بأن الله لم يك مغيرا نعمة أنعمها على قوم حتى يغيروا ما بأنفسهم
وأن الله سميع عليم ذلك بما قدمت أيديكم يحتمل أن يكون من كلام الله تعالى ومن كلام
الملائكة وذلك رفع بالابتداء وبما قدمت خبره وأن الله عطف عليه أي ذلك العذاب بسبب
بسبب كفركم ومعاصيكم وبأن الله ليس بظلام للعبيد لأن تعذيب الكفار من العدل كإثابة
المؤمنين وقيل ظلام للتكثير لأجل العبيد أو لأن العذاب من العظم بحيث لولا الاستحقاق
لكان المعذب بمثله ظلاما بليغ الظلم متفاقمه الكاف في محل الرفع أي دأب هؤلاء مثل
دأب آل فرعون ودأبهم عادتهم وعملهم الذي دأبوا فيه أي داوموا عليه وواظبوا وكفروا
تفسير لدأب آل فرعون وذلك إشارة إلى ما حل بهم يعني ذلك العذاب أو الانتقام بسبب
أن الله لم ينبغ له ولم يصح في حكمته أن يغير نعمته عند قوم حتى يغيروا ما بهم من الحال **فإن قلت**
فما كان من تغيير آل فرعون ومشركي مكة حتى غير الله نعمته عليهم ولم تكن لهم حال مرضية فيغيروها
إلى حال مسخوطة كما تغير الحال المرضية إلى المسخوطة تغير الحال المسخوطة إلى أسخط

منها واولئك كانوا قبل بعثة الرسول اليهم كفرة عبدة اصنام فلما بعث اليهم بالآيات البينات
كذبوه وعادوه وتحزبوا عليه ساعين في اراقة دمه غيروا حالهم الى اسوء مما كانت فغير الله
ما انعم به عليهم من الامهال وعاجلهم بالعذاب والله سميع لما يقولون مكذبوا الرسل عليم بما
يفعلون كدأب آل فرعون والذين من قبلهم كذبوا بآيات ربهم فاهلكناهم بذنوبهم
واغرقنا آل فرعون وكل كانوا ظالمين ان شر الدواب عند الله الذين كفروا
فهم لا يؤمنون كدأب آل فرعون تكرير للتأكيد وفي قوله تعالى بآيات ربهم زيادة دلالة
على كفران النعم وجحود الحق وفي ذكر الاغراق بيان للاخذ بالذنوب وكل كانوا ظالمين وكلهم من
غرقى القبط وقتلى قريش كانوا ظالمين انفسهم بالكفر والمعاصي الذين كفروا فهم لا يؤمنون اي
اصروا على الكفر ولجوا فيه فلا يتوقع منهم ايمان وهم بنو قريظة عاهدهم رسول الله عليه السلام
ان لا يمالئوا عليه فنكثوا بان اعانوا مشركي مكة بالسلاح وقالوا نسينا واخطأنا ثم عاهدهم فنكثوا
ومالوا معهم يوم الخندق وانطلق كعب بن الاشرف الى مكة فحالفهم الذين عاهدت
منهم ثم ينقضون عهدهم في كل مرة وهم لا يتقون الذين عاهدت منهم بدل من الذين
كفروا اي الذين عاهدتهم من الذين كفروا جعلهم شر الدواب لان شر الناس الكفار وشر
الكفار المصرون منهم وشر المصرين الناكثون للعهود وهم لا يتقون لا يخافون عاقبة الغدر
ولا يبالون بما فيه من العار والنار فاما تثقفنهم في الحرب فشرد بهم من خلفهم لعلهم
يذكرون فاما تثقفنهم فاما تصادفنهم وتظفرن بهم فشرد بهم من خلفهم ففرق عن محاربتك
ومناصبتك بقتلهم شر قتلة والنكاية فيهم من وراءهم من الكفرة حتى لا يجسر عليك احد بعدهم
اعتبارا بهم واتعاظا بحالهم وقرأ ابن مسعود فشرذ بالذال المعجمة بمعنى ففرق وكانه مقلوب
شذر من قولهم ذهبوا شذر مذر ومنه الشذر الملتقط من المعدن وقرأ ابو حيوة من
خلفهم ومعناه فافعل التشريد من ورائهم لانه اذا شرد الذين وراءهم فقد فعل التشريد
في الوراء واوقعه فيه لان الوراء جهة المشردين فاذا جعل الوراء ظرفا للتشريد فقد دل على
تشريد من فيه فلم يبق فرق بين القراءتين لعلهم يذكرون لعل المشردين من ورائهم يتعظون
واما تخافن من قوم خيانة فانبذ اليهم على سواء ان الله لا يحب الخائنين واما تخافن
من قوم معاهدين خيانة ونكثا بامارات تلوح لك فانبذ اليهم فاطرح اليهم العهد على سواء
على طريق مستو قصد وذلك ان تظهر لهم نبذ العهد وتخبرهم اخبارا مكشوفا بينا انك قطعت
ما بينك وبينهم ولا تناجزهم الحرب وهم على توهم بقاء العهد فيكون ذلك خيانة منك ان الله
لا يحب الخائنين فلا يكن منك اخفاء نكث العهد والخداع وقيل على سواء في العلم بنقض العهد
وقيل على استواء في العداوة والجار والمجرور في موضع الحال كانه قيل فانبذ اليهم ثابتا على طريق
قصد سوي او حاصلين على استواء في العلم او العداوة او على حال من النابذ والمنبوذ اليهم
معا ولا يحسبن الذين كفروا سبقوا انهم لا يعجزون سبقوا فاتوا وافلتوا من ان يظفر بهم
انهم لا يعجزون انهم لا يفوتون ولا يجدون طالبهم عاجزا عن ادراكهم وقرئ انهم بالفتح
بمعنى لانهم وكل واحدة من المكسورة والمفتوحة تعليل الا ان المكسورة على طريقة الاستئناف
والمفتوحة تعليل صريح وقرئ يعجزون بالتشديد وقرأ ابن محيصن يعجزون بكسر النون وقرأ

الاعمش ولا تحسب الذين كفروا بكسر الباء وبفتحها على حذف النون الخفيفة وقرأ حمزة ولا يحسبن
بالياء على ان الفعل للذين كفروا وقيل فيه اصله ان سبقوا فحذفت ان كقوله تعالى ومن آياته
يريكم البرق واستدل عليه بقراءة ابن مسعود انهم سبقوا وقيل وقع الفعل على انهم لا يعجزون
على ان لا صلة وسبقوا في محل الحال بمعنى سابقين اي مفلتين هاربين وقيل معناه ولا يحسبنهم
الذين كفروا سبقوا فحذف الضمير لكونه مفهوما وقيل ولا يحسبن قبيل المؤمنين الذين
كفروا سبقوا وهذه الاقاويل كلها متمحلة وليست هذه القراءة التي تفرد بها حمزة بنيرة
وعن الزهري انها نزلت فيمن افلت من فل المشركين واعدوا لهم ما استطعتم من قوة ومن
رباط الخيل ترهبون به عدو الله وعدوكم وآخرين من دونهم لا تعلمونهم الله يعلمهم
وما تنفقوا من شيء في سبيل الله يوف اليكم وانتم لا تظلمون من قوة من كل ما يتقوى
به في الحرب من عددها وعن عقبة بن عامر رضي الله عنه سمعت رسول الله عليه السلام
يقول على المنبر الا ان القوة الرمي قالها ثلاثا ومات عقبة عن سبعين قوسا في سبيل الله
وعن عكرمة هي الحصون والرباط اسم للخيل التي تربط في سبيل الله ويجوز ان يسمى بالرباط
الذي هو بمعنى المرابطة ويجوز ان يكون جمع ربيط كفصيل وفصال وقرأ الحسن ومن
ربط الخيل بضم الباء وسكونها ويجوز ان يكون قوله تعالى من رباط الخيل تخصيصا للخيل من
بين ما يتقوى به كقوله عز وجل وجبريل وميكائيل وعن ابن سيرين انه سئل عمن اوصى بثلث
ماله في الحصون فقال تشترى به الخيل فترابط في سبيل الله ويغزى عليها فقيل انما اوصى في
الحصون فقال الم تسمع قول الشاعر ان الحصون الخيل لا مدر القرى ترهبون قرئ
بالتخفيف والتشديد وقرأ ابن عباس ومجاهد تخزون به والضمير في به راجع الى ما
استطعتم عدو الله وعدوكم هم اهل مكة وآخرين من دونهم هم اليهود وقيل المنافقون
وعن السدي هم اهل فارس وقيل كفرة الجن وجاء في الحديث ان الشيطان لا يقرب صاحب فرس
ولا دارا فيها فرس عتيق وروي ان صهيل الخيل يرهب الجن وان جنحوا للسلم فاجنح لها
وتوكل على الله انه هو السميع العليم جنح له واليه اذا مال والسلم تؤنث تأنيث نقيضها
وهي الحرب قال السلم تأخذ منها ما رضيت به والحرب تكفيك من انفاسها جرع
وقرئ بفتح السين وكسرها وعن ابن عباس رضي الله عنهما ان الآية منسوخة بقوله تعالى
قاتلوا الذين لا يؤمنون بالله وعن مجاهد بقوله فاقتلوا المشركين حيث وجدتموهم والصحيح
ان الامر موقوف على ما يرى فيه الامام صلاح الاسلام واهله من حرب او سلم وليس بحتم ان
يقاتلوا ابدا او يجابوا الى الهدنة ابدا وقرأ الاشهب العقيلي فاجنح بضم النون وتوكل على الله ولا
تخف من ابطانهم المكر في جنوحهم الى السلم فان الله كافيك وعاصمك من مكرهم وحد بغتهم قال
مجاهد يريد قريظة وان يريدوا ان يخدعوك فان حسبك الله هو الذي ايدك بنصره
وبالمؤمنين والف بين قلوبهم لو انفقت ما في الارض جميعا ما الفت بين قلوبهم
ولكن الله الف بينهم انه عزيز حكيم فان حسبك الله فان محسبك الله قال جرير
اني وجدت من المكارم حسبكم ان تلبسوا خز الثياب وتشبعوا والف بين قلوبهم
التأليف بين قلوب من بعث اليهم رسول الله عليه السلام من الآيات الباهرة لان العرب لما

فيهم من الحمية والعصبية والانطواء على الضغينة في ادنى شي والقائه بين اعينهم الى ان ينتقموا
لا يكاد يأتلف فيهم قلبان ثم ائتلفت قلوبهم على اتباع رسول الله صلى الله عليه وسلم واتحدوا
وانشاوا يرمون عن قوس واحدة وذلك لما نظم الله من الفتهم وجمع من كلمتهم واحدث بينهم من
التحاب والتواد واماط عنهم من التباغض والتماقت وكلفهم من الحب في الله والبغض في الله ولا يقدر
على ذلك الا من يملك القلوب فهو يقلبها كما يشاء ويصنع فيها ما اراد وقيل هم الاوس والخزرج
كان بينهم من الحروب والوقايع ما اهلك ساداتهم ورؤساهم ودق جماجمهم ولم يكن لبغضائهم
امد ومنتهى وبينهما التجاور الذي يهيج الضغاين ويديم التحاسد والتنافس وعادة كل طايفتين
كانتا بهذه المثابة ان تتجنب هذه ما آثرته اختها وتكرهه وتنفر عنه فانساهم الله ذلك كله
حتى اتفقوا على الطاعة وتصافوا وصاروا انصارا وعادوا اعوانا وما ذاك الا بلطيف صنعه
وبليغ قدرته **يا ايها النبي حسبك الله ومن اتبعك من المؤمنين** ومن اتبعك الواو بمعنى
مع وما بعده منصوب تقول حسبك وزيدا درهم ولا تجر لان عطف الظاهر المجرور على المكنى
ممتنع **قال** فحسبك والضحاك سيف مهند • والمعنى كفاك وكفى تباعك من المؤمنين الله ناصرا
او يكون في محل الرفع اي كفاك الله وكفاك المؤمنون وهذه الاية نزلت بالبيداء في غزوة بدر
قبل القتال وعن ابن عباس رضي الله عنهما نزلت في اسلام عمر رضي الله عنه **وعن** سعيد بن جبير
اسلم مع النبي عليه السلام ثلاثة وثلثون رجلا وست نسوة ثم اسلم عمر رضي الله عنه فنزلت
**يا ايها النبي حرض المؤمنين على القتال ان يكن منكم عشرون صابرون يغلبوا مائتين
وان يكن منكم مائة يغلبوا الفا من الذين كفروا بانهم قوم لا يفقهون الان خفف
الله عنكم وعلم ان فيكم ضعفا فان يكن منكم مائة صابرة يغلبوا مائتين وان يكن
منكم الف يغلبوا الفين باذن الله والله مع الصابرين** التحريض المبالغة في الحث على
الامر من الحرض وهو ان ينهكه المرض ويتبالغ فيه حتى يشفي على الموت • او ان يسميه حرضا ويقول
له ما اراك الا حرضا في هذا الامر وممرضا فيه ليهيجه ويحرك منه **وقرئ** حرص بالصاد
غير المعجمة حكاها الاخفش من الحرص ويقال حركه وحرضه وحرشه وحربه بمعنى وهذه عدة من الله
وبشارة بان الجماعة من المؤمنين ان صبروا غلبوا عشرة امثالهم من الكفار بعون الله وتاييده
ثم قال بانهم قوم لا يفقهون اي بسبب ان الكفار قوم جهلة يقاتلون على غير احتساب وطلب
ثواب كالبهائم فيقل ثباتهم ويعدمون لجهلهم بالله نصرته ويستحقون خذلانه خلاف من
يقاتل على بصيرة ومعه ما يستوجب به النصر والاظهار من الله تعالى **وعن** ابن جريج كان عليهم
ان لا يفروا ويثبت الواحد للعشرة وكان رسول الله صلى الله عليه وسلم بعث حمزة في ثلثين راكبا
فلقي ابا جهل في ثلثمائة راكب ثم ثقل عليهم ذلك وضجوا منه وذلك بعد مدة طويلة فنسخ وخفف
عنهم بمقاومة الواحد الاثنين وقيل كان فيهم قلة في الابتداء ثم لما كثروا بعد نزل التخفيف
وقرئ ضعفا بالضم والفتح كالمكث والمكث والفقر والفقر • وضعفاء جمع ضعيف • وقرئ
الفعل المسند الى المائة بالتاء والياء في الموضعين والمراد بالضعف الضعف في البدن • وقيل
في البصيرة والاستقامة في الدين وكانوا متفاوتين في ذلك **فان قلت** لم كرر المعنى
الواحد وهو مقاومة الجماعة لاكثر منها مرتين قبل التخفيف وبعده للدلالة على ان

الحال مع القلة والكثرة واحدة لا تتفاوت لان الحال قد تتفاوت بين مقاومة العشرين
المائتين والمائة الالف وكذلك بين مقاومة المائة المائتين والالف الالفين **ما كان
لنبي ان يكون له اسرى حتى يثخن في الارض تريدون عرض الدنيا والله يريد الاخرة
والله عزيز حكيم** **قرئ** للنبي على التعريف واسارى ويثخن بالتشديد ومعنى الاثخان
كثرة القتل والمبالغة فيه من قولهم اثخنته الجراحات اذا اثبتته حتى تثقل عليه الحركة
واثخنه المرض اذا اثقله من الثخانة التي هي الغلظ والكثافة حتى يذل الكفر ويضعفه باشاعة
القتل في اهله ويعز الاسلام ويقويه بالاستيلاء والقهر ثم الاسر بعد ذلك ومعنى ما كان ما
صح له وما استقام وكان هذا يوم بدر فلما كثر المسلمون نزل فاما منا بعد واما فداء **وروي**
ان رسول الله صلى الله عليه وسلم اتى بسبعين اسيرا فيهم العباس عمه وعقيل بن ابي طالب فاستشار
ابا بكر رضي الله عنه فيهم فقال قومك واهلك استبقهم لعل الله ان يتوب عليهم وخذ منهم فدية
تقوي بها اصحابك فقال عمر رضي الله عنه كذبوك واخرجوك فقدمهم واضرب اعناقهم
فان هولاء ايمة الكفر وان الله اغناك عن الفداء مكن عليا من عقيل وحمزة من العباس ومكني
من فلان لنسيب له فلنضرب اعناقهم فقال عليه السلام ان الله ليلين قلوب رجال حتى تكون
الين من اللبن وان الله ليشدد قلوب رجال حتى تكون اشد من الحجارة وان مثلك يا ابا بكر
مثل ابراهيم قال فمن تبعني فانه مني ومن عصاني فانك غفور رحيم ومثلك يا عمر مثل نوح قال
لا تذر على الارض من الكافرين ديارا ثم قال لاصحابه انتم اليوم عالة فلا يفلتن احد منهم الا بفداء او
ضرب عنق **وروي** انه قال لهم ان شئتم قتلتموهم وان شئتم فاديتموهم واستشهد منكم بعدتهم
فقالوا بل ناخذ الفداء فاستشهدوا باحد وكان فداء الاسارى عشرين اوقية وفداء العباس
اربعين اوقية وعن محمد بن سيرين كان فداؤهم مائة اوقية والاوقية اربعون درهما وستة
دنانير **وروي** انهم لما اخذوا الفداء نزلت الاية فدخل عمر على رسول الله عليه السلام فاذا
هو وابو بكر يبكيان فقال يا رسول الله اخبرني فان وجدت بكاء بكيت وان لم اجد تباكيت
فقال ابكي على اصحابك في اخذهم الفداء ولقد عرض علي عذابهم ادنى من هذه الشجرة لشجرة قريبة
منه **وروي** انه قال لو نزل عذاب من السماء لما نجا منه غير عمر وسعد بن معاذ لقوله كان
الاثخان في القتل احب الي عرض الدنيا حطامها سمي بذلك لانه حدث قليل اللبث يريد
الفداء والله يريد الاخرة يعني ما هو سبب الجنة من اعزاز الاسلام بالاثخان في القتل وقرئ
يريدون بالياء وقرا بعضهم والله يريد الاخرة بجر الاخرة على حذف المضاف وابقاء المضاف
اليه على حاله **كقوله** ونار توقد بالليل نارا معناه والله يريد عرض الاخرة
على التقابل يعني ثوابها والله عزيز يغلب اولياءه على اعدائه ويتمكنون منهم قتلا
واسرا ويطلق لهم الفداء ولكنه حكيم يؤخر ذلك الى ان يكثروا ويعزوا وهم يعجلون **لولا
كتاب من الله سبق لمسكم فيما اخذتم عذاب عظيم** لولا كتاب من الله سبق لولا حكم منه
سبق اثباته في اللوح وهو انه لا يعاقب احدا بخطا وكان هذا خطا في الاجتهاد لانهم نظروا في
ان استبقاءهم ربما كان سببا في اسلامهم وتوبتهم وان فداءهم يتقوى به على الجهاد في سبيل الله
وخفي عليهم ان قتلهم اعز للاسلام واهيب لمن وراءهم وافل لشوكتهم وقيل كتابه انه يحل لهم

الفدية التي اخذوها وقيل ان اهل بدر مغفور لهم وقيل انه لا يعذب قوما الا بعد تأكيد الحجة
وتقديم النهي ولم يتقدم نهي عن ذلك فكلوا مما غنمتم حلالا طيبا واتقوا الله ان الله غفور
رحيم فكلوا مما غنمتم روي انهم امسكوا عن الغنائم ولم يمدوا ايديهم اليها فنزلت وقيل
هو اباحة للفداء لانه من جملة الغنائم واتقوا الله فلا تقدموا على شيء لم يعهد اليكم فيه فان
قلت ما معنى الفاء التسبيب والسبب محذوف معناه قد ابحت لكم الغنائم فكلوا
مما غنمتم وحلالا نصب على الحال من المغنوم او صفة للمصدر اي اكلا حلالا وقوله ان الله غفور
رحيم معناه انكم اذا اتقيتموه بعد ما فرط منكم من استباحة الفداء قبل ان يؤذن لكم فيه غفر لكم
ورحمكم وتاب عليكم يا ايها النبي قل لمن في ايديكم من الاسارى ان يعلم الله في قلوبكم
خيرا يؤتكم خيرا مما اخذ منكم ويغفر لكم والله غفور رحيم في ايديكم في ملككم كأن
ايديكم قابضة عليهم وقرئ من الاسرى في قلوبكم خيرا خلوص ايمان وصحة نية يؤتكم
خيرا مما اخذ منكم من الفداء اما ان يخلفكم في الدنيا اضعافه او يثيبكم في الآخرة وفي قراءة
الاعمش يثبكم خيرا وعن العباس انه قال كنت مسلما لكنهم استكرهوني فقال رسول الله صلى الله
عليه وسلم ان يكن ما تذكر حقا فالله يجزيك فاما ظاهر امرك فقد كان علينا وكان احد الذين
ضمنوا اطعام اهل بدر وخرج بالذهب لذلك ويروى ان رسول الله عليه السلام قال للعباس
افد ابني اخيك عقيل بن ابي طالب ونوفل بن الحارث فقال يا محمد تركتني اتكفف قريشا ما بقيت
فقال له فاين الذهب الذي دفعته الى ام الفضل وقت خروجك من مكة وقلت لها ما ادري
ما يصيبني في وجهي هذا فان حدث بي حادث فهو لك ولعبد الله وعبيد الله والفضل فقال العباس
وما يدريك قال اخبرني به ربي قال العباس فانا اشهد انك صادق وان لا اله الا الله وانك
عبده ورسوله والله لم يطلع عليه احد الا الله ولقد دفعته اليها في سواد الليل ولقد كنت
مرتابا في امرك فاما اذ اخبرتني بذلك فلا ريب قال العباس فابدلني الله خيرا من ذلك لي الآن
عشرون عبدا ان ادناهم ليضرب في عشرين الفا واعطاني زمزم ما احب ان لي بها جميع اموال
اهل مكة وانا انتظر المغفرة من ربي وروي انه قدم على رسول الله عليه السلام مال البحرين
ثمانون الفا فتوضأ لصلاة الظهر وما صلى حتى فرقه وامر العباس ان يأخذ منه ما قدر على حمله
وكان يقول هذا خير مما اخذ مني وارجو المغفرة وقرأ الحسن وشيبة مما اخذ منكم على البناء
للفاعل وان يريدوا خيانتك فقد خانوا الله من قبل فامكن منهم والله عليم حكيم
وان يريدوا خيانتك نكث ما بايعوك عليه من الاسلام والردة واستحباب دين آبائهم فقد خانوا
الله من قبل في كفرهم به ونقض ما اخذ على كل عاقل من ميثاقه فامكن منهم كما رأيتم يوم بدر فسيمكن
منهم ان عادوا الى الخيانة وقيل المراد بالخيانة منع ما ضمنوا من الفداء ان الذين آمنوا وهاجروا
وجاهدوا باموالهم وانفسهم في سبيل الله والذين آووا ونصروا اولئك بعضهم
اولياء بعض والذين آمنوا ولم يهاجروا ما لكم من ولايتهم من شيء حتى يهاجروا وان
استنصروكم في الدين فعليكم النصر الا على قوم بينكم وبينهم ميثاق والله بما
تعملون بصير الذين هاجروا اي فارقوا اوطانهم وقومهم حبا لله ورسوله هم المهاجرون
والذين آووهم الى ديارهم ونصروهم على اعدائهم هم الانصار بعضهم اولياء بعض اي يتولى بعضهم

بعضا

بعضا في الميراث وكان المهاجرون والانصار يتوارثون بالهجرة والنصرة دون ذوي القرابات حتى
نسخ ذلك بقوله تعالى واولوا الارحام بعضهم اولى ببعض وقرئ من ولايتهم بالفتح والكسر
اي من توليهم في الميراث ووجه الكسر ان تولي بعضهم بعضا شبه بالعمل والصناعة كأنه بتوليه
صاحبه يزاول امرا ويباشر عملا فعليكم النصر فواجب عليكم ان تنصروهم على المشركين الا على قوم
معاهدين بينكم وبينهم عهد فانه لا يجوز لكم نصرهم عليهم لانهم لا يبتدئون بالقتال اذ الميثاق مانع
من ذلك والذين كفروا بعضهم اولياء بعض الا تفعلوه تكن فتنة في الارض وفساد كبير
والذين كفروا بعضهم اولياء بعض ومعناه نهي المسلمين عن موالاة الذين كفروا وموارثتهم وايجاب
مباعدتهم ومصارمتهم وان كانوا اقارب وان يتركوا يتوارثون بعضهم بعضا ثم قال الا تفعلوه
اي الا تفعلوا ما امرتكم به من تواصل المسلمين وتولي بعضهم بعضا حتى في التوارث تفضيلا
لنسبة الاسلام على نسبة القرابة ولم تقطعوا العلائق بينكم وبين الكفار ولم تجعلوا قرابتهم
كلا قرابة تحصل فتنة في الارض ومفسدة عظيمة لان المسلمين ما لم يصيروا يدا واحدة على الشرك
كان الشرك ظاهرا والفساد زائدا وقرئ كثير بالثاء والذين آمنوا وهاجروا وجاهدوا
في سبيل الله والذين آووا ونصروا اولئك هم المؤمنون حقا لهم مغفرة ورزق
كريم اولئك هم المؤمنون حقا لانهم صدقوا ايمانهم وحققوه بتحصيل مقتضياته من هجرة
الوطن ومفارقة الاهل والانسلاخ من المال لاجل الدين وليس بتكرار لان هذه الآية واردة
للثناء عليهم والشهادة لهم مع الموعد الكريم والاولى للامر بالتواصل والذين آمنوا من بعد
وهاجروا وجاهدوا معكم فاولئك منكم واولوا الارحام بعضهم اولى ببعض في كتاب
الله ان الله بكل شيء عليم والذين آمنوا من بعد يريد اللاحقين بعد السابقين الى الهجرة
كقوله تعالى والذين جاؤوا من بعدهم يقولون ربنا اغفر لنا ولاخواننا الذين سبقونا
بالايمان الحقهم بهم وجعلهم منهم تفضلا منه وترغيبا واولوا الارحام اولوا القرابات اولى
بالتوارث وهو نسخ للتوارث بالهجرة والنصرة في كتاب الله في حكمه وقسمته وقيل في اللوح وقيل
في القرآن وهو آية المواريث وقد استدل به اصحاب ابي حنيفة رحمه الله على توريث ذوي الارحام
عن رسول الله صلى الله عليه وسلم من قرأ سورة الانفال وبراءة فانا شفيع له يوم القيامة وشاهد
انه بريء من النفاق واعطي عشر حسنات بعدد كل منافق ومنافقة وكان العرش وحملته يستغفرون له
ايام حياته في الدنيا

براءة من الله ورسوله الى الذين عاهدتم من المشركين لها عدة اسماء براءة التوبة المقشقشة
المبعثرة المشردة المخزية الفاضحة المثيرة الحافرة المنكلة المدمدمة سورة العذاب
لان فيها التوبة على المؤمنين وهي تقشقش من النفاق اي تبرئ منه وتبعثر عن اسرار المنافقين
تبحث عنها وتثيرها وتحفر عنها وتفضحهم وتنكل بهم وتشرد بهم وتخزيهم وتدمدم عليهم وعن
حذيفة انكم تسمونها سورة التوبة وانما هي سورة العذاب والله ما تركت احدا الا نالت منه
فان قلت هلا صدرت بآية التسمية كما في سائر السور سأل عن ذلك ابن عباس عثمان
رضي الله عنهما فقال ان رسول الله صلى الله عليه وسلم اذا نزلت عليه السورة او الآية قال

اجعلوها في الموضع الذي يذكر فيه كذا وكذا وتوفي رسول الله صلى الله عليه وسلم ولم يبين لنا اين نضعها وكتابه
وكانت قصتها شبيهة بقصتها فلذلك قرنت بينهما وكانتا تدعيان القرينتين **وعن** ابي بن كعب
رضي الله عنه انما توهموا ذلك لان في الانفال ذكر العهود وفي براءة نبذ العهود وسئل ابن
عيينة فقال اسم الله سلام وامان فلا يكتب في النبذ والمحاربة **قال الله** سبحانه وتعالى ولا
تقولوا لمن القى اليكم السلم لست مؤمنا قيل فان النبي صلى الله عليه وسلم قد كتب الى اهل الحرب
بسم الله الرحمن الرحيم قالوا ثم ذلك ابتداء يدعوهم ولم ينبذ اليهم الا تراه يقول سلام على من اتبع
الهدى فمن دعي الى الله فاجاب ومن دعي الى الجزية فاجاب فقد اتبع الهدى واما النبذ فانما هو
البراءة واللعنة واهل الحرب لا يسلم عليهم ولا يقال لا تفرق ولا تخف ومترس ولا باس هذا امان
كله وقيل سورة الانفال والتوبة سورة واحدة كلتاهما نزلت في القتال تعدان السابعة
من الطول وهي سبع وما بعدها المئون وهذا قول ظاهر لانهما معا مائتان وست فهما بمنزلة احدى
الطول وقيل اختلف اصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال بعضهم الانفال وبراءة سورة
واحدة وقال بعضهم هما سورتان فتركت بينهما فرجة لقول من قال هما سورتان وتركت بسم الله
لقول من قال هما سورة واحدة براءة خبر مبتدا محذوف اي هذه براءة ومن لابتداء الغاية متعلق
بمحذوف وليس بصلة كما في قولك برئت من الدين والمعنى هذه براءة واصلة من الله ورسوله الى
الذين عاهدتم كما تقول كتاب من فلان الى فلان ويجوز ان تكون براءة مبتدا لتخصصها بالصفة
بصفتها والخبر الى الذين عاهدتم كما تقول رجل من بني تميم في الدار **وقرئ** براءة بالنصب
على اسمعوا براءة وقرأ اهل نجران من الله بكسر النون والوجه الفتح مع لام التعريف لكثرته
والمعنى ان الله ورسوله قد برئا من العهد الذي عاهدتم به المشركين وانه منبوذ اليهم
فان قلت لم علقت البراءة بالله ورسوله والمعاهدة بالمسلمين قلت قد اذن الله
في معاهدة المشركين اولا فاتفق المسلمون مع رسول الله عليه السلام وعاهدوهم فلما نقضوا
العهد اوجب الله تعالى النبذ اليهم فخوطب المسلمون بما تجدد من ذلك فقيل لهم اعلموا ان الله
ورسوله قد برئا مما عاهدتم به المشركين **فسيحوا في الارض اربعة اشهر واعلموا انكم غير
معجزي الله وان الله مخزي الكافرين** **روي** انهم عاهدوا المشركين من اهل مكة وغيرهم
من العرب فنكثوا الا ناسا منهم وهم بنو ضمرة وبنو كنانة فنبذ العهد الى الناكثين وامروا ان يسيحوا
في الارض اربعة اشهر آمنين اين شاؤا لا يتعرض لهم وهي الاشهر الحرم في قوله فاذا انسلخ الاشهر
الحرم وذلك لصيانة الاشهر الحرم من القتل والقتال فيها وكان نزولها سنة تسع من الهجرة
وفتح مكة سنة ثمان وكان الامير فيها عتاب بن اسيد فامر رسول الله عليه السلام ابا بكر رضي
الله عنه على موسم سنة تسع ثم اتبعه عليا رضي الله عنه راكب العضباء ليقرأها على اهل الموسم فقيل
لو بعثت بها الى ابي بكر فقال لا يؤدي عني الا رجل مني فلما دنا علي سمع ابو بكر الرغاء فوقف وقال
هذا رغاء ناقة رسول الله فلما لحقه قال امير او مامور قال مامور **وروي** ان ابا بكر رضي
الله عنه لما كان ببعض الطريق هبط جبريل عليه السلام فقال يا محمد لا يبلغن رسالتك الا رجل
منك فارسل عليا رضي الله عنه فرجع ابو بكر الى رسول الله عليه السلام فقال يا رسول الله اشيء
نزل من السماء قال نعم فسر وانت على الموسم وعلي ينادي بالآي فلما كان قبل التروية خطب ابو بكر

وحدثهم

وحدثهم عن مناسكهم وقام علي رضي الله عنه يوم النحر عند جمرة العقبة فقال يا ايها الناس اني رسول
رسول الله اليكم فقالوا بماذا فقرأ عليهم ثلاثين او اربعين اية وعن مجاهد ثلاث عشرة ثم
قال امرت باربع ان لا يقرب البيت بعد هذا العام مشرك ولا يطوف بالبيت عريان ولا يدخل
الجنة الا كل نفس مؤمنة وان يتم الى كل ذي عهد عهده فقالوا عند ذلك يا علي ابلغ ابن عمك انا
قد نبذنا العهد وراء ظهورنا وانه ليس بيننا وبينه عهد الا طعن بالرماح وضرب بالسيوف
وقيل انما امر ان لا يبلغ عنه الا رجل منه لان العرب عادتها في نقض عهودها ان يتولى ذلك
على القبيلة رجل منها فلو تولاه ابو بكر رضي الله عنه لجاز ان يقولوا هذا خلاف ما يعرف فينا
في نقض العهود فازيحت علتهم بتولية ذلك عليا رضي الله عنه **فان قلت** الاشهر الاربعة
ما هي قلت عن الزهري ان براءة نزلت في شوال فهي اربعة اشهر شوال وذو القعدة وذو
الحجة والمحرم وقيل هي عشرون من ذي الحجة والمحرم وصفر وشهر ربيع الاول وعشر من شهر
ربيع الاخر وكانت حرما لانهم اومنوا فيها وحرم قتلهم وقتالهم او على التغليب لان ذا الحجة والمحرم
منها وقيل لعشر من ذي القعدة الى عشر من شهر ربيع الاول لان الحج في تلك السنة كان في
ذلك الوقت للنسيء الذي كان فيهم ثم صار في السنة الثانية في ذي الحجة **فان قلت** ما
وجه الجمع فيها
وجه الجمع فيها
وجه ما في اكثر العلماء على جواز مقاتلة المشركين في الاشهر الحرم وقد نهاهم الله عن ذلك فيها
قلت قالوا قد نسخ وجوب الصيانة واباح قتال المشركين غير معجزي الله لا تفوتونه
وانا مهلكم وهو مخزيكم اي مذلكم في الدنيا بالقتل وفي الآخرة بالعذاب **واذان من الله ورسوله
الى الناس يوم الحج الاكبر ان الله بريء من المشركين ورسوله فان تبتم فهو خير لكم وان
توليتم فاعلموا انكم غير معجزي الله وبشر الذين كفروا بعذاب اليم** واذان ارتفاعه
كارتفاع براءة على الوجهين ثم الجملة معطوفة على مثلها ولا وجه لقول من قال انه معطوف على براءة
كما لا يقال عمرو معطوف على زيد في قولك زيد قائم وعمرو قاعد والاذان بمعنى الايذان وهو الاعلام
كما ان الامان والعطاء بمعنى الايمان والاعطاء **فان قلت** اي فرق بين معنى الجملة الاولى والثانية وقد بين
قلت تلك اخبار بثبوت البراءة وهذه اخبار بوجوب الاعلام بما ثبت **فان قلت** لم
علقت البراءة بالذين عوهدوا من المشركين وعلق الاذان بالناس قلت لان البراءة مختصة
بالمعاهدين والناكثين منهم واما الاذان فعام لجميع الناس من عاهد ومن لم يعاهد ومن نكث
من المعاهدين ومن لم ينكث يوم الحج الاكبر يوم عرفة وقيل يوم النحر لان فيه تمام الحج ومعظم
افعاله من الطواف والنحر والحلق والرمي **وعن** علي رضي الله عنه ان رجلا اخذ بلجام دابته
فقال ما الحج الاكبر قال يومك هذا خل عن دابتي وعن ابن عمر رضي الله عنه ان رسول الله
صلى الله عليه وسلم وقف يوم النحر عند الجمرات في حجة الوداع فقال هذا يوم الحج الاكبر ووصف
الحج بالاكبر لان العمرة تسمى الحج الاصغر او جعل الوقوف بعرفة هو الحج الاكبر لانه معظم واجباته
لانه اذا فات فات الحج وكذلك ان اريد به يوم النحر لان ما يفعل فيه معظم افعال الحج فهو الحج الاكبر
وعن الحسن سمي يوم الحج الاكبر لاجتماع المسلمين والمشركين فيه وموافقته لاعياد اهل
الكتاب ولم يتفق ذلك قبله ولا بعده فعظم في قلب كل مؤمن وكافر حذفت الباء التي هي صلة الاذان
تخفيفا **وقرئ** ان الله بالكسر لان الاذان في معنى القول ورسوله عطف على المنوي في بريء

او على محل ان المكسورة واسمها **وقرئ** بالنصب عطفا على اسم ان او لان الواو بمعنى مع اى برئ معه منهم وبالجر على الجوار وقيل على القسم كقوله لعمرك وتحكى ان اعرابيا سمع رجلا يقرؤها فقال ان كان الله بريا من رسوله فانا منه برئ فلببه الرجل الى عمر فحكى الاعرابى قراءته فعندها امر عمر رضى الله عنه بتعلم العربية فان تبتم من الكفر والغدر فهو خير لكم وان توليتم عن التوبة او ثبتم على التولى والاعراض عن الاسلام والوفاء فاعلموا انكم غير معجزى الله ولا فائتين اخذه وعقابه الا الذين عاهدتم من المشركين ثم لم ينقصوكم شيئا ولم يظاهروا عليكم احدا فاتموا اليهم عهدهم الى مدتهم ان الله يحب المتقين **فان قلت** مم استثنى قوله الا الذين عاهدتم وجهه ان يكون مستثنى من قوله فسيحوا فى الارض لان الكلام خطاب للمسلمين ومعناه براءة من الله ورسوله الى الذين عاهدتم من المشركين فقولوا لهم سيحوا الا الذين عاهدتم منهم ثم لم ينقضوا فاتموا اليهم عهدهم والاستثناء بمعنى الاستدراك كانه قيل بعد ان امروا فى الناكثين ولكن الذين لم ينكثوا فاتموا اليهم عهدهم ولا تجروهم مجراهم ولا تجعلوا الوفى كالغادر ان الله يحب المتقين يعنى ان قضية التقوى ان لا يسوى بين القبيلين فاتقوا الله فى ذلك لم ينقصوكم شيئا لم يقتلوا منكم احدا ولم يضروكم قط ولم يظاهروا ولم يعاونوا عليكم عدوا كما عدت بنو بكر على خزاعة عيبة رسول الله وظاهرتهم قريش بالسلاح حتى وفد عمرو بن سالم الخزاعى على رسول الله صلى الله عليه وسلم **فانشد**

لاهم انى ناشد محمدا ۔ حلف ابينا وابيه الاتلدا

ان قريشا اخلفوك الموعدا ۔ ونقضوا ذمامك المؤكدا

هم بيتونا بالحطيم هجدا ۔ وقتلونا ركعا وسجدا

فقال صلى الله عليه وسلم لا نصرت ان لم انصركم **وقرئ** لم ينقضوكم بالضاد معجمة اى لم ينقضوا عهدكم ومعنى فاتموا اليهم فادوه اليهم تاما كاملا قال ابن عباس بقى لحى من كنانة من عهدهم تسعة اشهر فاتم اليهم عهدهم فاذا انسلخ الاشهر الحرم فاقتلوا المشركين حيث وجدتموهم وخذوهم واحصروهم واقعدوا لهم كل مرصد فان تابوا واقاموا الصلوة واتوا الزكوة فخلوا سبيلهم ان الله غفور رحيم انسلخ الشهر كقولهم اجرد الشهر وسنة جرداء والاشهر الحرم التى ابيح فيها للناكثين ان يسيحوا فاقتلوا المشركين يعنى الذين نقضوكم وظاهروا عليكم حيث وجدتموهم من حل او حرم وخذوهم واسروهم والاخيذ الاسير واحصروهم وقيدوهم وامنعوهم من التصرف فى البلاد **وعن** ابن عباس رضى الله عنهما حصرهم ان يحال بينهم وبين المسجد الحرام كل مرصد كل ممر ومجتاز ترصدونهم به وانتصابه على الظرف كقوله تعالى لاقعدن لهم صراطك المستقيم فخلوا سبيلهم فاطلقوا عنهم بعد الاسر والحصر او فكفوا عنهم ولا تتعرضوا لهم **كقوله** خل السبيل لمن يبنى المنار به وعن ابن عباس رضى الله عنهم دعوهم واتيان المسجد الحرام ان الله غفور رحيم يغفر لهم ما سلف لهم من الكفر والغدر وان احد من المشركين استجارك فاجره حتى يسمع كلام الله ثم ابلغه مامنه ذلك بانهم قوم لا يعلمون احد مرتفع بفعل الشرط مضمرا يفسره الظاهر تقديره وان استجارك احد استجارك ولا يرتفع بالابتداء لان ان من عوامل الفعل لا تدخل على غيره والمعنى وان جاءك احد من المشركين

بعد

بعد انقضاء الاشهر لا عهد بينك وبينه ولا ميثاق فاستامنك ليسمع ما تدعو اليه من التوحيد والقران ويتبين ما بعثت له فامنه حتى يسمع كلام الله ويتدبره ويطلع على حقيقة الامر ثم ابلغه بعد ذلك داره التى يامن فيها ان لم يسلم ثم قاتله ان شئت من غير غدر ولا خيانة وهذا الحكم ثابت فى كل وقت **وعن** الحسن هى محكمة الى يوم القيامة وعن سعيد بن جبير جاء رجل من المشركين الى على رضى الله عنه فقال ان اراد الرجل منا ان ياتى محمدا بعد انقضاء هذا الاجل يسمع كلام الله او ياتيه لحاجة قتل قال لا لان الله يقول وان احد من المشركين استجارك الاية **وعن** السدى والضحاك هى منسوخة بقوله فاقتلوا المشركين ذلك اى ذلك الامر يعنى الامر بالاجارة فى قوله تعالى فاجره بسبب انهم قوم جهلة لا يعلمون ما الاسلام وما حقيقة ما تدعو اليه فلا بد من اعطائهم الامان حتى يسمعوا ويفهموا الحق كيف يكون للمشركين عهد عند الله وعند رسوله الا الذين عاهدتم عند المسجد الحرام فما استقاموا لكم فاستقيموا لهم ان الله يحب المتقين كيف استفهام فى معنى الاستنكار والاستبعاد لان يكون للمشركين عهد عند رسول الله عليه السلام وهم اضداد وغرة صدورهم يعنى محال ان يثبت لهؤلاء عهد فلا تطمعوا فى ذلك ولا تحدثوا به نفوسكم ولا تفكروا فى قتلهم ثم استدرك ذلك بقوله تعالى الا الذين عاهدتم اى ولكن الذين عاهدتم منهم عند المسجد الحرام ولم يظهر منهم نكث كبنى كنانة وبنى ضمرة فتربصوا امرهم ولا تقاتلوهم فما استقاموا لكم على العهد فاستقيموا لهم على مثله ان الله يحب المتقين يعنى ان التربص بهم من اعمال المتقين كيف وان يظهروا عليكم لا يرقبوا فيكم الا ولا ذمة يرضونكم بافواههم وتابى قلوبهم واكثرهم فاسقون كيف تكرار لاستبعاد ثبات المشركين على العهد وحذف الفعل لكونه معلوما **كما قال**

وخبرتمانى انما الموت بالقرى ۔ فكيف وهاتا هضبة وقليب

يريد فكيف مات اى كيف يكون لهم عهد وحالهم انهم ان يظهروا عليكم بعد ما سبق لهم من تاكيد الايمان والمواثيق لم ينظروا فى حلف ولا عهد ولم يبقوا عليكم لا يرقبوا الا لا يراعوا حلفا وقيل قرابة **وانشد** لحسان

لعمرك ان الك من قريش ۔ كال السقب من رال النعام

وقيل الا الها وقرئ ايلا بمعناه وقيل جبريل وجبرال من ذلك وقيل منه اشتق الال بمعنى القرابة كما اشتقت الرحم من الرحمن والوجه ان اشتقاق الال بمعنى الحلف لانهم اذا تماسحوا وتحالفوا رفعوا به اصواتهم وشهروه من الال وهو الجؤار وله اليل اى انين يرفع به صوته ودعت الليها اذا ولولت ثم قيل لكل عهد وميثاق ال وسميت به القرابة لان القرابة عقدت بين الرجلين ما لا يعقده الميثاق يرضونكم كلام مبتدا فى وصف حالهم من مخالفة الظاهر الباطن مقرر لاستبعاد الثبات منهم على العهد وابا القلوب مخالفة ما فيها من الاضغان لما يجرونه على السنتهم من الكلام الجميل واكثرهم فاسقون متمردون خلعاء لا مروءة تزعهم ولا شمائل مرضية تردعهم كما يوجد ذلك فى بعض الكفرة من التفادى عن الكذب والنكث والتعفف عما يثلم العرض ويجر احدوثة السوء اشتروا بايات الله ثمنا قليلا فصدوا عن سبيله انهم ساء ما كانوا يعملون اشتروا استبدلوا بايات الله بالقران والاسلام ثمنا قليلا وهو اتباع الاهواء والشهوات فصدوا عن سبيله فعدلوا عنه او صرفوا غيرهم وقيل هم الاعراب الذين جمعهم ابو سفيان واطعمهم لا يرقبون فى مؤمن

الا ولا ذمة واولئك هم المعتدون فان تابوا واقاموا الصلوة واتوا الزكوة فاخوانكم في الدين ونفصل الآيات لقوم يعلمون هم المعتدون المجاوزون الغاية في الظلم والشرارة فان تابوا عن الكفر ونقض العهد فاخوانكم على حذف المبتدا كقوله تعالى فان لم تعلموا آباءهم فاخوانكم ونفصل الآيات ونبينها وهذا اعتراض كانه قيل وان من تامل تفصيلها فهو العالم بعثا وتحريضا على تامل ما فصل من احكام المشركين المعاهدين وعلى المحافظة عليها وان نكثوا ايمانهم من بعد عهدهم وطعنوا في دينكم فقاتلوا ائمة الكفر انهم لا ايمان لهم لعلهم ينتهون وطعنوا في دينكم وثلبوه وعابوه فقاتلوا ائمة الكفر فقاتلوهم فوضع ائمة الكفر موضع ضميرهم اشعارا بانهم اذا نكثوا في حال الشرك تمردا وطغيانا وطرحا لعادات الكرام الاوفياء من العرب ثم آمنوا واقاموا الصلوة واتوا الزكوة وصاروا اخوانا للمسلمين في الدين ثم رجعوا فارتدوا عن الاسلام ونكثوا ما بايعوا عليه من الايمان والوفاء بالعهود وقعدوا يطعنون في دين الله ويقولون ليس دين محمد بشيء فهم ائمة الكفر وذووا الرياسة والتقدم فيه لا يشق كافر غبارهم وقالوا اذا طعن الذمي في دين الاسلام طعنا ظاهرا جاز قتله لان العهد معقود معه على ان لا يطعن فاذا طعن فقد نكث عهده وخرج من الذمة انهم لا ايمان لهم جمع يمين وقرئ لا ايمان لهم اي لا اسلام لهم او لا يعطون الامان بعد الردة والنكث ولا سبيل اليه فان قلت كيف اثبت لهم الايمان في قوله وان نكثوا ايمانهم ثم نفاها عنهم اراد ايمانهم التي اظهروها ثم قال لا ايمان لهم على الحقيقة وايمانهم ليست بايمان وبه استشهد ابو حنيفة رحمه الله على ان يمين الكافر لا تكون يمينا وعند الشافعي رضي الله عنه يمينهم يمين وقال معناه انهم لا يوفون بها بدليل انه وصفها بالنكث لعلهم ينتهون متعلق بقوله تعالى فقاتلوا ائمة الكفر اي ليكن غرضكم في مقاتلتهم بعد ما وجد منهم ما وجد من العظائم ان تكون المقاتلة سببا في انتهائهم عما هم عليه وهذا من غاية كرمه وفضله وعوده على المسيء بالرحمة كلما عاد فان قلت كيف لفظ ائمة همزة بعدها همزة بين بين اي بين مخرج الهمزة والياء وتحقيق الهمزتين قراءة مشهورة وان لم تكن بمقبولة عند البصريين واما التصريح بالياء فليس بقراءة ولا يجوز ان تكون ومن صرح بها فهو لاحن محرف الا تقاتلون قوما نكثوا ايمانهم وهموا باخراج الرسول وهم بدءوكم اول مرة اتخشونهم فالله احق ان تخشوه ان كنتم مؤمنين الا تقاتلون دخلت الهمزة على لا تقاتلون تقريرا بانتفاء المقاتلة ومعناه الحض عليها على سبيل المبالغة نكثوا ايمانهم التي حلفوها في المعاهدة وهموا باخراج الرسول من مكة حين تشاوروا في امره بدار الندوة حتى اذن الله له في الهجرة فخرج بنفسه وهم بدءوكم اول مرة اي وهم الذين كانت منهم البداءة بالمقاتلة لان رسول الله صلى الله عليه وسلم جاءهم اولا بالكتاب المنير وتحداهم به فعدلوا عن المعارضة لعجزهم عنها الى القتال فهم البادئون بالقتال والبادي اظلم فما يمنعكم من ان تقاتلوهم بمثله وان تصدموهم بالشر كما صدموكم وبخهم بترك مقاتلتهم وحضهم عليها ثم وصفهم بما يوجب الحض عليها ويقرر ان من كان في مثل صفاتهم من نكث العهد واخراج الرسول والبدء بالقتال من غير موجب حقيق بان لا تترك مصادمته وان يوبخ من فرط فيها اتخشونهم تقرير بالخشية منهم وتوبيخ عليها فالله احق

ان تخشوه فتقاتلوا اعداءه ان كنتم مؤمنين يعني ان قضية الايمان الصحيح ان لا يخشى المؤمن الا ربه ولا يبالي بمن سواه كقوله تعالى ولا يخشون احدا الا الله قاتلوهم يعذبهم الله بايديكم ويخزهم وينصركم عليهم ويشف صدور قوم مؤمنين لما وبخهم الله على ترك القتال جرد لهم الامر به فقال قاتلوهم ووعدهم ليثبت قلوبهم ويصحح نياتهم انه يعذبهم بايديكم قتلا ويخزيهم اسرا ويوليهم النصر والغلبة عليهم ويشفي صدور طائفة من المؤمنين وهم خزاعة قال ابن عباس هم بطون من اليمن وسبا قدموا مكة فاسلموا فلقوا من اهلها اذى شديدا فبعثوا الى رسول الله يشكون اليه فقال ابشروا فان الفرج قريب ويذهب غيظ قلوبهم ويتوب الله على من يشاء والله عليم حكيم ويذهب غيظ قلوبكم لما لقيتم منهم من المكروه وقد حصل لهم هذه المواعيد كلها فكان ذلك دليلا على صدق رسول الله صلى الله عليه وسلم وصحة نبوته ويتوب الله على من يشاء ابتداء كلام واخبار بان بعض اهل مكة يتوب عن كفره وكان ذلك ايضا فقد اسلم ناس منهم وحسن اسلامهم وقرئ ويتوب بالنصب باضمار ان ودخول التوبة في جملة ما اجيب به الامر من طريق المعنى والله عليم يعلم ما سيكون كما يعلم ما قد كان حكيم لا يفعل الا ما اقتضته الحكمة ام حسبتم ان تتركوا ولما يعلم الله الذين جاهدوا منكم ولم يتخذوا من دون الله ولا رسوله ولا المؤمنين وليجة والله خبير بما تعملون ام منقطعة ومعنى الهمزة فيها التوبيخ على وجود الحسبان والمعنى انكم لا تتركون على ما انتم عليه حتى يتبين الخلص منكم وهم الذين جاهدوا في سبيل الله لوجه الله ولم يتخذوا وليجة اي بطانة من الذين يضادون رسول الله والمؤمنين ولما معناها التوقع وقد دلت على ان تبين ذلك واتضاحه متوقع كائن وان الذين لم يخلصوا دينهم لله يميز بينهم وبين المخلصين وقوله تعالى ولم يتخذوا معطوف على جاهدوا داخل في حيز الصلة كانه قيل ولما يعلم الله المجاهدين منكم والمخلصين غير المتخذين وليجة من دون الله والوليجة فعيلة من ولج كالدخيلة من دخل والمراد بنفي العلم نفي المعلوم كقول القائل ما علم الله مني ما قيل فيّ يريد ما وجد ذلك مني ما كان للمشركين ان يعمروا مساجد الله شاهدين على انفسهم بالكفر اولئك حبطت اعمالهم وفي النار هم خالدون ما كان للمشركين ما صح لهم وما استقام ان يعمروا مسجد الله يعني المسجد الحرام لقوله تعالى وعمارة المسجد الحرام واما القراءة بالجمع ففيها وجهان احدهما ان يراد المسجد الحرام وانما قيل مساجد الله لانه قبلة المساجد كلها وامامها فعامره كعامر جميع المساجد ولان كل بقعة منه مسجد والثاني ان يراد جنس المساجد واذا لم يصلحوا لان يعمروا جنسها دخل تحت ذلك ان لا يعمروا المسجد الحرام الذي هو صدر الجنس ومقدمته وهو آكد لان طريقته طريقة الكناية كما قلت فلان لا يقرا كتب الله كنت انفى لقراءته القرآن من تصريحك بذلك وشاهدين حال من الواو في يعمرون والمعنى ما استقام لهم ان يجمعوا بين امرين متنافيين عمارة متعبدات الله مع الكفر بالله وبعبادته ومعنى شهادتهم على انفسهم بالكفر ظهور كفرهم وانهم نصبوا اصنامهم حول البيت فكانوا يطوفون عراة ويقولون لا نطوف عليها بثياب قد اصبنا فيها المعاصي وكلما طافوا شوطا سجدوا لها وقيل هو قولهم لبيك لا شريك لك الا شريك هو لك تملكه وما ملك وقيل قد اقبل المهاجرون والانصار على اسارى بدر فعيروهم

بالشرك وطفق علي بن أبي طالب رضي الله عنه يوبخ العباس بقتال رسول الله عليه السلام وقطيعة الرحم
وأغلظ له القول فقال العباس رضي الله عنه تذكرون مساوينا وتكتمون محاسننا فقالوا أولكم
محاسن قالوا نعم ونحن أفضل منكم أجرا إنا لنعمر المسجد الحرام ونحجب الكعبة ونسقي الحجيج ونفك العاني
فنزلت حبطت أعمالهم التي هي العمارة والحجابة والسقاية وفك العناة وإذا هدم الكفر أو
الكبيرة الأعمال الثابتة الصحيحة إذا تعقبتها فما ظنك بالمقارن وإلى ذلك أشار في قوله شاهدين
حيث جعله حالا عنهم ودل على أنهم قارنون بين العمارة والشهادة بالكفر على أنفسهم في حال
واحدة وذلك محال غير مستقيم إنما يعمر مساجد الله من آمن بالله واليوم الآخر وأقام الصلوة
وآتى الزكوة ولم يخش إلا الله فعسى أولئك أن يكونوا من المهتدين إنما يعمر مساجد الله
وقرئ بالتوحيد أي إنما تستقيم عمارة هؤلاء وتكون معتدا بها والعمارة تتناول رم ما استرم
منها وقمها وتنظيفها وتنويرها بالمصابيح وتعظيمها واعتيادها للعبادة والذكر ومن الذكر درس
العلم بل هو أجله وأعظمه وصيانتها مما لم تبن له المساجد من أحاديث الدنيا فضلا عن فضول
الحديث وعن النبي صلى الله عليه وسلم يأتي في آخر الزمان ناس من أمتي يأتون المساجد فيقعدون
فيها حلقا ذكرهم الدنيا وحب الدنيا لا تجالسوهم فليس لله بهم حاجة وفي الحديث الحديث
في المسجد يأكل الحسنات كما تأكل البهيمة الحشيش وقال صلى الله عليه وسلم قال الله تعالى إن بيوتي
في أرضي المساجد وإن زواري فيها عمارها فطوبى لعبد تطهر في بيته ثم زارني في بيتي فحق على
المزور أن يكرم زائره وعنه من ألف المسجد ألفه الله وقال صلى الله عليه وسلم إذا رأيتم الرجل
يعتاد المساجد فاشهدوا له بالإيمان وعن أنس رضي الله عنه من أسرج في مسجد سراجا
لم تزل الملائكة وحملة العرش تستغفر له ما دام في ذلك المسجد ضوءه فإن قلت
هلا ذكر الإيمان برسول الله لما علم وشهر أن الإيمان بالله قرينته الإيمان بالرسول
لاشتمال كلمة الشهادة والأذان والإقامة وغيرها عليهما مقترنين مزدوجين كأنهما شيء واحد
غير منفك أحدهما عن صاحبه انطوى تحت ذكر الإيمان بالله الإيمان بالرسول وقيل دل عليه
بذكر إقامة الصلوة وإيتاء الزكوة فإن قلت كيف قيل ولم يخش إلا الله والمؤمن يخشى المحاذير ولا
يتمالك أن لا يخشاها هي الخشية والتقوى في أبواب الدين وأن لا يختار على رضا الله رضا
غيره لتوقع مخوف وإذا اعترضه أمران أحدهما حق الله والآخر حق نفسه أن يخاف الله فيؤثر
حق الله على حق نفسه وقيل كانوا يخشون الأصنام ويرجونها فأريد نفي تلك الخشية عنهم
فعسى أولئك أن يكونوا من المهتدين تبعيد للمشركين عن مواقف الاهتداء وحسم لأطماعهم في
الانتفاع بأعمالهم التي استعظموها وافتخروا بها وأملوا عاقبتها بأن الذين آمنوا وضموا إلى إيمانهم
العمل بالشرائع مع استشعار الخشية والتقوى اهتداؤهم دائر بين عسى ولعل فما بال المشركين
يقطعون أنهم مهتدون ونائلون عند الله الحسنى وفي هذا الكلام ونحوه لطف للمؤمنين في
ترجيح الخشية على الرجاء ورفض الاغترار بالله أجعلتم سقاية الحاج وعمارة المسجد الحرام كمن
آمن بالله واليوم الآخر وجاهد في سبيل الله لا يستوون عند الله والله لا يهدي
القوم الظالمين السقاية والعمارة مصدران من سقى وعمر كالصيانة والوقاية ولا بد
من مضاف محذوف تقديره أجعلتم أهل سقاية الحاج وعمارة المسجد الحرام كمن آمن بالله

وتعضده قراءة ابن الزبير وأبي وجزة السعدي وكان من القراء سقاة الحاج وعمرة المسجد
الحرام والمعنى إنكار أن يشبه المشركون بالمؤمنين وأعمالهم المحبطة بأعمالهم المثبتة وأن يسوى
بينهم وجعل تسويتهم ظلما بعد ظلمهم بالكفر وروي أن المشركين قالوا لليهود نحن سقاة الحجيج
وعمار المسجد الحرام أفنحن أفضل أم محمد وأصحابه فقالت لهم اليهود أنتم أفضل وقيل إن عليا
رضي الله عنه قال للعباس يا عم ألا تهاجرون ألا تلحقون برسول الله فقال ألست في أفضل
من الهجرة أسقي حاج بيت الله وأعمر المسجد الحرام فلما نزلت قال العباس ما أراني إلا تارك سقايتنا
فقال صلى الله عليه وسلم أقيموا على سقايتكم فإن لكم فيها خيرا الذين آمنوا وهاجروا وجاهدوا
في سبيل الله بأموالهم وأنفسهم أعظم درجة عند الله وأولئك هم الفائزون هم أعظم
درجة عند الله من أهل السقاية والعمارة عندكم وأولئك هم الفائزون لا أنتم والمختصون
بالفوز دونكم يبشرهم ربهم برحمة منه ورضوان وجنات لهم فيها نعيم مقيم خالدين
فيها أبدا إن الله عنده أجر عظيم قرئ يبشرهم بالتخفيف والتثقيل وتنكير المبشر به
لوقوعه وراء صفة الواصف وتعريف المعرف وعن ابن عباس رضي الله عنهما هي في المهاجرين
خاصة يا أيها الذين آمنوا لا تتخذوا آباءكم وإخوانكم أولياء إن استحبوا الكفر على الإيمان
ومن يتولهم منكم فأولئك هم الظالمون قل إن كان آباؤكم وأبناؤكم وإخوانكم وأزواجكم
وعشيرتكم وأموال اقترفتموها وتجارة تخشون كسادها ومساكن ترضونها أحب
إليكم من الله ورسوله وجهاد في سبيله فتربصوا حتى يأتي الله بأمره والله لا يهدي
القوم الفاسقين كان قبل فتح مكة من آمن لم يتم إيمانه إلا بأن يهاجر ويصارم أقاربه
الكفرة ويقطع موالاتهم فقالوا يا رسول الله إن نحن اعتزلنا من خالفنا في الدين قطعنا آباءنا
وأبناءنا وعشائرنا وذهبت تجاراتنا وهلكت أموالنا وخربت ديارنا وبقينا ضائعين فنزلت
فهاجروا فجعل الرجل يأتيه ابنه أو أخوه أو أبوه أو بعض أقاربه فلا يلتفت إليه ولا ينزله ولا
ينفق عليه ثم رخص لهم بعد ذلك وقيل نزلت في التسعة الذين ارتدوا ولحقوا بمكة فنهى
الله عن موالاتهم وعن النبي صلى الله عليه وسلم لا يطعم أحدكم طعم الإيمان حتى يحب في الله ويبغض
في الله حتى يحب في الله أبعد الناس ويبغض في الله أقرب الناس إليه وقرئ عشيراتكم
وعشائركم وقرأ الحسن رحمة الله عليه وعشائركم فتربصوا حتى يأتي الله بأمره وعيد وعن
ابن عباس رضي الله عنهما هو فتح مكة وعن الحسن عقوبة عاجلة أو آجلة وهذه آية شديدة
لا ترى أشد منها كأنها تنعى على الناس ما هم عليه من رخاوة عقد الدين واضطراب حبل اليقين
فلينصف أورع الناس وأتقاهم من نفسه هل يجد عنده من التصلب في ذات الله والثبات
على دين الله ما يستحب له دينه على الآباء والأبناء والإخوان والعشائر والمال والمساكن وجميع
حظوظ الدنيا ويتجرد منها لأجله أم يزوي الله عنه أحقر شيء منها لمصلحته فلا يدري أي طرفيه
أطول ويغويه الشيطان عن أجل حظ من حظوظ الدنيا فلا يبالي كأنما وقع على أنفه ذباب فطيره
لقد نصركم الله في مواطن كثيرة ويوم حنين إذ أعجبتكم كثرتكم فلم تغن عنكم شيئا
وضاقت عليكم الأرض بما رحبت ثم وليتم مدبرين مواطن الحرب مقاماتها ومواقفها

قال وكم موطن لولاى طحت كما هوى باجرامه من قلة النيق منهوى وامتناعه من الصرف لانه جمع على صيغة لم يأت عليها واحد والمواطن الكثيرة وقعات بدر وقريظة والنضير والحديبية وخيبر وفتح مكة **فان قلت** كيف عطف الزمان على المكان وهو يوم حنين على المواطن قلت معناه وموطن يوم حنين او في ايام مواطن كثيرة ويوم حنين ويجوز ان يراد بالموطن الوقت كمقتل الحسين على ان الواجب ان يكون يوم حنين منصوبا بفعل مضمر لا بهذا الظاهر وموجب ذلك ان قوله اذ اعجبتكم بدل من يوم حنين فلو جعلت ناصبه هذا الظاهر لم يصح لان كثرتهم لم تعجبهم في جميع تلك المواطن ولم يكونوا كثيرا في جميعها فبقي ان يكون ناصبه فعلا خاصا به الا اذا نصبت اذ باضمار اذكر وحنين واد بين مكة والطائف كانت فيه الوقعة بين المسلمين وهم اثنا عشر الفا الذين حضروا فتح مكة منضما اليهم الفان من الطلقاء وبين هوازن وثقيف وهم اربعة آلاف فيمن ضامهم من امداد سائر العرب وكانوا الجم الغفير فلما التقوا قال رجل من المسلمين لن نغلب اليوم من قلة فساءت رسول الله صلى الله عليه وسلم وقيل قائلها رسول الله صلى الله عليه وسلم وقيل ابو بكر رضي الله عنه وذلك قوله اعجبتكم كثرتكم فاقتتلوا قتالا شديدا وادركت المسلمين كلمة الاعجاب بالكثرة وزل عنهم ان الله تعالى هو الناصر لا كثرة الجنود فانهزموا حتى بلغ فلهم مكة وبقي رسول الله وحده وهو ثابت في مركزه لا يتحلحل ليس معه الا عمه العباس رضي الله عنه آخذا بلجام دابته وابو سفيان بن الحرث ابن عمه وناهيك بهذه [illegible] شهادة صدق على تناهي شجاعته ورباطة جاشه وما هي الا من آيات النبوة وقال يا رب ائتني بما وعدتني وقال للعباس وكان صيتا صح بالناس فنادى الانصار فخذا فخذا يا اصحاب الشجرة يا اصحاب سورة البقرة فكروا عنقا واحدا وهم يقولون لبيك لبيك ونزلت الملائكة عليهم الثياب البيض على خيول بلق فنظر النبي صلى الله عليه وسلم الى قتال المسلمين فقال هذا حين حمي الوطيس ثم اخذ كفا من تراب فرماهم به ثم قال انهزموا ورب الكعبة فانهزموا قال العباس رضي الله عنه لكأني انظر الى رسول الله يركض خلفهم على بغلته بما رحبت ما مصدرية والباء بمعنى مع اي مع رحبها وحقيقته ملتبسة برحبها على ان الجار والمجرور في موضع الحال كقولك دخلت عليه بثياب السفر اي ملتبسا بها لم احلها تعني مع ثياب السفر والمعنى لا تجدون موضعا تستصلحونه لهربكم اليه ونجاتكم لفرط الرعب فكأنها ضاقت عليكم ثم وليتم مدبرين ثم انهزمتم **ثم انزل الله سكينته على رسوله وعلى المؤمنين وانزل جنودا لم تروها وعذب الذين كفروا وذلك جزاء الكافرين** سكينته رحمته التي سكنوا بها وآمنوا وعلى المؤمنين الذين انهزموا وقيل هم الذين ثبتوا مع رسول الله عليه السلام حين وقع الهرب وانزل جنودا يعني الملائكة وكانوا ثمانية آلاف وقيل خمسة آلاف وقيل ستة عشر الفا وعذب الذين كفروا بالقتل والاسر وسبي النساء والذراري **ثم يتوب الله من بعد ذلك على من يشاء والله غفور رحيم** ثم يتوب الله اي يسلم بعد ذلك ناس منهم **وروي** ان ناسا منهم جاؤا فبايعوا رسول الله عليه السلام على الاسلام وقالوا يا رسول الله انت خير الناس وابر الناس وقد سبي اهلونا واولادنا واخذت اموالنا قيل سبي يومئذ ستة آلاف نفس واخذ من الابل والغنم ما لا يحصى فقال ان عندي ما ترون ان خير القول اصدقه اختاروا اما ذراريكم ونساءكم

وانا اموالكم قالوا ما كنا نعدل بالاحساب شيئا فقام رسول الله عليه السلام فقال ان هؤلاء جاؤا مسلمين وانا خيرناهم بين الذراري والاموال فلم يعدلوا بالاحساب شيئا فمن كان بيده شيء وطابت نفسه ان يرده فشأنه ومن لا فليعطنا وليكن قرضا علينا حتى نصيب شيئا فنعطيه مكانه قالوا رضينا وسلمنا فقال اني لا ادري لعل فيكم من لا يرضى فمروا عرفاءكم فليرفعوا ذلك الينا فرفعت اليه العرفاء ان قد رضوا **يا ايها الذين آمنوا انما المشركون نجس فلا يقربوا المسجد الحرام بعد عامهم هذا وان خفتم عيلة فسوف يغنيكم الله من فضله ان شاء ان الله عليم حكيم** النجس مصدر يقال نجس نجسا وقذر قذرا ومعناه ذو نجس لان معهم الشرك الذي هو بمنزلة النجس ولانهم لا يتطهرون ولا يغتسلون ولا يجتنبون النجاسات فهي ملابسة لهم او جعلوا كأنهم النجاسة بعينها مبالغة في وصفهم بها **وعن** ابن عباس رضي الله عنه اعيانهم نجسة كالكلاب والخنازير وعن الحسن رحمة الله عليه من صافح مشركا توضأ واهل المذاهب على خلاف هذين القولين **وقرئ** نجس بكسر النون وسكون الجيم على تقدير حذف الموصوف كأنه قيل انما المشركون جنس نجس او ضرب نجس واكثر ما جاء تابعا لرجس وهو تخفيف نجس نحو كبد في كبد فلا يقربوا المسجد الحرام فلا يحجوا ولا يعتمروا كما كانوا يفعلون في الجاهلية بعد عامهم هذا بعد حج عامهم هذا وهو عام تسع من الهجرة حين امر ابو بكر رضي الله عنه على الموسم وهو مذهب ابي حنيفة واصحابه ويدل عليه قول علي رضي الله عنه حين نادى ببراءة [illegible] الا لا يحج بعد عامنا هذا مشرك ولا يمنعون من دخول الحرم والمسجد الحرام وسائر المساجد عندهم وعند الشافعي رضي الله عنه يمنعون من المسجد الحرام خاصة وعند مالك رحمة الله عليه يمنعون منه ومن غيره من المساجد **وعن** عطاء ان المراد بالمسجد الحرام الحرم وان على المسلمين ان لا يمكنوهم من دخوله ونهي المشركين ان يقربوه راجع الى نهي المسلمين عن تمكينهم منه وقيل المراد ان يمنعوا من تولي المسجد الحرام والقيام بمصالحه ويعزلوا عن ذلك وان خفتم عيلة اي فقرا بسبب منع المشركين من الحج وما كان لكم في قدومهم عليكم من الارفاق والمكاسب فسوف يغنيكم الله من فضله من عطائه او من تفضله بوجه آخر فارسل السماء عليهم مدرارا اغزر بها خيرهم واكثر ميرهم واسلم اهل تبالة وجرش فحملوا الى مكة الطعام وما يعاش به فكان ذلك اعود عليهم مما خافوا العيلة لفواته **وعن** ابن عباس رضي الله عنه القى الشيطان في قلوبهم الخوف وقال من اين تأكلون فامرهم الله تعالى بقتال اهل الكتاب واغناهم بالجزية وقيل بفتح البلاد والغنائم **وقرئ** عائلة بمعنى المصدر كالعافية او حالا عائلة ومعنى قوله ان شاء ان اوجبت الحكمة اغناءكم وكان مصلحة لكم في دينكم ان الله عليم باحوالكم حكيم لا يعطي ولا يمنع الا عن حكمة وصواب **قاتلوا الذين لا يؤمنون بالله ولا باليوم الآخر ولا يحرمون ما حرم الله ورسوله ولا يدينون دين الحق من الذين اوتوا الكتاب حتى يعطوا الجزية عن يد وهم صاغرون** من الذين اوتوا الكتاب بيان للذين مع ما في حيزه نفي عنهم الايمان بالله لان اليهود مثنية والنصارى مثلثة وايمانهم باليوم الآخر لانهم فيه على خلاف ما يجب ويحرمون ما حرم الله ورسوله لانهم لا يحرمون ما حرم في الكتاب والسنة **وعن** ابي روق لا يعملون بما في التوراة والانجيل وان يدينوا دين الحق وان يعتقدوا دين الاسلام الذي هو الحق وما سواه الباطل وقيل دين الله يقال فلان يدين بكذا اذا اتخذه دينه ومعتقده

سميت جزية لأنها طائفة مما على أهل الذمة أن يجزوه أي يقضوه، أو لأنهم يجزون بها من منّ عليهم بالإعفاء عن القتل. عن يد: إما أن تراد يد المعطي أو الآخذ، فمعناه على إرادة يد المعطي حتى يعطوها عن يد أي عن يد مواتية غير ممتنعة، لأن من أبى وامتنع لم يعط يده، بخلاف المطيع المنقاد، ولذلك قالوا: أعطى يده إذا انقاد وأصحب، ألا ترى إلى قولهم: نزع يده عن الطاعة، كما يقال: خلع ربقة الطاعة عن عنقه. أو حتى يعطوها عن يد إلى يد نقدًا غير نسيئة، لا مبعوثًا على يد أحد، ولكن عن يد المعطي إلى يد الآخذ. وأما على إرادة يد الآخذ فمعناها حتى يعطوها عن يد قاهرة مستولية، أو عن إنعام عليهم، لأن قبول الجزية منهم وترك أرواحهم لهم نعمة عظيمة عليهم. وهم صاغرون: أي تؤخذ منهم على الصغار والذل، وهو أن يأتي بها بنفسه ماشيًا غير راكب، ويسلمها وهو قائم والمتسلم جالس، وأن يتلتل تلتلة ويؤخذ بتلبيبه ويقال له: أدّ الجزية، وإن كان يؤديها ويزخ في قفاه. وتسقط بالإسلام عند أبي حنيفة، ولا يسقط به خراج الأرض. واختلف فيمن تضرب عليه، فعند أبي حنيفة تضرب على كل كافر من ذمي ومجوسي وصابي وحربي إلا على مشركي العرب وحدهم. **وروى** الزهري أن رسول الله صلى الله عليه وسلم صالح عبدة الأوثان على الجزية إلا من كان من العرب، وقال لأهل مكة: هل لكم في كلمة إذا قلتموها دانت لكم بها العرب وأدّت إليكم العجم الجزية. وعند الشافعي لا تؤخذ من مشركي العجم. والمأخوذ عند أبي حنيفة في أول كل سنة من الفقير الذي له كسب اثنا عشر درهمًا، ومن المتوسط في الغنى ضعفها، ومن المكثر ضعف الضعف ثمانية وأربعون، ولا تؤخذ من فقير لا كسب له. وعند الشافعي يؤخذ في آخر السنة من كل واحد دينار، فقيرًا كان أو غنيًا، كان له كسب أو لم يكن. **وقالت اليهود عزير ابن الله وقالت النصارى المسيح ابن الله ذلك قولهم بأفواههم يضاهون قول الذين كفروا من قبل قاتلهم الله أنى يؤفكون** عزير ابن الله مبتدأ وخبر، كقوله: المسيح ابن الله، وعزير اسم أعجمي كعازر وعيزار وعزرائيل، ولعجمته وتعريفه امتنع صرفه، ومن نوّن فقد جعله عربيًا. وأما قول من قال: سقوط التنوين لالتقاء الساكنين، كقراءة من قرأ: أحد الله، أو لأن الابن وقع وصفًا والخبر محذوف وهو معبودنا، فتمحّل عنه مندوحة. وهو قول ناس من اليهود ممن كان بالمدينة، وما هو بقول كلهم. **عن** ابن عباس رضي الله عنهما: جاء رسول الله صلى الله عليه وسلم سلام بن مشكم ونعمان بن أوفى وشاس بن قيس ومالك بن الصيف فقالوا ذلك. وقيل: قاله فنحاص. وسبب هذا القول أن اليهود قتلوا الأنبياء بعد موسى عليه السلام فرفع الله عنهم التوراة ومحاها من قلوبهم، فخرج عزير وهو غلام يسيح في الأرض، فأتاه جبريل عليه السلام فقال له: إلى أين تذهب؟ قال: أطلب العلم، فحفّظه التوراة، فأملاها عليهم عن ظهر لسانه لا يخرم حرفًا، فقالوا: ما جمع الله التوراة في صدره وهو غلام إلا أنه ابنه. والدليل على أن هذا القول كان فيهم أن الآية تليت عليهم فما أنكروا ولا كذبوا مع تهالكهم على التكذيب. **فإن قلت** كل قول يقال بالفم، فما معنى قوله تعالى: ذلك قولهم بأفواههم؟ فيه وجهان: أحدهما أن يراد أنه قول لا يعضده برهان، فما هو إلا لفظ يفوهون به فارغ من معنى تحته، كالألفاظ المهملة التي هي أجراس ونغم لا تدل على معان، وذلك أن القول الدال على معنى لفظه مقول بالفم ومعناه مؤثر في القلب، وما لا معنى له مقول بالفم لا غير. والثاني أن يراد بالقول المذهب، كقولهم: قول أبي حنيفة رحمة الله عليه، يريدون مذهبه وما يقول به، كأنه قيل: ذلك مذهبهم ودينهم بأفواههم لا بقلوبهم، لأنه لا حجة معه ولا شبهة

حتى

حتى يؤثر في القلوب، وذلك أنهم إذا اعترفوا أنه لا صاحبة له لم تبق شبهة في انتفاء الولد. يضاهون لا بد فيه من حذف مضاف تقديره يضاهي قولهم قولهم، ثم حذف المضاف وأقيم الضمير المضاف إليه مقامه فانقلب مرفوعًا. والمعنى أن الذين كانوا في عهد رسول الله عليه السلام من اليهود والنصارى يضاهي قولهم قول قدمائهم، يعني أنه كفر قديم فيهم غير مستحدث. أو يضاهي قول المشركين: الملائكة بنات الله. وقيل: الضمير للنصارى، أي يضاهي قولهم المسيح ابن الله قول اليهود عزير ابن الله، لأنهم أقدم منهم. **وقرئ** يضاهئون بالهمز من قولهم امرأة ضهيأ على فعيل، وهي التي ضاهأت الرجال في أنها لا تحيض، وهمزتها مزيدة كما في غرقئ. قاتلهم الله: أي هم أحقاء بأن يقال لهم هذا تعجبًا من شناعة قولهم، كما يقال لقوم ركبوا شنعاء: قاتلهم الله ما أعجب فعلهم. أنى يؤفكون: كيف يصرفون عن الحق. **اتخذوا أحبارهم ورهبانهم أربابًا من دون الله والمسيح ابن مريم وما أمروا إلا ليعبدوا إلهًا واحدًا لا إله إلا هو سبحانه عما يشركون** اتخاذهم أربابًا أنهم أطاعوهم في الأمر بالمعاصي وتحليل ما حرم الله وتحريم ما حلله، كما يطاع الأرباب في أوامرهم. ونحوه تسمية اتباع الشيطان فيما يوسوس به عبادة: بل كانوا يعبدون الجن، يا أبت لا تعبد الشيطان. **وعن** عدي بن حاتم: انتهيت إلى رسول الله عليه السلام وفي عنقي صليب من ذهب، فقال: أليسوا يحرمون ما أحل الله فتحرمونه، ويحلون ما حرمه الله فتحلونه؟ قلت: بلى، قال: فتلك عبادتهم. **وعن** الفضيل: ما أبالي أطعت مخلوقًا في معصية الخالق أو صليت لغير القبلة. وأما المسيح فحين جعلوه ابنًا لله فقد أهّلوه للعبادة، ألا ترى إلى قوله تعالى: قل إن كان للرحمن ولد فأنا أول العابدين. وما أمروا إلا ليعبدوا إلهًا واحدًا: أمرتهم بذلك أدلة العقل والنصوص في الإنجيل، والمسيح عليه السلام: إنه من يشرك بالله فقد حرم الله عليه الجنة. سبحانه: تنزيه له عن الإشراك به واستبعاد له. ويجوز أن يكون الضمير في وما أمروا للمتخذين أربابًا، أي وما أمر هؤلاء الذين هم عندهم أرباب إلا ليعبدوا الله ويوحدوه، فكيف يصح أن يكونوا أربابًا وهم مأمورون مستعبدون مثلهم. **يريدون أن يطفئوا نور الله بأفواههم ويأبى الله إلا أن يتم نوره ولو كره الكافرون هو الذي أرسل رسوله بالهدى ودين الحق ليظهره على الدين كله ولو كره المشركون** مثل حالهم في طلبهم أن يبطلوا نبوة محمد عليه السلام بالتكذيب بحال من يريد أن ينفخ في نور عظيم منبث في الآفاق، يريد الله أن يزيده ويبلّغه الغاية القصوى من الإشراق والإضاءة، ليطفئه بنفخه ويطمسه. ليظهره: ليظهر الرسول على الدين كله، على أهل الأديان كلهم، أو ليظهر دين الحق على كل دين. **فإن قلت** كيف جاز أبى الله إلا كذا، ولا يقال كرهت أو بغضت إلا زيدًا؟ قد أجري أبى مجرى لم يرد، ألا ترى كيف قوبل يريدون أن يطفئوا نور الله بقوله تعالى: ويأبى الله، وكيف أوقع موقع ولا يريد الله إلا أن يتم نوره. **يا أيها الذين آمنوا إن كثيرًا من الأحبار والرهبان ليأكلون أموال الناس بالباطل ويصدون عن سبيل الله والذين يكنزون الذهب والفضة ولا ينفقونها في سبيل الله فبشرهم بعذاب أليم** معنى أكل الأموال على وجهين: إما أن يستعار الأكل للأخذ، ألا ترى إلى قولهم: أخذ الطعام وتناوله، وإما على أن الأموال يؤكل بها فهي سبب للأكل، **ومنه** يأكلن كل ليلة إكافًا، يريد علفًا يشترى بثمن إكاف. ومعنى أكلهم بالباطل أنهم كانوا يأخذون الرشى في الأحكام والتخفيف والمسامحة في الشرائع. والذين

قوله

يكنزونه يجوز ان يكون اشارة الى الكثير من الاحبار والرهبان للدلالة على اجتماع خصلتين مذمومتين
فيهم اخذ البراطيل وكنز الاموال والضن بها عن الانفاق في سبيل الخير ويجوز ان يراد المسلمون
الكانزون غير المنفقين ويقرن بينهم وبين المرتشين من اليهود والنصارى تغليظا ودلالة على
ان من ياخذ منهم السحت ومن لا يعطي منكم طيب ماله سواء في استحقاق البشارة بالعذاب الاليم وقيل
نسخت الزكوة اية الكنز وقيل هي ثابتة وانما عنى بترك الانفاق في سبيل الله منع الزكوة وعن
النبي صلى الله عليه وسلم ما ادى زكوته فليس بكنز وان كان باطنا وما بلغ ان يزكى فلم يزك فهو كنز وان
كان ظاهرا وعن عمر رضي الله عنه ان رجلا سأله عن ارض له باعها فقال احرز مالك الذي اخذته احفر
له تحت فراش امراتك قال اليس بكنز قال ما ادي زكوته فليس بكنز وعن ابن عمر رضي الله عنهما ما اديت
زكوته فليس بكنز وان كان تحت سبع ارضين وما لم تؤد زكوته فهو الذي ذكره الله وان كان على
ظهر الارض **فان قلت** فما تصنع بما روى سالم بن الجعد انها لما نزلت قال رسول الله عليه السلام
تبا للذهب تبا للفضة قالها ثلثا فقالوا له فاي مال نتخذ قال لسانا ذاكرا وقلبا خاشعا وزوجة
تعين احدكم على دينه وبقوله عليه السلام من ترك صفرا او بيضا كوي بها وتوفي رجل فوجد في
مئزره دينار فقال رسول الله عليه السلام كية وتوفي اخر فوجد في مئزره ديناران فقال كيتان
كان هذا قبل ان تفرض الزكوة فاما بعد فرض الزكوة فالله اعدل واكرم من ان يجمع
عبده مالا من حيث اذن له ويؤدي عنه ما اوجب عليه فيه ثم يعاقبه ولقد كان كثير من الصحابة
كعبد الرحمن بن عوف وطلحة بن عبيد الله يقتنون الاموال ويتصرفون فيها وما عابهم احد
ممن اعرض عن القنية لان الاعراض اختيار للافضل والادخل في الورع والزهد في الدنيا والاقتناء
مباح موسع لا يذم صاحبه ولكل شي له حد وما روي عن علي رضي الله عنه اربعة الاف فما دونها
نفقة فما زاد فهو كنز كلام في الافضل **فان قلت** لم قيل ولا ينفقونها وقد ذكر شيئان
ذهابا بالضمير الى المعنى دون اللفظ لان كل واحد منهما جملة وافية وعدة كثيرة
ودنانير ودراهم فهو كقوله عز وجل وان طائفتان من المؤمنين اقتتلوا وقيل ذهب به الى الكنوز
وقيل الى الاموال وقيل معناه ولا ينفقونها والذهب كما ان معنى قوله واني وقيار بها لغريب
كذلك **فان قلت** لم خصا بالذكر من بين سائر الاموال لانهما قانون التمول
واثمان الاشياء ولا يكنزهما الا من فضلا عن حاجته ومن كثرا عنده حتى يكنزهما لم يعدم سائر
اجناس المال فكان ذكر كنزهما دليلا على ما سواهما يوم يحمى عليها في نار جهنم فتكوى بها
جباههم وجنوبهم وظهورهم هذا ما كنزتم لانفسكم فذوقوا ما كنتم تكنزون
فان قلت ما معنى قوله يحمى عليها وهلا قيل تحمى من قولك حمي الميسم واحميته ولا تقول احميت
على الحديد معناه ان النار تحمى عليها اي توقد ذات حمي وحر شديد من قوله تعالى نار حامية
ولو قيل يوم تحمى لم يعط هذا المعنى **فان قلت** فاذا كان الاحماء للنار فلم ذكر الفعل **قلت**
لانه مسند الى الجار والمجرور اصله يوم تحمى النار عليها فلما حذفت النار قيل يحمى عليها لانتقال الاسناد
عن النار الى عليها كما تقول رفعت القصة الى الامير فان لم تذكر القصة قلت رفع الى الامير وعن
ابن عامر انه قرأ تحمى بالتاء وقرأ ابو حيوة فيكوى بالياء **فان قلت** لم خصت هذه الاعضاء
قلت لانهم لم يطلبوا باموالهم حيث لم ينفقوها في سبيل الله الا الاغراض الدنيوية من وجاهة

عند الناس وتقدمهم وان يكون ماء وجوههم مصونا عندهم يتلقون بالجميل ويحيون بالاكرام ويبجلون
ويحتشمون ومن كل طيبات يتضلعون منها وينفخون جنوبهم ومن لبس ناعمة من الثياب يطرحونها
على ظهورهم كما ترى اغنياء زمانك هذه اغراضهم وطلباتهم من اموالهم لا يخطرون ببالهم قول رسول
الله عليه السلام ذهب اهل الدثور بالاجور وقيل لانهم كانوا اذا ابصروا الفقير عبسوا واذا
ضمهم واياه مجلس ازوروا عنه وتولوا باركانهم وولوه ظهورهم وقيل معناه يكوون على الجهات
الاربع مقاديمهم ومآخيرهم وجنوبهم هذا ما كنزتم على ارادة القول وقوله لانفسكم اي كنزتموه
لتنتفع به نفوسكم وتلتذ وتحصل لها الاغراض التي حامت حولها وما علمتم انكم كنزتموه لتستضر
به انفسكم وتتعذب وهو توبيخ لهم فذوقوا ما كنتم تكنزون **وقرئ** تكنزون بضم
النون اي وبال المال الذي كنتم تكنزونه او وبال كونكم كانزين ان عدة الشهور عند الله
اثنا عشر شهرا في كتاب الله يوم خلق السموات والارض منها اربعة حرم ذلك الدين
القيم فلا تظلموا فيهن انفسكم وقاتلوا المشركين كافة كما يقاتلونكم كافة واعلموا ان
الله مع المتقين في كتاب الله فيما اثبته واوجبه من حكمه ورآه حكمة وصوابا وقيل في اللوح اربعة
حرم ثلاثة سرد ذو القعدة وذو الحجة والمحرم وواحد فرد وهو رجب ومنه قوله صلى الله عليه وسلم
في خطبته في حجة الوداع الا ان الزمان قد استدار كهيئته يوم خلق السموات والارض السنة
اثنا عشر شهرا منها اربعة حرم ثلاث متواليات ذو القعدة وذو الحجة والمحرم ورجب مضر الذي بين
جمادى وشعبان والمعنى رجعت الاشهر الى ما كانت عليه وعاد الحج في ذي الحجة وبطل النسيء الذي كان
في الجاهلية وقد وافقت حجة الوداع ذا الحجة وكانت حجة ابي بكر قبلها في ذي القعدة ذلك
الدين القيم يعني ان تحريم الاشهر الاربعة هو الدين المستقيم دين ابراهيم واسمعيل صلوات الله
عليهما وكانت العرب قد تمسكت به وراثة منهما فكانوا يعظمون الاشهر الحرم ويحرمون القتال فيها
حتى لو لقي الرجل قاتل ابيه او اخيه لم يهجه وسموا رجبا الاصم ومنصل الاسنة حتى احدثت النسيء
فغيروا فلا تظلموا فيهن في الحرم انفسكم اي لا تجعلوا حرامها حلالا **وعن** عطاء بالله ما يحل للناس
ان يغزوا في الحرم ولا في الاشهر الحرم الا ان يقاتلوا وما نسخت وعن عطاء الخراساني احلت
القتال في الاشهر الحرم براءة من الله ورسوله وقيل معناه لا تاثموا فيهن بيانا لعظم حرمتهن
كما عظم اشهر الحج **كقوله تعالى** فمن فرض فيهن الحج فلا رفث ولا فسوق الاية وان كان ذلك
محرما في سائر الشهور كافة حال من الفاعل او المفعول مع المتقين ناصرهم حثهم على التقوى بضمان
النصر لاهلها انما النسيء زيادة في الكفر يضل به الذين كفروا يحلونه عاما ويحرمونه
عاما ليواطئوا عدة ما حرم الله فيحلوا ما حرم الله زين لهم سوء اعمالهم والله لا يهدي
القوم الكافرين النسيء تاخير حرمة الشهر الى شهر اخر وذلك انهم كانوا اصحاب حروب
وغارات فاذا جاء الشهر الحرام وهم محاربون شق عليهم ترك المحاربة فيحلونه ويحرمون مكانه
شهرا اخر حتى رفضوا تخصيص الاشهر الحرم بالتحريم فكانوا يحرمون من بين شهور العام اربعة
اشهر وذلك قوله ليواطئوا عدة ما حرم الله اي ليوافقوا العدة التي هي الاربعة ولا يخالفوها
وقد خالفوا التخصيص الذي هو احد الواجبين وربما زادوا في عدد الشهور فيجعلونها ثلاثة
عشر او اربعة عشر ليتسع لهم الوقت ولذلك قال الله تعالى ان عدة الشهور عند الله اثنا عشر

شهرا يعني من غير زيادة زادوها. والضمير في يحلونه ويحرمونه للنسيء، أي إذا أحلوا شهرا من الأشهر الحرم عاما رجعوا فحرموه في العام القابل. يروى أنه حدث ذلك في كنانة لأنهم كانوا فقراء محاويج إلى الغارة، وكان جنادة بن عوف الكناني مطاعا في الجاهلية، وكان يقوم على جمل في الموسم فيقول بأعلى صوته: إن آلهتكم قد أحلت لكم المحرم فأحلوه، ثم يقوم في القابل فيقول: إن آلهتكم قد حرمت عليكم المحرم فحرموه. جعل النسيء زيادة في الكفر، لأن الكافر كلما أحدث معصية ازداد كفرا فزادتهم رجسا إلى رجسهم، كما أن المؤمن إذا أحدث طاعة ازداد إيمانا فزادتهم إيمانا وهم يستبشرون. **وقرئ** يُضَلّ على البناء للمفعول ويَضَلّ بفتح الياء والضاد، ويُضِلّ على أن الفعل لله عز وجل. وقرأ الزهري ليوطّئوا بالتشديد. والنسيء مصدر نسأه إذا أخره، يقال نسأه نسأ ونساء ونسيئا، كقولك مسه مسا ومساسا ومسيسا. وقرئ بهن جميعا. **وقرئ** النسي بوزن الندي، والنسي بوزن النهي، وهما تخفيف النسيء والنساء. **فإن قلت** ما معنى قوله فيحلوا ما حرم الله. معناه فيحلوا بمواطأة العدة وحدها من غير تخصيص ما حرم الله من القتال، أو من ترك الاختصاص للأشهر بعينها. زين لهم سوء أعمالهم خذلهم الله فحسبوا أعمالهم القبيحة حسنة، والله لا يهدي أي لا يلطف بهم بل يخذلهم. **وقرئ** زَيَّن لهم سوء أعمالهم على البناء للفاعل وهو الله عز وجل. يا أيها الذين آمنوا ما لكم إذا قيل لكم انفروا في سبيل الله اثاقلتم إلى الأرض أرضيتم بالحيوة الدنيا من الآخرة فما متاع الحيوة الدنيا في الآخرة إلا قليل إلا تنفروا يعذبكم عذابا أليما ويستبدل قوما غيركم ولا تضروه شيئا والله على كل شيء قدير. اثاقلتم تثاقلتم، وبه قرأ الأعمش، أي تباطأتم وتقاعستم، وضمن معنى الميل والإخلاد فعدي بإلى، والمعنى ملتم إلى الدنيا وشهواتها وكرهتم مشاق السفر ومتاعبه. **ونحوه** أخلد إلى الأرض واتبع هواه. وقيل ملتم إلى الإقامة بأرضكم ودياركم. وقرئ أثاقلتم على الاستفهام الذي معناه الإنكار والتوبيخ. **فإن قلت** فما العامل في إذا وحرف الاستفهام مانعه أن يعمل فيه. ما دل عليه أو ما في ما لكم من معنى الفعل، كأنه قيل ما تصنعون إذا قيل لكم، كما تعمله في الحال إذا قلت ما لك قائما. وكان ذلك في غزوة تبوك في عشر بعد رجوعهم من الطائف استنفروا سنة في وقت عسرة وقحط وقيظ مع بعد الشقة وكثرة العدو فشق عليهم. وقيل ما خرج رسول الله عليه السلام في غزوة إلا ورّى عنها بغيرها إلا في غزوة تبوك ليستعد الناس تمام العدة. من الآخرة بدل الآخرة، كقوله تعالى لجعلنا منكم ملائكة. في الآخرة في جنب الآخرة. إلا تنفروا سخط عظيم على المتثاقلين حيث أوعدهم بعذاب أليم مطلق يتناول عذاب الدارين، وأنه يهلكهم ويستبدل بهم قوما آخرين خيرا منهم وأطوع، وأنه غني عنهم في نصرة دينه لا يقدح تثاقلهم فيها شيئا. وقيل الضمير للرسول أي ولا تضروه لأن الله وعده أن يعصمه من الناس. إلا تنصروه فقد نصره الله إذ أخرجه الذين كفروا ثاني اثنين إذ هما في الغار إذ يقول لصاحبه لا تحزن إن الله معنا فأنزل الله سكينته عليه وأيده بجنود لم تروها وجعل كلمة الذين كفروا السفلى وكلمة الله هي العليا والله عزيز حكيم. وإن ينصره وعد الله كائن لا محالة. وقيل يريد بقوله قوما غيركم أهل اليمن، وقيل أبناء فارس، والظاهر مستغن عن التخصيص. **فإن قلت** كيف يكون قوله فقد نصره الله جوابا للشرط. فيه وجهان: أحدهما إلا تنصروه

فسينصره من نصره حين لم يكن معه إلا رجل واحد، ولا أقل من الواحد، فدل بقوله تعالى فقد نصره الله على أنه ينصره في المستقبل كما نصره في ذلك الوقت. والثاني أنه أوجب له النصرة وجعله منصورا في ذلك الوقت فلن يخذل من بعده. وأسند الإخراج إلى الكفار كما أسنده إليهم في قوله تعالى من قريتك التي أخرجتك، لأنهم حين هموا بإخراجه أذن الله له في الخروج فكأنهم أخرجوه. ثاني اثنين أحد اثنين **كقوله تعالى** ثالث ثلاثة، وهما رسول الله صلى الله عليه وسلم وأبو بكر رضي الله عنه. يروى أن جبريل عليه السلام لما أمره بالخروج قال من يخرج معي؟ قال أبو بكر. وانتصابه على الحال. **وقرئ** ثاني اثنين بالسكون. إذ هما بدل من إذ أخرجه. والغار ثقب في أعلى ثور وهو جبل في يمنى مكة على مسيرة ساعة، مكثا فيه ثلاثا. إذ يقول بدل ثان. قيل طلع المشركون فوق الغار فأشفق أبو بكر على رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال إن تصب اليوم ذهب دين الله، فقال صلى الله عليه وسلم ما ظنك باثنين الله ثالثهما. وقيل لما دخلا الغار بعث الله تعالى حمامتين فباضتا في أسفله والعنكبوت فنسجت عليه، وقال صلى الله عليه وسلم اللهم أعم أبصارهم فجعلوا يترددون حول الغار ولا يفطنون، قد أخذ الله بأبصارهم عنه. وقالوا من أنكر صحبة أبي بكر فقد كفر لإنكاره كلام الله، وليس ذلك لسائر الصحابة. سكينته ما ألقي في قلبه من الأمنة التي سكن عندها وعلم أنهم لا يصلون إليه. والجنود الملائكة يوم بدر والأحزاب وحنين. وكلمة الذين كفروا دعوتهم إلى الكفر، وكلمة الله دعوته إلى الإسلام. **وقرئ** وكلمةَ الله بالنصب، والرفع أوجه، وهي فصل، وفيها تأكيد فضل كلمة الله في العلو وأنها المختصة به دون سائر الكلم. انفروا خفافا وثقالا وجاهدوا بأموالكم وأنفسكم في سبيل الله ذلكم خير لكم إن كنتم تعلمون. خفافا وثقالا خفافا في النفور لنشاطكم له، وثقالا عنه لمشقته عليكم. أو خفافا لقلة عيالكم وأذيالكم، وثقالا لكثرتها. أو خفافا من السلاح وثقالا منه. أو ركبانا ومشاة. أو شبانا وشيوخا. أو مهازيل وسمانا أو صحاحا ومراضا. **وعن** ابن أم مكتوم رضي الله عنه أنه قال لرسول الله صلى الله عليه وسلم أعليّ أن أنفر؟ قال نعم، حتى نزل قوله ليس على الأعمى حرج. وعن ابن عباس نسخت بقوله ليس على الضعفاء ولا على المرضى. وعن صفوان بن عمرو كنت واليا على حمص فلقيت شيخا كبيرا قد سقط حاجباه من أهل دمشق على راحلته يريد الغزو، فقلت يا عم لقد أعذر الله إليك، فرفع حاجبيه وقال يا ابن أخي استنفرنا الله خفافا وثقالا، ألا إنه من يحبه الله يبتليه. **وعن** الزهري خرج سعيد بن المسيب إلى الغزو وقد ذهبت إحدى عينيه، فقيل إنك عليل صاحب ضرر، فقال استنفر الله الخفيف والثقيل، فإن لم يمكني الحرب كثرت السواد وحفظت المتاع. وجاهدوا بأموالكم وأنفسكم إيجاب للجهاد بهما إن أمكن، أو بأحدهما على حسب الحال والحاجة. لو كان عرضا قريبا وسفرا قاصدا لاتبعوك ولكن بعدت عليهم الشقة وسيحلفون بالله لو استطعنا لخرجنا معكم يهلكون أنفسهم والله يعلم إنهم لكاذبون. العرض ما عرض لك من منافع الدنيا، يقال الدنيا عرض حاضر يأكل منه البر والفاجر، أي لو كان ما دعوا إليه غنما قريبا سهل المنال وسفرا قاصدا وسطا مقاربا. والشقة المسافة الشاطة الشاقة. **وقرأ** عيسى بن عمر بعِدت عليهم الشِّقة بكسر العين والشين. **ومنه** قوله يقولون لا تبعد وهم يدفنونه، ولا بعد إلا ما يواري الصفائح. بالله متعلق بسيحلفون، أو هو من جملة كلامهم، والقول مراد في الوجهين، أي سيحلفون يعني المتخلفين

عند رجوعك من غزوة تبوك معتذرين يقولون بالله لو استطعنا لخرجنا معكم او يحلفون بالله يقولون لو استطعنا وقوله تعالى لخرجنا سد مسد جوابي القسم ولو جميعا والاخبار بما سوف يكون بعد القفول من حلفهم واعتذارهم وقد كان من جملة المعجزات ومعنى الاستطاعة استطاعة العدة او استطاعة الابدان كانهم تمارضوا وقرى لو استطعنا بضم الواو تشبيها لها بواو الجمع في قوله فتمنوا الموت يهلكون انفسهم اما ان يكون بدلا من يحلفون او حالا بمعنى مهلكين والمعنى انهم يوقعونها في الهلاك بحلفهم الكاذب وما يحلفون عليه من التخلف ويحتمل ان يكون حالا من قوله تعالى لخرجنا اي لخرجنا معكم وان اهلكنا انفسنا والقيناها في التهلكة بما نحملها من المسير في تلك الشقة وجاء به على لفظ الغائب لانه مخبر عنهم الا ترى انه لو قيل سيحلفون بالله لو استطاعوا لخرجوا لكان سديدا يقال حلف بالله ليفعلن ولافعلن فالغيبة على حكم الاخبار والتكلم على الحكاية عفا الله عنك لم اذنت لهم حتى يتبين لك الذين صدقوا وتعلم الكاذبين لا يستاذنك الذين يؤمنون بالله واليوم الآخر ان يجاهدوا باموالهم وانفسهم والله عليم بالمتقين عفا الله عنك كناية عن الجناية لان العفو رادف لها ومعناه اخطأت وبئس ما فعلت ولم اذنت لهم بيان لما كنى عنه بالعفو ومعناه مالك اذنت لهم في القعود عن الغزو حين استاذنوك واعتلوا لك بعللهم وهلا استانيت بالاذن حتى يتبين لك من صدق في عذره ممن كذب فيه وقيل شيئان فعلهما رسول الله عليه السلام ولم يؤمر بهما اذنه للمنافقين واخذه من الاسارى فعاتبه الله لا يستاذنك ليس من عادة المؤمنين ان يستاذنوك في ان يجاهدوا وكان الخلص من المهاجرين والانصار يقولون لا نستاذن النبي عليه السلام ابدا ولنجاهدن معه باموالنا وانفسنا ومعنى ان يجاهدوا في ان يجاهدوا او كراهة ان يجاهدوا والله عليم بالمتقين شهادة لهم بالانتظام في زمرة المتقين وعدة لهم باجزال الثواب انما يستاذنك الذين لا يؤمنون بالله واليوم الآخر وارتابت قلوبهم فهم في ريبهم يترددون ولو ارادوا الخروج لاعدوا له عدة ولكن كره الله انبعاثهم فثبطهم وقيل اقعدوا مع القاعدين انما يستاذنك يعني المنافقين وكانوا تسعة وثلاثين رجلا يترددون عبارة عن التحير لان التردد ديدن المتحير كما ان الثبات والاستقرار ديدن المستبصر وقرى عده بمعنى عدته فعلا بالعدة ما فعل بالعدة من قال واخلفوك عد الامر الذي وعدوا من حذف تاء التانيث وتعويض المضاف اليه منه وقرى عدة بكسر العين بغير اضافة وعده بالاضافة فان قلت كيف موقع حرف الاستدراك لما كان قوله ولو ارادوا الخروج معطيا معنى نفي خروجهم واستعدادهم للغزو قيل ولكن الله كره انبعاثهم كانه قيل ما خرجوا ولكن تثبطوا عن الخروج لكراهة انبعاثهم كما تقول ما احسن الي زيد ولكن اساء الي فثبطهم فكسلهم وخذلهم وضعف رغبتهم في الانبعاث وقيل اقعدوا جعل القاء الله في قلوبهم كراهة الخروج امرا بالقعود وقيل هو قول الشيطان بالوسوسة وقيل هو قولهم لانفسهم وقيل هو اذن رسول الله عليه السلام لهم في القعود فان قلت كيف جاز ان يوقع الله في نفوسهم كراهة الخروج الى الغزو وهي قبيحة وتعالى الله عن الهام القبيح خروجهم كان مفسدة لقوله تعالى لو خرجوا فيكم ما زادوكم الا خبالا فكان اتباع كراهة ذلك الخروج في نفوسهم حسنا ومصلحة فان قلت فلم خطأ رسول

قوله كناية عن الجناية الخ الكلام صفة المتكلم اذ لا جناية صدرت من الآذن بل هو من باب تلطف في الخطاب وتعليم العباد في شأن خير العباد لان العفو وقع في الصدر فكيف يكون رادفا لها ولان العتاب يكون قبل العفو لا بعده كيف ولا جناية يعاتب عليه وان وقع منه الخطأ فنسبته بحسب ما فعلت الى النبي صلى الله عليه وسلم اساءة منه في شأنه صلى الله عليه وسلم فلا حول ولا قوة الا بالله العلي العظيم [illegible]

الله عليه السلام في الاذن لهم فيما هو مصلحة لان اذن رسول الله عليه السلام لهم لم يكن للتفريط في المصلحة ولا لعلها لا بعد القفول باعلام الله تعالى ولكنهم لانهم استاذنوه واعتذروا اليه وكان عليه ان يتفحص عن كنه معاذيرهم ولا يتجوز في قبولها فمن ثم اتاه العتاب ويجوز ان يكون في ترك رسول الله عليه السلام الاذن لهم مع تثبيط الله اياهم مصلحة اخرى فباذنه لهم فقدت تلك المصلحة وذلك انه اذا ثبطهم الله فلم ينبعثوا او كان قعودهم بغير اذن رسول الله عليه السلام قامت عليهم الحجة ولم تبق لهم معذرة ولقد تدارك الله ذلك حيث هتك استارهم وكشف اسرارهم وشهد عليهم بالنفاق وانهم لا يؤمنون بالله واليوم الآخر فان قلت ما معنى قوله مع القاعدين هو ذم لهم وتعجيز والحاق بالنساء والصبيان والزمنى الذين شانهم القعود والجثوم في البيوت وهم القاعدون والخالفون والخوالف ويبينه قوله رضوا بان يكونوا مع الخوالف لو خرجوا فيكم ما زادوكم الا خبالا ولاوضعوا خلالكم يبغونكم الفتنة وفيكم سماعون لهم والله عليم بالظالمين الا خبالا ليس من الاستثناء المنقطع في شيء كما يقولون لان الاستثناء المنقطع هو ان يكون المستثنى من غير جنس المستثنى منه كقولك ما زادوكم خيرا الا خبالا والمستثنى منه في هذا الكلام غير مذكور واذا لم يذكر وقع الاستثناء من اعم العام الذي هو الشيء فكان استثناء متصلا لان الخبال بعض اعم العام كانه قيل ما زادوكم شيئا الا خبالا والخبال الفساد والشر ولاوضعوا خلالكم ولسعوا بينكم بالتضريب والنمائم وافساد ذات البين يقال وضع البعير وضعا اذا اسرع واوضعته انا والمعنى ولاوضعوا ركائبهم بينكم والمراد الاسراع بالنمائم لان الراكب اسرع من الماشي وقرا ابن الزبير ولارفضوا من رفضت الناقة رفضا اذا اسرعت وارفضتها انا قال والرافضات الى منى فالغبغب وقرى ولا رفضوا فان قلت كيف خط في المصحف ولا اوضعوا بزيادة الالف كانت الفتحة تكتب الفا قبل الخط العربي والخط العربي اخترع قريبا من نزول القرآن وقد بقي من ذلك الالف اثر في الطباع فكتبوا صورة الهمزة الفا وفتحتها الفا اخرى ونحوه اولا اذبحنه يبغونكم الفتنة يحاولون ان يفتنوكم بان يوقعوا الخلاف فيما بينكم ويفسدوا نياتكم في مغزاكم وفيكم سماعون لهم اي نمامون يسمعون حديثكم فينقلونه اليهم او فيكم قوم يسمعون للمنافقين ويطيعونهم لقد ابتغوا الفتنة من قبل وقلبوا لك الامور حتى جاء الحق وظهر امر الله وهم كارهون لقد ابتغوا الفتنة اي العنت ونصب الغوائل والسعي في تشتيت شملك وتفريق اصحابك عنك كما فعل عبد الله بن ابي يوم احد حين انصرف بمن معه وعن ابن جريج وقفوا لرسول الله على الثنية ليلة العقبة وهم اثنا عشر رجلا ليفتكوا به من قبل من قبل غزوة تبوك وقلبوا لك الامور ودبروا لك الحيل والمكائد ودوروا الآراء في ابطال امرك وقرى وقلبوا بالتخفيف حتى جاء الحق وهو تاييدك ونصرك وظهر امر الله وغلب دينه وعلا شرعه ومنهم من يقول ائذن لي ولا تفتني الا في الفتنة سقطوا وان جهنم لمحيطة بالكافرين ائذن لي في القعود ولا تفتني ولا توقعني في الفتنة وهي الاثم بان لا تاذن لي فاني ان تخلفت بغير اذنك اثمت وقيل ولا تلقني في الهلكة فاني اذا خرجت معك هلك مالي وعيالي وقيل قال الجد بن قيس قد علمت الانصار اني مستهتر بالنساء فلا تفتني ببنات الاصفر يعني نساء الروم ولكني اعينك بمال فاتركني وقرى ولا تفتني من افتنه الا في الفتنة سقطوا اي ان

الفتنة التي سقطوا فيها وهي فتنة التخلف وفي مصحف ابي سقط لان من وحّد اللفظ مجموع المعنى
محيطة بالكافرين يعني انها تحيط بهم يوم القيمة او هي محيطة بهم الان لان اسباب الاحاطة معهم
فكانهم في وسطها ان تصبك حسنة تسؤهم وان تصبك مصيبة يقولوا قد اخذنا امرنا
من قبل ويتولوا وهم فرحون ان تصبك في بعض الغزوات حسنة ظفر وغنيمة تسؤهم وان
تصبك مصيبة نكبة وشدة في بعضها نحو ما جرى باحد يفرحوا بحالهم في الانحراف عنك ويقولوا يومهم
قد اخذنا امرنا اي امرنا الذي نحن متسمون به من الحذر والتيقظ والعمل بالحزم من قبل ما وقع
ويتولوا عن مقام التحدث بذلك والاجتماع له الى اهاليهم وهم فرحون مسرورون وقيل تولوا
اعرضوا عن رسول الله صلى الله عليه وسلم قل لن يصيبنا الا ما كتب الله لنا هو مولانا وعلى الله
فليتوكل المؤمنون قل هل تربصون بنا الا احدى الحسنيين ونحن نتربص بكم ان يصيبكم هلم
الله بعذاب من عنده او بايدينا فتربصوا انا معكم متربصون قرأ ابن مسعود
قل هل يصيبنا وقرأ طلحة هل يصيبنا بتشديد الياء ووجهه ان يكون يفيعل لا يفعل لانه من بنات
الواو لقولهم الصواب وصاب السهم يصوب ومصاوب في جمع مصيبة فحق يفعل منه يصوب
الا ترى الى قولهم صوب رايه الا ان يكون من لغة من يقول صاب السهم يصيب ومنه قوله
اسهمي الصائبات والصيب واللام في قوله الا ما كتب الله لنا مفيدة معنى الاختصاص كانه
قيل لن يصيبنا الا ما اختصنا الله باثباته وايجابه من النصرة عليكم او الشهادة الا ترى الى
قوله هو مولانا اي الذي يتولانا ونتولاه ذلك بان الله مولى الذين امنوا وان الكافرين لا مولى
لهم وعلى الله فليتوكل المؤمنون وحق المؤمنين ان لا يتوكلوا على غير الله سبحانه فليفعلوا ما هو
حقهم الا احدى الحسنيين الا احدى العاقبتين اللتين كل واحدة منهما هي حسنى العواقب وهما
النصرة والشهادة ونحن نتربص بكم احدى السوءيين من العواقب اما ان يصيبكم الله بعذاب
من عنده وهو قارعة من السماء كما نزلت على عاد وثمود او بعذاب بايدينا وهو القتل على الكفر
فتربصوا بنا ما ذكرنا من عواقبنا انا معكم متربصون ما هو عاقبتكم فلا بد ان يلقى كلنا ما يتربصه
ولا يتجاوزه قل انفقوا طوعا او كرها لن يتقبل منكم انكم كنتم قوما فاسقين وما منعهم
ان تقبل منهم نفقاتهم الا انهم كفروا بالله وبرسوله ولا يأتون الصلوة الا وهم
كسالى ولا ينفقون الا وهم كارهون انفقوا يعني في سبيل الله ووجوه البر طوعا او كرها
نصب على الحال اي طائعين او مكرهين فان قلت كيف امرهم بالانفاق ثم قال لن يتقبل منكم
هو امر في معنى الخبر كقوله تعالى قل من كان في الضلالة فليمدد له الرحمن مدا ومعناه
لن يتقبل منكم انفقتم طوعا او كرها ونحوه قوله تعالى استغفر لهم او لا تستغفر لهم وقوله
اسيئي بنا او احسني لا ملومة اي لن يغفر الله لهم استغفرت لهم او لم تستغفر لهم ولا نلومك
اساءت الينا او احسنت فان قلت متى يجوز نحو هذا قلت اذا دل الكلام عليه كما جاز عكسه
في قولك رحم الله زيدا وغفر له فان قلت لم فعل ذلك لنكتة فيه وهي ان
كثيرا كانه يقول لعزة امتحني لطف محلك عندي وقوة محبتي لك وعامليني بالاساءة والاحسان
وانظري هل تتفاوت حالي معك مسيئة كنت او محسنة وفي معناه قول القائل
اخوك الذي ان قمت بالسيف عامدا لتضربه لم يستغشك في الود وكذلك

المعنى انفقوا وانظروا هل يتقبل منكم واستغفر لهم او لا تستغفر لهم وانظر هل ترى اختلافا بين
حال الاستغفار وتركه فان قلت ما الغرض في نفي التقبل اهو ترك رسول الله صلى الله عليه
وسلم تقبله منهم ورده عليهم ما يبذلون منه ام هو كونه غير مقبول عند الله ذاهبا لا ثواب
معه قلت يحتمل الامرين جميعا وقوله طوعا او كرها معناه طائعين من غير الزام من الله ورسوله
او ملزمين وسمي الالزام اكراها لانهم منافقون وكان الزامهم الانفاق شاقا عليهم كالاكراه او
طائعين من غير اكراه من رؤسائكم لان رؤساء اهل النفاق كانوا يحملون على الانفاق لما يرون
من المصلحة فيه او مكرهين من جهتهم وروي انها نزلت في الجد بن قيس حين تخلف عن غزوة
تبوك وقال لرسول الله صلى الله عليه وسلم هذا مالي اعينك به فاتركني انكم لن يتقبل لرد انفاقهم
والمراد بالفسق التمرد والعتو انهم فاعل منع وهم وان تقبل مفعولاه وقرئ ان تقبل بالتاء
والياء على البناء للمفعول ونفقاتهم ونفقتهم على الجمع والتوحيد وقرأ السلمي ان يقبل منهم نفقاتهم
على ان الفعل لله تعالى كسالى بالضم والفتح جمع كسلان نحو سكارى وغيارى في سكران وغيران
وكسلهم لانهم لا يرجون بصلوتهم ثوابا ولا يخشون بتركها عقابا فهي ثقيلة عليهم كقوله تعالى وانها
لكبيرة الا على الخاشعين وقرأت في بعض الاخبار ان رسول الله صلى الله عليه وسلم كره للمؤمن
ان يقول كسلت كانه ذهب الى هذه الاية وان الكسل من صفات المنافقين فما ينبغي ان يسنده
المؤمن الى نفسه فان قلت الكراهية خلاف الطواعية وقد جعلهم الله طائعين في قوله
طوعا ثم وصفهم بانهم لا ينفقون الا وهم كارهون المراد بطوعهم انهم يبذلونه من غير
الزام من رسول الله عليه السلام او من رؤسائهم وما طوعهم ذاك الا عن كراهة واضطرار لا عن
رغبة واختيار فلا تعجبك اموالهم ولا اولادهم انما يريد الله ليعذبهم بها في الحيوة
الدنيا وتزهق انفسهم وهم كافرون ويحلفون بالله انهم لمنكم وما هم منكم ولكنهم
قوم يفرقون الاعجاب بالشيء ان تسر به سرور راض به متعجب من حسنه والمعنى فلا تستحسن
ولا تفتتن بما اوتوا من زينة الدنيا كقوله تعالى ولا تمدن عينيك فان الله انما اعطاهم
ما اعطاهم للعذاب بان عرضه للتغنم والسبي وبلاهم فيه بالافات والمصائب وكلفهم الانفاق
منه في ابواب الخير وهم كارهون له على رغم انوفهم واذاقهم انواع الكلف والمجاشم في جمعه واكتسابه
وفي تربية اولادهم فان قلت ان صح تعليق التعذيب بارادة الله فما بال زهوق انفسهم
وهم كافرون المراد الاستدراج بالنعم كقوله تعالى انما نملي لهم ليزدادوا اثما كانه
قيل ويريد ان يديم عليهم نعمته الى ان يموتوا وهم كافرون ملتهون بالتمتع عن النظر للعاقبة
لمنكم لمن جملة المسلمين يفرقون يخافون القتل وما يفعل بالمشركين فيتظاهرون بالاسلام
تقية لو يجدون ملجأ او مغارات او مدخلا لولوا اليه وهم يجمحون ومنهم من يلمزك
في الصدقات فان اعطوا منها رضوا وان لم يعطوا منها اذا هم يسخطون ولو انهم
رضوا ما اتيهم الله ورسوله وقالوا حسبنا الله سيؤتينا الله من فضله ورسوله
انا الى الله راغبون ملجأ مكانا يلجؤن اليه متحصنين به من رأس جبل او قلعة او جزيرة او مغارات
او غيرانا وقرئ بضم الميم من اغار الرجل وغار اذا دخل الغور وقيل هو تعدية غار الشيء
واغرته انا يعني امكنة يغيرون فيها اشخاصهم ويجوز ان يكون من اغار الثعلب اذا اسرع بمعنى

مهاربَ ومغارات او مدخلا او نفقا يندسّون فيه ويتجحّرون وهو مفتعل من الدخول وقرئ مَدْخلا
من دخل ومُدخلا من ادخل مكانا يُدخلون فيه انفسهم وقرأ ابيّ بن كعب رضي الله عنه متدخَّلا
وقرئ لوالوا اليه لالتجؤوا اليه يجمحون يسرعون اسراعا لا يردّهم شيء من الفرس الجموح وهو
الذي اذا حمل لم يردّه اللجام وقرأ انس يجمزون فسئل فقال يجمحون ويجمزون ويشتدّون
واحد يلمزك يعيبك في قسمة الصدقات ويطعن عليك قيل هم المؤلفة قلوبهم وقيل هو
ابن ذي الخويصرة رأس الخوارج كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يقسم غنائم حنين فقال
اعدل يا رسول الله فقال ويلك ان لم اعدل فمن يعدل وقيل هو ابو الجواظ من المنافقين قال
الا ترون الى صاحبكم انما يقسم صدقاتكم في رعاة الغنم وهو يزعم انه يعدل فقال رسول الله
عليه السلام لا ابا لك اما كان موسى راعيا اما كان داود راعيا فلما ذهب قال صلى الله عليه
وسلم احذروا هذا واصحابه فانهم منافقون وقرئ يلمزك بالضم ويلمّزك ويلامزك التثقيل
والبناء على المفاعلة مبالغة في اللمز ثم وصفهم بان رضاهم وسخطهم لانفسهم لا للدين وما فيه صلاح
اهله لان رسول الله صلى الله عليه وسلم استعطف قلوب اهل مكة يومئذ بتوفير الغنائم عليهم
فضجر المنافقون منه واذا للمفاجأة اي وان لم يعطوا منها فاجؤوا السخط جواب لو محذوف تقديره
ولو انهم رضوا لكان خيرا لهم والمعنى ولو انهم رضوا ما اصابهم به الرسول من الغنيمة وطابت به نفوسهم
وان قلّ نصيبهم وقالوا كفانا فضل الله وصنعه وحسبنا ما قسم لنا سيرزقنا غنيمة اخرى فيؤتينا
رسول الله اكثر مما آتانا اليوم انا الى الله في ان يغنمنا ويخولنا فضله لراغبون انما الصدقات
للفقراء والمساكين والعاملين عليها والمؤلفة قلوبهم وفي الرقاب والغارمين وفي
سبيل الله وابن السبيل فريضة من الله والله عليم حكيم انما الصدقات للفقراء قصر
جنس الصدقات على الاصناف المعدودة وانها مختصة بها لا تتجاوزها الى غيرها كانه قيل
انما هي لهم لا لغيرهم ونحوه قولك انما الخلافة لقريش تريد لا تتعداهم ولا تكون لغيرهم فيحتمل
ان تصرف الى الاصناف كلها وان تصرف الى بعضها وعليه مذهب ابي حنيفة رحمة الله عليه وعن
حذيفة وابن عباس رضي الله عنهما وغيرهما من الصحابة والتابعين رضوان الله عليهم انهم
قالوا في اي صنف منها وضعتها اجزأك وعن سعيد بن جبير رضي الله عنه لو نظرت الى اهل بيت
من المسلمين فقراء متعففين فجبرتهم بها كان احبّ اليّ وعند الشافعي رضي الله عنه لا بدّ من صرفها
الى الاصناف وعن عكرمة انها تفرّق في الاصناف الثمانية وعن الزهري انه كتب لعمر بن عبد
العزيز تفريق الصدقات على الاصناف الثمانية والعاملين عليها السعاة الذين يقبضونها
والمؤلفة قلوبهم اشراف من العرب كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يستألفهم على ان يسلموا فرضخ
لهم شيئا منها حين كان في المسلمين قلة والرقاب المكاتبون يعانون منها وقيل الاسارى وقيل
تبتاع الرقاب فتعتق والغارمين الذين ركبتهم الديون ولا يملكون بعدها ما يبلغ النصاب
وقيل الذين تحمّلوا الحمالات فتداينوا فيها وغرموا وفي سبيل الله فقراء الغزاة والحجيج المنقطع بهم
وابن السبيل المسافر المنقطع عن ماله فهو فقير حيث هو غني حيث ماله فريضة في معنى المصدر
المؤكد لان قوله انما الصدقات للفقراء معناه فرض الله الصدقات لهم وقرئ فريضة بالرفع
على تلك فريضة فان قلت لم عدل عن اللام الى في في الاربعة الاخيرة للايذان بانهم

ارسخ

ارسخ في استحقاق التصدق عليهم ممن سبق ذكره لان في للوعاء فنبه على انهم احقاء بان توضع فيهم الصدقات
ويجعلوا مظنة لها ومصبا وذلك لما في فك الرقاب من الكتابة او الرق او الاسر وفي فك الغارمين
من الغرم من التخليص والانقاذ ولجمع الغازي الفقير او المنقطع في الحج بين الفقر والعبادة وكذلك
ابن السبيل جامع بين الفقر والغربة عن الاهل والمال وتكرير في في قوله تعالى وفي سبيل الله وابن
السبيل فيه فضل ترجيح لهذين على الرقاب والغارمين فان قلت فكيف وقعت هذه الآية
في تضاعيف ذكر المنافقين ومكايدهم قلت دلّ بكون هذه الاصناف مصارف الصدقات
خاصة دون غيرهم على انهم ليسوا منهم حسما لاطماعهم واشعارا باستيجابهم الحرمان وانهم بعداء
عنها وعن مصارفها فما لهم وما لها وما سلّطهم على التكلم فيها ولمز قاسمها ومنهم الذين يؤذون
النبي ويقولون هو اذن قل اذن خير لكم يؤمن بالله ويؤمن للمؤمنين ورحمة للذين آمنوا
منكم والذين يؤذون رسول الله لهم عذاب اليم يحلفون بالله لكم ليرضوكم والله ورسوله
احق ان يرضوه ان كانوا مؤمنين الاذن الرجل الذي يصدّق كل ما يسمع ويقبل قول كل احد
سمي بالجارحة التي هي آلة السماع كأن جملته اذن سامعة ونظيره قولهم للربيئة عين وايذاؤهم
له هو قولهم فيه اذن واذن خير لكم كقولك رجل صدق تريد الجودة والصلاح كأنه قيل نعم هو اذن
ولكن نعم الاذن ويجوز ان يريد هو اذن في الخير والحق وفيما يجب سماعه وقبوله وليس باذن في غير
ذلك ويدل عليه قراءة حمزة ورحمة بالجر عطفا عليه اي هو اذن خير ورحمة لا يسمع غيرهما ولا يقبله
ثم فسّر كونه اذن خير بانه يصدّق بالله لما قام عنده من الادلة ويقبل من المؤمنين الخلّص من
المهاجرين والانصار وهو رحمة لمن آمن منكم اي اظهر الايمان ايها المنافقون حيث يسمع منكم
ويقبل ايمانكم الظاهر ولا يكشف اسراركم ولا يفضحكم ولا يفعل بكم ما يفعل بالمشركين مراعاة
لما رأى الله من المصلحة في الابقاء عليكم فهو اذن كما قلتم الا انه اذن خير لكم لا اذن سوء فسلّم لهم
قولهم فيه الا انه فسّر بما هو مدح له وثناء عليه وان كانوا قصدوا به المذمة والتقصير بفطنته
وشهامته وانه من اهل سلامة القلوب والغرّة وقيل ان جماعة منهم ذمّوه وبلغه ذلك فاشتغلت
قلوبهم فقال بعضهم لا عليكم فانما هو اذن سامعة قد سمع كلام المبلّغ فاذا جئنا تائبين فنعتذر اليه
فيسمع عذرنا ايضا فيرضى فقيل هو اذن خير لكم وقرئ اذن خير لكم على ان اذن خبر مبتدأ
محذوف وخير كذلك اي هو اذن هو خير لكم يعني ان كان كما تقولون فهو خير لكم لانه يقبل معاذيركم
ولا يكافئكم على سوء دخلكم وقرأ نافع بتخفيف الذال فان قلت لم عدّي فعل الايمان بالباء
الى الله والى المؤمنين باللام قلت لانه قصد التصديق بالله الذي هو نقيض الكفر به فعدّي
بالباء وقصد السماع من المؤمنين وان يسلّم لهم ما يقولونه ويصدّقه لكونهم صادقين عنده فعدّي
باللام الا ترى الى قوله وما انت بمؤمن لنا ولو كنا صادقين ما اباه عن الباء ونحوه فما آمن لموسى
الا ذرية من قومه انؤمن لك واتبعك الارذلون آمنتم له قبل ان آذن لكم فان قلت
ما وجه قراءة ابن ابي عبلة ورحمة بالنصب قلت هي علة معللها محذوف تقديره ورحمة
لكم يأذن لكم فحذف لان قوله اذن خير لكم يدل عليه لكم ليرضوكم الخطاب للمسلمين وكان
المنافقون يتكلمون بالمطاعن او يتخلفون عن الجهاد ثم يأتونهم فيعتذرون اليهم ويؤكدون
معاذيرهم بالحلف ليعذروهم ويرضوا عنهم فقيل لهم ان كنتم مؤمنين كما تزعمون فاحق من ارضيتم الله

ورسوله بالطاعة والوفاق وإنما وحّد الضمير لأنه لا تفاوت بين رضا الله ورضا رسوله فكانا في
حكم مرضي واحد كقولك إحسان زيد وإجماله نعشني وجبر مني أو والله أحق أن يرضوه ورسوله
كذلك ألم يعلموا أنه من يحادد الله ورسوله فأن له نار جهنم خالدا فيها ذلك الخزي العظيم
المحادّة مفاعلة من الحد كالمشاقة من الشق فأن له على حذف الخبر أي فحق أن له نار جهنم وقيل
معناه فله وأن تكرير لأن في قوله أنه توكيدا ويجوز أن يكون فأن له معطوفا على أنه على أن جواب
من محذوف تقديره ألم يعلموا أنه من يحادد الله ورسوله يهلك فأن له نار جهنم **وقرئ** ألم
تعلموا بالتاء يحذر المنافقون أن تنزل عليهم سورة تنبئهم بما في قلوبهم قل استهزءوا إن
الله مخرج ما تحذرون * ولئن سألتهم ليقولن إنما كنا نخوض ونلعب قل أبالله وآياته
ورسوله كنتم تستهزءون * لا تعتذروا قد كفرتم بعد إيمانكم إن نعف عن طائفة
منكم نعذب طائفة بأنهم كانوا مجرمين كانوا يستهزءون بالإسلام وأهله وكانوا يحذرون
أن يفضحهم الله بالوحي فيهم حتى قال بعضهم والله لا أرانا إلا شر خلق الله لوددت أني قدّمت
فجلدت مائة جلدة وأن لا ينزل فينا شيء يفضحنا والضمير في عليهم وتنبئهم للمؤمنين وفي قلوبهم
للمنافقين وصح ذلك لأن المعنى يعود إليه ويجوز أن تكون الضمائر للمنافقين لأن السورة
إذا نزلت في معناهم فهي نازلة عليهم ومعنى تنبئهم بما في قلوبهم كأنها تقول لهم في قلوبكم كيت وكيت
يعني أنها تذيع أسرارهم عليهم حتى يسمعوها مذاعة منتشرة فكأنها تخبرهم بها وقيل معنى يحذر
الأمر بالحذر أي ليحذر المنافقون **فإن قلت** الحذر واقع على إنزال السورة في قوله تعالى
يحذر المنافقون أن تنزل عليهم سورة فما معنى قوله مخرج ما تحذرون معناه محصّل
مبرز إنزال السورة أو أن الله تعالى مظهر ما كنتم تحذرونه أي تحذرون إظهاره من نفاقكم
بينا رسول الله صلى الله عليه وسلم يسير في غزوة تبوك وركب من المنافقين يسيرون بين يديه
فقالوا انظروا إلى هذا الرجل يريد أن يفتح قصور الشام وحصونه هيهات هيهات فأطلع الله
نبيه على ذلك فقال احبسوا على الركب فأتاهم فقال قلتم كذا وكذا فقالوا يا نبي الله لا والله ما
كنا في شيء من أمرك ولا من أمر أصحابك ولكن كنا في شيء مما يخوض فيه الركب ليقصر بعضنا على بعض السفر
أبالله وآياته ورسوله كنتم تستهزءون لم يعبأ باعتذارهم لأنهم كانوا كاذبين فيه فجعلوا كأنهم
معترفون باستهزائهم وبأنه موجود منهم حتى وبخوا بأخطائهم موقع الاستهزاء حيث جعل المستهزأ
به يلي حرف التقرير وذلك إنما يستقيم بعد وقوع الاستهزاء وثبوته لا تعتذروا لا تشتغلوا
باعتذاراتكم الكاذبة فإنها لا تنفعكم بعد ظهور سركم قد كفرتم قد أظهرتم كفركم باستهزائكم
بعد إيمانكم بعد إظهاركم الإيمان إن يعف عن طائفة منكم بإحداثهم التوبة وإخلاصهم الإيمان
بعد النفاق نعذب طائفة بأنهم كانوا مجرمين مصرين على النفاق غير تائبين منه أو إن نعف
عن طائفة منكم لم يؤذوا رسول الله ولم يستهزءوا فلم نعذبهم في العاجل نعذب في العاجل طائفة
بأنهم كانوا مجرمين مؤذين لرسول الله مستهزئين **وقرأ** مجاهد إن تعف عن طائفة على البناء
للمفعول مع التأنيث والوجه التذكير لأن المسند إليه الظرف كما تقول سير بالدابة ولا تقول
سيرت بالدابة ولكنه ذهب إلى المعنى كأنه قيل إن ترحم طائفة فأنث لذلك وهو غريب والجيد
قراءة العامة إن يعف عن طائفة منكم بالتذكير وتعذب طائفة بالتأنيث **وقرئ** إن يعف

عن طائفة يعذب طائفة على البناء للفاعل وهو الله عز وجل المنافقون والمنافقات بعضهم
من بعض يأمرون بالمنكر وينهون عن المعروف ويقبضون أيديهم نسوا الله فنسيهم
إن المنافقين هم الفاسقون * وعد الله المنافقين والمنافقات والكفار نار
جهنم خالدين فيها هي حسبهم ولعنهم الله ولهم عذاب مقيم بعضهم من بعض أريد به
نفي أن يكونوا من المؤمنين وتكذيبهم في قولهم ويحلفون بالله إنهم لمنكم وتقرير قوله وما هم منكم
ثم وصفهم بما يدل على مضادة حالهم لحال المؤمنين يأمرون بالمنكر بالكفر والمعاصي وينهون عن
المعروف عن الإيمان والطاعات ويقبضون أيديهم شحا بالمبار والصدقات والإنفاق في
سبيل الله نسوا الله أغفلوا ذكره فنسيهم فتركهم من رحمته وفضله هم الفاسقون هم الكاملون
في الفسق الذي هو التمرد في الكفر والانسلاخ عن كل خير وكفى المسلم زاجرا أن يلم بما يكسبه هذا
الاسم الفاحش الذي وصف الله به المنافقين حين بالغ في ذمهم وإذا كره رسول الله صلى الله
عليه وسلم للمسلم أن يقول كسلت لأن المنافقين وصفوا بالكسل في قوله تعالى كسالى فما ظنك بالفسق
خالدين فيها مقدرين الخلود هي حسبهم دلالة على عظم عذابها وأنه لا شيء أبلغ منه وأنه بحيث لا يزاد
عليه نعوذ بالله من سخطه وعذابه ولعنهم الله وأهانهم مع التعذيب وجعلهم مذمومين ملحقين
بالشياطين الملاعين كما عظم أهل الجنة وألحقهم بالملائكة المقربين ولهم عذاب مقيم ولهم
نوع من العذاب سوى الصلي بالنار مقيم دائم كعذاب النار ويجوز أن يريد ولهم عذاب مقيم
معهم في العاجل لا ينفكون عنه وهو ما يقاسونه من تعب النفاق والظاهر المخالف للباطن خوفا
من المسلمين وما يحذرونه أبدا من الفضيحة ونزول العذاب إن اطلع على أسرارهم كالذين من
قبلكم كانوا أشد منكم قوة وأكثر أموالا وأولادا فاستمتعوا بخلاقهم فاستمتعتم بخلاقكم
كما استمتع الذين من قبلكم بخلاقهم وخضتم كالذي خاضوا أولئك حبطت أعمالهم في
الدنيا والآخرة وأولئك هم الخاسرون الكاف محلها رفع على أنتم مثل الذين من قبلكم أو
نصب على فعلتم مثل الذين من قبلكم وهو أنكم استمتعتم وخضتم كما استمتعوا وخاضوا **ونحوه** قول
النمر كاليوم مطلوبا ولا طلبا بإضمار لم أر وقوله كانوا أشد منكم تفسير لتشبيههم بهم وتمثيل
فعلهم بفعلهم والخلاق النصيب وهو ما خلق للإنسان أي قدر من خير كما قيل له قسم لأنه قسم ونصيب
لأنه نصب أي أثبت والخوض الدخول في الباطل واللهو كالذي خاضوا كالفوج الذي خاضوا
أو كالخوض الذي خاضوه **فإن قلت** أي فائدة في قوله فاستمتعوا بخلاقهم وقوله كما
استمتع الذين من قبلكم بخلاقهم مغن عنه كما أغنى قوله كالذي خاضوا عن أن يقال وخاضوا فخضتم
كالذي خاضوا فائدته أن يذم الأولين بالاستمتاع بما أوتوا من حظوظ الدنيا ورضاهم
بها والتهائهم بشهواتهم الفانية عن النظر في العاقبة وطلب الفلاح في الآخرة وأن يخسّس أمر
الاستمتاع ويهجن أمر الراضي به ثم يشبه بعد ذلك حال المخاطبين بحالهم كما تريد أن تنبه بعض
الظلمة على سماجة فعله فتقول أنت مثل فرعون كان يقتل بغير جرم ويعذب ويعسف وأنت
تفعل مثل فعله وأما وخضتم كالذي خاضوا فمعطوف على ما قبله مستند إليه مستغن باستناده
إليه عن تلك التقدمة حبطت أعمالهم في الدنيا والآخرة نقيض قوله وآتيناه أجره في الدنيا وإنه
في الآخرة لمن الصالحين ألم يأتهم نبأ الذين من قبلهم قوم نوح وعاد وثمود وقوم إبراهيم وأصحاب

مدين والمؤتفكات اتتهم رسلهم بالبينات فما كان الله ليظلمهم ولكن كانوا انفسهم
يظلمون واصحاب مدين وهم قوم شعيب والمؤتفكات مدائن قوم لوط وقيل قريات قوم
لوط وهود وصالح وايتفاكهن انقلاب احوالهن من الخير الى الشر فما كان الله ليظلمهم فما صح منه
ان يظلمهم وهو حكيم لا يجوز عليه القبيح وان يعاقبهم بغير جرم ولكن ظلموا انفسهم حيث كفروا وابوا
فاستحقوا عقابه والمؤمنون والمؤمنات بعضهم اولياء بعض يأمرون بالمعروف وينهون
عن المنكر ويقيمون الصلوة ويؤتون الزكوة ويطيعون الله ورسوله اولئك سيرحمهم
الله ان الله عزيز حكيم بعضهم اولياء بعض في مقابلة قوله في المنافقين بعضهم من بعض سيرحمهم
الله السين مفيدة وجود الرحمة لا محالة فهي تؤكد الوعد كما تؤكد الوعيد في قولك سانتقم منك
يوما تعني انك لا تفوتني وان تباطأ ذلك ونحوه يجعل لهم الرحمن ودا ولسوف يعطيك ربك
فترضى سوف نؤتيهم اجورهم عزيز غالب على كل شيء قادر عليه فهو يقدر على الثواب والعقاب
حكيم واضع كلا موضعه على حسب الاستحقاق وعد الله المؤمنين والمؤمنات جنات تجري من
تحتها الانهار خالدين فيها ومساكن طيبة في جنات عدن ورضوان من الله اكبر ذلك
هو الفوز العظيم ومساكن طيبة عن الحسن قصورا من اللؤلؤ والياقوت الاحمر والزبرجد
وعدن علم بدليل قوله تعالى جنات عدن التي وعد الرحمن ويدل عليه ما روى ابو الدرداء
عن النبي صلى الله عليه وسلم عدن دار الله التي لم ترها عين ولم تخطر على قلب بشر لا يسكنها غير ثلثة
النبيون والصديقون والشهداء يقول الله تعالى طوبى لمن دخلك وقيل هي مدينة في الجنة
وقيل نهر جناته على حافاته ورضوان من الله اكبر وشيء من رضوان الله اكبر من ذلك كله لان رضاه
هو سبب كل فوز وسعادة ولانهم ينالون برضاه عنهم تعظيمه وكرامته والكرامة اكبر اصناف
الثواب ولان العبد اذا علم ان مولاه راض عنه فهو اكبر في نفسه مما وراءه من النعم وانما تتهنأ له
برضاه كما اذا علم بسخطه تنغصت عليه ولم يجد لها لذة وان عظمت وسمعت بعض اولي الهمة
البعيدة والنفس المرة من مشايخنا يقول لا تطمح عيني ولا تنازع نفسي الى شيء مما وعد الله
في دار الكرامة كما تطمح وتنازع الى رضاه عني وان احشر في زمرة المهديين المرضيين عنده
ذلك اشارة الى ما وعد الله او الى الرضوان اي هو الفوز العظيم وحده دون ما يعده الناس
فوزا وروى ان الله تعالى يقول لاهل الجنة هل رضيتم فيقولون وما لنا لا نرضى وقد
اعطيتنا ما لم تعط احدا من خلقك فيقول انا اعطيكم افضل من ذلك قالوا واي شيء افضل من
ذلك قال احل عليكم رضواني فلا اسخط عليكم ابدا يا ايها النبي جاهد الكفار والمنافقين
واغلظ عليهم ومأواهم جهنم وبئس المصير يحلفون بالله ما قالوا ولقد قالوا كلمة
الكفر وكفروا بعد اسلامهم وهموا بما لم ينالوا وما نقموا الا ان اغناهم الله ورسوله
من فضله فان يتوبوا يك خيرا لهم وان يتولوا يعذبهم الله عذابا اليما في الدنيا
والاخرة وما لهم في الارض من ولي ولا نصير جاهد الكفار بالسيف والمنافقين بالحجة
واغلظ عليهم في الجهاد بن جميعا ولا تحابهم وكل من وقف منه على فساد في العقيدة فهذا الحكم
ثابت فيه تجاهد بالحجة وتستعمل معه الغلظة ما امكن منها عن ابن مسعود رضي الله عنه
ان لم يستطع بيده فبلسانه وان لم يستطع فليكفهر في وجهه فان لم يستطع فبقلبه يريد الكراهة

والبغضاء وقد حمل الحسن جهاد المنافقين على اقامة الحدود عليهم اذا تعاطوا اسبابها اقام رسول
الله عليه السلام في غزوة تبوك شهرين ينزل عليه القرآن ويعيب المنافقين المتخلفين فيسمع
من معه منهم منهم الجلاس بن سويد فقال الجلاس والله لئن كان ما يقول محمد حقا لاخواننا
الذين خلفناهم وهم ساداتنا واشرافنا فنحن شر من الحمير فقال له عامر بن قيس الانصاري اجل
والله ان محمدا الصادق وانت شر من الحمار وبلغ ذلك رسول الله عليه السلام فاستحضر
فحلف بالله ما قال فرفع عامر يده فقال اللهم انزل على عبدك ونبيك تصديق الكاذب
وتكذيب الصادق فنزل يحلفون بالله ما قالوا فقال الجلاس يا رسول الله لقد عرض الله علي التوبة
والله لقد قلته وصدق عامر فتاب الجلاس وحسنت توبته وكفروا بعد اسلامهم واظهروا
كفرهم بعد اظهار الاسلام وهموا بما لم ينالوا وهو الفتك برسول الله وذلك عند مرجعه
من تبوك توافق خمسة عشر منهم على ان يدفعوه عن راحلته الى الوادي اذا تسنم العقبة بالليل
واخذ عمار بن ياسر بخطام راحلته يقودها وحذيفة خلفها يسوقها فبينما هما كذلك اذ سمع
حذيفة بوقع اخفاف الابل وبقعقعة السلاح فالتفت فاذا قوم متلثمون فقال اليكم اليكم يا
اعداء الله فهربوا وقيل هم المنافقون بقتل عامر لرده على الجلاس وقيل ارادوا ان يتوجوا
عبد الله ابن ابي وان لم يرض رسول الله وما نقموا وما انكروا وما عابوا الا ان اغناهم الله
وذلك انهم كانوا حين قدم رسول الله عليه السلام المدينة في ضنك من العيش لا يركبون الخيل
ولا يحوزون الغنيمة فاثروا بالغنايم وقتل للجلاس مولى فامر رسول الله عليه السلام بديته
اثني عشر الفا فاستغنى فان يتوبوا هي الاية التي تاب عندها الجلاس في الدنيا والاخرة
بالقتل والنار ومنهم من عاهد الله لئن اتانا من فضله لنصدقن ولنكونن من الصالحين
فلما اتاهم من فضله بخلوا به وتولوا وهم معرضون فاعقبهم نفاقا في قلوبهم الى يوم
يلقونه بما اخلفوا الله ما وعدوه وبما كانوا يكذبون الم يعلموا ان الله يعلم سرهم
ونجواهم وان الله علام الغيوب روى ان ثعلبة بن حاطب قال يا رسول الله ادع الله ان
يرزقني مالا فقال صلى الله عليه وسلم يا ثعلبة قليل تؤدي شكره خير من كثير لا تطيقه فراجعه
فقال والذي بعثك بالحق لئن رزقني مالا لاعطين كل ذي حق حقه فدعا له فاتخذ غنما
فنمت كما ينمي الدود حتى ضاقت بها المدينة فنزل واديا وانقطع عن الجماعة والجمعة فسأل
عنه رسول الله عليه السلام فقيل كثر ماله حتى لا يسعه واد فقال يا ويح ثعلبة فبعث رسول
الله عليه السلام مصدقين لاخذ الصدقات فاستقبلهما الناس بصدقاتهم ومرا بثعلبة فسألاه
الصدقة واقرآه كتاب رسول الله عليه السلام الذي فيه الفرايض فقال ما هذه الا جزية
ما هذه الا اخت الجزية وقال ارجعا حتى ارى رأيي فلما رجعا قال لهما رسول الله عليه السلام قبل ان
يكلماه يا ويح ثعلبة مرتين فنزلت فجاء ثعلبة بالصدقة فقال ان الله منعني ان اقبل منك فجعل
التراب على رأسه فقال هذا عملك قد امرتك فلم تطعني فقبض النبي عليه السلام فجاء بها الى ابي
بكر الصديق رضي الله عنه فلم يقبلها وجاء بها الى عمر رضي الله عنه في خلافته فلم يقبلها وهلك
في زمن عثمان رضي الله عنه وقرئ لنصدقن ولنكونن بالنون الخفيفة فيهما من الصالحين

قال ابن عباس رضي الله عنهما يريد البخل فاعقبهم نفاقا عن الحسن وقتادة ان الضمير للبخل يعني فاورثهم
البخل نفاقا متمكنا في قلوبهم لانه كان سببا فيه وداعيا اليه والظاهر ان الضمير لله عز وجل والمعنى
فخذلهم حتى نافقوا وتمكن في قلوبهم نفاقهم فلا ينفك عنها الى ان يموتوا بسبب اخلافهم ما وعدوا
الله من التصدق والصلاح وكونهم كاذبين ومنه جعل خلف الوعد ثلث النفاق وقرئ
يكذبون بالتشديد والم يعلموا بالتاء عن علي رضي الله عنه سرهم ونجويهم ما اسروه من النفاق
والعزم على خلاف ما وعدوه وما يتناجون به فيما بينهم من المطاعن في الدين وتسمية الصدقة
جزية وتدبير منعها الذين يلمزون المطوعين من المؤمنين في الصدقات والذين لا يجدون
الا جهدهم فيسخرون منهم سخر الله منهم ولهم عذاب اليم استغفر لهم او لا تستغفر لهم
ان تستغفر لهم سبعين مرة فلن يغفر الله لهم ذلك بانهم كفروا بالله ورسوله والله
لا يهدي القوم الفاسقين الذين يلمزون محله النصب او الرفع على الذم ويجوز ان يكون
في محل الجر بدلا من الضمير في سرهم ونجويهم وقرئ يلمزون بالضم المطوعين المتطوعين
روي ان رسول الله صلى الله عليه وسلم حث على الصدقة فجاء عبد الرحمن بن عوف رضي الله
عنه باربعين اوقية من ذهب وقيل باربعة الاف درهم وقال كان لي ثمانية الاف فاقرضت
ربي اربعة وامسكت اربعة لعيالي فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم بارك الله لك فيما
اعطيت وفيما امسكت فبارك الله له حتى صولحت تماضر امراته عن ربع الثمن على ثمانين الفا
وتصدق عاصم بن عدي بمائة وسق من تمر وجاء ابو عقيل الانصاري بصاع من تمر فقال
بت ليلتي اجر بالجرير على صاعين فتركت صاعا لعيالي وجئت بصاع فامره رسول الله عليه السلام
ان ينثره على الصدقات فلمزهم المنافقون وقالوا ما اعطى عبد الرحمن وعاصم الا رياء وان
كان الله ورسوله لغنيين عن صاع ابي عقيل ولكنه احب ان يذكر بنفسه ليعطى من الصدقات
فنزلت الا جهدهم الا طاقتهم وقرئ بالفتح والضم سخر الله منهم كقوله تعالى الله يستهزئ بهم
في انه خبر غير دعاء الا ترى الى قوله ولهم عذاب اليم سال عبد الله بن عبد الله بن ابي رسول
الله صلى الله عليه وسلم وكان رجلا صالحا ان يستغفر لابيه في مرضه ففعل فنزلت فقال صلى
الله عليه وسلم ان الله قد رخص لي فسازيد على السبعين فنزلت سواء عليهم استغفرت لهم ام لم
تستغفر لهم وقد ذكرنا ان هذا الامر في معنى الخبر كانه قيل لن يغفر الله لهم استغفرت لهم
ام لم تستغفر وان فيه معنى الشرط وذكرنا النكتة في المجيء به على لفظ الامر والسبعون جار مجرى
المثل في كلامهم للتكثير قال علي كرم الله وجهه لاصبحن العاص وابن العاص سبعين الفا عاقدي
النواصي فان قلت كيف خفي على رسول الله عليه السلام وهو افصح العرب واخبرهم باساليب
الكلام وتمثيلاته والذي يفهم من ذكر هذا العدد كثرة الاستغفار كيف وقد تلاه بقوله تعالى
ذلك بانهم كفروا الاية فبين الصارف عن المغفرة لهم حتى قال قد رخص لي ربي فسازيد على السبعين
لم يخف عليه ذلك ولكنه خيل بما قال اظهارا لغاية رحمته ورافته على من بعث
اليه كقول ابراهيم ومن عصاني فانك غفور رحيم وفي اظهار النبي الرحمة والرافة لطف لامته
ودعاء لهم الى ترحم بعضهم على بعض فرح المخلفون بمقعدهم خلاف رسول الله وكرهوا ان

يجاهدوا باموالهم وانفسهم في سبيل الله وقالوا لا تنفروا في الحر قل نار جهنم اشد حرا
لو كانوا يفقهون المخلفون الذين استاذنوا رسول الله صلى الله عليه وسلم من المنافقين
فاذن لهم وخلفهم بالمدينة في غزوة تبوك او الذين خلفهم كسلهم ونفاقهم والشيطان بمقعدهم
بقعودهم عن الغزو خلاف رسول الله خلفه يقال اقام خلاف الحي بمعنى بعدهم ظعنوا ولم يظعن
معهم وتشهد له قراءة ابي حيوة خلف رسول الله وقيل هو بمعنى المخالفة لانهم خالفوه حيث
قعدوا ونهض وانتصابه على انه مفعول له او حال اي قعدوا لمخالفته او مخالفين له وكرهوا ان
يجاهدوا باموالهم وانفسهم تعريض بالمؤمنين وبتحملهم المشاق العظام لوجه الله وبما فعلوا
من بذل اموالهم وارواحهم في سبيل الله وايثارهم ذلك على الدعة والخفض وكره ذلك
المنافقون وكيف لا يكرهونه وما فيهم ما في المؤمنين من باعث الايمان وداعي الايقان قل
نار جهنم اشد حرا استجهال لهم لان من تصون من مشقة ساعة فوقع بسبب ذلك التصون في مشقة
الابد كان اجهل من كل جاهل ولبعضهم مسرة احقاب تلقيت بعدها مساءة يوم اريها شبه الصاب
فكيف بان تلقى مسرة ساعة وراء تقضيها مساءة احقاب فليضحكوا قليلا وليبكوا كثيرا جزاء
بما كانوا يكسبون معناه فسيضحكون قليلا ويبكون كثيرا الا انه اخرج على لفظ الامر
للدلالة على انه حتم واجب لا يكون غيره يروى ان اهل النفاق يبكون في النار عمر الدنيا
لا يرقا لهم دمع ولا يكتحلون بنوم فان رجعك الله الى طائفة منهم فاستاذنوك للخروج
فقل لن تخرجوا معي ابدا ولن تقاتلوا معي عدوا انكم رضيتم بالقعود اول مرة
فاقعدوا مع الخالفين وانما قال الى طائفة منهم لان منهم من تاب عن النفاق وندم على
التخلف او اعتذر بعذر صحيح وقيل لم يكن المخلفون كلهم منافقين فاراد بالطائفة
المنافقين منهم فاستاذنوك للخروج يعني الى غزوة بعد غزوة تبوك واول مرة هي الخرجة
الى غزوة تبوك وكان اسقاطهم عن ديوان الغزاة عقوبة لهم على تخلفهم الذي علم الله انه
لم يدعهم اليه الا النفاق بخلاف غيرهم من المتخلفين مع الخالفين قد مر تفسيره وقرا
مالك بن دينار رحمة الله عليه مع الخلفين على قصر الخالفين فان قلت مرة نكرة وضعت
موضع المرات للتفضيل فلم ذكر اسم التفضيل المضاف اليها وهو دال على واحدة من المرات
اكثر اللغتين هند اكبر النساء وهي اكبرهن ثم ان قولك هي كبرى امراة لا تكاد تعثر
عليه ولكن هي اكبر امراة واول مرة واخر مرة وعن قتادة ذكر لنا انهم كانوا اثني عشر رجلا
قيل فيهم ما قيل ولا تصل على احد منهم مات ابدا ولا تقم على قبره انهم كفروا بالله ورسوله
وماتوا وهم فاسقون روي ان رسول الله صلى الله عليه وسلم كان يقوم على قبور
المنافقين ويدعو لهم فلما مرض راس النفاق عبد الله بن ابي بعث اليه لياتيه فلما دخل
عليه قال اهلكك حب اليهود فقال يا رسول الله بعثت اليك لتستغفر لي لا لتؤنبني
وساله ان يكفنه في شعاره الذي يلي جلده ويصلي عليه فلما مات دعاه ابنه حباب الى جنازته
فساله عن اسمه فقال انت عبد الله بن عبد الله الحباب اسم شيطان فلما هم بالصلاة عليه
قال له عمر رضي الله عنه اتصلي على عدو الله فنزلت وقيل اراد ان يصلي عليه فجذبه جبريل
عليه السلام فان قلت كيف جازت له تكرمة المنافق وتكفينه في قميصه قلت

كان ذلك مكافأة له على صنيع سبق له وذلك ان العباس عم رسول الله عليه السلام لما اخذ
اسيرا ببدر لم يجدوا له قميصا وكان رجلا طوالا فكساه عبد الله قميصه وقال له المشركون
يوم الحديبية انا لا نأذن لمحمد ولكنا نأذن لك فقال لا ان لي في رسول الله اسوة حسنة فشكر
رسول الله عليه السلام له ذلك واجابه له الى مسألته اياه فقد كان عليه السلام لا يرد
سائلا وكان يوفر على دواعي المروءة ويعمل بعادات الكرام واكراما لابنه الرجل الصالح
فقد روي انه قال له اسألك ان تكفنه في بعض قمصانك وان تقوم على قبره لا يشمت به
الاعداء وعلما بان تكفينه في قميصه لا ينفعه مع كفره فلا فرق بينه وبين غيره من الاكفان
وليكون الباسه اياه لطفا لغيره فقد روي انه قيل له لم وجهت اليه بقميصك وهو كافر فقال
ان قميصي لن يغني عنه من الله شيئا واني اؤمل من الله ان يدخل في الاسلام كثير بهذا السبب
فيروى انه اسلم الف من الخزرج لما راوه طلب الاستشفاء بثوب رسول الله عليه السلام وكذلك
ترحمه واستغفاره كان للدعاء الى التراحم والتعاطف لانهم اذا راوه يترحم على من يظهر الايمان
وباطنه على خلاف ذلك دعا المسلم الى ان يتعطف على من واطأ قلبه لسانه وراه حتما عليه
فان قلت فكيف جازت الصلوة عليه لم يتقدم نهي عن الصلوة عليهم وكانوا يجرون
مجرى المسلمين لظاهر ايمانهم لما في ذلك من المصلحة **وعن** ابن عباس رضي الله عنهما ما ادري
ما هذه الصلوة الا اني اعلم ان رسول الله صلى الله عليه وسلم لا يخادع مات صفة لاحد
وانما قيل مات وماتوا بلفظ الماضي والمعنى على الاستقبال على تقدير الكون والوجود لانه
كائن موجود لا محالة انهم كفروا تعليل للنهي ولا تعجبك اموالهم واولادهم انما يريد
الله ان يعذبهم بها في الدنيا وتزهق انفسهم وهم كافرون وقد اعيد قوله ولا
تعجبك لان تجدد النزول له شان في تقرير ما نزل له وتأكيده وارادة ان يكون على بال
من المخاطب لا ينساه ولا يسهو عنه وان يعتقد ان العمل به مهم يفتقر الى فضل عناية لا سيما
اذا تراخى ما بين النزولين فاشبه الشيء الذي اهم صاحبه فهو يرجع اليه في اثناء حديثه
ويتخلص اليه وانما اعيد هذا المعنى لقوته فيما يجب ان يحذر منه واذا انزلت سورة ان امنوا
بالله وجاهدوا مع رسوله استاذنك اولوا الطول منهم وقالوا ذرنا نكن مع
القاعدين يجوز ان تراد السورة بتمامها وان يراد بعضها في قوله واذا انزلت سورة
كما يقع القرآن والكتاب على كله وعلى بعضه وقيل هي براءة لان فيها الامر بالايمان والجهاد
ان امنوا هي ان المفسرة اولوا الطول ذووا الطول والسعة من طال عليه طولا مع القاعدين
مع الذين لهم علة وعذر في التخلف رضوا بان يكونوا مع الخوالف وطبع على قلوبهم
فهم لا يفقهون فهم لا يفقهون ما في الجهاد من الفوز والسعادة وما في التخلف من الشقاء
والهلاك لكن الرسول والذين امنوا معه جاهدوا باموالهم وانفسهم واولئك
لهم الخيرات واولئك هم المفلحون اعد الله لهم جنات تجري من تحتها الانهار خالدين
فيها ذلك الفوز العظيم لكن الرسول اي ان تخلف هؤلاء فقد نهد الى الغزو من هو
خير منهم واخلص نية ومعتقدا **كقوله** عز وجل فان يكفر بها هؤلاء فقد وكلنا بها قوما
فان استكبروا فالذين عند ربك الخيرات تتناول منافع الدارين لاطلاق اللفظ وقيل الحور

لقوله تعالى فيهن خيرات وجاء المعذرون من الاعراب ليؤذن لهم وقعد الذين كذبوا
الله ورسوله سيصيب الذين كفروا منهم عذاب اليم المعذرون من عذر في الامر
اذا قصر فيه وتوانى ولم يجد وحقيقته ان يوهم ان له عذرا فيما يفعل ولا عذر له او المعتذرون
بادغام التاء في الذال ونقل حركتها الى العين ويجوز في العربية كسر العين لالتقاء الساكنين
وضمها لاتباع الميم ولكن لم تثبت بهما قراءة وهم الذين يعتذرون بالباطل **كقوله**
تعالى يعتذرون اليكم اذا رجعتم اليهم **وقرئ** المعذرون بالتخفيف وهو الذي يجتهد
في العذر ويحتشد فيه وقيل هم اسد وغطفان قالوا ان لنا عيالا وان بنا جهدا فائذن لنا
في التخلف وقيل هم رهط عامر بن الطفيل قالوا ان غزونا معك اغارت اعراب طي على اهالينا
ومواشينا فقال صلى الله عليه وسلم سيغنيني الله عنكم وعن مجاهد نفر من غفار اعتذروا فلم
يعذرهم الله وعن قتادة اعتذروا بالكذب **وقرئ** المعذرون بتشديد العين
والذال من تعذر بمعنى اعتذر وهذا غير صحيح لان التاء لا تدغم في العين ادغامها في الطاء والزاء
والصاد في المطوعين وازكى واصدق وقيل اريد المعتذرون بالصحة وبه فسر المعذرون والمعذرون
على قراءة ابن عباس الذين لم يفرطوا في العذر وقعد الذين كذبوا الله ورسوله هم منافقو
الاعراب الذين لم يجيئوا ولم يعتذروا وظهر بذلك انهم كذبوا الله ورسوله في ادعائهم الايمان
وقرأ ابي كذبوا بالتشديد سيصيب الذين كفروا منهم من الاعراب عذاب اليم في الدنيا
بالقتل وفي الآخرة بالنار ليس على الضعفاء ولا على المرضى ولا على الذين لا يجدون
ما ينفقون حرج اذا نصحوا لله ورسوله ما على المحسنين من سبيل والله غفور رحيم
الضعفاء الهرمى والزمنى والذين لا يجدون الفقراء قيل هم مزينة وجهينة وبنو عذرة
والنصح لله ورسوله الايمان بهما وطاعتهما في السر والعلن وتوليهما والحب والبغض فيهما
كما يفعل الموالي الناصح بصاحبه على المحسنين على المعذورين الناصحين ومعنى لا سبيل عليهم لا
جناح عليهم ولا طريق للعاتب عليهم ولا على الذين اذا ما اتوك لتحملهم قلت لا اجد
ما احملكم عليه تولوا واعينهم تفيض من الدمع حزنا الا يجدوا ما ينفقون
قلت حال من الكاف في اتوك وقد قبله مضمرة كما قيل في قوله او جاؤكم حصرت صدورهم
اي اذا ما اتوك قائلا لا اجد تولوا ولقد صدق الله المعذورين في التخلف الذين هم في ابدانهم
استطاعة والذين عدموا آلة الخروج والذين سألوا المعونة فلم يجدوها وقيل المستحملون
ابو موسى الاشعري واصحابه وقيل البكاؤون وهم ستة نفر من الانصار تفيض من الدمع كقولك
تفيض دمعا وهو ابلغ من يفيض دمعها لان العين جعلت كأن كلها دمع فائض ومن للبيان
كقولك افديك من رجل ومحل الجار والمجرور النصب على التمييز الا يجدوا لئلا يجدوا ومحله
نصب على انه مفعول له وناصبه المفعول له الذي هو حزنا انما السبيل على الذين يستاذنونك
وهم اغنياء رضوا بان يكونوا مع الخوالف وطبع على قلوبهم فهم لا يعلمون **فان
قلت** رضوا ما موقعه هو استئناف كانه قيل ما بالهم استاذنوا وهم اغنياء
فقيل رضوا بالدناءة والضعة والانتظام في جملة الخوالف وطبع الله على قلوبهم يعني
ان السبب في استئذانهم رضاهم بالدناءة وخذلان الله اياهم **فان قلت** فهل يجوز ان يكون

قوله قلت لا أجد استئنافا فما مثله كأنه قيل إذا ما أتوك لتحملهم تولوا فقيل ما لهم تولوا باكين فقيل
قلت لا أجد ما أحملكم عليه إلا أنه وسط بين الشرط والجزاء كالاعتراض **قلت** نعم ويحسن يعتذرون
إليكم إذا رجعتم إليهم قل لا تعتذروا لن نؤمن لكم قد نبأنا الله من أخباركم وسيرى
الله عملكم ورسوله ثم تردون إلى عالم الغيب والشهادة فينبئكم بما كنتم تعملون
لن نؤمن لكم علة للنهي عن الاعتذار لأن غرض المعتذر أن يصدق فيما يعتذر به فإذا علم أنه مكذب
وجب عليه الإخلال به وقوله تعالى قد نبأنا الله من أخباركم علة لانتفاء تصديقهم لأن الله عز
وجل إذا أوحى إلى رسوله الإعلام بأخبارهم وأحوالهم وما في ضمائرهم من الشر والفساد لم يستقم
مع ذلك تصديقهم في معاذيرهم وسيرى الله عملكم أتنيبون أم تثبتون على كفركم ثم تردون إليه وهو
عالم كل غيب وشهادة وسر وعلانية فيجازيكم على حسب ذلك سيحلفون بالله لكم إذا انقلبتم
إليهم لتعرضوا عنهم فأعرضوا عنهم إنهم رجس ومأواهم جهنم جزاء بما كانوا يكسبون
لتعرضوا عنهم فلا توبخوهم ولا تعاتبوهم فأعرضوا عنهم فأعطوهم طلبتهم إنهم رجس تعليل لترك
معاتبتهم يعني أن المعاتبة لا تنفع فيهم ولا تصلحهم إنما يعاتب الأديم ذو البشرة والمؤمن يوبخ
على زلة تفرط منه ليطهره التوبيخ بالحمل على التوبة والاستغفار وأما هؤلاء فأرجاس لا سبيل
إلى تطهيرهم ومأواهم جهنم يعني وكفتهم النار عتابا وتوبيخا فلا تتكلفوا عتابهم يحلفون لكم
لترضوا عنهم فإن ترضوا عنهم فإن الله لا يرضى عن القوم الفاسقين ○ لترضوا عنهم
أي غرضهم في الحلف بالله طلب رضاكم لينفعهم ذلك في دنياهم فإن ترضوا عنهم فإن رضاكم
وحدكم لا ينفعهم إذا كان الله ساخطا عليهم وكانوا عرضة لعاجل عقوبته وآجلها وقيل إنما قيل ذلك
لئلا يتوهم متوهم أن رضى المؤمنين يقتضي رضى الله عنهم قيل هم جد بن قيس ومعتب بن قشير
وأصحابهما وكانوا ثمانين رجلا منافقين فقال النبي صلى الله عليه وسلم حين قدم المدينة لا
تجالسوهم ولا تكلموهم وقيل جاء عبد الله بن أبي يحلف أن لا يتخلف عنه أبدا الأعراب أشد
كفرا ونفاقا وأجدر ألا يعلموا حدود ما أنزل الله على رسوله والله عليم حكيم ○ الأعراب
أهل البدو أشد كفرا ونفاقا من أهل الحضر لجفائهم وقسوتهم وتوحشهم ونشئهم في بعد من
مشاهدة العلماء ومعرفة الكتاب والسنة وأجدر أن لا يعلموا وأحق بجهل حدود الدين وما
أنزل الله من الشرائع والأحكام **ومنه** قوله صلى الله عليه وسلم إن الجفاء والقسوة في
الفدادين والله عليم يعلم حال كل أحد من أهل الوبر والمدر حكيم فيما يصيب به مسيئهم ومحسنهم
من عقابه وثوابه ومن الأعراب من يتخذ ما ينفق مغرما ويتربص بكم الدوائر
عليهم دائرة السوء والله سميع عليم ○ مغرما غرامة وخسرانا والغرامة ما ينفقه الرجل
وليس يلزمه لأنه لا ينفق إلا تقية من المسلمين ورياء لا لوجه الله تعالى وابتغاء المثوبة عنده
ويتربص بكم الدوائر دوائر الزمان ودوله وعقبه لتذهب غلبتكم عليه فيتخلص من إعطاء الصدقة
عليهم دائرة السوء دعاء معترض دعي عليهم بنحو ما دعوا به **كقوله عز وجل** وقالت اليهود
يد الله مغلولة غلت أيديهم وقرئ السوء بالضم وهو العذاب كما قيل له سيئة والسوء بالفتح
وهو ذم للدائرة كقولك رجل سوء في نقيض قولك رجل صدق لأن من دارت عليه ذام
لها والله سميع لما يقولون إذا توجهت عليهم الصدقة عليم بما يضمرون وقيل هم أعراب

أسد وغطفان وتميم ومن الأعراب من يؤمن بالله واليوم الآخر ويتخذ ما ينفق قربات عند
الله وصلوات الرسول ألا إنها قربة لهم سيدخلهم الله في رحمته إن الله غفور رحيم ○
قربات مفعول ثان ليتخذ والمعنى أن ما ينفقه سبب لحصول القربات عند الله وصلوات الرسول
لأن الرسول كان يدعو للمتصدقين بالخير والبركة ويستغفر لهم كقوله عليه السلام اللهم صل على
آل أبي أوفى **وقال تعالى** وصل عليهم فلما كان ما ينفق سببا لذلك قيل يتخذ ما ينفق قربات
وصلوات ألا إنها شهادة من الله للمتصدق بصحة ما اعتقد من كون نفقته قربات وصلوات
وتصديق لرجائه على طريق الاستئناف مع حرفي التنبيه والتحقيق المؤذنين بثبات الأمر وتمكنه
وكذلك سيدخلهم وما في السين من تحقيق الوعد وما أدل هذا الكلام على رضا الله تعالى عن المتصدقين
وأن الصدقة منه بمكان إذا خلصت النية من صاحبها **وقرئ** قربة بضم الراء وقيل هم عبد الله
ذو البجادين ورهطه والسابقون الأولون من المهاجرين والأنصار والذين اتبعوهم
بإحسان رضي الله عنهم ورضوا عنه وأعد لهم جنات تجري تحتها الأنهار خالدين فيها
أبدا ذلك الفوز العظيم ○ السابقون الأولون من المهاجرين هم الذين صلوا إلى القبلتين
وقيل الذين شهدوا بدرا **وعن** الشعبي من بايع بالحديبية وهي بيعة الرضوان ما بين الهجرتين
ومن الأنصار أهل بيعة العقبة الأولى وكانوا سبعة نفر وأهل العقبة الثانية وكانوا سبعين
والذين آمنوا حين قدم عليهم أبو زرارة مصعب بن عمير فعلمهم القرآن **وقرأ** عمر رضي الله عنه
والأنصار بالرفع عطفا على السابقون وعن عمر كان يرى أن قوله والذين اتبعوهم بإحسان بغير
واو صفة للأنصار حتى قال له زيد إنه بالواو فقال ائتوني بأبي فقال تصديق ذلك في أول
الجمعة وآخرين منهم وأوسط الحشر والذين جاؤوا من بعدهم وآخر الأنفال والذين آمنوا من
بعد **وروي** أنه سمع رجلا يقرؤه بالواو فقال من أقرأك فقال أبي فدعاه فقال أقرأنيه
رسول الله عليه السلام وإنك لتبيع القرظ بالبقيع قال صدقت وإن شئت قلت شهدنا وغبتم
ونصرنا وخذلتم وآوينا وطردتم ومن ثم قال عمر رضي الله عنه لقد كنت أرانا رفعنا رفعة
لا يبلغها أحد بعدنا وارتفع السابقون بالابتداء وخبره رضي الله عنهم ومعناه رضي الله
عنهم لأعمالهم ورضوا عنه لما أفاض عليهم من نعمته الدينية والدنيوية **وفي** مصاحف أهل
مكة من تحتها وهي قراءة ابن كثير وفي سائر المصاحف تحتها بغير من وممن حولكم من الأعراب
منافقون ومن أهل المدينة مردوا على النفاق لا تعلمهم نحن نعلمهم سنعذبهم مرتين
ثم يردون إلى عذاب عظيم ○ وممن حولكم يعني حول بلدتكم وهي المدينة منافقون وهم
جهينة وأسلم وأشجع وغفار كانوا نازلين حولها ومن أهل المدينة عطف على خبر المبتدأ الذي
هو ممن حولكم ويجوز أن يكون جملة معطوفة على المبتدأ والخبر إذا قدرت ومن أهل المدينة
قوم مردوا على النفاق على أن مردوا صفة موصوف محذوف **كقوله** أنا ابن جلا
وعلى الوجه الأول لا يخلو من أن يكون كلاما مبتدأ أو صفة لمنافقون فصل بينها وبينه
بمعطوف على خبره مردوا على النفاق تمهروا فيه من مرن فلان على عمله ومرد عليه إذا درب
به وضري حتى لان عليه ومهر فيه ودل على مرانتهم عليه ومهارتهم فيه بقوله تعالى لا تعلمهم
أي يخفون عليك مع فطنتك وشهامتك وصدق فراستك لفرط تنوقهم في تحامي ما يشكك

في ايمانهم ثم قال نحن نعلمهم اي لا يعلمهم الا الله ولا يطلع على سرهم غيره لانهم يبطنون الكفر في سويداوات قلوبهم ابطانا ويبرزون لك ظاهرا كظاهر المخلصين من المؤمنين لا تشك معه في ايمانهم وذلك انهم مردوا على النفاق وضروا به فلهم فيه اليد الطولى سنعذبهم مرتين قيل هما القتل وعذاب القبر وقيل الفضيحة وعذاب القبر وعن ابن عباس رضي الله عنهما انهم اختلفوا في هاتين المرتين فقال قام رسول الله صلى الله عليه وسلم خطيبا يوم الجمعة فقال اخرج يا فلان فانك منافق اخرج يا فلان فانك منافق فاخرج ناسا وفضحهم فهذا هو العذاب الاول والثاني عذاب القبر وعن الحسن رحمة الله عليه اخذ الزكوة من اموالهم ونهك ابدانهم الى عذاب عظيم الى عذاب النار وآخرون اعترفوا بذنوبهم خلطوا عملا صالحا وآخر سيئا عسى الله ان يتوب عليهم ان الله غفور رحيم اعترفوا بذنوبهم اي لم يعتذروا من تخلفهم بالمعاذير الكاذبة كغيرهم ولكن اعترفوا على انفسهم بانهم بئس ما فعلوا متذممين نادمين وكانوا ثلاثة ابو لبابة مروان بن عبد المنذر واوس بن ثعلبة ووديعة بن حزام وقيل كانوا عشرة فسبعة منهم اوثقوا انفسهم بلغهم ما نزل في المتخلفين فايقنوا بالهلاك واوثقوا انفسهم على سواري المسجد فقدم رسول الله صلى الله عليه وسلم فدخل المسجد فصلى ركعتين وكانت عادته كلما قدم من سفر فراهم موثقين فسال عنهم فذكر له انهم اقسموا ان لا يحلوا انفسهم حتى يكون رسول الله هو الذي يحلهم فقال وانا اقسم ان لا احلهم حتى اومر فيهم فنزلت فاطلقهم وعذرهم فقالوا يا رسول الله هذه اموالنا التي خلفتنا عنك فتصدق بها وطهرنا فقال ما امرت ان اخذ من اموالكم شيئا فنزلت خذ من اموالهم عملا صالحا خروجا الى الجهاد وآخر سيئا تخلفا عنه عن الحسن وعن الكلبي التوبة والاثم فان قلت قد جعل كل واحد منهما مخلوطا فما المخلوط به قلت كل واحد منهما مخلوط ومخلوط به لان المعنى خلط كل واحد منهما بالآخر كقولك خلطت الماء واللبن تريد خلطت كل واحد منهما بصاحبه وفيه ما ليس في قولك خلطت الماء باللبن لانك جعلت الماء مخلوطا واللبن مخلوطا به واذا قلته بالواو جعلت الماء واللبن مخلوطين ومخلوطا بهما كانك قلت خلطت الماء باللبن واللبن بالماء ويجوز ان يكون من قولهم بعت الشاء شاة ودرهما بمعنى شاة بدرهم فان قلت كيف يقول انه يتوب عليهم وما ذكرت توبتهم قلت اذا ذكر اعترافهم بذنوبهم وهو دليل على التوبة فقد ذكرت توبتهم خذ من اموالهم صدقة تطهرهم وتزكيهم بها وصل عليهم ان صلواتك سكن لهم والله سميع عليم تطهرهم صفة لصدقة وقرئ تطهرهم من اطهره بمعنى طهره وتطهرهم بالجزم جوابا للامر ولم يقرأ وتزكيهم الا باثبات الياء والتاء في تطهرهم للخطاب او لغيبة المؤنث والتزكية مبالغة في التطهير وزيادة فيه او بمعنى الانماء والبركة في المال وصل عليهم واعطف عليهم بالدعاء لهم وترحم والسنة ان يدعو المصدق لصاحب الصدقة اذا اخذها وعن الشافعي رضي الله عنه احب ان يقول الوالي عند اخذ الصدقة آجرك الله فيما اعطيت وجعله طهورا وبارك الله لك فيما ابقيت وقرئ ان صلاتك على التوحيد سكن لهم يسكنون اليه وتطمئن قلوبهم بان الله قد تاب عليهم والله سميع يسمع اعترافهم بذنوبهم ودعاءهم عليم بما في ضمائرهم من الندم والغم لما فرط منهم الم يعلموا ان الله هو يقبل التوبة عن عباده ويأخذ

الصدقات وان الله هو التواب الرحيم وقل اعملوا فسيرى الله عملكم ورسوله والمؤمنون وستردون الى عالم الغيب والشهادة فينبئكم بما كنتم تعملون وقرئ الم تعلموا بالتاء والياء وفيه وجهان احدهما ان يراد المتوب عليهم يعني الم يعلموا قبل ان يتاب عليهم وتقبل صدقاتهم ان الله هو يقبل التوبة اذا صحت ويقبل الصدقات اذا صدرت عن خلوص النية وهو للتخصيص والتأكيد وان الله من شأنه قبول توبة التائبين وقيل معنى التخصيص في هو ان ذلك ليس الى رسول الله انما الله هو الذي يقبل التوبة ويردها فاقصدوه بها ووجهوها اليه وقل لهؤلاء التائبين اعملوا فان عملكم لا يخفى خيرا كان او شرا على الله وعباده كما رأيتم وتبين لكم والثاني ان يراد غير التائبين ترغيبا لهم في التوبة فقد روي انه لما تيب عليهم قال الذين لم يتوبوا هؤلاء الذين تابوا كانوا بالامس معنا لا يكلمون ولا يجالسون فما لهم فنزلت فان قلت فما معنى قوله ويأخذ الصدقات قلت هو مجاز عن قبوله لها وعن ابن مسعود رضي الله عنه ان الصدقة تقع في يد الله قبل ان تقع في يد السائل والمعنى انه يتقبلها ويضاعف عليها وقوله تعالى فسيرى وعيد لهم وتحذير من عاقبة الاصرار والذهول عن التوبة وآخرون مرجون لامر الله اما يعذبهم واما يتوب عليهم والله عليم حكيم وقرئ مرجون ومرجؤون من ارجيته وارجأته ومنه المرجئة يعني وآخرون من المتخلفين موقوف امرهم اما يعذبهم ان بقوا على الاصرار ولم يتوبوا واما يتوب عليهم ان تابوا وهم ثلاثة كعب بن مالك وهلال بن امية ومرارة بن الربيع امر رسول الله عليه السلام اصحابه ان لا يسلموا عليهم ولا يكلموهم ولم يفعلوا كما فعل ابو لبابة واصحابه من شد انفسهم على السواري واظهار الجزع والغم فلما علموا ان احدا لا ينظر اليهم فوضوا امرهم الى الله واخلصوا نياتهم ونصحت توبتهم فرحمهم الله والله عليم حكيم وفي قراءة عبد الله والله غفور رحيم واما للعباد اي خافوا عليهم العذاب وارجوا لهم الرحمة والذين اتخذوا مسجدا ضرارا وكفرا وتفريقا بين المؤمنين وارصادا لمن حارب الله ورسوله من قبل وليحلفن ان اردنا الا الحسنى والله يشهد انهم لكاذبون في مصاحف اهل المدينة والشام الذين اتخذوا بغير واو لانها قصة على حيالها وفي سائرها بالواو على عطف قصة مسجد الضرار الذي احدثه المنافقون على سائر قصصهم روي ان بني عمرو بن عوف لما بنوا مسجد قبا بعثوا الى رسول الله ان يأتيهم فأتاهم فصلى فيه فحسدتهم اخوتهم بنو غنم بن عوف وقالوا نبني مسجدا ونرسل الى رسول الله يصلي فيه ويصلي فيه ابو عامر الراهب اذا قدم من الشام ليثبت لهم الفضل والزيادة على اخوتهم وهو الذي سماه رسول الله عليه السلام الفاسق وقال لرسول الله يوم احد لا اجد قوما يقاتلونك الا قاتلتك معهم فلم يزل يقاتله الى يوم حنين فلما انهزمت هوازن خرج هاربا الى الشام فارسل الى المنافقين ان استعدوا بما استطعتم من قوة وسلاح فاني ذاهب الى قيصر وآت بجنود ومخرج محمدا واصحابه من المدينة فبنوا مسجدا بجنب مسجد قبا وقالوا للنبي صلى الله عليه وسلم بنينا مسجدا لذي العلة والحاجة والليلة المطيرة والشاتية ونحن نحب ان تصلي لنا فيه وتدعو لنا بالبركة فقال اني على جناح سفر وحال شغل واذا قدمنا ان شاء الله صلينا فيه فلما قفل من غزوة تبوك سألوه اتيان المسجد فنزلت عليه

بن عامر مالك بن الدخشم ومعن بن عدي وعامر بن السكن ووحشي قاتل حمزة فقال لهم انطلقوا
الى هذا المسجد الظالم اهله فاهدموه واحرقوه ففعل فامر ان يتخذ مكانه كناسة تلقى فيه
الجيف والقمامة ومات ابو عامر بالشام بقنسرين ضرارا مضارة لاخوانهم اصحاب مسجد
قباء ومعازة وكفرا وتقوية للنفاق وتفريقا بين المؤمنين لانهم كانوا يصلون مجتمعين
في مسجد قباء فيغتص بهم فارادوا ان يتفرقوا عنه وتختلف كلمتهم وارصادا واعدادا لاجل
من حارب الله ورسوله وهو الراهب اعدوه له ليصلي فيه ويظهر على رسول الله صلى الله
عليه وسلم وقيل كل مسجد بني مباهاة او رياء وسمعة او لغرض سوى ابتغاء وجه الله او بمال
غير طيب فهو لاحق بمسجد الضرار وعن شقيق رحمه الله انه لم يدرك الصلوة في مسجد
بني عامر فقيل له مسجد بني فلان لم يصلوا فيه بعد فقال له لا احب ان اصلي فيه فانه بني على ضرار
وكل مسجد بني على ضرار او رياء او سمعة فان اصله ينتهي الى المسجد الذي بني ضرارا وعن
عطاء لما فتح الله الامصار على يد عمر بن الخطاب رضي الله عنه امر المسلمين ان يبنوا المساجد
وان لا يتخذوا في مدينة مسجدين يضار احدهما صاحبه فان قلت والذين اتخذوا ما
محله من الاعراب محله النصب على الاختصاص كقوله تعالى والمقيمين الصلوة
وقيل هو مبتدا خبره محذوف معناه وفيمن وصفنا الذين اتخذوا كقوله تعالى والسارق
والسارقة فان قلت بم يتصل قوله تعالى من قبل باتخذوا اي اتخذوا مسجدا
من قبل ان ينافق هؤلاء بالتخلف ان اردنا ما اردنا ببناء هذا المسجد الا الخصلة الحسنى
او الا الارادة الحسنى وهي الصلوة وذكر الله والتوسعة على المصلين لا تقم فيه ابدا لمسجد
اسس على التقوى من اول يوم احق ان تقوم فيه فيه رجال يحبون ان يتطهروا
والله يحب المطهرين لمسجد اسس على التقوى قيل هو مسجد قباء اسسه رسول الله
صلى الله عليه وسلم وصلى فيه ايام مقامه بقباء وهو يوم الاثنين والثلثا والاربعاء والخميس
وخرج يوم الجمعة وهو اولى لان الموازنة بين مسجدي قباء اوقع وقيل هو مسجد رسول الله
بالمدينة وعن ابي سعيد الخدري رضي الله عنه سالت رسول الله صلى الله عليه وسلم عن
المسجد الذي اسس على التقوى فاخذ حصباء فضرب بها الارض وقال هو مسجدكم هذا مسجد
المدينة من اول يوم من ايام وجوده فيه رجال يحبون ان يتطهروا قيل لما
نزلت مشى رسول الله صلى الله عليه وسلم ومعه المهاجرون حتى وقف على باب مسجد قباء
فاذا الانصار جلوس فقال أمؤمنون انتم فسكت القوم ثم اعادها فقال عمر رضي الله
عنه يا نبي الله انهم لمؤمنون وانا معهم فقال صلى الله عليه وسلم اترضون بالقضاء قالوا
نعم قال اتصبرون على البلاء قالوا نعم قال اتشكرون في الرخاء قالوا نعم قال صلى الله عليه وسلم
مؤمنون ورب الكعبة فجلس ثم قال يا معشر الانصار ان الله عز وجل قد اثنى عليكم
فما الذي تصنعون عند الوضوء وعند الغائط فقالوا يا رسول الله نتبع الغائط الاحجار الثلاثة
ثم نتبع الاحجار الماء فتلا رسول الله صلى الله عليه وسلم رجال يحبون ان يتطهروا وقرئ
ان يطهروا بالادغام وقيل هو عام في التطهر من النجاسات كلها وقيل كانوا لا ينامون
الليل على الجنابة ويتبعون الماء اثر البول وعن الحسن رحمة الله عليه هو التطهر من

الذنوب بالتوبة وقيل يحبون ان يتطهروا بالحمى المكفرة لذنوبهم فحموا عن آخرهم فان
قلت ما معنى المحبتين قلت محبتهم للتطهر انهم يؤثرونه ويحرصون عليه حرص المحب
للشيء المشتهى له على ايثاره ومحبة الله اياهم انه يرضى عنهم ويحسن اليهم كما يفعل المحب بمحبوبه
افمن اسس بنيانه على تقوى من الله ورضوان خير ام من اسس بنيانه على شفا جرف
هار فانهار به في نار جهنم والله لا يهدي القوم الظالمين قرئ اسس بنيانه
واسس بنيانه على البناء للفاعل والمفعول واسس بنيانه جمع اساس على الاضافة واساس
بنيانه بالفتح والكسر جمع اس واساس بنيانه على افعال جمع اس ايضا واس بنيانه والمعنى
افمن اسس بنيان دينه على قاعدة قوية محكمة وهي الحق الذي هو تقوى الله ورضوانه خير
ام من اسسه على قاعدة هي اضعف القواعد وارخاها واقلها بقاء وهو الباطل والنفاق
الذي مثله مثل شفا جرف هار في قلة الثبات والاستمساك وضع شفا الجرف في مقابلة
التقوى لانه جعل مجازا عما ينافي التقوى فان قلت فما معنى قوله فانهار به في نار جهنم
قلت لما جعل الجرف الهائر مجازا عن الباطل قيل فانهار به في نار جهنم على معنى فطاح به الباطل
في نار جهنم الا انه رشح المجاز فجيء بلفظ الانهيار الذي هو للجرف وليصور ان المبطل كانه
اسس بنيانا على شفا جرف من اودية جهنم فانهار به ذلك الجرف فهوى في قعرها والشفا الحرف
والشفير وجرف الوادي جانبه الذي يتحفر اصله بالماء وتجرفه السيول فيبقى واهيا والهار
الهائر وهو المتصدع الذي اشفى على التهدم والسقوط ووزنه فعل قصر عن فاعل كخلف من
خالف ونظيره شاك وصات في شائك وصائت ولعله ليست بالف فاعل انما هي عينه واصله
هور وشوك وصوت ولا ترى ابلغ من هذا الكلام ولا ادل على حقيقة الباطل وكنه امره
وقرئ جرف بسكون الراء فان قلت فما وجه ما روى سيبويه عن عيسى بن عمر على تقوى
من الله بالتنوين قلت قد جعل الالف للالحاق لا للتانيث كتترى فيمن نون الحقها
بجعفر وفي مصحف ابي فانهارت به قواعده وقيل حفرت بقعة من مسجد الضرار فرئي الدخان
يخرج منه وروي ان مجمع بن جارية كان امامهم في مسجد الضرار فكلم بنو عمرو بن عوف اصحاب
مسجد قباء عمر بن الخطاب رضي الله عنه في خلافته ان ياذن لمجمع ان يؤمهم في مسجدهم فقال لا
ولا نعمة عين اليس بامام مسجد الضرار فقال له يا امير المؤمنين لا تعجل علي فوالله لقد صليت
بهم والله يعلم اني لا اعلم ما اضمروا فيه ولو علمت ما صليت معهم فيه كنت غلاما قارئا للقرآن
وكانوا شيوخا لا يقرؤون من القرآن شيئا فعذره وصدقه وامره بالصلوة بقومه لا يزال
بنيانهم الذي بنوا ريبة في قلوبهم الا ان تقطع قلوبهم والله عليم حكيم ريبة شكا في
الدين ونفاقا وكان القوم منافقين وانما حملهم على بناء ذلك المسجد كفرهم ونفاقهم كما
قال تعالى ضرارا وكفرا فلما هدمه رسول الله عليه السلام ازدادوا لما غاظهم من ذلك
وعظم عليهم تصميما على النفاق ومقتا للاسلام فمعنى قوله تعالى لا يزال بنيانهم الذي بنوا ريبة
في قلوبهم لا يزال هدمه سبب شك ونفاق زائد على شكهم ونفاقهم لا يزول وسمه عن قلوبهم
ولا يضمحل اثره الا ان تقطع قلوبهم قطعا وتفرق اجزاء فحينئذ يسلون عنه واما ما دامت
سالمة مجتمعة فالريبة باقية فيها متمكنة فيجوز ان يكون ذكر التقطيع تصويرا لحال زوال الريبة

عنها ويجوز ان يراد حقيقة تقطيعها وما هو كائن منه بقتلهم او في القبور او في النار وقرئ يُقطَّع بالياء وتَقطَع بالتخفيف وتَقطَّع بفتح التاء بمعنى تتقطع وتُقطِّع قلوبهم على ان الخطاب للرسول اى الا ان تقطع انت قلوبهم بقتلهم وقرأ الحسن الى ان وفي قراءة عبد الله ولو قطعت قلوبهم وعن طلحة ولو قطعت قلوبهم على خطاب الرسول او كل مخاطب وقيل معناه الا ان يتوبوا توبة تتقطع بها قلوبهم ندما واسفا على تفريطهم ان الله اشترى من المؤمنين انفسهم واموالهم بان لهم الجنة يقاتلون في سبيل الله فيقتلون ويقتلون وعدا عليه حقا في التورية والانجيل والقران ومن اوفى بعهده من الله فاستبشروا ببيعكم الذي بايعتم به وذلك هو الفوز العظيم مثل الله تعالى اثابتهم بالجنة على بذلهم انفسهم واموالهم في سبيله بالشروى وروى تاجرهم فاغلى لهم الثمن وعن عمر رضي الله عنه فجعل لهم الصفقتين جميعا وعن الحسن انفسا هو خلقها واموالا هو رزقها وروى ان الانصار حين بايعوه على العقبة قال له عبد الله بن رواحة اشترط لربك ولنفسك ما شئت قال اشترط لربي ان تعبدوه ولا تشركوا به شيئا واشترط لنفسي ان تمنعوني مما تمنعون منه انفسكم قالوا فاذا فعلنا ذلك فما لنا قال لكم الجنة قالوا ربح البيع لا نقيل ولا نستقيل ومر برسول الله اعرابي وهو يقرؤها فقال كلام من قال كلام الله فقال والله مربح لا نقيله ولا نستقيله [illegible] فخرج الى الغزو واستشهد يقاتلون فيه معنى الامر كقوله عز وجل تجاهدون في سبيل الله باموالكم وانفسكم وقرئ فيَقتلون ويُقتلون على بناء الاول للفاعل والثاني للمفعول وعلى العكس وعدا مصدر مؤكد واخبر بان هذا الوعد الذي وعده للمجاهدين في سبيله وعد ثابت قد اثبته في التورية والانجيل كما اثبته في القران ثم قال ومن اوفى بعهده من الله لان اخلاف الميعاد قبيح لا يقدم عليه الكرام من الخلق مع جوازه عليهم لحاجتهم اليه فكيف بالغني الذي لا يجوز عليه قبيح قط ولا ترى ترغيبا في الجهاد احسن منه وابلغ التائبون العابدون الحامدون السائحون الراكعون الساجدون الامرون بالمعروف والناهون عن المنكر والحافظون لحدود الله وبشر المؤمنين

التائبون رفع على المدح اى هم التائبون يعني المؤمنين المذكورين ويدل عليه قراءة عبد الله وابي رضي الله عنهما التائبين بالياء الى قوله والحافظين نصبا على المدح ويجوز ان يكون جرا صفة للمؤمنين وجوز الزجاج ان يكون مبتدأ خبره محذوف اى التائبون العابدون من اهل الجنة ايضا وان لم يجاهدوا كقوله تعالى وكلا وعد الله الحسنى وقيل هو رفع على البدل من الضمير في يقاتلون ويجوز ان يكون مبتدأ وخبره العابدون وما بعده خبر بعد خبر اى التائبون من الكفر على الحقيقة الجامعون لهذه الخصال وعن الحسن هم الذين تابوا من الشرك وتبرؤا من النفاق والعابدون الذين عبدوا الله وحده واخلصوا له العبادة وحرصوا عليها والسائحون الصائمون شبهوا بذوي السياحة في الارض في امتناعهم من شهواتهم وقيل هم طلبة العلم يسيحون في الارض يطلبونه في مظانه ما كان للنبي والذين امنوا ان يستغفروا للمشركين ولو كانوا اولي قربى من بعد ما تبين لهم انهم اصحاب الجحيم قيل قال لعمه ابي طالب انت اعظم الناس علي حقا واحسنهم عندي يدا فقل كلمة تجب لك بها شفاعتي فابى فقال لا [illegible] ازال استغفر لك ما لم انه عنه فنزلت وقيل لما افتتح مكة سال اي ابويه احدث به عهدا فقيل امك امنة فزار قبرها بالابواء ثم قام مستعبرا فقال اني استاذنت ربي في زيارة قبر امي فاذن لي فاستاذنته في

الاستغفار

الاستغفار فلم يأذن لي ونزلت وهذا اصح لان موت ابي طالب كان قبل الهجرة وهذا اخر ما نزل بالمدينة وقيل استغفر لابيه وقيل قال المسلمون ما يمنعنا ان نستغفر لابائنا وذوي قرابتنا وقد استغفر ابراهيم لابيه وهذا محمد يستغفر لعمه ما كان للنبي ما صح له الاستغفار في حكم الله وحكمته من بعد ما تبين لهم انهم اصحاب الجحيم لانهم ماتوا على الشرك وما كان استغفار ابراهيم لابيه الا عن موعدة وعدها اياه فلما تبين له انه عدو لله تبرأ منه ان ابراهيم لأواه حليم قرأ طلحة وما استغفر ابراهيم لابيه وعنه وما يستغفر ابراهيم على حكاية الحال الماضية الا عن موعدة وعدها اياه اى وعدها ابراهيم اباه وهو قوله تعالى لاستغفرن لك وتدل عليه قراءة الحسن وحماد الراوية وعدها اباه فان قلت كيف خفي على ابراهيم ان الاستغفار للكافر غير جائز حتى وعده قلت يجوز ان يظن انه ما دام يرجى منه الايمان جاز الاستغفار له على ان امتناع جواز الاستغفار للكافر انما علم بالوحي لان العقل يجوز ان يغفر الله للكافر الا ترى الى قوله صلى الله عليه وسلم لعمه لاستغفرن لك ما لم انه عنه وعن الحسن قيل لرسول الله عليه السلام ان فلانا يستغفر لابائه المشركين فقال ونحن نستغفر لهم فنزلت وعن علي رضي الله عنه رأيت رجلا يستغفر لابويه وهما مشركان فقلت له فقال اليس قد استغفر ابراهيم فان قلت فما معنى قوله فلما تبين له انه عدو لله تبرأ منه قلت معناه فلما تبين له من جهة الوحي انه لن يؤمن وانه يموت كافرا وانقطع رجاؤه عنه قطع استغفاره فهو كقوله تعالى من بعد ما تبين لهم انهم اصحاب الجحيم اواه فعال من اوه كلأل من اللؤلؤ وهو الذي يكثر التأوه ومعناه انه لفرط ترحمه ورقته وحلمه كان يتعطف على ابيه الكافر ويستغفر له مع شكاسته عليه وقوله لارجمنك وما كان الله ليضل قوما بعد اذ هداهم حتى يبين لهم ما يتقون ان الله بكل شيء عليم ان الله له ملك السموات والارض يحيي ويميت وما لكم من دون الله من ولي ولا نصير يعني ما امر الله باتقائه واجتنابه كالاستغفار للمشركين وغيره مما نهى عنه وبين انه محظور لا يؤاخذ به عباده الذين هداهم للاسلام ولا يسميهم ضلالا ولا يخذلهم الا اذا اقدموا عليه بعد بيان حظره عليهم وعلمهم بانه واجب الاتقاء والاجتناب واما قبل العلم والبيان فلا سبيل عليهم كما لا يؤاخذون بشرب الخمر ولا ببيع الصاع بالصاعين قبل التحريم وهذا بيان لعذر من خاف المؤاخذة بالاستغفار للمشركين قبل ورود النهي عنه وفي هذه الاية شديدة ما ينبغي ان يغفل عنها وهي ان المهدي للاسلام اذا اقدم على بعض محظورات الله داخل في حكم الاضلال والمراد بما يتقون ما يجب اتقاؤه للنهي فاما ما يعلم بالعقل كالصدق في الخبر ورد الوديعة فغير موقوف على التوقيف لقد تاب الله على النبي والمهاجرين والانصار الذين اتبعوه في ساعة العسرة من بعد ما كاد تزيغ قلوب فريق منهم ثم تاب عليهم انه بهم رءوف رحيم تاب الله على النبي كقوله تعالى ليغفر لك الله ما تقدم من ذنبك وما تاخر وقوله تعالى استغفر لذنبك وهو بعث للمؤمنين على التوبة وانه ما من مؤمن الا وهو محتاج الى التوبة والاستغفار حتى النبي والمهاجرون والانصار وابانة لفضل التوبة ومقدارها عند الله وان صفة التوابين الاوابين صفة الانبياء كما وصفهم بالصالحين ليظهر فضيلة الصلاح وقيل معناه تاب الله عليه من اذنه للمنافقين في التخلف عنه كقوله تعالى عفا الله عنك في ساعة العسرة في وقتها والساعة مستعملة في معنى الزمان المطلق كما استعملت الغداة والعشية واليوم

غداة طفت علماء بكر بن وائل * عشية قارعنا جذام وحميرا * اذا جاء يوما وارثي يبتغي الغنى *

والعسرة حالهم في غزوة تبوك كانوا في عسرة من الظهر يعتقب العشرة على بعير واحد وفي عسرة من الزاد تزودوا

التمر المدود والشعير المسوس والاهالة الزنخة وبلغت بهم الشدة الى ان اقتسم التمرة اثنان وربما مصها الجماعة ليشربوا عليها الماء وفي عسرة من الماء حتى نحروا الابل واعتصروا فروثها وفي شدة زمان من حمارة القيظ ومن الجدب والقحط والضيقة الشديدة كاد تزيغ قلوب فريق منهم عن الثبات على الايمان او عن اتباع الرسول في تلك الغزوة والخروج معه وفي كاد ضمير الشان وشبهه سيبويه بقولهم ليس خلق الله مثله وقرئ يزيغ بالياء وفي قراءة عبد الله من بعد ما زاغت قلوب فريق منهم يريد المتخلفين من المؤمنين كابي لبابة وامثاله ثم تاب عليهم تكرير للتوكيد ويجوز ان يكون الضمير للفريق تاب عليهم لكيدودتهم الثلاثة كعب بن مالك ومرارة بن الربيع وهلال بن امية **وعلى الثلاثة الذين خلفوا حتى اذا ضاقت عليهم الارض بما رحبت وضاقت عليهم انفسهم وظنوا ان لا ملجا من الله الا اليه ثم تاب عليهم ليتوبوا ان الله هو التواب الرحيم** ومعنى خلفوا خلفوا عن الغزو وقيل عن ابي لبابة واصحابه حيث تيب عليهم وقرئ خلفوا اي خلفوا الغازين بالمدينة او فسدوا من الخالفة وخلوف الفم وقرا جعفر الصادق رضي الله عنه خالفوا وقرا الاعمش وعلى الثلاثة المخلفين بما رحبت برحبها اي مع سعتها وهو مثل للحيرة في امرهم كانهم لا يجدون فيها مكانا يقرون فيه قلقا وجزعا مما هم فيه وضاقت عليهم انفسهم اي قلوبهم لا يسعها انس ولا سرور لانها حرجت من فرط الوحشة والغم وظنوا ان لا ملجا من سخط الله الا الى استغفاره ثم تاب عليهم ليتوبوا ثم رجع عليهم بالقبول والرحمة كرة بعد اخرى ليستقيموا على توبتهم ويثبتوا او ليتوبوا ايضا فيما يستقبل ان فرطت منهم خطيئة علما منهم ان الله تواب على من تاب ولو عاد في اليوم مائة مرة روي ان ناسا من المؤمنين تخلفوا عن رسول الله صلى الله عليه وسلم منهم من بدا له وكره مكانه فلحق به عن الحسن بلغني انه كان لاحدهم حائط كان خيرا من مائة الف درهم فقال يا حائطاه ما خلفني الا ظلك وانتظار ثمرك اذهب فانت في سبيل الله ولم يكن لاخر الا اهله فقال يا اهلاه ما بطاني ولا خلفني الا الضن بك لا جرم والله لاكابدن المفاوز حتى الحق برسول الله فركب ولحق به ولم يكن لاخر الا نفسه لا اهل ولا مال فقال يا نفس ما خلفني الا حب الحيوة لك والله لاكابدن الشدائد حتى الحق برسول الله فتابط زاده ولحق به قال الحسن رحمة الله عليه كذلك والله المؤمن يتوب من ذنوبه ولا يصر عليها وعن ابي ذر الغفاري رضي الله عنه ان بعيره ابطا به فحمل متاعه على ظهره واتبع اثر رسول الله عليه السلام ماشيا فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم لما راى سواده كن ابا ذر فقال الناس هو ذاك فقال رحم الله ابا ذر يمشي وحده ويموت وحده ويبعث وحده وعن ابي خيثمة انه بلغ بستانه وكانت له امراة حسناء فرشت له في الظل وبسطت له الحصير وقربت اليه الرطب والماء البارد فنظر فقال ظل ظليل ورطب يانع وماء بارد وامراة حسناء ورسول الله في الضح والريح ما هذا بخير فقام فرحل ناقته واخذ سيفه ورمحه ومر كالريح فمد رسول الله عليه السلام طرفه الى الطريق فاذا براكب يزهاه السراب فقال كن ابا خيثمة فكانه ففرح به رسول الله عليه السلام واستغفر له ومنهم من بقي لم يلحق به منهم الثلاثة قال كعب لما قفل رسول الله صلى الله عليه وسلم سلمت عليه فرد علي كالمغضب بعد ما ذكرني وقال ليت شعري ما خلف كعبا فقيل له ما خلفه الا حسن برديه والنظر في عطفيه فقال معاذ الله ما اعلم الا فضلا واسلاما ونهى عن كلامنا ايها الثلاثة فتنكر لنا الناس ولم يكلمنا احد من قريب ولا بعيد فلما مضت اربعون ليلة امرنا ان نعتزل نساءنا ولا نقربهن فلما تمت خمسون ليلة اذا انا بنداء من ذروة سلع ابشر يا كعب بن مالك فخررت ساجدا وكنت كما وصفني ربي وضاقت عليهم الارض بما

رحبت وضاقت عليهم انفسهم وتتابعت البشارة فلبست ثوبي وانطلقت الى رسول الله فاذا هو جالس في المسجد وحوله المسلمون فقام الي طلحة بن عبيد الله فهرول الي حتى صافحني وقال لتهنك توبة الله عليك فلن انساها لطلحة وقال رسول الله عليه السلام وهو يستنير استنارة القمر ابشر يا كعب بخير يوم مر عليك منذ ولدتك امك ثم تلا علينا الاية وعن ابي بكر الوراق انه سئل عن التوبة النصوح فقال ان تضيق على التائب الارض بما رحبت وتضيق عليه نفسه كتوبة كعب بن مالك وصاحبيه **يا ايها الذين امنوا اتقوا الله وكونوا مع الصادقين** مع الصادقين وقرئ من الصادقين وهم الذين صدقوا في دين الله نية وقولا وعملا او الذين صدقوا في ايمانهم ومعاهدتهم الله ورسوله على الطاعة من قوله تعالى رجال صدقوا ما عاهدوا الله عليه وقيل هم الثلاثة اي كونوا مثل هؤلاء في صدقهم وثباتهم وعن ابن عباس الخطاب لمن امن من اهل الكتاب اي كونوا مع المهاجرين والانصار ووافقوهم وانتظموا في جملتهم واصدقوا مثل صدقهم وقيل لمن تخلف من الطلقاء عن غزوة تبوك وعن ابن مسعود رضي الله عنه لا يصلح الكذب في جد ولا هزل ولا ان يعد احدكم صبيه ثم لا ينجز اقرءوا ان شئتم وكونوا مع الصادقين فهل فيها من رخصة **ما كان لاهل المدينة ومن حولهم من الاعراب ان يتخلفوا عن رسول الله ولا يرغبوا بانفسهم عن نفسه ذلك بانهم لا يصيبهم ظما ولا نصب ولا مخمصة في سبيل الله ولا يطئون موطئا يغيظ الكفار ولا ينالون من عدو نيلا الا كتب لهم به عمل صالح ان الله لا يضيع اجر المحسنين** ولا يرغبوا بانفسهم عن نفسه امروا بان يصحبوه على الباساء والضراء وان يكابدوا معه الاهوال برغبة ونشاط واغتباط وان يلقوا انفسهم من الشدائد ما تلقاه نفسه علما بانها اعز نفس عند الله واكرمها عليه فاذا تعرضت مع كرامتها وعزتها للخوض في شدة وهول وجب على سائر الانفس ان تتهافت فيما تعرضت له ولا يكترث لها اصحابها ولا يقيموا لها وزنا وتكون اخف شيء عليهم واهونه فضلا ان يربئوا بانفسهم عن متابعتها ومصاحبتها ويضنوا بها على ما سمح بنفسه عليه وهذا نهي بليغ مع تقبيح لامرهم وتوبيخ لهم عليه وتهييج لمتابعته بانفة وحمية ذلك اشارة الى ما دل عليه قوله ما كان لهم ان يتخلفوا من وجوب مشايعته كانه قيل ذلك الوجوب بسبب انهم لا يصيبهم شيء من عطش ولا تعب ولا مجاعة في طريق الجهاد ولا يدوسون مكانا من امكنة الكفار بحوافر خيولهم واخفاف رواحلهم وارجلهم ولا يتصرفون في ارضهم تصرفا يغيظهم ويضيق صدورهم ولا ينالون من عدو نيلا ولا يرزءونهم شيئا بقتل او اسر او غنيمة او هزيمة او غير ذلك الا كتب لهم به عمل صالح وفازوا واستوجبوا الثواب ونيل الزلفى عند الله وذلك مما يوجب المشايعة ويجوز ان يراد بالموطئ الايقاع والابادة لا الوطء بالاقدام والحوافر كقوله صلى الله عليه وسلم اخر وطاة وطئها الله بوج والموطئ اما مصدر كالمورد واما مكان فان كان مكانا فمعنى يغيظ الكفار يغيظهم وطؤه والنيل ايضا يجوز ان يكون مصدرا مؤكدا وان يكون بمعنى المنيل ويقال نال منه اذا رزاه ونقصه وهو عام في كل ما يسوءهم ويلحق بهم ضررا وفيه دليل على ان من قصد خيرا كان سعيه فيه مشكورا من قيام وقعود ومشي وكلام وغير ذلك وكذلك الشر وبهذه الاية استشهد اصحاب ابي حنيفة رحمة الله عليه ان المدد القادم بعد انقضاء الحرب يشارك الجيش في الغنيمة لان وطء ديارهم مما يغيظهم وينكي فيهم ولقد اسهم النبي صلى الله عليه وسلم لابني عامر وقد قدما بعد تقضي الحرب وامد ابو بكر الصديق رضي الله عنه المهاجر بن ابي امية وزياد بن ابي لبيد بعكرمة بن ابي جهل مع خمسمائة نفس فلحقوا بعد ما فتحوا فاسهم لهم وعند الشافعي رضي الله عنه لا يشارك المدد الغانمين وقرا عبيد بن عمير ظما بالمد يقال ظمئ ظماء وظما **ولا ينفقون**

نفقة صغيرة ولا كبيرة ولا يقطعون واديا الا كتب لهم ليجزيهم الله احسن ما كانوا يعملون
ولا ينفقون نفقة صغيرة ولو تمرة ولو علاقة سوط ولا كبيرة مثل ما انفق عثمان رضي الله عنه في جيش العسرة ولا يقطعون واديا اي ارضا في ذهابهم ومجيئهم والوادي كل منعرج بين جبال وآكام يكون منفذا للسيل وهو في الاصل فاعل من ودى اذا سال ومنه الودي وقد شاع في استعمال العرب بمعنى الارض يقولون لا تصل في وادي غيرك الا كتب لهم الا كتب لهم ذلك من الانفاق وقطع الوادي ويجوز ان يرجع الضمير فيه الى عمل صالح وقوله تعالى ليجزيهم متعلق بكتب اي اثبت في صحائفهم لاجل الجزاء وما كان المؤمنون لينفروا كافة فلولا نفر من كل فرقة منهم طائفة ليتفقهوا في الدين ولينذروا قومهم اذا رجعوا اليهم لعلهم يحذرون اللام لتاكيد النفي ومعناه ان نفير الكافة عن اوطانهم لطلب العلم غير صحيح ولا ممكن وفيه انه لو صح وامكن ولم يؤد الى مفسدة لوجب لوجوب التفقه على الكافة ولان طلب العلم فريضة على كل مسلم ومسلمة فلولا نفر فحين لم يمكن نفير الكافة ولم يكن مصلحة فهلا نفر من كل فرقة طائفة اي من كل جماعة كثيرة جماعة قليلة منهم يكفونهم النفير ليتفقهوا في الدين ليتكلفوا الفقاهة فيه ويتجشموا المشاق في اخذها وتحصيلها ولينذروا قومهم وليجعلوا غرضهم ومرمى همتهم في التفقه انذار قومهم وارشادهم والنصيحة لهم لا ما ينتحيه الفقهاء من الاغراض الخسيسة ويؤمونه من المقاصد الركيكة من التصدر والترؤس والتبسط في البلاد والتشبه بالظلمة في ملابسهم ومراكبهم ومنافسة بعضهم بعضا وفشو داء الضرائر بينهم وانقلاب حماليق احدهم اذا لمح ببصره مدرسة لآخر او شرذمة جثوا بين يديه وتهالكه على ان يكون موطأ العقب دون الناس كلهم فما ابعد هؤلاء من قوله عز وجل لا يريدون علوا في الارض ولا فسادا لعلهم يحذرون ارادة ان يحذروا الله فيعملوا عملا صالحا ووجه آخر وهو ان رسول الله صلى الله عليه وسلم كان اذا بعث بعثا بعد غزوة تبوك وبعد ما انزل في المتخلفين من الآيات الشداد استبق المؤمنون عن آخرهم الى النفير وانقطعوا جميعا عن استماع الوحي والتفقه في الدين فامروا ان ينفر من كل فرقة منهم طائفة الى الجهاد ويبقى اعقابهم يتفقهون حتى لا ينقطعوا عن التفقه الذي هو الجهاد الاكبر لان الجدال بالحجة اعظم اثرا من الجلاد بالسيف وقوله تعالى ليتفقهوا الضمير فيه للفرق الباقية بعد الطوائف النافرة من بينهم ولينذروا قومهم الفرق الباقية قومهم النافرين اذا رجعوا اليهم بما حصلوا في ايام غيبتهم من العلوم وعلى الاول الضمير للطائفة النافرة الى المدينة للتفقه يا ايها الذين آمنوا قاتلوا الذين يلونكم من الكفار وليجدوا فيكم غلظة واعلموا ان الله مع المتقين يلونكم يقربون منكم والقتال واجب مع كافة الكفرة قريبهم وبعيدهم ولكن الاقرب فالاقرب اوجب ونظيره وانذر عشيرتك الاقربين وقد حارب رسول الله صلى الله عليه وسلم قومه ثم غيرهم من عرب الحجاز ثم غزا الشام وقيل هم قريظة والنضير وفدك وخيبر وقيل الروم لانهم كانوا يسكنون الشام والشام اقرب الى المدينة من العراق وغيره وهكذا المفروض على اهل كل ناحية ان يقاتلوا من وليهم ما لم يضطر اليهم اهل ناحية اخرى وعن ابن عمر رضي الله عنهما انه سئل عن قتال الديلم فقال عليكم بالروم وقرئ غلظة بالحركات الثلاث فالغلظة كالشدة والغلظة كالضغطة والغلظة كالسخطة ونحوه واغلظ عليهم ولا تهنوا وهو يجمع الجراءة والصبر على القتال وشدة العداوة والعنف في القتل والاسر ومنه قوله تعالى ولا تاخذكم بهما رأفة

في دين الله مع المتقين بنصرتهم من اتقاه فلم يتراف على عدوه واذا ما انزلت سورة فمنهم من يقول ايكم زادته هذه ايمانا فاما الذين آمنوا فزادتهم ايمانا وهم يستبشرون فمنهم من يقول فمن المنافقين من يقول بعضهم لبعض ايكم زادته هذه السورة ايمانا انكارا واستهزاء بالمؤمنين واعتقادهم زيادة الايمان بزيادة العلم الحاصل بالوحي والعمل به وايكم مرفوع بالابتداء وقرا عبيد بن عمير ايكم بالنصب على اضمار فعل يفسره زادته تقديره ايكم زادت زادته هذه ايمانا فزادتهم ايمانا لانها ازيد لليقين والثبات واثلج للصدر او فزادتهم عملا فان زيادة العمل زيادة في الايمان لان الايمان يقع على الاعتقاد والعمل واما الذين في قلوبهم مرض فزادتهم رجسا الى رجسهم وماتوا وهم كافرون فزادتهم رجسا الى رجسهم كفرا مضموما الى كفرهم لانهم كلما جددوا بتجديد الله الوحي كفرا ونفاقا ازداد كفرهم واستحكم وتضاعف عقابهم اولا يرون انهم يفتنون في كل عام مرة او مرتين ثم لا يتوبون ولا هم يذكرون وقرئ اولا ترون بالياء والتاء يفتنون يبتلون بالمرض والقحط وغيرهما من بلاء الله ثم لا يتوبون ولا يتوبون من نفاقهم ولا يذكرون ولا يعتبرون ولا ينظرون في امرهم او يبتلون بالجهاد مع رسول الله عليه السلام ويعاينون امره وما ينزل الله عليه من نصرته وتاييده او يفتنهم الشيطان فيكذبون وينقضون العهود مع رسول الله فيقتلهم وينكل بهم ثم لا ينزجرون واذا ما انزلت سورة نظر بعضهم الى بعض هل يراكم من احد ثم انصرفوا صرف الله قلوبهم بانهم قوم لا يفقهون نظر بعضهم الى بعض تغامزوا بالعيون انكارا للوحي وسخرية به قائلين هل يراكم من احد من المسلمين لننصرف فانا لا نصبر على استماعه ويغلبنا الضحك فنخاف الافتضاح بينهم او ترامقوا يتشاورون في تدبير الخروج والانسلال لواذا يقولون هل يراكم من احد وقيل معناه واذا ما انزلت سورة في عيب المنافقين صرف الله قلوبهم دعاء عليهم بالخذلان وبصرف قلوبهم عما في قلوب اهل الايمان من الانشراح بانهم بسبب انهم قوم لا يفقهون لا يتدبرون حتى يفقهوا لقد جاءكم رسول من انفسكم عزيز عليه ما عنتم حريص عليكم بالمؤمنين رؤوف رحيم من انفسكم من جنسكم ومن نسبكم عربي قرشي مثلكم ثم ذكر ما يتبع المجانسة والمناسبة من النتائج بقوله تعالى عزيز عليه ما عنتم اي شديد عليه شاق لكونه بعضا منكم عنتكم ولقاؤكم المكروه فهو يخاف عليكم سوء العاقبة والوقوع في العذاب حريص عليكم حتى لا يخرج احد منكم عن اتباعه والاستسعاد بدين الحق الذي جاء به بالمؤمنين منكم ومن غيركم رؤوف رحيم وقرئ من انفسكم اي من اشرفكم وافضلكم وقيل هي قراءة رسول الله عليه السلام وفاطمة وعائشة رضي الله عنهما وقيل لم يجمع الله اسمين من اسمائه لاحد غير رسول الله في قوله تعالى رؤوف رحيم فان تولوا فقل حسبي الله لا اله الا هو عليه توكلت وهو رب العرش العظيم فان تولوا فان اعرضوا عن الايمان بك وناصبوك فاستعن بالله وفوض اليه فهو كافيك معرتهم ولا يضرونك وهو ناصرك عليهم وقرئ العظيم بالرفع وعن ابن عباس رضي الله عنهما العرش لا يقدر احد قدره وعن ابي بن كعب رضي الله عنه آخر آية نزلت لقد جاءكم رسول من انفسكم وعن رسول الله صلى الله عليه وسلم ما نزل علي القرآن الا آية آية وحرفا حرفا ما خلا سورة براءة وقل هو الله احد فانهما انزلتا علي ومعهما

سبعون الف صف من الملائكة

بسم الله الرحمن الرحيم الر تلك آيات الكتاب الحكيم الر تعديد للحروف على طريق التحدي وتلك آيات

الكتاب اشارة الى ما تضمنته السورة من الآيات والكتاب السورة والحكيم ذو الحكمة لاشتماله عليها
ونطقه بها او وصف بصفة محدثه قال الاعشى
وغريبة تأتي الملوك حكيمة ۞ قد قلتها ليقال من ذا قالها ۞ أكان للناس عجبا أن
أوحينا الى رجل منهم أن أنذر الناس وبشر الذين آمنوا أن لهم قدم صدق عند ربهم
قال الكافرون إن هذا لساحر مبين الهمزة لانكار التعجب والتعجيب منه وأن أوحينا اسم كان
وعجبا خبره وقرأ ابن مسعود عجب فجعله اسما وهو نكرة وأن أوحينا خبرا وهو معرفة كقوله
يكون مزاجها عسل وماء والاجود أن تكون كان تامة وأن أوحينا بدلا عن عجب فان قلت فما معنى اللام
في قوله أكان للناس عجبا وما الفرق بينه وبين قولك أكان عند الناس عجبا قلت معناه انهم جعلوه
لهم اعجوبة يتعجبون منها ونصبوه علما يوجهون نحوه استهزاءهم وانكارهم وليس في عند الناس هذا المعنى
والذي تعجبوا منه أن يوحى الى بشر وأن يكون رجلا من أفناء رجالهم دون عظيم من عظمائهم فقد كانوا يقولون
العجب ان الله لم يجد رسولا يرسله الى الناس الا يتيم أبي طالب وأن يذكر لهم البعث وينذر بالنار ويبشر
بالجنة وكل واحد من هذه الامور ليس بعجب لأن الرسل المبعوثين الى الامم لم يكونوا الا بشرا مثلهم وقال
الله تعالى قل لو كان في الارض ملائكة يمشون مطمئنين لنزلنا عليهم من السماء ملكا رسولا وارسال الفقير او
اليتيم ليس بعجب ايضا لان الله تعالى انما يختار من استحق الاختيار لجمعه اسباب الاستقلال بما اختير له من
النبوة والغنى والتقدم في الدنيا ليس من تلك الاسباب في شيء وما اموالكم ولا اولادكم بالتي تقربكم
عندنا زلفى والبعث للجزاء على الخير والشر هو الحكمة العظمى فكيف يكون عجبا انما العجب العجيب والمنكر في العقول
تعطيل الجزاء أن أنذر الناس ان هي المفسرة لان الايحاء فيه معنى القول ويجوز ان تكون المخففة من
الثقيلة واصله انه انذر الناس على معنى ان الشأن قولنا انذر الناس وان لهم الباء معه محذوف قدم
صدق عند ربهم اي سابقة وفضلا ومنزلة رفيعة فان قلت لم سميت السابقة قدما
قلت لما كان السعي والسبق بالقدم سميت المسعاة الجميلة والسابقة قدما كما سميت النعمة يدا لانها تعطى باليد
وباعا لان صاحبها يبوع بها فقيل لفلان قدم في الخير واضافته الى صدق دلالة على زيادة فضل وانه
من السوابق العظيمة وقيل مقام صدق ان هذا ان هذا الكتاب وما جاء به محمد عليه السلام لسحر
ومن قرأ لساحر فهذا اشارة الى رسول الله صلى الله عليه وسلم وهو دليل عجزهم واعترافهم به وان كانوا
كاذبين في تسميته سحرا وفي قراءة أبي ما هذا الا سحر إن ربكم الله الذي خلق السموات والارض
في ستة ايام ثم استوى على العرش يدبر الامر ما من شفيع الا من بعد اذنه ذلكم الله ربكم
فاعبدوه أفلا تذكرون يدبر يقضي ويقدر على حسب مقتضى الحكمة ويفعل ما يفعل المتحري للصواب
الناظر في ادبار الامور وعواقبها لئلا يلقاه ما يكره آخرا والامر امر الخلق كله وامر ملكوت السموات
والارض والعرش فان قلت ما موقع هذه الجملة قلت قد دل بالجملة قبلها على عظمة شأنه وملكه
بخلق السموات والارض مع بسطتها واتساعها في وقت يسير وبالاستواء على العرش واتبعها هذه الجملة
لزيادة الدلالة على العظمة وانه لا يخرج امر من الامور من قضائه وتقديره وكذلك قوله تعالى ما من
شفيع الا من بعد اذنه دليل على العزة والكبرياء كقوله تعالى يوم يقوم الروح والملائكة صفا لا يتكلمون
الا من اذن له الرحمن وذلكم اشارة الى المعلوم بتلك العظمة اي ذلك العظيم الموصوف بما وصف به
هو ربكم وهو الذي يستحق العبادة منكم فاعبدوه وحده ولا تشركوا به بعض خلقه من ملك او انسان فضلا

عن جماد لا يبصر ولا يسمع ولا ينفع أفلا تذكرون فأدنى التفكر والنظر ينبهكم على الخطأ فيما انتم عليه اليه مرجعكم
جميعا وعد الله حقا انه يبدأ الخلق ثم يعيده ليجزي الذين آمنوا وعملوا الصالحات
بالقسط والذين كفروا لهم شراب من حميم وعذاب اليم بما كانوا يكفرون اليه
مرجعكم جميعا اي لا ترجعون في العاقبة الا اليه فاستعدوا للقائه وعد الله مصدر مؤكد لقوله اليه مرجعكم
جميعا وحقا مصدر مؤكد لقوله وعد الله انه يبدأ الخلق ثم يعيده استئناف معناه التعليل لوجوب المرجع حقا
اليه وهو ان الغرض ومقتضى الحكمة بابتداء الخلق واعادته هو جزاء المكلفين على اعمالهم وقرئ انه
يبدئ الخلق بمعنى لانه او هو منصوب بالفعل الذي نصب وعد الله اي وعد الله وعدا بدء الخلق ثم اعادته والمعنى
اعادة الخلق بعد بدئه وقرئ وعد الله على لفظ الفعل ويبدئ من ابدأ ويجوز ان يكون
مرفوعا بما نصب حقا اي حق حقا بدء الخلق كقوله
أحقا عباد الله ان لست جائيا ۞ ولا ذاهبا الا علي رقيب ۞ وقرئ حق انه يبدئ
الخلق كقولك حق ان زيدا منطلق بالقسط بالعدل وهو متعلق بيجزي والمعنى ليجزيهم بقسطه
ويوفيهم اجورهم او بقسطهم وبما اقسطوا وعدلوا ولم يظلموا حين آمنوا وعملوا صالحا لان الشرك
ظلم قال الله تعالى ان الشرك لظلم عظيم والعصاة ظلام انفسهم وهذا اوجه لمقابلة قوله بما
كانوا يكفرون هو الذي جعل الشمس ضياء والقمر نورا وقدره منازل لتعلموا عدد السنين
والحساب ما خلق الله ذلك الا بالحق يفصل الآيات لقوم يعلمون الياء في ضياء منقلبة
عن واو ضوء لكسرة ما قبلها وقرئ ضئاء بهمزتين بينهما الف على القلب بتقديم اللام على العين
كما قيل في عاق عقا والضياء اقوى من النور وقدره وقدر القمر والمعنى وقدر مسيره منازل او قدره
ذا منازل كقوله تعالى والقمر قدرناه منازل والحساب وحساب الاوقات من الاشهر والايام والليالي
ذلك اشارة الى المذكور اي ما خلقه الا ملتبسا بالحق الذي هو الحكمة البالغة ولم يخلقه عبثا وقرئ
يفصل بالياء ان في اختلاف الليل والنهار وما خلق الله في السموات والارض لآيات لقوم
يتقون ان الذين لا يرجون لقاءنا ورضوا بالحياة الدنيا واطمأنوا بها والذين هم عن
آياتنا غافلون اولئك مأواهم النار بما كانوا يكسبون لقوم يتقون خص المتقين لانهم
يحذرون العاقبة فيدعوهم الحذر الى النظر والتدبر لا يرجون لقاءنا لا يتوقعونه اصلا ولا يخطرونه
ببالهم لغفلتهم المستولية عليهم المذهلة باللذات وحب العاجل عن التفطن للحقائق او لا يأملون حسن
لقائنا كما يأمله السعداء او لا يخافون سوء لقائنا الذي يجب ان يخاف ورضوا بالحياة الدنيا من الآخرة
وآثروا القليل الفاني على الكثير الباقي كقوله تعالى أرضيتم بالحياة الدنيا من الآخرة واطمأنوا
بها وسكنوا فيها سكون من لا يزعج عنها فبنوا شديدا واملوا بعيدا ان الذين آمنوا وعملوا الصالحات
يهديهم ربهم بايمانهم تجري من تحتهم الانهار في جنات النعيم يهديهم ربهم بايمانهم يسددهم
بسبب ايمانهم للاستقامة على سلوك السبيل المؤدي الى الثواب ولذلك جعل تجري من تحتهم الانهار بيانا
له وتفسيرا لان التمسك بسبب السعادة كالوصول اليها ويجوز ان يريد يهديهم في الآخرة بنور ايمانهم
الى طريق الجنة كقوله تعالى يوم ترى المؤمنين والمؤمنات يسعى نورهم بين ايديهم وبايمانهم ومنه
الحديث ان المؤمن اذا خرج من قبره صور له عمله في صورة حسنة فيقول له انا عملك فيكون له نورا وقائدا
الى الجنة واما الكافر اذا خرج من قبره صور له عمله في صورة سيئة فيقول له انا عملك فينطلق به حتى

يدخله النار فان قلت فلقد دلت هذه الاية على ان الايمان الذي يستحق به العبد الهداية والتوفيق
والنور يوم القيامة هو ايمان مقيد وهو الايمان المقرون بالعمل الصالح والايمان الذي لم يكن
مقرونا بالعمل الصالح فصاحبه لا توفيق له ولا نور قلت الامر كذلك الا ترى كيف اوقع الصلة
مجموعا فيها بين الايمان والعمل الصالح كانه قال ان الذين جمعوا بين الايمان والعمل الصالح ثم قال
بايمانهم اي بايمانهم هذا المضموم اليه العمل الصالح وهو بين واضح لا شبهة فيه دعويهم فيها سبحانك
اللهم وتحيتهم فيها سلام وآخر دعويهم ان الحمد لله رب العالمين دعواهم دعاؤهم لان اللهم
نداء لله ومعناه اللهم انا نسبحك كقول القانت في دعاء القنوت اللهم اياك نعبد ولك نصلي ونسجد
ويجوز ان يراد بالدعاء العبادة واعتزلكم وما تدعون من دون الله على معنى ان لا تكليف في الجنة ولا
عبادة وما عبادتهم الا ان يسبحوا الله ويحمدوه وذلك ليس بعبادة انما يلهمونه فينطقون به تلذذا
بلا كلفة كقوله تعالى وما كان صلوتهم عند البيت الا مكاء وتصدية وآخر دعواهم وخاتمة دعائهم
الذي هو التسبيح ان يقولوا الحمد لله رب العالمين ومعنى وتحيتهم فيها سلام ان بعضهم يحيي بعضا بالسلام
وقيل هي تحية الملائكة اياهم اضافة للمصدر الى المفعول وقيل تحية الله لهم وان هي المخففة من الثقيلة
واصله انه الحمد لله على ان الضمير للشان كقوله ان هالك كل من يحفى وينتعل وقرئ ان
الحمد لله بالتشديد ونصب الحمد ولو يعجل الله للناس الشر استعجالهم بالخير لقضي اليهم اجلهم
فنذر الذين لا يرجون لقاءنا في طغيانهم يعمهون اصله ولو يعجل الله للناس الشر تعجيله لهم الخير
فوضع استعجالهم بالخير موضع تعجيله لهم الخير اشعارا بسرعة اجابته لهم واسعافه بطلبتهم حتى كان استعجالهم
بالخير تعجيل لهم والمراد اهل مكة وقولهم فامطر علينا حجارة من السماء يعني ولو عجلنا لهم الشر الذي دعوا به
كما نعجل لهم الخير ونجيبهم اليه لقضي اليهم اجلهم لاميتوا واهلكوا وقرئ لقضى اليهم اجلهم على البناء للفاعل
وهو الله عز وجل وتنصره قراءة عبد الله لقضينا اليهم اجلهم فكيف اتصل به قوله تعالى فنذر
الذين لا يرجون لقاءنا في طغيانهم وما معناه قلت قوله ولو يعجل الله متضمن معنى نفي التعجيل كانه قيل
ولا نعجل لهم الشر ولا نقضي اليهم اجلهم فنذرهم في طغيانهم يعمهون اي فنمهلهم ونفيض عليهم النعمة مع
طغيانهم الزاما للحجة عليهم واذا مس الانسان الضر دعانا لجنبه او قاعدا او قائما فلما كشفنا عنه
ضره مر كان لم يدعنا الى ضر مسه كذلك زين للمسرفين ما كانوا يعملون لجنبه في موضع الحال
بدليل عطف الحالين عليه اي دعانا مضطجعا او قاعدا او قائما فان قلت فما فائدة ذكر هذه الاحوال
قلت معناه ان المضرور لا يزال داعيا لا يفتر عن الدعاء حتى يزول عنه الضر فهو يدعونا في حالاته
كلها كان منبطحا عاجز النهض متخاذل القوى او كان قاعدا لا يقدر على القيام او كان قائما لا يطيق المشي والمضطرب المشي
الى ان يخف كل الخفة ويرزق الصحة بكمالها والمسحة بتمامها ويجوز ان يراد ان من المضرورين من هو اشد
حالا وهو صاحب الفراش ومنهم من هو اخف وهو القادر على القعود ومنهم المستطيع للقيام وكلهم
لا يستغنون عن الدعاء واستدفاع البلاء لان الانسان للجنس مر اي مضى على طريقته الاولى قبل مس الضر
ونسي حال الجهد او مر عن موقف الابتهال والتضرع لا يرجع اليه كانه لا عهد له به كان لم يدعنا كانه
لم يدعنا فخفف وحذف ضمير الشان قال كان ثدياه حقان كذلك مثل ذلك التزيين زين للمسرفين
زين الشيطان بوسوسته او الله عز وجل بخذلانه وتخليته ما كانوا يعملون من الاعراض عن الذكر واتباع
الشهوات ولقد اهلكنا القرون من قبلكم لما ظلموا وجاءتهم رسلهم بالبينات وما كانوا ليؤمنوا

كذلك نجزي القوم المجرمين لما ظرف لاهلكنا والواو في وجاءتهم للحال اي ظلموا بالتكذيب وقد جاءتهم
رسلهم بالحجج والشواهد على صدقهم وهي المعجزات وقوله وما كانوا ليؤمنوا يجوز ان يكون عطفا على ظلموا
وان يكون اعتراضا واللام لتأكيد النفي يعني وما كانوا يؤمنون حقا تأكيدا لنفي ايمانهم وان الله قد علم
منهم انهم يصرون على كفرهم وان الايمان مستبعد منهم والمعنى ان السبب في اهلاكهم تكذيبهم الرسل وعلم
الله انه لا فائدة في امهالهم بعد ان لزموا الحجة ببعثة الرسل كذلك مثل ذلك الجزاء يعني الاهلاك نجزي
كل مجرم وهو وعيد لاهل مكة على اجرامهم بتكذيب رسول الله عليه السلام وقرئ يجزي بالياء ثم
جعلناكم خلائف في الارض من بعدهم لننظر كيف تعملون ثم جعلناكم الخطاب للذين بعث اليهم محمد
صلى الله عليه وسلم اي استخلفناكم في الارض بعد القرون التي اهلكناها لننظر اتعملون خيرا او شرا
فنعاملكم على حسب عملكم وكيف في محل النصب بتعملون لا بننظر لان معنى الاستفهام فيه يحجب ان يتقدم
عليه عامله فان قلت كيف جاز النظر على الله تعالى وفيه معنى المقابلة قلت هو مستعار للعلم
المحقق الذي هو العلم بالشيء موجودا شبه بنظر الناظر وعيان المعاين في تحققه واذا تتلى عليهم اياتنا
بينات قال الذين لا يرجون لقاءنا ائت بقران غير هذا او بدله قل ما يكون لي ان ابدله
من تلقاء نفسي ان اتبع الا ما يوحى الي اني اخاف ان عصيت ربي عذاب يوم عظيم غاظهم ما
في القران من ذم عبادة الاوثان والوعيد للمشركين فقالوا ائت بقران اخر ليس فيه ما يغيظنا من ذلك
نتبعك او بدله بان تجعل مكان اية عذاب اية رحمة وتسقط ذكر الالهة وذم عبادتها فامر بان يجيب
عن التبديل لانه داخل تحت قدرة الانسان وهو ان يضع مكان اية عذاب اية رحمة مما انزل وان يسقط ذكر الالهة عذاب اليوم
واما الاتيان بقران اخر فغير مقدور عليه للانسان ما يكون لي ما ينبغي لي وما يحل كقوله تعالى ما يكون
لي ان اقول ما ليس لي بحق ان ابدله من تلقاء نفسي من قبل نفسي وقرئ بفتح التاء من غير ان يا من
بعد ذلك ربي ان اتبع الا ما يوحى الي لا اتي ولا اذر شيئا من نحو ذلك الا متبعا لوحي الله واوامره ان نسخت
اية تبعت النسخ وان بدلت اية مكان اية تبعت التبديل وليس الي تبديل ولا نسخ اني اخاف ان عصيت
ربي بالتبديل والنسخ من عند نفسي عذاب يوم عظيم فان قلت اما ظهر لهم وتبين العجز عن الاتيان بمثل
القران حتى قالوا ائت بقران غير هذا قلت بلى ولكنهم كانوا لا يعترفون بالعجز وكانوا يقولون لو نشاء
لقلنا مثل هذا ويقولون افترى على الله كذبا فينسبونه الى الرسول ويزعمون انه قادر عليه وعلى مثله مع علمهم
بان العرب مع كثرة فصحائها وبلغائها اذا عجزوا عنه كان الواحد منهم اعجز فان قلت لعلهم ارادوا
ائت بقران غير هذا او بدله من جهة الوحي كما اتيت بالقران من جهته واراد بقوله ما يكون لي ان ابدله
لي ما يمكنني ان ابدله يرده قوله اني اخاف ان عصيت ربي فان قلت فما كان غرضهم وهم
ادهى الناس وانكرهم في هذا الاقتراح قلت الكيد والمكر اما اقتراح ابدال قران بقران ففيه انه من
عندك وانك قادر على مثله فابدل مكانه اخر واما اقتراح التبديل والتغيير فللطمع والاختبار
الحالة وانه ان وجد منه تبديل فاما ان يهلكه الله فينجوا منه او لا يهلكه فيسخروا منه ويجعلوا التبديل
حجة عليه وتصحيحا لافترائه على الله تعالى قل لو شاء الله ما تلوته عليكم ولا ادراكم به فقد لبثت
فيكم عمرا من قبله افلا تعقلون لو شاء الله ما تلوته عليكم يعني ان تلاوته ليست الا بمشيئة الله واحداثه
امرا عجيبا خارجا عن العادات وهو ان يخرج رجل امي لم يتعلم ولم يستمع ولم يشاهد العلماء ساعة من عمره
ولا نشأ في بلد فيه علماء فيقرأ عليكم كتابا فصيحا يبهر كل كلام فصيح ويعلو على كل منثور ومنظوم مشحونا بعلوم من علوم

الاصول والفروع واخبار بما كان وما يكون ناطقا بالغيوب التى لا يعلمها الا الله تعالى وقد بلغ بين ظهرانيكم اربعين سنة تطلعون على احواله ولا يخفى عليكم شىء من اسراره وما سمعتم منه حرفا من ذلك ولا عرفه به احد من اقرب الناس منه والصقهم به ولا ادراكم به ولا اعلمكم به على لسانى وقرا الحسن ولا ادراتكم به على لغة من يقول اعطاته وارضاته فى معنى اعطيته وارضيته وتعضده قراءة ابن عباس رضى الله عنه ولا انذرتكم به ورواه الفراء ولا ادرأتكم به بالهمز وفيه وجهان احدهما ان تقلب الالف همزة كما قيل لبأت بالحج ورثأت الميت وذلك لان الالف والهمزة من واد واحد الا ترى ان الالف اذا مستها الحركة انقلبت همزة والثانى ان يكون من درأته اذا دفعته وادرأته اذا جعلته دارئا والمعنى ولا جعلتكم بتلاوته خصماء تدرؤوننى بالجدال وتكذبوننى وعن ابن كثير ولادراكم به باللام على الايجاب لاثبات الادراء ومعناه لو شاء الله ما تلوته انا عليكم ولاعلمكم به على لسان غيرى ولكنه يمن على من يشاء من عباده فخصنى بهذه الكرامة ورآنى لها اهلا دون سائر الناس فقد لبثت فيكم عمرا وقرئ عمرا بالسكون يعنى فقد اقمت فيما بينكم يافعا وكهلا فلم تعرفونى متعاطيا شيئا من نحوه ولا قدرت عليه ولا كنت متواصفا بعلم وبيان فتتهمونى باختراعه افلا تعقلون فتعلموا انه ليس الا من الله لا من مثلى وهذا جواب عما دسوه تحت قولهم ائت بقرآن غير هذا من اضافة الافتراء اليه فمن اظلم ممن افترى على الله كذبا او كذب بآياته انه لا يفلح المجرمون من افترى على الله كذبا يحتمل ان يريد افتراء المشركين على الله فى قولهم انه ذو شريك وذو ولد وان يكون تفاديا مما اضافوه اليه من الافتراء ويعبدون من دون الله ما لا يضرهم ولا ينفعهم ويقولون هؤلاء شفعاؤنا عند الله قل اتنبئون الله بما لا يعلم فى السموات ولا فى الارض سبحانه وتعالى عما يشركون ما لا يضرهم ولا ينفعهم الاوثان التى هى جمادات لا تقدر على ضر ولا نفع وقيل ان عبدوها لا تنفعهم وان تركوا عبادتها لا تضرهم ومن حق المعبود ان يكون مثيبا على الطاعة معاقبا على المعصية وكان اهل الطائف يعبدون اللات واهل مكة العزى ومناة وهبل واسافا ونائلة وكانوا يقولون هؤلاء شفعاؤنا عند الله وعن النضر بن الحارث اذا كان يوم القيامة شفعت لى اللات والعزى اتنبئون الله بما لا يعلم اتخبرونه بكونهم شفعاء عنده وهو انباء بما ليس بمعلوم لله واذا لم يكن معلوما له وهو العالم الذات المحيط بجميع المعلومات لم يكن شيئا لان الشىء ما يعلم ويخبر عنه فكان خبرا ليس له مخبر عنه فان قلت كيف انبأوا الله بذلك هو تهكم بهم وبما ادعوه من المحال الذى هو شفاعة الاصنام واعلام بان الذى انبأوا به باطل غير منطو تحت الصحة فكانهم يخبرونه بشىء لا يتعلق به علمه كما يخبر الرجل بما لا يعلمه وقرئ اتنبئون بالتخفيف وقوله فى السموات ولا فى الارض تاكيد لنفيه لان ما لم يوجد فيهما فهو منتف معدوم تشركون قرئ بالياء والتاء وما موصولة او مصدرية اى عن الشركاء الذين يشركونهم به او عن اشراكهم وما كان الناس الا امة واحدة فاختلفوا ولولا كلمة سبقت من ربك لقضى بينهم فيما فيه يختلفون وما كان الناس الا امة واحدة حنفاء متفقين على ملة واحدة من غير ان يختلفوا بينهم وذلك فى عهد آدم عليه السلام الى ان قتل قابيل هابيل وقيل بعد الطوفان حين لم يذر الله من الكافرين ديارا ولولا كلمة سبقت من ربك وهو تاخير الحكم بينهم الى يوم القيامة لقضى بينهم عاجلا فيما اختلفوا فيه وتميز المحق من المبطل وسبق كلمته بالتاخير لحكمة اوجبت ان تكون هذه الدار دار تكليف وتلك دار ثواب وعقاب ويقولون لولا انزل عليه آية من ربه فقل انما الغيب لله فانتظروا انى معكم

من المنتظرين وقالوا لولا انزل عليه آية من ربه ارادوا آية من الآيات التى كانوا يقترحونها وكانوا لا يعتدون بما انزل عليه من الآيات العظام المتكاثرة التى لم ينزل على احد من الانبياء مثلها وكفى بالقرآن وحده آية باقية على وجه الدهر بديعة غريبة فى الآيات دقيقة المسلك من بين المعجزات وجعلوا نزولها كلا نزول وكانه لم ينزل عليه آية قط حتى قالوا لولا انزل عليه آية واحدة من ربه وذلك لفرط عنادهم وتماديهم فى التمرد وانهماكهم فى الغى قل انما الغيب لله اى هو المختص بعلم الغيب المستاثر به لا علم لى ولا لاحد يعنى ان الصارف عن انزال الآيات المقترحة امر مغيب لا يعلمه الا هو فانتظروا نزول ما اقترحتموه انى معكم من المنتظرين لما يفعل الله بكم لعنادكم وجحودكم الآيات واذا اذقنا الناس رحمة من بعد ضراء مستهم اذا لهم مكر فى آياتنا قل الله اسرع مكرا ان رسلنا يكتبون ما تمكرون سلط الله القحط سبع سنين على اهل مكة حتى كادوا يهلكون ثم رحمهم بالحيا فلما رحمهم طفقوا يطعنون فى آيات الله ويعادون رسول الله ويكيدونه واذا الاولى للشرط والاخرى جوابها وهى للمفاجاة والمكر اخفاء الكيد وطيه من الجارية الممكورة المطوية الخلق ومعنى مستهم خالطتهم حتى احسوا بسوء اثرها فيهم فان قلت ما وصفهم بسرعة المكر فكيف صح قوله اسرع مكرا بلى دلت على ذلك كلمة المفاجاة كانه قال واذا رحمناهم من بعد ضراء فاجؤوا وقوع المكر منهم وسارعوا اليه قبل ان يغسلوا رؤوسهم من مس الضراء ولم يتلبثوا ريثما يسيغون غصتهم والمعنى ان الله تعالى دبر عقابكم وهو موقعه بكم قبل ان تدبروا كيف تعملون فى اطفاء نور الاسلام ان رسلنا يكتبون اعلام بان ما تظنونه خافيا مطويا لا يخفى على الله وهو منتقم منكم وقرئ تمكرون بالياء والتاء وقيل مكرهم قولهم سقينا بنوء كذا وعن ابى هريرة رضى الله عنه ان الله ليصبح القوم بالنعمة ويمسيهم بها فيصبح طائفة منهم بها كافرين يقولون مطرنا بنوء كذا هو الذى يسيركم فى البر والبحر حتى اذا كنتم فى الفلك وجرين بهم بريح طيبة وفرحوا بها جاءتها ريح عاصف وجاءهم الموج من كل مكان وظنوا انهم احيط بهم دعوا الله مخلصين له الدين لئن انجيتنا من هذه لنكونن من الشاكرين قرأ زيد بن ثابت ينشركم ومثله فانتشروا فى الارض ثم اذا انتم بشر تنتشرون فان قلت كيف جعل الكون فى الفلك غاية للتسيير فى البحر والتسيير فى البحر انما هو بالكون فى الفلك لم يجعل الكون فى الفلك غاية للتسيير ولكن مضمون الجملة الشرطية الواقعة بعد حتى بما فى حيزها كانه قيل يسيركم حتى اذا وقعت هذه الحادثة وكان كيت وكيت من مجئ الريح العاصف وتراكم الامواج والظن للهلاك والدعاء بالانجاء فان قلت ما جواب اذا قلت جاءتها فان قلت فدعوا قلت بدل من ظنوا لان دعاءهم من لوازم ظنهم للهلاك فهو ملتبس به فان قلت ما فائدة صرف الكلام عن الخطاب الى الغيبة قلت المبالغة كانه يذكر لغيرهم حالهم ليعجبهم منها ويستدعى منهم الانكار والتقبيح فان قلت ما وجه قراءة ام الدرداء رضى الله عنها فى الفلكى بزيادة ياء النسب قلت قد زيدت كما فى الخارجى والاحمرى ويجوز ان يراد به اللج والماء الغمر الذى لا تجرى الفلك الا فيه والضمير فى جرين للفلك لانه جمع فلك كالاسد فى فعل اخى فعل وفى قراءة ام الدرداء للفلكى ايضا لان الفلك يدل عليه جاءتها جاءت الريح الطيبة اى تلقتها وقيل الضمير للفلك من كل مكان من جميع امكنة الموج احيط بهم جعل احاطة العدو بالحى مثلا فى الهلاك مخلصين له الدين من غير اشراك بدلالتهم

لا يدعون جنبه غيره معه لئن انجيتنا على ارادة القول او لان دعوا من جملة القول فلما انجاهم
اذا هم يبغون في الارض بغير الحق يا ايها الناس انما بغيكم على انفسكم متاع الحيوة
الدنيا ثم الينا مرجعكم فننبئكم بما كنتم تعملون يبغون في الارض يفسدون فيها ويعبثون
مترامين في ذلك ممعنين فيه من قولك بغى الجرح اذا ترامى الى الفساد فان قلت ما معنى قوله بغير
الحق والبغي لا يكون بحق قلت بلى وهو استيلاء المسلمين على ارض الكفرة وهدم دورهم واحراق
زروعهم وقلع اشجارهم كما فعل رسول الله صلى الله عليه وسلم ببني قريظة قرئ متاع الحيوة الدنيا بالنصب
فان قلت ما الفرق بين القراءتين قلت اذا رفعت كان المتاع خبرا عن المبتدا الذي هو بغيكم
على انفسكم صلته كقوله فبغى عليهم ومعناه انما بغيكم على امثالكم والذين جنسهم جنسكم يعني بغي بعضكم
على بعض منفعة الحيوة الدنيا لا بقاء لها واذا نصبت فعلى انفسكم خبر غير صلة معناه انما بغيكم وبال
على انفسكم ومتاع الحيوة الدنيا في موضع المصدر المؤكد كانه قيل تتمتعون متاع الحيوة الدنيا
ويجوز ان يكون الرفع على ما هو متاع الحيوة الدنيا بعد تمام الكلام وعن النبي صلى الله عليه وسلم انه
قال لا تمكر ولا تعن ماكرا ولا تبغ ولا تعن باغيا ولا تنكث ولا تعن ناكثا وكان يتلوها وعنه صلى الله
عليه وسلم اسرع الخير ثوابا صلة الرحم واعجل الشر عقابا البغي واليمين الفاجرة وروي ثنتان
يعجلهما الله في الدنيا البغي وعقوق الوالدين وعن ابن عباس رضي الله عنهما لو بغى جبل على جبل لدك
الباغي وكان المأمون يتمثل بهذين البيتين في اخيه

يا صاحب البغي ان البغي مصرعة ... فاربع فخير فعال المرء اعدله
فلو بغى جبل يوما على جبل ... لاندك منه اعاليه واسفله

وعن محمد بن كعب
ثلاث من كن فيه كن عليه البغي والنكث والمكر قال الله تعالى انما بغيكم على انفسكم انما مثل الحيوة
الدنيا كماء انزلناه من السماء فاختلط به نبات الارض مما يأكل الناس والانعام حتى اذا اخذت
الارض زخرفها وازينت وظن اهلها انهم قادرون عليها اتيها امرنا ليلا او نهارا فجعلناها
حصيدا كان لم تغن بالامس كذلك نفصل الآيات لقوم يتفكرون هذا من التشبيه المركب
شبهت حال الدنيا في سرعة تقضيها وانقراض نعيمها بعد الاقبال بحال نبات الارض في جفافه
وذهابه حطاما بعد ما التف وتكاثف وزين الارض بخضرته ورفيفه فاختلط به فاشتبك بسببه
حتى خالط بعضه بعضا اخذت الارض زخرفها وازينت كلام فصيح جعلت الارض آخذة زخرفها
على التمثيل بالعروس اذا اخذت الثياب الفاخرة من كل لون فاكتستها وتزينت بغيرها من الوان
الزين واصل ازينت تزينت فادغم وبالاصل قرا عبد الله وقرئ وازينت على افعلت من غير اعلال
الفعل كاغيلت اي صارت ذات زينة وازيانت بوزن ابياضت قادرون عليها متمكنون من
منفعتها محصلون لثمرتها رافعون لغلتها اتاها امرنا وهو ضرب زرعها ببعض العاهات بعد
امنهم واستيقانهم انه قد سلم فجعلناها فجعلنا زرعها حصيدا شبيها بما يحصد من الزرع في قطعه
واستيصاله كان لم تغن كان لم يغن زرعها اي لم يلبث على حذف المضاف في هذه المواضع لا بد منه
والا لم يستقم المعنى وقرأ الحسن رحمة الله عليه كان لم يغن بالياء على ان الضمير للمضاف المحذوف
الذي هو الزرع وعن مروان انه قرأ على المنبر كان لم تتغن بالامس من قول الاعشى

طويل الثواء طويل التغني

والامس مثل في الوقت القريب كانه قيل كان لم تغن آنفا والله يدعو

ال

الى دار السلام ويهدي من يشاء الى صراط مستقيم دار السلام الجنة اضافها الى اسمه تعظيما
لها وقيل السلام السلامة لان اهلها سالمون من كل مكروه وقيل لفشو السلام بينهم وتسليم الملائكة
عليهم الا قيلا سلاما سلاما ويهدي ويوفق من يشاء وهم الذين علم ان اللطف يجدي عليهم لان مشيئته
تابعة لحكمته ومعناه يدعو العباد كلهم الى دار السلام ولا يدخلها الا المهديون للذين احسنوا
الحسنى وزيادة ولا يرهق وجوههم قتر ولا ذلة اولئك اصحاب الجنة هم فيها خالدون
الحسنى المثوبة الحسنى وزيادة وما يزيد على المثوبة وهي التفضل ويدل عليه قوله تعالى ويزيدهم
من فضله وعن علي رضي الله عنه الزيادة غرفة من لؤلؤة واحدة وعن ابن عباس رضي الله عنهما الحسنى
الجنة والزيادة عشر امثالها وعن الحسن عشر امثالها الى سبعمائة ضعف وعن مجاهد الزيادة مغفرة
من الله ورضوان وعن يزيد بن شجرة الزيادة ان تمر السحابة باهل الجنة فتقول ما تريدون ان امطركم
فلا يريدون شيئا الا امطرتهم وزعمت المشبهة والمجبرة ان الزيادة النظر الى وجه الله وجاءت بحديث
مرقوع اذا دخل اهل الجنة الجنة نودوا ان يا اهل الجنة فيكشف الحجاب فينظرون اليه فوالله ما اعطاهم
الله شيئا هو احب اليهم منه ولا يرهق وجوههم لا يغشاها قتر غبرة فيها سواد ولا ذلة ولا اثر
هوان ولا كسوف بال والمعنى لا يرهقهم ما يرهق اهل النار اذكارا بما ينقذهم منه برحمته الا ترى الى
قوله ترهقها قترة وترهقهم ذلة والذين كسبوا السيئات جزاء سيئة بمثلها وترهقهم ذلة ما
لهم من الله من عاصم كانما اغشيت وجوههم قطعا من الليل مظلما اولئك اصحاب النار هم
فيها خالدون فان قلت ما وجه قوله والذين كسبوا السيئات جزاء سيئة بمثلها وكيف يتلاءم قلت
لا يخلو اما ان يكون والذين كسبوا معطوفا على قوله للذين احسنوا كانه قيل وللذين كسبوا السيئات
جزاء سيئة بمثلها واما ان يقدر وجزاء الذين كسبوا السيئات جزاء سيئة بمثلها على معنى جزاؤهم ان تجازى
سيئة واحدة بسيئة مثلها لا يزاد عليها وهذا اوجه من الاول لان في الاول عطفا على عاملين وان كان الاخفش
يجيزه وفي هذا دليل على ان المراد بالزيادة الفضل لانه دل بترك الزيادة على السيئة على عدله ودل ثم
باثبات الزيادة على المثوبة على فضله وقرئ يرهقهم ذلة بالياء من الله من عاصم اي لا يعصمهم احد
من سخط الله وعذابه ويجوز ما لهم من جهة الله ومن عنده من يعصمهم كما يكون للمؤمنين مظلما حال من
الليل ومن قرأ قطعا بالسكون من قوله بقطع من الليل جعله صفة له ويعضده قراءة ابي بن كعب كانما
يغشى وجوههم قطع من الليل مظلم فان قلت اذا جعلت مظلما حالا من الليل فما العامل فيه قلت
لا يخلو اما ان يكون اغشيت من قبل ان من الليل صفة لقوله قطعا فكان افضاؤه الى الموصوف كافضائه
الى الصفة واما ان يكون معنى الفعل في من الليل ويوم نحشرهم جميعا ثم نقول للذين اشركوا
مكانكم انتم وشركاؤكم فزيلنا بينهم وقال شركاؤهم ما كنتم ايانا تعبدون مكانكم الزموا
مكانكم لا تبرحوا حتى تنظروا ما يفعل بكم وانتم اكد به الضمير في مكانكم لسده مسد قوله الزموا وشركاؤكم
عطف عليه وقرئ وشركاءكم على ان الواو بمعنى مع والعامل فيه ما في مكانكم من معنى الفعل فزيلنا بينهم
ففرقنا بينهم وقطعنا اقرانهم والوصل التي كانت بينهم في الدنيا او باعدنا بينهم بعد الجمع بينهم في الموقف
وتبرؤ شركائهم منهم ومن عبادتهم كقوله تعالى اين شركاؤكم الذين كنتم تزعمون قالوا ضلوا عنا
وقرئ فزايلنا بينهم كقولك صاعر خده وصعره وكالمته وكلمته ما كنتم ايانا تعبدون انما كنتم تعبدون
الشياطين حيث امروكم ان تتخذوا لله اندادا فاطعتموهم فكفى بالله شهيدا بيننا وبينكم ان كنا عن

عبادتكم لغافلين ان هي المخففة من الثقيلة واللام هي الفارقة بينها وبين النافية وهم الملائكة
والمسيح ومن عبدوه من دون الله من اولي العقل وقيل الاصنام ينطقها الله عز وجل فتشافههم
بذلك مكان الشفاعة التي زعموها وعلقوا بها اطماعهم هنالك تبلو كل نفس ما اسلفت
وردوا الى الله موليهم الحق وضل عنهم ما كانوا يفترون هنالك في ذلك المقام وفي ذلك
الموقف او في ذلك الوقت على استعارة اسم المكان للزمان تبلو كل نفس تختبر وتذوق ما اسلفت
من العمل فتعرف كيف هو اقبيح ام حسن انافع ام ضار ام مقبول ام مردود كما يختبر الرجل الشيء ويتعرفه
ليكتنه حاله ومنه قوله تعالى يوم تبلى السرائر وعن عاصم نبلو كل نفس بالنون ونصب كل اي نختبرها
باختبار ما اسلفت من العمل فنعرف حالها بمعرفة حال عملها ان كان حسنا فهي سعيدة وان كان سيئا
فهي شقية والمعنى نفعل بها فعل الخابر كقوله تعالى ليبلوكم ايكم احسن عملا ويجوز ان يراد نصيب
بالبلاء وهو العذاب كل نفس عاصية بسبب ما اسلفت من الشر وقرئ تتلو اي تتبع ما اسلفت
لان عمله هو الذي يهديه الى طريق الجنة او الى طريق النار او تقرأ في صحيفتها ما قدمت من خير او شر
موليهم الحق ربهم الصادق ربوبيته لانهم كانوا يتولون ما ليس لربوبيته حقيقة او الذي يتولى حسابهم
وثوابهم العدل الذي لا يظلم احدا وقرئ الحق بالفتح على تاكيد قوله تعالى ردوا الى الله كقولك
هذا عبد الله الحق لا الباطل او على المدح كقولك الحمد لله اهل الحمد وضل عنهم ما كانوا يفترون
وضاع عنهم ما كانوا يدعون انهم شركاء الله او بطل عنهم ما كانوا يختلقون من الكذب وشفاعة الالهة
قل من يرزقكم من السماء والارض امن يملك السمع والابصار ومن يخرج الحي من الميت ويخرج
الميت من الحي ومن يدبر الامر فسيقولون الله فقل افلا تتقون من السماء والارض اي يرزقكم
منهما جميعا لم يقتصر برزقكم على جهة واحدة ليفيض عليكم نعمته ويوسع رحمته من يملك السمع والابصار
من يستطيع خلقهما وتسويتهما على الحد الذي سويا عليه من الفطرة العجيبة او من يحميهما ويحصنهما
من الآفات مع كثرتها في المدد الطوال وهما لطيفان يؤذيهما ادنى شيء بكلاءته وحفظه ومن يدبر
الامر ومن يلي تدبير امر العالم كله جاء بالعموم بعد الخصوص افلا تتقون افلا تقون انفسكم ولا
تحذرون عليها عقابه فيما انتم بصدده من الضلال فذلكم الله ربكم الحق فماذا بعد الحق
الا الضلال فانى تصرفون فذلكم اشارة الى من هذه قدرته وافعاله ربكم الحق
الثابت ربوبيته ثباتا لا ريب فيه لمن حقق النظر فماذا بعد الحق الا الضلال يعني ان الحق
والضلال لا واسطة بينهما فمن تخطى الحق وقع في الضلال فانى تصرفون عن الحق الى الضلال
وعن التوحيد الى الشرك وعن السعادة الى الشقاء كذلك حقت كلمت ربك على الذين فسقوا
انهم لا يؤمنون كذلك مثل ذلك الحق حقت كلمة ربك اي كما حق وثبت ان الحق بعده الضلال
او كما حق انهم مصروفون عن الحق فكذلك حقت كلمة ربك على الذين فسقوا اي تمردوا في كفرهم
وخرجوا الى الحد الاقصى فيه وانهم لا يؤمنون بدل من الكلمة اي حق عليهم انتفاء الايمان وعلم الله
منهم ذلك او حق عليهم كلمة الله ان انهم من اهل الخذلان وان ايمانهم غير كائن او اراد بالكلمة العدة
بالعذاب وانهم لا يؤمنون تعليل بمعنى لانهم لا يؤمنون قل هل من شركائكم من يبدأ الخلق ثم
يعيده قل الله يبدأ الخلق ثم يعيده فانى تؤفكون فان قلت كيف قيل لهم هل من
شركائكم من يبدأ الخلق ثم يعيده وهم غير معترفين بالاعادة قلت وضعت اعادة الخلق

للظهور

لظهور برهانها موضع ما ان دفعه دافع كان مكابرا رادا للظاهر البين الذي لا مدخل للشبهة فيه دلالة على
انهم في انكارهم لها منكرون امرا مسلما معترفا بصحته عند العقلاء وقال لنبيه قل الله يبدأ الخلق ثم يعيده
فامره بان ينوب عنهم في الجواب يعني انه لا يدعهم لجاجهم ومكابرتهم ان ينطقوا بكلمة الحق فكلم عنهم قل
هل من شركائكم من يهدي الى الحق قل الله يهدي للحق افمن يهدي الى الحق احق ان يتبع
امن لا يهدي الا ان يهدى فما لكم كيف تحكمون يقال هداه للحق والى الحق فجمع بين اللغتين
ويقال هدى بنفسه بمعنى اهتدى كما يقال شرى بمعنى اشترى ومنه قوله تعالى امن لا يهدي
وقرئ لا يهدي بفتح الهاء وكسرها مع تشديد الدال والاصل يهتدي فادغم وفتحت الهاء
بحركة التاء او كسرت لالتقاء الساكنين وقد كسرت الياء لاتباع ما بعدها وقرئ الا ان يهدى
من هداه وهداه للمبالغة ومنه قولهم تهدى ومعناه ان الله وحده هو الذي يهدي للحق بما ركب
في المكلفين من العقول واعطاهم من التمكين للنظر في الادلة التي نصبها لهم وبما لطف بهم ووفقهم والهمهم
واخطر ببالهم ووقفهم على الشرائع فهل من شركائكم الذين جعلتم انداد الله احد من اشرفهم كالملائكة
والمسيح وعزير يهدي الى الحق مثل هداية الله تعالى ثم قال افمن يهدي الى الحق هذه الهداية احق بالاتباع
ام الذي لا يهدي اي لا يهتدي بنفسه او لا يهدي غيره الا ان يهديه الله وقيل معناه امن لا يهتدي
من الاوثان الى مكان فينتقل اليه الا ان يهدى الا ان ينقل او لا يهتدي ولا يصح منه الاهتداء الا ان
ينقله الله من حاله الى ان يجعله حيوانا مكلفا فيهديه فما لكم كيف تحكمون بالباطل حيث تزعمون انهم
انداد لله وما يتبع اكثرهم الا ظنا ان الظن لا يغني من الحق شيئا ان الله عليم بما يفعلون
وما يتبع اكثرهم في اقرارهم بالله الا ظنا لانه قول غير مستند الى برهان عندهم ان الظن في معرفة الله لا
يغني من الحق وهو العلم شيئا وقيل وما يتبع اكثرهم في قولهم للاصنام انها الهة وانها شفعاء عند الله
الا الظن والمراد بالاكثر الجميع ان الله عليم وعيد على ما يفعلون من اتباع الظن وتقليد الآباء وقرئ
تفعلون بالتاء وما كان هذا القرآن ان يفترى من دون الله ولكن تصديق الذي بين يديه
وتفصيل الكتاب لا ريب فيه من رب العالمين وما كان هذا القرآن افتراء من دون الله ولكن كان
تصديق الذي بين يديه وهو ما تقدمه من الكتب المنزلة لانه معجز دونها فهو عيار عليها وشاهد لصحتها
كقوله تعالى هو الحق مصدقا لما بين يديه وقرئ ولكن تصديق الذي بين يديه وتفصيل الكتاب
على ولكن هو تصديق وتفصيل ومعنى وما كان ان يفترى وما صح وما استقام وكان محالا ان يكون
مثله في علو امره واعجازه مفترى وتفصيل الكتاب وتبيين ما كتب وفرض من الاحكام والشرائع من قوله
تعالى كتاب الله عليكم فان قلت بم اتصل قوله تعالى لا ريب فيه من رب العالمين هو
داخل في حيز الاستدراك كانه قال ولكن كان تصديقا وتفصيلا منتفيا عنه الريب كائنا من رب
العالمين ويجوز ان يراد ولكن كان تصديقا من رب العالمين وتفصيلا منه لا ريب فيه فيكون من رب
العالمين متعلقا بتصديق وتفصيل ويكون لا ريب فيه اعتراضا كما تقول زيد لا شك فيه كريم ام يقولون
افتراه قل فاتوا بسورة مثله وادعوا من استطعتم من دون الله ان كنتم صادقين ام
يقولون افتراه بل ايقولون اختلقه على ان الهمزة تقرير لالزام الحجة عليهم او انكار لقولهم واستبعاد
والمعنى ان نسبتموه الى الافتراء فانتم مثلي
العربية والفصاحة ومعنى بسورة مثله اي شبيهة به في البلاغة وحسن النظم وقرئ بسورة مثله

على الاضافة اى بسورة كتاب مثله وادعوا من دون الله ان استطعتم من خلقه للاستعانة به على الاتيان بمثله يعنى ان الله وحده هو القادر على ان ياتى بمثله لا يقدر على ذلك احد غيره فلا تستعينوا وحده ثم استعينوا بكل من دونه ان كنتم صادقين انه افتراه بل كذبوا بما لم يحيطوا بعلمه ولما ياتهم تاويله كذلك كذب الذين من قبلهم فانظر كيف كان عاقبة الظالمين بل كذبوا بل سارعوا الى التكذيب بالقرآن وفاجاؤه فى بديهة السماع قبل ان يفقهوه ويعلموا كنه امره وقبل ان يتدبروه ويقفوا على تاويله ومعانيه وذلك لفرط نفورهم عما يخالف دينهم وشرادهم عن مفارقة دين ابائهم كالناشئ على التقليد من الحشوية اذا احس بكلمة لا توافق ما نشأ عليه والفه وان كانت اضوء من الشمس فى ظهور الصحة وبيان الاستقامة انكرها فى اول وهلة واشمأز منها قبل ان يحس ادراكها بحاسة سمعه من غير فكر فى صحة او فساد لانه لم يشعر قلبه الا صحة مذهبه وفساد ما عداه من المذاهب **فان قلت** ما معنى التوقع فى قوله ولما ياتهم تاويله معناه انهم كذبوا به على البديهة قبل التدبر ومعرفة التاويل تقليدا للاباء وكذبوه بعد التدبر تمردا وعنادا فذمهم بالتسرع الى التكذيب قبل العلم به وجاء بكلمة التوقع ليؤذن انهم علموا بعد علو شانه واعجازه لما كرر عليهم التحدى وذاقوا قواهم فى المعارضة واستيقنوا عجزهم عن مثله فكذبوا به بغيا وحسدا كذلك اى مثل ذلك التكذيب كذب الذين من قبلهم يعنى قبل النظر فى معجزات الانبياء وقبل تدبرها من غير انصاف من انفسهم ولكن قلدوا الاباء وعاندوا وقيل هو فى الذين كذبوا وهم شاكون ويجوز ان يكون معنى ولما ياتهم تاويله ولم ياتهم بعد تاويل ما فيه من الاخبار بالغيوب اى عاقبته حتى يتبين لهم اهو كذب ام صدق يعنى انه كتاب معجز من جهتين من جهة اعجاز نظمه ومن جهة ما فيه من الاخبار بالغيوب فتسرعوا الى التكذيب به قبل ان ينظروا فى نظمه وبلوغه حد الاعجاز وقبل ان يخبروا اخباره بالمغيبات وصدقه وكذبه ومنهم من يؤمن به ومنهم من لا يؤمن به وربك اعلم بالمفسدين ومنهم من يؤمن به يصدق به فى نفسه ويعلم انه حق ولكنه يعاند بالتكذيب ومنهم من يشك فيه لا يصدق به او يكون للاستقبال اى ومنهم من سيؤمن به ومنهم من سيصر وربك اعلم بالمعاندين او المصرين وان كذبوك فقل لى عملى ولكم عملكم انتم بريئون مما اعمل وانا برىء مما تعملون وان كذبوك وان تموا على تكذيبك ويئست من اجابتهم فتبرأ منهم وخلهم فقد اعذرت **كقوله تعالى** فان عصوك فقل انى برىء وقيل هى منسوخة باية السيف ومنهم من يستمعون اليك افانت تسمع الصم ولو كانوا لا يعقلون ومنهم من ينظر اليك افانت تهدى العمى ولو كانوا لا يبصرون ومنهم من يستمعون اليك معناه ومنهم ناس يستمعون اليك اذا قرأت القرآن وعلمت الشرائع ولكنهم لا يعون ولا يقبلون وناس ينظرون اليك ويعاينون ادلة الصدق واعلام النبوة ولكنهم لا يصدقون ثم قال اتطمع انك تقدر على اسماع الصم ولو انضم الى صممهم عدم عقولهم لان الاصم العاقل ربما تفرس واستدل اذا وقع فى صماخه دوى الصوت فاذا اجتمع سلب السمع والعقل جميعا فقد تم الامر وتحسب انك تقدر على هداية العمى ولو انضم الى العمى وهو فقد البصر فقد البصيرة لان الاعمى الذى له فى قلبه بصيرة قد يحدس ويتظنن واما العمى مع الحمق فجهد البلاء يعنى انهم فى الياس من ان يقبلوا ويصدقوا كالصم والعمى الذين لا عقول لهم ولا بصائر وقوله افانت دلالة على انه لا يقدر على اسماعهم وهدايتهم الا الله عز وجل بالقسر والالجاء كما لا يقدر على رد الاصم والاعمى المسلوبى العقل حديدى

السمع والبصر راجحى العقل الا هو وحده ان الله لا يظلم الناس شيئا ولكن الناس انفسهم يظلمون ان الله لا يظلم الناس شيئا اى لا ينقصهم شيئا مما يتصل بمصالحهم من بعثة الرسل وانزال الكتب ولكنهم يظلمون انفسهم بالكفر والتكذيب ويجوز ان يكون وعيدا للمكذبين يعنى ان ما يلحقهم يوم القيمة من العذاب لاحق بهم على سبيل العدل والاستيجاب ولا يظلمهم الله به ولكنهم ظلموا انفسهم باقتراف ما كان سببا فيه ويوم يحشرهم كان لم يلبثوا الا ساعة من النهار يتعارفون بينهم قد خسر الذين كذبوا بلقاء الله وما كانوا مهتدين الا ساعة من النهار يستقربون وقت لبثهم فى الدنيا وقيل فى القبور لهول ما يرون يتعارفون بينهم يعرف بعضهم بعضا كانهم لم يتعارفوا الا قليلا وذلك عند خروجهم من القبور ثم ينقطع التعارف بينهم لشدة الامر عليهم **فان قلت** كان لم يلبثوا ويتعارفون كيف موقعهما اما الاولى فحال منهم اى يحشرهم مشبهين بمن لم يلبث الا ساعة واما الثانية فاما ان يتعلق بالظرف واما ان تكون مبينة لقوله تعالى كان لم يلبثوا الا ساعة لان التعارف لا يبقى مع طول العهد وينقلب تناكرا قد خسر على ارادة القول اى يتعارفون بينهم قائلين ذلك او هى شهادة من الله تعالى على خسرانهم والمعنى انهم وضعوا فى تجارتهم وبيعهم الايمان بالكفر وما كانوا مهتدين للتجارة عارفين بها وهو استيناف فيه معنى التعجب كانه قيل ما اخسرهم واما نرينك بعض الذى نعدهم او نتوفينك فالينا مرجعهم ثم الله شهيد على ما يفعلون فالينا مرجعهم جواب نتوفينك وجواب نرينك محذوف كانه قيل واما نرينك بعض الذى نعدهم فى الدنيا فذاك او نتوفينك قبل ان نريكه فنحن نريكه فى الاخرة **فان قلت** الله شهيد على ما يفعلون فى الدارين فما معنى ثم ذكرت الشهادة والمراد مقتضاها ونتيجتها وهو العقاب كانه قال ثم الله معاقب على ما يفعلون **وقرأ** ابن ابى عبلة ثم بالفتح اى هنالك ويجوز ان يراد ان الله مؤد شهادته على افعالهم يوم القيامة حين ينطق جلودهم والسنتهم وايديهم وارجلهم شاهدة عليهم ولكل امة رسول فاذا جاء رسولهم قضى بينهم بالقسط وهم لا يظلمون ولكل امة رسول يبعث اليهم لينبههم على التوحيد ويدعوهم الى دين الحق فاذا جاء رسولهم بالبينات فكذبوه ولم يتبعوه قضى بينهم اى بين النبى ومكذبيه بالقسط بالعدل فانجى الرسول وعذب المكذبون كقوله تعالى وما كنا معذبين حتى نبعث رسولا او ولكل امة من الامم يوم القيمة رسول تنسب اليه وتدعى به فاذا جاء رسولهم الموقف ليشهد عليهم بالكفر والايمان كقوله تعالى وجىء بالنبيين والشهداء ويقولون متى هذا الوعد ان كنتم صادقين قل لا املك لنفسى ضرا ولا نفعا الا ما شاء الله لكل امة اجل اذا جاء اجلهم فلا يستاخرون ساعة ولا يستقدمون متى هذا الوعد استعجال لما وعدوا من العذاب استبعادا له لا املك لنفسى ضرا من مرض او فقر ولا نفعا من صحة او غنى الا ما شاء الله استثناء منقطع اى ولكن ما شاء الله من ذلك كائن فكيف املك لكم الضرر وجلب العذاب لكل امة اجل يعنى ان عذابكم له اجل مضروب عند الله وحد محدود من الزمان اذا جاء ذلك الوقت انجز وعدكم لا محالة فلا تستعجلوا **وقرأ** ابن سيرين فاذا جاء اجالهم قل ارايتم ان اتاكم عذابه بياتا او نهارا ماذا يستعجل منه المجرمون بياتا نصب على الظرف بمعنى وقت بيات **فان قلت** هلا قيل ليلا او نهارا لانه اريد ان اتاكم عذابه وقت بيات فبيتكم وانتم ساهون نائمون لا تشعرون كما يبيت العدو المباغت والبيات بمعنى التبييت كالسلام بمعنى التسليم وكذلك قوله تعالى نهارا معناه فى وقت انتم فيه

يشتغلون بطلب المعاش والكسب ونحوه بياتاً وهم نائمون ضحى وهم يلعبون الضمير في منه للعذاب
والمعنى أن العذاب كله مكروه مر المذاق موجب للنفار فأي شيء يستعجلون منه وليس شيء منه يوجب
الاستعجال ويجوز أن يكون معناه التعجب كأنه قيل أي شيء هول شديد يستعجلون منه ويجب أن
يكون من للبيان في هذا الوجه وقيل الضمير في منه لله تعالى فإن قلت بم يتعلق الاستفهام
وأين جواب الشرط قلت تعلق بأرأيتم لأن المعنى أخبروني ماذا يستعجل منه المجرمون وجواب
الشرط محذوف وهو تندموا على الاستعجال أو تعرفوا الخطأ فيه فإن قلت فهلا قيل ماذا يستعجلون
منه قلت أريدت الدلالة على موجب ترك الاستعجال وهو الإجرام لأن من حق المجرم أن يخاف التعذيب
على إجرامه ويهلك فزعاً من مجيئه وإن أبطأ فضلاً أن يستعجله ويجوز أن يكون ماذا يستعجل منه المجرمون
جواباً للشرط كقولك إن أتيتك ماذا تطعمني ثم تتعلق الجملة بأرأيتم وأن يكون أثم إذا ما وقع آمنتم به
جواب الشرط وماذا يستعجل منه المجرمون اعتراضاً والمعنى إن أتاكم عذابه أثم إذا ما وقع آمنتم
به آلآن وقد كنتم به تستعجلون آمنتم به بعد وقوعه حين لا ينفعكم الإيمان ودخول حرف
الاستفهام على ثم كدخوله على الواو والفاء في قوله تعالى أفأمن أهل القرى أوأمن أهل القرى آلآن
على إرادة القول أي قيل لهم إذا آمنوا بعد وقوع العذاب آلآن آمنتم به وقد كنتم به تستعجلون يعني
وقد كنتم به تكذبون لأن استعجالكم كان على جهة التكذيب والإنكار وقرئ آلان بحذف
الهمزة التي بعد اللام وإلقاء حركتها على اللام ثم قيل للذين ظلموا ذوقوا عذاب الخلد هل تجزون
إلا بما كنتم تكسبون ثم قيل للذين ظلموا عطف على قيل المضمر قبل آلآن ويستنبئونك أحق
هو قل إي وربي إنه لحق وما أنتم بمعجزين ويستنبئونك ويستخبرونك فيقولون أحق هو وهو
استفهام على جهة الإنكار والاستهزاء وقرأ الأعمش آلحق هو وهو أدخل في الاستهزاء لتضمنه معنى
التعريض بأنه باطل وذلك أن اللام للجنس فكأنه قيل أهو الحق لا الباطل أو أهو الذي سميتموه الحق
والضمير للعذاب الموعود وإي بمعنى نعم في القسم خاصة كما كان هل بمعنى قد في الاستفهام خاصة
وسمعتهم يقولون في التصديق إيو فيصلونه بواو القسم ولا ينطقون به وحده وما أنتم بمعجزين
بفائتين العذاب وهو لاحق بكم لا محالة ولو أن لكل نفس ظلمت ما في الأرض لافتدت به
وأسروا الندامة لما رأوا العذاب وقضي بينهم بالقسط وهم لا يظلمون ألا إن لله
ما في السموات والأرض ألا إن وعد الله حق ولكن أكثرهم لا يعلمون هو يحيي ويميت
وإليه ترجعون ظلمت صفة لنفس على ولو أن لكل نفس ظالمة ما في الأرض أي ما في الدنيا اليوم
من خزائنها وأموالها وجميع منافعها على كثرتها لافتدت به لجعلته فدية لها يقال فداه فافتدى
ويقال افتداه أيضاً بمعنى فداه وأسروا الندامة لما رأوا العذاب لأنهم بهتوا لرؤيتهم ما لم يحتسبوه
ولم يخطر ببالهم وعاينوا من شدة الأمر وتفاقمه ما سلبهم قواهم وبهرهم فلم يطيقوا عنده بكاء ولا
صراخاً ولا ما يفعله الجازع سوى إسرار الندم والحسرة في القلوب كما ترى المقدم للصلب يثخنه ما
دهمه من فظاعة الخطب ويغلب حتى لا ينبس بكلمة ويبقى جامداً مبهوتاً وقيل أسر رؤساؤهم الندامة
من سفلتهم الذين أضلوهم حياء منهم وخوفاً من توبيخهم وقيل أسروها أخلصوها إما لأن إخفاءها
إخلاصها وإما من قولهم سر الشيء لخالصه وفيه تهكم بهم وبإخطائهم وقت إخلاص الندامة وقيل
أسروا الندامة أظهروها من قولهم أسر الشيء وأشره إذا أظهره وليس هنالك تجلد وقضي

بينهم أي بين الظالمين والمظلومين دل على ذلك ذكر الظلم ثم أتبع ذلك الإعلام بأن له الملك كله وأنه المثيب
والمعاقب وما وعده من الثواب والعقاب فهو حق وهو القادر على الإحياء والإماتة لا يقدر عليهما
غيره وإلى حسابه وجزائه المرجع ليعلم أن الأمر كذلك فيخاف ويرجى ولا يغتر به المغترون يا أيها الناس
قد جاءتكم موعظة من ربكم وشفاء لما في الصدور وهدى ورحمة للمؤمنين قد جاءتكم
موعظة أي قد جاءكم كتاب جامع لهذه الفوائد من موعظة وتنبيه على التوحيد وهو شفاء أي دواء لما في
صدوركم من العقائد الفاسدة ودعاء إلى الحق ورحمة لمن آمن منكم قل بفضل الله وبرحمته فبذلك
فليفرحوا هو خير مما يجمعون أصل الكلام بفضل الله وبرحمته فليفرحوا فبذلك فليفرحوا
والتكرير للتأكيد والتقرير وإيجاب اختصاص الفضل والرحمة بالفرح دون ما عداهما من فوائد الدنيا
فحذف أحد الفعلين لدلالة المذكور عليه والفاء داخلة لمعنى الشرط كأنه قيل إن فرحوا بشيء فليخصوهما
بالفرح فإنه لا مفروح به أحق منهما ويجوز أن يراد بفضل الله وبرحمته فليعتنوا فبذلك فليفرحوا
ويجوز أن يراد قد جاءتكم موعظة بفضل الله وبرحمته فبذلك فبمجيئها فليفرحوا وقرئ فلتفرحوا
بالتاء وهو الأصل والقياس وهي قراءة رسول الله صلى الله عليه وسلم فيما روي وعنه لتأخذوا مصا فكم
قالها في بعض الغزوات وفي قراءة أبي فافرحوا هو راجع إلى ذلك وقرئ مما تجمعون بالياء والتاء
وعن أبي بن كعب رضي الله عنه أن رسول الله صلى الله عليه وسلم تلا قل بفضل الله وبرحمته فقال بكتاب
الله والإسلام وقيل فضله الإسلام ورحمته ما وعد عليه قل أرأيتم ما أنزل الله لكم من رزق فجعلتم
منه حراماً وحلالاً قل آلله أذن لكم أم على الله تفترون أرأيتم أخبروني وما أنزل الله ما
في موضع النصب بأنزل أو بأرأيتم في معنى أخبرونيه فجعلتم منه حراماً وحلالاً أي أنزله الله رزقاً حلالاً
كله فبعضتموه وقلتم هذا حلال وهذا حرام كقولهم هذه أنعام وحرث حجر ما في بطون هذه الأنعام خالصة
لذكورنا ومحرم على أزواجنا آلله أذن لكم متعلق بأرأيتم وقل تكرير للتوكيد والمعنى أخبروني آلله أذن
لكم في التحليل والتحريم فأنتم تفعلون ذلك بإذنه أم تتكذبون على الله في نسبة ذلك إليه ويجوز
أن تكون الهمزة للإنكار وأم منقطعة بمعنى بل أتفترون على الله تقريراً للافتراء وكفى بهذه الآية زاجرة
زجراً بليغاً عن التجوز فيما يسأل عنه من الأحكام وباعثة على وجوب الاحتياط فيه وأن لا يقول أحد في
شيء جائز أو غير جائز إلا بعد إيقان وإتقان ومن لم يوقن فليتق الله وليصمت وإلا فهو مفتر على الله
وما ظن الذين يفترون على الله الكذب يوم القيامة إن الله لذو فضل على الناس ولكن
أكثرهم لا يشكرون يوم القيامة منصوب بالظن وهو ظن واقع فيه يعني أي شيء ظن المفترين
في ذلك اليوم ما يصنع بهم فيه وهو يوم الجزاء بالإحسان والإساءة وهو وعيد عظيم حيث أبهم أمره وقرأ
عيسى بن عمر وما ظن على لفظ الفعل ومعناه وأي ظن ظنوا يوم القيامة وجيء به على لفظ الماضي لأنه كائن
ندمه فكأن قد كان إن الله لذو فضل على الناس حيث أنعم عليهم بالعقل ورحمهم بالوحي وتعليم الحلال والحرام
ولكن أكثرهم لا يشكرون هذه النعمة ولا يتبعون ما هدوا إليه وما تكون في شأن وما تتلو
منه من قرآن ولا تعملون من عمل إلا كنا عليكم شهوداً إذ تفيضون فيه وما يعزب عن
ربك من مثقال ذرة في الأرض ولا في السماء ولا أصغر من ذلك ولا أكبر إلا في كتاب
مبين وما تكون في شأن ما نافية والخطاب لرسول الله عليه السلام والشأن الأمر وأصله الهمز
بمعنى القصد من شأنت شأنه إذا قصدت قصده والضمير في منه للشأن لأن تلاوة القرآن شأن من

شأن رسول الله صلى الله عليه وسلم بل هو معظم شأنه او للتنزيل كأنه قيل وما تتلو من التنزيل من قرآن
لان كل جزء منه قرآن والاضمار قبل الذكر تعظيم له او لله عز وجل ولا تعملون انتم جميعا من عمل اي عمل
كان الا كنا عليكم شهودا شاهدين رقباء مطلعين عليكم اذ تفيضون فيه من افاض في الامر اذا اندفع
فيه وما يعزب قرئ بالضم والكسر وما يبعد وما يغيب ومنه الروض العازب ولا اصغر من
ذلك ولا اكبر القراءة بالنصب والرفع والوجه النصب على نفي الجنس والرفع على الابتداء ليكون كلاما
برأسه وفي العطف على محل من مثقال ذرة او على لفظ مثقال ذرة فتحا في موضع الجر لامتناع الصرف
اشكال لان قولك لا يعزب عنه شيء الا في كتاب مشكل فان قلت لم قدمت الارض على السماء بخلاف
قوله في سورة سبأ عالم الغيب لا يعزب عنه مثقال ذرة في السموات ولا في الارض حق السما
ان تقدم على الارض ولكنه لما ذكر شهادته على شؤون اهل الارض واحوالهم واعمالهم ووصل بذلك
قوله لا يعزب عنه لاءم ذلك ان قدم الارض على السماء على ان العطف بالواو حكمه حكم التثنية الا ان
اولياء الله لا خوف عليهم ولا هم يحزنون اولياء الله الذين يتولونه بالطاعة ويتولاهم بالكرامة
وقد فسر ذلك في قوله تعالى الذين آمنوا وكانوا يتقون فهو توليهم اياه لهم البشرى في الحيوة الدنيا وفي
الآخرة فهو توليه اياهم وعن سعيد بن جبير رضي الله عنه ان رسول الله صلى الله عليه وسلم سئل من
اولياء الله فقال هم الذين يذكر الله برؤيتهم يعني السمت والهيئة وعن ابن عباس رضي الله عنهما الاخبات
والسكينة وقيل هم المتحابون في الله وعن عمر رضي الله عنه سمعت النبي صلى الله عليه وسلم يقول ان
من عباد الله عبادا ما هم بانبياء ولا شهداء يغبطهم الانبياء والشهداء يوم القيامة لمكانهم من الله قالوا
يا رسول الله اخبرنا من هم وما اعمالهم فلعلنا نحبهم قال هم قوم تحابوا في الله على غير ارحام بينهم ولا اموال
يتعاطونها فوالله ان وجوههم لنور وانهم لعلى منابر من نور لا يخافون اذا خاف الناس ولا يحزنون
اذا حزن الناس ثم قرأ الآية الذين آمنوا وكانوا يتقون لهم البشرى في الحيوة الدنيا
وفي الآخرة لا تبديل لكلمات الله ذلك هو الفوز العظيم الذين آمنوا نصب او رفع
على المدح او على وصف الاولياء او على الابتداء والخبر لهم البشرى والبشرى في الدنيا ما بشر الله
به المؤمنين المتقين في غير مكان من كتابه وعن النبي صلى الله عليه وسلم هي الرؤيا الصالحة يراها المسلم
او ترى له وعنه عليه السلام ذهبت النبوة وبقيت المبشرات وقيل محبة الناس له والذكر الحسن
وعن ابي ذر رضي الله عنه قلت لرسول الله صلى الله عليه وسلم الرجل يعمل العمل لله ويحبه الناس فقال
تلك عاجل بشرى المؤمن وعن عطاء لهم البشرى عند الموت تأتيهم الملائكة بالرحمة قال الله
تعالى تتنزل عليهم الملائكة الا تخافوا ولا تحزنوا وابشروا بالجنة واما البشرى في الآخرة فتلقي
الملائكة اياهم مسلمين مبشرين بالفوز والكرامة وما يرون من بياض وجوههم واعطاء الصحائف
بايمانهم وما يقرؤون منها وغير ذلك من البشارات لا تبديل لكلمات الله لا تغيير لاقواله ولا
اخلاف لمواعيده كقوله تعالى ما يبدل القول لدي وذلك اشارة الى كونهم مبشرين في الدارين
وكلتا الجملتين اعتراض ولا يحزنك قولهم ان العزة لله جميعا هو السميع العليم ولا يحزنك
وقرئ ولا يحزنك من احزنه قولهم تكذيبهم لك وتهديدهم وتشاورهم في تدبير هلاكك وابطال
امرك وسائر ما يتكلمون به في شأنك ان العزة استئناف بمعنى التعليل كأنه قيل ما لي لا احزن
فقيل ان العزة لله جميعا يعني ان الغلبة والقهر في ملكة الله جميعا لا يملك احد شيئا منها لا هم

ولا

ولا غيرهم فهو يقهرهم ويغلبهم وينصرك عليهم كتب الله لاغلبن انا ورسلي انا لننصر رسلنا وقرأ ابو حيوة ان
العزة بالفتح بمعنى لان العزة على صريح التعليل ومن جعله بدلا من قولهم ثم انكره فالمنكر هو تخريجه
لا ما انكره من القراءة به هو السميع العليم يسمع ما يقولون ويعلم ما يدبرون ويعزمون عليه وهو
مكافيهم بذلك الا ان لله من في السموات ومن في الارض وما يتبع الذين يدعون من دون
الله شركاء ان يتبعون الا الظن وان هم الا يخرصون من في السموات ومن في الارض
يعني العقلاء المميزين وهم الملائكة والثقلان وانما خصهم ليؤذن ان هؤلاء اذا كانوا له وفي ملكه
فهم عبيد كلهم وهو سبحانه وتعالى ربهم ولا يصلح احد منهم للربوبية ولا ان يكون شريكا له فيها
فما وراءهم مما لا يعقل احق ان لا يكون له ندا وشريكا وليدل على ان من اتخذ غيره ربا من ملك او
انسي فضلا عن صنم او غيره فهو مبطل تابع لما ادى اليه التقليد وترك النظر ومعنى وما
يتبعون شركاء اي وما يتبعون حقيقة الشركاء وان كانوا يسمونها شركاء لان شركة الله في الربوبية
محال ان يتبعون الا ظنهم انهم شركاء وان هم الا يخرصون يحزرون ويقدرون انها تكون شركاء الذي
تقديرا باطلا ويجوز ان يكون وما يتبع في معنى الاستفهام يعني واي شيء يتبعون وشركاء على
هذا يدعون وعلى الاول يتبع وكان حقه وما يتبع الذين يدعون من دون الله شركاء فاقتصر
على احدهما للدلالة ويجوز ان يكون ما موصولة معطوفة على من كأنه قيل ولله ما يتبعه الذين
يدعون من دون الله شركاء اي وله شركاؤهم وقرأ علي بن ابي طالب رضي الله عنه تدعون
بالتاء ووجهه ان يحمل وما يتبع على الاستفهام اي واي شيء يتبع الذين تدعونهم شركاء من
الملائكة والنبيين يعني انهم يتبعون الله ويطيعونه فما لكم لا تفعلون مثل فعلهم كقوله تعالى
اولئك الذين يدعون يبتغون الى ربهم الوسيلة ثم صرف الكلام عن الخطاب الى الغيبة فقال
ان يتبع هؤلاء المشركون الا الظن ولا يتبعون ما تتبعه الملائكة والنبيون من الحق هو الذي
جعل لكم الليل لتسكنوا فيه والنهار مبصرا ان في ذلك لآيات لقوم يسمعون
تنبيه على عظيم قدرته ونعمته الشاملة لعباده التي يستحق بها ان يوحدوه بالعبادة بان جعل لهم
الليل مظلما ليسكنوا فيه مما يقاسون في نهارهم من تعب التردد في المعاش والنهار مضيئا يبصرون
فيه مطالب ارزاقهم ومكاسبهم لقوم يسمعون سماع معتبر مدكر قالوا اتخذ الله ولدا سبحانه
هو الغني له ما في السموات وما في الارض ان عندكم من سلطان بهذا اتقولون على الله
ما لا تعلمون سبحانه تنزيه له عن اتخاذ الولد وتعجب من كلمتهم الحمقاء هو الغني علة لنفي الولد لان
ما يطلب به الولد من يلد وما يطلبه له السبب في كله الحاجة فمن الحاجة منتفية عنه كان الولد
عنه منتفيا له ما في السموات وما في الارض فهو مستغن بملكه لهم عن اتخاذ احد منهم ولدا ان عندكم
من سلطان بهذا ما عندكم من حجة بهذا القول والباء متعلقة ان تعلق بقوله تعالى ان عندكم على ان
يجعل القول مكانا للسلطان كقولك ما عندكم بارضكم موز كأنه قيل ان عندكم فيما تقولون سلطان
اتقولون على الله ما لا تعلمون لما نفى عنهم البرهان جعلهم غير عالمين فدل على ان كل قول لا برهان
عليه لقائله فذاك جهل وليس بعلم قل ان الذين يفترون على الله الكذب لا يفلحون متاع
في الدنيا ثم الينا مرجعهم ثم نذيقهم العذاب الشديد بما كانوا يكفرون يفترون
على الله الكذب باضافة الولد اليه متاع في الدنيا اي افتراؤهم هذا منفعة قليلة في الدنيا وذلك

حيث يغمون رياستهم في الكفر ومناصبتهم النبي عليه السلام بالتظاهر به ثم يلقون الشقاء المؤبد بعد
واتل عليهم نبأ نوح إذ قال لقومه يا قوم إن كان كبر عليكم مقامي وتذكيري بآيات
الله فعلى الله توكلت فأجمعوا أمركم وشركاءكم ثم لا يكن أمركم عليكم غمة ثم اقضوا
إلي ولا تنظرون كبر عليكم عظم عليكم وشق وثقل ومنه قوله تعالى وإنها لكبيرة إلا على الخاشعين
ويقال تعاظمه الأمر مقامي مكاني يعني نفسه كما تقول فعلت كذا لمكان فلان وفلان ثقيل الظل
ومنه ولمن خاف مقام ربه يعني خاف ربه أو قيامي ومكثي بين أظهركم مدة طويلة ألف سنة إلا
خمسين عاما أو مقامي وتذكيري لأنهم كانوا إذا وعظوا الجماعة قاموا على أرجلهم يعظونهم ليكون مكانهم
بينا وكلامهم مسموعا كما يحكى عن عيسى صلوات الله عليه أنه كان يعظ الحواريين قائما وهم قعود فأجمعوا
أمركم وشركاءكم من أجمع الأمر وأزمعه إذا نواه وعزم عليه قال هل أغدون يوما وأمري مجمع
والواو بمعنى مع يعني فأجمعوا أمركم مع شركائكم وقرأ الحسن وشركاؤكم بالرفع عطفا على الضمير
المتصل وجاز من غير تأكيد بالمنفصل لقيام الفاصل مقامه لطول الكلام كما تقول اضرب زيدا وعمرو
وقرئ فاجمعوا من الجمع وشركاءكم نصب للعطف على المفعول أو لأن الواو بمعنى مع وفي قراءة أبي فاجمعوا
أمركم وادعوا شركاءكم فإن قلت كيف جاز إسناد الإجماع إلى الشركاء على وجه
التهكم كقوله تعالى قل ادعوا شركاءكم ثم كيدون فإن قلت ما معنى الأمرين أمرهم الذي
يجمعونه وأمرهم الذي لا يكون عليهم غمة أما الأمر الأول فالقصد إلى إهلاكه يعني فأجمعوا
ما تريدون من إهلاكي واحتشدوا فيه وابذلوا وسعكم في كيدي وإنما قال ذلك إظهارا لقلة مبالاته
وثقته بما وعده ربه من كلاءته وعصمته وأنهم لن يجدوا إليه سبيلا وأما الثاني ففيه وجهان أحدهما
أن يراد مصاحبتهم له وما كانوا فيه معه من الحال الشديدة عليهم المكروهة عندهم يعني ثم أهلكوني
لئلا يكون عيشكم بسببي غصة وحالكم عليكم غمة أي غما وهما والغم والغمة كالكرب والكربة والثاني
أن يراد به ما أريد بالأمر الأول والغمة السترة من غمه إذا ستره ومنها قوله صلى الله عليه وسلم ولا غمة
في فرائض الله أي ولا تستر ولكن تجاهروا بها يعني ولا يكن قصدكم إلى إهلاكي مستورا عليكم ولكن مكشوفا
مشهورا تجاهرونني به ثم اقضوا إلي ذلك الأمر الذي تريدون بي أي أدوا إلي قطعه وتصححه كقوله
تعالى وقضينا إليه ذلك الأمر أي أدوا إلي ما هو حق عليكم عندكم من إهلاكي كما يقضي الرجل غريمه ولا
تنظرون ولا تمهلون وقرئ ثم أفضوا إلي بالفاء بمعنى ثم انتهوا إلي بشركم وقيل هو من أفضى الرجل
إذا خرج إلى الفضاء أي أصحروا به إلي وأبرزوه لي فإن توليتم فما سألتكم من أجر إن أجري إلا على الله
وأمرت أن أكون من المسلمين فإن توليتم فإن أعرضتم عن تذكيري ونصحي فما سألتكم من أجر فما كان
عندي ما ينفركم عني وتتهموني لأجله من طمع في أموالكم وطلب أجر على عظتكم إن أجري إلا على الله وهو
الثواب الذي يثيبني به في الآخرة أي ما نصحتكم إلا لوجه الله لا لغرض من أغراض الدنيا وأمرت
أن أكون من المسلمين الذين لا يأخذون على تعليم الدين شيئا ولا يطلبون به دنيا يريد أن ذلك مقتضى
الإسلام والذي كل مسلم مأمور به والمراد أن يجعل الحجة لازمة لهم ويبرئ ساحته فذكر أن توليهم
لم يكن من تفريط منه في سوق الأمر معهم على الطريق الذي يجب أن يساق عليه وإنما ذلك لعنادهم
وتمردهم لا غير فكذبوه فنجيناه ومن معه في الفلك وجعلناهم خلائف وأغرقنا الذين كذبوا
بآياتنا فانظر كيف كان عاقبة المنذرين فكذبوه فتموا على تكذيبه وكان تكذيبهم له في آخر

المدة المتطاولة كتكذيبهم في أولها وذلك عند مشارفة الهلاك بالطوفان وجعلناهم خلائف
يخلفون الهالكين بالغرق وكيف كان عاقبة المنذرين تعظيم لما جرى عليهم وتحذير لمن أنذرهم رسول
الله من مثله وتسلية له ثم بعثنا من بعده رسلا إلى قومهم فجاءوهم بالبينات فما كانوا ليؤمنوا
بما كذبوا به من قبل كذلك نطبع على قلوب المعتدين من بعده من بعد نوح رسلا إلى قومهم
يعني هودا وصالحا وإبراهيم ولوطا وشعيبا فجاءوهم بالبينات بالحجج الواضحة المثبتة لدعواهم
فما كانوا ليؤمنوا فما كان إيمانهم إلا ممتنعا كالمحال لشدة شكيمتهم في الكفر وتصميمهم عليه بما كذبوا
به من قبل يريد أنهم كانوا قبل بعثة الرسل أهل جاهلية مكذبين بالحق فما وقع فصل بين حالتيهم بعد بعثة
الرسل وقبلها كأن لم يبعث إليهم أحد كذلك نطبع مثل ذلك الطبع المحكم نطبع على قلوب المعتدين
والطبع جار مجرى الكناية عن عنادهم ولجاجهم لأن الخذلان يتبعه ألا ترى كيف أسند إليهم الاعتداء
ووصفهم به ثم بعثنا من بعدهم موسى وهارون إلى فرعون وملئه بآياتنا فاستكبروا
وكانوا قوما مجرمين من بعدهم من بعد الرسل بآياتنا بالآيات التسع فاستكبروا عن قبولها
وهو أعظم الكبر أن يتهاون العبيد برسالة ربهم بعد تبينها ويتعظموا عن تقبلها وكانوا قوما مجرمين
كفارا ذوي آثام عظام فلذلك استكبروا عنها واجترءوا على ردها فلما جاءهم الحق من عندنا قالوا إن
هذا لسحر مبين فلما جاءهم الحق من عندنا فلما عرفوا أنه الحق وأنه من عند الله لا من قبل موسى وهارون
قالوا لحبهم الشهوات إن هذا لسحر مبين وهم يعلمون أن الحق أبعد شيء من السحر الذي ليس إلا تمويها
وباطلا قال موسى أتقولون للحق لما جاءكم أسحر هذا ولا يفلح الساحرون فإن قلت هم قطعوا
بقولهم إن هذا لسحر مبين على أنه سحر فكيف قيل لهم أتقولون أسحر هذا فيه أوجه أن يكون
معنى قوله أتقولون للحق أتعيبونه وتطعنون فيه وكان عليكم أن تذعنوا له وتعظموه من قولهم فلان
يخاف القالة وبين الناس تقاول إذا قال بعضهم لبعض ما يسوءه ونحو القول الذكر في قوله تعالى
سمعنا فتى يذكرهم ثم قال أسحر هذا فأنكر ما قالوه في عيبه والطعن عليه وأن يحذف مفعول أتقولون
وهو ما دل عليه قولهم إن هذا لسحر مبين كأنه قيل أتقولون ما تقولون يعني قولهم إن هذا لسحر
مبين ثم قيل أسحر هذا وأن يكون جملة قوله أسحر هذا ولا يفلح الساحرون حكاية لكلامهم كأنهم قالوا
أجئتما بالسحر تطلبان به الفلاح ولا يفلح الساحرون كما قال موسى للسحرة ما جئتم به السحر إن الله سيبطله
قالوا أجئتنا لتلفتنا عما وجدنا عليه آباءنا وتكون لكما الكبرياء في الأرض وما نحن لكما بمؤمنين
وقال فرعون ائتوني بكل ساحر عليم فلما جاء السحرة قال لهم موسى ألقوا ما أنتم ملقون لتلفتنا
لتصرفنا واللفت والفتل أخوان ومطاوعهما الالتفات والانفتال عما وجدنا عليه آباءنا يعنون
عبادة الأصنام وتكون لكما الكبرياء أي الملك لأن الملوك موصوفون بالكبر ولذلك قيل للملك الجبار
ووصف بالصيد والشوس ولهذا وصف ابن الرقيات مصعبا في قوله
ملكه ملك رأفة ليس فيه … جبروت منه ولا كبرياء
يعني ما عليه الملوك من ذلك
ويجوز أن يقصدا ذمهما وأنهما إن ملكا أرض مصر تجبرا وتكبرا كما قال القبطي لموسى عليه السلام
إن تريد إلا أن تكون جبارا في الأرض وما نحن لكما بمؤمنين أي مصدقين لكما فيما جئتما به وقرئ
ويكون لكما الكبرياء بالياء فلما ألقوا قال موسى ما جئتم به السحر إن الله سيبطله إن الله
لا يصلح عمل المفسدين ويحق الله الحق بكلماته ولو كره المجرمون ما جئتم به ما موصولة

واقعة مبتدأ والسحر خبر اي الذي جئتم به هو السحر لا الذي سماه فرعون وقومه سحرا من آيات الله وقرئ آلسحر على الاستفهام فعلى هذه القراءة ما استفهامية اي اي شيء جئتم به اهو السحر وقرأ عبد الله ما جئتم به سحر وقرأ ابي ما اتيتم به سحر والمعنى لا ما اتيت به ان الله سيبطله سيمحقه او يظهر بطلانه باظهار المعجزة على الشعوذة لا يصلح عمل المفسدين لا يثبته ولا يديمه ولكن يسلط عليه الدمار ويحق الله الحق ويثبته بكلماته باوامره وقضاياه وقرئ بكلمته بامره ومشيئته فما آمن لموسى الا ذرية من قومه على خوف من فرعون وملئهم ان يفتنهم وان فرعون لعال في الارض وانه لمن المسرفين فما آمن لموسى في اول امره الا ذرية من قومه الا طائفة من ذراري بني اسرائيل كانه قيل الا اولاد من اولاد قومه وذلك انه دعا الآباء فلم يجيبوه خوفا من فرعون واجابته طائفة من ابنائهم مع الخوف وقيل الضمير في قومه لفرعون والذرية مؤمن آل فرعون وآسية امرأته وخازنه وامرأة خازنه وماشطته فان قلت الام يرجع الضمير في قوله وملئهم قلت الى فرعون بمعنى آل فرعون كما يقال ربيعة ومضر او لانه ذو اصحاب يأتمرون له ويجوز ان يرجع الى الذرية اي على خوف من فرعون وخوف من اشراف بني اسرائيل لانهم كانوا يمنعون اعقابهم خوفا من فرعون عليهم وعلى انفسهم ويدل عليه قوله تعالى ان يفتنهم يريد ان يعذبهم فرعون لعال في الارض لغالب فيها قاهر وانه لمن المسرفين في الظلم والفساد وفي الكبر والعتو بادعائه الربوبية وقال موسى يا قوم ان كنتم آمنتم بالله فعليه توكلوا ان كنتم مسلمين ان كنتم آمنتم بالله صدقتم به وبآياته فعليه توكلوا فاليه اسندوا امركم في العصمة من فرعون ثم شرط في التوكل الاسلام وهو ان يسلموا نفوسهم لله اي يجعلوها له سالمة خالصة لا حظ للشيطان فيها لان التوكل لا يكون مع التخليط ونظيره في الكلام ان ضربك زيد فاضربه ان كانت بك قوة فقالوا على الله توكلنا ربنا لا تجعلنا فتنة للقوم الظالمين فقالوا على الله توكلنا انما قالوا ذلك لان القوم كانوا مخلصين لا جرم ان الله سبحانه قبل توكلهم واجاب دعاءهم ونجاهم واهلك من كانوا يخافونه وجعلهم خلفاء في ارضه فمن اراد ان يصلح للتوكل على ربه والتفويض اليه فعليه برفض التخليط الى الاخلاص لا تجعلنا فتنة موضع فتنة لهم اي عذاب يعذبوننا ويفتنونا عن ديننا او فتنة لهم يفتنون بنا ويقولون لو كان هؤلاء على الحق لما اصيبوا ونجنا برحمتك من القوم الكافرين واوحينا الى موسى واخيه ان تبوءا لقومكما بمصر بيوتا واجعلوا بيوتكم قبلة واقيموا الصلوة وبشر المؤمنين تبوأ المكان اتخذه مباءة كقولك توطنه اذا اتخذه وطنا والمعنى اجعلا بمصر بيوتا من بيوته مباءة لقومكما ومرجعا يرجعون اليه للعبادة والصلوة فيه واجعلوا بيوتكم تلك قبلة اي مساجد متوجهة نحو القبلة وهي الكعبة وكان موسى ومن معه يصلون الى الكعبة وكانوا في اول الامر مأمورين بان يصلوا في بيوتهم في خفية من الكفرة لئلا يظهروا عليهم فيؤذوهم ويفتنوهم عن دينهم كما كان المؤمنون على ذلك في اول الاسلام بمكة فان قلت كيف نوع الخطاب فثنى اولا ثم جمع ثم وحد آخرا قلت خوطب موسى وهرون عليهما السلام ان يتبوءا لقومهما بيوتا ويختاراها للعبادة وذلك مما يفوض الى الانبياء ثم سيق الخطاب عاما لهما ولقومهما باتخاذ المساجد والصلوة فيها لان ذلك واجب على الجمهور ثم خص موسى صلوات الله عليه بالبشارة التي هي الغرض تعظيما لها وللمبشر بها وقال موسى ربنا انك آتيت فرعون وملأه زينة واموالا في الحيوة الدنيا ربنا ليضلوا عن سبيلك ربنا اطمس على اموالهم واشدد على قلوبهم فلا

يؤمنوا حتى يروا العذاب الاليم الزينة ما يتزين به من لباس او حلي او فرش او اثاث او غير ذلك وعن ابن عباس رضي الله عنهما كانت لهم من فسطاط مصر الى ارض الحبشة جبال فيها معادن من ذهب وفضة وزبرجد وياقوت فان قلت ما معنى قوله ربنا ليضلوا عن سبيلك قلت هو دعاء بلفظ الامر كقوله تعالى ربنا اطمس واشدد وذلك انه لما عرض عليهم آيات الله وبيناته عرضا مكررا وردد عليهم النصائح والمواعظ زمانا طويلا وحذرهم عذاب الله وانتقامه وانذرهم عاقبة ما كانوا عليه من الكفر والضلال المبين ورآهم لا يزيدون على عرض الآيات الا كفرا وعلى الانذار الا استكبارا وعلى النصيحة الا نبوا ولم يبق له مطمع فيهم وعلم بالتجربة وطول الصحبة انه لا يجيء منهم الا الغي والضلال وان ايمانهم كالمحال الذي لا يدخل تحت الصحة او علم ذلك بوحي من الله اشتد غضبه عليهم وافرط مقته وكراهته لحالهم فدعا الله عليهم بما علم انه لا يكون غيره كما تقول لعن الله ابليس واخزى الله الكفرة مع علمك انه لا يكون غير ذلك وليشهد عليهم بانه لم يبق له فيهم حيلة وانهم لا يستأهلون الا ان يخذلوا ويخلى بينهم وبين ضلالهم يتسكعون فيه كانه قال ليثبتوا على ما هم عليه من الضلال وليكونوا ضلالا وليطبع الله على قلوبهم فلا يؤمنوا وما علي منهم هم احق بذلك واحق كما يقول الاب المشفق لولده الشاطر اذا لم يقبل منه حسرة على ما فاته من قبول نصيحته وحردا عليه لا ان يريد خلاعته واتباعه هواه ومعنى الشد على القلوب الاستيثاق منها حتى لا يدخلها الايمان فلا يؤمنوا جواب للدعاء الذي هو اشدد او دعاء بلفظ النهي وقد حملت اللام في ليضلوا على التعليل على انهم جعلوا نعمة الله سببا في الضلال فكانهم اوتوها ليضلوا وقوله ربنا اطمس على اموالهم واشدد على قلوبهم دعاء معترض بين المعطوف والمعطوف عليه وقرأ الفضل الرقاشي أإنك آتيت على الاستفهام واطمس بضم الميم قال قد اجيبت دعوتكما فاستقيما ولا تتبعان سبيل الذين لا يعلمون وقرئ دعواتكما قيل كان موسى يدعو وهرون يؤمن ويجوز ان يكونا جميعا يدعوان والمعنى ان دعاءكما مستجاب وما طلبتما كائن ولكن في وقته فاستقيما فاثبتا على ما انتما عليه من الدعوة والزيادة في الزام الحجة فقد لبث نوح في قومه الف عام الا قليلا ولا تستعجلا قال ابن جريج فمكث موسى عليه السلام بعد الدعاء اربعين سنة ولا تتبعان سبيل الذين لا يعلمون اي لا تتبعان طريق الجهلة بعادة الله في تعليق الامور بالمصالح ولا تعجلا فان العجلة ليست بمصلحة وهذا كما قال الله عز وجل لنوح عليه السلام اني اعظك ان تكون من الجاهلين وقرئ ولا تتبعان بالنون الخفيفة وكسرها لالتقاء الساكنين تشبيها بنون التثنية وبتخفيف التاء من تبع وجاوزنا ببني اسرائيل البحر فاتبعهم فرعون وجنوده بغيا وعدوا حتى اذا ادركه الغرق قال آمنت انه لا اله الا الذي آمنت به بنو اسرائيل وانا من المسلمين وقرأ الحسن وجوزنا من اجاز المكان وجاوزه وجوزه وليس من جوز الذي في بيت الاعشى واذا تجوزها حبال قبيلة لانه لو كان منه لكان حقه ان يقال وجوزنا بني اسرائيل في البحر كما قال كما جوز السكي في الباب فيتق فاتبعهم فلحقهم يقال تبعته حتى اتبعته وقرأ الحسن وعدوا وقرئ انه بالفتح على حذف الباء التي هي صلة الايمان وانه بالكسر على الاستئناف بدلا من آمنت كرر المخذول المعنى الواحد ثلاث مرات في ثلاث عبارات حرصا على القبول ثم لم يقبل منه حيث اخطأ وقته وقاله حين لم يبق له اختيار قط وكانت المرة الواحدة كافية في حال الاختيار وعند بقاء التكليف آلآن وقد عصيت قبل وكنت من المفسدين آلآن اتؤمن الساعة في وقت الاضطرار

حين أدركك الغرق وأيست من نفسك قيل قال له ذلك حين ألجمه الغرق يعني حين أوشك أن يغرق وقيل قاله بعد
أن غرق في نفسه والذي يحكى أنه حين قال آمنت أخذ جبريل من حال البحر فدسه في فيه فللغضب لله على الكافر
في وقت قد علم أن إيمانه لا ينفعه وأما ما يضم إليه من قولهم خشية أن تدركه رحمة الله فمن زيادات
الباهتين لله وملائكته وفيه جهالتان إحداهما أن الإيمان يصح بالقلب كإيمان الأخرس فحال
البحر لا يمنعه والأخرى أن من كره إيمان الكافر وأحب بقاءه على الكفر فهو كافر لأن الرضا بالكفر كفر
من المفسدين من الضالين المضلين عن الإيمان كقوله تعالى الذين كفروا وصدوا عن سبيل الله
زدناهم عذابا فوق العذاب بما كانوا يفسدون روي أن جبريل عليه السلام أتاه بفتيا ما قول
الأمير في عبد لرجل نشأ في ماله ونعمته فكفر نعمته وجحد حقه وادعى السيادة دونه فكتب فرعون
فيه يقول أبو العباس الوليد بن مصعب جزاء العبد الخارج على سيده الكافر نعماءه أن يغرق في البحر فلما ألجمه
الغرق ناوله جبريل خطه فعرفه **فاليوم ننجيك ببدنك لتكون لمن خلفك آية وإن كثيرا من
الناس عن آياتنا لغافلون** ننجيك بالتشديد والتخفيف نبعدك مما وقع فيه قومك من قعر
البحر وقيل نلقيك بنجوة من الأرض وقرئ ننحيك بالحاء نلقيك بناحية مما يلي البحر وذلك أنه طرح
بعد الغرق بجانب البحر قال كعب رماه الماء إلى الساحل كأنه ثور ببدنك في موضع الحال أي في الحال التي
لا روح فيك وإنما أنت بدن أو ببدنك كاملا سويا لم ينقص منه شيء ولم يتغير أو عريانا لست إلا بدنا
من غير لباس أو بدرعك قال عمرو بن معدي كرب رضي الله عنه ٭
٭ أعاذل شكتي بدني وسيفي ٭ وكل مقلص سلس القياد ٭ وكان له درع من ذهب يعرف
بها وقرأ أبو حنيفة رحمة الله عليه بأبدانك وهو على وجهين إما أن يكون مثل قولهم هوى بأجرامه
يعني ببدنك كله وافيا بأجزائه أو يريد بدروعك كأنه كان مظاهرا بينها لمن خلفك آية لمن وراءك من
الناس علامة وهم بنو إسرائيل وكان في أنفسهم أن فرعون أعظم شأنا من أن يغرق وروي أنهم قالوا
ما مات فرعون ولا يموت أبدا وقيل أخبرهم موسى عليه السلام بهلاكه فلم يصدقوه فألقاه الله
على الساحل حتى عاينوه وكأن مطرحه كان على ممر من بني إسرائيل حتى قيل لمن خلفك وقيل لمن خلفك لمن
يأتي بعدك من القرون ومعنى كونه آية أن يظهر للناس عبوديته ومهانته وأن ما كان يدعيه
من الربوبية محال باطل وأنه مع ما كان فيه من عظم الشأن وكبرياء الملك آل أمره إلى ما ترون لعصيانه
ربه فما الظن بغيره أو لتكون عبرة يعتبر بها الأمم بعدك فلا يجترئوا على نحو ما اجترأت عليه
إذا سمعوا حالك وهوانك على الله وقرئ لمن خلقك بالقاف أي لتكون لخالقك آية كسائر
آياته ويجوز أن يراد ليكون طرحك على الساحل وحدك وتمييزك من بين المغرقين لئلا يشتبه على
الناس أمرك ولئلا يقولوا لادعائك العظمة أن مثله لا يغرق ولا يموت آية من آيات الله التي لا
يقدر عليها غيره وليعلموا أن ذلك تعمد منه لإماطة الشبهة في أمرك **ولقد بوأنا بني إسرائيل مبوأ
صدق ورزقناهم من الطيبات فما اختلفوا حتى جاءهم العلم إن ربك يقضي بينهم يوم
القيامة فيما كانوا فيه يختلفون** مبوأ صدق منزلا صالحا مرضيا وهو مصر والشام فما
اختلفوا في دينهم وما تشعبوا فيه شعبا إلا من بعد ما قرؤوا التوراة وكسبوا العلم بدين الحق ولزمهم
الثبات عليه واتحاد الكلمة وعلموا أن الاختلاف فيه تفرق عنه وقيل هو العلم بمحمد صلى الله عليه
وسلم واختلاف بني إسرائيل وهم أهل الكتاب اختلافهم في صفته ونعته وأنه هو أم ليس به وبعدما

جاءهم العلم والبيان أنه هو لم يرتابوا فيه كما قال الله تعالى الذين آتيناهم الكتاب يعرفونه كما يعرفون أبناءهم
**فإن كنت في شك مما أنزلنا إليك فاسأل الذين يقرؤون الكتاب من قبلك لقد جاءك الحق من
ربك فلا تكونن من الممترين ولا تكونن من الذين كذبوا بآيات الله فتكون من الخاسرين** ٭
فإن قلت كيف قال لرسوله صلى الله عليه وسلم فإن كنت في شك مما أنزلنا إليك مع قوله في الكفرة
وإنهم لفي شك منه مريب فرق عظيم بين قوله وإنهم لفي شك منه مريب بإثبات الشك لهم
على سبيل التأكيد والتحقيق وقوله تعالى فإن كنت في شك بمعنى الفرض والتمثيل كأنه قيل فإن وقع لك
شك مثلا وخيل الشيطان لك تخيلا منه تقديرا فاسأل الذين يقرؤون الكتاب والمعنى أن الله عز وجل قدم
ذكر بني إسرائيل وهم قرأة الكتاب ووصفهم بأن العلم قد جاءهم لأن أمر رسول الله صلى الله عليه وسلم مكتوب
عندهم في التوراة والإنجيل وهم يعرفونه كما يعرفون أبناءهم فأراد أن يؤكد علمهم بصحة القرآن وصحة
نبوة محمد صلى الله عليه وسلم ويبالغ في ذلك فقال فإن وقع لك شك فرضا وتقديرا وسبيل من خالجته
شبهة في الدين أن يسارع إلى حلها وإماطتها إما بالرجوع إلى قوانين الدين وأدلته وإما بمقادحة
العلماء المنبهين على الحق فسل علماء أهل الكتاب يعني أنهم من الإحاطة بصحة ما أنزل إليك وقتلها علما بحيث
يصلحون لمراجعة مثلك ومسألتهم فضلا عن غيرك فالغرض وصف الأحبار بالرسوخ في العلم بصحة ما
أنزل إلى رسول الله لا وصف رسول الله بالشك فيه ثم قال لقد جاءك الحق من ربك أي ثبت عندك
بالآيات والبراهين القاطعة أن ما أتاك هو الحق الذي لا مدخل فيه للمرية فلا تكونن من الممترين
ولا تكونن من الذين كذبوا بآيات الله أي فاثبت ودم على ما أنت عليه من انتفاء المرية عنك والتكذيب
بآيات الله ويجوز أن يكون على طريقة التهييج والإلهاب **كقوله تعالى** فلا تكونن ظهيرا للكافرين
ولا يصدنك عن آيات الله بعد إذ أنزلت إليك ولزيادة التثبت والعصمة ولذلك قال صلى الله عليه
وسلم عند نزوله لا أشك ولا أسأل بل أشهد أنه الحق وعن ابن عباس رضي الله عنهما لا والله ما شك
طرفة عين ولا سأل أحدا منهم وقيل خوطب رسول الله عليه السلام والمراد خطاب أمته ومعناه فإن
كنتم في شك مما أنزلنا إليكم كقوله تعالى وأنزلنا إليكم نورا مبينا وقيل الخطاب للسامع ممن يجوز
عليه الشك كقول العرب إذا عز أخوك فهن وقيل إن للنفي أي فما كنت في شك فسل يعني لا نأمرك
بالسؤال لأنك شاك ولكن لتزداد يقينا كما ازداد إبراهيم عليه السلام بمعاينة إحياء الموتى وقرئ
فسل الذين يقرؤون الكتب **إن الذين حقت عليهم كلمة ربك لا يؤمنون ولو جاءتهم كل آية حتى يروا
العذاب الأليم** حقت عليهم كلمة ربك ثبت عليهم قول الله الذي كتبه في اللوح وأخبر به الملائكة أنهم يموتون
كفارا فلا يكون غيره وتلك كتابة معلوم لا كتابة مقدر ومراد تعالى الله عن ذلك **فلولا كانت قرية
آمنت فنفعها إيمانها إلا قوم يونس لما آمنوا كشفنا عنهم عذاب الخزي في الحياة الدنيا
ومتعناهم إلى حين** فلولا كانت فهلا كانت قرية واحدة من القرى التي أهلكناها تابت عن الكفر
وأخلصت الإيمان قبل المعاينة ولم تؤخر كما أخر فرعون إلى أن أخذ بمخنقه فنفعها
إيمانها بأن يقبله الله منها لوقوعه في وقت الاختيار وقرأ أبي وعبد الله فهلا كانت إلا قوم
يونس استثناء من القرى لأن المراد أهاليها وهو استثناء منقطع بمعنى ولكن قوم يونس لما آمنوا ٭
ويجوز أن يكون متصلا والجملة في معنى النفي كأنه قيل ما آمنت قرية من القرى الهالكة إلا قوم يونس
وانتصابه على أصل الاستثناء وقرئ بالرفع على البدل روي عن الجرمي والكسائي روي أن يونس

عليه السلام بعث الى نينوى من ارض الموصل فكذبوه فذهب عنهم مغاضبا فلما فقدوه خافوا نزول العذاب
فلبسوا المسوح وعجوا اربعين ليلة وقيل قال لهم يونس عليه السلام ان اجلكم اربعون ليلة فقالوا ان
راينا اسباب الهلاك امنا بك فلما مضت خمس وثلثون اغامت السماء غيما اسود هائلا يدخن دخانا
شديدا ثم يهبط حتى يغشى مدينتهم ويسود سطوحهم فلبسوا المسوح وبرزوا الى الصعيد بانفسهم
ونسائهم وصبيانهم ودوابهم وفرقوا بين النساء والصبيان وبين الدواب واولادها فحن بعضها
الى بعض وعلت الاصوات والعجيج واظهروا الايمان والتوبة وتضرعوا فرحمهم الله وكشف عنهم
وكان يوم عاشوراء يوم الجمعة وعن ابن مسعود بلغ من توبتهم ان ترادوا المظالم حتى ان الرجل
كان يقتلع الحجر وقد وضع عليه اساس بنائه فيرده وقيل خرجوا الى شيخ من بقية علمائهم فقالوا قد
نزل بنا العذاب فما ترى فقال لهم قولوا يا حي حين لا حي ويا حي محيي الموتى ويا حي لا اله الا انت
فقالوها فكشف عنهم وعن الفضيل بن عياض رحمة الله عليه قالوا اللهم ان ذنوبنا قد عظمت وجلت
وانت اعظم منها واجل افعل بنا ما انت اهله ولا تفعل بنا ما نحن اهله **ولو شاء ربك لامن من في الارض
كلهم جميعا افانت تكره الناس حتى يكونوا مؤمنين** ولو شاء ربك مشيئة القسر والالجاء لامن
من في الارض كلهم على وجه الاحاطة والشمول جميعا مجتمعين على الايمان مطبقين عليه لا يختلفون
فيه الا ترى الى قوله تعالى افانت تكره الناس يعني انما يقدر على اكراههم واضطرارهم الى الايمان
هو لا انت وايلاء الاسم حرف الاستفهام للاعلام بان الاكراه ممكن مقدور عليه وانما الشان في
المكره من هو وما هو الا هو وحده لا يشارك فيه لانه هو القادر على ان يفعل في قلوبهم ما يضطرون
عنده الى الايمان وذلك غير مستطاع للبشر **وما كان لنفس ان تؤمن الا باذن الله ويجعل
الرجس على الذين لا يعقلون** وما كان لنفس يعني من النفوس التي علم انها تؤمن الا باذن الله الا
بتسهيله وهو منح الالطاف ويجعل الرجس على الذين لا يعقلون قابل الاذن بالرجس وهو الخذلان
والنفس المعلوم ايمانها بالذين لا يعقلون وهم المصرون على الكفر كقوله تعالى صم بكم عمي فهم لا يعقلون
وسمي الخذلان رجسا وهو العذاب لانه سببه وقرئ الرجز بالزاء وقرئ ونجعل بالنون **قل
انظروا ماذا في السموات والارض وما تغني الايات والنذر عن قوم لا يؤمنون** ماذا في
السموات والارض من الايات والعبر وما تغني الايات والنذر والرسل المنذرون او الانذارات
عن قوم لا يؤمنون لا يتوقع ايمانهم وهم الذين لا يعقلون وقرئ وما يغني بالياء وما نافية
او استفهامية **فهل ينتظرون الا مثل ايام الذين خلوا من قبلهم قل فانتظروا اني معكم من
المنتظرين** ايام الذين خلوا من قبلهم وقائع الله فيهم كما يقال ايام العرب لوقائعها **ثم ننجي رسلنا
والذين امنوا كذلك حقا علينا ننج المؤمنين** ثم ننجي رسلنا معطوف على كلام محذوف يدل عليه
قوله تعالى الا مثل ايام الذين خلوا من قبلهم كانه قيل نهلك الامم ثم ننجي رسلنا على حكاية الاحوال
الماضية والذين امنوا ومن امن معهم كذلك ننجي المؤمنين مثل ذلك الانجاء ننجي المؤمنين منكم
ونهلك المشركين وحقا علينا اعتراض يعني حق ذلك علينا حقا وقرئ ننجي بالتشديد **قل
يا ايها الناس ان كنتم في شك من ديني فلا اعبد الذين تعبدون من دون الله ولكن اعبد
الله الذي يتوفاكم وامرت ان اكون من المؤمنين** يا ايها الناس يا اهل مكة ان كنتم في شك من
ديني وصحته وسداده فهذا ديني فاسمعوا وصفه واعرضوه على عقولكم وانظروا فيه بعين الانصاف

لتعلموا

لتعلموا انه دين لا مدخل فيه للشك وهو اني لا اعبد الحجارة التي تعبدونها من دون من هو الهكم وخالقكم
ولكن اعبد الله الذي يتوفاكم وانما وصفه بالتوفي ليريهم انه الحقيق بان يخاف منه ويتقى فيعبد دون ما لا يقدر
على شيء وامرت ان اكون من المؤمنين يعني ان الله امرني بذلك بما ركب في من العقل وبما اوحي الي في كتابه
وقيل معناه ان كنتم في شك من ديني ومما انا عليه اثبت عليه ام اتركه واوافقكم فلا تحدثوا انفسكم
بالمحال ولا تشكوا في امري واقطعوا عني اطماعكم واعلموا اني لا اعبد الذين تعبدون من دون الله
ولا اختار الضلالة على الهدى كقوله تعالى قل يا ايها الكافرون لا اعبد ما تعبدون وامرت ان اكون
اصله بان اكون فحذف الجار وهذا الحذف يحتمل ان يكون من الحذف المطرد الذي هو حذف الحروف الجارة مع
ان وان وان يكون من الحذف غير المطرد وهو قوله امرتك الخير فاصدع بما تؤمر **وان اقم وجهك
للدين حنيفا ولا تكونن من المشركين** **فان قلت** عطف قوله تعالى وان اقم على ان اكون فيه
اشكال لان ان لا تخلو من ان تكون التي للعبارة او التي تكون مع الفعل في تاويل المصدر فلا تصح ان
تكون للعبارة وان كان الامر مما يتضمن معنى القول لان عطفها على الموصولة يابى ذلك والقول بانها
موصولة مثل الاولى لا يساعد عليه لفظ الامر وهو اقم لان الصلة حقها ان تكون جملة تحتمل الصدق
والكذب قد سوغ سيبويه ان توصل ان بالامر والنهي وشبه ذلك بقولهم انت الذي
تفعل على الخطاب لان الغرض وصلها بما تكون معه في معنى المصدر والامر والنهي دالان على المصدر
دلالة غيرهما من الافعال اقم وجهك استقم اليه ولا تلتفت يمينا ولا شمالا وحنيفا حال من الدين
او من الوجه **ولا تدع من دون الله ما لا ينفعك ولا يضرك فان فعلت فانك اذا من الظالمين**
فان فعلت معناه فان دعوت من دون الله ما لا ينفعك ولا يضرك فكنى عنه بالفعل ايجازا فانك اذا
من الظالمين اذا جزاء للشرط وجواب لسؤال مقدر كان سائلا سال عن تبعة عبادة الاوثان وجعل من
الظالمين لانه لا ظلم اعظم من الشرك ان الشرك لظلم عظيم **وان يمسسك الله بضر فلا كاشف
له الا هو وان يردك بخير فلا راد لفضله يصيب به من يشاء من عباده وهو الغفور
الرحيم** اتبع النهي عن عبادة الاوثان ووصفها بانها لا تنفع ولا تضر ان الله عز وجل هو الضار
النافع الذي ان اصابك بضر لم يقدر على كشفه الا هو وحده دون كل احد فكيف بالجماد الذي لا شعور
به وكذلك ان اراد بك خيرا لم يرد احد ما يريده بك من فضله واحسانه فكيف بالاوثان فهو الحقيق
اذن بان توجه اليه العبادة دونها وهو ابلغ من قوله تعالى ان ارادني الله بضر هل هن كاشفات ضره
او ارادني برحمة هل هن ممسكات رحمته **فان قلت** لم ذكر المس في احدهما والارادة في الثاني
كانه اراد ان يذكر الامرين جميعا الارادة والاصابة في كل واحد من الضر والخير وانه
لا راد لما يريد منهما ولا مزيل لما يصيب به منهما فاوجز الكلام بان ذكر المس وهو الاصابة في احدهما
تقدم والارادة في الاخر ليدل بما ذكر على ما ترك على انه قد ذكر الاصابة بالخير في قوله تعالى يصيب به من يشاء
من عباده والمراد بالمشيئة مشيئة المصلحة **قل يا ايها الناس قد جاءكم الحق من ربكم فمن اهتدى
فانما يهتدي لنفسه ومن ضل فانما يضل عليها وما انا عليكم بوكيل** قد جاءكم الحق فلم
يبق لكم عذر ولا على الله حجة فمن اختار الهدى واتباع الحق فما نفع باختياره الا نفسه ومن اثر الضلال
فما ضر الا نفسه واللام وعلى دلا على معنى النفع والضر وكل اليهم الامر بعد ابانة الحق وازاحة العلل
وفيه حث على ايثار الهدى واطراح الضلال مع ذلك وما انا عليكم بوكيل بحفيظ موكول الى امركم

وعملكم على ما اريد انما انا بشير ونذير واتبع ما يوحى اليك واصبر حتى يحكم الله وهو خير الحاكمين
واصبر على دعوتهم واحتمال اذاهم واعراضهم حتى يحكم الله لك بالنصر عليهم والغلبة روى انه لما نزلت
جمع رسول الله صلى الله عليه وسلم الانصار فقال انكم ستجدون بعدى اثرة فاصبروا حتى تلقونى يعنى انى
امرت فى هذه الاية بالصبر على ما ساءتنى الكفرة فصبرت فاصبروا انتم على ما يسومكم الامراء الجورة قال
انس رضى الله عنه فلم نصبر وروى ان ابا قتادة رضى الله عنه تخلف عن تلقى معاوية حين قدم المدينة
وقد تلقته الانصار ثم دخل عليه فقال له ما لك لم تتلقنا قال لم يكن عندنا دواب قال فاين النواضح
قال قطعناها فى طلبك وطلب ابيك يوم بدر وقد قال رسول الله صلى الله عليه وسلم يا معشر الانصار
انكم ستلقون بعدى اثرة قال معاوية فماذا قال قال اصبروا حتى تلقونى قال فاصبر قال اذن نصبر
قال عبد الرحمن بن حسان ٭ الا ابلغ معاوية بن حرب ٭ امير الظالمين نثا كلامى ٭
٭ بانا صابرون فمنظروكم ٭ الى يوم التغابن والخصام ٭
رسول الله صلى الله عليه وسلم من قرا سورة يونس اعطى من الاجر عشر حسنات بعدد من صدق بيونس
وكذب به وبعدد من غرق مع فرعون

بسم الله الرحمن الرحيم الر كتاب احكمت اياته ثم فصلت من لدن حكيم خبير ٭ احكمت اياته نظمت
نظما رصينا محكما لا يقع فيه نقض ولا خلل كالبناء المحكم المرصف ويجوز ان يكون نقلا بالهمزة من حكم
بضم الكاف اذا صار حكيما اى جعلت حكيمة كقوله تعالى ايات الكتاب الحكيم وقيل منعت من الفساد
من قولهم احكمت الدابة اذا وضعت عليها الحكمة لتمنعها من الجماح قال جرير ٭
٭ ابنى حنيفة احكموا سفهاءكم ٭ انى اخاف عليكم ان اغضبا ٭ وعن قتادة احكمت من الباطل
ثم فصلت كما تفصل القلائد بالفرائد من دلائل التوحيد والاحكام والمواعظ والقصص ٭ او جعلت
فصولا سورة سورة واية اية او فرقت فى التنزيل ولم تنزل جملة واحدة او فصل فيها ما يحتاج
اليه العباد اى بين ولخص وقرئ احكمت اياته ثم فصلت اى احكمتها انا ثم فصلتها وعن عكرمة
والضحاك ثم فصلت اى فرقت بين الحق والباطل فان قلت ما معنى ثم ليس معناها التراخى
فى الوقت ولكن فى الحال كما تقول هى محكمة احسن الاحكام ثم مفصلة احسن التفصيل وفلان كريم
الاصل ثم كريم الفعل وكتاب خبر مبتدأ محذوف واحكمت صفة له وقوله من لدن حكيم خبير صفة
ثانية ويجوز ان يكون خبرا بعد خبر وان يكون صلة لاحكمت وفصلت اى من عنده احكامها وتفصيلها
وفيه طباق حسن لان المعنى احكمها حكيم وفصلها اى بينها وشرحها خبير عالم بكيفيات الامور الا تعبدوا
الا الله اننى لكم منه نذير وبشير ان لا تعبدوا مفعول له على معنى لان لا تعبدوا او ان تكون
ان مفسرة لان فى تفصيل الايات معنى القول كانه قيل قال لا تعبدوا الا الله او امركم الا تعبدوا
الا الله وان استغفروا اى امركم بالتوحيد والاستغفار ويجوز ان يكون كلاما مبتدأ منقطعا عما قبله
على لسان النبى صلى الله عليه وسلم اغراء منه على اختصاص الله بالعبادة ويدل عليه قوله اننى لكم منه نذير
وبشير كانه قال ترك عبادة غير الله اننى لكم منه نذير كقوله تعالى فضرب الرقاب والضمير فى منه لله
تعالى اى اننى لكم نذير وبشير من جهته كقوله تعالى رسول من الله او هى صلة لنذير اى انذركم منه ومن عذابه
ان كفرتم وبشير بثوابه ان امنتم وان استغفروا ربكم ثم توبوا اليه يمتعكم متاعا حسنا

ولعمرو لكنت رجل يستاثر على اصحابه اركانا لنفسه انتهى الاثرة محركة قاموس

الى اجل مسمى ويؤت كل ذى فضل فضله وان تولوا فانى اخاف عليكم عذاب يوم كبير الى الله
مرجعكم وهو على كل شىء قدير فان قلت ما معنى ثم فى قوله ثم توبوا معناه استغفروا
من الشرك ثم ارجعوا اليه بالطاعة او استغفروا والاستغفار توبة ثم اخلصوا التوبة واستقيموا
عليها كقوله ثم استقاموا يمتعكم يطول نفعكم فى الدنيا بمنافع حسنة مرضية من عيشة واسعة
ونعمة متتابعة الى اجل مسمى الى ان يتوفاكم كقوله فلنحيينه حيوة طيبة ويؤت كل ذى فضل
فضله ويعط فى الاخرة كل من كان له فضل فى العمل وزيادة فيه جزاء فضله لا يبخس منه او فضله فى
الثواب والدرجات تتفاضل فى الجنة على قدر تفاضل الطاعات وان تولوا وان تتولوا عذاب
يوم كبير هو يوم القيمة وصف بالكبر كما وصف بالعظم والثقل وبين عذاب اليوم الكبير بان مرجعهم
الى من هو قادر على كل شىء فكان قادرا على اشد ما اراد من عذابهم لا يعجزه وقرئ فان تولوا من ولى
الا انهم يثنون صدورهم ليستخفوا منه الا حين يستغشون ثيابهم يعلم ما يسرون
وما يعلنون انه عليم بذات الصدور يثنون صدورهم يزورون عن الحق وينحرفون عنه
لان من اقبل على الشىء استقبله بصدره ومن ازور عنه وانحرف ثنى عنه صدره وطوى عنه كشحه ليستخفوا
منه يعنى ويريدون ليستخفوا من الله فلا يطلع رسوله والمؤمنين على ازورارهم ونظير اضمار يريدون
لعود المعنى الى اضماره الاضمار فى قوله تعالى ان اضرب بعصاك البحر فانفلق معناه فضرب فانفلق ومعنى الا
حين يستغشون ثيابهم ويريدون الاستخفاء حين يستغشون ثيابهم ايضا كراهة لاستماع كلام الله
كقول نوح عليه السلام جعلوا اصابعهم فى اذانهم واستغشوا ثيابهم ثم قال يعلم ما يسرون وما يعلنون
يعنى انه لا تفاوت فى علمه بين اسرارهم واعلانهم فلا وجه لتوصلهم الى ما يريدون من الاستخفاء والله
مطلع على ثنيهم صدورهم واستغشائهم ثيابهم ونفاقهم غير نافق عنده روى انها نزلت فى الاخنس
ابن شريق وكان يظهر لرسول الله صلى الله عليه وسلم المحبة وله منطق حلو وحسن سياق للحديث
فكان يعجب رسول الله صلى الله عليه وسلم مجالسته ومحادثته وهو يضمر خلاف ما يظهر وقيل
نزلت فى المنافقين وقرئ تثنونى صدورهم واثنونى افعوعل من الثنى كاحلولى من الحلاوة وهو بناء
مبالغة وقرئ بالتاء والياء وعن ابن عباس رضى الله عنهما لتثنونى وقرئ تثنون واصله تثنونن
تفعوعل من الثن وهو ما هش وضعف من الكلاء يريد مطاوعة صدورهم للثنى كما يثنى الهش من
النبات او اراد ضعف ايمانهم ومرض قلوبهم وقرئ تثنئن من اثنان افعال منه ثم همز كما قيل
ابياضت وادهامت وقرئ تثنوى بوزن ترعوى وما من دابة فى الارض الا على الله رزقها
ويعلم مستقرها ومستودعها كل فى كتاب مبين فان قلت كيف قال على الله رزقها بلفظ
الوجوب وانما هو تفضل هو تفضل الا انه لما ضمن ان يتفضل به عليهم رجع التفضل واجبا
كنذور العباد والمستقر مكانه من الارض ومسكنه والمستودع حيث كان مودعا قبل الاستقرار من صلب
او رحم او بيضة كل كل واحد من الدواب ورزقها ومستقرها ومستودعها فى اللوح يعنى ذكرها
مكتوب فيه مبين وهو الذى خلق السموات والارض فى ستة ايام وكان عرشه على الماء
ليبلوكم ايكم احسن عملا ولئن قلت انكم مبعوثون من بعد الموت ليقولن الذين كفروا
ان هذا الا سحر مبين وكان عرشه على الماء اى ما كان تحته خلق قبل خلق السموات والارض وارتفاعه
فوقها الا الماء وفيه دليل على ان العرش والماء كانا مخلوقين قبل السموات والارض وقيل وكان الماء على

مِنَ الرّيح والله اعلم بذلك وكيفما كان فالله ممسك كلّ ذلك بقدرته وكلّما ازدادت الاجرام كانت احوج اليه
والى امساكه ليبلوكم متعلق بخلق اى خلقهنّ لحكمة بالغة وهى ان تجعلها مساكن لعباده وينعم عليهم فيها بفنون
النعم ويكلفهم الطاعات واجتناب المعاصى فمن شكر واطاع اثابه ومن كفر وعصى عاقبه ولمّا اشبه ذلك
اختبار المختبر قال ليبلوكم يريد ليفعل بكم ما يفعل المبتلى لاحوالكم كيف تعملون فان قلت كيف جاز
تعليق فعل البلوى قلت لما فى الاختبار من معنى العلم لانه طريق اليه فهو ملابس له كما تقول انظر ايهم
احسن وجها واسمع ايهم احسن صوتا لان النظر والاستماع من طرق العلم فان قلت كيف قيل ايكم
احسن عملا واعمال المؤمنين هى التى تتفاوت الى حسن واحسن فامّا اعمال المؤمنين والكافرين فتفاوتها
الى حسن وقبيح قلت الذين هم احسن عملا هم المتقون وهم الذين استبقوا الى تحصيل ما هو غرض
الله من عباده فخصّهم بالذكر واطّرح ذكر من وراءهم تشريفا لهم وتنبيها على مكانهم منه وليكون ذلك لطفا
للسامعين وترغيبا فى حيازة فضلهم وعن النبى صلى الله عليه وسلم ليبلوكم ايكم احسن عقلا وأورع عن
محارم الله واسرع فى طاعة الله وقرئ ولئن قلت انكم مبعوثون بفتح الهمزة ووجهه ان يكون من قولهم
ائت السوق انك تشترى لنا لحما وانك تشترى بمعنى علّك اى ولئن قلت لهم لعلّكم مبعوثون بمعنى توقّعوا
بعثكم وظنّوه ولا تبتّوا القول بانكاره لقالوا ان هذا الا سحر مبين باتّين القول ببطلانه ويجوز ان يضمّن
قلت معنى ذكرت ومعنى قولهم ان هذا الا سحر ان السحر امر باطل وان بطلانه كبطلان السحر تشبيها له به او
اشاروا بهذا الى القرآن لان القرآن هو الناطق بالبعث فاذا جعلوه سحرا فقد اندرج تحته انكار ما فيه
من البعث وغيره وقرئ ان هذا الا ساحر يريدون الرسول عليه السلام والساحر كاذب مبطل ولئن
أخّرنا عنهم العذاب الى امّة معدودة ليقولنّ ما يحبسه الا يوم يأتيهم ليس مصروفا
عنهم وحاق بهم ما كانوا به يستهزءون ولئن اذقنا الانسان منّا رحمة ثم نزعناها منه
انه ليؤس كفور العذاب عذاب الآخرة وقيل عذاب يوم بدر وعن ابن عباس رضى الله عنه قتل جبريل
المستهزئين الى امّة الى جماعة من الاوقات ما يحبسه ما يمنعه من النزول استعجالا له على وجه التكذيب
والاستهزاء ويوم يأتيهم منصوب بخبر ليس ويستدلّ به من يستجيز تقديم خبر ليس على ليس وذلك انه
اذا جاز تقديم معمول خبرها عليها كان ذلك دليلا على جواز تقديم خبرها اذ المعمول تابع للعامل فلا
يقع الا حيث يقع العامل وحاق بهم واحاط بهم ما كانوا به يستهزءون العذاب الذى كانوا به يستعجلون
وانما وضع يستهزءون موضع يستعجلون لان استعجالهم كان على جهة الاستهزاء والمعنى ويحيق بهم الا انه
جاء على عادة الله فى اخباره الانسان للجنس رحمة نعمة من صحة وامن وجدة ثم نزعناها منه ثم سلبناه
تلك النعمة انه ليؤس شديد اليأس من ان يعود اليه مثل تلك النعمة المسلوبة قاطع رجاءه من سعة
فضل الله من غير صبر ولا تسليم لقضائه ولا استرجاع كفور عظيم الكفران لما سلف له من التقلّب فى نعمة
الله نسّاء له ولئن اذقناه نعماء بعد ضرّاء مسّته ليقولنّ ذهب السيّئات عنّى انه لفرح فخور
ذهب السيّئات عنّى اى المصائب التى ساءتنى انه لفرح أشر بطر فخور على الناس بما اذاقه الله من نعمائه
قد شغله الفرح والفخر عن الشكر الا الذين صبروا وعملوا الصالحات اولئك لهم مغفرة
وأجر كبير الا الذين آمنوا فانّ عادتهم ان نالتهم رحمة ان يشكروا وان زالت عنهم نعمة ان يصبروا
فلعلّك تارك بعض ما يوحى اليك وضائق به صدرك ان يقولوا لولا انزل عليه كنز او
جاء معه ملك انما انت نذير والله على كل شئ وكيل كانوا يقترحون عليه آيات تعنّتا لا استرشادا

لانهم لو كانوا مسترشدين لكانت آية واحدة ممّا جاء به كافية فى رشادهم ومن اقتراحاتهم لولا انزل عليه
كنز او جاء معه ملك وكانوا لا يعتدّون بالقرآن ويتهاونون به وبما جاء به من البيّنات فكان يضيق
صدر رسول الله ان يلقى اليهم ما لا يقبلونه ويضحكون منه فحرّك الله منه وهيّجه لاداء الرسالة وطرح
المبالاة بردّهم واستهزائهم واقتراحهم بقوله فلعلّك تارك بعض ما يوحى اليك اى لعلّك تترك
ان تلقيه اليهم وتبلّغه اياهم مخافة ردّهم له وتهاونهم به وضائق به صدرك بان تتلوه عليهم
ان يقولوا مخافة ان يقولوا لولا انزل عليه كنز هلّا انزل عليه ما اقترحنا نحن من الكنز والملائكة
ولم انزل عليه ما لا نريده ولا نقترحه ثم قال انما انت نذير اى ليس عليك الا ان تنذرهم بما اوحى
اليك وتبلّغهم ما امرت بتبليغه ولا عليك ردّوا او تهاونوا او اقترحوا والله على كل شئ وكيل يحفظ
ما يقولون وهو فاعل بهم ما يجب ان يفعل فتوكّل عليه وكل امرك اليه وعليك بتبليغ الوحى بقلب
فسيح وصدر منشرح غير ملتفت الى استكبارهم ولا مبال بسفههم واستهزائهم فان قلت لم
عدل عن ضيّق الى ضائق قلت ليدلّ على انه ضيق عارض غير ثابت لان رسول الله كان افسح الناس
صدرا ومثله قولك زيد سيّد وجواد تريد السيادة والجود الثابتين المستقرّين فاذا اردت الحدوث
قلت سائد وجائد ونحوه كانوا قوما عائبين فى بعض القراءات وقول السمهرى العكلى
بمنزلة امّا اللئيم فسامن بها وكرام الناس بادٍ شحوبها ام يقولون افتراه قل
فأتوا بعشر سور مثله مفتريات وادعوا من استطعتم من دون الله ان كنتم صادقين
ام منقطعة والضمير فى افتراه لما يوحى اليك تحدّاهم اوّلا بعشر سور ثم بسورة واحدة كما يقول المخاير فى
الخطّ لصاحبه اكتب عشرة اسطر نحو ما اكتب فاذا تبيّن له العجز عن مثل خطّه قال قد اقتصرت منك على سطر
واحد مثله بمعنى امثاله ذهابا الى مماثلة كل واحدة منها له مفتريات صفة لعشر سور لمّا قالوا افتريت
القرآن واختلقته من عند نفسك وليس من عند الله قاودهم على دعواهم وارخى معهم العنان وقال
هبوا انى اختلقته من عند نفسى ولم يوح الىّ وان الامر كما قلتم فأتوا انتم ايضا بكلام مثله مختلق من عند
انفسكم فانتم عرب فصحاء مثلى لا تعجزون عن مثل ما اقدر عليه من الكلام فان قلت كيف يكون ما
يأتون به مثله وما يأتون به مفترى وهذا غير مفترى قلت معناه مثله فى حسن النظم والبيان وان
كان مفترى فان لم يستجيبوا لكم فاعلموا انما انزل بعلم الله وان لا اله الا هو فهل انتم
مسلمون فان قلت ما وجه جمع الخطاب بعد افراده وهو قوله لكم فاعلموا بعد قوله قل
معناه فان لم يستجيبوا لك وللمؤمنين لان رسول الله صلى الله عليه وسلم والمؤمنين كانوا يتحدّونهم وقد
قال فى موضع آخر فان لم يستجيبوا لك فاعلم ويجوز ان يكون الجمع لتعظيم رسول الله عليه السلام
كقوله فان شئت حرّمت النساء سواكم ووجه آخر وهو ان يكون الخطاب للمشركين والضمير فى لم
يستجيبوا لمن استطعتم يعنى فان لم يستجب لكم من تدعونه من دون الله الى المظاهرة على معارضته لعلمهم
بالعجز عنه وان طاقتهم اقصر من ان تبلغه فاعلموا انما انزل بعلم الله اى انزل ملتبسا بما لا يعلمه الا الله
من نظم معجز للخلق واخبار بغيوب لا سبيل لهم اليه واعلموا عند ذلك ان لا اله الا هو وحده وان توحيده
واجب والاشراك به ظلم عظيم فهل انتم مسلمون مبايعون بالاسلام بعد هذه الحجّة القاطعة وهذا
وجه حسن مطّرد ومن جعل الخطاب للمسلمين فمعناه فاثبتوا على العلم الذى انتم عليه وازدادوا يقينا
وثبات قدم على انه منزّل من عند الله وعلى التوحيد ومعنى فهل انتم مسلمون فهل انتم مخلصون من كان

يريد الحيوة الدنيا وزينتها نوف اليهم اعمالهم فيها وهم فيها لا يبخسون نوف اليهم نوصل اليهم اجور اعمالهم وافية كاملة من غير بخس في الدنيا وهو ما يرزقون فيها من الصحة والرزق وقيل هم اهل الرياء يقال للقراء منهم اردت ان يقال فلان قارئ فقد قيل ذلك ولمن وصل الرحم وتصدق فعلت حتى يقال فقد قيل ولمن قاتل فقتل قاتلت حتى يقال فلان جرئ فقد قيل وعن انس بن مالك رضي الله عنه هم اليهود والنصارى ان اعطوا سائلا او وصلوا رحما عجل لهم جزاء ذلك بتوسعة في الرزق وصحة في البدن وقيل هم الذين جاهدوا من المنافقين مع رسول الله عليه السلام فاسهم لهم في الغنائم وقرئ يوف بالياء على ان الفعل لله عز وجل وتوف اليهم اعمالهم بالتاء على البناء للمفعول وفي قراءة الحسن نوفي بالتخفيف واثبات الياء لان الشرط وقع ماضيا كقوله يقول لا غائب مالي ولا حرم

اولئك الذين ليس لهم في الاخرة الا النار وحبط ما صنعوا فيها وباطل ما كانوا يعملون وحبط ما صنعوا فيها وحبط في الاخرة ما صنعوه او صنيعهم يعني لم يكن له ثواب لانهم لم يريدوا به الاخرة انما ارادوا به الدنيا وقد وفي اليهم ما ارادوا وباطل ما كانوا يعملون اي كان عملهم في نفسه باطلا لانه لم يعمل لوجه صحيح والعمل الباطل لا ثواب له وقرئ وبطل على الفعل وعن عاصم وباطلا بالنصب وفيه وجهان ان تكون ما ابهامية وينتصب بيعملون ومعناه وباطلا اي باطل كانوا يعملون وان تكون بمعنى المصدر على وبطل بطلانا ما كانوا يعملون

افمن كان على بينة من ربه ويتلوه شاهد منه ومن قبله كتاب موسى اماما ورحمة اولئك يؤمنون به ومن يكفر به من الاحزاب فالنار موعده فلا تك في مرية منه انه الحق من ربك ولكن اكثر الناس لا يؤمنون افمن كان على بينة معناه امن كان يريد الحيوة الدنيا فمن كان على بينة اي لا يعقبونهم في المنزلة ولا يقاربونهم يريد ان بين الفريقين تفاوتا بعيدا وتباينا بينا واراد بهم من آمن من اليهود كعبد الله بن سلام رضي الله عنه وغيره كان على بينة من ربه اي على برهان من الله وبيان ان دين الاسلام حق وهو دليل العقل ويتلوه ويتبع ذلك البرهان شاهد منه اي شاهد يشهد بصحته وهو القرآن منه من الله او شاهد من القرآن فقد تقدم ذكره آنفا ومن قبله ومن قبل القرآن كتاب موسى وهو التورية اي ويتلو ذلك البرهان ايضا من قبل القرآن كتاب موسى وقرئ كتاب موسى بالنصب ومعناه كان على بينة من ربه وهو الدليل على ان القرآن حق ويتلوه ويقرأ القرآن شاهد منه ممن كان على بينة كقوله تعالى وشهد شاهد من بني اسرائيل على مثله قل كفى بالله شهيدا بيني وبينكم ومن عنده علم الكتاب ومن قبله كتاب موسى ويتلو من قبل القرآن التورية اماما كتابا مؤتما به في الدين قدوة فيه ورحمة ونعمة عظيمة على المنزل اليهم اولئك يعني من كان على بينة يؤمنون به يؤمنون بالقرآن ومن يكفر به من الاحزاب يعني اهل مكة ومن ضامهم من المتحزبين على رسول الله فالنار موعده فلا تك في مرية وقرئ مرية بالضم وهما الشك منه من القرآن او من الموعد

ومن اظلم ممن افترى على الله كذبا اولئك يعرضون على ربهم ويقول الاشهاد هؤلاء الذين كذبوا على ربهم الا لعنة الله على الظالمين يعرضون على ربهم يحبسون في الموقف وتعرض اعمالهم وتشهد عليهم الاشهاد من الملائكة والنبيين بانهم الكذابون على الله بانه اتخذ ولدا وشريكا ويقال الا لعنة الله على الظالمين فوا خزياه وا فضيحتاه والاشهاد جمع شاهد او شهيد كاصحاب واشراف الذين يصدون عن سبيل الله ويبغونها عوجا وهم بالاخرة هم كافرون ويبغونها عوجا يصفونها بالاعوجاج وهي مستقيمة او يبغون اهلها

ان

ان يعوجوا بالارتداد وهم الثانية لتأكيد كفرهم بالاخرة واختصاصهم به اولئك لم يكونوا معجزين في الارض وما كان لهم من دون الله من اولياء يضاعف لهم العذاب ما كانوا يستطيعون السمع وما كانوا يبصرون اولئك لم يكونوا معجزين في الارض اي ما كانوا يعجزون الله في الدنيا ان يعاقبهم لو اراد عقابهم وما كان لهم من يتولاهم فينصرهم منه ويمنعهم من عقابه ولكنه اراد انظارهم وتاخير عقابهم الى هذا اليوم وهو من كلام الاشهاد يضاعف لهم العذاب وقرئ يضعف ما كانوا يستطيعون السمع اراد انهم لفرط تصامهم عن استماع الحق وكراهتهم له كانهم لا يستطيعون ولعل بعض المجبرة يتوثب اذا عثر عليه فيوعوع به على اهل العدل كانه لم يسمع الناس يقولون في كل لسان هذا كلام لا استطيع ان اسمعه وهذا مما يمجه سمعي ويحتمل ان يريد بقوله وما كان لهم من اولياء انهم جعلوا الهتهم اولياء من دون الله وولايتها ليست بشيء فما كان لهم في الحقيقة من اولياء ثم بين نفي كونهم اولياء بقوله ما كانوا يستطيعون السمع وما كانوا يبصرون فكيف يصلحون للولاية وقوله يضاعف لهم العذاب اعتراض بوعيد

اولئك الذين خسروا انفسهم وضل عنهم ما كانوا يفترون لا جرم انهم في الاخرة هم الاخسرون خسروا انفسهم اشتروا عبادة الالهة بعبادة الله تعالى فكان خسرانهم في تجارتهم ما لا خسران اعظم منه وهو انهم خسروا انفسهم وضل عنهم وبطل عنهم وضاع ما اشتروه وهو ما كانوا يفترون من الالهة وشفاعتها لا جرم فسر في مكان آخر هم الاخسرون لا ترى احدا ابين خسرانا منهم ان الذين آمنوا وعملوا الصالحات واخبتوا الى ربهم اولئك اصحاب الجنة هم فيها خالدون واخبتوا الى ربهم واطمأنوا اليه وانقطعوا الى عبادته بالخشوع والتواضع من الخبت وهي الارض المطمئنة ومنه قولهم للشيء الدني الخبيت قال

ينفع الطيب القليل من الرزق ولا ينفع الكثير الخبيت

وقيل التاء فيه بدل من الثاء

مثل الفريقين كالاعمى والاصم والبصير والسميع هل يستويان مثلا افلا تذكرون شبه فريق الكافرين بالاعمى والاصم وفريق المؤمنين بالبصير والسميع وهو من اللف والطباق وفيه معنيان ان يشبه الفريق تشبيهين اثنين كما شبه امرؤ القيس قلوب الطير بالحشف والعناب وان يشبهه بالذي جمع بين العمى والصمم او الذي جمع بين البصر والسمع على ان تكون الواو في والاصم وفي والسميع لعطف الصفة على الصفة كقوله الصابح فالغانم فالآيب هل يستويان يعني الفريقين مثلا تشبيها

ولقد ارسلنا نوحا الى قومه اني لكم نذير مبين اي ارسلنا نوحا باني لكم نذير ومعناه ارسلناه ملتبسا بهذا الكلام وهو قوله اني لكم نذير مبين بالكسر فلما اتصل به الجار فتح كما فتح في كان والمعنى على الكسر وهو قولك ان زيدا كالاسد وقرئ بالكسر على ارادة القول ان لا تعبدوا الا الله اني اخاف عليكم عذاب يوم اليم ان لا تعبدوا بدل من اني لكم نذير اي ارسلناه بان لا تعبدوا الا الله او تكون ان مفسرة متعلقة بارسلنا او بنذير ووصف اليوم بأليم من الاسناد المجازي لوقوع الالم فيه فان قلت فاذا وصف به العذاب قلت مجازي مثله لان الاليم في الحقيقة هو المعذب ونظيرهما قولك نهارك صائم وجد جده فقال الملأ الذين كفروا من قومه ما نراك الا بشرا مثلنا وما نراك اتبعك الا الذين هم اراذلنا بادي الرأي وما نرى لكم علينا من فضل بل نظنكم كاذبين الملأ الاشراف من قولهم فلان مليء بكذا اذا كان مطيقا له وقد ملؤوا بالامر لانهم ملؤوا بكفايات الامور واضطلعوا بها وبتدبيرها او لانهم يتمالؤون اي يتظاهرون

ويتساندون او لانهم يملؤن القلوب هيبة والمجالس ابهة او لانهم ملأ بالاحلام والآراء الصائبة
ما نراك الا بشرا مثلنا تعريض بانهم احق منه بالنبوة وان الله لو اراد ان يجعلها في احد من البشر لجعلها فيهم
فقالوا هب انك واحد من الملأ وموازيهم في المنزلة فما جعلك احق منهم الا ترى الى قولهم وما نرى لكم
علينا من فضل او ارادوا انه كان ينبغي ان يكون ملكا لا بشرا والاراذل جمع الارذل كقوله اكابر
مجرميها احاسنكم اخلاقا وقرئ بادي الرأي بالهمز وغير الهمز بمعنى اتبعوك اول الرأي او ظاهر الرأي وانتصابه
على الظرف اصله وقت حدوث اول رأيهم او وقت حدوث ظاهر رأيهم فحذف ذلك واقيم المضاف اليه
مقامه ارادوا ان اتباعهم لك انما هو شيء عنّ لهم بديهة من غير روية ونظر وانما استرذلوا المؤمنين
لفقرهم وتأخرهم في الاسباب الدنيوية لانهم كانوا جهالا ما كانوا يعلمون الا ظاهرا من الحياة الدنيا فكان
الاشراف عندهم من له جاه ومال كما ترى اكثر المتسمين بالاسلام يعتقدون ذلك ويبنون عليه اكرامهم
واهانتهم ولقد زل عنهم ان التقدم في الدنيا لا يقرب احدا من الله وانما يبعده ولا يرفعه بل يضعه
فضلا ان يجعله سببا في الاختيار للنبوة والتأهيل لها على ان الانبيا عليهم السلام بعثوا مرغبين في طلب
الاخرة ورفض الدنيا مزهدين فيها مصغرين لشأنها وشأن من اخلد اليها فما ابعد حالهم من الاتصاف بما
يبعد من الله والتشرف بما هو ضعة عند الله من فضل من زيادة شرف علينا تؤهلكم للنبوة بل نظنكم
كاذبين فيما تدعونه قال يا قوم ارأيتم ان كنت على بينة من ربي وآتاني رحمة من عنده فعميت
عليكم انلزمكموها وانتم لها كارهون ارأيتم اخبروني ان كنت على بينة على برهان من ربي وشاهد
منه يشهد بصحة دعواي وآتاني رحمة من عنده بايتاء البينة على ان البينة في نفسها هي الرحمة ويجوز ان
يريد بالبينة المعجزة وبالرحمة النبوة فان قلت فقوله فعميت ظاهر على الوجه الاول فما وجهه
على الوجه الثاني وحقه ان يقال فعميتا قلت الوجه ان يقدر فعميت بعد البينة وان يكون حذفه
للاقتصار على ذكره مرة ومعنى عميت خفيت وقرئ فعميت بمعنى اخفيت وفي قراءة أبي فعماها عليكم فان
قلت فما حقيقته قلت حقيقته ان الحجة كما جعلت بصيرة ومبصرة جعلت عميا لان الاعمى لا يهتدي ولا
يهدي غيره فمعنى فعميت عليكم البينة لم تهدكم كما لو عمي على القوم دليلهم في المفازة بقوا بغير هاد فان قلت
فما معنى قراءة أبي قلت المعنى انهم صمموا على الاعراض عنها فخلاهم الله وتصميمهم فجعلت تلك التخلية
تعمية منه والدليل عليه قوله انلزمكموها وانتم لها كارهون يعني انكرهكم على قبولها ونقسركم
على الاهتداء بها وانتم تكرهونها ولا تختارونها ولا اكراه في الدين ويجيء بضمير المفعولين متصلين
جميعا ويجوز ان يكون الثاني منفصلا كقولك انلزمكم اياها ونحوه فسيكفيكهم الله ويجوز فسيكفيك اياهم
وحكي عن ابي عمرو اسكان الميم ووجهه ان الحركة لم تكن الا خلسة خفيفة فظنها الراوي سكونا والاسكان
الصريح لحن عند الخليل وسيبويه وحذاق البصريين لان الحركة الاعرابية لا يسوغ طرحها الا في ضرورة
الشعر ويا قوم لا اسألكم عليه مالا ان اجري الا على الله وما انا بطارد الذين آمنوا انهم
ملاقوا ربهم ولكني اريكم قوما تجهلون والضمير في قوله لا اسألكم عليه راجع الى قوله اني لكم
نذير مبين ان لا تعبدوا الا الله وقرئ وما انا بطارد الذين آمنوا بالتنوين على الاصل فان
قلت ما معنى قوله انهم ملاقوا ربهم قلت معناه انهم يلاقون الله فيعاقب من طردهم او
يلاقونه فيجازيهم على ما في قلوبهم من ايمان صحيح ثابت كما ظهر لي منهم وما اعرف غيره منهم او على خلاف
ذلك مما تعرفونهم به من بناء ايمانهم على بادي الرأي من غير نظر وتفكر وما علي ان اشق على قلوبهم واتعرف سر

ذلك

ذلك منهم حتى اطردهم ان كان الامر كما تزعمون ونحوه ولا تطرد الذين يدعون ربهم الآية او هم
مصدقون بلقاء ربهم موقنون به عالمون انهم ملاقوه لا محالة تجهلون تتسافهون على المؤمنين وتدعونهم
اراذل من قوله الا لا يجهلن احد علينا او تجهلون انهم خير منكم ويا قوم من ينصرني من الله
ان طردتهم افلا تذكرون من ينصرني من الله من يمنعني من انتقامه ان طردتهم وكانوا يسألونه ان
يطردهم ليؤمنوا به انفة من ان يكونوا معهم على سواء ولا اقول لكم عندي خزائن الله ولا اعلم
الغيب ولا اقول اني ملك ولا اقول للذين تزدري اعينكم لن يؤتيهم الله خيرا الله
اعلم بما في انفسهم اني اذا لمن الظالمين ولا اعلم الغيب معطوف على عندي خزائن الله اي لا اقول
عندي خزائن الله ولا اقول انا اعلم الغيب ومعناه لا اقول لكم عندي خزائن الله فادعي فضلا
عليكم في الغنى حتى تجحدوا فضلي بقولكم وما نرى لكم علينا من فضل ولا ادعي علم الغيب حتى تنسبوني
الى الكذب والافتراء او حتى اطلع على ما في نفوس اتباعي وضمائر قلوبهم ولا اقول اني ملك حتى تقولوا
لي ما انت الا بشر مثلنا ولا احكم على من استرذلتموهم من المؤمنين لفقرهم ان الله لن يؤتيهم خيرا في الدنيا
والاخرة لهوانهم عليه كما تقولون مساعدة لكم ونزولا على هواكم اني اذا لمن الظالمين ان قلت شيئا
من ذلك والازدراء افتعال من زرى عليه اذا عابه وزرى به قصر به يقال ازدرته عينه واقتحمته
عينه قالوا يا نوح قد جادلتنا فاكثرت جدالنا فأتنا بما تعدنا ان كنت من الصادقين
قال انما يأتيكم به الله ان شاء وما انتم بمعجزين جادلتنا فاكثرت جدالنا معناه اردت جدالنا
وشرعت فيه فاكثرته كقولك جاد فلان فاكثر واطاب فأتنا بما تعدنا من العذاب المعجل انما يأتيكم
به الله اي ليس الاتيان بالعذاب الي انما هو الى من كفرتم به وعصيتموه ان شاء يعني ان اقتضت حكمته ان يعجله
لكم وقرأ ابن عباس رضي الله عنهما فاكثرت جدلنا ولا ينفعكم نصحي ان اردت ان انصح لكم ان
كان الله يريد ان يغويكم هو ربكم واليه ترجعون فان قلت ما وجه ترادف هذين
الشرطين قلت قوله ان كان الله يريد ان يغويكم جزاؤه ما دل عليه قوله لا ينفعكم نصحي وهذا
الدال في حكم ما دل عليه فوصل بشرط كما وصل الجزاء بالشرط في قولك ان احسنت الي احسنت اليك ان
امكنني فان قلت ما معنى قوله ان كان الله يريد ان يغويكم قلت اذا عرف من الكافر الاصرار
فخلاه وشأنه ولم يلجئه سمي ذلك اغواء واضلالا كما انه اذا عرف منه انه يتوب ويرعوي فلطف به
سمي ارشادا وهداية وقيل ان يغويكم ان يهلككم من غوى الفصيل غوى اذا بشم فهلك ومعناه
انكم اذا كنتم من التصميم على الكفر بالمنزلة التي لا تنفعكم نصائح الله ومواعظه وسائر الطافه كيف
ينفعكم نصحي ام يقولون افتراه قل ان افتريته فعلي اجرامي وانا بريء مما تجرمون فعلي اجرامي
واجرامي بلفظ المصدر والجمع كقوله تعالى والله يعلم اسرارهم واسرارهم ونحو جرم واجرم
فعل وافعل ويبصر الجمع ان فسره الاولون بآثامي والمعنى ان صح وثبت اني افتريته فعلي عقوبة
اجرامي اي افترائي وكان حقي حينئذ ان تعرضوا عني وتتألبوا علي وانا بريء يعني ولم يثبت ذلك
وانا بريء منه ومعنى مما تجرمون من اجرامكم في اسناد الافتراء الي فلا وجه لاعراضكم ومعاداتكم
واوحي الى نوح انه لن يؤمن من قومك الا من قد آمن فلا تبتئس بما كانوا يفعلون
لن يؤمن اقناط من ايمانهم وانه كالمحال الذي لا تعلق به للتوقع الا من قد آمن الا من قد وجد منه ما كان
يتوقع من ايمانه وقد للتوقع وقد اصابت محزها فلا تبتئس فلا تحزن حزن بائس مستكين قال

ما يفعم الله ايقن غير مبتئس منه واقعد كونهما ناعم البال والمعنى فلا تحزن بما فعلوه من
تكذيبك وايذائك ومعاداتك فقد حان وقت الانتقام لك منهم واصنع الفلك باعيننا ووحينا
ولا تخاطبني في الذين ظلموا انهم مغرقون باعيننا في موضع الحال بمعنى اصنعها محفوظا وحقيقته
ملتبسا باعيننا كان لله معه اعينا تكلاه ان يزيغ في صنعته عن الصواب وان لا يحول بينه وبين عمله
احد من اعدائه ووحينا وانا نوحي اليك ونلهمك كيف تصنع عن ابن عباس رضي الله عنهما لم يعلم كيف
صنعة الفلك فاوحى الله اليه ان يصنعها مثل جؤجؤ الطائر ولا تخاطبني في الذين ظلموا ولا تدعني
في شان قومك واستدفاع العذاب عنهم بشفاعتك انهم مغرقون انهم محكوم عليهم بالاغراق فقد وجب
ذلك وقضى به القضاء وجف القلم فلا سبيل الى كفه كقوله تعالى يا ابراهيم اعرض عن هذا انه
قد جاء امر ربك وانهم اتيهم عذاب غير مردود ويصنع الفلك وكلما مر عليه ملأ من قومه
سخروا منه قال ان تسخروا منا فانا نسخر منكم كما تسخرون فسوف تعلمون ويصنع الفلك
حكاية حال ماضية سخروا منه ومن عمله السفينة وكان يعملها في برية بهماء في ابعد موضع من الماء وفي
وقت عز الماء فيه عزة شديدة فكانوا يتضاحكون ويقولون له يا نوح صرت نجارا بعد ما كنت نبيا
فانا نسخر منكم يعني في المستقبل كما تسخرون منا الساعة اي نسخر منكم سخرية مثل سخريتكم اذا وقع عليكم
الغرق في الدنيا والحرق في الاخرة وقيل ان تستجهلونا فيما نصنع فانا نستجهلكم فيما انتم عليه من الكفر
والتعرض لسخط الله وعذابه فانتم اولى بالاستجهال منا او ان تستجهلونا فانا نستجهلكم في استجهالكم
لانكم لا تستجهلون الا عن جهل بحقيقة الامر وبناء على ظاهر الحال كما هو عادة الجهلة في البعد عن
الحقائق وروي ان نوحا عليه السلام اتخذ السفينة في سنتين وكان طولها ثلثمائة ذراع وعرضها
خمسون ذراعا وطولها في السماء ثلاثون ذراعا وكانت من خشب الساج وجعل لها ثلاثة بطون فحمل
في البطن الاسفل الوحوش والسباع والهوام وفي البطن الاوسط الدواب والانعام وركب هو ومن معه
في البطن الاعلى مع ما يحتاج اليه من الزاد وحمل معه جسد آدم وجعله معترضا بين الرجال والنساء وعن
الحسن كان طولها الفا ومائتي ذراع وعرضها ستمائة وقيل ان الحواريين قالوا لعيسى عليه السلام
لو بعثت لنا رجلا شهد السفينة يحدثنا عنها فانطلق بهم حتى انتهى الى كثيب من تراب فاخذ كفا من ذلك
التراب فقال اتدرون من هذا قالوا الله ورسوله اعلم قال هذا كعب بن حام قال فضرب الكثيب بعصاه
فقال قم باذن الله فاذا هو قائم ينفض التراب عن راسه وقد شاب فقال له عيسى عليه السلام
اهكذا هلكت قال لا مت وانا شاب ولكني ظننت انها الساعة فمن ثم شبت قال حدثنا عن سفينة
نوح قال كان طولها الف ذراع ومائتي ذراع وعرضها ستمائة ذراع وكانت ثلاث طبقات طبقة للدواب
والوحوش وطبقة للانس وطبقة للطير ثم قال له عد باذن الله كما كنت فعاد ترابا من ياتيه عذاب يخزيه
ويحل عليه عذاب مقيم من ياتيه في محل النصب بتعلمون اي فسوف تعلمون الذي ياتيه عذاب
يخزيه ويعني به اياهم ويريد بالعذاب عذاب الدنيا وهو الغرق ويحل عليه حلول الدين والحق
اللازم الذي لا انفكاك له عنه عذاب مقيم وهو عذاب الاخرة حتى اذا جاء امرنا وفار التنور قلنا
احمل فيها من كل زوجين اثنين واهلك الا من سبق عليه القول ومن آمن وما آمن
معه الا قليل حتى هي التي يبتدأ بعدها الكلام دخلت على الجملة من الشرط والجزاء فان قلت
وقعت غاية لماذا قلت لقوله ويصنع الفلك اي وكان يصنعها الى ان جاء وقت الموعد فان قلت

فاذا

فاذا اتصلت حتى بيصنع فما تصنع بما بينهما من الكلام قلت هو حال من يصنع كانه قال يصنعها والحال انه
كلما مر عليه ملأ من قومه سخروا منه فان قلت فما جواب كلما انت بين امرين اما ان تجعل
سخروا جوابا وقال استينافا على تقدير سؤال السائل او تجعل سخروا بدلا من مر او صفة لملأ وقال جوابا واهلك
عطف على اثنين وكذلك ومن آمن يعني واحمل اهلك والمؤمنين من غيرهم واستثنى من اهله من سبق عليه القول
انه من اهل النار وما سبق عليه القول بذلك الا للعلم بانه يختار الكفر لا لتقديره عليه وارادته به
تعالى الله عن ذلك قال الضحاك اراد ابنه وامراته الا قليل روي عن النبي صلى الله عليه وسلم انه قال كانوا
ثمانية نوح واهله وبنوه الثلاثة ونساؤهم وعن محمد بن اسحق كانوا عشرة خمسة رجال وخمس نسوة
وقيل كانوا اثنين وسبعين رجلا وامراة واولاد نوح سام وحام ويافث ونساؤهم فالجميع ثمانية
وسبعون نصفهم رجال ونصفهم نساء وقال اركبوا فيها بسم الله مجريها ومرسيها ان ربي لغفور
رحيم يجوز ان يكون كلاما واحدا وكلامين فالكلام الواحد ان يتصل بسم الله باركبوا حالا من الواو
بمعنى اركبوا فيها مسمين الله او قائلين بسم الله وقت اجرائها ووقت ارسائها اما لان المجرى والمرسى
للوقت واما لانهما مصدران كالاجراء والارساء حذف منهما الوقت المضاف كقولهم خفوق النجم ومقدم
الحاج ويجوز ان يكون مكانا للاجراء والارساء وانتصابهما بما في بسم الله من معنى الفعل او بما فيه من ارادة
القول والكلامان ان يكون بسم الله مجريها ومرسيها جملة من مبتدا وخبر مقتضبة اي بسم الله اجراؤها
وارساؤها يروى انه كان اذا اراد ان تجري قال بسم الله فجرت واذا اراد ان ترسو قال بسم الله فرست
ويجوز ان يقحم الاسم كقوله ثم اسم السلام عليكما ويجوز ان يراد بالله اجراؤها وارساؤها اي بقدرته
وامره وقرئ مجراها ومرساها بفتح الميم من جرى ورسى اما مصدرين او وقتين او مكانين وقرا
مجاهد مجريها ومرسيها بلفظ اسم الفاعل مجرور المحل صفتين لله فان قلت ما معنى قولك جملة
مقتضبة معناه ان نوحا عليه السلام امرهم بالركوب ثم اخبرهم بان مجراها ومرساها
بذكر الله او بامره وقدرته ويحتمل ان تكون غير مقتضبة بان تكون في موضع الحال كقوله
وجاؤنا بهم سكر علينا فلا تكون كلاما براسه ولكن فضلة من فضلات الكلام الاول وانتصاب هذا الحال عن
ضمير الفلك كانه قيل اركبوا فيها مجراة ومرساة بسم الله بمعنى التقدير كقوله ادخلوها خالدين ان ربي
لغفور رحيم لولا مغفرته لذنوبكم ورحمته اياكم لما نجاكم وهي تجري بهم في موج كالجبال ونادى نوح
ابنه وكان في معزل يا بني اركب معنا ولا تكن مع الكافرين فان قلت بم اتصل قوله وهي
تجري بهم قلت بمحذوف دل عليه اركبوا فيها بسم الله كانه قيل فركبوا فيها يقولون بسم الله وهي تجري
بهم اي تجري وهم فيها في موج كالجبال يريد موج الطوفان شبه كل موجة منه بالجبل في تراكمها وارتفاعها
فان قلت الموج ما يرتفع فوق الماء عند اضطرابه وزخيره وكان الماء قد التقى وطبق ما بين السماء والارض
وكانت الفلك تجري في جوف الماء كما تسبح السمكة فما معنى جريها في الموج قلت كان ذلك قبل التطبيق
وقبل ان يغمر الطوفان الجبال الا ترى الى قول ابنه ساوي الى جبل يعصمني من الماء قيل كان اسم ابنه كنعان
وقيل يام وقرا علي رضي الله عنه ابنها والضمير لامراته وقرا محمد بن علي وعروة بن الزبير رضي الله عنهما
ابنه بفتح الهاء يريدان ابنها فاكتفيا بالفتحة عن الالف وبه ينصر مذهب الحسن قال قتادة رضي الله عنه
سالته فقال والله ما كان ابنه فقلت ان الله تعالى حكى عنه ان ابني من اهلي وانت تقول لم يكن ابنه واهل
الكتاب لا يختلفون في انه كان ابنه فقال ومن ياخذ دينه من اهل الكتاب واستدل بقوله من اهلي ولم

يقبل مني ولنسبته الى ابيه وجهان احدهما ان يكون ربيبا له كعمر بن ابي سلمة لرسول الله صلى الله عليه وسلم وان يكون لغير رشدة وهذه غضاضة عصمت منها الانبياء عليهم السلام وقرا السدي ونادى نوح ابناه على الندبة والترثي اي قائلا يا ابناه والمعزل مفعل من عزله عنه اذا نحاه وابعده يعني وكان في مكان عزل فيه نفسه عن ابيه وعن مركب المؤمنين وقيل كان في معزل عن دين ابيه يا بني قرئ بكسر الياء اقتصارا عليه من ياء الاضافة وبالفتح اقتصارا عليه من الالف المبدلة من ياء الاضافة في قولك يا بنيا او سقطت الياء والالف لالتقاء الساكنين لان الراء بعدهما ساكنة قال ساوي الى جبل يعصمني من الماء قال لا عاصم اليوم من امر الله الا من رحم وحال بينهما الموج فكان من المغرقين الا من رحم الا الراحم وهو الله او لا عاصم اليوم من الطوفان الا من رحم الله اي الا مكان من رحم الله من المؤمنين وكان لهم غفورا رحيما في قوله ان ربي لغفور رحيم وذلك انه لما جعل الجبل عاصما من الماء قال له لا يعصمك اليوم معتصم قط من جبل ونحوه سوى معتصم واحد وهو مكان من رحمهم الله ونجاهم يعني السفينة وقيل لا عاصم بمعنى لا ذا عصمة الا من رحمه الله كقوله ماء دافق وعيشة راضية وقيل الا من رحم استثناء منقطع كانه قيل ولكن من رحمه الله فهو المعصوم كقوله تعالى ما لهم به من علم الا اتباع الظن وقرئ الا من رحم على البناء للمفعول وقيل يا ارض ابلعي ماءك ويا سماء اقلعي وغيض الماء واستوت على الجودي وقيل بعدا للقوم الظالمين نداء الارض والسماء بما ينادى به الحيوان المميز على لفظ التخصيص والاقبال عليهما بالخطاب من بين سائر المخلوقات وهو قوله تعالى يا ارض ويا سماء ثم امرهما بما يؤمر به اهل التمييز والعقل من قوله ابلعي ماءك واقلعي من الدلالة على الاقتدار العظيم وان السموات والارض وهذه الاجرام منقادة لتكوينه فيها ما يشاء غير ممتنعة عليه كانها عقلاء مميزون قد عرفوا عظمته وجلالته وثوابه وعقابه وقدرته على كل مقدور وتبينوا تحتم طاعته عليهم وانقيادهم له وهم يهابونه ويفزعون من التوقف دون الامتثال له والنزول على مشيئته على الفور من غير ريث فكما يرد عليهم امره كان المامور به مفعولا لا حبس ولا ابطاء والبلع عبارة عن النشف والاقلاع الامساك يقال اقلع المطر واقلعت الحمى وغيض الماء من غاضه اذا نقصه وقضي الامر وانجز ما وعد الله نوحا من هلاك قومه واستوت واستقرت السفينة على الجودي وهو جبل بالموصل وقيل بعدا يقال بعد بعدا وبعدا اذا ارادوا البعد البعيد من حيث الهلاك والموت ونحو ذلك ولذلك اختص بدعاء السوء ومجيء اخباره على الفعل المبني للمفعول للدلالة على الجلال والكبرياء وان تلك الامور العظام لا تكون الا بفعل فاعل قادر وتكوين مكون قاهر وان فاعلها فاعل واحد لا يشارك في افعاله فلا يذهب الوهم الى ان يقول غيره يا ارض ابلعي ماءك ويا سماء اقلعي ولا ان يقضي ذلك الامر الهائل غيره ولا ان تستوي السفينة على متن الجودي وتستقر عليه الا بتسويته واقراره ولما ذكرنا من المعاني والنكت استفصح علماء البيان هذه الآية ورقصوا لها رؤوسهم لا لتجانس الكلمتين وهما قوله ابلعي واقلعي وذلك وان كان لا يخلي الكلام من حسن فهو كغير الملتفت اليه بازاء تلك المحاسن التي هي اللب وما عداها قشور وعن قتادة استقلت بهم السفينة لعشر خلون من رجب وكانت في الماء خمسين ومائة يوم واستقرت بهم على الجودي شهرا وهبط بهم يوم عاشوراء وروي انها مرت بالبيت فطافت به سبعا واعتقه الله من الغرق وروي ان نوحا عليه السلام صام يوم الهبوط وامر من معه فصاموا شكرا لله تعالى ونادى نوح ربه فقال رب ان ابني من اهلي وان وعدك الحق وانت احكم الحاكمين

بنداؤه ربه دعاؤه له وهو قوله رب مع ما بعده من اقتضاء وعده في تنجية اهله فان قلت فاذا كان النداء هو قوله رب فكيف عطف فقال رب على نادى بالفاء اريد بالنداء ارادة النداء ولو اريد النداء نفسه لجاء كما جاء قوله اذ نادى ربه نداء خفيا قال رب بغير فاء ان ابني من اهلي اي بعض اهلي لانه كان ابنه من صلبه او ربيبا له فهو بعض اهله وان وعدك الحق وان كل وعد تعده فهو الحق الثابت الذي لا شك في انجازه والوفاء به وقد وعدتني ان تنجي اهلي فما بال ولدي وانت احكم الحاكمين اي اعلم الحكام واعدلهم لانه لا فضل لحاكم على غيره الا بالعلم والعدل ورب غريق في الجهل والجور من متقلدي الحكومة في زمانك قد لقب اقضى القضاة ومعناه احكم الحاكمين فاعتبر واستعبر ويجوز ان يكون من الحكمة على ان يبنى من الحكمة حاكم بمعنى النسبة كما قيل دارع من الدرع وحائض وطالق على مذهب الخليل رحمة الله عليه قال يا نوح انه ليس من اهلك انه عمل غير صالح فلا تسألني ما ليس لك به علم اني اعظك ان تكون من الجاهلين انه عمل غير صالح تعليل لانتفاء كونه من اهله وفيه ايذان بان قرابة الدين غامرة لقرابة النسب وان نسيبك في دينك ومعتقدك من الاباعد في المنصب وان كان حبشيا وكنت قرشيا لصيقك وخصيصك ومن لم يكن على دينك وان كان امس اقاربك رحما فهو ابعد بعيد منك وجعلت ذاته عملا غير صالح مبالغة في ذمه كقولها فانما هي اقبال وادبار وقيل الضمير لنداء نوح عليه السلام اي ان نداءك هذا عمل غير صالح وليس بذاك فان قلت فهلا قيل انه عمل فاسد لما نفاه عن اهله نفى عنه صفتهم بكلمة النفي التي يستبقى معها لفظ المنفي واذن بذلك انه انما انجى من انجى من اهله لصلاحهم لا لانهم اهلك واقاربك وان هذا لما انتفى عنه الصلاح لم تنفعه ابوتك كقوله تعالى كانتا تحت عبدين من عبادنا صالحين فخانتاهما فلم يغنيا عنهما من الله شيئا وقرئ عمل غير صالح اي عمل عملا غير صالح وقرئ فلا تسألن بكسر النون بغير ياء الاضافة وبالنون الثقيلة بياء وبغير ياء يعني فلا تلتمس مني ملتمسا او التماسا لا تعلم اصواب هو ام غير صواب حتى تقف على كنهه وذكر المسألة دليل على ان النداء كان قبل ان يغرق حين خاف عليه فان قلت لم سمى نداءه سؤالا ولا سؤال فيه قلت قد تضمن دعاؤه معنى السؤال وان لم يصرح به لانه اذا ذكر الموعد بنجاة اهله في وقت مشارفة ولده الغرق فقد استنجز وجعل سؤال ما لا يعرف كنهه جهلا وغباوة ووعظه ان لا يعود اليه والى امثاله من افعال الجاهلين فان قلت قد وعده ان ينجي اهله وما كان عنده ان ابنه ليس منهم دينا فلما اشفى على الغرق تشابه عليه الامر لان العدة قد سبقت له وقد عرف الله حكيما لا يجوز عليه فعل القبيح وخلف الميعاد فطلب اماطة الشبهة وطلب اماطة الشبهة واجب فلم زجر وسمى سؤاله جهلا قلت ان الله عز وعلا قدم له الوعد بانجاء اهله مع استثناء من سبق عليه القول منهم فكان عليه ان يعتقد ان في جملة اهله من هو مستوجب للعذاب لكونه غير صالح وان كلهم ليسوا بناجين وان لا تخالجه شبهة حين شارف ولده الغرق في انه من المستثنين لا من المستثنى منهم فعوتب على ان اشتبه عليه ما يجب ان لا يشتبه ان اسألك من ان اطلب منك في المستقبل ما لا علم لي بصحته تأدبا بادبك واتعاظا بموعظتك قال رب اني اعوذ بك ان اسألك ما ليس لي به علم والا تغفر لي وترحمني اكن من الخاسرين والا تغفر لي ما فرط مني من ذلك وترحمني بالتوبة علي اكن من الخاسرين اعمالا قيل يا نوح اهبط بسلام منا وبركات عليك وعلى امم ممن معك وامم سنمتعهم ثم يمسهم منا عذاب اليم وقرئ يا نوح اهبط بضم الباء بسلام منا مسلما محفوظا من جهتنا او مسلما عليك مكرما وبركات عليك ومباركا عليك والبركا

الخيرات النامية وقرى وبركة عليك على التوحيد وعلى امم ممن معك يحتمل ان تكون من للبيان فتراد الامم الذين كانوا معه في السفينة لانهم كانوا جماعات او قيل لهم امم لان الامم تتشعب منهم وان تكون لابتداء الغاية على امم ناشئة ممن معك وهي الامم الى آخر الدهر وهو الوجه وقوله تعالى وامم رفع بالابتداء وسنمتعهم صفة والخبر محذوف تقديره وممن معك امم سنمتعهم وانما حذف لان قوله ممن معك يدل عليه والمعنى ان السلام منا والبركات عليك وعلى امم مؤمنين ينشؤن ممن معك وممن معك امم ممتعون بالدنيا منقلبون الى النار وكان نوح عليه السلام ابا الانبياء والخلق بعد الطوفان منه وممن كان معه في السفينة وعن محمد بن كعب القرظي دخل في ذلك السلام كل مؤمن ومؤمنة الى يوم القيامة وفيما بعده من المتاع والعذاب كل كافر وعن ابن زيد هبطوا والله عنهم راض ثم اخرج منهم نسلا منهم من رحم ومنهم من عذب وقيل المراد بالامم الممتعة قوم هود وصالح ولوط وشعيب صلوات الله عليهم اجمعين **تلك من انباء الغيب نوحيها اليك ما كنت تعلمها انت ولا قومك من قبل هذا فاصبر ان العاقبة للمتقين** تلك اشارة الى قصة نوح عليه السلام ومحلها الرفع على الابتداء والجمل بعدها اخبار اي تلك القصة بعض انباء الغيب موحاة اليك مجهولة عندك وعند قومك من قبل هذا من قبل ايحائي اليك واخبارك بها او من قبل هذا العلم الذي كسبته بالوحي او من قبل هذا الوقت فاصبر على تبليغ الرسالة واذى قومك كما صبر نوح وتوقع في العاقبة لك ولمن كذبك نحو ما قيض لنوح ولقومه ان العاقبة في الفوز والنصرة والغلبة للمتقين وقوله ولا قومك معناه ان قومك الذين انت منهم على كثرتهم ووفور عددهم اذا لم يكن ذلك شانهم لا سمعوه ولا عرفوه فكيف برجل منهم كما تقول لم يعرف هذا عبد الله ولا اهل بلده **والى عاد اخاهم هودا قال يا قوم اعبدوا الله ما لكم من اله غيره ان انتم الا مفترون** اخاهم واحدا منهم وانتصابه للعطف على ارسلنا نوحا وهودا عطف بيان وغيره بالرفع صفة على محل الجار والمجرور وقرى بالجر صفة على اللفظ ان انتم الا مفترون تفترون على الله الكذب باتخاذكم الاوثان له شركا **يا قوم لا اسألكم عليه اجرا ان اجري الا على الذي فطرني افلا تعقلون** ما من رسول الا واجه قومه بهذا القول لان شانهم النصيحة والنصيحة لا يمحضها ولا يمحصها الا حسم المطامع وما دام يتوهم شيء منها لم تنجع ولم تنفع افلا تعقلون اذ تردون نصيحة من لا يطلب عليها اجرا الا من الله وهو ثواب الآخرة ولا شيء انفى للتهمة من ذلك **ويا قوم استغفروا ربكم ثم توبوا اليه يرسل السماء عليكم مدرارا ويزدكم قوة الى قوتكم ولا تتولوا مجرمين** قيل استغفروا ربكم آمنوا به ثم توبوا اليه من عبادة غيره لان التوبة لا تصح الا بعد الايمان والمدرار الكثير الدرور كالمغزار وانما قصد استمالتهم الى الايمان وترغيبهم فيه بكثرة المطر وزيادة القوة لان القوم كانوا اصحاب زروع وبساتين وعمارات حراصا عليها اشد الحرص فكانوا احوج شيء الى الماء وكانوا مدلين بما اوتوا من شدة القوة والبطش والباس والنجدة مستحرزين بها من العدو مهيبين في كل ناحية وقيل اراد القوة في المال وقيل القوة في النكاح وقيل حبس عنهم القطر ثلث سنين وعقمت ارحام نسائهم وعن الحسن بن علي رضي الله عنهما انه وفد على معاوية فلما خرج تبعه بعض حجابه فقال اني رجل ذو مال ولا يولد لي فعلمني شيئا لعل الله يرزقني ولدا فقال عليك بالاستغفار فكان يكثر الاستغفار حتى ربما استغفر في يوم واحد سبعمائة مرة فولد له عشرة بنين فبلغ ذلك

معوية

معوية فقال هلا سألته مم قال ذلك فوفد وفدة اخرى فسأله الرجل فقال الم تسمع قول هود ويزدكم قوة الى قوتكم وقول نوح ويمددكم باموال وبنين ولا تتولوا ولا تعرضوا عني وعما ادعوكم اليه وارغبكم فيه مجرمين مصرين على اجرامكم وآثامكم **قالوا يا هود ما جئتنا ببينة وما نحن بتاركي آلهتنا عن قولك وما نحن لك بمؤمنين** ما جئتنا ببينة كذب منهم وجحود كما قالت قريش لرسول الله صلى الله عليه وسلم لولا انزل عليه آية من ربه مع فوت آياته الحصر عن قولك حال من الضمير في تاركي آلهتنا كانه قيل وما نترك آلهتنا صادرين عن قولك وما نحن لك بمؤمنين وما يصح من امثالنا ان يصدقوا مثلك فيما يدعوهم اليه اقناطا له من الاجابة **ان نقول الا اعتراك بعض آلهتنا بسوء قال اني اشهد الله واشهدوا اني بريء مما تشركون من دونه فكيدوني جميعا ثم لا تنظرون** اعتراك مفعول نقول والا لغو والمعنى ما نقول الا قولنا اعتراك بعض آلهتنا بسوء اي خبلك ومسك بجنون لسبك اياها وصدك عنها وعداوتك لها مكافاة لك منها على سوء فعلك بسوء الجزاء فمن ثم تتكلم بكلام المجانين وتهذي بهذيان المبرسمين وليس بعجب من اولئك ان يسموا التوبة والاستغفار خبلا وجنونا وهم عاد اعلام الكفر واوتاد الشرك وانما العجب من قوم من المتظاهرين بالاسلام سمعناهم يسمون التائب من ذنوبه مجنونا والمنيب الى ربه مخبلا ولم نجدهم معه على عشر مما كانوا عليه في ايام جاهليته من الموادة وما ذاك الا لعرق من الالحاد ابى الا ان ينبض ونبت من الزندقة اراد ان يطلع سره وقد دلت اجوبتهم المتقدمة على ان القوم كانوا جفاة غلاظ الاكباد لا يبالون بالبهت ولا يلتفتون الى النصح ولا تلين شكيمتهم للرشد وهذا الاخير دال على جهل مفرط وبله متناه حيث اعتقدوا في حجارة انها تنتصر وتنتقم ولعلهم حين اجازوا العقاب كانوا يجيزون الثواب من اعظم الآيات ان يواجه بهذا الكلام رجل واحد امة عطاشا الى اراقة دمه يرمونه عن قوس واحدة وذلك لثقته بربه وانه يعصمه منهم فلا تنشب فيه مخالبهم ونحو ذلك قال نوح لقومه ثم اقضوا الي ولا تنظرون اكد براءته من آلهتهم وشركهم ووثقها بما جرت به عادة الناس من توثيقهم الامور بشهادة الله وشهادة العباد فيقول الرجل الله شهيد على اني لا افعل كذا ويقول لقومه كونوا شهداء على اني لا افعله **فان قلت** هلا قيل اني اشهد الله واشهدكم لان اشهاد الله على البراءة من الشرك به اشهاد صحيح ثابت في معنى تثبيت التوحيد وشد معاقده واما اشهادهم فما هو الا تهاون بدينهم ودلالة على قلة المبالاة بهم فحسب فعدل به عن لفظ الاول لاختلاف ما بينهما وجيء به على لفظ الامر بالشهادة كما يقول الرجل لمن يبس الثرى بينه وبينه اشهد على اني لا احبك تهكما به واستهانة بحاله مما تشركون من دونه من اشراككم آلهة من دونه او مما تشركونه من آلهة من دونه اي انتم تجعلونها شركاء له ولم يجعلها هو شركاء ولم ينزل بذلك سلطانا فكيدوني جميعا انتم وآلهتكم اعجل ما تفعلون من غير انظار فاني لا ابالي بكم وبكيدكم ولا اخاف معرتكم وان تعاونتم علي وانتم الاقوياء الشداد فكيف تضرني آلهتكم وما هي الا جماد لا تضر ولا تنفع وكيف تنتقم مني اذا نلت منها وصددت عن عبادتها بان تخبلني وتذهب بعقلي **اني توكلت على الله ربي وربكم ما من دابة الا هو آخذ بناصيتها ان ربي على صراط مستقيم** ولما ذكر توكله على الله وثقته بحفظه وكلاءته من كيدهم وصفه بما يوجب التوكل عليه من اشتمال ربوبيته عليه وعليهم ومن كون كل دابة في قبضته وملكته وتحت قهره وسلطانه والاخذ بنواصيها تمثيل لذلك ان ربي على صراط مستقيم يريد انه على طريق الحق والعدل في ملكه لا يفوته ظالم ولا يضيع عنده معتصم به **فان تولوا فقد ابلغتكم ما ارسلت به اليكم ويستخلف ربي قوما غيركم ولا تضرونه شيئا ان**

ربي على كل شيء حفيظ لان تولوا فان تتولوا فان قلت الابلاغ كان قبل التولي فكيف وقع جزاء الشرط قلت معناه فان تتولوا لم اعاتب على تفريط في الابلاغ وكنتم محجوجين بان ما ارسلت به اليكم قد بلغكم فابيتم الا تكذيب الرسالة وعداوة الرسول ويستخلف كلام مستانف يريد ويهلككم الله ويجيء بقوم آخرين يخلفونكم في دياركم واموالكم ولا تضرونه بتوليكم شيئا من ضرر قط لانه لا يجوز عليه المضار والمنافع وانما تضرون انفسكم وفي قراءة عبد الله ويستخلف بالجزم وكذلك ولا تضروه عطفا على محل فقد ابلغتكم والمعنى ان تتولوا يعذرني ويستخلف قوما غيركم ولا تضروا الا انفسكم على كل شيء حفيظ اي رقيب عليه مهيمن فما تخفى عليه اعمالكم ولا يغفل عن مؤاخذتكم او من كان رقيبا على الاشياء كلها حافظا لها وكانت مفتقرة الى حفظه من المضار لم يضر مثله مثلكم ولما جاء امرنا نجينا هودا والذين امنوا معه برحمة منا ونجيناهم من عذاب غليظ والذين امنوا معه قيل كانوا اربعة الاف فان قلت ما معنى تكرير التنجية قلت ذكر اولا انه حين اهلك عدوهم نجاهم ثم قال ونجيناهم من عذاب غليظ على معنى وكانت تلك التنجية من عذاب غليظ وذلك ان الله تعالى بعث عليهم السموم فكانت تدخل في انوفهم وتخرج من ادبارهم فتقطعهم عضوا عضوا وقيل اراد بالثانية التنجية من عذاب الاخرة ولا عذاب اغلظ منه واشد وقوله برحمة منا يريد بسبب الايمان الذي انعمنا عليهم بالتوفيق له وتلك عاد جحدوا بايات ربهم وعصوا رسله واتبعوا امر كل جبار عنيد وتلك عاد اشارة الى قبورهم وآثارهم كانه قال سيحوا في الارض فانظروا اليها واعتبروا ثم استانف وصف احوالهم فقال جحدوا بايات ربهم وعصوا رسله لانهم اذا عصوا رسولهم فقد عصوا جميع رسل الله لا نفرق بين احد من رسله قيل لم يرسل اليهم الا هود وحده كل جبار عنيد يريد رؤساءهم وكبراءهم ودعاتهم الى تكذيب الرسل ومعنى اتباع امرهم طاعتهم واتبعوا في هذه الدنيا لعنة ويوم القيامة الا ان عادا كفروا ربهم الا بعدا لعاد قوم هود لما كانوا تابعين لهم دون الرسل جعلت اللعنة تابعة لهم في الدارين تكبهم على وجوههم في عذاب الله الا وتكرار حرف التنبيه مع التكرار على كفرهم والدعاء عليهم تهويل لامرهم وتفظيع له وبعث على الاعتبار بهم والحذر من مثل حالهم فان قلت بعدا دعاء بالهلاك فما معنى الدعاء به عليهم بعد هلاكهم قلت معناه الدلالة على انهم كانوا مستاهلين له الا ترى الى قوله * اخوتي لا تبعدوا ابدا * وبلى والله قد بعدوا * قوم هود عطف بيان لعاد فان قلت ما الفائدة في هذا البيان والبيان حاصل بدونه قلت الفائدة فيه ان يوسموا بهذه الدعوة وسما وتجعل فيهم امرا محققا لا شبهة فيه بوجه من الوجوه ولان عادا عادان الاولى القديمة التي هي قوم هود والقصة فيهم والاخرى ارم والى ثمود اخاهم صالحا قال يا قوم اعبدوا الله ما لكم من اله غيره هو انشاكم من الارض واستعمركم فيها فاستغفروه ثم توبوا اليه ان ربي قريب مجيب هو انشاكم من الارض لم ينشئكم منها الا هو ولم يستعمركم فيها غيره وانشاؤهم منها خلق آدم من التراب واستعمركم وامركم بالعمارة والعمارة متنوعة الى واجب وندب ومباح ومكروه وكان ملوك فارس قد اكثروا من حفر الانهار وغرس الاشجار وعمروا الاعمار الطوال مع ما كان فيهم من عسف الرعايا فسال نبي من انبياء زمانهم ربه عن سبب تعميرهم فاوحى الله اليه انهم عمروا بلادي فعاش فيها عبادي وعن معاوية بن ابي سفيان انه اخذ في احياء الارض في آخر امره فقيل له فقال ما حملني عليه الا قول القائل *

ليس الفتى بفتى لا يستضاء به * ولا يكون له في الارض آثار *

وقيل استعمركم من العمر نحو استبقاكم من البقاء وقد جعل من العمرى وفيه وجهان احدهما ان يكون استعمر في معنى اعمر كقولك استهلكه في معنى اهلكه

ومعناه

ومعناه اعمركم فيها دياركم ثم هو وارثها منكم عند انقضاء اعماركم والثاني ان يكون بمعنى جعلكم معمرين دياركم فيها لان الرجل اذا ورث داره من بعده فكانما اعمره اياها لانه يسكنها عمره ثم يتركها لغيره قريب داني الرحمة سهل المطلب مجيب لمن ساله قالوا يا صالح قد كنت فينا مرجوا قبل هذا اتنهانا ان نعبد ما يعبد اباؤنا واننا لفي شك مما تدعونا اليه مريب فينا فيما بيننا مرجوا كانت تلوح فيك مخايل الخير وامارات الرشد فكنا نرجوك لننتفع بك وتكون مشاورا في الامور ومسترشدا في التدابير فلما نطقت بهذا القول انقطع رجاؤنا عنك وعلمنا ان لا خير فيك وعن ابن عباس رضي الله عنهما فاضلا خيرا نقدمك على جميعنا وقيل كنا نرجو ان تدخل في ديننا وتوافقنا على ما نحن عليه يعبد اباؤنا حكاية حال ماضية مريب من ارابه اذا اوقعه في الريبة وهي قلق النفس وانتفاء الطمانينة باليقين او من اراب الرجل اذا كان ذا ريبة على الاسناد المجازي قال يا قوم ارايتم ان كنت على بينة من ربي وآتاني منه رحمة فمن ينصرني من الله ان عصيته فما تزيدونني غير تخسير قيل ان كنت على بينة من ربي حرف الشك وكان على يقين انه على بينة لان خطابه للجاحدين فكانه قال قدروا اني على بينة من ربي واني نبي على الحقيقة وانظروا ان تابعتكم وعصيت ربي في اوامره فمن يمنعني من عذاب الله فما تزيدونني اذن حينئذ غير تخسير يعني تخسرون اعمالي وتبطلونها او فما تزيدونني بما تقولون لي وتحملونني عليه غير ان اخسركم اي انسبكم الى الخسران واقول لكم انكم خاسرون ويا قوم هذه ناقة الله لكم آية فذروها تاكل في ارض الله ولا تمسوها بسوء فياخذكم عذاب قريب فعقروها فقال تمتعوا في داركم ثلاثة ايام ذلك وعد غير مكذوب آية نصب على الحال قد عمل فيها ما دل عليه اسم الاشارة من معنى الفعل فان قلت فبم يتعلق لكم قلت بآية حالا منها متقدمة لانها لو تاخرت لكانت صفة لها فلما تقدمت انتصبت على الحال عذاب قريب عاجل لا يستاخر عن مسكم لها بسوء الا يسيرا وذلك ثلاثة ايام ثم يقع عليكم تمتعوا استمتعوا بالعيش في داركم في بلدكم وتسمى البلاد الديار لانه يدار فيها اي يتصرف يقال ديار بكر لبلادهم وتقول العرب الذين حوالي مكة نحن من عرب الدار يريدون من عرب البلد وقيل في دار الدنيا وقيل عقروها يوم الاربعاء وهلكوا يوم السبت غير مكذوب غير مكذوب فيه فاتسع في الظرف بحذف الحرف واجرائه مجرى المفعول به كقولك يوم مشهود من قوله ويوم شهدناه او على المجاز كانه قيل للوعد نفي بك فاذا وفى به فقد صدق ولم يكذب او وعد غير كذب على ان المكذوب مصدر كالمجلود والمعقول وكالمصدوقة بمعنى الصدق فلما جاء امرنا نجينا صالحا والذين امنوا معه برحمة منا ومن خزي يومئذ ان ربك هو القوي العزيز واخذ الذين ظلموا الصيحة فاصبحوا في ديارهم جاثمين ومن خزي يومئذ قرئ مفتوح الميم لانه مضاف الى اذ وهو غير متمكن كقوله على حين عاتبت المشيب فان قلت علام عطف قلت على نجينا لان تقديره ونجيناهم من خزي يومئذ كما قال ونجيناهم من عذاب غليظ على وكانت التنجية من خزي يومئذ اي من ذله ومهانته وفضيحته ولا خزي اعظم من خزي من كان هلاكه بغضب الله وانتقامه ويجوز ان يريد بيومئذ يوم القيامة كما فسر العذاب الغليظ بعذاب الاخرة كان لم يغنوا فيها الا ان ثمودا كفروا ربهم الا بعدا لثمود قرئ الا ان ثمود ولثمود كلاهما بالصرف وامتناعه فالصرف للذهاب الى الحي والاب الاكبر ومنعه للتعريف والتانيث بمعنى القبيلة ولقد جاءت رسلنا ابراهيم بالبشرى قالوا سلاما قال سلام فما لبث ان جاء بعجل حنيذ رسلنا يريد الملائكة عن ابن عباس رضي الله عنهما جاءه جبريل وملكان معه وقيل جبريل وميكائيل واسرافيل عليهم السلام وقيل كانوا تسعة وعن

التي أخذ عشر بالبشرى هي البشارة بالولد وقيل بهلاك قوم لوط والظاهر الولد سلاما سلمنا
عليك سلاما سلام أمركم سلام وقرئ فقالوا سلما قال سلم بمعنى السلام وقيل سلم وسلام كحرم
وحرام وأنشد ٭ مررنا فقلنا ايه سلم فسلمت ٭ كما اكتل بالبرق الغمام اللوائح ٭ **فما لبث أن جاء**
فما لبث في المجيء به بل عجل فيه أو فما لبث مجيئه والعجل ولد البقرة ويسمى الحسيل والخبش بلغة أهل السراة
وكان مال ابراهيم البقر حنيذ مشوي بالرضف في أخدود وقيل حنيذ يقطر دسمه من حنذت الفرس
إذا ألقيت عليها الجل حتى تقطر عرقا ويدل عليه بعجل سمين **فلما رأى أيديهم لا تصل إليه نكرهم**
وأوجس منهم خيفة قالوا لا تخف إنا أرسلنا إلى قوم لوط يقال نكره وأنكره واستنكره
ومنكور قليل في كلامهم وكذلك أنا أنكرك ولكن منكر ومستنكر وأنكرك وقال الأعشى ٭
٭ وأنكرتني وما كان الذي نكرت ٭ من الحوادث إلا الشيب والصلعا ٭ قيل كان ينزل في
طرف من الأرض فخاف أن يريد وابه مكروها وقيل كانت عادتهم أنه إذا مس من يطرقهم طعامهم أمنوه
وإلا خافوه والظاهر أنه أحس بأنهم ملائكة ونكرهم لأنه تخوف أن يكون نزولهم لأمر أنكره الله عليه
أو لتعذيب قومه ألا ترى إلى قولهم لا تخف إنا أرسلنا إلى قوم لوط وإنما يقال هذا لمن عرفهم ولم يعرف
فيم أرسلوا وأوجس وأضمر وإنما قالوا لا تخف لأنهم رأوا أثر الخوف والتغير في وجهه أو عرفوه بتعريف
الله أو علموا أن علمه بأنهم ملائكة موجب الخوف لأنهم كانوا لا ينزلون إلا بعذاب **وامرأته قائمة**
فضحكت فبشرناها بإسحق ومن وراء إسحق يعقوب وامرأته قائمة قيل كانت قائمة وراء الستر
تسمع تحاورهم وقيل كانت قائمة على رؤسهم تخدمهم وفي مصحف عبد الله وامرأته قائمة وهو قاعد
فضحكت سرورا بزوال الخيفة أو بهلاك أهل الخبائث أو كان ضحكها ضحك إنكار لغفلتهم وقد أظلهم
العذاب وقيل كانت تقول لابراهيم اضمم لوطا ابن أخيك إليك فإني أعلم أنه ينزل بهؤلاء القوم عذاب
فضحكت سرورا لما أتى الأمر على ما توهمت وقيل فضحكت فحاضت وقرأ محمد بن زياد الأعرابي فضحكت
بفتح الحاء يعقوب رفع بالابتداء كأنه قيل ومن وراء إسحق يعقوب مولود أو موجود أي من بعده وقيل
الوراء ولد الولد وعن الشعبي أنه قيل له أهذا ابنك فقال نعم من الوراء وكان ولد ولده وقرئ
يعقوب بالنصب كأنه قيل ووهبنا لها إسحق ومن وراء إسحق يعقوب على طريقة قوله ليسوا مصلحين
عشيرة ولا ناعب **قالت يا ويلتى أألد وأنا عجوز وهذا بعلي شيخا إن هذا لشيء عجيب** الألف
في يا ويلتا مبدلة من ياء الإضافة وكذلك في يا لهفا ويا عجبا وقرأ الحسن يا ويلتي بالياء على الأصل وشيخا
نصب بما دل عليه اسم الإشارة وقرئ شيخ على أنه خبر مبتدأ محذوف أي هذا بعلي هو شيخ أو بعلي بدل
من المبتدأ وشيخ خبر أو يكونان معا خبرين قيل بشرت ولها ثمان وتسعون سنة ولابراهيم عليه السلام
مائة وعشرون سنة إن هذا لشيء عجيب أن يولد ولد من هرمين وهو استبعاد من حيث العادة التي
أجراها الله **قالوا أتعجبين من أمر الله رحمة الله وبركاته عليكم أهل البيت إنه حميد**
مجيد وإنما أنكرت عليها الملائكة تعجبها فقالوا أتعجبين من أمر الله لأنها كانت في بيت الآيات ومهبط
المعجزات والأمور الخارقة للعادات فكان عليها أن تتوقر ولا يزدهيها ما يزدهي سائر النساء
الناشئات في غير بيوت النبوة وأن تسبح الله وتمجده مكان التعجب وإلى ذلك أشارت الملائكة صلوات
الله عليهم في قولهم رحمة الله وبركاته عليكم أهل البيت أرادوا أن هذه وأمثالها مما يكرمكم به رب
العزة ويخصكم بالإنعام به يا أهل بيت النبوة فليست بمكان عجيب وأمر الله قدرته وحكمته وقوله

رحمة الله وبركاته عليكم كلام مستأنف علل به إنكار التعجب كأنه قيل إياك والتعجب فإن أمثال هذه
الرحمة والبركة متكاثرة من الله عليكم وقيل الرحمة النبوة والبركات الأسباط من بني إسرائيل
لأن الأنبياء عليهم السلام منهم وكلهم من ولد ابراهيم عليه السلام حميد فاعل ما يستوجب به الحمد
من عباده مجيد كريم كثير الإحسان إليهم وأهل البيت نصب على النداء أو على الاختصاص لأن أهل
البيت مدح لهم إذ المراد أهل بيت خليل الرحمن صلوات الله عليه **فلما ذهب عن ابراهيم**
الروع وجاءته البشرى يجادلنا في قوم لوط إن ابراهيم لحليم أواه منيب الروع ما أوجس
من الخيفة حين نكر أضيافه والمعنى أنه لما اطمأن قلبه بعد الخوف وملئ سرورا بسبب البشرى بدل
الغم فرغ للمجادلة **فإن قلت** أين جواب لما قلت هو محذوف كما حذف في قوله تعالى فلما ذهبوا به
وأجمعوا وقوله يجادلنا كلام مستأنف دال على الجواب وتقديره اجترأ على خطابنا أو فطن لمجادلتنا أو
قال كيت وكيت ثم ابتدأ فقال يجادلنا في قوم لوط وقيل يجادلنا هو جواب لما وإنما جيء به مضارعا
لحكاية الحال وقيل إن لما ترد المضارع إلى معنى الماضي كما ترد إن الماضي إلى معنى الاستقبال وقيل
معناه أخذ يجادلنا وأقبل يجادلنا والمعنى يجادل رسلنا ومجادلته إياهم أنهم قالوا إنا مهلكوا أهل هذه
القرية فقال أرأيتم لو كان فيها خمسون رجلا من المؤمنين أتهلكونها قالوا لا قال فأربعون قالوا
لا قال فثلاثون قالوا لا حتى بلغ العشرة قالوا لا قال أرأيتم إن كان فيها رجل واحد مسلم أتهلكونها
قالوا لا فعند ذلك قال إن فيها لوطا قالوا نحن أعلم بمن فيها لننجينه وأهله في قوم لوط في معناهم
وعن ابن عباس رضي الله عنهما قالوا له إن كان فيها خمسة يصلون رفع عنهم العذاب وعن قتادة
ما قوم لا يكون فيهم عشرة فيهم خير وقيل كان فيها أربعة آلاف ألف إنسان إن ابراهيم لحليم
غير عجول على كل من أساء إليه أواه كثير التأوه من الذنوب منيب تائب راجع إلى الله بما يحب ويرضى
وهذه الصفات دالة على رقة القلب والرأفة والرحمة فبين أن ذلك مما حمله على المجادلة فيهم رجاء
أن يرفع عنهم العذاب ويمهلوا لعلهم يحدثون التوبة والإنابة كما حمله على الاستغفار لأبيه
يا ابراهيم أعرض عن هذا إنه قد جاء أمر ربك وإنهم آتيهم عذاب غير مردود يا ابراهيم
على إرادة القول أي قالت له الملائكة أعرض عن هذا الجدال وإن كانت الرحمة ديدنك فلا فائدة
فيه إنه قد جاء أمر ربك وهو قضاؤه وحكمه الذي لا يصدر إلا عن صواب وحكمة والعذاب نازل
بالقوم لا محالة لا مرد له بجدال ولا دعاء ولا غير ذلك **ولما جاءت رسلنا لوطا سيء بهم وضاق**
بهم ذرعا وقال هذا يوم عصيب كانت مساءة لوط وضيق ذرعه لأنه حسب أنهم إنس فخاف
عليهم خبث قومه وأن يعجز عن مقاومتهم ومدافعتهم وروي أن الله تعالى قال لهم لا تهلكوا حتى
يشهد عليهم لوط أربع شهادات فلما مشى معهم منطلقا بهم إلى منزله قال لهم أما بلغكم أمر هذه
القرية قالوا وما أمرهم قال أشهد بالله إنها لشر قرية في الأرض عملا يقول ذلك أربع مرات فدخلوا
معه منزله ولم يعلم بذلك أحد فخرجت امرأته فأخبرت بهم قومها يقال يوم عصيب وعصوصب
إذا كان شديدا من قولك عصبه إذا شده **وجاءه قومه يهرعون إليه ومن قبل كانوا يعملون**
السيئات قال يا قوم هؤلاء بناتي هن أطهر لكم فاتقوا الله ولا تخزون في ضيفي أليس
منكم رجل رشيد قالوا لقد علمت ما لنا في بناتك من حق وإنك لتعلم ما نريد يهرعون
يسرعون كأنما يدفعون دفعا ومن قبل كانوا يعملون السيئات ومن قبل ذلك الوقت كانوا يعملون

البنات ومن قبل ذلك الوقت كانوا يعملون الفواحش ويكثرونها فضروا بها ومرنوا عليها وقل عندهم استقباحها فلذلك جاءوا يهرعون مجاهرين لا يكفهم حياء وقيل معناه وقد عرف لوط عادتهم في عمل الفواحش قبل ذلك هؤلاء بناتي اراد ان يقي اضيافه ببناته وذلك غاية الكرم واراد هؤلاء بناتي فتزوجوهن وكان تزويج المسلمات من الكفار جائزا كما زوج رسول الله عليه السلام ابنتيه من عتبة بن ابي لهب وابي العاص بن وائل قبل الوحي وهما كافران وقيل كان لهم سيدان مطاعان فاراد ان يزوجهما ابنتيه **وقرا** ابن مروان هن اطهر لكم بالنصب وضعفه سيبويه وقال احتبى ابن مروان في لحنه وعن ابي عمرو بن العلاء من قرا هن اطهر بالنصب فقد تربع في لحنه وذلك ان انتصابه على ان يجعل حالا قد عمل فيها ما في هؤلاء من معنى الفعل كقوله تعالى هذا بعلي شيخا او ينصب هؤلاء بفعل مضمر كانه قيل خذوا هؤلاء وبناتي بدل ويعمل هذا المضمر في الحال وهن فصل وهذا لا يجوز لان الفصل مختص بالوقوع بين جزئي الجملة ولا يقع بين الحال وذي الحال وقد خرج له وجه لا يكون هن فيه فصلا وذلك ان يكون هؤلاء مبتدا وبناتي هن جملة في موضع خبر المبتدا كقولك هذا اخي هو ويكون اطهر حالا فاتقوا الله بايثارهن عليهم ولا تخزون ولا تفضحوني من الخزي او ولا تخجلوني من الخزاية وهي الحياء في ضيفي في حق ضيفي فانه اذا خزي ضيف الرجل وجاره فقد خزي الرجل وذلك من عراقة الكرم واصالة المروة اليس منكم رجل رشيد رجل واحد يهتدي الى سبيل الحق وفعل الجميل والكف عن السوء **وقرى** ولا تخزوني بطرح الياء ويجوز ان يكون عرض البنات عليهم مبالغة في تواضعه لهم واظهارا لشدة امتعاضه مما اوردوا عليه طمعا في ان يستحيوا منه ويرقوا له اذا سمعوا ذلك فيتركوا له ضيوفه مع ظهور الامر واستقرار العلم عنده وعندهم ان لا مناكحة بينه وبينهم ومن ثم قالوا لقد علمت مستشهدين بعلمه ما لنا في بناتك من حق لانك لا ترى مناكحتنا وما هو الا عرض سابري قيل لما اتخذوا اتيان الذكران مذهبا ودينا لتواطيهم عليه كان عندهم انه الحق وان نكاح الاناث من الباطل فلذلك قالوا ما لنا في بناتك من حق قط لان نكاح الاناث امر خارج من مذهبنا الذي نحن عليه ويجوز ان يقولوه على وجه الخلاعة والغرض نفي الشهوة لتعلم ما نريد عنوا اتيان الذكور وما لهم فيه من الشهوة قال لو ان لي بكم قوة او اوي الى ركن شديد جواب لو محذوف كقوله تعالى ولو ان قرانا سيرت به الجبال يعني لو ان لي بكم قوة لفعلت بكم وصنعت يقال ما لي به قوة وما لي به طاقة ونحوه لا قبل لهم بها وما لي به يدان لانه في معنى لا اطيق به ولا استقل به والمعنى لو قويت عليكم بنفسي او اويت الى قوي استند اليه واتمنع به فيحميني منكم فشبه القوي العزيز بالركن من الجبل في شدته ومنعته ولذلك قالت الملائكة وقد وجدت عليه ان ركنك لشديد وقال النبي صلى الله عليه وسلم رحم الله اخي لوطا كان ياوي الى ركن شديد **وقرى** او اوي بالنصب باضمار ان كانه قيل لو ان لي بكم قوة او اويا كقولها للبس عباءة وتقر عيني وقرى الى ركن بضمتين قالوا يا لوط انا رسل ربك لن يصلوا اليك فاسر باهلك بقطع من الليل ولا يلتفت منكم احد الا امراتك انه مصيبها ما اصابهم ان موعدهم الصبح اليس الصبح بقريب **وروي** انه اغلق بابه حين جاءوا وجعل يرادهم ما حكى الله عنه ويجادلهم فتسوروا الجدار فلما رات الملائكة ما لقي لوط من الكرب قالوا يا لوط ان ركنك لشديد انا رسل ربك لن يصلوا اليك فافتح الباب ودعنا واياهم ففتح الباب فدخلوا فاستاذن جبريل عليه السلام ربه في عقوبتهم فاذن له

فقال

فقام في الصورة التي يكون فيها فنشر جناحه وله جناحان وعليه وشاح من در منظوم وهو براق الثنايا فضرب بجناحه وجوههم فطمس اعينهم فاعماهم كما قال الله فطمسنا اعينهم فصاروا لا يعرفون الطريق فخرجوا وهم يقولون النجاء النجاء فان في بيت لوط قوما سحرة لن يصلوا اليك جملة موضحة للتي قبلها لانهم اذا كانوا رسل الله لم يصلوا اليه ولم يقدروا على ضرره قرى فاسر بالقطع والوصل والا امراتك بالرفع والنصب وروي انه قال لهم متى موعد هلاكهم قالوا الصبح فقال اريد اسرع من ذلك فقالوا اليس الصبح بقريب وقرى الصبح بضمتين **فان قلت** ما وجه قراءة من قرا الا امراتك بالنصب استثناها من قوله تعالى فاسر باهلك والدليل عليه قراءة عبد الله فاسر باهلك بقطع من الليل الا امراتك ويجوز ان ينتصب عن لا يلتفت على اصل الاستثناء وان كان الفصيح هو البدل اعني قراءة من قرا بالرفع فابدلها عن احد وفي اخراجها مع اهله روايتان روي انه اخرجها معهم وامر ان لا يلتفت منهم احد الا هي فلما سمعت هدة العذاب التفتت وقالت يا قوماه فادركها حجر فقتلها وروي انه امر بان يخلفها مع قومها فان هواها اليهم فلم يسر بها واختلاف القراءتين لاختلاف الروايتين فلما جاء امرنا جعلنا عاليها سافلها وامطرنا عليها حجارة من سجيل منضود جعلنا عاليها سافلها جعل جبريل جناحه في اسفلها ثم رفعها الى السماء حتى سمع اهل السماء نباح الكلاب وصياح الديكة ثم قلبها عليهم واتبعوا الحجارة من فوقهم من سجيل قيل هي كلمة معربة من سنك كل بدليل قوله حجارة من طين وقيل هي من اسجله اذا ارسله لانها ترسل على الظالمين ويدل عليه قوله تعالى لنرسل عليهم حجارة وقيل مما كتب الله ان يعذب به من السجل وسجل لفلان منضود نضد في السماء نضدا معدا للعذاب وقيل يرسل بعضه في اثر بعض متتابعا مسومة عند ربك وما هي من الظالمين ببعيد مسومة معلمة للعذاب وعن الحسن رحمة الله عليه كانت معلمة ببياض وحمرة وقيل عليها سيما يعلم بها انها ليست من حجارة الارض وقيل مكتوب على كل واحد اسم من يرمى به وما هي من كل ظالم ببعيد وفيه وعيد لاهل مكة **وعن** رسول الله صلى الله عليه وسلم انه سال جبريل فقال يعني ظالمي امتك ما من ظالم منهم الا وهو بعرض حجر يسقط عليه من ساعة الى ساعة وقيل الضمير للقرى اي هي قريبة من ظالمي مكة يمرون بها في مسايرهم وما هي بشيء بعيد ويجوز ان يراد وما هي بمكان بعيد لانها وان كانت في السماء وهي مكان بعيد الا انها اذا هوت منها فهي اسرع شيء لحوقا بالمرمي فكانها بمكان قريب منه والى مدين اخاهم شعيبا قال يا قوم اعبدوا الله ما لكم من اله غيره ولا تنقصوا المكيال والميزان اني اراكم بخير واني اخاف عليكم عذاب يوم محيط اني اراكم بخير بثروة وسعة تغنيكم عن التطفيف او اراكم بنعمة من الله حقها ان تقابل بغير ما تفعلون او اراكم بخير فلا تزيلوه عنكم بما انتم عليه كقول مؤمن ال فرعون يا قوم لكم الملك اليوم ظاهرين في الارض فمن ينصرنا من باس الله ان جاءنا يوم محيط مهلك من قوله واحيط بثمره واصله من احاطة العدو **فان قلت** وصف العذاب بالاحاطة ابلغ ام وصف اليوم بها بل وصف اليوم لان اليوم زمان يشتمل على الحوادث فاذا احاط بعذابه فقد اجتمع للمعذب ما اشتمل عليه منه كما اذا احاط بنعيمه ويا قوم اوفوا المكيال والميزان بالقسط ولا تبخسوا الناس اشياءهم ولا تعثوا في الارض مفسدين **فان قلت** النهي عن النقصان امر بالايفاء فما فائدة قوله اوفوا **قلت** نهوا اولا عن عين القبيح الذي كانوا عليه من نقص المكيال والميزان لان في التصريح بالقبيح نعيا على المنهي عنه وتعييرا له ثم ورد الامر بالايفاء الذي هو حسن في العقول مصرحا

بلفظه لزيادة ترغيب فيه وبعث عليه وجيء به مقيدا بالقسط أي ليكن الإيفاء على وجه العدل والتسوية
من غير زيادة ولا نقصان أمرا بما هو الواجب لأن ما جاوز العدل فضل وأمر مندوب إليه وفيه
توقيف على أن الموفي عليه أن ينوي بالوفاء القسط لأن الإيفاء وجه حسنه أنه قسط وعدل فهذه ثلاثة
فوائد. البخس الهضم والنقص ويقال للمكس البخس قال زهير: أفي كل ما باع امرؤ بخس درهم
ويروى مكس درهم وكانوا يأخذون من كل شيء يباع كما يفعل السماسرة أو كانوا يمكسون الناس
أو كانوا ينقصون من أثمان ما يشترون من الأشياء فنهوا عن ذلك والعثي في الأرض نحو السرقة
والغارة وقطع السبيل ويجوز أن يجعل التطفيف والبخس عثيا منهم في الأرض **بقيت الله خير
لكم إن كنتم مؤمنين وما أنا عليكم بحفيظ** بقية الله ما يبقي لكم من الحلال بعد التنزه عما هو
حرام عليكم خير لكم إن كنتم مؤمنين بشرط أن تؤمنوا **فإن قلت** بقية الله خير للكفرة لأنهم
يسلمون معها من تبعة البخس والتطفيف فلم شرط الإيمان **قلت** لظهور فائدتها مع الإيمان
من حصول الثواب مع النجاة من العقاب وخفاء فائدتها مع فقده لانغماس صاحبها في غمرات الكفر
وفي ذلك استعظام للإيمان وتنبيه على جلالة شأنه ويجوز أن يراد إن كنتم مصدقين لي فيما أقول
لكم وأنصح به إياكم ويجوز أن يراد ما يبقى لكم عند الله من الطاعات خير لكم كقوله تعالى والباقيات
الصالحات خير عند ربك وإضافة البقية إلى الله من حيث أنها رزقه الذي يجوز أن يضاف إليه
وأما الحرام فلا يضاف إلى الله ولا يسمى رزقا وإذا أريد بها الطاعة فكما تقول طاعة الله وقرئ
تقية الله بالتاء وهي تقواه ومراقبته التي تصرف عن المعاصي والقبائح وما أنا عليكم بحفيظ وما بعثت
لأحفظ عليكم أعمالكم وأجازيكم عليها وإنما بعثت مبلغا ومنبها على الخير وناصحا وقد أعذرت حين أنذرت
**قالوا يا شعيب أصلواتك تأمرك أن نترك ما يعبد آباؤنا أو أن نفعل في أموالنا ما نشاء
إنك لأنت الحليم الرشيد** كان شعيب عليه السلام كثير الصلوات وكان قومه إذا رأوه يصلي
تغامزوا وتضاحكوا فقصدوا بقولهم أصلواتك تأمرك السخرية والهزء والصلاة وإن جاز أن
تكون آمرة على طريق المجاز كما كانت ناهية في قوله تعالى إن الصلاة تنهى عن الفحشاء والمنكر وأن يقال
إن الصلاة تأمر بالجميل والمعروف كما يقال تدعو إليه وتبعث عليه إلا أنهم ساقوا الكلام مساق
الطنز وجعلوا الصلاة آمرة على سبيل التهكم بصلاته وأرادوا أن هذا الذي تأمر به من ترك عبادة
الأوثان باطل لا وجه لصحته وأن مثله لا يدعوك إليه داعي عقل ولا يأمرك به آمر فطنة فلم يبق
إلا أن يأمرك به آمر هذيان ووسوسة شيطان وهو صلواتك التي تداوم عليها في ليلك ونهارك
وعندهم أنها من باب الجنون ومما يتولع به المجانين والموسوسون من بعض الأقوال والأفعال
ومعنى تأمرك أن نترك تأمرك بتكليف أن نترك ما يعبد آباؤنا فحذف المضاف الذي هو التكليف
لأن الإنسان لا يؤمر بفعل غيره **وقرئ** أصلاتك بالتوحيد وقرأ ابن أبي عبلة أو أن تفعل في
أموالنا ما تشاء بتاء الخطاب فيهما وهو ما كان يأمرهم به من ترك التطفيف والبخس والاقتناع بالحلال
القليل من الحرام الكثير وقيل كان ينهاهم عن حذف الدراهم والدنانير وتقطيعها وأرادوا
بقولهم إنك لأنت الحليم الرشيد نسبته إلى غاية السفه والغي فعكسوا ليتهكموا به كما يتهكم بالشحيح
الذي لا يبض حجره فيقال له لو أبصرك حاتم لسجد لك وقيل معناه إنك للمتواصف بالحلم والرشد
في قومك يعنون أن ما تأمر به لا يطابق حالك وما شهرت به **قال يا قوم أرأيتم إن كنت على بينة

من ربي ورزقني منه رزقا حسنا وما أريد أن أخالفكم إلى ما أنهاكم عنه إن أريد إلا الإصلاح
ما استطعت وما توفيقي إلا بالله عليه توكلت وإليه أنيب** ورزقني منه أي من لدنه
رزقا حسنا وهو ما رزقه من النبوة والحكمة وقيل رزقا حسنا حلالا طيبا من غير بخس ولا تطفيف **فإن
قلت** أين جواب أرأيتم وما له لم يثبت كما أثبت في قصة نوح ولوط عليهما السلام **قلت** جوابه
محذوف وإنما لم يثبت لأن إثباته في القصتين دل على مكانه ومعنى الكلام ينادي عليه والمعنى أخبروني
إن كنت على حجة واضحة ويقين من ربي وكنت نبيا على الحقيقة أيصح أن لا آمركم بترك عبادة الأوثان
والكف عن المعاصي والأنبياء لا يبعثون إلا لذلك يقال خالفني فلان إلى كذا إذا قصده وأنت مول
عنه وخالفني عنه إذا ولى عنه وأنت قاصده ويلقاك الرجل صادرا عن الماء فتسأله عن صاحبه فيقول
خالفني إلى الماء يريد أنه قد ذهب إليه واردا وأنا ذاهب عنه صادرا ومنه قوله تعالى وما أريد أن
أخالفكم إلى ما أنهاكم عنه يعني أن أسبقكم إلى شهواتكم التي نهيتكم عنها لأستبد بها دونكم إن أريد إلا
الإصلاح ما أريد إلا أن أصلحكم بموعظتي ونصيحتي وأمري بالمعروف ونهيي عن المنكر ما استطعت ظرف
أي مدة استطاعتي للإصلاح وما دمت متمكنا منه لا آلو فيه جهدا أو بدل من الإصلاح أي المقدار الذي
استطعته منه ويجوز أن يكون على تقدير حذف المضاف على قولك إلا الإصلاح إصلاح ما استطعت
أو مفعولا له **كقوله** ضعيف النكاية أعداءه. أي ما أريد إلا أن أصلح ما استطعت إصلاحه من فاسدكم
وما توفيقي إلا بالله وما كوني موفقا لإصابة الحق فيما آتي وأذر ووقوعه موافقا لرضى الله إلا بمعونته
وتأييده والمعنى أنه استوفق ربه في إمضاء الأمر على سننه وطلب منه التأييد والإظهار على عدوه وفي ضمنه
تهديد للكفار وحسم لأطماعهم فيه **ويا قوم لا يجرمنكم شقاقي أن يصيبكم مثل ما أصاب قوم
نوح أو قوم هود أو قوم صالح وما قوم لوط منكم ببعيد** جرم مثل كسب في تعديه إلى مفعول
واحد وإلى مفعولين تقول جرم ذنبا وكسبه وجرمته ذنبا وكسبته إياه قال
جرمت فزارة بعدها أن يغضبوا ومنه قوله تعالى لا يجرمنكم شقاقي أن يصيبكم أي لا يكسبنكم
شقاقي إصابة العذاب **وقرأ** ابن كثير بضم الياء من أجرمته ذنبا إذا جعلته جارما له أي كاسبا وهو منقول
من جرم المتعدي إلى مفعول واحد كما نقل أكسبه المال من كسب المال وكما لا فرق بين كسبته مالا
وأكسبته إياه فكذلك لا فرق بين جرمته ذنبا وأجرمته إياه والقراءتان مستويتان في المعنى لا تفاوت
بينهما إلا أن المشهورة أفصح لفظا كما أن كسبته مالا أفصح من أكسبته والمراد بالفصاحة أنه على ألسنة
الفصحاء من العرب الموثوق بعربيتهم أدور وهم له أكثر استعمالا **وقرأ** أبو حيوة وروي عن نافع مثل ما
أصاب بالفتح لإضافته إلى غير متمكن **كقوله** لم يمنع الشرب منها غير أن نطقت وما قوم لوط منكم
ببعيد يعني أنهم أهلكوا في عهد قريب من عهدكم فهم أقرب الهالكين منكم أو لا يبعدون منكم في الكفر
والمساوي وما يستحق به الهلاك **فإن قلت** ما للبعيد لم يرد على ما يقتضيه قوم من حمله على لفظه
أو معناه **قلت** إما أن يراد وما إهلاكهم ببعيد أو وما هم بشيء بعيد أو بزمان أو مكان بعيد ويجوز
أن يسوى في بعيد وقريب وقليل وكثير بين المذكر والمؤنث لورودها على زنة المصادر التي هي الصهيل
والنهيق ونحوهما **واستغفروا ربكم ثم توبوا إليه إن ربي رحيم ودود** رحيم ودود عظيم
الرحمة للتائبين فاعل بهم ما يفعل البليغ المودة بمن يوده من الإحسان والإجمال **قالوا يا شعيب ما
نفقه كثيرا مما تقول وإنا لنراك فينا ضعيفا ولولا رهطك لرجمناك وما أنت علينا بعزيز**

قال يا قوم ارهطي اعز عليكم من الله واتخذتموه وراءكم ظهريا ان ربي بما تعملون محيط ما
نفقه ما نفقه كثيرا مما تقول لانهم كانوا لا يلقون اليه اذهانهم رغبة عنه وكراهية له كقوله تعالى وجعلنا
على قلوبهم اكنة ان يفقهوه او كانوا يفقهونه ولكنهم لم يقبلوه فكأنهم لم يفقهوه او قالوا ذلك على وجه
الاستهانة به كما يقول الرجل لصاحبه اذا لم يعبأ بحديثه ما ادري ما تقول او جعلوا كلامه هذيانا وتخليطا
لا يفهم كثير منه وكيف لا يفهم كلامه وهو خطيب الانبياء وقيل كان الثغ فينا ضعيفا لا قوة لك ولا عز
فيما بيننا فلا تقدر على الامتناع منا ان اردنا بك مكروها وعن الحسن ضعيفا مهينا وقيل ضعيفا اعمى
وحمير تسمي المكفوف ضعيفا كما يسمى ضريرا وليس بسديد لان فينا يأباه الا ترى انه لو قيل انا لنراك
فينا اعمى لم يكن كلاما لان الاعمى اعمى فيهم وفي غيرهم ولذلك قللوا قومه حيث جعلوهم رهطا والرهط
من الثلاثة الى العشرة وقيل الى السبعة وانما قالوا ولولا رهطك احتراما لهم واعتدادا بهم لانهم كانوا
على ملتهم لا خوفا من شوكتهم وعزتهم لرجمناك لقتلناك شر قتلة وما انت علينا بعزيز اي لا تعز علينا
ولا تكرم حتى نكرمك من القتل ونرفعك عن الرجم وانما يعز علينا رهطك لانهم من اهل ديننا لم يختاروك
علينا ولم يتبعوك دوننا وقد دل ايلاء ضميره حرف النفي على ان الكلام واقع في الفاعل لا في الفعل كانه
قيل وما انت علينا بعزيز بل رهطك هم الاعزة علينا ولذلك قال في جوابهم ارهطي اعز عليكم من الله
ولو قيل وما عززت علينا لم يصح هذا الجواب فان قلت فالكلام واقع فيه وفي رهطه وانهم
الاعزة عليهم دونه فكيف صح قوله ارهطي اعز عليكم من الله قلت تهاونهم به وهو نبي الله تهاون
بالله فحين عز عليهم رهطه دونه كان رهطه اعز عليهم من الله الا ترى الى قوله تعالى من يطع الرسول
فقد اطاع الله واتخذتموه وراءكم ظهريا ونسيتموه وجعلتموه كالشيء المنبوذ وراء الظهر لا يعبأ به والظهري
منسوب الى الظهر والكسر من تغييرات النسب ونظيره قولهم في النسبة الى الامس امسي بما تعملون
محيط قد احاط باعمالكم علما فلا يخفى عليه شيء منها ويا قوم اعملوا على مكانتكم اني عامل على مكانتكم سوف تعلمون
لا تخلو المكانة من ان تكون بمعنى المكان يقال مكان ومكانة ومقام ومقامة او تكون مصدرا
من مكن مكانة فهو مكين والمعنى اعملوا قارين على جهتكم التي انتم عليها من الشرك والشنآن لي او
اعملوا متمكنين من عداوتي مطيقين لها اني عامل على حسب ما يؤتيني الله من النصرة والتأييد ويمكنني
من يأتيه عذاب يخزيه ومن هو كاذب وارتقبوا اني معكم رقيب من يأتيه يجوز ان
تكون من استفهامية معلقة لفعل العلم عن عمله فيها كانه قيل سوف تعلمون اينا يأتيه عذاب يخزيه
واينا هو كاذب وان تكون موصولة قد عمل فيها كانه قيل سوف تعلمون الشقي الذي يأتيه عذاب
يخزيه والذي هو كاذب فان قلت اي فرق بين ادخال الفاء ونزعها في سوف تعلمون قلت
ادخال الفاء وصل ظاهر بحرف موضوع للوصل ونزعها وصل خفي تقديري بالاستئناف الذي هو
جواب لسؤال مقدر كأنهم قالوا فماذا يكون اذا عملنا نحن على مكانتنا وعملت انت فقال سوف
تعلمون فوصل تارة بالفاء وتارة بالاستئناف للتفنن في البلاغة كما هو عادة بلغاء العرب واقوى
الوصلين وابلغهما الاستئناف وهو باب من ابواب علم البيان تتكاثر محاسنه وارتقبوا وانتظروا
العاقبة وما اقول لكم اني معكم رقيب اي منتظر والرقيب بمعنى الراقب من رقبه كالضريب والصريم
بمعنى الضارب والصارم او بمعنى المراقب كالعشير والنديم او بمعنى المرتقب كالفقير والرفيع
بمعنى المفتقر والمرتفع فان قلت قد ذكر عملهم على مكانتهم وعمله على مكانته ثم اتبعه ذكر عاقبة العاملين

بنه

منه ومنهم فكان القياس ان يقول من يأتيه عذاب يخزيه ومن هو صادق حتى ينصرف من يأتيه عذاب يخزيه
الى الجاحدين ومن هو صادق الى النبي المبعوث اليهم قلت القياس ما ذكرت ولكنهم لما كانوا يدعونه
كاذبا قال ومن هو كاذب يعني في زعمكم ودعواكم تجهيلا لهم ولما جاء امرنا نجينا شعيبا والذين
آمنوا معه برحمة منا واخذت الذين ظلموا الصيحة فاصبحوا في ديارهم جاثمين
فان قلت ما بال ساقتي قصة عاد وقصة مدين جاءتا بالواو والساقتان الوسطيان بالفاء
قد وقعت الوسطيان بعد ذكر الوعد وذلك قوله ان موعدهم الصبح ذلك وعد غير مكذوب
فجيء بالفاء الذي هو للتسبيب كما تقول وعدته فلما جاء الميعاد كان كيت وكيت واما الاخريان فلم تقعا
بتلك المثابة وانما وقعتا مبتدأتين فكان حقهما ان تعطفا بحرف الجمع على ما قبلهما كما تعطف قصة على
قصة الجاثم اللازم لمكانه لا يريم كاللابد يعني ان جبريل صاح بهم صيحة فزهق روح كل واحد منهم
بحيث هو فجأة كأن لم يغنوا فيها الا بعدا لمدين كما بعدت ثمود كأن لم يغنوا كأن لم يقيموا
في ديارهم احياء متصرفين مترددين البعد بمعنى البعد وهو الهلاك كالرشد بمعنى الرشد الا
ترى الى قوله كما بعدت ثمود وقرأ السلمي بعدت بضم العين والمعنى في البناءين واحد وهو نقيض القرب
الا انهم ارادوا التفرقة بين البعد من جهة الهلاك وبين غيره فغيروا البناء كما فرقوا بين ضماني الخير
والشر فقالوا وعد واوعد وقراءة السلمي جاءت على الاصل اعتبارا لمعنى البعد من غير تخصيص كما يقال
ذهب فلان ومضى في معنى الموت وقيل معناه بعدا لهم من رحمة الله كما بعدت ثمود منها ولقد
ارسلنا موسى بآياتنا وسلطان مبين بآياتنا وسلطان مبين فيه وجهان ان يراد ان هذه
الآيات فيها سلطان مبين لموسى على صدق نبوته وان يراد بالسلطان المبين العصا لانها ابهرها
الى فرعون وملائه فاتبعوا امر فرعون وما امر فرعون برشيد يقدم قومه يوم القيامة
فاوردهم النار وبئس الورد المورود وما امر فرعون برشيد تجهيل لمتبعيه حيث شايعوه
على امره وهو ضلال مبين لا يخفى على من فيه ادنى مسكة من العقل وذلك انه ادعى الالهية وهو
بشر مثلهم وجاهر بالعسف والظلم والشر الذي لا يأتي الا من شيطان مارد ومثله بمعزل من الالهية
ذاتا وافعالا فاتبعوه وسلموا له دعواه وتتابعوا على طاعته والامر الرشيد الذي فيه رشد اي وما في
امره رشد انما هو غي صريح وضلال ظاهر مكشوف وانما يتبع العقلاء من يرشدهم ويهديهم لا من
يضلهم ويغويهم وفيه انهم عاينوا الآيات والسلطان المبين في امر موسى عليه السلام وعلموا ان معه
الرشد والحق ثم عدلوا عن اتباعه الى اتباع من ليس في امره رشد قط يقدم قومه اي كما كان قدوة
لهم في الضلال كذلك يتقدمهم الى النار وهم يتبعونه ويجوز ان يريد بقوله وما امر فرعون برشيد
وما امره بصالح حميد العاقبة ويكون قوله يقدم قومه تفسيرا لذلك وايضاحا اي كيف يرشد امر
من هذه عاقبته والرشد يستعمل في كل ما يحمد ويرتضى كما استعمل الغي في كل ما يذم ويتسخط ويقال
قدمه بمعنى تقدمه ومنه قادمة الرحل كما يقال قدمه بمعنى تقدمه ومنه مقدمة الجيش
واقدم بمعنى تقدم ومنه مقدم العين فان قلت هلا قيل يقدم قومه فيوردهم ولم جيء
بلفظ الماضي قلت لان الماضي يدل على امر موجود مقطوع به فكانه قيل يقدمهم فيوردهم النار
لا محالة والورد المورد والمورود الذي وردوه شبه بالفارط الذي يتقدم الواردة الى الماء وشبه
اتباعه بالواردة ثم قيل بئس الورد الذي يردونه النار لان الورد انما يراد لتسكين العطش وتبريد

الاكباد والنار ضده ﴿واتبعوا في هذه لعنة ويوم القيامة بئس الرفد المرفود﴾ واتبعوا في هذه
في هذه الدنيا لعنة اى يلعنون في الدنيا ويلعنون في الآخرة. بئس الرفد المرفود رفدهم اى بئس
العون المعان وذلك ان اللعنة في الدنيا رفد للعذاب ومدد له وقد رفدت باللعنة في الآخرة
وقيل بئس العطاء المعطى ﴿ذلك من انباء القرى نقصه عليك منها قائم وحصيد﴾ ذلك مبتدأ
من انباء القرى نقصه عليك خبر بعد خبر اى ذلك النبأ بعض انباء القرى المهلكة مقصوص عليك منها
الضمير للقرى اى بعضها باق وبعضها عاف الاثر كالزرع القائم على ساقه والذى حصد فان قلت
ما محل هذه الجملة قلت هي مستانفة لا محل لها ﴿وما ظلمناهم ولكن ظلموا انفسهم فما اغنت
عنهم آلهتهم التي يدعون من دون الله من شيء لما جاء امر ربك وما زادوهم غير تتبيب﴾
وما ظلمناهم باهلاكنا اياهم ولكن ظلموا انفسهم بارتكاب ما به اهلكوا فما اغنت عنهم آلهتهم فما قدرت
ان ترد عنهم بأس الله. يدعون يعبدون وهي حكاية حال ماضية ولما منصوب بما اغنت امر ربك
عذابه ونقمته. تتبيب تخسير يقال تب اذا خسر وتببه غيره اذا اوقعه في الخسران ﴿وكذلك اخذ
ربك اذا اخذ القرى وهي ظالمة ان اخذه اليم شديد﴾ محل الكاف الرفع تقديره ومثل ذلك
الاخذ اخذ ربك والنصب فيمن قرأ وكذلك اخذ ربك بلفظ الفعل وقرئ اذ اخذ القرى
وهي ظالمة حال من القرى اليم شديد وجيع صعب على الماخوذ وهذا تحذير من وخامة عاقبة الظلم
لكل اهل قرية ظالمة من كفار مكة وغيرها بل لكل من ظلم غيره او نفسه بذنب يقترفه فعلى كل من اذنب
ان يحذر اخذ ربه الاليم الشديد فيبادر التوبة ولا يغتر بالامهال ﴿ان في ذلك لآية لمن خاف عذاب
الآخرة ذلك يوم مجموع له الناس وذلك يوم مشهود﴾ ذلك اشارة الى ما قص الله من
قصص الامم الهالكة بذنوبهم لآية لمن خاف لعبرة له لانه ينظر الى ما احل الله بالمجرمين في الدنيا
وما هو الا انموذج مما اعد لهم في الآخرة فاذا رأى عظمه وشدته اعتبر به عظم العذاب الموعود
فيكون له عبرة وعظة ولطفا في زيادة التقوى والخشية من الله ونحوه ان في ذلك لعبرة لمن يخشى
ذلك اشارة الى يوم القيامة لان عذاب الآخرة دل عليه والناس رفع باسم المفعول الذى هو مجموع
كما يرتفع بفعله اذا قلت يجمع له الناس فان قلت لأى فائدة اوثر اسم المفعول على فعله قلت
لما في اسم المفعول من دلالة على ثبات معنى الجمع لليوم وانه يوم لا بد من ان يكون ميعادا مضروبا لجمع
الناس له وانه الموصوف بذلك صفة لازمة وهو اثبت ايضا لاسناد الجمع الى الناس وانهم لا ينفكون
منه ونظيره قول المتهدد انك لمنهوب مالك محروب قومك فيه من تمكن الوصف وثباته ما ليس في الفعل
وان شئت فوازن بينه وبين قوله يوم يجمعكم ليوم الجمع تعثر على صحة ما قلت لك ومعنى يجمعون له
يجمعون لما فيه من الحساب والثواب والعقاب. يوم مشهود مشهود فيه فاتسع في الظرف باجرائه مجرى
المفعول به كقوله ويوم شهدناه سليما وعامرا اى يشهد فيه الخلائق الموقف لا يغيب عنه احد والمراد
بالمشهود الذى كثر شاهدوه ومنه قولهم لفلان مجلس مشهود وطعام محضور قال ٥
في محفل من نواصي الناس مشهود فان قلت ما منعك ان تجعل اليوم مشهودا في نفسه دون ان تجعله
مشهودا فيه كما قال الله تعالى فمن شهد منكم الشهر فليصمه الغرض وصف ذلك اليوم
بالهول والعظم وتميزه من بين الايام فان جعلته مشهودا في نفسه فسائر الايام كذلك مشهودات
كلها ولكن يجعل مشهودا فيه حتى يحصل التميز كما تميز يوم الجمعة عن ايام الاسبوع بكونه مشهودا فيه

دونها

دونها ولم يجز ان يكون مشهودا في نفسه لان سائر ايام الاسبوع مثله يشهدها كل من يشهده وكذلك قوله
تعالى فمن شهد منكم الشهر فليصمه الشهر منتصب ظرفا لا مفعولا به وكذلك الضمير في فليصمه والمعنى
فمن شهد منكم في الشهر فليصم فيه يعني فمن كان مقيما حاضرا لوطنه في شهر رمضان فليصم فيه ولو نصبته
مفعولا فالمسافر والمقيم كلاهما يشهدان الشهر لا يشهده المقيم ويغيب عنه المسافر ﴿وما نؤخره الا
لاجل معدود﴾ الاجل يطلق على مدة التأجيل كلها وعلى منتهاها فيقولون انتهى الاجل وبلغ الاجل آخره
ويقولون حل الاجل فاذا جاء اجلهم يريدون مدة التأجيل والعد انما هو للمدة لا لغايتها ومنتهاها
فمعنى قوله وما نؤخره الا لاجل معدود الا لانتهاء مدة معدودة بحذف المضاف وقرئ وما يؤخره
بالياء ﴿يوم يأت لا تكلم نفس الا باذنه فمنهم شقي وسعيد﴾ قرئ يوم يأت بغير ياء ونحوه قولهم
لا ادر حكاه الخليل وحذف الياء والاجتزاء عنها بالكسرة كثير في لغة هذيل فان قلت فاعل يأتي
ما هو قلت الله عز وجل كقوله هل ينظرون الا ان يأتيهم الله او يأتي ربك وجاء ربك وتعضده
قراءة من قرأ وما يؤخره بالياء وقوله باذنه ويجوز ان يكون الفاعل ضمير اليوم كقوله تعالى ان تأتيهم
الساعة فان قلت بم انتصب الظرف قلت اما ان ينتصب بلا تكلم واما باضمار اذكر واما بالانتهاء
المحذوف في قوله الا لاجل معدود اى ينتهى الاجل يوم يأتي فان قلت فاذا جعلت الفاعل ضمير
اليوم فقد جعلت اليوم وقتا لاتيان اليوم وحددت الشيء بنفسه المراد اتيان هوله
وشدائده لا تكلم لا تتكلم وهو نظير قوله تعالى لا يتكلمون الا من اذن له الرحمن فان قلت
كيف نوفق بين هذا وبين قوله تعالى يوم تأتي كل نفس تجادل عن نفسها وقوله هذا يوم لا ينطقون
ولا يؤذن لهم فيعتذرون قلت ذلك يوم طويل له مواقف ومواطن ففي بعضها يجادلون عن
انفسهم وفي بعضها يكفون عن الكلام فلا يؤذن لهم وفي بعضها يؤذن لهم فيتكلمون وفي بعضها
يختم على افواههم وتكلم ايديهم وتشهد ارجلهم فمنهم الضمير لاهل الموقف ولم يذكروا لان ذلك
معلوم ولان قوله لا تكلم نفس يدل عليه وقد مر ذكر الناس في قوله مجموع له الناس والشقي الذى
وجبت له النار لاساءته والسعيد الذى وجبت له الجنة لاحسانه ﴿فاما الذين شقوا ففي النار
لهم فيها زفير وشهيق﴾ قراءة العامة بفتح الشين وعن الحسن رحمة الله عليه شقوا بالضم كما قرئ
سعدوا والزفير اخراج النفس والشهيق رده قال الشماخ ٥
٥ بعيد مدى التطريب اول صوته زفير ويتلوه شهيق محشرج ٥ ﴿خالدين فيها ما دامت
السموات والارض الا ما شاء ربك ان ربك فعال لما يريد ٥ واما الذين سعدوا ففي
الجنة خالدين فيها ما دامت السموات والارض الا ما شاء ربك عطاء غير مجذوذ﴾ ٥
ما دامت السموات والارض فيه وجهان احدهما ان يراد سموات الآخرة وارضها وهي دائمة مخلوقة
للابد والدليل على ان لها سموات وارضا قوله تعالى يوم تبدل الارض غير الارض والسموات
وقوله واورثنا الارض نتبوأ من الجنة حيث نشاء ولانه لا بد لاهل الآخرة مما يقلهم ويظلهم اما سماء
يخلقها الله او يظلهم العرش وكل ما اظلك فهو سماء والثاني ان يكون عبارة عن التأبيد ونفي
الانقطاع كقول العرب ما دام تعار وما اقام ثبير وما لاح كوكب وغير ذلك من كلمات التأبيد فان
قلت فما معنى الاستثناء في قوله تعالى الا ما شاء ربك وقد ثبت خلود اهل الجنة والنار في الابد
من غير استثناء قلت هو استثناء من الخلود في عذاب النار ومن الخلود في نعيم الجنة وذلك ان اهل النار

لا يخلدون في عذاب النار وحده بل يعذبون بالزمهرير وبانواع من العذاب سوى عذاب النار وبما
هو اغلظ منها كلها وهو سخط الله عليهم وخسأه لهم واهانته اياهم وكذلك اهل الجنة لهم سوى الجنة
ما هو اكبر منها واجل موقعا منهم وهو رضوان الله كما قال وعد الله المؤمنين والمؤمنات جنات تجرى
من تحتها الانهار خالدين فيها ومساكن طيبة في جنات عدن ورضوان من الله اكبر ولهم ما يتفضل
الله به عليهم سوى ثواب الجنة مما لا يعرف كنهه الا هو فهو المراد بالاستثناء والدليل عليه قوله تعالى
عطاء غير مجذوذ ومعنى قوله في مقابلته ان ربك فعال لما يريد انه يفعل باهل النار ما يريد من العذاب
كما يعطي اهل الجنة عطاءه الذي لا انقطاع له فتامله فان القرآن يفسر بعضه بعضا ولا يخدعنك
عنه قول المجبرة ان المراد بالاستثناء خروج اهل الكبائر من النار بالشفاعة فان الاستثناء الثاني
ينادي على تكذيبهم ويسجل بافترائهم وما ظنك بقوم نبذوا كتاب الله لما روى لهم بعض النوابت عن
عبد الله بن عمرو بن العاص ليأتين على جهنم يوم تصفق فيه ابوابها ليس فيها احد وذلك بعد ما يلبثون
فيها احقابا وقد بلغني ان من الضلال من اغتر بهذا الحديث فاعتقد ان الكفار لا يخلدون في النار
وهذا ونحوه والعياذ بالله من الخذلان المبين زادنا الله هداية الى الحق ومعرفة بكتابه وتنبها
على ان نغفل عنه ولئن صح هذا عن ابن العاص فمعناه انهم يخرجون من حر النار الى برد الزمهرير فذلك
خلو جهنم وصفق ابوابها واقول ما كان لابن عمرو في سيفيه ومقاتلته بهما علي بن ابي طالب رضي الله عنه
ما يشغله عن تسيير هذا الحديث غير مجذوذ غير مقطوع ولكنه ممتد الى غير نهاية كقوله تعالى
لهم اجر غير ممنون فلا تك في مرية مما يعبد هؤلاء ما يعبدون الا كما يعبد اباؤهم من قبل وانا
لموفوهم نصيبهم غير منقوص لما قص قصص عبدة الاوثان وذكر ما احل بهم من نقمه وما اعد لهم
من عذابه قال فلا تك في مرية مما يعبد هؤلاء اي فلا تشك بعد ما انزل اليك من هذه القصص في سوء
عاقبة عبادتهم وتعرضهم بها لما اصاب امثالهم قبلهم تسلية لرسول الله عليه السلام وعدة بالانتقام
منهم ووعيدا لهم ثم قال ما يعبدون الا كما يعبد اباؤهم يريد ان حالهم في الشرك مثل حال ابائهم من
غير تفاوت بين الحالين وقد بلغك ما نزل بابائهم فسينزل بهم مثله وهو استئناف معناه تعليل
النهي عن المرية وما في مما وكما يجوز ان تكون مصدرية وموصولة اي من عبادتهم وكعبادتهم او مما
يعبدون من الاوثان ومثل ما يعبدون منها وانا لموفوهم نصيبهم اي حظهم من العذاب كما وفينا
اباءهم انصباءهم فان قلت كيف نصب غير منقوص حالا عن النصيب الموفى قلت يجوز ان يوفى
وهو ناقص ويوفى وهو كامل الا تراك تقول وفيته شطر حقه وثلث حقه وحقه كاملا وناقصا ولقد
اتينا موسى الكتاب فاختلف فيه ولولا كلمة سبقت من ربك لقضي بينهم وانهم لفي شك منه
مريب فاختلف فيه امن به قوم وكفر به قوم كما اختلف في القرآن ولولا كلمة يعني كلمة الانظار الى
يوم القيامة لقضي بينهم بين قوم موسى او قومك وهذه من جملة التسلية ايضا وان كلا لما ليوفينهم
ربك اعمالهم انه بما يعملون خبير وان كلا التنوين عوض من المضاف اليه يعني وان كلهم وان
جميع المختلفين فيه ليوفينهم جواب قسم محذوف واللام في لما موطئة للقسم وما مزيدة والمعنى وان
جميعهم والله ليوفينهم ربك اعمالهم من حسن وقبيح وايمان وجحود وقرئ وان كلا بالتخفيف
على اعمال المخففة عمل الثقيلة اعتبارا لاصلها الذي هو التثقيل وقرأ ابي وان كل لما ليوفينهم
على ان ان نافية ولما بمعنى الا وقراءة عبد الله مفسرة لها وان كل الا ليوفينهم وقرا الزهري وسليمان

ابن

ابن ارقم وان كلا لما ليوفينهم بالتنوين كقوله اكلا لما والمعنى وان كلا ملومين يعني مجموعين كانه قيل
وان كلا جميعا كقوله تعالى فسجد الملائكة كلهم اجمعون فاستقم كما امرت ومن تاب معك ولا
تطغوا انه بما تعملون بصير فاستقم كما امرت فاستقم استقامة مثل الاستقامة التي امرت
بها على جادة الحق غير عادل عنها ومن تاب معك معطوف على المستتر في استقم وانما جاز العطف
عليه ولم يؤكد بمنفصل لقيام الفاصل مقامه والمعنى فاستقم انت وليستقم من تاب عن الكفر وامن
معك ولا تطغوا ولا تخرجوا عن حدود الله انه بما تعملون بصير عالم فهو مجازيكم به فاتقوه
وعن ابن عباس رضي الله عنهما ما نزلت على رسول الله صلى الله عليه وسلم في جميع القرآن اية كانت اشد
ولا اشق عليه من هذه الاية ولهذا قال شيبتني هود والواقعة واخواتهما وروي ان اصحابه قالوا
له لقد اسرع فيك الشيب فقال شيبتني هود وعن بعضهم رايت رسول الله عليه السلام في النوم فقلت
له روي عنك انك قلت شيبتني هود فقال نعم فقلت ما الذي شيبك منها اقصص الانبياء وهلاك
الامم قال لا ولكن قوله فاستقم كما امرت وعن جعفر الصادق رضي الله عنه فاستقم كما امرت
قال افتقر الى الله بصحة العزم ولا تركنوا الى الذين ظلموا فتمسكم النار وما لكم من دون
الله من اولياء ثم لا تنصرون قرئ ولا تركنوا بفتح الكاف وضمها مع فتح التاء وعن ابي عمرو بكسر
التاء وفتح الكاف على لغة تميم في كسرهم حروف المضارعة الا الياء في كل ما كان من باب علم يعلم
ونحوه قراءة من قرأ فتمسكم النار بكسر التاء وقرأ ابن ابي عبلة ولا تركنوا على البناء للمفعول
من اركنه اذا اماله والنهي متناول للانحطاط في هواهم والانقطاع اليهم ومصاحبتهم ومجالستهم
وزيارتهم ومداهنتهم والرضا باعمالهم والتشبه بهم والتزيي بزيهم ومد العين الى زهرتهم وذكرهم
بما فيه تعظيم لهم وتامل قوله ولا تركنوا فان الركون هو الميل اليسير وقوله الى الذين ظلموا اي الذين
وجد منهم الظلم ولم يقل الى الظالمين وحكي ان الموفق صلى خلف الامام فقرأ بهذه الاية فغشي عليه
فلما افاق قيل له فقال هذا فيمن ركن الى من ظلم فكيف بالظالم وعن الحسن رحمه الله جعل الله الدين
بين لاءين ولا تطغوا ولا تركنوا ولما خالط الزهري السلاطين كتب اليه اخ له في الدين عافانا الله واياك
ابا بكر من الفتن فقد اصبحت بحال ينبغي لمن عرفك ان يدعو لك الله ويرحمك اصبحت شيخا كبيرا وقد
اثقلتك نعم الله بما فهمك من كتابه وعلمك من سنة نبيه وليس كذلك اخذ الله الميثاق على العلماء قال
الله عز وجل لتبيننه للناس ولا تكتمونه واعلم ان ايسر ما ارتكبت واخف ما احتملت انك انست
وحشة الظالم وسهلت سبيل الغي بدنوك ممن لم يؤد حقا ولم يترك باطلا حين ادناك اتخذوك
قطبا تدور عليك رحى باطلهم وجسرا يعبرون عليك الى بلائهم وسلما يصعدون فيك الى ضلالهم
يدخلون الشك بك على العلماء ويقتادون بك قلوب الجهلاء فما ايسر ما عمروا لك في جنب ما خربوا
عليك وما اكثر ما اخذوا منك فيما افسدوا عليك من دينك فما يؤمنك ان تكون ممن قال الله فيهم
فخلف من بعدهم خلف اضاعوا الصلوة واتبعوا الشهوات فسوف يلقون غيا فانك تعامل
من لا يجهل ويحفظ عليك من لا يغفل فداو دينك فقد دخله سقم وهيئ زادك فقد حضر السفر
البعيد وما يخفى على الله من شيء في الارض ولا في السماء والسلام وقال سفيان في جهنم واد لا
يسكنه الا القراء الزائرون للملوك وعن الاوزاعي ما من شيء ابغض الى الله من عالم يزور عاملا
وعن محمد بن مسلمة الذباب على العذرة احسن من قارئ على باب هؤلاء وقال رسول الله صلى الله عليه

وسلم من دعا لظالم بالبقاء فقد احب ان يعصى الله في ارضه وقد سئل سفيان عن ظالم اشرف على الهلاك
في برية هل يسقى شربة ماء فقال لا فقيل له يموت فقال دعه يموت وما لكم من دون الله من اولياء
حال من قوله فتمسكم النار اي فتمسكم النار وانتم على هذه الحال ومعناه وما لكم من دون الله من انصار
يقدرون على منعكم من عذابه ولا يقدر على منعكم منه غيره ثم لا تنصرون ثم لا ينصركم هو لانه وجب
في حكمته تعذيبكم وترك الابقاء عليكم **فان قلت** فما معنى ثم قلت معناه الاستبعاد لان
النصرة من الله مستبعدة مع استيجابهم العذاب واقتضاء حكمته له **واقم الصلوة طرفي النهار
وزلفا من الليل ان الحسنات يذهبن السيئات ذلك ذكرى للذاكرين** طرفي النهار غدوة
وعشية وزلفا من الليل وساعات من الليل وهي ساعاته القريبة من آخر النهار من ازلفه اذا
قربه وازدلف اليه وصلوة الغدوة الفجر وصلوة العشية الظهر والعصر لان ما بعد الزوال
عشي وصلوة الزلف المغرب والعشاء وانتصاب طرفي النهار على الظرف لانهما مضافان الى الوقت
كقولك اقمت عنده جميع النهار واتيته نصف النهار واوله وآخره تنصب هذا كله على اعطاء المضاف
حكم المضاف اليه ونحوه واطراف النهار **وقرئ** وزلفا بضمتين وزلفا بسكون اللام وزلفى
بوزن قربى فالزلف جمع زلفة كظلم في ظلمة والزلفة بالسكون نحو بسرة وبسر والزلف بضمتين نحو
بسر في بسر والزلفى بمعنى الزلفة كما ان القربى بمعنى القربة وهو ما يقرب من آخر النهار من الليل
وقيل وزلفا من الليل وقربا من الليل وحقها على هذا التفسير ان تعطف على الصلوة اي اقم الصلوة
طرفي النهار واقم زلفا من الليل على معنى واقم صلوات تتقرب بها الى الله عز وجل في بعض الليل ان
الحسنات يذهبن السيئات فيه وجهان احدهما ان يراد تكفير الصغائر بالطاعات **وفي** الحديث
ان الصلوة الى الصلوة كفارة ما بينهما ما اجتنبت الكبائر والثاني ان الحسنات يذهبن السيئات بان
يكن لطفا في تركها كقوله تعالى ان الصلوة تنهى عن الفحشاء والمنكر وقيل نزلت في ابي اليسر عمرو بن
غزية الانصاري كان يبيع التمر فاتته امرأة فاعجبته فقال لها ان في البيت اجود من هذا التمر
فذهب بها الى بيته فضمها الى نفسه وقبلها فقالت له اتق الله فتركها وندم فاتى رسول الله
عليه السلام فاخبره بما فعل فقال انتظر امر ربي فلما صلى صلوة العصر نزلت فقال اصليت العصر
فقال نعم فقال اذهب فانها كفارة لما عملت **وروي** انه اتى ابا بكر رضي الله عنه فاخبره فقال
استر على نفسك وتب الى الله فاتى عمر رضي الله عنه فقال له مثل ذلك ثم اتى رسول الله عليه السلام
فنزلت فقال عمر اهذا له خاصة ام للناس عامة فقال بل للناس عامة وروي ان رسول الله
عليه السلام قال له توضأ وضوءا حسنا وصل ركعتين ان الحسنات يذهبن السيئات ذلك اشارة
الى قوله فاستقم فما بعده ذكرى للذاكرين عظة للمتعظين **واصبر فان الله لا يضيع اجر المحسنين**
ثم كر الى التذكير بالصبر بعد ما جاء بما هو خاتمة للتذكير وهذا الكرور لفضل خصوصية ومزية
وتنبيه على مكان الصبر ومحله كانه قال وعليك بما هو اهم مما ذكرت به واحق بالتوصية وهو
الصبر على امتثال ما امرت به والانتهاء عما نهيت عنه فلا يتم شيء منه الا به فان الله لا يضيع اجر
المحسنين جاء بما هو مشتمل على الاستقامة واقامة الصلوات والانتهاء عن الطغيان والركون الى
الظالمين والصبر وغير ذلك من الحسنات **فلولا كان من القرون من قبلكم اولوا بقية ينهون
عن الفساد في الارض الا قليلا ممن انجينا منهم واتبع الذين ظلموا ما اترفوا فيه وكانوا**

مجرمين

كل لولا في القرآن فمعناه هلا الا التي في الصافات

مجرمين فلولا كان من القرون فهلا كان وقد حكوا عن الخليل رحمة الله عليه كل لولا في القرآن فمعناها
هلا الا التي في الصافات وما صحت هذه الحكاية ففي غير الصافات لولا ان تداركه نعمة من ربه
لنبذ بالعراء ولولا رجال مؤمنون ولولا ان ثبتناك لقد كدت تركن اليهم اولوا بقية اولوا فضل
وخير وسمي الفضل والجودة بقية لان الرجل يستبقي مما يخرجه اجوده وافضله فصار مثلا في الجودة
والفضل ويقال فلان من بقية القوم اي من خيارهم وبه فسر بيت الحماسة
ان تذنبوا ثم تاتيني بقيتكم ومنه قولهم في الزوايا خبايا وفي الرجال بقايا ويجوز ان تكون
البقية بمعنى البقوى كالتقية بمعنى التقوى اي فهلا كان منهم ذوو بقاء على انفسهم وصيانة لها من
سخط الله وعقابه **وقرئ** اولوا بقية بوزن لقية من بقاه يبقيه اذا راقبه وانتظره ومنه بقينا
رسول الله صلى الله عليه وسلم والبقية المرة والمعنى فلولا كان منهم اولو مراقبة وخشية من انتقام
الله كانهم ينتظرون ايقاعه بهم لاشفاقهم الا قليلا استثناء منقطع معناه ولكن قليلا ممن انجينا من
القرون نهوا عن الفساد وسائرهم تاركون للنهي ومن في ممن انجينا حقها ان تكون للبيان لا للتبعيض
لان النجاة انما هي للناهين وحدهم بدليل قوله سبحانه وتعالى انجينا الذين ينهون عن السوء واخذنا
الذين ظلموا **فان قلت** هل [illegible]ع هذا الاستثناء متصلا وجه تحمل عليه **قلت** ان جعلته
متصلا على ما عليه ظاهر الكلام كان المعنى فاسدا لانه يكون تحضيضا لاولي البقية على النهي عن الفساد
الا القليل من الناجين منهم كما تقول هلا قرأ قومك القرآن الا الصلحاء منهم تريد استثناء الصلحاء من
المحضضين على قراءة القرآن وان قلت في تحضيضهم على النهي عن الفساد معنى نفيه عنهم فكانه قيل ما
كان من القرون اولو بقية الا قليلا كان استثناء متصلا ومعنى صحيحا وكان انتصابه على اصل الاستثناء
وان كان الافصح ان يرفع على البدل واتبع الذين ظلموا ما اترفوا فيه اراد بالذين ظلموا تاركي النهي
عن المنكرات اي لم يهتموا بما هو ركن عظيم من اركان الدين وهو الامر بالمعروف والنهي عن المنكر وعقد
همهم بالشهوات واتبعوا ما عرفوا فيه التنعم والترف من حب الرياسة والثروة وطلب
اسباب العيش الهني ورفضوا ما وراء ذلك ونبذوه وراء ظهورهم **وقرأ** ابو عمرو في رواية الجعفي
واتبع الذين ظلموا يعني واتبعوا جزاء ما اترفوا فيه ويجوز ان يكون المعنى في القراءة المشهورة
انهم اتبعوا جزاء اترافهم وهذا معنى قوي لتقدم الانجاء كانه قيل الا قليلا ممن انجينا منهم وهلك
الناس **فان قلت** علام عطف قوله واتبع الذين ظلموا **قلت** ان كان معناه واتبعوا الشهوات
كان معطوفا على مضمر لان المعنى الا قليلا ممن انجينا منهم نهوا عن الفساد واتبع الذين ظلموا شهواتهم
فهو عطف على نهوا وان كان معناه واتبعوا جزاء الاتراف فالواو للحال كانه قيل انجينا القليل وقد
اتبع الذين ظلموا جزاءهم فان قلت فقوله وكانوا مجرمين قلت على اترفوا اي اتبعوا الاتراف وكونهم
مجرمين لان تابع الشهوات مغمور بالآثام او اريد بالاجرام اغفالهم للشكر او على اتبعوا اي اتبعوا
شهواتهم وكانوا مجرمين بذلك ويجوز ان يكون اعتراضا وحكما عليهم بانهم قوم مجرمون **وما كان
ربك ليهلك القرى بظلم واهلها مصلحون** كان بمعنى صح واستقام واللام لتاكيد النفي
وبظلم حال من الفاعل والمعنى واستحال في الحكمة ان يهلك الله القرى ظالما لها واهلها قوم مصلحون
تنزيها لذاته عن الظلم وايذانا بان اهلاك المصلحين من الظلم وقيل الظلم الشرك ومعناه انه لا يهلك
القرى بسبب شرك اهلها وهم مصلحون يتعاطون الحق فيما بينهم ولا يضمون الى شركهم فسادا آخر

الظلم

ولو شاء ربك لجعل الناس امة واحدة ولا يزالون مختلفين الا من رحم ربك ولذلك خلقهم
وتمت كلمة ربك لاملأن جهنم من الجنة والناس اجمعين ولو شاء ربك لجعل الناس امة واحدة
يعني لاضطرهم الى ان يكونوا اهل امة واحدة اى ملة واحدة وهي ملة الاسلام كقوله تعالى ان هذه
امتكم امة واحدة وهذا الكلام يتضمن نفي الاضطرار وانه لم يضطرهم الى الاتفاق على دين الحق ولكنه
مكنهم من الاختيار الذي هو اساس التكليف فاختار بعضهم الحق وبعضهم الباطل فاختلفوا فلذلك
قال ولا يزالون مختلفين الا من رحم ربك الا ناسا هداهم الله ولطف بهم فاتفقوا على دين الحق غير
مختلفين فيه ولذلك خلقهم ذلك اشارة الى ما دل عليه الكلام الاول وتضمنه يعني ولذلك من
التمكين والاختيار الذي كان عنه الاختلاف خلقهم ليثيب مختار الحق بحسن اختياره ويعاقب مختار
الباطل بسوء اختياره وتمت كلمة ربك وهي قوله للملائكة لاملأن جهنم من الجنة والناس اجمعين لعلمه
بكثرة من يختار الباطل وكلا نقص عليك من انباء الرسل ما نثبت به فؤادك وجاءك في هذه
الحق وموعظة وذكرى للمؤمنين التنوين فيه عوض من المضاف اليه كانه قيل وكل نبإ نقص عليك
من انباء الرسل بيان لكل وما نثبت به فؤادك بدل من كلا ويجوز ان يكون المعنى وكلا اقتصاصا نقص
عليك على معنى وكل نوع من انواع الاقتصاص نقص عليك يعني على الاساليب المختلفة وما نثبت به مفعول
نقص ومعنى تثبيت فؤاده زيادة يقينه وما فيه طمانينة قلبه لان تكاثر الادلة اثبت للقلب وارسخ
للعلم وجاءك في هذه الحق اى في هذه السورة او في هذه الانباء المقتصة فيها ما هو حق وموعظة وذكرى
وقل للذين لا يؤمنون اعملوا على مكانتكم انا عاملون وانتظروا انا منتظرون وقل للذين
لا يؤمنون من اهل مكة وغيرهم اعملوا على حالكم وجهتكم التي انتم عليها انا عاملون وانتظروا بنا
الدوائر انا منتظرون ان ينزل بكم نحو ما اقتص الله من النقم النازلة باشباهكم ولله غيب السموات
والارض واليه يرجع الامر كله فاعبده وتوكل عليه وما ربك بغافل عما تعملون
ولله غيب السموات والارض لا تخفى عليه خافية مما يجري فيهما فلا تخفى عليه اعمالكم واليه يرجع الامر
كله فلا بد ان يرجع اليه امرهم وامرك فينتقم لك منهم فاعبده وتوكل عليه فانه كافيك وكافلك
وما ربك بغافل عما يعملون وقرى تعملون بالتاء اى انت وهم على تغليب المخاطب عن رسول الله
صلى الله عليه وسلم من قرا سورة هود اعطي من الاجر عشر حسنات بعدد من صدق بنوح وكذب به
وهود وصالح وشعيب ولوط وابراهيم وموسى عليهم السلام وكان يوم القيامة من السعداء ان شاء الله تعالى

بسم الله الرحمن الرحيم الر تلك ايات الكتاب المبين تلك اشارة الى ايات السورة والكتاب
المبين السورة اى تلك الايات التي انزلت اليك في هذه السورة ايات السورة الظاهر امرها في اعجاز
العرب وتبكيتهم او التي تبين لمن تدبرها انها من عند الله لا من عند البشر او الواضحة التي لا تشتبه
على العرب معانيها لنزولها بلسانهم او قد ابين فيها ما سالت عنه اليهود من قصة يوسف عليه السلام
فقد روي ان علماء اليهود قالوا لكبراء المشركين سلوا محمدا لم انتقل ال يعقوب من الشام الى مصر
وعن قصة يوسف عليه السلام انا انزلناه قرانا عربيا لعلكم تعقلون انزلناه انزلنا هذا
الكتاب الذي فيه قصة يوسف في حال كونه قرانا عربيا وسمي بعض القران قرانا لان القران اسم

جنس يقع على كله وبعضه لعلكم تعقلون ارادة ان تفهموه وتحيطوا بمعانيه ولا تلتبس عليكم ولو جعلنا
قرانا اعجميا لقالوا لولا فصلت اياته نحن نقص عليك احسن القصص بما اوحينا اليك هذا
القران وان كنت من قبله لمن الغافلين القصص على وجهين يكون مصدرا بمعنى الاقتصاص
تقول قص الحديث يقصه قصصا كقولك شله يشله شللا اذا طرده ويكون فعلا بمعنى مفعول
كالنفض والحسب ونحوه النبا والخبر في معنى المنبا به والمخبر به ويجوز ان يكون من تسمية المفعول
بالمصدر كالخلق والصيد فان اريد المصدر فمعناه نحن نقص عليك احسن الاقتصاص بما اوحينا اليك هذا
القران اى بايحائنا اليك هذه السورة على ان يكون احسن منصوبا نصب المصدر لاضافته اليه ويكون
المقصوص محذوفا لان قوله تعالى بما اوحينا اليك هذا القران مغن عنه ويجوز ان ينتصب هذا القران
بنقص كانه قيل نحن نقص عليك احسن الاقتصاص هذا القران بايحائنا اليك والمراد باحسن الاقتصاص
انه اقتص على ابدع طريقة واعجب اسلوب الا ترى ان هذا الحديث مقتص في كتب الاولين وفي كتب
التواريخ ولا ترى اقتصاصه في كتاب منها مقاربا لاقتصاصه في القران وان اريد بالقصص المقصوص
فمعناه نحن نقص عليك احسن ما يقص من الاحاديث وانما كان احسنه لما يتضمن من العبر والنكت والحكم
والعجائب التي ليست في غيرها والظاهر انه احسن ما يقتص في بابه كما يقال في الرجل هو اعلم الناس
وافضلهم يراد في فنه فان قلت مم اشتقاق القصص من قص اثره اذا اتبعه لان الذي
يقص الحديث يتبع ما حفظ منه شيئا فشيئا كما يقال تلا القران اذا قراه لانه يتلو اى يتبع ما حفظ منه
اية بعد اية وان كنت ان هي مخففة من الثقيلة واللام هي التي تفرق بينها وبين النافية والضمير في
قبله راجع الى قوله تعالى ما اوحينا والمعنى وان الشان والحديث كنت من قبل ايحائنا اليك من الغافلين
عنه اى من الجاهلين به ما كان لك فيه علم قط ولا طرق سمعك طرف منه اذ قال يوسف لابيه يا ابت
اني رايت احد عشر كوكبا والشمس والقمر رايتهم لي ساجدين اذ قال يوسف بدل من احسن
القصص وهو بدل الاشتمال لان الوقت مشتمل على القصص وهو المقصوص فاذا قص وقته فقد قص
او باضمار اذكر ويوسف اسم عبراني وقيل عربي وليس بصحيح لانه لو كان عربيا لانصرف لخلوه عن سبب اخر
سوى التعريف فان قلت فما تقول فيمن قرا يوسف بكسر السين او يوسف بفتحها هل يجوز على قراءته
ان يقال هو عربي لانه على وزن المضارع المبني للفاعل او المفعول من اسف وانما منع الصرف للتعريف
ووزن الفعل قلت لا لان القراءة المشهورة قامت بالشهادة على ان الكلمة اعجمية فلا تكون
عربية تارة واعجمية اخرى ونحو يوسف يونس رويت فيه هذه اللغات الثلاث ولا يقال هو عربي
لانه في لغتين منها بوزن المضارع من انس واونس وعن النبي صلى الله عليه وسلم اذا قيل من الكريم
فقولوا الكريم ابن الكريم ابن الكريم ابن الكريم يوسف بن يعقوب بن اسحق بن ابراهيم عليهم السلام
يا ابت قرئ بالحركات الثلاث فان قلت ما هذه التاء قلت تاء تانيث وقعت عوضا من ياء الاضافة والدليل
على انها تاء تانيث قلبها هاء في الوقف فان قلت كيف جاز الحاق تاء التانيث بالمذكر قلت كما جاز
نحو قولك حمامة ذكر وشاة ذكر ورجل ربعة وغلام يفعة فان قلت فلم ساغ تعويض تاء التانيث
من ياء الاضافة قلت لان التانيث والاضافة يتناسبان في ان كل واحد منهما زيادة مضمومة الى
الاسم في اخره فان قلت فما هذه الكسرة قلت هي الكسرة التي كانت قبل الياء في قولك يا ابي
قد زحلقت الى التاء لاقتضاء تاء التانيث ان يكون ما قبلها مفتوحا فان قلت فما بال الكسرة لم تسقط

بالفتحة التي اقتضتها التاء وتبقى الياء ساكنة قلت امتنع ذلك فيها لانها اسم والاسماء حقها التحريك لاصالتها
في الاعراب وانما جاز تسكين الياء واصلها ان تحرك تخفيفا لانها حرف لين واما التاء فحرف صحيح نحو كاف
الضمير فلزم تحريكها **فان قلت** يشبه الجمع بين التاء وبين هذه الكسرة الجمع بين العوض والمعوض
منه لانها في حكم الياء اذا قلت يا غلام فكما لا يجوز يا ابتي فلا يجوز يا ابت   الياء والكسرة قبلها
شيان والتاء عوض من احد الشيين وهو الياء والكسرة غير متعرض لها فلا يجمع بين العوض والمعوض
منه الا اذا جمع بين التاء او الياء لا غير الا ترى الى قولهم يا ابتا مع كون الالف فيه بدلا من الياء كيف جاز
الجمع بينها وبين التاء ولم يعد ذلك جمعا بين العوض والمعوض منه فالكسرة ابعد من ذلك **فان**
قلت فقد دلت الكسرة في يا غلام على الاضافة لانها قرينة الياء ولصيقتها فان دلت على مثل ذلك
في يا ابت فالتاء المعوضة لغو ووجودها كعدمها **قلت** بل حالها مع التاء كحالها مع الياء اذا قلت يا ابي
فان قلت فما وجه من قرا بفتح التاء وضمها قلت اما من فتح فقد حذف الالف من يا ابتا واستبقى الفتحة
قبلها كما فعل من حذف الياء في يا غلام ويجوز ان يقال حركها بحركة الياء المعوض منها في قولك يا ابي
واما من ضم فقد راى اسما في اخره تاء تانيث فاجراه مجرى الاسماء المؤنثة بالتاء فقال يا ابت كما تقول
يا ثبة من غير اعتبار لكونها عوضا من ياء الاضافة **وقرى** اني رايت بتحريك الياء واحد عشر بسكون
العين تخفيفا لتوالي المتحركات فيما هو في حكم اسم واحد وكذلك الى تسعة عشر الا اثني عشر لئلا يلتقي ساكنان
ورايت من الرؤيا لا من الرؤية لان ما ذكره معلوم انه منام لان الشمس والقمر لو اجتمعا مع الكواكب
ساجدة ليوسف في حال اليقظة لكانت اية عظيمة ليعقوب عليه السلام ولما خفيت عليه وعلى الناس
فان قلت ما اسماء الكواكب **قلت** روى جابر رضي الله عنه ان يهوديا جاء الى النبي صلى الله عليه
وسلم فقال يا محمد اخبرني عن النجوم التي راهن يوسف فسكت رسول الله عليه السلام فنزل جبريل
عليه السلام فاخبره بذلك فقال صلى الله عليه وسلم لليهودي ان اخبرتك هل تسلم قال نعم قال جربان
والطارق والذيال وقابس وعمودان والفليق والمصبح والضروح والفرغ ووثاب وذو
الكتفين راها يوسف والشمس والقمر نزلن من السماء وسجدن له فقال اليهودي اي والله انها لاسماؤها
وقيل الشمس والقمر ابواه وقيل ابوه وخالته والكواكب اخوته وعن وهب ان يوسف عليه السلام
راى وهو ابن سبع سنين ان احدى عشرة عصا طوالا كانت مركوزة في الارض كهيئة الدائرة واذا
عصا صغيرة تثب عليها حتى اقتلعتها او غلبتها فوصف ذلك لابيه فقال اياك ان تذكر هذا لاخوتك
ثم راى وهو ابن ثنتي عشرة سنة الشمس والقمر والكواكب تسجد له فقصها على ابيه فقال له لا تقصها
عليهم فيبغوا لك الغوائل وقيل كان بين رؤيا يوسف ومصير اخوته اليه اربعون سنة وقيل ثمانون
فان قلت لم اخر الشمس والقمر **قلت** ليعطفهما على الكواكب على طريق الاختصاص بيانا
لفضلهما واستبدادهما بالمزية على غيرهما من الطوالع كما اخر جبريل وميكائيل عن الملائكة ثم
عطفهما عليها لذلك ويجوز ان تكون الواو بمعنى مع اي رايت الكواكب مع الشمس والقمر فان
قلت ما معنى تكرار رايت قلت ليس بتكرار انما هو كلام مستانف على تقدير سؤال وقع جوابا له
كان يعقوب عليه السلام قال له عند قوله اني رايت احد عشر كوكبا كيف رايتها سائلا عن حال
رؤيتها فقال رايتهم لي ساجدين **فان قلت** فلم اجريت مجرى العقلاء في رايتهم ساجدين
لانه لما وصفها بما هو خاص بالعقلاء وهو السجود اجرى عليها حكمهم كانها عاقلة وهذا

كثير

كثير شايع في كلامهم ان يلابس الشيء الشيء من بعض الوجوه فيعطى حكما من احكامه اظهارا لاثر الملابسة والمقاربة
قال يا بني لا تقصص رؤياك على اخوتك فيكيدوا لك كيدا ان الشيطان للانسان عدو
مبين عرف يعقوب عليه السلام دلالة الرؤيا على ان يوسف يبلغه الله مبلغا من الحكمة ويصطفيه
للنبوة وينعم عليه بشرف الدارين كما فعل باباته فخاف عليه حسد الاخوة وبغيهم والرؤيا بمعنى الرؤية
الا انها مختصة بما كان منها في المنام دون اليقظة فرق بينهما بحرفي التانيث كما قيل القربة والقربى
وقرى رياك بقلب الهمزة واوا وسمع الكسائي رياك ورياك بالادغام وضم الراء وكسرها وهي
ضعيفة لان الواو في تقدير الهمزة فلا يقوى ادغامها كما لم يقو الادغام في قولهم اتزر من الازار واتجر
من الاجر فيكيدوا منصوب باضمار ان والمعنى ان قصصتها عليهم كادوك **فان قلت** هلا قيل فيكيدوك
كما قيل فكيدوني   ضمن معنى فعل يتعدى باللام ليفيد معنى فعل الكيد مع افادة معنى الفعل
المضمن فيكون اكد وابلغ في التخويف وذلك نحو فيحتالوا لك الا ترى الى تاكيده بالمصدر عدو
مبين ظاهر العداوة لما فعل بادم وحواء عليهما السلام ولقوله تعالى لاقعدن لهم صراطك المستقيم
فهو يحمل على الكيد والمكر وكل شر ليورط من يحمله ولا يؤمن ان يحملهم على مثله وكذلك يجتبيك ربك
ويعلمك من تاويل الاحاديث ويتم نعمته عليك وعلى ال يعقوب كما اتمها على ابويك
من قبل ابراهيم واسحق ان ربك عليم حكيم وكذلك ومثل ذلك الاجتباء يجتبيك ربك يعني
وكما اجتباك لمثل هذه الرؤيا العظيمة الدالة على شرف وعز وكبرياء شان كذلك يجتبيك ربك لامور
عظام وقوله تعالى ويعلمك كلام مبتدا غير داخل في حكم التشبيه كانه قيل وهو يعلمك ويتم نعمته عليك
والاجتباء الاصطفاء افتعال من جبيت الشيء اذا حصلته لنفسك وجبيت الماء في الحوض جمعته والاحاديث
الرؤى لان الرؤيا اما حديث نفس او ملك او شيطان وتاويلها عبارتها وتفسيرها وكان يوسف
عليه السلام اعبر الناس للرؤيا واصحهم عبارة لها ويجوز ان يراد بتاويل الاحاديث معاني كتب الله وسنن
الانبياء وما غمض واشتبه على الناس من اغراضها ومقاصدها يفسرها لهم ويشرحها ويدلهم على
مودعات حكمها وسميت احاديث لانه يحدث بها عن الله ورسله فيقال قال الله وقال الرسول كذا
وكذا الا ترى الى قوله تعالى فباي حديث بعده يؤمنون الله نزل احسن الحديث وهو اسم جمع للحديث
وليس بجمع احدوثة ومعنى اتمام النعمة عليهم انه وصل لهم نعمة الدنيا بنعمة الاخرة بان جعلهم انبياء في
الدنيا وملوكا ونقلهم عنها الى الدرجات العلى في الجنة وقيل اتمها على ابراهيم بالخلة والانجاء من النار
ومن ذبح الولد وعلى اسحق بانجائه من الذبح وفدائه بذبح عظيم وباخراج يعقوب والاسباط من صلبه
وقيل علم يعقوب عليه السلام ان يوسف يكون نبيا واخوته انبياء استدلالا بضوء الكواكب فلذلك
قال وعلى ال يعقوب وقيل لما بلغت الرؤيا اخوة يوسف حسدوه وقالوا ما رضي ان يسجد له اخوته
حتى يسجد له ابواه وقيل كان يعقوب مؤثرا له بزيادة المحبة والشفقة لصغره ولما يرى فيه من المخايل وكان
اخوته يحسدونه فلما راى الرؤيا ضاعف له المحبة فكان يضمه كل ساعة الى صدره ولا يصبر عنه فتبالغ فيهم
الحسد وقيل لما قص رؤياه على يعقوب قال له هذا امر متشتت يجمعه الله لك بعد دهر طويل وال يعقوب اهله
وهم نسله وغيرهم واصل ال اهل بدليل تصغيره على اهيل الا انه لا يستعمل الا فيمن له خطر يقال ال النبي وال
الملك ولا يقال ال الحائك ولا ال الحجام ولكن اهلهما واراد بالابوين الجد وابا الجد لانهما في حكم الاب
في الاضافة ومن ثم يقولون ابن فلان وان كان بينه وبين فلان عدة وابراهيم واسحق عطف بيان لابويك

ان ربك عليم يعلم من يحق له الاجتباء حكيم لا يخص نعمته الا على من يستحقها **لقد كان في يوسف واخوته**
آيات للسائلين في يوسف واخوته اي في قصتهم وحديثهم آيات علامات ودلائل على قدرة الله وحكمته
في كل شيء للسائلين لمن سأل عن قصتهم وعرفها وقيل آيات على نبوة محمد صلى الله عليه وسلم للذين
سألوه من اليهود عنها فاخبرهم بالصحة من غير سماع من احد ولا قراءة كتاب **وقرئ** آية وفي بعض المصاحف
عبرة وانما قص الله على النبي عليه السلام خبر يوسف وبغي اخوته عليه لما رأى من بغي قومه عليه ليتأسى به
وقيل اسماؤهم يهوذا وروبيل وشمعون ولاوي وزبالون ويشجر ودينة ودان ونفتالي وجاد
واشر السبعة الاولون كانوا من ليا بنت خالة يعقوب عليه السلام والاربعة الآخرون من سريتين
زلفة وبلهة فلما توفيت ليا تزوج اختها راحيل فولدت له بنيامين ويوسف **اذ قالوا ليوسف**
واخوه احب الى ابينا منا ونحن عصبة ان ابانا لفي ضلال مبين ليوسف اللام لام الابتداء
وفيها تاكيد وتحقيق لمضمون الجملة ارادوا ان زيادة محبته لهما امر ثابت لا شبهة فيه واخوه هو بنيامين
وانما قالوا اخوه وهم جميعا اخوته لان امهما كانت واحدة وقيل احب في الاثنين لان افعل من لا يفرق
فيه بين الواحد وما فوقه ولا بين المذكر والمؤنث اذا كان معه من ولا بد من الفرق مع لام التعريف
واذا اضيف جاز الامران والواو في ونحن عصبة واو الحال يعني انه يفضلهما في المحبة علينا وهما اثنان
صغيران لا كفاية فيهما ولا منفعة ونحن جماعة عشرة رجال كفاة نقوم بمرافقه فنحن احق بزيادة المحبة
منهما لفضلنا بالكثرة والمنفعة عليهما ان ابانا لفي ضلال مبين اي في ذهاب عن طريق الصواب في ذلك
والعصبة والعصابة العشرة فصاعدا وقيل الى الاربعين سموا بذلك لانهم جماعة تعصب بهم الامور
ويستكفون النوائب **وروي** النزال بن سبرة عن علي رضي الله عنه ونحن عصبة بالنصب وقيل معناه
ونحن نجتمع عصبة وعن ابن الانباري هذا كما تقول العرب انما العامري عمته اي يتعهد عمته **اقتلوا يوسف**
او اطرحوه ارضا يخل لكم وجه ابيكم وتكونوا من بعده قوما صالحين اقتلوا يوسف من جملة
ما حكي بعد قوله اذ قالوا كانهم اتفقوا على ذلك الامر الا من قال لا تقتلوا يوسف وقيل الآمر بالقتل شمعون
وقيل دان والباقون كانوا راضين فجعلوا آمرين ارضا ارضا منكورة مجهولة بعيدة من العمران
وهو معنى تنكيرها واخلائها من الوصف ولابهامها من هذا الوجه نصبت نصب الظروف المبهمة يخل لكم
وجه ابيكم يقبل عليكم اقبالة واحدة لا يلتفت عنكم الى غيركم والمراد سلامة محبته لهم ممن يشاركهم
فيها وينازعهم اياها فكان ذكر الوجه لتصوير معنى اقباله عليهم لان الرجل اذا اقبل على الشيء اقبل بوجهه
ويجوز ان يراد بالوجه الذات كما قال تعالى ويبقى وجه ربك وقيل يخل لكم يفرغ لكم من الشغل بيوسف
من بعده من بعد يوسف اي من بعد كفايته بالقتل او التغريب او يرجع الضمير الى مصدر اقتلوا او
اطرحوا قوما صالحين تائبين الى الله مما جنيتم عليه او يصلح ما بينكم وبين ابيكم بعذر تمهدونه او تصلح
دنياكم وتنتظم اموركم بعده بخلو وجه ابيكم وتكونوا اما مجزوم عطفا على يخل لكم واما منصوب
باضمار ان والواو بمعنى مع كقوله تعالى وتكتموا الحق **قال قائل منهم لا تقتلوا يوسف والقوه**
في غيابة الجب يلتقطه بعض السيارة ان كنتم فاعلين قائل منهم هو يهوذا وكان احسنهم
فيه رأيا وهو الذي قال فلن ابرح الارض قال لهم القتل عظيم والقوه في غيابة الجب وهو غوره وما
غاب منه عن عين الناظر واظلم من اسفله **قال المخبل**

الا انا يوما غيبتني غيابتي • فسيروا بسيري في العشيرة والاهل • اراد غيابة حفرته التي يدفن

فيها

فيها **وقرئ** غيابات على الجمع وغيّابات بالتشديد وقرأ الجحدري غيبة والجب البئر لم تطو لان الارض
تجب جبا لا غير يلتقطه يأخذه بعض السيارة بعض السيارة الاقوام الذين يسيرون في الطريق
وقرئ تلتقطه بالتاء على المعنى لان بعض السيارة سيارة **كقوله** كما شرقت صدر القناة من الدم
ومنه ذهبت بعض اصابعه ان كنتم فاعلين ان كنتم على ان تفعلوا ما يحصل به غرضكم **قالوا يا ابانا**
ما لك لا تأمنا على يوسف وانا له لناصحون ما لك لا تأمنا قرئ باظهار النونين وبالادغام
باشمام وبغير اشمام وتيمنا بكسر التاء مع الادغام والمعنى لم تخافنا عليه ونحن نريد له الخير ونحبه
ونشفق عليه وما وجد منا في بابه ما يدل على خلاف النصيحة والمقة ارادوا بذلك لما عزموا على كيد
يوسف استنزاله عن رأيه وعادته في حفظه منهم وفيه دليل على انه احس منهم بما اوجب ان لا يأمنهم
عليه **ارسله معنا غدا نرتع ونلعب وانا له لحافظون** نرتع نتسع في اكل الفواكه وغيرها واصل
الرتعة الخصب والسعة وقرئ نرتع من ارتعى يرتعي **وقرئ** يرتع ويلعب بالياء ويرتع من ارتع ماشيته
وقرأ العلاء بن سيابة يرتع بكسر العين ويلعب بالرفع على الابتداء **فان قلت** كيف استجاز لهم يعقوب
عليه السلام اللعب كان لعبهم الاستباق والانتضال ليضروا انفسهم بما يحتاج اليه
لقتال العدو لا للهو بدليل قوله تعالى انا ذهبنا نستبق وانما سموه لعبا لانه في صورته **قال اني**
ليحزنني ان تذهبوا به واخاف ان يأكله الذئب وانتم عنه غافلون ليحزنني اللام لام الابتداء
كقوله تعالى ان ربك ليحكم بينهم ودخولها احد ما ذكره سيبويه من شبه المضارعة اعتذر اليهم بشيئين
احدهما ان ذهابهم به ومفارقته اياه مما يحزنه لانه كان لا يصبر عنه ساعة والثاني خوفه عليه من
عدوة الذئب اذا غفلوا عنه برعيهم ولعبهم او قل به اهتمامهم ولم يعتدوا بحفظه عنايتهم وقيل رأى
في النوم ان الذئب قد شد على يوسف فكان يحذره فمن ثم قال ذلك فلقنهم العلة وفي امثالهم البلاء
موكل بالمنطق **وقرئ** الذيب بالهمز على الاصل وبالتخفيف وقيل اشتقاقه من تذاءبت الريح اذا اتت
من كل جهة **قالوا لئن اكله الذئب ونحن عصبة انا اذا لخاسرون** القسم محذوف تقديره
والله لئن اكله الذئب واللام موطئة للقسم وقوله تعالى انا اذا لخاسرون جواب للقسم مجزئ عن
جزاء الشرط والواو في ونحن عصبة واو الحال حلفوا له لئن كان ما خافه من خطفة الذئب اخاهم من
بينهم وحالهم انهم عشرة رجال بمثلهم تعصب الامور وتكفى الخطوب انهم اذا لقوم خاسرون اي هالكون
ضعفا وخورا وعجزا او مستحقون لان يهلكوا لانه لا غناء عندهم ولا جدوى في حياتهم او مستحقون
لان يدعى عليهم بالخسار والدمار وان يقال خسرهم الله ودمرهم حين اكل الذئب بعضهم وهم
حاضرون وقيل ان لم نقدر على حفظ بعضنا فقد هلكت مواشينا اذا وخسرناها **فان قلت**
لم اعتذر اليهم بعذرين فلم اجابوا عن احدهما دون الآخر **قلت** هو الذي كان يغيظهم ويذيقهم
الامرين فاعاروه اذنا صما ولم يعبأوا به **فلما ذهبوا به واجمعوا ان يجعلوه في غيابة الجب**
واوحينا اليه لتنبئنهم بامرهم هذا وهم لا يشعرون وجاؤوا اباهم عشاء يبكون ان
يجعلوه مفعول اجمعوا من قولك اجمع الامر وازمعه فاجمعوا امركم **وقرئ** في غيابات الجب قيل هو
بئر بيت المقدس وقيل بارض الاردن وقيل بين مصر ومدين وقيل على ثلاثة فراسخ من منزل يعقوب
وجواب لما محذوف ومعناه فعلوا به ما فعلوا من الاذى فقد روي انهم لما برزوا به الى البرية اظهروا
له العداوة واخذوا يهينونه ويضربونه وكلما استغاث بواحد منهم لم يغثه الا بالاهانة والضرب

حتى كادوا يقتلونه فجعل يصيح يا ابتاه لو تعلم ما يصنع بابنك اولاد الاماء فقال يهوذا اما اعطيتموني
موثقا ان لا تقتلوه فلما ارادوا القاءه في الجب تعلق بثيابهم فنزعوها من يديه فتعلق بحائط البير فربطوا
يديه ونزعوا قميصه فقال يا اخوتاه ردوا علي قميصي اتوارى به وانما نزعوه ليلطخوه بالدم ويحتالوا
به على ابيهم فقالوا له ادع الشمس والقمر والاحد عشر كوكبا تؤنسك ودلوه في البير فلما بلغ نصفها القوه
ليموت وكان في البير ماء فسقط فيه ثم اوى الى صخرة فقام عليها وهو يبكي فنادوه فظن انها رحمة ادركتهم
فاجابهم فارادوا ان يرضخوه ليقتلوه فمنعهم يهوذا وكان يهوذا ياتيه بالطعام ويروى ان ابراهيم
صلوات الله عليه حين القي في النار جرد عن ثيابه فاتاه جبريل عليه السلام بقميص من حرير الجنة فالبسه
اياه فدفعه ابراهيم الى اسحق واسحق الى يعقوب صلوات الله عليهم فجعله يعقوب في تميمة علقها في عنق
يوسف فجاء جبريل فاخرجه والبسه اياه واوحينا اليه قيل اوحي اليه في الصغر كما اوحي الى يحيى وعيسى
عليهم السلام وقيل كان اذ ذاك مدركا وعن الحسن رحمه الله كان له سبع عشرة سنة لتنبئنهم بامرهم
هذا انما اوحي اليه ليونس في الظلمة والوحشة ويبشر بما يؤول اليه امره ومعناه لتتخلصن مما
انت فيه ولتحدثن اخوتك بما فعلوا بك وهم لا يشعرون انك يوسف لعلو شانك وكبرياء سلطانك
وبعد حالك عن اوهامهم ولطول العهد المبدل للهيآت والاشكال وذلك انهم حين دخلوا عليه
ممتارين فعرفهم وهم له منكرون دعا بالصواع فوضعه على يده ثم نقره فطن فقال انه ليخبرني هذا
الجام انه كان لكم اخ من ابيكم يقال له يوسف وكان يدنيه دونكم وانكم انطلقتم به والقيتموه في
غيابة الجب وقلتم لابيكم اكله الذيب وبعتموه بثمن بخس ويجوز ان يتعلق وهم لا يشعرون بقوله
تعالى واوحينا على انا انسناه بالوحي وازلنا عن قلبه الوحشة وهم لا يشعرون ذلك ويحسبون انه
مرهق مستوحش لا انيس له وقرى لننبئنهم بالنون على انه وعيد لهم وقوله وهم لا يشعرون
متعلق باوحينا لا غير وعن الحسن عشيا على تصغير عشي يقال لقيته عشيا وعشيانا واصيلالا
واصيلانا ورواه ابن جني عشى بضم العين والقصر وقال عشوا من البكاء وروى ان امراة حاكمت
الى شريح فبكت فقال له الشعبي يا ابا امية اما تراها تبكي قال قد جاء اخوة يوسف يبكون وهم
ظلمة ولا ينبغي لاحد ان يقضي الا بما امر ان يقضي به من السنة المرضية قالوا يا ابانا انا ذهبنا
نستبق وتركنا يوسف عند متاعنا فاكله الذيب وما انت بمؤمن لنا ولو كنا صادقين
وروى انه لما سمع صوتهم فزع وقال ما لكم يا بني هل اصابكم في غنمكم شيء قالوا لا قال فما لكم
واين يوسف قالوا يا ابانا انا ذهبنا نستبق اي نتسابق والافتعال والتفاعل يشتركان كالانتضال
والتناضل والارتماء والترامي وغير ذلك والمعنى نتسابق في العدو او في الرمي وجاء في التفسير ننتضل
بمؤمن لنا بمصدق لنا ولو كنا صادقين ولو كنا عندك من اهل الصدق والثقة لشدة محبتك ليوسف
فكيف وانت سيء الظن بنا غير واثق بقولنا وجاءوا على قميصه بدم كذب قال بل سولت
لكم انفسكم امرا فصبر جميل والله المستعان على ما تصفون بدم كذب ذي كذب او
وصف بالمصدر مبالغة كانه نفس الكذب وعينه كما يقال للكذاب هو الكذب بعينه والزور
بذاته ونحوه فهن به جود وانشز به بخل وقرئ كذبا نصبا على الحال بمعنى جاءوا به كاذبين ويجوز ان
يكون مفعولا له وقرات عائشة رضي الله عنها كدب بالدال غير المعجمة اي كدر وقيل طري وقال ابن
جني اصله من الكدب وهو الفوف البياض الذي يخرج على اظفار الاحداث كانه دم قد اثر في قميصه

روى انهم ذبحوا سخلة ولطخوه بدمها وزل عنهم ان يمزقوه وروى ان يعقوب عليه السلام لما سمع بخبر
يوسف صاح باعلى صوته وقال اين القميص فاخذه والقاه على وجهه وبكى حتى خضب وجهه بدم القميص
وقال تالله ما رايت كاليوم ذيبا احلم من هذا اكل ابني ولم يمزق عليه قميصه وقيل كان في قميص
يوسف عليه السلام ثلث آيات كان دليلا ليعقوب على كذبهم والقاه على وجهه فارتد بصيرا ودليلا
على براءة يوسف حين قد من دبر فان قلت على قميصه ما محله قلت محله النصب على الظرف كانه قيل
وجاءوا فوق قميصه بدم كما تقول جاء على جماله باحمال فان قلت هل يجوز ان يكون حالا متقدمة
لا لان حال المجرور لا تتقدم عليه سولت سهلت من السول وهو الاسترخاء اي سهلت
لكم انفسكم امرا عظيما ارتكبتموه من يوسف وهونته في اعينكم استدل على فعلهم به بما كان يعرف من حسدهم
وبسلامة القميص او اوحي اليه بانهم قصدوه فصبر جميل خبر او مبتدا لكونه موصوفا اي فامري
صبر جميل او فصبر جميل امثل وفي قراءة ابي فصبرا جميلا والصبر الجميل جاء في الحديث المرفوع انه
الذي لا شكوى فيه ومعناه لا شكوى فيه الى الخلق الا ترى الى قوله انما اشكو بثي وحزني الى الله
وقيل لا اعايشكم على كابة الوجه بل اكون لكم كما كنت وقيل سقط حاجبا يعقوب على عينيه فكان
يرفعهما بعصابة فقيل له ما هذا فقال طول الزمان وكثرة الاحزان فاوحى الله تعالى اليه يا يعقوب
اتشكوني قال يا رب خطيئة فاغفرها لي والله المستعان اي استعينه على احتمال ما تصفون من
هلاك يوسف والصبر على الرزء فيه وجاءت سيارة فارسلوا واردهم فادلى دلوه قال
يا بشرى هذا غلام واسروه بضاعة والله عليم بما يعملون وجاءت سيارة رفقة
تسير من قبل مدين الى مصر وذلك بعد ثلاثة ايام من القاء يوسف في الجب فاخطاوا الطريق فنزلوا
قريبا منه وكان الجب في قفرة بعيدة من العمران لم يكن الا للرعاة وقيل كان ملحا فعذب حين ماؤه م
القي فيه يوسف فارسلوا رجلا يقال له مالك بن ذعر الخزاعي ليطلب لهم الماء والوارد الذي يرد
الماء ليستقي للقوم يا بشرى نادى البشرى كانه يقول تعالى فهذا من اوانك وقرى يا بشراي
على اضافتها الى نفسه وفي قراءة الحسن وغيره يا بشري بالياء مكان الالف جعلت الياء بمنزلة الكسرة
قبل ياء الاضافة وهي لغة للعرب مشهورة سمعت اهل السروات يقولون في دعائهم يا سيدي
ومولي وعن نافع يا بشراي بالسكون وليس بالوجه لما فيه من التقاء الساكنين على غير حده
الا ان يقصد الوقف قيل لما ادلى دلوه اي ارسلها في الجب تعلق يوسف بالحبل فلما خرج اذا هو
بغلام احسن ما يكون فقال يا بشراي هذا غلام وقيل ذهب به فلما دنا من اصحابه صاح بذلك يبشرهم
به واسروه الضمير للوارد واصحابه اخفوه من الرفقة اخفوا امره وجدانهم له في الجب وقالوا
لهم دفعه الينا اهل الماء لنبيعه لهم بمصر وعن ابن عباس رضي الله عنهما ان الضمير لاخوة يوسف
وانهم قالوا للرفقة هذا غلام لنا قد ابق فاشتروه منا وسكت يوسف مخافة ان يقتلوه وبضاعة
نصب على الحال اي اخفوه متاعا للتجارة والبضاعة ما بضع من المال للتجارة اي قطع والله عليم
بما يعملون لم يخف عليه اسرارهم وهو وعيد لهم حيث استبضعوا ما ليس لهم او والله عليم
بما يعمل اخوة يوسف بابيهم واخيهم من سوء الصنيع وشروه بثمن بخس دراهم معدودة
وكانوا فيه من الزاهدين وشروه وباعوه بثمن بخس مبخوس ناقص عن القيمة نقصانا ظاهرا
او زيف ناقص العيار دراهم لا دنانير معدودة قليلة تعد عدا ولا توزن لانهم كانوا لا يزنون

الا ان تبلغ الاوقية وهي الاربعون ويعدون ما دونها وقيل للقليلة معدودة لان الكثيرة يمتنع
من عدها لكثرتها وعن ابن عباس رضي الله عنهما كانت عشرين درهما وعن السدي اثنين وعشرين
وكانوا فيه من الزاهدين ممن يرغب عما في يده فيبيعه بما طف من الثمن لانهم التقطوه والملتقط للشيء
متهاون به لا يبالي بم باعه ولانه يخاف ان يعرض له مستحق ينتزعه من يده فيبيعه من اول مساوم
باوكس الثمن ويجوز ان يكون معنى شروه واشتروه يعني الرفقة من اخوته وكانوا فيه من
الزاهدين لانهم اعتقدوا انه آبق فخافوا ان يخطروا بما لهم فيه ويروى ان اخوته اتبعوهم
يقولون استوثقوا منه لا يأبق وقوله فيه ليس من صلة الزاهدين لان الصلة لا تتقدم على الموصول
الا تراك لا تقول وكانوا زيدا من الضاربين وانما هو بيان كانه قيل في اي شيء زهدوا فقال زهدوا
فيه وقال الذي اشتراه من مصر لامرأته اكرمي مثواه عسى ان ينفعنا او نتخذه ولدا
وكذلك مكنا ليوسف في الارض ولنعلمه من تاويل الاحاديث والله غالب على
امره ولكن اكثر الناس لا يعلمون الذي اشتراه قيل هو قطفير او اطفير وهو العزيز الذي
كان على خزائن مصر والملك يومئذ الريان بن الوليد رجل من العماليق وقد آمن بيوسف ومات في
حياة يوسف فملك بعده قابوس بن مصعب فدعاه يوسف عليه السلام الى الاسلام فابى واشتراه
العزيز وهو ابن سبع عشرة سنة واقام في منزله ثلث عشرة سنة واستوزره ريان بن الوليد
وهو ابن ثلاثين سنة وآتاه الله الحكمة والعلم وهو ابن ثلث وثلاثين وتوفي وهو ابن مائة
وعشرين سنة وقيل كان الملك في ايامه فرعون موسى عاش اربعمائة سنة بدليل قوله تعالى ولقد
جاءكم يوسف من قبل بالبينات وقيل فرعون موسى من اولاد فرعون يوسف وقيل اشتراه العزيز
بعشرين دينارا وزوجي نعل وثوبين ابيضين وقيل ادخلوه السوق يعرضونه فترافعوا في ثمنه
حتى بلغ ثمنه وزنه مسكا وورقا وحريرا فابتاعه قطفير بذلك المبلغ اكرمي مثواه اجعلي منزله
ومقامه عندنا كريما اي حسنا مرضيا بدليل قوله تعالى انه ربي احسن مثواي والمراد تفقده
بالاحسان وتعهده بحسن الملكة حتى تكون نفسه طيبة في صحبتنا ساكنة في كنفنا ويقال للرجل
كيف ابو مثواك وام مثواك لمن ينزل به من رجل او امرأة يراد هل تطيب نفسك بثوائك عنده وهل
يراعي حق نزولك به واللام في لامرأته متعلقة بقال لا باشتراه عسى ان ينفعنا لعله اذا تدرب
وراض الامور وفهم مجاريها نستظهر به على بعض ما نحن بسبيله فينفعنا فيه بكفايته وامانته او
نتبناه ونقيمه مقام الولد وكان قطفير عقيما لا يولد له وقد تفرس فيه الرشد فقال ذلك وقيل
افرس الناس ثلاثة العزيز حين تفرس في يوسف فقال لامرأته اكرمي مثواه عسى ان ينفعنا
والمرأة التي اتت موسى وقالت لابيها يا ابت استاجره وابو بكر حين استخلف عمر رضي الله عنهما
وروى انه سأله عن نفسه فاخبره بنسبه فعرفه وكذلك الاشارة الى ما تقدم من انجائه
وعطف قلب العزيز عليه والكاف منصوب تقديره ومثل ذلك الانجاء والعطف مكنا له اي كما انجيناه
وعطفنا عليه العزيز كذلك مكنا له في ارض مصر وجعلناه ملكا يتصرف فيها بامره ونهيه ولنعلمه
من تاويل الاحاديث كان ذلك الانجاء والتمكين لان غرضنا ليس الا ما تحمد عاقبته من علم وعمل
والله غالب على امره على امر نفسه تعالى لا يمنع عما يشاء ولا ينازع ما يريد ويقضي او على امر يوسف
يدبره لا يكله الى غيره فقد اراد اخوته به ما ارادوا ولم يكن الا ما اراد الله ودبره ولكن اكثر الناس

لا يعلمون ان الامر كله بيد الله ولما بلغ اشده آتيناه حكما وعلما وكذلك نجزي المحسنين قيل
في الاشد ثماني عشرة سنة وعشرون وثلث واربعون وقيل اقصاه ثنتان وستون حكما حكمة وهو
العلم بالعمل واجتناب ما يجهل فيه وقيل حكما بين الناس وفقها وكذلك نجزي المحسنين تنبيه على انه
كان محسنا في عمله متقيا في عنفوان امره وان الله آتاه الحكم والعلم جزاء على احسانه وعن الحسن رحمه
الله من احسن عبادة ربه في شبيبته آتاه الله الحكمة في اكتهاله وراودته التي هو في بيتها عن
نفسه وغلقت الابواب وقالت هيت لك قال معاذ الله انه ربي احسن مثواي
انه لا يفلح الظالمون المراودة مفاعلة من راد يرود اذا جاء وذهب كان المعنى خادعته
عن نفسه اي فعلت ما يفعل المخادع لصاحبه عن الشيء الذي لا يريد ان يخرجه من يده يحتال ان يغلبه
عليه وياخذه منه وهي عبارة عن التمحل لمواقعته اياها وغلقت الابواب قيل كانت سبعة
قرئ هيت بفتح الهاء وكسرها مع فتح التاء وبناؤه كبناء اين وعيط وهيت كجير وهيت كحيث
وهئت بمعنى تهيأت يقال هاء يهيء كجاء يجيء اذا تهيأ وهيت لك واللام من صلة الفعل واما
في الاصوات فللبيان كانه قيل لك اقول هذا كما تقول هلم لك معاذ الله اعوذ بالله معاذا انه
ان الشان والحديث ربي سيدي ومالكي يريد قطفير احسن مثواي حين قال لك اكرمي مثواه
فما جزاؤه ان اخلفه في اهله سوء الخلافة واخونه فيهم انه لا يفلح الظالمون الذين يجازون الحسن
بالسيء وقيل اراد الزناة لانهم ظالمون انفسهم وقيل اراد الله تعالى لانه مسبب الاسباب ولقد
همت به وهم بها لولا ان رأى برهان ربه كذلك لنصرف عنه السوء والفحشاء انه من
عبادنا المخلصين هم بالامر اذا قصده وعزم عليه قال
هممت ولم افعل وكدت وليتني تركت على عثمان تبكي حلائله ومنه قولك لا افعل ذلك
ولا كيدا ولا هما اي ولا اكاد ان افعله كيدا ولا اهم بفعله هما حكاه سيبويه ومنه الهمام وهو الذي
اذا هم بامر امضاه ولم ينكل عنه وقوله تعالى ولقد همت به معناه ولقد همت بمخالطته وهم بها
وهم بمخالطتها لولا ان رأى برهان ربه جوابه محذوف تقديره لولا ان رأى برهان ربه لخالطها
فحذف لان قوله وهم بها يدل عليه كقولك هممت بقتله لولا اني خفت الله معناه لولا اني خفت
الله لقتلته فان قلت كيف جاز على نبي الله ان يكون منه هم بالمعصية وقصد اليها قلت
المراد ان نفسه مالت الى المخالطة ونازعت اليها عن شهوة الشباب وقرمه ميلا يشبه الهم به
والقصد اليه وكما تقتضيه صورة تلك الحال التي تكاد تذهب بالعقول والعزائم وهو يكسر ما
به ويرده بالنظر في برهان الله المأخوذ على المكلفين من وجوب اجتناب المحارم ولو لم يكن ذلك الميل
الشديد المسمى هما لشدته لما كان صاحبه ممدوحا عند الله بالامتناع لان استعظام الصبر على
الابتلاء على حسب عظم الابتلاء وشدته ولو كان همه كهمها عن عزيمة لما مدحه الله بانه من عباده
المخلصين ويجوز ان يريد بقوله تعالى وهم بها وشارف ان يهم بها كما يقول الرجل قتلته لو لم
اخف الله يريد مشارفة القتل ومشافهته كانه شرع فيه فان قلت قوله تعالى وهم بها
داخل تحت حكم القسم في قوله ولقد همت به ام هو خارج منه الامران جائزان ومن
حق القارئ اذا قدر خروجه من حكم القسم وجعله كلاما برأسه ان يقف على قوله ولقد همت به
ويبتدئ قوله تعالى وهم بها لولا ان رأى برهان ربه وفيه ايضا اشعار بالفرق بين الهمين فان

فان قلت لم جعلت جواب لولا محذوفا يدل عليه هم بها وهلا جعلته هو الجواب مقدما قلت لان لولا لا
يتقدم عليها جوابها من قبل انه في حكم الشرط وللشرط صدر الكلام وهو مع ما في حيزه من الجملتين مثل
كلمة واحدة ولا يجوز تقديم بعض الكلمة على بعض واما حذف بعضها اذا دل الدليل عليه فجائز فان
قلت فلم جعلت لولا متعلقة بهم بها وحده ولم تجعلها متعلقة بجملة قوله تعالى ولقد همت
به وهم بها لان الهم لا يتعلق بالجواهر ولكن بالمعاني فلا بد من تقدير المخالطة والمخالطة لا تكون
الا من اثنين معا فكانه قيل ولقد هما بالمخالطة لولا ان منع مانع احدهما قلت نعم ما قلت
ولكن الله تعالى جاء بالهمين على سبيل التفصيل حيث قال ولقد همت به وهم بها فكان اعتنائه بالغاء
له فوجب ان يكون التقدير ولقد همت بمخالطته وهم بمخالطتها على ان المراد بالمخالطتين توصلها
الى ما هو حظها من قضاء شهوتها منه وتوصله الى ما هو حظه من قضاء شهوته منها لولا ان راى
برهان ربه فترك التوصل الى حظه من الشهوة فلذلك كانت لولا حقيقة بان تعلق بهم بها وحده
وقد فسر هم يوسف بانه حل الهميان وجلس منها مجلس المجامع وبانه حل تكة سراويله وقعد بين
شعبها الاربع وهي مستلقية على قفاها وفسر البرهان بانه سمع صوتا اياك واياها فلم يكترث
له فسمعه ثانيا فلم يعمل به فسمع ثالثا اعرض عنها فلم ينجع فيه حتى مثل له يعقوب عاضا على انملته وقيل
ضرب بيده في صدره فخرجت شهوته من انامله وقيل كل ولد يعقوب له اثنا عشر ولدا الا
يوسف فانه ولد له احد عشر ولدا من اجل ما نقص من شهوته حين هم وقيل صيح به يا يوسف
لا تكن كالطاير كان له ريش فلما زنى قعد لا ريش له وقيل بدت كف فيما بينهما ليس لها عضد ولا
معصم مكتوب فيها وان عليكم لحافظين كراما كاتبين فلم ينصرف ثم راى فيها ولا تقربوا الزنا
انه كان فاحشة وساء سبيلا فلم ينته ثم راى فيها واتقوا يوما ترجعون فيه الى الله فلم ينجع فيه فقال
الله لجبريل ادرك عبدي قبل ان يصيب الخطيئة فانحط جبريل وهو يقول يا يوسف اتعمل عمل السفهاء
وانت مكتوب في ديوان الانبياء وقيل راى تمثال العزيز وقيل قامت المراة الى صنم كان هناك
فسترته وقالت استحيي ان يرانا فقال يوسف استحييت ممن لا يسمع ولا يبصر ولا استحيي من السميع
البصير العليم بذات الصدور وهذا ونحوه مما يورده اهل الحشو والجبر الذين دينهم بهت الله
وانبيائه واهل العدل والتوحيد ليسوا من مقالاتهم ورواياتهم بحمد الله بسبيل ولو وجدت من
يوسف عليه السلام ادنى زلة لنعيت عليه وذكرت توبته واستغفاره كما نعيت على ادم عليه السلام
زلته وعلى داود وعلى نوح وعلى ايوب وعلى ذي النون وذكرت توبتهم واستغفارهم كيف وقد
اثنى عليه وسمي مخلصا فعلم بالقطع انه ثبت في ذلك المقام الدحض وانه جاهد نفسه مجاهدة اولي
القوة والعزم ناظرا في دليل التحريم ووجه القبح حتى استحق من الله الثناء فيما انزل من كتب الاولين
ثم في القران الذي هو حجة على سائر كتبه ومصداق لها ولم يقتصر الا على استيفاء قصته وضرب سورة
كاملة عليها ليجعل له لسان صدق في الاخرين كما جعله لجده الخليل ابراهيم صلوات الله وليقتدي به
الصالحون الى اخر الدهر في العفة وطيب الازار والتثبت في مواقف العثار فاخزى الله اولئك في
ايرادهم ما يؤدي الى ان يكون انزال الله السورة التي هي احسن القصص في القران العربي المبين
ليقتدي بنبي من انبياء الله في القعود بين شعب الزانية وفي حل تكته للوقوع عليها وفي ان ينهاه ربه
ثلث كرات ويصاح به من عنده ثلاث صيحات بقوارع القران وبالتوبيخ العظيم وبالوعيد الشديد

وبالتشبيه بالطاير الذي سقط ريشه حين سفد غير انثاه وهو جاثم في مربضه لا يتحلحل ولا ينتهي ولا
ينتبه حتى يتداركه الله بجبريل وباجباره ولو ان اوقح الزناة واشطرهم واحدهم حدقة واجلحهم
وجها لقي بادنى ما لقي به مما ذكروا لما بقي له عرق ينبض ولا عضو يتحرك فيا له من مذهب ما افحشه
ومن ضلال ما ابينه كذلك الكاف منصوب المحل اي مثل ذلك التثبيت ثبتناه او مرفوعه
اي الامر مثل ذلك لنصرف عنه السوء من خيانة السيد والفحشاء من الزناء انه من عبادنا
المخلصين الذين اخلصوا دينهم وبالفتح الذين اخلصهم الله لطاعته بان عصمهم ويجوز ان
يريد بالسوء مقدمات الفاحشة من القبلة والنظر بشهوة ونحو ذلك وقوله تعالى من عبادنا
معناه بعض عبادنا اي هو مخلص من جملة المخلصين او هو ناشئ منهم لانه من ذرية ابراهيم الذين
قال فيهم انا اخلصناهم بخالصة واستبقا الباب وقدت قميصه من دبر والفيا سيدها
لدا الباب قالت ما جزاء من اراد باهلك سوءا الا ان يسجن او عذاب اليم واستبقا
الباب وتسابقا الى الباب على حذف الجار وايصال الفعل كقوله تعالى واختار موسى قومه او على
تضمين استبقا معنى ابتدرا نفر منها يوسف فاسرع يريد الباب واسرعت وراءه لتمنعه الخروج
فان قلت كيف وحد الباب وقد جمعه في قوله تعالى وغلقت الابواب اراد الباب
البراني الذي هو المخرج من الدار والمخلص فقد روى كعب انه لما هرب يوسف جعل فراش القفل
يتناثر ويسقط حتى خرج من الابواب وقدت قميصه من دبر اجتذبته من خلفه فانقد اي انشق
حين هرب منها الى الباب وتبعته تمنعه والفيا سيدها وصادفا بعلها وهو قطفير تقول
المراة لبعلها سيدي وقيل انما لم يقل سيدهما لان ملك يوسف لم يصح فلم يكن سيدا له على
الحقيقة قبل الباب مقبلا يريد ان يدخل وقيل جاء ابن عم للمراة لما اطلع منها زوجها
على تلك الهيئة المريبة وهي مخاطبة على يوسف اذ لم يريا انها جانت بحيلة جمعت فيها غرضيها وهما تبرية
ساحتها عند زوجها من الريبة والغضب على يوسف او تخويفه طمعا في ان يواتيها خيفة منها ومن
مكرها وكرها لما ايست من مواتاته طوعا الا ترى الى قولها ولئن لم يفعل ما امره ليسجنن
وما نافية اي ليس جزاؤه الا السجن ويجوز ان تكون استفهامية بمعنى اي شيء جزاؤه الا السجن
كما تقول من في الدار الا زيد فان قلت كيف لم تصرح في قولها بذكر يوسف وانه اراد بها
سوءا قلت قصدت العموم وان كل من اراد باهلك سوءا فحقه ان يسجن او يعذب لان ذلك
ابلغ فيما قصدته من تخويف يوسف وقيل العذاب الاليم الضرب بالسياط قال هي راودتني
عن نفسي وشهد شاهد من اهلها ان كان قميصه قد من قبل فصدقت وهو من
الكاذبين وان كان قميصه قد من دبر فكذبت وهو من الصادقين ولما اغرت به
وعرضته للسجن والعذاب وجب عليه الدفع عن نفسه فقال هي راودتني عن نفسي ولولا ذلك
لكتم عليها وشهد شاهد من اهلها قيل كان ابن عم لها وانما القى الله الشهادة على لسان
من هو من اهلها ليكون اوجب للحجة عليها واوثق لبراءة يوسف وانفى للتهمة عنه وقيل هو الذي كان
جالسا مع زوجها لدى الباب وقيل كان حكيما يرجع اليه الملك ويستشيره ويجوز ان يكون
بعض اهلها كان في الدار فبصر بها من حيث لا تشعر فاغضبه الله ليوسف بالشهادة له والقيام
بالحق وقيل كان ابن خال لها صبيا في المهد وعن النبي صلى الله عليه وسلم تكلم اربعة وهم صغار

ابن ماشطة فرعون وشاهد يوسف وصاحب جريج وعيسى عليهم السلام **فإن قلت** لم سمى قوله شهادة وهو بلفظ الشهادة قلت لما ادى مؤدى الشهادة فى ان ثبت به قول يوسف وبطل قولها سمى شهادة فان الجملة الشرطية كيف جازت حكايتها بعد فعل الشهادة قلت لانها قول من القول او على ارادة القول كانه قيل وشهد شاهد فقال ان كان قميصه فان قلت ان دل قد قميصه من دبر على انها كاذبة وانها هى التى تبعته واجتذبت ثوبه اليها فقدته فمن اين دل قده من قبل على انها صادقة وانه كان تابعها قلت من وجهين احدهما انه اذا كان تابعها وهى دافعته عن نفسها قدت قميصه من قدامه بالدفع والثانى ان يسرع خلفها ليلحقها فيتعثر فى مقادم قميصه فيشقه **وقرئ** من قبل ومن دبر بالضم على مذهب الغايات والمعنى من قبل القميص ومن دبره واما التنكير فمعناه من جهة يقال لها قبل ومن جهة يقال لها دبر وعن ابن ابى اسحق انه قرا من قبل ومن دبر بالفتح كانه جعلهما علمين للجهتين فمنعهما الصرف للعلمية والتانيث وقرئا بسكون العين **فان قلت** كيف جاز الجمع بين ان الذى هو للاستقبال وبين كان **قلت** لان المعنى ان يعلم انه كان قميصه قد ونحوه قولك ان احسنت الى فقد احسنت اليك من قبل لمن يمتن عليك باحسانه تريد ان تمنن على امتنن عليك فلما راى قميصه قد من دبر قال انه من كيدكن ان كيدكن عظيم فلما راى يعنى قطفير وعلم براءة يوسف وصدقه وكذبها قال انه ان قولك ما جزاء من اراد باهلك سوءا او ان هذا الامر وهو طمعها فى يوسف من كيدكن الخطاب لها ولامثالها او لسائر النساء وانما استعظم كيد النساء لانه وان كان فى الرجال الا ان النساء الطف كيدا وانفذ حيلة ولهن فى ذلك نيقة ورفق وبذلك يغلبن الرجال ومنه قوله تعالى ومن شر النفاثات فى العقد والقصريات من بينهن معهن ما ليس مع غيرهن من البوائق **وعن** بعض العلماء انا اخاف من النساء اكثر مما اخاف من الشيطان لان الله تعالى يقول ان كيد الشيطان كان ضعيفا وقال للنساء ان كيدكن عظيم يوسف اعرض عن هذا واستغفرى لذنبك انك كنت من الخاطئين يوسف حذف منه حرف النداء لانه منادى قريب مفاطن للحديث وفيه تقريب له وتلطيف لمحله اعرض عن هذا الامر واكتمه ولا تحدث به واستغفرى انت لذنبك انك كنت من الخاطئين من جملة القوم المتعمدين للذنب يقال خطئ اذا اذنب متعمدا وانما قال من الخاطئين بلفظ التذكير تغليبا للذكور على الاناث وما كان العزيز الا رجلا حليما **وروى** انه كان قليل الغيرة وقال نسوة فى المدينة امرأة العزيز تراود فتاها عن نفسه قد شغفها حبا انا لنراها فى ضلال مبين وقال نسوة وقال جماعة من النساء وكن خمسا امرأة الساقى وامرأة الخباز وامرأة صاحب الدواب وامرأة صاحب السجن وامرأة الحاجب والنسوة اسم مفرد لجمع المرأة وتانيثه غير حقيقى كتانيث اللمة ولذلك لم تلحق فعله تاء التانيث وفيه لغتان كسر النون وضمها فى المدينة فى مصر امرأة العزيز يريدون قطفير والعزيز الملك بلسان العرب فتاها غلامها يقال فتاى وفتاتى اى غلامى وجاريتى شغفها خرق حبه شغاف قلبها حتى وصل الى الفؤاد والشغاف حجاب القلب وقيل جلدة رقيقة يقال لها لسان القلب **قال النابغة**

وقد حال هم دون ذلك والج ... مكان الشغاف تبتغيه الاصابع

وقرئ شعفها بالعين من شعف البعير اذا هناه فاحرقه بالقطران كما قال

كما شعف المهنوءة الرجل الطالى

وحبا تمييز

قلنا

على التمييز فى ضلال مبين فى خطاء وبعد عن طريق الصواب فلما سمعت بمكرهن ارسلت اليهن واعتدت لهن متكأ وآتت كل واحدة منهن سكينا وقالت اخرج عليهن فلما راينه اكبرنه وقطعن ايديهن وقلن حاش لله ما هذا بشرا ان هذا الا ملك كريم بمكرهن باغتيابهن وسوء قالتهن وقولهن امرأة العزيز عشقت عبدها الكنعانى ومقتها وسمى الاغتياب مكرا لانه فى خفية وحال غيبة كما يخفى الماكر مكره وقيل كانت استكتمتهن سرها فافشينه عليها ارسلت اليهن دعتهن قيل دعت اربعين امرأة منهن الخمس المذكورات واعتدت لهن متكأ ما يتكئن عليه من نمارق قصدت بتلك الهيئة وهى قعودهن متكئات والسكاكين فى ايديهن ان يدهشن ويبهتن عند رؤيته ويشغلن عن نفوسهن فتقع ايديهن على ايديهن فيقطعنها لان المتكئ اذا بهت لشئ وقعت يده على يده ولا يبعد ان تقصد الجمع بين المكر به وبهن فتضع الخناجر فى ايديهن ليقطعن ايديهن فتبكتهن بالحجة ولتهول يوسف من مكرها اذا خرج على اربعين نسوة مجتمعات فى ايديهن الخناجر توهمه انهن يثبن عليه وقيل متكأ مجلس طعام لانهم كانوا يتكئون للطعام والشراب والحديث كعادة المترفين ولذلك نهى ان ياكل الرجل متكئا وآتينهن السكاكين ليعالجن بها ما ياكلن وقيل متكأ طعاما من قولك اتكأنا عند فلان طعمنا على سبيل الكناية لان من دعوته ليطعم عندك اتخذت له تكأة يتكئ عليها **قال** جميل

فظللنا بنعمة واتكأنا ... وشربنا الحلال من قلله

وعن مجاهد متكأ طعاما يحز حزا كان المعنى يعتمد بالسكين لان القاطع يتكئ على المقطوع بالسكين وقرئ متكا بغير همز وعن الحسن رحمة الله عليه متكاء بالمد كانه مفتعال وذلك لاشباع فتحة الكاف كقوله بمنتزاح بمعنى بمنتزح ونحو ينباع بمعنى ينبع وقرئ متكا وهو الاترج **وانشد**

فاهدت متكة لبنى ابيها ... تخب بها العثمثمة الوقاح

وكانت اهدت اترجة على ناقة وكانها الاترجة التى ذكرها ابو داود فى سننه انها شقت بنصفين وحملا كالعدلين على جمل وقيل الزماورد وعن وهب اترجا وموزا وبطيخا وقيل اعتدت لهن ما يقطع من متك الشئ بمعنى بتكه اذا قطعه **وقرا** الاعرج متكأ مفعلا من تكأ يتكأ اذا اتكأ اكبرنه عظمنه وهبن ذلك الحسن الرائع والجمال الفائق قيل كان فضل يوسف على الناس فى الحسن كفضل القمر ليلة البدر على نجوم السماء وعن النبى صلى الله عليه وسلم مررت بيوسف الليلة التى عرج بى الى السماء فقلت لجبريل من هذا فقال هذا يوسف فقيل يا رسول الله كيف رايته قال كالقمر ليلة البدر وقيل كان يوسف اذا سار فى ازقة مصر يرى تلألؤ وجهه على الجدران كما يرى نور الشمس من الماء عليها وقيل ما كان احد يستطيع وصف يوسف وقيل كان يشبه آدم يوم خلقه ربه وقيل ورث الجمال من جدته سارة وقيل اكبرن بمعنى حضن والهاء للسكت يقال اكبرت المرأة اذا حاضت وحقيقته دخلت فى الكبر لانها بالحيض تخرج من حد الصغر الى حد الكبر وكان ابا الطيب اخذ من هذا التفسير قوله

خف الله واستر ذا الجمال ببرقع ... فان لحت حاضت فى الخدور العواتق

وقطعن ايديهن جرحنها كما تقول كنت اقطع اللحم فقطعت يدى تريد جرحتها حاشا كلمة تفيد معنى التنزيه فى باب الاستثنا تقول اساء القوم حاشا زيد **قال**

حاشا ابى ثوبان ان به ... ضنا عن الملحاة والشتم

وهى حرف من حروف الجر فوضعت موضع التنزيه والبراءة فمعنى حاشا الله براءة الله وتنزيه الله وهى قراءة ابن مسعود على اضافة حاشا الى الله اضافة البراءة ومن قرا حاشا لله فنحو قولك سقيا لك كانه قال براءة ثم

حرف جر

تأدباً لله لبيان من يبرئ وينزه والدليل على تنزيل حاشا منزلة المصدر قراءة أبي السمال حاشاً لله
بالتنوين وقراءة أبي عمرو حاش لله بحذف الألف الأخيرة وقراءة الأعمش حشا لله بحذف الألف
الأولى وقرئ حاش الله بسكون الشين على أن الفتحة أتبعت الألف في الإسقاط وهي ضعيفة
لما فيها من التقاء الساكنين على غير حده وقرئ حاشا الإله **فإن قلت** فلم جاز في حاشا لله أن
لا ينوّن بعد إجرائه مجرى براءة لله **قلت** مراعاة لأصله الذي هو الحرفية ألا ترى إلى قولهم
جلست من عن يمينه كيف تركوا عن غير معرب على أصله وعلى في قوله غدت من عليه منقلباً الألف
إلى الياء مع الضمير والمعنى تنزيه الله من صفات العجز والتعجب من قدرته على خلق جميل مثله وأما
قوله تعالى حاشا لله ما علمنا عليه من سوء فالتعجب من قدرته على خلق عفيف مثله ما هذا بشراً
نفين عنه البشرية لغرابة جماله ومباعدة حسنه لما عليه محاسن الصور وأثبتن له الملكية وبتتن
لها الحكم وذلك لأن الله عز وجل ركز في الطباع أن لا أحسن في الشر من الشيطان ولا أجمع
أحسن من الملك كما ركز فيها أن لا أقبح من الشيطان ولذلك يشبه كل متناه في الحسن والقبح بهما
وما ركز ذلك فيها إلا لأن الحقيقة كذلك كما ركز أن لا أدخل في الشر من الشيطان ولا أجمع للخير
من الملائكة إلا ما عليه الفئة الخاسئة المجبرة من تفضيل الإنسان على الملك وما هو إلا من تعكيسهم
للحقائق وجحودهم للعلوم الضرورية ومكابرتهم في كل باب وإعمال ما عمل ليس هي اللغة القدمى
الحجازية وبها ورد القرآن ومنها قوله تعالى ما هن أمهاتهم ومن قرأ على سليقته من بني تميم
قرأ بشر بالرفع وهي قراءة ابن مسعود **وقرئ** ما هذا بشرى أي ما هو بعبد مملوك لئيم إن هذا
إلا ملك كريم تقول هذا بشرى أي حاصل بشرى بمعنى هذا مشترى وتقول هذا لك بشرى أم بكرى
والقراءة هي الأولى لموافقتها المصحف ومطابقة بشر لملك قالت فذلكن الذي لمتنني فيه ولقد
راودته عن نفسه فاستعصم ولئن لم يفعل ما آمره ليسجنن وليكونا من الصاغرين
قالت فذلكن ولم تقل فهذا وهو حاضر رفعاً لمنزلته في الحسن واستحقاق أن يحب ويفتتن به وربأ (يفتتن)
بحاله واستبعاداً لمحله ويجوز أن يكون إشارة إلى المعنى بقولهن عشقت عبدها الكنعاني تقول
هو ذلك العبد الكنعاني الذي صورتن في أنفسكن ثم لمتنني فيه تعني أنكن لم تصورنه بحق صورته
ولو صورتنه بما عاينتن لعذرتنني في الافتتان به الاستعصام بناء مبالغة يدل على الامتناع البليغ
والتحفظ الشديد كأنه في عصمة وهو يجتهد في الاستزادة منها ونحوه استمسك واستوسع الفتق
واستجمع الرأي واستفحل الخطب وهذا بيان لما كان من يوسف عليه السلام لا مزيد عليه وبرهان لا شيء
أنور منه على أنه بريء مما أضاف إليه أهل الحشو مما فسروا به الهم والبرهان **فإن قلت** الضمير
في آمره راجع إلى الموصول أم إلى يوسف **قلت** بل إلى الموصول والمعنى ما آمر به فحذف الجار كما في قولك
أمرتك الخير ويجوز أن تجعل ما مصدرية فيرجع إلى يوسف ومعناه ولئن لم يفعل أمري إياه أي موجب
أمري ومقتضاه **وقرئ** وليكونن بالتشديد والتخفيف والتخفيف أولى لأن النون كتبت في المصحف
ألفاً على حكم الوقف وذلك لا يكون إلا في الخفيفة قال رب السجن أحب إلي مما يدعونني إليه وإلا
تصرف عني كيدهن أصب إليهن وأكن من الجاهلين فاستجاب له ربه فصرف عنه كيدهن
إنه هو السميع العليم **وقرئ** السجن بالفتح على المصدر وقال يدعونني على إسناد الدعوة إليهن
جميعاً لأنهن تنصحن له وزين له مطاوعتها وقلن له إياك وإلقاء نفسك في السجن والصغار فالتجأ إلى ربه

مطلب كلام في شأن أهل السنة

عند ذلك وقال رب نزول السجن أحب إلي من ركوب المعصية **فإن قلت** نزول السجن مشقة على النفس
شديدة وما دعونه إليه لذة عظيمة فكيف كانت المشقة أحب إليه من اللذة كانت أحب
إليه وآثر عنده نظراً في حسن الصبر على احتمالها لوجه الله وفي قبح المعصية وفي عاقبة كل واحدة منهما
لا نظراً في مشتهى النفس ومكروهها وإلا تصرف عني كيدهن فزع منه إلى ألطاف الله وعصمته كعادة
الأنبياء والصالحين فيما عزم عليه ووطن عليه نفسه من الصبر لا أن يطلب منه الإجبار على التعفف
والإلجاء إليه أصب إليهن أمل إليهن والصبوة الميل إلى الهوى ومنها الصبا لأن النفوس تصبو
إليها لطيب نسيمها **وقرئ** أصب إليهن من الصبابة من الجاهلين من الذين لا يعملون بما يعلمون
لأن من لا جدوى لعلمه فهو ومن لا يعلم سواء أو من السفهاء لأن الحكيم لا يفعل القبيح وإنما ذكر الاستجابة
ولم يتقدم الدعاء لأن قوله تعالى وإلا تصرف عني فيه معنى طلب الصرف والدعاء باللطف السميع
لدعوات الملتجئين إليه العليم بأحوالهم وما يصلحهم ثم بدا لهم من بعد ما رأوا الآيات
ليسجننه حتى حين ودخل معه السجن فتيان بدا لهم فاعله مضمر لدلالة ما يفسره عليه
وهو ليسجننه والمعنى بدا لهم بداء أي ظهر لهم رأي ليسجننه والضمير في لهم للعزيز وأهله من بعد ما
رأوا الآيات وهي الشواهد على براءته وما كان ذلك إلا باستنزال المرأة لزوجها وفتلها منه في الذروة
والغارب وكان مطواعة لها وجميلاً ذلولاً زمامه في يدها حتى أنساه ذلك ما عاين من الآيات وعمل برأيها
في سجنه وإلحاق الصغار به كما أوعدته به وذلك لما أيست من طاعته لها أو لطمعها في أن يذلله السجن
ويسخره لها **وفي** قراءة الحسن لتسجننه بالتاء على الخطاب خاطب به بعضهم العزيز ومن يليه أو العزيز وحده
على وجه التعظيم حتى حين إلى زمان كأنها اقترحت أن يسجن زماناً حتى تبصر ما يكون منه وفي قراءة ابن
مسعود عتى حين وهي لغة هذيل وعن عمر رضي الله عنه أنه سمع رجلاً يقرأ عتى حين فقال من أقرأك
قال ابن مسعود فكتب إليه إن الله أنزل القرآن فجعله عربياً وأنزله بلغة قريش فأقرئ الناس بلغة (هذيل)
قريش ولا تقرئهم بلغة هذيل والسلام قال أحدهما إني أراني أعصر خمراً وقال الآخر
إني أراني أحمل فوق رأسي خبزاً تأكل الطير منه نبئنا بتأويله إنا نراك من المحسنين
مع يدل على معنى الصحبة واستحداثها تقول خرجت مع الأمير تريد مصاحباً له فيجب أن يكون دخولهما
السجن مصاحبين له فتيان عبدان للملك خبازه وشرابيه رقي إليه أنهما يسمانه فأمر بهما إلى السجن فأدخلا
السجن ساعة أدخل يوسف إني أراني يعني في المنام وهي حكاية حال ماضية أعصر خمراً يعني عنباً تسمية
للعنب بما يؤول إليه وقيل الخمر بلغة عمان اسم للعنب **وفي** ابن مسعود أعصر عنباً من المحسنين
من الذين يحسنون عبارة الرؤيا أي يجيدونها ورأياه يقص عليه بعض أهل السجن رؤياه فيؤولها له
فقالا له ذلك أو من العلماء لأنهما سمعاه يذكر للناس ما علما به أنه عالم أو من المحسنين إلى أهل السجن فأحسن
إلينا بأن تفرج عنا الغمة بتأويل ما رأينا إن كانت لك يد في تأويل الرؤيا **روي** أنه كان إذا مرض رجل
منهم قام عليه وإذا ضاق وسع له وإذا احتاج جمع له وعن قتادة كان في السجن ناس قد انقطع رجاؤهم
وطال حزنهم فجعل يقول أبشروا واصبروا تؤجروا إن لهذا لأجراً فقالوا بارك الله عليك ما أحسن وجهك
وأحسن خلقك لقد بورك لنا في جوارك فمن أنت يا فتى قال أنا يوسف ابن صفي الله يعقوب ابن ذبيح الله
إسحق ابن خليل الله إبراهيم عليهم السلام فقال له عامل السجن لو استطعت خليت سبيلك ولكني أحسن
جوارك فكن في أي بيوت السجن شئت **وروي** أن الفتيين قالا له إنا لنحبك من حين رأيناك فقال

اشد كما بالله ان لا تحبانى فوالله ما احبنى احد قط الا دخل علىّ من حبه بلاء لقد احبتنى عمتى فدخل علىّ من حبها بلاء
ثم احبنى ابى فدخل علىّ من حبه بلاء ثم احبتنى زوجة صاحبى فدخل علىّ من حبها بلاء فلا تحبانى بارك الله
فيكما وعن الشعبى انهما تحالما له ليمتحناه فقال الشرابى انى ارانى فى بستان فاذا باصل حبلة عليها ثلاثة
عناقيد من عنب فقطعتها وعصرتها فى كاس الملك وسقيته وقال الخباز انى ارانى وفوق راسى ثلث
سلال فيها انواع الاطعمة واذا سباع الطير تنهش منها **فان قلت** الام يرجع الضمير فى قوله نبئنا
بتاويله قلت الى ما قصا عليه والضمير يجرى مجرى اسم الاشارة فى نحوه كانه قيل نبئنا بتاويل ذلك
قال لا ياتيكما طعام ترزقانه الا نباتكما بتاويله قبل ان ياتيكما ذلكما مما علمنى ربى انى
تركت ملة قوم لا يؤمنون بالآخرة هم كافرون واتبعت ملة آبائى ابراهيم واسحق بالله وهم
ويعقوب ما كان لنا ان نشرك بالله من شىء ذلك من فضل الله علينا وعلى الناس ولكن
اكثر الناس لا يشكرون لما استعبراه ووصفاه بالاحسان افترص ذلك فوصل به نفسه بما هو فوق وصف م
علم العلماء وهو الاخبار بالغيب وانه ينبئهما بما يحمل اليهما من الطعام فى السجن قبل ان ياتيهما ويصفه
لهما ويقول اليوم ياتيكما طعام من صفته كيت وكيت فيجدانه كما اخبرهما وجعل ذلك تخلصا الى ان يذكر
لهما التوحيد ويعرض عليهما الايمان ويزينه لهما ويقبح اليهما الشرك بالله وهذه طريقة على كل ذى
علم ان يسلكها مع الجهال والفسقة اذا استفتاه واحد منهم ان يقدم الهداية والارشاد والموعظة
والنصيحة اولا ويدعوه الى ما هو اولى به واوجب عليه مما استفتى فيه ثم يفتيه بعد ذلك وفيه ان
العالم اذا جهلت منزلته فى العلم فوصف نفسه بما هو بصدده وغرضه ان يقتبس منه وينتفع به فى
الدين لم يكن من باب التزكية بتاويله ببيان ماهيته وكيفيته لان ذلك يشبه تفسير المشكل والاعراب
عن معناه ذلكما اشارة لهما الى التاويل اى ذلك التاويل والاخبار بالمغيبات مما علمنى ربى واوحى به الى
ولم اقله عن تكهن وتنجم انى تركت يجوز ان يكون كلاما مبتدأ وان يكون تعليلا لما قبله اى علمنى
ذلك واوحى لانى رفضت ملة اولئك واتبعت ملة الانبياء المذكورين وهى الملة الحنيفية واراد
باولئك الذين لا يؤمنون اهل مصر ومن كان الفتيان على دينهم وتكريرهم للدلالة على انهم خصوصا
كافرون بالآخرة وان غيرهم كانوا قوما مؤمنين بها وهم الذين على ملة ابراهيم ولتوكيد كفرهم
بالجزاء تنبيها على ما هم عليه من الظلم والكبائر التى لا يرتكبها الا من هو كافر بدار الجزاء ويجوز ان يكون
فيه تعريض بما منى به من جهتهم حين اودعوه السجن بعدما راوا الآيات الشاهدة على براءته وان ذلك
ما لا يقدم عليه الا من هو شديد الكفر بالجزاء وذكر آباءه ليريهما انه من بيت النبوة بعد ان عرفهما
انه نبى يوحى اليه بما ذكر من اخباره بالغيوب ليقوى رغبتهما فى الاستماع اليه واتباع قوله ما كان لنا
ما صح لنا معشر الانبياء ان نشرك بالله اى شىء كان من ملك او جنى او انسى فضلا ان نشرك به صنما
لا يسمع ولا يبصر ثم قال ذلك التوحيد من فضل الله علينا وعلى الناس اى على الرسل وعلى المرسل اليهم
لانهم نبهوهم عليه وارشدوهم اليه ولكن اكثر الناس المبعوث اليهم لا يشكرون فضل الله فيشركون
ولا ينتبهون وقيل ان ذلك من فضل الله علينا لانه نصب لنا الادلة التى ننظر فيها ونستدل بها
وقد نصب مثل تلك الادلة لسائر الناس من غير تفاوت ولكن اكثر الناس لا ينظرون ولا يستدلون
اتباعا لاهوائهم فيبقون كافرين غير شاكرين **يا صاحبى السجن ءارباب متفرقون خير ام الله**
الواحد القهار يا صاحبى السجن يا صاحبىّ فى السجن فاضافهما الى السجن كما تقول يا سارق الليلة فكما

ان

ان الليلة مسروق فيها غير مسروقة فكذلك السجن مصحوب فيه غير مصحوب وانما المصحوب غيره وهو يوسف
عليه السلام ونحوه قولك لصاحبيك يا صاحبى الصدق فتضيفهما الى الصدق ولا تريد انهما صحبا الصدق
ولكن كما تقول رجلا صدق وسميتهما صاحبين لانهما صحباك ويجوز ان يريد يا ساكنى السجن كقوله تعالى اصحاب
النار واصحاب الجنة أارباب متفرقون يريد التفرق فى العدد والتكاثر يقول أان تكون لكما ارباب
شتى يستعبدكما هذا ويستعبدكما هذا خير لكما ام يكون لكما رب واحد قهار لا يغالب ولا يشارك فى
الربوبية بل هو القهار الغالب وهذا مثل ضربه الله لعبادة الله وحده ولعبادة الاصنام **ما**
تعبدون من دونه الا اسماء سميتموها انتم وآباؤكم ما انزل الله بها من سلطان ان الحكم
الا لله امر الا تعبدوا الا اياه ذلك الدين القيم ولكن اكثر الناس لا يعلمون ما تعبدون
خطاب لهما ولمن على دينهما من اهل مصر الا اسماء يعنى انكم سميتم ما لا يستحق الالهية آلهة ثم طفقتم
تعبدونها فكانكم لا تعبدون الا اسماء فارغة لا مسميات تحتها ومعنى سميتموها سميتم بها يقال سميته
بزيد وسميته زيدا ما انزل الله بها اى بتسميتها من سلطان من حجة ان الحكم فى امر العبادة والدين الا
لله ثم بين ما حكم به فقال امر الا تعبدوا الا اياه ذلك الدين القيم الثابت الذى دلت عليه البراهين
يا صاحبى السجن اما احدكما فيسقى ربه خمرا واما الآخر فيصلب فتاكل الطير من راسه
قضى الامر الذى فيه تستفتيان اما احدكما يريد الشرابى فيسقى ربه سيده وقرا عكرمة
فيسقى ربه اى يسقى ما يروى به على البناء للمفعول روى انه قال للاول ما رايت من الكرمة وحسنها
هو الملك وحسن حالك عنده واما القضبان الثلاثة فانها ثلاثة ايام تمضى فى السجن ثم تخرج
وتعود الى ما كنت عليه وقال للثانى ما رايت من السلال ثلاثة ايام ثم تخرج فتقتل قضى الامر
قطع وتم ما تستفتيان فيه من امركما وشانكما **فان قلت** ما استفتيا فى امر واحد بل فى امرين
مختلفين فما وجه التوحيد **قلت** المراد بالامر ما اتهما به من سم الملك وما سجنا من اجله وظنا انه
ما راياه فى معنى ما نزل بهما فكانهما كانا يستفتيانه فى الامر الذى نزل بهما اعاقبته نجاة ام هلاك
فقال لهما قضى الامر الذى فيه تستفتيان اى ما يجر اليه من العاقبة وهى هلاك احدهما ونجاة الآخر
وقيل جحدا وقالا ما راينا شيئا على ما روى انهما تحالما له فاجابهما ان ذلك كاين صدقتما او كذبتما **وقال**
للذى ظن انه ناج منهما اذكرنى عند ربك فانساه الشيطان ذكر ربه فلبث فى السجن
بضع سنين ظن انه ناج الظان هو يوسف عليه السلام ان كان تاويله بطريق الاجتهاد وان كان
بطريق الوحى فالظان هو الشرابى او يكون الظن بمعنى اليقين اذكرنى عند ربك صفنى عند
الملك بصفتى وقص عليه قصتى لعله يرحمنى ويتاشى من هذه الورطة فانساه الشيطان فانسى
الشرابى ذكر ربه ان يذكره لربه وقيل فانسى يوسف ذكر الله حين وكل امره الى غيره بضع سنين
البضع ما بين الثلاث الى التسع واكثر الاقاويل على انه لبث فيه سبع سنين **فان قلت**
كيف يقدر الشيطان على الانساء يوسوس الى العبد بما يشغله عن الشىء من اسباب النسيان
حتى يذهب عنه ويزول عن قلبه ذكره واما الانساء ابتداء فلا يقدر عليه الا الله عز وجل ما ننسخ
من آية او ننسها **فان قلت** ما وجه اضافة الذكر الى ربه اذا اريد به الملك وما هى باضافة المصدر
الى الفاعل ولا الى المفعول **قلت** قد لابسه فى قولك فانساه الشيطان ذكره لربه او عند ربه فجازت
اضافته اليه لان الاضافة تكون بادنى ملابسة او على تقدير فانساه الشيطان ذكر اخبار ربه

حذف المضاف الذى هو الاخبار **فان قلت** لم انكر على يوسف عليه السلام الاستعانة بغير الله فى كشف ما كان فيه وقد قال الله تعالى وتعاونوا على البر والتقوى وقال حكاية عن عيسى عليه السلام من انصارى الى الله **وفى** الحديث الله فى عون العبد ما دام العبد فى عون اخيه المسلم ومن فرج عن مؤمن كربة فرج الله عنه كربة من كرب الاخرة وعن عائشة رضى الله عنها ان رسول صلى الله عليه وسلم لم يأخذه النوم ليلة من الليالى وكان يطلب من يحرسه حتى جاء سعد فسمعت غطيطه وهل ذلك الا مثل التداوى بالادوية والتقوى بالاشربة والاطعمة وان كان ذلك لان الملك كان كافرا فلا خلاف فى جواز ان يستعان بالكفار فى دفع الظلم والغرق والحرق ونحو ذلك من المضار **قلت** كما اصطفى الله الانبياء على خلقه اصطفى لهم احسن الامور وافضلها واولاها والاحسن والاولى بالنبى ان لا يكل امره اذا ابتلى ببلاء الا الى ربه ولا يعتضد الا به خصوصا اذا كان المعتضد به كافرا لئلا يشمت به الكفار ويقولوا لو كان هذا على الحق وكان له رب يغيثه لما استغاث بنا **وعن** الحسن انه كان يبكى اذا قرأها ويقول نحن اذا نزل بنا امر فزعنا الى الناس **وقال الملك انى ارى سبع بقرات سمان يأكلهن سبع عجاف وسبع سنبلات خضر واخر يابسات** لما دنا فرج يوسف رأى ملك مصر الريان بن الوليد رؤيا عجيبة هالته رأى سبع بقرات سمان خرجن من نهر يابس وسبع بقرات عجاف فابتلعت العجاف السمان ورأى سبع سنبلات خضر قد انعقد حبها وسبعا اخر يابسات قد استحصدت وادركت فالتوت اليابسات على الخضر حتى غلبن عليها فاستعبرها فلم يجد فى قومه من يحسن عبارتها سمان جمع سمين وسمينة وكذلك رجال ونسوة كرام **فان قلت** هل من فرق بين ايقاع سمان صفة للمميز وهو بقرات دون المميز وهو سبع وان يقال سبع بقرات سمانا **قلت** اذا اوقعتها صفة لبقرات فقد قصدت الى ان تميز السبع بنوع من البقرات وهى السمان منهن لا بجنسهن ولو وصفت بها السبع لقصدت الى تمييز السبع بجنس البقرات لا بنوع منها ثم رجعت فوصفت المميز بالجنس بالسمن فان قلت هلا قيل سبع عجاف على الاضافة قلت التمييز موضوع لبيان الجنس والعجاف وصف لا يقع البيان به وحده **فان قلت** فقد يقولون ثلاثة فرسان وخمسة اصحاب **قلت** الفارس والصاحب والراكب ونحوها صفات جرت مجرى الاسماء فاخذت حكمها وجاز فيها ما لم يجز فى غيرها الا تراك لا تقول عندى ثلاثة ضخام واربعة غلاظ فان قلت ذلك مما يشكل وما نحن بسبيله لا اشكال فيه الا ترى انه لم يقل وبقرات سبع عجاف لوقوع العلم بان المراد البقرات قلت ترك الاصل لا يجوز مع وقوع الاستغناء عما ليس باصل وقد وقع الاستغناء بقولك سبع عجاف عما تقترحه من التمييز بالوصف والعجف الهزال الذى ليس بعده والسبب فى وقوع عجاف جمعا لعجفاء وافعل وفعلاء لا يجمعان على فعال حمله على سمان لانه نقيضه ومن دابهم حمل النظير على النظير والنقيض على النقيض **فان قلت** هل فى الاية دليل على ان السنبلات اليابسة كانت سبعا كالخضر الكلام مبنى على انصبابه الى هذا العدد فى البقرات السمان والعجاف والسنابل الخضر فوجب ان يتناول معنى الاخر السبع ويكون قوله تعالى واخر يابسات بمعنى وسبعا اخر **فان قلت** هل يجوز ان يعطف قوله واخر يابسات على سنبلات خضر فيكون مجرور المحل يؤدى الى تدافع وهو ان عطفها على سنبلات خضر يقتضى ان تدخل فى حكمها فتكون معها مميزا للسبع المذكور ولفظ الاخر يقتضى ان يكون غير السبع بيانه انك تقول عنده سبعة رجال قيام وقعود بالجر فيصح لانك ميزت السبعة برجال موصوفين بالقيام

والقعود

والقعود على ان بعضهم قيام وبعضهم قعود فلو قلت عنده سبعة رجال قيام واخرين قعود تدافع ففسد **يا ايها الملأ افتونى فى رؤياى ان كنتم للرؤيا تعبرون** يا ايها الملأ كانه اراد الاعيان من العلماء والحكماء واللام فى قوله للرؤيا اما ان تكون للبيان كقوله تعالى وكانوا فيه من الزاهدين واما ان تدخل لان العامل اذا تقدم عليه معموله لم يكن فى قوته على العمل فيه مثله اذا تأخر عنه فعضد بها كما يعضد بها اسم الفاعل اذا قلت هو عابر للرؤيا لانحطاطه عن الفعل فى القوة ويجوز ان يكون للرؤيا خبر كان كما تقول كان فلان لهذا الامر اذا كان مستقلا به متمكنا منه وتعبرون خبرا اخر او حالا وان يضمن تعبرون معنى فعل يتعدى باللام كانه قيل ان كنتم تنتدبون لعبارة الرؤيا وحقيقة عبرت الرؤيا ذكرت عاقبتها واخر امرها كما تقول عبرت النهر اذا قطعته حتى تبلغ اخر عرضه وهو عبره ونحوه اولت الرؤيا اذا ذكرت مآلها وهو مرجعها وعبرت الرؤيا بالتخفيف هو الذى اعتمده الاثبات ورأيتهم ينكرون عبرت بالتشديد والتعبير والمعبر وقد عثرت على بيت انشده المبرد فى كتاب الكامل لبعض الاعراب

رأيت رؤيا ثم عبرتها ... وكنت للاحلام عبارا

قالوا اضغاث احلام وما نحن بتأويل الاحلام بعالمين اضغاث الاحلام تخاليطها واباطيلها وما يكون منها من حديث نفس او وسوسة شيطان واصل الاضغاث ما جمع من اخلاط النبات وحزم الواحد ضغث فاستعيرت لذلك والاضافة بمعنى من اى اضغاث من احلام والمعنى هى اضغاث احلام **فان قلت** ما هو الا حلم واحد فلم قالوا اضغاث احلام فجمعوا **قلت** هو كما تقول فلان يركب الخيل ويلبس العمائم لمن لا يركب الا فرسا واحدا وما له الا عمامة فردة تزيدا فى الوصف فهؤلاء ايضا تزيدوا فى وصف الحلم بالبطلان فجعلوه اضغاث احلام ويجوز ان يكون قد قص عليهم مع هذه الرؤيا رؤى غيرها وما نحن بتأويل الاحلام بعالمين اما ان يريدوا بالاحلام المنامات الباطلة خاصة فيقولوا ليس عندنا تأويل فان التأويل انما هو للمنامات الصحيحة الصالحة واما ان يعترفوا بقصور علمهم وانهم ليسوا فى تأويل الاحلام بنحارير **وقال الذى نجا منهما وادكر بعد امة انا انبئكم بتأويله فارسلون** **قرئ** وادكر بالدال وهو الفصيح وعن الحسن رحمه الله واذكر بالذال اى تذكر الذى نجا من الفتيين من القتل يوسف وما شاهد منه بعد امة بعد مدة طويلة وذلك انه حين استفتى الملك فى رؤياه واعضل على الملأ تأويلها تذكر الناجى يوسف وتأويله رؤياه ورؤيا صاحبه وطلبه اليه ان يذكره عند الملك وقرأ الاشهب العقيلى بعد امة بكسر الهمزة والامة النعمة **قال** عدى

ثم بعد الفلاح والملك والامة ... وارتهم هناك القبور

اى بعد ما انعم عليه بالنجاة وقرئ بعد امه اى بعد نسيان يقال امه يأمه امها اذا نسى ومن قرأ بسكون الميم فقد خطئ انا انبئكم بتأويله انا اخبركم به عمن عنده علمه **وفى** قراءة الحسن انا آتيكم بتأويله فارسلون فابعثونى اليه لاسأله ومرونى باستعباره وعن ابن عباس رضى الله عنهما لم يكن السجن فى المدينة **يوسف ايها الصديق افتنا فى سبع بقرات سمان يأكلهن سبع عجاف وسبع سنبلات خضر واخر يابسات لعلى ارجع الى الناس لعلهم يعلمون** المعنى فارسلوه الى يوسف فاتاه فقال يوسف ايها الصديق ايها البليغ فى الصدق وانما قال له ذلك لانه ذاق احواله وتعرف صدقه فى تأويل رؤياه ورؤيا صاحبه حيث جاء كما اوّل ولذلك كلمه كلام محترز فقال لعلى ارجع الى الناس لعلهم يعلمون لانه ليس على يقين من الرجوع فربما اخترم دونه ولا من علمهم فربما لم يعلموا او معنى لعلهم يعلمون فضلك ومكانك من العلم فيطلبوك ويخلصوك من محنتك **قال تزرعون سبع سنين دأبا فما حصدتم فذروه فى سنبله الا قليلا مما تأكلون ثم يأتى من بعد ذلك سبع شداد يأكلن ما**

لهن الا قليلا مما تحصنون ه ثم يأتى من بعد ذلك عام فيه يغاث الناس وفيه يعصرون
تزرعون خبر فى معنى الامر كقوله تؤمنون بالله واليوم الاخر وتجاهدون وانما يخرج الامر فى صورة
الخبر للمبالغة فى ايجاب ايجاد المامور به فيجعل كانه يوجد فهو يخبر عنه والدليل على كونه فى معنى الامر
قوله فذروه فى سنبله دأبا بسكون الهمزة وتحريكها وهما مصدرا دأب فى العمل وهو حال من المامورين
اى دائبين اما على تدأبون دأبا واما على ايقاع المصدر حالا بمعنى ذوى دأب فذروه فى سنبله
لئلا يتسوس ويأكلن من الاسناد المجازى جعل اكل اهلهن مسندا اليهن تحصنون تحرزون وتخبأون
يغاث الناس من الغوث او من الغيث يقال غيثت البلاد اذا مطرت ومنه قول الاعرابية غثنا ما شئنا
يعصرون بالياء والتاء يعصرون العنب والزيتون والسمسم وقيل يحلبون الضروع وقرى
يعصرون على البناء للمفعول من عصره اذا انجاه وهو مطابق للاغاثة ويجوز ان يكون المبنى للفاعل
بمعنى ينجون كانه قيل يغاث الناس وفيه يغيثون اى يغيثهم الله ويغيث بعضهم بعضا وقيل يعصرون
يمطرون من اعصرت السحابة وفيه وجهان اما ان يضمن اعصرت معنى مطرت فيعدى تعديته
واما ان يقال الاصل اعصرت عليهم فحذف الجار واوصل الفعل تاول البقرات السمان والسنبلات
الخضر بسنين مخاصيب والعجاف واليابسات بسنين مجدبة ثم بشرهم بعد الفراغ من تاويل الرؤيا بان العام
الثامن يجى مباركا خصيبا كثير الخير غزير النعم وذلك من جهة الوحى وعن قتادة زاده الله علم سنة
فان قلت معلوم ان السنين المجدبة اذا انتهت كان انتهاؤها بالخصب والا لم توصف بالانتهاء فلم
قلت ان علم ذلك من جهة الوحى   ذلك معلوم علما مطلقا لا مفصلا وقوله فيه يغاث الناس
وفيه يعصرون تفصيل لحال العام وذلك لا يعلم الا بالوحى وقال الملك ائتونى به فلما جاءه الرسول
قال ارجع الى ربك فاسأله ما بال النسوة اللاتى قطعن ايديهن ان ربى بكيدهن
عليم انما تأنى وتثبت فى اجابة الملك وقدم سؤال النسوة ليظهر براءة ساحته عما قرف به وسجن فيه
لئلا يتسلق به الحاسدون الى تقبيح امره عنده ويجعلوه سلما الى حط منزلته لديه ولئلا يقولوا ما خلد
فى السجن بضع سنين الا لامر عظيم وجرم كبير حق به ان يسجن ويعذب ويستكف شره وفيه دليل على ان
الاجتهاد فى نفى التهم واجب وجوب اتقاء الوقوف فى مواقفها قال عليه السلام من كان يؤمن بالله
واليوم الاخر فلا يقفن مواقف التهم ومنه قال النبى صلى الله عليه وسلم للمارين به فى معتكفه وعنده
بعض نسائه هى فلانة اتقاء للتهمة وعن النبى عليه السلام لقد عجبت من يوسف وكرمه وصبره والله
يغفر له حين سئل عن البقرات العجاف والسمان ولو كنت مكانه ما اخبرتهم حتى اشترط ان يخرجونى
ولقد عجبت منه حين اتاه الرسول فقال ارجع الى ربك ولو كنت مكانه ولبثت فى السجن ما لبث لاسرعت
الاجابة وبادرتهم الباب ولما ابتغيت العذر ان كان لحليما ذا اناة وانما قال سل الملك عن شأن النسوة
ولم يقل سله ان يفتش عن شأنهن لان السؤال مما يهيج الانسان ويحركه للبحث عما سئل عنه فاراد ان
يورد عليه السؤال ليجد فى التفتيش عن حقيقة القصة وفص الحديث حتى يتبين له براءته بيانا مكشوفا
يتميز فيه الحق من الباطل وقرى النسوة بضم النون ومن كرمه وحسن ادبه انه لم يذكر سيدته
مع ما صنعت به وتسببت فيه من السجن والعذاب واقتصر على ذكر المقطعات ايديهن ان ربى ان الله
تعالى بكيدهن عليم اراد انه كيد عظيم لا يعلمه الا الله لبعد غوره او استشهد بعلم الله على انهن كدنه
وانه برى مما قذف به او اراد الوعيد لهن اى هو عليم بكيدهن فمجازيهن عليه قال ما خطبكن اذ
راودتن يوسف عن نفسه قلن حاش لله ما علمنا عليه من سوء قالت امرأة العزيز الان

حصحص الحق انا راودته عن نفسه وانه لمن الصادقين ما خطبكن ما شأنكن اذ راودتن يوسف
هل وجدتن منه ميلا اليكن قلن حاش لله تعجبا من عفته وذهابه بنفسه عن شى من الريبة ومن نزاهته
عنها قالت امرأة العزيز الان حصحص الحق اى ثبت واستقر وقرى حصحص على البناء للمفعول وهو
من حصحص البعير اذا القى ثفناته للاناخة قال
فحصحص فى صم الصفا ثفناته   وناء بسلمى نوءة ثم صمما   ولا مزيد على شهادتهن له
بالبراءة والنزاهة واعترافهن على انفسهن بانه لم يتعلق بشى مما قرفته به لانهن خصومه واذا اعترف
الخصم بان صاحبه على الحق وهو على الباطل لم يبق لاحد مقال وقالت المجبرة والحشوية نحن قد بقى
لنا مقال ولا بد لنا ان نلقى فى فروة من ثبتت نزاهته ذلك ليعلم انى لم اخنه بالغيب وان
الله لا يهدى كيد الخائنين ذلك ليعلم من كلام يوسف اى ذلك التثبت والتشمر لظهور
البراءة ليعلم العزيز انى لم اخنه بظهر الغيب فى حرمته ومحل بالغيب الحال من الفاعل او المفعول على
معنى وانا غائب عنه خفى عن عينه او وهو غائب عنى خفى عن عينى ويجوز ان يكون ظرفا اى بمكان الغيب
وهو الخفاء والاستار وراء الابواب السبعة المغلقة وليعلم ان الله لا يهدى كيد الخائنين لا ينفذه ولا
يسدده وكانه تعريض بامرأته فى خيانتها امانة زوجها وبه فى خيانته امانة الله حين ساعدها بعد
ظهور الايات على حبسه ويجوز ان يكون تاكيدا لامانته وانه لو كان خائنا لما هدى الله كيده ولا سدده
وما ابرئ نفسى ان النفس لامارة بالسوء الا ما رحم ربى ان ربى غفور رحيم ثم اراد ان يتواضع
لله ويهضم نفسه لئلا يكون لها مزكيا وبحالها فى الامانة معجبا ومفتخرا كما قال رسول الله صلى الله عليه
وسلم انا سيد ولد ادم ولا فخر وليبين ان ما فيه من الامانة ليس به وحده وانما هو بتوفيق الله
ولطفه وعصمته فقال وما ابرئ نفسى من الزلل وما اشهد لها بالبراءة الكلية ولا ازكيها ولا يخلو
اما انه يريد فى هذه الحادثة لما ذكرنا من الهم الذى هو ميل النفس عن طريق الشهوة البشرية لا
عن طريق القصد والعزم واما ان يريد عموم الاحوال ان النفس لامارة بالسوء اراد الجنس اى
ان هذا الجنس يامر بالسوء ويحمل عليه بما فيه من الشهوات الا ما رحم ربى الا البعض الذى رحمه ربى
بالعصمة كالملائكة ويجوز ان يكون ما رحم ربى فى معنى الزمان اى الا وقت رحمة ربى يعنى انها
امارة بالسوء فى كل وقت واوان الا وقت العصمة ويجوز ان يكون استثناء منقطعا اى ولكن رحمة
ربى هى التى تصرف الاساءة كقوله تعالى ولا هم ينقذون الا رحمة وقيل معناه ذلك ليعلم الله انى
لم اخنه لان المعصية خيانة وقيل هو من كلام امرأة العزيز اى ذلك الذى قلت ليعلم يوسف انى
لم اخنه ولم اكذب عليه فى حال الغيبة وجئت بالصحيح والصدق فيما سئلت عنه وما ابرئ نفسى مع
ذلك من الخيانة فانى قد خنته حين قرفته وقلت ما جزاء من اراد باهلك سوءا الا ان يسجن واودعته
السجن تريد الاعتذار مما كان منها ان كل نفس لامارة بالسوء الا ما رحم ربى الا نفسا رحمها
الله بالعصمة كنفس يوسف ان ربى غفور رحيم استغفرت ربها واسترحمته مما ارتكبت فان
قلت كيف صح ان يجعل من كلام يوسف ولا دليل على ذلك   كفى بالمعنى دليلا قائدا الى ان يجعل
من كلامه ونحوه قوله تعالى قال الملأ من قوم فرعون ان هذا لساحر عليم يريد ان يخرجكم من ارضكم بسحره
ثم قال فماذا تأمرون وهو من كلام فرعون يخاطبهم ويستشيرهم وعن ابن جريج هذا من تقديم القرآن
وتاخيره ذهب الى ان ذلك ليعلم متصل بقوله تعالى فاسأله ما بال النسوة اللاتى قطعن ايديهن

ولقد لفقت المبطلة روايات موضوعة فزعموا ان يوسف حين قال لم اخنه بالغيب قال له جبريل ولا
حين هممت بها وقالت له امرأة العزيز ولا حين حللت تكة سراويلك يا يوسف وذلك لتهالكهم
على بهت الله ورسله **وقال الملك ائتوني به استخلصه لنفسي فلما كلمه قال انك اليوم لدينا
مكين امين** يقال استخلصه واستخصه اذا جعله خالصا لنفسه وخاصا به فلما كلمه وشاهد منه ما
لم يحتسب قال ايها الصديق انك اليوم لدينا مكين ذو مكانة ومنزلة امين مؤتمن على كل شيء روى
ان الرسول جاءه فقال اجب الملك فخرج من السجن ودعا لاهله اللهم اعطف عليهم قلوب الاخيار ولا
تعم عليهم الاخبار ثم اعلم الناس بالاخبار في الواقعات وكتب على باب السجن هذه منازل البلوى وقبور
الاحياء وشماتة الاعداء وتجربة الاصدقاء ثم اغتسل وتنظف من درن السجن ولبس ثيابا جددا
فلما دخل على الملك قال اللهم اني اسألك بخيرك من خيره واعوذ بعزتك وقدرتك من شره ثم سلم عليه
ودعا له بالعبرانية فقال ما هذا اللسان قال لسان ابي وكان الملك يتكلم بسبعين لسانا فكلمه
بها فاجابه بجميعها فتعجب منه وقال ايها الصديق اني احب ان اسمع رؤياي منك قال رأيت بقرات
فوصف لونهن واحوالهن ومكان خروجهن ووصف السنابل وما كان منها على الهيئة التي رآها الملك
لا يخرم منها حرفا وقال له من حقك ان تجمع الطعام في الاهراء فياتيك الخلق من النواحي ويمتارون
منك ويجتمع لك من الكنوز ما لم يجتمع لاحد قبلك **قال اجعلني على خزائن الارض اني حفيظ عليم**
اجعلني على خزائن الارض ولني خزائن ارضك اني حفيظ عليم امين احفظ ما تستحفظنيه عالم بوجوه التصرف
وصف نفسه بالامانة والكفاية اللتين هما طلبة الملوك ممن يولونه وانما قال ذلك ليتوصل
الى امضاء احكام الله واقامة الحق وبسط العدل والتمكن مما لاجله تبعث الانبياء الى العباد ولعله
علم ان احدا غيره لا يقوم مقامه في ذلك فطلب التولية ابتغاء وجه الله لا لحب الملك والدنيا وعن
النبي صلى الله عليه وسلم رحم الله اخي يوسف لو لم يقل اجعلني على خزائن الارض لاستعمله من ساعته
ولكنه اخر ذلك سنة فان قلت كيف جاز ان يتولى عملا من يد كافر ويكون تبعا له وتحت امره
وطاعته قلت روى مجاهد انه كان قد اسلم وعن قتادة هو دليل على انه يجوز ان يتولى الانسان
عملا من يد سلطان جائر وقد كان السلف يتولون القضاء من جهة البغاة ويرونه واذا علم النبي او
العالم انه لا سبيل الى الحكم بامر الله ودفع الظلم الا بتمكين الملك الكافر او الفاسق فله ان يستظهر
به وقيل كان الملك يصدر عن رأيه ولا يعترض عليه في كل ما رأى فكان في حكم التابع له والمطيع
**وكذلك مكنا ليوسف في الارض يتبوأ منها حيث يشاء نصيب برحمتنا من نشاء ولا نضيع
اجر المحسنين ولاجر الاخرة خير للذين آمنوا وكانوا يتقون** وكذلك ومثل ذلك التمكين
الظاهر مكنا ليوسف في ارض مصر روى انها كانت اربعين فرسخا في اربعين يتبوأ منها حيث يشاء
قرئ بالنون والياء اي كل مكان اراد ان يتخذه منزلا ومتبوأ له لم يمنع منه لاستيلائه على جميعها
ودخولها تحت ملكه وسلطانه روى ان الملك توجه وختمه بخاتمه ورداه بسيفه ووضع له سريرا
من ذهب مكللا بالدر والياقوت وروى انه قال له اما السرير فاشد به ملكك واما الخاتم
فادبر به امرك واما التاج فليس من لباسي ولا لباس آبائي قال فقد وضعته اجلالا لك واقرارا
بفضلك فجلس على السرير ودانت له الملوك وفوض الملك اليه امره وعزل قطفير ثم مات بعد
فزوجه الملك امرأته فلما دخل عليها قال اليس هذا خيرا مما طلبت فوجدها عذراء فولدت له

ولدين

ولدين افرائيم وميشا واقام العدل بمصر واحبته الرجال والنساء واسلم على يديه الملك وكثير من
الناس وباع من اهل مصر في سني القحط الطعام بالدنانير والدراهم في السنة الاولى حتى لم يبق
معهم شيء منها ثم بالحلي والجواهر ثم بالدواب ثم بالضياع والعقار ثم برقابهم حتى استرقهم جميعا
فقالوا والله ما رأينا كاليوم ملكا اجل ولا اعظم منه فقال للملك كيف رأيت صنع الله بي فيما
خولني فما ترى قال الرأي رأيك قال فاني اشهد الله واشهدك اني اعتقت اهل مصر عن آخرهم
ورددت عليهم املاكهم وكان لا يبيع من احد من الممتارين اكثر من حمل بعير تقسيطا بين الناس
واصاب ارض كنعان وبلاد الشام نحو ما اصاب ارض مصر فارسل يعقوب عليه السلام بنيه
ليمتاروا واحتبس بنيامين برحمتنا بعطائنا في الدنيا من الملك والغنى وغيرهما من النعم من نشاء
من اقتضت الحكمة ان نشاء له ذلك ولا نضيع اجر المحسنين ان نأجرهم في الدنيا ولاجر الاخرة خير
لهم قال سفيان بن عيينة المؤمن يثاب على حسناته في الدنيا والاخرة والفاجر يعجل له الخير في الدنيا
وما له في الاخرة من خلاق وتلا هذه الآية **وجاء اخوة يوسف فدخلوا عليه فعرفهم وهم
له منكرون** لم يعرفوه لطول العهد ومفارقته اياهم في سن الحداثة ولاعتقادهم انه
قد هلك ولذهابه عن اوهامهم لقلة فكرهم فيه واهتمامهم بشانه ولبعد حاله التي بلغها من
الملك والسلطان عن حاله التي فارقوه عليها طريحا في البئر مشريا بدراهم معدودة حتى لو
تخيل لهم انه هو لكذبوا انفسهم وظنونهم ولان الملك مما يبدل الزي ويلبس صاحبه من التهيب
والاستعظام ما ينكر له المعروف وقيل رأوه على زي فرعون عليه ثياب الحرير جالسا على سرير
في عنقه طوق من ذهب على رأسه تاج فما خطر ببالهم انه هو وقيل ما رأوه الا من بعيد بينهم
وبينه مسافة وحجاب وما وقفوا الا حيث يقف طلاب الحوائج وانما عرفهم لانه فارقهم وهم رجال
ورأى زيهم قريبا من زيهم اذ ذاك ولان همته كانت معقودة بهم وبمعرفتهم فكان يتأمل ويتفطن
وعن الحسن رحمة الله عليه ما عرفهم حتى تعرفوا له **ولما جهزهم بجهازهم قال ائتوني
باخ لكم من ابيكم الا ترون اني اوفي الكيل وانا خير المنزلين** ولما جهزهم بجهازهم
اي اصلحهم بعدتهم وهي عدة السفر من الزاد وما يحتاج اليه المسافرون واوقر ركائبهم بما
جاؤا له من الميرة وقرئ بجهازهم بكسر الجيم قال ائتوني باخ لكم من ابيكم لا بد من مقدمة
سبقت له معهم حتى اجر القول هذه المسألة روى انه لما رآهم وكلموه بالعبرانية قال لهم
اخبروني من انتم وما شأنكم فاني انكركم قالوا نحن قوم من اهل الشام رعاة اصابنا الجهد فجئنا نمتار
فقال لعلكم جئتم عيونا تنظرون عورة بلادي قالوا معاذ الله نحن اخوة بنو اب واحد وهو
شيخ صديق نبي من الانبياء اسمه يعقوب قال كم انتم قالوا كنا اثني عشر فهلك منا واحد قال
فكم انتم هاهنا قالوا عشرة قال فاين الاخ الحادي عشر قالوا عند ابيه يتسلى به من الهالك قال
فمن يشهد لكم انكم لستم بعيون وان الذي تقولون حق قالوا انا ببلاد لا يعرفنا فيها احد فيشهد
لنا قال فدعوا بعضكم عندي رهينة وائتوني باخيكم من ابيكم وهو يحمل رسالة من ابيكم حتى
اصدقكم فاقترعوا بينهم فاصابت القرعة شمعون وكان احسنهم رأيا في يوسف فخلفوه عنده
وكان قد احسن انزالهم وضيافتهم **فان لم تأتوني به فلا كيل لكم عندي ولا تقربون**
ولا تقربون فيه وجهان احدهما ان يكون داخلا في حكم الجزاء مجزوما عطفا على محل قوله فلا كيل

سواء لم ينفعكم ولم يدفع عنكم ما اشرت به عليكم من التفرق وهو مصيبكم لا محالة ان الحكم الا
لله ولما دخلوا من حيث امرهم ابوهم ما كان يغني عنهم من الله من شيء الا حاجة
في نفس يعقوب قضاها وانه لذو علم لما علمناه ولكن اكثر الناس لا يعلمون ثم قال
ولما دخلوا من حيث امرهم ابوهم اي متفرقين ما كان يغني عنهم راي يعقوب ودخولهم متفرقين
شيئا قط حيث اصابهم ما ساءهم مع تفرقهم من اضافة السرقة اليهم وافتضاحهم بذلك واخذ اخيهم
بوجدان الصواع في رحله وتضاعف المصيبة على ابيهم الا حاجة استثناء منقطع على معنى ولكن حاجة
في نفس يعقوب قضاها وهي شفقته عليهم واظهارها بما قاله لهم ووصاهم به وانه لذو علم
يعني قوله تعالى وما اغني عنكم وعلمه بان القدر لا يغني عنه الحذر ولما دخلوا على يوسف
آوى اليه اخاه قال اني انا اخوك فلا تبتئس بما كانوا يعملون آوى اليه اخاه ضم اليه
بنيامين وروى انهم قالوا له هذا اخونا قد جئناك به فقال لهم احسنتم واصبتم وستجدون ذلك
عندي فانزلهم واكرمهم ثم اضافهم واجلس كل اثنين منهم على مائدة فبقي بنيامين وحده فبكى وقال
لو كان اخي يوسف حيا لاجلسني معه فقال يوسف عليه السلام بقي اخوكم وحيدا فاجلسه معه على
مائدته وجعل يواكله وقال انتم عشرة فلينزل كل اثنين منكم بيتا وهذا لا ثاني له فيكون معي فبات
يوسف عليه السلام يضمه اليه ويشم رائحته حتى اصبح وساله عن ولده فقال لي عشرة بنين
اشتققت اسماءهم من اسم اخ لي هلك فقال له اتحب ان اكون اخاك بدل اخيك الهالك قال
من يجد اخا مثلك ولكن لم يلدك يعقوب ولا راحيل فبكى يوسف وقام اليه وعانقه وقال له
اني انا اخوك يوسف فلا تبتئس فلا تحزن بما كانوا يعملون بنا فيما مضى فان الله قد احسن الينا
وجمعنا على خير ولا تعلمهم بما اعلمتك وعن ابن عباس رضي الله عنهما تعرف اليه وعن وهب
انما قال له انا اخوك بدل اخيك الهالك المفقود فلا تبتئس بما كنت تلقى منهم من الحسد والاذى
فقد امنتهم وروى انه قال له فانا لا افارقك قال قد علمت اغتمام والدي بي فاذا حبستك ازداد
غمه ولا سبيل الى ذلك الا ان انسبك الى ما لا يجمل قال لا ابالي فافعل ما بدا لك قال فاني ادس
صاعي في رحلك ثم انادي عليك بانك قد سرقته ليتهيأ لي ردك بعد تسريحك معهم فلما
جهزهم بجهازهم جعل السقاية في رحل اخيه ثم اذن مؤذن ايتها العير انكم لسارقون
السقاية مشربة يسقى بها وهي الصواع وقيل كان يسقى بها الملك ثم جعلت صاعا يكال به وقيل
كانت الدواب تسقى بها ويكال بها وقيل كانت اناء مستطيلا يشبه المكوك وقيل هي المكوك
الفارسي الذي يلتقي طرفاه تشرب به الاعاجم وقيل كانت من فضة مموهة بالذهب وقيل
كانت من ذهب وقيل كانت مرصعة بالجواهر ثم اذن مؤذن ثم نادى مناد يقال آذنه اعلمه
واذن اكثر الاعلام ومنه المؤذن لكثرة ذلك منه روى انهم ارتحلوا وامهلهم يوسف حتى انطلقوا
ثم امر بهم فادركوا وحبسوا ثم قيل لهم ذلك والعير الابل التي عليها الاحمال لانها تعير اي تذهب
وتجيء وقيل هي قافلة الحمير ثم كثر حتى قيل لكل قافلة عير كانها جمع عير واصلها فعل كسقف
وسقف فعل به ما فعل ببيض وعيد والمراد اصحاب العير كقوله يا خيل الله اركبي وقرأ
ابن مسعود وجعل السقاية على حذف جواب لما كانه قيل فلما جهزهم بجهازهم وجعل السقاية في
رحل اخيه امهلهم حتى انطلقوا ثم اذن مؤذن قالوا واقبلوا عليهم ماذا تفقدون قالوا

نفقد

نفقد صواع الملك ولمن جاء به حمل بعير وانا به زعيم وقرأ ابو عبد الرحمن السلمي تفقدون من افقدته
اذا وجدته فقيدا وقرئ صواع بفتح الصاد وضمها والعين معجمة وغير معجمة وانا به زعيم يقوله المؤذن
يريد وانا بحمل البعير كفيل اؤديه الى من جاء به واراد وسق بعير من طعام جعلا لمن حصله قالوا تالله لقد علمتم
ما جئنا لنفسد في الارض وما كنا سارقين تالله قسم فيه معنى التعجب مما اضيف اليهم وانما قالوا لقد
علمتم فاستشهدوا بعلمهم لما ثبت عندهم من دلائل دينهم وامانتهم في كرتي مجيئهم ومداخلتهم للملك
ولانهم دخلوا وافواه رواحلهم مكعومة لئلا تتناول زرعا او طعاما لاحد من اهل السوق ولانهم
ردوا بضاعتهم التي وجدوها في رحالهم وما كنا سارقين وما كنا نوصف قط بالسرقة وهي منافية
لحالنا قالوا فما جزاؤه ان كنتم كاذبين قالوا جزاؤه من وجد في رحله فهو جزاؤه كذلك نجزي
الظالمين فما جزاؤه الضمير للصواع اي فما جزاء سرقته ان كنتم كاذبين في جحودكم وادعائكم البراءة
منه قالوا جزاؤه من وجد في رحله اي جزاء سرقته اخذ من وجد في رحله وكان حكم السارق في آل يعقوب
ان يسترق سنة ولذلك استفتوا في جزائه وقولهم فهو جزاؤه تقرير للحكم اي فاخذ السارق نفسه
هو جزاؤه لا غير كقولك حق زيد ان يكسى ويطعم وينعم عليه فذلك حقه اي فهو حقه لتقرر ما ذكرته
من استحقاقه وتلزمه ويجوز ان يكون جزاؤه مبتدأ والجملة الشرطية كما هي خبره على اقامة الظاهر
فيها مقام المضمر والاصل جزاؤه من وجد في رحله فهو هو فوضع الجزاء موضع هو كما تقول لصاحبك من
اخو زيد فيقول لك اخوه من يقعد الى جنبه فهو هو يرجع الضمير الاول الى من والثاني الى الاخ ثم
يقول فهو اخوه مقيما للمظهر مقام المضمر ويجوز ان يكون جزاؤه خبر مبتدأ محذوف اي المسؤول
عنه جزاؤه ثم افتوا بقولهم من وجد في رحله فهو جزاؤه كما يقول من يستفتي في جزاء صيد المحرم جزاء
صيد المحرم ثم يقول ومن قتله منكم متعمدا فجزاء مثل ما قتل من النعم فبدأ باوعيتهم قبل وعاء اخيه
ثم استخرجها من وعاء اخيه كذلك كدنا ليوسف ما كان لياخذ اخاه في دين الملك الا
ان يشاء الله نرفع درجات من نشاء وفوق كل ذي علم عليم فبدأ باوعيتهم قيل قال لهم من
وكل بهم لا بد من تفتيش اوعيتكم فانصرف بهم الى يوسف فبدأ بتفتيش اوعيتهم قبل وعاء بنيامين
لنفي التهمة حتى بلغ وعاءه فقال ما اظن هذا اخذ شيئا فقالوا والله لا نتركه حتى تنظر في رحله
فانه اطيب لنفسك وانفسنا فاستخرجوه منه وقرأ الحسن رحمه الله وعاء اخيه بضم الواو وهي
لغة وقرأ سعيد بن جبير اعاء اخيه بقلب الواو همزة فان قلت لم ذكر ضمير الصواع مرات ثم
انثه رجع بالتانيث على السقاية او انث الصواع لانه يذكر ويؤنث ولعل يوسف كان يسميه
سقاية وعبيده صواعا فقد وقع فيما يتصل به من الكلام سقاية وفيما يتصل بهم منه صواعا كذلك
كدنا مثل ذلك الكيد العظيم كدنا ليوسف يعني علمناه اياه واوحينا به اليه ما كان لياخذ اخاه
في دين الملك تفسير للكيد وبيان له لانه كان في دين ملك مصر وما كان يحكم به في السارق ان يغرم
مثلي ما اخذ لا ان يلزم ويستعبد الا ان يشاء الله اي ما كان ياخذه الا بمشيئة الله واذنه فيه نرفع
درجات من نشاء في العلم كما رفعنا درجة يوسف عليه السلام فيه وقرئ يرفع بالياء ودرجات
بالتنوين وفوق كل ذي علم عليم فوقه ارفع درجة منه في علمه او فوق العلماء كلهم عليم هم دونه
في العلم وهو الله عز وعلا فان قلت ما اذن الله فيه يجب ان يكون حسنا فمن اي وجه حسن هذا
الكيد وما هو الا بهتان وتسريق لمن لم يسرق وتكذيب لمن لم يكذب وهو قوله تعالى انكم لسارقون

ثم جزاؤه ان كنتم كاذبين قلت هو فى صورة البهتان وليس ببهتان فى الحقيقة لان قوله انكم لسارقون
تورية عما جرى مجرى السرقة من فعلهم بيوسف وقيل كان ذلك القول من المؤذن لا من يوسف
وقوله تعالى ان كنتم كاذبين فرض لانتفاء براءتهم وفرض التكذيب لا يكون تكذيبا على انه لو صرح
لهم بالتكذيب كما صرح لهم بالتسريق لكان له وجه لانهم كانوا كاذبين فى قولهم وتركنا يوسف
عند متاعنا فاكله الذئب هذا وحكم هذا الكيد حكم الحيل الشرعية التى يتوصل بها الى مصالح ومنافع
دينية كقوله تعالى لايوب عليه السلام وخذ بيدك ضغثا ليتخلص من جلدها ولا يحنث وكقول
ابراهيم عليه السلام هى اختى لتسلم من يد الكافر وما الشرائع كلها الا مصالح وطرق الى التخلص من الوقوع
فى المفاسد وقد علم الله تعالى فى هذه الحيلة التى لقنها ليوسف عليه السلام مصالح عظيمة فجعلها
سلما وذريعة اليها فكانت حسنة جميلة وانزاحت عنها وجوه القبح لما ذكرنا قالوا ان يسرق
فقد سرق اخ له من قبل فاسرها يوسف فى نفسه ولم يبدها لهم قال انتم شر مكانا
والله اعلم بما تصفون اخ له اراد به يوسف روى انهم لما استخرجوا الصاع من رحل بنيامين
نكس اخوته رؤسهم حياء واقبلوا عليه وقالوا له ماذا الذى صنعت فضحتنا وسودت وجوهنا يا
بنى راحيل ما يزال لنا منكم بلاء متى اخذت هذا الصاع فقال بنو راحيل الذين لا يزال منكم
عليهم البلاء ذهبتم باخى فاهلكتموه ووضع هذا الصواع فى رحلى الذى وضع البضاعة فى رحالكم
واختلف فيما اضافوا الى يوسف من السرقة فقيل كان اخذ فى صباه صنما لجده ابى امه فكسره
والقاه بين الجيف فى الطريق وقيل دخل كنيسة فاخذ تمثالا صغيرا من ذهب كانوا يعبدونه
فدفنه وقيل كانت فى المنزل عناق او دجاجة فاعطاها السائل وقيل كانت لابراهيم عليه السلام
منطقة يتوارثها اكابر ولده فورثها اسحق ثم وقعت الى ابنته وكانت اكبر اولاده فحضنت يوسف
وهى عمته بعد وفاة امه وكانت لا تصبر عنه فلما شب اراد يعقوب ان ينتزعه منها فعمدت
الى المنطقة فحزمتها على يوسف تحت ثيابه وقالت فقدت منطقة اسحق فانظروا من اخذها فوجدوها
محزومة على يوسف فقالت انه لى سلم افعل به ما شئت فخلاه يعقوب عندها حتى ماتت فاسرها
اضمار على شريطة التفسير تفسيره انتم شر مكانا وانما انث لان قوله انتم شر مكانا جملة او كلمة
على تسميتهم الطائفة من الكلام كلمة كانه قيل فاسر الجملة او الكلمة التى هى قوله انتم شر مكانا والمعنى
قال فى نفسه انتم شر مكانا لان قوله قال انتم شر مكانا بدل من اسرها وفى قراءة ابن مسعود
فاسره على التذكير يريد القول او الكلام ومعنى انتم شر مكانا انتم شر منزلة فى السرق لانكم
سارقون بالصحة لسرقتكم اخاكم من ابيكم والله اعلم بما تصفون يعلم انه لم يصح لى ولا لاخى سرقة
وليس الامر كما تصفون قالوا يا ايها العزيز ان له ابا شيخا كبيرا فخذ احدنا مكانه انا
نراك من المحسنين استعطفوه باذكار حق ابيهم يعقوب وانه شيخ كبير السن او كبير القدر
وان بنيامين احب اليه منهم فكانوا قد اخبروه بان ولدا له قد هلك وهو عليه ثكلان وانه
مستانس باخيه فخذ احدنا مكانه بدله على وجه الاسترهان او الاستعباد انا نراك من
المحسنين الينا فاتمم احسانك او من عادتك الاحسان فاجر على عادتك ولا تغيرها قال معاذ
الله ان نأخذ الا من وجدنا متاعنا عنده انا اذا لظالمون معاذ الله كلام موجه
ظاهره انه وجب على قضية فتواكم اخذ من وجد الصواع فى رحله واستعباده فلو اخذنا غيره

كان ذلك ظلما فى مذهبكم فلم تطلبون ما عرفتم انه ظلم وباطنه ان الله امرنى واوحى الى باخذ بنيامين واحتباسه
لمصلحة او لمصالح جمة علمها فى ذلك فلو اخذت غير من امرنى باخذه كنت ظالما وعاملا على خلاف
الوحى ومعنى معاذ الله ان نأخذ نعوذ بالله معاذا من ان نأخذ فاضيف المصدر الى المفعول به
وحذف من واذن جواب لهم وجزاء لان المعنى ان اخذنا بدله فلما استيأسوا منه خلصوا
نجيا قال كبيرهم الم تعلموا ان اباكم قد اخذ عليكم موثقا من الله ومن قبل ما فرطتم
فى يوسف فلن ابرح الارض حتى يأذن لى ابى او يحكم الله لى وهو خير الحاكمين استيأسوا
يئسوا وزيادة السين والتاء فى المبالغة نحو ما مر فى استعصم والنجى على معنيين يكون بمعنى
المناجى كالعشير والسمير بمعنى المعاشر والمسامر ومنه قوله عز وجل وقربناه نجيا وبمعنى المصدر
الذى هو التناجى كما قيل النجوى بمعناه ومنه قيل قوم نجى كما قيل واذ هم نجوى تنزيلا للمصدر منزلة
الاوصاف ويجوز ان يقال هم نجى كما قيل هم صديق لانه بمنزلة المصادر وجمع انجية قال
اذا ما القوم كانوا انجيه ومعنى خلصوا اعتزلوا وانفردوا عن الناس خالصين لا يخالطهم سواهم
نجيا ذوى نجوى او فوجا نجيا او مناجيا لمناجاة بعضهم بعضا واحسن منه انهم تمحضوا تناجيا لاستجماعهم
لذلك وافاضتهم فيه بجد واهتمام كانهم فى انفسهم صورة التناجى وحقيقته وكان تناجيهم فى تدبير
امرهم على اى صفة يذهبون وماذا يقولون لابيهم فى شان اخيهم كقوم تعايوا بما دهمهم من الخطب
فاحتاجوا الى التشاور كبيرهم فى السن وهو روبيل وقيل رئيسهم وهو شمعون وقيل كبيرهم فى العقل
والرأى وهو يهوذا ما فرطتم فى يوسف فيه وجوه ان تكون ما صلة اى ومن قبل هذا قصرتم فى شان
يوسف ولم تحفظوا عهد ابيكم وان تكون مصدرية على ان محل المصدر الرفع على الابتداء وخبره الظرف
وهو من قبل ومعناه ووقع من قبل تفريطكم فى يوسف او النصب عطفا على مفعول الم تعلموا وهو ان اباكم
كانه قيل الم تعلموا اخذ ابيكم عليكم موثقا وتفريطكم من قبل فى يوسف وان تكون موصولة بمعنى
ومن قبل هذا ما فرطتموه اى قدمتموه فى حق يوسف من الجناية العظيمة ومحله الرفع او النصب على الوجهين
فلن ابرح الارض فلن افارق ارض مصر حتى يأذن لى ابى فى الانصراف اليه او يحكم الله لى بالخروج منها
او بالانتصاف ممن اخذ اخى او بخلاصه من يده بسبب من الاسباب وهو خير الحاكمين لانه لا يحكم الا
بالحق والعدل ارجعوا الى ابيكم فقولوا يا ابانا ان ابنك سرق وما شهدنا الا بما علمنا
وما كنا للغيب حافظين وقرئ سُرِّق اى نسب الى السرقة وما شهدنا عليه بالسرقة الا بما
علمنا من سرقته وتيقناه لان الصواع استخرج من وعائه ولا شئ ابين من هذا وما كنا للغيب حافظين
وما علمنا انه سيسرق حين اعطيناك الموثق او ما علمنا انك تصاب به كما اصبت بيوسف ومن قرأ
سرق فمعناه وما شهدنا الا بقدر ما علمنا من التسريق وما كنا للغيب للامر الخفى حافظين اسرق
بالصحة ام دس الصاع فى رحله ولم يشعر واسأل القرية التى كنا فيها والعير التى اقبلنا فيها
وانا لصادقون القرية التى كانوا فيها هى مصر اى ارسل الى اهلها واسألهم عن كنه القصة والعير التى
اقبلنا فيها واصحاب العير وكانوا قوما من كنعان من جيران يعقوب عليه السلام وقيل من اهل صنعا
قال بل سولت لكم انفسكم امرا فصبر جميل عسى الله ان يأتينى بهم جميعا انه هو العليم
الحكيم معناه فرجعوا الى ابيهم فقالوا له ما قال لهم اخوهم فقال بل سولت لكم انفسكم امرا اردتموه
والا فما ادرى ذلك الرجل ان السارق يؤخذ بسرقته لولا فتواكم وتعليمكم بهم جميعا بيوسف واخيه

ودريبل وغيرهم انه هو العليم بحالي في الحزن والاسف الحكيم الذي لم يبتلني بذلك الا لحكمة ومصلحة
وتولى عنهم وقال يا اسفى على يوسف وابيضت عيناه من الحزن فهو كظيم وتولى عنهم واعرض
عنهم كراهة لما جاؤا به يا اسفا اضاف الاسف وهو اشد الحزن والحسرة الى نفسه والالف بدل
من يا الاضافة والتجانس بين لفظتي الاسف ويوسف مما يقع مطبوعا غير متعمل فيملح ويبدع
ونحوه اثاقلتم الى الارض ارضيتم وهم ينهون عنه وينأون عنه يحسبون انهم يحسنون من سبأ
بنبأ وعن النبي عليه السلام لم تعط امة من الامم انا لله وانا اليه راجعون عند المصيبة الا
امة محمد الا ترى الى يعقوب حين اصابه ما اصابه لم يسترجع وانما قال يا اسفى فان قلت
كيف تأسف على يوسف دون اخيه ودون الثالث والرزء الاحدث اشد على النفس واظهر اثرا
قلت هو دليل على تمادي اسفه على يوسف وانه لم يقع فائت عنده موقعه وان الرزء فيه مع تقادم
عهده كان غضا عنده طريا ولم تنسني اوفى المصيبات بعده ولان الرزء في يوسف كان قاعدة
مصيباته التي ترتبت عليها الرزايا في ولده فكان الاسف عليه اسفا على من لحق به وابيضت عيناه
اذا كثر الاستعبار محقت العبرة سواد العين وقلبته الى بياض كدر قيل قد عمي بصره وقيل كان
يدرك ادراكا ضعيفا فرى من الحزن ومن الحزن الحزن كان سبب البكاء الذي حدث منه البياض
فكانه حدث من الحزن قيل ما جفت عينا يعقوب من وقت فراق يوسف الى حين لقائه ثمانين عاما
وما على وجه الارض اكرم على الله من يعقوب عليه السلام وعن رسول الله صلى الله عليه وسلم انه
سأل جبريل ما بلغ من وجد يعقوب على يوسف قال وجد سبعين ثكلى قال فما كان له من الاجر قال
اجر مائة شهيد وما ساء ظنه بالله ساعة قط فان قلت كيف جاز لنبي الله ان يبلغ به الجزع ذلك
المبلغ قلت الانسان مجبول على ان لا يملك نفسه عند الشدائد من الحزن ولذلك حمد صبره
وان يضبط نفسه حتى لا يخرج الى ما لا يحسن ولقد بكى رسول الله عليه السلام على ولده ابراهيم وقال
القلب يجزع والعين تدمع ولا نقول ما يسخط الرب وانا عليك لمحزونون يا ابراهيم وانما الجزع
المذموم ما يقع من الجهلة من الصياح والنياحة ولطم الصدور والوجوه وتمزيق الثياب وعن النبي
صلى الله عليه وسلم انه بكى على بعض بناته وهو يجود بنفسه فقيل يا رسول الله تبكي وقد نهيتنا ولدهم
عن البكاء فقال ما نهيتكم عن البكاء وانما نهيتكم عن صوتين احمقين صوت عند الفرح وصوت
عند الترح وعن الحسن رحمه الله انه بكى على ولد او غيره فقيل له في ذلك فقال ما رايت الله جعل الحزن
عارا على يعقوب فهو كظيم فهو مملوء من الغيظ على اولاده ولا يظهر ما يسوؤهم فعيل بمعنى مفعول
بدليل قوله تعالى وهو مكظوم من كظم السقاء اذا شده على ملئه والكظم بفتح الظاء مخرج النفس
يقال اخذ باكظامه قالوا تالله تفتؤ تذكر يوسف حتى تكون حرضا او تكون من الهالكين
تفتأ اراد لا تفتؤ فحذف حرف النفي لانه لا يلتبس بالاثبات لانه لو كان اثباتا لم يكن بد من اللام
والنون ونحوه فقلت يمين الله ابرح قاعدا ومعنى لا تفتأ لا تزال وعن مجاهد لا تفتر من حبه كانه
جعل الفتوء والفتور اخوين يقال ما فتئ يفعل قال اوس
فما فتئت خيل تثوب وتدعي ويلحق منها لاحق وتقطع
حرضا مشفيا على الهلاك
مرضا واحرضه المرض ويستوي فيه الواحد والجمع والمذكر والمؤنث لانه مصدر والصفة حرض
بكسر الراء ونحوهما دنف ودنف وجاءت القراءة بهما جميعا وقرا الحسن حرضا بضمتين ونحوه

في العقبات رجل جنب وغرب قال انما اشكو بثي وحزني الى الله واعلم من الله ما لا تعلمون البث
اصعب الهم الذي لا يصبر عليه صاحبه فيبثه الى الناس اي ينشره ومنه باثه امره واباثه اياه ومعنى انما
اشكو اني لا اشكو الى احد منكم ومن غيركم انما اشكو الى ربي داعيا له وملتجيا اليه فخلوني وشكايتي
وهذا معنى توليه عنهم اي فتولى عنهم الى الله والشكاية اليه وقيل دخل على يعقوب جار له فقال له
يا يعقوب قد تهشمت وفنيت وما بلغت من السن ما بلغ ابوك فقال هشمني وافناني ما ابتلاني الله
به من هم يوسف فاوحى الله اليه يا يعقوب اتشكوني الى خلقي قال يا رب خطيئة اخطاتها فاغفرها لي
فغفر له فكان بعد ذلك اذا سئل قال انما اشكو بثي وحزني الى الله وروى انه اوحى الى يعقوب
انما وجدت عليكم لانكم ذبحتم شاة فقام ببابكم مسكين فلم تطعموه وان احب خلقي الي الانبياء ثم
المساكين فاصنع طعاما وادع عليه المساكين وقيل اشترى جارية مع ولدها فباع ولدها فبكت
حتى عميت واعلم من الله ما لا تعلمون اي اعلم من صنعه ورحمته وحسن ظني به انه ياتيني بالفرج من حيث
لا احتسب وروى انه راى ملك الموت في منامه فسأله هل قبضت روح يوسف فقال لا والله هو
حي فاطلبه وقرا الحسن وحزني بفتحتين وحزني بضمتين قتادة يا بني اذهبوا فتحسسوا من يوسف
واخيه ولا تيأسوا من روح الله انه لا ييأس من روح الله الا القوم الكافرون
فتحسسوا من يوسف واخيه فتعرفوا منهما وتطلبوا خبرهما وقرئ بالجيم كما قرئ بهما في الحجرات
وهما تفعل من الاحساس وهو المعرفة فلما احس عيسى منهم الكفر ومن الجس وهو الطلب ومنه
قالوا المشاعر الانسان الحواس والجواس من روح الله من فرجه وتنفيسه وقرا الحسن وقتادة
من روح الله بالضم اي من رحمته التي يحيى بها العباد فلما دخلوا عليه قالوا يا ايها العزيز مسنا
واهلنا الضر وجئنا ببضاعة مزجاة فاوف لنا الكيل وتصدق علينا ان الله يجزي
المتصدقين الضر الهزال من الشدة والجوع مزجاة مدفوعة يدفعها كل تاجر رغبة عنها واحتقارا
لها من ازجيته اذا دفعته وطردته والريح تزجي السحاب قيل كانت من متاع الاعراب صوفا وسمنا
وقيل الصنوبر وحبة الخضراء وقيل سويق المقل والاقط وقيل دراهم زيوفا لا تؤخذ الا
بوضيعة فاوف لنا الكيل الذي هو حقنا وتصدق علينا وتفضل علينا بالمسامحة والاغماض عن
رداءة البضاعة او زدنا على حقنا فسموا ما هو فضل وزيادة لا تلزمه صدقة لان الصدقات
محظورة على الانبياء وقيل كانت تحل لغير نبينا صلى الله عليه وسلم وسئل ابن عيينة عن ذلك
فقال الم تسمع وتصدق علينا اراد انها كانت حلالا لهم والظاهر انهم تمسكنوا وطلبوا اليه ان يتصدق
عليهم ومن ثم رق لهم وملكته الرحمة عليهم فلم يتمالك ان عرفهم نفسه وقوله تعالى ان الله يجزي
المتصدقين شاهد لذلك لذكر الله وجزائه والصدقة العطية التي تبتغى بها المثوبة من
الله ومنه قول الحسن لمن سمعه يقول اللهم تصدق علي ان الله تعالى لا يتصدق وانما يتصدق الذي
يبتغي الثواب قل اللهم اعطني او تفضل علي او ارحمني قال هل علمتم ما فعلتم بيوسف
واخيه اذ انتم جاهلون قال هل علمتم اتاهم من جهة الدين وكان حليما موفقا فكلمهم مستفهما
عن معرفة وجه القبح الذي يجب ان يراعيه التائب فقال هل علمتم قبح ما فعلتم بيوسف واخيه اذ
انتم جاهلون لا تعلمون قبحه فلذلك اقدمتم عليه يعني هل علمتم قبحه فتتوبوا الى الله منه لان علم
القبح يدعو الى الاستقباح والاستقباح يجر الى التوبة فكان كلامه شفقة عليهم وتنصحا لهم في الدين

لا نغابنه وتنشيئا ايثار الحق الله على حق نفسه في ذلك المقام الذي يتنفس فيه المكروب وينفث
المصدور ويشتفي المغيظ المحنق ويدرك ثاره الموتور فلله اخلاق الانبياء ما اوطأها واسجحها
ولله حصى عقولهم ما ارزنها وارجحها وقيل لم يرد نفي العلم عنهم لانهم كانوا علماء ولكنهم لما لم
يفعلوا ما يقتضيه العلم ولا يقدم عليه الا الجاهل سماهم جاهلين وقيل معناه اذ انتم صبيان
في حد السفه والطيش قبل ان تبلغوا اوان الحلم والرزانة **وروي** انهم لما قالوا مسنا واهلنا
الضر وتضرعوا اليه ارفضت عيناه ثم قال هذا القول وقيل ادى اليه كتاب يعقوب من يعقوب
اسرائيل الله ابن اسحق ذبيح الله ابن ابراهيم خليل الله الى عزيز مصر اما بعد فانا اهل بيت موكل
بنا البلاء اما جدي فشدت يداه ورجلاه ورمي به في النار ليحرق فنجاه الله وجعلت عليه بردا
وسلاما واما ابي فوضع السكين على قفاه ليقتل ففداه الله واما انا فكان لي ابن وكان احب
اولادي الي فذهب به اخوته الى البرية ثم اتوني بقميصه ملطخا بالدم وقالوا قد اكله الذئب
فذهبت عيناي من بكائي عليه ثم كان لي ابن وكان اخاه من امه وكنت اتسلى به فذهبوا به ثم رجعوا
وقالوا انه سرق وانك حبسته لذلك وانا اهل بيت لا نسرق ولا نلد سارقا فان رددته علي والا
دعوت عليك دعوة تدرك السابع من ولدك والسلام فلما قرأ يوسف الكتاب لم يتمالك وعيل
صبره فقال لهم ذلك **وروي** انه لما قرأ الكتاب بكى وكتب الجواب اصبر كما صبروا تظفر كما ظفروا
فان قلت ما فعلهم باخيه تعريضهم اياه للغم والثكل بافراده عن اخيه لابيه وامه
وجفاؤهم به حتى كان لا يستطيع ان يكلم احدا منهم الا كلام الذليل للعزيز وايذاؤهم له بانواع
الاذى **قالوا ائنك لانت يوسف قال انا يوسف وهذا اخي قد من الله علينا انه من
يتق ويصبر فان الله لا يضيع اجر المحسنين** **قرئ** ائنك على الاستفهام وانك على الايجاب
وفي قراءة ابي ائنك او انت يوسف على معنى ائنك يوسف او انت يوسف فحذف الاول لدلالة الثاني
عليه وهذا كلام متعجب مستغرب لما يسمع فهو يكرر الاستثبات **فان قلت** كيف عرفوه
قلت رأوا في روائه وشمائله حين كلمهم بذلك ما شعروا به انه هو مع علمهم بان ما خاطبهم
به لا يصدر مثله الا عن حنيف مسلم من سنخ ابراهيم لا عن بعض اعزاء مصر وقيل تبسم عند ذلك
فعرفوه بثناياه وكانت كاللؤلؤ المنظوم وقيل ما عرفوه حتى رفع التاج عن راسه فنظروا
الى علامة كانت ليعقوب وسارة مثلها تشبه الشامة البيضاء **فان قلت** قد سألوه
عن نفسه فلم اجابهم عنها وعن اخيه على ان اخاه كان معلوما له **قلت** لانه كان في ذكر اخيه بيان
لما سألوه عنه من يتق من يخف الله وعقابه ويصبر عن المعاصي وعلى الطاعات فان الله لا
يضيع اجرهم فوضع المحسنين موضع الضمير لاشتماله على المتقين والصابرين **قالوا تالله لقد
آثرك الله علينا وان كنا لخاطئين** لقد آثرك الله علينا اي فضلك علينا بالتقوى والصبر
وسيرة المحسنين وان شاننا وحالنا انا كنا خاطئين متعمدين للاثم لم نتق ولم نصبر لاجرم ان
الله تعالى اعزك بالملك واذلنا بالتمكن بين يديك **قال لا تثريب عليكم اليوم يغفر الله
لكم وهو ارحم الراحمين** لا تثريب عليكم لا تأنيب عليكم ولا عتب واصل التثريب من الثرب
وهو الشحم الذي هو غاشية الكرش ومعناه ازالة الثرب كما ان التجليد والتقريع ازالة الجلد
والقرع لانه اذا ذهب كان غاية الهزال والعجف الذي ليس بعده فضرب مثلا للتقريع الذي يمزق

الاعراض

الاعراض ويذهب بماء الوجوه **فان قلت** بم تعلق اليوم بالتثريب او بالمقدر في عليكم
من معنى الاستقرار او بيغفر والمعنى لا اثربكم اليوم وهو اليوم الذي هو مظنة التثريب فما ظنكم بغيره من
الايام ثم ابتدأ فقال يغفر الله لكم فدعا لهم بمغفرة ما فرط منهم يقال غفر الله لك ويغفر الله لك على
لفظ الماضي والمضارع جميعا ومنه قول المشمت يهديكم الله ويصلح بالكم او اليوم يغفر الله لكم
بشارة بعاجل غفران الله لما تجدد يومئذ من توبتهم وندمهم على خطيئتهم **وروي** ان رسول الله صلى الله
عليه وسلم اخذ بعضادتي باب الكعبة يوم الفتح فقال لقريش ما ترونني فاعلا بكم قالوا نظن
خيرا اخ كريم وابن اخ كريم وقد قدرت فقال اقول ما قال اخي يوسف لا تثريب عليكم اليوم وروي
ان ابا سفيان لما جاء ليسلم قال له العباس اذا اتيت الرسول فاتل عليه لا تثريب عليكم ففعل فقال
رسول الله عليه السلام غفر الله لك ولمن علمك ويروى ان اخوته لما عرفوه ارسلوا اليه انك
تدعونا الى طعامك بكرة وعشيا ونحن نستحيي منك لما فرط منا فقال يوسف ان اهل مصر وان ملكت
فيهم فانهم ينظرون الي بالعين الاولى ويقولون سبحان من بلغ عبدا بيع بعشرين درهما ما بلغ ولقد
شرفت الآن بكم وعظمت في العيون حيث علم الناس انكم اخوتي واني من حفدة ابراهيم **اذهبوا
بقميصي هذا فالقوه على وجه ابي يأت بصيرا واتوني باهلكم اجمعين** اذهبوا بقميصي
قيل هو القميص المتوارث الذي كان في تعويذ يوسف وكان من الجنة امره جبرئيل عليه السلام
ان يرسله اليه فان فيه ريح الجنة لا يقع على مبتلى ولا على سقيم الا عوفي يأت بصيرا يصر بصيرا كقولك
جاء البناء محكما بمعنى صار ويشهد له فارتد بصيرا او يأت الي وهو بصير ويشهد له قوله تعالى واتوني
باهلكم اي يأت ابي ويأت آله جميعا وقيل يهوذا هو الحامل قال انا احزنته بحمل القميص ملطوخا
بالدم اليه فافرحه كما احزنته وقيل حمله وهو حاف حاسر من مصر الى كنعان وبينهما مسيرة ثمانين
فرسخا **ولما فصلت العير قال ابوهم اني لاجد ريح يوسف لولا ان تفندون** فصلت العير
خرجت من عريش مصر يقال فصل من البلد فصولا اذا انفصل منه وجاوز حيطانه **وقرأ** ابن
عباس رضي الله عنهما فلما انفصل العير قال لولده ولمن حوله من قومه اني لاجد ريح يوسف اوجده
الله ريح القميص حين اقبل من مسيرة ثمان والتفنيد النسبة الى الفند وهو الخرف وانكار العقل
من هرم يقال شيخ مفند ولا يقال عجوز مفندة لانها لم تكن في شبيبتها ذات رأي فتفند في كبرها
والمعنى لولا تفنيدكم اياي لصدقتموني **قالوا تالله انك لفي ضلالك القديم** لفي ضلالك
القديم لفي ذهابك عن الصواب قدما في افراط محبتك ليوسف ولهجك بذكره ورجائك للقائه
وكان عندهم انه قد مات **فلما ان جاء البشير القاه على وجهه فارتد بصيرا قال الم اقل
لكم اني اعلم من الله ما لا تعلمون** القاه طرح البشير القميص على وجه يعقوب او القاه يعقوب
فارتد فرجع بصيرا يقال رده فارتد وارتده اذا ارتجعه الم اقل لكم يعني قوله اني لاجد ريح يوسف
او قوله ولا تيأسوا من روح الله وقوله اني اعلم كلام مبتدأ لم يقع عليه القول ولك ان توقعه
عليه وتريد قوله انما اشكو بثي وحزني الى الله واعلم من الله ما لا تعلمون **روي** انه سأل البشير كيف
يوسف فقال هو ملك مصر قال ما اصنع بالملك على اي دين تركته قال على دين الاسلام قال الآن تمت
النعمة **قالوا يا ابانا استغفر لنا ذنوبنا انا كنا خاطئين قال سوف استغفر لكم ربي انه
هو الغفور الرحيم** سوف استغفر لكم اخر الاستغفار الى وقت السحر وقيل الى ليلة الجمعة ليتعمد

وقت الاجابة وقيل ليتعرّف حالهم في صدق التوبة واخلاصها وقيل اراد الدوام على الاستغفار
لهم فقد روى انه كان يستغفر لهم كل ليلة جمعة في نيف وعشرين سنة وقيل قام الى الصلوة في
وقت السحر فلما فرغ رفع يديه وقال اللهم اغفر لي جزعي على يوسف وقلة صبري عنه واغفر لولدي
ما اتوا الى اخيهم فاوحى الله اليه ان الله قد غفر لك ولهم اجمعين **وروى** انهم قالوا له وقد علتهم
الكآبة ما يغني عنا عفوكما ان لم يعف عنا ربنا فان لم يوح اليك بالعفو فلا قرّت لنا عين ابدا فاستقبل
الشيخ القبلة قائما يدعو وقام يوسف خلفه يؤمّن وقاموا خلفهما اذلة خاشعين عشرين سنة
حتى بلغ جهدهم وظنوا انها الهلكة نزل جبريل عليه السلام فقال ان الله قد اجاب دعوتك في
ولدك وعقد مواثيقهم بعدك على النبوة وقد اختلف في استنبائهم **فلما دخلوا على يوسف آوى
اليه ابويه وقال ادخلوا مصر ان شاء الله آمنين ورفع ابويه على العرش وخرّوا
له سجدا وقال يا ابت هذا تأويل رؤياي من قبل قد جعلها ربي حقا وقد احسن
بي اذ اخرجني من السجن وجاء بكم من البدو من بعد ان نزغ الشيطان بيني وبين
اخوتي ان ربي لطيف لما يشاء انه هو العليم الحكيم** فلما دخلوا على يوسف قيل وجّه
يوسف الى ابيه جهازا ومائتي راحلة ليتجهز اليه بمن معه وخرج يوسف والملك في اربعة آلاف من الجند
والعظماء واهل مصر باجمعهم فتلقوا يعقوب وهو يمشي يتوكأ على يهوذا فنظر الى الخيل والناس فقال
يا يهوذا هذا فرعون مصر قال لا هذا ولدك فلما لقيه قال يعقوب السلام عليك يا مذهب الاحزان
وقيل ان يوسف قال له لما التقيا يا ابت بكيت علي حتى ذهب بصرك الم تعلم ان القيامة تجمعنا فقال
بلى ولكن خشيت ان تسلب دينك فيحال بيني وبينك وقيل ان يعقوب وولده دخلوا مصر وهم اثنان
وسبعون ما بين رجل وامرأة وخرجوا منها ومقاتلتهم ستمائة الف وخمسمائة وبضعة وسبعون
رجلا سوى الذرية والهرمى وكانت الذرية الف الف ومائتي الف آوى اليه ابويه ضمهما اليه
واعتنقهما قال ابن اسحق كانت امه حيا وقيل هما ابوه وخالته ماتت امه فتزوجها وجعلها احد
الابوين لان الرابة تدعى اما لقيامها مقام الام او لان الخالة ام كما ان العم اب ومنه قوله تعالى
واله آبائك ابراهيم واسمعيل واسحق **فان قلت** ما معنى دخولهم عليه قبل دخولهم مصر **قلت**
كانه حين استقبلهم نزل لهم في مضرب او بيت ثم دخلوا عليه وضم اليه ابويه ثم قال لهم ادخلوا مصر
ان شاء الله آمنين ولما دخلوا مصر وجلس في مجلسه مستويا على سريره واجتمعوا اليه اكرم ابويه
فرفعهما على السرير وخروا له يعني الاخوة الاحد عشر والابوين سجدا ويجوز ان يكون قد خرج
في قبة من قباب الملوك التي تحمل على البغال فامر ان يرفع اليه ابواه فدخلا عليه القبة فآواهما
اليه بالضم والاعتناق وقربهما منه وقال بعد ذلك ادخلوا مصر **فان قلت** بم تعلقت المشيئة
قلت بالدخول مكيفا بالامن لان القصد الى اتصافهم بالامن في دخولهم فكأنه قيل لهم اسلموا
وآمنوا في دخولكم ان شاء الله ونظيره قولك للغازي ارجع سالما غانما ان شاء الله فلا تعلق المشيئة
بالرجوع مطلقا ولكن مقيدا بالسلامة والغنيمة مكيفا بهما والتقدير ادخلوا مصر آمنين ان شاء
الله دخلتم آمنين ثم حذف الجزاء لدلالة الكلام ثم اعترض بالجملة الجزائية بين الحال وذي الحال
ومن بدع التفاسير ان قوله ان شاء الله من باب التقديم والتأخير وان موضعها ما بعد قوله سوف
استغفر لكم ربي في كلام يعقوب وما ادري ما اقول فيه وفي نظائره **فان قلت** كيف جاز لهم

ان

ان يسجدوا لغير الله **قلت** كانت السجدة عندهم جارية مجرى التحية والتكرمة كالقيام والمصافحة
وتقبيل اليد ونحوهما مما جرت عليه عادة الناس من افعال شهرت في التعظيم والتوقير وقيل ما كان
الا انحناء دون تعفير الجباه وخرورهم سجدا يأباه وقيل معناه وخروا لاجل يوسف سجدا لله شكرا
وهذا ايضا فيه نبوة يقال احسن اليه وبه **قال** اسيئي بنا او احسني لا ملومة من البدو من البادية
لانهم كانوا اهل عمد واصحاب مواش ينتقلون في المياه والمناجع نزغ افسد بيننا واغرى واصله
من نخس الرائض الدابة وحمله على الجري يقال نزغه ونسغه اذا نخسه لطيف لما يشاء لطيف التدبير
لاجله رفيق حتى يجيء على وجه الحكمة والصواب **وروى** ان يوسف عليه السلام اخذ بيد يعقوب
صلى الله عليه وسلم فطاف به في خزائنه فادخله خزائن الورق والذهب وخزائن الحلي وخزائن الثياب وخزائن
السلاح وغير ذلك فلما ادخله خزانة القراطيس قال يا بني ما اعقك عندك هذه القراطيس وما
كتبت الي على ثماني مراحل قال امرني جبريل قال او ما تسأله قال انت ابسط اليه مني فسأله قال جبريل
الله امرني بذلك لقولك واخاف ان يأكله الذئب قال فهلا خفتني **وروى** ان يعقوب عليه السلام
اقام معه اربعا وعشرين سنة ثم مات واوصى ان يدفنه بالشام الى جنب ابيه اسحق عليه السلام
فمضى بنفسه ودفنه ثمة ثم عاد الى مصر وعاش بعد ابيه ثلثا وعشرين سنة فلما تم امره وعلم انه لا
يدوم له طلبت نفسه الملك الدائم فتاقت نفسه اليه فتمنى الموت وقيل ما تمناه نبي قبله ولا بعده
فتوفاه الله طيبا طاهرا فتخاصم اهل مصر وتشاحوا في دفنه كل يحب ان يدفن في محلتهم حتى هموا بالقتال
فرأوا من الرأي ان عملوا له صندوقا من مرمر وجعلوه فيه ودفنوه في النيل بمكان يمر عليه الماء ثم
يصل الى مصر ليكونوا كلهم فيه شرعا واحدا وولد له افرايم وميشا وولد لافرايم نون ولنون
يوشع فتى موسى ولقد توارثت الفراعنة من العمالقة بعده مصر ولم تزل بنو اسرائيل تحت ايديهم
على بقايا دين يوسف وآبائه الى ان بعث الله موسى عليه السلام **رب قد آتيتني من الملك وعلمتني
من تأويل الاحاديث فاطر السموات والارض انت وليي في الدنيا والآخرة توفني
مسلما والحقني بالصالحين** من في من الملك ومن تأويل الاحاديث للتبعيض لانه لم يؤت الا
بعض ملك الدنيا او بعض ملك مصر وبعض التأويل انت وليي انت الذي تتولاني بالنعمة في الدارين
وتوصل الملك الفاني بالملك الباقي توفني مسلما طلب للوفاة على حال الاسلام ولان تختم له بالخير
والحسنى كما قال يعقوب عليه السلام لولده ولا تموتن الا وانتم مسلمون ويجوز ان يكون
تمنيا للموت على ما قيل والحقني بالصالحين من آبائي او على العموم وعن عمر بن عبد العزيز ان ميمون
ابن مهران بات عنده فرآه كثير البكاء والمسألة للموت فقال له صنع الله على يديك خيرا كثيرا
احييت سننا وامتّ بدعا وفي حياتك خير وراحة للمسلمين فقال افلا اكون كالعبد الصالح لما اقرّ
الله عينه وجمع له امره قال توفني مسلما والحقني بالصالحين **فان قلت** علام انتصب فاطر
السموات **قلت** على انه وصف لقوله رب كقولك اخا زيد حسن الوجه او على النداء
ذلك من انباء الغيب نوحيه اليك وما كنت لديهم اذ اجمعوا امرهم وهم يمكرون
ذلك اشارة الى ما سبق من نبأ يوسف والخطاب لرسول الله عليه السلام ومحله الابتداء وقوله
تعالى من انباء الغيب نوحيه اليك خبران ويجوز ان يكون اسما موصولا بمعنى الذي ومن انباء الغيب
صلته ونوحيه الخبر والمعنى ان هذا النبأ غيب لم يحصل لك الا من جهة الوحي لانك لم تحضر بني

بني

يعقوب حين اجمعوا امرهم وهو القاؤهم اخاهم في البير كقوله تعالى واجمعوا ان يجعلوه في غيابة الجب
وهذا تهكم بقريش ومن كذبه لانه لم يخف على احد من المكذبين انه لم يكن من حملة هذا الحديث
واشباهه ولا لقي فيها احدا ولا سمع منه ولم يكن من علم قومه فاذا اخبر به وقصه هذا القصص
العجيب الذي اعجز حملته ورواته لم تقع شبهة في انه ليس منه وانه من جهة الوحي فاذا انكروه
تهكم بهم وقيل لهم قد علمتم بامكابرة انه لم يكن مشاهدا لمن مضى من القرون الخالية ونحوه
وما كنت بجانب الغربي اذ قضينا الى موسى الامر وهم يمكرون بيوسف ويبغون له الغوائل
وما اكثر الناس ولو حرصت بمؤمنين وما اكثر الناس يريد العموم كقوله تعالى ولكن اكثر
الناس لا يؤمنون وعن ابن عباس رضي الله عنهما اراد اهل مكة اي وما هم بمؤمنين ولو حرصت
وتهالكت على ايمانهم لتصميمهم على الكفر وعنادهم وما تسألهم عليه من اجر ان هو الا ذكر
للعالمين وما تسألهم على ما تحدثهم به وتذكرهم ان ينيلوك منفعة وجدوى كما يعطي حملة
الاحاديث والاخبار ان هو الا ذكر عظة من الله تعالى للعالمين عامة وحث على طلب النجاة على
لسان رسول من رسله وكاين من اية في السموات والارض يمرون عليها وهم عنها معرضون
من اية من علامة ودلالة على الخالق وعلى صفاته وتوحيده يمرون عليها يشاهدونها وهم
معرضون عنها لا يعتبرون بها وقرئ والارض بالرفع على الابتداء ويمرون عليها خبره
وقرا السدي والارض بالنصب على ويطؤون الارض يمرون عليها وفي مصحف عبد الله والارض
يمشون عليها برفع الارض والمراد ما يرون من اثار الامم الهالكة وغير ذلك من العبر وما
يؤمن اكثرهم بالله الا وهم مشركون وما يؤمن اكثرهم في اقراره بالله وبانه خلقه وخلق
السموات والارض الا وهو مشرك بعبادة الوثن وعن الحسن رحمة الله عليه هم اهل الكتاب
معهم شرك وايمان وعن ابن عباس رضي الله عنهما هم الذين يشبهون الله بخلقه افامنوا ان
تاتيهم غاشية من عذاب الله او تاتيهم الساعة بغتة وهم لا يشعرون غاشية نقمة
تغشاهم وقيل ما يغمرهم من العذاب ويجللهم وقيل الصواعق قل هذه سبيلي ادعو الى الله
على بصيرة انا ومن اتبعني وسبحان الله وما انا من المشركين هذه سبيلي هذه السبيل
التي هي الدعوة الى الايمان والتوحيد سبيلي والسبيل والطريق يذكران ويؤنثان ثم فسر سبيله
بقوله ادعو الى الله على بصيرة اي ادعو الى دينه مع حجة واضحة غير عميا وانا تاكيد للمستتر في
ادعو ومن اتبعني عطف عليه يريد ادعو اليها انا ويدعو اليها من اتبعني ويجوز ان يكون انا
مبتدا وعلى بصيرة خبرا مقدما ومن اتبعني عطفا على انا اخبارا ابتداء بانه ومن اتبعه على حجة
وبرهان لا على هوى ويجوز ان يكون على بصيرة حالا من ادعو عاملة الرفع في انا ومن اتبعني
وسبحان الله وانزهه من الشركاء وما ارسلنا من قبلك الا رجالا يوحي اليهم من اهل القرى
افلم يسيروا في الارض فينظروا كيف كان عاقبة الذين من قبلهم ولدار الاخرة خير
للذين اتقوا افلا يعقلون الا رجالا لا ملائكة لانهم كانوا يقولون لو شاء ربنا لانزل ملائكة
وعن ابن عباس رضي الله عنهما يريد ليست فيهم امراة وقيل في سجاح المتنبئة
ولم تزل انبياء الله ذكرانا وقرئ نوحي اليهم بالنون من اهل القرى لانهم اعلم واحلم
واهل البوادي فيهم الجهل والجفاء والقسوة ولدار الاخرة ولدار الساعة او الحال الاخرة

خير

خير للذين اتقوا الذين خافوا الله فلم يشركوا به ولم يعصوه وقرئ افلا تعقلون بالتاء ولما
حتى اذا استياس الرسل وظنوا انهم قد كذبوا جاءهم نصرنا فنجي من نشاء ولا يرد باسنا
عن القوم المجرمين حتى متعلقة بمحذوف دل عليه الكلام كانه قيل وما ارسلنا من قبلك الا
رجالا فتراخى نصرهم حتى اذا استياسوا عن النصر وظنوا انهم قد كذبوا اي كذبتهم انفسهم حين
حدثتهم بانهم ينصرون او رجاؤهم لقولهم رجا صادق ورجا كاذب والمعنى ان مدة التكذيب
والعداوة من الكفار وانتظار النصر من الله وتاميله قد تطاولت عليهم وتمادت حتى استشعروا
القنوط وتوهموا ان لا نصر في الدنيا فجاءهم نصرنا فجاة من غير احتساب وعن ابن عباس رضي
الله عنهما وظنوا حين ضعفوا وغلبوا انهم قد اخلفوا ما وعدهم الله من النصرة وقال كانوا بشرا
وتلا قوله تعالى وزلزلوا حتى يقول الرسول والذين امنوا معه متى نصر الله فان صح هذا عن ابن عباس
فقد اراد بالظن ما يخطر بالبال ويهجس في القلب من شبه الوسوسة وحديث النفس على ما عليه
البشرية واما الظن الذي هو ترجح احد الجانبين على الاخر فغير جائز على رجل من المسلمين فما
بال رسل الله الذين هم اعرف الناس بربهم وانه متعال عن خلف الميعاد منزه عن كل قبيح وقيل
وظن المرسل اليهم ان الرسل قد كذبوا اي اخلفوا او وظن المرسل اليهم انهم كذبوا من جهة
الرسل اي كذبتهم الرسل في انهم ينصرون عليهم ولم يصدقوهم فيه وقرئ كذبوا بالتشديد
على وظن الرسل انهم قد كذبتهم قومهم فيما وعدوهم من العذاب والنصرة عليهم وقرا مجاهد
كذبوا بالتخفيف على البناء للفاعل على وظن الرسل انهم كذبوا فيما حدثوا به قومهم من النصرة اما على
تاويل ابن عباس رضي الله عنهما واما على ان قومهم اذا لم يروا لموعدهم اثرا قالوا لهم انكم
كذبتمونا فيكونون كاذبين عند قومهم او وظن المرسل اليهم ان الرسل قد كذبوا ولو قرئ
بهذا مشددا لكان معناه وظن الرسل ان قومهم كذبوهم في موعدهم وقرئ فنجي بالتخفيف
والتشديد من انجاه ونجاه وفنجي على لفظ الماضي المبني للمفعول وقرا ابن محيصن فنجا والمراد بمن نشاء
المؤمنون لانهم الذين يستاهلون ان يشاء نجاتهم وقد بين ذلك بقوله تعالى ولا يرد باسنا عن
القوم المجرمين لقد كان في قصصهم عبرة لاولي الالباب ما كان حديثا يفترى ولكن تصديق
الذي بين يديه وتفصيل كل شيء وهدى ورحمة لقوم يؤمنون الضمير في قصصهم للرسل
وينصره قراءة من قرا في قصصهم بكسر القاف وقيل هو راجع الى يوسف عليه السلام واخوته
فان قلت فالام يرجع الضمير في قوله ما كان حديثا يفترى فيمن قرا بالكسر
الى القران اي ما كان القران حديثا يفترى ولكن كان تصديق الذي بين يديه اي قبله من
الكتب السماوية وتفصيل كل شيء يحتاج اليه في الدين لانه القانون الذي تستند اليه السنة
والاجماع والقياس بعد ادلة العقل وانتصاب ما نصب بعد لكن للعطف على خبر كان وقرئ
ذلك بالرفع على ولكن هو تصديق الذي بين يديه عن رسول الله صلى الله عليه وسلم علموا
ارقاءكم سورة يوسف فانه ايما مسلم تلاها وعلمها اهله وما ملكت يمينه هون الله عليه سكرات

بسم الله الرحمن الرحيم المر تلك ايات الكتاب والذي انزل اليك من ربك الحق ولكن اكثر الناس

الجابرين

كذبهم

لا يؤمنون تلك اشارة الى آيات السورة والمراد بالكتاب السورة اى تلك الآيات آيات
السورة الكاملة العجيبة فى بابها ثم قال والذى انزل اليك من القرآن كله هو الحق الذى لا مزيد
عليه لا هذه السورة وحدها وفى اسلوب هذا الكلام قول الانمارية هم كالحلقة المفرغة
لا يدرى اين طرفاها تريد الكملة الله الذى رفع السموات بغير عمد ترونها ثم
استوى على العرش وسخر الشمس والقمر كل يجرى لاجل مسمى يدبر الامر يفصل الآيات
لعلكم بلقاء ربكم توقنون الله مبتدأ والذى خبره بدليل قوله تعالى وهو الذى
مد الارض ويجوز ان يكون صفة وقوله يدبر الامر يفصل الآيات خبرا بعد خبر
ما تقدم من ذكر الآيات رفع السموات بغير عمد ترونها كلام مستأنف استشهادا برؤيتهم
لها كذلك وقيل هى صفة لعمد وتعضده قراءة ابى ترونه وقرى عمد بضمتين يدبر
الامر امر ملكوته وربوبيته يفصل آياته فى كتبه المنزلة لعلكم توقنون بالجزاء وبان هذا
المدبر والمفصل لا بد لكم من الرجوع اليه وقرأ الحسن ندبر بالنون وهو الذى مد
الارض وجعل فيها رواسى وانهارا ومن كل الثمرات جعل فيها زوجين اثنين يغشى
الليل النهار ان فى ذلك لآيات لقوم يتفكرون جعل فيها زوجين اثنين خلق فيها
من جميع انواع الثمرات زوجين زوجين حين مدها ثم تكاثرت بعد ذلك وتنوعت وقيل اراد
بالزوجين الاسود والابيض والحلو والحامض والصغير والكبير وما اشبه ذلك من الاصناف
المختلفة يغشى الليل النهار يلبسه مكانه فيصير اسود مظلما بعد ما كان ابيض منيرا وقرى
يغشى بالتشديد وفى الارض قطع متجاورات وجنات من اعناب وزرع ونخيل صنوان
وغير صنوان تسقى بماء واحد ونفضل بعضها على بعض فى الاكل ان فى ذلك لآيات
لقوم يعقلون قطع متجاورات بقاع مختلفة مع كونها متجاورة متلاصقة طيبة الى سبخة
وكريمة الى زهيدة وصلبة الى رخوة وصالحة للزرع لا للشجر الى اخرى على عكسها مع انتظامها
جميعا فى جنس الارضية وذلك دليل على قادر مريد موقع لافعاله على وجه دون وجه وكذلك
الكروم والزروع والنخيل النابتة فى هذه القطع مختلفة الاجناس والانواع وهى تسقى بماء
واحد وتراها متغايرة الثمر فى الاشكال والالوان والطعوم والروائح متفاضلة فيها وفى
بعض المصاحف قطعا متجاورات على وجعل وقرى وجنات بالنصب للعطف على زوجين او
بالجر على كل الثمرات وقرى وزرع ونخيل بالجر عطفا على اعناب او جنات والصنوان جمع صنو
وهى النخلة لها راسان واصلهما واحد وقرئ بالضم فالكسر لغة اهل الحجاز والضم لغة بنى تميم
ويسقى بالتاء والياء ونفضل بالنون والياء على البناء للفاعل والمفعول جميعا فى الاكل
بضم الكاف وسكونها وان تعجب فعجب قولهم ائذا كنا ترابا ائنا لفى خلق جديد وان تعجب
يا محمد من قولهم فى انكار البعث فقولهم عجيب حقيق بان يتعجب منه لان من قدر على انشاء ما عدد
عليك من الفطر العظيمة ولم يعى بخلقهن كانت الاعادة اهون شىء عليه وايسره فكان
انكارهم اعجوبة من الاعاجيب ائذا كنا الى آخر قولهم يجوز ان يكون فى محل الرفع بدلا من قولهم
وان يكون منصوبا بالقول واذا نصب بما دل عليه قوله تعالى ائنا لفى خلق جديد اولئك
الذين كفروا بربهم واولئك الاغلال فى اعناقهم واولئك اصحاب النار هم فيها خالدون

اولئك

اولئك الذين كفروا بربهم اولئك الكاملون المتمادون فى كفرهم واولئك الاغلال فى اعناقهم وصف
بالاصرار كقوله تعالى انا جعلنا فى اعناقهم اغلالا ونحوه هم غل الرشد اغلال واقياد او هو
من جملة الوعيد ويستعجلونك بالسيئة قبل الحسنة وقد خلت من قبلهم المثلات وان
ربك لذو مغفرة للناس على ظلمهم وان ربك لشديد العقاب بالسيئة قبل الحسنة
بالنقمة قبل العافية والاحسان اليهم بالامهال وذلك انهم سألوا رسول الله صلى الله عليه وسلم
ان يأتيهم بالعذاب استهزاء منهم بانذاره وقد خلت من قبلهم المثلات اى عقوبات امثالهم
من المكذبين فما لهم لم يعتبروا بها فلا يستهزئوا والمثلة العقوبة بوزن السمرة والمثلة
لما بين العقاب والمعاقب عليه من المماثلة وجزاء سيئة سيئة مثلها ويقال امثلت الرجل
من صاحبه واقصصته منه والمثال القصاص وقرى المثلات بضمتين والمثلات جمع مثلة
كركبة وركبات لذو مغفرة للناس على ظلمهم اى مع ظلمهم انفسهم بالذنوب ومحله الحال
بمعنى ظالمين لانفسهم وفيه اوجه اى يريد السيئات المكفرة لمجتنب الكبائر او الكبائر بشرط
التوبة او يريد بالمغفرة الستر والامهال وروى انها لما نزلت قال النبى عليه السلام لولا
عفو الله وتجاوزه لما هنأ احدا العيش ولولا وعيده وعقابه لاتكل كل احد ويقول الذين
كفروا لولا انزل عليه آية من ربه انما انت منذر ولكل قوم هاد لولا انزل عليه آية
من ربه لم يعتدوا بالآيات المنزلة على رسول الله صلى الله عليه وسلم عنادا فاقترحوا
نحو آيات موسى وعيسى عليهما السلام من انقلاب العصا حية واحياء الموتى فقيل لرسول الله
عليه السلام انما انت رجل ارسلت منذرا تخوفهم من سوء العاقبة وناصحا كغيرك من الرسل
وما عليك الا الاتيان بما يصح به انك رسول منذر وصحة ذلك حاصلة باية آية كانت
والآيات كلها سواء فى حصول صحة الدعوى بها لا تفاوت بينها والذى عنده كل شىء بمقدار
يعطى كل نبى آية على حسب ما اقتضاه علمه بالمصالح وتقديره لها ولكل قوم هاد من الانبياء يهديهم
الى الدين ويدعوهم الى الله بوجه من الهداية وبآية خص بها ولم يجعل الانبياء شرعا واحدا
فى آيات مخصوصة ووجه آخر وهو ان يكون المعنى انهم يجحدون كون ما انزل عليك آيات
ويعاندون فلا يهمنك ذلك انما انت منذر فما عليك الا ان تنذر لا ان تثبت الايمان فى
صدورهم ولست بقادر عليه ولكل قوم هاد قادر على هدايتهم بالالجاء وهو الله تعالى ولقد
دل بما اردفه من ذكر آيات علمه وتقديره الاشياء على قضايا حكمته ان اعطاه كل منذر آيات
خلاف آيات غيره امر مدبر بالعلم النافذ مقدر بالحكمة الربانية ولو علم فى اجابتهم الى المقترح
خيرا ومصلحة لاجابهم اليه واما على الوجه الثانى فقد دل به على ان من هذه قدرته وهذا
علمه هو القادر وحده على هدايتهم العالم باى طريق يهديهم ولا سبيل الى ذلك لغيره
الله يعلم ما تحمل كل انثى وما تغيض الارحام وما تزداد وكل شىء عنده بمقدار
الله يعلم يحتمل ان يكون كلاما مبتدأ وان يكون المعنى هو الله تفسيرا لهاد على الوجه
الاخير ثم ابتدئ فقيل يعلم ما تحمل كل انثى وما فى ما تحمل وما تغيض وما تزداد اما موصولة
واما مصدرية فان كانت موصولة فالمعنى انه يعلم ما تحمله من الولد على اى حال هو من
ذكورة وانوثة وتمام وخداج وحسن وقبح وطول وقصر وغير ذلك من الاحوال الحاضرة والمتر

ويعلم ما تغيض الارحام اي تنقصه يقال غاض الماء وغضته انا ۰ ومنه قوله تعالى وغيض الماء
وما تزداد اي تأخذه زائدا تقول اخذت منه حقي وازددت منه كذا ۰ ومنه قوله عز وجل
وازدادوا تسعا ويقال زدته فزاد بنفسه وازداد ومما تنقصه الرحم وتزداده عدد الولد
فانها تشتمل على واحد وقد تشتمل على اثنين وثلاثة واربعة ويروى ان شريكا كان
رابع اربعة في بطن امه ۰ ومنه جسد الولد فانه يكون تاما ومخدجا ومنه مدة ولادته
فانها تكون اقل من تسعة اشهر وازيد عليها الى سنتين عند ابي حنيفة رحمة الله عليه والى
اربع عند الشافعي رضي الله عنه والى خمس عند مالك رحمه الله ۰ وقيل ان الضحاك ولد لسنتين
وهرم بن حيان بقي في بطن امه اربع سنين ولذلك سمي هرما ومنه الدم فانه يقل ويكثر
وان كانت مصدرية فالمعنى انه يعلم حمل كل انثى ويعلم غيض الارحام وازديادها لا يخفى عليه شيء من ذلك
ومن اوقاته واحواله ۰ ويجوز ان يراد غيوض ما في الارحام وزيادته فاسند الفعل الى الارحام
وهو لما فيها على ان الفعلين غير متعديين ويعضده قول الحسن رحمة الله عليه الغيوضة ان
تضع لثمانية اشهر او اقل من ذلك والازدياد ان تزيد على تسعة اشهر وعنه الغيض الذي
يكون سقطا لغير تمام والازدياد ما ولد لتمام بمقدار بقدر وحد لا يجاوزه ولا ينقص عنه
كقوله تعالى انا كل شيء خلقناه بقدر عالم الغيب والشهادة الكبير المتعال ۰ الكبير العظيم
الشان الذي كل شيء دونه المتعال المستعلي على كل شيء بقدرته او الذي كبر عن صفات المخلوقين
وتعالى عنها سواء منكم من اسر القول ومن جهر به ومن هو مستخف بالليل وسارب
بالنهار ۰ سارب ذاهب في سربه بالفتح اي في طريقه ووجهه يقال سرب في الارض سروبا والمعنى
سواء عنده من استخفى اي طلب الخفاء في مختبأ بالليل في ظلمته ومن يضطرب في الطرقات ظاهرا
بالنهار يبصره كل احد **فان قلت** كان حق العبارة ان يقال ومن هو مستخف بالليل ومن
هو سارب بالنهار حتى يتناول معنى الاستواء المستخفي والسارب والا فقد تناول واحدا
هو مستخف وسارب **قلت** فيه وجهان ۰ احدهما ان قوله وسارب عطف على من هو مستخف
لا على مستخف ۰ والثاني انه عطف على مستخف الا ان من في معنى الاثنين **كقوله** ۰
نكن مثل من يا ذيب يصطحبان ۰ كانه قيل سواء منكم اثنان مستخف بالليل وسارب بالنهار
والضمير في له مردود على من كانه قيل لمن اسر ومن جهر ومن استخفى ومن سرب له معقبات
من بين يديه ومن خلفه يحفظونه من امر الله ان الله لا يغير ما بقوم حتى يغيروا ما بانفسهم
واذا اراد الله بقوم سوءا فلا مرد له وما لهم من دونه من وال ۰ معقبات جماعات من
الملائكة تعتقب في حفظه وكلاءته والاصل معتقبات فادغمت التاء في القاف كقوله تعالى وجاء المعذرون
بمعنى المعتذرون ويجوز معقبات بكسر العين ولم يقرأ به او هو مفعلات من عقبه اذا جاء على عقبه كما
يقال قفاه لان بعضهم يعقب بعضا او لانهم يعقبون ما يتكلم به فيكتبونه ۰ يحفظونه من امر الله
هما صفتان جميعا وليس من امر الله بصلة للحفظ كانه قيل له معقبات من امر الله او يحفظونه من اجل امر
الله اي من اجل ان الله امرهم بحفظه والدليل عليه قراءة علي وجعفر بن محمد وعكرمة ۰ يحفظونه
بامر الله او يحفظونه من بأس الله ونقمته اذا اذنب بدعائهم له ومسألتهم ربهم ان يمهله رجاء ان
يتوب وينيب كقوله تعالى قل من يكلؤكم بالليل والنهار من الرحمن ۰ وقيل المعقبات الحرس والجلاد

حول السلطان يحفظونه في توهمه وتقديره من امر الله اي من قضاياه ونوازله او على التهكم **وقرئ**
له معاقيب جمع معقب او معقبة والياء عوض من حذف احدى القافين في التكسير ان الله لا يغير
ما بقوم من العافية والنعمة حتى يغيروا ما بانفسهم من الحال الجميلة بكثرة المعاصي من وال ممن يلي
امرهم ويدفع عنهم هو الذي يريكم البرق خوفا وطمعا وينشئ السحاب الثقال خوفا
وطمعا لا يصح ان يكونا مفعولا لهما لانهما ليسا بفعل فاعل الفعل المعلل الا على تقدير حذف المضاف
اي ارادة خوف وطمع او على معنى اخافة واطماعا ويجوز ان يكونا منتصبين على الحال من البرق
كانه في نفسه خوف وطمع او على ذا خوف وذا طمع او من المخاطبين اي خائفين وطامعين ومعنى
الخوف والطمع ان وقوع الصواعق يخاف عند لمع البرق ويطمع في الغيث **قال** ابو الطيب ۰
۰ فتى كالسحاب الجون تخشى وترتجى ۰ يرجى الحيا منها وتخشى الصواعق ۰ وقيل يخاف المطر
من له فيه ضرر كالمسافر ومن في جرينه التمر والزبيب ومن له بيت يكف ومن البلاد ما لا ينتفع اهله
بالمطر كاهل مصر ويطمع فيه من له فيه نفع ويحيا به السحاب اسم الجنس والواحد سحابة والثقال
جمع ثقيلة لانك تقول سحابة ثقيلة وسحاب ثقال كما تقول امرأة كريمة ونساء كرام وهي الثقال
بالماء ويسبح الرعد بحمده والملائكة من خيفته ويرسل الصواعق فيصيب بها من يشاء وهم
يجادلون في الله وهو شديد المحال ويسبح الرعد بحمده ويسبح سامعوا الرعد من العباد
الراجين للمطر حامدين له اي يصيحون سبحان الله والحمد لله وعن النبي صلى الله عليه وسلم انه
كان يقول سبحان من يسبح الرعد بحمده وعن علي رضي الله عنه سبحان من سبحت له واذا اشتد
الرعد قال رسول الله عليه السلام اللهم لا تقتلنا بغضبك ولا تهلكنا بعذابك وعافنا قبل
ذلك وعن ابن عباس رضي الله عنهما ان اليهود سالت النبي صلى الله عليه وسلم عن الرعد ما هو
فقال ملك من الملائكة موكل بالسحاب معه مخاريق من نار يسوق بها السحاب وعن الحسن
رحمه الله خلق من خلق الله ليس بملك ومن بدع المتصوفة الرعد صعقات الملائكة والبرق ق
زفرات افئدتهم والمطر بكاؤهم والملائكة من خيفته ويسبح الملائكة من هيبته واجلاله
ذكر علمه النافذ في كل شيء واستواء الظاهر والخفي عنده وما دل على قدرته الباهرة ووحدانيته
ثم قال وهم يعني الذين كفروا وكذبوا رسول الله وانكروا آياته يجادلون في الله حيث يكذبون
على رسوله ما يصفه به من القدرة على البعث واعادة الخلائق بقولهم من يحيي العظام وهي
رميم ويردون الوحدانية باتخاذ الشركاء والانداد ويجعلونه بعض الاجسام المتوالدة بقولهم
الملائكة بنات الله فهذا جدالهم بالباطل ۰ كقوله تعالى وجادلوا بالباطل ليدحضوا به الحق
وقيل الواو للحال اي فيصيب بها من يشاء في حال جدالهم وذلك ان اربد اخا لبيد بن ربيعة العامري
قال لرسول الله عليه السلام حين وفد عليه مع عامر بن الطفيل قاصدين لقتله فرمى الله
عامرا بغدة كغدة البعير وموت في بيت سلولية وارسل على اربد صاعقة فقتلته اخبرني
عن ربنا امن نحاس هو ام من حديد المحال المماحلة وهي شدة المماكرة والمكايدة ومنه
تمحل لكذا اذا تكلف استعمال الحيلة واجتهد فيه ومحل بفلان اذا كاده وسعى به الى السلطان
ومنه الحديث ولا تجعله علينا ماحلا مصدقا **قال** الاعشى ۰
۰ فرع نبع يهتش في غصن المجد غزير الندى شديد المحال ۰ والمعنى انه شديد

المكر والكيد لأعدائه يأتيهم بالهلكة من حيث لا يحتسبون وقرأ الأعرج بفتح الميم على أنه مفعل من
حال يحول محالا إذا احتال ومنه أحول من ذئب أي أشد حيلة ويجوز أن يكون المعنى
شديد الفقار ويكون مثلا في القوة والقدرة كما جاء فساعد الله أشد وموساه أحد لأن الحيوان
إذا اشتد محاله كان منعوتا بشدة القوة والاضطلاع بما يعجز عنه غيره ألا ترى إلى قولهم فقرته
الفواقر وذلك أن الفقار عمود الظهر وقوامه له دعوة الحق والذين يدعون من دونه
لا يستجيبون لهم بشيء إلا كباسط كفيه إلى الماء ليبلغ فاه وما هو ببالغه وما دعاء الكافرين
إلا في ضلال دعوة الحق فيها وجهان أحدهما أن تضاف الدعوة إلى الحق الذي هو نقيض
الباطل كما تضاف الكلمة إليه في قولك كلمة الحق للدلالة على أن الدعوة ملابسة للحق مختصة
به وأنها بمعزل من الباطل والمعنى أن الله سبحانه وتعالى يدعى فيستجيب الدعوة ويعطي الداعي
سؤله إن كان مصلحة له فكانت دعوة ملابسة للحق لكونه حقيقا بأن يوجه إليه الدعاء لما في
دعوته من الجدوى والنفع بخلاف ما لا ينفع ولا يجدي دعاؤه والثاني أن تضاف إلى الحق الذي
هو الله عز وعلا على معنى دعوة المدعو الحق الذي يسمع فيجيب وعن الحسن رحمه الله الحق
هو الله وكل دعاء إليه دعوة الحق فإن قلت ما وجه اتصال هذين الوصفين بما قبله
قلت أما على قصة أربد فظاهر لأن إصابته بالصاعقة محال من الله ومكر به من حيث لم يشعر
وقد دعا رسول الله صلى الله عليه وسلم عليه وعلى صاحبه اللهم اخسفهما بما شئت فأجيب فيهما
فكانت الدعوة دعوة حق وأما على الأول فوعيد للكفرة على مجادلتهم رسول الله بحلول محاله
بهم وإجابة دعوة رسول الله عليه السلام إن دعا عليهم فيهم والذين يدعون والآلهة الذين
يدعوهم الكفار من دون الله لا يستجيبون لهم بشيء من طلباتهم إلا كباسط كفيه إلا استجابة كاستجابة
باسط كفيه أي كاستجابة الماء من بسط كفيه إليه يطلب منه أن يبلغ فاه والماء جماد لا يشعر ببسط
كفيه ولا بعطشه وحاجته إليه ولا يقدر أن يجيب دعاءه ويبلغ فاه وكذلك ما يدعونه جماد لا
يحس بدعائهم ولا يستطيع إجابتهم ولا يقدر على نفعهم وقيل شبهوا في قلة جدوى دعائهم لآلهتهم
بمن أراد أن يغرف الماء بيديه ليشربه فبسطهما ناشرا أصابعه فلم تلق كفاه منه شيئا ولم يبلغ
طلبته من شربه وقرئ تدعون بالتاء كباسط كفيه بالتنوين إلا في ضلال إلا في ضياع ولا
منفعة فيه لأنهم إن دعوا الله لم يجبهم وإن دعوا الآلهة لم تستطع إجابتهم ولله يسجد من في
السموات والأرض طوعا وكرها وظلالهم بالغدو والآصال ولله يسجد أي ينقادون
لإحداث ما أراده فيهم من أفعاله شاؤوا أو أبوا لا يقدرون أن يمتنعوا عليه وتنقاد له ظلالهم
أيضا حيث تتصرف على مشيئته في الامتداد والتقلص والفيء والزوال وقرئ بالغدو والإيصال
من آصلوا إذا دخلوا في الأصيل قل من رب السموات والأرض قل الله قل أفاتخذتم من دونه
أولياء لا يملكون لأنفسهم نفعا ولا ضرا قل هل يستوي الأعمى والبصير أم هل تستوي
الظلمات والنور قل الله حكاية لاعترافهم وتأكيد له عليهم لأنه إذا قال لهم من رب السموات
والأرض لم يكن لهم بد من أن يقولوا الله كقوله تعالى قل من رب السموات السبع ورب العرش
العظيم سيقولون الله وهذا كما يقول المناظر لصاحبه أهذا قولك فإذا قال هذا قولي قال هذا
قولك فيحكي إقراره تقريرا له عليه واستيثاقا منه ثم يقول له فيلزمك على هذا القول كيت وكيت

ويجوز

ويجوز أن يكون تلقينا أي إن كعّوا عن الجواب فلقّنهم فإنهم يتلقّونه ولا يقدرون أن ينكروه أفاتخذتم
من دونه أولياء أبعد أن علمتموه رب السموات والأرض اتخذتم من دونه أولياء فجعلتم ما كان
يجب أن يكون سبب التوحيد من علمكم وإقراركم سبب الإشراك لا يملكون لأنفسهم نفعا ولا ضرا
لا يستطيعون لأنفسهم أن ينفعوها أو يدفعوا عنها ضررا فكيف يستطيعونه لغيرهم وقد
آثرتموهم على الخالق الرازق المثيب المعاقب فما أبين ضلالكم أم جعلوا لله شركاء خلقوا
كخلقه فتشابه الخلق عليهم قل الله خالق كل شيء وهو الواحد القهار أم جعلوا بل أجعلوا
ومعنى الهمزة الإنكار وخلقوا صفة لشركاء يعني أنهم لم يتخذوا لله شركاء يعني أنهم لم يتخذوا لله
شركاء خالقين قد خلقوا مثل خلق الله فتشابه عليهم خلق الله وخلقهم حتى يقولوا قدر هؤلاء
على الخلق كما قدر الله عليه فاستحقوا العبادة فنتخذهم له شركاء ونعبدهم كما يعبد إذ لا فرق
بين خالق وخالق ولكنهم اتخذوا له شركاء عاجزين لا يقدرون على ما يقدر عليه الخلق فضلا أن
يقدروا على ما يقدر عليه الخالق قل الله خالق كل شيء لا خالق غير الله ولا يستقيم أن يكون له
شريك في الخلق فلا يكون له شريك في العبادة وهو الواحد المتوحد بالربوبية القهار لا يغالب
وما عداه مربوب ومقهور أنزل من السماء ماء فسالت أودية بقدرها فاحتمل السيل زبدا رابيا
ومما يوقدون عليه في النار ابتغاء حلية أو متاع زبد مثله كذلك يضرب الله الحق والباطل
فأما الزبد فيذهب جفاء وأما ما ينفع الناس فيمكث في الأرض كذلك يضرب الله الأمثال
هذا مثل ضربه الله للحق وأهله والباطل وحزبه كما ضرب الأعمى والبصير والظلمات والنور مثلا
لهما فمثل الحق وأهله بالماء الذي ينزله من السماء فتسيل به أودية الناس فيحيون به وينفعهم
أنواع المنافع وبالفلز الذي ينتفعون به في صوغ الحلي منه واتخاذ الأواني والآلات المختلفة ولو
لم يكن إلا الحديد الذي فيه البأس الشديد لكفى به وأن ذلك ماكث في الأرض باق بقاء ظاهرا
يثبت الماء في منافعه وتبقى آثاره في العيون والبئار والحبوب والثمار التي تنبت به مما يدخر ويكنز
وكذلك الجواهر تبقى أزمنة متطاولة وشبه الباطل في سرعة اضمحلاله ووشك زواله وانسلاخه
عن المنفعة بزبد السيل الذي يرمي به وبزبد الفلز الذي يطفو فوقه إذا أذيب فإن قلت لم
نكرت الأودية قلت لأن المطر لا يأتي إلا على طريق المناوبة بين البقاع فيسيل في بعض أودية
الأرض دون بعض فإن قلت فما معنى قوله تعالى بقدرها قلت بمقدارها الذي عرف الله
أنه نافع للممطور عليهم غير ضار ألا ترى إلى قوله وأما ما ينفع الناس لأنه ضرب المطر مثلا للحق
فوجب أن يكون مطرا خالصا للنفع خاليا من المضرة ولا يكون كبعض الأمطار والسيول والجواحف
فإن قلت فما فائدة قوله ابتغاء حلية أو متاع قلت الفائدة فيه كالفائدة في قوله
بقدرها لأنه جمع الماء والفلز في النفع في قوله وأما ما ينفع الناس لأن المعنى وأما ما ينفعهم من
الماء والفلز فذكر وجه الانتفاع بما يوقد عليه منه ويذاب وهو الحلية والمتاع وقوله تعالى
ومما توقدون عليه في النار ابتغاء حلية أو متاع عبارة جامعة لأنواع الفلز مع إظهار الكبرياء
في ذكره على وجه التهاون به كما هو هجيرى الملوك نحو ما جاء في ذكر الآجر فأوقد لي يا هامان على الطين
ومن لابتداء الغاية أي ومنه ينشأ زبد مثل زبد الماء أو للتبعيض بمعنى وبعضه زبد رابيا منتفخا
مرتفعا على وجه السيل جفاء يجفاه السيل أي يرمي به وجفأت القدر بزبدها وأجفأ السيل

ذا خفل وفي قراءة رؤبة بن العجاج جفالا وعن ابي حاتم لا يقرأ بقراءة رؤبة لانه كان ياكل الفار وقرئ
يوقدون بالياء اي يوقده الناس للذين استجابوا لربهم الحسنى والذين لم يستجيبوا له لو ان لهم
ما في الارض جميعا ومثله معه لافتدوا به اولئك لهم سوء الحساب ومأويهم جهنم وبئس
المهاد اللام في للذين استجابوا متعلقة بيضرب اي كذلك يضرب الله الامثال للمؤمنين الذين
استجابوا وللكافرين الذين لم يستجيبوا اي هما مثلا الفريقين والحسنى صفة لمصدر استجابوا اي استجابوا
الاستجابة الحسنى وقوله تعالى لو ان لهم كلام مبتدأ في ذكر ما اعد لغير المستجيبين وقيل قد تم
الكلام عند قوله تعالى كذلك يضرب الله الامثال وما بعده كلام مستانف والحسنى مبتدأ خبره
للذين استجابوا والمعنى لهم المثوبة الحسنى وهي الجنة والذين لم يستجيبوا مبتدأ خبره لو مع ما في حيزه
وسوء الحساب المناقشة فيه وعن النخعي ان يحاسب الرجل بذنبه كله لا يغفر منه شيء افمن يعلم
انما انزل اليك من ربك الحق كمن هو اعمى انما يتذكر اولوا الالباب دخلت همزة الانكار
الفاء في قوله تعالى افمن يعلم لانكار ان تقع شبهة بعد ما ضرب من المثل في ان حال من علم انما انزل
اليك من ربك الحق فاستجاب بمعزل من حال الجاهل الذي لم يستبصر فيستجيب كبعد ما بين الزبد والماء
والخبث والابريز انما يتذكر اولوا الالباب اي الذين عملوا على قضيات عقولهم فنظروا واستبصروا
الذين يوفون بعهد الله ولا ينقضون الميثاق والذين يوفون بعهد الله مبتدأ واولئك
لهم عقبى الدار خبره كقوله والذين ينقضون عهد الله اولئك لهم اللعنة ويجوز ان يكون صفة
لاولي الالباب والاول اوجه وعهد الله ما عقدوه على انفسهم من الشهادة بربوبيته واشهدهم
على انفسهم الست بربكم قالوا بلى ولا ينقضون الميثاق ولا ينقضون ما وثقوه على انفسهم وقبلوه
من الايمان بالله وغيره من المواثيق بينهم وبين الله وبين العباد تعميم بعد تخصيص والذين
يصلون ما امر الله به ان يوصل ويخشون ربهم ويخافون سوء الحساب ما امر الله به ان
يوصل من الارحام والقرابات ويدخل فيه وصل قرابة رسول الله عليه السلام وقرابة المؤمنين
الثابتة بسبب الايمان انما المؤمنون اخوة بالاحسان اليهم على حسب الطاقة ونصرتهم والذب
عنهم والشفقة عليهم والنصيحة لهم وطرح التفرقة بين انفسهم وبينهم وافشاء السلام عليهم
وعيادة مرضاهم وشهود جنائزهم ومنه مراعاة حق الاصحاب والخدم والجيران والرفقاء
في السفر وكل ما تعلق منهم بسبب حتى الهرة والدجاجة وعن الفضيل بن عياض ان جماعة دخلوا
عليه بمكة فقال من اين انتم قالوا من اهل خراسان قال اتقوا الله وكونوا من حيث شئتم واعلموا ان
العبد لو احسن الاحسان كله وكانت له دجاجة فاساء اليها لم يكن من المحسنين ويخشون ربهم
اي يخشون وعيده كله ويخافون خصوصا سوء الحساب فيحاسبون انفسهم قبل ان يحاسبوا والذين
صبروا ابتغاء وجه ربهم واقاموا الصلوة وانفقوا مما رزقناهم سرا وعلانية ويدرؤن
بالحسنة السيئة اولئك لهم عقبى الدار صبروا مطلق فيما يصبر عليه من المصائب في النفوس
والاموال ومشاق التكليف ابتغاء وجه الله لا ليقال ما اصبره واحمله للنوازل واوقره عند
الزلازل ولا لئلا يعاب بالجزع ولئلا يشمت به الاعداء كقوله وتجلدي للشامتين ولا لانه لا
طائل تحت الهلع ولا مرد فيه للفائت كقوله ما ان جزعت ولا هلعت ولا يرد بكاي زندا وكل عمل
له وجوه يعمل عليها فعلى المؤمن ان ينوي منها ما به كان حسنا عند الله والا لم يستحق به ثوابا وكان

فعلا كلا فعل ومما رزقناهم من الحلال لان الحرام لا يكون رزقا ولا يسند الى الله سرا وعلانية
يتناول النوافل لانها في السر افضل والفرائض لوجوب المجاهرة بها نفيا للتهمة ويدرؤن بالحسنة
السيئة ويدفعونها عن ابن عباس رضي الله عنهما يدفعون بالحسن من الكلام ما يرد عليهم من سيئ
غيرهم وعن الحسن رحمة الله عليه اذا حرموا اعطوا واذا ظلموا عفوا واذا قطعوا وصلوا وعن ابن
كيسان اذا اذنبوا تابوا وقيل اذا راوا منكرا امروا بتغييره عقبى الدار عاقبة الدنيا وهي
الجنة لانها التي اراد الله ان تكون عاقبة الدنيا ومرجع اهلها جنات عدن يدخلونها ومن
صلح من آبائهم وازواجهم وذرياتهم والملائكة يدخلون عليهم من كل باب وجنات
عدن بدل من عقبى الدار وقرئ فنعم بفتح النون والاصل نعم فمن كسر النون فلنقل كسرة العين
اليها ومن فتح فقد سكن العين ولم ينقل وقرئ يدخلونها على البناء للمفعول وقرا ابن ابي
عبلة صلح بضم اللام والفتح افصح اعلم ان الانساب لا تنفع اذا تجردت من الاعمال الصالحة وآباؤهم
جمع ابوي كل واحد منهم فكانه قيل من آبائهم وامهاتهم سلام عليكم بما صبرتم فنعم عقبى الدار
سلام عليكم في موضع الحال لان المعنى قائلين سلام عليكم او مسلمين فان قلت بم تعلق قوله
بما صبرتم محذوف تقديره هذا بما صبرتم يعنون هذا الثواب بسبب صبركم او بدل
ما احتملتم من مشاق الصبر ومتاعبه هذه الملاذ والنعم والمعنى لئن تعبتم في الدنيا لقد استرحتم
الساعة كقوله بما قد ارى فيها اوانس بدنا وعن النبي صلى الله عليه وسلم انه كان ياتي قبور
الشهداء على راس كل حول فيقول السلام عليكم بما صبرتم فنعم عقبى الدار ويجوز ان يتعلق
بسلام اي نسلم عليكم ونكرمكم بصبركم والذين ينقضون عهد الله من بعد ميثاقه ويقطعون
ما امر الله به ان يوصل ويفسدون في الارض اولئك لهم اللعنة ولهم سوء الدار
من بعد ميثاقه من بعد ما اوثقوه به من الاعتراف والقبول سوء الدار يحتمل ان يراد سوء عاقبة
الدنيا لانه في مقابلة عقبى الدار ويجوز ان يراد بالدار جهنم وبسوءها عذابها الله يبسط
الرزق لمن يشاء ويقدر وفرحوا بالحيوة الدنيا وما الحيوة الدنيا في الآخرة الا متاع
الله يبسط الرزق اي الله وحده هو يبسط الرزق ويقدره دون غيره وهو الذي بسط رزق
اهل مكة ووسعه عليهم وفرحوا بما بسط لهم من الدنيا فرح بطر واشر لا فرح سرور بفضل الله
وانعامه عليهم ولم يقابلوه بالشكر حتى يستوجبوا نعيم الآخرة وخفي عليهم ان نعيم الدنيا في جنب نعيم
الآخرة ليس الا شيئا نزرا يتمتع به كعجالة الراكب وهو ما يتعجله من تميرات او شربة سويق او
نحو ذلك ويقول الذين كفروا لولا انزل عليه آية من ربه قل ان الله يضل من يشاء ويهدي
اليه من اناب فان قلت كيف طابق قولهم لولا انزل عليه آية من ربه قوله قل ان الله
يضل من يشاء هو كلام يجري مجرى التعجب من قولهم وذلك ان الآيات الباهرة المتكاثرة
التي اوتيها رسول الله صلى الله عليه وسلم لم يوتها نبي قبله وكفى بالقرآن وحده آية وراء كل
آية فاذا جحدوها ولم يعتدوا بها وجعلوه كان آية لم تنزل عليه قط كان موضعا للتعجب
والاستنكار فكانه قيل لهم ما اعظم عنادكم وما اشد تصميمكم على كفركم ان الله يضل من يشاء ممن
كان على صفتكم من التصميم وشدة الشكيمة في الكفر فلا سبيل الى اهتدائكم وان انزلت كل آية
ويهدي اليه من كان على خلاف صفتكم اناب اقبل الى الحق وحقيقته دخل في نوبة الخير الذين

امنوا وتطمئن قلوبهم بذكر الله الا بذكر الله تطمئن القلوب ● الذين امنوا بدل ممن اناب
وتطمئن قلوبهم بذكر الله بذكر رحمته ومغفرته بعد القلق والاضطراب من خشيته كقوله
تعالى ثم تلين جلودهم وقلوبهم الى ذكر الله او تطمئن بذكر دلائله الدالة على وحدانيته او تطمئن
بالقرآن لانه معجزة بينة تسكن القلوب وتثبت اليقين فيها الذين امنوا وعملوا الصالحات
طوبى لهم وحسن مآب ● الذين امنوا مبتداء وطوبى لهم خبره ● ويجوز ان يكون بدلا من
القلوب على تقدير حذف المضاف اى تطمئن القلوب قلوب الذين امنوا وطوبى مصدر من طاب
كبشرى وزلفى ومعنى طوبى لك اصبت خيرا وطيبا ومحلها النصب او الرفع كقولك طيبا لك وطيب
لك وسلاما لك وسلام لك والقراءة فى قوله تعالى وحسن مآب بالرفع والنصب تدلك على
محلها واللام فى لهم للبيان مثلها فى سقيا لك والواو فى طوبى منقلبة عن ياء لضمة ما قبلها كموقن
وموسر وقرأ مكوزة الاعرابى طيبى لهم فكسر الطاء لتسلم الياء كما قيل بيض ومعيشة كذلك
ارسلناك فى امة قد خلت من قبلها امم لتتلو عليهم الذى اوحينا اليك وهم يكفرون
بالرحمن قل هو ربى لا اله الا هو عليه توكلت واليه متاب ● كذلك ارسلناك مثل ذلك
الارسال ارسلناك يعنى ارسلناك ارسالا له شان وفضل على سائر الارسالات ثم فسر كيف ارسله
فقال فى امة قد خلت من قبلها امم اى ارسلناك فى امة قد تقدمتها امم كثيرة فهى آخر الامم
وانت خاتم الانبياء لتتلو عليهم الذى اوحينا اليك لتقرأ عليهم الكتاب العظيم الذى اوحينا اليك
وهم يكفرون وحال هؤلاء انهم يكفرون بالرحمن بالبليغ الرحمة الذى وسعت رحمته كل شىء
وما بهم من نعمة فمنه فكفروا بنعمته فى ارسال مثلك اليهم وانزال هذا القرآن المعجز المصدق
لسائر الكتب عليهم قل هو ربى الواحد المتعالى عن الشركاء عليه توكلت فى نصرتى عليكم واليه متاب
فيثيبنى على مصابرتكم ومجاهدتكم ولو ان قرآنا سيرت به الجبال او قطعت به الارض او كلم
به الموتى بل لله الامر جميعا افلم ييأس الذين امنوا ان لو يشاء الله لهدى الناس جميعا
ولا يزال الذين كفروا تصيبهم بما صنعوا قارعة او تحل قريبا من دارهم حتى يأتى وعد
الله ان الله لا يخلف الميعاد ● ولو ان قرآنا جوابه محذوف كما تقول لغلامك لو انى قمت اليك
وتترك الجواب والمعنى ولو ان قرآنا سيرت به الجبال عن مقارها وزعزعت عن مضاجعها او
قطعت به الارض حتى تتصدع وتتزايل قطعا او كلم به الموتى فتسمع وتجيب لكان هذا القرآن لكونه
غاية فى التذكير ونهاية فى الانذار والتخويف كما قال تعالى لو انزلنا هذا القرآن على جبل لرأيته
خاشعا متصدعا من خشية الله وهذا يعضد ما فسرت به قوله لتتلو عليهم الذى اوحينا اليك من
ارادة تعظيم ما اوحى الى رسول الله عليه السلام من القرآن ● وقيل معناه ولو ان قرآنا وقع به تسيير
الجبال وتقطيع الارض وتكليم الموتى وتنبيههم لما امنوا به ولما تنبهوا عليه كقوله تعالى ولو
اننا نزلنا اليهم الملائكة الآية ● وقيل ان ابا جهل بن هشام قال لرسول الله عليه السلام سيّر
بقرآنك الجبال عن مكة حتى تتسع لنا فنتخذ فيها البساتين والقطائع كما سخرت لداود ان كنت
نبيا كما تزعم فلست باهون على الله من داود وسخر لنا به الريح لنركبها ونتجر الى الشام ثم نرجع
فى يومنا فقد شق علينا قطع المسافة البعيدة كما سخرت لسليمان ● او ابعث رجلين او ثلاثة ممن
مات من آبائنا منهم قصى بن كلاب فنزلت ومعنى تقطيع الارض على هذا قطعها بالسير ومجاوزتها

وعن الفراء هو متعلق بما قبله وهم يكفرون بالرحمن ولو ان قرآنا سيرت به الجبال وما بينهما اعتراض
وليس ببعيد من السداد ● وقيل قطعت به الارض شققت فجعلت انهارا وعيونا بل لله الامر جميعا
على معنيين احدهما بل لله القدرة على كل شىء وهو قادر على الآيات التى اقترحوها الا ان علمه بان
اظهارها مفسدة يصرفه ● والثانى بل لله ان يلجئهم الى الايمان وهو قادر على الالجاء لولا انه بنى امر
التكليف على الاختيار ويعضده قوله تعالى افلم ييأس الذين امنوا ان لو يشاء الله يعنى مشيئة الالجاء
والقسر لهدى الناس جميعا ومعنى افلم ييأس افلم يعلم قيل هى لغة قوم من النخع ● وقيل انما استعمل
اليأس بمعنى العلم لتضمنه معناه لان اليائس عن الشىء عالم بانه لا يكون كما استعمل الرجاء فى معنى
الخوف والنسيان فى معنى الترك لتضمن ذلك قال سحيم بن وثيل الرياحى
اقول لهم بالشعب اذ ييسروننى ● الم تيأسوا انى ابن فارس زهدم ● ويدل عليه
ان عليا وابن عباس وجماعة من الصحابة والتابعين رضوان الله عليهم اجمعين قرأوا افلم يتبين
وهو تفسير افلم ييأس ● وقيل انما كتبه الكاتب وهو ناعس مستوى السينات وهذا ونحوه مما لا يصدق
فى كتاب الله الذى لا يأتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه وكيف يخفى مثل هذا حتى يبقى ثابتا بين
دفتى الامام وكان متقلبا فى ايدى اولئك الاعلام المحتاطين فى دين الله المهيمنين عليه لا يغفلون
عن جلائله ودقائقه خصوصا عن القانون الذى اليه المرجع والقاعدة التى عليها البناء هذه
والله فرية ما فيها مرية ● ويجوز ان يتعلق ان لو يشاء الله بامنوا على اولم يقنط عن ايمان هؤلاء الكفرة
الذين امنوا بان لو يشاء الله لهدى الناس جميعا ولهداهم ولا يزال الذين كفروا تصيبهم بما صنعوا من كفرهم وسوء
اعمالهم قارعة داهية تقرعهم بما يحل الله بهم فى كل وقت من صنوف البلايا والمصائب فى
نفوسهم واولادهم واموالهم او تحل القارعة قريبا منهم فيفزعون ويضطربون ويتطاير اليهم
شرارها ويتعدى اليهم شرورها حتى يأتى وعد الله وهو موتهم او القيامة ● وقيل ولا يزال كفار
مكة تصيبهم بما صنعوا برسول الله من العداوة والتكذيب قارعة لان رسول الله عليه السلام
كان لا يزال يبعث السرايا فتغير حول مكة وتختطف منهم وتصيب من مواشيهم او تحل انت يا
محمد قريبا من دارهم بجيشك كما حل بالحديبية حتى يأتى وعد الله وهو فتح مكة وكان الله قد
وعده ذلك ولقد استهزئ برسل من قبلك فامليت للذين كفروا ثم اخذتهم فكيف كان
عقاب ● الاملاء الامهال وان يترك ملاوة من الزمان فى خفض وامن كالبهيمة يملى لها فى المرعى
وهذا وعيد لهم وجواب عن اقتراحهم الآيات على رسول الله صلى الله عليه وسلم استهزاء وتسلية له
افمن هو قائم على كل نفس بما كسبت وجعلوا لله شركاء قل سموهم ام تنبئونه بما لا يعلم فى الارض
ام بظاهر من القول بل زين للذين كفروا مكرهم وصدوا عن السبيل ومن يضلل الله فما
له من هاد ● افمن هو قائم احتجاج عليهم فى اشراكهم بالله يعنى افالله الذى هو قائم رقيب على
كل نفس صالحة وطالحة بما كسبت يعلم خيره وشره ويعد لكل جزاءه كمن ليس كذلك ● ويجوز ان
يقدر ما يقع خبرا للمبتداء ويعطف عليه وجعلوا وتمثيله افمن هو بهذه الصفة لم يوحدوه ولم
يمجدوه وجعلوا له وهو الله الذى يستحق العبادة وحده شركاء قل سموهم اى جعلتموهم له شركاء
فسموهم له من هم ونبئوه باسمائهم ثم قال ام تنبئونه على ام المنقطعة كقولك للرجل قل لى
من زيد ام هو اقل من ان يعرف ومعناه بل اتنبئونه بشركاء لا يعلمهم فى الارض وهو العالم بما

في السموات والارض فاذا لم يعلمهم علم انهم ليسوا بشيء يتعلق به العلم والمراد نفي ان يكون له شركاء
ونحوه قل اتنبئون الله بما لا يعلم في السموات ولا في الارض ام بظاهر من القول بل ان تسموهم
شركاء بظاهر من القول من غير ان يكون لذلك حقيقة كقوله تعالى ذلك قولهم بافواههم
ما تعبدون من دونه الا اسماء سميتموها وهذا الاحتجاج واساليبه العجيبة التي ورد عليها مناديا
على نفسه بلسان طلق ذلق انه ليس من كلام البشر لمن عرفه وانصف من نفسه فتبارك الله احسن
الخالقين وقرئ اتنبئونه بالتخفيف مكرهم كيدهم للاسلام بشركهم وصدوا قرئ بالحركات
الثلاث وقرا ابن ابي اسحق وصد بالتنوين ومن يضلل الله ومن يخذله لعلمه انه لا يهتدي
فما له من هاد فما له من احد يقدر على هدايته لهم عذاب في الحيوة الدنيا ولعذاب الاخرة
اشق وما لهم من الله من واق لهم عذاب في الحيوة الدنيا وهو ما ينالهم من القتل والاسر وسائر
المحن ولا يلحقهم الا عقوبة لهم على الكفر ولذلك سماه عذابا وما لهم من الله من واق وما لهم من
الله من حافظ من عذابه وما لهم من جهته واق من رحمته مثل الجنة التي وعد المتقون تجري من
تحتها الانهار اكلها دائم وظلها تلك عقبى الذين اتقوا وعقبى الكافرين النار مثل الجنة
صفتها التي هي في غرابة المثل وارتفاعه بالابتداء والخبر محذوف على مذهب سيبويه اي فيما
قصصنا عليك مثل الجنة وقال غيره الخبر تجري من تحتها الانهار كما تقول صفة زيد اسمر وقال
الزجاج معناه مثل الجنة جنة تجري من تحتها الانهار على حذف الموصوف تمثيلا لما غاب عنا بما
نشاهد وقرا علي رضي الله عنه امثال الجنة على الجمع اي صفاتها اكلها دائم كقوله تعالى لا مقطوعة
ولا ممنوعة وظلها دائم لا ينسخ كما ينسخ في الدنيا بالشمس والذين اتيناهم الكتاب يفرحون
بما انزل اليك ومن الاحزاب من ينكر بعضه قل انما امرت ان اعبد الله ولا اشرك به اليه
ادعو واليه مآب والذين اتيناهم الكتاب يريد من اسلم من اليهود كعبد الله بن سلام وكعب
واصحابهما ومن اسلم من النصارى وهم ثمانون رجلا اربعون بنجران واثنان وثلثون بارض
الحبشة هؤلاء يفرحون بما انزل اليك ومن الاحزاب يعني ومن احزابهم وهم كفرتهم الذين تحزبوا
على رسول الله عليه السلام بالعداوة نحو كعب بن الاشرف واصحابه والسيد والعاقب اسقفي
نجران واشياعهما من ينكر بعضه لانهم كانوا لا ينكرون الاقاصيص وبعض الاحكام والمعاني مما
هو ثابت في كتبهم غير محرف وكانوا ينكرون ما هو نعت الاسلام ونعت رسول الله عليه السلام
وغير ذلك مما حرفوه وبدلوه من الشرائع فان قلت كيف اتصل قوله تعالى قل انما امرت
ان اعبد الله بما قبله قلت هو جواب للمنكرين معناه قل انما امرت فيما انزل الي بان اعبد
الله ولا اشرك به فانكاركم له انكار لعبادة الله وتوحيده فانظروا ماذا تنكرون مع ادعائكم
وجوب عبادة الله وان لا يشرك به قل يا اهل الكتاب تعالوا الى كلمة سواء بيننا وبينكم
الا نعبد الا الله ولا نشرك به شيئا وقرا نافع في رواية ابي خليد ولا اشرك به بالرفع على
الاستيناف كانه قال وانا لا اشرك به ويجوز ان يكون في موضع الحال على معنى امرت ان
اعبد الله غير مشرك به اليه ادعو خصوصا لا ادعو الى غيره واليه لا الى غيره مرجعي وانتم
تقولون مثل ذلك فلا معنى لانكاركم وكذلك انزلناه حكما عربيا ولئن اتبعت اهواءهم بعدما
جاءك من العلم ما لك من الله من ولي ولا واق وكذلك انزلناه ومثل ذلك الانزال انزلناه

مأمورا فيه بعبادة الله وتوحيده والدعوة اليه والى دينه والانذار بدار الجزاء حكما عربيا حكمة عربية
مترجمة بلسان العرب وانتصابه على الحال كانوا يدعون رسول الله عليه السلام الى امور يوافقهم
عليها منها ان يصلي الى قبلتهم بعد ما حوله الله عنها فقيل لئن تابعتهم على دين ما هو الا اهواء وشبه
بعد ثبوت العلم عندك بالبراهين والحجج القاطعة خذلك الله فلا ينصرك ناصر واهلكك فلا
يقيك منه واق وهذا من باب الالهاب والتهييج والبعث للسامعين على الثبات في الدين والتصلب
فيه وان لا يزل زال عند الشبهة بعد استمساكه بالحجة والا فكان رسول الله عليه السلام من شدة
الشكيمة بمكان ولقد ارسلنا رسلا من قبلك وجعلنا لهم ازواجا وذرية وما كان لرسول ان
ياتي باية الا باذن الله لكل اجل كتاب كانوا يعيبونه بالزواج والولاد كما كانوا يقولون ما
لهذا الرسول ياكل الطعام وكانوا يقترحون عليه الايات وينكرون النسخ فقيل كان الرسل قبله
بشرا مثله ذوي ازواج وذرية وما كان لهم ان ياتوا بايات برايهم ولا ياتون بما يقترح عليهم
والشرائع مصالح تختلف باختلاف الاحوال والاوقات فلكل وقت حكم يكتب على العباد اي يفرض
عليهم على ما يقتضيه استصلاحهم يمحو الله ما يشاء ويثبت وعنده ام الكتاب يمحو الله ما
يشاء ينسخ ما يستصوب نسخه ويثبت بدله ما يرى المصلحة في اثباته او يتركه غير منسوخ وقيل
يمحو من ديوان الحفظة ما ليس بحسنة ولا سيئة لانهم مامورون بكتبة كل قول وفعل ويثبت
غيره وقيل يمحو كفر التائبين ومعاصيهم بالتوبة ويثبت ايمانهم وطاعاتهم وقيل يمحو بعض الخلائق
ويثبت بعضا من الاناسي وسائر الحيوان والنبات والاشجار وصفاتها واحوالها والكلام
في نحو هذا واسع المجال وعنده ام الكتاب اصل كل كتاب وهو اللوح المحفوظ لان كل كائن مكتوب
فيه وقرئ ويثبت واما نرينك بعض الذي نعدهم او نتوفينك فانما عليك البلاغ
وعلينا الحساب واما نرينك وكيفما دارت الحال اريناك مصارعهم وما وعدناهم من انزال
العذاب عليهم او توفيناك قبل ذلك فما يجب عليك الا تبليغ الرسالة فحسب وعلينا لا عليك حسابهم
وجزاؤهم على اعمالهم فلا يهمنك اعراضهم ولا تستعجل بعذابهم اولم يروا انا ناتي الارض
ننقصها من اطرافها والله يحكم لا معقب لحكمه وهو سريع الحساب اولم يروا انا ناتي
الارض ارض الكفرة ننقصها من اطرافها بما نفتح على المسلمين من بلادهم فننقص دار الحرب ونزيد في
دار الاسلام وذلك من ايات النصرة والغلبة ونحوه افلا يرون انا ناتي الارض ننقصها من اطرافها فيها
افهم الغالبون سنريهم اياتنا في الافاق والمعنى عليك البلاغ الذي حملته ولا تهتم بما وراءه
فنحن نكفيكه ونتم ما وعدناك من الظفر ولا يضجرك تاخره فان ذلك لما نعلم من المصالح التي لا
تعلمها ثم طيب نفسه ونفس عنها بما ذكر من طلوع تباشير الظفر وقرئ ننقصها بالتشديد
لا معقب لحكمه لا راد لحكمه والمعقب الذي يكر على الشيء فيبطله وحقيقته الذي يعقبه اي يقفيه بالرد
والابطال ومنه قيل لصاحب الحق معقب لانه يقفي غريمه بالاقتضاء والطلب قال لبيد
بالغلبة م طلب المعقب حقه المظلوم والمعنى انه حكم للاسلام بالاقبال وعلى الكفر بالادبار والانتكاس وهو
سريع الحساب فعما قليل يحاسبهم في الاخرة بعد عذاب الدنيا فان قلت ما محل قوله تعالى لا
معقب لحكمه قلت هو جملة محلها النصب على الحال كانه قيل والله يحكم نافذا حكمه كما تقول
جاءني زيد لا عمامة على راسه ولا قلنسوة تريد حاسرا وقد مكر الذين من قبلهم فلله المكر جميعا

يعلم ما تكسب كل نفس وسيعلم الكافر لمن عقبى الدار وقد مكر الذين من قبلهم وصفهم بالمكر ثم
جعل مكرهم كلا مكر بالاضافة الى مكره فقال فلله المكر جميعا ثم فسر ذلك بقوله يعلم ما تكسب
كل نفس وسيعلم الكافر لمن عقبى الدار لان من علم ما تكسب كل نفس واعد لها جزاءها فهو المكر كله لانه
ياتيهم من حيث لا يعلمون وهم في غفلة مما يراد بهم وقرئ الكفار والكافرون والذين كفروا
والكفر اي اهله والمراد بالكافر الجنس وقرا جناح بن حبيش وسيعلم الكافر من اعلمه اي سيخبر ويقول
الذين كفروا لست مرسلا قل كفى بالله شهيدا بيني وبينكم ومن عنده علم الكتاب
كفى بالله شهيدا لما اظهر من الادلة على رسالتي ومن عنده علم الكتاب والذي عنده علم القرآن
وما الف عليه من النظم المعجز الفائت لقوى البشر وقيل ومن هو من علماء اهل الكتاب الذين اسلموا
لانهم يشهدون بنعته في كتبهم وقيل هو الله عز وعلا والكتاب اللوح المحفوظ وعن الحسن رحمة
الله عليه لا والله ما يعني الا الله والمعنى كفى بالذي يستحق العبادة وبالذي لا يعلم علم ما في اللوح
الا هو شهيدا بيني وبينكم وتعضده قراءة من قرا ومن عنده علم الكتاب على من الجارة اي ومن لدنه
علم الكتاب لان علم من علمه من فضله ولطفه وقرئ ومن عنده علم الكتاب على من الجارة
وعلم على البناء للمفعول وقرئ ومن عنده علم الكتاب فان قلت بم ارتفع علم الكتاب
في القراءة التي وقع فيها عنده صلة يرتفع العلم بالمقدر في الظرف فيكون فاعلا لان
الظرف اذا وقع صلة اوغل في شبه الفعل لاعتماده على الموصول فعمل عمل الفعل كقولك مررت بالذي
في الدار اخوه فاخوه فاعل كما تقول بالذي استقر في الدار اخوه وفي القراءة التي يقع فيها عنده صلة
يرتفع العلم بالابتداء عن النبي عليه السلام من قرا سورة الرعد اعطي من الاجر عشر حسنات بوزن
كل سحاب مضى وكل سحاب يكون الى يوم القيمة وبعث يوم القيمة من الموفين بعهد الله

بسم الله الرحمن الرحيم الر كتاب انزلناه اليك لتخرج الناس من الظلمات الى النور باذن ربهم
الى صراط العزيز الحميد كتاب هو كتاب يعني السورة وقرئ ليخرج الناس والظلمات والنور
استعارتان للضلال والهدى باذن ربهم بتسهيله وتيسيره مستعار من الاذن الذي هو تسهيل
الحجاب وذلك ما يمنحهم من اللطف والتوفيق الى صراط العزيز الحميد بدل من قوله الى النور بتكرير
العامل كقوله تعالى للذين استضعفوا لمن آمن منهم ويجوز ان يكون على وجه الاستيناف
كانه قيل الى اي نور فقيل الى صراط العزيز الحميد الله الذي له ما في السموات وما في الارض
وويل للكافرين من عذاب شديد وقوله الله عطف بيان للعزيز الحميد لانه جرى مجرى
الاسماء الاعلام لغلبته واختصاصه بالمعبود الذي تحق له العبادة كما غلب النجم في الثريا وقرئ
بالرفع على هو الله الويل نقيض الوأل وهو النجاة اسم معنى كالهلاك الا انه لا يشتق منه فعل
انما يقال ويلا له فينصب نصب المصادر ثم يرفع رفعها لافادة معنى الثبات فيقال ويل له
كقولك سلام عليك ولما ذكر الخارجين من ظلمات الكفر الى نور الايمان توعد الكافرين بالويل
فان قلت ما وجه اتصال قوله تعالى من عذاب شديد بالويل قلت لان المعنى انهم
يولولون من عذاب شديد ويضجون منه ويقولون يا ويلاه كقوله تعالى دعوا هنالك ثبورا

الذين يستحبون الحيوة الدنيا على الاخرة ويصدون عن سبيل الله ويبغونها عوجا
اولئك في ضلال بعيد الذين يستحبون مبتدأ خبره اولئك في ضلال بعيد ويجوز ان
يكون مجرورا صفة للكافرين ومنصوبا على الذم او مرفوعا على اعني الذين يستحبون او هم
الذين يستحبون والاستحباب الايثار والاختيار وهو استفعال من المحبة لان المؤثر للشيء على
غيره كانه يطلب من نفسه ان يكون احب اليها وافضل عندها من الآخر وقرا الحسن رحمة
الله عليه ويصدون من اصده وكسر الصاد ويقال صده عن كذا قال
اناس اصدوا الناس بالسيف عنهم والهمزة فيه داخلة على صد صدودا لتنقله من غير التعدي
الى التعدي واما صده فموضوع على التعدية كمنعه وليست بفصيحة كاوقفه لان الفصحاء استعملوا
صده ووقفه عن تكلف التعدية بالهمزة ويبغونها عوجا ويطلبون لسبيل الله زيغا واعو جاجا
وان يدلوا الناس على انها سبيل ناكبة عن الحق غير مستوية والاصل ويبغون لها فحذف الجار
واوصل الفعل في ضلال بعيد اي ضلوا عن طريق الحق ووقفوا دونه بمراحل فان قلت
فما معنى وصف الضلال بالبعد هو من الاسناد المجازي والبعد في الحقيقة للضال لانه
هو الذي يتباعد عن الطريق فوصف به فعله كما تقول جد جده ويجوز ان يراد في ضلال ذي
بعد او فيه بعد لان الضال قد يضل عن الطريق مكانا قريبا وبعيدا وما ارسلنا من رسول
الا بلسان قومه ليبين لهم فيضل الله من يشاء ويهدي من يشاء وهو العزيز الحكيم
الا بلسان قومه ليبين لهم اي ليفقهوا عنه ما يدعوهم اليه فلا يكون لهم حجة على الله ولا يقولوا
لم نفهم ما خوطبنا به كما قال تعالى ولو جعلناه قرآنا اعجميا لقالوا لولا فصلت آياته فان قلت
لم يبعث رسول الله عليه السلام الى العرب وحدهم وانما بعث الى الناس جميعا قل يا ايها الناس اني
رسول الله اليكم جميعا بل الى الثقلين وهم على السنة مختلفة فان لم تكن للعرب حجة فلغيرهم
الحجة فان لم تكن لغيرهم حجة فلو نزل بالعجمية لم تكن للعرب حجة ايضا قلت لا يخلو اما ان
ينزل بجميع الالسنة او بواحد منها فلا حاجة الى نزوله بجميع الالسنة لان الترجمة تنوب عن
ذلك وتكفي عن التطويل فبقي ان ينزل بلسان واحد فكان اولى الالسنة لسان قوم الرسول لانهم
اقرب اليه فاذا فهموا عنه وتبينوه وتنوقل عنهم وانتشر قامت التراجم ببيانه وتفهيمه كما
ترى الحال وتشاهدها من نيابة التراجم في كل امة من امم العجم مع ما في ذلك من اتفاق اهل
البلاد المتباعدة والاقطار المتنازحة والامم المختلفة والاجيال المتفاوتة على كتاب واحد
واجتهادهم في تعلم لفظه وتعلم معانيه وما يتشعب من ذلك من جلائل الفوائد وما يتكاثر
في اتعاب النفوس وكد القرائح فيه من القرب والطاعات المفضية الى جزيل الثواب ولانه
ابعد من التحريف والتبديل واسلم من التنازع والاختلاف ولانه لو نزل بالسنة الثقلين
كلها مع اختلافها وكثرتها وكان مستقلا بصفة الاعجاز في كل واحد منها وكلم الرسول العربي
كل امة بلسانها كما كلم امته التي هو منها يتلوه عليهم معجزا لكان ذلك امرا قريبا من الالجاء
ومعنى بلسان قومه بلغة قومه وقرئ بلسن قومه واللسن واللسان كالريش والرياش
بمعنى اللغة وقرئ بلسن بضم اللام والسين مضمومة او ساكنة وهو جمع لسان كعماد
وعمد على التخفيف وقيل الضمير في قومه لمحمد صلى الله عليه وسلم ورووه عن الضحاك وان

الكتب كلها نزلت بالعربية ثم اداها كل نبي بلغة قومه وليس بصحيح لان قوله تعالى ليبين لهم
ضمير القوم وهم العرب فيؤدي الى ان الله تعالى انزل التورية من السماء بالعربية ليبين للعرب
وهذا معنى فاسد فيضل الله من يشاء ويهدي من يشاء كقوله تعالى فمنكم كافر ومنكم مؤمن
لان الله تعالى لا يضل الا من يعلم انه لن يؤمن ولا يهدي الا من يعلم انه يؤمن والمراد بالاضلال
التخلية ومنع الالطاف وبالهداية التوفيق واللطف فكان ذلك كناية عن الكفر والايمان وهو
العزيز فلا يغلب على مشيته الحكيم فلا يخذل الا اهل الخذلان ولا يلطف الا باهل اللطف ولقد
ارسلنا موسى باياتنا ان اخرج قومك من الظلمات الى النور وذكرهم بايام الله ان في ذلك
لايات لكل صبار شكور ان اخرج بمعنى اي اخرج لان الارسال فيه معنى القول كانه قيل ارسلناه
وقلنا له اخرج ويجوز ان تكون ان الناصبة للفعل وانما صلح ان توصل بفعل الامر لان الغرض
وصلها بما تكون معه في تاويل المصدر وهو الفعل والامر وغيره سواء في الفعلية والدليل على جواز
ان تكون الناصبة للفعل قولهم اوعز اليه بان افعل فادخلوا عليها حرف الجر وكذلك التقدير
بان اخرج قومك وذكرهم بايام الله وانذرهم بوقائعه التي وقعت على الامم قبلهم قوم نوح وعاد
وثمود ومنه ايام العرب لحروبها وملاحمها كيوم ذي قار ويوم الفجار ويوم قضة وغيرها وهو
الظاهر وعن ابن عباس رضي الله عنهما نعماؤه وبلاؤه فاما نعماؤه فانه ظلل عليهم الغمام وانزل
عليهم المن والسلوى وفلق لهم البحر واما بلاؤه فاهلاك القرون لكل صبار شكور يصبر على بلاء
الله ويشكر نعماءه فاذا سمع بما انزل الله من البلاء على الامم وافاض عليهم من النعم تنبه على ما يجب
عليه من الصبر والشكر واعتبر وقيل اراد لكل مؤمن لان الشكر والصبر من سجاياهم تنبيها عليهم
واذ قال موسى لقومه اذكروا نعمة الله عليكم اذ انجاكم من ال فرعون يسومونكم سوء
العذاب ويذبحون ابناءكم ويستحيون نساءكم وفي ذلكم بلاء من ربكم عظيم اذ انجاكم
ظرف للنعمة بمعنى الانعام اي انعامه عليكم ذلك الوقت فان قلت هل يجوز ان ينتصب
بعليكم قلت لا يخلو من ان يكون صلة للنعمة بمعنى الانعام او غير صلة اذا اردت بالنعمة
العطية فاذا كان صلة لم يعمل فيه واذا كان غير صلة بمعنى اذكروا نعمة الله مستقرة عليكم عمل
فيه ويتبين الفرق بين الوجهين انك اذا قلت نعمة الله عليكم فان جعلته صلة لم يكن كلاما حتى
تقول فائضة او نحوها والا كان كلاما ويجوز ان يكون اذ بدلا من نعمة الله اي اذكروا وقت
انجائكم وهو من بدل الاشتمال فان قلت في سورة البقرة يذبحون وفي الاعراف يقتلون
وههنا ويذبحون مع الواو فما الفرق قلت الفرق ان التذبيح حيث طرح الواو جعل
تفسيرا للعذاب وبيانا له وحيث اثبت جعل التذبيح لانه اوفى على جنس العذاب وزاد عليه زيادة
ظاهرة كانه جنس اخر فان قلت كيف كان فعل ال فرعون بلاء من ربهم قلت تمكينهم
وامهالهم حتى فعلوا ما فعلوا ابتلاء من الله ووجه اخر وهو ان ذلك اشارة الى الانجاء وهو
بلاء عظيم والبلاء يكون ابتلاء بالنعمة والمحنة جميعا قال تعالى ونبلوكم بالشر والخير فتنة
وقال زهير فابلاهما خير البلاء الذي يبلو واذ تاذن ربكم لئن شكرتم لازيدنكم ولئن
كفرتم ان عذابي لشديد واذ تاذن ربكم من جملة ما قال موسى لقومه وانتصابه للعطف
على قوله تعالى نعمة الله عليكم كانه قيل واذ قال موسى لقومه اذكروا نعمة الله عليكم واذكروا

حين

حين تاذن ربكم ومعنى تاذن ربكم اذن ربكم ونظير تاذن واذن توعد واوعد تفضل وافضل
ولا بد في تفعل من زيادة معنى ليس في افعل كانه قيل واذ اذن ربكم ايذانا بليغا تنتفي عنده الشكوك
وتنزاح الشبه والمعنى واذ تاذن ربكم فقال لئن شكرتم او اجرى تاذن مجرى قال لانه ضرب
من القول وفي قراءة ابن مسعود واذ قال ربكم لئن شكرتم اي لئن شكرتم يا بني اسرائيل ما خولتكم
من نعمة الانجاء وغيرها من النعم بالايمان الخالص والعمل الصالح لازيدنكم نعمة الى نعمة ولاضاعفن
لكم ما اتيتكم ولئن كفرتم وغمطتم ما انعمت به عليكم ان عذابي لشديد لمن كفر نعمتي وقال موسى ان
تكفروا انتم ومن في الارض جميعا فان الله لغني حميد وقال موسى ان تكفروا انتم يا بني اسرائيل
والناس كلهم فانما ضررتم انفسكم وحرمتموها الخير الذي لا بد لكم منه وانتم اليه محاويج والله غني
عن شكركم حميد مستوجب للحمد بكثرة انعمه واياديه وان لم يحمده الحامدون الم ياتكم نبؤا الذين
من قبلكم قوم نوح وعاد وثمود والذين من بعدهم لا يعلمهم الا الله جاءتهم رسلهم بالبينات
فردوا ايديهم في افواههم وقالوا انا كفرنا بما ارسلتم به وانا لفي شك مما تدعوننا اليه
مريب والذين من بعدهم لا يعلمهم الا الله جملة من مبتدا وخبر وقعت اعتراضا او عطف الذين من
بعدهم على قوم نوح ولا يعلمهم الا الله اعتراض والمعنى انهم من الكثرة بحيث لا يعلم عددهم الا الله وعن
ابن عباس رضي الله عنهما بين عدنان واسمعيل ثلاثون ابا لا يعرفون وكان ابن مسعود اذا قرا هذه
الاية قال كذب النسابون يعني انهم يدعون علم الانساب وقد نفى الله علمها عن العباد فردوا ايديهم
في افواههم فعضوها غيظا وضجرا مما جاءت به الرسل كقوله تعالى عضوا عليكم الانامل من الغيظ
او ضحكا واستهزاء كمن غلبه الضحك فوضع يده على فيه او اشاروا بايديهم الى السنتهم وما نطقت به من
قولهم انا كفرنا بما ارسلتم به اي هذا جوابنا لكم ليس عندنا غيره اقناطا لهم من التصديق الا ترى الى قوله
فردوا ايديهم في افواههم وقالوا انا كفرنا بما ارسلتم به وهذا قول قوي او وضعوها على افواههم
يقولون للانبياء اطبقوا افواهكم واسكتوا او ردوها في افواه الانبياء يشيرون لهم الى السكوت
او وضعوها على افواههم يسكتونهم ولا يذرونهم يتكلمون وقيل الايدي جمع يد وهي النعمة بمعنى
الايادي اي ردوا نعم الانبياء التي هي اجل النعم من مواعظهم ونصائحهم وما اوحي اليهم من الشرائع
في افواههم لانهم اذا كذبوها ولم يقبلوها فكانهم ردوها في افواههم ورجعوها الى حيث جاءت منه على
طريق المثل مما تدعوننا اليه من الايمان بالله وقرئ تدعونا بادغام النون مريب موقع في
الريبة او ذي ريبة من ارابه واراب الرجل وهي قلق النفس وان لا تطمئن الى الامر قالت
رسلهم افي الله شك فاطر السموات والارض يدعوكم ليغفر لكم من ذنوبكم ويؤخركم الى اجل
مسمى قالوا ان انتم الا بشر مثلنا تريدون ان تصدونا عما كان يعبد اباؤنا فاتونا بسلطان
مبين افي الله شك ادخلت همزة الانكار على الظرف لان الكلام ليس في الشك انما هو في المشكوك
فيه وانه لا يحتمل الشك لظهور الادلة وشهادتها عليه يدعوكم ليغفر لكم من ذنوبكم اي يدعوكم الى الايمان
ليغفر لكم او يدعوكم لاجل المغفرة كقوله دعوته لينصرني ودعوته لياكل معي وقال
دعوت لما نابني مسورا فلبى فلبى يدي مسور فان قلت ما معنى
التبعيض في قوله من ذنوبكم قلت ما علمته جاء هكذا الا في خطاب الكافرين كقوله تعالى واتقوه
يغفر لكم من ذنوبكم يا قومنا اجيبوا داعي الله وامنوا به يغفر لكم من ذنوبكم وقال في خطاب المؤمنين

هلا دلكم على تجارة تنجيكم من عذاب اليم الى ان قال يغفر لكم ذنوبكم وغير ذلك مما يقفك عليه الاستقراء
وكان ذلك للتفرقة بين الخطابين ولئلا يسوى بين الفريقين في الميعاد وقيل اريد انه يغفر لهم
ما بينهم وبين الله بخلاف ما بينهم وبين العباد من المظالم ونحوها ويؤخركم الى اجل مسمى الى وقت
قد سماه وبين مقداره يبلغكموه ان آمنتم والا عاجلكم بالهلاك قبل ذلك الوقت ان انتم الا
بشر مثلنا لا فضل بيننا وبينكم ولا فضل لكم علينا فلم تخصون بالنبوة دوننا ولو ارسل الله الى
البشر رسلا لجعلهم من جنس افضل منهم وهم الملائكة بسلطان مبين بحجة بينة وقد جاءتهم رسلهم
بالبينات والحجج وانما ارادوا بالسلطان المبين آية قد اقترحوها تعنتا ولجاجا قالت لهم رسلهم ان نحن
الا بشر مثلكم ولكن الله يمن على من يشاء من عباده وما كان لنا ان نأتيكم بسلطان الا باذن الله
وعلى الله فليتوكل المؤمنون وما لنا ان لا نتوكل على الله وقد هدانا سبلنا ولنصبرن على
ما آذيتمونا وعلى الله فليتوكل المتوكلون ان نحن الا بشر مثلكم تسليم لقولهم وانهم بشر مثلهم
يعنون انهم مثلهم في البشرية وحدها فاما ما وراء ذلك فما كانوا مثلهم ولكنهم لم يذكروا فضلهم
تواضعا منهم واقتصروا على قولهم ولكن الله يمن على من يشاء من عباده بالنبوة لانه قد علم انه لا
يختصهم بتلك الكرامة الا وهم اهل لاختصاصهم بخصائص فيهم وقد استأثروا بها على ابناء جنسهم
الا باذن الله ارادوا ان الاتيان بالآية التي قد اقترحتموها ليس الينا ولا في استطاعتنا وما هو الا امر
يتعلق بمشيئة الله وعلى الله فليتوكل المؤمنون امر منهم للمؤمنين كافة بالتوكل وقصدوا به انفسهم
قصدا اوليا وامروها به كأنهم قالوا ومن حقنا ان نتوكل على الله في الصبر على معاندتكم ومعاداتكم
وما يجري علينا منكم الا ترى الى قوله وما لنا الا نتوكل على الله ومعناه واي عذر لنا في ان لا نتوكل
عليه وقد هدانا وقد فعل بنا ما يوجب توكلنا عليه وهو التوفيق لهداية كل واحد منا سبيله
الذي يجب عليه سلوكه في الدين **فان قلت** كيف كرر الامر بالتوكل **قلت** الاول لاستحداث
التوكل وقوله تعالى فليتوكل المتوكلون معناه فليثبت المتوكلون على ما استحدثوا من توكلهم
وقصدهم الى انفسهم على ما تقدم وقال الذين كفروا لرسلهم لنخرجنكم من ارضنا او لتعودن
في ملتنا فاوحى اليهم ربهم لنهلكن الظالمين لنخرجنكم او لتعودن ليكونن احد الامرين لا
محالة اما اخراجكم واما عودكم حالفين على ذلك **فان قلت** كانهم كانوا على ملتهم حتى يعودوا
فيها معاذ الله ولكن العود بمعنى الصيرورة وهو كثير في كلام العرب كثرة فاشية لا — العود بمعنى الصيرورة
تكاد تسمعهم يستعملون صار ولكن عاد ما عدت اراه عاد لا يكلمني ما عاد لفلان مال او خاطبوا
به كل رسول ومن آمن به فغلبوا في الخطاب الجماعة على الواحد لنهلكن الظالمين حكاية تقتضي
اضمار القول او اجراء القول لانه ضرب منه **وقرأ** ابو حيوة ليهلكن وليسكننكم بالياء اعتبارا — الايحاء مجرى
لاوحى وان لفظه لفظ الغيبة ونحوه قولك اقسم زيد ليخرجن ولاخرجن والمراد بالارض ارض
الظالمين وديارهم ونحوه واورثنا القوم الذين كانوا يستضعفون مشارق الارض ومغاربها
واورثكم ارضهم وديارهم **وعن** النبي صلى الله عليه وسلم من آذى جاره ورثه الله داره ولقد
عاينت في مدة قريبة كان لي خال يظلمه عظيم القرية التي انا منها ويؤذيني فيه فمات ذلك
العظيم وملكني الله ضيعته فنظرت يوما الى ابناء خالي يترددون فيها ويدخلون في دورها
ويخرجون ويأمرون وينهون فذكرت قول رسول الله عليه السلام وحدثتهم به وسجدنا

شكرا

شكرا لله ولنسكننكم الارض من بعدهم ذلك لمن خاف مقامي وخاف وعيد ذلك اشارة
الى ما قضى به من اهلاك الظالمين واسكان المؤمنين ديارهم اي ذلك الامر حق لمن خاف مقامي موقفي
وهو موقف الحساب لانه موقف الله الذي يقف فيه عباده يوم القيامة او على اقحام المقام
وقيل خاف قيامي عليه وحفظي لاعماله والمعنى ان ذلك حق للمتقين كقوله تعالى والعاقبة للمتقين
واستفتحوا وخاب كل جبار عنيد واستفتحوا واستنصروا الله على اعدائهم ان تستفتحوا فقد جاءكم
الفتح او استحكموا الله وسألوه القضاء بينهم من الفتاحة وهي الحكومة كقوله تعالى ربنا افتح بيننا
وبين قومنا بالحق وهو معطوف على اوحى اليهم ربهم **وقرئ** واستفتحوا بلفظ الامر وعطفه على
لنهلكن اي اوحى اليهم ربهم وقال لهم لنهلكن وقال لهم استفتحوا وخاب كل جبار عنيد معناه فنصروا
وظفروا وافلحوا وخاب كل جبار عنيد وهم قومهم وقيل واستفتح الكفار على الرسل ظنا منهم بانهم
على الحق والرسل على الباطل وخاب كل جبار عنيد منهم ولم يفلح باستفتاحه من ورائه جهنم ويسقى
من ماء صديد من ورائه من بين يديه **قال** عسى الكرب الذي امسيت فيه يكون وراءه فرج قريب
وهذا وصف حاله وهو في الدنيا لانه مرصد لجهنم فكانها بين يديه وهو على شفيرها او وصف
حاله في الآخرة حين يبعث ويوقف **فان قلت** علام عطف ويسقى على محذوف تقديره
من ورائه جهنم يلقى فيها ما يلقى ويسقى من ماء صديد كانه اشد عذابها فخصص بالذكر مع قوله
تعالى ويأتيه الموت من كل مكان وما هو بميت فان قلت ما وجه قوله من ماء صديد قلت صديد
عطف بيان لماء قال ويسقى من ماء فابهمه ابهاما ثم بينه بقوله تعالى صديد وهو ما يسيل من جلود
اهل النار يتجرعه ولا يكاد يسيغه ويأتيه الموت من كل مكان وما هو بميت ومن ورائه عذاب
غليظ يتجرعه يتكلف جرعه ولا يكاد يسيغه دخل كاد للمبالغة يعني ولا يقارب ان يسيغه فكيف
تكون الاساغة كقوله تعالى لم يكد يراها اي لم يقرب من رؤيتها فكيف يراها ويأتيه الموت
من كل مكان كان اسباب الموت واصنافه كلها قد تألبت عليه واحاطت به من جميع الجهات تفظيعا
لما يصيبه من الآلام وقيل من كل مكان من جسده حتى من ابهام رجله وقيل من اصل كل شعرة ومن ورائه
ومن بين يديه عذاب غليظ اي في كل وقت يستقبله يتلقى عذابا اشد مما قبله واغلظ **وعن**
الفضيل هو قطع الانفاس وحبسها في الاجساد ويحتمل ان يكون اهل مكة قد استفتحوا اي استمطروا
والفتح المطر في سني القحط التي ارسلت عليهم بدعوة رسول الله عليه السلام فلم يسقوا فذكر سبحانه
وتعالى ذلك وانه خيب رجاء كل جبار عنيد وانه يسقى في جهنم بدل سقياه ماء آخر وهو صديد
اهل النار واستفتحوا على هذا التفسير كلام مستأنف منقطع عن حديث الرسل وامتهم مثل الذين
كفروا بربهم اعمالهم كرماد اشتدت به الريح في يوم عاصف لا يقدرون مما كسبوا على شيء
ذلك هو الضلال البعيد هو مبتدأ محذوف الخبر عند سيبويه تقديره وفيما يقص عليكم مثل
الذين كفروا بربهم والمثل مستعار للصفة التي فيها غرابة وقوله تعالى اعمالهم كرماد جملة
مستأنفة على تقدير سؤال سائل يقول كيف مثلهم فقيل اعمالهم كرماد ويجوز ان يكون المعنى
مثل اعمال الذين كفروا بربهم او هذه الجملة خبر للمبتدأ اي صفة الذين كفروا اعمالهم كرماد كقولك
صفة زيد عرضه مصون وماله مبذول او يكون اعمالهم بدلا من مثل الذين كفروا على تقدير
مثل اعمالهم وكرماد الخبر **وقرئ** الرياح في يوم عاصف جعل العصف لليوم وهو لما فيه وهو الريح

او الرياح كقولك يوم ماطر وليلة ساكرة وانما السكور لريحها وقرئ في يوم عاصف بالاضافة واعمال الكفرة المكارم التي كانت لهم من صلة الارحام وعتق الرقاب وفك الاسارى وعقر الابل للاضياف واغاثة الملهوفين والاجارة وغير ذلك من صنايعهم شبهها في حبوطها وذهابها هباء منثورا لبنائها على غير اساس من معرفة الله تعالى والايمان به وكونها لوجهه برماد طيرته الريح العاصف لا يقدرون يوم القيامة مما كسبوا من اعمالهم على شيء اي لا يرون له اثرا من ثواب كما لا يقدر من الرماد المطير في الريح على شيء ذلك هو الضلال البعيد اشارة الى بعد ضلالهم عن طريق الحق او عن الثواب **الم تر ان الله خلق السموات والارض بالحق ان يشا يذهبكم ويات بخلق جديد وما ذلك على الله بعزيز** بالحق بالحكمة والغرض الصحيح والامر العظيم ولم يخلقها عبثا ولا شهوة وقرئ خالق السموات والارض ان يشا يذهبكم اي هو قادر على ان يعدم الناس ويخلق مكانهم خلقا اخر على شكلهم او على خلاف شكلهم اعلاما منه باقتداره على اعدام الموجود وايجاد المعدوم يقدر على الشيء وجنس ضده وما ذلك على الله بعزيز بمتعذر بل هو هين عليه يسير لانه قادر الذات لا اختصاص له بمقدور دون مقدور فاذا خلص له الداعي الى شيء وانتفى الصارف تكون من غير توقف كتحريك اصبعك اذا دعاك اليه داع ولم يعترض دونه صارف وهذه الاية بيان لابعادهم في الضلال وعظيم خطابهم في الكفر بالله لوضوح اياته الشاهدة له الدالة على قدرته الباهرة وحكمته البالغة وانه الحقيق بان يعبد ويخاف عقابه ويرجى ثوابه في دار الجزاء **وبرزوا لله جميعا فقال الضعفؤا للذين استكبروا انا كنا لكم تبعا فهل انتم مغنون عنا من عذاب الله من شيء قالوا لو هدينا الله لهديناكم سواء علينا اجزعنا ام صبرنا ما لنا من محيص** وبرزوا لله ويبرزون يوم القيامة وانما جيء به بلفظ الماضي لان ما اخبر به عز وعلا لصدقه كانه قد كان ووجد ونحوه ونادى اصحاب الجنة ونادى اصحاب النار ونظائر له ومعنى بروزهم لله والله تعالى لا يتوارى عنه شيء حتى يبرز له انهم كانوا يستترون من العيون عند ارتكاب الفواحش ويظنون ان ذلك خاف على الله فاذا كان يوم القيمة انكشفوا لله عند انفسهم وعلموا ان الله لا يخفى عليه خافية او خرجوا من قبورهم فبرزوا لحساب الله وحكمه **فان قلت** لم كتب الضعفؤا بواو قبل الهمزة على لفظ من يفخم الالف قبل الهمزة فيميلها الى الواو ونظيره علمؤا بني اسرائيل والضعفاء الاتباع والعوام والذين استكبروا ساداتهم وكبراؤهم الذين استتبعوهم واستغووهم وصدوهم عن الاستماع الى الانبياء واتباعهم تبعا يجوز ان يكون جمع تابع على تبع كقولهم خادم وخدم وغايب وغيب او ذوي تبع والتبع الاتباع يقال تبعه تبعا فان قلت اي فرق بين من في من عذاب الله وبينه في من شيء قلت الاولى للتبيين والثانية للتبعيض كانه قيل هل انتم مغنون عنا بعض الشيء الذي هو عذاب الله ويجوز ان يكونا للتبعيض معا بمعنى هل انتم مغنون عنا بعض شيء هو بعض عذاب الله اي بعض بعض عذاب الله **فان قلت** فما معنى قوله تعالى لو هدينا الله لهديناكم **قلت** الذي قال لهم الضعفاء كان توبيخا لهم وعتابا على استتباعهم واستغوائهم وقولهم فهل انتم مغنون عنا من باب التبكيت لانهم قد علموا انهم لا يقدرون على الاغناء عنهم فاجابوهم معتذرين عما كان منهم اليهم بان الله لو هديهم الى الايمان لهدوهم ولم يضلوهم اما موركين الذنب في ضلالهم واضلالهم على الله كما حكى الله عنهم وقالوا لو شاء الله ما اشركنا ولا اباؤنا لو شاء الله ما عبدنا من دونه من شيء يقولون ذلك في الاخرة كما كانوا يقولونه في الدنيا ويدل عليه قوله تعالى حكاية عن المنافقين يوم يبعثهم الله جميعا فيحلفون له كما يحلفون

لكم ويحسبون انهم على شيء ويجوز ان يكون المعنى ولو كان من اهل اللطف فلطف بنا ربنا فاهتدينا لهديناكم الى الايمان وقيل معناه لو هدانا الله طريق النجاة من العذاب لهديناكم اي لاغنينا عنكم وسلكنا بكم طريق النجاة كما سلكنا بكم سبيل الهلكة سواء علينا اجزعنا ام صبرنا مستو علينا الجزع والصبر والهمزة وام للتسوية ونحوه اصبروا او لا تصبروا سواء عليكم وروي انهم يقولون تعالوا نجزع فيجزعون خمسمائة عام فلا ينفعهم فيقولون تعالوا نصبر فيصبرون كذلك ثم يقولون سواء علينا **فان قلت** كيف اتصل قوله تعالى سواء علينا بما قبله **قلت** اتصاله به من حيث ان عتابهم لهم كان جزعا مما هم فيه فقالوا لهم سواء علينا اجزعنا ام صبرنا يريدون انفسهم واياهم لاجتماعهم في عقاب الضلالة التي كانوا مجتمعين فيها يقولون ما هذا الجزع والتوبيخ ولا فائدة في الجزع كما لا فائدة في الصبر والامر من ذلك اطم اولما قالوا لو هدانا الله طريق النجاة لاغنينا عنكم واجبناكم اتبعوه بالاقناط من النجاة فقالوا ما لنا من محيص اي منجى ومهرب جزعنا ام صبرنا ويجوز ان يكون من كلام الضعفاء والمستكبرين جميعا كانه قيل قالوا جميعا سواء علينا كقوله تعالى ذلك ليعلم اني لم اخنه والمحيص يكون مصدرا كالمغيب والمشيب ومكانا كالمبيت والمصيف ويقال حاص عنه وجاض بمعنى واحد **وقال الشيطان لما قضي الامر ان الله وعدكم وعد الحق ووعدتكم فاخلفتكم وما كان لي عليكم من سلطان الا ان دعوتكم فاستجبتم لي فلا تلوموني ولوموا انفسكم ما انا بمصرخكم وما انتم بمصرخي اني كفرت بما اشركتمون من قبل ان الظالمين لهم عذاب اليم** لما قضي الامر لما قطع الامر وفرغ منه وهو الحساب وتصادر الفريقين ودخول احدهما الجنة ودخول الاخر النار **روي** ان الشيطان يقوم عند ذلك خطيبا في الاشقياء من الجن والانس فيقول ذلك ان الله وعدكم وعد الحق وهو البعث والجزاء على الاعمال فوفى لكم بما وعدكم ووعدتكم خلاف ذلك فاخلفتكم وما كان لي عليكم من سلطان من تسلط وقهر فاقسركم على الكفر والمعاصي والجئكم اليها الا ان دعوتكم الا دعائي اياكم الى الضلالة بوسوستي وتزييني وليس الدعاء من جنس السلطان ولكنه كقولك ما تحيتهم الا الضرب فلا تلوموني ولوموا انفسكم حيث اغتررتم بي واطعتموني اذ دعوتكم ولم تطيعوا ربكم اذ دعاكم وهذا دليل على ان الانسان هو الذي يختار الشقاوة او السعادة ويحصلها لنفسه وليس من الله الا التمكين ولا من الشيطان الا التزيين ولو كان الامر كما تزعم المجبرة لقال فلا تلوموني ولا انفسكم فان الله قضى عليكم الكفر واجبركم عليه **فان قلت** قول الشيطان باطل لا يصح التعلق به لو كان هذا القول منه باطلا لبين الله بطلانه واظهر انكاره على انه لا طائل له في النطق بالباطل في ذلك المقام الا ترى الى قوله ان الله وعدكم وعد الحق ووعدتكم فاخلفتكم كيف اتى فيه بالحق والصدق وفي قوله تعالى وما كان لي عليكم من سلطان وهو مثل قوله تعالى ان عبادي ليس لك عليهم سلطان الا من اتبعك من الغاوين ما انا بمصرخكم وما انتم بمصرخي لا ينجي بعضنا بعضا من عذاب الله ولا يغيثه والاصراخ الاغاثة **وقرئ** بمصرخي بكسر الياء وهي ضعيفة واستشهدوا لها ببيت مجهول

قال لها هل لك يا تا في ۞ قالت له ما انت بالمرضي ۞

وكانه قدر ياء الاضافة ساكنة وقبلها ياء ساكنة فحركها بالكسر لما عليه اصل التقاء الساكنين ولكنه غير صحيح لان ياء الاضافة لا تكون الا مفتوحة حيث قبلها الف في نحو عصاي فما بالها وقبلها ياء **فان قلت** جرت الياء الاولى مجرى الحرف الصحيح لاجل الادغام فكانها ياء ساكنة بعد حرف صحيح ساكن فحركت بالكسر على الاصل

قلت هذا قياس حسن ولكن الاستعمال المستفيض الذي هو بمنزلة الخبر المتواتر تتضاءل اليه القياسات
ما في بما اشركتمون مصدرية ومن قبل متعلق باشركتمون يعني كفرت اليوم باشراككم اياي من قبل هذا
اليوم اي في الدنيا كقوله تعالى ويوم القيامة يكفرون بشرككم ومعنى كفره باشراكهم اياه تبرؤه
منه واستنكاره له كقوله تعالى انا برآء منكم ومما تعبدون من دون الله كفرنا بكم وقيل من قبل
يتعلق بكفرت وما موصولة اي كفرت من قبل حين ابيت السجود لآدم بالذي اشركتمونيه وهو الله
عز وجل تقول شركت زيدا فاذا نقلت بالهمزة قلت اشركنيه فلان اي جعلني له شريكا ونحو ما هذه
ما في قولهم سبحان ما سخركن لنا ومعنى اشراكهم الشيطان بالله طاعتهم له فيما كان يزينه لهم من عبادة
الاوثان وغيرها وهذا آخر قول ابليس وقوله ان الظالمين قول الله عز وعلا ويحتمل ان يكون من جملة
قول ابليس وانما حكى الله عز وجل ما سيقوله في ذلك الوقت ليكون لطفا للسامعين في النظر لعاقبتهم
والاستعداد لما لا بد لهم من الوصول اليه وان يتصوروا في انفسهم ذلك المقام الذي يقول فيه
الشيطان ما يقول فيخافوا ويعملوا ما يخلصهم منه وقرئ فلا يلوموني بالياء على طريقة الالتفات
كقوله تعالى حتى اذا كنتم في الفلك وجرين بهم وادخل الذين آمنوا وعملوا الصالحات جنات تجري
من تحتها الانهار خالدين فيها باذن ربهم تحيتهم فيها سلام وقرأ الحسن وعمرو بن عبيد
رحمة الله ورضوانه عليهما وادخل الذين آمنوا على فعل المتكلم بمعنى وادخل انا وهذا دليل على انه من
قول الله لا من قول ابليس باذن ربهم متعلق بادخل اي ادخلتهم الملائكة الجنة باذن الله وامره
فان قلت فبم يتعلق في القراءة الاخرى وقولك وادخلهم انا باذن ربهم كلام غير ملتئم قلت
الوجه في هذه القراءة ان يتعلق قوله تعالى باذن ربهم بما بعده اي تحيتهم فيها سلام باذن ربهم يعني ان
الملائكة يحيونهم باذن ربهم الم تر كيف ضرب الله مثلا كلمة طيبة كشجرة طيبة اصلها ثابت
وفرعها في السماء تؤتي اكلها كل حين باذن ربها ويضرب الله الامثال للناس لعلهم
يتذكرون قرئ الم تر ساكنة الراء كما قرئ من يتق وفيه ضعف ضرب الله مثلا اعتمد مثلا ووضعه
وكلمة طيبة نصب بمضمر اي جعل كلمة طيبة كشجرة طيبة وهو تفسير لقوله تعالى ضرب الله مثلا كقولك
شرف الامير زيدا كساه حلة وحمله على فرس ويجوز ان تنتصب مثلا وكلمة بضرب اي ضرب كلمة طيبة
مثلا بمعنى جعلها مثلا ثم قال كشجرة طيبة على انها خبر مبتدأ محذوف بمعنى هي كشجرة طيبة اصلها
ثابت يعني في الارض ضارب بعروقه فيها وفرعها واعلاها ورأسها في السماء ويجوز ان يريد وفروعها
على الاكتفاء بلفظ الجنس وقرأ انس بن مالك رضي الله عنه كشجرة طيبة ثابت اصلها فان قلت
اي فرق بين القراءتين قراءة الجماعة اقوى معنى لان في قراءة انس رضي الله عنه اجريت الصفة
على الشجرة واذا قلت مررت برجل ابوه قائم فهو اقوى معنى من مررت برجل قائم ابوه لان المخبر عنه انما
هو الاب لا الرجل والكلمة الطيبة كلمة التوحيد وقيل كل كلمة حسنة كالتسبيحة والتحميدة
والاستغفار والتوبة والدعوة وعن ابن عباس رضي الله عنهما شهادة ان لا اله الا الله واما
الشجرة فكل شجرة مثمرة طيبة الثمار كالنخلة وشجرة التين والعنب والرمان وغير ذلك وعن
ابن عمر رضي الله عنهما ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال ذات يوم ان الله ضرب مثل المؤمن
من شجرة فاخبروني ما هي فوقع الناس في شجر البوادي وكنت صبيا فوقع في قلبي انها النخلة فهبت رسول
الله صلى الله عليه وسلم ان اقولها وانا اصغر القوم وروي فمنعني مكان عمر واستحييت فقال لي عمر

يا بني لو كنت قلتها لكانت احب الي من حمر النعم ثم قال صلى الله عليه وسلم الا انها النخلة وعن ابن عباس
رضي الله عنهما شجرة في الجنة وقوله تعالى في السماء معناه في جهة العلو والصعود ولم يرد المظلة كقولك
في الجبل طويل في السماء تريد ارتفاعه وشموخه تؤتي اكلها كل حين تعطي ثمرها كل وقت وقته الله لا
لاثمارها باذن ربها بتيسير خالقها وتكوينه لعلهم يتذكرون لان في ضرب الامثال زيادة
افهام وتذكير وتصوير للمعاني ومثل كلمة خبيثة كشجرة خبيثة اجتثت من فوق الارض ما لها
من قرار كشجرة خبيثة كمثل شجرة خبيثة اي صفتها اي كصفتها وقرئ ومثل كلمة بالنصب عطفا
على كلمة طيبة والكلمة الخبيثة كلمة الشرك وقيل كل كلمة قبيحة واما الشجرة الخبيثة فكل شجرة لا
يطيب ثمرها كشجرة الحنظل والكشوث ونحو ذلك وقوله تعالى اجتثت من فوق الارض في مقابلة
قوله تعالى اصلها ثابت ومعنى اجتثت استؤصلت وحقيقة الاجتثاث اخذ الجثة كلها ما لها من
قرار اي استقرار يقال قر الشيء قرارا كقولك ثبت ثباتا شبه بها القول الذي لم يعضد بحجة فهو داحض
غير ثابت والذي لا يبقى انما يضمحل عن قريب لبطلانه من قولهم الباطل لجلج وعن قتادة انه قيل
لبعض العلماء ما تقول في كلمة خبيثة فقال ما اعلم لها في الارض مستقرا ولا في السماء مصعدا الا ان
تلزم عنق صاحبها حتى يوافي بها القيامة يثبت الله الذين آمنوا بالقول الثابت في الحياة الدنيا وفي
الآخرة ويضل الله الظالمين ويفعل الله ما يشاء القول الثابت الذي ثبت بالحجة والبرهان
في قلب صاحبه وتمكن فيه واعتقده واطمأنت اليه نفسه وتثبيتهم به في الدنيا انهم اذا فتنوا في
دينهم لم يزلوا كما ثبت الذين فتنهم اصحاب الاخدود والذين نشروا ومشطت لحومهم بامشاط الحديد وكما
ثبت جرجيس وشمسون وغيرهما وتثبيتهم في الآخرة انهم اذا سئلوا عند تواقف الاشهاد عن معتقدهم
ودينهم لم يتلعثموا ولم يبهتوا ولم تحيرهم اهوال الحشر وقيل معناه الثبات عند سؤال القبر
وعن البراء بن عازب رضي الله عنه ان رسول الله صلى الله عليه وسلم ذكر قبض روح المؤمن
فقال ثم يعاد روحه في جسده فيأتيه ملكان فيجلسانه في قبره فيقولان له من ربك وما دينك
ومن نبيك فيقول ربي الله وديني الاسلام ونبيي محمد فينادي مناد من السماء ان صدق عبدي فذلك
قوله يثبت الله الذين آمنوا بالقول الثابت ويضل الله الظالمين الذين لم يتمسكوا بحجة في
دينهم وانما اقتصروا على تقليد كبارهم وشيوخهم كما قلد المشركون آباءهم فقالوا انا وجدنا
آباءنا على امة واضلالهم في الدنيا انهم لا يثبتون في مواقف الفتن وتزل اقدامهم اول شيء وهم
في الآخرة اضل وازل ويفعل الله ما يشاء اي ما توجبه الحكمة لان مشيئة الله تابعة للحكمة من
تثبيت المؤمنين وتأييدهم وعصمتهم عند ثباتهم وعزمهم ومن اضلال الظالمين وخذلانهم
والتخلية بينهم وبين شأنهم عند زللهم الم تر الى الذين بدلوا نعمة الله كفرا واحلوا قومهم
دار البوار جهنم يصلونها وبئس القرار بدلوا نعمة الله اي شكر نعمة الله كفرا لان شكرها
الذي وجب عليهم وضعوا مكانه كفرا فكأنهم غيروا الشكر الى الكفر وبدلوه تبديلا ونحوه
وتجعلون رزقكم انكم تكذبون اي شكر رزقكم حيث وضعتم التكذيب موضعه ووجه آخر
وهو انهم بدلوا نفس النعمة كفرا على انهم لما كفروها سلبوها فبقوا مسلوبي النعمة موصوفين
بالكفر حاصلا لهم الكفر بدل النعمة وهم اهل مكة اسكنهم الله حرمه وجعلهم قوام بيته واكرم هم
بمحمد صلى الله عليه وسلم فكفروا نعمة الله بدل ما لزمهم من الشكر العظيم او اصابهم الله بالنعمة

فى الرخاء والسعة لايلاف لهم الرحلتين فكفروا نعمته فضربهم بالقحط سبع سنين فحصل لهم الكفر بدل النعمة وكذلك حين اسروا وقتلوا يوم بدر قد ذهبت عنهم النعمة وبقى الكفر طوقا فى اعناقهم وعن عمر رضى الله عنه هم الافجران من قريش بنو المغيرة وبنو امية فاما بنو المغيرة فكفيتموهم يوم بدر واما بنو امية فمتعوا الى حين وقيل هم متنصرة العرب جبلة بن الايهم واصحابه واحلوا قومهم من تابعهم على الكفر دار البوار دار الهلاك وعطف جهنم على دار البوار عطف بيان وجعلوا لله اندادا ليضلوا عن سبيله قل تمتعوا فان مصيركم الى النار قرئ ليضلوا بفتح الياء وضمها فان قلت الضلال والاضلال لم يكن غرضهم فى اتخاذ الانداد فما معنى اللام قلت لما كان الضلال والاضلال نتيجة اتخاذ الانداد كما كان الاكرام فى قولك جئتك لتكرمنى نتيجة المجئ دخلته اللام وان لم يكن غرضا على طريق التشبيه والتقريب تمتعوا ايذان بانهم لانغماسهم فى التمتع بالحاضر وانهم لايعرفون غيره ولايريدونه مامورون به قد امرهم آمر مطاع لايسعهم ان يخالفوه ولايملكون لانفسهم امرا دونه وهو امر الشهوة والمعنى ان دمتم على ما انتم عليه من الامتثال لامر الشهوة فان مصيركم الى النار ويجوز ان يراد الخذلان والتخلية ونحوه قل تمتع بكفرك قليلا انك من اصحاب النار قل لعبادى الذين آمنوا يقيموا الصلوة وينفقوا مما رزقناهم سرا وعلانية من قبل ان ياتى يوم لا بيع فيه ولا خلال المقول محذوف لان جواب قل يدل عليه وتقديره قل لعبادى الذين آمنوا اقيموا الصلوة وانفقوا يقيموا الصلوة وينفقوا وجوزوا ان يكون يقيموا وينفقوا بمعنى ليقيموا ولينفقوا ويكون هذا هو المقول قالوا وانما جاز حذف اللام لان الامر الذى هو قل عوض منه ولو قيل يقيموا الصلاة وينفقوا ابتداء بحذف اللام لم يجز فان قلت علام انتصب سرا وعلانية قلت على الحال اى ذوى سر وعلانية بمعنى مسرين ومعلنين او على الظرف اى وقتى سر وعلانية او على المصدر اى انفاق سر وانفاق علانية والمعنى اخفاء المتطوع به من الصدقات والاعلان بالواجب والخلال المخالة فان قلت كيف طابق الامر بالانفاق وصف اليوم بانه لا بيع فيه ولا خلال قلت من قبل ان الناس يخرجون اموالهم فى عقود المعاوضات فيعطون بدلا ليأخذوا مثله وفى المكارمات ومهاداة الاصدقاء ليستجروا بهداياهم امثالها او خيرا منها واما الانفاق لوجه الله خالصا كقوله تعالى وما لاحد عنده من نعمة تجزى الا ابتغاء وجه ربه الاعلى فلا يفعله الا المؤمنون الخلص فبعثوا عليه ليأخذوا بدله فى يوم لا بيع فيه ولا خلال اى لا انتفاع فيه بمبايعة ولا بمخالة ولا بما ينفقون فيه اموالهم من المعاوضات والمكارمات وانما ينتفع فيه بالانفاق لوجه الله تعالى وقرئ لا بيع فيه ولا خلال بالرفع الله الذى خلق السموات والارض وانزل من السماء ماء فاخرج به من الثمرات رزقا لكم وسخر لكم الفلك لتجرى فى البحر بامره وسخر لكم الانهار الله مبتدأ والذى خلق خبره ومن الثمرات بيان للرزق اى اخرج به رزقا هو ثمرات ويجوز ان يكون من الثمرات مفعول اخرج ورزقا حالا من المفعول او نصبا على المصدر من اخرج لانه فى معنى رزق بامره بقوله كن وسخر لكم الشمس والقمر دائبين وسخر لكم الليل والنهار وآتاكم من كل ما سألتموه وان تعدوا نعمة الله لا تحصوها ان الانسان لظلوم كفار دائبين يدأبان فى سيرهما وانارتهما ودرئهما الظلمات واصلاحهما ما يصلحان من الارض والابدان والنبات وسخر لكم الليل والنهار يتعاقبان خلفة لمعاشكم وسباتكم وآتاكم من كل ما سألتموه من للتبعيض اى آتاكم بعض جميع ما سألتموه نظرا

فى مصالحكم وقرئ من كل بالتنوين وما سألتموه نفى ومحله النصب على الحال اى آتاكم من جميع ذلك غير سائليه ويجوز ان تكون ما موصولة على وآتاكم من كل ذلك ما احتجتم اليه ولم تصلح احوالكم ومعايشكم الا به فكانكم سألتموه او طلبتموه بلسان الحال لا تحصوها لا تحصروها ولا تطيقوا عدها وبلوغ آخرها هما هذا اذا ارادوا ان يعدوها على الاجمال واما التفصيل فلا يقدر عليه ولا يعلمه الا الله لظلوم يظلم النعمة باغفال شكرها كفار شديد الكفران لها وقيل ظلوم فى الشدة يشكو ويجزع كفار فى النعمة يجمع ويمنع والانسان للجنس فيتناول الاخبار بالظلم والكفران من يوجدان منه وإذ قال ابراهيم رب اجعل هذا البلد آمنا واجنبنى وبنى ان نعبد الاصنام هذا البلد يعنى البلد الحرام زاده الله امنا وكفاه كل باغ ظالم واجاب فيه دعوة خليله ابراهيم آمنا ذا امن فان قلت اى فرق بين قوله اجعل هذا بلدا آمنا وبين قوله تعالى اجعل هذا البلد آمنا قلت قد سأل فى الاول ان يجعله من جملة البلاد التى يأمن اهلها ولا يخافون وفى الثانى ان يخرجه من صفة كان عليها من الخوف الى ضدها من الامن كانه قال هو بلد مخوف فاجعله آمنا واجنبنى وقرئ واجنبنى وفيه ثلاث لغات جنبه الشر واجنبه وجنبه فاهل الحجاز يقولون جنبنى شره بالتشديد واهل نجد جنبنى شره واجنبنى والمعنى ثبتنا وادمنا على اجتناب عبادتها وبنى اراد بنيه من صلبه وسئل ابن عيينة كيف عبدت العرب الاصنام فقال ما عبد احد من ولد اسمعيل صنما واحتج بقوله واجنبنى وبنى ان نعبد الاصنام انما كانت انصاب حجارة لكل قوم قالوا البيت حجر فحيثما نصبنا حجرا فهو بمنزلة البيت فكانوا يدورون بذلك الحجر ويسمونه الدوار فاستحب ان يقال طاف بالبيت ولا يقال دار بالبيت رب انهن اضللن كثيرا من الناس فمن تبعنى فانه منى ومن عصانى فانك غفور رحيم انهن اضللن كثيرا من الناس فاعوذ بك ان تعصمنى وبنى من ذلك وانما جعلن مضلات لان الناس ضلوا بسببهن فكانهن اضللنهم كما تقول فتنتهم الدنيا وغرتهم اى افتتنوا بها واغتروا بسببها فمن تبعنى على ملتى وكان حنيفا مسلما مثلى فانه منى اى هو بعضى لفرط اختصاصه بى وملابسته لى وكذلك قوله صلى الله عليه وسلم من غشنا فليس منا اى ليس بعض المؤمنين على ان الغش ليس من افعالهم واوصافهم ومن عصانى فانك غفور رحيم تغفر له ما سلف منه من عصيانى اذا بدا له فيه واستحدث الطاعة لى وقيل معناه ومن عصانى فيما دون الشرك ربنا انى اسكنت من ذريتى بواد غير ذى زرع عند بيتك المحرم ربنا ليقيموا الصلوة فاجعل افئدة من الناس تهوى اليهم وارزقهم من الثمرات لعلهم يشكرون من ذريتى بعض اولادى وهم اسمعيل ومن ولد منه بواد هو وادى مكة غير ذى زرع لا يكون فيه شئ من زرع قط كقوله تعالى قرآنا عربيا غير ذى عوج بمعنى لا يوجد فيه اعوجاج ما فيه الا الاستقامة لا غير وقيل للبيت المحرم لان الله حرم التعرض له والتهاون به وجعل ما حوله حرما لمكانه او لانه لم يزل ممتنعا عزيزا يهابه كل جبار كالشئ المحرم الذى حقه ان يجتنب او لانه محترم عظيم الحرمة لا يحل انتهاكها او لانه حرم على الطوفان اى منع منه كما سمى عتيقا لانه اعتق منه فلم يستول عليه ليقيموا الصلوة اللام متعلقة باسكنت اى ما اسكنتهم بهذا الوادى الخلاء البلقع من كل مرتفق ومرتزق الا ليقيموا الصلوة عند بيتك المحرم ويعمروه بذكرك وعبادتك وما تعمر به مساجدك ومتعبداتك متبركين بالبقعة التى شرفتها على البقاع مستسعدين بجوارك الكريم متقربين اليك بالعكوف عند بيتك والطواف به والركوع والسجود

حوله مستنزلين الرحمة التي آثرت بها سكان حرمك افئدة من الناس افئدة من افئدة الناس ومن
للتبعيض ويدل عليه ما روى عن مجاهد لو قال افئدة الناس لزحمتكم عليه فارس والروم وقيل لو
لم يقل من لازدحموا عليه حتى الروم والترك والهند ويجوز ان يكون من للابتداء كقولك القلب
مني سقيم تريد قلبي فكأنه قيل افئدة ناس وانما نكرت المضاف اليه في هذا التمثيل لتنكير افئدة
لانها في الاية نكرة ليتناول بعض الافئدة وقرئ آفدة بوزن عاقدة وفيه وجهان احدهما
ان يكون من القلب كقولهم آدر في ادؤر والثاني ان يكون اسم فاعل من افدت الرحلة اذا عجلت
اي جماعة او جماعات يرحلون اليهم ويعجلون نحوهم وقرئ افدة وفيه وجهان ان تطرح الهمزة
للتخفيف وان كان الوجه ان تخفف باخراجها بين بين وان يكون من أفد تهوي اليهم تسرع اليهم
وتطير نحوهم شوقا ونزاعا من قوله يهوي بخارها هوي الاجدل وقرئ تهوى اليهم على البناء
للمفعول من هوى اليه واهواه غيره وتهوى اليهم من هوى يهوى اذا احب ضمن معنى تنزع فعدي
تعديته وارزقهم من الثمرات مع سكناهم واديا ما فيه شيء منها بان تجلب اليهم من البلاد لعلهم يشكرون
النعمة في ان يرزقوا انواع الثمرات حاضرة في واد يباب ليس فيه نجم ولا شجر ولا ماء لا جرم ان الله
عز وجل اجاب دعوته فجعله حرما آمنا يجبى اليه ثمرات كل شيء رزقا من لدنه ثم فضله في وجود اصناف
الثمار فيه على كل ريف وعلى اخصب البلاد واكثرها ثمارا وفي اي بلد من بلاد الشرق والغرب ترى
الاعجوبة التي يريكها الله بواد غير ذي زرع وهي اجتماع البواكير والفاكهة المختلفة الازمان من
الربيعية والصيفية والخريفية في يوم واحد وليس ذلك من آياته بعجيب متعنا الله بسكنى
حرمه ووفقنا لشكر نعمه وادام لنا التشرف بالدخول تحت دعوة ابراهيم ورزقنا طرفا من
سلامة ذلك القلب السليم ربنا انك تعلم ما نخفي وما نعلن وما يخفى على الله من شيء في الارض
ولا في السماء النداء المكرر دليل التضرع واللجا الى الله تعالى انك تعلم ما نخفي وما نعلن تعلم السر
كما تعلم العلن علما لا تفاوت فيه لان غيبا من الغيوب لا يحتجب عنك والمعنى انك اعلم باحوالنا وما يصلحنا
ويفسدنا منا وانت ارحم بنا وانصح لنا منا بانفسنا ولها فلا حاجة الى الدعاء والطلب وانما ندعوك
اظهارا للعبودية لك وتخشعا لعظمتك وتذللا لعزتك وافتقارا الى ما عندك واستعجالا لنيل
اياديك وولها الى رحمتك وكما يتملق العبد بين يدي سيده رغبة في اصابة معروفه مع توفر السيد على
حسن الملكة وعن بعضهم انه رفع حاجته الى كريم فابطأ عليه النجح فاراد ان يذكره فقال مثلك لا يذكر
استقصارا ولا توهما للغفلة عن حوائج السائلين ولكن ذا الحاجة لا تدعه حاجته ان لا يتكلم
فيها وقيل ما نخفي من الوجد لما وقع بيننا من الفرقة وما نعلن من البكاء والدعاء وقيل ما نخفي
من كآبة الافتراق وما نعلن يريد ما جرى بينه وبين هاجر حين قالت له عند الوداع الى من تكلنا
قال الى الله اكلكم قالت آلله امرك بهذا قال نعم قالت اذن لا نخشى تركتنا الى كاف وما يخفى عليه
من شيء من كلام الله عز وجل تصديقا لابراهيم عليه السلام كقوله تعالى وكذلك يفعلون او من
كلام ابراهيم يعني وما يخفى على الله الذي هو عالم الغيب من شيء في كل مكان ومن للاستغراق كانه
قيل وما يخفى على الله شيء ما الحمد لله الذي وهب لي على الكبر اسمعيل واسحق ان ربي لسميع
الدعاء على في قوله على الكبر بمعنى مع كقوله اني على ما تريني من كبري اعلم من حيث تؤكل الكتف
وهو في موضع الحال معناه وهب لي وانا كبير وفي حال الكبر روى ان اسمعيل عليه السلام ولد له وهو

ابن

ابن تسع وتسعين سنة وولد له اسحق وهو ابن مائة وثنتي عشرة سنة وقد روي انه ولد له اسمعيل لاربع
وستين واسحق لتسعين وعن سعيد بن جبير لم يولد لابراهيم الا بعد مائة وسبع عشرة سنة وانما ذكر
حال الكبر لان المنة بهبة الولد فيها اعظم من حيث انها حال وقوع اليأس من الولادة والظفر بالحاجة
على عقب اليأس من اجل النعم واحلاها في نفس الظافر ولان الولادة في تلك السن العالية كانت آية لابراهيم
ان ربي لسميع الدعاء كان قد دعا ربه وسأله الولد فقال رب هب لي من الصالحين فشكر الله ما اكرمه به
من اجابته فان قلت الله تعالى يسمع كل دعاء اجابه او لم يجبه هو من قولك سمع الملك
كلام فلان اذا اعتد به وقبله وسمع الله لمن حمده وفي الحديث ما اذن الله لشيء كاذنه لنبي يتغنى بالقرآن منه
فان قلت ما هذه الاضافة اضافة السميع الى الدعاء قلت اضافة الصفة الى مفعولها واصله لسميع
الدعاء وقد ذكر سيبويه فعيلا في جملة ابنية المبالغة العاملة عمل الفعل كقولك هذا ضروب زيدا
وضراب اخاه ومنحار ابله وحذر امورا ورحيم اباه ويجوز ان يكون من اضافة فعيل الى فاعله ويجعل
دعاء الله على الاسناد المجازي والمراد سماع الله رب اجعلني مقيم الصلوة ومن ذريتي ربنا وتقبل
دعاء ربنا اغفر لي ولوالدي وللمؤمنين يوم يقوم الحساب ومن ذريتي وبعض ذريتي عطفا
على المنصوب في اجعلني وانما بعض لانه علم باعلام الله انه يكون في ذريته كفار وذلك قوله تعالى لا ينال
عهدي الظالمين وتقبل دعاء اي عبادتي واعتزلكم وما تدعون من دون الله وفي قراءة ابي ولابوي
وقرأ سعيد بن جبير ولوالدي على الافراد يعني اباه وقرأ الحسن بن علي رضي الله عنهما ولولدي يعني
اسمعيل واسحق وقرئ ولولدي بضم الواو والولد بمعنى الولد كالعدم والعدم وقيل جمع ولد كاسد في اسد
وفي بعض المصاحف ولذريتي فان قلت كيف جاز له ان يستغفر لابويه وكانا كافرين قلت هو
من مجوزات العقل ولا يعلم امتناع جوازه الا بالتوقيف وقيل اراد بوالديه آدم وحوا وقيل بشرط
الاسلام ويأباه قوله تعالى الا قول ابراهيم لابيه لاستغفرن لك لانه لو شرط الاسلام لكان استغفارا
صحيحا لا مقال فيه فكيف يستثنى الاستغفار الصحيح من جملة ما يؤتسى فيه بابراهيم يوم يقوم الحساب
اي يثبت وهو مستعار من قيام القائم على الرجل والدليل عليه قولهم قامت الحرب على ساقها
ونحوه قولهم ترجلت الشمس اذا اشرقت وثبت ضوءها كانها قامت على رجل ويجوز ان يسند الى الحساب قيام
اهله اسنادا مجازيا او يكون مثل واسأل القرية وعن مجاهد قد استجاب الله له فيما سأل فلم يعبد احد
من ولده صنما بعد دعوته وجعل البلد آمنا ورزق اهله وجعله اماما وجعل في ذريته من يقيم
الصلوة واراه مناسكه وتاب عليه وعن ابن عباس رضي الله عنهما انه قال كانت الطائف من ارض
فلسطين فلما قال ابراهيم ربنا اني اسكنت الاية رفعها الله فوضعها حيث وضعها رزقا للحرم ولا
تحسبن الله غافلا عما يعمل الظالمون انما يؤخرهم ليوم تشخص فيه الابصار فان قلت
يتعالى الله عن السهو والغفلة فكيف يحسبه رسول الله عليه السلام وهو اعلم الناس به غافلا حتى قيل
ولا تحسبن الله غافلا قلت ان كان خطابا لرسول الله عليه السلام ففيه وجهان احدهما التثبيت
على ما كان عليه من انه لا يحسب الله غافلا كقوله تعالى ولا تكونن من المشركين ولا تدع مع الله الها
آخر كما جاء في الامر يا ايها الذين آمنوا آمنوا بالله ورسوله والثاني ان المراد بالنهي عن حسبانه غافلا
الايذان بانه عالم بما يفعل الظالمون لا يخفى عليه منه شيء وانه معاقبهم على قليله وكثيره على سبيل الوعيد
والتهديد كقوله تعالى والله بما تعملون عليم يريد الوعيد ويجوز ان يراد ولا تحسبنه يعاملهم

معاملة الغافل عما يعملون ولكن معاملة الرقيب عليهم المحاسب على النقير والقطمير وان كان خطابا لغير
من يجوز ان يحسبه غافلا لجهله بصفاته فلا سؤال فيه وعن ابن عيينة تسلية للمظلوم وتهديد للظالم
فقيل له من قال هذا فغضب وقال انما قاله من علمه وقرئ نؤخرهم بالنون والياء تشخص فيه الابصار
اى ابصارهم لا تقر فى اماكنها من هول ما ترى مهطعين مقنعى رؤسهم لا يرتد اليهم طرفهم
وافئدتهم هواء مهطعين مسرعين الى الداعى وقيل الاهطاع ان تقبل ببصرك على المرئى تديم النظر
اليه لا تطرف مقنعى رؤسهم رافعيها لا يرتد اليهم طرفهم لا يرجع اليهم ان يطرفوا بعيونهم اى لا يطرفون الهواء
ولكن عيونهم مفتوحة ممدودة من غير تحريك للاجفان او لا يرجع اليهم نظرهم فينظروا الى انفسهم والخلاء
الذى لم تشغله الاجرام فوصف به فقيل قلب فلان هواء اذا كان جبانا لا قوة فى قلبه ولا جرأة
ويقال للاحمق ايضا قلبه هواء قال زهير من الظلمان جؤجؤه هواء لان النعام مثل فى الجبن
والحمق وقال حسان فانت مجوف نخب هواء وعن ابن جريج افئدتهم هواء صفر من الخير خاوية
منه وقال ابو عبيدة جوف لا عقول لهم وانذر الناس يوم ياتيهم العذاب فيقول الذين ظلموا
ربنا اخرنا الى اجل قريب نجب دعوتك ونتبع الرسل اولم تكونوا اقسمتم من قبل ما لكم من زوال
يوم ياتيهم العذاب مفعول ثان لانذر وهو يوم القيامة ومعنى اخرنا الى اجل قريب ردنا الى الدنيا وامهلنا
الى امد وحد من الزمان قريب نتدارك ما فرطنا فيه من اجابة دعوتك واتباع رسلك او اريد باليوم
يوم هلاكهم بالعذاب العاجل او يوم موتهم معذبين بشدة السكرات ولقاء الملائكة بلا بشرى
وانهم يسألون يومئذ ان يؤخرهم ربهم الى اجل قريب كقوله لولا اخرتنى الى اجل قريب فاصدق
اولم تكونوا اقسمتم على ارادة القول وفيه وجهان ان يقولوا ذلك بطرا واشرا ولما استولى
عليهم من عادة الجهل والسفه وان يقولوه بلسان الحال حيث بنوا شديدا واملوا بعيدا وما لكم
جواب القسم وانما جاء بلفظ الخطاب لقوله تعالى اقسمتم ولو حكى لفظ المقسمين لقيل ما لنا من زوال
والمعنى اقسمتم انكم باقون فى الدنيا لا تزالون بالموت والفناء وقيل لا تنتقلون الى دار اخرى
يعنى كفرهم بالبعث كقوله تعالى واقسموا بالله جهد ايمانهم لا يبعث الله من يموت وسكنتم فى
مساكن الذين ظلموا انفسهم وتبين لكم كيف فعلنا بهم وضربنا لكم الامثال يقال سكن
الدار وسكن فيها ومنه قوله تعالى وسكنتم فى مساكن الذين ظلموا انفسهم لان السكنى من السكون الذى هو اللبث
والاصل تعديه بفى كقولك قر فى الدار وغنى فيها واقام فيها ولكنه لما نقل الى سكون خاص تصرف فيه
فقيل سكن الدار كما قيل تبوأها واوطنها ويجوز ان يكون سكنوا من السكون اى قروا فيها واطمأنوا
طيبى النفوس سائرين سيرة من قبلهم فى الظلم والفساد لا يحدثونها بما لقى الاولون من ايام الله
وكيف كان عاقبة ظلمهم فيعتبروا ويرتدعوا وتبين لكم بالاخبار والمشاهدة كيف اهلكناهم وانتقمنا
منهم وقرئ ونبين لكم بالنون وضربنا لكم الامثال اى صفات ما فعلوا وما فعل بهم وهى فى الغرابة
كالامثال المضروبة لكل ظالم وقد مكروا مكرهم وعند الله مكرهم وان كان مكرهم لتزول
منه الجبال وقد مكروا مكرهم اى مكرهم العظيم الذى استفرغوا فيه جهدهم وعند الله مكرهم لا
يخلو اما ان يكون مضافا الى الفاعل كالاول على معنى ومكتوب عند الله مكرهم فهو مجازيهم عليه
بمكر هو اعظم منه او يكون مضافا الى المفعول على معنى وعند الله مكرهم الذى يمكرهم به وهو عذابهم
الذى يستحقونه ياتيهم به من حيث لا يشعرون ولا يحتسبون وان كان مكرهم لتزول منه الجبال وان

عظم

عظم مكرهم وتبالغ فى الشدة فضرب زوال الجبال منه مثلا لتفاقمه وشدته اى وان كان مكرهم مسوى
لازالة الجبال معدا لذلك وقد جعلت ان نافية واللام مؤكدة لها كقوله تعالى وما كان الله ليضيع
ايمانكم والمعنى ومحال ان تزول الجبال بمكرهم على ان الجبال مثل لآيات الله وشرائعه لانها بمنزلة
الجبال الراسية ثباتا وتمكنا وتنصره قراءة ابن مسعود وما كان مكرهم وقرئ لتزول بلام الابتداء
على وانه كان مكرهم من الشدة بحيث تزول منه الجبال وتنقلع عن اماكنها وقرا على وعمر رضى الله عنهما
وان كاد مكرهم فلا تحسبن الله مخلف وعده رسله ان الله عزيز ذو انتقام مخلف وعده رسله
يعنى قوله انا لننصر رسلنا كتب الله لاغلبن انا ورسلى فان قلت هلا قيل مخلف رسله وعده
ولم قدم المفعول الثانى على الاول قلت قدم الوعد ليعلم انه لا يخلف الوعد اصلا كقوله تعالى ان الله الثانى على
لا يخلف الميعاد ثم قال رسله ليوذن انه اذا لم يخلف وعده احدا وليس من شانه اخلاف المواعيد
كيف يخلفه رسله الذين هم خيرته وصفوته وقرئ مخلف وعده رسله بجر الرسل ونصب الوعد وهذه
فى الضعف كمن قرا قتل اولادهم شركائهم عزيز غالب لا يماكر ذو انتقام لاوليائه من اعدائه يوم
تبدل الارض غير الارض والسموات وبرزوا لله الواحد القهار يوم تبدل الارض انتصابه
على البدل من يوم ياتيهم او على الظرف للانتقام والمعنى يوم تبدل هذه الارض التى تعرفونها ارضا
اخرى غير هذه المعروفة وكذلك السموات والتبديل التغيير وقد يكون فى الذوات كقولك
بدلت الدراهم دنانير ومنه بدلناهم جلودا غيرها وبدلناهم بجنتيهم جنتين وفى الاوصاف
كقولك بدلت الحلقة خاتما اذا اذبتها وسويتها خاتما فنقلتها من شكل الى شكل ومنه قوله تعالى
فاولئك يبدل الله سيئاتهم حسنات واختلف فى تبديل الارض والسموات فقيل تبدل اوصافها
فتسير عن الارض جبالها وتفجر بحارها وتسوى فلا ترى فيها عوجا ولا امتا وعن ابن عباس
رضى الله عنهما هى تلك الارض وانما تغير وانشد

وما الناس بالناس الذين عهدتهم ولا الدار بالدار التى كنت تعلم

وتبدل السماء بانتثار كواكبها وكسوف شمسها وخسوف قمرها وانشقاقها وكونها ابوابا وقيل يخلق
بدلها ارض وسموات اخر وعن ابن مسعود وانس رضى الله عنهما يحشر الناس على ارض بيضاء لم يخطئ
عليها احد خطيئة وعن على رضى الله عنه تبدل الارض ارضا من فضة والسموات من ذهب وعن الضحاك
ارضا من فضة بيضاء كالصحائف وقرئ يوم نبدل الارض بالنون فان قلت كيف قال
الواحد القهار هو كقوله تعالى لمن الملك اليوم لله الواحد القهار لان الملك اذا كان
لواحد غلاب لا يغالب ولا يعاز فلا مستغاث لاحد الى غيره ولا مستجار كان الامر فى غاية الصعوبة
والشدة وترى المجرمين يومئذ مقرنين فى الاصفاد مقرنين قرن بعضهم مع بعض ومع الشياطين
او قرنت ايديهم الى ارجلهم مغللين وقوله تعالى فى الاصفاد اما ان يتعلق بمقرنين اى يقرنون
فى الاصفاد واما ان لا يتعلق به فيكون المعنى مقرنين مصفدين والاصفاد القيود وقيل الاغلال
وانشد لسلامة بن جندل

وزيد الخيل قد لاقى صفادا يعض بساعد وبعظم ساق

سرابيلهم من قطران وتغشى وجوههم النار القطران فيه ثلاث لغات قطران وقطران
وقطران بفتح القاف وكسرها مع سكون الطاء وهو ما يتحلب من شجر يسمى الابهل فيطبخ
فتهنا به الابل الجربى فيحرق الجرب بحره وحدته والجلد وقد تبلغ حرارته الجوف ومن شانه ان

يترع فيه اشتعال النار وقد يستسرج به وهو اسود اللون منتن الريح فتطلى به جلود اهل النار حتى يعود طلاؤه لهم كالسرابيل وهي القمص ليجتمع عليهم الاربع لذع القطران وحرقته واسراع النار في جلودهم واللون الوحش على النتن على ان التفاوت بين القطرانين كالتفاوت بين النارين وكل ما وعده الله او اوعد به في الاخرة فبينه وبين ما نشاهد من جنسه ما لا يقادر قدره وكانه ما عندنا منه الا الاسامي والمسميات ثمة فبكرمه الواسع نعوذ من سخطه ونسأله التوفيق فيما ينجينا من عذابه وقرئ من قطرٍ آنٍ والقطر النحاس او الصفر المذاب والآني المتناهي حره وتغشى وجوههم النار كقوله تعالى افمن يتقي بوجهه سوء العذاب يوم يسحبون في النار على وجوههم لان الوجه اعز موضع في ظاهر البدن واشرفه كالقلب في باطنه ولذلك قال تطلع على الافئدة وقرئ وتغشى وجوههم بمعنى تتغشى اي يفعل بالمجرمين ما يفعل ليجزي الله كل نفس ما كسبت ان الله سريع الحساب هذا بلاغ للناس ولينذروا به وليعلموا انما هو اله واحد وليذكر اولوا الالباب ليجزي الله كل نفس مجرمة ما كسبت او كل نفس من مجرمة ومطيعة لانه اذا عاقب المجرمين لاجرامهم علم انه يثيب المطيعين لطاعتهم هذا بلاغ للناس كفاية في التذكير والموعظة يعني بهذا ما وصفه من قوله ولا تحسبن الى قوله سريع الحساب ولينذروا معطوف على محذوف اي لينصحوا ولينذروا به بهذا البلاغ وقرئ ولينذروا بفتح الياء من نذر به اذا علمه واستعد له وليعلموا انما هو اله واحد لانهم اذا خافوا ما انذروا به دعتهم المخافة الى النظر حتى يتوصلوا الى التوحيد لان الخشية ام الخير كله عن رسول الله صلى الله عليه وسلم من قرأ سورة ابراهيم اعطي من الاجر عشر حسنات بعدد كل من عبد الاصنام وعدد من لم يعبد

بسم الله الرحمن الرحيم الر تلك آيات الكتاب وقرآن مبين ربما يود الذين كفروا لو كانوا مسلمين ذرهم يأكلوا ويتمتعوا ويلههم الامل فسوف يعلمون وما اهلكنا من قرية الا ولها كتاب معلوم ما تسبق من امة اجلها وما يستأخرون تلك اشارة الى ما تضمنته السورة من الآيات والكتاب والقرآن المبين السورة وتنكير القرآن للتفخيم والمعنى تلك آيات الكتاب الكامل في كونه كتابا واي قرآن مبين كانه قيل الكتاب الجامع للكمال والغرابة في البيان وقرئ ربما وربتما بالتشديد وربما وربتما بالضم والفتح مع التخفيف فان قلت لم دخلت على المضارع وقد ابوا دخولها الا على الماضي قلت لان المترقب في اخبار الله عز وجل بمنزلة الماضي المقطوع به في تحققه فكانه قيل ربما ود فان قلت متى تكون ودادتهم قلت عند الموت او يوم القيامة اذا عاينوا حالهم وحال المسلمين وقيل اذا رأوا المسلمين يخرجون من النار وهذا ايضا باب من الودادة فان قلت فما معنى التقليل هو وارد على مذهب العرب في قولهم لعلك ستندم على فعلك وربما يندم الانسان على ما فعل ولا يشكون في تندمه ولا يقصدون تقليله ولكنهم ارادوا لو كان الندم مشكوكا فيه او كان قليلا لحق عليك ان لا تفعل هذا الفعل لان العقلاء يتحرزون من التعرض للغم المظنون كما يتحرزون من المتيقن ومن القليل منه كما من الكثير وكذا المعنى في الآية لو كانوا يودون الاسلام مرة واحدة فبالحري ان يسارعوا اليه فكيف وهم يودونه في كل ساعة لو كانوا مسلمين حكاية ودادتهم وانما جيء بها على لفظ الغيبة لانهم مخبر عنهم كقولك حلف بالله ليفعلن ولو قيل حلف بالله

لافعلن ولو كانوا مسلمين لكان حسنا سديدا وقيل تدهشهم اهوال ذلك اليوم فيبقون مبهوتين فان كانت منهم افاقة في بعض الاوقات من سكرتهم تمنوا فلذلك قلل ذرهم يعني اقطع طمعك من ارعوائهم ودعهم عن النهي عما هم عليه والصد عنه بالتذكرة والنصيحة وخلهم يأكلوا ويتمتعوا بدنياهم وتنفيذ شهواتهم ويشغلهم املهم وتوقعهم لطول الاعمار واستقامة الاحوال وان لا يلقوا في العاقبة الا خيرا فسوف يعلمون سوء صنيعهم والغرض الايذان بانهم من اهل الخذلان وانهم لا يجيء منهم الا ما هم فيه وانه لا زاجر لهم ولا واعظ الا معاينة ما ينذرون به حين لا ينفعهم الوعظ ولا سبيل الى اتعاظهم قبل ذلك فامر رسوله بان يخليهم وشانهم ولا يشتغل بما لا طائل تحته وان يبالغ في تخليتهم حتى يأمرهم بما لا يزيدهم الا ندما في العاقبة وفيه الزام للحجة ومبالغة في الانذار واعذار فيه وفيه تنبيه على ان ايثار التلذذ والتنعم وما يؤدي اليه طول الامل وهذه هجيرى اكثر الناس ليس من اخلاق المؤمنين وعن بعضهم التمرغ في الدنيا من اخلاق الهالكين ولها كتاب جملة واقعة صفة لقرية والقياس ان لا يتوسط الواو بينهما كما في قوله عز وجل وما اهلكنا من قرية الا لها منذرون وانما توسطت لتأكيد لصوق الصفة بالموصوف كما يقال في الحال جاءني زيد عليه ثوب وجاءني وعليه ثوب كتاب معلوم مكتوب معلوم وهو اجلها الذي كتب في اللوح وبين الا ترى الى قوله ما تسبق من امة اجلها في موضع كتابها وانث الامة اولا ثم ذكرها آخرا حملا على اللفظ والمعنى وقال وما يستأخرون بحذف عنه لانه معلوم وقالوا يا ايها الذي نزل عليه الذكر انك لمجنون لوما تأتينا بالملائكة ان كنت من الصادقين ما ننزل الملائكة الا بالحق وما كانوا اذا منظرين قرأ الاعمش يا ايها الذي القي اليه الذكر وكان هذا النداء منهم على وجه الاستهزاء كما قال فرعون ان رسولكم الذي ارسل اليكم لمجنون وكيف يقرون بنزول الذكر عليه وينسبونه الى الجنون والتعكيس في كلامهم للاستهزاء والتهكم مذهب واسع وقد جاء في كتاب الله في مواضع منها فبشرهم بعذاب اليم انك لانت الحليم الرشيد وقد يوجد كثيرا في كلام العجم والمعنى انك لتقول قول المجانين حين تدعي ان الله نزل عليك الذكر لوما ركبت مع لا وما لمعنيين معنى امتناع الشيء لوجود غيره ومعنى التحضيض واما هل فلم تركب الا مع لا وحدها للتحضيض قال ابن مقبل لوما الحياء ولوما الدين عبتكما ببعض ما فيكما اذ عبتما عوري والمعنى هلا تأتينا بالملائكة يشهدون بصدقك ويعضدونك على انذارك كقوله تعالى لولا انزل اليه ملك فيكون معه نذيرا او هلا تأتينا بالملائكة للعقاب على تكذيبنا لك ان كنت صادقا كما كانت تأتي الامم المكذبة برسلها وقرئ تنزل بمعنى تتنزل وتنزل على البناء للمفعول من نزل وننزل الملائكة بالنون ونصب الملائكة الا بالحق الا تنزلا ملتبسا بالحكمة والمصلحة ولا حكمة في ان تأتيكم عيانا تشاهدونهم ويشهدون لكم بصدق النبي صلى الله عليه وسلم لانكم حينئذ مصدقون عن اضطرار ومثله قوله تعالى وما خلقنا السموات والارض وما بينهما الا بالحق وقيل الحق الوحي او العذاب واذن جواب وجزاء لانه جواب لهم وجزاء الشرط مقدر تقديره ولو نزلنا الملائكة ما كانوا منظرين وما اخرنا عذابهم انا نحن نزلنا الذكر وانا له لحافظون ولقد ارسلنا من قبلك في شيع الاولين وما يأتيهم من رسول الا كانوا به يستهزءون انا نحن نزلنا الذكر رد لانكارهم واستهزائهم في قولهم يا ايها الذي نزل عليه الذكر ولذلك قال انا نحن فاكد عليه انه هو المنزل

على القطع والثبات وانه هو الذى بعث به جبريل الى محمد عليه السلام ومن بين يديه ومن خلفه رصد حتى نزل وبلغ محفوظا من الشياطين وهو حافظه فى كل وقت من كل زيادة ونقصان وتحريف وتبديل بخلاف الكتب المتقدمة فانه لم يتول حفظها وانما استحفظها الربانيين والاحبار فاختلفوا فيما بينهم بغيا فكان التحريف ولم يكل القرآن الى غير حفظه **فان قلت** فحين كان قوله تعالى انا نزلنا الذكر ردا لانكارهم واستهزائهم فكيف اتصل به قوله تعالى وانا له لحافظون **قلت** قد جعل ذلك دليلا على انه منزل من عنده آية لانه لو كان من قول البشر او غير آية لتطرق عليه الزيادة والنقصان كما يتطرق على كل كلام سواه وقيل الضمير فى له لرسول الله صلى الله عليه وسلم كقوله تعالى والله يعصمك فى شيع الاولين فى فرقهم وطوائفهم والشيعة الفرقة اذا اتفقوا على مذهب وطريقة ومعنى ارسلناه فيهم نبأناه فيهم وجعلناه رسولا فيما بينهم وما يأتيهم حكاية حال ماضية لان ما لا تدخل على مضارع الا وهو بمعنى الحال ولا على ماض الا وهو قريب من الحال يقال سلكت الخيط فى الابرة واسلكته اذا ادخلته فيها ونظمته كذلك نسلكه فى قلوب المجرمين لا يؤمنون به وقد خلت سنة الاولين ولو فتحنا عليهم بابا من السماء فظلوا فيه يعرجون لقالوا انما سكرت ابصارنا بل نحن قوم مسحورون ولقد جعلنا فى السماء بروجا وزيناها للناظرين وحفظناها من كل شيطان رجيم الا من استرق السمع فاتبعه شهاب مبين **وقرئ** نسلكه والضمير للذكر اى مثل ذلك السلك ونحوه نسلك الذكر فى قلوب المجرمين على معنى انه نلقيه فى قلوبهم مكذبا مستهزأ به غير مقبول كما لو انزلت بلئيم حاجة فلم يجبك اليها فقلت كذلك انزلها باللئام يعنى مثل هذا الانزال انزلها بهم مردودة غير مقضية ومحل قوله تعالى لا يؤمنون به النصب على الحال اى غير مؤمن به او هو بيان لقوله تعالى كذلك نسلكه سنة الاولين طريقتهم التى سنها الله فى اهلاكهم حين كذبوا برسلهم وبالذكر المنزل عليهم وهو وعيد لاهل مكة على تكذيبهم **وقرئ** يعرجون بالضم والكسر وسكرت حيرت او حبست من الابصار من السكر او السكر **وقرئ** سكرت بالتخفيف اى حبست كما يحبس النهر من الجرى **وقرئ** سكرت من السكر اى حارت كما يحار السكران والمعنى ان هؤلاء المشركين بلغ من غلوهم فى العناد ان لو فتح لهم باب من ابواب السماء ويسر لهم معراج يصعدون فيه اليها ورأوا من العيان ما رأوا لقالوا هو شىء نتخايله لا حقيقة له ولقالوا قد سحرنا محمد بذلك وقيل الضمير للملائكة اى لو اريناهم الملائكة يصعدون الى السماء عيانا لقالوا ذلك وذكر الظلول ليجعل عروجهم بالنهار ليكونوا مستوضحين لما يرون وقال انما ليدل على انهم يبتون القول بان ذلك ليس الا تسكيرا للابصار الا من استرق فى محل النصب على الاستثناء وعن ابن عباس رضى الله عنهما انهم كانوا لا يحجبون عن السموات فلما ولد عيسى عليه السلام منعوا من ثلاث سموات فلما ولد محمد صلى الله عليه وسلم منعوا من السموات كلها شهاب مبين ظاهر للمبصرين والارض مددناها والقينا فيها رواسى وانبتنا فيها من كل شىء موزون وجعلنا لكم فيها معايش ومن لستم له برازقين وان من شىء الا عندنا خزائنه وما ننزله الا بقدر معلوم موزون وزن بميزان الحكمة وقدر بمقدار تقتضيه لا تصلح فيه زيادة ولا نقصان او له وزن وقدر فى ابواب النعمة والمنفعة وقيل ما يوزن من نحو الذهب والفضة والنحاس والحديد وغيرها معايش بياء صريحة بخلاف الشمائل والخبائث ونحوهما فان تصريح الياء فيها خطاء والصواب

الهمزة او اخراج الياء بين بين وقد قرئ معائش بالهمز على التشبيه ومن لستم له برازقين عطف على معايش او على لكم كانه قيل وجعلنا لكم فيها معايش وجعلنا لكم من لستم له برازقين او وجعلنا لكم معايش ولمن لستم له برازقين واراد بهم العيال والمماليك والخدم الذين تحسبون انكم ترزقونهم وتخطئون فان الله هو الرزاق يرزقكم واياهم ويدخل فيه الانعام والدواب وكل ما بتلك المثابة مما الله رازقه وقد سبق الى ظنهم انهم الرازقون ولا يجوز ان يكون مجرورا عطفا على الضمير المجرور فى لكم لانه لا يعطف على الضمير المجرور ذكر الخزائن تمثيل والمعنى وما من شىء ينتفع به العباد الا ونحن قادرون على ايجاده وتكوينه والانعام به وما نعطيه الا بمقدار معلوم نعلم انه مصلحة له فضرب الخزائن مثلا لاقتداره على كل مقدور وارسلنا الرياح لواقح فانزلنا من السماء ماء فاسقيناكموه وما انتم له بخازنين وانا لنحن نحيى ونميت ونحن الوارثون لواقح فيه قولان احدهما ان الريح لاقح اذا جاءت بخير من انشاء سحاب ماطر كما قيل للتى لا تأتى بخير عقيم والثانى ان اللواقح بمعنى الملاقح كما قال ومختبط مما تطيح الطوائح يريد المطاوح جمع مطيحة **وقرئ** وارسلنا الريح على تأويل الجنس فاسقيناكموه فجعلناه لكم سقيا وما انتم له بخازنين نفى عنهم ما اثبته لنفسه فى قوله تعالى وان من شىء الا عندنا خزائنه كانه قال نحن الخازنون للماء على معنى نحن القادرون على خلقه فى السماء وانزاله منها وما انتم عليه بقادرين دلالة على عظيم قدرته واظهارا لعجزهم ونحن الوارثون اى الباقون بعد هلاك الخلق كلهم وقيل للباقى وارث استعارة من وارث الميت لانه يبقى بعد فنائه ومنه قوله صلى الله عليه وسلم فى دعائه واجعله الوارث منا ولقد علمنا المستقدمين منكم ولقد علمنا المستأخرين وان ربك هو يحشرهم انه حكيم عليم ولقد علمنا من استقدم ولادة وموتا ومن تأخر من الاولين والآخرين او من خرج من اصلاب الرجال ومن لم يخرج بعد او من تقدم فى الاسلام وسبق الى الطاعة ومن تأخر وقيل المستقدمين فى صفوف الجماعة والمستأخرين **وروى** ان امرأة حسناء كانت فى المصليات خلف النبى صلى الله عليه وسلم وكان بعض القوم يستقدم لئلا ينظر اليها وبعض يتأخر ليبصرها فنزلت هو يحشرهم اى هو وحده القادر على حشرهم والعالم بحصرهم مع افراط كثرتهم وتباعد اطراف عددهم انه حكيم عليم باهر الحكمة وواسع العلم يفعل كل ما يفعله على مقتضى الحكمة والصواب وقد احاط علما بكل شىء ولقد خلقنا الانسان من صلصال من حمإ مسنون والجان خلقناه من قبل من نار السموم واذ قال ربك للملائكة انى خالق بشرا من صلصال من حمإ مسنون الصلصال الطين اليابس الذى يصلصل وهو غير مطبوخ فاذا طبخ فهو فخار قالوا اذا توهمت فى صوته مدا فهو صليل وان توهمت فيه ترجيعا فهو صلصلة وقيل هو تضعيف صل اذا انتن والحمأ الطين الاسود المتغير والمسنون المصور من سنة الوجه وقيل المصبوب المفرغ اى افرغ صورة الانسان كما تفرغ الصور من الجواهر المذوبة فى امثلتها وقيل المنتن من سننت الحجر على الحجر اذا حككته به فالذى يسيل بينهما سنين ولا يكون الا منتنا من حمإ صفة لصلصال اى خلقه من صلصال كائن من حمإ وحق مسنون بمعنى مصور ان يكون صفة لصلصال كانه افرغ الحمأ فصور منها تمثال انسان اجوف فيبس حتى اذا نقر صلصل ثم غيره بعد ذلك الى جوهر آخر والجان للجن كآدم للناس وقيل هو ابليس **وقرأ** الحسن وعمرو بن عبيد رحمهما الله والجأن بالهمز من نار السموم من نار الحر الشديد النافذ فى المسام قيل هذه السموم

جزءًا من سبعين جزءًا من سموم النار التي خلق الله منها الجان فاذا سويته ونفخت فيه من روحي فقعوا له ساجدين فسجد الملائكة كلهم اجمعون الا ابليس ابى ان يكون مع الساجدين قال يا ابليس ما لك الا تكون مع الساجدين قال لم اكن لاسجد لبشر خلقته من صلصال من حماء مسنون واذ قال ربك واذكر وقت قوله سويته عدلت خلقته واكملتها وهيأتها لنفخ الروح فيها ومعنى ونفخت فيه من روحي واحييته وليس ثم نفخ ولا منفوخ وانما هو تمثيل لتحصيل ما يحيا فيه واستثنى ابليس من الملائكة لانه كان بينهم مأمورًا معهم بالسجود فغلب اسم الملائكة ثم استثنى بعد التغليب كقولك رأيتهم الا هندًا وابى استيناف على تقدير قول قائل يقول هلا سجد فقيل ابى ذلك واستكبر عنه وقيل معناه ولكن ابليس ابى حرف الجر مع ان محذوف تقديره ما لك في ان لا تكون مع الساجدين بمعنى اي غرض لك في ابائك السجود واي داع لك اليه اللام في لاسجد لتأكيد النفي ومعناه لا يصح مني وينافي حالي ويستحيل ان اسجد لبشر قال فاخرج منها فانك رجيم وان عليك اللعنة الى يوم الدين قال رب فانظرني الى يوم يبعثون قال فانك من المنظرين الى يوم الوقت المعلوم رجيم شيطان من الذين يرجمون بالشهب او مطرود من رحمة الله لان من يطرد يرجم بالحجارة ومعناه ملعون لان اللعن هو الطرد من الرحمة والابعاد منها والضمير في منها راجع الى الجنة او السماء او الى جملة الملائكة وضرب يوم الدين حدًّا للعنة اما لانه ابعد غاية يضربها الناس في كلامهم كقوله تعالى ما دامت السموات والارض في التأبيد واما ان يراد انك مذموم مدعو عليك باللعنة في السموات والارض الى يوم الدين من غير ان تعذب فاذا جاء ذلك اليوم عذبت بما ينسى اللعن معه ويوم الدين ويوم يبعثون ويوم الوقت المعلوم في معنى واحد ولكن خولف بين العبارات سلوكًا بالكلام طريقة البلاغة وقيل انما سأل الانظار الى اليوم الذي فيه يبعثون لئلا يموت لانه لا يموت يوم البعث احد فلم يجب الى ذلك وانظر الى اخر ايام التكليف قال رب بما اغويتني لازينن لهم في الارض ولاغوينهم اجمعين الا عبادك منهم المخلصين قال هذا صراط علي مستقيم ان عبادي ليس لك عليهم سلطان الا من اتبعك من الغاوين بما اغويتني الباء للقسم وما مصدرية وجواب القسم لازينن والمعنى اقسم باغوائك اياي لازينن لهم ومعنى اغوائه اياه تسبيبه لغيه بان امره بالسجود لادم عليه السلام فافضى ذلك الى غيه وما الامر بالسجود الا حسن وتعريض للثواب بالتواضع والخضوع لامر الله ولكن ابليس اختار الاباء والاستكبار فهلك والله تعالى بريء من غيه ومن ارادته والرضا به ونحوه قوله تعالى بما اغويتني لازينن قوله تعالى فبعزتك لاغوينهم اجمعين في انه اقسام الا ان احدهما اقسام بصفته والثاني اقسام بفعله وقد فرق الفقها بينهما ويجوز ان لا يكون قسمًا ويقدر قسم محذوف ويكون المعنى بسبب تسبيبك لاغوائي اقسم لافعلن بهم نحو ما فعلت بي من التسبيب لاغوائهم بان ازين لهم المعاصي واوسوس اليهم ما يكون سبب هلاكهم في الارض في الدنيا التي هي دار الغرور كقوله تعالى اخلد الى الارض واتبع هواه او اراد اني اقدر على الاحتيال لادم والتزيين له الاكل من الشجرة وهو في السماء فانا على التزيين لاولاده في الارض اقدر او اراد لاجعلن مكان التزيين عندهم الارض ولاوقعن تزييني فيها لازينها في اعينهم ولاحدثنهم بان الزينة في الدنيا وحدها حتى يستحبوها على الاخرة ويطمئنوا اليها دونها ونحوه يجرح في عراقيبها نصلي استثنى المخلصين لانه علم ان كيده

لا يجعل فيهم ولا يقبلون منه اي هذا طريق حق علي ان اراعيه وهو ان لا يكون لك سلطان على عبادي الا من اختار اتباعك منهم لغوايته وقرئ علي وهو من علو الشرف والفضل وان جهنم لموعدهم اجمعين لها سبعة ابواب لكل باب منهم جزء مقسوم ان المتقين في جنات وعيون ادخلوها بسلام امنين لموعدهم الضمير للغاوين وقيل ابواب النار اطباقها فاعلاها للموحدين والثاني لليهود والثالث للنصارى والرابع للصابئين والخامس للمجوس والسادس للمشركين والسابع للمنافقين وعن ابن عباس رضي الله عنهما ان جهنم لمن ادعى الربوبية ولظى لعبدة النار والحطمة لعبدة الاصنام وسقر لليهود والسعير للنصارى والجحيم للصابئين والهاوية للموحدين وقرئ جزؤ بالتخفيف والتثقيل وقرأ الزهري جزّ بالتشديد كانه حذف الهمزة والقى حركتها على الزاء كقولك خب في خبء ثم وقف عليه بالتشديد كقولهم الرجل ثم اجرى الوصل مجرى الوقف المتقي على الاطلاق من يتقي ما يجب اتقاؤه مما نهي عنه وعن ابن عباس رضي الله عنهما اتقوا الكفر والفواحش ولهم ذنوب تكفرها الصلوات وغيرها ادخلوها على ارادة القول وقرأ الحسن ادخلوها بسلام سالمين او مسلَّمًا عليكم تسلم عليهم الملائكة ونزعنا ما في صدورهم من غل اخوانًا على سرر متقابلين لا يمسهم فيها نصب وما هم منها بمخرجين الغل الحقد الكامن في القلب من انغل في جوفه وتغلغل اي ان كان لاحدهم في الدنيا غل على اخر نزع الله ذلك من قلوبهم وطيب نفوسهم وعن علي رضي الله عنه ارجو ان اكون انا وعثمان وطلحة والزبير منهم وعن الحرث الاعور كنت جالسًا عنده اذ جاء ابن طلحة فقال له علي رضي الله عنه مرحبًا بك يا ابن اخي اما والله اني لارجو ان اكون انا وابوك ممن قال الله فيهم ونزعنا ما في صدورهم من غل فقال له قائل كلا الله اعدل من ان يجعلك وطلحة في مكان واحد فقال فلمن هذه الاية لا ام لك وقيل معناه طهر الله قلوبهم من ان يتحاسدوا على الدرجات في الجنة ونزع منها كل غل والقى فيها التواد واخوانًا نصب على الحال وعلى سرر متقابلين كذلك وعن مجاهد تدور بهم الاسرة حيث داروا فيكونون في جميع احوالهم متقابلين نبئ عبادي اني انا الغفور الرحيم وان عذابي هو العذاب الاليم ونبئهم عن ضيف ابراهيم اذ دخلوا عليه فقالوا سلامًا قال انا منكم وجلون قالوا لا توجل انا نبشرك بغلام عليم قال ابشرتموني على ان مسني الكبر فبم تبشرون قالوا بشرناك بالحق فلا تكن من القانطين قال ومن يقنط من رحمة ربه الا الضالون لما اتم ذكر الوعد والوعيد اتبعه نبئ عبادي تقريرًا لما ذكر وتمكينًا له في النفوس وعن ابن عباس غفور لمن تاب وعذابه لمن لم يتب وعطف ونبئهم على نبئ عبادي ليتخذوا ما احل من العذاب بقوم لوط عبرة يعتبرون بها سخط الله وانتقامه من المجرمين ويتحققوا عنده ان عذابه هو العذاب الاليم سلامًا نسلم عليك سلامًا او سلمت سلامًا وجلون خائفون وكان خوفهم لامتناعهم من الاكل وقيل لانهم دخلوا بغير اذن وبغير وقت وقرأ الحسن رحمة الله عليه لا توجل بضم التاء من اوجله يوجله اذا اخافه وقرئ لا تاجل ولا تواجل من واجله بمعنى اوجله وقرئ نبشرك بفتح النون والتخفيف انا نبشرك استيناف في معنى التعليل للنهي عن الوجل ارادوا انك بمثابة الامن المبشر فلا توجل يعني ابشرتموني مع مس الكبر بان يولد لي اي ان الولادة امر عجيب مستنكر في العادة مع الكبر فبم تبشرون هي ما الاستفهامية دخلها معنى التعجب كانه قال فباي اعجوبة

تبشرون او اراد تبشروني بما هو غير متصور في العادة فبأي شيء تبشرون يعني لا تبشروني في الحقيقة بشيء لان البشارة بمثل هذا بشارة بغير شيء ويجوز ان لا تكون صلة للبشر ويكون سؤالا عن الوجه والطريقة يعني بأي طريقة تبشرونني بالولد والبشارة به لا طريقة لها في العادة وقوله تعالى بشرناك بالحق يحتمل ان تكون الباء فيه صلة اي بشرناك باليقين الذي لا لبس فيه او بشرناك بطريقة هي حق وهي قول الله ووعده وانه قادر على ان يوجد ولدا من غير ابوين فكيف من شيخ فان وعجوز عاقر **وقرئ** تبشرون بفتح النون وبكسرها على حذف نون الجمع والاصل تبشرونني وتبشرونّ بادغام نون الجمع في نون العماد وقرئ من القنطين من قنط يقنط **وقرئ** ومن يقنط بالحركات الثلاث في النون اراد ومن يقنط من رحمة ربه الا المخطئون طريق الصواب او الا الكافرون كقوله تعالى لا ييأس من روح الله الا القوم الكافرون يعني لم استنكر ذلك قنوطا من رحمته ولكن استبعادا له في العادة التي اجراها الله قال فما خطبكم ايها المرسلون قالوا انا ارسلنا الى قوم مجرمين الا آل لوط انا لمنجوهم اجمعين الا امرأته قدرنا انها لمن الغابرين **فان قلت** قوله تعالى الا آل لوط استثناء متصل ام منقطع **قلت** لا يخلو من ان يكون استثناء من قوم فيكون منقطعا لان القوم موصوفون بالاجرام فاختلف لذلك الجنسان وان يكون استثناء من الضمير في مجرمين فيكون متصلا كانه قيل الى قوم قد اجرموا كلهم الا آل لوط وحدهم كما قال فما وجدنا فيها غير بيت من المسلمين فان قلت فهل يختلف المعنى لاختلاف الاستثنائين قلت نعم وذلك ان آل لوط مخرجون في المنقطع من حكم الارسال وعلى انهم ارسلوا الى القوم المجرمين خاصة ولم يرسلوا الى آل لوط اصلا ومعنى ارسالهم الى القوم المجرمين كارسال الحجر او السهم الى المرمى في انه في معنى التعذيب والاهلاك كانه قيل انا اهلكنا قوما مجرمين ولكن آل لوط انجيناهم واما في المتصل فهم داخلون في حكم الارسال وعلى ان الملائكة ارسلوا اليهم جميعا ليهلكوا هؤلاء وينجوا هؤلاء فلا يكون الارسال مخلصا بمعنى الاهلاك والتعذيب كما في الوجه الاول **فان قلت** فقوله انا لمنجوهم بم يتعلق على الوجهين **قلت** اذا انقطع الاستثناء جرى مجرى خبر لكن في الاتصال بآل لوط لان المعنى لكن آل لوط منجون واذا اتصل كان كلاما مستأنفا كان ابراهيم صلوات الله عليه قال لهم فما حال آل لوط فقالوا انا لمنجوهم فان قلت فقوله تعالى الا امرأته مم استثني وهل هو استثناء من استثناء قلت استثني من الضمير المجرور في قوله تعالى لمنجوهم وليس من الاستثناء في شيء لان الاستثناء من الاستثناء انما يكون فيما اتحد الحكم فيه وان يقال اهلكناهم الا آل لوط الا امرأته كما اتحد الحكم في قول المطلق انت طالق ثلثا الا اثنتين الا واحدة وفي قول المقر لفلان علي عشرة دراهم الا ثلاثة الا درهما فاما في الآية فقد اختلف الحكمان لان الا آل لوط متعلق بارسلنا او بمجرمين والا امرأته قد تعلق بمنجوهم فانى يكون استثناء من استثناء وقرئ لمنجوهم بالتخفيف والتثقيل **فان قلت** لم جاز تعليق فعل التقدير في قوله تعالى قدرنا انها لمن الغابرين والتعليق من خصائص افعال القلوب قلت لتضمن فعل التقدير معنى العلم ولذلك فسر العلماء تقدير الله اعمال العباد بالعلم فان قلت فلم اسند الملائكة فعل التقدير وهو لله وحده الى انفسهم ولم يقولوا قدر الله قلت لما لهم من القرب والاختصاص بالله الذي ليس لاحد غيرهم كما يقول خاصة الملك دبرنا كذا

وامرنا بكذا او المدبر والآمر هو الملك لا هم وانما يظهرون بذلك اختصاصهم وانهم لا يتميزون عنه **وقرئ** قدرنا بالتخفيف فلما جاء آل لوط المرسلون قال انكم قوم منكرون قالوا بل جئناك بما كانوا فيه يمترون وأتيناك بالحق وانا لصادقون فاسر باهلك بقطع من الليل واتبع ادبارهم ولا يلتفت منكم احد وامضوا حيث تؤمرون وقضينا اليه ذلك الامر ان دابر هؤلاء مقطوع مصبحين منكرون اي تنكركم نفسي وتنفر منكم فاخاف ان تطرقوني بشر بدليل قوله تعالى بل جئناك بما كانوا فيه يمترون اي ما جئناك بما تنكرنا لاجله بل جئناك بما فيه فرحك وسرورك وتشفيك من عدوك وهو العذاب الذي كنت تتوعدهم بنزوله فيمترون فيه ويكذبونك بالحق باليقين من عذابهم وانا لصادقون في الاخبار بنزوله بهم **وقرئ** فاسر بقطع الهمزة ووصلها من اسرى وسرى وروى صاحب الاقليد فسر من السير والقطع في آخر الليل **قال**

افتحي الباب وانظري في النجوم ... كم علينا من قطع ليل بهيم

وقيل هو بعد ما يمضي شيء صالح من الليل **فان قلت** ما معنى امره باتباع ادبارهم ونهيهم عن الالتفات قلت قد بعث الله الهلاك على قومه ونجاه واهله اجابة لدعوته عليهم وخرج مهاجرا فلم يكن له بد من الاجتهاد في شكر الله وادامة ذكره وتفريغ باله لذلك فامر بان يقدمهم لئلا يشتغل بمن خلفه قلبه وليكون مطلعا عليهم وعلى احوالهم فلا تفرط منهم التفاتة احتشاما منه ولا غيرها من الهفوات في تلك الحال المهولة المحذورة ولئلا يتخلف منهم احد لغرض له فيصيبه العذاب وليكون مسيره مسير الهارب الذي يقدم سربه ويفوت به ونهوا عن الالتفات لئلا يروا ما ينزل بقومهم من العذاب فيرقوا لهم وليوطنوا انفسهم على المهاجرة ويطيبوا نفسا عن مساكنهم ويمضوا قدما غير ملتفتين الى ما وراءهم كالذي يتحسر على مفارقة وطنه فلا يزال يلوي اليه اخادعه كما **قال**

تلفت نحو الحي حتى وجدتني ... وجعت من الاصغاء ليتا واخدعا

او جعل النهي عن الالتفات كناية عن مواصلة السير وترك التواني والتوقف لان من يلتفت لا بد له في ذلك من ادنى وقفة حيث تؤمرون قيل هو مصر وعدى وامضوا الى حيث تعديته الى الظرف المبهم لان حيث مبهم في الامكنة وكذلك الضمير في تؤمرونه وعدى وقضينا بالى لانه ضمن معنى اوحينا كانه قيل واوحينا اليه مقضيا مبتوتا وفسر ذلك الامر بقوله تعالى ان دابر هؤلاء مقطوع وفي ابهامه وتفسيره تفخيم للامر وتعظيم له **وقرا** الاعمش ان بالكسر على الاستيناف كان قائلا قال اخبرنا عن ذلك الامر فقال ان دابر هؤلاء وفي قراءة ابن مسعود وقلنا ان دابر هؤلاء ودابرهم آخرهم يعني يستأصلون عن آخرهم حتى لا يبقى منهم احد وجاء اهل المدينة يستبشرون قال ان هؤلاء ضيفي فلا تفضحون واتقوا الله ولا تخزون قالوا اولم ننهك عن العالمين قال هؤلاء بناتي ان كنتم فاعلين لعمرك انهم لفي سكرتهم يعمهون اهل المدينة اهل سذوم التي ضرب بقاضيها المثل في الجور مستبشرين بالملائكة لا تفضحون بفضيحة ضيفي لان من اسيء الى ضيفه او جاره فقد اسيء اليه كما ان من اكرم من يتصل به فقد اكرم ولا تخزون ولا تذلوني باذلال ضيفي من الخزي وهو الهوان او ولا تشوروا بي من الخزاية وهي الحياء عن العالمين عن ان تجير منهم احدا او تدفع عنهم او تمنع بيننا وبينهم فانهم كانوا يتعرضون لكل احد وكان يقوم صلى الله عليه وسلم بالنهي عن المنكر والحجز بينهم وبين المتعرض له فاوعدوه وقالوا لئن لم تنته يا لوط لتكونن من المخرجين وقيل عن ضيافة الناس وانزالهم وكانوا نهوه ان يضيف

قال صاحب الكشف لم يجب بمعنى مصبحين ومشرقين باعتبار الابتداء والانتهاء وذلك ان تقول مشرقين بمعنى تقطع غرب انتهى قلت ان جعل الكلام حال مقدرة وما بعدها على ان الاهلاك ... ان الاهلاك ... ان ... مشرقين ... الصيحة ... والكبرى دون الاهلاك لكفاية العلة فيه وهذا الكتوب في سورة هود
سامحه الله

أمسا فقط هؤلاء بناتى اشارة الى النساء لان كل امة اولاد نبيها رجالهم بنوه ونساؤهم بناته فكانه قال لهم هؤلاء
بناتى فانكحوهن وخلوا بنى فلا تتعرضوا لهم ان كنتم فاعلين شك فى قبولهم لقوله كانه قال ان فعلتم ما
اقول لكم وما اظنكم تفعلون وقيل ان كنتم تريدون قضاء الشهوة فيما احل الله دون ما حرمه لعمرك
على ارادة القول اى قالت الملائكة للوط عليه السلام لعمرك انهم لفى سكرتهم اى فى غوايتهم
التى اذهبت عقولهم وتمييزهم بين الخطاء الذى هم عليه وبين الصواب الذى تشير به عليهم من ترك البنين
الى البنات يعمهون يتحيرون فكيف يقبلون قولك ويصغون الى نصيحتك وقيل الخطاب لرسول الله عليه
السلام وانه اقسم بحياته وما اقسم بحياة احد قط كرامة له والعمر والعمر واحد الا انهم خصوا القسم
بالمفتوح لايثار الاخف فيه وذلك ان الحلف كثير الدور على السنتهم ولذلك حذفوا الخبر وتقديره
لعمرك مما اقسم به كما حذفوا الفعل فى قولك بالله وقرئ فى سكرهم وفى سكراتهم فاخذتهم
الصيحة مشرقين فجعلنا عاليها سافلها وامطرنا عليهم حجارة من سجيل ان فى ذلك لايات
للمتوسمين وانها لبسبيل مقيم ان فى ذلك لاية للمؤمنين الصيحة صيحة جبريل مشرقين
داخلين فى الشروق وهو بزوغ الشمس من سجيل قيل من طين عليه كتاب من السجل ودليله قوله حجارة
من طين مسومة عند ربك اى معلمة بكتاب للمتوسمين للمتفرسين المتأملين وحقيقة المتوسمين النظار
المتثبتون فى نظرهم حتى يعرفوا حقيقة سمة الشئ يقال توسمت فى فلان كذا اى عرفت وسمه فيه والضمير
فى عاليها سافلها لقرى قوم لوط وانها وان هذه القرى يعنى اثارها لبسبيل مقيم ثابت يسلكه الناس
لم يندرس بعد وهم يبصرون تلك الاثار وهو تنبيه لقريش كقوله تعالى وانكم لتمرون عليهم
مصبحين وان كان اصحاب الايكة لظالمين فانتقمنا منهم وانهما لبامام مبين ولقد كذب اصحاب
الحجر المرسلين واتيناهم اياتنا فكانوا عنها معرضين وكانوا ينحتون من الجبال بيوتا امنين
فاخذتهم الصيحة مصبحين فما اغنى عنهم ما كانوا يكسبون اصحاب الايكة قوم شعيب وانهما
يعنى قرى قوم لوط والايكة وقيل الضمير للايكة ومدين لان شعيبا عليه السلام كان مبعوثا اليهما
فلما ذكر الايكة دل بذكرها على مدين فجاء بضميرها لبامام مبين لبطريق واضح والامام اسم ما يؤتم
به فسمى به الطريق ومطمر البناء واللوح الذى يكتب فيه لانها مما يؤتم به اصحاب الحجر ثمود والحجر
واديهم وهو بين المدينة والشام المرسلين يعنى بتكذيبهم صالحا لان من كذب واحدا منهم فكانما
كذبهم جميعا او اراد صالحا ومن معه من المؤمنين كما قيل الخبيبون فى ابن الزبير واصحابه وعن
جابر رضى الله عنه مررنا مع رسول الله صلى الله عليه وسلم على الحجر فقال لنا لا تدخلوا مساكن الذين
ظلموا انفسهم الا ان تكونوا باكين حذرا ان يصيبكم مثل ما اصاب هؤلاء ثم زجر رسول الله صلى الله
عليه وسلم راحلته فاسرع حتى خلفها امنين لوثاقة البيوت واستحكامها من ان تتهدم ويتداعى
بنيانها ومن نقب اللصوص ومن الاعداء وحوادث الدهر او امنين من عذاب الله يحسبون ان الجبال
تحميهم منه ما كانوا يكسبون من بناء البيوت الوثيقة والاموال والعدد وما خلقنا السموات والارض
وما بينهما الا بالحق وان الساعة لاتية فاصفح الصفح الجميل ان ربك هو الخلاق العليم
ولقد اتيناك سبعا من المثانى والقران العظيم الا بالحق الا خلقا ملتبسا بالحق والحكمة
لا باطلا وعبثا او بسبب العدل والانصاف يوم الجزاء على الاعمال وان الساعة لاتية وان
الله ينتقم لك فيها من اعدائك ويجازيك واياهم على حسناتك وسيئاتهم فانه ما خلق السموات والارض

وما بينهما الا لذلك فاصفح فاعرض عنهم واحتمل ما تلقى منهم اعراضا جميلا بحلم واغضاء وقيل هو منسوخ
باية السيف ويجوز ان يراد به المخالقة فلا يكون منسوخا ان ربك هو الخلاق الذى خلقك وخلقهم
وهو العليم بحالك وحالهم فلا يخفى عليه ما يجرى بينكم وهو يحكم بينكم او ان ربك هو الذى خلقكم
وعلم ما هو الاصلح لكم وقد علم ان الصفح اليوم اصلح الى ان يكون السيف اصلح وفى مصحف ابى وعثمان
رضى الله عنهما ان ربك هو الخالق وهو يصلح للقليل والكثير والخلاق للكثير لا غير كقولك قطع الثياب
وقطع الثوب والثياب سبعا سبع ايات وهى الفاتحة او سبع سور وهى الطول واختلف فى السابعة
فقيل الانفال وبراءة لانهما فى حكم سورة ولذلك لم يفصل بينهما باية التسمية وقيل سورة يونس
وقيل هى الحواميم او سبع صحائف وهى الاسباع والمثانى من التثنية وهى التكرير لان الفاتحة مما
تكرر قراءتها فى الصلوة وغيرها او من الثناء لاشتمالها على ما هو ثناء على الله الواحد مثناة او
مثنية صفة للاية واما السور او الاسباع فلما وقع فيها من تكرير القصص والمواعظ والوعد والوعيد وغير
ذلك ولما فيها من الثناء كانها تثنى على الله بافعاله العظمى وصفاته الحسنى ومن اما للبيان او للتبعيض
اذا اردت بالسبع الفاتحة او الطول وللبيان اذا اردت الاسباع ويجوز ان يكون كتب الله كلها
مثانى لانها تثنى على الله ولما فيها من المواعظ المكررة ويكون القران بعضها فان قلت كيف
صح عطف القران العظيم على السبع وهل هو الا عطف الشئ على نفسه [illegible] اذا عنى بالسبع الفاتحة
او الطول فما وراءهن ينطلق عليه اسم القران لانه اسم يقع على البعض كما يقع على الكل الا ترى الى
قوله بما اوحينا اليك هذا القران يعنى سورة يوسف واذا عنيت الاسباع فالمعنى ولقد
اتيناك ما يقال له السبع المثانى والقران العظيم اى الجامع لهذين النعتين وهو الثناء او التثنية
والعظم اى لا تطمح ببصرك طموح راغب فيه متمن له الى ما متعنا به ازواجا منهم اصنافا من الكفار
فان قلت كيف وصل هذا بما قبله قلت يقول لرسوله قد اوتيت النعمة العظمى التى كل نعمة
وان عظمت فهى اليها حقيرة ضئيلة وهى القران العظيم فعليك ان تستغنى به ولا تمدن عينيك الى
متاع الدنيا ومنه الحديث ليس منا من لم يتغن بالقران وحديث ابى بكر رضى الله عنه من اوتى القران
فراى ان احدا اوتى من الدنيا افضل مما اوتى فقد صغر عظيما وعظم صغيرا وقيل وافت من بصرى
واذرعات سبع قوافل ليهود بنى قريظة والنضير فيها انواع البز والطيب والجوهر وسائر الامتعة
فقال المسلمون لو كانت هذه القوافل لنا لتقوينا بها ولانفقناها فى سبيل الله فقال لهم الله
عز وجل لقد اعطيتكم سبع ايات هى خير من هذه القوافل السبع لا تمدن عينيك الى ما متعنا به
ازواجا منهم ولا تحزن عليهم واخفض جناحك للمؤمنين وقل انى انا النذير المبين كما
انزلنا على المقتسمين الذين جعلوا القران عضين ولا تحزن عليهم يعنى لا تتمن اموالهم ولا
تحزن عليهم انهم لم يؤمنوا فيتقوى بمكانهم الاسلام وينتعش بهم المؤمنون وتواضع لمن معك من
فقراء المؤمنين وضعفائهم وطب نفسا عن ايمان الاغنياء والاقوياء وقل لهم انى انا النذير المبين
انذركم ببيان وبرهان ان عذاب الله نازل بكم فان قلت بم تعلق قوله كما انزلنا قلت
فيه وجهان احدهما ان يتعلق بقوله ولقد اتيناك اى انزلنا عليك مثل ما انزلنا على اهل الكتاب
وهم المقتسمون الذين جعلوا القران عضين حيث قالوا بعنادهم وعدوانهم بعضه حق موافق
للتوراة والانجيل وبعضه باطل مخالف لهما فاقتسموه الى حق وباطل وعضوه وقيل كانوا يستهزءون

يقولون بعضهم سورة البقرة لي ويقول الآخر سورة آل عمران لي ۞ ويجوز أن يراد بالقرآن ما يقرؤونه من
كتبهم وقد اقتسموه بتحريفهم بأن اليهود أقرت ببعض التوراة وكذبت ببعض ۞ والنصارى أقرت
ببعض الإنجيل وكذبت ببعض وهذا تسلية لرسول الله عليه السلام عن صنيع قومه بالقرآن وتكذيبهم
وقولهم سحر وشعر وأساطير بأن غيرهم من الكفرة فعلوا بغيره من الكتب نحو فعلهم ۞ والثاني أن يتعلق
بقوله وقل إني أنا النذير أي وأنذر قريشًا مثل ما أنزلنا من العذاب على المقتسمين يعني اليهود
وهو ما جرى على قريظة والنضير جعل المتوقع بمنزلة الواقع وهو من الإعجاز لأنه إخبار بما سيكون
وقد كان ۞ ويجوز أن يكون الذين جعلوا القرآن عضين منصوبًا بالنذير أي أنذر المعضين الذين
يجزئون القرآن إلى سحر وشعر وأساطير مثل ما أنزلنا على المقتسمين وهم الاثنا عشر الذين اقتسموا
مداخل مكة أيام الموسم فقعدوا في كل مدخل متفرقين لينفروا الناس عن الإيمان برسول الله عليه
السلام يقول بعضهم لا تغتروا بالخارج منا فإنه ساحر ويقول الآخر كذاب والآخر شاعر فأهلكهم
الله يوم بدر وقبله بآفات كالوليد بن المغيرة والعاص بن وائل والأسود بن المطلب وغيرهم
أو مثل ما أنزلنا على الرهط الذين تقاسموا على أن يبيتوا صالحًا عليه السلام فالاقتسام بمعنى
التقاسم **فإن قلت** إذا علقته بقوله كما أنزلنا بقوله ولقد آتيناك فما معنى توسط لا تمدن إلى آخره
بينهما لما كان ذلك تسلية لرسول الله عليه السلام عن تكذيبهم وعداوتهم اعترض بما
هو مدد لمعنى التسلية من النهي عن الالتفات إلى دنياهم والتأسف على كفرهم ومن الأمر بأن يقبل
بمجامعه على المؤمنين عضين أجزاء جمع عضة وأصلها عضوة فعلة من عضى الشاة إذا جعلها أعضاء ۞
قال رؤبة وليس دين الله بالمعضى ۞ وقيل هي فعلة من عضهه إذا بهته ۞ وعن عكرمة العضة
السحر بلسان قريش يقولون للساحرة عاضهة ولعن رسول الله عليه السلام العاضهة والمستعضهة
نقصانها على الأول واو وعلى الثاني هاء **فوربك لنسألنهم أجمعين عما كانوا يعملون ۞ فاصدع
بما تؤمر وأعرض عن المشركين إنا كفيناك المستهزئين ۞ الذين يجعلون مع الله إلهًا آخر
فسوف يعلمون ۞ ولقد نعلم أنك يضيق صدرك بما يقولون فسبح بحمد ربك وكن من
الساجدين واعبد ربك حتى يأتيك اليقين ۞** لنسألنهم عبارة عن الوعيد وقيل يسألهم
سؤال تقريع ۞ وعن أبي العالية يسأل العباد عن خلتين عما كانوا يعبدون وماذا أجابوا المرسلين فاصدع
بما تؤمر فاجهر به وأظهره يقال صدع بالحجة إذا تكلم بها جهارًا كقولك صرح بها من الصديع
وهو الفجر والصدع في الزجاجة الإبانة ۞ وقيل فاصدع فافرق بين الحق والباطل بما تؤمر والمعنى
بما تؤمر به من الشرائع فحذف الجار **كقوله** أمرتك الخير فافعل ما أمرت به ۞ ويجوز أن تكون
ما مصدرية أي بأمرك مصدر من المبني للمفعول ۞ عن عروة بن الزبير في المستهزئين هم خمسة نفر ذوو
أسنان وشرف الوليد بن المغيرة والعاص بن وائل والأسود بن عبد يغوث ۞ والأسود بن المطلب ۞
والحرث بن الطلاطلة ۞ وعن ابن عباس ماتوا كلهم قبل بدر ۞ قال جبريل لرسول الله عليه السلام أمرت
أن أكفيكهم فأومى إلى ساق الوليد فمر بنبال فتعلق بثوبه سهم فلم ينعطف تعظمًا لأخذه فأصاب عرقًا
في عقبه فقطعه فمات ۞ وأومى إلى أخمص العاص بن وائل فدخلت فيها شوكة فقال لدغت لدغت
فانتفخت رجله حتى صارت كالرحى ومات ۞ وأشار إلى عيني الأسود بن المطلب فعمي ۞ وأشار إلى أنف
الحارث بن قيس فامتخط قيحًا فمات ۞ وإلى الأسود بن عبد يغوث وهو قاعد في أصل شجرة فجعل ينطح رأسه

بالحجر

بالشجرة ويضرب وجهه بالشوك حتى مات بما يقولون من أقاويل الطاعنين فيك وفي القرآن فسبح فافزع
فيما نابك إلى الله والفزع إلى الله هو الذكر الدائم وكثرة السجود يكفك ويكشف عنك الغم ودم على
عبادة ربك حتى يأتيك اليقين أي الموت أي ما دمت حيًّا فلا تخل بالعبادة ۞ وعن النبي عليه السلام أنه
كان إذا حزبه أمر فزع إلى الصلوة ۞ وعنه عليه السلام من قرأ سورة الحجر كان له من الأجر عشر حسنات
بعدد المهاجرين والأنصار والمستهزئين بمحمد صلى الله عليه وسلم ۞

غير ثلاث آيات في آخرها ۞ وتسمى سورة النعم وهي مائة وعشرون آية ۞ بسم الله الرحمن الرحيم
**أتى أمر الله فلا تستعجلوه سبحانه وتعالى عما يشركون ينزل الملائكة بالروح من أمره على من
يشاء من عباده أن أنذروا أنه لا إله إلا أنا فاتقون** كانوا يستعجلون ما وعدوا من قيام
الساعة أو نزول العذاب بهم يوم بدر استهزاء وتكذيبًا بالوعد فقيل لهم أتى أمر الله أي هو بمنزلة
الآتي الواقع وإن كان منتظرًا لقرب وقوعه فلا تستعجلوه **روي** أنه لما نزلت اقتربت الساعة قال
الكفار فيما بينهم إن هذا يزعم أن القيامة قد قربت فأمسكوا عن بعض ما تعملون حتى ننظر ما هو كائن
فلما تأخرت قالوا ما نرى شيئًا فنزلت اقترب للناس حسابهم فأشفقوا وانتظروا قربها فلما امتدت
الأيام قالوا يا محمد ما نرى شيئًا مما تخوفنا به فنزلت أتى أمر الله فوثب رسول الله ورفع الناس
رؤوسهم فنزلت فلا تستعجلوه فاطمأنوا **وقرئ** تستعجلوه بالتاء والياء سبحانه وتعالى عما يشركون
تبرأ وجل عن أن يكون له شريك وأن تكون آلهتهم له شركاء أو عن إشراكهم على أن ما موصولة أو مصدرية
فإن قلت كيف اتصل هذا باستعجالهم لأن استعجالهم استهزاء وتكذيب وذلك من الشرك
وقرئ تشركون بالياء والتاء ينزل قرئ بالتخفيف والتشديد وقرئ تنزل الملائكة أي تتنزل
بالروح من أمره بما يحيي القلوب الميتة بالجهل من وحيه أو بما يقوم في الدين مقام الروح في الجسد
وأن أنذروا بدل من الروح أي ينزلهم بأن أنذروا وتقديره بأنه أنذروا أي بأن الشأن أقول لكم
أنذروا أو تكون أن مفسرة لأن تنزيل الملائكة بالوحي فيه معنى القول ومعنى أنذروا أنه لا
إله إلا أنا أعلموا بأن الأمر ذلك من نذرت بكذا إذا علمته والمعنى يقول لهم أعلموا الناس قولي
لا إله إلا أنا فاتقون **خلق السموات والأرض بالحق تعالى عما يشركون ۞ خلق الإنسان من
نطفة فإذا هو خصيم مبين ۞ والأنعام خلقها لكم فيها دفء ومنافع ومنها تأكلون ۞ ولكم
فيها جمال حين تريحون وحين تسرحون** ثم دل على وحدانيته وأنه لا إله إلا هو بما ذكر مما
لا يقدر عليه غيره من خلق السموات والأرض وخلق الإنسان وما يصلحه وما لا بد له منه من
خلق البهائم لأكله وركوبه وجر أثقاله وسائر حاجاته وخلق ما لا يعلمون من أصناف خلائقه ومثله
متعال عن أن يشرك به غيره **وقرئ** يشركون بالياء والتاء فإذا هو خصيم مبين فيه معنيان
أحدهما فإذا هو منطيق مجادل عن نفسه مكافح للخصوم مبين للحجة من بعد ما كان نطفة من مني
جمادًا لا حس به ولا حركة دلالة على قدرته والثاني فإذا هو خصيم لربه منكر على خالقه قائل
من يحيي العظام وهي رميم وصفًا للإنسان بالإفراط في الوقاحة والجهل والتمادي في كفران النعمة
وقيل نزلت في أبي بن خلف الجمحي حين جاء بالعظم الرميم إلى رسول الله عليه السلام فقال يا محمد

اثرى الله يجي هذا بعد ما قدم ذكره الانعام الازواج الثمانية واكثر ما يقع على الابل وانتصابها بمضمر
يفسره الظاهر كقوله تعالى والقمر قدرناه ويجوز ان يعطفه على الانسان اى خلق الانسان والانعام
ثم قال خلقها لكم اى ما خلقها الا لكم ولمصالحكم يا جنس الانسان والدفء اسم ما يدفأ به كما
ان الملاء اسم ما يملأ به وهو الدفاء من لباس معمول من صوف او وبر او شعر وقرئ دفّ
بطرح الهمزة والقاء حركتها على الفاء ومنافع هى نسلها ودرها وغير ذلك فان قلت تقديم الظرف
فى قوله تعالى ومنها تاكلون مؤذن بالاختصاص وقد يؤكل من غيرها قلت الاكل منها هو
الاصل الذى يعتمده الناس فى معايشهم واما الاكل من غيرها من الدجاج والبط وصيد البر والبحر
فكغير المعتد به وكالجارى مجرى التفكه ويحتمل ان طعمتكم منها لانكم تحرثون بالبقر فالحب
والثمار التى تاكلونها منها وتكتسبون باكراء الابل وتبيعون نتاجها والبانها وجلودها
من الله تعالى بالتجمل بها كما من بالانتفاع بها لانه من اغراض اصحاب المواشى بل هو من معاظمها
لان الرعيان اذا روحوها بالعشى وسرحوها بالغداة فزينت باراحتها وتسريحها الافنية وتجاوب
فيها الثغاء والرغاء انست اهلها وفرحت اربابها واجلتهم فى عيون الناظرين اليها وكسبتهم
الجاه والحرمة عند الناس ونحوه لتركبوها وزينة يوارى سوآتكم وريشا فان قلت لم قدمت
الاراحة على التسريح قلت لان الجمال فى الاراحة اظهر اذا اقبلت ملأى البطون حافلة الضروع
ثم اوت الى الحظائر حاضرة لاهلها وقرأ عكرمة حينا تريحون وحينا تسرحون على ان تريحون وتسرحون
وصف للحين والمعنى تريحون فيه وتسرحون فيه كقوله عز وجل يوما لا تجزى وتحمل اثقالكم
الى بلد لم تكونوا بالغيه الا بشق الانفس ان ربكم لرؤف رحيم والخيل والبغال والحمير
لتركبوها وزينة ويخلق ما لا تعلمون وعلى الله قصد السبيل ومنها جائر ولو شاء
لهداكم اجمعين قرئ بشق الانفس بكسر الشين وفتحها وقيل هما لغتان فى معنى المشقة وبينهما قيل
فرق وهو ان المفتوح مصدر شق الامر عليه شقا وحقيقته راجعة الى الشق الذى هو الصدع
واما الشق فنصف كانه يذهب نصف قوته لما يناله من الجهد فان قلت ما معنى قوله لم
تكونوا بالغيه كانهم كانوا زمانا يتحملون المشاق فى بلوغه حتى حملت الابل اثقالهم معناه
وتحمل اثقالكم الى بلد لم تكونوا بالغيه فى التقدير لو لم تخلق الابل الا بجهد انفسكم لا انهم لم يكونوا
بالغيه فى الحقيقة فان قلت كيف طابق قوله لم تكونوا بالغيه قوله وتحمل اثقالكم وهلا قيل
لم تكونوا حامليها اليه قلت طباقه من حيث ان معناه وتحمل اثقالكم الى بلد بعيد قد علمتم انكم
لا تبلغونه بانفسكم الا بجهد ومشقة فضلا ان تحملوا على ظهوركم اثقالكم ويجوز ان يكون المعنى لم
تكونوا بالغيه بها الا بشق الانفس وقيل اثقالكم اجرامكم وعن عكرمة البلد مكة لرؤف رحيم
حيث رحمكم بخلق هذه الحوامل وتيسير هذه المصالح والخيل والبغال والحمير عطف على الانعام اى
خلق هؤلاء للركوب والزينة وقد احتج على حرمة اكل لحومهن بان علل خلقها بالركوب والزينة
ولم يذكر الاكل بعد ما ذكره فى الانعام فان قلت لم انتصب وزينة قلت لانه مفعول
له وهو معطوف على محل لتركبوها فان قلت فهلا ورد المعطوف والمعطوف عليه على سنن واحد
قلت لان الركوب فعل المخاطبين واما الزينة ففعل الزائن وهو الخالق وقرئ لتركبوها زينة
بغير واو اى وخلقها زينة لتركبوها او تجعل زينة حالا من هاء اى وخلقها لتركبوها وهى زينة

وجماله

وجماله ويخلق ما لا تعلمون يجوز ان يريد به ما يخلق فينا ولنا مما لا نعلم كنهه وتفاصيله ويمن علينا بذكره
كما من بالاشياء المعلومة مع الدلالة على قدرته ويجوز ان يخبرنا بان له من الخلائق ما لا علم لنا به
ليزيدنا دلالة على اقتداره بالاخبار بذلك وان طوى عنا علمه لحكمة له فى طيه وقد حمل على ما خلق فى الجنة
والنار مما لم يبلغه وهم احد ولا خطر على قلبه والمراد بالسبيل الجنس ولذلك اضاف اليها القصد
وقال ومنها جائر والقصد مصدر بمعنى الفاعل وهو القاصد يقال سبيل قصد وقاصد اى مستقيم
كانه يقصد الوجه الذى يؤمه السالك لا يعدل عنه ومعنى قوله تعالى وعلى الله قصد السبيل ان
هداية الطريق الموصل الى الحق واجبة عليه كقوله تعالى ان علينا للهدى فان قلت لم غير اسلوب
الكلام فى قوله ومنها جائر قلت ليعلم ما يجوز اضافته اليه من السبيلين وما لا يجوز ولو كان
الامر كما تزعم المجبرة لقيل وعلى الله قصد السبيل وعليه جائرها او وعليه الجائر وقرأ عبد الله ومنكم
جائر يعنى ومنكم جائر جائر عن القصد بسوء اختياره والله برئ منه ولو شاء لهداكم اجمعين قسرا
والجاء هو الذى انزل من السماء ماء لكم منه شراب ومنه شجر فيه تسيمون ينبت لكم به الزرع
والزيتون والنخيل والاعناب ومن كل الثمرات ان فى ذلك لاية لقوم يتفكرون وسخر
لكم الليل والنهار والشمس والقمر والنجوم مسخرات بامره ان فى ذلك لايات لقوم يعقلون
وما ذرأ لكم فى الارض مختلفا الوانه ان فى ذلك لاية لقوم يذكرون لكم متعلق بانزل
او بشراب خبرا له والشراب ما يشرب شجر يعنى الشجر الذى ترعاه المواشى وفى حديث عكرمة
لا تاكلوا ثمن الشجر فانه سحت يعنى الكلأ تسيمون من سامت الماشية اذا رعت فهى سائمة واسامها
صاحبها وهو من السومة وهى العلامة لانها تؤثر بالرعى علامات فى الارض وقرئ ينبت بالياء والنون
فان قلت لم قيل ومن كل الثمرات لان كل الثمرات لا تكون الا فى الجنة وانما انبت
فى الارض بعض من كلها للتذكرة يتفكرون ينظرون فيستدلون بها عليه وعلى قدرته وحكمته
والاية الدلالة الواضحة وعن بعضهم ينبت بالتشديد وقرأ ابى بن كعب ينبت لكم به الزرع
والزيتون والنخيل والاعناب بالرفع وقرئ كلها بالنصب على وجعل النجوم مسخرات او على ان معنى تسخير
للناس تصييرها نافعة لهم حيث يسكنون بالليل ويبتغون من فضله بالنهار ويعلمون عدد السنين
والحساب بمسير الشمس والقمر ويهتدون بالنجوم فكانه قيل ونفعكم بها فى حال كونها مسخرات
لما خلقن له بامره ويجوز ان يكون المعنى انه سخرها انواعا من التسخير جمع مسخر بمعنى تسخير من
قولك سخره الله مسخرا كقولك سرحه مسرحا كانه قيل وسخرها لكم تسخيرات بامره وقرئ
بنصب الليل والنهار وحدهما ورفع ما بعدهما على الابتداء والخبر وقرئ والنجوم مسخرات بالرفع
وما قبله بالنصب وقال ان فى ذلك لايات لقوم يعقلون فجمع الاية وذكر العقل لان الاثار العلوية
اظهر دلالة على القدرة الباهرة وابين شهادة للكبرياء والعظمة وما ذرأ لكم معطوف على
الليل والنهار يعنى ما خلق فيها من حيوان وشجر وثمر وغير ذلك مختلف الهيئة والمناظر وهو
الذى سخر البحر لتاكلوا منه لحما طريا وتستخرجوا منه حلية تلبسونها وترى الفلك مواخر
فيه ولتبتغوا من فضله ولعلكم تشكرون والقى فى الارض رواسى ان تميد بكم وانهارا
ع وسبلا لعلكم تهتدون لحما طريا هو السمك ووصفه بالطراوة لان الفساد يسرع اليه فيسارع
الى اكله خيفة الفساد عليه فان قلت ما بال الفقهاء قالوا اذا حلف الرجل لا ياكل لحما فاكل

سمكا لونه غث والله تعالى سماه لحما كما ترى **فإن قلت** بنى الأيمان على العادة وعادة الناس إذا ذكر اللحم
على الإطلاق أن لا يفهم منه السمك وإذا قال الرجل لغلامه اشتر بهذه الدراهم لحما فجاء بالسمك
كان حقيقا بالإنكار عليه ومثاله أن الله تعالى سمى الكافر دابة في قوله تعالى إن شر الدواب عند
الله الذين كفروا فلو حلف حالف أن لا يركب دابة فركب كافرا لم يحنث. حلية هي اللؤلؤ والمرجان
والمراد بلبسهم لبس نسائهم لأنهن من جملتهم ولأنهن إنما يتزين بها من أجلهم فكأنها زينتهم
ولباسهم. مواخر شق الماء بحيزومها وعن الفراء هو صوت جري الفلك بالرياح. وابتغاء الفضل
التجارة. أن تميد بكم كراهة أن تميل بكم وتضطرب والمائد الذي يدار به إذا ركب البحر. قيل
خلق الله الأرض فجعلت تمور فقالت الملائكة ما هي بمقر أحد على ظهرها فأصبحت وقد أرسيت
بالجبال لم تدر الملائكة مم خلقت. وأنهارا وجعل فيها أنهارا لأن ألقى فيه معنى جعل ألا ترى
إلى قوله ألم نجعل الأرض مهادا والجبال أوتادا **وعلامات وبالنجم هم يهتدون. أفمن يخلق**
كمن لا يخلق أفلا تذكرون. وإن تعدوا نعمة الله لا تحصوها إن الله لغفور رحيم والله
يعلم ما تسرون وما تعلنون. وعلامات هي معالم الطرق وكل ما يستدل به السابلة من جبل
ومنهل وغير ذلك. والمراد بالنجم الجنس كقولك كثر الدرهم في أيدي الناس. وعن السدي هو
الثريا والفرقدان وبنات نعش والجدي. وقرأ الحسن وبالنجم بضمتين وبضمة وسكون وهو جمع نجم
كرهن ورهن والسكون تخفيف. وقيل حذف الواو من النجوم تخفيفا **فإن قلت** قوله وبالنجم
هم يهتدون مخرج عن سنن الخطاب مقدم فيه النجم مقحم فيه هم كأنه قيل وبالنجم خصوصا
هؤلاء خصوصا يهتدون فمن المراد بهم **قلت** كأنه أراد قريشا كان لهم اهتداء بالنجوم في مسايرهم
وكان لهم بذلك علم لم يكن مثله لغيرهم فكان الشكر أوجب عليهم والاعتبار ألزم لهم فخصصوا
فإن قلت من لا يخلق أريد به الأصنام فلم جيء بمن الذي لأولي العلم. قلت فيه أوجه. أحدها أنهم
سموها آلهة وعبدوها فأجروها مجرى أولي العلم ألا ترى إلى قوله على أثره والذين تدعون
من دون الله لا يخلقون شيئا وهم يخلقون. والثاني المشاكلة بينه وبين من يخلق. والثالث
أن يكون المعنى أن من يخلق ليس كمن لا يخلق من أولي العلم فكيف بما لا علم عنده كقوله ألهم
أرجل يمشون بها يعني أن الآلهة حالهم منحطة عن حال من لهم أرجل وأيد وآذان وقلوب
لأن هؤلاء أحياء وهم أموات فكيف تصح لهم العبادة لا أنها لو صحت لهم هذه الأعضاء لصح أن
يعبدوا **فإن قلت** هو إلزام للذين عبدوا الأوثان وسموها آلهة تشبيها بالله فقد
جعلوا غير الخالق مثل الخالق فكان حق الإلزام أن يقال لهم أفمن لا يخلق كمن يخلق. **قلت**
حين جعلوا غير الله مثل الله في تسميته باسمه والعبادة له وسووا بينه وبينه فقد جعلوا الله
من جنس المخلوقات وشبيها بها فأنكر عليهم ذلك بقوله أفمن يخلق كمن لا يخلق. لا تحصوها
لا تضبطوا عددها ولا تبلغه طاقتكم فضلا أن تطيقوا القيام بحقها من أداء الشكر أتبع ذلك
ما عدد من نعمه تنبيها على أن وراءها ما لا ينحصر ولا يعد. إن الله لغفور رحيم حيث يتجاوز عن
تقصيركم في أداء شكر النعمة ولا يقطعها عنكم لتفريطكم ولا يعاجلكم بالعقوبة على كفرانها.
والله يعلم ما تسرون وما تعلنون من أعمالكم **والذين تدعون من دون الله لا يخلقون شيئا**
وهم يخلقون أموات غير أحياء وما يشعرون أيان يبعثون إلهكم إله واحد فالذين

لا يؤمنون بالآخرة قلوبهم منكرة وهم مستكبرون. لا جرم أن الله يعلم ما يسرون
وما يعلنون إنه لا يحب المستكبرين. والذين تدعون والآلهة الذين يدعوهم الكفار
من دون الله **وقرئ** بالتاء. وقرئ يدعون على البناء للمفعول نفى عنهم خصائص الإلهية بنفي
كونهم خالقين وأحياء لا يموتون وعالمين بوقت البعث وأثبت لهم صفات الخلق بأنهم مخلوقون
وأنهم أموات وأنهم جاهلون بالغيب ومعنى أموات غير أحياء أنهم لو كانوا آلهة على الحقيقة
لكانوا أحياء غير أموات أي غير جائز عليها الموت كالحي الذي لا يموت وأمرهم على العكس من
ذلك والضمير في يبعثون للداعين أي لا يشعرون متى تبعث عبدتهم وفيه تهكم بالمشركين
وأن آلهتهم لا يعلمون وقت بعثهم فكيف يكون لهم وقت جزاء منهم على عبادتهم. وفيه دلالة على
أنه لا بد من البعث وأنه من لوازم التكليف. ووجه آخر وهو أن يكون المعنى أن الناس يخلقونهم
بالنحت والتصوير وهم لا يقدرون على نحو ذلك فهم أعجز من عبدتهم. أموات جمادات لا حياة
فيها غير أحياء يعني أن من الأموات ما يعقب موته حياة كالنطف التي ينشئها الله تعالى حيوانا
وأجساد الحيوان التي تبعث بعد موتها وأما الحجارة فأموات لا يعقب موتها حياة وذلك
أعرق في موتها وما يشعرون أيان يبعثون أي وما يعلم هؤلاء الآلهة متى تبعث الأحياء تهكما بحالها
لأن شعور الجماد محال فكيف بشعور ما لا يعلمه حي إلا الحي القيوم. ووجه ثالث وهو أن يراد
بالذين يدعون الملائكة وكان ناس منهم يعبدونهم وأنهم أموات أي لا بد لهم من الموت
غير أحياء غير باقية حياتهم وما يشعرون ولا علم لهم بوقت بعثهم **وقرئ** إيان بكسر الهمزة
إلهكم إله واحد يعني أنه قد ثبت بما تقدم من إبطال أن تكون الإلهية لغيره وأنها له وحده
لا شريك له فيها فكان من نتيجة ثبات الوحدانية ووضوح دليلها استمرارهم على شركهم وأن
قلوبهم منكرة للوحدانية وهم مستكبرون عنها وعن الإقرار بها. لا جرم حقا أن الله يعلم سرهم
وعلانيتهم فيجازيهم وهو وعيد. إنه لا يحب المستكبرين يجوز أن يريد المستكبرين عن التوحيد
يعني المشركين. ويجوز أن يعم كل مستكبر ويدخل هؤلاء تحت عمومه **وإذا قيل لهم ماذا أنزل**
ربكم قالوا أساطير الأولين ليحملوا أوزارهم كاملة يوم القيامة ومن أوزار الذين يضلونهم
بغير علم ألا ساء ما يزرون. ماذا منصوب بأنزل بمعنى أي شيء أنزل ربكم أو مرفوع بالابتداء
بمعنى أي شيء أنزله ربكم فإذا نصبت فمعنى أساطير الأولين ما يدعون نزوله أساطير الأولين.
وإذا رفعته فالمعنى المنزل أساطير الأولين **كقوله تعالى** ماذا ينفقون قل العفو فيمن رفع
فإن قلت هو كلام متناقض لأنه لا يكون منزل ربهم وأساطير. هو على السخرية كقوله
تعالى إن رسولكم وهو كلام بعضهم لبعض أو قول المسلمين لهم. وقيل هو قول المقتسمين الذين
اقتسموا مداخل مكة ينفرون عن رسول الله عليه السلام إذا سألهم وفود الحاج عما أنزل على رسول
الله عليه السلام قالوا أحاديث الأولين وأباطيلهم. ليحملوا أوزارهم أي قالوا ذلك إضلالا
للناس وصدا عن رسول الله عليه السلام فحملوا أوزار ضلالهم كاملة وبعض أوزار من ضل بضلالهم
وهو وزر الإضلال لأن المضل والضال شريكان هذا يضله وهذا يطاوعه على إضلاله فيتحاملان
الوزر ومعنى اللام التعليل من غير أن يكون غرضا كقولك خرجت من البلد مخافة الشر. بغير علم
حال من المفعول أي يضلون من لا يعلم أنهم ضلال وإنما وصف بالضلال واحتمال الوزر من

اثملوه وان لم يعلم لانه كان عليه ان يبحث وينظر بعقله حتى يميز بين الحق والمبطل قد مكر الذين من
قبلهم فاتى الله بنيانهم من القواعد فخر عليهم السقف من فوقهم واتيهم العذاب من حيث
لا يشعرون ثم يوم القيامة يخزيهم ويقول اين شركاى الذين كنتم تشاقون فيهم
قال الذين اوتوا العلم ان الخزى اليوم والسوء على الكافرين القواعد اساطين البناء التى
تعمده وقيل الاساس وهذا تمثيل يعنى انهم سووا منصوبات ليمكروا بها الله ورسله فجعل الله
هلاكهم فى تلك المنصوبات كحال قوم بنوا بنيانا وعمدوه بالاساطين فاتى البنيان من الاساطين
بان ضعضعت فسقط عليهم السقف وهلكوا ونحوه من حفر لاخيه جبا وقع فيه منكبا وقيل هو نمرود
بن كنعان حين بنى الصرح ببابل طوله خمسة الاف ذراع وقيل فرسخان فاهب الله الريح فخر
عليه وعلى قومه فهلكوا ومعنى اتيان الله اتيان امره من القواعد من جهة القواعد من حيث لا
يشعرون من حيث لا يحتسبون ولا يتوقعون وقرئ فاتى الله بيتهم فخر عليهم السقف بضمتين
ثم يخزيهم يذلهم بعذاب الخزى ربنا انك من تدخل النار فقد اخزيته يعنى هذا لهم فى الدنيا ثم
العذاب فى الاخرة شركاى على الاضافة الى نفسه حكاية لاضافتهم ليوبخهم بها على طريق الاستهزاء
بهم تشاقون فيهم تعادون وتخاصمون المؤمنين فى شانهم ومعناهم وقرئ تشاقون
بكسر النون بمعنى تشاقوننى لان مشاقة المؤمنين كانها مشاقة الله قال الذين اوتوا العلم
الانبياء والعلماء من اممهم الذين كانوا يدعونهم الى الايمان ويعظونهم فلا يلتفتون اليهم
ويتكبرون عليهم ويشاقونهم يقولون ذلك شماتة بهم وحكى الله ذلك من قولهم ليكون
لطفا لمن سمعه وقيل هم الملائكة الذين تتوفاهم الملائكة ظالمى انفسهم فالقوا السلم ما كنا
نعمل من سوء بلى ان الله عليم بما كنتم تعملون فادخلوا ابواب جهنم خالدين فيها فلبئس
مثوى المتكبرين وقيل للذين اتقوا ماذا انزل ربكم قالوا خيرا للذين احسنوا فى هذه
الدنيا حسنة ولدار الاخرة خير ولنعم دار المتقين جنات عدن يدخلونها تجرى
من تحتها الانهار لهم فيها ما يشاؤون كذلك يجزى الله المتقين قرئ يتوفاهم بالتاء واليا
وقرئ الذين توفيهم بادغام التاء فى التاء فالقوا السلم فسالموا واخبتوا وجاؤوا بخلاف ما كانوا
عليه فى الدنيا من الشقاق والكبر وقالوا ما كنا نعمل من سوء وجحدوا ما وجد منهم من الكفر والعدوان فرد
عليهم اولوا العلم ان الله عليم بما كنتم تعملون فهو يجازيكم عليه وهذا ايضا من الشماتة
وكذلك فادخلوا ابواب جهنم خيرا انزل خيرا فان قلت لم نصب هذا ورفع الاول قلت
فصلا بين جواب المقر وجواب الجاحد يعنى ان هولاء لما سئلوا لم يتلعثموا واطبقوا الجواب على
السؤال بينا مكشوفا مفعولا للانزال فقالوا خيرا اى انزل خيرا واولئك عدلوا بالجواب عن
السؤال فقالوا هو اساطير الاولين وليس من الانزال فى شئ وروى ان احياء العرب كانوا يبعثون
ايام الموسم من ياتيهم بخبر النبى صلى الله عليه وسلم فاذا جاء الوافد كفه المقتسمون وامروه
وقالوا ان لم تلقه كان خيرا لك فيقول انا شر وافد ان رجعت الى قومى دون ان استطلع امر محمد
واراه فيلقى اصحاب رسول الله فيخبرونه بصدقه وانه نبى مبعوث فهم الذين قالوا خيرا وقوله
للذين احسنوا وما بعده بدل من خيرا حكاية لقول الذين اتقوا اى قالوا هذا القول فقدم عليه
تسميته خيرا ثم حكاه ويجوز ان يكون كلاما مبتدا عدة للقائلين ويجعل قولهم من جملة احسانهم

ويحمدوا

ويحمدوا عليه حسنة مكافاة فى الدنيا باحسانهم ولهم فى الاخرة ما هو خير منها كقوله عز وجل فاتيهم
الله ثواب الدنيا وحسن ثواب الاخرة ولنعم دار المتقين دار الاخرة فحذف المخصوص بالمدح
لتقدم ذكره وجنات عدن خبر مبتدا محذوف ويجوز ان يكون المخصوص بالمدح طيبين
طاهرين من ظلم انفسهم بالكفر والمعاصى لانه فى مقابلة ظالمى انفسهم الذين تتوفاهم الملائكة
طيبين يقولون سلام عليكم ادخلوا الجنة بما كنتم تعملون هل ينظرون الا ان تاتيهم الملائكة
او ياتى امر ربك كذلك فعل الذين من قبلهم وما ظلمهم الله ولكن كانوا انفسهم يظلمون
فاصابهم سيئات ما عملوا وحاق بهم ما كانوا به يستهزؤن وقال الذين اشركوا لو شاء الله
ما عبدنا من دونه من شئ نحن ولا اباؤنا ولا حرمنا من دونه من شئ كذلك فعل الذين من
قبلهم فهل على الرسل الا البلاغ المبين ولقد بعثنا فى كل امة رسولا ان اعبدوا الله واجتنبوا
الطاغوت فمنهم من هدى الله ومنهم من حقت عليه الضلالة فسيروا فى الارض فانظروا
كيف كان عاقبة المكذبين ان تحرص على هداهم فان الله لا يهدى من يضل وما لهم
من ناصرين يقولون سلام عليكم قيل اذا اشرف العبد المؤمن على الموت جاءه ملك فقال السلام عليك
يا ولى الله الله يقرا عليك السلام ويبشره بالجنة تاتيهم الملائكة وقرئ بالتاء والياء يعنى ان
تاتيهم لقبض الارواح او امر ربك العذاب المستاصل او القيمة كذلك اى مثل ذلك الفعل من الشرك
والتكذيب فعل الذين من قبلهم وما ظلمهم الله بتعذيبهم ولكن كانوا انفسهم يظلمون لانهم
فعلوا ما استوجبوا به التدمير سيئات ما عملوا جزاء سيئات اعمالهم او هو كقوله تعالى وجزاء
سيئة سيئة مثلها هذا من جملة ما عدد من اصناف كفرهم وعنادهم من شركهم بالله وانكار وحدانيته
بعد قيام الحجج وانكار البعث واستعجاله استهزاء منهم وتكذيبهم الرسول وشقاقهم واستكبارهم عن
قبول الحق يعنى انهم اشركوا بالله وحرموا ما احل من البحيرة والسائبة وغيرهما ثم نسبوا فعلهم
الى الله وقالوا لو شاء الله لم نفعل وهذا مذهب المجبرة بعينه كذلك فعل الذين من قبلهم اى
اشركوا وحرموا حلال الله فلما نبهوا على قبح فعلهم وركوه على ربهم فهل على الرسل الا ان يبلغوا
الحق وان لا يبينوا الشرك والمعاصى بالبيان والبرهان ويطلعوا على بطلان الشرك وقبحه وبراءة الله
من افعال العباد وانهم فاعلوها بقصدهم وارادتهم واختيارهم والله عز وجل باعثهم
على جميلها وموفقهم له وزاجرهم عن قبيحها وموعدهم عليه ولقد امد ابطال قدر السوء ومشيئة
الشر بانه ما من امة الا وقد بعث فيهم رسولا يامرهم بالخير الذى هو الايمان وعبادة الله
وباجتناب الشر الذى هو طاعة الطاغوت فمنهم من هدى الله اى لطف به لانه عرفه من اهل
اللطف ومنهم من حقت عليه الضلالة اى ثبت عليه الخذلان والترك من اللطف لانه عرفه مصمما
على الكفر لا ياتى منه خير فسيروا فانظروا ما فعلت بالمكذبين حتى لا يبقى لكم شبهة فى انى لا اقدر
الشر ولا اشاؤه حيث افعل ما افعل بالاشرار ثم ذكر عناد قريش وحرص رسول الله عليه السلام على
ايمانهم وعرفه انهم من حقت عليه الضلالة وانه لا يهدى من يضل اى لا يلطف بمن يخذل
لانه عبث والله متعال عن العبث لانه من قبيل القبائح التى لا تجوز عليه وقرئ لا يهدى
اى لا يقدر احد على هدايته وقد خذله الله وما لهم من ناصرين دليل على ان المراد
بالاضلال الخذلان الذى هو نقيض النصرة ويجوز ان يكون لا يهدى بمعنى لا يهتدى يقال

عنده الله يهدي وفي قراءة أي فإن الله لا هادي لمن يضل ولمن أضل وهي معاضدة لمن قرأ لا يهدي
على البناء للمفعول وفي قراءة عبد الله لا يهدي بادغام التاء وهي معاضدة للأولى وقرئ
يضل بالفتح وقرأ النخعي إن تحرص بفتح الراء وهي لغة وأقسموا بالله جهد أيمانهم لا يبعث الله
من يموت بلى وعدا عليه حقا ولكن أكثر الناس لا يعلمون ليبين لهم الذي يختلفون فيه
وليعلم الذين كفروا أنهم كانوا كاذبين إنما قولنا لشيء إذا أردناه أن نقول له كن
فيكون وأقسموا بالله معطوف على وقال الذين أشركوا إيذانا بأنهما كفرتان عظيمتان موصوفتان
حقيقتان بأن تحكيا وتدونا توريكا ذنوبهم على مشيئة الله وإنكارهم البعث مقسمين عليه وبلى
إثبات لما بعد النفي أي بلى يبعثهم وعدا مصدر مؤكد لما دل عليه بلى لأن يبعث موعد من الله
وبين أن الوفاء بهذا الموعد حق واجب عليه في الحكمة ولكن أكثر الناس لا يعلمون أنهم يبعثون
أو أنه وعد واجب على الله لأنهم يقولون لا يجب على الله شيء لا ثواب عامل ولا غيره من مواجب الحكمة
ليبين لهم متعلق بما دل عليه بلى أي يبعثهم ليبين لهم والضمير لمن يموت وهو عام للمؤمنين والكافرين
والذي اختلفوا فيه هو الحق وليعلم الذين كفروا أنهم كانوا كاذبين في قولهم لو شاء الله ما عبدنا من
دونه من شيء وفي قولهم لا يبعث الله من يموت وقيل يجوز أن يتعلق بقوله تعالى ولقد بعثنا في كل
أمة رسولا أي بعثناه ليبين لهم ما اختلفوا فيه وأنهم كانوا على الضلال قبله مفترين على الله
الكذب إنما قولنا مبتدأ وأن نقول خبره كن فيكون من كان التامة التي بمعنى الحدوث والوجود
أي إذا أردنا وجود شيء فليس إلا أن نقول له احدث فهو يحدث عقيب ذلك لا يتوقف وهذا
مثل لأن مرادا لا يمتنع عليه وأن وجوده عند إرادته غير متوقف كوجود المأمور به عند أمر
الآمر المطاع إذا ورد على المأمور المطيع الممتثل ولا قول ثم والمعنى أن إيجاد كل مقدور على
الله عز وعلا بهذه السهولة فكيف يمتنع عليه البعث الذي هو من شق المقدورات وقرئ
فيكون عطفا على نقول والذين هاجروا في الله من بعد ما ظلموا لنبوئنهم في الدنيا حسنة
ولأجر الآخرة أكبر لو كانوا يعلمون الذين صبروا وعلى ربهم يتوكلون وما أرسلنا من
قبلك إلا رجالا نوحي إليهم فاسألوا أهل الذكر إن كنتم لا تعلمون بالبينات والزبر
وأنزلنا إليك الذكر لتبين للناس ما نزل إليهم ولعلهم يتفكرون والذين هاجروا هم رسول
الله عليه السلام وأصحابه ظلمهم أهل مكة ففروا بدينهم إلى الله منهم من هاجر إلى الحبشة ثم
إلى المدينة فجمع بين الهجرتين ومنهم من هاجر إلى المدينة وقيل هم الذين كانوا محبوسين بمكة
بعد هجرة رسول الله عليه السلام وكلما خرجوا تبعوهم فردوهم منهم بلال وصهيب وخباب وعمار
رضوان الله عليهم وعن صهيب أنه قال لهم أنا رجل كبير إن كنت معكم لم أنفعكم وإن كنت عليكم
لم أضركم فافتدى منهم بماله وهاجر فلما رآه أبو بكر رضي الله عنه قال له ربح البيع يا صهيب
وقال له عمر نعم الرجل صهيب لو لم يخف الله لم يعصه وهو ثناء عظيم يريد لو لم يخلق الله
نارا لأطاعه فكيف في الله في حقه ولوجهه حسنة صفة لمصدر أي لنبوئنهم تبوئة حسنة
وفي قراءة علي رضي الله عنه لنثوينهم ومعناه إثواءة حسنة وقيل لننزلنهم في الدنيا منزلة
حسنة وهي الغلبة على أهل مكة الذين ظلموهم وعلى العرب قاطبة وعلى أهل المشرق والمغرب
وعن عمر رضي الله عنه أنه كان إذا أعطى رجلا من المهاجرين عطاءه قال خذ بارك الله لك فيه

هذا

هذا ما وعدك في الدنيا وما ذخر لك في الآخرة أكثر وقيل لنبوئنهم مباءة حسنة وهي المدينة حيث
آواهم أهلها ونصروهم ولو كانوا يعلمون الضمير للكفار أي لو علموا أن الله يجمع لهؤلاء المستضعفين
في أيديهم خير الدنيا والآخرة لرغبوا في دينهم ويجوز أن يرجع الضمير إلى المهاجرين أي لو كانوا يعلمون
ذلك لزادوا في اجتهادهم وصبرهم الذين صبروا على هم الذين صبروا أو أعني الذين صبروا
وكلاهما مدح أي صبروا على العذاب وعلى مفارقة الوطن الذي هو حرم الله المحبوب في كل قلب
فكيف بقلوب قوم هو مسقط رؤوسهم وعلى المجاهدة وبذل الأرواح في سبيل الله قالت قريش
الله أعظم من أن يكون رسوله بشرا فنزل وما أرسلنا من قبلك إلا رجالا نوحي إليهم على ألسنة
الملائكة فاسألوا أهل الذكر وهم أهل الكتاب ليعلموكم أن الله لم يبعث إلى الأمم السالفة
إلا بشرا فإن قلت بم تعلق قوله بالبينات قلت له متعلقات شتى فإما أن يتعلق بما
أرسلنا داخلا تحت حكم الاستثناء مع رجالا أي وما أرسلنا إلا رجالا بالبينات كقولك ما ضربت
إلا زيدا بالسوط لأن أصله ضربت زيدا بالسوط وإما برجالا صفة له أي رجالا ملتبسين بالبينات
وإما بأرسلنا مضمرا كأنما قيل بم أرسلوا فقلت بالبينات فهو على كلامين والأول على كلام واحد
وإما بيوحى أي يوحى إليهم بالبينات وإما بلا تعلمون على أن الشرط في معنى التبكيت والإلزام
كقول الأجير إن كنت عملت لك فأعطني حقي وقوله تعالى فاسألوا أهل الذكر اعتراض على الوجوه
المتقدمة وأهل الذكر أهل الكتاب وقيل للكتاب الذكر لأنه موعظة وتنبيه للغافلين ما نزل
إليهم يعني ما نزل الله إليهم في الذكر مما أمروا به ونهوا عنه ووعدوا وأوعدوا ولعلهم يتفكرون
وإرادة أن يتنبهوا إلى تنبيهاته فيتنبهوا ويتأملوا أفأمن الذين مكروا السيئات أن يخسف
الله بهم الأرض أو يأتيهم العذاب من حيث لا يشعرون أو يأخذهم في تقلبهم فما هم
بمعجزين أو يأخذهم على تخوف فإن ربكم لرؤوف رحيم مكروا السيئات أي المكرات السيئات
وهم أهل مكة وما مكروا به رسول الله عليه السلام في تقلبهم متقلبين في مسايرهم ومتاجرهم
وأسباب دنياهم على تخوف متخوفين وهو أن يهلك قوما قبلهم فيتخوفوا فيأخذهم بالعذاب
وهم متخوفون متوقعون وهو خلاف قوله تعالى من حيث لا يشعرون وقيل هو من قولك
تخوفته وتخونته إذا تنقصته قال زهير تخوف الرحل منها تامكا قردا كما تخوف عود النبعة السفن
أي يأخذهم على أن ينقصهم شيئا بعد شيء في أنفسهم وأموالهم حتى يهلكوا وعن عمر رضي الله عنه
أنه قال على المنبر ما تقولون فيها فسكتوا فقام شيخ من هذيل فقال هذه لغتنا التخوف التنقص
قال فهل تعرف العرب ذلك في أشعارها قال نعم قال شاعرنا وأنشد البيت فقال عمر أيها
الناس عليكم بديوانكم لا يضل قالوا وما ديواننا قال شعر الجاهلية فإن فيه تفسير كتابكم فإن
ربكم لرؤوف رحيم حيث يحلم عنكم ولا يعاجلكم مع استحقاقكم أولم يروا إلى ما خلق الله من شيء
يتفيؤا ظلاله عن اليمين والشمائل سجدا لله وهم داخرون ولله يسجد ما في السموات
وما في الأرض من دابة والملائكة وهم لا يستكبرون يخافون ربهم من فوقهم
ويفعلون ما يؤمرون قرئ أولم تروا وتتفيؤا بالتاء والياء وما موصولة بخلق الله
وهو مبهم بيانه من شيء يتفيؤا ظلاله واليمين بمعنى الأيمان وسجدا حال من الظلال وهم
داخرون حال من الضمير في ظلاله لأنه في معنى الجمع وهو ما خلق الله من كل شيء له ظل وجمع بالواو

والسيئات نعت لمصدر محذوف أي مكروا المكرات السيئات أبو السعود

لان الدخور من اوصاف العقلاء، او لان في جملة ذلك من يعقل فغلب والمعنى اولم يروا الى ما خلق الله من الاجرام التي لها ظلال متفيئة عن ايمانها وشمائلها اي عن جانبي كل واحد منها وشقيه استعارة من يمين الانسان وشماله لجانبي الشيء اي ترجع الظلال من جانب الى جانب منقادة لله غير ممتنعة عليه فيما سخرها له من التفيؤ والاجرام في انفسها داخرة ايضا صاغرة منقادة لافعال الله فيها لا تمتنع، من دابة يجوز ان يكون بيانا لما في السموات وما في الارض جميعا على ان في السموات خلقا لله يدبون فيها كما يدب الاناسي في الارض، وان يكون بيانا لما في الارض وحده ويراد بما في السموات الخلق الذي يقال له الروح، وان يكون بيانا لما في الارض وحده ويراد بما في السموات الملائكة وكرر ذكرهم على معنى والملائكة خصوصا من بين الساجدين لانهم اطوع الخلق واعبدهم، ويجوز ان يراد بما في السموات ملائكتهن وبقوله والملائكة ملائكة الارض من الحفظة وغيرهم **فان قلت** سجود المكلفين مما انتظمه هذا الكلام خلاف سجود غيرهم فكيف عبر عن النوعين بلفظ واحد المراد بسجود المكلفين طاعتهم وعبادتهم وسجود غيرهم انقياده لارادة الله وانها غير ممتنعة عليها وكلا السجودين يجمعهما معنى الانقياد فلم يختلفا فلذلك جاز ان يعبر عنهما بلفظ واحد **فان قلت** فهلا جيء بمن دون ما تغليبا للعقلاء من الدواب على غيرهم **قلت** لانه لو جيء بمن لم يكن فيه دليل على التغليب فكان متناولا للعقلاء خاصة فجيء بما هو صالح للعقلاء وغيرهم ارادة العموم، يخافون يجوز ان يكون حالا من الضمير في لا يستكبرون اي لا يستكبرون خائفين، وان يكون بيانا لنفي الاستكبار وتاكيدا له لان من خاف الله لم يستكبر عن عبادته، من فوقهم ان علقته بيخافون فمعناه يخافونه ان يرسل عليهم عذابا من فوقهم، وان علقته بربهم حالا منه فمعناه يخافون ربهم غالبا لهم قاهرا كقوله تعالى وهو القاهر فوق عباده، وانا فوقهم قاهرون، وفيه دليل على ان الملائكة مكلفون مدارون على الامر والنهي والوعد والوعيد كسائر المكلفين وانهم بين الخوف والرجاء

وقال الله لا تتخذوا الهين اثنين انما هو اله واحد فاياي فارهبون، وله ما في السموات والارض وله الدين واصبا افغير الله تتقون، وما بكم من نعمة فمن الله ثم اذا مسكم الضر فاليه تجأرون، ثم اذا كشف الضر عنكم اذا فريق منكم بربهم يشركون ليكفروا بما آتيناهم فتمتعوا فسوف تعلمون **فان قلت** انما جمعوا بين العدد والمعدود فيما وراء الواحد والاثنين فقالوا عندي رجال ثلاثة وافراس اربعة لان المعدود عار عن الدلالة على العدد الخاص فاما رجل ورجلان وفرس وفرسان فمعدودان فيهما دلالة على العدد فلا حاجة الى ان يقال رجل واحد ورجلان اثنان فما وجه قوله تعالى الهين اثنين **قلت** الاسم الحامل لمعنى الافراد والتثنية دال على شيئين على الجنسية والعدد المخصوص فاذا اريدت الدلالة على ان المعنى به منهما والذي يساق اليه الحديث هو العدد شفع بما يؤكده فدل به على القصد اليه والعناية به، الا ترى انك لو قلت انما هو اله ولم تؤكده بواحد لم يحسن وخيل انك تثبت الالهية لا الوحدانية، فاياي فارهبون نقل للكلام عن الغيبة الى التكلم وجاز لان الغائب هو المتكلم وهو من طريقة الالتفات وهو ابلغ في الترهيب من قوله واياه فارهبوا ومن ان يجيء ما قبله على لفظ المتكلم، الدين الطاعة، واصبا حال عمل فيه الظرف والواصب الواجب

الثابت لان كل نعمة منه فالطاعة واجبة له على كل منعم عليه، ويجوز ان يكون من الوصب اي وله الدين ذا كلفة ومشقة ولذلك سمي تكليفا، او وله الجزاء دائما ثابتا سرمدا لا يزول يعني الثواب والعقاب وما بكم من نعمة واي شيء حل بكم او اتصل بكم من نعمة فهو من الله فاليه تجأرون فما تتضرعون الا اليه، والجؤار رفع الصوت بالدعاء والاستغاثة **قال الاعشى**،

يراوح من صلوات المليك طورا سجودا وطورا جؤارا،

وقرئ تجرون بطرح الهمزة والقاء حركتها على الجيم، وقرأ قتادة كاشف الضر على فاعل بمعنى فعل وهو اقوى من كشف لان بناء المغالبة يدل على المبالغة **فان قلت** فما معنى قوله اذا فريق منكم بربهم يشركون، **قلت** يجوز ان يكون الخطاب في قوله تعالى وما بكم من نعمة فمن الله عاما ويريد بالفريق فريق الكفرة، وان يكون الخطاب للمشركين ومنكم للبيان لا للتبعيض كانه قال فاذا فريق كافر وهم انتم، ويجوز ان يكون فيهم من اعتبر كقوله تعالى فلما نجاهم الى البر فمنهم مقتصد، ليكفروا بما آتيناهم من نعمة الكشف عنهم كانهم جعلوا غرضهم في الشرك كفران النعمة، فتمتعوا فسوف تعلمون تخلية ووعيد **وقرئ** فيمتعوا بالياء مبنيا للمفعول عطفا على ليكفروا، ويجوز ان يكون ليكفروا فتمتعوا من الامر الوارد في معنى الخذلان والتخلية واللام لام الامر ويجعلون لما لا يعلمون نصيبا مما رزقناهم تالله لتسألن عما كنتم تفترون، ويجعلون لله البنات سبحانه ولهم ما يشتهون، واذا بشر احدهم بالانثى ظل وجهه مسودا وهو كظيم، يتوارى من القوم من سوء ما بشر به ايمسكه على هون ام يدسه في التراب الا ساء ما يحكمون، للذين لا يؤمنون بالآخرة مثل السوء ولله المثل الاعلى وهو العزيز الحكيم لما لا يعلمون اي لآلهتهم ومعنى لا يعلمون انهم يسمونها آلهة ويعتقدون فيها انها تضر وتنفع وتشفع عند الله وليس كذلك وحقيقتها انها جماد لا يضر ولا ينفع فهم اذا جاهلون بها، وقيل الضمير في لا يعلمون للآلهة اي لاشياء غير موصوفة بالعلم ولا تشعر اجعلوا لها نصيبا في انعامهم وزروعهم ام لا وكانوا يجعلون لهم ذلك تقربا اليهم، لتسألن وعيد عما كنتم تفترون من الافك في زعمكم انها آلهة وانها اهل للتقرب اليها، كانت خزاعة وكنانة تقول الملائكة بنات الله، سبحانه تنزيه لذاته من نسبة الولد اليه او تعجب من قولهم ولهم ما يشتهون يعني البنين، ويجوز فيما يشتهون الرفع على الابتداء والنصب على ان يكون معطوفا على البنات اي وجعلوا لانفسهم ما يشتهون من الذكور، ظل بمعنى صار كما يستعمل بات واصبح وامسى بمعنى الصيرورة، ويجوز ان يجيء ظل لان اكثر الوضع يتفق بالليل فيظل نهاره مغتما مربد الوجه من الكآبة والحياء من الناس، وهو كظيم مملوء حنقا على المرأة، يتوارى من القوم يختفي منهم من اجل سوء المبشر به ومن اجل تعييرهم ويحدث نفسه وينظر ايمسك ما بشر به على هون على هوان وذل ام يدسه في التراب ام يئده **وقرئ** ايمسكها على هون ام يدسها على التانيث **وقرئ** على هوان الا ساء ما يحكمون حيث يجعلون الولد الذي هذا محله عندهم لله ويجعلون لانفسهم من هو على عكس هذا الوصف، مثل السوء صفة السوء وهي الحاجة الى الاولاد الذكور وكراهة الاناث ووادهن خشية الاملاق واقرارهم على انفسهم بالشح البالغ، ولله المثل الاعلى وهو الغنى عن العالمين والنزاهة عن صفات المخلوقين وهو الجواد الكريم ولو يؤاخذ الله الناس بظلمهم ما ترك عليها من دابة ولكن يؤخرهم الى اجل مسمى فاذا جاء اجلهم لا يستاخرون

ساعة ولا يستقدمون ۝ ويجعلون لله ما يكرهون وتصف ألسنتهم الكذب أن لهم الحسنى
لا جرم أن لهم النار وأنهم مفرطون ۝ تالله لقد أرسلنا إلى أمم من قبلك فزين لهم الشيطان
أعمالهم فهو وليهم اليوم ولهم عذاب أليم ۝ وما أنزلنا عليك الكتاب إلا لتبين لهم
الذي اختلفوا فيه وهدى ورحمة لقوم يؤمنون ۝ والله أنزل من السماء ماء فأحيا به
الأرض بعد موتها إن في ذلك لآية لقوم يسمعون ۝ بظلمهم بكفرهم ومعاصيهم ما ترك
عليها على الأرض من دابة قط ولأهلكها كلها بشؤم ظلم الظالمين ۝ وعن أبي هريرة رضي الله عنه
أنه سمع رجلا يقول إن الظالم لا يضر إلا نفسه فقال بلى والله إن الحبارى لتموت في وكرها
بظلم الظالم ۝ وعن ابن مسعود رضي الله عنه كاد الجعل يهلك في جحره بذنب ابن آدم أو من دابة
ظالمة ۝ وعن ابن عباس رضي الله عنهما من دابة من مشرك يدب عليها ۝ وقيل لو أهلك الآباء لم يكن
الأبناء ۝ ويجعلون لله ما يكرهون لأنفسهم من البنات ومن شركاء في رياستهم ومن الاستخفاف
برسلهم والتهاون برسالاتهم ويجعلون له أرذل أموالهم ولأصنامهم أكرمها ۝ وتصف ألسنتهم
مع ذلك أن لهم الحسنى عند الله كقوله تعالى ولئن رجعت إلى ربي إن لي عنده للحسنى ۝ وعن بعضهم
أنه قال لرجل من ذوي اليسار كيف تكون يوم القيامة إذا قال الله هاتوا ما دفع إلى السلاطين
وأعوانهم فيؤتى بالدواب والثياب وأنواع الأموال الفاخرة وإذا قال هاتوا ما دفع إلي فيؤتى
بالكسر والخرق وما لا يؤبه له أما تستحيي من ذلك الموقف وقرأ هذه الآية ۝ وعن مجاهد أن لهم الحسنى
هو قول قريش لنا البنون وأن لهم الحسنى بدل من الكذب وقرئ الكذب جمع كذوب صفة
للألسنة ۝ مفرطون قرئ مفتوح الراء ومكسورها مخففا ومشددا فالمفتوح بمعنى مقدمون إلى
النار معجلون إليها من أفرطت فلانا وفرطته في طلب الماء إذا قدمته ۝ وقيل منسيون متروكون من أفرطت
فلانا خلفي إذا خلفته ونسيته والمكسور المخفف من الإفراط في المعاصي والمشدد من التفريط في الطاعات
وما يلزمهم فهو وليهم اليوم حكاية الحال الماضية التي كان يزين لهم الشيطان أعمالهم فيها أو فهو وليهم
في الدنيا فجعل اليوم عبارة عن زمان الدنيا أو معنى وليهم قرينهم وبئس القرين أو يجعل فهو
وليهم اليوم حكاية للحال الآتية وهي حال كونهم معذبين في النار أي فهو ناصرهم اليوم لا ناصر
لهم غيره نفيا للناصر على أبلغ الوجوه ۝ ويجوز أن يرجع الضمير إلى مشركي قريش وأنه زين للكفار
قبلهم أعمالهم فهو ولي هؤلاء لأنهم منهم ۝ ويجوز أن يكون على حذف المضاف أي فهو ولي أمثالهم
اليوم ۝ وهدى ورحمة معطوفان على محل لتبين لا أنهما انتصبا على أنهما مفعول لهما لأنهما فعلا الذي
أنزل الكتاب ودخل اللام على لتبين لأنه فعل المخاطب لا فعل المنزل وإنما ينتصب مفعولا له ما
كان فعل فاعل الفعل المعلل ۝ والذي اختلفوا فيه البعث لأنه كان فيهم من يؤمن به ومنهم عبد
المطلب وأشياء من التحريم والتحليل والإنكار والإقرار لقوم يسمعون سماع إنصاف وتدبر لأن
من لم يسمع بقلبه فكأنه أصم لا يسمع وإن لكم في الأنعام لعبرة نسقيكم مما في بطونه من
بين فرث ودم لبنا خالصا سائغا للشاربين ومن ثمرات النخيل والأعناب تتخذون
منه سكرا ورزقا حسنا إن في ذلك لآية لقوم يعقلون ۝ ذكر سيبويه الأنعام في باب ما
لا ينصرف في الأسماء المفردة الواردة على أفعال كقولهم ثوب أكياش ولذلك رجع الضمير
إليه مفردا وأما في بطونها في سورة المؤمنين فلأن معناه الجمع ويجوز أن يقال في الأنعام

وجهان

وجهان أحدهما أن يكون تكسير نعم كأجبال في جبل وأن يكون اسما مفردا مقتضيا لمعنى الجمع كنعم فإذا
ذكر فكما يذكر نعم في قوله ۝ في كل عام نعم تحوونه ۝ يلقحه قوم وتنتجونه ۝ وإذا أنث ففيه وجهان
أنه تكسير نعم وأنه في معنى الجمع وقرئ نسقيكم بالفتح والضم وهو استئناف كأنه قيل كيف
العبرة فقيل نسقيكم من بين فرث ودم أي يخلق الله اللبن وسيطا بين الفرث والدم يكتنفانه وبينه
وبينهما برزخ من قدرة الله لا يبغي أحدهما عليه بلون ولا طعم ولا رائحة بل هو خالص من ذلك
كله ۝ قيل إذا أكلت البهيمة العلف فاستقر في كرشها طبخته فكان أسفله فرثا وأوسطه لبنا وأعلاه
دما والكبد مسلطة على هذه الأصناف الثلاثة تقسمها فتجري الدم في العروق واللبن في الضروع
وتبقي الفرث في الكرش فسبحان الله ما أعظم قدرته وألطف حكمته لمن تفكر وتأمل ۝ وسئل شقيق
رحمه الله عن الإخلاص فقال تمييز العمل من العيوب كتمييز اللبن من بين فرث ودم ۝ سائغا سهل
المرور في الحلق ويقال لم يغص أحد باللبن قط ۝ وقرئ سيغا بالتشديد وسيغا بالتخفيف كهين
ولين فإن قلت أي فرق بين من الأولى والثانية قلت الأولى للتبعيض لأن اللبن بعض ما
في بطونها كقولك أخذت من مال زيد ثوبا والثانية لابتداء الغاية لأن بين الفرث والدم مكان
الإسقاء الذي منه يبتدئ فهو صلة لنسقيكم كقولك سقيته من الحوض ۝ ويجوز أن يكون حالا
من قوله لبنا مقدما عليه فيتعلق بمحذوف أي كائنا من بين فرث ودم ۝ ألا ترى أنه لو تأخر فقيل
لبنا من بين فرث ودم كان صفة له وإنما قدم لأنه موضع العبرة فهو قمن بالتقدم وقد احتج
بعض من يرى أن المني طاهر على من جعله نجسا لجريه في مسلك البول بهذه الآية وأنه ليس بمستنكر
أن يسلك مسلك البول وهو طاهر كما خرج اللبن من بين فرث ودم طاهرا فإن قلت بم
تعلق قوله ومن ثمرات النخيل والأعناب بمحذوف تقديره ونسقيكم من ثمرات النخيل
والأعناب أي من عصيرها وحذف لدلالة نسقيكم قبله عليه ۝ وقوله تعالى تتخذون منه
سكرا بيان وكشف عن كنه الإسقاء ۝ أو تعلق بتتخذون ومنه من تكرير الظرف للتوكيد
كقولك زيد في الدار فيها ۝ ويجوز أن يكون تتخذون صفة موصوف محذوف كقوله ۝
بكفي كان من أرمى البشر ۝ تقديره ومن ثمرات النخيل والأعناب ثمر تتخذون منه سكرا ورزقا
حسنا لأنهم يأكلون بعضها ويتخذون من بعضها السكر ۝ فإن قلت فالام يرجع الضمير في منه
إذا جعلته ظرفا مكررا ۝ قلت إلى المضاف المحذوف الذي هو العصير كما رجع في قوله تعالى أو هم
قائلون إلى الأهل المحذوف ۝ والسكر الخمر سميت بالمصدر من سكر سكرا وسكرا نحو رشد رشدا
ورشدا قال ۝ وجاؤونا بهم سكر علينا ۝ فأجلى اليوم والسكران صاحي ۝ وفيه وجهان ۝ أحدهما أن
تكون منسوخة وممن قال بنسخها الشعبي والنخعي ۝ والثاني أن يجمع بين العتاب والمنة ۝ وقيل
السكر النبيذ وهو عصير العنب والزبيب والتمر إذا طبخ حتى يذهب ثلثاه ثم يترك حتى يشتد
وهو حلال عند أبي حنيفة رحمه الله عليه إلى حد السكر ويحتج بهذه الآية ۝ وبقوله عليه السلام
الخمر حرام لعينها والسكر من كل شراب وبأخبار جمة ۝ ولقد صنف شيخنا أبو علي الجبائي قدس
الله روحه غير كتاب في تحليل النبيذ فلما شيخ وأخذت منه السن العالية قيل له لو شربت
منه ما تتقوى به فأبى فقيل له فقد صنفت في تحليله فقال تناولته الدعارة فيستبشع في المروءة وقيل
السكر الطعم وأنشد ۝ جعلت أعراض الكرام سكرا ۝ أي تنقلت بأعراضهم وقيل هو من الخمر

وانه اذا اشترك في اعراض الناس فكانه تحرر عنها والرزق الحسن الخل والرب والتمر والزبيب وغير
ذلك ٭ ويجوز ان تجعل السكر رزقا حسنا كانه قيل تتخذون منه ما هو سكر ورزق حسن **واوحى
ربك الى النحل ان اتخذى من الجبال بيوتا ومن الشجر ومما يعرشون ٭ ثم كلى من كل الثمرات
فاسلكى سبل ربك ذللا يخرج من بطونها شراب مختلف الوانه فيه شفاء للناس ان
في ذلك لاية لقوم يتفكرون ٭ والله خلقكم ثم يتوفاكم ومنكم من يرد الى ارذل العمر
لكيلا يعلم بعد علم شيئا ان الله عليم قدير** ٭ الايحاء الى النحل الهامها والقذف في قلوبها
وتعليمها على وجه هو اعلم به لا سبيل لاحد الى الوقوف عليه والا فنيقتها في صنعتها ولطفها في تدبير
امرها واصابتها فيما يصلحها دلائل بينة شاهدة على ان الله اودعها علما بذلك وفطنها كما
اولى العقول عقولهم **وقرأ** ابن وثاب الى النحل بفتحتين وهو مذكر كالنخل وتانيثه على المعنى
ان اتخذى هى ان المفسرة لان الايحاء فيه معنى القول ٭ وقرئ بيوتا بكسر الباء لاجل الياء ٭ ويعرشون
بكسر الراء وضمها يرفعون من سقوف البيوت ٭ وقيل ما يبنون للنحل في الجبال والشجر والبيوت
من الاماكن التي تعسل فيها والضمير في يعرشون للناس **فان قلت** ما معنى قوله ان اتخذى
من الجبال بيوتا ومن الشجر ومما يعرشون وهلا قيل في الجبال وفي الشجر اريد معنى البعضية
وان لا تبنى بيوتها في كل جبل وكل شجر وكل ما يعرش ولا في كل مكان منها ٭ من كل الثمرات احاطة
بالثمرات التي تجرسها النحل وتعتاد اكلها اى ابنى البيوت ثم كلى من كل ثمرة تشتهيها فاذا
اكلتها فاسلكى سبل ربك اى الطرق التي الهمك وافهمك في عمل العسل ٭ او فاسلكى ما اكلت في سبل ربك
اى في مسالكه التي يحيل فيها بقدرته النور المر عسلا من اجوافك ومنافذ ماكلك واذا اكلت الثمار
في المواضع البعيدة من بيوتك فاسلكى الى بيوتك راجعة سبل ربك لا تتوعر عليك ولا تضلين
فيها فقد بلغنى ان النحل ربما اجدب عليها ما حولها فتسافر الى البلد البعيدة في طلب النجعة او اراد
بقوله تعالى ثم كلى ثم اقصدى اكل الثمرات فاسلكى في طلبها في مظانها سبل ربك ٭ ذللا جمع
ذلول وهى حال من السبل لان الله ذللها ووطاها **كقوله** عز وعلا هو الذى جعل لكم الارض
ذلولا ٭ او من الضمير في فاسلكى اى وانت ذلل منقادة لما امرت به غير ممتنعة ٭ شراب يريد العسل
لانه مما يشرب مختلف الوانه منه ابيض واصفر واحمر واسود ٭ فيه شفاء للناس لانه من جملة الاشفية
والادوية المشهورة النافعة وقل معجون من المعاجين لم يذكر الاطباء فيه العسل وليس الغرض
انه شفاء لكل مريض كما ان كل دواء كذلك وتنكيره اما لتعظيم الشفاء الذى فيه او لان فيه بعض
الشفاء وكلاهما محتمل **وعن** النبى صلى الله عليه وسلم ان رجلا جاء اليه فقال ان اخى يشتكى بطنه
فقال اسقه العسل فذهب ثم رجع فقال قد سقيته فما نفع فقال اذهب واسقه عسلا فقد صدق
الله وكذب بطن اخيك فسقاه فشفاه الله فبرأ كانما انشط من عقال ٭ وعن عبد الله بن مسعود
رضى الله عنه العسل شفاء من كل داء والقران شفاء لما في الصدور فعليكم بالشفاءين القران
والعسل ٭ ومن بدع تاويلات الرافضة ان المراد بالنحل على وقومه ٭ وعن بعضهم انه قال عند
المهدى انما النحل بنو هاشم يخرج من بطونهم العلم فقال له رجل جعل الله طعامك وشرابك
مما يخرج من بطونهم فضحك المهدى وحدث به المنصور فاتخذوه اضحوكة من اضاحيكهم ٭ الى ارذل
العمر الى اخسه واحقره وهو خمس وسبعون سنة ٭ عن على رضى الله وتسعون سنة ٭ عن قتادة

لانه

لانه لا عمر اسوأ حالا من عمر الهرم ٭ لكيلا يعلم بعد علم شيئا ليصير الى حالة شبيهة بحال الطفولة في
النسيان وان يعلم شيئا ثم يسرع في نسيانه فلا يعلمه ان سئل عنه ٭ وقيل لئلا يعقل من بعد عقله الاول
شيئا ٭ وقيل لئلا يعلم زيادة علم على علمه **والله فضل بعضكم على بعض في الرزق فما الذين فضلوا
برادى رزقهم على ما ملكت ايمانهم فهم فيه سواء افبنعمة الله يجحدون ٭ والله جعل لكم
من انفسكم ازواجا وجعل لكم من ازواجكم بنين وحفدة ورزقكم من الطيبات افبالباطل
يؤمنون وبنعمة الله هم يكفرون** ٭ اى جعلكم متفاوتين في الرزق فرزقكم افضل مما رزق
مماليككم وهم بشر مثلكم واخوانكم فكان ينبغى ان تردوا فضل ما رزقتموه عليهم حتى تتساووا
في الملبس والمطعم كما يحكى عن ابى ذر رضى الله عنه انه سمع رسول الله عليه السلام يقول انما هم اخوانكم
فاكسوهم مما تلبسون واطعموهم مما تطعمون فما رئى عبده بعد ذلك الا ورداؤه رداؤه وازاره
ازاره من غير تفاوت ٭ افبنعمة الله يجحدون فجعل ذلك من جملة جحود النعمة ٭ وقيل هو مثل ضربه
للذين جعلوا له شركاء فقال لهم انتم لا تسوون بينكم وبين عبيدكم فيما انعمت به عليكم ولا
تجعلونهم فيه شركاء ولا ترضون ذلك لانفسكم فكيف رضيتم ان تجعلوا عبيدى لى شركاء ٭ وقيل
المعنى ان الموالى والمماليك انا رازقهم جميعا فهم في رزقى سواء فلا تحسبن الموالى انهم يردون على
مماليكهم من عندهم شيئا من الرزق فانما ذلك رزقى اجريه اليهم على ايديهم **وقرئ** تجحدون بالتاء
والياء ٭ من انفسكم من جنسكم ٭ وقيل هو خلق حواء من ضلع ادم عليه السلام ٭ والحفدة جمع حافد وهو
الذى يحفد اى يسرع في الطاعة والخدمة ٭ ومنه قول القانت واليك نسعى ونحفد **وقال**
٭ حفد الولائد بينهن واسلمت ٭ باكفهن ازمة الاجمال ٭ واختلف فيهم فقيل هم
الاختان على البنات ٭ وقيل اولاد الاولاد ٭ وقيل اولاد المراة من الزوج الاول ٭ وقيل المعنى
وجعل لكم حفدة اى خدما يحفدون في مصالحكم ويعينونكم ويجوز ان يراد بالحفدة البنون انفسهم
كقوله تعالى سكرا ورزقا حسنا كانه قيل وجعل لكم منهن اولادا هم بنون وهم حافدون اى
جامعون بين الامرين ٭ من الطيبات يريد بعضها لان كل الطيبات في الجنة وما طيبات الدنيا الا انموذج
منها ٭ افبالباطل يؤمنون وهو ما يعتقدون من منفعة الاصنام وبركتها وشفاعتها وما هو الا
وهم باطل لم يتوصلوا اليه بدليل ولا امارة فليس لهم ايمان الا به كانه شيء معلوم مستيقن ونعمة
الله المشاهدة المعاينة التي لا شبهة فيها لذى عقل وتمييز هم كافرون بها منكرون لها كما ينكر
المحال الذى لا يتصوره العقول ٭ وقيل الباطل ما يسول لهم الشيطان من تحريم البحيرة والسائبة
وغيرهما ونعمة الله ما احل لهم **ويعبدون من دون الله ما لا يملك لهم رزقا من السموات
والارض شيئا ولا يستطيعون ٭ فلا تضربوا لله الامثال ان الله يعلم وانتم لا تعلمون ٭
ضرب الله مثلا عبدا مملوكا لا يقدر على شيء ومن رزقناه منا رزقا حسنا فهو ينفق منه سرا
وجهرا هل يستوون الحمد لله بل اكثرهم لا يعلمون** ٭ الرزق يكون بمعنى المصدر وبمعنى ما يرزق
فان اردت المصدر نصبت به شيئا كقوله او اطعام يتيما على لا يملك ان يرزق شيئا وان اردت المرزوق
كان شيئا بدلا منه بمعنى قليلا ٭ ويجوز ان يكون تاكيدا للا يملك اى لا يملك شيئا من الملك ومن
السموات والارض صلة للرزق ان كان مصدرا بمعنى لا يرزق من السموات مطرا ولا من الارض نباتا
او صفة ان كان اسما لما يرزق والضمير في ولا يستطيعون لما لانه في معنى الالهة بعد ما قيل لا

بملك على اللفظ • ويجوز ان يكون للكفار يعني ولا يستطيع هؤلاء مع انهم احياء متصرفون اولوا الالباب
من ذلك شيئا فكيف بالجماد الذي لا حس به **فان قلت** ما معنى قوله ولا يستطيعون بعد قوله
لا يملك وهل هما الا شئ واحد **قلت** ليس في لا يستطيعون تقدير راجع وانما المعنى لا يملكون ان يرزقوا
والاستطاعة منفية عنهم اصلا لانهم موات الا ان يقدر الراجع ويراد بالجمع بين نفي الملك والاستطاعة
التوكيد • او اراد انهم لا يملكون الرزق ولا يمكنهم ان يملكوه ولا يتأتى ذلك فيهم ولا يستقيم
فلا تضربوا لله الامثال تمثيل للاشراك بالله والتشبيه به لان من يضرب الامثال مشبه حالا
بحال وقصة بقصة • ان الله يعلم كنه ما تفعلون وعظمه وهو معاقبكم عليه بما يوازيه في العظم
لان العقاب على مقدار الاثم وانتم لا تعلمون كنهه وكنه عقابه فذلك هو الذي جركم اليه وجرأكم
عليه فهو تعليل للنهي عن الشرك • ويجوز ان يراد فلا تضربوا لله الامثال ان الله يعلم كيف تضرب
الامثال وانتم لا تعلمون ثم علمهم كيف تضرب فقال مثلكم في اشراككم بالله الاوثان مثل
من سوى بين عبد مملوك عاجز عن التصرف وبين حر مالك قد رزقه الله مالا فهو يتصرف فيه
وينفق منه كيف شاء **فان قلت** لم قال مملوكا لا يقدر على شئ وكل عبد مملوك وغير قادر على التصرف
قلت اما ذكر المملوك فليميز من الحر لان اسم العبد يقع عليهما جميعا لانهما من عباد الله واما لا يقدر
على شئ فليجعل غير مكاتب ولا مأذون له لانهما يقدران على التصرف • واختلفوا في العبد هل يصح
له ملك والمذهب الظاهر انه لا يصح • فان قلت من في قوله ومن رزقناه ما هي • قلت الظاهر انها
موصوفة كانه قيل وحرا رزقناه ليطابق عبدا ولا يمتنع ان تكون موصولة **فان قلت**
لم قيل يستوون على الجمع معناه هل يستوي الاحرار والعبيد ضرب الله مثلا رجلين
احدهما ابكم لا يقدر على شئ وهو كل على مولاه اينما يوجهه لا يأت بخير هل يستوي هو ومن
يأمر بالعدل وهو على صراط مستقيم ولله غيب السموات والارض وما امر الساعة
الا كلمح البصر او هو اقرب ان الله على كل شئ قدير والله اخرجكم من بطون امهاتكم
لا تعلمون شيئا وجعل لكم السمع والابصار والافئدة لعلكم تشكرون • الم يروا
الى الطير مسخرات في جو السماء ما يمسكهن الا الله ان في ذلك لايات لقوم يؤمنون
الابكم الذي ولد اخرس فلا يفهم ولا يفهم وهو كل على مولاه اي ثقل وعيال على من يلي امره
ويعوله • اينما يوجهه حيثما يرسله ويصرفه في مطلب حاجة او كفاية مهم لم ينفع ولم يأت بنجح
هل يستوي هو ومن هو سليم الحواس نفاع ذو كفايات مع رشد وديانة فهو يأمر الناس بالعدل
والخير وهو في نفسه على صراط مستقيم على سيرة صالحة ودين قويم • وهذا مثل ثان ضربه لنفسه
ولما يفيض على عباده ويشملهم من آثار رحمته والطافه ونعمه الدينية والدنيوية وللاصنام
التي هي اموات لا تضر ولا تنفع **وقرئ** اينما يوجه بمعنى اينما يتوجه من قولهم اينما اوجه القى
سعدا • وقرأ ابن مسعود اينما يوجه على البناء للمفعول • ولله غيب السموات والارض اي يختص
به علم ما غاب فيهما عن العباد وخفي عليهم علمه • او اراد بغيب السموات والارض يوم القيمة على
ان علمه غائب عن اهل السموات والارض لم يطلع عليه احد منهم • الا كلمح البصر او هو اقرب
اي هو عند الله وان تراخى كما تقولون انتم في الشئ الذي تستقربونه هو كلمح البصر او هو اقرب
اذا بالغتم في استقرابه **ونحوه** قوله تعالى ويستعجلونك بالعذاب ولن يخلف الله وعده

وان يوما عند ربك كالف سنة مما تعدون اي هو عنده دان وهو عندكم بعيد • وقيل المعنى ان
اقامة الساعة واماتة الاحياء واحياء الاموات من الاولين والآخرين يكون في اقرب وقت واوحاه
ان الله على كل شئ قدير فهو يقدر على ان يقيم الساعة ويبعث الخلق لانه بعض المقدورات
ثم دل على قدرته بما بعده **قرئ** امهاتكم بضم الهمزة وكسرها والهاء مزيدة في امات كما زيدت
فارا في فعيل اهراق وشذت زيادتها في الواحدة **قال** امهتي خندف والياس ابي • لا تعلمون
شيئا في موضع الحال معناه غير عالمين شيئا من حق المنعم الذي خلقكم في البطون وسواكم وصوركم
ثم اخرجكم من الضيق الى السعة وقوله تعالى وجعل لكم معناه وما ركب فيكم هذه الاشياء الا آلات
لازالة الجهل الذي ولدتم عليه واجتلاب العلم والعمل به من شكر المنعم وعبادته والقيام بحقوقه
والترقي الى ما يسعدكم • والافئدة في فؤاد كالاغربة في غراب وهو من جموع القلة التي جرت مجرى
جموع الكثرة والقلة اذ لم يرد في السماع غيرها كما جاء شسوع في جمع شسع لا غير فجرت ذلك
المجرى **قرئ** الم تروا بالتاء والياء • مسخرات مذللات للطيران بما خلق لها من الاجنحة
والاسباب المواتية لذلك • والجو الهواء المتباعد من الارض في سمت العلو والسكاك ابعد منه
واللوح مثله • ما يمسكهن في قبضهن وبسطهن ووقوفهن الا الله بقدرته والله جعل لكم من
بيوتكم سكنا وجعل لكم من جلود الانعام بيوتا تستخفونها يوم ظعنكم ويوم اقامتكم
ومن اصوافها واوبارها واشعارها اثاثا ومتاعا الى حين • والله جعل لكم مما خلق
ظلالا وجعل لكم من الجبال اكنانا وجعل لكم سرابيل تقيكم الحر وسرابيل تقيكم بأسكم كذلك
يتم نعمته عليكم لعلكم تسلمون • فان تولوا فانما عليك البلاغ المبين • يعرفون نعمة الله
ثم ينكرونها واكثرهم الكافرون • من بيوتكم التي تسكنونها من الحجر والمدر والاخبية وغيرها
والسكن فعل بمعنى مفعول وهو ما يسكن اليه وينقطع اليه من بيت او الف • بيوتا هي القباب
والابنية من الادم والانطاع تستخفونها ترونها خفيفة الحمل في الضرب والنقل • يوم ظعنكم
ويوم اقامتكم اي يوم ترحلون خف عليكم حملها ونقلها ويوم تنزلون وتقيمون في مكان لم يثقل
عليكم ضربها او هي خفيفة عليكم في اوقات السفر والحضر جميعا على ان اليوم بمعنى الوقت ومتاعا
وشيئا ينتفع به الى حين ان تقضوا منه اوطاركم او الى ان يبلى ويفنى او الى ان تموتوا **وقرئ**
يوم ظعنكم بالسكون • مما خلق من الشجر وسائر المستظلات اكنانا جمع كن وهو ما يستكن به من
البيوت المنحوتة في الجبال والغيران والكهوف سرابيل هي القمصان والثياب من الصوف والكتان
والقطن وغيرها • تقيكم الحر لم يذكر البرد لان الوقاية من الحر اهم عندهم وقلما يهمهم البرد
لكونه يسيرا محتملا • وقيل ما يقي من الحر يقي من البرد فدل ذكر الحر على البرد • وسرابيل تقيكم بأسكم
يريد الدروع والجواشن والسربال عام يقع على ما كان من حديد وغيره • لعلكم تسلمون اي تنظرون
في نعمه الفائضة فتؤمنون به وتنقادون له **وقرئ** تسلمون من السلامة اي تشكرون فتسلمون من العذاب او تسلم قلوبكم من الشرك • وقيل تسلمون من الجراح بلبس الدروع فان
تولوا فلم يقبلوا منك فقد تمهد عذرك بعد ما اديت ما وجب عليك من التبليغ فذكر سبب
العذر وهو البلاغ ليدل على المسبب • يعرفون نعمة الله التي عددناها حيث يعترفون بها
وانها من الله ثم ينكرونها بعبادتهم غير المنعم بها وقولهم هي من الله ولكنها بشفاعة آلهتنا وقيل

والتقفص

انكارهم قولهم ورثناها من آبائنا • وقيل قولهم لولا فلان ما اصبت كذا لبعض نعم الله وانما لا يجوز التكلم بنحو هذا اذا لم يعتقد انها من الله وانه اجراها على يد فلان وجعله سببا في نيلها • واكثرهم الكافرون اي الجاحدون غير المعترفين • وقيل نعمة الله نبوة محمد عليه السلام كانوا يعرفونها ثم ينكرونها عنادا واكثرهم الجاحدون المنكرون بقلوبهم **فان قلت** ما معنى ثم **قلت** الدلالة على ان انكارهم امر مستبعد بعد حصول المعرفة لان حق من عرف النعمة ان يعترف لا ان ينكر • ويوم نبعث من كل امة شهيدا ثم لا يؤذن للذين كفروا ولا هم يستعتبون واذا راى الذين ظلموا العذاب فلا يخفف عنهم ولا هم ينظرون • واذا راى الذين اشركوا شركاءهم قالوا ربنا هؤلاء شركاؤنا الذين كنا ندعوا من دونك فالقوا اليهم القول انكم لكاذبون • والقوا الى الله يومئذ السلم وضل عنهم ما كانوا يفترون • شهيدا نبيها يشهد لهم وعليهم بالايمان والتصديق والكفر والتكذيب • ثم لا يؤذن للذين كفروا في الاعتذار والمعنى لا حجة لهم فدل بترك الاذن على ان لا حجة ولا عذر وكذا عن الحسن رحمة الله عليه • ولا هم يستعتبون ولا هم يسترضون اي لا يقال لهم ارضوا ربكم لان الاخرة ليست بدار عمل **فان قلت** ما معنى ثم هذه معناها انهم يمنون بعد شهادة الانبياء عليهم السلام بما هو اطم منها وهو انهم يمنعون الكلام فلا يؤذن لهم في القاء معذرة ولا ادلاء بحجة وانتصاب اليوم بمحذوف تقديره واذكر يوم نبعث او يوم نبعث وقعوا فيما وقعوا فيه وكذلك اذا راوا العذاب بغتهم وثقل عليهم فلا يخفف عنهم ولا هم ينظرون كقوله تعالى بل تاتيهم بغتة فتبهتهم الاية • ان ارادوا بالشركاء آلهتهم فمعنى شركاؤنا آلهتنا التي دعوناها شركاء وان ارادوا الشياطين فلانهم شركاؤهم في الكفر وقرناؤهم في الغي وندعوا بمعنى نعبد **فان قلت** لم قالوا انكم لكاذبون وكانوا يعبدونهم على الصحة **قلت** لما كانوا غير راضين بعبادتهم فكان عبادتهم لم تكن عبادة والدليل عليه قول الملائكة كانوا يعبدون الجن يعنون ان الجن كانوا راضين بعبادتهم لا نحن فهم المعبودون لنا او كذبوهم في تسميتهم شركاء والهة تنزيها لله من الشريك وان اريد بالشركاء الشياطين جاز ان يكونوا كاذبين في قولهم انكم لكاذبون كما يقول الشيطان اني كفرت بما اشركتمون من قبل والقوا يعني الذين ظلموا والقوا السلم الاستسلام لامر الله وحكمه بعد الاباء والاستكبار في الدنيا وضل عنهم وبطل عنهم ما كانوا يفترون من ان لله شركاء وانهم ينصرونهم ويشفعون لهم حين كذبوهم وتبراوا منهم الذين كفروا وصدوا عن سبيل الله زدناهم عذابا فوق العذاب بما كانوا يفسدون • ويوم نبعث في كل امة شهيدا عليهم من انفسهم وجئنا بك شهيدا على هؤلاء ونزلنا عليك الكتاب تبيانا لكل شيء وهدى ورحمة وبشرى للمسلمين • ان الله يامر بالعدل والاحسان وايتاء ذي القربى وينهى عن الفحشاء والمنكر والبغي يعظكم لعلكم تذكرون • الذين كفروا في انفسهم وحملوا غيرهم على الكفر يضاعف الله عقابهم كما ضاعفوا كفرهم وقيل في زيادة عذابهم حيات امثال البخت وعقارب امثال البغال تلسع احداهن اللسعة فيجد صاحبها حمتها اربعين خريفا • وقيل يخرجون من النار الى الزمهرير فيبادرون من شدة برده الى النار • بما كانوا يفسدون بكونهم مفسدين الناس بصدهم عن سبيل الله شهيدا عليهم من انفسهم يعني نبيهم لانه كان يبعث انبياء الامم فيهم منهم • وجئنا بك يا محمد على هؤلاء على امتك

تبيانا بيانا بليغا ونظير تبيان تلقاء في كسر اوله وقد جوز الزجاج فتحه في غير القرآن **فان قلت** كيف كان القرآن تبيانا لكل شيء **قلت** المعنى انه بين كل شيء من امور الدين حيث كان نصا على بعضها واحالة على السنة حيث امر فيه باتباع رسول الله عليه السلام وطاعته • وقيل وما ينطق عن الهوى وحثا على الاجماع في قوله تعالى ويتبع غير سبيل المؤمنين وقد رضي رسول الله عليه السلام لامته اتباع اصحابه والاقتداء بآثارهم في قوله اصحابي كالنجوم بايهم اقتديتم اهتديتم وقد اجتهدوا وقاسوا ووطاوا طرق القياس والاجتهاد فكانت السنة والاجماع والقياس والاجتهاد مستندة الى تبيان الكتاب فمن ثم كان تبيانا لكل شيء • العدل هو الواجب لان الله عز وجل عدل فيه على عباده فجعل ما فرضه عليهم واقعا تحت طاقتهم • والاحسان الندب وانما علق امره بهما جميعا لان الفرض لا بد من ان يقع فيه تفريط فيجبره الندب ولذلك قال رسول الله عليه السلام لمن علمه الفرائض فقال والله لا زدت فيها ولا نقصت افلح ان صدق فعقد الفلاح بشرط الصدق والسلامة من التفريط وقال صلى الله عليه وسلم استقيموا ولن تحصوا فما ينبغي ان يترك ما يجبر كسر التفريط من النوافل • والفواحش ما جاوز حدود الله • والمنكر ما تنكره العقول • والبغي طلب التطاول بالظلم • وحين اسقطت من الخطب لعنة الملاعين على امير المؤمنين علي رضوان الله عليه اقيمت هذه الآية مقامها ولعمري انها كانت فاحشة ومنكرا وبغيا ضاعف الله لمن سنها غضبا ونكالا وخزيا اجابة لدعوة نبيه وعاد من عاداه وكانت سبب اسلام عثمان بن مظعون رضي الله عنه واوفوا بعهد الله اذا عاهدتم ولا تنقضوا الايمان بعد توكيدها وقد جعلتم الله عليكم كفيلا ان الله يعلم ما تفعلون • ولا تكونوا كالتي نقضت غزلها من بعد قوة انكاثا تتخذون ايمانكم دخلا بينكم ان تكون امة هي اربى من امة انما يبلوكم الله به وليبينن لكم يوم القيامة ما كنتم فيه تختلفون • عهد الله هي البيعة لرسول الله عليه السلام • ان الذين يبايعونك انما يبايعون الله ولا تنقضوا ايمان البيعة بعد توكيدها اي بعد توثيقها باسم الله واكد ووكد لغتان فصيحتان والاصل الواو والهمزة بدل • كفيلا شاهدا ورقيبا لان الكفيل مراع لحال المكفول به مهيمن عليه • ولا تكونوا في نقض الايمان كالمراة التي انحت على غزلها بعد ان احكمته وابرمته فجعلته انكاثا جمع نكث وهو ما ينكث فتله • قيل هي ريطة بنت سعد بن تيم وكانت خرقاء اتخذت مغزلا قدر ذراع وصنارة مثل اصبع وفلكة عظيمة على قدرها فكانت تغزل هي وجواريها من الغداة الى الظهر ثم تامرهن فينقضن ما غزلن تتخذون حال ودخلا احد مفعولي تتخذ يعني ولا تنقضوا ايمانكم متخذيها دخلا بينكم اي مفسدة ودغلا • ان تكون امة بسبب ان تكون امة يعني جماعة قريش هي اربى من امة هي ازيد عددا واوفر مالا • من امة من جماعة المؤمنين انما يبلوكم الله به الضمير لقوله ان تكون امة لانه في معنى المصدر اي انما يختبركم بكونهم اربى لينظر اتتمسكون بحبل الوفاء بعهد الله وما عقدتم على انفسكم ووكدتم من ايمان البيعة لرسول الله عليه السلام ام تغترون بكثرة قريش وثروتهم وقوتهم وقلة المؤمنين وفقرهم وضعفهم • وليبينن لكم انذار وتحذير من مخالفة ملة الاسلام ولو شاء الله لجعلكم امة واحدة ولكن يضل من يشاء ويهدي من يشاء ولتسالن عما كنتم تعملون • ولا تتخذوا ايمانكم دخلا بينكم فتزل قدم بعد ثبوتها وتذوقوا السوء بما صددتم عن سبيل الله ولكم عذاب عظيم • ولا تشتروا بعهد الله ثمنا قليلا انما عند الله هو خير

لكم إن كنتم تعلمون ما عندكم ينفد وما عند الله باق ولنجزين الذين صبروا أجرهم بأحسن ما كانوا يعملون ولو شاء الله لجعلكم أمة واحدة حنيفة مسلمة على طريق الإلجاء والاضطرار وهو قادر على ذلك ولكن الحكمة اقتضت أن يضل من يشاء وهو أن يخذل من علم أنه يختار الكفر ويصمم عليه ويهدي من يشاء وهو أن يلطف بمن علم أنه يختار الإيمان يعني أنه بنى الأمر على الاختيار وعلى ما يستحق به اللطف والخذلان والثواب والعقاب ولم يبنه على الإجبار الذي لا يستحق به شيء من ذلك وحققه بقوله ولتسألن عما كنتم تعملون ولو كان هو المضطر إلى الضلال والاهتداء لما أثبت لهم عملا يسألون عنه ثم كرر النهي عن اتخاذ الأيمان دخلا بينهم تأكيدا عليهم وإظهارا لعظم ما يركب منه فتزل قدم بعد ثبوتها فتزل أقدامكم عن محجة الإسلام بعد ثبوتها عليها وتذوقوا السوء في الدنيا بصدودكم عن سبيل الله وخروجكم من الدين أو بصدكم غيركم لأنهم لو نقضوا أيمان البيعة وارتدوا لاتخذوا نقضها سنة لغيرهم يستنون بها ولكم عذاب عظيم في الآخرة كأن قوما ممن أسلم بمكة زين لهم الشيطان لجزعهم مما رأوا من غلبة قريش واستضعافهم المسلمين وإيذائهم لهم وما كانوا يعدونهم إن رجعوا من المواعيد أن ينقضوا ما بايعوا عليه رسول الله صلى الله عليه وسلم فثبتهم الله ولا تشتروا ولا تستبدلوا بعهد الله وبيعة رسوله ثمنا قليلا عرضا من الدنيا يسيرا وهو ما كانت قريش يعدونهم ويمنونهم إن رجعوا إنما عند الله من إظهاركم وتغنيمكم ومن ثواب الآخرة خير لكم ما عندكم من أعراض الدنيا ينفد وما عند الله من خزائن رحمته باق لا ينفد **وقرئ** ولنجزين بالنون الذين صبروا على أذى المشركين ومشاق الإسلام **فإن قلت** لم وحدت القدم ونكرت **قلت** لاستعظام أن تزل قدم واحدة عن طريق الحق بعد أن ثبتت عليه فكيف بأقدام كثيرة من عمل صالحا من ذكر أو أنثى وهو مؤمن فلنحيينه حياة طيبة ولنجزينهم أجرهم بأحسن ما كانوا يعملون فإذا قرأت القرآن فاستعذ بالله من الشيطان الرجيم إنه ليس له سلطان على الذين آمنوا وعلى ربهم يتوكلون إنما سلطانه على الذين يتولونه والذين هم به مشركون **فإن قلت** من متناول في نفسه للذكر والأنثى فما معنى تبيينه بهما **قلت** هو مبهم صالح على الإطلاق للنوعين إلا أنه إذا ذكر كان الظاهر تناوله للذكور فقيل من ذكر أو أنثى على التبيين ليعم الموعد النوعين جميعا حياة طيبة يعني في الدنيا وهو الظاهر لقوله تعالى ولنجزينهم وعده الله ثواب الدنيا والآخرة كقوله تعالى فآتاهم الله ثواب الدنيا وحسن ثواب الآخرة وذلك أن المؤمن مع العمل الصالح موسرا كان أو معسرا يعيش عيشا طيبا إن كان موسرا فلا مقال فيه وإن كان معسرا فمعه ما يطيب عيشه وهو القناعة والرضا بقسمة الله وأما الفاجر فأمره على العكس إن كان معسرا فلا إشكال فيه وإن كان موسرا فالحرص لا يدعه أن يتهنأ بعيشه وعن ابن عباس الحياة الطيبة الرزق الحلال وعن الحسن رحمه الله القناعة وعن قتادة يعني في الجنة وقيل هي حلاوة الطاعة والتوفيق في قلبه ولما ذكر العمل الصالح ووعد عليه وصل به قوله فإذا قرأت القرآن فاستعذ بالله إيذانا بأن الاستعاذة من جملة الأعمال الصالحة التي يجزل الله عليها الثواب والمعنى فإذا أردت قراءة القرآن فاستعذ كقوله تعالى إذا قمتم إلى الصلاة فاغسلوا وجوهكم وكقولك إذا أكلت فسم الله **فإن قلت** لم عبر عن إرادة الفعل بلفظ الفعل **قلت** لأن الفعل يوجد عند القصد والإرادة بغير فاصل وعلى حسبه فكان منه بسبب قوي وملابسة

اى رجوعا

ظاهرة وعن عبد الله بن مسعود رضي الله عنه قرأت على رسول الله عليه السلام فقلت أعوذ بالسميع العليم من الشيطان الرجيم فقال لي يا ابن أم عبد قل أعوذ بالله من الشيطان الرجيم هكذا أقرأنيه جبريل عن القلم عن اللوح المحفوظ ليس له سلطان أي تسلط وولاية على أولياء الله يعني أنهم لا يقبلون منه ولا يطيعونه فيما يريد منهم من اتباع خطواته إنما سلطانه على من يتولاه ويطيعه به مشركون الضمير يرجع إلى ربهم ويجوز أن يرجع إلى الشيطان على معنى بسببه وإذا بدلنا آية مكان آية والله أعلم بما ينزل قالوا إنما أنت مفتر بل أكثرهم لا يعلمون قل نزله روح القدس من ربك بالحق ليثبت الذين آمنوا وهدى وبشرى للمسلمين ولقد نعلم أنهم يقولون إنما يعلمه بشر لسان الذي يلحدون إليه أعجمي وهذا لسان عربي مبين تبديل الآية مكان الآية هو النسخ والله تعالى ينسخ الشرائع بالشرائع لأنها إما تعبدات ويجوز له أن يتعبد عباده كل وقت بما أراد وإما لأنها مصالح وما كان مصلحة أمس يجوز أن يكون مفسدة اليوم وخلافه مصلحة والله تعالى عالم بالمصالح والمفاسد فيثبت ما يشاء وينسخ ما يشاء بحكمته وهذا معنى قوله والله أعلم بما ينزل قالوا إنما أنت مفتر وجدوا مدخلا للطعن فطعنوا وذلك لجهلهم وبعدهم عن العلم بالناسخ والمنسوخ وكانوا يقولون إن محمدا يسخر من أصحابه يأمرهم اليوم بأمر وينهاهم عنه غدا فيأتيهم بما هو أهون ولقد افتروا فقد كان ينسخ الأشق بالأهون والأهون بالأهون والأشق بالأشق لأن الغرض المصلحة لا الهوان والمشقة **فإن قلت** هل في ذكر تبديل الآية بالآية دليل على أن القرآن إنما ينسخ بمثله ولا يصح بغيره من السنة والإجماع والقياس **قلت** فيه أن قرآنا ينسخ بمثله وليس فيه نفي نسخه بغيره على أن السنة المكشوفة المتواترة مثل القرآن في إيجاب العلم فنسخه بها كنسخه بمثله وأما الإجماع والقياس والسنة غير المقطوع بها فلا يصح نسخ القرآن بها في ينزل وتنزله وما فيهما من التنزيل شيئا فشيئا على حسب الحوادث والمصالح إشارة إلى أن التبديل من باب المصالح كالتنزيل وأن ترك النسخ بمنزلة إنزاله دفعة في خروجه عن الحكمة وروح القدس جبريل صلوات الله عليه أضيف إلى القدس وهو الطهر كما يقال حاتم الجود وزيد الخير والمراد الروح المقدس وحاتم الجواد وزيد الخير والمقدس المطهر من المآثم **وقرئ** بضم الدال وسكونها بالحق في موضع الحال أي نزله ملتبسا بالحكمة يعني أن النسخ من جملة الحق ليثبت الذين آمنوا ليبلوهم بالنسخ حتى إذا قالوا فيه هو الحق من ربنا والحكمة حكم لهم بثبات القدم وصحة اليقين وطمأنينة القلوب على أن الله حكيم فلا يفعل إلا ما هو حكمة وصواب وهدى وبشرى مفعول لهما معطوفان على محل ليثبت والتقدير تثبيتا لهم وإرشادا وبشارة وفيه تعريض بحصول أضداد هذه الخصال لغيرهم **وقرئ** ليثبت بالتخفيف أرادوا بالبشر غلاما كان لحويطب بن عبد العزى قد أسلم وحسن إسلامه اسمه عائش أو يعيش وكان صاحب كتب وقيل هو جبر غلام رومي كان لعامر بن الحضرمي وقيل عبدان جبر ويسار كانا يصنعان السيوف بمكة ويقرآن التوراة والإنجيل فكان رسول الله عليه السلام إذا مر وقف عليهما يسمع ما يقرآن فقالوا يعلمانه فقيل لأحدهما فقال بل هو يعلمني وقيل هو سلمان الفارسي رضي الله عنه واللسان اللغة ويقال ألحد القبر ولحده فهو ملحد وملحود إذا أمال حفره عن الاستقامة فحفر في شق منه ثم استعير

لكل ما له عن استقامة فقالوا الحد فلان في قوله والحد في دينه ومنه الملحد لانه امال مذهبه
عن الاديان كلها لم يمله عن دين الى دين والمعنى لسان الرجل الذي يميلون قولهم عن الاستقامة
اليه لسان اعجمي غير بين وهذا القرآن لسان عربي ذو بيان وفصاحة ردا لقولهم وابطالا
لطعنهم وقرئ يلحدون بفتح الياء والحاء وفي قراءة الحسن اللسان الذي يلحدون اليه بتعريف
اللسان فان قلت الجملة التي هي قوله لسان الذي يلحدون اليه اعجمي ما محلها قلت لا
محل لها لانها مستانفة جواب لقولهم ومثله قوله تعالى الله اعلم حيث يجعل رسالاته بعد
قوله واذا جاءتهم آية قالوا لن نؤمن حتى نؤتى مثل ما اوتي رسل الله ان الذين لا يؤمنون
بآيات الله لا يهديهم الله ولهم عذاب اليم انما يفتري الكذب الذين لا يؤمنون بآيات
الله واولئك هم الكاذبون من كفر بالله من بعد ايمانه الا من اكره وقلبه مطمئن
بالايمان ولكن من شرح بالكفر صدرا فعليهم غضب من الله ولهم عذاب عظيم ان
الذين لا يؤمنون بآيات الله اي يعلم الله منهم انهم لا يؤمنون لا يهديهم الله لا يلطف بهم لانهم
من اهل الخذلان في الدنيا والعذاب في الآخرة لا من اهل اللطف والثواب انما يفتري الكذب رد
لقولهم انما انت مفتر يعني انما يليق افتراء الكذب بمن لا يؤمن لانه لا يترقب عقابا عليه واولئك
اشارة الى قريش هم الكاذبون اي هم الذين لا يؤمنون فهم الكاذبون او الى الذين لا يؤمنون
اي اولئك هم الكاذبون على الحقيقة الكاملون في الكذب لان تكذيب آيات الله اعظم الكذب
او اولئك هم الذين عادتهم الكذب لا يبالون به في كل شيء لا تحجبهم عنه مروءة ولا دين او
اولئك هم الكاذبون في قولهم انما انت مفتر من كفر بدل من الذين لا يؤمنون بآيات الله على
ان يجعل واولئك هم الكاذبون اعتراضا بين البدل والمبدل منه والمعنى انما يفتري الكذب
من كفر بالله من بعد ايمانه واستثنى منهم المكره فلم يدخل تحت حكم الافتراء ثم قال ولكن
من شرح بالكفر صدرا اي طاب به نفسا واعتقده فعليهم غضب من الله ويجوز ان يكون
بدلا من المبتدا الذي هو اولئك على ومن كفر بالله من بعد ايمانه هم الكاذبون او من
الخبر الذي هو الكاذبون على واولئك من كفر بالله من بعد ايمانه ويجوز ان ينتصب على
الذم وقد جوزوا ان يكون من كفر بالله شرطا مبتدا ويحذف جوابه لان جواب من شرح دال
عليه كانه قيل من كفر بالله فعليهم غضب الا من اكره ولكن من شرح بالكفر صدرا فعليهم
غضب روي ان ناسا من اهل مكة فتنوا فارتدوا عن الاسلام بعد دخولهم فيه وكان فيهم
من اكره فاجرى كلمة الكفر على لسانه وهو معتقد للايمان منهم عمار وابواه ياسر وسمية
وصهيب وبلال وخباب وسالم عذبوا فاما سمية فقد ربطت بين بعيرين ووجئ في قبلها بحربة
وقالوا انك اسلمت من اجل الرجال فقتلت وقتل ياسر وهما اول قتيلين في الاسلام واما عمار
فقد اعطاهم ما ارادوا بلسانه مكرها فقيل يا رسول الله ان عمارا كفر فقال كلا ان عمارا
ملئ ايمانا من قرنه الى قدمه واختلط الايمان بلحمه ودمه فاتى عمار رسول الله عليه السلام
وهو يبكي فجعل رسول الله عليه السلام يمسح عينيه وقال ما لك ان عادوا لك فعد لهم بما قلت
ومنهم جبر مولى الحضرمي اكرهه سيده فكفر ثم اسلم مولاه واسلم وحسن اسلامهما وهاجرا
فان قلت اي الامرين افضل فعل عمار ام فعل ابويه قلت بل فعل ابويه لان في ترك التقية

هزء

والصبر على القتل اعزاز للاسلام وقد روي ان مسيلمة اخذ رجلين فقال لاحدهما ما تقول في محمد قال
رسول الله قال فما تقول في قال انت ايضا فخلاه وقال للآخر ما تقول في محمد قال رسول الله قال
فما تقول في قال انا اصم فاعاد عليه ثلاثا فاعاد جوابه فقتله فبلغ ذلك رسول الله صلى الله عليه
وسلم فقال اما الاول فقد اخذ برخصة الله واما الثاني فقد صدع بالحق فهنيئا له ذلك بانهم
استحبوا الحيوة الدنيا على الآخرة وان الله لا يهدي القوم الكافرين اولئك الذين طبع
الله على قلوبهم وسمعهم وابصارهم واولئك هم الغافلون لا جرم انهم في الآخرة هم
الخاسرون ثم ان ربك للذين هاجروا من بعد ما فتنوا ثم جاهدوا وصبروا ان ربك
من بعدها لغفور رحيم ذلك اشارة الى الوعيد وان الغضب والعذاب يلحقانهم بسبب
استحبابهم الدنيا على الآخرة واستحقاقهم خذلان الله بكفرهم اولئك هم الغافلون الكاملون
في الغفلة الذين لا احد اغفل منهم لان الغفلة عن تدبر العواقب هي غاية الغفلة ومنتهاها ثم
ان ربك دلالة على تباعد حال هؤلاء من حال اولئك وهم عمار واصحابه ومعنى ان ربك لهم انه
لهم لا عليهم بمعنى انه وليهم وناصرهم لا عدوهم وخاذلهم كما يكون الملك للرجل لا عليه فيكون محميا
منفوعا غير مضرور من بعد ما فتنوا بالعذاب والاكراه على الكفر وقرئ فتنوا على البناء
للفاعل اي بعد ما عذبوا المؤمنين كالحضرمي واشباهه من بعدها من بعد هذه الافعال وهي
الهجرة والجهاد والصبر يوم تأتي كل نفس تجادل عن نفسها وتوفى كل نفس ما عملت وهم لا
يظلمون وضرب الله مثلا قرية كانت آمنة مطمئنة يأتيها رزقها رغدا من كل مكان
فكفرت بأنعم الله فاذاقها الله لباس الجوع والخوف بما كانوا يصنعون ولقد
جاءهم رسول منهم فكذبوه فاخذهم العذاب وهم ظالمون يوم تأتي منصوب برحيم
او باضمار اذكر فان قلت ما معنى النفس المضافة الى النفس قلت يقال لعين الشيء وذاته
نفسه وفي نقيضه غيره والنفس الجملة كما هي فالنفس الاولى هي الجملة والثانية عينها وذاتها فكانه
قيل يوم يأتي كل انسان يجادل عن ذاته لا يهمه شأن غيره كل يقول نفسي نفسي ومعنى المجادلة عنها
الاعتذار عنها كقولهم هؤلاء اضلونا ما كنا مشركين ونحو ذلك وضرب الله مثلا قرية اي جعل
القرية التي هذه حالها مثلا لكل قوم انعم الله عليهم فابطرتهم النعمة فكفروا وتولوا فانزل الله
بهم نقمته فيجوز ان تراد قرية مقدرة على هذه الصفة وان تكون في قرى الاولين قرية كانت
هذه حالها فضربها الله مثلا لمكة انذارا من مثل عاقبتها مطمئنة لا يزعجها خوف لان الطمانينة
مع الامن والانزعاج والقلق مع الخوف رغدا واسعا والانعم جمع نعمة على ترك الاعتداد بالتاء
كدرع وادرع او جمع نعم كبؤس وابؤس وفي الحديث نادى منادي النبي صلى الله عليه وسلم
بالموسم بمنى انها ايام طعم ونعم فلا تصوموا فان قلت الاذاقة واللباس استعارتان
فما وجه صحتهما والاذاقة المستعارة موقعة على اللباس المستعار فما وجه صحة ايقاعها عليه
قلت اما الاذاقة فقد جرت عندهم مجرى الحقيقة لشيوعها في البلايا والشدائد وما
يمس الناس منها فيقولون ذاق فلان البؤس والضر واذاقه العذاب شبه ما يدرك من
اثر الضرر والالم بما يدرك من طعم المر والبشع واما اللباس فقد شبه به لاشتماله على اللابس س
ما غشي الانسان والتبس به من بعض الحوادث واما ايقاع الاذاقة على لباس الجوع والخوف

فلأنه لما وقع عبارة عما يغشى منهما ويلابس فكأنه قيل فإذا أذاقهم ما غشيهم من الجوع والخوف ولهم
في نحو هذا طريقان لا بد من الإحاطة بهما فإن الاستنكار لا يقع إلا لمن فقدهما أحدهما أن ينظروا
فيه إلى المستعار له كما نظر إليه ههنا ونحوه قول كثير

غمر الرداء إذا تبسم ضاحكا ... غلقت لضحكته رقاب المال

استعار الرداء للمعروف لأنه يصون عرض صاحبه صون الرداء لما يلقى عليه ووصفه بالغمر الذي هو وصف المعروف والنوال
لا صفة الرداء نظرا إلى المستعار له والثاني أن ينظروا فيه إلى المستعار كقوله

ينازعني ردائي عبد عمرو ... رويدك يا أخا عمرو بن بكر

لي الشطر الذي ملكت يميني ... ودونك فاعتجر منه بشطر

أراد بردائه سيفه ثم قال فاعتجر
منه بشطر فنظر إلى المستعار في لفظ الاعتجار ولو نظر إليه فيما نحن فيه لقيل فكساهم لباس الجوع
والخوف ولقال كثير ضافي الرداء إذا تبسم ضاحكا وهم ظالمون في حال التباسهم بالظلم كقوله
تعالى الذين تتوفاهم الملائكة ظالمي أنفسهم نعوذ بالله من مفاجأة النقمة والموت على الغفلة وقرئ
والخوف عطفا على اللباس أو على تقدير حذف المضاف وإقامة المضاف إليه مقامه أصله ولباس
الخوف وقرئ لباس الجوع والخوف فكلوا مما رزقكم الله حلالا طيبا واشكروا نعمة الله
إن كنتم إياه تعبدون إنما حرم عليكم الميتة والدم ولحم الخنزير وما أهل لغير الله
به فمن اضطر غير باغ ولا عاد فإن الله غفور رحيم ولا تقولوا لما تصف ألسنتكم الكذب
هذا حلال وهذا حرام لتفتروا على الله الكذب إن الذين يفترون على الله الكذب
لا يفلحون متاع قليل ولهم عذاب أليم لما وعظهم بما ذكر من حال القرية وما أتيت به من
كفرها وسوء صنيعها وصل بذلك بالفاء في قوله فكلوا صدهم عن أفعال الجاهلية ومذاهبهم
الفاسدة التي كانوا عليها بأن أمرهم بأكل ما رزقهم الله من الحلال الطيب وشكر إنعامه بذلك وقال
إن كنتم إياه تعبدون يعني تطيعون أو إن صح زعمكم أنكم تعبدون الله بعبادة الآلهة لأنها
شفعاؤكم عنده ثم عدد عليهم محرمات الله ونهاهم عن تحريمهم وتحليلهم بأهوائهم وجهالاتهم
دون اتباع ما شرع الله على لسان أنبيائه وانتصاب الكذب بلا تقولوا على ولا تقولوا الكذب لما
تصفه ألسنتكم من البهائم بالحل والحرمة في قولكم ما في بطون هذه الأنعام خالصة لذكورنا ومحرم
على أزواجنا من غير استناد ذلك الوصف إلى وحي من الله أو إلى قياس مستند إليه واللام مثلها
في قولك ولا تقولوا لما أحل الله هو حرام وقوله تعالى هذا حلال وهذا حرام بدل من الكذب
ويجوز أن يتعلق بتصف على إرادة القول أي ولا تقولوا الكذب لما تصفه ألسنتكم فتقول هذا حلال
وهذا حرام ولك أن تنصب الكذب بتصف وتجعل ما مصدرية وتعلق هذا حلال وهذا حرام
بلا تقولوا على ولا تقولوا هذا حلال وهذا حرام لوصف ألسنتكم الكذب أي لا تحرموا ولا تحللوا
لأجل قول تنطق به ألسنتكم ويجول في أفواهكم لا لأجل حجة وبينة ولكن قول ساذج ودعوى
فارغة فإن قلت ما معنى وصف ألسنتهم الكذب هو من فصيح الكلام وبليغه جعل
قولهم كأنه عين الكذب ومحضه فإذا نطقت به ألسنتهم فقد حلت الكذب بحليته وصورته
بصورته كقولهم وجهها يصف الجمال وعينها تصف السحر وقرئ الكذب بالجر صفة لما المصدرية
كأنه قيل لوصفها الكذب بمعنى الكاذب كقوله تعالى بدم كذب والمراد بالوصف وصفها البهائم بالحل والحرمة

وقرئ

وقرئ الكذب جمع كذوب بالرفع صفة للألسنة وبالنصب على الشتم أو بمعنى الكلم الكواذب
أو جمع الكذاب من قولك كذب كذابا ذكره ابن جني واللام في لتفتروا من التعليل الذي لا يتضمن
معنى الغرض متاع قليل خبر مبتدأ محذوف أي منفعتهم فيما هم عليه من أفعال الجاهلية منفعة
قليلة وعقابها عظيم وعلى الذين هادوا حرمنا ما قصصنا عليك من قبل وما ظلمناهم
ولكن كانوا أنفسهم يظلمون ثم إن ربك للذين عملوا السوء بجهالة ثم تابوا من
بعد ذلك وأصلحوا إن ربك من بعدها لغفور رحيم إن إبراهيم كان أمة قانتا لله
حنيفا ولم يك من المشركين شاكرا لأنعمه اجتباه وهداه إلى صراط مستقيم ما قصصنا
عليك يعني في سورة الأنعام بجهالة في موضع الحال أي عملوا السوء جاهلين غير عارفين بالله
وبعقابه أو غير متدبرين للعاقبة لغلبة الشهوة عليهم من بعدها من بعد التوبة كان أمة فيه
وجهان أحدهما أنه كان وحده أمة من الأمم لكماله في جميع صفات الخير كقوله

وليس لله بمستنكر ... أن يجمع العالم في واحد

وعن مجاهد كان مؤمنا وحده والناس كلهم كفار
والثاني أن يكون أمة بمعنى مأموم أي يؤمه الناس ليأخذوا منه الخير أو بمعنى مؤتم به كالرحلة
والنخبة وما أشبه ذلك مما جاء من فعلة بمعنى مفعول فيكون مثل قوله تعالى قال إني جاعلك للناس
إماما وروى الشعبي عن فروة بن نوفل الأشجعي عن ابن مسعود أنه قال إن معاذا كان أمة
قانتا لله فقلت غلطت إنما هو إبراهيم عليه السلام فقال الأمة الذي يعلم الخير والقانت المطيع لله
ورسوله وكان معاذ كذلك وعن عمر رضي الله عنه أنه قال حين قيل له ألا تستخلف لو كان أبو
عبيدة حيا لاستخلفته ولو كان معاذ حيا لاستخلفته ولو كان سالم حيا لاستخلفته فإني سمعت
رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول أبو عبيدة أمين هذه الأمة ومعاذ أمة قانت لله ليس بينه
وبين الله تعالى يوم القيامة إلا المرسلون وسالم شديد الحب لله لو كان لا يخاف الله لم يعصه
وهو ذلك المعنى أي كان إماما في الدين لأن الأئمة معلموا الخير والقانت القائم بما أمره الله
والحنيف المائل إلى ملة الإسلام غير الزائل عنه ونفى عنه الشرك تكذيبا لكفار قريش في زعمهم
أنهم على ملة أبيهم إبراهيم شاكرا لأنعمه روي أنه كان لا يتغدى إلا مع ضيف فلم يجد ذات يوم
ضيفا فأخر غداءه فإذا هو بفوج من الملائكة في صورة البشر فدعاهم إلى الطعام فخيلوا له أن
بهم جذاما فقال الآن وجبت مؤاكلتكم شكرا لله على أنه عافاني وابتلاكم اجتباه اختصه واصطفاه
للنبوة وهداه إلى صراط مستقيم إلى ملة الإسلام وآتيناه في الدنيا حسنة وإنه في الآخرة
لمن الصالحين ثم أوحينا إليك أن اتبع ملة إبراهيم حنيفا وما كان من المشركين إنما
جعل السبت على الذين اختلفوا فيه وإن ربك ليحكم بينهم يوم القيامة فيما كانوا فيه
يختلفون حسنة عن قتادة هي تنويه الله بذكره حتى ليس من أهل دين إلا وهم يتولونه وقيل
الأموال والأولاد وقيل قول المصلي منا كما صليت على آل إبراهيم لمن الصالحين لمن أهل الجنة ثم
أوحينا إليك في ثم هذه ما فيها من تعظيم منزلة رسول الله عليه السلام وإجلال محله والإيذان بأن أشرف
ما أوتي خليل الله إبراهيم عليه السلام من الكرامة وأجل ما أولي من النعمة اتباع رسول الله صلى
الله عليه وسلم ملته من قبل أنها دلت على تباعد هذا النعت في المرتبة من بين سائر النعوت التي
أثنى الله عليه بها السبت مصدر سبتت اليهود إذا عظمت سبتها والمعنى إنما جعل وبال السبت

وهو المسخ على الذين اختلفوا فيه واختلافهم فيه انهم احلوا الصيد فيه تارة وحرموه تارة وكان الواجب عليهم ان يتفقوا في تحريمه على كلمة واحدة بعد ما حتم الله عليهم الصبر عن الصيد فيه وتعظيمه والمعنى في ذكر ذلك نحو المعنى في ضرب القرية التي كفرت بانعم الله مثلا وغير ما ذكر وهو الانذار من سخط الله على العصاة والمخالفين لاوامره والخالعين ربقة طاعته **فان قلت** فما معنى الحكم بينهم اذا كانوا جميعا محلين او محرمين **قلت** معناه انه يجازيهم جزاء اختلافهم في كونهم محلين تارة ومحرمين اخرى ووجه اخر وهو ان موسى عليه السلام امرهم ان يجعلوا في الاسبوع يوما للعبادة وان يكون يوم الجمعة فابوا عليه وقالوا نريد اليوم الذي فرغ الله فيه من خلق السموات والارض وهو السبت الا شرذمة منهم قد رضوا بالجمعة فهذا اختلافهم في السبت لان بعضهم اختاروه وبعضهم اختار عليه الجمعة فاذن الله في السبت وابتلاهم بتحريم الصيد فيه فاطاع امر الله الراضون بالجمعة فكانوا لا يصيدون فيه واعقابهم لم يصبروا فمسخهم الله دون اولئك وهو يحكم بينهم يوم القيمة فيجازي كل واحد من الفريقين بما يستوجبه ومعنى جعل السبت فرض عليهم تعظيمه وترك الاصطياد فيه **وقرى** انما جعل السبت على البناء للفاعل وقرا عبد الله انا انزلنا السبت ادع الى سبيل ربك بالحكمة والموعظة الحسنة وجادلهم بالتي هي احسن ان ربك هو اعلم بمن ضل عن سبيله وهو اعلم بالمهتدين وان عاقبتم فعاقبوا بمثل ما عوقبتم به ولئن صبرتم لهو خير للصابرين واصبر وما صبرك الا بالله ولا تحزن عليهم ولا تك في ضيق مما يمكرون ان الله مع الذين اتقوا والذين هم محسنون الى سبيل ربك الى الاسلام بالحكمة بالمقالة المحكمة الصحيحة وهي الدليل الموضح للحق المزيل للشبهة والموعظة الحسنة وهي التي لا يخفى عليهم انك تناصحهم بها وتقصد ما ينفعهم فيها ويجوز ان يريد القران اي ادعهم بالكتاب الذي هو حكمة وموعظة حسنة وجادلهم بالتي هي احسن بالطريقة التي هي احسن طرق المجادلة من الرفق واللين من غير فظاظة ولا تعنيف ان ربك هو اعلم بهم فمن كان فيه خير اكفاه الوعظ القليل والنصيحة اليسيرة ومن لا خير فيه عجزت عنه الحيل وكانك تضرب منه في حديد بارد سمى الفعل الاول باسم الثاني للمزاوجة والمعنى ان صنع بكم صنيع سوء من قتل او نحوه فقابلوه بمثله ولا تزيدوا عليه **وقرى** وان عقبتم فعقبوا اي وان قفيتم بالانتصار فقفوا بمثل ما فعل بكم **روى** ان المشركين مثلوا بالمسلمين يوم احد بقروا بطونهم وقطعوا مذاكيرهم ما تركوا احدا غير ممثول به الا حنظلة بن الراهب فوقف رسول الله صلى الله عليه وسلم على حمزة وقد مثل به وروى فراه مبقور البطن فقال اما والذي احلف به لئن اظفرني الله بهم لامثلن بسبعين مكانك فنزلت فكفر عن يمينه وكف عما اراده ولا خلاف في تحريم المثلة وقد وردت الاخبار بالنهي عنها حتى بالكلب العقور اما ان يرجع الضمير في لهو الى صبرهم وهو مصدر صبرتم ويراد بالصابرين المخاطبون اي ولئن صبرتم لصبركم خير لكم فوضع الصابرين موضع الضمير ثناء عليهم من الله بانهم صابرون على الشدائد او وصفهم بالصفة التي تحصل لهم اذا صبروا عن المعاقبة واما ان يرجع الى جنس الصبر وقد دل عليه صبرتم ويراد بالصابرين جنسهم كانه قيل وللصبر خير للصابرين ونحوه قوله عز وجل فمن عفا واصلح فاجره على الله وان تعفوا اقرب للتقوى ثم قال لرسوله عليه السلام واصبر انت فعزم عليه بالصبر وما صبرك الا بالله اي بتوفيقه وتثبيته وربطه على قلبه ولا

الله عليهم

لهم

ولا تحزن عليهم اي على الكافرين كقوله تعالى فلا تاس على القوم الكافرين او على المؤمنين وما فعل بهم الكافرون ولا تك في ضيق **وقرى** ولا تكن في ضيق اي ولا يضيقن صدرك من مكرهم والضيق تخفيف الضيق اي في امر ضيق ويجوز ان يكون الضيق والضيق مصدرين كالقيل والقول ان الله مع الذين اتقوا اي هو ولي الذين اجتنبوا المعاصي وولي الذين هم محسنون في اعمالهم وعن هرم ابن حيان انه قيل له حين احتضر اوص فقال انما الوصية من المال ولا مال لي واوصيكم بخواتيم سورة النحل عن النبي عليه السلام من قرا سورة النحل لم يحاسبه الله بما انعم عليه في دار الدنيا وان مات في يوم تلاها او ليلته كان له من الاجر كالذي مات واحسن الوصية

بسم الله الرحمن الرحيم سبحان الذي اسرى بعبده ليلا من المسجد الحرام الى المسجد الاقصى الذي باركنا حوله لنريه من اياتنا انه هو السميع البصير سبحان علم للتسبيح كعثمان للرجل وانتصابه بفعل مضمر متروك اظهاره تقديره اسبح الله سبحان ثم نزل سبحان منزلة الفعل فسد مسده ودل على التنزيه البليغ من جميع القبائح التي يضيفها اليه اعداء الله واسرى وسرى لغتان وليلا نصب على الظرف **فان قلت** الاسراء لا يكون الا بالليل فما معنى ذكر الليل **قلت** اراد بقوله ليلا بلفظ التنكير تقليل مدة الاسراء وانه اسرى به في بعض الليل من مكة الى الشام مسيرة اربعين ليلة وذلك ان التنكير فيه قد دل على معنى البعضية ويشهد لذلك قراءة عبد الله وحذيفة من الليل اي بعض الليل كقوله تعالى ومن الليل فتهجد به يعني الامر بالقيام في بعض الليل واختلف في المكان الذي اسرى به منه فقيل هو المسجد الحرام بعينه وهو الظاهر **وروى** عن النبي صلى الله عليه وسلم بينا انا في المسجد الحرام في الحجر عند البيت بين النائم واليقظان اذ اتاني جبريل بالبراق وقيل اسرى به من دار ام هاني بنت ابي طالب والمراد بالمسجد الحرام الحرم لاحاطته بالمسجد والتباسه به وعن ابن عباس رضي الله عنهما الحرم كله مسجد **وروى** انه كان نائما في بيت ام هاني بعد صلوة العشاء فاسرى به ورجع من ليلته وقص القصة على ام هاني وقال مثل لي النبيون فصليت بهم وقام ليخرج الى المسجد فتشبثت ام هاني بثوبه فقال ما لك قالت اخشى ان يكذبك قومك ان اخبرتهم قال وان كذبوني فخرج وجلس اليه ابو جهل فاخبره رسول الله عليه السلام بحديث الاسراء فقال ابو جهل يا معشر بني كعب بن لوي هلم فحدثهم فمن بين مصفق وواضع يده على راسه تعجبا وانكارا وارتد ناس ممن كان امن به وسعى رجال الى ابي بكر فقال ان كان قال ذلك لقد صدق قالوا اتصدقه على ذلك قال اني لاصدقه على ابعد من ذلك فسمي الصديق وفيهم من سافر اليها ثم استنعتوه المسجد فجلى له بيت المقدس فطفق ينظر اليه وينعته لهم فقالوا اما النعت فقد اصاب فقالوا اخبرنا عن عيرنا فاخبرهم بعدد جمالها واحوالها وقال تقدم يوم كذا مع طلوع الشمس يقدمها جمل اورق فخرجوا يشتدون ذلك اليوم نحو الثنية فقال قائل منهم هذه والله الشمس قد اشرقت فقال اخر وهذه والله العير قد اقبلت يقدمها جمل اورق كما قال محمد ثم لم يؤمنوا وقالوا ما هذا الا سحر مبين وقد عرج به الى السماء في تلك الليلة وكان العروج به من بيت المقدس واخبر قريشا ايضا بما راى في السماء من العجائب وانه لقي الانبياء وبلغ البيت المعمور وسدرة المنتهى واختلفوا في وقت الاسراء فقيل كان قبل الهجرة

نخلة بيت المقدس

بسنة وعن انس والحسن انه كان قبل البعث واختلف فى انه كان فى اليقظة ام فى المنام فعن عايشة رضى الله
عنها انها قالت والله ما فقد جسد رسول الله صلى الله عليه وسلم ولكن عرج بروحه وعن معاوية
انما عرج بروحه وعن الحسن رحمه الله كان فى المنام رؤيا راها واكثر الاقاويل بخلاف ذلك والمسجد
الاقصى بيت المقدس لانه لم يكن حينئذ وراءه مسجد باركنا حوله يريد بركات الدين والدنيا لانه متعبد
الانبياء من وقت موسى عليه السلام ومهبط الوحى وهو محفوف بالانهار الجارية والاشجار المثمرة
وقرا الحسن ليريه بالياء ولقد تصرف الكلام على لفظ الغائب والمتكلم فقيل سرى ثم باركنا ثم ليريه على
قراءة الحسن ثم من اياتنا ثم انه وهى طريقة الالتفات التى هى من طرق البلاغة انه هو السميع لاقوال
محمد البصير بافعاله العالم بتهذيبها وخلوصها فيكرمه ويقربه على حسب ذلك واتينا موسى الكتاب
وجعلناه هدى لبنى اسرائيل الا تتخذوا من دونى وكيلا ذرية من حملنا مع نوح انه كان عبدا
شكورا الا يتخذوا قرئ بالياء على لئلا يتخذوا وبالتاء على اى لا تتخذوا كقولك كتبت اليه ان افعل
كذا وكيلا ربا تكلون اليه اموركم ذرية من حملنا نصب على الاختصاص وقيل على النداء فيمن قرا لا تتخذوا
بالتاء على النهى يعنى قلنا لهم لا تتخذوا من دونى وكيلا يا ذرية من حملنا مع نوح وقد يجعل وكيلا
ذرية من حملنا مفعولى تتخذوا اى لا تجعلوهم اربابا كقوله عز وعلا ولا يامركم ان تتخذوا الملائكة والنبيين
اربابا ومن ذرية المحمولين مع نوح عيسى وعزير وقرئ ذرية من حملنا بالرفع بدلا من واو تتخذوا
وقرا زيد بن ثابت ذرية بكسر الذال وروى عنه انه فتحها وفسرها بولد الولد ذكرهم الله النعمة
فى انجاء ابائهم من الغرق انه ان نوحا عليه السلام كان عبدا شكورا قيل كان اذا اكل قال الحمد لله الذى
اطعمنى ولو شاء اجاعنى واذا شرب قال الحمد لله الذى سقانى ولو شاء اظمانى واذا اكتسى قال الحمد
لله الذى كسانى ولو شاء اعرانى واذا احتذى قال الحمد لله الذى حذانى ولو شاء احفانى واذا قضى حاجته
قال الحمد لله الذى اخرج عنى اذاه فى عافية ولو شاء حبسه وروى انه كان اذا اراد الافطار عرض طعامه
على من امن به فان وجده محتاجا اثره به فان قلت قوله انه كان عبدا شكورا ما وجه ملاءمته لما
قبله قلت كانه قيل لا تتخذوا من دونى وكيلا ولا تشركوا بى لان نوحا عليه السلام كان عبدا
شكورا وانتم ذرية من امن به وحمل معه فاجعلوه اسوتكم كما جعله اباؤكم اسوتهم ويجوز ان
يكون تعليلا لاختصاصهم والثناء عليهم بانهم اولاد المحمولين مع نوح فهم متصلون به فاستاهلوا لذلك
الاختصاص ويجوز ان يقال ذلك عند ذكره على سبيل الاستطراد وقضينا الى بنى اسرائيل فى الكتاب
لتفسدن فى الارض مرتين ولتعلن علوا كبيرا فاذا جاء وعد اولاهما بعثنا عليكم عبادا لنا اولى
باس شديد فجاسوا خلال الديار وكان وعدا مفعولا وقضينا الى بنى اسرائيل واوحينا اليهم
وحيا مقضيا اى مقطوعا مبتوتا بانهم يفسدون فى الارض لا محالة ويعلون اى يتعظمون ويبغون
فى الكتاب فى التوراة ولتفسدن جواب قسم محذوف ويجوز ان يجرى القضاء المبتوت مجرى القسم
فيكون لتفسدن جوابا له كانه قال واقسمنا لتفسدن وقرئ لتفسدن على البناء للمفعول
ولتفسدن بفتح التاء من فسد مرتين اولاهما قتل زكريا عليه السلام وحبس ارمياء حين انذرهم
سخط الله والاخرة قتل يحيى بن زكريا عليهما السلام وقصد قتل عيسى بن مريم عبادا لنا وقرئ عبيدا
لنا واكثر ما يقال عباد الله وعبيد الناس سنجاريب وجنوده وقيل بخت نصر وعن ابن عباس رضى
الله عنهما جالوت قتلوا علماءهم واحرقوا التوراة وخربوا المسجد وسبوا منهم سبعين الفا فان

قلت كيف جاز ان يبعث الله الكفرة على ذلك ويسلطهم عليه قلت معناه خلينا بينهم وبين ما فعلوا ولم نمنعهم
على ان الله تعالى اسند بعث الكفرة عليهم الى نفسه فهو كقوله تعالى وكذلك نولى بعض الظالمين بعضا وكقوله
الداعى وخالف بين كلمهم واسند الجوس وهو التردد خلال الديار بالفساد اليهم فتخريب المسجد واحراق
التوراة من جملة الجوس المسند اليهم وقرا طلحة فحاسوا بالحاء وقرئ فجوسوا وخلل الديار فان
قلت ما معنى وعد اولاهما قلت معناه وعد عقاب اولاهما وكان وعدا مفعولا يعنى وكان
وعد العقاب وعدا لا بد ان يفعل ثم رددنا لكم الكرة عليهم وامددناكم باموال وبنين
وجعلناكم اكثر نفيرا ان احسنتم احسنتم لانفسكم وان اساتم فلها فاذا جاء وعد الاخرة ليسوءوا
وجوهكم وليدخلوا المسجد كما دخلوه اول مرة وليتبروا ما علوا تتبيرا عسى ربكم
ان يرحمكم وان عدتم عدنا وجعلنا جهنم للكافرين حصيرا ثم رددنا لكم الكرة اى الدولة
والغلبة على الذين بعثوا عليكم حين تبتم ورجعتم عن الفساد والعلو قيل هى قتل بخت نصر واستنقاذ
بنى اسرائيل اسراهم واموالهم ورجوع الملك اليهم وقيل هى قتل داود جالوت اكثر نفيرا مما
كنتم والنفير من ينفر مع الرجل من قومه وقيل جمع نفر كالعبيد والمعيز اى الاحسان والاساءة
كلاهما مختص بانفسكم لا يتعدى النفع والضرر الى غيركم وعن على رضى الله عنه ما احسنت الى احد
ولا اسات اليه فاذا جاء وعد المرة الاخرة بعثناهم ليسوءوا وجوهكم حذف لدلالة ذكره اولا
عليه ومعنى ليسوءوا وجوهكم ليجعلوها بادية اثار المساءة والكآبة فيها كقوله تعالى سيئت وجوه
الذين كفروا وقرئ ليسوء والضمير لله عز وجل او للوعد او للبعث ولنسوءن بالنون وفى
قراءة على رضى الله عنه لنسوءن ولنسوءن وقرئ لنسوءن بالنون الخفيفة واللام فى ليدخلوا
على هذا متعلق بمحذوف وهو وبعثناهم ليدخلوا ولنسوءن جواب اذا ما علوا مفعول ليتبروا
اى ليهلكوا كل شئ غلبوه واستولوا عليه او بمعنى مدة علوهم عسى ربكم ان يرحمكم بعد المرة الثانية
ان تبتم توبة اخرى وانزجرتم عن المعاصى وان عدتم مرة ثالثة عدنا الى عقوبتكم وقد عادوا
فاعاد الله عليهم النقمة بتسليط الاكاسرة وضرب الاتاوة عليهم وعن الحسن عادوا فبعث الله
محمدا صلى الله عليه وسلم فهم يعطون الجزية عن يد وهم صاغرون وعن قتادة ثم كان اخر ذلك ان بعث
الله عليهم هذا الحى من العرب فهم منهم فى عذاب الى يوم القيامة حصيرا محبسا يقال للسجن محصر وحصير
وعن الحسن بساطا كما يبسط الحصير المرمول ان هذا القران يهدى للتى هى اقوم ويبشر
المؤمنين الذين يعملون الصالحات ان لهم اجرا كبيرا وان الذين لا يؤمنون بالاخرة
اعتدنا لهم عذابا اليما ويدع الانسان بالشر دعاءه بالخير وكان الانسان عجولا للتى
هى اقوم للحالة التى هى اقوم الحالات واسدها او للملة او للطريقة وايتما قدرت لم تجد مع الاثبات
ذوق البلاغة الذى تجده مع الحذف لما فى ابهام الموصوف بحذفه من فخامة تفقد مع ايضاحه
وقرئ ويبشر بالتخفيف فان قلت كيف ذكر المؤمنين الابرار والكفار ولم يذكر الفسقة قلت
كان الناس حينئذ اما مؤمن تقى واما مشرك وانما حدث اصحاب المنزلة بين المنزلتين بعد ذلك فان
قلت علام عطف وان الذين لا يؤمنون قلت على ان لهم اجرا كبيرا على معنى انه بشر المؤمنين ببشارتين
اثنتين بثوابهم وبعقاب اعدائهم ويجوز ان يراد ويخبر بان الذين لا يؤمنون معذبون اى ويدعو
الله عند غضبه بالشر على نفسه واهله وماله كما يدعوه لهم بالخير كقوله تعالى ولو يعجل الله للناس الشر

استعجالهم بالخير «وكان الانسان عجولا» يتسرع الى طلب كل ما يقع فى قلبه ويخطر بباله لا يتأنى فيه تأني المتبصر
وعن النبي صلى الله عليه وسلم انه دفع الى سودة بنت زمعة اسيرا فاقبل يئن بالليل فقالت له ما لك
تئن فشكا الم القد فارخت من كتافه فلما نامت اخرج يده وهرب فلما اصبح النبي صلى الله عليه وسلم دعا به
فاعلم بشأنه فقال عليه السلام اللهم اقطع يديها فرفعت سودة يديها تتوقع الاجابة وان يقطع
الله يديها فقال النبي صلى الله عليه وسلم انى سألت الله ان يجعل لعنتي ودعائي على من لا يستحق من
اهلي رحمة لاني بشر اغضب كما يغضب البشر فلترد سودة يديها ويجوز ان يريد بالانسان الكافر
وانه يدعو بالعذاب استهزاء ويستعجل به كما يدعو بالخير اذا مسته الشدة «وكان الانسان عجولا»
يعني ان العذاب آتيه لا محالة فما هذا الاستعجال وعن ابن عباس رضي الله عنهما هو النضر بن
الحارث قال اللهم ان كان هذا هو الحق من عندك الآية فاجيب له فضربت عنقه صبرا وجعلنا
الليل والنهار آيتين فمحونا آية الليل وجعلنا آية النهار مبصرة لتبتغوا فضلا من ربكم
ولتعلموا عدد السنين والحساب وكل شيء فصلناه تفصيلا فيه وجهان احدهما ان يراد
ان الليل والنهار آيتان فى انفسهما فتكون الاضافة فى آية الليل وآية النهار للتبيين كاضافة العدد
الى المعدود اى فمحونا الآية التي هي الليل وجعلنا الآية التي هي النهار مبصرة والثاني ان يراد
وجعلنا نيري الليل والنهار آيتين يريد الشمس والقمر فمحونا آية الليل اى جعلنا الليل ممحو الضوء
مطموسه مظلما لا يستبان فيه شيء كما لا يستبان ما فى اللوح الممحو وجعلنا النهار مبصرا اى تبصر فيه
الاشياء وتستبان او فمحونا آية الليل التي هي القمر حيث لم نخلق له شعاعا كشعاع الشمس فترى به
الاشياء رؤية بينة وجعلنا الشمس ذات شعاع يبصر فى ضوئها كل شيء لتبتغوا فضلا من ربكم لتتوصلوا
ببياض النهار الى استبانة اعمالكم والتصرف فى معايشكم ولتعلموا باختلاف الجديدين عدد السنين
وجنس الحساب وما تحتاجون منه اليه ولولا ذلك لما علم احد حسبان الاوقات ولتعطلت الامور
وكل شيء مما تفتقرون اليه فى دينكم ودنياكم فصلناه بيناه بيانا غير ملتبس فازحنا عللكم وما
تركنا لكم حجة علينا وكل انسان الزمناه طائره فى عنقه ونخرج له يوم القيامة كتابا يلقاه منشورا
اقرأ كتابك كفى بنفسك اليوم عليك حسيبا من اهتدى فانما يهتدي لنفسه ومن ضل
فانما يضل عليها ولا تزر وازرة وزر اخرى وما كنا معذبين حتى نبعث رسولا طائره
عمله وقد حققنا القول فيه فى سورة النمل وعن ابن عيينة هو من قولك طار له سهم اذا خرج
يعني الزمناه ما طار من عمله والمعنى ان عمله لازم له لزوم القلادة او الغل لا يفك عنه ومنه مثل العرب تقلدها
طوق الحمامة وقولهم الموت فى الرقاب وهذا ربقة فى رقبته وعن الحسن رحمه الله يا ابن آدم بسطت لك
صحيفة اذا بعثت قلدتها فى عنقك وقرئ فى عنقه بسكون النون وقرئ نخرج بالنون ويخرج
بالياء والضمير لله عز وجل ويخرج على البناء للمفعول ويخرج من خرج والضمير للطائر اى يخرج الطائر
كتابا وانتصاب كتابا على الحال وقرئ يلقاه بالتشديد مبنيا للمفعول ويلقاه ومنشورا صفتان للكتاب
او يلقاه صفة ومنشورا حال من يلقاه اقرأ على ارادة القول وعن قتادة يقرأ ذلك اليوم من لم
يكن فى الدنيا قارئا بنفسك فاعل كفى وحسيبا تمييز وهو بمعنى حاسب كضريب القداح بمعنى ضاربها
وصريم بمعنى صارم ذكرهما سيبويه وعلى متعلق به من قولك حسب عليه كذا ويجوز ان يكون بمعنى الكافي
ووضع موضع الشهيد فعدي بعلى لان الشاهد يكفي المدعي ما اهمه فان قلت لم ذكر حسيبا قلت

لانه بمنزلة الشهيد والقاضي والامير لان الغالب ان هذه الامور يتولاها الرجال فكانه قيل كفى بنفسك
رجلا حسيبا ويجوز ان تتأول النفس بالشخص كما يقال ثلاثة انفس وكان الحسن اذا قرأها قال يا ابن
آدم انصفك والله من جعلك حسيب نفسك اى كل نفس حاملة وزرا فانما تحمل وزرها لا وزر نفس
اخرى وما كنا معذبين وما صح منا صحة تدعو اليها الحكمة ان نعذب قوما الا بعد ان نبعث اليهم
رسولا فتلزمهم الحجة فان قلت الحجة لازمة لهم قبل بعثة الرسل لان معهم ادلة العقل التي بها
يعرف الله وقد اغفلوا النظر وهم متمكنون منه واستيجابهم العذاب لاغفالهم النظر فيما معهم
وكفرهم لذلك لا لاغفال الشرائع التي لا سبيل اليها الا بالتوقيف والعمل بها لا يصح الا بعد
الايمان قلت بعثة الرسل من جملة التنبيه على النظر والايقاظ من رقدة الغفلة لئلا يقولوا
كنا غافلين فلولا بعثت الينا رسولا ينبهنا على النظر فى ادلة العقل وإذا اردنا ان نهلك قرية
أمرنا مترفيها ففسقوا فيها فحق عليها القول فدمرناها تدميرا واذا اردنا واذا دنا وقت
اهلاك قوم ولم يبق من زمان امهالهم الا قليل أمرناهم ففسقوا اى امرناهم بالفسق ففعلوا
والامر مجاز لان حقيقة امرهم بالفسق ان يقول لهم افسقوا وهذا لا يكون فبقي ان يكون مجازا
ووجه المجاز انه صب عليهم النعمة صبا فجعلوها ذريعة الى المعاصي واتباع الشهوات فكانهم مأمورون
بذلك لتسبب ايلاء النعمة فيه وانما خولهم اياها ليشكروا ويعملوا فيها الخير ويتمكنوا من الاحسان
والبر كما خلقهم اصحاء اقوياء واقدرهم على الخير والشر وطلب منهم ايثار الطاعة على المعصية
فآثروا الفسوق فلما فسقوا حق عليهم القول وهو كلمة العذاب فدمرهم فان قلت هلا
زعمت ان معناه امرناهم بالطاعة ففسقوا   لان حذف ما لا دليل عليه غير جائز فكيف
يحذف ما الدليل قائم على نقيضه وذلك ان المأمور به انما حذف لان فسقوا يدل عليه وهو
كلام مستفيض يقال امرته فقام وامرته فقرأ لا يفهم منه الا ان المأمور به قيام او قراءة ولو
ذهبت تقدر غيره فقد رمت من مخاطبك علم الغيب ولا يلزم هذا قولهم امرته فعصاني او فلم
يمتثل امري لان ذلك مناف للامر مناقض له ولا يكون ما يناقض الامر مأمورا به فكان محالا ان
يقصد اصلا حتى يجعل دالا على المأمور به فكان المأمور به فى هذا الكلام غير مدلول عليه ولا منوي
لان من يتكلم بهذا الكلام فانه لا ينوي لامره مأمورا به وكانه يقول كان مني امر فلم تكن منه طاعة
كما ان من يقول فلان يعطي ويمنع ويأمر وينهى غير قاصد الى مفعول فان قلت هلا كان ثبوت
العلم بان الله لا يأمر بالفحشاء وانما يأمر بالقسط والخير دليلا على ان المراد امرناهم بالخير ففسقوا
قلت لا يصح ذلك لان قوله ففسقوا يدافعه فكانك اظهرت شيئا وانت تدعي اضمار خلافه فكان
صرف الامر الى المجاز هو الوجه ونظير امر شاء فى ان مفعوله استفاض فيه الحذف لدلالة ما بعده عليه
تقول لو شاء لاحسن اليك ولو شاء لاساء اليك تريد لو شاء الاحسان ولو شاء الاساءة فلو ذهبت تضمر
خلاف ما اظهرت وقلت قد دلت حال من اسندت اليه المشيئة انه من اهل الاحسان او من اهل الاساءة
فاترك الظاهر المنطوق به واضمر ما دلت عليه حال صاحب المشيئة لم تكن على سداد وقد فسر بعضهم
أمرنا بكثرنا وجعل امرته فأمر من باب فعلته ففعل كثبرته فثبر وفى الحديث خير المال سكة مأبورة
ومهرة مأمورة اى كثيرة النتاج وروي ان رجلا من المشركين قال لرسول الله صلى الله عليه
وسلم انى ارى امرك هذا حقيرا فقال صلى الله عليه وسلم انه سيأمر اى سيكثر وسيكبر وقرئ آمرنا من

امرنا امرة غيره. وامرنا بمعنى امرنا. او من امر امارة وامره الله اى جعلناهم امراء وسلطناهم
وكم اهلكنا من القرون من بعد نوح وكفى بربك بذنوب عباده خبيرا بصيرا. كم
مفعول اهلكنا ومن القرون بيان لكم وتمييز له كما يميز العدد بالجنس يعنى عادا وثمود
وقرونا بين ذلك كثيرا. ونبه بقوله تعالى وكفى بربك بذنوب عباده خبيرا بصيرا على ان الذنوب
هى اسباب الهلكة لا غير وانه عالم بها فمعاقب عليها من كان يريد العاجلة عجلنا له فيها ما
نشاء لمن نريد ثم جعلنا له جهنم يصلاها مذموما مدحورا. من كانت العاجلة همه ولم يرد
غيرها كالكفرة واكثر الفسقة تفضلنا عليه من منافعها بما نشاء فقيد الامر بقيدين احدهما
تقييد المعجل بمشيئته. والثانى تقييد المعجل له بارادته وهكذا الحال ترى كثيرا من هؤلاء يتمنون ما
يتمنون ولا يعطون الا بعضا منه. وكثيرا منهم يتمنون ذلك البعض وقد حرموه فاجتمع عليهم
فقر الدنيا وفقر الاخرة. واما المؤمن التقى فقد اختار مراده وهو غنى الاخرة فما يبالى اوتى
حظا من الدنيا او لم يؤت فان اوتى فبها والا فربما كان الفقر خيرا له واعون على مراده. وقوله تعالى
لمن نريد بدل من له وهو بدل البعض من الكل لان الضمير يرجع الى من وهو فى معنى الكثرة وقرئ
يشاء. وقيل الضمير لله عز وجل فلا فرق اذن بين القراءتين فى المعنى. ويجوز ان يكون للعبد على ان
للعبد ما يشاء من الدنيا وان ذلك لواحد من الدهماء يريد به الله ذلك. وقيل هو من يريد الدنيا
بعمل الاخرة كالمنافق والمرائى والمهاجر للدنيا والمجاهد للغنيمة والذكر كما قال رسول الله صلى الله
عليه وسلم لكل امرئ ما نوى فمن كانت هجرته الى الله ورسوله فهجرته الى الله ورسوله ومن كانت
هجرته لدنيا يصيبها او امراة يتزوجها فهجرته الى ما هاجر اليه. مدحورا مطرودا من رحمة الله تعالى
ومن اراد الاخرة وسعى لها سعيها وهو مؤمن فاولئك كان سعيهم مشكورا. كلا نمد هؤلاء
وهؤلاء من عطاء ربك وما كان عطاء ربك محظورا. انظر كيف فضلنا بعضهم على بعض وللاخرة
اكبر درجات واكبر تفضيلا. سعيها حقها من السعى وكفاءها من الاعمال الصالحة اشترط ثلاث شرائط
فى كون السعى مشكورا ارادة الاخرة بان يعقد بها همه ويتجافى عن دار الغرور والسعى فيما كلف
من الفعل والترك والايمان الصحيح الثابت وعن بعض المتقدمين من لم يكن معه ثلاث لم ينفعه
عمله ايمان ثابت. ونية صادقة. وعمل مصيب. وتلا هذه الاية. وشكر الله الثواب على الطاعة
كلا كل واحد من الفريقين والتنوين عوض من المضاف اليه. نمدهم نزيدهم من عطائنا ونجعل الانف
منه مددا للسالف لا نقطعه فنرزق المطيع والعاصى جميعا على وجه التفضل. وما كان عطاء
ربك وفضله محظورا اى ممنوعا لا يمنعه من عاص لعصيانه. انظر بعين الاعتبار كيف جعلناهم متفاوتين
فى التفضل وفى الاخرة التفاوت اكبر لانها ثواب واعواض وتفضل وكلها متفاوتة وروى
ان قوما من الاشراف فمن دونهم اجتمعوا بباب عمر رضى الله عنه فخرج الاذن لبلال وصهيب فشق
على ابى سفيان فقال سهيل بن عمرو انما اتينا من قبلنا انهم دعوا ودعينا يعنى الى الاسلام فاسرعوا
وابطانا وهذا باب عمر فكيف التفاوت فى الاخرة ولئن حسدتموهم على باب عمر لما اعد الله لهم فى
الجنة اكثر وقرئ واكثر تفضيلا. وعن بعضهم ايها المباهى بالرفع منك فى مجالس الدنيا اما ترغب
فى المباهاة بالرفع فى مجالس الاخرة وهى اكبر وافضل لا تجعل مع الله الها اخر فتقعد مذموما
مخذولا. وقضى ربك الا تعبدوا الا اياه وبالوالدين احسانا اما يبلغن عندك الكبر

احدهما

احدهما او كلاهما فلا تقل لهما اف ولا تنهرهما وقل لهما قولا كريما. فتقعد من قولهم شحذ الشفرة
حتى قعدت كانها حربة بمعنى صارت يعنى فتصير جامعا على نفسك الذم وما يتبعه من الهلاك من الهك
والخذلان والعجز عن النصرة ممن جعلته شريكا له. وقضى ربك وامر امرا مقطوعا به. الا تعبدوا ان
مفسرة ولا تعبدوا نهى او بان لا تعبدوا. وبالوالدين احسانا واحسنوا بالوالدين احسانا او بان
تحسنوا بالوالدين احسانا وقرئ واوصى. وعن ابن عباس رضى الله عنهما ووصى. وعن بعض ولد
معاذ بن جبل وقضاء ربك ولا يجوز ان تتعلق الباء فى بالوالدين بالاحسان لان المصدر لا يتقدم عليه
صلته. اما هى ان الشرطية زيدت عليها ما تاكيدا لها ولذلك دخلت النون المؤكدة فى الفعل ولو افردت
ان لم يصح دخولها لا تقول ان تكرمن زيدا يكرمك ولكن اما تكرمنه. واحدهما فاعل يبلغن وهو فيمن
قرا يبلغان بدل من الف الضمير الراجع الى الوالدين وكلاهما عطف على احدهما فاعلا وبدلا فان
قلت لو قيل اما يبلغان كلاهما كان كلاهما توكيدا لا بدلا فما لك زعمت انه بدل لانه
معطوف على ما لا يصح ان يكون توكيدا للاثنين فانتظم فى حكمه فوجب ان يكون مثله. فان قلت
ما ضرك لو جعلته توكيدا مع كون المعطوف عليه بدلا وعطفت التوكيد على البدل. قلت لو اريد توكيد
التثنية لقيل كلاهما فحسب فلما قيل احدهما او كلاهما علم ان التوكيد غير مراد فكان بدلا مثل الاول.
اف صوت يدل على تضجر. وقرئ اف بالحركات الثلاث منونا وغير منون الكسر على اصل البناء والفتح
تخفيف للضمة والتشديد كثم والضم اتباع كمنذ فان قلت ما معنى عندك قلت هو ان يكبرا
او يعجزا وكانا كلا على ولدهما لا كافل لهما غيره فهما عنده فى بيته وكنفه وذلك اشق عليه واشد احتمالا وصبرا
وربما تولى منهما ما كانا يتوليان منه فى حال الطفولة فهو مامور بان يستعمل معهما وطاء الخلق ولين
الجانب حتى لا يقول لهما اذا اضجره ما يستقذر منهما او يستثقل من مؤنهما اف فضلا عما يزيد عليه
ولقد بالغ سبحانه فى التوصية بهما حيث افتتحها بان شفع الاحسان اليهما بتوحيده ونظمهما فى سلك
القضاء بهما معا ثم ضيق الامر فى مراعاتهما حتى لم يرخص فى ادنى كلمة تنفلت من المتضجر مع موجبات
الضجر ومقتضياته ومع احوال لا يكاد يدخل صبر الانسان معها فى الاستطاعة. ولا تنهرهما ولا
تزجرهما عما يتعاطيانه مما لا يعجبك. والنهى والنهر والنهم اخوات. وقل لهما بدل التافيف والنهر
قولا كريما جميلا كما يقتضيه حسن الادب والنزول على المروءة. وقيل هو ان يقول يا ابتاه يا اماه
كما قال ابراهيم صلوات الله وسلامه عليه لابيه يا ابت مع كفره ولا يدعوهما باسمائهما فانه من
الجفاء وسوء الادب وعادة الدعار قالوا ولا باس به فى غير وجهه كما قالت عائشة رضى الله عنها
نحلنى ابو بكر كذا واخفض لهما جناح الذل من الرحمة وقل رب ارحمهما كما ربيانى صغيرا ربكم
اعلم بما فى نفوسكم ان تكونوا صالحين فانه كان للاوابين غفورا. وقرئ جناح الذل
والذل بالضم والكسر فان قلت ما معنى قوله جناح الذل قلت فيه وجهان احدهما
ان يكون المعنى واخفض لهما جناحك كما قال تعالى واخفض جناحك للمؤمنين فاضافه الى الذل
او الذل كما اضيف حاتم الى الجود على معنى واخفض لهما جناحك الذليل او الذلول. والثانى ان
تجعل لذله او لذله لهما جناحا خفيضا كما جعل لبيد للشمال يدا وللقرة زماما مبالغة فى التذلل
والتواضع لهما. من الرحمة من فرط رحمتك لهما وعطفك عليهما لكبرهما وافتقارهما اليوم الى من كان افقر
خلق الله اليهما بالامس ولا تكتف برحمتك عليهما التى لا بقاء لها وادع الله بان يرحمهما رحمته الباقية

واجعل ذلك جزاء لرحمتهما عليك في صغرك وتربيتهما لك **فان قلت** الاسترحام لهما انما يجوز اذا
كانا مسلمين **قلت** واذا كانا كافرين فله ان يسترحمهما بشرط الايمان وان يدعو الله لهما بالهداية
والارشاد ومن الناس من قال كان الدعاء للكفار جائزا ثم نسخ وسئل ابن عيينة عن الصدقة عن
الميت فقال كل ذلك واصل اليه ولا شيء انفع له من الاستغفار ولو كان شيء افضل منه لامركم به
في الابوين ولقد كرر الله سبحانه في كتابه الوصية بالوالدين وعن النبي صلى الله عليه وسلم رضا
الله في رضا الوالدين وسخطه في سخطهما **وروى** يفعل البار ما يشاء ان يفعل فلن يدخل النار
ويفعل العاق ما يشاء ان يفعل فلن يدخل الجنة وروى سعيد بن المسيب ان البار لا يموت ميتة
السوء وقال رجل لرسول الله عليه السلام ان ابوي بلغا من الكبر اني الي منهما ما وليا مني في الصغر
فهل قضيتهما قال لا فانهما كانا يفعلان ذلك وهما يحبان بقاءك وانت تفعل ذلك وانت تريد موتهما
وشكى رجل الى رسول الله صلى الله عليه وسلم اباه وانه ياخذ ماله فدعا به فاذا شيخ يتوكأ على عصا
فسأله فقال انه كان ضعيفا وانا قوي وفقيرا وانا غني فكنت لا امنعه شيئا من مالي واليوم انا
ضعيف وهو قوي وانا فقير وهو غني ويبخل علي بماله فبكى صلى الله عليه وسلم وقال ما من حجر
ولا مدر يسمع هذا الا بكى ثم قال للولد انت ومالك لابيك انت ومالك لابيك وشكا اليه اخر
سوء خلق امه فقال لم تكن سيئة الخلق حين حملتك تسعة اشهر قال انها سيئة الخلق قال لم تكن
كذلك حين ارضعتك حولين قال انها سيئة الخلق قال لم تكن كذلك حين اسهرت لك ليلها واظمأت
نهارها قال لقد جازيتها قال ما فعلت قال حججت بها على عاتقي قال ما جزيتها ولو طلقة وعن ابن عمر
رضي الله عنهما انه رأى رجلا في الطواف يحمل امه ويقول ان لها مطية لا تذعر اذا الركاب نفرت لا تنفر
ما حملت وارضعتني اكثر الله ربي ذو الجلال الاكبر تظنني جزيتها يا ابن عمر
قال لا ولو زفرة واحدة **وعن** رسول الله عليه السلام اياكم وعقوق الوالدين فان الجنة توجد
ريحها من مسيرة الف عام ولا يجد ريحها عاق ولا قاطع رحم ولا شيخ زان ولا جار ازاره خيلاء ان
الكبرياء لله رب العالمين وقال الفقهاء لا يذهب بابيه الى البيعة واذا بعث اليه منها ليحمله فعل
ولا يناوله الخمر ويأخذ الاناء منه اذا شربها وعن ابي يوسف اذا امره ان يوقد تحت قدره
وفيها لحم الخنزير اوقد وعن حذيفة رضي الله عنه انه استأذن رسول الله عليه السلام في
قتل ابيه وهو في صف المشركين فقال دعه يليه غيرك وسئل الفضيل بن عياض رحمة الله عليه
عن بر الوالدين فقال لا تقوم الى خدمتهما عن كسل وسئل بعضهم فقال لا ترفع صوتك
عليهما ولا تنظر شزرا اليهما ولا يريا منك مخالفة في ظاهر ولا باطن وان تترحم عليهما ما عاشا
وتدعو لهما اذا ماتا وتقوم بخدمة اودائهما من بعدهما فعن النبي صلى الله عليه وسلم ان من ابر
البر ان يصل الرجل اهل ود ابيه بما في نفوسكم بما في ضمائركم من قصد البر الى الوالدين واعتقاد
ما يجب لهما من التوقير ان تكونوا صالحين قاصدين الصلاح والبر ثم فرطت منكم في حال الغضب
وعند حرج الصدر هنة لا يخلو منها البشر او لحمية الاسلام هنة تؤدي الى اذاهما ثم انبتم الى الله
واستغفرتم منها فان الله غفور للاوابين للتوابين **وعن** سعيد بن جبير هي في البادرة تكون
من الرجل الى ابيه لا يريد بذلك الا الخير وعن سعيد بن المسيب الاواب الرجل كلما اذنب بادر
بالتوبة ويجوز ان يكون هذا عاما لكل من فرطت منه جناية ثم تاب منها ويندرج تحته

الجاني على ابويه التائب من جنايته لوروده على اثره **وآت ذا القربى حقه والمسكين وابن السبيل ولا
تبذر تبذيرا ان المبذرين كانوا اخوان الشياطين وكان الشيطان لربه كفورا** وآت ذا
القربى حقه وصى بغير الوالدين من الاقارب بعد التوصية بهما وان يؤتوا حقهم وحقهم اذا كانوا
محارم كالابوين والولد وفقراء عاجزين عن الكسب وكان الرجل موسرا ان ينفق عليهم عند ابي حنيفة
والشافعي رحمة الله عليهما لا يرى النفقة الا على الولد والوالدين فحسب وان كانوا مياسير او لم يكونوا
محارم كابناء العم فحقهم صلتهم بالمودة والزيارة وحسن المعاشرة والمؤالفة على السراء والضراء
والمعاضدة ونحو ذلك والمسكين وابن السبيل يعني وآت هؤلاء حقهم من الزكوة وهذا
دليل على ان المراد بما يؤتى ذوي القرابة من الحق هو تعهدهم بالمال وقيل اراد بذي القربى اقرباء
رسول الله صلى الله عليه وسلم التبذير تفريق المال فيما لا ينبغي وانفاقه على وجه الاسراف وكانت
الجاهلية تنحر ابلها وتتياسر عليها وتبذر اموالها في الفخر والسمعة وتذكر ذلك في اشعارها فامر
الله تعالى بالنفقة في وجوهها مما يقرب منه ويزلف وعن عبد الله هو انفاق المال في غير حقه
وعن مجاهد لو انفق مدا في باطل كان تبذيرا وقد انفق بعضهم نفقة في خير فاكثر فقال له صاحبه
لا خير في السرف فقال لا سرف في الخير وعن عبد الله ابن عمر رضي الله عنهما مر رسول الله صلى
الله عليه وسلم بسعد وهو يتوضأ فقال ما هذا السرف يا سعد قال او في الوضوء سرف
قال نعم وان كنت على نهر جار اخوان الشياطين امثالهم في الشرارة وهو غاية المذمة لانه لا
شر من الشيطان او هم اخوانهم اصدقاؤهم لانهم يطيعونهم فيما يأمرونهم به من الاسراف او هم
قرناؤهم في النار على سبيل الوعيد وكان الشيطان لربه كفورا فما ينبغي ان يطاع فانه لا يدعو الا
الى مثل فعله وقرأ الحسن رحمه الله اخوان الشيطان **واما تعرضن عنهم ابتغاء رحمة من ربك ترجوها
فقل لهم قولا ميسورا ولا تجعل يدك مغلولة الى عنقك ولا تبسطها كل البسط فتقعد
ملوما محسورا ان ربك يبسط الرزق لمن يشاء ويقدر انه كان بعباده خبيرا بصيرا**
وان اعرضت عن ذي القربى والمسكين وابن السبيل حياء من الرد فقل لهم قولا ميسورا ولا تتركهم
غير مجابين اذا سألوك فكان النبي صلى الله عليه وسلم اذا سئل شيئا وليس عنده اعرض عن السائل
وسكت حياء وقوله تعالى ابتغاء رحمة من ربك اما ان يتعلق بجواب الشرط مقدما عليه اي فقل
لهم قولا سهلا لينا وعدهم وعدا جميلا رحمة لهم وتطييبا لقلوبهم ابتغاء رحمة من ربك اي ابتغ
رحمة الله التي ترجوها برحمتك عليهم واما ان يتعلق بالشرط اي وان اعرضت عنهم لفقد رزق
من ربك ترجو ان يفتح لك فسمي الرزق رحمة فردهم ردا جميلا فوضع الابتغاء موضع الفقد
لان فاقد الرزق مبتغ له فكان الفقد سبب الابتغاء والابتغاء مسببا عنه فوضع المسبب موضع
السبب ويجوز ان يكون معنى واما تعرضن عنهم وان لم تنفعهم ولم ترفع خصاصتهم لعدم
الاستطاعة ولا يريد الاعراض بالوجه كناية بالاعراض عن ذلك لان من ابى ان يعطي اعرض
بوجهه يقال يسر الامر مثل سعد الرجل ونحس فهو ميسور وقيل معناه فقل لهم رزقنا
الله واياكم من فضله على انه دعاء لهم بيسر عليهم فقرهم كان معناه قولا ذا ميسور وهو اليسر
اي دعاء فيه يسر وهذا تمثيل لمنع الشحيح واعطاء المسرف امر بالاقتصاد الذي هو بين الاسراف
والتقتير فتقعد ملوما عند الله لان المسرف غير مرضي عنده وعند الناس يقول المحتاج

اعطى فلانا وحرمنى ويقول المستغنى ما يحسن تدبير امر المعيشة وعند نفسك اذا احتجت فندمت
على ما فعلت • محسورا منقطعا بك لا شئ عندك من حسره السفر اذا بلغ منه وحسره بالمسألة وعن
جابر رضى الله عنه بينا رسول الله صلى الله عليه وسلم جالس اتاه صبى فقال ان امى تستكسيك
درعا فقال من ساعة الى ساعة يظهر فعد الينا فذهب الى امه فقالت له قل له ان امى تستكسيك
الدرع الذى عليك فدخل داره ونزع قميصه واعطاه وقعد عريانا واذن بلال وانتظروا
فلم يخرج للصلوة • وقيل اعطى الاقرع بن حابس مائة من الابل وعيينة بن حصن فجاء عباس بن
مرداس وانشا يقول • اتجعل نهبى ونهب العبيد • بين عيينة والاقرع • مرداس
• وما كان حصن ولا حابس • يفوقان جدى فى مجمع •
• وما كنت دون امرئ منهما • ومن تضع اليوم لا يرفع •
فقال صلى الله عليه وسلم يا ابا بكر اقطع لسانه عنى اعطه مائة من الابل فنزلت ثم سلى رسول الله
عليه السلام عما كان يرهقه من الاضاقة بان ذلك ليس لهوان منك عليه ولا لبخل به عليك ولكن
لان مشيته فى بسط الارزاق وقدرها تابعة للحكمة والمصلحة • ويجوز ان يريد ان البسط والقبض
انما هما من امر الله الذى الخزائن فى يده فاما العبيد فعليهم ان يقتصدوا • ويحتمل انه عز وعلا
يبسط لعباده او يقبض فانه يراعى اوسط الحالين لا يبلغ بالمبسوط له غاية مراده ولا بالمقبوض
عليه اقصى مكروهه فاستنوا بسنته ولا تقتلوا اولادكم خشية املاق نحن نرزقهم واياكم
ان قتلهم كان خطأ كبيرا • ولا تقربوا الزنا انه كان فاحشة وساء سبيلا • قتلهم اولادهم
هو وادهم بناتهم كانوا يئدونهن خشية الفاقة وهى الاملاق فنهاهم الله وضمن لهم ارزاقهم
وقرئ خشية بكسر الخاء • وقرئ خطأ وهو الاثم يقال خطئ خطأ كاثم اثما • وخطاء • وهو ضد
الصواب اسم من اخطأ • وقيل هو والخطأ كالحذر والحذر • وخطأ بالكسر والمد • وخطأ بالفتح والمد
وخطأ بالفتح والسكون • وعن الحسن خطاء بالفتح وحذف الهمزة كالخب • وعن ابى رجاء بكسر الخاء
غير مهموز • فاحشة قبيحة زائدة على حد القبح • وساء سبيلا وبئس طريقا طريقه وهو ان يغصب
على غيره امرأته او اخته او بنته من غير سبب والسبب ممكن وهو الصهر الذى شرعه الله •
ولا تقتلوا النفس التى حرم الله الا بالحق ومن قتل مظلوما فقد جعلنا لوليه سلطانا
فلا يسرف فى القتل انه كان منصورا • الا بالحق الا باحدى ثلاث • الا بان تكفر • او تقتل مؤمنا
عمدا • او تزنى بعد احصان • مظلوما غير راكب واحدة منهن • لوليه للذى بينه وبينه قرابة
توجب المطالبة بدمه فان لم يكن له ولى فالسلطان وليه • سلطانا تسلطا على القاتل فى الاقتصاص
منه • او حجة يثبت بها عليه • فلا يسرف الضمير للولى اى فلا يقتل غير القاتل ولا اثنين والقاتل
واحد كعادة الجاهلية كان اذا قتل منهم واحد قتلوا به جماعة حتى قال مهلهل حين قتل بجير
ابن الحارث بن عباد • بؤ بشسع نعل كليب • وقال •
• كل قتيل فى كليب غره • حتى ينال القتل آل مره • وكانوا يقتلون غير القاتل اذا لم
يكن بواء • وقيل الاسراف المثلة • وقرأ ابو مسلم صاحب الدولة فلا يسرف بالرفع على انه خبر
فى معنى الامر وفيه مبالغة ليست فى الامر • وعن مجاهد ان الضمير للقاتل الاول • وقرئ فلا
تسرفوا على خطاب الولى او قاتل المظلوم • وفى قراءة ابى فلا تسرفوا رده على ولا تقتلوا انه كان

منصورا

منصورا الضمير اما للولى يعنى حسبه ان الله قد نصره بان اوجب له القصاص فلا يستزد على ذلك وبان
الله تعالى قد نصره بمعونة السلطان وباظهار المؤمنين على استيفاء الحق فلا يبغ ما وراء حقه واما
للمظلوم لانه تعالى ناصره حيث اوجب القصاص بقتله وينصره فى الآخرة بالثواب • واما للذى يقتله
الولى بغير حق ويسرف فى قتله فانه منصور بايجاب القصاص على المسرف ولا تقربوا مال اليتيم
الا بالتى هى احسن حتى يبلغ اشده واوفوا بالعهد ان العهد كان مسؤلا • بالتى هى احسن
بالخصلة او الطريقة التى هى احسن وهى حفظه عليه وتثميره • ان العهد كان مسؤلا اى مطلوبا
يطلب من العاهد ان لا يضيعه ويفى به • ويجوز ان يكون تخييلا كانه يقال للعهد لم نكثت وهلا وفى
بك تبكيتا للناكث كما يقال للموؤدة باى ذنب قتلت • ويجوز ان يراد ان صاحب العهد كان مسؤلا •
واوفوا الكيل اذا كلتم وزنوا بالقسطاس المستقيم ذلك خير واحسن تأويلا وقرئ
بالقسطاس بالضم والكسر وهو القرسطون • وقيل كل ميزان صغر او كبر من موازين الدراهم وغيرها
واحسن تأويلا واحسن عاقبة وهو تفعيل من آل اذا رجع وهو ما يؤول اليه ولا تقف ما ليس لك
به علم ان السمع والبصر والفؤاد كل اولئك كان عنه مسؤلا • ولا تقف ولا تتبع • وقرئ ولا
تقف يقال قفا اثره وقافه ومنه القافة يعنى ولا تكن فى اتباعك ما لا علم لك به من قول او فعل كمن
يتبع مسلكا لا يدرى انه يوصله الى مقصده فهو ضال والمراد النهى عن ان يقول الرجل ما لا يعلم وان
يعمل بما لا يعلم ويدخل فيه النهى عن التقليد دخولا ظاهرا لانه اتباع لما لا يعلم صحته من فساده وعن
ابن الحنفية شهادة الزور وعن الحسن لا تقف اخاك المسلم اذا مر بك فتقول هذا يفعل كذا ورايته
يفعل وسمعته ولم تر ولم تسمع • وقيل القفو شبيه بالعضيهة • ومنه الحديث من قفا مؤمنا بما
ليس فيه حبسه الله فى ردغة الخبال حتى ياتى بالمخرج وانشد •
• ومثل الدمى شم العرانين ساكن • بهن الحيا لا يشعن التقافيا • اى التقاذف • وقال
الكميت • ولا ارمى البرئ بغير ذنب • ولا اقفو الحواصن ان قفينا • وقد استدل به مبطل
الاجتهاد ولم يصح لان ذلك نوع من العلم فقد اقام الشرع غالب الظن مقام العلم وامر بالعمل به
اولئك اشارة الى السمع والبصر والفؤاد كقوله • والعيش بعد اولئك الايام • وعنه فى موضع
الرفع بالفاعلية اى كل واحد منها كان مسؤلا عنه فمسؤل مسند الى الجار والمجرور كالمغضوب فى
قوله غير المغضوب عليهم يقال للانسان لم سمعت ما لا يحل لك سماعه ولم نظرت الى ما لم يحل لك
النظر اليه ولم عزمت على ما لم يحل لك العزم عليه وقرئ والفواد بفتح الفاء والواو قلبت
الهمزة واوا بعد الضمة فى الفؤاد ثم استصحب القلب مع الفتح ولا تمش فى الارض مرحا انك لن
تخرق الارض ولن تبلغ الجبال طولا كل ذلك كان سيئه عند ربك مكروها ذلك مما اوحى
اليك ربك من الحكمة ولا تجعل مع الله الها آخر فتلقى فى جهنم ملوما مدحورا • مرحا
حال اى ذا مرح وقرئ مرحا وفضل الاخفش المصدر على اسم الفاعل لما فيه من التأكيد • لن
تخرق الارض لن تجعل فيها خرقا بدوسك لها وشدة وطأتك وقرئ لن تخرق بضم الراء • ولن
تبلغ الجبال طولا بتطاولك وهو تهكم بالمختال • وقرئ سيئة وسيئه على اضافة سيئ الى ضمير كل وسيئا
فى بعض المصاحف وسيئات • وفى قراءة ابى بكر رضى الله عنه كان شأنه • فان قلت كيف قال سيئة
مع قوله مكروها قلت السيئة فى حكم الاسماء بمنزلة الذنب والاثم زال عنه حكم الصفات فلا

اعتبار شائبته ولا فرق بين من قرأ سيئة وسيئاً الا ترى انك تقول الزنى سيئة كما تقول السرقة سيئة فلا
تفرق بين اسنادها الى مذكر ومؤنث **فان قلت** فما ذكر من الخصال بعضها سيء وبعضها حسن
ولذلك قرأ من قرأ سيئه على الاضافة فما وجه من قرأ سيئة **قلت** كل ذلك احاطة بما نهي عنه خاصة
لا بجميع الخصال المعدودة ذلك اشارة الى ما تقدم من قوله لا تجعل مع الله الهاً آخر الى هذه الغاية
وسماه حكمة لانه كلام محكم لا مدخل فيه للفساد بوجه وعن ابن عباس رضي الله عنهما هذه الثماني
عشرة آية كانت في الواح موسى عليه السلام اولها لا تجعل مع الله الهاً آخر قال الله تعالى وكتبنا له
في الالواح من كل شيء موعظة وهي عشر آيات في التورية ولقد جعل الله عز وعلا فاتحتها وخاتمتها النهي
عن الشرك لان التوحيد هو رأس كل حكمة وملاكها ومن عدمه لم تنفعه حكمه وعلومه وان بذ فيها
الحكماء وحك بيافوخه السماء وما اغنت عن الفلاسفة اسفار الحكم وهم عند الله اضل من النعم
أفأصفاكم ربكم بالبنين واتخذ من الملائكة اناثاً انكم لتقولون قولاً عظيماً ولقد صرفنا
في هذا القرآن ليذكروا وما يزيدهم الا نفوراً قل لو كان معه آلهة كما يقولون اذاً لابتغوا
الى ذي العرش سبيلاً سبحانه وتعالى عما يقولون علواً كبيراً أفأصفاكم خطاب للذين قالوا الملائكة
بنات الله والهمزة للانكار يعني أفخصكم ربكم على وجه الخلوص والصفاء بأفضل الاولاد وهم البنون لم
يجعل فيهم نصيباً لنفسه واتخذ ادونهم وهي البنات وهذا خلاف الحكمة وما عليه معقولكم وعادتكم فان
العبيد لا يؤثرون بأجود الاشياء واصفاها من الشوب ويكون اردؤها وادونها للسادات انكم
لتقولون قولاً عظيماً بإضافتكم اليه الاولاد وهي خاصة بالاجسام ثم بأنكم تفضلون عليه انفسكم حيث
تجعلون له ما تكرهون ثم بأن تجعلوا الملائكة وهم اعلى خلق الله واشرفهم ادون خلق الله وهم الاناث
ولقد صرفنا في هذا القرآن يجوز ان يريد بهذا القرآن ابطال اضافتهم الى الله البنات لانه مما صرفه
وكرر ذكره والمعنى ولقد صرفنا القول في هذا المعنى او اوقعنا التصريف فيه وجعلناه مكاناً للتكرير
ويجوز ان يشير بهذا القرآن الى التنزيل ويريد ولقد صرفناه يعني هذا المعنى في مواضع من التنزيل
فترك الضمير لانه معلوم **وقرئ** صرفنا بالتخفيف وكذلك ليذكروا قرئ مشدداً ومخففاً اي كررناه
ليتعظوا ويعتبروا ويطمئنوا الى ما يحتج به عليهم وما يزيدهم الا نفوراً عن الحق وقلة طمأنينة اليه
وعن سفيان رحمة الله عليه كان اذا قرأها قال زادني لك خضوعاً ما زاد اعداءك نفوراً **وقرئ**
كما يقولون بالتاء والياء واذن دالة على ان ما بعدها وهو لابتغوا جواب عن مقالة المشركين وجزاء
للو ومعنى لابتغوا الى ذي العرش سبيلاً لطلبوا الى من له الملك والربوبية سبيلاً بالمغالبة كما يفعل
الملوك بعضهم مع بعض **كقوله تعالى** لو كان فيهما آلهة الا الله لفسدتا وقيل لتقربوا اليه
كقوله تعالى اولئك الذين يدعون يبتغون الى ربهم الوسيلة علواً في معنى تعالياً والمراد البراءة عن
ذلك والنزاهة ومعنى وصف العلو بالكبر المبالغة في معنى البراءة والبعد مما وصفوه به تسبح له
السموات السبع والارض ومن فيهن وان من شيء الا يسبح بحمده ولكن لا تفقهون تسبيحهم
انه كان حليماً غفوراً واذا قرأت القرآن جعلنا بينك وبين الذين لا يؤمنون بالآخرة
حجاباً مستوراً المراد انها تسبح له بلسان الحال حيث تدل على الصانع وعلى قدرته وحكمته فكأنها
تنطق بذلك وكأنها تنزه الله مما لا يجوز عليه من الشركاء وغيرها **فان قلت** فما تصنع بقوله
تعالى ولكن لا تفقهون تسبيحهم وهذا التسبيح مفقوه معلوم **قلت** الخطاب للمشركين وهم وان

كانوا اذا سئلوا عن خالق السموات والارض قالوا الله الا انهم لما جعلوا معه آلهة مع اقرارهم
فكأنهم لم ينظروا ولم يقروا لان نتيجة النظر الصحيح والاقرار الثابت خلاف ما كانوا عليه فاذن
لم يفقهوا التسبيح ولم يستوضحوا الدلالة على الخالق **فان قلت** من فيهن يسبحون على الحقيقة
وهم الملائكة والثقلان وقد عطفوا على السموات والارض فما وجهه **قلت** التسبيح المجازي
حاصل في الجميع فوجب الحمل عليه والا كانت الكلمة الواحدة في حالة واحدة محمولة على الحقيقة والمجاز
انه كان حليماً غفوراً حين لا يعاجلكم بالعقوبة على غفلتكم وسوء نظركم وجهلكم بالتسبيح وشرككم
حجاباً مستوراً ذا ستر كقولهم سيل مفعم ذو افعام وقيل هو حجاب لا يرى فهو مستور ويجوز ان
يراد انه حجاب من دونه حجاب او حجب فهو مستور بغيره او حجاب يستر ان يبصر فكيف يبصر المحتجب به
وهذه حكاية لما كانوا يقولونه وقالوا قلوبنا في اكنة مما تدعونا اليه وفي آذاننا وقر ومن بيننا وبينك حجاب
كأنه قال واذا قرأت القرآن جعلنا على زعمهم وجعلنا على قلوبهم اكنة ان يفقهوه وفي آذانهم وقراً واذا
ذكرت ربك في القرآن وحده ولوا على ادبارهم نفوراً ان يفقهوه كراهة ان يفقهوه او لان قوله
تعالى وجعلنا على قلوبهم اكنة فيه معنى المنع من الفقه فكأنه قيل ومنعناهم ان يفقهوه يقال وحد
يحد وحداً وحدة نحو وعد يعد وعداً وعدة ووحده من باب رجع عوده على بدئه وافعله جهدك
وطاقتك في انه مصدر ساد مسد الحال اصله يحد وحده بمعنى واحداً وحده والنفور مصدر بمعنى
التولية او جمع نافر كقاعد وقعود اي يحبون ان تذكر معه آلهتهم لانهم مشركون فاذا سمعوا بالتوحيد
نفروا نحن اعلم بما يستمعون به اذ يستمعون اليك واذ هم نجوى اذ يقول الظالمون ان تتبعون
الا رجلاً مسحوراً بما يستمعون به من الهزء بك وبالقرآن ومن اللغو كان يقوم عن يمينه اذا قرأ رجلان
من عبد الدار ورجلان منهم عن يساره فيصفقون ويصفرون ويخلطون عليه بالاشعار وبه في
موضع الحال كما تقول يستمعون بالهزء اي هازئين واذ يستمعون نصب باعلم اي اعلم وقت استماعهم
بما به يستمعون وبما به يتناجون به اذ هم ذوو نجوى واذ يقول بدل من اذ هم مسحوراً
سحر فجن وقيل هو من السحر وهو الرئة اي هو بشر مثلكم انظر كيف ضربوا لك الامثال فضلوا فلا
يستطيعون سبيلاً وقالوا أئذا كنا عظاماً ورفاتاً أئنا لمبعوثون خلقاً جديداً قل كونوا
حجارة او حديداً او خلقاً مما يكبر في صدوركم فسيقولون من يعيدنا قل الذي فطركم
اول مرة فسينغضون اليك رؤسهم ويقولون متى هو قل عسى ان يكون قريباً يوم يدعوكم
فتستجيبون بحمده وتظنون ان لبثتم الا قليلاً ضربوا لك الامثال مثلوك بالشاعر والساحر
والمجنون فضلوا في جميع ذلك ضلال من يطلب في التيه طريقاً يسلكه فلا يقدر عليه فهو متحير في امره
لا يدري ما يصنع لما قالوا أئذا كنا عظاماً قيل لهم كونوا حجارة او حديداً فرد قوله كونوا على قولهم
كأنه قيل كونوا حجارة او حديداً ولا تكونوا عظاماً فانه يقدر على احيائكم والمعنى انكم تستبعدون
ان يجدد الله خلقكم ويرده الى حال الحيوة والى رطوبة الحي وغضاضته بعد ما كنتم عظاماً يابسة
مع ان العظام بعض اجزاء الحي بل هي عمود خلقه الذي يبنى عليه سائره فليس ببدع ان يردها الله بقدرته
الى الحالة الاولى ولكن لو كنتم ابعد شيء من الحيوة ورطوبة الحي ومن جنس ما ركب منه البشر وهو
ان تكونوا حجارة يابسة او حديداً مع ان طباعها الجساوة والصلابة لكان قادراً على ان يردكم الى
حال الحيوة او خلقاً مما يكبر في صدوركم يعني او خلقاً مما يكبر عندكم عن قبول الحيوة ويعظم في زعمكم

من الحالين احياوه فانه يحييه. وقيل ما يكبر في صدوركم الموت. وقيل السموات والارض. فسينغضون
فسيحركونها نحوك تعجبا واستهزاء. والدعاء والاستجابة كلاهما مجاز والمعنى يوم يبعثكم فتنبعثون
مطاوعين منقادين لا تمتنعون. وقوله بحمده حال منهم اي حامدين وهي مبالغة في انقيادهم
للبعث كقولك لمن تامره بركوب ما يشق عليه فيتأبى ويمتنع ستركبه وانت حامد شاكر يعني انك تحمل
عليه وتقسر قسرا حتى انك تلين لين المسمح الراغب فيه الحامد عليه وعن سعيد بن جبير ينفضون
التراب عن رؤسهم ويقولون سبحانك اللهم وبحمدك وتظنون وترون الهول فعنده تستقصرون
مدة لبثكم في الدنيا وتحسبونها يوما او بعض يوم وعن قتادة تحاقرت الدنيا في انفسهم حين
عاينوا الاخرة. وقل لعبادي يقولوا التي هي احسن ان الشيطان ينزغ بينهم ان الشيطان كان للانسان
عدوا مبينا. ربكم اعلم بكم ان يشأ يرحمكم او ان يشأ يعذبكم وما ارسلناك عليهم وكيلا وربك
اعلم بمن في السموات والارض ولقد فضلنا بعض النبيين على بعض وآتينا داود زبورا
وقل لعبادي وقل للمؤمنين يقولوا للمشركين الكلمة التي هي احسن وألين ولا يخاشنوهم كقوله تعالى
وجادلهم بالتي هي احسن وفسر التي هي احسن بقوله ربكم اعلم بكم ان يشأ يرحمكم او ان يشأ يعذبكم يعني
يقولوا لهم هذه الكلمة ونحوها ولا يقولوا لهم انكم من اهل النار وانكم معذبون وما اشبه ذلك
مما يغيظهم ويهيجهم على الشر. وقوله ان الشيطان ينزغ بينهم اعتراض يعني يلقي بينهم الفساد
ويغري بعضهم على بعض ليقع بينهم المشارة والمشاقة. وما ارسلناك عليهم وكيلا اي ربا موكولا
اليك امرهم تقسرهم على الاسلام وتجبرهم عليه وانما ارسلناك بشيرا ونذيرا فدارهم ومر اصحابك
بالمداراة والاحتمال وترك المحاقة والمكاشفة وذلك قبل نزول اية السيف. وقيل نزلت في عمر
رضي الله عنه شتمه رجل فامره الله بالعفو. وقيل افرط ايذاء المشركين للمسلمين فشكوا الى رسول
الله عليه السلام فنزلت. وقيل الكلمة التي هي احسن ان يقولوا يهديكم الله يرحمكم الله وقرأ
طلحة ينزغ بالكسر وهما لغتان نحو يعرشون ويعرشون. هو رد على اهل مكة في انكارهم واستبعادهم
ان يكون يتيم ابي طالب نبيا وان يكون العراة الجوع اصحابه كصهيب وبلال وخباب وغيرهم دون ان
يكون ذلك في بعض الاكابر والصناديد يعني وربك اعلم بمن في السموات والارض وباحوالهم
وبمقاديرهم وبما يستأهل كل واحد منهم. وقوله ولقد فضلنا بعض النبيين على بعض اشارة
الى تفضيل رسول الله عليه السلام وقوله تعالى وآتينا داود زبورا دلالة على وجه تفضيله وهو انه
خاتم الانبياء وان امته خير الامم لان ذلك مكتوب في زبور داود عليه السلام قال تعالى ولقد
كتبنا في الزبور من بعد الذكر ان الارض يرثها عبادي الصالحون وهم محمد عليه السلام وامته
فان قلت هلا عرف الزبور كما عرف في قوله ولقد كتبنا في الزبور قلت يجوز ان يكون الزبور
وزبور كالعباس وعباس والفضل وفضل. وان يريد وآتينا داود بعض الزبور وهي الكتب وان
يريد ما ذكر فيه رسول الله عليه السلام من الزبور فسمي ذلك زبورا لانه بعض الزبور كما سمي بعض
القران قرانا. قل ادعوا الذين زعمتم من دونه فلا يملكون كشف الضر عنكم ولا تحويلا اولئك
الذين يدعون يبتغون الى ربهم الوسيلة ايهم اقرب ويرجون رحمته ويخافون عذابه ان
عذاب ربك كان محذورا. هم الملائكة وقيل عيسى بن مريم وعزير صلوات الله عليهما. وقيل
نفر من الجن عبدهم ناس من العرب ثم اسلم الجن ولم يشعروا اي ادعوهم فهم لا يستطيعون ان يكشفوا

عنكم الضر من مرض او فقر او عذاب ولا ان يحولوه من واحد الى اخر او يبدلوه. واولئك مبتدأ والذين
يدعون صفته ويبتغون خبره يعني ان آلهتهم اولئك يبتغون الوسيلة وهي القربة الى الله عز
وجل. وايهم بدل من واو يبتغون واي موصولة اي يبتغي من هو اقرب منهم وازلف الوسيلة
الى الله فكيف بغير الاقرب. او ضمن يبتغون الوسيلة معنى يحرصون فكانه قيل يحرصون ايهم اقرب
الى الله وذلك بالطاعة وازدياد الخير والصلاح. ويرجون ويخافون كما غيرهم من عباد الله فكيف
يزعمون انهم الهة. ان عذاب ربك كان حقيقا بان يحذره كل احد من ملك مقرب ونبي مرسل فضلا
عن غيرهم. وان من قرية الا نحن مهلكوها قبل يوم القيامة او معذبوها عذابا شديدا
كان ذلك في الكتاب مسطورا. نحن مهلكوها بالموت والاستئصال او معذبوها بالقتل وانواع
العذاب. وقيل الهلاك للصالحة والعذاب للطالحة وعن مقاتل وجدت في كتب الضحاك بن
مزاحم في تفسيرها اما مكة فتخربها الحبشة وتهلك المدينة بالجوع والبصرة بالغرق والكوفة
بالترك والجبال بالصواعق والرواجف. واما خراسان فعذابها ضروب. ثم ذكرها بلدا بلدا
في الكتاب في اللوح المحفوظ. وما منعنا ان نرسل بالايات الا ان كذب بها الاولون وآتينا
ثمود الناقة مبصرة فظلموا بها وما نرسل بالايات الا تخويفا. استعير المنع لترك ارسال الايات
من اجل صارف الحكمة. وان الاولى منصوبة والثانية مرفوعة تقديره وما منعنا ارسال الايات الا
تكذيب الاولين والمراد الايات التي اقترحتها قريش من قلب الصفا ذهبا ومن احياء الموتى وغير ذلك
وعادة الله في الامم ان من اقترح منهم اية فاجيب اليها ثم لم يؤمن ان يعاجل بعذاب الاستئصال فالمعنى
وما صرفنا عن ارسال ما يقترحونه من الايات الا ان كذب بها الذين هم امثالهم من المطبوع على قلوبهم
كعاد وثمود وانها لو ارسلت لكذبوا بها تكذيب اولئك وقالوا هذا سحر مبين كما يقولون في غيرها واستوجبوا
العذاب المستأصل وقد عزمنا ان نؤخر امر من بعثت اليهم الى يوم القيامة ثم ذكر من تلك الايات التي اقترحها
الاولون ثم كذبوا بها لما ارسلت فاهلكوا واحدة وهي ناقة صالح عليه السلام لان آثار هلاكهم
في بلاد العرب قريبة من حدودهم يبصرها صادرهم وواردهم. مبصرة بينة وقرئ مبصرة
بفتح الميم فظلموا بها فكفروا بها. وما نرسل بالايات ان اراد بها الايات المقترحة فالمعنى لا نرسلها الا
تخويفا من نزول العذاب العاجل كالطليعة لها والمقدمة له فان لم يخافوا وقع عليهم وان اراد غيرها
فالمعنى وما نرسل ما نرسل من الايات كايات القران وغيرها الا تخويفا وانذارا بعذاب الاخرة. واذ
قلنا لك ان ربك احاط بالناس وما جعلنا الرؤيا التي اريناك الا فتنة للناس والشجرة
الملعونة في القران ونخوفهم فما يزيدهم الا طغيانا كبيرا. واذ قلنا لك ان ربك احاط بالناس
واذكر اذ اوحينا اليك ان ربك احاط بقريش يعني بشرناك بوقعة بدر وبالنصرة عليهم وذلك قوله
تعالى سيهزم الجمع ويولون الدبر. قل للذين كفروا ستغلبون وتحشرون وغير ذلك فجعله كان قد
كان ووجد فقال احاط بالناس على عادته في اخباره وحين تزاحف الفريقان يوم بدر ورسول الله
عليه السلام في العريش مع ابي بكر رضي الله عنه كان يدعو ويقول اللهم اني اسالك عهدك ووعدك
ثم خرج وعليه الدرع يحرض الناس ويقول سيهزم الجمع ويولون الدبر ولعل الله تعالى اراه مصارعهم
في منامه فقد كان يقول حين ورد ماء بدر والله لكاني انظر الى مصارع القوم وهو يومي الى الارض
ويقول هذا مصرع فلان هذا مصرع فلان فتسامعت قريش بما اوحي الى رسول الله عليه السلام من

يحرضون

امر بدر وما ارى فى منامه من مصارعهم فكانوا يضحكون ويستسخرون ويستعجلون به استهزاء وحين سمعوا بقول الله تعالى ان شجرة الزقوم طعام الاثيم جعلوها سخرية وقالوا ان محمدا يزعم ان الجحيم تحرق الحجارة ثم يقول ينبت فيها الشجر وما قدروا الله حق قدره من قال ذلك وما انكروا ان يجعل الله الشجرة من جنس لا تأكله النار فهذا وبر السمندل وهو دويبة ببلاد الترك يتخذ منه مناديل اذا اتسخت طرحت فى النار فذهب الوسخ وبقى المنديل سالما لا تعمل فيه النار وترى النعامة تبتلع الجمر وقطع الحديد المحمى كالجمر باحماء النار فلا تضرها ثم اقرب من ذلك انه خلق فى كل شجرة نارا فلا تحرقها فما انكروا ان يخلق فى النار شجرة لا تحرقها والمعنى ان الايات انما يرسل بها تخويفا للعباد وهؤلاء قد خوفوا بعذاب الدنيا وهو القتل يوم بدر فما كان ما اريناك منه فى منامك بعد الوحى اليك الا فتنة لهم حيث اتخذوه سخريا وخوفوا بعذاب الاخرة وبشجرة الزقوم فما اثر فيهم ثم قال ونخوفهم اى نخوفهم بمخاوف الدنيا والاخرة فما يزيدهم التخويف الا طغيانا كبيرا فكيف يخاف قوم هذه حالهم بارسال ما يقترحون من الايات وقيل الرؤيا هى الاسراء وبه تعلق من يقول كان الاسراء فى المنام ومن قال كان فى اليقظة فسر الرؤيا بالرؤية وقيل انما سماها رؤيا على قول المكذبين حيث قالوا له لعلها رؤيا رأيتها وخيال خيل اليك استبعادا منهم كما سمى اشياء باساميها عند الكفرة نحو قوله تعالى فراغ الى آلهتهم اين شركائى ذق انك انت العزيز الكريم وقيل هى رؤياه انه سيدخل مكة وقيل رأى فى المنام ان ولد الحكم يتداولون منبره كما يتداول الصبيان الكرة فان قلت اين لعنت شجرة الزقوم فى القرآن قلت لعنت حيث لعن طاعموها من الكفرة والظلمة لان الشجرة لا ذنب لها حتى تلعن على الحقيقة وانما وصفت بلعن اصحابها على المجاز وقيل وصفها الله باللعن لان اللعن الابعاد من الرحمة وهى فى اصل الجحيم فى ابعد مكان من الرحمة وقيل تقول العرب لكل طعام مكروه ضار ملعون وسألت بعضهم فقال نعم الطعام الملعون القشب الممحوق وعن ابن عباس رضى الله عنهما هى الكشوث التى تلتوى بالشجر تجعل فى الشراب وقيل هى الشيطان وقيل ابو جهل وقرى والشجرة الملعونة بالرفع على انها مبتدأ محذوف الخبر كانه قيل والشجرة الملعونة فى القرآن كذلك واذ قلنا للملائكة اسجدوا لآدم فسجدوا الا ابليس قال أأسجد لمن خلقت طينا قال ارأيتك هذا الذى كرمت على لئن اخرتن الى يوم القيامة لاحتنكن ذريته الا قليلا قال اذهب فمن تبعك منهم فان جهنم جزاؤكم جزاء موفورا واستفزز من استطعت منهم بصوتك واجلب عليهم بخيلك ورجلك وشاركهم فى الاموال والاولاد وعدهم وما يعدهم الشيطان الا غرورا ان عبادى ليس لك عليهم سلطان وكفى بربك وكيلا طينا حال اما من الموصول والعامل فيه اسجد على أأسجد له وهو طين اى اصله طين او من الراجع اليه من الصلة على أأسجد لمن كان فى وقت خلقه طينا ارأيتك الكاف للخطاب وهذا مفعول به والمعنى اخبرنى عن هذا الذى كرمته على اى فضلته لم كرمته على وانا خير منه فاختصر الكلام بحذف ذلك ثم ابتدأ فقال لئن اخرتنى واللام موطئة للقسم المحذوف لاحتنكن ذريته لاستأصلنهم بالاغواء من احتنك الجراد الارض اذا جرد ما عليها اكلا وهو من الحنك ومنه ما ذكر سيبويه من قولهم احنك الشاتين اى آكلهما فان قلت من اين علم ان ذلك يتسهل له وهو من الغيب قلت اما ان سمعه من الملائكة صلوات الله عليهم وقد اخبرهم الله به او خرجه من قولهم اتجعل فيها من يفسد فيها او نظر اليه فتوسم فى مخايله انه خلق شهوانى وقيل قال ذلك لما علمت وسوسته

فادم

فى آدم والظاهر انه قال ذلك قبل اكل آدم من الشجرة اذهب ليس من الذهاب الذى هو نقيض المجئ وانما معناه امض لشأنك الذى اخترته خذلانا وتخلية وعقبه بذكر ما جره سوء اختياره فى قوله تعالى فمن تبعك منهم فان جهنم جزاؤكم كما قال موسى عليه السلام للسامرى فاذهب فان لك فى الحيوة ان تقول لا مساس فان قلت اما كان من حق الضمير فى الجزاء ان يكون على لفظ الغيبة ليرجع الى من اتبعك قلت بلى ولكن التقدير فان جهنم جزاؤهم وجزاؤك ثم غلب المخاطب على الغائب فقيل جزاؤكم ويجوز ان يكون للتابعين على طريقة الالتفات وانتصب جزاء موفورا بما فى جهنم جزاؤكم من معنى تجازون او باضمار تجازون او على الحال لان الجزاء موصوف بالموفور والموفور الموفر يقال فر لصاحبك عرضه فرة استفزه استخفه والفز الخفيف واجلب من الجلبة وهو الصياح والخيل الخيالة ومنه قول النبى عليه السلام يا خيل الله اركبى والرجل اسم جمع للراجل ونظيره الركب والصحب وقرى ورجلك على ان فعلا بمعنى فاعل نحو تعب وتاعب ومعناه وجمعك الرجل وتضم جيمه ايضا فيكون مثل حدث وحدث وندس وندس واخوات لهما يقال رجل رجل وقرى ورجالك ورجالك فان قلت ما معنى استفزاز ابليس بصوته واجلابه بخيله ورجله هو كلام ورد مورد التمثيل مثلت حاله فى تسلطه على من يغويه بمغوار اوقع على قوم فصوت بهم صوتا يستفزهم من اماكنهم ويقلقهم عن مراكزهم واجلب عليهم بجنده من خيالة ورجالة حتى استأصلهم وقيل بصوته بدعائه الى الشر وخيله ورجله كل راكب وماش من اهل العيث وقيل يجوز ان يكون لابليس خيل ورجال واما المشاركة فى الاموال والاولاد فكل معصية يحملهم عليها فى بابهما كالربا والمكاسب المحرمة والبحيرة والسائبة والانفاق فى الفسوق والاسراف ومنع الزكوة والتوصل الى الاولاد بالسبب الحرام ودعوى ولد بغير سبب والتسمية بعبد العزى وعبد الحارث والتهويد والتنصير والحمل على الحرف الذميمة والاعمال المحظورة وغير ذلك وعدهم المواعيد الكاذبة من شفاعة الآلهة والكرامة على الله بالانساب الشريفة وتسويف التوبة ومغفرة الذنوب بدونها والاتكال على الرحمة وشفاعة الرسول فى الكبائر والخروج من النار بعد ان يصيروا حمما وايثار العاجل على الآجل ان عبادى يريد الصالحين ليس لك عليهم سلطان اى لا تقدر ان تغويهم وكفى بربك وكيلا لهم يتوكلون به فى الاستعاذة منك ونحوه قوله تعالى الا عبادك منهم المخلصين فان قلت كيف جاز ان يأمر الله تعالى ابليس بان يتسلط على عباده مغويا مضلا داعيا الى الشر صادا عن الخير قلت هو من الاوامر الواردة على سبيل الخذلان والتخلية كما قال للعصاة اعملوا ما شئتم ربكم الذى يزجى لكم الفلك فى البحر لتبتغوا من فضله انه كان بكم رحيما واذا مسكم الضر فى البحر ضل من تدعون الا اياه فلما نجاكم الى البر اعرضتم وكان الانسان كفورا افأمنتم ان يخسف بكم جانب البر او يرسل عليكم حاصبا ثم لا تجدوا لكم وكيلا ام امنتم ان يعيدكم فيه تارة اخرى فيرسل عليكم قاصفا من الريح فيغرقكم بما كفرتم ثم لا تجدوا لكم علينا به تبيعا يزجى يجرى ويسير والضر خوف الغرق ضل من تدعون الا اياه ذهب عن اوهامكم وخواطركم كل من تدعونه فى حوادثكم الا اياه وحده فانكم لا تذكرون سواه ولا تدعونه فى ذلك الوقت ولا تعتقدون برحمته رجاكم ولا تخطرون ببالكم ان غيره يقدر على اغاثتكم او لم تهتد لانقاذ احد غيره من سائر المدعوين ويجوز ان يراد ضل من تدعون من الالهة عن اغاثتكم ولكن الله وحده هو الذى ترجونه وحده على الاستثناء

المقطع أفأمنتم الهمزة للإنكار والفاء للعطف على محذوف تقديره أنجوتم فأمنتم فحملكم ذلك على الإعراض فإن قلت بم انتصب جانب البر قلت بيخسف مفعولا به كالأرض في قوله تعالى فخسفنا به وبداره الأرض وبكم حال والمعنى أن يخسف جانب البر أي يقلبه وأنتم عليه فإن قلت فما معنى ذكر الجانب معناه أن الجوانب والجهات كلها في قدرته سواء وله في كل جانب برا كان أو بحرا سبب مرصد من أسباب الهلكة ليس جانب البحر وحده مختصا بذلك بل إن كان الغرق في جانب البحر ففي جانب البر ما هو مثله وهو الخسف لأنه تغييب تحت التراب كما أن الغرق تغييب تحت الماء فالبر والبحر عنده سيان يقدر في البر على نحو ما يقدر عليه في البحر فعلى العاقل أن يستوي خوفه من الله تعالى في جميع الجوانب وحيث كان أو يرسل عليكم حاصبا وهي الريح التي تحصب أي ترمي بالحصباء يعني أو إن لم يصبكم بالهلاك من تحتكم بالخسف أصابكم به من فوقكم بريح يرسلها عليكم فيها الحصباء يرجمكم بها فيكون أشد عليكم من الغرق في البحر وكيلا من يتوكل بصرف ذلك عنكم أم أمنتم أن يقوي دواعيكم ويوفر حوائجكم إلى أن ترجعوا فتركبوا البحر الذي نجاكم منه فأعرضتم فينتقم منكم بأن يرسل عليكم قاصفا وهي الريح التي لها قصيف وهو الصوت الشديد كأنها تتقصف أي تتكسر وقيل التي لا تمر بشيء إلا قصفته فيغرقكم وقرئ بالتاء أي الريح وبالنون وكذلك يخسف ويرسل ويعيدكم قرئت بالياء والنون التبيع المطالب من قوله عز وجل فاتباع بالمعروف أي مطالبة قال الشماخ كما لاذ الغريم من التبيع ويقال فلان على فلان تبيع بحقه أي مسيطر عليه مطالب له بحقه والمعنى إنا نفعل ما نفعل بهم ثم لا تجد أحدا يطالبنا بما فعلنا انتصارا منا ودركا للثار من جهتنا وهذا نحو قوله تعالى ولا يخاف عقباها بما كفرتم بكفرانكم النعمة يريد إعراضهم حين نجاهم **ولقد كرمنا بني آدم وحملناهم في البر والبحر ورزقناهم من الطيبات وفضلناهم على كثير ممن خلقنا تفضيلا** قيل في تكرمة ابن آدم كرمه الله بالعقل والنطق والتمييز والخط والصورة الحسنة والقامة المعتدلة وتدبير أمر المعاش والمعاد وقيل بتسليطهم على ما في الأرض وتسخيره لهم وقيل كل شيء يأكل بفيه إلا ابن آدم وعن الرشيد رحمه الله أنه أحضر طعاما فدعا بالملاعق وعنده أبو يوسف فقال له جاء في تفسير جدك ابن عباس قوله تعالى ولقد كرمنا بني آدم جعلنا لهم أصابع يأكلون بها فأحضرت الملاعق فردها وأكل بأصابعه على كثير ممن خلقنا هو ما سوى الملائكة صلوات الله عليهم وحسب بني آدم تفضيلا أن ترفع عليهم الملائكة وهم هم ومنزلتهم عند الله منزلتهم والعجب من المجبرة كيف عكسوا في كل شيء وكابروا حتى جسرتهم عادة المكابرة على العظيمة التي هي تفضيل الإنسان على الملك وذلك بعد ما سمعوا تفخيم الله أمرهم وتكثيره مع التعظيم ذكرهم وعلموا أين أسكنهم وأنى قربهم وكيف نزلهم من أنبيائه منزلة أنبيائه من أممهم ثم جرهم فرط التعصب عليهم إلى أن لفقوا أقوالا وأخبارا منها قالت الملائكة ربنا إنك أعطيت بني آدم الدنيا يأكلون منها ويتمتعون ولم تعطنا ذلك فأعطناه في الآخرة فقال وعزتي وجلالي لا أجعل ذرية من خلقت بيدي كمن قلت له كن فكان ورووا عن أبي هريرة رضي الله عنه أنه قال المؤمن أكرم على الله من الملائكة الذين عنده ومن ارتكابهم أنهم فسروا كثيرا بمعنى جميع في هذه الآية وخذلوا حتى سلبوا الذوق فلم يحسوا ببشاعة قولهم وفضلناهم على جميع ممن خلقنا على أن معنى قولهم على جميع ممن خلقنا أشجى لحلوقهم وأقذى لعيونهم ولكنهم لا يشعرون فانظر إلى تمحلهم وتشبثهم بالتأويلات البعيدة في عداوة الملأ الأعلى كأن جبريل غاظهم حين أهلك مدائن قوم لوط فتلك السخيمة لا تنحل عن

قلوبهم

قلوبهم **يوم ندعو كل أناس بإمامهم فمن أوتي كتابه بيمينه فأولئك يقرؤون كتابهم ولا يظلمون فتيلا ومن كان في هذه أعمى فهو في الآخرة أعمى وأضل سبيلا** وقرئ يدعو بالياء والنون ويدعى كل أناس على البناء للمفعول وقرأ الحسن يدعو كل أناس على قلب الألف واوا في لغة من يقول أفعو والظرف نصب بإضمار اذكر ويجوز أن يقال إنها علامة الجمع كما في وأسروا النجوى الذين ظلموا والرفع مقدر كما في يدعى ولم يؤت بالنون قلة مبالاة بها لأنها غير ضمير ليست إلا علامة بإمامهم بمن ائتموا به من نبي أو مقدم في الدين أو كتاب أو دين فيقال يا أتباع فلان يا أهل دين كذا وكتاب كذا وقيل بكتاب أعمالهم فيقال يا أصحاب كتاب الخير ويا أصحاب كتاب الشر وفي قراءة الحسن رحمه الله بكتابهم ومن بدع التفاسير أن الإمام جمع أم وأن الناس يدعون يوم القيامة بأمهاتهم وأن الحكمة في الدعاء بالأمهات دون الآباء رعاية حق عيسى وإظهار شرف الحسن والحسين رضي الله عنهما وأن لا يفتضح أولاد الزنى وليت شعري أيهما أبدع أصحة لفظه أم بهاء حكمته فمن أوتي من هؤلاء المدعوين كتابه بيمينه فأولئك يقرؤون كتابهم قيل أولئك لأن من أوتي في معنى الجمع فإن قلت لم خص أصحاب اليمين بقراءة كتابهم كأن أصحاب الشمال لا يقرؤون كتابهم قلت بلى ولكن إذا اطلعوا على ما في كتابهم أخذهم ما يأخذ المطالب على جناياته والاعتراف بمساويه أمام التنكيل به والانتقام منه من الحياء والخجل والانخزال وحبسة اللسان والتتعتع والعجز عن إقامة حروف الكلام والذهاب عن تسوية القول فكأن قراءتهم كلا قراءة وأما أصحاب اليمين فأمرهم على عكس ذلك لا جرم أنهم يقرؤون كتابهم أحسن قراءة وأبينها ولا يقنعون بقراءتهم وحدهم حتى يقول القارئ لأهل المحشر هاؤم اقرؤوا كتابيه ولا يظلمون فتيلا ولا ينقصون من ثوابهم أدنى شيء كقوله ولا يظلمون شيئا فلا يخاف ظلما ولا هضما معناه ومن كان في الدنيا أعمى فهو في الآخرة أعمى كذلك وأضل سبيلا من الأعمى والأعمى مستعار من لا يدرك المبصرات لفساد حاسته لمن لا يهتدي إلى طريق النجاة أما في الدنيا فلفقد النظر وأما في الآخرة فلأنه لا ينفعه الاهتداء إليه وقد جوزوا أن يكون الثاني بمعنى التفضيل ومن ثم قرأ أبو عمرو الأول ممالا والثاني مفخما لأن أفعل التفضيل تمامه بمن فكانت ألفه في حكم الواقعة في وسط الكلام كقولك أعمالكم وأما الأول فلم يتعلق به شيء فكانت ألفه واقعة في الطرف معرضة للإمالة **وإن كادوا ليفتنونك عن الذي أوحينا إليك لتفتري علينا غيره وإذا لاتخذوك خليلا ولولا أن ثبتناك لقد كدت تركن إليهم شيئا قليلا إذا لأذقناك ضعف الحياة وضعف الممات ثم لا تجد لك علينا نصيرا وإن كادوا ليستفزونك من الأرض ليخرجوك منها وإذا لا يلبثون خلافك إلا قليلا سنة من قد أرسلنا قبلك من رسلنا ولا تجد لسنتنا تحويلا** روي أن ثقيفا قالوا للنبي صلى الله عليه وسلم لا ندخل في أمرك حتى تعطينا خصالا نفتخر بها على العرب لا نعشر ولا نحشر ولا نجبي في صلاتنا وكل ربا لنا فهو لنا وكل ربا علينا فهو موضوع عنا وأن تمتعنا باللات سنة ولا نكسرها بأيدينا عند رأس الحول وأن تمنع من قصد وادينا وج فعضد شجره فإذا سألتك العرب لم فعلت ذلك فقل إن الله أمرني به وجاؤوا بكتابهم فكتب بسم الله الرحمن الرحيم هذا كتاب من محمد رسول الله لثقيف لا يعشرون ولا يحشرون فقالوا ولا يجبون فسكت رسول الله صلى الله عليه وسلم ثم قالوا للكاتب اكتب ولا يجبون والكاتب ينظر إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم فقام عمر بن الخطاب رضي الله عنه فسل سيفه وقال أسعرت قلب

نبينا يا معشر ثقيف اسلموا لله فلو تكبرنا فقالوا لسنا نكلم ابا ان انما نكلم محمدا فنزلت وروى ان
قريشا قالوا له اجعل آية رحمة آية عذاب وآية عذاب آية رحمة حتى نؤمن بك فنزلت وان كادوا
ليفتنونك ان مخففة من الثقيلة واللام هى الفارقة بينها وبين النافية والمعنى ان الشان قاربوا
ان يفتنوك اى يخدعوك فاتنين عن الذى اوحينا اليك من اوامرنا ونواهينا ووعدنا ووعيدنا
لتفترى علينا لتتقول علينا ما لم نقل يعنى ما ارادوه عليه من تبديل الوعد وعيدا والوعيد وعدا
وما اقترحته ثقيف من ان يضيف الى الله ما لم ينزل عليه واذن لاتخذوك اى ولو اتبعت مرادهم
لاتخذوك خليلا ولكنت لهم وليا وخرجت من ولايتى ولولا ان ثبتناك ولولا تثبيتنا لك وعصمتنا
لقد كدت تركن اليهم لقاربت ان تميل الى خدعهم ومكرهم وهذا تهييج من الله تعالى له وفضل تثبيته
وفى ذلك لطف للمؤمنين اذن لو قاربت تركن اليهم ادنى ركنة لاذقناك ضعف الحيوة وضعف
الممات اى لاذقناك عذاب الآخرة وعذاب القبر مضاعفين فان قلت كيف حقيقة هذا الكلام
قلت اصله لاذقناك عذاب الحيوة وعذاب الممات لان العذاب عذابان عذاب فى الممات وهو
عذاب القبر وعذاب فى حيوة الآخرة وهو عذاب النار والضعف يوصف به نحو قوله تعالى فآتهم
عذابا ضعفا من النار بمعنى مضاعفا فكان اصل الكلام لاذقناك عذابا ضعفا فى الحيوة وعذابا ضعفا
فى الممات ثم حذف الموصوف واقيمت الصفة مقامه وهو الضعف ثم اضيفت الصفة اضافة الموصوف
فقيل ضعف الحيوة وضعف الممات كما لو قيل لاذقناك اليم الحيوة واليم الممات ويجوز ان يراد بضعف
الحيوة عذاب الحيوة الدنيا وبضعف الممات ما يعقب الموت من عذاب القبر وعذاب النار والمعنى
لضاعفنا لك العذاب المعجل للعصاة فى الحيوة الدنيا وما نؤخره لما بعد الموت وفى ذكر الكيدودة
وتقليلها مع اتباعها الوعيد الشديد بالعذاب المضاعف فى الدارين دليل بين على ان القبيح يعظم
قبحه بمقدار عظم شان فاعله وارتفاع منزلته ومن ثم استعظم مشايخ العدل والتوحيد نسبة
المجبرة القبائح الى الله تعالى عن ذلك علوا كبيرا وفيه دليل على ان ادنى مداهنة للغواة مضادة
لله تعالى وخروج من ولايته وسبب موجب لغضبه ونكاله فعلى المؤمن اذا تلا هذه الآية ان يجثو
عندها ويتدبرها فهى جديرة بالتدبر وبان يستشعر الناظر فيها الخشية وازدياد التصلب فى
دين الله تعالى وعن النبى صلى الله عليه وسلم انها لما نزلت كان يقول اللهم لا تكلنى الى نفسى طرفة
عين وان كادوا وان كاد اهل مكة ليستفزونك ليزعجونك بعداوتهم ومكرهم من الارض من ارض
مكة واذن لا يلبثون خلفك لا يبقون بعد اخراجك الا زمانا قليلا فان الله تعالى مهلكهم وكان
كما قال فقد اهلكوا ببدر بعد اخراجه بقليل وقيل معناه ولو اخرجوك لاستؤصلوا عن بكرة ابيهم
ولم يخرجوه بل هاجر بامر ربه وقيل من ارض العرب وقيل من ارض المدينة وذلك ان رسول الله
صلى الله عليه وسلم لما هاجر حسدته اليهود وكرهوا قربه منهم فاجتمعوا اليه وقالوا يا ابا القاسم
ان الانبياء انما بعثوا بالشام وهى بلاد مقدسة وكانت مهاجر ابراهيم فلو خرجت الى الشام لآمنا
بك واتبعناك وقد علمنا انه لا يمنعك من الخروج الا خوف الروم فان كنت رسول الله فالله مانعك
منهم فعسكر رسول الله صلى الله عليه وسلم على اميال من المدينة وقيل بذى الحليفة حتى يجتمع اليه
اصحابه ويراه الناس عازما على الخروج الى الشام لحرصه على دخول الناس فى دين الله فنزلت فرجع
وقرئ لا يلبثون وتراه اى لا يلبثوا على اعمال اذن فان قلت ما وجه القراءتين قلت اما

اذاروه

الشايعة

الشايعة فقد عطف فيها الفعل على الفعل وهو مرفوع لوقوعه خبر كاد والفعل فى خبر كاد واقع موقع الاسم
واما قراءة ابى ففيها الجملة برأسها التى هى اذن لا يلبثوا عطف على جملة قوله تعالى وان كادوا ليستفزونك
وقرئ خلافك قال عفت الديار خلافهم فكانما بسط الشواطب بينهن حصيرا اى بعدهم سنة
من قد ارسلنا يعنى ان كل قوم اخرجوا رسولهم من بين ظهرانيهم فسنة الله ان يهلكهم ونصبت نصب
المصدر المؤكد اى سن الله ذلك سنة اقم الصلوة لدلوك الشمس الى غسق الليل وقرآن الفجر ان
قرآن الفجر كان مشهودا ومن الليل فتهجد به نافلة لك عسى ان يبعثك ربك مقاما محمودا وقل
رب ادخلنى مدخل صدق واخرجنى مخرج صدق واجعل لى من لدنك سلطانا نصيرا
دلكت الشمس غربت وقيل زالت وروى عن النبى صلى الله عليه وسلم اتانى جبريل لدلوك الشمس
حين زالت الشمس فصلى بى الظهر واشتقاقه من الدلك لان الانسان يدلك عينه عند النظر اليها
فان كان الدلوك الزوال فالآية جامعة للصلوات الخمس وان كان الغروب فقد خرجت منها الظهر
والعصر والغسق الظلمة وهو وقت صلوة العشاء وقرآن الفجر صلوة الفجر سميت قرآنا وهو القراءة
لانها ركن كما سميت ركوعا وسجودا وقنوتا وهى حجة على ابن علية والاصم فى زعمهما ان القراءة ليست
بركن مشهودا تشهده ملائكة الليل والنهار ينزل هؤلاء ويصعد هؤلاء فهو فى آخر ديوان الليل
واول ديوان النهار او يشهده الكثير من المصلين فى العادة او من حقه ان يكون مشهودا بالجماعة
الكثيرة ويجوز ان يكون وقرآن الفجر حثا على طول القراءة فى صلوة الفجر لكونها مكثورا عليها
ليسمع الناس القرآن فيكثر الثواب ولذلك كانت الفجر اطول الصلوات قراءة ومن الليل وعليك
بعض الليل فتهجد به والتهجد ترك الهجود للصلوة ونحوه التأثم والتحرج ويقال ايضا فى النوم
تهجد نافلة لك عبادة زائدة لك على الصلوات الخمس وضع نافلة موضع تهجدا لان التهجد عبادة
زائدة فكان التهجد والنافلة يجمعهما معنى واحد والمعنى ان التهجد زيد لك على الصلوات المفروضة
فريضة عليك خاصة دون غيرك لانه تطوع لهم مقاما محمودا نصب على الظرف اى عسى ان يبعثك يوم
القيامة فيقيمك مقاما محمودا او ضمن يبعثك معنى يقيمك ويجوز ان يكون حالا بمعنى ان يبعثك
ذا مقام محمود ومعنى المقام المحمود المقام الذى يحمده القائم فيه وكل من رآه وعرفه وهو مطلق فى
كل ما يجلب الحمد من انواع الكرامات وقيل المراد الشفاعة وهى نوع واحد مما يتناوله وعن ابن
عباس رضى الله عنهما مقاما يحمدك فيه الاولون والآخرون وتشرف فيه على جميع الخلائق تسأل فتعطى
وتشفع فتشفع ليس احد الا تحت لوائك وعن ابى هريرة رضى الله عنه عن رسول الله صلى الله عليه
وسلم هو المقام الذى اشفع فيه لامتى وعن حذيفة رضى الله عنه يجمع الناس فى صعيد فلا تكلم
نفس فاول مدعو محمد صلى الله عليه وسلم فيقول لبيك وسعديك والشر ليس اليك والمهدى من
هديت وعبدك بين يديك وبك واليك لا ملجأ ولا منجا منك الا اليك تباركت وتعاليت سبحانك
رب البيت قال فهذا قوله تعالى عسى ان يبعثك ربك مقاما محمودا وقرئ مدخل ومخرج بالضم
والفتح بمعنى المصدر ومعنى الفتح ادخلنى فادخل مدخل صدق اى ادخلنى القبر مدخل صدق
ادخالا مرضيا على طهارة وطيب من السيئات واخرجنى منه عند البعث اخراجا مرضيا ملقى بالكرامة
آمنا من السخط يدل عليه ذكره على اثر ذكر البعث وقيل نزلت حين امر بالهجرة يريد ادخال المدينة
والاخراج من مكة وقيل ادخاله مكة ظاهرا عليها بالفتح واخراجه منها آمنا من المشركين وقيل

هجد وتهجد اى نام ليلا وهجد وتهجد اى سهر الليل وهو من الاضداد ومنه قيل لصلاة الليل التهجد صحاح

نك

ادخله الغار واخرجه منه سالما وقيل ادخاله فيما حمله من عظيم الامر وهو النبوة واخراجه منه مؤديا لما كلفه من غير تفريط وقيل الطاعة وقيل هو عام في كل ما يدخل فيه ويلابسه من امر ومكان سلطانا نصيرا حجة تنصرني على من خالفني او ملكا وعزا قويا ناصرا للاسلام على الكفر مظهرا له عليه فاجيبت دعوته بقوله تعالى والله يعصمك من الناس الا ان حزب الله هم الغالبون ليظهره على الدين كله ليستخلفنهم في الارض ووعده لينزعن ملك فارس والروم فيجعله له وعن رسول الله عليه السلام انه استعمل عتاب بن اسيد على اهل مكة وقال انطلق فقد استعملتك على اهل الله فكان شديدا على المريب لينا على المؤمن وقال لا والله لا اعلم متخلفا يتخلف عن الصلوة في جماعة الا ضربت عنقه فانه لا يتخلف عن الصلوة الا منافق فقال اهل مكة يا رسول الله لقد استعملت على اهل الله عتاب ابن اسيد اعرابيا جافيا فقال صلى الله عليه وسلم اني رايت فيما يرى النائم كان عتاب بن اسيد اتى باب الجنة فاخذ بحلقة الباب فقلقلها قلقالا شديدا حتى فتح له فدخلها فاعز الله به الاسلام لنصرته المسلمين على من يريد ظلمهم فذلك السلطان النصير وقل جاء الحق وزهق الباطل ان الباطل كان زهوقا وننزل من القران ما هو شفاء ورحمة للمؤمنين ولا يزيد الظالمين الا خسارا كان حول البيت ثلثمائة وستون صنما صنم كل قوم بحيالهم وعن ابن عباس رضي الله عنهما كانت لقبائل العرب يحجون اليها وينحرون لها فشكا البيت الى الله تعالى فقال اي رب حتى متى تعبد هذه الاصنام حولي دونك فاوحى الله الى البيت اني ساحدث لك توبة جديدة فاملأك خدودا سجدا يدفون اليك دفيف النسور ويحنون اليك حنين الطير الى بيضها لهم عجيج حولك بالتلبية ولما نزلت هذه الاية يوم الفتح قال جبريل لرسول الله عليه السلام خذ مخصرتك ثم القها فجعل ياتي صنما صنما وهو ينكت بالمخصرة في عينه ويقول جاء الحق وزهق الباطل فينكب الصنم لوجهه حتى القاها جميعا وبقي صنم خزاعة فوق الكعبة وكان من قوارير صفر فقال يا علي ارم به فحمله رسول الله صلى الله عليه وسلم حتى صعد فرمى به فكسره فجعل اهل مكة يتعجبون ويقولون ما راينا رجلا اسحر من محمد وشكاية البيت والوحي تمثيل وتخييل وزهق الباطل وذهب وهلك من قولهم زهقت نفسه اذا خرجت والحق الاسلام والباطل الشرك كان زهوقا كان مضمحلا غير ثابت في كل وقت وننزل قرئ بالتخفيف والتشديد من القران من للتبيين كقوله تعالى من الاوثان او للتبعيض اي كل شيء نزل من القران فهو شفاء للمؤمنين يزدادون به ايمانا ويستصلحون به دينهم فموقعه منهم موقع الشفاء من المرضى وعن النبي صلى الله عليه وسلم من لم يستشف بالقران فلا شفاه الله ولا يزداد به الكافرون الا خسارا اي نقصانا لتكذيبهم به وكفرهم كقوله تعالى فزادتهم رجسا الى رجسهم واذا انعمنا على الانسان اعرض ونا بجانبه واذا مسه الشر كان يؤسا قل كل يعمل على شاكلته فربكم اعلم بمن هو اهدى سبيلا واذا انعمنا على الانسان بالصحة والسعة اعرض عن ذكر الله كانه مستغن عنه مستبد بنفسه ونأى بجانبه تأكيد للاعراض لان الاعراض عن الشيء ان يوليه عرض وجهه والنأي بالجانب ان يلوي عنه عطفه ويوليه ظهره او اراد الاستكبار لان ذلك من عادة المتكبرين واذا مسه الشر من فقر او مرض او نازلة من النوازل كان يؤسا شديد اليأس من روح الله انه لا ييأس من روح الله الا القوم الكافرون وقرئ وناء بجانبه بتقديم اللام على العين كقولهم راء في رأى ويجوز ان يكون من ناء بمعنى نهض قل كل احد يعمل على شاكلته اي على مذهبه

وطريقته التي تشاكل حاله في الهدى والضلالة من قولهم طريق ذو شواكل وهي الطرق التي تتشعب منه والدليل عليه قوله تعالى فربكم اعلم بمن هو اهدى سبيلا اي اسد مذهبا وطريقة ويسألونك عن الروح قل الروح من امر ربي وما اوتيتم من العلم الا قليلا ولئن شئنا لنذهبن بالذي اوحينا اليك ثم لا تجد لك به علينا وكيلا الا رحمة من ربك ان فضله كان عليك كبيرا الاكثر على انه الروح الذي في الحيوان سألوه عن حقيقته فاخبر انه من امر الله اي مما استأثر بعلمه وعن ابي بريدة لقد مضى النبي صلى الله عليه وسلم وما يعلم الروح وقيل هو خلق عظيم روحاني اعظم من الملك وقيل جبريل وقيل القران ومن امر ربي اي من وحيه وكلامه ليس من كلام البشر بعثت اليهود الى قريش ان سلوه عن اصحاب الكهف وعن ذي القرنين فان اجاب عنها او سكت فليس بنبي وان اجاب عن بعض وسكت عن بعض فهو نبي فبين لهم القصتين وابهم امر الروح وهو مبهم في التورية فندموا على سؤالهم وما اوتيتم الخطاب عام وروي ان رسول الله صلى الله عليه وسلم لما قال لهم ذلك قالوا نحن مختصون بهذا الخطاب ام انت معنا فيه فقال بل نحن وانتم لم تؤتوا من العلم الا قليلا فقالوا ما اعجب شانك ساعة تقول ومن يؤت الحكمة فقد اوتي خيرا كثيرا وساعة تقول هذا فنزلت ولو ان ما في الارض من شجرة اقلام وليس ما قالوه بلازم لان القلة والكثرة تدوران مع الاضافة فيوصف الشيء بالقلة مضافا الى ما فوقه وبالكثرة مضافا الى ما تحته فالحكمة التي اوتيها العبد خير كثير في نفسها الا انها اذا اضيفت الى علم الله فهي قليلة وقيل هو خطاب لليهود خاصة لانهم قالوا للنبي صلى الله عليه وسلم قد اوتينا التورية وفيها الحكمة وقد تلوت ومن يؤت الحكمة فقد اوتي خيرا كثيرا فقيل لهم ان علم التورية قليل في جنب علم الله لنذهبن جواب قسم محذوف مع نيابته عن جزاء الشرط واللام الداخلة على ان موطئة للقسم والمعنى ان شئنا ذهبنا بالقران ومحوناه عن الصدور والمصاحف فلم نترك له اثرا وبقيت كما كنت لا تدري ما الكتاب ثم لا تجد لك بعد الذهاب به من يتوكل علينا باسترداده واعادته محفوظا مسطورا الا رحمة من ربك الا ان يرحمك ربك فيرده عليك كان رحمته تتوكل عليه بالرد او يكون على الاستثناء المنقطع بمعنى ولكن رحمة من ربك تركته غير مذهوب به وهذا امتنان من الله تعالى ببقاء القران محفوظا بعد المنة العظيمة في تنزيله وتحفيظه فعلى كل ذي علم ان لا يغفل عن هاتين المنتين والقيام بشكرهما وهما منة الله عليه بحفظ العلم ورسوخه في صدره ومنته عليه في بقاء المحفوظ وعن ابن مسعود رضي الله عنه ان اول ما تفقدون من دينكم الامانة واخر ما تفقدون الصلوة وليصلين قوم ولا دين لهم وان هذا القران تصبحون يوما وما فيكم منه شيء فقال رجل كيف ذلك وقد اثبتناه في قلوبنا واثبتناه في مصاحفنا نعلمه ابناءنا ويعلمه ابناؤنا ابناءهم فقال يسرى عليه ليلا فيصبح الناس منه فقراء ترفع المصاحف وتنزع ما في القلوب قل لئن اجتمعت الانس والجن على ان ياتوا بمثل هذا القران لا ياتون بمثله ولو كان بعضهم لبعض ظهيرا ولقد صرفنا للناس في هذا القران من كل مثل فابى اكثر الناس الا كفورا لا ياتون جواب قسم محذوف ولولا اللام الموطئة لجاز ان يكون جوابا للشرط كقوله يقول لا غائب مالي ولا حرم لان الشرط وقع ماضيا اي لو تظاهروا على ان ياتوا بمثل هذا القران في بلاغته وحسن نظمه وتاليفه وفيهم العرب العاربة ارباب البيان لعجزوا عن الاتيان بمثله والعجب من النوابت ومن زعمهم ان القران قديم مع اعترافهم بانه معجز وانما يكون العجز حيث تكون القدرة فيقال الله قادر على خلق الاجسام والعباد عاجزون

والجواب منع كلازمة اذ معجزة تعذر به هو الامكان وهو حاصل للحروث وايضا المعجز اللفظ ولا اتيان بقدمه والقديم كلام النفس ولا اتيان بالمجازه وايضا سلمنا ان الكلام القديم لا يقدر البشر على عينه لكن لم لا يقدر على مثله تفهم

عنه، واما المحال الذي لا مجال فيه للقدرة ولا مدخل لها فيه كثاني القديم فلا يقال للفاعل قد عجز عنه ولا هو معجوز ولو قيل ذلك لجاز وصف الله بالعجز لانه لا يوصف بالقدرة على المحال الا ان يكابروا فيقولوا هو قادر على المحال فان راس مالهم المكابرة وقلب الحقائق، ولقد صرفنا رددنا وكررنا من كل مثل من كل معنى هو كالمثل في غرابته وحسنه، والكفور الجحود فان قلت كيف جاز فابى اكثر الناس الا كفورا ولم يجز ضربت الا زيدا قلت لان ابى متاول بالنفي كانه قيل لم يرضوا الا كفورا وقالوا لن نؤمن لك حتى تفجر لنا من الارض ينبوعا او تكون لك جنة من نخيل وعنب فتفجر الانهار خلالها تفجيرا، او تسقط السماء كما زعمت علينا كسفا او تاتي بالله والملائكة قبيلا، او يكون لك بيت من زخرف او ترقى في السماء ولن نؤمن لرقيك حتى تنزل علينا كتابا نقرؤه قل سبحان ربي هل كنت الا بشرا رسولا، لما تبين اعجاز القرآن وانضمت اليه المعجزات الاخر والبينات ولزمتهم الحجة وغلبوا اخذوا يتعللون باقتراح الآيات فعل المبهوت المحجوج المتحير في امره فقالوا لن نؤمن لك حتى وحتى تفجر تنبع وقرئ تفجر بالتخفيف من الارض يعنون ارض مكة، ينبوعا عينا غزيرة من شانها ان تنبع بالماء لا تقطع يفعول من نبع الماء كيعبوب من عب الماء، كما زعمت يعنون قول الله تعالى ان نشأ نخسف بهم الارض او نسقط عليهم كسفا من السماء قرئ كسفا بسكون السين جمع كسفة كسدرة وسدر، وبفتحها قبيلا كفيلا بما تقول شاهدا بصحته والمعنى او تاتي بالله قبيلا والملائكة قبيلا كذلك كقوله كنت منه ووالدي بريا، واني وقيار بها لغريب، او مقابلا كالعشير بمعنى المعاشر ونحوه لولا انزل علينا الملائكة او نرى ربنا، او جماعة حالا من الملائكة، من زخرف من ذهب، في السماء في معارج السماء فحذف المضاف يقال رقي في السلم وفي الدرجة، ولن نؤمن لرقيك لاجل رقيك، حتى تنزل علينا كتابا من السماء فيه تصديقك عن ابن عباس قال عبد الله بن ابي امية لن نؤمن لك حتى تتخذ الى السماء سلما ترقى فيه وانا انظر حتى تاتيها ثم تاتي معك بصك منشور معه اربعة من الملائكة يشهدون لك انك كما تقول وما كانوا يقصدون بهذه الاقتراحات الا العناد واللجاج ولو جاءتهم كل آية لقالوا هذا سحر كما قال الله عز وعلا ولو نزلنا عليك كتابا في قرطاس، ولو فتحنا عليهم بابا من السماء فظلوا فيه يعرجون وحين انكروا الآية الباقية التي هي القرآن وسائر الآيات وليست بدون ما اقترحوه بل هي اعظم لم يكن الى تبصرتهم سبيل، قل سبحان ربي وقرئ قال سبحان ربي اي قال الرسول وسبحان ربي تعجب من اقتراحاتهم عليه، هل كنت الا رسولا كسائر الرسل بشرا مثلهم وكان الرسل لا ياتون قومهم الا بما يظهره الله عليهم من الآيات فليس امر الآيات الي انما هو الى الله فما بالكم تتخيرونها علي وما منع الناس ان يؤمنوا اذ جاءهم الهدى الا ان قالوا ابعث الله بشرا رسولا، قل لو كان في الارض ملائكة يمشون مطمئنين لنزلنا عليهم من السماء ملكا رسولا، قل كفى بالله شهيدا بيني وبينكم انه كان بعباده خبيرا بصيرا، ان الاولى نصب مفعول ثان لمنع والثانية رفع فاعل له والهدى الوحي اي وما منعهم الايمان بالقرآن وبنبوة محمد صلى الله عليه وسلم الا شبهة تلجلجت في صدورهم وهي انكارهم ان يرسل الله البشر والهمزة في ابعث الله للانكار وما انكروه فخلافه هو المنكر عند الله لان قضية حكمته ان لا يرسل ملك الوحي الا الى امثاله او الى الانبياء ثم قرر ذلك بانه لو كان في الارض ملائكة يمشون على اقدامهم كما يمشي الانس ولا يطيرون باجنحتهم الى السماء فيسمعوا من

اهلها ويعلموا ما يجب علمه، مطمئنين ساكنين في الارض قارين لنزلنا عليهم من السماء ملكا رسولا يعلمهم الخير ويهديهم المراشد فاما الانس فما هم بهذه المثابة انما يرسل الملك الى مختار منهم للنبوة فيقوم ذلك المختار بدعوتهم وارشادهم فان قلت هل يجوز ان يكون بشرا وملكا منصوبين على الحال من رسولا قلت وجه حسن والمعنى له اجوب، شهيدا بيني وبينكم على اني بلغت ما ارسلت به اليكم وانكم كذبتم وعاندتم، انه كان بعباده المنذرين والمنذرين خبيرا عالما باحوالهم فهو مجازيهم وهذه تسلية لرسول الله صلى الله عليه وسلم ووعيد للكفرة وشهيدا تمييز او حال ومن يهد الله فهو المهتد ومن يضلل فلن تجد لهم اولياء من دونه ونحشرهم يوم القيامة على وجوههم عميا وبكما وصما ماواهم جهنم كلما خبت زدناهم سعيرا، ذلك جزاؤهم بانهم كفروا باياتنا وقالوا أئذا كنا عظاما ورفاتا أئنا لمبعوثون خلقا جديدا، ومن يهد الله ومن يوفقه ويلطف به فهو المهتد لانه لا يلطف الا بمن عرف ان اللطف ينفع فيه ومن يضلل ومن يخذله فلن تجد لهم اولياء انصارا، على وجوههم كقوله تعالى يوم يسحبون في النار على وجوههم وقيل لرسول الله صلى الله عليه وسلم كيف يمشون على وجوههم قال ان الذي امشاهم على اقدامهم قادر على ان يمشيهم على وجوههم عميا وبكما وصما كما كانوا في الدنيا لا يستبصرون ولا ينطقون بالحق ويتصامون عن استماعه فهم في الآخرة كذلك لا يبصرون ما يقر اعينهم ولا يسمعون ما يلذ مسامعهم ولا ينطقون بما يقبل منهم، ومن كان في هذه اعمى فهو في الآخرة اعمى، ويجوز ان يحشروا مؤوفي الحواس من الموقف الى النار بعد الحساب فقد اخبر عنهم في موضع آخر انهم يقرؤون ويتكلمون كلما خبت كلما اكلت جلودهم ولحومهم وافنتها فسكن لهبها بدلوا غيرها فرجعت ملتهبة مستعرة كانهم لما كذبوا بالاعادة بعد الافناء جعل الله جزاءهم ان سلط النار على اجزائهم تاكلها وتفنيها ثم يعيدها لا يزالون على الافناء والاعادة ليزيد ذلك في تحسيرهم على تكذيبهم البعث ولانه ادخل في الانتقام من الجاحد وقد دل على ذلك بقوله ذلك جزاؤهم الى قوله ائنا لمبعوثون خلقا جديدا اولم يروا ان الله الذي خلق السموات والارض قادر على ان يخلق مثلهم وجعل لهم اجلا لا ريب فيه فابى الظالمون الا كفورا، قل لو انتم تملكون خزائن رحمة ربي اذا لامسكتم خشية الانفاق وكان الانسان قتورا فان قلت علام عطف قوله تعالى وجعل لهم اجلا قلت على قوله اولم يروا لان المعنى قد علموا بدليل العقل ان من قدر على خلق السموات والارض فهو قادر على خلق امثالهم من الانس لانهم ليسوا باشد خلقا منهن كما قال تعالى أانتم اشد خلقا ام السماء، وجعل لهم اجلا لا ريب فيه وهو الموت او القيامة فابوا مع وضوح الدليل الا جحودا، لو حقها ان تدخل على الافعال دون الاسماء فلا بد من فعل بعدها في لو انتم تملكون وتقديره لو تملكون تملكون فاضمر تملك اضمارا على شريطة التفسير وابدل من الضمير المتصل الذي هو الواو ضمير منفصل وهو انتم لسقوط ما يتصل به من اللفظ فانتم فاعل الفعل المضمر وتملكون تفسيره وهذا هو الوجه الذي يقتضيه علم الاعراب فاما ما يقتضيه علم البيان فهو ان انتم تملكون فيه دلالة على الاختصاص وان الناس هم المختصون بالشح المتبالغ ونحوه قول حاتم لو ذات سوار لطمتني وقول المتلمس،
ولو غير اخوالي ارادوا نقيصتي، وذلك لان الفعل الاول لما سقط لاجل المفسر برز الكلام في صورة

المبعد ذا الجبر • ورحمة الله رزقه وسائر نعمه على خلقه • ولقد بلغ هذا الوصف بالشح الغاية التي لا يبلغها
الوهم • وقيل هو لاهل مكة الذين اقترحوا ما اقترحوا من الينبوع والانهار وغيرها وانهم لو ملكوا
خزائن الارزاق لبخلوا بها • قتورًا ضيقًا بخيلًا فان قلت هل يقدر لا مسكتم مفعول قلت
لا لان معناه لبخلتم من قولك للبخيل ممسك ولقد آتينا موسى تسع آيات بينات فسئل بني اسرائيل
اذ جاءهم فقال له فرعون اني لاظنك يا موسى مسحورًا عن ابن عباس رضي الله عنهما • هي
العصا • واليد • والجراد • والقمل • والضفادع • والدم • والحجر • والبحر • والطور الذي نتقه على بني
اسرائيل • وعن الحسن رحمة الله عليه الطوفان والسنون ونقص الثمرات مكان الحجر والبحر والطور
وعن عمر بن عبد العزيز انه سال محمد بن كعب فذكر اللسان والطمس فقال له عمر كيف يكون
الفقيه الا هكذا اخرج يا غلام ذلك الجراب فاخرجه فنفضه فاذا بيض مكسور نصفين وجوز
مكسور وفوم وحمص وعدس كلها حجارة • وعن صفوان بن عسال ان بعض اليهود سال رسول
الله عليه السلام عن ذلك فقال اوحى الله تعالى الى موسى صلوات الله عليه ان قل لبني اسرائيل
لا تشركوا بالله شيئًا ولا تسرقوا • ولا تزنوا ولا تقتلوا النفس التي حرم الله الا بالحق ولا تسحروا
ولا تاكلوا الربا • ولا تمشوا ببريء الى ذي سلطان ليقتله • ولا تقذفوا محصنة • ولا تفروا من الزحف
وانتم يا يهود خاصة لا تعدوا في السبت • فسئل بني اسرائيل فقلنا له سل بني اسرائيل اي سلهم
من فرعون وقل له ارسل معي بني اسرائيل او سلهم عن ايمانهم وعن حال دينهم • او سلهم ان
يعاضدوك وتكون قلوبهم وايديهم معك • وتدل عليه قراءة رسول الله صلى الله عليه وسلم
فسال بني اسرائيل على لفظ الماضي بغير همز وهي لغة قريش • وقيل فسئل يا رسول الله المؤمنين من
بني اسرائيل وهو عبد الله بن سلام واصحابه عن الآيات لتزداد يقينًا وطمانينة قلب لان الادلة
اذا تظاهرت كان ذلك اقوى واثبت كقول ابراهيم ولكن ليطمئن قلبي فان قلت بم تعلق اذ
جاءهم اما على الوجه الاول فبالقول المحذوف اي فقلنا له سلهم حين جاءهم • او بسال
في القراءة الثانية • واما على الاخير فبآتينا • او باضمار اذكر او يخبرونك ومعنى اذ جاءهم اذ جاء آباءهم
مسحورًا سحرت فخولط عقلك قال لقد علمت ما انزل هؤلاء الا رب السموات والارض بصائر
واني لاظنك يا فرعون مثبورًا فاراد ان يستفزهم من الارض فاغرقناه ومن معه
جميعًا وقلنا من بعده لبني اسرائيل اسكنوا الارض فاذا جاء وعد الآخرة جئنا بكم لفيفًا
لقد علمت يا فرعون ما انزل هؤلاء الآيات الا الله عز وجل بصائر بينات مكشوفات ولكنك معاند
مكابر ونحوه وجحدوا بها واستيقنتها انفسهم ظلمًا وعلوًا وقرئ علمت بالضم على معنى اني
لست بمسحور كما وصفتني بل انا عالم بصحة الامر وان هذه الآيات منزلها رب السموات والارض
ثم قارع ظنه بظنه كانه قال ان ظننتني مسحورًا فانا اظنك مثبورًا هالكًا وظني اصح من ظنك لان له
امارة ظاهرة وهي انكارك ما عرفت صحته ومكابرتك لآيات الله بعد وضوحها واما ظنك فكذب
بحت لان قولك مع علمك بصحة امري اني لاظنك مسحورًا قول كذاب وقال الفراء مثبورًا مصروفًا
عن الخير مطبوعًا على قلبك من قولهم ما ثبرك عن هذا اي ما منعك وصرفك وقرأ ابي بن كعب وان
اخالك يا فرعون لمثبورًا على ان المخففة واللام هي الفارقة فاراد فرعون ان يستخف موسى وقومه
من ارض مصر ويخرجهم منها او ينفيهم عن ظهر الارض بالقتل والاستئصال فحاق به مكره بان

استفزه الله باغراقه مع قبطه • اسكنوا الارض التي اراد فرعون ان يستفزكم منها • فاذا جاء وعد
الآخرة يعني قيام الساعة • جئنا بكم لفيفًا جميعًا مختلطين اياكم واياهم ثم نحكم بينكم ونميز بين
سعدائكم واشقيائكم واللفيف الجماعات من قبائل شتى وبالحق انزلناه وبالحق نزل وما
ارسلناك الا مبشرًا ونذيرًا • وقرآنًا فرقناه لتقرأه على الناس على مكث ونزلناه تنزيلًا
وبالحق انزلناه وبالحق نزل • وما انزلنا القرآن الا بالحكمة المقتضية لانزاله وما نزل الا ملتبسًا
بالحق والحكمة لاشتماله على الهداية الى كل خير • او وما انزلناه من السماء الا بالحق محفوظًا بالرصد
من الملائكة وما نزل على الرسول الا محفوظًا بهم من تخليط الشياطين • وما ارسلناك الا لتبشرهم
بالجنة وتنذرهم من النار ليس اليك وراء ذلك شيء من اكراه على الدين او نحو ذلك • وقرآنًا منصوب
بفعل يفسره فرقناه وقرأ ابي فرقناه بالتشديد اي جعلنا نزوله مفرقًا منجمًا • وعن ابن عباس
رضي الله عنهما انه قرأه مشددًا وقال لم ينزل في يومين او ثلاثة بل كان بين اوله وآخره عشرون
سنة يعني ان فرق بالتخفيف يدل على فصل متقارب • على مكث بالفتح والضم على مهل وتؤدة
وتثبت • ونزلناه تنزيلًا على حسب الحوادث قل آمنوا به او لا تؤمنوا ان الذين اوتوا العلم
من قبله اذا يتلى عليهم يخرون للاذقان سجدًا ويقولون سبحان ربنا ان كان وعد ربنا
لمفعولًا • ويخرون للاذقان يبكون ويزيدهم خشوعًا • قل آمنوا به او لا تؤمنوا امر
بالاعراض عنهم واحتقارهم والازدراء بشانهم والاكتراث بهم وبايمانهم وبامتناعهم عنه وانهم
ان لم يدخلوا في الايمان ولم يصدقوا بالقرآن وهم اهل جاهلية وشرك فان خيرًا منهم وافضل هم
العلماء الذين قرؤوا الكتب وعلموا ما الوحي وما الشرائع قد آمنوا به وصدقوه وثبت عندهم انه
النبي العربي صلى الله عليه وسلم الموعود في كتبهم فاذا تلي عليهم خروا سجدًا وسبحوا الله تعظيمًا
لامره ولانجازه ما وعد في الكتب المنزلة وبشر به من بعثة محمد صلى الله عليه وسلم وانزال القرآن
عليه وهو المراد بالوعد في قوله تعالى ان كان وعد ربنا لمفعولًا ويزيدهم خشوعًا اي يزيدهم
القرآن لين قلب ورطوبة عين فان قلت ان الذين اوتوا العلم من قبله تعليل لماذا
قلت يجوز ان يكون تعليلًا لقوله تعالى آمنوا به او لا تؤمنوا • وان يكون تعليلًا لقل على سبيل التسلية
لرسول الله صلى الله عليه وسلم وتطييب نفسه كانه قيل تسل عن ايمان الجهلة بايمان العلماء وعلى
الاول ان لم تؤمنوا به لقد آمن به من هو خير منكم فان قلت ما معنى الخرور للذقن قلت
السقوط على الوجه وانما ذكر الذقن وهو مجتمع اللحيين لان الساجد اول ما يلقى به الارض من وجهه
الذقن • فان قلت حرف الاستعلاء ظاهر المعنى اذا قلت خر على وجهه وعلى ذقنه فما معنى اللام في
خر لذقنه ولوجهه • قال فخر صريعًا لليدين وللفم • قلت معناه جعل ذقنه ووجهه للخرور واختصه
به لان اللام للاختصاص فان قلت لم كرر يخرون للاذقان قلت لاختلاف الحالين وهما
خرورهم في حال كونهم ساجدين وخرورهم في حال كونهم باكين قل ادعوا الله او ادعوا الرحمن
ايًا ما تدعوا فله الاسماء الحسنى ولا تجهر بصلاتك ولا تخافت بها وابتغ بين ذلك سبيلًا
وقل الحمد لله الذي لم يتخذ ولدًا ولم يكن له شريك في الملك ولم يكن له ولي من الذل
وكبره تكبيرًا عن ابن عباس رضي الله عنهما سمعه ابو جهل يقول يا الله يا رحمن فقال انه ينهانا
ان نعبد الهين وهو يدعو الهًا آخر • وقيل ان اهل الكتاب قالوا انك لتقل ذكر الرحمن وقد اكثر الله

في التوراة هذا الاسم فنزلت • والدعاء بمعنى التسمية لا بمعنى النداء وهو يتعدى الى مفعولين تقول
دعوته زيدا ثم يترك احدهما استغناء عنه فيقال دعوت زيدا • والله والرحمن والمراد بهما الاسم
لا المسمى واو للتخيير يعني ادعوا الله او ادعوا الرحمن سموا بهذا الاسم او بهذا واذكروا اما هذا
واما هذا والتنوين في ايا عوض من المضاف اليه وما صلة للابهام المؤكد لما في اي اي اي هذين
الاسمين سميتم وذكرتم فله الاسماء الحسنى والضمير في فله ليس براجع الى احد الاسمين المذكورين
ولكن الى مسماهما وهو ذاته عز وعلا لان التسمية للذات لا للاسم والمعنى اياما تدعوا فهو حسن
فوضع موضعه قوله فله الاسماء الحسنى لانه اذا حسنت اسماؤه كلها حسن هذان الاسمان لانهما منها
ومعنى كونها احسن الاسماء انها مستقلة بمعنى التمجيد والتقديس • بصلاتك بقراءة صلاتك
على حذف المضاف لانه لا يلبس من قبل ان الجهر والمخافتة صفتان تعتقبان على الصوت لا غير والصلاة
افعال واذكار وكان رسول الله صلى الله عليه وسلم يرفع صوته بقراءته فاذا سمعها المشركون
لغوا وسبوا فامر بان يخفض من صوته والمعنى ولا تجهر حتى تسمع المشركين • ولا تخافت حتى لا تسمع من
خلفك • وابتغ بين الجهر والمخافتة • سبيلا وسطا وروى ان ابا بكر رضي الله عنه كان يخفي صوته
بالقراءة في صلاته ويقول اناجي ربي وقد علم حاجتي • وكان عمر رضي الله عنه يرفع صوته ويقول
ازجر الشيطان واوقظ الوسنان فامر ابا بكر ان يرفع قليلا وعمر ان يخفض قليلا • وقيل معناه
ولا تجهر بصلاتك كلها ولا تخافت بها كلها وابتغ بين ذلك سبيلا بان تجهر بصلاة الليل وتخافت بصلاة
النهار • وقيل بصلاتك بدعائك وذهب قوم الى ان الآية منسوخة بقوله تعالى ادعوا ربكم
تضرعا وخفية • وابتغ السبيل مثل لانتحاء الوجه الوسط في القراءة • ولي من الذل ناصر من الذل
ومانع له منه لاعتزازه به او لم يوال احدا من اجل مذلة به ليدفعها بموالاته فان قلت
كيف لاق وصفه بنفي الولد والشريك والذل بكلمة التحميد   لان من هذا وصفه
هو الذي يقدر على ايلاء كل نعمة فهو الذي يستحق جنس الحمد وكان النبي عليه السلام اذا افصح
الغلام من بني عبد المطلب علمه هذه الآية وعن رسول الله عليه السلام من قرأ سورة بني اسرائيل فرق
قلبه عند ذكر الوالدين كان له قنطار في الجنة والقنطار الف اوقية •

بسم الله الرحمن الرحيم الحمد لله الذي انزل على عبده الكتاب ولم يجعل له عوجا قيما لينذر بأسا
شديدا من لدنه ويبشر المؤمنين الذين يعملون الصالحات ان لهم اجرا حسنا ماكثين
فيه ابدا • وينذر الذين قالوا اتخذ الله ولدا ما لهم به من علم ولا لآبائهم كبرت كلمة
تخرج من افواههم ان يقولون الا كذبا فلعلك باخع نفسك على آثارهم ان لم يؤمنوا
بهذا الحديث اسفا • انا جعلنا ما على الارض زينة لها لنبلوهم ايهم احسن عملا وانا
لجاعلون ما عليها صعيدا جرزا • لقن الله عباده وفقههم كيف يثنون عليه ويحمدونه على جزيل
نعمائه عليه ومن نعمة الاسلام وما انزل على عبده محمد صلى الله عليه وسلم من الكتاب الذي هو سبب
نجاتهم وفوزهم ولم يجعل له عوجا ولم يجعل له شيئا من العوج قط والعوج في المعاني كالعوج في
الاعيان والمراد نفي الاختلاف والتناقض عن معانيه وخروج شيء منه من الحكمة والاصابة فيه

فان قلت بم انتصب قيما   الاحسن ان ينتصب بمضمر ولا يجعل حالا من الكتاب لان قوله
ولم يجعل معطوف على انزل فهو داخل في حيز الصلة فجاعله حالا من الكتاب فاصل بين الحال وذي
الحال ببعض الصلة وتقديره ولم يجعل له عوجا جعله قيما لانه اذا نفى عنه العوج فقد اثبت له
الاستقامة فان قلت ما فائدة الجمع بين نفي العوج واثبات الاستقامة وفي احدهما غنى عن
الآخر قلت فائدته التأكيد فرب مستقيم مشهود له بالاستقامة ولا يخلو عن ادنى عوج عند
السبر والتصفح • وقيل قيما على سائر الكتب مصدقا لها شاهدا بصحتها • وقيل قيما بمصالح العباد
وما لا بد لهم منه من الشرائع • وقرئ قيما • انذر متعد الى مفعولين • كقوله تعالى انا انذرناكم
عذابا قريبا فاقتصر على احدهما واصله لينذر الذين كفروا بأسا شديدا والبأس من قوله بعذاب
بئيس وقد بؤس العذاب وبؤس الرجل بأسا وبآسة • من لدنه صادرا من عنده وقرئ من
لدنه بسكون الدال مع اشمام الضمة وكسر النون • ويبشر بالتخفيف والتثقيل • فان قلت لم اقتصر
على احد مفعولي انذر • قلت قد جعل المنذر به هو الغرض المسوق اليه فوجب الاقتصار عليه •
والدليل عليه تكرير الانذار في قوله تعالى وينذر الذين قالوا اتخذ الله ولدا متعلقا بالمنذرين
من غير ذكر المنذر به كما ذكر المبشر به في قوله تعالى ان لهم اجرا حسنا استغناء بتقدم ذكره • والاجر
الحسن الجنة • ما لهم به من علم اي بالولد او باتخاذه يعني ان قولهم هذا لم يصدر عن علم ولكن
عن جهل مفرط وتقليد للآباء وقد استملته اباؤهم من الشيطان وتسويله فان قلت اتخاذ
الله ولدا في نفسه محال فكيف قيل ما لهم به من علم قلت معناه ما لهم به من علم لانه ليس مما
يعلم لاستحالته وانتفاء العلم بالشيء اما للجهل بالطريق الموصل اليه واما لانه في نفسه محال لا
يستقيم تعلق العلم به قرئ كبرت كلمة وكلمة بالنصب على التمييز والرفع على الفاعلية والنصب اقوى
وابلغ • وفيه معنى التعجب كأنه قيل ما اكبرها كلمة • وتخرج من افواههم صفة للكلمة تفيد استعظاما
لاجترائهم على النطق بها واخراجها من افواههم فان كثيرا مما يوسوسه الشيطان في قلوب الناس
ويحدثون به انفسهم من المنكرات لا يتمالكون ان يتفوهوا به ويطلقوا به السنتهم بل يكظمون عليه
تشورا من اظهاره فكيف بمثل هذا المنكر • وقرئ كبرت بسكون الباء مع اشمام الضمة فان قلت
الام رجع الضمير في كبرت   الى قولهم اتخذ الله ولدا وسميت كلمة كما يسمون القصيدة بها
شبههم واياهم حين تولوا عنه ولم يؤمنوا به وما تداخله من الوجد والاسف على توليهم برجل فارقه
احبته واعزته فهو يتساقط حسرات على آثارهم ويبخع نفسه وجدا عليهم وتلهفا على فراقهم • وقرئ
باخع نفسك على الاصل وعلى الاضافة اي قاتلها ومهلكها وهو للاستقبال فيمن قرأ ان لم يؤمنوا
وللمضي فيمن قرأ ان لم يؤمنوا بمعنى لان لم يؤمنوا • بهذا الحديث بالقرآن اسفا مفعول له اي لفرط
الحزن • ويجوز ان يكون حالا والاسف المبالغة في الحزن والغضب يقال رجل اسف واسيف • ما على
الارض يعني ما يصلح ان يكون زينة لها ولاهلها من زخارف الدنيا وما يستحسن منها لنبلوهم
ايهم احسن عملا وحسن العمل الزهد فيها وترك الاغترار بها ثم زهد في الميل اليها بقوله تعالى
وانا لجاعلون ما عليها من هذه الزينة صعيدا جرزا يعني مثل ارض بيضاء لا نبات فيها بعد ان كانت
خضراء معشبة في ازالة بهجته واماطة حسنه وابطال ما به كان زينة من اماتة الحيوان وتجفيف
النبات والاشجار ونحو ذلك ام حسبت ان اصحاب الكهف والرقيم كانوا من آياتنا عجبا اذ

اوى الفتية الى الكهف فقالوا ربنا آتنا من لدنك رحمة وهيئ لنا من امرنا رشدا · ذكر من
الآيات الكلية تزيين الارض بما خلق فوقها من الاجناس التي لا حصر لها وازالة ذلك كله كان لم
يكن ثم قال ام حسبت يعني ان ذلك اعظم من قصة اصحاب الكهف وابقاء حياتهم مدة طويلة · والكهف
الغار الواسع في الجبل · والرقيم اسم كلبهم قال امية بن ابي الصلت ·
وليس بها الا الرقيم مجاورا · وصيدهم والقوم في الكهف همّد · وقيل هو لوح من صح
رصاص رقمت فيه اسماؤهم وجعل على باب الكهف · وقيل ان الناس رقموا حديثهم نقرا في الجبل ·
وقيل هو الوادي الذي فيه الكهف · وقيل الجبل وقيل قريتهم · وقيل مكانهم بين غضبان وايلة
دون فلسطين · كانوا من آياتنا عجبا وصفا بالمصدر او على ذات عجب · من لدنك رحمة اي رحمة
من خزائن رحمتك وهي المغفرة والرزق والامن من الاعداء · وهيئ لنا من امرنا الذي نحن عليه من
مفارقة الكفار رشدا حتى نكون بسببه راشدين مهتدين · او اجعل امرنا رشدا كله كقولك رأيت
منك اسدا فضربنا على آذانهم في الكهف سنين عددا ثم بعثناهم لنعلم اي الحزبين احصى لما
لبثوا امدا · نحن نقص عليك نبأهم بالحق انهم فتية آمنوا بربهم وزدناهم هدى فضربنا
على آذانهم اي ضربنا عليها حجابا من ان تسمع يعني انمناهم انامة ثقيلة لا تنبههم فيها الاصوات كما ترى
المستثقل في نومه يصاح به فلا يسمع ولا يستنبه فحذف المفعول الذي هو الحجاب كما يقال بنى على امرأته
يريدون بنى عليها القبة · سنين عددا ذوات عدد فيحتمل ان يريد الكثرة وان يريد القلة لان الكثير
قليل عنده كقوله تعالى لم يلبثوا الا ساعة من نهار · وقال الزجاج اذا قل فهم مقدار عدده فلم يحتج
ان يعد واذا كثر احتاج الى ان يعد · اي يتضمن معنى الاستفهام فعلق عنه لنعلم فلم يعمل فيه · وقرئ
ليعلم وهو معلق عنه ايضا لان ارتفاعه بالابتداء لا بالاسناد يعلم اليه وفاعل يعلم مضمون الجملة
كما انه مفعول نعلم · اي الحزبين المختلفين منهم في مدة لبثهم لانهم لما انتبهوا اختلفوا في ذلك وذلك
قوله تعالى قال قائل منهم كم لبثتم قالوا لبثنا يوما او بعض يوم قالوا ربكم اعلم بما لبثتم وكان الذين
قالوا ربكم اعلم بما لبثتم هم الذين علموا ان لبثهم قد تطاول او اي الحزبين المختلفين من غيرهم
واحصى فعل ماض اي ايهم ضبط امدا لاوقات لبثهم فان قلت فما تقول فيمن جعله من افعل
التفضيل ليس بالوجه السديد وذلك ان بناءه من غير الثلاثي المجرد ليس بقياس · ونحو اعدى
من الجرب وافلس من ابن المذلق شاذ والقياس على الشاذ في غير القرآن ممتنع فكيف به · ولان امدا لا
يخلو اما ان ينتصب بافعل فافعل لا يعمل واما ان ينصب بلبثوا فلا يسد عليه المعنى فان زعمت نصبه
باضمار فعل يدل عليه احصى كما اضمر في قوله · واضرب منا بالسيوف القوانسا · على نضرب القوانس
فقد ابعدت المتناول وهو قريب حيث ابيت ان يكون احصى فعلا ثم رجعت مضطرا الى تقديره
واضماره فان قلت كيف جعل الله تعالى العلم باحصائهم المدة غرضا في الضرب على آذانهم
قلت الله عز وعلا لم يزل عالما بذلك وانما اراد ما تعلق به العلم من ظهور الامر لهم ليزدادوا
ايمانا واعتبارا او يكون لطفا لمؤمني زمانهم وآية بينة لكفاره · وزدناهم هدى بالتوفيق والتثبيت
وربطنا على قلوبهم اذ قاموا فقالوا ربنا رب السموات والارض لن ندعو من دونه الها
لقد قلنا اذا شططا هؤلاء قومنا اتخذوا من دونه آلهة لولا يأتون عليهم بسلطان
بين فمن اظلم ممن افترى على الله كذبا وربطنا على قلوبهم وقويناها بالصبر على هجر الاوطان

والنعيم

والنعيم والفرار بالدين الى بعض الغيران وجسرناهم على القيام بكلمة الحق والتظاهر بالاسلام اذ
قاموا بين يدي الجبار وهو دقيانوس من غير مبالاة به حين عاتبهم على ترك عبادة الصنم فقالوا ربنا
رب السموات والارض · شططا قولا ذا شطط وهو الافراط في الظلم والابعاد فيه من شط اذا بعد ومنه
اشط في السوم وفي غيره · هؤلاء مبتدأ وقومنا عطف بيان واتخذوا خبر وهو اخبار في معنى انكار · لولا
يأتون عليهم هلا يأتون على عبادتهم فحذف المضاف · بسلطان بين وهو تبكيت لان الاتيان بالسلطان
على عبادة الاوثان محال وهو دليل على فساد التقليد وانه لا بد في الدين من الحجة حتى يصح ويثبت
افترى على الله كذبا بنسبة الشريك اليه واذ اعتزلتموهم وما يعبدون الا الله فأووا الى
الكهف ينشر لكم ربكم من رحمته ويهيئ لكم من امركم مرفقا · وترى الشمس اذا طلعت
تزاور عن كهفهم ذات اليمين واذا غربت تقرضهم ذات الشمال وهم في فجوة منه
ذلك من آيات الله من يهد الله فهو المهتد ومن يضلل فلن تجد له وليا مرشدا واذ
اعتزلتموهم خطاب من بعضهم لبعض حين صممت عزيمتهم على الفرار بدينهم · وما يعبدون نصب عطف
على الضمير يعني واذ اعتزلتموهم واعتزلتم معبوديهم · الا الله يجوز ان يكون استثناء متصلا على ما
روي انهم كانوا يقرون بالخالق ويشركون معه كاهل مكة وان يكون منقطعا · وقيل هو كلام
معترض اخبار من الله تعالى عن الفتية انهم لم يعبدوا غير الله · مرفقا قرئ بفتح الميم وكسرها وهو
ما يرتفق به اي ينتفع اما ان يقولوا ذلك ثقة بفضل الله وقوة في رجائهم لتوكلهم عليه ونصوع
يقينهم · واما لان اخبرهم به نبي في عصرهم · واما ان يكون بعضهم نبيا · اصله تتزاور فخفف بادغام
التاء في الزاي او حذفها وقرئ بهما وقرئ تزور وتزوار بوزن تحمر وتحمار وكلها من الزور وهو
الميل · ومنه زاره اذا مال اليه · والزور الميل عن الصدق · ذات اليمين جهة اليمين وحقيقتها
الجهة المسماة باليمين · وتقرضهم تقطعهم لا تقربهم من معنى القطيعة والصرم قال ذو الرمة
الى ظعن يقرضن اقواز مشرف · شمالا وعن ايمانهن الفوارس · وهم في فجوة منه وهم
في متسع من الكهف والمعنى انهم في ظل نهارهم كله لا تصيبهم الشمس في طلوعها ولا غروبها مع انهم في
مكان واسع منفتح معرض لاصابة الشمس لولا ان الله يحجبها عنهم · وقيل في متسع من غارهم ينالهم فيه
روح الهواء وبرد النسيم ولا يحسون كرب الغار · ذلك من آيات الله اي ما صنعه الله بهم من ازورار
الشمس وقرضها طالعة وغاربة آية من آياته يعني ان ما كان في ذلك السمت تصيبه الشمس ولا
تصيبهم اختصاصا لهم بالكرامة · وقيل باب الكهف شمالي مستقبل لبنات نعش فهم في مقناة ابدا
ومعنى ذلك من آيات الله ان شأنهم وحديثهم من آيات الله · من يهد الله فهو المهتد ثناء
عليهم بانهم جاهدوا في الله واسلموا له وجوههم فلطف بهم واعانهم وارشدهم الى نيل تلك
الكرامة السنية والاختصاص بالآية العظيمة وان كل من سلك طريقة المهتدين الراشدين فهو
الذي اصاب الفلاح واهتدى الى السعادة · ومن يضلل ومن يضلله فلن تجد له من يليه ويرشده بعد خذلان
الله وتحسبهم ايقاظا وهم رقود ونقلبهم ذات اليمين وذات الشمال وكلبهم باسط
ذراعيه بالوصيد لو اطلعت عليهم لوليت منهم فرارا ولملئت منهم رعبا وتحسبهم ايقاظا
بكسر السين وفتحها خطاب لكل احد والايقاظ جمع يقظ كانكاد في نكد · قيل عيونهم مفتحة وهم نيام
فيحسبهم الناظر لذلك ايقاظا · وقيل لكثرة تقلبهم · وقيل لهم تقلبتان في السنة · وقيل تقلبة واحدة

ان يوم عاشوراء وقرئ ويقلبهم بالياء والضمير لله عز وجل وقرئ وتقلبهم على المصدر منصوبا وانتصابه
بفعل مضمر يدل عليه وتحسبهم ايقاظا كانه قيل وترى وتشاهد تقلبهم وقرأ جعفر الصادق رضي
الله عنه وكالبهم اي وصاحب كلبهم باسط ذراعيه حكاية حال ماضية لان اسم الفاعل لا يعمل اذا
كان في معنى المضي واضافته اذا اضيف حقيقية معرفة كغلام زيد الا اذا نويت حكاية الحال
الماضية والوصيد الفناء وقيل العتبة وقيل الباب وانشد
بارض فضاء لا يسد وصيدها علي ومعروفي بها غير منكر وقرئ ولملئت بتشديد
اللام للمبالغة وقرئ بتخفيف الهمزة وقلبها ياء ورعبا بالتخفيف والتثقيل وهو الخوف الذي يرعب
الصدر اي يملؤه وذلك لما البسهم الله من الهيبة وقيل لطول اظفارهم وشعورهم وعظم
اجرامهم وقيل لوحشة مكانهم وعن معاوية انه غزا الروم فمر بالكهف فقال لو كشف لنا عن هؤلاء
فنظرنا اليهم فقال له ابن عباس رضي الله عنهما ليس لك ذلك فقد منع الله تعالى من هو خير منك فقال
لو اطلعت عليهم لوليت منهم فرارا فقال معاوية لا انتهي حتى اعلم علمهم فبعث ناسا وقال لهم اذهبوا
فانظروا ففعلوا فلما دخلوا الكهف بعث الله تعالى ريحا فاحرقتهم وقرئ لو اطلعت بضم الواو
وكذلك بعثناهم ليتساءلوا بينهم قال قائل منهم كم لبثتم قالوا لبثنا يوما او بعض يوم قالوا
ربكم اعلم بما لبثتم فابعثوا احدكم بورقكم هذه الى المدينة فلينظر ايها ازكى طعاما فليأتكم
برزق منه وليتلطف ولا يشعرن بكم احدا وكذلك بعثناهم وكما انمناهم تلك النومة كذلك
بعثناهم ادكارا بقدرته على الانامة والبعث جميعا ليسأل بعضهم بعضا ويتعرفوا حالهم وما صنع
الله بهم فيعتبروا ويستدلوا على عظم قدرة الله ويزدادوا يقينا ويشكروا ما انعم به عليهم وكرموا
قالوا لبثنا يوما او بعض يوم جواب مبني على غالب الظن وفيه دليل على جواز الاجتهاد والقول بالظن
الغالب وانه لا يكون كذبا وان جاز ان يكون خطأ قالوا ربكم اعلم بما لبثتم انكار عليهم من بعضهم
وان الله اعلم بمدة لبثهم كان هؤلاء قد علموا بالادلة او بالهام من الله ان المدة متطاولة وان
مقدارها مبهم لا يعلمه الا الله وروي انهم دخلوا الكهف غدوة وكان انتباههم بعد الزوال
فظنوا انهم في يومهم فلما نظروا الى طول اظفارهم واشعارهم قالوا ذلك فان قلت كيف وصلوا
قولهم فابعثوا بتذاكر حديث المدة كانهم قالوا ربكم اعلم بذلك لا طريق لكم الى علمه فخذوا
في شيء آخر مما يهمكم والورق الفضة مضروبة كانت او غير مضروبة ومنه الحديث ان عرفجة
اصيب انفه يوم الكلاب فاتخذ انفا من ورق فانتن فامره رسول الله عليه السلام ان يتخذ انفا من ذهب
وقرئ بورقكم بسكون الراء والواو مفتوحة او مكسورة وقرأ ابن كثير بورقكم بكسر الراء وادغام
القاف في الكاف وعن ابن محيصن انه كسر الواو واسكن الراء وادغم وهذا غير جائز لالتقاء الساكنين
لا على حده وقيل المدينة طرسوس قالوا وتزودهم ما كان معهم من الورق عند فرارهم دليل
على ان حمل النفقة وما يصلح المسافر هو رأي المتوكلين على الله تعالى دون المتكلين على الاتفاقات
وعلى ما في اوعية القوم من النفقات ومنه قول عائشة رضي الله عنها لمن سألها عن محرم يشد عليه
هميانه اوثق عليك نفقتك وما حكي عن بعض صعاليك العلماء انه كان شديد الحنين الى ان يرزق
حج بيت الله وكان يقول من ذلك فكانت مياسير اهل بلده كلما عزم منهم فوج على الحج اتوه فبذلوا له ان
يحجوا به والحوا عليه فيعتذر اليهم ويحمد لهم فاذا انفضوا عنه قال لمن عنده ما لهذا

السفر الا شيئان شد الهميان والتوكل على الرحمن ايها اي اهلها فحذف الاهل كما في قوله واسأل القرية
ازكى طعاما احل واطيب او اكثر وارخص وليتلطف وليتكلف اللطف والنيقة فيما يباشره من امر
المبايعة حتى لا يغبن او في امر التخفي حتى لا يعرف ولا يشعرن بكم احدا يعني ولا يفعلن ما يؤدي من غير
قصد منه الى الشعور بنا فسمى ذلك اشعارا منه بهم لانه سبب فيه الضمير في انهم راجع الى الاهل
المقدر في ايها انهم ان يظهروا عليكم يرجموكم او يعيدوكم في ملتهم ولن تفلحوا اذا ابدا
وكذلك اعثرنا عليهم ليعلموا ان وعد الله حق وان الساعة لا ريب فيها اذ يتنازعون
بينهم امرهم فقالوا ابنوا عليهم بنيانا ربهم اعلم بهم قال الذين غلبوا على امرهم لنتخذن
عليهم مسجدا يرجموكم يقتلوكم اخبث القتلة وهي الرجم وكانت عادتهم او يعيدوكم او يدخلوكم
في ملتهم بالاكراه العنيف ويصيروكم اليها والعود في معنى الصيرورة اكثر شيء في كلامهم يقولون
ما عدت افعل كذا يريدون ابتداء الفعل ولن تفلحوا اذا ابدا ان دخلتم في دينهم وكذلك اعثرنا
عليهم وكما انمناهم وبعثناهم لما في ذلك من الحكمة اطلعنا عليهم ليعلم الذين اطلعناهم على حالهم
ان وعد الله حق وهو البعث لان حالهم في نومتهم وانتباههم بعدها كحال من يموت ثم يبعث
واذ يتنازعون متعلق باعثرنا اي اعثرناهم عليهم حين يتنازعون بينهم امر دينهم ويختلفون في
حقيقة البعث فكان بعضهم يقول تبعث الارواح دون الاجساد وبعضهم تبعث الاجساد مع
الارواح ليرتفع الاختلاف وليتبين ان الاجساد تبعث حية حساسة فيها ارواحها كما كانت
قبل الموت فقالوا حين توفى الله اصحاب الكهف ابنوا عليهم بنيانا اي على باب كهفهم لئلا يتطرق
اليهم الناس ضنا بتربتهم ومحافظة عليها كما حفظت تربة رسول الله صلى الله عليه وسلم بالحظيرة
قال الذين غلبوا على امرهم من المسلمين وملكهم وكانوا اولى بهم وبالبناء عليهم لنتخذن على باب الكهف
مسجدا يصلي فيه المسلمون ويتبركون بمكانهم وقيل اذ يتنازعون بينهم امرهم اي يتذاكر الناس
بينهم امر اصحاب الكهف ويتكلمون في قصتهم وما اظهر الله من الآية فيهم او يتنازعون بينهم تدبير
امرهم حين توفوا كيف يخفون مكانهم وكيف يسدون الطريق اليهم فقالوا ابنوا على باب
كهفهم بنيانا روي ان اهل الانجيل عظمت فيهم الخطايا وطغت ملوكهم حتى عبدوا الاصنام
واكرهوا على عبادتها وممن شدد في ذلك دقيانوس فاراد فتية من اشراف قومه على الشرك
وتوعدهم بالقتل فابوا الا الثبات على الايمان والتصلب فيه ثم هربوا الى الكهف ومروا
بكلب فتبعهم فطردوه فانطقه الله فقال ما تريدون مني انا احب احباء الله فناموا وانا احرسكم
وقيل مروا براع معه كلب فتبعهم على دينهم ودخلوا الكهف فكانوا يعبدون الله فيه ثم ضرب
الله على آذانهم وقبل ان يبعثهم الله ملك مدينتهم رجل صالح مؤمن وقد اختلف اهل مملكته
في البعث معترفين وجاحدين فدخل الملك بيته واغلق بابه ولبس مسحا وجلس على رماد
وسأل ربه ان يبين لهم الحق فالقى الله في نفس رجل من رعيانهم فهدم ما سد به فم الكهف ليتخذه
حظيرة لغنمه ولما دخل المدينة من بعثوه لابتياع الطعام واخرج الورق وكان من ضرب دقيانوس
اتهموه بانه وجد كنزا فذهبوا به الى الملك فقص عليه القصة فانطلق الملك واهل المدينة
معه وابصروهم وحمدوا الله على الآية الدالة على البعث ثم قالت الفتية للملك نستودعك
الله ونعيذك به من شر الجن والانس ثم رجعوا الى مضاجعهم وتوفى الله انفسهم فالقى الملك

عليهم ثيابه وامر فجعل لكل واحد تابوت من ذهب فرآهم في المنام كارهين للذهب فجعلها من الساج
وبنى على باب الكهف مسجدا. ربهم اعلم بهم من كلام المتنازعين كأنهم تذاكروا امرهم وتناقلوا الكلام
في انسابهم واحوالهم ومدة لبثهم فلما لم يهتدوا الى حقيقة ذلك قالوا ربهم اعلم بهم. او هو من
كلام الله عز وجل رد لقول الخائضين في حديثهم من اولئك المتنازعين او من الذين تنازعوا فيهم على
عهد رسول الله عليه السلام من اهل الكتاب سيقولون ثلاثة رابعهم كلبهم ويقولون خمسة
سادسهم كلبهم رجما بالغيب ويقولون سبعة وثامنهم كلبهم قل ربي اعلم بعدتهم ما يعلمهم
الا قليل فلا تمار فيهم الا مراء ظاهرا ولا تستفت فيهم منهم احدا. سيقولون الضمير
لمن خاض في قصتهم في زمن رسول الله عليه السلام من اهل الكتاب والمؤمنين سألوا رسول الله
صلى الله عليه وسلم عنهم فأخر الجواب الى ان يوحى اليه فيهم فنزلت اخبارا بما سيجري بينهم من
اختلافهم في عددهم وان المصيب منهم من يقول سبعة وثامنهم كلبهم. قال ابن عباس رضي الله
عنهما انا من اولئك القليل. روي ان السيد والعاقب واصحابهما من اهل نجران كانوا عند رسول
الله عليه السلام فجرى ذكر اصحاب الكهف فقال السيد وكان يعقوبيا كانوا ثلاثة رابعهم كلبهم
وقال العاقب وكان نسطوريا كانوا خمسة سادسهم كلبهم. وقال المسلمون كانوا سبعة وثامنهم
كلبهم فحقق الله قول المسلمين وانما عرفوا ذلك باخبار رسول الله عليه السلام عن لسان جبريل عليه
الصلوة والسلام. وعن علي بن ابي طالب رضي الله عنه هم سبعة نفر اسماؤهم يمليخا. ومكشلينيا.
ومشلينيا هؤلاء اصحاب يمين الملك وكان عن يساره. مرنوش. ودبرنوش. وشاذنوش وكان
يستشير هؤلاء الستة في امره والسابع الراعي الذي وافقهم حين هربوا من ملكهم دقيانوس واسم
مدينتهم افسوس واسم كلبهم قطمير. فان قلت لم جاء بسين الاستقبال في الاول دون الآخرين.
قلت فيه وجهان ان تدخل الآخرين في حكم السين كما تقول قد اكرم ونعم تريد معنى التوقع
في الفعلين جميعا وان تريد بيفعل معنى الاستقبال الذي هو صالح له. رجما بالغيب رميا بالخبر الخفي
واتيانا به كقوله تعالى ويقذفون بالغيب اي يأتون به او وضع الرجم موضع الظن فكأنه قيل ظنا
بالغيب لانهم اكثروا ان يقولوا رجم بالظن مكان قولهم ظن حتى لم يبق عندهم فرق بين العبارتين
الا ترى الى قول زهير. وما هو عنها بالحديث المرجم. اي المظنون. وقرئ ثلاث رابعهم بادغام
الثاء في التاء وثلاثة خبر مبتدأ محذوف اي هم ثلاثة وكذلك خمسة وسبعة ورابعهم كلبهم
جملة من مبتدأ وخبر واقعة صفة لثلاثة وكذلك سادسهم كلبهم وثامنهم كلبهم. فان قلت
فما هذه الواو الداخلة على الجملة الثالثة ولم دخلت عليها دون الاوليين. قلت هي الواو التي تدخل
على الجملة الواقعة صفة للنكرة كما تدخل على الجملة الواقعة حالا عن المعرفة في نحو قولك جاءني رجل ومعه
آخر ومررت بزيد وفي يده سيف. ومنه قوله عز وجل وما اهلكنا من قرية الا ولها كتاب معلوم
وفائدتها توكيد لصوق الصفة بالموصوف والدلالة على ان اتصافه بها امر ثابت مستقر وهذه الواو
هي التي آذنت بان الذين قالوا سبعة وثامنهم كلبهم قالوه عن ثبات علم وطمأنينة نفس ولم يرجموا
بالظن كما غيرهم والدليل عليه ان الله تعالى اتبع القولين الاولين قوله تعالى رجما بالغيب واتبع القول
الثالث قوله تعالى ما يعلمهم الا قليل. وقال ابن عباس رضي الله عنهما حين وقعت الواو انقطعت
العدة اي لم يبق بعدها عدة عاد يلتفت اليها وثبت انهم سبعة وثامنهم كلبهم على القطع والبتات

وبعض النحاة يسمون هذه الواو واو الثمانية لكن المحققين ابى

انتهى

وقيل لا يقبل من اهل الكتاب والضمير في سيقولون على هذا لاهل الكتاب خاصة اي سيقول اهل الكتاب فيهم
كذا وكذا ولا علم بذلك الا في قليل منهم واكثرهم على ظن وتخمين فلا تمار فيهم فلا تجادل اهل الكتاب في
شأن اصحاب الكهف الا جدالا ظاهرا غير متعمق فيه وهو ان تقص عليهم ما اوحى الله اليك فحسب ولا
تزيد من غير تجهيل لهم ولا تعنيف بهم في الرد عليهم كما قال الله تعالى وجادلهم بالتي هي احسن ولا تستفت
ولا تسأل احدا منهم عن قصتهم سؤال متعنت له حتى يقول شيئا فترده عليه وتزيف ما عنده لان
ذلك خلاف ما وصيت به من المداراة والمجاملة ولا سؤال مسترشد لان الله تعالى قد ارشدك
بان اوحى اليك قصتهم ولا تقولن لشيء اني فاعل ذلك غدا الا ان يشاء الله واذكر ربك اذا
نسيت وقل عسى ان يهدين ربي لاقرب من هذا رشدا. ولا تقولن لشيء لاجل شيء تعزم
عليه اني فاعل ذلك الشيء غدا اي فيما يستقبل من الزمان ولم يرد الغد خاصة الا ان يشاء الله
متعلق بالنهي لا بقوله اني فاعل لانه لو قال اني فاعل كذا الا ان يشاء الله كان معناه الا ان تعترض
مشيئة الله دون فعله وذلك مما لا مدخل فيه للنهي وتعلقه بالنهي على وجهين احدهما ولا
تقولن ذلك القول الا ان يشاء الله ان تقوله بان يأذن لك فيه. والثاني ولا تقولنه الا بان
يشاء الله اي الا بمشيئته وهو في موضع الحال يعني الا ملتبسا بمشيئة الله قائلا ان شاء الله وفيه
وجه ثالث وهو ان يكون ان شاء الله في معنى كلمة تأبيد كأنه قيل ولا تقولنه ابدا ونحوه قوله
تعالى وما كان لنا ان نعود فيها الا ان يشاء الله لان عودهم في ملتهم مما لن يشاء الله وهذا
نهي تأديب من الله لنبيه حين قالت اليهود لقريش سلوه عن الروح وعن اصحاب الكهف وذي القرنين
فسألوه فقال ائتوني غدا اخبركم ولم يستثن فابطأ عليه الوحي حتى شق عليه وكذبته قريش
واذكر ربك اي مشيئة ربك وقل ان شاء الله اذا فرطت منك نسيان لذلك والمعنى اذا نسيت كلمة
الاستثناء ثم تنبهت عليها فتداركها بالذكر. وعن ابن عباس رضي الله عنه ولو بعد سنة ما لم تحنث
وعن سعيد بن جبير رضي الله عنه ولو بعد يوم او اسبوع او شهر او سنة. وعن طاوس هو على ثنياه
ما دام في مجلسه. وعن الحسن رحمة الله عليه نحوه. وعن عطاء يستثني على مقدار حلب ناقة غزيرة
وعند عامة الفقهاء انه لا اثر له في الاحكام ما لم يكن موصولا. ويحكى انه بلغ المنصور ان ابا
حنيفة خالف ابن عباس في الاستثناء المنفصل فاستحضره لينكر عليه فقال له ابو حنيفة رحمة الله
عليه هذا يرجع عليك انك تأخذ البيعة بالايمان افترضى ان يخرجوا من عندك فيستثنوا فيخرجوا
عليك فاستحسن كلامه ورضي عنه. ويجوز ان يكون المعنى واذكر ربك بالتسبيح والاستغفار اذا
نسيت كلمة الاستثناء تشديدا في البعث على الاهتمام بها. وقيل واذكر ربك اذا تركت بعض ما امرك
به. وقيل واذكره اذا اعتراك النسيان ليذكرك المنسي وقد حمل على اداء الصلوة المنسية
عند ذكرها وهذا اشارة الى نبأ اصحاب الكهف ومعناه لعل الله يؤتيني من البينات والحجج على اني
نبي صادق ما هو اعظم في الدلالة واقرب رشدا من نبأ اصحاب الكهف وقد فعل ذلك حيث
آتاه من قصص الانبياء والاخبار بالغيوب ما هو اعظم من ذلك وادل والظاهر ان يكون المعنى
اذا نسيت شيئا فاذكر ربك وذكر ربك عند نسيانه ان تقول عسى ربي ان يهديني لشيء آخر بدل
هذا المنسي اقرب منه رشدا وادنى خيرا ومنفعة ولعل النسيان كان خيرة كقوله تعالى او ننسها
نأت بخير منها ولبثوا في كهفهم ثلاث مائة سنين وازدادوا تسعا قل الله اعلم بما لبثوا له غيب

حكاية منصور الدوانقي مع ابي ح

السموات والارض ابصر به واسمع ما لهم من دونه من ولي ولا يشرك في حكمه احدا ولبثوا
في كهفهم ثلثمائة سنين يريد لبثهم فيه احياء مضروبا على آذانهم هذه المدة وهو بيان لما اجمل في قوله
تعالى فضربنا على آذانهم في الكهف سنين عددا ومعنى قوله قل الله اعلم بما لبثوا انه اعلم من الذين
اختلفوا فيهم بمدة لبثهم والحق ما اخبرك به وعن قتادة انه حكاية لكلام اهل الكتاب وقل
الله اعلم رد عليهم وقال في حرف عبد الله وقالوا لبثوا وسنين عطف بيان لثلثمائة وقرئ
ثلثمائة سنين بالاضافة على وضع الجمع موضع الواحد في التمييز كقوله تعالى بالاخسرين اعمالا
وفي قراءة ابي ثلثمائة سنة تسعا تسع سنين لان ما قبله يدل عليه ثم ذكر اختصاصه بما غاب في
السموات والارض وخفي فيها من احوال اهلها ومن غيرها وانه هو وحده العالم به وجاء بما دل
على التعجب من ادراكه المسموعات والمبصرات للدلالة على ان امره في الادراك خارج عن حد ما
عليه ادراك السامعين والمبصرين لانه يدرك الطف الاشياء واصغرها كما يدرك اكبرها حجما
واكثفها جرما ويدرك البواطن كما يدرك الظواهر ما لهم الضمير لاهل السموات والارض من
دونه من ولي يتولى امورهم ولا يشرك في حكمه في قضائه احدا منهم وقرا الحسن ولا تشرك بالتاء والجزم
على النهي واتل ما اوحي اليك من كتاب ربك لا مبدل لكلماته ولن تجد من دونه ملتحدا كانوا
يقولون له ائت بقرآن غير هذا او بدله فقيل له واتل ما اوحي اليك من القرآن ولا تسمع لما يهذون
به من طلب التبديل فلا مبدل لكلمات ربك اي لا يقدر احد على تبديلها وتغييرها انما يقدر على ذلك
هو وحده واذا بدلنا اية مكان اية ولن تجد من دونه ملتحدا ملتجأ تعدل اليه ان هممت بذلك
واصبر نفسك مع الذين يدعون ربهم بالغداة والعشي يريدون وجهه ولا تعد عيناك
عنهم تريد زينة الحيوة الدنيا ولا تطع من اغفلنا قلبه عن ذكرنا واتبع هواه وكان
امره فرطا قال قوم من رؤساء الكفرة لرسول الله عليه السلام نح هؤلاء الموالي الذين كان ريحهم
ريح الضان وهم صهيب وعمار وخباب وغيرهم من فقراء المسلمين حتى نجالسك كما قال قوم نوح عليه
السلام انؤمن لك واتبعك الارذلون فنزلت واصبر نفسك واحبسها معهم وثبتها قال ابو
ذؤيب فصبرت عارفة لذلك حرة ترسو اذا نفس الجبان تطلع بالغداة والعشي دائبين على
الدعاء في كل وقت وقيل المراد صلوة الفجر والعصر وقرئ بالغدوة وبالغداة اجود
لان غدوة علم في اكثر الاستعمال وادخال اللام على تأويل التنكير كما قال والزيد زيد المعارك
ونحوه قليل في كلامهم يقال عداه اذا جاوزه ومنه قولهم عدا طوره وجاءني القوم عدا زيدا
وانما عدي بعن لتضمين عدا معنى نبا وعلا في قولك نبت عنه عينه وعلت عنه عينه اذا اقتحمته
ولم تعلق به فان قلت اي غرض في هذا التضمين وهلا قيل ولا تعدهم عيناك او ولا تعل عيناك
عنهم قلت الغرض فيه اعطاء مجموع معنيين وذلك اقوى من اعطاء معنى فذ الا ترى كيف رجع
المعنى الى قولك ولا تقتحمهم عيناك مجاوزتين الى غيرهم ونحوه قوله عز وجل ولا تاكلوا اموالهم
الى اموالكم اي ولا تضموها اليها اكلين لها وقرئ ولا تعد عينيك ولا تعد عينيك من اعداه
وعداه نقلا بالهمزة وتثقيل الحشو ومنه قوله فعد عما ترى اذ لا ارتجاع له لان معناه فعد همك
عما ترى نهى رسول الله عليه السلام ان يزدري بفقراء المؤمنين وان تنبو عينه عن رثاثة زيهم
طموحا الى زي الاغنياء وحسن شارتهم تريد زينة الحيوة الدنيا في موضع الحال من اغفلنا قلبه من

جعلنا

جعلنا قلبه غافلا عن الذكر بالخذلان او وجدناه غافلا عنه كقولك اجبنته وافحمته وابخلته اذا وجدته
كذلك او من اغفل ابله اذا تركها بغير سمة اي لم نسمه بالذكر ولم نجعلهم من الذين كتبنا في قلوبهم
الايمان وقد ابطل الله توهم المجبرة بقوله تعالى واتبع هواه وقرئ اغفلنا قلبه اسناد الفعل
الى القلب على معنى حسبنا قلبه غافلين من اغفلته اذا وجدته غافلا وكان امره فرطا متقدما للحق والصواب
نابذا له وراء ظهره من قولهم فرس فرط متقدم للخيل وقل الحق من ربكم فمن شاء فليؤمن ومن
شاء فليكفر انا اعتدنا للظالمين نارا احاط بهم سرادقها وان يستغيثوا يغاثوا بماء
كالمهل يشوي الوجوه بئس الشراب وساءت مرتفقا وقل الحق من ربكم الحق خبر مبتدأ
محذوف والمعنى جاء الحق وزاحت العلل فلم يبق الا اختياركم لانفسكم ما شئتم من الاخذ في طريق
النجاة او في طريق الهلاك وجيء بلفظ الامر والتخيير لانه لما مكن من اختيار ايهما شاء فكانه مخير
مامور بان يتخير ما شاء من النجدين شبه ما يحيط بهم من النار بالسرادق وهي الحجرة التي تكون حول
الفسطاط وبيت مسردق ذو سرادق وقيل هو دخان يحيط بالكفار قبل دخولهم النار وقيل حائط
من نار يطيف بهم يغاثوا بماء كالمهل كقوله فاعتبوا بالصيلم وفيه تهكم والمهل ما اذيب
من جواهر الارض وقيل دردي الزيت يشوي الوجوه اذا قدم ليشرب انشوى الوجه من حرارته عن
النبي صلى الله عليه وسلم هو كعكر الزيت فاذا قرب اليه سقطت فروة وجهه بئس الشراب ذلك
وساءت النار مرتفقا متكأ من المرفق وهذا لمشاكلة قوله تعالى وحسنت مرتفقا والا فلا ارتفاق
لاهل النار ولا اتكاء الا ان يكون من قوله اني ارقت فبت الليل مرتفقا كان عيني فيها الصاب مذبوح
ان الذين امنوا وعملوا الصالحات انا لا نضيع اجر من احسن عملا اولئك لهم جنات عدن
تجري من تحتهم الانهار يحلون فيها من اساور من ذهب ويلبسون ثيابا خضرا من سندس
واستبرق متكئين فيها على الارائك نعم الثواب وحسنت مرتفقا اولئك خبر ان
وانا لا نضيع اعتراض ولك ان تجعل انا لا نضيع واولئك خبرين معا او تجعل اولئك كلاما مستأنفا
بيانا للاجر المبهم فان قلت اذا جعلت انا لا نضيع خبرا فاين الضمير الراجع منه الى المبتدأ
من احسن عملا والذين امنوا وعملوا الصالحات ينتظمهما معنى واحد فقام من احسن مقام
الضمير او اردت من احسن عملا منهم فكان كقولك السمن منوان بدرهم من الاولى للابتداء والثانية
للتبيين وتنكير اساور لابهام امرها في الحسن وجمع بين السندس وهو ما رق من الديباج
وبين الاستبرق وهو الغليظ منه جمعا بين النوعين وخص الاتكاء لانه هيئة المتنعمين والملوك
على اسرتهم واضرب لهم مثلا رجلين جعلنا لاحدهما جنتين من اعناب وحففناهما بنخل
وجعلنا بينهما زرعا كلتا الجنتين اتت اكلها ولم تظلم منه شيئا وفجرنا خلالهما نهرا
وكان له ثمر فقال لصاحبه وهو يحاوره انا اكثر منك مالا واعز نفرا ودخل جنته
وهو ظالم لنفسه قال ما اظن ان تبيد هذه ابدا وما اظن الساعة قائمة ولئن رددت
الى ربي لاجدن خيرا منها منقلبا واضرب لهم مثلا رجلين اي ومثل حال الكافرين والمؤمنين
بحال رجلين وكانا اخوين في بني اسرائيل احدهما كافر اسمه قطروس والاخر مؤمن مسلم اسمه يهوذا وقيل
هما المذكوران في سورة الصافات في قوله تعالى قال قائل منهم اني كان لي قرين ورثا من ابيهما
ثمانية الاف دينار فتشاطراها فاشترى الكافر ارضا بالف دينار فقال المؤمن اللهم ان اخي اشترى

ارضا بالف دينار وانا اشترى منك ارضا في الجنة بالف فتصدق به ثم بنى اخوه دارا بالف فقال اللهم
انى اشترى منك دارا في الجنة بالف فتصدق به ثم تزوج اخوه امراة بالف فقال اللهم انى
جعلت الفا صداقا للحور ثم اشترى اخوه خدما ومتاعا بالف فقال اللهم انى اشتريت منك الو
الولدان المخلدين بالف فتصدق به ثم اصابته حاجة فجلس لاخيه على طريقه فمر به في حشمه
فتعرض له فطرده ووبخه على التصدق بماله وقيل هما مثل لاخوين من بني مخزوم مومن وهو
ابو سلمة عبد الله بن عبد الاشد وكان زوج ام سلمة قبل رسول الله صلى الله عليه وسلم وكافر
وهو الاسود بن عبد الاشد جنتين من اعناب بستانين من كروم وحففناهما بنخل وجعلنا النخل
محيطا بالجنتين وهذا مما يوثره الدهاقين في كرومهم ان يجعلوها موزرة بالاشجار المثمرة يقال
حفوه اذا اطافوا به وحففته بهم اى جعلتهم حافين حوله وهو متعد الى مفعول واحد فتزيد الباء
مفعولا ثانيا كقولك غشيه وغشيته به وجعلنا بينهما زرعا جعلناها ارضا جامعة للاقوات
والفواكه ووصف العمارة بانها متواصلة متشابكة لم يتوسطها ما يقطعها ويفصل بينها مع
الشكل الحسن والترتيب الانيق ونعتهما بوفاء الثمار وتمام الاكل من غير نقص ثم بما هو اصل الخير
ومادته من امر الشرب فجعله افضل ما يسقى به وهو السيح بالنهر الجاري فيها والاكل الثمر وقرئ
بضم الكاف ولم تظلم ولم تنقص وآتت حمل على اللفظ لان كلتا لفظه لفظ مفرد ولو قيل آتتا
على المعنى لجاز وقرئ وفجرنا على التخفيف وقرأ عبد الله كل الجنتين اتى اكله برد الضمير على كل
وكان له ثمر انواع من المال من ثمر ماله اذا كثره وعن مجاهد الذهب والفضة اى كانت له
الى الجنتين الموصوفتين الاموال الدثرة من الذهب والفضة وغيرهما فكان وافر اليسار من
كل وجه متمكنا من عمارة الارض كيف شاء واعز نفرا يعني انصارا وحشما وقيل اولادا ذكورا
لانهم ينفرون معه دون الاناث يحاوره يراجعه الكلام من حار يحور اذا رجع وسائله فما اخا
كله يعني قطروس اخذ بيد اخيه المسلم يطوف به في الجنتين ويريه ما فيهما ويعجبه منهما ويفاخره
بما ملك من المال دونه فان قلت لم افرد الجنة بعد التثنية [illegible] معناه ودخل ما هو
جنته ما له جنة غيرها يعني انه لا نصيب له في الجنة التي وعد المومنون فما ملكه في الدنيا هو جنته
لا غير ولم يقصد الجنتين ولا واحدة منهما وهو ظالم لنفسه وهو معجب بما اوتي مفتخر به كافر
لنعمة ربه معرض بذلك نفسه لسخط الله وهو افحش الظلم اخباره عن نفسه بالشك في بيدودة
جنته لطول امله واستيلاء الحرص عليه وتمادي غفلته واغتراره بالمهلة واطراحه النظر في
عواقب امثاله وترى اكثر الاغنياء من المسلمين وان لم يطلقوا بنحو هذا السنتهم فان السنة
احوالهم ناطقة به منادية عليه ولئن رددت الى ربي قسما منه على انه ان رد الى ربه على سبيل
الفرض والتقدير وكما يزعم صاحبه ليجدن في الاخرة خيرا من جنته في الدنيا تطمعا وتمنيا
على الله وادعاء لكرامته على الله ومكانته عنده وانه ما اولاه الجنتين الا لاستحقاقه واستيهاله عليه
وان معه هذا الاستحقاق اين توجه كقوله تعالى ان لي عنده للحسنى لاوتين مالا وولدا
وقرئ خيرا منهما ردا على الجنتين منقلبا مرجعا وعاقبة وانتصابه على التمييز اى منقلب
تلك خير من منقلب هذه لانها فانية وتلك باقية قال له صاحبه وهو يحاوره اكفرت
بالذي خلقك من تراب ثم من نطفة ثم سواك رجلا لكنا هو الله ربي ولا اشرك

بربي احدا ولولا اذ دخلت جنتك قلت ما شاء الله لا قوة الا بالله ان ترن انا اقل منك مالا
وولدا فعسى ربي ان يوتين خيرا من جنتك ويرسل عليها حسبانا من السماء فتصبح صعيدا زلقا
او يصبح ماؤها غورا فلن تستطيع له طلبا واحيط بثمره فاصبح يقلب كفيه على ما انفق فيها
وهي خاوية على عروشها ويقول يا ليتني لم اشرك بربي احدا ولم تكن له فئة ينصرونه
من دون الله وما كان منتصرا خلقك من تراب اى خلق اصلك لان خلق اصله سبب في خلقه فكان
خلقه خلقا له سواك عدلك وكملك انسانا ذكرا بالغا مبلغ الرجال جعله كافرا بالله جاحدا لانعمه
لشكه في البعث كما يكون المكذب بالرسول كافرا لكنا هو الله ربي اصله لكن انا فحذفت الهمزة والقيت
حركتها على نون لكن فتلاقت النونان فكان الادغام ونحوه قول القائل
وترمينني بالطرف اى انت مذنب • وتقلينني لكن اياك لا اقلي • اى لكن انا لا اقليك وهو
ضمير الشان والشان الله ربي والجملة خبر انا والراجع منها اليه ياء الضمير وقرأ ابن عامر
باثبات الف انا في الوصل والوقف جميعا وحسن ذلك وقوع الالف عوضا من حذف الهمزة
وغيره لا يثبتها الا في الوقف وعن ابي عمرو انه وقف بالهاء لكنه وقرئ لكن هو الله ربي بسكون
النون وطرح انا وقرأ ابي بن كعب لكن انا على الاصل وفي قراءة عبد الله لكن انا لا اله الا هو
ربي فان قلت هو استدراك لماذا [illegible] لقوله اكفرت قال لاخيه انت كافر بالله لكني
مومن موحد كما تقول زيد غائب لكن عمرا حاضر ما شاء الله يجوز ان تكون ما موصولة مرفوعة
المحل على انها خبر مبتدأ محذوف تقديره الامر ما شاء الله او شرطية منصوبة الموضع
والجزاء محذوف بمعنى اى شيء شاء الله كان ونظيرها في حذف الجواب لو في قوله تعالى ولو ان قرانا
سيرت به الجبال والمعنى هلا قلت عند دخولها والنظر الى ما رزقك الله منها الامر ما شاء الله
اعترافا بانها وكل خير فيها انما حصل بمشيئة الله وفضله وان امرها بيده ان شاء تركها عامرة
وان شاء خربها وقلت لا قوة الا بالله اقرارا بان ما قويت به على عمارتها وتدبير امرها هو بمعونته له
وتاييده اذ لا يقوى احد في بدنه ولا في ملك يده الا بالله وعن عروة بن الزبير انه كان يثلم
حائطه ايام الرطب فيدخل من شاء وكان اذا دخله ردد هذه الآية حتى يخرج من قرأ انا اقل
بالنصب فقد جعل انا فصلا ومن رفع جعله مبتدأ واقل خبره والجملة مفعولا ثانيا لترني
وفي قوله وولدا نصرة لمن فسر النفر بالاولاد في قوله تعالى واعز نفرا والمعنى ان ترني افقر
منك فانا اتوقع من صنع الله ان يقلب ما بي وما بك من الفقر والغنى فيرزقني لايماني جنة خيرا
من جنتك ويسلبك لكفرك نعمته ويخرب بستانك والحسبان مصدر كالغفران والبطلان
بمعنى الحساب اى مقدارا قدره الله وحسبه وهو الحكم بتخريبها وقال الزجاج عذاب حسبان
وذلك الحسبان حساب ما كسبت يداك وقيل حسبانا مرامي الواحدة حسبانة وهي الصواعق
صعيدا زلقا ارضا بيضاء يزلق عليها لملاستها زلقا وغورا كلاهما وصف بالمصدر واحيط به
عبارة عن اهلاكه واصله من احاط به العدو لانه اذا احاط به فقد ملكه واستولى عليه
ثم استعمل في كل اهلاك ومنه قوله تعالى الا ان يحاط بكم ومثله قولهم اتى عليه اذا اهلكه
من اتى عليهم العدو اذا جاءهم مستعليا عليهم وتقليب الكفين كناية عن الندم والتحسر لان النادم
يقلب كفيه ظهرا لبطن كما كنى عن ذلك بعض الكف والسقوط في اليد ولانه في معنى الندم

عدى تقليبه بعلى كأنه قيل فأصبح يندم على ما أنفق فيها أي تنفق في عمارتها وهي خاوية على عروشها
يعني أن كرومها المعروشة سقطت عروشها على الأرض وسقطت فوقها الكروم • وقيل أرسل
الله عليها نارا فأكلتها • يا ليتني تذكر موعظة أخيه فعلم أنه أتي من جهة شركه وطغيانه فتمنى
لو لم يكن مشركا حتى لا يهلك الله بستانه • ويجوز أن يكون توبة من الشرك وندما على ما كان
منه ودخولا في الإيمان • وقرئ ولم تكن بالياء والتاء وحمل ينصرونه على المعنى دون اللفظ
كقوله عز وجل فئة تقاتل في سبيل الله وأخرى كافرة • فإن قلت ما معنى قوله ينصرونه من
دون الله معناه يقدرون على نصرته من دون الله أي هو وحده القادر على نصرته
لا يقدر أحد غيره أن ينصره إلا أنه لم ينصره لصارف وهو استيجابه أن يخذل • وما كان منتصرا
وما كان ممتنعا بقوته عن انتقام الله • الولاية بالفتح النصرة والتولي وبالكسر السلطان والملك
وقد قرئ بهما والمعنى هنالك أي في ذلك المقام وتلك الحال النصرة لله وحده لا يملكها غيره
ولا يستطيعها أحد سواه تقريرا لقوله ولم تكن له فئة ينصرونه من دون الله • أو هنالك
السلطان والملك لله لا يغلب ولا يمتنع منه أو في مثل تلك الحال الشديدة يتولى الله ويؤمن به كل
مضطر يعني أن قوله يا ليتني لم أشرك بربي أحدا كلمة ألجئ إليها فقالها جزعا مما دهاه من شؤم
كفره ولولا ذلك لم يقلها • ويجوز أن يكون المعنى هنالك الولاية لله ينصر فيها أولياءه المؤمنين
على الكفرة وينتقم لهم ويشفي صدورهم من أعدائهم يعني أنه نصر فيما فعل بالكافر أخاه المؤمن
وصدق قوله عسى ربي أن يؤتين خيرا من جنتك ويرسل عليها حسبانا من السماء ويعضده
قوله هو خير ثوابا وخير عقبا أي لأوليائه • وقيل هنالك إشارة إلى الآخرة أي في تلك الدار
الولاية لله كقوله تعالى لمن الملك اليوم • وقرئ الحق بالرفع والجر صفة للولاية ولله • وقرأ
عمرو بن عبيد بالنصب على التأكيد كقولك هذا عبد الله الحق لا الباطل وهي قراءة حسنة فصيحة
وكان عمرو بن عبيد من أفصح الناس وأنصحهم • وقرئ عقبا بضم القاف وسكونها • وعقبى
على فعلى وكلها بمعنى العاقبة • هنالك الولاية لله الحق هو خير ثوابا وخير عقبا • واضرب
لهم مثل الحيوة الدنيا كماء أنزلناه من السماء فاختلط به نبات الأرض فأصبح هشيما
تذروه الرياح وكان الله على كل شيء مقتدرا • المال والبنون زينة الحيوة الدنيا
والباقيات الصالحات خير عند ربك ثوابا وخير أملا • فالتف بسببه وتكاثف حتى فالتف
خالط بعضه بعضا • وقيل نجع في النبات الماء فاختلط به حتى روي ورف رفيفا وكان حق اللفظ
على هذا التفسير فاختلط بنبات الأرض ووجه صحته أن كل مختلطين موصوف كل واحد منهما
بصفة صاحبه • والهشيم ما تهشم وتحطم الواحدة هشيمة • وقرئ تذروه الريح وعن
ابن عباس رضي الله عنهما تذريه الرياح من أذرى شبه حال الدنيا في نضرتها وبهجتها وما
يتعقبها من الهلاك والفناء بحال النبات يكون أخضر وارفا ثم يهيج فتطيره الرياح كأن لم
يكن • وكان الله على كل شيء من الإنشاء والإفناء مقتدرا • الباقيات الصالحات أعمال الخير
التي تبقى ثمرتها للإنسان ويبقى عنه كل ما تطمح إليه نفسه من حظوظ الدنيا • وقيل هي الصلوات
الخمس • وقيل سبحان الله والحمد لله ولا إله إلا الله والله أكبر • وعن قتادة كل ما أريد به وجه
الله • خير ثوابا أي ما يتعلق بها من الثواب وما يتعلق بها من الأمل لأن صاحبها يأمل في الدنيا

ثواب

ثواب الله ويصيبه في الآخرة • ويوم نسير الجبال وترى الأرض بارزة وحشرناهم فلم نغادر
منهم أحدا • وعرضوا على ربك صفا لقد جئتمونا كما خلقناكم أول مرة بل زعمتم ألن نجعل لكم صفا
موعدا • ووضع الكتاب فترى المجرمين مشفقين مما فيه ويقولون يا ويلتنا مال هذا
الكتاب لا يغادر صغيرة ولا كبيرة إلا أحصاها ووجدوا ما عملوا حاضرا ولا يظلم
ربك أحدا • قرئ نسير من سيرت وتسير من سارت أي تسير في الجو أو يذهب
بها بأن تجعل هباء منبثا • وقرئ وترى الأرض على البناء للمفعول • بارزة ليس عليها ما يسترها
مما كان عليها • وحشرناهم وجمعناهم إلى الموقف • وقرئ فلم نغادر بالنون والياء يقال غادره
وأغدره إذا تركه • ومنه الغدر ترك الوفاء والغدير ما غادره السيل • شبهت حالهم بحال الجند
المعروضين على السلطان • صفا مصطفين ظاهرين ترى جماعتهم كما يرى كل واحد لا يحجب أحد أحدا
لقد جئتمونا أي قلنا لهم لقد جئتمونا وهذا المضمر هو عامل النصب في يوم نسير • ويجوز أن ينصب
بإضمار اذكر والمعنى لقد بعثناكم كما أنشأناكم أول مرة • وقيل جئتمونا عراة لا شيء معكم كما خلقناكم كم
أولا كقوله تعالى ولقد جئتمونا فرادى • فإن قلت لم جيء بحشرناهم ماضيا بعد نسير وترى
للدلالة على أن حشرهم قبل التسيير وقبل البروز ليعاينوا تلك الأهوال والعظائم
كأنه قيل وحشرناهم قبل ذلك • موعدا وقتا لإنجاز ما وعدتم على ألسنة الأنبياء من البعث والنشور
الكتاب للجنس وهو صحف الأعمال • يا ويلتنا ينادون هلكتهم التي هلكوها خاصة من بين الهلكات
صغيرة ولا كبيرة هنة صغيرة ولا كبيرة وهي عبارة عن الإحاطة يعني لا يترك شيئا من المعاصي إلا
أحصاها أي أحصاها كلها كما تقول ما أعطاني قليلا ولا كثيرا لأن الأشياء إما صغار وإما كبار
ويجوز أن يريد وإما كان عندهم صغائر وكبائر • وقيل لم يجتنبوا الكبائر فكتبت عليهم الصغائر
وهي المناقشة • وعن ابن عباس رضي الله عنهما الصغيرة التبسم والكبيرة القهقهة • وعن سعيد
ابن جبير الصغيرة المسيس والكبيرة الزنى • وعن الفضيل كان إذا قرأها قال ضجوا والله من الصغا ير
قبل الكبائر • إلا أحصاها إلا ضبطها وحصرها • ووجدوا ما عملوا حاضرا في الصحف عتيدا أو جزاء
ما عملوا • ولا يظلم ربك أحدا فيكتب عليه ما لم يعمل أو يزيد في عقابه المستحق أو يعذبه بغير جرم
كما يزعم من ظلم الله في تعذيب أطفال المشركين بذنوب آبائهم • وإذ قلنا للملائكة اسجدوا
لآدم فسجدوا إلا إبليس كان من الجن ففسق عن أمر ربه أفتتخذونه وذريته أولياء من
دوني وهم لكم عدو بئس للظالمين بدلا • كان من الجن كلام مستأنف جار مجرى التعليل
بعد استثناء إبليس من الساجدين كأن قائلا قال ما له لم يسجد فقيل كان من الجن ففسق عن أمر ربه
والفاء للتسبيب أيضا جعل كونه من الجن سببا في فسقه يعني أنه لو كان ملكا كسائر من سجد لآدم لم يفسق
عن أمر الله لأن الملائكة معصومون البتة لا يجوز عليهم ما يجوز على الجن والإنس كما قال تعالى لا
يسبقونه بالقول وهم بأمره يعملون وهذا الكلام المعترض تعمد من الله تعالى لصيانة الملائكة
عن وقوع شبهة في عصمتهم فما أبعد البون بين ما تعمده الله وبين قول من ضاده وزعم أنه
كان ملكا ورئيسا على الملائكة فعصى فلعن ومسخ شيطانا ثم وركه على ابن عباس • ومعنى فسق عن
أمر ربه خرج عما أمره به ربه من السجود • قال فواسقا عن قصدها جوائرا • أو صار فاسقا كافرا
بسبب أمر ربه الذي هو قوله تعالى اسجدوا لآدم • أفتتخذونه الهمزة للإنكار والتعجب كأنه قيل

أعقب ما وجد منه تتخذونه وذريته أولياء من دوني وتستبدلونهم بي. بئس البدل من الله تعالى إبليس
لمن استبدله فأطاعه بدل طاعته. ما أشهدتهم خلق السموات والأرض ولا خلق أنفسهم
وما كنت متخذ المضلين عضدا. ويوم يقول نادوا شركائي الذين زعمتم فدعوهم فلم
يستجيبوا لهم وجعلنا بينهم موبقا. ما أشهدتهم وقرئ ما أشهدناهم يعني أنكم اتخذتموهم
شركاء لي في العبادة وإنما يكونون شركاء فيها لو كانوا شركاء في الإلهية فنفى مشاركتهم في الإلهية
بقوله تعالى ما أشهدتهم خلق السموات والأرض لأعتضد بهم في خلقها ولا خلق أنفسهم أي ولا أشهدت
بعضهم خلق بعض كقوله عز وجل ولا تقتلوا أنفسكم. وما كنت متخذ المضلين يعني وما كنت متخذهم
عضدا أي أعوانا فوضع المضلين موضع الضمير ذما لهم بالإضلال فإذا لم يكونوا عضدا لي في الخلق
فما لكم تتخذونهم شركاء لي في العبادة. وقرئ وما كنت بالفتح الخطاب لرسول الله صلى الله عليه
وسلم والمعنى وما صح لك الاعتضاد بهم وما ينبغي لك أن تعتز بهم. وقرأ علي بن أبي طالب رضي الله عنه
متخذا المضلين بالتنوين على الأصل. وقرأ الحسن رحمه الله عضدا بسكون العين ونقل ضمتها إلى الفاء
وقرئ عضدا بالفتح وسكون العين. وعضدا بضمتين. وعضدا بفتحتين جمع عاضد كخادم وخدم
وراصد ورصد من عضده إذا قواه وأعانه. يقول بالياء والنون وإضافة الشركاء إليه على زعمهم
توبيخا لهم وأراد الجن والموبق المهلك من وبق يبق وبوقا ووبق يوبق وبقا إذا هلك وأوبقه
غيره ويجوز أن يكون مصدرا كالمورد والموعد يعني وجعلنا بينهم واديا من أودية جهنم هو مكان
الهلاك والعذاب الشديد مشتركا يهلكون فيه جميعا وعن الحسن رحمة الله عليه موبقا عداوة
والمعنى عداوة هي في شدتها هلاك كقوله لا يكن حبك كلفا ولا بغضك تلفا. وقال الفراء البين
الوصل أي جعلنا تواصلهم في الدنيا هلاكا يوم القيامة. ويجوز أن يريد الملائكة وعزيرا وعيسى بن مريم
عليهم السلام وبالموبق البرزخ البعيد أي وجعلنا بينهم أمدا بعيدا تهلك فيه الأشواط لفرط
بعده لأنهم في قعر جهنم وهم في أعلى الجنان ورأى المجرمون النار فظنوا أنهم مواقعوها ولم
يجدوا عنها مصرفا. ولقد صرفنا في هذا القرآن للناس من كل مثل وكان الإنسان
أكثر شيء جدلا. فظنوا فأيقنوا مواقعوها مخالطوها واقعون فيها. مصرفا معدلا قال
أزهير هل عن شيبة من مصرف. أكثر شيء جدلا أكثر الأشياء التي يتأتى منها الجدل إن فصلتها
واحدا بعد واحد خصومة ومماراة بالباطل وانتصاب جدلا على التمييز يعني أن جدل الإنسان
أكثر من جدل كل شيء ونحوه فإذا هو خصيم مبين. وما منع الناس أن يؤمنوا إذ جاءهم الهدى
ويستغفروا ربهم إلا أن تأتيهم سنة الأولين أو يأتيهم العذاب قبلا. أن الأولى نصب
والثانية رفع وقبلها مضاف محذوف تقديره وما منع الناس الإيمان والاستغفار إلا انتظار
أن تأتيهم سنة الأولين وهي الإهلاك أو انتظار أن يأتيهم العذاب يعني عذاب الآخرة. قبلا عيانا
وقرئ قبلا كوفي جمع قبيل. وقبلا بفتحتين مستقبلا. وما نرسل المرسلين إلا مبشرين
ومنذرين ويجادل الذين كفروا بالباطل ليدحضوا به الحق واتخذوا آياتي وما أنذروا
هزوا. ليدحضوا ليزيلوا ويبطلوا من إدحاض القدم وهو إزلاقها وإزالتها عن موطئها وما
أنذروا يجوز أن تكون ما موصولة ويكون الراجع من الصلة محذوفا أي وما أنذروه من العقاب
أو مصدرية بمعنى وإنذارهم. وقرئ هزؤا بالسكون أي اتخذوها موضع استهزاء وجادلهم

قولهم للرسل ما أنتم إلا بشر مثلنا ولو شاء الله لأنزل ملائكة وما أشبه ذلك. بآيات ربه بالقرآن ولذلك
رجع إليها الضمير مذكرا في قوله أن يفقهوه. ومن أظلم ممن ذكر بآيات ربه فأعرض عنها ونسي ما
قدمت يداه إنا جعلنا على قلوبهم أكنة أن يفقهوه وفي آذانهم وقرا وإن تدعهم إلى الهدى فلن
يهتدوا إذا أبدا. وربك الغفور ذو الرحمة لو يؤاخذهم بما كسبوا لعجل لهم العذاب بل
لهم موعد لن يجدوا من دونه موئلا. فأعرض عنها فلم يتذكر حين ذكر ولم يتدبر ونسي عاقبة
ما قدمت يداه من الكفر والمعاصي غير متفكر فيها ولا ناظر في أن المسيء والمحسن لا بد لهما من جزاء ثم
علل إعراضهم ونسيانهم بأنهم مطبوع على قلوبهم وجمع بعد الإفراد حملا على لفظ من ومعناه. فلن
يهتدوا فلا يكون منهم اهتداء البتة كأنه محال منهم لشدة تصميمهم أبدا مدة التكليف كلها. وإذا
جزاء وجواب فدل على انتفاء اهتدائهم لدعوة الرسول بمعنى أنهم جعلوا ما يجب أن يكون سبب وجود
الاهتداء سببا في انتفائه وعلى أنه جواب للرسول على تقدير قوله ما لي لا أدعوهم حرصا على إسلامهم
فقيل وإن تدعهم إلى الهدى فلن يهتدوا. الغفور البليغ المغفرة ذو الرحمة الموصوف بالرحمة
ثم استشهد على ذلك بترك مؤاخذة أهل مكة عاجلا من غير إمهال مع إفراطهم في عداوة رسول
الله عليه السلام. بل لهم موعد وهو يوم بدر لن يجدوا من دونه موئلا منجا ولا ملجأ يقال وأل إذا
نجا ووأل إليه إذا لجأ إليه. وتلك القرى أهلكناهم لما ظلموا وجعلنا لمهلكهم موعدا. وتلك
القرى يريد قرى الأولين من ثمود وقوم لوط وغيرهم أشار لها ليعتبروا. وتلك مبتدأ والقرى
صفة لأن أسماء الإشارة توصف بأسماء الأجناس وأهلكناهم خبر. ويجوز أن يكون تلك القرى
نصبا بإضمار أهلكنا على شريطة التفسير والمعنى وتلك أصحاب القرى أهلكناهم لما ظلموا مثل
ظلم أهل مكة وجعلنا لمهلكهم موعدا وضربنا لإهلاكهم وقتا معلوما لا يتأخرون عنه كما ضربنا
لأهل مكة يوم بدر والمهلك الإهلاك ووقته. وقرئ لمهلكهم بفتح الميم واللام مفتوحة
أو مكسورة أي لهلاكهم أو وقت هلاكهم والموعد وقت أو مصدر. وإذ قال موسى لفتاه لا
أبرح حتى أبلغ مجمع البحرين أو أمضي حقبا. فلما بلغا مجمع بينهما نسيا حوتهما فاتخذ سبيله
في البحر سربا. لفتاه لعبده. وفي الحديث ليقل أحدكم فتاي وفتاتي ولا يقل عبدي وأمتي وقيل
هو يوشع بن نون وإنما قيل فتاه لأنه كان يخدمه ويتبعه. وقيل كان يأخذ منه العلم. فإن
قلت لا أبرح إن كان بمعنى لا أزول من برح المكان فقد دل على الإقامة لا على السفر وإن كان
بمعنى لا أزال فلا بد من الخبر هو بمعنى لا أزال وقد حذف الخبر لأن الحال والكلام معا
يدلان عليه أما الحال فلأنها كانت حال سفر وأما الكلام فلأن قوله حتى أبلغ مجمع البحرين غاية مضروبة
تستدعي ما هي غاية له فلا بد أن يكون المعنى لا أبرح أسير حتى أبلغ مجمع البحرين. ووجه آخر وهو أن
يكون المعنى لا يبرح مسيري حتى أبلغ على أن حتى أبلغ هو الخبر فلما حذف المضاف أقيم المضاف إليه
مقامه وهو ضمير المتكلم فانقلب الفعل عن لفظ الغائب إلى لفظ المتكلم وهو وجه لطيف. ويجوز
أن يكون المعنى لا أبرح ما أنا عليه بمعنى ألزم المسير والطلب ولا أتركه ولا أفارقه حتى أبلغ كما
تقول لا أبرح المكان ومجمع البحرين المكان الذي وعد فيه موسى لقاء الخضر عليهما السلام وهو
ملتقى بحري فارس والروم مما يلي المشرق. وقيل طنجة. وقيل إفريقية ومن بدع التفاسير أن
البحرين موسى والخضر عليهما السلام لأنهما كانا بحرين في العلم. وقرئ مجمع بكسر الميم وهو في الشذوذ

من يفعل كالمشرق والمطلع من يفعل • أو أمضي حقبا أو أسير زمانا طويلا • والحقب ثمانون سنة •
روى أنه لما ظهر موسى عليه السلام على مصر مع بني إسرائيل واستقروا بها بعد هلاك القبط
أمره الله أن يذكر قومه النعمة فقام فيهم خطيبا فذكر نعمة الله وقال إن الله اصطفى نبيكم وكلمه فقالوا
له لقد علمنا هذا فأي الناس أعلم قال أنا فعتب الله عليه حين لم يرد العلم إلى الله فأوحى إليه بل أعلم
منك عبد لي عند مجمع البحرين وهو الخضر وكان الخضر في أيام أفريدون قبل موسى وكان على مقدمة ذي
القرنين الأكبر وبقي إلى أيام موسى عليه السلام • وقيل إن موسى سأل ربه أي عبادك أحب إليك
قال الذي يذكرني ولا ينساني • قال فأي عبادك أقضى قال الذي يقضي بالحق ولا يتبع الهوى • قال فأي
عبادك أعلم قال الذي يبتغي علم الناس إلى علمه عسى أن يصيب كلمة تدله على هدى أو ترده عن ردى
فقال إن كان في عبادك من هو أعلم مني فادللني عليه قال أعلم منك الخضر قال أين أطلبه قال على الساحل
عند الصخرة قال يا رب كيف لي به قال تأخذ حوتا في مكتل فحيث فقدته فهو هناك فقال لفتاه إذا
فقدت الحوت فأخبرني فذهبا يمشيان فرقد موسى فاضطرب الحوت ووقع في البحر فلما جاء وقت الغداء
طلب موسى الحوت فأخبره فتاه بوقوعه في البحر فأتيا الصخرة فإذا رجل مسجى بثوبه فسلم عليه موسى
فقال وأنى بأرضنا السلام فعرفه نفسه فقال يا موسى أنا على علم علمنيه الله لا تعلمه أنت وأنت على
علم علمكه الله لا أعلمه أنا فلما ركبا السفينة جاء عصفور فوقع على حرفها فنقر في الماء فقال الخضر ما
ينقص علمي وعلمك من علم الله مقدار ما أخذ هذا العصفور من البحر • نسيا حوتهما أي نسيا تفقد أمره وما
يكون منه مما جعل أمارة على الظفر بالطلبة • وقيل نسي يوشع أن يقدمه ونسي موسى أن يأمره فيه
بشيء • وقيل كان الحوت سمكة مملوحة • وقيل إن يوشع حمل الحوت والخبز في المكتل فنزلا ليلة على شاطئ
عين تسمى عين الحياة ونام موسى عليه السلام فلما أصاب السمكة روح الماء وبرده عاشت • وروي
أنهما أكلا منها • وقيل توضأ يوشع من تلك العين فانتضح الماء على الحوت فعاش ووقع في الماء •
أمسك الله جرية الماء على الحوت فصار عليه مثل الطاق وحصل منه في مثل السرب معجزة لموسى والخضر
عليهما السلام • فلما جاوزا قال لفتاه آتنا غداءنا لقد لقينا من سفرنا هذا نصبا • قال أرأيت
إذ أوينا إلى الصخرة فإني نسيت الحوت وما أنسانيه إلا الشيطان أن أذكره واتخذ سبيله
في البحر عجبا • فلما جاوزا الموعد وهو الصخرة لنسيان موسى تفقد أمر الحوت وما كان منه ونسيان
يوشع أن يذكر لموسى ما رأى من حياته ووقوعه في البحر • وقيل سارا بعد مجاوزة الصخرة الليلة والغد
إلى الظهر وألقي على موسى النصب والجوع حين جاوزا الموعد ولم ينصب ولا جاع قبل ذلك فتذكر
الحوت وطلبه وقوله من سفرنا هذا إشارة إلى مسيرهما وراء الصخرة **فإن قلت** كيف نسي يوشع
ذلك ومثله لا ينسى لكونه أمارة لهما على الطلبة التي تناهضا من أجلها ولكونه معجزتين ثنتين
وهما حياة السمكة المملوحة المأكول منها • وقيل ما كانت إلا شق سمكة وقيام الماء وانتصابه
مثل الطاق ونفوذها في مثل السرب منه ثم كيف استمر به النسيان حتى خلفا الموعد وسارا مسيرة
ليلة إلى ظهر الغد وحتى طلب موسى عليه السلام الحوت **قلت** قد شغله الشيطان بوسواسه
فذهب بفكره كل مذهب حتى اعتراه النسيان وانضم إلى ذلك أنه ضري بمشاهدة أمثاله عند
موسى من العجائب واستأنس بإخوانه فأعان الإلف على قلة الاهتمام • أرأيت بمعنى أخبرني • فإن
قلت ما وجه التئام هذا الكلام فإن كل واحد من أرأيت وإذ أوينا وفإني نسيت الحوت لا متعلق له

قلت لما طلب موسى الحوت ذكر يوشع ما رأى منه وما اعتراه من نسيانه إلى تلك الغاية فدهش فطفق
يسأل موسى عن سبب ذلك كأنه قال أرأيت ما دهاني إذ أوينا إلى الصخرة فإني نسيت الحوت فحذف
ذلك • وقيل هي الصخرة التي دون نهر الزيت • وأن أذكره بدل من الهاء في أنسانيه أي وما أنساني
ذكره إلا الشيطان • وفي قراءة عبد الله أن أذكركه • وعجبا ثاني مفعولي اتخذ مثل سربا يعني واتخذ
سبيله سبيلا عجبا وهو كونه شبه السرب أو قال عجبا في آخر كلامه تعجبا من حاله في رؤية تلك
العجيبة ونسيانه لها أو مما رأى من المعجزتين وقوله تعالى وما أنسانيه إلا الشيطان أن أذكره اعتراض
بين المعطوف والمعطوف عليه • وقيل إن عجبا حكاية لتعجب موسى وليس بذاك • ذلك إشارة إلى اتخاذه
سبيلا أي ذلك الذي كنا نطلب لأنه أمارة الظفر بالطلبة من لقاء الخضر عليه السلام قال ذلك
ما كنا نبغ فارتدا على آثارهما قصصا • فوجدا عبدا من عبادنا آتيناه رحمة من عندنا وعلمناه
من لدنا علما **قرئ** نبغ بغير ياء في الوصل وإثباتها أحسن وهي قراءة أبي عمرو وأما الوقف
فالأكثر فيه طرح الياء اتباعا لخط المصحف فارتدا فرجعا في أدراجهما • قصصا يقصان قصصا أي
يتبعان آثارهما اتباعا • أو فارتدا مقتصين • رحمة من عندنا هي الوحي والنبوة • من لدنا مما
يختص بنا من العلم وهو الإخبار عن الغيوب قال له موسى هل أتبعك على أن تعلمن مما علمت رشدا
قال إنك لن تستطيع معي صبرا وكيف تصبر على ما لم تحط به خبرا • رشدا **قرئ** بفتحتين وبضمة
وسكون أي علما ذا رشد أرشد به في ديني **فإن قلت** أما دلت حاجته إلى التعلم من آخر في عهده
أنه كما قيل موسى بن ميشا لا موسى بن عمران لأن النبي يجب أن يكون أعلم أهل زمانه وإمامهم
المرجوع إليه في أبواب الدين   لا غضاضة بالنبي في أخذ العلم من نبي مثله وإنما يغض منه
أن يأخذ ممن دونه **وعن** سعيد بن جبير رضي الله عنه أنه قال لابن عباس رضي الله عنهما إن
نوفا ابن امرأة كعب يزعم أن الخضر ليس بصاحب موسى وأن موسى هو موسى بن ميشا فقال كذب عدو
نفي استطاعة الصبر معه على وجه التأكيد كأنها مما لا يصح ولا يستقيم وعلل ذلك بأنه يتولى أمورا
هي في ظاهرها مناكير والرجل الصالح فكيف إذا كان نبيا لا يتمالك أن يشمئز ويمتعض ويجزع إذا
رأى ذلك ويأخذ في الإنكار • وخبرا تمييز أي لم يحط به خبرك أو لأن لم تحط به بمعنى لم تخبره فنصب نصب
المصدر قال ستجدني إن شاء الله صابرا ولا أعصي لك أمرا قال فإن اتبعتني فلا تسألني عن
شيء حتى أحدث لك منه ذكرا • ولا أعصي في محل النصب عطف على صابرا أي ستجدني صابرا وغير
عاص • أو لا محل عطفا على ستجدني رجا موسى عليه السلام لحرصه على العلم وازدياده أن يستطيع
معه صبرا بعد إفصاح الخضر عليه السلام عن حقيقة الأمر فوعده بالصبر معلقا بمشيئة الله علما
منه بشدة الأمر وصعوبته وأن الحمية التي تأخذ المصلح عند مشاهدة الفساد شيء لا يطاق هذا مع
علمه أن النبي المعصوم الذي أمره الله تعالى بالمسافرة إليه واتباعه واقتباس العلم منه بريء من
أن يباشر ما فيه غميزة في الدين وأنه لا بد لما يستسمج ظاهره من باطن حسن جميل فكيف إذا لم يعلم
قرئ فلا تسألني بالنون الثقيلة يعني فمن شرط اتباعك لي أنك إذا رأيت مني شيئا وقد علمت أنه
صحيح إلا أنه خفي عليك وجه صحته فحميت وأنكرته في نفسك أن لا تفاتحني بالسؤال ولا تراجعني فيه حتى
أكون أنا الفاتح عليك وهذا من أدب المتعلم مع العالم والمتبوع مع التابع فانطلقا حتى إذا ركبا
في السفينة خرقها قال أخرقتها لتغرق أهلها لقد جئت شيئا إمرا • قال ألم أقل إنك لن تستطيع

معي صبرا قال لا تؤاخذني بما نسيت ولا ترهقني من أمري عسرا فانطلقا على ساحل البحر يطلبان السفينة فلما ركبا قال أهلها هما من اللصوص فأمروهما بالخروج فقال صاحب السفينة أرى وجوه الأنبياء وقيل عرفوا الخضر فحملوهما بغير نول فلما لججوا أخذ الخضر الفأس فخرق السفينة بأن قلع لوحين من ألواحها مما يلي الماء فجعل موسى يسد الخرق بثيابه ويقول أخرقتها لتغرق أهلها وقرى لتغرق بالتشديد وليغرق أهلها من غرق وأهلها مرفوع جئت شيئا إمرا أتيت شيئا عظيما من أمر الأمر إذا عظم قال داهية دهياء إدا إمرا بما نسيت بالذي نسيته أو بشيء نسيته أو بنسياني أراد أنه نسي وصيته ولا مؤاخذة على الناسي أو أخرج الكلام في معرض النهي عن المؤاخذة بالنسيان يوهمه أنه قد نسي ليبسط عذره في الإنكار وهو من معاريض الكلام التي يتقى بها الكذب مع التوصل إلى الغرض كقول إبراهيم صلوات الله عليه وسلامه هذه أختي وإني سقيم أو أراد بالنسيان الترك أي لا تؤاخذني بما تركت من وصيتك أول مرة يقال رهقه إذا غشيه وأرهقه إياه أي ولا تغشني عسرا من أمري وهو اتباعه إياه يعني ولا تعسر علي متابعتك ويسرها علي بالإغضاء وترك المناقشة وقرى عسرا بضمتين فانطلقا حتى إذا لقيا غلاما فقتله قال أقتلت نفسا زاكية بغير نفس لقد جئت شيئا نكرا قال ألم أقل لك إنك لن تستطيع معي صبرا قال إن سألتك عن شيء بعدها فلا تصاحبني قد بلغت من لدني عذرا فقتله قيل كان فتل عنقه وقيل ضرب برأسه الحائط وعن سعيد بن جبير أضجعه ثم ذبحه بالسكين فإن قلت لم قيل حتى إذا ركبا في السفينة خرقها بغير فاء وحتى إذا لقيا غلاما فقتله بالفاء قلت جعل خرقها جزاء للشرط وجعل قتله من جملة الشرط معطوفا عليه والجزاء قال أقتلت فإن قلت فلم خولف بينهما قلت لأن خرق السفينة لم يتعقب الركوب وقد تعقب القتل لقاء الغلام وقرى زاكية وزكية وهي الطاهرة من الذنوب أما لأنها طاهرة عنده لأنه لم يرها قد أذنبت وأما لأنها صغيرة لم تبلغ الحنث بغير نفس يعني لم تقتل نفسا فيقتص منها وعن ابن عباس رضي الله عنهما أن نجدة الحروري كتب إليه كيف جاز قتله وقد نهى رسول الله عليه السلام عن قتل الولدان فكتب إليه إن علمت من حال الولدان ما علمه عالم موسى عليه السلام فلك أن تقتل نكرا وقرى بضمتين وهو المنكر وقيل النكر أقل من الإمر لأن قتل نفس واحدة أهون من إغراق أهل السفينة وقيل معناه جئت شيئا أنكر من الأول لأن ذلك كان خرقا يمكن تداركه بالسد وهذا لا سبيل إلى تداركه فإن قلت ما معنى زيادة لك قلت زيادة المكافحة بالعتاب على رفض الوصية والوسم بقلة الصبر عند الكرة الثانية بعدها بعد هذه الكرة أو المسألة فلا تصاحبني فلا تقارني وإن طلبت صحبتك فلا تتابعني على ذلك وقرى فلا تصحبني فلا تكن صاحبي وقرى فلا تصحبني أي فلا تصحبني إياك ولا تجعلني صاحبك من لدني عذرا قد أعذرت وقرى لدني بتخفيف النون ولدني بسكون الدال وكسر النون كقولهم في عضد عضد وعن رسول الله صلى الله عليه وسلم رحم الله أخي موسى استحيا فقال ذلك وقال صلى الله عليه وسلم رحمة الله علينا وعلى أخي موسى لو لبث مع صاحبه لأبصر أعجب العجائب فانطلقا حتى إذا أتيا أهل قرية استطعما أهلها فأبوا أن يضيفوهما فوجدا فيها جدارا يريد أن ينقض فأقامه قال لو شئت لتخذت عليه أجرا قال هذا فراق بيني وبينك سأنبئك بتأويل ما لم

تستطع

تستطع عليه صبرا أهل قرية هي أنطاكية وقيل الأيلة وهي أبعد أرض الله تعالى من السماء أن يضيفوهما وقرى يضيفوهما يقال ضافه إذا كان له ضيفا وحقيقته مال إليه من ضاف السهم عن الغرض ونظيره زاره من الازورار وأضافه وضيفه أنزله وجعله ضيفه وعن النبي صلى الله عليه وسلم كانوا أهل قرية لئاما وقيل شر القرى التي لا يضاف الضيف فيها ولا يعرف لابن السبيل حقه يريد أن ينقض استعيرت الإرادة للمداناة والمشارفة كما استعير الهم والعزم لذلك قال

في مهمه قلقت به هاماتها ... قلق الفؤوس إذا أردن نصولا

قال

يريد الرمح صدر أبي براء ... ويعدل عن دماء بني عقيل

وقال حسان

إن دهرا يلف شملي بجمل ... لزمان يهم بالإحسان

وسمعت من يقول عزم السراج أن يطفى وطلب أن يطفى وإذا كان القول والنطق والشكاية والصدق والكذب والسكوت والتمرد والإباء والعزة والطواعية وغير ذلك مستعارا للجماد ولما لا يعقل فما بال الإرادة قال

إذ قالت الأنساع للبطن الحقي

تقول سني للنواة طني

لا ينطق اللهو حتى ينطق العود

وشكا إلي بعبرة وتحمحم

فإن يك ظني صادقا وهو صادق

ولما سكت عن موسى الغضب

تمرد مارد وعز الأبلق

ولبعضهم

يأبى على أجفانه إغفاءه ... هم إذا انقاد الهموم تمردا

أبت الروادف والثدي لقمصها ... مس البطون وأن تمس ظهورا

قالتا أتينا طائعين

ولقد بلغني أن بعض المحرفين لكلام الله ممن لا يعلم كان يجعل الضمير للخضر لأن ما كان فيه من آفة الجهل وسقم الفهم أراه أعلى الكلام طبقة أدناه منزلة فتمحل ليرده إلى ما هو عنده أصح وأفصح وعنده أن ما كان أبعد من المجاز كان أدخل في الإعجاز وانقض إذا أسرع سقوطه من انقضاض الطائر وهو انفعل مطاوع قضضته وقيل افعل من النقض كاحمر من الحمرة وقرى أن ينقض من النقض وأن ينقاض من انقاضت السن إذا انشقت طولا قال ذو الرمة منقاض ومنكثب بالصاد غير معجمة فأقامه قيل أقامه بيده وقيل مسحه بيده فقام واستوى وقيل أقامه بعمود عمده به وقيل نقضه وبناه وقيل كان طول الجدار في السماء مائة ذراع كانت الحال حال اضطرار وافتقار إلى المطعم وقد لزتهما الحاجة إلى آخر كسب المرء وهو المسألة فلم يجدا مواسيا فلما أقام الجدار لم يتمالك موسى لما رأى من الحرمان ومساس الحاجة أن قال لو شئت لاتخذت عليه أجرا وطلبت على عملك جعلا حتى ننتعش به ونستدفع به الضرورة وقرى لتخذت والتاء في تخذ أصل كما في تبع واتخذ افتعل منه كاتبع من تبع وليس من الأخذ في شيء فإن قلت هذا إشارة إلى ماذا قلت قد تصور فراق بينهما عند حلول ميعاده على ما قال موسى عليه السلام إن سألتك عن شيء بعدها فلا تصاحبني فأشار إليه وجعله مبتدأ وأخبر عنه كما تقول هذا أخوك فلا يكون هذا إشارة إلى غير الأخ ويجوز أن يكون إشارة إلى السؤال الثالث أي هذا الاعتراض سبب الفراق والأصل هذا فراق بيني وبينك وقد قرأ به ابن أبي عبلة فأضيف المصدر إلى الظرف كما يضاف إلى المفعول به أما السفينة فكانت لمساكين يعملون في البحر فأردت أن أعيبها وكان وراءهم ملك يأخذ كل سفينة غصبا وأما الغلام فكان أبواه مؤمنين فخشينا أن يرهقهما طغيانا وكفرا فأردنا أن يبدلهما ربهما خيرا منه زكاة وأقرب رحما لمساكين قيل كانت لعشرة إخوة خمسة منهم زمنى وخمسة يعملون في البحر وراءهم أمامهم كقوله عز وجل ومن ورائهم برزخ وقيل خلفهم وكان طريقهم

فى رجوعهم عليه وما كان عند هم خبره فاعلم الله به الخضر وهو جلنداء فان قلت قوله فاردت ان
اعيبها مسبب عن خوف الغصب عليها فكان حقه ان يتاخر عن السبب فلم قدم عليه قلت النية
به التاخير وانما قدم للعناية ولان خوف الغصب ليس هو السبب وحده ولكن مع كونها للمساكين
فكان بمنزلة قولك زيد ظنى مقيم وقيل فى قراءة ابى وعبد الله رضى الله عنهما كل سفينة صالحة
وَّ الجحدرى فكان ابواه مؤمنان على ان كان فيه ضمير الشان فخشينا ان يرهقهما طغيانا وكفرا
فخفنا ان يغشى الوالدين المؤمنين طغيانا عليهما وكفرا لنعمتهما بعقوقه وسوء صنيعه ويلحق بهما
شرا وبلاء او يقرن بايمانهما طغيانه وكفره فيجتمع فى بيت واحد مؤمنان وطاغ كافر او يعديهما
بدائه ويضلهما بضلاله فيرتدا بسببه ويطغيا ويكفرا بعد الايمان وانما خشى الخضر منه ذلك
لان الله عز وعلا اعلمه بحاله واطلعه على سر امره وامره اياه بقتله كاخترامه لمفسدة عرفها
فى حيوته وفى قراءة ابى فخاف ربك والمعنى فكره ربك كراهة من خاف سوء عاقبة الامر فغيره
ويجوز ان يكون قوله فخشينا حكاية لقول الله عز وجل بمعنى فكرهنا كقوله تعالى لاهب لك
وقرى يبدلهما بالتشديد والزكوة الطهارة والنقاء من الذنوب والرحم الرحمة والعطف
روى انه ولدت له جارية تزوجها نبى فولدت نبيا هدى الله على يديه امة من الامم وقيل
ولدت سبعين نبيا وقيل ابدلهما ابنا مؤمنا مثلهما واما الجدار فكان لغلامين يتيمين فى
المدينة وكان تحته كنز لهما وكان ابوهما صالحا فاراد ربك ان يبلغا اشدهما
ويستخرجا كنزهما رحمة من ربك وما فعلته عن امرى ذلك تاويل ما لم تسطع عليه
صبرا قيل اسما الغلامين اصرم وصريم والغلام المقتول اسمه الحسين واختلف فى الكنز
فقيل مال مدفون من ذهب وفضة وقيل لوح من ذهب مكتوب فيه عجبت لمن يؤمن بالقدر
كيف يحزن وعجبت لمن يؤمن بالرزق كيف يتعب وعجبت لمن يؤمن بالموت كيف يفرح
وعجبت لمن يؤمن بالحساب كيف يغفل وعجبت لمن يعرف الدنيا وتقلبها باهلها كيف يطمئن
اليها لا اله الا الله محمد رسول الله وقيل صحف فيها علم والظاهر لاطلاقه انه مال وعن
قتادة احل الكنز لمن قبلنا وحرم علينا وحرمت الغنيمة عليهم واحلت لنا اراد قوله عز وعلا
والذين يكنزون الذهب الاية وكان ابوهما صالحا اعتداد بصلاح ابيهما وحفظ لحقه
فيهما وعن جعفر بن محمد رضى الله عنه كان بين الغلامين وبين الاب الذى حفظا فيه سبعة
اباء وعن الحسين بن على رضى الله عنهما انه قال لبعض الخوارج فى كلام جرى بينهما بم حفظ
الله الغلامين قال بصلاح ابيهما قال فابى وجدى خير منه فقال قد انبانا الله انكم قوم
خصمون رحمة مفعول له او مصدر منصوب باراد ربك لانه فى معنى رحمهما وما فعلته وما
فعلت ما رايت عن امرى عن اجتهادى ورايى وانما فعلته بامر الله سبحانه وتعالى ويسالونك
عن ذى القرنين قل ساتلوا عليكم منه ذكرا انا مكنا له فى الارض واتيناه من كل شىء
سببا فاتبع سببا ذو القرنين هو الاسكندر الذى ملك الدنيا وقيل ملكها مؤمنان
ذو القرنين وسليمان وكافران نمرود وبخت نصر وكان بعد نمرود واختلف فيه فقيل
كان عبدا صالحا ملكه الله الارض واعطاه العلم والحكمة والبسه الهيبة وسخر له النور
والظلمة فاذا سرى يهديه النور من امامه وتحوطه الظلمة من ورائه وقيل نبيا وقيل ملكا

من

من الملائكة وعن عمر بن الخطاب رضى الله عنه انه سمع رجلا يقول يا ذا القرنين فقال اللهم
غفرا اما رضيتم ان تتسموا باسماء الانبياء حتى تسميتم باسماء الملائكة وعن على رضى الله
عنه سخر له السحاب ومدت له الاسباب وبسط له النور وسئل عنه فقال احب الله فاحبه
وساله ابن الكوا ما ذو القرنين املك ام نبى فقال ليس بملك ولا نبى ولكن كان عبدا
صالحا ضرب على قرنه الايمن فى طاعة الله فمات ثم بعثه الله فضرب على قرنه الايسر فمات فبعثه
الله فسمى ذا القرنين وفيكم مثله قيل كان يدعوهم الى التوحيد فيقتلونه فيحييه الله وعن
النبى صلى الله عليه وسلم سمى ذا القرنين لانه طاف قرنى الدنيا يعنى جانبيها شرقها وغربها
وقيل كان له قرنان اى ضفيرتان وقيل انقرض فى وقته قرنان من الناس وعن وهب لانه
ملك الروم وفارس وروى الروم والترك وعنه كانت صفحتا راسه من نحاس وقيل
كان لتاجه قرنان وقيل كان على راسه ما يشبه القرنين ويجوز ان يلقب بذلك لشجاعته
كما يسمى الشجاع كبشا كانه ينطح اقرانه وكان من الروم ولد عجوز ليس لها ولد غيره والسائلون
هم اليهود لعنهم الله سالوه على جهة الامتحان وقيل سأله ابو جهل واشياعه والخطاب فى
عليكم لاحد الفريقين من كل شىء اى من اسباب كل شىء اراده من اغراضه ومقاصده فى ملكه
سببا طريقا موصلا اليه والسبب ما يتوصل به الى المقصود من علم او قدرة او آلة فاراد
بلوغ المغرب فاتبع سببا يوصله اليه حتى بلغ وكذلك اراد المشرق فاتبع سببا واراد بلوغ
السدين فاتبع سببا حتى اذا بلغ مغرب الشمس وجدها تغرب فى عين حمئة ووجد عندها
قوما قلنا يا ذا القرنين اما ان تعذب واما ان تتخذ فيهم حسنا قرى حمئة من
حمئت البئر اذا صارت فيها الحماة وحامية بمعنى حارة وعن ابى ذر رضى الله عنه كنت رديف
رسول الله عليه السلام على جمل فراى الشمس حين غابت فقال صلى الله عليه وسلم اتدرى يا ابا
ذر اين تغرب هذه قلت الله ورسوله اعلم قال فانها تغرب فى عين حامية وهى قراءة ابن مسعود
وطلحة وابن عمر وابن عمرو والحسن رحمة الله عليهم وقرا ابن عباس رضى الله عنهما حمئة وكان
ابن عباس عند معاوية فقرا معاوية حامية فقال ابن عباس حمئة فقال معاوية لعبد الله ابن
عمرو كيف تقرا قال كما يقرا امير المؤمنين ثم وجه الى كعب الاحبار كيف تجد الشمس تغرب قال
فى ماء وطين كذلك نجده فى التورية وروى فى ثاط فوافق قول ابن عباس رضى الله عنهما وكان
ثم رجل فانشد قول تبع فراى مغيب الشمس عند مآبها فى عين ذى خلب وثاط حرمد اى فى عين
ماء ذى طين وحماء اسود ولا تنافى بين الحمئة والحامية فجائز ان تكون العين جامعة للوصفين
جميعا كانوا كفرة فخيره الله بين ان يعذبهم بالقتل وان يدعوهم الى الاسلام فاختار الدعوة
والاجتهاد فى استمالتهم قال اما من ظلم فسوف نعذبه ثم يرد الى ربه فيعذبه عذابا نكرا واما
من امن وعمل صالحا فله جزاء الحسنى وسنقول له من امرنا يسرا ثم اتبع سببا فقال اما من
دعوته فابى الا البقاء على الظلم العظيم الذى هو الشرك فذلك هو المعذب فى الدارين واما من
امن وعمل ما يقتضيه الايمان فله جزاء الحسنى وقيل خيره بين القتل والاسر وسماه احسانا فى
مقابلة القتل فله جزاء الحسنى فله ان يجازى المثوبة الحسنى او فله جزاء الفعلة الحسنى التى هى
كلمة الشهادة وقرى فله جزاء الحسنى اى فله الفعلة الحسنى جزاء وعن قتادة كان يطبخ

من كفر في العقد وردهوا العذاب النكر ومن آمن اعطاه وكساه من امرنا يسرا اي لا نامره بالصعب الشاق
ولكن بالسهل المتيسر من الزكوة والخراج وغير ذلك وتقديره ذا يسر كقوله تعالى قولا ميسورا وقرئ
يسرا بضمتين حتى اذا بلغ مطلع الشمس وجدها تطلع على قوم لم نجعل لهم من دونها سترا
وقرئ مطلع بفتح اللام وهو مصدر والمعنى بلغ مكان مطلع الشمس كقوله
كان مجر الرامسات ذيولها يريد كان آثار مجر الرامسات على قوم قيل هم الزنج والستر الابنية
وعن كعب ارضهم لا تمسك الابنية وبها اسراب فاذا طلعت الشمس دخلوها فاذا ارتفع النهار
خرجوا الى معايشهم وعن بعضهم خرجت حتى جاوزت الصين فسالت عن هولاء فقيل بينك وبينهم
مسيرة يوم وليلة فبلغتهم فاذا احدهم يفرش اذنه ويلبس الاخرى ومعي صاحب يعرف لسانهم
فقالوا له جئتنا تنظر كيف تطلع الشمس قال فبينا نحن كذلك اذ سمعنا كهيئة الصلصلة فغشي
علي ثم افقت وهم يمسحونني بالدهن فلما طلعت الشمس على الماء اذا هي فوق الماء كهيئة الزيت فادخلونا
سربا لهم فلما ارتفع النهار خرجوا الى البحر فجعلوا يصطادون السمك ويطرحونه في الشمس فينضج
لهم وقيل الستر اللباس وعن مجاهد من لا يلبس الثياب من السودان عند مطلع الشمس اكثر
من جميع اهل الارض كذلك وقد احطنا بما لديه خبرا ثم اتبع سببا كذلك اي امر ذي القرنين
كذلك اي كما وصفناه تعظيما لامره وقد احطنا بما لديه من الجنود والآلات واسباب الملك خبرا
تكثيرا لذلك وقيل لم نجعل لهم من دونها سترا مثل ذلك الستر الذي جعلنا لكم من الجبال والحصون
والابنية والاكنان من كل جنس والثياب من كل صنف وقيل بلغ مطلع الشمس مثل ذلك اي كما بلغ
مغربها وقيل تطلع على قوم مثل ذلك القبيل الذي تغرب عليهم يعني انهم كفرة مثلهم وحكمهم
مثل حكمهم في تعذيبه لمن بقي منهم على الكفر واحسانه الى من آمن منهم حتى اذا بلغ بين السدين وجد
من دونهما قوما لا يكادون يفقهون قولا بين السدين بين الجبلين وهما جبلان سد
ذو القرنين ما بينهما وقرئ بالضم والفتح وقيل ما كان من خلق الله فهو مضموم وما كان من عمل
العباد فهو مفتوح لان السد بالضم فعل بمعنى مفعول اي هو مما فعله الله وخلقه والسد
بالفتح مصدر حدث يحدثه الناس وانتصب بين على انه مفعول به مبلوغ كما انجر على الاضافة
في قوله تعالى هذا فراق بيني وبينك وكما ارتفع في قوله لقد تقطع بينكم لانه من الظروف التي تستعمل
اسماء وظروفا وهذا المكان في منقطع ارض الترك مما يلي المشرق من دونهما قوما هم الترك
لا يكادون يفقهون قولا لا يكادون يفهمونه الا بجهد ومشقة من اشارة ونحوها كما يفهم البكم
وقرئ يفقهون اي لا يفهمون السامع كلامهم ولا يبينونه لان لغتهم غريبة مجهولة قالوا
يا ذا القرنين ان ياجوج وماجوج مفسدون في الارض فهل نجعل لك خرجا على ان
تجعل بيننا وبينهم سدا ياجوج وماجوج اسمان اعجميان بدليل منع الصرف وقرئا بهمز
وقرأ رؤبة آجوج ومأجوج وهما من ولد يافث وقيل ياجوج من الترك وماجوج من الجيل
والديلم مفسدون في الارض قيل كانوا ياكلون الناس وقيل كانوا يخرجون ايام الربيع
فلا يتركون شيئا اخضر الا اكلوه ولا يابسا الا احتملوه وكانوا يلقون منهم قتلا واذى شديدا
وعن رسول الله صلى الله عليه وسلم في صفتهم لا يموت احد منهم حتى ينظر الى الف ذكر من صلبه
كلهم قد حمل السلاح وقيل على صنفين طوال مفرطو الطول وقصار مفرطو القصر وقرئ خرجا

وخراجا اي جعلا نخرجه من اموالنا ونظيرهما النول والنوال وقرئ سدا وسدا بالفتح والضم
قال ما مكني فيه ربي خير فاعينوني بقوة اجعل بينكم وبينهم ردما ما مكني فيه ربي خير ما جعلني
فيه مكينا من كثرة المال واليسار خير مما تبذلون لي من الخراج فلا حاجة بي اليه كما قال سليمان صلوات
الله عليه فما آتاني الله خير مما آتاكم وقرئ بالادغام وبفكه فاعينوني بقوة بفعلة وصناع يحسنون
البناء والعمل وبالآلات ردما حاجزا حصينا موثقا والردم اكبر من السد من قولهم ثوب مردم
رقاع فوق رقاع آتوني زبر الحديد حتى اذا ساوى بين الصدفين قال انفخوا حتى اذا جعله
نارا قال آتوني افرغ عليه قطرا قيل حفر للاساس حتى بلغ الماء وجعل الاساس من الصخر والنحاس
المذاب والبنيان من زبر الحديد بينها الحطب والفحم حتى سد ما بين الجبلين الى اعلاهما ثم وضع المنافيخ
حتى اذا صارت كالنار صب النحاس المذاب على الحديد المحمى فاختلط والتصق بعضه ببعض وصار جبلا
صلدا وقيل بعد ما بين السدين مائة فرسخ وقرئ سوى وسووي وعن رسول الله صلى الله عليه
وسلم ان رجلا اخبره به فقال كيف رايته قال كالبرد المحبر طريقة سوداء وطريقة حمراء قال قد رايته
والصدفان بفتحتين جانبا الجبل لانهما يتصادفان اي يتقابلان وقرئ الصدفين بضمتين والصدفين
بضمة وسكون والصدفين بفتحة وضمة والقطر النحاس المذاب لانه يقطر وقطرا منصوب بافرغ
وتقديره آتوني قطرا افرغ عليه قطرا فحذف الاول لدلالة الثاني عليه وقرئ ايتوني اي جيئوني
فما اسطاعوا ان يظهروه وما استطاعوا له نقبا فما اسطاعوا بحذف التاء للخفة لان
التاء قريبة المخرج من الطاء وقرئ فما اصطاعوا بقلب السين صادا واما من قرا بادغام التاء
في الطاء فملاق بين ساكنين على غير الحد ان يظهروه ان يعلوه اي لا حيلة لهم فيه من صعود لارتفاعه
وانملاسه ولا نقب لصلابته وثخانته قال هذا رحمة من ربي فاذا جاء وعد ربي جعله دكاء وكان
وعد ربي حقا هذا اشارة الى السد اي هذا السد نعمة من الله ورحمة على عباده او هذا الاقدار
والتمكين من تسويته فاذا جاء وعد ربي يعني فاذا دنا مجيء يوم القيمة وشارف ان ياتي جعل السد دكا
اي مدكوكا مبسوطا مسوى بالارض وكل ما انبسط بعد الارتفاع فقد اندك ومنه الجمل الادك
المنبسط السنام وقرئ دكاء اي ارضا مستوية وكان وعد ربي حقا آخر حكاية ذي القرنين
وتركنا بعضهم يومئذ يموج في بعض ونفخ في الصور فجمعناهم جمعا وعرضنا جهنم يومئذ
للكافرين عرضا وتركنا وجعلنا بعضهم بعض الخلق يموج في بعض اي يضطربون ويختلطون
انسهم وجنهم حيارى ويجوز ان يكون الضمير لياجوج وماجوج وانهم يموجون حين يخرجون مما
وراء السد مزدحمين في البلاد وروي انهم ياتون البحر فيشربون ماءه وياكلون دوابه ثم
ياكلون الشجر ومن ظفروا به ممن لم يتحصن منهم من الناس ولا يقدرون ان ياتوا مكة والمدينة
وبيت المقدس ثم يبعث الله نغفا في اقفائهم فيدخل في آذانهم فيموتون الذين كانت اعينهم في غطاء
عن ذكري وكانوا لا يستطيعون سمعا وعرضنا جهنم وبرزناها لهم فراوها وشاهدوها
عن ذكري عن آياتي التي ينظر اليها فاذكر بالتعظيم او عن القرآن وتامل معانيه وتبصرها ونحوه
صم بكم عمي وكانوا لا يستطيعون سمعا يعني وكانوا صما عنه الا انه ابلغ لان الاصم قد يستطيع
السمع اذا صيح به وهولاء كانهم اصمت اسماعهم فلا استطاعة بهم للسمع افحسب الذين كفروا
ان يتخذوا عبادي من دوني اولياء انا اعتدنا جهنم للكافرين نزلا عبادي من دوني اولياء

هم الملائكة يعني انهم لا يكونون لهم اولياء كما حكى عنهم سبحانك انت ولينا من دونهم وقرا ابن مسعود
رضي الله عنه افظن الذين كفروا وقراءة علي رضي الله عنه افحسب الذين كفروا اي افكافيهم وحسبهم
ان يتخذوهم اولياء على الابتداء والخبر او على الفعل والفاعل لان اسم الفاعل اذا اعتمد على الهمزة
ساوى الفعل في العمل كقولك اقائم الزيدان والمعنى ان ذلك لا يكفيهم ولا ينفعهم عند الله كما حسبوا
وهي قراءة محكمة جيدة النزل ما يقام للنزيل وهو الضيف ونحوه فبشرهم بعذاب اليم قل هل
ننبئكم بالاخسرين اعمالا الذين ضل سعيهم في الحيوة الدنيا وهم يحسبون انهم يحسنون
صنعا اولئك الذين كفروا بآيات ربهم ولقائه فحبطت اعمالهم فلا نقيم لهم يوم القيمة
وزنا ذلك جزاؤهم جهنم بما كفروا واتخذوا آياتي ورسلي هزوا ضل سعيهم ضاع
وبطل وهم الرهبان عن علي بن ابي طالب رضي الله عنه كقوله تعالى عاملة ناصبة وعن مجاهد
اهل الكتاب وعن علي كرم الله وجهه ان ابن الكوا سأله عنهم فقال منهم اهل حروراء وعن ابي سعيد
الخدري رضي الله عنه يأتي ناس باعمال يوم القيامة هي عندهم في العظم كجبال تهامة فاذا وزنوها
لم تزن شيئا فلا نقيم لهم يوم القيامة وزنا فنزدري بهم فلا يكون لهم عندنا وزن ومقدار
وقيل لا يقام لهم ميزان لان الميزان انما يوضع لاهل الحسنات والسيئات من الموحدين وقرئ
فلا يقيم بالياء فان قلت الذين ضل سعيهم في اي محل هو الاوجه ان يكون في
محل الرفع على هم الذين ضل سعيهم لانه جواب عن السؤال ويجوز ان يكون نصبا على الذم
او جرا على البدل جهنم عطف بيان لقوله جزاؤهم ان الذين آمنوا وعملوا الصالحات كانت
لهم جنات الفردوس نزلا خالدين فيها لا يبغون عنها حولا الحول التحول يقال
حال من مكانه حولا كقولك عاد في حبها عودا يعني لا مزيد عليها حتى تنازعهم انفسهم الى اجمع
لاغراضهم واماينهم وهذه غاية الوصف لان الانسان في الدنيا في اي نعيم كان فهو طامح
الطرف الى ارفع منه ويجوز ان يراد نفي التحول وتاكيد الخلود قل لو كان البحر مدادا لكلمات
ربي لنفد البحر قبل ان تنفد كلمات ربي ولو جئنا بمثله مددا المداد اسم ما تمد به
الدواة من الحبر وما يمد به السراج من السليط ويقال السماد مداد الارض والمعنى لو كتبت
كلمات علم الله وحكمته وكان البحر مدادا لها والمراد بالبحر الجنس لنفد قبل ان تنفد الكلمات ولو جئنا
بمثل البحر مدادا لنفد ايضا والكلمات غير نافدة ومددا تمييز كقولك لي مثله رجلا والمدد
مثل المداد وهو ما يمد به وعن ابن عباس رضي الله عنه بمثله مدادا وقرا الاعرج بمددا
بكسر الميم جمع مدة وهو ما يستمده الكاتب فيكتب به وقرئ ينفد بالياء وقيل قال حيي بن
اخطب في كتابكم ومن يؤت الحكمة فقد اوتي خيرا كثيرا ثم تقرؤون وما اوتيتم من العلم الا قليلا
فنزلت يعني ان ذلك خير كثير ولكنه قطرة من بحر كلمات الله قل انما انا بشر مثلكم يوحى الي انما
الهكم اله واحد فمن كان يرجو لقاء ربه فليعمل عملا صالحا ولا يشرك بعبادة ربه احدا
فمن كان يرجو لقاء ربه فمن كان يأمل حسن لقاء ربه وان يلقاه لقاء رضا وقبول وقد فسرنا
اللقاء او فمن كان يخاف سوء لقائه والمراد بالنهي عن الاشراك بالعبادة ان لا يرائي بعمله وان لا
يبتغي به الا وجه ربه خالصا لا يخلط به غيره وقيل نزلت في جندب بن زهير رضي الله عنه قال
لرسول الله عليه السلام اني اعمل العمل لله فاذا اطلع عليه سرني فقال ان الله لا يقبل ما شورك

فيه

فيه وروي انه قال لك اجران اجر السر واجر العلانية وذلك اذا قصد ان يقتدى به وعن رسول
الله صلى الله عليه وسلم اتقوا الشرك الاصغر قالوا وما الشرك الاصغر قال الرياء عن رسول الله
صلى الله عليه وسلم من قرأ سورة الكهف من آخرها كانت له نورا من قرنه الى قدمه ومن قرأها كلها كانت
له نورا من الارض الى السماء وقال رسول الله صلى الله عليه وسلم من قرأ عند مضجعه قل انما انا بشر
مثلكم كان له في مضجعه نورا يتلألأ الى مكة حشو ذلك النور ملائكة يصلون عليه حتى يقوم وان
كان مضجعه بمكة كان له نورا يتلألأ من مضجعه الى البيت المعمور حشو ذلك النور ملائكة يصلون عليه
حتى يستيقظ

بسم الله الرحمن الرحيم كهيعص ذكر رحمت ربك عبده زكريا اذ نادى ربه نداء خفيا كهيعص بفتح
الهاء وكسر الياء حمزة وبكسرهما عاصم وبضمهما الحسن وقرا الحسن ذكر رحمة ربك اي هذا المتلو من
القرآن ذكر رحمة ربك وقرئ ذكر على الامر راعى سنة الله في اخفاء دعوته لان الجهر والاخفاء عند
الله سيان فكان الاخفاء اولى لانه ابعد من الرياء وادخل في الاخلاص وعن الحسن رحمه الله نداء لا رياء
فيه او اخفاه لئلا يلام على طلب الولد في ابان الكبرة والشيخوخة او اسره من مواليه الذين خافهم
او خفت صوته لضعفه وهرمه كما جاء في صفة الشيخ صوته خفات وسمعه تارات واختلف في سن
زكريا عليه السلام فقيل ستون وخمس وستون وسبعون وخمس وسبعون وخمس وثمانون قال رب
اني وهن العظم مني واشتعل الرأس شيبا ولم اكن بدعائك رب شقيا وقرئ وهن بالحركات
الثلاث وانما ذكر العظم لانه عمود البدن وبه قوامه وهو اصل بنائه فاذا وهن تداعى وتساقطت
قوته ولانه اشد ما فيه واصلبه فاذا وهن كان ما وراءه اوهن ووحده لان الواحد هو الدال
على معنى الجنسية وقصده الى ان هذا الجنس الذي هو العمود والقوام واشد ما تركب منه الجسد
قد اصابه الوهن ولو جمع لكان قصدا الى معنى آخر وهو انه لم يهن منه بعض عظامه ولكن كلها
ادغام السين في الشين عن ابي عمرو شبه الشيب بشواظ النار في بياضه وانارته وانتشاره
في الشعر وفشوه فيه واخذه منه كل مأخذ باشتعال النار ثم اخرجه مخرج الاستعارة ثم اسند الاشتعال
الى مكان الشعر ومنبته وهو الرأس واخرج الشيب مميزا ولم يضف الرأس اكتفاء بعلم
المخاطب انه رأس زكريا عليه السلام فمن ثم فصحت هذه الجملة وشهد لها بالبلاغة توسل الى الله بما
سلف له معه من الاستجابة وعن بعضهم ان محتاجا سأله وقال انا الذي احسنت الي وقت كذا
فقال مرحبا بمن توسل بنا الينا وقضى حاجته واني خفت الموالي من ورائي وكانت امرأتي عاقرا
فهب لي من لدنك وليا كان مواليه وهم عصبته اخوته وبنو عمه شرار بني اسرائيل فخافهم على الدين
ان يغيروه ويبدلوه وان لا يحسنوا الخلافة على امته فطلب عقبا من صلبه صالحا يقتدى به في احيا
الدين ويرتسم مراسمه فيه من ورائي بعد موتي وقرا ابن كثير من وراي بالقصر وهذا الظرف
لا يتعلق بخفت لفساد المعنى ولكن بمحذوف او بمعنى الولاية في الموالي اي خفت فعل الموالي وهو
تبديلهم وسوء خلافتهم من ورائي او خفت الذين يلون الامر من ورائي وقرا عثمان ومحمد بن
علي وعلي بن الحسين رضوان الله عليهم اجمعين خفت الموالي من وراي وهذا على معنيين احدهما ان
يكون وراي بمعنى خلفي وبعدي فيتعلق الظرف بالموالي اي قلوا وعجزوا عن اقامة الدين فسال

ابرء

ربه تقويتهم وتظاهرهم ثم يولد بين رفقه ۞ والثاني أن يكون بمعنى قدّامي فيتعلق بخفت ويؤيدها ثم خفوا أي قدّامه
ودرجوا ولم يبق منهم من به تقوّ واعتضاد ۞ من لدنك تأكيد لكونه وليًّا مرضيًّا بكونه مضافا الى الله
وصادرا من عنده والا فهب لي وليًّا يرثني كاف أو أراد اخترعه منك بلا سبب لأني وامرأتي لا نصلح للولادة
يرثني ويرث من آل يعقوب واجعله رب رضيًّا ۞ يرثني ويرث الجزم جواب الدعاء والرفع صفة
ونحوه ردءا يصدقني ۞ وعن ابن عباس والجحدري يرثني وارث آل يعقوب ۞ وعن الجحدري أو يرث على
تصغير وارث وقال غليّم صغير ۞ وعن علي رضي الله عنه وجماعة وارث من آل يعقوب أي يرثني به
وارث ويسمى التجريد في علم البيان والمراد بالارث ارث الشرع والعلم لان الانبياء لا تورث
المال ۞ وقيل يرثني الحبورة وكان حبرا ويرث من آل يعقوب الملك يقال ورثته وورثت منه
لغتان ۞ وقيل من للتبعيض لا للتعدية لأن آل يعقوب لم يكونوا كلهم انبياء ولا علماء وكان زكريا عليه
السلام من نسل يعقوب بن اسحق ۞ وقيل هو يعقوب بن ماثان اخو زكريا عليه السلام ۞ وقيل يعقوب
هذا وعمران ابو مريم اخوان من نسل سليمان بن داود عليهم السلام يا زكريا انا نبشرك بغلام اسمه
يحيى لم نجعل له من قبل سميا ۞ سميا لم يسم احد بيحيى قبله وهذا شاهد على ان الاسامي الشنع
جديرة بالاثرة وإياها كانت العرب تنتحي في التسمية لكونها انبه وانوه وانزه عن النبز حتى قال
القائل في مدح قوم ۞ شنع الاسامي مسبلي أزر ۞ حمر تمس الارض بالهدب ۞ وقال رؤبة
للنسابة البكري وقد سأله عن نسبه انا ابن العجاج فقال قصرت وعرفت ۞ وقيل مثلا وشبيها
عن مجاهد هل تعلم له سميا وانما قيل للمثل سمي لأن كل متشاكلين يسمى كل واحد منهما باسم المثل كقوله تعالى
والشبيه والشكل والنظير فكل واحد منهما سمي لصاحبه ونحو يحيى في اسمائهم يعمر ويعيش ان كانت
التسمية عربية وقد سموا بيموت أيضا وهو يموت بن المزرع قالوا لم يكن له مثل في أنه لم يعص
ولم يهم بمعصية قط وانه ولد بين شيخ فان وعجوز عاقر وانه كان حصورا قال رب أنى يكون
لي غلام وكانت امرأتي عاقرا وقد بلغت من الكبر عتيا ۞ أي كانت على صفة العقر حين انا شاب
وكهل فما رزقت الولد لاختلال احد السببين أفحين اختل السببان جميعا أأرزقه فان قلت
لم طلب اولا وهو وامرأته على صفة العتي والعقر فلما اسعف بطلبته استبعد واستعجب
قلت ليجاب بما اجيب به فيزداد المؤمنون ايقانا ويرتدع المبطلون والا فمعتقد زكريا اولا وآخرا
كان على منهاج واحد في ان الله غني عن الاسباب اي بلغت عتيا وهو اليبس والجساوة في المفاصل والعظام
كالعود القاحل يقال عتا العود وعسا من اجل الكبر والطعن في السن العالية او بلغت من مدارج
الكبر ومراتبه ما يسمى عتيا وقرأ ابن وثاب وحمزة والكسائي بكسر العين وكذلك صليا وابن
مسعود بفتحهما فيهما ۞ وقرأ أبي ومجاهد عسيا قال كذلك قال ربك هو علي هين وقد خلقتك
من قبل ولم تك شيئا ۞ كذلك الكاف رفع أي الأمر كذلك تصديق له ثم ابتداء قال ربك
أو نصب بقال وذلك اشارة الى مبهم يفسره هو علي هين ۞ ونحوه وقضينا اليه ذلك الأمر أن
دابر هؤلاء مقطوع مصبحين وقرأ الحسن وهو علي هين ولا يخرج هذا إلا على الوجه الأول أي
الامر كما قلت وهو على ذلك يهون علي ۞ ووجه آخر وهو أن يشار بذلك الى ما تقدم من وعد الله
لا الى قول زكريا وقال محذوف في كلتا القراءتين أي قال هو علي هين قال وهو علي هين وان شئت
لم تنوه لأن الله هو المخاطب والمعنى انه قال ذلك ووعده وقوله الحق ۞ شيئا لأن المعدوم ليس

بشيء

بشيء او شيئا يعتد به كقولهم عجبت من لا شيء وقوله إذا رأى غير شيء ظنه رجلا ۞ وقرأ الاعمش والكسائي
وابن وثاب خلقناك قال رب اجعل لي آية قال آيتك ألا تكلم الناس ثلاث ليال
سويا ۞ أي اجعل لي علامة أعلم بها وقوع ما بشرت به قال علامتك أن تمنع الكلام فلا تطيقه
وانت سليم الجوارح سوي الخلق ما بك خرس ولا بكم ۞ دل ذكر الليالي هنا والايام في آل عمران على ان
المنع من الكلام استمر به ثلاثة ايام ولياليهن فخرج على قومه من المحراب فأوحى اليهم أن سبحوا
بكرة وعشيا ۞ أوحى أشار عن مجاهد ويشهد له الا رمزا وعن ابن عباس رضي الله عنه كتب
لهم على الارض ۞ سبحوا صلوا او على الظاهر وأن هي المفسرة يا يحيى خذ الكتاب بقوة وآتيناه الحكم
صبيا ۞ أي خذ التورية بجد واستظهار بالتوفيق والتأييد ۞ والحكم الحكمة ۞ ومنه واحكم كحكم فتاة
الحي ۞ يقال حكم حكما كحلم وهو الفهم للتورية والفقه في الدين ۞ عن ابن عباس رضي الله عنهما ۞
وقيل دعاه الصبيان الى اللعب وهو صبي فقال ما للعب خلقنا ۞ عن الضحاك ۞ وعن معمر العقل
وقيل النبوة لأن الله احكم عقله في صباه واوحى اليه وحنانا من لدنا وزكاة وكان تقيا وبرا
بوالديه ولم يكن جبارا عصيا ۞ حنانا رحمة لأبويه وغيرهما وتعطفا وشفقة ۞ انشد سيبويه
۞ وقال حنان ما أتى بك ههنا ۞ أذو نسب أم أنت بالحي عارف ۞ وقيل حنانا من الله عليه
وحن في معنى ارتاح واشتاق ثم استعمل في العطف والرأفة ۞ وقيل لله حنان كما قيل رحيم على سبيل
الاستعارة ۞ والزكاة الطهارة وقيل الصدقة اي يتعطف على الناس ويتصدق عليهم ۞
وسلام عليه يوم ولد ويوم يموت ويوم يبعث حيا ۞ سلم الله عليه في هذه الاحوال قال ابن
عيينة انها اوحش المواطن ۞ واذكر في الكتاب مريم اذ انتبذت من اهلها مكانا شرقيا ۞
اذ بدل من مريم بدل الاشتمال لأن الاحيان مشتملة على ما فيها ۞ وفيه ان المقصود بذكر مريم
ذكر وقتها هذا لوقوع هذه القصة العجيبة فيه ۞ والانتباذ الاعتزال والانفراد تخلت للعبادة
في مكان مما يلي شرقي بيت المقدس او من دارها معتزلة عن الناس ۞ وقيل قعدت في مشرفة
للاغتسال من الحيض محتجبة بحائط او بشيء يسترها وكان موضعها المسجد فاذا حاضت تحولت
الى بيت خالتها فاذا طهرت عادت الى المسجد فبينا هي في مغتسلها اتاها الملك في صورة آدمي
شاب امرد وضيء الوجه جعد الشعر فاتخذت من دونهم حجابا فأرسلنا اليها روحنا فتمثل لها
بشرا سويا ۞ سويا سوي الخلق لم ينتقص من صورة الآدمية شيئا ۞ او حسن الصورة مستوي
الخلق وانما مثل لها في صورة الانسان لتستأنس بكلامه ولا تنفر عنه ولو بدا لها في الصورة
الملكية لنفرت ولم تقدر على استماع كلامه ودل على عفافها وورعها انها تعوذت بالله
من تلك الصورة الجميلة الفائقة الحسن وكان تمثيله على تلك الصفة ابتلاء لها وسبرا لعفتها
وقيل كانت في منزل زوج اختها زكريا عليه السلام ولها محراب على حدة تسكنه وكان زكريا
فانفرج اذا خرج اغلق عليها الباب فتمنت ان تجد خلوة في الجبل لتفلي رأسها فانفجر السقف لها فخرجت
فجلست في المشرفة وراء الجبل فأتاها الملك ۞ وقيل قام بين يديها في صورة ترب لها
اسمه يوسف من خدم بيت المقدس ۞ وقيل ان النصارى اتخذت المشرق قبلة لانتباذ مريم
عليها السلام مكانا شرقيا ۞ الروح جبريل لأن الدين يحيا به وبوحيه او سماه الله روحه على المجاز
محبة له وتقريبا كما تقول لحبيبك انت روحي وقرأ أبو حيوة روحنا بالفتح لأنه سبب لما فيه

روح العباد وإصابة الروح عند الله الذي هو عدة المقربين في قوله تعالى فأما إن كان من المقربين فروح
وريحان، أو لأنه من المقربين وهم الموعودون بالروح أي مقربا وذا روح **قالت إني أعوذ
بالرحمن منك إن كنت تقيا** أرادت إن كان يرجى منك أن تتقي الله وتخشاه وتحتفل بالاستعاذة
به فإني عائذة به منك كقوله تعالى بقية الله خير لكم إن كنتم مؤمنين **قال إنما أنا رسول
ربك لأهب لك غلاما زكيا** أي إنما أنا رسول من استعذت به لأهب لك لأكون سببا في هبة
الغلام بالنفخ في الدرع، وفي بعض المصاحف إنما أنا رسول ربك أمرني أن أهب لك أو هي حكاية
لقول الله تعالى **قالت أنى يكون لي غلام ولم يمسسني بشر ولم أك بغيا** جعل المس عبارة عن
النكاح الحلال لأنه كناية عنه كقوله عز وجل من قبل أن تمسوهن، أو لامستم النساء والزنا ليس
كذلك إنما يقال فيه فجر بها وخبث وما أشبه ذلك وليس بقمن أن تراعى فيه الكنايات والآداب
والبغي الفاجرة التي تبغي الرجال وهي فعول عند المبرد بغوي فأدغمت الواو في الياء، وقال
ابن جني في كتاب التمام هي فعيل ولو كانت فعولا لقيل بغو كما قيل فلان نهو عن المنكر **قال كذلك
قال ربك هو علي هين ولنجعله آية للناس ورحمة منا وكان أمرا مقضيا** ولنجعله تعليل
معلله محذوف أي ولنجعله آية للناس فعلنا ذلك، أو هو معطوف على تعليل مضمر أي لنبين به
قدرتنا ولنجعله آية، ونحوه وخلق الله السموات والأرض بالحق ولتجزى كل نفس بما كسبت وقوله
وكذلك مكنا ليوسف في الأرض ولنعلمه، مقضيا مقدرا مسطورا في اللوح لا بد لك من جريه
عليك أو كان أمرا حقيقا بأن يكون ويقضى لكونه آية ورحمة والمراد بالآية العبرة والبرهان
على قدرة الله وبالرحمة الشرائع والألطاف وما كان سببا في قوة الاعتقاد والتوصل إلى الطاعة
والعمل الصالح فهو جدير بالتكوين **فحملته فانتبذت به مكانا قصيا** عن ابن عباس رضي الله
عنهما فاطمأنت إلى قوله فدنا منها فنفخ في جيب درعها فوصلت النفخة إلى بطنها فحملت، وقيل كانت
مدة الحمل ستة أشهر، وعن عطاء وأبي العالية والضحاك سبعة أشهر، وقيل ثمانية ولم يعش
مولود وضع لثمانية إلا عيسى عليه السلام، وقيل ثلاث ساعات، وقيل حملته في ساعة وصور
في ساعة ووضعته في ساعة حين زالت الشمس من يومها، وعن ابن عباس رضي الله عنه كانت
مدة الحمل ساعة واحدة كما حملته نبذته، وقيل حملته وهي بنت ثلاث عشرة سنة، وقيل
بنت عشر وقد كانت حاضت حيضتين، وقالوا ما من مولود إلا يستهل غيره، فانتبذت به أي
اعتزلت وهو في بطنها **كقوله** تدوس بنا الجماجم والتريبا، أي تدوس الجماجم ونحن على
ظهورها، ونحوه قوله سبحانه وتعالى تنبت بالدهن أي تنبت ودهنها فيها الجار والمجرور
في موضع الحال، قصيا أي بعيدا من أهلها وراء الجبل، وقيل أقصى الدار، وقيل كانت سميت لابن
عم لها اسمه يوسف فلما قيل حملت من الزنا خاف عليها قتل الملك فهرب بها فلما كان ببعض الطريق
حدثته نفسه بأن يقتلها فأتاه جبريل فقال إنه من روح القدس فلا تقتلها فتركها **فأجاءها
المخاض إلى جذع النخلة قالت يا ليتني مت قبل هذا وكنت نسيا منسيا** أجاء منقول من جاء
إلا أن استعماله قد تغير بعد النقل إلى معنى الإلجاء ألا ترى أنك لا تقول جئت المكان وأجاءنيه
زيد كما تقول بلغته وأبلغنيه ونظيره آتى حيث لم يستعمل إلا في الإعطاء ولم يقل أتيت المكان
وآتانيه فلان، **وقرأ** ابن كثير في رواية المخاض بالكسر يقال مخضت الحامل مخاضا ومخاضا

وهو

وهو تمخض الولد في بطنها طلبت الجذع لتستتر به وتعتمد عليه عند الولادة وكان جذع نخلة يابسة في الصحراء
ليس لها رأس ولا ثمرة ولا خضرة وكان الوقت شتاء، والتعريف لا يخلو إما أن يكون من تعريف الأسماء
الغالبة كتعريف النجم وابن الصعق كأن تلك الصحراء كان فيها جذع نخلة متعالم عند الناس فإذا قيل
جذع النخلة فهم منه ذلك دون غيره من جذوع النخل، وإما أن يكون تعريف الجنس أي جذع هذه
الشجرة خاصة كأن الله تعالى إنما أرشدها إلى النخلة ليطعمها منها الرطب الذي هو خرسة النفساء
الموافقة لها ولأن النخلة أقل شيء صبرا على البرد وثمارها إنما هو من جمارها فلموافقتها لها مع
جميع الآيات فيها اختارها لها وألجأها إليها **وقرئ** مت بالضم والكسر يقال مات يموت ومات
يمات، والنسي ما من حقه أن يطرح وينسى كخرقة الطامث ونحوها كالذبح اسم ما من شأنه أن
يذبح في قوله تعالى وفديناه بذبح عظيم، وعن يونس العرب إذا ارتحلوا عن الدار قالوا انظروا
أنساءكم أي الشيء اليسير نحو العصا والقدح والشظاظ تمنت لو كانت شيئا تافها لا يؤبه له من شأنه
وحقه أن ينسى في العادة وقد نسي وطرح فوجد فيه النسيان الذي هو حقه وذلك لما لحقها من
فرط الحياء والتشور من الناس على حكم العادة البشرية لا كراهة لحكم الله أو لشدة التكليف عليها إذ
بهتوها وهي عارفة ببراءة الساحة وبضد ما قرفت به من اختصاص الله إياها بغاية الإجلال والإكرام
لأنه مقام دحض قلما تثبت عليه الأقدام أن تعرف اغتباطك بأمر عظيم وفضل باهر تستحق به المدح
وتستوجب التعظيم ثم تراه عند الناس لجهلهم به عيبا تعاب وتعنف بسببه، أو لخوفها على الناس
أن يعصوا الله بسببها **وقرأ** ابن وثاب والأعمش وحمزة نسيا بالفتح قال الفراء هما لغتان كالوتر
والوتر والجسر والجسر، ويجوز أن يكون مسمى بالمصدر كالحمل، وقرأ محمد بن كعب نسأ بالهمز وهو الحليب
المخلوط بالماء ينسؤه أهله لقلته ونزارته، وقرأ الأعمش منسيا بالكسر على الاتباع كالمغيرة والمنخر
فناداها من تحتها ألا تحزني قد جعل ربك تحتك سريا من تحتها هو جبريل عليه السلام قيل كان
يقبل الولد كالقابلة، وقيل هو عيسى وهي قراءة عاصم وأبي عمرو، وقيل تحتها أسفل من مكانها كقوله
تعالى تجري من تحتها الأنهار، وقيل كان أسفل منها تحت الأكمة فصاح بها **وقرأ** نافع وحمزة
والكسائي وحفص من تحتها وفي ناداها ضمير الملك أو عيسى عليه السلام، وعن قتادة الضمير في
تحتها للنخلة، وقرأ زر وعلقمة فخاطبها من تحتها، سئل النبي عليه السلام عن السري فقال هو الجدول
قال لبيد، فتوسطا عرض السري فصدعا، مسجورة متجاورا قلامها، وقيل هو من
السرو والمراد عيسى عليه السلام، وعن الحسن كان والله عبدا سريا **فإن قلت** ما كان حزنها
لفقد الطعام والشراب حتى تسلى بالسري والرطب لم تقع التسلية بهما من حيث إنهما
طعام وشراب ولكن من حيث إنهما معجزتان تريان الناس أنها من أهل العصمة والبعد من الريبة
وأن مثلها مما قرفوها به بمعزل وأن لها أمورا إلهية خارجة من العادات خارقة لما ألفوا واعتادوا
حتى يتبين لهم أن ولادها من غير فحل ليس ببدع من شأنها **وهزي إليك بجذع النخلة تساقط
عليك رطبا جنيا** تساقط فيه تسع قراءات، تساقط بإدغام التاء، وتتساقط بإظهار التاءين،
وتساقط بطرح الثانية، ويساقط بالياء وإدغام التاء، وتساقط، وتسقط، ويسقط، ويسقط
وتسقط التاء للنخلة والياء للجذع ورطبا تمييز أو مفعول على حسب القراءة، وعن المبرد جواز انتصابه
بهزي وليس بذاك والباء في بجذع النخلة صلة للتأكيد كقوله تعالى ولا تلقوا بأيديكم إلى التهلكة

او على معنى افعلي الهز به كقوله يجرح في عراقيبها نصلي • قالوا التمر للنفساء عادة من ذلك الوقت
وكذلك التحنيك وقالوا كان من العجوة • وقيل ما للنفساء خير من الرطب ولا للمريض خير من العسل
وقيل اذا عسر ولادها لم يكن لها خير من الرطب فكلي واشربي وقري عينا فاما ترين من
البشر احدا • عن طلحة بن سليمان جنيا بكسر الجيم للاتباع اى جمعنا لك في السري والرطب فائدتين
احداهما الاكل والشرب • والثانية سلوة الصدر لكونهما معجزتين وهو معنى قوله تعالى فكلي
واشربي وقري عينا اى وطيبي نفسا ولا تغتمي وارفضي عنك ما احزنك واهمك وقرى وقري
بالكسر لغة نجد • ترئن بالهمز ابن الرومي عن ابي عمرو وهذا من لغة من يقول لبأت بالحج وحلأت
السويق وذلك لتآخ بين الهمزة وحرف اللين في الابدال فقولي اني نذرت للرحمن صوما فلن
اكلم اليوم انسيا • صوما صمتا • وفي مصحف عبد الله صمتا • وعن انس بن مالك مثله وقيل صياما
الا انهم كانوا لا يتكلمون في صيامهم وقد نهى رسول الله صلى الله عليه وسلم عن صوم الصمت لانه نسخ في
امته امرها الله بان تنذر الصوم لئلا تشرع مع البشر المتهمين لها في الكلام لمعنيين احدهما ان عيسى
عليه السلام يكفيها الكلام بما يبرئ به ساحتها • والثاني كراهة مجادلة السفهاء ومناقلتهم وفيه
ان السكوت عن السفيه واجب ومن اذل الناس سفيه لم يجد مسافها • قيل اخبرتهم بانها نذرت
الصوم بالاشارة • وقيل سوغ لها ذلك بالنطق • انسيا اى اكلم الملائكة دون الانس فاتت به
قومها تحمله قالوا يا مريم لقد جئت شيئا فريا • يا اخت هرون ما كان ابوك امرأ سوء
وما كانت امك بغيا • الفري البديع وهو من فري الجلد • هرون كان اخاها من ابيها من امثل بني
اسرائيل وقيل هو اخو موسى عليه السلام • وعن النبي صلى الله عليه وسلم انما عنوا هرون النبي وكانت
من اعقابه في طبقة الاخوة وبينها وبينه الف سنة واكثر وعن السدي كانت من اولاده وانما
قيل اخت هرون كما يقال يا اخا همدان اى يا واحدا منهم • وقيل رجل صالح او طالح في زمانها شبهوها
به اى كنت عندنا مثله في الصلاح او شتموها به ولم ترد اخوة النسب • ذكر ان هرون الصالح
تبع جنازته اربعون الفا كلهم يسمى هرون تبركا به وباسمه فقالوا كنا نشبهك بهرون هذا
وقرأ عمر بن لجا التيمي ما كان اباك امرؤ سوء • وقيل احتمل يوسف النجار مريم وابنها الى غار فلبثوا
فيه اربعين يوما حتى تعلت من نفاسها ثم جاءت تحمله فكلمها عيسى عليه السلام في الطريق فقال
يا اماه ابشري فاني عبد الله ومسيحه فلما دخلت به على قومها وهم اهل بيت صالحين تباكوا
وقالوا ذلك • وقيل هموا برجمها حتى تكلم عيسى فتركوها فاشارت اليه قالوا كيف نكلم
من كان في المهد صبيا • فاشارت اليه اى هو الذي يجيبكم اذا ناطقتموه • وقيل كان المستنطق
لعيسى زكريا عليهما السلام • وعن السدي لما اشارت اليه غضبوا وقالوا لسخريتها بنا اشد علينا
من زناها وروي انه كان يرضع فلما سمع ذلك ترك الرضاع واقبل عليهم بوجهه واتكأ على
يساره واشار بسبابته • وقيل كلمهم بذلك ثم لم يتكلم حتى بلغ مبلغا يتكلم فيه الصبيان • كان
لايقاع مضمون الجملة في زمان ماض مبهم يصلح لقريبه وبعيده وهو ههنا لقريبه خاصة والدليل عليه ماض
معنى الكلام وانه مسوق للتعجب • ووجه اخر ان يكون نكلم حكاية حال ماضية اى كيف عهد
قبل عيسى ان يكلم الناس صبيا في المهد فيما سلف من الزمان حتى نكلم هذا قال اني عبد الله آتاني
الكتاب وجعلني نبيا وجعلني مباركا اينما كنت واوصاني بالصلوة والزكوة ما دمت حيا

وبرا

وبرا بوالدتي ولم يجعلني جبارا شقيا • انطقه الله اولا بانه عبد الله ردا لقول النصارى • والكتاب
هو الانجيل • واختلفوا في نبوته فقيل اعطيها في طفوليته اكمل الله عقله واستنبأه طفلا نظرا الى ظاهر
الاية • وقيل معناه ان ذلك سبق في قضائه او جعل الآتي لا محالة كانه قد وجد • مباركا اينما
كنت • عن رسول الله صلى الله عليه وسلم نفاعا حيث كنت • وقيل معلما للخير وقرئ وبرا
عن ابي نهيك جعل ذاته برا لفرط بره او نصبه بفعل في معنى اوصاني وهو كلفني لان اوصاني
بالصلوة وكلفنيها واحد والسلام علي يوم ولدت ويوم اموت ويوم ابعث حيا • والسلام
علي قيل ادخل لام التعريف لتعرفه بالذكر قبله كقولك جاءنا رجل فكان من فعل الرجل كذا والمعنى وذلك
السلام الموجه الى يحيى في المواطن الثلاثة موجه الي • والصحيح ان يكون هذا التعريف تعريضا
باللعنة على متهمي مريم عليها السلام واعدائها من اليهود • وتحقيقه ان اللام للجنس فاذا قال
وجنس السلام علي خاصة فقد عرض بان ضده عليكم • ونظيره قوله عز وجل والسلام على من اتبع
الهدى يعني ان العذاب على من كذب وتولى وكان المقام مقام مناكرة وعناد فهو مئنة لنحو
هذا من التعريض ذلك عيسى ابن مريم قول الحق الذي فيه يمترون • قرأ عاصم وابن عامر قول
الحق بالنصب • وعن ابن مسعود قال الحق وقال الله • وعن الحسن رحمة الله عليه قول الحق بضم القاف
وكذلك في الانعام قوله الحق • والقول والقال والقول في معنى واحد كالرهب والرهب والرهب
وارتفاعه على انه خبر بعد خبر او بدل او خبر مبتدأ محذوف واما انتصابه فعلى المدح ان فسر
بكلمة الله وعلى انه مصدر مؤكد لمضمون الجملة ان اريد قول الثبات والصدق كقولك هو
ها عبد الله حقا والحق لا الباطل وانما قيل لعيسى كلمة الله وقول الحق لانه لم يولد الا بكلمة الله وحدها
وهي قوله كن من غير واسطة اب تسمية للمسبب باسم السبب كما سمي العشب بالسماء والشحم بالندى
ف ويحتمل اذا اريد بقول الحق عيسى ان يكون الحق اسم الله عز وجل وان يكون بمعنى الثبات والصدق
ويعضده قوله الذي فيه يمترون اى امره حق يقين وهم فيه شاكون يمترون يشكون
والمرية الشك او يتمارون ويتلاحون قالت اليهود ساحر كذاب وقالت النصارى ابن الله
وثالث ثلاثة وقرأ علي بن ابي طالب رضي الله عنه تمترون على الخطاب • وعن ابي بن كعب قول
الحق الذي كان الناس فيه يمترون ما كان لله ان يتخذ من ولد سبحانه اذا قضى امرا فانما
يقول له كن فيكون • كذب النصارى وبكتهم بالدلالة على انتفاء الولد عنه وانه مما لا يتأتى
ولا يتصور في المعقول وليس بمقدور عليه اذ من المحال غير المستقيم ان تكون ذاته كذات من
ينشأ منه الولد ثم بين احالة ذلك بان من اذا اراد شيئا من الاجناس كلها اوجده بكن كان
منزها من شبه الحيوان الوالد والقول ههنا مجاز ومعناه ان ارادته للشيء يتبعها كونه
لا محالة من غير توقف فشبه ذلك بامر الآمر المطاع اذا ورد على المأمور الممتثل وان الله ربي
وربكم فاعبدوه هذا صراط مستقيم قرأ المدنيون وابو عمرو بفتح ان ومعناه ولانه ربي
وربكم فاعبدوه كقوله تعالى وان المساجد لله فلا تدعوا مع الله احدا • والاسار وابو عبيد
بالكسر على الابتداء • وفي حرف ابي ان الله بالكسر بغير واو وبان الله اى بسبب ذلك فاعبدوه
فاختلف الاحزاب من بينهم فويل للذين كفروا من مشهد يوم عظيم • الاحزاب اليهود
والنصارى عن الكلبي • وقيل النصارى لتحزبهم ثلاث فرق نسطورية ويعقوبية وملكانية

وعن الحسن رحمة الله عليه الذين تحزبوا على الانبياء لما قص عليهم قصة عيسى عليه السلام اختلفوا من بين
الناس من مشهد يوم عظيم اي من شهودهم هول الحساب والجزاء في يوم القيمة او من مكان الشهود
فيه وهو الموقف او من وقت الشهود او من شهادة ذلك اليوم العظيم عليهم وان تشهد عليهم
الملائكة والانبياء والسنتهم وايديهم وارجلهم بالكفر وسوء الاعمال او من مكان الشهادة
او وقتها وقيل هو ما قالوه وشهدوا به في عيسى عليه السلام وامه اسمع بهم وابصر يوم ياتوننا
لكن الظالمون اليوم في ضلال مبين لا يوصف الله بالتعجب وانما المراد ان اسماعهم وابصارهم
يومئذ جدير بان يتعجب منهما بعدما كانوا صما وعميا في الدنيا وقيل معناه التهديد بما سيسمعون
وسيبصرون مما يسوءهم ويصدع قلوبهم اوقع الظاهر اعني الظالمون موقع الضمير اشعارا بانه
لا ظلم اشد من ظلمهم حيث اغفلوا الاستماع والنظر حين يجدي عليهم ويسعدهم والمراد بالضلال
المبين اغفال النظر والاستماع وانذرهم يوم الحسرة اذ قضي الامر وهم في غفلة وهم لا
يؤمنون فرغ من الحساب وتصادر الفريقان الى الجنة والنار وعن النبي صلى الله
عليه وسلم انه سئل عنه فقال حين يذبح الكبش والفريقان ينظران واذ بدل من يوم
الحسرة او منصوب بالحسرة وهم في غفلة متعلق بقوله في ضلال مبين عن الحسن وانذرهم
اعتراض او هو متعلق بانذرهم اي وانذرهم على هذه الحالة غافلين غير مؤمنين انا نحن نرث
الارض ومن عليها والينا يرجعون يحتمل انه يميتهم ويخرب ديارهم وانه يفني اجسادهم
ويفني الارض ويذهب بها واذكر في الكتاب ابراهيم انه كان صديقا نبيا الصديق من
ابنية المبالغة ونظيره الضحيك والنطيق والمراد فرط صدقه وكثرة ما صدق به من
غيوب الله تعالى واياته وكتبه ورسله وكان الرجحان والغلبة في هذا التصديق للكتب
والرسل اي كان مصدقا لجميع الانبياء وكتبهم وكان نبيا في نفسه كقوله تعالى بل جاء بالحق وصدق
المرسلين او كان بليغا في الصدق لان ملاك امر النبوة الصدق ومصدق الله باياته ومعجزاته حري
ان يكون كذلك وهذه الجملة وقعت اعتراضا بين المبدل منه وبدله اعني ابراهيم صلوات الله عليه
اذ قال لابيه يا ابت لم تعبد ما لا يسمع ولا يبصر ولا يغني عنك شيئا واذ قال نحو قولك رايت
زيدا ونعم الرجل اخاك ويجوز ان يتعلق اذ بكان او بصديقا نبيا اي كان جامعا لخصائص الصديقين
والانبياء حين خاطب اباه تلك المخاطبات والمراد بذكر الرسول اياه وقصته في الكتاب ان يتلو
ذلك على الناس ويبلغه اياهم كقوله تعالى واتل عليهم نبا ابراهيم والا فالله عز وجل هو
ذاكره ومورده في تنزيله التاء في يا ابت عوض من ياء الاضافة ولا يقال يا ابتي لئلا يجمع بين
العوض والمعوض منه وقيل يا ابتا لكون الالف بدلا من الياء وشبه ذلك سيبويه بانيق وتعويض
الياء فيه عن الواو الساقطة انظر حين اراد ان ينصح اباه ويعظه فيما كان متورطا فيه من الخطا
العظيم والارتكاب الشنيع الذي عصى فيه امر العقلاء وانسلخ عن قضية التمييز ومن الغباوة التي
ليس بعدها كيف رتب الكلام معه في احسن اتساق وساقه ارشق مساق مع استعمال المجاملة
واللطف والرفق واللين والادب الجميل والخلق الحسن منتصحا في ذلك بنصيحة ربه تعالى
حدث ابو هريرة رضي الله عنه قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم اوحى الله تعالى الى ابراهيم
عليه السلام انك خليلي حسن خلقك ولو مع الكفار تدخل مداخل الابرار فان كلمتي سبقت لمن حسن مداخل م

خلقه

خلقه الله عز وجل واسكنه حظيرة القدس وادناه من جواره وذلك انه طلب منه اولا العلة
في خطائه طلب منبه على تماديه موقظ لافراطه وتناهيه لان المعبود لو كان حيا مميزا سميعا بصيرا
مقتدرا على الثواب والعقاب نافعا ضارا الا انه بعض الخلق لاستخف عقل من اهله للعبادة
ووصفه بالربوبية ولسجل عليه بالغي المبين والظلم العظيم وان كان اشرف الخلق واعلاهم
منزلة كالملائكة والنبيين قال الله تعالى ولا يامركم ان تتخذوا الملائكة والنبيين اربابا
ايامركم بالكفر بعد اذ انتم مسلمون وذلك ان العبادة هي غاية التعظيم فلا تحق الا لمن له غاية
الانعام وهو الخالق الرازق المحيي المميت المثيب المعاقب الذي منه اصول النعم وفروعها
فاذا وجهت الى غيره وتعالى علوا كبيرا ان تكون هذه الصفة لغيره لم يكن الا ظلما وعتوا
وغيا وكفرا وجحودا وخروجا عن الصحيح النير الى الفاسد المظلم فما ظنك بمن وجه عبادته الى جماد
ليس به حس ولا شعور فلا يسمع يا عابده ذكرك له وثناءك عليه ولا يرى هيئات خضوعك وخشوعك
له فضلا ان يغني عنك بان تستدفعه بلاء فيدفعه او تسنح لك حاجة فيكفيكها يا ابت اني قد جاءني
من العلم ما لم ياتك فاتبعني اهدك صراطا سويا ثم ثنى بدعوته الى الحق مترفقا به متلطفا
فلم يسم اباه بالجهل المفرط ولا نفسه بالعلم الفائق ولكنه قال ان معي طائفة من العلم وشيئا منه ليس معك
وذلك علم الدلالة على الطريق السوي فلا تستنكف وهب اني واياك في مسير وعندي معرفة
بالهداية دونك فاتبعني انجك من ان تضل وتتيه يا ابت لا تعبد الشيطان ان الشيطان
كان للرحمن عصيا ثم ثلث بتثبيطه ونهيه عما كان عليه بان الشيطان الذي استعصى على ربك
الرحمن الذي جميع ما عندك من النعم من عنده وهو عدوك الذي لا يريد بك الا كل هلاك وخزي
ونكال وعدو ابيك ادم وابناء جنسك كلهم هو الذي ورطك في هذه الضلالة وامرك بها وزينها
فانك ان حققت النظر عابد الشيطان الا ان ابراهيم عليه السلام لامعانه في الاخلاص ولارتقاء
همته في الربانية لم يذكر من جنايتي الشيطان الا التي تختص منهما برب العزة من عصيانه واستكباره ولم
يلتفت الى ذكر معاداته لادم وذريته كان النظر في عظم ما ارتكب من ذلك غمر فكره واطبق على ذهنه
يا ابت اني اخاف ان يمسك عذاب من الرحمن فتكون للشيطان وليا ثم ربع بتخويفه سوء
العاقبة وما يجره ما هو فيه من التبعة والوبال ولم يخل ذلك من حسن الادب حيث لم يصرح بان
العقاب لاحق له وان العذاب لاصق به ولكنه قال اخاف ان يمسك عذاب فذكر الخوف والمس
ونكر العذاب وجعل ولاية الشيطان ودخوله في جملة اشياعه واوليائه اكبر من العذاب وذلك ان
من ع رضوان الله اكبر من الثواب نفسه وسماه الله المشهود له بالفوز العظيم حيث قال ورضوان من الله
اكبر ذلك هو الفوز العظيم فكذلك ولاية الشيطان التي هي معارضة رضوان الله اكبر من العذاب
نفسه واعظم وصدر كل نصيحة من النصائح الاربع بقوله يا ابت توسلا اليه واستعطافا ما في ما
لا يسمع وما لم ياتك يجوز ان تكون ما موصولة وموصوفة والمفعول في لا يسمع ولا يبصر منسي غير
منوي كقولك ليس به استماع ولا ابصار وشيئا يحتمل وجهين احدهما ان يكون في موضع المصدر
الاغناء ح٢ اي شيئا من الغناء ويجوز ان يقدر نحوه مع الفعلين السابقين والثاني ان يكون مفعولا به من
قولهم اغن عني وجهك فقد جاءني فيه تجدد العلم عنده قال اراغب انت عن الهتي يا ابراهيم
لئن لم تنته لارجمنك واهجرني مليا لما اطلعه على سماجة صورة امره وهدم مذهبه بالحجج

حجاج

القاطعة وتأمّل المناصحة العجيبة مع تلك الملاطفات أقبل عليه الشيخ بفظاظة الكفر وغلظة العناد فناداه باسمه ولم يقابل يا أبت بيا بنيّ وقدّم الخبر على المبتدأ في قوله أراغب أنت عن آلهتي لأنه كان أهمّ عنده وهو عنده أعنى وفيه ضرب من التعجب والإنكار لرغبته عن آلهته وأن آلهته ما ينبغي أن يرغب عنها أحد وفي هذا سلوان وثلج لصدر رسول الله عليه السلام عمّا كان يلقى من مثل ذلك من كفار قومه • لئن لم تنته لأرجمنّك لأرمينّك بلساني يريد الشتم والذم • ومنه الرجيم المرمي باللعن أو لأقتلنك من رجم الزاني أو لأطردنك رميًا بالحجارة وأصل الرجم الرمي بالرجام • مليًا زمانًا طويلًا من الملاوة أو مليًا بالذهاب عني والهجران قبل أن أثخنك بالضرب حتى لا تقدر أن تبرح فلان ملي بكذا إذا كان مطيقًا له مضطلعًا به فإن قلت علام عطف واهجرني قلت على معطوف عليه محذوف يدل عليه لأرجمنك أي فاحذرني واهجرني لأن لأرجمنك تهديد وتقريع قال سلام عليك سأستغفر لك ربي إنه كان بي حفيًا • سلام عليك سلام توديع ومتاركة كقوله تعالى لنا أعمالنا ولكم أعمالكم سلام عليكم لا نبتغي الجاهلين • وقوله تعالى وإذا خاطبهم الجاهلون قالوا سلامًا • وهذا دليل على جواز متاركة المنصوح والحال هذه • ويجوز أن يكون قد دعا له بالسلامة استمالة له ألا ترى أنه وعده الاستغفار فإن قلت كيف جاز له أن يستغفر للكافر وأن يعده ذلك قلت قالوا أراد اشتراط التوبة عن الكفر كما ترد الأوامر والنواهي الشرعية على الكفار والمراد اشتراط الإيمان وكما يؤمر المحدث والفقير بالصلوة والزكوة ويراد اشتراط الوضوء والنصاب وقالوا إنما استغفر له بقوله واغفر لأبي إنه كان من الضالين لأنه وعده أن يؤمن واستشهدوا بقوله تعالى وما كان استغفار إبراهيم لأبيه إلا عن موعدة وعدها إياه ولقائل أن يقول الذي منع من الاستغفار للكافر إنما هو السمع فأما القضية العقلية فلا تأباه فيجوز أن يكون الوعد بالاستغفار والوفاء به قبل ورود السمع بناء على قضية العقل والذي يدل على صحته قوله عز وعلا إلا قول إبراهيم لأبيه لأستغفرن لك فلو كان شارطًا للإيمان لم يكن مستنكرًا ومستثنى عما وجبت فيه الأسوة وأما عن موعدة وعدها إياه فالواعد هو إبراهيم لا آزر أي ما قال واغفر لأبي إلا عن قوله لأستغفرن لك وتشهد له قراءة حماد الراوية وعدها أباه والله أعلم الحفي البليغ في البر والألطاف حفي به وتحفّى به • واعتزلكم وما تدعون من دون الله وأدعو ربي عسى ألا أكون بدعاء ربي شقيًا • فلما اعتزلهم وما يعبدون من دون الله وهبنا له إسحق ويعقوب وكلًّا جعلنا نبيًا • أراد بالاعتزال المهاجرة إلى الشام المراد بالدعاء العبادة لأنه منها ومن وسائطها • ومنه قوله صلى الله عليه وسلم الدعاء هو العبادة ويدل عليه قوله تعالى فلما اعتزلهم وما يعبدون • ويجوز أن يراد الدعاء الذي حكاه الله في سورة الشعراء عرّض بشقاوتهم بدعاء آلهتهم في قوله عسى ألا أكون بدعاء ربي شقيًا مع التواضع لله في كلمة عسى وما فيه من هضم النفس ما خسر على الله أحد ترك الكفار الفسقة لوجهه فعوضه الله أولادًا مؤمنين أنبياء • ووهبنا لهم من رحمتنا وجعلنا لهم لسان صدق عليًا • من رحمتنا هي النبوة عن الحسن وعن الكلبي رحمة الله عليهما المال والولد وتكون عامة في كل خير ديني ودنيوي أوتوه • لسان الصدق الثناء الحسن وعبّر باللسان عما يوجد باللسان كما عبّر باليد عما يطلق باليد وهي العطية قال •
إني أتتني لسان لا أسرّ بها • يريد الرسالة • ولسان العرب لغتهم وكلامهم • استجاب الله دعوته واجعل

السلوة بالضم خرزة كانوا يعتقدون أنها إذا صب عليها ماء المطر فشربه العاشق سلا واسم ذلك الماء السلوان بالضم صحاح

ثلج صدره وبلج

الرجام الحجارة صحاح

لي لسان صدق في الآخرين فصيّره قدوة حتى ادّعاه أهل الأديان كلهم وقال عز وجل ملة أبيكم إبراهيم وملة إبراهيم حنيفًا • ثم أوحينا إليك أن اتبع ملة إبراهيم حنيفًا وأعطى ذلك ذريته فأعلى ذكرهم وأثنى عليهم كما أعلى ذكره وأثنى عليه • واذكر في الكتاب موسى إنه كان مخلصًا وكان رسولًا نبيًا • المخلص بالكسر الذي أخلص العبادة عن الشرك والرياء أو أخلص نفسه وأسلم وجهه لله وبالفتح الذي أخلصه الله • الرسول الذي معه كتاب من الأنبياء والنبي الذي ينبئ عن الله عز وجل وإن لم يكن معه كتاب كيوشع • وناديناه من جانب الطور الأيمن وقربناه نجيًا • الأيمن من اليمين أي من ناحيته اليمنى أو من اليمن صفة للطور أو للجانب شبّهه بمن قرّبه بعض العظماء للمناجاة حيث كلّمه بغير واسطة ملك • وعن أبي العالية قرّبه حتى سمع صريف القلم الذي كتبت به التورية • ووهبنا له من رحمتنا أخاه هرون نبيًا • من رحمتنا من أجل رحمتنا له وترؤفنا عليه وهبنا له هرون أو بعض رحمتنا كما في قوله تعالى ووهبنا لهم من رحمتنا وأخاه على هذا الوجه بدل وهرون عطف بيان كقولك رأيت رجلًا أخاك زيدًا وكان هرون أكبر من موسى فوقعت الهبة على معاضدته ومؤازرته كذا عن ابن عباس رضي الله عنهما • واذكر في الكتاب إسمعيل إنه كان صادق الوعد وكان رسولًا نبيًا • وكان يأمر أهله بالصلوة والزكوة وكان عند ربه مرضيًا • ذكر إسمعيل عليه السلام بصدق الوعد وإن كان موجودًا في غيره من الأنبياء تشريفًا له وإكرامًا كالتلقيب نحو الحليم والأوّاه والصديق ولأنه المشهور المتواصف من خصاله • عن ابن عباس رضي الله عنهما أنه وعد صاحبًا له أن ينتظره في مكان فانتظره سنة • وناهيك أنه وعد من نفسه الصبر على الذبح فوفى حيث قال ستجدني إن شاء الله من الصابرين • كان يبدأ بأهله في الأمر بالصلاح والعبادة ليجعلهم قدوة لمن وراءهم ولأنهم أولى من سائر الناس • وأنذر عشيرتك • وأمر أهلك بالصلوة • قوا أنفسكم وأهليكم نارًا • ألا ترى أنهم أحق بالتصدق عليهم فالإحسان الديني أولى • وقيل أهله أمته كلهم من القرابة وغيرهم لأن أمم النبيين في عداد أهاليهم • وفيه أن من حق الصالح أن لا يألو نصحًا للأجانب فضلًا عن الأقارب والمتصلين به وأن يحظيهم بالفوائد الدينية ولا يفرط في ذلك • واذكر في الكتاب إدريس إنه كان صديقًا نبيًا ورفعناه مكانًا عليًا • أولئك الذين أنعم الله عليهم من النبيين من ذرية آدم وممن حملنا مع نوح ومن ذرية إبراهيم وإسرائيل وممن هدينا واجتبينا إذا تتلى عليهم آيات الرحمن خرّوا سجدًا وبكيًا • قيل سمّي إدريس لكثرة دراسته وكان اسمه أخنوخ وهو غير صحيح لأنه لو كان إفعيلًا من الدرس لم يكن فيه إلا سبب واحد وهو العلمية وكان منصرفًا فامتناعه من الصرف دليل العجمة وكذلك إبليس أعجمي وليس من الإبلاس كما يزعمون ولا يعقوب من العقب ولا إسرائيل بإسرال كما زعم ابن السكيت ومن لم يتحقق ولم يتدرب بالصناعة كثرت منه أمثال هذه الهنات • ويجوز أن يكون معنى إدريس في تلك اللغة قريبًا من ذلك فحسبه الراوي مشتقًا من الدرس • المكان العلي شرف النبوة والزلفى عند الله وقد أنزل الله عليه ثلاثين صحيفة وهو أول من خط بالقلم ونظر في علم النجوم والحساب • وأول من خاط الثياب ولبسها وكانوا يلبسون الجلود • وعن أنس بن مالك رضي الله عنه يرفعه أنه رفع إلى السماء الرابعة • وعن ابن عباس رضي الله عنهما إلى السماء السادسة • وعن الحسن رحمة الله عليه إلى الجنة لا شيء أعلى من الجنة • وعن النابغة الجعدي أنه لما أنشد رسول الله عليه السلام

الشعر الذي اخره ٭ بلغنا السماء مجدنا وسناءنا ٭ وانا لنرجو فوق ذلك مظهرا ٭ قال له رسول الله صلى الله
عليه السلام الى اين يا ابا ليلى قال الى الجنة ٭ اولئك اشارة الى المذكورين في السورة من لدن زكريا الى
ادريس ومن في من النبيين للبيان مثلها في قوله تعالى في اخر سورة الفتح وعد الله الذين امنوا وعملوا
الصالحات منهم مغفرة لان جميع الانبياء منعم عليهم ٭ ومن الثانية للتبعيض ٭ وكان ادريس من
ذرية ادم عليهما السلام لقربه منه لانه جد ابي نوح وابراهيم من ذرية من حمل مع نوح لانه من
ولد سام بن نوح واسمعيل من ذرية ابراهيم عليهما السلام ٭ وموسى وهرون وزكريا ويحيى عليهم
السلام من ذرية اسرائيل وكذلك عيسى لان مريم من ذريته ٭ وممن هدينا يحتمل العطف على من
الاولى والثانية ان جعلت الذين خبرا لاولئك كان اذا تتلى عليهم كلاما مستانفا وان جعلته صفة
له كان خبرا قرا شبل بن عباد المكي يتلى بالتذكير لان التانيث غير حقيقي مع وجود الفاصل ٭ البكي
جمع باك كالسجود والقعود في جمع ساجد وقاعد ٭ عن رسول الله صلى الله عليه وسلم اتلوا القران وابكوا
فان لم تبكوا فتباكوا ٭ وعن صالح المري قرات القران على رسول الله عليه السلام في المنام فقال لي يا
صالح هذه القراة فاين البكاء ٭ وعن ابن عباس رضي الله عنهما اذا قراتم سجدة سبحان فلا تعجلوا
بالسجود حتى تبكوا فان لم تبك عين احدكم فليبك قلبه ٭ وعن رسول الله صلى الله عليه وسلم ان القران
نزل بحزن فاذا قراتموه فتحازنوا وقالوا يدعو في سجدة التلاوة بما يليق بايتها فان قرا اية تنزيل
السجدة قال اللهم اجعلني من الساجدين لوجهك المسبحين بحمدك واعوذ بك ان اكون من المستكبرين
عن امرك ٭ وان قرا سجدة سبحان قال اللهم اجعلني من الباكين اليك الخاشعين لك ٭ وان قرا هذه قال
اللهم اجعلني من عبادك المنعم عليهم المهتدين الساجدين لك الباكين عند تلاوة اياتك ٭ ف
خلف من بعدهم خلف اضاعوا الصلوة واتبعوا الشهوات فسوف يلقون غيا خلفه
اذا عقبه ثم قيل في عقب الخير خلف بالفتح وفي عقب السوء خلف بالسكون كما قالوا وعد في ضمان
الخير ووعيد في ضمان الشر عن ابن عباس رضي الله عنهما هم اليهود تركوا الصلوة المفروضة
وشربوا الخمر واستحلوا نكاح الاخت من الاب ٭ وعن ابراهيم ومجاهد اضاعوها بالتاخير وينصر الاول
قوله تعالى الا من تاب وامن يعني الكفار وعن علي بن ابي طالب رضي الله عنه في قوله تعالى واتبعوا الشهوات
من بني المشيد وركب المنظور ولبس المشهور ٭ وعن قتادة هو في هذه الامة وقرا ابن مسعود والحسن
والضحاك رحمة الله عليهم الصلوات بالجمع ٭ كل شر عند العرب غي وكل خير رشاد قال ٭
٭ فمن يلق خيرا يحمد الناس امره ٭ ومن يغو لا يعدم على الغي لائما ٭ وعن الزجاج جزاء غي
كقوله تعالى يلق اثاما اي مجازاة اثام او غيا عن طريق الجنة ٭ وقيل غي واد في جهنم تستعيذ منه
اوديتها ٭ وروى الاخفش يلقون ٭ الا من تاب وامن وعمل صالحا فاولئك يدخلون الجنة
ولا يظلمون شيا قرى يدخلون ويدخلون ٭ اي لا ينقصون شيا من جزاء اعمالهم ولا يمنعونه
بل يضاعف لهم بيانا لان تقدم الكفر لا يضرهم اذا تابوا من قولك ما ظلمك ان تفعل كذا بمعنى
ما منعك او ولا يظلمون البتة اي شيا من الظلم جنات عدن التي وعد الرحمن عباده بالغيب
انه كان وعده ماتيا ٭ لما كانت الجنة مشتملة على جنات عدن ابدلت منها كقولك ابصرت
دارك القاعة والعلالي وعدن معرفة علم لمعنى العدن وهو الاقامة كما جعلوا فينة وسحر
وامس فيمن لم يصرفه اعلاما لمعاني الفينة والسحر والامس فجرى مجرى العدن لذلك او هو علم

المشيد

لأرض

لارض الجنة لكونها مكان اقامة ولولا ذلك لما ساغ الابدال لان النكرة لا تبدل من المعرفة الا موصوفة
ولما ساغ وصفها بالتي وقرى جنات عدن وجنة عدن بالرفع على الابتداء اي وعدها وهي
غائبة عنهم غير حاضرة او هم غائبون عنها لا يشاهدونها او بتصديق الغيب والايمان به وقيل
في ماتيا مفعول بمعنى فاعل والوجه ان الوعد هو الجنة وهم ياتونها او هو من قولك اتى اليه
احسانا اي كان وعده مفعولا منجزا لا يسمعون فيها لغوا الا سلاما ولهم رزقهم فيها بكرة
وعشيا ٭ اللغو فضول الكلام وما لا طائل تحته وفيه تنبيه ظاهر على وجوب تجنب اللغو واتقائه
حيث نزه الله عنه الدار التي لا تكليف فيها وما احسن قوله تعالى واذا مروا باللغو مروا كراما
واذا سمعوا اللغو اعرضوا عنه وقالوا لنا اعمالنا ولكم اعمالكم سلام عليكم لا نبتغي الجاهلين نعوذ
بالله من اللغو والجهل والخوض فيما لا يعنينا اي ان كان تسليم بعضهم على بعض او تسليم الملائكة
عليهم لغوا فلا يسمعون لغوا الا ذلك فهو من وادي قوله ٭ ٭ ٭
٭ ولا عيب فيهم غير ان سيوفهم ٭ بهن فلول من قراع الكتائب ٭ او لا يسمعون فيها
الا قولا يسلمون فيه من العيب والنقيصة على الاستثناء المنقطع او لان معنى السلام هو الدعاء بالسلامة
ودار السلام هي دار السلامة واهلها عن الدعاء بالسلامة اغنياء فكان ظاهره من باب اللغو وفضول الحديث
لولا ما فيه من فائدة الاكرام من الناس من ياكل الوجبة ومنهم من ياكل متى وجد وهي عادة المنهومين
ومنهم من يتغدى ويتعشى وهي العادة الوسطى المحمودة ولا يكون ثم ليل ولا نهار ولكن على التقدير
ولان المتنعم عند العرب من وجد غداء وعشاء ٭ وقيل اراد دوام الرزق ودروره كما تقول انا عند
فلان صباحا ومساء وبكرة وعشيا تريد الديمومة ولا تقصد الوقتين المعلومين تلك الجنة
التي نورث من عبادنا من كان تقيا ٭ نورث وقرى نورث استعارة اي نبقي عليه الجنة كما
نبقي على الوارث مال المورث ولان الاتقياء يلقون ربهم يوم القيمة وقد انقضت اعمالهم وثمرتها
باقية وهي الجنة فاذا ادخلهم الجنة فقد اورثهم من تقواهم كما يورث الوارث المال من المتوفى
وقيل اورثوا من الجنة المساكن التي كانت لاهل النار لو اطاعوا وما نتنزل الا بامر ربك له
ما بين ايدينا وما خلفنا وما بين ذلك وما كان ربك نسيا ٭ وما نتنزل حكاية قول
جبريل عليه السلام حين استبطاه رسول الله صلى الله عليه وسلم روي انه احتبس اربعين يوما
وقيل خمسة عشر وذلك حين سئل عن قصة اصحاب الكهف وذي القرنين والروح فلم يدر كيف
يجيب ورجا ان يوحى اليه فشق ذلك عليه مشقة شديدة وقال المشركون ودعه ربه وقلاه
فلما نزل جبريل عليه السلام قال له رسول الله صلى الله عليه وسلم ابطات حتى ساء ظني واشتقت
اليك قال اني كنت اشوق ولكني عبد مامور اذا بعثت نزلت واذا حبست احتبست وانزل الله هذه
وسورة الضحى والتنزل على معنيين معنى النزول على مهل ومعنى النزول على الاطلاق كقوله
٭ فلست لانسي ولكن لملاك ٭ تنزل من جو السماء يصوب ٭ لانه مطاوع نزل ونزل يكون
بمعنى انزل وبمعنى التدريج واللائق بهذا الموضع هو النزول على مهل والمراد ان نزولنا في
الاحايين وقتا غب وقت ليس الا بامر الله وعلى ما يراه صوابا وحكمة وله ما قدامنا وما خلفنا
من الجهات والاماكن وما نحن فيها فلا نتمالك ان ننتقل من جهة الى جهة ومكان الى مكان الا بامر

الملك ومشيئته وهو الحافظ العالم بكل حركة وسكون وما يحدث ويتجدد من الاحوال لا يجوز عليه
الغفلة والنسيان فانى لنا ان نتقلب فى ملكوته الا اذا رأى ذلك مصلحة وحكمة واطلق لنا الاذن
فيه • وقيل ما سلف من امر الدنيا وما يستقبل من امر الاخرة وما بين ذلك ما بين النفختين وهو اربعون
سنة • وقيل ما مضى من اعمارنا وما غبر منها والحال التى نحن فيها • وقيل ما قبل وجودنا وما بعد فنائنا
وقيل الارض التى بين ايدينا اذا نزلنا والسماء التى وراءنا وما بين السماء والارض والمعنى انه المحيط بكل
شئ لا تخفى عليه خافية ولا يعزب عنه مثقال ذرة فكيف نقدم على فعل نحدثه الا صادرا عما توجبه
حكمته ويأمرنا به ويأذن لنا فيه • وقيل معنى وما كان ربك نسيا وما كان تاركا لك كقوله تعالى
ما ودعك ربك وما قلى اى ما كان امتناع النزول الا لامتناع الامر به واما احتباس الوحى فلم يكن
عن ترك الله لك وتوديعه اياك ولكن لتوقفه على المصلحة • وقيل هى حكاية قول المتقين حين يدخلون
الجنة اى وما ننزل الجنة الا بان من الله علينا بثواب اعمالنا وامرنا بدخولها وهو المالك لرقاب
الامور كلها السالفة والمترقبة والحاضرة اللاطف فى اعمال الخير والموفق لها والمجازى عليها ثم قال
الله سبحانه وتعالى تقريرا لقولهم وما كان ربك ناسيا لاعمال العاملين غافلا عما يجب ان يثاب به
وكيف يجوز النسيان والغفلة على ذى ملكوت السماوات والارض وما بينهما ثم قال لرسوله صلى الله
عليه وسلم حين عرفه على هذه الصفة فاقبل على العمل واعبده يثبك كما اثاب غيرك من المتقين •
وقرأ الاعرج وما يتنزل بالياء على الحكاية عن جبريل عليه السلام والضمير للوحى • وعن ابن مسعود
رضى الله عنه الا بقول ربك يجب ان يكون الخلاف فى النسى مثله فى البغى رب السموات والارض
وما بينهما فاعبده واصطبر لعبادته هل تعلم له سميا • رب السموات والارض بدل من ربك
ويجوز ان يكون خبر مبتدأ محذوف اى هو رب السموات والارض فاعبده كقوله •
وقائلة خولان فانكح فتاتهم • وعلى هذا الوجه يجوز ان يكون وما كان ربك نسيا من كلام المتقين
وما بعده من كلام رب العزة فان قلت هلا عدى اصطبر بعلى التى هى صلته كقوله تعالى واصطبر
عليها لان العبادة جعلت بمنزلة القرن فى قولك للمحارب اصطبر لقرنك اى اثبت له فيما
يورد عليك من شداته اريد ان العبادة تورد عليك شدائد ومشاق فاثبت لها ولا تهن ولا
يضيق صدرك عن القاء عداتك من اهل الكتاب اليك الاغاليط وعن احتباس الوحى عليك مدة وشماتة
المشركين بك • اى لم يسم شئ بالله قط وكانوا يقولون لاصنامهم الهة والعزى اله واما الذى عوض
فيه الالف واللام من الهمزة فمخصوص به المعبود الحق غير مشارك فيه • وعن ابن عباس رضى الله
عنهما لا يسمى احد الرحمن غيره • ووجه اخر هل تعلم من سمى باسمه على الحق دون الباطل لان التسمية
على الباطل فى كونها غير معتد بها كلا تسمية • وقيل مثلا وشبيها اى اذا صح ان لا معبود يوجه اليه
العباد العبادة الا هو وحده ولم يكن بد من عبادته والاصطبار على مشاقها وتكاليفها ويقول
الانسان أئذا ما مت لسوف اخرج حيا • يحتمل ان يراد بالانسان الجنس باسره وان يراد بعض
الجنس وهم الكفرة فان قلت لم جازت ارادة الاناسى كلهم وكلهم غير قائلين ذلك قلت
لما كانت هذه المقالة موجودة فيمن هو من جنسهم صح اسناده الى جميعهم كما يقولون بنو فلان قتلوا
فلانا وانما القاتل رجل منهم قال الفرزدق •
فسيف بنى عبس وقد ضربوا به • نبا بيدى ورقاء عن راس خالد • فقد اسند الفعل

الى بنى عبس مع قوله نبا بيدى ورقاء وهو ورقاء بن زهير بن جذيمة العبسى فان قلت بم انتصب
اذا وانتصابه باخرج ممتنع لاجل اللام لا تقول اليوم لزيد قائم قلت بفعل مضمر يدل عليه المذكور
فان قلت لام الابتداء الداخلة على المضارع تعطى معنى الحال فكيف جامعت حرف الاستقبال
قلت لم تجامعها الا مخلصة للتوكيد كما اخلصت الهمزة فى يا الله للتعويض واضمحل عنها معنى
التعريف وما فى اذا ما للتوكيد ايضا فكأنهم قالوا أحقا انا سنخرج احياء حين يتمكن فينا الموت
والهلاك على وجه الاستنكار والاستبعاد والمراد الخروج من الارض او من حال الفناء او هو من
قولهم خرج فلان عالما وخرج شجاعا اذا كان نادرا فى ذلك يريد ساخرج حيا نادرا على سبيل الهزؤ
وقرأ الحسن وابو حيوة لسوف اخرج • وعن طلحة بن مصرف لساخرج كقراءة ابن مسعود ولسيعطيك
وتقديم الظرف وايلاؤه حرف الانكار من قبل ان ما بعد الموت هو وقت كون الحياة منكرة ومنه
جاء انكارهم فهو كقولك للمسئ الى المحسن أحين تمت عليك نعمة فلان اسأت اليه اولا يذكر
الانسان انا خلقناه من قبل ولم يك شيئا • الواو عطفت لا يذكر على يقول ووسطت همزة
الانكار بين المعطوف عليه وحرف العطف يعنى أيقول ذلك ولا يتذكر حال النشأة الاولى حتى لا
ينكر الاخرى فان تلك اعجب واغرب وادل على قدرة الخالق حيث اخرج الجواهر والاعراض من
العدم الى الوجود ثم اوقع التأليف مشحونا بضروب الحكم التى تحار الفطن فيها من غير حذو على مثال
واقتداء بمؤلف ولكن اختراعا وابداعا من عند قادر جلت قدرته ودقت حكمته واما الثانية فقد
تقدمت نظيرتها وعادت لها كالمثال المحتذى عليه وليس فيها الا تأليف الاجزاء الموجودة البا قية
وتركيبها وردها الى ما كانت عليه مجموعة بعد التفكيك والتفريق وقوله تعالى ولم يك شيئا دليل
على هذا المعنى وكذلك قوله تعالى وهو اهون عليه على ان رب العزة سواء عليه النشأتان لا يتفا وت
فى قدرته الصعب والسهل ولا يحتاج الى احتذاء على مثال ولا استعانة بحكيم ولا نظر فى مقياس
ولكن يواجه جاحد البعث بذلك دفعا فى نحر معاندته وكشفا عن صفحة جهله • القراء كلهم على لا
يذكر بالتشديد الا نافعا وابن عامر وعاصما فقد خففوا • وفى حرف ابى يتذكر من قبل من قبله
الحالة التى هو فيها وهى حالة بقائه فوربك لنحشرنهم والشياطين ثم لنحضرنهم حول جهنم
جثيا • فى اقسام الله تعالى باسمه تقدست اسماؤه مضافا الى رسول الله صلى الله عليه وسلم
تفخيم لشأن رسول الله صلى الله عليه وسلم ورفع منه كما رفع من شأن السماء والارض فى قوله
تعالى فورب السماء والارض انه لحق والواو فى والشياطين يجوز ان تكون للعطف وبمعنى مع
وهى بمعنى مع اوقع والمعنى انهم يحشرون مع قرنائهم من الشياطين الذين اغووهم يقرن كل كافر مع
شيطان فى سلسلة فان قلت هذا اذا اريد بالانسان الكفرة خاصة فان اريد الاناسى على
العموم فكيف يستقيم حشرهم مع الشياطين قلت اذا حشر جميع الناس حشرا واحدا وفيهم الكفرة
مقرونين بالشياطين فقد حشروا مع الشياطين كما حشروا مع الكفرة • فان قلت هلا عزل السعداء
من الاشقياء فى الحشر كما عزلوا عنهم فى الجزاء • قلت لم يفرق بينهم وبينهم فى المحشر واحضروا حيث تجاثوا
حول جهنم واوردوا معهم النار ليشاهد السعداء الاحوال التى نجاهم الله منها وخلصهم فيزدادوا
لذلك غبطة الى غبطة وسرورا الى سرور ويشمتوا باعداء الله واعدائهم فتزداد مساءتهم وحسرتهم
وما يغيظهم من سعادة اولياء الله وشماتتهم بهم فان قلت ما معنى احضارهم جثيا قلت

إنما أفرد الإنسان بالخصوص فالمعنى أنهم يُقبِلون من المحشر إلى شاطئ جهنم عُتُلّاً على حالهم التي كانوا عليها في الموقف جُثاةً على رُكبهم غير مُشاة على أقدامهم وذلك أن أهل الموقف وُصِفوا بالجُثوّ قال الله سبحانه وتعالى وترى كلّ أمّة جاثية على العادة المعهودة في مواقف المقاوَلات والمناقَلات من تجاثي أهلها على الرُّكب لما في ذلك من الاستيفاز والقلق وإطلاق الحُبى وخلاف الطمأنينة أو لما يدهمهم من شدة الأمر التي كانوا لا يطيقون معها القيام على أرجلهم فيجثون على رُكبهم جثواً وإن فُسِّر بالعموم فالمعنى أنهم يتجاثون عند موافاة شاطئ جهنم على أنّ جثيّاً حال مقدّرة كما كانوا في الموقف متجاثين لأنه من توابع التواقف للحساب قبل التوصّل إلى الثواب والعقاب ثم لننزعنّ من كل شيعة أيّهم أشدّ على الرحمن عتيّاً ۝ ثم لنحن أعلم بالذين هم أولى بها صليّاً ۝ المراد بالشيعة وهي فِعلة كفِرقة وفِئة الطائفة التي شاعت أي تبعت غاوياً من الغواة قال الله عزّ وجلّ إن الذين فرّقوا دينهم وكانوا شيعاً يريد نُمَيِّز من كل طائفة من طوائف الغيّ والفساد أعصاهم فأعصاهم وأعتاهم فأعتاهم فإذا اجتمعوا طرحناهم في النار على الترتيب نقدّم أولاهم بالعذاب فأولاهم أو أراد بالذين هم أولى بها صليّاً المنتزَعين كأنه قال ثم لنحن أعلم بتصلية هؤلاء وهم أولى بالصَّلي من بين سائر الصالين ودركاتهم أسفل وعذابهم أشدّ ويجوز أن يريد بأشدّهم عتيّاً رؤساء الشِّيَع وأئمّتهم لتضاعف جرمهم بكونهم ضُلّالاً ومضلّين قال الله سبحانه وتعالى الذين كفروا وصدّوا عن سبيل الله زدناهم عذاباً فوق العذاب بما كانوا يفسدون وليحملُنّ أثقالهم وأثقالاً مع أثقالهم واختُلف في إعراب أيّهم أشدّ فعن الخليل أنه مرتفع على الحكاية تقديره لننزعنّ الذين يقال فيهم أيّهم أشدّ وسيبويه على أنه مبنيّ على الضمّ لسقوط صدر الجملة التي هي صلته حتى لو جيء به لأُعرب وقيل أيّهم هو أشدّ ويجوز أن يكون النزع واقعاً على من كل شيعة كقوله تعالى ووهبنا لهم من رحمتنا أي لننزعنّ بعض كل شيعة فكأنّ قائلاً قال من هم فقيل أيّهم أشدّ عتيّاً وأيّهم أشدّ بالنصب عن طلحة بن مصرّف وعن معاذ بن مسلم الهرّاء أستاذ الفرّاء فإن قلت بمَ يتعلّق على والباء فإنّ تعلّقهما بالمصدر لا سبيل إليه قلت هما للبيان لا للصلة أو يتعلّقان بأفعل أي عتوّهم أشدّ على الرحمن وصليهم أولى بالنار كقولهم هو أشدّ على خصمه وهو أولى بكذا وإن منكم إلا واردها كان على ربّك حتماً مقضيّاً ۝ وإن منكم التفات إلى الإنسان تعضده قراءة ابن عباس وعكرمة رضي الله عنهما وإن منهم أو خطاب للناس من غير التفات إلى المذكور فإن أريد الجنس كله فمعنى الورود دخولهم فيها وهي جامدة فيعبرها المؤمنون وتنهار بغيرهم عن ابن عباس رضي الله عنهما يردونها كأنها إهالة وروي دواية وعن جابر رضي الله عنه أنه سأل النبي صلّى الله عليه وسلّم عن ذلك فقال إذا دخل أهل الجنة الجنة قال بعضهم لبعض أليس قد وعدنا ربنا أن نرد النار فيقال لهم قد وردتموها وهي جامدة وعنه رضي الله عنه أنه سُئل عن هذه الآية فقال سمعت رسول الله عليه السلام يقول الورود الدخول لا يبقى برّ ولا فاجر إلا دخلها فتكون على المؤمنين برداً وسلاماً كما كانت على إبراهيم عليه السلام حتى إن للنار ضجيجاً من بردها وأما قوله أولئك عنها مبعدون فالمراد عن عذابها وعن ابن مسعود والحسن وقتادة رحمة الله عليهم هو الجواز على الصراط لأن الصراط ممدود عليها وعن ابن عباس رضي الله عنهما قد يرد الشيء الشيء ولا يدخله كقوله تعالى ولما ورد ماء مدين ووردت القافلة البلد وإن لم تدخله ولكن قربت منه وعن مجاهد ورود المؤمن النار هو مسّ الحمّى جسده في الدنيا لقوله صلّى الله عليه وسلّم الحمّى من فيح جهنم وفي الحديث

الحمّى

الحمّى حظّ كل مؤمن من النار ويجوز أن يراد بالورود جثوّهم حولها وإن أريد الكفار خاصة فالمعنى بيّن والحتم مصدر حتم الأمر إذا أوجبه فسُمّي به الموجَب كقولهم خلق الله وضرب الأمير أي كان وروده واجباً على الله أوجبه على نفسه وقضى به وعزم أن لا يكون غيره ثم ننجّي الذين اتقوا ونذر الظالمين فيها جثيّاً قرئ ننجي ونُنَجّي ويُنجّي ويُنجى على ما لم يسمّ فاعله إن أريد الجنس بأسره فهو ظاهر وإن أريد الكفرة وحدهم فمعنى ثم ننجي الذين اتقوا أن المتقين يساقون إلى الجنة عقيب ورود الكفار لا أنهم يواردونهم ثم يتخلّصون وفي قراءة ابن عباس وابن مسعود رضي الله عنهما والجحدري وابن أبي ليلى ثَمّ ننجّي بفتح الثاء أي هناك وقوله تعالى ونذر الظالمين فيها جثيّاً دليل على أن المراد بالورود الجثوّ حواليها وأن المؤمنين يفارقون الكفرة إلى الجنة بعد تجاثيهم ويبقى الكفرة في مكانهم جاثين وإذا تتلى عليهم آياتنا بيّنات قال الذين كفروا للذين آمنوا أيّ الفريقين خيرٌ مقاماً وأحسن نديّاً بيّنات مرتّلات الألفاظ ملخّصات المعاني مبيّنات المقاصد إمّا محكمات أو متشابهات قد تبعها البيان بالمحكمات أو بتبيين الرسول قولاً أو فعلاً أو ظاهرات الإعجاز تُحُدّي بها فلم يُقدر على معارضتها أو حججاً وبراهين والوجه أن تكون حالاً مؤكدة كقوله عزّ وعلا وهو الحق مصدّقاً لأن آيات الله لا تكون إلا واضحة وحججاً للذين آمنوا يحتمل أنهم يناطقون المؤمنين بذلك ويواجهونهم به وأنهم يفوهون به لأجلهم وفي معناهم كقوله تعالى وقال الذين كفروا للذين آمنوا لو كان خيراً ما سبقونا إليه قرأ ابن كثير مُقاماً بالضم وهو موضع الإقامة والمنزل والباقون بالفتح وهو موضع القيام والمراد المكان والموضع والندي المجلس ومجتمع القوم وحيث ينتدون والمعنى أنهم إذا سمعوا الآيات وهم جهلة لا يعلمون إلا ظاهراً من الحياة الدنيا وذلك مبلغهم من العلم قالوا أيّ الفريقين من المؤمنين بالآيات والجاحدين لها أوفر حظّاً من الدنيا حتى يجعل ذلك عياراً على الفضل والنقص والرفعة والضعة ويروى أنهم كانوا يرجّلون شعورهم ويدّهنون ويتطيّبون ويتزيّنون بالزين الفاخرة ثم يدعون مفتخرين على فقراء المسلمين أنهم أكرم على الله منهم وكم أهلكنا قبلهم من قرنٍ هم أحسن أثاثاً ورئياً ۝ كم مفعول أهلكنا ومن تبيين لإبهامها أي كثيراً من القرون أهلكنا وكل أهل عصر قرن لمن بعدهم لأنهم يتقدّمونهم وهم أحسن في محلّ النصب صفة لكم ألا ترى أنك لو تركت هم لم يكن لك بدّ من نصب أحسن على الوصفية والأثاث متاع البيت وقيل ما جدّ من الفرش والخُرثيّ ما لُبس منها وأنشد الحسن بن علي الطوسي

تقادم العهد من أم الوليد بنا ۝ دهراً وصار أثاث البيت خُرثيّا ۝

قرئ على خمسة أوجه رئياً وهو المنظر والهيئة فِعل بمعنى مفعول من رأيت ورِيّاً على القلب كقولهم راءٍ في رأى وريّاً على قلب الهمزة ياءً والإدغام أو من الريّ الذي هو النعمة والترفّه من قولهم ريّان من النعيم وريّاً على حذف الهمزة رأساً ووجهه أن يخفّف المقلوب وهو ريْياً بحذف همزته وإلقاء حركتها على الياء الساكن قبلها وزيّاً واشتقاقه من الزيّ وهو الجمع لأن الزيّ محاسن مجموعة والمعنى أحسن من هؤلاء قل من كان في الضلالة فليمدد له الرحمن مدّاً ۝ أي يمدّ له الرحمن يعني يمهله ويملي له في العمر فأخرج على لفظ الأمر إيذاناً بوجوب ذلك وأنه مفعول لا محالة كالمأمور به الممتثل لتنقطع معاذير الضالّ ويقال له يوم القيامة أولم نعمّركم ما يتذكّر فيه من تذكّر أو كقوله تعالى إنما نملي لهم ليزدادوا إثماً أو من كان في الضلالة فليمدد له الرحمن مدّاً في معنى الدعاء بأن يمهله الله وينفّس في مدّة حياته حتى إذا رأوا ما يوعدون إمّا العذاب وإمّا الساعة فسيعلمون

مَنْ هُوَ شَرٌّ مَكَانًا وَأَضْعَفُ جُنْدًا ۝ في هذه الآية وجهان ۝ أحدهما أن تكون متصلة بالآية التي هي رابعتها والآيتان اعتراض بينهما أي قالوا أي الفريقين خير مقاما وأحسن نديا حتى إذا رأوا ما يوعدون أي لا يبرحون يقولون هذا القول ويتولعون به لا يتكافون عنه إلى أن يشاهدوا الموعود رأي عين إما العذاب في الدنيا وهو غلبة المسلمين عليهم وتعذيبهم إياهم قتلا وأسرا وإظهار الله دينه على الدين كله على أيديهم وإما يوم القيمة وما ينالهم من الخزي والنكال فحينئذ يعلمون عند المعاينة أن الأمر على عكس ما قدروه وأنهم شر مكانا وأضعف جندا لا خير مقاما وأحسن نديا وأن المؤمنين على خلاف صفتهم ۝ والثاني أن يتصل بما يليها والمعنى أن الذين في الضلالة ممدود لهم في ضلالتهم والخذلان لاصق بهم لعلم الله تعالى بهم وبأن الألطاف لا تنفع فيهم وليسوا من أهلها والمراد بالضلالة ما دعاهم من جهلهم وغلوهم في كفرهم إلى القول الذي قالوه لا ينفكون عن ضلالتهم إلى أن يعاينوا نصرة الله المؤمنين أو يشاهدوا الساعة ومقدماتها فإن قلت حتى هذه ما هي قلت هي التي تحكى بعدها الجمل ألا ترى الجملة الشرطية واقعة بعدها وهي قوله تعالى إذا رأوا ما يوعدون فسيعلمون ۝ شر مكانا وأضعف جندا في مقابلة خير مقاما وأحسن نديا لأن مقامهم هو مكانهم ومسكنهم ۝ والندي المجلس الجامع لوجوه قومهم وأعوانهم وأنصارهم والجند هم الأنصار والأعوان وَيَزِيدُ اللَّهُ الَّذِينَ اهْتَدَوْا هُدًى وَالْبَاقِيَاتُ الصَّالِحَاتُ خَيْرٌ عِنْدَ رَبِّكَ ثَوَابًا وَخَيْرٌ مَرَدًّا ۝ يزيد معطوف على موضع فليمدد لأنه واقع موقع الخبر تقديره من كان في الضلالة مدّ أو يمدّ له الرحمن ويزيد أي يزيد في ضلال الضال بخذلانه ويزيد المهتدين هداية بتوفيقه ۝ والباقيات الصالحات أعمال الآخرة كلها ۝ وقيل الصلوات الخمس ۝ وقيل سبحان الله والحمد لله ولا إله إلا الله والله أكبر أي هي خير ثوابا من مفاخرات الكفار وخير مردا أي مرجعا وعاقبة أي منفعة من قولهم ليس لهذا الأمر مرد وهل يرد بكاي زندا فإن قلت كيف قيل خير ثوابا كأن لمفاخراتهم ثوابا حتى يجعل ثواب الصالحات خيرا منه كأنه قيل ثوابهم النار على طريقة قوله ۝ فأعتبوا بالصيلم ۝ وقوله ۝ شجعاء جرتها الذميل تلوكه ۝ أصلا إذا راح المطي غراثا ۝ وقوله ۝ تحية بينهم ضرب وجيع ۝ ثم بنى عليه خير ثوابا ۝ وفيه ضرب من التهكم الذي هو أغيظ للمتهدد من أن يقال له عقابك النار فإن قلت فما وجه التفضيل في الخير كأن لمفاخرهم شركا فيه قلت هذا من وجيز كلامهم يقولون الصيف أحر من الشتاء أي أبلغ في حره منه في برده أَفَرَأَيْتَ الَّذِي كَفَرَ بِآيَاتِنَا وَقَالَ لَأُوتَيَنَّ مَالًا وَوَلَدًا أَطَّلَعَ الْغَيْبَ أَمِ اتَّخَذَ عِنْدَ الرَّحْمَنِ عَهْدًا ۝ لما كانت مشاهدة الأشياء ورؤيتها طريقا إلى الإحاطة بها علما وصحة الخبر عنها استعملوا أرأيت في معنى أخبر والفاء جاءت لإفادة معناها الذي هو التعقيب كأنه قال أخبر أيضا بقصة هذا الكافر واذكر حديثه عقيب حديث أولئك ۝ اطلع الغيب من قولهم اطلع الجبل إذا ارتقى إلى أعلاه وطلع الثنية قال جرير لاقيت مطلع الجبال وعورا ۝ ويقولون مر مطلعا لذلك الأمر أي عاليا له مالكا له ولاختيار هذه الكلمة شأن يقول أو قد بلغ من عظمة شأنه إلى أن ارتقى إلى علم الغيب الذي توحد به الواحد القهار والمعنى أن ما ادعى أن يؤتاه وتألى عليه لا يتوصل إليه إلا بأحد هذين الطريقين إما علم الغيب وإما عهد من عالم الغيب فبأيهما توصل إلى ذلك قرأ حمزة والكسائي

ولدا

وهو

ولدا جمع ولد كأسد في أسد أو بمعنى الولد كالعرب في العرب ۝ وعن يحيى بن يعمر وُلدا بالكسر ۝ وقيل في العهد كلمة الشهادة ۝ وعن قتادة هل له عمل صالح قدمه فهو يرجو بذلك ما يقول ۝ وعن الكلبي هل عهد الله إليه أنه يؤتيه ذلك ۝ عن الحسن رحمه الله نزلت في الوليد بن المغيرة والمشهور أنها في العاص بن وائل قال خباب بن الأرت كان لي عليه دين فاقتضيته فقال لا والله حتى تكفر بمحمد قلت لا والله لا أكفر بمحمد حيا ولا ميتا ولا حين تبعث قال فإني إذا مت بعثت قلت نعم قال إذا بعثت جئتني وسيكون لي ثم مال وولد فأعطيك ۝ وقيل صاغ له خباب حليا فاقتضاه الأجر فقال إنكم تزعمون أنكم تبعثون وأن في الجنة ذهبا وفضة وحريرا فأنا أقضيك ثم فإني أوتى مالا وولدا حينئذ كَلَّا سَنَكْتُبُ مَا يَقُولُ وَنَمُدُّ لَهُ مِنَ الْعَذَابِ مَدًّا ۝ كلا ردع وتنبيه على الخطأ أي هو مخطئ فيما يصوره لنفسه ويتمناه فليرتدع عنه فإن قلت كيف قيل سنكتب بسين التسويف وهو كما قاله كتب من غير تأخير قال الله تعالى ما يلفظ من قول إلا لديه رقيب عتيد قلت فيه وجهان أحدهما سنظهر له ونعلمه أنا كتبنا قوله على طريقة قوله ۝ إذا ما انتسبنا لم تلدني لئيمة ۝ والثاني أن المتوعد يقول للجاني سوف أنتقم منك يعني أنه لا يخل بالانتصار وإن تطاول به الزمان واستأخر فجرد ها هنا لمعنى الوعيد ۝ ونمد له من العذاب أي نطول له من العذاب ما يستأهله ونعذبه بالنوع الذي يعذب به الكفار المستهزءون ۝ أو نزيده من العذاب ونضاعف له من المدد يقال مده وأمده بمعنى وتدل عليه قراءة علي بن أبي طالب كرم الله وجهه ونُمد له بالضم وأكد ذلك بالمصدر وذلك من فرط غضب الله نعوذ به من التعرض لما نستوجب به غضبه وَنَرِثُهُ مَا يَقُولُ وَيَأْتِينَا فَرْدًا ۝ وَاتَّخَذُوا مِنْ دُونِ اللَّهِ آلِهَةً لِيَكُونُوا لَهُمْ عِزًّا ۝ ونرثه ما يقول أي نزوي عنه ما زعم أنه يناله في الآخرة ونعطيه من يستحقه والمعنى مسمى ما يقول ومعنى ما يقول وهو المال والولد يقول الرجل أنا أملك كذا فتقول له ولي فوق ما تقول ۝ ويحتمل أنه قد تمنى وطمع أن يؤتيه الله في الدنيا مالا وولدا وبلغت به أشعبيته أن تألى على ذلك في قوله تعالى لأوتين لأنه جواب قسم مضمر ومن يتأل على الله يكذبه فيقول الله عز وجل هب أنا أعطيناه ما اشتهاه أما نرثه منه في العاقبة ويأتينا فردا غدا بلا مال ولا ولد كقوله عز وجل ولقد جئتمونا فرادى فما يجدي عليه تمنيه وتأليه ويحتمل أن هذا القول إنما يقوله ما دام حيا فإذا قبضناه حلنا بينه وبين أن يقوله ويأتينا رافضا له منفردا عنه غير قائل له ۝ أو لا ننسى قوله هذا ولا نلغيه بل نثبته في صحيفته لنضرب به وجهه في الموقف ونعيره به ۝ ويأتينا على فقره ومسكنته فردا من المال والولد لم نوله سؤله ولم نؤته متمناه فيجتمع عليه الخطبان تبعة قوله ووباله وفقد المطموع فيه ۝ فردا على الوجه الأول حال مقدرة نحو فادخلوها خالدين لأنه وغيره سواء في إتيانه فردا حين يأتي ثم يتفاوتون بعد ذلك ۝ أي ليتعززوا بآلهتهم حيث يكونون لهم عند الله شفعاء وأنصارا ينقذونهم من العذاب كَلَّا سَيَكْفُرُونَ بِعِبَادَتِهِمْ وَيَكُونُونَ عَلَيْهِمْ ضِدًّا ۝ كلا ردع لهم وإنكار لتعززهم بالآلهة وقرأ ابن نهيك كلا سيكفرون بعبادتهم أي سيجحدون كلا سيكفرون بعبادتهم كقولك زيدا مررت بغلامه ۝ وفي محتسب ابن جني كلا بفتح الكاف والتنوين وزعم أن معناه كل هذا الرأي والاعتقاد كلا ولقائل أن يقول إن صحت هذه الرواية فهي كلا التي هي للردع قلب الواقف عليها ألفها نونا كما في قواريرا ۝ والضمير في سيكفرون للآلهة أي سيجحدون عبادتهم وينكرونها ويقولون والله ما عبدتمونا وأنتم كاذبون

جيئتني

حسبي الله وحده
من الكتب التي وقفها الفقير
الى الله ربه ذي المواهب
محمد المدعو بعين الصدور عفي عنه ١٢٧٥
وكفى عبده

قال الله تعالى وإذا رأى الذين أشركوا شركاءهم قالوا ربنا هؤلاء شركاؤنا الذين كنا ندعوا من دونك فألقوا
إليهم القول إنكم لكاذبون ❊ أو للمشركين أي يكونون لسوء العاقبة أن يكونوا قد عبدوها قال الله
تعالى ثم لم تكن فتنتهم إلا أن قالوا والله ربنا ما كنا مشركين ❊ عليهم ضدًا في مقابلة لهم عزًا والمراد ضد
العز وهو الذل والهوان أي يكونون عليهم ضدًا لما قصدوه وأرادوه كأنه قيل ويكونون عليهم
ذلًا لا لهم عزًا أو يكونون عليهم عونًا والضد العون يقال من أضدادكم أي أعوانكم وكأن العون سمي
ضدًا لأنه يضاد عدوك وينافيه بإعانته لك عليه **فإن قلت** لم وحد **قلت** وحد توحيد قوله
صلى الله عليه وسلم وهم يد على من سواهم لاتفاق كلمتهم وأنهم كشيء واحد لفرط تضامهم وتوافقهم
ومعنى كون الآلهة عونًا عليهم أنهم وقود النار وحصب جهنم ولأنهم عذبوا بسبب عبادتها وإن
رجعت الواو في سيكفرون ويكونون إلى المشركين فإن المعنى ويكونون عليهم أي أعداءهم ضدًا أي
كفرة بهم بعد أن كانوا يعبدونها **ألم تر أنا أرسلنا الشياطين على الكافرين تؤزهم أزًا** ❊
فلا تعجل عليهم إنما نعد لهم عدًا ❊ الأز والهز والاستفزاز أخوات ومعناها التهييج وشدة
الإزعاج أي تغريهم على المعاصي وتهيجهم لها بالوساوس والتسويلات والمعنى خلينا بينهم وبينهم
ولم نمنعهم ولو شاء لمنعهم قسرًا والمراد تعجيب رسول الله صلى الله عليه وسلم بعد الآيات التي ذكر
فيها العتاة المردة من الكفار وأقاويلهم وملاجتهم ومعاندتهم للرسل واستهزاؤهم بالدين
من تماديهم في الغي وإفراطهم في العناد وتصميمهم على الكفر واجتماعهم على دفع الحق بعد وضوحه
وانتفاء الشك عنه وإنهماكهم لذلك في اتباع الشياطين وما تسول لهم ❊ عجلت عليه بكذا إذا استعجلته
منه أي لا تعجل عليهم بأن يهلكوا ويبيدوا حتى تستريح أنت والمسلمون من شرورهم وتطهر
الأرض بقطع دابرهم فليس بينك وبين ما تطلب من هلاكهم إلا أيام محصورة وأنفاس معدودة
كأنها في سرعة تقضيها الساعة التي تعد فيها لو عدت ❊ ونحوه قوله تعالى ولا تستعجل لهم كأنهم يوم
يرون ما يوعدون لم يلبثوا إلا ساعة من نهار ❊ وعن ابن عباس رضي الله عنهما أنه كان إذا قرأها
بكى وقال آخر العدد خروج نفسك آخر العدد فراق أهلك آخر العدد دخول قبرك ❊ وعن ابن السماك
أنه كان عند المأمون فقرأها فقال إذا كانت الأنفاس بالعدد ولم يكن لها مدد فما أسرع ما تنفد
يوم نحشر المتقين إلى الرحمن وفدًا ونسوق المجرمين إلى جهنم وردًا ❊ نصب يوم بمضمر أي يوم
نحشر ونسوق نفعل بالفريقين ما لا يحيط به الوصف أو اذكر يوم نحشر ❊ ويجوز أن ينتصب بلا
يملكون ذكر المتقون بلفظ التبجيل وهو أنهم يجمعون إلى ربهم الذي غمرهم برحمته وخصهم
برضوانه وكرامته كما يفد الوفاد على الملوك منتظرين للكرامة عندهم ❊ وعن علي رضي الله عنه
ما يحشرون والله على أرجلهم ولكنهم على نوق رحالها ذهب وعلى نجائب سروجها ياقوت ❊ وذكر
الكافرون بأنهم يساقون إلى النار بإهانة واستخفاف كأنهم نعم عطاش تساق إلى الماء والورد
العطاش لأن من يرد الماء لا يرده إلا لعطش وحقيقة الورد المسير إلى الماء **قال** ❊
❊ ردي ردي ورد قطاة صما ❊ كدرية أعجبها برد الما ❊ فسمي به الواردون **وقرأ**
الحسن رحمه الله يحشر المتقون ويساق المجرمون **لا يملكون الشفاعة إلا من اتخذ عند الرحمن
عهدًا ❊ وقالوا اتخذ الرحمن ولدًا لقد جئتم شيئًا إدًا** ❊ الواو في لا يملكون إن جعل ضميرًا فهو
للعباد ودل عليه ذكر المتقين والمجرمين لأنهم على هذه القسمة ❊ ويجوز أن تكون علامة للجمع كالتي

في أكلوني البراغيث والفاعل من اتخذ لأنه في معنى الجمع ومحل من اتخذ رفع على البدل أو على الفاعلية ويجوز
أن ينتصب على تقدير حذف المضاف أي إلا شفاعة من اتخذ والمراد لا يملكون أن يشفع لهم واتخاذ
العهد الاستظهار بالإيمان والعمل الصالح ❊ وعن ابن مسعود رضي الله عنه أن النبي صلى الله عليه وسلم
قال لأصحابه ذات يوم أيعجز أحدكم أن يتخذ كل صباح ومساء عند الله عهدًا قالوا وكيف ذلك
قال يقول كل صباح ومساء اللهم فاطر السموات والأرض عالم الغيب والشهادة إني أعهد
إليك بأني أشهد أن لا إله إلا أنت وحدك لا شريك لك وأن محمدًا عبدك ورسولك وأنك إن
تكلني إلى نفسي تقربني من الشر وتباعدني من الخير وإني لا أثق إلا برحمتك فاجعل لي عهدًا توفينيه
يوم القيامة إنك لا تخلف الميعاد فإذا قال ذلك طبع عليه بطابع ووضع تحت العرش فإذا كان يوم
القيامة نادى منادٍ أين الذين لهم عند الرحمن عهد فيدخلون الجنة ❊ وقيل كلمة الشهادة أو يكون
من عهد الأمير إلى فلان بكذا إذا أمره به أي لا يشفع إلا المأمور بالشفاعة المأذون له فيها وتعضده
مواضع في التنزيل ❊ وكم من ملك في السموات لا تغني شفاعتهم شيئًا إلا من بعد أن يأذن الله لمن يشاء
ويرضى ❊ ولا تنفع الشفاعة عنده إلا لمن أذن له ❊ يومئذ لا تنفع الشفاعة إلا من أذن له الرحمن
ورضي له قولًا **قرئ** إدًا بالكسر والفتح قال ابن خالويه الإد والأد العجب ❊ وقيل العظيم المنكر
والإدة الشدة وأدني الأمر وآدني أثقلني وعظم علي إدًا **تكاد السموات يتفطرن منه وتنشق
الأرض وتخر الجبال هدًا أن دعوا للرحمن ولدًا** ❊ تكاد قراءة الكسائي ونافع بالياء **وقرئ**
ينفطرن الانفطار من فطره إذا شقه والتفطر من فطره إذا شققه وكرر الفعل فيه ❊ وقرأ ابن
مسعود ينصدعن أي تهد هدًا أو مهدودة أو مفعول له لأنها تهد **فإن قلت** ما معنى انفطار
السموات وانشقاق الأرض وخرور الجبال ومن أين تؤثر هذه الكلمة في الجمادات   فيه
وجهان ❊ أحدهما أن الله تعالى يقول كدت أفعل هذا بالسموات والأرض والجبال عند وجود
هذه الكلمة غضبًا مني على من تفوه بها لولا حلمي ووقاري وأني لا أعجل بالعقوبة كما قال الله تعالى إن الله
يمسك السموات والأرض أن تزولا ولئن زالتا إن أمسكهما من أحد من بعده إنه كان حليمًا غفورًا ❊
والثاني أن يكون استعظامًا للكلمة وتهويلًا من فظاعتها وتصويرًا لأثرها في الدين وهدمها
لأركانه وقواعده وأن مثال ذلك الأثر في المحسوسات أن يصيب هذه الأجرام العظيمة التي هي قوام
العالم ما تنفطر منه وتنشق وتخر وفي قوله تعالى لقد جئتم وما فيه من المخاطبة بعد الغيبة وهو
الذي يسمى الالتفات في علم البلاغة زيادة تسجيل عليهم بالجرأة على الله والتعرض لسخطه وتنبيه
على عظم ما قالوه ❊ في أن دعوا ثلاثة أوجه ❊ أن يكون مجرورًا بدلًا من الهاء في منه **كقوله** ❊
❊   ❊ على حالة لو أن في القوم حاتمًا ❊ على جوده لضن بالماء حاتم ❊ ومنصوبًا بتقدير سقوط
اللام وإفضاء الفعل أي هدًا لأن دعوا علل الخرور بالهد والهد بدعاء الولد للرحمن ❊ ومرفوعًا
بأنه فاعل هدًا أي هدها دعاء الولد للرحمن وفي اختصاص الرحمن وتكريره مرات من الفائدة أنه
هو الرحمن وحده لا يستحق هذا الاسم غيره من قبل أن أصول النعم وفروعها منه خلق العالمين
وخلق لهم جميع ما معهم كما قال بعضهم فليكشف عن بصرك غطاؤه فأنت وجميع ما عندك عطاؤه
فمن أضاف إليه ولدًا فقد جعله كبعض خلقه وأخرجه بذلك عن استحقاق اسم الرحمن هو من دعا
بمعنى سمى المتعدي إلى مفعولين فاقتصر على أحدهما الذي هو الثاني طلبًا للعموم والإحاطة بكل ما ادعي

له ولدا او من دعا بمعنى نسب الذى مطاوعه ما فى قوله صلى الله عليه وسلم من ادعى الى غير مواليه
وقول الشاعر انا بنى نهشل لا ندعى لاب ۞ اى لا ننتسب اليه وما ينبغى للرحمن ان يتخذ ولدا انبغى
مطاوع بغى اذا طلب اى ما يتأتى له اتخاذ الولد وما ينطلب لو طلب مثلا لانه محال غير داخل تحت الصحة
اما الولادة المعروفة فلا مقال فى استحالتها واما التبنى فلا يكون لان انما هو من جنس المتبنى وليس
للقديم سبحانه جنس تعالى عما يقول الظالمون علوا كبيرا ان كل من فى السموات والارض الا اتى
الرحمن عبدا من موصوفة لانها وقعت بعد كل نكرة وقوعها بعد رب فى قوله ۞ [illegible] ۞
رب من انضجت غيظا صدره ۞ وقرا ابن مسعود وابو حيوة اتى الرحمن على اصله قبل الاضافة لقد
احصاهم وعدهم عدا وكلهم اتيه يوم القيامة فردا ۞ الاحصاء الحصر والضبط يعنى حصرهم بعلمه
واحاط بهم وعدهم عدا الذين اعتقدوا فى الملائكة وعيسى وعزير انهم اولاد الله كانوا بين كفرين
احدهما القول بان الرحمن يصح ان يكون والدا ۞ والثانى اشراك الذين زعموهم لله اولادا فى
عبادته كما يخدم الناس ابناء الملوك خدمتهم لابائهم فهدم الله الكفر الاول فيما تقدم من الايات
ثم عقبه بهدم الكفر الاخر والمعنى ما من معبود لهم فى السموات والارض من الملائكة ومن الناس
الا وهو يأتى الرحمن اى يأوى اليه ويلتجئ الى ربوبيته عبدا منقادا مطيعا خاشعا خاشيا راجيا
كما يفعل العبيد وكما يجب عليهم ان لا يدعى لنفسه ما يدعيه له هولاء الضلال ونحوه قوله تعالى اولئك
الذين يدعون يبتغون الى ربهم الوسيلة ايهم اقرب ويرجون رحمته ويخافون عذابه وكلهم متقلبون
فى ملكوته مقهورون بقهره وهو مهيمن عليهم محيط بهم وبجمل امورهم وتفاصيلها وكيفيتهم
وكميتهم لا يفوته شئ من احوالهم وكل واحد منهم ياتيه يوم القيامة منفردا ليس معه من هولاء المشركين
احد وهم برآء منهم ان الذين امنوا وعملوا الصالحات سيجعل لهم الرحمن ودا وقرا جناح بن
حبيش ودا بالكسر والمعنى سيحدث لهم فى القلوب مودة ويزرعها لهم فيها من غير تودد منهم ولا
تعرض للاسباب التى يكتسب بها الناس مودات القلوب من قرابة او صداقة او اصطناع بمعروف
او غير ذلك وانما هو اختراع منه ابتداء اختصاصا منه لاوليائه بكرامة خاصة كما قذف فى
قلوب اعدائهم الرعب والهيبة اعظاما لهم واجلالا لمكانهم والسين اما لان السورة مكية وكان
المؤمنون حينئذ ممقوتين بين الكفرة فوعدهم الله تعالى ذلك اذا دجا الاسلام واما ان يكون
ذلك يوم القيامة يحببهم الى خلقه بما يعرض من حسناتهم وينشر من ديوان اعمالهم وروى ان
النبى صلى الله عليه وسلم قال لعلى رضى الله عنه يا على قل اللهم اجعل لى عندك عهدا واجعل
لى فى صدور المؤمنين مودة فانزل الله هذه الاية ۞ وعن ابن عباس رضى الله عنهما يعنى يحبهم الله
تعالى ويحببهم الى خلقه وعن رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول الله تعالى يا جبريل قد احببت
فلانا فاحبه فيحبه جبريل ثم ينادى فى اهل السماء ان الله تعالى قد احب فلانا فاحبوه فيحبه اهل
السماء ثم يضع له المحبة فى الارض ۞ وعن قتادة ما اقبل العبد الى الله الا اقبل الله بقلوب العباد
اليه فانما يسرناه بلسانك لتبشر به المتقين وتنذر به قوما لدا ۞ هذه خاتمة السورة ومقطعها
فكانه قال بلغ هذا المنزل او بشر به وانذر فانما انزلناه بلسانك اى بلغتك وهو اللسان العربى
المبين وسهلناه وفصلناه لتبشر به وتنذر ۞ واللد الشداد الخصومة بالباطل الاخذون فى كل لديد
اى فى كل شق من المراء والجدال لفرط لجاجهم يريد اهل مكة وكم اهلكنا قبلهم من قرن هل تحس

منهم

منهم من احد او تسمع لهم ركزا ۞ وقوله تعالى اهلكنا تخويف لهم وانذار وقرئ تحس
من حسه اذا شعر به ومنه الحواس والمحسوسات ۞ وقرا حنظلة تسمع مضارع اسمعت والركز الصوت
الخفى ومنه ركز الرمح اذا غيب طرفه فى الارض والركاز المال المدفون ۞ عن رسول الله عليه السلام
من قرا سورة مريم اعطى عشر حسنات بعدد من كذب زكريا وصدق به ويحيى ومريم وعيسى وابراهيم
واسحق ويعقوب وموسى وهرون واسمعيل وادريس صلوات الله وسلامه عليهم اجمعين وعشر حسنات
بعدد من دعا الله فى الدنيا وبعدد من لم يدع الله والله اعلم بالصواب واليه المرجع والماب

بسم الله الرحمن الرحيم ۞ طه ما انزلنا عليك القران لتشقى الا تذكرة لمن يخشى ۞ ابو عمرو فخم الطاء
لاستعلائها وامال الهاء وفخمهما ابن كثير وابن عامر على الاصل والباقون اما لوهما ۞ وعن الحسن
رحمة الله عليه طه وفسر بانه امر بالوطء وان النبى صلى الله عليه وسلم كان يقوم فى تهجده على احدى
رجليه فامر بان يطأ الارض بقدميه معا وان الاصل طأ فقلبت همزته هاء او قلبت فى يطأ فيمن
قال ۞ لا هناك المرتع ۞ ثم بنى عليه الامر والهاء للسكت ويجوز ان يكتفى بشطرى الاسمين وهما الدالان
بلفظهما على المسميين ۞ والله اعلم بصحة ما يقال ان طاها فى لغة عك فى معنى يا رجل ولعل عكا تصرفوا
فى يا هذا كانهم فى لغتهم قالبون اليا طاء فقالوا فى يا طا واختصروا هذا فاقتصروا على ها واثر الصنعة
ظاهر لا يخفى فى البيت المستشهد به ۞ ان السفاهة طاها فى خلائقكم ۞ لا قدس الله اخلاق الملاعين ۞
والاقوال الثلاثة فى الفواتح اعنى التى قدمتها فى اول الكاشف عن حقايق التنزيل هى التى يعول
عليها الالباء المتقنون ۞ ما انزلنا ان جعلت طه تعديدا لاسماء الحروف على الوجه السابق ذكره فهو
ابتداء كلام وان جعلتها اسما للسورة احتمل ان يكون خبرا عنها وهى فى موضع المبتدا والقران ظاهر
اوقع موقع الضمير لانها قران وان يكون جوابا لها وهى قسم وقرئ ما نزل عليك القران
لتشقى لتتعب بفرط تأسفك عليهم وعلى كفرهم وتحسرك على ان يؤمنوا كقوله عز وجل فلعلك
باخع نفسك والشقاء يجئ فى معنى التعب ومنه المثل اتعب من رائض مهر واشقى من رائض مهر اى ما
عليك الا ان تبلغ وتذكر ولم يكتب عليك ان يؤمنوا لا محالة بعد ان لم تفرط فى اداء الرسالة
والموعظة الحسنة ۞ وقيل ان ابا جهل والنضر بن الحارث قالا له انك شقى لانك تركت دين ابائك
فاريد رد ذلك بان دين الاسلام وهذا القران هو السلم الى نيل كل فوز والسبب فى درك كل سعادة
وما فيه الكفرة هو الشقاوة بعينها وروى انه صلى الله عليه وسلم صلى بالليل حتى اسمغدت قدماه
فقال له جبريل ابق على نفسك فان لها عليك حقا اى ما انزلناه لتنهك نفسك بالعبادة وتذيقها
المشقة الفادحة وما بعثت الا بالحنيفية السمحة وكل واحد من لتشقى وتذكرة علة للفعل الا ان الاول
وجب مجيئه مع اللام لانه ليس لفاعل الفعل المعلل ففاتته شريطة الانتصاب على المفعولية
والثانى جاز قطع اللام عنه ونصبه لاستجماعه الشرائط فان قلت اما يجوز ان يقول ما انزلنا
عليك القران ان تشقى كقوله تعالى ان تحبط اعمالكم [illegible] بلى ولكنها نصبة طارئة كالنصبة
فى واختار موسى قومه واما النصبة فى تذكرة فهى كالتى فى ضربت زيدا لانه احد المفاعيل الخمسة التى
هى اصول وقوانين لغيرها فان قلت هل يجوز ان يكون تذكرة بدلا من محل لتشقى قلت لا لاختلا

الله
بالحنيفية

الجنسين ولكنها نصب على الاستثناء المنقطع الذي الا فيه بمعنى لكن ويحتمل ان يكون المعنى انا انزلنا اليك
القران لتحتمل متاعب التبليغ ومقاولة العتاة من اعداء الاسلام ومقاتلتهم وغير ذلك من انواع
المشاق وتكاليف النبوة وما انزلنا عليك هذا المتعب الشاق الا ليكون تذكرة وعلى هذا الوجه
يجوز ان يكون تذكرة حالا ومفعولا له لمن يخشى لمن يؤول امره الى الخشية ولمن يعلم الله منه انه
يبدل بالكفر ايمانا وبالقسوة خشية تنزيلا ممن خلق الارض والسموات العلى في نصب تنزيلا
وجوه ان يكون بدلا من تذكرة اذا جعل حالا لا اذا كان مفعولا له لان الشيء لا يعلل بنفسه
وان ينصب بنزل مضمرا وان ينصب بانزلنا لان معنى ما انزلناه الا تذكرة انزلناه تذكرة وان
ينصب على المدح والاختصاص وان ينصب بيخشى مفعولا به اي انزله الله تذكرة لمن يخشى تنزيل الله
وهو معنى حسن واعراب بين وقرئ تنزيل بالرفع على خبر مبتدا محذوف ما بعد تنزيلا الى قوله
له الاسماء الحسنى تعظيم وتفخيم لشان المنزل لنسبته الى من هذه افعاله وصفاته ولا يخلو من ان يكون
متعلقه اما تنزيلا نفسه فيقع صلة له واما محذوفا فيقع صفة له فان قلت ما فائدة النقلة
من لفظ المتكلم الى لفظ الغائب غير واحدة منها عادة الافتنان في الكلام وما يعطيه
من الحسن والروعة ومنها ان هذه الصفات انما تسردت مع لفظ الغيبة ومنها انه قال اولا
انزلنا ففخم بالاسناد الى ضمير الواحد المطاع ثم ثنى بالنسبة الى المختص بصفات العظمة والتمجيد
فضوعفت الفخامة من طريقين ويجوز ان يكون انزلنا حكاية لجبريل والملائكة النازلين معه
وصف السموات بالعلى دلالة على عظم قدرة من يخلق مثلها في علوها وبعد مرتقاها الرحمن على
العرش استوى قرئ الرحمن مجرورا صفة لمن خلق والرفع احسن لانه اما ان يكون رفعا على
المدح على تقدير هو الرحمن واما ان يكون مبتدا مشارا بلامه الى من خلق فان قلت الجملة
التي هي على العرش استوى ما محلها اذا جررت الرحمن او رفعته على المدح قلت اذا جررت فهي خبر
مبتدا محذوف لا غير وان رفعت جاز ان تكون كذلك وان تكون مع الرحمن خبرين للمبتدا لما كان
الاستواء على العرش وهو سرير الملك مما يردف الملك جعلوه كناية عن الملك فقالوا استوى فلان
على العرش يريدون ملك وان لم يقعد على السرير البتة وقالوه ايضا لشهرته في ذلك المعنى ومساواته
ملك في مؤداه وان كان اشرح وابسط وادل على صورة الامر ونحوه قولك يد فلان مبسوطة
ويد فلان مغلولة بمعنى انه جواد او بخيل لا فرق بين العبارتين الا فيما قلت حتى ان من لم يبسط
يده قط بالنوال او لم تكن له يد راسا قيل فيه يده مبسوطة لمساواته عندهم قولهم جواد
ومنه قوله عز وجل وقالت اليهود يد الله مغلولة اي هو بخيل بل يداه مبسوطتان اي هو جواد
من غير تصور يد ولا غل ولا بسط والتفسير بالنعمة والتمحل للتثنية من ضيق العطن والمسافرة
عن علم البيان مسيرة اعوام له ما في السموات وما في الارض وما بينهما وما تحت الثرى
وان تجهر بالقول فانه يعلم السر واخفى ما تحت الثرى ما تحت سبع الارضين عن محمد بن كعب
وعن السدي هو الصخرة التي تحت الارض السابعة اي يعلم ما اسررته الى غيرك واخفى من ذلك
وهو ما اخطرته ببالك او ما اسررته في نفسك واخفى منه وهو ما ستسره فيها وعن بعضهم ان
اخفى فعل يعني انه يعلم اسرار العباد واخفى عنهم ما يعلمه هو كقوله عز وعلا يعلم ما بين ايديهم
وما خلفهم ولا يحيطون به علما وليس بذاك فان قلت كيف طابق الجزاء الشرط قلت

معناه

معناه وان تجهر بذكر الله من دعاء او غيره فاعلم انه غني عن جهرك فاما ان يكون نهيا عن الجهر كقوله
تعالى واذكر ربك في نفسك تضرعا وخيفة ودون الجهر من القول واما تعليما للعباد ان الجهر ليس
لاسماع الله وانما هو لغرض اخر الله لا اله الا هو له الاسماء الحسنى الحسنى تانيث الاحسن
وصفت بها الاسماء لان حكمها حكم المؤنث كقولك الجماعة الحسنى ومثلها مارب اخرى ومن اياتنا
الكبرى والذي فضلت به اسماؤه في الحسن سائر الاسماء دلالتها على معاني التقديس والتمجيد
والتعظيم والربوبية والافعال التي هي النهاية في الحسن وهل اتاك حديث موسى اذ راى
نارا فقال لاهله امكثوا اني انست نارا لعلي اتيكم منها بقبس او اجد على النار هدى قفاه
بقصة موسى عليه السلام ليأتسي به في تحمل اعباء النبوة وتكاليف الرسالة والصبر على مقاساة
الشدائد حتى ينال عند الله الفوز والمقام المحمود ويجوز ان ينتصب اذ ظرفا للحديث لانه حدث
او بمضمر اي حين راى نارا كان كيت وكيت او مفعولا لاذكر استاذن موسى شعيبا عليهما السلام في الخروج
الى امه وخرج باهله فولد له في الطريق ابن في ليلة شاتية مظلمة مثلجة وقد ضل الطريق وتفرقت
ماشيته ولا ماء عنده وقدح فصلد زنده فراى النار عند ذلك قيل كانت ليلة جمعة
امكثوا اقيموا في مكانكم الايناس الابصار البين الذي لا شبهة فيه ومنه انسان العين لانه
يتبين به الشيء والانس لظهورهم كما قيل الجن لاستتارهم وقيل هو ابصار ما يؤنس به لما وجد
منه الايناس فكان مقطوعا متيقنا حققه لهم بكلمة ان ليوطن انفسهم ولما كان الاتيان بالقبس
ووجود الهدى مترقبين متوقعين بنى الامر فيهما على الرجاء والطمع وقال لعلي ولم يقطع فيقول اني
اتيكم لئلا يعد ما ليس بمستيقن الوفاء به القبس النار المقتبسة في راس عود او فتيلة او غيرهما
ومنه قيل المقبسة لما يقتبس فيه من سعفة او نحوها هدى اي قوما يهدونني الطريق او ينفعو نى
بهداهم في ابواب الدين عن مجاهد وقتادة وذلك لان افكار الابرار مغمورة بالهمة الدينية
في جميع احوالهم لا يشغلهم عنها شاغل والمعنى ذوي هدى او اذا وجد الهداة فقد وجد الهدى ومعنى
الاستعلاء على النار ان اهل النار يستعلون المكان القريب منها كما قال سيبويه في مررت بزيد انه
لصوق بمكان يقرب من زيد او لان المصطلين بها والمستمتعين اذا تكنفوها قياما وقعودا كانوا
مشرفين عليها ومنه قول الاعشى وبات على النار الندى والمحلق فلما اتاها نودي يا موسى
اني انا ربك فاخلع نعليك انك بالواد المقدس طوى وانا اخترتك فاستمع لما يوحى قرا
ابو عمرو وابن كثير اني بالفتح اي نودي باني انا ربك وكسر الباقون اي نودي فقيل يا موسى او لان
النداء ضرب من القول فعومل معاملته تكرير الضمير في اني انا ربك لتوكيد الدلالة وتحقيق المعرفة
واماطة الشبهة روي انه لما نودي يا موسى قال من المتكلم فقال الله عز وجل انا ربك وان
ابليس وسوس اليه لعلك تسمع كلام شيطان فقال انا عرفت انه كلام الله باني اسمعه من جميع
جهاتي الست واسمعه بجميع اعضائي وروي انه حين انتهى راى شجرة خضراء من اسفلها الى اعلاها
كان نارها بيضاء تتقد وسمع تسبيح الملائكة وراى نورا عظيما فخاف وبهت فالقيت عليه السكينة
ثم نودي وكانت الشجرة عوسجة وروي كلما دنا او بعد لم يختلف ما كان يسمع من الصوت وعن
ابن اسحق لما دنا استاخرت عنه فلما راى ذلك رجع واوجس في نفسه خيفة فلما اراد الرجعة دنت
منه ثم كلم قيل امر بخلع النعلين لانهما كانتا من جلد حمار ميت غير مدبوغ عن السدي وقتادة

وقيل ليباشر الوادي بقدميه متبركاً به، وقيل لأن الحفوة تواضع لله، ومن ثم طاف السلف بالكعبة
حافين، ومنهم من استعظم دخول المسجد بنعليه وكان إذا ندر منه الدخول منتعلاً تصدق، والقرآن
يدل على أن ذلك احترام للبقعة وتعظيم لها وتشريف لقدسها وروى أنه خلع نعليه وألقاهما
من وراء الوادي طوى بالضم والكسر منصرف وغير منصرف بتأويل المكان والبقعة، وقيل مرتين
نحو ثنى أي نودي نداءين أو قدس الوادي كرة بعد كرة، اخترتك اصطفيتك للنبوة وقرأ حمزة
وأنا اخترناك لما يوحى للذي يوحى أو للوحي تعلق اللام باستمع أو باخترتك إنني أنا الله لا إله
إلا أنا فاعبدني وأقم الصلاة لذكري، لتذكرني فإن ذكري أن أعبد ويصلى لي أو لتذكرني
فيها لاشتمال الصلاة على الأذكار عن مجاهد أو لأني ذكرتها في الكتب وأمرت بها أو لأن أذكرك
بالمدح والثناء وأجعل لك لسان صدق، أو لذكري خاصة لا تشوبه بذكر غيري، أو لإخلاص ذكري
وطلب وجهي لا ترائي بها ولا تقصد بها غرضاً آخر أو لتكون لي ذاكراً غير ناس فعل المخلصين في جعلهم
ذكر ربهم على بال منهم وتوكيل هممهم وأفكارهم به كما قال تعالى لا تلهيهم تجارة ولا بيع عن ذكر
الله، أو لأوقات ذكري وهي مواقيت الصلاة كقوله تعالى إن الصلاة كانت على المؤمنين كتاباً موقوتاً
واللام مثلها في قولك جئتك لوقت كذا أو كان ذلك لست ليال خلون وقوله تعالى يا ليتني قدمت
لحياتي، وقد حمل على ذكر الصلاة بعد نسيانها من قوله صلى الله عليه وسلم من نام عن صلاة أو
نسيها فليصلها إذا ذكرها وكان حق العبارة أن يقال لذكرها كما قال عليه السلام إذا ذكرها
ومن يتمحل له يقول إذا ذكر الصلاة فقد ذكر الله أو بتقدير حذف المضاف أي لذكر صلاتي أو لأن
الذكر والنسيان من الله عز وجل في الحقيقة وقرأ رسول الله صلى الله عليه وسلم للذكرى إن
الساعة آتية أكاد أخفيها لتجزى كل نفس بما تسعى، أي أكاد أخفيها فلا أقول هي آتية لفرط
إرادتي إخفاءها ولولا ما في الإخبار بإتيانها من اللطف وقطع الأعذار لما أخبرت به، وقيل معناه
أكاد أخفيها من نفسي ولا دليل في الكلام على هذا المحذوف ومحذوف لا دليل عليه مطرح والذي
غرهم منه أن في مصحف أبي رضي الله عنه أكاد أخفيها من نفسي، وفي بعض المصاحف أكاد أخفيها
من نفسي فكيف أظهركم عليها، وعن أبي الدرداء وسعيد بن جبير رضي الله عنهما أخفيها بالفتح
من خفاه إذا أظهره أي قرب إظهارها كقوله تعالى اقتربت الساعة وقد جاء في بعض اللغات
أخفاه بمعنى خفاه وبه فسر بيت امرئ القيس:

فإن تدفنوا الداء لا نخفه ... وإن تبعثوا الحرب لا نقعد

فأكاد محتمل للمعنيين لتجزى
متعلق بآتية بما تسعى بسعيها فلا يصدنك عنها من لا يؤمن بها واتبع هواه فتردى، أي لا
يصدنك عن تصديقها والضمير للقيامة، ويجوز أن يكون للصلاة فإن قلت العبارة لنهي
من لا يؤمن عن صد موسى والمقصود نهي موسى عن التكذيب بالبعث أو أمره بالتصديق فكيف
صلحت هذه العبارة لأداء هذا المقصود فيه وجهان، أحدهما أن صد الكافر عن التصديق
بها سبب للتكذيب فذكر السبب ليدل على المسبب، والثاني أن صد الكافر مسبب عن رخاوة
الرجل في الدين ولين شكيمته فذكر المسبب ليدل على السبب كقولهم لا أرينك ههنا المراد نهيه
عن مشاهدته والكون بحضرته وذلك سبب رؤيته إياه فكان ذكر المسبب دليلاً على السبب
فكأنه قيل فكن شديد الشكيمة صليب المعجم حتى لا يتلوح منك لمن يكفر بالبعث أنه يطمع في صدك

عما أنت عليه يعني أن من لا يؤمن بالآخرة هم الجم الغفير إذ لا شيء أطم على الكفرة ولا هم أشد له نكيراً
من البعث فلا يهولنك وفور دهمائهم وعظم سوادهم ولا تجعل الكثرة مزلة قدمك واعلم أنهم
وإن كثروا تلك الكثرة فقدوتهم فيما هم فيه هو الهوى واتباعه لا البرهان وتدبره وفي هذا حث
عظيم على العمل بالدليل وزجر بليغ عن التقليد وإنذار بأن الهلاك والردى مع التقليد وأهله وما تلك
بيمينك يا موسى تلك بيمينك كقوله تعالى وهذا بعلي شيخاً في انتصاب الحال بمعنى الإشارة، ويجوز
أن يكون تلك اسماً موصولاً صلته بيمينك إنما سأله ليريه عظم ما يخترعه عز وعلا في الخشبة اليابسة
من قلبها حية نضناضة وليقرر في نفسه المباينة البعيدة بين المقلوب عنه والمقلوب إليه وينبهه
على قدرته الباهرة ونظيره أن يريك الزراد زبرة من حديد ويقول لك ما هي فتقول زبرة حديد
ثم يريك بعد أيام لبوساً مسرداً فيقول لك هي تلك الزبرة صيرتها إلى ما ترى من عجيب الصنعة وأنيق
السرد قرأ ابن أبي إسحق عصيّ على لغة هذيل ومثله يا بشرى أراد وأكثر ما قبل ياء المتكلم فلم
يقدروا عليه فقلبوا الألف إلى أخت الكسرة وقرأ الحسن عصاي بكسر الياء لالتقاء الساكنين وهو
مثل قراءة حمزة بمصرخي وعن ابن أبي إسحق سكون الياء قال هي عصاي أتوكأ عليها وأهش بها على
غنمي ولي فيها مآرب أخرى، أتوكأ عليها أعتمد عليها إذا أعييت أو وقفت على رأس القطيع وعند
الطفرة، وأهش بها وأخبط بها أي أخبطه على رؤوس غنمي تأكله وعن لقمان بن عاد أكلت حقاً وابن لبون جذع
وهشة تخب وسبلاً دفع والحمد لله من غير شبع، سمعته من غير واحد من العرب ونجت واد قريب من
الطائف كثير السدر وفي قراءة النخعي أهش وكلاهما من هش الخبز يهش إذا كان ينكسر لهشاشته، وعن
عكرمة أهس بالسين أي أنحي عليها زاجراً لها والهس زجر الغنم ذكرها على التفصيل والإجمال المنافع
المتعلقة بالعصا كأنه أحس بما يعقب هذا السؤال من أمر عظيم يحدثه الله تعالى فقال ما هي إلا
عصا لا تنفع إلا منافع بنات جنسها وكما تنفع العيدان ليكون جوابه مطابقاً للغرض الذي فهمه
من فحوى كلام ربه، ويجوز أن يريد عز وجل أن يعدد المرافق الكثيرة التي علقها بالعصا
ويستكثرها ويستعظمها ثم يريه على عقب ذلك الآية العظيمة كأنه تعالى يقول له أين أنت عن
هذه المنفعة العظمى والمأربة الكبرى المنسية عندها كل منفعة ومأربة كنت تعتد بها
وتحتفل بشأنها وقالوا إنما سأله ليبسط منه ويقلل هيبته وقالوا إنما أجمل موسى ليسأله عن تلك
المآرب فيزيد في إكرامه وقالوا انقطع لسانه بالهيبة فأجمل وقالوا اسم العصا نبعة، وقيل
في المآرب كانت ذات شعبتين ومحجن فإذا طال الغصن حناه بالمحجن وإذا طلب كسره لواه بالشعبتين
وإذا سار ألقاها على عاتقه فعلق بها أداوته من القوس والكنانة والحلاب وغيرها وإذا كان
في البرية ركزها وعرض الزندين على شعبتيها وألقى عليها الكساء واستظل وإذا قصر رشاؤه وصله
بها وكان يقاتل بها السباع عن غنمه، وقيل كان فيها من المعجزات أنه كان يستقي بها فتطول
بطول البئر ويصير شعبتاها دلواً وتكونان شمعتين بالليل وإذا ظهر عدو حاربت عنه وإذا
اشتهى ثمرة ركزها فأورقت وأثمرت وكان يحمل عليها زاده وسقاءه فجعلت تماشيه ويركزها
فينبع الماء فإذا رفعها نضب وكانت تقيه الهوام قال ألقها يا موسى فألقاها فإذا هي حية
تسعى، السعي المشي بسرعة وخفة حركة فإن قلت كيف ذكرت بألفاظ مختلفة بالحية والجان
والثعبان قلت أما الحية فاسم جنس يقع على الذكر والأنثى والصغير والكبير وأما الثعبان

والجان فبينهما تناف لان الثعبان العظيم من الحيات والجان الدقيق وفى ذلك وجهان احدهما انها
كانت وقت انقلابها حية صفراء دقيقة ثم تتورم ويتزايد جرمها حتى تصير ثعبانا فاريد بالجان اول
حالها وبالثعبان مآلها والثانى انها كانت فى شخص الثعبان وسرعة حركة الجان والدليل عليه قوله
سبحانه وتعالى فلما رآها تهتز كأنها جان وقيل كان لها عرف كعرف الفرس وقيل كان بين لحييها
اربعون ذراعا **قال خذها ولا تخف سنعيدها سيرتها الاولى** لما رأى ذلك الامر العجيب
الهائل ملكه من الفزع والنفار ما يملك البشر من الاهوال والمخاوف وعن ابن عباس رضى الله عنه
انقلبت ثعبانا ذكرا يبتلع الصخر والشجر فلما رآه يبتلع كل شئ خاف ونفر وعن بعضهم انما خافها لانه
عرف ما لقى آدم منها وقيل لما قال له ربه لا تخف بلغ من ذهاب خوفه وطمأنينة نفسه ان ادخل
يده فى فمها واخذ بلحييها السيرة من السير كالركبة من الركوب يقال سار فلان سيرة حسنة ثم
اتسع فيها فنقلت الى معنى المذهب والطريقة وقيل سير الاولين فيجوز ان ينتصب على الظرف اى
سنعيدها فى طريقتها الاولى اى فى حال ما كانت عصا وان يكون اعاد منقولا من عاده بمعنى عاد
اليه ومنه بيت زهير وعادك ان تلاقيها عداء فيتعدى الى مفعولين ووجه ثالث حسن وهو
ان يكون سنعيدها مستقلا بنفسه غير متعلق بسيرتها بمعنى انها انشئت اول ما انشئت عصا
ثم ذهبت وبطلت بالقلب حية فسنعيدها بعد ذهابها كما انشأناها اولا ونصب سيرتها بفعل
مضمر اى تسير سيرتها الاولى يعنى سنعيدها سايرة سيرتها الاولى حيث كنت تتوكأ عليها ولك
فيها المآرب التى عرفتها **واضمم يدك الى جناحك تخرج بيضاء من غير سوء آية اخرى لنريك
من آياتنا الكبرى اذهب الى فرعون انه طغى** قيل لكل ناحية جناحان كجناحى العسكر لجنبتيه
وجناحا الانسان جنباه والاصل المستعار منه جناحا الطائر سميا جناحين لانه يجنحهما عند الطيران
والمراد الى جنبك تحت العضد دل على ذلك قوله تعالى تخرج السوء الرداءة والقبح فى كل شئ فكنى به
عن البرص كما كنى عن العورة بالسوأة وكان جذيمة صاحب الزباء ابرص فكنوا عنه بالابرش والبرص
ابغض شئ الى العرب وبهم عنه نفرة عظيمة واسماعهم لاسمه مجاجة فكان جديرا بان يكنى عنه ولا
نرى احسن ولا الطف ولا احز للمفاصل من كنايات القرآن وآدابه **يروى** انه كان آدم فاخرج
يده من مدرعته بيضاء لها شعاع كشعاع الشمس يعشى البصر بيضاء وآية حالان معا ومن غير سوء
من صلة البيضاء كما تقول ابيضت من غير سوء وفى نصب آية وجه آخر وهو ان يكون باضمار نحو
خذ ودونك وما اشبه ذلك حذف لدلالة الكلام وقد تعلق بهذا المحذوف لنريك اى خذ
هذه الآية ايضا بعد قلب العصا حية لنريك بها بعض آياتنا الكبرى او لنريك بها
الكبرى من آياتنا او لنريك من آياتنا الكبرى فعلنا ذلك **قال رب اشرح لى صدرى ويسر
لى امرى واحلل عقدة من لسانى يفقهوا قولى** لما امره بالذهاب الى فرعون الطاغى عرف
انه كلف امرا عظيما وخطبا جسيما يحتاج معه الى احتمال ما لا يحتمله الا ذو جاش رابط وصدر
فسيح فاستوهب ربه ان يشرح صدره ويفسح قلبه ويجعله حليما حمولا يستقبل ما عسى يرد
عليه من الشدائد التى يذهب معها صبر الصابر بجميل الصبر وحسن الثبات وان يسهل عليه
فى الجملة امره الذى هو خلافة الله فى ارضه وما يصحبها من مزاولة معاظم الشؤون ومقاساة
جلائل الخطوب **فان قلت** لى فى قوله تعالى اشرح لى صدرى ويسر لى امرى ما جدواه والكلام

بدونه مستتب **قلت** قد ابهم الكلام اولا فقيل اشرح لى ويسر لى فعلم ان ثم مشروحا وميسرا ثم بين
ورفع الابهام بذكرهما فكان آكد لطلب الشرح والتيسير لصدره وامره من ان يقول اشرح صدرى
ويسر امرى على الايضاح الساذج لانه تكرير للمعنى الواحد من طريقى الاجمال والتفصيل عن ابن عباس
رضى الله عنهما كان فى لسانه رتة لما روى من حديث الجمرة ويروى ان يده احترقت وان فرعون اجتهد
فى علاجها فلم تبرأ ولما دعاه قال الى اى رب تدعونى قال الى الذى ابرأ يدى وقد عجزت عنها وعن
بعضهم انما لم تبرأ يده لئلا يدخلها مع فرعون فى قصعة واحدة فتنعقد بينهما حرمة المواكلة واختلف
فى زوال العقدة بكمالها فقيل بقى بعضها لقوله تعالى واخى هرون هو افصح منى لسانا وقوله ولا يكاد
يبين وكان فى لسان الحسين رضى الله عنه رتة فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم ورثها من عمه موسى
وقيل زالت لقوله تعالى قد اوتيت سؤلك وفى تنكير العقدة وان لم يقل عقدة لسانى انه طلب حل
بعضها ارادة ان يفهم عنه فهما جيدا ولم يطلب الفصاحة الكاملة ومن لسانى صفة للعقدة كأنه قيل
عقدة من عقد لسانى **واجعل لى وزيرا من اهلى هرون اخى** الوزير من الوزر لانه يتحمل عن الملك اوزاره
ومؤنه او من الوزر لان الملك يعتصم برأيه ويلتجئ اليه فى اموره او من الموازرة وهى المعاونة عن
الاصمعى وكان القياس ازيرا فقلبت الهمزة الى الواو ووجه قلبها ان فعيلا جاء بمعنى مفاعل مجيئا
صالحا كقولهم عشير وجليس وقعيد وخليل وصديق ونديم فلما قلبت فى اخيه قلبت فيه وحمل الشئ
على نظيره ليس بعزيز ونظرا الى يوازر واخواته والى الموازرة ووزيرا وهرون مفعولا قوله اجعل
قدم ثانيهما على اولهما عناية بامر الوزارة او لى وزيرا مفعولاه وهرون عطف بيان للوزير
واخى فى الوجهين بدل من هرون وان جعل عطف بيان آخر جاز وحسن **اشدد به ازرى واشركه
فى امرى كى نسبحك كثيرا ونذكرك كثيرا انك كنت بنا بصيرا قال قد اوتيت سؤلك يا موسى**
قروا جميعا اشدد واشركه على الدعاء وابن عامر وحده اشدد واشركه على الجواب وفى مصحف
ابن مسعود اخى واشدد وعن ابى بن كعب اشركه فى امرى واشدد به ازرى ويجوز فيمن قرأ على لفظ
الامر ان يجعل اخى مرفوعا على الابتداء واشدد به خبره ويوقف على هرون الازر القوة وآزره
قواه اى اجعله شريكى فى الرسالة حتى نتعاون على عبادتك وذكرك فان التعاون لانه مهيج الرغبات
يتزايد به الخير ويتكاثر انك كنت بنا بصيرا اى عالما باحوالنا وبان التعاضد مما يصلحنا وان
هرون نعم المعين والشاد لعضدى بانه اكبر منى سنا وافصح لسانا السؤل الطلبة فعل بمعنى مفعول
كقولك خبز بمعنى مخبوز واكل بمعنى مأكول **ولقد مننا عليك مرة اخرى اذ اوحينا الى امك ما
يوحى** الوحى الى ام موسى اما ان يكون على لسان نبى فى وقتها كقوله عز وجل واذ اوحيت الى الحواريين
او يبعث اليها ملكا لا على وجه النبوة كما الى مريم عليها السلام او يريها ذلك فى المنام فتتنبه
عليه او يلهمها كقوله تعالى واوحى ربك الى النحل اى اوحينا اليها امرا لا سبيل الى التوصل اليه ولا
الى العلم به الا بالوحى وفيه مصلحة دينية فوجب ان يوحى ولا يخل به اى هو مما يوحى لا محالة وهو
امر عظيم مثله يحق بان يوحى **ان اقذفيه فى التابوت فاقذفيه فى اليم فليلقه اليم بالساحل يأخذه
عدو لى وعدو له والقيت عليك محبة منى ولتصنع على عينى** ان هى المفسرة لان الوحى بمعنى
القول القذف مستعمل فى معنى الالقاء والوضع ومنه قوله تعالى وقذف فى قلوبهم الرعب
وكذلك الرمى قال غلام رماه الله بالحسن يافعا اى حصل فيه الحسن ووضعه فيه والضمائر

كلها راجعة الى موسى ورجوع بعضها اليه وبعضها الى التابوت فيه هجنة لما يؤدي اليه من تنافر النظم
فان قلت المقذوف في البحر هو التابوت وكذلك الملقى الى الساحل ما ضرك لو قلت
المقذوف والملقى هو موسى في جوف التابوت حتى لا تفرق الضماير فيتنافر عليك النظم الذي هو ام
اعجاز القرآن والقانون الذي وقع عليه التحدي ومراعاته اهم ما يجب على المفسر لما كانت مشية الله
تعالى وارادته ان لا تخطئ جرية ماء البحر الوصول به الى الساحل والقاءه اليه سلك في ذلك سبيل
المجاز وجعل البحر كأنه ذو تمييز امر بذلك ليطيع الامر ويمتثل رسمه فقيل فليلقه اليم بالساحل روي
انها جعلت في التابوت قطنا محلوجا فوضعته فيه وجصصته وقيرته ثم القته في اليم وكان يشرع
منه الى بستان فرعون نهر كبير فبينا هو جالس على رأس بركة مع آسية رضي الله عنها اذا بالتابوت
فامر به فاخرج ففتح فاذا صبي اصبح الناس وجها فاحبه عدو الله حبا شديدا لا يتمالك ان يصبر
عنه وظاهر اللفظ على ان البحر القاه بساحله وهو شاطئه لان الماء يسحله اي يقشره وقذف به ثمة
فالتقط من الساحل الا ان يكون قد القاه اليم بموضع من الساحل فيه فوهة نهر فرعون ثم اداه
النهر الى حيث البركة مني لا يخلو اما ان يتعلق بالقيت فيكون المعنى على اني احببتك ومن احبه
الله احبته القلوب واما ان يتعلق بمحذوف هو صفة لمحبة اي محبة حاصلة او واقعة مني قد
ركزتها انا في القلوب وزرعتها فيها فلذلك احبك فرعون وكل من ابصرك روى انه كانت
على وجهه مسحة جمال وفي عينيه ملاحة لا يكاد يصبر عنه من رآه على عيني لتربى ويحسن اليك وانا عينيه
مراعيك وراقبك كما يراعي الرجل الشيء بعينيه اذا اعتنى به وتقول للصانع اصنع هذا على عيني
انظر اليك لئلا تخالف به عن مرادي وبغيتي ولتصنع معطوف على علة مضمرة مثل ليتعطف عليك
وترأم ونحوه او حذف معلله اي ولتصنع فعلت ذلك وقرئ ولتصنع ولتصنع بكسر اللام
وسكونها والجزم على انه امر وقرئ ولتصنع بفتح التاء والنصب اي وليكون عملك وتصرفك على
عين مني اذ تمشي اختك فتقول هل ادلكم على من يكفله فرجعناك الى امك كي تقر عينها ولا
تحزن فنجيناك من الغم وفتناك فتونا العامل في اذ تمشي القيت او تصنع ويجوز ان يكون
بدلا من اذ اوحينا فان قلت كيف يصح البدل والوقتان مختلفان متباعدان قلت كما يصح
وان اتسع الوقت وتباعد طرفاه ان يقول لك الرجل لقيت فلانا سنة كذا فتقول وانا لقيته
اذ ذاك وربما لقيه في اولها وانت في آخرها يروى ان اخته واسمها مريم جاءت متعرفة خبره
فصادفتهم يطلبون له مرضعة يقبل ثديها وذلك انه كان لا يقبل ثدي امرأة فقالت هل
ادلكم فجاءت بالام فقبل ثديها ويروى ان آسية رضي الله عنها استوهبته من فرعون وتبنته
وهي التي اشفقت عليه وطلبت له المراضع هي نفس القبطي الذي استغاثه عليه الاسرائيلي قتله
وهو ابن اثنتي عشرة سنة اغتم بسبب القتل خوفا من عقاب الله تعالى ومن اقتصاص فرعون فغفر
الله له باستغفاره حين قال رب اني ظلمت نفسي فاغفر لي ونجاه من فرعون ان ينشب فيه اظفاره حين
هاجر به الى مدين فتونا يجوز ان يكون مصدرا على فعول في المتعدي كالثبور والشكور والكفور
وجمع فتن او فتنة على ترك الاعتداد بتاء التأنيث كحجوز وبدور في حجزة وبدرة اي فتناك ضروبا من
الفتن سأله سعيد بن جبير رضي الله عنه ابن عباس رضي الله عنه فقال خلصناك من محنة بعد
محنة ولد في عام كان يقتل فيه الولدان فهذه فتنة يا ابن جبير والقته امه في البحر وهم فرعون

بقتله

بقتله وقتل قبطيا واجر نفسه عشر سنين وضل الطريق وتفرقت غنمه في ليلة مظلمة وكان يقول
عند كل واحدة فهذه فتنة يا ابن جبير والفتنة المحنة وكل ما يشق على الانسان وكل ما يبتلي الله به
عباده فتنة ونبلوكم بالشر والخير فتنة فلبثت سنين في اهل مدين ثم جئت على قدر يا موسى
واصطنعتك لنفسي اذهب انت واخوك بآياتي ولا تنيا في ذكري اذهبا الى فرعون انه
طغى مدين على ثمان مراحل من مصر وعن وهب انه لبث عند شعيب عليه السلام ثمانيا وعشرين سنة
منها مهر ابنته وقضى اوفى الاجلين اي سبق في قضائي وقدري ان اكلمك واستنبئك في وقت بعينه
وقد وقته لذلك فما جئت الا على ذلك القدر غير مستقدم ولا مستأخر وقيل على مقدار من الزمان
يوحى فيه الى الانبياء وهو رأس اربعين سنة هذا تمثيل لما خوله من منزلة التقريب والتكليم مثل والتكريم
حاله بحال من يراه بعض الملوك لجوامع خصال فيه وخصائص اهلا لئلا يكون احد اقرب منزلة منه اليه
ولا الطف محلا فيصطنعه بالكرامة والاثرة ويستخلصه لنفسه ولا يبصر ولا يسمع الا بعينه واذنه
ولا يأتمن على مكنون سره الا سواء ضميره الونى الفتور والتقصير وقرئ تنيا بكسر حرف المضارعة
للاتباع اي لا تنسياني ولا ازال منكما على ذكر حيثما تقلبتما واتخذا ذكري جناحا تطيران به مستمدين
بذلك العون والتأييد مني معتقدين ان امرا من الامور لا يتمشى لاحد الا بذكري ويجوز ان يريد
بالذكر تبليغ الرسالة فان الذكر يقع على سائر العبادات وتبليغ الرسالة من اجلها واعظمها فكان
جديرا بان يطلق عليه اسم الذكر فقولا له قولا لينا لعله يتذكر او يخشى روى ان الله تعالى
اوحى الى هرون وهو بمصر ان يتلقى موسى وقيل سمع بمقبله وقيل الهم ذلك قرئ لينا بالتخفيف
والقول اللين نحو قوله تعالى هل لك الى ان تزكى واهديك الى ربك فتخشى لان ظاهره الاستفهام
والمشورة وعرض ما فيه الفوز العظيم وقيل عداه شبابا لا يهرم بعده وملكا لا ينزع منه الا بالموت
وان يبقى له لذة المطعم والمشرب والمنكح الى حين موته وقيل لا تجبهاه بما يكره والطفا له في القول
لما له من حق تربية موسى ولما ثبت له من مثل حق الابوة وقيل كنياه وهو من ذوي الكنى الثلاث
ابو العباس وابو الوليد وابو مرة والترجي لهما اي اذهبا على رجائكما وطمعكما وباشرا الامر مباشرة من
بهما يرجو ويطمع ان يثمر عمله ولا يخيب سعيه فهو يجتهد بطوقه ويحتشد باقصى وسعه وجدوى ارسالهما
اليه مع العلم بانه لن يؤمن الزام الحجة وقطع المعذرة ولو انا اهلكناهم بعذاب من قبله لقالوا
ربنا لولا ارسلت الينا رسولا فنتبع آياتك اي يتذكر ويتأمل فيبذل النصفة من نفسه والاذعان للحق
او يخشى ان يكون الامر كما تصفان فيجره انكاره الى الهلكة قالا ربنا اننا نخاف ان يفرط علينا او
ان يطغى فرط سبق وتقدم ومنه الفارط الذي يتقدم الواردة وفرس فرط يسبق الخيل اي نخاف
ان يعجل علينا بالعقوبة ويبادرنا بها وقرئ يفرط من افرطه غيره اذا حمله على العجلة خافا ان تحمله
حامل على المعاجلة بالعقاب من شيطان او من جبروته واستكباره وادعائه الربوبية او من
حب الرياسة او من قومه القبط المتمردين الذين حكى عنهم رب العزة قال الملأ من قومه وقال الملأ
من قوم فرعون وقرئ يفرط من الافراط في الاذية اي نخاف ان يحول بيننا وبين تبليغ الرسالة
بالمعاجلة او يجاوز الحد في معاقبتنا ان لم يعاجل بناء على ما عرفا وجربا من شرارته وعتوه او ان
يطغى بالتخطي الى ان يقول فيك ما لا ينبغي لجراءته عليك وقسوة قلبه وفي المجيء به هكذا على الاطلاق
وعلى سبيل الرمز باب من حسن الادب وتحاش عن التفوه بالعظيمة قال لا تخافا انني معكما اسمع وارى

معكما اى حافظكما وناصركما اسمع وارى ما يجرى بينكما وبينه من قول وفعل فافعل ما يوجبه حفظى ونصرتى لكما فجايز ان يقدر افوا الكوفة انعا الكوفة وجايز ان لا يقدر شئ وكانه قيل انا حافظ لكما وناصر سامع مبصر واذا كان الحافظ والناصر كذلك تم الحفظ وصحت النصرة وذهبت المبالاة بالعدو فأتياه فقولا
انا رسولا ربك فأرسل معنا بنى اسرائيل ولا تعذبهم قد جئناك باية من ربك والسلام
على من اتبع الهدى انا قد اوحى الينا ان العذاب على من كذب وتولى كانت بنوا اسرائيل
فى ملكة فرعون والقبط يعذبونهم بتكليف الاعمال الصعبة من الحفر والبناء ونقل الحجارة والسخرة فى
كل شئ مع قتل الولدان واستخدام النساء قد جئناك باية من ربك جملة جارية من الجملة الاولى وهى
انا رسولا ربك مجرى البيان والتفسير لان دعوى الرسالة لا تثبت الا ببينتها التى هى المجئ بالاية انما
وحد قوله تعالى باية ولم يثن ومعه ايتان لان المراد فى هذا الموضع تثبيت الدعوى ببرهانها
فكانه قال قد جئناك بمعجزة وبرهان وحجة على ما ادعيناه من الرسالة وكذلك قد جئتكم ببينة
من ربكم فأت باية ان كنت من الصادقين اولو جئتك بشئ مبين يريد وسلام الملائكة الذين
هم خزنة الجنة على المهتدين وتوبيخ خزنة النار قال فمن ربكما يا موسى خاطب الاثنين ووجه
النداء الى احدهما وهو موسى عليه السلام لانه الاصل فى النبوة وهرون وزيره وتابعه ٥
ويحتمل ان تحمله خبثه ودعارته على استدعاء كلام موسى دون كلام اخيه لما عرف من فصاحة هرون
عليه السلام والرتة فى لسان موسى ويدل عليه قوله تعالى ام انا خير من هذا الذى هو مهين
ولا يكاد يبين قال ربنا الذى اعطى كل شئ خلقه ثم هدى خلقه اول مفعولى اعطى اى اعطى خليقته
كل شئ يحتاجون اليه ويرتفقون به او ثانيهما اى اعطى كل شئ صورته وشكله الذى يطابق
المنفعة المنوطة به كما اعطى العين الهيئة التى تطابق الابصار والاذن الشكل الذى يوافق الاستماع
وكذلك الانف واليد والرجل واللسان كل واحد منها مطابق لما علق به من المنفعة غير ناب عنه
او اعطى كل حيوان نظيره فى الخلق والصورة حيث جعل الحصان والحجر زوجين والبعير والناقة والرجل
والمراة فلم يزاوج منها شئ غير جنسه وما هو على خلاف خلقه وقرى خلقه صفة للمضاف او
للمضاف اليه اى كل شئ خلقه الله لم يخله من عطائه وانعامه ثم هدى اى عرف كيف يرتفق بما
اعطى وكيف يتوصل اليه ولله دره هذا الجواب ما احصره وما اجمعه وما ابينه لمن القى الذهن
ونظر بعين الانصاف وكان طالبا للحق قال فما بال القرون الاولى قال علمها عند ربى
فى كتاب لا يضل ربى ولا ينسى سأله عن حال من تقدم وخلا من القرون وعن شقاء من
شقى منهم وسعادة من سعد فأجابه بان هذا سؤال عن الغيب وقد استأثر الله به لا يعلمه الا هو
وما انا الا عبد مثلك لا اعلم منه الا ما اخبرنى به علام الغيوب وعلم احوال القرون مكتوب
عند الله فى اللوح المحفوظ لا يجوز على الله ان يخطئ شيئا او ينساه يقال ضللت الشئ اذا اخطأته
فى مكانه فلم تهتد له كقولك ضللت الطريق والمنزل وقرى يضل من اضله اذا ضيعه وعن
ابن عباس رضى الله عنهما لا يترك من كفر به حتى ينتقم منه ولا يترك من وحده حتى يجازيه ويجوز
ان يكون فرعون قد نازعه فى احاطة الله بكل شئ وتبيينه لكل معلوم فتعنت وقال ما تقول
فى سوالف القرون وتمادى كثرتهم وتباعد اطراف عددهم كيف احاط بهم وباجزائهم وجواهرهم
فأجاب بان كل كائن محيط به علمه وهو مثبت عنده فى كتاب ولا يجوز عليه الخطاء والنسيان كما يجوز ان

المعنى الاول اى اعطى مخلوقه كل شئ [illegible] ومعنى [illegible] انسان [illegible] وكل شئ مخلوقه جنسه اعطى لكل [illegible] اى كل حيوان [illegible] والصورة [illegible] خلقه [illegible] المنفعة [illegible] ومعنى اعطى الانسان [illegible] الى كل شئ خلقه [illegible] اى اعطى كل [illegible] خلقه ما يحتاج اليه [illegible] ابن عطية [illegible]

عليك ايها العبد الذليل والبشر الضئيل اى لا يضل كما تضل انت ولا ينسى كما تنسى يا مدعى الربوبية
بالجهل والوقاحة الذى جعل لكم الارض مهادا وسلك لكم فيها سبلا وانزل من السماء
ماء فاخرجنا به ازواجا من نبات شتى كلوا وارعوا انعامكم ان فى ذلك لايات لاولى النهى
الذى جعل مرفوع صفة لربى او خبر مبتداء محذوف او منصوب على المدح وهذا من مظانه ومحازه
مهدا قراءة اهل الكوفة اى مهدها مهدا او يتمهدونها فهى لهم كالمهد وهو ما يمهد للصبى
سلك من قوله تعالى ما سلككم فى سقر سلكناه فى قلوب المجرمين اى حصل لكم فيها سبلا ووسطها
بين الجبال والاودية والبرارى فأخرجنا انتقل فيه من لفظ الغيبة الى لفظ المتكلم المطاع لما
ذكرت من الافتنان والايذان بانه مطاع تنقاد الاشياء المختلفة لامره وتذعن الاجناس المتفاوتة
لمشيته لا يمتنع شئ على ارادته ومثله قوله عز وجل وهو الذى انزل من السماء ماء فانبتنا به حدائق
ذات بهجة وفيه تخصيص ايضا بانا نحن نقدر على مثل هذا ولا يدخل تحت قدرة احد ازواجا
اصنافا سميت بذلك لانها مزدوجة مقترنة بعضها مع بعض شتى صفة للازواج جمع شتيت كمريض
ومرضى ويجوز ان يكون صفة للنبات والنبات مصدر سمى به النابت كما سمى بالنبت فاستوى فيه
الواحد والجمع يعنى انها شتى مختلفة النفع والطعم واللون والرائحة والشكل بعضها يصلح للناس
وبعضها للبهائم قالوا من نعمته عز وعلا ان ارزاق العباد انما تحصل بعمل الانعام وقد جعل الله علفها
مما يفضل عن حاجتهم ولا يقدرون على اكله اى قائلين كلوا وارعوا حال من الضمير فى فاخرجنا المعنى
اخرجنا اصناف النبات اذنين فى الانتفاع بها مبيحين ان ياكلوا بعضها ويعلفوا بعضها منها خلقناكم
وفيها نعيدكم ومنها نخرجكم تارة اخرى اراد بخلقهم من الارض خلق اصلهم وهو ادم عليه
السلام منها وقيل ان الملك لينطلق فيأخذ من تربة المكان الذى يدفن فيه فيبددها على النطفة فيخلق
من التراب والنطفة معا واراد باخراجهم منها انه يؤلف اجزاءهم المتفرقة المختلطة بالتراب
ويردهم كما كانوا احياء ويخرجهم الى المحشر يوم يخرجون من الاجداث سراعا عدد الله تعالى عليهم
ما علق بالارض من مرافقهم حيث جعلها لهم فراشا ومهادا يتقلبون عليها وسوى لهم فيها مسالك
يترددون فيها كيف شاؤا وانبت فيها اصناف النبات التى منها اقواتهم وعلوفات بهائمهم وهى اصلهم
الذى منه تفرعوا وامهم التى منها ولدوا ثم هى كفاتهم اذا ماتوا ومن ثم قال رسول الله صلى الله عليه
وسلم تمسحوا بالارض فانها بكم ولقد اريناه اياتنا كلها فكذب وابى اريناه بصرناه او عرفناه
صحتها ويقناه بها وانما كذب لظلمه كقوله تعالى وجحدوا بها واستيقنتها انفسهم ظلما وعلوا وقوله
تعالى لقد علمت ما انزل هولاء الا رب السموات والارض بصائر وفى قوله تعالى اياتنا كلها وجهان
احدهما ان تحذى بهذا التعريف الاضافى حذو التعريف باللام لو قيل الايات كلها اعنى انها كانت
لا تعطى الا تعريف العهد والاشارة الى الايات المعلومة التى هى تسع الايات المختصة بموسى عليه
السلام العصا واليد وفلق البحر والحجر والجراد والقمل والضفادع والدم ونتق الجبل
والثانى ان يكون موسى قد اراه اياته وعدد عليه ما اوتيه غيره من الانبياء من اياتهم ومعجزاتهم
وهو نبى صادق لا فرق بين ما يخبر عنه وبين ما يشاهد به فكذبها جميعا وابى ان يقبل شيئا منها
وقيل فكذب الايات وابى قبول الحق قال اجئتنا لتخرجنا من ارضنا بسحرك يا موسى يلوح
من جيب قوله اجئتنا لتخرجنا من ارضنا بسحرك ان فرايصه كانت ترعد خوفا مما جاء به موسى عليه السلام

٢ من جنب قوله

بعلمه وايقانه انه على الحق وان المحق لو اراد قود الجبال لانقادت له وان مثله لا يخذل ولا يقل ناصره
وانه غالبه على ملكه لا محالة وقوله تعالى بسحرك تعلل وتحير والا فكيف يخفى عليه ان ساحرا لا يقدر
ان يخرج ملكا مثله من ارضه ويغلبه على ملكه بالسحر فلنأتينك بسحر مثله فاجعل بيننا وبينك
موعدا لا نخلفه نحن ولا انت مكانا سوى ۞ قال موعدكم يوم الزينة وان يحشر الناس
ضحى فتولى فرعون فجمع كيده ثم اتى ۞ لا يخلو الموعد في قوله تعالى اجعل بيننا وبينك موعدا من ان
يجعل زمانا او مكانا او مصدرا فان جعلته زمانا نظرا الى ان قوله تعالى موعدكم يوم الزينة مطابق
له لزمك شيئان ان تجعل الزمان مخلفا وان يعضل عليك ناصب مكانا ۞ وان جعلته مكانا لقوله
تعالى مكانا سوى لزمك ايضا ان توقع الاخلاف على المكان وان لا يطابق قوله تعالى موعدكم يوم
الزينة ۞ وقراءة الحسن رحمه الله غير مطابقة له مكانا وزمانا لانه قرأ يوم الزينة بالنصب فبقى
ان يجعل مصدرا بمعنى الوعد ويقدر مضاف محذوف اى مكان موعد ويجعل الضمير في نخلفه للموعد
ومكانا بدل من المكان المحذوف فان قلت فكيف طابقه قوله تعالى موعدكم يوم الزينة ولا
بد من ان تجعله زمانا والسؤال واقع عن المكان لا عن الزمان قلت هو مطابق معنى وان لم يطابق
لفظا لانه لا بد لهم من ان يجتمعوا يوم الزينة في مكان بعينه مشتهر باجتماعهم فيه في ذلك اليوم فبذكر
الزمان علم المكان ۞ واما قراءة الحسن رحمه الله فالموعد فيها مصدر لا غير والمعنى انجاز وعدكم يوم
الزينة وطابق هذا ايضا من طريق المعنى ۞ ويجوز ان لا يقدر مضاف محذوف ويكون المعنى اجعل بيننا
وبينك وعدا لا نخلفه فان قلت فبم ينتصب مكانا بالمصدر او بفعل يدل عليه المصدر
فان قلت فكيف يطابقه الجواب ۞ قلت اما على قراءة الحسن فظاهر واما على قراءة العامة فعلى تقدير
وعدكم وعد يوم الزينة ۞ ويجوز على قراءة الحسن ان يكون موعدكم مبتدأ بمعنى الوقت وضحى خبره على نية
التعريف فيه لانه ضحى ذلك اليوم بعينه ۞ وقيل في يوم الزينة يوم عاشوراء ويوم النيروز ويوم
عيد كان لهم في كل عام ۞ ويوم كانوا يتخذون فيه سوقا ويتزينون ذلك اليوم قرئ نخلفه بالرفع
على الوصف للموعد وبالجزم على جواب الامر ۞ وقرئ سوى وسوى بالكسر والضم منونا وغير منون
ومعناه منصفا بيننا وبينك عن مجاهد وهو من الاستواء لان المسافة من الوسط الى الطرفين
مستوية لا تفاوت فيها ومن لم ينون فوجهه ان يجرى الوصل مجرى الوقف قرئ وان تحشر بالتاء والياء
يريد وان تحشر يا فرعون وان يحشر اليوم ۞ ويجوز ان يكون فيه ضمير فرعون ذكره بلفظ الغيبة
اما على العادة التي يخاطب بها الملوك او خاطب القوم بقوله تعالى موعدكم وجعل يحشر لفرعون
ومحل ان يحشر الرفع او الجر عطفا على اليوم او الزينة ۞ وانما واعدهم ذلك اليوم ليكون علو كلمة الله
وظهور دينه وكبت الكافر وزهوق الباطل على رؤس الاشهاد وفي المجمع الغاص لتقوى رغبة من رغب
في اتباع الحق ويكل حد المبطلين واشياعهم ويكثر المحدث بذلك الامر العلم في كل بدو وحضر
ويشيع في جميع اهل المدر والوبر قال لهم موسى ويلكم لا تفتروا على الله كذبا فيسحتكم بعذاب
وقد خاب من افترى ۞ فتنازعوا امرهم بينهم واسروا النجوى ۞ لا تفتروا على الله كذبا اى لا
تدعوا آياته ومعجزاته سحرا قرئ فيسحتكم والسحت لغة اهل الحجاز والاسحات لغة اهل نجد وبنى
تميم ومنه قول الفرزدق الا مسحتا او مجلف ۞ في بيت لا تزال الركب تصطك في تسوية اعرابه
عن ابن عباس رضي الله عنهما ان نجواهم ان غلبنا موسى اتبعناه ۞ وعن قتادة ان كان ساحرا فسنغلبه

وان كان من السماء فله امر ۞ وعن وهب لما قال ويلكم الآية قالوا ما هذا بقول ساحر والظاهر انهم تشاوروا
في السر وتجاذبوا اهداب القول ثم قالوا ان هذان لساحران فكانت نجواهم في تلفيق هذا الكلام
وتزويره خوفا من غلبتهما وتثبيطا للناس عن اتباعهما قالوا ان هذان لساحران يريدان ان
يخرجاكم من ارضكم بسحرهما ويذهبا بطريقتكم المثلى قرأ ابو عمرو ان هذين لساحران
على الجهة الظاهرة المكشوفة ۞ وابن كثير وحفص ان هذان لساحران على قولك ان زيد لمنطلق واللام
هي الفارقة بين ان النافية والمخففة من الثقيلة ۞ وقرأ ابى ان ذان الا ساحران ۞ وقرأ ابن مسعود
ان هذان ساحران بفتح ان وبغير لام بدل من النجوى ۞ وقيل في القراءة المشهورة ان هذان لساحران
هي لغة بلحرث بن كعب جعلوا الاسم المثنى نحو الاسماء التي آخرها الف كعصا وسعدى فلم يقلبوها ياء في
الجر والنصب ۞ وقال بعضهم ان بمعنى نعم وساحران خبر مبتدأ محذوف واللام داخلة على الجملة تقديره
لهما ساحران وقد اعجب به ابو اسحق سموا مذهبهم الطريقة المثلى والسنة الفضلى وكل حزب بما لديهم
فرحون ۞ وقيل ارادوا اهل طريقتهم المثلى وهم بنو اسرائيل لقول موسى عليه السلام ارسل معنا بنى
اسرائيل ۞ وقيل الطريقة اسم لوجوه الناس واشرافهم الذين هم قدوة لغيرهم يقال هم طريقة
قومهم ۞ ويقال للواحد ايضا هو طريقة قومه فاجمعوا كيدكم ثم ائتوا صفا وقد افلح اليوم
من استعلى ۞ قالوا يا موسى اما ان تلقى واما ان نكون اول من القى ۞ قال بل القوا فاذا
حبالهم وعصيهم يخيل اليه من سحرهم انها تسعى ۞ فاجمعوا كيدكم يعضده قوله تعالى فجمع
كيده وقرئ فاجمعوا اى ازمعوه واجعلوه مجمعا عليه حتى لا تختلفوا ولا يتخلف عنه واحد
منكم كالمسألة المجمع عليها ۞ امروا بان يأتوا صفا لانه اهيب في صدور الرائين وروى انهم كانوا
سبعين الف ساحر مع كل واحد منهم حبل وعصا وقد اقبلوا اقبالة واحدة ۞ وعن ابى عبيدة انه فسر الصف
بالمصلى لان الناس يجتمعون فيه لعيدهم وصلواتهم مصطفين ووجه صحته ان يقع علما لمصلى بعينه
فامروا بان يأتوه او يراد ائتوا مصلى من المصليات ۞ وقد افلح اليوم من استعلى اعتراض يعنى وقد فاز من
غلب ۞ ان مع ما بعده اما منصوب بفعل مضمر او مرفوع بانه خبر مبتدأ محذوف معناه اختر احد الامرين
او الامر القاؤك او القاؤنا وهذا التخيير منهم استعمال ادب حسن معه وتواضع له وخفض
جناح وتنبيه على اعطائهم النصفة من انفسهم وكأن الله عز وجل الهمهم ذلك وعلم موسى اختيار القائهم
اولا مع ما فيه من مقابلة ادب بادب حتى يبرزوا ما معهم من مكائد السحر ويستنفدوا اقصى طوقهم
ومجهودهم فاذا فعلوا اظهر الله سلطانه وقذف بالحق على الباطل فدمغه وسلط المعجزة على السحر
فمحقته وكانت آية نيرة للناظرين وعبرة بينة للمعتبرين ۞ يقال في اذا هذه اذا المفاجأة والتحقيق
فيها انها اذا الكائنة بمعنى الوقت الطالبة ناصبا لها وجملة تضاف اليها خصت في بعض المواضع
بان يكون ناصبها فعلا مخصوصا وهو فعل المفاجأة والجملة ابتدائية لا غير فتقدير قوله عز وجل
فاذا حبالهم وعصيهم ففاجأ موسى وقت تخييل سعى حبالهم وعصيهم وهذا تمثيل والمعنى على مفاجأته
حبالهم وعصيهم مخيلة اليه السعى وقرئ عصيهم بالضم وهو الاصل والكسر اتباع ونحوه دلى
ودلى وقسى وقسى ۞ وقرئ تخيل على اسناده الى ضمير الحبال والعصى وابدال قوله تعالى انها تسعى
من الضمير بدل الاشتمال كقولك اعجبني زيد كرمه وتخيل على كون الحبال والعصى مخيلة سعيها
وتخيل بمعنى تتخيل وطريقه طريق تخيل ونخيل على ان الله تعالى هو المخيل للمحنة والابتلاء وروى

ثم لطخوها بالزئبق فلما ضربت عليها الشمس اضطربت واهتزت فخيلت ذلك فأوجس في نفسه
خيفة موسى قلنا لا تخف إنك أنت الأعلى وألق ما في يمينك تلقف ما صنعوا إنما
صنعوا كيد ساحر ولا يفلح الساحر حيث أتى أي أحس بالخوف أضمر شيئا منه وكذلك توجس الصوت
تسمع نبأة يسيرة منه وكان ذلك لطبع الجبلة البشرية وأنه لا يكاد يمكن الخلو من مثله وقيل خاف
أن يخالج الناس شك فلا يتبعوه إنك أنت الأعلى فيه تقرير لغلبته وقهره وتوكيد بالاستئناف
وبكلمة التشديد وبتكرير الضمير وبلام التعريف وبلفظ العلو وهو الغلبة الظاهرة وبالتفضيل
وقوله تعالى ما في يمينك ولم يقل عصاك جائز أن يكون تصغيرا لها أي لا تبال بكثرة حبالهم
وعصيهم وألق العويد الفرد الصغير الجرم الذي في يمينك فإنه بقدرة الله يتلقفها على وحدته
وكثرتها وصغره وعظمها وجائز أن يكون تعظيما لها أي لا تحتفل بهذه الأجرام الكبيرة الكثيرة
فإن في يمينك شيئا أعظم منها كلها وهذه على كثرتها أقل شيء وأنزره عنده فألقه يتلقفها بإذن الله
ويمحقها وقرئ تلقف بالرفع على الاستئناف أو على الحال أي ألقها متلقفة وقرئ تلقف بالتخفيف
صنعوا ههنا بمعنى زوروا وافتعلوا كقوله تعالى تلقف ما يأفكون قرئ كيد ساحر بالرفع والنصب
فمن رفع فعلى أن ما موصولة ومن نصب فعلى أنها كافة وقرئ كيد سحر بمعنى ذي سحر أو ذوي سحر أوهم
لتوغلهم في سحرهم كأنهم السحر بعينه أو بذاته أو بين الكيد لأنه يكون سحرا وغير سحر كما تبين المائة
بدرهم ونحوه علم فقه وعلم نحو فإن قلت لم وحد ساحر ولم يجمع لأن القصد في هذا
الكلام إلى معنى الجنسية لا إلى معنى العدد فلو جمع لخيل أن المقصود هو العدد ألا ترى إلى قوله
تعالى ولا يفلح الساحر أي هذا الجنس فإن قلت فلم نكر أولا وعرف ثانيا قلت إنما نكر من
أجل تنكير المضاف لا من أجل تنكيره في نفسه كقول العجاج في سعي دنيا طالما قد مدت وفي حديث
عمر بن الخطاب رضي الله عنه لا في أمر دنيا ولا في أمر آخرة المراد تنكير الأمر كأنه قيل إنما صنعوا كيدا
سحريا وفي سعي دنيوي وأمر دنيوي وأخروي حيث أتى كقولهم حيث سير وأية سلك وأينما كان سبحان الله ما أعجب
أمرهم قد ألقوا حبالهم وعصيهم للكفر والجحود ثم ألقوا رؤوسهم بعد ساعة للشكر والسجود
فما أعظم الفرق بين الإلقاءين وروي أنهم لم يرفعوا رؤوسهم حتى رأوا الجنة والنار ورأوا ثواب
أهلها وعن عكرمة لما خروا سجدا أراهم الله في سجودهم منازلهم التي يصيرون إليها في الجنة قال
آمنتم له قبل أن آذن لكم إنه لكبيركم الذي علمكم السحر فلأقطعن أيديكم وأرجلكم من
خلاف ولأصلبنكم في جذوع النخل ولتعلمن أينا أشد عذابا وأبقى قالوا لن نؤثرك
على ما جاءنا من البينات والذي فطرنا فاقض ما أنت قاض إنما تقضي هذه الحياة الدنيا
إنا آمنا بربنا ليغفر لنا خطايانا وما أكرهتنا عليه من السحر والله خير وأبقى لكبيركم
لعظيمكم يريد أنه أسحرهم وأعلاهم درجة في صناعتهم أو لمعلمكم من قول أهل مكة للمعلم أمرني كبيري
وقال لي كبيري كذا يريدون معلمهم وأستاذهم في القرآن وفي كل شيء قرئ لأقطعن ولأصلبن
بالتخفيف والقطع من خلاف أن تقطع اليد اليمنى والرجل اليسرى لأن كل واحد من العضوين خالف
الآخر بأن هذا يد وذاك رجل وهذا يمين وذاك شمال ومن لابتداء الغاية لأن القطع مبتدئ
وناشئ من مخالفة العضو العضو لا من وفاقه إياه ومحل الجار والمجرور النصب على الحال أي لأقطعنها
مختلفات لأنها إذا خالف بعضها بعضا فقد اتصفت بالاختلاف شبه تمكن المصلوب في الجذع

بتمكن الشيء الموعى في وعائه فلذلك قيل في جذوع النخل أينا يريد نفسه لعنه الله وموسى عليه السلام
بدليل قوله تعالى آمنتم له واللام مع الإيمان في كتاب الله تعالى لغير الله تعالى كقوله تعالى يؤمن بالله
ويؤمن للمؤمنين وفيه نفاجة باقتداره وقهره وما ألفه وضري به من تعذيب الناس بأنواع العذاب
وتوضيع لموسى عليه السلام واستضعاف له مع الهزء به لأن موسى لم يكن قط من التعذيب في شيء
والذي فطرنا عطف على ما جاءنا أو قسم قرئ تقضي هذه الحياة الدنيا ووجهها أن الحياة في القراءة
المشهورة منتصبة على الظرف فاتسع في الظرف بإجرائه مجرى المفعول به كقولك في صمت يوم الجمعة
صيم يوم الجمعة إنه من يأت ربه مجرما فإن له جهنم لا يموت فيها ولا يحيى ومن يأته مؤمنا
قد عمل الصالحات فأولئك لهم الدرجات العلى جنات عدن تجري من تحتها الأنهار
خالدين فيها وذلك جزاء من تزكى روي أن السحرة يعني رؤوسهم كانوا اثنين وسبعين الاثنان
من القبط والسائر من بني إسرائيل وكان فرعون أكرههم على تعلم السحر وروي أنهم قالوا لفرعون
أرنا موسى نائما ففعل فوجدوه تحرسه عصاه فقالوا ما هذا بسحر الساحر لأن الساحر إذا نام بطل
سحره فأبى إلا أن يعارضوه تزكى تطهر من أدناس الذنوب وعن ابن عباس رضي الله عنهما قال لا إله
إلا الله قيل في هذه الآيات الثلاث هي حكاية قولهم وقيل خبر من الله تعالى لا على وجه الحكاية
ولقد أوحينا إلى موسى أن أسر بعبادي فاضرب لهم طريقا في البحر يبسا لا تخاف دركا
ولا تخشى فأتبعهم فرعون بجنوده فغشيهم من اليم ما غشيهم وأضل فرعون قومه وما
هدى فاضرب لهم طريقا فاجعل لهم من قولهم ضرب له في ماله سهما وضرب اللبن عمله اليبس مصدر
وصف به يقال يبس يبسا ويبسا ونحوهما العدم والعدم ومن ثم وصف به المؤنث فقيل شاتنا
يبس وناقتنا يبس إذا جف لبنها وقرئ يبسا ويابسا ولا يخلو اليبس من أن يكون مخففا عن اليبس
أو صفة على فعل أو جمع يابس كصاحب وصحب وصف به الواحد تأكيدا كقوله ومعا جياعا جعله لفرط
جوعه كجماعة جياع لا تخاف حال من الضمير في فاضرب وقرئ لا تخف على الجواب وقرأ أبو حيوة دركا
بالسكون والدرك والدرك اسمان من الإدراك أي لا يدركك فرعون وجنوده ولا يلحقونك
في ولا تخشى إذا قرئ لا تخف ثلاثة أوجه أن يستأنف كأنه قيل وأنت لا تخشى أي ومن شأنك أنك
آمن لا تخشى وأن لا تكون الألف المنقلبة عن الياء التي هي لام الفعل ولكن زائدة للإطلاق
من أجل الفاصلة كقوله عز وعلا فأضلونا السبيلا وتظنون بالله الظنونا وأن يكون مثل قوله
كأن لم ترى قبلي أسيرا يمانيا ما غشيهم من باب الاختصار ومن جوامع الكلم التي تستقل مع قلتها
بالمعاني الكثيرة أي غشيهم ما لا يعلم كنهه إلا الله وقرئ فغشاهم من اليم ما غشاهم والتغشية
التغطية وفاعل غشيهم إما الله سبحانه أو ما غشاهم أو فرعون لأنه الذي ورط جنوده وتسبب
لهلاكهم وقوله تعالى وما هدى تهكم به في قوله تعالى وما أهديكم إلا سبيل الرشاد يا بني إسرائيل
قد أنجيناكم من عدوكم وواعدناكم جانب الطور الأيمن ونزلنا عليكم المن والسلوى
يا بني إسرائيل خطاب لهم بعد إنجائهم من البحر وإهلاك آل فرعون وقيل هو للذين كانوا منهم في
عهد رسول الله عليه السلام من الله عليهم بما فعل بآبائهم والوجه هو الأول أي قلنا يا بني
إسرائيل وحذف القول كثير في القرآن وقرئ أنجيتكم إلى رزقتكم وعلى لفظ الوعد والمواعدة
وقرئ الأيمن بالجر على الجوار نحو جحر ضب خرب ذكرهم الله النعمة في نجاتهم وهلاك عدوهم وفيما واعد

موسى عليه السلام من المناجاة بجانب الطور وكتب التوراة في الالواح وانما عدى المواعدة اليهم
لانها لابستهم واتصلت بهم حيث كانت لنبيهم ونقبائهم واليهم رجعت منافعها التي قام بها دينهم
وشرعهم وفيما افاض عليهم من سائر نعمه وارزاقه كلوا من طيبات ما رزقناكم ولا تطغوا فيه
فيحل عليكم غضبي ومن يحلل عليه غضبي فقد هوى • طغيانهم في النعمة ان يتعدوا حدود الله
فيها بان يكفروها ويشغلهم اللهو والتنعم عن القيام بشكرها وان ينفقوها في المعاصي وان يزووا
حقوق الفقراء فيها وان يسرفوا في انفاقها وان يبطروا ويأشروا ويتكبروا • وقرئ فيحل وعن
عبد الله لا يحلن ومن يحلل المكسور في معنى الوجوب من حل الدين يحل اذا وجب اداؤه • ومنه قوله عز
وجل حتى يبلغ الهدي محله والمضموم في معنى النزول وغضب الله عقوباته ولذلك وصف بالنزول
هوى هلك واصله ان يسقط من جبل فيهلك قالت هوى من رأس مرقبة ففتت تحتها كبده •
ويقولون هوت امه او سقط سقوطا لا نهوض بعده وانى لغفار لمن تاب وآمن وعمل صالحا ثم
اهتدى • وما اعجلك عن قومك يا موسى قال هم اولاء على اثري وعجلت اليك رب
لترضى • الاهتداء هو الاستقامة والثبات على الهدى المذكور وهو التوبة والايمان والعمل الصالح
ونحوه • قوله تعالى ان الذين قالوا ربنا الله ثم استقاموا وكلمة التراخي دلت على تباين المنزلتين دلالتها
على تباين الوقتين في جاءني زيد ثم عمرو اعني ان منزلة الاستقامة على الخير مباينة لمنزلة الخير نفسه لانها
اعلى منها وافضل • وما اعجلك اي شيء عجل بك عنهم على سبيل الانكار وكان قد مضى مع النقباء الى الطور
على الموعد المضروب ثم تقدمهم شوقا الى كلام ربه وتنجز ما وعد به بناء على اجتهاده وظنه ان ذلك
اقرب الى رضى الله تعالى وزل عنه انه عز وجل ما وقت افعاله الا نظرا الى دواعي الحكمة وعلما
بالمصالح المتعلقة بكل وقت فالمراد بالقوم النقباء وليس لقول من جوز ان يراد جميع قومه وان يكون
قد فارقهم قبل الميعاد وجه صحيح يأباه قوله تعالى هم اولاء على اثري • وعن ابي عمرو ويعقوب اثري
بالكسر • وعن عيسى بن عمر اثري بالضم • وعنه ايضا اولا بالقصر والاثر افصح من الاثر واما الاثر
فمسموع في فرند السيف مدون في الاصول يقال اثر السيف واثره وهو بمعنى الاثر غريب فان قلت
ما اعجلك سؤال عن سبب العجلة فكان الذي ينطبق عليه من الجواب ان يقال طلب زيادة رضاك
او الشوق الى كلامك وتنجز موعدك وقوله تعالى هم اولاء على اثري كما ترى غير منطبق عليه قلت
قد تضمن ما واجهه رب العزة شيئين احدهما انكار العجلة في نفسها • والثاني السؤال عن سبب المستنكر
والحامل عليه فكان اهم الامرين الى موسى بسط العذر وتمهيد العلة في نفس ما انكر عليه فاعتل بانه
لم يوجد مني الا تقدم يسير مثله لا يعتد به في العادة ولا يحتفل به وليس بيني وبين من سبقته
الا مسافة قريبة يتقدم بمثلها الوفد رأسهم ومقدمهم ثم عقبه بجواب السؤال عن السبب فقال
وعجلت اليك رب لترضى • ولقائل ان يقول حار لما ورد عليه من التهيب لعتاب الله تعالى فاذهله
ذلك عن الجواب المنطبق المرتب على حدود الكلام قال فانا قد فتنا قومك من بعدك واضلهم
السامري • اراد بالقوم المفتونين الذين خلفهم مع هرون عليه السلام وكانوا ستمائة الف
ما نجا من عبادة العجل منهم الا اثنا عشر الفا فان قلت في القصة انهم اقاموا بعد مفارقته
عشرين ليلة وحسبوها اربعين مع ايامها وقالوا قد اكملنا العدة ثم كان امر العجل بعد ذلك
فكيف التوفيق بين هذا وبين قوله تعالى لموسى عند مقدمه انا قد فتنا قومك قلت قد اخبر

الله تعالى عن الفتنة المترقبة بلفظ الموجودة الكائنة على عادته او افترض السامري غيبته فعزم على اضلا
لهم عقيب انطلاقه واخذ في تدبير ذلك فكان بدء الفتنة موجودا وقرئ واضلهم السامري اي وهو اشدهم
ضلالا لانه ضال مضل وهو منسوب الى قبيلة من بني اسرائيل يقال لها السامرة • وقيل السامرة
قوم من اليهود يخالفونهم في بعض دينهم • وقيل كان من اهل باجرما • وقيل كان علجا من كرمان
واسمه موسى بن ظفر وكان منافقا قد اظهر الاسلام وكان من قوم يعبدون البقر فرجع موسى الى
قومه غضبان اسفا قال يا قوم الم يعدكم ربكم وعدا حسنا افطال عليكم العهد ام
اردتم ان يحل عليكم غضب من ربكم فاخلفتم موعدي • الاسف الشديد الغضب ومنه
قوله صلى الله عليه وسلم في موت الفجأة رحمة للمؤمن واخذة اسف للكافر • وقيل الحزين فان
قلت متى رجع الى قومه بعدما استوفى الاربعين ذا القعدة وعشر ذي الحجة وعدهم
الله سبحانه ان يعطيهم التوراة التي فيها هدى ونور ولا وعد احسن من ذلك واجمل • حكي لنا انها
كانت الف سورة كل سورة الف آية يحمل اسفارها سبعون جملا • العهد الزمان يريد مدة مفارقته
لهم يقال طال عهدي بك اي طال زماني بسبب مفارقتك وعدوه ان يقيموا على امره وما تركهم
عليه من الايمان فاخلفوا موعده بعبادتهم العجل قالوا ما اخلفنا موعدك بملكنا ولكنا
حملنا اوزارا من زينة القوم فقذفناها فكذلك القى السامري • بملكنا بالحركات
الثلاث اي ما اخلفنا موعدك بان ملكنا امرنا وخلينا ورأينا لما اخلفناه ولكن غلبنا من جهة السامري
وكيده • اي حملنا احمالا من حلي القبط التي استعرناها منهم او ارادوا بالاوزار انها آثام وتبعات
لانهم كانوا معهم في حكم المستأمنين في دار الحرب وليس للمستأمن ان يأخذ مال الحربي على ان الغنائم
لم تكن تحل حينئذ • فقذفناها في نار السامري التي اوقدها في الحفرة وامرنا ان نطرح فيها الحلي
وقرئ حملنا • فكذلك القى السامري اراهم انه يلقي حليا في يده مثل ما القوا وانما القى التربة
التي اخذها من موطئ حيزوم فرس جبريل عليه السلام اوحى اليه وليه الشيطان انها اذا خالطت
مواتا صار حيوانا فاخرج لهم عجلا جسدا له خوار فقالوا هذا الهكم واله موسى فنسي فاخرج
لهم السامري من الحفرة عجلا خلقه الله من الحلي التي سبكتها النار يخور كما يخور العجاجيل فان قلت
كيف اثرت تلك التربة في احياء الموات قلت اما يصح ان يؤثر الله سبحانه وتعالى روح القدس
بهذه الكرامة الخاصة كما آثره بغيرها من الكرامات وهي ان يباشر فرسه بحافره تربة اذا لاقت
تلك التربة جمادا انشأه الله تعالى ان شاء عند مباشرته حيوانا • الا ترى كيف انشأ المسيح من غير
اب عند نفخه في الدرع فان قلت فلم خلق الله العجل من الحلي حتى صار فتنة لبني اسرائيل وضلالا •
قلت ليس باول محنة محن الله بها عباده ليثبت الله الذين آمنوا بالقول الثابت في الحياة الدنيا
وفي الآخرة ويضل الله الظالمين • ومن عجب من خلق العجل فليكن من خلق ابليس اعجب والمراد بقوله
تعالى انا قد فتنا قومك هو خلق العجل للامتحان اي امتحناهم بخلق العجل وحملهم السامري على الضلال
واوقعهم فيه حين قال لهم هذا الهكم واله موسى فنسي اي فنسي موسى ان يطلبه هاهنا وذهب
يطلبه عند الطور • او فنسي السامري اي ترك ما كان عليه من الايمان الظاهر افلا يرون الا يرجع اليهم
قولا ولا يملك لهم ضرا ولا نفعا • ولقد قال لهم هرون من قبل يا قوم انما فتنتم به وان
ربكم الرحمن فاتبعوني واطيعوا امري • قالوا لن نبرح عليه عاكفين حتى يرجع الينا موسى •

اى لو ملكنا امرنا

يرجع من رفعه فعلى أن أن مخففة من الثقيلة ومن نصب فعلى أنها الناصبة للأفعال ه من قبل من قبل أن يقول لهم السامري ما قال كأنهم أول ما وقعت عليه أبصارهم حين طلع من الحفرة افتتنوا به واستحسنوه فقبل أن ينطق السامري بادرهم هرون عليه السلام بقوله إنما فتنتم به وإن ربكم الرحمن قال يا هرون ما منعك إذ رأيتهم ضلوا ألا تتبعن أفعصيت أمري ه لا مزيدة ه والمعنى ما منعك أن تتبعني في الغضب لله وشدة الزجر على الكفر والمعاصي وهلا قاتلت من كفر بمن آمن وما لك لم تباشر الأمر كما كنت أباشره أنا لو كنت شاهدا أو ما لك لم تلحقني ه قال يا ابن أم لا تأخذ بلحيتي ولا برأسي إني خشيت أن تقول فرقت بين بني إسرائيل ولم ترقب قولي قرئ بلحيتي بفتح اللام وهي لغة أهل الحجاز كان موسى عليه السلام رجلا حديدا مجبولا على الحدة والخشونة والتصلب في كل شيء وكان شديد الغضب لله ولدينه فلم يتمالك حين رأى قومه يعبدون عجلا من دون الله بعدما رأوا من الآيات العظام أن ألقى ألواح التورية لما غلب ذهنه من الدهشة العظيمة غضبا لله واستنكافا وحمية وعنف بأخيه وخليفته على قومه فأقبل عليه إقبال العدو المكاشف قابضا على شعر رأسه وكان أفرع وعلى شعر وجهه يجره إليه أي لو قاتلت بعضهم ببعض لتفرقوا وتفانوا فاستأنيتك أن تكون أنت المتدارك بنفسك المتلافي برأيك وخشيت عتابك على اطراح ما وصيتني به من ضم النشر وحفظ الدهماء ولم يكن لي بد من رقبة وصيتك والعمل على موجبها قال فما خطبك يا سامري ه الخطب مصدر خطب الأمر إذا طلبه فإذا قيل لمن يفعل شيئا ما خطبك فمعناه ما طلبك له قال بصرت بما لم يبصروا به فقبضت قبضة من أثر الرسول فنبذتها وكذلك سولت لي نفسي قرئ بصرت بما لم تبصروا بالكسر والمعنى علمت ما لم تعلموه وفطنت ما لم تفطنوا له ه قرأ الحسن قبضة بضم القاف وهي اسم المقبوض كالغرفة والمضغة وأما القبضة فالمرة من القبض وإطلاقها على المقبوض من تسمية المفعول بالمصدر كضرب الأمير ه وقرأ أيضا فقبصت قبصة بالصاد فالضاد بجميع الكف والصاد بأطراف الأصابع ونحوهما الخضم والقضم الخاء بجميع الفم والقاف بمقدمه ه قرأ ابن مسعود من أثر فرس الرسول فإن قلت لم سماه الرسول دون جبريل وروح القدس قلت حين حل ميعاد الذهاب إلى الطور أرسل الله إلى موسى جبريل راكب حيزوم فرس الحيوة ليذهب به فأبصره السامري فقال إن لهذا لشأنا فقبض قبضة من تربة موطئه فلما سأله موسى عن قصته قال قبضت من أثر فرس المرسل إليك يوم حلول الميعاد ولعله لم يعرف أنه جبريل عليه السلام قال فاذهب فإن لك في الحيوة أن تقول لا مساس وإن لك موعدا لن تخلفه وانظر إلى إلهك الذي ظلت عليه عاكفا لنحرقنه ثم لننسفنه في اليم نسفا ه عوقب في الدنيا بعقوبة لا شيء أطم منها وأوحش وذلك أنه منع من مخالطة الناس منعا كليا وحرم عليهم ملاقاته ومكالمته ومبايعته ومواجهته وكل ما يعايش به الناس بعضهم بعضا وإذا اتفق أن يماس أحد رجلا أو امرأة حم الماس والممسوس فتحامى الناس وتحاموه وكان يصيح لا مساس وعاد في الناس أوحش من القاتل اللاجي إلى الحرم ومن الوحشي النافر في البرية ويقال إن قومه باق فيهم ذلك إلى اليوم وقرئ لا مساس بوزن فجار ه ونحوه قولهم في الظبا إذا وردت الماء فلا عباب وإذا فقدته فلا أباب وهي أعلام للمسة والعبة والأبة وهي المرة من الأب وهو الطلب لن تخلفه أي لن يخلفك الله موعده الذي وعدك على الشرك والفساد في الأرض ينجزه لك في

الاخرة

الآخرة بعدما عاقبك بذلك في الدنيا فأنت ممن خسر الدنيا والآخرة ذلك هو الخسران المبين وقرئ لن تخلفه وهذا من أخلفت الموعد إذا وجدته خلفا قال الأعشى ه

أثوى وقصر ليله ليزودا ه فمضى وأخلف من قتيلة موعدا ه

وعن ابن مسعود رضي الله عنه نخلفه بالنون أي لن يخلفه الله كأنه حكى قوله تعالى كما مر في لأهب لك ه ظلت وظلت وظللت والأصل ظللت فحذفوا اللام الأولى ونقلوا حركتها إلى الظاء ومنهم من لم ينقل ه لنحرقنه ه ولنحرقنه ولنحرقنه ه وفي حرف ابن مسعود لنذبحنه ولنحرقنه ولنحرقنه القراءتان من الإحراق ه وذكر أبو علي الفارسي في لنحرقنه أنه يجوز أن يكون حرق مبالغة في حرق إذا برد بالمبرد وعليه القراءة الثالثة وهي قراءة علي بن أبي طالب رضي الله عنه ه لننسفنه بكسر السين وضمها وهذه عقوبة ثالثة وهي إبطال ما افتتن به وفتن وإهدار سعيه وهدم مكره ومكروا ومكر الله والله خير الماكرين ه إنما إلهكم الله الذي لا إله إلا هو وسع كل شيء علما قرأ طلحة الله الذي لا إله إلا هو الرحمن رب العرش وسع كل شيء علما ه وعن مجاهد وقتادة وسّع ووجهه أن وسع متعد إلى مفعول واحد وهو كل شيء وأما علما فانتصابه على التمييز وهو في المعنى فاعل فلما ثقل نقل إلى التعدية إلى مفعولين فنصبهما معا على المفعولية لأن المميز فاعل في المعنى كما تقول في خاف زيد عمرا خوفت زيدا عمرا فترد بالنقل ما كان فاعلا مفعولا كذلك نقص عليك من أنباء ما قد سبق وقد آتيناك من لدنا ذكرا الكاف في كذلك منصوب المحل وهذا موعد من الله عز وجل لرسوله صلى الله عليه وسلم أي مثل ذلك الاقتصاص ونحو ما اقتصصنا عليك قصة موسى وفرعون نقص عليك من سائر أخبار الأمم وقصصهم وأحوالهم تكثيرا لبيناتك وزيادة في معجزاتك وليعتبر السامع ويزداد المستبصر في دينه بصيرة وتتأكد الحجة على من عاند وكابر وأن هذا الذكر الذي آتيناك يعني القرآن مشتملا على هذه الأقاصيص والأخبار الحقيقة بالتفكر والاعتبار لذكر عظيم وقرآن كريم فيه النجاة والسعادة لمن أقبل عليه ومن أعرض عنه فقد هلك وشقي من أعرض عنه فإنه يحمل يوم القيامة وزرا خالدين فيه وساء لهم يوم القيامة حملا يريد بالوزر العقوبة الثقيلة الباهظة سماها وزرا تشبيها في ثقلها على المعاقب وصعوبة احتمالها بالحمل الذي يفدح الحامل وينقض ظهره ويلقي عليه بهره أو لأنه جزاء الوزر وهو الإثم وقرئ يحمّل جمع خالدين على المعنى لأن من مطلق متناول لغير معرض واحد وتوحيد الضمير في أعرض وما بعده للحمل على اللفظ ه ونحوه قوله عز وجل ومن يعص الله ورسوله فإن له نار جهنم خالدين فيها ه فيه أي في ذلك الوزر أو في احتماله ه ساء في حكم بئس والضمير الذي فيه يجب أن يكون مبهما يفسره حملا والمخصوص بالذم محذوف لدلالة الوزر السابق عليه تقديره ساء حملا وزرهم كما حذف في قوله تعالى نعم العبد إنه أواب أيوب الذي هو المخصوص بالمدح ومنه قوله عز وجل وساءت مصيرا أي وساءت مصيرا جهنم فإن قلت اللام في لهم ما هي وبم يتعلق قلت هي للبيان كما في هيت لك ه فإن قلت ما أنكرت أن يكون في ساء ضمير الوزر ه قلت لا يصح أن يكون في ساء وحكمه حكم بئس ضمير شيء بعينه غير مبهم فإن قلت فلا يكن ساء الذي حكمه حكم بئس ه وليكن ساء الذي منه قوله تعالى سيئت وجوه الذين كفروا بمعنى أهم وأحزن قلت كفاك صادا عنه أن يؤول كلام الله إلى قولك وأحزن الوزر لهم يوم القيامة حملا وذلك بعد أن تخرج عن عهدة هذه اللام وعهدة هذا المنصوب يوم ينفخ في الصور ونحشر المجرمين يومئذ زرقا ه أسند النفخ

الى الأبد فيمن قرأ ننفخ بالنون او لان الملائكة المقربين واسرافيل منهم بالمنزلة التي هم بها من رب
العزة فصح لكرامتهم عليه وقربهم منه ان يسند ما يتولونه الى ذاته تعالى وقرئ ينفخ بلفظ ما لم
يسم فاعله وينفخ ونحشر باليا المفتوحة على الغيبة والضمير لله عز وجل او لاسرافيل عليه السلام واما
يحشر المجرمون فلم يقرأ به الا الحسن وقرئ في الصور بفتح الواو جمع صورة وفي الصور قولان
احدهما انه بمعنى الصور وهذه القراءة تدل عليه والثاني انه القرن قيل في الزرق قولان
احدهما ان الزرقة ابغض شيء من الوان العيون الى العرب لان الروم اعداؤهم وهم زرق العيون
ولذلك قالوا في صفة العدو اسود الكبد اصهب السبال ازرق العين والثاني ان المراد العمى
لان حدقة من يذهب نور بصره تزرق يتخافتون بينهم ان لبثتم الا عشرا نحن اعلم بما
يقولون اذ يقول امثلهم طريقة ان لبثتم الا يوما يتخافتون لما يملأ صدورهم من الرعب
والهول يستقصرون مدة لبثهم في الدنيا اما لما يعاينون من الشدائد التي تذكرهم ايام النعمة والسرور
فيتأسفون عليها ويصفونها بالقصر لان ايام السرور قصار واما لانها ذهبت عنهم وتقضت
والذاهب وان طالت مدته قصير بالانتهاء ومنه توقيع عبد الله ابن المعتز تحت اطال الله بقاءك
كفى بالانتهاء قصرا واما لاستطالتهم الاخرة وانها ابد سرمد يستقصر اليها عمر الدنيا ويتقال
لبث اهلها فيها بالقياس الى لبثهم في الاخرة وقد استرجح الله قول من يكون اشد تقالا منهم في قوله
تعالى اذ يقول امثلهم طريقة ان لبثتم الا يوما ونحوه قوله سبحانه وتعالى قال كم لبثتم في الارض
عدد سنين قالوا لبثنا يوما او بعض يوم فسئل العادين وقيل المراد لبثهم في القبور ويعضده قوله
عز وجل ويوم تقوم الساعة يقسم المجرمون ما لبثوا غير ساعة كذلك كانوا يؤفكون وقال الذين
اوتوا العلم والايمان لقد لبثتم في كتاب الله الى يوم البعث ويسألونك عن الجبال فقل ينسفها
ربي نسفا فيذرها قاعا صفصفا لا ترى فيها عوجا ولا امتا ينسفها يجعلها كالرمل ثم
يرسل عليها الرياح فتفرقها كما يذرى الطعام فيذرها اي فيذر مقارها ومراكزها او يجعل
الضمير للارض وان لم يجر لها ذكر كقوله تعالى ما ترك على ظهرها من دابة فان قلت قد فرقوا بين
العوج والعوج فقالوا العوج بالكسر في المعاني والعوج بالفتح في الاعيان والارض عين فكيف صح
فيها المكسور العين اختيار هذا اللفظ له موقع حسن بديع في وصف الارض بالاستواء والملاسة
ونفي الاعوجاج عنها على ابلغ ما يكون وذلك انك لو عمدت الى قطعة ارض فسويتها وبالغت في التسوية
على عينك وعيون البصراء من الفلاحة واتفقتم على ان لم يبق فيها اعوجاج قط ثم استطلعت رأي المهندس
فيها وامرته ان يعرض استواءها على المقاييس الهندسية لعثر فيها على عوج في غير موضع لا يدرك
ذلك بحاسة البصر ولكن بالقياس الهندسي فنفى الله عز وعلا ذلك العوج الذي دق ولطف عن
الادراك اللهم الا بالقياس الذي يعرفه صاحب التقدير والهندسة وذلك الاعوجاج لما لم يدرك
الا بالقياس دون الاحساس لحق بالمعاني فقيل فيه عوج بالكسر الامت النتو اليسير يقال مد حبله
حتى ما فيه امت يومئذ يتبعون الداعي لا عوج له وخشعت الاصوات للرحمن فلا تسمع الا
همسا اضاف اليوم الى وقت نسف الجبال في قوله تعالى يومئذ اي يوم اذ نسفت ويجوز ان يكون
بدلا بعد بدل من يوم القيمة والمراد الداعي الى المحشر قالوا هو اسرافيل قائما على صخرة بيت المقدس
يدعو الناس فيقبلون من كل اوب الى صوبه لا يعدلون لا عوج له اي لا يعوج له مدعو بل يستوون

اليه من غير انحراف متبعين لصوته اي خفضت الاصوات من شدة الفزع وخفتت فلا تسمع الا همسا وهو الركز
الخفي ومنه الحروف المهموسة وقيل هو من همس الابل وهو صوت اخفافها اذا مشت اي لا تسمع الا خفق
الاقدام ونقلها الى المحشر يومئذ لا تنفع الشفاعة الا من اذن له الرحمن ورضي له قولا يعلم ما بين
ايديهم وما خلفهم ولا يحيطون به علما من يصلح ان يكون مرفوعا ومنصوبا فالرفع على البدل من
الشفاعة بتقدير حذف المضاف اي لا تنفع الشفاعة الا شفاعة من اذن له الرحمن والنصب على
المفعولية ومعنى اذن له ورضي له لاجله اي اذن للشافع ورضي قوله لاجله ونحو هذه اللام اللام
في قوله سبحانه وتعالى وقال الذين كفروا للذين امنوا لو كان خيرا ما سبقونا اليه اي يعلم ما تقدمهم
من الاحوال وما يستقبلونه ولا يحيطون بمعلوماته علما وعنت الوجوه للحي القيوم وقد خاب من حمل
ظلما المراد بالوجوه وجوه العصاة وانهم اذا عاينوا يوم القيمة الخيبة والشقوة وسوء الحساب
صارت وجوههم عانية اي ذليلة خاشعة مثل وجوه العناة وهم الاسارى ونحوه قوله تعالى
فلما رأوه زلفة سيئت وجوه الذين كفروا ووجوه يومئذ باسرة وقوله تعالى وقد خاب وما بعده
اعتراض كقولك خابوا وخسروا وكل من ظلم فهو خائب خاسر ومن يعمل من الصالحات وهو مؤمن
فلا يخاف ظلما ولا هضما الظلم ان يأخذ من صاحبه فوق حقه والهضم ان يكسر من حق اخيه فلا يوفيه
له كصفة المطففين الذين اذا اكتالوا على الناس يستوفون ويسترجحون واذا كالوهم يخسرون اي
فلا يخاف جزاء ظلم ولا هضم لانه لم يظلم ولم يهضم وقرئ فلا يخف على النهي وكذلك انزلناه
قرانا عربيا وصرفنا فيه من الوعيد لعلهم يتقون او يحدث لهم ذكرا وكذلك عطف على كذلك
نقص اي ومثل ذلك الانزال وكما انزلنا عليك هؤلاء الايات المضمنة للوعيد انزلنا القران كله
على هذه الوتيرة مكررين فيه ايات الوعيد ليكونوا بحيث يراد منهم ترك المعاصي او فعل الخير والطاعة
والذكر كما ذكرنا يطلق على الطاعة والعبادة وقرئ نحدث وتحدث بالنون والتاء اي تحدث
فتعالى الله الملك الحق
انت وسكن بعضهم الثاء للتخفيف كما في فاليوم اشرب غير مستحقب ولا تعجل بالقران من قبل ان
يقضى اليك وحيه وقل رب زدني علما فتعالى الله الملك الحق استعظام له ولما يصرف عليه عباده
من اوامره ونواهيه ووعده ووعيده والادارة بين ثوابه وعقابه على حسب اعمالهم وغير ذلك
مما يجري عليه امر ملكوته ولما ذكر القران وانزاله قال على سبيل الاستطراد واذا لقنك جبريل ما يوحى
اليك من القران فتان عليك ريثما يسمعك ويفهمك ثم اقبل عليه بالتحفظ بعد ذلك ولا تكن قراءتك
مساوقة لقراءته ونحوه قوله تعالى لا تحرك به لسانك لتعجل به وقيل معناه لا تبلغ ما كان منه
مجملا حتى يأتيك البيان وقرئ حتى نقضي اليك وحيه وقوله تعالى رب زدني علما متضمن للتواضع
لله تعالى والشكر له عندما علم من ترتيب التعلم اي علمتني يا رب لطيفة في باب التعلم وادبا جميلا ما كان
عندي فزدني علما الى علمي فان لك في كل شيء حكمة وعلما وقيل ما امر الله تعالى رسوله بطلب الزيادة
في شيء الا في العلم ولقد عهدنا الى ادم من قبل فنسي ولم نجد له عزما يقال في اوامر الملوك ووصاياهم بالهمز
تقدم الملك الى فلان واوعز اليه وعزم عليه وعهد اليه عطف الله سبحانه قصة ادم عليه السلام
على قوله تعالى وصرفنا فيه من الوعيد لعلهم يتقون والمعنى واقسم قسما لقد امرنا اباهم ادم ووصيناه
ان لا يقرب الشجرة وتوعدناه بالدخول في جملة الظالمين ان قربها وذلك من قبل وجودهم ومن

قبل ان نتوعدهم فخالف الى ما نهي عنه وتوعد في ارتكابه مخالفتهم ولم يلتفت الى الوعيد كما لا يلتفتون
كانه يقول ان اساس امر بني آدم على ذلك وعرقهم راسخ فيه **فان قلت** ما المراد بالنسيان **قلت**
يجوز ان يراد النسيان الذي هو نقيض الذكر وانه لم يعن بالوصية العناية الصادقة ولم يستوثق
منها بعقد القلب عليها وضبط النفس حتى تولد من ذلك النسيان وان يراد الترك وانه ترك ما وصي
به من الاحتراس عن الشجرة واكل ثمرتها **وقرئ** فنسي اي نساه الشيطان العزم التصميم والمضي
على ترك الاكل وان يتصلب في ذلك تصلبا يؤيس الشيطان من التسويل له والوجود يجوز ان يكون
بمعنى العلم ومفعولاه له عزما وان يكون نقيض العدم كانه قال وعدمنا له عزما **واذ قلنا للملائكة**
اسجدوا لآدم فسجدوا الا ابليس ابى اذ منصوب بمضمر اي واذكر وقت ما جرى عليه من معاداة ابليس
ووسوسته اليه وتزيينه له الاكل من الشجرة وطاعته له بعد ما تقدمت معه النصيحة والموعظة
البليغة والتحذير من كيده حتى يتبين لك انه لم يكن من اولي العزم والثبات **فان قلت** ابليس
كان جنيا بدليل قوله تعالى كان من الجن ففسق عن امر ربه فمن اين تناوله الامر وهو للملائكة خاصة
قلت كان في صحبتهم وكان يعبد الله تعالى عبادتهم فلما امروا بالسجود لآدم والتواضع له كرامة له
كان الجني الذي معهم اجدر بان يتواضع كما لو قام لمقبل على المجلس علية اهله وسراتهم كان القيام على
واحد بينهم هو دونهم في المنزلة اوجب حتى ان لم يقم عنف به وقيل له قد قام فلان وفلان فمن انت
حتى تترفع عن القيام **فان قلت** فكيف صح استثناؤه وهو جني عن الملائكة عمل على حكم
التغليب في اطلاق اسم الملائكة عليهم وعليه فاخرج الاستثناء على ذلك كقولك خرجوا الا فلانة لامرأة
بين الرجال ابى جملة مستأنفة كانه جواب قائل قال لم لم يسجد والوجه ان لا يقدر له مفعول
وهو السجود المدلول عليه بقوله فسجدوا وان يكون معناه اظهر الاباء وتوقف وتثبط **فقلنا يا آدم**
ان هذا عدو لك ولزوجك فلا يخرجنكما من الجنة فتشقى ان لك الا تجوع فيها ولا تعرى
وانك لا تظمؤا فيها ولا تضحى فلا يخرجنكما فلا يكونن سببا لاخراجكما وانما اسند الى آدم وحده فعل
الشقاء دون حواء بعد اشتراكهما في الخروج لان في ضمن شقاء الرجل وهو قيم اهله واميرهم شقاءهم
كما ان في ضمن سعادته سعادتهم فاختصر الكلام باسناده اليه دونها مع المحافظة على الفاصلة او
اريد بالشقاء التعب في طلب القوت وذلك معصوب برأس الرجل وهو راجع اليه **وروى** انه اهبط
الى آدم ثور احمر فكان يحرث عليه ويمسح العرق من جبينه وقرئ وانك بالكسر والفتح ووجه
الفتح العطف على ان لا تجوع **فان قلت** ان لا تدخل على ان فلا يقال ان ان زيدا منطلق والواو
نائبة عن ان وقائمة مقامها فلم ادخلت عليها **قلت** الواو لم توضع لتكون ابدا نائبة عن ان
انما هي نائبة عن كل عامل فلما لم تكن حرفا موضوعا للتحقيق خاصة كان لم يمتنع اجتماعهما كما امتنع اجتماع
ان وان الشبع والري والكسوة والكن هي الاقطاب التي يدور عليها كفاف الانسان فذكره استجماعها
له في الجنة وانه مكفي لا يحتاج الى كفاية كاف ولا الى كسب كاسب كما يحتاج الى ذلك اهل الدنيا وذكرها
بلفظ النفي لنقائضها التي هي الجوع والعري والظمأ والضحو ليطرق سمعه باسامي اصناف الشقوة التي
حذره منها حتى يتحامى السبب الموقع فيها كراهة لها **فوسوس اليه الشيطان قال يا آدم هل ادلك**
على شجرة الخلد وملك لا يبلى **فان قلت** كيف عدي وسوس تارة باللام في قوله تعالى فوسوس

لهما الشيطان واخرى بالى **قلت** وسوسة الشيطان كولولة الثكلى ووعوعة الذئب ووقوقة الدجاجة
في انها حكايات للاصوات وحكمها حكم صوت واجرس ومنه وسوس المبرسم وهو موسوس بالكسر والفتح
لحن **وانشد** ابن الاعرابي وسوس يدعو مخلصا رب الفلق فاذا قلت وسوس له فمعناه لاجله
كقوله اجرس لها يا ابن ابي كباش ومعنى وسوس اليه انهى اليه الوسوسة كقولك حدث اليه واسر
اليه اضاف الشجرة الى الخلد وهو الخلود لان من اكل منها خلد بزعمه كما قيل لحيزوم فرس الحياة لان
من باشر اثره حيي وملك لا يبلى دليل على قراءة الحسن بن علي وابن عباس رضي الله عنهم الا ان تكونا
ملكين بالكسر **فاكلا منها فبدت لهما سوآتهما وطفقا يخصفان عليهما من ورق الجنة وعصى**
آدم ربه فغوى طفق يفعل كذا مثل جعل يفعل واخذ وانشأ وحكمها حكم كاد في وقوع الخبر فعلا
مضارعا وبينها وبينه مسافة قصيرة هي للشروع في اول الامر وكاد لمشارفته والدنو منه **وقرئ**
يخصفان للتكثير والتكرير من خصف النعل وهو ان يخرز عليها الخصاف اي يلزقان الورق بسوآتهما
للتستر وهو ورق التين وقيل كان مدورا فصار على هذا الشكل من تحت اصابعهما وقيل كان لباسهما
الظفر فلما اصابا الخطيئة نزع عنهما وتركت هذه البقايا في اطراف الاصابع عن ابن عباس رضي الله عنهما
لا شبهة في ان آدم لم يمتثل ما رسم الله له وتخطى فيه ساحة الطاعة وذلك هو العصيان ولما عصى خرج
فعله من ان يكون رشدا او خيرا فكان غيا لا محالة لان الغي خلاف الرشد ولكن قوله تعالى وعصى
آدم ربه فغوى بهذا الاطلاق وبهذا التصريح وحيث لم يقل وزل آدم واخطأ وما اشبه ذلك
مما يعبر به عن الزلات والفرطات فيه لطف بالمكلفين ومزجرة بليغة وموعظة كافة وكانه قيل
لهم انظروا واعتبروا كيف نعيت على النبي المعصوم حبيب الله الذي لا يجوز عليه الا اقتراف الصغيرة
غير المنفرة زلته بهذه الغلظة وبهذا اللفظ الشنيع فلا تتهاونوا بما يفرط منكم من السيئات
والصغائر فضلا ان تجسروا على التورط في الكبائر وعن بعضهم فغوى فبشم من كثرة الاكل وهذا
وان صح على لغة من يقلب الياء المكسور ما قبلها الفا فيقول في فني وبقي فنا وبقا وهم بنو طي تفسير
خبيث **ثم اجتباه ربه فتاب عليه وهدى** **فان قلت** ما معنى ثم اجتباه ربه **قلت** ثم قبله
بعد التوبة وقربه اليه من جبى الى كذا فاجتبيته ونظيره جليت على العروس فاجتليتها ومنه قوله
عز وجل واذا لم تأتهم بآية قالوا لولا اجتبيتها اي هلا جبيت اليك فاجتبيتها واصل الكلمة الجمع ويقو
اجتبت الفرس نفسها اذا اجتمعت نفسها راجعة بعد النفار وهدى اي وفقه لحفظ التوبة وغيره
من اسباب العصمة **قال اهبطا منها جميعا بعضكم لبعض عدو فاما يأتينكم مني هدى فمن اتبع**
هداي فلا يضل ولا يشقى لما كان آدم وحواء عليهما السلام اصلي البشر والسببين اللذين منهما
نشأوا وتفرعوا جعلا كأنهما البشر في انفسهما فخوطبا مخاطبتهم فقيل فاما يأتينكم على لفظ الجماعة ونظيره
اسنادهم الفعل الى السبب وهو في الحقيقة للمسبب هدى كتاب وشريعة **وعن** ابن عباس رضي الله
عنهما ضمن الله تعالى لمن اتبع القرآن ان لا يضل في الدنيا ولا يشقى في الآخرة ثم تلا قوله تعالى فمن اتبع
هداي فلا يضل ولا يشقى والمعنى ان الشقاء في الآخرة هو عقاب من ضل في الدنيا عن طريق الدين
فمن اتبع كتاب الله وامتثل اوامره وانتهى عن نواهيه نجا من الضلال ومن عقابه **ومن اعرض عن ذكري**
فان له معيشة ضنكا ونحشره يوم القيامة اعمى قال رب لم حشرتني اعمى وقد كنت بصيرا
الضنك مصدر يستوي في الوصف به المذكر والمؤنث **وقرئ** ضنكى على فعلى ومعنى ذلك ان مع الدين

الشاكر والقناعة والتوكل على الله وعلى قسمته فصاحبه ينفق ما رزقه بسماح وسهولة فيعيش عيشا
رافغا كما قال الله تعالى فلنحيينه حيوة طيبة والمعرض عن الدين مستول عليه الحرص الذى لا يزال يطمح به
الى الازدياد من الدنيا مسلط عليه الشح الذى يقبض يده عن الانفاق فعيشه ضنك وحاله مظلمة
كما قال بعض المتصوفة لا يعرض احد عن ذكر ربه الا اظلم عليه وقته وتشوش عليه رزقه ومن الكفرة
من ضرب الله عز وجل عليه الذلة والمسكنة لكفره قال الله تعالى وضربت عليهم الذلة والمسكنة وباؤا
بغضب من الله ذلك بانهم كانوا يكفرون بايات الله وقال ولو انهم اقاموا التورية والانجيل وما
انزل اليهم من ربهم لاكلوا من فوقهم ومن تحت ارجلهم وقال ولو ان اهل القرى امنوا واتقوا لفتحنا
عليهم بركات من السماء والارض وقال استغفروا ربكم انه كان غفارا يرسل السماء عليكم مدرارا وقال
وان لو استقاموا على الطريقة لاسقيناهم ماء غدقا وعن الحسن هو الضريع والزقوم فى النار وعن
ابى سعيد الخدرى رضى الله عنه عذاب القبر وقرئ ونحشره بالجزم عطفا على محل فان له معيشة ضنكا
لانه جواب الشرط وقرئ ونحشره بسكون الهاء على لفظ الوقف وهذا مثل قوله تعالى ونحشرهم يوم
القيمة على وجوههم عميا وبكما وصما وكما فسر الزرق بالعمى قال كذلك اتتك اياتنا فنسيتها وكذلك
اليوم تنسى كذلك اى مثل ذلك فعلت انت ثم فسر بان اياتنا اتتك واضحة مستنيرة فلم تنظر اليها
بعين المعتبر ولم تتبصر وتركتها وعميت عنها فكذلك اليوم نتركك على عماك ولا نزيل غطاءه عن
عينيك وكذلك نجزى من اسرف ولم يؤمن بايات ربه ولعذاب الاخرة اشد وابقى لما توعد
المعرض عن ذكره بعقوبتين المعيشة الضنك فى الدنيا وحشره اعمى فى الاخرة ختم ايات الوعيد بقوله تعالى
ولعذاب الاخرة اشد وابقى كانه قال وللحشر على العمى الذى لا يزول ابدا اشد من ضيق العيش المنقضى
او اراد ولتركنا اياه فى العمى اشد وابقى من تركه لاياتنا افلم يهد لهم كم اهلكنا قبلهم من القرون
يمشون فى مساكنهم ان فى ذلك لايات لاولى النهى فاعل لم يهد لهم الجملة بعده يريد الم يهد لهم
هذا بمعناه ومضمونه ونظيره قوله تعالى وتركنا عليه فى الاخرين سلام على نوح فى العالمين اى تركنا عليه
هذا الكلام ويجوز ان يكون فيه ضمير الله او الرسول ويدل عليه القراءة بالنون وقرئ يمشون
يريد ان قريشا يتقلبون فى بلاد عاد وثمود ويمشون فى مساكنهم ويعاينون اثار هلاكهم ولولا كلمة
سبقت من ربك لكان لزاما واجل مسمى الكلمة السابقة هى العدة بتاخير جزائهم الى الاخرة يقول
لولا هذه العدة لكان مثل اهلاك عاد وثمود لازما لهؤلاء الكفرة واللزام اما مصدر لازم وصف
به واما فعال بمعنى مفعل اى ملزم كانه اله اللزوم لفرط لزومه كما قالوا لزاز خصم واجل مسمى لا
يخلو من ان يكون معطوفا على كلمة او على الضمير فى كان اى لكان الاخذ العاجل واجل مسمى لازمين له
كما كانا لازمين لعاد وثمود ولم ينفرد الاجل المسمى دون الاخذ العاجل فاصبر على ما يقولون
وسبح بحمد ربك قبل طلوع الشمس وقبل غروبها ومن اناء الليل فسبح واطراف النهار
لعلك ترضى بحمد ربك فى موضع الحال اى وانت حامد لربك على ان وفقك للتسبيح واعانك عليه
والمراد بالتسبيح الصلاة او على ظاهره قدم الفعل على الاوقات اولا والاوقات على الفعل اخرا
فكانه قال صل لله قبل طلوع الشمس يعنى الفجر وقبل غروبها يعنى الظهر والعصر لانهما واقعتان فى
النصف الاخير من النهار بين زوال الشمس وغروبها وتعمد اناء الليل واطراف النهار مختصا لهما
بصلواتك وذلك لان افضل الذكر ما كان بالليل لاجتماع القلب وهدو الرجل والخلو بالرب وقال

الله

الله تعالى ان ناشئة الليل هى اشد وطاء واقوم قيلا وقال تعالى امن هو قانت اناء الليل ساجدا وقائما ولان الليل
وقت السكون والراحة فاذا صرف الى العبادة كانت على النفس اشد واشق وللبدن اتعب وانصب
فكانت ادخل فى معنى التكليف وافضل عند الله وقد تناول التسبيح فى اناء الليل صلوة العتمة وفى اطراف
النهار صلوة المغرب وصلوة الفجر على التكرار ارادة الاختصاص كما اختصت فى قوله تعالى حافظوا
على الصلوات والصلوة الوسطى عند بعض المفسرين فان قلت ما وجه قوله تعالى واطراف
النهار على الجمع وانما هما طرفان كما قال اقم الصلوة طرفى النهار قلت الوجه امن الالباس وفى التثنية
زيادة بيان ونظير مجى الامرين فى الاثنين جمعهما فى قوله ظهراهما مثل ظهور الترسين وقرئ واطراف
النهار عطفا على اناء الليل ولعل للمخاطب اى ذكر الله فى هذه الاوقات طمعا ورجاء ان تنال عند الله
ما به ترضى نفسك ويسر قلبك وقرئ ترضى اى يرضيك ربك ولا تمدن عينيك الى ما متعنا
به ازواجا منهم زهرة الحيوة الدنيا لنفتنهم فيه ورزق ربك خير وابقى ولا تمدن عينيك
اى نظر عينيك ومد النظر تطويله وان لا يكاد يرده استحسانا للمنظور اليه واعجابا به وتمنيا ان
يكون له كما فعل نظارة قارون حين قالوا يا ليت لنا مثل ما اوتى قارون انه لذو حظ عظيم حتى واجههم
اولوا العلم والايمان بويلكم ثواب الله خير لمن امن وعمل صالحا وفيه ان النظر غير الممدود معفو
عنه وذلك مثل نظر من بادى الشى بالنظر ثم غض الطرف ولما كان النظر الى الزخارف كالمركوز فى الطباع
وان من ابصر منها شيا احب ان يمد نظره ويملا منه عينيه قيل ولا تمدن عينيك اى لا تفعل ما انت معتاد
له وضاربه ولقد شدد العلماء من اهل التقوى فى وجوب غض البصر عن ابنية الظلمة وعدد الفسقة
فى اللباس والمراكب وغير ذلك لانهم انما اتخذوا هذه الاشياء لعيون النظارة فالناظر اليها محصل
لغرضهم وكالمغرى لهم على اتخاذها ازواجا منهم اصنافا من الكفرة ويجوز ان ينتصب حالا من هاء الضمير
فى به والفعل واقع على منهم كانه قال الى الذى متعنا به وهو اصناف بعضهم وناسا منهم فان
قلت علام انتصب زهرة قلت على احد اربعة اوجه على الذم وهو النصب على الاختصاص
وعلى تضمين متعنا معنى اعطينا وخولنا وكونه مفعولا ثانيا له وعلى ابداله من محل الجار والمجرور وعلى
ابداله من ازواجا على تقدير ذوى زهرة فان قلت ما معنى الزهرة فيمن حرك قلت معنى الزهرة
بعينه وهو الزينة والبهجة كما جاء فى الجهرة والجهرة وقرئ ارنا الله جهرة وان تكون جمع زاهر وصفا
لهم بانهم زاهروا هذه الدنيا لصفاء الوانهم مما يلهون ويتنعمون وتهلل وجوههم وبهاء زيهم وشارتهم
خلاف ما عليه المؤمنون والصلحاء من شحوب الالوان والتقشف فى الثياب لنفتنهم لنبلوهم حتى
يستوجبوا العذاب لوجود الكفران منهم او لنعذبهم فى الاخرة بسببه ورزق ربك هو ما ادخر له
من ثواب الاخرة الذى هو خير منه فى نفسه وادوم او ما رزقه من نعمة الاسلام والنبوة او
لان اموالهم الغالب عليها الغصب والسرقة والحرمة من بعض الوجوه والحلال خير وابقى لان الله
لا ينسب الى نفسه الا ما حل وطاب دون ما حرم وخبث والحرام لا يسمى رزقا وعن عبد الله ابن
قسيط عن رافع رضى الله عنه قال بعثنى رسول الله عليه السلام الى يهودى وقال قل له يقول لك رسول
الله اقرضنى الى رجب فقال والله لا اقرضته الا برهن فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم انى
لامين فى السماء وانى لامين فى الارض احمل اليه درعى الحديد فنزلت ولا تمدن عينيك وامر اهلك
بالصلوة واصطبر عليها لا نسالك رزقا نحن نرزقك والعاقبة للتقوى وامر اهلك بالصلوة

لهم

اى واقبل انت مع اهلك على عبادة الله والصلوة واستعينوا بها على خصاصتكم ولا تهتم بامر الرزق والمعيشة فان رزقك مكفى من عندنا ونحن رازقوك ولا نسالك ان ترزق نفسك ولا اهلك ففرغ بالك لامر الاخرة وفى معناه قول الناس من كان فى عمل الله كان الله فى عمله وعن عروة بن الزبير رضى الله عنه كان اذا راى ما عند السلاطين قرا ولا تمدن عينيك الاية ثم ينادى الصلوة الصلوة رحمكم الله وعن بكر بن عبد الله المزنى كان اذا اصابت اهله خصاصة قال قوموا فصلوا بهذا امر الله رسوله ثم يتلو هذه الاية وقالوا لولا يأتينا باية من ربه اولم تأتهم بينة ما فى الصحف الاولى ولو انا اهلكناهم بعذاب من قبله لقالوا ربنا لولا ارسلت الينا رسولا فنتبع اياتك من قبل ان نذل ونخزى اقترحوا على عادتهم فى التعنت اية على النبوة فقيل لهم اولم تأتكم اية هى ام الايات واعظمها فى باب الاعجاز يعنى القران من قبل ان القران برهان ما فى سائر الكتب المنزلة ودليل صحته لانه معجز وتلك ليست بمعجزات فهى مفتقرة الى شهادته على صحة ما فيها افتقار المحتج عليه الى شهادة الحجة وقرئ الصحف بالتخفيف ذكر الضمير الراجع الى البينة لانها فى معنى البرهان والدليل وقرئ نذل ونخزى على لفظ ما لم يسم فاعله قل كل متربص فتربصوا فستعلمون من اصحاب الصراط السوى ومن اهتدى كل اى كل واحد منا ومنكم متربص للعاقبة ولما يؤول اليه امرنا وامركم وقرئ السواء بمعنى الوسط والجيد او المستوى والسوء والسوءى والسوى تصغير السوء وقرئ فتمتعوا فسوف تعلمون قال ابو رافع حفظته من رسول الله عن النبى عليه السلام من قرا سورة طه اعطى يوم القيمة ثواب المهاجرين والانصار وقال لا يقرا اهل الجنة من القران الا طه ويس والله اعلم بالصواب

بسم الله الرحمن الرحيم اقترب للناس حسابهم وهم فى غفلة معرضون هذه اللام لا تخلو من ان تكون صلة لاقترب او تاكيدا لاضافة الحساب اليهم كقولك ازف للحى رحيلهم والاصل ازف رحيل الحى ثم ازف للحى الرحيل ثم ازف للحى رحيلهم ونحوه ما اورده سيبويه فى باب ما يثنى فيه المستقر توكيدا عليك زيد حريص عليك وفيك زيد راغب فيك ومنه قولهم لا ابا لك لان اللام مؤكدة لمعنى الاضافة وهذا الوجه اغرب من الاول والمراد اقتراب الساعة واذا اقتربت الساعة فقد اقترب ما يكون فيها من الحساب والثواب والعقاب وغير ذلك ونحوه واقترب الوعد الحق فان قلت كيف وصف بالاقتراب وقد عدت دون هذا القول اكثر من خمسمائة عام قلت هو مقترب عند الله والدليل عليه قوله عز وعلا ويستعجلونك بالعذاب ولن يخلف الله وعده وان يوما عند ربك كالف سنة مما تعدون ولان كل ات وان طالت اوقات استقباله وترقبه قريب وانما البعيد هو الذى وجد وانقرض ولان ما بقى من الدنيا اقصر واقل مما سلف منها بدليل انبعاث خاتم النبيين الموعود مبعثه فى اخر الزمان وقال صلى الله عليه وسلم بعثت فى نسم الساعة وفى خطبة بعض المتقدمين ولت الدنيا حذاء ولم تبق الا صبابة كصبابة الاناء واذا كانت بقية الشىء وان كثرت فى نفسها قليلة بالاضافة الى معظمه كانت خليقة بان توصف بالقلة وقصر الذرع وعن ابن عباس رضى الله عنهما ان المراد بالناس المشركون وهذا من اطلاق اسم الجنس على

بعضه للدليل القائم وهو ما يتلوه من صفات المشركين وصفهم بالغفلة مع الاعراض على معنى انهم غافلون عن حسابهم ساهون لا يتفكرون فى عاقبتهم ولا يتفطنون ما يأتيهم من ذكر من ربهم محدث الا استمعوه وهم يلعبون لاهية قلوبهم واسروا النجوى الذين ظلموا هل هذا الا بشر مثلكم افتأتون السحر وانتم تبصرون لما ترجع اليه خاتمة امرهم مع اقتضاء عقولهم انه لا بد من جزاء المحسن والمسىء واذا قرعت لهم العصا ونبهوا عن سنة الغفلة وفطنوا لذلك بما يتلى عليهم من الايات والنذر اعرضوا وسدوا اسماعهم ونفروا وقرر اعراضهم عن تنبيه المنبه وايقاظ الموقظ بان الله يجدد لهم الذكر وقتا فوقتا ويحدث لهم الاية بعد الاية والسورة بعد السورة ليكرر على اسماعهم التنبيه والموعظة لعلهم يتعظون فما يزيدهم استماع الاى والسور وما فيها من فنون المواعظ والبصائر التى هى احق الحق واجده الا لعبا وتلهيا واستسخارا والذكر هو الطائفة النازلة من القران وقرا ابن ابى عبلة محدث بالرفع صفة على المحل قوله تعالى وهم يلعبون لاهية قلوبهم حالان مترادفتان او متداخلتان ومن قرا لاهية بالرفع فالحال واحدة لان لاهية قلوبهم خبر بعد خبر لقوله وهم واللاهية من لهى عنه اذا ذهل وغفل يعنى انهم وان فطنوا فهم فى قلة جدوى فطنتهم كانهم لم يتفطنوا اصلا وثبتوا على رأس غفلتهم وذهولهم عن التأمل والتبصر بقلوبهم فان قلت النجوى وهى اسم من التناجى لا تكون الا خفية فما معنى قوله واسروا قلت معناه وبالغوا فى اخفائها او جعلوها بحيث لا يفطن احد لتناجيهم ولا يعلم انهم متناجون ابدل الذين ظلموا من واو واسروا اشعارا بانهم الموسومون بالظلم الفاحش فيما اسروا به او جاء على لغة من قال اكلونى البراغيث او هو منصوب المحل على الذم او هو مبتدأ خبره واسروا النجوى قدم عليه والمعنى وهؤلاء اسروا النجوى فوضع المظهر موضع المضمر تسجيلا على فعلهم بانه ظلم هل هذا الا بشر مثلكم افتأتون السحر وانتم تبصرون هذا الكلام كله فى محل النصب بدلا من النجوى اى واسروا هذا الحديث ويجوز ان يتعلق بقالوا مضمرا اعتقدوا ان رسول الله لا يكون الا ملكا وان كل من ادعى الرسالة من البشر وجاء بالمعجزة فهو ساحر ومعجزته سحر فلذلك قالوا على سبيل الانكار افتحضرون السحر وانتم تشاهدون وتعاينون انه سحر فان قلت لم اسروا هذا الحديث وبالغوا فى اخفائه قلت كان ذلك شبه التشاور فيما بينهم والتحاور فى طلب الطريق الى هدم امره وعمل المنصوبة فى التثبط عنه وعادة المتشاورين فى خطب ان لا يشركوا اعداءهم فى شوراهم ويتجاهدوا فى طى سرهم عنهم ما امكن واستطيع ومنه قول الناس استعينوا على حوائجكم بالكتمان ويرفع الى رسول الله عليه السلام ويجوز ان يسروا نجواهم بذلك ثم يقولوا لرسول الله عليه السلام والمؤمنين ان كان ما تدعونه حقا فاخبرونا بما اسررناه قل ربى يعلم القول فى السماء والارض وهو السميع العليم فان قلت هلا قيل يعلم السر لقوله واسروا النجوى قلت القول عام يشمل السر والجهر فكان فى العلم به العلم بالسر وزيادة فكان اكد فى بيان الاطلاع على نجواهم من ان يقول يعلم السر كما ان قوله يعلم السر اكد من ان يقول يعلم سرهم ثم بين ذلك بانه السميع العليم لذاته فكيف تخفى عليه خافية فان قلت فلم ترك هذا الاكد فى سورة الفرقان فى قوله تعالى قل انزله الذى يعلم السر فى السموات والارض قلت ليس بواجب ان يجىء بالاكد فى كل موضع ولكن يجىء بالتوكيد تارة وبالاكد اخرى كما يجىء بالحسن فى موضع وبالاحسن فى غيره ليفتن الكلام افتنانا ويجمع الغاية وما دونها على ان اسلوب تلك

الآية خلاف أسلوب هذه من قبل أنه قدم ههنا أنهم أسروا النجوى فكأنه أراد أن يقول إن ربي يعلم ما
أسروه فوضع القول موضع ذلك للمبالغة ثم قصد وصف ذاته بأن أنزله الذي يعلم السر في السموات
والأرض فهو كقوله تعالى علام الغيوب عالم الغيب لا يعزب عنه مثقال ذرة وقرئ قال ربي حكاية
لقول رسول الله عليه السلام لهم بل قالوا أضغاث أحلام بل افتراه بل هو شاعر فليأتنا بآية كما أرسل
الأولون أضربوا عن قولهم هو سحر إلى أنه تخاليط أحلام ثم إلى أنه كلام مفترى من عنده ثم إلى أنه قول شاعر
وهكذا الباطل لجلج والمبطل متحير رجاع غير ثابت على قول واحد ويجوز أن يكون تنزيلا من الله تعالى لأقوالهم
في درج الفساد وأن قولهم الثاني أفسد من الأول والثالث أفسد من الثاني وكذلك الرابع من الثالث
صحة التشبيه في قوله تعالى كما أرسل الأولون من حيث أنه في معنى كما أتى الأولون بالآيات لأن إرسال
الرسل متضمن للإتيان بالآيات ألا ترى أنه لا فرق بين أن تقول أرسل محمد وبين قولك أتى محمد بالمعجزة
ما آمنت قبلهم من قرية أهلكناها أفهم يؤمنون فيه أنهم أعتى من الذين اقترحوا
على أنبيائهم الآيات وعهدوا أنهم يؤمنون عندها فلما جاءتهم نكثوا وخالفوا فأهلكهم الله فلو أعطيناهم
ما يقترحون لكانوا أنكث وما أرسلنا قبلك إلا رجالا يوحى إليهم فاسألوا أهل الذكر إن كنتم
لا تعلمون أمرهم أن يستعلموا أهل الذكر وهم أهل الكتاب حتى يعلموهم أن رسل الله الموحى إليهم كانوا
بشرا ولم يكونوا ملائكة كما اعتقدوا وإنما أحالهم على أولئك لأنهم كانوا يشايعون المشركين في معاداة رسول
الله صلى الله عليه وسلم قال الله تعالى ولتسمعن من الذين أوتوا الكتاب من قبلكم ومن الذين أشركوا أذى
فلا يكادون يتهمونهم فيما هم فيه ردء لرسول الله صلى الله عليه وسلم وما جعلناهم جسدا لا يأكلون الطعام
وما كانوا خالدين لا يأكلون الطعام صفة لجسدا والمعنى وما جعلنا الأنبياء قبله ذوي جسد غير
طاعمين ووحد الجسد لإرادة الجنس كأنه قال ذوي ضرب من الأجساد وهذا رد لقولهم ما لهذا الرسول
يأكل الطعام فإن قلت نعم قد رد إنكارهم أن يكون الرسول بشرا يأكل ويشرب بما ذكرت
فماذا رد من قولهم بقوله تعالى وما كانوا خالدين قلت يحتمل أن يقولوا إنه بشر مثلنا يعيش
كما نعيش ويموت كما نموت أو يقولوا هلا كان ملكا لا يطعم ويخلد إما معتقدين أن الملائكة لا
يموتون أو مسمين حياتهم المتطاولة وبقاءهم الممتد خلودا ثم صدقناهم الوعد فأنجيناهم ومن
نشاء وأهلكنا المسرفين صدقناهم الوعد مثل واختار موسى قومه والأصل في الوعد ومن
قومه ومنه صدقوهم القتال وصدقني سن بكره ومن نشاء هم المؤمنون ومن في إبقائه مصلحة
لقد أنزلنا إليكم كتابا فيه ذكركم أفلا تعقلون ذكركم شرفكم وصيتكم كما قال تعالى وإنه لذكر لك
ولقومك أو موعظتكم أو فيه مكارم الأخلاق التي كنتم تطلبون بها الثناء وحسن الذكر كحسن الجوار والوفاء
بالعهد وصدق الحديث وأداء الأمانة والسخاء وما أشبه ذلك وكم قصمنا من قرية كانت ظالمة
وأنشأنا بعدها قوما آخرين وكم قصمنا من قرية واردة عن غضب شديد ومنادية على سخط عظيم
لأن القصم أفظع الكسر وهو الكسر الذي يبين تلاؤم الأجزاء بخلاف الفصم وأراد بالقرية أهلها
ولذلك وصفها بالظلم وقال قوما آخرين لأن المعنى أهلكنا قوما وأنشأنا قوما آخرين وعن
ابن عباس رضي الله عنهما أنها حضور وهي وسحول قريتان باليمن ينسب إليهما الثياب وفي الحديث كفن
رسول الله عليه السلام في ثوبين سحوليين وروي حضوريين بعث الله تعالى إليهم نبيا فقتلوه فسلط
الله عليهم بخت نصر كما سلطه الله تعالى على أهل بيت المقدس فاستأصلهم وروي أنه لما أخذتهم

السبوف

السيوف ونادى مناد من السماء يا لثارات الأنبياء ندموا واعترفوا بالخطأ وذلك حين لم ينفعهم الندم
وظاهر الآية على الكثرة ولعل ابن عباس رضي الله عنهما ذكر حضور بأنها إحدى القرى التي أرادها الله
بهذه الآية فلما أحسوا بأسنا إذا هم منها يركضون لا تركضوا وارجعوا إلى ما أترفتم فيه
ومساكنكم لعلكم تسألون فلما علموا شدة عذابنا وبطشتنا علم حس ومشاهدة لم يشكوا فيها
ركضوا من ديارهم والركض ضرب الدابة بالرجل ومنه قوله تعالى اركض برجلك فيجوز أن يركبوا دوابهم
يركضونها هاربين منهزمين من قريتهم لما أدركتهم مقدمة العذاب ويجوز أن يشبهوا في سرعة عدوهم
على أرجلهم بالراكبين الراكضين لدوابهم فقيل لهم لا تركضوا والقول محذوف فإن قلت من القائل
قلت يحتمل أن يكون بعض الملائكة أو من ثم من المؤمنين أو يجعلوا خلقاء بأن يقال لهم ذلك وإن
لم يقل أو يقوله رب العزة ويسمعه ملائكته لينفعهم في دينهم أو يلهمهم ذلك فيحدثوا به نفوسهم
وارجعوا إلى ما أترفتم فيه من العيش الرافه والحال الناعمة والإتراف إبطار النعمة وهي الترفه لعلكم
تسألون تهكم بهم وتوبيخ أي ارجعوا إلى نعمكم ومساكنكم لعلكم تسألون غدا عما جرى عليكم ونزل
بأموالكم ومساكنكم فتجيبوا السائل عن علم ومشاهدة أو ارجعوا واجلسوا كما كنتم في مجالسكم وترتبوا
في مراتبكم حتى يسألكم عبيدكم وحشمكم ومن تملكون أمره وينفذ فيه أمركم ونهيكم ويقولوا لكم بم تأمرون
وماذا ترسمون وكيف نأتي ونذر كعادة المنعمين المخدمين أو يسألكم الناس في أنديتكم المعاون
في نوازل الخطوب ويستشيرونكم في المهمات والعوارض ويستشفون بتدابيركم ويستضيئون بآرائكم
أو يسألكم الوافدون عليكم الطماع ويستمطرون سحائب أكفكم ويمترون أخلاف معروفكم وأياديكم
إما لأنهم كانوا أسخياء ينفقون أموالهم رئاء الناس وطلب الثناء أو كانوا بخلاء فقيل لهم ذلك تهكما
إلى تهكم وتوبيخا إلى توبيخ قالوا يا ويلنا إنا كنا ظالمين فما زالت تلك دعواهم حتى جعلناهم
حصيدا خامدين تلك إشارة إلى يا ويلنا لأنها دعوى كأنه قيل فما زالت تلك الدعوى دعواهم
والدعوى بمعنى الدعوة قال الله تعالى وآخر دعواهم أن الحمد لله رب العالمين فإن قلت لم
سميت دعوى قلت لأن المولول كأنه يدعو الويل فيقول تعالى يا ويل فهذا وقتك وتلك مرفوع
أو منصوب اسما أو خبرا وكذلك دعواهم والحصيد الزرع المحصود أي جعلناهم مثل الحصيد شبههم
به في استئصالهم واصطلامهم كما تقول جعلناهم رمادا أي مثل الرماد والضمير المنصوب هو الذي كان
مبتدأ والمنصوبان بعده كانا خبرين له فلما دخل عليها جعل نصبها جميعا على المفعولية فإن
قلت كيف ينصب جعل ثلاثة مفاعيل قلت حكم الاثنين الآخرين حكم الواحد لأن معنى
قولك جعلته حلوا حامضا جعلته جامعا للطعمين وكذلك معنى ذلك جعلناهم جامعين لمماثلة الحصيد
والخمود وما خلقنا السماء والأرض وما بينهما لاعبين أي وما سوينا هذا السقف المرفوع
وهذا المهاد الموضوع وما بينهما من أصناف الخلائق مشحونة بضروب البدائع والعجائب كما تسوي
الجبابرة سقوفهم وفرشهم وسائر زخارفهم للهو واللعب وإنما سويناها للفوائد الدينية والحكم
الربانية لتكون مطارح افتكار واعتبار واستدلال ونظر لعبادنا مع ما يتعلق لهم بها من المنافع
التي لا تعد والمرافق التي لا تحصى لو أردنا أن نتخذ لهوا لاتخذناه من لدنا إن كنا فاعلين ثم
بين أن السبب في ترك اتخاذ اللهو واللعب وانتفائه عن أفعاله هو أن الحكمة صارفة عنه وإلا فأنا
قادر على اتخاذه إن كنت فاعلا لأني على كل شيء قدير وقوله تعالى لاتخذناه من لدنا كقوله تعالى رزقا

من لدنا اى من جهة قدرتنا وقيل اللهو الولد بلغة اليمن وقيل المرأة وقيل من لدنا اى من الملائكة لا من
الانس ردا لولادة المسيح وعزير بل نقذف بالحق على الباطل فيدمغه فاذا هو زاهق ولكم
الويل مما تصفون بل اضراب عن اتخاذ اللهو واللعب وتنزيه منه لذاته كانه قال سبحاننا ان نتخذ
اللهو واللعب بل من عادتنا وموجب حكمتنا واستغنائنا عن القبيح ان نغلب اللعب بالجد وندحض الباطل
بالحق واستعار لذلك القذف والدمغ تصويرا لابطاله واهداره ومحقه فجعله كانه جرم صلب كالصخرة
مثلا قذف به على جرم رخو اجوف فدمغه ثم قال ولكم الويل مما تصفون به مما لا يجوز عليه وعلى حكمته
وقرئ فيدمغه بالنصب وهو فى ضعف قوله سأترك منزلى لبنى تميم والحق بالحجاز فاستريحا
وقرئ فيدمغه وله من فى السموات والارض ومن عنده لا يستكبرون عن عبادته ولا
يستحسرون يسبحون الليل والنهار لا يفترون ومن عنده هم الملائكة والمراد انهم مكرمون
منزلون لكرامتهم عليه منزلة المقربين عند الملوك على طريق التمثيل والبيان لشرفهم وفضلهم على جميع
خلقه فان قلت الاستحسار مبالغة فى الحسور فكان الابلغ فى وصفهم ان ينفى عنهم ادنى الحسور
قلت فى الاستحسار بيان ان ما هم فيه يوجب غاية الحسور واقصاه وانهم احقاء لتلك العبادات الباهظة
بان يستحسروا فيما يفعلون اى تسبيحهم متصل دائم فى جميع اوقاتهم لا يتخلله فترة بفراغ او بشغل
آخر ام اتخذوا آلهة من الارض هم ينشرون هذه ام المنقطعة الكائنة بمعنى بل والهمزة قد آذنت
بالاضراب عما قبلها والانكار لما بعدها والمنكر هو اتخاذهم آلهة من الارض هم ينشرون الموتى ولعمرى
ان من اعظم المنكرات ان ينشر الموتى بعض الموات فان قلت كيف انكر عليهم اتخاذ آلهة تنشر وما
كانوا يدعون ذلك لآلهتهم وكيف وهم ابعد شىء عن هذه الدعوى وذلك انهم كانوا مع اقرارهم لله عز
وجل بانه خالق السموات والارض ولئن سألتهم من خلق السموات والارض ليقولن الله وبانه القادر
على المقدورات كلها وعلى النشأة الاولى منكرين للبعث ويقولون من يحيى العظام وهى رميم وكان
عندهم من قبيل المحال الخارج عن قدرة القادر كالثانى القديم فكيف يدعونه للجماد الذى لا يوصف
بالقدرة راسا قلت الامر كما ذكرت ولكنهم بادعائهم لها الالهية يلزمهم ان يدعوا لها الانشار
لانه لا يستحق هذا الاسم الا القادر على كل مقدور والانشار من جملة المقدورات وفيه باب من
التهكم بهم والتوبيخ والتجهيل واشعار بان ما استبعدوه من الله لا يصح استبعاده لان الالهية لما
صحت صح معها الاقتدار على الابداء والاعادة ونحو قوله تعالى من الارض قولك فلان من مكة او من
المدينة تريد مكى او مدنى ومعنى نسبتها الى الارض الايذان بانها الاصنام التى تعبد فى الارض
لان الآلهة على ضربين ارضية وسماوية ومن ذلك حديث الامة التى قال لها رسول الله صلى الله عليه
وسلم اين ربك فاشارت الى السماء فقال انها مؤمنة لانه فهم منها ان مرادها نفى الآلهة الارضية
التى هى الاصنام لا اثبات السماء مكانا لله عز وجل ويجوز ان يراد آلهة من جنس الارض لانها اما ان تنحت
من بعض الحجارة او تعمل من بعض جواهر الارض فان قلت لا بد من نكتة فى قوله تعالى هم قلت
النكتة فيه افادة معنى الخصوصية كانه قيل ام اتخذوا آلهة لا يقدر على الانشار الا هم وحدهم
وقرأ الحسن رحمه الله ينشرون وهما لغتان انشر الله الموتى ونشرها لو كان فيهما آلهة الا الله
لفسدتا فسبحان الله رب العرش عما يصفون وصفت آلهة بالا كما توصف بغير لو قيل آلهة غير
الله فان قلت ما منعك من الرفع على البدل قلت لان لو بمنزلة ان فى ان الكلام معه موجب

والبدل

والبدل لا يسوغ الا فى الكلام غير الموجب كقوله تعالى ولا يلتفت منكم احد الا امرأتك وذلك لان اعم العام يصح
نفيه ولا يصح ايجابه والمعنى لو كان يتولاهما ويدبر امرهما آلهة شتى غير الواحد الذى هو فاطرهما لفسدتا وفيه
دلالة على امرين احدهما وجوب ان لا يكون مدبرهما الا واحدا والثانى ان لا يكون ذلك الواحد الا اياه
وحده لقوله تعالى الا الله فان قلت لم وجب الامران قلت لعلمنا ان الرعية تفسد بتدبير
الملكين لما يحدث بينهما من التغالب والتناكر والاختلاف وعن عبد الملك بن مروان حين قتل عمرو بن
سعيد الاشدق كان والله اعز على من دم ناظرى ولكن لا يجتمع فحلان فى شول وهذا ظاهر واما طريقة
التمانع فللمتكلمين فيها تجاول وطراد ولان هذه الافعال محتاجة الى تلك الذات المتميزة بتلك الصفات
حتى تثبت وتستقر لا يسأل عما يفعل وهم يسألون اذا كانت عادة الملوك والجبابرة ان لا يسألهم
من فى ملكهم عن افعالهم وعما يوردون ويصدرون من تدبير ملكهم تهيبا واجلالا مع جواز الخطاء
والزلل وانواع الفساد عليهم كان ملك الملوك ورب الارباب خالقهم ورازقهم اولى بان لا يسأل
عن افعاله مع ما علم واستقر فى العقول من ان ما يفعله كله مفعول بدواعى الحكمة ولا يجوز عليه الخطا
ولا فعل القبائح وهم يسألون اى هم مملوكون مستعبدون خطاؤون فما اخلقهم بان يقال لهم لم فعلتم
فى كل شىء فعلوه ام اتخذوا من دونه آلهة قل هاتوا برهانكم هذا ذكر من معى وذكر من قبلى
بل اكثرهم لا يعلمون الحق فهم معرضون كرر ام اتخذوا من دونه آلهة استفظاعا لشأنهم واستعظاما
لكفرهم اى وصفتم الله تعالى بان يكون له شريك فهاتوا برهانكم على ذلك اما من جهة العقل واما من جهة
الوحى فانكم لا تجدون كتابا من كتب الاولين الا وتوحيد الله وتنزيهه عن الانداد مدعو اليه والاشراك
به منهى عنه متوعد عليه اى هذا الوحى الوارد فى معنى توحيد الله ونفى الشركاء عنه كما ورد على فقد
ورد على جميع الانبياء فهو ذكر اى عظة للذين معى يعنى امته وذكر للذين من قبلى يريد امم الانبياء وقرئ
ذكر من معى وذكر من قبلى بالتنوين ومن مفعول منصوب بالذكر كقوله تعالى او اطعام فى يوم ذى مسغبة
يتيما وهو الاصل والاضافة من اضافة المصدر الى المفعول كقوله تعالى غلبت الروم وهم من بعد
غلبهم سيغلبون وقرى من معى ومن قبلى على من الاضافية فى هذه القراءة وادخال الجار على مع غريب
والعذر فيه انه اسم هو ظرف نحو قبل وبعد وعند ولدن وما اشبه ذلك فدخل عليه من كما يدخل
على اخواته وقرى ذكر معى وذكر قبلى كانه قيل بل عندهم ما هو اصل الشر والفساد كله وهو
الجهل وفقد العلم وعدم التمييز بين الحق والباطل فمن ثم جاء هذا الاعراض ومن هناك ورد
هذا الانكار وقرى الحق بالرفع على توسيط التوكيد بين السبب والمسبب والمعنى ان اعراضهم بسبب
الجهل هو الحق لا الباطل ويجوز ان يكون المنصوب ايضا على هذا المعنى كما تقول هذا عبد الله الحق
لا الباطل وما ارسلنا من قبلك من رسول الا يوحى اليه انه لا اله الا انا فاعبدون يوحى
ونوحى مشهورتان وهذه الآية مقررة لما سبقها من آى التوحيد وقالوا اتخذ الرحمن ولدا سبحانه
بل عباد مكرمون لا يسبقونه بالقول وهم بامره يعملون يعلم ما بين ايديهم وما خلفهم
ولا يشفعون الا لمن ارتضى وهم من خشيته مشفقون نزلت فى خزاعة حيث قالوا الملائكة بنات
الله نزه ذاته عن ذلك ثم اخبر عنهم بانهم عباد والعبودية تنافى الولادة الا انهم مكرمون مقربون
عندى مفضلون على سائر العباد لما هم عليه من احوال وصفات ليست لغيرهم فذلك هو الذى غر
منهم من زعم انهم اولادى تعاليت عن ذلك علوا كبيرا وقرئ مكرمون ولا يسبقونه بالضم

من سابقته فسبقته اسبقه والمعنى انهم يتبعون قوله ولا يقولون شيئا حتى يقوله فلا يسبق قولهم قوله
والمراد بقولهم فانيب اللام مناب الاضافة اى لا يتقدمون قوله بقولهم كما تقول سبقت بفرسي فرسه
وكما ان قولهم تابع لقوله فعملهم ايضا كذلك مبني على امره لا يعملون عملا ما لم يؤمروا به وجميع ما ياتون
وما يذرون مما قدموا واخروا بعين الله تعالى وهو مجازيهم عليه فلاحاطتهم بذلك يضبطون انفسهم
ويراعون احوالهم ويعمرون اوقاتهم ومن تحفظهم انهم لا يجسرون ان يشفعوا الا لمن ارتضاه الله
واهله للشفاعة في ازدياد الثواب والتعظيم ثم انهم مع هذا كله من خشية الله مشفقون اى
متوقعون من امارة ضعيفة كائنون على حذر ورقبة لا يامنون مكر الله وعن رسول الله عليه
السلام انه راى جبريل ليلة المعراج ساقطا كالحلس من خشية الله ومن يقل منهم انى اله من دونه
فذلك نجزيه جهنم كذلك نجزى الظالمين وبعد ان وصف كرامتهم عليه وقرب منزلتهم عنده
واثنى عليهم واضاف اليهم تلك الافعال السنية والاعمال المرضية فاجا بالوعيد الشديد وانذر
بعذاب جهنم من اشرك منهم ان كان ذلك على سبيل الفرض والتمثيل مع احاطة علمه بانه لا يكون كما
قال تعالى ولو اشركوا لحبط عنهم ما كانوا يعملون قصد بذلك تفظيع امر الشرك وتعظيم شان التوحيد
اولم ير الذين كفروا ان السموات والارض كانتا رتقا ففتقناهما وجعلنا من الماء كل شيء
حي افلا يؤمنون وقرى الم ير بغير واو ورتقا بفتح التاء وكلاهما في معنى المفعول كالخلق
والنقض اى كانتا مرتوقتين فان قلت الرتق صالح ان يقع موقع مرتوقتين لانه مصدر
فما بال الرتق قلت هو على تقدير موصوف اى كانتا شيئا رتقا ومعنى ذلك ان السماء كانت
لاصقة بالارض لا فضاء بينهما او كانت السموات متلاصقات وكذلك الارضون لا فرج بينها
ففتقها الله وفرج بينها وقيل ففتقناهما بالمطر والنبات بعدما كانت مصمتة وانما قيل كانتا دون
كن لان المراد جماعة السموات وجماعة الارض ونحوه قولهم لقاحان سوداوان اى جماعتان
فعل في المضمر نحو ما فعل في المظهر فان قلت متى راوهما رتقا حتى جاء تقريرهم بذلك
فيه وجهان احدهما انه وارد في القرآن الذى هو معجز في نفسه فقام مقام المرئي المشاهد
والثاني ان تلاصق الارض والسماء وتباينهما كلاهما جائز في العقل فلا بد للتباين دون التلاصق من
مخصص وهو القديم سبحانه وجعلنا لا يخلو ان يتعدى الى واحد او اثنين فان تعدى الى واحد فالمعنى
خلقنا كل حيوان كقوله تعالى والله خلق كل دابة من ماء او كانما خلقناه من الماء لفرط احتياجه اليه من الماء م
وحبه له وقلة صبره عنه كقوله تعالى خلق الانسان من عجل وان تعدى الى اثنين فالمعنى صيرنا كل
شيء حي بسبب من الماء لا بد له منه ومن هذا نحو من في قوله صلى الله عليه وسلم ما انا من دد ولا الدد
مني وقرى حيا وهو المفعول الثاني وجعلنا في الارض رواسي ان تميد بهم وجعلنا فيها فجاجا
سبلا لعلهم يهتدون اى كراهة ان تميد بهم وتضطرب او لان لا تميد بهم فحذف لا واللام وانما
جاز حذف لا لعدم الالتباس كما تزاد لذلك في نحو قوله تعالى لئلا يعلم اهل الكتاب وهذا مذهب الكوفيين
الفج الطريق الواسع فان قلت في الفجاج معنى الوصف فما لها قدمت على السبل ولم تؤخر كما في
قوله سبحانه وتعالى لتسلكوا منها سبلا فجاجا قلت لم تتقدم وهي صفة ولكن جعلت حالا كقوله
لعزة موحشا طلل قديم فان قلت ما الفرق بينهما من جهة المعنى قلت احدهما اعلام بانه جعل
فيها طرقا واسعة والثاني بانه حين خلقها خلقها على تلك الصفة فهو بيان لما ابهم ثمة وجعلنا

السما

السماء سقفا محفوظا وهم عن آياتها معرضون محفوظا حفظه بالامساك بقدرته من ان يقع على الا رض
ويتزلزل او بالشهب عن تسمع الشياطين على سكانه من الملائكة عن آياتها عما وضع الله فيها من الادلة والعبر
بالشمس والقمر وسائر النيرات ومسايرها وطلوعها وغروبها على الحساب القويم والترتيب العجيب الدال
على الحكمة البالغة والقدرة الباهرة واى جهل اعظم من جهل من اعرض عنها ولم يذهب به وهمه الى التدبر ها
والاعتبار بها والاستدلال بها على عظمة شان من اوجدها عن عدم ودبرها ونصبها هذه النصبة واودعها
ما اودعها مما لا يعرف كنهه الا هو عزت قدرته ولطف علمه وقرى عن آيتها على التوحيد اكتفاء بالواحد
في الدلالة على الجنس اى هم متفطنون لما يرد عليهم من السماء من المنافع الدنيوية كالاستضاءة بقمريها
والاهتداء بكواكبها وحياة الارض والحيوان بامطارها وهم عن كونها آية بينة على الخالق معرضون
وهو الذى خلق الليل والنهار والشمس والقمر كل في فلك يسبحون كل التنوين فيه عوض
من المضاف اليه اى كلهم في فلك يسبحون والضمير للشمس والقمر والمراد بهما جنس الطوالع كل يوم
وليلة جعلوها متكاثرة لتكاثر مطالعها وهو السبب في جمعهما بالشموس والاقمار والا فالشمس
واحدة والقمر واحد وانما جعل الضمير واو العقلاء للوصف بفعلهم وهو السباحة فان قلت
الجملة ما محلها محلها النصب على الحال من الشمس والقمر فان قلت كيف استبد بها دون
الليل والنهار بنصب الحال عنهما قلت كما تقول رايت زيدا وهندا متبرجة ونحو ذلك اذا جئت
بصفة تختص لها بعض ما تعلق به العامل ومنه قوله تعالى في هذه السورة ووهبنا له اسحق ويعقوب
نافلة او لا محل لها لاستئنافها فان قلت لكل واحد من القمرين فلك على حدة فكيف قيل جميعهم
يسبحون في فلك قلت هذا كقولهم كساهم الامير حلة وقلدهم سيفا اى كل واحد منهم او كساهم
وقلدهم هذين الجنسين فاكتفى بما يدل على الجنس اختصارا ولان الغرض الدلالة على الجنس وما
جعلنا لبشر من قبلك الخلد افائن مت فهم الخالدون كل نفس ذائقة الموت ونبلوكم بالشر
والخير فتنة والينا ترجعون كانوا يقدرون انه سيموت فيشمتون بموته فنفى الله عنه الشماتة
بهذا اى قضى الله ان لا يخلد في الدنيا بشرا فلا انت ولا هم الا عرضة للموت فاذا كان الامر كذلك فان
مت انت ايبقى هؤلاء وفي معناه قول القائل فقل للشامتين بنا افيقوا سيلقى الشامتون كما لقينا
اى نختبركم بما يجب فيه الصبر من البلايا وبما يجب فيه الشكر من النعم والينا مرجعكم فنجازيكم على حسب ما يوجد
منكم من الصبر او الشكر وانما سمى ذلك ابتلاء وهو عالم بما سيكون من اعمال العاملين قبل وجودهم
لانه في صورة الاختبار وفتنة مصدر مؤكد لنبلوكم من غير لفظه واذا رآك الذين كفروا ان
يتخذونك الا هزوا اهذا الذى يذكر آلهتكم وهم بذكر الرحمن هم كافرون الذكر يكون
بخير وبخلافه فاذا دلت الحال على احدهما اطلق ولم يقيد كقولك للرجل سمعت فلانا يذكرك فان
كان الذاكر صديقا فهو ثناء وان كان عدوا فذم ومنه قوله تعالى سمعنا فتى يذكرهم وقوله
تعالى اهذا الذى يذكر آلهتكم والمعنى انهم عاكفون بهممهم على ذكر آلهتهم وما يجب ان لا تذكر به من
كونهم شفعاء وشهداء ويسوءهم ان يذكرها ذاكر بخلاف ذلك واما ذكر الله وما يجب ان يذكر به من
الوحدانية فهم به كافرون لا يصدقون به اصلا فهم احق بان يتخذوا هزوا منك فانك محق وهم مبطلون
وقيل معنى بذكر الرحمن قولهم ما نعرف الرحمن الا مسيلمة وقولهم وما الرحمن انسجد لما تامرنا وقيل بذكر
الرحمن بما انزل عليك من القرآن والجملة في موضع الحال اى يتخذونك هزوا وهم على حال هي اصل الهزؤ

والتجربة وهي الكفر بالله خلق الانسان من عجل سأريكم آياتي فلا تستعجلون ويقولون متى هذا
الوعد ان كنتم صادقين كانوا يستعجلون عذاب الله وآياته الملجئة الى العلم والاقرار ويقولون
متى هذا الوعد فأراد نهيهم عن الاستعجال وزجرهم فقدم اولاً ذم الانسان على افراط العجلة وانه مطبوع
عليها ثم نهاهم وزجرهم كأنه قال ليس ببدع منكم ان تستعجلوا فانكم مجبولون على ذلك وهو طبعكم
وسجيتكم وعن ابن عباس رضي الله عنهما انه اراد بالانسان آدم وانه حين بلغ الروح صدره
ولم يتبالغ فيه اراد ان يقوم وروى انه لما دخل الروح في عينه نظر الى ثمار الجنة ولما دخل
جوفه اشتهى الطعام وقيل خلقه الله في آخر النهار يوم الجمعة قبل غروب الشمس فاسرع في خلقه
قبل مغيبها وعن ابن عباس رضي الله عنهما انه النضر بن الحارث والظاهر ان المراد الجنس وقيل العجل
الطين بلغة حمير قال شاعرهم والنخل ينبت بين الماء والعجل والله اعلم بصحته فان قلت
لم نهاهم عن الاستعجال مع قوله خلق الانسان من عجل وقوله تعالى وكان الانسان عجولاً أليس هذا
من تكليف ما لا يطاق قلت هذا كما ركب فيه الشهوة وامره ان يغلبها لانه اعطاه القدرة التي بها
يستطيع قمع الشهوة وترك العجلة وقرئ خلق الانسان لو يعلم الذين كفروا حين لا يكفون
عن وجوههم النار ولا عن ظهورهم ولا هم ينصرون جواب لو محذوف وحين مفعول به ليعلم
اي لو يعلمون الوقت الذي يستعجلون عنه بقولهم متى هذا الوعد وهو وقت صعب شديد تحيط
بهم النار من وراء وقدام فلا يقدرون على دفعها ومنعها من انفسهم ولا يجدون ناصراً ينصرهم
لما كانوا بتلك الصفة من الكفر والاستهزاء والاستعجال ولكن جهلهم به هو الذي هونه عندهم
ويجوز ان يكون يعلم متروكاً بلا تعدية بمعنى لو كان معهم علم ولم يكونوا جاهلين لما كانوا مستعجلين
وحين منصوب بمضمر اي حين لا يكفون عن وجوههم النار يعلمون انهم كانوا على الباطل وينتفي عنهم
هذا الجهل العظيم اي لا يكفونها بل تأتيهم بغتة فتبهتهم فلا يستطيعون ردها ولا هم
ينظرون بل تأتيهم فتغلبهم يقال للمغلوب في المحاجة مبهوت ومنه فبهت الذي كفر اي غلب ابراهيم
الكافر وقرأ الاعمش يأتيهم فيبهتهم على التذكير والضمير للوعد او للحين فان قلت فالام يرجع
الضمير المؤنث في هذه القراءة قلت الى النار او الى الوعد لانه في معنى النار وهي التي وعدوها او على
تأويل العدة والموعدة او الى الحين لانه في معنى الساعة او الى البغتة وقيل في القراءة الاولى الضمير
للساعة وقرأ الاعمش بغتة بفتح الغين ولا هم ينظرون تذكير بانظاره اياهم وامهاله وتفسيح
وقت التذكر عليهم اي لا يمهلون بعد طول الامهال ولقد استهزئ برسل من قبلك فحاق بالذين
سخروا منهم ما كانوا به يستهزؤن قل من يكلؤكم بالليل والنهار من الرحمن بل هم عن ذكر
ربهم معرضون ام لهم آلهة تمنعهم من دوننا لا يستطيعون نصر انفسهم ولا هم منا
يصحبون يسلي رسول الله صلى الله عليه وسلم عن استهزائهم به بان له في الانبياء عليهم السلام اسوة
وان ما يفعلونه يحيق بهم كما حاق بالمستهزئين بالانبياء ما فعلوا من الرحمن اي من بأسه وعذابه بل
هم معرضون عن ذكره لا يخطرونه ببالهم فضلاً ان يخافوا بأسه حتى اذا رزقوا الكلاءة منه عرفوا
من الكالئ وصلحوا للسؤال عنه والمراد انه امر رسوله بسؤالهم عن الكالئ ثم بين انهم لا يصلحون
لذلك لاعراضهم عن ذكر من يكلؤهم ثم اضرب عن ذلك بما في ام من معنى بل وقال ام لهم آلهة تمنعهم
من العذاب تتجاوز منعنا وحفظنا ثم استأنف فبين ان ما ليس بقادر على نصر نفسه ومنعها ولا بمصحوب

من

بمصحوب من الله بالنصر والتأييد كيف يمنع غيره وينصره بل متعنا هؤلاء وآباءهم حتى طال عليهم العمر أفلا
يرون انا نأتي الارض ننقصها من اطرافها أفهم الغالبون ثم قال بل ما هم فيه من الحفظ والكلاءة
انما هو منا لا من مانع يمنعهم من اهلاكنا وما كلأناهم وآباءهم الماضين الا تمتيعاً لهم بالحيوة الدنيا
وامهالاً كما متعنا غيرهم من الكفار وامهلناهم حتى طال عليهم الامد وامتدت ايام الروح والطمأنينة
فحسبوا ان لا يزالوا على ذلك لا يغلبون ولا ينزع عنهم ثواب امنتهم واستمتاعهم وذلك طمع فارغ
وامل كاذب أفلا يرون انا ننقص ارض الكفر ودار الحرب ونحذف اطرافها بتسليط المسلمين عليها
واظهارهم على اهلها وردها دار اسلام فان قلت اي فائدة في قوله تعالى نأتي الارض قلت
الفائدة فيه تصوير ما كان الله يجريه على ايدي المسلمين وان عساكرهم وسراياهم كانت تغزو
ارض المشركين وتأتيها غالبة عليها ناقصة من اطرافها قل انما انذركم بالوحي ولا يسمع الصم
الدعاء اذا ما ينذرون وقرئ ولا يسمع الصم ولا تسمع الصم بالتاء والياء اي لا تسمع انت
او لا يسمع رسول الله ولا يسمع الصم من اسمع فان قلت الصم لا يسمعون دعاء المبشر كما لا يسمعون
دعاء المنذر فكيف قيل اذا ما ينذرون اللام في الصم اشارة الى هؤلاء المنذرين كائنة
للعهد لا للجنس والاصل ولا يسمعون اذا ما ينذرون فوضع الظاهر موضع المضمر للدلالة على
تصامهم وسدهم اسماعهم اذا انذروا اي هم على هذه الصفة من الجرأة والجسارة على التصام من آيات
الانذار ولئن مستهم نفحة من عذاب ربك ليقولن يا ويلنا انا كنا ظالمين ولئن مسهم من هذا الذي
ينذرون به ادنى شيء لاذعنوا وذلوا واقروا بانهم ظلموا انفسهم حين تصاموا واعرضوا وفي المس والنفحة
ثلاث مبالغات لان النفح في معنى القلة والنزارة يقال نفحته الدابة وهو رمح يسير ونفحه بعطية
رضخه ولبناء المرة ونضع الموازين القسط ليوم القيمة فلا تظلم نفس شيئاً وان كان مثقال
حبة من خردل اتينا بها وكفى بنا حاسبين وصفت الموازين بالقسط وهو العدل مبالغة كأنها
في انفسها قسط او على حذف المضاف اي ذوات القسط واللام في ليوم القيمة مثلها في قولك جئته لخمس
ليال خلون من الشهر ومنه بيت النابغة ترسمت آيات لها فعرفتها لستة اعوام وذا العام سابع
وقيل لاهل يوم القيمة اي لاجلهم فان قلت ما المراد بوضع الموازين قلت فيه قولان احدهما
ارصاد الحساب السوي والجزاء على حسب الاعمال بالعدل والنصفة من غير ان يظلم عباده مثقال
ذرة فمثل ذلك بوضع الموازين لتوزن بها الموزونات والثاني انه يضع الموازين الحقيقية
ويزن بها الاعمال عن الحسن هو ميزان له كفتان ولسان ويروى ان داود عليه السلام
سأل ربه ان يريه الميزان فلما رآه غشي عليه ثم افاق فقال يا الهي من الذي يقدر ان يملأ كفته
حسنات فقال يا داود اني اذا رضيت عن عبدي ملأتها بتمرة فان قلت كيف توزن الاعمال
وانما هي اعراض قلت فيه قولان احدهما توزن صحائف الاعمال والثاني تجعل في كفة الحسنات
جواهر بيض وفي كفة السيئات جواهر سود مظلمة وقرئ مثقال حبة كقوله تعالى وان كان ذو عسرة
وقرأ ابن عباس آتينا بها وهي مفاعلة من الاتيان بمعنى المجازاة والمكافأة لانهم اتوه بالاعمال
واتاهم بالجزاء وقرأ حميد اثبنا بها من الثواب وفي حرف ابي جئنا بها وانث ضمير المثقال لاضافته
الى الحبة كقولهم ذهبت بعض اصابعه ولقد آتينا موسى وهرون الفرقان وضياء وذكراً
للمتقين الذين يخشون ربهم بالغيب وهم من الساعة مشفقون وهذا ذكر مبارك

انزلناه أفأنتم له منكرون اى آتيناهما الفرقان وهو التوراة وآتينا به ضياء وذكرا للمتقين والمعنى
انه فى نفسه ضياء وذكر او وآتيناهما بما فيه من الشرائع والمواعظ ضياء وذكرا وعن ابن عباس رضى الله عنهما الفرقان
الفتح كقوله تعالى يوم الفرقان وعن الضحاك فلق البحر وعن محمد بن كعب المخرج من الشبهات وقرأ ابن عباس
رضى الله عنهما ضياء بغير واو وهو حال عن الفرقان والذكر الموعظة او ذكر ما يحتاجون اليه فى دينهم ومصالحهم
او الشرف محل الذين جر على الوصفية او نصب على المدح او رفع عليه وهذا ذكر مبارك هو القرآن وبركته
كثرة منافعه وغزارة خيره ولقد آتينا ابراهيم رشده من قبل وكنا به عالمين اذ قال لابيه
وقومه ما هذه التماثيل التى انتم لها عاكفون قالوا وجدنا آباءنا لها عابدين قال لقد
كنتم انتم وآباؤكم فى ضلال مبين قالوا أجئتنا بالحق ام انت من اللاعبين قال بل ربكم
رب السموات والارض الذى فطرهن وانا على ذلكم من الشاهدين الرشد الاهتداء
لوجوه الصلاح قال الله تعالى فان آنستم منهم رشدا فادفعوا اليهم اموالهم وقرئ رشده والرشد والرشد
كالعدم والعدم ومعنى اضافته اليه انه رشد مثله وانه رشد له شأن من قبل اى من قبل موسى وهرون
ومعنى علمه به انه علم منه احوالا بديعة واسرارا عجيبة وصفات قد رضيها واحمدها حتى اهله لمخالته
ومخالصته وهذا كقولك فى خير من الناس انا عالم بفلان فكلامك هذا من الاحتواء على محاسن الاوصاف
بمنزل اذ اما ان يتعلق بآتينا او برشده او بمحذوف اى اذكر من اوقات رشده هذا الوقت وقوله
تعالى ما هذه التماثيل تجاهل لهم وتغاب ليحقر آلهتهم ويصغر شأنها مع علمه بتعظيمهم واجلالهم لها لم ينو
للعاكفين مفعولا واجراه مجرى ما لا يتعدى كقولك فاعلون العكوف لها او واقفون لها فان قلت
هلا قيل عليها عاكفون كقوله تعالى يعكفون على اصنام لهم قلت لو قصد التعدية لعداه بصلته
التى هى على ما اقبح التقليد والقول المتقبل بغير برهان وما اعظم كيد الشيطان للمقلدين حين استدرجهم
الى ان قلدوا آباءهم فى عبادة التماثيل وعفروا لها جباههم وهم معتقدون انهم على شئ وجادون
فى نصرة مذهبهم مجادلون لاهل الحق عن باطلهم وكفى اهل التقليد سبة ان عبدة الاصنام منهم
انتم من التأكيد الذى لا يصح الكلام مع الاخلال به لان العطف على ضمير هو فى حكم بعض الفعل ممتنع ونحوه
اسكن انت وزوجك الجنة اراد ان المقلدين والمقلدين جميعا منخرطون فى سلك ضلال لا يخفى
على من به ادنى مسكة لاستناد الفريقين الى غير دليل بل الى هوى متبع وشيطان مطاع لاستبعادهم
ان يكون ما هم عليه ضلالا بقوا متعجبين من تضليله اياهم وحسبوا ان ما قاله انما قاله على وجه المزاح والملاعبة
لا على طريق الجد فقالوا له هذا الذى جئتنا به اهو جد وحق ام لعب وهزل الضمير فى فطرهن
للسموات والارض او للتماثيل وكونه للتماثيل ادخل فى تضليلهم واثبت للاحتجاج عليهم وشهادته
على ذلك ادلاؤه بالحجة عليه وتصحيحه بها كما يصحح الدعوى بالشهادة كانه قال وانا ابين ذلك وابرهن
عليه كما تبين الدعاوى بالبينات لانى لست مثلكم فاقول ما لا اقدر على اثباته بالحجة كما لم تقدروا
على الاحتجاج لمذهبكم ولم تزيدوا على انكم وجدتم عليه آباءكم وتالله لاكيدن اصنامكم بعد ان
تولوا مدبرين فجعلهم جذاذا الا كبيرا لهم لعلهم اليه يرجعون قالوا من فعل هذا
بآلهتنا انه لمن الظالمين قالوا سمعنا فتى يذكرهم يقال له ابراهيم قرأ معاذ بن جبل
رضى الله عنه بالله وقرئ تولوا بمعنى تتولوا ويقويها قوله فتولوا عنه مدبرين فان
قلت ما الفرق بين الباء والتاء قلت ان الباء هى الاصل والتاء بدل من الواو المبدلة منها

وان التاء فيها زيادة معنى وهو التعجب كانه تعجب من تسهل الكيد على يده وتأتيه لان ذلك كان امرا مقنوطا
منه لصعوبته وتعذره ولعمرى ان مثله صعب متعذر فى كل زمان خصوصا فى زمن نمرود مع عتوه واستكباره
وقوة سلطانه وتهالكه على نصرة دينه ولكن اذا الله سنى عقد شئ تيسرا وروى ان آزر خرج به فى
يوم عيد لهم فبدأوا ببيت الاصنام فدخلوه وسجدوا لها ووضعوا بينها طعاما خرجوا به معهم وقالوا
الى ان نرجع بركت الآلهة على طعامنا فذهبوا وبقى ابراهيم عليه السلام فنظر الى الاصنام فكانت
سبعين صنما مصطفة وثم صنم عظيم مستقبل الباب وكان من ذهب وفى عينيه جوهرتان تضيئان
بالليل فكسرها كلها بفأس فى يده فلم يبق الا الكبير علق الفأس فى عنقه عن قتادة قال ذلك
سرا من قومه وروى سمعه رجل واحد جذاذا قطاعا من الجذ وهو القطع وقرئ بالكسر والفتح
وقرئ جذذا جمع جذيذ وجذذا جمع جذة وانما استبقى الكبير لانه غلب فى ظنه انهم لا يرجعون
الا اليه لما تسامعوه من انكاره لدينهم وسبه لآلهتهم فيبكتهم بما اجاب به من قوله تعالى بل فعله
كبيرهم هذا فاسألوهم وعن الكلبى اليه الى كبيرهم ومعنى هذا لعلهم يرجعون اليه كما يرجع الى العالم
فى حل المشكلات فيقولون له ما لهؤلاء مكسورة وما لك صحيحا والفأس على عاتقك قال هذا بناء على
ظنه بهم لما جرب وذاق من مكابرتهم لعقولهم واعتقادهم فى آلهتهم وتعظيمهم لها او قاله مع علمه انهم
لا يرجعون اليه استهزاء بهم واستجهالا وان قياس حال من يسجد له ويؤهل للعبادة ان يرجع اليه فى حل
كل مشكل فان قلت فاذا رجعوا الى الصنم بمكابرتهم لعقولهم ورسوخ الاشراك فى اعراقهم فاى فائدة
دينية فى رجوعهم اليه حتى يجعله ابراهيم عليه السلام غرضا قلت اذا رجعوا اليه تبين انه عاجز لا
ينفع ولا يضر وظهر انهم فى عبادته على جهل عظيم اى ان من فعل هذا الكسر والحطم لشديد الظلم معدود
فى الظلمة اما لجرأته على الآلهة الحقيقة عندهم بالتوقير والاعظام واما لانهم رأوا افراطا فى
حطمها وتماديا فى الاستهانة بها فان قلت ما حكم الفعلين بعد سمعنا فتى واى فرق بينهما قلت
هما صفتان لفتى الا ان الاول وهو يذكرهم لا بد منه لسمع لانك لا تقول سمعت زيدا وتسكت
حتى تذكر شيئا مما يسمع واما الثانى فليس كذلك فان قلت ابراهيم ما هو قلت قيل هو خبر مبتدأ محذوف
او منادى والصحيح انه فاعل يقال لان المراد الاسم لا المسمى قالوا فأتوا به على اعين الناس لعلهم
يشهدون قالوا أأنت فعلت هذا بآلهتنا يا ابراهيم قال بل فعله كبيرهم هذا فاسألوهم
ان كانوا ينطقون على اعين الناس فى محل الحال بمعنى معاينا مشاهدا اى بمرأى منهم ومنظر فان
قلت ما معنى الاستعلاء فى على هو وارد على طريق المثل اى يثبت اتيانه فى الاعين ويتمكن
فيها ثبات الراكب على المركوب وتمكنه منه لعلهم يشهدون عليه بما سمع منه او بما فعله او يحضرون
عقوبتنا له روى ان الخبر بلغ نمرود واشراف قومه فامروا باحضاره هذا من معاريض الكلام ولطائف
هذا النوع لا يتغلغل فيها الا الاذهان الراضة من علماء المعانى والقول فيه ان قصد ابراهيم صلوات
الله عليه لم يكن الى ان ينسب الفعل الصادر عنه الى الصنم وانما قصد تقريره لنفسه واثباته لها
على اسلوب تعريضى يبلغ فيه غرضه من الزامهم الحجة وتبكيتهم وهذا كما لو قال لك صاحبك وقد كتبت
كتابا بخط رشيق وانت شهير بحسن الخط أأنت كتبت هذا وصاحبك امى لا يحسن الخط ولا يقدر الا
على خرمشة فاسدة فقلت له بل كتبته انت كان قصدك بهذا الجواب تقريره لك مع الاستهزاء به
لا نفيه عنك واثباته للامى او المخرمش لان اثباته والامر دائر بينكما للعاجز منكما استهزاء به واثبات

للقادر، ولقائل ان يقول غاضته تلك الاصنام حين ابصرها مصطفة مرتبة وكان غيظ كبيرها اكبر واشد
لما راى من زيادة تعظيمهم له فاسند الفعل اليه لانه هو الذي تسبب لاستهانته بها وحطمه لها والفعل
كما يسند الى مباشره يسند الى الحامل عليه، ويجوز ان يكون حكاية لما يقود الى تجويزه مذهبهم كانه قال
لهم ما تنكرون ان يفعله كبيرهم فان من حق من يعبد ويدعى الها ان يقدر على هذا واشد منه، ويحكى
انه قال فعله كبيرهم هذا غضب ان تعبد معه هذه الصغار وهو اكبر منها وقرا محمد بن السميفع
فعلّه كبيرهم يعني فلعله اى فلعل الفاعل كبيرهم فرجعوا الى انفسهم فقالوا انكم انتم الظالمون
ثم نكسوا على رؤسهم لقد علمت ما هؤلاء ينطقون، قال افتعبدون من دون الله ما لا
ينفعكم شيئا ولا يضركم اف لكم ولما تعبدون من دون الله افلا تعقلون، فلما القمهم
الحجر واخذ بمخانقهم رجعوا الى انفسهم فقالوا انتم الظالمون على الحقيقة لا من ظلمتموه حين قلتم
من فعل هذا بالهتنا انه لمن الظالمين، نكسته قلبته فجعلت اسفله اعلاه وانتكس انقلب اى استقاموا
حين رجعوا الى انفسهم وجاؤا بالفكرة الصالحة ثم انتكسوا وانقلبوا عن تلك الحالة فاخذوا في المجادلة
بالباطل والمكابرة وان هؤلاء مع تقاصر حالها عن حال الحيوان الناطق الهة معبودة مضارة
منهم، او انتكسوا عن كونهم مجادلين لابراهيم مجادلين عنه حين نفوا عنها القدرة على النطق او
قلبوا على رؤسهم حقيقة لفرط اطراقهم خجلا وانكسارا وانخزالا مما بهتهم به ابراهيم فما احاروا
جوابا الا ما هو حجة عليهم وقرى نكّسوا بالتشديد، ونكسوا على لفظ ما سمي فاعله اى نكسوا
انفسهم على رؤسهم، قراه رضوان بن عبد المعبود، اف صوت اذا صوت به علم ان صاحبه متضجر
اضجره ما راى من ثباتهم على عبادتها بعد انقطاع عذرهم وبعد وضوح الحق وزهوق الباطل فتافف
بهم واللام لبيان المتافف به اى لكم ولالهتكم هذا التافف قالوا حرقوه وانصروا الهتكم
ان كنتم فاعلين، قلنا يا نار كوني بردا وسلاما على ابراهيم واردوا به كيدا فجعلناهم
الاخسرين، اجمعوا رايهم لما غلبوا باهلاكه وهكذا المبطل اذا قرعت شبهته بالحجة وافتضح لم يكن
احد ابغض اليه من المحق ولم يبق له مفزع الا مناصبته كما فعلت قريش برسول الله صلى الله عليه
وسلم حين عجزوا عن المعارضة والذي اشار باحراقه نمرود، وعن ابن عمر رضي الله عنهما رجل من
اعراب العجم يريد الاكراد وروى انهم حين هموا باحراقه حبسوه ثم بنوا بنيانا كالحظيرة بكوثى
وجمعوا شهرا اصناف الخشب الصلاب حتى ان كانت المراة لتمرض فتقول ان عافاني الله لاجمعن حطبا
لابراهيم ثم اشعلوا نارا عظيمة كادت الطير تحترق في الجو من وهجها ثم وضعوه في المنجنيق مقيدا مغلولا
فرموا به فيها فناداها جبريل عليه السلام يا نار كوني بردا وسلاما، ويحكى ما احرقت منه الا وثاقه
وقال له جبريل عليه السلام حين رمي به هل لك حاجة فقال اما اليك فلا، قال فسل ربك قال
حسبي من سؤالي علمه بحالي وعن ابن عباس رضي الله عنهما انما نجا بقوله حسبي الله ونعم الوكيل، واطلع
عليه نمرود من الصرح فاذا هو في روضة ومعه جليس له من الملائكة فقال اني مقرب الى الهك فذبح مع
اربعة الاف بقرة وكف عن ابراهيم وكان ابراهيم عليه السلام اذ ذاك ابن ست عشرة سنة واختاروا
المعاقبة بالنار لانها اهول ما يعاقب به وافظعه ولذلك جاء لا يعذب بالنار الا خالقها ومن
ثم قالوا ان كنتم فاعلين اى ان كنتم ناصرين الهتكم نصرا مؤزرا فاختاروا له اهول المعاقبات وهي
الاحراق بالنار والا فرطتم في نصرتها ولهذا عظموا النار وتكلفوا في تشهير امرها وتفخيم شانها

ولو

ولم يالوا جهدا في ذلك جعلت النار لمطاوعتها فعل الله وارادته كمامور امر بشيء فامتثله والمعنى ذات برد
وسلام فبولغ في ذلك كان ذاتها برد وسلام والمراد ابردي فيسلم منك ابراهيم، او ابردي بردا غير ضار
وعن ابن عباس رضي الله عنهما لو لم يقل ذلك لاهلكته بردها فان قلت كيف بردت النار وهي نار
قلت نزع الله عنها طبعها الذي طبعها عليه من الحر والاحراق وابقاها على الاضاءة والاشراق والاشتعال الحزوم
كما كانت والله على كل شيء قدير، ويجوز ان يدفع بقدرته عن جسم ابراهيم اذى حرها ويذيقه فيها
عكس ذلك كما يفعل بخزنة جهنم ويدل عليه قوله تعالى على ابراهيم، وارادوا ان يكيدوه ويمكروا به
فما كانوا الا مغلوبين مقهورين غالبوه بالجدال فغلبه الله ولقنه بالمبكت وفزعوا الى القوة والجبروت
فنصره وقواه ونجيناه ولوطا الى الارض التي باركنا فيها للعالمين، ووهبنا له اسحق ويعقوب نافلة
وكلا جعلنا صالحين، وجعلناهم ائمة يهدون بامرنا واوحينا اليهم فعل الخيرات واقام
الصلوة وايتاء الزكوة وكانوا لنا عابدين، نجيا من العراق الى الشام وبركاته الواصلة الى العالمين
ان اكثر الانبياء بعثوا فيه فانتشرت في العالمين شرائعهم وآثارهم الدينية وهي البركات الحقيقية وقيل
بارك الله فيه بكثرة الماء والشجر والثمر والخصب وطيب عيش الغني والفقير، وعن سفيان انه خرج الى الشام
فقيل له الى اين فقال الى بلد يملا فيه الجراب بدرهم، وقيل ما من ماء عذب الا وينبع اصله من تحت الصخرة
التي ببيت المقدس وروى انه نزل بفلسطين ولوط بالمؤتفكة وبينهما مسيرة يوم وليلة، النافلة
ولد الولد، وقيل سال اسحق فاعطيه واعطي يعقوب نافلة اى زيادة وفضلا من غير سؤال يهدون
بامرنا، فيه ان من صلح ليكون قدوة في دين الله فالهداية محتومة عليه مامور هو بها من جهة الله ليس له
ان يخل بها ويتثاقل عنها واول ذلك ان يهتدي بنفسه لان الانتفاع بهداه اعم والنفوس الى الاقتداء
بالمهدي اميل، فعل الخيرات اصله ان تفعل الخيرات ثم فعلا الخيرات ثم فعل الخيرات وكذلك اقام الصلوة
وايتاء الزكوة، ولوطا آتيناه حكما وعلما ونجيناه من القرية التي كانت تعمل الخبائث انهم كانوا
قوم سوء فاسقين، وادخلناه في رحمتنا انه من الصالحين، حكما حكمة وهو ما يجب فعله او فصلا
بين الخصوم، وقيل هو النبوة، والقرية سدوم اى في اهل رحمتنا او في الجنة، ومنه الحديث هذه رحمتي
ارحم بها من اشاء، ونوحا اذ نادى من قبل فاستجبنا له فنجيناه واهله من الكرب العظيم، ونصرناه
من القوم الذين كذبوا باياتنا انهم كانوا قوم سوء فاغرقناهم اجمعين، من قبل من قبل هؤلاء
المذكورين، هو نصر الذي مطاوعه انتصر وسمعت هذليا يدعو على سارق اللهم انصرهم منه اى اجعلهم
منتصرين منه، والكرب الطوفان وما كان فيه من تكذيب قومه وداود وسليمان اذ يحكمان في الحرث
اذ نفشت فيه غنم القوم وكنا لحكمهم شاهدين، ففهمناها سليمان وكلا آتينا حكما وعلما
وسخرنا مع داود الجبال يسبحن والطير وكنا فاعلين، وعلمناه صنعة لبوس لكم لتحصنكم من
باسكم فهل انتم شاكرون، اى واذكرهما واذ بدل منهما والنفش الانتشار بالليل وجمع الضمير لانه
ارادهما والمتحاكمين اليهما وقرى لحكمهما، والضمير في ففهمناها للحكومة او الفتوى وقرى فافهمناها
حكم داود بالغنم لصاحب الحرث فقال سليمن وهو ابن احدى عشرة سنة غير هذا ارفق بالفريقين فعزم عليه
ليحكمن فقال ارى ان تدفع الغنم الى اهل الحرث ينتفعون بالبانها واولادها واصوافها والحرث الى
ارباب الشاء يقومون عليه حتى يعود كهيئته يوم افسد ثم يترادا فقال القضاء ما قضيت وامضى الحكم
بذلك فان قلت احكما بوحي ام باجتهاد قلت حكما جميعا بالوحي الا ان حكومة داود نسخت

حكومة سليمان ۔ وقيل اجتهدا جميعا فجا اجتهاد سليمان اشبه بالصواب فان قلت ما وجه كل واحدة
من الحكومتين اما وجه حكومة داود فلان الضرر وقع بالغنم سلمت بجنايتها الى المجنى عليه
كما قال ابو حنيفة رحمة الله عليه فى العبد اذا جنى على النفس يدفعه المولى بذلك او يفديه ۔ وعند
الشافعى رضى الله عنه يبيعه فى ذلك او يفديه ولعل قيمة الغنم كانت على قدر النقصان فى الحرث
ووجه حكومة سليمان انه جعل الانتفاع بالغنم بازاء ما فات من الانتفاع بالحرث من غير ان يزول
ملك المالك عن الغنم واوجب على صاحب الغنم ان يعمل فى الحرث حتى يزول الضرر والنقصان مثاله
ما قال اصحاب الشافعى فيمن غصب عبدا فابق من يده انه يضمن القيمة فينتفع بها المغصوب منه بازاء
ما فوته الغاصب من منافع العبد فاذا ظهر ترادا فان قلت فلو وقعت هذه الواقعة فى شريعتنا ما
حكمها قلت ابو حنيفة رضى الله عنه واصحابه لا يرون فيه ضمانا بالليل او بالنهار الا ان يكون مع
البهيمة سايق او قايد ۔ والشافعى رضى الله عنه يوجب الضمان بالليل ۔ وفى قوله تعالى ففهمناها سليمان
دليل على ان الاصوب كان مع سليمان ۔ وفى قوله تعالى وكلا اتينا حكما وعلما دليل على انهما جميعا كانا على
الصواب . يسبحن حال بمعنى مسبحات ۔ او استيناف كان قايلا قال كيف سخرهن فقال يسبحن ۔ والطير
اما معطوف على الجبال واما مفعول معه ۔ فان قلت لم قدمت الجبال على الطير قلت لان تسخيرها
وتسبيحها اعجب وادل على القدرة وادخل فى الاعجاز لانها جماد والطير حيوان ناطق روى انه
كان يمر بالجبال مسبحا وهى تجاوبه ۔ وقيل كانت تسير معه حيث سار فان قلت كيف تنطق الجبال
وتسبح بان يخلق الله فيها الكلام كما خلقه فى الشجرة حين كلم موسى ۔ وجواب اخر وهو ان
يسبح من راها تسير بتسيير الله فلما حملت على التسبيح وصفت به ۔ وكنا فاعلين اى قادرين على ان نفعل
هذا وان كان عجبا عندكم ۔ وقيل وكنا نفعل مثل ذلك بالانبياء ۔ اللبوس اللباس قال ۔
البس لكل حالة لبوسها ۔ والمراد الدرع قال قتادة كانت صفايح فاول من سردها وحلقها
داود عليه السلام فجمعت الخفة والتحصين لتحصنكم قرئ بالنون والياء والتاء وتخفيف الصاد وتشديدها
فالنون لله تعالى والتاء للصنعة او للبوس على تاويل الدرع ۔ والياء لداود او للبوس ولسليمان الريح
عاصفة تجرى بامره الى الارض التى باركنا فيها وكنا بكل شئ عالمين ۔ قرئ الريح والرياح بالرفع
والنصب فالرفع على الابتداء ۔ والنصب على العطف على الجبال فان قلت وصفت هذه الرياح
بالعصف تارة وبالرخاوة اخرى فما التوفيق بينهما قلت كانت فى نفسها رخية طيبة كالنسيم فاذا
مرت بكرسيه ابعدت به فى مدة يسيرة على ما قال غدوها شهر ورواحها شهر فكان جمعها بين
الامرين ان تكون رخاء فى نفسها وعاصفة فى عملها مع طاعتها لسليمان وهبوبها على حسب ما يريد
ويحتكم اية الى اية ومعجزة الى معجزة ۔ وقيل كانت فى وقت رخاء وفى وقت عاصفا لهبوبها على حكم ارادته
وقد احاط علمنا بكل شئ فنجرى الاشياء كلها على ما يقتضيه علمنا وحكمتنا ومن الشياطين من يغوصون
له ويعملون عملا دون ذلك وكنا لهم حافظين ۔ اى يغوصون له فى البحار فيستخرجون الجواهر
ويتجاوزون ذلك الى الاعمال والمهن وبناء المداين والقصور واختراع الصنايع العجيبة كما قال
تعالى يعملون له ما يشاء من محاريب وتماثيل والله تعالى حافظهم ان يزيغوا عن امره او يبدلوا او يغيروا
او يوجد منهم فساد فى الجملة فيما هم مسخرون فيه وايوب اذ نادى ربه انى مسنى الضر وانت ارحم
الراحمين فاستجبنا له فكشفنا ما به من ضر واتيناه اهله ومثلهم معهم رحمة من عندنا

وذكرى

وذكرى للعابدين ۔ اى اداه بانى مسنى وقرى انى بالكسر على اضمار القول ۔ او لتضمن النداء معناه ۔ والضر بالفتح
الضرر فى كل شئ ۔ والضر رفى النفس من مرض وهزال فرق بين البنائين لافتراق المعنيين الطف فى السؤال
حيث ذكر نفسه بما يوجب الرحمة وذكر ربه بغاية الرحمة ولم يصرح بالمطلوب ۔ ويحكى ان عجوزا تعرضت
لسليمان بن عبد الملك فقالت يا امير المومنين مشت جرذان بيتى على العصى فقال لها الطفت فى السؤال
لاجرم لاردن نقالتها وثب الفهود وملا بيتها حبا ۔ كان ايوب عليه السلام روميا من ولد اسحق
ابن ابراهيم عليهم السلام وقد استنباه الله وبسط عليه الدنيا وكثر اهله وماله كان له سبعة بنين وسبع
بنات وله اصناف البهايم وخمسماية فدان يتبعها خمسماية عبد لكل عبد امراة وولد ونخيل فابتلاه الله
بذهاب ولده انهدم عليهم البيت فهلكوا وبذهاب ماله وبالمرض فى بدنه ثمانى عشرة سنة ۔ وعن
قتادة ثلاث عشرة ۔ وعن مقاتل سبعا وسبعة اشهر وسبع ساعات وقالت له امراته يوما لو دعوت
الله فقال لها كم كانت مدة الرخاء فقالت ثمانين سنة فقال انا استحيى من الله ان ادعوه وما بلغت
مدة بلائى مدة رخايى فلما كشف الله عنه احيا ولده ورزقه مثلهم ونوافل منهم وروى ان امراته
ولدت بعد ستة وعشرين ابنا ۔ اى لرحمتنا العابدين وانا نذكرهم بالاحسان لا ننساهم او رحمة
منا لايوب وتذكرة لغيره من العابدين ليصبروا كما صبر حتى يثابوا كما اثيب فى الدنيا والاخرة واسمعيل
وادريس وذا الكفل كل من الصابرين وادخلناهم فى رحمتنا انهم من الصالحين ۔ قيل فى ذى
الكفل انه الياس ۔ وقيل زكريا ۔ وقيل يوشع بن نون صلوات الله عليهم وكانه سمى بذلك لانه ذو
الحظ من الله والمجدود على الحقيقة ۔ وقيل كان له ضعف عمل الانبياء فى زمانه وضعف ثوابهم ۔ وقيل
خمسة من الانبياء ذو اسمين ۔ اسرايل ويعقوب ۔ الياس وذو الكفل عيسى والمسيح ۔ يونس وذو النون
محمد واحمد ۔ وذا النون اذ ذهب مغاضبا فظن ان لن نقدر عليه فنادى فى الظلمات ان لا اله
الا انت سبحانك انى كنت من الظالمين ۔ فاستجبنا له ونجيناه من الغم وكذلك ننجى المومنين
النون الحوت فاضيف اليه ۔ برم بقومه لطول ما ذكرهم فلم يذكروا واقاموا على كفرهم فراغمهم
وظن ان ذلك يسوغ حيث لم يفعله الا غضبا لله وانفة لدينه وبغضا للكفر واهله وكان عليه ان
يصابر وينتظر الاذن من الله فى المهاجرة عنهم فابتلى ببطن الحوت ومعنى مغاضبته لقومه انه اغضبهم
بمفارقته لخوفهم حلول العقاب عليهم عندها ۔ وقرا ابو شرف مغضبا قرى نقدر ونقدر
مخففا ومثقلا ۔ ويقدر بالياء بالتخفيف ۔ ويقدر ويقدر على البناء للمفعول مخففا ومثقلا وفسرت
بالتضييق عليه وبتقدير الله عليه وعقوبته ۔ وعن ابن عباس رضى الله عنهما انه دخل على معاوية فقال
لقد ضربتنى امواج القران البارحة فغرقت فيها فلم اجد لنفسى خلاصا الا بك قال وما هى يا معوية
فقرا هذه الاية وقال او يظن نبى الله ان لا يقدر عليه قال هذا من القدر لا من القدرة والمخفف
يصح ان يفسر بالقدر على معنى ان لن نعمل فيه قدرتنا وان يكون من باب التمثيل بمعنى فكانت حاله ممثلة
بحال من يظن ان لن نقدر عليه فى مراغمته قومه من غير انتظار لامر الله ۔ ويجوز ان يسبق ذلك الى وهمه
بوسوسة الشيطان ثم يردعه ويرده بالبرهان كما يفعل المومن المحقق بنزغات الشيطان وما يوسوس
اليه فى كل وقت ۔ ومنه قوله تعالى وتظنون بالله الظنونا والخطاب للمومنين ۔ فى الظلمات فى الظلمة
الشديدة المتكاثفة فى بطن الحوت ۔ كقوله تعالى ذهب الله بنورهم وتركهم فى ظلمات ۔ وقوله تعالى
يخرجونهم من النور الى الظلمات ۔ وقيل ظلمات بطن الحوت والبحر والليل ۔ وقيل ابتلع حوته حوت اكبر

بالضم

منه فحصل في ظلمة بطن الحوتين وظلمة البحر اي بانه لا اله الا انت او بمعنى اي ● عن النبي صلى الله عليه وسلم
ما من مكروب يدعو بهذا الدعاء الا استجيب له ● وعن الحسن ما نجاه والله الا اقراره على نفسه بالظلم
ننجي ● ونجي والنون لا تدغم في الجيم ومن تمحل لصحته جعله فعل وقال نجي النجاء المؤمنين فارسل
الياء واسنده الى مصدره ونصب المؤمنين بالنجاء فتعسف بارد التعسف **وزكريا اذ نادى ربه**
رب لا تذرني فردا وانت خير الوارثين ● فاستجبنا له ووهبنا له يحيى واصلحنا له زوجه
انهم كانوا يسارعون في الخيرات ويدعوننا رغبا ورهبا وكانوا لنا خاشعين ● سال ربه ان
يرزقه ولدا يرثه ولا يدعه وحيدا بلا وارث ثم رد امره الى الله مستسلما فقال وانت خير الوارثين
اي ان لم ترزقني من يرثني فلا ابالي فانك خير وارث ● اصلاح زوجه ان جعلها صالحة للولادة بعد
عقرها ● وقيل تحسين خلقها وكانت سيئة الخلق ● الضمير للمذكورين من الانبياء يريد انهم ما استحقوا
الاجابة الى طلباتهم الا لمبادرتهم ابواب الخير ومسارعتهم في تحصيلها كما يفعل الراغبون في الامور
الجادون **وقرئ** رغبا ورهبا بالاسكان وهو كقوله تعالى يحذر الاخرة ويرجو رحمة ربه خاشعين
قال الحسن ذللا لامر الله ● وعن مجاهد الخشوع الخوف الدائم في القلب ● وقيل متواضعين ● وسئل
الاعمش فقال اما اني سالت ابراهيم فقال الا تدري قلت افدني قال بينه وبين الله اذا ارخى ستره
واغلق بابه فليرا الله منه خيرا لعلك ترى انه ان ياكل خشنا ويلبس خشنا ويطاطئ راسه **والتي احصنت**
فرجها فنفخنا فيها من روحنا وجعلناها وابنها اية للعالمين ● احصنت فرجها احصانا كليا
من الحلال والحرام جميعا كما قالت ولم يمسسني بشر ولم اك بغيا **فان قلت** نفخ الروح في الجسد
عبارة عن احيائه قال الله عز وجل فاذا سويته ونفخت فيه من روحي اي احييته واذا ثبت ذلك كان
قوله تعالى فنفخنا فيها من روحنا ظاهر الاشكال لانه يدل على احياء مريم **قلت** معناه نفخنا الروح في
عيسى فيها اي احييناه في جوفها ● ونحو ذلك ان يقول الزمار نفخت في بيت فلان اي نفخت في المزمار في
بيته ● ويجوز ان يراد وفعلنا النفخ في مريم من جهة روحنا وهو جبريل عليه السلام لانه نفخ في جيب
درعها فوصل النفخ الى جوفها **فان قلت** هلا قيل ايتين كما قال تعالى وجعلنا الليل والنهار
ايتين لان حالهما بمجموعهما اية واحدة وهي ولادتها اياه من غير فحل **ان هذه امتكم امة**
واحدة وانا ربكم فاعبدون ● وتقطعوا امرهم بينهم كل الينا راجعون ● فمن يعمل من الصالحات
وهو مؤمن فلا كفران لسعيه وانا له كاتبون ● الامة الملة وهذه اشارة الى ملة الاسلام
اي ان ملة الاسلام هي ملتكم التي يجب ان تكونوا عليها لا تنحرفون عنها يشار اليها ملة واحدة غير مختلفة
وانا الهكم اله واحد فاعبدون ● ونصب الحسن امتكم على البدل من هذه ورفع امة خبرا ● وعنه
رفعهما جميعا خبرين لهذه ● او نوى للثاني مبتدا والخطاب للناس كافة والاصل وتقطعتم الا ان
الكلام حرف الى الغيبة على طريقة الالتفات كانه ينعى عليهم ما افسدوه الى اخرين ويقبح عندهم
فعلهم ويقول لهم الا ترون الى عظيم ما ارتكب هؤلاء في دين الله والمعنى جعلوا امر دينهم فيما بينهم
قطعا كما يتوزع الجماعة الشيء ويتقسمونه فيطير لهذا نصيب ولذاك نصيب تمثيلا لاختلافهم فيه
وصيرورتهم فرقا واحزابا شتى ثم توعدهم بان هؤلاء الفرق المختلفة الينا يرجعون فنحن محاسبهم
ومجازيهم الكفران مثل في حرمان الثواب كما ان الشكر مثل في اعطائه اذا قيل لله شكور وقد نفي
نفي الجنس ليكون ابلغ من ان يقول فلا نكفر سعيه ● وانا له كاتبون اي نحن كاتبوا ذلك السعي ومثبتوه في

صحيفة عمله وما نحن مثبتوه فهو غير ضائع ومثاب عليه صاحبه **وحرام على قرية اهلكناها انهم لا يرجعون**
حتى اذا فتحت ياجوج وماجوج وهم من كل حدب ينسلون ● واقترب الوعد الحق فاذا هي شاخصة
ابصار الذين كفروا يا ويلنا قد كنا في غفلة من هذا بل كنا ظالمين ● استعير الحرام للممتنع وجوده
ومنه قوله تعالى ان الله حرمهما على الكافرين اي منعهما منهم وابى ان يكونا لهم **وقرئ** حرم وحرم
بالفتح والكسر ● وحرم وحرم ومعنى اهلكناها عزمنا على اهلاكها او قدرنا اهلاكها ومعنى الرجوع
الرجوع من الكفر الى الاسلام والانابة ومجاز الاية ان قوما عزم الله تعالى على اهلاكهم غير متصور ان
يرجعوا وينيبوا الى ان تقوم القيمة فحينئذ يرجعون ويقولون يا ويلنا قد كنا في غفلة من هذا بل كنا
ظالمين يعني انهم مطبوع على قلوبهم فلا يزالون على كفرهم ويموتون عليه حتى يروا العذاب الاليم ●
وقرئ انهم بالكسر وحق هذا ان يتم الكلام قبله فلا بد من تقدير محذوف كانه قيل وحرام على
قرية اهلكناها ذاك وهو المذكور في الاية المتقدمة من العمل الصالح والسعي المشكور غير المكفور ثم
علل فقيل انهم لا يرجعون عن الكفر فكيف لا يمتنع ذلك والقراءة بالفتح يصح حملها على هذا اي لانهم لا
يرجعون ولا صلة على الوجه الاول **فان قلت** بم تعلقت حتى واقعة غاية له واية الثلث هي **قلت**
هي متعلقة بحرام وهي غاية له لان امتناع رجوعهم لا يزول حتى تقوم القيمة وهي حتى التي يحكى بعدها
الكلام والكلام المحكي الجملة من الشرط والجزاء اعني اذا وما في حيزها ● حذف المضاف الى ياجوج وماجوج
وهو سدهما كما حذف المضاف الى القرية وهو اهلها ● وقيل فتحت كما قيل اهلكناها ● وقرئ اجوج وهما
قبيلتان من جنس الانس يقال الناس عشرة اجزاء تسعة منهم ياجوج وماجوج وهم راجع الى الناس المسوقين
الى المحشر ● وقيل هم ياجوج وماجوج يخرجون حين يفتح السد ● والحدب النشز من الارض وقرا ابن عباس
رضي الله عنه من كل جدث وهو القبر الثاء حجازية والفاء تميمية **وقرئ** ينسلون بضم السين ونسل
وعسل اسرع ● واذا هي اذا المفاجاة وهي تقع في المجازاة سادة مسد الفاء كقوله تعالى اذا هم يقنطون ●
فاذا جاءت الفاء معها تعاونتا على وصل الجزاء بالشرط فيتاكد ولو قيل اذ هي شاخصة او فهي شاخصة كان
سديدا هي ضمير مبهم توضحه الابصار وتفسره كما فسر الذين ظلموا واسروا يا ويلنا متعلق بمحذوف تقديره
يقولون يا ويلنا ويقولون في موضع الحال من الذين كفروا **انكم وما تعبدون من دون الله حصب جهنم**
انتم لها واردون ● لو كان هؤلاء الهة ما وردوها وكل فيها خالدون لهم فيها زفير وهم
فيها لا يسمعون ● ما تعبدون من دون الله يحتمل الاصنام وابليس واعوانه لانهم بطاعتهم لهم واتباعهم
خطواتهم في حكم عبدتهم ويصدقه ما روي ان النبي صلى الله عليه وسلم دخل المسجد وصناديد قريش
في الحطيم وحول الكعبة ثلثمائة وستون صنما فجلس اليهم فعرض له النضر بن الحارث فكلمه النبي صلى الله عليه
وسلم حتى افحمه ثم تلا عليهم انكم وما تعبدون من دون الله الاية فاقبل عبد الله ابن الزبعرى فراهم يتهامسون
فقال فيم خوضكم فاخبره الوليد بن المغيرة بقول رسول الله فقال عبد الله اما والله لو وجدته
لخصمته فدعوه فقال ابن الزبعرى انت قلت ذلك قال نعم قال قد خصمتك ورب الكعبة اليس اليهود
عبدوا عزيرا ● والنصارى عبدوا المسيح ● وبنو مليح عبدوا الملائكة فقال صلى الله عليه وسلم بل هم عبدوا
الشياطين التي امرتهم بذلك فانزل الله عز وجل ان الذين سبقت لهم منا الحسنى الاية يعني عزيرا والمسيح
والملائكة **فان قلت** لم قرنوا بالهتهم لانهم لا يزالون لمقارنتهم في زيادة غم وحسرة حيث
اصابهم ما اصابهم بسببهم والنظر الى وجه العدو باب من العذاب ولانهم قدروا انهم يستشفعون بهم

في الاخرة ويستشفعون بشفاعتهم فاذا اصابوا الامر على عكس ما قدروا لم يكن شئ ابغض اليهم منهم **فان قلت** اذا عنيت بما تعبدون الاصنام فما معنى لهم زفير **قلت** اذا كانوا هم واصنامهم في قرن واحد جاز ان يقال لهم زفير وان لم يكن الزافرين الا هم دون الاصنام للتغليب ولعدم الالباس والحصب المحصوب به اى تحصب بهم في النار والحصب الرمى وقرئ بسكون الصاد وصفا بالمصدر وقرئ حطب وحضب بالضاد متحركا وساكنا وعن ابن مسعود رضي الله عنه يجعلون في توابيت من نار فلا يسمعون ويجوز ان يصمهم الله كما يعميهم **ان الذين سبقت لهم منا الحسنى اولئك عنها مبعدون لا يسمعون حسيسها وهم فيما اشتهت انفسهم خالدون لا يحزنهم الفزع الاكبر وتتلقاهم الملائكة هذا يومكم الذي كنتم توعدون** الحسنى الخصلة المفضلة في الحسن تانيث الاحسن اما السعادة واما البشرى بالثواب واما التوفيق للطاعة يروى ان عليا رضي الله عنه قرأ هذه الاية ثم قال انا منهم وابو بكر وعمر وعثمان وطلحة والزبير وسعد وسعيد وعبد الرحمن بن عوف رضوان الله عليهم ثم اقيمت الصلوة فقام يجر رداءه وهو يقول لا يسمعون حسيسها والحسيس الصوت الذي يحس والشهوة طلب النفس اللذة **وقرئ** لا يحزنهم من احزن والفزع الاكبر قيل النفخة الاخيرة لقوله تعالى يوم ينفخ في الصور ففزع من في السموات ومن في الارض وعن الحسن رحمة الله عليه الانصراف الى النار وعن الضحاك حين يطبق على النار وقيل يذبح الموت على صورة كبش املح اى تستقبلهم الملائكة مهنئين على ابواب الجنة ويقولون هذا وقت ثوابكم الذي وعدكم ربكم قد حل **يوم نطوى السماء كطى السجل للكتاب كما بدأنا اول خلق نعيده وعدا علينا انا كنا فاعلين** العامل فى يوم نطوى لا يحزنهم او الفزع او تتلقاهم **وقرئ** تطوى السماء على البناء للمفعول والسجل بوزن العتل والسجل بلفظ الدلو وروى فيه الكسر وهو الصحيفة اى كما يطوى الطومار للكتابة اى ليكتب فيه او لما يكتب فيه لان الكتاب اصله المصدر كالبناء ثم يوقع على المكتوب ومن جمع فمعناه للمكتوبات اى لما يكتب فيه من المعانى الكثيرة وقيل السجل ملك يطوى كتب بنى آدم اذا رفعت اليه وقيل كاتب كان لرسول الله عليه السلام والكتاب على هذا اسم الصحيفة المكتوب فيها اول خلق مفعول نعيد الذي يفسره نعيده والكاف مكفوفة بما والمعنى نعيد اول خلق كما بدأناه تشبيها للاعادة بالابداء فى تناول القدرة لهما على السواء **فان قلت** وما اول الخلق حتى يعيده كما بدأه **قلت** اوله ايجاده عن العدم فكما اوجده اولا عن عدم يعيده ثانيا عن عدم فان قلت ما بال خلق منكرا قلت هو كقولك هو اول رجل جاءنى تريد اول الرجال ولكنك وحدته ونكرته ارادة تفصيلهم رجلا رجلا فكذلك معنى اول خلق اول الخلائق لان الخلق مصدر لا يجمع ووجه آخر وهو ان ينتصب الكاف بفعل مضمر تفسيره نعيده وما موصولة اى نعيد مثل الذى بدأناه نعيده واول خلق ظرف لبدأناه اى اول ما خلق او حال من ضمير الموصول الساقط من اللفظ الثابت فى المعنى وعدا مصدر مؤكد لان قوله تعالى نعيده عدة للاعادة انا كنا فاعلين اى قادرين على ان نفعل ذلك **ولقد كتبنا فى الزبور من بعد الذكر ان الارض يرثها عبادى الصالحون ان فى هذا لبلاغا لقوم عابدين** عن الشعبى رحمه الله زبور داود والذكر التورية وقيل اسم لجنس ما انزل على الانبياء من الكتب والذكر ام الكتاب يعنى اللوح اى يرثها المؤمنون بعد اجلاء الكفار كقوله تعالى واورثنا القوم الذين كانوا يستضعفون مشارق الارض ومغاربها قال موسى لقومه استعينوا بالله واصبروا ان الارض لله يورثها من يشاء من عباده والعاقبة للمتقين وعن ابن عباس

رضي الله عنهما ارض الجنة وقيل الارض المقدسة ترثها امة محمد عليه السلام الاشارة الى المذكور فى هذه السورة من الاخبار والوعد والوعيد والمواعظ البالغة والبلاغ الكفاية وما تبلغ به البغية **وما ارسلناك الا رحمة للعالمين قل انما يوحى الى انما الهكم اله واحد فهل انتم مسلمون فان تولوا فقل آذنتكم على سواء وان ادرى اقريب ام بعيد ما توعدون** ارسل صلوات الله عليه رحمة للعالمين لانه جاء بما يسعدهم ان اتبعوه ومن خالف ولم يتبع فانما اتى من عند نفسه حيث ضيع نصيبه منها ومثاله ان يفجر الله عينا غديقة فيسقى ناس زروعهم ومواشيهم بمائها فيفلحوا ويبقى ناس مفرطون عن السقى فيضيعوا فالعين المفجرة فى نفسها نعمة من الله ورحمة للفريقين ولكن الكسلان محنة على نفسه حيث حرمها ما ينفعها وقيل كونه رحمة للفجار من حيث ان عقوبتهم اخرت بسببه وامنوا به عذاب الاستيصال انما لقصر الحكم على شئ او لقصر الشئ على حكم كقولك انما زيد قائم وانما يقوم زيد وقد اجتمع المثالان فى هذه الاية لان انما يوحى الى مع فاعله بمنزلة انما يقوم زيد وانما الهكم اله واحد بمنزلة انما زيد قائم وفائدة اجتماعهما الدلالة على ان الوحى الى رسول الله عليه السلام مقصور على استيثار الله بالوحدانية وفى قوله تعالى فهل انتم مسلمون ان الوحى الوارد على هذا السنن موجب ان تخلصوا التوحيد لله تعالى وان تخلعوا الانداد وفيه ان صفة الوحدانية يصح ان تكون طريقها السمع ويجوز ان يكون المعنى ان الذى يوحى الى فيكون ما موصولة آذن منقول من اذن اذا علم ولكنه كثر استعماله فى اجرى مجرى الانذار ومنه قوله عز وعلا فأذنوا بحرب من الله ورسوله **وقول** ابن حلزة آذنتنا ببينها اسماء والمعنى انى بعد توليكم واعراضكم عن قبول ما عرض عليكم من وجوب توحيد الله وتنزيهه عن الانداد والشركاء كرجل بينه وبين اعدائه هدنة فاحس منهم بغدرة فنبذ اليهم العهد وشهر النبذ واشاعه وآذنهم جميعا بذلك على سواء اى مستوين فى الاعلام به لم يطوه عن احد منهم وكاشف كلهم وقشر العصا عن لحائها وما توعدونه من غلبة المسلمين عليكم كائن لا محالة ولا بد من ان يلحقكم بذلك الذلة والصغار وان كنت لا ادرى متى يكون ذلك لان الله لم يعلمنى علمه ولم يطلعنى عليه **انه يعلم الجهر من القول ويعلم ما تكتمون وان ادرى لعله فتنة لكم ومتاع الى حين قال رب احكم بالحق وربنا الرحمن المستعان على ما تصفون** ان الله عالم لا يخفى عليه ما تجاهرون به من كلام الطاعنين فى الاسلام وما تكتمونه فى صدوركم من الاحن والاحقاد للمسلمين وهو مجازيكم عليه وما ادرى لعل تأخير هذا الموعد امتحان لكم لينظر كيف تعملون او تمتيع لكم الى حين ليكون ذلك حجة عليكم وليقع الموعد فى وقت هو فيه حكمة **وقرئ** قل وقال على حكاية قول رسول الله صلى الله عليه وسلم ورب احكم على الاكتفاء بالكسرة ورب احكم على الضم وربى احكم على افعل التفضيل وربى احكم من الاحكام امر باستعجال العذاب لقومه فعذبوا ببدر ومعنى بالحق لا تحابهم وشدد عليهم كما هو حقهم كما قال اشدد وطأتك على مضر **وقرئ** تصفون بالتاء والياء كانوا يصفون الحال على خلاف ما جرت عليه وكانوا يطمعون ان تكون لهم الشوكة والغلبة فكذب الله تعالى ظنونهم وخيب آمالهم ونصر رسول الله صلى الله عليه وسلم والمؤمنين وخذلهم قال عليه السلام من قرأ اقترب للناس حسابهم حاسبه الله حسابا يسيرا وصافحه وسلم عليه كل نبى ذكر فى القرآن

غير ست آيات وهي هذا نخصمان الى صراط الحميد وهي ثمان وسبعون اية بسم الله الرحمن الرحيم **يا ايها**

الناس اتقوا ربكم ان زلزلة الساعة شيء عظيم الزلزلة شدة التحريك والازعاج وان يضاعف زليل الاشيا
عن مقارها ومراكزها لا تخلوا الساعة من ان تكون على تقدير الفاعلة لها كانها هي التي تزلزل الاشيا على المجاز
الحكمي فتكون الزلزلة مصدرا مضافا الى فاعله او على تقدير المفعول فيها على طريقة الاتساع في الظرف
واجرائه مجرى المفعول به كقوله تعالى بل مكر الليل والنهار وهي الزلزلة المذكورة في قوله تعالى اذا زلزلت
الارض زلزالها واختلف في وقتها فعن الحسن انها تكون يوم القيمة وعن علقمة والشعبي عند طلوع الشمس
من مغربها امر بني ادم بالتقوى ثم علل وجوبها عليهم بذكر الساعة ووصفها باهول صفة لينظروا الى
تلك الصفة ببصائرهم ويتصوروها بعقولهم حتى يبقوا على انفسهم ويرحموها من شدايد ذلك اليوم بامتثال
ما امرهم به ربهم من التردي بلباس التقوى الذي لا يومنهم من تلك الافزاع الا ان يتردوا به يوم ترونها
تذهل كل مرضعة عما ارضعت وتضع كل ذات حمل حملها وترى الناس سكارى وما هم
بسكارى ولكن عذاب الله شديد وروى ان هاتين الايتين نزلتا ليلا في غزوة بني المصطلق فقراهما
رسول الله عليه السلام فلم ير اكثر باكيا من تلك الليلة فلما اصبحوا لم يحطوا السروج عن الدواب ولم يضربوا
الخيام وقت النزول ولم يطبخوا قدرا وكانوا من بين حزين وباك ومفكر يوم ترونها منصوب بتذهل
والضمير للزلزلة وقرئ تذهل كل مرضعة على البنا للمفعول وتذهل كل مرضعة اي تذهلها الزلزلة
والذهول الذهاب عن الامر مع دهشة فان قلت لم قيل مرضعة دون مرضع قلت المرضعة التي
هي في حال الارضاع ملقمة ثديها الصبي والمرضع التي شانها ان ترضع وان لم تباشر الارضاع في حال
وصفها به فقيل مرضعة ليدل على ان ذلك الهول اذا فوجئت به هذه وقد القمت الرضيع ثديها
نزعته عن فيه لما يلحقها من الدهشة عما ارضعت عن ارضاعها او عن الذي ارضعته وهو الطفل وعن
الحسن تذهل المرضعة عن ولدها لغير فطام وتضع الحامل ما في بطنها لغير تمام وقرئ وترى بالضم
من اريتك قائما او رايتك قائما والناس منصوب ومرفوع والنصب ظاهر ومن رفع جعل الناس اسم
ترى وانثه على تاويل الجماعة وقرئ سكرى وبسكرى وهو نظير جوعى وعطشى في جوعان وعطشان
وسكارى وبسكارى نحو كسالى وعجالى وعن الاعمش سكرى وبسكرى بالضم وهو غريب والمعنى وتراهم
سكارى على التشبيه وما هم بسكارى على التحقيق ولكن ما رهقهم من خوف عذاب الله تعالى هو الذي
اذهب عقولهم وطير تمييزهم وردهم في نحو حال من يذهب السكر بعقله وتمييزه وقيل وتراهم سكارى
من الخوف وما هم بسكارى من الشراب فان قلت لم قيل اولا ترون ثم قيل ترى على الافراد
لان الروية اولا علقت بالزلزلة فجعل الناس جميعا رائين لها وهي معلقة اخيرا بكون الناس على حال
السكر فلا بد ان يجعل كل واحد منهم رائيا لسايرهم ومن الناس من يجادل في الله بغير علم ويتبع
كل شيطان مريد كتب عليه انه من تولاه فانه يضله ويهديه الى عذاب السعير قيل
نزلت في النضر بن الحارث وكان جدلا يقول الملايكة بنات الله والقران اساطير الاولين والله غير
قادر على احيا من بلي وصار ترابا وهي عامة في كل من تعاطى الجدال فيما يجوز على الله وما لا يجوز من الصفات
والافعال ولا يرجع الى علم ولا يعض فيه بضرس قاطع وليس فيه اتباع للبرهان ولا نزول على النصفة
فهو يخبط خبط عشواء غير فارق بين الحق والباطل ويتبع في ذلك خطوات كل شيطان عات علم من
حاله وظهر وتبين انه من جعله وليا له لم تثمر له ولايته الا الاضلال عن طريق الجنة والهداية الى النار
وما ارى رؤساء اهل الاهواء والبدع والحشوية المتلقبين بالامامة في دين الله الا داخلين تحت كل هذا

دخولا اوليا بل هم اشد الشياطين اضلالا واقطعهم لطريق الحق حيث دونوا الضلال تدوينا ولقنوه
اشياعهم تلقينا وكانهم ساطوه بلحومهم ودمائهم واياهم عنى من قال

ويا رب مقفو الخطى بين قومه ٭ طريق نجاة عنده مستو نهج
ولو قرؤا في اللوح ما خط فيه من ٭ بيان اعوجاج في طريقته عجوا

اللهم ثبتنا على المعتقد الصحيح
الذي رضيته لملايكتك في سمواتك وانبيائك في ارضك وادخلنا برحمتك في عبادك الصالحين والكتبة
عليه مثل اي كانما كتب اضلال من يتولاه عليه ورقم به لظهور ذلك في حاله وقرئ انه فانه بالفتح
والكسر فمن فتح فلان الاول فاعل كتب والثاني عطف عليه ومن كسر فعلى حكاية المكتوب كما هو كانما
كتب عليه هذا كما تقول كتبت ان الله هو الغني الحميد او على تقدير قيل او على ان كتب فيه معنى القول
يا ايها الناس ان كنتم في ريب من البعث فانا خلقناكم من تراب ثم من نطفة ثم من علقة ثم من
مضغة مخلقة وغير مخلقة لنبين لكم ونقر في الارحام ما نشاء الى اجل مسمى ثم نخرجكم طفلا
ثم لتبلغوا اشدكم ومنكم من يتوفى ومنكم من يرد الى ارذل العمر الحسن من البعث بالتحريك
ونظيره الجلب والطرد في الجلب والطرد كانه قيل ان ارتبتم في البعث فمزيل ريبكم ان تنظروا في بدء خلقكم
والعلقة قطعة الدم الجامدة والمضغة اللحمة الصغيرة قدر ما يمضغ والمخلقة المسواة الملساء من
النقصان والعيب يقال خلق السواك والعود اذا سواه وملسه من قولهم صخرة خلقا اذا كانت ملساء
كان الله تعالى يخلق المضغ متفاوتة منها ما هو كامل الخلقة املس من العيوب ومنها ما هو على عكس
ذلك فيتبع ذلك التفاوت تفاوت الناس في خلقهم وصورهم وطولهم وقصرهم وتمامهم ونقصانهم
وانما نقلناكم من حال الى حال ومن خلقة الى خلقة لنبين لكم بهذا التدريج قدرتنا وحكمتنا وان من
قدر على خلق البشر من تراب اولا ثم من نطفة ثانيا ولا تناسب بين التراب والماء وقدر على ان يجعل النطفة
علقة وبينهما تباين ظاهر ثم يجعل العلقة مضغة والمضغة عظاما قدر على اعادة ما ابداه بل هذا ادخل
في القدرة من تلك واهون في القياس وورود الفعل غير معدى الى المبين اعلام بان افعاله هذه
يتبين بها من قدرته وعلمه ما لا يكتنهه الذكر ولا يحيط به الوصف وقرا ابن ابي عبلة ليبين لكم ويقر
بالياء وقرئ ونقر ونخرجكم بالنون والنصب ويقر ويخرجكم ويقر ويخرجكم بالنصب والرفع
وعن يعقوب نقر بالنون وضم القاف من قر الماء اذا صبه فالقراءة بالرفع اخبار بانه يقر في الارحام ما
يشاء ان يقره من ذلك الى اجل مسمى وهو وقت الوضع اخر ستة اشهر او تسعة او سنتين او اربع او
كما شاء وقدر وما لم يشا اقراره مجته الارحام او اسقطته والقراءة بالنصب تعليل معطوف على تعليل
ومعناه خلقناكم مدرجين هذا التدريج لغرضين احدهما ان نبين قدرتنا والثاني ان نقر في الارحام
من نقر حتى يولدوا وينشؤا ويبلغوا حد التكليف فاكلفهم ويعضد هذه القراءة قوله ثم لتبلغوا
اشدكم وحده لان الغرض الدلالة على الجنس ويحتمل نخرج كل واحد منكم طفلا الاشد كمال القوة
والعقل والتمييز وهو من الفاظ الجموع التي لم يستعمل لها واحد كالاسدة والقتود وغير ذلك وكانها
شدة في غير شيء واحد فبنيت لذلك على لفظ الجمع وقرئ ومنكم من يتوفى اي يتوفاه الله ارذل العمر
الهرم والخرف حتى يعود كهيئته الاولى في اوان طفولته ضعيف البنية سخيف العقل قليل الفهم بين
انه كما قدر على ان يرقيه في درجات الزيادة حتى يبلغه حد التمام فهو قادر على ان يحطه حتى ينتهي به الى
الحالة السفلى لكيلا يعلم من بعد علم شيئا وترى الارض هامدة فاذا انزلنا عليها الماء اهتزت

وربت وانبتت من كل زوج بهيج لكيلا يعلم من بعد علم شيئا اى ليصير نسيا بحيث اذا كسب علما فى شئ لم ينشب ان ينساه ويزل عنه علمه حتى يسأل عنه من ساعته يقول لك من هذا فتقول فلان فما يلبث لحظة الا سألك عنه وقرا ابو عمرو العمر بسكون الميم الهامدة الميتة اليابسة وهذه دلالة ثانية على البعث ولظهورها وكونها مشاهدة معاينة كررها الله فى كتابه اهتزت وربت تحركت بالنبات وانتفخت وقرى ربأت اى ارتفعت البهيج الحسن السار للناظر اليه ذلك بان الله هو الحق وانه يحيى الموتى وانه على كل شئ قدير وان الساعة اتية لا ريب فيها وان الله يبعث من فى القبور اى ذلك صح الذى ذكرنا من خلق بنى ادم واحيا الارض مع ما فى تضاعيف ذلك من اصناف الحكم واللطائف حاصل بهذا وهو السبب فى حصوله ولولاه لم يتصور كونه وهو ان الله هو الحق اى الثابت الموجود وانه قادر على احيا الموتى وعلى كل مقدور وانه حكيم لا يخلف ميعاده وقد وعد الساعة والبعث فلا بد ان يفى بما وعد ومن الناس من يجادل فى الله بغير علم ولا هدى ولا كتاب منير ثانى عطفه ليضل عن سبيل الله له فى الدنيا خزى ونذيقه يوم القيمة عذاب الحريق ذلك بما قدمت يداك وان الله ليس بظلام للعبيد عن ابن عباس رضى الله عنهما انه ابو جهل وقيل كرر كما كررت سائر الاقاصيص وقيل الاول فى المقلدين وهذا فى المقلدين والمراد بالعلم العلم الضرورى وبالهدى الاستدلال والنظر لانه يهدى الى المعرفة وبالكتاب المنير الوحى اى يجادل بظن وتخمين لا باحد هذه الثلاثة وثنى العطف عبارة عن الكبر والخيلاء كتصعير الخد ولى الجيد وقيل عن الاعراض عن الذكر وعن الحسن رحمة الله عليه ثانى عطفه بفتح العين اى مانع تعطفه ليضل تعليل للمجادلة فتح الياء وفتحها فان قلت ما كان غرضه من جداله الضلال عن سبيل الله فكيف علل به وما كان ايضا مهتديا حتى اذا جادل خرج بالجدال من الهدى الى الضلال قلت لما ادى جداله الى الضلال جعل كانه غرضه ولما كان الهدى معرضا له فتركه واعرض عنه واقبل على الجدال بالباطل جعل كالخارج من الهدى الى الضلال وخزيه ما اصابه يوم بدر من الصغار والقتل والسبى فيما منى به من خزى الدنيا وعذاب الاخرة وهو ما قدمت يداه وعدل الله فى معاقبة الفجار واثابة الصالحين ومن الناس من يعبد الله على حرف فان اصابه خير اطمان به وان اصابته فتنة انقلب على وجهه خسر الدنيا والاخرة ذلك هو الخسران المبين على حرف على طرف من الدين لا فى وسطه وقلبه وهذا مثل لكونهم على قلق واضطراب فى دينهم لا على سكون وطمانينة كالذى يكون على طرف من العسكر فان احس بظفر وغنيمة قر واطمان والا فر وطار على وجهه قالوا نزلت فى اعاريب قدموا المدينة وكان احدهم اذا صح بدنه ونتجت فرسه مهرا سريا وولدت امرأته غلاما سويا وكثر ماله وماشيته قال ما اصبت منذ دخلت فى دينى هذا الا خيرا واطمان وان كان الامر بخلافه قال ما اصبت الا شرا وانقلب وعن ابى سعيد الخدرى ان رجلا من اليهود اسلم فاصابته مصائب فتشاءم بالاسلام فاتى النبى صلى الله عليه وسلم فقال اقلنى فقال ان الاسلام لا يقال فنزلت المصاب بالمحنة بترك التسليم لقضا الله والخروج الى ما يسخط الله جامع على نفسه محنتين احداهما ذهاب ما اصيب به والثانية ذهاب ثواب الصابرين فهو خسران الدارين وقرى خاسر الدنيا والاخرة بالنصب والرفع فالنصب على الحال والرفع على الفاعلية ووضع الظاهر موضع الضمير وهو وجه حسن او على انه خبر مبتدا محذوف يدعوا من دون الله ما لا يضره وما لا ينفعه ذلك هو الضلال البعيد

يدعوا لمن ضره اقرب من نفعه لبئس المولى ولبئس العشير استعير الضلال البعيد من ضلال من ابعد فى التيه ضالا فطالت وبعدت مسافة ضلالته فان قلت الضر والنفع منفيان عن الاصنام مثبتان لها فى الايتين وهذا تناقض قلت اذا حصل المعنى ذهب هذا الوهم وذلك ان الله تعالى سفه الكافر بانه يعبد جمادا لا يملك ضرا ولا نفعا وهو يعتقد فيه بجهله وضلاله انه يستنفع به حين يستشفع به ثم قال تعالى يوم القيمة يقول هذا الكافر بدعاء وصراخ حين يرى استضراره بالاصنام ودخوله النار بعبادتها ولا يرى اثر الشفاعة التى ادعاها لها لمن ضره اقرب من نفعه لبئس المولى ولبئس العشير او كرر يدعو كانه قال يدعو يدعو من دون الله ما لا يضره وما لا ينفعه ثم قال لمن ضره بكونه معبودا اقرب من نفعه بكونه شفيعا لبئس المولى وفى حرف عبد الله من ضره بغير لام المولى الناصر والعشير الصاحب كقوله تعالى فبئس القرين ان الله يدخل الذين امنوا وعملوا الصالحات جنات تجرى من تحتها الانهار ان الله يفعل ما يريد من كان يظن ان لن ينصره الله فى الدنيا والاخرة فليمدد بسبب الى السماء ثم ليقطع فلينظر هل يذهبن كيده ما يغيظ هذا كلام قد دخله اختصار والمعنى ان الله تعالى ناصر رسوله فى الدنيا والاخرة فمن كان يظن من حاسديه واعاديه ان الله يفعل خلاف ذلك ويطمع فيه ويغيظه انه يظفر بمطلوبه فليستقص وسعه وليستفرغ مجهوده فى ازالة ما يغيظه بان يفعل ما يفعل من بلغ منه الغيظ كل مبلغ حتى مد حبلا الى سماء بيته فاختنق فلينظر وليصور فى نفسه انه ان فعل ذلك هل يذهب نصر الله الذى يغيظه وسمى الاختناق قطعا لان المختنق يقطع نفسه بحبس مجاريه ومنه قيل للبهر القطع وسمى فعله كيدا لانه وضعه موضع الكيد حيث لم يقدر على غيره او على سبيل الاستهزاء لانه لم يكد به محسوده انما كاد به نفسه والمراد ليس فى يده الا ما ليس بمذهب لما يغيظ وقيل فليمدد بحبل الى السماء المظلة وليصعد عليه فليقطع الوحى ان ينزل عليه وقيل كان قوم من المسلمين لشدة غيظهم وحنقهم على المشركين يستبطون ما وعد الله تعالى رسوله من النصر واخرون من المشركين يريدون اتباعه ويخشون ان لا يثبت امره فنزلت وقد فسر النصر بالرزق وقيل معناه ان الارزاق بيد الله لا تنال الا بمشيته ولا بد للعبد من الرضا بقسمته فمن ظن ان الله غير رازقه وليس به صبر واستسلام فليبلغ غاية الجزع وهو الاختناق فان ذلك لا يقلب القسمة ولا يرده مرزوقا وكذلك انزلناه ايات بينات وان الله يهدى من يريد اى ومثل ذلك الانزال انزلنا القران كله ايات بينات ولان الله يهدى به الذين يعلم انهم يؤمنون او يثبت الذين امنوا او يزيدهم هدى انزله كذلك مبينا ان الذين امنوا والذين هادوا والصابئين والنصارى والمجوس والذين اشركوا ان الله يفصل بينهم يوم القيمة ان الله على كل شئ شهيد الفصل مطلق يحتمل الفصل بينهم فى الاحوال والاماكن جميعا فلا يجازيهم جزاء واحدا بغير تفاوت ولا يجمعهم فى موطن واحد وقيل الاديان خمسة اربعة للشيطان وواحد للرحمن جعل الصابئون مع النصارى لانهم نوع منهم وقيل يفصل بينهم يقضى بينهم اى بين المؤمنين والكافرين وادخلت ان على كل واحد من جزئى الجملة لزيادة التاكيد ونحوه قول جرير
ان الخليفة ان الله سربله سربال ملك به ترجى الخواتيم
الم تر ان الله يسجد له من فى السموات ومن فى الارض والشمس والقمر والنجوم والجبال والشجر والدواب وكثير من الناس وكثير حق عليه العذاب ومن يهن الله فما له من مكرم ان الله يفعل ما يشاء سميت

ع

لانه

كذا الخواتم

مطاوعتها له فيما يحدث فيها من افعاله ويجريها عليه من تدبيره وتسخيره لها بسجود المكلف الذي كلفه الطاعة وعنها بادخل
افعال المكلف في باب الطاعة والانقياد وهو السجود الذي كل خضوع دونه **فان قلت** فما تصنع بقوله
تعالى وكثير من الناس وبما فيه من الاعتراضين احدهما ان السجود على المعنى الذي فسرته به لا يسجده بعض
الناس دون بعض والثاني ان السجود قد اسند على سبيل العموم الى من في الارض من الانس والجن اولا
فاسناده الى كثير منهم اخرا مناقضة **قلت** لا انظم كثيرا في المفردات المتناسقة الداخلة
تحت حكم الفعل وانما ارفعه بفعل مضمر يدل عليه قوله تعالى يسجد اي يسجد له كثير من الناس سجود
طاعة وعبادة ولم اقل فسر بيسجد الذي هو ظاهر بمعنى الطاعة والعبادة في حق هولاء لان اللفظ
الواحد لا يصح استعماله في حالة واحدة على معنيين مختلفين او ارفعه على الابتداء والخبر محذوف
وهو مثاب لان خبر مقابله يدل عليه وهو قوله حق عليه العذاب ويجوز ان يجعل من الناس
خبرا له اي من الناس الذين هم الناس على الحقيقة وهم الصالحون والمتقون ويجوز ان يبالغ في
تكثير المحقوقين بالعذاب فيعطف كثير على كثير ثم يخبر عنهم بحق العذاب كانه قيل وكثير وكثير من الناس
حق عليهم العذاب **وروي** حق بالضم وقرئ حقا اي حق عليهم العذاب حقا ومن اهانه الله بان
كتب عليه الشقاوة لما سبق في علمه من كفره او فسقه فقد بقي مهانا لن تجد له مكرما وقرئ مكرم
بفتح الراء بمعنى الاكرام انه يفعل ما يشاء من الاكرام والاهانة ولا يشاء من ذلك الا ما يقتضيه عمل العاملين
واعتقاد المعتقدين هذان خصمان اختصموا في ربهم فالذين كفروا قطعت لهم ثياب من نار يصب
من فوق رؤسهم الحميم يصهر به ما في بطونهم والجلود ولهم مقامع من حديد الخصم صفة
وصف بها الفوج او الفريق فكانه قيل هذان فوجان او فريقان يختصمان وقوله تعالى هذان للفظ
واختصموا للمعنى كقوله تعالى ومنهم من يستمع اليك حتى اذا خرجوا من عندك ولو قيل هولاء خصمان اوختصما
جاز يراد المومنون والكافرون قال ابن عباس رضي الله عنهما رجع الى اهل الاديان الستة في ربهم
اي في دينه وصفاته **وروي** ان اهل الكتاب قالوا للمومنين نحن احق بالله واقدم منكم كتابا ونبينا
قبل نبيكم وقال المومنون نحن احق بالله امنا بمحمد وامنا بنبيكم وبما انزل الله من كتاب وانتم تعرفون
كتابنا ونبينا ثم تركتموه وكفرتم به حسدا فهذه خصومتهم في ربهم فالذين كفروا هو فصل الخصومة
المعني بقوله تعالى ان الله يفصل بينهم يوم القيمة وفي رواية عن الكسائي خصمان بالكسر وقرئ قطعت
بالتخفيف كان الله تعالى يقدر لهم نيرانا على مقادير جثثهم تشتمل عليهم كما تقطع الثياب الملبوسة ويجوز
ان تظاهر على كل واحد منهم تلك النيران كالثياب المظاهرة على اللابس بعضها فوق بعض ونحوه
سرابيلهم من قطران الحميم الماء الحار عن ابن عباس رضي الله عنهما لو سقطت منه نقطة على جبال الدنيا
لاذابتها يصهر يذاب وعن الحسن رحمة الله عليه بتشديد الهاء للمبالغة اي اذا صب الحميم على رؤسهم
كان تاثيره في الباطن نحو تاثيره في الظاهر فيذيب امعاءهم واحشاءهم كما يذيب جلودهم وهو ابلغ من
قوله تعالى وسقوا ماء حميما فقطع امعاءهم والمقامع السياط في الحديث لو وضعت مقمعة منها في
الارض فاجتمع عليها الثقلان ما اقلوها كلما ارادوا ان يخرجوا منها من غم اعيدوا فيها وذوقوا
عذاب الحريق **وقرا** الاعمش ردوا فيها والاعادة والرد لا يكون الا بعد الخروج والمعنى كلما
ارادوا ان يخرجوا منها من غم يخرجوا اعيدوا فيها ومعنى الخروج ما يروى عن الحسن ان النار تضربهم
بلهبها فترفعهم حتى اذا كانوا في اعلاها ضربوا بالمقامع فهووا فيها سبعين خريفا وقيل لهم ذوقوا

عليهم

عذاب

عذاب الحريق والحريق الغليظ من النار المنتشر العظيم الاهلاك ان الله يدخل الذين امنوا وعملوا
الصالحات جنات تجري من تحتها الانهار يحلون فيها من اساور من ذهب ولؤلؤا ولباسهم
فيها حرير يحلون عن ابن عباس رضي الله عنهما من حليت المراة فهي حالية ولؤلؤا بالنصب على يؤتون
لؤلؤا كقوله تعالى وحورا عينا ولولوا بقلب الهمزة الثانية واوا ولوليا بقلبهما واوين ثم بقلب الثانية
ياء كادل ولول كادل جمع جرو ولولؤ ولييا بقلبهما يائين وهدوا الى الطيب من القول وهدوا
الى صراط الحميد عن ابن عباس رضي الله عنهما وهداهم الله والهمهم ان يقولوا الحمد لله الذي صدقنا
وعده وهذا هو الطريق الجنة ان الذين كفروا ويصدون عن سبيل الله والمسجد الحرام الذي
جعلناه للناس سواء العاكف فيه والباد ومن يرد فيه بالحاد بظلم نذقه من عذاب اليم
يقال فلان يحسن الى الفقراء وينعش المضطهدين لا يراد حال ولا استقبال وانما يراد استمرار وجود
الاحسان منه والنعشة في جميع ازمنته واوقاته ومنه قوله تعالى ويصدون عن سبيل الله اي الصدود
منهم مستمر دايم للناس اي للذين يقع عليهم اسم الناس من غير فرق بين حاضر وباد وتاني وطاري
ومكي وافاقي وقد استشهد به اصحاب ابي حنيفة رحمة الله عليه قايلين ان المراد بالمسجد الحرام مكة على
امتناع جواز بيع دور مكة واجارتها وعند الشافعي رضي الله عنه لا يمتنع ذلك وقد حاور اسحق
ابن راهويه فاحتج بقوله الذين اخرجوا من ديارهم وقال انسب الديار الى مالكيها او غير مالكيها
واشترى عمر بن الخطاب رضي الله عنه دار السجن من مالكيه او غير مالكيه سواء بالنصب قراءة حفص
والباقون على الرفع ووجه النصب انه ثاني مفعولي جعلناه اي جعلناه مستويا العاكف فيه والباد وفي
القراءة بالرفع الجملة مفعول ثان الالحاد العدول عن القصد واصله الحاد الحافر وقوله تعالى بالحاد
بظلم حالان مترادفان ومفعول يرد متروك ليتناول كل متناول كانه قال ومن يرد فيه مرادا ما
عادلا عن القصد ظالما نذقه من عذاب اليم يعني ان الواجب على من كان فيه ان يضبط نفسه ويسلك
طريق السداد والعدل في جميع ما يهم به ويقصده وقيل الالحاد في الحرم منع الناس عن عمارته وعن
سعيد بن جبير الاحتكار وعن عطاء قول الرجل في المبايعة لا والله وبلى والله وعن عبد الله ابن عمر
رضي الله عنهما انه كان له فسطاطان احدهما في الحل والاخر في الحرم فاذا اراد ان يعاتب اهله عاتبهم
في الحل فقيل له فقال كنا نحدث ان من الالحاد فيه ان يقول الرجل لا والله وبلى والله وقرئ يرد بفتح
الياء من الورود ومعناه من اتى فيه بالحاد ظالما وعن الحسن رحمة الله عليه ومن يرد الحاده بظلم اراد
الحادا فيه فاضافه على الاتساع في الظرف كمكر الليل ومعناه ومن يرد ان يلحد فيه ظالما وخبر ان محذوف
لدلالة جواب الشرط عليه تقديره ان الذين كفروا ويصدون عن المسجد الحرام نذيقهم من عذاب اليم
وكل من ارتكب فيه ذنبا فهو كذلك واذ بوانا لابراهيم مكان البيت ان لا تشرك بي شيا وطهر
بيتي للطايفين والقايمين والركع السجود واذكر حين جعلنا لابراهيم مكان البيت مباءة اي مرجعا
يرجع اليه للعمارة والعبادة رفع البيت الى السماء ايام الطوفان وكان من ياقوتة حمراء فاعلم الله تعالى
ابراهيم عليه السلام مكانه بريح ارسلها يقال لها الخجوج كنست ما حوله فبناه على اسه القديم وان هي
المفسرة **فان قلت** كيف يكون النهي عن الاشراك والامر بتطهير البيت تفسيرا للتبوية **قلت**
كانت التبوية مقصودة من اجل العبادة فكانه قيل تعبدنا ابراهيم قلنا له لا تشرك بي شيا وطهر
بيتي من الاصنام والاوثان والاقذار ان تطرح حوله وقرئ يشرك بالياء على الغيبة واذن في الناس

بالحج يأتوك رجالا وعلى كل ضامر يأتين من كل فج عميق ناد في الناس ناديهم وقرأ ابن محيصن وآذن
والنداء بالحج ان يقول حجوا او عليكم بالحج وروى انه صعد ابا قبيس فقال يا ايها الناس حجوا بيت ربكم
وعن الحسن رحمة الله عليه انه خطاب لرسول الله صلى الله عليه وسلم امر ان يفعل ذلك في حجة الوداع
يأتوك رجالا مشاة جمع راجل كقائم وقيام وقرئ رجالا بضم الراء مخفف الجيم ومثقله ورجالى
كعجالى عن ابن عباس رضي الله عنهما وعلى كل ضامر حال معطوفة على حال كأنه قيل رجالا وركبانا
يأتين صفة لكل ضامر لانه في معنى الجمع وقرئ يأتون صفة للرجال والركبان والعميق البعيد
وقرأ ابن مسعود رضي الله عنه معيق يقال بير بعيدة العمق والمعق ليشهدوا منافع ويذكروا لهم
اسم الله في ايام معلومات على ما رزقهم من بهيمة الانعام فكلوا منها واطعموا البائس الفقير
نكر المنافع لانه اراد منافع مختصة بهذه العبادة دينية ودنيوية لا توجد في غيرها من العبادات
وعن ابي حنيفة رحمة الله عليه انه كان يفاضل بين العبادات قبل ان يحج فلما حج فضل الحج على العبادات
كلها لما شاهد من تلك الخصائص وكنى عن النحر والذبح بذكر اسم الله لان اهل الاسلام لا ينفكون عن
ذكر اسمه اذا نحروا او ذبحوا وفيه تنبيه على ان الغرض الاصلي فيما يتقرب به الى الله ان يذكر اسمه
وقد حسن الكلام تحسينا بينا ان جمع بين قوله ليذكروا اسم الله وقوله على ما رزقهم ولو قيل لينحروا
في ايام معلومات بهيمة الانعام لم تر شيئا من ذلك الحسن والروعة في ايام معلومات الايام المعلومات
ايام العشر عند ابي حنيفة رحمة الله عليه وهو قول الحسن وقتادة وعند صاحبيه ايام النحر البهيمة
مبهمة في كل ذات اربع في البر والبحر فبينت بالانعام وهي الابل والبقر والضأن والمعز الامر بالاكل
منها امر اباحة لان اهل الجاهلية كانوا لا يأكلون من نسائكهم ويجوز ان يكون ندبا لما فيه من مساواة
الفقراء ومواساتهم ومن استعمال التواضع ومن ثم استحب الفقهاء ان يأكل الموسع من اضحيته مقدار
الثلث وعن ابن مسعود رضي الله عنه انه بعث بهدي وقال فيه اذا نحرته فكل وتصدق وابعث
منه الى عتبة يعني ابنه وفي الحديث كلوا وادخروا وائتجروا البائس الذي اصابه بؤس اي شدة
والفقير الذي اضعفه الاعسار ثم ليقضوا تفثهم وليوفوا نذورهم وليطوفوا بالبيت العتيق قضاء
التفث قص الشارب والاظفار ونتف الابط والاستحداد والتفث الوسخ فالمراد قضاء ازالة التفث
وقرئ وليوفوا بتشديد الفاء نذورهم مواجب حجهم او ما عسى ينذرونه من اعمال البر في حجهم
وليطوفوا طواف الافاضة وهو طواف الزيارة الذي هو من اركان الحج ويقع به تمام التحلل وقيل طواف
الصدر وهو طواف الوداع العتيق القديم لانه اول بيت وضع للناس عن الحسن وعن قتادة اعتق
من الجبابرة كم من جبار سار اليه ليهدمه فمنعه الله تعالى وعن مجاهد لم يملك قط وعن مجاهد اعتق
من الغرق وقيل بيت كريم من قولهم عتاق الخيل والطير فان قلت قد تسلط عليه الحجاج فلم يمنع
قلت ما قصد التسلط على البيت وانما تحصن به ابن الزبير رضي الله عنه فاحتال لاخراجه ثم بناه
ولما قصد التسلط عليه ابرهة فعل به ما فعل ذلك ومن يعظم حرمات الله فهو خير له عند ربه
واحلت لكم الانعام الا ما يتلى عليكم فاجتنبوا الرجس من الاوثان واجتنبوا قول الزور ذلك
خبر مبتدإ محذوف اي الامر والشأن ذلك كما يقدم الكاتب جملة من كتابه في بعض المعاني ثم اذا اراد
الخوض في معنى آخر قال هذا وقد كان كذا والحرمة ما لا يحل هتكه وجميع ما كلفه الله عز وجل بهذه
الصفة من مناسك الحج وغيرها فيحتمل ان يكون عاما في جميع تكاليفه ويحتمل ان يكون خاصا فيما

يتعلق

يتعلق بالحج وعن زيد بن اسلم الحرمات خمس الكعبة الحرام والمسجد الحرام والبلد الحرام والشهر الحرام والمحرم
حتى يحل فهو خير له اي فالتعظيم خير له ومعنى التعظيم العلم بانها واجبة المراعاة والحفظ والقيام
بمراعاتها المتلو لا يستثنى من الانعام ولكن المعنى الا ما يتلى عليكم آية تحريمه وذلك قوله تعالى في سورة
المائدة حرمت عليكم الميتة والدم والمعنى ان الله قد احل لكم الانعام كلها الا ما استثناه في كتابه فحافظوا
على حدوده واياكم ان تحرموا مما احل شيئا كتحريم عبدة الاوثان البحيرة والسائبة وغير ذلك وان
تحلوا ما حرم كاحلالهم اكل الموقوذة والميتة وغير ذلك لما حث على تعظيم حرماته واحمد من يعظمها
اتبعه الامر باجتناب الاوثان وقول الزور لان توحيد الله ونفي الشركاء عنه وصدق القول اعظم
الحرمات واسبقها خطوا وجمع الشرك وقول الزور في قران واحد وذلك ان الشرك من باب الزور لان المشرك
زاعم ان الوثن تحق له العبادة فكانه قال فاجتنبوا عبادة الاوثان التي هي راس الزور واجتنبوا
قول الزور كله لا تقربوا شيئا منه لتماديه في القبح والسماجة وما ظنك بشيء من قبيله عبادة الاوثان
وسمى الاوثان رجسا وكذلك الخمر والميسر والازلام على طريق التشبيه يعني انكم كما تنفرون بطباعكم
عن الرجس وتجتنبونه فعليكم ان تنفروا عن هذه الاشياء مثل تلك النفرة ونبه على هذا المعنى بقوله
تعالى رجس من عمل الشيطان فاجتنبوه جعل العلة في اجتنابه انه رجس والرجس مجتنب من الاوثان
بيان للرجس وتمييز له كقولك عندي عشرون من الدراهم لان الرجس مبهم يتناول غير شيء كانه قيل
فاجتنبوا الرجس الذي هو الاوثان والزور من الزور والازورار وهو الانحراف كما ان الافك من
افكه اذا صرفه وقيل قول الزور قولهم هذا حلال وهذا حرام وما اشبه ذلك من افترائهم وقيل
شهادة الزور وعن النبي عليه السلام انه صلى الصبح فلما سلم قام قائما واستقبل الناس بوجهه وقال
عدلت شهادة الزور الاشراك بالله عدلت شهادة الزور الاشراك بالله عدلت شهادة الزور
الاشراك بالله وقيل الكذب والبهتان وقيل قول الجاهلية في تلبيتهم لا شريك لك الا شريك
هو لك تملكه وما ملك حنفاء غير مشركين به ومن يشرك بالله فكانما خر من السماء فتخطفه لله
الطير او تهوي به الريح في مكان سحيق يجوز في هذا التشبيه ان يكون من المركب والمفرق فان
كان تشبيها مركبا فكانه قال من اشرك بالله فقد اهلك نفسه اهلاكا ليس بعده بان صور حاله
بصورة حال من خر من السماء فاختطفته الطير فتفرق مزعا في حواصلها او عصفت به الريح حتى هوت
به في بعض المطاوح البعيدة وان كان مفرقا فقد شبه الايمان في علوه بالسماء والذي ترك
الايمان واشرك بالله بالساقط من السماء والاهواء التي تتوزع افكاره بالطير المختطفة والشيطان
الذي يطوح به في وادي الضلالة بالريح التي تهوي بما عصفت به في بعض المهاوي المتلفة وقرئ
فتخطفه بكسر الخاء والطاء وبكسر التاء مع كسرهما وهي قراءة الحسن واصلها تختطفه وقرئ الرياح
ذلك ومن يعظم شعائر الله فانها من تقوى القلوب تعظيم الشعائر وهي الهدايا لانها من معالم
الحج ان يختارها عظام الاجرام حسانا سمانا غالية الاثمان ويترك المكاس في شرائها فقد كانوا يغالون
في ثلاث ويكرهون المكاس فيهن الهدي والاضحية والرقبة وروى ابن عمر عن ابيه رضي الله عنهما
انه اهدى نجيبة طلبت منه بثلثمائة دينار فسأل رسول الله عليه السلام ان يبيعها ويشتري بثمنها بدنا
فنهاه عن ذلك وقال بل اهدها واهدى رسول الله صلى الله عليه وسلم مائة بدنة فيها جمل لابي
جهل في انفه برة من ذهب وكان ابن عمر رضي الله عنهما يسوق البدن مجللة بالقباطي فيتصدق بلحومها

وجلالها ويعتقد ان طاعة الله في التقرب بها واهدائها الى بيته المعظم امر عظيم لابد ان يقام به ويسارع
فيه **فانها من تقوى القلوب** اى فان تعظيمها من افعال ذوى تقوى القلوب فحذفت هذه المضافات ولا يستقيم المعنى
الا بتقديرها لانه لابد من راجع من الجزاء الى من ليرتبط به وانما ذكرت القلوب لانها مراكز التقوى التى اذا
ثبتت فيها وتمكنت ظهر اثرها فى سائر الاعضاء **لكم فيها منافع الى اجل مسمى ثم محلها الى البيت العتيق**
الى ان تنحر ويتصدق بلحومها ويؤكل منها وثم للتراخى فى الوقت فاستعيرت للتراخى فى الاحوال والمعنى
ان لكم فى الهدايا منافع كثيرة فى دنياكم ودينكم وانما يعتد الله بالمنافع الدينية قال الله تعالى تريدون
عرض الدنيا والله يريد الاخرة واعظم هذه المنافع وابعدها شوطا فى النفع محلها الى البيت العتيق اى وجوب
نحرها او وقت وجوب نحرها منتهية الى البيت كقوله تعالى هديا بالغ الكعبة والمراد نحرها فى الحرم الذى
هو فى حكم البيت لان الحرم هو حريم البيت ومثل هذا فى الاتساع قولك بلغنا البلد وانما شارفتموه واتصل
مسيركم بحدوده وقيل المراد بالشعائر المناسك كلها ومحلها الى البيت العتيق يأباه **ولكل امة جعلنا
منسكا ليذكروا اسم الله على ما رزقهم من بهيمة الانعام** شرع الله تعالى لكل امة ان ينسكوا له
اى يذبحوا لوجهه على وجه التقرب وجعل العلة فى ذلك ان يذكروا اسمه تقدست اسماؤه على النسائك وقرئ
منسكا بفتح السين وكسرها وهو مصدر بمعنى النسك والمكسور يكون بمعنى الموضع **فالهكم اله واحد
فله اسلموا** فله اسلموا اى اخلصوا له الذكر خاصة واجعلوه لوجهه سالما اى خالصا لا تشوبوه باشراك
**وبشر المخبتين الذين اذا ذكر الله وجلت قلوبهم والصابرين على ما اصابهم والمقيمى الصلوة
ومما رزقناهم ينفقون** المخبتون المتواضعون الخاشعون من الخبت وهو المطمئن من الارض وقيل هم
الذين لا يظلمون واذا ظلموا لم ينتصروا وقرا الحسن رحمه الله والمقيمى الصلوة على تقدير النون
وقرا ابن مسعود رضى الله عنه والمقيمين الصلوة على الاصل **والبدن جعلناها لكم من شعائر الله
لكم فيها خير فاذكروا اسم الله عليها صواف فاذا وجبت جنوبها فكلوا منها واطعموا
القانع والمعتر** البدن جمع بدنة سميت لعظم بدنها وهى الابل خاصة ولان رسول الله صلى الله عليه
وسلم الحق البقر بالابل حين قال البدنة عن سبعة والبقرة عن سبعة فجعل البقر فى حكم الابل صارت البدنة
فى الشريعة متناولة للجنسين عند ابى حنيفة واصحابه رحمة الله عليهم والا فالبدن هى الابل وعليه تدل
الاية وقرا الحسن والبدن بضمتين كثمر فى جمع ثمرة وابن ابى اسحق بضمتين وتشديد النون على لفظ
الوقف وقرئ بالنصب والرفع كقوله تعالى والقمر قدرناه من شعائر الله اى من اعلام الشريعة التى
شرعها الله واضافها الى اسمه تعظيما لها لكم فيها خير كقوله تعالى لكم فيها منافع ومن شان الحاج ان
يحرص على شىء فيه خير ومنافع بشهادة الله عن بعض السلف انه لم يملك الا تسعة دنانير فاشترى بها
بدنة فقيل له فى ذلك فقال سمعت ربى يقول لكم فيها خير وعن ابن عباس رضى الله عنهما دنيا واخرة
وعن ابراهيم من احتاج الى ظهرها ركب ومن احتاج الى لبنها شرب واذكروا اسم الله ان يقول عند النحر الله اكبر
لا اله الا الله والله اكبر اللهم منك واليك صواف قائمات قد صففن ايديهن وارجلهن وقرئ
صوافن من صفون الفرس وهو ان يقوم على ثلاث وينصب الرابعة على طرف سنبكه لان البدنة تعقل
احدى يديها فتقوم على ثلاث وقرئ صوافى اى خوالص لوجه الله وعن عمرو بن عبيد صوافنا بالتنوين
عوضا من حرف الاطلاق عند الوقف وعن بعضهم صواف نحو مثل العرب اعط القوس باريها بسكون
الياء وجوب الجنوب وقوعها على الارض من وجب الحائط وجبة اذا سقط ووجبت الشمس جبة غربت

والمعنى فاذا وجبت جنوبها وسكنت نسائسها حل لكم الاكل منها والاطعام القانع السائل من قنعت اليه
وكنعت اذا خضعت وسألته قنوعا والمعتر المتعرض بغير سؤال او القانع الراضى بما عنده وبما يعطى
من غير سؤال من قنعت قنعا وقناعة والمعتر المتعرض بالسؤال وقرا الحسن والمعترى وعره وعراه
واعتره واعتراه بمعنى وقرا ابو رجاء القنع وهو الراضى لا غير يقال قنع فهو قنع وقانع **كذلك سخرناها
لكم لعلكم تشكرون** من الله تعالى على عباده واستحمد اليهم بان سخر لهم البدن مثل التسخير الذى ترون وتعلمون
يأخذونها منقادة للاخذ طيعة فيعقلونها ويحبسونها صافة قوائمها ثم يطعنون فى لباتها ولولا تسخير
الله لم تطق ولم تكن باعجز من بعض الوحوش التى هى اصغر منها جرما واقل قوة وكفى بما يتأبد من الابل شاهدا
وعبرة **لن ينال الله لحومها ولا دماؤها ولكن يناله التقوى منكم كذلك سخرها لكم
لتكبروا الله على ما هداكم وبشر المحسنين** اى لن يصيب رضى الله اللحوم المتصدق بها ولا الدماء
المهراقة بالنحر والمراد اصحاب اللحوم والدماء والمعنى لن يرضى المضحون والمقربون ربهم الا بمراعاة
النية والاخلاص والاحتفاظ بشروط التقوى فى حل ما قرب به وغير ذلك من المحافظات الشرعية واوامر
الورع فاذا لم يراعوا ذلك لم تغن عنهم التضحية والتقريب وان كثر ذلك منهم وقرئ لن ينال الله
ولكن تناله بالياء والتاء وقيل كان اهل الجاهلية اذا نحروا البدن نضحوا الدماء حول البيت ولطخوه
بالدم فلما حج المسلمون ارادوا مثل ذلك فنزلت وكرر تذكير النعمة بالتسخير ثم قال لتشكروا الله على
هدايته اياكم لاعلام دينه ومناسك حجه بان تكبروا وتهللوا فاختصر الكلام بان ضمن التكبير معنى الشكر
وعدى تعديته **ان الله يدافع عن الذين امنوا ان الله لا يحب كل خوان كفور** خص المؤمنين بدفعه
عنهم ونصرته لهم كما قال تعالى انا لننصر رسلنا والذين امنوا وقال انهم لهم المنصورون واخرى
تحبونها نصر من الله وفتح قريب وجعل العلة فى ذلك انه لا يحب اضدادهم وهم الخونة الكفرة الذين
يخونون الله والرسول ويخونون اماناتهم ويكفرون نعم الله ويغمطونها ومن قرا يدافع فمعناه يبالغ
فى الدفع عنهم كما يبالغ من يغالب فيه لان فعل المغالب يجىء اقوى وابلغ **اذن للذين يقاتلون بانهم
ظلموا وان الله على نصرهم لقدير** اذن ويقاتلون قرئا على لفظ المبنى للفاعل والمفعول جميعا
والمعنى اذن لهم فى القتال فحذف المأذون فيه لدلالة يقاتلون عليه بانهم ظلموا اى بسبب كونهم
مظلومين وهم اصحاب رسول الله كان مشركوا مكة يؤذونهم اذى شديدا وكانوا يأتون رسول
الله من بين مضروب ومشجوج يتظلمون اليه فيقول لهم اصبروا فانى لم اومر بالقتال حتى هاجر فانزلت
هذه الاية وهى اول اية اذن فيها بالقتال بعد ما نهى عنه فى نيف وسبعين اية وقيل نزلت فى قوم خرجوا
مهاجرين فاعترضهم مشركوا مكة فاذن لهم فى مقاتلتهم والاخبار بكونه قادرا على نصرهم عدة منه بالنصر
واردة على سنن كلام الجبابرة وما مر من دفعه عن الذين امنوا مؤذن بمثل هذه العدة ايضا **الذين
اخرجوا من ديارهم بغير حق الا ان يقولوا ربنا الله ولولا دفع الله الناس بعضهم ببعض
لهدمت صوامع وبيع وصلوات ومساجد يذكر فيها اسم الله كثيرا ولينصرن الله
من ينصره ان الله لقوى عزيز** ان يقولوا فى محل الجر على الابدال من حق اى بغير موجب سوى التوحيد
الذى ينبغى ان يكون موجب الاقرار والتمكين لا موجب الاخراج والتسيير ومثله هل تنقمون
منا الا ان امنا بالله دفع الله بعض الناس ببعض اظهاره وتسليطه المسلمين منهم على الكافرين
بالمجاهدة ولولا ذلك لاستولى المشركون على اهل الملل المختلفة فى ازمنتهم وعلى متعبداتهم فهدموها

ولم يتركوا للنصارى بيعا ولا لرهبانهم صوامع ولا لليهود صلوات ولا للمسلمين مساجد او لغلب المشركون
في امة محمد عليه السلام على المسلمين وعلى اهل الكتاب الذين في ذمتهم وهدموا متعبدات الفريقين
وقرئ دفاع، ولهدمت بالتخفيف وسميت الكنيسة صلوة لانه يصلى فيها وقيل هي كلمة معربة اصلها
بالعبرانية صلوتا، من ينصره اي ينصر دينه واولياءه الذين ان مكناهم في الارض اقاموا الصلوة
وآتوا الزكوة وامروا بالمعروف ونهوا عن المنكر ولله عاقبة الامور، هو اخبار من الله عز
وجل بظهر الغيب عما ستكون عليه سيرة المهاجرين رضوان الله عليهم اجمعين ان مكناهم في الارض وبسط
لهم في الدنيا وكيف يقومون بامر الدين، وعن عثمان رضي الله عنه هذا والله ثناء قبل بلاء يريد ان الله
قد اثنى عليهم قبل ان يحدثوا من الخير ما احدثوا وقالوا فيه دليل على صحة امر الخلفاء الراشدين لان
الله لم يعط التمكين ونفاذ الامر مع السيرة العادلة غيرهم من المهاجرين لا حظ في ذلك للانصار
والطلقاء، وعن الحسن رحمة الله عليه هم امة محمد صلى الله عليه وسلم، وقيل الذين منصوب بدل
من قوله من ينصره والظاهر انه مجرور تابع للذين اخرجوا، ولله عاقبة الامور اي مرجعها الى حكمه
وتقديره، وفيه تاكيد لما وعده من اظهار اوليائه واعلاء كلمتهم وان يكذبوك فقد كذبت قبلهم
قوم نوح وعاد وثمود وقوم ابراهيم وقوم لوط واصحاب مدين وكذب موسى فامليت
للكافرين ثم اخذتهم فكيف كان نكير، يقول الله تعالى لرسوله عليه السلام تسلية له لست
باوحدي في التكذيب فقد كذب الرسل قبلك اقوامهم وكفاك بهم اسوة فان قلت لم قيل
وكذب موسى ولم يقل وقوم موسى لان موسى عليه السلام ما كذبه قومه بنو اسرائيل وانما
كذبه غير قومه وهم القبط، وفيه شيء آخر كانه قيل بعدما ذكر تكذيب كل قوم رسولهم وكذب
موسى ايضا مع وضوح اياته وعظم معجزاته فما ظنك بغيره، النكير بمعنى الانكار والتغيير حيث ابدلهم
بالنعمة محنة وبالحيوة هلاكا وبالعمارة خرابا فكاين من قرية اهلكناها وهي ظالمة فهي خاوية
على عروشها وبئر معطلة وقصر مشيد، كل مرتفع اظلك من سقف بيت او خيمة او ظلة او كرم
فهو عرش، والخاوي الساقط من خوى النجم اذا سقط، او الخالي من خوى المنزل اذا خلا من اهله وخوى
بطن الحامل، وقوله تعالى على عروشها لا يخلو من ان يتعلق بخاوية فيكون المعنى انها ساقطة على سقوفها اي
خرت سقوفها على الارض ثم تهدمت حيطانها فسقطت فوق السقوف او انها ساقطة او خالية مع
بقاء عروشها وسلامتها، واما ان يكون خبرا بعد خبر كانه قيل هي خالية وهي على عروشها اي قائمة
مظلة على عروشها على معنى ان السقوف سقطت الى الارض فصارت في قرار الحيطان وبقيت الحيطان
مائلة فهي مشرفة على السقوف الساقطة فان قلت ما محل الجملتين من الاعراب اعني وهي ظالمة
فهي خاوية قلت الاولى في محل النصب على الحال والثانية لا محل لها لانها معطوفة على اهلكناها
وهذا الفعل ليس له محل، قرا الحسن معطلة من اعطله بمعنى عطله ومعنى المعطلة انها عامرة فيها
الماء ومعها آلات الاستقاء الا انها عطلت اي تركت لا يستقى منها لهلاك اهلها، والمشيد
المجصص او المرفوع البنيان والمعنى كم قرية اهلكنا وكم بئر عطلنا عن سقاتها وقصر مشيد
اخليناه عن ساكنيه فترك ذلك لدلالة معطلة عليه وفي هذا دليل على ان على عروشها بمعنى مع
اوجه وروي ان هذه بئر نزل عليها صالح مع اربعة آلاف نفر ممن آمن به ونجاهم الله من العذاب
وهي بحضرموت وانما سميت بذلك لان صالحا حين حضرها مات وثم بلدة عند البئر اسمها

خاضورا

حاضورا بناها قوم صالح عليه السلام وامروا عليهم جلهس بن جلاس واقاموا بها زمانا ثم كفروا وعبدوا صنما
وارسل الله تعالى اليهم حنظلة بن صفوان نبيا فقتلوه فاهلكهم الله وعطل بئرهم وخرب قصورهم افلم
يسيروا في الارض فتكون لهم قلوب يعقلون بها او آذان يسمعون بها فانها لا تعمى الابصار
ولكن تعمى القلوب التي في الصدور، يحتمل انهم لم يسافروا فحثوا على السفر ليروا مصارع من اهلكهم الله
بكفرهم ويشاهدوا آثارهم فيعتبروا، وان يكونوا قد سافروا ورأوا ذلك ولكن لم يعتبروا فجعلوا كان لم
يسافروا ولم يروا وقرئ فيكون لهم قلوب بالياء اي يعقلون ما يجب ان يعقل من التوحيد ويسمعون
ما يجب سماعه من الوحي فانها الضمير ضمير الشان والقصة يجيء مذكرا ومؤنثا، وفي قراءة ابن مسعود فانه
ويجوز ان يكون ضميرا مبهما يفسره الابصار وفي تعمى ضمير راجع اليه والمعنى ان ابصارهم صحيحة سالمة لا عمى
بها وانما العمى بقلوبهم او لا يعتد بعمى الابصار فكانه ليس بعمى بالاضافة الى عمى القلوب فان قلت
اي فائدة في ذكر الصدور الذي قد تعورف واعتقد ان العمى على الحقيقة مكانه البصر وهو ان
تصاب الحدقة بما يطمس نورها واستعماله في القلب استعارة ومثل فلما اريد اثبات ما هو خلاف المعتقد
من نسبة العمى الى القلوب حقيقة ونفيه عن الابصار احتاج هذا التصوير الى زيادة تعيين وفضل تعريف
ليتقرر ان مكان العمى هو القلوب لا الابصار كما تقول ليس المضاء للسيف ولكنه للسانك الذي بين فكيك
فقولك الذي بين فكيك تقرير لما ادعيته للسانك وتثبيت لان محل المضاء هو هو لا غير وكانك قلت ما
نفيت المضاء عن السيف واثبته للسانك فلتة ولا سهوا مني ولكن تعمدت به اياه بعينه تعمدا ويستعجلونك
بالعذاب ولن يخلف الله وعده وان يوما عند ربك كالف سنة مما تعدون، انكر استعجالهم
بالمتوعد به من العذاب العاجل والآجل كانه قال ولم يستعجلون به كانهم يجوزون الفوت وانما يجوز ذلك
على ميعاد من يجوز عليه الخلف والله عز وعلا لا يخلف الميعاد وما وعده ليصيبنهم ولو بعد حين وهو سبحانه
حليم لا يعجل ومن حلمه ووقاره واستقصاره المدد الطوال ان يوما واحدا عنده كالف سنة عندكم، وقيل
معناه كيف يستعجلون بعذاب من يوم واحد من ايام عذابه في طول الف سنة من سنيكم لان ايام الشدائد
مستطالة او كان ذلك اليوم الواحد لشدة عذابه او كالف سنة من سني العذاب، وقيل ولن يخلف الله
وعده في النظرة والامهال، وقرئ تعدون بالياء والتاء وكاين من قرية امليت لها وهي ظالمة ثم
اخذتها والي المصير، يعني وكم من اهل قرية كانوا مثلكم ظالمين قد انظرتهم حينا ثم اخذتهم بالعذاب
والمرجع الي والى حكمي فان قلت لم كانت الاولى معطوفة بالفاء وهذه بالواو قلت الاولى وقعت
بدلا عن قوله تعالى فكيف كان نكير، واما هذه فحكمها حكم ما تقدمها من الجملتين المعطوفتين بالواو اعني
قوله تعالى ولن يخلف الله وعده وان يوما عند ربك كالف سنة قل يا ايها الناس انما انا لكم نذير
مبين، فالذين آمنوا وعملوا الصالحات لهم مغفرة ورزق كريم والذين سعوا في آياتنا
معاجزين اولئك اصحاب الجحيم، يقال سعيت في امر فلان اذا اصلحته او افسدته بسعيي وعاجزه سابقه
لان كل واحد منهما في طلب اعجاز الآخر عن اللحاق به فاذا سبقه قيل اعجزه وعجزه والمعنى سعوا في معناها
بالفساد من الطعن فيها حيث سموها سحرا وشعرا واساطير ومن تثبيط الناس عنها سابقين او مسابقين
في زعمهم وتقديرهم طامعين ان كيدهم للاسلام يتم لهم فان قلت كان القياس ان يقال انما انا لكم
بشير ونذير لذكر الفريقين بعده قلت الحديث مسوق الى المشركين ويا ايها الناس نداء لهم وهم الذين
قيل فيهم افلم يسيروا في الارض ووصفوا بالاستعجال وانما اقحم المؤمنون وثوابهم ليغاظوا وما ارسلنا

من قبلك من رسول ولا نبي الا اذا تمنى القى الشيطان في امنيته فينسخ الله ما يلقي الشيطان
ثم يحكم الله اياته والله عليم حكيم من رسول ولا نبي دليل بين على تغاير الرسول والنبي وعن
رسول الله صلى الله عليه وسلم انه سئل عن الانبياء فقال مائة الف واربعة وعشرون الفا قيل فكم الرسول
منهم قال ثلثمائة وثلاثة عشر جما غفيرا والفرق بينهما ان الرسول من الانبياء من جمع الى المعجزة الكتاب
المنزل عليه والنبي غير الرسول من لم ينزل عليه كتاب وانما امر ان يدعو الى شريعة من قبله والسبب
في نزول هذه الاية ان رسول الله صلى الله عليه وسلم لما اعرض عنه قومه وشاقوه وخالفه عشيرته
ولم يشايعوه على ما جاء به تمنى لفرط ضجره من اعراضهم ولحرصه وتهالكه على اسلامهم ان لا ينزل عليه
ما ينفرهم لعله يتخذ ذلك طريقا الى استمالتهم واستنزالهم عن غيهم وعنادهم فاستمر به ما تمناه حتى
نزلت عليه سورة والنجم وهو في نادي قومه وذلك التمني في نفسه فاخذ يقرؤها فلما بلغ قوله تعالى
ومناة الثالثة الاخرى القى الشيطان في امنيته التي تمناها اي وسوس اليه بما شيعها به فسبق لسانه
على سبيل السهو والغلط الى ان قال تلك الغرانيق العلى وان شفاعتهن لترتجى وروي الغرانقة ولم يفطن
له حتى ادركته العصمة فتنبه عليه وقيل نبهه جبريل عليه السلام او تكلم الشيطان بذلك فاسمعه
الناس فلما سجد في اخرها سجد معه جميع من في النادي وطابت نفوسهم وكان تمكين الشيطان من
ذلك محنة من الله تعالى وابتلاء زاد المنافقون به شكا وظلمة والمؤمنون نورا وايقانا والمعنى ان
الرسل والانبياء من قبلك كانت هجيراهم كذلك اذا تمنوا مثل ما تمنيت مكن الله تعالى الشيطان
ليلقي في اماناتهم مثل ما القي في امنيتك ارادة امتحان من حولهم والله سبحانه له ان يمتحن عباده بما شاء
من صنوف المحن وانواع الفتن ليضاعف ثواب الثابتين ويزيد في عقاب المذنبين وقيل تمنى قرأ
وانشد تمنى كتاب الله اول ليله تمنى داود الزبور على رسل وامنيته قراءته وقيل تلك
الغرانيق اشارة الى الملائكة اي هم الشفعاء لا الاصنام فينسخ الله ما يلقي الشيطان اي يذهب
به ويبطله ثم يحكم الله اياته اي يثبتها ليجعل ما يلقي الشيطان فتنة للذين في قلوبهم مرض
والقاسية قلوبهم وان الظالمين لفي شقاق بعيد والذين في قلوبهم مرض المنافقون
والشاكون والقاسية قلوبهم المشركون المكذبون وان الظالمين يريد وان هؤلاء المنافقين
والمشركين واصله وانهم فوضع الظاهر موضع الضمير قضاء عليهم بالظلم وليعلم الذين اوتوا العلم انه
الحق من ربك فيؤمنوا به فتخبت له قلوبهم وان الله لهادي الذين امنوا الى صراط مستقيم
انه الحق من ربك اي ليعلموا ان تمكين الشيطان من الالقاء هو الحق من ربك والحكمة وان الله لهادي الذين امنوا
ان يتاولوا ما يتشابه في الدين بالتاويلات الصحيحة ويطلبوا لما اشكل منه المجمل الذي تقتضيه الاصول
المحكمة والقوانين الممهدة حتى لا تلحقهم حيرة ولا تعتريهم شبهة ولا تزل اقدامهم **وقرئ** لهاد
الذين امنوا بالتنوين ولا يزال الذين كفروا في مرية منه حتى تاتيهم الساعة بغتة او ياتيهم
عذاب يوم عقيم الملك يومئذ لله يحكم بينهم فالذين امنوا وعملوا الصالحات في جنات
النعيم والذين كفروا وكذبوا باياتنا فاولئك لهم عذاب مهين الضمير في مرية منه
للقران او للرسول اليوم العقيم يوم بدر وانما وصف يوم الحرب بالعقيم لان اولاد النساء يقتلون
فيه فيصرن كانهن عقم لم يلدن او لان المقاتلين يقال لهم ابناء الحرب فاذا قتلوا وصف يوم الحرب بالعقيم
على سبيل المجاز وقيل هو الذي لا خير فيه يقال ريح عقيم اذا لم تنشئ مطرا ولم تلقح شجرا وقيل لا مثل له

في عظم

في عظم امره لقتال الملائكة فيه وعن الضحاك انه يوم القيمة وان المراد بالساعة مقدماته ويجوز ان يراد
بالساعة وبيوم عقيم يوم القيمة وكانه قيل حتى تاتيهم الساعة او ياتيهم عذابها فوضع يوم عقيم موضع
الضمير **فان قلت** التنوين في يومئذ عن اي جملة تنوب **قلت** تقديره الملك يوم يؤمنون
او يوم تزول مريتهم لقوله تعالى ولا يزال الذين كفروا في مرية منه حتى تاتيهم الساعة والذين هاجروا
في سبيل الله ثم قتلوا او ماتوا ليرزقنهم الله رزقا حسنا وان الله لهو خير الرازقين ليدخلنهم
مدخلا يرضونه وان الله لعليم حليم لما جمعتهم المهاجرة في سبيل الله سوى بينهم في الموعد وان
يعطي من مات منهم مثل ما يعطي من قتل تفضلا منه واحسانا والله عليم بدرجات العاملين ومراتب
استحقاقهم حليم عن تفريط المفرط منهم بفضله وكرمه **روي** ان طوائف من اصحاب رسول الله صلى الله
عليه وسلم قالوا يا نبي الله هؤلاء الذين قتلوا قد علمنا ما اعطاهم الله من الخير ونحن نجاهد معك كما
جاهدنا فما لنا ان متنا معك فانزل الله هاتين الايتين ذلك ومن عاقب بمثل ما عوقب به ثم بغي
عليه لينصرنه الله ان الله لعفو غفور تسمية الابتداء بالجزاء لملابسته له من حيث انه سبب
وذاك مسبب عنه كما يحملون النظير على النظير والنقيض على النقيض للملابسة **فان قلت**
كيف طابق ذكر العفو الغفور هذا الموضع المعاقب مبعوث من جهة الله على الاخلال
بالعقاب والعفو عن الجاني على طريق التنزيه لا التحريم ومندوب اليه ومستوجب عند الله المدح ان
اثر ما ندب اليه وسلك سبيل التنزيه فحين لم يؤثر ذلك وانتصر وعاقب ولم ينظر في قوله تعالى فمن
عفا واصلح فاجره على الله وان تعفوا اقرب للتقوى ولمن صبر وغفر ان ذلك لمن عزم الامور فان الله
لعفو غفور اي لا يلومه على ترك ما بعثه عليه وهو ضامن لنصره في كرته الثانية من اخلاله بالعفو
وانتقامه من الباغي عليه ويجوز ان يضمن له النصر على الباغي ويعرض مع ذلك بما كان اولى به من
العفو ويلوح به بذكر هاتين الصفتين او دل بذكر العفو والمغفرة على انه قادر على العقوبة لانه لا
يوصف بالعفو الا القادر على ضده ذلك بان الله يولج الليل في النهار ويولج النهار في الليل
وان الله سميع بصير ذلك بان الله هو الحق وان ما يدعون من دونه هو الباطل وان الله
هو العلي الكبير ذلك اي ذلك النصر بسبب انه قادر ومن ايات قدرته البالغة انه يولج الليل في النهار
والنهار في الليل او بسبب انه خالق الليل والنهار ومصرفهما فلا يخفى عليه ما يجري فيهما على ايدي عباده
من الخير والشر والبغي والانصاف وانه سميع لما يقولون بصير بما يفعلون **فان قلت** ما معنى
ايلاج احد الملوين في الاخر **قلت** تحصيل ظلمة هذا في مكان ضياء ذاك بغيبوبة الشمس وضياء هذا
ذاك في مكان ظلمة هذا بطلوعها كما يضيء البيت بالسراج ويظلم بفقده وقيل هو زيادته في احدهما
ما ينقص من الاخر من الساعات وقرئ تدعون بالياء والتاء **وقرا** اليماني وان ما يدعون بلفظ
المبني للمفعول والواو راجعة الى ما لانه في معنى الالهة اي ذلك الوصف بخلق الليل والنهار
والاحاطة بما يجري فيهما وادراك كل قول وفعل بسبب انه الله الحق الثابت الالهية وان كل ما
يدعى الها دونه باطل الدعوة وانه لا شيء اعلى منه شانا واكبر منه سلطانا الم تر ان الله انزل
من السماء ماء فتصبح الارض مخضرة ان الله لطيف خبير له ما في السموات وما في الارض وان
الله لهو الغني الحميد قرئ مخضرة اي ذات خضر على مفعلة كمبقلة ومسبعة **فان قلت**
هلا قيل فاصبحت ولم صرف الى لفظ المضارع **قلت** لنكتة فيه وهي افادة بقاء اثر المطر زمانا

بعد زمان كما تقول انعم علي فلان عام كذا فاروح واغدو شاكرا له ولو قلت فرحت وغدوت لم يقع
ذلك الموقع فان قلت فما له رفع ولم ينصب جوابا للاستفهام لو نصب لاعطى ما هو
عكس الغرض لان معناه اثبات الاخضرار فينقلب بالنصب الى نفي الاخضرار مثاله ان تقول لصاحبك
الم تر اني انعمت عليك فتشكر ان نصبته فانت ناف لشكره شاك تفريطه فيه وان رفعته فانت مثبت
للشكر وهذا وامثاله مما يجب ان يرغب له من اتسم بالعلم في علم الاعراب وتوقير اهله لطيف واصل
علمه او فضله الى كل شيء خبير بمصالح الخلق ومنافعهم الم تر ان الله سخر لكم ما في الارض والفلك
تجري في البحر بامره ويمسك السماء ان تقع على الارض الا باذنه ان الله بالناس لرؤف
رحيم ما في الارض من البهائم مذللة للركوب في البر ومن المراكب جارية في البحر وغير ذلك من
سائر المسخرات وقرئ والفلك بالرفع على الابتداء ان تقع كراهة ان تقع الا بمشيئته وهو الذي
احياكم ثم يميتكم ثم يحييكم ان الانسان لكفور وهو الذي احياكم بعد ان كنتم جمادا ترابا ونطفة
وعلقة ومضغة لكفور لجحود لما افاض عليه من ضروب النعم لكل امة جعلنا منسكا هم ناسكوه
فلا ينازعنك في الامر وادع الى ربك انك لعلى هدى مستقيم وان جادلوك فقل الله
اعلم بما تعملون الله يحكم بينكم يوم القيامة فيما كنتم فيه تختلفون الم تعلم ان الله
يعلم ما في السماء والارض ان ذلك في كتاب ان ذلك على الله يسير هو نهي لرسول الله عليه
السلام اي لا تلتفت الى قولهم ولا تمكنهم من ان ينازعوك او هو زجر لهم عن التعرض لرسول الله عليه
السلام بالمنازعة في الدين وهم جهال لا علم عندهم وهم كفار خزاعة روي ان بديل بن ورقاء
وبشر بن سفيان الخزاعيين وغيرهما قالوا للمسلمين ما لكم تاكلون ما قتلتم ولا تاكلون ما قتله
الله يعنون الميتة وقال الزجاج هو نهي له عن منازعتهم كما تقول لا يضاربنك فلان اي لا تضاربه وهذا
جائز في الفعل الذي لا يكون الا بين اثنين في الامر في امر الدين وقيل في امر النسائك وقرئ فلا
ينزعنك اي اثبت في دينك ثباتا لا يطمعون ان يجذبوك ليزيلوك عنه والمراد زيادة التثبيت لرسول
الله عليه السلام بما يهيج حميته ويلهب غضبه لله ولدينه ومنه قوله تعالى ولا يصدنك عن ايات
الله بعد اذ انزلت اليك ولا تكونن من المشركين فلا تكونن ظهيرا للكافرين وهيهات ان ترتع
همة رسول الله عليه السلام حول ذلك الحمى ولكنه وارد على ما قلت لك من ارادة التهييج والالهاب
قال الزجاج هو من نازعته فنزعته انزعه اي غلبته اي لا يغلبنك في المنازعة فان قلت لم جاءت
نظيرة هذه الاية معطوفة بالواو وقد نزعت عن هذه قلت لان تلك وقعت مع ما يدانيها
ويناسبها من الاي الواردة في امر النسائك فعطفت على اخواتها واما هذه فواقعة مع اباعد عن
معناها فلم تجد معطفا اي وان ابوا للجاجهم الا المجادلة بعد اجتهادك ان لا يكون بينك وبينهم
تنازع فادفعهم بان الله اعلم باعمالكم وبقبحها وبما تستحقون عليها من الجزاء فهو مجازيكم به وهذا
وعيد وانذار ولكن برفق ولين الله يحكم بينكم خطاب من الله للمؤمنين والكافرين اي يفصل بينكم
بالثواب والعقاب ومسلاة لرسول الله عليه السلام مما كان يلقى منهم وكيف يخفى عليه ما يعملون
ومعلوم عند العلماء بالله انه يعلم كل ما يحدث في السموات والارض وقد كتبه في اللوح قبل حدوثه
والاحاطة بذلك واثباته وحفظه عليه يسير لان العالم الذات لا يتعذر عليه ولا يمتنع تعلق
بمعلوم ويعبدون من دون الله ما لم ينزل به سلطانا وما ليس لهم به علم وما للظالمين

من

من نصير ويعبدون ما لم يتمسكوا في صحة عبادته ببرهان سماوي من جهة الوحي والسمع ولا الجاهم
اليها علم ضروري ولا حملهم عليها دليل عقلي وما للذين ارتكبوا مثل هذا الظلم من احد ينصرهم ويصوب
مذهبهم واذا تتلى عليهم اياتنا بينات تعرف في وجوه الذين كفروا المنكر يكادون يسطون
بالذين يتلون عليهم اياتنا قل افانبئكم بشر من ذلكم النار وعدها الله الذين كفروا
وبئس المصير المنكر الفظيع من التجهم والبسور او الانكار كالمكرم بمعنى الاكرام وقرئ يعرف
المنكر والسطو الوثب والبطش وقرئ النار بالرفع على انه خبر مبتدا محذوف كان قائلا قال ما هو
فقيل النار اي هو النار وبالنصب على الاختصاص وبالجر على البدل من شر من ذلكم من غيظكم على
التالين وسطوكم عليهم او مما اصابكم من الكراهة والضجر بسبب ما تلي عليكم وعدها الله
استئناف كلام ويحتمل ان تكون النار مبتدا ووعدها خبرا وان تكون حالا عنها اذا نصبتها
او جررتها باضمار قد يا ايها الناس ضرب مثل فاستمعوا له ان الذين تدعون من دون الله لن
يخلقوا ذبابا ولو اجتمعوا له وان يسلبهم الذباب شيئا لا يستنقذوه منه ضعف
الطالب والمطلوب فان قلت الذي جاء به ليس بمثل فكيف سماه مثلا قلت قد سميت
الصفة او القصة الرائعة المتلقاة بالاستحسان والاستغراب مثلا تشبيها لها ببعض الامثال
المسيرة لكونها مستحسنة مستغربة عندهم وقرئ تدعون بالتاء والياء ويدعون مبنيا للمفعول
لن اخت لا في نفي المستقبل الا ان لن تنفيه نفيا مؤكدا وتاكيده هنا الدلالة على ان خلق الذباب
منهم مستحيل مناف لاحوالهم كانه قال محال ان يخلقوا فان قلت ما محل ولو اجتمعوا له قلت
النصب على الحال كانه قال مستحيل ان يخلقوا الذباب مشروطا عليهم اجتماعهم جميعا لخلقه وتعاونهم
عليه وهذا من ابلغ ما انزله الله في تجهيل قريش واستركاك عقولهم والشهادة على ان الشيطان قد
خزمهم بخزائمه حيث وصفوا بالالهية التي تقتضي الاقتدار على المقدورات كلها والاحاطة
بالمعلومات عن اخرها صورا وتماثيل يستحيل منها ان تقدر على اقل ما خلقه الله واذله واصغره
واحقره ولو اجتمعوا لذلك وتساندوا وادل من ذلك على عجزهم وانتفاء قدرتهم ان هذا الخلق
الاقل الاذل لو اختطف منهم شيئا فاجتمعوا على ان يستخلصوه منه لم يقدروا وقوله تعالى ضعف
الطالب والمطلوب كالتسوية بينهم وبين الذباب في الضعف ولو حققت وجدت الطالب اضعف
واضعف لان الذباب حيوان وهو جماد وهو غالب وذلك مغلوب وعن ابن عباس رضي الله
عنهما انهم كانوا يطلونها بالزعفران ورؤسها بالعسل ويغلقون عليها الابواب فيدخل الذباب
من الكوى فياكله ما قدروا الله حق قدره ان الله لقوي عزيز اي ما عرفوه حق معرفته حتى لا
يسموا باسمه من هو منسلخ عن صفاته باسرها ولا يؤهلوه للعبادة ولا يتخذوه شريكا له ان الله
قادر غالب فكيف يتخذ العاجز المغلوب شبيها به الله يصطفي من الملائكة رسلا ومن الناس ان
الله سميع بصير يعلم ما بين ايديهم وما خلفهم والى الله ترجع الامور هذا رد لما انكروه
من ان يكون الرسول من البشر وبيان ان رسل الله على ضربين ملائكة وبشر ثم ذكر انه عز وجل
دراك للمدركات عالم باحوال المكلفين ما مضى منها وما غبر لا يخفى عليه منهم خافية واليه مرجع
الامور كلها والذي هو بهذه الصفات لا يسال عما يفعل وليس لاحد ان يعترض عليه في حكمه
وتدابيره واختيار رسله يا ايها الذين امنوا اركعوا واسجدوا واعبدوا ربكم وافعلوا

الخير لعلكم تفلحون للذكر شأن ليس لغيره من الطاعات وفي هذه السورة دلالات على ذلك فمن ثم دعا المؤمنين أولاً إلى الصلوة التي هي ذكر خالص ثم إلى العبادة بغير الصلوة كالصوم والحج والغزو ثم عمّ بالحث على سائر الخيرات وقيل كان الناس أول ما أسلموا يسجدون بلا ركوع ويركعون بلا سجود فأمروا أن تكون صلوتهم بركوع وسجود وقيل معنى واعبدوا واعبدوا ربكم اقصدوا بركوعكم وسجودكم وجه الله وعن ابن عباس رضي الله عنهما في قوله تعالى وافعلوا الخير صلة الأرحام ومكارم الأخلاق لعلكم تفلحون أي افعلوا هذا كله وأنتم راجون للفلاح طامعون فيه غير مستيقنين ولا تتكلوا على أعمالكم وعن عقبة بن عامر رضي الله عنه قال قلت يا رسول الله في سورة الحج سجدتان قال نعم إن لم تسجدهما فلا تقرأهما وعن عبد الله ابن عمر رضي الله عنهما فضلت سورة الحج بسجدتين وبذلك احتج الشافعي رضي الله عنه فرأى سجدتين في سورة الحج وأبو حنيفة رحمة الله عليه وأصحابه لا يرون فيها إلا سجدة واحدة لأنهم يقولون قرن السجود بالركوع فدل ذلك على أنها سجدة صلوة لا سجدة تلاوة وجاهدوا في الله حق جهاده هو اجتباكم وما جعل عليكم في الدين من حرج ملة أبيكم إبراهيم هو سماكم المسلمين من قبل وفي هذا ليكون الرسول شهيدا عليكم وتكونوا شهداء على الناس فأقيموا الصلوة وآتوا الزكوة واعتصموا بالله هو مولاكم فنعم المولى ونعم النصير وجاهدوا أمر بالغزو وبمجاهدة النفس والهوى وهو جهاد الأكبر عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه رجع من بعض غزواته فقال رجعنا من جهاد الأصغر إلى الجهاد الأكبر في الله أي في ذات الله ومن أجله يقال هو حق عالم وجدّ عالم أي عالم حقا وجدا ومنه حق جهاده **فإن قلت** ما وجه هذه الإضافة وكان القياس حق الجهاد فيه أو حق جهادكم فيه كما قال وجاهدوا في الله **قلت** الإضافة تكون بأدنى ملابسة واختصاص فلما كان الجهاد مختصا بالله من حيث أنه مفعول لوجهه ومن أجله صحت إضافته إليه ويجوز أن يتسع في الظرف **كقوله** ويوم شهدناه سليما وعامرا اجتباكم اختاركم لدينه ولنصرته ما جعل عليكم في الدين من حرج فتح باب التوبة للمجرمين وفسح بأنواع الرخص والكفارات والديات والأروش ونحوه قوله تعالى يريد الله بكم اليسر ولا يريد بكم العسر وأمة محمد عليه السلام هي الأمة المرحومة الموسومة بذلك في الكتب المتقدمة نصب الملة بمضمون ما تقدمها كأنه قيل وسع دينكم توسعة ملة أبيكم ثم حذف المضاف وأقام المضاف إليه مقامه أو على الاختصاص أي أعني بالدين ملة أبيكم كقولك الحمد لله الحميد **فإن قلت** لم يكن إبراهيم أبا للأمة كلها **قلت** هو أبو رسول الله صلى الله عليه وسلم فكان أبا لأمته لأن أمة الرسول في حكم أولاده هو يرجع إلى الله تعالى وقيل إلى إبراهيم ويشهد للقول الأول قراءة أبي بن كعب رضي الله عنه الله سماكم من قبل وفي هذا أي من قبل القرآن في سائر الكتب وفي القرآن أي فضلكم على الأمم وسماكم بهذا الاسم الأكرم ليكون الرسول شهيدا عليكم أنه قد بلغكم وتكونوا شهداء على الناس بأن الرسل قد بلغتهم وإذ خصكم بهذه الكرامة والأثرة فاعبدوه وثقوا به ولا تطلبوا النصرة والولاية إلا منه فهو خير مولى وناصر عن النبي صلى الله عليه وسلم من قرأ سورة الحج أعطي من الأجر كحجة حجها وعمرة اعتمرها بعدد من حج واعتمر فيما مضى وفيما بقي

منزيج م

بسم الله الرحمن الرحيم قد أفلح المؤمنون الذين هم في صلوتهم خاشعون والذين هم عن اللغو معرضون والذين هم للزكوة فاعلون والذين هم لفروجهم حافظون إلا على أزواجهم أو ما ملكت أيمانهم فإنهم غير ملومين قد نقيضة لما هي تثبت المتوقع ولما تنفيه ولا شك أن المؤمنين كانوا متوقعين لمثل هذه البشارة وهي الإخبار بثبات الفلاح لهم فخوطبوا بما دل على ثبات ما توقعوه والفلاح الظفر بالمراد وقيل البقاء في الخير وأفلح دخل في الفلاح كأبشر دخل في البشارة ويقال أفلحه أصاره إلى الفلاح وعليه قراءة طلحة بن مصرف أفلح على البناء للمفعول وعنه أفلحوا على أكلوني البراغيث أو على الإبهام والتفسير وعنه أفلح بضمة بغير واو اجتزاء بها عنها **كقوله** فلو أن الأطبا كان حولي

فإن قلت ما المؤمن **قلت** هو في اللغة المصدق وأما في الشريعة فقد اختلف فيه على قولين أحدهما أن كل من نطق بالشهادتين مواطئا قلبه لسانه فهو مؤمن والآخر أنه صفة مدح لا يستحقها إلا البر التقي دون الفاسق الخشوع في الصلوة خشية القلب وإلباد البصر عن قتادة وهو إلزامه موضع السجود وعن النبي صلى الله عليه وسلم أنه كان يصلي رافعا بصره إلى السماء فلما نزلت هذه الآية رمى ببصره نحو مسجده وكان الرجل من العلماء إذا قام إلى الصلوة هاب الرحمن أن يشد بصره إلى شيء أو يحدث نفسه بشأن من شأن الدنيا وقيل هو جمع الهمة لها والإعراض عما سواها ومن الخشوع أن يستعمل الآداب فيتوقى كف الثوب والعبث بجسده وثيابه والالتفات والتمطي والتثاؤب والتغميض وتغطية الفم والسدل والفرقعة والتشبيك والاختصار وتقليب الحصى روي عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه أبصر رجلا يعبث بلحيته في الصلوة فقال لو خشع قلبه خشعت جوارحه ونظر الحسن إلى رجل يعبث بالحصى وهو يقول اللهم زوجني الحور العين فقال بئس الخاطب أنت تخطب وأنت تعبث **فإن قلت** لم أضيفت الصلوة إليهم **قلت** لأن الصلوة دائرة بين المصلي والمصلى له فالمصلي هو المنتفع بها وحده وهي عدته وذخيرته فهي صلوته وأما المصلى له فغني متعال عن الحاجة إليها والانتفاع بها اللغو ما لا يعنيك من قول أو فعل كاللعب والهزل وما توجب المروءة إلغاءه واطراحه يعني أن بهم من الجد ما يشغلهم عن الهزل لما وصفهم بالخشوع في الصلوة أتبعه الوصف بالإعراض عن اللغو ليجمع لهم الفعل والترك الشاقين على الأنفس اللذين هما قاعدتا بناء التكليف الزكوة اسم مشترك بين عين ومعنى فالعين القدر الذي يخرجه المزكي من النصاب إلى الفقير والمعنى فعل المزكي الذي هو التزكية وهو الذي أراده الله فجعل المزكين فاعلين له ولا يسوغ فيه غيره لأنه ما من مصدر إلا يعبر عن معناه بالفعل ويقال لمحدثه فاعل تقول للضارب فاعل الضرب وللقاتل فاعل القتل وللمزكي فاعل التزكية وعلى هذا الكلام كله والتحقيق فيه أنك تقول في جميع الحوادث من فاعل هذا فيقال لك فاعله الله أو بعض الخلق ولم يمتنع الزكوة الدالة على العين أن يتعلق بها فاعلون لخروجها من صحة أن يتناولها الفاعل ولكن لأن الخلق ليسوا بفاعليها **وقد** أنشد لأمية بن أبي الصلت المطعمون الطعام في السنة الأزمة والفاعلون للزكوات ويجوز أن يراد بالزكوة العين ويقدر مضاف محذوف وهو الأداء وحمل البيت على هذا أصح لأنها فيه مجموعة على أزواجهم في موضع الحال أي إلا والين على أزواجهم أو قوامين عليهن من قولك كان فلان على فلانة فمات عنها فخلف عليها فلان ونظيره كان زياد على البصرة أي واليا عليها ومنه قولهم فلانة تحت فلان ومن ثم سميت المرأة فراشا والمعنى أنهم لفروجهم حافظون في كافة الأحوال إلا في حال تزوجهم أو تسريهم

او تعلق على بمحذوف يدل عليه غير ملومين كانه قيل يلامون الا على ازواجهم اى يلامون على كل مباشر
الا على ما اطلق لهم فانهم غير ملومين عليه او تجعله صلة لحافظين من قولك احفظ على عنان وتضمينه
معنى النفي كما ضمن قولهم نشدتك بالله الا فعلت معنى ما طلبت منك الا فعلك **فان قلت**
هلا قيل من ملكت **قلت** لانه اريد من جنس العقلاء ما يجرى مجرى غير العقلاء وهم الاناث جعل
المستثنى حدا اوجب الوقوف عنده **فمن ابتغى وراء ذلك فاولئك هم العادون والذين هم**
لاماناتهم وعهدهم راعون والذين هم على صلواتهم يحافظون اولئك هم الوارثون
الذين يرثون الفردوس هم فيها خالدون ثم قال فمن احدث ابتغاء وراء ذلك هذا الحد
مع فسحته واتساعه وهو اباحة اربع من الحرائر ومن الاماء ما شئت فاولئك هم الكاملون في العدوان
المتناهون فيه **فان قلت** هل فيه دليل على تحريم المتعة قلت لا لان المنكوحة نكاح المتعة
من جملة الازواج اذا صح النكاح وقرئ لاماناتهم سمى الشيء المؤتمن عليه والمعاهد عليه امانة وعهدا
ومنه قوله تعالى ان الله يامركم ان تؤدوا الامانات الى اهلها وقال تعالى وتخونوا اماناتكم وانما
تؤدى العيون لا المعاني ويخان المؤتمن عليه لا الامانة في نفسها والراعي القائم على الشيء بحفظ واصلاح
كراعي الغنم وراعي الرعية ويقال من راعي هذا الشيء اى متوليه وصاحبه ويحتمل العموم في كل ما ائتمنوا
عليه وعوهدوا من جهة الله عز وجل ومن جهة الخلق والخصوص فيما حملوه من امانات الناس وعهودهم
وقرئ على صلاتهم **فان قلت** كيف كرر ذكر الصلوة اولا واخرا **قلت** هما ذكران مختلفان فليس
بتكرير وصفوا اولا بالخشوع في صلاتهم واخرا بالمحافظة عليها وذلك ان لا يسهوا عليها ويؤدوها
في اوقاتها ويقيموا اركانها ويوكلوا نفوسهم بالاهتمام بها وبما ينبغي ان تتم به اوصافها وايضا
فقد وحدت اولا ليفاد الخشوع في جنس الصلوة اى صلوة كانت وجمعت اخرا لتفاد المحافظة على اعدادها
وهي الصلوات الخمس والوتر والسنن المرتبة مع كل صلوة وصلوة الجمعة والعيدين والجنازة
والاستسقاء والكسوف والخسوف وصلوة الضحى والتهجد وصلوة التسبيح وصلوة الحاجة
وغيرها من النوافل اى اولئك الجامعون لهذه الاوصاف هم الوارثون الاحقاء بان يسموا وراثا دون
من عداهم ثم ترجم الوارثين بقوله تعالى الذين يرثون الفردوس فجاء بفخامة وجزالة لارثهم لا تخفى
على الناظر ومعنى الارث ما مر في سورة مريم انث الفردوس على تاويل الجنة وهو البستان الواسع
الجامع لاصناف الثمر **وروى** ان الله عز وجل بنى جنة الفردوس لبنة من ذهب ولبنة من فضة
وجعل خلالها المسك الاذفر وفي رواية ولبنة من مسك مذرى وغرس فيها من جيد الفاكهة وجيد
الريحان **ولقد خلقنا الانسان من سلالة من طين ثم جعلناه نطفة في قرار مكين ثم**
خلقنا النطفة علقة فخلقنا العلقة مضغة فخلقنا المضغة عظاما فكسونا العظام
لحما ثم انشاناه خلقا اخر فتبارك الله احسن الخالقين السلالة الخلاصة لانها تسل من بين
الكدر وفعالة بناء للقلة كالقلامة والقمامة وعن الحسن ما بين ظهرانى الطين **فان قلت** ما الفرق
بين من ومن **قلت** الاول للابتداء والثاني للبيان كقوله تعالى من الاوثان فان قلت ما معنى جعلنا
الانسان نطفة قلت معناه انه خلق جوهر الانسان اولا طينا ثم جعل جوهره بعد ذلك نطفة في القرار
المستقر والمراد الرحم وصفت بالمكانة التي هي صفة المستقر فيها كقوله طريق سائر او بمكانتها في
نفسها لانها مكنت بحيث هي واحرزت **قرئ** عظما فكسونا العظم وعظاما فكسونا العظام وعظما

فكسونا العظام وعظاما فكسونا العظم وضع الواحد مكان الجمع لزوال اللبس لان الانسان ذو عظام
كثيرة خلقا اخر اى خلقا مباينا للخلق الاول مباينة ما ابعدها حيث جعله حيوانا وكان جمادا وناطقا وكان
ابكم وسميعا وكان اصم وبصيرا وكان اكمه واودع باطنه وظاهره بل كل عضو من اعضائه وكل جزء
من اجزائه عجائب فطرة وغرائب حكمة لا تدرك بوصف الواصف ولا تبلغ بشرح الشارح وقد احتج به ابو
حنيفة رحمة الله عليه فيمن غصب بيضة فافرخت عنده قال يضمن البيضة ولا يرد الفرخ لانه خلق
اخر سوى البيضة فتبارك الله فتعالى امره في قدرته وعلمه احسن الخالقين اى احسن المقدرين
تقديرا فترك ذكر المميز لدلالة الخالقين عليه ونحوه طرح المأذون فيه في قوله تعالى اذن للذين
يقاتلون لدلالة الصلة وروى عن عمر رضى الله عنه ان رسول الله صلى الله عليه وسلم لما بلغ
قوله تعالى خلقا اخر قال فتبارك الله احسن الخالقين **وروى** ان عبد الله بن سعد بن ابي سرح
كان يكتب لرسول الله صلى الله عليه وسلم فنطق بذلك قبل املائه فقال له رسول الله عليه السلام
اكتب هكذا نزلت فقال عبد الله ان كان محمد نبيا يوحى اليه فانا نبي يوحى الى فلحق بمكة كافرا ثم اسلم
يوم الفتح **ثم انكم بعد ذلك لميتون ثم انكم يوم القيمة تبعثون** **قرا** ابن ابي عبلة وابن
محيصن لمائتون والفرق بين الميت والمائت ان الميت كالحي صفة ثابتة واما المائت فيدل على الحدوث
تقول زيد مائت الان ومائت غدا كقولك يموت ونحوهما ضيق وضائق في قوله عز وجل وضائق به
صدرك جعل الاماتة التي هي اعدام الحيوة والبعث الذي هو اعادة ما يفنيه ويعدمه دليلين
ايضا على اقتدار عظيم بعد الانشاء والاختراع **فان قلت** فاذن لا حيوة الا حيوة الانشاء
وحيوة البعث ليس في ذكر الحيوتين نفي الثالثة وهي حيوة القبر كما لو ذكرت ثلثي ما
عندك وطويت ذكر ثلثه لم يكن دليلا على ان الثلث ليس عندك وايضا فالغرض ذكر هذه
الاجناس الثلاثة الانشاء والاماتة والاعادة والمطوى ذكرها من جنس الاعادة **ولقد خلقنا**
فوقكم سبع طرائق وما كنا عن الخلق غافلين الطرائق السموات لانه طورق بعضها فوق بعض
كمطارقة النعل وكل شيء فوقه مثله فهو طريقة او لانها طرق الملائكة ومتقلباتهم وقيل
الافلاك لانها طرائق الكواكب فيها مسيرها اراد بالخلق السموات كانه قال خلقناها فوقهم
وما كنا عنها غافلين وعن حفظها وامساكها ان تقع فوقهم بقدرتنا او اراد به الناس وانه انما
خلقها فوقهم ليفتح عليهم الارزاق والبركات منها وينفعهم منها بانواع منافعها وما كان غافلا عنهم
وما يصلحهم **وانزلنا من السماء ماء بقدر فاسكناه في الارض وانا على ذهاب به لقادرون**
بقدر بتقدير يسلمون معه من المضرة ويصلون الى المنفعة او بمقدار ما علمنا من حاجاتهم ومصالحهم
فاسكناه في الارض كقوله تعالى فسلكه ينابيع في الارض وقيل جعلناه ثابتا في الارض وقيل انها خمسة
انهار سيحون نهر الهند وجيحون نهر بلخ ودجلة والفرات نهرا العراق والنيل نهر مصر انزلها الله
من عين واحدة من عيون الجنة فاستودعها الجبال واجراها في الارض وجعل فيها منافع للناس في اصناف
معايشهم وكما قدر على انزاله فهو قادر على رفعه وازالته وقوله تعالى على ذهاب به من اوقع النكرات
واحزها للمفصل والمعنى على وجه من وجوه الذهاب به وطريق من طرقه وفيه ايذان باقتدار المذهب
وانه لا يتعايا عليه شيء اذا اراده وهو ابلغ في الايعاد من قوله عز وجل قل ارايتم ان اصبح ماؤكم غورا
فمن ياتيكم بماء معين فعلى العباد ان يستعظموا النعمة في الماء ويقيدوها بالشكر الدائم ويخافوا نفارها

اذا اثمر تشكرو وانشانا لكم به جنات من نخيل واعناب لكم فيها فواكه كثيرة ومنها تاكلون ٥
خص هذه الانواع الثلاثة لانها اكرم الشجر وافضلها واجمعها للمنافع ووصف النخل والعنب بان ثمرهما
جامع بين امرين انه فاكهة يتفكه بها وطعام يؤكل رطبا ويابسا رطبا وعنبا وتمرا وزبيبا والزيتون
بان دهنه صالح للاستصباح والاصطباغ جميعا ٥ ويجوز ان يكون قوله ومنها تاكلون من قولهم فلان
ياكل فلان من حرفة يحترفها ومن صنعة يعملها ومن تجارة يتربح بها يعنون انها طعمته وجهته التى
منها يحصل رزقه كانه قال وهذه الجنات وجوه ارزاقكم ومعايشكم منها ترتزقون وتتعيشون ٥
وشجرة تخرج من طور سيناء تنبت بالدهن وصبغ للآكلين ٥ وشجرة عطف على جنات ٥ وقرئ مرفوعة
على الابتداء اى ومما انشئ لكم شجرة طور سيناء ٥ وطور سينين لا يخلو اما ان يضاف فيه الطور الى بقعة
اسمها سيناء وسينون ٥ واما ان يكون اسما للجبل مركبا من مضاف ومضاف اليه كامرئ القيس وبعل
بك فيمن اضاف فمن كسر سين سيناء فقد منع الصرف للتعريف والعجمة او التانيث لانها بقعة وفعلا
لا يكون الفه للتانيث كعلباء وحرباء ٥ ومن فتح فلم يصرف لان الالف للتانيث كصحراء ٥ وقيل هو جبل
فلسطين ٥ وقيل بين مصر وايلة ٥ ومنه نودى موسى وقرا الاعمش سينا على القصر بالدهن فى
موضع الحال اى تنبت وفيها الدهن ٥ وقرئ تنبت وفيه وجهان ٥ احدهما ان انبت بمعنى نبت وانشد
لزهير ٥ رايت ذوى الحاجات حول بيوتهم ٥ قطينا لهم حتى اذا انبت البقل ٥ والثانى ان مفعوله
محذوف اى تنبت زيتونها وفيه الزيت وقرئ تنبت بضم التاء وفتح الباء وحكمه حكم تنبت ٥
وقرا ابن مسعود رضى الله عنه تخرج الدهن وصبغ الآكلين ٥ وغيره تخرج بالدهن ٥ وفى حرف ابى
تثمر بالدهن ٥ وعن بعضهم تنبت بالدهان ٥ وقرا الاعمش وصبغا ٥ وقرئ وصباغ ونحوهما دبغ
ودباغ ٥ والصبغ الغمس للايتدام ٥ وقيل هى اول شجرة نبتت بعد الطوفان ووصفها الله تعالى بالبركة
فى قوله تعالى يوقد من شجرة مباركة وان لكم فى الانعام لعبرة نسقيكم مما فى بطونها ولكم
فيها منافع كثيرة ومنها تاكلون وعليها وعلى الفلك تحملون وقرئ تسقيكم بتاء مفتوحة
اى تسقيكم الانعام ٥ ومنها تاكلون اى يتعلق بها منافع من الركوب والحمل وغير ذلك كما لا تتعلق بما
لا يؤكل لحمه من البغال والحمير والخيل وفيها منفعة زائدة وهى الاكل الذى هو انتفاع بذواتها
والقصد بالانعام الى الابل لانها هى المحمول عليها فى العادة وقرنها بالفلك التى هى السفاين
لانها سفاين البر قال ذو الرمة سفينة برتحت خدى زمامها ٥ يريد صيدحه ولقد
ارسلنا نوحا الى قومه فقال يا قوم اعبدوا الله ما لكم من اله غيره افلا تتقون ٥ غيره
بالرفع على المحل وبالجر على اللفظ والجملة استيناف تجرى مجرى التعليل للامر بالعبادة ٥ افلا
تتقون افلا تخافون ان ترفضوا عبادة الله الذى هو ربكم وخالقكم ورازقكم وشكر نعمته
التى لا تحصونها واجب عليكم ثم تذهبوا فتعبدوا غيره مما ليس من استحقاق العبادة فى شئ فقال
الملأ الذين كفروا من قومه ما هذا الا بشر مثلكم يريد ان يتفضل عليكم ولو شاء الله
لانزل ملائكة ما سمعنا بهذا فى آبائنا الاولين ٥ ان يتفضل عليكم ان يطلب الفضل عليكم
ويرأسكم كقوله تعالى وتكون لكما الكبرياء فى الارض ٥ بهذا اشارة الى نوح عليه السلام او الى ما
كلمهم به من الحث على عبادة الله اى ما سمعنا بمثل هذا الكلام ٥ او بمثل هذا الذى يدعى وهو
بشر انه رسول الله وما اعجب شان الضلال لم يرضوا للنبوة ببشر وقد رضوا للالهية بحجر وقولهم

ما سمعنا بهذا يدل على انهم واباءهم كانوا فى فترة متطاولة ٥ او تكذبوا فى ذلك لانهماكهم فى الغى وتشمرهم لان
يدفعوا الحق بما امكنهم وبما عن لهم من غير تمييز منهم بين صدق وكذب ان هو الا رجل به جنة
فتربصوا به حتى حين ٥ الا ترى الى كيف جننوه وقد علموا انه ارجح الناس عقلا واوزنهم قولا ٥ والجنة
الجنون او الجن اى به جن يخبلونه ٥ حتى حين اى احتملوه واصبروا عليه الى زمان حتى ينجلى امره عن عاقبة
فان افاق من جنونه والا قتلتموه قال رب انصرنى بما كذبون ٥ فى نصرته اهلاكهم فكانه قال
اهلكهم بسبب تكذيبهم اياى او انصرنى بدل ما كذبون كما تقول هذا بذاك اى بدل ذاك ومكانه
والمعنى ابدلنى من غم تكذيبهم سلوة النصرة عليهم ٥ او انصرنى بانجاز ما وعدتهم من العذاب وهو ما كذبوه
فيه حين قال لهم انى اخاف عليكم عذاب يوم عظيم فاوحينا اليه ان اصنع الفلك باعيننا ووحينا
فاذا جاء امرنا وفار التنور ٥ باعيننا بحفظنا وكلائتنا كان معه من الله حفاظا يكلاونه بعيونهم لئلا
يتعرض له ولا يفسد عليه مفسد عمله ٥ ومنه قولهم عليه من الله عين كالئة ٥ ووحينا اى نامرك كيف تصنع
ونعلمك روى انه اوحى اليه ان يصنعها على مثال جؤجؤ الطائر ٥ روى انه قيل لنوح عليه السلام اذا
رايت الماء يفور من التنور فاركب انت ومن معك فى السفينة فلما نبع الماء من التنور اخبرته امراته
فركب ٥ وقيل كان تنور آدم وكان من حجارة فصار الى نوح ٥ واختلف فى مكانه فعن الشعبى فى مسجد الكوفة
عن يمين الداخل مما يلى باب كندة وكان نوح عمل السفينة وسط المسجد ٥ وقيل بالشام بموضع يقال
له عين وردة ٥ وقيل بالهند ٥ وعن ابن عباس رضى الله عنه التنور وجه الارض ٥ وعن قتادة اشرف
موضع فى الارض اى اعلاه ٥ وعن على رضى الله عنه فار التنور طلع الفجر ٥ وقيل معناه ان فوران التنور
كان عند تنوير الفجر ٥ وقيل هو مثل كقولهم حمى الوطيس والقول هو الاول فاسلك فيها من كل زوجين
اثنين واهلك الا من سبق عليه القول منهم ولا تخاطبنى فى الذين ظلموا انهم مغرقون ٥
يقال سلك فيه دخله وسلك غيره واسلكه قال حتى اذا اسلكوهم فى قتايدة ٥ من كل زوجين من كل
امتى زوجين وهما امة الذكر وامة الانثى كالجمال والنوق والحصن والرماك ٥ اثنين واحدين مزدوجين
كالجمل والناقة والحصان والرمكة ٥ روى انه لم يحمل الا ما يلد ويبيض ٥ وقرئ من كل بالتنوين اى من
كل امة زوجين واثنين تاكيد وزيادة بيان جئ بعلى مع سبق الضار كما جئ باللام مع سبق النافع قال الله
تعالى ان الذين سبقت لهم منا الحسنى ٥ ولقد سبقت كلمتنا لعبادنا المرسلين ونحوه قوله تعالى لها ما
كسبت وعليها ما اكتسبت ٥ وقول عمر رضى الله عنه ليتها كانت كفافا لا على ولا لى فان قلت لم
نهاه عن الدعاء لهم بالنجاة قلت لما تضمنته الاية من كونهم ظالمين وايجاب الحكمة ان يغرقوا لا محالة
لما عرف من المصلحة فى اغراقهم والمفسدة فى استبقائهم فاذا استويت انت ومن معك على الفلك ٥
فقل الحمد لله الذى نجانا من القوم الظالمين ٥ وبعد ان املى لهم الدهر المتطاول فلم يزيدوا الا
ضلالا ولزمتهم الحجة البالغة لم يبق الا ان يجعلوا عبرة للمعتبرين ولقد بالغ فى ذلك حيث امر النبى
منه الامر بالحمد على هلاكهم والنجاة منهم كقوله تعالى فقطع دابر القوم الذين ظلموا والحمد لله رب
العالمين وقل رب انزلنى منزلا مباركا وانت خير المنزلين ٥ ثم امره ان يدعوه بدعاء هو اهم وانفع له
وهو طلب ان ينزله فى السفينة او فى الارض عند خروجه منها منزلا يبارك له فيه ويعطيه الزيادة فى
خير الدارين وان يشفع الدعاء بالثناء عليه المطابق لمسالته وهو قوله تعالى وانت خير المنزلين ٥
فان قلت هلا قيل فقولوا لقوله تعالى فاذا استويت انت ومن معك لانه فى معنى فاذا استويتم

قلت لانه تنبيه وانما مصيرهم فكان قوله قوهم مع ما فيه من الاشعار بفضل النبوة واظهار كبرياء الربوبية
وان رتبة تلك المخاطبة لا يترقى اليها الا ملك او نبي • وقرئ منزلا بمعنى انزالا او موضع انزال كقوله
تعالى ليدخلنهم مدخلا يرضونه ان في ذلك لايات وان كنا لمبتلين • ان هي المخففة من الثقيلة واللام
هي الفارقة بين النافية وبينها والمعنى وان الشان والقصة كنا مبتلين اي مصيبين قوم نوح ببلاء عظيم
وعقاب شديد • او مختبرين بهذه الايات عبادنا لننظر من يعتبر ويذكر كقوله تعالى ولقد تركناها اية
فهل من مدكر ثم انشانا من بعدهم قرنا اخرين • قرنا اخرين هم عاد قوم هود عليه السلام عن ابن
عباس رضي الله عنهما وتشهد له حكاية الله قول هود واذكروا اذ جعلكم خلفاء من بعد قوم نوح ومجي
قصة هود على اثر قصة نوح في سورة الاعراف وسورة هود والشعراء فارسلنا فيهم رسولا منهم ان اعبدوا
الله ما لكم من اله غيره افلا تتقون فان قلت حق ارسل ان يعدى بالى كاخواته التي هي وجه
وانفذ وبعث فما باله عدي في القران بالى تارة وبفي اخرى كقوله تعالى كذلك ارسلناك في امة • وما
ارسلنا في قرية من نذير • فارسلنا فيهم رسولا اي في عاد وفي موضع اخر والى عاد اخاهم هودا قلت
لم يعد بفي كما عدي بالى ولم يجعل صلة مثله ولكن الامة او القرية جعلت موضعا للارسال كما قال
رؤبة • ارسلت فيها مصعبا ذا اقحام • وقد جاء بعث على ذلك في قوله تعالى ولو شئنا لبعثنا في كل قرية
نذيرا • ان مفسرة لارسلنا اي قلنا لهم على لسان الرسول اعبدوا الله وقال الملا من قومه الذين
كفروا وكذبوا بلقاء الاخرة واترفناهم في الحيوة الدنيا ما هذا الا بشر مثلكم ياكل مما تاكلون
منه ويشرب مما تشربون فان قلت ذكر مقال قوم هود في جوابه في سورة الاعراف وسورة
هود بغير واو وقال الملا الذين كفروا من قومه انا لنراك في سفاهة • قالوا يا هود ما جئتنا ببينة وما
ههنا مع الواو فاي فرق بينهما الذي بغير واو على تقدير سؤال سائل قال فما ذا قال قومه
فقيل له قالوا كيت وكيت • واما الذي مع الواو فعطف لما قالوه على ما قاله ومعناه انه اجتمع في
الحصول هذا الحق وهذا الباطل وشتان ما هما • بلقاء الاخرة بلقاء ما فيها من الحساب والثواب والعقاب
كقولك يا حبذا جوار مكة اي جوار الله في مكة • حذف الضمير والمعنى من مشروبكم او حذف منه
لدلالة ما قبله عليه ولئن اطعتم بشرا مثلكم انكم اذا لخاسرون • ايعدكم انكم اذا متم وكنتم
ترابا وعظاما انكم مخرجون • اذن واقع في جزاء الشرط وجواب للذين قاولوهم من قومهم اي تخسرون
عقولكم وتغبنون في ارائكم ثنى انكم للتوكيد وحسن ذلك لفصل ما بين الاول والثاني بالظرف
ومخرجون خبر عن الاول • او جعل انكم مخرجون مبتدا واذا متم خبرا على معنى اخراجكم اذا متم ثم
اخبر بالجملة عن انكم • او رفع انكم مخرجون بفعل هو جزاء للشرط كانه قيل اذا متم وقع اخراجكم ثم اوقعت
الجملة الشرطية خبرا عن انكم • وفي قراءة ابن مسعود رضي الله عنه ايعدكم اذا متم هيهات هيهات
لما توعدون • قرئ هيهات بالفتح والكسر والضم كلها بتنوين وبلا تنوين وبالسكون على لفظ الوقف
فان قلت ما توعدون هو المستبعد ومن حقه ان يرتفع بهيهات كما ارتفع في قوله فهيهات هيهات
العقيق واهله • فما هذه اللام قلت قال الزجاج في تفسيره البعد لما توعدون او بعد لما توعدون
فيمن نون فنزله منزلة المصدر • وفيه وجه اخر وهو ان تكون اللام لبيان المستبعد ما هو بعد التصويت
بكلمة الاستبعاد كما جاءت اللام في هيت لك لبيان المهيت به ان هي الا حيوتنا الدنيا نموت ونحيا
وما نحن بمبعوثين • هذا ضمير لا يعلم ما يعنى به الا بما يتلوه من بيانه واصله ان الحيوة الا حيوتنا الدنيا

ثم وضع هي موضع الحيوة لان الخبر يدل عليها ويبينها • ومنه هي النفس تحمل ما حملت وهي العرب تقول
ما شاءت والمعنى لا حيوة الا هذه الحيوة لان ان النافية دخلت على هي التي في معنى الحيوة الدالة على الجنس فنفتها
فوازنت لا التي نفت ما بعدها نفي الجنس نموت ونحيا اي يموت بعض ويولد بعض ينقرض قرن ويأتي
قرن اخر ان هو الا رجل افترى على الله كذبا وما نحن له بمؤمنين قال رب انصرني بما كذبون •
قال عما قليل ليصبحن نادمين • ثم قالوا ما هو الا مفتر على الله فيما يدعيه من استنبائه له وفيما
يعدنا من البعث • وما نحن بمصدقين • قليل صفة للزمان كقديم وحديث في قولك ما رايته قديما ولا
حديثا وفي معناه عن قريب وما توكيد لمعنى قلة المدة وقصرها فاخذتهم الصيحة بالحق فجعلناهم
غثاء فبعدا للقوم الظالمين • الصيحة صيحة جبريل عليه السلام صاح عليهم فدمرهم بالحق بالوجوب
لانهم قد استوجبوا الهلاك • او بالعدل من الله من قولك فلان يقضي بالحق اذا كان عادلا في قضاياه
شبههم في دمارهم بالغثاء وهو حميل السيل مما بلي واسود من الورق والعيدان ومنه قوله تعالى
فجعله غثاء احوى • وقد جاء مشددا في قول امرئ القيس • من السيل والغثاء فلكة مغزل • بعدا وسحقا
ودفرا ونحوها مصادر موضوعة مواضع افعالها وهي من جملة المصادر التي قال سيبويه نصبت بافعال
لا يستعمل اظهارها ومعنى بعدا بعدوا اي هلكوا يقال بعد بعدا وبعدا نحو رشد رشدا ورشدا وللقوم
الظالمين بيان لمن دعي عليه بالبعد نحو هيت لك ولما توعدون ثم انشانا من بعدهم قرونا اخرين
ما تسبق من امة اجلها وما يستاخرون • قرونا قوم صالح ولوط وشعيب وغيرهم عليهم السلام •
وعن ابن عباس رضي الله عنهما بني اسرائيل • اجلها الوقت الذي حد لهلاكها وكتب ثم ارسلنا رسلنا
تترى كلما جاء امة رسولها كذبوه فاتبعنا بعضهم بعضا وجعلناهم احاديث فبعدا لقوم
لا يؤمنون • تترى فعلى الالف للتانيث لان الرسل جماعة وقرئ تترى بالتنوين والتاء بدل من
الواو كما في تولج وتيقور اي متواترين واحدا بعد واحد من الوتر وهو الفرد اضاف الرسل اليه والى امهم
ولقد جاءتهم رسلنا بالبينات • ولقد جاءتهم رسلهم بالبينات لان الاضافة تكون بالملابسة والرسول
ملابس المرسل والمرسل اليه جميعا • فاتبعنا الامم والقرون بعضهم بعضا في الاهلاك وجعلناهم اخبارا
يسمر بها ويتعجب منها • والاحاديث تكون اسم جمع للحديث ومنه احاديث رسول الله عليه السلام ويكون
جمعا للاحدوثة التي هي مثل الاضحوكة والالعوبة والاعجوبة وهي ما يتحدث به الناس تلهيا وتعجبا وهو
المراد ههنا ثم ارسلنا موسى واخاه هرون باياتنا وسلطان مبين الى فرعون وملائه
فاستكبروا وكانوا قوما عالين فان قلت ما المراد بالسلطان المبين قلت يجوز ان تراد
العصا لانها كانت ام ايات موسى واولاها وقد تعلقت بها معجزات شتى من انقلابها حية وتلقفها ما
افكته السحرة وانفلاق البحر وانفجار العيون من الحجر بضربهما بها وكونها حارسا وشمعة وشجرة خضراء
مثمرة ودلوا ورشاء فجعلت كانها ليست بعضها لما استبدت به من الفضل فلذلك عطفت عليها كقوله
تعالى وجبريل وميكال • ويجوز ان تراد الايات انفسها اي هي ايات وحجة بينة • عالين متكبرين ان فرعون
علا في الارض • لا يريدون علوا في الارض • او متطاولين على الناس قاهرين بالبغي والظلم فقالوا
انؤمن لبشرين مثلنا وقومهما لنا عابدون فكذبوهما فكانوا من المهلكين • والبشر يكون
واحدا وجمعا • بشرا سويا • لبشرين • فاما ترين من البشر • ومثل وغير يوصف بهما الاثنان والجمع
والمذكر والمؤنث • انكم اذا مثلهم • ومن الارض مثلهن • ويقال ايضا هما مثلاه وهم امثاله ان الذين

تدعون من دون الله عباد امثالكم • وقومهما يعني بني اسرائيل كانهم يعبدوننا خضوعا وتذللا • او لانه كان
يدعي الالهية فادعى للناس العبادة وان طاعتهم له عبادة على الحقيقة • ولقد اتينا موسى الكتاب
لعلهم يهتدون • موسى الكتاب اى قوم موسى التورية لعلهم يعملون بشرائعها ومواعظها كما قال
على خوف من فرعون وملائهم يريد آل فرعون وكما يقولون هاشم وثقيف وتميم ويراد قومهم ولا
يجوز ان يرجع الضمير في لعلهم الى فرعون وملائه لان التورية انما اوتيها بنو اسرائيل بعد اغراق فرعون
وملائه • ولقد اتينا موسى الكتاب من بعد ما اهلكنا القرون الاولى وجعلنا ابن مريم وامه آية
وآويناهما الى ربوة ذات قرار ومعين فان قلت لو قيل آيتين هل كان يكون له وجه قلت
نعم لان مريم ولدت من غير مسيس وعيسى روح من الله القى اليها وقد تكلم في المهد وكان يحيى الموتى
مع معجزات اخر فكان آية من غير وجه واللفظ محتمل للتثنية على تقدير وجعلنا ابن مريم آية وامه آية
ثم حذفت الاولى لدلالة الثانية عليها • الربوة والرباوة في رائهما الحركات وقرئ ربوة ورباوة بالضم
ورباوة بالكسر وهي الارض المرتفعة • وقيل هي ايليا ارض بيت المقدس وانها كبد الارض واقرب الارض
الى السماء بثمانية عشر ميلا عن كعب • وقيل دمشق وغوطتها • وعن الحسن رحمة الله عليه فلسطين
والرملة • وعن ابي هريرة رضي الله عنه الزموا هذه الرملة رملة فلسطين فانها الربوة التي ذكرها الله
وقيل مصر • والقرار المستقر من ارض مستوية منبسطة • وعن قتادة ذات ثمار وماء يعني انه لاجل الثمار
يستقر فيها ساكنوها • والمعين الماء الظاهر الجاري على وجه الارض • وقد اختلف في زيادة ميمه واصالته
فوجه من جعله مفعولا انه مدرك بالعين لظهوره من عانه اذا ادركه بعينه نحو ركبه اذا ضربه بركبته
ووجه من جعله فعيلا انه نفاع بظهوره وجريه من الماعون وهو المنفعة يا ايها الرسل كلوا من الطيبات
واعملوا صالحا اني بما تعملون عليم • هذا النداء والخطاب ليسا على ظاهرهما وكيف والرسل انما ارسلوا
متفرقين في ازمنة مختلفة وانما المعنى الاعلام بان كل رسول في زمانه نودي لذلك ووصي به ليعتقد
السامع ان امرا نودي له جميع الرسل ووصوا به حقيق ان يؤخذ به ويعمل عليه والمراد بالطيبات ما
حل وطاب • وقيل طيبات الرزق حلال وصاف وقوام فالحلال الذي لا يعصى الله تعالى فيه والصافي
الذي لا ينسى الله فيه • والقوام ما يمسك النفس ويحفظ العقل • او اريد ما يستطاب ويستلذ
من المآكل والفواكه ويشهد له مجيئه على عقب قوله تعالى وآويناهما الى ربوة ذات قرار ومعين • ويجوز
ان يقع هذا الاعلام عند ايواء عيسى ومريم صلوات الله عليهما الى الربوة فذكر على سبيل الحكاية اى آويناهما
وقلنا لهما هذا اى اعلمناهما ان الرسل كلهم خوطبوا بهذا فكلا مما رزقناكما واعملا صالحا اقتداء بالرسل
وان هذه امتكم امة واحدة وانا ربكم فاتقون • فتقطعوا امرهم بينهم زبرا كل حزب بما لديهم
فرحون • قرئ وان بالكسر على الاستيناف وان بمعنى ولان وان مخففة من الثقيلة وامتكم مرفوعة
معها • وقرئ زبرا جمع زبور اى كتبا مختلفة يعني جعلوا دينهم اديانا وزبرا قطعا استعيرت من زبر الفضة
والحديد • وزبرا مخففة الباء كرسل في رسل اى كل فرقة من فرق هؤلاء المختلفين المتقطعين دينهم فرح
بباطله مطمئن النفس معتقد انه على الحق فذرهم في غمرتهم حتى حين • الغمرة الماء الذي يغمر القامة
فضربت مثلا لما هم مغمورون فيه من جهلهم وعمايتهم او شبهوا باللاعبين في الماء لما هم عليه غمرتهم
من الباطل قال • كاني ضارب في غمرة لعب • وعن علي رضي الله عنه في غمرتهم حتى حين الى ان يقتلوا او يموتوا
تسلي رسول الله عليه السلام بذلك ونهي عن الاستعجال بعذابهم والجزع من تأخيره ايحسبون انما نمدهم

به

به من مال وبنين نسارع لهم في الخيرات بل لا يشعرون قرئ يمدهم ويسارع ويسرع بالياء
والفاعل الله سبحانه • ويجوز في يسارع ويسرع ان يتضمن ضمير الممد به • ويسارع مبنيا للمفعول والمعنى
ان هذا الامداد ليس الا استدراجا لهم الى المعاصي واستجرارا الى زيادة الاثم وهم يحسبونه مسارعة
لهم في الخيرات وفيما لهم فيه نفع واكرام ومعاجلة بالثواب قبل وقته • ويجوز ان يراد في جزاء الخيرات كما يفعل
باهل الخير من المسلمين • وبل استدراك لقوله تعالى ايحسبون يعني بل هم اشباه البهائم لا فطنة بهم
ولا شعور حتى يتأملوا ويتفكروا في ذلك اهو استدراج ام مسارعة في الخير وان قلت اين الراجع
من خبر ان الى اسمها اذا لم يستكن فيه ضميرهم هو محذوف تقديره نسارع به ويسارع به
ويسارع الله به كقوله تعالى ان ذلك من عزم الامور اى ان ذلك منه وذلك لاستطالة الكلام مع امن
الالباس ان الذين هم من خشية ربهم مشفقون • والذين هم بآيات ربهم يؤمنون •
والذين هم بربهم لا يشركون • والذين يؤتون ما آتوا وقلوبهم وجلة انهم الى ربهم راجعون
يؤتون ما آتوا يعطون ما اعطوا • وفي قراءة رسول الله وعائشة يأتون ما اتوا اى يفعلون ما فعلوا
وعنها انها قالت قلت يا رسول الله هو الذي يزني ويسرق ويشرب الخمر وهو على ذلك يخاف الله
قال لا يا ابنة الصديق ولكن هو الذي يصلي ويصوم ويتصدق وهو على ذلك يخاف الله ان لا يقبل
منه اولئك يسارعون في الخيرات وهم لها سابقون • يسارعون في الخيرات يحتمل معنيين احدهما
ان يراد يرغبون في الطاعات اشد الرغبة فيبادرونها • والثاني انهم يتعجلون في الدنيا المنافع ووجوه
الاكرام كما قال تعالى فآتاهم الله ثواب الدنيا وحسن ثواب الآخرة • وآتيناه اجره في الدنيا وانه في
الآخرة لمن الصالحين لانهم اذا سورع بها لهم فقد سارعوا في نيلها وتعجلوها وهذا الوجه احسن طباقا
للآية المتقدمة لان فيه اثبات ما نفي عن الكفار للمؤمنين وقرئ يسرعون في الخيرات لها سابقون
اى فاعلون السبق لاجلها او سابقون الناس لاجلها او اياها سابقون اى ينالونها قبل الآخرة
حيث عجلت لهم في الدنيا • ويجوز ان يكون لها سابقون خبرا بعد خبر وهم لها كمعنى قوله •
انت لها احمد من بين البشر ولا نكلف نفسا الا وسعها ولدينا كتاب ينطق بالحق وهم لا
يظلمون • يعني ان هذا الذي وصف به الصالحين غير خارج من حد الوسع والطاقة وكذلك كل
ما كلفه عباده • وما عملوه من الاعمال فغير ضائع عنده بل هو مثبت لديه في كتاب يريد اللوح او
صحيفة الاعمال ناطق بالحق لا يقرؤن منه يوم القيمة الا ما هو صدق وعدل لا زيادة فيه ولا نقصان
ولا يظلم منهم احد • او اراد ان الله لا يكلف الا الوسع فان لم يبلغ المكلف ان يكون على صفة هؤلاء
السابقين بعد ان يستفرغ وسعه ويبذل طاقته فلا عليه • ولدينا كتاب فيه عمل السابق والمقتصد
ولا نظلم احدا من حقه ولا نحطه دون درجته بل قلوبهم في غمرة من هذا ولهم اعمال من دون
ذلك هم لها عاملون • بل قلوب الكفرة في غفلة غامرة لها من هذا اى مما عليه هؤلاء الموصوفون
من المؤمنين ولهم اعمال متجاوزة متخطية لذلك اى لما وصف به المؤمنون هم لها معتادون
وبها ضارون لا يفطمون عنها حتى اذا اخذنا مترفيهم بالعذاب اذا هم يجأرون لا تجأروا اليوم
انكم منا لا تنصرون • حتى يأخذهم الله بالعذاب وحتى هذه هي التي يبتدأ بعدها الكلام والكلام
الجملة الشرطية والعذاب قتلهم يوم بدر او الجوع حين دعا عليهم رسول الله عليه السلام فقال اللهم
اشدد وطأتك على مضر واجعلها عليهم سنين كسني يوسف فابتلاهم الله بالقحط حتى اكلوا الجيف

والكلاب والعظام المحترقة والقدّ والأولاد. الجؤار الصراخ باستغاثة. قال
جأر ساعات الليل لربه. أي يقال حينئذ لا تجأروا فإن الجؤار غير نافع لكم منا لا تنصرون لا تغاثون
ولا تمنعون منا، أو من جهتنا لا يلحقكم نصر ومعونة. قد كانت آياتي تتلى عليكم فكنتم على أعقابكم
تنكصون مستكبرين به سامرا تهجرون. قالوا الضمير في به للبيت العتيق أو للحرم كانوا يقولون
لا يظهر علينا أحد لأنا أهل الحرم والذي سوّغ هذا الإضمار شهرتهم بالاستكبار بالبيت وأنه لم تكن
لهم مفخرة إلا أنهم ولاته والقائمون به. ويجوز أن يرجع إلى آياتي إلا أنه ذكّر لأنها في معنى كتابي. ومعنى استكبارهم
بالقرآن تكذيبهم به استكبارا، ضمّن مستكبرين معنى مكذبين فعدّي تعديته. أو يحدث لكم استماعه
استكبارا وعتوا فأنتم مستكبرون بسببه. أو يتعلق الباء بسامرا أي تسمرون بذكر القرآن وبالطعن فيه
وكانوا يجتمعون حول البيت بالليل يسمرون وكانت عامة سمرهم ذكر القرآن وتسميته سحرا وشعرا
وسبّ رسول الله عليه السلام. أو يتهجرون. والسامر نحو الحاضر في الإطلاق على الجمع. وقرئ سمّرا
وسمّارا. ويهجرون وتهجرون من أهجر في منطقه إذا أفحش. والهجر بالضم الفحش. ومن هجّر الذي هو
مبالغة في هجر إذا هذى. والهجر بالفتح الهذيان. أفلم يدّبروا القول أم جاءهم ما لم يأت آباءهم
الأولين. القول القرآن يقول أفلم يتدبروه ليعلموا أنه الحق المبين فيصدقوا به وبمن جاء به بل أجاءهم
ما لم يأت آباءهم فلذلك أنكروه واستبدعوه كقوله تعالى لتنذر قوما ما أنذر آباؤهم فهم غافلون
أو ليخافوا عند تدبر آياته وأقاصيصه مثل ما نزل بمن قبلهم من المكذبين أم جاءهم من الأمن ما لم يأت
آباءهم حين خافوا الله فآمنوا به وبكتبه ورسله وأطاعوه. وآباؤهم إسمعيل وأعقابه من عدنان وقحطان
وعن النبي صلى الله عليه وسلم لا تسبوا مضر ولا ربيعة فإنهما كانا مسلمين ولا تسبوا قسا فإنه كان مسلما
ولا تسبوا الحارث بن كعب ولا أسد بن خزيمة ولا تميم بن مرّ فإنهم كانوا على الإسلام وما شككتم فيه
من شيء فلا تشكوا في أن تبّعا كان مسلما. وروي في أن ضبّة كان مسلما وكان على شرطة سليمان بن داود
عليه السلام. أم لم يعرفوا رسولهم فهم له منكرون. أم لم يعرفوا محمدا وصحة نسبه وحلوله في سطة
هاشم وأمانته وصدقه وشهامته وعقله واتسامه بأنه خير فتيان قريش والخطبة التي خطبها
أبو طالب في نكاح خديجة بنت خويلد رضي الله عنها كفى برغائها مناديا. أم يقولون به جنة
بل جاءهم بالحق وأكثرهم للحق كارهون. الجنة الجنون وكانوا يعلمون أنه بريء منها وأنه أرجحهم
عقلا وأثقبهم ذهنا ولكنه جاءهم بما خالف شهواتهم وأهواءهم ولم يوافق ما نشأوا عليه وسيط
بلحومهم ودمائهم من اتباع الباطل ولم يجدوا له مردا ولا مدفعا لأنه الحق الأبلج والصراط
المستقيم فأخلدوا إلى البهت وعوّلوا على الكذب من النسبة إلى الجنون والسحر والشعر. فإن قلت
قوله وأكثرهم فيه أن أقلهم كانوا لا يكرهون الحق — كان فيهم من يترك الإيمان أنفة واستنكافا
من توبيخ قومه وأن يقولوا صبأ وترك دين آبائه لا كراهة للحق كما يحكى عن أبي طالب. فإن قلت يزعم
بعض الناس أن أبا طالب صح إسلامه. قلت يا سبحان الله كأن أبا طالب كان أخمل أعمام رسول الله حتى
يشتهر إسلام حمزة والعباس رضي الله عنهما ويخفى إسلام أبي طالب. ولو اتبع الحق أهواءهم لفسدت
السموات والأرض ومن فيهن بل أتيناهم بذكرهم فهم عن ذكرهم معرضون. دل بهذا على عظم
شأن الحق وأن السموات والأرض ما قامت ولا من فيهن إلا به فلو اتبع أهواءهم لانقلب باطلا ولذهب
ما يقوم به العالم فلا يبقى له بعده قوام أو أراد أن الحق الذي جاء به محمد صلى الله عليه وسلم وهو الإسلام

لو اتبع أهواءهم وانقلب شركا لجاء الله بالقيامة ولأهلك العالم ولم يؤخر. وعن قتادة أن الحق هو الله
ومعناه ولو كان الله إلها يتبع أهواءهم ويأمر بالشرك والمعاصي لما كان إلها ولكان شيطانا ولما قدر على
أن يمسك السموات والأرض. بذكرهم بالكتاب الذي هو ذكرهم أي وعظهم أو وصيتهم وفخرهم أو بالذكر
الذي كانوا يتمنونه ويقولون لو أن عندنا ذكرا من الأولين لكنا عباد الله المخلصين. وقرئ بذكراهم
أم تسألهم خرجا فخراج ربك خير وهو خير الرازقين. قرئ خراجا فخراج وخرجا فخرج وخرجا فخراج وهو
ما تخرجه إلى الإمام من زكاة أرضك وإلى كل عامل من أجرته وجعله. وقيل الخرج ما تبرعت به والخراج ما
لزمك أداؤه. والوجه أن الخرج أخص من الخراج كقولك خراج القرية وخرج الكردة زيادة اللفظ لزيادة
المعنى ولذلك حسنت قراءة من قرأ خرجا فخراج ربك خير يعني أم تسألهم على هدايتك لهم قليلا من عطاء
الخلق فالكثير من عطاء الخالق خير. وإنك لتدعوهم إلى صراط مستقيم. ولقد ألزمهم الحجة في هذه الآيات وقطع
معاذيرهم وعللهم بأن الذي أرسل إليهم رجل معروف أمره وحاله مخبور سره وعلنه خليق بأن يجتبى مثله
للرسالة من بين ظهرانيهم وأنه لم يعرض له حتى يدّعي بمثل هذه الدعوى العظيمة بباطل ولم يجعل ذلك
سلّما إلى النيل من دنياهم واستعطاء أموالهم ولم يدعهم إلا إلى دين الإسلام الذي هو الصراط المستقيم مع إبراز
المكنون من أدوائهم وهو إخلالهم بالتدبر والتأمل واستهتارهم بدين الآباء الضلال من غير برهان
وتعللهم بأنه مجنون بعد ظهور الحق وثبات التصديق من الله بالمعجزات والآيات النيرة وكراهتهم للحق
وإعراضهم عما فيه حظهم من الذكر. وإن الذين لا يؤمنون بالآخرة عن الصراط لناكبون. يحتمل أن هؤلاء
وصفتهم أنهم لا يؤمنون بالآخرة لناكبون أي لعادلون عن هذا الصراط المذكور وهو قوله تعالى إلى صراط
مستقيم وأن كل من لا يؤمن بالآخرة فهو عن القصد ناكب. ولو رحمناهم وكشفنا ما بهم من ضر للجوا في
طغيانهم يعمهون. لما أسلم ثمامة بن أثال الحنفي ولحق باليمامة ومنع الميرة من أهل مكة وأخذهم الله
بالسنين حتى أكلوا العلهز جاء أبو سفيان إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال له أنشدك الله والرحم
ألست تزعم أنك بعثت رحمة للعالمين فقال بلى فقال قتلت الآباء بالسيف والأبناء بالجوع. والمعنى لو كشف
الله عنهم هذا الضر وهو الهزال والقحط الذي أصابهم برحمته عليهم ووجدوا الخصب لارتدوا إلى ما كانوا
عليه من الاستكبار وعداوة رسول الله صلى الله عليه وسلم والمؤمنين وإفراطهم فيها ولذهب عنهم هذا
الإبلاس وهذا التملق بين يديه يسترحمونه. ولقد أخذناهم بالعذاب فما استكانوا لربهم وما
يتضرعون حتى إذا فتحنا عليهم بابا ذا عذاب شديد إذا هم فيه مبلسون. واستشهد على ذلك
بأنا أخذناهم أولا بالسيوف وبما جرى عليهم يوم بدر من قتل صناديدهم وأسرهم فما وجدت منهم بعد
ذلك استكانة ولا تضرع حتى فتحنا عليهم باب الجوع الذي هو أشد من الأسر والقتل وهو أطم العذاب
فأبلسوا الساعة وخضعت رقابهم وجاء أعتاهم وأشدهم شكيمة في العناد يستعطفك. أو محنّاهم بكل
محنة من القتل والجوع فما رؤي فيهم لين مقادة وهم كذلك حتى إذا عذبوا بنار جهنم فحينئذ يبلسون كقوله
سبحانه وتعالى ويوم تقوم الساعة يبلس المجرمون. لا يفتّر عنهم وهم فيه مبلسون. والإبلاس اليأس
من كل خير. وقيل السكوت مع التحير. فإن قلت ما وزن استكان. قلت استفعل من الكون أي انتقل من كون
إلى كون كما قيل استحال إذا انتقل من حال إلى حال. ويجوز أن يكون افتعل من السكون أشبعت فتحة عينه
كما جاء منتزاح. فإن قلت هلا قيل وما تضرعوا أو فما يستكينون. قلت لأن المعنى محنّاهم فما
وجدت منهم عقيب المحنة استكانة وما من عادة هؤلاء أن يستكينوا ويتضرعوا حتى يفتح عليهم باب العذا

الشديد ٥ وذى فتحنا وهو الذي أنشأ لكم السمع والأبصار والأفئدة قليلا ما تشكرون ٥ انما خص السمع والابصار والافئدة لانه يتعلق بها من المنافع الدينية والدنيوية ما لا يتعلق بغيرها ومقدمة منافعها ان يعملوا ابصارهم واسماعهم في آيات الله وافعاله ثم ينظروا ويستدلوا بقلوبهم ومن لم يعملها فيما خلقت له فهو بمنزلة عادمها كما قال عز وجل فما اغنى عنهم سمعهم ولا ابصارهم ولا افئدتهم من شيء اذ كانوا يجحدون بآيات الله ومقدمة شكر النعمة فيها الاقرار بالمنعم بها وان لا يجعل له ند وشريك اي تشكرون شكرا قليلا وما مزيدة للتاكيد بمعنى حقا وهو الذي ذرأكم في الأرض وإليه تحشرون وهو الذي يحيي ويميت وله اختلاف الليل والنهار أفلا تعقلون ٥ ذرأكم خلقكم وبثكم بالتناسل واليه تحشرون يوم القيمة بعد تفرقكم وله اختلاف الليل والنهار اي هو مختص به وهو متوليه ولا يقدر على تصريفهما غيره وقرئ يعقلون بالياء عن ابي عمرو بل قالوا مثل ما قال الأولون قالوا أإذا متنا وكنا ترابا وعظاما أإنا لمبعوثون ٥ لقد وعدنا نحن وآباؤنا هذا من قبل إن هذا إلا أساطير الأولين ٥ اي قال اهل مكة كما قال الكفار قبلهم الاساطير جمع سطر قال رؤبة ٥
جمع اسطار لم

اني واسطار سطرن سطرا وهي ما كتبه الاولون مما لا حقيقة له وجمع اسطورة اوفق قل لمن الأرض ومن فيها إن كنتم تعلمون ٥ سيقولون لله قل أفلا تذكرون ٥ قل من رب السموات السبع ورب العرش العظيم ٥ سيقولون لله قل أفلا تتقون ٥ قل من بيده ملكوت كل شيء وهو يجير ولا يجار عليه إن كنتم تعلمون ٥ سيقولون لله قل فأنى تسحرون ٥ بل أتيناهم بالحق وإنهم لكاذبون ٥ اي اجيبوني عما استعلمتكم منه ان كان عندكم فيه علم وفيه استهانة بهم وتجويز لفرط جهلهم بالديانات ان يجهلوا مثل هذا الظاهر البين وقرئ تذكرون بحذف التاء الثانية ومعناه افلا تتذكرون فتعلموا ان من فطر الارض ومن فيها اختراعا كان قادرا على اعادة الخلق وكان حقيقا بان لا يشرك به بعض خلقه في الربوبية ٥ قرئ الاول باللام لا غير والاخيران باللام وهو هكذا في مصاحف اهل الحرمين والكوفة والشام وبغير اللام وهو هكذا في مصاحف اهل البصرة فباللام على المعنى لان قولك من ربه ولمن هو في معنى واحد وبغير اللام على اللفظ ٥ وتجوز قراءة الاول بغير لام ولكنها لم تثبت في الرواية ٥ افلا تتقون افلا تخافونه فلا تشركوا به ولا تعصوا رسله اجرت فلانا على فلان اذا اغثته منه ومنعته يعني وهو يغيث من يشاء ممن يشاء ولا يغيث احد منه احدا تسحرون تخدعون عن توحيده وطاعته والخادع هو الشيطان والهوى وقرئ اتيتهم واتيناهم بالفتح والضم بالحق بان نسبة الولد اليه محال والشرك باطل وانهم لكاذبون حيث يدعون له ولدا ومعه شريكا ما اتخذ الله من ولد وما كان معه من إله إذا لذهب كل إله بما خلق ولعلا بعضهم على بعض سبحان الله عما يصفون ٥ عالم الغيب والشهادة فتعالى عما يشركون ٥ لذهب كل اله بما خلق لانفرد كل واحد من الالهة بخلقه الذي خلقه واستبد به ولرأيتم ملك كل واحد منهم متميزا من ملك الآخرين ولغلب بعضهم بعضا كما ترون حال ملوك الدنيا ممالكهم متمايزة وهم متغالبون وحين لم تروا اثر التمايز للممالك وللتغالب فاعلموا انه اله واحد بيده ملكوت كل شيء **فان قلت** اذن لا تدخل الا على كلام هو جزاء وجواب فكيف وقع قوله لذهب جزاء وجوابا ولم يتقدمه شرط ولا سؤال سائل **قلت** الشرط محذوف تقديره ولو كان معه آلهة وانما حذف لدلالة قوله تعالى وما كان معه من اله عليه وهو جواب لمن معه المحاجة من المشركين عما يصفون

من الانداد والاولاد عالم الغيب بالجر صفة لله وبالرفع خبر مبتدأ محذوف قل رب إما تريني ما يوعدون رب فلا تجعلني في القوم الظالمين ٥ وإنا على أن نريك ما نعدهم لقادرون ٥ ما والنون مؤكدتان اي ان كان لا بد من ان تريني ما تعدهم من العذاب في الدنيا او في الآخرة ٥ فلا تجعلني قرينا لهم ولا تعذبني بعذابهم عن الحسن رحمة الله عليه اخبره الله تعالى ان له في امته نقمة ولم يخبره افي حياته ام بعد موته فامره ان يدعو بهذا الدعاء **فان قلت** كيف يجوز ان يجعل الله نبيه المعصوم مع الظالمين حتى يطلب ان لا يجعله معهم **قلت** يجوز ان يسأل العبد ربه ما علم انه يفعله وان يستعيذ به مما علم انه لا يفعله اظهارا للعبودية وتواضعا لربه واخباتا له واستغفاره صلى الله عليه وسلم اذا قام من مجلسه سبعين مرة او مائة مرة لذلك وما احسن قول الحسن في قول ابي بكر الصديق رضي الله عنه وليتكم ولست بخيركم كان يعلم انه خيرهم ولكن المؤمن يهضم نفسه وقرئ اما ترئني بالهمز كما قرئ فاما ترئن ولترؤن الجحيم وهي ضعيفة ٥ وقوله تعالى رب مرتين قبل الشرط وقبل الجزاء حث على فضل تضرع وجؤار كانوا ينكرون الموعد بالعذاب ويضحكون منه واستعجالهم له لذلك فقيل لهم ان الله تعالى قادر على انجاز ما وعد ان تأملتم فما وجه هذا الانكار ادفع بالتي هي أحسن السيئة نحن أعلم بما يصفون ٥ هو ابلغ من ان يقال بالحسنة السيئة لما فيه من التفضيل كانه قال ادفع بالحسنى السيئة والمعنى الصفح عن اساءتهم ومقابلتها بما امكن من الاحسان حتى اذا اجتمع الصفح والاحسان وبذل الاستطاعة فيه كانت حسنة مضاعفة بازاء سيئة وهذه قضية قوله بالتي هي احسن ٥ وعن ابن عباس رضي الله عنهما هي شهادة ان لا اله الا الله والسيئة الشرك ٥ وعن مجاهد السلام يسلم عليه اذا لقيه ٥ وعن الحسن الاغضاء والصفح وقيل هي منسوخة بآية السيف ٥ وقيل محكمة لان المداراة محثوث عليها ما لم تؤد الى ثلم دين وازراء بمروءة ٥ بما يصفون بما يذكرونه من احوالك خلاف صفتها او بوصفهم لك وسوء ذكرهم والله اعلم بذلك ٥ منك واقدر على جزائهم وقل رب أعوذ بك من همزات الشياطين وأعوذ بك رب أن يحضرون ٥ الهمز النخس والهمزات جمع المرة منه ٥ ومنه مهماز الرائض والمعنى ان الشياطين يحثون الناس على المعاصي ويغرونهم عليها كما تهمز الراضة الدواب حثا لها على المشي ونحو الهمز الاز في قوله تعالى تؤزهم ازا ٥ امر بالتعوذ من نخساتهم بلفظ المبتهل الى ربه المكرر لندائه وبالتعوذ من ان يحضروه اصلا ويحوموا حوله ٥ وعن ابن عباس رضي الله عنهما عند تلاوة القرآن ٥ وعن عكرمة عند النزع ٥ حتى إذا جاء أحدهم الموت قال رب ارجعون ٥ لعلي أعمل صالحا فيما تركت كلا إنها كلمة هو قائلها ومن ورائهم برزخ إلى يوم يبعثون ٥ حتى تتعلق بيصفون اي لا يزالون على سوء الذكر الى هذا الوقت والآية فاصلة بينهما على وجه الاعتراض والتأكيد للاغضاء عنهم مستعينا بالله على الشيطان ان يستزله عن الحلم ويغريه على الانتصار منهم ٥ او بقوله وانهم لكاذبون ٥ خطاب الله بلفظ الجمع للتعظيم
او على قوله

كقوله فان شئت حرمت النساء سواكم ٥ وقوله الا فارحموني يا اله محمد ٥ اذا ايقن بالموت واطلع على حقيقة الامر ادركته الحسرة على ما فرط فيه من الايمان والعمل الصالح فيه فسأل ربه الرجعة وقال لعلي اعمل صالحا في الايمان الذي تركته والمعنى لعلي آتي بما تركته من الايمان واعمل فيه صالحا كما تقول لعلي ابني على اس تريد أؤسس اسا وابني عليه ٥ وقيل فيما تركت من المال ٥ وعن النبي صلى الله عليه وسلم اذا عاين المؤمن الملائكة قالوا نرجعك الى الدنيا فيقول الى دار الهموم والاحزان بل قدوما الى الله واما الكافر فيقول رب ارجعون ٥ كلا ردع عن طلب الرجعة وانكار واستبعاد والمراد بالكلمة الطائفة

من الكلام المنتظم بعضها مع بعض وهى قوله تعالى لعلى اعمل صالحا فيما تركت * هو قايلها لا محالة لا يخليها ولا يسكت عنها لاستيلاء الحسرة عليه وتسلط الندم * او هو قايلها وحده لا يجاب اليها ولا تسمع منه * ومن ورايهم برزخ والضمير للجماعة اى امامهم حايل بينهم وبين الرجعة الى يوم البعث وليس المعنى انهم يرجعون يوم البعث وانما هو اقناط كلى لما علم انه لا رجعة يوم البعث الا الى الاخرة فاذا نفخ فى الصور فلا انساب بينهم يومئذ ولا يتساءلون * الصور بفتح الواو عن الحسن * والصور بالكسر والفتح عن ابى رزين وهذا دليل لمن فسر الصور بجمع الصورة * ونفى الانساب يحتمل ان التقاطع يقع بينهم حيث يتفرقون معاقبين ومثابين ولا يكون التواصل بينهم والتالف الا بالاعمال فتلغو الانساب وتبطل وانه لا يعتد بالانساب لزوال التعاطف والتراحم بين الاقارب اذ يفر المرء من اخيه وامه وابيه وصاحبته وبنيه * وعن ابن مسعود رضى الله عنه ولا يساءلون بادغام التاء فى السين فان قلت قد ناقض هذا ونحو قوله تعالى ولا يسال حميم حميما قوله تعالى واقبل بعضهم على بعض يتساءلون وقوله تعالى يتعارفون بينهم فكيف التوفيق بينهما قلت فيه جوابان * احدهما ان يوم القيمة مقداره خمسون الف سنة ففيه ازمنة واحوال مختلفة يتساءلون ويتعارفون فى بعضها وفى بعضها لا يفطنون لذلك لشدة الهول والفزع * والثانى ان التناكر يكون عند النفخة الاولى فاذا كانت الثانية قاموا فتعارفوا وتساءلوا وعن ابن عباس رضى الله عنهما فمن ثقلت موازينه فاولئك هم المفلحون * ومن خفت موازينه فاولئك الذين خسروا انفسهم فى جهنم خالدون تلفح وجوههم النار وهم فيها كالحون الموازين جمع موزون وهى الموزونات من الاعمال اى الصالحات التى لها وزن وقدر عند الله من قوله تعالى فلا نقيم لهم يوم القيمة وزنا فى جهنم خالدون بدل من خسروا انفسهم ولا محل للبدل والمبدل منه لان الصلة لا محل لها او خبر بعد خبر لاولئك * او خبر مبتدا محذوف * تلفح تنفح * وقال الزجاج اللفح والنفح واحد الا ان اللفح اشد تاثيرا * والكلوح ان تتقلص الشفتان وتتشمرا عن الاسنان كما ترى الرؤس المشوية * وعن مالك بن دينار رحمة الله عليه كان سبب توبة عتبة الغلام انه مر فى السوق براس اخرج من التنور فغشى عليه ثلاثة ايام ولياليهن وروى عن النبى صلى الله عليه وسلم انه قال تشويه النار فتقلص شفته العليا حتى تبلغ وسط راسه وتسترخى شفته السفلى حتى تبلغ سرته * وقرئ كلحون الم تكن اياتى تتلى عليكم فكنتم بها تكذبون * قالوا ربنا غلبت علينا شقوتنا وكنا قوما ضالين ربنا اخرجنا منها فان عدنا فانا ظالمون * غلبت علينا ملكتنا من قولك غلبنى فلان على كذا اذا اخذه منك وامتلكه والشقاوة سوء العاقبة التى علم الله انهم يستحقونها بسوء اعمالهم وقرئ شقوتنا وشقاوتنا بفتح الشين وكسرها فيهما قال اخسئوا فيها ولا تكلمون * اخسئوا فيها ذلوا فيها وانزجروا كما تنزجر الكلاب اذا زجرت يقال خسا الكلب وخسا بنفسه * ولا تكلمون فى رفع العذاب فانه لا يرفع ولا يخفف * قيل هو اخر كلام يتكلمون به ثم لا كلام بعد ذلك الا الشهيق والزفير والعواء كعواء الكلاب لا يفهمون ولا يفهمون * وعن ابن عباس رضى الله عنهما ان لهم ست دعوات اذا دخلوا النار قالوا الف سنة ربنا ابصرنا وسمعنا فيجابون حق القول منى فينادون الفا ربنا امتنا اثنتين فيجابون ذلكم بانه اذا دعى الله فينادون الفا يا مالك ليقض علينا ربك فيجابون انكم ماكثون * فينادون الفا ربنا اخرجنا فيجابون او لم تكونوا فينادون الفا اخرجنا نعمل صالحا فيجابون او لم نعمركم فينادون الفا رب ارجعون فيجابون اخسئوا فيها انه كان فريق من عبادى يقولون ربنا امنا فاغفر لنا وارحمنا

وانت

وانت خير الراحمين * وفى حرف ابى رضى الله عنه انه كان فريق بالفتح بمعنى لانه فاتخذتموهم سخريا حتى انسوكم ذكرى وكنتم منهم تضحكون * السخرى بالضم والكسر مصدر سخر كالسخر الا ان فى ياء النسب زيادة قوة فى الفعل كما قيل الخصوصية فى الخصوص * وعن الكسائى والفراء ان المكسور من الهزء والمضموم من السخرة والعبودية اى تسخروهم واستعبدوهم والاول مذهب الخليل وسيبويه * قيل هم الصحابة * وقيل اهل الصفة خاصة ومعناه اتخذتموهم هزوا وتشاغلتم بهم ساخرين حتى انسوكم بتشاغلكم بهم على تلك الصفة ذكرى فتركتموه اى تركتم ان تذكرونى فتخافونى فى اوليائى انى جزيتهم اليوم بما صبروا انهم هم الفائزون وقرئ انهم بالفتح والكسر فالكسر استيناف اى قد فازوا حيث صبروا فجزوا بصبرهم احسن الجزاء * والفتح على انه مفعول جزيتهم كقولك جزيتهم فوزهم قال كم لبثتم فى الارض عدد سنين قالوا لبثنا يوما او بعض يوم فسئل العادين * قال ان لبثتم الا قليلا لو انكم كنتم تعلمون * قال فى مصاحف اهل الكوفة * وقل فى مصاحف اهل الحرمين والبصرة والشام ففى قال ضمير الله او المامور بسواله من الملايكة * وفى قل ضمير الملك او بعض رؤسا اهل النار * استقصروا مدة لبثهم فى الدنيا بالاضافة الى خلودهم ولما هم فيه من عذابها لان الممتحن يستطيل ايام محنته ويستقصر ما مر عليه من ايام الدعة اليها لانهم كانوا فى سرور وايام السرور قصار * ولان المنقضى فى حكم ما لم يكن * وصدقهم الله فى تقالهم لسنى لبثهم فى الدنيا ووبخهم على غفلتهم التى كانوا عليها وقرئ فسل العادين والمعنى لا نعرف من عدد تلك السنين الا انا نستقلها ونحسبه يوما او بعض يوم لما نحن فيه من العذاب وما فينا ان نعدها فسل من فيه ان يعد ومن يقدر ان يلقى اليه فكره * وقيل فسل الملايكة الذين يعدون اعمار العباد ويحصون اعمالهم وقرئ العادين بالتخفيف اى الظلمة فانهم يقولون كما نقول وقرئ العاديين اى القدماء فانهم يستقصرونها فكيف بمن دونهم * وعن ابن عباس رضى الله عنهما انساهم ما كانوا فيه من العذاب بين النفختين افحسبتم انما خلقناكم عبثا وانكم الينا لا ترجعون * عبثا حال اى عابثين كقوله تعالى لاعبين * او مفعول له اى ما خلقناكم للعبث ولم يدعنا الى خلقكم الا حكمة اقتضت ذلك وهى ان نتعبدكم ونكلفكم الشاق من الطاعات وترك المعاصى ثم نرجعكم من دار التكليف الى دار الجزاء فنثيب المحسن ونعاقب المسئ * وانكم الينا لا ترجعون معطوف على انما خلقناكم ويجوز ان يكون معطوفا على عبثا اى للعبث ولترككم غير مرجوعين وقرئ ترجعون بفتح التاء فتعالى الله الملك الحق لا اله الا هو رب العرش الكريم * الحق الذى يحق له الملك لان كل شئ منه واليه * او الثابت الذى لا يزول ولا يزول ملكه * وصف العرش بالكرم لان الرحمة تنزل منه والخير والبركة او لنسبته الى اكرم الاكرمين كما يقال بيت كريم اذا كان ساكنوه كراما وقرئ الكريم بالرفع ونحوه ذو العرش المجيد ومن يدع مع الله الها اخر لا برهان له به فانما حسابه عند ربه انه لا يفلح الكافرون * وقل رب اغفر وارحم وانت خير الراحمين * لا برهان له به كقوله تعالى ما لم ينزل به سلطانا وهى صفة لازمة نحو قوله تعالى يطير بجناحيه جئ بها للتوكيد لا ان يكون فى الالهة ما يجوز ان يقوم عليه برهان ويجوز ان يكون اعتراضا بين الشرط والجزاء كقولك من احسن الى زيد لا احق بالاحسان منه فالله مثيبه وقرئ انه لا يفلح بفتح الهمزة ومعناه حسابه عدم الفلاح والاصل حسابه انه لا يفلح هو فوضع الكافرون موضع الضمير لان من يدع فى معنى الجمع وكذلك حسابه انه لا يفلح فى معنى حسابهم انهم لا يفلحون * جعل فاتحة السورة قد افلح المومنون واورد فى خاتمتها انه لا يفلح الكافرون فشتان ما

بين الفاتحة والخاتمة عن رسول الله صلى الله عليه وسلم من قرأ سورة المؤمنين بشرته الملائكة بالروح والريحان وما تقر به عينه عند نزول ملك الموت، وروي ان اول سورة قد افلح واخرها من كنوز العرش من عمل بثلاث آيات من اولها واتعظ باربع آيات من اخرها فقد نجا وافلح، وعن عمر بن الخطاب رضي الله عنه كان رسول الله صلى الله عليه وسلم اذا نزل عليه الوحي يسمع عنده دوي كدوي النحل فمكثنا ساعة فاستقبل القبلة ورفع يديه وقال اللهم زدنا ولا تنقصنا واكرمنا ولا تهنا واعطنا ولا تحرمنا وآثرنا ولا تؤثر علينا وارض عنا وارضنا ثم قال لقد انزلت علي عشر آيات من اقامهن دخل الجنة ثم قرأ قد افلح المؤمنون حتى ختم العشر

[illegible]

وهي ثنتان وستون وقيل اربع وستون، بسم الله الرحمن الرحيم سورة انزلناها وفرضناها وانزلنا فيها آيات بينات لعلكم تذكرون، سورة خبر مبتدأ محذوف وانزلناها صفة، او هي مبتدأ موصوف والخبر محذوف اي فيما اوحينا اليك سورة انزلناها وقرئ بالنصب على زيدا ضربته ولا محل لانزلناها لانها مفسرة للمضمر فكانت في حكمه، او على دونك سورة وانزلناها صفة، ومعنى فرضناها فرضنا احكامها التي فيها واصل الفرض القطع اي جعلناها واجبة مقطوعا بها، والتشديد للمبالغة في الايجاب وتوكيده او لان فيها فرائض شتى وانك تقول فرضت الفريضة وفرضت الفرائض او لكثرة المفروض عليهم من السلف ومن بعدهم، تذكرون بتشديد الذال وتخفيفها الزانية والزاني فاجلدوا كل واحد منهما مائة جلدة ولا تأخذكم بهما رأفة في دين الله ان كنتم تؤمنون بالله واليوم الآخر، رفعهما على الابتداء والخبر محذوف عند الخليل وسيبويه على معنى فيما فرض عليكم الزانية والزاني اي جلدهما، ويجوز ان يكون الخبر فاجلدوا وانما دخلت الفاء لكون الالف واللام بمعنى الذي وتضمينه معنى الشرط تقديره التي زنت والذي زنا فاجلدوهما كما تقول من زنا فاجلدوه وكقوله تعالى والذين يرمون المحصنات ثم لم يأتوا باربعة شهداء فاجلدوهم، وقرئ بالنصب على اضمار فعل يفسره الظاهر وهو احسن من سورة انزلناها لاجل الامر، وقرئ والزان بلا ياء، والجلد ضرب الجلد يقال جلده كقولك ظهره وبطنه ورأسه فان قلت اهذا حكم جميع الزناة والزواني ام حكم بعضهم قلت بل هو حكم من ليس بمحصن منهم فان المحصن حكمه الرجم، وشرائط الاحصان عند ابي حنيفة رحمة الله عليه ست الاسلام والحرية والعقل والبلوغ والتزوج بنكاح صحيح والدخول اذا فقدت واحدة منها فلا احصان، وعند الشافعي رضي الله عنه الاسلام ليس بشرط لما روي ان رسول الله صلى الله عليه وسلم رجم يهوديين، وحجة ابي حنيفة رحمة الله عليه قوله عليه السلام من اشرك بالله فليس بمحصن فان قلت اللفظ يقتضي تعليق الحكم بجميع الزناة والزواني لان قوله الزانية والزاني عام في الجميع يتناول المحصن وغير المحصن قلت الزانية والزاني يدلان على الجنسين المنافيين لجنسي العفيف والعفيفة دلالة مطلقة والجنسية قائمة في الكل والبعض جميعا فايهما قصد المتكلم فلا عليه كما يفعل بالاسم المشترك، وقرئ ولا يأخذكم بالياء، ورأفة بفتح الهمزة، ورآفة على فعالة والمعنى ان الواجب على المؤمنين ان يتصلبوا في دين الله ويستعملوا الجد والمتانة فيه ولا يأخذهم اللين والهوادة في استيفاء حدوده وكفى برسول الله عليه السلام اسوة في ذلك حيث قال لو سرقت فاطمة بنت محمد لقطعت يدها، وقوله تعالى ان كنتم تؤمنون بالله واليوم الآخر من باب التهييج والهاب الغضب لله ولدينه، وقيل لا تترحموا عليهما حتى تعطلوا الحدود او حتى لا توجعوهما ضربا، وفي الحديث يؤتى بوال نقص من الحد سوطا

فيقول

فيقول رحمة لعبادك فيقال له انت ارحم بهم مني فيؤمر به الى النار، ويؤتى بمن زاد سوطا فيقول لينتهوا عن معاصيك فيؤمر به الى النار، وعن ابي هريرة رضي الله عنه اقامة حد بارض خير لاهلها من مطر اربعين ليلة، وعلى الامام ان ينصب للحدود رجلا عالما بصيرا يعقل كيف يضرب والرجل يجلد قائما على مجرده ليس عليه الا ازاره ضربا وسطا لا مبرحا ولا هينا مفرقا على الاعضاء كلها لا يستثنى منها الا ثلاثة الوجه والرأس والفرج، وفي لفظ الجلد اشارة الى انه لا ينبغي ان يتجاوز الالم الى اللحم، والمرأة تجلد قاعدة ولا ينزع من ثيابها الا الحشو والفرو، وبهذه الآية استشهد ابو حنيفة رحمة الله عليه على ان الجلد حد غير المحصن بلا تغريب وما احتج به الشافعي رضي الله عنه على وجوب التغريب من قوله صلى الله عليه وسلم البكر بالبكر جلد مائة وتغريب عام وما يروى عن الصحابة رضوان الله عليهم اجمعين انهم جلدوا ونفوا منسوخ عنده، وعند اصحابه بالآية او محمول على وجه التعزير والتأديب من غير وجوب، وقول الشافعي رضي الله عنه في تغريب الحر واحد وله في العبد ثلاثة اقاويل يغرب سنة كالحر ويغرب نصف سنة كما يجلد خمسين جلدة ولا يغرب كما قال ابو حنيفة، وبهذه الآية نسخ الحبس والاذى في قوله عز وعلا فامسكوهن في البيوت وقوله تعالى فآذوهما وليشهد عذابهما طائفة من المؤمنين، قيل تسميته عذابا دليل على انه عقوبة، ويجوز ان يسمى عذابا لانه يمنع من المعاودة كما سمي نكالا، الطائفة من المؤمنين الطائفة الفرقة التي يمكن ان تكون حلقة واقلها ثلاثة او اربعة وهي صفة غالبة كانها الجماعة الحافة حول الشيء، وعن ابن عباس رضي الله عنهما في تفسيرها اربعة الى اربعين رجلا من المصدقين بالله، وعن الحسن رحمة الله عليه عشرة، وعن قتادة ثلاثة فصاعدا، وعن عكرمة رجلان فصاعدا، وعن مجاهد الواحد فما فوقه، وفضل قول ابن عباس لان الاربعة هي الجماعة التي يثبت بها هذا الحد، والصحيح ان هذه الكبيرة من امهات الكبائر ولهذا قرنها الله بالشرك وقتل النفس في قوله تعالى ولا يزنون ومن يفعل ذلك يلق اثاما، وقال تعالى ولا تقربوا الزنا انه كان فاحشة وساء سبيلا، وعن النبي صلى الله عليه وسلم يا معشر الناس اتقوا الزنا فان فيه ست خصال ثلاث في الدنيا وثلاث في الآخرة، فاما اللاتي في الدنيا فيذهب البهاء ويورث الفقر وينقص العمر واما اللاتي في الآخرة فيوجب السخطة وسوء الحساب والخلود في النار، ولذلك وفى الله تعالى فيه عقد المائة بكماله بخلاف حد القذف وشرب الخمر، وشرع فيه القتلة الهولة وهي الرجم ونهى المؤمنين عن الرأفة على المجلود فيه وامر بشهادة الطائفة للتشهير فوجب ان تكون طائفة يحصل بها التشهير والواحد والاثنان ليسوا بتلك المثابة واختصاصه المؤمنين لان ذلك افضح والفاسق بين صلحاء قومه اخجل ويشهد له قول ابن عباس رضي الله عنه الى الاربعين رجلا من المصدقين بالله الزاني لا ينكح الا زانية او مشركة والزانية لا ينكحها الا زان او مشرك وحرم ذلك على المؤمنين، الفاسق الخبيث الذي من شأنه الزنا والتقحب لا يرغب في نكاح الصوالح من النساء واللاتي على خلاف صفته وانما يرغب في فاسقة خبيثة من شكله او في مشركة، والفاسقة الخبيثة المسافحة كذلك لا يرغب في نكاحها الصلحاء من الرجال وينفرون عنها وانما يرغب فيها من هو من شكلها من الفسقة او المشركين ونكاح المؤمن الممدوح عند الله الزانية ورغبته فيها وانخراطه بذلك في سلك الفسقة المتسمين بالزنا محرم عليه محظور لما فيه من التشبه بالفساق وحضور موقع التهمة والتسبب لسوء القالة فيه والغيبة وانواع المفاسد ومجالسة الخاطئين كم فيها من التعرض لاقتراف الآثام فكيف بمزاوجة الزواني والقحاب وقد نبه على ذلك بقوله تعالى وانكحوا الا الى
يامى منكم والصالحين من عبادكم وامائكم، وقيل كان بالمدينة موسرات من بغايا المشركين فرغب فقراء المهاجرين

ونكاحهن فاستأذنوا رسول الله صلى الله عليه وسلم فنزلت. وعن عائشة رضي الله عنها ان الرجل اذا زنا
بامرأة ليس له ان يتزوجها لهذه الآية واذا باشرها كان زانيا. وقد اجازه ابن عباس رضي الله عنهما وشبهه
بمن سرق ثمر شجرة ثم اشتراه. وعن النبي صلى الله عليه وسلم انه سئل عن ذلك فقال اوله سفاح وآخره
نكاح والحرام لا يحرم الحلال. وقيل المراد بالنكاح الوطء وليس بقول لأمرين احدهما ان هذه الكلمة
اينما وردت في القرآن لم ترد الا في معنى العقد. والثاني فساد المعنى واداؤه الى قولك الزاني لا يزني
الا بزانية والزانية لا يزني بها الا زان. وقيل كان نكاح الزانية محرما في اول الاسلام ثم نسخ والناسخ
قوله تعالى وانكحوا الايامى منكم وقيل الاجماع وروي ذلك عن سعيد بن المسيب رضي الله عنه. **فان**
قلت اي فرق بين معنى الجملة الاولى ومعنى الثانية **قلت** معنى الاولى صفة الزاني بكونه غير راغب
في العفائف ولكن في الفواجر ومعنى الثانية صفة الزانية بكونها غير مرغوب فيها للأعفاء ولكن للزناة
وهما معنيان مختلفان. فان قلت كيف قدمت الزانية على الزاني اولا ثم قدم عليها ثانيا. قلت سيقت تلك الآية
لعقوبتهما على ما جنيا والمرأة هي المادة التي منها نشأت الجناية لأنها لو لم تطمع الرجل ولم تومض له
ولم تمكنه لم يطمع ولم يتمكن فلما كانت اصلا واولا في ذلك بدئ بذكرها. واما الثانية فمسوقة لذكر
النكاح والرجل اصل فيه لأنه هو الراغب الخاطب ومنه يبدأ الطلب. وعن عمرو بن عبيد لا ينكح بالجزم
على النهي والمرفوع ايضا فيه معنى النهي ولكن ابلغ وآكد كما ان رحمك الله ويرحمك الله ابلغ من ليرحمك.
ويجوز ان يكون خبرا محضا على معنى ان عادتهم جارية على ذلك وعلى المؤمن ان لا يدخل نفسه تحت هذه العادة
ويتصون عنها. **وقرئ** وحرم بفتح الحاء. والذين يرمون المحصنات ثم لم يأتوا بأربعة شهداء
فاجلدوهم ثمانين جلدة ولا تقبلوا لهم شهادة ابدا واولئك هم الفاسقون. القذف
يكون بالزنا وبغيره والذي دل على ان المراد قذفهن بالزنا شيئان احدهما ذكر المحصنات عقيب الزواني
والثاني اشتراط اربعة شهداء لأن القذف بغير الزنا يكفي فيه شاهدان. والقذف بالزنا ان يقول الحر
العاقل البالغ لمحصنة يا زانية او لمحصن يا زاني يا ابن الزاني يا ابن الزانية يا ولد الزنا لست لأبيك لست
لرشدة. والقذف بغير الزنا ان يقول يا آكل الربا يا شارب الخمر يا يهودي يا مجوسي يا فاسق يا خبيث
يا ماص بظر امه فعليه التعزير ولا يبلغ به ادنى حد العبيد وهو اربعون بل ينقص منه. وقال ابو يوسف
يجوز ان يبلغ به تسعة وسبعون. وقال للإمام ان يعزر الى المائة. وشروط احصان القذف خمسة الحرية
والبلوغ والعقل والاسلام والعفة. وقرئ بأربعة شهداء بالتنوين وشهداء صفة. **فان قلت**
كيف يشهدون مجتمعين او متفرقين **قلت** الواجب عند ابي حنيفة واصحابه رحمة الله عليه وعليهم
ان يحضروا في مجلس واحد وان جاءوا متفرقين كانوا قذفة. وعند الشافعي رضي الله عنه يجوز ان يحضروا
متفرقين. فان قلت هل يجوز ان يكون زوج المقذوفة واحدا منهم قلت يجوز عند ابي حنيفة خلافا
للشافعي. **فان قلت** كيف يجلد القاذف **قلت** كما جلد الزاني الا انه لا ينزع عنه من ثيابه الا
ما ينزع عن المرأة من الحشو والفرو والقاذفة ايضا كالزانية واشد الضرب ضرب التعزير ثم ضرب
الزنا ثم ضرب شرب الخمر ثم ضرب القاذف قالوا لأن سبب عقوبته محتمل للصدق والكذب الا انه
عوقب صيانة للأعراض وردعا عن هتكها. فان قلت فاذا لم يكن المقذوف محصنا قلت يعزر القاذف
ولا يحد الا ان يكون المقذوف معروفا بما قذف به فلا حد ولا تعزير. رد شهادة القاذف معلق
عند ابي حنيفة رحمة الله عليه باستيفاء الحد فاذا شهد قبل الحد او قبل تمام استيفائه قبلت شهادته

فاذا

فاذا استوفي لم تقبل شهادته ابدا وان تاب وكان من الابرار الاتقياء. وعند الشافعي رضي الله عنه يتعلق
رد شهادته بنفس القذف فاذا تاب عن القذف بأن يرجع عنه عاد مقبول الشهادة وكلاهما متمسك
بالآية فأبو حنيفة رحمه الله جعل جزاء الشرط الذي هو الرمي الجلد ورد الشهادة عقيب الجلد على التأبيد
فكانوا مردودي الشهادة عنده في ابدهم وهو مدة حياتهم وجعل قوله تعالى واولئك هم الفاسقون
كلاما مستأنفا غير داخل في حيز جزاء الشرط كأنه حكاية حال الرامين عند الله تعالى بعد انقضاء الجملة
الشرطية والا الذين تابوا استثناء من الفاسقين ويدل عليه قوله عز وجل فان الله غفور رحيم
والشافعي رضي الله عنه جعل جزاء الشرط الجملتين ايضا غير انه صرف الابد الى مدة كونه قاذفا وهي تنتهي
بالتوبة والرجوع عن القذف وجعل الاستثناء متعلقا بالجملة الثانية وحق المستثنى عنده ان يكون مجرورا
بدلا من هم في لهم وحقه عند ابي حنيفة رحمة الله عليه ان يكون منصوبا لأنه عن موجب والذي
يقتضيه ظاهر الآية ونظمها ان تكون الجمل الثلاث بمجموعهن جزاء الشرط كأنه قيل ومن قذف المحصنات
فاجلدوهم وردوا شهادتهم وفسقوهم اي فاجمعوا لهم الجلد والرد والتفسيق الا الذين تابوا من بعد
ذلك واصلحوا فان الله غفور رحيم. الا الذين تابوا عن القذف واصلحوا فان الله يغفر لهم فينقلبون
غير مجلودين ولا مردودين ولا مفسقين. **فان قلت** الكافر يقذف فيتوب عن الكفر فتقبل شهادته
بالاجماع والقاذف من المسلمين يتوب عن القذف فلا تقبل شهادته عند ابي حنيفة كأن القذف مع
الكفر اهون من القذف مع الاسلام **قلت** المسلمون لا يعبأون بسب الكفار لأنهم شهروا بعداوتهم
والطعن فيهم بالباطل فلا يلحق المقذوف بقذف الكافر من الشين والشنار ما يلحقه بقذف مسلم مثله
فشدد على القاذف من المسلمين ردعا وكفا عن الحاق الشنار. فان قلت هل للمقذوف او للإمام ان يعفو
عن حد القاذف. قلت لهما ذلك قبل ان يشهد الشهود ويثبت الحد والمقذوف مندوب الى ان لا
يرافع القاذف ولا يطالبه بالحد ويحسن من الامام ان يحمل المقذوف على كظم الغيظ ويقول له اعرض
عن هذا ودعه لوجه الله قبل ثبات الحد فاذا ثبت لم يكن لواحد منهما ان يعفو لأنه خالص حق الله
ولهذا لم يصح ان يصالح عليه بمال. **فان قلت** هل يورث الحد **قلت** عند ابي حنيفة رحمة الله
عليه لا يورث لقوله صلى الله عليه وسلم الحد لا يورث ويورث عند الشافعي رحمه الله واذا تاب القاذف
قبل ان يثبت الحد سقط. وقيل نزلت هذه الآية في حسان بن ثابت حين تاب مما قال في عائشة رضي الله
عنها وعن ابيها. والذين يرمون ازواجهم ولم يكن لهم شهداء الا انفسهم فشهادة احدهم
اربع شهادات بالله انه لمن الصادقين. والخامسة ان لعنة الله عليه ان كان من الكاذبين
قاذف امرأته اذا كان مسلما حرا عاقلا بالغا غير محدود في القذف والمرأة بهذه الصفة مع العفة صح
اللعان بينهما اذا قذفها بصريح الزنا وهو ان يقول لها يا زانية او زنيت او رأيتك تزنين. واذا كان
الزوج عبدا او محدودا في قذف والمرأة محصنة حد كما في قذف الاجنبيات وما لم ترافعه الى الامام
لم يجب اللعان. واللعان ان يبدأ الرجل فيشهد اربع شهادات بالله انه لمن الصادقين فيما رماها به من
الزنا ويقول في الخامسة ان لعنة الله عليه ان كان من الكاذبين فيما رماها به من الزنا. ويدرأ عنها العذاب
ان تشهد اربع شهادات بالله انه لمن الكاذبين. والخامسة ان غضب الله عليها ان كان
من الصادقين. وتقول المرأة اربع مرات اشهد بالله انه لمن الكاذبين فيما رماني به من الزنا ثم
تقول في الخامسة ان غضب الله عليها ان كان من الصادقين فيما رماني به من الزنا. وعند الشافعي رضي

الله عنه يقام الرجل قائما حتى يشهد والمرأة قاعدة وتقام المرأة والرجل قاعد حتى تشهد ويأمر الامام من يضع يده على فيه ويقول له انى اخاف ان لم تكن صادقا ان تبوء بلعنة الله وقال اللعان بمكة بين المقام والبيت وبالمدينة على المنبر وببيت المقدس فى مسجده ولعان المشرك فى الكنيسة وحيث يعظم واذا لم يكن له دين ففى مساجدنا الا فى المسجد الحرام لقوله سبحانه وتعالى انما المشركون نجس فلا يقربوا المسجد الحرام ثم يفرق القاضى بينهما ولا تقع الفرقة بينهما الا بتفريقه عند ابى حنيفة واصحابه رحمهم الله الا عند زفر فان الفرقة تقع باللعان وعن عثمان البتى لا فرقة اصلا وعند الشافعى رضى الله عنه تقع بلعان الزوج وتكون هذه الفرقة فى حكم التطليقة البائنة عند ابى حنيفة ومحمد ولا يتأبد حكمها فاذا اكذب الرجل نفسه بعد ذلك فحد جاز ان يتزوجها وعند ابى يوسف وزفر والحسن بن زياد والشافعى رحمة الله عليهم اجمعين هى فرقة بغير طلاق توجب تحريما مؤبدا ليس لهما ان يجتمعا بعد ذلك بوجه **وروى** ان اية القذف لما نزلت قرأها رسول الله صلى الله عليه وسلم على المنبر فقام عاصم بن عدى الانصارى رضى الله عنه فقال جعلنى الله فداك ان وجد رجل مع امرأته رجلا فاخبر جلد ثمانين وردت شهادته ابدا وفسق وان ضربه بالسيف قتل وان سكت سكت على غيظ والى ان يجئ باربعة شهداء فقد قضى الرجل حاجته ومضى اللهم افتح وخرج فاستقبله هلال بن امية رضى الله عنه او عويمر فقال ما وراءك قال شر وجدت على بطن امرأتى خولة وهى بنت عاصم شريك بن سحماء فقال هذا والله سؤالى ما اسرع ما ابتليت به فرجعا فاخبر عاصم رسول الله صلى الله عليه وسلم فكلم خولة فقالت لا ادرى الغيرة ادركته ام بخلا على الطعام وكان شريك نزيلهم وقال هلال لقد رأيته على بطنها فنزلت ولاعن بينهما وقال رسول الله صلى الله عليه وسلم عند قوله وقولها ان لعنة الله عليه ان غضب الله عليها امين وقال القوم امين وقال لها ان كنت الممت بذنب فاعترفى به فالرجم اهون عليك من غضب الله ان غضبه هو النار وقال تحينوا بها الولادة فان جاءت به اصيهب اثيبج يضرب الى السواد فهو لشريك وان جاءت به اورق جعدا جماليا خدلج الساقين فهو لغير الذى رميت به قال ابن عباس رضى الله عنهما فجاءت باشبه خلق الله لشريك فقال صلى الله عليه وسلم لولا الايمان لكان لى ولها شان **وقرئ** ولم تكن بالتاء لان الشهداء جماعة او لانهم فى معنى الانفس التى هى بدل ووجه من قرأ اربع ان ينتصب لانه فى حكم المصدر والعامل فيه المصدر الذى هو شهادة احدهم وهى مبتدأ محذوف الخبر تقديره فواجب شهادة احدهم اربع شهادات بالله وقرئ ان لعنة الله وان غضب الله على تخفيف ان ورفع ما بعدها وقرئ ان غضب الله على فعل الغضب وقرئ بنصب الخامستين على معنى وتشهد الخامسة **فان قلت** لم خصت الملاعنة بان تخمس بغضب الله **قلت** تغليظا عليها لانها هى اصل الفجور ومنبعه بخلابتها واطماعها ولذلك كانت مقدمة فى اية الجلد ويشهد لذلك قوله عليه الصلوة والسلام لخولة فالرجم اهون عليك من غضب الله **ولولا فضل الله عليكم ورحمته وان الله تواب حكيم** الفضل التفضل وجواب لولا متروك وتركه دال على امر عظيم لا يكتنه ورب مسكوت عنه ابلغ من منطوق به **ان الذين جاؤا بالافك عصبة منكم لا تحسبوه شرا لكم بل هو خير لكم لكل امرئ منهم ما اكتسب من الاثم والذى تولى كبره منهم له عذاب عظيم** الافك ابلغ ما يكون من الكذب والافتراء وقيل هو البهتان لا تشعر به حتى يفجأك واصله الافك وهو القلب لانه قول مأفوك عن وجهه والمراد ما افك به على عائشة

رضى الله عنها والعصبة الجماعة من العشرة الى الاربعين وكذلك العصابة واعصوصبوا اجتمعوا وهم عبد الله بن ابى رأس النفاق وزيد بن رفاعة وحسان بن ثابت ومسطح بن اثاثة وحمنة بنت جحش ومن ساعدهم **وقرئ** كبره بالضم والكسر وهو عظمه والذى تولاه عبد الله لامعانه فى عداوة رسول الله عليه السلام وانتهازه الفرص وطلبه سبيلا الى الغميزة اى يصيب كل خائض فى حديث الافك من تلك العصبة نصيبه من الاثم على مقدار خوضه والعذاب العظيم لعبد الله لان معظم الشر كان منه يحكى ان صفوان مر بهودجها عليه وهو فى ملأ من قومه فقال من هذه قالوا عائشة فقال والله ما نجت منه ولا نجا منها وقال امرأة نبيكم باتت مع رجل حتى اصبحت ثم جاء يقودها والخطاب فى قوله تعالى هو خير لكم لمن ساءه ذلك من المؤمنين وخاصة رسول الله وابو بكر وعائشة وصفوان بن المعطل ومعنى كونه خيرا لهم انهم اكتسبوا فيه الثواب العظيم لانه كان بلاء مبينا ومحنة ظاهرة وانه نزلت فيه ثمانى عشرة اية كل واحدة منها مستقلة بما هو تعظيم لشان رسول الله وتسلية له وتنزيه لام المؤمنين رضى الله عنها وتطهير لاهل البيت وتهويل لمن تكلم فى ذلك او سمع به فلم تمجه اذناه وعدة الطاف للسامعين والتالين الى يوم القيامة وفوائد دينية واحكام واداب لا تخفى على متأمليها **لولا اذ سمعتموه ظن المؤمنون والمؤمنات بانفسهم خيرا وقالوا هذا افك مبين** بانفسهم اى بالذين منهم من المؤمنين والمؤمنات كقوله تعالى ولا تلمزوا انفسكم وذلك نحو ما يروى ان ابا ايوب الانصارى رضى الله عنه قال لام ايوب الا ترين ما يقال فقالت لو كنت بدل صفوان اكنت تظن بحرمة رسول الله سوءا قال لا قالت ولو كنت انا بدل عائشة ما خنت رسول الله فعائشة خير منى وصفوان خير منك **فان قلت** هلا قيل لولا اذ سمعتموه ظننتم بانفسكم خيرا ولم عدل عن الخطاب الى الغيبة وعن الضمير الى الظاهر **قلت** ليبالغ فى التوبيخ بطريقة الالتفات وليصرح بلفظ الايمان دلالة على ان الاشتراك فيه مقتض ان لا يصدق مؤمن على اخيه ولا مؤمنة على اختها قول عائب ولا طاعن وفيه تنبيه على ان حق المؤمن اذا سمع قالة فى اخيه ان يبنى الامر فيها على الظن لا على الشك وان يقول بملء فيه بناء على ظنه بالمؤمن الخير هذا افك مبين هكذا بلفظ المصرح ببراءة ساحته كما يقول المستيقن المطلع على حقيقة الحال وهذا من الادب الحسن الذى قل القائم به والحافظ له وليتك تجد من يسمع فيسكت ولا يشيع ما سمعه باخوات **لولا جاؤا عليه باربعة شهداء فاذ لم يأتوا بالشهداء فاولئك عند الله هم الكاذبون** جعل الله التفصلة بين الرمى الصادق والكاذب ثبوت شهادة الشهود الاربعة وانتفاءها والذين رموا عائشة لم تكن لهم بينة على قولهم فقامت عليهم الحجة وكانوا عند الله اى فى حكمه وشريعته كاذبين وهذا توبيخ وتعنيف للذين سمعوا الافك فلم يجدوا فى دفعه وانكاره واحتجاج عليهم بما هو ظاهر مكشوف فى الشرع من وجوب تكذيب القاذف بغير بينة والتنكيل به اذا قذف امرأة محصنة من عرض نساء المسلمين فكيف بام المؤمنين الصديقة بنت الصديق وحرمة رسول الله وحبيبة حبيب الله عليه السلام **ولولا فضل الله عليكم ورحمته فى الدنيا والاخرة لمسكم فيما افضتم فيه عذاب عظيم** لولا الاولى للتحضيض وهذه لامتناع الشئ لوجود غيره والمعنى ولولا انى قضيت ان اتفضل عليكم فى الدنيا بضروب النعم التى من جملتها الامهال للتوبة وان اترحم عليكم فى الاخرة بالعفو والمغفرة لعاجلتكم بالعقاب على ما خضتم فيه من حديث الافك يقال افاض فى الحديث واندفع وهضب وخاض **اذ تلقونه بالسنتكم وتقولون بافواهكم ما ليس لكم به علم وتحسبونه هينا وهو عند الله عظيم**

اذ تلقونه بألسنتكم او لا تفتر تلقونه يأخذه بعضكم من بعض يقال تلقى القول وتلقنه وتلقفه ومنه قوله تعالى
فتلقى آدم من ربه كلمات فتاب عليه وقرئ على الاصل تتلقونه واذ تلقونه بادغام الذال في التاء وتلقونه
من لقيه بمعنى لقفه وتلقونه من القائه بعضهم على بعض وتلقونه وتألقونه من الولق والالق وهو الكذب
وتلقفونه محكية عن عائشة رضي الله عنها وعن سفيان سمعت امي تقرأ اذ تثقفونه وكان ابوها يقرأ بحرف
عبد الله بن مسعود رضي الله عنه فان قلت ما معنى قوله بافواهكم والقول لا يكون الا بالفم
قلت معناه ان الشيء المعلوم يكون علمه في القلب فيترجم عنه اللسان وهذا الافك ليس الا قولا يجري
على ألسنتكم ويدور في افواهكم من غير ترجمة عن علم به في القلب كقوله تعالى يقولون بافواههم ما ليس
في قلوبهم اي تحسبونه صغيرة وهو عند الله كبيرة موجبة وعن بعضهم انه جزع عند الموت فقيل له فقال
اخاف ذنبا لم يكن مني على بال وهو عند الله عظيم وفي كلام بعضهم لا تقولن لشيء من سيئاتك حقير فلعله
عند الله نخلة وهو عندك نقير وصفهم بارتكاب ثلاثة آثام وعلق مس العذاب العظيم بها احدها
تلقي الافك بألسنتهم وذلك ان الرجل كان يلقى الرجل فيقول له ما وراءك فيحدثه بحديث الافك حتى شاع
وانتشر فلم يبق بيت ولا ناد الا طار فيه والثاني التكلم مما لا علم لهم به والثالث استصغارهم
لذلك وهو عظيمة من العظائم فان قلت كيف جاز الفصل بين لولا وقلتم قلت للظروف شأن وهو
تنزلها من الاشياء منزلة انفسها لوقوعها فيها وانها لا تنفك عنها فلذلك يتسع فيها ما لا يتسع في غيرها
فان قلت فاي فائدة في تقديم الظرف حتى وقع فاصلا قلت الفائدة فيه بيان انه كان الواجب عليهم
ان يتفادوا اول ما سمعوا بالافك عن التكلم به فلما كان ذكر الوقت اهم وجب التقديم ولولا اذ سمعتموه
قلتم ما يكون لنا ان نتكلم بهذا سبحانك هذا بهتان عظيم فان قلت فما معنى يكون
والكلام بدونه متلئب لو قيل ما لنا ان نتكلم بهذا قلت معناه معنى ينبغي ويصح اي ما ينبغي لنا ان نتكلم
بهذا وما يصح لنا ونحوه ما يكون لي ان اقول ما ليس لي بحق وسبحانك للتعجب من عظم الامر فان قلت ما
معنى التعجب في كلمة التسبيح قلت الاصل في ذلك ان يسبح الله عند رؤية العجيب من صنائعه ثم كثر حتى استعمل
في كل متعجب منه او لتنزيه الله من ان تكون حرمة نبيه فاجرة فان قلت كيف جاز ان تكون امرأة
النبي كافرة كامرأة نوح ولوط ولم يجز ان تكون فاجرة قلت لان الانبياء مبعوثون الى الكفار ليدعوهم
ويستعطفوهم فيجب ان لا يكون معهم ما ينفرهم عنهم ولم يكن الكفر عندهم مما ينفر واما الكشخنة
فمن اعظم المنفرات يعظكم الله ان تعودوا لمثله ابدا ان كنتم مؤمنين اي كراهة ان تعودوا
او في ان تعودوا من قولك وعظت فلانا في كذا فتركه وابدا ما داموا احياء مكلفين وان كنتم مؤمنين
فيه تهييج لهم ليتعظوا وتذكير بما يوجب ترك العود وهو اتصافهم بالايمان الصاد عن كل مقبح ويبين الله
لكم الآيات والله عليم حكيم ويبين الله لكم الدلالات على علمه وحكمته بما ينزل عليكم من الشرائع
ويعلمكم من الآداب الجميلة ويعظكم به من المواعظ الشافية والله عالم بكل شيء فاعل لما يفعله بدواعي
الحكمة ان الذين يحبون ان تشيع الفاحشة في الذين آمنوا لهم عذاب اليم في الدنيا والآخرة
والله يعلم وانتم لا تعلمون المعنى يشيعون الفاحشة عن قصد الى الاشاعة وارادة ومحبة
لها وعذاب الدنيا الحد ولقد ضرب رسول الله صلى الله عليه وسلم عبد الله بن ابي وحسانا ومسطحا
وقعد صفوان لحسان فضربه ضربة بالسيف وكف بصره وقيل هو المراد بقوله تعالى والذي تولى
كبره منهم والله يعلم ما في القلوب من الاسرار والضمائر وانتم لا تعلمون يعني انه قد علم محبة من احب

الاشاعة

الاشاعة وهو معاقبه عليها ولولا فضل الله عليكم ورحمته وان الله رءوف رحيم وكرر المنة بترك
المعاجلة بالعقاب حاذفا جواب لولا كما حذفه ثمة وفي هذا التكرير مع حذف الجواب مبالغة عظيمة
وكذلك في التواب والرءوف الرحيم يا ايها الذين آمنوا لا تتبعوا خطوات الشيطان ومن يتبع
خطوات الشيطان فانه يأمر بالفحشاء والمنكر ولولا فضل الله عليكم ورحمته ما زكى منكم
من احد ابدا ولكن الله يزكي من يشاء والله سميع عليم الفحشاء والفاحشة ما افرط قبحه قال
ابو ذؤيب ضرائر حرمي تفاحش غارها اي افرطت غيرتها والمنكر ما تنكره النفوس فتنفر عنه ولا ترتضيه
وقرئ خطوات بفتح الطاء وسكونها وزكى بالتشديد والضمير لله عز وجل ولولا ان الله تفضل
عليكم بالتوبة الممحصة لما طهر منكم احد آخر الدهر من دنس اثم الافك ولكن الله يطهر التائبين
بقبول توبتهم اذا محضوها وهو سميع لقولهم عليم بضمائرهم واخلاصهم ولا يأتل اولوا الفضل
منكم والسعة ان يؤتوا اولي القربى والمساكين والمهاجرين في سبيل الله وليعفوا وليصفحوا
الا تحبون ان يغفر الله لكم والله غفور رحيم هو من ائتلى اذا حلف افتعال من الالية وقيل من قولهم
ما ألوت جهدا اذا لم تدخر منه شيئا ويشهد للاول قراءة الحسن ولا يتأل والمعنى لا يحلفوا على ان لا يحسنوا
الى المستحقين للاحسان او لا يقصروا في ان يحسنوا اليهم وان كانت بينهم وبينهم شحناء لجناية اقترفوها
فليعودوا عليهم بالعفو والصفح وليفعلوا بهم مثل ما يرجون ان يفعل بهم ربهم مع كثرة خطاياهم وذنوبهم
نزلت في شأن مسطح وكان ابن خالة ابي بكر الصديق رضي الله عنه وكان فقيرا من فقراء المهاجرين وكان
ابو بكر ينفق عليه فلما فرط منه ما فرط آلى ان لا ينفق عليه وكفى به داعيا الى المجاملة وترك الاشتغال
بالمكافأة للمسيء ويروى ان رسول الله عليه السلام قرأها على ابي بكر فقال بلى احب ان يغفر الله لي ورجع
الى مسطح نفقته وقال والله لا انزعها ابدا وقرأ ابو حيوة وابن قطيب ان تؤتوا بالتاء على الالتفات
ويعضده قوله تعالى الا تحبون ان يغفر الله لكم ان الذين يرمون المحصنات الغافلات المؤمنات
لعنوا في الدنيا والآخرة ولهم عذاب عظيم يوم تشهد عليهم ألسنتهم وايديهم وارجلهم
بما كانوا يعملون يومئذ يوفيهم الله دينهم الحق ويعلمون ان الله هو الحق المبين الغافلات
السليمات الصدور النقيات القلوب اللاتي ليس فيهن دهاء ولا مكر لانهن لم يجربن الامور ولم يرزن الاحوال
فلا يفطن لما تفطن له المجربات العرافات قال ولقد لهوت بطفلة ميالة بلهاء تطلعني على اسرارها
وكذلك البله من الرجال في قوله عليه السلام اكثر اهل الجنة البله وقرئ يشهد بالياء والحق بالنصب
صفة للدين وهو الجزاء وبالرفع صفة لله تعالى ولو قلبت القرآن كله وفتشت عما اوعد به العصاة لم
تر الله عز وجل قد غلظ في شيء تغليظه في افك عائشة رضي الله عنها ولا انزل من الآيات القوارع المشحونة
بالوعيد الشديد والعقاب البليغ والزجر العنيف واستعظام ما ركب من ذلك واستفظاع ما اقدم
عليه على طرق مختلفة واساليب مفتنة كل واحد منها كاف في بابه ولو لم ينزل الا هذه الثلاث لكفى بها
حيث جعل القذفة ملعونين في الدارين جميعا وتوعدهم بالعذاب العظيم في الآخرة وبان ألسنتهم
وايديهم وارجلهم تشهد عليهم بما افكوا وبهتوا وانه يوفيهم جزاءهم الحق الواجب الذي هم اهله حتى
يعلموا عند ذلك ان الله هو الحق المبين فاوجز في ذلك واشبع وفصل واجمل واكد وكرر وجاء بما لم يقع
في وعيد المشركين عبدة الاوثان الا ما هو دونه في الفظاعة وما ذاك الا لامر وعن ابن عباس رضي الله
عنهما انه كان بالبصرة يوم عرفة فكان يسأل عن تفسير القرآن حتى سئل عن هذه الآيات فقال من اذنب

ذنباً ثم تاب منه قبلت توبته الا من خاض في امر عائشة رضي الله عنها وهذه منه مبالغة وتعظيم لامر
الافك ولقد برأ الله اربعة باربعة برأ يوسف عليه السلام بلسان الشاهد وشهد شاهد من اهلها
وبرأ موسى عليه السلام من قول اليهود فيه بالحجر الذي ذهب بثوبه وبرأ مريم عليها السلام بانطاق
ولدها حين نادى من حجرها اني عبد الله وبرأ عائشة رضوان الله عليها بهذه الآيات العظام في كتابه
المعجز المتلو على وجه الدهر مثل هذه التبرئة بهذه المبالغات فانظر كم بينها وبين تبرئة اولئك وما
ذاك الا لاظهار علو منزلة رسول الله عليه السلام والتنبيه على انافة محل سيد ولد آدم عليه السلام
وخيرة الاولين والآخرين وحجة الله على العالمين صلوات الله وسلامه عليه ومن اراد ان يتحقق عظمة
شأنه وتقدم قدمه واحرازه لقصب السبق دون كل سابق فليتلق ذلك من آيات الافك وليتأمل كيف
غضب الله له في حرمته وكيف بالغ في نفي التهمة عن حجابه **فان قلت** ان كانت عائشة رضي الله عنها
هي المرادة فكيف قيل المحصنات **قلت** فيه وجهان احدهما ان يراد بالمحصنات ازواج رسول الله
عليه السلام وان يخصصن بان من قذفهن فهذا الوعيد لاحق به واذا اردن وعائشة كبراهن منزلة
وقربة عند رسول الله عليه السلام كانت المرادة اولا والثاني انها ام المؤمنين فجمعت ارادة لها ولبناتها
من نساء الامة الموصوفات بالاحصان والغفلة والايمان كما قال قدني من نصر الخبيبين قدي اراد
عبد الله بن الزبير واشياعه وكان اعداؤه يكنونه بخبيب ابنه وكان مضعوفا وكنيته المشهورة ابو بكر
الا ان هذا في الاسم وذاك في الصفة **فان قلت** ما معنى قوله هو الحق المبين **قلت** معناه ذو
الحق البين اي العادل الظاهر العدل الذي لا ظلم في حكمه والمحق الذي لا يوصف بباطل ومن هذه صفته
لم تسقط عنده اساءة مسيء ولا احسان محسن فحق مثله ان يتقى وتجتنب محارمه **الخبيثات للخبيثين
والخبيثون للخبيثات والطيبات للطيبين اولئك مبرؤن مما يقولون لهم مغفرة ورزق
كريم** اي الخبيثات من القول تقال او تعد للخبيثين من الرجال والنساء والخبيثون منهم يتعرضون
للخبيثات من القول وكذلك الطيبات والطيبون واولئك اشارة الى الطيبين وانهم مبرؤن مما يقول
الخبيثون من خبيثات الكلم وهو كلام جار مجرى المثل لعائشة وما رميت به من قول لا يطابق حالها
في النزاهة والطيب ويجوز ان يكون اولئك اشارة الى اهل البيت وانهم مبرؤن مما يقول اهل
الافك وان يراد بالخبيثات والطيبات النساء اي الخبائث يتزوجن الخباث والخباث الخبائث وكذلك
اهل الطيب وذكر الرزق الكريم ههنا مثله في قوله تعالى واعتدنا لها رزقا كريما **وعن** عائشة رضي
الله عنها لقد اعطيت تسعا ما اعطيتهن امرأة لقد نزل جبرئيل عليه السلام بصورتي في راحته حين امر
رسول الله صلى الله عليه وسلم ان يتزوجني ولقد تزوجني بكرا وما تزوج بكرا غيري ولقد توفي وان
رأسه لفي حجري ولقد قبر في بيتي ولقد حفته الملائكة في بيتي وان الوحي لينزل عليه في اهله فيتفرقون
عنه وان كان لينزل عليه وانا معه في لحافه واني لابنة خليفته وصديقه ولقد نزل عذري من السماء ولقد
خلقت طيبة عند طيب ولقد وعدت مغفرة ورزقا كريما **يا ايها الذين آمنوا لا تدخلوا بيوتا
غير بيوتكم حتى تستأنسوا وتسلموا على اهلها ذلكم خير لكم لعلكم تذكرون** تستأنسوا فيه
وجهان احدهما انه من الاستيناس الظاهر الذي هو خلاف الاستيحاش لان الذي يطرق باب غيره
لا يدري أيؤذن له ام لا فهو كالمستوحش من خفاء الحال عليه فاذا اذن له استأنس فالمعنى حتى يؤذن
لكم كقوله تعالى لا تدخلوا بيوت النبي الا ان يؤذن لكم وهذا من باب الكناية والارداف لان هذا النوع

من الاستيناس يردف الاذن فوضع موضع الاذن والثاني ان يكون من الاستيناس الذي هو الاستعلام
والاستكشاف استفعال من آنس الشيء اذا ابصره ظاهرا مكشوفا والمعنى حتى تستعلموا وتستكشفوا الحال
هل يراد دخولكم ام لا ومنه قولهم استأنس هل ترى احدا واستأنست فلم ار احدا اي تعرفت واستعلمت
ومنه بيت النابغة على مستأنس وحد ويجوز ان يكون من الانس وهو ان يتعرف هل ثم انسان وعن
ابي ايوب الانصاري رضي الله عنه قلنا يا رسول الله ما الاستيناس قال يتكلم الرجل بالتسبيحة والتكبيرة
والتحميدة يتنحنح يؤذن اهل البيت والتسليم ان يقول السلام عليكم أأدخل ثلث مرات فان اذن له والا
رجع وعن ابي موسى الاشعري رضي الله عنه انه اتى باب عمر رضي الله عنه فقال السلام عليكم أأدخل
قالها ثلاثا ثم رجع وقال سمعت رسول الله عليه السلام يقول الاستيذان ثلثا واستأذن رجل على رسول
الله صلى الله عليه وسلم فقال أألج فقال صلى الله عليه وسلم لامرأة يقال لها روضة قومي الى هذا فعلميه
فانه لا يحسن ان يستأذن قولي له ان يقول السلام عليكم أأدخل فسمعها الرجل فقالها فقال ادخل
وكان اهل الجاهلية يقول الرجل منهم اذا دخل بيتا غير بيته حييتم صباحا وحييتم مساء ثم يدخل فربما
اصاب الرجل مع امرأته في لحاف واحد فصد الله تعالى عن ذلك وعلم الاحسن الاجمل وكم من باب من ابواب
الدين هو عند الناس كالشريعة المنسوخة قد تركوا العمل به وباب الاستيذان من ذلك بينا انت في
بيتك اذا رعف عليك الباب بواحد من غير استيذان ولا تحية من تحايا اسلام ولا جاهلية وهو ممن سمع
ما انزل الله فيه وما قال رسول الله عليه السلام ولكن اين الاذن الواعية **وفي** قراءة عبد الله حتى تسلموا
على اهلها وتستأذنوا وعن ابن عباس وسعيد بن جبير رضي الله عنهما انما هو حتى تستأذنوا فاخطأ الكاتب
ولا يعول على هذه الرواية وفي قراءة ابي حتى تستأذنوا ذلكم الاستيذان والتسليم خير لكم من تحية
الجاهلية والدمور وهو الدخول بغير اذن واشتقاقه من الدمار وهو الهلاك كان صاحبه
دامر لعظيم ما ارتكب وفي الحديث من سبقت عينه استيذانه فقد دمر **وروي** ان رجلا قال
لرسول الله صلى الله عليه وسلم استأذن على امي قال نعم قال انها ليس لها خادم غيري أأستأذن عليها
كلما دخلت قال اتحب ان تراها عريانة قال الرجل لا قال فاستأذن لعلكم تذكرون اي انزل عليكم
او قيل لكم هذا ارادة ان تذكروا وتتعظوا وتعملوا بما امرتم به في باب الاستيذان **فان لم تجدوا فيها
احدا فلا تدخلوها حتى يؤذن لكم وان قيل لكم ارجعوا فارجعوا هو ازكى لكم والله بما تعملون
عليم** يحتمل فان لم تجدوا فيها احدا من الآذنين فلا تدخلوها واصبروا حتى تجدوا من يأذن لكم ويحتمل
فان لم تجدوا فيها احدا من اهلها ولكم فيها حاجة فلا تدخلوها الا باذن اهلها وذلك ان الاستيذان لم
يشرع لئلا يطلع الدامر على عورة ولا تسبق عينه الى ما لا يحل النظر اليه فقط وانما شرع لئلا يوقف على الاحوال
التي يطويها الناس في العادة عن غيرهم ويتحفظون من اطلاع احد عليها ولانه تصرف في ملك غيرك فلا
بد من ان يكون برضاه والا اشبه الغصب والتغلب فارجعوا اي لا تلحوا في اطلاق الاذن ولا تلجوا
في تسهيل الحجاب ولا تقفوا على الابواب منتظرين لان هذا مما يجلب الكراهة ويقدح في قلوب الناس
خصوصا اذا كانوا ذوي مروءة ومرتاضين بالآداب الحسنة واذا نهي عن ذلك لادائه الى الكراهية
وجب الانتهاء عن كل ما يؤدي اليها من قرع الباب بعنف والتصييح بصاحب الدار وغير ذلك مما يدخل
في عادات من لم يتهذب من اكثر الناس وعن ابي عبيد رحمة الله عليه ما قرعت بابا على عالم قط وكفى بقصة
بني اسد زاجرة وما نزل من قوله سبحانه وتعالى ان الذين ينادونك من وراء الحجرات اكثرهم لا يعقلون

فان قلت هل يصح ان يكون المعنى وان لم يؤذن لكم وامرتم بالرجوع فامتثلوا ولا تدخلوا
مع كراهتهم قلت بعد ان جزم النهي عن الدخول مع فقد الاذن وحده من اهل الدار حاضرين وغائبين
لم تبق شبهة في كونه منهيا عنه مع انضمام الامر بالرجوع الى فقد الاذن فان قلت فاذا عرض امر في دار
من حريق او هجوم سارق او ظهور منكر يجب انكاره قلت ذلك مستثنى بالدليل اي الرجوع اطيب لكم واطهر
لما فيه من سلامة الصدور والبعد من الريبة او انفع وانمى خيرا ثم اوعد المخاطبين بذلك بانه عالم بما
يأتون ويذرون مما خوطبوا به فموف جزاءه عليه ليس عليكم جناح ان تدخلوا بيوتا غير مسكونة
فيها متاع لكم والله يعلم ما تبدون وما تكتمون استثنى من البيوت التي يجب الاستئذان
على داخلها ما ليس بمسكون منها وذلك نحو الفنادق وهي الخانات والربط وحوانيت البياعين والمتاع
المنفعة كالاستكنان من الحر والبرد وايواء الرحال والسلع والشرى والبيع ويروى ان ابا بكر رضي
الله عنه قال يا رسول الله ان الله قد انزل عليك اية في الاستئذان وانا نختلف في تجاراتنا فننزل
هذه الخانات افلا ندخلها الا باذن وقيل الخربات يتبرز فيها والمتاع التبرز والله يعلم ما تبدون
وما تكتمون وعيد للذين يدخلون الخربات والدور الخالية من اهل الريبة قل للمؤمنين يغضوا
من ابصارهم ويحفظوا فروجهم ذلك ازكى لهم ان الله خبير بما يصنعون من للتبعيض والمراد
غض البصر عما يحرم والاقتصار به على ما يحل وجوز الاخفش ان تكون مزيدة واباه سيبويه فان
قلت كيف دخلت في غض البصر دون حفظ الفروج قلت دلالة على ان امر النظر اوسع الا
ترى ان المحارم لا بأس بالنظر الى شعورهن وصدورهن وثديهن واعضادهن واسوقهن واقدامهن
وكذلك الجواري المستعرضات والاجنبية ينظر الى وجهها وكفيها وقدميها في احدى الروايتين واما
امر الفرج فمضيق وكفاك فرقا ان ابيح النظر الا ما استثني منه وحظر الجماع الا ما استثني منه ويجوز
ان يراد مع حفظها عن الافضاء الى ما لا يحل حفظها عن الابداء وعن ابن زيد كل ما في القرآن من حفظ
الفروج فهو عن الزنا الا هذا فانه اراد به الاستتار ثم اخبر انه خبير باحوالهم وافعالهم وكيف
يجيلون ابصارهم وكيف يصنعون بسائر حواسهم وجوارحهم فعليهم اذ عرفوا ذلك ان يكونوا منه
على تقوى وحذر في كل حركة وسكون وقل للمؤمنات يغضضن من ابصارهن ويحفظن فروجهن
ولا يبدين زينتهن الا ما ظهر منها النساء مأمورات ايضا بغض الابصار ولا يحل للمرأة ان تنظر
من الاجنبي الى ما تحت سرته الى ركبته وان اشتهت غضت بصرها راسا ولا تنظر من المرأة الا الى مثل ذلك
وغضها بصرها من الاجانب اصلا اولى بها واحسن ومنه حديث ابن ام مكتوم رضي الله عنه عن ام
سلمة رضي الله عنها قالت كنت عند النبي صلى الله عليه وسلم وعنده ميمونة رضي الله عنها فاقبل ابن
ام مكتوم وذلك بعد ان امرنا بالحجاب فدخل علينا فقال احتجبا فقلنا يا نبي الله اليس اعمى لا يبصرنا
قال افعمياوان انتما الستما تبصرانه فان قلت لم قدم غض الابصار على حفظ الفروج قلت
لان النظر بريد الزنا ورائد الفجور والبلوى فيه اشد واكثر ولا يكاد يقدر على الاحتراس منه الزينة
ما تزينت به المرأة من حلي او كحل او خضاب فما كان ظاهرا منها كالخاتم والفتخة والكحل والخضاب فلا
بأس بابدائه للاجانب وما خفي منها كالسوار والخلخال والدملج والقلادة والاكليل والوشاح والقرط
فلا تبديه الا لهؤلاء المذكورين وذكر الزينة دون مواقعها للمبالغة في الامر بالتصون والتستر
لان هذه الزين واقعة على مواضع من الجسد لا يحل النظر اليها لغير هؤلاء وهي الذراع والساق والعضد

والعنق

والعنق والرأس والصدر والاذن فنهى عن ابداء الزين نفسها ليعلم ان النظر اذا لم يحل اليها لملابستها تلك
المواقع بدليل ان النظر اليها غير ملابسة لها لا مقال في حله كان النظر الى المواقع انفسها متمكنا في الحظر
ثابت القدم في الحرمة شاهدا على ان النساء حقهن ان يحتطن في سترها ويتقين الله في الكشف عنها فان
قلت [ما تقول] في القراميل هل يحل نظر هؤلاء اليها قلت نعم فان قلت اليس موقعها الظهر ولا يحل لهم
النظر الى ظهرها وبطنها وربما ورد الشعر فوقعت القراميل على ما يحاذي ما تحت السرة قلت
الامر كما قلت ولكن امر القراميل خلاف امر سائر الحلي لانه لا يقع الا فوق اللباس ويجوز النظر الى الثوب
الواقع على الظهر والبطن للاجانب فضلا عن هؤلاء الا اذا كان يصف لرقته فلا يحل النظر اليه فلا يحل
النظر الى القراميل واقعة عليه فان قلت ما المراد بموقع الزينة ذلك العضو كله ام المقدار الذي تلابسه
الزينة منه قلت الصحيح انه العضو كله كما فسرت مواقع الزينة الخفية وكذلك مواقع الزينة الظاهرة
الوجه موقع الكحل في عينيه والخضاب بالوسمة في حاجبيه وشاربيه والغمرة في خديه والكف والقدم
موقعا الخاتم والفتخة والخضاب بالحناء فان قلت لم سومح مطلقا في الزينة الظاهرة قلت
لان سترها فيه حرج فان المرأة لا تجد بدا من مزاولة الاشياء بيديها ومن الحاجة الى كشف وجهها
خصوصا في الشهادة والمحاكمة والنكاح وتضطر الى المشي في الطرقات وظهور قدميها وخاصة الفقيرات
منهن وهذا معنى قوله الا ما ظهر منها يعني الا ما جرت العادة والجبلة على ظهوره والاصل فيه الظهور
وانما سومح في الزينة الخفية اولئك المذكورون لما كانوا مختصين به من الحاجة المضطرة الى مداخلتهم [ومخالطتهم]
ولقلة توقع الفتنة من جهاتهم ولما في الطباع من النفرة عن مماسة القرائب وتحتاج المرأة الى صحبتهم
في الاسفار للنزول والركوب وغير ذلك وليضربن بخمرهن على جيوبهن ولا يبدين زينتهن الا
لبعولتهن او ابائهن او اباء بعولتهن او ابنائهن او ابناء بعولتهن او اخوانهن او بني اخوانهن او
نسائهن او ما ملكت ايمانهن او التابعين كانت جيوبهن واسعة تبدو منها نحورهن وصدورهن
وما حواليها وكن يسدلن الخمر من ورائهن فتبقى مكشوفة فامرن بان يسدلنها من قدامهن حتى يغطينها
ويجوز ان يراد بالجيوب الصدور تسمية بما يليها ويلابسها ومنه قولهم ناصح الجيب وقولك ضربت
بخمارها على جيبها كقولك ضربت بيدي على الحائط اذا وضعتها عليه وعن عائشة رضي الله عنها ما رأيت
نساء خيرا من نساء الانصار لما نزلت هذه الاية قامت كل واحدة منهن الى مرطها المرحل فصدعت
منه صدعة فاختمرن فاصبحن على رؤوسهن الغربان وقرئ جيوبهن بكسر الجيم لاجل الياء وكذلك
بيوتا غير بيوتكم وقيل في نسائهن هن المؤمنات لانه ليس للمؤمنة ان تتجرد بين يدي مشركة او كتابية
عن ابن عباس والظاهر انه عنى بنسائهن وما ملكت ايمانهن من في صحبتهن وخدمتهن من الحرائر والاماء
والنساء كلهن [سواء] في حل نظر بعضهن الى بعض وقيل ما ملكت ايمانهن هم الذكور والاناث جميعا وعن عائشة
رضي الله عنها انها اباحت النظر اليها لعبدها وقالت لذكوان انك اذا وضعتني في القبر وخرجت
فانت حر وعن سعيد بن المسيب مثله ثم رجع وقال لا تغرنكم اية النور فان المراد بها الاماء وهذا
هو الصحيح لان عبد المرأة بمنزلة الاجنبي منها خصيا كان او فحلا وعن ميسون بنت بحدل الكلابية
ان معاوية دخل عليها ومعه خصي فتقنعت منه فقال هو خصي فقالت يا معاوية اترى ان المثلة
به تحلل ما حرم الله وعند ابي حنيفة رحمة الله عليه لا يحل امساك الخصيان واستخدامهم وبيعهم
وشراؤهم ولم ينقل عن احد من السلف امساكهم فان قلت روي انه اهدي لرسول الله صلى الله

عليه وسلم خصي فقبله **قلت** لا يقبل فيما تعم به البلوى الا حديث مكشوف فان صح فلعله قبله ليعتقه
او لسبب من الاسباب **غير اولي الاربة من الرجال او الطفل الذين لم يظهروا على عورات النساء** الاربة الحاجة
قيل هم الذين يتبعونكم ليصيبوا من فضل طعامكم ولا حاجة لهم الى النساء لانهم بله لا يعرفون شيئا من
امرهن او شيوخ صلحاء اذا كانوا معهن غضوا ابصارهم او بهم عنانة وقرئ غير بالنصب على الاستثناء او
الحال والجر على الوصفية وضع الواحد موضع الجمع لانه يفيد الجنس ويبين ما بعده انه يراد به الجمع ونحوه
نخرجكم طفلا لم يظهروا اما من ظهر على الشيء اذا اطلع عليه اي لا يعرفون ما العورة ولا يميزون
بينها وبين غيرها واما من ظهر على فلان اذا قوي عليه وظهر على القرآن اخذه واطاقه اي لم يبلغوا
اوان القدرة على الوطء وقرئ عورات وهي لغة هذيل **فان قلت** لم لم يذكر الله الاعمام والاخوال
قلت سئل الشعبي عن ذلك فقال لئلا يصفها العم عند ابنه والخال كذلك ومعناه ان سائر القرابات
يشترك الاب والابن في المحرمية الا العم والخال وابناهما فاذا رآها الاب فربما وصفها لابنه وليس بمحرم
فيداني تصوره لها بالوصف نظره اليها وهذا ايضا من الدلالات البليغة على وجوب الاحتياط عليهن في
التستر **ولا يضربن بارجلهن ليعلم ما يخفين من زينتهن** كانت المرأة تضرب الارض برجلها ليتقعقع
خلخالها فيعلم انها ذات خلخال وقيل كانت تضرب باحدى رجليها الاخرى ليعلم انها ذات خلخالين
واذا نهين عن اظهار صوت الحلي بعدما نهين عن اظهار الحلي علم بذلك ان النهي عن اظهار مواضع الحلي
ابلغ وابلغ **وتوبوا الى الله جميعا ايه المؤمنون لعلكم تفلحون** اوامر الله ونواهيه في كل باب لا
يكاد العبد الضعيف يقدر على مراعاتها وان ضبط نفسه واجتهد ولا يخلو من تقصير يقع منه فلذلك
وصى المؤمنين جميعا بالتوبة والاستغفار وبتأميل الفلاح اذا تابوا واستغفروا وعن ابن عباس رضي
الله عنهما توبوا مما كنتم تفعلونه في الجاهلية لعلكم تسعدون في الدنيا والآخرة **فان قلت** قد
صحت التوبة بالاسلام والاسلام يجب ما قبله فما معنى هذه التوبة **قلت** اراد بها ما يقوله العلماء ان
من اذنب ذنبا ثم تاب عنه يلزمه كلما تذكره ان يجدد عنه التوبة لانه يلزمه ان يستمر على ندمه
وعزمه الى ان يلقى ربه وقرئ ايه المؤمنون بضم الهاء ووجهه انها كانت مفتوحة لوقوعها قبل
الالف فلما سقطت الالف لالتقاء الساكنين اتبعت حركتها حركة ما قبلها **وانكحوا الايامى منكم
والصالحين من عبادكم وامائكم ان يكونوا فقراء يغنهم الله من فضله والله واسع عليم**
الايامى واليتامى اصلهما ايايم ويتايم فقلبا والايم للرجل والمرأة وقد آم وآمت وتأيما اذا لم يتزوجا
بكرين كانا او ثيبين **قال** فان تنكحي انكح وان تتأيمي وان كنت افتى منكم اتأيم وعن رسول الله
صلى الله عليه وسلم اللهم انا نعوذ بك من العيمة والغيمة والايمة والكزم والقرم والمراد انكحوا
من تأيم منكم من الاحرار والحرائر ومن كان فيه صلاح من غلمانكم وجواريكم **وقرئ** من عبيدكم
وهذا الامر للندب لما علم من ان النكاح امر مندوب اليه وقد يكون للوجوب في حق الاولياء عند
طلب المرأة ذلك وعند اصحاب الظاهر النكاح واجب ومما يدل على كونه مندوبا اليه قوله صلى
الله عليه وسلم من احب فطرتي فليستن بسنتي وهي النكاح وعنه عليه الصلوة والسلام من كان له
ما يتزوج به فلم يتزوج فليس منا وعنه صلى الله عليه وسلم اذا تزوج احدكم عج شيطانه يا ويله
عصم ابن آدم مني ثلثي دينه وعنه يا عياض لا تزوجن عجوزا ولا عاقرا فاني مكاثر والاحاديث فيه عن النبي
صلى الله عليه وسلم والآثار كثيرة وربما كان واجبا للترك اذا ادى الى معصية او مفسدة وعن

النبي

النبي عليه السلام اذا اتى على امتي مائة وثمانون سنة فقد حلت لهم العزبة والعزلة والترهب على رؤوس
الجبال وفي الحديث يأتي على الناس زمان لا تنال المعيشة فيه الا بالمعصية فاذا كان ذلك الزمان حلت
العزوبة **فان قلت** لم خص الصالحين **قلت** ليحصن دينهم ويحفظ عليهم صلاحهم ولان الصالحين
من ارقائهم هم الذين مواليهم يشفقون عليهم وينزلونهم منزلة الاولاد في الاثرة والمودة فكانوا مظنة
للتوصية بشأنهم والاهتمام بهم وتقبل الوصية فيهم واما المفسدون منهم فحالهم عند مواليهم
على عكس ذلك او اريد بالصلاح القيام بحقوق النكاح ينبغي ان تكون شريطة الله غير منسية
في هذا الموعد ونظائره وهي مشيئته ولا يشاء الحكيم الا ما اقتضته الحكمة وما كان مصلحة ونحوه ومن
يتق الله يجعل له مخرجا ويرزقه من حيث لا يحتسب وقد جاءت الشريطة منصوصة في قوله تعالى وان
خفتم عيلة فسوف يغنيكم الله من فضله ان شاء ان الله عليم حكيم ومن لم ينس هذه الشريطة لم ينتصب
معترضا بعزب كان غنيا فافقره النكاح وبفاسق تاب واتقى الله وكان له شيء ففني واصبح مسكينا
وعن النبي صلى الله عليه وسلم التمسوا الرزق بالنكاح وشكا اليه رجل الحاجة فقال عليك بالباءة وعن
عمر بن الخطاب رضي الله عنه عجب لمن لا يطلب الغنى بالباءة ولقد كان عندنا رجل رازح الحال ثم رأيته
بعد سنين وقد انتعشت حاله وحسنت فسألته فقال كنت في اول امري على ما علمت وذلك قبل ان
ارزق ولدا فلما رزقت بكر ولدي تراخيت عن الفقر فلما ولد لي الثاني زدت خيرا فلما تتاموا ثلاثة
صب الله علي الخير صبا فاصبحت الى ما ترى والله واسع اي غني ذو سعة لا يرزؤه اغناء الخلائق ولكنه عليم
ليستعفف يبسط الرزق لمن يشاء ويقدر **وليستعفف الذين لا يجدون نكاحا حتى يغنيهم الله من فضله**
وليجتهد في العفة وظلف النفس كأن المستعفف طالب من نفسه العفاف وحاملها عليه لا يجدون
نكاحا اي استطاعة تزوج ويجوز ان يراد بالنكاح ما ينكح به من المال حتى يغنيهم الله ترجية للمستعففين
بهم وتقدمة وعد بالتفضل عليهم بالغنى ليكون انتظار ذلك وتأميله لطفا لهم في استعفافهم وربطا على قلوبهم
وليظهر بذلك ان فضله اولى بالاعفاء وادنى من الصلحاء وما احسن ما رتب هذه الاوامر حيث امر اولا
بما يعصم من الفتنة ويبعد من مواقعة المعصية وهو غض البصر ثم بالنكاح الذي يحصن به الدين ويقع
به الاستغناء بالحلال عن الحرام ثم بالحمل على النفس الامارة بالسوء وعزفها عن الطموح الى الشهوة
عند العجز عن النكاح الى ان يرزق القدرة عليه **والذين يبتغون الكتاب مما ملكت ايمانكم
فكاتبوهم ان علمتم فيهم خيرا وآتوهم من مال الله الذي آتاكم** الذين يبتغون مرفوع على
الابتداء او منصوب بفعل مضمر يفسره فكاتبوهم كقولك زيدا فاضربه ودخلت الفاء لتضمن معنى الشرط
والكتاب والمكاتبة كالعتاب والمعاتبة وهو ان يقول الرجل لمملوكه كاتبتك على الف درهم فان اداها
عتق ومعناه كتبت لك على نفسي ان تعتق مني اذا وفيت بالمال وكتبت لي على نفسك ان تفي بذلك او كتبت
عليك الوفاء بالمال وكتبت على العتق ويجوز عند ابي حنيفة رحمة الله عليه حالا ومؤجلا ومنجما وغير منجم لان الله
تعالى لم يذكر التنجيم وقياسا على سائر العقود وعند الشافعي رضي الله عنه لا يجوز الا منجما ومؤجلا
ولا يجوز عنده بنجم واحد لان العبد لا يملك شيئا فعقده حالا منع من حصول الغرض لانه لا يقدر على
اداء البدل عاجلا ويجوز عقده على مال قليل وكثير وعلى خدمة في مدة معلومة وعلى عمل معلوم
مؤقت مثل حفر بئر في مكان بعينه معلومة الطول والعرض وبناء دار قد اراه آجرها وجصها
وما يبنى به وان كاتبه على قيمته لم يجز فان اداها عتق وان كاتبه على وصيف جاز لقلة الجهالة ووجب

الوسط وليس له ان يبطل المكاتبة واذا ادى عتق وكان ولاؤه لمولاه لانه جاد عليه بالكسب الذى هو
فى الاصل له وهذا الامر للندب عند عامة العلماء وعن الحسن ليس ذلك بعزم ان شا كاتب وان شا لم
يكاتب وعن عمر رضى الله عنه هى عزمة من عزمات الله وعن ابن سيرين مثله وهو مذهب داود خيرا
قدرة على اداء ما يفارقون عليه وقيل امانة وتكسبا وعن سلمان ان مملوكا له ابتغى ان يكاتبه فقال
اعندك مال قال لا قال افتامرنى ان اكل غسالة ايدى الناس واتوهم امر للمسلمين على وجه الوجوب
باعانة المكاتبين واعطائهم سهمهم الذى جعل الله لهم من بيت المال كقوله تعالى وفى الرقاب عند ابى
حنيفة واصحابه فان قلت هل يحل لمولاه اذا كان غنيا ان ياخذ ما تصدق به عليه قلت
نعم وكذلك اذا لم يف الصدقة بجميع البدل وعجز عن اداء الباقى طاب للمولى ما اخذه لانه لم ياخذه
بسبب الصدقة ولكن بسبب عقد المكاتبة كمن اشترى الصدقة من الفقير او ورثها او وهبت له ومنه
قوله صلى الله عليه وسلم حديث بريرة هو لها صدقة ولنا هدية وعند الشافعى رضى الله عنه هو
ايجاب على الموالى ان يحطوا لهم من مال الكتابة وان لم يفعلوا اجبروا وعن على رضى الله عنه تحط له
الربع وعن ابن عباس رضى الله عنه يرضخ له من كتابته شيئا وعن عمر رضى الله عنه انه كاتب عبدا له
يكنى ابا امية وهو اول عبد كوتب فى الاسلام فاتاه باول نجم فدفعه اليه عمر وقال استعن به على
مكاتبتك فقال لو اخرته الى اخر نجم فقال اخاف ان لا ادرك ذلك وهذا عند ابى حنيفة على وجه الندب
وقال انه عقد معاوضة فلا يجبر على الحطيطة كالبيع وقيل معنى واتوهم اسلفوهم وقيل انفقوا عليهم
بعد ان يؤدوا او يعتقوا وهذا كله مستحب وروى انه كان لحويطب بن عبد العزى مملوك يقال
له الصبيح سال مولاه ان يكاتبه فابى فنزلت ولا تكرهوا فتياتكم على البغاء ان اردن تحصنا لتبتغوا
عرض الحيوة الدنيا ومن يكرههن فان الله من بعد اكراههن غفور رحيم كانت اماء اهل
الجاهلية يساعين على مواليهن وكان لعبد الله بن ابى راس النفاق ست جوار معاذة ومسيكة واميمة
وعمرة واروى وقتيلة يكرههن على البغاء وضرب عليهن ضرائب فشكت ثنتان منهن الى رسول الله
صلى الله عليه وسلم فنزلت ويكنى بالفتى والفتاة عن العبد والامة وفى الحديث ليقل احدكم فتاى
وفتاتى ولا يقل عبدى وامتى والبغاء مصدر البغى فان قلت لم اقحم قوله ان اردن تحصنا
قلت لان الاكراه لا يتاتى الا مع ارادة التحصن وآمر المطيعة المواتية للبغاء لا يسمى مكرها ولا
امره اكراها وكلمة ان وايثارها على اذا ايذان بان المساعيات كن يفعلن ذلك برغبة وطواعية منهن
وان ما وجد من معاذة ومسيكة من حيز الشاذ النادر غفور رحيم لهم او لهن او لهم ولهن ان تابوا واصلحوا
وفى قراءة ابن عباس رضى الله عنهما لهن غفور رحيم فان قلت لا حاجة الى تعليق المغفرة بهن لان المكرهة
على الزنا بخلاف المكره عليه فى انها غير اثمة قلت لعل الاكراه كان دون ما اعتبرته الشريعة من اكراه
بقتل او بما يخاف منه التلف او ذهاب العضو من ضرب عنيف او غيره حتى تسلم من الاثم وربما قصرت
عن الحد الذى تعذر فيه فتكون اثمة ولقد انزلنا اليكم ايات مبينات ومثلا من الذين خلوا من
قبلكم وموعظة للمتقين مبينات هى الايات بينت فى هذه السورة واوضحت فى معانى الاحكام
والحدود ويجوز ان يكون الاصل مبينا فيها فاتسع فى الظرف وقرى بالكسر اى بينت هى
الاحكام والحدود جعل الفعل لها على المجاز او من بين بمعنى تبين ومنه المثل قد بين الصبح لذى
عينين ومثلا من امثال من قبلكم اى قصة عجيبة من قصصهم كقصة يوسف ومريم عليهما السلام يعنى قصة

عايشة رضى الله عنها وموعظة ما وعظ به فى الايات والمثل من قوله ولا تاخذكم بهما رافة فى دين الله لولا اذ
سمعتموه يعظكم الله ان تعودوا لمثله ابدا الله نور السموات والارض مثل نوره كمشكاة فيها
مصباح المصباح فى زجاجة كانها كوكب درى توقد من شجرة مباركة زيتونة لا شرقية
الزجاجة
ولا غربية نظير قوله تعالى الله نور السموات مع قوله مثل نوره ويهدى الله لنوره قولك زيد كرم
وجود ثم تقول ينعش الناس بكرمه وجوده والمعنى ذو نور السموات وصاحب نور السموات ونور السموات
والارض الحق شبهه بالنور فى ظهوره وبيانه كقوله عز وجل الله ولى الذين امنوا يخرجهم من الظلمات الى
النور اى من الباطل الى الحق واضاف النور الى السموات والارض لاحد معنيين اما للدلالة على سعة
اشراقه وفشو اضاءته حتى تضئ له السموات والارض واما ان يراد اهل السموات والارض وانهم
يستضيئون به مثل نوره اى صفة نوره العجيبة الشان فى الاضاءة كمشكوة كصفة مشكاة وهى الكوة
فى الجدار غير النافذة فيها مصباح سراج ضخم ثاقب فى زجاجة اراد قنديلا من زجاج شامى ازهر
شبهه فى زهرته باحد الدرارى من الكواكب وهى المشاهير كالمشترى والزهرة والمريخ وسهيل
ونحوها توقد هذا المصباح من شجرة اى ابتداء ثقوبه من شجرة الزيتون يعنى رويت ذبالته بزيتها
مباركة كثيرة المنافع او لانها تنبت فى الارض التى بارك فيها للعالمين وقيل بارك فيها سبعون
نبيا منهم ابراهيم عليه السلام وعن رسول الله صلى الله عليه وسلم عليكم بهذه الشجرة زيت
الزيتون فتداووا به فانه مصحة من الباسور لا شرقية ولا غربية اى منبتها الشام واجود الزيتون
زيتون الشام وقيل لا فى مضحى ولا مقناة ولكن الشمس والظل يتعاقبان عليه وذلك اجود
لحملها واصفى لدهنها قال رسول الله عليه السلام لا خير فى شجرة فى مقناة ولا نبات فى مقناة ولا خير
فيهما فى مضحى وقيل ليست مما تطلع عليه الشمس فى وقت شروقها او غروبها فقط بل تصيبها بالغداة
والعشى جميعا فهى شرقية غربية يكاد زيتها يضئ ولو لم تمسسه نار نور على نور يهدى الله لنوره
من يشاء ويضرب الله الامثال للناس والله بكل شئ عليم ثم وصف الزيت بالصفاء والوبيص
وانه لتلالؤه يكاد يضئ من غير نار نور على نور اى هذا الذى شبهت به الحق نور متضاعف قد تناصر
فيه المشكاة والزجاجة والمصباح والزيت حتى لم يبق فيه مما يقوى النور ويزيده اشراقا ويمده
بامادة بقية وذلك ان المصباح اذا كان فى مكان متضايق كالمشكوة كان اضوا له واجمع لنوره بخلاف
المكان الواسع فان الضوء ينبث فيه وينتشر والقنديل اعون شئ على زيادة الانارة وكذلك الزيت
وصفاؤه يهدى الله لهذا النور الثاقب من يشاء من عباده اى يوفق لاصابة الحق من نظر وتدبر بعين
عقله والانصاف من نفسه ولم يذهب عن الجادة الموصلة اليه يمينا وشمالا ومن لم يتدبر فهو
كالاعمى الذى سواء عليه جنح الليل الدامس وضحوة النهار الشامس وعن على كرم الله وجهه نور السموات
والارض اى نشر فيها الحق وبثه فاضاءت بنوره او نور قلوب اهلها وعن ابى بن كعب رضى الله عنه
مثل نور من امن به وقرى زجاجة الزجاجة بالفتح والكسر ودرى منسوب الى الدر اى ابيض متلالئ
ودرئ بوزن سكيت يدرأ الظلام بضوئه ودرئ كمريق ودرى كالسكينة عن ابى زيد وتوقد
بمعنى تتوقد والفعل للزجاجة ويوقد وتوقد بالتخفيف وتوقد بالتشديد ويوقد بحذف
التاء لاجتماع حرفين زائدين وهو غريب وتمسسه بالياء لان التانيث ليس بحقيقى
والضمير فاصل فى بيوت اذن الله ان ترفع ويذكر فيها اسمه يسبح له فيها بالغدو والاصال

رجال في بيوت يتعلق بما قبله اى كمشكوة فى بعض بيوت الله وهى المساجد كانه قيل مثل نوره كما يرى في
المسجد نور المشكاة التى من صفتها كيت وكيت او بما بعده وهو يسبح اى يسبح له رجال فى بيوت وفيها
تكرير كقولك زيد فى الدار جالس فيها او بمحذوف كقوله تعالى فى تسع ايات اى سبحوا فى بيوت والمراد
بالاذن الامر ورفعها بناؤها كقوله تعالى بناها رفع سمكها فسوّيها واذ يرفع ابراهيم القواعد
من البيت وعن ابن عباس رضى الله عنهما هى المساجد امر الله ان تبنى او تعظيمها والرفع من قدرها وعن
الحسن ما امر الله ان ترفع بالبناء ولكن بالتعظيم ويذكر فيها اسمه اوفق له وهو عام فى كل ذكر وعن
ابن عباس رضى الله عنهما وان يتلى فيها كتابه وقرئ يسبح على البنا للمفعول ويسند الى احد الظروف
الثلثة اعنى له فيها بالغدو ورجال مرفوع بما دل عليه يسبح وهو يسبح له رجال وتسبح بالتاء وكسر
الباء وعن ابى جعفر بالتاء وفتح الباء ووجهها ان يسند الى اوقات الغدو والاصال على زيادة الباء وتجعل
الاوقات مسبحة والمراد ربها كصيد عليه يومان والمراد وحشها والاصال جمع اصل وهو العشى والمعنى
باوقات الغدو اى بالغدوات وقرئ والايصال وهو الدخول فى الاصيل يقال آصل كاظهر
واعتم لا تلهيهم تجارة ولا بيع عن ذكر الله واقام الصلوة وايتاء الزكوة يخافون يوما تتقلب
فيه القلوب والابصار التجارة صناعة التاجر وهو الذى يبيع ويشترى للربح فاما ان يريد لا
يشغلهم نوع من هذه الصناعة ثم خص البيع لانه فى الالهاء ادخل من قبل ان التاجر اذا اتجهت له بيعة رابحة
وهى طلبته الكلية من صناعته الهته ما لا يلهيه شرى شىء يتوقع فيه الربح فى الوقت الثانى لان هذا يقين
وذاك مظنون واما ان يسمى الشرى تجارة اطلاقا لاسم الجنس على النوع كما تقول فلان تجارة رابحة رزق م
اذا اتجه له بيع صالح او شرى وقيل التجارة لاهل الجلب تجر فلان فى كذا اذا جلبه التاء فى اقامة عوض
من العين الساقطة للاعلال والاصل اقوام فلما اضيفت اقيمت الاضافة مقام حرف التعويض فاسقطت
ونحوه واخلفوك عد الامر الذى وعدوا وتقلب القلوب والابصار اما ان تتقلب وتتغير فى انفسها
وهو ان تضطرب من الهول والفزع وتشخص كقوله عز وجل واذ زاغت الابصار وبلغت القلوب الحناجر
واما ان تتقلب احوالها وتتغير فتفقه القلوب بعد ان كانت مطبوعا عليها لا تفقه وتبصر الابصار
بعد ان كانت عميا لا تبصر ليجزيهم الله احسن ما عملوا ويزيدهم من فضله والله يرزق من يشاء
بغير حساب احسن ما عملوا اى احسن جزاء اعمالهم كقوله تعالى للذين احسنوا الحسنى والمعنى يسبحون
ويخافون ليجزيهم ثوابهم مضاعفا ويزيدهم على الثواب تفضلا وكذلك معنى قوله تعالى الحسنى
وزيادة المثوبة الحسنى وزيادة عليها من التفضل وعطاء الله عز وجل اما تفضل واما ثواب واما
عوض والله يرزق ما يتفضل به بغير حساب فاما الثواب فله حساب لكونه على حسب الاستحقاق
والذين كفروا اعمالهم كسراب بقيعة يحسبه الظمان ماء حتى اذا جاءه لم يجده شيئا ووجد
الله عنده فوفاه حسابه والله سريع الحساب السراب ما يرى فى الفلاة من ضوء الشمس وقت
الظهيرة يسرب على وجه الارض كانه ماء يجرى والقيعة بمعنى القاع او جمع قاع وهو المنبسط
المستوى من الارض كجيرة فى جار وقرئ بقيعات بتاء مطوطة كديمات وقيمات فى ديمة وقيمة
وقد جعل بعضهم بقيعاة بتاء مدورة كرجل عزهاة شبه ما يعمله من لا يعتقد الايمان ولا يتبع الحق من
الاعمال الصالحة التى يحسبها تنفعه عند الله وتنجيه من عذابه ثم تخيب فى العاقبة امله ويلقى خلاف
ما قدر بسراب يراه الكافر بالساهرة وقد غلبه عطش يوم القيمة فيحسبه ماء فياتيه فلا يجد ما رجا

ويجد

ويجد زبانية الله عنده يأخذونه فيعتلونه الى جهنم فيسقونه الحميم والغساق وهم الذين قال الله
تعالى فيهم عاملة ناصبة ويحسبون انهم يحسنون صنعا وقدمنا الى ما عملوا من عمل فجعلناه هباء منثورا
وقيل نزلت فى عتبة بن ربيعة بن امية قد كان تعبد ولبس المسوح والتمس الدين فى الجاهلية
ثم كفر فى الاسلام او كظلمات فى بحر لجى يغشاه موج من فوقه موج من فوقه سحاب ظلمات بعضها
فوق بعض اذا اخرج يده لم يكد يراها اللجى العميق الكثير الماء منسوب الى اللج وهو معظم
ماء البحر وفى اخرج ضمير الواقع فيه لم يكد يراها مبالغة فى لم يرها اى لم يقرب ان يراها
فضلا عن ان يراها ومثله قول ذى الرمة اذا غير النأى المحبين لم يكد رسيس الهوى من حب مية يبرح
اى لم يقرب من البراح فما باله يبرح شبه اعمالهم اولا فى فوات نفعها وحضور ضررها بسراب لم
يجده من خدعه من بعيد شيئا ولم يكفه خيبة وكمدا ان لم يجده شيئا كغيره من السراب حتى وجد عنده ه
الزبانية تعتله الى النار ولا يقتل ظماه بالماء وشبهها ثانيا فى ظلمتها وسوادها لكونها باطلة وفى خلوها
عن نور الحق بظلمات متراكمة من لج البحر والامواج والسحاب ومن لم يجعل الله له نورا فما له من نور
ثم قال ومن لم يوله نور توفيقه وعصمته ولطفه فهو فى ظلمة الباطل لا نور له وهذا الكلام مجراه
مجرى الكنايات لان الالطاف انما تردف الايمان والعمل او كونهما مترقبين الا ترى الى قوله والذين
جاهدوا فينا لنهدينهم سبلنا وقوله ويضل الله الظالمين وقرئ سحاب ظلمات على الاضافة
وسحاب ظلمات برفع سحاب وتنوينه وجر ظلمات بدلا من ظلمات الاولى الم تر ان الله يسبح له من
فى السموات والارض والطير صافات كل قد علم صلوته وتسبيحه والله عليم بما يفعلون
ولله ملك السموات والارض والى الله المصير صافات يصففن اجنحتهن فى الهواء والضمير
فى علم لكل او لله وكذلك فى صلوته وتسبيحه والصلوة الدعاء ولا يبعد ان يلهم الله الطير دعاءه
وتسبيحه كما الهمها سائر العلوم الدقيقة التى لا يكاد العقلاء يهتدون اليها الم تر ان الله يزجى سحابا
ثم يؤلف بينه ثم يجعله ركاما فترى الودق يخرج من خلاله وينزل من السماء من جبال فيها
من برد فيصيب به من يشاء ويصرفه عمن يشاء يكاد سنا برقه يذهب بالابصار يقلب
الله الليل والنهار ان فى ذلك لعبرة لاولى الابصار يزجى يسوق ومنه البضاعة المزجاة
التى يزجيها كل احد لا يرضاها والسحاب يكون واحدا كالعماء وجمعا كالرباب ومعنى تاليف الواحد
انه يكون قزعا فيضم بعضه الى بعض وجاز بينه وهو واحد لان المعنى بين اجزائه كما قيل فى قوله
بين الدخول فحومل والركام المتراكم بعضه فوق بعض والودق المطر من خلاله من فتوقه
ومخارجه جمع خلل كجبال فى جبل وقرئ من خلله وينزل بالتشديد ويكاد سنا الادغام على م
ورقه جمع برقة وهى المقدار من البرق كالغرفة واللقمة وبرقه بضمتين للاتباع كما قيل فى
جمع فعلة فعلات كظلمات وسنا برقه على المد المقصور بمعنى الضوء والممدود بمعنى العلو والا رتفاع
من قولك سنى للمرتفع ويذهب بالابصار على زيادة الباء كقوله تعالى ولا تلقوا بايديكم الى
عن ابى جعفر المدنى وهذا من تعديد الدلائل على ربوبيته وظهور امره حيث ذكر تسبيح من فى السموات
والارض وكل ما يطير بين السماء والارض ودعاءهم له وابتهالهم اليه وانه تعالى يسخر السحاب التسخير الذى
وصفه وما يحدث فيه من افعاله حتى ينزل المطر منه وانه يقسم رحمته بين خلقه ويقبضها ويبسطها
على ما تقتضيه حكمته ويريهم البرق فى السحاب الذى يكاد يخطف ابصارهم ليعتبروا ويحذروا ويعاقب

بين الليل والنهار وتخالف بينهما بالطول والقصر وما هذه الا براهين في غاية الوضوح على وجوده وثبات
ودلائل منادية على صفاته لمن نظر وفكر وتبصر وتدبر فان قلت متى رأى رسول الله صلى الله
عليه وسلم تسبيح من في السموات ودعاءهم وتسبيح الطير ودعاءه وتنزيل المطر من جبال برد في السما
حتى قيل له الم تر قلت علمه من جهة اخبار الله اياه بذلك على طريق الوحي فان قلت ما الفرق
بين من الاولى والثانية والثالثة في قوله تعالى من السماء من جبال فيها من برد قلت الاولى لابتداء الغاية
والثانية للتبعيض والثالثة للبيان او الاوليان للابتداء والاخرة للتبعيض ومعناه انه ينزل
البرد من السماء من جبال فيها وعلى الاول مفعول ينزل من جبال فان قلت ما معنى من جبال
فيها من برد قلت فيه معنيان احدهما ان يخلق الله في السماء جبال برد كما خلق في الارض جبال
حجر والثاني ان يريد الكثرة بذكر الجبال كما يقال فلان يملك جبالا من ذهب والله خلق كل
دابة من ماء فمنهم من يمشي على بطنه ومنهم من يمشي على رجلين ومنهم من يمشي على اربع يخلق
الله ما يشاء ان الله على كل شيء قدير وقرئ خالق كل دابة ولما كان اسم الدابة موقعا على
المميز وغير المميز غلب المميز فاعطى ما وراءه حكمه كان الدواب كلهم مميزون فمن ثم قيل فمنهم
وقيل من يمشي في الماشي على بطن والماشي على اربع قوائم فان قلت لم نكر الماء في قوله تعالى من ماء
قلت لان المعنى انه خلق كل دابة من نوع من الماء مختص بتلك الدابة او خلقها من ماء مخصوص
وهو النطفة ثم خالف بين المخلوقات من النطفة فمنها هوام ومنها بهائم ومنها ناس ونحوه قوله
تعالى تسقى بماء واحد ونفضل بعضها على بعض في الاكل فان قلت فما باله معرفا في قوله تعالى وجعلنا
من الماء كل شيء حي قلت قصد ثم معنى اخر وهو ان اجناس الحيوان كلها مخلوقة من هذا الجنس الذي
هو جنس الماء وذلك انه هو الاصل وان تخللت بينه وبينها وسائط قالوا خلق الملائكة من ريح
خلقها من الماء والجن من نار خلقها منه وادم من تراب خلقه منه فان قلت لم جاءت الاجناس الثلثة
على هذا الترتيب قلت قدم ما هو اعرق في القدرة وهو الماشي بغير آلة مشي من ارجل وقوائم
ثم الماشي على رجلين ثم الماشي على اربع فان قلت لم سمي الزحف على البطن مشيا قلت على سبيل الاستعا
كما قالوا في الامر المستمر قد مشى هذا الامر ويقال فلان لا يتمشى له امر ونحوه استعارة الشفة مكان
الجحفلة والمشفر مكان الشفة ونحو ذلك او على طريق المشاكلة لذكر الزاحف مع الماشين لقد انزلنا
ايات مبينات والله يهدي من يشاء الى صراط مستقيم ويقولون امنا بالله وبالرسول
واطعنا ثم يتولى فريق منهم من بعد ذلك وما اولئك بالمؤمنين وما اولئك بالمؤمنين اشارة
الى القائلين امنا واطعنا او الى الفريق المتولي منهم فمعناه على الاول اعلام من الله بان جميعهم منتف عنهم
الايمان لا الفريق المتولي وحده وعلى الثاني اعلام بان الفريق المتولي لم يكن ما سبق لهم من الايمان
ايمانا انما كان ادعاء باللسان من غير مواطاة القلب لانه لو كان صادرا عن صحة معتقد وطمانينة
نفس لم يتعقبه التولي والاعراض والتعريف في قوله تعالى بالمؤمنين دلالة على انهم ليسوا بالمؤمنين
الذين عرفت وهم الثابتون المستقيمون على الايمان الموصوفون في قوله تعالى انما المؤمنون الذين
امنوا بالله ورسوله ثم لم يرتابوا واذا دعوا الى الله ورسوله ليحكم بينهم اذا فريق منهم معرضون
معنى الى الله ورسوله الى رسول الله كقولك اعجبني زيد وكرمه تريد كرم زيد ومنه قوله
غلسته قبل القطا وفرطه اراد قبل فرط القطا روي انها نزلت في بشر المنافق وخصمه اليهودي حين

اختصما

اختصما في ارض فجعل اليهودي يجره الى رسول الله صلى الله عليه وسلم والمنافق يجره الى كعب بن الاشرف
ويقول ان محمدا يحيف علينا وروي ان المغيرة بن وائل كان بينه وبين علي بن ابي طالب خصومة
في ماء وارض فقال المغيرة اما محمد فلست اتيه ولا احاكم اليه فانه يبغضني وانا اخاف ان يحيف علي
وان يكن لهم الحق ياتوا اليه مذعنين الى صلة ياتوا لان اتى وجاء قد جاءا معديين بالى او يتصل
بمذعنين لانه في معنى مسرعين في الطاعة وهذا احسن لتقدم صلته ودلالته على الاختصاص
والمعنى انهم لمعرفتهم انه ليس معك الا الحق المر والعدل البحت يزورون عن المحاكمة اليك اذا ركبهم
الحق لئلا تنتزعه من احداقهم بقضائك عليهم لخصومهم وان ثبت لهم حق على خصم اسرعوا اليك ولم
يرضوا الا بحكومتك لتاخذ لهم ما ذاب لهم في ذمة الخصم افي قلوبهم مرض ام ارتابوا ام يخافون
ان يحيف الله عليهم ورسوله بل اولئك هم الظالمون ثم قسم الامر في صدودهم عن حكومتك
اذا كان الحق عليهم بين ان يكونوا مرضى القلوب منافقين او مرتابين في امر نبوتك او خائفين الحيف
في قضائك ثم ابطل خوفهم حيفه بقوله بل اولئك هم الظالمون اي لا يخافون ان يحيف عليهم لمعرفتهم بحاله
وانما هم ظالمون يريدون ان يظلموا من له الحق عليهم ويتم لهم جحوده وذلك شيء لا يستطيعونه في مجلس
رسول الله صلى الله عليه وسلم فمن ثم يابون المحاكمة اليه انما كان قول المؤمنين اذا دعوا الى الله
ورسوله ليحكم بينهم ان يقولوا سمعنا واطعنا واولئك هم المفلحون وعن الحسن رحمة الله
عليه قول المؤمنين بالرفع والنصب اقوى لان اولى الاسمين بكونه اسما لكان اوغلهما في التعريف
وان يقولوا اوغل لانه لا سبيل عليه للتنكير بخلاف قول المؤمنين وكان هذا من قبيل كان في قوله
عز وجل ما كان لله ان يتخذ من ولد ما يكون لنا ان نتكلم بهذا وقرئ ليحكم على البناء للمفعول فان
قلت الام اسند يحكم ولا بد له من فاعل هو مسند الى مصدره لان معناه ليفعل الحكم بينهم
ومثله جمع بينهما والف بينهما ومثله لقد تقطع بينكم فيمن قرأ بينكم منصوبا اي وقع التقطع بينكم وهذه
القراءة مجاوبة لقوله دعوا ومن يطع الله ورسوله ويخش الله ويتقه فاولئك هم الفائزون
قرئ ويتقه بكسر القاف والهاء مع الوصل وبغير وصل وبسكون الهاء وبسكون القاف وكسر
الهاء شبه تقه بكتف فخفف كقوله قالت سليمى اشتر لنا سويقا ولقد جمع الله سبحانه في هذه
الاية اسباب الفوز وعن ابن عباس رضي الله عنهما في تفسيرها ومن يطع الله في فرائضه ورسوله
في سننه ويخش الله على ما مضى من ذنوبه ويتقه فيما يستقبل وعن بعض الملوك انه سال عن اية كافية
فتليت له هذه الاية واقسموا بالله جهد ايمانهم لئن امرتهم ليخرجن قل لا تقسموا طاعة معروفة
ان الله خبير بما تعملون جهد يمينه مستعار من جهد نفسه اذا بلغ اقصى وسعها وذلك اذا با
في اليمين وبلغ غاية شدتها ووكادتها وعن ابن عباس رضي الله عنهما من قال بالله فقد جهد يمينه
واصل اقسم جهد اليمين اقسم يجهد اليمين جهدا فحذف الفعل وقدم المصدر فوضع موضعه مضافا
الى المفعول كقوله تعالى فضرب الرقاب وحكم هذا المنصوب حكم الحال كانه قال جاهدين ايمانهم
وطاعة معروفة خبر مبتدا محذوف او مبتدا محذوف الخبر اي امركم والذي يطلب منكم طاعة
معروفة لا ايمان فيها ولا ارتياب كطاعة الخلص من المؤمنين الذين طابق باطن امرهم ظاهره لا ايمان
تقسمون بها بافواهكم وقلوبكم على خلافها او طاعتكم طاعة معروفة بانها بالقول دون الفعل
او طاعة معروفة امثل واولى بكم من هذه الايمان الكاذبة وقرا اليزيدي طاعة معروفة بالنصب

على معنى اطيعوا طاعة ان الله خبير بما تعملون يعلم ما في ضمائركم ولا يخفى عليه شيء من سرائركم وانه فاضحكم لا محالة ومجازيكم على نفاقكم قل اطيعوا الله واطيعوا الرسول فان تولوا فانما عليه ما حمل وعليكم ما حملتم وان تطيعوه تهتدوا وما على الرسول الا البلاغ المبين صرف الكلام عن الغيبة الى الخطاب على طريقة الالتفات وهذا ابلغ في تبكيتهم يريد فان تتولوا فما ضررتموه وانما ضررتم انفسكم فان الرسول ليس عليه الا ما حمله الله وكلفه من اداء الرسالة فاذا ادى فقد خرج عن عهدة تكليفه واما انتم فعليكم ما كلفتم من التلقي بالقبول والاذعان فان لم تفعلوا وتوليتم فقد عرضتم نفوسكم لسخط الله وعذابه وان اطعتموه فقد احرزتم نصيبكم من الخروج عن الضلالة الى الهدى فالنفع والضرر عائدان اليكم وما الرسول الا ناصح وهاد وما عليه الا ان يبلغ ما له نفع في قبولكم ولا عليه ضرر في توليكم والبلاغ بمعنى التبليغ كالاداء بمعنى التادية ومعنى المبين كونه مقرونا بالآيات والمعجزات وعد الله الذين آمنوا منكم وعملوا الصالحات ليستخلفنهم في الارض كما استخلف الذين من قبلهم الخطاب لرسول الله عليه السلام ولمن معه ومنكم للبيان كالتي في آخر سورة الفتح وعدهم الله ان ينصر الاسلام على الكفر ويورثهم الارض ويجعلهم فيها خلفاء كما فعل ببني اسرائيل حين اورثهم مصر والشام بعد اهلاك الجبابرة وليمكنن لهم دينهم الذي ارتضى لهم وليبدلنهم من بعد خوفهم امنا يعبدونني لا يشركون بي شيئا ومن كفر بعد ذلك فاولئك هم الفاسقون وهو ان يمكن الدين المرتضى وهو دين الاسلام وتمكينه تثبيته وتوطيده وان يؤمن سربهم ويزيل عنهم الخوف الذي كانوا عليه وذلك ان رسول الله صلى الله عليه وسلم واصحابه مكثوا بمكة عشر سنين خائفين ولما هاجروا كانوا بالمدينة يصبحون في السلاح ويمسون فيه حتى قال رجل ما يأتي علينا يوم نامن فيه ونضع السلاح فقال صلى الله عليه وسلم لا تغبرون الا يسيرا حتى يجلس الرجل منكم في الملأ العظيم محتبيا ليس فيه حديدة فانجز الله وعده واظهرهم على جزيرة العرب وافتتحوا بعد بلاد المشرق والمغرب ومزقوا ملك الاكاسرة وملكوا خزائنهم واستولوا على الدنيا ثم خرج الذين على خلاف سيرتهم فكفروا بتلك الانعم وفسقوا وذلك قوله عليه السلام الخلافة بعدي ثلاثون سنة ثم يملك الله من يشاء فتصير ملكا ثم تصير بزيزى قطع سبيل وسفك دماء واخذ اموال بغير حقها وقرئ كما استخلف على البناء للمفعول وليبدلنهم بالتشديد **فان قلت** اين القسم المتلقى باللام والنون في ليستخلفنهم **قلت** هو محذوف تقديره وعدهم الله واقسم ليستخلفنهم او نزل وعد الله في تحققه منزلة القسم فتلقي بما يتلقى به القسم كانه اقسم ليستخلفنهم **فان قلت** ما محل يعبدونني **قلت** ان جعلته استئنافا لم يكن له محل كان قائلا قال ما لهم يستخلفون ويؤمنون فقال يعبدونني وان جعلته حالا عن وعدهم اي وعدهم الله ذلك في حال عبادتهم واخلاصهم فمحله النصب ومن كفر يريد كفران النعمة كقوله تعالى فكفرت بانعم الله فاولئك هم الفاسقون اي هم الكاملون في فسقهم حيث كفروا تلك النعمة العظيمة وجسروا على غمطها **فان قلت** هل في هذه الآية دليل على امر الخلفاء الراشدين **قلت** اوضح دليل وابينه لان المستخلفين الذين امنوا وعملوا الصالحات هم هم واقيموا الصلوة واتوا الزكوة واطيعوا الرسول لعلكم ترحمون واقيموا الصلوة معطوف على اطيعوا الله واطيعوا الرسول وليس ببعيد ان يقع بين المعطوف والمعطوف عليه فاصل وان طال لان حق المعطوف ان يكون غير المعطوف عليه (بين م) وكررت طاعة الرسول تاكيدا لوجوبها لا تحسبن الذين كفروا معجزين في الارض وماواهم النار ولبئس المصير وقرئ لا يحسبن بالياء وفيه اوجه ان يكون معجزين في الارض هما المفعولان والمعنى لا تحسبن

الذين كفروا احدا يعجز الله في الارض حتى يطمعوا هم في مثل ذلك وهذا معنى قوي جيد وان يكون فيه ضمير الرسول لتقدم ذكره في قوله تعالى واطيعوا الرسول وان يكون الاصل لا يحسبنهم الذين كفروا معجزين ثم حذف الضمير الذي هو المفعول الاول وكان الذي سوغ ذلك ان الفاعل والمفعولين لما كانت لشيء واحد اقتنع بذكر اثنين عن ذكر الثالث وعطف قوله تعالى وماواهم النار على لا يحسبن الذين كفروا معجزين كانه قيل الذين كفروا لا يفوتون الله وماواهم النار والمراد بهم المقسمون جهد ايمانهم يا ايها الذين امنوا ليستاذنكم الذين ملكت ايمانكم والذين لم يبلغوا الحلم منكم ثلث مرات من قبل صلوة الفجر وحين تضعون ثيابكم من الظهيرة ومن بعد صلوة العشاء امر بان يستاذن العبيد وقيل العبيد والاماء والاطفال الذين لم يحتلموا من الاحرار ثلث مرات في اليوم والليلة قبل صلوة الفجر لانه وقت القيام من المضاجع وطرح ما ينام فيه من الثياب ولبس ثياب اليقظة وبالظهيرة لانه وقت وضع الثياب للقائلة وبعد صلوة العشاء لانه وقت التجرد من ثياب اليقظة والالتحاف بثياب النوم وسمى كل واحدة من هذه الاحوال عورة لان الناس يختل تسترهم وتحفظهم فيها والعورة الخلل ومنها اعور الفارس واعور المكان والاعور المختل العين ثم عذرهم في ترك الاستيذان وراء هذه المرات وبين وجه العذر في قوله تعالى طوافون عليكم يعني ان بكم وبهم حاجة الى المخالطة والمداخلة يطوفون عليكم للخدمة وتطوفون عليهم للاستخدام فلو جزم الامر بالاستيذان في كل وقت لادى الى الحرج **وروي** ان مدلج بن عمرو وكان غلاما انصاريا ارسله رسول الله صلى الله عليه وسلم وقت الظهر الى عمر رضي الله عنه ليدعوه فدخل عليه وهو نائم وقد انكشف عنه ثوبه فقال عمر لوددت ان الله عز وجل نهى اباءنا وابناءنا وخدمنا ان لا يدخلوا علينا هذه الساعات الا باذن ثم انطلق معه الى النبي صلى الله عليه وسلم فوجده وقد انزلت عليه هذه الآية وهي احدى الآيات المنزلة بسبب عمر وقيل نزلت في اسماء بنت ابي مرثد قالت انا لندخل على الرجل والمراة ولعلهما يكونان في لحاف واحد وقيل دخل عليها غلام لها كبير في وقت كرهت دخوله فاتت رسول الله عليه السلام فقالت ان خدمنا وغلماننا (عليهما) يدخلون علينا في حال نكرهها وعن ابي عمرو الحلم بالسكون ثلث عورات لكم ليس عليكم ولا عليهم جناح بعدهن طوافون عليكم بعضكم على بعض كذلك يبين الله لكم الآيات والله عليم حكيم وقرئ ثلث عورات بالنصب بدلا عن ثلث مرات اي اوقات ثلث عورات وعن الاعمش عورات على لغة هذيل **فان قلت** ما محل ليس عليكم **قلت** اذا رفعت ثلث عورات كان ذلك في محل الرفع على الوصف والمعنى هن ثلث عورات مخصوصة بالاستيذان واذا نصبت لم يكن له محل وكان كلاما مقررا للامر بالاستيذان في تلك الاحوال خاصة فان قلت بم ارتفع بعضكم قلت بالابتداء وخبره على بعض على معنى طائف على بعض وحذف لان طوافون يدل عليه ويجوز ان يرتفع بيطوف مضمرا لتلك الدلالة واذا بلغ الاطفال منكم الحلم فليستاذنوا كما استاذن الذين من قبلهم كذلك يبين الله لكم آياته والله عليم حكيم الاطفال منكم اي من الاحرار دون المماليك الذين من قبلهم يريد الذين بلغوا الحلم من قبلهم وهم الرجال والذين ذكروا من قبلهم في قوله تعالى يا ايها الذين امنوا لا تدخلوا بيوتا غير بيوتكم حتى تستانسوا الآية والمعنى ان الاطفال ماذون لهم في الدخول بغير اذن الا في العورات الثلاث فاذا اعتاد الاطفال ذلك ثم خرجوا عن حد الطفولة بان يحتلموا او يبلغوا السن التي يحكم فيها عليهم بالبلوغ وجب ان يفطموا عن تلك العادة ويحملوا على ان يستاذنوا في جميع الاوقات كالرجال الكبار الذين لم يعتادوا الدخول عليكم الا باذن وهذا مما الناس منه في غفلة وهو عندهم كالشريعة المنسوخة وعن ابن عباس

رضي الله عنهما آية لا يؤمن بها أكثر الناس آية الإذن وإني لآمر جاريتي أن تستأذن علي، وسأله عطاء أستأذن
على أختي قال نعم وإن كانت في حجرك تمونها وتلا هذه الآية، وعنه ثلاث آيات جحدهن الناس الإذن كله
وقوله عز وجل إن أكرمكم عند الله أتقاكم فقال ناس أعظمكم بيتا، وقوله تعالى وإذا حضر القسمة، وعن ابن
مسعود رضي الله عنه عليكم أن تستأذنوا على آبائكم وأمهاتكم وأخواتكم، وعن الشعبي ليست منسوخة
فقيل له إن الناس لا يعملون بها فقال الله المستعان، وعن سعيد بن جبير رضي الله عنه يقولون هي منسوخة
ولا والله ما هي منسوخة ولكن الناس تهاونوا بها **فإن قلت** ما السن التي يحكم فيها بالبلوغ
قلت قال أبو حنيفة رحمة الله عليه ثماني عشرة سنة في الغلام وسبع عشرة في الجارية وعامة العلماء على خمس
عشرة فيهما، وعن علي رضي الله عنه أنه كان يعتبر القامة ويقدره خمسة أشبار وبه أخذ الفرزدق في قوله
ما زال مذ عقدت يداه إزاره، وسما فأدرك خمسة الأشبار، واعتبر غيره الإنبات، وعن عثمان
رضي الله عنه أنه سأل عن غلام فقال هل اخضر إزاره والقواعد من النساء اللاتي لا يرجون نكاحا فليس
عليهن جناح أن يضعن ثيابهن غير متبرجات بزينة وأن يستعففن خير لهن والله سميع عليم
القاعد التي قعدت عن الحيض والولد لكبرها لا يرجون نكاحا لا يطمعن فيه، والمراد بالثياب الثياب
الظاهرة كالملحفة والجلباب الذي فوق الخمار، غير متبرجات بزينة غير مظهرات زينة يريد الزينة
الخفية التي أرادها الله في قوله تعالى ولا يبدين زينتهن إلا لبعولتهن أو غير قاصدات بالوضع التبرج
ولكن التخفف إذا احتجن إليه، والاستعفاف من الوضع خير لهن لما ذكر الجائز عقبه بالمستحب بعثا منه
على اختيار أفضل الأعمال وأحسنها كقوله عز وعلا وأن تعفوا أقرب للتقوى، وأن تصدقوا خير لكم
فإن قلت ما حقيقة التبرج **قلت** تكلف إظهار ما يجب إخفاؤه من قولهم سفينة بارج لا غطاء
عليها والبرج سعة العين يرى بياضها محيطا بسوادها كله لا يغيب منه شيء إلا أنه اختص بأن تتكشف
المرأة للرجال بإبداء زينتها وإظهار محاسنها وبرا وبرز بمعنى ظهر من أخوات تبرج وتبلج كذلك ليس
على الأعمى حرج ولا على الأعرج حرج ولا على المريض حرج ولا على أنفسكم أن تأكلوا من بيوتكم
أو بيوت آبائكم أو بيوت أمهاتكم أو بيوت إخوانكم أو بيوت أخواتكم أو بيوت أعمامكم
أو بيوت عماتكم أو بيوت أخوالكم أو بيوت خالاتكم أو ما ملكتم مفاتحه أو صديقكم
كان المؤمنون يذهبون بالضعفاء وذوي العاهات إلى بيوت أزواجهم وأولادهم وإلى بيوت
قراباتهم وأصدقائهم فيطعمونهم منها فخالج قلوب المطعمين والمطعمين ريبة في ذلك وخافوا أن يلحقهم
فيه حرج وكرهوا أن يكون أكلا بغير حق لقوله تعالى ولا تأكلوا أموالكم بينكم بالباطل فقيل لهم
ليس على الضعفاء ولا على أنفسكم يعني عليكم ولا على من في مثل حالكم من المؤمنين حرج في ذلك، وعن
عكرمة كانت الأنصار في أنفسها قزازة فكانت لا تأكل من هذه البيوت إذا استغنوا، وقيل كان هؤلاء
يتوقون مجالسة الناس ومؤاكلتهم لما عسى يؤدي إلى الكراهة من قبلهم ولأن الأعمى ربما سبقت يده إلى
ما سبقت عين أكيله إليه وهو لا يشعر والأعرج يتفسح في مجلسه ويأخذ أكثر من موضعه فيضيق على جليسه
والمريض لا يخلو من رائحة تؤذي أو جرح يبض أو أنف يذن ونحو ذلك، وقيل كانوا يخرجون إلى الغزو
ويخلفون الضعفاء في بيوتهم ويدفعون إليهم المفاتيح ويأذنون لهم أن يأكلوا من بيوتهم فكانوا يتحرجون
حكي عن الحارث بن عمرو أنه خرج غازيا وخلف مالك بن زيد في بيته وماله فلما رجع رآه مجهودا فقال
ما أصابك قال لم يكن عندي شيء ولم يحل لي أن آكل من مالك فقيل ليس على هؤلاء الضعفاء حرج فيما تحرجوا

عنه

عنه ولا عليكم أن تأكلوا من البيوت المذكورة لالتقاء الطائفتين في أن كل واحدة منهما منفي عنها الحرج ومثال
هذا أن يستفتيك مسافر عن الإفطار في رمضان وحاج مفرد عن تقديم الحلق على النحر فقلت ليس على المسافر
حرج أن يفطر ولا عليك يا حاج أن تقدم الحلق على النحر **فإن قلت** هلا ذكر الأولاد **قلت** دخل ذكرهم
تحت قوله من بيوتكم لأن ولد الرجل بعضه وحكمه حكم نفسه، وفي الحديث إن أطيب ما يأكل المرء من كسبه
وإن ولده من كسبه، ومعنى من بيوتكم من البيوت التي فيها أزواجكم وعيالكم ولأن الولد أقرب من عدد
من القرابات فإذا كان سبب الرخصة هو القرابة كان الذي هو أقرب منهم أولى فإن قلت ما معنى أو ما ملكتم (كان ثم)
مفاتحه قلت أموال الرجل إذا كان له عليها قيم ووكيل يحفظها له أن يأكل من ثمر بستانه ويشرب من لبن
ماشيته وملك المفاتح كونها في يده وحفظه، وقيل بيوت المماليك لأن مال العبد لمولاه، وقرئ مفتاحه
فإن قلت فما معنى أو صديقكم **قلت** معناه أو بيوت أصدقائكم والصديق يكون واحدا وجمعا
وكذلك الخليط والقطين والعدو، ويحكى عن الحسن رحمة الله عليه أنه دخل داره وإذا حلقة من أصدقائه
وقد استلوا سلالا من تحت سريره فيها الخبيص وأطايب الأطعمة وهم مكبون عليها يأكلون فتهللت أسارير
وجهه سرورا وضحك وقال هكذا وجدناهم هكذا وجدناهم يريد كبراء الصحابة ومن لقيهم من البدريين
وكان الرجل منهم يدخل دار صديقه وهو غائب فيسأل جاريته كيسه فيأخذ منه ما شاء فإذا حضر مولاها
فأخبرته أعتقها سرورا بذلك، وعن جعفر بن محمد رحمه الله من عظم حرمة الصديق أن جعله الله من
الأنس والثقة والانبساط وطرح الحشمة بمنزلة النفس والأب والأخ والابن، وعن ابن عباس رضي الله
عنهما الصديق أكبر من الوالدين إن الجهنميين لما استغاثوا لم يستغيثوا بالآباء والأمهات فقالوا فما لنا
من شافعين ولا صديق حميم وقالوا إذا دل ظاهر الحال على رضا المالك قام ذلك مقام الإذن
الصريح وربما سمج الاستئذان وثقل كمن قدم إليه طعام فاستأذن صاحبه في الأكل منه ليس عليكم
جناح أن تأكلوا جميعا أو أشتاتا فإذا دخلتم بيوتا فسلموا على أنفسكم تحية من عند الله مباركة
طيبة كذلك يبين الله لكم الآيات لعلكم تعقلون، جميعا أو أشتاتا أي مجتمعين أو متفرقين
نزلت في بني ليث بن عمرو من كنانة كانوا يتحرجون أن يأكل الرجل وحده فربما قعد منتظرا نهاره إلى
الليل فإن لم يجد من يؤاكله أكل ضرورة، وقيل في قوم من الأنصار إذا نزل بهم ضيف لا يأكلون إلا مع
ضيفهم، وقيل تحرجوا عن الاجتماع على الطعام لاختلاف الناس في الأكل وزيادة بعضهم على بعض فإذا
دخلتم بيوتا من هذه البيوت لتأكلوا فابدؤوا بالسلام على أهلها الذين هم منكم دينا وقرابة، تحية من (فابدؤوا)
عند الله أي ثابتة بأمره مشروعة من لدنه، أو لأن التسليم والتحية طلب سلامة وحياة للمسلم عليه
والحياة من عند الله ووصفها بالبركة والطيب لأنها دعوة مؤمن لمؤمن يرجى بها من الله زيادة الخير وطيب
الرزق، وعن أنس رضي الله عنه قال خدمت رسول الله عليه السلام عشر سنين وروي تسع سنين فما
قال لي لشيء فعلته لم فعلته ولا قال لي لشيء كسرته لم كسرته وكنت واقفا على رأسه أصب الماء على يديه
فرفع رأسه فقال ألا أعلمك ثلاث خصال تنتفع بها قلت بلى بأبي وأمي يا رسول الله فقال متى لقيت من أمتي
أحدا فسلم عليه يطل عمرك وإذا دخلت بيتك فسلم عليهم يكثر خير بيتك وصل صلاة الضحى فإنها
صلاة الأبرار الأوابين، وقالوا إن لم يكن في البيت أحد فليقل السلام علينا من ربنا السلام علينا وعلى
عباد الله الصالحين السلام على أهل البيت ورحمة الله، وعن ابن عباس رضي الله عنهما إذا دخلت المسجد
فقل السلام علينا وعلى عباد الله الصالحين تحية من عند الله وانتصب تحية بسلموا لأنها في معنى تسليما كقولك

قعدت جلوسا إنما المؤمنون الذين آمنوا بالله ورسوله وإذا كانوا معه على أمر جامع لم يذهبوا
حتى يستأذنوه إن الذين يستأذنونك أولئك الذين يؤمنون بالله ورسوله فإذا استأذنوك
لبعض شأنهم فأذن لمن شئت منهم واستغفر لهم الله إن الله غفور رحيم أراد عز وجل أن يريهم
عظم الجناية في ذهاب الذاهب عن مجلس رسول الله صلى الله عليه وسلم بغير إذنه إذا كانوا معه على أمر جامع
فجعل ترك ذهابهم حتى يستأذنوه ثالث الإيمان بالله والإيمان برسوله وجعلهما كالتشبيب له والبساط
لذكره وذلك مع تصدير الجملة بإنما وإيقاع المؤمنين مبتدأ مخبرا عنه بموصول أحاطت صلته بذكر الإيمانين
ثم عقبه بما يزيده توكيدا وتشديدا حيث أعاده على أسلوب آخر وهو قوله تعالى إن الذين يستأذنونك
أولئك الذين يؤمنون بالله ورسوله وضمنه شيئا آخر وهو أنه جعل الاستئذان كالمصداق لصحة الإيمانين
وعرض بحال المنافقين وتسللهم لواذا ومعنى قوله تعالى لم يذهبوا حتى يستأذنوه لم يذهبوا حتى
يستأذنوه ويأذن لهم ألا تراه كيف علق الأمر بعد وجود استئذانهم بمشيئته وإذنه لمن استصوب أن
يأذن له والأمر الجامع الذي يجمع له الناس فوصف الأمر بالجمع على سبيل المجاز وذلك نحو مقاتلة عدو أو
تشاور في خطب مهم أو تضام لإرهاب مخالف أو تماسح في حلف وغير ذلك أو الأمر الذي يعم بضرره
أو بنفعه وقرئ أمر جميع وفي قوله تعالى إذا كانوا معه على أمر جامع أنه خطب جليل لا بد لرسول الله
فيه من ذوي رأي وقوة يظاهرونه عليه ويعاونونه ويستضيء بآرائهم ومعارفهم وتجاربهم في كفايته فمفارقة
أحدهم في مثل تلك الحال مما يشق على قلبه ويشعث عليه رأيه فمن ثم غلظ عليهم وضيق عليهم الأمر في الاستئذان
مع العذر المبسوط ومساس الحاجة إليه واعتراض ما يهمهم ويعنيهم وذلك قوله تعالى لبعض شأنهم
وذكر الاستغفار للمستأذنين دليل على أن الأحسن الأفضل أن لا يحدثوا أنفسهم بالذهاب ولا يستأذنوا
فيه وقيل نزلت في حفر الخندق وكان قوم يتسللون بغير إذن وقالوا كذلك ينبغي أن يكون الناس مع
أئمتهم ومقدميهم في الدين والعلم يظاهرونهم ولا يخذلونهم في نازلة من النوازل ولا يتفرقون عنهم والأمر
في الإذن مفوض إلى الإمام إن شاء أذن وإن شاء لم يأذن على حسب ما اقتضاه رأيه لا تجعلوا دعاء الرسول
بينكم كدعاء بعضكم بعضا قد يعلم الله الذين يتسللون منكم لواذا فليحذر الذين يخالفون
عن أمره أن تصيبهم فتنة أو يصيبهم عذاب أليم إذا احتاج رسول الله صلى الله عليه وسلم إلى
اجتماعكم عنده لأمر فدعاكم فلا تتفرقوا عنه إلا بإذنه ولا تقيسوا دعاءه إياكم على دعاء بعضكم بعضا
ورجوعكم عن المجمع بغير إذن الداعي أو لا تجعلوا تسميته ونداءه بينكم كما يسمي بعضكم بعضا ويناديه باسمه
الذي سماه به أبواه ولا تقولوا يا محمد ولكن يا نبي الله ويا رسول الله مع التوقير والتعظيم والصوت
المخفوض والتواضع ويحتمل لا تجعلوا دعاء الرسول ربه مثل ما يدعو صغيركم كبيركم وفقيركم غنيكم
يسأله حاجة فربما أجابه وربما رده فإن دعوات الرسول مسموعة مستجابة يتسللون ينسلون قليلا رسول الله
قليلا ونظير تسلل تدرج وتدخل واللواذ الملاوذة وهو أن يلوذ هذا بذاك وذاك بهذا يعني
ينسلون عن الجماعة في الخفية على سبيل الملاوذة واستتار بعضهم ببعض ولواذا حال أي ملاوذين وقيل
كان بعضهم يلوذ بالرجل إذا استأذن فيأذن له فينطلق الذي لم يؤذن له معه وقرئ لواذا
بالفتح يقال خالفه إلى الأمر إذا ذهب إليه دونه ومنه قوله تعالى وما أريد أن أخالفكم إلى ما أنهاكم
عنه وخالفه عن الأمر إذا صد عنه دونه ومعنى الذين يخالفون عن أمره الذين يصدون عن أمره
دون المؤمنين وهم المنافقون فحذف المفعول لأن الغرض ذكر المخالف والمخالف عنه والضمير في أمره

لله سبحانه أو للرسول عليه السلام والمعنى عن طاعته ودينه فتنة محنة في الدنيا أو يصيبهم عذاب أليم في
الآخرة وعن ابن عباس رضي الله عنهما فتنة قتل وعن عطاء الزلازل والأهوال وعن جعفر بن محمد يسلط عليهم
سلطان جائر ألا إن لله ما في السماوات والأرض قد يعلم ما أنتم عليه ويوم يرجعون إليه فينبئهم
بما عملوا والله بكل شيء عليم أدخل قد ليؤكد علمه بما هم عليه من المخالفة عن الدين والنفاق ومرجع
توكيد العلم إلى توكيد الوعيد وذلك أن قد إذا دخلت على المضارع كانت بمعنى ربما فوافقت ربما في خروجها
إلى معنى التكثير في قوله فإن تمس مهجور الفناء فربما أقام به بعد الوفود وفود ونحوه قول زهير
أخي ثقة لا تهلك الخمر ماله ولكنه قد يهلك المال نائله والمعنى أن جميع ما في السماوات والأرض
مختصة به خلقا وملكا وعلما فكيف تخفى عليه أحوال المنافقين وإن كانوا يجتهدون في سترها عن العيون
وإخفائها وسينبئهم يوم القيامة بما أبطنوا من سوء أعمالهم وسيجازيهم حق جزائهم والخطاب والغيبة في
قوله تعالى قد يعلم ما أنتم عليه ويوم يرجعون إليه يجوز أن يكونا جميعا للمنافقين على طريق الالتفات ويجوز
أن يكون ما أنتم عليه عاما ويرجعون للمنافقين عن رسول الله عليه السلام من قرأ سورة النور أعطي من الأجر
عشر حسنات بعدد كل مؤمن ومؤمنة فيما مضى وفيما بقي والله أعلم بالصواب وإليه المرجع والمآب

بسم الله الرحمن الرحيم تبارك الذي نزل الفرقان على عبده ليكون للعالمين نذيرا البركة كثرة الخير
وزيادته ومنها تبارك الله وفيه معنيان تزايد خيره وتكاثره أو تزايد عن كل شيء وتعالى عنه في صفاته
وأفعاله والفرقان مصدر فرق بين الشيئين إذا فصل بينهما وسمي به القرآن لفصله بين الحق والباطل أو
لأنه لم ينزل جملة واحدة ولكن مفروقا مفصولا بين بعضه وبعض في الإنزال ألا ترى إلى قوله وقرآنا
فرقناه لتقرأه على الناس على مكث ونزلناه تنزيلا وقد جاء الفرق بمعناه قال ومشركي كافر بالفرق وعن ابن
الزبير على عباده وهم رسول الله صلى الله عليه وسلم وأمته كما قال تعالى لقد أنزلنا إليكم قولوا آمنا بالله وما
أنزل إلينا والضمير في ليكون لعبده أو للفرقان ويعضده رجوعه إلى الفرقان قراءة ابن الزبير للعالمين
للجن والإنس نذيرا منذرا أي مخوفا أو إنذارا كالنكير بمعنى الإنكار ومنه قوله عز وجل فكيف كان عذابي
ونذر الذي له ملك السماوات والأرض ولم يتخذ ولدا ولم يكن له شريك في الملك وخلق كل
شيء فقدره تقديرا الذي له رفع على الإبدال من الذي نزل أو رفع على المدح أو نصب عليه فإن
قلت كيف جاز الفصل بين البدل والمبدل منه ما فصل بينهما بشيء لأن المبدل منه صلته
نزل وليكون تعليل له فكان المبدل منه لم يتم إلا به فإن قلت في الخلق معنى التقدير فما معنى قوله
تعالى وخلق كل شيء فقدره تقديرا كأنه قال وقدر كل شيء فقدره قلت المعنى أنه أحدث كل شيء
إحداثا مراعى فيه التقدير والتسوية فقدره وهيأه لما يصلح له مثاله أنه خلق الإنسان على هذا الشكل
المقدر المسوى الذي تراه فقدره للتكاليف والمصالح المنوطة به في بابي الدين والدنيا وكذلك كل
حيوان وجماد جاء به على الجبلة المستوية المقدرة بأمثلة الحكمة والتدبير فقدره لأمر ومصلحة مطابقا
لما قدر له غير متجاف عنه أو سمي إحداث الله خلقا لأنه لا يحدث شيئا لحكمته إلا على وجه التقدير من
غير تفاوت فإذا قيل خلق الله كذا فهو بمنزلة قولك أحدث وأوجد من غير نظر إلى وجه الاشتقاق فكأنه
قيل وأوجد كل شيء فقدره في إيجاده لم يوجده متفاوتا وقيل فجعل له غاية ومنتهى ومعناه فقدره للبقاء

الى امة معلومة واتخذوا من دونه آلهة لا يخلقون شيئا وهم يخلقون ولا يملكون لانفسهم ضرا
ولا نفعا ولا يملكون موتا ولا حيوة ولا نشورا ه الخلق بمعنى الافتعال كما في قوله تعالى انما تعبدون
من دون الله اوثانا وتخلقون افكا والمعنى انهم اثروا على عبادة الله سبحانه عبادة آلهة لا عجز ابين من عجزهم
لا يقدرون على شيء من افعال الله تعالى ولا من افعال العباد حيث لا يفتعلون شيئا وهم يفتعلون لان عبدتهم
يصنعونهم بالنحت والتصوير ه ولا يملكون اي لا يستطيعون لانفسهم دفع ضر عنها او جلب نفع اليها وهم
يستطيعون واذا عجزوا عن الافتعال ودفع الضر وجلب النفع التي يقدر عليها العباد كانوا عن الموت والحيوة
والنشور التي لا يقدر عليها الا الله اعجز وقال الذين كفروا ان هذا الا افك افتراه واعانه عليه
قوم آخرون فقد جاءو ظلما وزورا ه قوم آخرون هم اليهود ه وقيل عداس مولى حويطب بن عبد
العزى ويسار مولى العلاء بن الحضرمي ه وابو فكيهة الرومي قال ذلك النضر بن الحارث بن عبد الدار جاء
واتى يستعملان في معنى فعل فيعديان تعديته وقد يكون على معنى وردوا ظلما كما تقول جئت المكان
ويجوز ان يحذف الجار ويوصل الفعل وظلمهم ان جعلوا العربي يتلقن من العجمي الرومي كلاما عربيا اعجز
بفصاحته جميع فصحاء العرب ه والزور ان بهتوه بنسبة ما هو بريء منه اليه وقالوا اساطير الاولين
اكتتبها فهي تملى عليه بكرة واصيلا ه اساطير الاولين ما سطره المتقدمون من نحو احاديث رستم
واسفنديار جمع اسطار او اسطورة كاحدوثة ه اكتتبها كتبها لنفسه واخذها كما تقول استكب الماء ه
واصطبه اذا سكبه وصبه لنفسه واخذه ه وقرئ اكتتبها على البناء للمفعول والمعنى اكتتبها كاتب له
لانه كان اميا لا يكتب بيده وذلك من تمام اعجازه ثم حذفت اللام فافضى الفعل الى الضمير فصار اكتتبها
اياه كاتبه كقوله تعالى واختار موسى قومه ثم بني الفعل للضمير الذي هو اياه فانقلب مرفوعا مستترا
بعد ان كان بارزا منصوبا وبقي ضمير الاساطير على حاله فصار اكتتبها كما ترى فان قلت كيف
قيل اكتتبها فهي تملى عليه وانما يقال امليت عليه فهو يكتتبها قلت فيه وجهان ه احدهما اراد اكتتابها
او طلبه فهي تملى عليه ه او كتبت له وهو امي فهي تملى عليه اي تلقى عليه من كتابه يتحفظها لان صورة الالقاء
على الحافظ كصورة الالقاء على الكاتب ه وعن الحسن انه قول الله سبحانه يكذبهم وانما يستقيم ان لو فتحت
الهمزة للاستفهام الذي في معنى الانكار ه ووجهه ان يكون نحو قوله ه افرح ان ارزأ الكرام ه وحق الحسن
ان يقف على الاولين بكرة واصيلا اي دائما او في الخفية قبل ان ينتشر الناس وحين يأوون الى مساكنهم
قل انزله الذي يعلم السر في السموات والارض انه كان غفورا رحيما ه اي يعلم كل سر خفي في السموات
والارض ومن جملته ما تسرونه انتم من الكيد لرسوله مع علمكم ان ما تقولونه باطل وزور وكذلك
باطن امر رسول الله عليه السلام وبراءته مما تبهتونه به وهو يجازيكم ويجازيه على ما علم منكم
وعلم منه فان قلت كيف طابق قوله انه كان غفورا رحيما هذا المعنى قلت لما كان ما تقدمه
في معنى الوعيد عقبه بما يدل على القدرة عليه لانه لا يوصف بالمغفرة والرحمة الا القادر على العقوبة
او تنبيه على انهم استوجبوا بمكابرتهم هذه ان يصب عليهم العذاب صبا ولكن صرف ذلك عنهم انه غفور رحيم
يمهل ولا يعاجل وقالوا مال هذا الرسول يأكل الطعام ويمشي في الاسواق لولا انزل اليه ملك
فيكون معه نذيرا او يلقى اليه كنز او تكون له جنة يأكل منها وقال الظالمون ان تتبعون
الا رجلا مسحورا ه وقعت اللام في المصحف مفصولة عن هذا خارجة عن اوضاع الخط العربي وخط المصحف
سنة لا تغير وفي هذا استهانة وتصغير لشانه وتسميته بالرسول سخرية منهم وطنز كانهم قالوا ما لِ هذا

الزاعم انه رسول ه ونحوه قول فرعون ان رسولكم الذي ارسل اليكم لمجنون اي ان صح انه رسول الله فما باله
حاله مثل حالنا يأكل الطعام كما نأكل ويتردد في الاسواق لطلب المعاش كما نتردد يعنون انه كان يجب
ان يكون ملكا مستغنيا عن الاكل والتعيش ثم نزلوا عن اقتراحهم ان يكون ملكا الى اقتراح ان يكون
انسانا معه ملك حتى يتساندا في الانذار والتخويف ثم نزلوا ايضا فقالوا وان لم يكن مرفودا بملك ه
فليكن مرفودا بكنز يلقى اليه من السماء يستظهر به ولا يحتاج الى تحصيل المعاش ثم نزلوا فاقتنعوا بان يكون
رجلا له بستان يأكل منه ويرتزق كالمياسير او يأكلون هم من ذلك البستان فينتفعون
به في دنياهم ومعاشهم واراد بالظالمين اياهم باعيانهم وضع الظاهر موضع المضمر ليسجل عليهم بالظلم
فيما قالوا ه وقرئ فيكون بالرفع او يكون له جنة بالياء ونأكل بالنون حمزة وعلي ما وجها الرفع
والنصب النصب لانه جواب لولا بمعنى هلا وحكمه حكم الاستفهام والرفع على انه معطوف
على انزل ومحله الرفع ه الا ترى انك تقول لولا ينزل بالرفع وقد عطف عليه يلقى ويكون مرفوعين ولا يجوز
النصب فيهما لانهما في حكم الواقع بعد لولا ولا يكون الا مرفوعا والقائلون هم كفار قريش النضر بن
الحارث وعبد الله بن ابي امية ونوفل بن خويلد ومن ضامهم ه مسحورا سحر فغلب على عقله او ذا سحر وهو
الرئة عنوا انه بشر لا ملك انظر كيف ضربوا لك الامثال فضلوا فلا يستطيعون سبيلا ه ضربوا لك
الامثال اي قالوا فيك تلك الاقوال واخترعوا لك تلك الصفات والاحوال النادرة من نبوة مشتركة
بين انسان وملك والقاء كنز عليك من السماء وغير ذلك فبقوا متحيرين ضلالا لا يجدون قولا يستقرون
عليه ه او ضلوا عن الحق فلا يجدون طريقا اليه تبارك الذي ان شاء جعل لك خيرا من ذلك جنات تجري
من تحتها الانهار ويجعل لك قصورا ه تكاثر خير الذي ان شاء وهب لك في الدنيا خيرا مما قالوا وهو
ان يجعل لك مثل ما وعدك في الآخرة من الجنات وقرئ ويجعل بالرفع عطفا على جعل لان الشرط ه — والقصور م
اذا وقع ماضيا جاز في جزائه الجزم والرفع كقوله ه وان اتاه خليل يوم مسألة ه يقول لا غائب مالي ولا حرم ه
ويجوز في ويجعل لك اذا ادغمت ان تكون اللام في تقدير الجزم والرفع جميعا ه وقرئ بالنصب على انه جواب
الشرط بالواو بل كذبوا بالساعة واعتدنا لمن كذب بالساعة سعيرا ه بل كذبوا عطف على ما حكي عنهم
يقول بل اتوا باعجب من ذلك كله وهو تكذيبهم بالساعة ه ويجوز ان يتصل بما يليه كانه قال بل كذبوا
بالساعة فكيف يلتفتون الى هذا الجواب وكيف يصدقون بتعجيل مثل ما وعدك في الآخرة وهم
لا يؤمنون بالآخرة ه السعير النار الشديدة الاستعار ه وعن الحسن انه اسم من اسماء جهنم اذا رأتهم
من مكان بعيد سمعوا لها تغيظا وزفيرا ه رأتهم من قولهم دورهم تتراءى وتتناظر ه ومن قوله صلى
الله عليه وسلم لا تتراءى ناراهما كأن بعضها يرى بعضا على سبيل المجاز والمعنى اذا كانت منهم بمرأى الناظر
في البعد سمعوا صوت غليانها وشبه ذلك بصوت المتغيظ والزافر ه ويجوز ان يراد اذا رأتهم زبانيتها ه
تغيظوا وزفروا غضبا على الكفار وشهوة للانتقام منهم واذا القوا منها مكانا ضيقا مقرنين
دعوا هنالك ثبورا لا تدعوا اليوم ثبورا ه الكرب مع الضيق كما ان الروح مع السعة ولذلك
وصف الله الجنة بان عرضها السموات والارض وجاء في الاحاديث ان لكل مؤمن من القصور والجنان كذا
وكذا ولقد جمع الله على اهل النار انواع التضييق والارهاق حيث القاهم في مكان ضيق يتراصون فيه
تراصا كما روي عن ابن عباس رضي الله عنهما في تفسيره انه يضيق عليهم كما يضيق الزج في الرمح وهم مع ذلك
الضيق مسلسلون مقرنون في السلاسل قرنت ايديهم الى اعناقهم في الجوامع وقيل يقرن مع كل كافر

شيئا تدعى بليلة وفى ارجلهم الاصفاد والثبور الهلاك ودعاؤه ان يقال واثبوراه اى تعال يا ثبور فهذا
حينك وزمانك لا تدعوا اى يقال لهم ذلك او هم احقاء بان يقال لهم وان لم يكن ثمة قول ومعنى وادعوا
ثبورا كثيرا واحدا وادعوا ثبورا كثيرا انكم وقعتم فيما ليس ثبوركم فيه واحدا انما هو ثبور كثير اما لان
العذاب انواع والوان كل نوع منها ثبور لشدته وفظاعته او لانهم كلما نضجت جلودهم بدلوا غيرها فلا
غاية لهلاكهم قل اذلك خير ام جنة الخلد التى وعد المتقون كانت لهم جزاء ومصيرا الراجع الى
الموصولين محذوف يعنى وعدها المتقون وما يشاؤن وانما قيل كانت لان ما وعده الله وحده فهو فى
تحققه كانه قد كان او كان مكتوبا فى اللوح قبل ان براهم بازمنة متطاولة ان الجنة جزاؤهم ومصيرهم
فان قلت ما معنى قوله كانت لهم جزاء ومصيرا قلت هو كقوله تعالى نعم الثواب وحسنت مرتفقا
فمدح الثواب ومكانه كما قال تعالى بئس الشراب وساءت مرتفقا فذم العقاب ومكانه لان النعيم لا يتم
للمتنعم الا بطيب المكان وسعته وموافقته للمراد والشهوة وان لا تنغص وكذلك العقاب يتضاعف بغثاثة
الموضع وضيقه وظلمته وجمعه لاسباب الاجتواء والكراهة فلذلك ذكر المصير مع ذكر الجزاء لهم فيها ما
يشاؤن خالدين كان على ربك وعدا مسئولا والضمير فى كان لما يشاؤن والوعد الموعود اى كان ذلك
موعودا واجبا على ربك انجازه حقيقا ان يسال ويطلب لانه جزاء واجر مستحق وقيل قد سأله الناس والملائكة
فى دعواتهم ربنا واتنا ما وعدتنا على رسلك اتنا فى الدنيا حسنة وفى الاخرة حسنة ربنا وادخلهم
جنات عدن التى وعدتهم ويوم يحشرهم وما يعبدون من دون الله فيقول ءانتم اضللتم عبادى
هؤلاء ام هم ضلوا السبيل يحشرهم فيقول كلاهما بالنون والياء وقرئ يحشرهم بكسر الشين وما
يعبدون يريد المعبودين من الملائكة والمسيح وعزير وعن الكلبى الاصنام ينطقها الله ويجوز ان
يكون عاما لهم جميعا فان قلت كيف صح استعمال ما فى العقلاء هو موضوع على العموم للعقلاء
وغيرهم بدليل قولك اذا رايت شبحا من بعيد ما هو فاذا قيل لك انسان قلت حينئذ من هو ويدلك
قولهم من لما يعقل او اريد به الوصف كانه قيل ومعبوديهم الا تراك تقول اذا اردت السؤال عن صفة
زيد ما زيد تعنى اطويل ام قصير افقيه ام طبيب فان قلت ما فائدة انتم وهم وهلا قيل اضللتم عبادى
هؤلاء ام ضلوا السبيل قلت ليس السؤال عن الفعل ووجوده لانه لولا وجوده لما توجه هذا العتاب
وانما هو عن متوليه فلا بد من ذكره وايلائه حرف الاستفهام حتى يعلم انه المسئول عنه فان قلت
فالله سبحانه قد سبق علمه بالمسئول عنه فما فائدة هذا السؤال قلت فائدته ان يجيبوا بما اجابوا
به حتى يبكت عبدتهم بتكذيبهم اياهم فيبهتوا ويخذلوا وتزيد حسرتهم ويكون ذلك نوعا مما يلحقهم
من غضب الله وعذابه ويغتبط المؤمنون ويفرحوا بحالهم ونجاتهم من فضيحة اولئك وليكون حكاية
ذلك فى القرآن لطفا للمكلفين وفيه كسر بين لقول من يزعم ان الله يضل عباده على الحقيقة حيث يقول
للمعبودين من دونه ءانتم اضللتموهم ام هم ضلوا بانفسهم فيتبرؤن من اضلالهم ويستعيذون به
ان يكونوا مضلين ويقولون بل انت تفضلت من غير سابقة على هؤلاء وابائهم تفضل جواد كريم فجعلوا
النعمة التى حقها ان تكون سبب الشكر سبب الكفر ونسيان الذكر وكان ذلك سبب هلاكهم فاذا برأت
الملائكة والرسل انفسهم من نسبة الاضلال الذى هو عمل الشياطين اليهم واستعاذوا منه
فهم لربهم الغنى العدل اشد تبرئة وتنزيها منه ولقد نزهوه حين اضافوا اليه التفضل بالنعمة
والتمتيع بها واسندوا نسيان الذكر والتسبب به الى البوار الى الكفرة فشرحوا الاضلال المجازى

الذى

الذى اسنده الله الى ذاته المقدس فى قوله يضل من يشاء ولو كان هو المضل على الحقيقة لكان الجواب العتيد
ان يقولوا بل انت اضللتهم والمعنى ءانتم اوقعتموهم فى الضلال عن طريق الحق ام هم ضلوا عنه بانفسهم
وضل مطاوع اضله وكان القياس ضل عن السبيل الا انهم تركوا الجار كما تركوه فى هداه الطريق والاصل الى
الطريق وللطريق وقولهم اضل البعير فى معنى جعله ضالا اى ضايعا لما كان اكثر ذلك بتفريط من صاحبه
وقلة احتياط فى حفظه قيل ضله سواء كان منه فعل او لم يكن قالوا سبحانك ما كان ينبغى لنا ان نتخذ
من دونك من اولياء ولكن متعتهم واباءهم حتى نسوا الذكر وكانوا قوما بورا سبحانك تعجب منهم
قد تعجبوا مما قيل لهم لانهم ملائكة وانبياء معصومون فما ابعدهم عن الاضلال الذى هو مختص بابليس وحزبه
او نطقوا بسبحانك ليدلوا على انهم المسبحون المقدسون الموسومون بذلك فكيف يليق بحالهم ان يضلوا
عباده او قصدوا تنزيهه عن الانداد وان يكون له ملك او نبى او غيرهما ندا ثم قالوا ما كان يصح لنا
ولا يستقيم ونحن معصومون ان نتولى احدا دونك فكيف يصح لنا ان نحمل غيرنا على ان يتولوا دونك او ما كان
ينبغى لنا ان نكون امثال الشياطين فى توليهم الكفار كما تولاهم الكفار قال الله تعالى فقاتلوا اولياء الشيطان
يريد الكفرة وقال والذين كفروا اولياؤهم الطاغوت وقرأ ابو جعفر المدنى نتخذ على البناء للمفعول وهذا
الفعل اعنى اتخذ يتعدى الى مفعول واحد كقولك اتخذ وليا والى مفعولين كقولك اتخذ فلانا وليا قال
الله تعالى ام اتخذوا الهة من الارض وقال واتخذ الله ابراهيم خليلا فالقراءة الاولى من المتعدى الى واحد
وهو من اولياء والاصل ان نتخذ اولياء فزيدت من لتاكيد معنى النفى والثانية من المتعدى الى مفعولين فالاول
ما بنى له الفعل والثانى من اولياء ومن للتبعيض اى لا نتخذ بعض اولياء وتنكير اولياء من حيث انهم اولياء
مخصوصون وهم الجن والاصنام والذكر ذكر الله والايمان به او القرآن والشرائع والبور الهلاك
يوصف به الواحد والجمع ويجوز ان يكون جمع بائر كعائذ وعوذ [illegible] تقولون فما تستطيعون
صرفا ولا نصرا ومن يظلم منكم نذقه عذابا كبيرا هذه المفاجاة بالاحتجاج والالزام حسنة
رائعة وخاصة اذا انضم اليها الالتفات وحذف القول ونحوها قوله عز وعلا يا اهل الكتاب قد جاءكم
رسولنا يبين لكم على فترة من الرسل ان تقولوا ما جاءنا من بشير ولا نذير فقد جاءكم بشير ونذير
وقول القائل قالوا خراسان اقصى ما يراد بنا ثم القفول فقد جئنا خراسانا وقرئ يقولون بالتاء
والياء فمعنى من قرا بالتاء فقد كذبوكم بقولكم انهم الهة ومعنى من قرا بالياء فقد كذبوكم بقولهم سبحانك
ما كان ينبغى لنا ان نتخذ من دونك من اولياء فان قلت هل يختلف حكم الباء مع التاء والياء قلت
اى والله هى مع التاء كقوله بل كذبوا بالحق والجار والمجرور بدل من الضمير كانه قيل فقد كذبوا بما تقولونه
وهى مع الياء كقولك كتبت بالقلم وقرئ تستطيعون بالتاء والياء ايضا يعنى فما تستطيعون انتم يا كفار
صرف العذاب عنكم وقيل الصرف التوبة وقيل الحيلة من قولهم انه ليتصرف اى يحتال او فما يستطيع
الهتكم ان يصرفوا عنكم العذاب او ان يحتالوا لكم الخطاب على العموم للمكلفين والعذاب الكبير لاحق
بكل من ظلم والكافر ظالم لقوله تعالى ان الشرك لظلم عظيم والفاسق ظالم لقوله تعالى ومن لم يتب
فاولئك هم الظالمون وقرئ يذقه بالياء وفيه ضمير الله تعالى او ضمير مصدر يظلم وما ارسلنا
قبلك من المرسلين الا انهم ليأكلون الطعام ويمشون فى الاسواق وجعلنا بعضكم لبعض فتنة
اتصبرون وكان ربك بصيرا الجملة بعد الا صفة لموصوف محذوف والمعنى وما ارسلنا احدا من المرسلين
الا اكلين وماشين وانما حذف اكتفاء بالجار والمجرور اعنى من المرسلين ونحوه قوله عز وعلا وما منا الا له

قبلك

مقام مفعوله على معنى وما منا احد وقرئ ويمشون على البناء للمفعول اى تمشيهم حوائجهم او الناس ولو قرئ يمشّون لكان اوجه لولا الرواية وقيل هو احتجاج على من قال ما لهذا الرسول ياكل الطعام ويمشى في الاسواق فتنة اى محنة وابتلاء وهذا تصبير لرسول الله عليه السلام على ما قالوه واستبدعوه من اكله الطعام ومشيه في الاسواق بعد ما احتج عليهم بسائر الرسل يقول وجرت عادتى وموجب حكمتى على ابتلاء بعضكم ايها الناس ببعض والمعنى انه ابتلى المرسلين بالمرسل اليهم وبمناصبتهم لهم العداوة واقاويلهم الخارجة عن حد الانصاف وانواع اذاهم وطلب منهم الصبر الجميل ونحوه ولتسمعن من الذين اوتوا الكتاب من قبلكم ومن الذين اشركوا اذى كثيرا وان تصبروا وتتقوا فان ذلك من عزم الامور وموقع اتصبرون بعد ذكر الفتنة موقع ايكم بعد الابتلاء في قوله تعالى ليبلوكم ايكم احسن عملا بصيرا عالما بالصواب فيما يبتلى به وغيره فلا يضيقن صدرك ولا يستخفنك اقاويلهم فان في صبرك عليها سعادتك وفوزك في الدارين وقيل هو تسلية له عما عيروه به من الفقر حين قالوا او يلقى اليه كنز او تكون له جنة وانه جعل الاغنياء فتنة للفقراء لينظر هل يصبرون وانها حكمته ومشيئته يغنى من يشاء ويفقر من يشاء وقيل جعلناك فتنة لهم لانك لو كنت غنيا صاحب كنوز وجنان لكان ميلهم اليك وطاعتهم لك للدنيا او ممزوجة بالدنيا فانما بعثناك فقيرا ليكون طاعة من يطيعك خالصة لوجه الله من غير طمع دنياوى وقيل كان ابو جهل والوليد ابن المغيرة والعاص بن وائل ومن في طبقتهم يقولون ان اسلمنا وقد اسلم قبلنا عمار وصهيب وبلال وفلان وفلان ترفعوا علينا ادلالا بالسابقة فهو افتتان بعضهم ببعض **وقال الذين لا يرجون لقاءنا لولا انزل علينا الملائكة او نرى ربنا لقد استكبروا في انفسهم وعتوا عتوا كبيرا** اى لا يأملون لقاءنا بالخير لانهم كفرة او لا يخافون لقاءنا بالشر والرجاء في لغة تهامة الخوف وبه فسر قوله عز وجل لا ترجون لله وقارا جعلت الصيرورة الى دار جزائه بمنزلة لقائه لو كان ملقيا اقترحوا من الآيات ان ينزل الله عليهم الملائكة فتخبرهم بان محمدا صادق حتى يصدقوه او يروا الله جهرة فيأمرهم بتصديقه واتباعه ولا يخلو اما ان يكونوا عالمين بان الله لا يرسل الملائكة الى غير الانبياء وان الله لا يصح ان يرى وانما علقوا ايمانهم بما لا يكون واما ان لا يكونوا عالمين بذلك وانما ارادوا التعنت باقتراح ايات سوى الآيات التي نزلت وقامت بها الحجة عليهم كما فعل قوم موسى حين قالوا لن نؤمن لك حتى نرى الله جهرة **فان قلت** ما معنى في انفسهم **قلت** معناه انهم اضمروا الاستكبار عن الحق وهو الكفر والعناد في قلوبهم واعتقدوه كما قال ان في صدورهم الا كبر ما هم ببالغيه وعتوا وتجاوزوا الحد في الظلم يقال عتى علينا فلان وقد وصف العتو بالكبير فبالغ في افراطه يعنى انهم لم يجسروا على هذا القول العظيم الا لانهم بلغوا غاية الاستكبار واقصى العتو واللام جواب قسم محذوف وهذه الجملة في حسن استوائها غاية وفي اسلوبها قول القائل ❊ وجارة جساس ابأنا بنابها ❊ كليبا غلت ناب كليب بواؤها ❊ وفي فحوى هذا الفعل دليل على التعجب من غير لفظ التعجب الا ترى ان المعنى ما اشد استكبارهم وما اكبر عتوهم وما اغلى نابا بواؤها كليب **يوم يرون الملائكة لا بشرى يومئذ للمجرمين ويقولون حجرا محجورا** يوم يرون منصوب باحد شيئين اما بما دل عليه لا بشرى اى يوم يرون الملائكة يمنعون البشرى او يعدمونها ويومئذ للتكرير واما باضمار اذكر اى اذكر يوم يرون الملائكة ثم قال لا بشرى يومئذ للمجرمين وقوله تعالى للمجرمين اما ظاهر في موضع ضمير واما لانه عام فقد تناولهم بعمومه حجرا محجورا ذكره سيبويه في باب المصادر غير المتصرفة المنصوبة بافعال متروك اظهارها نحو معاذ الله وقعدك وعمرك وهذه

كلمة

كلمة كانوا يتكلمون بها عند لقاء عدو موتور او هجوم نازلة او نحو ذلك يضعونها موضع الاستعاذة قال سيبويه ويقول الرجل للرجل تفعل كذا وكذا فيقول حجرا وهي من حجره اذا منعه لان المستعيذ طالب من الله ان يمنع المكروه فلا يلحقه فكان المعنى اسأل الله ان يمنع ذلك منعا ويحجره حجرا ومجيئه على فعل او فعل في قراءة الحسن تصرف فيه لاختصاصه بموضع واحد كما كان قعدك وعمرك كذلك **وانشدت** لبعض الرجاز ❊ قالت وفيها حيدة وذعر ❊ عوذ بربي منكم وحجر ❊ **فان قلت** فاذ قد ثبت انه من باب المصادر فما معنى وصفه بمحجور قلت جاءت هذه الصفة لتأكيد معنى الحجر كما قالوا ذيل ذائل والذيل الهوان وموت مائت والمعنى في الآية انهم يطلبون نزول الملائكة ويقترحونه وهم اذا راوهم عند الموت او يوم القيامة كرهوا لقاءهم وفزعوا منهم لانهم لا يلقونهم الا بما يكرهون وقالوا عند رؤيتهم ما كانوا يقولونه عند لقاء العدو الموتور والشدة النازلة وقيل هو من قول الملائكة ومعناه حراما محرما عليكم الغفران والجنة او البشرى اى جعل الله ذلك حراما عليكم **وقدمنا الى ما عملوا من عمل فجعلناه هباء منثورا** ليس هاهنا قدوم ولا ما يشبه القدوم ولكن مثلت حال هؤلاء واعمالهم التي عملوها في كفرهم من صلة رحم واغاثة ملهوف وقرى ضيف ومن على اسير وغير ذلك من مكارمهم ومحاسنهم بحال قوم خالفوا سلطانهم واستعصوا عليه فقدم الى اشيائهم وقصد الى ما تحت ايديهم فافسدها ومزقها كل ممزق ولم يترك لها اثرا ولا عثيرا والهباء ما يخرج من الكوة مع ضوء الشمس شبيه بالغبار وفي امثالهم اقل من الهباء منثورا صفة للهباء شبهه بالهباء في قلته وحقارته عنده تعالى وانه لا ينتفع به ثم بالمنثور منه لانك تراه منتظما مع الضوء فاذا حركته الريح رايته قد تناثر وذهب كل مذهب ونحوه قوله كعصف ماكول لم يكف ان شبههم بالعصف حتى جعله موصوفا بالاكال ولا ان شبه عملهم بالهباء حتى جعله متناثرا او مفعول ثالث لجعلناه اى فجعلناه جامعا لحقارة الهباء والتناثر كقوله تعالى كونوا قردة خاسئين اى جامعين للمسخ والخسء ولام الهبا واو بدليل الهبوة **اصحاب الجنة يومئذ خير مستقرا واحسن مقيلا** المستقر المكان الذي يكونون فيه في اكثر اوقاتهم مستقرين يتجالسون ويتحادثون والمقيل المكان الذي ياوون اليه للاسترواح الى ازواجهم والتمتع بمغازلتهن وملامستهن كما ان المترفين في الدنيا يعيشون على ذلك الترتيب **وروى** انه يفرغ من الحساب في نصف ذلك اليوم فيقيل اهل الجنة في الجنة واهل النار في النار وفي معناه قوله عز وعلا ان اصحاب الجنة اليوم في شغل فاكهون هم وازواجهم في ظلال على الارائك متكئون قيل في تفسير الشغل افتضاض الابكار ولا نوم في الجنة وانما سمي مكان دعتهم واسترواحهم الى الحور مقيلا على طريق التشبيه وفي لفظ الاحسن رمز الى ما يتزين به مقيلهم من حسن الوجوه وملاحة الصور الى غير ذلك من التحاسين والزين **ويوم تشقق السماء بالغمام ونزل الملائكة تنزيلا** وقرئ تشقق والاصل تتشقق فحذف بعضهم التاء وغيره ادغمها ولما كان انشقاق السماء بسبب طلوع الغمام منها جعل الغمام كأنه الذي تشقق به السماء كما تقول شق السنام بالشفرة وانشق بها ونظيره قوله عز وجل السماء منفطر به **فان قلت** اى فرق بين قولك انشقت الارض بالنبات وانشقت عن النبات **قلت** معنى انشقت به ان الله شقها بطلوعه فانشقت به ومعنى انشقت عنه ان التربة ارتفعت عنه عند طلوعه والمعنى ان السماء تنفتح بغمام يخرج منها وفي الغمام الملائكة ينزلون وفي ايديهم صحائف الاعمال وروى تنشق سماء سماء وتنزل الملائكة الى الارض وقيل هو غمام ابيض رقيق مثل الضبابة ولم يكن الا لبني اسرائيل في تيههم وفي معناه قوله تعالى هل ينظرون الا ان ياتيهم الله في ظلل من الغمام والملا

ئكة

وقرى وننزل الملائكة ونزل ونزل الملائكة ونزلت الملائكة وانزل الملائكة ونزل
الملائكة على حذف النون الذي هو فاء الفعل من تنزل قراءة اهل مكة الملك يومئذ الحق للرحمن وكان يوما
على الكافرين عسيرا الحق الثابت لان كل ملك يزول يومئذ ويبطل ولا يبقى الا ملكه ويوم يعض الظالم
على يديه يقول يا ليتني اتخذت مع الرسول سبيلا عض اليدين والانامل والسقوط في اليد واكل
البنان وحرق الاسنان والارم وقرعها كنايات عن الغيظ والحسرة لانها من روادفها فيذكر الرادفة
ويدل بها على المردوف فيرتفع الكلام به في طبقة الفصاحة ويجد السامع عنده في نفسه من الروعة
والاستحسان ما لا يجده عند لفظ المكنى عنه ○ وقيل نزلت في عقبة بن ابي معيط بن امية بن عبد شمس وكان
يكثر مجالسة رسول الله عليه السلام ○ وقيل اتخذ ضيافة فدعا اليها رسول الله عليه السلام فابى ان ياكل
من طعامه حتى ينطق بالشهادتين ففعل ○ وكان ابي بن خلف صديقه فعاتبه وقال صبأت يا عقبة
قال لا ولكن ابى ان ياكل من طعامي وهو في بيتي فاستحييت منه فشهدت له والشهادة ليست في نفسي
فقال وجهي من وجهك حرام ان لقيت محمدا فلم تطأ قفاه وتبزق في وجهه وتلطم عينه فوجده ساجدا
في دار الندوة ففعل ذلك فقال عليه السلام لا القاك خارجا من مكة الا علوت راسك بالسيف فقتل
يوم بدر امر عليا رضي الله عنه بقتله ○ وقيل قتله عاصم بن ثابت بن افلح الانصاري وقال يا محمد الى من الصبية
قال الى النار وطعن رسول الله عليه السلام ابيا باحد فرجع الى مكة فمات ○ واللام في الظالم يجوز ان يكون للعهد
اللام ثم
يراد به عقبة خاصة ○ ويجوز ان يكون للجنس فيتناول عقبة وغيره تمنى ان لو صحب الرسول وسلك معه
طريقا واحدا وهو طريق الحق ولم يتشعب به طرق الضلالة والهوى ○ او اراد اني كنت ضالا لم يكن لي سبيل
قط فليتني حصلت لنفسي في صحبة الرسول سبيلا يا ويلتي ليتني لم اتخذ فلانا خليلا لقد اضلني عن الذكر
بعد اذ جاءني وكان الشيطان للانسان خذولا وقرى يا ويلتي بالياء وهو الاصل لان الرجل
ينادي ويلته وهي هلكته يقول لها تعالي فهذا اوانك وانما قلبت الياء الفا كما في صحارى ومدارى فلان
كناية عن الاعلام كما ان الهن كناية عن الاجناس فان اريد بالظالم عقبة فالمعنى ليتني لم اتخذ ابيا خليلا
فكنى عن اسمه وان اريد به الجنس فكل من اتخذ من المضلين خليلا كان لخليله اسم علم لا محالة فجعله كناية
عنه ○ عن الذكر عن ذكر الله او القرآن او موعظة الرسول ○ ويجوز ان يريد نطقه بشهادة الحق وعزمه
الرسول ٤٢ ام
على الاسلام والشيطان اشارة الى خليله سماه شيطانا لانه اضله كما يضل الشيطان ثم خذله ولم ينفعه
في العاقبة او اراد ابليس وانه هو الذي حمله على مخالة المضل ومخالفة الرسول ثم خذله او اراد
الجنس وكل من تشيطن من الجن والانس ○ ويحتمل ان يكون وكان الشيطان حكاية كلام الظالم وان
يكون كلام الله ○ اتخذت بعض على الادغام والاظهار والادغام اكثر وقال الرسول يا رب ان قومي
اتخذوا هذا القرآن مهجورا الرسول محمد عليه السلام وقومه قريش حكى الله عنه شكواه قومه
اليه وفي هذه الحكاية تعظيم للشكاية وتخويف لقومه لان الانبياء كانوا اذا التجأوا اليه وشكوا اليه
قومهم حل بهم العذاب ولم ينظروا وكذلك جعلنا لكل نبي عدوا من المجرمين وكفى بربك هاديا
ونصيرا ثم اقبل عليه مسليا ومواسيا وواعدا النصرة عليهم فقال كذلك كان كل نبي قبلك مبتلى بعداوة
قومه وكفاك بي هاديا الى طريق قهرهم والانتصار منهم وناصرا لك عليهم مهجورا تركوه وصدوا
عنه وعن الايمان به ○ وعن النبي صلى الله عليه وسلم من تعلم القرآن وعلمه وعلق مصحفا لم يتعاهده
ولم ينظر فيه جاء يوم القيامة متعلقا به يقول يا رب العالمين عبدك هذا اتخذني مهجورا اقض بيني

وبينه

وبينه ○ وقيل هو من هجر اذا هذى اي جعلوه مهجورا فيه فحذف الجار وهو على وجهين احدهما زعمهم انه
هذيان وباطل واساطير الاولين ○ والثاني انهم كانوا اذا سمعوه هجروا فيه كقوله تعالى فانهم عدو لي الا
رب العالمين ○ وقيل المعنى وقال الرسول يوم القيامة وقال الذين كفروا لولا نزل عليه القرآن
جملة واحدة كذلك لنثبت به فؤادك ورتلناه ترتيلا نزل ههنا بمعنى انزل لا غير كخبر
بمعنى اخبر والا كان متدافعا وهذا ايضا من اعتراضاتهم واقتراحاتهم الدالة على شرودهم عن الحق
وتجافيهم عن اتباعه قالوا هلا انزل عليه دفعة واحدة في وقت واحد كما انزلت الكتب الثلاثة وما
له انزل على التفاريق والقائلون قريش ○ وقيل اليهود وهذا فضول من القول ومماراة بما لا طائل
تحته لان امر الاعجاز والاحتجاج به لا يختلف بنزوله جملة واحدة او مفرقا وقوله تعالى كذلك جواب
لهم اي كذلك انزل مفرقا والحكمة فيه ان نقوي بتفريقه فؤادك حتى تعيه وتحفظه لان المتلقن انما
يقوى قلبه على حفظ العلم شيئا بعد شيء وجزءا عقيب جزء ولو القي عليه جملة واحدة لبعل به وتعيا بحفظه
والرسول عليه السلام فارقت حاله حال موسى وداود وعيسى حيث كان اميا لا يقرأ ولا يكتب وهم
كانوا قارئين كاتبين فلم يكن له بد من التلقن والتحفظ فانزل عليه منجما في عشرين سنة ○ وقيل في ثلث
وعشرين وايضا فكان ينزل على حسب الحوادث وجوابات السائلين ولان بعضه منسوخ وبعضه ناسخ
ولا يتأتى ذلك الا فيما انزل مفرقا فان قلت ذلك في كذلك يجب ان يكون اشارة الى شيء تقدمه
والذي تقدم هو انزاله جملة واحدة فكيف فسرته بكذلك انزلناه مفرقا قلت لان قولهم
لولا انزل عليه جملة معناه لم انزل مفرقا والدليل على فساد هذا الاعتراض انهم عجزوا عن ان ياتوا بنجم
واحد من نجومه وتحدوا بسورة واحدة من اصغر السور فابرزوا صفحة عجزهم وسجلوا به على انفسهم
حين لاذوا بالمناصبة وفزعوا الى المحاربة ثم قالوا هلا نزل جملة واحدة كانهم قدروا على تفاريقه
حتى يقدروا على جملته ○ ورتلناه معطوف على الفعل الذي تعلق به كذلك كانه قال كذلك فرقناه ورتلناه
ومعنى ترتيله ان قدره اية بعد اية ووقفة عقيب وقفة ○ ويجوز ان يكون المعنى وامرنا بترتيل
قراءته وذلك قوله عز وعلا ورتل القرآن ترتيلا اي اقرأه بترسل وتثبت ○ ومنه حديث عائشة
ام المؤمنين رضي الله عنها في صفة قراءته لا كسردكم هذا لو اراد السامع ان يعد حروفه لعدها
واصله الترتيل في الاسنان وهو تفليجها يقال ثغر مرتل ورتل ويشبه بنور الاقحوان في تفليجه ○ وقيل
هو ان نزله مع كونه متفرقا على تمكث وتمهل في مدة متباعدة وهي عشرون سنة ولم يفرقه في مدة
متقاربة ولا ياتونك بمثل الا جئناك بالحق واحسن تفسيرا ولا ياتونك بسؤال عجيب من سؤالاتهم
الباطلة كانه مثل في البطلان الا اتيناك نحن بالجواب الحق الذي لا محيد عنه وبما هو احسن معنى
ومؤدى من سؤالهم ولما كان التفسير هو التكشيف عما يدل عليه الكلام وضع موضع معناه فقالوا
تفسير هذا الكلام كيت وكيت كما قيل معناه كذا وكذا او لا ياتونك بحال وصفة عجيبة يقولون هلا
كانت هذه صفتك وحالك نحو ان يقرن بك ملك ينذر معك او يلقى اليك كنز او تكون لك جنة او ينزل
عليك القرآن جملة الا اعطيناك نحن من الاحوال ما يحق لك في حكمتنا ومشيئتنا ان نعطاه وما هو احسن
تكشيفا لما بعثت عليه ودلالة على صحته يعني ان تنزيله مفرقا وتحديهم بان ياتوا ببعض تلك التفاريق
كلما نزل شيء منها ادخل في الاعجاز وانور للحجة من ان ينزل كله جملة ويقال لهم جيئوا بمثل هذا
الكتاب في فصاحته مع بعد ما بين طرفيه الذين يحشرون على وجوههم الى جهنم اولئك شر

مكانا واضل سبيلا كانه قيل لهم ان حاملكم على هذه السؤالات انكم تضللون سبيله وتحقرون مكانه
ومنزلته ولو نظرتم بعين الانصاف وانتم من المسحوبين على وجوههم الى جهنم لعلمتم ان مكانكم شر من
مكانه وسبيلكم اضل من سبيله وفي طريقته قوله تعالى قل هل انبئكم بشر من ذلك مثوبة عند الله من
لعنه الله وغضب عليه الاية ويجوز ان يراد بالمكان الشرف والمنزلة وان يراد الدار والمسكن كقوله
تعالى اي الفريقين خير مقاما واحسن نديا ووصف السبيل بالضلال من الاسناد المجازي وعن النبي عليه
السلام يحشر الناس على ثلاثة اثلاث ثلث على الدواب وثلث على وجوههم وثلث على اقدامهم
ينسلون نسلا ولقد اتينا موسى الكتاب وجعلنا معه اخاه هرون وزيرا الوزارة لا تنافي
النبوة فقد كان يبعث في الزمن الواحد انبياء ويؤمرون بان يوازر بعضهم بعضا فقلنا اذهبا
الى القوم الذين كذبوا باياتنا فدمرناهم تدميرا والمعنى فذهبا اليهم فكذبوهما فدمرناهم
كقوله تعالى اضرب بعصاك البحر فانفلق اي فضرب فانفلق اراد اختصار القصة فذكر حاشيتيها اولها
واخرها لانهما المقصود من القصة بطولها اعني الزام الحجة ببعثة الرسل واستحقاق التدمير بتكذيبهم
وعن علي رضي الله عنه فدمرتهم وعنه فدمراهم وقرئ فدمرانهم على التاكيد بالنون الثقيلة
وقوم نوح لما كذبوا الرسل اغرقناهم وجعلناهم للناس اية واعتدنا للظالمين عذابا اليما
كانهم كذبوا نوحا ومن قبله من الرسل صريحا او كان تكذيبهم لواحد منهم تكذيبا للجميع او لم يروا
بعثة الرسل اصلا كالبراهمة وجعلناهم وجعلنا اغراقهم او قصتهم للظالمين اما ان يعني بهم قوم نوح
واصله واعتدنا لهم الا انه قصد تظليمهم فاظهر واما ان يتناولهم بعمومه وعادا وثمودا واصحاب
الرس وقرونا بين ذلك كثيرا عطف عادا على هم في جعلناهم او على الظالمين لان المعنى ووعدنا
الظالمين وقرئ وثمود على تاويل القبيلة واما المنصرف فعلى تاويل الحي او لانه اسم الاب الاكبر
قيل في اصحاب الرس كانوا قوما من عبدة الاصنام اصحاب ابار ومواش فبعث الله اليهم شعيبا عليه
السلام فدعاهم الى الاسلام فتمادوا في طغيانهم وفي ايذائه فبيناهم حول الرس وهو البئر غير المطوية
عن ابي عبيدة انهارت بهم فخسف بهم وبديارهم وقيل الرس قرية بفلج اليمامة قتلوا نبيهم فهلكوا وهم
بقية ثمود قوم صالح وقيل هم اصحاب النبي حنظلة بن صفوان كانوا مبتلين بالعنقاء
وهي اعظم ما يكون من الطير سميت لطول عنقها وكانت تسكن جبلهم الذي يقال له فتخ وهي تنقض
على صبيانهم فتخطفهم ان اعوزها الصيد فدعا عليها حنظلة فاصابتها الصاعقة ثم انهم قتلوا حنظلة
فاهلكوا وقيل هم اصحاب الاخدود والرس هو الاخدود وقيل الرس بانطاكية قتلوا فيها حبيبا
النجار وقيل كذبوا نبيهم ورسوه في بئر اي دسوه فيها بين ذلك اي بين ذلك المذكور وقد يذكر
الذاكر اشياء مختلفة ثم يشير اليها بذلك ويحسب الحاسب اعدادا متكاثرة ثم يقول فذلك كيت وكيت
على معنى فذلك المحسوب او المعدود وكلا ضربنا له الامثال وكلا تبرنا تتبيرا ضربنا له الامثال
بينا له القصص العجيبة من قصص الاولين ووصفنا لهم ما اجروا اليه من تكذيب الانبياء وجرى
عليهم من عذاب الله وتدميره والتتبير التفتيت والتكسير ومنه التبر وهو كسار الذهب
والفضة والزجاج وكلا الاول منصوب بما دل عليه ضربنا له الامثال وهو انذرنا او حذرنا
والثاني بتبرنا لانه فارغ له ولقد اتوا على القرية التي امطرت مطر السوء افلم يكونوا يرونها
بل كانوا لا يرجون نشورا اراد بالقرية سدوم من قرى قوم لوط وكانت خمسا اهلك الله اربعا

قصة العنقاء

باهلها

باهلها وبقيت واحدة ومطر السوء الحجارة يعني ان قريشا مروا مرارا كثيرة في متاجرهم الى الشام على تلك القرية
التي اهلكت بالحجارة من السماء افلم يكونوا في مرار مرورهم ينظرون الى اثار عذاب الله ونكاله ويذكرون
بل كانوا قوما كفرة بالبعث لا يتوقعون نشورا وعاقبة فوضع الرجاء موضع التوقع لانه انما يتوقع العاقبة
من يؤمن فمن ثم لم ينظروا ولم يذكروا ومروا بها كما مرت ركابهم او لا ياملون نشورا كما يامله المؤمنون
لطمعهم في الوصول الى ثواب اعمالهم او لا يخافون على اللغة التهامية واذا راوك ان يتخذونك الا هزوا
اهذا الذي بعث الله رسولا ان الاولى نافية والثانية مخففة من الثقيلة واللام هي الفارقة بينهما واتخذه
هزوا في معنى استهزاء به والاصل اتخذه موضع هزؤ او مهزوا به اهذا محكي بعد القول المضمر وهذا
استصغار وبعث الله رسولا واخراجه في معرض التسليم والاقرار وهم على غاية الجحود والانكار سخرية واستهزاء
ولو لم يستهزؤا لقالوا اهذا الذي زعم او ادعى انه مبعوث من عند الله رسولا ان كاد ليضلنا عن الهتنا
لولا ان صبرنا عليها وسوف يعلمون حين يرون العذاب من اضل سبيلا وقولهم ان كاد ليضلنا
دليل على فرط مجاهدة رسول الله عليه السلام في دعوتهم وبذله قصارى الوسع والطاقة في استعطافهم
مع عرض الايات والمعجزات عليهم حتى شارفوا بزعمهم ان يتركوا دينهم الى دين الاسلام لولا فرط لجاجهم
واستمساكهم بعبادة الهتهم ولولا في مثل هذا الكلام جار من حيث المعنى لا من حيث الصنعة مجرى التقييد
للحكم المطلق وسوف يعلمون وعيد ودلالة على انهم لا يفوتونه وان طالت مدة الامهال ولا بد
للوعيد ان يلحقهم فلا يغرنهم التاخير وقوله تعالى من اضل سبيلا كالجواب عن قولهم ان كاد ليضلنا
لانه نسبة لرسول الله الى الضلال من حيث لا يضل غيره الا من هو ضال في نفسه ويروى انه من قول
ابي جهل لعنه الله ارايت من اتخذ الهه هواه افانت تكون عليه وكيلا من كان في طاعة الهوى
في دينه يتبعه في كل ما ياتي ويذر لا يتبصر دليلا ولا يصغي الى برهان فهو عابد هواه وجاعله الهه
فيقول لرسوله هذا الذي لا يرى معبودا الا هواه كيف تستطيع ان تدعوه الى الهدى فتتوكل عليه
وتجبره على الاسلام وتقول لا بد ان تسلم شئت او ابيت ولا اكراه في الدين وهذا كقوله عز وجل
وما انت عليهم بجبار لست عليهم بمصيطر ويروى ان الرجل منهم كان يعبد الحجر فاذا راى احسن منه
رمى به واخذ اخر ومنهم الحارث بن قيس السهمي ام تحسب ان اكثرهم يسمعون او يعقلون ان هم
الا كالانعام بل هم اضل سبيلا ام هذه منقطعة معناه بل اتحسب كان هذه المذمة اشد من التي
تقدمتها حتى حقت بالاضراب عنها اليها وهي كونهم مسلوبي الاسماع والعقول لانهم لا يلقون الى استماع
الحق اذنا ولا الى تدبره عقلا ومشبهين بالانعام التي هي مثل في الغفلة والضلالة ثم ارجح ضلالة
منها فان قلت لم اخر هواه والاصل قولك اتخذ الهوى الها قلت ما هو الا تقديم المفعول
الثاني على الاول للعناية كما تقول علمت منطلقا زيدا لفضل عنايتك بالمنطلق فان قلت ما معنى ذكر
الاكثر قلت كان فيهم من لم يصده عن الاسلام الا داء واحد وهو حب الرياسة وكفى به داء عضالا لا
فان قلت كيف جعلوا اضل من الانعام لان الانعام تنقاد لاربابها التي تعلفها وتتعهدها
وتعرف من يحسن اليها ممن يسيء اليها وتطلب ما ينفعها وتجتنب ما يضرها وتهتدي لمراعيها ومشاربها
وهؤلاء لا ينقادون لربهم ولا يعرفون احسانه اليهم من اساءة الشيطان الذي هو عدوهم ولا
يطلبون الثواب الذي هو اعظم المنافع ولا يتقون العقاب الذي هو اشد المضار والمهالك ولا
يهتدون للحق الذي هو المشرع الهني والعذب الروي الم تر الى ربك كيف مد الظل ولو شاء

لجعله ساكنا ثم جعلنا الشمس عليه دليلا ثم قبضناه الينا قبضا يسيرا الم تر الى ربك الم تنظر
الى صنع ربك وقدرته ومعنى مد الظل ان جعله يمتد وينبسط فينتفع به الناس ولو شاء لجعله ساكنا اى لاصقا
باصل كل مظل من جبل وبناء وشجرة غير منبسط فلم ينتفع به احد سمى انبساط الظل وامتداده تحركا منه
وعدم ذلك سكونا ومعنى كون الشمس دليلا ان الناس يستدلون بالشمس وباحوالها فى مسيرها على احوال
الظل من كونه ثابتا فى مكان وزائلا ومتسعا ومتقلصا فيبنون حاجتهم الى الظل واستغناءهم عنه على
حسب ذلك وقبضه اليه انه ينسخه بضح الشمس يسيرا اى على مهل وفى هذا القبض اليسير شيئا بعد شىء
من المنافع ما لا يعد ولا يحصر ولو قبض دفعة واحدة لتعطلت اكثر مرافق الناس بالظل والشمس
جميعا فان قلت ثم فى هذين الموضعين كيف موقعها قلت موقعها لبيان تفاضل الامور الثلثة
كان الثانى اعظم من الاول والثالث اعظم منهما تشبيها لتباعد ما بينها فى الفضل بتباعد ما بين
الحوادث فى الوقت ووجه اخر وهو انه مد الظل حين بنى السماء كالقبة المضروبة ودحا الارض تحتها
فالقت القبة ظلها على الارض فيانا ما فى اديمه جوب لعدم النير ولو شاء لجعله ساكنا مستقرا على تلك
الحالة ثم خلق الشمس وجعلها على ذلك الظل اى سلطها عليه ونصبها دليلا متبوعا له كما يتبع الدليل فى
الطريق فهو يزيد بها وينقص ويمتد ويتقلص ثم نسخه بها فقبضه قبضا سهلا يسيرا غير عسير ويحتمل
ان يريد قبضه عند قيام الساعة بقبض اسبابه وهى الاجرام التى تلقى الظل فيكون قد ذكر اعدامه
باعدام اسبابه كما ذكر انشاءه بانشاء اسبابه وقوله تعالى قبضناه الينا يدل عليه وكذلك قوله تعالى يسيرا
كما قال تعالى ذلك حشر علينا يسير وهو الذى جعل لكم الليل لباسا والنوم سباتا وجعل النهار
نشورا شبه ما يستر من ظلام الليل باللباس الساتر والسبات الموت والمسبوت الميت لانه مقطوع
الحيوة وهذا كقوله تعالى وهو الذى يتوفاكم بالليل فان قلت هلا فسرته بالراحة
النشور فى مقابلته يأباه اباء العيوف الورد وهو مرنق وهذه الاية مع دلالتها على قدرة الخالق فيها
اظهار لنعمته على خلقه لان الاحتجاب بستر الليل كم فيه لكثير من الناس من فوائد دينية ودنيوية والنوم
واليقظة وشبههما بالموت والحيوة اى عبرة فيهما لمن اعتبر وعن لقمان انه قال لابنه يا بنى كما تنام فتوقظ
كذلك تموت فتنشر وهو الذى ارسل الرياح نشرا بين يدى رحمته وانزلنا من السماء ماء طهورا
لنحيى به بلدة ميتا ونسقيه مما خلقنا انعاما واناسى كثيرا قرئ الريح والرياح نشرا احياء
ونشرا جمع نشور وهى المحيية ونشرا تخفيف نشر وبشرا تخفيف بشر جمع بشور وبشرى وبين يدى
رحمته استعارة مليحة اى قدام المطر طهورا بليغا فى طهارته وعن احمد بن يحيى هو ما كان طاهرا فى
نفسه مطهرا لغيره فان كان ما قاله شرحا لبلاغته فى الطهارة كان سديدا ويعضده قوله عز
وجل وينزل عليكم من السماء ماء ليطهركم به والا فليس فعول من التفعيل فى شىء والطهور على وجهين
فى العربية صفة واسم غير صفة فالصفة قولك ماء طهور كقولك طاهر والاسم قولك لما يتطهر
به طهور كالوضوء والوقود لما يتوضأ به وتوقد به النار وقولهم تطهرت طهورا حسنا كقولك
وضوءا حسنا ذكره سيبويه ومنه قوله صلى الله عليه وسلم لا صلوة الا بطهور اى بطهارة فان
قلت ما الذى يزيل عن الماء اسم الطهور قلت تيقن مخالطة النجاسة او غلبتها على الظن تغير
احد اوصافه الثلثة او لم يتغير او استعماله فى البدن لاداء عبادة عند ابى حنيفة وعند مالك بن
انس رحمة الله عليهما ما لم يتغير احد اوصافه فهو طهور فان قلت فما تقول فى قوله عليه الصلاة

والسلام

والسلام حين سئل عن بئر بضاعة فقال الماء طهور لا ينجسه شىء الا ما غير لونه او طعمه او ريحه قلت قال
الواقدى كان بئر بضاعة طريقا للماء الى البساتين وانما قال ميتا لان البلدة فى معنى البلد فى قوله تعالى
فسقناه الى بلد ميت وانه غير جار على الفعل كفعول ومفعال ومفعيل وقرئ نسقيه بالفتح وسقى
واسقى لغتان وقيل اسقاه جعل له سقيا الاناسى جمع انسى او انسان ونحوه ظرابى فى ظربان على قلب
النون ياء والاصل اناسين وظرابين وقرئ بالتخفيف بحذف ياء افاعيل كقولك اناعيم حار قلت اناعم فى صح
انزال الماء موصوفا بالطهارة وتعليله بالاحياء والسقى يؤذن بان الطهارة شرط فى صحة ذلك كما تقول
حملنى الامير على فرس جواد لاصيد عليه الوحش قلت لما كان سقى الاناسى من جملة ما انزل له الماء وصفه
بالطهور اكراما لهم وتتميما للمنة عليهم وبيانا ان من حقهم حين اراد الله لهم الطهارة وارادهم عليها
ان يؤثروها فى بواطنهم ثم فى ظواهرهم وان يربأوا بانفسهم عن مخالطة القاذورات كلها كما ربأ
بهم ربهم فان قلت لم خص الانعام من بين ما خلق من الحيوان الشارب قلت لان الطير والوحش تبعد
فى طلب الماء فلا يعوزها الشرب بخلاف الانعام ولان الانعام قنية الاناسى وعامة منافعهم متعلقة بها
فكان الانعام عليهم بسقى انعامهم كالانعام بسقيهم فان قلت فما معنى تنكير الانعام والاناسى
ووصفها بالكثرة معنى ذلك ان علية الناس وجلهم منيخون بالقرب من الاودية والانهار
ومنابع الماء فيهم غنية عن سقى الماء واعقابهم وهم كثير منهم لا يعيشهم الا ما ينزل الله من رحمته
وسقيا سمائه وكذلك قوله لنحيى به بلدة ميتا يريد بعض بلاد هؤلاء المتبعدين من مظان الماء فان
قلت لم قدم احياء الارض وسقى الانعام على سقى الاناسى قلت لان حيوة الاناسى بحيوة ارضهم
وحيوة انعامهم فقدم ما هو سبب حيوتهم وتعيشهم على سقيهم ولانهم اذا ظفروا بما يكون سقيا
لارضهم ومواشيهم لم يعدموا سقياهم ولقد صرفناه بينهم فابى اكثر الناس الا كفورا يريد ليذكروا
ولقد صرفنا هذا القول بين الناس فى القرآن وفى سائر الكتب والصحف التى انزلت على الرسل وهو ذكر
انشاء السحاب وانزال القطر ليفكروا ويعتبروا ويعرفوا حق النعمة فيه ويشكروا فابى اكثرهم الا كفران
النعمة وجحودها وقلة الاكتراث لها وقيل صرفنا المطر بينهم فى البلدان المختلفة والاوقات المتغايرة
وعلى الصفات المتفاوتة من وابل وطل وجود ورذاذ وديمة ورهام فابوا الا الكفور وان يقولوا
مطرنا بنوء كذا ولا يذكروا صنع الله ورحمته وعن ابن عباس رضى الله عنهما ما من عام اقل مطرا من عام
ولكن الله قسم ذلك بين عباده على ما شاء وتلا هذه الاية وروى ان الملائكة يعرفون عدد المطر
ومقداره فى كل عام لانه لا يختلف ولكن تختلف فيه البلاد وينتزع من ههنا جواب فى تنكير البلدة
والانعام والاناسى كانه قال لنحيى به بعض البلاد الميتة ونسقيه بعض الانعام والاناسى وذلك البعض
كثير فان قلت هل يكفر من ينسب المطر الى الانواء قلت ان كان لا يراها الا من الانواء ويجحد
ان تكون هى والانواء من خلق الله فهو كافر وان كان يرى ان الله خالقها وقد نصب الانواء دلائل
وامارات عليها لم يكفر ولو شئنا لبعثنا فى كل قرية نذيرا فلا تطع الكافرين وجاهدهم به
جهادا كبيرا يقول لرسوله صلى الله عليه وسلم ولو شئنا لخففنا عنك اعباء نذارة جميع القرى
ولبعثنا فى كل قرية نبيا ينذرها وانما قصرنا الامر عليك وعظمناك به واجللناك وفضلناك على سائر
الرسل فقابل ذلك بالتشدد والتصبر ولا تطع الكافرين فيما يريدونك عليه وانما اراد بهذا
تهييجه وتهييج المؤمنين وتحريكهم والضمير للقرآن او لترك الطاعة الذى يدل عليه ولا تطع والمراد

ان الكفار يجدون ويجتهدون في توهين امرك فقابلهم من جدك واجتهادك وعضك على نواجذك بما تغلبهم به وتعلوهم وجعله جهادا كبيرا لما يحتمل فيه من المشاق العظام ويجوز ان يرجع الضمير في به الى ما دل عليه ولو شئنا لبعثنا في كل قرية نذيرا من كونه نذير كافة القرى لانه لو بعث في كل قرية نذيرا لوجبت على كل نذير مجاهدة قريته فاجتمعت على رسول الله عليه السلام تلك المجاهدات كلها فكبر جهاده من اجل ذلك وعظم فقال له وجاهدهم بسبب كونك نذير كافة القرى جهادا كبيرا جامعا لكل مجاهدة **وهو الذي مرج البحرين هذا عذب فرات وهذا ملح اجاج وجعل بينهما برزخا وحجرا محجورا** سمى الماءين الكثيرين الواسعين بحرين والفرات البليغ العذوبة حتى يضرب الى الحلاوة والاجاج نقيضه ومرجهما خلاهما متجاورين متلاصقين وهو بقدرته يفصل بينهما ويمنعهما التمازج وهذا من عظيم اقتداره وفي كلام بعضهم وبحران احدهما مع الاخر ممروج وماء العذب منهما باجاج ممزوج برزخا حائلا من قدرته كقوله تعالى بغير عمد ترونها يريد بغير عمد مرئية وهو قدرته وقرئ ملح على فعل وقيل كانه حذف من مالح تخفيفا كما قال وصليانا بردا يريد باردا **فان قلت** وحجرا محجورا ما معناه **قلت** هي الكلمة التي يقولها المتعوذ وقد فسرناها وهي ههنا واقعة على سبيل المجاز كان كل واحد من البحرين يتعوذ من صاحبه ويقول له حجرا محجورا كما قال لا يبغيان اي لا يبغي احدهما على صاحبه بالممازجة فانتفاء البغي ثمة كالتعوذ ههنا جعل كل واحد منهما في صورة الباغي على صاحبه فهو يتعوذ منه وهي من احسن الاستعارات واشهدها على البلاغة **وهو الذي خلق من الماء بشرا فجعله نسبا وصهرا وكان ربك قديرا** اراد فقسم البشر قسمين ذوي نسب اي ذكورا ينسب اليهم فيقال فلان بن فلان وفلانة بنت فلان وذوات صهر اي اناثا يصاهر بهن ونحوه قوله عز وجل فجعل منه الزوجين الذكر والانثى وكان ربك قديرا حيث خلق من النطفة الواحدة بشرا نوعين ذكرا وانثى **ويعبدون من دون الله ما لا ينفعهم ولا يضرهم وكان الكافر على ربه ظهيرا** الظهير والمظاهر كالعوين والمعاون وفعيل بمعنى مفاعل غير عزيز والمعنى ان الكافر يظاهر الشيطان على ربه بالعداوة والشرك **روي** انها نزلت في ابي جهل ويجوز ان يريد بالظهير الجماعة كقوله تعالى والملائكة بعد ذلك ظهير كما جاء الصديق والخليط ويريد بالكافر الجنس وان بعضهم مظاهر لبعض على اطفاء نور دين الله وقيل معناه وكان الذي يفعل هذا الفعل وهو عبادة ما لا ينفع ولا يضر على ربه هينا مهينا من قولهم ظهرت به اذا خلفته خلف ظهرك لا تلتفت اليه وهذا نحو قوله تعالى اولئك الذين لا خلاق لهم في الاخرة ولا يكلمهم الله ولا ينظر اليهم **وما ارسلناك الا مبشرا ونذيرا قل ما اسألكم عليه من اجر الا من شاء ان يتخذ الى ربه سبيلا** مثال الا من شاء والمراد الا فعل من شاء واستثناؤه عن الاجر قول ذي شفقة عليك قد سعى لك في تحصيل مال ما اطلب منك ثوابا على ما سعيت لك الا ان تحفظ هذا المال ولا تضيعه فليس حفظك المال لنفسك من جنس الثواب ولكن صوره هو بصورة الثواب وسماه باسمه فافاد فائدتين احداهما قلع شبهة الطمع في الثواب من اصله كانه يقول لك ان كان حفظك لمالك ثوابا فاني اطلب الثواب والثانية اظهار الشفقة البالغة وانك ان حفظت مالك اعتد بحفظك ثوابا ورضي به كما يرضى المثاب بالثواب ولعمري ان رسول الله صلى الله عليه وسلم كان مع المبعوث اليهم بهذا الصدد وفوقه ومعنى اتخاذهم الى الله سبيلا تقربهم اليه وطلبهم عنده الزلفى بالايمان والطاعة وقيل المراد التقرب بالصدقة والنفقة في

سبيل

سبيل الله **وتوكل على الحي الذي لا يموت وسبح بحمده وكفى به بذنوب عباده خبيرا** امره بان يثق به ويسند امره اليه في استكفاء شرورهم مع التمسك بقاعدة التوكل واساس الالتجاء وهو طاعته وعبادته وتنزيهه وتحميده وعرفه ان الحي الذي لا يموت حقيق بان يتوكل عليه وحده ولا يتكل على غيره من الاحياء الذين يموتون وعن بعض السلف انه قرأها فقال لا يصح لذي عقل ان يثق بعدها بمخلوق ثم اراه ان ليس اليه من امر عباده شيء آمنوا ام كفروا وانه خبير باحوالهم كاف في جزاء اعمالهم **الذي خلق السموات والارض وما بينهما في ستة ايام ثم استوى على العرش الرحمن فاسأل به خبيرا** في ستة ايام يعني في مدة مقدارها هذه المدة لانه لم يكن حينئذ نهار ولا ليل وقيل ستة ايام من ايام الاخرة وكل يوم الف سنة والظاهر انها من ايام الدنيا وعن مجاهد اولها يوم الاحد واخرها يوم الجمعة ووجهه ان يسمي الله تعالى للملائكة تلك الايام المقدرة بهذه الاسماء فلما خلق الشمس وادارها وترتب امر العالم على ما هو عليه جرت التسمية على هذه الايام واما الداعي الى هذا العدد اعني الستة دون سائر الاعداد فلا نشك انه داعي حكمة لعلمنا انه لا يقدر تقديرا الا بداعي حكمة وان كنا لا نطلع عليه ولا نهتدي الى معرفته ومن ذلك تقدير الملائكة الذين هم اصحاب النار تسعة عشر وحملة العرش ثمانية والشهور اثني عشر والسموات سبعا والارض كذلك والصلوات خمسا واعداد النصب والحدود والكفارات وغير ذلك والاقرار بدواعي الحكمة في جميع افعاله وبان ما قدره حق وصواب هو الايمان وقد نص عليه في قوله وما جعلنا اصحاب النار الا ملائكة وما جعلنا عدتهم الا فتنة للذين كفروا ليستيقن الذين اوتوا الكتاب ويزداد الذين امنوا ايمانا ولا يرتاب الذين اوتوا الكتاب والمؤمنون وليقول الذين في قلوبهم مرض والكافرون ماذا اراد الله بهذا مثلا ثم قال تعالى وما يعلم جنود ربك الا هو وهو الجواب ايضا في ان لم يخلقها في لحظة وهو قادر على ذلك وعن سعيد بن جبير رضي الله عنه انما خلقها في ستة ايام وهو يقدر على ان يخلقها في لحظة تعليما لخلقه الرفق والتثبت وقيل اجتمع خلقها يوم الجمعة فجعله الله عيدا للمسلمين الذي خلق مبتدأ والرحمن خبره او هو صفة للحي والرحمن خبر مبتدأ محذوف او بدل عن المستتر في استوى **وقرئ** الرحمن بالجر صفة للحي وقرئ فسل والباء في به صلة سل كقوله تعالى سأل سائل بعذاب واقع كما تكون عن صلته في نحو قوله تعالى ثم لتسألن يومئذ عن النعيم فسال به كقوله اهتم به واعتنى به واشتغل به وسال عنه كقولك بحث عنه وفتش عنه ونقر عنه او صلة خبيرا او تجعل خبيرا مفعول سل يريد فسل عنه رجلا عارفا يخبرك برحمته او فسل رجلا خبيرا به وبرحمته او فسل بسؤاله خبيرا كقولك رأيت به اسدا اي برؤيته والمعنى ان سألته وجدته خبيرا او تجعله حالا عن الهاء تريد فسل عنه عالما بكل شيء وقيل الرحمن اسم من اسماء الله مذكور في الكتب المتقدمة ولم يكونوا يعرفونه فقيل فسل بهذا الاسم من يخبرك من اهل الكتاب حتى يعرف من ينكره ومن ثم كانوا يقولون ما نعرف الرحمن الا الذي باليمامة يعنون مسيلمة وكان يقال له رحمن اليمامة **واذا قيل لهم اسجدوا للرحمن قالوا وما الرحمن انسجد لما تأمرنا وزادهم نفورا** وما الرحمن يجوز ان يكون سؤالا عن المسمى به لانهم ما كانوا يعرفونه بهذا الاسم والسؤال عن المجهول بما ويجوز ان يكون سؤالا عن معناه لانه لم يكن مستعملا في كلامهم كما استعمل الرحيم والمرحوم والراحم او لانهم انكروا اطلاقه على الله لما تأمرنا اي للذي تأمرناه بمعنى تأمرنا بسجوده على قوله امرتك الخير او لامرك لنا **وقرئ** بالياء كان بعضهم قال لبعض انسجد لما

يامرنا محمد او يامرنا المسمى بالرحمن ولا نعرف ما هو وزادهم ضمير اسجدوا للرحمن لانه هو المقول تبارك الذي جعل في السماء بروجا وجعل فيها سراجا وقمرا منيرا البروج منازل الكواكب السبعة السيارة الحمل والثور والجوزاء والسرطان والاسد والسنبلة والميزان والعقرب والقوس والجدي والدلو والحوت سميت بالبروج التي هي القصور العالية لانها لهذه الكواكب كالمنازل لسكانها واشتقاق البرج من التبرج لظهوره والسراج الشمس كقوله تعالى وجعل الشمس سراجا وقرئ سرجا وهي الشمس والكواكب الكبار معها وقرأ الحسن والاعمش وقمرا منيرا وهي جمع ليلة قمراء كانه قال وذا قمر منيرا لان الليالي تكون قمرا بالقمر فاضافه اليها ونظيره في بقاء حكم المضاف بعد سقوطه وقيام المضاف اليه مقامه قول حسان بردى يصفق بالرحيق السلسل يريد ماء بردى ولا يبعد ان يكون القمر بمعنى القمر كالرشد والرشد والعرب والعرب وهو الذي جعل الليل والنهار خلفة لمن اراد ان يذكر او اراد شكورا الخلفة من خلف كالركبة من ركب وهي الحالة التي يخلف عليها الليل والنهار كل واحد منهما الاخر والمعنى جعلهما ذوي خلفة اي ذوي عقبة اي يعقب هذا ذاك وذاك هذا ويقال الليل والنهار يختلفان كما يقال يعتقبان ومنه قوله تعالى واختلاف الليل والنهار ويقال بفلان خلفة واختلاف اذا اختلف كثيرا الى متبرزه وقرئ يذكر ويذكر وعن ابي بن كعب يتذكر والمعنى لينظر في اختلافهما الناظر فيعلم ان لا بد لانتقالهما من حال الى حال وتغيرهما من ناقل ومغير ويستدل بذلك على عظم قدرته ويشكر الشاكر على النعمة فيهما من السكون بالليل والتصرف بالنهار كما قال الله عز وجل ومن رحمته جعل لكم الليل والنهار لتسكنوا فيه ولتبتغوا من فضله او ليكونا وقتين للمتذكرين والشاكرين من فاته في احدهما ورده من العبادة قام به في الاخر وعن الحسن رحمة الله عليه من فاته عمله من التذكر والشكر بالنهار كان له في الليل مستعتب ومن فاته بالليل كان له في النهار مستعتب وعباد الرحمن الذين يمشون على الارض هونا واذا خاطبهم الجاهلون قالوا سلاما وعباد الرحمن مبتدأ خبره في اخر السورة كانه قيل وعباد الرحمن الذين هذه صفاتهم اولئك يجزون الغرفة ويجوز ان يكون خبره الذين يمشون واضافهم الى الرحمن تخصيصا وتفضيلا وقرئ وعباد الرحمن وقرئ يمشون هونا حال او صفة للمشي بمعنى هينين او مشيا هينا الا ان في وضع المصدر موضع الصفة مبالغة والهون الرفق واللين ومنه الحديث احبب حبيبك هونا ما وقوله صلى الله عليه وسلم المؤمنون هينون لينون والمثل اذا عز اخوك فهن ومعناه اذا عاسر فياسر والمعنى انهم يمشون بسكينة ووقار وتواضع لا يضربون باقدامهم ولا يخفقون بنعالهم اشرا وبطرا ولذلك كره بعض العلماء الركوب في الاسواق ولقوله ويمشون في الاسواق سلاما تسلما منكم لا نجاهلكم ومتاركة لا خير بيننا ولا شر اي نتسلم منكم تسلما فاقيم السلام مقام التسلم وقيل قالوا سدادا من القول يسلمون فيه من الايذاء والاثم والمراد بالجهل السفه وقلة الادب وسوء الرعة من قوله

الا لا يجهلن احد علينا فنجهل فوق جهل الجاهلينا

وعن ابي العالية نسختها اية القتال ولا حاجة الى ذلك لان الاغضاء عن السفهاء وترك المقابلة مستحسن في الادب والمروة والشريعة واسلم للعرض والورع والذين يبيتون لربهم سجدا وقياما البيتوتة خلاف الظلول وهو ان يدركك الليل نمت او لم تنم وقالوا من قرأ شيئا من القران في صلوة وان قل فقد بات ساجدا وقائما وقيل هما الركعتان بعد المغرب والركعتان بعد العشاء والظاهر انه وصف لهم باحياء الليل او اكثره يقال

فلان

فلان يظل صائما ويبيت قائما والذين يقولون ربنا اصرف عنا عذاب جهنم ان عذابها كان غراما هلاكا وخسرانا ملحا لازما قال يوم النسار ويوم الجفار كانا عذابا وكان غراما وقال ان يعاقب يكن غراما وان يعط جزيلا فانه لا يبالي ومنه الغريم لالحاحه ولزامه وصفهم باحياء الليل ساجدين وقائمين ثم عقبه بذكر دعوتهم هذه ايذانا بانهم مع اجتهادهم خائفون مبتهلون الى الله في صرف العذاب عنهم كقوله تعالى والذين يؤتون ما اتوا وقلوبهم وجلة انها ساءت مستقرا ومقاما ساءت في حكم بئست وفيها ضمير مبهم يفسره مستقرا والمخصوص بالذم محذوف معناه ساءت مستقرا ومقاما هي وهذا الضمير هو الذي ربط الجملة باسم ان وجعلها خبرا لها ويجوز ان يكون ساءت بمعنى احزنت وفيها ضمير اسم ان ومستقرا حال او تمييز والتعليلان يصح ان يكونا متداخلين ومترادفين وان يكونا من كلام الله وحكاية لقولهم والذين اذا انفقوا لم يسرفوا ولم يقتروا وكان بين ذلك قواما وقرئ يقتروا بكسر التاء وضمها ويقتروا بتخفيف التاء وتشديدها والقتر والاقتار والتقتير التضييق الذي هو نقيض الاسراف والاسراف مجاوزة الحد في النفقة ووصفهم بالقصد الذي هو بين الغلو والتقصير وبمثله امر رسول الله عليه السلام ولا تجعل يدك مغلولة الى عنقك ولا تبسطها كل البسط وقيل الاسراف انما هو الانفاق في المعاصي واما في القرب فلا اسراف وسمع رجل رجلا يقول لا خير في الاسراف فقال لا اسراف في الخير وعن عمر بن عبد العزيز انه شكر عبد الملك بن مروان حين زوجه ابنته واحسن اليه فقال وصلت الرحم وفعلت وصنعت وجاء بكلام حسن فقال ابن لعبد الملك انما هو كلام اعده لهذا المقام فسكت عبد الملك فلما كان بعد ايام دخل عليه والابن حاضر فساله عن نفقته واحواله فقال الحسنة بين السيئتين فعرف عبد الملك انه اراد ما في هذه الاية فقال لابنه يا بني اهذا ايضا مما اعده وقيل اولئك اصحاب محمد كانوا لا ياكلون طعاما للتنعم ولا يلبسون ثوبا للجمال والزينة ولكن كانوا ياكلون ما يسد جوعتهم ويعينهم على عبادة ربهم ويلبسون ما يستر عوراتهم ويكنهم من الحر والقر وقال عمر رضي الله عنه كفى سرفا ان لا يشتهي رجل شيئا الا اشتراه فاكله والقوام العدل بين الشيئين لاستقامة الطرفين واعتدالهما ونظير القوام من الاستقامة السواء من الاستواء وقرئ قواما بالكسر وهو ما يقام به الشيء يقال انت قوامنا بمعنى ما تقام به الحاجة لا يفضل عنها ولا ينقص والمنصوبان اعني بين ذلك قواما جائز ان يكونا خبرين معا وان يجعل بين ذلك لغوا وقواما مستقرا وان يكون الظرف خبرا وقواما حالا مؤكدة واجاز الفراء ان يكون بين ذلك اسم كان على انه مبني لاضافته الى غير متمكن كقوله لم يمنع الشرب منها غير ان نطقت وهو من جهة الاعراب لا باس به ولكن المعنى ليس بقوي لان ما بين الاسراف والتقتير قوام لا محالة فليس في الخبر الذي هو معتمد الفائدة فائدة والذين لا يدعون مع الله الها اخر ولا يقتلون النفس التي حرم الله الا بالحق ولا يزنون ومن يفعل ذلك يلق اثاما حرم الله اي حرمها والمعنى حرم قتلها والا بالحق متعلق بهذا القتل المحذوف او بلا يقتلون ونفي هذه المقبحات العظام عن الموصوفين بتلك الخلال العظيمة في الدين للتعريض بما كان عليه اعداء المؤمنين من قريش وغيرهم كانه قيل والذين برأهم الله وطهرهم مما انتم عليه والقتل بغير حق يدخل فيه الوأد وغيره وعن ابن مسعود رضي الله عنه قلت يا رسول الله اي الذنب اعظم قال ان تجعل لله ندا وهو خلقك قلت ثم اي قال ان تقتل ولدك خشية

النفس

ان ياكل معك قلت ثم اي قال ان تزاني حليلة جارك فانزل الله تصديقه • وقرئ يلق فيه اثاما • وقرئ يلقى
باثبات الالف وقد مر مثله • والاثام جزاء الاثم بوزن الوبال والنكال ومعناهما قال
• جزى الله ابن عروة حيث امسى • عقوقا والعقوق له اثام • وقيل هو الاثم ومعناه يلق جزاء اثام
وقرا ابن مسعود اياما اي شدائد يقال يوم ذو ايام لليوم العصيب يضاعف له العذاب يوم القيمة
ويخلد فيه مهانا الا من تاب وامن وعمل عملا صالحا فاولئك يبدل الله سيئاتهم حسنات
وكان الله غفورا رحيما • يضاعف بدل من يلق لانهما في معنى واحد كقوله •
• متى تاتنا تلمم بنا في ديارنا • تجد حطبا جزلا ونارا تاججا • وقرئ يضعف • ونضعف له العذاب
بالنون ونصب العذاب • وقرئ بالرفع على الاستيناف او على الحال وكذلك يخلد • وقرئ ويخلد على
البناء للمفعول مخففا ومثقلا من الاخلاد والتخليد • وقرئ وتخلد بالتاء على الالتفات • يبدل
مخفف ومثقل وكذلك سيئاتهم فان قلت ما معنى مضاعفة العذاب وابدال الحسنات سيئات
قلت اذا ارتكب المشرك معاصي مع الشرك عذب على الشرك وعلى المعاصي جميعا فتضاعف العقوبة لمضاعفة
المعاقب عليه وابدال السيئات حسنات انه يمحوها بالتوبة ويثبت مكانها الحسنات الايمان
والطاعة والتقوى • وقيل يبدلهم بالشرك ايمانا وبقتل المسلمين قتل المشركين وبالزنا عفة واحصانا
ومن تاب وعمل صالحا فانه يتوب الى الله متابا • يريد ومن يترك المعاصي ويندم عليها ويدخل
في العمل الصالح فانه بذلك تائب الى الله متابا مرضيا عنده مكفرا للخطايا محصلا للثواب او فانه
تائب متابا الى الله الذي يعرف حق التائبين ويفعل بهم ما يستوجبون والذي يحب التوابين ويحب
المتطهرين • وفي كلام بعض العرب الله افرح بتوبة العبد من المضل الواجد • والظمآن الوارد • والعقيم
الوالد • او فانه يرجع الى الله والى ثوابه مرجعا حسنا واي مرجع والذين لا يشهدون الزور واذا مروا
باللغو مروا كراما • يحتمل انهم ينفرون عن محاضر الكذابين ومجالس الخطائين فلا يحضرونها ولا يقربونها
تنزها عن مخالطة الشر واهله وصيانة لدينهم عما يثلمه لان مشاهدة الباطل شركة فيه ولذلك قيل
في النظارة الى كل ما لم تسوغه الشريعة هم شركاء فاعليه في الاثم لان حضورهم ونظرهم دليل الرضا
به وسبب وجوده والزيادة فيه لان الذي سلط على فعله هو استحسان النظارة ورغبتهم في النظر اليه
وفي مواعظ عيسى ابن مريم اياكم ومجالسة الخطائين • ويحتمل انهم لا يشهدون شهادة الزور فحذف
المضاف واقيم المضاف اليه مقامه • وعن قتادة مجالس الباطل • وعن ابن الحنفية رضي الله عنه
اللهو والغناء • وعن مجاهد اعياد المشركين • اللغو كل ما ينبغي ان يلغى ويطرح والمعنى واذا مروا
باهل اللغو والمشتغلين به مروا معرضين عنهم مكرمين انفسهم عن التوقف عليهم والخوض معهم كقوله
عز وجل واذا سمعوا اللغو اعرضوا عنه وقالوا لنا اعمالنا ولكم اعمالكم سلام عليكم لا نبتغي الجاهلين
وعن الحسن لم تسفههم المعاصي • وقيل اذا سمعوا من الكفار الشتم والاذى اعرضوا وصفحوا • وقيل اذا ذكروا
النكاح كنوا عنه والذين اذا ذكروا بايات ربهم لم يخروا عليها صما وعميانا • لم يخروا عليها ليس بنفي
للخرور وانما هو اثبات له ونفي للصمم والعمى كما تقول لا يلقاني زيد مسلما هو نفي للسلام لا للقاء والمعنى
انهم اذا ذكروا بها اكبوا عليها حرصا على استماعها واقبلوا على المذكر بها وهم في اكبابهم عليها سامعون
باذان واعية مبصرون بعيون راعية لا كالذين يذكرون بها فتراهم مكبين عليها مقبلين على من
يذكر بها مظهرين الحرص الشديد على استماعها وهم كالصم العميان حيث لا يعونها ولا يبصرون ما فيها

كالمنافقين واشباههم والذين يقولون ربنا هب لنا من ازواجنا وذرياتنا قرة اعين واجعلنا
للمتقين اماما قرئ ذريتنا وذرياتنا • وقرة اعين • وقرات اعين • سالوا ربهم ان يرزقهم ازواجا واعقابا
عمالا لله يسرون بمكانهم وتقر بهم عيونهم • وعن محمد بن كعب ليس شيء اقر لعين المؤمن من ان يرى زوجته
واولاده مطيعين لله • وعن ابن عباس رضي الله عنهما هو الولد اذا راه يكتب الفقه • وقيل سالوا
ان يلحق الله بهم ازواجهم وذريتهم في الجنة ليتم لهم سرورهم • اراد ائمة فاكتفى بالواحد لدلالته على
الجنس ولعدم اللبس كقوله تعالى ثم يخرجكم طفلا • او اراد واجعل كل واحد منا اماما • او اراد جمع
آم كصائم وصيام • او اراد واجعلنا اماما واحدا لاتحادنا واتفاق كلمتنا • وعن بعضهم في الاية ما
يدل على ان الرياسة في الدين يجب ان تطلب ويرغب فيها • وقيل نزلت هذه الاية في العشرة المبشرين
بالجنة فان قلت من في قوله من ازواجنا ما هي   يحتمل ان تكون بيانية كانه قيل هب لنا
قرة اعين ثم بينت القرة وفسرت بقوله من ازواجنا وذرياتنا ومعناه ان يجعلهم الله لهم قرة اعين
وهو من قولهم رايت منك اسدا اي انت اسد • وان تكون ابتدائية على معنى هب لنا من جهتهم ما
تقر به عيوننا من طاعة وصلاح فان قلت لم قال قرة اعين فنكر وقلل قلت اما التنكير
فلاجل تنكير القرة لان المضاف لا سبيل الى تنكيره الا بتنكير المضاف اليه كانه قال هب لنا منهم سرورا
وفرحا • وانما قيل اعين دون عيون لانه اراد اعين المتقين وهي قليلة بالاضافة الى العيون غيرهم
قال الله تعالى وقليل من عبادي الشكور • ويجوز ان يقال في تنكير اعين انها اعين خاصة وهي
اعين المتقين اولئك يجزون الغرفة بما صبروا ويلقون فيها تحية وسلاما خالدين فيها
حسنت مستقرا ومقاما • المراد يجزون الغرفات وهي العلالي في الجنة فوحد اقتصارا على الواحد
الدال على الجنس • والدليل على ذلك قوله تعالى وهم في الغرفات امنون • وقراءة من قرا في الغرفة
بما صبروا بصبرهم على الطاعات وعن الشهوات وعلى اذى الكفار ومجاهدتهم وعلى الفقر وغير
ذلك واطلاقه لاجل الشياع في كل مصبور عليه • وقرئ يلقون كقوله عز وعلا ولقاهم نضرة وسرورا
ويلقون كقوله تعالى يلق اثاما • والتحية دعاء بالتعمير والسلام دعاء بالسلامة يعني ان الملائكة
يحيونهم ويسلمون عليهم • او يحيي بعضهم بعضا ويسلم عليه • او يعطون التبقية والتخليد مع السلامة عن
كل افة • اللهم وفقنا لطاعتك واجعلنا مع اهل رحمتك وارزقنا مما ترزقهم في دار رضوانك قل
ما يعبا بكم ربي لولا دعاؤكم فقد كذبتم فسوف يكون لزاما • لما وصف عبادة العباد وعدد
صالحاتهم وحسناتهم واثنى عليهم من اجلها ووعدهم الرفع من درجاتهم في الجنة اتبع ذلك بيان انه انما
اكترث لاولئك وعبا بهم واعلى ذكرهم ووعدهم ما وعدهم لاجل عبادتهم فامر رسوله ان يصرح
للناس ويجزم لهم القول بان الاكتراث لهم عند ربهم انما هو للعبادة وحدها لا لمعنى اخر ولولا
عبادتهم لم يكترث لهم البتة ولم يعتد بهم ولم يكونوا عنده شيئا يبالى به • والدعاء العبادة • وما
متضمنة لمعنى الاستفهام وهي في محل النصب وهي عبارة عن المصدر كانه قيل واي عبء يعبا بكم
لولا دعاؤكم يعني انكم لا تستاهلون شيئا من العبء بكم لولا عبادتكم • وحقيقة قولهم ما عبات به
ما اعتددت به من فوادح همومي ومما يكون عبئا علي كما تقول ما اكترثت له اي ما اعتددت به من
كوارثي ومما يهمني • وقال الزجاج في تاويل ما يعبا بكم ربي اي وزن يكون لكم عنده • ويجوز ان يكون

ما نافية فقد كذبتم يقول اذا اعلمتكم ان حكمي اني لا اعتد بعبادي الا لعبادتهم فقد خالفتم بتكذيب حكمي فسوف يلزمكم اثر تكذيبكم حتى يكبكم في النار ونظيره في الكلام ان يقول الملك لمن استعصى عليه ان من عادتي ان احسن الى من يطيعني ويتبع امري فقد عصيت فسوف ترى ما احل بك بسبب عصيانك وقيل معناه ما يصنع بكم ربي لولا دعاؤه اياكم الى الاسلام وقيل ما يصنع بعذابكم لولا دعاؤكم معه الهة فان قلت الى من يتوجه هذا الخطاب قلت الى الناس على الاطلاق ومنهم مؤمنون عابدون ومكذبون عاصون فخوطبوا بما وجد في جنسهم من العبادة والتكذيب وقرئ فقد كذب الكافرون وقيل يكون العذاب لزاما وعن مجاهد هو القتل يوم بدر وانه لوزم بين القتلى لزاما وقرئ لزاما بالفتح بمعنى اللزوم كالثبات والثبوت والوجه ان يترك اسم كان غير منطوق به بعد ما علم انه مما توعد به لاجل الابهام وتناول ما لا يكتنهه الوصف عن رسول الله صلى الله عليه وسلم من قرا سورة الفرقان لقي الله يوم القيمة وهو مؤمن بان الساعة اتية لا ريب فيها وادخل الجنة بغير نصب والله اعلم بالصواب وبه الاعانة

الا قوله والشعراء الى اخر السورة وهي مائتان وعشرون ايه وفي رواية سبع وعشرون بسم الله الرحمن الرحيم **طسم تلك ايات الكتاب المبين** طسم بتفخيم الالف وامالتها واظهار النون وادغامها الكتاب المبين الظاهر اعجازه وصحة انه من عند الله والمراد به السورة او القران والمعنى ايات هذا المؤلف من الحروف المبسوطة تلك ايات الكتاب المبين **لعلك باخع نفسك الا يكونوا مؤمنين** البخع ان يبلغ بالذبح النخاع بالباء وهو عرق مستبطن الفقار وذلك اقصى حد الذابح ولعل للاشفاق يعني اشفق على نفسك ان تقتلها حسرة على ما فاتك من اسلام قومك ان لا يكونوا مؤمنين لئلا يؤمنوا او لامتناع ايمانهم او خيفة ان لا يؤمنوا وعن قتادة باخع نفسك على الاضافة **ان نشا ننزل عليهم من السماء اية فظلت اعناقهم لها خاضعين** اراد اية ملجئة الى الايمان قاسرة عليه فظلت معطوف على الجزاء الذي هو ننزل لانه لو قيل انزلنا لكان صحيحا ونظيره فاصدق واكن كانه قيل اصدق وقرئ لو شئنا لانزلنا وقرئ فتظل اعناقهم فان قلت كيف صح مجي خاضعين خبرا عن الاعناق قلت اصل الكلام فظلوا لها خاضعين فاقحمت الاعناق لبيان موضع الخضوع وترك الكلام على اصله كقوله ذهبت اهل اليمامة كان الاهل غير مذكور او لما وصفت بالخضوع الذي هو للعقلاء قيل خاضعين كقوله تعالى ساجدين وقيل اعناق الناس رؤساؤهم ومقدموهم شبهوا بالاعناق كما قيل لهم الرؤوس والنواصي والصدور قال

في محفل من نواصي الناس مشهود وقيل جماعات الناس يقال جاءنا عنق من الناس لفوج منهم وقرئ فظلت اعناقهم لها خاضعة وعن ابن عباس رضي الله عنهما نزلت هذه الاية فينا وفي بني امية قال ستكون لنا عليهم الدولة فتذل لنا اعناقهم بعد صعوبة ويلحقهم هوان بعد عزة **وما ياتيهم من ذكر من الرحمن محدث الا كانوا عنه معرضين فقد كذبوا فسياتيهم انباء ما كانوا به يستهزءون** اي وما يجدد لهم الله بوحيه موعظة وتذكيرا الا جددوا اعراضا عنه وكفرا به فان قلت كيف خولف بين الالفاظ والغرض واحد وهي الاعراض والتكذيب والاستهزاء قلت

انما خولف بينها لاختلاف الاغراض كانه قيل حين اعرضوا عن الذكر فقد كذبوا به وحين كذبوا به فقد خف عندهم قدره وصار عرضة للاستهزاء والسخرية لان من كان قابلا للحق مقبلا عليه كان مصدقا به لا محالة ولم يظن به التكذيب ومن كان مصدقا به كان موقرا له فسياتيهم وعيد لهم وانذار بانهم سيعلمون اذا مسهم عذاب الله يوم بدر او يوم القيمة ما الشيء الذي كانوا يستهزءون به وهو القران وسياتيهم انباؤه واحواله التي كانت خافية عليهم **اولم يروا الى الارض كم انبتنا فيها من كل زوج كريم ان في ذلك لاية وما كان اكثرهم مؤمنين وان ربك لهو العزيز الرحيم** وصف الزوج وهو الصنف من النبات بالكرم والكريم صفة لكل ما يرضى ويحمد في بابه يقال وجه كريم اذا رضي في حسنه وجماله وكتاب كريم مرضي في معانيه وفوائده وقال

حتى يشق الصفوف من كرمه اي من كونه مرضيا في شجاعته وبأسه والنبات الكريم المرضي فيما يتعلق به من المنافع ان في انبات تلك الاصناف لاية على ان منبتها قادر على احياء الموتى وقد علم الله ان اكثرهم مطبوع على قلوبهم غير مرجو ايمانهم وان ربك لهو العزيز في انتقامه من الكفرة الرحيم لمن تاب وامن وعمل صالحا فان قلت ما معنى الجمع بين كم وكل ولو قيل كم انبتنا فيها من زوج كريم قلت قد دل كل على الاحاطة بازواج النبات على سبيل التفصيل وكم على ان هذا المحيط متكاثر مفرط الكثرة فهذا معنى الجمع بينهما وبه نبه على كمال قدرته فان قلت فما معنى وصف الزوج بالكريم قلت يحتمل معنيين احدهما ان النبات على نوعين نافع وضار فذكر كثرة ما انبت في الارض من جميع اصناف النبات النافع وخلى ذكر الضار والثاني ان يعم جميع النبات نافعه وضاره ويصفهما جميعا بالكرم وينبه على انه ما انبت شيئا الا وفيه فائدة لان الحكيم لا يفعل فعلا الا لغرض صحيح ولحكمة بالغة وان غفل عنها الغافلون ولم يتوصل الى معرفتها العاقلون فان قلت فحين ذكر الازواج ودل عليها بكلمتي الكثرة والاحاطة وان كانت بحيث لا يحصيها الا عالم الغيب كيف قال ان في ذلك لاية وهلا قال لايات قلت فيه وجهان ان يكون ذلك مشارا به الى مصدر انبتنا فكانه قال ان في الانبات لاية اي اية وان يراد ان في كل واحد من تلك الازواج لاية وقد سبقت لهذا الوجه نظاير **واذ نادى ربك موسى ان ائت القوم الظالمين قوم فرعون الا يتقون** سجل عليهم بالظلم بان قدم القوم الظالمين ثم عطفهم عليهم عطف البيان كان معنى القوم الظالمين وترجمته قوم فرعون وكانهما عبارتان تعتقبان على مؤدى واحد ان شاء ذاكرهم عبر عنهم بالقوم الظالمين وان شاء عبر بقوم فرعون وقد استحقوا هذا الاسم من جهتين من جهة ظلمهم انفسهم بالكفر وشرارتهم ومن جهة ظلمهم لبني اسرائيل باستعبادهم لهم قرئ الا يتقون بكسر النون بمعنى الا يتقونني فحذفت النون لاجتماع النونين والياء للاكتفاء بالكسرة فان قلت بم تعلق قوله الا يتقون قلت هو كلام مستانف اتبعه عز وجل ارساله اليهم للانذار والتسجيل عليهم بالظلم تعجيبا لموسى عليه السلام من حالهم التي شنعت في الظلم والعسف ومن امنهم العواقب وقلة خوفهم وحذرهم من ايام الله ويحتمل ان يكون الا يتقون حالا من الضمير في الظالمين اي يظلمون غير متقين الله وعقابه فادخلت همزة الانكار على الحال واما من قرا الا تتقون على الخطاب فعلى طريقة الالتفات اليهم وجبههم وضرب وجوههم بالانكار والغضب عليهم كما ترى من يشكو من ركب جنايته الى بعض اخصائه والجاني حاضر فاذا اندفع في الشكاية وحر مزاجه وحمي غضبه قطع مباثة صاحبه واقبل على الجاني يوبخه ويعنف

به ويقول له الم تتق الله الم تستحي من الناس فان قلت فما فائدة هذا الالتفات والخطاب مع موسى عليه السلام في وقت المناجاة والملتفت اليهم غيب لا يشعرون قلت اجراء ذلك في تكليم المرسل اليهم في معنى اجرائه بحضرتهم والقائه الى مسامعهم لانه مبلغه ومنهيه وناشره بين الناس وله فيه لطف وحث على زيادة التقوى وكم من اية انزلت في شان الكافرين وفيها اوفر نصيب للمؤمنين تدبرا لها واعتبارا بموردها وفي الا يتقون بالياء وكسر النون وجه اخر وهو ان يكون المعنى الا يا ناس اتقون كقوله تعالى الا يسجدوا قال رب اني اخاف ان يكذبون ويضيق صدري ولا ينطلق لساني فارسل الى هرون ولهم علي ذنب فاخاف ان يقتلون ويضيق وينطلق بالرفع لانهما معطوفان على خبر ان وبالنصب لعطفهما على صلة ان والفرق بينهما في المعنى ان الرفع يفيد ان فيه ثلث علل خوف التكذيب وضيق الصدر وامتناع انطلاق اللسان والنصب على ان خوفه متعلق بهذه الثلاثة فان قلت في النصب تعليق الخوف بالامور الثلاثة وفي جملتها نفي انطلاق اللسان وحقيقة الخوف انما هي غم يلحق الانسان لامر سيقع وذلك كان واقعا فكيف جاز تعليق الخوف به قلت قد علق الخوف بتكذيبهم وبما يحصل له بسببه من ضيق الصدر والحبسة في اللسان زائدة على ما كان به على ان تلك الحبسة التي كانت به قد زالت بدعوته وقيل بقيت منها بقية يسيرة فان قلت اعتذارك هذا يرده الرفع لان المعنى اني خائف ضيق الصدر غير منطلق اللسان قلت يجوز ان يكون هذا قبل الدعوة واستجابتها ويجوز ان يريد القدر اليسير الذي بقي به ويجوز ان لا يكون مع حل العقدة من لسانه من الفصحاء المصاقع الذين اوتوا سلاطة الالسنة وبسطة المقال وهرون كان بتلك الصفة فاراد ان يقرن به ويدل عليه قوله عز وجل واخي هرون هو افصح مني لسانا ومعنى فارسل الى هرون ارسل اليه جبريل واجعله نبيا وازرني به واشدد به عضدي وهذا كلام مختصر وقد بسطه في غير هذا الموضع وقد احسن في الاختصار حيث قال فارسل الى هرون فجاء بما يتضمن معنى الاستنباء ومثله في تقصير الطويلة والحسن قوله تعالى فقلنا اذهبا الى القوم الذين كذبوا باياتنا فدمرناهم تدميرا حيث اقتصر على ذكر طرفي القصة اولها واخرها وهما الانذار والتدمير ودل بذكرهما على ما هو الغرض من القصة الطويلة كلها وهو انهم قوم كذبوا بايات الله فاراد الزام الحجة عليهم فبعث اليهم رسولين فكذبوهما فاهلكهم فان قلت كيف ساغ لموسى عليه السلام ان يامره الله تعالى بامر فلا يتقبله بسمع وطاعة من غير توقف وتشبث بعلل وقد علم ان الله من ورائه قلت قد امتثل وتقبل ولكنه التمس من ربه ان يعضده باخيه حتى يتعاونا على تنفيذ امره وتبليغ رسالته فمهد قبل التماسه عذره فيما التمسه ثم التمس بعد ذلك وتمهيد العذر في التماس المعين على تنفيذ الامر ليس بتوقف في امتثال الامر ولا بتعلل فيه وكفى بطلب العون دليلا على التقبل لا على التعلل اراد بالذنب قتله القبطي وقيل كان خباز فرعون واسمه فاتون يعني ولهم علي تبعة ذنب وهي قود ذلك القتل فاخاف ان يقتلوني به فحذف المضاف او سمى تبعة الذنب ذنبا كما سمى جزاء السيئة سيئة فان قلت قد ابيت ان تكون تلك الثلاث عللا وجعلتها تمهيدا للعذر فيما التمسه فما قولك في هذه الرابعة قلت هذه استدفاع للبلية المتوقعة وفرق من ان يقتل قبل اداء الرسالة فكيف يكون تعللا والدليل عليه ما جاء بعده من كلمة الردع والموعدة بالكلاءة والدفع قال كلا فاذهبا باياتنا انا معكم مستمعون جمع الله له الاستجابتين معا في قوله تعالى كلا فاذهبا لانه استدفعه بلاءهم فوعده الدفع بردعه عن الخوف والتمس منه الموازرة باخيه فاجابه

بقوله تعالى اذهبا اي اذهب انت والذي طلبته وهو هرون فان قلت علام عطف قوله فاذهبا قلت على الفعل الذي يدل عليه كلا كانه قيل ارتدع يا موسى عما تظن فاذهب انت وهرون وقوله تعالى معكم مستمعون من مجاز الكلام يريد انا لكما ولعدوكما كالناصر الظهير لكما عليه اذا حضر واستمع ما يجري بينكما وبينه فاظهركما وغلبكما وكسر شوكته عنكما ونكسه ويجوز ان يكونا خبرين لان او يكون مستمعون مستقرا ومعكم لغوا فان قلت لم جعلت مستمعون قرينة معكم في كونه من باب المجاز والله تعالى يوصف على الحقيقة بانه سامع وسميع قلت ولكن لا يوصف بالمستمع على الحقيقة لان الاستماع جار مجرى الاصغاء والاستماع من السمع بمنزلة النظر من الرؤية ومنه قوله تعالى قل اوحي الي انه استمع نفر من الجن فقالوا انا سمعنا قرانا عجبا ويقال استمع الى حديثه اي اصغى اليه واذن له حاسة السمع ومنه قوله صلى الله عليه وسلم من استمع الى حديث قوم وهم له كارهون صب في اذنيه البرم فاتيا فرعون فقولا انا رسول رب العالمين فان قلت هلا ثنى الرسول كما ثنى في قوله تعالى انا رسولا ربك قلت الرسول يكون بمعنى المرسل وبمعنى الرسالة فجعله ثم بمعنى المرسل فلم يكن بد من تثنيته وجعله ههنا بمعنى الرسالة فجازت التسوية فيه اذا وصف به بين الواحد والتثنية والجمع كما يفعل في الصفة بالمصادر نحو صوم وزور قال

الكني اليها وخير الرسو … ل اعلمهم بنواحي الخبر

فجعله للجماعة والشاهد في الرسول بمعنى الرسالة قوله

لقد كذب الواشون ما فهت عندهم … بسر ولا ارسلتهم برسول

ويجوز ان يوحد لان حكمهما لتساندهما واتفاقهما على شريعة واحدة واتحادهما لذلك وللاخوة كان حكما واحدا فكانهما رسول واحد او اريد ان كل واحد منا ان ارسل معنا بني اسرائيل ان ارسل بمعنى اي ارسل لتضمن الرسول معنى الارسال وتقول ارسلت اليك ان افعل كذا لما في الارسال من معنى القول كما في المناداة والكتابة ونحو ذلك ومعنى هذا الارسال التخلية والاطلاق كقولك ارسل البازي يريد خلهم يذهبوا معنا الى فلسطين وكانت مسكنهما ويروى انهما انطلقا الى باب فرعون فلم يؤذن لهما سنة حتى قال البواب ان ههنا انسانا يزعم انه رسول رب العالمين فقال ائذن له لعلنا نضحك منه فاديا اليه الرسالة فعرف موسى عليه السلام فقال له الم نربك حذف فاتيا فرعون فقالا له ذلك لانه معلوم لا يشتبه وهذا النوع من الاختصار كثير في التنزيل قال الم نربك فينا وليدا ولبثت فينا من عمرك سنين وفعلت فعلتك التي فعلت وانت من الكافرين الوليد الصبي لقرب عهده من الولادة وفي رواية عن ابي عمرو من عمرك بسكون الميم سنين قيل مكث عندهم ثلاثين سنة وقيل وكز القبطي وهو ابن ثنتي عشرة سنة وفر منهم على اثرها والله اعلم بصحيح ذلك وعن الشعبي فعلتك بالكسر وهي قتلة القبطي لانه قتله بالوكزة وهو ضرب من القتل واما الفعلة فلانها كانت وكزة واحدة عدد عليه نعمته من تربيته وتبليغه مبلغ الرجال ووبخه بما جرى على يده من قتل خبازه وعظم ذلك وفظعه بقوله وفعلت فعلتك التي فعلت وانت من الكافرين يجوز ان يكون حالا اي قتلته وانت لذلك من الكافرين بنعمتي او وانت اذ ذاك ممن تكفرهم الساعة وقد افترى عليه او جهل امره لانه كان يعايشهم بالتقية فان الله عز وعلا عاصم من يريد ان يستنبئه من كل كبيرة ومن بعض الصغائر فما بال الكفر ويجوز ان يكون قوله وانت من الكافرين حكما عليه بانه من الكافرين بالنعم ومن كانت عادته كفران النعم لم يكن قتل خواص المنعم عليه بدعا منه او بانه من الكافرين بفرعون والهيته

او من الذين كانوا يكفرون في دينهم فقد كانت لهم آلهة يعبدونها يشهد لذلك قوله عز وجل ويذرك وآلهتك وقرئ وإلاهتك ﴿قال فعلتها إذن وأنا من الضالين ففررت منكم لما خفتكم فوهب لي ربي حكما وجعلني من المرسلين﴾ فأجابه موسى عليه السلام بأن تلك الفعلة إنما فرطت منه وهو من الضالين أي من الجاهلين وقراءة ابن مسعود رضي الله عنه من الجاهلين مفسرة والمعنى من الفاعلين فعل أولي الجهل والسفه كما قال يوسف عليه السلام لإخوته هل علمتم ما فعلتم بيوسف وأخيه إذ أنتم جاهلون أو المخطئين كمن يقتل خطأ من غير تعمد للقتل أو الذاهبين عن الصواب أو الناسين من قوله تعالى أن تضل إحداهما فتذكر إحداهما الأخرى وكذب فرعون ودفع الوصف بالكفر عن نفسه وبرأ ساحته بأن وضع الضالين موضع الكافرين ربأ بمحل من رشح للنبوة عن تلك الصفة ﴿وتلك نعمة تمنها علي أن عبدت بني إسرائيل﴾ ثم كر على امتنانه عليه بالتربية فأبطله من أصله واستأصله من سنخه وأبى أن يسمي نعمته إلا نقمة حيث بين أن حقيقة إنعامه عليه تعبيد بني إسرائيل لأن تعبيدهم وقصدهم بذبح أبنائهم هو السبب في حصوله عنده وتربيته فكأنه امتن عليه بتعبيد قومه إذا حققت وتعبيدهم تذليلهم واتخاذهم عبيدا يقال عبدت الرجل وأعبدته إذا اتخذته عبدا قال

علام يعبدني قومي وقد كثرت ● فيهم أباعر ما شاؤوا وعبدان

فإن قلت إذن جواب وجزاء معا والكلام وقع جوابا لفرعون فكيف وقع جزاء قلت قول فرعون وفعلت فعلتك فيه معنى إنك جازيت نعمتي بما فعلت فقال له موسى نعم فعلتها مجازيا لك تسليما لقوله لأن نعمته كانت عنده جديرة بأن تجازى نحو ذلك فإن قلت لم جمع الضمير في منكم وخفتكم مع إفراده في تمنها وعبدت قلت الخوف والفرار لم يكونا منه وحده ولكن منه ومن ملئه المؤتمرين بقتله بدليل قوله تعالى إن الملأ يأتمرون بك ليقتلوك وأما الامتنان فمنه وحده وكذلك التعبيد فإن قلت تلك إشارة إلى ماذا وأن عبدت ما محلها من الإعراب قلت تلك إشارة إلى خصلة مبهمة لا يدرى ما هي إلا بتفسيرها ومحل أن عبدت الرفع عطف بيان لتلك ونظيره قوله تعالى وقضينا إليه ذلك الأمر أن دابر هؤلاء مقطوع والمعنى تعبيدك بني إسرائيل نعمة تمنها علي وقال الزجاج ويجوز أن يكون أن في موضع نصب المعنى إنما صارت نعمة علي لأن عبدت بني إسرائيل أي لو لم تفعل ذلك لكفلني أهلي ولم يلقوني في اليم ﴿قال فرعون وما رب العالمين قال رب السموات والأرض وما بينهما إن كنتم موقنين﴾ لما قال له بوابه إن ههنا من يزعم أنه رسول رب العالمين قال له عند دخوله وما رب العالمين يريد أي شيء رب العالمين وهذا السؤال لا يخلو إما أن يريد به أي شيء هو من الأشياء التي شوهدت وعرفت أجناسها فأجاب بما يستدل به عليه من أفعاله الخاصة ليعرفه أنه تعالى ليس بشيء مما شوهد وعرف من الأجرام والأعراض وأنه تعالى شيء مخالف لجميع الأشياء ليس كمثله شيء وإما أن يريد به أي شيء هو على الإطلاق تفتيشا عن حقيقته الخاصة ما هي فأجابه بأن الذي إليه سبيل وهو الكافي في معرفته تعالى معرفة ثباته تعالى بصفاته استدلالا بأفعاله الخاصة على ذلك وأما التفتيش عن حقيقته الخاصة التي هي فوق فطر العقول فتفتيش عما لا سبيل إليه والسائل عنه متعنت غير طالب للحق والذي يليق بحال فرعون ويدل عليه الكلام أن يكون سؤاله هذا إنكارا لأن يكون للعالمين رب سواه لادعائه الإلهية ﴿قال لمن حوله ألا تستمعون قال ربكم ورب آبائكم الأولين قال إن رسولكم الذي أرسل إليكم لمجنون﴾ فلما أجاب موسى بما أجاب عجب قومه من جوابه حيث نسب

الربوبية

الربوبية إلى غيره فلما ثنى بتقرير قوله جننه إلى قومه وطنز به حيث سماه رسولهم فلما ثلث بتقرير آخر احتد واحتدم وقال لئن اتخذت إلها غيري وهذا يدل على صحة هذا الوجه الأخير فإن قلت كيف قيل وما بينهما على التثنية والمرجوع إليه مجموع قلت أريد وما بين الجنسين فعل بالمضمر ما فعل بالظاهر من قال في الهيجا جمالين ● فإن قلت ما معنى قوله إن كنتم موقنين وأين فرعون وملؤه من الإيقان قلت معناه إن كان يرجى منكم الإيقان الذي يؤدي إليه النظر الصحيح نفعكم هذا الجواب وإلا لم ينفع أو إن كنتم موقنين بشيء قط فهذا أولى ما توقنون به لظهوره وإنارة دليله فإن قلت ومن كان حوله قلت أشراف قومه قيل كانوا خمسمائة رجل عليهم الأساور وكانت للملوك خاصة فإن قلت ذكر السموات والأرض وما بينهما قد استوعب به الخلائق كلها فما معنى ذكرهم وذكر آبائهم بعد ذلك وذكر المشرق والمغرب قلت قد عمم أولا ثم خصص من العام للبيان أنفسهم وآباءهم لأن أقرب المنظور فيه من العاقل نفسه ومن ولد منه وما شاهد وعاين من الدلائل على الصانع والناقل من هيئة إلى هيئة وحال إلى حال من وقت ميلاده إلى وقت وفاته ﴿قال رب المشرق والمغرب وما بينهما إن كنتم تعقلون قال لئن اتخذت إلها غيري لأجعلنك من المسجونين﴾ ثم خصص المشرق والمغرب لأن طلوع الشمس من أحد الخافقين وغروبها في الآخر على تقدير مستقيم في فصول السنة وحساب مستو من أظهر ما استدل به ولظهوره انتقل إلى الاحتجاج به خليل الله عن الاحتجاج بالإحياء والإماتة على نمرود بن كنعان فبهت الذي كفر وقرئ رب المشارق والمغارب الذي أرسل إليكم بفتح الهمزة فإن قلت كيف قال أولا إن كنتم موقنين وآخرا إن كنتم تعقلون قلت لاين أولا فلما رأى منهم شدة الشكيمة في العناد وقلة الإصغاء إلى عرض الحجج خاشن وعارض إن رسولكم لمجنون بقوله إن كنتم تعقلون فإن قلت ألم يكن لأسجننك أخصر من لأجعلنك من المسجونين ومؤديا مؤداه قلت أما أخصر فنعم وأما مؤد مؤداه فلا لأن معناه لأجعلنك واحدا ممن عرفت حالهم في سجوني وكان من عادته أن يأخذ من يريد سجنه فيطرحه في هوة ذاهبة في الأرض بعيدة العمق فردا لا يبصر فيها ولا يسمع فكان ذلك أشد من القتل وأشد ﴿قال أولو جئتك بشيء مبين قال فأت به إن كنت من الصادقين﴾ الواو في قوله تعالى أولو جئتك واو الحال دخلت عليها همزة الاستفهام معناه أتفعل بي ذلك ولو جئتك بشيء مبين أي جائيا بالمعجزة وفي قوله تعالى إن كنت من الصادقين أنه لا يأتي بالمعجزة إلا الصادق في دعواه لأن المعجزة تصديق من الله لمدعي النبوة والحكيم لا يصدق الكاذب ومن العجب أن مثل فرعون لم يخف عليه هذا وخفي على ناس من أهل القبلة حيث جوزوا القبيح على الله تعالى حتى لزمهم تصديق الكاذبين بالمعجزات وتقديره إن كنت من الصادقين في دعواك أتيت به فحذف الجزاء لأن الأمر بالإتيان به يدل عليه ﴿فألقى عصاه فإذا هي ثعبان مبين﴾ ثعبان مبين ظاهر الثعبانية لا شيء يشبه الثعبان كما تكون الأشياء المزورة بالشعوذة والسحر وروي أنها انقلبت حية ارتفعت في السماء قدر ميل ثم انحطت مقبلة إلى فرعون وجعلت تقول يا موسى مرني بما شئت ويقول فرعون أسألك بالذي أرسلك إلا أخذتها فأخذها فعادت عصا ﴿ونزع يده فإذا هي بيضاء للناظرين﴾ للناظرين دليل على أن بياضها كان شيئا يجتمع النظارة على النظر إليه لخروجه عن العادة وكان بياضا نورانيا روي أن فرعون لما أبصر الآية الأولى قال فهل غيرها فأخرج يده فقال له ما هذه قال يدك فما فيها فأدخلها في إبطه ثم نزعها ولها شعاع يكاد يغشي الأبصار ويسد الأفق ﴿قال للملإ حوله إن هذا لساحر عليم﴾ فإن قلت ما العامل في حوله قلت هو منصوب نصبين نصب في اللفظ و

في المحل فالعامل في النصب اللفظي ما يقدر في الظرف والعامل في النصب المحلي وهو النصب على الحال قال
ولقد تحير فرعون لما ابصر الايتين وبقي لا يدري اي طرفيه اطول حتى زل عنه ذكر دعوى الالهية وحط عن
منكبيه كبرياء الربوبية وارتعدت فرايصه وانتفخ سحره خوفا وفرقا وبلغت به الاستكانة لقومه الذين هم
بزعمه عبيده وهو الههم ان طفق يوامرهم ويعترف لهم بما حذره وتوقعه واحس به من جهة موسى
وغلبته على ملكه وارضه وقوله تعالى ان هذا لساحر عليم قول باهت اذا غلب ومتمحل اذا الزم يريد ان
يخرجكم من ارضكم بسحره فماذا تامرون تامرون من المؤامرة وهي المشاورة او من الامر الذي
هو ضد النهي جعل العبيد امرين وربهم مامورا لما استولى عليه من فرط الدهش والحيرة وماذا منصوب
اما لكونه في معنى المصدر واما لانه مفعول به من قوله امرتك الخير قالوا ارجه واخاه وابعث في
المداين حاشرين ياتوك بكل سحار عليم قرئ ارجئه وارجه بالهمز والتخفيف وهما لغتان يقال
ارجاته وارجيته اذا اخرته ومنه المرجئة وهم الذين لا يقطعون بوعيد الفساق ويقولون هم
مرجون لامر الله والمعنى اخره ومناظرته لوقت اجتماع السحرة وقيل احبسه حاشرين شرطا يحشرون
السحرة وعارضوا قوله ان هذا لساحر بقولهم بكل سحار فجاؤا بكلمة الاحاطة وصفة المبالغة ليطامنوا
من نفسه ويسكنوا بعض قلقه وقرا الاعمش بكل ساحر فجمع السحرة لميقات يوم معلوم هو اليوم
المعلوم يوم الزينة وميقاته وقت الضحى لانه الوقت الذي وقته موسى عليه السلام من يوم الزينة
في قوله موعدكم يوم الزينة وان يحشر الناس ضحى والميقات ما وقت به اي حدد من زمان او مكان ومنه
مواقيت الاحرام وقيل للناس هل انتم مجتمعون هل انتم مجتمعون استبطاء لهم في الاجتماع والمراد
منه استعجالهم واستحثاثهم كما يقول الرجل لغلامه هل انت منطلق اذا اراد ان يحرك منه ويحثه على
الانطلاق كانما يخيل له ان الناس قد انطلقوا وهو واقف ومنه قول تابط شرا

هل انت باعث دينار لحاجتنا * او عبد رب اخا عون بن مخراق * يريد ابعثه الينا سريعا ولا
تبطئ به لعلنا نتبع السحرة ان كانوا هم الغالبين لعلنا نتبع السحرة اي في دينهم ان غلبوا موسى
ولا نتبع موسى في دينه وليس غرضهم باتباع السحرة فانما الغرض الكلي ان لا يتبعوا موسى فساقوا الكلام
مساق الكناية لانهم اذا اتبعوهم لم يكونوا متبعين لموسى فلما جاء السحرة قالوا لفرعون اين لنا
لاجرا ان كنا نحن الغالبين قال نعم وانكم اذا لمن المقربين وقرئ نعم بالكسر وهما لغتان
ولما كان قوله ان لنا لاجرا في معنى جزاء الشرط لدلالته عليه وكان قوله تعالى وانكم اذا لمن المقربين
معطوفا عليه ومدخلا في حكمه دخلت اذن قارة في مكانها الذي تقتضيه من الجواب والجزاء وعدهم
ان يجمع لهم الى الثواب على سحرهم الذي قدروا انهم يغلبون به موسى القربة عنده والزلفى قال
لهم موسى القوا ما انتم ملقون فالقوا حبالهم وعصيهم وقالوا بعزة فرعون انا لنحن الغالبون
اقسموا بعزة فرعون وهي من ايمان الجاهلية وهكذا كل حلف بغير الله ولا يصح في الاسلام الا الحلف
بالله معلقا ببعض اسمائه او صفاته كقولك بالله والرحمن وربي ورب العرش وعزة الله وقدرة
الله وجلال الله وعظمة الله قال رسول الله صلى الله عليه وسلم لا تحلفوا بابائكم ولا بامهاتكم
ولا بالطواغيت ولا تحلفوا الا بالله ولا تحلفوا بالله الا وانتم صادقون ولقد استحدث الناس في
هذا الباب في اسلامهم جاهلية نسيت لها الجاهلية الاولى وذلك ان الواحد منهم لو اقسم باسماء
الله تعالى كلها وصفاته على شيء لم يقبل منه ولم يعتد بها حتى يقسم براس سلطانه فاذا اقسم به فتلك

عندهم جهد اليمين التي ليس وراءها حلف لحالف فالقى موسى عصاه فاذا هي تلقف ما يافكون
فالقي السحرة ساجدين ما يافكون ما يقلبونه عن وجهه وحقيقته بسحرهم وكيدهم ويزورونه
فيخيلون في حبالهم وعصيهم انها حيات تسعى بالتمويه على الناظرين او افكهم سمى تلك الاشياء افكا
مبالغة روي انهم قالوا ان يك ما جاء به موسى سحرا فلن يغلب وان كان من عند الله فلن يخفى علينا فلما
قذف عصاه فتلقفت ما اتوا به علموا انه من الله فامنوا وعن عكرمة اصبحوا السحرة وامسوا شهداء وانما
عبر عن الخرور بالالقاء لانه ذكر مع الالقاءات فسلك به طريق المشاكلة وفيه ايضا مع مراعاة المشاكلة
انهم حين راوا ما راوا لم يتمالكوا ان رموا بانفسهم الى الارض ساجدين كانهم اخذوا فطرحوا طرحا فان
قلت فاعل الالقاء ما هو لو صرح به قلت هو الله عز وجل بما خولهم من التوفيق او ايمانهم او
ما عاينوا من المعجزة الباهرة ولك ان لا تقدر فاعلا لان القوا بمعنى خروا وسقطوا قالوا امنا برب
العالمين رب موسى وهرون رب موسى وهرون عطف بيان لرب العالمين لان فرعون كان
يدعي الربوبية فارادوا ان يعزلوه ومعنى اضافته اليهما في ذلك المقام انه الذي يدعو اليه هذان
والذي اجرى على ايديهما ما اجرى قال امنتم له قبل ان اذن لكم انه لكبيركم الذي علمكم السحر
فلسوف تعلمون لاقطعن ايديكم وارجلكم من خلاف ولاصلبنكم اجمعين قالوا لا ضير انا الى
ربنا منقلبون انا نطمع ان يغفر لنا ربنا خطايانا ان كنا اول المؤمنين فلسوف تعلمون اي وبال
ما فعلتم الضر والضير والضور واحد اراد لا ضير علينا في ذلك بل لنا فيه اعظم النفع لما يحصل
لنا في الصبر عليه لوجه الله تعالى من تكفير الخطايا والثواب العظيم مع الاعواض الكثيرة او لا ضير
علينا فيما تتوعدنا به من القتل انه لا بد لنا من الانقلاب الى ربنا بسبب من اسباب الموت والقتل
اهون اسبابه واوحاها او لا ضير علينا في قتلك انك ان قتلتنا انقلبنا الى ربنا انقلاب من يطمع في
مغفرته ويرجو رحمته لما رزقنا من السبق الى الايمان وخبر لا محذوف والمعنى لا ضير في ذلك او علينا
ان كنا معناه لان كنا وكانوا اول جماعة مؤمنين من اهل زمانهم او من رعية فرعون او من اهل المشهد
وقرئ ان كنا بالكسر وهو من الشرط الذي يجيء به المدل بامره المتحقق لصحته وهم كانوا متحققين
انهم اول المؤمنين ونظيره قول العامل لمن يؤخر جعله ان كنت عملت لك فوفني حقي ومنه قوله
عز وجل ان كنتم خرجتم جهادا في سبيلي وابتغاء مرضاتي مع علمه انهم لم يخرجوا الا لذلك واوحينا
الى موسى ان اسر بعبادي انكم متبعون قرئ اسر بقطع الهمزة ووصلها وسر انكم متبعون
علل الامر بالاسراء باتباع فرعون وجنوده اثارهم والمعنى اني بنيت تدبير امركم وامرهم على ان
تتقدموا ويتبعوكم حتى يدخلوا مدخلكم ويسلكوا مسلككم من طريق البحر فاطبقه عليهم فاهلكهم
وروي انه مات في تلك الليلة في كل بيت من بيوتهم ولد فاشتغلوا بموتاهم حتى خرج موسى
بقومه وروي ان الله تعالى اوحى الى موسى عليه السلام ان اجمع بني اسرائيل كل اربعة ابيات في بيت
ثم اذبحوا الجداء واضربوا بدمائها على ابوابكم فاني سامر الملائكة ان لا يدخلوا بيتا على بابه دم
وسامرهم بقتل ابكار القبط واخبزوا خبزا فطيرا فانه اسرع لكم ثم اسر بعبادي حتى تنتهي الى البحر فياتيك
امري فارسل فرعون في المداين حاشرين فارسل فرعون في اثره الف الف وخمسمائة الف ملك
مسور مع كل ملك الف وخرج فرعون في جمع عظيم وكانت مقدمته سبعمائة الف كل رجل على
حصان وعلى راسه بيضة وعن ابن عباس رضي الله عنهما خرج فرعون في الف الف حصان سوى الاناث

فلذلك استقل قوم موسى وكانوا ستمائة الف وسبعين الفا ان هؤلاء لشرذمة قليلون وانهم لنا
لغائظون وانا لجميع حاذرون • وسماهم شرذمة قليلين ان هؤلاء محكى بعد قول مضمر • والشرذمة
الطائفة القليلة • ومنها قولهم ثوب شراذم للذى بلى وتقطع قطعا ذكرهم بالاسم الدال على القلة ثم
جعلهم قليلا بالوصف ثم جمع القليل فجعل كل حزب منهم قليلا • واختار جمع السلامة الذى هو
للقلة وقد يجمع القليل على اقلة وقلل • ويجوز ان يريد بالقلة الذلة والقماءة ولا يريد قلة العدد •
والمعنى انهم لقلتهم لا يبالى بهم ولا يتوقع غلبتهم وعلوهم ولكنهم يفعلون افعالا تغيظنا وتضيق
صدورنا ونحن قوم من عادتنا التيقظ والحذر واستعمال الحزم فى الامور فاذا خرج علينا خارج سارعنا
الى حسم فساده وهذه معاذير اعتذر بها الى اهل المدائن لئلا يظن به ما يكسر من قهره وسلطانه
وقرى حذرون • وحادرون • وحاذرون بالدال غير المعجمة • فالحذر المتيقظ • والحاذر الذى يجدد
حذره • وقيل المؤدى فى السلاح وانما يفعل ذلك حذرا واحتياطا لنفسه • والحادر السمين القوى •
قال • احب الصبى السوء من اجل امه • وابغضه من بغضها وهو حادر • اراد انهم اقوياء اشداء •
وقيل مدججون فى السلاح قد كسبهم ذلك حدارة فى اجسامهم فاخرجناهم من جنات وعيون
وكنوز ومقام كريم • وعن مجاهد سماها كنوزا لانهم لم ينفقوا منها فى طاعة الله • والمقام المكان
يريد المنازل الحسنة والمجالس البهية • وعن الضحاك المنابر • وقيل السرر فى الحجال كذلك واورثناها
بنى اسرائيل فاتبعوهم مشرقين • كذلك يحتمل ثلاثة اوجه النصب على اخرجناهم مثل
ذلك الاخراج الذى وصفناه • والجر على انه وصف لمقام اى مقام كريم مثل ذلك المقام الذى كان
لهم • والرفع على انه خبر مبتدا محذوف اى الامر كذلك فاتبعوهم فلحقوهم وقرى فاتبعوهم
مشرقين داخلين فى وقت الشروق من شرقت الشمس شروقا اذا طلعت فلما تراءى الجمعان قال اصحاب موسى
انا لمدركون • قال كلا ان معى ربى سيهدين • سيهدينى طريق النجاة من ادراكهم واضرارهم • وقرى
فلما تراءت الفئتان • انا لمدركون بتشديد الدال وكسر الراء من ادرك الشىء اذا تتابع ففنى ومنه قوله
عز وجل بل ادرك علمهم فى الاخرة • قال الحسن رحمة الله عليه جهلوا علم الاخرة وفى معناه بيت
الحماسة • ابعد بنى امى الذين تتابعوا • ارجى الحيوة ام من الموت اجزع • والمعنى انا لمتتابعون فى
الهلاك على ايديهم حتى لا يبقى منا احد فاوحينا الى موسى ان اضرب بعصاك البحر فانفلق فكان
كل فرق كالطود العظيم • وازلفنا ثم الاخرين • وانجينا موسى ومن معه اجمعين • ثم اغرقنا
الاخرين • الفرق الجزء المتفرق منه وقرى كل فلق والمعنى واحد • والطود الجبل العظيم المنطاد
فى السماء • وازلفنا ثم حيث انفلق البحر • الاخرين قوم فرعون اى قربناهم من بنى اسرائيل او ادنينا بعضهم
من بعض وجمعناهم حتى لا ينجو احد • او قدمناهم الى البحر • وقرى وازلقنا بالقاف اى ازللنا اقدامهم
والمعنى اذهبنا عزهم كقوله • تداركتما عبسا وقد ثل عرشها • وذبيان اذ زلت باقدامها النعل •
ويحتمل ان يجعل الله طريقهم فى البحر على خلاف ما جعله لبنى اسرائيل يبسا فيزلقهم فيه • عن عطاء بن
السائب ان جبريل كان بين بنى اسرائيل وبين ال فرعون فكان يقول لبنى اسرائيل ليلحق اخركم باولكم
ويستقبل القبط فيقول رويدكم ليلحق اخركم فلما انتهى موسى عليه السلام الى البحر قال له مؤمن ال فرعون
وكان بين يدى موسى اين امرت فهذا البحر امامك وقد غشيك ال فرعون قال امرت بالبحر ولا يدرى
موسى ما يصنع فاوحى الله اليه ان اضرب بعصاك البحر فضربه فصار فيه اثنى عشر طريقا لكل سبط طريق •

المؤدى

وروى

وروى ان يوشع قال يا كليم الله اين امرت فقد غشينا فرعون والبحر امامنا قال موسى ههنا فخاض يوشع الماء
وضرب موسى بعصاه البحر فدخلوا وروى ان موسى قال عند ذلك يا من كان قبل كل شىء والمكون لكل شىء
والكائن بعد كل شىء • ويقال هذا البحر هو بحر القلزم • وقيل هو بحر من وراء مصر يقال له اساف ان
فى ذلك لاية وما كان اكثرهم مؤمنين • وان ربك لهو العزيز الرحيم • ان فى ذلك لاية اية
واية لا توصف وقد عاينها الناس وشاع امرها فيهم وما تنبه عليها اكثرهم ولا امن بالله وبنو اسرائيل
الذين كانوا اصحاب موسى عليه السلام المخصوصين بالانجاء قد سالوه بقرة يعبدونها واتخذوا العجل
وطلبوا رؤية الله جهرة • وان ربك لهو العزيز المنتقم من اعدائه الرحيم باوليائه واتل عليهم نبأ
ابراهيم اذ قال لابيه وقومه ما تعبدون • قالوا نعبد اصناما فنظل لها عاكفين • كان ابراهيم
عليه السلام يعلم انهم عبدة اصنام ولكنه سالهم ليريهم ان ما يعبدونه ليس من استحقاق العبادة فى شىء
كما تقول للتاجر ما مالك وانت تعلم ان ماله الرقيق ثم تقول له الرقيق جمال وليس بمال فان قلت
ما تعبدون سؤال عن المعبود فحسب فكان القياس ان يقولوا اصناما كقوله تعالى ويسالونك ماذا ينفقون
قل العفو • ماذا قال ربكم قالوا الحق • ماذا انزل ربكم قالوا خيرا هؤلاء قد جاؤا بقصة
امرهم كاملة كالمبتهجين بها والمفتخرين فاشتملت على جواب ابراهيم وعلى ما قصدوه من اظهار ما فى نفوسهم
من الابتهاج والافتخار الا تراهم كيف عطفوا على قولهم نعبد فنظل لها عاكفين ولم يقتصروا على زيادة
نعبد وحده • ومثاله ان تقول لبعض الشطار ما تلبس فى بلادك فيقول البس البرد الاتحمى فاجر ذيله
بين جوارى الحى وانما قالوا نظل لانهم كانوا يعبدونها بالنهار دون الليل هل يسمعونكم اذ تدعون
او ينفعونكم او يضرون • لا بد فى يسمعونكم من تقدير حذف المضاف معناه هل يسمعون دعاءكم •
وقرا قتادة يسمعونكم اى هل يسمعونكم الجواب عن دعائكم وهل يقدرون على ذلك وجاء مضارعا
مع ايقاعه فى اذ على حكاية الحال الماضية ومعناه استحضروا الاحوال الماضية التى كنتم تدعونها فيها
وقولوا هل سمعوا او اسمعوا قط وهذا ابلغ فى التبكيت قالوا بل وجدنا اباءنا كذلك يفعلون • قال
افرايتم ما كنتم تعبدون • انتم واباؤكم الاقدمون • فانهم عدو لى الا رب العالمين • لما اجابوه
بجواب المقلدين لابائهم قال لهم رقوا امر تقليدكم هذا الى اقصى غاياته وهى عبادة الاقدمين الاولين
من ابائكم فان التقدم والاولية لا يكون برهانا على الصحة والباطل لا ينقلب حقا بالقدم وما عبادة
من عبد هذه الاصنام الا عبادة اعداء له ومعنى العداوة قوله عز وجل كلا سيكفرون بعبادتهم
ويكونون عليهم ضدا • ولان المغرى على عبادتها اعدى اعداء الانسان وهو الشيطان وانما قال عدو
لى تصويرا للمسالة فى نفسه على معنى انى فكرت فى امرى فرايت عبادتى لها عبادة للعدو فاجتنبتها واثرت
عبادة من الخير كله منه واراهم بذلك انها نصيحة نصح بها نفسه اولا وبنى عليها تدبير امره لينظروا
فيقولوا ما نصحنا ابراهيم الا بما نصح به نفسه وما اراد لنا الا ما اراد لروحه ليكون ادعى لهم الى القبول
وابعث على الاستماع منه ولو قال فانهم عدو لكم لم يكن بتلك المثابة ولانه دخل فى باب من التعريض
وقد يبلغ التعريض للمنصوح ما لا يبلغه التصريح لانه يتامل فيه فربما قاده التامل الى التقبل
ومنه ما يحكى عن الشافعى رضى الله عنه ان رجلا واجهه بشىء فقال لو كنت بحيث انت لاحتجت
الى ادب • وسمع رجل ناسا يتحدثون فى الحجر فقال ما هو بيتى ولا بيتكم • والعدو والصديق
يجيئان فى معنى الوحدة والجماعة قال • وقوم على ذوى مئرة • اراهم عدوا وكانوا صديقا • ومنه

قوله تعالى وهم لكم عدو وشبّها بالمصادر للموازنة كالقبول والولوع والحنين والصهيل ❊ الا رب العالمين استثناء منقطع كانه قال ولكن رب العالمين الذى خلقنى فهو يهدين ❊ والذى هو يطعمنى ويسقين ❊ واذا مرضت فهو يشفين ❊ والذى يميتنى ثم يحيين ❊ فهو يهدين يريد انه حين اتم خلقه ونفخ فيه الروح عقب ذلك هدايته المتصلة التى لا تنقطع الى كل ما يصلحه ويعنيه والا فمن هداه الى ان يغتذى بالدم فى البطن امتصاصا ومن هداه الى معرفة الثدى عند الولادة والى معرفة مكانه ومن هداه لكيفية الارتضاع الى غير ذلك من هدايات المعاش والمعاد ❊ وانما قال مرضت دون امرضنى لان كثيرا من اسباب المرض تحدث بتفريط من الانسان فى مطاعمه ومشاربه وغير ذلك ❊ ومن ثم قالت الحكماء لو قيل لاكثر الموتى ما سبب آجالكم لقالوا التخم والذى اطمع ان يغفر لى خطيئتى يوم الدين ❊ وقرئ خطاياى والمراد ما يندر منه من الصغائر لان الانبياء معصومون مختارون على العالمين ❊ وقيل هى قوله انى سقيم وقوله بل فعله كبيرهم ❊ وقوله لسارة هى اختى وما هى الا معاريض كلام وتخيلات للكفرة وليست بخطايا يطلب لها الاستغفار **فان قلت** اذا لم يندر منهم الا الصغائر وهى تقع مكفرة فما له اثبت لنفسه خطيئة او خطايا وطمع ان تغفر له الجواب ما سبق لى ان استغفار الانبياء تواضع منهم لربهم وهضم لانفسهم ويدل عليه قوله اطمع ولم يجزم القول بالمغفرة وفيه تعليم لاممهم وليكون لطفا لهم فى اجتناب المعاصى والحذر منها وطلب المغفرة مما يفرط منهم **فان قلت** لم علق مغفرة الخطيئة بيوم الدين وانما تغفر فى الدنيا **قلت** لان اثرها يتبين يومئذ وهو الآن خفى لا يعلم رب هب لى حكما والحقنى بالصالحين ❊ واجعل لى لسان صدق فى الآخرين ❊ واجعلنى من ورثة جنة النعيم ❊ الحكم الحكمة او الحكم بين الناس بالحق ❊ وقيل النبوة لان النبى ذو حكمة وذو حكم بين عباد الله والالحاق بالصالحين ان يوفقه لعمل ينتظم به فى جملتهم او يجمع بينه وبينهم فى الجنة ولقد اجابه حيث قال وانه فى الآخرة لمن الصالحين واغفر لابى انه كان من الضالين ❊ ولا تخزنى يوم يبعثون ❊ والاخزاء من الخزى وهو الهوان ومن الخزاية وهو الحياء وهذا ايضا من نحو استغفارهم مما علموا انه مغفور وفى يبعثون ضمير العباد لانه معلوم او ضمير الضالين ❊ وان يجعل من جملة الاستغفار لابيه يعنى ولا تخزنى يوم يبعث الضالون وابى فيهم يوم لا ينفع مال ولا بنون الا من اتى الله بقلب سليم الا من اتى الله الا حال من اتى الله بقلب سليم ❊ وهو من قوله تحية بينهم ضرب وجيع ❊ وما ثوابه الا السيف وبيانه ان يقال لك هل لزيد مال وبنون فتقول ماله وبنوه سلامة قلبه تريد نفى المال والبنين عنه واثبات سلامة القلب له بدلا عن ذلك ❊ وان شئت حملت الكلام على المعنى وجعلت المال والبنين فى معنى الغنى كانه قيل يوم لا ينفع غنى الا غنى من اتى الله بقلب سليم لان غنى الرجل فى دينه بسلامة قلبه كما ان غناه فى الدنيا بماله وبنيه ولك ان تجعل الاستثناء منقطعا ولا بد مع ذلك من تقدير المضاف وهو الحال والمراد بها سلامة القلب وليست هى من جنس المال والبنين حتى يؤول المعنى الى ان المال والبنين لا ينفعان وانما ينفع سلامة القلب ولو لم يقدر المضاف لم يتحصل للاستثناء معنى ❊ وقد جعل من مفعولا لينفع اى لا ينفع مال ولا بنون الا رجلا سلم قلبه مع ماله حيث انفقه فى طاعة الله ومع بنيه حيث ارشدهم الى الدين وعلمهم الشرائع ❊ ويجوز على هذا الا من اتى الله بقلب سليم من فتنة المال والبنين ومعنى سلامة القلب سلامته من آفات الكفر والمعاصى ومما اكرم الله تعالى به خليله ونبه على جلالة محله فى الاخلاص ان حكى استثناءه هذا حكاية راض باصابته

فيه ثم جعله صفة له فى نحو قوله تعالى وان من شيعته لابراهيم اذ جاء ربه بقلب سليم ومن بدع التفاسير تفسير بعضهم السليم باللديغ من خشية الله ❊ وقول آخر هو الذى سلم وسلّم واسلم وسالم واستسلم وما احسن ما رتب ابراهيم عليه السلام كلامه مع المشركين حين سألهم اولا عما يعبدون سؤال مقرر لا مستفهم ثم انحى على آلهتهم فابطل امرها بانها لا تضر ولا تنفع ولا تبصر ولا تسمع وعلى تقليدهم آباءهم الاقدمين فكسره واخرجه من ان يكون شبهة فضلا ان يكون حجة ثم صوّر المسألة فى نفسه دونهم حتى تخلص منها الى ذكر الله عز وعلا فعظم شانه وعدد نعمته من لدن خلقه وانشائه الى حين وفاته مع ما يرجى فى الآخرة من رحمته ثم اتبع ذلك ان دعاه بدعوات المخلصين وابتهل اليه ابتهال الاوابين ثم وصله بذكر يوم القيامة وثواب الله وعقابه وما يدفع اليه المشركون يومئذ من الندم والحسرة على ما كانوا فيه من الضلال وتمنى الكرة الى الدنيا ليؤمنوا ويطيعوا وازلفت الجنة للمتقين ❊ وبرزت الجحيم للغاوين ❊ وقيل لهم اينما كنتم تعبدون ❊ من دون الله هل ينصرونكم او ينتصرون ❊ فكبكبوا فيها هم والغاوون ❊ الجنة تكون قريبة من موقف السعداء ينظرون اليها ويغتبطون بانهم المحشورون اليها والنار تكون بارزة مكشوفة للاشقياء بمرأى منهم يتحسرون على انهم المسوقون اليها قال الله تعالى وازلفت الجنة للمتقين غير بعيد ❊ وقال تعالى فلما رأوه زلفة سيئت وجوه الذين كفروا فيجمع عليهم الغموم كلها والحسرات فتجعل النار بمرأى منهم فيهلكون غما فى كل لحظة ويوبخون على اشراكهم فيقال لهم اين آلهتكم هل ينفعونكم بنصرتهم لكم ❊ او هل ينفعون انفسهم بانتصارهم لانهم وآلهتهم وقود النار وهو قوله تعالى فكبكبوا فيها هم اى الآلهة والغاوون وعبدتهم الذين برزت لهم الجحيم ❊ والكبكبة تكرير الكب جعل التكرير فى اللفظ دليلا على التكرير فى المعنى كانه اذا القى فى جهنم ينكب مرة بعد مرة حتى يستقر فى قعرها اللهم اجرنا منها يا خير مستجار وجنود ابليس اجمعون ❊ قالوا وهم فيها يختصمون ❊ تالله ان كنا لفى ضلال مبين ❊ اذ نسويكم برب العالمين ❊ وما اضلنا الا المجرمون ❊ وجنود ابليس شياطينه او متبعوه من عصاة الانس والجن ويجوز ان ينطق الله الاصنام حتى يصح التقاول والتخاصم ويجوز ان يجرى ذلك بين العصاة والشياطين ❊ والمراد بالمجرمين الذين اضلوهم رؤساؤهم وكبراؤهم كقوله تعالى ربنا انا اطعنا سادتنا وكبراءنا فاضلونا السبيلا ❊ وعن السدى الاولون الذين اقتدينا بهم ❊ وعن ابن جريج ابليس وابن آدم القاتل لانه اول من سن القتل وانواع المعاصى فما لنا من شافعين ❊ ولا صديق حميم ❊ فما لنا من شافعين كما نرى المؤمنين لهم شفعاء من الملائكة والنبيين ولا صديق كما نرى لهم اصدقاء لانه لا يتصادق فى الآخرة الا المؤمنون واما اهل النار فبينهم التعادى والتباغض قال الله تعالى الاخلاء يومئذ بعضهم لبعض عدو الا المتقين ❊ او فما لنا من شافعين ولا صديق حميم من الذين كنا نعدهم شفعاء واصدقاء لانهم كانوا يعتقدون فى اصنامهم انهم شفعاؤهم عند الله وكان لهم الاصدقاء من شياطين الانس او ارادوا انهم وقعوا فى مهلكة علموا ان الشفعاء والاصدقاء لا ينفعونهم ولا يدفعون عنهم فقصدوا بنفيهم نفى ما يتعلق بهم من النفع لان ما لا ينفع حكمه حكم المعدوم ❊ والحميم من الاحتمام وهو الاهتمام وهو الذى يهمه ما يهمك او من الحامة بمعنى الخاصة وهو الصديق الخاص **فان قلت** لم جمع الشافع ووحد الصديق **قلت** لكثرة الشفعاء فى العادة وقلة الصديق الا ترى ان الرجل اذا امتحن بارهاق ظالم نهضت جماعة وافرة من اهل بلده لشفاعته رحمة له وحسبة وان لم يسبق له باكثرهم معرفة واما الصديق وهو الصادق فى ودادك الذى يهمه ما اهمك

فاعز من بيض الانوق، وعن بعض الحكما انه سئل عن الصديق فقال اسم لا معنى له، ويجوز ان يريد بالصديق
الجمع فلو ان لنا كرة فنكون من المؤمنين ان في ذلك لاية وما كان اكثرهم مؤمنين وان ربك
لهو العزيز الرحيم الكرة الرجعة الى الدنيا ولو في مثل هذا الموضع في معنى التمني كانه قيل فليت لنا كرة
وذلك لما بين معنى لو وليت من التلاقي في التقدير، ويجوز ان يكون على اصلها ويحذف الجواب وهو
لفعلنا كيت وكيت كذبت قوم نوح المرسلين اذ قال لهم اخوهم نوح الا تتقون القوم مؤنثة
وتصغيرها قويمة، ونظير قوله المرسلين والمراد نوح عليه السلام قولك فلان يركب الدواب ويلبس
البرود وما له الا دابة وبرد، وقيل اخوهم لانه كان منهم من قول العرب يا اخا بني تميم يريدون
يا واحدا منهم ومنه بيت الحماسة، لا يسألون اخاهم حين يندبهم في النائبات على ما قال برهانا اني
لكم رسول امين فاتقوا الله واطيعون كان امينا فيهم مشهورا بالامانة كمحمد صلى الله عليه وسلم
في قريش واطيعوني في نصحي لكم وفيما ادعوكم اليه من الحق وما اسالكم عليه من اجر ان اجري
الا على رب العالمين فاتقوا الله واطيعون عليه على هذا الامر وعلى ما انا فيه يعني دعاءه
ونصحه ومعنى فاتقوا الله واطيعون فاتقوا الله في طاعتي وكرره ليؤكده عليهم ويقرره في نفوسهم مع
تعليق كل واحد منهما بعلة جعل علة الاول كونه امينا فيما بينهم وفي الثاني حسم طمعه عنهم قالوا
انؤمن لك واتبعك الارذلون قال وما علمي بما كانوا يعملون ان حسابهم الا على ربي لو تشعرون
وما انا بطارد المؤمنين ان انا الا نذير مبين قالوا لئن لم تنته يا نوح لتكونن من المرجومين
قال رب ان قومي كذبون فافتح بيني وبينهم فتحا ونجني ومن معي من المؤمنين وقرئ واتباعك
جمع تابع كشاهد واشهاد، او جمع تبع كبطل وابطال، والواو للحال وحقها ان تضمر بعدها قد في واتبعك
وقد جمع الارذل على الصحة وعلى التكسير في قوله عز وجل الذين هم اراذلنا والرذالة والنذالة الخسة
والدناءة وانما استرذلوهم لاتضاع نسبهم وقلة نصيبهم من الدنيا، وقيل كانوا من اهل الصناعات
الدنية كالحياكة والحجامة والصناعة لا تزري بالديانة وهكذا كانت قريش تقول في اصحاب محمد
عليه الصلوة والسلام وما زال اتباع الانبيا كذلك حتى صارت من سماتهم وامارتهم الا ترى الى هرقل
حين سال ابا سفيان عن اتباع رسول الله عليه السلام فلما قال ضعفاء الناس واراذلهم قال ما زال اتباع
الانبيا كذلك، وعن ابن عباس رضي الله عنهما هم الغاغة، وعن عكرمة الحاكة والاساكفة، وعن
مقاتل السفلة، وما علمي واي شيء علمي والمراد انتفاء علمه باخلاص اعمالهم لله واطلاعه على سر امرهم وباطنه
وانما قال هذا لانهم طعنوا مع استرذالهم في ايمانهم وانهم لم يؤمنوا عن نظر وبصيرة وانما امنوا هوى
وبديهة كما حكى الله عنهم في قوله سبحانه وتعالى الذين هم اراذلنا بادي الرأي، ويجوز ان يتغابى لهم
نوح عليه السلام فيفسر قولهم الارذلين بما هو الرذالة عنده من سوء الاعمال وفساد العقائد ولا يلتفت
الى ما هو الرذالة عندهم ثم يبني جوابه على ذلك فيقول ما علي الا اعتبار الظاهر دون التفتيش عن
اسرارهم والشق عن قلوبهم وان كان لهم عمل سيء فالله محاسبهم ومجازيهم عليه وما انا الا منذر لا
محاسب ولا مجاز لو تشعرون ذلك ولكنكم تجهلون فتنساقون مع الجهل حيث سيركم وقصد بذلك
رد اعتقادهم وانكار ان يسمى المؤمن رذلا وان كان افقر الناس واوضعهم نسبا فان الغنى غنى الدين
والنسب نسب التقوى، وما انا بطارد المؤمنين يريد ليس من شاني ان اتبع شهواتكم واطيب نفوسكم
بطرد المؤمنين الذين صح ايمانهم طمعا في ايمانكم وما علي الا ان انذركم انذارا بينا بالبرهان الصحيح الذي

يتميز به الحق من الباطل ثم انتم اعلم بشانكم ليس هذا باخبار بالتكذيب لعلمه ان عالم الغيب والشهادة اعلم
ولكنه اراد اني لا ادعوك عليهم لما غاظوني واذوني وانما ادعوك لاجلك ولاجل دينك ولانهم كذبوني
في وحيك ورسالتك فاحكم بيني وبينهم والفتاحة الحكومة والفتاح الحاكم لانه يفتح المستغلق كما سمي
فيصلا لانه يفصل بين الخصومات فانجيناه ومن معه في الفلك المشحون ثم اغرقنا بعد الباقين
ان في ذلك لاية وما كان اكثرهم مؤمنين وان ربك لهو العزيز الرحيم الفلك السفينة وجمعه
فلك، قال الله تعالى وترى الفلك فيه مواخر فالواحد بوزن قفل والجمع بوزن اسد كسروا فعلا على فعل
كما كسروا فعلا على فعل لانهما اخوان في قولك العرب والعرب والرشد والرشد فقالوا اسد واسد
وفلك وفلك، ونظيره بعير هجان وابل هجان ودرع دلاص ودروع دلاص فالواحد بوزن كناز والجمع بوزن
كرام، والمشحون المملوء يقال شحنها عليهم خيلا ورجالا كذبت عاد المرسلين اذ قال لهم اخوهم هود
الا تتقون اني لكم رسول امين فاتقوا الله واطيعون وما اسالكم عليه من اجر ان اجري الا
على رب العالمين اتبنون بكل ريع اية تعبثون وتتخذون مصانع لعلكم تخلدون
وقرئ بكل ريع بالفتح والكسر وهو المكان المرتفع قال المسيب بن علس
في الال يرفعها ويخفضها ريع يلوح كانه سحل، ومنه قولهم كم ريع ارضك وهو ارتفاعها والاية
العلم وكانوا ممن يهتدون بالنجوم في اسفارهم فاتخذوا في طرقهم اعلاما طوالا فعبثوا بذلك لانهم
كانوا مستغنين عنها بالنجوم، وعن مجاهد بنوا بكل ريع بروج الحمام والمصانع ماخذ الماء، وقيل القصور
المشيدة والحصون لعلكم تخلدون ترجون الخلود في الدنيا او تشبه حالكم حال من يخلد وفي
حرف ابي كانكم وقرئ تخلدون بضم التاء مخففا ومشددا واذا بطشتم بطشتم جبارين
فاتقوا الله واطيعون واتقوا الذي امدكم بما تعلمون واذا بطشتم بسوط او سيف كان ذلك
ظلما وعلوا، وقيل الجبار الذي يقتل ويضرب على الغضب، وعن الحسن تبادرون تعجيل العذاب لا تتثبتون
متفكرين في العواقب امدكم بانعام وبنين وجنات وعيون اني اخاف عليكم عذاب يوم عظيم
بالغ في تنبيههم على نعم الله حيث اجملها ثم فصلها مستشهدا بعلمهم وذلك انه ايقظهم عن سنة غفلتهم
عنها حين قال امدكم بما تعلمون ثم عددها عليهم وعرفهم المنعم بتعديد ما يعلمون من نعمه وانه
كما قدر ان يتفضل عليكم بهذه النعمة فهو قادر على الثواب والعقاب فاتقوه، ونحوه قوله عز وجل يحذركم
الله نفسه والله رؤف بالعباد فان قلت كيف قرن البنين بالانعام هم الذين يعينونهم
على حفظها والقيام عليها قالوا سواء علينا اوعظت ام لم تكن من الواعظين فان قلت لو
قيل اوعظت ام لم تعظ كان اخصر والمعنى واحد قلت ليس المعنى بواحد وبينهما فرق لان المراد
سواء علينا افعلت هذا الفعل الذي هو الوعظ ام لم تكن اصلا من اهله ومباشريه فهو ابلغ في قلة
اعتدادهم بوعظه من قولك ام لم تعظ ان هذا الا خلق الاولين وما نحن بمعذبين فكذبوه
فاهلكناهم ان في ذلك لاية وما كان اكثرهم مؤمنين وان ربك لهو العزيز الرحيم
من قرأ خلق الاولين بالفتح فمعناه ان ما جئت به اختلاق الاولين وتخرصهم كما قالوا اساطير الاولين او
ما خلقنا هذا الا خلق القرون الخالية نحيى كما حيوا ونموت كما ماتوا ولا بعث ولا حساب، ومن قرأ
خلق بضمتين وبواحدة فمعناه ما هذا الذي نحن عليه من الدين الا خلق الاولين وعادتهم كانوا يدينونه
ويعتقدونه ونحن بهم مقتدون، او ما هذا الذي نحن عليه من الحيوة والموت الا عادة لم يزل عليها الناس

في تدبير الدهر، او ما هذا الذي جئت به من الكذب الا عادة الاولين كانوا يلفقون مثله ويسطرونه **كذبت ثمود المرسلين ۝ اذ قال لهم اخوهم صالح الا تتقون ۝ اني لكم رسول امين ۝ فاتقوا الله واطيعون ۝ وما اسئلكم عليه من اجر ان اجري الا على رب العالمين ۝ اتتركون فيما ههنا امنين ۝ في جنات وعيون ۝ وزروع ونخل طلعها هضيم ۝** اتتركون يجوز ان يكون انكارا لان يتركوا مخلدين في نعيمهم لا يزالون عنه، وان يكون تذكيرا بالنعمة في تخلية الله اياهم وما يتنعمون فيه من الجنات وغير ذلك مع الامن والدعة، فيما ههنا في الذي استقر في هذا المكان من النعيم ثم فسره بقوله تعالى في جنات وعيون وهذا ايضا اجمال ثم تفصيل **فان قلت** لم قال ونخل بعد قوله في جنات والجنة تتناول النخل اول شيء كما يتناول النعم الابل كذلك من بين الازواج حتى انهم ليذكرون الجنة ولا يقصدون الا النخيل كما يذكرون النعم ولا يريدون الا الابل **قال زهير** تسقي جنة سحقا ۝ **قلت** فيه وجهان، ان يخص النخل بافراده بعد دخوله في جملة سائر الشجر تنبيها على انفراده عنها بفضله عليها وان يريد بالجنات غيرها من الشجر لان اللفظ يصلح لذلك ثم يعطف عليها النخل، الطلعة هي التي تطلع من النخلة كنصل السيف في جوفه شماريخ القنو والقنو اسم للخارج من الجذع كما هو بعرجونه وشماريخه، والهضيم اللطيف الضامر من قولهم كشح هضيم، وطلع اناث النخل فيه لطف وفي طلع الفحاحيل جفاء وكذلك طلع البرني الطف من طلع اللون فذكرهم نعمة الله في ان وهب لهم اجود النخل وانفعه لان الاناث ولادة التمر والبرني اجود التمر واطيبه، ويجوز ان يريد ان نخيلهم اصابت جودة المنابت وسعة الماء وسلمت من العاهات فحملت الحمل الكثير واذا كثر الحمل هضم واذا قل جاء فاخرا، وقيل الهضيم اللين النضيج كانه قال ونخل قد ارطب ثمره **وتنحتون من الجبال بيوتا فرهين ۝ فاتقوا الله واطيعون ۝ ولا تطيعوا امر المسرفين ۝** وقرا الحسن تنحتون بفتح الحاء **وقرئ** فرهين وفارهين، والفراهة الكيس والنشاط، ومنه خيل فرهة، استعير لامتثال الامر وارتسامه طاعة الامر المطاع، او جعل الامر مطاعا على المجاز الحكمي والمراد الآمر ومنه قولهم لك علي امرة مطاعة، وقوله تعالى اطيعوا امري **الذين يفسدون في الارض ولا يصلحون ۝ قالوا انما انت من المسحرين ۝ ما انت الا بشر مثلنا فات باية ان كنت من الصادقين ۝** **فان قلت** ما فائدة قوله ولا يصلحون   قلت فائدته ان فسادهم فساد مصمت ليس معه شيء من الصلاح كما يكون حال بعض المفسدين مخلوطة ببعض الصلاح، المسحر الذي سحر كثيرا حتى غلب على عقله، وقيل هو من السحر الرئة وانه بشر **قال هذه ناقة لها شرب ولكم شرب يوم معلوم ۝ ولا تمسوها بسوء فياخذكم عذاب يوم عظيم ۝** الشرب النصيب من الماء نحو السقي والقيت للحظ من السقي والقوت، وقرئ بالضم **روي** انهم قالوا نريد ناقة عشراء تخرج من هذه الصخرة فتلد سقبا فقعد صالح يتفكر فقال له جبريل صل ركعتين وسل ربك الناقة ففعل فخرجت الناقة وبركت بين ايديهم ونتجت سقبا مثلها في العظم، وعن ابي موسى رايت مصدرها فاذا هو ستون ذراعا، وعن قتادة اذا كان يوم شربها شربت ماءهم كله، ولهم شرب يوم لا تشرب فيه الماء، بسوء بضرب او عقر او غير ذلك، عظم اليوم لحلول العذاب فيه ووصف اليوم به ابلغ من وصف العذاب لان الوقت اذا عظم بسببه كان موقعه من العظم اشد **فعقروها فاصبحوا نادمين ۝ فاخذهم العذاب ان في ذلك لاية وما كان اكثرهم مؤمنين ۝ وان ربك لهو**

العزيز

العزيز الرحيم ۝ **وروي** ان مسطعا الجاها الى مضيق في شعب فرماها بسهم فاصاب رجلها فسقطت ثم ضربها قدار، وروي ان عاقرها قال لا اعقرها حتى ترضوا اجمعين فكانوا يدخلون على المراة في خدرها فيقولون اترضين فتقول نعم وكذلك صبيانهم **فان قلت** لم اخذهم العذاب وقد ندموا   قلت لم يكن ندمهم ندم تائبين ولكن ندم خائفين ان يعاقبوا على العقر عقابا عاجلا كمن يرى في بعض الامور رايا فاسدا ويبني عليه ثم يندم ويتحسر كندامة الكسعي، او ندموا ندم تائبين ولكن في غير وقت التوبة وذلك عند معاينة العذاب وقال عز وعلا وليست التوبة للذين يعملون السيئات الاية، وقيل كانت ندامتهم على ترك الولد وهو بعيد، واللام في العذاب اشارة الى عذاب يوم عظيم **كذبت قوم لوط المرسلين ۝ اذ قال لهم اخوهم لوط الا تتقون ۝ اني لكم رسول امين ۝ فاتقوا الله واطيعون ۝ وما اسئلكم عليه من اجر ان اجري الا على رب العالمين ۝ اتاتون الذكران من العالمين ۝ وتذرون ما خلق لكم ربكم من ازواجكم بل انتم قوم عادون ۝** اراد بالعالمين الناس اي اتاتون من بين اولاد ادم على فرط كثرتهم وتفاوت اجناسهم وغلبة اناثهم على ذكورهم في الكثرة ذكرانهم كان الاناث قد اعوزتكم، او اتاتون انتم من بين من عداكم من العالمين الذكران يعني انكم يا قوم لوط وحدكم مختصون بهذه الفاحشة، والعالمون على هذا القول كل ما ينكح من الحيوان، من ازواجكم يصلح ان يكون تبيينا لما خلق، وان يكون للتبعيض ويراد بما خلق العضو المباح منهن، وفي قراءة ابن مسعود ما اصلح لكم ربكم من ازواجكم وكانهم كانوا يفعلون مثل ذلك بنسائهم، العادي المتعدي في ظلمه المتجاوز فيه الحد ومعناه اترتكبون هذه المعصية على عظمها بل انتم قوم عادون في جميع المعاصي فهذا من جملة ذاك، او بل انتم قوم احقاء بان توصفوا بالعدوان حيث ارتكبتم هذه العظيمة **قالوا لئن لم تنته يا لوط لتكونن من المخرجين ۝** لئن لم تنته عن نهينا وتقبيح امرنا لنكونن من جملة من اخرجناه من بين اظهرنا وطردناه من بلدنا ولعلهم كانوا يخرجون من اخرجوه على سوء حال من تعنيف به واحتباس لاملاكه وكما يكون حال الظلمة اذا اجلوا بعض من يغضبون عليه وكما كان يفعل اهل مكة بمن يريد المهاجرة **قال اني لعملكم من القالين ۝** ومن القالين ابلغ من ان تقول اني لعملكم قال كما تقول فلان من العلماء فيكون ابلغ من قولك فلان عالم لانك تشهد له بكونه معدودا في زمرتهم ومعروفة مساهمته لهم في العلم، ويجوز ان يريد من الكاملين في قلاكم والقلى البغض الشديد كانه بغض يقلي الفؤاد والكبد، وفي هذا دليل على عظم المعصية والمراد القلى من حيث الدين والتقوى وقد تقوى همة الدين في دين الله حتى تقرب كراهته للمعاصي من الكراهة الجبلية **رب نجني واهلي مما يعملون ۝ فنجيناه واهله اجمعين ۝ الا عجوزا في الغابرين ۝ ثم دمرنا الاخرين ۝** مما يعملون من عقوبة عملهم وهو الظاهر، ويحتمل ان يريد بالتنجية العصمة **فان قلت** فما معنى قوله فنجيناه واهله اجمعين الا عجوزا **قلت** معناه انه عصمه واهله من ذلك الا العجوز فانها كانت غير معصومة منه لكونها راضية به ومعينة عليه ومحرشة والراضي بالمعصية في حكم العاصي، فان قلت كان اهله مؤمنين ولولا ذلك لما طلب لهم النجاة فكيف استثنيت الكافرة منهم قلت الاستثناء انما وقع من الاهل وفي هذا الاسم لها معهم شركة بحق الزواج وان لم تشاركهم في الايمان **فان قلت** في الغابرين صفة لها كانه قيل الا عجوزا غابرة ولم يكن الغبور صفتها وقت تنجيتهم **قلت** معناه الا عجوزا مقدرا غبورها ومعنى الغابرين في العذاب والهلاك غير الناجين **وامطرنا عليهم مطرا فساء مطر المنذرين ۝ ان في ذلك لاية وما كان اكثرهم مؤمنين ۝ وان ربك لهو**

العزيز الرحيم ۞ قيل انما هلكت مع من خرج من القرية بما امطر عليهم من الحجارة والمراد بتكثيرهم الايتفاك
بهم ۞ واما الامطار فعن قتادة امطر الله على شذاذ القوم حجارة من السماء فاهلكهم ۞ وعن ابن زيد لم يرض
بالايتفاك حتى اتبعه مطرا من حجارة ۞ وفاعل ساء مطر المنذرين ولم يرد بالمنذرين قوما باعيانهم انما هو
للجنس ۞ والمخصوص بالذم محذوف وهو مطرهم كذب اصحاب الايكة المرسلين ۞ اذ قال لهم شعيب الا
تتقون ۞ اني لكم رسول امين ۞ فاتقوا الله واطيعون ۞ وما اسألكم عليه من اجر ان اجري الا على رب
العالمين قرئ اصحاب الايكة بالهمزة وبتخفيفها وبالجر على الاضافة وهو الوجه ۞ ومن قرأ بالنصب وزعم
ان ليكة بوزن ليلة اسم بلد فتوهم قاد اليه خط المصحف حيث وجدت مكتوبة في هذه السورة وفي سورة
ص بغير الف ۞ وفي المصحف اشياء كتبت على خلاف قياس الخط المصطلح عليه وانما كتبت في هاتين السورتين
على حكم لفظ اللافظ كما يكتب اصحاب النحو لان ولولى على هذه الصورة لبيان لفظ المخفف وقد كتبت في
سائر القرآن على الاصل والقصة واحدة على ان ليكة اسم لا يعرف ۞ وروي ان اصحاب الايكة كانوا
اصحاب شجر ملتف وكان شجرهم الدوم فان قلت هلا قيل اخوهم شعيب كما في سائر المواضع قلت
قالوا ان شعيبا لم يكن من اصحاب الايكة ۞ وفي الحديث ان شعيبا اخا مدين ارسل اليهم والى اصحاب
الايكة ۞ اوفوا الكيل ولا تكونوا من المخسرين ۞ وزنوا بالقسطاس المستقيم ۞ الكيل على ثلاثة اضرب
واف وطفيف ۞ وزائد فامر بالواجب الذي هو الايفاء ونهى عن المحرم الذي هو التطفيف ولم يذكر
الزائد وكان تركه عن الامر والنهي دليل على انه ان فعله فقد احسن وان لم يفعله فلا عليه قرئ
بالقسطاس مضموما ومكسورا وهو الميزان ۞ وقيل القرسطون فان كان من القسط وهو العدل وجعلت
العين مكررة فوزنه فعلاس والا فهو رباعي ۞ وقيل هو بالرومية العدل ولا تبخسوا الناس اشياءهم
ولا تعثوا في الارض مفسدين ۞ واتقوا الذي خلقكم والجبلة الاولين ۞ يقال بخسته حقه
اذا نقصته اياه ۞ ومنه قيل المكس البخس وهو عام في كل حق ثبت لاحد ان لا يهضم وفي كل ملك ان لا يغصب عليه
مالكه ولا يتحيف منه ولا يتصرف فيه الا باذنه تصرفا شرعيا ۞ يقال عثا في الارض وعثي وعاث وذلك
نحو قطع الطريق والغارة واهلاك الزروع وكانوا يفعلون ذلك مع توليهم انواع الفساد فنهوا عن
ذلك وقرئ الجبلة بوزن الابلة والجبلة بوزن الخلقة ومعناهن واحد اي ذوي الجبلة وهو كقولك
والخلق الاولين قالوا انما انت من المسحرين ۞ وما انت الا بشر مثلنا وان نظنك لمن الكاذبين ۞
فان قلت هل اختلف المعنى بادخال الواو هنا وتركها في قصة ثمود قلت اذا ادخلت الواو
فقد قصد معنيان كلاهما مناف للرسالة عندهم التسحير والبشرية وان الرسول لا يجوز ان يكون مسحرا
ولا يجوز ان يكون بشرا واذا تركت الواو فلم يقصد الا معنى واحد وهو كونه مسحرا ثم قرر بكونه بشرا
مثلهم ۞ فان قلت ان المخففة من الثقيلة ولامها كيف تفرقتا على فعل الظن وثاني مفعوليه ۞ قلت
اصلهما ان يتفرقا على المبتدأ والخبر كقولك ان زيد لمنطلق فلما كان البابان اعني باب كان وباب ظننت
من جنس باب المبتدأ والخبر فعل ذلك في البابين فقيل ان كان زيد لمنطلقا وان ظننته لمنطلقا فاسقط
علينا كسفا من السماء ان كنت من الصادقين ۞ قال ربي اعلم بما تعملون قرئ كسفا بالسكون
والحركة وكلاهما جمع كسفة نحو قطع وسدر ۞ وقيل الكسف والكسفة كالريع والريعة وهي القطعة وكسفه
قطعه والسماء السحاب او المظلة وما كان طلبهم ذلك الا لتصميمهم على الجحود والتكذيب ولو كان فيهم
ادنى ميل الى التصديق لما اخطروه ببالهم فضلا ان يطلبوه والمعنى ان كنت صادقا انك نبي فادع الله ان يسقط

علينا كسفا من السماء ۞ ربي اعلم بما تعملون يريد ان الله اعلم باعمالكم وبما تستوجبون عليها من العقاب
فان اراد ان يعاقبكم باسقاط كسف من السماء فعل ۞ وان اراد عقابا آخر فاليه الحكم والمشية فكذبوه ۞
فاخذهم عذاب يوم الظلة انه كان عذاب يوم عظيم ۞ ان في ذلك لآية وما كان اكثرهم
مؤمنين ۞ وان ربك لهو العزيز الرحيم ۞ فاخذهم الله بنحو ما اقترحوا بعذاب الظلة ان ارادوا
بالسماء السحاب وان ارادوا المظلة فقد خالف بهم عن مقترحهم يروى انه حبس عنهم الريح
سبعا وسلط الله عليهم الومد فاخذ بانفاسهم لا ينفعهم ظل ولا ماء ولا سرب فاضطروا الى ان خرجوا
الى البرية فاظلتهم سحابة وجدوا لها بردا ونسيما فاجتمعوا تحتها فامطرت عليهم نارا فاحترقوا ۞ وروي
ان شعيبا عليه السلام بعث الى امتين اصحاب مدين واصحاب الايكة فاهلكت مدين بصيحة جبريل واصحاب
الايكة بعذاب يوم الظلة فان قلت كيف كرر في هذه السورة في اول كل قصة وآخرها ما كرر قلت
كل قصة منها كتنزيل برأسه وفيها من الاعتبار مثل ما في غيرها فكانت كل واحدة منها تدلي بحق في ان تفتتح
بما افتتحت به صاحبتها وان تختتم بما اختتمت به ولان في التكرير تقريرا للمعاني في الانفس وتثبيتا
لها في الصدور ۞ الا ترى انه لا طريق الى تحفظ العلوم الا ترديد ما يراد تحفظه منها وكلما زاد ترديده كان
امكن له في القلب وارسخ في الفهم واثبت للذكر وابعد من النسيان ولان هذه القصص طرقت بها آذان
وقر عن الانصات للحق وقلوب غلف عن تدبره فكوثرت بالوعظ والتذكير وروجعت بالترديد والتكرير
لعل ذلك يفتح اذنا او يفتق ذهنا او يصقل عقلا طال عهده بالصقل او يجلو فهما قد غطى عليه تراكم
الصدا وانه لتنزيل رب العالمين ۞ نزل به الروح الامين ۞ على قلبك لتكون من المنذرين ۞
بلسان عربي مبين ۞ وانه وان هذا التنزيل يعني ما نزل من هذه القصص والآيات والمراد بالتنزيل المنزل
والباء في نزل به الروح ونزل به الروح على القراءتين للتعدية ومعنى نزل به الروح جعل الله الروح نازلا به
على قلبك اي حفظكه وفهمك اياه واثبته في قلبك اثبات ما لا ينسى كقوله عز وجل سنقرئك فلا تنسى ۞
بلسان اما ان يتعلق بالمنذرين فيكون المعنى لتكون من الذين انذروا بهذا اللسان وهم خمسة هود
وصالح وشعيب ۞ واسمعيل ومحمد صلوات الله عليه وعليهم اجمعين ۞ واما ان يتعلق بنزل فيكون المعنى
نزله باللسان العربي لتنذر به لانه لو نزله باللسان الاعجمي لتجافوا عنه اصلا ولقالوا ما نصنع بما لا نفهمه
فيتعذر الانذار به وفي هذا الوجه ان تنزيله بالعربية التي هي لسانك ولسان قومك تنزيل له على قلبك
لانك تفهمه وتفهمه قومك ولو كان اعجميا لكان نازلا على سمعك دون قلبك لانك تسمع اجراس حروف
لا تفهم معانيها ولا تعيها وقد يكون الرجل عارفا بعدة لغات فاذا كلم بلغته التي لقنها اولا ونشأ عليها
وتطبع بها لم يكن قلبه الا الى معاني الكلام يتلقاها بقلبه ولا يكاد يفطن للالفاظ كيف جرت وان كلم بغير
تلك اللغة وان كان ماهرا بمعرفتها كان نظره اولا في الفاظها ثم في معانيها فهذا تقرير انه نزل على قلبه
لنزوله بلسان عربي مبين وانه لفي زبر الاولين ۞ وانه وان القرآن يعني ذكره مثبت في سائر الكتب
السماوية ۞ وقيل ان معانيه فيها وبه يحتج لابي حنيفة رحمة الله عليه في جواز القراءة بالفارسية في الصلوة
على ان القرآن قرآن اذا ترجم بغير العربية حيث قيل وانه لفي زبر الاولين لكون معانيه فيها ۞ وقيل الضمير
لرسول الله عليه السلام وكذلك في ان يعلمه وليس بواضح اولم يكن لهم آية ان يعلمه علماء بني اسرائيل
ولو نزلناه على بعض الاعجمين ۞ فقرأه عليهم ما كانوا به مؤمنين وقرئ يكن بالتذكير وآية
بالنصب على انها خبره وان يعلمه هو الاسم ۞ وقرئ تكن بالتانيث وجعلت آية اسما وان يعلمه خبرا وليست

كالاولى لوقوع النكرة اسما والمعرفة خبرا وقد خرج لها وجه آخر ليتخلص من ذلك فقيل في تكن ضمير القصة
وآية ان يعلمه جملة واقعة موقع الخبر ويجوز على هذا ان يكون لهم آية هي جملة الشان وان يعلمه بدلا عن
آية ويجوز مع نصب الآية تأنيث تكن كقوله عز وجل ثم لم تكن فتنتهم الا ان قالوا ومنه بيت لبيد
فمضى وقدمها وكانت عادة ٭ منه اذا هي عردت اقدامها ٭ وقرئ تعلمه بالتاء وعلماء بني اسرائيل
عبد الله بن سلام وغيره قال الله تعالى واذا يتلى عليهم قالوا آمنا به انه الحق من ربنا انا كنا من قبله
مسلمين **فان قلت** كيف خط في المصحف علموا بواو قبل الالف **قلت** خط على لغة من يميل الالف الى الواو
وعلى هذه اللغة كتبت الصلوة والزكوة والربوا ٭ الاعجم الذي لا يفصح وفي لسانه عجمة واستعجام والاعجمي
مثله الا ان فيه لزيادة النسبة زيادة تأكيد ٭ وقرأ الحسن الاعجميين ولما كان من يتكلم بلسان غير لسانهم
لا يفقهون كلامه قالوا له اعجم واعجمي شبهوه بمن لا يفصح ولا يبين وقالوا لكل ذي صوت من البهائم والطيور
وغيرها اعجم قال حميد ٭ ولا عربيا شاقه صوت اعجما ٭ كذلك سلكناه في قلوب المجرمين لا يؤمنون
به حتى يروا العذاب الاليم فيأتيهم بغتة وهم لا يشعرون فيقولوا هل نحن منظرون أفبعذابنا
يستعجلون أفرأيت ان متعناهم سنين ثم جاءهم ما كانوا يوعدون ما اغنى عنهم ما كانوا
يمتعون ٭ سلكناه ادخلناه ومكناه والمعنى انا انزلنا هذا القرآن على رجل عربي بلسان عربي مبين فسمعوا
به وفهموه وعرفوا فصاحته وانه معجز لا يعارض بكلام مثله وانضم الى ذلك اتفاق علماء اهل الكتب
المنزلة قبله على ان البشارة بانزاله وتحلية المنزل عليه وصفته في كتبهم وقد تضمنت معانيه وقصصه
وصح بذلك انها من عند الله وليست باساطير كما زعموا فلم يؤمنوا به وجحدوه وسموه شعرا تارة وسحرا
اخرى وقالوا هو من تلفيق محمد وافترائه ٭ ولو نزلناه على بعض الاعاجم الذي لا يحسن العربية فضلا
ان يقدر على نظم مثله فقرأه عليهم هكذا فصيحا معجزا متحدى به لكفروا به كما كفروا ولتمحلوا لجحودهم
عذرا ولسموه سحرا ٭ ثم قال كذلك سلكناه اي مثل هذا السلك سلكناه في قلوبهم وهكذا مكناه
وقررناه فيها وعلى مثل هذه الحال وهذه الصفة من الكفر به والتكذيب له وضعناه فيها فكيف ما فعل
بهم وصنع وعلى اي وجه دبر امرهم فلا سبيل الى ان يتغيروا عما هم عليه من جحوده وانكاره كما قال الله
تعالى ولو نزلنا عليك كتابا في قرطاس فلمسوه بايديهم لقال الذين كفروا ان هذا الا سحر مبين **فان قلت**
اسند السلك بصفة التكذيب الى ذاته **قلت** اراد به الدلالة على تمكنه مكذبا في قلوبهم اشد التمكن
واثبته فجعله بمنزلة امر قد جبلوا عليه وفطروا ٭ الا ترى الى قولهم هو مجبول على الشح يريدون تمكن
الشح فيه لان الامور الخلقية اثبت من العارضة والدليل عليه انه اسند ترك الايمان به اليهم على عقبه
وهو قوله لا يؤمنون به ٭ فان قلت ما موقع لا يؤمنون به من قوله سلكناه في قلوب المجرمين ٭ قلت
موقعه منه موقع الموضح والملخص لانه مسوق لثباته مكذبا مجحودا في قلوبهم فاتبع ما يقرر هذا المعنى
من انهم لا يزالون على التكذيب به وجحوده حتى يعاينوا الوعيد ٭ ويجوز ان يكون حالا اي سلكناه غير
مؤمن به ٭ وقرأ الحسن رحمة الله عليه فتأتيهم بالتاء يعني الساعة ٭ وبغتة بالتحريك ٭ وفي حرف ابي ويروه
بغتة **فان قلت** ما معنى التعقيب في قوله فيأتيهم بغتة فيقولوا ليس المعنى ترادف
رؤية العذاب ومفاجأته وسؤال النظرة فيه في الوجود وانما المعنى ترتبها في الشدة كانه قيل لا يؤمنون
بالقرآن حتى تكون رؤيتهم للعذاب فما هو اشد منها وهو لحوقه بهم مفاجأة فما هو اشد منه وهو
سؤالهم النظرة ومثال ذلك ان تقول لمن تعظه ان اسأت مقتك الصالحون فمقتك الله فانك لا تقصد

بهذا

بهذا الترتيب ان مقت الله يوجد عقيب مقت الصالحين وانما قصدك الى ترتيب شدة الامر على المسيء
وانه يحصل له بسبب الاساءة مقت الصالحين فما هو اشد من مقتهم وهو مقت الله ٭ وترى ثم يقع في هذا
الاسلوب فيحل موقعه ٭ افبعذابنا يستعجلون تبكيت لهم بانكار وتهكم ومعناه كيف يستعجل العذاب من
هو معرض لعذاب يسأل فيه من جنس ما هو فيه اليوم من النظرة والامهال طرفة عين فلا يجاب اليها ٭
ويحتمل ان يكون هذا حكاية توبيخ يوبخون به عند استنظارهم يومئذ ويستعجلون على هذا الوجه
حكاية حال ماضية ٭ ووجه آخر متصل بما بعده وذلك ان استعجالهم بالعذاب انما كان لاعتقادهم انه
غير كائن ولا لاحق بهم وانهم ممتعون باعمار طوال في سلامة وامن فقال عز وعلا افبعذابنا يستعجلون
اشرا وبطرا واستهزاء واتكالا على الامل الطويل ثم قال هب ان الامر كما يعتقدون من تمتيعهم وتعميرهم
فاذا لحقهم الوعيد بعد ذلك ما ينفعهم حينئذ ما مضى من طول اعمارهم وطيب معايشهم ٭ وعن ميمون
ابن مهران انه لقي الحسن في الطواف وكان يتمنى لقاءه فقال له عظني فلم يزده على تلاوة هذه الآية
فقال ميمون لقد وعظت فابلغت ٭ **وقرئ** يمتعون بالتخفيف وما اهلكنا من قرية الا لها منذرون
ذكرى وما كنا ظالمين ٭ منذرون رسل ينذرونهم ٭ ذكرى منصوبة بمعنى تذكرة اما لان انذر
وذكر متقاربان فكانه قيل مذكرون تذكرة ٭ واما لانها حال من الضمير في منذرون اي ينذرونهم
ذوي تذكرة ٭ واما لانها مفعول له على معنى انهم ينذرونهم لاجل الموعظة والتذكرة ٭ او مرفوعة
على انها خبر مبتدأ محذوف بمعنى هذه ذكرى والجملة اعتراضية ٭ او صفة بمعنى منذرون ذوو
ذكرى ٭ او جعلوا ذكرى لامعانهم في التذكرة واطنابهم فيها ٭ ووجه آخر وهو ان يكون ذكرى متعلقة
باهلكنا مفعولا له والمعنى وما اهلكنا من اهل قرية ظالمين الا بعدما الزمناهم الحجة بارسال
المنذرين اليهم ليكون اهلاكهم تذكرة وعبرة لغيرهم فلا يعصوا مثل عصيانهم ٭ وما كنا ظالمين
فنهلك قوما غير ظالمين وهذا الوجه عليه المعول **فان قلت** كيف عزلت الواو عن الجملة
بعد الا ولم تعزل عنها في قوله تعالى وما اهلكنا من قرية الا ولها كتاب معلوم **قلت** الاصل
عزل الواو لان الجملة صفة لقرية واذا زيدت فلتأكيد وصل الصفة بالموصوف كما في قوله
تعالى سبعة وثامنهم كلبهم وما تنزلت به الشياطين وما ينبغي لهم وما يستطيعون انهم عن
السمع لمعزولون ٭ فلا تدع مع الله الها آخر فتكون من المعذبين ٭ كانوا يقولون ان محمدا
كاهن وما يتنزل عليه من جنس ما يتنزل به الشياطين على الكهنة فكذبوا بان ذلك مما لا يتسهل
للشياطين ولا يقدرون عليه لانهم مرجومون بالشهب معزولون عن استماع كلام اهل السماء ٭
وقرأ الحسن رحمة الله عليه الشياطون ووجهه انه رأى آخره كآخر يبرين وفلسطين فتخير بين
ان يجري الاعراب على النون وبين ان يجريه على ما قبله فيقول الشياطين والشياطون كما تخيرت
العرب بين ان يقولوا هذه يبرون ويبرين وفلسطون وفلسطين وحقه ان يشتقه من الشيطوطة
وهي الهلاك كما قيل له الباطل ٭ وعن الفراء غلط الشيخ في قراءته الشياطون ظن انها النون التي
على هجاءين فقال النضر بن شميل ان جاز ان يحتج بقول العجاج ورؤبة فهلا جاز ان يحتج بقول الحسن وصاحبه
يريد محمد بن السميفع مع انا نعلم انهما لم يقرآ به الا وقد سمعا فيه ٭ قد علم ان ذلك لا يكون
ولكنه اراد ان يحرك منه لازدياد الاخلاص والتقوى ٭ وفيه لطف لسائر المكلفين كما قال عز
وجل ولو تقول علينا بعض الاقاويل ٭ فان كنت في شك مما انزلنا اليك ٭ وانذر عشيرتك الاقربين ٭

واخفض جناحك لمن اتبعك من المؤمنين ۞ فان عصوك فقل انى برئ مما تعملون ۞ فيه وجهان
احدهما انه يؤمر بانذار الاقرب فالاقرب من قومه ويبدأ فى ذلك بمن هو اولى بالبداءة ثم من يليه وان
يقدم انذارهم على انذار غيرهم كما روى عن النبى صلى الله عليه وسلم انه لما دخل مكة قال كل ربا فى الجاهلية
موضوع تحت قدمى هاتين واول ما اضعه ربا العباس ۞ والثانى ان يؤمر بان لا ياخذه ما ياخذ القريب للقريب
من العطف والرأفة ولا يحابيهم فى الانذار والتخويف ۞ وروى انه صعد الصفا لما نزلت فنادى الاقرب
فالاقرب فخذا فخذا وقال يا بنى عبد المطلب ۞ يا بنى هاشم ۞ يا بنى عبد مناف ۞ يا عباس عم النبى يا صفية
عمة رسول الله انى لا املك لكم من الله شيئا سلونى من مالى ما شئتم وروى انه جمع بنى عبد المطلب
وهم يومئذ اربعون رجلا الرجل منهم ياكل الجذعة ويشرب العس على رجل شاة وقعب من لبن فاكلوا
وشربوا حتى صدروا ثم انذرهم فقال يا بنى عبد المطلب لو اخبرتكم ان بسفح هذا الجبل خيلا اكنتم
مصدقى قالوا نعم قال فانى نذير لكم بين يدى عذاب شديد ۞ وروى انه قال يا بنى عبد المطلب يا بنى
هاشم يا بنى عبد مناف افتدوا انفسكم من النار فانى لا اغنى عنكم شيئا ۞ ثم قال يا عائشة بنت ابى بكر
ويا حفصة بنت عمر ۞ ويا فاطمة بنت محمد ۞ ويا صفية عمة محمد اشترين انفسكن من النار فانى لا اغنى عنكن
شيئا ۞ الطائر اذا اراد ان ينحط للوقوع كسر جناحه وخفضه واذا اراد ان ينهض للطيران رفع جناحه
فجعل خفض جناحه عند الانحطاط مثلا فى التواضع ولين الجانب ومنه قول بعضهم ۞
۞ وانت الشهير بخفض الجناح ۞ فلا تك فى رفعه اجدلا ۞ ينهاه عن التكبر بعد التواضع فان
قلت المتبعون للرسول هم المؤمنون والمؤمنون هم المتبعون للرسول فما قوله لمن اتبعك من
المؤمنين فيه وجهان ۞ ان يسميهم قبل الدخول فى الايمان مؤمنين لمشارفتهم ذلك وان
يريد بالمؤمنين المصدقين بالسنتهم وهم صنفان صنف صدق واتبع رسول الله فيما جاء به ۞ وصنف
ما وجد منه الا التصديق فحسب ثم اما ان يكونوا منافقين او فاسقين والمنافق والفاسق لا
يخفض لهما الجناح والمعنى من المؤمنين من عشيرتك وغيرهم يعنى انذر قومك فان اتبعوك واطاعوك
فاخفض لهم جناحك وان عصوك ولم يتبعوك فتبرأ منهم ومن اعمالهم من الشرك بالله وغيره ۞
وتوكل على العزيز الرحيم ۞ الذى يراك حين تقوم ۞ وتقلبك فى الساجدين ۞ انه هو السميع العليم
وتوكل على الله يكفك شر من يعصيك منهم ومن غيرهم ۞ والتوكل تفويض الرجل امره الى من يملك امره
ويقدر على نفعه وضره وقالوا المتوكل من ان دهمه امر لم يحاول دفعه عن نفسه بما هو معصية
لله فعلى هذا اذا وقع الانسان فى محنة ثم سأل غيره خلاصه لم يخرج من حد التوكل لانه لم يحاول دفع
ما نزل به عن نفسه بمعصية الله ۞ وفى مصاحف اهل المدينة والشام فتوكل وبه قرأ نافع وابن عامر
وله محملان فى العطف ان يعطف على فقل او فلا تدع ۞ على العزيز الرحيم على الذى يقهر اعداءك بعزته
وينصرك عليهم برحمته ثم اتبع كونه رحيما على رسوله ما هو من اسباب الرحمة وهو ذكر ما كان يفعله
فى جوف الليل من قيامه للتهجد وتقلبه فى تصفح احوال المتهجدين من اصحابه ليطلع عليهم من حيث لا
يشعرون ويستبطن سرائرهم وكيف يعبدون الله وكيف يعملون لآخرتهم كما يحكى انه حين نسخ فرض
قيام الليل طاف تلك الليلة ببيوت اصحابه لينظر ما يصنعون لحرصه عليهم وعلى ما يوجد منهم من فعل
الطاعات وتكثير الحسنات فوجدها كبيوت الزنابير لما سمع منها من دندنتهم بذكر الله والتلاوة
والمراد بالساجدين المصلون ۞ وقيل معناه يراك حين تقوم للصلاة بالناس جماعة وتقلبه فى الساجدين

تصرفه

تصرفه فيما بينهم بقيامه وركوعه وسجوده وقعوده اذا امّهم ۞ وعن مقاتل انه سأل ابا حنيفة رحمة الله
عليه هل تجد الصلوة فى الجماعة فى القرآن فقال لا يحضرنى فتلا له هذه الآية ۞ ويحتمل انه لا يخفى عليه
حالك كلما قمت وتقلبت مع الساجدين فى كفاية امور الدين ۞ انه هو السميع لما تقوله ۞ العليم بما
تنويه وتعمله ۞ وقيل هو تقلب بصره فيمن يصلى خلفه من قوله عليه السلام اتموا الركوع والسجود
فوالله انى لاراكم من خلف ظهرى اذا ركعتم وسجدتم وقرى ويقلبك هل انبئكم على من تنزل
الشياطين ۞ تنزل على كل افاك اثيم ۞ يلقون السمع واكثرهم كاذبون ۞ على كل افاك اثيم هم
الكهنة والمتنبئة كشق وسطيح ۞ ومسيلمة ۞ وطليحة ۞ يلقون السمع هم الشياطين كانوا قبل ان يحجبوا
بالرجم يسمعون الى الملأ الاعلى فيختطفون بعض ما يتكلمون به مما اطلعوا عليه من الغيوب ثم يوحون به
الى اوليائهم من اولئك ۞ واكثرهم كاذبون فيما يوحون به اليهم لانهم يسمعونهم ما لم يسمعوا ۞ وقيل يلقون
الى اوليائهم السمع اى المسموع من الملائكة ۞ وقيل الافاكون يلقون السمع الى الشياطين فيلقون وحيهم
اليهم ۞ او يلقون المسموع من الشياطين الى الناس واكثر الافاكين كاذبون يفترون على الشياطين ما
لم يوحوا اليهم وترى اكثر ما يحكمون به باطلا وزورا ۞ وفى الحديث الكلمة يخطفها الجنى فيقرها فى اذن وليه
ويزيد فيها اكثر من مائة كذبة والقر الصب فان قلت كيف دخل حرف الجر على من المتضمنة لمعنى
الاستفهام والاستفهام له صدر الكلام ۞ الا ترى الى قولك اعلى زيد مررت ولا تقول على ازيد مررت
قلت ليس معنى التضمن ان الاسم دل على معنيين معا معنى الاسم ومعنى الحرف وانما معناه ان الاصل
امن فحذف حرف الاستفهام واستمر الاستعمال على حذفه كما حذف من هل والاصل اهل قال ۞
اهل رأونا بسفح القاع ذى الاكم ۞ فاذا ادخلت حرف الجر على من فقدر الهمزة قبل حرف الجر فى ضميرك
كانك تقول اعلى من تنزل الشياطين كقولك اعلى زيد مررت ۞ فان قلت يلقون ما محله ۞ قلت يجوز ان
يكون فى محل النصب على الحال اى تنزل ملقين السمع ۞ وفى محل الجر صفة لكل افاك لانه فى معنى الجمع وان
لا يكون له محل بان يستأنف كان قائلا قال لم تنزل على الافاكين فقيل يفعلون كيت وكيت فان
قلت كيف قيل واكثرهم كاذبون بعد ما قضى عليهم ان كل واحد منهم افاك الافاكون
هم الذين يكثرون الافك ولا يدل ذلك على انهم لا ينطقون الا بالافك فاراد ان هؤلاء الافاكين قل
من يصدق منهم فيما يحكى عن الجنى واكثرهم مفتر عليه فان قلت وانه لتنزيل رب العالمين ۞ وما
تنزلت به الشياطين ۞ هل انبئكم على من تنزل الشياطين لم فرق بينهن وهن اخوات قلت اريد
التفريق بينهن بآيات ليست فى معناهن ليرجع الى المجئ بهن وتطرية ذكر ما فيهن كرة بعد كرة فيدل بذلك
على ان المعنى الذى نزلن فيه من المعانى التى اشتدت كراهة الله لخلافها ۞ ومثاله ان يحدث الرجل بحديث
وفى صدره اهتمام بشئ منه وفضل عناية فتراه يعيد ذكره ولا ينفك عن الرجوع اليه والشعراء يتبعهم
الغاوون ۞ الم تر انهم فى كل واد يهيمون ۞ وانهم يقولون ما لا يفعلون ۞ والشعراء مبتدأ ويتبعهم
الغاوون خبره ومعناه انه لا يتبعهم على باطلهم وكذبهم وفضول قولهم وما هم عليه من الهجاء وتمزيق الاعراض
والقدح فى الانساب والتشبيب بالحرم والغزل والابتهار ومدح من لا يستحق المدح ولا يستحسن ذلك منهم
ولا يطرب على قولهم الا الغاوون والسفهاء والشطار ۞ وقيل الغاوون الراوون ۞ وقيل الشياطين
وقيل هم شعراء قريش عبد الله ابن الزبعرى ۞ وهبيرة ابن ابى وهب المخزومى ۞ ومسافع بن عبد مناف
وابو عزة الجمحى ۞ ومن ثقيف امية بن ابى الصلت قالوا نحن نقول مثل قول محمد وكانوا يهجونه ويجتمع

اليهم الاعراب من قومهم يستمعون اشعارهم واهاجيهم • وقرا عيسى بن عمر والشعراء بالنصب على اضمار
فعل يفسره الظاهر • قال ابو عبيدة كان الغالب عليه حب النصب قراها حمالة الحطب والسارق والسارقة
وسورة انزلناها • وقرئ يتبعهم على التخفيف • ويتبعهم بسكون العين تشبيها لبعه بعضد • ذكر
الوادي والهيوم فيه تمثيل لذهابهم في كل شعب من القول واعتسافهم وقلة مبالاتهم بالغلو في المنطق
ومجاوزة حد القصد فيه حتى يفضلوا اجبن الناس على عنترة واشحهم على حاتم وان يبهتوا البري ويفسقوا
التقي وعن الفرزدق ان سليمان بن عبد الملك سمع قوله •

• فبتن بجانبي مصرعات • وبت افض اغلاق الختام • فقال قد وجب عليك الحد فقال يا امير
المؤمنين قد درأ الله عني الحد بقوله تعالى وانهم يقولون ما لا يفعلون **الا الذين آمنوا وعملوا
الصالحات وذكروا الله كثيرا وانتصروا من بعد ما ظلموا وسيعلم الذين ظلموا اي منقلب
ينقلبون** • استثنى الشعراء المؤمنين الصالحين الذين يكثرون ذكر الله وتلاوة القرآن وكان ذلك
اغلب عليهم من الشعر واذا قالوا شعرا قالوه في توحيد الله والثناء عليه والحكمة والموعظة والزهد
والآداب الحسنة ومدح رسول الله عليه السلام والصحابة وصلحاء الامة وما لا بأس به من المعاني التي لا
يتلطخون فيها بذنب ولا يتلبسون بشائبة ولا منقصة وكان هجاؤهم على سبيل الانتصار ممن يهجوهم •
قال الله تعالى لا يحب الله الجهر بالسوء من القول الا من ظلم وذلك من غير اعتداء ولا زيادة على ما هو جواب له لقوله
تعالى فمن اعتدى عليكم فاعتدوا عليه بمثل ما اعتدى عليكم • وعن عمرو بن عبيد رحمة الله عليه ان رجلا
من العلوية قال له ان صدري ليجيش بالشعر فقال فما يمنعك منه فيما لا بأس به والقول فيه ان الشعر
باب من الكلام فحسنه كحسن الكلام وقبيحه كقبيح الكلام • وقيل المراد بالمستثنين عبد الله بن رواحة •
وحسان بن ثابت والكعبان كعب بن مالك وكعب بن زهير والذين كانوا ينافحون عن رسول الله
صلى الله عليه وسلم ويكافحون هجاة قريش • وعن كعب بن مالك ان النبي صلى الله عليه وسلم قال له
اهجهم فوالذي نفسي بيده لهو اشد عليهم من النبل وكان رسول الله عليه السلام يقول لحسان بن ثابت
رضي الله عنه قل وروح القدس معك • ختم السورة بآية ناطقة بما لا شيء اهيب منه واهول
ولا انكأ لقلوب المتأملين ولا اصدع لاكباد المتدبرين وذلك قوله تعالى وسيعلم وما فيه من
الوعيد البليغ وقوله الذين ظلموا واطلاقه وقوله اي منقلب ينقلبون وابهامه وقد تلاها ابو
بكر رضي الله عنه لعمر رضي الله عنهما حين عهد اليه وكان السلف الصالح يتواعظون بها ويتناذرون
شدتها وتفسير الظلم بالكفر تعليل ولان تخاف فتبلغ الامن خير من ان تأمن فتبلغ الخوف • وقرأ ابن
عباس رضي الله عنهما اي منفلت ينفلتون ومعناها ان الذين ظلموا يطمعون ان ينفلتوا من عذاب الله
تعالى وسيعلمون ان ليس لهم وجه من وجوه الانفلات وهو النجاة • اللهم اجعلنا ممن جعل هذه الاية
بين عينيه فلم يغفل عنها وعلم ان من عمل سيئة فهو من الذين ظلموا فنعوذ بالله منها قال رسول الله صلى الله
عليه وسلم من قرأ سورة الشعراء كان له من الاجر عشر حسنات بعدد من صدق بنوح وكذب به وهود
وشعيب وصالح وابراهيم وبعدد من كذب بعيسى وصدق بمحمد صلوات الله وسلامه عليهم اجمعين •

بسم الله الرحمن الرحيم **طس تلك آيات القرآن وكتاب مبين** • طس قرئ بالتفخيم والامالة وتلك اشارة

الى آيات السورة • والكتاب المبين اما اللوح وابانته انه قد خط فيه كل ما هو كائن فهو يبينه للناظرين
فيه ابانة • واما السورة واما القرآن وابانتهما انهما يبينان ما اودعاه من العلوم والحكم والشرائع
وان اعجازهما ظاهر مكشوف • واضافة الآيات الى القرآن والكتاب المبين على سبيل التفخيم لها والتعظيم
لان المضاف الى العظيم يعظم بالاضافة اليه • فان قلت لم نكر الكتاب المبين • قلت ليبهم بالتنكير
فيكون افخم له كقوله تعالى في مقعد صدق عند مليك مقتدر **فان قلت** ما وجه عطفه
على القرآن اذا اريد به القرآن **قلت** كما يعطف احدى الصفتين على الاخرى في نحو قولك هذا فعل
السخي والجواد الكريم لان القرآن هو المنزل المبارك المصدق لما بين يديه وكان حكمه حكم الصفات
المستقلة بالمدح فكانه قيل تلك الآيات آيات المنزل المبارك وآي كتاب مبين • وقرأ ابن ابي عبلة
وكتاب مبين بالرفع على تقدير وآيات كتاب مبين فحذف المضاف واقيم المضاف اليه مقامه • فان
قلت ما الفرق بين هذا وبين قوله الر تلك آيات الكتاب وقرآن مبين • قلت لا فرق بينهما الا ما بين المعطوف
والمعطوف عليه من التقدم والتأخر وذلك على ضربين ضرب جار مجرى التثنية لا يترجح فيه جانب
على جانب وضرب فيه ترجح فالاول نحو قوله عز وجل وقولوا حطة وادخلوا الباب سجدا ومنه ما نحن
بصدده • والثاني نحو قوله شهد الله انه لا اله الا هو والملائكة واولوا العلم **هدى وبشرى للمؤمنين
الذين يقيمون الصلوة ويؤتون الزكوة وهم بالآخرة هم يوقنون** • هدى وبشرى في محل
النصب او الرفع فالنصب على الحال اي هادية ومبشرة والعامل فيهما ما في تلك من معنى الاشارة والرفع
على ثلاثة اوجه • على هي هدى وبشرى • وعلى البدل من الآيات • وعلى ان يكون خبرا بعد خبر اي جمعت
انها آيات وانها هدى وبشرى • والمعنى في كونها هدى للمؤمنين انها زائدة في هداهم قال الله تعالى
فاما الذين آمنوا فزادتهم ايمانا **فان قلت** وهم بالآخرة هم يوقنون كيف يتصل بما قبله **قلت**
يحتمل ان يكون من جملة صلة الموصول • ويحتمل ان تتم الصلة عنده ويكون جملة اعتراضية كانه قيل
وهؤلاء الذين يؤمنون ويعملون الصالحات من اقامة الصلوات وايتاء الزكوة هم الموقنون بالآخرة
وهو الوجه ويدل عليه انه عقد جملة ابتدائية وكرر فيها المبتدأ الذي هو هم حتى صار معناها
وما يوقن بالآخرة حق الايقان الا هؤلاء الجامعون بين الايمان والعمل الصالح لان خوف العاقبة
يحملهم على تحمل المشاق **ان الذين لا يؤمنون بالآخرة زينا لهم اعمالهم فهم يعمهون** **فان قلت**
كيف اسند تزيين اعمالهم الى ذاته وقد اسنده الى الشيطان في قوله تعالى وزين لهم الشيطان اعمالهم
بين الاسنادين فرق وذلك ان اسناده الى الشيطان حقيقة واسناده الى الله تعالى مجاز
وله طريقان في علم البيان • احدهما ان يكون من المجاز الذي يسمى الاستعارة • والثاني ان يكون
من المجاز الحكمي • فالطريق الاول انه لما متعهم بطول العمر وسعة الرزق وجعلوا انعام الله بذلك
عليهم واحسانه اليهم ذريعة الى اتباع شهواتهم وبطرهم وايثارهم الروح والترفه ونفارهم عما يلزمهم
فيه التكاليف الصعبة والمشاق المتعبة فكانه زين لهم بذلك اعمالهم واليه اشارة الملائكة في
قولهم ولكن متعتهم وآباءهم حتى نسوا الذكر • والطريق الثاني ان امهاله الشيطان وتخليته حتى يزين
لهم ملابسة ظاهرة للتزيين فاسند اليه لان المجاز الحكمي يصححه بعض الملابسات • وقيل هي اعمال الخير
التي وجب عليهم ان يعملوها زينها لهم فعمهوا عنها وضلوا ويعزى الى الحسن والعمه التحير والتردد
كما يكون حال الضال عن الطريق • وعن بعض الاعراب انه دخل السوق وما ابصرها قط فقال رأيت

الناس عمهين اراد مترددين في اعمالهم واشغالهم أولئك الذين لهم سوء العذاب وهم في الآخرة هم
الأخسرون ٭ وإنك لتلقى القرآن من لدن حكيم عليم ٭ سوء العذاب القتل والاسر يوم بدر
والاخسرون اشد الناس خسرانا لانهم لو امنوا لكانوا من الشهداء على جميع الامم فخسروا ذلك مع خسران
النجاة وثواب الله ٭ لتلقى القرآن لتؤتاه وتلقنه من عند اى حكيم واى عليم وهذا معنى مجيئهما نكرتين
وهذه الاية بساط وتمهيد لما يريد ان يسوق بعدها من الاقاصيص وما في ذلك من لطائف حكمته
ودقائق علمه إذ قال موسى لأهله إني آنست نارا سآتيكم منها بخبر أو آتيكم بشهاب قبس لعلكم
تصطلون ٭ اذ منصوب بمضمر وهو اذكر كانه قال على اثر ذلك خذ من آثار حكمته وعلمه قصة موسى
عليه السلام ٭ ويجوز ان ينتصب بعليم ٭ وروى انه لم يكن مع موسى عليه السلام غير امرأته وقد كنى الله
عنها بالاهل فتبع ذلك ورود الخطاب على لفظ الجمع وهو قوله امكثوا ٭ الشهاب الشعلة ٭ والقبس النار
المقبوسة واضاف الشهاب الى القبس لانه يكون قبسا وغير قبس ٭ ومن قرا بالتنوين جعل القبس بدلا او
صفة لما فيه من معنى القبس ٭ والخبر ما يخبر به عن حال الطريق لانه كان قد ضله فان قلت سآتيكم
منها بخبر ولعلي آتيكم منها بخبر كالمتدافعين لان احدهما ترج والاخر تيقن قلت قد يقول الراجي اذا قوي
رجاؤه سأفعل كذا وسيكون كذا مع تجويزه الخيبة فان قلت كيف جاء بسين التسويف قلت
عدة لاهله انه ياتيهم به وان ابطأ او كانت المسافة بعيدة ٭ فان قلت فلم جاء باو دون الواو قلت
بنى الرجاء على انه ان لم يظفر بحاجتيه جميعا لم يعدم واحدة منهما اما هداية الطريق واما اقتباس النار
ثقة بعادة الله انه لا يكاد يجمع بين حرمانين على عبده وما ادراه حين قال ذلك انه ظافر على النار
بحاجتيه الكليتين جميعا وهما العزان عز الدنيا وعز الاخرة فلما جاءها نودي أن بورك من في النار ومن
حولها وسبحان الله رب العالمين ٭ ان هي المفسرة لان النداء فيه معنى القول والمعنى قيل له بورك
فان قلت هل يجوز ان تكون المخففة من الثقيلة وتقديره نودي بانه بورك والضمير ضمير الشان
قلت لا لانه لا بد من قد فان قلت فعلى اضمارها قلت لا يصح لانها علامة لا تحذف ومعنى
بورك من في النار ومن حولها بورك من في مكان النار ومن حول مكانها ومكانها البقعة التي حصلت
فيها وهي البقعة المباركة المذكورة في قوله تعالى نودي من شاطئ الوادي الايمن في البقعة المباركة
وتدل عليه قراءة ابي رضي الله عنه تباركت الارض ومن حولها ٭ وعنه بوركت النار والذي بوركت
له البقعة وبورك من فيها وحواليها حدوث امر ديني فيها وهو تكليم الله موسى واستنباؤه له واظهار
المعجزات عليه ورب خير يتجدد في بعض البقاع فينشر الله بركة ذلك الخير في اقاصيها ويبث آثار يمنه
في اباعدها فكيف بمثل ذلك الامر العظيم الذي جرى في تلك البقعة ٭ وقيل المراد بالمبارك فيهم
موسى عليه السلام والملائكة الحاضرون والظاهر انه عام في كل من كان في تلك الارض وفي ذلك
الوادي وحواليهما من ارض الشام ولقد جعل الله ارض الشام بالبركات موسومة في قوله تعالى ونجيناه
ولوطا الى الارض التي باركنا فيها للعالمين وحقت ان تكون كذلك فهي مبعث الانبياء صلوات الله
عليهم ومهبط الوحي وكفاتهم احياء وامواتا فان قلت فما معنى ابتداء خطاب الله موسى بذلك عند
مجيئه قلت هي بشارة له بانه قد قضي امر عظيم تنتشر منه في ارض الشام كلها البركة ٭ وسبحان
الله رب العالمين تعجيب لموسى من ذلك وايذان بان ذلك الامر مريده ومكونه رب العالمين تنبيها
على ان الكائن من جلائل الامور وعظائم الشؤون يا موسى إنه أنا الله العزيز الحكيم وألق عصاك

الهاء في انه يجوز ان يكون ضمير الشان والشان انا الله مبتدأ وخبر والعزيز الحكيم صفتان للخبر ٭ وان يكون راجعا الى
ما دل عليه ما قبله يعني ان مكلمك انا والله بيان لانا والعزيز الحكيم صفتان للمبين وهذا تمهيد لما اراد
ان يظهره على يده من المعجزة يريد انا القوي القادر على ما يبعد من الاوهام كقلب العصا حية الفاعل كل
ما افعله بحكمة وتدبير فان قلت علام عطف قوله والق عصاك قلت على بورك لان المعنى
نودي ان بورك من في النار وان الق عصاك كلاهما تفسير لنودي ٭ والمعنى قيل له بورك من في النار وقيل
له الق عصاك والدليل على ذلك قوله تعالى وان الق عصاك بعد قوله ان يا موسى اني انا الله على تكرير
حرف التفسير كما تقول كتبت اليك ان حج وان اعتمر وان شئت ان حج واعتمر فلما رآها تهتز كأنها جان ولى
مدبرا ولم يعقب يا موسى لا تخف إني لا يخاف لدي المرسلون ٭ إلا من ظلم ثم بدل حسنا بعد
سوء فإني غفور رحيم ٭ قرأ الحسن رحمة الله عليه جأن على لغة من جد في الهرب من التقاء الساكنين فقال
شأبة ودأبة ومنها قراءة عمرو بن عبيد ولا الضألين ٭ لم يعقب لم يرجع يقال عقب المقاتل اذا كر بعد
الفرار قال ٭ فما عقبوا اذ قيل هل من معقب ٭ ولا نزلوا يوم الكريهة منزلا ٭ وانما رعب لظنه
ان ذلك لامر اريد به ويدل عليه اني لا يخاف لدي المرسلون ٭ والا بمعنى لكن لانه لما اطلق نفي الخوف عن
الرسل كان ذلك مظنة لطرو الشبهة فاستدرك ذلك والمعنى ولكن من ظلم منهم اي فرطت منه صغيرة مما
يجوز على الانبياء كالذي فرط من آدم ويونس وداود وسليمان واخوة يوسف عليهم السلام ومن موسى بوكزه
القبطي ويوشك ان يقصد بهذا التعريض بما وجد من موسى وهو من التعريضات التي يلطف مأخذها
وسماه ظلما كما قال موسى رب اني ظلمت نفسي فاغفر لي والحسن والسوء حسن التوبة وقبح الذنب ٭ وقرئ
الا من ظلم بحرف التنبيه ٭ وعن ابي عمرو في رواية عصمة حسنا وأدخل يدك في جيبك تخرج بيضاء من
غير سوء في تسع آيات إلى فرعون وقومه إنهم كانوا قوما فاسقين ٭ في تسع آيات كلام مستأنف وحرف
الجر فيه يتعلق بمحذوف والمعنى اذهب في تسع آيات ونحوه ٭ ٭ ٭ ٭
٭ فقلت الى الطعام فقال منهم ٭ فريق نحسد الانس الطعاما ٭ ويجوز ان يكون المعنى والق
عصاك وادخل يدك في تسع آيات اي في جملة تسع آيات وعدادهن ٭ ولقائل ان يقول كانت الآيات
احدى عشرة ثنتان منها اليد والعصا ٭ والتسع الفلق ٭ والطوفان ٭ والجراد ٭ والقمل ٭ والضفادع والدم
والطمسة والجدب في بواديهم ٭ والنقصان في مزارعهم فلما جاءتهم آياتنا مبصرة قالوا هذا سحر
مبين ٭ المبصرة الظاهرة البينة جعل الابصار لها وهو في الحقيقة لمتأمليها لانهم لابسوها وكانوا
بسبب منها بنظرهم وتفكرهم فيها ٭ ويجوز ان يراد حقيقة الابصار كل ناظر فيها من كافة اولي العقل ٭ وان
يراد ابصار فرعون وملائه لقوله تعالى واستيقنتها انفسهم ٭ او جعلت كأنها تبصر فتهدي لان العمي
لا تقدر على الاهتداء فضلا ان تهدي غيرها ٭ ومنه قولهم كلمة عيناء وكلمة عوراء لان الكلمة الحسنة ترشد
والسيئة تغوي ونحوه قوله تعالى لقد علمت ما انزل هؤلاء الا رب السموات والارض بصائر فوصفها
بالبصارة كما وصفها بالابصار ٭ وقرأ علي بن الحسين وقتادة مبصرة وهي نحو مجبنة ومبخلة ومجفرة اي
مكانا يكثر فيها التبصر وجحدوا بها واستيقنتها أنفسهم ظلما وعلوا فانظر كيف كان عاقبة
المفسدين ٭ الواو في واستيقنتها واو الحال وقد بعدها مضمرة ٭ والعلو الكبر والترفع عن الايمان
بما جاء به موسى عليه السلام كقوله تعالى فاستكبروا وكانوا قوما عالين ٭ فقالوا انؤمن لبشرين مثلنا
وقومهما لنا عابدون وقرئ عليا وعليا بالضم والكسر كما قرئ عتيا وعتيا وفائدة ذكر الانفس انهم جحدوا

بألسنتهم واستيقنوها في قلوبهم وضمائرهم والاستيقان أبلغ من الإيقان وقد قوبل بين المبصرة والمبين
وأي ظلم أفحش من ظلم من اعتقد واستيقن أنها آيات بينة واضحة جاءت من عند الله ثم كابر بتسميتها سحرا
بينا مكشوفا لا شبهة فيه **ولقد آتينا داود وسليمان علما وقالا الحمد لله الذي فضلنا على كثير
من عباده المؤمنين** علما طائفة من العلم أو علما سنيا غزيرا **فإن قلت** أليس هذا موضع الفاء
دون الواو كقولك أعطيته فشكر ومنعته فصبر **قلت** بلى ولكن عطفه بالواو إشعار بأن ما قالاه
بعض ما أحدث فيهما إيتاء العلم وشيء من مواجبه فأضمر ذلك ثم عطف عليه التحميدة كأنه قال ولقد
آتيناهما علما فعملا به وعلماه وعرفا حق النعمة فيه والفضيلة وقالا الحمد لله الذي فضلنا والكثير
المفضل عليه من لم يؤت علما أو من لم يؤت مثل علمهما وفيه أنهما فضلا على كثير وفضل عليهما كثير وفي
الآية دليل على شرف العلم وإنافة محله وتقدم حملته وأهله وأن نعمة العلم من أجل النعم وأجزل القسم
وأن من أوتيه فقد أوتي فضلا على كثير من عباد الله كما قال الله تعالى والذين أوتوا العلم درجات وما سماهم
رسول الله عليه السلام ورثة الأنبياء إلا لمداناتهم لهم في الشرف والمنزلة لأنهم القوام بما بعثوا
من أجله وفيها أنه يلزمهم لهذه النعمة الفاضلة لوازم منها أن يحمدوا الله على ما أوتوه من فضلهم
على غيرهم وفيها التذكير بالتواضع وأن يعتقد العالم أنه إن فضل على كثير فقد فضل عليه مثلهم
وما أحسن قول عمر رضي الله عنه كل الناس أفقه من عمر **وورث سليمان داود وقال يا أيها الناس
علمنا منطق الطير وأوتينا من كل شيء إن هذا لهو الفضل المبين وحشر لسليمان جنوده
من الجن والإنس والطير فهم يوزعون** ورث منه النبوة والملك دون سائر بنيه وكانوا تسعة
عشر وكان داود عليه السلام أكثر تعبدا وسليمان أقضى وأشكر لنعمة الله وقال يا أيها الناس تشهيرا
لنعمة الله وتنويها بها واعترافا بمكانها ودعاء للناس إلى التصديق بذكر المعجزة التي هي علم منطق الطير
وغير ذلك مما أوتيه من عظائم الأمور والمنطق كل ما يصوت به من المفرد والمؤلف المفيد وغير المفيد
وقد ترجم يعقوب كتابه بإصلاح المنطق وما أصلح فيه إلا مفردات الكلم وقالت العرب نطقت الحمامة
وكل صنف من الطير يتفاهم أصواته والذي علمه سليمان من منطق الطير هو ما يفهم بعضه من بعض من
معانيه وأغراضه ويحكى أنه مر على بلبل في شجرة يحرك رأسه ويميل ذنبه فقال لأصحابه أتدرون ما يقول
قالوا الله ونبيه أعلم قال يقول أكلت نصف تمرة فعلى الدنيا العفاء وصاحت فاختة فأخبر أنها تقول
ليت ذا الخلق لم يخلقوا وصاح طاوس فقال يقول كما تدين تدان وصاح هدهد فقال يقول
استغفروا الله يا مذنبون وصاح طيطوى فقال يقول كل حي ميت وكل جديد بال وصاح
خطاف فقال يقول قدموا خيرا تجدوه وصاحت رخمة فقال تقول سبحان ربي الأعلى ملء سمائه
وأرضه وصاح قمري فأخبر أنه يقول سبحان ربي الأعلى وقال الحدأ يقول كل شيء هالك إلا الله والقطاة
تقول من سكت سلم والببغاء تقول ويل لمن الدنيا همه والديك يقول اذكروا الله يا غافلون
والنسر يقول يا ابن آدم عش ما شئت آخرك الموت والعقاب يقول في البعد من الناس أنس والضفدع
يقول سبحان ربي القدوس وأراد بقوله من كل شيء كثرة ما أوتي كما تقول فلان يقصده كل أحد ويعلم
كل شيء تريد كثرة قصاده ورجوعه إلى غزارة في العلم واستكثار منه ومثله قوله تعالى وأوتيت من كل
شيء إن هذا لهو الفضل المبين قول وارد على سبيل الشكر والمحمدة كما قال رسول الله صلى الله عليه وسلم
أنا سيد ولد آدم ولا فخر أي أقول هذا القول شكرا ولا أقوله فخرا **فإن قلت** كيف قال علمنا وأوتينا

وهو

وهو من كلام المتكبرين **قلت** فيه وجهان أحدهما أن يريد نفسه وأباه والثاني أن هذه النون يقال
لها نون الواحد المطاع وكان ملكا مطاعا فكلم أهل طاعته على صفته وحاله التي كان عليها وليس التكبر من
لوازم ذلك وقد يتعلق بتجمل الملك وتفخيمه وإظهار آيته وسياسته مصالح فيعود تكلف ذلك واجبا
وقد كان رسول الله عليه السلام يفعل نحوا من ذلك إذا وفد عليه وفد أو احتاج أن يرجح في عين عدو ألا ترى
كيف أمر العباس رضي الله عنه بأن يحبس أبا سفيان حتى تمر عليه الكتائب **روي** أن معسكره كان
مائة فرسخ في مائة خمسة وعشرون للجن وخمسة وعشرون للإنس وخمسة وعشرون للطير وخمسة
وعشرون للوحش وكان له ألف بيت من قوارير على الخشب فيها ثلاثمائة منكوحة وسبعمائة سرية
وقد نسجت له الجن بساطا من ذهب وإبريسم فرسخا في فرسخ وكان يوضع منبره في وسطه وهو من ذهب
فيقعد عليه وحوله ستمائة ألف كرسي من ذهب وفضة فيقعد الأنبياء على كراسي الذهب والعلماء على
كراسي الفضة وحولهم الناس وحول الناس الجن والشياطين وتظله الطير بأجنحتها حتى لا تقع عليه
الشمس وترفع ريح الصبا البساط فتسير به مسيرة شهر ويروى أنه كان يأمر العاصف تحمله ويأمر الرخاء
تسيره فأوحى الله إليه وهو يسير بين السماء والأرض إني قد زدت في ملكك لا يتكلم أحد بشيء إلا ألقته الريح
في سمعك فيحكى أنه مر بحراث فقال لقد أوتي آل داود ملكا عظيما فألقته الريح في أذنه فنزل ومشى إلى الحراث
وقال إنما مشيت إليك لئلا تتمنى ما لا تقدر عليه ثم قال لتسبيحة واحدة يقبلها الله تعالى خير مما أوتي
آل داود يوزعون يحبس أولهم على آخرهم أي يوقف سلاف العسكر حتى تلحقهم التوالي فيكونوا مجتمعين
لا يتخلف منهم أحد وذلك للكثرة العظيمة **حتى إذا أتوا على واد النمل قالت نملة يا أيها النمل
ادخلوا مساكنكم لا يحطمنكم سليمان وجنوده وهم لا يشعرون** قيل هو واد بالشام
كثير النمل **فإن قلت** لم عدي أتوا بعلى يتوجه على معنيين أحدهما أن إتيانهم كان من فوق
فأتى بحرف الاستعلاء كما قال أبو الطيب ولشد ما قربت عليك الأنجم لما كان قربا من فوق والثاني أن
يراد قطع الوادي وبلوغ آخره من قولهم أتى على الشيء إذا أنفده وبلغ آخره كأنهم أرادوا أن ينزلوا عند
منقطع الوادي لأنهم ما دامت الريح تحملهم في الهواء لا يخاف حطمهم **وقرئ** نملة يا أيها النمل بضم الميم
وبضم النون والميم وكان الأصل النمل بوزن الرجل والنمل الذي عليه الاستعمال تخفيف عنه كقولهم
السبع في السبع قيل كانت تمشي وهي عرجاء تتكاوس فنادت يا أيها النمل الآية فسمع سليمان كلامها من ثلاثة
أميال وقيل كان اسمها طاخية وعن قتادة أنه دخل الكوفة فالتفت عليه الناس فقال سلوني عما
شئتم وكان أبو حنيفة رحمة الله عليه حاضرا وهو غلام حدث فقال سلوه عن نملة سليمان أكانت ذكرا
أم أنثى فسألوه فأفحم فقال أبو حنيفة رحمة الله عليه كانت أنثى فقيل له من أين عرفت فقال من كتاب
الله وهو قوله تعالى قالت نملة ولو كانت ذكرا لقال قال نملة وذلك أن النملة مثل الحمامة والشاة
في وقوعها على الذكر والأنثى فيميز بينهما بعلامة نحو قولهم حمامة ذكر وحمامة أنثى وهو وهي **وقرئ**
مسكنكم ولا يحطمنكم بتخفيف النون وقرئ لا يحطمنكم بفتح الحاء وكسرها وأصله يحتطمنكم ولما
جعلها قائلة والنمل مقولا لهم كما يكون في أولي العقل أجرى خطابهم مجرى خطابهم **فإن قلت**
لا يحطمنكم ما هو **قلت** يحتمل أن يكون جوابا للأمر وأن يكون نهيا بدلا من الأمر والذي جوز أن يكون
بدلا منه أنه في معنى لا تكونوا حيث أنتم فيحطمكم على طريقة لا أرينك ههنا أراد لا يحطمنكم جنود
سليمان فجاء بما هو أبلغ ونحوه عجبت من نفسي ومن إشفاقها **فتبسم ضاحكا من قولها وقال رب**

أوزعني أن أشكر نعمتك التي أنعمت علي وعلى والدي وأن أعمل صالحا ترضاه وأدخلني برحمتك في عبادك
الصالحين ومعنى تبسم ضاحكا تبسم شارعا في الضحك وآخذا فيه يعني أنه قد تجاوز التبسم إلى الضحك وكذلك ضحك
الأنبياء وأما ما روي أن رسول الله صلى الله عليه وسلم ضحك حتى بدت نواجذه فالغرض المبالغة في وصف
ما وجد منه من الضحك النبوي وإلا فبدو النواجذ على الحقيقة إنما يكون عند الاستغراب وقرأ ابن السميفع
ضحكا فإن قلت ما أضحكه من قولها قلت شيئان إعجابه بما دل من قولها على ظهور رحمته ورحمة
جنوده وشفقتهم وعلى شهرة حاله وحالهم في باب التقوى وذلك قولها وهم لا يشعرون يعني أنهم لو شعروا
لم يفعلوا وسروره بما آتاه الله مما لم يؤت أحدا من إدراكه بسمعه ما همس به بعض الحكل الذي هو مثل
في الصغر والقلة ومن إحاطته بمعناه ولذلك اشتمل دعاؤه على استيزاع الله شكر ما أنعم به عليه من
ذلك وعلى استيفاقه لزيادة العمل الصالح والتقوى وحقيقة أوزعني اجعلني أزع شكر نعمتك عندي وأكفه
وأرتبطه لا ينفلت عني حتى لا أنفك شاكرا لك وإنما أدرج ذكر والديه لأن النعمة على الولد نعمة على الوالدين
خصوصا النعمة الراجعة إلى الدين فإنه إذا كان تقيا نفعهما بدعائه وشفاعته وبدعاء المؤمنين لهما كلما
دعوا له وقالوا رضي الله عنك وعن والديك وروي أن النملة أحست بصوت الجنود ولا تعلم أنهم
في الهواء فأمر سليمان عليه السلام الريح فوقفت لئلا يذعرن حتى دخلن مساكنهن ثم دعا بالدعوة ومعنى
وأدخلني برحمتك في عبادك الصالحين واجعلني من أهل الجنة وتفقد الطير فقال ما لي لا أرى الهدهد
أم كان من الغائبين لأعذبنه عذابا شديدا أو لأذبحنه أو ليأتيني بسلطان مبين أم هي المنقطعة
نظر إلى مكان الهدهد فلم يبصره فقال ما لي لا أراه على معنى أنه لا يراه وهو حاضر لساتر ستره أو غير ذلك
ثم لاح له أنه غائب فأضرب عن ذلك وأخذ يقول أهو غائب كأنه يسأل عن صحة ما لاح له ونحوه قولهم
إنها لإبل أم شاء وذكر من قصة الهدهد أن سليمان عليه السلام حين تم له بناء بيت المقدس تجهز للحج بحشره
فوافى الحرم وأقام به ما شاء وكان يقرب كل يوم طول مقامه خمسة آلاف ناقة وخمسة آلاف بقرة وعشرين
ألف شاة ثم عزم على السير إلى اليمن فخرج من مكة صباحا يؤم سهيلا فوافى صنعاء وقت الزوال وذلك مسيرة
شهر فرأى أرضا حسناء أعجبته خضرتها فنزل ليتغدى ويصلي فلم يجدوا الماء وكان الهدهد قناقنه وكان
يرى الماء من تحت الأرض كما يرى الماء في الزجاجة فيجيء الشياطين فيسلخونها كما يسلخ الإهاب ويستخرجون
الماء فتفقده لذلك وحين نزل سليمان عليه السلام حلق الهدهد فرأى هدهدا واقعا فانحط إليه
فوصف له ملك سليمان وما سخر له من كل شيء وذكر لصاحبه ملك بلقيس وأن تحت يدها اثني عشر ألف
قائد تحت يد كل قائد مائة ألف وذهب معه لينظر فما رجع إلا بعد العصر وذكر أنه وقعت نفحة من الشمس
على رأس سليمان فنظر فإذا موضع الهدهد خال فدعا عريف الطير وهو النسر فسأله عنه فلم يجد عنده
علمه ثم قال لسيد الطير وهو العقاب علي به فارتفعت فنظرت فإذا هو مقبل فقصدته فناشدها الله
فقال بحق الذي قواك وأقدرك علي إلا رحمتني فتركته وقالت ثكلتك أمك إن نبي الله حلف ليعذبنك
قال وما استثنى قالت بلى أو ليأتيني بعذر مبين فلما قرب من سليمان عليه السلام أرخى ذنبه وجناحه
يجرها على الأرض تواضعا له فلما دنا منه أخذ برأسه فمده إليه فقال يا نبي الله اذكر وقوفك بين يدي الله
فارتعد سليمان عليه السلام وعفا عنه ثم سأله تعذيبه أن يؤدب بما يحتمله حاله ليعتبر به أبناء جنسه وقيل
كان عذاب سليمان للطير أن ينتف ريشه ويشمسه وقيل أن يطلى بالقطران ويشمس وقيل أن يلقى للنمل
تأكله وقيل إيداعه القفص وقيل التفريق بينه وبين إلفه وقيل لألزمنه صحبة الأضداد وعن بعضهم

امنق

أضيق السجون معاشرة الأضداد وقيل لألزمنه خدمة أقرانه فإن قلت من أين حل له تعذيب الهدهد
قلت يجوز أن يبيح الله له ذلك لما رأى فيه من المصلحة والمنفعة كما أباح ذبح البهائم والطيور للأكل
وغيره من المنافع وإذا سخر له الطير ولم يتم التسخير إلا بالتأديب والسياسة جاز أن يباح له ما يستصلح
به وقرئ ليأتينني وليأتين والسلطان الحجة والعذر فإن قلت قد حلف على أحد ثلاثة أشياء
فحلفه على فعليه لا مقال فيه ولكن كيف صح حلفه على فعل الهدهد ومن أين درى أنه يأتي بسلطان حتى
يقول والله ليأتيني بسلطان قلت لما نظم الثلاثة بأو في الحكم الذي هو الحلف آل كلامه إلى قولك
ليكونن أحد الأمور يعني إن كان الإتيان بالسلطان لم يكن تعذيب ولا ذبح وإن لم يكن كان أحدهما
وليس في هذا ادعاء دراية على أنه يجوز أن يتعقب حلفه بالفعلين وحي من الله بأنه سيأتيه بسلطان
مبين فثلث بقوله أو ليأتيني بسلطان مبين عن دراية وإيقان فمكث غير بعيد فقال أحطت بما لم
تحط به وجئتك من سبإ بنبإ يقين فمكث قرئ بفتح الكاف وضمها غير بعيد غير زمان بعيد كقوله
عن قريب ووصف مكثه بقصر المدة للدلالة على إسراعه خوفا من سليمان عليه السلام وليعلم
كيف كان الطير مسخرا له ولبيان ما أعطي من المعجزة الدالة على نبوته وعلى قدرة الله عز وجل أحطت
بإدغام الطاء في التاء بإطباق وبغير إطباق ألهم الله الهدهد فكافح سليمان بهذا الكلام على ما أوتي من
فضل النبوة والحكمة والعلوم الجمة والإحاطة بالمعلومات الكثيرة ابتلاء له في علمه وتنبيها على أن في
أدنى خلقه وأضعفه من أحاط علما بما لم يحط به لتتحاقر إليه نفسه ويتصاغر إليه علمه ويكون لطفا له في ترك
الإعجاب الذي هو فتنة العلماء وأعظم بها فتنة والإحاطة بالشيء علما أن يعلم من جميع جهاته لا يخفى
منه معلوم قالوا وفيه دليل على بطلان قول الرافضة إن الإمام لا يخفى عليه شيء ولا يكون في زمانه أعلم
منه وسبإ قرئ بالصرف ومنعه وقد روي بسكون الباء وعن ابن كثير في رواية سبا بالألف كقولهم
ذهبوا أيدي سبا وهو سبأ بن يشجب بن يعرب بن قحطان فمن جعله اسما للقبيلة لم يصرف ومن جعله
اسما للحي أو الأب الأكبر صرف قال من سبأ الحاضرين مأرب إذ يبنون من دون سيله العرما
وقال الواردون وتيم في ذرى سبإ قد عض أعناقهم جلد الجواميس ثم سميت مدينة مأرب بسبإ
وبينها وبين صنعاء مسيرة ثلاث كما سميت معافر بمعافر بن أد ويحتمل أن يراد المدينة والقوم والنبأ
الخبر الذي له شأن وقوله تعالى من سبإ بنبإ من جنس الكلام الذي سماه المحدثون البديع وهو من محاسن
الكلام التي تتعلق باللفظ بشرط أن يجيء مطبوعا أو يصنعه عالم بجوهر الكلام يحفظ معه صحة المعنى
وسداده ولقد جاء ههنا زائدا على الصحة فحسن وبدع لفظا ومعنى ألا ترى أنه لو وضع مكان بنبإ بخبر
لكان المعنى صحيحا وهو كما جاء أصح لما في النبإ من الزيادة التي يطابقها وصف الحال إني وجدت امرأة
تملكهم وأوتيت من كل شيء ولها عرش عظيم وجدتها وقومها يسجدون للشمس من دون الله
وزين لهم الشيطان أعمالهم فصدهم عن السبيل فهم لا يهتدون ألا يسجدوا لله الذي يخرج
الخبء في السموات والأرض ويعلم ما تخفون وما تعلنون الله لا إله إلا هو رب العرش
العظيم المرأة بلقيس بنت شراحيل وكان أبوها ملك أرض اليمن كلها وقد ولده أربعون ملكا ولم يكن
له ولد غيرها فغلبت على الملك وكانت هي وقومها مجوسا يعبدون الشمس والضمير في تملكهم راجع إلى
سبإ فإن أريد به القوم فلا إشكال وإن أريدت المدينة فمعناه تملك أهلها وقيل في وصف عرشها
كان ثمانين ذراعا في ثمانين سمكه ثمانين وقيل ثلاثين مكان ثمانين وكان من ذهب وفضة مكللا

اخذهم

بانواع الجواهر وكانت قوائمه من ياقوت احمر واخضر ودر وزمرد وعليه سبعة ابيات على كل بيت باب
مغلق **فان قلت** كيف استعظم عرشها مع ما كان يرى من ملك سليمان **قلت** يجوز ان يستصغر
حالها الى حال سليمان فاستعظم لها ذلك العرش ويجوز ان لا يكون لسليمن عليه السلام مثله
وان عظمت مملكته في كل شيء كما يكون لبعض امراء الاطراف شيء لا يكون مثله للملك الذي يملك عليهم
امورهم ويستخدمهم ومن نوكى القصاص من يقف على قوله ولها عرش ثم يبتدئ عظيم وجدتها يريد
امر عظيم ان وجدتها وقومها يسجدون للشمس فرّ من استعظام الهدهد عرشها فوقع في عظيمة
وهي مسخ كتاب الله فان قلت كيف قال واوتيت من كل شيء مع قول سليمان واوتينا من كل شيء كانه سوى
بينهما قلت بينهما فرق بين لان سليمان عطف قوله على ما هو معجزة من الله وهو تعليم منطق الطير فرجع
اولا الى ما اوتي من النبوة والحكمة واسباب الدين ثم الى الملك واسباب الدنيا وعطفه الهدهد
على الملك فلم يرد الا ما اوتيت من اسباب الدنيا اللائقة بحالها فبين الكلامين بون بعيد **فان
قلت** كيف خفي على سليمان مكانها وكانت المسافة بين محطه وبين بلدها قريبة وهي مسيرة
ثلث بين صنعاء ومأرب **قلت** لعل الله عز وجل اخفى عنه ذلك لمصلحة راها كما اخفى مكان يوسف
على يعقوب عليهما السلام فان قلت من اين للهدهد التهدي الى معرفة الله عز وجل ووجوب السجود
له وانكار سجودهم للشمس واضافته الى الشيطان وتزيينه قلت لا يبعد ان يلهمه الله تعالى
ذلك كما الهمه وغيره من الطيور وسائر الحيوان المعارف اللطيفة التي لا يكاد العقلاء الرجاح
العقول يهتدون اليها ومن اراد استقراء ذلك فعليه بكتاب الحيوان خصوصا في زمن نبي سخرت له
الطيور وعلم منطقها وجعل ذلك معجزة له من قرا بالتشديد اراد فصدهم عن السبيل لئلا يسجدوا
فحذف الجار مع ان ويجوز ان تكون لا مزيدة ويكون المعنى فهم لا يهتدون الى ان يسجدوا ومن
قرا بالتخفيف فهو الا يا اسجدوا الا للتنبيه ويا حرف النداء ومناداه محذوف كما حذفه من قال
الا يا اسلمي يا دارمي على البلى وفي حرف عبد الله وهي قراءة الاعمش هلا وهلا بقلب الهمزتين هاء وعن
عبد الله هلا تسجدون بمعنى الا تسجدون على الخطاب وفي قراءة ابي رضي الله عنه الا تسجدون
لله الذي يخرج الخبء من السماء والارض ويعلم سركم وما تعلنون وسمي المخبوء بالمصدر وهو النبات
والمطر وغيرهما مما خبأه الله عز وجل من غيوبه **وقرئ** الخب على تخفيف الهمزة بالحذف والخبا
على تخفيفها بالقلب وهي قراءة ابن مسعود ومالك بن دينار ووجهها ان تخرج على لغة من يقول في الوقف
هذا الخبو ورايت الخبا ومررت بالخبي ثم اجرى الوصل مجرى الوقف على لغة من يقول الكماة والحماة لانها
ضعيفة مستنكر ذلك وقرئ يخفون ويعلنون بالتاء والياء وقيل من احطت الى العظيم هو كلام الهدهد
وقيل كلام رب العزة وفي اخراج الخبء امارة على انه من كلام الهدهد لهندسته ومعرفته الماء
تحت الارض وذلك بالهام من يخرج الخبء في السموات والارض جلت قدرته ولطف علمه ولا يكاد يخفى
على ذي الفراسة النظار بنور الله مخايل كل مختص بصناعة او فن من العلم في روائه ومنطقه وشمائله
ولهذا ورد ما عمل عبد عملا الا القى الله عليه رداء عمله **فان قلت** اسجدة التلاوة واجبة
في القراءتين جميعا ام في احديهما **قلت** هي واجبة فيهما جميعا لان مواضع السجدة اما امر بها او
مدح لمن اتى بها او ذم لمن تركها واحدى القراءتين امر بالسجود والاخرى ذم للتارك وقد اتفق ابو
حنيفة والشافعي رحمة الله عليهما على ان سجدات القرآن اربع عشرة وانما اختلفا في سجدة ص فهي عند

لها

ابي

ابي حنيفة رحمة الله عليه سجدة تلاوة وعند الشافعي رضي الله عنه سجدة شكر وفي سجدتي سورة الحج
وما ذكره الزجاج من وجوب السجدة مع التخفيف دون التشديد فغير مرجوع اليه **فان قلت** هل
يفرق الواقف بين القراءتين **قلت** نعم اذا خففه وقف على فهم لا يهتدون ثم ابتدا الا يا اسجدوا وان
شاء وقف على الا يا ثم ابتدا اسجدوا واذا شدد لم يقف الا على العرش العظيم فان قلت كيف سوى الهدهد
بين عرش بلقيس وعرش الله في الوصف بالعظيم قلت بين الوصفين بون عظيم لان وصف عرشها بالعظم
تعظيم له بالاضافة الى عروش ابناء جنسها من الملوك ووصف عرش الله بالعظم تعظيم له بالنسبة الى
سائر ما خلق من السموات والارض **وقرئ** العظيم بالرفع قال سننظر اصدقت ام كنت من الكاذبين
سننظر من النظر الذي هو التامل والتصفح واراد اصدقت ام كذبت الا ان كنت من الكاذبين ابلغ لانه
اذا كان معروفا بالانخراط في سلك الكاذبين كان كاذبا لا محالة واذا كان كاذبا اتهم بالكذب فيما اخبر به فلم
يوثق به اذهب بكتابي هذا فالقه اليهم ثم تول عنهم فانظر ماذا يرجعون تول عنهم تنح عنهم الى
مكان قريب تتوارى فيه ليكون ما يقولونه بمسمع منك ويرجعون من قوله عز وعلا يرجع بعضهم الى بعض
القول فيقال دخل عليها من كوة فالقى الكتاب وتوارى في الكوة **فان قلت** لم قال فالقه اليهم على لفظ
الجمع **قلت** لانه قال وجدتها وقومها يسجدون للشمس فقال فالقه الى الذين هذا دينهم اهتماما منه بامر
الدين واشتغالا به عن غيره وبنى الخطاب في الكتاب على لفظ الجمع لذلك قالت يا ايها الملأ اني القي الي
كتاب كريم انه من سليمان وانه بسم الله الرحمن الرحيم الا تعلوا علي واتوني مسلمين كريم حسن
مضمونه وما فيه او وصفته بالكرم لانه من عند ملك كريم او مختوم قال صلى الله عليه وسلم كرم
الكتاب ختمه وكان عليه السلام يكتب الى العجم فقيل له انهم لا يقبلون الا كتابا عليه خاتم فاصطنع خاتما
وعن ابن المقفع من كتب الى اخيه كتابا ولم يختمه فقد استخف به وقيل مصدر ببسم الله الرحمن الرحيم هو
استيناف وتبيين لما القي اليها كانها لما قالت اني القي الي كتاب كريم قيل لها ممن هو وما هو فقالت انه من
سليمان وانه كيت وكيت وقرا عبد الله وانه من سليمان وانه عطفا على اني وقرئ انه من سليمان وانه بالفتح على انه
بدل من كتاب كانه قيل القي الي انه من سليمان ويجوز ان يريد لانه من سليمان ولانه كانها عللت كرمه بكونه
من سليمان وتصديره باسم الله **وقرا** ابي رضي الله عنه ان من سليمان وان بسم الله على ان المفسرة وان
في ان لا تعلوا مفسرة ايضا لا تعلوا لا تتكبروا كما يفعل الملوك وقرا ابن عباس رضي الله عنه بالغين معجمة
من الغلو وهو مجاوزة الحد يروى ان نسخة الكتاب من عبد الله سليمان بن داود الى بلقيس ملكة سبا السلام
على من اتبع الهدى اما بعد فلا تعلوا علي واتوني مسلمين وكانت كتب الانبياء صلوات الله عليهم جملا لا يطيلون
ولا يكثرون وطبع الكتاب بالمسك وختمه بخاتمه فوجدها الهدهد راقدة في قصرها بمارب وكانت
اذا رقدت غلقت الابواب ووضعت المفاتيح تحت راسها فدخل من كوة وطرح الكتاب على نحرها وهي
مستلقية وقيل نقرها فانتبهت فزعة وقيل اتاها والقادة والجنود حواليها فرفرف ساعة والناس
ينظرون حتى رفعت راسها فالقى الكتاب في حجرها وكانت قارئة كاتبة عربية من نسل تبع بن شراحيل
الحميري فلما رات الخاتم ارتعدت وخضعت وقالت لقومها ما قالت مسلمين منقادين او مؤمنين قالت
يا ايها الملأ افتوني في امري ما كنت قاطعة امرا حتى تشهدون الفتوى الجواب في الحادثة اشتقت
على طريق الاستعارة من الفتاء في السن والمراد بالفتوى هنا الاشارة عليها بما عندهم فيما حدث لها من
الراي والتدبير وقصدت بالانقطاع اليهم والرجوع الى استشارتهم واستطلاع آرائهم استعطافهم

وتطييب نفوسهم ليمالئوها ويقوموا معها • قاطعة امرا فاصلة • وفي قراءة ابن مسعود رضي الله عنه قاضية
اي لا ابت امرا الا بمحضركم وكان اهل مشورتها ثلثمائة وثلاثة عشر رجلا كل واحد على عشرة الاف
قالوا نحن اولوا قوة واولوا بأس شديد والامر اليك فانظري ماذا تأمرين • اراد بالقوة قوة
الاجساد وقوة الالات والعدد وبالبأس النجدة والبلاء في الحرب • والامر اليك اي هو موكول
اليك ونحن مطيعون لك فمرينا بامرك نطعك ولا نخالفك كأنهم اشاروا عليها بالقتال او ارادوا
نحن من ابناء الحرب لا من ابناء الرأي والمشورة وانت ذات الرأي والتدبير فانظري ماذا ترين نتبع رأيك
قالت ان الملوك اذا دخلوا قرية افسدوها وجعلوا اعزة اهلها اذلة وكذلك يفعلون • لما
احست منهم الميل الى المحاربة رأت من الرأي الميل الى الصلح والابتداء بما هو احسن ورتبت الجواب وزيفت
اولا ما ذكروه واريتهم الخطأ فيه بان الملوك اذا دخلوا قرية عنوة وقهرا افسدوها اي خربوها
ومن ثم قالوا للفساد الخربة واذلوا اعزتها واهانوا اشرافها وقتلوا واسروا فذكرت لهم عاقبة
الحرب وسوء مغبتها ثم قالت وكذلك يفعلون ارادت وهذه عادتهم المستمرة الثابتة التي لا تتغير
لانها كانت في بيت الملك القديم فسمعت نحو ذلك ورأت ثم ذكرت بعد ذلك حديث الهدية وما
رأت من الرأي السديد • وقيل هو تصديق من الله لقولها وقد يتعلق الساعون في الارض بالفساد
بهذه الاية ويجعلونها حجة لانفسهم ومن استباح حراما فقد كفر فاذا احتج له بالقران على وجه
التحريف فقد جمع بين كفرين واني مرسلة اليهم بهدية فناظرة بم يرجع المرسلون مرسلة
اليهم بهدية اي مرسلة رسلا بهدية اصانعه بها عن ملكي • فناظرة ما يكون منه حتى اعمل على
حسب ذلك • فروي انها بعثت خمسمائة غلام عليهم ثياب الجواري وحليهن الاساور والاطواق
والقرطة راكبي خيل مغشاة بالديباج محلاة اللجم والسروج بالذهب المرصع بالجواهر وخمسمائة
جارية على رماك في زي الغلمان والف لبنة من ذهب وفضة وتاجا مكللا بالدر والياقوت المرتفع
والمسك والعنبر وحقا فيه درة عذراء وجزعة معوجة الثقب • وبعثت رجلين من اشراف قومها
المنذر بن عمرو • واخر ذا رأي وعقل • وقالت ان كان نبيا ميز بين الغلمان والجواري وثقب الدرة
ثقبا مستويا وسلك في الخرزة خيطا • ثم قالت للمنذر ان نظر اليك نظر غضبان فهو ملك فلا يهولنك
وان رأيته بشا لطيفا فهو نبي فاقبل الهدهد فاخبر سليمان عليه السلام فامر الجن فضربوا لبن
الذهب والفضة وفرشوه في ميدان بين يديه طوله سبعة فراسخ وجعلوا حول الميدان حائطا
شرفه من الذهب والفضة وامر باحسن الدواب في البر والبحر فربطوها عن يمين الميدان ويساره على
اللبن وامر باولاد الجن وهم خلق كثير فاقيموا عن اليمين واليسار ثم قعد على سريره والكراسي من جانبيه
واصطفت الشياطين صفوفا فراسخ والانس والوحوش والسباع والطيور والهوام كذلك فلما دنا القوم
ونظروا بهتوا ورأوا الدواب تروث على اللبن فتقاصرت اليهم نفوسهم ورموا بما معهم ولما وقفوا
بين يديه نظر اليهم بوجه طلق وقال ما وراءكم وقال اين الحق واخبره جبريل عليه السلام بما فيه
فقال لهم ان فيه كذا وكذا ثم امر الارضة فاخذت شعرة ونفذت فيها فجعل رزقها في الشجرة
واخذت دودة بيضاء الخيط بفيها ونفذت فيها فجعل رزقها في الفواكه ودعا بالماء فكانت
الجارية تأخذ الماء بيدها فتجعله في الاخرى ثم تضرب به وجهها والغلام كما يأخذه يضرب به
وجهه ثم رد الهدية وقال للمنذر ارجع اليهم فقالت هو نبي وما لنا به طاقة فشخصت اليه في

اثني عشر الف قيل تحت كل قيل الوف فلما جاء سليمان قال اتمدونن بمال فما اتاني الله خير مما
اتاكم بل انتم بهديتكم تفرحون • وفي قراءة ابن مسعود رضي الله عنه فلما جاؤا اتمدونني
قرئ بحذف الياء والاكتفاء بالكسرة وبالادغام كقوله تعالى اتحاجوني • وبنون واحدة اتمدوني
الهدية اسم المهدى كما ان العطية اسم المعطى فتضاف الى المهدي والمهدى له تقول هذه هدية
فلان تريد هي التي اهداها او اهديت اليه والمضاف اليه ههنا هو المهدى اليه والمعنى ان ما
عندي خير مما عندكم وذلك ان الله اتاني الدين الذي فيه الحظ الاوفر والغنى الاوسع واتاني من
الدنيا ما لا يستزاد عليه فكيف يرضى مثلي بان يمد بمال ويصانع به بل انتم قوم لا تعلمون الا ظاهرا
من الحيوة الدنيا فلذلك تفرحون بما تزادون ويهدى اليكم لان ذلك مبلغ همتكم وحالي خلاف
حالكم وما ارضى منكم بشيء ولا افرح به الا بالايمان وترك المجوسية فان قلت ما الفرق بين
قولك اتمدونني بمال وانا اغنى منك وبين ان تقوله بالفاء اذا قلته بالواو جعلت مخاطبي
عالما بزيادتي عليه في الغنى واليسار وهو مع ذلك يمدني بالمال واذا قلته بالفاء فقد جعلته ممن
خفيت عليه حالي فانا اخبره الساعة بما لا احتاج معه الى امداده كأني اقول له انكر عليك ما فعلت
فاني غني عنه وعليه ورد قوله فما اتاني الله فان قلت فما وجه الاضراب قلت لما انكر
عليهم الامداد وعلل انكاره اضرب عن ذلك الى بيان السبب الذي حملهم عليه وهو انهم لا يعرفون
سبب رضا ولا فرح الا ان يهدى اليهم حظ من الدنيا التي لا يعلمون غيرها • ويجوز ان تجعل
الهدية مضافة الى المهدي ويكون المعنى بل انتم بهديتكم هذه التي اهديتموها تفرحون فرح افتخار
على الملوك بانكم قدرتم على اهداء مثلها • ويحتمل ان يكون عبارة عن الرد كأنه قال بل انتم من
حقكم ان تأخذوا هديتكم وتفرحوا بها ارجع اليهم فلنأتينهم بجنود لا قبل لهم بها ولنخرجنهم
منها اذلة وهم صاغرون • قال يا ايها الملؤا ايكم يأتيني بعرشها قبل ان يأتوني مسلمين •
ارجع خطاب للرسول • وقيل للهدهد محملا كتابا اخر • لا قبل لا طاقة وحقيقة القبل المقاومة
والمقابلة اي لا يقدرون ان يقابلوهم وقرأ ابن مسعود رضي الله عنه لا قبل لهم بهم • والضمير
في منها لسبأ والذل ان يذهب عنهم ما كانوا فيه من العز والملك • والصغار ان يقعوا في اسر واستعباد
ولا يقتصر بهم على ان يرجعوا سوقة بعد ان كانوا ملوكا • يروى انها امرت عند خروجها الى سليمان
عليه السلام فجعل عرشها في اخر سبعة ابيات بعضها في بعض في اخر قصر من قصور سبعة لها وغلقت
الابواب ووكلت به حرسا يحفظونه ولعله اوحي الى سليمان عليه السلام باستيثاقها من عرشها فاراد
ان يغرب عليها ويريها بذلك بعض ما خصه الله به من اجراء العجائب على يده مع اطلاعها على عظيم
قدرة الله تعالى وعلى ما يشهد لنبوة سليمان عليه السلام ويصدقها • وعن قتادة رحمة الله عليه
اراد ان يأخذه قبل ان تسلم لعلمه انها اذا اسلمت لم يحل له اخذ مالها • وقيل اراد ان يؤتى به فينكر
ويغير ثم ينظر اتثبته ام تنكره اختبارا لعقلها قال عفريت من الجن انا اتيك به قبل ان تقوم
من مقامك واني عليه لقوي امين وقرئ عفرية والعفر والعفريت والعفرية والعفراة
والعفارية من الرجال الخبيث المنكر الذي يعفر اقرانه ومن الشياطين الخبيث المارد وقالوا كان
اسمه ذكوان لقوي على حمله امين اتي به كما هو ولا اختزل منه شيئا ولا ابدله قال الذي عنده علم
من الكتاب انا اتيك به قبل ان يرتد اليك طرفك فلما راه مستقرا عنده قال هذا من فضل

ربي ليبلوني أأشكر أم أكفر ومن شكر فانما يشكر لنفسه ومن كفر فان ربي غني كريم الذي عنده علم
من الكتاب رجل كان عنده اسم الله الاعظم وهو يا حي يا قيوم وقيل يا الهنا واله كل شيء الها واحدا
لا اله الا انت وقيل يا ذا الجلال والاكرام وعن الحسن رحمة الله عليه الله والرحمن وقيل هو آصف
ابن برخيا كاتب سليمان عليه السلام وكان صديقا عالما وقيل اسمه اسطوم وقيل هو جبريل وقيل
ملك ايد الله به سليمان وقيل هو سليمان نفسه كانه استبطأ العفريت فقال له انا اريك ما هو
اسرع مما تقول وعن ابن لهيعة بلغني انه الخضر عليه السلام علم من الكتاب من الكتاب المنزل
وهو علم الوحي والشرائع وقيل هو اللوح والذي عنده علم منه جبريل عليه السلام وآتيك في الموضعين
يجوز ان يكون فعلا واسم فاعل الطرف تحريكك اجفانك اذا نظرت فوضع موضع النظر ولما كان الناظر
موصوفا بارسال الطرف في نحو قوله وكنت اذا ارسلت طرفك رائدا لقلبك يوما اتعبتك المناظر
وصف برد الطرف ووصف الطرف بالارتداد ومعنى قوله قبل ان يرتد اليك طرفك انك ترسل طرفك
الى شيء فقبل ان ترده ابصرت العرش بين يديك ويروى ان آصف قال لسليمان عليه السلام مد
عينيك حتى ينتهي طرفك فمد عينيه فنظر نحو اليمن ودعا آصف فغار العرش في مكانه بمارب ثم نبع عند
مجلس سليمان بالشام بقدرة الله قبل ان يرتد طرفه ويجوز ان يكون هذا مثلا لاستقصار مدة المجيء به
كما تقول لصاحبك افعل كذا في لحظة وفي ردة طرف والتفت ترني وما اشبه ذلك تريد السرعة
يشكر لنفسه لانه يحط عنها عبء الواجب ويصونها عن سمة الكفران ويرتبط به النعمة ويستمد المزيد
وقيل الشكر قيد للنعمة الموجودة وصيد للنعمة المفقودة وفي كلام بعض المتقدمين ان كفران النعمة
بوار وقلما اقشعت نافرة فرجعت في نصابها فاستدع شاردها بالشكر واستدم راهنها بكرم الجوار
واعلم ان سبوغ ستر الله متقلص عما قريب اذا انت لم ترج لله وقارا غني عن الشكر كريم بالانعام على
من يكفر نعمته والذي قاله سليمان عليه السلام عند رؤية العرش شاكرا لربه جرى على شاكلة ابناء
جنسه من انبياء الله والمخلصين من عباده يتلقون النعمة القادمة بحسن الشكر كما يشيعون النعمة
المودعة بجميل الصبر قال نكروا لها عرشها ننظر أتهتدي أم تكون من الذين لا يهتدون
نكروا اجعلوه متنكرا متغيرا عن هيئته وشكله كما يتنكر الرجل للناس لئلا يعرفوه قالوا وسعوه
وجعلوا مقدمه مؤخره واعلاه اسفله وقرئ ننظر بالجزم على الجواب وبالرفع على الاستئناف تهتدي
لمعرفته او للجواب الصواب اذا سئلت عنه او للدين والايمان بنبوة سليمان عليه السلام اذا رأت
تلك المعجزة البينة من تقدم عرشها وقد خلفته واغلقت عليه الابواب ونصبت عليه الحراس فلما جاءت
قيل أهكذا عرشك قالت كأنه هو وأوتينا العلم من قبلها وكنا مسلمين هكذا ثلث كلمات
حرف التنبيه وكاف التشبيه واسم الاشارة لم يقل أهذا عرشك ولكن أمثل هذا عرشك لئلا يكون
تلقينا فقالت كانه هو ولم تقل هو هو ولا ليس به وذلك من رجاحة عقلها حيث لم تقطع في المحتمل
واوتينا العلم من كلام سليمان وملائه فان قلت علام عطف هذا الكلام وبم اتصل قلت
لما كان المقام الذي سئلت فيه عن عرشها واجابت بما اجابت به مقاما اجرى فيه سليمان وملأوه ما
يناسب قولهم واوتينا العلم نحو ان يقولوا عند قولها كانه هو قد اصابت في جوابها وطبقت المفصل
وهي عاقلة لبيبة وقد رزقت الاسلام وعلمت قدرة الله وصحة النبوة بالآيات التي تقدمت عند
وفدة المنذر وبهذه الآية العجيبة من امر عرشها عطفوا على ذلك قولهم واوتينا العلم بالله وبقدرته

وبصحة ما جاء من عنده قبل علمها ولم نزل على دين الاسلام شكرا لله على فضلهم عليها وسبقهم الى العلم بالله
والاسلام قبلها وصدها ما كانت تعبد من دون الله انها كانت من قوم كافرين وصدها عن التقدم
الى الاسلام عبادة الشمس ونشؤها بين ظهراني الكفرة ويجوز ان يكون من كلام بلقيس موصولا
بقولها كانه هو والمعنى واوتينا العلم بالله وبقدرته وبصحة نبوة سليمان عليه السلام قبل هذه
المعجزة او قبل هذه الحالة تعني ما تبينت من الآيات عند وفدة المنذر ودخلنا في الاسلام ثم قال الله
عز وجل وصدها قبل ذلك عما دخلت فيه ضلالها عن سواء السبيل وقيل وصدها الله او سليمان
عما كانت تعبد بتقدير حذف الجار وايصال الفعل وقرئ انها بالفتح على انه بدل من فاعل صد
او بمعنى لانها قيل لها ادخلي الصرح فلما رأته حسبته لجة وكشفت عن ساقيها قال انه صرح
ممرد من قوارير قالت رب اني ظلمت نفسي واسلمت مع سليمان لله رب العالمين الصرح
القصر وقيل صحن الدار وقرأ ابن كثير سأقيها بالهمز ووجهه انه سمع سؤقا فاجرى عليه الواحد
والممرد المملس روي ان سليمان امر قبل قدومها فبني له على طريقها قصر من زجاج ابيض واجرى
من تحته الماء والقى فيه من دواب البحر السمك وغيره ووضع سريره في صدره فجلس عليه وعكف عليه
الطير والجن والانس وانما فعل ذلك ليزيدها استعظاما لامره وتحققا لنبوته وثباتا على الدين
وزعموا ان الجن كرهوا ان يتزوجها فتفضي اليه باسرارهم لانها كانت بنت جنية وقيل خافوا ان يولد
له منها ولد يجمع له فطنة الجن والانس فيخرجون من ملك سليمان الى ملك هو اشد وافظع فقالوا له ان
في عقلها شيئا وهي شعراء الساقين ورجلها كحافر الحمار فاختبر عقلها بتنكير العرش واتخذ الصرح ليتعرف
ساقها ورجلها فكشفت عنهما فاذا هي احسن الناس ساقا وقدما الا انها شعراء ثم صرف بصره وناداها
انه صرح ممرد من قوارير وقيل هي السبب في اتخاذ النورة امر بها الشياطين فاتخذوها واستنكحها
سليمان واحبها واقرها على ملكها وامر الجن فبنوا لها سيلحين وغمدان وكان يزورها في الشهر مرة فيقيم
عندها ثلاثة ايام وولدت له وقيل بل زوجها ذا تبع ملك همدان وسلطه على اليمن وامر زوبعة امير
جن اليمن ان يطيعه فبنى له المصانع ولم يزل اميرا حتى مات سليمان عليه السلام ظلمت نفسي تريد بكفرها
فيما تقدم وقيل حسبت ان سليمان يغرقها في اللجة فقالت ظلمت نفسي بسوء ظني بسليمان عليه السلام
ولقد ارسلنا الى ثمود اخاهم صالحا ان اعبدوا الله فاذا هم فريقان يختصمون وقرئ ان
اعبدوا الله بالضم على اتباع النون الباء فريقان فريق مؤمن وفريق كافر وقيل اريد بالفريقين صالح
وقومه قبل ان يؤمن منهم احد يختصمون يقول كل فريق الحق معي قال يا قوم لم تستعجلون بالسيئة
قبل الحسنة لولا تستغفرون الله لعلكم ترحمون السيئة العقوبة والحسنة التوبة فان
قلت ما معنى استعجالهم بالسيئة قبل الحسنة وانما يكون ذلك اذا كانتا متوقعتين احداهما قبل الاخرى
كانوا يقولون لجهلهم ان العقوبة التي يعدها صالح ان وقعت على زعمه تبنا حينئذ واستغفرنا
مقدرين ان التوبة مقبولة في ذلك الوقت وان لم تتح فنحن على ما نحن عليه فخاطبهم صالح على حسب قولهم
واعتقادهم ثم قال لهم هلا تستغفرون الله قبل نزول العذاب لعلكم ترحمون تنبيها لهم على الخطأ
فيما قالوه وتجهيلا فيما اعتقدوه قالوا اطيرنا بك وبمن معك قال طائركم عند الله بل انتم
قوم تفتنون كان الرجل يخرج مسافرا فيمر بطائر فيزجره فان مر سانحا تيمن وان مر بارحا تشاءم فلما
نسبوا الخير والشر الى الطائر استعير لما كان سببهما من قدر الله وقسمته او من عمل العبد الذي هو السبب

في الرحمة والنعمة ومنه قالوا طائر الله لا طائرك اي قدر الله الغالب الذي ينسب اليه الخير والشر لا
طائرك الذي تتشاءم به وتتيمن فلما قالوا اطيرنا بكم اي تشاءمنا وكانوا قد قحطوا قال طائركم عند
الله اي سببكم الذي يجيء منه خيركم وشركم عند الله وهو قدره وقسمته ان شاء رزقكم وان شاء حرمكم
ويجوز ان يريد عملكم مكتوب عند الله فمنه نزل بكم ما نزل عقوبة لكم وفتنة ومنه قوله تعالى طائركم
معكم وكل انسان الزمناه طائره في عنقه وقرئ تطيرنا بك على الاصل ومعنى تطير به تشاءم به وتطير
منه نفر منه تفتنون تختبرون او تعذبون او يفتنكم الشيطان بوسوسته اليكم الطيرة وكان في
المدينة تسعة رهط يفسدون في الارض ولا يصلحون المدينة الحجر وانما جاز تمييز التسعة بالرهط
لانه في معنى الجماعة فكانه قيل تسعة انفس والفرق بين الرهط والنفر ان الرهط من الثلاثة الى العشرة
او من السبعة الى العشرة والنفر من الثلاثة الى التسعة واسماؤهم عن وهب الهذيل بن عبد رب
غنم بن غنم رباب بن مهرج مصدع بن مهرج عمير بن كردبة عاصم بن مخرمة سبيط بن صدقة
سمعان بن صفي قدار بن سالف وهم الذين سعوا في عقر الناقة وكانوا عتاة قوم صالح وكانوا من
ابناء اشرافهم ولا يصلحون يعني ان شانهم الافساد البحت الذي لا يخلط بشيء من الصلاح كما ترى
بعض المفسدين قد يندر منه بعض الصلاح قالوا تقاسموا بالله لنبيتنه واهله ثم لنقولن لوليه
ما شهدنا مهلك اهله وانا لصادقون تقاسموا يحتمل ان يكون امرا وخبرا في محل الحال باضمار قد
اي قالوا متقاسمين وقرئ تقسموا وقرئ لنبيتنه بالتاء والياء والنون فتقاسموا مع التاء والنون يصح
فيه الوجهان ومع الياء لا يصح فيه الا ان يكون خبرا والتقاسم والتقسم كالتظاهر والتظهر التحالف
والبيات مباغتة العدو ليلا وعن الاسكندر انه اشير عليه بالبيات فقال ليس من آيين الملوك
من هلاكه م استراق الظفر وقرئ مهلك بفتح الميم واللام وكسرها ومهلك بضم الميم من اهلك ويحتمل المصدر
والمكان والزمان فان قلت كيف يكونون صادقين وقد جحدوا ما فعلوا فاتوا بالخبر على خلاف المخبر
عنه كانهم اعتقدوا انهم اذا بيتوا صالحا وبيتوا اهله فجمعوا بين البياتين ثم قالوا ما شهدنا
مهلك اهله فذكروا احدهما كانوا صادقين لانهم فعلوا البياتين جميعا لا احدهما وفي هذا دليل قاطع
على ان الكذب قبيح عند الكفرة الذين لا يعرفون الشرع ونواهيه ولا يخطر ببالهم الا ترى انهم قصدوا
قتل نبي الله ولم يرضوا لانفسهم بان يكونوا كاذبين حتى سووا للصدق في خبرهم حيلة يتفصون بها عن
الكذب ومكروا مكرا ومكرنا مكرا وهم لا يشعرون فانظر كيف كان عاقبة مكرهم انا دمرناهم
وقومهم اجمعين مكرهم ما اخفوه من تدبير الفتك بصالح واهله ومكر الله اهلاكهم من حيث لا
يشعرون شبهه بمكر الماكر على سبيل الاستعارة روي انه كان لصالح عليه السلام مسجد في الحجر في شعب
يصلي فيه فقالوا زعم صالح انه يفرغ منا الى ثلاث فنحن نفرغ منه ومن اهله قبل الثلاث فخرجوا الى
الشعب وقالوا اذا جاء يصلي قتلناه ثم رجعنا الى اهله فقتلناهم فبعث الله صخرة من الهضب حيالهم
فبادروا فطبقت الصخرة عليهم فم الشعب فلم يدر قومهم اين هم ولم يدروا ما فعل بقومهم وعذب
الله كلا منهم في مكانه ونجى صالحا ومن معه وقيل جاؤوا بالليل شاهري سيوفهم وقد ارسل الله الملائكة
ملء دار صالح فدمغوهم بالحجارة يرون الحجارة ولا يرون راميا انا دمرناهم استئناف ومن قرأ
بالفتح رفعه بدلا من العاقبة او خبر مبتدأ محذوف تقديره هي تدميرهم او نصبه على معنى لانا او على
انه خبر كان اي كان عاقبة مكرهم الدمار فتلك بيوتهم خاوية بما ظلموا ان في ذلك لاية لقوم يعلمون

واجينا

وانجينا الذين آمنوا وكانوا يتقون خاوية حال عمل فيها ما دل عليه تلك وقرأ عيسى بن عمر خاوية
بالرفع على خبر المبتدا المحذوف ولوطا اذ قال لقومه اتاتون الفاحشة وانتم تبصرون ائنكم
لتاتون الرجال شهوة من دون النساء بل انتم قوم تجهلون واذكر لوطا او وارسلنا لوطا لد لالة
ولقد ارسلنا عليه واذ بدل على الاول ظرف على الثاني وانتم تبصرون من بصر القلب اي تعلمون انها فاحشة
لم تسبقوا اليها وان الله انما خلق الانثى للذكر ولم يخلق الذكر للذكر ولا الانثى للانثى فهي مضادة لله
في حكمته وحكمه وعلمكم بذلك اعظم لذنوبكم وادخل في القبح والسماجة وفيه دليل على ان القبيح من الله
اقبح منه من عباده لانه اعلم العالمين واحكم الحاكمين او تبصرونها بعضكم من بعض لانهم كانوا في ناديهم
يرتكبونها معالنين لا يتستر بعضهم من بعض خلاعة ومجانة وانهماكا في المعصية وكان ابا نواس بنى على
مذهبهم قوله وبح باسم من تاتي وذرني من الكنى فلا خير في اللذات من دونها ستر او تبصرون آثار
العصاة قبلكم وما نزل بهم فان قلت فسرت تبصرون بالعلم وبعده بل انتم قوم تجهلون فكيف يكونون
علماء جهلاء اراد تفعلون فعل الجاهلين بانها فاحشة مع علمكم بذلك او تجهلون العاقبة او
اراد بالجهل السفاهة والمجانة التي كانوا عليها فان قلت تجهلون صفة لقوم والموصوف لفظه لفظ
الغائب فهلا طابقت الصفة الموصوف فقرئ بالياء دون التاء وكذلك بل انتم قوم تفتنون قلت
اجتمعت الغيبة والمخاطبة فغلبت المخاطبة لانها اقوى وارسخ اصلا من الغيبة فما كان جواب قومه
الا ان قالوا اخرجوا آل لوط من قريتكم انهم اناس يتطهرون فانجيناه واهله الا امراته قدرنا ها
من الغابرين وامطرنا عليهم مطرا فساء مطر المنذرين وقرأ الاعمش جواب قومه بالرفع والمشهور
احسن يتطهرون يتنزهون عن القاذورات كلها فينكرون هذا العمل القذر ويغيظنا انكارهم
وعن ابن عباس رضي الله عنهما هو استهزاء قدرناها قدرنا كونها من الغابرين كقوله تعالى قدرنا انها
لمن الغابرين فالتقدير واقع على الغبور في المعنى قل الحمد لله وسلام على عباده الذين اصطفى الله خير
اما يشركون امر رسوله صلى الله عليه وسلم ان يتلو هذه الآيات الناطقة بالبراهين على وحدانيته
وقدرته على كل شيء وحكمته وان يستفتح بتحميده والسلام على انبيائه عليهم الصلوة والسلام من الرحمن
الرحيم والمصطفين من عباده وفيه تعليم حسن وتوقيف على ادب جميل وبعث على التيمن بالذكرين والتبرك
بهما والاستظهار بمكانهما على قبول ما يلقى الى السامعين واصغائهم اليه وانزاله من قلوبهم المنزلة التي يبغيها
المسمع ولقد توارث العلماء والخطباء والوعاظ كابرا عن كابر هذا الادب فحمدوا الله وصلوا على رسوله
امام كل علم مفاد وقبل كل عظة وتذكرة وفي مفتتح كل خطبة وتبعهم المترسلون فاجروا عليه اوائل كتبهم
في الفتوح والتهاني وغير ذلك من الحوادث التي لها شان وقيل هو متصل بما قبله وامر بالتحميد على
الهالكين من كفار الامم والصلوة على الانبياء واشياعهم الناجين وقيل هو خطاب للوط عليه
السلام وان يحمد الله على هلاك كفار قومه ويسلم على من اصطفاه الله ونجاه من هلكتهم وعصمه من
ذنوبهم ومعلوم ان لا خير فيما اشركوه اصلا حتى يوازن بينه وبين من هو خالق كل خير ومالكه وانما
هو الزام لهم وتبكيت وتهكم بحالهم وذلك انهم آثروا عبادة الاصنام على عبادة الله ولا يؤثر عاقل
شيئا على شيء الا لداع يدعوه الى ايثاره من زيادة خير ومنفعة فقيل لهم مع العلم بانه لا خير فيما آثر وه
وانهم لم يؤثروه لزيادة الخير ولكن هوى وعبثا لينبهوا على الخطأ المفرط والجهل المورط واضلالهم
التمييز ونبذهم المعقول وليعلموا ان الايثار يجب ان يكون للخير الزائد ونحوها حكاه عن فرعون

أم أنا خير من هذا الذي هو مهين ولا يكاد يبين مع علمه أنه ليس لموسى مثل أنهاره التي كانت تجري تحته ● ثم عدّد
سبحانه الخيرات والمنافع التي هي آثار رحمته وفضله كما عددها في موضع آخر ● ثم قال هل من شركائكم
من يفعل من ذلكم من شيء ● وقرئ تشركون بالتاء والياء ● وعن رسول الله صلى الله عليه وسلم أنه كان
إذا قرأها قال بل الله خير وأبقى وأجل وأكرم أمّن خلق السموات والأرض وأنزل لكم من السماء
ماء فأنبتنا به حدائق ذات بهجة ما كان لكم أن تنبتوا شجرها أإله مع الله بل هم قوم يعدلون ●
فإن قلت ما الفرق بين أم وأم في أمّا تشركون وأمّن خلق قلت تلك متصلة لأن المعنى أيهما خير
وهذه منقطعة بمعنى بل والهمزة لما قال الله تعالى آلله خير أم الآلهة قال بل أمّن خلق السموات والأرض خير
تقريرا لهم بأن من قدر على خلق العالم خير من جماد لا يقدر على شيء ● وقرأ الأعمش أمَن بالتخفيف ووجهه أن
يجعل بدلا من الله كأنه قال أمَن خلق السموات والأرض خير أمّا تشركون فإن قلت أي نكتة في نقل
الإخبار عن الغيبة إلى التكلم عن ذاته في قوله تعالى فأنبتنا قلت تأكيد معنى اختصاص الفعل بذاته
والإيذان بأن إنبات الحدائق المختلفة الأصناف والألوان والطعوم والروائح والأشكال مع حسنها
وبهجتها بماء واحد لا يقدر عليه إلا هو وحده ● ألا ترى كيف رشّح معنى الاختصاص بقوله تعالى ما كان لكم
أن تنبتوا شجرها ومعنى الكينونة الانبغاء أراد أن تأتي ذلك محال من غيره وكذلك قوله بل هم بعد
الخطاب أبلغ في تخطئة رأيهم ● والحديقة البستان عليه حائط من الإحداق وهو الإحاطة ● وقيل ذات
لأن المعنى جماعة حدائق ذات بهجة كما يقال النساء ذهبت ● والبهجة الحسن لأن الناظر يبتهج به ● أإله مع
الله أغيره يقرن به ويجعل شريكا له ● وقرئ أإلها مع الله بمعنى أتدعون أو أتشركون ● ولك أن تحقق
الهمزتين وتوسط بينهما مدة وتخرج الثانية بين بين ● يعدلون يعدلون به غيره أو يعدلون عن الحق
الذي هو التوحيد أمّن جعل الأرض قرارا وجعل خلالها أنهارا وجعل لها رواسي وجعل بين
البحرين حاجزا أإله مع الله بل أكثرهم لا يعلمون ● أمّن جعل وما بعده بدل من أمّن خلق فكان
حكمه حكمه ● قرارا دحاها وسواها للاستقرار عليها حاجزا كقوله تعالى برزخا أمّن يجيب المضطر
إذا دعاه ويكشف السوء ويجعلكم خلفاء الأرض أإله مع الله قليلا ما تذكرون ● الضرورة
الحالة المحوجة إلى اللجاء والاضطرار افتعال منها يقال اضطره إلى كذا والفاعل والمفعول مضطر والمضطر الذي
أحوجه مرض أو فقر أو نازلة من نوازل الدهر إلى اللجاء والتضرع إلى الله ● وعن ابن عباس رضي الله عنهما هو
المجهود ● وعن السدي الذي لا حول له ولا قوة ● وقيل المذنب إذا استغفر فإن قلت قد عمّ المضطر
بقوله يجيب المضطر إذا دعاه وكم من مضطر يدعو فلا يجاب قلت الإجابة موقوفة على أن يكون
المدعو به مصلحة ولهذا لا يحسن دعاء العبد إلا شارطا فيه المصلحة وأما المضطر فمتناول للجنس
مطلقا يصلح لكله ولبعضه فلا طريق إلى الجزم على أحدهما إلا بدليل وقد قام الدليل على البعض الذي وهو
إجابته مصلحة فبطل التناول على العموم ● خلفاء الأرض خلفاء فيها وذلك توارثهم سكناها والتصرف
فيها قرنا بعد قرن أو أراد بالخلافة الملك والتسلط ● وقرئ يذكرون بالياء مع الإدغام وبالتاء
مع الإدغام والحذف ● وما مزيدة أي تذكرون تذكرا قليلا والمعنى نفي التذكر والقلة تستعمل في معنى
النفي أمّن يهديكم في ظلمات البر والبحر ومن يرسل الرياح بشرا بين يدي رحمته أإله مع
الله تعالى الله عما يشركون ● يهديكم بالنجوم في السماء والعلامات في الأرض إذا جنّ الليل عليكم
مسافرين في البر والبحر أمّن يبدأ الخلق ثم يعيده ومن يرزقكم من السماء والأرض أإله مع الله

قل

قل هاتوا برهانكم إن كنتم صادقين فإن قلت كيف قيل لهم أمّن يبدأ الخلق ثم يعيده
وهم منكرون للإعادة قلت قد أزيحت علتهم بالتمكين من المعرفة والإقرار فلم يبق لهم عذر في
الإنكار ● من السماء الماء ومن الأرض النبات ● إن كنتم صادقين أن مع الله إلها فأين دليلكم عليه قل
لا يعلم من في السموات والأرض الغيب إلا الله وما يشعرون أيان يبعثون ● فإن
قلت لم رفع اسم الله والله يتعالى أن يكون ممن في السموات والأرض قلت جاء على لغة تميم حيث يقو لون
ما في الدار أحد إلا حمار كأن أحدا لم يذكر ● ومنه قوله ●
عشية ما تغني الرماح مكانها ● ولا النبل إلا المشرفي المصمم ● وقولهم ما أتاني زيد إلا عمرو
وما أعانه إخوانكم إلا إخوانه فإن قلت ما الداعي إلى اختيار المذهب التميمي على الحجازي قلت
دعت إليه نكتة سرية حيث أخرج المستثنى مخرج قوله إلا اليعافير بعد قوله ليس بها أنيس ليؤول
المعنى إلى قولك إن كان الله ممن في السموات والأرض فهم يعلمون الغيب يعني أن علمهم الغيب في استحالته
كاستحالة أن يكون الله منهم كما أن معنى ما في البيت إن كانت اليعافير أنيسا ففيها أنيس بتا للقول
بخلوها عن الأنيس ● فإن قلت هلا زعمت أن الله ممن في السموات والأرض كما يقول المتكلمون الله في كل مكان
على معنى أن علمه في الأماكن كلها وكأن ذاته فيها حتى لا تحمله على مذهب بني تميم قلت يأبى ذلك أن كونه
في السموات والأرض مجاز وكونهم فيهن حقيقة وإرادة المتكلم بعبارة واحدة حقيقة ومجازا غير صحيح
على أن قولك من في السموات والأرض وجمعك بينه وبينهم في إطلاق اسم واحد فيه إيهام تسوية والإيهامات
مزالة عنه وعن صفاته تعالى ● ألا ترى كيف قال صلى الله عليه وسلم لمن قال ومن يعصهما فقد غوى بئس
خطيب القوم أنت ● وعن أم المؤمنين عائشة رضي الله عنها من زعم أنه يعلم ما في غد فقد أعظم على الله
الفرية والله تعالى يقول قل لا يعلم من في السموات والأرض الغيب إلا الله ● وعن بعضهم أخفى غيبه عن
الخلق ولم يطلع عليه أحدا لئلا يأمن أحد من عبيده مكره ● وقيل نزلت في المشركين حين سألوا رسول
الله صلى الله عليه وسلم عن وقت الساعة ● أيان بمعنى متى ولو سمي به لكان فعالا من آن يئين ولا ينصرف
وقرئ إيان بكسر الهمزة بل ادّارك علمهم في الآخرة بل هم في شك منها بل هم منها عمون ●
وقرئ بل أدرك ● بل ادّارك ● بل تدارك ● بل أأدرك بهمزتين ● بل آأدرك بألف بينهما ● بل ادّرك
بالتخفيف والنقل ● بل ادّرك بفتح اللام وتشديد الدال وأصله بل أدرك على الاستفهام ● بلى أدرك
بلى أدّرك ● أم تدارك ● أم أدرك فهذه ثنتا عشرة قراءة ● وادّارك أصله تدارك فأدغمت التاء في الدال
وادّرك افتعل ● ومعنى أدرك علمهم انتهى وتكامل ● وادّارك تتابع واستحكم وهو على وجهين أحدهما
أن أسباب استحكام العلم وتكامله بأن القيامة كائنة لا ريب فيها قد حصلت لهم ومكنوا من معرفته
وهم شاكّون جاهلون وهو قوله تعالى بل هم في شك منها بل هم منها عمون يريد المشركين ممن في السموات
والأرض لأنهم لما كانوا في جملتهم نسب فعلهم إلى الجميع كما يقال بنو فلان فعلوا كذا وإنما فعله ناس منهم ●
فإن قلت إن الآية سيقت لاختصاص الله بعلم الغيب وأن العباد لا علم لهم بشيء منه وأن وقت
بعثهم ونشورهم من جملة الغيب وهم لا يشعرون به فكيف لاءم هذا المعنى وصف المشركين بإنكارهم
البعث مع استحكام أسباب العلم والتمكن من المعرفة قلت لما ذكر أن العباد لا يعلمون الغيب ولا
يشعرون بالبعث الكائن ووقته الذي يكون فيه وكان هذا بيانا لعجزهم ووصفا لقصور علمهم
وصل به أن عندهم عجزا أبلغ منه وهو أنهم يقولون للكائن الذي لا بد أن يكون وهو وقت جزاء أعمالهم

لا يكون مع ان عندهم اسباب معرفة كونه واستحكام العلم به ۞ والوجه الثاني ان وصفهم باستحكام العلم وتكامله تهكم بهم كما تقول لاجهل الناس ما اعلمك على سبيل الهزء وذلك حيث شكوا وعموا عن اثبات الذي الطريق الى علمه مسلوك فضلا ان يعرفوا وقت كونه الذي لا طريق الى معرفته ۞ وفي ادرك علمهم وادارك علمهم وجه اخر وهو ان يكون ادرك بمعنى انتهى وفني من قولك ادركت الثمرة لان تلك غايتها التي عندها تعدم ۞ وقد فسره الحسن باضمحل علمهم وتدارك من تدارك بنو فلان اذا تتابعوا في الهلاك فان قلت فما وجه قراءة من قرأ بلى أأدرك على الاستفهام هو استفهام على وجه الانكار لادراك علمهم ۞ وكذلك من قرأ ام ادرك وام تدارك لانها ام التي بمعنى بل والهمزة ۞ فان قلت فمن قرأ بلى ادرك وبلى أأدرك ۞ قلت لما جاء بلى بعد قوله وما يشعرون كان معناه بلى يشعرون ثم فسر الشعور بقوله ادرك علمهم في الاخرة على سبيل التهكم الذي معناه المبالغة في نفي العلم فكانه قال شعورهم بوقت الاخرة انهم لا يعلمون كونها فيرجع الى نفي الشعور على ابلغ ما يكون ۞ واما من قرأ بلى أأدرك على الاستفهام فمعناه بلى يشعرون متى يبعثون ثم انكر علمهم بكونها واذا انكر علمهم بكونها لم يتحصل لهم شعور بوقت كونها لان العلم بوقت الكائن تابع للعلم بكون الكائن ۞ في الاخرة في شان الاخرة ومعناها فان قلت هذه الاضرابات الثلاث ما معناها قلت ما هي الا تنزيل لاحوالهم وصفهم اولا بانهم لا يشعرون وقت البعث ثم بانهم لا يعلمون ان القيامة كائنة ثم بانهم يخبطون في شك ومرية فلا يزيلونه والازالة مستطاعة ۞ الا ترى ان من لم يسمع اختلاف المذاهب وتضليل اربابها بعضهم لبعض كان امره اهون ممن سمع بها وهو جاثم لا يتخلص بطلب التمييز بين الحق والباطل ثم بما هو اسوأ حالا وهو العمى وان يكون مثل البهيمة قد عكف همه على بطنه وفرجه لا يخطر بباله حقا ولا باطلا ولا يفكر في عاقبة ۞ وقد جعل الاخرة مبدأ عماهم ومنشأه فلذلك عداه بمن دون عن لان الكفر بالعاقبة والجزاء هو الذي جعلهم كالبهائم لا يتدبرون ولا يتبصرون وقال الذين كفروا ءاذا كنا ترابا وءاباؤنا ائنا لمخرجون ۞ لقد وعدنا هذا نحن وءاباؤنا من قبل ان هذا الا اساطير الاولين العامل في اذا ما دل عليه ائنا لمخرجون وهو نخرج لان بين يدي عمل اسم الفاعل فيه عقابا وهي همزة الاستفهام وان ولام الابتداء وواحدة منها كافية فكيف اذا اجتمعن والمراد الاخراج من الارض او من حال الفناء الى الحيوة وتكرير حرف الاستفهام بادخاله على اذا وان جميعا انكار على انكار وجحود عقيب جحود ودليل على كفر مؤكد مبالغ فيه والضمير في انا لهم ولابائهم لان كونهم ترابا قد تناولهم وءاباءهم فان قلت قدم في هذه الاية هذا على نحن وءاباؤنا وفي اية اخرى قدم نحن وءاباؤنا قلت التقديم دليل على ان المقدم هو الغرض المتعمد بالذكر وان الكلام انما سيق لاجله ففي احدى الايتين دل على ان اتخاذ البعث هو الذي تعمد بالكلام وفي الاخرى على ان اتخاذ المبعوث بذلك الصدد قل سيروا في الارض فانظروا كيف كان عاقبة المجرمين ۞ لم تلحق علامة التانيث بفعل العاقبة لان تانيثها غير حقيقي ولان المعنى كيف كان اخر امرهم واراد بالمجرمين الكافرين وانما عبر عن الكفر بلفظ الاجرام ليكون لطفا للمسلمين في ترك الجرائم وتخوف عاقبتها ۞ الا ترى الى قوله تعالى فدمدم عليهم ربهم بذنبهم ۞ وقوله تعالى مما خطاياهم اغرقوا ولا تحزن عليهم ولا تكن في ضيق مما يمكرون ولا تحزن عليهم لانهم لم يتبعوك ولم يسلموا فيسلموا وهم قومه قريش كقوله تعالى فلعلك باخع نفسك على اثارهم ان لم يؤمنوا بهذا الحديث اسفا ۞ في ضيق في حرج صدر من مكرهم وكيدهم لك ولا تبال

بذلك

بذلك فان الله يعصمك من الناس ۞ يقال ضاق الشيء ضيقا وضيقا بالفتح والكسر وقد قرئ بهما والضيق ايضا تخفيف الضيق قال الله تعالى ضيقا حرجا قرئ مخففا ومثقلا ۞ ويجوز ان يراد في امر ضيق من مكرهم ويقولون متى هذا الوعد ان كنتم صادقين ۞ قل عسى ان يكون ردف لكم بعض الذي تستعجلون ۞ استعجلوا العذاب الموعود فقيل لهم عسى ان يكون ردفكم بعضه وهو عذاب يوم بدر فزيدت اللام للتاكيد كالباء في ولا تلقوا بايديكم ۞ او ضمن معنى فعل يتعدى باللام نحو دنا لكم وازف لكم ومعناه تبعكم ولحقكم وقد عدي بمن قال فلما ردفنا من عمير وصحبه ۞ تولوا سراعا والمنية تعنق يعني دنونا من عمير ۞ وقرأ الاعرج ردف لكم بوزن ذهب وهما لغتان والكسر افصح ۞ وعسى ولعل وسوف في وعد الملوك ووعيدهم يدل على صدق الامر وجده وما لا مجال للشك بعده وانما يعنون بذلك اظهار وقارهم وانهم لا يعجلون بالانتقام لادلالهم بقهرهم وغلبتهم ووثوقهم بان عدوهم لا يفوتهم وان الرمزة الى الاغراض كافية من جهتهم فعلى ذلك جرى وعد الله ووعيده وان ربك لذو فضل على الناس ولكن اكثرهم لا يشكرون ۞ الفضل والفاضلة الافضال ولفلان فواضل في قومه وفضول ومعناه انه مفضل عليهم بتاخير العقوبة وانه لا يعاجلهم بها واكثرهم لا يعرفون حق النعمة فيه ولا يشكرونه ولكنهم بجهلهم يستعجلون وقوع العقاب وهم قريش وان ربك ليعلم ما تكن صدورهم وما يعلنون ۞ قرئ تكن يقال كننت الشيء واكننته اذا سترته واخفيته يعني انه يعلم ما يخفون وما يعلنون من عداوة رسول الله صلى الله عليه وسلم ومكايدهم وهو معاقبهم على ذلك بما يستوجبونه وما من غائبة في السماء والارض الا في كتاب مبين ۞ سمى الشيء الذي يغيب ويخفى غائبة وخافية فكانت التاء فيهما بمنزلتها في العافية والعاقبة ونظيرها النطيحة والرمية والذبيحة في انها اسماء غير صفات ۞ ويجوز ان يكونا صفتين وتاؤهما للمبالغة كالراوية في قولهم ويل للشاعر من راوية السوء كانه قال وما من شيء شديد الغيبوبة والخفاء الا وقد علمه الله واحاط به واثبته في اللوح ۞ المبين البين الظاهر لمن ينظر فيه من الملائكة ان هذا القرءان يقص على بني اسرائيل اكثر الذي هم فيه يختلفون ۞ وانه لهدى ورحمة للمؤمنين ۞ قد اختلفوا في المسيح فتحزبوا فيه احزابا ووقع بينهم التناكر في اشياء كثيرة حتى لعن بعضهم بعضا وقد نزل القرءان ببيان ما اختلفوا فيه لو انصفوا واخذوا به واسلموا يريد اليهود والنصارى ۞ للمؤمنين لمن انصف منهم وامن اي من بني اسرائيل او من غيرهم ان ربك يقضي بينهم بحكمه وهو العزيز العليم ۞ بين من ءامن بالقرءان ومن كفر به فان قلت ما معنى يقضي بحكمه ولا يقال زيد يضرب بضربه ويمنع بمنعه قلت معناه بما يحكم به وهو عدله لانه لا يقضي الا بالعدل فسمى المحكوم به حكما ۞ او اراد بحكمته وتدل عليه قراءة من قرأ بحكمه جمع حكمة ۞ وهو العزيز فلا يرد قضاؤه ۞ العليم بمن يقضي له وبمن يقضى عليه ۞ او العزيز في انتقامه من المبطلين العليم بالفصل بينهم وبين المحقين فتوكل على الله انك على الحق المبين ۞ امره بالتوكل على الله وقلة المبالاة باعداء الدين وعلل التوكل بانه على الحق الابلج الذي لا يتعلق به الشك والظن ۞ وفيه بيان ان صاحب الحق حقيق بالوثوق بصنع الله وبنصرته وان مثله لا يخذل انك لا تسمع الموتى ولا تسمع الصم الدعاء اذا ولوا مدبرين ۞ وما انت بهادي العمي عن ضلالتهم ان تسمع الا من يؤمن باياتنا فهم مسلمون فان قلت انك لا تسمع الموتى يشبه ان يكون تعليلا اخر للتوكل فما وجه ذلك قلت وجهه ان الامر بالتوكل جعل مسببا

عما كان يغيظ رسول الله عليه السلام من جهة المشركين واهل الكتاب من ترك اتباعه وتشييع ذلك بالعداوة والاذى فلا مرد لذلك ان يعلل توكله بان اتباعهم امر قد يئس منه فلم يبق الا الاستنصار عليهم لعداوتهم واستكفاء شرورهم واذاهم وشبهوا بالموتى وهم احياء صحاح الحواس لانهم اذا سمعوا ما يتلى عليهم من ايات الله فكانوا اقماع القول لا تعيه اذانهم وكان سماعهم كلا سماع كانت حالهم لانتفاء جدوى السماع كحال الموتى الذين فقدوا مصحح السماع وكذلك تشبيههم بالصم الذين ينعق بهم فلا يسمعون وشبهوا بالعمي حيث يضلون الطريق ولا يقدر احد ان ينزع ذلك عنهم ويجعلهم هداة بصراء الا الله عز وجل **فان قلت** ما معنى قوله اذا ولوا مدبرين **قلت** هو تاكيد لحال الاصم لانه اذا تباعد عن الداعي بان يولي عنه مدبرا كان ابعد عن ادراك صوته • وقرئ ولا يسمع الصم • وما انت بهادي العمي على الاصل • وتهدي العمي • وعن ابن مسعود رضي الله عنه وما ان تهدي العمي وهداه عن الضلال كقولك سقاه عن العيمة اي ابعده عنها بالسقي وابعده عن الضلال بالهدى • ان تسمع اي ما يجدي اسماعك الا على الذين علم الله انهم يؤمنون باياته اي يصدقون بها • فهم مسلمون اي مخلصون من قوله عز وجل بلى من اسلم وجهه لله يعني جعله سالما لله خالصا له واذا وقع القول عليهم اخرجنا لهم دابة من الارض تكلمهم ان الناس كانوا باياتنا لا يوقنون سمي معنى القول ومؤداه بالقول وهو ما وعدوا به من قيام الساعة والعذاب ووقوعه حصوله والمراد مشارفة الساعة وظهور اشراطها وحين لا تنفع التوبة • ودابة الارض الجساسة جاء في الحديث ان طولها ستون ذراعا لا يدركها طالب ولا يفوتها هارب • وروي لها اربع قوائم وزغب وريش وجناحان • وعن ابن جريج في وصفها راس ثور • وعين خنزير • واذن فيل • وقرن ايل • وعنق نعامة • وصدر اسد • ولون نمر • وخاصرة هر • وذنب كبش • وخف بعير • وما بين المفصلين اثنا عشر ذراعا بذراع ادم عليه السلام • وروي لا تخرج الا راسها وراسها يبلغ اعنان السماء او يبلغ السحاب • وعن ابي هريرة رضي الله عنه فيها من كل لون وما بين قرنيها فرسخ للراكب • وعن الحسن رحمة الله عليه لا يتم خروجها الا بعد ثلاثة ايام • وعن علي كرم الله وجهه انها تخرج ثلاثة ايام والناس ينظرون فلا يخرج الا ثلثها • وعن النبي صلى الله عليه وسلم انه سئل من اين تخرج الدابة فقال من اعظم المساجد حرمة على الله يعني المسجد الحرام وروي انها تخرج ثلاث خرجات تخرج باقصى اليمن ثم تكمن ثم تخرج بالبادية ثم تكمن دهرا طويلا فبينا الناس في اعظم المساجد حرمة واكرمها على الله فلا يهولهم الا خروجها من بين الركن حذاء دار بني مخزوم عن يمين الخارج من المسجد فقوم يهربون وقوم يقفون نظارة • وقيل تخرج من الصفا فتكلمهم بالعربية بلسان ذلق فتقول ان الناس كانوا باياتنا لا يوقنون يعني ان الناس كانوا لا يوقنون بخروجي لان خروجها من الايات وتقول الا لعنة الله على الظالمين • وعن السدي تكلمهم ببطلان الاديان كلها سوى دين الاسلام • وعن ابن عمر رضي الله عنهما تستقبل المغرب فتصرخ صرخة تنفذه ثم تستقبل المشرق ثم الشام ثم اليمن فتفعل مثل ذلك • وروي تخرج من اجياد • وروي بينا عيسى يطوف بالبيت ومعه المسلمون اذ تضطرب الارض تحتهم تحرك القنديل وينشق الصفا مما يلي المسعى فتخرج الدابة من الصفا ومعها عصى موسى عليه السلام وخاتم سليمان فتضرب المؤمن في مسجده او فيما بين عينيه بعصى موسى فتنكت نكتة بيضاء فتفشو تلك النكتة في وجهه حتى يضيء لها وجهه او فتترك وجهه كانه كوكب دري وتكتب بين عينيه مؤمن • وتنكت الكافر بالخاتم في انفه فتفشو النكتة حتى يسود لها وجهه وتكتب بين عينيه كافر

وروي

وروي فتجلو وجه المؤمن بالعصا وتخطم انف الكافر بالخاتم ثم تقول لهم يا فلان انت من اهل الجنة ويا فلان انت من اهل النار وقرئ تكلمهم من الكلم وهو الجرح والمراد به الوسم بالعصا والخاتم • ويجوز ان يكون تكلمهم من الكلم ايضا على معنى التكثير يقال فلان مكلم اي مجرح • ويجوز ان يستدل بالتخفيف على ان المراد بالتكليم التجريح كما فسر لنحرقنه بقراءة علي كرم الله وجهه لنحرقنه وان يستدل بقراءة ابي تنبئهم • وبقراءة ابن مسعود رضي الله عنه تكلمهم بان الناس على انه من الكلام والقراءة بان مكسورة حكاية لقول الدابة اما لان الكلام بمعنى القول او باضمار القول اي تقول الدابة ذلك • او هي حكاية لقوله تعالى عند ذلك **فان قلت** اذا كانت حكاية لقول الدابة فكيف تقول باياتنا **قلت** قولها حكاية لقول الله تعالى • او على معنى بايات ربنا • او لاختصاصها بالله واثرتها عنده وانها من خواص خلقه اضافت ايات الله الى نفسها كما يقول بعض خاصة الملك خيلنا وبلادنا وانما هي خيل مولاه وبلاده • ومن قرا بالفتح فعلى حذف الجار اي تكلمهم بان ويوم نحشر من كل امة فوجا ممن يكذب باياتنا فهم يوزعون • فهم يوزعون يحبس اولهم على اخرهم حتى يجتمعوا فيكبكبوا في النار وهذه عبارة عن كثرة العدد وتباعد اطرافه كما وصفت جنود سليمان بذلك وكذلك قوله فوجا فان الفوج الجماعة الكثيرة • ومنه قوله تعالى يدخلون في دين الله افواجا • وعن ابن عباس رضي الله عنه ابو جهل والوليد بن المغيرة وشيبة ابن ربيعة يساقون بين يدي اهل مكة وكذلك يحشر قادة سائر الامم بين ايديهم الى النار **فان قلت** اي فرق بين من الاولى والثانية **قلت** الاولى للتبعيض والثانية للتبيين كقوله تعالى من الاوثان حتى اذا جاؤوا قال اكذبتم باياتي ولم تحيطوا بها علما اماذا كنتم تعملون • ووقع القول عليهم بما ظلموا فهم لا ينطقون • الواو للحال كانه قال اكذبتم بها بادي الراي من غير فكر ولا نظر يؤدي الى احاطة العلم بكنهها وانها حقيقة بالتصديق او بالتكذيب • او للعطف اي اجحد نوما ومع جحودكم لم تلقوا اذهانكم لتحققها وتبصرها فان المكتوب اليه قد يجحد ان يكون الكتاب من عند من كتبه ولا يدع مع ذلك ان يقراه ويتفهم مضامينه ويحيط بمعانيه • ام ماذا كنتم تعملون بها للتبكيت لا غير وذلك انهم لم يعملوا الا التكذيب فلا يقدرون ان يكذبوا ويقولوا قد صدقنا بها وليس الا التصديق بها او التكذيب • ومثاله ان تقول لراعيك وقد علمته رويعي سوء اتاكل نعمي ام ماذا تعمل بها فتجعل ما ابتدئ به وتجعله اصل كلامك واساسه هو الذي صح عندك من اكله وفساده وترمي بقولك ام ماذا تعمل بها مع علمك انه لا يعمل بها الا الاكل لتبهته وتعلمه علمك بانه لا يجيء منه الا اكلها وانه لا يقدر ان يدعي الحفظ والاصلاح لما شهر من خلاف ذلك • او اراد اما كان لكم عمل في الدنيا الا الكفر والتكذيب بايات الله ام ماذا كنتم تعملون من غير ذلك يعني انه لم يكن لهم عمل غيره كانهم لم يخلقوا الا للكفر والمعصية وانما خلقوا للايمان والطاعة تخاطبون بهذا قبل كبهم في النار ثم يكبون فيها وذلك قوله ووقع القول عليهم يريد ان العذاب الموعود يغشاهم بسبب ظلمهم وهو التكذيب بايات الله فيشغلهم عن النطق والاعتذار كقوله تعالى هذا يوم لا ينطقون الم يروا انا جعلنا الليل ليسكنوا فيه والنهار مبصرا ان في ذلك لايات لقوم يؤمنون • جعل الابصار للنهار وهو لاهله **فان قلت** ما للتقابل لم يراع في قوله ليسكنوا ومبصرا حيث كان احدهما علة والاخر حالا هو مراعى من حيث المعنى وهكذا النظم المطبوع غير المتكلف لان معنى مبصرا ليبصروا فيه طرق التقلب في المكاسب ويوم ينفخ في الصور ففزع من في السماوات ومن

في الأرض إلا من شاء الله وكل أتوه داخرين فإن قلت لم قيل ففزع دون فيفزع قلت
لنكتة وهي الإشعار بتحقق الفزع وثبوته وأنه كائن لا محالة واقع على أهل السموات والأرض لأن الفعل
الماضي يدل على وجود الفعل وكونه مقطوعا به والمراد فزعهم عند النفخة الأولى حين يصعقون إلا
من شاء الله إلا من ثبت الله قلبه من الملائكة قالوا هم جبريل وميكائيل وإسرافيل وملك الموت
عليهم السلام وقيل الشهداء وعن الضحاك الحور وخزنة النار وحملة العرش وعن جابر رضي الله عنه
منهم موسى لأنه صعق مرة ومثله قوله عز وجل ونفخ في الصور فصعق من في السموات ومن في الأرض
إلا من شاء الله وقرئ أتوه وأتاه ودخرين فالجمع على المعنى والتوحيد على اللفظ والداخر والدخر
الصاغر وقيل معنى الإتيان حضورهم الموقف بعد النفخة الثانية ويجوز أن يراد رجوعهم إلى أمره
وانقيادهم له وترى الجبال تحسبها جامدة وهي تمر مر السحاب صنع الله الذي أتقن كل شيء
إنه خبير بما تفعلون جامدة من جمد في مكانه إذا لم يبرح تجمع الجبال فتسير كما تسير الريح السحاب
فإذا نظر إليها الناظر حسبها واقفة ثابتة في مكان واحد وهي تمر مرا حثيثا كما يمر السحاب وهكذا الأجرام
العظام المتكاثرة العدد إذا تحركت لا تكاد تتبين حركتها كما قال النابغة في صفة جيش
بأرعن مثل الطود تحسب أنهم وقوف لحاج والركاب تهملج صنع الله من المصادر المؤكدة
كقوله تعالى وعد الله وصبغة الله إلا أن مؤكده محذوف وهو الناصب ليوم ينفخ والمعنى ويوم ينفخ
في الصور وكان كيت وكيت أثاب الله المحسنين وعاقب المجرمين ثم قال صنع الله يريد به الإثابة
والمعاقبة وجعل هذا الصنع من جملة الأشياء التي أتقنها وأتى بها على الحكمة والصواب حيث قال
صنع الله الذي أتقن كل شيء يعني أن مقابلته الحسنة بالثواب والسيئة بالعقاب من جملة إحكامه للأشيا
وإتقانه لها وإجرائه لها على قضايا الحكمة إنه عالم بما يفعل العباد وبما يستوجبون عليه فيكافيهم
على حسب ذلك ثم لخص ذلك بقوله من جاء بالحسنة إلى الآيتين فانظر إلى بلاغة هذا الكلام وحسن
نظمه وترتيبه ومكانة إضماده ورصانة تفسيره وأخذ بعضه بحجزة بعض كأنما أفرغ إفراغا واحدا ولأمر ما
أعجز القوى وأخرس الشقاشق ونحو هذا المصدر إذا جاء عقيب كلام جاء كالشاهد بصحته والمنادي
على سداده وأنه ما كان ينبغي أن يكون إلا كما قد كان ألا ترى إلى قوله تعالى صنع الله وصبغة الله ووعد
الله وفطرة الله بعد ما وسمها بإضافتها إليه بسمة التعظيم كيف تلاها بقوله الذي أتقن كل شيء ومن
أحسن من الله صبغة لا يخلف الله الميعاد لا تبديل لخلق الله وقرئ تفعلون على الخطاب من
جاء بالحسنة فله خير منها وهم من فزع يومئذ آمنون فله خير منها يريد الإضعاف وأن العمل
يتقضى والثواب يدوم وشتان ما بين فعل العبد وفعل السيد وقيل فله خير منها أي له خير
حاصل من جهتها وهو الجنة وعن ابن عباس رضي الله عنهما الحسنة كلمة الشهادة وقرئ يومئذ
مفتوحا مع الإضافة لأنه أضيف إلى غير متمكن ومنصوبا مع تنوين فزع فإن قلت ما الفرق
بين الفزعين قلت الفزع الأول هو ما لا يخلو منه أحد عند الإحساس بشدة تقع وهول يفجأ
من رعب وهيبة وإن كان المحسن يأمن لحاق الضرر به كما يدخل الرجل على الملك بصدر هياب وقلب
وجاب وإن كانت ساعة إعزاز وتكرمة وإحسان وتولية وأما الثاني فالخوف من العذاب فإن قلت
فمن قرأ من فزع بالتنوين ما معناه قلت يحتمل معنيين من فزع واحد وهو خوف العقاب وأما ما يلحق
الإنسان من التهيب والرعب لما يرى من الأهوال والعظائم فلا يخلون منه لأن البشرية تقتضي ذلك

وفي

وفي الأخبار والآثار ما يدل عليه ومن فزع شديد مفرط الشدة لا يكتنهه الوصف وهو خوف النار أمن
يعدى بالجار وبنفسه كقوله تعالى أفأمنوا مكر الله ومن جاء بالسيئة فكبت وجوههم في النار
هل تجزون إلا ما كنتم تعملون وقيل السيئة الإشراك يعبر عن الجملة بالوجه والرأس والرقبة
فكأنه قيل فكبوا في النار كقوله تعالى فكبكبوا فيها ويجوز أن يكون ذكر الوجوه إيذانا بأنهم يكبون
فيها منكوسين هل تجزون يجوز فيه الالتفات وحكاية ما يقال لهم عند الكب بإضمار القول إنما
أمرت أن أعبد رب هذه البلدة الذي حرمها وله كل شيء وأمرت أن أكون من المسلمين
وأن أتلو القرآن فمن اهتدى فإنما يهتدي لنفسه ومن ضل فقل إنما أنا من المنذرين
أمر رسوله عليه السلام بأن يقول أمرت أن أخص الله وحده بالعبادة ولا أتخذ له شريكا كما فعلت
قريش وأن أكون من الحنفاء الثابتين على ملة الإسلام وأن أتلو القرآن من التلاوة أو من التلو
كقوله عز وجل واتبع ما يوحى إليك والبلدة مكة حرسها الله اختصها من بين سائر البلاد بإضافة اسمه
إليها لأنها أحب بلاده إليه وأكرمها عليه وأعظمها عنده وهكذا قال رسول الله صلى الله عليه وسلم
حين خرج في مهاجره فلما بلغ الحزورة استقبلها بوجهه الكريم فقال إني أعلم أنك أحب بلاد الله إلى
الله ولولا أن أهلك أخرجوني ما خرجت وأشار إليها إشارة تعظيم لها وتقريب دالا على أنها موطن
نبيه ومهبط وحيه ووصف ذاته بالتحريم الذي هو خاص وصفها فأجزل بذلك قسمها في الشرف
والعلو ووصفها بأنها محرمة لا ينتهك حرمتها إلا ظالم مضاد لربه ومن يرد فيه بإلحاد بظلم نذقه
من عذاب أليم لا يختلى خلاها ولا يعضد شجرها ولا ينفر صيدها واللاجي إليها آمن وجعل دخول
كل شيء تحت ربوبيته وملكوته كالتابع لدخولها تحتهما وفي ذلك إشارة إلى أن ملكا ملك مثل هذه
البلدة عظيم الشأن قد ملكها وملك إليها كل شيء اللهم بارك لنا في سكناها وآمنا فيها شر كل ذي
شر ولا تنقلنا من جوار بيتك إلا إلى دار رحمتك وقرئ التي حرمها واتل عليهم هذا القرآن عن
أبي رضي الله عنه وأن اتل عن ابن مسعود رضي الله عنه فمن اهتدى باتباعه إياي فيما أنا بصدده
من توحيد الله ونفي الأنداد عنه والدخول في الملة الحنيفية واتباع ما أنزل علي من الوحي فمنفعة
اهتدائه راجعة إليه لا إلي ومن ضل ولم يتبعني فلا علي وما أنا إلا رسول منذر وما على الرسول
إلا البلاغ وقل الحمد لله سيريكم آياته فتعرفونها وما ربك بغافل عما تعملون ثم أمره أن
يحمد الله على ما خوله من نعمة النبوة التي لا توازيها نعمة وأن يهدد أعداءه بما سيريهم الله من آياته
التي تلجئهم إلى المعرفة والإقرار بأنها آيات الله وذلك حين لا تنفعهم المعرفة يعني في الآخرة عن الحسن
وعن الكلبي رحمة الله عليهما الدخان وانشقاق القمر وما حل بهم من نقمات الله في الدنيا وقيل هو كقوله
تعالى سنريهم آياتنا في الآفاق وفي أنفسهم الآية وكل عمل يعملونه فإن الله عالم به غير غافل عنه لأن الغفلة
والسهو لا يجوزان على عالم الذات وهو من وراء جزاء العاملين وقرئ تعملون بالياء والتاء عن
النبي صلى الله عليه وسلم من قرأ سورة طس سليمان كان له من الأجر عشر حسنات بعدد من صدق
سليمان وكذب به وهود وشعيب وصالح وإبراهيم ويخرج من قبره وهو ينادي لا إله إلا الله

بسم الله الرحمن الرحيم طسم تلك آيات الكتاب المبين نتلو عليك من نبإ موسى وفرعون بالحق لقوم

على وجوههم

يؤمنون من نبأ موسى وفرعون مفعول نتلو اى نتلو عليك بعض خبرهما بالحق محقين كقوله تعالى تنبت بالدهن لقوم يؤمنون لمن سبق فى علمنا انه يؤمن لان التلاوة انما تنفع هؤلاء دون غيرهم ان فرعون علا فى الارض وجعل اهلها شيعا يستضعف طائفة منهم يذبح ابناءهم ويستحيي نساءهم انه كان من المفسدين ان فرعون جملة مستأنفة كالتفسير للمجمل كان قائلا قال وكيف كان نبأوهما فقال ان فرعون علا فى الارض يعنى ارض مملكته قد طغى فيها وجاوز الحد فى الظلم والعسف شيعا فرقا يشيعونه على ما يريد ويطيعونه لا يملك احد منهم ان يلوى عنقه قال الاعشى

وبلدة يرهب الجواب دلجتها ٭ حتى تراه عليها يبتغى الشيعا

او يشيع بعضهم بعضا فى طاعته او اصنافا فى استخدامه يتسخر صنفا فى بناء وصنفا فى حرث وصنفا فى حفر ومن لم يستعمله ضرب عليه الجزية او فرقا مختلفة قد اغرى بينهم العداوة وهم بنو اسرائيل والقبط والطائفة المستضعفة بنو اسرائيل وسبب ذبح الابناء ان كاهنا قال له يولد مولود فى بنى اسرائيل يذهب ملكك على يده وفيه دليل بين على تناهى حمق فرعون فانه ان صدق الكاهن لم يدفع القتل الكائن وان كذب فما وجه القتل ويستضعف حال من الضمير فى وجعل او صفة لشيعا او كلام مستأنف ويذبح بدل من يستضعف وقوله تعالى انه كان من المفسدين بيان ان القتل ما كان الا فعل المفسدين فحسب لانه فعل لا طائل تحته صدق الكاهن او كذب ونريد ان نمن على الذين استضعفوا فى الارض ونجعلهم ائمة ونجعلهم الوارثين فان قلت علام عطف قوله تعالى ونريد ان نمن وعطفه على نتلو ويستضعف غير سديد قلت هى جملة معطوفة على قوله تعالى ان فرعون علا فى الارض لانها نظيرة تلك فى وقوعها تفسيرا لنبأ موسى وفرعون واقتصاصا له ونريد حكاية حال ماضية ويجوز ان يكون حالا من يستضعف اى يستضعفهم فرعون ونحن نريد ان نمن عليهم فان قلت كيف يجتمع استضعافهم وارادة الله المنة عليهم واذا اراد الله شيئا كان ولا يتوقف الى وقت آخر قلت لما كانت منة الله بخلاصهم من فرعون قريبة الوقوع جعلت ارادة الله وقوعها كانها مقارنة لاستضعافهم ائمة مقتدمين فى الدين والدنيا يطأ الناس اعقابهم وعن ابن عباس رضى الله عنهما قادة يقتدى بهم فى الخير وعن مجاهد دعاة الى الخير وعن قتادة ولاة كقوله تعالى وجعلكم ملوكا الوارثين يرثون فرعون وقومه ملكهم وكل ما كان لهم ونمكن لهم فى الارض ونرى فرعون وهامان وجنودهما منهم ما كانوا يحذرون مكن له اذا جعل له مكانا يقعد عليه او يرقد فوطأه ومهده ونظيره ارض له ومعنى التمكين لهم فى الارض وهى ارض مصر والشام ان يجعلها بحيث لا تنبو بهم ولا تغث عليهم كما كانت فى ايام الجبابرة وينفذ امرهم ويسلطهم وقرئ ويرى فرعون وهامان وجنودهما اى يرون منهم ما حذروه من ذهاب ملكهم وهلاكهم على يد مولود منهم واوحينا الى ام موسى ان ارضعيه فاذا خفت عليه فالقيه فى اليم ولا تخافى ولا تحزنى انا رادوه اليك وجاعلوه من المرسلين اليم البحر قيل هو نيل مصر فان قلت ما المراد بالخوفين حتى اوجب احدهما ونهى عن الآخر قلت اما الاول فالخوف عليه من القتل لانه كان اذا صاح خافت ان يسمع الجيران صوته فينموا عليه واما الثانى فالخوف من الغرق ومن الضياع ومن الوقوع فى يد بعض العيون المبثوثة من قبل فرعون فى تطلب الولدان وغير ذلك من المخاوف فان قلت ما الفرق بين الخوف والحزن قلت الخوف غم يلحق الانسان لمتوقع والحزن غم يلحقه لواقع وهو فراقه والاخطار به فنهيت

عنها

عنهما جميعا وامنت بالوحى اليها ووعدت ما يسليها ويطامن قلبها ويملأها غبطة وسرورا وهو رده اليها وجعله من المرسلين وروى انه ذبح فى طلب موسى عليه السلام تسعون الفا وليد وروى انها حين اقربت وضربها الطلق وكانت بعض القوابل الموكلات بحبالى بنى اسرائيل مصافية لها فقالت لها لينفعنى حبك اليوم فعالجتها فلما وقع الى الارض هالها نور بين عينيه وارتعش كل مفصل منها ودخل حبه قلبها ثم قالت ما جئتك الا لاقتل مولودك واخبر فرعون ولكنى وجدت لابنك حبا ما وجدت مثله فاحفظيه فلما خرجت جاء عيون فرعون فلفته فى خرقة ووضعته فى تنور مسجور لم تعلم ما تصنع لما طاش من عقلها فطلبوا فلم يلقوا شيئا فخرجوا وهى لا تدرى مكانه فسمعت بكاءه من التنور فانطلقت اليه وقد جعل الله النار عليه بردا وسلاما فلما الح فرعون فى طلب الولدان اوحى الله اليها فالقته فى اليم وقد روى انها ارضعته ثلاثة اشهر فى تابوت من بردى مطلى بالقار من داخله فالتقطه آل فرعون ليكون لهم عدوا وحزنا ان فرعون وهامان وجنودهما كانوا خاطئين اللام فى ليكون هى لام كى التى معناها التعليل كقولك جئتك لتكرمنى سواء بسواء ولكن معنى التعليل فيها وارد على طريق المجاز دون الحقيقة لانه لم يكن داعيهم الى الالتقاط ان يكون لهم عدوا وحزنا ولكن المحبة والتبنى غير ان ذلك لما كان نتيجة التقاطهم له وثمرته شبه بالداعى الذى يفعل الفاعل الفعل لاجله وهو الاكرام الذى هو نتيجة المجئ والتأدب الذى هو ثمرة الضرب فى قولك ضربته ليتأدب وتحريره ان هذه اللام حكمها حكم الاسد حيث استعيرت لما يشبه التعليل كما يستعار الاسد لمن يشبه الاسد وقرئ وحزنا وهما لغتان كالعدم والعدم كانوا خاطئين فى كل شئ فليس خطؤهم فى تربية عدوهم ببدع منهم او كانوا مذنبين مجرمين فعاقبهم الله بان ربى عدوهم ومن هو سبب هلاكهم على ايديهم وقرئ خاطين تخفيف خاطئين او خاطين الصواب الى الخطاء وقالت امرأة فرعون قرة عين لى ولك لا تقتلوه عسى ان ينفعنا او نتخذه ولدا وهم لا يشعرون روى انهم حين التقطوا التابوت عالجوا فتحه فلم يقدروا عليه فعالجوا كسره فاعياهم فدنت آسية رضى الله عنها فرأت فى جوف التابوت نورا فعالجته ففتحته فاذا بصبى نوره بين عينيه وهو يمص ابهامه لبنا فاحبوه وكانت لفرعون بنت برصاء وقالت له الاطباء لا تبرأ الا من قبل البحر يوجد فيه شبه انسان دواؤها ريقه فلطخت البرصاء برصها بريقه فبرأت وقيل لما نظرت الى وجهه برأت فقالت ان هذه لنسمة مباركة فهذا احد ما عطفهم عليه فقال الغواة من قومه هو الصبى الذى نحذر منه فأذن لنا فى قتله فهم بذلك فقالت آسية رضى الله عنها قرة عين لى ولك فقال فرعون لك لا لى وروى فى حديث لو قال هو قرة عين لى كما هو لك لهداه الله كما هداها وهذا على سبيل الفرض والتقدير اى لو كان غير مطبوع على قلبه كآسية لقال مثل قولها ولاسلم كما اسلمت هذا ان صح الحديث تأويله والله اعلم بصحته وروى انها قالت له لعله من قوم آخرين ليس من بنى اسرائيل قرة عين خبر مبتدأ محذوف ولا يقوى ان تجعله مبتدأ ولا تقتلوه خبرا ولو نصب لكان اقوى وقراءة ابن مسعود رضى الله عنه دليل على انه خبر قرأ لا تقتلوه قرة عين لى ولك بتقديم لا تقتلوه عسى ان ينفعنا فان فيه مخايل اليمن ودلائل النفع لاهله وذلك لما عاينت من النور وارتضاع الابهام وبرء البرصاء ولعلها توسمت فى سيمائه النجابة المؤذنة بكونه نفاعا او نتبناه فانه اهل له للتبنى ولان يكون ولدا لبعض الملوك فان قلت وهم لا يشعرون حال فما ذو حالها قلت

ذو ناها آل فرعون، وتقدير الكلام فالتقطه آل فرعون ليكون لهم عدوًّا وحزنًا وقالت امرأة فرعون
كذا وهم لا يشعرون أنهم على خطأ عظيم في التقاطه ورجاء النفع منه وتبنيه، وقوله إن فرعون إلى
جملة اعتراضية واقعة بين المعطوف والمعطوف عليه مؤكدة لمعنى خطئهم وما أحسن نظم
هذا الكلام عند المرتاض بعلم محاسن النظم **وأصبح فؤاد أم موسى فارغًا إن كادت لتبدي
به لولا أن ربطنا على قلبها لتكون من المؤمنين**، فارغًا صفرًا من العقل والمعنى أنها حين
سمعت بوقوعه في يد فرعون طار عقلها لما دهمها من فرط الجزع والدهش، ونحوه قوله سبحانه
وتعالى وأفئدتهم هواء أي جوف لا عقول فيها ومنه بيت حسان
ألا أبلغ أبا سفيان عني ... فأنت مجوف نخب هواء، وذلك أن القلوب مراكز العقول ألا ترى
إلى قوله تعالى فتكون لهم قلوب يعقلون بها ويدل عليه قراءة من قرأ فرغًا وقرئ قرعًا أي
خاليًا من قولهم أعوذ بالله من صفر الإناء وقرع الفناء، وفرغًا من قولهم دماؤهم بينهم فرغ أي هدر يعني
بطل قلبها وذهب وبقيت لا قلب لها من شدة ما ورد عليها، لتبدي به لتصرح به والضمير لموسى والمراد
بأمره وقصته وأنه ولدها، لولا أن ربطنا على قلبها بإلهام الصبر كما يربط على الشيء المنفلت ليقر
ويطمئن، لتكون من المؤمنين من المصدقين بوعد الله وهو قوله تعالى إنا رادوه إليك، ويجوز
وأصبح فؤادها فارغًا من الهم حين سمعت أن فرعون عطف عليه وتبناه إن كادت لتبدي بأنه
ولدها لأنها لم تملك نفسها فرحًا وسرورًا بما سمعت لولا أنا طامنا قلبها وسكنا قلقه الذي حدث
به من شدة الفرح والابتهاج لتكون من المؤمنين الواثقين بوعد الله لا بتبني فرعون وتعطفه
وقرئ موسى بالهمز جعلت الضمة في جارة الواو وهي الميم كأنها فيها فهمزت كما همزوا وجوه،
وقالت لأخته قصيه فبصرت به عن جنب وهم لا يشعرون، قصيه اتبعي أثره وتتبعي خبره
وقرئ فبصرت بالكسر يقال بصرت به عن جنب وعن جنابة بمعنى عن بعد وقرئ عن جانب
وعن جنب والجنب الجانب يقال قعد إلى جنبه وإلى جانبه أي نظرت إليه مزورة متجانفة مخاتلة
وهم لا يحسون بأنها أخته وكان اسمها مريم **وحرمنا عليه المراضع من قبل فقالت هل أدلكم
على أهل بيت يكفلونه لكم وهم له ناصحون**، التحريم استعارة للمنع لأن من حرم عليه الشيء
فقد منعه، ألا ترى إلى قولهم محظور وحجر وذلك لأن الله منعه أن يرضع ثديًا فكان لا يقبل ثدي
مرضع قط حتى أهمهم ذلك، والمراضع جمع مرضع وهي المرأة التي ترضع أو جمع مرضع وهو موضع
الرضاع يعني الثدي أو الرضاع، من قبل من قبل قصها أثره روي أنها لما قالت وهم له ناصحون
قال هامان إنها لتعرفه وتعرف أهله فقالت إنما أردت وهم للملك ناصحون، والنصح إخلاص
العمل من شائب الفساد فانطلقت إلى أمها بأمرهم فجاءت بها والصبي على يد فرعون يعلله
شفقة عليه وهو يبكي يطلب الرضاع فحين وجد ريحها استأنس والتقم ثديها فقال لها فرعون
ومن أنت منه فقد أبى كل ثدي إلا ثديك فقالت إني امرأة طيبة الريح طيبة اللبن لا أوتى بصبي إلا
قبلني فدفعه إليها وأجرى عليها وذهبت به إلى بيتها وأنجز الله وعده في الرد فعندها ثبت واستقر
في علمها أن سيكون نبيًّا وذلك قوله تعالى ولتعلم أن وعد الله حق يريد وليثبت علمها ويتمكن فإن
قلت كيف حل لها أن تأخذ الأجر على رضاع ولدها قلت ما كانت تأخذه على أنه أجر على الرضاع
ولكنه مال حربي كانت تأخذه على وجه الاستباحة وقوله ولكن أكثرهم لا يعلمون داخل تحت علمها

المعنى

المعنى لتعلم أن وعد الله حق ولكن أكثر الناس لا يعلمون أنه حق فيرتابون ويشبه التعريض بما فرط منها
حين سمعت بخبر موسى عليه السلام فجزعت وأصبح فؤادها فارغًا يروى أنها حين ألقت التابوت
في البحر جاءها الشيطان فقال لها يا أم موسى كرهت أن يقتل فرعون موسى فتؤجري ثم ذهبت فتوليت
قتله فلما أتاها الخبر بأن فرعون أصابه قالت وقع في يد العدو فنسيت وعد الله، ويجوز أن يتعلق
ولكن بقوله ولتعلم ومعناه أن الرد إنما كان لهذا الغرض الديني وهو علمها بصدق وعد الله ولكن
الأكثر لا يعلمون بأن هذا هو الغرض الأصلي الذي ما سواه تبع له من قرة العين وذهاب الحزن **ولما
بلغ أشده واستوى آتيناه حكمًا وعلمًا وكذلك نجزي المحسنين**، واستوى واعتدل وتم
استحكامه وبلغ المبلغ الذي لا يزاد عليه كما قال لقيط
واستحملوا أمركم لله دركم ... شزر المريرة لا قحمًا ولا ضرعا، وذلك أربعون سنة ويروى
أنه لم يبعث نبي إلا على رأس أربعين سنة، العلم التوراة، والحكم السنة وحكمة الأنبياء سنتهم قال الله
تعالى واذكرن ما يتلى في بيوتكن من آيات الله والحكمة، وقيل معناه آتيناه سيرة الحكماء العلماء وسمتهم
قبل البعث فكان لا يفعل فعلًا يستجهل فيه **ودخل المدينة على حين غفلة من أهلها فوجد فيها
رجلين يقتتلان هذا من شيعته وهذا من عدوه فاستغاثه الذي من شيعته على الذي
من عدوه فوكزه موسى فقضى عليه قال هذا من عمل الشيطان إنه عدو مضل مبين،
قال رب إني ظلمت نفسي فاغفر لي فغفر له إنه هو الغفور الرحيم**، المدينة مصر وقيل
مدينة منف من أرض مصر وحين غفلتهم ما بين العشاءين، وقيل وقت القائلة، وقيل يوم عيد لهم
هم مشتغلون فيه بلهوهم، وقيل لما شب وعقل أخذ يتكلم بالحق وينكر عليهم فأخافوه فلا يدخل قرية
إلا على تغفل وقرئ فاستعانه، من شيعته ممن شايعه على دينه من بني إسرائيل، وقيل
هو السامري من عدوه من مخالفيه من القبط وهو فاتون وكان يتسخر الإسرائيلي لحمل الحطب إلى مطبخ
فرعون، والوكز الدفع بأطراف الأصابع، وقيل بجمع الكف وقرأ ابن مسعود رضي الله عنه فلكزه باللام
فقضى عليه فقتله فإن قلت لم جعل قتل الكافر من عمل الشيطان وسماه ظلمًا لنفسه واستغفر
منه قلت لأنه قتله قبل أن يؤذن له في القتل فكان ذنبًا يستغفر منه، وعن ابن جريج ليس لنبي
أن يقتل ما لم يؤمر **قال رب بما أنعمت علي فلن أكون ظهيرًا للمجرمين**، بما أنعمت علي يجوز أن
يكون قسمًا جوابه محذوف تقديره أقسم بإنعامك علي بالمغفرة لأتوبن فلن أكون ظهيرًا للمجرمين،
وأن يكون استعطافًا كأنه قال رب اعصمني بحق ما أنعمت علي من المغفرة فلن أكون إن عصمتني ظهيرًا
للمجرمين وأراد بمظاهرة المجرمين إما صحبة فرعون وانتظامه في جملته وتكثيره سواده حيث كان
يركب بركوبه كالولد مع الوالد وكان يسمى ابن فرعون، وإما مظاهرة من أدت مظاهرته إلى الجرم
والإثم كمظاهرة الإسرائيلي المؤدية إلى القتل الذي لم يحل له، وعن ابن عباس رضي الله عنهما لم يستثن
فابتلي به مرة أخرى يعني لم يقل فلن أكون إن شاء الله وهذا نحو قوله عز وجل ولا تركنوا إلى الذين
ظلموا، وعن عطاء رحمة الله عليه أن رجلًا قال له إن أخي يضرب بقلمه ولا يعدو رزقه قال فمن الرأس
يعني من يكتب له قال خالد بن عبد الله القسري قال فأين قول موسى وتلا هذه الآية وفي
الحديث ينادي مناد يوم القيامة أين الظلمة وأشباه الظلمة وأعوان الظلمة حتى من لاق لهم دواة
أو برى لهم قلمًا فيجمعون في تابوت من حديد فيرمى به في جهنم، وقيل معناه بما أنعمت علي من القوة

فلن استعملها الا في مظاهرة اوليائك واهل طاعتك والايمان بك ولا ادع قبطيا يغلب احدا من بني اسرائيل فاصبح في المدينة خائفا يترقب فاذا الذي استنصره بالامس يستصرخه قال له موسى انك لغوي مبين يترقب المكروه وهو الاستقادة منه او الاخبار وما يقال فيه ووصف الاسرائيلي بالغي لانه كان سبب قتل رجل وهو يقاتل اخر فلما ان اراد ان يبطش بالذي هو عدو لهما قال يا موسى اتريد ان تقتلني كما قتلت نفسا بالامس ان تريد الا ان تكون جبارا في الارض وما تريد ان تكون من المصلحين **وقرئ** يبطش بالضم والذي هو عدو لهما القبطي لانه ليس على دينهما ولان القبط كانوا اعداء بني اسرائيل والجبار الذي يفعل ما يريد من الضرب والقتل بظلم لا ينظر في العواقب ولا يدفع بالتي هي احسن وقيل المتعظم الذي لا يتواضع لامر الله ولما قال هذا افشى على موسى فانتشر الحديث في المدينة ورقي الى فرعون وهموا بقتله وجاء رجل من اقصى المدينة يسعى قال يا موسى ان الملأ يأتمرون بك ليقتلوك فاخرج اني لك من الناصحين قيل الرجل مؤمن من ال فرعون وكان ابن عم فرعون ويسعى يجوز ارتفاعه وصفا لرجل وانتصابه حالا عنه لانه قد تخصص بان وصف بقوله من اقصى المدينة واذا جعل صلة لجاء لم يجز في يسعى الا الوصف والايتمار التشاور يقال الرجلان يتأمران ويأتمران لان كل واحد منهما يأمر صاحبه بشيء او يشير عليه بامر والمعنى يتشاورون بسببك لك بيان وليس بصلة الناصحين فخرج منها خائفا يترقب قال رب نجني من القوم الظالمين ولما توجه تلقاء مدين قال عسى ربي ان يهديني سواء السبيل يترقب التعرض له او ان يلحق تلقاء مدين قصدها ونحوها ومدين قرية شعيب عليه السلام سميت بمدين بن ابراهيم ولم تكن في سلطان فرعون وبينها وبين مصر مسيرة ثمان وكان موسى عليه السلام لا يعرف اليها الطريق قال ابن عباس رضي الله عنهما خرج وليس له علم بالطريق الا حسن ظنه بربه وسواء السبيل وسطه ومعظم نهجه وقيل خرج خائفا لا يعيش الا بورق الشجر فما وصل حتى سقط خف قدميه وقيل جاء ملك على فرس بيده عنزة فانطلق به الى مدين ولما ورد ماء مدين وجد عليه امة من الناس يسقون ماء مدين ماؤهم الذي يستقون منه وكان بئرا فيما روي ووروده مجيئه والوصول اليه وجد عليه وجد فوق شفيره ومستقاه امة جماعة كثيفة العدد من اناس مختلفين ووجد من دونهم امرأتين تذودان قال ما خطبكما قالتا لا نسقي حتى يصدر الرعاء وابونا شيخ كبير من دونهم في مكان اسفل من مكانهم والذود الطرد والدفع وانما كانتا تذودان لان على الماء من هو اقوى منهما فلا يتمكنان من السقي وقيل كانتا تكرهان المزاحمة على الماء وقيل لئلا تختلط اغنامهما باغنامهم وقيل تذودان عن وجوههما نظر الناظر لتسترهما ما خطبكما ما شانكما وحقيقته ما مخطوبكما اي مطلوبكما من الذياد فسمي المخطوب خطبا كما سمي المشؤون شانا في قولك ما شانك يقال شانت شانه اي قصدت قصده **وقرئ** لا نسقي ويصدر والرعاء بضم النون والياء والراء والرعاء اسم جمع كالرخال والثناء واما الرعاء بالكسر فقياس كصيام وقيام كبير كبير السن فسقى لهما ثم تولى الى الظل فقال رب اني لما انزلت الي من خير فقير فسقى لهما فسقى غنمهما لاجلهما **وروي** ان الرعاء كانوا يضعون على رأس البئر حجرا لا يقله الا سبعة رجال وقيل عشرة وقيل مائة فاقله وحده وروي انه سألهم دلوا من ماء فاعطوه دلوهم وقالوا استق بها وكانت لا ينزعها الا اربعون فاستقى بها وصبها في الحوض ودعا بالبركة وروى غنمهما واصدرهما وروي انه دفعهم عن الماء حتى سقى لهما وقيل كانت بئرا اخرى عليها

الصخرة وانما فعل هذا رغبة في المعروف واغاثة للملهوف والمعنى انه وصل الى ذلك الماء وقد ازدحمت عليه امة من اناس مختلفة متكاثفة العدد وراى الضعيفتين من ورائهم مع غنيمتهما مترقبتين لفراغهم فما اخطات همته في دين الله تعالى تلك الفرصة مع ما كان به من النصب وسقوط خف القدم والجوع ولكنه رحمهما فاغاثهما وكفاهما امر السقي في مثل تلك الزحمة بقوة قلبه وقوة ساعده وما اتاه الله من الفضل في متانة الفطرة ورصانة الجبلة وفيه مع ارادة اقتصاص امره وما اوتي من البطش والقوة وما لم يغفل عنه على ما كان به من انتهاز فرصة الاحتساب ترغيب في الخير وانتهاز فرصه وبعث على الاقتداء في ذلك بالصالحين والاخذ بسيرهم ومذاهبهم **فان قلت** لم ترك المفعول غير مذكور في قوله تعالى يسقون وتذودان ولا نسقي **قلت** لان الغرض هو الفعل لا المفعول الا ترى انه انما رحمهما لانهما كانتا على الذياد وهم على السقي ولم يرحمهما لان مذودهما غنم ومسقيهم ابل مثلا وكذلك قولهما لا نسقي حتى يصدر الرعاء المقصود فيه السقي لا المسقي **فان قلت** كيف طابق جوابهما سؤاله سألهما عن سبب الذود فقالتا السبب في ذلك انا امرأتان ضعيفتان مستورتان لا نقدر على مساجلة الرجال ومزاحمتهم فلا بد لنا من تأخير السقي الى ان يفرغوا وما لنا رجل يقوم بذلك وابونا شيخ قد اضعفه الكبر فلا يصلح للقيام ابدانا اليه عذرهما في توليهما السقي بانفسهما **فان قلت** كيف ساغ لنبي الله الذي هو شعيب عليه السلام ان يرضى لابنتيه بسقي الماشية **قلت** الامر في نفسه ليس بمحظور فالدين لا يأباه واما المروءة فالناس مختلفون في ذلك والعادات متباينة فيه واحوال العرب فيه خلاف احوال العجم ومذهب اهل البدو فيه غير مذهب اهل الحضر خصوصا اذا كانت الحالة حالة ضرورة اني لاي شيء انزلت الي قليل او كثير غث او سمين لفقير وانما عدي فقير باللام لانه ضمن معنى سائل وطالب قيل ذكر ذلك وان خضرة البقل تتراءى في بطنه من الهزال ما سأل الله الا اكلة ويحتمل ان يريد اني فقير من الدنيا لاجل ما انزلت الي من خير الدين وهو النجاة من الظالمين لانه كان عند فرعون في ملك وثروة قال ذلك رضى بالبدل السني وفرحا به وشكرا له وكان الظل ظل سمرة فجاءته احداهما تمشي على استحياء قالت ان ابي يدعوك ليجزيك اجر ما سقيت لنا فلما جاءه وقص عليه القصص قال لا تخف نجوت من القوم الظالمين على استحياء في موضع الحال اي مستحيية متخفرة وقيل قد استترت بكم درعها **وروي** انهما لما رجعتا الى ابيهما قبل الناس واغنامهما حفل بطان قال لهما ما اعجلكما قالتا وجدنا رجلا صالحا رحمنا فسقى لنا فقال لاحديهما اذهبي فادعيه لي فتبعها موسى فالزقت الريح ثوبها بجسدها فوصفته فقال لها امشي خلفي وانعتي لي الطريق فلما قص عليه قصته قال له لا تخف فلا سلطان لفرعون بارضنا **فان قلت** كيف ساغ لموسى ان يعمل بقول امرأة وان يمشي معها وهي اجنبية **قلت** اما العمل بقول امرأة فكما نعمل بقول الواحد حرا كان او عبدا ذكرا كان او انثى في الاخبار وما كانت الا مخبرة عن ابيها بانه يدعوه ليجزيه واما مماشاته امرأة اجنبية فلا بأس بها في نظائر تلك الحال مع ذلك الاحتياط والتورع **فان قلت** كيف صح له اخذ الاجر على البر والمعروف يجوز ان يكون قد فعل ذلك لوجه الله على سبيل البر والمعروف وقبل اطعام شعيب عليه السلام واحسانه لا على سبيل اخذ الاجر ولكن على سبيل التقبل لمعروف مبتدأ كيف وقد قص عليه قصصه وعرفه انه من بيت النبوة من اولاد يعقوب عليه السلام ومثله حقيق بان يضيف ويكرم خصوصا في دار نبي من انبياء الله وليس بمنكر ان يفعل ذلك لاضطرار الفقر والفاقة طلبا للاجر وقد روي ما يعضد كلا القولين روي

انّهما لمّا قالت له ليجزيك كره ذلك ولمّا قدّم اليه الطّعام امتنع وقال انا اهل بيت لا نبيع ديننا بطلاع الارض
ذهبا ولا ناخذ على المعروف ثمنا حتّى قال شعيب عليه السلام هذه عادتنا مع كلّ من ينزل بنا • وعن عطاء
ابن السايب رفع صوته بدعائه ليسمعهما فلذلك قيل ليجزيك اجر ما سقيت لي جزاء سقيك • والقصص مصدر
كالعلل سمّي به المقصوص **قالت احديهما يا ابت استاجره ان خير من استاجرت القوى الامين**
كبراهما كانت تسمّى صفراء والصغرى صفيرا وصفراء هي الّتي ذهبت به وطلبت الى ابيها ان يستاجره وهي
الّتي تزوّجها • وعن ابن عبّاس رضي الله عنهما انّ شعيبا عليه السلام احفظته الغيرة فقال وما علمك
بقوّته وامانته فذكرت اقلال الحجر ونزع الدّلو وانّه صوّب راسه حتّى بلّغته رسالته وامرها بالمشى
خلفه • وقولها انّ خير من استاجرت القوىّ الامين كلام حكيم جامع لا يزاد عليه لانّه اذا اجتمعت
هاتان الخصلتان اعني الكفاية والامانة في القائم بامرك فقد فرغ بالك وتمّ مرادك وقد استغنت
بارسال هذا الكلام الّذي سياقه سياق المثل والحكمة ان تقول استاجره لقوّته وامانته **فان
قلت** كيف جعل خير من استاجرت اسما لانّ والقوىّ الامين خبرا **قلت** هو مثل قوله •
• الا انّ خير النّاس حيّا وهالكا • اسير ثقيف عندهم في السّلاسل • في انّ العناية هي سبب
التّقديم وقد صدقت حتّى جعلها ما هو احقّ بان يكون خبرا اسما وورود الفعل بلفظ الماضي للدلالة
على انّه امر قد جرّب وعرف • ومنه قولهم اهون ما اعملت لسان ممخ • وعن ابن مسعود رضي الله عنه افرس
النّاس ثلاثة بنت شعيب • وصاحب يوسف في قوله عسى ان ينفعنا • وابو بكر في عمر رضي الله عنهما
**قال انّي اريد ان انكحك احدى ابنتيّ هاتين على ان تاجرني ثماني حجج فان اتممت عشرا فمن عندك
وما اريد ان اشقّ عليك ستجدني ان شاء الله من الصّالحين** **وروي** انّه انكحه صفراء وقوله
هاتين فيه دليل على انّه كانت له غيرهما • تاجرني من اجرته اذا كنت له اجيرا كقولك ابوته اذا كنت له ابا
وثماني حجج ظرفه • او من اجرته كذا اذا اثبته اياه • ومنه تعزية رسول الله عليه السلام اجركم الله ورحمكم
وثماني حجج مفعول به ومعناه رعية ثماني حجج **فان قلت** كيف صحّ ان ينكحه احدى ابنتيه من غير تمييز
قلت لم يكن ذلك عقدا للنّكاح ولكن مواعدة ومواصفة امر قد عزم عليه ولو كان عقدا لقال قد
انكحتك ولم يقل انّي اريد ان انكحك • فان قلت كيف صحّ ان تمهرها اجارة نفسه في رعية الغنم ولا بدّ
من تسليم ما هو مال • الا ترى الى ابي حنيفة رحمة الله عليه كيف منع ان يتزوّج امراة بان تخدمه سنة
وجوّز ان يتزوّجها بان تخدمها عبده سنة او يسكنها داره سنة لانّه في الاوّل مسلّم نفسه وليس
بمال وفي الثّاني هو مسلّم مالا وهو العبد والدّار • قلت الامر على مذهب ابي حنيفة رحمة الله عليه على
ما ذكرت • وامّا الشّافعي رضي الله عنه فقد جوّز التزوّج على الاجارة لبعض الاعمال والخدمة اذا كان
المستاجر له او المخدوم فيه امرا معلوما ولعلّ ذلك كان جائزا في تلك الشّريعة • ويجوز ان يكون المهر
شيئا اخر وانّما اراد ان يكون راعي غنمه هذه المدّة واراد ان ينكحه ابنته فذكر له المرادين وعلّق
الانكاح بالرّعية على معنى انّي افعل هذا اذا فعلت ذاك على وجه المعاهدة لا على وجه المعاقدة • ويجوز
ان يستاجره لرعيه ثماني سنين بمبلغ معلوم ويوفيه اياه ثمّ ينكحه ابنته به ويجعل قوله على ان تاجرني
ثماني حجج عبارة عمّا جرى بينهما • فان اتممت عشر حجج فمن عندك فاتمامه من عندك لا من عندي يعني
لا الزمكه ولا احتمه عليك ولكنّك ان فعلته فهو منك تفضّل وتبرّع والّا فلا عليك • وما اريد ان اشقّ
عليك بالزام اتمّ الاجلين وايجابه **فان قلت** ما حقيقة قولهم شققت عليه وشقّ عليه الامر قلت

حقيقته انّ الامر اذا تعاظمك فكانّه شقّ عليك ظنّك باثنين تقول تارة اطيقه وتارة لا اطيقه او وعده
المساهلة والمسامحة وانّه لا يشقّ عليه فيما استاجره له من رعي غنمه ولا يفعل نحو ما يفعل المعاسرون من
المسترعين من المناقشة في مراعاة الاوقات والمداقّة في استيفاء الاعمال وتكليف الرّعاة اشغالا خارجة
من حدّ الشّرط وهكذا كان الانبياء عليهم السلام اخذين بالاسمح في معاملات النّاس **ومنه** الحديث
كان رسول الله عليه السلام شريكي فكان خير شريك لا يداري ولا يشاري ولا يماري وقوله تعالى ستجدني
ان شاء الله من الصّالحين يدلّ على ذلك يريد بالصّلاح حسن المعاملة ووطاءة الخلق ولين الجانب
ويجوز ان يريد الصّلاح على العموم ويدخل تحته حسن المعاملة والمراد باشتراط مشيئة الله فيما وعد
من الصّلاح الاتّكال على توفيقه فيه ومعونته لا انّه يستعمل الصّلاح ان شاء الله وان شاء استعمل خلافه
قال ذلك بيني وبينك ايّما الاجلين قضيت فلا عدوان عليّ والله على ما نقول وكيل • ذلك مبتدا
وبيني وبينك خبره وهو اشارة الى ما عاهده عليه شعيب عليه السلام يريد ذلك الّذي قلته
وعاهدتني فيه وشارطتني عليه قائم بيننا جميعا لا يخرج كلانا عنه لا انا عمّا شرطت ولا انت عمّا شرطت
على نفسك ثمّ قال ايّ اجل قضيت من الاجلين اطولهما الّذي هو العشر او اقصرهما الّذي هو الثّمان
فلا عدوان عليّ اي لا يعتدى عليّ في طلب الزّيادة عليه **فان قلت** تصوّر العدوان انّما هو في احد
الاجلين الّذي هو الاقصر وهو المطالبة بتتمّة العشر فما معنى تعليق العدوان بهما جميعا **قلت**
معناه كما انّي ان طولبت بالزّيادة على العشر كان عدوانا لا شكّ فيه فكذلك ان طولبت بالزّيادة على الثّمان
اراد بذلك تقرير امر الخيار وانّه ثابت مستقرّ وانّ الاجلين على السّواء امّا هذا وامّا هذا من غير تفاوت
بينهما في القضاء وامّا التّتمّة فموكولة الى رايي ان شئت اتيت بها والّا لم اجبر عليها • وقيل معناه فلا اكون
معتديا وهو في نفي العدوان عن نفسه كقولك لا اثم عليّ ولا تبعة عليّ • وفي قراءة ابن مسعود رضي الله عنه
ايّ الاجلين ما قضيت • وقرئ ايما بسكون الياء **كقوله** •
• تنظّرت نصرا والسّماكين ايهما • عليّ من الغيث استهلّت مواطره • وعن ابن قطيب عدوان
بالكسر **فان قلت** ما الفرق بين موقعي ما المزيدة في القراءتين **قلت** وقعت في المستفيضة مؤكّدة
لابهام ايّ زائدة في شياعها وفي الشّاذة تاكيدا للقضاء كانّه قال ايّ الاجلين صمّمت على قضائه وجرّدت
عزيمتي الوكيل الّذي وكل اليه الامر ولمّا استعمل في موضع الشّاهد والمهيمن والمقيت عدّي بعلى لذلك
روي انّ شعيبا عليه السلام كانت عنده عصيّ الانبياء فقال لموسى عليه السلام ادخل ذلك البيت فخذ
عصا من تلك العصيّ فاخذ عصا هبط بها ادم من الجنّة ولم يزل الانبياء يتوارثونها حتّى وقعت الى
شعيب عليه السلام فمسّها وكان مكفوفا فضنّ بها فقال غيرها فما وقع في يده الا هي سبع مرّات فعلم
انّ له شانا • وقيل اخذها جبريل بعد موت ادم فكانت معه حتّى لقي بها موسى ليلا • وقيل اودعها شعيبا
ملك في صورة رجل فامر بنته ان تاتيه بعصا فاتته بها فردّها سبع مرّات فلم يقع في يدها غيرها
فدفعها اليه ثمّ ندم لانّها وديعة فتبعه فاختصما فيها ورضيا ان يحكم بينهما اوّل طالع فاتاهما الملك
فقال القياها فمن رفعها فهي له فعالجها الشّيخ فلم يطقها ورفعها موسى عليه السلام • وعن الحسن رحمة
الله عليه ما كانت الّا عصا من الشّجر اعترضها اعتراضا • وعن الكلبي الشّجرة الّتي منها نودي شجرة العوسج
ومنها كانت عصاه ولمّا اصبح قال له شعيب اذا بلغت مفرق الطّريق فلا تاخذ على يمينك فانّ الكلا وان
كان بها اكثر الّا انّ فيها تنّينا اخشاه عليك وعلى الغنم فاخذت الغنم ذات اليمين ولم يقدر على كفّها

بالليل

فتى يجئ اثرها فاذا عشبة وريقة لم ير مثله فنام فاذا بالتنين قد اقبل فحاربته العصا حتى قتلته وعادت الى جنب موسى عليه السلام دامية فلما ابصرها دامية والتنين مقتولا ارتاح لذلك ولما رجع الى شعيب عليه السلام مس الغنم فوجدها ملأى البطون غزيرة اللبن فاخبره موسى عليه السلام ففرح وعلم ان لموسى عليه السلام والعصا شأنا وقال له انى وهبت لك من نتاج غنمى هذا العام كل ادرع ودرعاء فاوحى اليه فى المنام ان اضرب بعصاك مستقى الغنم ففعل ثم سقى فما اخطأت واحدة الا وضعت ادرع ودرعاء فوفى له بشرطه ● سئل رسول الله صلى الله عليه وسلم اى الاجلين قضى موسى فقال ابعدهما وابطأهما وروى انه قال قضى اوفاهما وتزوج صغراهما وهذا خلاف الرواية التى سبقت فلما قضى موسى الاجل وسار باهله آنس من جانب الطور نارا قال لاهله امكثوا انى آنست نارا لعلى آتيكم منها بخبر او جذوة من النار لعلكم تصطلون ● الجذوة باللغات الثلاث وقرئ بهن جميعا العود الغليظ كانت فى رأسه نار او لم تكن قال ● كثير باتت حواطب ليلى يلتمسن لها ● جزل الجذى غير خوار ولا دعر ● وقال ● والقى على قبس من النار جذوة ● شديدا عليه حرها والتهابها ● فلما اتاها نودى من شاطئ الواد الايمن فى البقعة المباركة من الشجرة ان يا موسى انى انا الله رب العالمين وان الق عصاك فلما رآها تهتز كأنها جان ولى مدبرا ولم يعقب يا موسى اقبل ولا تخف انك من الآمنين اسلك يدك فى جيبك تخرج بيضاء من غير سوء ● من الاولى والثانية لابتداء الغاية اى اتاه النداء من شاطئ الوادى من قبل الشجرة ومن الشجرة بدل من قوله من شاطئ الوادى بدل الاشتمال لان الشجرة كانت نابتة على الشاطئ كقوله تعالى لجعلنا لمن يكفر بالرحمن لبيوتهم وقرئ البقعة بالضم والفتح واضمم اليك جناحك من الرهب فذانك برهانان من ربك الى فرعون وملئه انهم كانوا قوما فاسقين ● والرهب بفتحتين وضمتين وفتح وسكون وضم وسكون وهو الخوف فان قلت ما معنى قوله واضمم اليك جناحك من الرهب فيه معنيان ● احدهما ان موسى عليه السلام لما قلب الله العصا حية فزع واضطرب فاتقاها بيده كما يفعل الخائف من الشئ فقيل له ان اتقاءك بيدك فيه غضاضة عند الاعداء فاذا القيتها فكما تنقلب حية فادخل يدك تحت عضدك مكان اتقائك بها ثم اخرجها بيضاء ليحصل الامران اجتناب ما هو غضاضة عليك واظهار معجزة اخرى والمراد بالجناح اليد لان يدى الانسان بمنزلة جناحى الطائر واذا ادخل يده اليمنى تحت عضد يده اليسرى فقد ضم جناحه اليه ● والثانى ان يراد بضم جناحه اليه تجلده وضبطه نفسه وتشدده عند انقلاب العصا حية حتى لا يضطرب ولا يرهب استعارة من فعل الطائر لانه اذا خاف نشر جناحيه وارخاهما والا فجناحاه مضمومان اليه مشمران ● ومنه ما يحكى عن عمر بن عبد العزيز رحمة الله عليه ان كاتبا له كان يكتب بين يديه فانفلتت منه فلتة ريح فخجل وانكسر فقام وضرب بقلمه الارض فقال له عمر خذ قلمك واضمم اليك جناحك وليفرخ روعك فانى ما سمعتها من احد اكثر مما سمعتها من نفسى ومعنى قوله من الرهب من اجل الرهب اى اذا اصابك الرهب عند رؤية الحية فاضمم اليك جناحك جعل الرهب الذى كان يصيبه سببا وعلة فيما امر به من ضم جناحه اليه ومعنى واضمم اليك جناحك وقوله اسلك يدك فى جيبك على احد التفسيرين واحد ولكن خولف بين العبارتين وانما كرر المعنى الواحد لاختلاف الغرضين وذلك ان الغرض فى احدهما خروج اليد بيضاء وفى الثانى اخفاء الرهب فان قلت قد جعل الجناح وهو اليد فى احد الموضعين مضموما وفى الآخر مضموما اليه وذلك قوله تعالى واضمم

اليك جناحك وقوله واضمم يدك الى جناحك فما التوفيق بينهما قلت المراد بالجناح المضموم هو اليد اليمنى وبالمضموم اليه اليد اليسرى وكل واحدة من يمنى اليدين ويسراهما جناح ● ومن بدع التفاسير ان الرهب الكم بلغة حمير وانهم يقولون اعطنى مما فى رهبك وليت شعرى كيف صحته فى اللغة وهل سمع من الاثبات الثقات الذين ترتضى عربيتهم ثم ليت شعرى كيف موقعه فى الآية وكيف تطبيقه المفصل كسائر كلمات التنزيل على ان موسى عليه السلام ما كان عليه ليلة المناجاة الا زرمانقة من صوف لا كمى لها ● فذانك قرئ مخففا ومشددا فالمخفف مثنى ذاك والمشدد مثنى ذلك ● برهانان حجتان بينتان نيرتان فان قلت لم سميت الحجة برهانا قلت لبياضها وانارتها من قولهم للمرأة البيضاء برهرهة بتكرير العين واللام معا والدليل على زيادة النون قولهم ابره الرجل اذا جاء بالبرهان ونظيره تسميتهم اياها سلطانا من السليط وهو الزيت لانارتها قال رب انى قتلت منهم نفسا فاخاف ان يقتلون واخى هارون هو افصح منى لسانا فارسله معى ردءا يصدقنى انى اخاف ان يكذبون يقال ردأته اعنته والردء اسم ما يعان به فعل بمعنى مفعول به كما ان الدفء اسم لما يدفأ به قال سلامة بن جندل ● وردئى كل ابيض مشرفى ● شحيذ الحد عضب ذى فلول ● وقرئ ردا على التخفيف كما قرئ الخب ● ردا يصدقنى بالرفع والجزم صفة وجواب نحو وليا يرثنى سواء فان قلت تصديق اخيه ما الفائدة فيه قلت ليس الغرض بتصديقه ان يقول له صدقت او يقول للناس صدق موسى وانما هو ان يلخص بلسانه الحق ويبسط القول فيه ويجادل به الكفار كما يفعل الرجل المنطيق ذو العارضة فذلك جار مجرى التصديق المفيد كما يصدق القول بالبرهان ● الا ترى الى قوله واخى هارون هو افصح منى لسانا فارسله معى ● وفضل الفصاحة انما يحتاج اليه لذلك لا لقوله صدقت فان سحبان وباقلا يستويان فيه ● او يصل جناح كلامه بالبيان حتى يصدقه القوم الذى يخاف تكذيبه فاسند التصديق الى هارون لانه السبب فيه اسنادا مجازيا ومعنى الاسناد المجازى ان التصديق حقيقة فى المصدق فاسناده اليه حقيقة وليس فى السبب تصديق ولكن استعير له الاسناد لانه لابس التصديق بالتسبب كما لابسه الفاعل بالمباشرة والدليل على هذا الوجه قوله انى اخاف ان يكذبون ك وقراءة من قرأ ردءا يصدقونى وفيها تقوية للقراءة بجزم يصدقنى قال سنشد عضدك باخيك ونجعل لكما سلطانا فلا يصلون اليكما بآياتنا انتما ومن اتبعكما الغالبون ● العضد قوام اليد وبشدتها تشتد قال طرفة ● ابنى لبينى لستم بيد ● الا يدا ليست لها عضد ● ويقال فى دعاء الخير شد الله عضدك ● وفى ضده فت الله فى عضدك ومعنى سنشد عضدك باخيك سنقويك به ونعينك فاما ان يكون ذلك لان اليد تشتد بشدة العضد والجملة تقوى بشدة اليد على مزاولة الامور ● واما لان الرجل شبه باليد فى اشتدادها باشتداد العضد فجعل كأنه يد مشتدة بعضد شديد يده سلطانا غلبة وتسلطا او حجة واضحة ● بآياتنا متعلق بنحو ما تعلق به فى تسع آيات اى اذهبا بآياتنا او بنجعل لكما سلطانا اى نسلطكما بآياتنا او بلا يصلون اى تمتنعون منهم بآياتنا او هو بيان للغالبون لا صلة لامتناع تقدم الصلة على الموصول ولو تأخر لم يكن الا صلة له ● ويجوز ان يكون قسما جوابه لا يصلون مقدما عليه او من لغو القسم فلما جاءهم موسى بآياتنا بينات قالوا ما هذا الا سحر مفترى وما سمعنا بهذا فى آبائنا الاولين ● سحر مفترى سحر تعمله انت ثم تفتريه على الله او سحر ظاهر افتراؤه او موصوف بالافتراء كسائر انواع السحر وليس بمعجزة من عند الله ● و

أباطيل منقولة عن هذا أي كائنا في زمانهم وأيام آبائهم يريد ما حدثنا بكونه فيهم ولا يخلو من أن يكونوا
كاذبين في ذلك وقد سمعوا وعلموا بنحوه، أو يريدوا أنهم لم يسمعوا بمثله في فظاعته، أو ما كان الكهان
يخبرون بظهور موسى ومجيئه بما جاء به وهذا دليل أنهم حجوا وبهتوا وما وجدوا ما يدفعون به ما جاءهم
من الآيات إلا قولهم هذا سحر وبدعة لم يسمعوا بمثلها وقال موسى ربي أعلم بمن جاء بالهدى ومن من عنده
تكون له عاقبة الدار إنه لا يفلح الظالمون، يقول ربي أعلم منكم بحال من أهله الله للفلاح
الأعظم حيث جعله نبيا وبعثه بالهدى ووعده حسن العقبى يعني نفسه ولو كان كما تزعمون كاذبا
ساحرا مفتريا لما أهله لذلك لأنه غني حكيم لا يرسل الكاذبين ولا ينبئ الساحرين ولا يفلح عنده
الظالمون، وعاقبة الدار هي العاقبة المحمودة والدليل عليه قوله عز وجل أولئك لهم عقبى الدار
جنات عدن وقوله وسيعلم الكافر لمن عقبى الدار، والمراد بالدار الدنيا وعاقبتها وعقباها أن يختم
للعبد بالرحمة والرضوان وتلقي الملائكة بالبشرى عند الموت **فإن قلت** العاقبة المحمودة
والمذمومة كلتاهما يصح أن تسمى عاقبة الدار لأن الدنيا إما أن تكون خاتمتها بخير أو بشر فلم اختصت
خاتمتها بالخير بهذه التسمية دون خاتمتها بالشر **قلت** قد وضع الله سبحانه الدنيا مجازا إلى
الآخرة وأراد بعباده أن لا يعملوا فيها إلا الخير وما خلقهم إلا لأجله ليتلقوا خاتمة الخير وعاقبة الصدق
ومن عمل فيها خلاف ما وضعها الله له فقد حرف فإذن عاقبتها الأصلية هي عاقبة الخير وأما عاقبة السوء
فلا اعتداد بها لأنها من نتائج تحريف الفجار **وقرأ** ابن كثير قال موسى بغير واو وكذا في مصاحف أهل
مكة وهي قراءة حسنة لأن الموضع موضع سؤال وبحث عما أجابهم به موسى عند تسميتهم مثل تلك
الآيات الباهرة سحرا مفترى، ووجه الأخرى أنهم قالوا ذلك وقال موسى عليه السلام هذا ليوازن
الناظر بين القول والمقول ويتبصر فساد أحدهما وصحة الآخر، وبضدها تتبين الأشياء **وقرئ**
تكون بالتاء والياء وقال فرعون يا أيها الملأ ما علمت لكم من إله غيري فأوقد لي يا هامان
على الطين فاجعل لي صرحا لعلي أطلع إلى إله موسى وإني لأظنه من الكاذبين **روي**
أنه لما أمر ببناء الصرح جمع هامان العمال حتى اجتمع خمسون ألف بناء سوى الأتباع والأجراء وأمر
بطبخ الآجر والجص ونجر الخشب وضرب المسامير فشيده حتى بلغ ما لم يبلغه بنيان أحد من الخلق
فكان الباني لا يقدر أن يقوم على رأسه يبني فبعث الله تعالى جبريل عليه السلام عند غروب الشمس فضربه
بجناحه فقطعه ثلاث قطع وقعت قطعة على عسكر فرعون فقتلت ألف ألف رجل، ووقعت قطعة في البحر
وقطعة في المغرب ولم يبق أحد من عماله إلا قد هلك **ويروى** في هذه القصة أن فرعون ارتقى فوقه
فرمى بنشابة نحو السماء فأراد الله تعالى أن يفتنهم فردت إليه وهي ملطوخة بالدم فقال قد قتلت إله
موسى فعندها بعث الله تعالى جبريل عليه السلام لهدمه والله أعلم بصحته، قصد بنفي علمه بإله غيره
نفي وجوده معناه ما لكم من إله غيري كما قال الله سبحانه وتعالى قل أتنبئون الله بما لا يعلم في السموات
ولا في الأرض معناه بما ليس فيهن وذلك لأن العلم تابع للمعلوم لا يتعلق به إلا على ما هو عليه فإذا كان
الشيء معدوما لم يتعلق به موجودا فمن ثم كان انتفاء العلم لانتفاء وجوده وعبر عن انتفاء وجوده بانتفاء العلم
بوجوده، ويجوز أن يكون على ظاهره وأن إلها غيره غير معلوم عنده ولكنه مظنون بدليل قوله تعالى
وإني لأظنه من الكاذبين، وإذا ظن موسى كاذبا في إثباته إلها غيره ولم يعلمه كاذبا فقد ظن أن في الوجود
إلها غيره ولو لم يكن المخذول ظانا ظنا كاليقين بل عالما بصحة قول موسى عليه السلام لقول موسى له لقد

علمت

علمت ما أنزل هؤلاء إلا رب السموات والأرض بصائر لما تكلف ذلك البنيان العظيم ولما تعب في بنائه ما
تعب لعله يطلع بزعمه إلى إله موسى وإن كان جاهلا مفرط الجهل به وبصفاته حيث حسب أنه في مكان كما كان هو
في مكان وأنه يطلع إليه كما كان يطلع إليه إذا قعد في علييه وأنه ملك السماء كما أنه ملك الأرض ولا ترى
بينة أثبت شهادة على إفراط جهله وغباوته وجهل ملائه وغباوتهم من أنهم راموا نيل أسباب السموات
بصرح يبنونه وليت شعري أكان يلبس على أهل بلاده ويضحك من عقولهم حيث صادفهم أغبى الناس وأخلاهم
من الفطن وأشبههم بالبهائم بذلك أم كان في نفسه بتلك الصفة وإن صح ما حكي من رجوع النشابة إليه
ملطوخة بالدم فتهكم به بالفعل كما جاء التهكم بالقول في غير موضع من كتاب الله بنظرائه من الكفرة ويجوز
أن يفسر الظن على القول الأول باليقين **كقوله** فظنوا أنهم مواقعوها، ويكون بناء الصرح مناقضة
لما ادعاه من العلم واليقين وقد خفيت على قومه لغباوتهم وبلههم أو لم تخف عليهم ولكن كلا كان يخاف
على نفسه سوطه وسيفه وإنما قال أوقد لي يا هامان على الطين ولم يقل اطبخ لي الآجر واتخذه لأنه أول من
عمل الآجر فهو يعلمه الصنعة ولأن هذه العبارة أحسن طباقا لفصاحة القرآن وعلو طبقته وأشبه بكلام
الجبابرة وأمر هامان وهو وزيره ورديفه بالإيقاد على الطين منادى باسمه بيا في وسط الكلام دليل التعظم
والتجبر، وعن عمر رضي الله عنه أنه حين سافر إلى الشام ورأى القصور المشيدة بالآجر قال ما علمت أن أحدا
بنى بالآجر غير فرعون، والطلوع والاطلاع الصعود يقال طلع الجبل واطلع بمعنى واستكبر هو وجنوده
في الأرض بغير الحق وظنوا أنهم إلينا لا يرجعون، الاستكبار بالحق إنما هو لله عز وجل وهو المتكبر على
الحقيقة أي المتبالغ في كبرياء الشأن قال رسول الله عليه السلام فيما حكى عن ربه الكبرياء ردائي والعظمة
إزاري فمن نازعني واحدا منهما ألقيته في النار وكل مستكبر سواه فاستكباره بغير الحق يرجعون بالفتح والضم
فأخذناه وجنوده فنبذناهم في اليم فانظر كيف كان عاقبة الظالمين، فأخذناه وجنوده
فنبذناهم في اليم من الكلام المفخم الذي دل به على عظمة شأنه وكبرياء سلطانه شبههم استحقارا لهم
واستقلالا لعددهم وإن كانوا الكثير الكثير والجم الغفير بحصيات أخذهن آخذ في كفه فطرحهن في البحر
ونحو ذلك قوله تعالى وجعلنا فيها رواسي شامخات وحملت الأرض والجبال فدكتا دكة واحدة وما قدروا
الله حق قدره والأرض جميعا قبضته يوم القيامة والسموات مطويات بيمينه وما هي إلا تصويرات وتمثيلات
لاقتداره وأن كل مقدور وإن عظم وجل فهو مستصغر إلى جنب قدرته وجعلناهم أئمة يدعون إلى
النار ويوم القيامة لا ينصرون، وأتبعناهم في هذه الدنيا لعنة ويوم القيامة هم من المقبوحين
فإن قلت ما معنى قوله وجعلناهم أئمة يدعون إلى النار **قلت** معناه ودعوناهم أئمة دعاة
إلى النار وقلنا إنهم أئمة دعاة إلى النار كما يدعى خلفاء الحق أئمة دعاة إلى الجنة، وهو من قولك جعله بخيلا
وفاسقا إذا دعاه وقال إنه بخيل وفاسق ويقول أهل اللغة في تفسير فسقه وبخله جعله فاسقا، ومنه بخيلا و
قوله عز وعلا وجعلوا الملائكة الذين هم عباد الرحمن إناثا ومعنى دعوتهم إلى النار دعوتهم إلى موجباتها من
الكفر والمعاصي ويوم القيامة لا ينصرون كما ينصر الأئمة الدعاة إلى الجنة، ويجوز خذلناهم حتى كانوا
أئمة الكفر ومعنى الخذلان منع الألطاف وإنما يمنعها من علم أنها لا تنفع فيه وهو المصمم على الكفر الذي لا
تغني عنه الآيات والنذر ومجراه مجرى الكناية لأن منع الألطاف يردف التصميم والغرض بذكره التصميم
نفسه فكأنه قيل صمموا على الكفر حتى كانوا أئمة فيه دعاة إليه وإلى سوء عاقبته **فإن قلت** وأي فائدة
في ترك المردوف إلى الرادفة **قلت** ذكر الرادفة يدل على وجود المردوف فيعلم وجود المردوف مع الدليل

الشاهد بوجوده فيكون اقوى لاثباته من ذكره. الا ترى انك تقول لولا انه مصمم على الكفر مقطوع امره مبتوت حكمه لما انبعثت منه الالطاف فيذكر منع الالطاف تحصل العلم بوجود التصميم على الكفر وزيادة وهو قيام الحجة على وجوده وتبصر هذا الوجه قوله تعالى ويوم القيمة لا ينصرون كانه قيل وخذلناهم في الدنيا وهم يوم القيمة مخذولون كما قال تعالى واتبعناهم في هذه الدنيا لعنة اى طردا وابعادا عن الرحمة ويوم القيمة هم من المقبوحين اى المطرودين المبعدين. ولقد آتينا موسى الكتاب من بعد ما اهلكنا القرون الاولى بصائر للناس وهدى ورحمة لعلهم يتذكرون. بصائر نصب على الحال والبصيرة نور القلب الذى يستبصر به كما ان البصر نور العين الذى تبصر به يريد آتيناه التورية انوارا للقلوب لانها كانت عميا لا تستبصر ولا تعرف حقا من باطل وارشادا لانهم كانوا يخبطون في ضلال. ورحمة لانهم لو عملوا بها وصلوا الى نيل الرحمة. لعلهم يتذكرون ارادة ان يتذكروا شبهت الارادة بالترجى فاستعير لها. ويجوز ان يراد به ترجى موسى لتذكرهم كقوله تعالى لعله يتذكر. وما كنت بجانب الغربى اذ قضينا الى موسى الامر وما كنت من الشاهدين. ولكنا انشأنا قرونا فتطاول عليهم العمر وما كنت ثاويا في اهل مدين تتلو عليهم آياتنا ولكنا كنا مرسلين. الغربى المكان الواقع في شق الغرب وهو المكان الذى وقع فيه ميقات موسى عليه السلام من الطور وكتب الله له في الالواح. والامر المقضى الى موسى الوحى الذى اوحى اليه والخطاب لرسول الله صلى الله عليه وسلم يقول وما كنت حاضر المكان الذى اوحينا فيه الى موسى ولا كنت من جملة الشاهدين للوحى اليه او على الوحى اليه وهم نقباؤه الذين اختارهم للميقات حتى تقف من جهة المشاهدة على ما جرى من امر موسى في ميقاته وكتبة التورية له في الالواح وغير ذلك. فان قلت كيف يتصل قوله تعالى ولكنا انشأنا قرونا بهذا الكلام ومن اى وجه يكون استدراكا له اتصاله به وكونه استدراكا له من حيث ان معناه ولكنا انشأنا بعد عهد الوحى الى عهدك قرونا كثيرة فتطاول على آخرهم وهو القرن الذى انت فيهم العمر اى امد انقطاع الوحى اندرست العلوم فوجب ارسالك اليهم فارسلناك وكسبناك العلم بقصص الانبياء عليهم السلام وقصة موسى كانه قال وما كنت شاهدا لموسى وما جرى عليه ولكنا اوحيناه اليك فذكر سبب الوحى الذى هو اطالة الفترة ودل به على المسبب على عادة الله عز وجل في اختصاراته فاذن هذا الاستدراك شبيه الاستدراكين بعده. وما كنت ثاويا اى مقيما في اهل مدين وهم شعيب عليه السلام والمؤمنون به تتلو عليهم آياتنا تقرؤها عليهم تعلما منهم يريد الآيات التى فيها قصة شعيب وقومه ولكنا ارسلناك واخبرناك بها وعلمناكها. وما كنت بجانب الطور اذ نادينا ولكن رحمة من ربك لتنذر قوما ما اتاهم من نذير من قبلك لعلهم يتذكرون. اذ نادينا يريد مناداة موسى عليه السلام ليلة المناجاة وتكليمه ولكن علمناك رحمة. وقرئ رحمة بالرفع اى هى رحمة. ما اتاهم من نذير في زمان الفترة بينك وبين عيسى عليه السلام وهو خمسماية وخمسون سنة ونحوه قوله عز وجل لتنذر قوما ما انذر آباؤهم. ولولا ان تصيبهم مصيبة بما قدمت ايديهم فيقولوا ربنا لولا ارسلت الينا رسولا فنتبع آياتك ونكون من المؤمنين. لولا الاولى امتناعية وجوابها محذوف والثانية تحضيضية واحدى الفائين للعطف والاخرى جواب لولا لكونها في حكم الامر من قبل ان الامر باعث على الفعل والباعث والمحضض من واد واحد والمعنى ولولا انهم قائلون اذا عوقبوا بما قدموا من الشرك والمعاصى هلا ارسلت الينا رسولا محتجين بذلك علينا لما ارسلنا

اليهم يعنى ان ارسال الرسول اليهم انما هو ليلزموا الحجة ولا يلزموها كقوله عز وجل لئلا يكون للناس على الله حجة بعد الرسل. ان تقولوا ما جاءنا من بشير ولا نذير. لولا ارسلت الينا رسولا فنتبع آياتك. فان قلت كيف استقام هذا المعنى وقد جعلت العقوبة هى السبب فى الارسال لا القول لدخول حرف الامتناع عليها دونه. قلت القول هو المقصود بان يكون سببا لارسال الرسل ولكن العقوبة لما كانت هى السبب للقول وكان وجوده بوجودها جعلت العقوبة كانها سبب الارسال بواسطة القول فادخلت عليها لولا وجئ بالقول معطوفا عليها بالفاء المعطية معنى السببية ويؤول معناه الى قولك ولولا قولهم هذا اذا اصابتهم مصيبة لما ارسلنا ولكن اختيرت هذه الطريقة لنكتة وهى انهم لو لم يعاقبوا مثلا على كفرهم وقد عاينوا ما الجئوا به الى العلم اليقين لم يقولوا لولا ارسلت الينا رسولا وانما السبب فى قولهم هذا هو العقاب لا غير لا التأسف على ما فاتهم من الايمان بخالقهم وفى هذا من الشهادة القوية على استحكام كفرهم ورسوخه فيهم ما لا يخفى كقوله عز وجل ولو ردوا لعادوا لما نهوا عنه. ولما كانت اكثر الاعمال تزاول بالايدى جعل كل عمل معبرا عنه باجتراح الايدى وتقديم الايدى وان كان من اعمال القلوب وهذا من الاتساع فى الكلام وتصيير الاقل تابعا للاكثر وتغليب الاكثر على الاقل. فلما جاءهم الحق من عندنا قالوا لولا اوتى مثل ما اوتى موسى اولم يكفروا بما اوتى موسى من قبل قالوا ساحران تظاهرا وقالوا انا بكل كافرون. فلما جاءهم الحق وهو الرسول المصدق بالكتاب المعجز مع سائر المعجزات وقطعت معاذيرهم وسد طريق احتجاجهم قالوا لولا اوتى مثل ما اوتى موسى من الكتاب المنزل جملة واحدة ومن قلب العصا حية وفلق البحر وغيرها من الآيات فجاؤا بالاقتراحات المبنية على التعنت والعناد كما قالوا لولا انزل عليه كنز او جاء معه ملك وما اشبه ذلك. اولم يكفروا يعنى ابناء جنسهم ومن مذهبهم مذهبهم وعنادهم عنادهم وهم الكفرة فى زمن موسى عليه السلام بما اوتى موسى. وعن الحسن رحمة الله عليه قد كان للعرب اصل فى ايام موسى عليه السلام فمعناه على هذا اولم يكفر آباؤهم. قالوا فى موسى وهارون ساحران تظاهرا اى تعاونا. وقرئ اظاهرا على الادغام وسحران بمعنى ذوا سحر او جعلوهما سحرين مبالغة فى وصفهما بالسحر او ارادوا نوعان من السحر بكل بكل واحد منهما. فان قلت بم علقت قوله من قبل فى هذا التفسير. قلت باولم يكفروا ولى ان اعلقه باوتى فينقلب المعنى الى ان اهل مكة الذين قالوا هذه المقالة كما كفروا بمحمد عليه السلام وبالقرآن فقد كفروا بموسى وبالتورية وقالوا فى موسى ومحمد عليهما السلام ساحران تظاهرا او فى الكتابين سحران تظاهرا وذلك حين بعثوا الرهط الى رؤساء اليهود بالمدينة يسألونهم عن محمد صلى الله عليه وسلم فاخبروهم انه نعته وصفته وانه فى كتابهم فرجع الرهط الى قريش فاخبروهم بقول اليهود فقالوا عند ذلك ساحران تظاهرا. قل فأتوا بكتاب من عند الله هو اهدى منهما اتبعه ان كنتم صادقين. فان لم يستجيبوا لك فاعلم انما يتبعون اهواءهم ومن اضل ممن اتبع هواه بغير هدى من الله ان الله لا يهدى القوم الظالمين. هو اهدى منهما مما انزل على موسى ومما انزل على هذا الشرط من نحو ما ذكرت انه شرط المدل بالامر المتحقق لصحته لان امتناع الاتيان بكتاب اهدى من الكتابين امر معلوم متحقق لا مجال فيه للشك. ويجوز ان يقصد بحرف الشك التهكم بهم. فان قلت ما الفرق بين فعل الاستجابة فى الآية وبينه فى قوله. فلم يستجبه عند ذاك مجيب. حيث عدى بغير اللام. قلت

هذا الفعل يتعدى إلى الدعاء بنفسه وإلى الداعي باللام ويحذف الدعاء إذا عدي إلى الداعي في الغالب فيقال
استجاب الله دعاءه أو استجاب له ولا يكاد يقال استجاب له دعاءه وأما البيت فمعناه فلم يستجب دعاءه
على حذف المضاف فإن قلت فالاستجابة تقتضي دعاء ولا دعاء ههنا قوله تعالى فأتوا
بكتاب أمر بالإتيان والأمر بعث على الفعل ودعاء إليه فكأنه قال فإن لم يستجيبوا دعاءك إلى الإتيان
بالكتاب الأهدى فاعلم أنهم قد ألزموا ولم تبق لهم حجة إلا اتباع الهوى ثم قال ومن أضل ممن لا يتبع
في دينه إلا هواه بغير هدى من الله أي مطبوعا على قلبه ممنوع الألطاف إن الله لا يهدي أي لا يلطف
بالقوم الثابتين على الظلم الذين اللطف بهم عابث وقوله بغير هدى في موضع الحال يعني مخذولا
مخلى بينه وبين هواه ولقد وصلنا لهم القول لعلهم يتذكرون الذين آتيناهم الكتاب
هم به يؤمنون قرئ وصلنا بالتشديد والتخفيف والمعنى أن القرآن أتاهم متتابعا متواصلا
وعدا ووعيدا وقصصا وعبرا ومواعظ ونصائح إرادة أن يتذكروا فيفلحوا أو نزل عليهم نزولا
متصلا بعضه في إثر بعض كقوله تعالى وما يأتيهم من ذكر من الرحمن محدث إلا كانوا عنه معرضين نزلت
في مؤمني أهل الكتاب وعن رفاعة بن قرظة نزلت في عشرة أنا أحدهم وقيل في أربعين من مسلمي أهل
الإنجيل اثنان وثلاثون جاؤوا مع جعفر من أرض الحبشة وثمانية من الشام والضمير في من قبله للقرآن
وإذا يتلى عليهم قالوا آمنا به إنه الحق من ربنا إنا كنا من قبله مسلمين فإن قلت أي فرق
بين الاستئنافين إنه وإنا قلت الأول تعليل للإيمان به لأن كونه حقا من الله حقيق بأن يؤمن
به والثاني بيان لقوله آمنا به لأنه يحتمل أن يكون إيمانا قريب العهد وبعيده فأخبروا أن
إيمانهم به متقادم لأن آباءهم القدماء قرؤوا في الكتب الأول ذكره وأبناءهم من بعدهم من قبله
من قبل وجوده ونزوله مسلمين كائنين على دين الإسلام لأن الإسلام صفة كل موحد مصدق للوحي
أولئك يؤتون أجرهم مرتين بما صبروا ويدرؤون بالحسنة السيئة ومما رزقناهم
ينفقون وإذا سمعوا اللغو أعرضوا عنه وقالوا لنا أعمالنا ولكم أعمالكم سلام
عليكم لا نبتغي الجاهلين بما صبروا بصبرهم على الإيمان بالتوراة والإيمان بالقرآن أو بصبرهم
على الإيمان بالقرآن قبل نزوله وبعد نزوله أو بصبرهم على أذى المشركين وأهل الكتاب ونحوه
يؤتكم كفلين من رحمته بالحسنة السيئة بالطاعة المعصية المتقدمة أو بالحلم الأذى سلام عليكم
توديع ومتاركة وعن الحسن كلمة حلم من المؤمنين لا نبتغي الجاهلين لا نريد مخالطتهم وصحبتهم فإن
قلت من خاطبوا بقولهم ولكم أعمالكم قلت اللاغين الذين دل عليهم قوله تعالى وإذا سمعوا
اللغو إنك لا تهدي من أحببت ولكن الله يهدي من يشاء وهو أعلم بالمهتدين
لا تهدي من أحببت لا تقدر أن تدخل في الإسلام كل من أحببت أن يدخل فيه من قومك وغيرهم
لأنك عبد لا تعلم المطبوع على قلبه من غيره ولكن الله يدخل في الإسلام من يشاء وهو الذي يعلم أنه
غير مطبوع على قلبه وأن الألطاف تنفع فيه فيقرن بها ألطافه حتى تدعوه إلى القبول وهو أعلم
بالمهتدين بالقابلين من الذين لا يقبلون قال الزجاج أجمع المسلمون أنها نزلت في أبي طالب وذلك
أن أبا طالب قال عند موته يا معشر بني هاشم أطيعوا محمدا وصدقوه تفلحوا وترشدوا فقال النبي
صلى الله عليه وسلم يا عم تأمرهم بالنصيحة لأنفسهم وتدعها لنفسك قال فما تريد يا ابن أخي
قال أريد منك كلمة واحدة فإنك في آخر يوم من أيام الدنيا أن تقول لا إله إلا الله أشهد لك بها

عند

عند الله قال يا ابن أخي قد علمت أنك لصادق ولكني أكره أن يقال جزع عند الموت ولولا أن يكون
عليك وعلى بني أبيك غضاضة ومسبة بعدي لقلتها ولأقررت بها عينك عند الفراق لما أرى من شدة
وجدك ونصيحتك ولكني سوف أموت على ملة الأشياخ عبد المطلب وهاشم وعبد مناف وقالوا
إن نتبع الهدى معك نتخطف من أرضنا أولم نمكن لهم حرما آمنا يجبى إليه ثمرات كل شيء
رزقا من لدنا ولكن أكثرهم لا يعلمون قالت قريش وقيل إن القائل الحارث بن عثمان بن
نوفل بن عبد مناف نحن نعلم أنك على الحق ولكنا نخاف إن اتبعناك وخالفنا العرب بذلك وإنما
نحن أكلة رأس أي قليلون أن يتخطفونا من أرضنا فألقمهم الله الحجر بأن مكن لهم في الحرم الذي أمنه بحرمة
البيت وآمن قطانه بحرمته وكانت العرب في الجاهلية حولهم يتغاورون ويتناحرون وهم آمنون
في حرمهم لا يخافون وبحرمة البيت هم قارون بواد غير ذي زرع والثمرات والأرزاق تجبى إليهم
من كل أوب فإذا خولهم الله ما خولهم من الأمن والرزق بحرمة البيت وحدها وهم كفرة عبدة أصنام
فكيف يستقيم أن يعرضهم للخوف والتخطف ويسلبهم الأمن إذا ضموا إلى حرمة البيت حرمة الإسلام
وإسناد الأمن إلى أهل الحرم حقيقة وإلى الحرم مجاز يجبى إليه يجلب ويجمع قرئ بالياء والتاء وقرئ
نجبى بالنون من الجبي وتعديته بإلى كقولك يجبى إلى فيه ويجبى إلى الخافة وثمرات بضمتين وبضمة وسكون
ومعنى الكلية الكثرة كقوله تعالى وأوتيت من كل شيء ولكن أكثرهم لا يعلمون متعلق بقوله من لدنا
أي قليل منهم يقرون بأن ذلك رزق من عند الله وأكثرهم جهلة لا يعلمون ذلك ولا يفطنون له
ولو علموا أنه من عند الله لعلموا أن الخوف والأمن من عنده ولما خافوا التخطف إذا آمنوا به وخلعوا
أنداده فإن قلت بم انتصب رزقا قلت إن جعلته مصدرا جاز أن ينتصب بمعنى ما قبله لأن
معنى يجبى إليه ثمرات كل شيء ويرزق ثمرات كل شيء واحد وأن يكون مفعولا له وإن جعلته بمعنى
مرزوق كان حالا من الثمرات لتخصصها بالإضافة كما تنتصب عن النكرة المتخصصة بالصفة وكم
أهلكنا من قرية بطرت معيشتها فتلك مساكنهم لم تسكن من بعدهم إلا قليلا وكنا نحن
الوارثين هذا تخويف لأهل مكة من سوء عاقبة قوم كانوا في مثل حالهم من إنعام الله عليهم بالرقود
في ظلال الأمن وخفض العيش فغمطوا النعمة وقابلوها بالأشر والبطر فدمرهم الله وخرب ديارهم
وانتصب معيشتها إما بحذف الجار وإيصال الفعل كقوله تعالى واختار موسى قومه وإما على الظرف
بنفسه كقولك زيد ظني مقيم أو بتقدير حذف الزمان المضاف أصله بطرت أيام معيشتها كخفوق
النجم ومقدم الحاج وإما بتضمين بطرت معنى كفرت وغمطت وقيل البطر سوء احتمال الغنى وهو
أن لا يحفظ حق الله فيه إلا قليلا من السكنى قال ابن عباس رضي الله عنهما لم يسكنها إلا المسافر ومار
الطريق يوما أو ساعة ويحتمل أن شؤم معاصي المهلكين بقي أثره في ديارهم فكل من سكنها من
أعقابهم لم يبق فيها إلا قليلا وكنا نحن الوارثين لتلك المساكن من ساكنيها أي تركناها على حال لا
يسكنها أحد أو خربناها وسويناها بالأرض تخلفنا لا آثار عن أصحابها حيا وبعد ركفها الفنا منتبع
وما كان ربك مهلك القرى حتى يبعث في أمها رسولا يتلو عليهم آياتنا وما كنا مهلكي
القرى إلا وأهلها ظالمون وما كانت عادة ربك أن يهلك القرى في كل وقت حتى يبعث في القرية
التي هي أمها أي أصلها وقصبتها التي هي أعمالها وتوابعها رسولا لإلزام الحجة وقطع المعذرة مع علمه
أنهم لا يؤمنون أو وما كان في حكم الله وسابق قضائه أن يهلك القرى في الأرض حتى يبعث في أم القرى

يعني مكة رسولا وهو محمد صلى الله عليه وسلم خاتم الانبياء **وقرئ** امها بضم الهمزة وكسرها لاتباع الجر
وهذا بيان لعدله وتقدسه عن الظلم حيث اخبر بانه لا يهلكهم الا اذا استحقوا الاهلاك بظلمهم
ولا يهلكهم مع كونهم ظالمين الا بعد تاكيد الحجة والالزام ببعثة الرسل ولا يجعل علمه باحوالهم
حجة عليهم ونزه ذاته ان يهلكهم وهم غير ظالمين كما قال تعالى وما كان ربك ليهلك القرى بظلم
واهلها مصلحون فنص في قوله بظلم انه لو اهلكهم وهم مصلحون لكان ذلك ظلما منه وان حاله في
غناه وحكمته منافية للظلم دل على ذلك بحرف النفي مع لامه كما قال تعالى وما كان الله ليضيع ايمانكم
وما اوتيتم من شيء فمتاع الحيوة الدنيا وزينتها وما عند الله خير وابقى افلا تعقلون
واي شيء اصبتموه من اسباب الدنيا فما هو الا تمتع وزينة اياما قلائل وهي مدة الحيوة المنقضية
وما عند الله وهو ثوابه خير في نفسه من ذلك وابقى لان بقاءه دائم سرمد **وقرئ** يعقلون
بالياء وهو ابلغ في الموعظة وعن ابن عباس رضي الله عنهما ان الله تعالى خلق الدنيا وجعل اهلها ثلثة
اصناف المؤمن والمنافق والكافر فالمؤمن يتزود والمنافق يتزين والكافر يتمتع **افمن وعدناه
وعدا حسنا فهو لاقيه كمن متعناه متاع الحيوة الدنيا ثم هو يوم القيمة من المحضرين**
هذه الاية تقرير وايضاح للتي قبلها والوعد الحسن الثواب لانه منافع دائمة على وجه التعظيم
والاستحقاق واي شيء احسن منها ولذلك سمى الله الجنة بالحسنى ولاقيه كقوله تعالى ولقاهم نضرة
وسرورا وعكسه فسوف يلقون غيا من المحضرين من الذين احضروا النار ونحوه لكنت من المحضرين
فكذبوه فانهم لمحضرون قيل نزلت في رسول الله صلى الله عليه وسلم وابي جهل وقيل في علي وحمزة
رضي الله عنهما وابي جهل وقيل في عمار بن ياسر والوليد بن المغيرة **فان قلت** فسر لي الفائين
وثم واخبرني عن مواقعها **قلت** قد ذكر في الاية التي قبلها متاع الحيوة الدنيا وما عند الله
وتفاوتهما ثم عقبه بقوله افمن وعدناه على معنى ابعد هذا التفاوت الظاهر يسوى بين ابناء
الاخرة وابناء الدنيا فهذا معنى الفاء الاولى وبيان موقعها واما الثانية فللتسبيب لان
لقاء الموعود مسبب عن الوعد الذي هو الضمان في الخير واما ثم فلتراخي حال الاحضار عن حال
التمتيع لا لتراخي وقته عن وقته **وقرئ** ثم هو بسكون الهاء كما قيل عضد في عضد تشبيها للمنفصل
بالمتصل وسكون الهاء في فهو وهو ولهو احسن لان الحرف الواحد لا ينطق به وحده فهو كالمتصل **ويوم
يناديهم فيقول اين شركاءي الذين كنتم تزعمون** شركاءي مبني على زعمهم وفيه تهكم **فان قلت**
زعم يطلب مفعولين كقوله ولم ازعمك عن ذاك معزلا فاين هما محذوفان تقديره الذين
كنتم تزعمونهم شركاءي ويجوز حذف المفعولين في باب ظننت ولا يصح الاقتصار على احدهما **قال
الذين حق عليهم القول ربنا هؤلاء الذين اغوينا اغويناهم كما غوينا تبرانا اليك ما كانوا
ايانا يعبدون** الذين حق عليهم القول الشياطين او ائمة الكفر ورؤسه ومعنى حق
عليهم القول وجب عليهم مقتضاه وثبت وهو قوله تعالى لاملان جهنم من الجنة والناس اجمعين
وهؤلاء مبتداء والذين اغوينا صفته والراجع الى الموصول محذوف واغويناهم الخبر والكاف
صفة مصدر محذوف تقديره اغويناهم فغووا غيا مثل ما غوينا يعنون انا لم نغو الا باختيارنا
لا ان فوقنا مغوين اغوونا بقسر منهم والجاء او دعونا الى الغي وسولوه لنا فهؤلاء كذلك غووا
باختيارهم لان اغواءنا لهم لم يكن الا وسوسة وتسويلا لا قسرا والجاء فلا فرق اذن بين غينا وغيهم

وان كان تسويلنا داعيا لهم الى الكفر فقد كان في مقابلته دعاء الله لهم الى الايمان بما وضع فيهم من ادلة
العقل وما بعث اليهم من الرسل وانزل عليهم من الكتب المشحونة بالوعد والوعيد والمواعظ والزواجر
وناهيك بذلك صارفا عن الكفر وداعيا الى الايمان وهذا معنى ما حكاه الله تعالى عن الشيطان ان الله
وعدكم وعد الحق ووعدتكم فاخلفتكم وما كان لي عليكم من سلطان الا ان دعوتكم فاستجبتم لي فلا
تلوموني ولوموا انفسكم والله عز وجل قدم هذا المعنى اول شيء حيث قال لابليس ان عبادي
ليس لك عليهم سلطان الا من اتبعك من الغاوين تبرانا اليك منهم ومما اختاروه من الكفر بانفسهم
هوى منهم للباطل ومقتا للحق لا بقوة منا على استكراههم ولا سلطان ما كانوا ايانا يعبدون
انما كانوا يعبدون اهواءهم ويطيعون شهواتهم واخلاء الجملتين من العاطف لكونهما مقررتين
لمعنى الجملة الاولى **وقيل ادعوا شركاءكم فدعوهم فلم يستجيبوا لهم وراوا العذاب لو
انهم كانوا يهتدون** لو انهم كانوا يهتدون لوجه من وجوه الحيل يدفعون به العذاب او
لو انهم كانوا مهتدين مؤمنين لما راوه او تمنوا لو كانوا مهتدين او تحيروا عند رؤيته وسدروا
فلا يهتدون طريقا حكى اولا ما يوبخهم به من اتخاذهم له شركاء ثم ما يقوله الشياطين او ائمتهم
عند توبيخهم لانهم اذا وبخوا بعبادة الالهة اعتذروا بان الشياطين هم الذين استغووهم
وزينوا لهم عبادتها ثم ما يشبه الشماتة بهم من استغاثتهم الهتهم وخذلانهم لهم وعجزهم عن
نصرتهم ثم ما يبكتون به من الاحتجاج عليهم بارسال الرسل وازاحة العلل **ويوم يناديهم
فيقول ماذا اجبتم المرسلين فعميت عليهم الانباء يومئذ فهم لا يتساءلون** فعميت عليهم
الانباء فصارت الانباء كالعمى عليهم جميعا لا تهتدي اليهم فهم لا يتساءلون لا يسال بعضهم بعضا
كما يتساءل الناس في المشكلات لانهم يتساوون جميعا في عمى الانباء عليهم والعجز عن الجواب وقرئ
فعميت والمراد بالنبا الخبر عما اجاب به المرسل اليه رسوله واذا كانت الانبياء لهول ذلك اليوم
يتتعتعون في الجواب عن مثل هذا السؤال ويفوضون الامر الى علم الله وذلك قوله سبحانه وتعالى
يوم يجمع الله الرسل فيقول ماذا اجبتم قالوا لا علم لنا انك انت علام الغيوب فما ظنك بالضلال
من اممهم **فاما من تاب وامن وعمل صالحا فعسى ان يكون من المفلحين** فاما من تاب من
المشركين من الشرك وجمع بين الايمان والعمل الصالح فعسى ان يفلح عند الله وعسى من الكرام
تحقيق ويجوز ان يراد ترجي التائب وطمعه كانه قال فليطمع ان يفلح **وربك يخلق ما يشاء
ويختار ما كان لهم الخيرة سبحان الله وتعالى عما يشركون** الخيرة من التخير كالطيرة من التطير
تستعمل بمعنى المصدر وهو التخير وبمعنى المتخير كقولهم محمد عليه السلام خيرة الله من خلقه
ما كان لهم الخيرة بيان لقوله ويختار لان معناه ويختار ما يشاء ولهذا لم يدخل العاطف والمعنى
ان الخيرة لله تعالى في افعاله وهو اعلم بوجوه الحكمة فيها ليس لاحد من خلقه ان يختار عليه قيل
السبب فيه قول الوليد بن المغيرة لولا نزل هذا القرآن على رجل من القريتين عظيم يعني لا يبعث
الله الرسل باختيار المرسل اليهم وقيل معناه ويختار الذي لهم فيه الخيرة اي يختار للعباد ما هو
خير لهم واصلح وهو اعلم بمصالحهم من انفسهم من قولهم في الامرين ليس فيهما خيرة لمختار **فان
قلت** فاين الراجع من الصلة الى الموصول اذا جعلت ما موصولة **قلت** اصل الكلام ما كان لهم
فيه الخيرة فحذف فيه كما حذف منه في قوله تعالى ان ذلك من عزم الامور لانه مفهوم سبحان الله اي

الله يرى من اشراكهم وما يحملهم عليه من الجرأة على الله واختيارهم عليه ما لا يختار وربك يعلم ما تكن
صدورهم وما يعلنون ما تكن صدورهم من عداوة رسول الله عليه السلام وحسده وما
يعلنون من مطاعنهم فيه وقولهم هلا اختير عليه غيره في النبوة وهو الله لا اله الا هو له الحمد
في الاولى والاخرة وله الحكم واليه ترجعون وهو الله وهو المستأثر بالالهية المختص بها ولا
اله الا هو تقرير لذلك كقولك الكعبة القبلة لا قبلة الا هي فان قلت الحمد في الدنيا ظاهر
فما الحمد في الاخرة قلت هو قولهم الحمد لله الذي اذهب عنا الحزن الحمد لله الذي صدقنا
وعده وقيل الحمد لله رب العالمين والتحميد هناك على وجه اللذة لا الكلفة وفي الحديث يلهمون
التسبيح والتقديس وله الحكم القضاء بين عباده قل ارأيتم ان جعل الله عليكم الليل سرمدا
الى يوم القيمة من اله غير الله يأتيكم بضياء افلا تسمعون قل ارأيتم ان جعل الله عليكم
النهار سرمدا الى يوم القيمة من اله غير الله يأتيكم بليل تسكنون فيه افلا تبصرون
ارأيتم وقرئ ارايتم بحذف الهمزة وليس بحذف قياسي ومعناه اخبروني من يقدر على هذا والسرمد
الدائم المتصل من السرد وهو المتابعة ومنه قولهم في الاشهر الحرم ثلاثة سرد وواحد فرد والميم
مزيدة ووزنه فعمل ونظيره دلامص من الدلاص فان قلت هلا قيل بنهار تتصرفون فيه
كما قيل بليل تسكنون فيه ذكر الضياء وهو ضوء الشمس لان المنافع التي تتعلق به متكاثرة
ليس التصرف في المعاش وحده والظلام ليس بتلك المنزلة ومن ثم قرن بالضياء افلا تسمعون
لان السمع يدرك ما لا يدركه البصر من ذكر منافعه ووصف فوائده وقرن بالليل افلا تبصرون
لان غيرك يبصر من منفعة الظلام ما تبصره انت من السكون ونحوه ومن رحمته جعل لكم الليل
والنهار لتسكنوا فيه ولتبتغوا من فضله ولعلكم تشكرون ومن رحمته زاوج بين الليل والنهار لاغراض
ثلاثة لتسكنوا في احدهما وهو الليل ولتبتغوا من فضل الله في الاخر وهو النهار ولارادة شكركم
وقد سلكت بهذه الاية طريقة اللف ويوم يناديهم فيقول اين شركاى الذين كنتم تزعمون
تكرير التوبيخ باتخاذ الشركاء ايذان بان لا شيء اجلب لغضب الله من الاشراك به كما لا شيء ادخل
في مرضاته من توحيده اللهم فكما ادخلتنا في اهل توحيدك فادخلنا في الناجين من وعيدك
ونزعنا من كل امة شهيدا فقلنا هاتوا برهانكم فعلموا ان الحق لله وضل عنهم ما كانوا
يفترون ونزعنا واخرجنا من كل امة شهيدا وهو نبيهم لان انبياء الامم شهداء عليهم يشهدون
بما كانوا عليه فقلنا للامة هاتوا برهانكم فيما كنتم عليه من الشرك ومخالفة الرسول فعلموا
حينئذ ان الحق لله ولرسله لا لهم ولشياطينهم وضل عنهم وغاب عنهم غيبة الشيء الضائع ما كانوا
يفترون من الباطل والكذب ان قارون كان من قوم موسى فبغى عليهم واتيناه من الكنوز ما
ان مفاتحه لتنوء بالعصبة اولي القوة اذ قال له قومه لا تفرح ان الله لا يحب الفرحين
قارون اسم اعجمي مثل هرون ولم ينصرف للعجمة والتعريف ولو كان فاعولا من قرن لانصرف وقيل
معنى انه كان من قومه انه آمن به وقيل اسرائيليا ابن عم لموسى عليه السلام هو قارون بن يصهر
بن قاهث بن لاوى بن يعقوب عليه السلام وموسى بن عمران بن قاهث وقيل كان موسى ابن اخيه
وكان يسمى المنور لحسن صورته وكان اقرأ بني اسرائيل للتورية ولكنه نافق كما نافق السامري وقال
اذا كانت النبوة لموسى والمذبح والقربان الى هرون فما لي وروى انه لما جاوز بهم موسى البحر صارت

لتسكنوا فيه و

الرسالة والحبورة لهرون يقرب القربان ويكون راسا فيهم وكان القربان الى موسى فجعله موسى الى
اخيه فوجد قارون في نفسه وحسدهما وقال لموسى الامر لكما ولست على شيء الى متى اصبر قال موسى هذا صنع
الله قال والله لا اصدقك حتى تأتي باية فامر روساء بني اسرائيل ان يجيء كل واحد بعصاه فحزمها والقاها
في القبة التي كان الوحي ينزل عليه فيها وكانوا يحرسون عصيهم بالليل فاصبحوا واذا بعصا هرون
تهتز ولها ورق اخضر وكانت من شجر اللوز فقال قارون ما هو باعجب مما تصنع من السحر فبغى
عليهم من البغي وهو الظلم قيل ملكه فرعون على بني اسرائيل فظلمهم وقيل من البغي وهو الكبر
والبذخ تبذخ عليهم بكثرة ماله وولده وقيل زاد عليهم في الثياب شبرا والمفاتح جمع مفتح بالكسر وهو
ما يفتح به وقيل هي الخزائن وقياس واحدها مفتح بالفتح ويقال ناء به الحمل اذا اثقله حتى اماله
والعصبة الجماعة الكثيرة والعصابة مثلها واعصوصبوا اجتمعوا وقيل كانت تحمل مفاتيح خزائنه
ستون بغلا لكل خزانة مفتاح ولا يزيد المفتاح على اصبع وكانت من جلود قال ابو رزين يكفي الكوفة
مفتاح وقد بولغ في ذكر ذلك بلفظ الكنوز والمفاتح والنوء والعصبة واولي القوة وقرأ بديل بن
ميسرة لينوء بالياء ووجهه ان يفسر المفاتح بالخزائن ويعطيها حكم ما اضيفت اليه للملابسة والاتصال
كقولك ذهبت اهل اليمامة ومحل اذ منصوب بتنوء لا تفرح كقوله عز وجل لا تفرحوا بما اتاكم
وقول القائل ولست بمفراح اذا الدهر سرني وذلك انه لا يفرح بالدنيا الا من رضي بها واطمأن
واما من قلبه الى الاخرة ويعلم انه مفارق ما فيه عن قريب لم تحدثه نفسه بالفرح وما احسن ما قال
القائل اشد الغم عندي في سرور تيقن عنه صاحبه انتقالا وابتغ فيما اتاك الله الدار
الاخرة ولا تنس نصيبك من الدنيا واحسن كما احسن الله اليك ولا تبغ الفساد في الارض
ان الله لا يحب المفسدين وابتغ فيما اتاك الله من الغنى والثروة الدار الاخرة بان تفعل فيه
افعال الخير من اصناف الواجب والمندوب اليه وتجعله زادك الى الاخرة ولا تنس نصيبك وهو
ان تأخذ منه ما يكفيك ويصلحك واحسن الى عباد الله كما احسن الله اليك واحسن بشكرك وطاعتك
لله كما احسن اليك والفساد في الارض ما كان عليه من الظلم والبغي وقيل ان القائل موسى عليه السلام
وقرئ واتبع قال انما اوتيته على علم عندي اولم يعلم ان الله قد اهلك من قبله من القرون من
هو اشد منه قوة واكثر جمعا ولا يسأل عن ذنوبهم المجرمون على علم اي على استحقاق واستيجاب
لما في من العلم الذي فضلت به الناس وذلك انه كان اعلم بني اسرائيل بالتورية وقيل هو علم الكيميا
عن سعيد بن المسيب رضي الله عنه كان موسى عليه السلام يعلم علم الكيمياء فافاد يوشع بن نون ثلثه
وكالب بن يوفنا ثلثه وقارون ثلثه فخدعهما قارون حتى اضاف علمهما الى علمه فكان ياخذ الرصاص
والنحاس فيجعلهما ذهبا وقيل علم الله موسى علم الكيمياء فعلمه موسى اخته فعلمته اخته قارون وقيل
هو بصره بانواع الدهقنة والتجارة وسائر المكاسب وقيل عندي معناه في ظني كما تقول الامر عندي
كذا كانه قال انما اوتيته على علم كقوله تعالى ثم اذا خولناه نعمة منا قال انما اوتيته على علم عندي فتنفخ
بالعلم وتعظم به وقيل اعنده مثل ذلك العلم الذي ادعاه ورأى نفسه به مستوجبة لكل نعمة ولم يعلم
هذا العلم النافع حتى يقي به نفسه مصارع الهالكين واكثر جمعا للمال او اكثر جماعة وعددا فان
قلت ما وجه اتصال قوله تعالى ولا يسأل عن ذنوبهم المجرمون بما قبله قلت لما ذكر قارون
من اهلك من قبله من القرون الذين كانوا اقوى منه واغنى قال على سبيل التهديد له والله مطلع على

قبله من

ذنوب المجرمين لا يحتاج الى سؤالهم عنها واستعلامهم وهو قادر على ان يعاقبهم عليها كقوله تعالى والله خبير
بما تعملون • والله بما تعملون عليم وما اشبه ذلك خرج على قومه في زينته قال الذين يريدون
الحيوة الدنيا يا ليت لنا مثل ما اوتي قارون انه لذو حظ عظيم • في زينته • قال الحسن
رحمة الله عليه في الحمرة والصفرة • وقيل خرج على بغلة شهباء عليه الارجوان وعليها سرج من ذهب
ومعه اربعة الاف على زيه • وقيل عليهم وعلى خيولهم الديباج الاحمر وعن يمينه ثلثمائة غلام وعن
يساره ثلثمائة جارية بيض عليهن الحلي والديباج • وقيل في تسعين الفا عليهم المعصفرات وهو
اول يوم رؤي فيه المعصفر كان المتمنون قوما مسلمين وانما تمنوه على سبيل الرغبة في اليسار
والاستغناء كما هو عادة البشر • وعن قتادة تمنوه ليتقربوا به الى الله وينفقوه في سبيل الخير وقيل
كانوا قوما كفارا • الغابط هو الذي يتمنى مثل نعمة صاحبه من غير ان تزول عنه • والحاسد هو الذي
يتمنى ان تكون نعمة صاحبه له دونه فمن الغبطة قوله تعالى يا ليت لنا مثل ما اوتي قارون • ولا
تتمنوا ما فضل الله به بعضكم على بعض • وقيل لرسول الله صلى الله عليه وسلم هل يضر الغبط قال لا
الا كما يضر العضاه الخبط • والحظ الجد وهو البخت والدولة وصفوه بانه رجل مجدود ومبخوت يقال فلان
ذو حظ وحظيظ ومحظوظ وما الدنيا الا احاظ وجدود وقال الذين اوتوا العلم ويلكم ثواب الله
خير لمن آمن وعمل صالحا ولا يلقاها الا الصابرون • ويلك اصله الدعاء بالهلاك ثم استعمل في
الزجر والردع والبعث على ترك ما لا يرتضى كما استعمل لا ابا لك واصله الدعاء على الرجل بالاقراف في
الحث على الفعل والراجع في ولا يلقاها للكلمة التي تكلم بها العلماء • او للثواب لانه في معنى المثوبة
او الجنة او للسيرة والطريقة وهي الايمان والعمل الصالح • الصابرون على الطاعات وعن الشهوات وعلى ما قسم
الله من القليل عن الكثير فخسفنا به وبداره الارض فما كان له من فئة ينصرونه من دون الله
وما كان من المنتصرين • كان قارون يؤذي نبي الله موسى عليه السلام كل وقت وهو يداريه للقرابة
التي بينهما حتى نزلت الزكوة فصالحه عن كل الف دينار على دينار وعن كل الف درهم على درهم فحسبه
فاستكثره فشحت به نفسه فجمع بني اسرائيل وقال ان موسى اراد كم على كل شيء وهو يريد ان ياخذ
اموالكم فقالوا انت كبيرنا وسيدنا فمر بما شئت قال نبرطل فلانة البغي حتى ترميه بنفسها فيرفضه
بنو اسرائيل فجعل لها الف دينار • وقيل طستا من ذهب • وقيل طستا من ذهب مملوة ذهبا • وقيل
حكمها فلما كان يوم عيد قام موسى عليه السلام فقال يا بني اسرائيل من سرق قطعناه ومن افترى
جلدناه • ومن زنى وهو غير محصن جلدناه وان احصن رجمناه فقال قارون وان كنت انت قال
وان كنت انا قال فان بني اسرائيل يزعمون انك فجرت بفلانة فاحضرت فناشدها موسى بالذي
فلق البحر وانزل التورية ان تصدق فتداركها الله فقالت كذبوا بل جعل لي قارون جعلا على ان
اقذفك بنفسي فخر موسى ساجدا يبكي وقال يا رب ان كنت رسولك فاغضب لي فاوحى اليه ان مر
الارض بما شئت فانها مطيعة لك فقال يا بني اسرائيل ان الله بعثني الى قارون كما بعثني الى فرعون
فمن كان معه فليلزم مكانه ومن كان معي فليعتزل فاعتزلوا جميعا غير رجلين ثم قال يا ارض خذيهم
فاخذتهم الى الركب ثم قال خذيهم فاخذتهم الى الاوساط ثم قال خذيهم فاخذتهم الى الاعناق
وقارون واصحابه يتضرعون الى موسى ويناشدونه بالله والرحم وموسى لا يلتفت اليهم لشدة
غضبه ثم قال خذيهم فانطبقت عليهم واوحى الله الى موسى ما افظك استغاثوا بك مرارا فلم ترحمهم

اما وعزتي لو اياي دعوا مرة واحدة لوجدوني قريبا مجيبا فاصبحت بنو اسرائيل يتناجون بينهم انما دعا موسى
على قارون ليستبد بداره وكنوزه فدعا الله حتى خسف بداره وامواله • من المنتصرين من المنتقمين من موسى
او من الممتنعين من عذاب الله يقال نصره من عدوه فانتصر اي منعه منه فامتنع واصبح الذين تمنوا
مكانه بالامس يقولون ويكأن الله يبسط الرزق لمن يشاء من عباده ويقدر لولا ان من الله
علينا لخسف بنا ويكأنه لا يفلح الكافرون • قد يذكر الامس ولا يراد به اليوم الذي قبل يومك
ولكن الوقت المستقرب على طريق الاستعارة • مكانه منزلته من الدنيا • وي مفصولة عن كأن وهي كلمة
تنبه على الخطأ وتندم ومعناه ان القوم قد تنبهوا على خطأهم في تمنيهم وقولهم يا ليت لنا مثل ما اوتي
قارون وتندموا ثم قالوا كأنه لا يفلح الكافرون ٢ ويجوز ان تكون الكاف كاف الخطاب مضمومة الى
وي كقوله ويك عنتر اقدم وانه بمعنى لانه واللام لبيان المقول لاجله هذا القول • او لانه لا يفلح
الكافرون كان ذلك وهو الخسف بقارون ومن الناس من يقف على وي ويبتدئ كأنه ومنهم من يقف
على ويك وقرأ الاعمش لولا منّ الله علينا • وقرئ لخسف بنا وفيه ضمير الله ولانخسف بنا كقولك انقطع به
ولتخسف بنا تلك الدار الآخرة نجعلها للذين لا يريدون علوا في الارض ولا فسادا والعاقبة
للمتقين • تلك تعظيم لها وتفخيم لشأنها يعني تلك التي سمعت بذكرها وبلغك وصفها ولم يعلق
الموعد بترك العلو والفساد ولكن بترك ارادتهما وميل القلوب اليهما كما قال تعالى ولا تركنوا الى الذين
ظلموا فعلق الوعيد بالركون • وعن علي رضي الله عنه ان الرجل ليعجبه ان يكون شراك نعله اجود من شراك
نعل صاحبه فيدخل تحتها • وعن الفضيل انه قرأها ثم قال ذهبت الاماني ههنا • وعن عمر بن عبد العزيز
انه كان يرددها حتى قبض • ومن الطماع من يجعل العلو لفرعون والفساد لقارون متعلقا بقوله تعالى
ان فرعون علا في الارض ولا تبغ الفساد في الارض ويقول من لم يكن مثل فرعون وقارون فله تلك
الدار الآخرة ولا يتدبر قوله تعالى والعاقبة للمتقين كما تدبره علي والفضيل وعمر رضي الله عنهم من
جاء بالحسنة فله خير منها ومن جاء بالسيئة فلا يجزى الذين عملوا السيئات الا ما كانوا يعملون
معناه فلا يجزون فوضع الذين عملوا السيئات موضع الضمير لان في اسناد عمل السيئة اليهم مكررا
فضل تهجين لحالهم وزيادة تبغيض للسيئة الى قلوب السامعين • الا ما كانوا يعملون الا مثل ما كانوا
يعملون وهذا من فضله العظيم وكرمه الواسع ان لا يجزي السيئة الا بمثلها ويجزي الحسنة بعشر امثالها
وبسبعمائة وهو معنى قوله تعالى فله خير منها ان الذي فرض عليك القرآن لرادك الى معاد
قل ربي اعلم من جاء بالهدى ومن هو في ضلال مبين • فرض عليك القرآن اوجب عليك تلاوته
وتبليغه والعمل بما فيه يعني ان الذي حملك صعوبة هذا التكليف لمثيبك عليها ثوابا لا يحيط به الوصف
ولرادك بعد الموت الى معاد اي معاد والى معاد ليس لغيرك من البشر وتنكير المعاد لذلك • وقيل المراد
به مكة ووجهه ان يراد رده اليها يوم الفتح ووجه تنكيره انها كانت في ذلك اليوم معادا له شان ومرجعا
له اعتدادا لغلبة رسول الله صلى الله عليه وسلم عليها وقهره لاهلها ولظهور عز الاسلام واهله
وذل الشرك وحزبه والسورة مكية فكان الله وعده وهو بمكة في اذى وغلبة من اهلها انه يهاجر
به منها ويعيده اليها ظاهرا ظافرا • وقيل نزلت عليه حين بلغ الجحفة في مهاجره وقد اشتاق الى مولده
ومولد ابائه وحرم ابيه فنزل جبريل عليه السلام فقال له اتشتاق الى مكة قال نعم فاوحاها
اليه فان قلت كيف اتصل قوله قل ربي اعلم بما قبله قلت لما وعد رسوله الرد الى معاد

٢ اي كأنه اشبه الحال بان الكافرين لا ينالون
الفلاح وهو مذهب الخليل وسيبويه قال
الشاعر ويكأن من له نشب يحبب ومن
يفتقر يعش عيش ضر • وحكى الفراء ان اعرابية قالت
لزوجها اين ابنك فقال ويكأنه وراء البيت • وعند
الكوفيين ويك بمعنى ويلك وان المعنى الم تعلم انه
لا يفلح الكافرون ١٢م

تال قل للمشركين ربي أعلم من جاء بالهدى يعني نفسه وما يستحقه من الثواب في معاده ومن هو في ضلال مبين يعنيهم وما يستحقونه من العقاب في معادهم **وما كنت ترجوا أن يلقى إليك الكتاب إلا رحمة من ربك فلا تكونن ظهيرا للكافرين** **فان قلت** قوله تعالى الا رحمة من ربك ما وجه الاستثناء فيه **قلت** هذا كلام محمول على المعنى كأنه قيل وما ألقي عليك الكتاب الا رحمة من ربك ويجوز أن يكون الا بمعنى لكن للاستدراك أي ولكن لرحمة من ربك ألقي إليك **ولا يصدنك عن آيات الله بعد إذ أنزلت إليك وادع إلى ربك ولا تكونن من المشركين** **وقرئ** يصدنك من أصدّه بمعنى صدّه وهي في لغة كلب **وقال**

أناس أصدّوا الناس بالسيف عنهم • صدود السواقي عن أنوف الحوائم

بعد إذ أنزلت إليك بعد وقت إنزاله إليك وإذ تضاف إليه أسماء الزمان كقولك حينئذ وليلتئذ ويومئذ وما أشبه ذلك والنهي عن مظاهرة الكافرين ونحو ذلك من باب التهييج الذي سبق ذكره **ولا تدع مع الله إلها آخر لا إله إلا هو كل شيء هالك إلا وجهه له الحكم وإليه ترجعون** إلا وجهه إلا إياه والوجه يعبر به عن الذات قال رسول الله صلى الله عليه وسلم من قرأ طسم القصص كان له من الأجر بعدد من صدق موسى وكذب ولم يبق ملك في السموات والأرض إلا شهد له يوم القيامة أنه كان صادقا أن كل شيء هالك إلا وجهه له الحكم وإليه ترجعون

بسم الله الرحمن الرحيم **الم أحسب الناس أن يتركوا أن يقولوا آمنا وهم لا يفتنون** الحسبان لا يصح تعليقه بمعاني المفردات ولكن بمضامين الجمل ألا ترى أنك لو قلت حسبت زيدا وظننت الفرس لم يكن شيئا حتى تقول حسبت زيدا عالما وظننت الفرس جوادا لأن قولك زيد عالم والفرس جواد كلام دال على مضمون فأردت الإخبار عن ذلك المضمون ثابتا عندك على وجه الظن لا اليقين فلم تجد بدا في العبارة عن ثباته عندك على ذلك الوجه من ذكر شطري الجملة مدخلا عليهما فعل الحسبان حتى يتم لك غرضك **فان قلت** فأين الكلام الدال على المضمون الذي يقتضيه الحسبان في الآية **قلت** هو في قوله أن يتركوا أن يقولوا آمنا وهم لا يفتنون وذلك أن تقديره أحسبوا تركهم غير مفتونين لقولهم آمنا فالترك أول مفعولي حسب ولقولهم آمنا هو الخبر وأما غير مفتونين فتتمة الترك لأنه من الترك الذي هو بمعنى التصيير **كقوله** فتركته جزر السباع ينشنه ألا ترى أنك قبل المجيء بالحسبان تقدر أن تقول تركهم غير مفتونين لقولهم آمنا على تقدير حاصل ومستقر قبل اللام **فان قلت** أن يقولوا هو علة تركهم غير مفتونين فكيف يصح أن يقع خبر مبتدأ **قلت** كما تقول خروجه لمخافة الشر وضربه للتأديب وقد كان التعليل في قولك خرجت مخافة الشر وضربته تأديبا تعليلين وتقول أيضا حسبت خروجه لمخافة الشر وظننت ضربه للتأديب فتجعلهما مفعولين كما جعلتهما مبتدأ وخبرا والفتنة الامتحان بشدائد التكليف من مفارقة الأوطان ومجاهدة الأعداء وسائر الطاعات الشاقة وهجر الشهوات والملاذ وبالفقر والقحط وأنواع المصائب في الأنفس والأموال ومصابرة الكفار على أذاهم وكيدهم وضرارهم والمعنى أحسب الذين أجروا كلمة الشهادة على ألسنتهم وأظهروا القول بالإيمان أنهم يتركون بذلك غير ممتحنين بل يمتحنهم الله بضروب المحن

حتى

حتى يبلو صبرهم وثبات أقدامهم وصحة عقائدهم ونصوع نياتهم ليتميز المخلص من غير المخلص والراسخ في الدين من المضطرب والمتمكن من العابد على حرف كما قال لتبلون في أموالكم وأنفسكم ولتسمعن من الذين أوتوا الكتاب من قبلكم ومن الذين أشركوا أذى كثيرا وإن تصبروا وتتقوا فإن ذلك من عزم الأمور **وروي** أنها نزلت في ناس من أصحاب رسول الله عليه السلام قد جزعوا من أذى المشركين وقيل في عمار بن ياسر رضي الله عنه وكان يعذب في الله وقيل في ناس أسلموا بمكة فكتب إليهم المهاجرون لا يقبل منكم إسلامكم حتى تهاجروا فخرجوا فتبعهم المشركون فردوهم فلما نزلت كتبوا بها إليهم فخرجوا فاتبعهم المشركون فقاتلوهم فمنهم من قتل ومنهم من نجا وقيل في مهجع بن عبد الله مولى عمر بن الخطاب رضي الله عنه وهو أول قتيل من المسلمين يوم بدر رماه عامر بن الحضرمي فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم سيد الشهداء مهجع وهو أول من يدعى إلى باب الجنة من هذه الأمة فجزع عليه أبواه وامرأته **ولقد فتنا الذين من قبلهم فليعلمن الله الذين صدقوا وليعلمن الكاذبين** ولقد فتنا موصول بأحسب أو بلا يفتنون كقولك ألا يمتحن فلان وقد امتحن من هو خير منه يعني أن أتباع الأنبياء قبلهم قد أصابهم من الفتن والمحن نحو ما أصابهم أو ما هو أشد منه فصبروا كما قال الله تعالى وكأين من نبي قاتل معه ربيون كثير فما وهنوا الآية وعن النبي صلى الله عليه وسلم قد كان من قبلكم يؤخذ فيوضع المنشار على رأسه فيفرق فرقتين ما يصرفه ذلك عن دينه ويمشط بأمشاط الحديد ما دون عظمه من لحم وعصب ما يصرفه ذلك عن دينه فليعلمن الله بالامتحان الذين صدقوا في الإيمان وليعلمن الكاذبين فيه **فان قلت** كيف وهو عالم بذلك فيما لم يزل لم يزل يعلمه معدوما ولا يعلمه موجودا إلا إذا وجد والمعنى وليميزن الصادق منهم من الكاذب ويجوز أن يكون وعدا ووعيدا كأنه قال وليثيبن الذين صدقوا وليعاقبن الكاذبين وقرأ علي رضي الله عنه والزهري وليعلمن من الإعلام أي وليعرفنهم الله الناس من هم أو ليسمنهم بعلامة يعرفون بها من بياض الوجوه وسوادها وكحل العيون وزرقتها **أم حسب الذين يعملون السيئات أن يسبقونا ساء ما يحكمون** أن يسبقونا أن يفوتونا يعني أن الجزاء يلحقهم لا محالة وهم لم يطمعوا في الفوت ولم يحدثوا به نفوسهم ولكنهم لغفلتهم وقلة فكرهم في العاقبة وإصرارهم على المعاصي في صورة من يقدر ذلك ويطمع فيه ونظيره وما أنتم بمعجزين في الأرض ولا تحسبن الذين كفروا سبقوا إنهم لا يعجزون **فان قلت** أين مفعولا حسب **قلت** اشتمال صلة أن على مسند ومسند إليه سد مسد المفعولين كقوله عز وجل أم حسبتم أن تدخلوا الجنة ويجوز أن يضمن حسب معنى قدر وأم منقطعة ومعنى الإضراب فيها أن هذا الحسبان أبطل من الحسبان الأول لأن ذاك يقدر أنه لا يمتحن لإيمانه وهذا يظن أنه لا يجازى بمساويه ساء ما يحكمون بئس الذي يحكمونه حكمهم هذا أو بئس حكما يحكمونه حكمهم هذا فحذف المخصوص بالذم **من كان يرجو لقاء الله فإن أجل الله لآت وهو السميع العليم ومن جاهد فإنما يجاهد لنفسه إن الله لغني عن العالمين** لقاء الله مثل للوصول إلى العاقبة من تلقي ملك الموت والبعث والحساب والجزاء مثلت تلك الحال بحال عبد قدم على سيده بعد عهد طويل وقد اطلع مولاه على ما كان يأتي ويذر فإما أن يلقاه ببشر وترحيب لما رضي من أفعاله أو بضد ذلك لما سخطه منها فمعنى قوله تعالى من كان يرجو لقاء الله من كان يأمل تلك الحال وأن يلقى فيها الكرامة من الله والبشرى فإن أجل الله وهو الموت لآت لا محالة فليبادر العمل الصالح الذي يصدق رجاءه ويحقق أمله ويكتسب به القربة

عند الله والزلفى وهو السميع العليم الذى لا يخفى عليه شئ مما يقوله عباده ومما يفعلونه فهو حقيق بالتقوى والخشية ❁ وقيل يرجو يخاف من قول الهذلى فى صفة عسال ❁ اذا لسعته الدبر لم يرج لسعها فان قلت فان اجل الله لآت كيف وقع جوابا للشرط قلت اذا علم ان لقاء الله عنيت به تلك الحال الممثلة والوقت الذى تقع فيه تلك الحال هو الاجل المضروب للموت فكانه قال من كان يرجو لقاء الله فان لقاء الله لآت لان الاجل واقع فيه اللقاء كما تقول من كان يرجو لقاء الملك فان يوم الجمعة قريب اذا علم انه يقعد للناس يوم الجمعة ❁ ومن جاهد نفسه فى منعها ما تأمر به وحملها على ما تأباه فانما يجاهد لها لان منفعة ذلك راجعة اليها وانما امر الله ونهى رحمة لعباده وهو الغنى عنهم وعن طاعتهم والذين امنوا وعملوا الصالحات لنكفرن عنهم سيئاتهم ولنجزينهم احسن الذى كانوا يعملون ❁ اما ان يريد قوما مسلمين صالحين قد اساؤا فى بعض اعمالهم وسيئاتهم مغمورة بحسناتهم فهو يكفرها عنهم اى يسقط عقاب ها بثواب الحسنات ويجزيهم احسن الذى كانوا يعملون اى احسن جزاء اعمالهم ❁ واما قوما مشركين امنوا وعملوا الصالحات فالله عز وجل يكفر سيئاتهم بان يسقط عقاب ما تقدم لهم من الكفر والمعاصى ويجزيهم احسن اعمالهم فى الاسلام ووصينا الانسان بوالديه حسنا وان جاهداك لتشرك بى ما ليس لك به علم فلا تطعهما الى مرجعكم فانبئكم بما كنتم تعملون ❁ وصى حكمه حكم امر فى معناه وتصرفه يقال وصيت زيدا بان يفعل خيرا كما تقول امرته بان يفعل ومنه بيت الاصلاح ❁ وذبيانية وصت بنيها ❁ بان كذب القراطف والقروف ❁ كما لو قال امرتهم بان ينهبوها ❁ ومنه قوله سبحانه وتعالى ووصى بها ابراهيم بنيه اى وصاهم بكلمة التوحيد وامرهم بها وقولك وصيت زيدا بعمرو ومعناه وصيته بتعهد عمرو ومراعاته ونحو ذلك وكذلك معنى قوله تعالى ووصينا الانسان بوالديه حسنا ووصيناه بايتاء والديه حسنا او بايلاء والديه حسنا اى فعلا ذا حسن او ما هو فى ذاته حسن لفرط حسنه كقوله تعالى وقولوا للناس حسنا وقرئ حسنا واحسانا ❁ ويجوز ان يجعل حسنا من باب قولك زيدا باضمار اضرب اذا رايته متهيئا للضرب فتنصبه باضمار اولهما او افعل بهما لان التوصية بهما دالة عليه وما بعده مطابق له كانه قال قلنا اولهما معروفا ولا تطعهما فى الشرك اذا حملاك عليه وعلى هذا التفسير ان وقف على بوالديه وابتداء حسنا حسن الوقف وعلى التفسير الاول لا بد من اضمار القول معناه وقلنا ان جاهداك ايها الانسان ما ليس لك به علم اى لا علم لك بالهيته والمراد بنفى العلم نفى المعلوم كانه قال لتشرك بى شيئا لا يصح ان يكون الها ولا يستقيم وصاه بوالديه وامره بالاحسان اليهما ثم نبهه بنهيه عن طاعتهما اذا ارادا ه على ما ذكر على ان كل حق وان عظم ساقط اذا جاء حق الله وانه لا طاعة لمخلوق فى معصية الخالق ثم قال الى مرجع من امن منكم ومن اشرك فاجازيكم حق جزائكم وفيه شيئان احدهما ان الجزاء الى فلا تحدث نفسك بجفوة والديك وعقوقهما لشركهما ولا تحرمهما برك ومعروفك فى الدنيا كما انى لا امنعهما رزقى ❁ والثانى التحذير من متابعتهما على الشرك والحث على الثبات والاستقامة فى الدين بذكر المرجع والوعيد روى ان سعد بن ابى وقاص الزهرى رضى الله عنه حين اسلم قالت امه وهى حمنة بنت ابى سفيان بن امية بن عبد شمس يا سعد بلغنى انك قد صبات فوالله لا يظلنى سقف بيت من الضح والريح وان الطعام والشراب على حرام حتى تكفر بمحمد عليه السلام وكان احب ولدها اليها فابى سعد وبقيت ثلاثة ايام كذلك فجاء سعد الى رسول الله صلى الله عليه وسلم وشكا اليه فنزلت هذه

الاية والتى فى لقمن والتى فى الاحقاف فامره رسول الله صلى الله عليه وسلم ان يداريها ويترضاها بالاحسان وروى انها نزلت فى عياش بن ابى ربيعة المخزومى وذلك انه هاجر مع عمر بن الخطاب رضى الله عنه مترافقين حتى نزلا المدينة فخرج ابو جهل بن هشام والحرث بن هشام اخواه لامه اسماء بنت مخرمة امرأة من بنى تميم من بنى حنظلة فنزلا بعياش وقالا له ان من دين محمد صلة الارحام وبر الوالدين وقد تركت امك لا تطعم ولا تشرب ولا تأوى بيتا حتى تراك وهى اشد حبا لك منا فاخرج معنا وفتلا منه فى الذروة والغارب فاستشار عمر رضى الله عنه فقال هما يخدعانك ولك على ان اقسم مالى بينى وبينك فما زالا به حتى اطاعهما وعصى عمر فقال عمر رضى الله عنه اما اذ عصيتنى فخذ ناقتى فليس فى الدنيا بعير يلحقها فان رابك منهم ريب فارجع فلما انتهوا الى البيداء قال ابو جهل ان ناقتى قد كلت فاحملنى معك قال نعم فنزل ليوطئ لنفسه وله فاخذاه وشداه وثاقا وجلده كل واحد منهما مائة جلدة وذهبا به الى امه فقالت لا تزال فى عذاب حتى ترجع عن دين محمد عليه السلام فنزلت والذين امنوا وعملوا الصالحات لندخلنهم فى الصالحين ❁ فى الصالحين فى جملتهم والصلاح من ابلغ صفات المؤمنين وهو متمنى انبياء الله قال الله عز وجل حكاية عن سليمان وادخلنى برحمتك فى عبادك الصالحين ❁ وقال فى ابراهيم وانه فى الاخرة لمن الصالحين او فى مدخل الصالحين وهى الجنة ❁ وهذا نحو قوله تعالى ومن يطع الله والرسول فاولئك مع الذين انعم الله عليهم الاية ومن الناس من يقول امنا بالله فاذا اوذى فى الله جعل فتنة الناس كعذاب الله ولئن جاء نصر من ربك ليقولن انا كنا معكم اوليس الله باعلم بما فى صدور العالمين وليعلمن الله الذين امنوا وليعلمن المنافقين ❁ هم ناس كانوا يؤمنون بالسنتهم فاذا مسهم اذى من الكفار وهو المراد بفتنة الناس كان ذلك صارفا لهم عن الايمان كما ان عذاب الله صارف للمؤمنين عن الكفر او كما يجب ان يكون عذاب الله صارفا واذا نصر الله المؤمنين وغنمهم اعترضوهم وقالوا انا كنا معكم اى متابعين لكم فى دينكم ثابتين عليه بثباتكم ما قدر احد ان يفتننا فاعطونا نصيبا من المغنم ثم اخبر سبحانه وتعالى انه اعلم بما فى صدور العالمين من العالمين بما فى صدورهم ومن ذلك ما تكن صدور هؤلاء من النفاق وهذا اطلاع منه للمؤمنين على ما ابطنوه ثم وعد المؤمنين واوعد المنافقين وقرئ ليقولن بفتح اللام وقال الذين كفروا للذين امنوا اتبعوا سبيلنا ولنحمل خطاياكم وما هم بحاملين من خطاياهم من شئ انهم لكاذبون ❁ امروهم باتباع سبيلهم وهى طريقتهم التى كانوا عليها فى دينهم وامروا انفسهم بحمل خطاياهم فعطف الامر على الامر وارادوا ليجتمع هذان الامران فى الحصول ان تتبعوا سبيلنا وان نحمل خطاياكم والمعنى تعليق الحمل بالاتباع وهذا قول صناديد قريش كانوا يقولون لمن امن منهم لا نبعث نحن ولا انتم فان عسى كان ذلك فانا نتحمل عنكم الاثم وترى فى المتسمين بالاسلام من يستن باولئك فيقول لصاحبه اذا اراد ان يشجعه على ارتكاب بعض العظائم افعل هذا واثمه فى عنقى وكم من مغرور بمثل هذا الضمان من ضعفة العامة وجهلتهم ❁ ومنه ما يحكى ان ابا جعفر المنصور رفع اليه بعض اهل الحشو حوائجه فلما قضاها قال يا امير المؤمنين بقيت الحاجة العظمى قال وما هى قال شفاعتك يوم القيمة فقال له عمرو بن عبيد اياك وهؤلاء فانهم قطاع الطريق فى المأمن فان قلت كيف سماهم كاذبين وانما ضمنوا شيئا علم الله انهم لا يقدرون على الوفاء به وضامن ما لا يعلم اقتداره على الوفاء به لا يسمى كاذبا لا حين ضمن ولا حين عجز لانه فى الحالين لا يدخل تحت حد الكاذب وهو المخبر عن الشئ لا على ما هو عليه قلت شبه الله حالهم حيث علم

لئن

إن ما ضمنوه لا طريق لهم إلى أن يفوا به فكان ضمانهم عنده لا على ما عليه المضمون بالكاذبين الذين خبرهم لا على ما عليه المخبر عنه. ويجوز أن يريد أنهم كاذبون لأنهم قالوا ذلك وقلوبهم على خلافه كالكاذبين الذين يعدون الشيء وفي قلوبهم نية الخلف. **وليحملن أثقالهم وأثقالا مع أثقالهم وليسألن يوم القيامة عما كانوا يفترون**. وليحملن أثقالهم أي أثقال أنفسهم وأثقالا لا يعني أثقالا أخر غير الخطايا التي ضمنوا للمؤمنين حملها وهي أثقال الذين كانوا سببا في ضلالهم. وليسألن سؤال تقريع عما كانوا يفترون أي يختلقون من الأكاذيب والأباطيل. وقرئ من خطياتهم **ولقد أرسلنا نوحا إلى قومه فلبث فيهم ألف سنة إلا خمسين عاما فأخذهم الطوفان وهم ظالمون**. كان عمر نوح عليه السلام ألفا وخمسين سنة بعث على رأس أربعين ولبث في قومه تسعمائة وخمسين وعاش بعد الطوفان ستين. وعن وهب أنه عاش ألفا وأربعمائة سنة. **فإن قلت** هلا قيل تسعمائة وخمسين سنة. **قلت** ما أورده الله أحكم لأنه لو قيل كما قلت لجاز أن يتوهم إطلاق هذا العدد على أكثره وهذا التوهم زائل مع مجيئه كذلك وكأنه قيل تسعمائة وخمسين سنة كاملة وافية العدد إلا أن ذلك أخصر وأعذب لفظا وأملأ بالفائدة. وفيه نكتة أخرى وهي أن القصة مسوقة لذكر ما ابتلي به نوح عليه السلام من أمته وما كابده من طول المصابرة تسلية لرسول الله صلى الله عليه وسلم وتثبيتا له فكان ذكر رأس العدد الذي لا رأس أكثر منه أوقع وأوصل إلى الغرض من استطالة السامع مدة صبره. **فإن قلت** فلم جاء المميز أولا بالسنة وثانيا بالعام لأن تكرير اللفظ الواحد في الكلام الواحد حقيق بالاجتناب في البلاغة إلا إذا وقع ذلك لأجل غرض ينتحيه المتكلم من تفخيم أو تهويل أو تنويه أو نحو ذلك. والطوفان ما أطاف وأحاط بكثرة وغلبة من سيل أو ظلام ليل أو نحوهما **قال** العجاج. وغم طوفان الظلام الأثأبا. **فأنجيناه وأصحاب السفينة وجعلناها آية للعالمين**. أصحاب السفينة كانوا ثمانية وسبعين نفسا نصفهم ذكور ونصفهم إناث منهم أولاد نوح سام وحام ويافث ونساؤهم. وعن محمد بن إسحق كانوا عشرة خمسة رجال وخمس نسوة. وقد روي عن النبي صلى الله عليه وسلم كانوا ثمانية نوح وأهله وبنوه الثلاثة. والضمير في وجعلناها للسفينة أو للحادثة والقصة. **وإبراهيم إذ قال لقومه اعبدوا الله واتقوه ذلكم خير لكم إن كنتم تعلمون**. نصب إبراهيم بإضمار اذكر وأبدل عنه إذ بدل الاشتمال لأن الأحيان تشتمل على ما فيها أو هو معطوف على نوحا وإذ ظرف لأرسلنا يعني أرسلناه حين بلغ من السن والعلم مبلغا صلح فيه لأن يعظ قومه وينصحهم ويعرض عليهم الحق ويأمرهم بالعبادة والتقوى. **وقرأ** إبراهيم النخعي وأبو حنيفة رحمة الله عليهما وإبراهيم بالرفع على معنى ومن المرسلين إبراهيم. إن كنتم تعلمون يعني إن كان فيكم علم بما هو خير لكم مما هو شر لكم أو إن نظرتم بعين الدراية المبصرة دون عين الجهل العمياء علمتم أنه خير لكم. **إنما تعبدون من دون الله أوثانا وتخلقون إفكا إن الذين تعبدون من دون الله لا يملكون لكم رزقا فابتغوا عند الله الرزق واعبدوه واشكروا له إليه ترجعون**. **وقرئ** تخلقون من خلق بمعنى التكثير في خلق. وتخلقون من تخلق بمعنى تكذب وتخرص. وقرئ أفكا وفيه وجهان أن يكون مصدرا نحو كذب ولعب والإفك مخفف منه كالكذب واللعب من أصلهما. وأن يكون صفة على فعل أي خلقا أفكا أي ذا إفك وباطل. واختلاقهم الإفك تسميتهم الأوثان آلهة وشركاء لله أو شفعاء إليه أو سمى الأصنام إفكا وعملهم لها ونحتهم خلقا للإفك. فإن قلت

لم نكر الرزق ثم عرفه. **قلت** لأنه أراد لا يستطيعون أن يرزقوكم شيئا من الرزق فابتغوا عند الله الرزق كله فإنه هو الرزاق وحده لا يرزق غيره. إليه ترجعون. وقرئ بفتح التاء فاستعدوا للقائه بعبادته والشكر له على أنعمه. **وإن تكذبوا فقد كذب أمم من قبلكم وما على الرسول إلا البلاغ المبين**. وإن تكذبوني فلا تضروني بتكذيبكم فإن الرسل قبلي قد كذبتهم أممهم وما ضروهم وإنما ضروا أنفسهم حيث حل بهم ما حل بسبب تكذيب الرسل. وأما الرسول فقد تم أمره حين بلغ البلاغ المبين الذي زال معه الشك وهو اقترانه بآيات الله ومعجزاته. أو وإن كنتم مكذبين فيما بينكم فلي في سائر الأنبياء أسوة وسلوة حيث كذبوا وعلى الرسول أن يبلغ وما عليه أن يصدق ولا يكذب. وهذه الآية والآيات التي بعدها إلى قوله تعالى فما كان جواب قومه محتملة أن تكون من جملة قول إبراهيم عليه السلام لقومه وأن تكون آيات وقعت معترضة في شأن رسول الله عليه السلام وشأن قريش بين أول قصة إبراهيم وآخرها. **فإن قلت** إذا كانت من قول إبراهيم فما المراد بالأمم قبله. **قلت** قوم شيث وإدريس ونوح وغيرهم وكفى بقوم نوح أمة في معنى أمم جمة مكذبة. ولقد عاش إدريس عليه السلام ألف سنة في قومه إلى أن رفع إلى السماء وآمن به ألف إنسان منهم على عدد سنيه وأعقابهم على التكذيب. فإن قلت فما تصنع بقوله قل سيروا في الأرض. قلت هي حكاية كلام الله حكاه إبراهيم عليه السلام لقومه كما يحكي رسولنا عليه السلام كلام الله على هذا المنهاج في أكثر القرآن. **فإن قلت** فإذا كانت خطابا لقريش فما وجه توسطها بين طرفي قصة إبراهيم والجملة أو الجمل الاعتراضية لا بد لها من اتصال بما وقعت معترضة فيه ألا تراك لا تقول مكة وزيد أبوه قائم خير بلاد الله. إيراد قصة إبراهيم ليس إلا إرادة للتنفيس عن رسول الله عليه السلام وأن تكون مسلاة له ومتفرجا بأن أباه إبراهيم خليل الله كان ممنوا بنحو ما مني به من شرك قومه وعبادتهم الأوثان فاعترض بقوله تعالى وإن تكذبوا على معنى إنكم يا معشر قريش إن تكذبوا محمدا فقد كذب إبراهيم قومه وكل أمة نبيها لأن قوله تعالى فقد كذب أمم من قبلكم لا بد من تناوله لأمة إبراهيم وهو كما ترى اعتراض واقع متصل ثم سائر الآيات الواطئة عقبها من ذيولها وتوابعها لكونها ناطقة بالتوحيد ودلائله وهدم الشرك وتوهين قواعده وصفة قدرة الله وسلطانه ووضوح حجته وبرهانه. **أولم يروا كيف يبدئ الله الخلق ثم يعيده إن ذلك على الله يسير**. **قرئ** يروا بالتاء والياء. ويبدئ ويبدأ. وقوله تعالى ثم يعيده ليس بمعطوف على يبدئ وليست الرؤية واقعة عليه وإنما هو إخبار على حياله بالإعادة بعد الموت كما وقع النظر في قوله تعالى كيف بدأ الخلق ثم الله ينشئ النشأة الآخرة على البدء دون الإنشاء ونحوه قولك ما زلت أوثر فلانا وأستخلفه على من أخلفه. **فإن قلت** هو معطوف بحرف العطف فلا بد له من معطوف عليه. **قلت** هو جملة قوله أولم يروا كيف يبدئ الله الخلق وكذلك وأستخلفه معطوف على جملة قوله ما زلت أوثر فلانا. ذلك يرجع إلى ما يرجع إليه هو في قوله تعالى وهو أهون عليه من معنى يعيد. **قل سيروا في الأرض فانظروا كيف بدأ الخلق ثم الله ينشئ النشأة الآخرة إن الله على كل شيء قدير**. دل بقوله النشأة الآخرة على أنهما نشأتان وأن كل واحدة منهما إنشاء أي ابتداء واختراع وإخراج من العدم إلى الوجود لا تفاوت بينهما إلا أن الآخرة إنشاء بعد إنشاء مثله والأولى ليست كذلك. وقرئ النشأة والنشاءة كالرأفة والرآفة. **فإن قلت** ما معنى الإفصاح باسمه مع إيقاعه

مبتدأ في قوله تعالى ثم الله ينشئ النشأة الآخرة بعد إضماره في قوله تعالى كيف بدأ الخلق وكان القياس أن يقال كيف بدأ الله الخلق ثم ينشئ النشأة الآخرة **قلت** الكلام معهم كان واقعاً في الإعادة وفيها كانت تصطك الركب فلما قررهم في الابتداء بأنه من الله احتج عليهم بأن الإعادة إنشاء مثل الابتداء فإذا كان الله الذي لا يعجزه شيء هو الذي لم يعجزه الابتداء فهو الذي وجب أن لا تعجزه الإعادة فكأنه قال ثم ذاك الذي أنشأ النشأة الأولى هو الذي ينشئ النشأة الآخرة فللتنبيه على هذا المعنى أبرز اسمه وأوقعه مبتدأ **يعذب من يشاء ويرحم من يشاء وإليه تقلبون** يعذب من يشاء تعذيبه ويرحم من يشاء رحمته ومتعلق المشيئتين مفسر مبين في مواضع من القرآن وهو من يستوجبهما من الكافر والفاسق إذا لم يتوبا ومن المعصوم والتائب تقلبون تردون وترجعون **وما أنتم بمعجزين في الأرض ولا في السماء وما لكم من دون الله من ولي ولا نصير** وما أنتم بمعجزين ربكم أي لا تفوتونه إن هربتم من حكمه وقضائه في الأرض الفسيحة ولا في السماء التي هي أفسح منها وأبسط لو كنتم فيها كقوله تعالى إن استطعتم أن تنفذوا من أقطار السموات والأرض فانفذوا وقيل ولا من في السماء كما قال حسان

أمن يهجو رسول الله منكم ويمدحه وينصره سواء

ويحتمل أن يراد لا تعجزونه كيفما هبطتم في مهاوي الأرض وأعماقها أو علوتم في البروج والقلاع الذاهبة في السماء كقوله عز وجل ولو كنتم في بروج مشيدة أو لا تعجزون أمره الجاري في السماء والأرض أن يجري عليكم فيصيبكم ببلاء يظهر من الأرض أو ينزل من السماء **والذين كفروا بآيات الله ولقائه أولئك يئسوا من رحمتي وأولئك لهم عذاب أليم** بآيات الله بدلائله على وحدانيته وكتبه ومعجزاته ولقائه والبعث يئسوا من رحمتي وعيد أي ييأسون يوم القيامة كقوله تعالى ويوم تقوم الساعة يبلس المجرمون أو هو وصف لحالهم لأن المؤمن إنما يكون راجياً خائفاً فأما الكافر فلا يخطر بباله رجاء ولا خوف أو شبه حالهم في انتفاء الرحمة عنهم بحال من ييأس من الرحمة وعن قتادة أن الله تعالى ذم قوماً هانوا عليه فقال يئسوا من رحمتي وقال إنه لا ييأس من روح الله إلا القوم الكافرون فينبغي للمؤمن أن لا ييأس من روح الله ولا من رحمته وأن لا يأمن عذابه وعقابه صفة المؤمن أن يكون راجياً لله خائفاً **فما كان جواب قومه إلا أن قالوا اقتلوه أو حرقوه فأنجاه الله من النار إن في ذلك لآيات لقوم يؤمنون** **قرئ** جواب قومه بالنصب والرفع قالوا ذلك بعضهم لبعض أو قاله واحد منهم وكان الباقون راضين فكانوا جميعاً في حكم القائلين **وروي** أنه لم ينتفع في ذلك اليوم بالنار يعني يوم ألقي إبراهيم في النار وذلك لذهاب حرها **وقال إنما اتخذتم من دون الله أوثاناً مودة بينكم في الحياة الدنيا ثم يوم القيامة يكفر بعضكم ببعض ويلعن بعضكم بعضاً ومأواكم النار وما لكم من ناصرين** **قرئ** على النصب بغير إضافة وبإضافة وعلى الرفع كذلك فالنصب على وجهين على التعليل أي لتتوادوا بينكم وتتواصلوا لاجتماعكم على عبادتها واتفاقكم عليها وائتلافكم كما يتفق الناس على مذهب فيكون ذلك سبب تحابهم وتصادقهم وأن يكون مفعولاً ثانياً كقوله عز وجل اتخذ إلهه هواه أي اتخذتم الأوثان سبب المودة بينكم على تقدير حذف المضاف أو اتخذتموها مودة بينكم بمعنى مودودة بينكم كقوله تعالى ومن الناس من يتخذ من دون الله أنداداً يحبونهم كحب الله وفي الرفع وجهان أن يكون خبراً لأن على أن ما موصولة وأن يكون خبر مبتدأ محذوف والمعنى أن الأوثان مودة بينكم أي مودودة أو سبب مودة وعن عاصم

مودة بينكم بفتح بينكم مع الإضافة كما قرئ لقد تقطع بينكم ففتح وهو فاعل **وقرأ** ابن مسعود رضي الله عنه أوثاناً إنما مودة بينكم في الحياة الدنيا أي إنما تتوادون عليها أو تودونها في الحياة الدنيا ثم يوم القيامة يقوم بينكم التلاعن والتباغض والتعادي يتلاعن العبدة ويتلاعن العبدة والأصنام كقوله تعالى ويكونون عليهم ضداً **فآمن له لوط وقال إني مهاجر إلى ربي إنه هو العزيز الحكيم** كان لوط عليه السلام ابن أخت إبراهيم عليه السلام وهو أول من آمن له حين رأى النار لم تحرقه وقال يعني إبراهيم إني مهاجر من كوثى وهو من سواد الكوفة إلى حران ثم منها إلى فلسطين ومن ثم قالوا لكل نبي هجرة ولإبراهيم هجرتان وكان معه في هجرته لوط وامرأته سارة وهاجر وهو ابن خمس وسبعين سنة إلى ربي حيث أمرني بالهجرة إليه إنه هو العزيز الذي يمنعني من أعدائي الحكيم الذي لا يأمرني إلا بما هو مصلحتي **ووهبنا له إسحاق ويعقوب وجعلنا في ذريته النبوة والكتاب وآتيناه أجره في الدنيا وإنه في الآخرة لمن الصالحين** أجره الثناء الحسن والصلاة عليه آخر الدهر والذرية الطيبة والنبوة وأن أهل الملل كلهم يتولونه **فإن قلت** ما بال إسماعيل عليه السلام لم يذكر وذكر إسحاق عليه السلام وعقبه **قلت** قد دل عليه في قوله تعالى وجعلنا في ذريته النبوة والكتاب وكفى الدليل لشهرة أمره وعلو قدره فإن قلت ما المراد بالكتاب قلت قصد به جنس الكتاب حتى دخل تحته ما نزل على ذريته من الكتب الأربعة التي هي التوراة والزبور والإنجيل والقرآن **ولوطاً إذ قال لقومه إنكم لتأتون الفاحشة ما سبقكم بها من أحد من العالمين أئنكم لتأتون الرجال وتقطعون السبيل وتأتون في ناديكم المنكر فما كان جواب قومه إلا أن قالوا ائتنا بعذاب الله إن كنت من الصادقين** ولوطاً معطوف على إبراهيم أو على ما عطف عليه والفاحشة الفعلة البالغة في القبح وما سبقكم بها من أحد من العالمين جملة مستأنفة مقررة لفحاشة تلك الفعلة كأن قائلاً قال لم كانت فاحشة فقيل له لأن أحداً قبلهم لم يقدم عليها اشمئزازاً منها في طباعهم لإفراط قبحها حتى أقدم عليها قوم لوط لخبث طينتهم وقذر طباعهم قالوا لم ينز ذكر على ذكر قبل قوم لوط قط **وقرئ** إنكم بغير استفهام في الأول دون الثاني قال أبو عبيد وجدته في الإمام بحرف واحد بغير ياء ورأيت الثاني بحرفين الياء والنون وقطع السبيل عمل قطاع الطريق من قتل الأنفس وأخذ الأموال وقيل اعتراضهم السابلة بالفاحشة وعن الحسن رحمة الله عليه قطع النسل بإتيان ما ليس بحرث والمنكر عن ابن عباس رضي الله عنهما هو الخذف بالحصى والرمي بالبنادق والفرقعة ومضغ العلك والسواك بين الناس وحل الأزرار والسباب والفحش في المزاح وعن عائشة رضي الله عنها كانوا يتحابقون وقيل السخرية بمن مر بهم وقيل المجاهرة في ناديهم بذلك العمل وكل معصية فإظهارها أقبح من سترها ولذلك جاء من خرق جلباب الحياء فلا غيبة له ولا يقال للمجلس ناد إلا ما دام فيه أهله فإذا قاموا عنه لم يبق نادياً إن كنت من الصادقين فيما تعدناه من نزول العذاب **قال رب انصرني على القوم المفسدين** كانوا يفسدون الناس بحملهم على ما كانوا عليه من المعاصي والفواحش طوعاً وكرهاً ولأنهم ابتدعوا الفاحشة وسنوها فيمن بعدهم وقال الله تعالى الذين كفروا وصدوا عن سبيل الله زدناهم عذاباً فوق العذاب بما كانوا يفسدون فأراد لوط عليه السلام أن يشتد غضب الله عليهم فذكر لذلك صفة المفسدين في دعائه **ولما جاءت رسلنا إبراهيم بالبشرى قالوا إنا مهلكو أهل هذه القرية إن أهلها كانوا ظالمين** بالبشرى

من البشارة بالولد والنافلة وهما اسحق ويعقوب عليهما السلام واضافة مهلكوا اضافة تخفيف لا تعريف
والمعنى الاستقبال والقرية سدوم التي قيل فيها اجور من قاضي سدوم ان اهلها كانوا ظالمين معناه ان
الظلم قد استمر منهم الى ايجاده في الايام السالفة وهم عليه مصرون وظلمهم كفرهم وانواع معاصيهم
قال ان فيها لوطا قالوا نحن اعلم بمن فيها لننجينه واهله الا امرأته كانت من الغابرين ان
فيها لوطا ليس اخبارا لهم بكونه فيها وانما هو جدال في شانه لانهم لما عللوا اهلاك اهلها بظلمهم اعترض
عليهم بان فيها من هو بريء من الظلم واراد بالجدال اظهار الشفقة عليه وما يجب للمؤمن من التحزن
لاخيه والتشمر في نصرته وحياطته والخوف من ان يمسه اذى او يلحقه ضرر قال قتادة لا يرى المؤمن
ان لا يحوط المؤمن الا ترى الى جوابهم بانهم اعلم منهم بمن فيها يعنون نحن اعلم منك واخبر بحال لوط وحال قومه
وامتيازه منهم الامتياز البين وانه لا يستاهل ما يستاهلون فخفض على نفسك وهون عليك الخطب
وقرئ لننجينه بالتشديد والتخفيف وكذلك منجوك ولما ان جاءت رسلنا لوطا سيء بهم وضاق
بهم ذرعا وقالوا لا تخف ولا تحزن انا منجوك واهلك الا امرأتك كانت من الغابرين
ان صلة اكدت وجود الفعلين مترتبا احدهما على الاخر في وقتين متجاورين لا فاصل بينهما كانهما وجدا في
جزء واحد من الزمان كانه قيل كما احس بمجيئهم فاجأته المساءة من غير ريث خيفة عليهم من قومه وضاق
بهم ذرعا وضاق بشانهم وبتدبير امرهم ذرعه اي طاقته وقد جعلت العرب ضيق الذراع والذرع
عبارة عن فقد الطاقة كما قالوا رحب الذراع بكذا اذا كان مطيقا له والاصل فيه ان الرجل اذا
طالت ذراعه نال ما لا يناله القصير الذراع فضرب ذلك مثلا في العجز والقدرة انا منزلون
على اهل هذه القرية رجزا من السماء بما كانوا يفسقون الرجز والرجس العذاب من قولهم ارتجز
وارتجس اذا اضطرب لما يلحق المعذب من القلق والاضطراب وقرئ منزلون مخففا ومشددا
ولقد تركنا منها آية بينة لقوم يعقلون منها من القرية آية بينة هي آثار منازلهم الخربة
وقيل بقية الحجارة وقيل الماء الاسود على وجه الارض وقيل الخبر عما صنع بهم لقوم متعلق بتركنا
او ببينة والى مدين اخاهم شعيبا فقال يا قوم اعبدوا الله وارجوا اليوم الاخر ولا تعثوا
في الارض مفسدين وارجوا وافعلوا ما ترجون به العاقبة فاقيم المسبب مقام السبب او
امروا بالرجاء والمراد اشتراط ما يسوغه من الايمان كما يؤمر الكافر بالشرعيات على ارادة الشرط
وقيل هو من الرجاء بمعنى الخوف فكذبوه فاخذتهم الرجفة فاصبحوا في دارهم جاثمين والرجفة
الزلزلة الشديدة وعن الضحاك صيحة جبريل عليه السلام لان القلوب رجفت لها في دارهم
في بلدهم وارضهم او في ديارهم فاكتفى بالواحد لانه لا يلتبس جاثمين باركين على الركب ميتين
وعادا وثمودا وقد تبين لكم من مساكنهم وزين لهم الشيطان اعمالهم فصدهم عن السبيل
وكانوا مستبصرين وعادا منصوب باضمار اهلكنا لان قوله تعالى فاخذتهم الرجفة يدل
عليه لانه في معنى الاهلاك وقد تبين لكم ذلك يعني ما وصفه من اهلاكهم من جهة مساكنهم اذا
نظرتم اليها عند مروركم بها وكان اهل مكة يمرون عليها في اسفارهم فيبصرونها وكانوا مستبصرين
عقلاء متمكنين من النظر والافتكار ولكنهم لم يفعلوا او كانوا متبينين ان العذاب نازل بهم لان
الله تعالى قد بين لهم على السنة الرسل ولكنهم لجوا حتى هلكوا وقارون وفرعون وهامان ولقد
جاءهم موسى بالبينات فاستكبروا في الارض وما كانوا سابقين فكلا اخذنا بذنبه

فمنهم من ارسلنا عليه حاصبا ومنهم من اخذته الصيحة ومنهم من خسفنا به الارض ومنهم
من اغرقنا وما كان الله ليظلمهم ولكن كانوا انفسهم يظلمون سابقين فائتين ادركهم
امر الله فلم يفوتوه الحاصب لقوم لوط وهي ريح عاصف فيها حصباء وقيل ملك كان يرميهم والصيحة
لمدين وثمود والخسف لقارون والغرق لقوم نوح وفرعون مثل الذين اتخذوا من دون الله
اولياء كمثل العنكبوت اتخذت بيتا وان اوهن البيوت لبيت العنكبوت لو كانوا يعلمون
الغرض تشبيه ما اتخذوه متكلا ومعتمدا في دينهم وتولوه من دون الله بما هو مثل عند الناس في الوهن
وضعف القوة وهو نسج العنكبوت الا ترى الى مقطع التشبيه وهو قوله تعالى وان اوهن البيوت لبيت
العنكبوت **فان قلت** ما معنى قوله تعالى لو كانوا يعلمون وكل احد يعلم وهن بيت العنكبوت
قلت معناه لو كانوا يعلمون ان هذا مثلهم وان امر دينهم بالغ هذه الغاية من الوهن ووجه اخر
وهو انه اذا صح تشبيه ما اعتمدوه في دينهم ببيت العنكبوت وقد صح ان اوهن البيوت بيت العنكبوت
فقد تبين ان دينهم اوهن الاديان لو كانوا يعلمون او اخرج الكلام بعد تصحيح التشبيه مخرج المجاز
فكانه قال وان اوهن ما يعتمد عليه في الدين عبادة الاوثان لو كانوا يعلمون ولقائل ان يقول
مثل المشرك الذي يعبد الوثن بالقياس الى المؤمن الذي يعبد الله مثل عنكبوت يتخذ بيتا بالاضافة الى
رجل يبني بيتا باجر وجص او ينحته من صخر وكما ان اوهن البيوت اذا استقريتها بيتا بيتا بيت العنكبوت
كذلك اضعف الاديان اذا استقريتها دينا دينا عبادة الاوثان لو كانوا يعلمون ان الله يعلم ما يدعون
من دونه من شيء وهو العزيز الحكيم **وقرئ** تدعون بالياء والتاء وهذا توكيد للمثل وزيادة
عليه حيث لم يجعل ما يدعونه شيئا وهو العزيز الحكيم فيه تجهيل لهم حيث عبدوا ما ليس بشيء لانه جماد
ليس معه مصحح العلم والقدرة اصلا وتركوا عبادة القاهر القادر على كل شيء الحكيم الذي لا يفعل
شيئا الا بحكمة وتدبير وتلك الامثال نضربها للناس وما يعقلها الا العالمون كان الجهلة
والسفهاء من قريش يقولون ان رب محمد يضرب المثل بالذباب والعنكبوت ويضحكون من ذلك فلذلك
قال وما يعقلها الا العالمون اي لا يعقل صحتها وحسنها وفائدتها الا هم لان الامثال والتشبيهات
انما هي الطرق الى المعاني المحتجبة في الاستار حتى تبرزها وتكشف عنها وتصورها للافهام كما صور هذا
التشبيه الفرق بين حال المشرك وحال الموحد وعن النبي صلى الله عليه وسلم انه تلا هذه الاية
فقال العالم من عقل عن الله فعمل بطاعته واجتنب سخطه خلق الله السموات والارض بالحق
ان في ذلك لاية للمؤمنين بالحق بالغرض الصحيح الذي هو حق لا باطل وهو ان تكون مساكن عباده
وعبرة للمعتبرين منهم ودلائل على عظم قدرته الا ترى الى قوله ان في ذلك لاية للمؤمنين ونحوه
قوله عز وعلا وما خلقنا السماء والارض وما بينهما باطلا ثم قال ذلك ظن الذين كفروا اتل ما اوحي
اليك من الكتاب واقم الصلوة ان الصلوة تنهى عن الفحشاء والمنكر ولذكر الله اكبر والله
يعلم ما تصنعون الصلوة تكون لطفا في ترك المعاصي فكانها ناهية عنها **فان قلت** كم من
مصل يرتكب ولا تنهاه صلوته **قلت** الصلوة التي هي الصلوة عند الله المستحق بها الثواب ان
يدخل فيها مقدما للتوبة النصوح متقيا لقوله تعالى انما يتقبل الله من المتقين ويصليها خاشعا
بالقلب والجوارح فقد روي عن حاتم كان رجلي على الصراط والجنة عن يميني والنار عن يساري وملك
الموت من فوقي واصلي بين الرجاء والخوف ثم تحوطها بعد ان يصليها فلا يحبطها فهي الصلوة التي تنهى

عن الفحشاء والمنكر. وعن ابن عباس رضي الله عنهما من لم تأمره صلاته بالمعروف وتنهه عن المنكر لم يزدد بصلاته من الله الا بعدا. وعن الحسن رحمة الله عليه من لم تنهه صلاته عن الفحشاء والمنكر فليست صلاته بصلاة وهي وبال عليه. وقيل من كان مراعيا للصلاة جره ذلك الى ان ينتهي عن السيئات يوما ما فقد روي انه قيل لرسول الله عليه السلام ان فلانا يصلي بالنهار ويسرق بالليل فقال ان صلاته لتردعه وروي ان فتى من الانصار كان يصلي معه الصلوات ولا يدع شيئا من الفواحش الا ركبه فوصف له فقال ان صلاته ستنهاه فلم يلبث ان تاب وعلى كل حال فان المراعي للصلاة لا بد ان يكون ابعد من الفحشاء والمنكر ممن لا يراعيها وايضا فكم من مصلين تنهاهم الصلاة عن الفحشاء والمنكر واللفظ لا يقتضي ان لا يخرج واحد من المصلين عن قضيتها كما تقول ان زيدا ينهى عن المنكر فليس غرضك انه ينهى عن جميع المناكير وانما تريد ان هذه الخصلة موجودة فيه وحاصلة منه من غير اقتضاء للعموم ولذكر الله اكبر يريد وللصلاة اكبر من غيرها من الطاعات وسماها بذكر الله كما قال تعالى فاسعوا الى ذكر الله وانما قال ولذكر الله ليستقل بالتعليل كانه قال وللصلاة اكبر لانها ذكر الله. او ولذكر الله عند الفحشاء والمنكر وذكر نهيه عنهما ووعيده عليهما اكبر فكان اولى بان ينهى من اللطف الذي في الصلاة وعن ابن عباس رضي الله عنهما ولذكر الله اياكم برحمته اكبر من ذكركم اياه بطاعته. والله يعلم ما تصنعون من الخير والطاعة فيثيبكم احسن الثواب **ولا تجادلوا اهل الكتاب الا بالتي هي احسن الا الذين ظلموا منهم وقولوا آمنا بالذي انزل الينا وانزل اليكم والهنا والهكم واحد ونحن له مسلمون** بالتي هي احسن بالخصلة التي هي احسن وهي مقابلة الخشونة باللين والغضب بالكظم والسورة بالاناة كما قال الله عز وجل ادفع بالتي هي احسن. الا الذين ظلموا فافرطوا في الاعتداء والعناد ولم يقبلوا النصح ولم ينفع فيهم الرفق فاستعملوا معهم الغلظة. وقيل الا الذين آذوا رسول الله. وقيل الا الذين اثبتوا الولد والشريك وقالوا يد الله مغلولة. وقيل معناه ولا تجادلوا الداخلين في الذمة المؤدين للجزية الا بالتي هي احسن الا الذين ظلموا فنبذوا الذمة ومنعوا الجزية فان اولئك مجادلتهم بالسيف. وعن قتادة الآية منسوخة بقوله تعالى قاتلوا الذين لا يؤمنون بالله ولا باليوم الآخر ولا مجادلة اشد من السيف وقوله تعالى آمنا بالذي انزل الينا من جنس المجادلة بالتي هي احسن. وعن النبي صلى الله عليه وسلم ما حدثكم اهل الكتاب فلا تصدقوهم ولا تكذبوهم وقولوا آمنا بالله وكتبه ورسله فان كان باطلا لم تصدقوهم وان كان حقا لم تكذبوهم **وكذلك انزلنا اليك الكتاب فالذين آتيناهم الكتاب يؤمنون به ومن هؤلاء من يؤمن به وما يجحد بآياتنا الا الكافرون.** ومثل ذلك الانزال انزلنا اليك الكتاب اي انزلناه مصدقا لسائر الكتب السماوية تحقيقا لقوله تعالى آمنا بالذي انزل الينا وانزل اليكم. وقيل وكما انزلنا الكتب الى من كان قبلك انزلنا اليك الكتاب. فالذين آتيناهم الكتاب هم عبد الله بن سلام رضي الله عنه ومن آمن معه. ومن هؤلاء من اهل مكة. وقيل اراد بالذين اوتوا الكتاب الذين تقدموا عهد رسول الله من اهل الكتاب ومن هؤلاء ممن في عهده منهم. وما يجحد بآياتنا مع ظهورها وزوال الشبهة عنها الا المتوغلون في الكفر المصممون عليه. وقيل هم كعب بن الاشرف واصحابه **وما كنت تتلو من قبله من كتاب ولا تخطه بيمينك اذا لارتاب المبطلون.** وانت امي ما عرفك احد قط بتلاوة كتاب ولا خط اذن لو كان شيء من ذلك اي من التلاوة والخط لارتاب المبطلون من اهل الكتاب وقالوا الذي نجده في كتبنا امي لا يكتب ولا يقرأ وليس به. او لارتاب مشركوا

مكة وقالوا لعله تعلمه او كتبه بيده **فان قلت** لم سماهم مبطلين ولو لم يكن اميا وقالوا ليس بالذي نجده في كتبنا لكانوا صادقين محقين ولكان اهل مكة ايضا على حق في قولهم لعله تعلمه او كتبه فانه رجل قارئ كاتب **قلت** سماهم مبطلين لانهم كفروا به وهو امي بعيد من الريب فكانه قال هؤلاء المبطلون في كفرهم به لو لم يكن اميا لارتابوا اشد الريب فحين ليس بقارئ كاتب فلا وجه لارتيابهم وشيء آخر وهو ان سائر الانبياء لم يكونوا اميين ووجب الايمان بهم وبما جاؤا به لكونهم مصدقين من جهة الحكيم بالمعجزات فهب انه قارئ كاتب فما لهم لم يؤمنوا به من الوجه الذي آمنوا منه بموسى وعيسى على ان المنزلين ليسا بمعجزين وهذا المنزل معجز فاذن هم مبطلون حيث لم يؤمنوا به وهو امي ومبطلون ان لم يؤمنوا به وهو غير امي **فان قلت** ما فائدة قوله بيمينك ذكر اليمين وهي الجارحة التي يزاول بها الخط زيادة تصوير لما نفي عنه من كونه كاتبا. الا ترى انك اذا قلت في الاثبات رأيت الامير يخط هذا الكتاب بيمينه كان اشد لاثباتك انه تولى كتبته فكذلك النفي **بل هو آيات بينات في صدور الذين اوتوا العلم وما يجحد بآياتنا الا الظالمون.** بل القرآن آيات بينات في صدور العلماء به وحفاظه وهما من خصائص القرآن كون آياته بينات الاعجاز وكونه محفوظا في الصدور يتلوه اكثر الامة ظاهرا بخلاف سائر الكتب فانها لم تكن معجزات وما كانت تقرأ الا من المصاحف ومنه ما جاء في صفة هذه الامة صدورهم اناجيلهم. وما يجحد بآيات الله الواضحة الا المتوغلون في الظلم المكابرون **وقالوا لولا انزل عليه آيات من ربه قل انما الآيات عند الله وانما انا نذير مبين. اولم يكفهم انا انزلنا عليك الكتاب يتلى عليهم ان في ذلك لرحمة وذكرى لقوم يؤمنون** **قرئ** آية وآيات. ارادوا هلا انزل عليه آية مثل ناقة صالح ومائدة عيسى عليهما السلام ونحو ذلك. انما الآيات عند الله ينزل ايتها شاء ولو شاء ان ينزل ما يقترحونه لفعل وانما انا نذير كلفت الانذار وابانته بما اعطيت من الآيات وليس لي ان اتخير على الله آياته فاقول انزل علي آية كذا دون آية كذا مع علمي ان الغرض من الآية ثبوت الدلالة والآيات كلها في حكم آية واحدة في ذلك ثم قال اولم يكفهم آية مغنية عن سائر الآيات ان كانوا طالبين للحق غير متعنتين هذا القرآن الذي تدوم تلاوته عليهم في كل مكان وزمان فلا يزال معهم آية ثابتة لا تزول ولا تضمحل كما تزول كل آية بعد كونها وتكون في مكان دون مكان. ان في مثل هذه الآية الموجودة في كل مكان وزمان الى آخر الدهر لرحمة لنعمة عظيمة لا تشكر وتذكرة لقوم يؤمنون. وقيل اولم يكفهم يعني اليهود انا انزلنا عليك الكتاب يتلى عليهم بتحقيق ما في ايديهم من نعتك ونعت دينك. وقيل ان ناسا من المسلمين اتوا رسول الله صلى الله عليه وسلم بكتف قد كتبوا فيها بعض ما يقول اليهود فلما ان نظر اليها القاها وقال كفى بها حماقة قوم او ضلالة قوم ان يرغبوا عما جاءهم به نبيهم الى ما جاء به غير نبيهم فنزلت والوجه ما ذكرنا **قل كفى بالله بيني وبينكم شهيدا يعلم ما في السموات والارض والذين آمنوا بالباطل وكفروا بالله اولئك هم الخاسرون.** كفى بالله بيني وبينكم شهيدا اني قد بلغتكم ما ارسلت به اليكم وانذرتكم وانكم قابلتموني بالجحد والتكذيب. يعلم ما في السموات والارض فهو مطلع على امري وامركم وعالم بحقي وباطلكم. والذين آمنوا بالباطل منكم وهو ما تعبدون من دون الله وكفروا بالله وآياته اولئك هم الخاسرون المغبونون في صفقتهم حيث اشتروا الكفر بالايمان الا ان الكلام ورد مورد الانصاف كقوله تعالى وانا او اياكم لعلى

هدى او في ضلال مبين وكقول حسان * فشركما لخيركما الفداء * وروى ان كعب بن الاشرف واصحابه قالوا يا محمد من يشهد لك بانك رسول الله فنزلت **ويستعجلونك بالعذاب ولولا اجل مسمى لجاءهم العذاب وليأتينهم بغتة وهم لا يشعرون** * كان استعجال العذاب استهزاء منهم وتكذيبا والنضر بن الحرث هو الذي قال اللهم امطر علينا حجارة من السماء كما قال اصحاب الايكة فاسقط علينا كسفا من السماء ولولا اجل قد سماه وبينه في اللوح لعذابهم واوجبت الحكمة تاخيره الى ذلك الاجل المسمى لجاءهم العذاب عاجلا * والمراد بالاجل الاخرة لما روى ان الله عز وجل وعد رسول الله صلى الله عليه وسلم ان لا يعذب قومه ولا يستأصلهم وان يؤخر عذابهم الى يوم القيمة * وقيل يوم بدر * وقيل وقت فنائهم بآجالهم **يستعجلونك بالعذاب وان جهنم لمحيطة بالكافرين * يوم يغشاهم العذاب من فوقهم ومن تحت ارجلهم ويقول ذوقوا ما كنتم تعملون** * لمحيطة اي ستحيط بهم يوم يغشاهم العذاب او هي محيطة بهم في الدنيا لان المعاصي التي توجبها محيطة بهم * او لانها مآلهم ومرجعهم لا محالة فكانها الساعة محيطة بهم ويوم يغشاهم على هذا منصوب بمضمر اي يوم يغشاهم العذاب كان كيت وكيت ومن فوقهم ومن تحت ارجلهم كقوله تعالى لهم من فوقهم ظلل من النار ومن تحتهم ظلل * ونقول قرئ بالنون والياء * ما كنتم تعملون اي جزاءه **يا عبادي الذين آمنوا ان ارضي واسعة فاياي فاعبدون** * معنى الاية ان المؤمن اذا لم يتسهل له العبادة في بلد هو فيه ولم يتمش له امر دينه كما يجب فليهاجر عنه الى بلد يقدر انه فيه اسلم قلبا واصح دينا واكثر عبادة واحسن خشوعا * ولعمري ان البقاع تتفاوت في ذلك التفاوت الكثير ولقد جربنا وجرب اولونا فلم نجد فيما درنا وداروا اعون على قهر النفس وعصيان الشهوة واجمع للقلب المتلفت واضم للهم المنتشر واحث على القناعة واطرد للشيطان وابعد من كثير من الفتن واضبط للامر الديني في الجملة من سكنى حرم الله وجوار بيت الله فلله الحمد على ما سهل من ذلك وقرب ورزق من الصبر واوزع من الشكر * وعن رسول الله صلى الله عليه وسلم من فر بدينه من ارض الى ارض وان كان شبرا من الارض استوجب الجنة وكان رفيق ابراهيم ومحمد صلوات الله عليهما وقيل في المستضعفين بمكة الذين نزل فيهم الم تكن ارض الله واسعة فتهاجروا فيها وانما كان ذلك لان امر دينهم ما كان يستتب لهم بين ظهراني الكفرة * فاياي فاعبدون في المتكلم نحو اياه فارهبوه في الغايب واياك فاعبد في المخاطب والتقدير فاياي فاعبدوا فاعبدون **فان قلت** ما معنى الفاء في فاعبدون وتقديم المفعول **قلت** الفاء جواب شرط محذوف لان المعنى ان ارضي واسعة فان لم تخلصوا العبادة لي في ارض فاخلصوها لي في غيرها ثم حذف الشرط وعوض من حذفه تقديم المفعول مع افادة تقديمه معنى الاختصاص والاخلاص **كل نفس ذائقة الموت ثم الينا ترجعون** * لما امر عباده بالحرص على العبادة وصدق الاهتمام بها حتى يتطلبوا لها اوفق البلاد وان شسعت اتبعه قوله كل نفس ذائقة الموت اي واجدة مرارته وكربه كما يجد الذائق طعم المذوق * ومعناه انكم ميتون فواصلون الى الجزاء ومن كانت هذه عاقبته لم يكن له بد من التزود لها والاستعداد بجهده **والذين آمنوا وعملوا الصالحات لنبوئنهم من الجنة غرفا تجري من تحتها الانهار خالدين فيها نعم اجر العاملين الذين صبروا وعلى ربهم يتوكلون** * لنبوئنهم لننزلنهم من الجنة علالي **وقرئ** لنثوينهم من الثواء وهو النزول للاقامة يقال ثوى في المنزل واثوى هو واثوى غيره وثوى غير متعد فاذا تعدى بزيادة همزة النقل لم يتجاوز مفعولا واحدا نحو ذهب واذهبه

والوجه

والوجه في تعديته الى ضمير المؤمنين والى الغرف اما اجراؤه مجرى لننزلنهم ونبوئنهم او حذف الجار وايصال الفعل او تشبيه الظرف الموقت بالمبهم **وقرأ** يحيى بن وثاب فنعم بزيادة الفاء * الذين صبروا على مفارقة الاوطان والهجرة لاجل الدين وعلى اذى المشركين وعلى المحن والمصائب وعلى الطاعات وعن المعاصي ولم يتوكلوا في جميع ذلك الا على الله عز وجل **وكأين من دابة لا تحمل رزقها الله يرزقها واياكم وهو السميع العليم** * ولما امر رسول الله صلى الله عليه وسلم من اسلم بمكة بالهجرة خافوا الفقر والضيعة فكان يقول الرجل منهم كيف اقدم بلدة ليست لي فيها معيشة فنزلت والدابة كل نفس دبت على وجه الارض عقلت او لم تعقل * لا تحمل رزقها لا تطيق ان تحمله لضعفها عن حمله * الله يرزقها واياكم اي لا يرزق تلك الدواب الضعاف الا الله ولا يرزقكم ايضا ايها الاقوياء الا هو وان كنتم مطيقين لحمل ارزاقكم وكسبها لانه لو لم يقدركم ولم يقدر لكم اسباب الكسب لكنتم اعجز من الدواب التي لا تحمل * عن الحسن رحمه الله لا تحمل رزقها لا تدخره انما تصبح فيرزقها الله تعالى * وعن ابن عيينة ليس شيء يخبأ الا الانسان والنملة والفارة * وعن بعضهم رأيت البلبل يحتكر في حضنيه ويقال للعقعق مخابي الا انه ينساها * وهو السميع لقولكم نخشى الفقر والضيعة العليم بما في ضمائركم **ولئن سألتهم من خلق السموات والارض وسخر الشمس والقمر ليقولن الله فانى يؤفكون** * الضمير في سألتهم لاهل مكة * فانى يؤفكون فكيف يصرفون عن توحيد الله وان لا يشركوا به مع اقرارهم بانه خالق السموات والارض **الله يبسط الرزق لمن يشاء من عباده ويقدر له ان الله بكل شيء عليم** * قدر الرزق وقتره بمعنى اذا ضيقه **فان قلت** الذي رجع اليه الضمير في قوله تعالى ويقدر له هو من يشاء فكان بسط الرزق وقدره جعلا لواحد **قلت** يحتمل الوجهين جميعا ان يريد ويقدر لمن يشاء فوضع الضمير موضع من يشاء لان من يشاء مبهم غير معين فكان الضمير مبهما مثله وان يريد تعاقب الامرين على واحد على حسب المصلحة ان الله بكل شيء عليم يعلم ما يصلح العباد وما يفسدهم **ولئن سألتهم من نزل من السماء ماء فاحيا به الارض من بعد موتها ليقولن الله قل الحمد لله بل اكثرهم لا يعقلون** * احمد رسول الله عليه السلام على انه ممن اقر بنحو ما اقروا به ثم نفعه ذلك في توحيد الله ونفي الانداد والشركاء عنه ولم يكن اقرارا عاطلا كاقرار المشركين وعلى انهم اقروا بما هو حجة عليهم حيث نسبوا النعمة الى الله وقد جعلوا العبادة للصنم ثم قال بل اكثرهم لا يعقلون ما يقولون وما فيه من الدلالة على بطلان الشرك وصحة التوحيد او لا يعقلون ما تريد بقولك الحمد لله ولا يفطنون لم حمدت الله عند مقالتهم **وما هذه الحيوة الدنيا الا لهو ولعب وان الدار الاخرة لهي الحيوان لو كانوا يعلمون** * هذه فيها ازدراء للدنيا وتصغير لامرها وكيف لا يصغرها وهي لا تزن عنده جناح بعوضة يريد ما هي لسرعة زوالها عن اهلها وموتهم عنها الا كما يلعب الصبيان ساعة ثم يتفرقون * وان الاخرة لهي الحيوان اي ليس فيها الا حيوة مستمرة دائمة خالدة لا موت فيها فكانها في ذاتها حيوة * والحيوان مصدر حي وقياسه حييان فقلبت الياء الثانية واوا كما قالوا حيوة في اسم رجل * وبه سمي ما فيه حيوة حيوانا قالوا اشتر من الموتان ولا تشتر من الحيوان * وفي بناء الحيوان زيادة معنى ليس في بناء الحيوة وهي ما في بناء فعلان من معنى الحركة والاضطراب كالنزوان والنغصان واللهبان وما اشبه ذلك [illegible] والحيوة حركة كما ان الموت سكون فمجيئه على بنائه دال على معنى الحركة مبالغة في معنى الحيوة ولذلك اختيرت

على الحيوة في هذا الموضع المقتضى للمبالغة لو كانوا يعلمون فلم يؤثروا الحيوة الدنيا عليها فاذا ركبوا في الفلك دعوا الله مخلصين له الدين فلما نجاهم الى البر اذا هم يشركون ليكفروا بما آتيناهم وليتمتعوا فسوف يعلمون فان قلت بم اتصل قوله فاذا ركبوا قلت بمحذوف دل عليه ما وصفهم به وشرح من امرهم معناه على ما وصفوا به من الشرك والعناد فاذا ركبوا في الفلك دعوا الله مخلصين له الدين كائنين في صورة من يخلص الدين لله من المؤمنين حيث لا يذكرون الا الله ولا يدعون معه الها آخر وفي تسميتهم مخلصين ضرب من التهكم فلما نجاهم الى البر وامنوا عادوا الى حال الشرك واللام في ليكفروا محتملة ان تكون لام كي وكذلك في وليتمتعوا فيمن قرأها بالكسر والمعنى انهم يعودون الى شركهم ليكونوا بالعود الى شركهم كافرين بنعمة النجاة قاصدين التمتع بها والتلذذ لا غير على خلاف ما هو عادة المؤمنين المخلصين على الحقيقة اذا انجاهم الله ان يشكروا نعمة الله في انجائهم ويجعلوا نعمة النجاة ذريعة الى ازدياد الطاعة لا الى التمتع والتلذذ وان تكون لام الامر وقراءة من قرأ وليتمتعوا بالسكون تشهد له ونحوه قوله عز وجل اعملوا ما شئتم انه بما تعملون بصير فان قلت كيف جاز ان يأمر الله تعالى بالكفر وبان يعمل العصاة ما شاؤا وهو ناه عن ذلك ومتوعد عليه قلت هو مجاز عن الخذلان والتخلية وان ذلك الامر متسخط الى غاية ومثاله ان ترى الرجل قد عزم على امر وعندك ان ذلك الامر خطأ وانه يؤدى الى ضرر عظيم فتبالغ في نصحه واستنزاله عن رأيه فاذا لم ترمنه الا الاباء والتصميم حردت عليه وقلت انت وشأنك وافعل ما شئت فلا تريد بهذا حقيقة الامر وكيف والآمر بالشئ مريد له وانت شديد الكراهة متحسر ولكنك كأنك تقول له فاذ قد ابيت قبول النصيحة فانت اهل ليقال لك افعل ما شئت وتبعث عليه ليتبين لك اذا فعلت صحة رأى الناصح وفساد رأيك اولم يروا انا جعلنا حرما آمنا ويتخطف الناس من حولهم افبالباطل يؤمنون وبنعمة الله يكفرون كانت العرب حول مكة يغزو بعضهم بعضا ويتغاورون ويتناهبون واهل مكة قارون آمنون فيها لا يغزون ولا يغار عليهم مع قلتهم وكثرة العرب فذكرهم الله هذه النعمة الخاصة عليهم ووبخهم بانهم يؤمنون بالباطل الذى هم عليه ومثل هذه النعمة المكشوفة الظاهرة وغيرها من النعم التى لا يقدر عليها الا الله وحده مكفورة عندهم ومن اظلم ممن افترى على الله كذبا او كذب بالحق لما جاءه أليس في جهنم مثوى للكافرين افتراؤهم على الله كذبا زعمهم ان لله شريكا وتكذيبهم بما جاءهم من الحق كفرهم بالرسول والكتاب وفى قوله تعالى لما جاءه تسفيه لهم يعنى لم يتلعثموا في تكذيبه وقت سمعوه ولم يفعلوا كما يفعل المراجيح العقول المتثبتون في الامور يسمعون الخبر فيستعملون فيه الروية والفكر ويستأنون الى ان يصح لهم صدقه او كذبه أليس تقرير لثوائهم في جهنم كقوله

ألستم خير من ركب المطايا

قال بعضهم ولو كان استفهاما ما اعطاه الخليفة مائة من الابل وحقيقته ان الهمزة همزة الانكار دخلت على النفى فرجع الى معنى التقرير فهما وجهان احدهما الا يثوون في جهنم ولا يستوجبون الثواء فيها وقد افتروا مثل هذا الكذب على الله وكذبوا بالحق هذا التكذيب والثانى الم يصح عندهم ان في جهنم للكافرين حتى اجترؤا مثل هذه الجرأة والذين جاهدوا فينا لنهدينهم سبلنا وان الله لمع المحسنين اطلق المجاهدة ولم يقيدها بمفعول ليتناول كل ما تجب مجاهدته من النفس الامارة بالسوء والشيطان واعداء الدين فينا في حقنا ومن اجلنا ولوجهنا خالصا لنهدينهم سبلنا لنزيدنهم هداية الى سبل الخير وتوفيقا

كقوله تعالى والذين اهتدوا زادهم هدى وعن ابى سليمان الدارانى رحمة الله عليه والذين جاهدوا فيما علموا لنهدينهم الى ما لم يعلموا وعن بعضهم من عمل بما يعلم وفق لما لا يعلم وقيل ان الذى نرى من جهلنا بما لا نعلم انما هو من تقصيرنا فيما نعلم لمع المحسنين لناصرهم ومعينهم قال رسول الله عليه السلام من قرأ سورة العنكبوت كان له من الاجر عشر حسنات بعدد كل المؤمنين والمنافقين

الا قوله فسبحان الله بسم الله الرحمن الرحيم الم غلبت الروم في ادنى الارض وهم من بعد غلبهم سيغلبون في بضع سنين القراءة المشهورة الكثيرة غلبت بضم الغين وسيغلبون بفتح الياء والارض ارض العرب لان الارض المعهودة عند العرب ارضهم والمعنى غلبوا في ادنى ارض العرب منهم وهى اطراف الشام او اراد ارضهم على انابة اللام مناب المضاف اليه اى في ادنى ارضهم الى عدوهم قال مجاهد رحمة الله عليه هى ارض الجزيرة وهى ادنى الروم الى فارس وعن ابن عباس رضى الله عنهما الاردن وفلسطين وقرئ في اداني الارض والبضع ما بين الثلاث الى العشر عن الاصمعى وقيل احتربت الروم وفارس بين اذرعات وبصرى فغلبت فارس الروم فبلغ الخبر مكة فشق على رسول الله عليه السلام والمسلمين لان فارس مجوس لا كتاب لهم والروم اهل الكتاب وفرح المشركون وشمتوا وقالوا انتم والنصارى اهل كتاب ونحن وفارس اميون وقد ظهر اخواننا على اخوانكم ولنظهرن نحن عليكم فنزلت فقال لهم ابو بكر رضى الله عنه لا يقرر الله اعينكم فوالله ليظهرن الروم على فارس بعد بضع سنين فقال له ابى بن خلف كذبت يا ابا فصيل اجعل بيننا اجلا انا حبك عليه والمناحبة المراهنة فناحبه على عشر قلائص من كل واحد منهما وجعل الاجل ثلاث سنين فاخبر ابو بكر رسول الله عليه السلام فقال البضع ما بين الثلاث الى التسع فزايده في الخطر وماده في الاجل فجعلاها مائة قلوص الى تسع سنين ومات ابى من جرح رسول الله عليه السلام وظهرت الروم على فارس يوم الحديبية وذلك عند رأس سبع سنين وقيل كان النصر يوم بدر للفريقين فاخذ ابو بكر رضى الله عنه الخطر من ذرية ابى وجاء به الى رسول الله عليه السلام فقال تصدق به وهذه الآية من الآيات البينة الشاهدة على صحة النبوة وان القرآن من عند الله لانها انباء عن علم الغيب الذى لا يعلمه الا الله وقرئ غلبهم بسكون اللام والغلب والغلب مصدران كالجلب والجلب والحلب والحلب وقرئ غلبت الروم بالفتح وسيغلبون بالضم ومعناه ان الروم غلبوا على ريف الشام وسيغلبهم المسلمون في بضع سنين وعند انقضاء هذه المدة اخذ المسلمون في جهاد الروم واضافة غلبهم تختلف باختلاف القراءتين فهى في احديهما اضافة المصدر الى المفعول وفى الثانية اضافته الى الفاعل ومثالهما حرم عليكم اخراجهم ولن يخلف الله وعده فان قلت كيف صحت المناحبة وانما هى قمار قلت عن قتادة انه كان ذلك قبل تحريم القمار ومن مذهب ابى حنيفة ومحمد رحمة الله عليهما ان العقود الفاسدة من عقود الربا وغيرها جائزة في دار الحرب بين المسلمين والكفار وقد احتجا على صحة ذلك بما عقده ابو بكر رضى الله عنه بينه وبين ابى بن خلف لله الامر من قبل ومن بعد ويومئذ يفرح المؤمنون بنصر الله ينصر من يشاء وهو العزيز الرحيم من قبل ومن بعد اى في اول الوقتين وفى آخرهما حين غلبوا وحين يغلبون كانه قيل من قبل كونهم غالبين وهو وقت كونهم مغلوبين ومن بعد كونهم مغلوبين

ومعرفة كونهم غالبين يعني ان كونهم مغلوبين اولاً وغالبين اخراً ليس الا بامر الله وقضائه وتلك الايام
نداولها بين الناس **وقرئ** من قبلٍ ومن بعدٍ على الجر من غير تقدير مضاف اليه واقتطاعه كانه قيل
قبلاً وبعداً بمعنى اولاً واخراً ويومئذ ويوم تغلب الروم على فارس ويحل ما وعده الله من غلبتهم يفرح
المؤمنون بنصر الله وتغليبه من له كتاب على من لا كتاب له وغيظ من شمت بهم من كفار مكة وقيل نصر
الله اظهار صدق المؤمنين فيما اخبروا به المشركين من غلبة الروم وقيل نصر الله انه ولى بعض
الظالمين بعضاً وفرق بين كلمهم حتى تفانوا وتناقصوا وفل هؤلاء شوكة هؤلاء وفي ذلك قوة للاسلام
وعن ابي سعيد الخدري وافق ذلك يوم بدر وفي هذا اليوم نصر المؤمنون وهو العزيز الرحيم ينصر عليكم
تارة وينصركم اخرى وعد الله لا يخلف الله وعده ولكن اكثر الناس لا يعلمون وعد الله
مصدر مؤكد كقولك لك على الف درهم عرفاً لان معناه اعترف لك بها اعترافاً ووعد الله ذلك
وعداً لان ما سبقه في معنى وعد يعلمون ظاهراً من الحيوة الدنيا وهم عن الاخرة هم غافلون
ذمهم الله بانهم عقلاء في امور الدنيا بله في امر الدين وذلك انهم كانوا اصحاب تجارات ومكاسب وعن
الحسن رحمة الله عليه بلغ من حذق احدهم انه يأخذ الدرهم فينقره باصبعه فيعلم اردى هو ام جيد
وقوله تعالى يعلمون بدل من قوله لا يعلمون وفي هذا الابدال من النكتة انه ابدله منه وجعله بحيث يقوم
مقامه ويسد مسده ليعلمك انه لا فرق بين عدم العلم الذي هو الجهل وبين وجود العلم الذي لا يتجاوز
الدنيا وقوله تعالى ظاهراً من الحيوة الدنيا يفيد ان للدنيا ظاهراً وباطناً فظاهرها ما يعرفه الجهال
من التمتع بزخارفها والتنعم بملاذها وباطنها وحقيقتها انها مجاز الى الاخرة يتزود منها اليها بالطاعة
والاعمال الصالحة وفي تنكير الظاهر انهم لا يعلمون الا ظاهراً واحداً من جملة الظواهر وهم الثانية
يجوز ان يكون مبتدأ وغافلون خبره والجملة خبر هم الاولى وان يكون تكريراً للاول وغافلون خبر
الاولى واية كانت فذكرها مناد على انهم معدن الغفلة عن الاخرة ومقرها ومحلها وانها منهم تنبع
واليهم ترجع اولم يتفكروا في انفسهم ما خلق الله السموات والارض وما بينهما الا بالحق واجل
مسمى وان كثيراً من الناس بلقاء ربهم لكافرون في انفسهم يحتمل ان يكون ظرفاً كانه قال اولم
يحدثوا التفكر في انفسهم اي في قلوبهم الفارغة من الفكر والتفكر لا يكون الا في القلوب ولكنه زيادة
تصوير لحال المتفكرين كقولك اعتقده في قلبك واضمره في نفسك وان يكون صلة للتفكر كقولك
تفكر في الامر واجال فيه فكره وما خلق متعلق بالقول المحذوف معناه اولم يتفكروا فيقولوا هذا القول
وقيل معناه فيعلموا لان في الكلام دليلاً عليه الا بالحق واجل مسمى اي ما خلقها باطلاً وعبثاً بغير غرض
صحيح وحكمة بالغة ولا لتبقى خالدة وانما خلقها مقرونة بالحق مصحوبة بالحكمة وبتقدير اجل مسمى لا
بد لها من ان تنتهي اليه وهو قيام الساعة ووقت الحساب والثواب والعقاب الا ترى الى قوله
تعالى افحسبتم انما خلقناكم عبثاً وانكم الينا لا ترجعون كيف سمى تركهم غير راجعين اليه عبثاً
والباء في قوله تعالى الا بالحق مثلها في قولك دخلت عليه بثياب السفر واشترى الفرس بسرجه ولجامه
تريد اشتراه وهو ملتبس بالسرج واللجام غير منفك عنهما وكذلك المعنى ما خلقها الا وهي ملتبسة
بالحق مقترنة به **فان قلت** اذا جعلت في انفسهم صلة للتفكر فما معناه **قلت** معناه اولم
يتفكروا في انفسهم التي هي اقرب اليهم من غيرها من المخلوقات وهم اعلم واخبر باحوالها منهم
باحوال ما عداها فتدبروا ما اودعها الله ظاهراً وباطناً من غرائب الحكم الدالة على التدبير

دون الاهمال وانه لا بد لها من انتهاء الى وقت يجازي فيه الحكيم الذي دبر امرها على الاحسان احساناً
وعلى الاساءة مثلها حتى يعلموا عند ذلك ان سائر الخلائق كذلك امرها جار على الحكمة والتدبير وانه لا بد
لها من الانتهاء الى ذلك الوقت والمراد بلقاء ربهم الاجل المسمى اولم يسيروا في الارض فينظروا كيف
كان عاقبة الذين من قبلهم كانوا اشد منهم قوة واثاروا الارض وعمروها اكثر مما عمروها
وجاءتهم رسلهم بالبينات فما كان الله ليظلمهم ولكن كانوا انفسهم يظلمون اولم يسيروا
تقرير لسيرهم في البلاد ونظرهم الى اثار المدمرين من عاد وثمود وغيرهم من الامم العاتية ثم اخذ يصف لهم
احوالهم وانهم كانوا اشد منهم قوة واثاروا الارض وحرثوها قال الله تعالى لا ذلول تثير الارض وقيل
لبقر الحرث المثيرة وقالوا سمي ثوراً لاثارته الارض وبقرة لانها تبقرها اي تشقها وعمروها يعني اولئك
المدمرون اكثر مما عمروها من عمارة اهل مكة واهل مكة اهل واد غير ذي زرع ما لهم اثارة الارض اصلاً
ولا عمارة لها رأساً فما هو الا تهكم بهم وبضعف حالهم في دنياهم لان معظم ما يستظهر به اهل الدنيا ويتباهون
به امر الدهقنة وهم ايضاً ضعاف القوى فقوله كانوا اشد منهم قوة اي عاد وثمود واضرابهم من هذا القبيل
كقوله عز وجل اولم يروا ان الله الذي خلقهم هو اشد منهم قوة وان كان هذا ابلغ لانه خالق القوى
والقدر فما كان تدميره اياهم ظلماً لهم لان حالهم منادية على الظلم ولكنهم ظلموا انفسهم حيث عملوا ما اوجب
تدميرهم ثم كان عاقبة الذين اساؤا السوأى ان كذبوا بايات الله وكانوا بها يستهزؤن
قرئ عاقبة بالنصب والرفع والسوأى تأنيث الاسوأ وهو الاقبح كما ان الحسنى تأنيث الاحسن والمعنى
انهم عوقبوا في الدنيا بالدمار ثم كانت عاقبتهم السوأى الا انه وضع المظهر موضع المضمر اي العقوبة
التي هي اسوأ العقوبات في الاخرة وهي جهنم التي اعدت للكافرين وان كذبوا بمعنى لان كذبوا ويجوز
ان يكون بمعنى اي لانه اذا كان تفسير الاساءة التكذيب والاستهزاء كانت في معنى القول نحو نادى وكتب
وما اشبه ذلك ووجه اخر ان يكون اساؤا السوأى بمعنى اقترفوا الخطيئة التي هي اسوأ الخطايا وان
كذبوا عطف بيان لها وخبر كان محذوف كما يحذف جواب لما ولو ارادة الابهام الله يبدؤا الخلق
ثم يعيده ثم اليه ترجعون ويوم تقوم الساعة يبلس المجرمون ثم اليه ترجعون اي الى ثوابه وعقابه
وقرئ بالياء والتاء الابلاس ان يبقى بائساً ساكتاً متحيراً يقال ناظرته فابلس اذا لم ينبس ويئس
من ان يحتج ومنه الناقة المبلاس التي لا ترغو **وقرئ** يبلس بفتح اللام من ابلسه اذا اسكته ولم يكن
لهم من شركائهم شفعؤا وكانوا بشركائهم كافرين من شركائهم من الذين عبدوهم من دون الله وكانوا
بشركائهم كافرين اي يكفرون بالهيتهم ويجحدونها او وكانوا في الدنيا كافرين بسببهم وكتب شفعؤا
في المصحف بواو قبل الالف كما كتب علمؤا بني اسرائيل وكذلك كتبت السوأى بالف قبل الياء اثباتاً للهمزة
على صورة الحرف الذي منه حركتها ويوم تقوم الساعة يومئذ يتفرقون الضمير في يتفرقون
للمسلمين والكافرين لدلالة ما بعده عليه وعن الحسن رحمة الله عليه هو تفرق المسلمين والكافرين
هؤلاء في عليين وهؤلاء في اسفل السافلين وعن قتادة فرقة لا اجتماع بعدها فاما الذين امنوا
وعملوا الصالحات فهم في روضة يحبرون في روضة في بستان وهي الجنة والتنكير لابهام
امرها وتفخيمه والروضة عند العرب كل ارض ذات نبات وماء وفي امثالهم احسن من بيضة في روضة
يريدون بيضة النعامة يحبرون يسرون يقال حبره اذا سره سروراً تهلل له وجهه وظهر فيه
اثره ثم اختلف فيه لاحتمال وجوه جميع المسار فعن مجاهد يكرمون وعن قتادة ينعمون

وعن ابن كيسان يحلون • وعن ابى بكر بن عياش التيجان على رؤسهم • وعن وكيع السماع فى الجنة • وعن النبى
صلى الله عليه وسلم انه ذكر الجنة وما فيها من النعيم وفى آخر القوم اعرابى فقال يا رسول الله هل فى الجنة
من سماع قال نعم يا اعرابى ان فى الجنة لنهرا حافتاه الابكار من كل بيضاء خوصانية يتغنين باصوات لم تسمع
الخلائق بمثلها قط فذلك افضل نعيم الجنة قال الراوى فسألت ابا الدرداء بم يتغنين قال بالتسبيح
وروى ان فى الجنة لاشجارا عليها اجراس من فضة فاذا اراد اهل الجنة السماع بعث الله ريحا من تحت
العرش فتقع فى تلك الاشجار فتحرك تلك الاجراس باصوات لو سمعها اهل الدنيا لماتوا طربا واما
الذين كفروا وكذبوا بآياتنا ولقاء الآخرة فاولئك فى العذاب محضرون • محضرون لا يغيبون
عنه ولا يخفف عنهم كقوله عز وجل وما هم بخارجين منها • لا يفتر عنهم فسبحان الله حين
تمسون وحين تصبحون وله الحمد فى السموات والارض وعشيا وحين تظهرون • لما
ذكر الوعد والوعيد اتبعه ذكر ما يوصل الى الوعد وينجى من الوعيد • والمراد بالتسبيح ظاهره الذى
هو تنزيه الله من السوء والثناء عليه بالخير فى هذه الاوقات لما يتجدد فيها من نعمة الله الظاهرة
وقيل الصلوة • وقيل لابن عباس رضى الله عنهما هل تجد الصلوات الخمس فى القرآن قال نعم وتلا
هذه الآية • تمسون صلوتا المغرب والعشاء • وتصبحون صلوة الفجر • وعشيا صلوة العصر • وتظهرون
صلوة الظهر • وقوله تعالى وعشيا متصل بقوله حين تمسون • وقوله وله الحمد فى السموات والارض
اعتراض بينهما ومعناه ان على المميزين كلهم من اهل السموات والارض ان يحمدوه **فان قلت**
لم ذهب الحسن الى ان هذه الآية مدنية **قلت** لانه كان يقول فرضت الصلوات الخمس بالمدينة
وكان الواجب بمكة ركعتين فى غير وقت معلوم والقول الاكثر ان الخمس انما فرضت بمكة • وعن عائشة
رضى الله عنها فرضت الصلوة ركعتين فلما قدم رسول الله صلى الله عليه وسلم المدينة اقرت
صلوة السفر وزيد فى صلوة الحضر • وعن رسول الله صلى الله عليه وسلم من سره ان يكال له بالقفيز
الاوفى فليقل فسبحان الله حين تمسون وحين تصبحون الآية • وعنه عليه السلام من قال حين يصبح
فسبحان الله حين تصبحون الى قوله تعالى وكذلك تخرجون ادرك ما فاته فى يومه • ومن قالها حين حين تمسون و
يمسى ادرك ما فاته فى ليلته • وفى قراءة عكرمة حينا تمسون وحينا تصبحون والمعنى تمسون فيه
وتصبحون فيه كقوله تعالى يوما لا تجزى نفس عن نفس شيئا بمعنى فيه يخرج الحى من الميت ويخرج
الميت من الحى ويحيى الارض بعد موتها وكذلك تخرجون • الحى من الميت الطائر من البيضة
والميت من الحى البيضة من الطائر واحياء الارض اخراج النبات منها وكذلك تخرجون ومثل ذلك
الاخراج تخرجون من القبور وتبعثون والمعنى ان الابداء والاعادة متساويان فى قدرة من هو
قادر على الطرد والعكس من اخراج الميت من الحى واخراج الحى من الميت واحياء الميت واماتة الحى وقرئ
الميت بالتشديد وتخرجون بفتح التاء ومن آياته ان خلقكم من تراب ثم اذا انتم بشر تنتشرون
خلقكم من تراب لانه خلق اصلهم منه واذا للمفاجأة وتقديره ثم فاجأتم وقت كونكم بشرا منتشرين
فى الارض كقوله عز وعلا وبث منهما رجالا كثيرا ونساء ومن آياته ان خلق لكم من انفسكم ازواجا
لتسكنوا اليها وجعل بينكم مودة ورحمة ان فى ذلك لآيات لقوم يتفكرون • من انفسكم
ازواجا لان حواء خلقت من ضلع آدم عليه السلام والنساء بعدها خلقن من اصلاب الرجال او من
شكل انفسكم وجنسها لا من جنس آخر وذلك لما بين الاثنين من جنس واحد من الالف والسكون وما

بين

بين الجنسين المختلفين من التنافر وجعل بينكم التواد والتراحم بعصمة الزواج بعد ان لم تكن بينكم سابقة معرفة
ولا لقاء ولا سبب يوجب التعاطف من قرابة او رحم • وعن الحسن رحمة الله عليه المودة كناية عن الجماع والرحمة
عن الولد كما قال عز وجل ورحمة منا • وقال ذكر رحمة عبده زكريا • ويقال سكن اليه اذا مال اليه كقولهم
انقطع اليه واطمأن اليه • ومنه السكن وهو الالف المسكون اليه فعل بمعنى مفعول • وقيل ان المودة
والرحمة من قبل الله وان الفرك من قبل الشيطان ومن آياته خلق السموات والارض واختلاف
السنتكم والوانكم ان فى ذلك لآيات للعالمين • الالسنة اللغات او اجناس النطق واشكاله خالف
عز وعلا بين هذه الاشياء حتى لا تكاد تسمع منطقين متفقين فى همس واحد ولا جهارة ولا حدة ولا رخاوة
ولا فصاحة ولا لكنة ولا نظم ولا اسلوب ولا غير ذلك من صفات النطق واحواله وكذلك الصور
وتخطيطها والالوان وتنويعها ولاختلاف ذلك وقع التعارف والا فلو اتفقت وتشاكلت وكانت
ضربا واحدا لوقع التجاهل والالتباس ولتعطلت مصالح كثيرة وربما رأيت توأمين يشتبهان فى
الحلية فيعروك الخطأ فى التمييز بينهما وتعرف حكمة الله فى المخالفة بين الحلى وفى ذلك آية بينة حيث
ولدوا من اب واحد وفرعوا من اصل فذ وهم على الكثرة التى لا يعلمها الا الله مختلفون متفاوتون
وقرئ للعالمين بفتح اللام وكسرها ويشهد للكسر قوله عز وعلا وما يعقلها الا العالمون
ومن آياته منامكم بالليل والنهار وابتغاؤكم من فضله ان فى ذلك لآيات لقوم يسمعون
هذا من باب اللف وترتيبه ومن آياته منامكم وابتغاؤكم من فضله بالليل والنهار الا انه فصل بين
القرينين الاولين بالقرينين الآخرين لانهما زمانان والزمان والواقع فيه كشئ واحد مع اعانة
اللف على الاتحاد • ويجوز ان يراد منامكم فى الزمانين وابتغاؤكم فيهما والظاهر هو الاول لتكرره
فى القرآن واسد المعانى ما دل عليه القرآن يسمعونه بالآذان الواعية ومن آياته يريكم البرق
خوفا وطمعا وينزل من السماء ماء فيحيى به الارض بعد موتها ان فى ذلك لآيات لقوم يعقلون
فى يريكم وجهان اضمار ان وانزال الفعل منزلة المصدر وبهما فسر المثل تسمع بالمعيدى خير من ان
تراه **وقول** القائل • وقالوا ما تشاء فقلت الهو • الى الاصباح آثر ذى اثير • خوفا من الصاعقة
او من الاخلاف وطمعا فى الغيث • وقيل خوفا للمسافر وطمعا للحاضر وهما منصوبان على المفعول
له **فان قلت** من حق المفعول له ان يكون فعلا لفاعل الفعل المعلل والخوف والطمع
ليسا كذلك فيه وجهان احدهما ان المفعولين فاعلون فى المعنى لانهم راؤن فكانه
قيل يجعلكم رائين البرق خوفا وطمعا • والثانى ان يكون على تقدير حذف المضاف اى ارادة
خوف وارادة طمع فحذف المضاف واقيم المضاف اليه مقامه • ويجوز ان يكونا حالين
اى خائفين وطامعين **وقرئ** ينزل بالتشديد ومن آياته ان تقوم السماء والارض
بامره ثم اذا دعاكم دعوة من الارض اذا انتم تخرجون • وله من فى السموات والارض
كل له قانتون • ومن آياته قيام السموات والارض واستمساكهما بغير عمد بامره اى بقوله
كونا قائمتين والمراد باقامتهما وارادته لكونهما على صفة القيام دون الزوال وقوله
تعالى اذا دعاكم بمنزلة قوله تعالى يريكم فى ايقاع الجملة موقع المفرد على المعنى كانه قال ومن
آياته قيام السموات والارض ثم خروج الموتى من القبور اذا دعاهم دعوة واحدة يا اهل
القبور اخرجوا والمراد سرعة وجود ذلك من غير توقف ولا تلبث كما يجيب الداعى المطاع

مدعوه كما قال القايل دعوت كليبا دعوة فكانما دعوت به ابن الطود او هو اسرع يريد بابن الطود
الصدى او الحجر اذا تدهدى وانما عطف هذا على قيام السموات والارض بثم بيانا لعظم ما يكون
من ذلك الامر واقتداره على مثله وهو ان يقول يا اهل القبور قوموا فلا يبقى نسمة من الاولين
والاخرين الا قامت تنظر كما قال الله تعالى ثم نفخ فيه اخرى فاذا هم قيام ينظرون قولك دعوته
من مكان كذا كما يجوز ان يكون مكانك يجوز ان يكون مكان صاحبك تقول دعوت زيدا من اعلى الجبل
فنزل علي ودعوته من اسفل الوادي فطلع الي **فان قلت** بم تعلق من الارض ابالفعل ام بالمصدر
قلت هيهات اذا جا نهر الله بطل نهر معقل فان قلت ما الفرق بين اذا واذا قلت الاولى
للشرط والثانية للمفاجاة وهي تنوب مناب الفاء في جواب الشرط وقرئ تخرجون بضم التاء وفتحها
قانتون منقادون لوجود افعاله فيهم لا يمتنعون عليه وهو الذي يبدؤا الخلق ثم يعيده
وهو اهون عليه وله المثل الاعلى في السموات والارض وهو العزيز الحكيم وهو اهون
عليه فيما يجب عندكم وينقاس على اصولكم ويقتضيه معقولكم لان من اعاد منكم صنعة شيء كان
اسهل عليه واهون من انشايها وتعتذرون للصانع اذا خطئ في بعض ما ينشيه بقولكم اول
الغزو اخرق وتسمون الماهر في صناعته معاودا تعنون انه عاودها كرة بعد اخرى حتى مرن
عليها وهانت عليه **فان قلت** لم ذكر الضمير في قوله تعالى وهو اهون والمراد به الاعادة
معناه وان يعيده اهون عليه فان قلت لم اخرت الصلة في قوله تعالى وهو اهون
عليه وقدمت في قوله هو علي هين قلت هناك قصد الاختصاص وهو محزه فقيل هو علي هين
وان كان مستصعبا عندكم ان يولد بين هم وعاقر واما ههنا فلا معنى للاختصاص كيف والامر
مبني على ما يعقلون من ان الاعادة اسهل من الابتداء فلو قدمت الصلة لتغير المعنى **فان
قلت** ما بال الاعادة استعظمت في قوله تعالى ثم اذا دعاكم كما تقدمت على قيام السموات
والارض بامره ثم هونت بعد ذلك **قلت** الاعادة في نفسها عظيمة ولكنها هونت بالقياس
الى الانشاء وقيل الضمير في عليه للخلق ومعناه ان البعث اهون على الخلق من الانشاء لان
تكوينه في حد الاستحكام والتمام اهون عليه واقل تعبا وكبدا من ان ينتقل في احوال ويتدرج
فيها الى ان يبلغ ذلك الحد وقيل الاهون بمعنى الهين ووجه اخر وهو ان الانشا من قبيل
التفضل الذي يتخير فيه الفاعل بين ان يفعله وان لا يفعله والاعادة من قبيل الواجب الذي
لا بد له من فعله لانها لجزاء الاعمال وجزاؤها واجب والافعال اما محال والمحال ممتنع اصلا خارج
عن المقدور واما ما يصرف الحكيم عن فعله صارف وهو القبيح وهو رديف المحال لان الصارف
يمنع وجود الفعل كما تمنعه الاحالة واما تفضل والتفضل حالة بين بين للفاعل ان يفعله وان لا يفعله
واما واجب لا بد من فعله ولا سبيل الى الاخلال به فكان الواجب ابعد الافعال الى الامتناع واقربها
من الحصول فلما كانت الاعادة من قبيل الواجب كانت ابعد الافعال من الامتناع واذا كانت ابعدها
من الامتناع كانت ادخلها في التاتي والتسهل فكانت اهون واذا كانت اهون منها كانت اهون
من الانشا وله المثل الاعلى اي الوصف الاعلى الذي ليس لغيره مثله قد عرف به ووصف في السموات
والارض على السنة الخلايق والسنة الدلايل وهو القادر الذي لا يعجز عن شي من انشا واعادة
وغيرهما من المقدورات ويدل عليه قوله تعالى وهو العزيز الحكيم اي القاهر لكل مقدور الحكيم

الذي يجري كل فعل على قضايا حكمته وعلمه وعن مجاهد المثل الاعلى قول لا اله الا الله ومعناه وله الوصف
الاعلى الذي هو الوصف بالوحدانية ويعضده قوله ضرب لكم مثلا من انفسكم وقال الزجاج
وله المثل الاعلى في السموات والارض اي قوله تعالى هو اهون عليه قد ضربه لكم مثلا فيما يصعب
ويسهل يريد التفسير الاول ضرب لكم مثلا من انفسكم هل لكم من ما ملكت ايمانكم من شركاء
فيما رزقناكم فانتم فيه سواء تخافونهم كخيفتكم انفسكم كذلك نفصل الايات لقوم
يعقلون **فان قلت** اي فرق بين من الاولى والثانية والثالثة في قوله تعالى من انفسكم
مما ملكت ايمانكم من شركاء **قلت** الاولى للابتداء كانه قال اخذ مثلا وانتزعه من اقرب شي
منكم وهي انفسكم ولم يبعده والثانية للتبعيض والثالثة مزيدة لتاكيد الاستفهام الجاري
مجرى النفي ومعناه هل ترضون لانفسكم وعبيدكم امثالكم بشر كبشركم وعبيد كعبيدكم ان يشارككم
بعضهم فيما رزقناكم من الاموال وغيرها تكونون انتم وهم فيه على السواء من غير تفضلة بين حر
وعبد تهابون ان تستبدوا بتصرف دونهم وان تفتاتوا بتدبير عليهم كما يهاب بعضكم بعضا من
الاحرار فاذا لم ترضوا بذلك لانفسكم فكيف ترضون لرب الارباب ومالك الاحرار والعبيد ان
تجعلوا بعض عبيده له شركاء كذلك اي مثل هذا التفصيل نفصل الايات اي نبينها لان التمثيل
مما يكشف المعاني ويوضحها لانه بمنزلة التصوير والتشكيل لها الا ترى كيف صور الشرك بالصورة
المشوهة بل اتبع الذين ظلموا اهواءهم بغير علم فمن يهدي من اضل الله وما لهم من ناصرين
الذين ظلموا اي اشركوا كقوله تعالى ان الشرك لظلم عظيم بغير علم اي اتبعوا اهواءهم جاهلين
لان العالم اذا ركب هواه ربما ردعه علمه وكفه واما الجاهل فيهيم على وجهه كالبهيمة لا يكفه
شي من اضل الله من خذله ولم يلطف به لعلمه انه ممن لا لطف له فمن يقدر على هداية مثله
وقوله تعالى وما لهم من ناصرين دليل على ان المراد بالاضلال الخذلان فاقم وجهك للدين حنيفا
فطرة الله التي فطر الناس عليها لا تبديل لخلق الله ذلك الدين القيم ولكن اكثر
الناس لا يعلمون منيبين اليه واتقوه واقيموا الصلوة ولا تكونوا من المشركين
فاقم وجهك للدين فقوم وجهك له وعدله غير ملتفت عنه يمينا ولا شمالا وهو تمثيل لاقباله على
الدين واستقامته عليه وثباته واهتمامه باسبابه فان من اهتم بالشي عقد عليه طرفه وسدد اليه
نظره وقوم له وجهه مقبلا به عليه وحنيفا حال من المامور او من الدين فطرة الله الزموا فطرة
الله او عليكم فطرة الله وانما اضمرته على خطاب الجماعة لقوله منيبين اليه ومنيبين حال
من الضمير في الزموا وقوله تعالى واتقوه واقيموا ولا تكونوا معطوف على هذا المضمر والفطرة
الخلقة الا ترى الى قوله لا تبديل لخلق الله والمعنى انه خلقهم قابلين للتوحيد ودين الاسلام
غير نابين عنه ولا منكرين له لكونه مجاوبا للعقل مساوقا للنظر الصحيح حتى لو تركوا لما اختاروا
عليه دينا اخر ومن غوى منهم فباغواء شياطين الانس والجن ومنه قوله صلى الله عليه وسلم كل عبادي
خلقت حنفاء فاجتالتهم الشياطين عن دينهم وامروهم ان يشركوا بي غيري وقوله عليه السلام كل
مولود يولد على الفطرة حتى يكون ابواه هما اللذان يهودانه وينصرانه لا تبديل لخلق الله اي ما
ينبغي ان تبدل تلك الفطرة او تغير **فان قلت** لم وحد الخطاب اولا ثم جمع **قلت** خوطب
رسول الله صلى الله عليه وسلم اولا وخطاب الرسول خطاب لامته مع ما فيه من التعظيم للامام ثم

جمع بعد ذلك للبيان والتلخيص من الذين فرقوا دينهم وكانوا شيعا كل حزب بما لديهم فرحون
من الذين بدل من المشركين، فارقوا دينهم تركوا دين الاسلام وقرئ فرّقوا دينهم اى جعلوه
اديانا مختلفة لاختلاف اهوائهم، وكانوا شيعا فرقا كل واحدة تشايع امامها الذى اضلها، كل حزب
منهم فرح بمذهبه مسرور يحسب باطله حقا، ويجوز ان يكون من الذين منقطعا مما قبله ومعناه من
المفارقين دينهم كل حزب فرح بما لديهم ولكنه رفع فرحون على الوصف لكل كقوله،
وكل خليل غيرها ضمر نفسه واذا مس الناس ضر دعوا ربهم منيبين اليه ثم اذا اذاقهم منه
رحمة اذا فريق منهم بربهم يشركون، ليكفروا بما اتيناهم فتمتعوا فسوف تعلمون
الضر الشدة من هزال او مرض او قحط او غير ذلك، والرحمة الخلاص من الشدة واللام فى ليكفروا
مجاز مثلها فى ليكون لهم عدوا، فتمتعوا نظير اعملوا ما شئتم، فسوف تعلمون وبال تمتعكم، وقرا
ابن مسعود رحمه الله وليتمتعوا ام انزلنا عليهم سلطانا فهو يتكلم بما كانوا به يشركون،
السلطان الحجة وتكلمه مجاز كما تقول كتابه ناطق بكذا وهذا مما نطق به القرآن ومعناه الدلالة
والشهادة كانه قال فهو يشهد بشركهم وبصحته، وما فى بما كانوا مصدرية اى بكونهم بالله يشركون
ويجوز ان تكون موصولة ويرجع الضمير اليها ومعناه فهو يتكلم بالامر الذى بسببه يشركون،
ويحتمل ان يكون المعنى ام انزلنا عليهم ذا سلطان اى ملكا معه برهان فذلك الملك يتكلم بالبرهان
الذى بسببه يشركون واذا اذقنا الناس رحمة فرحوا بها وان تصبهم سيئة بما قدمت ايديهم
اذا هم يقنطون، واذا اذقناهم رحمة اى نعمة من مطر او سعة او صحة فرحوا بها، وان تصبهم
سيئة اى بلاء من جدب او ضيق او مرض والسبب فيها شؤم معاصيهم قنطوا من الرحمة اولم
يروا ان الله يبسط الرزق لمن يشاء ويقدر ان فى ذلك لايات لقوم يؤمنون، ثم انكر
عليهم بانهم قد علموا انه هو الباسط القابض فما لهم يقنطون من رحمته وما لهم لا يرجعون اليه
تائبين من المعاصى التى عوقبوا بالشدة من اجلها حتى يعيد اليهم رحمته فات ذا القربى حقه
والمسكين وابن السبيل ذلك خير للذين يريدون وجه الله واولئك هم المفلحون،
حق ذى القربى صلة الرحم وحق المسكين وابن السبيل نصيبهما من الصدقة المسماة لهما وقد
احتج ابو حنيفة رحمة الله عليه بهذه الاية فى وجوب النفقة للمحارم اذا كانوا محتاجين عاجزين
عن الكسب وعند الشافعى رضى الله عنه لا نفقة بالقرابة الا على الولد والوالدين قاس سائر القرابات
على ابن العم لانه لا ولاد بينهم فان قلت كيف تعلق قوله تعالى فات ذا القربى بما قبله حتى جئ
بالفاء قلت لما ذكر ان السيئة اصابتهم بما قدمت ايديهم اتبعه ذكر ما يجب ان يفعل وما يجب
ان يترك، يريدون وجه الله يحتمل ان يراد بوجهه ذاته او جهته وجانبه اى يقصدون بمعروفهم
اياه خالصا وحقه كقوله تعالى الا ابتغاء وجه ربه الاعلى او يقصدون جهة التقرب الى الله لا
جهة اخرى والمعنيان متقاربان ولكن الطريقة مختلفة وما اتيتم من ربا ليربوا فى اموال
الناس فلا يربوا عند الله وما اتيتم من زكوة تريدون وجه الله فاولئك هم المضعفون
هذه الاية فى معنى قوله عز وجل يمحق الله الربوا ويربى الصدقات سواء بسواء يريد وما
اعطيتم اكلة الربوا من ربا ليربوا فى اموالهم ليزيد ويزكو فى اموالهم فلا يزكو عند الله ولا
يبارك فيه، وما اتيتم من زكوة اى من صدقة تبتغون به وجهه خالصا لا تطلبون به مكافاة

ولا ريا وسمعة، فاولئك هم المضعفون ذووا الاضعاف من الحسنات، ونظيره المضعف المقوى والموسر
لذى القوة واليسار وقرئ بفتح العين، وقيل نزلت فى ثقيف وكانوا يربون، وقيل المراد ان
يهب الرجل للرجل او يهدى له ليعوضه اكثر مما وهب او اهدى فليست تلك الزيادة بحرام ولكن
المعوض لا يثاب على تلك الزيادة، وقالوا الربوا ربوان فالحرام كل قرض يؤخذ فيه اكثر منه او
تجر منفعة والذى ليس بحرام ان يستدعى بهبته او بهديته اكثر منها، وفى الحديث المستغزر يثاب من هبته
وقرئ وما اتيتم من ربوا بمعنى وما غشيتموه او رهقتموه من اعطاء ربوا وقرئ لتربوا اى لتزيدوا
فى اموالهم كقوله تعالى ويربى الصدقات اى يزيدها، وقوله تعالى فاولئك هم المضعفون التفات حسن
كانه تعالى قال للملائكة وخواص خلقه فاولئك الذين يريدون وجه الله بصدقاتهم هم المضعفون
فهو امدح من ان يقول فانتم المضعفون والمعنى المضعفون به لانه لا بد من ضمير يرجع الى ما ووجه
اخر وهو ان يكون تقديره فمؤتوه اولئك هم المضعفون والحذف لما فى الكلام من الدليل عليه وهذا
اسهل ماخذا والاول املا بالفائدة الله الذى خلقكم ثم رزقكم ثم يميتكم ثم يحييكم هل
من شركائكم من يفعل من ذلكم من شئ سبحانه وتعالى عما يشركون، الله مبتدأ وخبره الذى خلقكم
اى الله هو فاعل هذه الافعال الخاصة التى لا يقدر على شئ منها احد غيره ثم قال هل من شركائكم الذين
اتخذتموهم انداد الله من الاصنام وغيرها من يفعل شيا قط من تلك الافعال حتى يصح ما ذهبتم اليه
ثم استبعد حاله من حال شركائهم، ويجوز ان يكون الذى خلقكم صفة المبتدأ والخبر هل من شركائكم
وقوله تعالى من ذلكم هو الذى ربط الجملة بالمبتدأ لان معناه من افعاله، ومن الاولى والثانية والثالثة
كل واحدة منهن مستقلة بتاكيد لتعجيز شركائهم وتجهيل عبدتهم ظهر الفساد فى البر والبحر بما كسبت
ايدى الناس ليذيقهم بعض الذى عملوا لعلهم يرجعون، الفساد فى البر والبحر نحو الجدب
والقحط وقلة الريع فى الزراعات والربح فى التجارات ووقوع الموتان فى الناس والدواب وكثرة الحرق
والغرق واخفاق الصيادين والغاصة ومحق البركات من كل شئ وقلة المنافع فى الجملة وكثرة المضار
وعن ابن عباس رضى الله عنهما اجدبت الارض وانقطعت مادة البحر وقالوا اذا انقطع القطر عميت دواب
البحر، وعن الحسن رحمة الله عليه ان المراد بالبحر مدن البحر وقراه التى على شاطئه، وعن عكرمة العرب تسمى
الامصار البحار وقرئ فى البر والبحور بما كسبت ايدى الناس بسبب معاصيهم وذنوبهم كقوله تعالى
وما اصابكم من مصيبة فبما كسبت ايديكم، وعن ابن عباس ظهر الفساد فى البر بقتل ابن ادم اخاه وفى
البحر بان جلندى كان ياخذ كل سفينة غصبا، وعن قتادة كان ذلك قبل البعث فلما بعث النبى عليه السلام
رجع راجعون عن الضلال والظلم، ويجوز ان يريد ظهور الشر والمعاصى بكسب الناس ذلك فان
قلت ما معنى قوله تعالى ليذيقهم بعض الذى عملوا لعلهم يرجعون قلت اما على التفسير الاول
فظاهر وهو ان الله قد افسد اسباب دنياهم ومحقها ليذيقهم وبال بعض اعمالهم فى الدنيا قبل ان يعاقبهم
بجميعها فى الاخرة لعلهم يرجعون عما هم عليه، واما على الثانى فاللام مجاز على معنى ان ظهور الشرور
بسببهم مما استوجبوا به ان يذيقهم الله وبال اعمالهم ارادة الرجوع فكانهم انما افسدوا وتسببوا
لفشو المعاصى فى الارض لاجل ذلك وقرئ لنذيقهم بالنون قل سيروا فى الارض فانظروا
كيف كان عاقبة الذين من قبل كان اكثرهم مشركين، ثم اكد تسبب المعاصى لغضب الله ونكاله
حيث امرهم بان يسيروا فينظروا كيف اهلك الله الامم واذاقهم سوء العاقبة لمعاصيهم ودل لكم

بقوله تعالى كان أكثرهم مشركين على أن الشرك وحده لم يكن سبب تدميرهم وأن ما دونه من المعاصي يكون
سببًا لذلك فأقم وجهك للدين القيم من قبل أن يأتي يوم لا مرد له من الله يومئذ يصدعون
القيم البليغ الاستقامة الذي لا يتأتى فيه عوج من الله إما أن يتعلق بيأتي فيكون المعنى من قبل أن
يأتي من الله يوم لا يرده أحد كقوله سبحانه وتعالى فلا يستطيعون ردها أو بمرد على معنى لا يرده
هو بعد أن يجيء به ولا رد له من جهته والمرد مصدر بمعنى الرد يصدعون يتصدعون أي يتفرقون
كقوله تعالى ويوم تقوم الساعة يومئذ يتفرقون من كفر فعليه كفره ومن عمل صالحا فلأنفسهم
يمهدون فعليه كفره كلمة جامعة لما لا غاية وراءه من المضار لأن من كان ضاره كفره فقد أحاطت
به كل مضرة فلأنفسهم يمهدون أي يسوون لأنفسهم ما يسويه لنفسه الذي يمهد فراشه ويوطئه
لئلا يصيبه في مضجعه ما ينبيه عليه وينغص عليه مرقده من نتوء أو قضض أو بعض ما يؤذي الراقد ويجوز
أن يريد تعالى أنفسهم يشفقون من قولهم في المشفق أم فرشت فأنامت وتقديم الظرف في الموضعين
للدلالة على أن ضرر الكفر لا يعود إلا على الكافر لا يتعداه ومنفعة الإيمان والعمل الصالح ترجع إلى المؤمن
لا يتجاوزه ليجزي الذين آمنوا وعملوا الصالحات من فضله إنه لا يحب الكافرين ليجزي يتعلق
بيمهدون تعليل له من فضله مما يتفضل عليهم بعد توفية الواجب من الثواب وهذا يشبه الكناية
لأن الفضل تبع للثواب فلا يكون إلا بعد حصول ما هو تبع له أو أراد من عطائه وهو ثوابه
لأن الفضول والفواضل هي الأعطية عند العرب وتكرير الذين آمنوا وعملوا الصالحات وترك
الضمير إلى الصريح لتقرير أنه لا يفلح عنده إلا المؤمن الصالح وقوله تعالى إنه لا يحب الكافرين تقرير
بعد تقرير على الطرد والعكس ومن آياته أن يرسل الرياح مبشرات وليذيقكم من رحمته
ولتجري الفلك بأمره ولتبتغوا من فضله ولعلكم تشكرون الرياح هي الجنوب والشمال
والصبا وهي رياح الرحمة وأما الدبور فريح العذاب ومنه قوله صلى الله عليه وسلم اللهم اجعلها
رياحا ولا تجعلها ريحا وقد عدد الأغراض في إرسالها وأنه أرسلها للبشارة بالغيث ولإذاقة
الرحمة وهي نزول المطر وحصول الخصب الذي يتبعه والروح الذي مع هبوب الريح وزكاء الأرض
قال رسول الله صلى الله عليه وسلم إذا كثرت المؤتفكات زكت الأرض وإزالة العفونة من الهواء وتذرية
الحبوب وغير ذلك ولتجري الفلك في البحر عند هبوبها وإنما زاد بأمره لأن الريح قد تهب ولا
تكون مواتية فلا بد من إرساء السفن والاحتيال لحبسها وربما عصفت فأغرقتها ولتبتغوا من
فضله يريد تجارة البحر ولتشكروا نعمة الله فيها فإن قلت بم تعلق وليذيقكم قلت
فيه وجهان أن يكون معطوفا على مبشرات على المعنى كأنه قيل ليبشركم وليذيقكم وأن يتعلق
بمحذوف تقديره وليذيقكم وليكون كذا وكذا أرسلناها ولقد أرسلنا رسلا إلى قومهم
فجاءوهم بالبينات فانتقمنا من الذين أجرموا وكان حقا علينا نصر المؤمنين اختصر
الطريق إلى الغرض بأن أدرج تحت ذكر الانتقام والنصر ذكر الفريقين وقد أخلى الكلام أولا عن ذكرهما
وقوله تعالى وكان حقا علينا نصر المؤمنين تعظيم للمؤمنين ورفع من شأنهم وتأهيل لكرامة سنية
وإظهار لفضل سابقة ومزية حيث جعلهم مستحقين على الله أن ينصرهم مستوجبين عليه أن يظهرهم
ويظفرهم وقد يوقف على حقا ومعناه وكان الانتقام منهم حقا ثم يبتدأ علينا نصر المؤمنين وعن
رسول الله صلى الله عليه وسلم ما من امرئ مسلم يرد عن عرض أخيه إلا كان حقا على الله أن يرد عنه نار جهنم

أو قضض

من قبلك

يوم

يوم القيامة ثم تلا قوله تعالى وكان حقا علينا نصر المؤمنين الله الذي يرسل الرياح فتثير سحابا فيبسطه
في السماء ويجعله كسفا فترى الودق يخرج من خلاله فإذا أصاب به من يشاء من عباده إذا هم
يستبشرون وإن كانوا من قبل أن ينزل عليهم من قبله لمبلسين فيبسطه متصلا تارة
ويجعله كسفا أي قطعا تارة فترى الودق يخرج من خلاله في التارتين جميعا والمراد بالسماء سمت السما
سمت السماء وشقها كقوله تعالى وفرعها في السماء فإذا أصاب بالودق بلادهم وأراضيهم من
قبله من باب التكرير والتوكيد كقوله تعالى فكان عاقبتهما أنهما في النار خالدين فيها ومعنى التوكيد
فيه الدلالة على أن عهدهم قد تطاول وبعد فاستحكم بأسهم وتمادى إبلاسهم فكان الاستبشار
على قدر اغتمامهم بذلك فانظر إلى آثار رحمة الله كيف يحيي الأرض بعد موتها إن ذلك لمحيي
الموتى وهو على كل شيء قدير قرئ أثر وآثار على التوحيد والجمع وقرأ أبو حيوة وغيره كيف
تحيي أي الرحمة إن ذلك يعني إن ذلك القادر الذي يحيي الأرض بعد موتها هو الذي يحيي الناس
بعد موتهم وهو على كل شيء من المقدورات قادر وهذا من جملة المقدورات بدليل الإنشاء ولئن
أرسلنا ريحا فرأوه مصفرا لظلوا من بعده يكفرون فإنك لا تسمع الموتى ولا تسمع الصم
الدعاء إذا ولوا مدبرين وما أنت بهادي العمي عن ضلالتهم إن تسمع إلا من يؤمن
بآياتنا فهم مسلمون فرأوه فرأوا أثر رحمة الله لأن رحمة الله هي الغيث وأثرها النبات ومن
قرأ بالجمع رجع الضمير إلى معناه لأن معنى آثار الرحمة النبات واسم النبات يقع على القليل والكثير لأنه مصدر
سمي به ما ينبت ولئن هي اللام الموطئة للقسم دخلت على حرف الشرط ولظلوا جواب القسم سد
مسد الجوابين أعني جواب القسم وجواب الشرط ومعناه ليظلن ذمهم الله عز وجل بأنه إذا حبس
عنهم القطر قنطوا من رحمته وضربوا أذقانهم على صدورهم مبلسين فإذا أصابهم برحمته ورزقهم
المطر استبشروا وابتهجوا فإذا أرسل ريحا فضرب زروعهم بالصفار ضجوا وكفروا بنعمة الله فهم
في جميع هذه الأحوال على الصفة المذمومة كان عليهم أن يتوكلوا على الله وفضله فقنطوا وأن يشكروا
نعمته ويحمدوه عليها فلم يزيدوا على الفرح والاستبشار وأن يصبروا على بلائه فكفروا والريح
التي اصفر لها النبات يجوز أن تكون حرورا وحرجفا فكلتاهما مما يصوح له النبات ويصبح هشيما
وقال مصفرا لأن تلك صفرة حادثة وقيل فرأوا السحاب مصفرا لأنه إذا كان كذلك لم يمطر
الله الذي خلقكم من ضعف ثم جعل من بعد ضعف قوة ثم جعل من بعد قوة ضعفا وشيبة
يخلق ما يشاء وهو العليم القدير قرئ بفتح الضاد وضمها والضم أقوى في القراءة
لما روى ابن عمر رضي الله عنهما قال قرأتها على رسول الله صلى الله عليه وسلم من ضعف فأقرأني من
ضعف وقوله تعالى خلقكم من ضعف كقوله تعالى خلق الإنسان من عجل يعني أن أساس أمركم
وما عليه جبلتكم وبنيتكم الضعف وخلق الإنسان ضعيفا أي ابتدأناكم في أول الأمر ضعفاء وذلك
حال الطفولة والنشوء حتى بلغتم وقت الاحتلام والشبيبة وتلك حال القوة إلى الاكتهال وبلوغ
الأشد ثم رددتم إلى أصل حالكم وهو الضعف بالشيخوخة والهرم وقيل من ضعف من النطف كقوله
تعالى من ماء مهين وهذا الترديد في الأحوال المختلفة والتغيير من هيئة إلى هيئة وصفة إلى صفة
أظهر دليل وأعدل شاهد على الصانع العليم القادر ويوم تقوم الساعة يقسم المجرمون ما
لبثوا غير ساعة كذلك كانوا يؤفكون الساعة القيامة سميت بذلك لأنها تقوم في آخر

كيف يشاء

ساعة من ساعات الدنيا، أو لأنها تقع بغتة وبديهة كما تقول في ساعة لمن تستعجله وجرت علماً لها كالنجم للثريا والكوكب للزهرة وأراد لبثهم في الدنيا أو في القبور أو فيما بين فناء الدنيا إلى البعث، وفي الحديث ما بين فناء الدنيا إلى وقت البعث أربعون قالوا لا نعلم أهي أربعون سنة أم أربعون ألف سنة وذلك وقت يفنون فيه وينقطع عذابهم وإنما يقدّرون وقت لبثهم بذلك على وجه استقصارهم له أو ينسون أو يكذبون أو يخمّنون، **كذلك كانوا يؤفكون** أي مثل ذلك الصرف كانوا يصرفون عن الصدق والتحقيق في الدنيا وهكذا كانوا يبنون أمرهم على خلاف الحق، أو مثل ذلك الإفك كانوا يؤفكون في الاغترار بما تبين لهم الآن أنه ما كان إلا ساعة **وقال الذين أوتوا العلم والإيمان لقد لبثتم في كتاب الله إلى يوم البعث فهذا يوم البعث ولكنكم كنتم لا تعلمون** القائلون هم الملائكة والأنبياء والمؤمنون، في كتاب الله في اللوح، أو في علم الله وقضائه، أو فيما كتبه أي أوجبه بحكمته ردّوا ما قالوه وحلفوا عليه وأطلعوهم على الحقيقة ثم وصلوا ذلك بتقريعهم على إنكار البعث بقولهم فهذا يوم البعث ولكنكم كنتم لا تعلمون أنه حق لتفريطكم في طلب الحق واتباعه **فإن قلت** ما هذه الفاء وما حقيقتها **قلت** هي التي في قوله: فقد جئنا خراسانا، وحقيقتها أنها جواب شرط يدل عليه الكلام كأنه قال إن صح ما قلتم من أن خراسان أقصى ما يراد بنا فقد جئنا خراسان وآن لنا أن نخلص، وكذلك إن كنتم منكرين البعث فهذا يوم البعث أي فقد تبين بطلان قولكم، وقرأ الحسن رحمة الله عليه يوم البعَث بالتحريك **فيومئذ لا ينفع الذين ظلموا معذرتهم ولا هم يستعتبون** لا ينفع **قرئ** بالياء والتاء، يستعتبون من قولك استعتبني فلان فأعتبته أي استرضاني فأرضيته وذلك إذا كنت جانياً عليه وحقيقة أعتبته أزلت عتبه ألا ترى إلى قوله:

غضبت تميم أن يقتّل عامر ... يوم النسار فأُعتبوا بالصيلم

كيف جعلهم غضاباً ثم قال فأعتبوا أي أزيل غضبهم والغضب في معنى العتب، والمعنى لا يقال لهم أرضوا ربكم بتوبة وطاعة، ومثله قوله عز وعلا لا يخرجون منها ولا هم يستعتبون **فإن قلت** كيف جعلوا غير مستعتبين في بعض الآيات وغير معتبين في بعضها وهو قوله تعالى وإن يستعتبوا فما هم من المعتبين **قلت** أما كونهم غير مستعتبين فهذا معناه وأما كونهم غير معتبين فمعناه أنهم غير راضين بما هم فيه فشبهت حالهم بحال قوم جني عليهم فهم عاتبون على الجاني غير راضين منه فإن يستعتبوا الله أي يسألوه إزالة ما هم فيه فما هم من المجابين إلى إزالته **ولقد ضربنا للناس في هذا القرآن من كل مثل ولئن جئتهم بآية ليقولن الذين كفروا إن أنتم إلا مبطلون كذلك يطبع الله على قلوب الذين لا يعلمون** ولقد وصفنا لهم كل صفة كأنها مثل في غرابتها وقصصنا عليهم كل قصة عجيبة الشأن كصفة المبعوثين يوم القيامة وقصتهم وما يقولون وما يقال لهم وما لا ينفع من اعتذارهم ولا يسمع من استعتابهم ولكنهم لقسوة قلوبهم ومجّ أسماعهم حديث الآخرة إذا جئتهم بآية من آيات القرآن قالوا جئتنا بزور وباطل ثم قال مثل ذلك الطبع يطبع الله على قلوب الجهلة ومعنى طبع الله منع الألطاف التي تنشرح لها الصدور حتى تقبل الحق وإنما يمنعها من علم أنها لا تجدي عليه ولا تغني عنه كما يمنع الواعظ الموعظة من يتبين له أن الموعظة تلغو ولا تنجع فيه فوقع ذلك كناية عن قسوة قلوبهم وركوب الصدأ والرين

ايانا

إياها كأنه قال كذلك تقسو وتصدأ قلوب الجهلة حتى يسموا المحقين مبطلين وهم أعرق خلق الله في تلك الصفة **فاصبر إن وعد الله حق ولا يستخفنك الذين لا يوقنون** فاصبر على عداوتهم إن وعد الله بنصرتك وإظهار دينك على الدين كله حق لا بد من إنجازه والوفاء به ولا يحملنك على الخفة والقلق جزعاً مما يقولون ويفعلون فإنهم قوم شاكون ضالون لا يستبدع منهم ذلك **وقرئ** بتخفيف النون، وقرأ ابن أبي إسحق ويعقوب ولا يستحقنك أي لا يفتننك فيملكوك ويكونوا أحق بك من المؤمنين، قال رسول الله صلى الله عليه وسلم من قرأ سورة الروم كان له من الأجر عشر حسنات بعدد كل ملك سبّح الله بين السماء والأرض وأدرك ما ضيّع في يومه وليلته.

وقيل ثلث وثلثون، بسم الله الرحمن الرحيم **الم تلك آيات الكتاب الحكيم هدى ورحمة للمحسنين الذين يقيمون الصلوة ويؤتون الزكوة وهم بالآخرة هم يوقنون أولئك على هدى من ربهم وأولئك هم المفلحون** الكتاب الحكيم ذي الحكمة، أو وصف بصفة الله تعالى على الإسناد المجازي، ويجوز أن يكون الأصل الحكيم قائله فحذف المضاف وأقيم المضاف إليه مقامه فبانقلابه مرفوعاً بعد الجر استكنّ في الصفة المشبهة، هدى ورحمة بالنصب على الحال عن الآيات والعامل فيها ما في تلك من معنى الإشارة، وبالرفع على أنه خبر بعد خبر أو خبر مبتدأ محذوف، للمحسنين للذين يعملون الحسنات وهي التي ذكرها من إقامة الصلوة وإيتاء الزكوة والإيقان بالآخرة ونظيره قول أوس:

الألمعي الذي يظن بك الظن ... كأن قد رأى وقد سمعا

حكي عن الأصمعي أنه سئل عن الألمعي فأنشده ولم يزد، أو للذين يعملون جميع ما يحسن من الأعمال ثم خص منهم القائمين بهذه الثلث لفضل اعتدادها **ومن الناس من يشتري لهو الحديث ليضل عن سبيل الله بغير علم ويتخذها هزواً أولئك لهم عذاب مهين** اللهو كل باطل ألهى عن الخير وعما يعني، ولهو الحديث نحو السمر بالأساطير والأحاديث التي لا أصل لها والتحدث بالخرافات والمضاحيك وفضول الكلام وما لا ينبغي من كان وكان ونحو الغناء وتعلم الموسيقار وما أشبه ذلك، وقيل نزلت في النضر بن الحارث وكان يتجر إلى فارس فيشتري كتب الأعاجم فيحدث بها قريشاً ويقول إن كان محمد يحدثكم بحديث عاد وثمود فأنا أحدثكم بأحاديث رستم وبهرام والأكاسرة وملوك الحيرة فيستحسنون حديثه ويتركون استماع القرآن، وقيل كان يشتري المغنيات فلا يظفر بأحد يريد الإسلام إلا انطلق به إلى قينته فيقول أطعميه واسقيه وغنيه ويقول هذا خير مما يدعوك إليه محمد من الصلوة والصيام وأن تقاتل بين يديه، وفي حديث النبي عليه السلام لا يحل بيع المغنيات ولا شراؤهن ولا التجارة فيهن ولا أثمانهن، وعنه صلى الله عليه وسلم ما من رجل يرفع صوته بالغناء إلا بعث الله عليه شيطانين أحدهما على هذا المنكب والآخر على هذا المنكب ولا يزالان يضربان بأرجلهما حتى يكون هو الذي يسكت، وقيل الغناء مفسدة للمال مسخطة للرب مفسدة للقلب **فإن قلت** ما معنى إضافة اللهو إلى الحديث **قلت** معناها التبيين وهي الإضافة بمعنى من وأن يضاف الشيء إلى ما هو منه كقولك صفة خز وباب ساج، والمعنى من يشتري اللهو من الحديث لأن اللهو يكون من الحديث ومن غيره فبيّن بالحديث والمراد بالحديث الحديث المنكر كما جاء في الحديث الحديث في المسجد يأكل الحسنات كما تأكل البهيمة الحشيش

ويجوز ان تكون الاضافة بمعنى من التبعيضية كانه قيل ومن الناس من يشتري بعض الحديث الذي هو اللهو منه • وقوله يشتري اما من الشرى على ما روي عن النضر من شراء كتب الاعاجم او من شراء القيان واما من قوله اشتروا الكفر بالايمان اي استبدلوه منه واختاروه عليه • وعن قتادة اشتراؤه استحبابه يختار حديث الباطل على حديث الحق • وقرئ ليضل بضم الياء وفتحها • وسبيل الله دين الاسلام او القرآن **فان قلت** القراءة بالضم بينة لان النضر كان غرضه باشتراء اللهو ان يصد الناس عن الدخول في الاسلام واستماع القرآن ويضلهم عنه فما معنى القراءة بالفتح **قلت** فيه معنيان احدهما ليثبت على ضلاله الذي كان عليه ولا يصدف عنه ويزيد فيه فان المخذول كان شديد الشكيمة في عداوة الدين وصد الناس عنه • والثاني ان يوضع ليضل موضع ليضل من قبل ان من اضل كان ضالا لا محالة فدل بالرديف على المردوف **فان قلت** ما معنى قوله بغير علم **قلت** لما جعله مشتريا لهو الحديث بالقرآن قال يشتري بغير علم بالتجارة وبغير بصيرة بها حيث يستبدل الضلال بالهدى والباطل بالحق ونحوه قوله تعالى فما ربحت تجارتهم وما كانوا مهتدين اي وما كانوا مهتدين للتجارة بصراء بها • وقرئ ويتخذها بالنصب والرفع عطفا على يشتري او ليضل والضمير للسبيل لانها مؤنثة كقوله تعالى ويصدون عن سبيل الله من آمن به ويبغونها عوجا • واذا تتلى عليه آياتنا ولى مستكبرا كان لم يسمعها كان في اذنيه وقرا فبشره بعذاب اليم • ولى مستكبرا زاما لا يعبا بها ولا يرفع بها راسا تشبه حاله في ذلك حال من لم يسمعها وهو سامع كان في اذنيه وقرا اي ثقلا ولا وقر فيهما • وقرئ بسكون الذال **فان قلت** ما محل الجملتين المصدرتين بكان **قلت** الاولى حال من مستكبرا والثانية من لم يسمعها ان الذين آمنوا وعملوا الصالحات لهم جنات النعيم خالدين فيها وعد الله حقا وهو العزيز الحكيم • وعد الله حقا مصدران مؤكدان الاول مؤكد لنفسه والثاني مؤكد لغيره لان قوله تعالى لهم جنات النعيم في معنى وعدهم الله جنات النعيم فاكد معنى الوعد بالوعد واما حقا فدال على معنى الثبات اكد به معنى الوعد ومؤكدهما جميعا قوله تعالى لهم جنات النعيم • وهو العزيز الذي لا يغلبه شيء ولا يعجزه يقدر على الشيء وضده فيعطي النعيم من شاء والبؤس من شاء وهو الحكيم لا يشاء الا ما توجبه الحكمة والعدل خلق السموات بغير عمد ترونها والقى في الارض رواسي ان تميد بكم وبث فيها من كل دابة وانزلنا من السماء ماء فانبتنا فيها من كل زوج كريم • ترونها الضمير فيه للسموات وهو استشهاد برؤيتهم لها غير معمودة على قوله تعالى بغير عمد كما تقول لصاحبك انا بلا سيف ولا رمح تراني **فان قلت** ما محلها من الاعراب **قلت** لا محل لها لانها مستانفة • او هي في محل الجر صفة للعمد اي بغير عمد مرئية يعني انه عمدها بعمد لا ترى وهي امساكها بقدرته هذا خلق الله فاروني ماذا خلق الذين من دونه بل الظالمون في ضلال مبين • هذا اشارة الى ما ذكر من مخلوقاته والخلق بمعنى المخلوق والذين من دونه آلهتهم بكتهم بان هذه الاشياء العظيمة مما خلقه الله وانشأه فاروني ماذا خلقته آلهتكم حتى استوجبوا عندكم العبادة ثم اضرب عن تبكيتهم الى التسجيل عليهم بالتورط في ضلال ليس بعده ضلال ولقد آتينا لقمان الحكمة ان اشكر لله ومن يشكر فانما يشكر لنفسه ومن كفر فان الله غني حميد • هو لقمان بن باعورا ابن اخت ايوب او ابن خالته • وقيل كان من اولاد آزر وعاش الف سنة وادرك داود عليه السلام واخذ منه العلم وكان يفتي قبل مبعث داود عليه السلام فلما بعث قطع الفتوى فقيل له فقال الا اكتفي اذا كفيت • وقيل كان

قاضيا في بني اسرائيل واكثر الاقاويل انه كان حكيما ولم يكن نبيا • وعن ابن عباس رضي الله عنهما لقمان لم يكن نبيا ولا ملكا ولكن كان راعيا اسود فرزقه الله العتق ورضي قوله ووصيته فقص امره في القرآن لتمسكوا بوصيته • وقال عكرمة والشعبي كان نبيا • وقيل خير بين النبوة والحكمة فاختار الحكمة • وعن سعيد ابن المسيب كان اسود من سودان مصر خياطا • وعن مجاهد كان عبدا اسود غليظ الشفتين متشقق القدمين • وقيل كان نجارا • وقيل راعيا • وقيل كان يحتطب لمولاه كل يوم حزمة • وعنه انه قال لرجل ينظر اليه ان كنت تراني غليظ الشفتين فانه يخرج من بينهما كلام رقيق وان كنت تراني اسود فقلبي ابيض • وروي ان رجلا وقف عليه في مجلسه فقال الست الذي ترعى معي في مكان كذا قال بلى قال فما بلغ بك ما ارى قال صدق الحديث والصمت عما لا يعنيني • وروي انه دخل على داود عليه السلام وهو يسرد الدرع وقد لين الله له الحديد كالطين فاراد ان يساله فادركته الحكمة فسكت فلما اتمها لبسها وقال نعم لبوس الحرب انت فقال الصمت حكم وقليل فاعله فقال له داود بحق ما سميت حكيما • وروي ان مولاه امره بذبح شاة وبان يخرج منها اطيب مضغتين فاخرج اللسان والقلب ثم امره بمثل ذلك بعد ايام وان يخرج منها اخبث مضغتين فاخرج اللسان والقلب فساله عن ذلك فقال هما اطيب ما فيها اذا طابا واخبث ما فيها اذا خبثا • وعن سعيد بن المسيب رضي الله عنه انه قال لاسود لا تحزن فانه كان من خير الناس ثلاثة من السودان بلال • ومهجع مولى عمر • ولقمان • ان هي المفسرة لان ايتاء الحكمة في معنى القول وقد نبه الله سبحانه على ان الحكمة الاصلية والعلم الحقيقي هو العمل بهما وعبادة الله والشكر له حيث فسر ايتاء الحكمة بالبعث على الشكر غني غير محتاج الى الشكر حميد حقيق بان يحمد وان لم يحمده احد واذ قال لقمان لابنه وهو يعظه يا بني لا تشرك بالله ان الشرك لظلم عظيم • قيل كان اسم ابنه انعم • وقال الكلبي اشكم • وقيل كان ابنه وامراته كافرين فما زال بهما حتى اسلما • لظلم عظيم لان التسوية بين من لا نعمة الا هي منه وبين من لا نعمة منه البتة ولا يكون منه ظلم لا يكتنه عظمه يتصور ان ووصينا الانسان بوالديه حملته امه وهنا على وهن وفصاله في عامين ان اشكر لي ولوالديك الي المصير • وان جاهداك على ان تشرك بي ما ليس لك به علم فلا تطعهما وصاحبهما في الدنيا معروفا واتبع سبيل من اناب الي ثم الي مرجعكم فانبئكم بما كنتم تعملون • اي حملته تهن وهنا على وهن كقولك رجع عودا على بدء بمعنى يعود عودا على بدء وهو في موضع الحال والمعنى انها تضعف ضعفا فوق ضعف اي يتزايد ضعفها ويتضاعف لان الحمل كلما ازداد وعظم ازداد ثقلا وضعفا **وقرئ** وهنا على وهن بالتحريك عن ابي عمرو ويقال وهن يوهن ووهن يهن • وقرئ وفصله • ان اشكر تفسير لوصينا ما ليس لك به علم اراد بنفي العلم به نفيه اي لا تشرك بي ما ليس بشيء يريد الاصنام كقوله سبحانه وتعالى ما يدعون من دونه من شيء • معروفا صحابا او مصاحبا معروفا حسنا بخلق جميل وحلم واحتمال وبر وصلة وما يقتضيه الكرم والمروءة • واتبع سبيل من اناب الي يريد واتبع سبيل المؤمنين في دينك ولا تتبع سبيلهما فيه وان كنت مامورا بحسن مصاحبتهما في الدنيا • ثم الي مرجعك ومرجعهما فاجازيك على ايمانك واجازيهما على كفرهما علم بذلك حكم الدنيا وما يجب على الانسان في صحبتهما ومعاشرتهما من مراعاة حق الابوة وتعظيمه وما لهما من المواجب التي لا يسوغ الاخلال بها ثم بين حكمهما وحالهما في الآخرة **وروي** انها نزلت في سعد بن ابي وقاص رضي الله عنه وامه وفي

القصة انها مكثت ثلثا لا تطعم ولا تشرب حتى شجروا فاها بعود وروى انه قال لو كانت لها سبعون نفسا فخرجت لما ارتددت الى الكفر **فان قلت** هذا الكلام كيف وقع في اثناء وصية لقمان **قلت** هو كلام اعترض به على سبيل الاستطراد تاكيدا لما في وصية لقمان من النهي عن الشرك فان قلت فقوله تعالى حملته امه وهنا على وهن وفصاله في عامين كيف اعترض به بين المفسَّر والمفسِّر قلت لما وصى بالوالدين ذكر ما تكابده الام وتعانيه من المشاق والمتاعب في حمله وفصاله هذه المدة المتطاولة ايجابا للتوصية بالوالدة خصوصا وتذكيرا بحقها العظيم مفردا ومن ثم قال رسول الله صلى الله عليه وسلم لمن قال له من ابر امك ثم امك ثم امك ثم قال بعد ذلك ثم اباك وعن بعض العرب انه حمل امه الى الحج على ظهره وهو يقول في حدائه احمل امي وهي الحماله ترضعني الدرة والعلاله ولا يجازى والد فعاله **فان قلت** ما معنى توقيت الفصال بالعامين **قلت** المعنى في توقيته بهذه المدة انها الغاية التي لا تتجاوز والامر فيما دون العامين موكول الى اجتهاد الام ان علمت انه يقوى على الفطام فلها ان تفطمه ويدل عليه قوله عز وجل والوالدات يرضعن اولادهن حولين كاملين لمن اراد ان يتم الرضاعة وبه استشهد الشافعي رضي الله عنه على ان مدة الرضاع سنتان لا تثبت حرمة الرضاع بعد انقضائهما وهو مذهب ابي يوسف ومحمد رحمة الله عليهما واما عند ابي حنيفة رحمة الله عليه فمدة الرضاع ثلثون شهرا وعن ابي حنيفة رحمة الله عليه ان فطمته قبل العامين فاستغنى بالطعام ثم ارضعته لم يكن رضاعا وان اكل اكلا ضعيفا لم يستغن به عن الرضاع ثم ارضعته فهو رضاع محرم يا بني انها ان تك مثقال حبة من خردل فتكن في صخرة او في السموات او في الارض يات بها الله ان الله لطيف خبير **قرئ** مثقال حبة بالنصب والرفع فمن نصب كان الضمير للهنة من الاساءة او الاحسان اي ان كانت مثلا في الصغر والقماءة كحبة الخردل فكانت مع صغرها في اخفى موضع واحرزه كجوف الصخرة او حيث كانت في العالم العلوي او السفلي يات بها الله يوم القيمة فيحاسب بها عاملها ان الله لطيف يتوصل علمه الى كل خفي خبير عالم بكنهه وعن قتادة لطيف باستخراجها خبير بمستقرها ومن قرا بالرفع كان ضمير القصة وانما انث المثقال لاضافته الى الحبة كما **قال** كما شرقت صدر القناة من الدم وروى ان ابن لقمان قال له ارايت الحبة تكون في مقل البحر اي في مغاصه يعلمها الله فقال ان الله يعلم اصغر الاشياء في اخفى الامكنة لان الحبة في الصخرة اخفى منها في الماء وقيل الصخرة هي التي تحت الارض وهي السجين يكتب فيها اعمال الكفار وقرئ فتكن بكسر الكاف من وكن الطائر يكن اذا استقر في وكنته وهي مقره ليلا يا بني اقم الصلوة وامر بالمعروف وانه عن المنكر واصبر على ما اصابك ان ذلك من عزم الامور واصبر على ما اصابك يجوز ان يكون عاما في كل ما يصيبه من المحن وان يكون خاصا بما يصيبه فيما امر به من الامر بالمعروف والنهي عن المنكر من اذى من يبعثهم على الخير وينكر عليهم الشر ان ذلك مما عزمه الله من الامور اي قطعه قطع ايجاب والزام ومنه الحديث لا صيام لمن لم يعزم الصيام من الليل اي لم يقطعه بالنية الا ترى الى قوله صلى الله عليه وسلم لمن لم يبيت الصيام ومنه ان الله يحب ان يؤخذ برخصه كما يحب ان يؤخذ بعزائمه وقولهم عزمة من عزمات ربنا ومنه عزمات الملوك وذلك ان يقول الملك لبعض من تحت يده عزمت عليك الا فعلت كذا اذا قال ذلك لم يكن للمعزوم عليه بد من فعله ولا مندوحة في تركه وحقيقته انه من تسمية المفعول بالمصدر واصله من معزومات

الامور اي مقطوعاتها ومفروضاتها ويجوز ان يكون مصدرا في معنى الفاعل اصله من عازمات الامور من قوله تعالى فاذا عزم الامر كقولك جد الامر وصدق القتال وناهيك بهذه الاية مؤذنة بقدم هذه الطاعات وانها كانت مامورا بها في سائر الامم وان الصلوة لم تزل عظيمة الشان سابقة القدم على ما سواها موصى بها في الاديان كلها ولا تصعر خدك للناس ولا تمش في الارض مرحا ان الله لا يحب كل مختال فخور تصاعر وتصعر بالتشديد والتخفيف يقال اصعر خده وصعره وصاعره كقولك اعلاه وعلاه وعالاه بمعنى والصعر والصيد داء يصيب البعير يلوي منه عنقه والمعنى اقبل على الناس بوجهك تواضعا ولا تولهم شق وجهك وصفحته كما يفعل المتكبرون اراد ولا تمش تمرح مرحا او اوقع المصدر موقع الحال بمعنى مرحا ويجوز ان يريد لا تمش لاجل المرح والاشر اي لا يكن غرضك في المشي البطالة والاشر كما يمشي كثير من الناس لذلك لا لكفاية مهم ديني او دنيوي ونحوه قوله عز وجل ولا تكونوا كالذين خرجوا من ديارهم بطرا ورئاء الناس والمختال مقابل للماشي مرحا وكذلك الفخور للمصعر خده كبرا واقصد في مشيك واغضض من صوتك ان انكر الاصوات لصوت الحمير واقصد في مشيك واعدل فيه حتى يكون مشيا بين مشيتين لا تدب دبيب المتماوتين ولا تثب وثب الشطار قال رسول الله صلى الله عليه وسلم سرعة المشي تذهب بهاء المؤمن وقول عائشة رضي الله عنها في عمر رضي الله عنه كان اذا مشى اسرع فانما ارادت السرعة المرتفعة عن دبيب المتماوت **وقرئ** واقصد بقطع الهمزة اي سدد في مشيك من اقصد الرامي اذا سدد سهمه نحو الرمية واغضض من صوتك وانقص منه من قولك فلان يغض من فلان اذا قصر به ووضع منه انكر الاصوات اوحشها من قولك شيء نكر اذا انكرته النفوس واستوحشت منه ونفرت فالحمار مثل في الذم البليغ والشتيمة وكذلك نهاقه ومن استفحاشهم لذكره مجردا وتفاديهم من اسمه انهم يكنون عنه ويرغبون عن التصريح به فيقولون الطويل الاذنين كما يكنى عن الاشياء المستقذرة وقد عد في مساوي الاداب ان يجري ذكر الحمار في مجلس قوم من اولي المروة ومن العرب من لا يركب الحمار استنكافا وان بلغت منه الرجلة فتشبيه الرافعين اصواتهم بالحمير وتمثيل اصواتهم بالنهاق ثم اخلاء الكلام من لفظ التشبيه واخراجه مخرج الاستعارة وان جعلوا حميرا وصوتهم نهاقا مبالغة شديدة في الذم والتهجين وافراط في التثبيط عن رفع الصوت والترغيب عنه وتنبيه على انه من كراهة الله بمكان **فان قلت** لم وحد صوت الحمير ولم يجمع **قلت** ليس المراد ان يذكر صوت كل واحد من احاد هذا الجنس حتى يجمع وانما المراد ان كل جنس من الحيوان له صوت وانكر اصوات هذه الاجناس صوت هذا الجنس فوجب توحيده الم تروا ان الله سخر لكم ما في السموات وما في الارض واسبغ عليكم نعمه ظاهرة وباطنة ومن الناس من يجادل في الله بغير علم ولا هدى ولا كتاب منير ما في السموات الشمس والقمر والنجوم والسحاب وغير ذلك وما في الارض البحار والانهار والمعادن والدواب وما لا يحصى واسبغ قرئ بالسين والصاد وهكذا كل سين اجتمع معه الغين والخاء والقاف تقول في سلخ صلخ وفي سقر صقر وفي سالغ صالغ وقرئ نعمه ونعمة ونعمته **فان قلت** ما النعمة **قلت** كل نفع قصد به الاحسان والله عز وعلا خلق العالم كله نعمة لانه اما حيوان واما غير حيوان فما ليس بحيوان نعمة على الحيوان والحيوان نعمة من حيث ان ايجاده حيا نعمة عليه لانه لولا ايجاده حيا لما صح منه الانتفاع وكل ما ادى الى الانتفاع وصححه فهو نعمة فان قلت لم كان خلق العالم مقصودا به الاحسان قلت لانه لا يخلقه الا لغرض والا كان عبثا والعبث

لا يجوز عليه ولا يجوز أن يكون لغرض راجع إليه من نفع لأنه غني غير محتاج إلى المنافع فلم يبق إلا أن يكون لغرض يرجع إلى الحيوان وهو نفعه فإن قلت فما معنى الظاهرة والباطنة قلت الظاهرة كل ما يعلم بالمشاهدة والباطنة ما لا يعلم إلا بدليل أو لا يعلم أصلاً فكم في بدن الإنسان من نعمة لا يعلمها ولا يهتدي إلى العلم بها وقد أكثروا في ذلك فعن مجاهد الظاهرة ظهور الإسلام والنصر على الأعداء والباطنة الإمداد من الملائكة وعن الحسن رحمة الله عليه الظاهرة الإسلام والباطنة الستر وعن الضحاك حسن الصورة وامتداد القامة وتسوية الأعضاء والباطنة المعرفة وقيل الظاهرة البصر والسمع واللسان وسائر الجوارح الظاهرة والباطنة القلب والعقل والفهم وما أشبه ذلك ويروى في دعاء موسى عليه السلام إلهي دلني على أخفى نعمتك على عبادك فقال أخفى نعمتي عليهم النفس ويروى أن أيسر ما يعذب به أهل النار الأخذ بالأنفاس وإذا قيل لهم اتبعوا ما أنزل الله قالوا بل نتبع ما وجدنا عليه آباءنا أولو كان الشيطان يدعوهم إلى عذاب السعير معناه أيتبعونهم ولو كان الشيطان يدعوهم أي في حال دعاء الشيطان آباءهم إلى العذاب ومن يسلم وجهه إلى الله وهو محسن فقد استمسك بالعروة الوثقى وإلى الله عاقبة الأمور قرأ علي بن أبي طالب رضي الله عنه ومن يسلّم بالتشديد يقال أسلم أمرك وسلّم أمرك إلى الله فإن قلت ما له عدي بإلى وقد عدي باللام في قوله تعالى بلى من أسلم وجهه لله قلت معناه مع اللام أنه جعل وجهه وهو ذاته ونفسه سالماً لله أي خالصاً له ومعناه مع إلى أنه سلم إليه نفسه كما يسلم المتاع إلى الرجل إذا دفع إليه والمراد التوكل عليه والتفويض إليه فقد استمسك بالعروة الوثقى من باب التمثيل مثلت حال المتوكل بحال من أراد أن يتدلى من شاهق فاحتاط لنفسه بأن استمسك بأوثق عروة من حبل متين مأمون انقطاعه وإلى الله عاقبة الأمور أي هي صائرة إليه ومن كفر فلا يحزنك كفره إلينا مرجعهم فننبئهم بما عملوا إن الله عليم بذات الصدور نمتعهم قليلاً ثم نضطرهم إلى عذاب غليظ قرئ يحزنك ويحزنك من حزن وأحزن والذي عليه الاستعمال المستفيض أحزنه ويحزنه والمعنى لا يهمنك كفر من كفر وكيده للإسلام فإن الله عز وجل دافع كيده في نحره ومنتقم منه ومعاقبه على عمله إن الله يعلم ما في صدور عباده فيفعل بهم على حسبه نمتعهم زماناً قليلاً بدنياهم ثم نضطرهم إلى عذاب غليظ شبه إلزامهم التعذيب وإرهاقهم إياه باضطرار المضطر إلى الشيء الذي لا يقدر على الانفكاك منه والغلظ مستعار من الأجرام الغليظة والمراد الشدة والثقل على المعذب ولئن سألتهم من خلق السموات والأرض ليقولن الله قل الحمد لله بل أكثرهم لا يعلمون لله ما في السموات والأرض إن الله هو الغني الحميد قل الحمد لله إلزام لهم على إقرارهم بأن الذي خلق السموات والأرض هو الله وحده وأنه يجب أن يكون له الحمد والشكر وأن لا يعبد معه غيره ثم قال بل أكثرهم لا يعلمون أن ذلك يلزمهم وإذا نبهوا عليه لم ينتبهوا وإن الله هو الغني الحميد عن حمد الحامدين المستحق للحمد وإن لم يحمدوه ولو أن ما في الأرض من شجرة أقلام والبحر يمده من بعده سبعة أبحر ما نفدت كلمات الله إن الله عزيز حكيم قرئ والبحر بالنصب عطفاً على اسم أن وبالرفع عطفاً على محل أن ومعمولها على ولو ثبت كون الأشجار أقلاماً وثبت البحر ممدوداً بسبعة أبحر أو على الابتداء والواو للحال على معنى ولو أن الأشجار أقلام في حال كون البحر ممدوداً وفي قراءة ابن مسعود رضي الله عنه وبحر يمده على التنكير ويجب أن يحمل هذا على الوجه الأول وقرئ تمده ويمده بالتاء والياء فإن قلت

كان

كان مقتضى الكلام أن يقال ولو أن الشجر أقلام والبحر مداد قلت أغنى عن ذكر المداد قوله يمده لأنه من قولك مد الدواة وأمدها جعل البحر الأعظم بمنزلة الدواة وجعل الأبحر السبعة مملوءة مداداً فهي تصب فيه مدادها أبداً صباً لا ينقطع والمعنى ولو أن أشجار الأرض أقلام والبحر ممدود بسبعة أبحر وكتبت بتلك الأقلام وبذلك المداد كلمات الله لما نفدت كلماته ونفدت الأقلام والمداد كقوله عز وجل قل لو كان البحر مداداً لكلمات ربي لنفد البحر قبل أن تنفد كلمات ربي فإن قلت زعمت أن قوله تعالى والبحر يمده حال في أحد وجهي الرفع وليس فيه ضمير راجع إلى ذي الحال قلت هو كقوله وقد أغتدي والطير في وكناتها وجئت والجيش مصطف وما أشبه ذلك من الأحوال التي حكمها حكم الظروف ويجوز أن يكون المعنى وبحرها والضمير للأرض فإن قلت لم قيل من شجرة على التوحيد دون اسم الجنس الذي هو شجر قلت أريد تفصيل الشجر وتقصيها شجرة شجرة حتى لا يبقى من جنس الشجر ولا واحدة إلا قد بريت أقلاماً فإن قلت الكلمات جمع قلة والموضع موضع التكثير لا التقليل فهلا قيل كلم الله قلت معناه أن كلماته لا تفي بكتبتها البحار فكيف بكلمه وعن ابن عباس رضي الله عنهما أنها نزلت جواباً لليهود لما قالوا قد أوتينا التوراة وفيها كل الحكمة وقيل إن المشركين قالوا إن هذا يعنون الوحي كلام سينفد فأعلم الله أن كلامه لا ينفد وهذه الآية عند بعضهم مدنية وأنها نزلت بعد الهجرة وقيل هي مكية وإنما أمر اليهود وفد قريش أن يقولوا لرسول الله عليه السلام ألست تتلو فيما أنزل عليك أنا قد أوتينا التوراة فيها علم كل شيء إن الله عزيز لا يعجزه شيء حكيم لا يخرج من علمه وحكمته شيء ومثله لا تنفد كلماته وحكمه ما خلقكم ولا بعثكم إلا كنفس واحدة إن الله سميع بصير إلا كنفس واحدة إلا كخلقها وبعثها أي سواء في قدرته القليل والكثير والواحد والجمع لا يتفاوت وذلك أنه إنما كان تتفاوت النفس الواحدة والنفوس الكثيرة العدد أن لو شغله شأن عن شأن وفعل عن فعل وقد تعالى عن ذلك إن الله سميع بصير يسمع كل صوت ويبصر كل مبصر في حالة واحدة لا يشغله إدراك بعضها عن إدراك بعض فكذلك الخلق والبعث ألم تر أن الله يولج الليل في النهار ويولج النهار في الليل وسخر الشمس والقمر كل يجري إلى أجل مسمى وأن الله بما تعملون خبير كل واحد من الشمس والقمر يجري في فلكه ويقطعه إلى وقت معلوم الشمس إلى آخر السنة والقمر إلى آخر الشهر وعن الحسن رحمة الله عليه الأجل المسمى يوم القيامة لأنه لا ينقطع جريهما إلا حينئذ دل أيضاً بالليل والنهار وتعاقبهما وزيادتهما ونقصانهما وجري النيرين في فلكيهما كل ذلك على تقدير وحساب وبإحاطته بجميع أعمال الخلق على عظم قدرته وحكمته فإن قلت يجري لأجل مسمى ويجري إلى أجل مسمى أهو من تعاقب الحرفين قلت كلا ولا يسلك هذه الطريقة إلا بليد الطبع ضيق العطن ولكن المعنيين أعني الانتهاء والاختصاص كل واحد منهما ملائم لصحة الغرض لأن قولك يجري إلى أجل مسمى معناه يبلغه وينتهي إليه وقولك يجري لأجل مسمى تريد لإدراك أجل مسمى تجعل الجري مختصاً بإدراك أجل مسمى ألا ترى أن جري الشمس مختص بآخر السنة وجري القمر بآخر الشهر فكلا المعنيين غير نابٍ به موضعه ذلك بأن الله هو الحق وأن ما يدعون من دونه الباطل وأن الله هو العلي الكبير ذلك الذي وصف من عجائب قدرته وحكمته التي يعجز عنها الأحياء القادرون العالمون فكيف بالجماد الذي تدعونه من دون الله إنما هو بسبب أنه هو الحق الثابت إلهيته وأن من دونه باطل الإلهية وأن الله هو العلي الشأن الكبير السلطان أو ذلك الذي أوحي إليك بسبب بيان أن

الله هو الحق وان الهاً غيره باطل وان الله هو العلى الكبير عن ان يشرك به **الم تر ان الفلك تجرى فى البحر بنعمة الله ليريكم من اياته ان فى ذلك لايات لكل صبار شكور** **وقرئ** الفلك بضم اللام وكل فعل يجوز فيه فعل كما يجوز فى كل فعل فعل على مذهب التعويض • وبنعمات الله بسكون العين وعين فعلات يجوز فيها الكسر والفتح والسكون بنعمة الله باحسانه ورحمته • صبار على بلائه شكور لنعمائه وهما صفتا المؤمن فكانه قال ان فى ذلك لايات لكل مؤمن **واذا غشيهم موج كالظلل دعوا الله مخلصين له الدين فلما نجاهم الى البر فمنهم مقتصد وما يجحد باياتنا الا كل ختار كفور** • يرتفع الموج ويتراكب فيعود مثل الظلل والظلل كل ما اظلك من جبل او سحاب او غيرهما **وقرئ** كالظلال جمع ظلة كقلة وقلال • فمنهم مقتصد متوسط فى الكفر والظلم خفض من غلوائه وانزجر بعض الانزجار • او مقتصد فى الاخلاص الذى كان عليه فى البحر يعنى ان ذلك الاخلاص الحادث عند الخوف لا يبقى لاحد قط والمقتصد قليل نادر • وقيل مؤمن قد ثبت على ما عاهد الله عليه فى البحر • والختر اشد الغدر • ومنه قولهم انك لا تمد لنا شبرا من غدر الا مددنا لك باعا من ختر **قال** والله لو رايت ابا عمير • ملأت يديك من غدر وختر **يا ايها الناس اتقوا ربكم واخشوا يوما لا يجزى والد عن ولده ولا مولود هو جاز عن والده شيئا ان وعد الله حق فلا تغرنكم الحيوة الدنيا ولا يغرنكم بالله الغرور** لا يجزى لا يقضى عنه شيئا • ومنه قيل للمتقاضى المتجازى • وفى الحديث فى جذعة ابن نيار تجزى عنك ولا تجزى عن احد بعدك **وقرئ** لا يجزى لا يغنى يقال اجزأت عنك مجزأ فلان والمعنى لا يجزى فيه فحذف • والغرور الشيطان • وقيل الدنيا • وقيل تمنيكم فى المعصية المغفرة • وعن سعيد بن جبير رضى الله عنه الغرة بالله ان يتمادى الرجل فى المعصية ويتمنى على الله المغفرة • وقيل ذكرك لحسناتك ونسيانك لسيئاتك غرة **وقرئ** بضم الغين وهو مصدر غره غرورا وجعل الغرور غارا كما قيل جد جده • او اريد زينة الدنيا لانها غرور **فان قلت** قوله تعالى ولا مولود هو جاز عن والده شيئا وارد على طريق من التوكيد لم يرد عليه ما هو معطوف عليه **قلت** الامر كذلك لان الجملة الاسمية اكد من الفعلية وقد انضم الى ذلك قوله هو وقوله مولود والسبب فى مجيئه على هذا السنن ان الخطاب للمؤمنين وعليتهم قبض اباؤهم على الكفر وعلى الدين الجاهلى فاريد حسم اطماعهم واطماع الناس فيهم ان ينفعوا اباءهم فى الاخرة وان يشفعوا لهم وان يغنوا عنهم من الله شيئا فلذلك جئ به على الطريق الاكد ومعنى التوكيد فى لفظ المولود ان الواحد منهم لو شفع للاب الادنى الذى ولد منه لم تقبل شفاعته فضلا ان يشفع لمن فوقه من اجداده لان الولد يقع على الولد وولد الولد بخلاف المولود فانه لمن ولد منك **ان الله عنده علم الساعة وينزل الغيث ويعلم ما فى الارحام وما تدرى نفس ماذا تكسب غدا وما تدرى نفس باى ارض تموت ان الله عليم خبير** وروى ان رجلا من محارب وهو الحارث بن عمرو بن حارثة اتى رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال يا رسول الله اخبرنى عن الساعة متى قيامها وانى قد القيت حباتى فى الارض وقد ابطات عنا السماء فمتى تمطر واخبرنى عن امرأتى فقد اشتملت ما فى بطنها اذكر ام انثى وانى علمت ما عملت امس فما اعمل غدا وهذا مولدى قد عرفته فاين اموت فنزلت • وعن النبى عليه السلام مفاتح الغيب خمس وتلا هذه الاية وعن ابن عباس رضى الله عنهما من ادعى علم هذه الخمسة فقد كذب اياكم والكهانة فان الكهانة تدعو الى الشرك والشرك واهله فى النار • وعن المنصور انه اهمه معرفة مدة عمره فرأى فى منامه

كان

كان خيالا اخرج يده من البحر واشار اليه بالاصابع الخمس فاستفتى العلماء فى ذلك فتأولوها بخمس سنين وبخمسة اشهر وبغير ذلك حتى قال ابو حنيفة رحمة الله عليه تأويلها ان مفاتح الغيب خمس لا يعلمها الا الله وان ما طلبت معرفته لا سبيل لك اليه • عنده علم الساعة اى زمن ارساها وينزل الغيث فى ابانه من غير تقديم ولا تاخير وفى بلد لا يتجاوزه به • ويعلم ما فى الارحام اذكر ام انثى اتام ام ناقص وكذلك ما سوى ذلك من الاحوال • وما تدرى نفس برة او فاجرة ماذا تكسب غدا من خير او شر وربما كانت عازمة على خير فعملت شرا وعازمة على شر فعملت خيرا • وما تدرى نفس اين تموت وربما اقامت بارض وضربت اوتادها وقالت لا ابرحها واقبر فيها فترمى بها مرامى القدر حتى تموت فى مكان لم يخطر ببالها ولا حدثتها به ظنونها **وروى** ان ملك الموت مر على سليمان عليه السلام فجعل ينظر الى رجل من جلسائه يديم النظر اليه فقال الرجل من هذا فقال ملك الموت فقال كانه يريدنى وسأل سليمان عليه السلام ان يحمله على الريح ويلقيه ببلاد الهند ففعل ثم قال ملك الموت عليه السلام كان دوام نظرى اليه تعجبا منه لانى امرت ان اقبض روحه بالهند وهو عندك • وجعل العلم لله والدراية للعبد لما فى الدراية من معنى الختل والحيلة والمعنى انها لا تعرف وان اعملت حيلها ما يلحق بها ويختص ولا يتخطاها ولا شئ اخص بالانسان من كسبه وعاقبته فاذا لم يكن له طريق الى معرفتهما كان من معرفة ما عداهما ابعد **وقرئ** باية ارض وشبه سيبويه تانيث اى بتانيث كل فى قولهم كلتهن • قال رسول الله عليه السلام من قرأ سورة لقمان كان له لقمان رفيقا يوم القيامة واعطى من الحسنات عشرا عشرا بعدد كل من عمل بالمعروف ونهى عن المنكر

وقيل تسع وعشرون اية بسم الله الرحمن الرحيم **الم تنزيل الكتاب لا ريب فيه من رب العالمين ام يقولون افتريه بل هو الحق من ربك لتنذر قوما ما اتاهم من نذير من قبلك لعلهم يهتدون** الم على انها اسم السورة مبتدأ خبره تنزيل الكتاب وان جعلتها تعديدا للحروف ارتفع تنزيل الكتاب بانه خبر مبتدأ محذوف • او هو مبتدأ خبره لا ريب فيه والوجه ان يرتفع بالابتداء وخبره من رب العالمين ولا ريب فيه اعتراض لا محل له • والضمير فى فيه راجع الى مضمون الجملة كانه قيل لا ريب فى ذلك اى فى كونه منزلا من رب العالمين ويشهد لوجاهته قوله ام يقولون افتريه لان قولهم هذا مفترى انكار لان يكون من رب العالمين وكذلك قوله بل هو الحق من ربك وما فيه من تقرير انه من الله وهذا اسلوب صحيح محكم اثبت اولا ان تنزيله من رب العالمين وان ذلك ما لا ريب فيه ثم اضرب عن ذلك الى قوله ام يقولون افتراه لان ام هى المنقطعة الكائنة بمعنى بل والهمزة انكارا لقولهم وتعجيبا منه لظهور امره فى عجز بلغائهم عن مثل ثلاث ايات منه ثم اضرب عن الانكار الى اثبات انه الحق من ربك ونظيره ان يعلل العالم فى المسألة بعلة صحيحة جامعة قد احترز فيها انواع الاحتراز كقول المتكلمين النظر اول الافعال الواجبة على الاطلاق التى لا يعرى عن وجوبها مكلف ثم يعترض عليه فيها ببعض ما وقع احترازه منه فيرده بتلخيص انه احترز من ذلك ثم يعود الى تقرير كلامه وتمشيته **فان قلت** كيف نفى ان يرتاب فى انه من الله وقد اثبت ما هو اطم من الريب وهو قولهم افتراه **قلت** معنى لا ريب فيه انه لا مدخل للريب فى انه تنزيل الله لان نافى الريب ومميطه معه لا ينفك عنه وهو

كونه معجزا للبشر ومثله ابعد شىء من الريب واما قولهم افتراه فانما قول متعنت مع علمه انه من الله لظهور
الاعجاز له او جاهل يقوله قبل التامل والنظر لانه سمع الناس يقولونه ما اتاهم من نذير من قبلك كقوله
تعالى ما انذر اباؤهم وذلك ان قريشا لم يبعث الله اليهم رسولا قبل محمد عليه السلام فان
قلت فاذا لم يأتهم نذير لم تقم عليهم حجة اما قيام الحجة بالشرائع التى لا يدرك علمها
الا بالرسل فلا واما قيامها بمعرفة الله وتوحيده وحكمته فنعم لان ادلة العقل الموصلة الى
ذلك معهم فى كل زمان لعلهم يهتدون فيه وجهان ان يكون على الترجى من رسول الله كما كان
لعله يتذكر على الترجى من موسى وهرون عليهما السلام وان يستعار لفظ الترجى للارادة الله
الذى خلق السموات والارض وما بينهما فى ستة ايام ثم استوى على العرش ما لكم من
دونه من ولى ولا شفيع افلا تتذكرون فان قلت ما معنى قوله ما لكم من دونه من ولى ولا شفيع
قلت هو على معنيين احدهما انكم اذا جاوزتم رضاه لم تجدوا لانفسكم وليا اى ناصرا ينصركم ولا
شفيعا يشفع لكم والثانى ان الله تعالى وليكم الذى يتولى مصالحكم وشفيعكم اى ناصركم على سبيل
المجاز لان الشفيع ينصر المشفوع له فهو كقوله وما لكم من دون الله من ولى ولا نصير فاذا خذلكم
لم يبق لكم ولى ولا نصير يدبر الامر من السماء الى الارض ثم يعرج اليه فى يوم كان مقداره الف
سنة مما تعدون الامر المأمور به من الطاعات والاعمال الصالحات ينزله مدبرا من السماء الى الارض
ثم لا يعمل به ولا يصعد اليه ذلك المأمور به خالصا كما يريده ويرتضيه الا فى مدة متطاولة لقلة
عمال الله والخلص من عباده وقلة الاعمال الصاعدة لانه لا يوصف بالصعود الا الخالص ودل
عليه قوله على اثره قليلا ما تشكرون او يدبر امر الدنيا كلها من السماء الى الارض لكل يوم من
ايام الله وهو الف سنة كما قال تعالى وان يوما عند ربك كالف سنة مما تعدون ثم يعرج
اليه اى يصير اليه ويثبت عنده ويكتب فى صحف ملائكته كل وقت من اوقات هذه المدة ما
يرتفع من ذلك الامور ويدخل تحت الوجود الى ان تبلغ المدة آخرها ثم يدبر ايضا ليوم آخر وهلم
جرا الى ان تقوم الساعة وقيل ينزل الوحى مع جبريل عليه السلام من السماء الى الارض ثم يرجع اليه
ما كان من قبول الوحى او رده مع جبريل وذلك فى وقت هو فى الحقيقة الف سنة لان المسافة
مسيرة الف سنة فى الهبوط والصعود لان ما بين السماء والارض مسيرة خمسمائة سنة وهو يوم
من ايامكم لسرعة جبريل لانه يقطع مسيرة الف سنة فى يوم واحد وقيل يدبر امر الدنيا من
السماء الى الارض الى ان تقوم الساعة ثم يعرج اليه ذلك الامر كله اى يصير اليه ليحكم فيه فى يوم
كان مقداره الف سنة وهو يوم القيمة وقرأ ابن ابى عبلة يعرج على البناء للمفعول وقرئ
تعدون بالتاء والياء ذلك عالم الغيب والشهادة العزيز الرحيم الذى احسن كل شىء
خلقه وبدأ خلق الانسان من طين احسن كل شىء حسنه لانه ما من شىء خلقه الا وهو مرتب
على ما اقتضته الحكمة واوجبته المصلحة فجميع المخلوقات حسنة وان تفاوتت الى حسن واحسن
كما قال عز وعلا لقد خلقنا الانسان فى احسن تقويم وقيل علم كيف يخلقه من قوله قيمة المرء
ما يحسن وحقيقته يحسن معرفته اى يعرفه معرفة حسنة بتحقيق واتقان وقرئ خلقه على
البدل اى احسن خلق كل شىء وخلقه على الوصف اى كل شىء خلقه فقد احسنه ثم جعل نسله
من سلالة من ماء مهين ثم سواه ونفخ فيه من روحه وجعل لكم السمع والابصار

والافئدة

والافئدة قليلا ما تشكرون سميت الذرية نسلا لانها تنسل اى تنفصل منه وتخرج من صلبه ونحوه
قولهم للولد سليل ونجل وسواه قومه كقوله تعالى فى احسن تقويم ودل باضافة الروح الى ذاته على انه خلق
عجيب لا يعلم كنهه الا هو كقوله تعالى ويسألونك عن الروح الآية كانه قال ونفخ فيه من الشىء الذى اختص
هو به وبمعرفته وقالوا ءاذا ضللنا فى الارض ءانا لفى خلق جديد وقالوا قيل القائل ابى بن
خلف ولرضاهم بقوله اسند اليهم جميعا وقرئ ائنا وانا على الاستفهام وتركه وضللنا صرنا
ترابا وذهبنا مختلطين بتراب الارض لا نتميز منه كما يضل الماء فى اللبن او غبنا فى الارض بالدفن فيها
من قوله وآب مضلوه بعين جلية وقرأ على وابن عباس رضى الله عنهم ضللنا بكسر اللام يقال
ضل يضل وضل يضل وعن الحسن رحمة الله عليه صللنا من صل اللحم واصل اذا انتن وقيل
صرنا من جنس الصلة وهى الارض فان قلت بم انتصب الظرف فى ءاذا ضللنا بما
يدل عليه قوله تعالى انا لفى خلق جديد وهو نبعث او نجدد خلقنا بل هم بلقاء ربهم كافرون
لقاء ربهم هو الوصول الى العاقبة من تلقى ملك الموت وما وراءه فلما ذكر كفرهم بالانشاء اضرب
عنه الى ما هو ابلغ فى الكفر وهو انهم كافرون بجميع ما يكون فى العاقبة لا بالانشاء وحده الا ترى
كيف خوطبوا بتوفى ملك الموت وبالرجوع الى ربهم بعد ذلك مبعوثين للحساب والجزاء وهذا معنى
لقاء الله على ما ذكرنا قل يتوفاكم ملك الموت الذى وكل بكم ثم الى ربكم ترجعون والتوفى
استيفاء النفس وهى الروح قال الله تعالى يتوفى الانفس حين موتها وقال اخرجوا انفسكم
وهو ان تقبض كلها لا يترك منها شىء من قولك توفيت حقى من فلان واستوفيته اذا اخذته
وافيا كاملا من غير نقصان والتفعل والاستفعال يلتقيان فى مواضع منها تقصيته واستقصيته
وتعجلته واستعجلته وعن مجاهد حويت لملك الموت الارض وجعلت له مثل الطست يتناول منها
حيث يشاء وعن قتادة يتوفاهم ومعه اعوان من الملائكة وقيل ملك الموت يدعو الارواح
فتجيبه ثم يأمر اعوانه بقبضها ولو ترى اذ المجرمون ناكسوا رؤسهم عند ربهم ربنا ابصرنا
وسمعنا فارجعنا نعمل صالحا انا موقنون ولو ترى يجوز ان يكون خطابا لرسول الله صلى
الله عليه وسلم وفيه وجهان ان يراد به التمنى كانه قال وليتك ترى كقول النبى صلى الله عليه وسلم
للمغيرة لو نظرت اليها والتمنى لرسول الله صلى الله عليه وسلم كما كان الترجى له فى لعلهم يهتدون
لانه تجرع منهم الغصص ومن عداوتهم وضرارهم فجعل الله له تمنى ان يراهم على تلك الصفة الفظيعة
من الحياء والخزى والغم ليشمت بهم وان تكون لو الامتناعية وقد حذف جوابها وهو لرأيت
امرا فظيعا او لرأيت اسوأ حال ترى ويجوز ان يخاطب به كل احد كما تقول فلان لئيم ان اكرمته
اهانك وان احسنت اليه اساء اليك فلا تريد به مخاطبا بعينه فكأنك قلت ان اكرم وان احسن اليه
ولو واذ كلاهما للمضى وانما جاز ذلك لان المترقب من الله بمنزلة الموجود المقطوع به فى تحققه
ولا يقدر لترى ما يتناوله كانه قيل ولو تكون منك الرؤية واذ ظرف له يستغيثون بقولهم ربنا
ابصرنا وسمعنا فلا يغاثون يعنى ابصرنا صدق وعدك ووعيدك وسمعنا منك تصديق رسلك
او كنا عميا وصما فابصرنا وسمعنا فارجعنا هى الرجعة الى الدنيا ولو شئنا لآتينا كل نفس
هداها ولكن حق القول منى لاملأن جهنم من الجنة والناس اجمعين فذوقوا بما
نسيتم لقاء يومكم هذا انا نسيناكم وذوقوا عذاب الخلد بما كنتم تعملون لآتينا كل نفس

حملهم عليها على طريق الالجاء والقسر ولكنا بنينا الامر على الاختيار دون الاضطرار فاستحبوا العمى على الهدى فحقت كلمة العذاب على اهل العمى دون البصراء الا ترى الى ما عقبه به من قوله تعالى فذوقوا بما نسيتم فجعل ذوق العذاب نتيجة فعلهم من نسيان العاقبة وقلة الفكر فيها وترك الاستعداد لها والمراد بالنسيان خلاف التذكر يعني ان الانهماك في الشهوات اذهلكم والهاكم عن تذكر العاقبة وسلط عليكم نسيانها ثم قال انا نسيناكم على المقابلة اي جازيناكم جزاء نسيانكم وقيل هو بمعنى الترك اي تركتم الفكر في العاقبة فتركناكم من الرحمة وفي استيناف قوله تعالى انا نسيناكم وبناء الفعل على ان واسمها تشديد في الانتقام منهم والمعنى فذوقوا هذا اي ما انتم فيه من نكس الرؤس والخزي والغم بسبب نسيان اللقاء وذوقوا العذاب المخلد في جهنم بسبب ما عملتم من المعاصي والكبائر الموبقة انما يؤمن باياتنا الذين اذا ذكروا بها خروا سجدا وسبحوا بحمد ربهم وهم لا يستكبرون اذا ذكروا بها اي وعظوا سجدوا تواضعا لله وخشوعا وشكرا على ما رزقهم من الاسلام وسبحوا بحمد ربهم ونزهوا الله من نسبة القبايح اليه واثنوا عليه حامدين له وهم لا يستكبرون كما يفعل من يصر مستكبرا كان لم يسمعها ومثله قوله تعالى ان الذين اوتوا العلم من قبله اذا يتلى عليهم يخرون للاذقان سجدا ويقولون سبحان ربنا تتجافى جنوبهم عن المضاجع يدعون ربهم خوفا وطمعا ومما رزقناهم ينفقون تتجافى ترتفع وتتنحى عن المضاجع عن الفرش ومواضع النوم داعين ربهم عابدين له لاجل خوفهم من سخطه وطمعهم في رحمته وهم المتهجدون عن رسول الله صلى الله عليه وسلم في تفسيرها قيام العبد من الليل وعن الحسن رحمة الله عليه انه التهجد وعن رسول الله عليه السلام اذا جمع الله الاولين والاخرين يوم القيمة جاء مناد ينادي بصوت يسمع الخلايق كلهم سيعلم اهل الجمع اليوم من اولى بالكرم ثم يرجع فينادي ليقم الذين كانت تتجافى جنوبهم عن المضاجع فيقومون وهم قليل ثم يرجع فينادي ليقم الذين كانوا يحمدون الله في البأساء والضراء فيقومون وهم قليل فيسرحون جميعا الى الجنة ثم يحاسب ساير الناس وعن انس بن مالك رضي الله عنه كان اناس من اصحاب رسول الله عليه السلام يصلون من صلوة المغرب الى صلوة العشاء الاخرة فنزلت فيهم وقيل هم الذين يصلون صلوة العتمة لا ينامون عنها فلا تعلم نفس ما اخفي لهم من قرة اعين جزاء بما كانوا يعملون ما اخفي لهم على البناء للمفعول ما اخفى لهم على البناء للفاعل وهو الله سبحانه وتعالى وما اخفي لهم وما نخفي لهم وما اخفيت لهم الثلاثة للمتكلم وهو الله تعالى وما بمعنى الذي او بمعنى اي وقرئ من قرة اعين وقرات اعين والمعنى لا تعلم النفوس كلهن ولا نفس واحدة منهن لا ملك مقرب ولا نبي مرسل اي نوع عظيم من الثواب ادخر الله لاوليائه واخفاه من جميع خلائقه لا يعلمه الا هو مما تقر به عيونهم ولا مزيد على هذه العدة ولا مطمح وراءها ثم قال جزاء بما كانوا يعملون فحسم اطماع المتمنين وعن النبي صلى الله عليه وسلم يقول الله تعالى اعددت لعبادي الصالحين ما لا عين رأت ولا اذن سمعت ولا خطر على قلب بشر بله ما اطلعتهم عليه اقرؤا ان شئتم فلا تعلم نفس ما اخفي لهم من قرة اعين وعن الحسن رحمة الله عليه اخفى القوم اعمالا في الدنيا فاخفى الله لهم ما لا عين رأت ولا اذن سمعت افمن كان مؤمنا كمن كان فاسقا لا يستوون اما الذين امنوا وعملوا الصالحات فلهم جنات المأوى نزلا بما كانوا يعملون واما الذين فسقوا فمأويهم النار كلما ارادوا ان يخرجوا منها اعيدوا فيها وقيل لهم ذوقوا

عذاب النار الذي كنتم به تكذبون كان مؤمنا وكان فاسقا محمولان على لفظ من ولا يستوون محمول على المعنى بدليل قوله جل وعلا اما الذين واما الذين فسقوا ونحوه قوله عز وجل ومنهم من يستمع اليك حتى اذا خرجوا من عندك وجنات المأوى نوع من الجنان قال الله تعالى ولقد راه نزلة اخرى عند سدرة المنتهى عندها جنة المأوى سميت بذلك لما روي عن ابن عباس رضي الله عنهما قال تأوي اليها ارواح الشهداء وقيل هي عن يمين العرش وقرئ جنة المأوى على التوحيد نزلا عطاء باعمالهم والنزل عطاء النازل ثم صار عاما فمأويهم النار اي ملجأهم ومنزلهم ويجوز ان يراد فجنة مأويهم النار اي النار لهم مكان جنة المأوى للمؤمنين كقوله تعالى فبشرهم بعذاب اليم ولنذيقنهم من العذاب الادنى دون العذاب الاكبر لعلهم يرجعون العذاب الادنى عذاب الدنيا من القتل والاسر وما محنوا به من السنة سبع سنين وعن مجاهد عذاب القبر والعذاب الاكبر عذاب الاخرة اي نذيقهم عذاب الدنيا قبل ان يصلوا الى الاخرة لعلهم يرجعون اي يتوبون عن الكفر او لعلهم يريدون الرجوع ويطلبونه كقوله تعالى فارجعنا نعمل صالحا وسميت ارادة الرجوع رجوعا كما سميت ارادة القيام قياما في قوله تعالى اذا قمتم الى الصلوة ويدل عليه قراءة من قرأ يرجعون على البناء للمفعول فان قلت من اين صح تفسير الرجوع بالتوبة ولعل من الله ارادة واذا اراد الله شيئا كان ولم يمتنع وتوبتهم مما لا يكون الا ترى انها لو كانت مما يكون لم يكونوا ذايقين العذاب الاكبر ارادة الله تتعلق بافعاله وافعال عباده فاذا اراد شيئا من افعاله كان ولم يمتنع للاقتدار وخلوص الداعي واما افعال عباده فاما ان يريدها وهم مختارون لها او مضطرون اليها بقسره والجائه فان ارادها وقد قسرهم فحكمها حكم افعاله وان ارادها على ان يختاروها وهو عالم انهم لا يختارونها لم يقدح ذلك في اقتداره كما لا يقدح في اقتدارك ارادتك ان يختار عبدك طاعتك وهو لا يختارها لان اختياره لا يتعلق بقدرتك واذا لم يتعلق بقدرتك لم يكن فقده دالا على عجزك وروي في نزولها انه شجر بين علي بن ابي طالب رضي الله عنه والوليد بن عقبة بن ابي معيط يوم بدر كلام فقال له الوليد اسكت فانك صبي انا اشب منك شبابا واجلد منك جلدا واذرب منك لسانا واحد منك سنانا واشجع منك جنانا واملأ منك حشوا في الكتيبة فقال له علي رضي الله عنه اسكت فانك فاسق فنزلت عامة للمؤمنين والفاسقين فتناولتهما وكل من كان في مثل حالهما وعن الحسن بن علي رضي الله عنه انه قال للوليد كيف تشتم عليا وقد سماه الله مؤمنا في عشر ايات وسماك فاسقا ومن اظلم ممن ذكر بايات ربه ثم اعرض عنها انا من المجرمين منتقمون ثم في قوله ثم اعرض للاستبعاد والمعنى ان الاعراض عن مثل ايات الله في وضوحها وانارتها وارشادها الى سواء السبيل والفوز بالسعادة العظمى بعد التذكير بها مستبعد في العقل والعدل كما تقول لصاحبك وجدت مثل تلك الفرصة ثم لم تنتهزها استبعادا لتركه الانتهاز ومنه ثم في بيت الحماسة

لا يكشف الغماء الا ابن حرة ٭ يرى غمرات الموت ثم يزورها

استبعادا ان يزور غمرات الموت بعد ان رآها واستيقنها واطلع على شدتها فان قلت هلا قيل انا منه منتقمون قلت لما جعله اظلم كل ظالم ثم توعد المجرمين عامة بالانتقام منهم فقد دل على اصابة الاظلم النصيب الاوفر من الانتقام ولو قاله بالضمير لم يفد هذه الفائدة ولقد اتينا موسى الكتاب فلا تكن في مرية من لقائه وجعلناه هدى لبني اسرائيل الكتاب للجنس والضمير في لقائه له ومعنا

انا آتينا موسى مثل ما آتيناك من الكتاب ولقيناه مثل ما لقيناك من الوحي فلا تك في شك من انك لقيت مثله ولقيت نظيره كقوله تعالى فان كنت في شك مما انزلنا اليك فسئل الذين يقرؤن الكتاب من قبلك ونحو قوله تعالى من لقائه قوله وانك لتلقى القرآن من لدن حكيم عليم وقوله تعالى ونخرج له يوم القيمة كتابا يلقاه منشورا وجعلنا الكتاب المنزل على موسى هدى لقومه وجعلنا منهم ائمة يهدون بامرنا لما صبروا وكانوا باياتنا يوقنون ان ربك هو يفصل بينهم يوم القيمة فيما كانوا فيه يختلفون وجعلنا منهم ائمة يهدون الناس ويدعونهم الى ما في التورية من دين الله وشرائعه لصبرهم وايقانهم بالايات وكذلك لنجعلن الكتاب المنزل اليك هدى ونورا ولنجعلن من امتك ائمة يهدون مثل تلك الهداية لما صبروا عليه من نصرة الدين وثبتوا عليه من اليقين وقيل من لقائك موسى ليلة الاسراء او يوم القيمة وقيل من لقاء موسى الكتاب اي من تلقيه له بالرضا والقبول وقرئ لما صبروا ولما صبروا اي لصبرهم وعن الحسن رحمة الله عليه صبروا عن الدنيا وقيل انما جعل الله التورية هدى لبني اسرائيل خاصة ولم يتعبد بما فيها ولد اسمعيل عليه السلام يفصل بينهم يقضي فيميز المحق في دينه من المبطل اولم يهد لهم كم اهلكنا من قبلهم من القرون يمشون في مساكنهم ان في ذلك لايات افلا يسمعون الواو في اولم يهد للعطف على معطوف عليه منوي من جنس المعطوف والضمير في لهم لاهل مكة وقرئ بالنون والياء والفاعل ما دل عليه كم اهلكنا لان كم لا تقع فاعلة لا يقال جاءني كم رجل تقديره اولم يهد لهم كثرة اهلاكنا القرون او هذا الكلام كما هو بمضمونه ومعناه كقولك يعصم لا اله الا الله الدماء والاموال ويجوز ان يكون فيه ضمير الله بدلالة القراءة بالنون والقرون عاد وثمود وقوم لوط يمشون في مساكنهم يعني اهل مكة يمرون في متاجرهم على ديارهم وبلادهم وقرئ يمشون بالتشديد اولم يروا انا نسوق الماء الى الارض الجرز فنخرج به زرعا تاكل منه انعامهم وانفسهم افلا يبصرون الجرز الارض التي جرز نباتها اي قطع اما لعدم الماء واما لانه رعي وازيل ولا يقال للتي لا تنبت كالسباخ جرز ويدل عليه قوله تعالى فنخرج به زرعا وعن ابن عباس رضي الله عنهما انها ارض اليمن وعن مجاهد هي ابين به بالماء تاكل من الزرع انعامهم من عصفه وانفسهم من حبه ويقولون متى هذا الفتح ان كنتم صادقين الفتح النصر او الفصل بالحكومة من قوله عز وجل ربنا افتح بيننا وكان المسلمون يقولون ان الله سيفتح لنا على المشركين او يفتح بيننا وبينهم فاذا سمع المشركون قالوا متى هذا الفتح اي في اي وقت يكون ان كنتم صادقين في انه كائن ويوم الفتح يوم القيمة وهو يوم الفصل بين المؤمنين واعدائهم ويوم نصرهم عليهم وقيل هو يوم بدر وعن مجاهد والحسن يوم فتح مكة قل يوم الفتح لا ينفع الذين كفروا ايمانهم ولا هم ينظرون فان قلت قد سالوا عن وقت الفتح فكيف ينطبق هذا الكلام جوابا على سؤالهم كان غرضهم في السؤال عن وقت الفتح استعجالا منهم على وجه التكذيب والاستهزاء فاجيبوا على حسب ما عرف من غرضهم في سؤالهم فقيل لهم لا تستعجلوا به ولا تستهزؤا فكاني بكم وقد حصلتم في ذلك اليوم وآمنتم فلم ينفعكم الايمان واستنظرتم في ادراك العذاب فلم تنظروا فان قلت فمن فسره بيوم الفتح او بيوم بدر كيف يستقيم على تفسيره ان لا ينفعهم الايمان وقد نفع الطلقاء يوم فتح مكة وناسا يوم بدر قلت المراد ان المقتولين منهم لا ينفعهم ايمانهم في حال

القتل كما لا ينفع فرعون ايمانه عند ادراك الغرق فاعرض عنهم وانتظر انهم منتظرون وانتظر النصرة عليهم وهلاكهم انهم منتظرون الغلبة عليكم وهلاككم كقوله تعالى فتربصوا انا معكم متربصون وقرأ ابن السميفع منتظرون بفتح الظاء ومعناه وانتظر هلاكهم فانهم احقاء بان ينتظر هلاكهم يعني انهم هالكون لا محالة او وانتظر ذلك فان الملائكة في السماء ينتظرونه قال رسول الله صلى الله عليه وسلم من قرأ الم تنزيل وتبارك الذي بيده الملك اعطي من الاجر كانما احيى ليلة القدر وقال من قرأ الم تنزيل في بيته لم يدخل الشيطان بيته ثلاثة ايام

بسم الله الرحمن الرحيم يا ايها النبي اتق الله ولا تطع الكافرين والمنافقين ان الله كان عليما حكيما واتبع ما يوحى اليك من ربك ان الله كان بما تعملون خبيرا وتوكل على الله وكفى بالله وكيلا عن زر قال قال لي ابي بن كعب رضي الله عنه كم تعدون سورة الاحزاب قلت ثلاثا وسبعين اية قال فوالذي يحلف به ابي بن كعب ان كانت لتعدل سورة البقرة او اطول ولقد قرانا منها اية الرجم الشيخ والشيخة اذا زنيا فارجموهما البتة نكالا من الله والله عزيز حكيم اراد ابي رضي الله عنه ان ذلك من جملة ما نسخ من القرآن واما ما يحكى ان تلك الزيادة كانت في صحيفة في بيت عائشة رضي الله عنها فاكلتها الداجن فمن تاليفات الملاحدة والروافض جعل نداءه بالنبي والرسول في قوله تعالى يا ايها النبي اتق الله يا ايها النبي لم تحرم يا ايها الرسول بلغ ما انزل اليك وترك نداءه باسمه كما قال يا آدم يا موسى يا عيسى يا داود كرامة له وتشريفا وربا بمحله وتنويها بفضله فان قلت ان لم يوقع اسمه في النداء فقد اوقعه في الاخبار في قوله محمد رسول الله وما محمد الا رسول الله ذاك لتعليم الناس بانه رسول الله وتلقين لهم ان يسموه بذلك ويدعوه به فلا تفاوت بين النداء والاخبار الا ترى الى ما لم يقصد به التعليم والتلقين من الاخبار كيف ذكره بنحو ما ذكره في النداء لقد جاءكم رسول من انفسكم وقال الرسول يا رب لقد كان لكم في رسول الله اسوة حسنة والله ورسوله احق ان يرضوه النبي اولى بالمؤمنين من انفسهم ان الله وملائكته يصلون على النبي ولو كانوا يؤمنون بالله والنبي اتق الله واثبت على ما انت عليه من التقوى واثبت عليه وازدد منه وذلك لان التقوى باب لا يبلغ آخره ولا تطع الكافرين والمنافقين لا تساعدهم على شيء ولا تقبل لهم رأيا ولا مشورة وجانبهم واحترس منهم فانهم اعداء الله واعداء المؤمنين لا يريدون الا المضارة والمضادة وروي ان رسول الله صلى الله عليه وسلم لما هاجر الى المدينة وكان يحب اسلام اليهود قريظة والنضير وبني قينقاع وقد بايعه ناس منهم على النفاق فكان يلين لهم جانبه ويكرم صغيرهم وكبيرهم واذا اتى منهم قبيح تجاوز عنه وكان يسمع منهم فنزلت وروي ان ابا سفين بن حرب وعكرمة بن ابي جهل وابا الاعور السلمي قدموا عليه في الموادعة التي كانت بينه وبينهم وقام معهم عبد الله بن ابي ومعتب بن قشير والجد بن قيس فقالوا للرسول الله ارفض ذكر الهتنا وقل انها تشفع وتنفع وندعك وربك فشق ذلك على رسول الله وعلى المؤمنين وهموا بقتلهم فنزلت اي اتق الله في نقض العهد ونبذ الموادعة ولا تطع الكافرين من اهل مكة والمنافقين من اهل المدينة فيما

طلبوا اليك **وروى** ان اهل مكة دعوا رسول الله صلى الله عليه وسلم الى ان يرجع عن دينه ويعطوه
شطر اموالهم وان يزوجه شيبة بن ربيعة بنته وخوفه منافقوا المدينة انهم يقتلونه ان لم يرجع
فنزلت ان الله كان عليما بالصواب من الخطاء وبالمصلحة من المفسدة حكيما لا يفعل شيا ولا يامر به
الا بداعي الحكمة ۞ واتبع ما يوحى اليك في ترك طاعة الكافرين والمنافقين وغير ذلك ان الله الذى
يوحى اليك ۞ خبير بما تعملون فموح اليك ما يصلح بداعما لكم فلا حاجة بكم الى الاستماع من الكفرة
وقرئ يعملون بالياء اى بما يعمل المنافقون من كيدهم لكم ومكرهم بكم ۞ وتوكل على الله واسند
امرك اليه وكله الى تدبيره ۞ وكيلا حافظا موكولا اليه كل امر ما جعل الله لرجل من قلبين
في جوفه وما جعل ازواجكم اللائى تظاهرون منهن امهاتكم وما جعل ادعياءكم
ابناءكم ذلكم قولكم بافواهكم والله يقول الحق وهو يهدى السبيل ۞ ما جمع الله قلبين
في جوف ولا زوجية وامومة في امراة ولا بنوة ودعوة في رجل والمعنى ان الله سبحانه وتعالى كما لم
ير في حكمته ان يجعل للانسان قلبين لانه لا يخلو اما ان يفعل باحدهما مثل ما يفعل بالاخر من
افعال القلوب فاحدهما فضلة غير محتاج اليها واما ان يفعل بهذا غير ما يفعل بذاك فذلك
يؤدى الى اتصاف الجملة بكونه مريدا كارها عالما ظانا موقنا شاكا في حالة واحدة لم ير ايضا
ان تكون المراة الواحدة اما لرجل زوجا له لان الام مخدومة مخفوض لها جناح الذل ۞
والزوجة مستخدمة متصرف فيها بالاستفراش وغيره كالمملوكة وهما حالتان متنافيتان ۞
وان يكون الرجل الواحد دعيا لرجل وابنا له لان البنوة اصالة في النسب وعراقة فيه ۞
والدعوة الصاق عارض بالتسمية لا غير ولا يجتمع في الشئ الواحد ان يكون اصيلا غير اصيل وهذا
مثل ضربه الله في زيد بن حارثة وهو رجل من كلب سبى صغيرا وكانت العرب في جاهليتها يتغاورون
ويتسابون فاشتراه حكيم بن حزام لعمته خديجة رضى الله عنها فلما تزوجها النبى عليه السلام
وهبته له وطلبه ابوه وعمه فخير فاختار رسول الله صلى الله عليه وسلم فاعتقه وكانوا يقولون
زيد بن محمد فانزل الله عز وجل هذه الاية وقوله تعالى ما كان محمد ابا احد من رجالكم ولكن
رسول الله ۞ وقيل كان ابو معمر رجلا من احفظ العرب وارواهم فقيل له ذو القلبين ۞ وقيل
هو جميل بن اسد الفهرى وكان يقول ان لى قلبين افهم باحدهما اكثر مما يفهم محمد فروى انه انهزم
يوم بدر فمر بابى سفيان وهو معلق احدى نعليه بيده والاخرى في رجله فقال له ما فعل الناس
فقال هم ما بين مقتول وهارب فقال له ما بال احدى نعليك في رجلك والاخرى في يدك ۞
فقال ما ظننت الا انهما في رجلى فاكذب الله قوله وقولهم وضربه مثلا في الظهار والتبنى وعن
ابن عباس رضى الله عنهما كان المنافقون يقولون لمحمد قلبان فاكذبهم الله ۞ وقيل سها في صلوته
فقالت اليهود له قلبان قلب مع اصحابه وقلب معكم ۞ وعن الحسن رحمة الله عليه نزلت في ان
الواحد يقول نفس تامرنى ونفس تنهانى والتنكير في رجل وادخال من الاستغراقية على قلبين
تاكيدان لما قصد من المعنى كانه قال ما جعل الله لامة الرجال ولا لواحد منهم قلبين البتة في
جوفه **فان قلت** اى فائدة في ذكر الجوف **قلت** الفائدة فيه كالفائدة في قوله تعالى
القلوب التى في الصدور وذلك ما يحصل للسامع من زيادة التصور والتجلى للمدلول عليه لانه

اذا سمع به صور لنفسه جوفا يشتمل على قلبين فكان اسرع الى الانكار **وقرئ** اللائى بياء وهمزة مكسورتين
واللاى بياء ساكنة بعد الهمزة ۞ وتظاهرون من ظاهر ۞ وتظاهرون من اظاهر بمعنى تظاهر وتظهرون
من اظهر بمعنى تظهر ۞ وتظهرون من ظهر بمعنى ظاهر كعقد بمعنى عاقد ۞ وتظهرون من ظهر بلفظ
فعل من الظهور ومعنى ظاهر من امراته قال لها انت على كظهر امى ۞ ونحوه في العبارة عن اللفظ لبى
المحرم اذا قال لبيك واف الرجل اذا قال اف واخوات لهن **فان قلت** فما وجه تعديته
واخواته بمن كان الظهار طلاقا عند اهل الجاهلية فكانوا يتجنبون المراة المظاهر منها
كما يتجنبون المطلقة فكان قولهم تظاهر منها تباعد منها بجهة الظهار ۞ وتظهر منها تحرز
منها وظاهر منها حاذر منها ۞ وظهر منها وحش منها ۞ وظهر منها خلص منها ۞ ونظيره الى من
امراته لما ضمن معنى التباعد منها عدى بمن والا فآلى في اصله الذى هو بمعنى حلف واقسم ليس
هذا بحكمه **فان قلت** ما معنى قولهم انت على كظهر امى **قلت** ارادوا ان يقولوا انت على
حرام كبطن امى فكنوا عن البطن بالظهر لئلا يذكروا البطن الذى ذكره يقارب ذكر الفرج وانما
جعلوا الكناية عن البطن بالظهر لانه عمود البطن ۞ ومنه حديث عمر رضى الله عنه يجئ به احدهم
على عمود بطنه اراد على ظهره ۞ ووجه اخر وهو ان اتيان المراة وظهرها الى السماء كان محرما عندهم هم
محظورا وكان اهل المدينة يقولون اذا اتيت المراة ووجهها الى الارض جاء الولد احول فلقصد
المطلق منهم الى التغليظ في تحريم امراته عليه شبهها بالظهر ثم لم يقنع بذلك حتى جعله ظهر
امه فلم يترك ۞ فان قلت الدعى فعيل بمعنى مفعول وهو الذى يدعى ولدا فما له جمع على افعلاء
وبابه ما كان منه بمعنى فاعل كتقى واتقياء وشقى واشقياء ولا يكون ذلك في نحو رمى وسمى قلت
ان شذوذه عن القياس كشذوذ قتلاء واسراء والطريق في مثل ذلك التشبيه اللفظى ۞ ذلكم
النسب هو قولكم بافواهكم هذا ابنى لا غير من غير ان يواطئه اعتقاد لصحته وكونه حقا والله
عز وجل لا يقول الا ما هو حق ظاهره وباطنه ولا يهدى الا سبيل الحق ثم قال ما هو الحق وهدى
الى ما هو سبيل الحق وهو قوله تعالى ادعوهم لابائهم وبين ان دعاءهم لابائهم هو ادخل الامرين
في القسط والعدل وفي فصل هذه الجمل ووصلها من الحسن والفصاحة ما لا يغبى على عالم بطرق النظم
وقرا قتادة وهو الذى يهدى السبيل ادعوهم لابائهم هو اقسط عند الله فان لم تعلموا
اباءهم فاخوانكم في الدين ومواليكم وليس عليكم جناح فيما اخطاتم به ولكن ما
تعمدت قلوبكم وكان الله غفورا رحيما ۞ وقيل كان الرجل في الجاهلية اذا اعجبه جلد
الرجل وظرفه ضمه الى نفسه وجعل له مثل نصيب الذكر من اولاده من ميراثه وكان ينسب اليه
فيقال له فلان بن فلان فان لم تعلموا لهم اباء تنسبونهم اليهم فهم اخوانكم في الدين واولياؤكم
في الدين فقولوا هذا اخى وهذا مولاى ويا اخى ويا مولاى يريد الاخوة في الدين والولاية ۞ ما
تعمدت في محل الجر عطفا على ما اخطاتم ۞ ويجوز ان يكون مرتفعا على الابتداء والخبر محذوف تقديره بين
ولكن ما تعمدت قلوبكم فيه الجناح والمعنى لا اثم عليكم فيما فعلتموه من ذلك مخطئين جاهلين
قبل ورود النهى ولكن الاثم فيما تعمدتموه بعد النهى او لا اثم عليكم اذا قلتم لولد غيركم يا بنى على
سبيل الخطاء وسبق اللسان ولكن اذا قلتموه متعمدين ۞ ويجوز ان يراد العفو عن الخطاء دون العمد
على طريق العموم كقول النبى صلى الله عليه وسلم ما اخشى عليكم الخطاء ولكن اخشى عليكم العمد وقوله

صلى الله عليه وسلم وضع عن امتى الخطأ والنسيان وما اكرهوا عليه ثم تناول لعمومه خطأ التبنى وعمده
فان قلت فاذا وجد التبنى فما حكمه اذا كان المتبنى مجهول النسب واصغر سنا من
المتبنى ثبت نسبه منه وان كان عبدا له عتق مع ثبوت النسب وان كان لا يولد مثله لمثله لم يثبت
النسب ولكنه يعتق عند ابى حنيفة رحمة الله عليه وعند صاحبيه لا يعتق واما المعروف النسب
فلا يثبت نسبه بالتبنى وان كان عبدا عتق وكان الله غفورا رحيما لعفوه عن الخطاء وعن العمد اذا
تاب العامد النبى اولى بالمؤمنين من انفسهم وازواجه امهاتهم النبى اولى بالمؤمنين فى كل
شىء من امور الدين والدنيا من انفسهم ولهذا اطلق ولم يقيده فيجب عليهم ان يكون احب اليهم
من انفسهم وحكمه انفذ عليهم من حكمها وحقه اثر لديهم من حقوقها وشفقتهم عليه اقدم من شفقتهم
عليها وان يبذلوها دونه ويجعلوها فداءه اذا اعضل خطب ووقاءه اذا لقحت حرب وان لا يتبعوا
ما تدعوهم اليه نفوسهم ولا ما تصرفهم عنه ويتبعوا كل ما دعاهم اليه رسول الله وصرفهم عنه
لان كل ما دعا اليه فهو ارشاد لهم الى نيل النجاة والظفر بسعادة الدارين وما صرفهم عنه فاخذ
بحجزهم لئلا يتهافتوا فيما يرمى بهم الى الشقاوة وعذاب النار او هو اولى بهم على معنى انه ارأف بهم
واعطف عليهم وانفع لهم كقوله عز وجل بالمؤمنين رءوف رحيم وعن النبى صلى الله عليه وسلم ما من
مؤمن الا انا اولى به فى الدنيا والاخرة اقرؤا ان شئتم النبى اولى بالمؤمنين من انفسهم فايما مؤمن
هلك وترك مالا فليرثه عصبته من كانوا وان ترك دينا او ضياعا فالى وفى قراءة ابن مسعود رضى الله
عنه النبى اولى بالمؤمنين من انفسهم وهو اب لهم وقال مجاهد كل نبى فهو ابو امته ولذلك صار
المؤمنون اخوة لان النبى صلى الله عليه وسلم ابوهم فى الدين وازواجه امهاتهم تشبيه لهن بالامهات
فى بعض الاحكام وهو وجوب تعظيمهن واحترامهن وتحريم نكاحهن قال الله عز وجل ولا ان تنكحوا
ازواجه من بعده ابدا وهن فيما وراء ذلك بمنزلة الاجنبيات ولذلك قالت عائشة رضى الله
عنها لسنا امهات النساء تعنى انهن انما كن امهات الرجال لكونهن محرمات عليهم كتحريم امهاتهم
والدليل على ذلك ان هذا التحريم لم يتعد الى بناتهن وكذلك لم يثبت لهن سائر احكام الامهات
واولوا الارحام بعضهم اولى ببعض فى كتاب الله من المؤمنين والمهاجرين كان المسلمون فى
صدر الاسلام يتوارثون بالولاية فى الدين وبالهجرة لا بالقرابة كما كانت تتالف قلوب قوم باسهام
لهم فى الصدقات ثم نسخ ذلك لما دجا الاسلام وعز اهله وجعل التوارث بحق القرابة فى كتاب
الله فى اللوح او فيما اوحى الله الى نبيه وهو هذه الاية او فى اية المواريث او فيما فرض الله كقوله
تعالى كتاب الله عليكم من المؤمنين والمهاجرين يجوز ان يكون بيانا لاولى الارحام اى الاقرباء من هؤلاء
بعضهم اولى بان يرث بعضا من الاجانب ويجوز ان يكون لابتداء الغاية اى اولوا الارحام بحق القرابة
اولى بالميراث من المؤمنين بحق الولاية فى الدين ومن المهاجرين بحق الهجرة الا ان تفعلوا الى اوليائكم
معروفا كان ذلك فى الكتاب مسطورا فان قلت مم استثنى ان تفعلوا قلت
من اعم العام فى معنى النفع والاحسان كما تقول القريب اولى من الاجنبى الا فى الوصية تريد انه احق
منه فى كل نفع من ميراث وهدية وهبة وصدقة وغير ذلك الا فى الوصية والمراد بفعل المعروف
التوصية لانه لا وصية لوارث وعدى تفعلوا بالى لانه فى معنى تسدوا وتزلوا والمراد بالاولياء المؤمنون
والمهاجرون للولاية فى الدين ذلك اشارة الى ما ذكر فى الايتين جميعا وتفسير الكتاب ما مر انفا

والجملة

والجملة مستانفة كالخاتمة لما ذكر من الاحكام واذ اخذنا من النبيين ميثاقهم ومنك ومن نوح
وابراهيم وموسى وعيسى ابن مريم واخذنا منهم ميثاقا غليظا ليسأل الصادقين عن
صدقهم واعد للكافرين عذابا اليما واذكر حين اخذنا من النبيين جميعا ميثاقهم بتبليغ
الرسالة والدعاء الى الدين القيم ومنك خصوصا ومن نوح وابراهيم وموسى وعيسى وانما فعلنا ذلك
ليسأل الله يوم القيامة عند تواقف الاشهاد المؤمنين الذين صدقوا عهدهم ووفوا به من جملة من
اشهدهم على انفسهم الست بربكم قالوا بلى عن صدقهم عهدهم وشهادتهم فيشهد لهم الانبياء بانهم
صدقوا عهدهم وشهادتهم وكانوا مؤمنين او ليسأل المصدقين للانبياء عن تصديقهم لان من قال
للصادق صدقت كان صادقا فى قوله او ليسأل الانبياء ما الذى اجابتهم به اممهم وتاويل مسألة
الرسل تبكيت الكافرين بهم كقوله تعالى ءانت قلت للناس اتخذونى وامى الهين فان قلت لم
قدم رسول الله صلى الله عليه وسلم على نوح فمن بعده قلت هذا العطف لبيان فضيلة الانبياء
الذين هم مشاهيرهم وذراريهم فلما كان محمد عليه السلام افضل هؤلاء المفضلين قدم عليهم
لبيان انه افضلهم ولولا ذلك لقدم من قدمه زمانه فان قلت فقد قدم عليه نوح فى الاية
التى هى اخت هذه الاية وهى قوله شرع لكم من الدين ما وصى به نوحا والذى اوحينا اليك ثم قدم
على غيره قلت مورد هذه الاية على طريقة خلاف طريقة تلك وذلك ان الله عز وجل انما اوردها
لوصف دين الاسلام بالاصالة والاستقامة فكانه قال شرع لكم الدين الاصيل الذى بعث اليه
نوح فى العهد القديم وبعث عليه محمد خاتم النبيين صلى الله عليه وسلم فى العهد الحديث وبعث
عليه من توسط بينهما من الانبياء المشاهير فان قلت فماذا اراد بالميثاق الغليظ قلت
اراد به ذلك الميثاق بعينه معناه واخذنا منهم بذلك الميثاق ميثاقا غليظا والغلظ استعارة من
وصف الاجرام والمراد عظم الميثاق وجلالة شانه فى بابه وقيل الميثاق الغليظ اليمين بالله تعالى
على الوفاء بما حملوا فان قلت علام عطف قوله تعالى واعد للكافرين قلت على اخذنا من النبيين لان
المعنى ان الله اكد على الانبياء الدعوة الى دينه لاجل اثابة المؤمنين واعد للكافرين عذابا اليما او
على ما دل عليه ليسأل الصادقين كانه قال فاثاب المؤمنين واعد للكافرين يا ايها الذين امنوا
اذكروا نعمة الله عليكم اذ جاءتكم جنود فارسلنا عليهم ريحا وجنودا لم تروها وكان
الله بما تعملون بصيرا اذكروا ما انعم الله به عليكم يوم الاحزاب وهو يوم الخندق اذ جاءتكم
جنود وهم الاحزاب فارسل الله عليهم ريح الصبا قال رسول الله صلى الله عليه وسلم نصرت بالصبا
واهلكت عاد بالدبور وجنودا لم تروها وهم الملائكة وكانوا الفا بعث الله عليهم صبا باردة
فى ليلة شاتية فاخصرتهم وسفت التراب فى وجوههم وامر الملائكة فقلعت الاوتاد وقطعت
الاطناب واطفأت النيران واكفأت القدور وماجت الخيل بعضها فى بعض وقذف فى قلوبهم
الرعب وكبرت الملائكة فى جوانب عسكرهم فقال طليحة بن خويلد الاسدى اما محمد فقد بدأكم
بالسحر فالنجاء النجاء فانهزموا من غير قتال وحين سمع رسول الله عليه السلام باقبالهم ضرب الخندق
على المدينة اشار عليه بذلك سلمان الفارسى رضى الله عنه ثم خرج فى ثلاثة الاف من المسلمين فضرب
معسكره والخندق بينه وبين القوم وامر بالنساء والذرارى فرفعوا الى الاطام واشتد الخوف
وظن المؤمنون كل ظن ونجم النفاق من المنافقين حتى قال معتب بن قشير كان محمد يعدنا كنوز كسرى

وقيصر لا نقدر أن نذهب إلى الغائط وكانت قريش قد أقبلت في عشرة آلاف من الأحابيش وبني كنانة
وأهل تهامة وقائدهم أبو سفيان وخرج غطفان في ألف ومن تابعهم من أهل نجد وقائدهم
عيينة بن حصين وعامر بن الطفيل في هوازن وضامتهم اليهود من قريظة والنضير ومضى على
الفريقين قريب من شهر لا حرب بينهم إلا الترامي بالنبل والحجارة حتى أنزل الله النصر تعملون
قرئ بالتاء والياء إذ جاؤكم من فوقكم ومن أسفل منكم وإذ زاغت الأبصار وبلغت القلوب
الحناجر وتظنون بالله الظنونا هنالك ابتلي المؤمنون وزلزلوا زلزالا شديدا
من فوقكم من أعلى الوادي من قبل المشرق بنو غطفان ومن أسفل منكم من أسفل الوادي من قبل المغرب
قريش تحزبوا وقالوا سنكون جملة واحدة حتى نستأصل محمدا زاغت الأبصار مالت عن سننها
ومستوى نظرها حيرة وشخوصا وقيل عدلت عن كل شيء فلم تلتفت إلا إلى عدوها لشدة الروع
الحنجرة رأس الغلصمة وهي منتهى الحلقوم والحلقوم مدخل الطعام والشراب قالوا إذا انتفخت
الرئة من شدة الفزع أو الغضب أو الغم الشديد ربت وارتفع القلب بارتفاعها إلى رأس
الحنجرة ومن ثم قيل للجبان انتفخ سحره ويجوز أن يكون ذلك مثلا في اضطراب القلوب ووجيبها
وإن لم تبلغ الحناجر حقيقة وتظنون بالله الظنونا خطاب للذين آمنوا ومنهم الثبت القلوب
والأقدام والضعاف القلوب الذين هم على حرف والمنافقون الذين لم يوجد منهم الإيمان إلا
بألسنتهم فظن الأولون بالله أنه يبتليهم ويفتنهم فخافوا الزلل وضعف الاحتمال وأما الآخرون
فظنوا بالله ما حكي عنهم وعن الحسن رحمة الله عليه ظنوا ظنونا مختلفة ظن المنافقون أن
المسلمين يستأصلون وظن المؤمنون أنهم يبتلون وقرئ الظنون بغير ألف في الوصل
والوقف وهو القياس وبزيادة ألف في الوقف زادوها في الفاصلة كما زادوها في القافية
من قال أقلي اللوم عاذل والعتابا وكذلك الرسولا والسبيلا وقرئ بزيادتها في الوصل
أيضا إجراء له مجرى الوقف قال أبو عبيد وهن كلهن في الإمام بألف وعن أبي عمرو إشمام زاي
زلزلوا وقرئ زلزالا بالفتح والمعنى أن الخوف أزعجهم أشد الإزعاج وإذ يقول المنافقون
والذين في قلوبهم مرض ما وعدنا الله ورسوله إلا غرورا الأغرورا قيل قائله معتب
حين رأى الأحزاب قال يعدنا محمد فتح فارس والروم وأحدنا لا يقدر أن يتبرز فرقا ما هذا
إلا وعد غرور وإذ قالت طائفة منهم يا أهل يثرب لا مقام لكم فارجعوا ويستأذن
فريق منهم النبي يقولون إن بيوتنا عورة وما هي بعورة إن يريدون إلا فرارا
طائفة منهم هم أوس بن قيظي ومن وافقه على رأيه وعن السدي عبد الله بن أبي وأصحابه ويثرب
اسم المدينة وقيل أرض وقعت المدينة في ناحية منها لا مقام لكم قرئ بضم الميم وفتحها
أي لا قرار لكم ههنا ولا مكان تقيمون فيه أو تقومون فارجعوا إلى المدينة أمروهم بالهرب
من عسكر رسول الله عليه السلام وقيل قالوا لهم ارجعوا كفارا وأسلموا محمدا وإلا فليست يثرب
لكم بمكان قرئ عورة بسكون الواو وكسرها فالعورة الخلل والعورة ذات العورة
يقال عور المكان عورا إذا بدا فيه خلل يخاف منه العدو والسارق ويجوز أن يكون عورة
تخفيف عورة اعتذروا أن بيوتهم معرضة للعدو ممكنة للسراق لأنها غير محرزة ولا
محصنة فاستأذنوه ليحصنوها ثم يرجعوا إليه فأكذبهم الله بأنهم لا يخافون ذلك وإنما يريدون

الفرار ولو دخلت عليهم من أقطارها ثم سئلوا الفتنة لآتوها وما تلبثوا بها إلا
يسيرا ولو دخلت عليهم المدينة وقيل المدينة بيوتهم من قولك دخلت على فلان داره من أقطارها
من جوانبها يريد ولو دخلت هذه العساكر المتحزبة التي يفرون خوفا منها مدينتهم وبيوتهم من
نواحيها كلها وانثالت على أهاليهم وأولادهم ناهبين سابين ثم سئلوا عند ذلك الفزع
وتلك الرجفة الفتنة أي الردة والرجعة إلى الكفر ومقاتلة المسلمين لأتوها لجاؤوها
وفعلوها وقرئ لآتوها أي لأعطوها وما تلبثوا بها وما لبثوا بإعطائها إلا يسيرا
ريثما يكون السؤال والجواب من غير توقف أو وما لبثوا بالمدينة بعد ارتدادهم إلا يسيرا
فإن الله يهلكهم والمعنى أنهم يتعللون بإعوار بيوتهم ويتمحلون ليفروا عن نصرة رسول الله
عليه السلام والمؤمنين وعن مصافة الأحزاب الذين ملأوهم هولا ورعبا وهؤلاء الأحزاب
كما هم لو كبسوا عليهم أرضهم وديارهم وعرض عليهم الكفر وقيل لهم كونوا على المسلمين لسارعوا
إليه وما تعللوا بشيء وما ذاك إلا لمقتهم الإسلام وشدة بغضهم لأهله وحبهم الكفر وتهالكهم
على حزبه ولقد كانوا عاهدوا الله من قبل لا يولون الأدبار وكان عهد الله مسؤلا عن ابن عباس
رضي الله عنهما عاهدوا رسول الله عليه السلام ليلة العقبة أن يمنعوه مما يمنعون منه أنفسهم
وقيل هم قوم غابوا عن بدر فقالوا لئن أشهدنا الله قتالا لنقاتلن وعن محمد بن إسحق عاهدوا
يوم أحد أن لا يفروا بعد ما نزل فيهم ما نزل مسؤلا مطلوبا مقتضى حتى يوفى به قل لن ينفعكم
الفرار إن فررتم من الموت أو القتل وإذا لا تمتعون إلا قليلا لن ينفعكم الفرار مما لا بد
لكم من نزوله بكم من حتف أنف أو قتل وإن نفعكم الفرار مثلا فمتعتم بالتأخير لم يكن ذلك
التمتيع إلا زمانا قليلا وعن بعض المروانية أنه مر بحائط مائل فأسرع فتليت له هذه الآية فقال
ذلك القليل نطلب قل من ذا الذي يعصمكم من الله إن أراد بكم سوءا أو أراد بكم رحمة
ولا يجدون لهم ولا نصيرا فإن قلت كيف جعلت الرحمة قرينة السوء في العصمة ولا عصمة
إلا من السوء معناه أو يصيبكم بسوء إن أراد بكم رحمة فاختصر الكلام وأجري مجرى قوله
متقلدا سيفا ورمحا أو حمل الثاني على الأول لما في العصمة من معنى المنع قد يعلم الله المعوقين
منكم والقائلين لإخوانهم هلم إلينا ولا يأتون البأس إلا قليلا المعوقين المثبطين عن
رسول الله وهم المنافقون كانوا يقولون لإخوانهم من ساكني المدينة من أنصار رسول الله عليه السلام
ما محمد وأصحابه إلا أكلة رأس ولو كانوا لحما لالتهمهم أبو سفيان وأصحابه فخلوهم وهلموا إلينا
أي قربوا أنفسكم إلينا وهي لغة أهل الحجاز يسوون فيه بين الواحد والجماعة وأما تميم فيقولون
هلم يا رجل وهلموا يا رجال وهو صوت سمي به فعل متعد مثل احضر وقرب قل هلم شهداءكم
إلا قليلا إلا إتيانا قليلا يخرجون مع المؤمنين أنهم معهم ولا تراهم يبارزون ويقاتلون إلا
شيئا قليلا إذا اضطروا إليه كقوله تعالى ما قاتلوا إلا قليلا أشحة عليكم فإذا جاء الخوف
رأيتهم ينظرون إليك تدور أعينهم كالذي يغشى عليه من الموت فإذا ذهب الخوف
سلقوكم بألسنة حداد أشحة على الخير أولئك لم يؤمنوا فأحبط الله أعمالهم وكان ذلك
على الله يسيرا أشحة عليكم في وقت الحرب أضناء بكم يترفرفون عليكم كما يفعل الرجل بالذاب عنه
المناضل دونه عند الخوف ينظرون إليك في تلك الحالة كما ينظر المغشي عليه من معالجة سكرات

الموت حذرا وخوفا ولو اذا ذلك فاذا ذهب الخوف وحيزت الغنايم ووقعت القسمة نقلوا ذلك الشح وتلك الصفة والرفرفة عليكم الى الخير وهو المال والغنيمة ونسوا تلك الحالة الاولى واجترؤا عليكم وضربوكم بالسنتهم وقالوا وفروا قسمتنا فانا قد شاهدناكم وقاتلنا معكم وبمكاننا غلبتم عدوكم وبنا نصرتم عليه ونصب اشحة على الحال او على الذم وقرئ اشحة بالرفع وصلقوكم بالصاد **فان قلت** هل يثبت للمنافق عمل حتى يرد عليه الاحباط **قلت** لا ولكنه تعليم لمن عسى يظن ان الايمان باللسان ايمان وان لم يواطئه القلب وان ما يعمل المنافق من الاعمال يجدي عليه فبين ان ايمانه ليس بايمان وان كل عمل يوجد منه باطل وفيه بعث على اتقان المكلف اساس امره وهو الايمان الصحيح وتنبيه على ان الاعمال الكثيرة من غير تصحيح المعرفة كالبنا على غير اساس وانها مما يذهب عند الله هباء منثورا **فان قلت** ما معنى قوله تعالى وكان ذلك على الله يسيرا وكل شيء عليه يسير معناه ان اعمالهم حقيقة بالاحباط تدعو اليه الدواعي ولا يصرف عنه صارف يحسبون الاحزاب لم يذهبوا وان يات الاحزاب يودوا لو انهم بادون في الاعراب يسئلون عن انبائكم ولو كانوا فيكم ما قاتلوا الا قليلا يحسبون ان الاحزاب لم ينهزموا وقد انهزموا فانصرفوا عن الخندق الى المدينة راجعين لما نزل بهم من الخوف الشديد ودخلهم من الجبن المفرط وان يات الاحزاب كرة ثانية تمنوا لخوفهم مما منوا به هذه الكرة انهم خارجون الى البدو وحاصلون بين الاعراب يسئلون كل قادم منهم من جانب المدينة عن اخباركم وعما جرى عليكم ولو كانوا فيكم ولم يرجعوا الى المدينة وكان قتال لم يقاتلوا الا قليلة رياء وسمعة وقرئ بدى على فعل جمع باد كغاز وغزى في رواية صاحب الاقليد بدّيا بوزن عدى ويتساءلون اي يتساءلون ومعناه يقول بعضهم لبعض ماذا سمعت ماذا بلغك او يتساءلون الاعراب كما تقول رايت الهلال وتراءيناه كان عليكم ان تواسوا رسول الله بانفسكم فتوازروه وتثبتوا معه كما اساكم بنفسه في الصبر على الجهاد والثبات في مرحى الحرب حتى كسرت رباعيته يوم احد وشج وجهه لقد كان لكم في رسول الله اسوة حسنة لمن كان يرجو الله واليوم الاخر وذكر الله كثيرا **فان قلت** فما حقيقة قوله تعالى لقد كان لكم في رسول الله اسوة حسنة وقرئ اسوة بالضم **قلت** فيه وجهان احدهما انه في نفسه اسوة حسنة اي قدوة وهو المؤتسى به اي المقتدى به كما تقول في البيضة عشرون منا حديدا اي هي في نفسها هذا المبلغ من الحديد والثاني ان فيه خصلة من حقها ان يؤتسى بها وتتبع وهي المواساة بنفسه لمن كان يرجو الله بدل من لكم كقوله تعالى للذين استضعفوا لمن امن منهم يرجو الله واليوم الاخر من قولك رجوت زيدا وفضله اي فضل زيد او يرجو ايام الله واليوم الاخر خصوصا والرجاء بمعنى الامل والخوف وذكر الله كثيرا وقرن الرجاء بالطاعات الكثيرة والتوفر على الاعمال الصالحة والمؤتسي برسول الله من كان كذلك ولما راى المؤمنون الاحزاب قالوا هذا ما وعدنا الله ورسوله وصدق الله ورسوله وما زادهم الا ايمانا وتسليما وعدهم الله ان يزلزلوا حتى يستغيثوه ويستنصروه في قوله تعالى ام حسبتم ان تدخلوا الجنة ولما ياتكم مثل الذين خلوا من قبلكم فلما جاء الاحزاب وشخص بهم واضطربوا ورعبوا الرعب الشديد قالوا هذا ما وعدنا الله ورسوله وايقنوا بالجنة والنصر وعن ابن عباس رضي الله عنهما قال النبي صلى الله عليه وسلم لاصحابه ان الاحزاب سايرون اليكم

نسعا

تسعا او عشرا اي في اخر تسع ليال او عشر فلما راوهم قد اقبلوا للميعاد قالوا ذلك وهذا اشارة الى الخطب او البلاء ايمانا بالله وبمواعيده وتسليما لقضاياه واقداره رجال صدقوا ما عاهدوا الله عليه فمنهم من قضى نحبه ومنهم من ينتظر وما بدلوا تبديلا ليجزي الله الصادقين بصدقهم ويعذب المنافقين ان شاء او يتوب عليهم ان الله كان غفورا رحيما نذر رجال من الصحابة [من المؤمنين] انهم اذا لقوا حربا مع رسول الله ثبتوا وقاتلوا حتى يستشهدوا وهم عثمان بن عفان وطلحة بن عبيد الله وسعيد بن زيد بن عمرو بن نفيل وحمزة ومصعب بن عمير رضوان الله عليهم اجمعين وغيرهم فمنهم من قضى نحبه يعني حمزة ومصعبا ومنهم من ينتظر يعني عثمان وطلحة رضي الله عنهما وفي الحديث من احب ان ينظر الى شهيد يمشي على وجه الارض فلينظر الى طلحة **فان قلت** ما قضاء النحب **قلت** وقع عبارة عن الموت لان كل حي لا بد له من ان يموت فكانه نذر لازم في رقبته فاذا مات فقد قضى نحبه اي نذره وقوله تعالى فمنهم من قضى نحبه يحتمل موته شهيدا ويحتمل وفاءه بنذره من الثبات مع رسول الله **فان قلت** فما حقيقة قوله تعالى صدقوا ما عاهدوا الله عليه **قلت** يقال صدقني اخوك وكذبني اذا قال لك الصدق والكذب واما المثل صدقني سن بكره فمعناه صدقني في سن بكره بطرح الجار وايصال الفعل فلا يخلو ما عاهدوا الله عليه اما ان يكون بمنزلة السن في طرح الجار واما ان يجعل المعاهد عليه مصدوقا على المجاز كانهم قالوا للمعاهد عليه سنفي بك وهم وافون به فقد صدقوه ولو كانوا ناكثين لكذبوه ولكان مكذوبا وما بدلوا العهد ولا غيروه لا المستشهد ولا من ينتظر الشهادة ولقد ثبت طلحة مع رسول الله عليه السلام يوم احد حتى اصيبت يده فقال صلى الله عليه وسلم اوجب طلحة وفيه تعريض بمن بدلوا من اهل النفاق ومرض القلوب جعل المنافقون كانهم قصدوا عاقبة السوء وارادوها بتبديلهم كما قصد الصادقون عاقبة الصدق بوفائهم لان كلا الفريقين مسوق الى عاقبته من الثواب والعقاب فكانهما استويا في طلبها والسعي لتحصيلها ويعذبهم ان شاء اذا لم يتوبوا او يتوب عليهم اذا تابوا ورد الله الذين كفروا بغيظهم لم ينالوا خيرا وكفى الله المؤمنين القتال وكان الله قويا عزيزا ورد الله الذين كفروا الاحزاب بغيظهم مغيظين كقوله تعالى تنبت بالدهن لم ينالوا خيرا غير ظافرين وهما حالان بتداخل وتعاقب ويجوز ان تكون الثانية بيانا للاولى او استئنافا وكفى الله المؤمنين القتال بالريح والملائكة وانزل الذين ظاهروهم من اهل الكتاب من صياصيهم وقذف في قلوبهم الرعب فريقا تقتلون وتاسرون فريقا واورثكم ارضهم وديارهم واموالهم وارضا لم تطؤها وكان الله على كل شيء قديرا وانزل الذين ظاهروا الاحزاب من اهل الكتاب من صياصيهم من حصونهم والصيصة ما تحصن به يقال لقرن الثور والظبي صيصة ولشوكة الديك وهي مخلبه التي في ساقه لانه يتحصن بها وروي ان جبريل عليه السلام [الى رسول الله صلى الله عليه وسلم] صبيحة الليلة التي انهزم فيها الاحزاب ورجع المسلمون الى المدينة ووضعوا سلاحهم على فرسه الحيزوم والغبار على وجه الفرس وعلى السرج فقال ما هذا يا جبريل قال من متابعة قريش فجعل رسول الله عليه السلام يمسح الغبار عن وجه الفرس وعن سرجه فقال يا رسول الله ان الملائكة لم تضع السلاح ان الله يامرك بالسير الى بني قريظة وانا عامد اليهم فان الله تعالى داقهم دق البيض على

الصفا وانتم لكم طعمة فاذن في الناس ان من كان سامعا مطيعا فلا يصلي العصر الا في بني قريظة فما صلى كثير من الناس العصر الا بعد العشاء الاخرة لقول رسول الله عليه السلام فحاصرهم خمسا وعشرين ليلة حتى جهدهم الحصار فقال لهم رسول الله عليه السلام تنزلون على حكمي فابوا فقال على حكم سعد بن معاذ فرضوا به فقال سعد حكمت فيهم ان تقتل مقاتلتهم وتسبى ذراريهم ونساؤهم فكبر النبي صلى الله عليه وسلم وقال لقد حكمت بحكم الله من فوق سبعة ارقعة ثم استنزلهم وخندق في سوق المدينة خندقا وقدمهم فضرب اعناقهم وهم من ثمانماية الى تسعماية وقيل كانوا ستماية مقاتل وسبعماية اسير ° **وقرئ** الرعب بسكون العين وضمها ° وتاسرون بضم السين ° وروي ان رسول الله عليه السلام جعل عقارهم للمهاجرين دون الانصار فقالت الانصار في ذلك فقال انكم في منازلكم وقال عمر اما تخمس كما خمست يوم بدر فقال لا انما جعلت هذه لي طعمة دون الناس قال رضينا بما صنع الله ورسوله ° وارضا لم تطؤها عن الحسن رحمة الله عليه فارس والروم ° وعن قتادة كنا نحدث انها مكة ° وعن مقاتل هي خيبر ° وعن عكرمة كل ارض تفتح الى يوم القيمة ° ومن بدع التفاسير انه اراد نساءهم يا ايها النبي قل لازواجك ان كنتن تردن الحيوة الدنيا وزينتها فتعالين امتعكن واسرحكن سراحا جميلا ° وان كنتن تردن الله ورسوله والدار الاخرة فان الله اعد للمحسنات منكن اجرا عظيما ° اردن شيئا من الدنيا من ثياب وزيادة نفقة وتغايرن فغم ذلك رسول الله عليه السلام فبدا بعايشة رضي الله عنها وكانت احبهن اليه فخيرها وقراء عليها القران فاختارت الله ورسوله والدار الاخرة فرئي الفرح في وجه رسول الله صلى الله عليه وسلم ثم اختارت جميعهن اختيارها فشكر الله ذلك فانزل لا يحل لك النساء من بعد ولا ان تبدل بهن من ازواج ° **وروي** انه قال لعايشة رضي الله عنها اني ذاكر لك امرا ولا عليك ان لا تعجلي فيه حتى تستامري ابويك ثم قراء عليها القران فقالت افي هذا استامر ابوي فاني اريد الله ورسوله والدار الاخرة ° وروي انها قالت لا تخبر ازواجك اني اخترتك فقال عليه السلام انما بعثني الله مبلغا ولم يبعثني متعنتا **فان قلت** ما حكم التخيير في الطلاق اذا قال لها اختاري فقالت اخترت نفسي او قال اختاري نفسك فقالت اخترت لا بد من ذكر النفس في قول المخير والمخيرة وقعت طلقة باينة عند ابي حنيفة رحمة الله عليه واصحابه واعتبروا ان يكون ذلك في المجلس قبل القيام او الاشتغال بما يدل على الاعراض واعتبر الشافعي رضي الله عنه اختيارها على الفور وهي عنده طلقة رجعية وهو مذهب عمر وابن مسعود رضي الله عنهما ° وعن الحسن رحمة الله وقتادة والزهري امرها بيدها في ذلك المجلس وفي غيره ° واذا اختارت زوجها لم يقع شيء باجماع فقهاء الامصار ° وعن ام المؤمنين عايشة رضي الله عنها خيرنا رسول الله صلى الله عليه وسلم فاخترناه ولم يعده طلاقا وروي افكان طلاقا ° وعن علي رضي الله عنه اذا اختارت زوجها فواحدة رجعية وان اختارت نفسها فواحدة باينة ° وروي عنه ايضا انها ان اختارت زوجها فليس بشيء ° اصل تعال ان يقوله من في المكان المرتفع لمن في المكان المستوطي ثم كثر حتى استوت في استعماله الامكنة ° ومعنى تعالين اقبلن بارادتكن واختياركن لاحد امرين ولم يرد نهوضهن بانفسهن كما تقول اقبل يخاصمني وذهب يكلمني وقام يهددني ° امتعكن اعطكن متعة الطلاق **فان قلت** المتعة في الطلاق واجبة ام لا المطلقة التي لم يدخل بها ولم يفرض لها في العقد

متعتها واجبة عند ابي حنيفة واصحابه رحمة الله عليهم ° واما ساير المطلقات فمتعتهن مستحبة ° وعن الزهري متعتان احديهما يقضي بها السلطان من طلق قبل ان يفرض ويدخل بها ° والثانية حق على المتقين من طلق بعد ما يفرض ويدخل ° وخاصمت امراة الى شريح في المتعة فقال متعها ان كنت من المتقين ولم يجبره ° وعن سعيد بن جبير رضي الله عنه المتعة حق مفروض ° وعن الحسن رحمه الله لكل مطلقة متعة الا المختلعة والملاعنة ° والمتعة درع وخمار وملحفة على حسب السعة والاقتار الا ان يكون نصف مهرها اقل من ذلك فيجب لها الاقل منهما ولا تنقص من خمسة دراهم لان اقل المهر عشرة دراهم فلا ينقص من نصفها **فان قلت** ما وجه قراءة من قراء امتعكن واسرحكن بالرفع **قلت** وجهه الاستيناف ° سراحا جميلا من غير ضرار طلاقا بالسنة يا نساء النبي من يات منكن بفاحشة مبينة يضاعف لها العذاب ضعفين وكان ذلك على الله يسيرا ° منكن للبيان لا للتبعيض ° الفاحشة السيئة البليغة في القبح وهي الكبيرة والمبينة الظاهر فحشها والمراد كل ما اقترفن من الكباير ° وقيل هي عصيانهن رسول الله عليه السلام ونشوزهن وطلبهن منه ما يشق عليه او ما يضيق به ذرعه ويغتم لاجله ° وقيل الزنا والله عاصم رسوله من ذلك كما مر في حديث الافك وانما ضوعف عذابهن لان ما قبح من ساير النساء كان اقبح منهن واقبح لان زيادة قبح المعصية تتبع زيادة الفضل والمرتبة وزيادة النعمة على العاصي من المعصي وليس لاحد من النساء مثل فضل نساء النبي ولا على احد منهن مثل ما لله عليهن من النعمة والجزاء يتبع الفعل وكون الجزاء عقابا يتبع كون الفعل قبيحا فمتى ازداد قبحا ازداد عقابه شدة ولذلك كان ذم العقلاء للعاصي العالم اشد منه للعاصي الجاهل لان المعصية من العالم اقبح ولذلك فضل حد الاحرار على حد العبيد حتى ان ابا حنيفة رحمه الله واصحابه لا يرون الرجم على الكافر وكان ذلك على الله يسيرا ايذان بان كونهن نساء النبي ليس بمغن عنهن شيا وكيف يغني عنهن وهو سبب مضاعفة العذاب فكان داعيا الى تشديد الامر عليهن غير صارف عنه **وقرئ** يات بالياء والتاء مبينة بفتح الياء وكسرها من بين بمعنى تبين يضاعف ويضعف على البناء للمفعول ° ونضاعف ونضعف بالياء والنون ومن يقنت منكن لله ورسوله وتعمل صالحا نؤتها اجرها مرتين واعتدنا لها رزقا كريما **وقرئ** تقنت وتعمل بالتاء والياء ° ويؤتها بالياء والنون والقنوت الطاعة وانما ضوعف اجرهن لطلبهن رضاء رسول الله عليه السلام بحسن الخلق وطيب المعاشرة والقناعة وتوفرهن على عبادة الله تعالى والتقوى يا نساء النبي لستن كاحد من النساء ان اتقيتن فلا تخضعن بالقول فيطمع الذي في قلبه مرض وقلن قولا معروفا ° احد في الاصل بمعنى وحد وهو الواحد ثم وضع في النفي العام مستويا فيه المذكر والمؤنث والواحد وما وراءه ومعنى قوله تعالى لستن كاحد من النساء لستن كجماعة واحدة من جماعات النساء اذا تقصيت امة النساء جماعة جماعة لم توجد منهن جماعة واحدة تساويكن في الفضل والسابقة ومثله قوله سبحانه وتعالى والذين امنوا بالله ورسله ولم يفرقوا بين احد منهم يريد بين جماعة واحد منهم تسوية بين جميعهم في انهم على الحق المبين ان اتقيتن ان اردتن التقوى وان كنتن متقيات فلا تخضعن بالقول فلا تجبن بقولكن خاضعا اي لينا خنثا مثل كلام المريبات والمومسات فيطمع الذي في قلبه مرض اي ريبة وفجور ° وقرئ بالجزم عطفا على محل فعل النهي على انه نهين عن الخضوع بالقول

ريبة المريض القلب عن الطمع كانه قيل لا تخضعن فلا يطمع • وعن ابن محيصن انه قرأ بكسر الميم وسبيله
ضم الياء مع كسرها واسناد الفعل الى ضمير القول اى فيطمع القول المريب • قولا معروفا بعيدا من
طمع المريب بجد وخشونة من غير تخنيث او قولا حسنا مع كونه خشنا • وقرن فى بيوتكن ولا تبرجن
تبرج الجاهلية الاولى واقمن الصلوة واتين الزكوة واطعن الله ورسوله انما يريد الله ليذهب
عنكم الرجس اهل البيت ويطهركم تطهيرا • وقرن بكسر القاف من وقر يقر وقارا او من قر يقر
حذفت الاولى من راءى اقررن ونقلت كسرتها الى القاف كما تقول ظلن • وقرن بفتحها واصله
اقررن فحذفت الراء والقيت فتحتها على ما قبلها كقولك ظلن وذكر ابو الفتح الهمدانى فى كتاب التبيان
وجها اخر قال قار يقار اذا اجتمع ومنه القارة لاجتماعها الا ترى الى قول عضل والديش اجتمعوا
فكونوا قارة • والجاهلية الاولى هى القديمة التى يقال لها الجاهلية الجهلاء وهى الزمن الذى ولد
فيه ابراهيم عليه السلام كانت المراة تلبس الدرع من اللؤلؤ فتمشى وسط الطريق تعرض نفسها
على الرجال • وقيل ما بين ادم ونوح • وقيل بين ادريس ونوح • وقيل زمن داود وسليمان
صلوات الله عليهم • والجاهلية الاخرى ما بين عيسى ومحمد عليهما السلام • ويجوز ان تكون الجاهلية
الاولى جاهلية الكفر قبل الاسلام والجاهلية الاخرى جاهلية الفسوق والفجور فى الاسلام
فكان المعنى ولا تحدثن بالتبرج جاهلية فى الاسلام تتشبهن بها باهل جاهلية الكفر ويعضده
ما روى ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال لابى الدرداء ان فيك جاهلية قال جاهلية
كفر ام اسلام فقال بل جاهلية كفر • امرهن امرا خاصا بالصلوة والزكوة ثم جاء به عاما فى
جميع الطاعات لان هاتين الطاعتين البدنية والمالية هما اصل سائر الطاعات من اعتنى بهما
حق اعتنائه جرتاه الى ما وراءهما ثم بين انه انما نهاهن وامرهن ووعظهن لئلا يقارف اهل
بيت رسول الله صلى الله عليه وسلم المآثم وليتصونوا عنها بالتقوى واستعار للذنوب الرجس
وللتقوى الطهر لان عرض المقترف للمقبحات يتلوث بها ويتدنس كما يتلوث بدنه بالارجاس •
واما المحسنات فالعرض معها نقى مصون كالثوب الطاهر وفى هذه الاستعارة ما ينفر اولى الالباب
عما كرهه الله تعالى لعباده ونهاهم عنه ويرغبهم فيما رضيه لهم وامرهم به • واهل البيت نصب
على النداء او على المدح وفى هذا دليل بين على ان نساء النبى من اهل بيته • واذكرن ما يتلى فى بيوتكن
من ايات الله والحكمة ان الله كان لطيفا خبيرا • ثم ذكرهن ان بيوتهن مهابط الوحى
وامرهن ان لا ينسين ما يتلى فيها من الكتاب الجامع بين امرين هو ايات بينات تدل على صدق
النبوة لانه معجزة بنظمه وهو حكمة وعلوم وشرائع • ان الله كان لطيفا خبيرا حين علم ما ينفعكم
ويصلحكم دينكم فانزله عليكم • او علم من يصلح لنبوته ومن يصلح لان يكونوا اهل بيته او حيث جعل
الكلام الواحد جامعا بين الغرضين • ان المسلمين والمسلمات والمؤمنين والمؤمنات والقانتين
والقانتات والصادقين والصادقات والصابرين والصابرات والخاشعين والخاشعات
والمتصدقين والمتصدقات والصائمين والصائمات والحافظين فروجهم والحافظات
والذاكرين الله كثيرا والذاكرات اعد الله لهم مغفرة واجرا عظيما • يروى ان ازواج
النبى عليه السلام قلن يا رسول الله ذكر الله الرجال فى القرآن بخير افما فينا خير نذكر به انا نخاف ان
لا تقبل منا طاعة • وقيل السائلة ام سلمة رضى الله عنها • وروى انه لما نزل فى نساء النبى عليه السلام

ما نزل قال نساء المسلمين فما نزل فينا شىء فنزلت • والمسلم الداخل فى السلم بعد الحرب المنقاد الذى لا يعاند
او المفوض امره الى الله تعالى المتوكل عليه من اسلم وجهه الى الله • والمؤمن المصدق بالله ورسله وبما
يجب ان يصدق به • والقانت القائم بالطاعة الدائم عليها • والصادق الذى يصدق فى نيته
وقوله وعمله • والصابر الذى يصبر على الطاعات وعن المعاصى • والخاشع المتواضع لله بقلبه
وجوارحه • وقيل الذى اذا صلى لم يعرف من عن يمينه وشماله • والمتصدق الذى يزكى ماله
ولا يخل بالنوافل • وقيل من تصدق فى اسبوع بدرهم فهو من المتصدقين • ومن صام البيض
من كل شهر فهو من الصائمين • والذاكر الله كثيرا من لا يكاد يخلو من ذكر الله بقلبه او لسانه او بهما
وقراءة القرآن والاشتغال بالعلم من الذكر • وقال رسول الله صلى الله عليه وسلم من استيقظ من
نومه وايقظ امراته فصليا جميعا ركعتين كتبا من الذاكرين الله كثيرا والذاكرات • والمعنى والحافظاتها
والذاكرته فحذف لان الظاهر يدل عليه • **فان قلت** اى فرق بين العطفين اعنى عطف الاناث
على الذكور وعطف الزوجين على الزوجين • **قلت** العطف الاول نحو قوله تعالى ثيبات وابكارا
فى انهما جنسان مختلفان اذا اشتركا فى حكم لم يكن بد من توسيط العاطف بينهما • واما العطف الثانى
فمن عطف الصفة على الصفة بحرف الجمع فكان معناه ان الجامعين والجامعات لهذه الطاعات اعد
الله لهم مغفرة • وما كان لمؤمن ولا مؤمنة اذا قضى الله ورسوله امرا ان يكون لهم الخيرة من
امرهم ومن يعص الله ورسوله فقد ضل ضلالا مبينا • خطب رسول الله صلى الله عليه وسلم
زينب بنت جحش بنت عمته اميمة بنت عبد المطلب على مولاه زيد بن حارثة فابت وابى اخوها عبد
الله فنزلت فقالا رضينا يا رسول الله فانكحها اياه وساق عنه اليها مهرها ستين درهما وخمارا
وملحفة ودرعا وازارا وخمسين مدا من طعام وثلثين صاعا من تمر • وقيل هى ام كلثوم بنت عقبة بن
ابى معيط وهى اول من هاجر من النساء وهبت نفسها للنبى فقال قد قبلت وزوجها زيدا فسخطت
هى واخوها وقالا انما اردنا رسول الله فزوجنا عبده • والمعنى وما صح لرجل ولا امراة من المؤمنين
اذا قضى الله ورسوله اى رسول الله او لان قضاء رسول الله هو قضاء الله امرا من الامور ان يختارا
من امرهما ما شاءا بل من حقهم ان يجعلوا رايهم تبعا لرايه واختيارهم تلوا لاختياره • **فان قلت** كان من
حق الضمير ان يوحد كما تقول ما جاءنى من رجل ولا امراة الا كان من شانه كذا • **قلت** نعم ولكنهما
وقعا تحت النفى فعما كل مؤمن ومؤمنة فرجع الضمير على المعنى لا على اللفظ • وقرئ يكون بالتاء والياء
والخيرة ما يتخير • واذ تقول للذى انعم الله عليه وانعمت عليه امسك عليك زوجك واتق الله
وتخفى فى نفسك ما الله مبديه وتخشى الناس والله احق ان تخشاه فلما قضى زيد منها
وطرا زوجناكها لكى لا يكون على المؤمنين حرج فى ازواج ادعيائهم اذا قضوا منهن
وطرا وكان امر الله مفعولا • للذى انعم الله عليه بالاسلام الذى هو اجل النعم وبتوفيق
لعتقه ومحبته واختصاصه • وانعمت عليه بما وفقك الله فيه فهو متقلب فى نعمة الله ونعمة رسوله
وهو زيد بن حارثة • امسك عليك زوجك يعنى زينب بنت جحش وذلك ان رسول الله عليه السلام
ابصرها بعد ما انكحها اياه فوقعت فى نفسه فقال سبحان الله مقلب القلوب وذلك ان نفسه
كانت تجفو عنها قبل ذلك لا تريدها ولو ارادها لاختطبها وسمعت زينب بالتسبيحة فذكرتها
لزيد ففطن والقى الله فى نفسه كراهة صحبتها والرغبة عنها لرسول الله عليه السلام فقال لرسول

الله الى اريد ان افارق صاحبتي فقال ما لك ارابك منها شيء قال لا والله ما رأيت منها الا خيرا ولكنها تتعظم علي لشرفها وتؤذيني فقال له امسك عليك زوجك واتق الله ثم طلقها بعد فلما اعتدت قال رسول الله عليه السلام ما اجد احدا اوثق في نفسي منك اخطب علي زينب قال زيد رضي الله عنه فانطلقت فاذا هي تخمر عجينها فلما رأيتها عظمت في صدري حتى ما استطيع ان انظر اليها حين علمت ان رسول الله عليه السلام ذكرها فوليتها ظهري وقلت يا زينب ابشري ان رسول الله يخطبك ففرحت وقالت ما انا بصانعة شيئا حتى اؤامر ربي فقامت الى مسجدها ونزل القرآن زوجناكها فتزوجها رسول الله عليه السلام ودخل بها وما اولم على امرأة من نسائه ما اولم عليها ذبح شاة واطعم الناس الخبز واللحم حتى امتد النهار **فان قلت** ما ذا اراد بقوله واتق الله اراد واتق الله فلا تطلقها وقصد نهي تنزيه لا تحريم لان الاولى ان لا يطلق. وقيل اراد واتق الله فلا تذمها بالنسبة الى الكبر واذى الزوج. فان قلت ما الذي اخفى في نفسه. قلت تعلق قلبه بها. وقيل مودة مفارقة زيد اياها. وقيل علمه بان زيدا سيطلقها وسينكحها لان الله تعالى قد اعلمه بذلك. وعن عائشة رضي الله عنها لو كتم رسول الله شيئا مما اوحي اليه لكتم هذه الآية **فان قلت** فما ذا اراد الله منه ان يقوله حين قال له زيد اريد مفارقتها وكان من الهجنة ان يقول له افعل فاني اريد نكاحها **قلت** كان الذي اراد منه عز وجل ان يصمت عند ذلك او يقول له انت اعلم بشأنك حتى لا تخالف سريرته في ذلك علانيته لان الله يريد من الانبياء تساوي الظاهر والباطن والتصلب في الامور والتجاوب في الاحوال والاستمرار على طريقة مستتبة كما جاء في حديث ارادة رسول الله عليه السلام قتل عبد الله بن ابي سرح واعتراض عثمان بن عفان رضي الله عنه بشفاعته له ان عمر قال له لقد كان عيني اليك هل تشير الي فاقتله فقال ان الانبياء لا تومض ظاهرهم وباطنهم واحد **فان قلت** كيف عاتبه الله في ستر ما استهجن التصريح به ولا يستهجن النبي التصريح بشيء الا والشيء في نفسه مستهجن وقالة الناس لا تتعلق الا بما يستقبح في العقول والعادات وما له لم يعاتبه في نفس الامر ولم يأمره بقمع الشهوة وكف النفس عن ان تنازع الى زينب وتتبعها ولم يعصمه بتبعد عن تعلق الهجنة به وما يعرضه للقالة **قلت** كم من شيء يتحفظ منه الانسان ويستحيي من اطلاع الناس عليه وهو في نفسه مباح متسع وحلال مطلق لا مقال فيه ولا عيب عند الله تعالى وربما كان الدخول في ذلك المباح سلما الى حصول واجبات يعظم اثرها في الدين ويجل ثوابها ولو لم يتحفظ منه لاطلق كثير من الناس فيه السنتهم الا من اوتي فضلا وعلما ودينا ونظرا في حقائق الامور ولبوبها دون قشورها. الا ترى انهم كانوا اذا طعموا في بيوت رسول الله عليه السلام بقوا مرتكزين في مجالسهم لا يريمون مستأنسين بالحديث وكان رسول الله صلى الله عليه وسلم يؤذيه قعودهم ويضيق صدره حديثهم والحياء يصده ان يأمرهم بالانتشار حتى نزلت ان ذلكم كان يؤذي النبي فيستحيي منكم والله لا يستحيي من الحق ولو ابرز رسول الله مكنون ضميره وامرهم ان ينتشروا لشق عليهم ولكان بعض القالة فهذا من ذاك القبيل لان طموح قلب الانسان الى بعض مشتهياته من امرأة وغيرها غير موصوف بالقبح في العقل ولا في الشرع لانه ليس بفعل الانسان ولا وجوده باختياره وتناول المباح بالطريق الشرعي ليس بقبيح ايضا وهو خطبة زينب ونكاحها من غير استنزال زيد عنها ولا طلبه اليه وهو اقرب منه من زر قميصه ان يواسيه بمفارقتها مع قوة

العلم بان نفس زيد لم تكن من التعلق بها في شيء بل كانت تجفو عنها ونفس رسول الله متعلقة بها ولم تكن مستنكرا عندهم ان ينزل الرجل عن امرأته لصديقه ولا مستهجنا اذا نزل عنها ان ينكحها الآخر فان المهاجرين حين دخلوا المدينة آساهم الانصار بكل شيء حتى ان الرجل منهم اذا كانت له امرأتان نزل عن احديهما وانكحها المهاجر واذا كان الامر مباحا من جميع جهاته ولم يكن فيه وجه من وجوه القبح ولا مفسدة ولا مضرة بزيد ولا باحد بل كان مستجرا مصالح ناهيك بواحدة منها ان بنت عمة رسول الله عليه السلام امنت الايمة والضيعة ونالت الشرف وعادت اما من امهات المسلمين الى ما ذكر الله عز وجل من المصلحة العامة في قوله تعالى لكيلا يكون على المؤمنين حرج في ازواج ادعيائهم اذا قضوا منهن وطرا فبالحري ان يعاتب الله رسوله حين كتمه وبالغ في كتمه بقوله امسك عليك زوجك واتق الله وان لا يرضى له الا اتحاد الضمير والظاهر والثبات في مواطن الحق حتى يقتدي به المؤمنون فلا يستحيوا من المكافحة بالحق وان كان مرا **فان قلت** الواو في وتخفي في نفسك وتخشى الناس والله احق ما هي **قلت** واو الحال اي تقول لزيد امسك عليك زوجك مخفيا في نفسك ارادة ان لا يمسكها وتخفي خاشيا قالة الناس وتخشى الناس حقيقا في ذلك بان تخشى الله. او واو العطف كانه قيل واذ تجمع بين قولك امسك واخفاء خلافه وخشية الناس والله احق ان تخشاه حتى لا تفعل مثل ذلك اذا بلغ البالغ حاجته من شيء له فيه همة قيل قضى منه وطره والمعنى فلما لم يبق لزيد فيها حاجة وتقاصرت عنها همته وطابت عنها نفسه وطلقها وانقضت عدتها زوجناكها. وقراءة اهل البيت زوجتكها. وقيل لجعفر بن محمد اليس تقرأ على غير ذلك فقال لا والذي لا اله الا هو ما قرأتها على ابي الا كذلك ولا قرأها الحسن بن علي على ابيه الا كذلك ولا قرأها علي بن ابي طالب رضي الله عنه على رسول الله عليه السلام الا كذلك. وكان امر الله مفعولا جملة اعتراضية يعني وكان امر الله الذي يريد ان يكونه مفعولا مكونا لا محالة وهو مثل لما اراد كونه من تزويج رسول الله عليه السلام زينب رضي الله عنها ومن نفي الحرج عن المؤمنين في اجراء ازواج المتبنين مجرى ازواج البنين في تحريمهن عليهم بعد انقطاع علائق الزواج بينهم وبينهن ويجوز ان يراد بامر الله المكون لانه مفعول بكن وهو امر الله **ما كان على النبي من حرج فيما فرض الله له سنة الله في الذين خلوا من قبل وكان امر الله قدرا مقدورا**. فرض الله له قسم له واوجب من قولهم فرض لفلان في الديوان كذا ومنه فروض العسكر لرزقاتهم. سنة الله اسم موضوع موضع المصدر كقولهم تربا وجندلا مؤكد لقوله تعالى ما كان على النبي من حرج كانه قيل سن الله ذلك سنة في الانبياء الماضين وهو ان لا يحرج عليهم في الاقدام على ما اباح لهم ووسع عليهم في باب النكاح وغيره وقد كانت تحتهم المهائر والسراري وكانت لداود عليه السلام مائة امرأة وثلثمائة سرية ولسليمان عليه السلام ثلثمائة وسبعمائة. في الذين خلوا في الانبياء الذين مضوا **الذين يبلغون رسالات الله ويخشونه ولا يخشون احدا الا الله وكفى بالله حسيبا** الذين يبلغون يحتمل وجوه الاعراب الجر على الوصف للانبياء والرفع والنصب على المدح على هم الذين يبلغون او على اعني الذين يبلغون **وقرئ** رسالة الله قدرا مقدورا قضاء مقضيا وحكما مبتوتا ووصف الانبياء بانهم لا يخشون الا الله تعريض بعد التصريح في قوله تعالى وتخشى الناس والله احق ان تخشاه حسيبا كافيا للمخاوف او محاسبا على الصغيرة والكبيرة فيجب ان يكون حق الخشية من مثله

مَا كَانَ مُحَمَّدٌ أَبَا أَحَدٍ مِنْ رِجَالِكُمْ وَلَكِنْ رَسُولَ اللَّهِ وَخَاتَمَ النَّبِيِّينَ وَكَانَ اللَّهُ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمًا ما كان محمد
ابا احد من رجالكم اى لم يكن ابا رجل منكم على الحقيقة حتى يثبت بينه وبينه ما يثبت بين الاب وولده
من حرمة الصهر والنكاح ولكن كان رسول الله وكل رسول ابو امته فيما يرجع الى التوقير والتعظيم وجوب م
له عليهم ووجوب الشفقة والنصيحة لهم عليه لا فى سائر الاحكام الثابتة بين الاباء والابناء وزيد واحد
من رجالكم الذين ليسوا باولاده حقيقة فكان حكمه حكمهم والادعاء والتبنى من باب الاختصاص
والتقريب لا غير وكان خاتم النبيين يعنى انه لو كان له ولد بالغ مبلغ الرجال لكان نبيا ولم يكن
هو خاتم الانبياء كما يروى انه قال فى ابراهيم عليه السلام حين توفى لو عاش لكان نبيا فان قلت
اما كان ابا للطاهر والطيب والقاسم وابراهيم صلوات الله عليهم قلت قد اخرجوا من حكم
النفى بقوله تعالى من رجالكم من وجهين احدهما ان هؤلاء لم يبلغوا مبلغ الرجال والثانى
انه قد اضاف الرجال اليهم وهؤلاء رجاله لا رجالهم فان قلت اما كان ابا للحسن والحسين رضى
الله عنهما قلت بلى ولكنهما لم يكونا رجلين حينئذ وهما ايضا من رجاله لا من رجالهم وشىء اخر
وهو انه انما قصد ولده خاصة لا ولد ولده لقوله تعالى وخاتم النبيين الا ترى ان الحسن والحسين
رضى الله عنهما قد عاشا الى ان نيف احدهما على الاربعين والاخر على الخمسين وقرئ ولكن رسول الله
بالنصب عطفا على ابا احد وبالرفع على ولكن هو رسول الله ولكن بالتشديد على حذف الخبر
تقديره ولكن رسول الله من عرفتموه اى لم يعش له ولد ذكر وخاتم بفتح التاء بمعنى الطابع وبكسرها
بمعنى الطابع وفاعل الختم وتقويه قراءة ابن مسعود ولكن نبيا ختم النبيين فان قلت كيف
كان اخر الانبياء وعيسى ينزل فى اخر الزمان قلت معنى كونه اخر الانبياء انه لا ينبأ احد بعده
وعيسى ممن نبئ قبله وحين ينزل ينزل عاملا على شريعة محمد مصليا الى قبلته كانه بعض امته
يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اذْكُرُوا اللَّهَ ذِكْرًا كَثِيرًا وَسَبِّحُوهُ بُكْرَةً وَأَصِيلًا اذكروا الله اثنوا عليه
بضروب الثناء من التقديس والتحميد والتهليل والتكبير وما هو اهله واكثروا ذلك بكرة
واصيلا اى فى كافة الاوقات قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ذكر الله على فم كل مسلم وروى فى
قلب كل مسلم وعن قتادة قولوا سبحان الله والحمد لله ولا اله الا الله والله اكبر ولا حول ولا
قوة الا بالله وعن مجاهد هذه كلمات يقولهن الطاهر والجنب والغافل اعنى ذكروا وسبحوا موجهان
الى البكرة والاصيل كقولك صم وصل يوم الجمعة والتسبيح من جملة الذكر وانما اختصه من بين
انواعه اختصاص جبريل وميكائيل عليهما السلام من بين الملائكة ليبين فضله على سائر الاذكار
لان معناه تنزيه ذاته عما لا يجوز عليه من الصفات والافعال وتبرئته من القبائح ومثال
فضله على غيره من الاذكار فضل وصف العبد بالنزاهة من ادناس المعاصى والطهر من ارجاس
الماثم على سائر اوصافه من كثرة الصلوة والصيام والتوفر على الطاعات كلها والاشتمال على العلوم
والاشتهار بالفضائل ويجوز ان يريد بالذكر واكثاره تكثير الطاعات والاقبال على العبادات
فان كل طاعة وكل خير من جملة الذكر ثم خص من ذلك التسبيح بكرة واصيلا وهى الصلوة فى جميع
اوقاتها لفضل الصلوة على غيرها او صلوة الفجر والعشائين لان اداءها اشق ومراعاتها اشد
هُوَ الَّذِي يُصَلِّي عَلَيْكُمْ وَمَلَائِكَتُهُ لِيُخْرِجَكُمْ مِنَ الظُّلُمَاتِ إِلَى النُّورِ وَكَانَ بِالْمُؤْمِنِينَ رَحِيمًا
لما كان من شان المصلى ان ينعطف فى ركوعه وسجوده استعير لمن ينعطف على غيره حنوا عليه وترؤفا

كعائد

كعائد المريض فى عطفه عليه والمرأة فى حنوها على ولدها ثم كثر حتى استعمل فى الرحمة والترؤف
ومنه قولهم صلى الله عليك اى ترحم عليك وترأف فان قلت قوله تعالى هو الذى يصلى عليكم
ان فسرته بيترحم عليكم ويترأف فما تصنع بقوله تعالى وملائكته وما معنى صلوتهم قلت
هى قولهم اللهم صل على المؤمنين جعلوا لكونهم مستجابى الدعوة كانهم فاعلون الرحمة والرأفة
ونظيره قولك حياك الله اى احياك وابقاك وحييتك اى دعوت لك بان يحييك الله لانك لاتكا لك
على اجابة دعوتك كانك تبقيه على الحقيقة وكذلك عمرك الله وعمرتك وسقاك الله وسقيتك
ومنه قوله عز وجل ان الله وملائكته يصلون على النبى يا ايها الذين امنوا صلوا عليه اى ادعوا
الله بان يصلى عليه والمعنى هو الذى يترحم عليكم ويترأف حيث يدعوكم الى الخير ويامركم
باكثار الذكر والتوفر على الصلوة والطاعة ليخرجكم من ظلمات المعصية الى نور الطاعة وكان بالمؤمنين
رحيما دليل على ان المراد بالصلوة الرحمة ويروى انه لما نزل قوله تعالى ان الله وملائكته يصلون
يا رسول الله صلى الله عليه وسلم على النبى قال ابو بكر رضى الله عنه ما خصك الله بشرف الا وقد اشركنا فيه فانزلت تَحِيَّتُهُمْ يَوْمَ يَلْقَوْنَهُ
سَلَامٌ وَأَعَدَّ لَهُمْ أَجْرًا كَرِيمًا تحيتهم من اضافة المصدر الى المفعول اى يحيون يوم لقائه بسلام فيجوز
ان يعظمهم الله تعالى بسلامه عليهم كما يفعل بهم سائر انواع التعظيم وان يكون مثلا كاللقاء على
ئكة ما فسرناه وقيل هو سلام ملك الموت والملائكة معه عليهم وبشارتهم بالجنة وقيل سلام الملا
عند الخروج من القبور وقيل عند دخول الجنة كما قال تعالى والملائكة يدخلون عليهم من كل باب
سلام عليكم والاجر الكريم الجنة يَا أَيُّهَا النَّبِيُّ إِنَّا أَرْسَلْنَاكَ شَاهِدًا وَمُبَشِّرًا وَنَذِيرًا وَدَاعِيًا
إِلَى اللَّهِ بِإِذْنِهِ وَسِرَاجًا مُنِيرًا شاهدا على من بعثت اليهم وعلى تكذيبهم وتصديقهم اى
مقبولا قولك عند الله لهم وعليهم كما يقبل قول الشاهد العدل فى الحكم فان قلت وكيف كان
شاهدا وقت الارسال وانما يكون شاهدا عند تحمل الشهادة او عند ادائها قلت هى حال مقدرة
كمسئلة الكتاب مررت برجل معه صقر صائدا به غدا اى مقدرا به الصيد غدا فان قلت قد فهم
من قوله تعالى انا ارسلناك داعيا انه ماذون له فى الدعاء فما فائدة قوله تعالى باذنه قلت
لم يرد به حقيقة الاذن وانما جعل الاذن مستعارا للتسهيل والتيسير لان الدخول فى حق المالك متعذر
فاذا صودف الاذن تسهل وتيسر فلما كان الاذن تسهيلا لما تعذر من ذلك وضع موضعه وذلك ان
دعا اهل الشرك والجاهلية الى التوحيد والشرائع امر فى غاية الصعوبة والتعذر فقيل باذنه
للايذان بان الامر صعب لا يتاتى ولا يستطاع الا اذا سهله الله ويسره ومنه قولهم فى الشحيح انه
غير ماذون له فى الانفاق اى غير مسهل له الانفاق لكونه شاقا عليه داخلا فى حد التعذر وجلى به الله
ظلمات الشرك واهتدى به الضالون كما يجلى ظلام الليل بالسراج المنير ويهتدى به او امد الله
بنور نبوته نور البصائر كما يمد بنور السراج نور الابصار ووصفه بالانارة لان من السرج ما لا
يضئ اذا قل سليطه ودقت فتيلته وفى كلام بعضهم ثلاثة تضنى رسول بطئ وسراج لا يضئ ومائدة
ينتظر لها من يجئ وسئل بعضهم عن الموحشين فقال ظلام ساتر وسراج فاتر وقيل وذا سراج
منير او وتاليا سراجا منيرا ويجوز على هذا التفسير ان يعطف على كاف ارسلناك وَبَشِّرِ الْمُؤْمِنِينَ
بِأَنَّ لَهُمْ مِنَ اللَّهِ فَضْلًا كَبِيرًا الفضل ما يتفضل به عليهم زيادة على الثواب واذا ذكر المتفضل به
وكبره فما ظنك بالثواب ويجوز ان يريد بالفضل الثواب من قولهم للعطايا فضول وفواضل وان

يريد ان لهم فضلا كبيرا على سائر الامم وذلك الفضل من جهة الله وانه اتاهم ما فضلوهم به ولا تطع الكافرين والمنافقين ودع اذاهم وتوكل على الله وكفى بالله وكيلا ولا تطع معناه الدوام والثبات على ما كان عليه او التهييج اذاهم يحتمل اضافته الى الفاعل والمفعول يعني ودع ان تؤذيهم بضرر او قتل وخذ بظاهرهم وحسابهم على الله في باطنهم او ودع ما يؤذونك به ولا تجازهم عليه حتى تؤمر وعن ابن عباس رضي الله عنهما هي منسوخة باية السيف وتوكل على الله فانه يكفيكهم وكفى به مفوضا اليه ولقائل ان يقول وصفه الله بخمسة اوصاف وقابل كلا منها بخطاب مناسب له قابل الشاهد بقوله تعالى وبشر المؤمنين لانه يكون شاهدا على امته وهم يكونون شهداء على سائر الامم وهو الفضل الكبير والمبشر بالاعراض عن الكافرين والمنافقين لانه اذا اعرض عنهم اقبل جميع اقباله على المؤمنين وهو مناسب للبشارة والنذير بدع اذاهم لانه اذا ترك اذاهم في الحاضر والاذى لا بد له من عقاب عاجل او اجل كانوا منذرين به في المستقبل والداعي الى الله بتيسيره بقوله تعالى وتوكل على الله لان من توكل على الله يسر عليه كل عسير والسراج المنير بالاكتفاء به وكيلا لان من اناره الله برهانا على جميع خلقه كان جديرا بان يكتفى به عن جميع خلقه يا ايها الذين امنوا اذا نكحتم المؤمنات ثم طلقتموهن من قبل ان تمسوهن فما لكم عليهن من عدة تعتدونها فمتعوهن وسرحوهن سراحا جميلا النكاح الوطء وتسمية العقد نكاحا لملابسته له من حيث انه طريق اليه ونظيره تسميتهم الخمر اثما لانها سبب في اقتراف الاثم ونحوه في علم البيان قول الراجز اسنمة الآبال في سحابه سمى الماء باسنمة الآبال لانه سبب سمن المال وارتفاع اسنمته ولم يرد لفظ النكاح في كتاب الله الا في معنى العقد لانه في معنى الوطء من باب التصريح به ومن اداب القران الكناية عنه بلفظ الملامسة والمماسة والقربان والتغشي والاتيان فان قلت لم خص المؤمنات والحكم الذي نطقت به الاية تستوي فيه المؤمنات والكتابيات في اختصاصهن تنبيه على ان اصل امر المؤمن والاولى به ان يتخير لنطفته وان لا ينكح الا مؤمنة عفيفة ويتنزه عن مزاوجة الفواسق فما بال الكوافر ويستنكف ان يدخل تحت لحاف واحد عدوة الله ووليه فالتي في سورة المائدة تعليم ما هو جائز غير محرم من نكاح المحصنات من الذين اوتوا الكتاب وهذه فيها تعليم ما هو الاولى بالمؤمن من نكاح المؤمنات فان قلت ما فائدة ثم في قوله تعالى ثم طلقتموهن قلت فائدته نفي التوهم عمن عسى يتوهم تفاوت الحكم بين ان يطلقها وهي قريبة العهد من النكاح وبين ان يبعد عهدها بالنكاح ويتراخى بها المدة في حبالة الزوج ثم يطلقها فان قلت اذا خلا بها خلوة يمكنه معها المساس هل يقوم ذلك مقام المساس قلت نعم عند ابي حنيفة رحمة الله عليه واصحابه حكم الخلوة الصحيحة حكم المساس وقوله تعالى فما لكم عليهن من عدة تعتدونها دليل على ان العدة حق واجب على النساء للرجال تعتدونها تستوفون عددها من قولك عددت الدراهم فاعتدها كقولك كلته فاكتاله ووزنته فاتزنه وقرئ تعتدونها مخففا اي تعتدون فيها كقوله ويوم شهدناه والمراد بالاعتداء ما في قوله تعالى ولا تمسكوهن ضرارا لتعتدوا فان قلت ما هذا التمتيع اواجب ام مندوب اليه قلت ان كانت غير مفروض لها كانت المتعة واجبة ولا تجب المتعة عند ابي حنيفة رحمة الله عليه الا لها وحدها دون سائر المطلقات وان كانت مفروضا لها فالمتعة

نفى توهم

مختلف

مختلف فيها فبعض على الندب والاستحباب ومنهم ابو حنيفة وبعض على الوجوب سراحا جميلا من غير ضرار ولا منع واجب يا ايها النبي انا احللنا لك ازواجك اللاتي اتيت اجورهن وما ملكت يمينك مما افاء الله عليك وبنات عمك وبنات عماتك وبنات خالك وبنات خالاتك اللاتي هاجرن معك وامراة مؤمنة ان وهبت نفسها للنبي ان اراد النبي ان يستنكحها خالصة لك من دون المؤمنين قد علمنا ما فرضنا عليهم في ازواجهم وما ملكت ايمانهم لكيلا يكون عليك حرج وكان الله غفورا رحيما اجورهن مهورهن لان المهر اجر على البضع وايتاؤها اما اعطاؤها عاجلا واما فرضها وتسميتها في العقد فان قلت لم قال اللاتي اتيت اجورهن ومما افاء الله عليك واللاتي هاجرن معك وما فائدة هذه التخصيصات قلت قد اختار الله لرسوله الافضل الاولى واستحبه بالاطيب الازكى كما اختصه بغيرها من الخصائص واثره بما سواها من الاثر وذلك ان تسمية المهر في العقد اولى وافضل من ترك التسمية وان وقع العقد جائزا وله ان يماسها وعليه مهر المثل ان دخل بها والمتعة ان لم يدخل بها وسوق المهر اليها عاجلا افضل من ان يسميه ويؤجله وكان التعجيل ديدن السلف وسنتهم وما لا يعرف بينهم غيره وكذلك الجارية اذا كانت سبية مالكها وخطبة سيفه ورمحه ومما غنمه الله تعالى من دار الحرب احل واطيب مما يشترى من شق الجلب والسبي على ضربين سبي طيبة وسبي خبثة فسبي الطيبة ما سبي من اهل الحرب واما من كان له عهد فالمسبي منهم سبي خبثة ويدل عليه قوله تعالى مما افاء الله عليك لان فيء الله لا يطلق الا على الطيب دون الخبيث كما ان رزق الله يجب اطلاقه على الحلال دون الحرام وكذلك اللاتي هاجرن مع رسول الله صلى الله عليه وسلم من قرائبه غير المحارم افضل من غير المهاجرات معه وعن ام هانئ رضي الله عنها خطبني رسول الله عليه السلام فاعتذرت اليه فعذرني ثم انزل الله هذه الاية فلم احل له لاني لم اهاجر معه كنت من الطلقاء واحللنا لك من وقع لها ان تهب لك نفسها ولا تطلب مهرا من النساء المؤمنات ان اتفق ذلك ولذلك نكرها واختلف في اتفاق ذلك فعن ابن عباس رضي الله عنهما لم يكن عند رسول الله صلى الله عليه وسلم احد منهن بالهبة وقيل الموهوبات اربع ميمونة بنت الحارث وزينب بنت خزيمة ام المساكين الانصارية وام شريك بنت جابر وخولة بنت حكيم وقرئ ان وهبت على الشرط وقرا الحسن رحمة الله عليه ان بالفتح على التعليل بتقدير حذف اللام ويجوز ان يكون مصدرا محذوفا معه الزمان كقولك اجلس ما دام زيد جالسا بمعنى وقت دوامه وقت هبتها نفسها وقرا ابن مسعود رضي الله عنه بغير ان فان قلت ما معنى الشرط الثاني مع الله قلت هو تقييد له شرط في الاحلال هبتها نفسها وفي الهبة ارادة استنكاح رسول الله صلى الله عليه وسلم كانه قال احللناها لك ان وهبت لك نفسها وانت تريد ان تستنكحها لان ارادته هي قبول الهبة وما به تتم فان قلت لم عدل عن الخطاب الى الغيبة في قوله تعالى نفسها للنبي ان اراد النبي ثم رجع الى الخطاب قلت للايذان بانه مما خص به واوثره على لفظ النبي للدلالة على ان الاختصاص تكرمة له لاجل النبوة وتكريره تفخيم له وتقرير لاستحقاقه الكرامة لنبوته واستنكاحها طلب نكاحها والرغبة فيه وقد استشهد به ابو حنيفة رحمة الله عليه على جواز عقد النكاح بلفظ الهبة لان رسول الله وامته سواء في الاحكام الا ما خصه

بنت ابي طالب

ته

الدليل وقال الشافعي رضي الله عنه لا يصح وقد خص رسول الله عليه السلام بمعنى الهبة ولفظها جميعا لان
اللفظ تابع للمعنى والمدعي للاشتراك في اللفظ يحتاج الى الدليل وقال ابو الحسن الكرخي ان عقد النكاح بلفظ
الاجارة جائز لقوله تعالى اللاتي آتيت اجورهن وقال ابو بكر الرازي لا يصح لان الاجارة عقد موقت وعقد
النكاح مؤبد فهما متنافيان خالصة مصدر مؤكد كوعد الله وصبغة الله اي خلص لك احلال ما احللنا
لك خالصة بمعنى خلوصا والفاعل والفاعلة في المصادر غير عزيز كالخارج والقاعد والعافية
والكاذبة والدليل على انها وردت في اثر الاحلالات الاربع مخصوصة برسول الله صلى الله عليه وسلم
على سبيل التوكيد لها قوله تعالى قد علمنا ما فرضنا عليهم في ازواجهم وما ملكت ايمانهم بعد قوله
تعالى من دون المؤمنين وهي جملة اعتراضية وقوله تعالى لكيلا يكون عليك حرج متصل بخالصة
لك من دون المؤمنين ومعنى هذه الجملة الاعتراضية ان الله تعالى قد علم ما يجب فرضه على المؤمنين
في الازواج والاماء وعلى اي حد وصفة يجب ان يفرض عليهم ففرضه وعلم المصلحة في اختصاص
رسول الله عليه السلام بما اختصه به ففعل ومعنى لكيلا يكون عليك حرج لكيلا يكون عليك ضيق في
دينك حيث اختصصناك بالتنزيه واختيار ما هو اولى وافضل وفي دنياك حيث احللنا لك اجناس
المنكوحات وزدنا لك الواهبة نفسها وقرئ خالصة بالرفع اي ذاك خلوص لك وخصوص
من دون المؤمنين ومن جعل خالصة نعتا للمراة فعلى مذهبه هذه المراة خالصة لك من دونهم
وكان الله غفورا للواقع في الحرج اذا تاب رحيما بالتوسعة على عباده ترجي من تشاء منهن وتؤوي
اليك من تشاء ومن ابتغيت ممن عزلت فلا جناح عليك ذلك ادنى ان تقر اعينهن ولا يحزن
ويرضين بما آتيتهن كلهن والله يعلم ما في قلوبكم وكان الله عليما حليما روي ان امهات
المؤمنين حين تغايرن وابتغين زيادة النفقة وغظن رسول الله عليه السلام هجرهن شهرا ونزل
التخيير فاشفقن ان يطلقهن فقلن يا رسول الله افرض لنا من نفسك ومالك ما شئت وروي ان عائشة
رضي الله عنها قالت اني ارى ربك يسارع في هواك ترجي بهمز وغير همز تؤخر وتؤوي تضم يعني تترك
مضاجعة من تشاء منهن وتضاجع من تشاء او تطلق من تشاء وتمسك من تشاء او لا تقسم
لايتهن شئت وتقسم لمن شئت او تترك تزوج من شئت من نساء امتك وتتزوج من شئت وعن
الحسن رحمة الله عليه كان النبي صلى الله عليه وسلم اذا خطب امراة لم يكن لاحد ان يخطبها حتى
يدعها وهذه قسمة جامعة لما هو الغرض لانه اما ان يطلق واما ان يمسك فاذا امسك ضاجع
او ترك وقسم او لم يقسم واذا طلق وعزل فاما ان يخلي المعزولة لا يبتغيها او يبتغيها وروي
انه ارجا منهن سودة وجويرية وصفية وميمونة وام حبيبة رضوان الله عليهن وكان يقسم لهن ما
شاء كما شاء وكانت ممن آوى اليه عائشة وحفصة وام سلمة وزينب ارجى خمسا واوى اربعا
وروي انه كان يسوي مع ما اطلق له وخير فيه الا سودة فانها وهبت ليلتها لعائشة وقالت
لا تطلقني حتى احشر في زمرة نسائك ذلك التفويض الى مشيئتك ادنى الى قرة عيونهن وقلة
حزنهن ورضاهن جميعا لانه اذا سوى بينهن في الايواء والارجاء والعزل والابتغاء وارتفع التفاوت صل
ولم يكن لاحديهن مما تريد ومما لا تريد الا مثل ما للاخرى وعلمن ان هذا التفويض من عند الله
وبوحيه اطمانت نفوسهن وذهب التنافس والتغاير وحصل الرضا وقرت العيون وسلت
القلوب والله يعلم ما في قلوبكم فيه وعيد لمن لم ترض منهن بما دبر الله من ذلك وفوض الى

مشية

مشية رسوله وبعث على تواطؤ قلوبهن والتصافي بينهن والتوافق على طلب رضا رسول الله وما فيه
طيب نفسه وقرئ تقر اعينهن بضم التاء ونصب الاعين وتقر اعينهن على البناء للمفعول وكان
الله عليما بذات الصدور حليما لا يعاجل بالعقاب فهو حقيق بان يتقى ويحذر كلهن تاكيد لنون
يرضين وقرا ابن مسعود رضي الله عنه ويرضين كلهن بما آتيتهن على التقديم وقرئ كلهن تاكيدا لهن
في آتيتهن لا يحل لك النساء من بعد ولا ان تبدل بهن من ازواج ولو اعجبك حسنهن الا ما
ملكت يمينك وكان الله على كل شيء رقيبا لا يحل وقرئ بالتذكير لان تانيث الجمع غير حقيقي واذا
جاز بغير فصل في قوله تعالى وقال نسوة كان مع الفصل اجود من بعد من بعد التسع لان التسع نصاب
رسول الله عليه السلام من الازواج كما ان الاربع نصاب امته منهن فلا يحل له ان يتجاوز النصاب
ولا ان تبدل بهن ولا ان تستبدل بهؤلاء التسع ازواجا اخر بكلهن او بعضهن اراد الله لهن كرامة
وجزاء على ما اخترن ورضين فقصر رسول الله صلى الله عليه وسلم عليهن وهن التسع التي مات
عنهن عائشة بنت ابي بكر حفصة بنت عمر ام حبيبة بنت ابي سفيان سودة بنت زمعة
ام سلمة بنت ابي امية صفية بنت حيي الخيبرية ميمونة بنت الحارث الهلالية زينب بنت جحش
الاسدية جويرية بنت الحارث المصطلقية رضوان الله عليهن اجمعين من في من ازواج لتاكيد
النفي وفائدته استغراق جنس الازواج بالتحريم وقيل معناه لا تحل لك النساء من بعد النساء
اللاتي نص احلالهن لك من الاجناس الاربعة من الاعرابيات والغرائب او من الكتابيات او من
الاماء بالنكاح وقيل في تحريم التبدل هو من البدل الذي كان في الجاهلية كان يقول الرجل للرجل
بادلني بامراتك وابادلك بامراتي فينزل كل واحد منهما عن امراته لصاحبه ويحكى ان عيينة بن
حصين دخل على رسول الله صلى الله عليه وسلم وعنده عائشة رضي الله عنها من غير استيذان فقال
رسول الله صلى الله عليه وسلم اين الاستيذان قال يا رسول الله ما استاذنت على رجل قط ممن مضى
منذ ادركت ثم قال من هذه الجميلة الى جنبك فقال له عليه السلام هذه عائشة ام المومنين قال
عيينة افلا انزل لك عن احسن الخلق فقال صلى الله عليه وسلم ان الله قد حرم ذلك فلما خرج قالت
عائشة من هذا يا رسول الله قال احمق مطاع وانه على ما ترين لسيد قومه وعن عائشة رضي الله
عنها ما مات رسول الله عليه السلام حتى احل له النساء يعني ان الآية قد نسخت ولا يخلو نسخها
اما ان يكون بالسنة واما بقوله انا احللنا لك ازواجك وترتيب النزول ليس على ترتيب المصحف
ولو اعجبك في موضع الحال من الفاعل وهو الضمير في تبدل لا من المفعول الذي هو من ازواج لانه
موغل في التنكير وتقديره مفروضا اعجابك بهن وقيل هي اسماء بنت عميس الخثعمية امراة جعفر بن
ابي طالب والمراد انها ممن اعجبه حسنهن واستثنى ممن حرم عليه الاماء رقيبا حافظا مهيمنا وهو
تحذير عن مجاوزة حدوده وتخطي حلاله الى حرامه يا ايها الذين آمنوا لا تدخلوا بيوت النبي الا
ان يؤذن لكم الى طعام غير ناظرين اناه ولكن اذا دعيتم فادخلوا فاذا طعمتم
فانتشروا ولا مستانسين لحديث ان ذلكم كان يؤذي النبي فيستحيي منكم والله لا يستحيي
من الحق واذا سالتموهن متاعا فاسالوهن من وراء حجاب ذلكم اطهر لقلوبكم وقلوبهن
وما كان لكم ان تؤذوا رسول الله ولا ان تنكحوا ازواجه من بعده ابدا ان ذلكم كان
عند الله عظيما ان يؤذن لكم في معنى الظرف تقديره وقت ان يؤذن لكم وغير ناظرين حال

من لا تدخلوا وقع الاستثناء على الوقت والحال معا كأنه قيل لا تدخلوا بيوت النبي إلا وقت الإذن ولا تدخلوها
إلا غير ناظرين وهؤلاء قوم كانوا يتحينون طعام رسول الله عليه السلام فيدخلون ويقعدون منتظرين
لإدراكه ومعناه لا تدخلوا يا هؤلاء المتحينون للطعام إلا أن يؤذن لكم إلى طعام غير ناظرين إناه،
وإلا فلو لم يكن لهؤلاء خصوصا لما جاز لأحد أن يدخل بيوت النبي إلا أن يؤذن له إذنا خاصا وهو الإذن
إلى الطعام فحسب، وعن ابن أبي عبلة أنه قرأ غير ناظرين مجرورا صفة لطعام وليس بالوجه لأنه جرى على
غير ما هو له فمن حق ضمير ما هو له أن يبرز إلى اللفظ فيقال غير ناظرين إناه أنتم كقولك هند زيد
ضاربته هي وإنى الطعام إدراكه يقال أنى الطعام إنى كقولك قلاه قلى، ومنه قوله تعالى حميم آن بالغ
إناه، وقيل إناه وقته أي غير ناظرين وقت الطعام وساعة أكله **وروى** أن رسول الله صلى الله
عليه وسلم أولم على زينب بتمر وسويق وشاة وأمر أنسا أن يدعو الناس فترادفوا، أفواجا
يأكل فوج فيخرج ثم يدخل فوج إلى أن قال يا رسول الله دعوت حتى ما أجد أحدا أدعوه فقال ارفعوا
طعامكم وتفرق الناس وبقي ثلاثة نفر يتحدثون فأطالوا فقام رسول الله عليه السلام ليخرجوا
فانطلق إلى حجرة عائشة رضي الله عنها فقال السلام عليكم أهل البيت فقالوا وعليك السلام يا رسول
الله كيف وجدت أهلك وطاف بالحجرات فسلم عليهن ودعون له ورجع فإذا الثلاثة جلوس يتحدثون
وكان رسول الله صلى الله عليه وسلم شديد الحياء فتولى فلما رأوه متوليا خرجوا فرجع فنزلت، ولا
مستأنسين لحديث نهوا عن أن يطيلوا الجلوس يستأنس بعضهم ببعض لأجل حديث يحدثه به،
أو عن أن يستأنسوا حديث أهل البيت واستئناسه تسمعه وتوجسه وهو مجرور معطوف على ناظرين
وقيل هو منصوب على ولا تدخلوها مستأنسين، لا بد في قوله تعالى فيستحيي منكم من تقدير المضاف
أي من إخراجكم بدليل قوله تعالى والله لا يستحيي من الحق يعني أن إخراجكم حق ما ينبغي أن يستحيي منه
ولما كان الحياء مما يمنع الحيي من بعض الأفعال قيل لا يستحيي من الحق بمعنى لا يمتنع منه ولا يتركه ترك الحيي
منكم وهذا أدب أدب الله به الثقلاء، وعن عائشة رضي الله عنها حسبك في الثقلاء أن الله تعالى لم
يحتملهم وقال فإذا طعمتم فانتشروا **وقرئ** لا يستحي بياء واحدة والضمير في سألتموهن لنساء
النبي عليه السلام ولم يذكرن لأن الحال ناطقة بذكرهن، متاعا حاجة فاسألوهن المتاع، قيل إن
عمر رضي الله عنه كان يحب ضرب الحجاب عليهن محبة شديدة وكان يذكره كثيرا ويود أن ينزل
فيه وكان يقول لو أطاع فيكن ما رأتكن عين وقال يا رسول الله يدخل عليك البر والفاجر فلو
أمرت أمهات المؤمنين بالحجاب فنزلت **وروى** أنه مر عليهن وهن مع النساء في المسجد فقال
لئن احتجبتن فإن لكن على النساء فضلا كما أن لزوجكن على الرجال الفضل فقالت له زينب يا ابن الخطاب
إنك لتغار علينا والوحي ينزل في بيوتنا فلم يلبثوا إلا يسيرا حتى نزلت وقيل إن رسول الله صلى الله
عليه وسلم كان يطعم ومعه بعض أصحابه فأصابت يد رجل منهم يد عائشة فكره النبي عليه السلام ذلك،
فنزلت آية الحجاب، وذكر أن بعضهم قال أننهى أن نكلم بنات عمنا إلا من وراء حجاب لئن مات محمد
لأتزوجن عائشة فأعلم الله أن ذلك محرم، وما كان لكم وما صح لكم إيذاء رسول الله ولا نكاح
أزواجه من بعده وسمى نكاحهن بعده عظيما عنده وهو من إعلام تعظيم الله لرسوله وإيجاب
حرمته حيا وميتا وإعلامه بذلك مما طيب به نفسه وسر قلبه واستغزر شكره فإن نحو هذا
مما يحدث به الرجل نفسه ولا يخلي منه فكره ومن الناس من تفرط غيرته على حرمته حتى يتمنى

لها

لها الموت لئلا تنكح من بعده، وعن بعض الفتيان أنه كانت له جارية لا يرى الدنيا بها شغفا واستهتارا
نظر إليها ذات يوم فتنفس الصعداء وانتحب فعلا نحيبه مما ذهب به فكره هذا المذهب فلم يزل ذلك
حتى قتلها تصورا لما عسى يتفق من بقائها بعده وحصولها تحت يد غيره، وعن بعض الفقهاء أن الزوج
الثاني في هذا الثلث مما تجري مجرى العقوبة فصين رسول الله صلى الله عليه وسلم عما يلاحظ ذلك
إن تبدوا شيئا أو تخفوه فإن الله كان بكل شيء عليما إن تبدوا شيئا من نكاحهن على ألسنتكم أو
تخفوه في صدوركم فإن الله يعلم ذلك فيعاقبكم به وإنما جاء به على أثر ذلك عاما لكل باد وخاف ليدخل
تحته نكاحهن وغيره ولأنه على هذه الطريقة أهول وأجزل لا جناح عليهن في آبائهن ولا أبنائهن
ولا إخوانهن ولا أبناء إخوانهن ولا أبناء أخواتهن ولا نسائهن ولا ما ملكت أيمانهن
واتقين الله إن الله كان على كل شيء شهيدا **روى** أنه لما نزلت آية الحجاب قال الآباء والأبناء
والأقارب يا رسول الله أو نحن أيضا نكلمهن من وراء الحجاب فنزلت لا جناح عليهن أي لا إثم عليهن
في أن لا يحتجبن من هؤلاء ولم يذكر العم والخال لأنهما يجريان مجرى الوالدين وقد جاءت تسمية العم
أبا قال الله سبحانه وتعالى وإله آبائك إبراهيم وإسماعيل وإسحق وإسماعيل عم يعقوب، وقيل كره ترك
الاحتجاب عنهما لأنهما يصفانها لأبنائهما وأبناؤهما غير محارم ثم نقل الكلام من الغيبة إلى الخطاب
وفي هذا النقل ما يدل على فضل تشديد فقيل واتقين الله فيما أمرتن به من الاحتجاب وأنزل فيه الوحي
من الاستتار واحتطن فيه وفيما استثني منه ما قدرتن واحفظن حدودها واسلكن طريق التقوى في حفظها
وليكن عملكن في الحجب أحسن مما كان وأنتن غير محجبات ليفضل سركن علنكن، إن الله كان على كل شيء من
السر والعلن وظاهر الحجاب وباطنه شهيدا لا يتفاوت في علمه الأحوال إن الله وملائكته يصلون
على النبي يا أيها الذين آمنوا صلوا عليه وسلموا تسليما **قرئ** وملائكته بالرفع عطفا على
محل إن واسمها وهو ظاهر على مذهب الكوفيين ووجهه عند البصريين أن يحذف الخبر لدلالة يصلون
عليه صلوا عليه وسلموا أي قولوا الصلاة على الرسول والسلام ومعناه الدعاء بأن يترحم عليه
الله ويسلم **فإن قلت** الصلاة على النبي واجبة أم مندوب إليها قلت بل واجبة وقد اختلفوا
في حال وجوبها فمنهم من أوجبها كلما جرى ذكره، وفي الحديث من ذكرت عنده فلم يصل علي فدخل النار
فأبعده الله، ويروى أنه قيل يا رسول الله أرأيت قول الله تعالى إن الله وملائكته يصلون على النبي
فقال عليه السلام هذا من العلم المكنون ولولا أنكم سألتموني عنه ما أخبرتكم به إن الله تعالى وكل
بي ملكين فلا أذكر عند عبد مسلم فيصلي علي إلا قال ذانك الملكان غفر الله لك وقال الله وملائكته
جوابا لذينك الملكين آمين ولا أذكر عند عبد مسلم فلا يصلي علي إلا قال ذانك الملكان لا غفر
الله لك وقال الله وملائكته لذينك الملكين آمين، ومنهم من قال تجب في كل مجلس مرة وإن
تكرر ذكره كما قيل في آية السجدة وتشميت العاطس وكذلك في كل دعاء في أوله وآخره، ومنهم من أوجبها
في العمر مرة وكذا قال في إظهار الشهادتين والذي يقتضيه الاحتياط الصلاة عليه عند كل ذكر
لما ورد من الأخبار **فإن قلت** فالصلاة عليه في الصلاة أهي شرط في جوازها أم لا قلت
أبو حنيفة رحمة الله عليه وأصحابه لا يرونها شرطا، وعن إبراهيم النخعي كانوا يكتفون عن ذلك يعني
الصحابة بالتشهد وهو السلام عليك أيها النبي وأما الشافعي رضي الله عنه فقد جعلها شرطا
فإن قلت فما تقول في الصلاة على غيره، قلت القياس جواز الصلاة على كل مؤمن لقوله تعالى هو الذي

يصلي عليكم، وقوله تعالى وصل عليهم ان صلواتك سكن لهم، وقوله عليه السلام اللهم صل على آل ابي اوفى
ولكن للعلماء تفصيلا في ذلك وهو انها ان كانت على سبيل التبع كقولك صلى الله على النبي وآله فلا كلام
فيها واما اذا افرد غيره من اهل البيت بالصلوة كما يفرد هو فمكروه لان ذلك صار شعارا لذكر رسول الله
صلى الله عليه وسلم ولانه يؤدي الى الاتهام بالرفض وقال رسول الله عليه السلام من كان يؤمن بالله
واليوم الآخر فلا يقفن مواقف التهم **ان الذين يؤذون الله ورسوله لعنهم الله في الدنيا
والآخرة واعد لهم عذابا مهينا**، يؤذون الله ورسوله فيه وجهان، احدهما ان يعبر بايذائهما
عن فعل ما يكرهانه ولا يرضيانه من الكفر والمعاصي وانكار النبوة ومخالفة الشريعة وما كانوا
يصيبونه به رسول الله عليه السلام من انواع المكروه على سبيل المجاز وانما جعلته مجازا فيهما جميعا وحقيقة
الايذاء صحيحة في رسول الله عليه السلام لئلا اجعل العبارة الواحدة معطية معنى المجاز والحقيقة
والثاني ان يراد يؤذون رسول الله، وقيل في اذى الله هو قول اليهود والنصارى والمشركين
يد الله مغلولة وثالث ثلاثة والمسيح ابن الله والملائكة بنات الله والاصنام شركاؤه،
وقيل قول الذين يلحدون في اسمائه وصفاته، وعن رسول الله صلى الله عليه وسلم فيما حكى عن ربه
تبارك وتعالى شتمني ابن آدم ولم ينبغ له ان يشتمني وآذاني ولم ينبغ له ان يؤذيني فاما شتمه اياي
فقوله اني اتخذت ولدا، واما اذاه فقوله ان الله لا يعيدني بعد ان بدأني، وعن عكرمة فعل
اصحاب التصاوير الذين يرومون تكوين خلق مثل خلق الله، وقيل في اذى رسول الله قولهم ساحر
شاعر كاهن مجنون، وقيل كسر رباعيته وشج وجهه يوم احد، وقيل طعنهم عليه في نكاح صفية بنت
حيي واطلق ايذاء الله ورسوله **والذين يؤذون المؤمنين والمؤمنات بغير ما اكتسبوا فقد
احتملوا بهتانا واثما مبينا**، وقيد ايذاء المؤمنين والمؤمنات لان اذى الله ورسوله لا يكون
الا غير حق ابدا واما اذى المؤمنين والمؤمنات فمنه ومنه ومعنى بغير ما اكتسبوا بغير جناية
واستحقاق للاذى، وقيل نزلت في ناس من المنافقين يؤذون عليا رضي الله عنه ويسمعونه وقيل
في الذين افكوا على عائشة رضي الله عنها، وقيل في زناة كانوا يتبعون النساء وهن كارهات، وعن
الفضيل لا يحل لك ان تؤذي كلبا او خنزيرا بغير حق فكيف وكان ابن عون لا يكري الحوانيت الا من
اهل الذمة لما فيه من الروعة عند كر الحول **يا ايها النبي قل لازواجك وبناتك ونساء المؤمنين
يدنين عليهن من جلابيبهن ذلك ادنى ان يعرفن فلا يؤذين وكان الله غفورا رحيما**
الجلباب ثوب واسع اوسع من الخمار ودون الرداء تلويه المرأة على رأسها وتبقي منه ما ترسله على
صدرها، وعن ابن عباس رضي الله عنهما الرداء الذي يستر من فوق الى اسفل، وقيل الملحفة وكل ما
يستتر به من كساء او غيره، قال ابو زبيد، مجلبب من سواد الليل جلبابا، ومعنى يدنين عليهن من جلابيبهن
يرخينها عليهن ويغطين بها وجوههن واعطافهن يقال اذا زل الثوب عن وجه المرأة ادني
ثوبك على وجهك وذلك ان النساء كن في اول الاسلام على هجيراهن في الجاهلية متبذلات تبرز المرأة
في درع وخمار لا فصل بين الحرة والامة وكان الفتيان واهل الشطارة يتعرضون اذا خرجن بالليل
الى مقاضي حوائجهن في النخيل والغيطان للاماء وربما تعرضوا للحرة بعلة الامة يقولون حسبناها
امة فامرن ان يخالفن بزيهن عن زي الاماء بلبس الاردية والملاحف وستر الرؤس والوجوه
ليحتشمن ويهبن فلا يطمع فيهن طامع وذلك قوله عز وجل ذلك ادنى ان يعرفن اي اولى واجدر بان

يعرفن

يعرفن فلا يتعرض لهن ولا يلقين ما يكرهن فان قلت ما معنى من في من جلابيبهن قلت هو
للتبعيض الا ان معنى التبعيض محتمل وجهين، احدهما ان يتجلببن ببعض ما لهن من الجلابيب والمراد
ان لا تكون الحرة متبذلة في درع وخمار كالامة والماهنة ولها جلبابان فصاعدا في بيتها، والثاني ان
ترخي المرأة بعض جلبابها وفضله على وجهها تتقنع حتى تتميز من الامة، وعن ابن سيرين رحمة الله
عليه سألت عبيدة السلماني عن ذلك فقال ان تضع رداءها فوق الحاجب ثم تديره حتى تضعه على
انفها، وعن السدي ان تغطي احدى عينيها وجبهتها والشق الآخر الا العين، وعن الكسائي يتقنعن
بملاحفهن منضمة عليهن اراد بالانضمام معنى الادناء، وكان الله غفورا لما سلف منهن من التفريط
مع التوبة لان هذا مما يمكن معرفته بالعقل **لئن لم ينته المنافقون والذين في قلوبهم
مرض والمرجفون في المدينة لنغرينك بهم ثم لا يجاورونك فيها الا قليلا**، الذين
في قلوبهم مرض قوم كان فيهم ضعف ايمان وقلة ثبات عليه، وقيل هم الزناة واهل الفجور من
قوله تعالى فيطمع الذي في قلبه مرض، والمرجفون ناس كانوا يرجفون باخبار السوء عن سرايا رسول
الله عليه السلام فيقولون هزموا وقتلوا وجرى عليهم كيت وكيت فيكسرون بذلك قلوب المؤمنين
يقال ارجف بكذا اذا اخبر به على غير حقيقة لكونه خبرا متزلزلا غير ثابت من الرجفة وهي الزلزلة والمعنى
لئن لم ينته المنافقون عن عداوتهم وكيدهم والفسقة عن فجورهم والمرجفون عما يؤلفون من
اخبار السوء لنأمرنك بان تفعل بهم الافاعيل التي تسوؤهم وتنوؤهم ثم بان تضطرهم الى طلب الجلاء
عن المدينة والى ان لا يساكنوك فيها الا زمنا قليلا ريثما يرتحلون ويلتقطون انفسهم وعيالاتهم
فسمى ذلك اغراء وهو التحريش على سبيل المجاز **ملعونين اينما ثقفوا اخذوا وقتلوا تقتيلا**
ملعونين نصب على الشتم او الحال اي لا يجاورونك الا ملعونين دخل حرف الاستثناء على الظرف
والحال كما مر في قوله تعالى الا ان يؤذن لكم غير ناظرين ولا يصح ان ينتصب عن اخذوا لان ما
بعد كلمة الشرط لا يعمل فيما قبلها، وقيل في قليلا هو منصوب على الحال ايضا ومعناه لا يجاورونك
الا اقلاء اذلاء ملعونين فان قلت ما موقع لا يجاورونك قلت لا يجاورونك عطف
على لنغرينك لانه يجوز ان يجاب به القسم الا ترى الى صحة قولك لئن لم ينتهوا لا يجاورونك،
فان قلت اما كان من حق لا يجاورونك ان يعطف بالفاء وان يقال لنغرينك بهم فلا يجاورونك
قلت لو جعل الثاني مسببا عن الاول لكان الامر كما قلت ولكنه جعل جوابا آخر للقسم معطوفا
على الاول وانما عطف بثم لان الجلاء عن الاوطان كان اعظم عليهم واعظم من جميع ما اصيبوا
به فتراخت حاله عن حال المعطوف عليه **سنة الله في الذين خلوا من قبل ولن تجد لسنة
الله تبديلا**، سنة الله في موضع مصدر مؤكد اي سن الله في الذين ينافقون الانبياء ان يقتلوا
حيثما ثقفوا، وعن مقاتل كما قتل اهل بدر واسروا **يسألك الناس عن الساعة قل انما علمها
عند الله وما يدريك لعل الساعة تكون قريبا**، كان المشركون يسألون رسول الله
عليه السلام عن وقت قيام الساعة استعجالا على سبيل الهزء واليهود يسألونه امتحانا لان
الله تعالى عمى وقتها في التوراة وفي كل كتاب فامر رسول الله ان يجيبهم بانه علم قد استأثر الله به
لم يطلع عليه ملكا ولا نبيا ثم بين لرسوله انها قريبة الوقوع تهديدا للمستعجلين واسكاتا
للممتحنين، قريبا شيئا قريبا او لان الساعة في معنى اليوم او في زمان قريب **ان الله لعن**

الكافرين واعد لهم سعيرا خالدين فيها ابدا لا يجدون وليا ولا نصيرا يوم تقلب وجوههم في النار يقولون يا ليتنا اطعنا الله واطعنا الرسولا السعير النار المسعورة الشديدة الايقاد وقرئ تقلب على البناء للمفعول وتقلب بمعنى تتقلب وتقلب اي تقلب هي وتقلب على ان الفعل للسعير ومعنى تقليبها تصريفها في الجهات كما ترى البضعة تدور في القدر اذا غلت فتراما بها الغليان من جهة الى جهة او تغييرها عن احوالها وتحويلها عن هيئاتها او طرحها في النار مقلوبين منكوسين وخصت الوجوه بالذكر لان الوجه اكرم موضع على الانسان من جسده ويجوز ان يكون الوجه عبارة عن الجملة وناصب الظرف يقولون او محذوف وهو اذكر واذا نصب بالمحذوف كان يقولون حالا وقالوا ربنا انا اطعنا سادتنا وكبراءنا فاضلونا السبيلا وقرئ ساداتنا وسادتنا وهم رؤساء الكفر الذين لقنوهم الكفر وزينوه لهم يقال ضل السبيل واضله اياه وزيادة الالف لاطلاق الصوت جعلت فواصل الاي كقوافي الشعر وفائدتها الوقف والدلالة على ان الكلام قد انقطع وان ما بعده مستانف ربنا آتهم ضعفين من العذاب والعنهم لعنا كبيرا وقرئ كثيرا تكثيرا لاعداد اللعائن وكبيرا ليدل على اشد اللعن واعظمه ضعفين ضعفا لضلاله وضعفا لاضلاله يعترفون ويستغيثون ويتمنون ولا ينفعهم شيء من ذلك يا ايها الذين آمنوا لا تكونوا كالذين آذوا موسى فبراه الله مما قالوا وكان عند الله وجيها لا تكونوا كالذين آذوا موسى قيل نزلت في شان زيد وزينب وما سمع فيه من قالة بعض الناس وقيل في اذى موسى هو حديث المومسة التي ارادها قارون على قذفه بنفسها وقيل اتهامهم اياه بقتل هرون وكان قد خرج معه الى الجبل فمات هناك فحملته الملائكة ومروا به عليهم ميتا فابصروه حتى عرفوا انه غير مقتول وقيل احياه الله فاخبرهم ببراءة موسى وقيل قرفوه بعيب في جسده من برص او ادرة فاطلعهم الله على انه بريء منه وجيها ذا جاه ومنزلة عنده فلذلك كان يميط عنه التهم ويدفع الاذى ويحافظ عليه لئلا يلحقه وصم ولا يوصف بنقيصة كما يفعل الملك بمن له عنده قربة ووجاهة وقرا ابن مسعود والاعمش وابو حيوة وكان عبدا لله وجيها قال ابن خالويه صليت خلف ابن شنبوذ في شهر رمضان فسمعته يقرؤها وقراءة العامة اوجه لانها مفصحة عن وجاهته عند الله كقوله تعالى عند ذي العرش مكين وهذه ليست كذلك فان قلت قوله تعالى مما قالوا معناه من قولهم او من مقولهم لان ما اما مصدرية او موصولة وايهما كان فكيف تصح البراءة منه قلت المراد بالقول او المقول مؤداه ومضمونه وهو الامر المعيب الا ترى انهم سموا السبة بالقالة والقالة بمعنى القول يا ايها الذين آمنوا اتقوا الله وقولوا قولا سديدا يصلح لكم اعمالكم ويغفر لكم ذنوبكم ومن يطع الله ورسوله فقد فاز فوزا عظيما قولا سديدا قاصدا الى الحق والسداد القصد الى الحق والقول بالعدل يقال سدد السهم نحو الرمية اذا لم يعدل به عن سمتها كما قالوا سهم قاصد والمراد نهيهم عما خاضوا فيه من حديث زينب من غير قصد وعدل في القول والبعث على ان يسد قولهم في كل باب لان حفظ اللسان وسداد القول راس الخير كله والمعنى راقبوا الله في حفظ السنتكم وتسديد قولكم فانكم ان فعلتم ذلك اعطاكم الله ما هو غاية الطلبة من تقبل حسناتكم والاثابة عليها ومن مغفرة سيئاتكم وتكفيرها

وقيل صلاح الاعمال التوفيق في المجيء بها صالحة مرضية وهذه الاية مقررة للتي قبلها بنيت تلك على النهي عما يؤذي رسول الله وهذه على الامر باتقاء الله في حفظ اللسان ليترادف عليهم النهي والامر مع اتباع النهي ما يتضمن الوعيد من قصة موسى واتباع الامر الوعد البليغ فيقوى الصارف عن الاذى والداعي الى تركه انا عرضنا الامانة على السموات والارض والجبال فابين ان يحملنها واشفقن منها وحملها الانسان انه كان ظلوما جهولا لما قال ومن يطع الله ورسوله وعلق بالطاعة الفوز العظيم اتبعه قوله تعالى انا عرضنا الامانة وهو يريد بالامانة الطاعة فعظم امرها وفخم شانها وفيه وجهان احدهما ان هذه الاجرام العظام من السموات والارض والجبال قد انقادت لامر الله عز وعلا انقياد مثلها وهو ما يتاتى من الجمادات واطاعت له الطاعة التي تصح منها وتليق بها حيث لم تمتنع على مشيئته وارادته ايجادا وتكوينا وتسوية على هيئات مختلفة واشكال متنوعة كما قال تعالى قالتا اتينا طائعين واما الانسان فلم تكن حاله فيما يصح منه من الطاعة ويليق به من الانقياد لاوامر الله ونواهيه وهو حيوان عاقل صالح للتكليف مثل حال تلك الجمادات فيما يصح منها ويليق بها من الانقياد وعدم الامتناع والمراد بالامانة الطاعة لانها لازمة الوجود كما ان الامانة لازمة الاداء وعرضها على الجمادات واباؤها واشفاقها مجاز واما حمل الامانة فمن قولك فلان حامل للامانة ومحتمل لها تريد انه لا يؤديها الى صاحبها حتى تزول عن ذمته ويخرج عن عهدتها لان الامانة كانها راكبة للمؤتمن عليها وهو حاملها الا تراهم يقولون ركبته الديون ولي عليه حق فاذا اداها لم تبق راكبة له ولا هو حاملا لها ونحوه قولهم لا يملك مولى لمولى نصرا يريدون انه يبذل له النصرة ويسامحه بها ولا يمسكها كما يمسكها الخاذل ومنه قول القائل

اخوك الذي لا تملك الحس نفسه ... وترفض عند المحفظات الكتائف

اي لا يمسك الرقة والعطف امساك المالك الضنين ما في يده بل يبذل ذلك ويسمح به ومنه قولهم ابغض حق اخيك لانه اذا احبه لم يخرجه الى اخيه ولم يؤده واذا ابغضه اخرجه واداه فمعنى فابين ان يحملنها وحملها الانسان فابين الا ان يؤدينها وابى الانسان الا ان يكون محتملا لها لا يؤديها ثم وصفه بالظلم لكونه تاركا لاداء الامانة وبالجهل لاخطائه ما يسعده مع تمكنه منه وهو اداؤها والثاني ان ما كلفه الانسان بلغ من عظمه وثقل محمله انه عرض على اعظم ما خلق الله تعالى من الاجرام واقواه واشده ان يتحمله ويستقل به فابى حمله والاستقلال به واشفق منه وحمله الانسان على ضعفه ورخاوة قوته انه كان ظلوما جهولا حيث حمل الامانة ثم لم يف بها وضمنها ثم خاس بضمانه فيها ونحو هذا من الكلام كثير في لسان العرب وما جاء القرآن الا على طرقهم واساليبهم من ذلك قولهم لو قيل للشحم اين تذهب لقال اسوي العوج وكم لهم من امثال على السنة البهائم والجمادات وتصور مقالة الشحم محال ولكن الغرض ان السمن في الحيوان مما يحسن قبحه كما ان العجف مما يقبح حسنه فصور اثر السمن فيه تصويرا هو اوقع في نفس السامع وهي به آنس وله اقبل وعلى حقيقته اوقف وكذلك تصوير عظم الامانة وصعوبة امرها وثقل محملها والوفاء بها فان قلت قد علم وجه التمثيل في قولهم للذي لا يثبت على راي واحد اراك تقدم رجلا وتؤخر اخرى لانه مثلت حاله في تميله وترجحه بين الرايين وتركه المضي على احدهما بحال من يتردد في ذهابه فلا يجمع رجليه للمضي في وجهه وكل واحد من المثل والممثل به شيء مستقيم داخل تحت الصحة والمعرفة وليس كذلك ما في الآية فان عرض الامانة على

الجماد وإباؤه وإشفاقه محال في نفسه غير مستقيم فكيف صح بناء التمثيل على المحال وما مثال هذا إلا أن تشبه شيئاً والمشبه به غير معقول قلت الممثل به في الآية وفي قولهم لو قيل للشحم أين تذهب وفي نظائره مفروض والمفروضات تتخيل في الذهن كما المحققات مثلت حال التكليف في صعوبته وثقل محمله بحاله المفروضة لو عرضت على السموات والأرض والجبال لأبين أن يحملنها وأشفقن منها ليعذب الله المنافقين والمنافقات والمشركين والمشركات ويتوب الله على المؤمنين والمؤمنات وكان الله غفوراً رحيماً اللام في ليعذب لام التعليل على طريق المجاز لأن التعذيب نتيجة حمل الأمانة كما أن التأديب في ضربته للتأديب نتيجة الضرب وقرأ الأعمش ويتوب ليجعل العلة قاصرة على فعل الحامل ويبتدئ ويتوب الله ومعنى قراءة العامة ليعذب الله حامل الأمانة ويتوب على غيره ممن لم يحملها لأنه إذا تيب على الوافي كان ذلك نوعاً من عذاب الغادر والله أعلم. قال رسول الله صلى الله عليه وسلم من قرأ سورة الأحزاب وعلمها أهله وما ملكت يمينه أعطي الأمان من عذاب القبر

بسم الله الرحمن الرحيم الحمد لله الذي له ما في السموات وما في الأرض وله الحمد في الآخرة وهو الحكيم الخبير يعلم ما يلج في الأرض وما يخرج منها وما ينزل من السماء وما يعرج فيها وهو الرحيم الغفور ما في السموات والأرض كله نعمة من الله وهو الحقيق بأن يحمد ويثنى عليه من أجله ولما قال الحمد لله ثم وصف ذاته بالإنعام بجميع النعم الدنيوية كان معناه أنه المحمود على نعم الدنيا كما تقول احمد أخاك الذي كساك وحملك تريد احمده على كسوته وحملانه ولما قال وله الحمد في الآخرة علم أنه المحمود على نعم الآخرة وهو الثواب فإن قلت ما الفرق بين الحمدين قلت أما الحمد في الدنيا فواجب لأنه على نعمة متفضل بها وهو الطريق إلى تحصيل نعمة الآخرة وهي الثواب وأما الحمد في الآخرة فليس بواجب لأنه على نعمة واجبة الإيصال إلى مستحقها إنما هو تتمة سرور المؤمنين وتكملة اغتباطهم يلتذون به كما يلتذ من به العطاش بالماء البارد وهو الحكيم الذي أحكم أمور الدارين ودبرها بحكمته الخبير بكل كائن يكون ثم ذكر مما يحيط به علماً ما يلج في الأرض من الغيث كقوله تعالى فسلكه ينابيع في الأرض ومن الكنوز والدفائن والأموات وجميع ما هي له كفات وما يخرج منها من الشجر والنبات وماء العيون والغلة والدواب وغير ذلك وما ينزل من السماء من الأمطار والثلوج والبرد والصواعق والأرزاق والملائكة وأنواع البركات والمقادير كما قال تعالى وفي السماء رزقكم وما توعدون وما يعرج فيها من الملائكة وأعمال العباد وهو مع كثرة نعمته وسبوغ فضله الرحيم الغفور للمفرطين في أداء مواجب شكرها وقرأ علي بن أبي طالب رضي الله عنه ننزل بالنون والتشديد وقال الذين كفروا لا تأتينا الساعة قل بلى وربي لتأتينكم عالم الغيب قولهم لا تأتينا الساعة نفي للبعث وإنكار لمجيء الساعة أو استبطاء لما قد وعدوه من قيامها على سبيل الهزء والسخرية كقولهم متى هذا الوعد أوجب ما بعد النفي ببلى على معنى أن ليس الأمر إلا إتيانها ثم أعيد إيجابه مؤكداً بما هو الغاية في التوكيد والتشديد وهو التوكيد باليمين بالله عز وجل ثم أمد التوكيد القسمي إمداداً بما أتبع المقسم به من الوصف بما وصف به إلى قوله ليجزي لأن عظمة حال المقسم به تؤذن بقوة حال المقسم عليه وشدة ثباته

واستقامته

واستقامته لأنه بمنزلة الاستشهاد على الأمر وكلما كان المستشهد به أعلى كعباً وأبين فضلاً وأرفع منزلة كانت الشهادة أقوى وآكد والمستشهد عليه أثبت وأرسخ فإن قلت هل للوصف الذي وصف به المقسم به وجه اختصاص بهذا المعنى قلت نعم وذلك أن قيام الساعة من مشاهير الغيوب وأدخلها في الخفية وأولها مسارعة إلى القلب إذا قيل عالم الغيب فحين أقسم باسمه على إثبات قيام الساعة وأنه كائن لا محالة ثم وصف بما يرجع إلى علم الغيب وأنه لا يفوت علمه شيء من الخفيات اندرج تحته إحاطته بوقت قيام الساعة فجاء ما تطلبه من وجه الاختصاص مجيئاً واضحاً فإن قلت الناس قد أنكروا إتيان الساعة وجحدوه فهب أنه حلف لهم بأغلظ الأيمان وأقسم عليهم جهد القسم فيمين من هو في معتقدهم مفتر على الله كذباً كيف تكون مصححة لما أنكروه قلت هذا لو اقتصر على اليمين ولم يتبعها الحجة القاطعة والبينة الساطعة وهو قوله تعالى ليجزي فقد وضع الله في العقول وركب في الغرائز وجوب الجزاء وأن المحسن لا بد له من ثواب والمسيء لا بد له من عقاب وقوله تعالى ليجزي متصل بقوله لتأتينكم تعليلاً له وقرئ لتأتينكم بالتاء والياء ووجه من قرأ بالياء أن يكون ضميره للساعة بمعنى اليوم أو يسند إلى عالم الغيب أي ليأتينكم أمره كما قال الله سبحانه وتعالى هل ينظرون إلا أن تأتيهم الملائكة أو يأتي ربك وقال أو يأتي أمر ربك وقرئ عالم الغيب وعلام الغيب بالجر صفة لربي وعالم الغيب وعالم الغيوب بالرفع على المدح لا يعزب عنه مثقال ذرة في السموات ولا في الأرض ولا أصغر من ذلك ولا أكبر إلا في كتاب مبين ليجزي الذين آمنوا وعملوا الصالحات أولئك لهم مغفرة ورزق كريم ولا يعزب بالضم والكسر من العزوب وهو البعد يقال روض عزيب بعيد من الناس مثقال ذرة مقدار أصغر نملة وذلك إشارة إلى مثقال ذرة وقرئ ولا أصغر من ذلك ولا أكبر بالرفع على أصل الابتداء وبالفتح على نفي الجنس كقولك لا حول ولا قوة إلا بالله بالرفع والنصب وهو كلام منقطع عما قبله فإن قلت هل يصح عطف المرفوع على مثقال ذرة كأنه قيل لا يعزب عنه مثقال ذرة وأصغر وأكبر وزيادة لا لتأكيد النفي وعطف المفتوح على ذرة بأنه فتح في موضع الجر لامتناع الصرف كأنه قيل لا يعزب عنه مثقال ذرة ولا مثقال أصغر من ذلك ولا أكبر قلت يأبى ذلك حرف الاستثناء إلا إذا جعلت الضمير في عنه للغيب وجعلت الغيب اسماً للخفيات قبل أن تكتب في اللوح لأن إثباتها في اللوح نوع من البروز عن الحجاب على معنى أنه لا ينفصل عن الغيب شيء ولا يزل عنه إلا مسطوراً في اللوح والذين سعوا في آياتنا معاجزين أولئك لهم عذاب من رجز أليم ويرى الذين أوتوا العلم الذي أنزل إليك من ربك هو الحق ويهدي إلى صراط العزيز الحميد وقرئ معجزين وأليم بالرفع والجر وعن قتادة الرجز سوء العذاب ويرى في موضع الرفع أي ويعلم أولو العلم يعني أصحاب رسول الله عليه السلام ومن يطأ أعقابهم من أمته أو علماء أهل الكتاب الذين أسلموا مثل كعب الأحبار وعبد الله بن سلام الذي أنزل إليك الحق وهما مفعولان ليرى وهو فصل ومن قرأ بالرفع جعله مبتدأ والحق خبراً والجملة في موضع المفعول الثاني وقيل يرى في موضع النصب معطوف على ليجزي أي وليعلم أولو العلم عند مجيء الساعة أنه الحق علماً لا يزاد عليه في الإيقان ويحتجوا به على الذين كذبوا وتولوا ويجوز أن يريد وليعلم من لم يؤمن من الأحبار أنه الحق فيزداد حسرة

وعما **وقال الذين كفروا هل ندلكم على رجل ينبئكم اذا مزقتم كل ممزق انكم لفي خلق جديد** الذين كفروا قريش قال بعضهم لبعض هل ندلكم على رجل يعنون محمدا عليه السلام يحدثكم باعجوبة من الاعاجيب انكم تبعثون وتنشاون خلقا جديدا بعد ان تكونوا رفاتا وترابا ويمزق اجسادكم البلى كل ممزق اى يفرقكم ويبدد اجزاءكم كل تبديد **افترى على الله كذبا ام به جنة بل الذين لا يؤمنون بالآخرة في العذاب والضلال البعيد** اهو مفتر على الله كذبا فيما ينسب اليه من ذلك ام به جنون يوهمه ذلك ويلقيه على لسانه ثم قال سبحانه ليس محمد من الافتراء والجنون في شيء وهو مبرّاء منهما بل هؤلاء القائلون الكافرون بالبعث واقعون في عذاب النار وفيما يؤديهم اليه من الضلال عن الحق وهم غافلون عن ذلك وذلك اجن الجنون واشده اطباقا على عقولهم جعل وقوعهم في العذاب رسيلا لوقوعهم في الضلال كانهما كائنان في وقت واحد لان الضلال لما كان العذاب من لوازمه وموجباته جعلا كانهما في الحقيقة مقترنان وقرا زيد بن علي رضي الله عنهما ينبئكم **فان قلت** فقد جعلت الممزق مصدرا كبيت الكتاب الم تسرجي القوافي فلا عيابهن ولا اجتلابا فهل يجوز ان يكون مكانا **قلت** نعم ومعناه ما حصل من الاموات في بطون الطير والسباع وما مرت به السيول فذهبت به كل مذهب وما نسفته الرياح فطرحته كل مطرح **فان قلت** ما العامل في اذا **قلت** ما دل عليه انكم لفي خلق جديد وقد سبق نظيره **فان قلت** الجديد فعيل بمعنى فاعل ام مفعول **قلت** هو عند البصريين بمعنى فاعل تقول جد فهو جديد كحد فهو حديد وقل فهو قليل وعند الكوفيين بمعنى مفعول من جده اذا قطعه وقالوا هو الذي جده الناسج الساعة في الثوب ثم شاع ويقولون ولهذا قالوا ملحفة جديد وهي عند البصريين كقوله سبحانه وتعالى ان رحمة الله قريب ونحو ذلك **فان قلت** لم اسقطت الهمزة في قوله تعالى افترى دون قوله السحر وكلتاهما همزة وصل ولكن امرا اضطرهم الى ترك اسقاطها في نحو السحر وهو خوف التباس الاستفهام بالخبر لكون همزة الوصل مفتوحة كهمزة الاستفهام **فان قلت** ما معنى وصف الضلال بالبعد **قلت** هو من الاسناد المجازي لان البعيد صفة الضال اذا بعد عن الجادة وكلما ازداد عنها بعدا كان اضل **فان قلت** كان رسول الله عليه السلام مشهورا علما في قريش وكان انباؤه بالبعث شائعا عندهم فما معنى قوله تعالى هل ندلكم على رجل ينبئكم فنكروه لهم وعرضوا عليهم الدلالة عليه كما يدل على مجهول في امر مجهول **قلت** كانوا يقصدون بذلك الطنز والسخرية فاخرجوه مخرج التحكي ببعض الاحاجي التي يتحاجى بها للضحك والتلهي متجاهلين بامره **افلم يروا الى ما بين ايديهم وما خلفهم من السماء والارض ان نشأ نخسف بهم الارض او نسقط عليهم كسفا من السماء ان في ذلك لآية لكل عبد منيب** اعموا فلم ينظروا الى السماء والارض وانهما حيثما كانوا واينما ساروا امامهم وخلفهم محيطتان بهم لا يقدرون ان ينفذوا من اقطارهما وان يخرجوا عما هم فيه من ملكوت الله ولم يخافوا ان يخسف الله بهم او يسقط عليهم كسفا لتكذيبهم الآيات وكفرهم بالرسول وبما جاء به كما فعل بقارون واصحاب الايكة ان في ذلك النظر الى السماء والارض والفكر فيهما وما تدلان عليه من قدرة الله لآية ودلالة لكل عبد منيب وهو الراجع الى ربه المطيع له لان المنيب لا يخلو من النظر في آيات الله على انه قادر على كل شيء من البعث ومن عقاب من يكفر به وقرئ يشأ نخسف ويسقط بالياء لقوله تعالى

افترى على الله كذبا وبالنون لقوله تعالى ولقد آتينا وكسفا بفتح السين وسكونه وقرا الكسائي نخسف بهم بالادغام وليست بقوية **ولقد آتينا داود منا فضلا يا جبال اوبي معه والطير والنا له الحديد** يا جبال اما ان يكون بدلا من فضلا واما من آتينا بتقدير قولنا يا جبال او قلنا يا جبال وقرئ اوبي واوبي من التأويب والاوب اى رجعي معه التسبيح او ارجعي معه في التسبيح كلما رجع فيه لانه اذا رجعه فقد رجع فيه ومعنى تسبيح الجبال ان الله يخلق فيها تسبيحا كما خلق الكلام في الشجر فيسمع منها ما يسمع من المسبح معجزة لداود عليه السلام وقيل كان ينوح على ذنبه بترجيع وتحزين وكانت الجبال تسعده على نوحه باصدائها والطير باصواتها وقرئ والطير رفعا ونصبا عطفا على لفظ الجبال ومحلها وجوزوا ان ينتصب مفعولا معه وان يعطف على فضلا بمعنى وسخرنا له الطير **فان قلت** اى فرق بين هذا النظم وبين ان يقال وآتينا داود منا فضلا تأويب الجبال معه والطير **قلت** كم بينهما الا ترى الى ما فيه من الفخامة التي لا تخفى ومن الدلالة على عزة الربوبية وكبرياء الالهية حيث جعلت الجبال منزلة منزلة العقلاء الذين اذا امرهم اطاعوا واذعنوا واذا دعاهم سمعوا واجابوا اشعارا بانه ما من حيوان وجماد وناطق وصامت الا وهو منقاد لمشيئته غير ممتنع على ارادته والنا له الحديد وجعلناه له لينا كالطين والعجين والشمع يصرفه بيده كيف يشاء من غير نار ولا ضرب بمطرقة وقيل لان الحديد في يده لما اوتي من شدة القوة **ان اعمل سابغات وقدر في السرد واعملوا صالحا اني بما تعملون بصير** وقرئ صابغات وهي الدروع الواسعة الضافية وهو اول من اتخذها وكانت قبل صفائح وقيل كان يبيع الدرع باربعة الاف فينفق منها على نفسه وعياله ويتصدق على الفقراء وقيل كان يخرج حين ملك بني اسرائيل متنكرا فيسال الناس عن نفسه ويقول لهم ما تقولون في داود فيثنون عليه فقيض الله ملكا في صورة آدمي فساله على عادته فقال نعم الرجل لولا خلة فيه فريع داود عليه السلام فساله فقال لولا انه يطعم عياله من بيت المال فسال عند ذلك ربه ان يسبب له ما يستغني به عن بيت المال فعلمه صنعة الدروع وقدر لا تجعل المسامير دقاقا فتقلق ولا غلاظا فتفصم الحلق والسرد نسج الدروع واعملوا الضمير لداود عليه السلام واهله **ولسليمان الريح غدوها شهر ورواحها شهر واسلنا له عين القطر ومن الجن من يعمل بين يديه باذن ربه ومن يزغ منهم عن امرنا نذقه من عذاب السعير** وسخرنا لسليمان الريح فيمن نصب ولسليمان الريح مسخرة فيمن رفع وكذلك فيمن قرا الرياح بالرفع غدوها شهر جريها بالغداة مسيرة شهر وجريها بالعشي كذلك **وقرئ** غدوتها وروحتها وعن الحسن رحمة الله عليه كان يغدو فيقيل باصطخر ثم يروح فيكون رواحه بكابل ويحكى ان بعضهم راى مكتوبا في منزل بناحية دجلة كتبه بعض اصحاب سليمان نحن نزلناه وما بنيناه ومبنيا وجدناه غدونا من اصطخر فقلناه ونحن رائحون منه فبائتون بالشام ان شاء الله القطر النحاس المذاب من القطران **فان قلت** ما ذا اراد بعين القطر **قلت** اراد بها معدن النحاس ولكنه اساله كما الان الحديد لداود فنبع كما ينبع الماء من العين فلذلك سماه عين القطر باسم ما آل اليه كما قال اني اراني اعصر خمرا وقيل كان يسيل

في الشهر ثلاثة أيام بإذن ربه بأمره ومن يزغ منهم ومن يعدل عن أمرنا الذي أمرناه به من طاعة
سليمان عليه السلام وقرئ يزغ من أزاغه نذقه من عذاب السعير عذاب الآخرة عن ابن عباس وعن السدي
كان معه ملك بيده سوط من نار كلما استعصى عليه ضربه من حيث لا يراه الجني **يعملون له ما يشاء
من محاريب وتماثيل وجفان كالجواب وقدور راسيات اعملوا آل داود شكرا وقليل
من عبادي الشكور** المحاريب المساكن والمجالس الشريفة المصونة عن الابتذال سميت محاريب لأنه
يحامى عليها ويذب عنها وقيل هي المساجد والتماثيل صور الملائكة والنبيين والصالحين كانت
تعمل في المساجد من نحاس وصفر وزجاج ورخام ليراها الناس فيعبدوا نحو عبادتهم **فإن
قلت** كيف استجاز سليمان عليه السلام عمل التصاوير **قلت** هذا مما يجوز أن تختلف فيه
الشرائع لأنه ليس من مقبحات العقل كالظلم والكذب وعن أبي العالية لم يكن اتخاذ الصور
إذ ذاك محرما ويجوز أن يكون غير صور الحيوان كصور الأشجار وغيرها لأن التمثال كل ما صور
على مثل صورة غيره من حيوان وغير حيوان أو تصور محذوفة الرؤس **وروي** أنهم عملوا له أسدين
في أسفل كرسيه ونسرين فوقه فإذا أراد أن يصعد بسط الأسدان له ذراعيهما وإذا قعد أظله
النسران بأجنحتهما والجوابي الحياض الكبار **قال** تروح على آل المحلق جفنة كجابية الشيخ العراقي تفهق
لأن الماء يجبى فيها أي يجمع جعل الفعل لها مجازا وهي من الصفات الغالبة كالدابة قيل كان يقعد
على الجفنة ألف رجل وقرئ بحذف الياء اكتفاء بالكسرة كقوله تعالى يوم يدع الداع راسيات
ثابتات على الأثافي لا تنزل عنها لعظمها اعملوا آل داود حكاية لما قيل لآل داود وانتصب شكرا
على أنه مفعول له أي اعملوا لله واعبدوه على وجه الشكر لنعمائه وفيه دليل على أن العبادة
يجب أن تؤدى على طريق الشكر أو على الحال أي شاكرين أو على تقدير اشكروا شكرا لأن اعملوا فيه
معنى اشكروا من حيث أن العمل للمنعم شكر له ويجوز أن ينتصب باعملوا مفعولا به ومعناه إنا
سخرنا لكم الجن يعملون لكم ما شئتم فاعملوا أنتم شاكرا على طريق المشاكلة الشكور المتوفر على أداء
الشكر الباذل وسعه فيه قد شغل قلبه ولسانه وجوارحه اعتقادا واعترافا وكدحا وأكثر
أوقاته وعن ابن عباس رضي الله عنهما من يشكر على أحواله كلها وعن السدي من يشكر على الشكر
وقيل من يرى عجزه عن الشكر وعن داود أنه جزأ ساعات الليل والنهار على أهله فلم تكن تأتي ساعة
من الساعات إلا وإنسان من آل داود قائم يصلي وعن عمر بن الخطاب رضي الله عنه أنه سمع رجلا
يقول اللهم اجعلني من القليل فقال عمر ما هذا الدعاء فقال الرجل إني سمعت الله يقول وقليل
من عبادي الشكور فأنا أدعوه أن يجعلني من ذلك القليل فقال عمر كل الناس أعلم من عمر **فلما قضينا
عليه الموت ما دلهم على موته إلا دابة الأرض تأكل منسأته فلما خر تبينت الجن أن لو
كانوا يعلمون الغيب ما لبثوا في العذاب المهين** **قرئ** فلما قضي عليه الموت ودابة الأرض
الأرضة وهي الدويبة التي يقال لها السرفة والأرض فعلها فأضيفت إليه يقال أرضت الخشبة
أرضا إذا أكلتها الأرضة **وقرئ** بفتح الراء من أرضت الخشبة أرضا وهو من باب فعلته ففعل
كقولك أكلت القوادح الأسنان أكلا فأكلت أكلا والمنسأة العصا لأنه ينسأ بها أي يطرد
ويؤخر **وقرئ** بفتح الميم وتخفيف الهمزة قلبا وحذفا وكلاهما ليس بقياس ولكن إخراج الهمزة
بين بين هو التخفيف القياسي ومنساته على مفعالة كما يقال في الميضأة ميضاة ومن سأته

أي

أي من طرف عصاه سميت بساة القوس على الاستعارة وفيها لغتان كقولهم قحة وقحة **وقرئ** أكلت
منسأته تبينت الجن من تبين الشيء إذا ظهر وتجلى وأن مع صلتها بدل من الجن بدل الاشتمال
كقولك تبين زيد جهله والظهور له في المعنى أي ظهر أن الجن لو كانوا يعلمون الغيب ما لبثوا في
العذاب أو علم الجن كلهم علما بينا بعد التباس الأمر على عامتهم وضعفتهم وتوهمهم أن كبارهم
يصدقون في ادعائهم علم الغيب أو علم المدعون علم الغيب منهم عجزهم وأنهم لا يعلمون الغيب
وإن كانوا عالمين قبل ذلك بحالهم وإنما أريد التهكم بهم كما تتهكم بمدعي الباطل إذا دحضت حجته
وظهر إبطاله بقولك هل تبينت أنك مبطل وأنت تعلم أنه لم يزل كذلك متبينا **وقرئ**
تبينت الجن على البناء للمفعول على أن المتبين في المعنى هو أن مع ما في صلتها لأنه بدل وفي قراءة أبي
تبينت الإنس وعن الضحاك تباينت الإنس بمعنى تعارفت وتعالمت والضمير في كانوا للجن في قوله
تعالى ومن الجن من يعمل بين يديه أي علمت الإنس أن لو كان الجن يصدقون فيما يوهمونه من علمهم
الغيب ما لبثوا وفي قراءة ابن مسعود رضي الله عنه تبينت الإنس أن الجن لو كانوا يعلمون الغيب
روي أنه كان من عادة سليمان عليه السلام أن يعتكف في مسجد بيت المقدس المدد الطوال فلما
دنا أجله لم يصبح إلا رأى في محرابه شجرة نابتة قد أنطقها الله فيسألها لأي شيء أنت فتقول لكذا
حتى أصبح ذات يوم فرأى الخروبة فسألها فقالت نبت لخراب هذا المسجد فقال ما كان الله ليخربه
وأنا حي أنت التي على وجهك هلاكي وخراب بيت المقدس فنزعها وغرسها في حائط له وقال اللهم عم
على الجن موتي حتى يعلم الناس أنهم لا يعلمون الغيب لأنهم كانوا يسترقون السمع ويموهون على الإنس
أنهم يعلمون الغيب وقال لملك الموت إذا أمرت بي فأعلمني فقال أمرت بك وقد بقيت من عمرك ساعة
فدعا الشياطين فبنوا عليه صرحا من قوارير ليس له باب فقام يصلي متكئا على عصاه فقبض روحه
وهو متكئ عليها وكانت الشياطين تجتمع حول محرابه أينما صلى فلم يكن شيطان ينظر إليه في صلاته
إلا احترق فمر به شيطان فلم يسمع صوته ثم رجع فلم يسمع فنظر فإذا سليمان عليه السلام قد خر
ميتا ففتحوا عنه فإذا العصا قد أكلتها الأرضة فأرادوا أن يعرفوا وقت موته فوضعوا الأرضة على
العصا فأكلت منها في يوم وليلة مقدارا فحسبوا على ذلك النحو فوجدوه قد مات منذ سنة وكانوا
يعملون بين يديه ويحسبونه حيا فأيقن الناس أنهم لو علموا الغيب لما لبثوا في العذاب سنة **وروي**
أن داود عليه السلام أسس بناء بيت المقدس في موضع فسطاط موسى عليه السلام فمات قبل أن
يتمه فوصى به إلى سليمان فأمر الشياطين بإتمامه فلما بقي من عمره سنة سأل أن يعمي عليهم موته
حتى يفرغوا منه وليبطل دعواهم علم الغيب **وروي** أن أفريدون جاء ليصعد كرسيه فلما دنا
ضرب الأسدان ساقه فكسراها فلم يجسر أحد بعد أن يدنو منه وكان عمر سليمان عليه السلام
ثلاثا وخمسين سنة ملك وهو ابن ثلاث عشرة سنة فبقي في ملكه أربعين سنة وابتداء بناء بيت المقدس
لأربع مضين من ملكه **لقد كان لسبإ في مساكنهم آية جنتان عن يمين وشمال كلوا من رزق
ربكم واشكروا له بلدة طيبة ورب غفور** **قرئ** لسبإ بالصرف ومنعه وقلب الهمزة
ألفا ومسكنهم بفتح الكاف وكسرها وهو موضع سكناهم وهو بلدهم وأرضهم التي كانوا مقيمين
فيها أو مسكن كل واحد منهم وقرئ مساكنهم وجنتان بدل من آية أو خبر مبتدإ محذوف تقديره
الآية جنتان وفي الرفع معنى المدح يدل عليه قراءة من قرأ جنتين بالنصب على المدح فإن قلت ما معنى

ساعة

كونهما آية قلت لم تجعل الجنتين في انفسهما آية وانما جعل قصتهما وان اهلهما اعرضوا عن شكر الله
تعالى عليهما فخربهما وابدلهم عنهما الخمط والاثل آية وعبرة ليعتبروا ويتعظوا فلا يعودوا الى ما كانوا
عليه من الكفر وغمط النعم، ويجوز ان تجعلهما آية اي علامة دالة على الله وعلى قدرته واحسانه
ووجوب شكره **فان قلت** كيف عظم الله جنتي اهل سبأ وجعلهما آية ورب قرية من قريات
العراق يحتف بها من الجنان ما شئت قلت لم يرد بستانين اثنين فحسب وانما اراد جماعتين
من البساتين جماعة عن يمين بلدهم واخرى عن شمالها وكل واحدة من الجماعتين في تقاربها وتضامها
كأنها جنة واحدة كما يكون بلاد الريف العامرة وبساتينها، او اراد بستاني كل رجل منهم عن يمين
مسكنه وشماله كما قال تعالى جعلنا لاحدهما جنتين من اعناب، كلوا من رزق ربكم اما حكاية لما قال
لهم انبياء الله المبعوثون اليهم، او لما قال لهم لسان الحال، او هم احقاء بان يقال لهم ذلك
ولما قال كلوا من رزق ربكم واشكروا له اتبعه قوله بلدة طيبة ورب غفور يعني هذه البلدة
التي فيها رزقكم بلدة طيبة وربكم الذي رزقكم وطلب شكركم رب غفور لمن شكره، وعن ابن
عباس رضي الله عنهما كانت اخصب البلاد واطيبها تخرج المرأة وعلى رأسها المكتل فتعمل بيديها
وتسير بين تلك الشجر فيمتلئ المكتل مما يتساقط فيه من الثمر طيبة لم تكن سبخة، وقيل لم يكن
فيها بعوض ولا ذباب ولا براغيث ولا عقرب ولا حية **وقرئ** بلدة طيبة وربا غفورا بالنصب
على المدح، وعن ثعلب معناه اسكن واعبد فاعرضوا فارسلنا عليهم سيل العرم وبدلناهم
بجنتيهم جنتين ذواتي اكل خمط واثل وشيء من سدر قليل ذلك جزيناهم بما كفروا
وهل نجازي الا الكفور العرم الجرذ الذي نقب عليهم السكر ضربت لهم بلقيس الملكة بسد
ما بين الجبلين بالصخر والقار فحقنت به ماء العيون والامطار وتركت فيه خروقا على مقدار ما يحتاجون
اليه في سقيهم فلما طغوا، وقيل بعث الله اليهم ثلاثة عشر نبيا يدعونهم الى الله ويذكرونهم
نعمته عليهم فكذبوهم وقالوا ما نعرف لله نعمة سلط الله على سدهم الخلد فنقبه من اسفله فغرقهم
وقيل العرم جمع عرمة وهي الحجارة المركومة، ويقال للكدس من الطعام عرمة والمراد المسناة التي
عقدوها سكرا، وقيل العرم اسم الوادي، وقيل العرم المطر الشديد، وقرئ العرم بسكون
الراء، وعن الضحاك كانوا في الفترة التي كانت بين عيسى ومحمد صلوات الله عليهما **وقرئ**
اكل بالضم والسكون وبالتنوين والاضافة، والاكل الثمر، والخمط شجر الاراك، وعن ابي عبيدة
كل شجر ذي شوك، وقال الزجاج كل نبت اخذ طعما من مرارة حتى لا يمكن اكله، والاثل شجر يشبه
الطرفاء اعظم منه واجود عودا، ووجه من نون ان اصله ذواتي اكل اكل خمط فحذف المضاف
واقيم المضاف اليه مقامه، او وصف الاكل بالخمط كأنه قيل ذواتي اكل بشع ومن اضاف وهو
ابو عمرو وحده فلان اكل الخمط في معنى البرير كأنه قيل ذواتي برير والاثل والسدر معطوفان
على اكل لا على خمط لان الاثل لا اكل له، وقرئ واثلا وشيئا بالنصب عطفا على جنتين وتسمية البدل
جنتين لاجل المشاكلة وفيه ضرب من التهكم، وعن الحسن رحمة الله عليه قلل السدر لانه اكرم
ما بدلوا **وقرئ** وهل يجازى وهل نجازي بالنون وهل يجازي والفاعل الله تعالى وحده
وهل يجزى والمعنى ان مثل هذا الجزاء لا يستحقه الا الكافر وهو العقاب العاجل وقيل المؤمن
تكفر سيئاته بحسناته والكافر يحبط عمله فيجازى بجميع ما عمله من السوء، ووجه آخر وهو ان الجزاء

عام لكل مكافأة يستعمل تارة في معنى المعاقبة واخرى في معنى الاثابة فلما استعمل في معنى المعاقبة في قوله
تعالى جزيناهم بما كفروا بمعنى عاقبناهم بكفرهم قيل وهل نجازي الا الكفور بمعنى وهل نعاقب،
وهو الوجه الصحيح وليس لقائل ان يقول لم قيل وهل نجازي الا الكفور على اختصاص الكفور بالجزاء
والجزاء عام للكافر والمؤمن لانه لم يرد الجزاء العام وانما اراد الخاص وهو العقاب بل لا يجوز ان يراد به
العموم وليس بموضعه، الا ترى انك لو قلت جزيناهم بما كفروا وهل نجازي الا الكافر والمؤمن
لم يصح ولم يسد كلاما فتبين ان ما يتخيل من السؤال مضمحل وان الصحيح الذي لا يجوز غيره ما جاء عليه
كلام الله الذي لا يأتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه وجعلنا بينهم وبين القرى التي
باركنا فيها قرى ظاهرة وقدرنا فيها السير سيروا فيها ليالي واياما آمنين القرى
التي باركنا فيها هي قرى الشام قرى ظاهرة متواصلة يرى بعضها من بعض لتقاربها فهي ظاهرة لاعين
الناظرين او راكبة متن الطريق ظاهرة للسابلة لم تبعد عن مسالكهم حتى تخفى عليهم، وقدرنا فيها
السير قيل كان الغادي منهم يقيل في قرية والرائح يبيت في قرية الى ان يبلغ الشام لا يخاف جوعا ولا
عطشا ولا عدوا ولا يحتاج الى حمل زاد ولا ماء، سيروا فيها قلنا لهم سيروا ولا قول ثم ولكنهم
لما مكنوا من السير وسويت لهم اسبابه فكأنهم امروا بذلك واذن لهم فيه **فان قلت** ما معنى قوله
ليالي واياما قلت معناه سيروا فيها ان شئتم بالليل وان شئتم بالنهار فان الامن فيها لا يختلف
باختلاف الاوقات، او سيروا فيها آمنين لا تخافون وان تطاولت مدة سفركم فيها وامتدت
اياما وليالي، او سيروا فيها لياليكم وايامكم مدة اعماركم فانكم في كل حين وزمان لا تلقون
فيها الا الامن فقالوا ربنا باعد بين اسفارنا وظلموا انفسهم فجعلناهم احاديث
ومزقناهم كل ممزق ان في ذلك لآيات لكل صبار شكور **قرئ** ربنا باعد بين اسفارنا
وبعد، ويا ربنا على الدعاء بطروا النعمة وبشموا من طيب العيش وملوا العافية فطلبوا الكد
والتعب كما طلب بنو اسرائيل البصل والثوم مكان المن والسلوى وقالوا لو كان جنى جناتنا ابعد كان
اجدر ان نشتهيه وتمنوا ان يجعل الله بينهم وبين الشام مفاوز ليركبوا الرواحل فيها ويتزودوا
الازواد فجعل الله لهم الاجابة **وقرئ** ربنا بعد بين اسفارنا وبعد بين اسفارنا على النداء واسناد
الفعل الى بين ورفعه به كما تقول سير فرسخان وبوعد بين اسفارنا، وقرئ ربنا باعد بين اسفارنا
وبين سفرنا وبعد برفع ربنا على الابتداء والمعنى خلاف الاول وهو استبعاد مسايرهم على قصرها
ودنوها لفرط تنعمهم وترفههم كأنهم كانوا يتشاجون على ربهم ويتحازنون عليه، احاديث يتحدث
الناس بهم ويتعجبون من احوالهم، وفرقناهم تفريقا اتخذه الناس مثلا مضروبا يقولون ذهبوا
ايدي سبا وتفرقوا ايادي سبا **قال كثير**
ايادي سبا يا عز ما كنت بعدكم • فلم يحل بالعينين بعدك منظر • لحق غسان بالشام
وانمار بيثرب وجذام بتهامة والازد بعمان، صبار عن المعاصي شكور للنعم ولقد صدق
عليهم ابليس ظنه فاتبعوه الا فريقا من المؤمنين **قرئ** صدق بالتشديد والتخفيف
ورفع ابليس ونصب الظن فمن شدد فعلى حقق عليهم ظنه او وجده صادقا ومن خفف فعلى
صدق في ظنه او صدق يظن ظنا نحو فعلته جهدك وبنصب ابليس ورفع الظن فمن شدد فعلى
وجد ظنه صادقا ومن خفف فعلى قال له ظنه الصدق حين خيله اغواءهم يقولون صدق

ظنه وبالتخفيف ورفعهما على صدق عليهم ظن ابليس ولو قرئ بالتشديد مع رفعهما لكان على المبالغة في صدق كقوله صدقت فيهم ظنوني ومعناه انه حين وجد آدم ضعيف العزم قد اصغى الى وسوسته قال ان ذريته اضعف عزما منه فظن بهم اتباعه وقال لاضلنهم لاغوينهم وقيل ظن ذلك عند اخبار الله تعالى الملائكة انه يجعل فيها من يفسد فيها والضمير في عليهم واتبعوه اما لاهل سبأ او لبني آدم وقلل المؤمنين بقوله تعالى الا فريقا لانهم قليل بالاضافة الى الكفار كما قال الله تعالى لاحتنكن ذريته الا قليلا ولا تجد اكثرهم شاكرين ﴿وما كان له عليهم من سلطان الا لنعلم من يؤمن بالآخرة ممن هو منها في شك وربك على كل شيء حفيظ﴾ وما كان له عليهم من تسلط واستيلاء بالوسوسة والاستغواء الا لغرض صحيح وحكمة بينة وذلك ان يتميز المؤمن بالآخرة من الشاك فيها وعلل التسلط بالعلم والمراد ما تعلق به العلم وقرئ ليعلم على البناء للمفعول حفيظ محافظ عليه وفعيل ومفاعل متآخيان ﴿قل ادعوا الذين زعمتم من دون الله لا يملكون مثقال ذرة في السموات ولا في الارض وما لهم فيهما من شرك وما له منهم من ظهير﴾ قل للمشركين قومك ادعوا الذين عبدتموهم من دون الله من الاصنام والملائكة وسميتموهم باسمه كما تدعون الله والتجئوا اليهم فيما يعروكم كما تلتجئون اليه وانتظروا استجابتهم لدعائكم ورحمتهم كما تنتظرون ان يستجيب لكم ويرحمكم ثم اجاب عنهم بقوله تعالى لا يملكون مثقال ذرة من خير او شر او نفع او ضر في السموات والارض وما لهم في هذين الجنسين من شركة في الخلق ولا في الملك كقوله تعالى ما اشهدتهم خلق السموات والارض وما له منهم من عوين يعينه على تدبير خلقه يريد انهم على هذه الصفة من العجز والبعد عن احوال الربوبية فكيف يصح ان يدعوا او يرجوا كما يرجا فان قلت اين مفعولا زعم احدهما الضمير المحذوف الراجع منه الى الموصول واما الثاني فلا يخلو اما ان يكون من دون الله او لا يملكون او محذوفا فلا يصح الاول لان قولك هم من دون الله لا يلتئم كلاما ولا الثاني لانهم ما كانوا يزعمون ذلك وكيف يتكلمون بما هو حجة عليهم وبما قالوه قالوا ما هو حق وتوحيد فبقي ان يكون محذوفا تقديره زعمتموهم آلهة من دون الله فحذف الراجع الى الموصول كما حذف في قوله جل وعلا اهذا الذي بعث الله رسولا استخفافا لطول الموصول بصلته وحذف آلهة لانه موصوف صفته من دون الله والموصوف يجوز حذفه واقامة الصفة مقامه اذا كان مفهوما فاذن مفعولا زعم محذوفان جميعا بسببين مختلفين ﴿ولا تنفع الشفاعة عنده الا لمن اذن له حتى اذا فزع عن قلوبهم قالوا ماذا قال ربكم قالوا الحق وهو العلي الكبير﴾ تقول الشفاعة لزيد على معنى انه الشافع كما تقول الكرم لزيد وعلى معنى انه المشفوع له كما تقول القيام لزيد فاحتمل قوله ولا تنفع الشفاعة عنده الا لمن اذن له ان يكون على احد هذين الوجهين اي لا تنفع الشفاعة الا كائنة لمن اذن له من الشافعين ومطلقة له او لا تنفع الشفاعة الا كائنة لمن اذن له اي لشفيعه او هي اللام الثانية في قولك اذن لزيد لعمرو اي لاجله وكانه قيل الا لمن وقع الاذن للشفيع لاجله وهذا وجه لطيف وهو الوجه وهذا تكذيب لقولهم هؤلاء شفعاؤنا عند الله فان قلت بم اتصل قوله تعالى حتى اذا فزع عن قلوبهم ولاي شيء وقعت حتى غاية قلت بما فهم من هذا الكلام من ان ثم انتظارا للاذن وتوقعا وتمهلا وفزعا من الراجين للشفاعة والشفعاء هل يؤذن لهم او لا يؤذن وانه لا يطلق الاذن الا بعد ملي من الزمان وطول

من التربص ومثل هذه الحال دل عليه قوله سبحانه وتعالى رب السموات والارض وما بينهما الرحمن لا يملكون منه خطابا يوم يقوم الروح والملائكة صفا لا يتكلمون الا من اذن له الرحمن وقال صوابا كانه قيل يتربصون ويتوقفون مليا فزعين وهلين حتى اذا فزع عن قلوبهم اي كشف الفزع عن قلوب الشافعين والمشفوع لهم بكلمة يتكلم بها رب العزة في اطلاق الاذن تباشروا بذلك وسأل بعضهم بعضا ماذا قال ربكم قالوا قال الحق اي القول الحق وهو الاذن بالشفاعة لمن ارتضى وعن ابن عباس عن النبي صلى الله عليه وسلم فاذا اذن لمن اذن ان يشفع فزعته الشفاعة وقرئ اذن له اي اذن له الله واذن له على البناء للمفعول وقرا الحسن رحمة الله عليه فزع مخففا بمعنى فزع وقرئ فزع على البناء للفاعل وهو الله وحده وفرغ اي نفي الوجل عنها وافني من قولهم فرغ الزاد اذا لم يبق منه شيء ثم ترك ذكر الوجل واسند الى الجار والمجرور كما تقول دفع الى زيد اذا علم ما المدفوع وقد تخفف واصله فرغ الوجل عنها اي نفي عنها وفني ثم حذف الفاعل واسند الى الجار والمجرور وقرئ افرنقع عن قلوبهم بمعنى انكشف عنها وعن ابي علقمة انه هاج به المرار فالتف عليه الناس فلما افاق قال ما لكم تكأكأتم علي تكأكؤكم على ذي جنة افرنقعوا عني والكلمة مركبة من حروف المفارقة مع زيادة العين كما ركب اقمطر من حروف القمط مع زيادة الراء وقرئ الحق بالرفع اي مقوله الحق وهو العلي الكبير ذو العلو والكبرياء ليس لملك ولا نبي ان يتكلم ذلك اليوم الا باذنه وان يشفع الا لمن ارتضى ﴿قل من يرزقكم من السموات والارض قل الله وانا او اياكم لعلى هدى او في ضلال مبين﴾ امره بان يقررهم بقوله تعالى من يرزقكم ثم امره بان يتولى الاجابة والاقرار عنهم بقوله يرزقكم الله وذلك للاشعار بانهم مقرون به بقلوبهم الا انهم ربما ابوا ان يتكلموا به لان الذي تمكن في صدورهم من العناد وحب الشرك قد الجم افواههم عن النطق بالحق مع علمهم بصحته ولانهم ان تفوهوا بان الله رازقهم لزمهم ان يقال لهم فما لكم لا تعبدون من يرزقكم وتؤثرون عليه من لا يقدر على الرزق الا ترى الى قوله قل من يرزقكم من السماء والارض امن يملك السمع والابصار حتى قال فسيقولون الله ثم قال فماذا بعد الحق الا الضلال فكانهم كانوا يقرون بالسنتهم مرة ومرة كانوا يتلعثمون عنادا وضرارا وحذرا من الزام الحجة ونحوه قوله سبحانه وتعالى قل من رب السموات والارض قل الله قل افاتخذتم من دونه اولياء لا يملكون لانفسهم نفعا ولا ضرا وامره ان يقول لهم بعد الالزام والالجام الذي ان لم يزد على اقرارهم بالسنتهم لم يتقاصر عنه وانا او اياكم لعلى هدى او في ضلال مبين ومعناه وان احد الفريقين من الذين يوحدون الرازق من السموات والارض بالعبادة ومن الذين يشركون به الجماد الذي لا يوصف بالقدرة لعلى احد الامرين من الهدى والضلال وهذا من الكلام المنصف الذي كل من سمعه من موال او مناف قال لمن خوطب به قد انصفك صاحبك وفي درجه بعد تقدمه ما قدم من التقرير البليغ دلالة غير خفية على من هو من الفريقين على الهدى ومن هو في الضلال المبين ولكن التعريض والتورية افضل بالمجادل الى الغرض واهجم به على الغلبة مع قلة شغب الخصم وفل شوكته بالهوينا ونحوه قول الرجل لصاحبه قد علم الله الصادق مني ومنك وان احدنا لكاذب ومنه بيت حسان

اتهجوه ولست له بكفو … فشركما لخيركما الفداء

فان قلت كيف خولف بين حرفي الجر الداخلين على الحق والضلال قلت لان صاحب الحق كانه مستعل على فرس جواد يركضه حيث

شاء والضال كأنه منغمس في ظلام مرتبك فيه لا يدري اين يتوجه وفي قراءة ابي وانا او اياكم اما
على هدى او في ضلال مبين قل لا تسألون عما اجرمنا ولا نسأل عما تعملون قل يجمع بيننا ربنا
ثم يفتح بيننا بالحق وهو الفتاح العليم قل اروني الذين الحقتم به شركاء كلا بل هو
الله العزيز الحكيم هذا ادخل في الانصاف وابلغ فيه من الاول حيث اسند الاجرام الى المخاطبين
والعمل الى المخاطبين وان اريد بالاجرام الصغائر والزلات التي لا يخلو منها مؤمن وبالعمل الكفر والمعا صي
العظائم وفتح الله بينهم وهو حكمه وفصله انه يدخل هؤلاء الجنة واولئك النار فان قلت
ما معنى قوله اروني وكان يراهم ويعرفهم اراد بذلك ان يريهم الخطأ العظيم في الحاق الشركا
بالله وان يقايس على اعينهم بينه وبين اصنامهم ليطلعهم على حالة القياس اليه والاشراك به
وكلا ردع لهم عن مذهبهم بعد ما كسده بابطال المقايسة كما قال ابراهيم عليه السلام اف لكم
ولما تعبدون من دون الله افلا تعقلون بعد ما حجهم وقد نبه على تفاحش غلطهم وان لم يقدروا
الله حق قدره بقوله هو العزيز الحكيم كانه قال اين الذين الحقتم به شركاء من هذه الصفات وهو
راجع الى الله وحده او ضمير الشأن كما في قوله تعالى قل هو الله احد وما ارسلناك الا كافة
للناس بشيرا ونذيرا ولكن اكثر الناس لا يعلمون الا كافة للناس الا ارسالة عامة لهم
محيطة بهم لانها اذا شملتهم فقد كفتهم ان يخرج منها احد منهم وقال الزجاج المعنى ارسلناك جامعة
للناس في الانذار والابلاغ فجعله حالا من الكاف وحق التاء على هذا ان تكون للمبالغة كتاء الراوية
والعلامة ومن جعله حالا من المجرور متقدما عليه فقد اخطأ لان تقدم حال المجرور عليه في الاحالة
بمنزلة تقدم المجرور على الجار وكم ترى ممن يرتكب هذا الخطأ ثم لا يقنع به حتى يضم اليه ان يجعل
اللام بمعنى الى لانه لا يستوي له الخطأ الاول الا بالخطأ الثاني فلا بد له من ارتكاب الخطأين
ويقولون متى هذا الوعد ان كنتم صادقين قل لكم ميعاد يوم لا تستأخرون عنه
ساعة ولا تستقدمون قرئ ميعاد يوم وميعاد يوم وميعاد يوما والميعاد ظرف الوعد
من مكان او زمان وهو ههنا الزمان والدليل عليه قراءة من قرأ ميعاد يوم فابدل منه اليوم
فان قلت فما تأويل من اضافه الى يوم او نصب يوما قلت اما الاضافة فاضافة تبيين
كما تقول سحق ثوب وبعير سانية واما نصب اليوم فعلى التعظيم باضمار فعل تقديره لكم ميعاد
اعني يوما او اريد يوما من صفته كيت وكيت ويجوز ان يكون الرفع على هذا اعني التعظيم فان
قلت كيف انطبق هذا جوابا على سؤالهم قلت ما سألوا عن ذلك وهم منكرون له الا تعنتا لا استرشادا
فجاء الجواب على طريق التهديد مطابقا لمجيء السؤال على سبيل الانكار والتعنت وانهم مرصدون ليوم
يفاجئهم فلا يستطيعون تأخرا عنه ولا تقدما عليه وقال الذين كفروا لن نؤمن بهذا القرآن
ولا بالذي بين يديه الذي بين يديه ما نزل قبل القرآن من كتب الله يروى ان كفار مكة
سألوا اهل الكتاب فاخبروهم انهم يجدون صفة رسول الله عليه السلام في كتبهم فاغضبهم ذلك
وقرنوا الى القرآن جميع ما تقدمه من كتب الله في الكفر فكفروا بها جميعا وقيل الذي بين يديه يوم
القيامة والمعنى انهم جحدوا ان يكون القرآن من الله تعالى وان يكون لما دل عليه من الاعادة للجزاء
حقيقة ولو ترى اذ الظالمون موقوفون عند ربهم يرجع بعضهم الى بعض القول يقول
الذين استضعفوا للذين استكبروا لولا انتم لكنا مؤمنين ثم اخبر عن عاقبة امرهم

ومآلهم في الآخرة فقال لرسول الله عليه السلام او للمخاطب ولو ترى في الآخرة موقفهم وهم يتجاذبون
اطراف المحاورة ويتراجعونها بينهم لرأيت العجب فحذف الجواب والمستضعفون هم الاتباع و
والمستكبرون الرؤوس والمقدمون قال الذين استكبروا للذين استضعفوا انحن صددناكم
عن الهدى بعد اذ جاءكم بل كنتم مجرمين اولى الاسم اعني نحن حرف الانكار لان الغرض انكار
ان يكونوا هم الصادين لهم عن الايمان واثبات انهم هم الذين صدوا بانفسهم عنه وانهم اتوا
من قبل اختيارهم كانهم قالوا انحن اجبرناكم وحلنا بينكم وبين كونكم ممكنين مختارين بعد اذ جاءكم
بعد ان صممتم على الدخول في الايمان وصحت نياتكم في اختياره بل انتم منعتم انفسكم حظها
وآثرتم الضلال على الهدى واطعتم آمر الشهوة دون آمر النهى فكنتم مجرمين كافرين لاختياركم
لا لقولنا وتسويلنا فان قلت اذ واذا من الظروف اللازمة للظرفية فلم وقعت اذ مضافا
اليها قلت قد اتسع في الزمان ما لم يتسع في غيره فاضيف اليها الزمان كما اضيف الى الجمل في
قولك جئتك بعد اذ جاء زيد وحينئذ ويومئذ وكان ذلك اوان الحجاج امير وحين خرج زيد
وقال الذين استضعفوا للذين استكبروا بل مكر الليل والنهار اذ تأمروننا ان نكفر
بالله ونجعل له اندادا واسروا الندامة لما رأوا العذاب وجعلنا الاغلال في اعناق
الذين كفروا هل يجزون الا ما كانوا يعملون لما انكر المستكبرون بقولهم انحن صددناكم
ان يكونوا هم السبب في كفر المستضعفين واثبتوا بقولهم بل كنتم مجرمين ان ذلك بكسبهم واختيارهم
كر عليهم المستضعفون بقولهم بل مكر الليل والنهار فابطلوا اضرابهم باضرابهم كانهم قالوا ما كان
الاجرام من جهتنا بل من جهة مكركم لنا دائبا ليلا ونهارا وحملكم ايانا على الشرك واتخاذ الانداد
ومعنى مكر الليل والنهار مكركم في الليل والنهار فاتسع في الظرف باجرائه مجرى المفعول به واضافة
المكر اليه او جعل ليلهم ونهارهم ماكرين على الاسناد المجازي وقرئ بل مكر الليل والنهار
بالتنوين ونصب الظرفين وبل مكر الليل والنهار بالرفع والنصب اي تكرون الاغواء مكرا دائبا
لا تفترون عنه فان قلت ما وجه الرفع والنصب هو مبتدأ او خبر على معنى
بل سبب ذلك مكركم او مكركم اي مكركم او مكركم سبب ذلك والنصب على بل تكرون الاغواء
مكر الليل والنهار فان قلت لم قيل قال الذين استكبروا بغير عاطف وقيل وقال الذين استضعفوا
قلت لان الذين استضعفوا مر اولا كلامهم فجيء بالجواب محذوف العاطف على طريقة الاستئناف
ثم جيء بكلام آخر للمستضعفين فعطف على كلامهم الاول فان قلت من صاحب الضمير في واسروا
قلت الجنس المشتمل على النوعين من المستكبرين والمستضعفين وهم الظالمون في قوله اذ
الظالمون موقوفون عند ربهم يندم المستكبرون على ضلالهم واضلالهم والمستضعفون على
ضلالهم واتباعهم المضلين في اعناق الذين كفروا اي في اعناقهم فجاء بالصريح للتنويه بذمهم
وللدلالة على ما استحقوا به الاغلال وعن قتادة اسروا الكلام بذلك بينهم وقيل اسروا
الندامة اظهروها وهو من الاضداد وما ارسلنا في قرية من نذير الا قال مترفوها انا
بما ارسلتم به كافرون وقالوا نحن اكثر اموالا واولادا وما نحن بمعذبين هذه تسلية
لرسول الله صلى الله عليه وسلم مما مني به من قومه من التكذيب والكفر بما جاء به والمنافسة بكثرة
الاموال والاولاد والمفاخرة بالدنيا وزخارفها والتكبر بذلك على المؤمنين والاستهانة بهم

من اجله وقولهم اى الفريقين خير مقاما واحسن نديا وانه لم يرسل قط الى اهل قرية من نذير الا قالوا له مثل ما قال لرسول الله صلى الله عليه وسلم اهل مكة وكادوه بنحو ما كادوه به وقاسوا امر الاخرة الموهومة او المفروضة عندهم على امر الدنيا واعتقدوا انهم لو لم يكرموا على الله لما رزقهم ولولا ان المؤمنين هانوا عليه لما حرمهم فعلى قياسهم ذلك قالوا وما نحن بمعذبين ارادوا انهم اكرم على الله من ان يعذبهم نظرا الى احوالهم فى الدنيا وقد ابطل الله حسبانهم بان الرزق فضل من الله يقسمه كما يشاء على حسب ما يراه من المصالح فربما وسع على العاصى وضيق على المطيع وربما عكس وربما وسع عليهما وضيق عليهما فلا ينقاس عليه امر الثواب الذى مبناه على الاستحقاق وقدر الرزق تضييقه قال تعالى ومن قدر عليه رزقه وقرئ يقدر بالتشديد والتخفيف قل ان ربى يبسط الرزق لمن يشاء ويقدر ولكن اكثر الناس لا يعلمون • وما اموالكم ولا اولادكم بالتى تقربكم عندنا زلفى الا من امن وعمل صالحا فاولئك لهم جزاء الضعف بما عملوا وهم فى الغرفات امنون • والذين يسعون فى اياتنا معاجزين اولئك فى العذاب محضرون • اراد وما جماعة اموالكم ولا جماعة اولادكم بالتى تقربكم وذلك ان الجمع المكسر عقلاؤه وغير عقلائه سواء فى حكم التانيث • ويجوز ان يكون التى هى التقوى وهى المقربة عند الله زلفى وحدها اى ليست اموالكم بتلك الموضوعة للتقريب • وقرأ الحسن رحمة الله عليه باللاتى تقربكم لانها جماعات وقرئ بالذى يقربكم اى بالشئ الذى يقربكم • والزلفى والزلفة كالقربى والقربة ومحلها النصب اى تقربكم قربة كقوله عز وجل انبتكم من الارض نباتا • الا من امن استثناء من كم فى تقربكم والمعنى ان الاموال لا تقرب احدا الا المؤمن الصالح الذى ينفقها فى سبيل الله والاولاد لا تقرب احدا الا من علمهم الخير وفقههم فى الدين ورشحهم للصلاح والطاعة • جزاء الضعف من اضافة المصدر الى المفعول اصله فاولئك لهم ان يجازوا الضعف ثم جزاء الضعف ثم جزاء الضعف ومعنى جزاء الضعف ان تضاعف لهم حسناتهم الواحدة عشرا وقرئ جزاء الضعف على فاولئك لهم الضعف جزاء وجزاء الضعف على ان يجازوا الضعف • وجزاء الضعف مرفوعان الضعف بدل من جزاء وقرئ فى الغرفات بضم الراء وفتحها وسكونها وفى الغرفة قل ان ربى يبسط الرزق لمن يشاء من عباده ويقدر له وما انفقتم من شئ فهو يخلفه وهو خير الرازقين • فهو يخلفه فهو يعوضه لا معوض سواه اما عاجلا بالمال او بالقناعة التى هى كنز لا ينفد • واما اجلا بالثواب الذى كل خلف دونه • وعن مجاهد من كان عنده من هذا المال ما يقيمه فليقتصد فان الرزق مقسوم ولعل ما قسم له قليل وهو ينفق نفقة الموسع عليه فينفق جميع ما فى يده ثم يبقى طول عمره فى فقر ولا يتاولن وما انفقتم من شئ فهو يخلفه فان هذا فى الاخرة ومعنى الاية وما كان من خلف فهو منه • خير الرازقين واعلاهم رب العزة لان كل ما رزق غيره من سلطان يرزق جنده او سيد يرزق عبده او رجل يرزق عياله فهو من رزق الله اجراه على ايدى هؤلاء وهو خالق الرزق وخالق الاسباب التى بها ينتفع المرزوق بالرزق وعن بعضهم الحمد لله الذى اوجدنى وجعلنى ممن يشتهى فكم من مشته لا يجد وواجد لا يشتهى ويوم يحشرهم جميعا ثم يقول للملائكة اهؤلاء اياكم كانوا يعبدون • قالوا سبحانك انت ولينا من دونهم بل كانوا يعبدون الجن اكثرهم بهم مؤمنون • هذا الكلام خطاب للملائكة

وتقريع للكفار وارد على المثل السائر اياك اعنى واسمعى يا جارة • ونحوه قوله عز وجل ءانت قلت للناس اتخذونى وامى الهين من دون الله وقد علم سبحانه كون الملائكة وعيسى منزهين برآء مما وجه عليهم من السؤال الوارد على طريق التقرير والغرض ان يقول ويقولوا ويسال ويجيبوا فيكون تقريعهم اشد وتعييرهم ابلغ وخجلهم اعظم وهوان الزام ويكون اقتصاص ذلك لطفا لمن سمعه وزاجرا لمن اقتص عليه والموالاة خلاف المعاداة • ومنها اللهم وال من والاه وعاد من عاداه وهى مفاعلة من الولى وهو القرب كما ان المعاداة من العدواء وهى البعد • والولى يقع على الموالى والموالى جميعا والمعنى انت الذى نواليه من دونهم اذ لا موالاة بيننا وبينهم فبينوا باثبات موالاة الله ومعاداة الكفار براءتهم من الرضا بعبادتهم لهم لان من كان على هذه الصفة كانت حاله منافية لذلك • بل كانوا يعبدون الجن يريدون الشياطين حيث اطاعوهم فى عبادة غير الله • وقيل صورت لهم الشياطين صور قوم من الجن وقالوا هذه صور الملائكة فاعبدوها • وقيل كانوا يدخلون فى اجواف الاصنام اذا عبدت فيعبدون بعبادتها وقرئ نحشرهم ونقول بالنون والياء فاليوم لا يملك بعضكم لبعض نفعا ولا ضرا ونقول للذين ظلموا ذوقوا عذاب النار التى كنتم بها تكذبون • الامر فى ذلك اليوم لله وحده لا يملك فيه احد منفعة ولا مضرة لاحد لان الدار دار ثواب وعقاب والمثيب والمعاقب هو الله فكانت حالها خلاف حال الدنيا التى هى دار تكليف والناس فيها مخلى بينهم يتضارون وينتفعون والمراد انه لا ضار ولا نافع يومئذ الا هو ثم ذكر معاقبة الظالمين بقوله تعالى ونقول للذين ظلموا معطوفا على لا يملك واذا تتلى عليهم اياتنا بينات قالوا ما هذا الا رجل يريد ان يصدكم عما كان يعبد اباؤكم وقالوا ما هذا الا افك مفترى وقال الذين كفروا للحق لما جاءهم ان هذا الا سحر مبين • الاشارة الاولى الى رسول الله عليه السلام والثانية الى القران والثالثة الى الحق والحق امر النبوة كله ودين الاسلام كما هو وفى قوله وقال الذين كفروا وفى ان لم يقل وقالوا وفى قوله للحق لما جاءهم وما فى اللامين من الاشارة الى القائلين والمقول فيه وما فى لما من المبادهة بالكفر دليل على صدور الكلام عن انكار عظيم وغضب شديد وتعجب من امرهم بليغ كانه قال وقال اولئك الكفرة المتمردون بجراءتهم على الله ومكابرتهم لمثل ذلك الحق النير قبل ان يذوقوه ان هذا الا سحر مبين فبتوا القضاء على انه سحر ثم بتوه على انه ظاهر كل عاقل تامله سماه سحرا وما اتيناهم من كتب يدرسونها وما ارسلنا اليهم قبلك من نذير وكذب الذين من قبلهم وما بلغوا معشار ما اتيناهم فكذبوا رسلى فكيف كان نكير • وما اتيناهم كتبا يدرسونها فيها برهان على صحة الشرك ولا ارسلنا اليهم نذيرا ينذرهم بالعقاب ان لم يشركوا كما قال الله تعالى ام انزلنا عليهم سلطانا فهو يتكلم بما كانوا به يشركون • او وصفهم بانهم قوم اميون اهل جاهلية لا ملة لهم وليس لهم عهد بانزال كتاب ولا بعثة رسول كما قال تعالى ام اتيناهم كتابا من قبله فهم به مستمسكون فليس لتكذيبهم وجه متشبث ولا وجه تعلق كما يقول اهل الكتاب وان كانوا مبطلين نحن اهل كتب وشرائع ومستندون الى رسل من رسل الله ثم توعدهم على تكذيبهم بقوله تعالى وكذب الذين تقدموهم من الامم والقرون الخالية كما كذبوا وما بلغ هؤلاء بعض ما اتينا اولئك من طول الاعمار وقوة الاجرام وكثرة الاموال فحين كذبوا رسلهم جاءهم انكارى بالتدمير والاستئصال ولم تغن عنهم استظهارهم

بما هم به مستظهرون فما بال هؤلاء • وقرئ يدرسونها من التدريس وهو تكثير الدرس ومن درس الكتاب ودرّس الكتب • ويدّرسونها بتشديد الدال يفتعلون من الدرس • والمعشار كالمرباع وهما العشر والربع **فان قلت** ما معنى فكذبوا رسلي وهو مستغنى عنه بقوله تعالى وكذب الذين من قبلهم لما كان معنى قوله وكذب الذين من قبلهم وفعل الذين من قبلهم التكذيب واقدموا عليه جعل تكذيب الرسل مسبّبا عنه • ونظيره ان يقول القائل اقدم فلان على الكفر فكفر بمحمد صلى الله عليه وسلم • ويجوز ان يعطف على قوله وما بلغوا كقولك ما بلغ زيد معشار فضل عمرو ففضّل عليه • فكيف كان نكيري للمكذبين الاولين فليحذروا من مثله قل انما اعظكم بواحدة ان تقوموا لله مثنى وفرادى ثم تتفكروا ما بصاحبكم من جنة ان هو الا نذير لكم بين يدي عذاب شديد • بواحدة بخصلة واحدة وقد فسّرها بقوله ان تقوموا على انه عطف بيان لها واراد بقيامهم اما القيام عن مجلس رسول الله عليه السلام وتفرّقهم عن مجتمعهم عنده واما القيام الذي لا يراد به المثول على القدمين ولكن الانتصاب في الامر والنهوض فيه بالهمّة والمعنى انما اعظكم بواحدة ان فعلتموها اصبتم الحق وتخلصتم وهي ان تقوموا لوجه الله خالصا متفرّقين اثنين اثنين وواحدا واحدا ثم تتفكروا في امر محمد عليه السلام وما جاء به اما الاثنان فيتفكران ويعرض كل واحد منهما محصول فكره على صاحبه وينظران فيه نظر متصادقين متناصفين لا يميل بهما اتباع هوى ولا ينبض لهما عرق عصبية حتى يهجم بهما الفكر الصالح والنظر الصحيح على جادّة الحق وسننه وكذلك الفرد يفكر في نفسه بعدل ونصفة من غير ان يكابرها ويعرض فكره على عقله وذهنه وما استقر عنده من عادات العقلاء ومجاري احوالهم والذي اوجب تفرّقهم مثنى وفرادى ان الاجتماع مما يشوّش الخواطر ويعمي البصائر ويمنع من الروية ويخلط القول ومع ذلك يقل الانصاف ويكثر الاعتساف ويثور عجاج التعصب ولا يسمع الا نصرة المذهب واراهم بقوله تعالى ما بصاحبكم من جنة ان هذا الامر العظيم الذي تحته ملك الدنيا والآخرة جميعا لا يتصدّى لادعاء مثله الا رجلان اما مجنون لا يبالي بافتضاحه اذا طولب بالبرهان فعجز بل لا يدري ما الافتضاح وما رقبة العواقب • واما عاقل راجح العقل مرشح للنبوة مختار من اهل الدنيا لا يدعيه الا بعد صحته عنده بحجته وبرهانه والا فما تجدي على العاقل دعوى شيء لا بيّنة له عليه وقد علمتم ان محمدا ما به من جنة بل علمتموه ارجح قريش عقلا وارزنهم حلما واثقبهم ذهنا واصلبهم رأيا واصدقهم قولا وازكاهم نفسا واجمعهم لما يحمد عليه الرجال ويمتدحون به فكان مظنة لان تظنوا به الخير وترجحوا فيه جانب الصدق على الكذب ولو فعلتم ذلك لكفاكم ان تطالبوه بان يأتيكم بآية فاذا اتى بها تبيّن انه نذير مبين **فان قلت** ما بصاحبكم بم يتعلق **قلت** يجوز ان يكون كلاما مستأنفا تنبيها من الله عز وجل على طريقة النظر في امر رسول الله عليه السلام • ويجوز ان يكون المعنى ثم تتفكروا فتعلموا ما بصاحبكم من جنة وقد جوّز بعضهم ان تكون ما استفهامية • بين يدي عذاب شديد كقوله عليه السلام بعثت في نسم الساعة قل ما سألتكم من اجر فهو لكم ان اجري الا على الله وهو على كل شيء شهيد • قل ان ربي يقذف بالحق علام الغيوب • فهو لكم جزاء الشرط الذي هو قوله ما سألتكم من اجر تقديره اي شيء سألتكم من اجر كقوله تعالى ما يفتح الله للناس من رحمة • وفيه معنيان احدهما نفي مسألة الاجر رأسا كما يقول الرجل لصاحبه ان اعطيتني شيئا فخذه وهو يعلم انه لم يعطه شيئا ولكنه يريد به البتّ

لتعليقه

لتعليقه الاخذ بما لم يكن • والثاني ان يريد بالاجر ما اراد في قوله تعالى قل ما اسألكم عليه من اجر الا من شاء ان يتخذ الى ربه سبيلا • وفي قوله تعالى لا اسألكم عليه اجرا الا المودة في القربى لان اتخاذ السبيل الى الله نصيبهم وما فيه نفعهم وكذلك المودة في القرابة لان القرابة قد انتظمته واياهم • على كل شيء شهيد حفيظ مهيمن يعلم اني لا اطلب الاجر على نصيحتكم ودعائكم اليه الا منه ولا اطمع منكم في شيء • القذف والرمي تزجية السهم ونحوه بدفع واعتماد ويستعاران من حقيقتهما لمعنى الالقاء • ومنه قوله عز وعلا وقذف في قلوبهم الرعب • ان اقذفيه في التابوت • ومعنى يقذف بالحق يلقيه وينزله الى انبيائه او يرمي به الباطل فيدمغه ويزهقه • علام الغيوب رفع محمول على محل ان واسمها • او على المستكن في يقذف او هو خبر مبتدأ محذوف **وقرئ** بالنصب صفة لربي او على المدح • وقرئ الغيوب بالحركات الثلاث • فالغيوب كالبيوت • والغيوب كالصبور وهو الامر الذي غاب وخفي جدا قل جاء الحق وما يبدئ الباطل وما يعيد • والحيّ اما ان يبدئ فعلا او يعيده فاذا هلك لم يبق له ابداء ولا اعادة فجعلوا قولهم لا يبدئ ولا يعيد مثلا في الهلاك **ومنه** قول عبيد • اقفر من اهله عبيد • فاليوم لا يبدي ولا يعيد • والمعنى جاء الحق وهلك الباطل • كقوله تعالى جاء الحق وزهق الباطل • وعن النبي صلى الله عليه وسلم مكة وحول الكعبة ثلثمائة وستون صنما فجعل يطعنها بعود نبعة ويقول جاء الحق وزهق الباطل ان الباطل كان زهوقا • جاء الحق وما يبدئ الباطل وما يعيد • والحق القرآن • وقيل الاسلام • وقيل السيف • وقيل الباطل ابليس اي ما ينشئ خلقا ولا يعيده المنشئ والباعث هو الله • وعن الحسن رحمة الله عليه لا يبدئ لاهله خيرا ولا يعيده اي لا ينفعهم في الدنيا والآخرة • وقال الزجاج اي شيء ينشئ ابليس ويعيده فجعله للاستفهام • وقيل للشيطان الباطل لانه صاحب الباطل ولانه هالك كما قيل له الشيطان من شاط اذا هلك قل ان ضللت فانما اضل على نفسي وان اهتديت فبما يوحي الي ربي انه سميع قريب • قرئ ضللت اضل بفتح العين مع كسرها • وضللت اضل بكسرها مع فتحها وهما لغتان نحو ظللت اظل • وظللت اظل • وقرئ اضل بكسر الهمزة مع فتح العين **فان قلت** اين التقابل بين قوله فانما اضل على نفسي وقوله فبما يوحي الي ربي وانما كان يستقيم ان يقال فانما اضل على نفسي وان اهتديت فانما اهتدي لها كقوله تعالى من عمل صالحا فلنفسه ومن اساء فعليها • فمن اهتدى فلنفسه ومن ضل فانما يضل عليها • او يقال فانما اضل بنفسي هما متقابلان من جهة المعنى لان النفس كل ما عليها فهو بها اعني ان كل ما هو وبال عليها وضار لها فهو بها وبسببها لانها الامارة بالسوء وما لها مما ينفعها فبهداية ربها وتوفيقه وهذا حكم عام لكل مكلف وانما امر رسوله ان يسنده الى نفسه لان الرسول اذا دخل تحته مع جلالة محله وسداد طريقته كان غيره اولى به • انه سميع قريب يدرك قول كل ضال ومهتد وفعله لا يخفى عليه منهما شيء ولو ترى اذ فزعوا فلا فوت واخذوا من مكان قريب ولو ترى جوابه محذوف يعني لرأيت امرا عظيما وحالا هائلة ولو واذ والافعال التي هي فزعوا واخذوا وحيل بينهم كلها للمضي والمراد بها الاستقبال لان ما الله فاعله في المستقبل بمنزلة ما قد كان ووجد لتحققه • ووقت الفزع وقت البعث وقيام الساعة • وقيل وقت الموت • وقيل يوم بدر • وعن ابن عباس رضي الله عنهما نزلت في خسف البيداء وذلك ان ثمانين الفا يغزون

ابن مسعود دخل

الكعبة ليخربوها فاذا دخلوا البيداء خسف بهم • فلا فوت فلا يفوتون الله ولا يسبقونه • وقرئ فلا
فوت • والاخذ من مكان قريب من الموقف الى النار اذا بعثوا او من ظهر الارض الى بطنها اذا ماتوا
او من صحراء بدر الى القليب • او من تحت اقدامهم اذا خسف بهم **فان قلت** علام عطف قوله
واخذوا … فيه وجهان • احدهما العطف على فزعوا اى فزعوا واخذوا فلا فوت لهم او
على لا فوت على معنى اذ فزعوا فلم يفوتوا واخذوا • وقرئ واخذ وهو معطوف على محل لا فوت
ومعناه فلا فوت هناك وهناك اخذ **وقالوا آمنا به وانى لهم التناوش من مكان بعيد** •
آمنا به بمحمد صلى الله عليه وسلم لمرور ذكره في قوله ما بصاحبكم من جنة والتناول والتناوش
اخوان الا ان التناوش تناول سهل لشئ قريب يقال ناشه ينوشه وتناوشه القوم ويقال تناوشوا
في الحرب ناش بعضهم بعضا وهذا تمثيل لطلبهم ما لا يكون وهو ان ينفعهم ايمانهم في ذلك الوقت
كما ينفع المؤمنين ايمانهم في الدنيا مثلت حالهم بحال من يريد ان يتناول الشئ من غلوة كما يتناوله
الآخر من قيس ذراع تناولا سهلا لا تعب فيه **وقرئ** التناؤش همزت الواو المضمومة كما همزت
في اجوه وادؤر • وعن ابى عمرو التناؤش بالهمز التناول من بعد من قولهم نأشت اذا ابطأت وتأخرت
ومنه البيت • تمنى نئيشا ان يكون اطاعنى • اى اخيرا **وقد كفروا به من قبل ويقذفون**
بالغيب من مكان بعيد • ويقذفون معطوف على قد كفروا على حكاية الحال الماضية يعنى وكانوا
يتكلمون بالغيب ويأتون به من مكان بعيد وهو قولهم في رسول الله صلى الله عليه وسلم شاعر
ساحر كذاب وهذا تكلم بالغيب والامر الخفى لانهم لم يشاهدوا منه سحرا ولا شعرا ولا كذبا وقد
اتوا بهذا الغيب من جهة بعيدة من حاله لان ابعد شئ مما جاء به الشعر والسحر وابعد شئ من عادته
التى عرفت بينهم وجربت الكذب والزور **وقرئ** ويقذفون بالغيب على البناء للمفعول اى يأتيهم
به شياطينهم ويلقنونهم اياه • وان شئت فعلقه بقوله وقالوا آمنا به على انه مثلهم في طلبهم
تحصيل ما عطلوه من الايمان في الدنيا بقولهم آمنا في الآخرة وذلك مطلب مستبعد بمن يقذف
شيئا من مكان بعيد لا مجال للظن في لحوقه حيث يريد ان يقع فيه لكونه غائبا عنه شاحطا والغيب
الشئ الغائب • ويجوز ان يكون الضمير للعذاب الشديد في قوله تعالى بين يدى عذاب شديد
وكانوا يقولون وما نحن بمعذبين ان كان الامر كما تصفون من قيام الساعة والعقاب والثواب ونحن
اكرم على الله من ان يعذبنا قايسين امر الآخرة على امر الدنيا فهذا كان قذفهم بالغيب وهو غيب
ومقذوف به من جهة بعيدة لان دار الجزاء لا تنقاس على دار التكليف **وحيل بينهم وبين ما**
يشتهون كما فعل باشياعهم من قبل انهم كانوا في شك مريب • ما يشتهون من نفع الايمان
يومئذ والنجاة به من النار والفوز بالجنة • او من الرد الى الدنيا كما حكى عنهم ارجعنا نعمل صالحا •
باشياعهم باشباههم من كفرة الامم ومن كان مذهبه مذهبهم • مريب اما من اراب الرجل اذا
اوقعه في الريبة والتهمة • او من اراب الرجل اذا صار ذا ريبة ودخل فيها وكلاهما مجاز الا ان
بينهما فريقا وهو ان المريب من الاول منقول ممن يصح ان يكون مريبا من الاعيان الى المعنى والمريب
من الثانى منقول من صاحب الشك الى الشك كما تقول شعر شاعر • عن رسول الله عليه السلام
من قرأ سورة سبأ لم يبق رسول ولا نبى الا كان له يوم القيامة رفيقا ومصافحا • والله اعلم

بسم الله الرحمن الرحيم **الحمد لله فاطر السموات والارض جاعل الملائكة رسلا اولى اجنحة مثنى**
وثلث ورباع يزيد في الخلق ما يشاء ان الله على كل شئ قدير • فاطر السموات مبتدئها ومبتدعها
وعن مجاهد عن ابن عباس رضى الله عنهما ما كنت ادرى ما فاطر السموات والارض حتى اختصم الىّ اعرابيان
في بئر فقال احدهما انا فطرتها اى ابتدأتها **وقرئ** الذى فطر السموات والارض • وجعل
الملائكة • وقرئ جاعل الملائكة بالرفع على المدح • رسلا بضم السين وسكونه • اولى اجنحة اصحاب
اجنحة • واولو اسم جمع لذو كما ان اولاء اسم جمع لذا • ونظيرهما في المتمكنة المخاض والخلفة • مثنى
وثلاث ورباع صفات لاجنحة وانما لم تنصرف لتكرر العدل فيها وذلك انها عدلت عن الفاظ
الاعداد عن صيغ الى صيغ اخر كما عدل عمر عن عامر وحذام عن حاذمة وعن تكرير الى غير تكرير
واما الوصفية فلا يفترق الحال فيها بين المعدولة والمعدول عنها الا تراك تقول مررت
بنسوة اربع وبرجال ثلاثة فلا يعرج عليها والمعنى ان من الملائكة خلقا اجنحتهم اثنان اثنان
اى لكل واحد منهم جناحان • وخلقا اجنحتهم ثلاثة ثلاثة • وخلقا اجنحتهم اربعة اربعة •
يزيد في الخلق ما يشاء اى يزيد في خلق الاجنحة وفي غيره ما تقتضيه مشيئته وحكمته والاصل
الجناحان لانهما بمنزلة اليدين ثم الثالث والرابع زيادة على الاصل وذلك اقوى للطيران
واعون عليه **فان قلت** قياس الشفع من الاجنحة ان يكون في كل شق نصفه فما صورة الثلاثة
قلت لعل الثالث يكون في وسط الظهر بين الجناحين يمدهما بقوة او لعله لغير الطيران
فقد مر بى في بعض الكتب ان صنفا من الملائكة لهم ستة اجنحة فجناحان يلفون بهما اجسادهم
وجناحان يطيرون بهما في الامر من امور الله وجناحان مرخيان على وجوههم حياء من الله • وعن رسول
الله صلى الله عليه وسلم انه رأى جبريل عليه السلام ليلة المعراج وله ستمائة جناح **وروى**
انه سأل جبريل ان يتراءى له في صورته فقال انك لن تطيق ذلك قال انى احب ان تفعل فخرج رسول
الله عليه السلام في ليلة مقمرة فأتاه جبريل عليه السلام في صورته فغشى على النبى عليه السلام ثم
افاق وجبريل مسنده واحدى يديه على صدره والاخرى بين كتفيه فقال سبحان الله ما كنت
ارى ان شيئا من الخلق هكذا فقال جبريل فكيف لو رأيت اسرافيل له اثنا عشر جناحا جناح منها
بالمشرق وجناح بالمغرب وان العرش على كاهله وانه ليتضاءل الاحايين لعظمة الله حتى يعود مثل
الوصع وهو العصفور الصغير **وروى** عن رسول الله صلى الله عليه وسلم في قوله تعالى يزيد في
الخلق ما يشاء هو الوجه الحسن والصوت الحسن والشعر الحسن • وقيل الخط الحسن • وعن قتادة
الملاحة في العينين • والآية مطلقة تتناول كل زيادة في الخلق من طول قامة واعتدال صورة
وتمام في الاعضاء وقوة في البطش وحصافة في العقل وجزالة في الرأى وجرأة في القلب وسماحة
في النفس وذلاقة في اللسان ولباقة في التكلم وحسن تأت في مزاولة الامور وما اشبه ذلك
مما لا يحيط به الوصف **ما يفتح الله للناس من رحمة فلا ممسك لها وما يمسك فلا مرسل**
له من بعده وهو العزيز الحكيم • استعير الفتح للاطلاق والارسال الا ترى الى قوله فلا مرسل
له من بعده مكان لا فاتح له يعنى اى شئ يطلق الله من رحمة اى من نعمة رزق او مطر او صحة او امن
او غير ذلك من صنوف نعمائه التى لا يحاط بعددها • وتنكير الرحمة للاشاعة والابهام كأنه قال
من اية رحمة كانت سماوية او ارضية فلا احد يقدر على امساكها وحبسها واى شئ يمسك الله

فلا احد يقدر على اطلاقه فان قلت لم انث الضمير اولا ثم ذكره وهو راجع في الحالين الى الاسم
المتضمن معنى الشرط قلت هما لغتان الحمل على المعنى وعلى اللفظ والمتكلم على الخيرة فيهما فانث على
معنى الرحمة وذكر على ان لفظ المرجوع اليه لا تانيث فيه ولان الاول فسر بالرحمة فحسن اتباع الضمير
التفسير ولم يفسر الثاني فترك على اصل التذكير وقرئ فلا مرسل لها فان قلت لا بد للثاني
من تفسير فما تفسيره قلت يحتمل ان يكون تفسيره مثل تفسير الاول ولكنه ترك لدلالة
عليه وان يكون مطلقا في كل ما يمسكه من غضبه ورحمته وانما فسر الاول دون الثاني للدلالة
على ان رحمته سبقت غضبه فان قلت فما تقول فيمن فسر الرحمة بالتوبة وعزاه الى ابن عباس
رضي الله عنهما قلت ان اراد بالتوبة الهداية لها والتوفيق فيها وهو الذي اراده ابن عباس
ان قاله فمقبول وان اراد انه ان شاء ان يتوب العاصي تاب وان لم يشأ لم يتب فمردود لان الله
تعالى يشاء التوبة ابدا ولا يجوز عليه ان لا يشاءها من بعده من بعد امساكه كقوله تعالى فمن يهديه
من بعد الله فباي حديث بعد الله اي من بعد هدايته وبعد اياته وهو العزيز الغالب القادر
على الارسال والامساك الحكيم الذي يرسل ويمسك ما تقتضي الحكمة ارساله وامساكه يا ايها
الناس اذكروا نعمة الله عليكم هل من خالق غير الله يرزقكم من السماء والارض لا اله الا هو
فاني تؤفكون ليس المراد بذكر النعمة ذكرها باللسان فقط ولكن به وبالقلب وحفظها من الكفران
والغمط وشكرها بمعرفة حقها والاعتراف بها وطاعة موليها ومنه قول الرجل لمن انعم عليه
اذكر ايادي عندك يريد حفظها وشكرها والعمل على موجبها والخطاب عام للجميع لان جميعهم
مغمورون في نعمة الله وعن ابن عباس رضي الله عنهما يريد يا اهل مكة اذكروا نعمة الله عليكم
حيث اسكنكم حرمه ومنعكم من جميع العالم والناس يتخطفون من حولكم وعنه نعمة الله
العافية وقرئ غير الله بالحركات الثلاث فالجر والرفع على الوصف لفظا ومحلا والنصب على الاستثناء
فان قلت ما محل يرزقكم قلت يحتمل ان يكون له محل اذا اوقعته صفة لخالق وان لا يكون له
محل اذا رفعت محل من خالق باضمار يرزقكم واوقعت يرزقكم تفسيرا له او جعلته كلاما مبتدأ
بعد قوله تعالى هل من خالق غير الله فان قلت هل فيه دليل على ان الخالق لا يطلق على غير الله
قلت نعم ان جعلت يرزقكم كلاما مبتدأ وهو الوجه الثالث من الاوجه الثلاثة واما على الوجهين
الاخرين وهما الوصف والتفسير فقد تقيد فيهما بالرزق من السماء والارض وخرج من الاطلاق فكيف
يستشهد به على اختصاصه بالاطلاق والرزق من السماء المطر ومن الارض النبات لا اله الا هو
جملة مفصولة لا محل لها مثل يرزقكم في الوجه الثالث ولو وصلتها كما وصلت يرزقكم لم يساعد
عليه المعنى لان قولك هل من خالق اخر سوى الله لا اله الا ذلك الخالق غير مستقيم لان قولك
هل من خالق سوى الله اثبات لله فلو ذهبت تقول ذلك كنت مناقضا بالنفي بعد الاثبات فاني تؤفكون
فمن اي وجه تصرفون عن التوحيد الى الشرك وان يكذبوك فقد كذبت رسل من قبلك والى
الله ترجع الامور نعى به على قريش سوء تلقيهم لايات الله وتكذيبهم بها وسلى رسوله بان له في
الانبياء قبله اسوة حسنة ثم جاء بما يشتمل على الوعد والوعيد من رجوع الامور الى حكمه ومجازاة المكذب
والمكذب بما يستحقانه وقرئ ترجع بضم التاء وفتحها فان قلت ما وجه صحة جزاء الشرط ومن حق الجزاء
ان يتعقب الشرط وهذا سابق له قلت معناه وان يكذبوك فتأس بتكذيب الرسل من قبلك

فموضع فقد كذبت رسل من قبلك موضع فتأس استغناء بالسبب عن المسبب اعني بالتكذيب عن التأسي
فان قلت ما معنى التنكير في رسل قلت معناه فقد كذبت رسل اي رسل ذوو عدد كثير
واولو ايات ونذر واهل اعمار طوال واصحاب صبر وعزم وما اشبه ذلك وهذا اسلى له واحث
على المصابرة يا ايها الناس ان وعد الله حق فلا تغرنكم الحيوة الدنيا ولا يغرنكم بالله الغرور
وعد الله الجزاء بالثواب والعقاب فلا تغرنكم فلا تخدعنكم الدنيا ولا يذهلنكم التمتع بها
والتلذذ بمنافعها عن العمل للاخرة وطلب ما عند الله ولا يغرنكم بالله الغرور لا يقولن لكم اعملوا
ما شئتم فان الله غفور يغفر كل كبيرة ويعفو عن كل خطيئة والغرور الشيطان لان ذلك ديدنه
وقرئ بالضم وهو مصدر غره كاللزوم والنهوك او جمع غار كقاعد وقعود ان الشيطان
لكم عدو فاتخذوه عدوا انما يدعو حزبه ليكونوا من اصحاب السعير اخبرنا الله عز وجل
ان الشيطان لنا عدو مبين واقتص علينا قصته وما فعل بابينا ادم وكيف انتدب لعداوة جنسنا
من قبل وجوده وبعده ونحن على ذلك نتولاه ونطيعه فيما يريد منا مما فيه هلاكنا فوعظنا عز
وجل بانه كما علمتم عدوكم الذي لا عدو اعرف في العداوة منه وانتم تعاملونه معاملة من لا علم
له بحاله فاتخذوه عدوا في عقائدكم وافعالكم ولا يوجدن منكم الا ما يدل على معاداته
ومناصبته في سركم وجهركم ثم لخص سر امره وخطأ من اتبعه بان غرضه الذي يؤمه في دعوة
شيعته ومتبعي خطواته هو ان يوردهم مورد الشقوة والهلاك وان يكونوا من اصحاب السعير
الذين كفروا لهم عذاب شديد والذين امنوا وعملوا الصالحات لهم مغفرة واجر كبير
ثم كشف الغطاء وقشر اللحاء ليقطع الاطماع الفارغة والاماني الكاذبة فبنى الامر كله على الايمان
والعمل وتركهما افمن زين له سوء عمله فراه حسنا فان الله يضل من يشاء ويهدي من يشاء
فلا تذهب نفسك عليهم حسرات ان الله عليم بما يصنعون لما ذكر الفريقين الذين كفروا
والذين امنوا قال لنبيه افمن زين له سوء عمله فراه حسنا يعني افمن زين له سوء عمله من هذين الفريقين
كمن لم يزين له فكان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال لا فقال فان الله يضل من يشاء ويهدي من
يشاء فلا تذهب نفسك ومعنى تزيين العمل والاضلال واحد وهو ان يكون العاصي على صفة لا تجدي
عليه المصالح حتى يستوجب بذلك خذلان الله اياه وتخليته وشانه فعند ذلك يهيم في الضلال
ويطلق امر النهي ويعتنق طاعة الهوى حتى يرى القبيح حسنا والحسن قبيحا كانما غلب على عقله وسلب
تمييزه ويقعد تحت قول ابي نواس اسقني حتى تراني حسنا عندي القبيح واذا خذل الله المصممين
على الكفر وخلاهم وشانهم فان على الرسول ان لا يهتم بامرهم ولا يلقي بالا الى ذكرهم ولا يحزن
ولا يتحسر عليهم اقتداء بسنة الله في خذلانهم وتخليتهم وذكر الزجاج ان المعنى افمن زين له سوء
عمله ذهبت نفسك عليهم حسرة فحذف الجواب لدلالة فلا تذهب نفسك عليه او افمن زين له
سوء عمله كمن هداه الله فحذف لدلالة فان الله يضل من يشاء ويهدي من يشاء عليه حسرات مفعول
له يعني فلا تهلك نفسك للحسرات وعليهم صلة تذهب كما تقول هلك عليه حبا ومات عليه حزنا
او هو بيان للمتحسر عليه ولا يجوز ان يتعلق بحسرات لان المصدر لا يتقدم عليه صلته ويجوز
ان يكون حالا كان كلها صارت حسرات لفرط التحسر كما قال جرير
مشق الهواجر لحمهن مع السرى حتى ذهبن كلاكلا وصدورا يريد رجعن كلاكلا وصدورا

أي لم يبق لا كلا كلها وصدورها • ومنه قوله •
• فعلى اثرهم تساقط نفسي حسرات • وذكرهم لي سقام • وقرئ فلا تذهب نفسك • ان الله
عليم بما يصنعون وعيد لهم بالعقاب على سوء صنيعهم • والله الذي ارسل الرياح فتثير سحابا
فسقناه الى بلد ميت فاحيينا به الارض بعد موتها كذلك النشور • وقرئ ارسل الريح •
فان قلت لم جاء فتثير على المضارعة دون ما قبله وما بعده ليحكي الحال التي تقع
فيها اثارة الرياح السحاب وتستحضر تلك الصورة البديعة الدالة على القدرة الربانية وهكذا
يفعلون بفعل فيه نوع تمييز وخصوصية بحال تستغرب او تهم المخاطب او غير ذلك كما قال تأبط
شرا • باني قد لقيت الغول تهوي • بسهب كالصحيفة صحصحان •
• فاضربها بلا دهش فخرت • صريعا لليدين وللجران • لانه قصد ان يصور لقومه
الحالة التي تشجع فيها بزعمه على ضرب الغول كانه يبصرهم اياها ويطلعهم على كنهها مشاهدة للتعجب
من جرأته على كل هول وثباته عند كل شدة • وكذلك سوق السحاب الى البلد الميت واحياء الارض
بالمطر لما كانا من الدلائل على القدرة الباهرة قيل فسقناه واحيينا معدولا بهما عن لفظ
الغيبة الى ما هو ادخل في الاختصاص وادل عليه • والكاف في كذلك في محل الرفع اي مثل احياء الموات
نشور الاموات • وروي انه قيل لرسول الله صلى الله عليه وسلم كيف يحيي الله الموتى وما اية
ذلك في خلقه فقال عليه السلام هل مررت بوادي اهلك ممحلا ثم مررت به يهتز خضرا فقال نعم
قال فكذلك يحيي الله الموتى وتلك اياته في خلقه • وقيل يحيي الله الموتى بماء يرسله من تحت العرش
كمني الرجال تنبت منه اجساد الخلق • من كان يريد العزة فلله العزة جميعا اليه يصعد الكلم
الطيب والعمل الصالح يرفعه والذين يمكرون السيئات لهم عذاب شديد ومكر
اولئك هو يبور • كان الكافرون يتعززون بالاصنام كما قال الله سبحانه وتعالى واتخذوا من
دون الله الهة ليكونوا لهم عزا والذين امنوا بالسنتهم من غير مواطأة قلوبهم كانوا يتعززون
بالمشركين كما قال الذين يتخذون الكافرين اولياء من دون المؤمنين ايبتغون عندهم العزة فان
العزة لله جميعا فبين ان لا عزة الا لله ولاوليائه وقال تعالى ولله العزة ولرسوله وللمؤمنين
والمعنى فليطلبها عند الله فوضع قوله تعالى فلله العزة جميعا موضعه استغناء به عنه لدلالته
عليه لان الشيء لا يطلب الا عند صاحبه ومالكه ونظيره قولك من اراد النصيحة فهي عند الابرار
تريد فليطلبها عندهم الا انك اقمت ما يدل عليه مقامه • ومعنى فلله العزة جميعا ان العزة
كلها مختصة بالله عزة الدنيا وعزة الاخرة ثم عرف ان ما تطلب به العزة هو الايمان والعمل
الصالح بقوله تعالى اليه يصعد الكلم الطيب والعمل الصالح يرفعه والكلم الطيب لا اله الا
الله عن ابن عباس رضي الله عنهما يعني ان هذه الكلمة لا تقبل ولا تصعد الى السماء فتكتب حيث تكتب
الاعمال المقبولة كما قال عز وجل ان كتاب الابرار لفي عليين الا اذا اقترن بها العمل الصالح الذي
يحققها ويصدقها فرفعها واصعدها • وقيل الرافع الكلم والمرفوع العمل لانه لا يقبل عمل الا من
موحد • وقيل الرافع هو الله والمرفوع العمل • وقيل الكلم الطيب كل ذكر من تسبيح وتهليل وقراءة تكبير و
قران ودعاء واستغفار وغير ذلك • وعن النبي صلى الله عليه وسلم هو قول الرجل سبحان الله والحمد
لله ولا اله الا الله والله اكبر اذا قالها العبد عرج بها الملك الى السماء فحيا بها وجه الرحمن فاذا

لم يكن عمل صالح لم يقبل منه • وفي الحديث لا يقبل الله قولا الا بعمل ولا يقبل قولا وعملا الا بنية ولا
يقبل قولا وعملا ونية الا باصابة السنة • وعن ابن المقفع قول بلا عمل كثريد بلا دسم وسحاب بلا
مطر وقوس بلا وتر • وقرئ اليه يصعد الكلم الطيب على البناء للمفعول • واليه يصعد الكلم الطيب
على تسمية الفاعل من اصعد والمصعد هو الرجل اي يصعد الى الله عز وجل الكلم الطيب • واليه
يصعد الكلام الطيب • وقرئ والعمل الصالح يرفعه بنصب العمل والرافع الكلم او الله عز وجل
فان قلت مكر فعل غير متعد لا يقال مكر فلان عمله فبم نصب السيئات قلت هذه صفة
للمصدر او لما في حكمه كقوله تعالى ولا يحيق المكر السيء الا باهله اصله والذين مكروا المكرات
السيئات او اصناف المكر السيئات وعني بهن مكرات قريش حين اجتمعوا في دار الندوة وتداوروا
الرأي في احدى ثلث مكرات يمكرونها برسول الله اما اثباته او قتله او اخراجه كما حكى الله
سبحانه وتعالى عنهم واذ يمكر بك الذين كفروا ليثبتوك او يقتلوك او يخرجوك ومكر اولئك هو يبور
يعني ومكر اولئك الذين مكروا تلك المكرات الثلاث هو خاصة يبور اي يكسد ويفسد دون
مكر الله بهم حين اخرجهم من مكة وقتلهم واثبتهم في قليب بدر فجمع عليهم مكراتهم جميعا وحقق
فيهم قوله تعالى ويمكرون ويمكر الله والله خير الماكرين • وقوله ولا يحيق المكر السيء الا باهله •
والله خلقكم من تراب ثم من نطفة ثم جعلكم ازواجا وما تحمل من انثى ولا تضع الا بعلمه
وما يعمر من معمر ولا ينقص من عمره الا في كتاب ان ذلك على الله يسير • ازواجا اصنافا او
ذكرانا واناثا كقوله تعالى او يزوجهم ذكرانا واناثا • وعن قتادة زوج بعضكم بعضا • بعلمه في
موضع الحال اي الا معلومة له • فان قلت ما معنى قوله تعالى وما يعمر من معمر معناه
وما يعمر من احد وانما سماه معمرا بما هو صائر اليه • فان قلت الانسان اما معمر اي طويل العمر
او منقوص العمر اي قصيره فاما ان يتعاقب عليه التعمير وخلافه فمحال فكيف صح قوله تعالى وما
يعمر من معمر ولا ينقص من عمره • قلت هذا من الكلام المتسامح فيه ثقة في تأويله بافهام السامعين
واتكالا على تسديدهم معناه بعقولهم وانه لا يلتبس عليهم احالة الطول والقصر في عمر واحد
وعليه كلام الناس المستفيض يقولون لا يثيب الله عبدا ولا يعاقبه الا بحق ولا تنعمت بلدا
ولا اجتويته الا اقل فيه ثوائي • وفيه تأويل اخر وهو انه لا يطول عمر انسان ولا يقصر الا في كتاب
وصورته ان يكتب في اللوح ان حج فلان او غزا فعمره اربعون سنة وان حج وغزا فعمره ستون سنة
فاذا جمع بينهما فبلغ الستين فقد عمر واذا افرد احدهما فلم يتجاوز به الاربعون فقد نقص من
عمره الذي هو الغاية وهو الستون واليه اشار رسول الله صلى الله عليه وسلم ان الصدقة
والصلة تعمران الديار وتزيدان في الاعمار • وعن كعب انه قال حين طعن عمر رضي الله عنه لو
ان عمر دعا الله لاخر في اجله فقيل لكعب اليس قد قال الله عز وجل اذا جاء اجلهم فلا يستأخرون
ساعة ولا يستقدمون قال فقد قال الله تعالى وما يعمر من معمر وقد استفاض على الالسنة اطال
الله بقاءك وفسح في مدتك وما اشبهه • وعن سعيد بن جبير يكتب في الصحيفة عمره كذا وكذا
سنة ثم يكتب في اسفل ذلك ذهب يوم ذهب يومان حتى يأتي على اخره • وعن قتادة المعمر من بلغ
ستين والمنقوص من عمره من يموت قبل ستين سنة والكتاب اللوح عن ابن عباس رضي الله عنهما
ويجوز ان يراد بكتاب الله علم الله او صحيفة الانسان • وقرئ ولا ينقص على تسمية الفاعل من

عمرو بالتخفيف وما يستوي البحران هذا عذب فرات سائغ شرابه وهذا ملح أجاج ومن كل تأكلون لحما طريا وتستخرجون حلية تلبسونها وترى الفلك فيه مواخر لتبتغوا من فضله ولعلكم تشكرون ضرب البحرين العذب والمالح مثلين للمؤمن والكافر ثم قال على سبيل الاستطراد في صفة البحرين وما علق بهما من نعمته وعطائه ومن كل أي ومن كل واحد منهما تأكلون لحما طريا وهو السمك وتستخرجون حلية وهي اللؤلؤ والمرجان وترى الفلك فيه في كل مواخر شواق للماء يقال مخرت السفينة الماء ويقال للسحاب بنات مخر لأنها تمخر الهواء والسفن الذي اشتقت منه السفينة قريب من المخر لأنها تسفن الماء كأنها تقشره كما تمخره من فضله من فضل الله ولم يجر له ذكر في الآية ولكن فيما قبلها ولو لم يجر لم يشكل لدلالة المعنى عليه وحرف الرجاء مستعار لمعنى الإرادة ألا ترى كيف سلك به مسلك لام التعليل كأنما قيل لتبتغوا ولتشكروا والفرات الذي يكسر العطش والسائغ المريء السهل الانحدار لعذوبته وقرئ سيغ بوزن سيد وسيغ بالتخفيف وملح على فعل والأجاج الذي يحرق بملوحته ويحتمل غير طريقة الاستطراد وهو أن يشبه الجنسين بالبحرين ثم يفضل البحر الأجاج على الكافر بأنه قد شارك العذب في منافع من السمك واللؤلؤ وجري الفلك فيه والكافر خلو من النفع فهو في طريقة قوله عز وعلا ثم قست قلوبكم من بعد ذلك فهي كالحجارة أو أشد قسوة ثم قال وإن من الحجارة لما يتفجر منه الأنهار وإن منها لما يشقق فيخرج منه الماء وإن منها لما يهبط من خشية الله يولج الليل في النهار ويولج النهار في الليل وسخر الشمس والقمر كل يجري لأجل مسمى ذلكم الله ربكم له الملك والذين تدعون من دونه ما يملكون من قطمير ذلكم مبتدأ والله ربكم له الملك أخبار مترادفة أو الله ربكم خبران وله الملك جملة مبتدأة واقعة في قران قوله تعالى والذين تدعون من دونه ما يملكون من قطمير ويجوز في حكم الإعراب إيقاع اسم الله صفة لاسم الإشارة أو عطف بيان وربكم خبرا لولا أن المعنى يأباه والقطمير لفافة النواة وهي القشرة الرقيقة الملتفة عليها إن تدعوهم لا يسمعوا دعاءكم ولو سمعوا ما استجابوا لكم ويوم القيامة يكفرون بشرككم ولا ينبئك مثل خبير إن تدعوا الأوثان لا يسمعوا دعاءكم لأنهم جماد ولو سمعوا على سبيل الفرض والتمثيل لما استجابوا لكم لأنهم لا يدعون ما تدعون لهم من الإلهية ويتبرءون منها وقيل ما نفعوكم ويكفرون بشرككم بإشراككم لهم وعبادتكم إياهم يقولون ما كنتم إيانا تعبدون ولا ينبئك مثل خبير ولا يخبرك بالأمر مخبر هو مثل خبير عالم به يريد أن الخبير بالأمر وحده هو الذي يخبرك بالحقيقة دون سائر المخبرين به والمعنى أن هذا الذي أخبرتكم به من حال الأوثان هو الحق لأني خبير بما أخبرت به وقرئ يدعون بالياء والتاء يا أيها الناس أنتم الفقراء إلى الله والله هو الغني الحميد فإن قلت لم عرف الفقراء قلت قصد بذلك أن يريهم أنهم لشدة افتقارهم إليه هم جنس الفقراء وإن كانت الخلائق كلهم مفتقرين إليه من الناس وغيرهم لأن الفقر مما يتبع الضعف وكلما كان الفقير أضعف كان أفقر وقد شهد الله سبحانه على الإنسان في قوله تعالى وخلق الإنسان ضعيفا وقال الله تعالى الله الذي خلقكم من ضعف ولو نكر لكان المعنى أنتم بعض الفقراء فإن قلت قد قوبل الفقراء بالغني فما فائدة الحميد قلت لما أثبت فقرهم إليه وغناه عنهم وليس كل غني نافعا بغناه إلا إذا كان الغني جوادا منعما فإذا جاد وأنعم حمده المنعم عليهم واستحق عليهم الحمد ذكر الحميد ليدل به على أنه الغني النافع بغناه خلقه الجواد المنعم عليهم المستحق بإنعامه عليهم أن يحمدوه الحميد على ألسنة مؤمنيهم إن يشأ يذهبكم ويأت بخلق جديد وما ذلك على الله بعزيز بعزيز بممتنع وهذا غضب عليهم لاتخاذهم له أندادا وكفرهم بآياته ومعاصيهم

كما قال سبحانه وتعالى وإن تتولوا يستبدل قوما غيركم وعن ابن عباس رضي الله عنه يخلق بعدكم من يعبده لا يشرك به شيئا ولا تزر وازرة وزر أخرى وإن تدع مثقلة إلى حملها لا يحمل منه شيء ولو كان ذا قربى إنما تنذر الذين يخشون ربهم بالغيب وأقاموا الصلوة ومن تزكى فإنما يتزكى لنفسه وإلى الله المصير الوزر والوقر أخوان ووزر الشيء إذا حمله والوازرة صفة للنفس والمعنى أن كل نفس يوم القيامة لا تحمل إلا وزرها الذي اقترفته لا تؤخذ نفس بذنب نفس كما تأخذ جبابرة الدنيا الولي بالولي والجار بالجار فإن قلت هلا قيل ولا تزر نفس وزر أخرى ولم قيل وازرة قلت لأن المعنى أن النفوس الوازرات لا ترى منهن واحدة إلا حاملة وزرها لا وزر غيرها فإن قلت كيف توفق بين هذا وبين قوله وليحملن أثقالهم وأثقالا مع أثقالهم قلت تلك الآية في الضالين المضلين وأنهم يحملون أثقال إضلال الناس مع أثقال ضلالهم وذلك كله أوزارهم ما فيها شيء من وزر غيرهم ألا ترى كيف كذبهم الله تعالى في قولهم اتبعوا سبيلنا ولنحمل خطاياكم بقوله تعالى وما هم بحاملين من خطاياهم من شيء فإن قلت ما الفرق بين معنى قوله ولا تزر وازرة وزر أخرى ومعنى وإن تدع مثقلة إلى حملها لا يحمل منه شيء قلت الأول في الدلالة على عدل الله تعالى في حكمه وأنه تعالى لا يؤاخذ نفسا بغير ذنبها والثاني في أن لا غياث يومئذ لمن استغاث حتى إن نفسا قد أثقلتها الأوزار وبهظتها لو دعت إلى أن يخفف بعض وقرها لم تجب ولم تغث وإن كان المدعو بعض قرابتها من أب أو ولد أو أخ فإن قلت إلام أسند كان في ولو كان ذا قربى قلت إلى المدعو المفهوم من قوله تعالى وإن تدع مثقلة فإن قلت فلم ترك ذكر المدعو قلت ليعم ويشمل كل مدعو فإن قلت كيف استقام إضمار العام ولا يصح أن يكون العام ذا قربى للمثقلة قلت هو من العموم الكائن على طريق البدل فإن قلت فما تقول فيمن قرأ ولو كان ذو قربى على كان التامة كقوله تعالى وإن كان ذو عسرة قلت نظم الكلام أحسن ملاءمة للناقصة لأن المعنى على أن المثقلة إن دعت أحدا إلى حملها لا يحمل منه شيء وإن كان مدعوها ذا قربى وهو معنى صحيح ملتئم ولو قلت ولو وجد ذو قربى لتفكك وخرج من اتساقه والتئامه على أن ههنا ما ساغ أن يستتر له ضمير في الفعل بخلاف ما أوردته بالغيب حال من الفاعل أو المفعول أي يخشون ربهم غائبين عن عذابه أو يخشون عذابه غائبا عنهم وقيل بالغيب في السر وهذه صفة الذين كانوا مع رسول الله عليه السلام من أصحابه فكانت عادتهم المستمرة أن خشوا الله وهم الذين أقاموا الصلوة وتركوها منارا منصوبا وعلما مرفوعا يعني إنما تقدر على إنذار هؤلاء وتحذيرهم من قومك وعلى تحصيل منفعة الإنذار فيهم دون متمرديهم وأهل عنادهم ومن تزكى ومن تطهر بفعل الطاعات وترك المعاصي وقرئ ومن ازكى فإنما يزكى وهو اعتراض مؤكد لخشيتهم وإقامتهم الصلوة لأنها من جملة التزكي وإلى الله المصير وعد للمتزكين بالثواب فإن قلت كيف اتصل قوله تعالى إنما تنذر بما قبله قلت لما غضب عليهم في قوله تعالى إن يشأ يذهبكم أتبعه الإنذار بيوم القيامة وذكر أهوالها ثم قال إنما تنذر كأن رسول الله صلى الله عليه وسلم أسمعهم ذلك فلم ينفع فنزل إنما تنذر أو أخبر الله تعالى بعلمه فيهم وما يستوي الأعمى والبصير ولا الظلمات ولا النور ولا الظل ولا الحرور وما يستوي الأحياء ولا الأموات إن الله يسمع من يشاء وما أنت بمسمع من في القبور إن أنت إلا نذ الأعمى والبصير مثل للكافر والمؤمن كما ضرب البحرين مثلا لهما أو للصنم والله عز وجل والظلمات والنور والظل والحرور مثلان للحق والباطل وما يؤديان إليه من الثواب والعقاب والأحياء والأموات مثل للذين دخلوا في الإسلام والذين لم يدخلوا فيه وأصروا على الكفر والحرور السموم إلا أن السموم

يكون بالنهار والحرور بالليل والنهار • وقيل بالليل • فان قلت لا المقرونة بواو العطف ما هي • قلت اذا وقعت
الواو في النفي قرنت بها لتأكيد معنى النفي • فان قلت هل من فرق بين هذه الواوات • قلت بعضها ضمت
شفعا الى شفع وبعضها وترا الى وتر • ان الله يسمع من يشاء يعني انه قد علم من يدخل في الاسلام ممن لا يدخل
فيه فيهدي الذي قد علم ان الهداية تنفع فيه ويخذل من علم انها لا تنفع فيه واما انت فخفي عليك امرهم
فلذلك تحرص وتتهالك على اسلام قوم من المخذولين ومثلك في ذلك مثل من يريد ان يسمع المقبورين
وينذر وذلك ما لا سبيل اليه ثم قال ان انت الا نذير اي ما عليك الا ان تبلغ وتنذر فان كان المنذر
ممن يسمع الانذار نفع وان كان من المصرين فلا عليك • ويحتمل ان الله يسمع من يشاء انه قادر على ان
يهدي المطبوع على قلوبهم على وجه القسر والالجاء وغيرهم على وجه الهداية والتوفيق واما انت فلا
حيلة لك في المطبوع على قلوبهم الذين هم بمنزلة الموتى انا ارسلناك بالحق بشيرا ونذيرا وان من
امة الا خلا فيها نذير • بالحق حال من احد الضميرين يعني محقا او محقين او صفة للمصدر اي ارسالا
مصحوبا بالحق او صلة لبشيرا ونذيرا على بشيرا بالوعد ونذيرا بالوعيد الحق والامة الجماعة الكثيرة
قال الله تعالى وجد عليه امة من الناس ويقال لاهل كل عصر امة • وفي حدود المتكلمين الامة هم المصدقون
بالرسول دون المبعوث اليهم وهم الذين يعتبر اجماعهم والمراد ههنا اهل العصر فان قلت كم
من امة في الفترة بين عيسى ومحمد عليهما السلام ولم يخل فيها نذير قلت اذا كانت آثار النذارة باقية
لم تخل من نذير الى ان تندرس وحين اندرست آثار نذارة عيسى بعث الله محمدا صلى الله عليه وسلم
فان قلت كيف اكتفى بذكر النذير عن البشير في آخر الآية بعد ذكرهما • قلت لما كانت النذارة مشفوعة
بالبشارة لا محالة دل ذكرها على ذكرها لا سيما وقد اشتملت الآية على ذكرهما وان يكذبوك فقد
كذب الذين من قبلهم جاءتهم رسلهم بالبينات وبالزبر وبالكتاب المنير ثم اخذت الذين كفروا
فكيف كان نكير • بالبينات بالشواهد على صحة النبوة وهي المعجزات • وبالزبر وبالصحف • وبالكتاب المنير
نحو التورية والانجيل والزبور لما كانت هذه الاشياء في جنسهم اسند المجيء بها اليهم اسنادا مطلقا وان
كان بعضها في جميعهم وهي البينات وبعضها في بعضهم وهي الزبر والكتاب وفيه مسلاة لرسول الله عليه
السلام الم تر ان الله انزل من السماء ماء فاخرجنا به ثمرات مختلفا الوانها ومن الجبال جدد
بيض وحمر مختلف الوانها وغرابيب سود ومن الناس والدواب والانعام مختلف الوانه كذلك انما
يخشى الله من عباده العلماء ان الله عزيز غفور • الوانها اجناسها من الرمان والتفاح والتين
والعنب وغيرها مما لا يحصر • او هيآتها من الحمرة والصفرة والخضرة ونحوها • والجدد الخطط
والطرائق قال لبيد • او مذهب جدد على الواحه • ويقال جدة الحمار للخطة السوداء على ظهره
وقد يكون للظبي جدتان مسكيتان تفصلان بين لوني ظهره وبطنه • وغرابيب معطوف على بيض او
على جدد كانه قيل ومن الجبال مخطط ذو جدد ومنها ما هو على لون واحد غرابيب • وعن عكرمة هي الجبال
الطوال السود فان قلت الغربيب تاكيد للاسود يقال اسود غربيب واسود حلكوك وهو الذي
ابعد في السواد واغرب فيه ومنه الغراب ومن حق التاكيد ان يتبع المؤكد كقولك اصفر فاقع وابيض
يقق وما اشبه ذلك قلت وجهه ان يضمر المؤكد قبله ويكون الذي بعده تفسيرا لما اضمر
كقول النابغة • والمؤمن العائذات الطير • وانما يفعل ذلك لزيادة التوكيد حيث يدل على المعنى
الواحد من طريقي الاظهار والاضمار جميعا ولا بد من تقدير حذف المضاف في قوله تعالى ومن

الجبال

الجبال جدد بمعنى ومن الجبال ذو جدد بيض وحمر وسود حتى يؤول الى قولك ومن الجبال مختلف الوانه
كما قال عز وجل ثمرات مختلفا الوانها ومن الناس والدواب والانعام مختلف الوانه يعني ومنهم بعض
مختلف الوانه • وقرئ الوانها • وقرأ الزهري جدد بالضم جمع جديدة وهي الجدة يقال جديدة
وجدد وجدائد كسفينة وسفن وسفائن وقد فسر بها قول ابي ذؤيب يصف حمار وحش •
جون السراة له جدائد اربع • وروي عنه جدد بفتحتين وهو الطريق الواضح المسفر وضعه موضع
الطرائق والخطوط الواضحة المنفصل بعضها من بعض • وقرئ والدواب مخففا • ونظير هذا التخفيف
قراءة من قرأ ولا الضالين لان كل واحد منهما فرار من التقاء الساكنين فحرك ذاك اولهما وحذف
هذا آخرهما • وقوله تعالى كذلك كاختلاف الثمرات والجبال • المراد العلماء به الذين علموه بصفاته
وعدله وتوحيده وما يجوز عليه وما لا يجوز فعظموه وقدروه حق قدره وخشوه حق خشيته ومن
ازداد به علما ازداد منه خوفا ومن كان علمه به اقل كان آمن • وفي الحديث اعلمكم بالله اشدكم له
خشية • وعن مسروق كفى بالمرء علما ان يخشى وكفى بالمرء جهلا ان يعجب بعلمه • وقال رجل للشعبي ايها
العالم فقال الشعبي انما العالم من خشي الله • وقيل نزلت في ابي بكر الصديق رضي الله عنه وقد ظهرت عليه
الخشية حتى عرفت فيه فان قلت هل يختلف المعنى اذا قدم المفعول في هذا الكلام او اخر قلت
لا بد من ذلك فانك اذا قدمت اسم الله واخرت العلماء كان المعنى ان الذين يخشون الله من عباده
العلماء دون غيرهم واذا عملت على العكس انقلب المعنى الى انهم لا يخشون الا الله كقوله تعالى ولا يخشون
احدا الا الله وهما معنيان مختلفان فان قلت ما وجه اتصال هذا الكلام بما قبله قلت
لما قال الم تر بمعنى الم تعلم ان الله انزل من السماء ماء وعدد آيات الله واعلام قدرته وآثار صنعه
وما خلق من الفطر المختلفة الاجناس وما يستدل به عليه وعلى صفاته اتبع ذلك انما يخشى الله من عباد
العلماء كانه قال انما يخشاه مثلك ومن على صفتك ممن عرفه حق معرفته وعلمه كنه علمه • وعن رسول
الله صلى الله عليه وسلم انا ارجو ان اكون اتقاكم لله واعلمكم به فان قلت فما وجه قراءة من قرأ
انما يخشى الله من عباده العلماء وهو عمر بن عبد العزيز رحمة الله عليه ويحكى عن ابي حنيفة قلت
الخشية في هذه القراءة استعارة والمعنى انما يجلهم ويعظمهم كما يجل المهيب المخشي من الرجال بين الناس
من بين جميع عباده • ان الله عزيز غفور تعليل لوجوب الخشية لدلالته على عقوبة العصاة وقهرهم
واثابة اهل الطاعة والعفو عنهم والمعاقب المثيب حقه ان يخشى ان الذين يتلون كتاب الله
واقاموا الصلوة وانفقوا مما رزقناهم سرا وعلانية يرجون تجارة لن تبور ليوفيهم اجورهم
ويزيدهم من فضله انه غفور شكور • يتلون كتاب الله يداومون على تلاوته وهي شانهم وديدنهم
وعن مطرف رحمه الله هي آية القراء • وعن الكلبي يأخذون بما فيه • وقيل يعلمون ما فيه ويعملون به • وعن
السدي هم اصحاب رسول الله عليه السلام • وعن عطاء هم المؤمنون • يرجون خبر ان • والتجارة طلب
الثواب بالطاعة • وليوفيهم متعلق بلن تبور اي تجارة ينتفي عنها الكساد وتنفق عند الله ليوفيهم
بنفاقها عنده اجورهم وهي ما استحقوه من الثواب ويزيدهم من التفضل على المستحق وان شئت
جعلت يرجون في موضع الحال على وانفقوا راجين ليوفيهم اي فعلوا جميع ذلك من التلاوة واقامة
الصلوة والانفاق في سبيل الله لهذا الغرض وخبر ان قوله تعالى انه غفور شكور على معنى غفور لهم
شكور لاعمالهم والشكر مجاز عن الاثابة • والذي اوحينا اليك من الكتاب هو الحق مصدقا لما بين

يديه ان الله بعباده لخبير بصير • الكتاب القرآن ومن للتبيين او الجنس ومن للتبعيض • مصدقا حال
مؤكدة لان الحق لا ينفك عن هذا التصديق لما بين يديه لما تقدمه من الكتب • لخبير بصير يعني انه خبرك
وابصر احوالك فرآك اهلا لان يوحي اليك مثل هذا الكتاب المعجز الذي هو عيار على سائر الكتب • ثم اورثنا
الكتاب الذين اصطفينا من عبادنا فمنهم ظالم لنفسه ومنهم مقتصد ومنهم سابق بالخيرات
باذن الله ذلك هو الفضل الكبير **فان قلت** ما معنى قوله تعالى ثم اورثنا الكتاب **قلت**
فيه وجهان • احدهما انا اوحينا اليك القرآن ثم اورثناه من بعدك اي حكمنا بتوريثه او قال
اورثناه وهو يريد نورثه لما عليه اخبار الله • الذين اصطفينا من عبادنا وهم امته من الصحابة والتابعين
وتابعيهم رضي الله عنهم ومن بعدهم الى يوم القيمة لان الله اصطفاهم على سائر الامم وجعلهم امة
وسطا ليكونوا شهداء على الناس واختصهم بكرامة الانتماء الى افضل رسل الله وحمل الكتاب الذي هو
افضل كتب الله ثم قسمهم الى ظالم لنفسه مجرم وهو المرجأ لامر الله • ومقتصد وهو الذي خلط عملا
صالحا وآخر سيئا • وسابق من السابقين • والوجه الثاني انه قد ارسل رسله في كل امة رسولا وانهم
كذبوا رسلهم وقد جاؤهم بالبينات والزبر والكتاب المنير ثم قال ان الذين يتلون كتاب الله فاثنى
على التالين لكتبه العاملين بشرائعه من بين المكذبين بها من سائر الامم واعترض بقوله تعالى والذي
اوحينا اليك من الكتاب هو الحق ثم قال ثم اورثنا الكتاب الذين اصطفينا من عبادنا اي من بعد اولئك
المذكورين يريد بالمصطفين من عباده اهل الملة الحنيفية • جنات عدن يدخلونها يحلون فيها
من اساور من ذهب ولؤلؤا ولباسهم فيها حرير **فان قلت** لم جعلت جنات عدن
بدلا من الفضل الكبير الذي هو السبق بالخيرات المشار اليه بذلك **قلت** لما كان السبب في نيل
الثواب نزل منزلة المسبب كانه هو الثواب فابدلت عنه جنات عدن • وفي اختصاص السابقين
بعد التقسيم بذكر ثوابهم والسكوت عن الآخرين ما فيه من وجوب الحذر فليحذر المقتصد وليهلك
الظالم لنفسه حذرا وعليهما بالتوبة النصوح المخلصة من عذاب الله ولا يغترا بما رواه عمر عن رسول
الله صلى الله عليه وسلم سابقنا سابق ومقتصدنا ناج • وظالمنا مغفور له فان شرط ذلك صحة التوبة
لقوله تعالى عسى الله ان يتوب عليهم وقوله تعالى اما ان يعذبهم واما يتوب عليهم ولقد نطق القرآن
بذلك في مواضع من استقراها اطلع على حقيقة الامر ولم يعلل نفسه بالخدع • وقرئ سباق • ومعنى باذن
الله بتيسيره وتوفيقه **فان قلت** لم قدم الظالم ثم المقتصد ثم السابق **قلت** للايذان بكثرة
الفاسقين منهم وغلبتهم وان المقتصدين قليل بالاضافة اليهم • والسابقون اقل من القليل • وقرئ
جنة عدن على الافراد كانها جنة مختصة بالسابقين • وجنات عدن بالنصب على اضمار فعل يفسره
الظاهر اي يدخلون جنات عدن يدخلونها • ويدخلونها على البناء للمفعول • ويحلون من حليت
المرأة فهي حالي • ولؤلؤا معطوفا على محل من اساور • ومن داخلة للتبعيض اي يحلون بعض اساور من ذهب
كانه بعض سابق لسائر الابعاض كما سبق المسورون به غيرهم • وقيل ان ذلك الذهب في صفاء اللؤلؤ
ولولؤا بتخفيف الهمزة الاولى وقالوا الحمد لله الذي اذهب عنا الحزن ان ربنا لغفور شكور •
وقرئ الحزن والمراد حزن المتقين وهو ما اهمهم من خوف سوء العاقبة كقوله تعالى انا كنا قبل في
اهلنا مشفقين فمن الله علينا ووقانا عذاب السموم • وعن ابن عباس رضي الله عنهما حزن الاعراض والآفات
وعنه حزن الموت • وعن الضحاك حزن ابليس ووسوسته • وقيل هم المعاش • وقيل حزن زوال النعم •

وقد

وقد اكثروا حتى قال بعضهم كراء الدار • ومعناه انه يعم كل حزن من احزان الدين والدنيا حتى هذا • وعن النبي
صلى الله عليه وسلم ليس على اهل لا اله الا الله وحشة في قبورهم ولا في محشرهم ولا في مسيرهم وكاني
باهل لا اله الا الله يخرجون من قبورهم وهم ينفضون التراب عن رؤسهم ويقولون الحمد لله الذي
اذهب عنا الحزن • وذكر الشكور دليل على ان القوم كثير الحسنات الذي احلنا دار المقامة من فضله
لا يمسنا فيها نصب ولا يمسنا فيها لغوب • المقامة بمعنى الاقامة يقال اقمت اقامة ومقاما
ومقامة • من فضله من عطائه وافضاله من قولهم لفلان فضول على قومه وفواضل • وليس من الفضل
الذي هو التفضل لان الثواب بمنزلة الاجر المستحق • والتفضل كالتبرع • وقرئ لغوب بالفتح وهو
اسم ما يلغب منه اي لا نتكلف عملا يلغبنا • او مصدر كالقبول والولوع • او صفة للمصدر كانه
لغوب لغوب كقولك موت مائت **فان قلت** ما الفرق بين النصب واللغوب **قلت** النصب
التعب والمشقة التي تصيب المنتصب للامر المزاول له واما اللغوب فما يلحقه من الفتور بسبب
النصب فالنصب نفس المشقة والكلفة واللغوب نتيجته وما يحدث منه من الكلال والفترة •
والذين كفروا لهم نار جهنم لا يقضى عليهم فيموتوا ولا يخفف عنهم من عذابها كذلك نجزي
كل كفور • فيموتوا جواب النفي ونصبه باضمار ان • وقرئ فيموتون عطفا على يقضى وادخاله في حكم لام
النفي اي لا يقضى عليهم الموت فلا يموتون كقوله عز وجل ولا يؤذن لهم فيعتذرون • كذلك مثل ذلك
الجزاء نجزي • وقرئ يجازى ويجزى كل كفور بالنون وهم يصطرخون فيها ربنا اخرجنا نعمل صالحا
غير الذي كنا نعمل • يصطرخون يتصارخون يفتعلون من الصراخ وهو الصياح بجهد وشدة قال
كصرخة حبلى اسلمتها قبيلها • واستعمل في الاستغاثة لجهد المستغيث صوته **فان قلت** هلا اكتفى بصالحا
كما اكتفى به في قوله تعالى فارجعنا نعمل صالحا وما فائدة زيادة غير الذي كنا نعمل على انهم يعملون
صالحا آخر غير الصالح الذي عملوه **قلت** فائدته زيادة التحسر على ما عملوه من غير الصالح مع الاعتراف
به • واما الوهم فزائل لظهور حالهم في الكفر وركوب المعاصي • ولانهم كانوا يحسبون انهم على سيرة صالحة
كما قال الله تعالى وهم يحسبون انهم يحسنون صنعا • فقالوا اخرجنا نعمل صالحا غير الذي كنا نحسبه
صالحا فنعمله اولم نعمركم ما يتذكر فيه من تذكر وجاءكم النذير فذوقوا فما للظالمين من نصير
اولم نعمركم توبيخ من الله يعني فنقول لهم • وقرئ ما يذكر فيه من اذكر على الادغام وهو متناول لكل عمر
يتمكن فيه المكلف من اصلاح شانه وان قصر الا ان التوبيخ في المتطاول اعظم • وعن النبي صلى الله عليه وسلم
العمر الذي اعذر الله فيه الى ابن آدم ستون سنة • وعن مجاهد ما بين العشرين الى الستين • وقيل
ثماني عشرة وسبع عشرة • والنذير الرسول • وقيل الشيب • وقرئ وجاءتكم النذر **فان قلت** علام
عطف وجاءكم النذير **قلت** على معنى اولم نعمركم لان لفظه لفظ الاستخبار ومعناه معنى اخبار كانه
قيل قد عمرناكم وجاءكم النذير ان الله عالم غيب السموات والارض انه عليم بذات الصدور •
انه عليم بذات الصدور كالتعليل لانه اذا علم ما في الصدور وهو اخفى ما يكون فقد علم كل غيب في العالم
وذات الصدور مضمراتها وهي تانيث ذو في نحو قول ابي بكر الصديق رضي الله عنه ذو بطن خارجة
جارية **وقوله** لتغني عني ذا انائك اجمعا • المعنى ما في بطنها من الحبل وما في انائك من الشراب لان الحبل
والشراب يصحبان البطن والاناء • الا ترى الى قولهم معها حبل وكذلك المضمرات تصحب الصدور
وهي معها وذو موضوع لمعنى الصحبة هو الذي جعلكم خلائف في الارض فمن كفر فعليه كفره ولا يزيد

الكافرين كفرهم عند ربهم الا مقتا ولا يزيد الكافرين كفرهم الا خسارا ه يقال للمستخلف خليفة
وخليف فالخليفة تجمع خلائف والخليف خلفاء والمعنى انه جعلكم خلفاء في ارضه قد ملككم مقاليد
التصرف فيها وسلطكم على ما فيها واباح لكم منافعها لتشكروه بالتوحيد والطاعة • فمن كفر منكم
وغمط مثل هذه النعمة السنية فوبال كفره راجع عليه وهو مقت الله الذي ليس وراءه خزي وصغار
وخسار الاخرة الذي ما بعده خسار • والمقت اشد البغض • ومنه قيل لمن ينكح امراة ابيه مقتي لكونه
ممقوتا في كل قلب وهو خطاب للناس • وقيل خطاب لمن بعث اليهم رسول الله عليه السلام اى جعلكم
امة خلفت من قبلها ورات وشاهدت فيمن سلف ما ينبغي ان تعتبر به • فمن كفر منكم فعليه جزاء كفره
من مقت الله وخسار الاخرة كما ان ذلك حكم من قبلكم قل ارايتم شركاءكم الذين تدعون من دون
الله اروني ماذا خلقوا من الارض ام لهم شرك في السموات ام اتيناهم كتابا فهم على بينة
منه بل ان يعد الظالمون بعضهم بعضا الا غرورا ه اروني بدل من ارايتم لان معنى ارايتم اخبروني
كانه قال اخبروني عن هؤلاء الشركاء وعما استحقوا به الالهية والشركة اروني اى جزء من اجزاء الارض
استبدوا بخلقه دون الله ام لهم مع الله شركة في خلق السموات ام معهم كتاب من عند الله ينطق بانهم
شركاؤه فهم على حجة وبرهان من ذلك الكتاب • او يكون الضمير في اتيناهم للمشركين كقوله تعالى ام انزلنا
عليهم سلطانا فهو يتكلم • ام اتيناهم كتابا من قبله • بل ان يعد بعضهم وهم الرؤساء بعضا وهم الاتباع
الا غرورا وهو قولهم هؤلاء شفعاؤنا عند الله وقرئ بينات ان الله يمسك السموات والارض
ان تزولا ولئن زالتا ان امسكهما من احد من بعده انه كان حليما غفورا ه ان تزولا كراهة ان
تزولا او يمنعهما من ان تزولا لان الامساك منع • انه كان حليما غفورا غير معاجل بالعقوبة حيث
يمسكهما وكانتا جديرتين بان تهدهدا لعظم كلمة الشرك كما قال عز وجل تكاد السموات يتفطرن
منه وتنشق الارض • وقرئ ولو زالتا • وان امسكهما جواب القسم في ولئن زالتا سد مسد الجوابين
ومن الاولى مزيدة لتاكيد النفي والثانية للابتداء • من بعده من بعد امساكه • وعن ابن عباس رضي
الله عنهما انه قال لرجل مقبل من الشام من لقيت به قال كعبا قال وما سمعته يقول قال سمعته يقول
ان السموات على منكب ملك قال كذب كعب اما ترك يهوديته بعد ثم قرا هذه الاية واقسموا بالله
جهد ايمانهم لئن جاءهم نذير ليكونن اهدى من احدى الامم فلما جاءهم نذير ما زادهم الا نفورا
استكبارا في الارض ومكر السيئ ولا يحيق المكر السيئ الا باهله فهل ينظرون الا سنة
الاولين فلن تجد لسنة الله تبديلا ولن تجد لسنة الله تحويلا ه بلغ قريشا قبل مبعث رسول
الله عليه السلام ان اهل الكتاب كذبوا رسلهم فقالوا لعن الله اليهود والنصارى اتتهم الرسل فكذبوهم
فوالله لئن اتانا رسول لنكونن اهدى من احدى الامم فلما بعث رسول الله صلى الله عليه وسلم كذبوه •
وفي احدى الامم وجهان احدهما من بعض الامم ومن واحدة من الامم من اليهود والنصارى وغيرهم
والثاني من الامة التي يقال لها احدى الامم تفضيلا لها على غيرها في الهدى والاستقامة • ما زادهم فيها
اسناد مجازي لانه هو السبب في ان زادوا انفسهم نفورا عن الحق وابتعادا عنه كقوله تعالى فزادتهم
رجسا الى رجسهم • استكبارا بدل من نفورا او مفعول له على معنى فما زادهم الا نفورا استكبارا وعلوا
في الارض او حال بمعنى مستكبرين وماكرين برسول الله صلى الله عليه وسلم والمؤمنين • ويجوز ان يكون
ومكر السيئ معطوفا على نفورا فان قلت فما وجه قوله تعالى ومكر السيئ قلت اصله وان مكروا

النبي

السيئ اى المكر السيئ ثم ومكرا السيئ ثم ومكر السيئ والدليل عليه قوله ولا يحيق المكر السيئ الا باهله
ومعنى يحيق يحيط وينزل • وقرئ ولا يحيق المكر السيئ الا باهله اى لا يحيق الله • ولقد حاق بهم يوم بدر وعن
النبي صلى الله عليه وسلم لا تمكروا ولا تعينوا ماكرا فان الله تعالى يقول ولا يحيق المكر السيئ الا باهله ولا تبغوا
ولا تعينوا باغيا يقول الله تعالى انما بغيكم على انفسكم • وعن كعب انه قال لابن عباس قرات في التورية من
حفر مهواة وقع فيها قال انا وجدت ذلك في كتاب الله وقرا الاية • وفي امثال العرب من حفر لاخيه جبا وقع
فيه منكبا وقرا حمزة ومكر السيئ باسكان الهمزة وذلك لاستثقاله الحركات مع الياء والهمزة ولعله اختلس
فظن سكونا او وقف وقفة خفيفة ثم ابتدا ولا يحيق • وقرا ابن مسعود رضي الله عنه ومكرا سيئا • سنة
الاولين انزال العذاب على الذين كذبوا برسلهم من الامم قبلهم وجعل استقبالهم لذلك انتظارا له وبين
ان عادته التي هي الانتقام من مكذبي الرسل عادة لا يبدلها ولا يحولها اى لا يغيرها وان ذلك مفعول
له لا محالة • اولم يسيروا في الارض فينظروا كيف كان عاقبة الذين من قبلهم وكانوا اشد منهم قوة
شيء وما كان الله ليعجزه من في السموات ولا في الارض انه كان عليما قديرا ه واستشهد عليهم بما كانوا يشاهدونه
في مسايرهم ومتاجرهم في رحلهم الى الشام والعراق واليمن من اثار الماضين وعلامات هلاكهم ودمارهم ليعجزه
ليسبقه ويفوته ولو يؤاخذ الله الناس بما كسبوا ما ترك على ظهرها من دابة ولكن يؤخرهم الى اجل
مسمى فاذا جاء اجلهم فان الله كان بعباده بصيرا ه بما كسبوا بما اقترفوا من معاصيهم • على ظهرها على
ظهر الارض من دابة من نسمة تدب عليها يريد بني ادم • وقيل ما ترك بني ادم وغيرهم من سائر الدواب
بشوم ذنوبهم • وعن ابن مسعود رضي الله عنه كاد الجعل يعذب في جحره بذنب ابن ادم ثم تلا هذه الاية • وعن
انس رضي الله عنه ان الضب ليموت هزلا في جحره بذنب ابن ادم • وقيل يحبس المطر فيهلك كل شيء الى اجل
مسمى الى يوم القيمة • ان الله كان بعباده بصيرا وعيد بالجزاء • عن رسول الله صلى الله عليه وسلم من قرا
سورة الملائكة دعته ثمانية ابواب الجنة ان ادخل من اي باب شئت • والله اعلم بالصواب •

بسم الله الرحمن الرحيم يس والقران الحكيم انك لمن المرسلين على صراط مستقيم قرئ يا سين
بالفتح كاين وكيف • وبالنصب على اتل يا سين • وبالكسر على الاصل كجير • وبالرفع على هذه يا سين او بالضم
كحيث • وفخمت الالف واميلت • وعن ابن عباس رضي الله عنهما معناه يا انسان في لغة طي والله اعلم بصحته
وان صح فوجهه ان يكون اصله يا انيسين فكثر النداء به على السنتهم حتى اقتصروا على شطره كما قالوا في
القسم م الله في ايمن الله • الحكيم ذي الحكمة او لانه دليل ناطق بالحكمة كالحي او لانه كلام حكيم فوصف
بصفة المتكلم به • على صراط مستقيم خبر بعد خبر او صلة للمرسلين فان قلت اى حاجة اليه خبرا كان
ليس او صلة وقد علم ان المرسلين لا يكونون الا على صراط مستقيم قلت الغرض بذكره ما ذهبت اليه من
تمييز من ارسل على صراط مستقيم عن غيره ممن ليس على صفته وانما الغرض وصفه ووصف ما جاء به من
الشريعة فجمع بين الوصفين في نظام واحد كانه قال انك لمن المرسلين الثابتين على طريق ثابت وايضا
فان التنكير فيه دال على انه ارسل من بين الصرط على صراط مستقيم لا يكتنه وصفه تنزيل العزيز الرحيم
لتنذر قوما ما انذر اباؤهم فهم غافلون وقرئ تنزيل العزيز الرحيم بالرفع على انه خبر مبتدا
محذوف • وبالنصب على اعني • وبالجر على البدل من القران • قوما ما انذر اباؤهم قوما غير منذر اباؤهم على

الوصف، ونحوه قوله تعالى لتنذر قوما ما اتاهم من نذير من قبلك، وما ارسلنا اليهم قبلك من نذير، وقد فسر ما انذر اباؤهم على اثبات الانذار وجه ذلك ان تجعل ما مصدرية لتنذر قوما انذارا اباؤهم او موصولة منصوبة على المفعول الثاني لتنذر قوما ما انذره اباؤهم من العذاب كقوله تعالى انا انذرناكم عذابا قريبا **فان قلت** اى فرق بين تعلقي قوله تعالى فهم غافلون على التفسيرين **قلت** هو على الاول متعلق بالنفي اى لم ينذروا فهم غافلون على ان عدم انذارهم هو سبب غفلتهم، وعلى الثاني بقوله انك لمن المرسلين لتنذر كما تقول ارسلتك الى فلان لتنذره فانه غافل او فهو غافل، فان قلت كيف يكونون منذرين غير منذرين لمناقضة هذا ما في الاى الاخر، قلت لا مناقضة لان الآى في نفي انذارهم لا في نفي انذار ابائهم وآباؤهم القدماء من ولد اسمعيل عليه السلام وكانت النذارة فيهم، فان قلت ففي احد التفسيرين ان اباءهم لم ينذروا وهو الظاهر فما تصنع به، قلت اريد اباؤهم الادنون دون الاباعد لقد حق القول على اكثرهم فهم لا يؤمنون انا جعلنا في اعناقهم اغلالا فهي الى الاذقان فهم مقمحون، القول قوله تعالى لاملأن جهنم من الجنة والناس اجمعين يعني تعلق بهم هذا القول وثبت عليهم ووجب لانهم ممن علم انهم يموتون على الكفر ثم مثل تصميمهم على الكفر وانه لا سبيل الى ارعوائهم بان جعلهم كالمغلولين المقمحين في انهم لا يلتفتون الى الحق ولا يعطفون اعناقهم نحوه ولا يطأطئون رؤسهم له وكالحاصلين بين سدين لا يبصرون ما قدامهم وما خلفهم في ان لا تأمل لهم ولا تبصر وانهم متعامون عن النظر في ايات الله **فان قلت** ما معنى قوله فهي الى الاذقان **قلت** معناه فالاغلال واصلة الى الاذقان ملزوزة اليها وذلك ان طوق الغل الذي في عنق المغلول يكون في ملتقى طرفيه تحت الذقن حلقة فيها رأس العمود نادرا من الحلقة الى الذقن فلا تخليه يطأطئ رأسه ويوطئ قذاله فلا يزال مقمحا، والمقمح الذي يرفع رأسه ويغض بصره يقال قمح البعير فهو قامح اذا روي فرفع رأسه، ومنه شهرا قماح لان الابل ترفع رؤسها عن الماء لبرده فيهما وهما الكانونان، ومنه اقتمح السويق، **فان قلت** فما قولك فيمن جعل الضمير للايدي وزعم ان الغل لما كان جامعا لليد والعنق وبذلك يسمى جامعة كان ذكر الاعناق دالا على ذكر الايدي   الوجه ما ذكرت لك والدليل عليه قوله فهم مقمحون، الا ترى كيف جعل الاقماح نتيجة قوله فهي الى الاذقان ولو كان الضمير للايدي لم يكن معنى التسبب في الاقماح ظاهرا على ان هذا الاضمار فيه ضرب من التعسف وترك الظاهر الذي يدعوه المعنى الى نفسه الى الباطن الذي يجفو عنه ترك للحق الابلج الى الباطل اللجلج وجعلنا من بين ايديهم سدا ومن خلفهم سدا فاغشيناهم فهم لا يبصرون **فان قلت** فقد قرأ ابن عباس رضي الله عنهما في ايديهم وابن مسعود في ايمانهم فهل تجوز على هاتين القرائتين ان تجعل الضمير للايدي او للايمان **قلت** يأبى ذلك وان ذهب الاضمار ظهور كون الضمير للاغلال وسداد المعنى عليه كما ذكرت، وقرئ سدا بالفتح والضم وقيل ما كان من عمل الناس فبالفتح وما كان من خلق الله فبالضم، فاغشيناهم فاغشينا ابصارهم اي غطيناها وجعلنا عليها غشاوة عن ان تطمح الى مرئي، وعن مجاهد فاغشيناهم فالبسنا ابصارهم غشاوة وقرئ بالعين من العشا، وقيل نزلت في بني مخزوم وذلك ان ابا جهل حلف لئن رأى محمدا يصلي ليرضخن رأسه فاتاه وهو يصلي ومعه حجر ليدمغه به فلما رفع يده انثنت الى عنقه ولزق الحجر بيده حتى فكوه عنها بجهد فرجع الى قومه فاخبرهم فقال مخزومي اخر انا اقتله بهذا الحجر فذهب فاعمى الله عينيه وسواء عليهم أأنذرتهم ام لم تنذرهم لا يؤمنون انما تنذر من اتبع الذكر وخشي الرحمن بالغيب فبشره بمغفرة واجر كريم **فان قلت** قد ذكر ما دل على انتفاء ايمانهم مع ثبوت الانذار ثم قفاه بقوله تعالى انما تنذر وانما كانت

تصح هذه التقفية لو كان الانذار منفيا **قلت** هو كما قلت ولكن لما كان ذلك نفيا للايمان مع وجود الانذار وكان معناه ان البغية المرومة بالانذار غير حاصلة وهي الايمان قفى بقوله انما تنذر على معنى انما تحصل البغية بانذارك من غير هؤلاء المنذرين وهم المتبعون للذكر وهو القرآن او الوعظ الخاشون ربهم انا نحن نحيي الموتى ونكتب ما قدموا واثارهم وكل شيء احصيناه في امام مبين، نحيي الموتى نبعثهم بعد مماتهم، وعن الحسن رحمة الله عليه احياؤهم ان نخرجهم من الشرك الى الايمان، ونكتب ما اسلفوا من الاعمال الصالحة وغيرها وما هلكوا عنه من اثر حسن كعلم علموه او كتاب صنفوه او حبيس احبسوه او بناء بنوه من مسجد ورباط او قنطرة او نحو ذلك، او سيئ كوظيفة وظفها بعض الظلام على المسلمين، وسكة احدث فيها تخسيرهم وشيء احدث فيه صد عن ذكر الله من ملاه وكذلك كل سنة حسنة او سيئة يستن بها، ونحوه قوله تعالى ينبأ الانسان يومئذ بما قدم واخر اي قدم من اعماله واخر من اثاره، وقيل هي اثار المشائين الى المساجد، وعن جابر اردنا النقلة الى المسجد والبقاع حوله خالية فبلغ ذلك رسول الله عليه السلام فاتانا في ديارنا وقال يا بني سلمة بلغني انكم تريدون النقلة الى المسجد فقلنا نعم بعد علينا المسجد والبقاع حوله خالية فقال عليكم دياركم فانما تكتب اثاركم قال فما وددنا حضرة المسجد لما قال صلى الله عليه وسلم، وعن عمر بن عبد العزيز رحمة الله عليه لو كان الله مغفلا شيئا لاغفل هذه الاثار التي تعفيها الرياح، والامام اللوح **وقرئ** ويكتب ما قدموا واثارهم على البناء للمفعول وكل شيء بالرفع واضرب لهم مثلا اصحاب القرية اذ جاءها المرسلون اذ ارسلنا اليهم اثنين فكذبوهما فعززنا بثالث فقالوا انا اليكم مرسلون، واضرب لهم مثلا ومثل لهم مثلا من قولهم عندي من هذا الضرب كذا اي من هذا المثال وهذه الاشياء على ضرب واحد اي على مثال واحد، والمعنى واضرب لهم مثلا مثل اصحاب القرية اي اذكر لهم قصة عجيبة قصة اصحاب القرية والمثل الثاني بيان للاول وانتصاب اذ بانه بدل من اصحاب القرية، والقرية انطاكية، والمرسلون رسل عيسى عليه السلام الى اهلها بعثهم دعاة الى الحق وكانوا عبدة اوثان ارسل اليهم اثنين فلما قربا من المدينة رأيا شيخا يرعى غنيمات له وهو حبيب النجار صاحب يس فسألهما فاخبراه فقال امعكما اية فقالا نشفي المريض ونبرئ الاكمه والابرص وكان له ولد مريض من سنتين فمسحاه فقام فامن حبيب النجار وفشا الخبر فشفي على ايد خلق كثير ورقي حديثهما الى الملك وقال لهما النا اله سوى الهتنا قالا نعم من اوجدك والهتك فقال حتى انظر في امركما فتبعهما الناس وضربوهما، وقيل حبسا ثم بعث عيسى عليه السلام شمعون فدخل متنكرا وعاشر حاشية الملك حتى استأنسوا به ورفعوا خبره الى الملك فانس به فقال له ذات يوم بلغني انك حبست رجلين فهل سمعت ما يقولانه قال لا حال الغضب بيني وبين ذلك فدعاهما فقال شمعون من ارسلكما قالا الله الذي خلق كل شيء وليس له شريك فقال صفاه واوجزا قالا يفعل ما يشاء ويحكم ما يريد قال وما ايتكما قالا ما يتمنى الملك فدعا بغلام مطموس العينين فدعوا الله حتى انشق له بصر واخذا بندقتين فوضعاهما في حدقتيه فكانتا مقلتين ينظر بهما فقال له شمعون ارايت لو سألت الهك حتى يصنع مثل هذا فيكون لك وله الشرف فقال ليس لي عنك سر ان الهنا لا يبصر ولا يسمع ولا يضر ولا ينفع وكان شمعون يدخل معهم على الصنم فيصلي ويتضرع ويحسبون انه منهم ثم قال ان قدر الهكما على احياء ميت امنا به فدعوا بغلام مات من سبعة ايام فقام وقال اني ادخلت في سبعة اودية من النار وانا احذركم ما انتم فيه فامنوا وقال فتحت ابواب السماء فرأيت شابا حسن الوجه يشفع لهؤلاء الثلاثة قال الملك ومن هم قال شمعون وهذان فتعجب الملك فلما راى شمعون ان قوله قد اثر فيه نصحه فامن وامن معه قوم ومن لم يؤمن صاح عليهم جبريل عليه

السلام صيحة فهلكوا • فعززنا فقوينا يقال المطر يعزز الارض اذا لبدها وشدها وتعزز لحم الناقة • وقرئ بالتخفيف من عزه يعزه اذا غلبه اى فغلبنا وقهرنا بثالث وهو شمعون فان قلت لم ترك ذكر المفعول به قلت لان الغرض ذكر المعزز به وهو شمعون وما لطف فيه من التدبير حتى عز الحق وذل الباطل واذا كان الكلام منصبا الى غرض من الاغراض جعل سياقه له وتوجهه اليه كأن ما سواه مرفوض مطرح ونظيره قولك حكم السلطان اليوم بالحق فلذلك رفضت ذكر المحكوم له والمحكوم عليه قالوا ما انتم الا بشر مثلنا وما انزل الرحمن من شىء ان انتم الا تكذبون • قالوا ربنا يعلم انا اليكم لمرسلون • وما علينا الا البلاغ المبين • انما رفع بشر ونصب فى قوله ما هذا بشرا لان الا تنقض النفى فلا يبقى لما المشبهة بليس شبه فلا يبقى له عمل فان قلت لم قيل انا اليكم مرسلون اولا وانا اليكم لمرسلون اخرا لان الاول ابتدأ اخبار والثانى جواب عن انكار • وقوله ربنا يعلم جار مجرى القسم فى التوكيد وكذلك قولهم شهد الله وعلم الله وانما حسن هذا الجواب الوارد على طريق التوكيد والتحقيق مع قولهم وما علينا الا البلاغ المبين اى الظاهر المكشوف بالايات الشاهدة لصحته والا فلو قال المدعى والله انى لصادق فيما ادعى ولم يحضر البينة كان قبيحا قالوا انا تطيرنا بكم لئن لم تنتهوا لنرجمنكم وليمسنكم منا عذاب اليم • تطيرنا بكم تشاءمنا بكم وذلك انهم كرهوا دينهم ونفرت منه نفوسهم وعادة الجهال ان يتيمنوا بكل شىء مالوا اليه واشتهوه واثروه وقبلته طباعهم ويتشاءموا بما نفروا عنه وكرهوه فان اصابهم نعمة او بلاء قالوا ببركة هذا وبشؤم هذا كما حكى الله عن القبط وان تصبهم سيئة يطيروا بموسى ومن معه • وعن مشركى مكة وان تصبهم سيئة يقولوا هذه من عندك وقيل حبس عنهم القطر فقالوا ذلك • وعن قتادة ان اصابنا شىء كان من اجلكم قالوا طائركم معكم ائن ذكرتم بل انتم قوم مسرفون وقرئ طيركم اى سبب شؤمكم معكم وهو كفرهم او اسباب شؤمكم معكم وهو كفرهم ومعاصيهم • وقرأ الحسن اطيركم اى تطيركم • وقرئ أئن ذكرتم بهمزة الاستفهام وحرف الشرط • وآئن بالف بينهما بمعنى أتطيرون ان ذكرتم • وقرئ أأن ذكرتم بهمزة الاستفهام وان الناصبة بمعنى أتطيرتم لان ذكرتم • وقرئ ان وان بغير استفهام بمعنى الاخبار اى تطيرتم لان ذكرتم • او ان ذكرتم تطيرتم وقرئ اين ذكرتم على التخفيف اى شؤمكم معكم حيث جرى ذكركم واذا شئم المكان بذكرهم كانوا بحلولهم فيه اشأم بل انتم قوم مسرفون فى العصيان فمن ثم اتاكم الشؤم لا من قبل رسل الله وتذكيرهم • او بل انتم مسرفون فى ضلالكم متمادون فى غيكم حيث تتشاءمون بمن يجب التبرك به من رسل الله وجاء من اقصى المدينة رجل يسعى قال يا قوم اتبعوا المرسلين • اتبعوا من لا يسألكم اجرا وهم مهتدون • رجل يسعى وهو حبيب بن اسرائيل النجار وكان ينحت الاصنام وهو ممن آمن برسول الله عليه السلام وبينهما ستمائة سنة كما آمن به تبع الاكبر وورقة بن نوفل وغيرهما ولم يؤمن بنبى احد الا بعد ظهوره • وقيل كان فى غار يعبد الله فلما بلغه خبر الرسل اتاهم واظهر دينه وقاول الكفرة فقالوا اوانت تخالف ديننا فوثبوا عليه فقتلوه وقيل توطؤه بارجلهم حتى خرج قصبه من دبره • وقيل رجموه وهو يقول اللهم اهد قومى • وقبره فى سوق انطاكية فلما قتل غضب الله عليهم فاهلكوا بصيحة جبريل عليه السلام • وعن رسول الله عليه السلام سباق الامم ثلاثة لم يكفروا بالله طرفة عين على بن ابى طالب • وصاحب يس • ومؤمن آل فرعون • من لا يسألكم اجرا وهم مهتدون كلمة جامعة فى الترغيب فيهم اى لا تخسرون معهم شيئا من دنياكم وتربحون صحة دينكم فينتظم لكم خير الدنيا وخير الاخرة وما لى لا اعبد الذى فطرنى واليه ترجعون • أأتخذ من دونه آلهة ان يردن الرحمن بضر لا تغن عنى شفاعتهم شيئا ولا ينقذون • انى اذا لفى ضلال مبين • انى آمنت

طائركم معكم

بربكم فاسمعون • ثم ابرز الكلام فى معرض المناصحة لنفسه وهو يريد مناصحتهم ليتلطف بهم ويداريهم ولانه ادخل فى امحاض النصح حيث لا يريد لهم الا ما يريد لروحه ولقد وضع قوله وما لى لا اعبد الذى فطرنى مكان قوله ما لكم لا تعبدون الذى فطركم • الا ترى الى قوله واليه ترجعون ولولا انه قصد ذلك لقال الذى فطرنى واليه ارجع وقد ساقه ذلك المساق الى ان قال انى آمنت بربكم فاسمعون يريد فاسمعوا قولى واطيعونى فقد نبهتكم على الصحيح الذى لا معدل عنه ان العبادة لا تصح الا لمن منه مبتدأكم واليه مرجعكم وما ادفع العقول وانكرها لان تستحبوا على عبادته عبادة اشياء ان ارادكم هو بضر وشفع لكم هؤلاء لم تنفع شفاعتهم ولم يمكنوا من ان يكونوا شفعاء عنده ولم يقدروا على انقاذكم منه بوجه من الوجوه انكم فى هذا الاستحباب لواقعون فى ضلال ظاهر بين لا يخفى على ذى عقل وتمييز وقيل لما نصح قومه اخذوا يرجمونه فاسرع نحو الرسل قبل ان يقتل فقال انى آمنت بربكم فاسمعون اى اسمعوا ايمانى تشهدوا لى به • وقرئ ان يردنى الرحمن بضر بمعنى ان يوردنى ضرا اى يجعلنى موردا للضر قيل ادخل الجنة قال يا ليت قومى يعلمون بما غفر لى ربى وجعلنى من المكرمين • اى لما قتل قيل له ادخل الجنة وعن قتادة ادخله الله الجنة وهو فيها حى يرزق اراد به قوله عز وجل بل احياء عند ربهم يرزقون فرحين وقيل معناه البشرى بدخول الجنة وانه من اهلها فان قلت كيف مخرج هذا القول فى علم البيان قلت مخرجه مخرج الاستئناف لان هذا من مظان المسألة عن حاله عند لقاء ربه كأن قائلا قال كيف كان لقاء ربه بعد ذلك التصلب فى نصرة دينه والتسخى لوجهه بروحه فقيل قيل ادخل الجنة ولم يقل قيل له لانصباب الغرض الى المقول وعظمه لا الى المقول له مع كونه معلوما وكذلك قال يا ليت قومى يعلمون مرتب على تقدير سؤال سائل عما وجد من قوله عند ذلك الفوز العظيم وانما تمنى علم قومه بحاله ليكون علمهم بها سببا لاكتساب مثلها لانفسهم بالتوبة عن الكفر والدخول فى الايمان والعمل الصالح المفضيين باهلهما الى الجنة • وفى حديث مرفوع نصح قومه حيا وميتا • وفيه تنبيه عظيم على وجوب كظم الغيظ والحلم عن اهل الجهل والترؤف على من ادخل نفسه فى غمار الاشرار واهل البغى والتشمر فى تخليصه والتلطف فى افتدائه والاشتغال بذلك عن الشماتة به والدعاء عليه الا ترى كيف تمنى الخير لقتلته والباغين له الغوائل وهم كفرة عبدة اصنام • ويجوز ان يتمنى ذلك ليعلموا انهم كانوا على خطاء عظيم فى امره وانه كان على صواب ونصيحة وشفقة وان عداوتهم لم تكسبه الا فوزا ولم تعقبه الا سعادة لان فى ذلك زيادة غبطة له وتضاعف لذة وسرور والاول اوجه • وقرئ المكرمين فان قلت ما فى قوله تعالى بما غفر لى ربى اى الماءات هى المصدرية او الموصولة اى بالذى غفره لى من الذنوب • ويحتمل ان تكون استفهامية يعنى باى شىء غفر لى ربى يريد به ما كان منه معهم من المصابرة لاعزاز الدين حتى قتل الا ان قولك بم غفر لى ربى بطرح الالف اجود وان كان اثباتها جائزا يقال قد علمت بما صنعت هذا اى باى شىء صنعت وبم صنعت وما انزلنا على قومه من بعده من جند من السماء وما كنا منزلين • المعنى ان الله كفى امرهم بصيحة ملك ولم ينزل لاهلاكهم جندا من جنود السماء كما فعل يوم بدر والخندق فان قلت وما معنى قوله تعالى وما كنا منزلين قلت معناه وما كان يصح فى حكمتنا ان ننزل فى اهلاك قوم حبيب جندا من السماء وذلك لان الله تعالى اجرى هلاك كل قوم على بعض الوجوه دون البعض وما ذلك الا بناء على ما اقتضته الحكمة واوجبته المصلحة • الا ترى الى قوله تعالى فمنهم من ارسلنا عليه حاصبا ومنهم من اخذته الصيحة ومنهم من خسفنا به الارض ومنهم من اغرقنا • فان قلت فلم انزل الجنود من السماء يوم

بدر والخندق قال تعالى فارسلنا عليهم ريحا وجنودا لم تروها. بالف من الملائكة مردفين. بثلاثة آلاف من الملائكة منزلين. بخمسة آلاف من الملائكة مسومين. قلت انما كان يكفي ملك واحد فقد اهلكت مدائن لوط بريشة من جناح جبريل عليه السلام. وبلاد ثمود وقوم صالح عليه السلام بصيحة منه. ولكن الله فضل محمدا صلى الله عليه وسلم بكل شيء على كبار الانبياء واولى العزم من الرسل فضلا على حبيب النجار واولاه من اسباب الكرامة والاعزاز ما لم يوله احدا فمن ذلك انه انزل له جنودا من السماء وكانه اشار بقوله وما انزلنا وما كنا منزلين الى ان انزال الجنود من عظائم الامور التي لا يؤهل لها الا مثلك وما كنا نفعله بغيرك ان كانت الا صيحة واحدة فاذا هم خامدون. ان كانت الاخذة او العقوبة الا صيحة. وقرا ابو جعفر المدني بالرفع على كان التامة اي ما وقعت الا صيحة والقياس والاستعمال على تذكير الفعل لان المعنى ما وقع شيء الا صيحة ولكنه نظر الى ظاهر اللفظ وان الصيحة في حكم فاعل الفعل ومثلها قراءة الحسن رحمة الله عليه فاصبحوا لا ترى الا مساكنهم. وبيت ذي الرمة.

وما بقيت الا الضلوع الجراشع وقرا ابن مسعود رضي الله عنه الا زقية واحدة من زقا الطائر يزقو ويزقي اذا صاح. ومنه المثل اثقل من الزواقي. خامدون خمدوا كما تخمد النار فتعود رمادا كما قال لبيد.

وما المرء الا كالشهاب وضوءه. يحور رمادا بعد اذ هو ساطع يا حسرة على العباد ما ياتيهم من رسول الا كانوا به يستهزءون. يا حسرة على العباد نداء للحسرة عليهم كانما قيل لها تعالى يا حسرة فهذه من احوالك التي حقك ان تحضري فيها وهي حال استهزائهم بالرسل والمعنى انهم احقاء بان يتحسر عليهم المتحسرون ويتلهف على حالهم المتلهفون. او هم متحسر عليهم من جهة الملائكة والمؤمنين من الثقلين ويجوز ان يكون من الله تعالى على سبيل الاستعارة في معنى تعظيم ما جنوه على انفسهم ومحنوها به وفرط انكاره له وتعجيبه منه. وقراءة من قرا يا حسرتا تعضد هذا الوجه لان المعنى يا حسرتي. وقرئ يا حسرة العباد على الاضافة اليهم لاختصاصها بهم من حيث انها موجهة اليهم. ويا حسرة على العباد على اجراء الوصل مجرى الوقف الم يروا كم اهلكنا قبلهم من القرون انهم اليهم لا يرجعون. الم يروا الم يعلموا وهو معلق عن العمل في كم لان كم لا يعمل فيها عامل قبلها كانت للاستفهام او للخبر لان اصلها الاستفهام الا ان معناه نافذ في الجملة كما نفذ في قولك الم يروا ان زيدا لمنطلق وان لم يعمل في لفظه وانهم اليهم لا يرجعون بدل من كم اهلكنا على المعنى لا على اللفظ تقديره الم يروا كثرة اهلاكنا القرون من قبلهم كونهم غير راجعين اليهم. وعن الحسن رحمة الله عليه كسر ان على الاستئناف وفي قراءة ابن مسعود رضي الله عنه الم يروا من اهلكنا والبدل على هذه القراءة بدل اشتمال وهذا مما يرد قول اهل الرجعة. ويحكى عن ابن عباس رضي الله عنهما انه قيل له ان قوما يزعمون ان عليا مبعوث قبل يوم القيامة فقال بئس القوم نحن اذن نكحنا نساءه وقسمنا ميراثه وان كل لما جميع لدينا محضرون وقرئ لما بالتخفيف على ان ما صلة للتاكيد وان مخففة من الثقيلة وهي متلقاة باللام لا محالة ولما بالتشديد بمعنى الا كالتي في مسالة الكتاب نشدتك بالله لما فعلت وان نافية والتنوين في كل هو الذي يقع عوضا من المضاف اليه كقولك مررت بكل قائما والمعنى ان كلهم محشورون مجموعون محضرون للحساب يوم القيامة. وقيل محضرون معذبون فان قلت كيف اخبر عن كل بجميع ومعناهما واحد ليس بواحد لان كلا يفيد معنى الاحاطة وان لا ينفلت منهم احد والجميع معناه الاجتماع وان المحشر يجمعهم والجميع فعيل بمعنى مفعول يقال حي جميع وجاءوا جميعا وآية لهم الارض

الميتة احييناها واخرجنا منها حبا فمنه ياكلون. القراءة بالميتة على الخفة اشيع لسلسها على اللسان واحييناها استئناف بيان لكون الارض الميتة آية وكذلك نسلخ. ويجوز ان توصف الارض والليل بالفعل لانه لا اريد بهما الجنسان مطلقين لا ارض وليل باعيانهما فعوملا معاملة النكرات في وصفهما بالافعال ونحوه. ولقد امر على اللئيم يسبني. وقوله تعالى فمنه ياكلون بتقديم الظرف للدلالة على ان الحب هو الشيء الذي يتعلق به معظم العيش ويقوم بالارتزاق منه صلاح الانس واذا قل جاء القحط ووقع الضر واذا فقد حضر الهلاك ونزل البلاء وجعلنا فيها جنات من نخيل واعناب وفجرنا فيها من العيون ليأكلوا من ثمره وما عملته ايديهم افلا يشكرون. قرئ وفجرنا بالتخفيف والتثقيل والفجر والتفجير كالفتح والتفتيح لفظا ومعنى. وقرئ ثمره بفتحتين. وضمتين. وضمة وسكون والضمير لله تعالى والمعنى ليأكلوا مما خلقه الله من الثمر ومما عملته ايديهم من الغرس والسقي والآبار وغير ذلك من الاعمال الى ان بلغ الثمر منتهاه وابان اكله يعني ان الثمر في نفسه فعل الله وخلقه. وفيه آثار من كد بني آدم واصله من ثمرنا كما قال وجعلنا وفجرنا فنقل الكلام من التكلم الى الغيبة على طريقة الالتفات. ويجوز ان يرجع الى النخيل ويترك الاعناب غير مرجوع اليها لانه علم انها في حكم النخيل فيما علق به من اكل ثمره. ويجوز ان يراد من ثمر المذكور وهو الجنات كما قال رؤبة. فيها خطوط من سواد وبلق كانه في الجلد توليع البهق. فقيل له فقال اردت كان ذاك ولك ان تجعل ما نافية على ان الثمر خلق الله ولم تعمله ايدي الناس ولا يقدرون عليه. وقرئ على الوجه الاول وما عملت من غير راجع وهي في مصاحف اهل الكوفة كذلك وفي مصاحف اهل الحرمين والبصرة والشام مع الضمير سبحان الذي خلق الازواج كلها مما تنبت الارض ومن انفسهم ومما لا يعلمون الاجناس والاصناف ومما لا يعلمون ومن ازواج لم يطلعهم الله عليها ولا توصلوا الى معرفتها بطريق من طرق العلم ولا يبعد ان يخلق الله تعالى من الخلائق الحيوان والجماد ما لم يجعل للبشر طريقا الى العلم به لانه لا حاجة بهم في دينهم ودنياهم الى ذلك العلم ولو كانت بهم اليه حاجة لاعلمهم بما لا يعلمون كما اعلمهم بوجود ما لا يعلمون وعن ابن عباس رضي الله عنهما لم يسمهم. وفي الحديث ما لا عين رات ولا اذن سمعت ولا خطر على قلب بشر بله ما اطلعتهم عليه فاعلمنا بوجوده واعداده ولم يعلمنا ما هو. ونحوه فلا تعلم نفس ما اخفي لهم من قرة اعين. وفي الاعلام بكثرة ما خلق الله مما علموه ومما جهلوه ما دل على عظم قدرته واتساع ملكه وآية لهم الليل نسلخ منه النهار فاذا هم مظلمون سلخ جلد الشاة اذا كشطه عنها وازاله. ومنه سلخ الحية لخرشائها فاستعير لازالة الضوء وكشفه عن مكان الليل وملقى ظله. مظلمون داخلون في الظلام يقال اظلمنا كما تقول اعتمنا وادجنا والشمس تجري لمستقر لها ذلك تقدير العزيز العليم. لمستقر لها لحد لها موقت مقدر تنتهي اليه من فلكها في آخر السنة شبه بمستقر المسافر اذا قطع مسيره او لمنتهى لها من المشارق والمغارب لانها تتقصاها مشرقا مشرقا ومغربا مغربا حتى تبلغ اقصاها ثم ترجع فذلك حدها ومستقرها لانها لا تعدوه او لحد لها من مسيرها كل يوم في مرأى عيوننا وهو المغرب. وقيل مستقرها اجلها الذي اقر الله عليه امرها في جريها فاستقرت عليه وهو آخر السنة. وقيل الوقت الذي تستقر فيه وينقطع جريها وهو يوم القيامة. وقرئ تجري الى مستقر لها. وقرا ابن مسعود رضي الله عنه لا مستقر لها اي لا تزال تجري لا تستقر. وقرئ لا مستقر لها على ان لا بمعنى ليس ذلك الجري على ذلك التقدير والحساب الدقيق الذي تكل الفطن عن استخراجه وتتحير الافهام في استنباطه ما هو الا تقدير الغالب بقدرته على كل مقدور المحيط علما بكل معلوم والقمر قدرناه منازل حتى عاد كالعرجون القديم قرئ والقمر رفعا على الابتداء او عطفا

على الليل برديه ومن آياته القمر، ونصبا بفعل يفسره قدرناه ولابد في قدرناه منازل من تقدير مضاف
لأنه لا معنى لتقدير نفس القمر منازل والمعنى قدرنا مسيره منازل وهي ثمانية وعشرون ينزل القمر
كل ليلة في واحد منها لا يتخطاه ولا يتقاصر عنه على تقدير مستو لا يتفاوت يسير فيها من ليلة المستهل إلى
الثامنة والعشرين ثم يستتر ليلتين أو ليلة إذا نقص الشهر، وهذه المنازل هي مواقع النجوم التي نسبت
إليها العرب الأنواء المستمطرة وهي الشرطين، البطين، الثريا، الدبران، الهقعة، الهنعة، الذراع، النثرة،
الطرف، الجبهة، الزبرة، الصرفة، العواء، السماك، الغفر، الزبانا، الإكليل، القلب، الشولة، النعائم، البلدة،
سعد الذابح، سعد بلع، سعد السعود، سعد الأخبية، فرغ الدلو المقدم، فرغ الدلو المؤخر، الرشاء،
فإذا كان في آخر منازله دق واستقوس وعاد كالعرجون القديم وهو عود العذق ما بين شماريخه إلى
منبته من النخلة، وقال الزجاج هو فعلون من الانعراج وهو الانعطاف وقرئ العرجون بوزن
الفرجون وهما لغتان كالبزيون والبزيون والقديم المحول وإذا قدم دق وانحنى واصفر فشبه به من
ثلاثة أوجه، وقيل أقل مدة الموصوف بالقدم الحول فلو أن رجلا قال كل مملوك لي قديم فهو حر
أو كتب ذلك في وصيته عتق منهم من مضى له حول وأكثر لا الشمس ينبغي لها أن تدرك القمر ولا
الليل سابق النهار وكل في فلك يسبحون وقرئ سابق النهار على الأصل والمعنى أن الله قسم لكل
واحد من الليل والنهار وآيتيهما قسما من الزمان وضرب له حدا معلوما ودبر أمرهما على التعاقب فلا
ينبغي للشمس أي لا يتسهل لها ولا يصح ولا يستقيم لوقوع التدبير على المعاقبة وأن جعل لكل واحد من النيرين
سلطانا على حياله أن تدرك القمر فتجتمع معه في وقت واحد وتداخله في سلطانه فتطمس نوره، ولا يسبق
الليل النهار يعني آية الليل آية النهار وهما النيران ولا يزال الأمر على هذا الترتيب إلى أن يبطل الله
ما دبر من ذلك وينقض ما ألف فيجمع بين الشمس والقمر ويطلع الشمس من مغربها فإن قلت لم جعلت
الشمس غير مدركة والقمر غير سابق لأن الشمس لا تقطع فلكها إلا في سنة والقمر يقطع
فلكه في شهر فكانت الشمس جديرة بأن توصف بالإدراك لتباطؤ سيرها عن سير القمر والقمر خليقا
بأن يوصف بالسبق لسرعة سيره، وكل التنوين فيه عوض من المضاف إليه والمعنى وكلهم والضمير للشموس
والأقمار على ما سبق ذكره وآية لهم أنا حملنا ذريتهم في الفلك المشحون، وخلقنا لهم من مثله
ما يركبون، ذريتهم أولادهم ومن يهمهم حمله، وقيل اسم الذرية يقع على النساء لأنهن مزارعها،
وفي الحديث أنه نهى عن قتل الذراري يعني النساء، من مثله من مثل الفلك ما يركبون من الإبل وهي سفائن
البر، وقيل الفلك المشحون سفينة نوح عليه السلام، ومعنى حمل الله ذرياتهم فيها أنه حمل فيها آباءهم
الأقدمين وفي أصلابهم هم وذرياتهم وإنما ذكر ذرياتهم دونهم لأنه أبلغ في الامتنان عليهم وأدخل
في التعجب من قدرته في حمل أعقابهم إلى يوم القيامة في سفينة نوح، ومن مثله من مثل ذلك الفلك ما
يركبون من السفن والزوارق وإن نشأ نغرقهم فلا صريخ لهم ولا هم ينقذون إلا رحمة منا
ومتاعا إلى حين، لا صريخ لا مغيث أو لا إغاثة يقال أتاهم الصريخ، ولا هم ينقذون لا ينجون من
الموت بالغرق إلا رحمة منا إلا لرحمة منا ولتمتيع بالحياة إلى حين إلى أجل يموتون فيه لا بد لهم منه
بعد النجاة من موت الغرق ولقد أحسن من قال، ولم أسلم لكي أبقى ولكن سلمت من الحمام إلى الحمام، وقرأ
الحسن رحمه الله نغرقهم، وإذا قيل لهم اتقوا ما بين أيديكم وما خلفكم لعلكم ترحمون، وما
تأتيهم من آية من آيات ربهم إلا كانوا عنها معرضين، اتقوا ما بين أيديكم وما خلفكم كقوله عز

وجل أفلم يروا إلى ما بين أيديهم وما خلفهم من السماء والأرض، وعن مجاهد ما تقدم من ذنوبكم وما تأخر
وعن قتادة ما بين أيديكم من الوقائع التي خلت يعني من مثل الوقائع التي ابتليت بها الأمم المكذبة
بأنبيائها وما خلفكم من أمر الساعة، لعلكم ترحمون لتكونوا على رجاء رحمة الله وجواب إذا محذوف
مدلول عليه بقوله إلا كانوا عنها معرضين فكأنه قال وإذا قيل لهم اتقوا أعرضوا ودأبهم الإعراض عند
كل آية وموعظة، وإذا قيل لهم أنفقوا مما رزقكم الله قال الذين كفروا للذين آمنوا أنطعم من
لو يشاء الله أطعمه إن أنتم إلا في ضلال مبين، كانت الزنادقة منهم يسمعون المؤمنين يعلقون أفعال
الله تعالى بمشيئته فيقولون لو شاء الله لأغنى فلانا ولو شاء لأعزه ولو شاء لكان كذا فأخرجوا هذا الجواب
مخرج الاستهزاء بالمؤمنين وبما كانوا يقولونه من تعليق الأمور بمشيئة الله ومعناه أنطعم المقول فيه
هذا القول بينكم وذلك أنهم كانوا دافعين أن يكون الغنى والفقر من الله لأنهم معطلة لا يؤمنون
بالصانع، وعن ابن عباس رضي الله عنهما كان بمكة زنادقة فإذا أمروا بالصدقة على المساكين قالوا لا
والله أيفقره الله ونطعمه نحن، وقيل كانوا يوهمون أن الله تعالى لما كان قادرا على إطعامه ولم يشأ إطعامه
فنحن أحق بذلك فنزلت في مشركي قريش حين قال فقراء أصحاب النبي صلى الله عليه وسلم أعطونا مما زعمتم
من أموالكم أنها لله يعنون قوله تعالى وجعلوا لله مما ذرأ من الحرث والأنعام نصيبا فحرموهم وقالوا
لو شاء الله لأطعمكم، إن أنتم إلا في ضلال مبين قول الله لهم أو حكاية قول المؤمنين لهم، أو هو من جملة
جوابهم للمؤمنين ويقولون متى هذا الوعد إن كنتم صادقين، ما ينظرون إلا صيحة واحدة تأخذهم
وهم يخصمون قرئ وهم يخصمون بإدغام التاء في الصاد مع فتح الخاء وكسرها وإتباع الياء الخاء
في الكسر، ويخصمون على الأصل، ويخصمون من خصمه والمعنى أنها تبغتهم وهم في أمنهم وغفلتهم عنها
لا يخطرونها ببالهم مشتغلين بخصومتهم في متاجرهم ومعاملاتهم وسائر ما يتخاصمون فيه ويتشاجرون
ومعنى يخصمون يخصم بعضهم بعضا، وقيل تأخذهم وهم عند أنفسهم يخصمون في الحجة في أنهم لا يبعثون
فلا يستطيعون توصية ولا إلى أهلهم يرجعون، لا يستطيعون أن يوصوا في شيء من أمورهم
توصية ولا يقدرون على الرجوع إلى منازلهم وأهاليهم بل يموتون حيث تفجؤهم الصيحة ونفخ في
الصور فإذا هم من الأجداث إلى ربهم ينسلون قرئ الصور بسكون الواو وهو القرن أو جمع
صورة، وحركها بعضهم، والأجداث القبور، وقرئ بالفاء، ينسلون يعدون بكسر السين وضمها
وهي النفخة الثانية قالوا يا ويلنا من بعثنا من مرقدنا هذا ما وعد الرحمن وصدق المرسلون
قرئ يا ويلتنا، وعن ابن مسعود رضي الله عنه من أهبنا من هب من نومه إذا انتبه وأهبه غيره،
وقرئ من هبنا بمعنى أهبنا، وعن بعضهم أراد هب بنا فحذف الجار وأوصل الفعل، وقرئ من بعثنا ومن
هبنا على من الجارة والمصدر، وهذا مبتدأ، وما وعد خبره وما مصدرية أو موصولة، ويجوز أن
يكون هذا صفة للمرقد وما وعد خبر مبتدإ محذوف أي هذا وعد الرحمن أو مبتدأ محذوف الخبر أي
ما وعد الرحمن وصدق المرسلون حق، وعن مجاهد للكفار هجعة يجدون فيها طعم النوم فإذا صيح
بأهل القبور قالوا من بعثنا وأما هذا ما وعد الرحمن فكلام الملائكة عن ابن عباس رضي الله عنهما،
وعن الحسن كلام المتقين، وقيل كلام الكافرين يتذكرون ما سمعوه من الرسل فيجيبون به أنفسهم أو
بعضهم بعضا فإن قلت إذا جعلت ما مصدرية كان المعنى هذا وعد الرحمن وصدق المرسلين على
تسمية الموعود والمصدوق فيه بالوعد والصدق فما وجه قوله وصدق المرسلون إذا جعلتها

موصولة **قلت** تقديره هذا الذي وعده الرحمن والذي صدقه المرسلون بمعنى والذي صدق فيه المرسلون من قولهم صدقوهم الحديث والقتال ومنه صدقني سن بكره فإن قلت من بعثنا من مرقدنا سؤال عن الباعث فكيف طابقه ذلك جوابا قلت معناه بعثكم الرحمن الذي وعدكم البعث وانبأكم به الرسل الا انه جئ به على طريقة سيئت بها قلوبهم ونعيت اليهم احوالهم وذكروا كفرهم وتكذيبهم واخبروا بوقوع ما انذروا به وكانه قيل لهم ليس بالبعث الذي عرفتموه وهو بعث النائم من مرقده حتى يهمكم السؤال عن الباعث ان هذا هو البعث الاكبر ذو الاهوال ذو الافزاع وهو الذي وعده الله في كتبه المنزلة على السنة رسله الصادقين **ان كانت الا صيحة واحدة فاذا هم جميع لدينا محضرون فاليوم لا تظلم نفس شيئا ولا تجزون الا ما كنتم تعملون ان اصحاب الجنة اليوم في شغل فاكهون** الا صيحة واحدة قرئت منصوبة ومرفوعة فاليوم لا تظلم نفس شيئا ان اصحاب الجنة اليوم في شغل حكاية ما يقال لهم في ذلك اليوم وفي مثل هذه الحكاية زيادة تصوير للموعود وتمكين له في النفوس وترغيب في الحرص عليه وعلى ما يثمره في شغل في اي شغل وفي شغل لا يوصف وما ظنك بشغل من سعد بدخول الجنة التي هي دار المتقين ووصل الى نيل تلك الغبطة وذلك الملك الكبير والنعيم المقيم ووقع في تلك الملاذ التي اعدها الله للمرتضين من عباده ثوابا لهم على اعمالهم مع كرامة وتعظيم وذلك بعد الوله والصبابة والتفصي من مشاق التكليف ومضايق التقوى والخشية وتخطي الاهوال وتجاوز الاخطار وجواز الصراط ومعاينة ما لقي العصاة من العذاب وعن ابن عباس رضي الله عنهما في افتضاض الابكار وعنه في ضرب الاوتار وعن ابن كيسان في التزاور وقيل في ضيافة الله وعن الحسن شغلهم عما فيه اهل النار التنعم بما هم فيه وعن الكلبي في شغل عن اهاليهم من اهل النار لا يهمهم امرهم ولا يذكرونهم لئلا يدخل عليهم تنغيص في نعيمهم **وقرئ** في شغل بضمتين وضمة وسكون وفتحتين وفتحة وسكون والفاكه والفكه المتنعم المتلذذ ومنه الفاكهة لانها مما يتلذذ به وكذلك الفكاهة وهي المزاحة وقرئ فاكهون وفكهون بكسر الكاف وضمها كقولهم رجل حدث وحدث ونطس ونطس وقرئ فاكهين وفكهين على انه حال والظرف مستقر **هم وازواجهم في ظلال على الارائك متكئون** هم يحتمل ان يكون مبتدأ وان يكون تاكيدا للضمير في شغل وفي فاكهون على ان ازواجهم يشاركهم في ذلك الشغل والتفكه والاتكاء على الارائك تحت الظلال **وقرئ** في ظلل والاريكة السرير في الحجلة وقيل الفراش فيها وقرا ابن مسعود رضي الله عنه متكئين **لهم فيها فاكهة ولهم ما يدعون سلام قولا من رب رحيم** يدعون يفتعلون من الدعاء اي يدعون به لانفسهم كقولك اشتوى واجتمل اذا شوى وجمل لنفسه **قال** لبيد فاشتوى ليلة ريح واجتمل ويجوز ان يكون بمعنى يتداعونه كقولك ارتموه وتراموه وقيل يتمنون من قولهم ادع على ما شئت بمعنى تمنه علي وفلان في خير ما ادعى اي في خير ما تمنى قال الزجاج وهو من الدعاء اي ما يدعو به اهل الجنة ياتيهم وسلام بدل مما يدعون كانه قال لهم سلام يقال لهم قولا من جهة رب رحيم والمعنى ان الله يسلم عليهم بواسطة الملائكة او بغير واسطة مبالغة في تعظيمهم وذلك متمناهم ولهم ذلك لا يمنعونه قال ابن عباس رضي الله عنهما والملائكة يدخلون عليهم بالتحية من رب العالمين وقيل ما يدعون مبتدأ وخبره سلام بمعنى ولهم ما يدعون سالم خالص لا شوب فيه وقولا مصدر مؤكد لقوله عز وجل ولهم ما يدعون سلام اي عدة من رب رحيم والاوجه ان ينتصب على الاختصاص وهو من مجازه

وقرئ سلم وهو بمعنى السلام في المعنيين وعن ابن مسعود رضي الله عنه سلاما نصب على الحال اي لهم مرادهم خالصا **وامتازوا اليوم ايها المجرمون** وامتازوا وانفردوا عن المؤمنين وكونوا على حدة وذلك حين يحشر المؤمنون ويسار بهم الى الجنة ونحوه قوله تعالى ويوم تقوم الساعة يومئذ يتفرقون فاما الذين آمنوا وعملوا الصالحات فهم في روضة يحبرون واما الذين كفروا الآية يقال مازه فانماز وامتازه وعن قتادة اعتزلوا عن كل خير وعن الضحاك لكل كافر بيت من النار يكون فيه لا يرى ولا يرى ومعناه ان بعضهم يمتاز من بعض **الم اعهد اليكم يا بني آدم ان لا تعبدوا الشيطان انه لكم عدو مبين وان اعبدوني هذا صراط مستقيم** العهد الوصية وعهد اليه اذا وصاه وعهد الله اليهم ما ركز فيهم من ادلة العقل وانزل عليهم من دلائل السمع وعبادة الشيطان طاعته فيما يوسوس به اليهم ويزينه لهم **وقرئ** اعهد بكسر الهمزة وباب فعل كله يجوز في حروف مضارعه الكسر الا في الياء واعهد بكسر الهاء وقد جوز الزجاج ان يكون من باب نعم ينعم وضرب يضرب واحهد بالحاء واحد وهي لغة تميم ومنه قولهم دحا محا هذا اشارة الى ما عهد اليهم من معصية الشيطان وطاعة الرحمن اذ لا صراط اقوم منه ونحو التنكير فيه ما في قول كثير

لئن كان يهدى برد انيابها العلى لافقر مني انني لفقير

اراد انني لفقير بليغ الفقر حقيق بان اوصف به لكمال شرائطه في والا لم يستقم معنى البيت وكذلك قوله هذا صراط مستقيم يريد صراط بليغ في بابه بليغ في استقامته جامع لكل شرط يجب ان يكون عليه ويجوز ان يراد هذا بعض الصرط المستقيمة توبيخا لهم على العدول عنه والتفادي عن سلوكه كما يتفادى الناس عن الطريق المعوج الذي يؤدي الى الضلالة والتهلكة كانه قيل اقل احوال الطريق الذي هو اقوم الطرق ان يعتقد فيه كما يعتقد في الطريق الذي لا يضل السالك كما يقول الرجل لولده وقد نصحه النصح البالغ الذي ليس بعده هذا فيما اظن قول نافع غير ضار توبيخا له على الاعراض عن نصائحه **ولقد اضل منكم جبلا كثيرا افلم تكونوا تعقلون هذه جهنم التي كنتم توعدون اصلوها اليوم بما كنتم تكفرون** قرئ جبلا بضمتين وضمة وسكون وضمتين وتشديدة وكسرتين وكسرة وسكون وكسرتين وتشديدة وهذه لغات في معنى الخلق **وقرئ** جبلا جمع جبلة كفطر وخلق وفي قراءة علي رضي الله عنه جيلا واحد الاجيال **اليوم نختم على افواههم وتكلمنا ايديهم وتشهد ارجلهم بما كانوا يكسبون** يروى انهم يجحدون ويخاصمون فيشهد عليهم جيرانهم واهاليهم وعشائرهم فيحلفون ما كانوا مشركين فحينئذ يختم على افواههم وتكلم ايديهم وارجلهم وفي الحديث يقول العبد يوم القيامة اني لا اجيز علي شاهدا الا من نفسي فيختم على فيه ويقال لاركانه انطقي فتنطق باعماله ثم يخلى بينه وبين الكلام فيقول بعدا وسحقا فعنكن كنت اناضل **وقرئ** يختم على افواههم وتتكلم ايديهم وقرئ ولتكلمنا ايديهم ولتشهد بلام كي والنصب على معنى ولذلك نختم على افواههم وقرئ ولتكلمنا ايديهم ولتشهد بلام الامر والجزم على ان الله تعالى يامر الاعضاء بالكلام والشهادة **ولو نشاء لطمسنا على اعينهم فاستبقوا الصراط فانى يبصرون** الطمس تعفية شق العين حتى تعود ممسوحة فاستبقوا الصراط لا يخلو من ان يكون على حذف الجار وايصال الفعل والاصل فاستبقوا الى الصراط او يضمن معنى ابتدروا او يجعل الصراط مسبوقا لا مسبوقا اليه او ينتصب على الظرف والمعنى انه لو شاء لمسح اعينهم فلو راموا ان يستبقوا الى الطريق المهيع الذي اعتادوا سلوكه الى مساكنهم والى مقاصدهم المالوفة التي ترددوا اليها كثيرا

كما كانوا يستبقون اليه ساعين في متصرفاتهم موضعين في امور دنياهم لم يقدروا ونعايا عليهم ان يبصروا ويعلموا جهة السلوك فضلا عن غيره • او لو نشاء لاعماهم فلو ارادوا ان يمشوا مستبقين في الطريق المألوف كما كان ذلك هجيراهم لم يستطيعوا • او لو نشاء لاعماهم فلو طلبوا ان يخلفوا الصراط الذي اعتادوا المشي فيه لعجزوا ولم يعرفوا طريقا يعني انهم لا يقدرون الا على سلوك الطريق المعتاد دون ما وراءه من سائر الطرق والمسالك كما ترى العميان يهتدون فيما الفوا وضروا به من المقاصد دون غيرها ولو نشاء لمسخناهم على مكانتهم فما استطاعوا مضيا ولا يرجعون • على مكانتهم وقرئ على مكاناتهم والمكانة والمكان واحد كالمقامة والمقام اي لمسخناهم مسخا يجمدهم مكانهم لا يقدرون ان يبرحوه باقبال ولا ادبار ولا مضي ولا رجوع • واختلف في المسخ فعن ابن عباس رضي الله عنهما لمسخناهم قردة وخنازير • وقيل حجارة • وعن قتادة لاقعدناهم على ارجلهم وازمناهم وقرئ مضيا بالحركات الثلاث فالمضي والمضي كالعتي والعتي • والمضي كالصبي ومن نعمره ننكسه في الخلق افلا يعقلون • ننكسه في الخلق نقلبه فيه فنخلقه على عكس ما خلقناه من قبل وذلك انا خلقناه على ضعف في جسده وخلو من عقل وعلم ثم جعلناه يتزايد وينتقل من حال الى حال ويرتقي من درجة الى درجة الى ان يبلغ اشده ويستكمل قوته ويعقل ويعلم ما له وما عليه فاذا انتهى نكسناه في الخلق فجعلناه يتناقص حتى يرجع في حال شبيهة بحال الصبي في ضعف جسده وقلة عقله وخلوه من العلم كما ينكس السهم فيجعل اعلاه اسفله قال عز وجل ومنكم من يرد الى ارذل العمر لكيلا يعلم من بعد علم شيئا • ثم رددناه اسفل سافلين • وهذه دلالة على ان من ينقلهم من الشباب الى الهرم ومن القوة الى الضعف ومن رجاحة العقل الى الخرف وقلة التمييز ومن العلم الى الجهل بعد ما نقلهم خلاف هذا النقل وعكسه قادر على ان يطمس اعينهم ويمسخهم على مكانتهم ويفعل بهم ما شاء واراد وقرئ بكسر الكاف ونكسه وننكسه من التنكيس والانكاس افلا يعقلون بالياء والتاء • وما علمناه الشعر وما ينبغي له ان هو الا ذكر وقرآن مبين • كانوا يقولون لرسول الله عليه السلام شاعر وروي ان القائل عقبة بن ابي معيط فقيل وما علمناه الشعر اي وما علمناه بتعليم القرآن الشعر على معنى ان القرآن ليس بشعر وما هو من الشعر في شيء واين هو عن الشعر والشعر انما هو كلام موزون مقفى يدل على معنى فاين الوزن واين التقفية واين المعاني التي ينتحيها الشعراء عن معانيه واين نظم كلامهم عن نظمه واساليبه فاذن لا مناسبة بينه وبين الشعر اذا حققت اللهم الا ان لفظه عربي كما ان ذاك كذلك • وما ينبغي له وما يصح له ولا يتطلب لو طلبه اي جعلناه بحيث لو اراد قرض الشعر لم يتات له ولم يتسهل كما جعلناه اميا لا يهتدي للخط ولا يحسنه لتكون الحجة اثبت والشبهة ادحض • وعن الخليل كان الشعر احب الى رسول الله صلى الله عليه وسلم من كثير من الكلام ولكن كان لا يتأتى له • فان قلت فقوله • انا النبي لا كذب • انا ابن عبد المطلب وقوله • هل انت الا اصبع دميت • وفي سبيل الله ما لقيت • ما هو الا كلام من جنس كلامه الذي كان يرمي به على السليقة من غير صنعة فيه ولا تكلف الا انه اتفق ذلك من غير قصد الى ذلك ولا التفات منه اليه ان جاء موزونا كما يتفق في كثير من انشاءات الناس في خطبهم ورسائلهم ومحاوراتهم اشياء موزونة لا يسميها احد شعرا ولا يخطر ببال المتكلم ولا السامع انها شعر واذا فتشت في كل كلام عن نحو ذلك وجدت الواقع في اوزان البحور غير عزيز على ان الخليل ما كان يعد المشطور من الرجز شعرا ولما نفى ان يكون القرآن من جنس الشعر قال ان هو الا ذكر وقرآن مبين يعني ما هو الا ذكر من الله تعالى يوعظ به الانس والجن كما قال تعالى ان هو الا ذكر للعالمين وما هو الا قرآن كتاب سماوي يقرأ في المحاريب ويتلى في المتعبدات وينال بتلاوته

والعمل

والعمل بما فيه فوز الدارين فكم بينه وبين الشعر الذي هو من همزات الشياطين • لينذر من كان حيا ويحق القول على الكافرين • لينذر القرآن او الرسول • وقرئ لتنذر بالتاء • ولينذر من ينذر به اذا علمه • من كان حيا اي عاقلا متأملا لان الغافل كالميت او معلوما منه انه يؤمن فيحيا بالايمان • ويحق القول ويجب كلمة العذاب على الكافرين الذين لا يتأملون ولا يتوقع منهم الايمان • اولم يروا انا خلقنا لهم مما عملت ايدينا انعاما فهم لها مالكون • مما عملت ايدينا مما تولينا نحن احداثه ولم يقدر على توليه غيرنا وانما قال ذلك لبدائع الفطرة والحكمة فيها التي لا يصح ان يقدر عليها الا هو وعمل الايدي استعارة من عمل من يعملون بالايدي • فهم لها مالكون اي خلقناها لاجلهم فملكناها اياهم فهم متصرفون فيها تصرف الملاك مختصون بالانتفاع بها لا يزاحمون او فهم لها ضابطون قاهرون من قوله •

• اصبحت لا احمل السلاح ولا • املك راس البعير ان نفرا •

اي لا اضبطه • وذللناها لهم فمنها ركوبهم ومنها ياكلون • وهو من جملة النعم الظاهرة والا فمن كان يقدر عليها لولا تذليله وتسخيره لها كما قال القائل

• يصرفه الصبي بكل وجه • ويحبسه على الخسف الجرير •
• وتضربه الوليدة بالهراوى • فلا غير لديه ولا نكير •

ولهذا الزم الله تعالى الراكب ان يشكر هذه النعمة ويسبح بقوله سبحان الذي سخر لنا هذا وما كنا له مقرنين وقرئ ركوبهم وركوبتهم وهما ما يركب كالحلوب والحلوبة • وقيل الركوبة جمع • وقرئ ركوبهم اي ذو ركوبهم او فمن منافعها ركوبهم • ولهم فيها منافع ومشارب افلا يشكرون • منافع من الجلود والاوبار والاصواف وغير ذلك • ومشارب من اللبن ذكرها مجملة وقد فصلها في قوله تعالى وجعل لكم من جلود الانعام بيوتا الاية • والمشارب جمع مشرب وهو موضع الشرب او الشرب • واتخذوا من دون الله آلهة لعلهم ينصرون • لا يستطيعون نصرهم وهم لهم جند محضرون • اتخذوا الالهة طمعا في ان يتقووا بهم ويعتضدوا بمكانهم والامر على عكس ما قدروا حيث هم جند لآلهتهم معدون محضرون يخدمونهم ويذبون عنهم ويغضبون لهم والآلهة لا استطاعة بهم ولا قدرة على النصر • او اتخذوهم لينصروهم عند الله ويشفعوا لهم والامر على خلاف ما توهموا حيث هم يوم القيامة جند معدون لهم محضرون لعذابهم لانهم يجعلون وقودا للنار • فلا يحزنك قولهم انا نعلم ما يسرون وما يعلنون • وقرئ فلا يحزنك بفتح الياء وضمها من حزنه واحزنه والمعنى فلا يهمنك تكذيبهم واذاهم وجفاؤهم فانا عالمون بما يسرون من عداوتهم وما يعلنون وانا مجازوهم عليه فحق مثلك ان يتسلى بهذا الوعيد ويستحضر في نفسه صورة حاله وحالهم في الآخرة حتى ينقشع عنه الهم ولا يرهقه الحزن • فان قلت ما تقول فيمن يقول ان قرأ قارئ انا نعلم بالفتح انتقضت صلوته وان اعتقد ما يعطيه من المعنى كفر فيه وجهان • احدهما ان يكون على حذف لام التعليل وهو كثير في القرآن وفي الشعر وفي كل كلام وقياس مطرد وهذا معناه ومعنى الكسر سواء وعليه تلبية رسول الله صلى الله عليه وسلم ان الحمد لك والنعمة لك كسر ابو حنيفة وفتح الشافعي وكلاهما تعليل • والثاني ان يكون بدلا من قولهم كانه قيل فلا يحزنك انا نعلم ما يسرون وما يعلنون وهذا المعنى قائم مع المكسورة اذا جعلتها مفعولة للقول فقد تبين ان تعلق الحزن بكون الله عالما وعدم تعلقه لا يدوران على كسر ان وفتحها وانما يدوران على تقديرك فتفصل ان فتحت بان تقدر معنى التعليل ولا تقدر البدل كما انك تفصل بتقدير معنى التعليل اذا كسرت ولا تقدر معنى المفعولية ثم ان قدرته كاسرا او فاتحا على ما عظم فيه الخطب ذلك القائل فما فيه الا نهي رسول

الله عليه السلام عن الحزن على كون الله عالما بسرهم وعلانيتهم وليس النهي عن ذلك ما يوجب شيئا ۝ الا ترى الى قوله تعالى فلا تكونن ظهيرا للكافرين ۝ ولا تكونن من المشركين ۝ ولا تدع مع الله الها اخر ۝ **اولم ير الانسان انا خلقناه من نطفة فاذا هو خصيم مبين ۝ وضرب لنا مثلا ونسي خلقه قال من يحيي العظام وهي رميم** ۝ قبح الله عز وجل انكارهم البعث تقبيحا لا ترى اعجب منه وابلغ وادل على تمادي كفر الانسان وافراطه في جحود النعم وعقوق الايادي وتوغله في الخسة وتغلغله في القحة حيث قرره بان عنصره الذي خلقه منه هو اخس شيء وامهنه وهو النطفة المذرة الخارجة من الاحليل الذي هو قناة النجاسة ثم عجب من حاله بان يتصدى مثله على مهانة اصله ودناءته اوله لمخاصمة الجبار ويبرز صفحته لمجادلته ويركب متن الباطل ويلج ويمحك ويقول من يقدر على احياء الميت بعدما رمت عظامه ثم يكون خصامه في الزم وصف له والصقه به وهو كونه منشأ من موات وهو ينكر انشاءه من موات وهي المكابرة التي لا مطمح وراءها ۝ وروي ان جماعة من كفار قريش منهم ابي بن خلف الجمحي وابو جهل والعاص بن وائل ۝ والوليد بن المغيرة تكلموا في ذلك فقال لهم ابي الا ترون الى ما يقول محمد ان الله يبعث الاموات ۝ ثم قال واللات والعزى لاصيرن اليه ولاخصمنه واخذ عظما باليا فجعل يفته بيده وهو يقول يا محمد اترى الله يحيي هذا بعد ما رم قال صلى الله عليه وسلم نعم ويبعثك ويدخلك جهنم وقيل معنى قوله تعالى فاذا هو خصيم مبين فاذا هو بعدما كان ماء مهينا رجل مميز منطيق قادر على الخصام مبين معرب عما في نفسه فصيح كما قال تعالى ومن ينشأ في الحلية وهو في الخصام غير مبين **فان قلت** لم سمي قوله تعالى من يحيي العظام وهي رميم مثلا **قلت** لما دل عليه من قصة عجيبة شبيهة بالمثل وهي انكار قدرة الله تعالى على احياء الموتى او لما فيه من التشبيه لان ما انكر من قبيل ما يوصف الله بالقدرة عليه بدليل النشأة الاولى فاذا قيل من يحيي العظام على طريق الانكار لان يكون ذلك مما يوصف الله تعالى بكونه قادرا عليه كان تعجيزا لله وتشبيها له بخلقه في نفيهم غير موصوفين بالقدرة عليه ۝ والرميم اسم لما بلي من العظام غير صفة كالرمة والرفات فلا يقال لم لم يؤنث وقد وقع خبر المؤنث ولا هو فعيل بمعنى فاعل او مفعول ولقد استشهد بهذه الاية من يثبت الحياة في العظام ويقول ان عظام الميتة نجسة لان الموت يؤثر فيها من قبل ان الحياة تحلها ۝ واما اصحاب ابي حنيفة رحمة الله عليهم فهي عندهم طاهرة وكذلك الشعر والعصب ويزعمون ان الحياة لا تحلها فلا يؤثر فيها الموت ويقولون المراد باحياء العظام في الاية ردها الى ما كانت عليه غضة رطبة في بدن حي حساس **قل يحييها الذي انشأها اول مرة وهو بكل خلق عليم** ۝ وهو بكل خلق عليم يعلم كيف يخلق لا يتعاظمه شيء من خلق المنشآت والمعادات ومن اجناسها وانواعها وجلائلها ودقائقها **الذي جعل لكم من الشجر الاخضر نارا فاذا انتم منه توقدون** ۝ ثم ذكر من بدائع خلقه انقداح النار من الشجر الاخضر مع مضادة النار الماء وانطفائها به وهي الزناد التي تورى بها الاعراب واكثرها من المرخ والعفار ۝ وفي امثالهم في كل شجر نار واستمجد المرخ والعفار يقطع الرجل منهما غصنين مثل السواكين وهما خضراوان يقطر منهما الماء فيسحق المرخ وهو ذكر على العفار وهو انثى فتنقدح النار باذن الله ۝ وعن ابن عباس رضي الله عنهما ليس من شجرة الا وفيها النار الا العناب قالوا ولذلك تتخذ منه كذينقات القصارين الاخضر على اللفظ **وقرئ** الخضراء على المعنى ۝ ونحوه قوله تعالى من شجر من زقوم فمالئون منها البطون فشاربون عليه من الحميم **اوليس الذي خلق السموات والارض بقادر على ان يخلق مثلهم بلى وهو الخلاق العليم** ۝ من قدر على خلق

السموات والارض مع عظم شأنهما فهو على خلق الاناسي اقدر ۝ وفي معناه قوله عز وجل لخلق السموات والارض اكبر من خلق الناس **وقرئ** يقدر وقوله تعالى ان يخلق مثلهم يحتمل معنيين ۝ ان يخلق مثلهم في الصغر والقماءة بالاضافة الى السموات والارض ۝ او ان يعيدهم لان المعاد مثل للمبتدأ وليس به ۝ وهو الخلاق الكثير المخلوقات العليم الكثير المعلومات ۝ وقرئ الخالق **انما امره اذا اراد شيئا ان يقول له كن فيكون** انما امره انما شأنه اذا اراد شيئا اذا دعاه داعي حكمة الى تكوينه ولا صارف ان يقول له كن ان يكونه من غير توقف فيكون فيحدث اي فهو كائن موجود لا محالة ۝ **فان قلت** ما حقيقة قوله تعالى ان يقول له كن فيكون **قلت** هو مجاز من الكلام وتمثيل لانه لا يمتنع عليه شيء من المكونات وانه بمنزلة المأمور المطيع اذا ورد عليه امر الآمر المطاع ۝ فان قلت فما وجه القرائتين في فيكون ۝ قلت اما الرفع فلانها جملة من مبتدأ وخبر لان تقديرها فهو يكون معطوفة على مثلها وهي امره ان يقول له كن ۝ واما النصب فللعطف على يقول والمعنى انه لا يجوز عليه شيء مما يجوز على الاجسام اذا فعلت شيئا مما تقدر عليه من المباشرة بمحال القدرة واستعمال الآلات وما يتبع ذلك من المشقة والتعب واللغوب انما امره وهو القادر العالم لذاته ان يخلص داعيه الى الفعل فيتكون فمثله كيف يعجز عن مقدور حتى يعجز عن الاعادة ۝ **فسبحان الذي بيده ملكوت كل شيء واليه ترجعون** ۝ فسبحان تنزيه له مما وصفه به المشركون وتعجيب من ان يقولوا فيه ما قالوا بيده ملكوت كل شيء هو مالك كل شيء والمتصرف فيه بمواجب مشيئته وقضايا حكمته **وقرئ** ملكة كل شيء ومملكة كل شيء وملكوت كل شيء والمعنى واحد ۝ ترجعون بضم التاء وفتحها ۝ وعن ابن عباس رضي الله عنه كنت لا اعلم ما روي في فضائل يس وقراءتها كيف خصت بذلك فاذا انه لهذه الاية ۝ قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ان لكل شيء قلبا وان قلب القرآن يس من قرأ يس يريد بها وجه الله غفر الله له واعطي من الاجر كانما قرأ القرآن اثنتين وعشرين مرة وايما مسلم قرئ عنده اذا نزل به ملك الموت سورة يس نزل بكل حرف منها عشرة املاك يقومون بين يديه صفوفا يصلون عليه ويستغفرون له ويشهدون غسله ويتبعون جنازته ويصلون عليه ويشهدون دفنه ۝ وايما مسلم قرأ يس وهو في سكرات الموت لم يقبض ملك الموت روحه حتى يجيئه رضوان خازن الجنة بشربة من شراب الجنة يشربها وهو على فراشه فيقبض ملك الموت روحه وهو ريان ويمكث في قبره وهو ريان ولا يحتاج الى حوض من حياض الانبياء حتى يدخل الجنة وهو ريان ۝ وقال رسول الله صلى الله عليه وسلم ان في القرآن سورة يشفع قارئها ويغفر لمستمعها الا وهي سورة يس والله اعلم

واحدى وثمانون ۝ وقيل اثنتان وثمانون اية ۝ بسم الله الرحمن الرحيم **والصافات صفا فالزاجرات زجرا فالتاليات ذكرا ان الهكم لواحد** ۝ اقسم سبحانه وتعالى بطوائف الملائكة او بنفوسهم الصافات اقدامها في الصلوة من قوله تعالى وانا لنحن الصافون ۝ او اجنحتها في الهواء واقفة منتظرة لامر الله فالزاجرات السحاب سوقا ۝ فالتاليات لكلام الله من الكتب المنزلة وغيرها ۝ وقيل الصافات الطير من قوله عز وجل والطير صافات ۝ والزاجرات كل ما زجر عن معاصي الله ۝ والتاليات كل من تلا كتاب الله ۝ ويجوز ان يقسم بنفوس العلماء العمال الصافات اقدامها في التهجد وسائر الصلوات وصفوف الجماعات فالزاجرات بالمواعظ والنصائح فالتاليات ايات الله والدارسات شرائعه او بنفوس قواد الغزاة في سبيل الله ۝

التي تصف الصفوف وتزجر الخيل للجهاد وتتلو الذكر مع ذلك لا تشغلها عنه تلك الشواغل كما يحكى عن علي بن أبي
طالب رضي الله عنه **فان قلت** ما حكم الفاء إذا جاءت عاطفة في الصفات   اما ان تدل على ترتيب
معانيها في الوجود كقوله * يا لهف زيابة للحارث الصابح فالغانم فالآيب * كانه قيل الذي صبح
فغنم فآب * واما على ترتيبها في التفاوت من بعض الوجوه كقولك خذ الافضل فالاكمل واعمل الاحسن فالاجمل
واما على ترتيب موصوفاتها في ذلك كقوله رحم الله المحلقين فالمقصرين فعلى هذه القوانين الثلاثة ينساق
امر الفاء العاطفة في الصفات **فان قلت** فعلى اي هذه القوانين هي فيما انت بصدده **قلت** ان
وجدت الموصوف كانت للدلالة على ترتب الصفات في التفاضل وان ثلثته فهي للدلالة على ترتب الموصوفات
فيه بيان ذلك انك اذا اجريت هذه الاوصاف على الملائكة وجعلتهم جامعين لها فعطفها بالفاء يفيد
ترتبا لها في الفضل اما ان يكون الفضل للصف ثم للزجر ثم للتلاوة واما على العكس وكذلك ان اردت
العلماء وقواد الغزاة وان اجريت الصفة الاولى على طوائف والثانية والثالثة على اخر فقد افادت
ترتب الموصوفات في الفضل اعني ان الطوائف الصافات ذوات فضل والزاجرات افضل والتاليات
ابهر فضلا او على العكس وكذلك اذا اردت بالصافات الطير وبالزاجرات كل ما يزجر عن معصية
وبالتاليات كل نفس تتلو الذكر فان الموصوفات مختلفة * وقرئ بادغام التاء في الصاد والزاي والذال
رب السموات والارض وما بينهما ورب المشارق * رب السموات خبر بعد خبر او خبر مبتدا محذوف
والمشارق ثلثمائة وستون مشرقا وكذلك المغارب تشرق الشمس كل يوم في مشرق منها وتغرب في
مغرب ولا تطلع ولا تغرب في واحد يومين **فان قلت** فما اراد بقوله تعالى رب المشرقين ورب
المغربين **قلت** اراد مشرقي الصيف والشتاء ومغربيهما انا زينا السماء الدنيا بزينة الكواكب
وحفظا من كل شيطان مارد * الدنيا القربى منكم والزينة مصدر كالنسبة واسم لما يزان به
الشيء كالليقة اسم لما تلاق به الدواة ويحتملهما قوله تعالى بزينة الكواكب فان اردت المصدر فعلى
اضافته الى الفاعل اي بان زانتها الكواكب واصله بزينة الكواكب * او على اضافته الى المفعول اي
بان زان الله الكواكب وحسنها لانها انما زينت السماء لحسنها في انفسها واصله بزينة الكواكب وهي قراءة
ابي بكر والاعمش وابن وثاب * وان اردت الاسم فللاضافة وجهان ان تقع الكواكب بيانا للزينة لان
الزينة مبهمة في الكواكب وغيرها مما يزان به وان يراد ما زينت به الكواكب * وجاء عن ابن عباس رضي
الله عنهما بزينة الكواكب بضوء الكواكب * ويجوز ان يراد اشكالها المختلفة كشكل الثريا وبنات
نعش والجوزاء وغير ذلك ومطالعها ومسايرها **وقرئ** على هذا المعنى بزينة الكواكب بتنوين
زينة وجر الكواكب على الابدال * ويجوز في نصب الكواكب ان يكون بدلا من محل بزينة وحفظا مما
حمل على المعنى لان المعنى انا خلقنا الكواكب زينة للسماء وحفظا للشياطين كما قال عز وجل ولقد
زينا السماء الدنيا بمصابيح وجعلناها رجوما للشياطين * ويجوز ان يقدر الفعل المعلل كانه قيل
وحفظا من كل شيطان زيناها بالكواكب * وقيل وحفظناها حفظا * والمارد الخارج من الطاعة المتملس
منها لا يسمعون الى الملا الاعلى ويقذفون من كل جانب دحورا ولهم عذاب واصب الا من
خطف الخطفة فاتبعه شهاب ثاقب * الضمير في لا يسمعون لكل شيطان مارد لانه في معنى الشياطين
وقرئ بالتخفيف والتشديد واصله يتسمعون والتسمع تطلب السماع يقال تسمع فسمع او فلم يسمع
وعن ابن عباس رضي الله عنهما هم يتسمعون ولا يسمعون وبهذا ينصر التخفيف على التشديد * فان قلت

لايسمعون

لا يسمعون كيف اتصل بما قبله * قلت لا يخلو من ان يتصل بما قبله على ان يكون صفة لكل شيطان او استينافا
فلا يصح الصفة لان الحفظ من شياطين لا يسمعون ولا يتسمعون لا معنى له وكذلك الاستيناف لان
سائلا لو سال لم تحفظ من الشياطين فاجيب بانهم لا يسمعون لم يستقم فبقي ان يكون كلاما منقطعا
مبتدا اقتصاصا لما عليه حال المسترقة للسمع وانهم لا يقدرون ان يسمعوا الى كلام الملائكة * او
يتسمعوا وهم مقذوفون بالشهب مدحورون عن ذلك الامر الا من امهل حتى خطف خطفة واسترق
استراقة فعندها تعاجله الهلكة باتباع الشهاب الثاقب **فان قلت** هل يصح قول من زعم
ان اصله لئلا يسمعوا فحذفت اللام كما حذفت في قولك جئتك ان تكرمني فبقي ان لا يسمعوا فحذفت
ان واهدر عملها كما في قول القائل * الا ايهذا الزاجري احضر الوغى *   كل واحد من هذين
الحذفين غير مردود على انفراده فاما اجتماعهما فمنكر من المنكرات على ان صون القران عن مثل هذا
التعسف واجب **فان قلت** اي فرق بين سمعت فلانا يتحدث وسمعت اليه يتحدث وسمعت حديثه
والى حديثه   المعدى بنفسه يفيد الادراك والمعدى بالى يفيد الاصغاء مع الادراك * والملا
الاعلى الملائكة لانهم يسكنون السموات والانس والجن هم الملا الاسفل لانهم سكان الارض * وعن ابن
عباس رضي الله عنهما هم الكتبة من الملائكة * وعنه اشراف الملائكة من كل جانب من جميع جوانب
السماء من اي جهة صعدوا للاستراق * دحورا مفعول له اي ويقذفون للدحور وهو الطرد * او
مدحورين على الحال لان القذف والطرد متقاربان في المعنى فكانه قيل يدحرون او قذفا * وقرا ابو عبد
الرحمن السلمي بفتح الدال على قذفا دحورا طرودا او على انه جاء مجيء القبول والولوع * والواصب
الدائم وصب الامر وصوبا يعني انهم في الدنيا مرجومون بالشهب وقد اعد لهم في الآخرة نوع من العذاب
دائم غير منقطع * من في محل الرفع بدل من الواو في لا يسمعون اي لا يسمع الشياطين الا الشيطان الذي
خطف الخطفة **وقرئ** خطف بكسر الخاء والطاء وتشديدها * وخطف بفتح الخاء وكسر الطاء وتشديدها
واصلهما اختطف * وقرئ فاتبعه وفاتبعه فاستفتهم اهم اشد خلقا ام من خلقنا انا خلقناهم من
طين لازب * الهمزة وان خرجت الى معنى التقرير فهي بمعنى الاستفهام في اصلها فلذلك قيل فاستفتهم اي
استخبرهم اهم اشد خلقا ولم يقل فقررهم والضمير لمشركي مكة * وقيل نزلت في ابي الاشد بن كلدة وكني
بذلك لشدة بطشه وقوته * ام من خلقنا يريد ما ذكر من خلائقه من الملائكة والسموات والارض
والمشارق والكواكب والشهب الثواقب والشياطين المردة وغلب اولي العقل على غيرهم فقال من
خلقنا والدليل عليه قوله تعالى بعد عد هذه الاشياء فاستفتهم اهم اشد خلقا ام من خلقنا بالفاء المعقبة
وقوله ام من خلقنا مطلقا من غير تقييد بالبيان اكتفاء ببيان ما تقدمه كانه قال خلقنا كذا وكذا من
عجائب الخلق وبدائعه فاستفتهم اهم اشد خلقا ام الذي خلقناه من ذلك ويقطع به قراءة من قرا ام من
عددنا بالتخفيف والتشديد واشد خلقا يحتمل اقوى خلقا من قولهم شديد الخلق وفي خلقه شدة
واصعب خلقا واشقه على معنى الرد لانكارهم البعث والنشاة الاخرى وان من هان عليه خلق هذه
الخلائق العظيمة ولم يصعب عليه اختراعها كان خلق البشر عليه اهون وخلقهم من طين لازب انما شهادة
عليهم بالضعف والرخاوة لان ما يصنع من الطين غير موصوف بالصلابة والقوة او احتجاج عليهم
بان الطين اللازب الذي خلقوا منه تراب فمن اين استنكروا ان يخلقوا من تراب مثله حيث قالوا
ااذا كنا ترابا وهذا المعنى يعضده ما يتلوه من ذكر انكارهم البعث * وقيل من خلقنا من الامم الماضية وليس

هذا القول بملازم ⁕ وقرئ لازم ولازب والمعنى واحد ⁕ والثاقب الشديد الاضاءة **بل عجبت ويسخرون وإذا ذكروا لا يذكرون وإذا رأوا آية يستسخرون ⁕ وقالوا إن هذا إلا سحر مبين ⁕** بل عجبت من قدرة الله تعالى على هذه الخلائق العظيمة وهم يسخرون منك ومن تعجبك ومما تريهم من آثار قدرة الله ⁕ أو من انكارهم البعث وهم يسخرون من أمر البعث ⁕ وقرئ بضم التاء اى بلغ من عظم آياتي وكثرة خلائقي اني عجبت منها فكيف بعبادي وهؤلاء بجهلهم وعنادهم يسخرون من آياتي ⁕ او عجبت من ان ينكروا البعث ممن هذه افعاله وهم يسخرون ممن يصف الله بالقدرة عليه **فان قلت** كيف يجوز العجب على الله تعالى وانما هو روعة تعتري الانسان عند استعظامه الشيء والله تعالى لا يجوز عليه الروعة فيه وجهان احدهما ان يجرد العجب لمعنى الاستعظام ⁕ والثاني ان يتخيل العجب ويفرض ⁕ وقد جاء في الحديث عجب ربكم من الكم وقنوطكم وسرعة اجابته اياكم وكان شريح يقرأ بالفتح ويقول ان الله لا يعجب من شيء وانما يعجب من لا يعلم فقال ابراهيم النخعي رحمه الله ان شريحا كان يعجبه علمه وعبد الله اعلم يريد عبد الله ابن مسعود رضي الله عنه وكان يقرأ بالضم ⁕ وقيل معناه قل يا محمد بل عجبت وإذا ذكروا وإذا وعظوا بشيء لا يتعظون به ⁕ وإذا رأوا آية من آيات الله البينة كانشقاق القمر ونحوه يستسخرون يبالغون في السخرية او يستدعي بعضهم من بعض ان يسخر منها **أإذا متنا وكنا ترابا وعظاما أإنا لمبعوثون أو آباؤنا الأولون قل نعم وأنتم داخرون** ⁕ وآباؤنا معطوف على محل إن واسمها ⁕ او على الضمير في مبعوثون والذي جوز العطف عليه الفصل بهمزة الاستفهام والمعنى أيبعث ايضا آباؤنا على زيادة الاستبعاد يعنون انهم اقدم فبعثهم ابعد وابطل ⁕ وقرئ أو آباؤنا ⁕ قل نعم ⁕ وقرئ نعم بكسر العين وهما لغتان **وقرئ** قال نعم اى الله او الرسول والمعنى نعم تبعثون وانتم داخرون صاغرون ⁕ **فإنما هي زجرة واحدة فإذا هم ينظرون** ⁕ فانما جواب شرط مقدر تقديره اذا كان ذلك فما هي الا زجرة واحدة وهي لا ترجع الى شيء انما هي مبهمة موضحها خبرها ⁕ ويجوز فانما البعثة زجرة واحدة وهي النفخة الثانية ⁕ والزجرة الصيحة من قولك زجر الراعي الغنم او الابل اذا صاح عليها فرعت لصوته **ومنه** قوله ⁕ زجر ابي عروة السباع اذا ⁕ اشفق ان يختلطن بالغنم ⁕ يريد تصويته بها فاذا هم احياء بصراء ينظرون **وقالوا [يا ويلنا] هذا يوم الدين هذا يوم الفصل الذي كنتم به تكذبون** ⁕ يحتمل ان يكون هذا يوم الدين الى قوله تعالى احشروا من كلام الكفرة بعضهم مع بعض ⁕ وان يكون من كلام الملائكة لهم ⁕ وان يكون يا ويلنا هذا يوم الدين كلام الكفرة وهذا يوم الفصل من كلام الملائكة جوابا لهم ⁕ ويوم الدين اليوم الذي ندان فيه اى نجازى باعمالنا ⁕ ويوم الفصل يوم القضاء والفرق بين فرق الهدى والضلالة **احشروا الذين ظلموا وأزواجهم وما كانوا يعبدون من دون الله فاهدوهم إلى صراط الجحيم** ⁕ احشروا خطاب الله للملائكة ⁕ او خطاب بعضهم مع بعض ⁕ وازواجهم وضرباءهم عن رسول الله صلى الله عليه وسلم وهم نظراؤهم واشباههم من العصاة اهل الزنا مع اهل الزنا واهل السرقة مع اهل السرقة ⁕ وقيل قرناؤهم من الشياطين وقيل نساؤهم اللاتي على دينهم فاهدوهم فعرفوهم طريق النار حتى يسلكوها **وقفوهم إنهم مسئولون ما لكم لا تناصرون ⁕ بل هم اليوم مستسلمون** ⁕ هذا تهكم بهم وتوبيخ لهم بالعجز عن التناصر بعد ما كانوا على خلاف ذلك في الدنيا متعاضدين متناصرين بل هم اليوم مستسلمون قد اسلم بعضهم بعضا وخذله عن عجز فكلهم مستسلم غير منتصر **وقرئ** لا تتناصرون ولا تناصرون

بالادغام **وأقبل بعضهم على بعض يتساءلون قالوا إنكم كنتم تأتوننا عن اليمين** ⁕ اليمين لما كانت اشرف العضوين وامتنهما وكانوا يتيمنون بها فبها يصافحون ويماسحون ويناولون ويتناولون ويزاولون اكثر الامور ويتشاءمون بالشمال ولذلك سموها الشؤمى كما سموا اختها اليمنى وتيمنوا بالسانح وتطيروا بالبارح وكان الاعسر معيبا عندهم وعضدت الشريعة ذلك فامرت بمباشرة افاضل الامور باليمين وارذالها بالشمال وكان رسول الله عليه السلام يحب التيامن في كل شيء وجعلت اليمين لكاتب الحسنات والشمال لكاتب السيئات ووعد المحسن ان يؤتى كتابه بيمينه والمسيء ان يؤتاه بشماله استعيرت لجهة الخير وجانبه فقيل اتاه عن اليمين اى من قبل الخير وناحيته فصده عنه واضله ⁕ وجاء في بعض التفسير من اتاه الشيطان من جهة اليمين اتاه من قبل الدين فلبس عليه الحق ومن اتاه من جهة الشمال اتاه من قبل الشهوات ومن اتاه من بين يديه اتاه من قبل التكذيب بالقيامة وبالثواب والعقاب ومن اتاه من خلفه خوفه الفقر على نفسه وعلى من يخلف بعده فلم يصل رحما ولم يؤد زكوة **فان قلت** قولهم اتاه من جهة الخير وناحيته مجاز في نفسه فكيف جعلت اليمين مجازا عن المجاز **قلت** من المجاز ما غلب في الاستعمال حتى لحق بالحقائق وهذا من ذاك ولك ان تجعلها مستعارة للقوة والقهر لان اليمين موصوفة بالقوة وبها يقع البطش والمعنى انكم كنتم تأتوننا عن القوة والقهر وتقصدوننا عن السلطان والغلبة حتى تحملونا على الضلال وتقسرونا عليه وهذا من خطاب الاتباع لرؤسائهم والغواة لشياطينهم **قالوا بل لم تكونوا مؤمنين** ⁕ بل لم تكونوا مؤمنين بل ابيتم انتم الايمان واعرضتم عنه مع تمكنكم منه مختارين له على الكفر غير ملجئين **وما كان لنا عليكم من سلطان بل كنتم قوما طاغين** ⁕ وما كان لنا عليكم من تسلط نسلبكم به تمكنكم واختياركم بل كنتم قوما مختارين الطغيان **فحق علينا قول ربنا إنا لذائقون** ⁕ فحق علينا فلزمنا قول ربنا انا لذائقون يعني وعيد الله بانا ذائقون لعذابه لا محالة لعلمه بحالنا واستحقاقنا بها العقوبة ولو حكى الوعيد كما هو لقال انكم لذائقون ولكنه عدل به الى لفظ المتكلم لانهم متكلمون بذلك عن انفسهم ونحوه قول القائل ⁕ لقد زعمت هوازن قل مالي ⁕ ولو حكى قولها لقال قل مالك ⁕ ومنه قول المحلف للحالف احلف لاخرجن ولتخرجن الهمزة لحكاية لفظ الحالف والتاء لاقبال المحلف على المحلف **فأغويناكم إنا كنا غاوين فإنهم يومئذ في العذاب مشتركون إنا كذلك نفعل بالمجرمين** ⁕ فاغويناكم فدعوناكم الى الغي دعوة محصلة للبغية لقبولكم لها واستحبابكم الغي على الرشد ⁕ انا كنا غاوين فاردنا اغواءكم لتكونوا امثالنا ⁕ فانهم فان الاتباع والمتبوعين جميعا يومئذ يوم القيامة مشتركون في العذاب كما كانوا مشتركين في الغواية ⁕ انا مثل ذلك الفعل نفعل بكل مجرم يعني ان سبب العقوبة هو الاجرام فمن ارتكبه استوجبه **إنهم كانوا إذا قيل لهم لا إله إلا الله يستكبرون** ⁕ انهم كانوا اذا سمعوا بكلمة التوحيد نفروا واستكبروا عنها وابوا الا الشرك **ويقولون أئنا لتاركوا آلهتنا لشاعر مجنون** ⁕ لشاعر مجنون يعنون محمدا صلى الله عليه وسلم **بل جاء بالحق وصدق المرسلين** ⁕ بل جاء بالحق رد على المشركين ⁕ وصدق المرسلين كقوله مصدقا لما بين يديه **إنكم لذائقوا العذاب الأليم** **وقرئ** لذائقوا العذاب بالنصب على تقدير النون كقوله ⁕ ولا ذاكر الله الا قليلا ⁕ بتقدير التنوين ⁕ وقرئ على الاصل لذائقون العذاب **وما تجزون إلا ما كنتم تعملون ⁕ إلا عباد الله المخلصين** ⁕ الا ما كنتم تعملون الا مثل ما عملتم جزاء سيئا بعمل سيئ الا عباد الله ولكن عباد

الله على الاستثناء المنقطع اولئك لهم رزق معلوم فواكه وهم مكرمون في جنات النعيم فسّر
الرزق المعلوم بالفواكه وهي كل ما يتلذذ به ولا يتقوت لحفظ الصحة يعني ان رزقهم كله فواكه لانهم
مستغنون عن حفظ الصحة بالاقوات بانهم اجسام محكمة مخلوقة للابد فكل ما ياكلونه ياكلونه على
سبيل التلذذ ويجوز ان يراد رزق معلوم منعوت بخصائص خلق عليها من طيب طعم ورائحة ولذة
وحسن منظر وقيل معلوم الوقت كقوله تعالى ولهم رزقهم فيها بكرة وعشيا وعن قتادة الرزق
المعلوم الجنة وقوله تعالى في جنات يأباه وقوله تعالى وهم مكرمون هو الذي يقوله العلماء في حد
الثواب على سبيل المدح والتعظيم وهو من اعظم ما يجب ان تتوق اليه نفوس ذوي الهمم كما ان من اعظم
ما يجب ان تنفر عنه نفوسهم هوان اهل النار وصغارهم على سرر متقابلين يطاف عليهم بكأس
من معين التقابل اتم للسرور وآنس وقيل لا ينظر بعضهم الى قفا بعض يقال للزجاجة فيها الخمر
كأس ويسمى الخمر نفسها كأسا قال وكأس شربت على لذة وعن الاخفش كل كأس في القرآن فهي الخمر
وكذا في تفسير ابن عباس رضي الله عنهما من معين من شراب معين او نهر معين وهو الجاري على وجه
الارض الظاهر للعيون وصف بما يوصف به الماء لانه يجري في الجنة في انهار كما يجري الماء قال الله
عز وجل وانهار من خمر بيضاء لذة للشاربين بيضاء صفة للكأس ولذة اما ان توصف باللذة
كانها نفس اللذة وعينها او هي تانيث اللذ يقال لذ الشيء فهو لذ ولذيذ ووزنه فعل كقوله
تحلبت قال ولذ كطعم الصرخدي تركته بارض العدى من خشية الحدثان يريد النوم
لا فيها غول ولا هم عنها ينزفون الغول من غاله يغوله غولا اذا اهلكه وافسده ومنه
الغول التي كانت في تكاذيب العرب وفي امثالهم الغضب غول الحلم وينزفون على البناء للمفعول من
نزف الشارب اذا ذهب عقله ويقال للسكران نزيف ومنزوف ويقال للمطعون نزف فمات اذا
خرج دمه كله ونزحت الركية حتى نزفتها اذا لم تترك فيها ماء وفي امثالهم اجبن من المنزوف ضرطا
وقرئ ينزفون من انزف الشارب اذا ذهب عقله او شرابه قال
لعمري لئن انزفتم او صحوتم لبئس الندامى كنتم آل ابجرا ومعناه صار ذا نزف ونظيره
اقشع السحاب وقشعته الريح واكب الرجل وكببته وحقيقتهما دخلا في الكب والقشع وفي قراءة طلحة
ابن مصرف ينزفون بضم الزاء من نزف ينزف كقرب يقرب اذا سكر والمعنى لا فيها فساد قط من انواع
الفساد التي تكون في شرب الخمر من مغص او صداع او خمار او عربدة او لغو او تاثيم او غير ذلك ولا
هم يسكرون وهو اعظم مفاسدها فافرزه وافرده بالذكر وعندهم قاصرات الطرف عين كانهن
بيض مكنون قاصرات الطرف قصرن ابصارهن على ازواجهن لا يمددن طرفا الى غيرهم كقوله
عربا والعين النجل العيون شبههن ببيض النعام المكنون في الاداحي وبها تشبه العرب النساء
وتسميهن بيضات الخدور فاقبل بعضهم على بعض يتساءلون قال قائل منهم اني كان لي قرين
يقول أئنك لمن المصدقين أئذا متنا وكنا ترابا وعظاما أئنا لمدينون فان قلت
علام عطف قوله فاقبل بعضهم على بعض على يطاف عليهم والمعنى يشربون فيتحادثون على
الشراب كعادة الشرب قال وما بقيت من اللذات الا احاديث الكرام على المدام فيقبل
بعضهم على بعض يتساءلون عما جرى لهم وعليهم في الدنيا الا انه جيء به ماضيا على عادة الله في
اخباره قرئ من المصدقين من التصديق ومن المصدّقين من التصدق وقيل

فاطلع

نزلت في رجل تصدق بماله لوجه الله فاحتاج فاستجدى بعض اخوانه فقال واين مالك قال تصدقت به ليعوضني
الله في الاخرة خيرا منه فقال أئنك لمن المصدقين بيوم الدين او لمن المتصدقين لطلب الثواب والله لا
اعطيك شيئا لمدينون لمجزيون من الدين وهو الجزاء او لمسوسون مربوبون يقال دانه ساسه ومنه
الحديث العاقل من دان نفسه قال هل انتم مطلعون فاطلع فرآه في سواء الجحيم قال يعني ذلك
القائل هل انتم مطلعون الى النار لاريكم ذلك القرين قيل ان في الجنة كوى ينظر اهلها منها الى اهل
النار وقيل القائل هو الله عز وجل وقيل بعض الملائكة يقول لاهل الجنة هل تحبون ان تطلعوا
فتعلموا اين منزلتكم من منزلة اهل النار وقرئ مطلعون فاطلع وفاطّلع بالتشديد على لفظ الماضي
والمضارع المنصوب ومطلعون فاطلع وفاطلع بالتخفيف على لفظ الماضي والمضارع المنصوب
يقال طلع علينا فلان واطلع واطّلع بمعنى واحد والمعنى هل انتم مطلعون الى القرين فاطلع انا ايضا
او عرض عليهم الاطلاع فاعترضوه فاطلع هو بعد ذلك وان جعلت الاطلاع من اطلعه غيره فالمعنى
انه لما شرط في اطلاعه اطلاعهم وهو من اداب المجالسة ان لا يستبد بشيء دون جلسائه فكانهم مطلعوه
وقيل الخطاب على هذا للملائكة وقرئ مطلعونِ بكسر النون اراد مطلعون اياي فوضع المتصل
موضع المنفصل كقوله هم الفاعلون الخير والامرونه او شبه اسم الفاعل في ذلك بالمضارع لتآخ
بينهما كانه قال تطلعون وهو ضعيف لا يقع الا في الشعر في سواء الجحيم في وسطها يقال تعبت حتى انقطع
سوائي وعن ابي عبيدة قال لي عيسى بن عمر كنت اكتب يا ابا عبيدة حتى ينقطع سوائي قال تالله ان كدت
لتردين ولولا نعمة ربي لكنت من المحضرين ان مخففة من الثقيلة وهي تدخل على كاد كما تدخل على كان
ونحوه ان كاد ليضلنا واللام هي الفارقة بينها وبين النافية والارداء الاهلاك وفي قراءة عبد
الله لتغوين نعمة ربي هي العصمة والتوفيق في الاستمساك بعروة الاسلام والبراءة من قرين السوء
او انعام الله بالثواب وكونه من اهل الجنة من المحضرين من الذين احضروا العذاب كما احضرته انت
وامثالك افما نحن بميتين الا موتتنا الاولى وما نحن بمعذبين الذي عطفت عليه الفاء محذوف
معناه انحن مخلدون منعمون فما نحن بميتين ولا معذبين وقرئ بمائتين والمعنى ان هذه حال المؤمنين
وصفتهم وما قضى الله به لهم للعلم باعمالهم ان لا يذوقوا الا الموتة الاولى بخلاف الكفار فانهم
فيما يتمنون فيه الموت كل ساعة وقيل لبعض الحكماء ما شر من الموت قال الذي يتمنى فيه الموت يقوله
المؤمن تحدثا بنعمة الله واغتباطا بحاله وبمسمع من قرينه ليكون توبيخا له يزيد به تعذبا وليحكيه
الله فيكون لنا لطفا وزاجرا ويجوز ان يكون قولهم جميعا ان هذا لهو الفوز العظيم لمثل هذا
فليعمل العاملون وكذلك قوله تعالى ان هذا لهو الفوز العظيم اي ان هذا الامر الذي نحن فيه
وقيل هو من قول الله عز وجل تقريرا لقولهم وتصديقا له وقرئ لهو الرزق العظيم وهو ما رزقوه
من السعادة ثمت قصة المؤمن وقرينه ثم رجع الى ذكر الرزق المعلوم فقال اذلك خير نزلا ام شجرة
الزقوم انا جعلناها فتنة للظالمين انها شجرة تخرج في اصل الجحيم طلعها كانه رؤوس
الشياطين اذلك الرزق خير نزلا اي خير حاصلا ام شجرة الزقوم واصل النزل الفضل والريع في الطعام
يقال طعام كثير النزل فاستعير للحاصل من الشيء وحاصل الرزق المعلوم اللذة والسرور وحاصل شجرة
الزقوم الالم والغم وانتصاب نزلا على التمييز ولك ان تجعله حالا كما تقول اثمر النخلة خير بلحا ام رطبا
يعني ان الرزق المعلوم نزل اهل الجنة واهل النار نزلهم شجرة الزقوم فايهما خير في كونه نزلا والنزل ما يقام

للنازل بالمكان من الرزق ومنه انزال الجند لارزاقهم كما يقال لما يقام لساكن الدار السكن ومعنى الاول ان
للرزق المعلوم نزل ولشجرة الزقوم نزل فايهما خير نزلا ومعلوم انه لا خير في شجرة الزقوم ولكن المؤمنين لما
اختاروا ما ادى الى الرزق المعلوم واختار الكافرون ما ادى الى شجرة الزقوم قيل لهم ذلك توبيخا على سوء
اختيارهم فتنة للظالمين محنة وعذابا في الآخرة او ابتلاء لهم في الدنيا وذلك انهم قالوا كيف يكون في النار
شجرة والنار تحرق الشجر فكذبوا وقرئ نابتة في اصل الجحيم قيل منبتها في قعر جهنم واغصانها ترتفع
الى دركاتها والطلع للنخلة فاستعير لما طلع من شجرة الزقوم من حملها اما استعارة لفظية او معنوية وشبه
برؤس الشياطين دلالة على تناهيه في الكراهة وقبح المنظر لان الشياطين مكروه مستقبح في طباع الناس
لاعتقادهم انه شر محض لا يخلطه خير فيقولون في القبيح الصورة كانه وجه شيطان كانه رأس شيطان واذا
صوره المصورون جاؤا بصورته على اقبح ما يقدر واهوله كما انهم اعتقدوا في الملك انه خير محض لا شر فيه فشبهوا
به الصورة الحسنة قال الله عز وجل ما هذا بشرا ان هذا الا ملك كريم وهذا تشبيه تخييلي وقيل الشيطان
حية عرفاء لها صورة قبيحة المنظر هائلة جدا وقيل ان شجرا يقال له الاستن خشنا منتنا مرا منكر
الصورة يسمى ثمره رؤس الشياطين وما سمت العرب هذا الثمر برؤس الشياطين الا قصدا الى احد
التشبيهين ولكنه بعد التسمية بذلك رجع اصلا ثالثا يشبه به فانهم لآكلون منها فمالئون منها
البطون ثم ان لهم عليها لشوبا من حميم ثم ان مرجعهم لالى الجحيم منها من الشجرة اي من طلعها
فمالئون بطونهم لما يغلبهم من الجوع الشديد او يقسرون على اكلها وان كرهوها ليكون بابا من العذاب
فاذا شبعوا غلبهم العطش فيسقون شرابا من غساق او صديد شوبه اي مزاجه من حميم يشوي وجوههم
ويقطع امعاءهم كما قال في صفة شراب اهل الجنة ومزاجه من تسنيم وقرئ لشوبا بالضم وهو اسم ما يشاب
به والاول تسمية بالمصدر فان قلت ما معنى حرف التراخي في قوله تعالى ثم ان لهم عليها لشوبا وفي قوله
تعالى ثم ان مرجعهم في الاول وجهان احدهما انهم يملؤن البطون من شجر الزقوم وهو حار يحرق
بطونهم ويعطشهم فلا يسقون الا بعد ملي تعذيبا بذلك العطش ثم يسقون ما هو احر وهو الشراب المشوب
بالحميم والثاني انه ذكر الطعام بتلك الكراهة والبشاعة ثم ذكر الشراب بما هو اكره وابشع فجاء بثم
للدلالة على تراخي حال الشراب عن حال الطعام ومباينة صفته لصفته في الزيادة عليه ومعنى الثاني
انهم يذهب بهم عن مقارهم ومنازلهم في الجحيم وهي الدركات التي اسكنوها الى شجرة الزقوم فيأكلون
الى ان يتملؤا ويسقون بعد ذلك ثم يرجعون الى دركاتهم ومعنى التراخي في ذلك بين وقرئ ثم
ان منقلبهم ثم ان مصيرهم ثم ان منفذهم الى الجحيم انهم الفوا آباءهم ضالين فهم على آثارهم يهرعون
علل استحقاقهم للوقوع في تلك الشدائد كلها بتقليد الآباء في الدين واتباعهم اياهم على الضلال وترك
اتباع الدليل والاهراع الاسراع الشديد كانهم يحثون حثا وقيل اسراع فيه شبه بالرعدة
ولقد ضل قبلهم اكثر الاولين ولقد ارسلنا فيهم منذرين فانظر كيف كان عاقبة المنذرين
الا عباد الله المخلصين ولقد ضل قبلهم قبل قومك قريش منذرين انبياء حذروهم العواقب
المنذرين الذين انذروا وحذروا اي اهلكوا جميعا الا عباد الله الذين آمنوا منهم واخلصوا دينهم
لله او اخلصهم الله لدينه على القراءتين ولقد نادانا نوح فلنعم المجيبون ونجيناه واهله من
الكرب العظيم وجعلنا ذريته هم الباقين لما ذكر ارسال المنذرين في الامم الخالية وسوء عاقبة
المنذرين اتبع ذلك ذكر نوح عليه السلام ودعائه اياه حين ايس من قومه واللام الداخلة على نعم

جواب

جواب قسم محذوف والمخصوص بالذم محذوف وتقديره فوالله لنعم المجيبون نحن والجمع دليل
العظمة والكبرياء والمعنى انا اجبناه احسن الاجابة واوصلها الى مراده وبغيته من نصرته على اعدائه
والانتقام منهم بابلغ ما يكون هم الباقين هم الذين بقوا وحدهم وقد فني غيرهم فقد روي انه
مات كل من كان معه في السفينة غير ولده او هم الذين بقوا متناسلين الى يوم القيمة قال
قتادة الناس كلهم من ذرية نوح عليه السلام وكان له ثلاثة اولاد سام وحام ويافث فسام ابو
العرب وفارس والروم وحام ابو السودان من المشرق الى المغرب ويافث ابو الترك ويأجوج
ومأجوج وتركنا عليه في الآخرين سلام على نوح في العالمين انا كذلك نجزي المحسنين انه من
عبادنا المؤمنين ثم اغرقنا الآخرين وتركنا عليه في الآخرين هذه الكلمة وهي سلام على نوح
يعني يسلمون عليه تسليما ويدعون له وهو من الكلام المحكي كقولك قرأت سورة انزلناها فان قلت
فما معنى قوله في العالمين معناه الدعاء بثبوت هذه التحية فيهم جميعا وان لا يخلو احد منهم
منها كانه قيل ثبت الله التسليم على نوح وادامه في الملائكة والثقلين يسلمون عليه عن آخرهم علل
مجازاة نوح عليه السلام بتلك التكرمة السنية من تبقية ذكره وتسليم العالمين عليه الى آخر الدهر
بانه كان محسنا ثم علل كونه محسنا بانه كان عبدا مؤمنا ليريك جلالة محل الايمان وانه القصارى
من صفات المدح والتعظيم ويرغبك في تحصيله والازدياد منه وان من شيعته لابراهيم اذ جاء ربه
بقلب سليم من شيعته ممن شايعه على اصول الدين وان اختلفت شرائعهما او شايعه على التصلب
في دين الله ومصابرة المكذبين ويجوز ان يكون بين شريعتيهما اتفاق في اكثر الاشياء وعن ابن
عباس رضي الله عنهما من اهل دينه وعلى سنته وما كان بين نوح وابراهيم عليهما السلام الا نبيان
هود وصالح عليهما السلام وكان بين نوح وابراهيم عليهما السلام الفان وستمائة واربعون سنة
فان قلت بم تعلق الظرف قلت بما في الشيعة من معنى المشايعة يعني وممن شايعه على دينه وتقواه
حين جاء ربه بقلب سليم لابراهيم او بمحذوف وهو اذكر بقلب سليم من جميع آفات القلوب وقيل
من الشرك ولا معنى للتخصيص لانه مطلق فليس بعض الآفات اولى من بعض فتناولها كلها فان
قلت ما معنى المجيء بقلبه ربه قلت معناه انه اخلص لله قلبه وعرف ذلك منه فضرب المجيء مثلا
لذلك اذ قال لابيه وقومه ماذا تعبدون ائفكا آلهة دون الله تريدون فما ظنكم برب
العالمين افكا مفعول له تقديره اتريدون آلهة من دون الله افكا وانما قدم المفعول على الفعل
للعناية وقدم المفعول له على المفعول به لانه كان الاهم عنده ان يكافحهم بانهم على افك وباطل
في شركهم ويجوز ان يكون افكا مفعولا به يعني اتريدون افكا ثم فسر الافك بقوله آلهة من دون
الله على انها افك في نفسها ويجوز ان يكون حالا بمعنى اتريدون آلهة من دون الله آفكين فما ظنكم بمن
هو الحقيق بالعبادة لان من كان ربا للعالمين استحق عليهم ان يعبدوه حتى تركتم عبادته الى عبادة
الاصنام والمعنى انه لا يقدر في وهم ولا ظن ما يصد عن عبادته او فما ظنكم به اي شيء هو من الاشياء
حتى جعلتم الاصنام له اندادا او فما ظنكم به ماذا يفعل بكم وكيف يعاقبكم وقد عبدتم غيره
فنظر نظرة في النجوم فقال اني سقيم فتولوا عنه مدبرين في النجوم في علم النجوم او في كتابها
او في احكامها وعن بعض الملوك انه سئل عن مشتهاه فقال حبيب انظر اليه ومحتاج انظر له وكتاب
انظر فيه كان القوم نجامين فاوهمهم انه استدل بامارة في علم النجوم على انه يسقم فقال اني سقيم

اى مشارف للسقم وهو الطاعون وكان اغلب الاسقام عليهم وكانوا يخافون العدوى ليتفرقوا عنه فهربوا
منه الى عيدهم وتركوه فى بيت الاصنام ليس معه احد ففعل بالاصنام ما فعل **فان قلت** كيف جاز له
ان يكذب قد جوزه بعض الناس فى المكيدة فى الحرب والتقية وارضاء الزوج والصلح
بين المتخاصمين والمتهاجرين والصحيح ان الكذب حرام الا اذا عرض وورى والذى قاله ابراهيم عليه
السلام معراض من الكلام ولقد نوى به ان من فى عنقه الموت سقيم ومنه المثل كفى بالسلامة داء
وقول لبيد ٭ فدعوت ربى بالسلامة جاهدا ٭ ليصحنى فاذا السلامة داء ٭ وقد مات رجل فجاءة
فالتف عليه الناس وقالوا مات وهو صحيح فقال الاعرابى اصحيح من الموت فى عنقه ٭ وقيل اراد انى سقيم
النفس لكفركم **فراغ الى الهتهم فقال الا تاكلون ٭ ما لكم لا تنطقون ٭ فراغ عليهم ضربا باليمين** ٭
فراغ الى الهتهم فذهب اليها فى خفية من روغة الثعلب ٭ الى الهتهم الى اصنامهم التى هى فى زعمهم الهة كقوله
تعالى اين شركائى ٭ الا تاكلون ما لكم لا تنطقون استهزاء بها وبانحطاطها عن حال عبدتها ٭ فراغ عليهم
فاقبل عليهم مستخفيا كانه قال فضربهم ضربا لان راغ عليهم بمعنى ضربهم او فراغ عليهم يضربهم
ضربا ٭ او فراغ عليهم ضربا بمعنى ضاربا ٭ **وقرئ** صفقا وسفقا ٭ ومعناهما الضرب ٭ ومعنى ضربا
باليمين ضربا شديدا قويا لان اليمين اقوى الجارحتين واشدهما ٭ وقيل بالقوة والمتانة ٭ وقيل
بسبب الحلف وهو قوله تعالى تالله لاكيدن اصنامكم **فاقبلوا اليه يزفون ٭ قال اتعبدون ما
تنحتون** ٭ يزفون يسرعون من زفيف النعام ٭ ويزفون من ازف اذا دخل فى الزفيف ومن ازفه اذا
حمله على الزفيف اى يزف بعضهم بعضا ٭ ويزفون على البناء للمفعول اى يحملون على الزفيف ٭ ويزفون من
وزف يزف اذا اسرع ٭ ويزفون من زفاه اذا حداه كان بعضهم يزفو بعضا لتسارعهم اليه **فان قلت**
بين هذا وبين قوله تعالى قالوا من فعل هذا بالهتنا انه لمن الظالمين قالوا سمعنا فتى يذكرهم يقال له
ابراهيم كالتناقض حيث ذكر هاهنا انهم ادبروا عنه خيفة العدوى فلما ابصروه يكسرهم اقبلوا اليه
متبادرين ليكفوه ويوقعوا به وذكر ثم انهم سالوا عن الكاسر حتى قيل لهم سمعنا ابراهيم يذمهم فلعله هو
الكاسر ففى احدهما انهم شاهدوه يكسرها وفى الاخر انهم استدلوا بذمه على انه الكاسر **قلت**
فيه وجهان ٭ احدهما ان يكون الذين ابصروه وزفوا اليه نفرا منهم دون جمهورهم وكبرائهم فلما رجع
الجمهور والعلية من عيدهم الى بيت الاصنام لياكلوا الطعام الذى وضعوه عندها للتبرك عليه
وراوها مكسورة اشمازوا من ذلك وسالوا من فعل هذا بها ثم لم ينم عليه اولئك النفر نميمة
مصرحة ولكن على سبيل التورية والتعريض بقولهم سمعنا فتى يذكرهم لبعض الصوارف ٭ والثانى
ان يكسرها ويذهب ولا يشعر بذلك احد ويكون اقبالهم اليه يزفون بعد رجوعهم من عيدهم
وسؤالهم عن الكاسر وقولهم فاتوا به على اعين الناس **والله خلقكم وما تعملون** ٭ والله خلقكم
وما تعملون يعنى خلقكم وخلق ما تعملونه من الاصنام كقوله عز وجل بل ربكم رب السموات والارض
الذى فطرهن اى فطر الاصنام **فان قلت** كيف يكون الشئ الواحد مخلوقا لله معمولا لهم حيث
اوقع خلقه وعملهم عليها جميعا **قلت** هذا كما يقال عمل النجار الباب والكرسى وعمل الصائغ السوار
والخلخال والمراد عمل اشكال هذه الاشياء وصورها دون جواهرها والاصنام جواهر واشكال
فخالق جواهرها الله وعاملو اشكالها الذين يشكلونها بنحتهم وحذفهم بعض اجزائها حتى يستوى
التشكيل الذى يريدونه ٭ فان قلت فما انكرت ان تكون ما مصدرية لا موصولة ويكون المعنى

والله

والله خلقكم وعملكم كما تقول المجبرة ٭ قلت اقرب ما يبطل به هذا السؤال بعد بطلانه بحجج العقل والكتاب
ان معنى الاية يابا اباه اباء جليا وينبو عنه نبوا ظاهرا وذلك ان الله عز وجل قد احتج عليهم بان العابد
والمعبود جميعا خلق الله فكيف يعبد المخلوق المخلوق على ان العابد منهما هو الذى عمل صورة المعبود
وشكله ولولاه لما قدر ان يصور نفسه ويشكلها ولو قلت والله خلقكم وخلق عملكم لم يكن محتجا عليهم
ولا كان لكلامك طباق وشئ اخر وهو ان قوله ما تعملون ترجمة عن قوله ما تنحتون وما فى ما تنحتون
موصولة لا مقال فيها فلا يعدل بها عن اختها الا متعسف متعصب لمذهبه من غير نظر فى علم البيان
ولا تبصر لنظم القران **فان قلت** اجعلها موصولة حتى لا يلزمنى ما الزمت واريد وما تعملونه من
اعمالكم بل الالزام فى عنقك لا يفكه الا الاذعان للحق وذلك انك ان جعلتها موصولة فانك فى
ارادتك بها العمل غير محتج على المشركين كحالك وقد جعلتها مصدرية وايضا فانك قاطع بذلك الوصلة
بين تعملون وما تنحتون حيث تخالف بين المرادين بهما فتريد بما تنحتون الاعيان التى هى الاصنام وبما
تعملون المعانى التى هى الاعمال وفى ذلك فك النظم وتبتيره كما اذا جعلتها مصدرية **قالوا ابنوا له
بنيانا فالقوه فى الجحيم ٭ فارادوا به كيدا فجعلناهم الاسفلين** ٭ الجحيم النار الشديدة الوقود
وقيل كل نار على نار وجمر فوق جمر فهى جحيم والمعنى ان الله تعالى غلبه عليهم فى المقامين جميعا واذلهم بين
يديه ارادوا ان يغلبوه بالحجة فلقنه الله والهمه ما القمهم به الحجر وقهرهم فمالوا الى المكر فابطل الله
مكرهم وجعلهم الاذلين الاسفلين لم يقدروا عليه **وقال انى ذاهب الى ربى سيهدين** ٭ اراد بذهابه
الى ربه مهاجرته الى حيث امره بالمهاجرة اليه من ارض الشام كما قال انى مهاجر الى ربى ٭ سيهدين سيرشدنى
الى ما فيه صلاحى فى دينى ويعصمنى ويوفقنى كما قال موسى عليه السلام كلا ان معى ربى سيهدين كان الله
وعده وقال له سأهديك فاجرى كلامه على سنن موعد ربه او بناه على عادة الله معه فى هدايته وارشاده
او اظهر بذلك توكله وتفويضه امره الى الله ولو قصد الرجاء والطمع لقال كما قال موسى عسى ربى ان
يهدينى سواء السبيل **رب هب لى من الصالحين ٭ فبشرناه بغلام حليم** ٭ رب هب لى من الصالحين
هب لى بعض الصالحين يريد الولد لان لفظ الهبة غلب فى الولد وان كان قد جاء فى الاخ فى قوله تعالى ووهبنا
له من رحمتنا اخاه هرون نبيا ٭ قال الله عز وجل ووهبنا له اسحق ويعقوب ووهبنا له يحيى ٭ وقال
على بن ابى طالب كرم الله وجهه لابن عباس رضى الله عنهما حين هناه بولده على ابى الاملاك شكرت
الواهب وبورك لك فى الموهوب ولذلك وقعت التسمية بهبة الله وبموهوب ووهب وموهب
وقد انطوت البشارة على ثلث على ان الولد غلام ذكر وانه يبلغ اوان الحلم وانه يكون حليما واى حلم
اعظم من حلمه حين عرض عليه ابوه الذبح فقال ستجدنى ان شاء الله من الصابرين ثم استسلم لذلك ٭
وقيل ما نعت الله الانبياء عليهم السلام باقل مما نعتهم بالحلم وذلك لعزة وجوده ولقد نعت الله به
ابراهيم عليه السلام فى قوله تعالى ان ابراهيم لاواه حليم ان ابراهيم لحليم اواه منيب لان الحادثة
شهدت بحلمهما جميعا **فلما بلغ معه السعى قال يا بنى انى ارى فى المنام انى اذبحك فانظر ماذا
ترى ٭ قال يا ابت افعل ما تؤمر ستجدنى ان شاء الله من الصابرين** ٭ فلما بلغ ان يسعى مع ابيه
فى اشغاله وحوائجه **فان قلت** معه بم يتعلق **قلت** لا يخلو اما ان يتعلق ببلغ او بالسعى او
بمحذوف ولا يصح تعلقه ببلغ لاقتضائه بلوغهما معا حد السعى ولا بالسعى لان صلة المصدر لا تتقدم
عليه فبقى ان يكون بيانا كانه لما قال فلما بلغ السعى اى الحد الذى يقدر فيه على السعى قيل مع من قال

مع أبيه والمعنى في اختصاص الأب أنه أرفق الناس به وأعطفهم عليه وغيره ربما عنف به في الاستسعاء
فلا يحتمله لأنه لم تستحكم قوته ولم يصلب عوده وكان إذ ذاك ابن ثلاث عشرة سنة والمراد أنه على
غضاضة سنه وتقلبه في حد الطفولة كان فيه من رصانة الحلم وفسحة الصدر ما جسّره على احتمال
تلك البلية العظيمة والإجابة بذلك الجواب الحكيم أني في المنام فقيل له اذبح ابنك ورؤيا الأنبياء
وحي كالوحي في اليقظة فلهذا قال إني أرى في المنام أني أذبحك فذكر تأويل الرؤيا كما يقول الممتحن وقد رأى
أنه راكب في سفينة رأيت في المنام أني ناج من هذه المحنة وقيل رأى ليلة التروية كأن قائلا يقول له إن
الله يأمرك بذبح ابنك هذا فلما أصبح روّى في ذلك من الصباح إلى الرواح أمن الله هذا الحلم أم من الشيطان
فمن ثم سمي يوم التروية فلما أمسى رأى مثل ذلك فعرف أنه من الله فمن ثم سمي يوم عرفة ثم رأى مثله في
الليلة الثالثة فهمّ بنحره فسمي اليوم يوم النحر وقيل إن الملائكة حين بشرته بغلام حليم قال هو إذن ذبيح
الله فلما ولد وبلغ حد السعي معه قيل له أوف بنذرك فانظر ماذا ترى من الرأي على وجه المشاورة
وقرئ ماذا تُري أي ماذا تبصر من رأيك وتبديه وماذا تُرى على البناء للمفعول أي ماذا تريك نفسك من
الرأي افعل ما تؤمر أي ما تؤمر به فحذف الجار كما حذف من قوله أمرتك الخير فافعل ما أمرت به
أو أمرك على إضافة المصدر إلى المفعول وتسمية المأمور به أمرا وقرئ ما تؤمر به فإن قلت لم
شاوره في أمر هو حتم من الله قلت لم يشاوره ليرجع إلى رأيه ومشورته ولكن ليعلم ما عنده فيما
نزل به من بلاء الله فيثبت قدمه ويصبّره إن جزع ويأمن عليه الزلل إن صبر وسلم وليعلمه حتى يراجع
نفسه فيوطنها ويهون عليها ويلقى البلاء وهو كالمستأنس به ويكتسب المثوبة بالانقياد لأمر الله
قبل نزوله ولأن المغافصة بالذبح مما يستهجن وليكون سنة في المشاورة فقد قيل لو شاور آدم
الملائكة في أكله من الشجرة لما فرط منه ذلك فإن قلت لم كان ذلك بالمنام دون اليقظة
كما أُري يوسف عليه السلام سجود أبويه وإخوته له في المنام من غير وحي إلى أبيه وكما وعد
رسول الله عليه السلام دخول المسجد الحرام في المنام وما سوى ذلك من منامات الأنبياء وذلك
لتقوية الدلالة على كونهم صادقين مصدقين لأن الحال إما حال يقظة أو حال نوم فإذا تظاهرت
الحالتان على الصدق كان ذلك أقوى للدلالة من انفراد أحدهما فلما أسلما وتله للجبين وناديناه
أن يا إبراهيم قد صدقت الرؤيا إنا كذلك نجزي المحسنين يقال سلم لأمر الله وأسلم
واستسلم بمعنى واحد وقد قرئ بهن جميعا إذا انقاد له وخضع وأصلها من قولك سلم هذا لفلان إذا
خلص له ومعناه سلم من أن ينازع فيه وقولهم سلم لأمر الله وأسلم له منقولان منه وحقيقة معناهما
أخلص نفسه لله وجعلها سالمة له خالصة وكذلك معنى استسلم استخلص نفسه لله وعن قتادة
في أسلما أسلم هذا ابنه وهذا نفسه وتله للجبين صرعه على شقه فوقع أحد جبينيه على الأرض تواضعا
على مباشرة الأمر بصبر وجلد ليرضيا الرحمن ويخزيا الشيطان وروي أن ذلك المكان عند
الصخرة التي بمنى وعن الحسن رحمة الله عليه في الموضع المشرف على مسجد منى وعن الضحاك في المنحر
الذي ينحر فيه اليوم فإن قلت أين جواب لما هو محذوف تقديره فلما أسلما وتله للجبين
وناديناه أن يا إبراهيم قد صدقت الرؤيا كان ما كان مما ينطق به الحال ولا يحيط به الوصف من
استبشارهما واغتباطهما وحمدهما لله وشكرهما على ما أنعم به عليهما من دفع البلاء العظيم بعد حلوله
وما اكتسبا في تضاعيفه بتوطين الأنفس عليه من الثواب والأعواض ورضوان الله الذي ليس وراءه

مطلوب وقوله إنا كذلك نجزي المحسنين تعليل لتخويل ما خولهما من الفرج بعد الشدة والظفر بالبغية
بعد اليأس إن هذا لهو البلاء المبين البلاء المبين الاختبار البين الذي يتميز فيه المخلصون من غيرهم
أو المحنة البينة الصعوبة التي لا محنة أصعب منها وفديناه بذبح عظيم وتركنا عليه في الآخرين
الذبح اسم ما يذبح وعن ابن عباس رضي الله عنهما هو الكبش الذي قربه هابيل فتقبل منه وكان
يرعى في الجنة حتى فدي به إسماعيل عليه السلام وعن الحسن رحمة الله عليه فدي بوعل أهبط عليه من
ثبير وعن ابن عباس رضي الله عنه لو تمت تلك الذبيحة لصارت سنة وذبح الناس أبناءهم عظيم
ضخم الجثة سمين وهي السنة في الأضاحي وقوله صلى الله عليه وسلم استشرفوا ضحاياكم فإنها
على الصراط مطاياكم وقيل لأنه وقع فداء عن ولد إبراهيم عليه السلام وروي أنه هرب من إبراهيم
عند الجمرة فرماه بسبع حصيات حتى أخذه فبقي سنة في الرمي وروي أنه رمى الشيطان حين تعرض له
بالوسوسة عند ذبح ولده وروي أنه لما ذبحه قال جبريل الله أكبر الله أكبر فقال الذبيح لا إله إلا
الله والله أكبر فقال إبراهيم الله أكبر ولله الحمد فبقي سنة وحكي في قصة الذبيح أنه حين أراد أن يذبحه
قال يا بني خذ الحبل والمدية وانطلق بنا إلى الشعب نحتطب فلما توسطا شعب ثبير أخبره بما أمر
فقال له اشدد رباطي لا أضطرب واكفف عني ثيابك لا ينتضح عليها شيء من دمي فينقص أجري وتراه
أمي فتحزن واشحذ شفرتك وأسرع إمرارها على حلقي حتى تجهز علي ليكون أهون فإن الموت شديد
واقرأ على أمي السلام وإن رأيت أن ترد قميصي على أمي فافعل فإنه عسى أن يكون أسهل لها فقال إبراهيم
عليه السلام نعم العون أنت يا بني على أمر الله ثم أقبل عليه يقبله وقد ربطه وهما يبكيان ثم وضع
السكين على حلقه فلم تعمل لأن الله ضرب صفيحة نحاس على حلقه فقال له كبني على وجهي فإنك إذا
نظرت في وجهي رحمتني وأدركتك رقة تحول بينك وبين أمر الله ففعل ثم وضع السكين على قفاه فانقلب
السكين ونودي يا إبراهيم قد صدقت الرؤيا فنظر فإذا جبريل معه كبش أقرن أملح فكبر جبريل
والكبش وإبراهيم وابنه وأتى المنحر من منى فذبحه وقيل لما وصل موضع السجود منه إلى الأرض جاء
الفرج وقد استشهد أبو حنيفة بهذه الآية فيمن نذر ذبح ولده أنه يلزمه ذبح شاة فإن قلت
من كان الذبيح من ولديه [قلت] قد اختلف فيه فعن ابن عباس وابن عمر رضي الله عنهم ومحمد بن
كعب القرظي وجماعة من التابعين رضوان الله عليهم أنه إسماعيل عليه السلام والحجة فيه أن رسول
الله عليه السلام قال أنا ابن الذبيحين وقال له أعرابي يا ابن الذبيحين فتبسم فسئل عن ذلك فقال
إن عبد المطلب لما حفر بئر زمزم نذر لله لئن سهل الله له أمرها ليذبحن أحد ولده فخرج السهم
على عبد الله فمنعه أخواله فقالوا له افد ابنك بمائة من الإبل ففداه بمائة من الإبل وعن محمد بن كعب
القرظي قال كان مجتهد بني إسرائيل يقول إذا دعا اللهم إله إبراهيم وإسماعيل وإسرائيل فقال موسى
عليه السلام يا رب ما لمجتهد بني إسرائيل إذا دعا قال اللهم إله إبراهيم وإسماعيل وإسرائيل وأنا بين
أظهرهم قد أسمعتني كلامك واصطفيتني برسالتك قال يا موسى لم يحبني أحد حب إبراهيم قط ولا خيّر
بيني وبين شيء إلا اختارني وأما إسماعيل عليه السلام فإنه جاد بدم نفسه وأما إسرائيل فإنه لم
ييأس من روحي في شدة نزلت به قط ويدل عليه أن الله تعالى لما أتم قصة الذبيح قال وبشرناه بإسحاق
وعن محمد بن كعب أنه قال لعمر بن عبد العزيز هو إسماعيل فقال عمر إن هذا شيء ما كنت أنظر فيه
وإني لأراه كما قلت ثم أرسل إلى يهودي قد أسلم فسأله فقال إن اليهود لتعلم أنه إسماعيل ولكنهم

مطلب انظر مذهب الكشاف

محمد ونكون يا معشر العرب ويدل عليه ان قرني الكبش كانا منوطين في الكعبة في ايدي بني اسمعيل الى ان
احترق البيت وعن الاصمعي قال سألت ابا عمرو بن العلاء عن الذبيح فقال يا اصمعي اين عزب عنك
عقلك ومتى كان اسحق بمكة وانما كان اسمعيل بمكة وهو الذي بنى البيت مع ابيه والمنحر بمكة ومما يدل
عليه ان الله تعالى وصفه بالصبر دون اسحق في قوله عز وجل واسمعيل واليسع وذا الكفل كل من الصابرين
وهو صبره على الذبح ووصفه بصدق الوعد في قوله تعالى انه كان صادق الوعد لانه وعد اباه من نفسه
الصبر على الذبح فوفى به ولان الله تعالى بشره باسحق وولده يعقوب في قوله تعالى فبشرناه باسحق ومن
وراء اسحق يعقوب فلو كان الذبيح اسحق لكان خلفا للوعد في يعقوب عليه السلام وعن علي بن ابي طالب رضي
الله عنه وابن مسعود والعباس وعطاء وعكرمة وجماعة من التابعين رضوان الله عليهم انه اسحق والحجة
فيه ان الله تعالى اخبر عن خليله ابراهيم عليه السلام حين هاجر الى الشام بانه استوهبه ولدا ثم اتبع
ذلك البشارة بغلام حليم ثم ذكر رؤياه بذبح ذلك الغلام المبشر به ويدل عليه كتاب يعقوب الى
يوسف صلوات الله عليهما من يعقوب اسرائيل الله ابن اسحق ذبيح الله ابن ابراهيم خليل الله **فان قلت**
قد اوحى الى ابراهيم عليه السلام في المنام بان يذبح ولده ولم يذبح وقيل له قد صدقت الرؤيا وانما
كان يصدقها لو صح منه الذبح ولم يصح **قلت** قد بذل وسعه وفعل ما يفعل الذابح من بطحه على شقه
وامرار الشفرة على حلقه ولكن الله سبحانه جاء بما منع الشفرة ان تمضي فيه وهذا لا يقدح في فعل
ابراهيم عليه السلام الا ترى انه لا يسمى عاصيا ولا مفرطا بل يسمى مطيعا ومجتهدا كما لو مضت
فيه الشفرة وفرت الاوداج وانهرت الدم وليس هذا من ورود النسخ على المامور به قبل الفعل ولا
قبل اوان الفعل في شيء كما يسبق الى بعض الاوهام حتى يشتغل بالكلام فيه **فان قلت** الله تعالى هو
المفتدى منه لانه الآمر بالذبح فكيف يكون فاديا حتى قال وفديناه الفادي هو ابراهيم
عليه السلام والله عز وجل وهب له الكبش ليفتدي به وانما قال تعالى وفديناه اسنادا للفداء الى
السبب الذي هو الممكن من الفداء بهبته **فان قلت** فاذا كان ما اتى به ابراهيم من البطح وامرار الشفرة
في حكم الذبح فما معنى الفداء والفداء انما هو التخليص من الذبح ببدله **قلت** قد علم بمنع الله ان حقيقة
الذبح لم تحصل من فري الاوداج وانهار الدم فوهب الله له الكبش ليقيم ذبحه مقام تلك الحقيقة حتى
لا تحصل تلك الحقيقة في نفس اسمعيل ولكن في نفس الكبش بدلا منه **فان قلت** فاي فائدة في تحصيل
تلك الحقيقة وقد استغني عنها بقيام ما وجد من ابراهيم عليه السلام مقام الذبح من غير نقصان **قلت**
الفائدة في ذلك ان يوجد ما منع منه في بدله حتى يكمل منه الوفاء بالمنذور وايجاد المامور به من كل وجه
سلام على ابراهيم كذلك نجزي المحسنين انه من عبادنا المؤمنين فان قلت لم قيل ههنا كذلك
نجزي المحسنين وفي غيرها من القصص انا كذلك **قلت** قد سبقه في هذه القصة انا كذلك فكانما استخف
بطرحه اكتفاء بذكره مرة عن ذكره ثانية وبشرناه باسحق نبيا من الصالحين وباركنا عليه وعلى
اسحق ومن ذريتهما محسن وظالم لنفسه مبين نبيا حال مقدرة كقوله تعالى فادخلوها خالدين
فان قلت فرق بين هذا وبين قوله تعالى فادخلوها خالدين وذلك ان المدخول موجود مع
وجود الدخول والخلود غير موجود معهما فقدرت مقدرين الخلود فكان مستقيما وليس كذلك
المبشر به فانه معدوم وقت وجود البشارة وعدم المبشر به اوجب عدم حاله لا محالة لان الحال
حلية والحلية لا تقوم الا بالمحلى وهذا المبشر به الذي هو اسحق عليه السلام حين وجد لم توجد النبوة

ايضا بوجوده بل تراخت عنه مدة متطاولة فكيف تجعل نبيا حالا مقدرة والحال صفة الفاعل او المفعول
عند وجود الفعل منه او به فالخلود وان لم يكن صفتهم عند دخول الجنة فتقديرها صفتهم لان المعنى
مقدرين الخلود وليس كذلك النبوة فانه لا سبيل الى ان يكون موجودا مقدرة وقت وجود البشارة
باسحق لعدم اسحق **قلت** هذا سؤال دقيق السلك ضيق المسلك والذي يحل الاشكال انه لا بد من
تقدير مضاف محذوف وذلك قوله وبشرناه بوجود اسحق نبيا اي بان يوجد مقدرة نبوته والعامل
في الحال الوجود لا فعل البشارة وبذلك يرجع نظير قوله تعالى فادخلوها خالدين من الصالحين حال
ثانية وورودها على سبيل الثناء والتقريظ لان كل نبي لا بد ان يكون من الصالحين وعن قتادة بشره
الله بنبوة اسحق بعدما امتحنه بذبحه وهذا جواب من يقول الذبيح اسحق لصاحبه عن تعلقه بقوله
وبشرناه باسحق قالوا ولا يجوز ان يبشره الله بمولده ونبوته معا لان الامتحان بذبحه لا يصح مع علمه انه
سيكون نبيا وباركنا عليه وعلى اسحق وقرئ وبركنا اي افضنا عليهما بركات الدين والدنيا كقوله تعالى
وآتيناه اجره في الدنيا وانه في الآخرة لمن الصالحين وقيل باركنا على ابراهيم في اولاده وعلى اسحق بان اخرجنا
انبياء بني اسرائيل من صلبه وقوله تعالى وظالم لنفسه نظيره قال ومن ذريتي قال لا ينال عهدي الظالمين
وفيه تنبيه على ان الخبث والطيب لا يجري امرهما على العرق والعنصر فقد يلد البر الفاجر والفاجر البر
وهذا مما يهدم امر الطبائع والعناصر وعلى ان الظلم في اعقابهما لم يعد عليهما بعيب ولا نقيصة فان المرء
انما يعاب بسوء فعله ويعاتب على ما اجترحت يداه لا على ما وجد من اصله او فرعه ولقد مننا على موسى
وهرون ونجيناهما وقومهما من الكرب العظيم ونصرناهم فكانوا هم الغالبين وآتيناهما
الكتاب المستبين وهديناهما الصراط المستقيم وتركنا عليهما في الآخرين سلام على موسى
وهرون انا كذلك نجزي المحسنين انهما من عبادنا المؤمنين من الكرب العظيم من الغرق
او من سلطان فرعون وقومه وغشمهم ونصرناهم الضمير لهما ولقومهما في قوله تعالى ونجيناهما
وقومهما والكتاب المستبين البليغ في بيانه وهو التوراة كما قال عز وجل انا انزلنا التوراة فيها هدى
ونور وقال من جوز ان تكون التوراة عربية ان تشتق من ورى الزند فوعلة منه على ان التاء مبدلة
من واو والصراط المستقيم صراط اهل الاسلام وهي صراط الذين انعم الله عليهم غير المغضوب
عليهم ولا الضالين وان الياس لمن المرسلين اذ قال لقومه الا تتقون اتدعون بعلا وتذرون
احسن الخالقين الله ربكم ورب آبائكم الاولين فكذبوه فانهم لمحضرون الا عباد الله
المخلصين **قرئ** الياس بكسر الهمزة والياس على لفظ الوصل وقيل هو ادريس النبي عليه السلام
وقرأ ابن مسعود وان ادريس في موضع الياس وقرئ ادراس وقيل هو الياس بن ياسين من ولد هرون
اخي موسى عليه السلام اتدعون بعلا اتعبدون بعلا وهو علم لصنم كان لهم كمناة وهبل وقيل
كان من ذهب وكان طوله عشرين ذراعا وله اربعة اوجه فتنوا به وعظموه حتى اخدموه اربعمائة
سادن وجعلوهم انبياءه فكان الشيطان يدخل في جوف بعل ويتكلم بشريعة الضلالة والسدنة
يحفظونها ويعلمونها الناس وهم اهل بعلبك من بلاد الشام وبه سميت مدينتهم بعلبك وقيل البعل
الرب بلغة اليمن يقال من بعل هذه الدار اي من ربها والمعنى اتعبدون بعض البعول وتتركون
عبادة الله الله ربكم ورب آبائكم قرئ بالرفع على الابتداء وبالنصب على البدل وكان حمزة رحمه الله
اذا وصل نصب واذا وقف رفع وتركنا عليه في الآخرين سلام على الياسين انا كذلك نجزي

المخلصين انه من عبادنا المؤمنين وقرئ على الياسين وادريسين وادراسين على انها لغات
في الياس وادريس ولعل لزيادة اليا والنون في السريانية معنى وقرئ على الياسين بالوصف على انه جمع
يراد به الياس وقومه كقولهم الخبيبون والمهلبون فان قلت فلا حملت على هذا الياسين على
القطع واخوانه لو كان جمعا لعرف بالالف واللام واما من قرا على ال ياسين فعلى ان
ياسين اسم ابى الياس اضيف اليه الال وان لوطا لمن المرسلين اذ نجيناه واهله اجمعين الا عجوزا
في الغابرين ثم دمرنا الاخرين وانكم لتمرون عليهم مصبحين وبالليل افلا تعقلون
مصبحين داخلين في الصباح يعني تمرون على منازلهم في متاجركم الى الشام ليلا ونهارا فما فيكم عقول
تعتبرون بها وان يونس لمن المرسلين اذ ابق الى الفلك المشحون فساهم فكان من المدحضين
فالتقمه الحوت وهو مليم قرئ يونس بضم النون وكسرها وسمي هربه من قومه بغير اذن ربه
اباقا على طريقة المجاز والمساهمة المقارعة ويقال استهم القوم اذا اقترعوا والمدحض المغلوب
المقروع وحقيقته المزلق عن مقام الظفر والغلبة روى انه حين ركب في السفينة وقفت فقالوا
ههنا عبد ابق من سيده وفيما يزعم البحارون ان السفينة اذا كان فيها ابق لم تجر فاقترعوا فخرجت القرعة
على يونس فقال انا الابق وزج بنفسه في الماء فالتقمه الحوت وهو مليم داخل في الملامة يقال رب
لائم مليم اي يلوم غيره وهو احق منه باللوم وقرئ مليم بفتح الميم من ليم فهو مليم كما جاء مشيب في
مشوب مبنيا على شيب ونحوه مدعي بناء على دعي فلولا انه كان من المسبحين للبث في بطنه الى يوم
يبعثون من المسبحين من الذاكرين الله كثيرا بالتسبيح والتقديس وقيل هو قوله في بطن الحوت لا اله
الا انت سبحانك اني كنت من الظالمين وقيل من المصلين وعن ابن عباس رضي الله عنهما كل تسبيح في القرآن
فهو صلوة وعن قتادة كان كثير الصلوة في الرخاء قال وكان يقال ان العمل الصالح يرفع صاحبه اذا
عثر واذا صرع وجد متكا وهذا ترغيب من الله عز وجل في اكثار المؤمن من ذكره بما هو اهله واقباله
على عبادته وجمع همه لتقييد نعمته بالشكر في وقت المهلة والفسحة لينفعه ذلك عنده تعالى في المضايق
والشدايد للبث في بطنه الظاهر لبثه فيه حيا الى يوم البعث عن قتادة لكان بطن الحوت له قبرا الى
يوم القيامة وروى انه حين ابتلعه اوحى الله تعالى الى الحوت اني جعلت بطنك له سجنا ولم اجعله
لك طعاما واختلف في مقدار لبثه فعن الكلبي اربعون يوما وعن الضحاك عشرون وعن عطا سبعة
وعن بعضهم ثلاثة وعن الحسن لم يلبث الا قليلا ثم اخرج من بطنه بعيد الوقت الذي التقم فيه وروى
ان الحوت سار مع السفينة رافعا راسه يتنفس فيه يونس ويسبح ولم يفارقهم حتى انتهوا الى البر فلفظه
سالما لم يتغير منه شيء فاسلموا وروى ان الحوت قذفه بساحل قرية من الموصل فنبذناه بالعراء وهو
سقيم وانبتنا عليه شجرة من يقطين والعراء المكان الخالي لا شجر فيه ولا شيء يغطيه وهو سقيم
اعتل مما حل به وروى انه عاد بدنه كبدن الصبي حين يولد واليقطين كل ما ينسدح على وجه
الارض ولا يقوم على ساق كشجر البطيخ والقثاء والحنظل وهو يفعيل من قطن بالمكان اذا اقام به وقيل
هو الدباء وفائدة الدباء ان الذباب لا يجتمع عنده وقيل لرسول الله صلى الله عليه وسلم انك لتحب
القرع فقال اجل هي شجرة اخي يونس وقيل هي التين وقيل شجرة الموز تغطى بورقها واستظل باغصانها
وافطر على ثمارها وقيل كان يستظل بالشجرة وكانت وعلة تختلف اليه فيشرب من لبنها وروى انه مر
زمان على الشجرة فيبست فبكى حزنا فاوحى اليه بكيت على شجرة ولم تبك على مائة الف في يد الكافر

تلك ما تغني انبتنا عليه شجرة تلك انبتناها فوقه مظلة له كما يطنب البيت على الانسان وارسلناه الى مائة
الف او يزيدون فامنوا فمتعناهم الى حين وارسلناه الى مائة الف المراد به ما سبق من ارساله
الى قومه وهم اهل نينوى وقيل هو ارسال ثان بعد ما جرى عليه الى الاولين او الى غيرهم وقيل اسلموا
فسالوه ان يرجع اليهم فابى لان النبي عليه السلام اذا هاجر عن قومه لم يرجع اليهم مقيما فيهم وقال
لهم ان الله باعث اليكم نبيا او يزيدون في مرأى الناظر اي اذا راها الرائي قال هي مائة الف او اكثر
والغرض الوصف بالكثرة الى حين الى اجل مسمى وقرئ ويزيدون بالواو وحتى حين فاستفتهم
الربك البنات ولهم البنون ام خلقنا الملائكة اناثا وهم شاهدون الا انهم من افكهم
ليقولون ولد الله وانهم لكاذبون اصطفى البنات على البنين ما لكم كيف تحكمون افلا تذكرون
فاستفتهم معطوف على مثله في اول السورة وان تباعدت بينهما المسافة امر رسوله باستفتاء قريش عن
وجه انكار البعث اولا ثم ساق الكلام موصولا بعضه ببعض ثم امره باستفتائهم عن وجه القسمة الضيزى
التي قسموها حيث جعلوا لله الاناث ولانفسهم الذكور في قولهم الملائكة بنات الله مع كراهتهم الشديدة
لهن ووادهم واستنكافهم من ذكرهن ولقد ارتكبوا في ذلك ثلاثة انواع من الكفر احدها التجسيم
لان الولادة مختصة بالاجسام والثاني تفضيل انفسهم على ربهم حين اختاروا اوضع الجنسين له
وارفعهما لهم كما قال تعالى واذا بشر احدهم بما ضرب للرحمن مثلا ظل وجهه مسودا وهو كظيم او من
ينشؤ في الحلية وهو في الخصام غير مبين والثالث انهم استهانوا باكرم خلق الله عليه واقربهم اليه
حيث انثوهم ولو قيل لاقلهم وادناهم فيك انوثة او شكلك شكل النساء للبس لقائله جلد النمر ولانقلبت
حماليقه وذلك في اهاجيهم بين مكشوف فكرر الله سبحانه الانواع كلها في كتابه العزيز مرات ودل على فظاعتها عنهما
في ايات وقالوا اتخذ الرحمن ولدا لقد جئتم شيئا ادا تكاد السموات يتفطرن منه وقالوا اتخذ الرحمن
ولدا سبحانه بديع السموات والارض انى يكون له ولد الا انهم من افكهم ليقولون ولد الله وجعلوا له من
عباده جزءا ويجعلون لله البنات سبحانه ولهم ما يشتهون ام له البنات ولكم البنون ويجعلون
لله ما يكرهون اصطفى البنات على البنين ام اتخذ مما يخلق بنات واصفاكم بالبنين وجعلوا الملائكة
الذين هم عباد الرحمن اناثا ام خلقنا الملائكة اناثا وهم شاهدون فان قلت لم قال وهم
شاهدون فخص علم المشاهدة قلت ما هو الا استهزاء بهم وتجهيل وكذلك قوله تعالى اشهدوا خلقهم
ونحوه ما اشهدتهم خلق السموات والارض ولا خلق انفسهم وذلك انهم كما لم يعلموا ذلك بطريق المشاهدة
لم يعلموه بخلق الله علمه في قلوبهم ولا باخبار صادق ولا بطريق استدلال ونظر ويجوز ان يكون المعنى
انهم يقولون ذلك كالقائل قولا عن ثلج صدر وطمانينة نفس لافراط جهلهم كانهم قد شاهدوا خلقهم
وقرئ ولد الله اي الملائكة ولده والولد فعل بمعنى مفعول يقع على الواحد والجمع والمذكر والمؤنث
تقول هذه ولدي وهولاء ولدي فان قلت اصطفى البنات بفتح الهمزة على طريق الانكار والاستبعاد
فكيف صحت قراءة ابي جعفر بكسر الهمزة على الاثبات جعله من كلام الكفرة بدلا عن قولهم
ولد الله وقد قرا بها حمزة والاعمش وهذه القراءة وان كان هذا محملها فهي ضعيفة والذي اضعفها
ان الانكار قد اكتنف هذه الجملة من جانبيها وذلك قوله وانهم لكاذبون ما لكم كيف تحكمون فمن
جعلها للاثبات فقد اوقعها دخيلة بين نسيبين وقرئ تذكرون من ذكر ام لكم سلطان مبين
فاتوا بكتابكم ان كنتم صادقين وجعلوا بينه وبين الجنة نسبا ولقد علمت الجنة انهم

لمحضرون سبحان الله عما يصفون الا عباد الله المخلصين ام لكم سلطان اى حجة نزلت عليكم
من السماء وخبر بان الملائكة بنات الله فأتوا بكتابكم الذى انزل عليكم فى ذلك كقوله تعالى ام انزلنا
عليهم سلطانا فهو يتكلم بما كانوا به يشركون وهذه الآيات صادرة عن سخط عظيم وانكار فظيع واستبعاد
لاقاويلهم شديد وما الاساليب التى وردت عليها الا ناطقة بتسفيه احلام قريش وتجهيل نفوسها
واستركاك عقولها مع استهزاء وتهكم وتعجيب من ان يخطر مخطر مثل ذلك على بال ويحدث به نفسا فضلا
ان يجعله معتقدا ويتظاهر به مذهبا وجعلوا بينه وبين الجنة واراد الملائكة نسبا وهو زعمهم
انهم بناته والمعنى وجعلوا بما قالوا نسبة بين الله وبينهم واثبتوا بذلك جنسية جامعة له وللملائكة
فان قلت لم سمى الملائكة جنة قلت قالوا الجنس واحد ولكن من خبث من الجن ومرد وكان شرا
كله فهو شيطان ومن طهر منهم ونسك وكان خيرا كله فهو ملك فذكرهم فى هذا الموضع باسم جنسهم
وانما ذكرهم بهذا الاسم وضعا منهم وتقصيرا بهم وان كانوا معظمين فى انفسهم ان يبلغوا منزلة المناسبة
التى اضافوها اليهم وفيه اشارة الى ان من صفته الاجتنان والاستتار وهو من صفات الاجرام لا يصلح
ان يناسب من لا يجوز عليه ذلك ومثاله ان تسوى بين الملك وبين بعض خواصه ومقربيه فيقول
لك اتسوى بينى وبين عبدى واذا ذكره فى غير هذا المقام وقره وكناه والضمير فى انهم لمحضرون للكفرة
والمعنى انهم يقولون ما يقولون فى الملائكة وقد علم الملائكة انهم فى ذلك لكاذبون مفترون وانهم
محضرون النار معذبون بما يقولون والمراد المبالغة فى التكذيب حيث اضيف الى علم الذين ادعوا
لهم تلك النسبة وقيل قالوا ان الله صاهر الجن فخرجت الملائكة وقيل قالوا ان الله والشيطان
اخوان وعن الحسن رحمة الله عليه اشركوا الجن فى طاعة الله ويجوز اذا فسر الجنة بالشياطين ان
يكون الضمير فى انهم لمحضرون لهم والمعنى ان الشياطين عالمون بان الله يحضرهم النار ويعذبهم
ولو كانوا مناسبين له او شركاء فى وجوب الطاعة لما عذبهم الا عباد الله المخلصين استثناء منقطع
من المحضرين معناه ولكن المخلصين ناجون وسبحان الله اعتراض بين الاستثناء وبين ما وقع منه ويجوز
ان يقع الاستثناء من الواو فى يصفون اى يصفه هؤلاء بذلك ولكن المخلصين براء من ان يصفوه به فانكم
وما تعبدون ما انتم عليه بفاتنين الا من هو صال الجحيم وما منا الا له مقام معلوم
وانا لنحن الصافون وانا لنحن المسبحون الضمير فى عليه لله عز وجل ومعناه فانكم ومعبودكم
ما انتم وهم جميعا بفاتنين على الله تعالى الا اصحاب النار الذين سبق فى علمه انهم بسوء اعمالهم يستوجبون
ان يصلوها فان قلت كيف يفتنونهم على الله قلت يفسدونهم عليه باغوائهم واستهزائهم من
قولك فتن فلان على فلان امراته كما تقول افسدها عليه وخببها عليه ويجوز ان يكون الواو فى وما
تعبدون بمعنى مع مثلها فى قولهم كل رجل وضيعته فكما جاز السكوت على كل رجل وضيعته وان كل
رجل وضيعته جاز ان يسكت على قوله تعالى فانكم وما تعبدون لان قوله وما تعبدون ساد
مسد الخبر لان معناه فانكم مع ما تعبدون والمعنى فانكم مع الهتكم اى فانكم قرناؤهم
واصحابهم لا تبرحون تعبدونها ثم قال ما انتم عليه اى على ما تعبدون بفاتنين بباعثين
او حاملين على طريق الفتنة والاضلال الا من هو ضال مثلكم او يكون فى اسلوب قوله
فانك والكتاب الى على كدابغة وقد حلم الاديم وقرا الحسن رحمه الله صال الجحيم
بضم اللام وفيه ثلاثة اوجه احدها ان يكون جمعا وسقوط واوه لالتقاء الساكنين هى لام

التعريف

التعريف فان قلت كيف استقام الجمع مع قوله من هو قلت من موحد اللفظ مجموع المعنى فحمل هو
على لفظه والصالون على معناه كما حمل فى مواضع من التنزيل على لفظ من ومعناه فى اية واحدة والثانى
ان يكون اصله صائل على القلب ثم يقال صال فى صائل كقولهم شاك فى شائك والثالث ان يحذف لام
صال تخفيفا ويجرى الاعراب على عينه كما حذف من قولهم ما باليت به بالة واصلها بالية من بالى كعافية
من عافى ونظيره قراءة من قرا وجنى الجنتين دان وله الجوار المنشآت باجراء الاعراب على العين وما
منا احد الا له مقام معلوم فحذف الموصوف واقيم الصفة مقامه كقوله انا ابن جلا وطلاع الثنايا
بكفى كان من ارمى البشر مقام معلوم مقام فى العبادة والانتهاء الى امر الله مقصور عليه لا يتجاوزه
كما روى فمنهم راكع لا يقيم صلبه وساجد لا يرفع راسه لنحن الصافون نصف اقدامنا فى الصلوة او
اجنحتنا فى الهواء منتظرين ما نؤمر وقيل نصف اجنحتنا حول العرش داعين للمؤمنين وقيل ان المسلمين
انما اصطفوا فى الصلوة مذ نزلت هذه الاية وليس يصطف احد من اهل الملل فى صلوتهم غير المسلمين
المسبحون المنزهون او المصلون والوجه ان يكون هذا وما قبله من قوله سبحان الله عما يصفون
من كلام الملائكة حتى يتصل بذكرهم فى قوله تعالى ولقد علمت الجنة انهم لمحضرون كانه قيل ولقد علم
الملائكة وشهدوا ان المشركين مفترون عليهم فى مناسبة رب العزة وقالوا سبحان الله فنزهوه عن
ذلك واستثنوا عباد الله المخلصين وبرءوهم منه وقالوا للكفرة فاذا صح ذلك فانكم والهتكم لا
تقدرون ان تفتنوا على الله احدا من خلقه وتضلوه الا من كان مثلكم ممن علم الله لكفرهم لا لتقديره
وارادته تعالى الله عما يقول الظالمون علوا كبيرا انهم من اهل النار وكيف نكون مناسبين لرب العزة
ويجمعنا واياه جنسية واحدة وما نحن الا عبيد اذلاء بين يديه لكل منا مقام من الطاعة لا يستطيع ان
يزل عنه ظفرا خشوعا لعظمته وتواضعا لجلاله ونحن الصافون اقدامنا لعبادته او اجنحتنا مذعنين
خاضعين مسبحين ممجدين وكما يجب على العباد لربهم وقيل هو من قول رسول الله عليه السلام يعنى وما من
المسلمين احد الا له مقام معلوم يوم القيمة على قدر عمله من قوله سبحانه وتعالى عسى ان يبعثك ربك
مقاما محمودا ثم ذكر اعمالهم وانهم الذين يصطفون فى الصلوة ويسبحون الله وينزهونه عما يضيف
اليه من لا يعرفه مما لا يجوز عليه وان كانوا ليقولون لو ان عندنا ذكرا من الاولين لكنا عباد
الله المخلصين فكفروا به فسوف يعلمون هم مشركوا قريش كانوا يقولون لو ان عندنا ذكرا اى كتابا
من كتب الاولين الذين نزل عليهم التوراة والانجيل لاخلصنا العبادة لله ولما كذبنا كما كذبوا ولما خالفنا
كما خالفوا فجاءهم الذكر الذى هو سيد الاذكار والكتاب الذى هو معجز من بين الكتب فكفروا به ونحوه فلما
جاءهم نذير ما زادهم الا نفورا فسوف يعلمون مغبة تكذيبهم وما يحل بهم من الانتقام وان هى المخففة
من الثقيلة واللام هى الفارقة وفى ذلك انهم كانوا يقولونه مؤكدين للقول جادين فيه فكم بين اول
امرهم واخره ولقد سبقت كلمتنا لعبادنا المرسلين انهم لهم المنصورون وان جندنا
لهم الغالبون الكلمة قوله انهم لهم المنصورون وان جندنا لهم الغالبون وانما سماها كلمة
وهى كلمات عدة لانها لما انتظمت فى معنى واحد كانت فى حكم كلمة مفردة وقرى كلماتنا والمراد
الموعد بعلوهم على عدوهم فى مقاوم الحجاج وملاحم القتال فى الدنيا وعلوهم عليهم فى الاخرة كما
قال الله سبحانه وتعالى والذين اتقوا فوقهم يوم القيمة ولا يلزم انهزامهم فى بعض المشاهد وما
جرى عليهم من القتل فان الغلبة كانت لهم ولمن بعدهم فى العاقبة وكفى بمشاهد رسول الله

عليه السلام والخلفاء الراشدين رضوان الله عليهم مثلا تحتذى عليها وعبرا يعتبر بها ۝ وعن الحسن رحمة
الله عليه ما غلب نبي في حرب ولا قتل فيها ولان قاعدة امرهم واساسه والغالب منه الظفر والنصرة
وان وقع في تضاعيف ذلك شوب من الابتلاء والمحنة والحكم للغالب ۝ وعن ابن عباس رضي الله عنهما
ان لم ينصروا في الدنيا نصروا في الآخرة ۝ وفي قراءة ابن مسعود رضي الله عنه على عبادنا على تضمين
سبقت معنى حقت **فتول عنهم حتى حين وابصرهم فسوف يبصرون ۝ افبعذابنا يستعجلون
فاذا نزل بساحتهم فساء صباح المنذرين ۝** فتول عنهم فاعرض عنهم واغض على اذاهم حتى حين
الى مدة يسيرة وهي مدة الكف عن القتال ۝ وعن السدي الى يوم بدر ۝ وقيل الى الموت ۝ وقيل الى يوم
القيامة ۝ وابصرهم وما يقضى عليهم من الاسر والقتل والعذاب في الآخرة ۝ فسوف يبصرونك
وما يقضى لك من النصرة والتأييد والثواب في العاقبة والمراد بالامر بابصارهم على الحال المنتظرة
الموعودة الدلالة على انها كائنة واقعة لا محالة وان كينونتها قريبة كانها قدام ناظريك ۝
وفي ذلك تسلية له صلى الله عليه وسلم وتنفيس عنه وقوله تعالى فسوف يبصرون للوعيد كما هو
سلف لا للتبعيد ۝ مثل العذاب النازل بهم بعد ما انذروه فانكروه بجيش انذر بهجومه قومه
بعض نصاحهم فلم يلتفتوا الى انذاره ولا اخذوا اهبتهم ولا دبروا امرهم تدبيرا ينجيهم حتى اناخ
بفنائهم بغتة فشن عليهم الغارة وقطع دابرهم وكانت عادة مغاويرهم ان يغيروا صباحا فسميت
الغارة صباحا وان وقعت في وقت آخر وما فصحت هذه الآية ولا كانت لها الروعة التي تحس بها
ويروقك موردها على نفسك وطبعك الا لمجيئها على طريقة التمثيل ۝ وقرأ ابن مسعود رضي الله عنه
فبئس صباح **وقرئ** نزل بساحتهم على اسناده الى الجار والمجرور كقولك ذهب بزيد ونزل على نزل
العذاب والمعنى فساء صباح المنذرين صباحهم ۝ واللام في المنذرين مبهم في جنس من انذروا لا
ساء وبئس يقتضيان ذلك ۝ وقيل هو نزول رسول الله عليه السلام يوم الفتح بمكة ۝ وعن انس
رضي الله عنه لما اتى رسول الله صلى الله عليه وسلم خيبر وكانوا خارجين الى مزارعهم ومعهم
المساحي قالوا محمد والخميس ورجعوا الى حصنهم فقال صلى الله عليه وسلم الله اكبر خربت خيبر انا اذا
نزلنا بساحة قوم فساء صباح المنذرين **وتول عنهم حتى حين ۝ وابصر فسوف يبصرون ۝ سبحان
ربك رب العزة عما يصفون ۝ وسلام على المرسلين ۝ والحمد لله رب العالمين ۝** وانما ثنى وتول
عنهم ليكون تسلية على تسلية وتأكيدا لوقوع الميعاد الى تأكيد ۝ وفيه فائدة زائدة وهي اطلاق
الفعلين معا عن التقييد بالمفعول وانه يبصر وهم يبصرون ما لا يحيط به الذكر من صنوف المسرة
وانواع المساءة ۝ وقيل اريد باحدهما عذاب الدنيا وبالآخر عذاب الآخرة ۝ اضيف الرب الى العزة
لاختصاصه بها كانه قيل ذو العزة كما تقول صاحب صدق لاختصاصه ۝ ويجوز ان يراد انه ما من عزة
لاحد من الملوك وغيرهم الا وهو ربها ومالكها كقوله عز وعلا تعز من تشاء اشتملت السورة
على ذكر ما قاله المشركون في الله ونسبوا اليه مما هو منزه عنه وما عاناه المرسلون من جهتهم
وما خولوه في العاقبة من النصرة عليهم فختمها بجوامع ذلك من تنزيهه ذاته عما وصفه به المشركون
والتسليم على المرسلين والحمد لرب العالمين على ما قيض لهم من حسن العواقب والغرض تعليم المؤمنين
ان يقولوا ذلك ولا يخلوا به ولا يغفلوا عن مضمنات كتابه الكريم ومودعات قرآنه المجيد ۝ وعن
علي رضي الله عنه من احب ان يكتال بالمكيال الاوفى من الاجر يوم القيامة فليكن آخر كلامه اذا قام من

مجلسه

مجلسه سبحان ربك رب العزة عما يصفون وسلام على المرسلين والحمد لله رب العالمين ۝ عن النبي صلى الله عليه وسلم
من قرأ والصافات اعطي من الاجر عشر حسنات بعدد كل جني وشيطان وتباعدت عنه مردة الشياطين
وبرئ من الشرك وشهد له حافظاه يوم القيامة انه كان مؤمنا بالمرسلين ۝ والحمد لله رب العالمين ۝ ۝

ق

وقيل ثمان وثمانون ۝ بسم الله الرحمن الرحيم **ص والقرآن ذي الذكر بل الذين كفروا في عزة وشقاق**
صاد على الوقف وهي اكثر القراءة ۝ وقرئ بالكسر والفتح لالتقاء الساكنين ۝ ويجوز ان ينتصب بحذف
حرف القسم وايصال فعله كقولهم الله لافعلن بالنصب او باضمار حرف القسم والفتح في موضع الجر كقولهم
الله لافعلن بالجر وامتناع الصرف للتعريف والتأنيث لانها بمعنى السورة وقد صرفها من قرأ صاد بالجر
والتنوين على تأويل الكتاب والتنزيل ۝ وقيل فيمن كسر هو من المصاداة وهي المعارضة والمعادلة ۝
ومنها الصدى وهو ما يعارض الصوت في الاماكن الخالية من الاجسام الصلبة ومعناه عارض
القرآن بعملك فاعمل باوامره وانته عن نواهيه **فان قلت** قوله ص والقرآن ذي الذكر بل الذين
كفروا في عزة وشقاق كلام ظاهره متنافر غير منتظم فما وجه انتظامه قلت فيه وجهان احدهما
ان يكون قد ذكر اسم هذا الحرف من حروف المعجم على سبيل التحدي والتنبيه على الاعجاز كما مر في اول
الكتاب ثم اتبعه القسم محذوف الجواب لدلالة التحدي عليه كانه قال والقرآن ذي الذكر انه لكلام معجز
والثاني ان يكون ص خبر مبتدأ محذوف على انها اسم للسورة كانه قال هذه صاد يعني هذه السورة
التي اعجزت العرب والقرآن ذي الذكر كما تقول هذا حاتم والله تريد هذا هو المشهور بالسخاء والله
وكذلك اذا اقسم بها كانه قال اقسمت بصاد والقرآن ذي الذكر انه لمعجز ثم قال بل الذين كفروا في
عزة واستكبار عن الاذعان لذلك والاعتراف بالحق وشقاق لله ورسوله واذا جعلتها مقسما بها وعطفت
عليها والقرآن ذي الذكر جاز لك ان تريد بالقرآن التنزيل كله وان تريد السورة بعينها ومعناه
اقسم بالسورة الشريفة والقرآن ذي الذكر كما تقول مررت بالرجل الكريم وبالنسمة المباركة ولا تريد
بالنسمة غير الرجل ۝ والذكر الشرف والشهرة من قولك فلان مذكور ۝ وانه لذكر لك ولقومك ۝ او
الذكرى والموعظة ۝ او ذكر ما يحتاج اليه في الدين من الشرائع وغيرها كاقاصيص الانبياء والوعد
والوعيد ۝ والتنكير في عزة وشقاق للدلالة على شدتهما وتفاقمهما **وقرئ** في غرة اي في غفلة عما
يجب عليهم من النظر واتباع الحق **كم اهلكنا من قبلهم من قرن فنادوا ولات حين مناص** كم اهلكنا
وعيد لذوي العزة والشقاق فنادوا فدعوا واستغاثوا ۝ وعن الحسن فنادوا بالتوبة ولات هي لا
المشبهة بليس زيدت عليها تاء التأنيث كما زيدت على رب وثم للتوكيد وتغير بذلك حكمها حيث لم
تدخل الا على الاحيان ولم يبرز الا احد مقتضيها اما الاسم واما الخبر وامتنع بروزهما جميعا وهذا
مذهب الخليل وسيبويه ۝ وعند الاخفش انها لا النافية للجنس زيدت عليها التاء وخصت بنفي
الاحيان وحين مناص منصوب بها كانك قلت ولا حين مناص لهم ۝ وعنه ان ما ينتصب بعده
بفعل مضمر اي ولا ارى حين مناص ويرتفع بالابتداء اي ولا حين مناص كائن لهم ۝ وعندهما ان
النصب على ولات الحين حين مناص اي وليس الحين حين مناص والرفع على ولات حين مناص حاصلا
لهم ۝ وقرئ حين مناص بالكسر ۝ ومثله قول ابي زبيد الطائي ۝ ۝

طلبوا صلحنا ولات أوان فأجبنا أن لات حين بقاء فإن قلت ما وجه الكسر في أوان
قلت شبه بإذ في قوله وأنت إذ صحيح في أنه زمان قطع منه المضاف إليه وعوض التنوين لأن
الأصل ولات أوان صلح فإن قلت فما تقول في حين مناص والمضاف إليه قائم قلت نزل قطع المضاف
إليه من مناص لأن أصله حين مناصهم منزلة قطعه من حين لاتحاد المضاف والمضاف إليه وجعل
تنوينه عوضا من الضمير المحذوف ثم بني الحين لكونه مضافا إلى غير متمكن وقرئ ولات بكسر التاء
على البناء كجير فإن قلت كيف يوقف على لات يوقف عليها بالتاء كما تقف على الفعل الذي
يتصل به تاء التأنيث وأما الكسائي فيقف عليها بالهاء كما يقف على الأسماء المؤنثة وأما قول أبي
عبيد إن التاء داخلة على حين فلا وجه له واستشهاده بأن التاء ملتزقة بحين في الإمام لا متشبث
به فكم وقعت في المصحف أشياء خارجة عن قياس الخط والمناص المنجا والفوت يقال ناصه ينوصه
إذا فاته واستناص طلب المناص قال حارثة بن بدر يصف فرسا
غمر الجراء إذا قصرت عنانه بيدي استناص ورام جري المسحل وعجبوا أن جاءهم منذر منهم
وقال الكافرون هذا ساحر كذاب أجعل الآلهة إلها واحدا إن هذا لشيء عجاب منذر منهم
رسول من أنفسهم وقال الكافرون ولم يقل وقالوا إظهارا للغضب عليهم ودلالة على أن هذا القول
لا يتجسر عليه إلا الكافرون المتوغلون في الكفر المنهمكون في الغي الذين قال فيهم أولئك هم
الكافرون حقا وهل ترى كفرا أعظم وجهلا أبلغ من أن يسموا من صدقه الله بوحيه كاذبا
ويتعجبوا من التوحيد وهو الحق الذي لا يصح غيره ولا يتعجبوا من الشرك وهو الباطل الذي لا وجه
لصحته روي أن إسلام عمر رضي الله عنه فرح به المؤمنون فرحا شديدا وشق على قريش وبلغ
منهم فاجتمع خمسة وعشرون نفسا من صناديدهم ومشوا إلى أبي طالب وقالوا أنت شيخنا
وكبيرنا وقد علمت ما فعل هؤلاء السفهاء يريدون الذين دخلوا في الإسلام وجئناك لتقضي بيننا وبين
ابن أخيك فاستحضر أبو طالب رسول الله عليه السلام وقال يا ابن أخي هؤلاء قومك يسألونك السؤال
فلا تمل كل الميل على قومك فقال صلى الله عليه وسلم ماذا يسألونني قالوا ارفضنا وارفض ذكر آلهتنا
وندعك وإلهك فقال عليه السلام أرأيتم إن أعطيتكم ما سألتم أمعطي أنتم كلمة واحدة تملكون بها
العرب وتدين لكم بها العجم قالوا نعم وعشرا أي نعطيكها وعشر كلمات معها فقال قولوا لا إله
إلا الله فقاموا وقالوا أجعل الآلهة إلها واحدا إن هذا لشيء عجاب أي بليغ في العجب وقرئ
عجّاب بالتشديد كقوله عز وجل مكرا كبارا وهو أبلغ من المخفف ونظيره كريم وكرام وكرّام وقوله
تعالى أجعل الآلهة إلها واحدا مثل قوله تعالى وجعلوا الملائكة الذين هم عباد الرحمن إناثا في أن
معنى الجعل التصيير في القول على سبيل الدعوى والزعم كأنه قال أجعل الجماعة واحدا في قوله لأن
ذلك في الفعل محال وانطلق الملأ منهم أن امشوا واصبروا على آلهتكم إن هذا لشيء يراد الملأ
أشراف قريش يريد وانطلقوا عن مجلس أبي طالب بعدما بكتهم رسول الله صلى الله عليه وسلم بالجواب
العتيد قائلين بعضهم لبعض امشوا واصبروا فلا حيلة لكم في دفع أمر محمد عليه السلام إن هذا
الأمر لشيء يراد أي يريده الله تعالى ويحكم بإمضائه وما أراد الله كونه فلا مرد له ولا ينفع فيه
إلا الصبر أو إن هذا الأمر لشيء من نوائب الدهر يراد بنا فلا انفكاك لنا منه أو إن دينكم لشيء
يراد أي يطلب ليؤخذ منكم وتغلبوا عليه وأن بمعنى أي لأن المنطلقين عن مجلس التقاول لا بد لهم

من أن يتكلموا ويتفاوضوا فيما جرى لهم فكان انطلاقهم مضمنا معنى القول ويجوز أن يراد بالانطلاق
الاندفاع في القول وأنهم قالوا امشوا أي أكثروا واجتمعوا من مشت المرأة إذا كثرت ولادتها ومنه
الماشية للتفاؤل كما قيل لها الفاشية قال رسول الله عليه السلام ضموا فواشيكم ومعنى واصبروا
على آلهتكم واصبروا على عبادتها والتمسك بها حتى لا تزالوا عنها وقرئ وانطلق الملأ منهم امشوا
بغير أن على إضمار القول وعن ابن مسعود وانطلق الملأ منهم يمشون أن اصبروا ما سمعنا بهذا
في الملة الآخرة إن هذا إلا اختلاق في الملة الآخرة في ملة عيسى عليه السلام التي هي آخر الملل
الملل لأن النصارى يدعونها وهم مثلثة غير موحدة أو في ملة قريش التي أدركنا عليها آباءنا
أو ما سمعنا بهذا كائنا في الملة الآخرة على أن يجعل في الملة الآخرة حالا من هذا ولا تعلقه بما سمعنا
كما في الوجهين والمعنى أنا لم نسمع من أهل الكتاب ولا الكهان أنه يحدث في الملة الآخرة توحيد الله
ما هذا إلا اختلاق أي افتعال وكذب أأنزل عليه الذكر من بيننا بل هم في شك من ذكري بل لما
يذوقوا عذاب أنكروا أن يختص بالشرف من بين أشرافهم ورؤسائهم وينزل عليه الكتاب من بينهم
كما قالوا لولا نزل هذا القرآن على رجل من القريتين عظيم وهذا الإنكار ترجمة عما كانت تغلي به
صدورهم من الحسد على ما أوتي من شرف النبوة من بينهم بل هم في شك من القرآن يقولون في أنفسهم
إما وإما وقولهم إن هذا إلا اختلاق كلام مخالف لاعتقادهم فيه يقولونه على سبيل الحسد بل لما
يذوقوا فإذا ذاقوه زال عنهم ما بهم من الشك والحسد حينئذ يعني أنهم لا يصدقون به إلا أن يمسهم
العذاب مضطرين إلى تصديقه أم عندهم خزائن رحمة ربك العزيز الوهاب أم عندهم خزائن رحمة
ربك يعني ما هم بمالكي خزائن الرحمة حتى يصيبوا بها من شاؤوا ويصرفوها عمن شاؤوا ويتخيروا للنبوة
بعض صناديدهم ويترفعوا بها عن محمد عليه السلام وإنما الذي يملك الرحمة وخزائنها العزيز القاهر
على خلقه الوهاب الكثير المواهب المصيب بها مواقعها الذي يقسمها على ما تقتضيه حكمته وعدله
كما قال تعالى أهم يقسمون رحمة ربك نحن قسمنا أم لهم ملك السموات والأرض وما بينهما فليرتقوا
في الأسباب ثم رشح هذا المعنى فقال أم لهم ملك السموات والأرض حتى يتكلموا في الأمور الربانية
والتدابير الإلهية التي يختص بها رب العزة والكبرياء ثم تهكم بهم غاية التهكم فقال فإن كانوا
يصلحون لتدبير الخلائق والتصرف في قسمة الرحمة وكانت عندهم الحكمة التي يميزون بها بين من هو
حقيق بإيتاء النبوة دون من لا يحق له فليرتقوا في الأسباب فليصعدوا في المعارج والطرق التي
يتوصل بها إلى العرش حتى يستووا عليه ويدبروا أمر العالم وملكوت الله وينزلوا الوحي إلى من
يختارون ويستصوبون جند ما هنالك مهزوم من الأحزاب ثم خساهم عن ذلك بقوله
تعالى جند ما هنالك مهزوم من الأحزاب يريد ما هم إلا جند من الكفار المتحزبين على رسل الله مهزوم
مكسور عما قريب فلا تبال بما يقولون ولا تكترث لما به يهذون وما مزيدة وفيها معنى الاستعظام
كما في قول امرئ القيس وحديث ما على قصره إلا أنه على سبيل الهزء وهنالك إشارة إلى حيث وضعوا
فيه أنفسهم من الانتداب لمثل ذلك القول العظيم من قولهم لمن ينتدب لأمر ليس من أهله لست هنالك
كذبت قبلهم قوم نوح وعاد وفرعون ذو الأوتاد ذو الأوتاد أصله من ثبات البيت
المطنب بأوتاده قال والبيت لا يبتنى إلا على عمد ولا عماد إذا لم ترس أوتاد فاستعير
لثبات العز والملك واستقامة الأمر كما قال الأسود في ظل ملك ثابت الأوتاد وقيل كان

يشبح المعذب بين أربع سوار كل طرف من أطرافه إلى سارية مضروب فيه وتد من حديد ويترك حتى يموت
وقيل كان يمده بين أربعة أوتاد في الأرض ويرسل عليه العقارب والحيات ۝ وقيل كانت له
أوتاد وحبال يلعب بها بين يديه **وثمود وقوم لوط وأصحاب الأيكة أولئك الأحزاب** ۝
أولئك الأحزاب قصد بهذه الإشارة الإعلام بأن الأحزاب الذين جعل الجند المهزوم منهم هم
وأنهم الذين وجد منهم التكذيب ولقد ذكر تكذيبهم أولا في الجملة الخبرية على وجه الإبهام **إن كل إلا
كذب الرسل فحق عقاب** ۝ ثم جاء بالجملة الاستثنائية فأوضحه فيها بأن كل واحد من الأحزاب كذب
جميع الرسل لأنهم إذا كذبوا واحدا منهم فقد كذبوهم جميعا وفي تكرير التكذيب وإيضاحه بعد إبهامه
والتنويع في تكريره بالجملة الخبرية أولا وبالاستثنائية ثانيا وما في الاستثنائية من الوضع على وجه
التوكيد والتخصيص أنواع من المبالغة المسجلة عليهم باستحقاق أشد العقاب وأبلغه ثم قال فحق
عقاب أي فوجب لذلك أن أعاقبهم حق عقابهم **وما ينظر هؤلاء إلا صيحة واحدة ما لها من فواق** ۝
هؤلاء أهل مكة ۝ ويجوز أن يكون إشارة إلى جميع الأحزاب لاستحضارهم بالذكر ۝ أو لأنهم كالحضور
عند الله ۝ والصيحة النفخة ما لها من فواق **وفُواق** بالضم ما لها من توقف مقدار فواق وهو
ما بين حلبتي الحالب ورضعتي الراضع يعني إذا جاء وقتها لم يستأخر هذا القدر من الزمان كقوله تعالى
فإذا جاء أجلهم لا يستأخرون ساعة ولا يستقدمون ۝ وعن ابن عباس رضي الله عنهما ما لها من
رجوع وترداد من أفاق المريض إذا رجع إلى الصحة وفواق الناقة ساعة يرجع الدر إلى ضرعها
يريد أنها نفخة واحدة فحسب لا تثنى ولا تردد **وقالوا ربنا عجل لنا قطنا قبل يوم الحساب** ۝
القط القسط من الشيء لأنه قطعة منه من قطه إذا قطعه ويقال لصحيفة الجائزة قط لأنها قطعة
من القرطاس وقد فسر بهما قوله تعالى عجل لنا قطنا أي نصيبنا من العذاب الذي وعدته
كقوله تعالى ويستعجلونك بالعذاب ۝ وقيل ذكر رسول الله عليه السلام وعد الله المؤمنين الجنة
فقالوا على سبيل الهزء عجل لنا نصيبنا منها أو عجل لنا صحيفة أعمالنا ننظر فيها **اصبر على ما يقولون
واذكر عبدنا داود ذا الأيد إنه أواب** **فإن قلت** كيف تطابق قوله تعالى اصبر على ما
يقولون وقوله تعالى واذكر عبدنا داود حتى عطف أحدهما على صاحبه **قلت** كأنه قال لنبيه
صلى الله عليه وسلم اصبر على ما يقولون وعظم أمر معصية الله في أعينهم بذكر قصة داود عليه
السلام وهو أنه نبي من أنبياء الله تعالى قد أولاه ما أولاه من النبوة والملك لكرامته عليه وزلفته
لديه ثم زل زلة فبعث إليه الملائكة ووبخه عليها على طريق التمثيل والتعريض حتى فطن لما وقع
فيه فاستغفر وأناب ووجد منه ما يحكى من بكائه الدائم وغمه الواصب ونقش جنايته في بطن كفه حتى لا
يزال يجدد الندم عليها فما الظن بكم مع كفركم ومعاصيكم ۝ أو قال له صلى الله عليه وسلم اصبر على
ما يقولون وصن نفسك وحافظ عليها أن تزل فيما كلفت من مصابرتهم وتحمل أذاهم واذكر أخاك
داود وكرامته على الله كيف زل تلك الزلة اليسيرة فلقي من توبيخ الله وتظليمه ونسبته إلى
البغي ما لقي ۝ ذا الأيد ذا القوة في الدين المضطلع بمشاقه وتكاليفه ۝ كان على نهوضه بأعباء
النبوة والملك يصوم يوما ويفطر يوما وهو أشد الصوم ويقوم نصف الليل ۝ يقال فلان أيد
وذو أيد وذو آد وأياد كل شيء ما يتقوى به ۝ أواب تواب رجاع إلى مرضاة الله تعالى **فإن
قلت** ما دل على أن الأيد القوة في الدين **قلت** قوله تعالى إنه أواب لأنه تعليل للأيد

إنا سخرنا الجبال معه يسبحن بالعشي والإشراق ۝ والطير محشورة كل له أواب ۝ والإشراق ووقت
الإشراق وهو حين تشرق الشمس أي تضيء ويصفو شعاعها وهو وقت الضحى وأما شروقها فطلوعها تقول
شرقت الشمس ولما تشرق ۝ وعن أم هانئ رضي الله عنها دخل علينا نبي الله صلى الله عليه وسلم فدعا بوضوء
فتوضأ ثم صلى صلاة الضحى وقال يا أم هانئ هذه صلاة الإشراق ۝ وعن طاوس عن ابن عباس رضي الله
عنهما قال هل تجدون ذكر صلاة الضحى في القرآن قالوا لا فقرأ إنا سخرنا الجبال معه يسبحن بالعشي
والإشراق ۝ وقال كانت صلاة يصليها داود ۝ وعنه ما عرفت صلاة الضحى إلا بهذه الآية ۝ وعنه لم
يزل في نفسي من صلاة الضحى شيء حتى طلبتها فوجدتها في هذه الآية يسبحن بالعشي والإشراق وكان لا يصلي
صلاة الضحى ثم صلاها بعد ۝ وعن كعب أنه قال لابن عباس رضي الله عنهما إني لأجد في كتب الله صلاة
بعد طلوع الشمس فقال أنا أوجدك ذلك في كتاب الله تعالى يعني هذه الآية ۝ ويحتمل أن يكون من أشرق
القوم إذا دخلوا في الشروق ۝ ومنه قوله سبحانه وتعالى فأخذتهم الصيحة مشرقين ۝ وقول أهل الجاهلية
أشرق ثبير ويراد وقت صلاة الفجر لانتهائه بالشروق ويسبحن في معنى مسبحات على الحال **فإن قلت**
هل من فرق بين يسبحن ومسبحات نعم وما اختير يسبحن على مسبحات إلا لذلك وهو الدلالة
على حدوث التسبيح من الجبال شيئا بعد شيء وحالا بعد حال وكأن السامع محاضر تلك الحال يسمعها
تسبح **ومثله** قول الأعشى إلى ضوء نار في يفاع تحرق ۝ ولو قال محرقة لم يكن شيئا ۝ وقوله محشورة في
مقابلة يسبحن إلا أنه لما لم يكن في الحشر ما كان في التسبيح من إرادة الدلالة على الحدوث شيئا بعد شيء
جيء به اسما لا فعلا وذلك أنه لو قيل وسخرنا الطير يحشرن على أن الحشر يوجد من حاشرها شيئا بعد
شيء والحاشر هو الله عز وجل لكان خلفا لأن حشرها جملة واحدة أدل على القدرة ۝ وعن ابن عباس رضي
الله عنهما كان إذا سبح جاوبته الجبال بالتسبيح واجتمعت إليه الطير فسبحت فذلك حشرها **وقرئ**
والطير محشورة بالرفع ۝ كل له أواب كل واحد من الجبال والطير لأجل داود أي لأجل تسبيحه مسبح
لأنها كانت تسبح بتسبيحه ووضع الأواب موضع المسبح إما لأنها كانت ترجع التسبيح والمرجع رجاع لأنه
يرجع إلى فعله رجوعا بعد رجوع ۝ وإما لأن الأواب وهو التواب الكثير الرجوع إلى الله وطلب مرضاته من
عادته أن يكثر ذكر الله ويديم تسبيحه وتقديسه ۝ وقيل الضمير لله تعالى أي كل من داود والجبال والطير
لله أواب أي مسبح مرجع للتسبيح **وشددنا ملكه وآتيناه الحكمة وفصل الخطاب** ۝ وشددنا ملكه
قويناه ۝ قال تعالى سنشد عضدك **وقرئ** شددنا على المبالغة ۝ قيل كان يبيت حول محرابه أربعون
ألف مستلئم يحرسونه ۝ وقيل الذي شد الله به ملكه وقذف في قلوب قومه الهيبة أن رجلا ادعى عنده
على آخر بقرة وعجز عن إقامة البينة فأوحى إليه في المنام أن اقتل المدعى عليه فقال هذا منام فأعيد الوحي
في اليقظة فأعلم الرجل فقال إن الله لم يأخذني بهذا الذنب ولكن بأني قتلت أبا هذا غيلة فقتله فقال
الناس إن أذنب أحد ذنبا أظهره الله عليه فقتله فهابوه ۝ والحكمة الزبور وعلم الشرائع ۝ وقيل كل كلام
وافق الحق فهو حكمة ۝ الفصل التمييز بين الشيئين ۝ وقيل للكلام البين فصل بمعنى المفصول كضرب
الأمير لأنهم قالوا كلام ملتبس وفي كلامه لبس والملتبس المختلط فقيل في نقيضه فصل أي مفصول بعضه
من بعض فمعنى فصل الخطاب البين من الكلام الملخص الذي يتبينه من يخاطب به لا يلتبس عليه ومن فصل
الخطاب وملخصه أن لا يخطئ صاحبه مظان الفصل والوصل فلا يقف في كلمة الشهادة على المستثنى منه ولا
يتلو قوله تعالى فويل للمصلين إلا موصولا بما بعده ولا والله يعلم وأنتم حتى يصله بقوله لا تعلمون ونحو

ذلك وكذلك مكان العطف وتركه والاضمار والاظهار والحذف والتكرار وان شئت كان الفصل بمعنى الفاصل
كالصوم والزور واردت بفصل الخطاب الفاصل من الخطاب الذي يفصل بين الصحيح والفاسد والحق والباطل
والصواب والخطاء وهو كلامه في القضايا والحكومات وتدابير الملك والمشورات وعن علي بن ابي طالب
كرم الله وجهه هو قوله البينة على المدعي واليمين على المدعى عليه وهو من الفصل بين الحق والباطل ويدخل
فيه قول بعضهم هو قوله اما بعد لانه يفتتح اذا تكلم في الامر الذي له شان بذكر الله وتحميده فاذا اراد
ان يخرج الى الغرض المسوق اليه فصل بينه وبين ذكر الله بقوله اما بعد ويجوز ان يراد الخطاب القصد
الذي ليس فيه اختصار مخل ولا اشباع ممل ومنه ما جاء في صفة كلام رسول الله صلى الله عليه وسلم لا نزر ولا
هذر وهل اتاك نبؤا الخصم اذ تسوروا المحراب كان اهل زمان داود عليه السلام يسأل بعضهم
بعضا ان ينزل له عن امرأته فيتزوجها اذا اعجبته وكانت لهم عادة في المواساة بذلك قد اعتادوها
وقد روينا ان الانصار كانوا يواسون المهاجرين بمثل ذلك فاتفق ان عين داود وقعت على امرأة رجل
يقال له اوريا فاحبها فسأله النزول له عنها فاستحيا ان يرده ففعل فتزوجها وهي ام سليمان فقيل له
انك مع عظم منزلتك وارتفاع مرتبتك وكبر شانك وكثرة نسائك لم يكن ينبغي لك ان تسأل رجلا ليس
له الا امرأة واحدة النزول عنها بل كان الواجب عليك مغالبة هواك وقهر نفسك والصبر على ما امتحنت
به وقيل خطبها اوريا ثم خطبها داود عليه السلام فآثره اهلها فكان ذنبه ان خطب على خطبة اخيه
المؤمن مع كثرة نسائه واما ما يذكر ان داود تمنى منزلة آبائه ابراهيم واسحق ويعقوب عليهم السلام
فقال يا رب ان آبائي قد ذهبوا بالخير كله فاوحى اليه انهم ابتلوا ببلايا فصبروا عليها فقد ابتلي ابراهيم بنمرود
وذبح ولده واسحاق بذبحه وذهاب بصره ويعقوب بالحزن على يوسف عليه السلام فسأل الابتلاء
فاوحى اليه انك لمبتلى في يوم كذا فاحترس فلما حان ذلك اليوم دخل محرابه واغلق بابه وجعل يصلي ويقرأ
الزبور فجاءه الشيطان في صورة حمامة من ذهب فمد يده ليأخذها لابن له صغير فطارت فامتد
اليها فطارت فوقعت في كوة فتبعها فابصر امرأة جميلة قد نقضت شعرها فغطى بدنها وهي امرأة
اوريا وهو من غزاة البلقاء فكتب الى ايوب بن صوريا وهو صاحب بعث البلقاء ان ابعث اوريا وقدمه
على التابوت وكان من يتقدم على التابوت لا يحل له ان يرجع حتى يفتح الله على يده او يستشهد ففتح
الله على يده وسلم فامر برده مرة اخرى وثالثة حتى قتل واتاه خبر قتله فلم يحزن كما كان يحزن على
الشهداء وتزوج امرأته فهذا ونحوه مما يقبح ان يحدث به عن بعض المتسمين بالصلاح من افناء المسلمين
فضلا عن بعض اعلام الانبياء وعن سعيد بن المسيب والحارث الاعور ان علي بن ابي طالب رضي الله عنه
قال من حدثكم بحديث داود على ما يرويه القصاص جلدته مائة وستين وهو حد الفرية على الانبياء
وروي انه حدث بذلك عمر بن عبد العزيز وعنده رجل من اهل الحق فكذب المحدث به وقال ان
كانت القصة على ما في كتاب الله فما ينبغي ان يلتمس خلافها واعظم بان يقال غير ذلك وان كانت على ما
ذكرت وكف الله عنها سترا على نبيه فما ينبغي اظهارها عليه فقال عمر لسماعي هذا الكلام احب الي
مما طلعت عليه الشمس والذي يدل عليه المثل الذي ضربه الله لقصته عليه السلام ليس الا طلبه
الى زوج المرأة ان ينزل له عنها فقط فان قلت لم جاءت على طريقة التمثيل والتعريض دون
التصريح قلت لكونها ابلغ في التوبيخ من قبل ان التأمل اذا اداه الى الشعور بالمعرض به كان
اوقع في نفسه واشد تمكنا من قلبه واعظم اثرا فيه واجلب لاحتشامه وحيائه وادعى الى التنبه على

الخطا فيه من ان يبادره به صريحا مع مراعاة حسن الادب بترك المجاهرة الا ترى الى الحكماء كيف اوصوا في سياسة
الولد اذا وجدت منه هنة منكرة بان يعرض له بانكارها عليه ولا يصرح وان يحكى له حكاية ملا
حاله اذا تأملها استسمج حال صاحب الحكاية فاستسمج حال نفسه وذلك ازجر له لانه ينصب ذلك
مثالا لحاله ومقياسا لشانه فيتصور قبح ما وجد منه بصورة مكشوفة مع انه اصون لما بين الوالد
والولد من حجاب الحشمة فان قلت فلم كان ذلك على وجه التحاكم اليه ليحكم بما حكم به من
قوله لقد ظلمك بسؤال نعجتك الى نعاجه حتى يكون محجوجا بحكمه ومعترفا على نفسه بظلمه وهل اتاك نبؤ
الخصم ظاهره الاستفهام ومعناه الدلالة على انه من الانباء العجيبة التي حقها ان تشيع ولا تخفى على احد
والتشويق الى استماعه والخصم الخصماء وهو يقع على الواحد والجمع كالضيف قال الله عز وجل حديث ضيف
ابراهيم المكرمين لانه مصدر في اصله تقول خصمه خصما كما تقول ضافه ضيفا فان قلت هذا جمع
وقوله خصمان تثنية فكيف استقام ذلك قلت معنى خصمان فريقان خصمان والدليل عليه قراءة من
قرأ خصمان بغى بعضهم على بعض ونحوه قوله تعالى هذان خصمان اختصموا فان قلت فما تصنع بقوله ان
هذا اخي وهو دليل على اثنين قلت هذا قول البعض المراد بقوله بعضنا على بعض فان قلت فقد جاء
في الرواية انه بعث اليه ملكان قلت معناه ان التحاكم كان بين ملكين فلا يمنع ذلك ان يصحبهما آخرون
فان قلت فاذا كان التحاكم بين اثنين كيف سماهم جميعا خصما في قوله نبؤ الخصم وخصمان قلت
لما كان صحب كل واحد من المتحاكمين في صورة الخصم صحت التسمية به فان قلت بم انتصب اذ قلت لا
يخلو اما ان ينتصب باتاك او بالنبأ لان النبأ الواقع في عهد داود عليه السلام لا يصح اتيانه رسول الله
وان اردت بالنبأ القصة في نفسها لم يكن ناصبا فبقي ان ينتصب بمحذوف وتقديره وهل اتاك نبأ
تحاكم الخصم ويجوز ان ينتصب بالخصم لما فيه من معنى الفعل واما اذ الثانية فبدل من الاولى تسوروا
المحراب تصعدوا سوره ونزلوا اليه والسور الحائط المرتفع ونظيره في الابنية تسنمه اذا علا سنامه
وتذراه اذا علا ذروته اذ دخلوا على داود ففزع منهم قالوا لا تخف خصمان بغى بعضنا على
بعض فاحكم بيننا بالحق ولا تشطط واهدنا الى سواء الصراط روي ان الله تعالى بعث
اليه ملكين في صورة انسانين فطلبا ان يدخلا عليه فوجداه في يوم عبادته فمنعهما الحرس فتسوراه
عليه المحراب فلم يشعر الا وهما بين يديه جالسان ففزع منهم قال ابن عباس رضي الله عنهما ان داود
عليه السلام جزأ زمانه اربعة اجزاء يوما للعبادة ويوما للقضاء ويوما للاشتغال بخواص اموره
ويوما يجمع بني اسرائيل فيعظهم ويبكيهم فجاؤه في غير يوم القضاء ففزع منهم ولانهم نزلوا عليه من
فوق وفي يوم الاحتجاب والحرس حوله لا يتركون من يدخل عليه خصمان خبر مبتدأ محذوف اي نحن خصمان
ولا تشطط ولا تجر وقرئ ولا تشطط اي ولا تبعد عن الحق وقرئ ولا تشطط ولا تشاطط وكلها من معنى
الشطط وهو مجاوزة الحد وتخطي الحق وسواء الصراط وسطه ومحجته ضربه مثلا لعين الحق ومحضه
ان هذا اخي له تسع وتسعون نعجة ولي نعجة واحدة فقال اكفلنيها وعزني في الخطاب اخي بدل من
هذا او خبر لان والمراد اخوة الدين او اخوة الصداقة والالفة او اخوة الشركة والخلطة لقوله تعالى
وان كثيرا من الخلطاء وكل واحدة من هذه الاخوات تدلي بحق مانع من الاعتداء والظلم وقرئ تسع وتسعون
بفتح التاء ونعجة بكسر النون وهذا من اختلاف اللغات نحو نطع ونطع ولقوة ولقوة اكفلنيها ملكنيها
وحقيقته اجعلني اكفلها كما اكفل ما تحت يدي وعزني وغلبني يقال عزه يعزه قال

حطة

قوله من حدثكم
من حدثكم بحديث داود على
ما يرويه القصاص الخ قال
الامام المحدث السيوطي
لا ادري هذا الكلام منه
انتهى من حاشيته رحمه الله
على القاضي وفي كشف
البيان وهذا من مزالق
اقدام الكشاف انتهى
قلت كيف لا ينكر على ما
نقله الكشاف عن سعيد
والحارث انه على الجزم لم ينقله
البغوي في معالمه مع انه استوعب ذكر القصص ولو كان الاثر عن علي اصل لذكره مع انه مخالف لقواطع النصوص وام الابتلاء والامتحان
للانبياء لا ينكره ذو لب لان فيه تعظيم ورفعة لهم من ربهم اسوة لامتهم لحديث محمد الحلبي [illegible] قال الله [illegible]
ودليلا اشد بلاء على الانبياء الحديث [illegible]
[illegible] الاثر المذكور [illegible]
الخطا

قطاة عزها شرك فباتت • تجاذبه وقد علق الجناح • يريد جاءني بحجاج لم اقدر ان اورد عليه ما ارده به • واراد بالخطاب مخاطبة المحاج المجادل او اراد خطبت المراة وخطبها هو فخاطبني خطابا اي غالبني في الخطبة فغلبني حيث زوجها دوني • وقرئ وعازني من المعازة وهي المغالبة • وقرأ ابو حيوة وعزني بتخفيف الزاء طلبا للخفة وهو تخفيف غريب وكانه قاسه على ظلت ومست **فان قلت** ما معنى ذكر النعاج **قلت** كان تحاكمهم في نفسه تمثيلا وكلامهم تمثيلا لان التمثيل ابلغ في التوبيخ لما ذكرنا وللتنبيه على انه امر يستحيى من كشفه فيكنى عنه كما يكنى عما يستسمج الافصاح به وللستر على داود والاحتفاظ بحرمته ووجه التمثيل فيه ان مثلت قصته بقصة رجل له نعجة واحدة ولخليطه تسع وتسعون فاراد صاحبه تتمة المائة فطمع في نعجة خليطه واراده على الخروج من ملكها اليه وحاجه في ذلك محاجة حريص على بلوغ مراده والدليل عليه قوله وان كثيرا من الخلطاء وانما خص هذه القصة لما فيها من الرمز الى الغرض بذكر النعجة • فان قلت انما يستقيم طريقة التمثيل اذا فسرت الخطاب بالجدال فان فسرته بالمغالبة من الخطبة لم يستقم • قلت الوجه مع هذا التفسير ان اجعل النعجة استعارة عن المراة كما استعاروا لها الشاة في قوله • يا شاة ما قنص لمن حلت له • فرميت غفلة عينه عن شاته • وشبهها بالنعجة من قال • كنعاج الملا تعسفن رملا • لولا ان الخلطاء يأباه • الا ان يضرب داود الخلطاء ابتداء مثلا لهم ولقصتهم **فان قلت** الملائكة كيف صح منهم ان يخبروا عن انفسهم بما لم يتلبسوا منه بقليل ولا كثير ولا هو من شانهم هو تصوير للمسالة وفرض لها فصوروها في انفسهم وكانوا في صورة الاناسي كما تقول في تصوير المسائل زيد له اربعون شاة وعمرو له اربعون وانت تشير اليهما فخلطاها وحال عليها الحول كم يجب فيها وما لزيد وعمرو سبد ولا لبد • وتقول ايضا في تصويرها لي اربعون شاة ولك اربعون فخلطناها وما لكما من الاربعين اربعة ولا ربعها **فان قلت** ما وجه قراءة ابن مسعود رضي الله عنه ولي نعجة انثى **قلت** يقال امراة انثى للحسناء الجميلة والمعنى وصفها بالعراقة في لين الانوثة وفتورها وذلك املح لها وازيد في تكسرها وتثنيها الا ترى الى وصفهم لها بالكسول والمكسال • وقوله فتور القيام قطيع الكلام • **وقوله** • تمشي رويدا تكاد تنغرف • قال لقد ظلمك بسؤال نعجتك الى نعاجه وان كثيرا من الخلطاء ليبغي بعضهم على بعض الا الذين امنوا وعملوا الصالحات وقليل ما هم وظن داود انما فتناه فاستغفر ربه وخر راكعا واناب • فغفرنا له ذلك وان له عندنا لزلفى وحسن مآب • لقد ظلمك • جواب قسم محذوف وفي ذلك استنكار لفعل خليطه وتهجين لطمعه والسؤال مصدر مضاف الى المفعول كقوله تعالى من دعاء الخير وقد ضمن معنى الاضافة فعدي تعديتها كانه قيل باضافة نعجتك الى نعاجه على وجه السؤال والطلب **فان قلت** كيف سارع الى تصديق احد الخصمين حتى ظلم الاخر قبل استماع كلامه ما قال ذلك الا بعد اعتراف صاحبه ولكنه لم يحك في القران لانه معلوم • ويروى انه قال انا اريد ان اخذها منه واكمل نعاجي مائة فقال داود عليه السلام ان رمت ذلك ضربنا منك هذا وهذا واشار الى طرف الانف والجبهة فقال يا داود انت احق ان يضرب منك هذا وهذا وانت فعلت كيت وكيت ثم نظر داود فلم ير احدا فعرف ما وقع فيه • والخلطاء الشركاء الذين خلطوا اموالهم الواحد خليط وهي الخلطة وقد غلبت في الماشية • والشافعي رضي الله عنه يعتبرها فاذا كان الرجلان خليطين في ماشية بينهما غير مقسومة او لكل واحد منهما ماشية على حدة

الا ان مراحهما ومسقاهما وموضع حلبهما والراعي والكلب واحد والفحولة مختلطة فهما يزكيان زكوة الواحد فان كانت لهما اربعون شاة فعليهما شاة وان كانوا ثلاثة ولهم مائة وعشرون لكل واحد اربعون • فعليهم واحدة كما لو كانت لواحد • وعند ابي حنيفة رحمة الله عليه لا تعتبر الخلطة والخليط والمنفرد عنده واحد ففي اربعين بين خليطين لا شيء عنده وفي مائة وعشرين بين ثلاثة ثلاث شياه **فان قلت** فهذه الخلطة ما تقول فيها **قلت** عليهما شاة واحدة فيجب على ذي النعجة اداء جزء من مائة جزء من الشاة عند الشافعي وعند ابي حنيفة رضي الله عنه لا شيء عليه • فان قلت ماذا اريد بذكر حال الخلطاء في ذلك المقام • قلت قصد به الموعظة الحسنة والترغيب في ايثار عادة الخلطاء الصلحاء الذين حكم لهم بالقلة وان يكره اليهم الظلم والاعتداء الذي عليه اكثرهم مع التاسف على حالهم وان يسلي المظلوم عما جرى عليه من خليطه وان له في اكثر الخلطاء اسوة • وقرئ ليبغي بفتح الياء على تقدير النون الخفيفة وحذفها **كقوله** اضرب عنك الهموم طارقها • وهو جواب قسم محذوف • وليبغ بحذف الياء اكتفاء منها بالكسرة • وما في وقليل ما هم للابهام وفيه تعجب من قلتهم وان اردت ان تتحقق فائدتها وموقعها فاطرحها من قول امرئ القيس • وحديث ما على قصره • وانظر هل بقي له معنى قط لما كان الظن الغالب يداني العلم استعير له ومعناه وعلم داود وايقن انما فتناه انما ابتليناه بامراة اوريا هل يثبت او يزل • وقرئ فتناه بالتشديد للمبالغة • وافتناه من قوله • لئن افتنتني لهي بالامس افتنت • وفتناه وفتناه على ان الالف ضمير الملكين • وعبر بالراكع عن الساجد لانه ينحني ويخضع كالساجد وبه استشهد ابو حنيفة رحمة الله عليه واصحابه في سجدة التلاوة على ان الركوع يقوم مقام السجود • وعن الحسن رحمة الله عليه لانه لا يكون ساجدا حتى يركع • ويجوز ان يكون قد استغفر الله لذنبه واحرم بركعتي الاستغفار والانابة فيكون المعنى وخر للسجود راكعا اي مصليا لان الركوع يجعل عبارة عن الصلوة • واناب ورجع الى الله بالتوبة والتنصل **ويروى** انه بقي ساجدا اربعين يوما وليلة لا يرفع راسه الا لصلوة مكتوبة او ما لا بد منه ولا يرقا دمعه حتى نبت العشب من دمعه الى راسه ولم يشرب ماء الا وثلثاه دمع وجهد نفسه راغبا الى الله في العفو عنه حتى كاد يهلك واشتغل بذلك عن الملك حتى وثب ابن له يقال له ايشا على ملكه ودعا الى نفسه واجتمع اليه اهل الزيغ من بني اسرائيل فلما غفر له حاربه فهزمه وروي انه نقش خطيئته في كفه حتى لا ينساها • وقيل ان الخصمين كانا من الانس وكانت الخصومة على الحقيقة بينهما اما كانا خليطين في الغنم • واما كان احدهما موسرا وله نسوان كثيرة من المهائر والسراري • والثاني معسرا ما له الا امراة واحدة فاستنزله عنها وانما فزع لدخولهما عليه في غير وقت الحكومة ان يكونوا مغتالين وما كان ذنب داود عليه السلام الا انه صدق احدهما على الاخر وظلمه قبل مسالته • يا داود انا جعلناك خليفة في الارض فاحكم بين الناس بالحق ولا تتبع الهوى فيضلك عن سبيل الله ان الذين يضلون عن سبيل الله لهم عذاب شديد بما نسوا يوم الحساب • خليفة في الارض اي استخلفناك على الملك في الارض كمن يستخلفه بعض السلاطين على بعض البلاد ويملكه عليها ومنه قولهم خلفاء الله في ارضه • او جعلناك خليفة ممن كان قبلك من الانبياء القائمين بالحق • وفيه دليل على ان حاله بعد التوبة بقيت على ما كانت عليه لم تتغير • فاحكم بين الناس بالحق اي بحكم الله اذ كنت خليفته • ولا تتبع هوى النفس في قضائك وغيره مما تتصرف فيه من اسباب الدين والدنيا فيضلك الهوى فيكون سببا لضلالك عن سبيل الله عن دلائله التي نصبها

في العقول وعن شرايعه التي شرعها وأوحى بها. ويوم الحساب متعلق بنسوا أي بنسيانهم يوم الحساب. أو
بقوله لهم أي لهم عذاب يوم القيامة بسبب نسيانهم وهو ضلالهم عن سبيل الله. وعن بعض خلفاء بني مروان
أنه قال لعمر بن عبد العزيز أو للزهري هل سمعت ما بلغنا قال وما هو قال بلغنا أن الخليفة لا يجري عليه
القلم ولا يكتب عليه معصية فقال يا أمير المؤمنين الخلفاء أفضل أم الأنبياء ثم تلا هذه الآية وما
خلقنا السماء والأرض وما بينهما باطلا ذلك ظن الذين كفروا فويل للذين كفروا من
النار. باطلا خلقا باطلا لا لغرض صحيح وحكمة بالغة. أو مبطلين عابثين كقوله تعالى وما خلقنا السماء
والارض وما بينهما لاعبين ما خلقناهما إلا بالحق وتقديره ذوي باطل أو عبثا فوضع باطلا موضعه كما
وضعوا هنيئا موضع المصدر وهو صفة أي ما خلقناهما وما بينهما للعبث واللعب ولكن للحق المبين وهو
أنا خلقنا نفوسا أودعناها العقل والتمييز ومنحناها التمكين وأزحنا عللها ثم عرضناها للمنافع العظيمة
بالتكليف وأعددنا لها عاقبة وجزاء على حسب أعمالهم وذلك إشارة إلى خلقها باطلا والظن بمعنى المظنون أي
خلقها للعبث لا للحكمة هو مظنون الذين كفروا فإن قلت إذا كانوا مقرين بأن الله خالق السموات
والارض بدليل قوله تعالى ولئن سألتهم من خلق السموات والارض ليقولن الله فبم جعلوا ظانين أنه خلقها
للعبث لا للحكمة   لما كان إنكارهم للبعث والحساب والثواب والعقاب مؤديا إلى أن خلقها عبث
وباطل جعلوا كأنهم يظنون ذلك ويقولونه لأن الجزاء هو الذي سبقت إليه الحكمة في خلق العالم من رأسها
فمن جحده فقد جحد الحكمة من أصلها ومن جحد الحكمة في خلق العالم فقد سفه الخالق وظهر بذلك أنه لا
يعرفه ولا يقدره حق قدره فكان إقراره بكونه خالقا كلا إقرار أم نجعل الذين آمنوا وعملوا الصالحات
كالمفسدين في الأرض أم نجعل المتقين كالفجار أم منقطعة ومعنى الاستفهام فيها الإنكار والمراد
أنه لو بطل الجزاء كما يقول الكافرون لاستوت عند الله أحوال من أصلح وأفسد واتقى وفجر ومن سوى بينهم كان
سفيها ولم يكن حكيما كتاب أنزلناه إليك مبارك ليدبروا آياته وليتذكر أولوا الألباب.
وقرئ مباركا وليتدبروا على الأصل ولتدبروا على الخطاب. وتدبر الآيات التفكر فيها والتأمل
الذي يؤدي إلى معرفة ما يدبر ظاهرها من التأويلات الصحيحة والمعاني الحسنة لأن من اقتنع بظاهر المتلو
لم يحل منه بكثير طائل وكان مثله كمثل من له لقحة درور لا يحلبها ومهرة نثور لا يستولدها. وعن
الحسن رحمة الله عليه قد قرأ هذا القرآن عبيد وصبيان لا علم لهم بتأويله حفظوا حروفه وضيعوا
حدوده حتى إن أحدهم ليقول والله لقد قرأت القرآن فما أسقطت منه حرفا وقد والله أسقطه كله
ما يرى للقرآن عليه أثر في خلق ولا عمل والله ما هو بحفظ حروفه وإضاعة حدوده والله ما هؤلاء بالحكماء
ولا الوزعة لا كثر الله في الناس مثل هؤلاء. اللهم اجعلنا من العلماء المتدبرين وأعذنا من القراء المتكبرين
ووهبنا لداود سليمان نعم العبد إنه أواب وقرئ نعم العبد على الأصل والمخصوص بالمدح
محذوف وعلل كونه ممدوحا بكونه أوابا رجاعا إليه بالتوبة أو مسبحا مؤوبا للتسبيح مرجعا له لأن كل
مؤوب أواب إذ عرض عليه بالعشي الصافنات الجياد. والصافن الذي في قوله.
ألف الصفون فما يزال كأنه. مما يقوم على الثلاث كسيرا. وقيل الذي يقوم على طرف سنبك يد
أو رجل هو المتخيم. وأما الصافن فالذي يجمع بين يديه. وعن النبي صلى الله عليه وسلم من سره أن يقوم
الناس له صفونا فليتبوأ مقعده من النار أي واقفين كما يخدم الجبابرة. فإن قلت ما معنى وصفها
بالصفون قلت الصفون لا يكاد يكون في الهجن وإنما هو في العراب الخلص. وقيل وصفها بالصفون

والجودة

والجودة ليجمع لها بين الوصفين المحمودين واقفة وجارية يعني إذا وقفت كانت ساكنة مطمئنة في مواقفها
وإذا جرت كانت سراعا خفافا في جريها وروي أن سليمان عليه السلام غزا أهل دمشق ونصيبين فأصاب
ألف فرس. وقيل ورثها من أبيه وأصابها أبوه من العمالقة. وقيل خرجت من البحر لها أجنحة فقعد يوما
بعد ما صلى الأولى على كرسيه واستعرضها فلم تزل تعرض عليه حتى غربت الشمس وغفل عن العصر أو عن
ورد من الذكر كان له وقت العشي وتهيبوه فلم يعلموه فاغتم لما فاته فاستردها وعقرها مقربا لله
وبقي ما بقي فما في أيدي الناس من الجياد فمن نسلها. وقيل لما عقرها أبدله الله خيرا منها وهي الريح تجري بأمره
فقال إني أحببت حب الخير عن ذكر ربي حتى توارت بالحجاب فإن قلت ما معنى أحببت حب
الخير عن ذكر ربي   أحببت مضمن معنى فعل يتعدى بعن كأنه قيل أنبت حب الخير عن ذكر ربي أو جعلت
حب الخير مجزيا أو مغنيا عن ذكر ربي. وذكر أبو الفتح الهمداني في كتاب التبيان أن أحببت بمعنى لزمت من قوله
مثل بعير السوء إذ أحبا. وليس بذاك. والخير المال. كقوله تعالى إن ترك خيرا وقوله تعالى وإنه لحب الخير لشديد
والمال الخيل التي شغلته أو سمى الخيل خيرا كأنها نفس الخير لتعلق الخير بها. قال رسول الله صلى الله عليه
وسلم الخيل معقود بنواصيها الخير إلى يوم القيامة. وقال في زيد الخيل حين وفد عليه وأسلم ما وصف
لي رجل فرأيته إلا كان دون ما بلغني إلا زيد الخيل. وسماه زيد الخير. وسأل رجل بلالا عن قوم يستبقون
من السابق فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال له الرجل أردت الخيل فقال وأنا أردت الخير.
والتواري بالحجاب مجاز في غروب الشمس عن تواري الملك أو المخبأة بحجابهما والذي دل على أن الضمير للشمس
مرور ذكر العشي ولا بد للمضمر من جرى ذكر أو دليل ذكر. وقيل الضمير للصافنات أي حتى توارت بحجاب
الليل يعني الظلام. ومن بدع التفاسير أن الحجاب جبل دون قاف بمسيرة سنة تغرب الشمس من ورائه
ردوها علي فطفق مسحا بالسوق والأعناق. فطفق مسحا فجعل يمسح مسحا أي يمسح السيف بسوقها
وأعناقها يعني يقطعها تقول مسح علاوته إذا ضرب عنقه ومسح المسفر الكتاب إذا قطع أطرافه بسيفه
وعن الحسن رحمة الله عليه كسف عراقيبها وضرب أعناقها أراد بالكسف القطع. ومنه الكسف في ألقاب
الزحاف في العروض ومن قاله بالشين المعجمة فمصحف. وقيل مسحها بيده استحسانا لها وإعجابا بها.
فإن قلت بم اتصل قوله تعالى ردوها علي قلت بمحذوف تقديره قال ردوها علي فأضمر
وأضمر ما هو جواب له كأن قائلا قال فماذا قال سليمان لأنه موضع مقتض للسؤال اقتضاء ظاهرا وهو
اشتغال نبي من أنبياء الله بأمر الدنيا حتى تفوته الصلاة عن وقتها وقرئ بالسؤوق بهمز الواو
لضمتها كما في أدؤر. ونظيره الغؤور في مصدر غارت الشمس. وأما من قرأ بالسؤق فقد جعل الضمة
في السين كأنها في الواو للتلاصق كما قيل مؤسى. ونظير ساق وسوق أسد وأسد. وقرئ بالساق اكتفاء
بالواحد عن الجمع لأمن الإلباس. ولقد فتنا سليمان وألقينا على كرسيه جسدا ثم أناب. قيل فتن
سليمان عليه السلام بعد ما ملك عشرين سنة وملك بعد الفتنة عشرين سنة. وكان من فتنته أنه
ولد له ابن فقالت الشياطين إن عاش لم ننفك من السخرة فسبيلنا أن نقتله أو نخبله فعلم ذلك فكان
يغذوه في السحابة فما راعه إلا أن ألقي على كرسيه ميتا فتنبه على خطائه في أن لم يتوكل على ربه فاستغفر
ربه وتاب إليه. وروي عن النبي صلى الله عليه وسلم قال سليمان لأطوفن الليلة على سبعين امرأة كل واحدة
تأتي بفارس يجاهد في سبيل الله ولم يقل إن شاء الله فطاف عليهن فلم تحمل إلا امرأة واحدة جاءت بشق
رجل والذي نفسي بيده لو قال إن شاء الله لجاهدوا في سبيل الله فرسانا أجمعون فذلك قوله عز وجل

ولقد فتنا سليمان وهذا ونحوه مما لا بأس به • وأما ما يروى من حديث الخاتم والشيطان وعبادة الوثن في بيت سليمان فالله أعلم بصحته • وحكوا أن سليمان بلغه خبر صيدون وهي مدينة في بعض الجزائر وأن بها ملكا عظيم الشأن لا يقوى عليه لتحصنه بالبحر فخرج إليه تحمله الريح حتى أناخ بها بجنوده من الجن والإنس فقتل ملكها وأصاب بنتا له اسمها جرادة من أحسن الناس وجها فاصطفاها لنفسه وأسلمت وأحبها وكانت لا يرقأ دمعها حزنا على أبيها فأمر الشياطين فمثلوا لها صورة أبيها فكستها مثل كسوته وكانت تغدو إليها وتروح مع ولائدها يسجدن له كعادتهن في ملكه فأخبر آصف سليمان بذلك فكسر الصورة وعاقب المرأة ثم خرج وحده إلى فلاة وفرش له الرماد فجلس عليه تائبا إلى الله متضرعا وكانت له أم ولد يقال لها أمينة إذا دخل للطهارة أو لإصابة امرأة وضع خاتمه عندها وكان ملكه في خاتمه فوضعه عندها يوما وأتاها الشيطان صاحب البحر وهو الذي دل سليمان عليه السلام على الماس حين أمر ببناء بيت المقدس واسمه صخر على صورة سليمان فقال يا أمينة خاتمي فتختم به وجلس على كرسي سليمان وعكفت عليه الطير والجن والإنس وغير سليمان عليه السلام عن هيئته فأتى أمينة لطلب الخاتم فأنكرته وطردته فعرف أن الخطيئة قد أدركته فكان يدور على البيوت يتكفف فإذا قال أنا سليمان حثوا عليه التراب وسبوه ثم عمد إلى السماكين ينقل لهم السمك فيعطونه كل يوم سمكتين فمكث على ذلك أربعين صباحا عدد ما عبد الوثن في بيته فأنكر آصف وعظماء بني إسرائيل حكم الشيطان وسأل آصف نساء سليمان فقلن ما يدع امرأة منا في دمها ولا يغتسل من جنابة • وقيل بل نفذ حكمه في كل شيء إلا فيهن ثم طار الشيطان وقذف الخاتم في البحر فابتلعته سمكة ووقعت السمكة في يد سليمان عليه السلام فبقر بطنها فإذا هو بالخاتم فتختم به ووقع ساجدا ورجع إليه ملكه وجاب صخرة لصخر فجعله فيها وسد عليه بأخرى ثم أوثقهما بالحديد والرصاص وقذفه في البحر • وقيل لما افتتن كان يسقط الخاتم من يده ولا يتماسك فيها فقال له آصف إنك لمفتون بذنبك والخاتم لا يقر في يدك فتب إلى الله • ولقد أبى العلماء المتقنون قبوله وقالوا هذا من أباطيل اليهود • والشياطين لا يتمكنون من مثل هذه الأفاعيل وتسليط الله إياهم على عباده حتى يقعوا في تغيير الأحكام وعلى نساء الأنبياء حتى يفجروا بهن قبيح • وأما اتخاذ التماثيل فيجوز أن تختلف فيه الشرائع ألا ترى إلى قوله من محاريب وتماثيل • وأما السجود للصورة فلا يظن بنبي الله أن يأذن فيه وإذا كان بغير علمه فلا عليه • وقوله تعالى وألقينا على كرسيه جسدا ناب عن إفادة معنى إنابة الشيطان منابه نبوا ظاهرا **قال رب اغفر لي وهب لي ملكا لا ينبغي لأحد من بعدي إنك أنت الوهاب** • قدم الاستغفار على استيهاب الملك جريا على عادة الأنبياء والصالحين في تقديمهم أمر دينهم على أمور دنياهم • لا ينبغي لا يتسهل ولا يكون • ومعنى من بعدي من دوني **فإن قلت** أما يشبه الحسد والحرص على الاستبداد بالنعمة أن يستعطي الله ما لا يعطيه غيره **قلت** كان سليمان عليه السلام ناشئا في بيت الملك والنبوة ووارثا لهما فأراد أن يطلب من ربه معجزة فطلب على حسب إلفه ملكا زائدا على الممالك زيادة خارقة للعادة بالغة حد الإعجاز ليكون ذلك دليلا على نبوته قاهرا للمبعوث إليهم وأن يكون معجزة حتى يخرق العادات فذلك معنى قوله تعالى لا ينبغي لأحد من بعدي • وقيل كان ملكا عظيما فخاف أن يعطى مثله أحد فلا يحافظ على حدود الله فيه كما قالت الملائكة أتجعل فيها من يفسد فيها ويسفك الدماء ونحن نسبح بحمدك • وقيل ملكا لا أسلبه ولا يقوم غيري فيه مقامي كما سلبته مرة وأقيم فيه مقامي غيري • ويجوز أن يقال علم الله فيما اختصه به من ذلك

قال مح
قوله من أباطيل اليهود يرد هذا
ما ذكره ابن حجر حيث أن هذه
القصة رواها النسائي وغيره
بإسناد قوي وكونها من أباطيل
اليهود مردود وقد قال إنه لا يليق بمقام
النبي صلى الله عليه وسلم و[illegible]
ليس فيه [illegible] صاحبها الحمتبع
[illegible] قالها كما العرفية
عيسى عليه السلام على عرى نظر
حاشية شهاب الدين على البيضاوي

الملك

الملك العظيم مصالح في الدين وعلم أنه لا يضطلع بأعبائه غيره وأوجبت الحكمة استيهابه فأمره أن يستوهبه إياه فاستوهبه بأمر من الله على الصفة التي علم الله أنه لا يضبطه عليها إلا هو وحده دون سائر عباده • أو أراد أن يقول ملكا عظيما فقال لا ينبغي لأحد من بعدي ولم يقصد بذلك إلا عظم الملك وسعته كما تقول لفلان ما ليس لأحد من الفضل والمال وربما كان للناس أمثال ذلك ولكنك تريد تعظيم ما عنده • وعن الحجاج أنه قيل له إنك حسود فقال أحسد مني من قال وهب لي ملكا لا ينبغي لأحد من بعدي وهذا من جرأته على الله وشيطنته كما حكي عنه طاعتنا أوجب من طاعة الله لأنه شرط في طاعته فقال فاتقوا الله ما استطعتم وأطلق طاعتنا فقال وأولي الأمر منكم **فسخرنا له الريح تجري بأمره رخاء حيث أصاب** قرئ الريح والرياح • رخاء لينة طيبة لا تزعزع • وقيل طيعة لا تمتنع عليه • حيث أصاب حيث قصد وأراد • حكى الأصمعي عن العرب أصاب الصواب فأخطأ الجواب • وعن رؤبة أن رجلين من أهل اللغة قصداه ليسألاه عن هذه الكلمة فخرج إليهما فقال أين تصيبان فقالا هذه طلبتنا ورجعا ويقال أصاب الله بك خيرا **والشياطين كل بناء وغواص وآخرين مقرنين في الأصفاد هذا عطاؤنا فامنن أو أمسك بغير حساب** • والشياطين عطف على الريح وكل بناء بدل من الشياطين وآخرين عطف على كل داخل في حكم البدل وهو بدل الكل كانوا يبنون له ما شاء من الأبنية ويغوصون له فيستخرجون اللؤلؤ وهو أول من استخرج الدر من البحر وكان يقرن مردة الشياطين بعضهم مع بعض في القيود والسلاسل للتأديب والكف عن الفساد • وعن السدي كان يجمع أيديهم إلى أعناقهم مغللين في الجوامع • والصفد القيد وسمي به العطاء لأنه ارتباط للمنعم عليه • ومنه قول أمير المؤمنين علي بن أبي طالب رضي الله عنه من برك فقد أسرك ومن جفاك فقد أطلقك **ومنه** قول القائل • غل يدا مطلقها وأرق رقبة معتقها **وقال** حبيبا إن العطا إسار • وتبعه من قال • ومن وجد الإحسان قيدا تقيدا • وفرقوا بين الفعلين فقالوا أصفده قيده وأصفده أعطاه كوعده وأوعده • أي هذا الذي أعطيناك من الملك والمال والبسطة عطاؤنا بغير حساب يعني جما كثيرا لا يكاد يقدر على حسبه وحصره • فامنن من المنة وهي العطاء أي فأعط منه ما شئت • أو أمسك مفوضا إليك التصرف فيه • وفي قراءة ابن مسعود رضي الله عنه هذا فامنن أو أمسك عطاؤنا بغير حساب • أو هذا التسخير عطاؤنا فامنن على من شئت من الشياطين بالإطلاق وأمسك من شئت منهم في الوثاق بغير حساب أي لا حساب عليك في ذلك **واذكر عبدنا أيوب إذ نادى ربه أني مسني الشيطان بنصب وعذاب** • أيوب عطف بيان وإذ بدل اشتمال منه • أني مسني بأني مسني حكاية لكلامه الذي ناداه بسببه ولو لم يحك لقال بأنه مسه لأنه غائب **وقرئ** بنصب بضم النون وفتحها مع سكون الصاد وبفتحهما وضمهما فالنصب والنصب كالرشد والرشد • والنصب على أصل المصدر • والنصب بتثقيل نصب والمعنى واحد وهو التعب والمشقة • والعذاب الألم يريد مرضه وما كان يقاسي فيه من أنواع الوصب • وقيل الضر في البدن والعذاب في ذهاب الأهل والمال **فإن قلت** لم نسبه إلى الشيطان ولا يجوز أن يسلطه الله على أنبيائه ليقضي من إتعابهم وتعذيبهم وطره ولو قدر على ذلك لم يدع صالحا إلا وقد نكبه وأهلكه وقد تكرر في القرآن أنه لا سلطان له إلا الوسوسة فحسب **قلت** لما كانت وسوسته إليه وطاعته له فيما وسوس سببا فيما مسه الله من النصب والعذاب نسبه إليه وقد راعى الأدب في ذلك حيث لم ينسبه إلى الله في دعائه مع أنه فاعله ولا يقدر عليه إلا هو • وقيل أراد ما كان

يوسوس اليه في مرضه من تعظيم ما نزل به من البلاء ويغريه على الكراهة والجزع فالتجأ الى الله في ان يكفيه
ذلك بكشف البلاء او بالتوفيق في دفعه ورده بالصبر الجميل وروى انه كان يعوده ثلاثة من
المؤمنين فارتد احدهم فسأل عنه فقيل القى اليه الشيطان ان الله لا يبتلي المؤمنين الانبياء والصالحين
وذكر في سبب بلائه ان رجلا استغاثه على ظالم فلم يغثه وقيل كانت مواشيه في ناحية ملك كافر
فداهنه ولم يغزه وقيل اعجب بكثرة ماله اركض برجلك هذا مغتسل بارد وشراب اركض
برجلك حكاية ما اجيب به ايوب اي اضرب برجلك الارض وعن قتادة هي ارض الجابية فضربها فنبعت
عين فقيل هذا مغتسل بارد وشراب اي هذا ماء تغتسل به وتشرب منه فيبرأ به باطنك وظاهرك
وتنقلب ما بك قلبة وقيل نبعت له عينان فاغتسل من احديهما وشرب من الاخرى فذهب الداء من ظاهره
وباطنه باذن الله تعالى وقيل ضرب برجله اليمنى فنبعت عين حارة فاغتسل منها ثم باليسرى فنبعت باردة
فشرب منها ووهبنا له اهله ومثلهم معهم رحمة منا وذكرى لاولي الالباب رحمة منا وذكرى
مفعول لهما والمعنى ان الهبة كانت للرحمة له ولتذكير اولي الالباب لانهم اذا سمعوا بما انعمنا به عليه
لصبره رغبهم في الصبر على البلاء وعاقبة الصابرين وما يفعل الله بهم وخذ بيدك ضغثا فاضرب به
ولا تحنث انا وجدناه صابرا نعم العبد انه اواب وخذ معطوف على اركض والضغث الحزمة
الصغيرة من حشيش او ريحان او غير ذلك وعن ابن عباس رضي الله عنهما قبضة من الشجر كان حلف في مرضه
ليضربن امرأته مائة اذا برأ فحلل الله يمينه باهون شيء عليه وعليها لحسن خدمتها اياه ورضاه عنها وهذه
الرخصة باقية وعن النبي صلى الله عليه وسلم انه اتي بمخدج قد خبث بامة فقال خذوا عثكالا فيه
مائة شمراخ فاضربوه بها ضربة ويجب ان يصيب المضروب كل واحد من المائة اما اطرافها قائمة
واما اعراضها مبسوطة مع وجود صورة الضرب وكان السبب في يمينه انها ابطأت عليه ذاهبة في حاجة
فحرج صدره وقيل باعت ذوائبها برغيفين وكانتا متعلق ايوب عليه السلام اذا قام وقيل قال لها
الشيطان اسجدي لي سجدة فارد عليكم مالكم واولادكم فهمت بذلك فادركتها العصمة فذكرت ذلك
له فحلف وقيل اوهمها الشيطان ان ايوب عليه السلام اذا شرب الخمر برأ فعرضت له بذلك وقيل
سألته ان يتقرب للشيطان بعناق وجدناه صابرا علمناه صابرا فان قلت كيف وجده صابرا وقد
شكا اليه ما به واسترحمه قلت الشكوى الى الله عز وجل لا تسمى جزعا ولقد قال يعقوب عليه السلام
انما اشكو بثي وحزني الى الله وكذلك شكوى العليل الى الطبيب وذلك ان اصبر الناس على البلاء لا يخلو من
تمني العافية وطلبها واذا صح ان يسمى صابرا مع تمني العافية وطلب الشفاء فليسم صابرا مع اللجأ الى الله
والدعاء بكشف ما به ومع التعالج ومشاورة الاطباء على ان ايوب عليه السلام كان يطلب الشفاء خيفة
على قومه من الفتنة حيث كان الشيطان يوسوس اليهم كما كان يوسوس اليه انه لو كان نبيا لما ابتلي بمثل ما
ابتلي به وارادة القوة على الطاعة فقد بلغ امره الى ان لم يبق منه الا القلب واللسان ويروى انه
قال في مناجاته الهي قد علمت انه لم يخالف لساني قلبي ولم يتبع قلبي بصري ولم يهبني ما ملكت يميني ولم
آكل الا ومعي يتيم ولم ابت شبعان ولا كاسيا ومعي جائع او عريان فكشف الله عنه واذكر عبادنا
ابراهيم واسحق ويعقوب اولي الايدي والابصار ابراهيم واسحق ويعقوب عطف بيان لعبادنا
ومن قرأ عبدنا جعل ابراهيم وحده عطف بيان له ثم عطف ذريته على عبدنا وهي اسحق ويعقوب
كقراءة ابن عباس رضي الله عنهما واله ابيك ابراهيم واسمعيل واسحق لما كانت اكثر الاعمال تباشر بالايدي

عملت فقيل في كل عمل هذا مما عملت ايديهم وان كان عملا لا يتأتى فيه المباشرة بالايدي او كان العمال جذما لا
ايدي لهم وعلى ذلك ورد قوله عز وجل اولي الايدي والابصار يريد اولي الاعمال والفكر كان الذين لا يعملون
اعمال الآخرة ولا يجاهدون في الله ولا يفكرون افكار ذوي الديانات ولا يستبصرون في حكم الزمنى الذين لا
يقدرون على اعمال جوارحهم والمسلوبي العقول الذين لا استبصار بهم وفيه تعريض بكل من لم يكن من عمال
الله ولا من المستبصرين في دين الله وتوبيخ على تركهم المجاهدة والتأمل مع كونهم متمكنين منهما وقرئ
اولي الايادي على جمع الجمع وفي قراءة ابن مسعود رضي الله عنه اولي الايد على طرح الياء والاكتفاء بالكسرة
وتفسيره بالايد من التأييد قلق غير متمكن انا اخلصناهم بخالصة ذكرى الدار اخلصناهم جعلناهم
لنا خالصين بخالصة بخصلة خالصة لا شوب فيها ثم فسرها بذكرى الدار شهادة لذكرى الدار
بالخلوص والصفاء وانتفاء الكدورة عنها وقرئ على الاضافة والمعنى بما خلص من ذكرى الدار على انهم
لا يشوبون ذكرى الدار بهم آخر انما همهم ذكرى الدار لا غير ومعنى ذكرى الدار ذكراهم الآخرة دائبا
ونسيانهم اليها ذكرى الدنيا او تذكيرهم الآخرة وترغيبهم فيها وتزهيدهم في الدنيا كما هو شأن
الانبياء وديدنهم وقيل ذكرى الدار الثناء الجميل في الدنيا ولسان الصدق الذي ليس لغيرهم فان
قلت ما معنى اخلصناهم بخالصة قلت معناه اخلصناهم بسبب هذه الخصلة وبانهم من اهلها
او اخلصناهم بتوفيقهم لها واللطف بهم في اختيارهم وتعضد الاول قراءة من قرأ بخالصتهم وانهم
عندنا لمن المصطفين الاخيار المصطفين المختارين من بين ابناء جنسهم والاخيار جمع خير او خير على
التخفيف كالاموات في جمع ميت او ميت واذكر اسمعيل واليسع وذا الكفل وكل من الاخيار
واليسع كان حرف التعريف دخل على يسع وقرئ والليسع كان حرف التعريف دخل على ليسع فيعل من اللسع
والتنوين في وكل عوض من المضاف اليه معناه وكلهم من الاخيار هذا ذكر وان للمتقين لحسن مآب
هذا ذكر اي هذا نوع من الذكر وهو القرآن لما اجرى ذكر الانبياء واتمه وهو باب من ابواب التنزيل ونوع
من انواعه واراد ان يذكر على عقبه بابا آخر وهو ذكر الجنة واهلها قال هذا ذكر ثم قال وان للمتقين
كما يقول الجاحظ في كتابه فهذا باب ثم يشرع في باب آخر ويقول الكاتب اذا فرغ من فصل من كتابه واراد
الشروع في آخر هذا وقد كان كيت وكيت والدليل عليه انه لما اتم ذكر اهل الجنة واراد ان يعقبه
بذكر اهل النار قال هذا وان للطاغين وقيل معناه هذا شرف وذكر جميل يذكرون به ابدا وعن
ابن عباس رضي الله عنهما هذا ذكر من مضى من الانبياء جنات عدن مفتحة لهم الابواب جنات عدن
معرفة لقوله تعالى جنات عدن التي وعد الرحمن وانتصابها على انها عطف بيان لحسن مآب ومفتحة
حال والعامل فيها ما في للمتقين من معنى الفعل وفي مفتحة ضمير الجنات والابواب بدل من الضمير
تقديره مفتحة هي الابواب كقولك ضرب زيد اليد والرجل وهو من بدل الاشتمال وقرئ
جنات عدن مفتحة بالرفع على ان جنات عدن مبتدأ ومفتحة خبره او كلاهما خبر مبتدأ محذوف
اي هو جنات عدن هي مفتحة لهم متكئين فيها يدعون فيها بفاكهة كثيرة وشراب وعندهم
قاصرات الطرف اتراب كأن اللدات سمين اترابا لان التراب مسهن في وقت واحد وانما جعلن
على سن واحدة لان التحاب بين الاقران اثبت وقيل هن اتراب لازواجهن اسنانهن كاسنانهم
هذا ما توعدون ليوم الحساب ان هذا لرزقنا ما له من نفاد هذا وان للطاغين لشر مآب
جهنم يصلونها فبئس المهاد قرئ توعدون بالتاء والياء ليوم الحساب لاجل يوم الحساب

كما تقول هذا اما تتحرّونه ليوم الحساب اي ليوم تجزى كل نفس ما عملت. هذا اي الامر هذا او هذا كما ذكر فبئس المهاد كقوله تعالى لهم من جهنم مهاد ومن فوقهم غواش. شبه ما تحتهم من النار بالمهاد الذي يفترشه النائم. هذا فليذوقوه حميم وغساق وآخر من شكله ازواج. اي هذا حميم فليذوقوه. او العذاب هذا فليذوقوه ثم ابتدأ فقال هو حميم وغساق او هذا فليذوقوه بمنزلة واياي فارهبون اي ليذوقوا هذا فليذوقوه. والغساق بالتخفيف والتشديد ما يغسق من صديد اهل النار يقال غسقت العين اذا سال دمعها. وقيل الحميم يحرق بحره. والغساق يحرق ببرده. وقيل لو قطرت منه قطرة في المشرق لنتّنت اهل المغرب ولو قطرت منه قطرة في المغرب لنتّنت اهل المشرق. وعن الحسن رحمة الله عليه الغساق عذاب لا يعلمه الا الله ان الناس اخفوا لله طاعة فاخفى لهم ثوابا في قوله تعالى فلا تعلم نفس ما اخفي لهم واخفوا معصية فاخفى لهم عقوبة. وآخر ومذوقات اخر من شكل هذا المذوق من مثله في الشدة والفظاعة. ازواج اجناس. وقرئ واخرى اي وعذاب آخر. او ومذوق آخر. وازواج صفة لآخر لانه يجوز ان يكون ضروبا او صفة للثلاثة وهي حميم وغساق وآخر من شكله. وقرئ من شكله بالكسر وهي لغة واما الغنج فبالكسر لا غير. هذا فوج مقتحم معكم لا مرحبا بهم انهم صالوا النار. هذا فوج مقتحم معكم هذا جمع كثيف قد اقتحم معكم النار اي دخل النار في صحبتكم وقرانكم. والاقتحام ركوب الشدة والدخول فيها. والقحمة الشدة. وهذه حكاية كلام الطاغين بعضهم مع بعض اي يقولون هذا والمراد بالفوج اتباعهم الذين اقتحموا معهم الضلالة فيقتحمون معهم العذاب. لا مرحبا بهم دعاء منهم على اتباعهم تقول لمن تدعو له مرحبا اي اتيت رحبا من البلاد لا ضيقا او رحبت بلادك رحبا ثم تدخل عليه لا في دعاء السوء. وبهم بيان للمدعو عليهم. انهم صالوا النار تعليل لاستيجاب الدعاء عليهم. ونحوه قوله عز وجل كلما دخلت امة لعنت اختها. وقيل هذا فوج مقتحم معكم كلام الخزنة لرؤساء الكفرة في اتباعهم. ولا مرحبا بهم انهم صالوا النار كلام الرؤساء. وقيل هذا كله كلام الخزنة. قالوا بل انتم لا مرحبا بكم انتم قدمتموه لنا فبئس القرار. قالوا اي الاتباع بل انتم لا مرحبا بكم يريدون الدعاء الذي دعوتم به علينا انتم احق به وعللوا ذلك بقولهم انتم قدمتموه لنا. والضمير للعذاب او لصليهم. فان قلت ما معنى تقديمهم العذاب لهم. قلت المقدم هو عمل السوء. قال الله تعالى ذوقوا عذاب الحريق ذلك بما قدمت ايديكم. ولكن الرؤساء لما كانوا السبب فيه باغوائهم وكان العذاب جزاهم عليه قيل انتم قدمتموه لنا فجعل الرؤساء هم المقدمين وجعل الجزاء هو المقدم فجمع بين مجازين لان العاملين هم المقدمون في الحقيقة لا رؤساؤهم والعمل هو المقدم لا جزاؤه. فان قلت فالذي جعل قوله لا مرحبا بهم من كلام الخزنة ما يصنع بقوله بل انتم لا مرحبا بكم والمخاطبون اعني رؤساءهم لم يتكلموا بما يكون هذا جوابا له. كانه قيل هذا الذي دعا به علينا الخزنة انتم يا رؤساء احق به منا لاغوائكم ايانا وتسببكم فيما نحن فيه من العذاب وهذا صحيح كما لو زين قوم لقوم بعض المساوئ فارتكبوه فقيل للمزينين اخزى الله هؤلاء ما اسوأ فعلهم فقال المزين لهم للمزينين بل انتم اولى بالخزي منا فلولا انتم لم نرتكب ذلك. قالوا ربنا من قدم لنا هذا فزده عذابا ضعفا في النار. قالوا هم الاتباع ايضا فزده عذابا ضعفا اي مضاعفا ومعناه ذا ضعف ونحوه قوله عز وجل ربنا هؤلاء اضلونا فآتهم عذابا ضعفا وهو ان يزيد على عذابه مثله فيصير ضعفين كقوله تعالى ربنا آتهم ضعفين من العذاب وجاء في التفسير عذابا ضعفا حيات وافاعي. وقالوا ما لنا لا نرى رجالا كنا نعدهم من الاشرار. وقالوا

الضمير للطاغين رجالا يعنون فقراء المسلمين الذين لا يؤبه لهم من الاشرار من الاراذل الذين لا خير فيهم ولا جدوى ولانهم كانوا على خلاف دينهم فكانوا عندهم اشرارا. اتخذناهم سخريا ام زاغت عنهم الابصار. اتخذناهم سخريا قرئ بلفظ الاخبار على انه صفة لرجالا مثل قوله كنا نعدهم من الاشرار وبهمزة الاستفهام على انه انكار على انفسهم وتانيب لها في الاستسخار منهم. وقوله تعالى ام زاغت عنهم الابصار له وجهان من الاتصال احدهما ان يتصل بقوله ما لنا اي ما لنا لا نراهم في النار كانهم ليسوا فيها بل ازاغت عنهم ابصارنا فلا نراهم وهم فيها قسموا امرهم بين ان يكونوا من اهل الجنة وبين ان يكونوا من اهل النار الا انه خفي عليهم مكانهم. والوجه الثاني ان يتصل باتخذناهم سخريا اما ان تكون ام متصلة على معنى اي الفعلين فعلنا بهم الاستسخار منهم ام ازدراؤهم وتحقيرهم وان ابصارنا كانت تعلو عنهم وتقتحمهم على معنى انكار الامرين جميعا على انفسهم. وعن الحسن رحمة الله عليه كل ذلك قد فعلوا اتخذوهم سخريا وزاغت عنهم ابصارهم محقرة لهم. واما ان تكون منقطعة بعد مضي اتخذناهم سخريا على الخبر او الاستفهام كقولك انها لابل ام شاء وازيد عندك ام عندك عمرو ولك ان تقدر همزة الاستفهام محذوفة فيمن لم يقرأ بها لان ام تدل عليها فلا تفترق القراءتان اثبات همزة الاستفهام وحذفها. وقيل الضمير في وقالوا لصناديد قريش كابي جهل والوليد واضرابهما والرجال عمار وصهيب وبلال واشباههم وقرئ سخريا بالضم والكسر. ان ذلك لحق تخاصم اهل النار. ان ذلك الذي حكينا عنهم لحق لا بد ان يتكلموا به ثم بين ما هو فقال هو تخاصم اهل النار. وقرئ بالنصب على انه صفة لذلك لان اسماء الاشارة توصف باسماء الاجناس. فان قلت لم سمى ذلك تخاصما. شبه تقاولهم وما يجري بينهم من السؤال والجواب بما يجري بين المتخاصمين من نحو ذلك ولان قول الرؤساء لا مرحبا بهم وقول اتباعهم بل انتم لا مرحبا بكم من باب الخصومة فسمي التقاول كله تخاصما لاجل اشتماله على ذلك. قل انما انا منذر وما من اله الا الله الواحد القهار رب السموات والارض وما بينهما العزيز الغفار. قل يا محمد لمشركي مكة ما انا الا رسول منذر انذركم عذاب الله للمشركين واقول لكم ان دين الحق توحيد الله وان يعتقد ان لا اله الا الله الواحد بلا ند ولا شريك. القهار لكل شيء وان الملك والربوبية له في العالم كله وهو العزيز الذي لا يغلب اذا عاقب العصاة وهو مع ذلك الغفار لذنوب من التجأ اليه. او قل لهم ما انا الا منذر لكم ما اعلم وانا انذركم عقوبة من هذه صفته فان مثله حقيق بان يخاف عقابه كما هو حقيق بان يرجى ثوابه. قل هو نبأ عظيم انتم عنه معرضون ما كان لي من علم بالملأ الاعلى اذ يختصمون ان يوحى الي الا انما انا نذير مبين. قل هو نبأ عظيم اي هذا الذي انبأتكم به من كوني رسولا منذرا وان الله واحد لا شريك له نبأ عظيم لا يعرض عن مثله الا غافل شديد الغفلة. ثم احتج لصحة نبوته بان ما ينبئ به عن الملأ الاعلى واختصامهم امر ما كان له به من علم قط ثم علمه ولم يسلك الطريق الذي يسلكه الناس في علم ما لم يعلموا وهو الاخذ من اهل العلم وقراءة الكتب فعلم ان ذلك لم يحصل له الا بالوحي من الله تعالى ان يوحى الي الا انما انا نذير مبين اي لانما انا نذير ومعناه ما يوحى الي الا للانذار فحذف اللام وانتصب بافضاء الفعل اليه. ويجوز ان يرتفع على معنى ما يوحى الي الا هذا وهو ان انذر وابلغ ولا افرط في ذلك اي ما اومر الا بهذا الامر وحده وليس الي غير ذلك. وقرئ انما بالكسر على الحكاية اي الا هذا القول وهو ان اقول لكم انما انا نذير مبين ولا ادعي شيئا آخر. وقيل النبأ العظيم قصص آدم عليه السلام والانباء به من غير سماع من احد. وعن ابن عباس رضي الله عنهما القرآن. وعن الحسن رحمة

الله عليه يوم القيامة. فإن قلت بم يتعلق اذ يختصمون. قلت بمحذوف لان المعنى ما كان لى من علم بكلام الملأ الاعلى وقت اختصامهم اذ قال ربك للملائكة انى خالق بشرا من طين. اذ قال بدل من اذ يختصمون. فإن قلت ما المراد بالملأ الاعلى. قلت اصحاب القصة الملائكة وآدم وابليس لانهم كانوا فى السماء وكان التقاول بينهم. فإن قلت ما كان التقاول بينهم انما كان بين الله وبينهم لان الله سبحانه هو الذى قال لهم وقالوا له فانت بين امرين اما ان تقول الملأ الاعلى هؤلاء وكان التقاول بينهم. واما ان تقول التقاول كان بين الله وبينهم فقد جعلته من الملأ الاعلى. قلت كانت مقاولة الله سبحانه بواسطة ملك فكان المقاول فى الحقيقة هو الملك المتوسط فصح ان التقاول كان بين الملائكة وآدم وابليس وهم الملأ الاعلى والمراد بالاختصام التقاول على ما سبق. فإن قلت كيف صح ان يقول لهم انى خالق بشرا وما عرفوا ما البشر ولا عهدوا به قبل. قلت وجهه ان يكون قد قال لهم انى خالق خلقا من صفته كيت وكيت ولكنه حين حكاه اقتصر على الاسم فاذا سويته ونفخت فيه من روحى فقعوا له ساجدين فسجد الملائكة كلهم اجمعون الا ابليس استكبر وكان من الكافرين. فاذا سويته فاذا اتممت خلقته وعدلته. ونفخت فيه من روحى واحييته وجعلته حساسا متنفسا. فقعوا فخروا. كل للاحاطة واجمعون للاجتماع فافادا معا انهم سجدوا عن آخرهم ما بقى منهم ملك الا سجد وانهم سجدوا جميعا فى وقت واحد غير متفرقين فى اوقات. فإن قلت كيف ساغ السجود لغير الله. قلت الذى لا يسوغ هو السجود لغير الله على وجه العبادة فاما على وجه التكرمة والتبجيل فلا يأباه العقل الا ان يعلم الله فيه مفسدة فينهى عنه. فإن قلت كيف استثنى ابليس من الملائكة وهو من الجن. قلت قد امر بالسجود معهم فغلبوا عليه فى قوله تعالى فسجد الملائكة ثم استثنى كما يستثنى الواحد منهم استثناء متصلا. وكان من الكافرين اريد وجود كفره ذلك الوقت وان لم يكن قبله كافرا لان كان مطلق فى جنس الاوقات الماضية فهو صالح لايها شئت. ويجوز ان يراد وكان من الكافرين فى الازمنة الماضية فى علم الله قال يا ابليس ما منعك ان تسجد لما خلقت بيدى استكبرت ام كنت من العالين. قال انا خير منه خلقتنى من نار وخلقته من طين. فإن قلت ما وجه قوله خلقت بيدى. قلت قد سبق لنا ان ذا اليدين يباشر اكثر اعماله بيديه فغلب العمل باليدين على سائر الاعمال التى تباشر بغيرهما حتى قيل فى عمل القلب هو مما عملت يداك وحتى قيل لمن لا يدى له يداك اوكتا وفوك نفخ وحتى لم يبق فرق بين قولك هذا مما عملته وهذا مما عملته يداك. ومنه قوله تعالى مما عملت ايدينا ولما خلقت بيدى. فإن قلت فما معنى قوله ما منعك ان تسجد لما خلقت بيدى. قلت الوجه الذى استنكره ابليس السجود لآدم عليه السلام واستنكف منه انه سجود لمخلوق فذهب بنفسه وتكبر ان يكون سجوده لغير الخالق وانضم الى ذلك ان آدم عليه السلام مخلوق من طين وهو مخلوق من نار ورأى للنار فضلا على الطين فاستعظم ان يسجد لمخلوق مع فضله عليه فى المنصب وزل عنه ان الله سبحانه حين امر به اعز عباده عليه واقربهم منه زلفى وهم الملائكة وهم احق بان يذهبوا بانفسهم عن التواضع للبشر الضئيل ويستنكفوا من السجود له من غيرهم ثم لم يفعلوا وتبعوا امر الله وجعلوه قدام اعينهم ولم يلتفتوا الى التفاوت بين الساجد والمسجود له تعظيما لامر ربهم واجلالا لخطابه كان هو مع انحطاطه عن مراتبهم حرى بان يقتدى بهم ويقتفى اثرهم ويعلم انهم فى السجود لمن هو دونهم بامر الله اوغل فى عبادته منهم فى السجود له لما فيه من طرح الكبرياء وخفض الجناح فقيل له ما منعك ان تسجد لما خلقت بيدى اى ما منعك من السجود لشىء هو كما تقول مخلوق

خلقته

خلقته بيدى لا شك فى كونه مخلوقا امتثالا لامرى واعظاما لخطابى كما فعلت الملائكة فذكر له ما تركه من السجود مع ذكر العلة التى تشبث بها فى تركه وقيل له لم تركته مع وجود هذه العلة وقد امرك الله به يعنى كان عليك ان تعتبر امر الله ولا تعتبر هذه العلة. ومثاله ان يأمر الملك وزيره ان يزور بعض سقاط الحشم فيمتنع اعتبارا لسقوطه فيقول له ما منعك ان تتواضع لمن لا يخفى على سقوطه يريد هلا اعتبرت امرى وخطابى وتركت اعتبار سقوطه وفيه انى خلقته بيدى فانا اعلم بحاله ومع ذلك امرت الملائكة بان يسجدوا له لداعى حكمة دعانى اليه من انعام عليه بالتكرمة السنية وابتلاء للملائكة فمن انت حتى يصرفك عن السجود له ما لم يصرفنى عن الامر بالسجود له. وقيل معنى لما خلقت بيدى لما خلقت بغير واسطة. وقرئ بيدى كما قرئ بمصرخى وبيدى على التوحيد. من العالين ممن علوت وفقت فاجاب بانه من العالين حيث قال انا خير منه. وقيل استكبرت الآن ام لم تزل منذ كنت من المستكبرين ومعنى الهمزة التقرير. وقرئ استكبرت بحذف حرف الاستفهام لان ام تدل عليه او بمعنى الاخبار هذا على سبيل الاولى اى لو كان مخلوقا من نار لما سجدت له لانه مخلوق مثلى فكيف اسجد لمن هو دونى لانه من طين والنار تغلب الطين وتأكله وقد جرت الجملة الثانية من الاولى وهى خلقتنى من نار مجرى المعطوف عطف البيان من المعطوف عليه فى البيان والايضاح قال فاخرج منها فانك رجيم وان عليك لعنتى الى يوم الدين. منها من الجنة. وقيل من السموات. وقيل من الخلقة التى انت فيها لانه كان يفتخر بخلقته فغير الله خلقته فاسود بعد ما كان ابيض وقبح بعد ما كان حسنا واظلم بعد ما كان نورانيا. والرجيم المرجوم ومعناه المطرود كما قيل له المدحور والملعون لان من طرد رمى بالحجارة على اثره والرجم الرمى بالحجارة او لان الشياطين يرجمون بالشهب. فإن قلت قوله لعنتى الى يوم الدين كأن لعنة ابليس غايتها يوم الدين ثم تنقطع. قلت كيف تنقطع وقد قال الله عز وجل فاذن مؤذن بينهم ان لعنة الله على الظالمين ولكن المعنى ان عليه اللعنة فى الدنيا فاذا كان يوم الدين اقترن له باللعنة ما ينسى عنده اللعنة فكأنها انقطعت قال رب فانظرنى الى يوم يبعثون قال فانك من المنظرين الى يوم الوقت المعلوم قال فبعزتك لاغوينهم اجمعين الا عبادك منهم المخلصين. فإن قلت ما الوقت المعلوم الذى اضيف اليه اليوم. قلت الوقت الذى تقع فيه النفخة الاولى ويومه اليوم الذى وقت النفخة جزء من اجزائه. ومعنى المعلوم انه معلوم عند الله معين لا يستقدم ولا يستأخر. فبعزتك اقسام بعزة الله وهى قهره وسلطانه قال فالحق والحق اقول لاملأن جهنم منك وممن تبعك منهم اجمعين. قرئ فالحق والحق منصوبين على ان الاول مقسم به كالله فى ان عليك الله ان تبايعا وجوابه لاملأن والحق اقول اعتراض بين المقسم به والمقسم عليه ومعناه ولا اقول الا الحق. والمراد بالحق اما اسمه عز وعلا الذى فى قوله تعالى ان الله هو الحق المبين او الحق الذى هو نقيض الباطل عظمه الله باقسامه به. ومرفوعين على ان الاول مبتدأ محذوف الخبر كقوله تعالى لعمرك اى فالحق قسمى لاملأن والحق اقوله اى اقوله كقوله كله لم اصنع. ومجرورين على ان الاول مقسم به قد اضمر حرف قسمه كقولك الله لافعلن والحق اقول اى ولا اقول الا الحق على حكاية لفظ المقسم به ومعناه التوكيد والتشديد وهذا الوجه جائز فى المنصوب والمرفوع ايضا وهو وجه دقيق حسن. وقرئ برفع الاول وجره مع نصب الثانى وتخريجه على ما ذكرنا. منك من جنسك وهم الشياطين وممن تبعك منهم من ذرية آدم. فإن قلت اجمعين تأكيد لماذا. قلت لا يخلو ان يؤكد به الضمير فى منهم او الكاف فى منك مع من تبعك ومعناه لاملأن

جهنم من المتبوعين والتابعين اجمعين لا اترك منهم احدا او لاملأنها من الشياطين وممن تبعهم من جميع الناس لا تفاوت في ذلك بين ناس وناس بعد وجود الاتباع منهم من اولاد الانبيا وغيرهم **قل ما اسألكم عليه من اجر وما انا من المتكلفين ان هو الا ذكر للعالمين ولتعلمن نبأه بعد حين** عليه من اجر الضمير للقرآن او للوحي وما انا من المتكلفين من الذين يتصنعون ويتحلون بما ليسوا من اهله وما عرفتموني قط متصنعا ولا مدعيا ما ليس عندي حتى انتحل النبوة واتقول القرآن ان هو الا ذكر من الله للعالمين للثقلين اوحي الي فانا ابلغه وعن رسول الله صلى الله عليه وسلم للمتكلف ثلاث علامات ينازع من فوقه ويتعاطى ما لا ينال ويقول ما لا يعلم ولتعلمن نباه اي ما ياتيكم عند الموت او يوم القيمة او عند ظهور الاسلام وفشوه من صحة خبره وانه الحق والصدق وفيه تهديد وعن النبي صلى الله عليه وسلم من قرا سورة صاد كان له بوزن كل جبل سخره الله لداود عشر حسنات وعصمه ان يصر على ذنب صغير او كبير

الا قوله قل يا عبادي الذين الاية وتسمى سورة الغرف وهي خمس وسبعون اية وقيل ثنتان وسبعون

بسم الله الرحمن الرحيم **تنزيل الكتاب من الله العزيز الحكيم** تنزيل الكتاب قرئ بالرفع على انه مبتدا اخبر عنه بالظرف او خبر مبتدا محذوف والجار صلة التنزيل كما تقول نزل من عند الله او غير صلة كقولك هذا الكتاب من فلان الى فلان وهو على هذا خبر بعد خبر او خبر مبتدا محذوف تقديره هذا تنزيل الكتاب هذا من الله او حال من التنزيل عمل فيها معنى الاشارة وبالنصب على اضمار اقرا والزم تنزيل **فان قلت** ما المراد بالكتاب **قلت** الظاهر على الوجه الاول انه القرآن وعلى الثاني انه السورة **انا انزلنا اليك الكتاب بالحق فاعبد الله مخلصا له الدين الا لله الدين الخالص** مخلصا له الدين ممحضا له الدين من الشرك والرياء بالتوحيد وتصفية السر **وقرئ** الدين بالرفع وحق من رفعه ان يقرا مخلصا بفتح اللام كقوله جل وعلا واخلصوا دينهم لله حتى يطابق قوله الا لله الدين الخالص والخالص والمخلص واحد الا ان تصف الدين بصفة صاحبه على الاسناد المجازي كقولهم شعر شاعر واما من جعل مخلصا حالا من العابد وله الدين مبتدا وخبرا فقد جا باعراب رجع به الكلام الى قولك لله الدين الا لله الدين الخالص اي هو الذي وجب اختصاصه بان تخلص له الطاعة من كل شائبة كدر لاطلاعه على الغيوب والاسرار لانه الحقيق بذلك لخلوص نعمه عن استجرار المنفعة بها وعن قتادة الدين الخالص شهادة ان لا اله الا الله وعن الحسن الاسلام **والذين اتخذوا من دونه اولياء ما نعبدهم الا ليقربونا الى الله زلفى ان الله يحكم بينهم فيما هم فيه يختلفون** والذين اتخذوا يحتمل المتخذين وهم الكفرة والمتخذين وهم الملائكة وعيسى عليه السلام واللات والعزى عن ابن عباس رضي الله عنهما فالضمير في اتخذوا على الاول راجع الى الذين وعلى الثاني الى المشركين ولم يجر ذكرهم لكونه مفهوما والراجع الى الذين محذوف والمعنى والذين اتخذهم المشركون اولياء والذين اتخذوا في موضع الرفع على الابتداء **فان قلت** فالخبر ما هو **قلت** هو على الاول اما ان الله يحكم بينهم او ما اضمر من القول قبل قوله تعالى ما نعبدهم وعلى الثاني ان الله يحكم بينهم **فان قلت** فاذا كان ان الله يحكم بينهم الخبر فما موضع القول المضمر **قلت** يجوز ان يكون في موضع الحال اي قائلين ذلك ويجوز ان يكون بدلا من الصلة فلا يكون له محل كما ان المبدل منه كذلك وقرا ابن مسعود رضي الله عنه باظهار القول

تنزيل

قالوا ما نعبدهم وفي قراءة ابي رضي الله عنه ما نعبدكم الا لتقربونا على الخطاب حكاية لما خاطبوا به الهتهم وقرئ نعبدهم بضم النون اتباعا للعين كما تتبعها الهمزة في الامر والتنوين في عذاب اركض والضمير في بينهم لهم ولاوليائهم والمعنى ان الله يحكم بينهم بانه يدخل الملائكة وعيسى الجنة ويدخلهم النار مع الحجارة التي نحتوها وعبدوها من دون الله يعذبهم بها حيث يجعلهم واياها حصب جهنم واختلافهم ان الذين يعبدون موحدون وهم مشركون واولئك يعادونهم ويلعنونهم وهم يرجون شفاعتهم وتقربهم الى الله زلفى وقيل كان المسلمون اذا قالوا لهم من خلق السموات والارض اقروا وقالوا الله فاذا قالوا لهم ما لكم تعبدون الاصنام قالوا ما نعبدهم الا ليقربونا الى الله زلفى فالضمير في بينهم عائد اليهم والى المسلمين والمعنى ان الله يحكم يوم القيمة بين المتنازعين من الفريقين **ان الله لا يهدي من هو كاذب كفار لو اراد الله ان يتخذ ولدا لاصطفى مما يخلق ما يشاء سبحانه هو الله الواحد القهار** المراد بمنع الهداية منع اللطف تسجيلا عليهم بان لا لطف لهم وانهم في علم الله من الهالكين **وقرئ** كذاب وكذوب وكذبهم قولهم في بعض من اتخذوا من دون الله اولياء بنات الله ولذلك عقبه محتجا عليهم بقوله تعالى لو اراد الله ان يتخذ ولدا لاصطفى مما يخلق ما يشاء يعني لو اراد اتخاذ الولد لامتنع ولم يصح لكونه محالا ولم يتات الا ان يصطفي من خلقه بعضه ويختصهم ويقربهم كما يختص الرجل ولده ويقربه وقد فعل ذلك بالملائكة فافتتنتم به وغركم اختصاصه اياهم فزعمتم انهم اولاده جهلا منكم به وبحقيقته المخالفة لحقائق الاجسام والاعراض كانه قال لو اراد اتخاذ الولد لم يزد على ما فعل من اصطفاء ما يشاء من خلقه وهم الملائكة الا انكم لجهلكم به حسبتم اصطفاءهم اتخاذهم اولادا ثم تماديتم في جهلكم وسفهكم فجعلتموهم بنات فكنتم كذابين كفارين متبالغين في الافتراء على الله وملائكته غالين في الكفر ثم قال سبحانه فنزه ذاته عن ان يكون له احد ما نسبوا اليه من الاولاد والاولياء ودل على ذلك بما ينافيه وهو انه واحد فلا يجوز ان يكون له صاحبة لانه لو كانت له صاحبة لكانت من جنسه ولا جنس له واذا لم يتات ان يكون له صاحبة لم يتات ان يكون له ولد وهو معنى قوله تعالى انى يكون له ولد ولم تكن له صاحبة وقهار غلاب لكل شيء ومن الاشياء الهتهم فهو يغلبهم فكيف يكونون له اولياء وشركاء **خلق السموات والارض بالحق يكور الليل على النهار ويكور النهار على الليل وسخر الشمس والقمر كل يجري لاجل مسمى الا هو العزيز الغفار** ثم دل بخلق السموات والارض وتكوير كل واحد من الملوين على الاخر وتسخير النيرين وجريهما لاجل مسمى وبث الناس على كثرة عددهم من نفس واحدة وخلق الانعام على انه واحد لا يشارك قهار لا يغالب والتكوير اللف واللي يقال كار العمامة على راسه وكورها وفيه اوجه منها ان الليل والنهار خلفة يذهب هذا ويغشى مكانه هذا واذا غشي مكانه فكانما البسه ولف عليه كما يلف اللباس على اللابس ومنه **قول** ذي الرمة في وصف السراب

تلوي الثنايا باحقيها حواشيه ... لي الملاء بابواب التفاريج

ومنها ان كل واحد منهما يغيب الاخر اذا طرا عليه فشبه في تغييبه اياه بشيء ظاهر لف عليه ما غيبه عن مطامح الابصار ومنها ان هذا يكر على هذا كرورا متتابعا فشبه ذلك بتتابع اكوار العمامة بعضها على اثر بعض الا هو العزيز الغفار الغالب القادر على عقاب المصرين الغفار لذنوب التائبين او الغالب الذي يقدر على ان يعاجلهم بالعقوبة وهو يحلم عنهم ويؤخرهم الى اجل مسمى فسمى الحلم عنهم مغفرة **خلقكم من نفس واحدة ثم**

والخلفة بالكسر اسم من الاختلاف مثل اللبس من الالتباس خلفة أي هذا خلف هذا هذا او هذا هذا خلف هذا او معناه جعلنا بالبياض والسواد او ما العكس تأمل

جعل منها زوجها وانزل لكم من الانعام ثمانية ازواج يخلقكم في بطون امهاتكم خلقا من بعد خلق في ظلمات ثلاث ذلكم الله ربكم له الملك لا اله الا هو فانى تصرفون فان قلت فما وجه قوله ثم جعل منها زوجها وما يعطيه من معنى التراخي قلت هما ايتان من جملة الآيات التي عددها دالا على وحدانيته وقدرته تشعيب هذا الخلق الفائت للحصر من نفس آدم وخلق حواء من قصيراه الا ان احديهما جعلها الله عادة مستمرة والاخرى لم تجر بها العادة ولم تخلق انثى غير حواء من قصيرى رجل فكانت ادخل في كونها آية واجلب لعجب السامع فعطفها بثم على الآية الاولى للدلالة على مباينتها لها فضلا ومزية وتراخيها عنها فيما يرجع الى زيادة كونها آية فهو من التراخي في الحال والمنزلة لا من التراخي في الوجود وقيل ثم متعلق بمعنى واحدة كانه قيل خلقكم من نفس وحدت ثم شفعها الله بزوج وقيل اخرج ذريته من ظهره كالذر ثم خلق بعد ذلك حواء وانزل لكم وقضى لكم وقسم لان قضاياه وقسمه موصوفة بالنزول من السماء حيث كتب في اللوح كل كائن يكون وقيل لا تعيش الانعام الا بالنبات والنبات لا يقوم الا بالماء وقد انزل الماء فكانه انزلها وقيل خلقها في الجنة ثم انزلها ثمانية ازواج ذكرا وانثى من الابل والبقر والضان والمعز والزوج اسم لواحد معه آخر فاذا انفرد فهو فرد ووتر قال الله تعالى فجعل منه الزوجين الذكر والانثى خلقا من بعد خلق حيوانا سويا من بعد عظام مكسوة لحما من بعد عظام عارية من بعد مضغ من بعد علق من بعد نطف والظلمات الثلاث البطن والرحم والمشيمة وقيل الصلب والرحم والبطن ذلكم الذي هذه افعاله هو الله ربكم فانى تصرفون فكيف يعدل بكم عن عبادته الى عبادة غيره

ان تكفروا فان الله غني عنكم ولا يرضى لعباده الكفر وان تشكروا يرضه لكم ولا تزر وازرة وزر اخرى ثم الى ربكم مرجعكم فينبئكم بما كنتم تعملون انه عليم بذات الصدور فان الله غني عنكم اي عن ايمانكم وانتم المحتاجون اليه لاستضراركم بالكفر واستنفاعكم بالايمان ولا يرضى لعباده الكفر رحمة لهم لانه يوقعهم في الهلكة وان تشكروا يرضه لكم اي يرض الشكر لكم لانه سبب فوزكم وفلاحكم فاذن ما كره كفركم ولا رضي شكركم الا لكم ولصلاحكم لا لان منفعة ترجع اليه لانه الغني الذي لا يجوز عليه الحاجة ولقد تمحل بعض الغواة ليثبت لله تعالى ما نفاه عن ذاته من الرضى لعباده الكفر فقال هذا من العام الذي اريد به الخاص وما اراد الا عباده الذين عناهم في قوله تعالى ان عبادي ليس لك عليهم سلطان يريد المعصومين كقوله عز وعلا عينا يشرب بها عباد الله تعالى الله عما يقول الظالمون علوا كبيرا وقرئ يرضه بضم الهاء بوصل وبغير وصل وبسكونها

واذا مس الانسان ضر دعا ربه منيبا اليه ثم اذا خوله نعمة منه نسي ما كان يدعو اليه من قبل وجعل لله اندادا ليضل عن سبيله قل تمتع بكفرك قليلا انك من اصحاب النار خوله اعطاه قال ابو النجم اعطى فلم يبخل ولم يبخل كوم الذرى من خول المخول وفي حقيقته وجهان احدهما جعله خائل مال من قولهم هو خائل مال وخال مال اذا كان متعهدا له حسن القيام به ومنه ما روي عن رسول الله صلى الله عليه وسلم انه كان يتخول اصحابه بالموعظة والثاني جعله يخول من خال يخول اذا اختال وافتخر وفي معناه قول العرب ان الغني طويل الذيل مياس ما كان يدعو اليه اي نسي الضر الذي كان يدعو الله الى كشفه وقيل نسي ربه الذي كان يتضرع اليه ويبتهل اليه وما بمعنى من كقوله تعالى وما خلق الذكر والانثى

وقرى

وقرئ ليضل بفتح الياء وضمها بمعنى ان نتيجة جعله لله اندادا ضلاله عن سبيل الله او اضلاله والنتيجة قد تكون غرضا في الفعل وقد تكون غير غرض وقوله تعالى تمتع بكفرك من باب الخذلان والتخلية كانه قيل له اذ قد ابيت قبول ما امرت به من الايمان والطاعة فمن حقك ان لا تؤمر به بعد ذلك وتؤمر بتركه مبالغة في خذلانه وتخليته وشانه لانه لا مبالغة في الخذلان اشد من ان يبعث على عكس ما امر به ونظيره في المعنى قوله تعالى متاع قليل ثم ماواهم جهنم امن هو قانت آناء الليل ساجدا وقائما يحذر الآخرة ويرجو رحمة ربه قل هل يستوي الذين يعلمون والذين لا يعلمون انما يتذكر اولوا الالباب قرئ امن هو قانت بالتخفيف على ادخال همزة الاستفهام على من وبالتشديد على ادخال ام عليه ومن مبتدأ خبره محذوف تقديره امن هو قانت كغيره وانما حذف لدلالة الكلام عليه وهو جري ذكر الكافر قبله وقوله تعالى بعده قل هل يستوي الذين يعلمون والذين لا يعلمون وقيل معناه امن هو قانت افضل ام من هو كافر او اهذا افضل ام من هو قانت على الاستفهام المتصل والقانت القائم بما يجب عليه من الطاعة ومنه قوله صلى الله عليه وسلم افضل الصلوة طول القنوت وهو القيام فيها ومنه القنوت في الوتر لانه دعاء المصلي قائما ساجدا حال وقرئ ساجد وقائم على انه خبر بعد خبر والواو للجمع بين الصفتين وقرئ ويحذر عذاب الآخرة واراد بالذين يعلمون العاملين من علماء الديانة كانه جعل من لا يعمل غير عالم وفيه ازدراء عظيم بالذين يقتنون العلوم ثم لا يقنتون ويفتنون فيها ثم يفتتنون بالدنيا فهم عند الله جهلة حيث جعل القانتين هم العلماء ويجوز ان يراد على سبيل التشبيه اي كما لا يستوي العالمون والجاهلون كذلك لا يستوي القانتون والعاصون وقيل نزلت في عمار بن ياسر وابي حذيفة بن المغيرة المخزومي وعن الحسن انه سئل عن رجل يتمادى في المعاصي ويرجو فقال هذا تمن وانما الرجاء قوله وتلا هذه الآية وقرئ انما يذكر بالادغام قل يا عبادي الذين آمنوا اتقوا ربكم للذين احسنوا في هذه الدنيا حسنة وارض الله واسعة انما يوفى الصابرون اجرهم بغير حساب في هذه الدنيا متعلق باحسنوا لا بحسنة معناه الذين احسنوا في هذه الدنيا فلهم حسنة في الآخرة وهي دخول الجنة اي حسنة غير مكتنهة بالوصف وقد علقه السدي بحسنة ففسر الحسنة بالصحة والعافية فان قلت اذا علق الظرف باحسنوا فاعرابه ظاهر فما معنى تعليقه بحسنة ولا يصح ان تقع صفة لها لتقدمه عليها قلت هو صفة لها اذا تاخر فاذا تقدم كان بيانا لمكانها فلم يخل التقدم بالتعلق وان لم يكن التعلق وصفا ومعنى وارض الله واسعة ان لا عذر للمفرطين في الاحسان البتة حتى ان اعتلوا باوطانهم وبلادهم وانهم لا يتمكنون فيها من التوفر على الاحسان وصرف الهمم اليه قيل لهم فان ارض الله واسعة وبلاده كثيرة فلا تجتمعوا مع العجز وتحولوا الى بلاد اخر واقتدوا بالانبياء والصالحين في مهاجرتهم الى غير بلادهم ليزدادوا احسانا الى احسانهم وطاعة الى طاعتهم وقيل هو للذين كانوا في بلاد المشركين فامروا بالمهاجرة عنها كقوله عز وجل الم تكن ارض الله واسعة فتهاجروا فيها وقيل هي ارض الجنة والصابرون الذين صبروا على مفارقة اوطانهم وعشائرهم وعلى غيرها من تجرع الغصص واحتمال البلايا في طاعة الله وازدياد الخير بغير حساب لا يحاسبون عليه وقيل بغير مكيال وغير ميزان يغرف لهم غرفا وهو تمثيل للتكثير وعن ابن عباس رضي الله عنهما لا يهتدي اليه حساب الحساب ولا يعرف وعن النبي صلى الله عليه وسلم ينصب الله الموازين يوم القيمة فيؤتى باهل الصلوة فيوفون اجورهم بالموازين

ويؤتى بأهل الصدقة فيوفون أجورهم بالموازين ويؤتى بأهل الحج فيوفون أجورهم بالموازين ويؤتى بأهل البلاء فلا ينصب لهم ميزان ولا ينشر لهم ديوان ويصب عليهم الأجر صبا قال الله عز وجل إنما يوفى الصابرون أجرهم بغير حساب حتى يتمنى أهل العافية في الدنيا أن أجسادهم تقرض بالمقاريض مما يذهب به أهل البلاء من الفضل **قل إني أمرت أن أعبد الله مخلصا له الدين وأمرت لأن أكون من المسلمين** قل إني أمرت بإخلاص الدين وأمرت بذلك لأجل أن أكون أول المسلمين أي مقدمهم وسابقهم في الدنيا والآخرة والمعنى أن الإخلاص له السبقة في الدين فمن أخلص كان سابقا **فإن قلت** كيف عطف أمرت على أمرت وهما واحد **قلت** ليسا بواحد لاختلاف جهتيهما وذلك أن الأمر بالإخلاص في الدين وتكليفه شيء والأمر به ليحرز القائم به قصب السبق شيء وإذا اختلف وجها الشيء وصفتاه ينزل بذلك منزلة شيئين مختلفين ولك أن تجعل اللام مزيدة مثلها في أردت لأن أفعل ولا تزاد إلا مع أن خاصة دون الاسم الصريح كأنها زيدت عوضا من ترك الأصل إلى ما يقوم مقامه كما عوض السين في اسطاع عوضا من ترك الأصل الذي هو أطوع والدليل على هذا الوجه مجيئه بغير لام في قوله تعالى وأمرت أن أكون من المسلمين وأمرت أن أكون من المؤمنين وأمرت أن أكون أول من أسلم وفي معناه أوجه أن أكون أول من أسلم في زماني ومن قومي لأنه أول من خالف دين آبائه وخلع الأصنام وحطمها وأن أكون أول الذين دعوتهم إلى الإسلام إسلاما وأن أكون أول من دعا نفسه إلى ما دعا إليه غيره لأكون مقتدى بي في قولي وفعلي جميعا ولا تكون صفتي صفة الملوك الذين يأمرون بما لا يفعلون وأن أفعل ما أستحق به الأولية من أعمال السابقين دلالة على السبب بالمسبب يعني أن الله أمرني أن أخلص له الدين من الشرك والرياء وكل شوب بدليلي العقل والوحي **قل إني أخاف إن عصيت ربي عذاب يوم عظيم** فإن عصيت ربي بما لهذين الدليلين استوجبت عذابه فلا أعصيه ولا أتابع أمركم وذلك حين دعوه إلى دين آبائه **قل الله أعبد مخلصا له ديني فاعبدوا ما شئتم من دونه قل إن الخاسرين الذين خسروا أنفسهم وأهليهم يوم القيامة ألا ذلك هو الخسران المبين** **فإن قلت** ما معنى التكرير في قوله تعالى قل إني أمرت أن أعبد الله مخلصا له الدين وقوله تعالى قل الله أعبد مخلصا له ديني **قلت** ليس بتكرير لأن الأول للإخبار بأنه مأمور من جهة الله بإحداث العبادة والإخلاص والثاني أنه إخبار بأنه يخص الله وحده دون غيره بعبادته مخلصا له دينه ولدلالته على ذلك قدم المعبود على فعل العبادة وأخره في الأول فالكلام أولا واقع في الفعل نفسه وإيجاده وثانيا فيمن يفعل الفعل لأجله ولذلك رتب عليه قوله تعالى فاعبدوا ما شئتم من دونه والمراد بهذا الأمر الوارد على وجه التخيير المبالغة في الخذلان والتخلية على ما حققت فيه القول مرتين قل إن الكاملين في الخسران الجامعين لوجوهه وأسبابه هم الذين خسروا أنفسهم لوقوعها في هلكة لا هلكة بعدها وخسروا أهليهم لأنهم إن كانوا من أهل النار فقد خسروهم كما خسروا أنفسهم وإن كانوا من أهل الجنة فقد ذهبوا عنهم ذهابا لا رجوع بعده إليهم وقيل وخسروهم لأنهم لم يدخلوا مدخل المؤمنين الذين لهم أهل في الجنة يعني وخسروا أهليهم الذين كانوا يكونون لهم لو آمنوا ولقد وصف خسرانهم بغاية الفظاعة في قوله تعالى ألا ذلك هو الخسران المبين حيث استأنف الجملة وصدرها بحرف التنبيه ووسط الفصل بين المبتدأ والخبر وعرف الخسران ونعته بالمبين **لهم من فوقهم ظلل من النار ومن تحتهم ظلل**

ذلك

ذلك يخوف الله به عباده يا عباد فاتقون ومن تحتهم أطباق من النار هي ظلل لآخرين ذلك العذاب هو الذي يتوعد الله به عباده ويخوفهم ليجتنبوا ما يوقعهم فيه يا عباد فاتقون ولا تتعرضوا لما يوجب سخطي وهذه عظة من الله ونصيحة بالغة **وقرئ** يا عبادي **والذين اجتنبوا الطاغوت أن يعبدوها وأنابوا إلى الله لهم البشرى فبشر عباد الذين يستمعون القول فيتبعون أحسنه أولئك الذين هداهم الله وأولئك هم أولو الألباب** الطاغوت فعلوت من الطغيان كالملكوت والرحموت إلا أن فيها قلبا بتقديم اللام على العين أطلقت على الشيطان أو الشياطين لكونها مصدرا وفيها مبالغات وهي التسمية بالمصدر كأن عين الشيطان طغيان وأن البناء بناء مبالغة فإن الرحموت الرحمة الواسعة والملكوت الملك المبسوط والقلب وهو للاختصاص إذ لا تطلق على غير الشيطان والمراد بها ههنا الجمع **وقرئ** الطواغيت أن يعبدوها بدل من الطاغوت بدل الاشتمال لهم البشرى هي البشارة بالثواب كقوله تعالى لهم البشرى في الحياة الدنيا وفي الآخرة الله يبشرهم بذلك في وحيه على ألسنة رسله وتتلقاهم الملائكة عند حضور الموت مبشرين وحين يحشرون قال الله تعالى يوم ترى المؤمنين والمؤمنات يسعى نورهم بين أيديهم وبأيمانهم بشراكم اليوم جنات وأراد بعباده الذين يستمعون القول فيتبعون أحسنه الذين اجتنبوا وأنابوا لا غيرهم وإنما أراد بهم أن يكونوا مع الاجتناب والإنابة على هذه الصفة فوضع الظاهر موضع الضمير وأراد أن يكونوا نقادا في الدين يميزون بين الحسن والأحسن والفاضل والأفضل فإذا اعترضهم أمران واجب وندب اختاروا الواجب وكذلك المباح والندب حراصا على ما هو أقرب عند الله وأكثر ثوابا ويدخل تحته المذاهب واختيار أثبتها على السبك وأقواها عند السبر وأبينها دليلا وأمارة وأن لا تكون في مذهبك كما **قال** القائل ولا تكن مثل عير قيد فانقادا يريد المقلد وقيل يستمعون القرآن وغيره فيتبعون القرآن وقيل يستمعون أوامر الله فيتبعون أحسنها نحو القصاص والعفو والانتصار والإغضاء والإبداء والإخفاء لقوله تعالى وأن تعفوا أقرب للتقوى وإن تخفوها وتؤتوها الفقراء فهو خير لكم وعن ابن عباس رضي الله عنهما هو الرجل يجلس مع القوم فيسمع الحديث فيه محاسن ومساوئ فيحدث بأحسن ما سمع ويكف عما سواه ومن الوقفة من يقف على فبشر عبادي ويبتدئ الذين يستمعون يرفعه على الابتداء وخبره أولئك **أفمن حق عليه كلمة العذاب أفأنت تنقذ من في النار** أصل الكلام أمن حق عليه كلمة العذاب فأنت تنقذه جملة شرطية دخل عليها همزة الإنكار والفاء فاء الجزاء ثم دخلت الفاء التي في أولها للعطف على محذوف يدل عليه الخطاب تقديره أأنت مالك أمرهم فمن حق عليه العذاب فأنت تنقذه والهمزة الثانية هي الأولى كررت لتوكيد معنى الإنكار والاستبعاد ووضع من في النار موضع الضمير فالآية على هذا جملة واحدة ووجه آخر وهو أن تكون الآية جملتين أفمن حق عليه العذاب فأنت تخلصه أفأنت تنقذ من في النار وإنما جاز حذف فأنت تخلصه لأن أفأنت تنقذ يدل عليه نزل استحقاقهم العذاب وهم في الدنيا منزلة دخولهم النار حتى نزل اجتهاد رسول الله عليه السلام وكده نفسه في دعائهم إلى الإيمان منزلة إنقاذهم من النار وقوله تعالى أفأنت تنقذ يفيد أن الله تعالى هو الذي يقدر على الإنقاذ من النار وحده لا يقدر على ذلك أحد غيره فكما لا تقدر أنت أن تنقذ الداخل في النار من النار لا تقدر أن تخلصه من استحقاق العذاب بتحصيل الإيمان فيه **لكن الذين اتقوا ربهم لهم غرف من فوقها غرف مبنية تجري من تحتها الأنهار وعد الله لا يخلف الله الميعاد** غرف من فوقها

مبنية

غرف علالي بعضها فوق بعض فان قلت ما معنى قوله تعالى مبنية قلت معناه والله اعلم انها
بنيت بناء المنازل التي على الارض وسويت تسويتها تجري من تحتها الانهار كما تجري من تحت المنازل من
غير تفاوت بين العلو والسفل وعد الله مصدر مؤكد لان قوله تعالى لهم غرف في معنى وعدهم الله
ذلك الم تر ان الله انزل من السماء ماء فسلكه ينابيع في الارض ثم يخرج به زرعا مختلفا
الوانه ثم يهيج فتراه مصفرا ثم يجعله حطاما ان في ذلك لذكرى لاولي الالباب انزل
من السماء ماء هو المطر وقيل كل ماء في الارض فهو من السماء ينزل منها الى الصخرة ثم يقسمه الله فسلكه
فادخله ونظمه ينابيع في الارض عيونا ومسالك ومجاري كالعروق في الاجساد مختلفا الوانه هيآته
من خضرة وحمرة وصفرة وبياض وغير ذلك او اصنافه من بر وشعير وسمسم وغيرها يهيج يتم
جفافه عن الاصمعي لانه اذا تم جفافه حان له ان يثور عن منابته ويذهب حطاما فتاتا ودرينا
ان في ذلك لذكرى لتذكيرا وتنبيها على انه لا بد من صانع حكيم وان ذلك كائن عن تقدير وتدبير
لا عن تعطيل واهمال ويجوز ان يكون مثلا للدنيا كقوله تعالى انما مثل الحيوة الدنيا واضرب لهم
مثل الحيوة الدنيا وقرئ مصفارا افمن شرح الله صدره للاسلام فهو على نور من ربه
فويل للقاسية قلوبهم من ذكر الله اولئك في ضلال مبين افمن عرف الله انه من اهل
اللطف فلطف به حتى انشرح صدره للاسلام ورغب فيه وقبله كمن لا لطف له فهو حرج الصدر
قاسي القلب ونور الله هو لطفه وقرأ رسول الله صلى الله عليه وسلم هذه الآية فقيل له يا رسول
الله كيف انشراح الصدر قال اذا دخل النور القلب انشرح وانفسح فقيل يا رسول الله فما علامة
ذلك قال الانابة الى دار الخلود والتجافي عن دار الغرور والتأهب للموت قبل نزول الموت وهو
نظير قوله تعالى امن هو قانت في حذف الخبر من ذكر الله من اجل ذكره اي اذا ذكر الله عندهم او آياته
اشمأزوا وازدادت قلوبهم قساوة كقوله تعالى فزادتهم رجسا الى رجسهم وقرئ عن ذكر الله
فان قلت ما الفرق بين من وعن في هذا   اذا قلت قسا قلبه من ذكر الله فالمعنى
ما ذكرت من ان القسوة من اجل الذكر وبسببه واذا قلت عن ذكر الله فالمعنى غلظ عن ذكر الله وجفا
عنه ونظيره سقاه من العيمة اي من اجل عطشه وسقاه عن العيمة اذا ارواه حتى ابعده عن العطش
عن ابن مسعود رضي الله عنه ان اصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم ملوا ملة فقالوا له حدثنا
فنزلت الله نزل احسن الحديث كتابا متشابها مثاني تقشعر منه جلود الذين يخشون
ربهم ثم تلين جلودهم وقلوبهم الى ذكر الله ذلك هدى الله يهدي به من يشاء ومن
يضلل الله فما له من هاد في ايقاع اسم الله مبتدأ وبناء نزل عليه فيه تفخيم لاحسن الحديث
ورفع منه واستشهاد على حسنه وتأكيد لاستناده الى الله وانه من عنده وان مثله لا يجوز ان يصدر
الا عنه وتنبيه على انه وحي معجز مباين لسائر الاحاديث وكتابا بدل من احسن الحديث ويحتمل ان يكون
حالا منه ومتشابها مطلق في مشابهة بعضه بعضا فكان متناولا لتشابه معانيه في الصحة
والاحكام والبناء على الحق والصدق ومنفعة الخلق وتناسب الفاظه وتناصفها في التخير والاصابة
وتجاوب نظمه وتأليفه في الاعجاز والتبكيت ويجوز ان يكون مثاني بيانا لكونه متشابها لان
القصص المكررة لا تكون الا متشابهة والمثاني جمع مثنى بمعنى مردد ومكرر لما ثنى من قصصه
وانبائه واحكامه واوامره ونواهيه ووعده ووعيده ومواعظه وقيل لانه يثنى في التلاوة فلا

يمل

يمل كما جاء في وصفه لا يتفه ولا يتشان ولا يخلق على كثرة الرد ويجوز ان يكون جمع مثنى مفعل من التثنية بمعنى
التكرير والاعادة كما كان قوله تعالى ثم ارجع البصر كرتين بمعنى كرة بعد كرة وكذلك لبيك وسعديك
وحنانيك فان قلت كيف وصف الواحد بالجمع قلت انما صح ذلك لان الكتاب جملة ذات تفاصيل
وتفاصيل الشيء هي جملته لا غير الا تراك تقول القرآن اسباع واخماس وسور وآيات وكذلك تقول اقا صيص
واحكام ومواعظ مكررات ونظيره قولك الانسان عظام وعروق واعصاب الا انك تركت الموصوف
الى الصفة واصله كتابا متشابها فصولا مثاني ويجوز ان يكون كقولك برمة اعشار وثوب اخلاق
ويجوز ان لا يكون مثاني صفة ويكون منتصبا على التمييز من متشابها كما تقول رأيت رجلا حسنا شمائل
والمعنى متشابهة مثانيه فان قلت ما فائدة التثنية والتكرير   النفوس انفر شيء عن
حديث الوعظ والنصيحة فما لم يكرر عليها عودا عن بدء لم يرسخ فيها ولم يعمل عمله ومن ثم كانت عادة
رسول الله صلى الله عليه وسلم ان يكرر عليهم ما كان يعظ به وينصح ثلاث مرات وسبعا ليركزه في قلوبهم
ويغرسه في صدورهم اقشعر الجلد اذا تقبض تقبضا شديدا وتركيبه من حروف القشع وهو الاديم
اليابس مضموما اليها حرف رابع وهو الراء ليكون رباعيا ودالا على معنى زائد يقال اقشعر جلده
من الخوف وقف شعره وهو مثل في شدة الخوف فيجوز ان يريد به سبحانه التمثيل تصويرا لافراط
خشيتهم وان يريد التحقيق والمعنى انهم اذا سمعوا بالقرآن وبآيات وعيده اصابتهم خشية تقشعر منها
جلودهم ثم اذا ذكروا الله ورحمته وجوده بالمغفرة لانت قلوبهم وجلودهم وزال عنها ما كان بها من الخشية
والقشعريرة فان قلت ما وجه تعديته لان بالى قلت ضمن معنى فعل متعد بالى كانه قيل سكنت
واطمأنت الى ذكر الله لينة غير منقبضة راجية غير خاشية فان قلت لم اقتصر على ذكر الله من غير ذكر الرحمة
قلت لان اصل امره الرحمة والرأفة ورحمته سابقة غضبه فلاصالة رحمته اذا ذكر لم يخطر بالبال قبل كل
شيء من صفاته الا كونه رؤفا رحيما فان قلت لم ذكرت الجلود وحدها اولا ثم قرنت بها القلوب
ثانيا قلت اذا ذكرت الخشية التي محلها القلوب فقد ذكرت القلوب فكانه قيل تقشعر جلودهم
من آيات الوعيد وتخشى قلوبهم في اول وهلة فاذا ذكروا الله ومبنى امره على الرأفة والرحمة استبدلوا
بالخشية رجاء في قلوبهم وبالقشعريرة لينا في جلودهم ذلك اشارة الى الكتاب وهو هدى الله يهدي
به يوفق به من يشاء يعني عباده المتقين حتى يخشوا تلك الخشية ويرجوا ذلك الرجاء كما قال هدى
للمتقين ومن يضلل الله ومن يخذله من الفساق والفجرة فما له من هاد او ذلك الكائن من الخشية
والرجاء هدى الله اي اثر هداه ولطفه فسماه هدى لانه حاصل بالهدى يهدي به بهذا الاثر من يشاء
من عباده يعني من صحب اولياءه ورآهم خاشين راجين فكان ذلك مرغبا لهم في الاقتداء بسيرتهم وسلوك
طريقتهم ومن يضلل الله ومن لم يؤثر فيه الطافه لقسوة قلبه واصراره على فجوره فما له من هاد
من مؤثر فيه بشيء قط افمن يتقي بوجهه سوء العذاب يوم القيمة وقيل للظالمين ذوقوا ما كنتم
تكسبون يقال اتقاه بدرقته استقبله بها فوقى بها نفسه اياه واتقاه بيده وتقديره افمن
يتقي بوجهه سوء العذاب كمن امن العذاب فحذف الخبر كما حذف في نظائره وسوء العذاب شدته
ومعناه ان الانسان اذا لقي مخوفا من المخاوف استقبله بيده وطلب ان يقي بها وجهه لانه اعز اعضائه
عليه والذي يلقى في النار يلقى مغلولة يداه الى عنقه فلا يتهيأ له ان يتقي النار الا بوجهه الذي
كان يتقي المخاوف بغيره وقاية له ومحاماة عليه وقيل المراد بالوجه الجملة وقيل نزلت في ابي جهل

ويقال لهم خزنة النار ذوقوا وبال ما كنتم تكسبون **كذب الذين من قبلهم فأتاهم العذاب من حيث لا يشعرون فأذاقهم الله الخزي في الحيوة الدنيا ولعذاب الآخرة أكبر لو كانوا يعلمون** من حيث لا يشعرون من الجهة التي لا يحتسبون ولا يخطر ببالهم أن الشر يأتيهم منها بينا هم آمنون رافهون إذ فوجئوا من مأمنهم والخزي الصغار كالمسخ والخسف والقتل والجلاء وما أشبه ذلك من نكال الله **ولقد ضربنا للناس في هذا القرآن من كل مثل لعلهم يتذكرون قرآنا عربيا غير ذي عوج لعلهم يتقون** قرآنا عربيا حال مؤكدة كقولك جاءني زيد رجلا صالحا وإنسانا عاقلا ويجوز أن ينتصب على المدح غير ذي عوج مستقيما بريئا من التناقض والاختلاف **فإن قلت** فهلا قيل مستقيما أو غير معوج **قلت** فيه فائدتان إحداهما نفي أن يكون فيه عوج قط كما قال ولم يجعل له عوجا والثانية أن لفظ العوج مختص بالمعاني دون الأعيان وقيل المراد بالعوج الشك واللبس **وأنشد** وقد أتاك يقين غير ذي عوج من الإله وقول غير مكذوب **ضرب الله مثلا رجلا فيه شركاء متشاكسون ورجلا سلما لرجل هل يستويان مثلا الحمد لله بل أكثرهم لا يعلمون** واضرب لقومك مثلا وقل لهم ما تقولون في رجل من المماليك قد اشترك فيه شركاء بينهم اختلاف وتنازع كل واحد منهم يدعي أنه عبده فهم يتجاذبونه ويتعاورونه في مهن شتى ومشادة وإذا عنت له حاجة تدافعوه فهو متحير في أمره سادر قد تشعبت الهموم قلبه وتوزعت أفكاره لا يدري أيهم يرضي بخدمته وعلى أيهم يعتمد في حاجاته وفي آخر قد سلم لمالك واحد وخلص له فهو معتنق لما لزمه من خدمته معتمد عليه فيما يصلحه فهمه واحد وقلبه مجتمع أي هذين العبدين أحسن حالا وأحمد شأنا والمراد تمثيل حال من يثبت آلهة شتى وما يلزمه على قضية مذهبه من أن يدعي كل واحد منهم عبوديته ويتشاكسوا في ذلك ويتغالبوا كما قال الله عز وجل ولعلا بعضهم على بعض ويبقى هو متحيرا ضائعا لا يدري أيهم يعبد وعلى ربوبية أيهم يعتمد وممن يطلب رزقه وممن يلتمس رفقه فهمه شعاع وقلبه أوزاع وحال من لم يثبت إلا إلها واحدا فهو قائم بما كلفه عارف بما أرضاه وما أسخطه متفضل عليه في عاجله مؤمل للثواب في آجله وفيه صلة شركاء كما تقول اشتركوا فيه والتشاكس والتشاخس الاختلاف تقول تشاكست أحواله وتشاخست أسنانه سلما لرجل خالصا له **وقرئ** سلما بفتح الفاء والعين وفتح الفاء وكسرها مع سكون العين وهي مصادر سلم والمعنى ذا سلامة لرجل أي ذا خلوص له من الشركة من قولهم سلمت له الضيعة **وقرئ** بالرفع على الابتداء أي وهناك رجل سالم لرجل وإنما جعله رجلا ليكون أفطن لما شقي به أو سعد فإن المرأة والصبي قد يغفلان عن ذلك هل يستويان مثلا هل يستويان صفة على التمييز والمعنى هل يستوي صفتاهما وحالاهما وإنما اقتصر في التمييز على الواحد لبيان الجنس **وقرئ** مثلين كقوله عز وجل وأكثر أموالا وأولادا مع قوله تعالى أشد منهم قوة ويجوز فيمن قرأ مثلين أن يكون الضمير في يستويان للمثلين لأن التقدير مثل رجل ومثل رجل والمعنى هل يستويان فيما يرجع إلى الوصفية كما تقول كفى بهما رجلين الحمد لله الواحد الذي لا شريك له دون كل معبود سواه أي يجب أن يكون الحمد متوجها إليه وحده والعبادة فقد ثبت أن لا إله إلا هو بل أكثرهم لا يعلمون فيشركون به غيره **إنك ميت وإنهم ميتون ثم إنكم يوم القيامة عند ربكم تختصمون** كانوا يتربصون برسول الله عليه السلام موته فأخبر أن الموت يعمهم فلا معنى للتربص وشماتة الباقي بالفاني وعن قتادة نعى إلى نبيه نفسه ونعى إليكم

أنفسكم وقرئ مائت ومائتون والفرق بين الميت والمائت أن الميت صفة لازمة كالسيد وأما المائت فصفة حادثة تقول زيد مائت غدا كما تقول سائد غدا أي سيموت وسيسود وإذا قلت زيد ميت فكما تقول حي في نقيضه فيما يرجع إلى اللزوم والثبوت والمعنى في قوله تعالى إنك ميت وإنهم ميتون إنك وإياهم وإن كنتم أحياء فأنتم في عداد الموتى لأن ما هو كائن فكأن قد كان ثم إنكم ثم إنك وإياهم فغلب ضمير المخاطب على ضمير الغيب تختصمون فتحتج أنت عليهم بأنك بلغت فكذبوا واجتهدت في الدعوة فلجوا في العناد ويعتذرون بما لا طائل تحته يقول الأتباع ربنا أطعنا سادتنا وكبراءنا ويقول السادات أغوتنا الشياطين وآباؤنا الأقدمون وقد حمل على اختصام الجميع وأن الكفار يخاصم بعضهم بعضا حتى يقال لهم لا تختصموا لدي والمؤمنون الكافرين يبكتونهم بالحجج وأهل القبلة يكون بينهم الخصام قال عبد الله بن عمر رضي الله عنهما لقد عشنا برهة من دهرنا ونحن نرى أن هذه الآية أنزلت فينا وفي أهل الكتابين قلنا كيف نختصم ونبينا واحد وديننا واحد وكتابنا واحد حتى رأيت بعضنا يضرب وجوه بعض بالسيف فعرفت أنها نزلت فينا وقال أبو سعيد الخدري رضي الله عنه كنا نقول ربنا واحد ونبينا واحد وديننا واحد فما هذه الخصومة فلما كان يوم صفين وشد بعضنا على بعض بالسيوف قلنا نعم هو هذا وعن إبراهيم النخعي قالت الصحابة ما خصومتنا ونحن إخوان فلما قتل عثمان رضي الله عنه قالوا هذه خصومتنا وعن أبي العالية نزلت في أهل القبلة والوجه الذي يدل عليه كلام الله هو ما قدمت أولا ألا ترى إلى قوله فمن أظلم ممن كذب على الله وقوله والذي جاء بالصدق وصدق به وما هو إلا بيان وتفسير للذين تكون بينهم الخصومة **فمن أظلم ممن كذب على الله وكذب بالصدق إذ جاءه أليس في جهنم مثوى للكافرين** كذب على الله افترى عليه بإضافة الولد والشريك إليه وكذب بالصدق بالأمر الذي هو الصدق بعينه وهو ما جاء به محمد صلى الله عليه وسلم إذ جاءه فاجأه بالتكذيب لما سمع به من غير وقفة لإعمال روية واهتمام بتمييز بين حق وباطل كما يفعل أهل النصفة فيما يسمعون مثوى للكافرين أي لهؤلاء الذين كذبوا على الله وكذبوا بالصدق واللام في للكافرين إشارة إليهم **والذي جاء بالصدق وصدق به أولئك هم المتقون لهم ما يشاؤون عند ربهم ذلك جزاء المحسنين** والذي جاء بالصدق وصدق به هو رسول الله صلى الله عليه وسلم جاء بالحق وآمن به وأراد به إياه ومن تبعه كما أراد بموسى عليه السلام إياه وقومه في قوله تعالى ولقد آتينا موسى الكتاب لعلهم يهتدون فلذلك قال أولئك هم المتقون إلا أن هذا في الصفة وذاك في الاسم ويجوز أن يريد والفوج أو الفريق الذي جاء بالصدق وصدق به وهم الرسول الذي جاء بالصدق وصحابته الذين صدقوا به وفي قراءة ابن مسعود رضي الله عنه والذين جاؤوا بالصدق وصدقوا به **وقرئ** وصدق به بالتخفيف أي صدق به الناس ولم يكذبهم به يعني أداه إليهم كما نزل عليه من غير تحريف وقيل صار صادقا به أي بسببه لأن القرآن معجزة والمعجزة تصديق من الحكيم الذي لا يفعل القبيح لمن يجريها على يده ولا يجوز أن يصدق إلا الصادق فيصير لذلك صادقا بالمعجزة وقرئ وصدق به **ليكفر الله عنهم أسوأ الذي عملوا ويجزيهم أجرهم بأحسن الذي كانوا يعملون** **فإن قلت** ما معنى إضافة الأسوأ والأحسن إلى الذي عملوا وما معنى التفضيل فيهما **قلت** أما الإضافة فما هي من إضافة أفعل إلى الجملة التي يفضل عليها ولكن من إضافة الشيء إلى ما هو بعضه من غير تفضيل كقولك الأشج أعدل بني مروان وأما التفضيل فإيذان بأن الشيء الذي يفرط منهم من الصغائر والزلات المكفرة هو عندهم الأسوأ لاستعظامهم المعصية

والحسن الذي يعملونه هو عند الله الاحسن لحسن اخلاصهم فيه فلذلك ذكر سيئهم بالاسوء وحسنهم بالاحسن
وقرئ اسواء الذي عملوا جمع سوء **أليس الله بكاف عبده ويخوفونك بالذين من دونه ومن يضلل الله فما له من هاد ومن يهد الله فما له من مضل أليس الله بعزيز ذي انتقام** أليس الله بكاف عبده ادخلت همزة الانكار على كلمة النفي فافيد معنى اثبات الكفاية وتقريرها • قرئ بكاف عبده وهو رسول الله صلى الله عليه وسلم وبكاف عباده وهم الانبياء صلوات الله عليهم اجمعين وذلك ان قريشا قالت لرسول الله عليه السلام انا نخاف ان تخبلك آلهتنا وانا نخشى عليك معرتها لعيبك اياها **ويروى** انه بعث خالدا الى العزى ليكسرها فقال له سادنها احذركها يا خالد ان لها شدة لا يقوم لها شيء فعمد خالد اليها فهشم انفها فقال الله عز وجل أليس بكاف نبيه ان يعصمه من كل سوء ويدفع عنه كل بلاء في مواطن الخوف وفي هذا تهكم بهم لانهم خوفوه ما لا يقدر على نفع ولا ضر • او أليس الله بكاف انبياءه ولقد قالت اممهم نحو ذلك فكفاهم الله وذلك قول قوم هود ان نقول الا اعتراك بعض آلهتنا بسوء ويجوز ان يريد العبد والعباد على الاطلاق لانه كافيهم في الشدائد وكافل مصالحهم **وقرئ** بكافي عباده على الاضافة ويكافي عباده • ويكافي يحتمل ان يكون غير مهموز مفاعلة من الكفاية كقولك يجازي في يجزي وهو ابلغ من كفى لبنائه على لفظ المغالبة والمباراة • وان يكون مهموزا من المكافأة وهي المجازاة لما تقدم من قوله تعالى ويجزيهم اجرهم • بالذين من دونه اراد الاوثان الذين اتخذوها آلهة من دونه • بعزيز بغالب منيع • ذي انتقام ينتقم من اعدائه وفيه وعيد لقريش ووعد للمؤمنين بانه ينتقم لهم منهم وينصرهم عليهم **ولئن سألتهم من خلق السموات والارض ليقولن الله قل أفرأيتم ما تدعون من دون الله إن أرادني الله بضر هل هن كاشفات ضره أو أرادني برحمة هل هن ممسكات رحمته قل حسبي الله عليه يتوكل المتوكلون** • قرئ كاشفات ضره وممسكات رحمته بالتنوين على الاصل وبالاضافة للتخفيف **فان قلت** لم فرض المسألة في نفسه دونهم **قلت** لانهم خوفوه معرة الاوثان وتخبيلها فامر بان يقررهم اولا بان خالق العالم هو الله وحده ثم يقول لهم بعد التقرير فان ارادني خالق العالم الذي اقررتم به بضر من مرض او فقر او غير ذلك من النوازل او برحمة من صحة او غنى او نحوهما هل هؤلاء اللاتي خوفتموني اياهن كاشفات عني ضره او ممسكات رحمته حتى اذا القمهم الحجر وقطعهم حتى لا يحيروا ببنت شفة قال حسبي الله كافيا لمعرة اوثانكم عليه يتوكل المتوكلون وفيه تهكم • ويروى ان النبي صلى الله عليه وسلم سألهم فسكتوا فنزل قل حسبي الله **فان قلت** لم قيل كاشفات وممسكات على التأنيث بعد قوله ويخوفونك بالذين من دونه **قلت** انثهن وكن اناثا وهن اللات والعزى ومناة • قال الله عز وجل أفرأيتم اللات والعزى ومناة الثالثة الاخرى ألكم الذكر وله الانثى ليضعفها وعجزها زيادة تضعيف وتجهيل لما طلبهم به من كشف الضر وامساك الرحمة لان الانوثة من باب اللين والرخاوة كما ان الذكورة من باب الشدة والصلابة كانه قال الاناث اللاتي هن اللات والعزى ومناة اضعف مما تدعون لهن واعجز • وفيه تهكم ايضا **قل يا قوم اعملوا على مكانتكم إني عامل فسوف تعلمون من يأتيه عذاب يخزيه ويحل عليه عذاب مقيم** • على مكانتكم على حالكم التي انتم عليها وجهتكم من العداوة التي تمكنتم منها والمكانة بمعنى المكان فاستعيرت عن العين للمعنى كما يستعار هنا وحيث للزمان وهما للمكان **فان قلت** حق الكلام فاني عامل على مكانتي فلم حذف **قلت** للاختصار ولما فيه من زيادة الوعيد والايذان

بان حاله لا تقف وتزداد كل يوم قوة وشدة لان الله ناصره ومعينه ومظهره على الدين كله • الا ترى الى قوله فسوف تعلمون كيف توعدهم بكونه منصورا عليهم غالبا عليهم في الدنيا والآخرة لانهم اذا اتاهم الخزي والعذاب فذلك عزه وغلبته من حيث ان الغلبة تتم له بعز عزيز من اوليائه وبذل ذليل من اعدائه • يخزيه مثل مقيم في وقوعه صفة للعذاب اي عذاب مخز له وهو يوم بدر وعذاب دائم وهو عذاب النار • وقرئ مكاناتكم **إنا أنزلنا عليك الكتاب للناس بالحق فمن اهتدى فلنفسه ومن ضل فإنما يضل عليها وما أنت عليهم بوكيل** • للناس لاجلهم ولاجل حاجتهم اليه ليبشروا وينذروا فتقوى دواعيهم الى اختيار الطاعة على المعصية ولا حاجة الى ذلك فانا الغني فمن اختار الهدى فقد نفع نفسه ومن اختار الضلالة فقد ضرها وما وكلت عليهم لتجبرهم على الهدى فان التكليف مبني على الاختيار دون الاجبار **الله يتوفى الأنفس حين موتها والتي لم تمت في منامها فيمسك التي قضى عليها الموت ويرسل الأخرى إلى أجل مسمى إن في ذلك لآيات لقوم يتفكرون** • الانفس الجمل كما هي وتوفيها اماتتها وهي ان يسلب ما هي به حساسة دراكة من صحة اجزائها وسلامتها لانها عند سلب الصحة كأن ذاتها قد سلبت • والتي لم تمت في منامها يريد ويتوفى الانفس التي لم تمت في منامها اي يتوفاها حين تنام تشبيها للنائمين بالموتى • ومنه قوله عز وجل وهو الذي يتوفاكم بالليل حيث لا يميزون ولا يتصرفون كما ان الموتى كذلك فيمسك الانفس التي قضى عليها الموت الحقيقي اي لا يردها في وقتها حية • ويرسل الاخرى النائمة الى اجل مسمى الى وقت ضربه لموتها وقيل يتوفى الانفس يستوفيها ويقبضها وهي الانفس التي تكون معها الحيوة والحركة ويتوفى الانفس التي لم تمت في منامها وهي انفس التمييز قالوا فالتي تتوفى في النوم هي نفس التمييز لا نفس الحيوة لان نفس الحيوة اذا زالت زال معها النفس والنائم يتنفس • ورووا عن ابن عباس رضي الله عنهما في ابن آدم نفس وروح بينهما مثل شعاع الشمس فالنفس التي بها العقل والتمييز والروح التي بها النفس والتحرك فاذا نام العبد قبض الله نفسه ولم يقبض روحه والصحيح ما ذكرت اولا لان الله عز وجل علق التوفي والموت والمنام جميعا بالانفس وما عنوا بنفس الحيوة والحركة ونفس العقل والتمييز غير متصف بالموت والنوم وانما الجملة هي التي تموت وهي التي تنام • ان في ذلك ان في توفي الانفس مائتة ونائمة وامساكها وارسالها الى اجل لآيات على قدرة الله وعلمه لقوم يجيلون فيها افكارهم ويعتبرون **وقرئ** قضي عليها الموت على البناء للمفعول **أم اتخذوا من دون الله شفعاء قل أولو كانوا لا يملكون شيئا ولا يعقلون** • ام اتخذوا بل اتخذ قريش والهمزة للانكار • من دون الله من دون اذنه شفعاء حين قالوا هؤلاء شفعاؤنا عند الله ولا يشفع عنده احد الا باذنه • الا ترى الى قوله قل لله الشفاعة جميعا اي هو مالكها فلا يستطيع احد شفاعة الا بشرطين ان يكون المشفوع له مرتضى • وان يكون الشفيع مأذونا له وههنا الشرطان مفقودان جميعا • اولو كانوا معناه ايشفعون ولو كانوا لا يملكون شيئا ولا يعقلون اي ولو كانوا على هذه الصفة لا يملكون شيئا قط حتى يملكوا الشفاعة ولا عقل لهم **قل لله الشفاعة جميعا له ملك السموات والأرض ثم إليه ترجعون** • له ملك السموات والارض تقرير لقوله تعالى لله الشفاعة جميعا لانه اذا كان له الملك كله والشفاعة من الملك كان مالكا لها **فان قلت** بم يتصل قوله تعالى ثم اليه ترجعون **قلت** بما يليه معناه له ملك السموات والارض اليوم ثم اليه ترجعون يوم القيمة فلا يكون الملك في ذلك اليوم الا له فله ملك الدنيا والآخرة • **واذا ذكر**

الله وحده اشمأزت قلوب الذين لا يؤمنون بالآخرة واذا ذكر الذين من دونه اذا هم يستبشرون • مدار المعنى على قوله وحده اى اذا افرد الله بالذكر ولم يذكر معه آلهتهم اشمأزوا اى نفروا وانقبضوا واذا ذكر الذين من دونه وهم آلهتهم ذكر الله معهم او لم يذكر استبشروا لافتتانهم بها ونسيانهم حق الله الى هواهم فيها • وقيل اذا قيل لا اله الا الله وحده لا شريك له نفروا لان فيه نفيا لآلهتهم • وقيل اراد استبشارهم بما سبق اليه لسان رسول الله صلى الله عليه وسلم من ذكر آلهتهم حين قرأ والنجم عند باب الكعبة فسجدوا معه لفرحهم • ولقد تقابل الاستبشار والاشمئزاز اذ كل واحد منهما غاية في بابه لان الاستبشار ان يمتلئ قلبه سرورا حتى ينبسط له بشرة وجهه ويتهلل • والاشمئزاز ان يمتلئ غما وغيظا حتى يظهر الانقباض في اديم وجهه **فان قلت** ما العامل في اذا ذكر **قلت** العامل في اذا المفاجأة تقديره وقت ذكر الذين من دونه فاجأوا وقت الاستبشار • قل اللهم فاطر السموات والارض عالم الغيب والشهادة انت تحكم بين عبادك فيما كانوا فيه يختلفون • بعث رسول الله عليه السلام بهم وبشدة شكيمتهم في الكفر والعناد فقيل له ادع الله باسمائه العظمى وقل انت وحدك تقدر على الحكم بيني وبينهم ولا حيلة لغيرك فيهم • وفيه وصف لحالهم واعذار لرسول الله صلى الله عليه وسلم وتسلية له ووعيد لهم • وعن الربيع بن خثيم وكان قليل الكلام انه اخبر بقتل الحسين رضي الله عنه وسخط على قاتله وقالوا الآن يتكلم فما زاد على ان قال آه او قد فعلوا وقرأ هذه الآية • وروى انه قال على اثره قتل من كان صلى الله عليه وسلم يجلسه في حجره ويضع فاه على فيه ولو ان للذين ظلموا ما في الارض جميعا ومثله معه لافتدوا به من سوء العذاب يوم القيمة وبدا لهم من الله ما لم يكونوا يحتسبون • وبدا لهم من الله ما لم يكونوا يحتسبون وعيد لهم لا كنه لفظاعته وشدته • وهو نظير قوله في الوعد فلا تعلم نفس ما اخفي لهم والمعنى وظهر لهم من سخط الله وعذابه ما لم يكن قط في حسابهم ولم يحدثوا به نفوسهم وقيل عملوا اعمالا حسبوها حسنات فاذا هي سيئات • وعن سفيان الثوري رحمة الله عليه انه قرأها فقال ويل لاهل الرياء ويل لاهل الرياء • وجزع محمد بن المنكدر عند موته فقيل له فقال اخشى آية من كتاب الله وتلاها فانا اخشى ان يبدو لي من الله ما لم احتسبه • وبدا لهم سيئات ما كسبوا وحاق بهم ما كانوا به يستهزءون • وبدا لهم سيئات ما كسبوا اى سيئات اعمالهم التي كسبوها او سيئات كسبهم حين تعرض صحائفهم وكانت خافية عليهم كقوله عز وجل احصاه الله ونسوه • او اراد بالسيئات انواع العذاب التي يجازون بها على ما كسبوا فسماها سيئات كما قال وجزاء سيئة سيئة مثلها وحاق بهم ونزل بهم واحاط جزاء هزئهم • فاذا مس الانسان ضر دعانا ثم اذا خولناه نعمة منا قال انما اوتيته على علم بل هي فتنة ولكن اكثرهم لا يعلمون • التخويل مختص بالتفضل يقال خولني اذا اعطاك على غير جزاء • على علم اى على علم مني اني ساعطاه لما فيّ من فضل واستحقاق او على علم من الله بي وباستحقاقي • او على علم مني بوجوه الكسب كما قال قارون على علم عندي **فان قلت** لم ذكر الضمير في اوتيته وهو للنعمة **قلت** ذهابا به الى المعنى لان قوله نعمة منا شيئا من النعم وقسما منها ويحتمل ان تكون ما في انما موصولة لا كافة فيرجع اليها الضمير على معنى ان الذي اوتيته على علم • بل هي فتنة انكار لقوله كانه قال ما خولناك ما خولناك من النعمة لما تقول بل هي فتنة اى ابتلاء وامتحان لك اتشكر ام تكفر • فان قلت كيف ذكر الضمير ثم انثه • قلت حملا على المعنى اولا وعلى اللفظ

اى دهش

قام

اخراه لان الخبر لما كان مؤنثا اعنى فتنة ساغ تأنيث المبتدأ لاجله لانه في معناه كقولهم ما جاءت حاجتك وقرئ بل هو فتنة على وفق انما اوتيته **فان قلت** ما السبب في عطف هذه الآية بالفاء وعطف مثلها في اول السورة بالواو **قلت** السبب في ذلك ان هذه وقعت مسببة عن قوله واذا ذكر الله وحده اشمأزت على معنى انهم يشمئزون عن ذكر الله ويستبشرون بذكر الآلهة فاذا مس احدهم ضر دعا من اشمأز من ذكره دون من استبشر بذكره وما بينهما من الآى اعتراض • فان قلت حق الاعتراض ان يؤكد المعترض بينه وبينه • قلت ما في الاعتراض من دعاء رسول الله صلى الله عليه وسلم ربه بامر منه وقوله انت تحكم بينهم ثم ما عقبه من الوعيد العظيم تأكيد لانكار اشمئزازهم واستبشارهم ورجوعهم الى الله في الشدائد دون آلهتهم كانه قيل قل يا رب لا يحكم بيني وبين هؤلاء الذين يجترءون عليك مثل هذه الجراءة ويرتكبون مثل هذا المنكر الا انت • وقوله تعالى ولو ان للذين ظلموا متناول لهم ولكل ظالم ان جعل مطلقا او اياهم خاصة ان عنيتهم به كانه قيل ولو ان لهؤلاء الظالمين ما في الارض جميعا ومثله معه لافتدوا به حين احكم عليهم بسوء العذاب وهذه الاسرار والنكت لا يبرزها الا علماء النظر والا بقيت محتجبة في اكمامها • واما الآية الاولى فلم تقع مسببة وما هي الا جملة ناسبت جملة قبلها فعطفت عليها بالواو كقولك قام زيد وقعد عمرو **فان قلت** من اى وجه وقعت مسببة والاشمئزاز عن ذكر الله ليس بمقتض لالتجائهم اليه بل هو مقتض لصدودهم عنه **قلت** في هذا التسبب لطف وبيانه انك تقول زيد مؤمن بالله فاذا مسه ضر التجأ اليه فهذا تسبب ظاهر لا لبس فيه ثم تقول زيد كافر بالله فاذا مسه ضر التجأ اليه فتجيء بالفاء مجيئك به ثمة كان الكافر حين التجأ الى الله التجاء المؤمن اليه مقيم كفره مقام الايمان ومجريه مجراه في جعله سببا في الالتجاء فانت تحكي عكس ما فيه الكافر • الا ترى انك تقصد بهذا الكلام الانكار والتعجب من فعله • قد قالها الذين من قبلهم فما اغنى عنهم ما كانوا يكسبون • الضمير في قالها راجع الى قوله تعالى انما اوتيته على علم لانها كلمة او جملة من القول • **وقرئ** قد قاله على معنى القول والكلام وذلك والذين من قبلهم هم قارون وقومه حيث قال انما اوتيته على علم عندي وقومه راضون بها فكأنهم قالوها • ويجوز ان يكون في الامم الخالية آخرون قائلون مثلها فما اغنى عنهم ما كانوا يكسبون من متاع الدنيا ويجمعون منه فاصابهم سيئات ما كسبوا والذين ظلموا من هؤلاء سيصيبهم سيئات ما كسبوا وما هم بمعجزين • اولم يعلموا ان الله يبسط الرزق لمن يشاء ويقدر ان في ذلك لآيات لقوم يؤمنون • من هؤلاء من مشركي قومك سيصيبهم مثل ما اصاب اولئك فقتل صناديدهم ببدر وحبس عنهم الرزق فقحطوا سبع سنين ثم بسط لهم فمطروا سبع سنين فقيل لهم اولم يعلموا انه لا قابض ولا باسط الا الله عز وجل • قل يا عبادي الذين اسرفوا على انفسهم لا تقنطوا من رحمة الله ان الله يغفر الذنوب جميعا انه هو الغفور الرحيم • اسرفوا على انفسهم جنوا عليها بالاسراف في المعاصي والغلو فيها • لا تقنطوا قرئ بفتح النون وكسرها وضمها • ان الله يغفر الذنوب جميعا يعني بشرط التوبة وقد تكرر ذكر هذا الشرط في القرآن فكان ذكره فيما ذكر فيه ذكرا له فيما لم يذكر فيه لان القرآن في حكم كلام واحد ولا يجوز فيه التناقض • وفي قراءة ابن عباس وابن مسعود رضي الله عنهما يغفر الذنوب جميعا لمن يشاء والمراد بمن يشاء من تاب لان مشيئة الله تابعة حكمته وعدله لا لملكه وجبروته • وقيل في قراءة النبي صلى الله عليه وسلم وفاطمة رضي الله عنها يغفر الذنوب جميعا ولا يبالي ونظيره نفي المبالاة نفي الخوف في قوله تعالى ولا يخاف عقباها • وقيل قال اهل مكة يزعم محمد ان

من عبد الأوثان وقتل النفس التي حرم الله لم يغفر له فكيف ولم نهاجر وقد عبدنا الأوثان وقتلنا النفس
التي حرم الله فنزلت وروى أنه أسلم عياش بن أبي ربيعة والوليد بن الوليد ونفر معهما ثم فتنوا
وعذبوا فافتتنوا فكنا نقول لا يقبل الله لهم صرفا ولا عدلا أبدا فنزلت فكتب بها عمر رضي الله عنه
إليهم فأسلموا وهاجروا. وقيل نزلت في وحشي قاتل حمزة رضي الله عنه. وعن رسول الله عليه السلام ما
أحب أن لي الدنيا وما فيها بهذه الآية فقال رجل يا رسول الله ومن أشرك فسكت ساعة ثم قال ألا
ومن أشرك ثلاث مرات وأنيبوا إلى ربكم وأسلموا له من قبل أن يأتيكم العذاب ثم لا تنصرون
وأنيبوا إلى ربكم وتوبوا إليه وأسلموا له وأخلصوا له العمل وإنما ذكر الإنابة على أثر المغفرة لئلا يطمع
طامع في حصولها بغير توبة وللدلالة على أنها شرط فيها لازم لا تحصل بدونه واتبعوا أحسن ما أنزل
إليكم من ربكم من قبل أن يأتيكم العذاب بغتة وأنتم لا تشعرون. واتبعوا أحسن ما أنزل
إليكم من ربكم مثل قوله تعالى الذين يستمعون القول فيتبعون أحسنه. وأنتم لا تشعرون أي
يفجأكم وأنتم غافلون كأنكم لا تخشون شيئا لفرط غفلتكم وسهوكم أن تقول نفس يا حسرتى
على ما فرطت في جنب الله وإن كنت لمن الساخرين. أن تقول نفس كراهة أن تقول فإن قلت
لم نكرت قلت لأن المراد بها بعض الأنفس وهي نفس الكافر. ويجوز أن يراد نفس متميزة من الأنفس
إما بلجاج في الكفر شديد أو بعذاب عظيم. ويجوز أن يراد التكثير كما قال الأعشى

ورب بقيع لو هتفت بجوه ... أتاني كريم ينفض الرأس مغضبا

وهو يريد أفواجا من
الكرام ينصرونه لا كريما واحدا. ونظيره رب بلد قطعت ورب بطل قارعت. وقد اختلس الطعنة
ولا يقصد إلا التكثير. وقرئ يا حسرتي على الأصل. ويا حسرتاي على الجمع بين العوض والمعوض منه.
والجنب الجانب يقال أنا في جنب فلان وجانبه وناحيته وفلان لين الجنب والجانب ثم قالوا فرط في جنبه
وفي جانبه يريدون في حقه قال سابق البربري

أما تتقين الله في جنب وامق ... له كبد حرى عليك تقطع

وهذا من باب الكناية لأنك إذا
أثبت الأمر في مكان الرجل وحيزه فقد أثبته فيه. ألا ترى إلى قوله

إن السماحة والمروءة والندى ... في قبة ضربت على ابن الحشرج

ومنه قول الناس لمكانك
فعلت كذا يريدون لأجلك. وفي الحديث من الشرك الخفي أن يصلي الرجل لمكان الرجل وكذلك فعلت
هذا من جهتك فمن حيث لم يبق فرق فيما يرجع إلى أداء الغرض بين ذكر المكان وتركه قيل فرطت في جنب
الله على معنى فرطت في ذات الله فإن قلت فمرجع كلامك إلى أن ذكر الجنب كلا ذكر سوى ما يعطي من
حسن الكناية وبلاغتها فكأنه قيل فرطت في الله فما معنى فرطت في الله قلت لا بد من تقدير مضاف
محذوف سواء ذكر الجنب أو لم يذكر والمعنى فرطت في طاعة الله وعبادة الله وما أشبه ذلك. وفي
حرف عبد الله وحفصة في ذكر الله وما في فرطت مصدرية مثلها في بما رحبت. وإن كنت لمن الساخرين
قال قتادة لم يكفه أن ضيع طاعة الله حتى سخر من أهلها ومحل وإن كنت النصب على الحال كأنه قال فرطت
وأنا ساخر أي فرطت في حال سخريتي وروي أنه كان في بني إسرائيل عالم ترك علمه وفسق أتاه إبليس
وقال له تمتع من الدنيا ثم تب فأطاعه وكان له مال فأنفقه في الفجور فأتاه ملك الموت في ألذ ما كان
فقال يا حسرتى على ما فرطت في جنب الله ذهب عمري في طاعة الشيطان وأسخطت ربي فندم حين لم
ينفعه الندم فأنزل الله خبره في القرآن أو تقول لو أن الله هداني لكنت من المتقين أو تقول

حين

حين ترى العذاب لو أن لي كرة فأكون من المحسنين. بلى قد جاءتك آياتي فكذبت بها واستكبرت
وكنت من الكافرين. لو أن الله هداني لا يخلو إما أن يريد به الهداية بالإلجاء أو بالألطاف أو بالوحي
فالإلجاء خارج عن الحكمة ولم يكن من أهل الألطاف فيلطف به وأما الوحي فقد كان ولكنه أعرض ولم
يتبعه حتى يهتدي وإنما يقول هذا تحيرا في أمره وتعللا بما لا يجدي عليه كما حكى عنهم التعلل بإغواء الرؤساء
والشياطين ونحو ذلك. ونحوه لو هدانا الله لهديناكم. وقوله تعالى بلى قد جاءتك آياتي رد من الله عليه
معناه بلى قد هديت بالوحي فكذبت به واستكبرت عن قبوله وآثرت الكفر على الإيمان والضلالة على
الهدى. وقرئ بكسر التاء على مخاطبة النفس فإن قلت هلا قرن الجواب بما هو جواب له وهو قوله
تعالى لو أن الله هداني ولم يفصل بينهما بآية قلت لأنه لا يخلو إما أن يقدم على أخرى القرائن الثلاث
فيفرق بينهن. وإما أن تؤخر القرينة الوسطى فلم يحسن الأول لما فيه من تبتير النظم بالجمع بين القرائن
وأما الثاني فلما فيه من نقض الترتيب وهو التحسر على التفريط في الطاعة ثم التعلل بفقد الهداية
ثم تمني الرجعة فكان الصواب ما جاء عليه وهو أنه حكى أقوال النفس على ترتيبها ونظمها ثم أجاب من
بينها عما اقتضى الجواب فإن قلت كيف صح أن تقع بلى جوابا لغير منفي قلت لو أن الله هداني فيه
معنى ما هديت ويوم القيامة ترى الذين كذبوا على الله وجوههم مسودة أليس في جهنم مثوى
للمتكبرين. كذبوا على الله وصفوه بما لا يجوز عليه تعالى وهو متعال عنه فأضافوا إليه الولد والشريك
وقالوا هؤلاء شفعاؤنا. وقالوا لو شاء الرحمن ما عبدناهم. وقالوا والله أمرنا بها ولا يبعد عنهم قوم
يسفهونه بفعل القبائح وتجويز أن يخلق خلقا لا لغرض ويؤلم لا لعوض ويظلمونه بتكليف ما لا يطاق
ويجسمونه بكونه مرئيا معاينا مدركا بالحاسة ويثبتون له يدا وقدما وجنبا مستترين بالبلكفة.
ويجعلون له أندادا بإثباتهم معه قدماء. وجوههم مسودة جملة في موضع الحال إن كان ترى من رؤية
البصر ومفعول ثان إن كان من رؤية القلب وينجي الله الذين اتقوا بمفازتهم لا يمسهم السوء
ولا هم يحزنون وقرئ ينجي وينجي بمفازاتهم بفلاحهم يقال فاز بكذا إذا أفلح به وظفر بمراده
منه وتفسير المفازة قوله تعالى لا يمسهم السوء ولا هم يحزنون كأنه قيل وما مفازتهم فقيل لا يمسهم
السوء أي ينجيهم بنفي السوء والحزن عنهم أو بسبب منجاتهم من قوله تعالى فلا تحسبنهم بمفازة من العذاب
أي بمنجاة منه لأن النجاة من أعظم الفلاح وسبب منجاتهم العمل الصالح ولهذا فسر ابن عباس رضي الله
عنهما المفازة بالأعمال الحسنة ويجوز بسبب فلاحهم لأن العمل الصالح سبب الفلاح وهو دخول الجنة
ويجوز أن يسمى العمل الصالح في نفسه مفازة لأنه سببها. وقرئ بمفازاتهم على أن لكل متق مفازة فإن
قلت لا يمسهم السوء ما محله من الإعراب على التفسيرين قلت أما على التفسير الأول فلا محل له
لأنه كلام مستأنف. وأما على الثاني فمحله النصب على الحال الله خالق كل شيء وهو على كل شيء وكيل
له مقاليد السموات والأرض والذين كفروا بآيات الله أولئك هم الخاسرون. له
مقاليد السموات والأرض أي هو مالك أمرها وحافظها وهو من باب الكناية لأن حافظ الخزائن
ومدبر أمرها هو الذي يملك مقاليدها. ومنه قولهم فلان ألقيت إليه مقاليد الملك وهي المفاتيح
ولا واحد لها من لفظها وقيل مقليد ويقال إقليد وأقاليد والكلمة أصلها فارسية فإن قلت
ما للكتاب العربي المبين وللفارسية قلت التعريب أحالها عربية كما أخرج الاستعمال المهمل
من كونه مهملا. فإن قلت بم اتصل قوله تعالى والذين كفروا. قلت بقوله وينجي الله الذين اتقوا أي

وينجي الله المتقين بمفازتهم والذين كفروا هم الخاسرون واعترض بينهما بانه خالق الاشياء كلها وهو
مهيمن عليها فلا يخفى عليه شئ من اعمال المكلفين فيها وما يستحقون عليها من الجزاء وقد جعل متصلا بما
يليه على ان كل شئ في السموات والارض فالله خالقه وفاتح بابه والذين كفروا وجحدوا ان
يكون الامر كذلك اولئك هم الخاسرون وقيل سال عثمان رضي الله عنه رسول الله صلى الله عليه وسلم
عن تفسير قوله له مقاليد السموات والارض فقال يا عثمان ما سالني عنها احد قبلك تفسيرها لا اله
الا الله والله اكبر وسبحان الله وبحمده واستغفر الله ولا حول ولا قوة الا بالله هو الاول والاخر
والظاهر والباطن بيده الخير يحيي ويميت وهو على كل شئ قدير وتاويله على هذا ان لله هذه الكلمات
يوحد بها ويمجد وهي مفاتيح خير السموات والارض من تكلم بها من المتقين اصابه والذين كفروا
بآيات الله وكلمات توحيده وتمجيده اولئك هم الخاسرون **قل افغير الله تامروني اعبد ايها**
الجاهلون افغير الله منصوب باعبد وتامروني اعتراض ومعناه افغير الله اعبد بامركم وذلك
حين قال له المشركون استلم بعض الهتنا ونؤمن بالهك او ينصب بما دل عليه جملة قوله تعالى
تامروني اعبد لانه في معنى تعبدونني وتقولون لي اعبد والاصل تامرونني ان اعبد فحذف ان
ورفع الفعل كما في قوله الا ايهذا الزاجري احضر الوغى الا تراك تقول افغير الله تقولون لي اعبده
وافغير الله تقولون لي اعبد فكذلك افغير الله تامرونني ان اعبده والدليل على صحة هذا الوجه
قراءة من قرا اعبد بالنصب وقرئ تامرونني على الاصل وتامروني على ادغام النون او حذفها
ولقد اوحي اليك والى الذين من قبلك لئن اشركت ليحبطن عملك ولتكونن من الخاسرين
قرئ ليحبطن عملك وليحبطن على البناء للمفعول ولنحبطن بالنون وبالياء اي ليحبطن الله او الشرك
فان قلت الموحى اليهم جماعة فكيف قال لئن اشركت على التوحيد **قلت** معناه لئن اشركت
ليحبطن عملك والى الذين من قبلك مثله واوحي اليك والى كل واحد منهم لئن اشركت كما تقول كسانا حلة
اي كل واحد منا **فان قلت** ما الفرق بين اللامين **قلت** الاولى موطئة للقسم المحذوف والثانية
لام الجواب وهذا الجواب ساد مسد الجوابين اعني جوابي القسم والشرط **فان قلت** كيف صح هذا الكلام
مع الله تعالى ان رسله لا يشركون ولا تحبط اعمالهم **قلت** هو على سبيل الفرض والمحالات يصح فرضها
لاغراض فكيف بما ليس بمحال الا ترى الى قوله ولو شاء ربك لآمن من في الارض كلهم جميعا يعني على سبيل
الالجاء ولن يكون ذلك لامتناع الداعي اليه ووجود الصارف عنه **فان قلت** ما معنى قوله ولتكونن
من الخاسرين **قلت** يحتمل ولتكونن من الخاسرين بسبب حبوط العمل ويحتمل ولتكونن في الآخرة
من جملة الخاسرين الذين خسروا انفسهم ان مت على الردة ويجوز ان يكون غضب الله على الرسول
اشد فلا يمهله بعد الردة الا ترى الى قوله اذا لاذقناك ضعف الحيوة وضعف الممات **بل الله**
فاعبد وكن من الشاكرين بل الله فاعبد رد لما امروه به من استلام بعض الهتهم كانه قال لا تعبد
ما امروك بعبادته بل ان كنت عاقلا فاعبد الله فحذف الشرط وجعل تقديم المفعول عوضا منه
وكن من الشاكرين على ما انعم به عليك من ان جعلك سيد ولد ادم عليه السلام وجوز الفراء نصبه
بفعل مضمر هذا معطوف عليه تقديره بل الله اعبد فاعبد **وما قدروا الله حق قدره والارض**
جميعا قبضته والسموات مطويات بيمينه سبحانه وتعالى عما يشركون لما كان العظيم من
الاشياء اذا عرفه الانسان حق معرفته وقدره في نفسه حق تقديره عظمه حق تعظيمه قيل وما قدروا

الله حق قدره **وقرئ** بالتشديد على معنى وما عظموه كنه تعظيمه ثم نبههم على عظمته وجلالة شانه
على طريقة التخييل فقال والارض جميعا قبضته يوم القيمة والسموات مطويات بيمينه والغرض من هذا
الكلام اذا اخذته كما هو بجملته ومجموعه تصوير عظمته والتوقيف على كنه جلاله لا غير من غير ذهاب
بالقبضة ولا باليمين الى جهة حقيقة او جهة مجاز وكذلك حكم ما يروى ان جبريل عليه السلام جاء الى
رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال يا ابا القاسم ان الله تعالى يمسك السموات يوم القيمة على اصبع
والارضين على اصبع والجبال على اصبع والشجر على اصبع والثرى على اصبع وسائر الخلق على اصبع ثم يهزهن
فيقول انا الملك فضحك رسول الله صلى الله عليه وسلم تعجبا مما قال ثم قرا تصديقا له وما قدروا الله
حق قدره الآية وانما ضحك افصح العرب وتعجب لانه لم يفهم منه الا ما يفهمه علماء البيان من غير تصور
امساك ولا اصبع ولا هز ولا شئ من ذلك ولكن فهمه وقع اول شئ واخره على الزبدة والخلاصة التي هي
الدلالة على القدرة الباهرة وان الافعال العظام التي تتحير فيها الافهام والاذهان ولا تكتنهها الاوهام
هينة عليه هوانا لا يوصل السامع الى الوقوف عليه الا اجراء العبارة في مثل هذه الطريقة من التخييل
ولا ترى بابا في علم البيان ادق ولا ارق ولا الطف من هذا الباب ولا انفع واعون على تعاطي تاويل المشتبهات
من كلام الله في القرآن وسائر الكتب السماوية وكلام الانبياء فان اكثره وعليته تخييلات قد زلت فيها
الاقدام قديما وما اتى الزالون الا من قلة عنايتهم بالبحث والتنقير حتى يعلموا ان في عداد العلوم
الدقيقة علما لو قدروه حق قدره لما خفي عليهم ان العلوم كلها مفتقرة اليه وعيال عليه اذ لا يحل
عقدها المورية ولا يفك قيودها المكربة الا هو وكم آية من آيات التنزيل وحديث من احاديث الرسول
عليه السلام قد ضيم وسيم الخسف بالتاويلات الغثة والوجوه الرثة لان من تاول ليس من هذا
العلم في عير ولا نفير ولا يعرف قبيلا من دبير والمراد بالارض الارضون السبع يشهد لذلك شاهدا
قوله جميعا وقوله والسموات ولان الموضع موضع تعظيم وتفخيم فهو مقتض للمبالغة ومع القصد الى
الجمع وتاكيده بالجميع اتبع الجميع مؤكده قبل مجئ الخبر ليعلم اول الامر ان الخبر الذي يرد لا يقع عن ارض
واحدة ولكن عن الاراضي كلهن والقبضة المرة من القبض قبضت قبضة من اثر الرسول والقبضة
بالضم المقدار المقبوض بالكف ويقال ايضا اعطني قبضة من كذا يريد معنى القبضة تسمية بالمصدر
كما روي انه نهى عن خطفة السبع وكلا المعنيين محتمل والارضون جميعا قبضته اي ذوات قبضته
يقبضهن قبضة واحدة يعني ان الارضين مع عظمهن وبسطتهن لا يبلغن الا قبضة واحدة من
قبضاته كانه يقبضها قبضة بكف واحدة كما تقول الجزور اكلة لقمان والقلة جرعته اي ذات اكلته
وذات جرعته يريد انهما لا تفيان الا باكلة فذة من اكلاته وجرعة فردة من جرعاته واذا اريد معنى
القبضة فظاهر لان المعنى ان الارضين بجملتها مقدار ما يقبضه بكف واحدة **فان قلت** ما وجه
قراءة من قرا قبضته بالنصب **قلت** جعلها ظرفا مشبها للموقت بالمبهم مطويات من الطي الذي هو
ضد النشر كما قال تعالى يوم نطوي السماء كطي السجل للكتب وعادة طاوي السجل ان يطويه بيمينه
وقيل قبضته ملكه بلا مدافع ولا منازع وبيمينه بقدرته وقيل مطويات بيمينه مفنيات بقسمه
لانه اقسم ان يفنيها ومن اشتم رائحة من علم البيان هذا فليعرض عليه هذا التاويل ليتلهى به بالتعجب
منه ومن قائله ثم يبكي حمية لكلام الله المعجز بفصاحته وما مني به من امثاله واثقل منه على الروح
واصدع للكبد تدوين العلماء قوله واستحسانهم له وحكايته على فروع المنابر واستجلاب الاهتزاز به

بين التابعين وقرئ مطويات على نظم السموات في حكم الارض ودخولها تحت القبضة ونصب مطويات
على الحال سبحانه وتعالى ما ابعده من هذه قدرته وعظمته وما اعلاه عما يضاف اليه من الشركاء ونفخ
في الصور فصعق من في السموات ومن في الارض الا من شاء الله ثم نفخ فيه اخرى فاذا هم
قيام ينظرون فان قلت اخرى ما محلها من الاعراب قلت يحتمل الرفع والنصب اما الرفع
فعلى قوله تعالى فاذا نفخ في الصور نفخة واحدة واما النصب فعلى قراءة من قرأ نفخة واحدة والمعنى
ونفخ في الصور نفخة واحدة ثم نفخ فيه اخرى وانما حذفت لدلالة اخرى عليها ولكونها معلومة بذكرها
في غير مكان وقرئ قياما ينظرون يقلبون ابصارهم في الجهات نظر المبهوت اذا فاجأه خطب
وقيل ينظرون ماذا يفعل بهم ويجوز ان يكون القيام بمعنى الوقوف والجمود في مكان لتحيرهم
ووضع الكتاب وجيء بالنبيين والشهداء وقضي بينهم بالحق وهم لا يظلمون ووفيت كل
نفس ما عملت وهو اعلم بما يفعلون قد استعار الله عز وجل النور للحق والقرآن والبرهان
في مواضع من التنزيل وهذا من ذاك والمعنى واشرقت الارض بما يقيمه فيها من الحق والعدل ويبسطه
من القسط في الحساب ووزن الحسنات والسيئات وينادي عليه بانه مستعار اضافته الى اسمه لانه هو الحق
العدل واضافة اسمه الى الارض لانه يزينها حيث ينشر فيها عدله وينصب فيها موازين قسطه ويحكم
بالحق بين اهلها ولا ترى ازين للبقاع من العدل ولا اعمر لها منه وفي هذه الاضافة ان ربها وخالقها
هو الذي يعدل فيها وانما يجور فيها غير ربها ثم ما عطف على اشراق الارض من وضع الكتاب والمجيء
بالنبيين والشهداء والقضاء بالحق وهو النور المذكور وترى الناس يقولون للملك العادل اشرقت
الآفاق بعدلك واضاءت الدنيا بقسطك كما يقولون اظلمت البلاد بجور فلان وقال رسول الله صلى
الله عليه وسلم الظلم ظلمات يوم القيامة وكما فتح الآية باثبات العدل ختمها بنفي الظلم وقرئ
واشرقت على البناء للمفعول من شرقت بالضوء تشرق اذا امتلأت به واغتصت واشرقها الله كما تقول
ملأ الارض عدلا وطبقها عدلا والكتاب صحائف الاعمال ولكنه اكتفى باسم الجنس وقيل اللوح المحفوظ
والشهداء الذين يشهدون للامم وعليهم من الحفظة والاخيار وقيل المستشهدون في سبيل الله وسيق
الذين كفروا الى جهنم زمرا حتى اذا جاؤها فتحت ابوابها وقال لهم خزنتها الم يأتكم رسل
منكم يتلون عليكم آيات ربكم وينذرونكم لقاء يومكم هذا قالوا بلى ولكن حقت كلمة
العذاب على الكافرين الزمر الافواج المتفرقة بعضها في اثر بعض وقد تزمروا قال
وقيل في زمر الذين اتقوا هي الطبقات المختلفة الشهداء والزهاد والعلماء والقراء
وغيرهم وقرئ نذر منكم فان قلت لم اضيف اليهم اليوم قلت ارادوا لقاء وقتكم هذا
وهو وقت دخولهم النار لا يوم القيامة وقد جاء استعمال اليوم والايام مستفيضا في اوقات الشدة
قالوا بلى اتونا وتلوا علينا ولكن وجبت علينا كلمة الله لاملأن لسوء اعمالنا كما قالوا غلبت علينا شقوتنا
وكنا قوما ضالين فذكروا اعمالهم الموجب لكلمة العذاب وهو الكفر والضلال قيل ادخلوا ابواب جهنم
خالدين فيها فبئس مثوى المتكبرين اللام في المتكبرين للجنس لان مثوى المتكبرين فاعل
بئس وبئس فاعلها اسم معرف بلام الجنس او مضاف الى مثله والمخصوص بالذم محذوف تقديره فبئس
مثوى المتكبرين جهنم وسيق الذين اتقوا ربهم الى الجنة زمرا حتى اذا جاؤها وفتحت ابوابها
وقال لهم خزنتها سلام عليكم طبتم فادخلوها خالدين حتى هي التي تحكى بعدها الجمل والجملة

واشرقت الارض بنور ربها

المحكية بعدها هي الشرطية الا ان جزاءها محذوف وانما حذف لانه في صفة ثواب اهل الجنة فدل
بحذفه على انه شيء لا يحيط به الوصف وحق موقعه ما بعد خالدين وقيل حتى اذا جاؤها جاؤها
وفتحت ابوابها اي مع فتح ابوابها وقيل ابواب جهنم لا تفتح الا عند دخول اهلها فيها واما ابواب
الجنة فمتقدم فتحها بدليل قوله تعالى جنات عدن مفتحة لهم الابواب فلذلك جيء بالواو كانه قيل
حتى اذا جاؤها وقد فتحت ابوابها فان قلت كيف عبر عن الذهاب بالفريقين جميعا بلفظ
السوق قلت المراد بسوق اهل النار طردهم اليها بالهوان والعنف كما يفعل بالاسارى والخارجين
على السلطان اذا سيقوا الى حبس او قتل والمراد بسوق اهل الجنة سوق مراكبهم لانه لا يذهب بهم
الا راكبين وحثها اسراعا بهم الى دار الكرامة والرضوان كما يفعل بمن يشرف ويكرم من الوافدين على
بعض الملوك فشتان ما بين السوقين طبتم من دنس المعاصي وطهرتم من خبث الخطايا فادخلوها
جعل دخول الجنة مسببا عن الطيب والطهارة فما هي الا دار الطيبين ومثوى الطاهرين لانها دار
طهرها الله من كل دنس وطيبها من كل قذر فلا يدخلها الا مناسب لها موصوف بصفتها فما ابعد
احوالنا من تلك المناسبة وما اضعف سعينا في اكتساب تلك الصفة الا ان يهب لنا الوهاب
الكريم توبة نصوحا تنقي انفسنا من درن الذنوب وتميط وضر هذه القلوب خالدين مقدرين
الخلود وقالوا الحمد لله الذي صدقنا وعده واورثنا الارض نتبوأ من الجنة حيث نشاء
فنعم اجر العاملين الارض عبارة عن المكان الذي اقاموا فيه واتخذوه مقرا ومتبوأ وقد اورثوها
اي ملكوها وجعلوا ملوكها واطلق تصرفهم فيها كما يشاؤن تشبيها بحال الوارث وتصرفه فيما يرثه
واتساعه فيه وذهابه في انفاقه طولا وعرضا فان قلت ما معنى قوله تعالى حيث نشاء وهل
يتبوأ احدهم مكان غيره   يكون لكل واحد منهم جنة لا توصف زيادة وسعة على الحاجة
فيتبوأ من جنته حيث يشاء ولا يحتاج الى جنة غيره وترى الملائكة حافين من حول العرش يسبحون
بحمد ربهم وقضي بينهم بالحق وقيل الحمد لله رب العالمين حافين محدقين من حوله
يسبحون بحمد ربهم يقولون سبحان الله والحمد لله متلذذين لا متعبدين فان قلت الام يرجع
الضمير في قوله بينهم قلت يجوز ان يرجع الى العباد كلهم وان ادخال بعضهم النار وبعضهم الجنة
لا يكون الا قضاء بينهم بالحق والعدل وان يرجع الى الملائكة على ان ثوابهم وان كانوا معصومين
جميعا لا يكون على سنن واحد ولكن يفاضل بين مراتبهم على حسب تفاضلهم في اعمالهم وهو القضاء
بينهم بالحق فان قلت قوله تعالى وقيل الحمد لله من القائل ذلك قلت المقضي بينهم اما جميع العباد
واما الملائكة كانه قيل وقضي بينهم بالحق وقالوا الحمد لله على قضائه بيننا بالحق وانزال كل منا
منزلته التي هي حقه عن رسول الله صلى الله عليه وسلم من قرأ سورة الزمر لم يقطع الله رجاءه يوم
القيامة واعطاه الله ثواب الخائفين الذين خافوا وعن عائشة رضي الله عنها عن النبي عليه السلام كان يقرأ
كل ليلة بني اسرائيل والزمر

وقيل في الحواميم كلها انها مكيات وهي خمس وثمانون او ثنتان وثمانون آية بسم الله الرحمن الرحيم
حم تنزيل الكتاب من الله العزيز العليم قرئ باماله حا وتفخيمها وبتسكين الميم وفتحها
ووجه الفتح التحريك لالتقاء الساكنين وايثار اخف الحركات نحو اين وكيف او النصب باضمار اقرأ

ومنع الصرف للتأنيث والتعريف وانما على زنة اعجمي نحو قابيل وهابيل **غافر الذنب وقابل التوب
شديد العقاب ذي الطول لا اله الا هو اليه المصير** التوب والثوب والاوب اخوات في
معنى الرجوع والطول الفضل والزيادة يقال لفلان على فلان طول والافضال يقال طال
عليه وتطول اذا تفضل **فان قلت** كيف اختلفت هذه الصفات تعريفا وتنكيرا والموصوف
معرفة تقتضي ان تكون مثله معارف اما غافر الذنب وقابل التوب فمعرفتان لم يرد
بهما حدوث الفعلين وانه يغفر الذنب ويقبل التوب الآن او غدا حتى يكونا في تقدير الانفصال
فتكون اضافتهما غير حقيقية وانما اريد ثبوت ذلك ودوامه فكان حكمهما حكم اله الخلق ورب
العرش واما شديد العقاب فامره مشكل لانه في تقدير شديد عقابه لا ينفك من هذا
التقدير وقد جعله الزجاج بدلا وفي كونه بدلا وحده بين الصفات نبو ظاهر والوجه ان
يقال لما صودف بين هؤلاء المعارف هذه النكرة الواحدة فقد آذنت بان كلها ابدال غير اوصاف
ومثال ذلك قصيدة جاءت تفاعيلها كلها على مستفعلن وهي محكوم عليها بانها من بحر الرجز فان وقع
فيها جزء واحد على متفاعلن كانت من الكامل ولقائل ان يقول هي صفات وانما حذف الالف
واللام من شديد العقاب ليزاوج ما قبله وما بعده لفظا فقد غيروا كثيرا من كلامهم عن قوانينه
لاجل الازدواج حتى قالوا ما يعرف سحادليه من عنادليه فثنوا ما هو وتر لاجل ما هو شفع على ان
الخليل قال في قولهم ما يحسن بالرجل مثلك ان يفعل ذلك وما يحسن بالرجل خير منك ان يفعل
انه على نية الالف واللام كما كان الجماء الغفير على نية طرح الالف واللام ومما سهل ذلك الامن
من اللبس وجهالة الموصوف ويجوز ان يقال قد تعمد تنكيره وابهامه للدلالة على فرط الشدة
وعلى ما لا شيء ادهى منه وامر لزيادة الانذار ويجوز ان يقال هذه النكتة هي الداعية الى اختيار
البدل على الوصف اذا سلكت طريقة الابدال **فان قلت** ما بال الواو في قوله تعالى وقابل التوب
قلت فيها نكتة جليلة وهي افادة الجمع للمذنب التائب بين رحمتين بين ان يقبل توبته فيكتبها له
طاعة من الطاعات وان يجعلها محاءة للذنوب كأن لم يذنب كانه قال جامع المغفرة والقبول وروي
ان عمر رضي الله عنه افتقد رجلا ذا بأس شديد من اهل الشام فقيل له تتابع في هذا الشراب فقال عمر
رضي الله عنه لكاتبه اكتب من عمر الى فلان سلام عليك وانا احمد اليك الله الذي لا اله الا هو بسم
الله الرحمن الرحيم حم الى قوله اليه المصير وختم الكتاب وقال لرسوله لا تدفعه اليه حتى
تجده صاحيا ثم امر من عنده بالدعاء له بالتوبة فلما اتته الصحيفة جعل يقرؤها ويقول قد وعدني
الله ان يغفر لي وحذرني عقابه فلم يبرح يرددها حتى بكى ثم نزع فاحسن النزوع وحسنت توبته
فلما بلغ عمر امره قال هكذا فاصنعوا اذا رأيتم اخاكم قد زل زلة فسددوه ووفقوه وادعوا الله
له ان يتوب عليه ولا تكونوا اعوانا للشياطين عليه **ما يجادل في آيات الله الا الذين كفروا فلا
يغررك تقلبهم في البلاد** سجل على المجادلين في آيات الله بالكفر والمراد الجدال بالباطل من الطعن
فيها والقصد الى ادحاض الحق واطفاء نور الله وقد دل على ذلك في قوله تعالى وجادلوا بالباطل
ليدحضوا به الحق فاما الجدال فيها لايضاح ملتبسها وحل مشكلها ومقادحة اهل العلم في استنباط
معانيها ورد اهل الزيغ بها وعنها فاعظم جهاد في سبيل الله وقوله صلى الله عليه وسلم ان جدالا
في القرآن كفر وايراده منكرا وان لم يقل ان الجدال تمييز منه بين جدال وجدال **فان قلت**

من اين تسبب لقوله فلا يغررك ما قبله **قلت** من حيث انهم لما كانوا مشهودا عليهم من قبل الله بالكفر والكافر
لا احد اشقى منه عند الله وجب على من تحقق ذلك ان لا ترجح احوالهم في عينه ولا يغره اقبالهم في دنياهم وتقلبهم
في البلاد بالتجارات النافقة والمكاسب المربحة وكانت قريش كذلك يتقلبون في بلاد الشام واليمن
ولهم الاموال يتجرون فيها ويتربحون فان مصير ذلك وعاقبته الى الزوال ووراءه شقاوة الابد ثم
ضرب لتكذيبهم وعداوتهم للرسل وجدالهم بالباطل وما ادخر لهم من سوء العاقبة مثلا ما كان من نحو
ذلك في الامم وما اخذهم به من عقابه واحل بساحتهم من انتقامه **وقرئ** لا يغرك **كذبت قبلهم
قوم نوح والاحزاب من بعدهم وهمت كل امة برسولهم ليأخذوه وجادلوا بالباطل ليدحضوا
به الحق فاخذتهم فكيف كان عقاب** الاحزاب الذين تحزبوا على الرسل وناصبوهم وهم عاد وثمود
وفرعون وغيرهم وهمت كل امة من هذه الامم التي هي قوم نوح والاحزاب برسولهم وقرئ برسولها
ليأخذوه ليتمكنوا منه ومن الايقاع به واصابته بما ارادوه من تعذيب او قتل ويقال للاسير اخيذ
فاخذتهم يعني انهم قصدوا اخذه فجعلت جزاءهم على ارادة اخذه ان اخذتهم فكيف كان عقابي فانكم
تمرون على بلادهم ومساكنهم فتعاينون اثر ذلك وهذا تقرير فيه معنى التعجيب **وكذلك حقت
كلمة ربك على الذين كفروا انهم اصحاب النار** انهم اصحاب النار في محل الرفع بدل من كلمة ربك
اي مثل ذلك الوجوب وجب على الكفرة كونهم من اصحاب النار ومعناه كما وجب اهلاكهم في الدنيا
بالعذاب المستأصل كذلك وجب اهلاكهم بعذاب النار في الآخرة او في محل النصب بحذف لام التعليل
وايصال الفعل والذين كفروا قريش ومعناه كما وجب اهلاك اولئك الامم كذلك وجب اهلاك
هؤلاء لان علة واحدة تجمعهم انهم من اصحاب النار **وقرئ** كلمات **الذين يحملون العرش ومن حوله
يسبحون بحمد ربهم ويؤمنون به ويستغفرون للذين آمنوا ربنا وسعت كل شيء رحمة
وعلما فاغفر للذين تابوا واتبعوا سبيلك وقهم عذاب الجحيم ربنا وادخلهم جنات عدن
التي وعدتهم ومن صلح من آبائهم وازواجهم وذرياتهم انك انت العزيز الحكيم وقهم السيئات
ومن تق السيئات يومئذ فقد رحمته وذلك هو الفوز العظيم** **روي** ان حملة العرش
ارجلهم في الارض السفلى ورؤوسهم قد خرقت العرش وهم خشوع لا يرفعون طرفهم وعن النبي صلى الله
عليه وسلم لا تتفكروا في عظم ربكم ولكن تفكروا فيما خلق الله من الملائكة فان خلقا من الملائكة
يقال له اسرافيل زاوية من زوايا العرش على كاهله وقدماه في الارض السفلى وقد مرق رأسه من
سبع سموات وانه ليتضاءل من عظمة الله حتى يصير كانه الوصع وفي الحديث ان الله تعالى امر جميع
الملائكة ان يغدوا ويروحوا بالسلام على حملة العرش تفضيلا لهم على سائر الملائكة وقيل خلق الله
العرش من جوهرة خضراء وبين القائمتين من قوائمه خفقان الطير المسرع ثمانين الف عام وقيل حول
العرش سبعون الف صف من الملائكة يطوفون به مهللين مكبرين ومن ورائهم سبعون الف
صف قيام قد وضعوا ايديهم على عواتقهم رافعين اصواتهم بالتهليل والتكبير ومن ورائهم مائة الف
صف قد وضعوا الايمان على الشمائل ما منهم احد الا وهو يسبح بما لا يسبح به الآخر وقرأ ابن عباس
رضي الله عنهما العرش بضم العين **فان قلت** ما فائدة قوله تعالى ويؤمنون به ولا يخفى على
احد ان حملة العرش ومن حوله من الملائكة الذين يسبحون بحمده مؤمنون **قلت** فائدته
اظهار شرف الايمان وفضله والترغيب فيه كما وصف الانبياء في غير موضع من كتابه بالصلاح لذلك

وكما عقبا عما له الحمد بقوله تعالى ثم كان من الذين آمنوا فأبان بذلك فضل الايمان وفائدة اخرى وهي التنبيه على ان الامر لو كان كما يقول المجسمة لكان حملة العرش ومن حوله مشاهدين معاينين ولما وصفوا بالايمان لانه انما يوصف بالايمان الغائب فلما وصفوا به على سبيل الثناء عليهم علم ان ايمانهم وايمان من في الارض وكل من غاب عن ذلك المقام سواء في ان ايمان الجميع بطريق النظر والاستدلال لا غير وانه لا طريق الى معرفته الا هذا وانه منزه عن صفات الاجرام وقد روعي التناسب في قوله تعالى ويؤمنون به ويستغفرون للذين آمنوا كانه قيل ويؤمنون ويستغفرون لمن في مثل حالهم وصفتهم وفيه تنبيه على ان الاشتراك في الايمان يجب ان يكون ادعى شيء الى النصيحة وابعثه على امحاض الشفقة وان تفاوتت الاجناس وتباعدت الاماكن فانه لا تجانس بين ملك وانسان ولا بين سماوي وارضي قط ثم لما جاء جامع الايمان جاء معه التجانس الكلي والتناسب الحقيقي حتى استغفر من حول العرش لمن فوق الارض قال الله تعالى ويستغفرون لمن في الارض اي يقولون ربنا وهذا المضمر يحتمل ان يكون بيانا ليستغفرون مرفوع المحل مثله وان يكون حالا **فان قلت** تعالى الله عن المكان فكيف صح ان يقال وسع كل شيء **قلت** الرحمة والعلم هما اللذان وسعا كل شيء في المعنى والاصل وسع كل شيء رحمتك وعلمك ولكن ازيل الكلام عن اصله بان اسند الفعل الى صاحب الرحمة والعلم واخرجا منصوبين على التمييز للاغراق في وصفه بالرحمة والعلم كان ذاته رحمة وعلم واسعان كل شيء فان قلت قد ذكر الرحمة والعلم فوجب ان يكون ما بعد الفاء مشتملا على حديثهما جميعا وما ذكر الا الغفران وحده قلت معناه فاغفر للذين علمت منهم التوبة واتباع سبيلك وسبيل الله سبيل الحق التي نهجها لعباده ودعا اليها انك انت العزيز الحكيم اي الملك الذي لا يغلب وانت مع ملكك وعزتك لا تفعل شيئا الا بداعي الحكمة وموجب حكمتك ان تفي بوعدك وقهم السيئات اي العقوبات او جزاء السيئات فحذف المضاف على ان السيئات هي الصغائر او الكبائر المتوب عنها والوقاية منها التكفير او قبول التوبة **فان قلت** ما الفائدة في استغفارهم لهم وهم تائبون صالحون موعودون المغفرة والله لا يخلف الميعاد هذا بمنزلة الشفاعة وفائدته زيادة الكرامة والثواب **وقرئ** جنة عدن وصلح بضم اللام والفتح افصح يقال صلح فهو صالح وصلح فهو صليح وذرياتهم **ان الذين كفروا ينادون لمقت الله اكبر من مقتكم انفسكم اذ تدعون الى الايمان فتكفرون** اي ينادون يوم القيمة فيقال لهم لمقت الله اكبر والتقدير لمقت الله انفسكم اكبر من مقتكم انفسكم فاستغنى بذكرها مرة واذ تدعون منصوب بالمقت الاول والمعنى انه يقال لهم يوم القيمة كان الله يمقت انفسكم الامارة بالسوء والكفر حين كان الانبياء عليهم السلام يدعونكم الى الايمان فتأبون قبوله وتختارون عليه الكفر اشد مما تمقتونهن اليوم وانتم في النار اذ اوقعتكم فيها باتباعكم هواهن وعن الحسن لما راوا اعمالهم الخبيثة مقتوا انفسهم فنودوا لمقت الله وقيل معناه لمقت الله اياكم الان اكبر من مقت بعضكم لبعض كقوله عز وجل يكفر بعضكم ببعض ويلعن بعضكم بعضا واذ تدعون تعليل والمقت اشد البغض فوضع في موضع ابلغ الانكار واشده **قالوا ربنا امتنا اثنتين واحييتنا اثنتين فاعترفنا بذنوبنا فهل الى خروج من سبيل ذلكم بانه اذا دعي الله وحده كفرتم وان يشرك به تؤمنوا فالحكم لله العلي الكبير** اثنتين اماتتين واحياءتين او موتتين وحيوتين واراد بالاماتتين خلقهم امواتا اولا واماتتهم عند انقضاء آجالهم وبالاحياءتين الاحياءة الاولى

واحياءة البعث وناهيك تفسيرا لذلك قوله تعالى وكنتم امواتا فاحياكم ثم يميتكم ثم يحييكم وكذا عن ابن عباس **فان قلت** كيف صح ان يسمى خلقهم امواتا اماتة **قلت** كما صح ان تقول سبحان من صغر جسم البعوضة وكبر جسم الفيل وقولك للحفار ضيق فم الركية ووسع اسفلها وليس ثم نقل من كبر الى صغر ولا من صغر الى كبر ولا من ضيق الى سعة ولا من سعة الى ضيق وانما اردت الانشاء على تلك الصفات والسبب في صحته ان الصغر والكبر جائزان معا على المصنوع الواحد من غير ترجح لاحدهما وكذلك الضيق والسعة فاذا اختار الصانع احد الجائزين وهو متمكن منهما على السواء فقد صرف المصنوع عن الجائز الاخر فجعل صرفه عنه كنقله منه ومن جعل الاماتتين التي بعد حيوة الدنيا والتي بعد حيوة القبر لزمه اثبات ثلث احياءات وهو خلاف ما في القرآن الا ان يتمحل فيجعل احديهما غير معتد بها او يزعم ان الله يحييهم في القبور وتستمر بهم تلك الحيوة فلا يموتون بعدها ويعدهم في المستثنين من الصعقة في قوله تعالى الا من شاء الله **فان قلت** كيف تسبب هذا لقوله تعالى فاعترفنا بذنوبنا قلت قد انكروا البعث فكفروا واتبع ذلك من الذنوب ما لا يحصى لان من لم يخش العاقبة تخرق في المعاصي فلما راوا الاماتة والاحياء قد تكررا عليهم علموا بان الله قادر على الاعادة قدرته على الا نشاء فاعترفوا بذنوبهم التي اقترفوها من انكار البعث وما تبعه من معاصيهم فهل الى خروج اي الى نوع من الخروج سريع او بطيء من سبيل قط ام اليأس واقع دون ذلك فلا خروج ولا سبيل اليه وهذا كلام من غلب عليه اليأس والقنوط وانما يقولون ذلك تعللا وتحيرا ولهذا جاء الجواب على حسب ذلك وهو قوله تعالى ذلكم اي ذلكم الذي انتم فيه وان لا سبيل لكم الى خروج قط بسبب كفركم بتوحيد الله وايمانكم بالاشر ك به فالحكم لله حيث حكم عليكم بالعذاب السرمد وقوله تعالى العلي الكبير دلالة على الكبرياء والعظمة وعلى ان عقاب مثله لا يكون الا كذلك وهو الذي يطابق كبرياءه ويناسب جبروته وقيل كان الحرورية اخذوا قولهم لا حكم الا لله من هذا **هو الذي يريكم آياته وينزل لكم من السماء رزقا وما يتذكر الا من ينيب فادعوا الله مخلصين له الدين ولو كره الكافرون** يريكم آياته من الريح والسحاب والرعد والبرق والصواعق ونحوها والرزق المطر لانه سببه وما يتذكر الا من ينيب وما يتعظ وما يعتبر بآيات الله الا من يتوب من الشرك ويرجع الى الله فان المعاند لا سبيل الى تذكره واتعاظه ثم قال للمنيبين فادعوا الله اي اعبدوه مخلصين له الدين من الشرك وان غاظ ذلك اعداءكم ممن ليس على دينكم **رفيع الدرجات ذو العرش يلقي الروح من امره على من يشاء من عباده لينذر يوم التلاق يوم هم بارزون** رفيع الدرجات ذو العرش يلقي الروح ثلاثة اخبار لقوله هو مترتبة على قوله الذي يريكم او اخبار مبتدأ محذوف وهي مختلفة تعريفا وتنكيرا **وقرئ** رفيع الدرجات بالنصب على المدح ورفيع الدرجات كقوله ذي المعارج وهي مصاعد الملائكة الى ان تبلغ العرش وهي دليل على عزته وملكوته وعن ابن جبير سماء فوق سماء والعرش فوقهن ويجوز ان يكون عبارة عن رفعة شأنه وعلو سلطانه كما ان ذا العرش عبارة عن ملكه وقيل هي درجات ثوابه التي ينزلها اولياءه في الجنة الروح من امره الذي هو سبب الحيوة من امره يريد الوحي الذي هو امر بالخير وبعث عليه فاستعار له الروح كما قال تعالى اومن كان ميتا فاحييناه لينذر الله او الملقى عليه وهو الرسول او الروح **وقرئ** لتنذر اي لتنذر الروح لانها تؤنث او على خطاب الرسول وقرئ لينذر يوم التلاق على البناء للمفعول ويوم التلاق يوم القيمة لان الخلائق تلتقي فيه وقيل تلتقي

فيه اهل السماء واهل الارض • وقيل المعبود والعابد يوم هم بارزون ظاهرون لا يسترهم شيء من جبل او اكمة او بناء لان الارض بارزة قاع صفصف ولا عليهم ثياب انما هم عراة مكشوفون كما جاء في الحديث يحشرون حفاة عراة غرلا لا يخفى على الله منهم شيء لمن الملك اليوم لله الواحد القهار • لا يخفى على الله منهم شيء اي من اعمالهم واحوالهم • وعن ابن مسعود رضي الله عنه لا يخفى عليه منهم شيء **فان قلت** قوله تعالى لا يخفى على الله منهم شيء بيان وتقرير لبروزهم والله تعالى لا يخفى عليه منهم شيء برزوا او لم يبرزوا فما معناه **قلت** معناه انهم كانوا يتوهمون في الدنيا اذا استتروا بالحيطان والحجب ان الله لا يراهم ويخفى عليه اعمالهم فهم اليوم صائرون من البروز والانكشاف الى حال لا يتوهمون فيها مثل ما كانوا يتوهمونه • قال الله تعالى ولكن ظننتم ان الله لا يعلم كثيرا مما تعملون • وقال يستخفون من الناس ولا يستخفون من الله وذلك لعلمهم ان الناس يبصرونهم وظنهم ان الله لا يبصرهم وهو معنى قوله تعالى وبرزوا لله الواحد القهار • لمن الملك اليوم لله الواحد القهار حكاية لما يسأل عنه في ذلك اليوم ولما يجاب به ومعناه انه ينادي مناد فيقول لمن الملك فيجيبه اهل المحشر لله الواحد القهار وقيل يجمع الله الخلائق يوم القيامة في صعيد واحد بارض بيضاء كانها سبيكة فضة لم يعص الله فيها قط فاول ما يتكلم به ان ينادي مناد لمن الملك اليوم لله الواحد القهار اليوم تجزى كل نفس الاية فهذا يقتضي ان يكون المنادي هو المجيب لما تقرر ان الملك لله وحده في ذلك اليوم اليوم تجزى كل نفس بما كسبت لا ظلم اليوم ان الله سريع الحساب • عدد نتائج ذلك وهي ان كل نفس تجزى ما كسبت وان الظلم مأمون لان الله ليس بظلام للعبيد وان الحساب لا يبطئ لان الله تعالى لا يشغله حساب عن حساب فيحاسب الخلق كله في وقت واحد وهو اسرع الحاسبين • وعن ابن عباس رضي الله عنهما اذا اخذ في حسابهم لم يقل اهل الجنة الا فيها ولا اهل النار الا فيها وانذرهم يوم الازفة اذ القلوب لدى الحناجر كاظمين ما للظالمين من حميم ولا شفيع يطاع • الازفة القيامة سميت بذلك لازوفها اي لقربها • ويجوز ان يريد بيوم الازفة وقت الخطة الازفة وهي مشارفتهم دخول النار فعند ذلك ترتفع قلوبهم عن مقارها فتلصق بحناجرهم فلا هي تخرج فيموتوا ولا ترجع الى مواضعها فيتنفسوا ويتروحوا ولكنها معترضة كالشجا كما قال فلما رأوه زلفة سيئت وجوه الذين كفروا **فان قلت** كاظمين بم انتصب **قلت** هو حال عن اصحاب القلوب على المعنى لان المعنى اذ قلوبهم لدى حناجرهم كاظمين عليها • ويجوز ان يكون حالا عن القلوب وان القلوب كاظمة على غم وكرب فيها مع بلوغها الحناجر وانما جمع الكاظم جمع السلامة لانه وصفها بالكظم الذي هو من افعال العقلاء كما قال تعالى رأيتهم لي ساجدين • وقال تعالى فظلت اعناقهم لها خاضعين وتعضده قراءة من قرأ كاظمون • ويجوز ان يكون حالا عن قوله تعالى وانذرهم اي وانذرهم مقدرين او مشارفين الكظم كقوله تعالى فادخلوها خالدين • الحميم المحب المشفق والمطاع مجاز في المشفع لان حقيقة الطاعة نحو حقيقة الامر في انها لا تكون الا لمن فوقك **فان قلت** ما معنى قوله تعالى ولا شفيع يطاع يحتمل ان يتناول النفي الشفاعة والطاعة معا وان يتناول الطاعة دون الشفاعة كما تقول ما عندي كتاب يباع فهو محتمل نفي البيع وحده وان عندك كتابا الا انك لا تبيعه ونفيهما جميعا وان لا كتاب عندك ولا كونه مبيعا ونحوه • ولا ترى الضب بها ينجحر • يريد نفي الضب وانجحاره • فان قلت فعلى اي الاحتمالين يجب حمله قلت

على نفي الامرين جميعا من قبل ان الشفعاء هم اولياء الله واولياء الله لا يحبون ولا يرضون الا من احبه الله ورضيه وان الله لا يحب الظالمين فلا يحبونهم واذا لم يحبوهم لم ينصروهم ولم يشفعوا لهم قال الله عز وعلا وما للظالمين من انصار • وقال ولا يشفعون الا لمن ارتضى ولان الشفاعة لا تكون الا في زيادة التفضل واهل التفضل وزيادته انما هم اهل الثواب بدليل قوله تعالى ويزيدهم من فضله • وعن الحسن رحمة الله عليه والله ما يكون لهم شفيع البتة **فان قلت** الغرض حاصل بذكر الشفيع ونفيه فما الفائدة في ذكر هذه الصفة ونفيها **قلت** في ذكرها فائدة جليلة وهي انها ضمت اليه ليقام انتفاء الموصوف مقام الشاهد على انتفاء الصفة لان الصفة لا تتأتى بدون موصوفها فيكون ذلك ازالة لتوهم وجود الموصوف بيانه انك اذا عوتبت على القعود عن الغزو فقلت مالي فرس اركبه ولا معي سلاح احارب به فقد جعلت عدم الفرس وفقد السلاح علة مانعة من الركوب والمحاربة كانك تقول كيف يتأتى مني الركوب والمحاربة ولا فرس لي ولا سلاح معي فكذلك قوله تعالى ولا شفيع يطاع معناه كيف يتأتى التشفيع ولا شفيع فكان ذكر التشفيع والاستشهاد على عدم تأتيه بعدم الشفيع وضعا لانتفاء الشفيع موضع الامر المعروف غير المنكر الذي لا ينبغي ان يتوهم خلافه يعلم خائنة الاعين وما تخفي الصدور • الخائنة صفة للنظرة او مصدر بمعنى الخيانة كالعافية بمعنى المعافاة والمراد استراق النظر الى ما لا يحل كما يفعل اهل الريب ولا يحسن ان يراد الخائنة من الاعين لان قوله تعالى وما تخفي الصدور لا يساعد عليه **فان قلت** بم اتصل قوله تعالى يعلم خائنة الاعين **قلت** هو خبر من اخبار هو في قوله تعالى هو الذي يريكم مثل يلقي الروح ولكن يلقي الروح قد علل بقوله تعالى لينذر يوم التلاق ثم استطرد ذكر احوال يوم التلاق الى قوله ولا شفيع يطاع فبعد لذلك عن اخواته والله يقضي بالحق والذين يدعون من دونه لا يقضون بشيء ان الله هو السميع البصير • والله يقضي بالحق يعني والذي هذه صفاته واحواله لا يقضي الا بالحق والعدل لاستغنائه عن الظلم وآلهتهم لا يقضون بشيء وهذا تهكم بهم لان ما لا يوصف بالقدرة لا يقال فيه يقضي او لا يقضي ان الله هو السميع البصير تقرير لقوله تعالى يعلم خائنة الاعين وما تخفي الصدور ووعيد لهم بانه يسمع ما يقولون ويبصر ما يعملون وانه يعاقبهم عليه وتعريض بما يدعون من دون الله وانها لا تسمع ولا تبصر وقرئ تدعون بالتاء والياء اولم يسيروا في الارض فينظروا كيف كان عاقبة الذين كانوا من قبلهم كانوا هم اشد منهم قوة واثارا في الارض فاخذهم الله بذنوبهم وما كان لهم من الله من واق • ذلك بانهم كانت تأتيهم رسلهم بالبينات فكفروا فاخذهم الله انه قوي شديد العقاب • هم في كانوا هم اشد منهم فصل **فان قلت** من حق الفصل ان لا يقع الا بين معرفتين فما باله واقعا بين معرفة وغير معرفة وهو اشد منهم **قلت** قد ضارع المعرفة في انه لا يدخله الالف واللام فاجري مجراه • وقرئ منكم وهي في مصاحف اهل الشام • واثارا يريد حصونهم وقصورهم وعددهم وما يوصف بالشدة من اثارهم او اراد واكثر اثارا كقوله متقلدا سيفا ورمحا • ولقد ارسلنا موسى باياتنا وسلطان مبين الى فرعون وهامان وقارون فقالوا ساحر كذاب • وسلطان مبين وحجة ظاهرة وهي المعجزات فقالوا هو ساحر كذاب فسموا السلطان المبين سحرا وكذبا فلما جاءهم بالحق من عندنا قالوا اقتلوا ابناء الذين امنوا معه واستحيوا

بسائهم وما كيد الكافرين الا في ضلال * فلما جاءهم بالحق بالنبوة فان قلت اما كان قتل الابناء
من قبل خيفة ان يولد المولود الذي انذرته الكهنة بظهوره وزوال ملكه على يده قد كان
ذلك القتل حينئذ وهذا قتل آخر * وعن ابن عباس رضي الله عنهما في قوله قالوا اقتلوا اعيدوا عليهم القتل
كالذي كان اولا يريد ان هذا قتل غير القتل الاول * في ضلال في ضياع وذهاب باطلا لم يجد عليهم
يعني انهم باشروا قتلهم اولا فما اغنى عنهم ونفذ قضاء الله باظهار من خافوه فما يغني عنهم هذا القتل
الثاني * وكان فرعون قد كف عن قتل الولدان فلما بعث موسى عليه السلام واحس بانه قد وقع
اعاده عليهم غيظا وحنقا وظنا منه انه يصدهم بذلك عن مظاهرة موسى عليه السلام وما علم ان
كيده ضائع في الكرتين جميعا وقال فرعون ذروني اقتل موسى وليدع ربه اني اخاف ان يبدل
دينكم او ان يظهر في الارض الفساد * ذروني اقتل موسى كانوا اذا هم بقتله كفوه بقولهم ليس بالذي
تخافه وهو اقل من ذلك واضعف وما هو الا بعض السحرة ومثله لا يقاوم الا ساحرا مثله ويقولون
اذا قتلته ادخلت الشبهة على الناس واعتقدوا انك عجزت عن معارضته بالحجة والظاهر ان فرعون
كان قد استيقن انه نبي وان ما جاء به آيات وما هو بسحر ولكن الرجل كان فيه خب وجربزة وكان
قتالا سفاكا للدماء في اهون شيء فكيف لا يقتل من احس منه بانه هو الذي يثل عرشه ويهدم ملكه
ولكنه كان يخاف ان هم بقتله ان يعاجل بالهلاك وقوله تعالى وليدع ربه شاهد صدق على فرط خوفه
منه ومن دعوته ربه وكان قوله ذروني اقتل موسى تمويها على قومه وايهاما انهم هم الذين يكفونه
وما كان يكفه الا ما في نفسه من هول الفزع * ان يبدل دينكم ان يغير ما انتم عليه وكانوا يعبدونه
ويعبدون الاصنام بدليل قوله تعالى ويذرك والهتك * والفساد في الارض التقاتل والتهارج
الذي يذهب معه الامن وتتعطل المزارع والمكاسب والمعايش ويهلك الناس قتلا وضياعا كانه
قال اني اخاف ان يفسد عليكم دينكم بدعوتكم الى دينه او يفسد عليكم دنياكم بما يظهر من الفتن بسببه
وفي مصاحف اهل الحجاز وان يظهر بالواو ومعناه اني اخاف فساد دينكم ودنياكم معا * وقرئ يظهر
من اظهر والفساد منصوب اي يظهر موسى الفساد وقرئ يظهر بتشديد الظاء والهاء من تظهر بمعنى
تظاهر اي تتابع وتعاون وقال موسى اني عذت بربي وربكم من كل متكبر لا يؤمن بيوم
الحساب لما سمع موسى عليه السلام بما اجراه فرعون من حديث قتله قال لقومه اني عذت بالله الذي هو
ربي وربكم وقوله وربكم فيه بعث لهم على ان يقتدوا به فيعوذوا بالله عياذه ويعتصموا بالتوكل
اعتصامه وقال من كل متكبر لتشمل استعاذته فرعون وغيره من الجبابرة وليكون على طريقة التعريض
فيكون ابلغ واراد بالتكبر الاستكبار عن الاذعان للحق وهو اقبح استكبار وادله على دناءة صاحبه
ومهانة نفسه وعلى فرط ظلمه وعسفه وقال لا يؤمن بيوم الحساب لانه اذا اجتمع في الرجل التجبر
والتكذيب بالجزاء وقلة المبالاة بالعاقبة فقد استكمل اسباب القسوة والجراءة على الله وعباده
ولم يترك عظيمة الا ارتكبها وعذت ولذت اخوان وقرئ عدت بالادغام وقال رجل مؤمن
من آل فرعون يكتم ايمانه اتقتلون رجلا ان يقول ربي الله وقد جاءكم بالبينات من
ربكم وان يك كاذبا فعليه كذبه وان يك صادقا يصبكم بعض الذي يعدكم ان الله
لا يهدي من هو مسرف كذاب * رجل مؤمن * وقرئ رجل بسكون الجيم كما يقال عضد في عضد
وكان قبطيا ابن عم لفرعون آمن بموسى عليه السلام سرا * وقيل كان اسرائيليا ومن آل فرعون صفة

لرجل

لرجل وصلة ليكتم اي يكتم ايمانه من آل فرعون واسمه سمعان او حبيب * وقيل خربيل او حزبيل والظاهر
انه كان من آل فرعون فان المؤمنين من بني اسرائيل لم يقتلوا ولم يعزوا والدليل عليه قول فرعون ابنا
الذين آمنوا معه وقول المؤمن فمن ينصرنا من بأس الله ان جاءنا دليل ظاهر على انه يتنصح لقومه *
ان يقول لان يقول وهذا انكار منه عظيم وتبكيت شديد كانه قال اترتكبون الفعلة الشنعاء
التي هي قتل نفس محرمة وما لكم علة قط في ارتكابها الا كلمة الحق التي نطق بها وهي قوله ربي الله
مع انه لم يحضر لتصحيح قوله ببينة واحدة ولكن ببينات عدة من عند من نسب اليه الربوبية وهو
ربكم لا ربه وحده وهو استدراج لهم الى الاعتراف به وليلين بذلك جماحهم ويكسر من سورتهم
ولك ان تقدر مضافا محذوفا اي وقت ان يقول والمعنى اتقتلونه ساعة سمعتم منه هذا القول من
غير روية ولا فكر في امره وقوله بالبينات يريد بالبينات العظيمة التي عهدتموها وشهدتموها
ثم اخذهم بالاحتجاج على طريقة التقسيم فقال لا يخلو من ان يكون كاذبا او صادقا فان يك كاذبا
فعليه كذبه اي يعود عليه كذبه ولا يتخطاه ضرره * وان يك صادقا يصبكم بعض ما يعدكم ان تعرضتم
له فان قلت لم قال بعض الذي يعدكم وهو نبي صادق لا بد لما يعدهم ان يصيبهم كله لا بعضه
لانه احتاج في مقاولة خصوم موسى عليه السلام ومناكريه الى ان يلاوصهم ويداريهم ويسلك
معهم طريق الانصاف في القول ويأتيهم من جهة المناصحة فجاء بما علم انه اقرب الى تسليمهم لقوله
وادخل في تصديقهم له وتقبلهم منه فقال وان يك صادقا يصبكم بعض الذي يعدكم وهو
كلام المنصف في مقاله غير المشتط فيه ليسمعوا منه ولا يردوا عليه وذلك انه حين فرضه صادقا
فقد اثبت انه صادق في جميع ما يعد ولكنه اردفه يصبكم بعض الذي يعدكم ليهضمه بعض حقه
في ظاهر الكلام فيريهم انه ليس بكلام من اعطاه حقه وافيا فضلا ان يتعصب له او يرمي بالحصى من
ورائه وتقديم الكاذب على الصادق ايضا من هذا القبيل وكذلك قوله تعالى ان الله لا يهدي
من هو مسرف كذاب فان قلت فعن ابي عبيدة انه فسر البعض بالكل وانشد بيت لبيد *
* تراك امكنة اذا لم ارضها * او يرتبط بعض النفوس حمامها * قلت ان صحت الرواية
عنه فقد حق فيه قول المازني في مسألة العلقى كان اجفى من ان يفقه ما اقول له * ان الله لا يهدي
من هو مسرف يحتمل انه ان كان مسرفا كذابا خذله الله واهلكه ولم يستقم له امر فتتخلصون منه
وانه لو كان مسرفا كذابا لما هداه الله للنبوة ولما عضده بالبينات * وقيل ما تولى ابو بكر رضي الله عنه
من رسول الله صلى الله عليه وسلم كان اشد من ذلك طاف بالبيت فلقوه حين فرغ فاخذوا بمجامع ردائه
فقالوا له انت الذي تنهانا عما كان يعبد اباؤنا فقال انا ذاك فقام ابو بكر الصديق رضي الله عنه فالتزمه
من ورائه وقال اتقتلون رجلا ان يقول ربي الله وقد جاءكم بالبينات من ربكم رافعا صوته بذلك
وعيناه تسفحان حتى ارسلوه * وعن جعفر الصادق رضي الله عنه ان مؤمن آل فرعون قال ذلك سرا
وابو بكر قاله ظاهرا يا قوم لكم الملك اليوم ظاهرين في الارض فمن ينصرنا من بأس الله
ان جاءنا قال فرعون ما اريكم الا ما ارى وما اهديكم الا سبيل الرشاد * ظاهرين في الارض
في ارض مصر عالين فيها على بني اسرائيل يعني ان لكم ملك مصر وقد علوتم الناس وقهرتموهم فلا
تفسدوا امركم على انفسكم ولا تتعرضوا لبأس الله وعذابه فانه لا قبل لكم به ان جاءكم ولا يمنعكم
منه احد وقال ينصرنا وجاءنا لانه منهم في القرابة وليعلمهم بان الذي ينصحهم به هو مساهم لهم فيه ما

القرار ٭ قال اهدكم سبيل الرشاد فاجمل لهم ثم فسر فافتتح بذم الدنيا وتصغير شانها لان الاخلاد اليها
هو اصل الشر كله ومنه يتشعب جميع ما يؤدي الى سخط الله ويجلب الشقاوة في العاقبة وثنى بتعظيم
الاخرة والاطلاع على حقيقتها وانها هي الوطن والمستقر وذكر الاعمال حسنها وعاقبة كل منهما ليثبط سيئها
عما يتلف وينشط لما يزلف ثم وازن بين الدعوتين دعوته الى دين الله الذي ثمرته النجاة ودعوتهم
الى اتخاذ الانداد الذي عاقبته النار وحذر وانذر واجتهد في ذلك واحتشد لاجرم ان الله
استثناه من آل فرعون وجعله حجة عليهم وعبرة للمعتبرين وهو قوله تعالى فوقاه الله سيئات ما مكروا
وحاق بآل فرعون سوء العذاب وفي هذا ايضا دليل بين على ان الرجل كان من آل فرعون ٭ والرشاد
نقيض الغي وفيه تعريض شبيه بالتصريح ان ما عليه فرعون وقومه هو سبيل الغي من عمل سيئة فلا
يجزى الا مثلها ومن عمل صالحا من ذكر او انثى فاولئك يدخلون الجنة يرزقون فيها بغير حساب
فلا تجزى الا مثلها لان الزيادة على مقدار جزاء السيئة قبيحة لانها ظلم واما الزيادة على مقدار جزاء
الحسنة فحسنة لانها فضل وقرئ يدخلون ويدخلون ٭ بغير حساب واقع في مقابلة الا مثلها
يعني ان جزاء السيئة له حساب وتقدير لئلا يزيد على الاستحقاق فاما جزاء العمل الصالح فبغير تقدير
وحساب بل ما شئت من الزيادة على الحق والكثرة والسعة ويا قوم ما لي ادعوكم الى النجاة وتدعونني
الى النار فان قلت لم كرر نداء قومه ولم جاء بالواو في النداء الثالث دون الثاني قلت
اما تكرير النداء ففيه زيادة تنبيه لهم وايقاظ عن سنة الغفلة ٭ وفيه انهم قومه وعشيرته
وهم فيما يوبقهم وهو يعلم وجه خلاصهم ونصيحتهم عليه واجبة فهو يتحزن لهم ويتلطف بهم ويتند
بذلك ان لا يتهموه فان سرورهم سروره وغمهم غمه وينزلوا على تنصيحه لهم كما كرر ابراهيم عليه
السلام في نصيحة ابيه يا ابت ٭ واما المجيء بالواو العاطفة فلان الثاني داخل على كلام هو بيان
للمجمل وتفسير له فاعطي الداخل عليه حكمه في امتناع دخول الواو واما الثالث فداخل على كلام
ليس بتلك المثابة تدعونني لاكفر بالله واشرك به ما ليس لي به علم وانا ادعوكم الى العزيز
الغفار ٭ يقال دعاه الى كذا ودعاه له كما يقال هداه الى الطريق وهداه له ٭ به علم اي بربوبيته
والمراد بنفي العلم نفي المعلوم كانه قال واشرك به ما ليس باله وما ليس باله كيف يصح ان يعلم الها لا
جرم انما تدعونني اليه ليس له دعوة في الدنيا ولا في الآخرة وان مردنا الى الله وان المسرفين
هم اصحاب النار ٭ لا جرم سياقه على مذهب البصريين ان يجعل لا ردا لما دعاه اليه قومه وجرم فعل
بمعنى حق وان مع ما في حيزه فاعله اي حق ووجب بطلان دعوته او بمعنى كسب من قوله تعالى ولا يجرمنكم
شنآن قوم اي كسب ذلك الدعاء اليه بطلان دعوته على معنى انه ما حصل من ذلك الا ظهور بطلان
دعوته ٭ ويجوز ان يقال ان لا جرم نظير لا بد فعل من الجرم وهو القطع كما ان بد فعل من التبديد
وهو التفريق فكما ان لا بد انك تفعل كذا بمعنى لا بعد لك من فعله فكذلك لا جرم ان لهم النار
اي لا قطع لذلك بمعنى انهم ابدا يستحقون النار لا انقطاع لاستحقاقهم ولا قطع لبطلان دعوة
الاصنام اي لا تزال باطلة لا ينقطع ذلك فينقلب حقا ٭ وروي عن العرب لا جرم انه يفعل بضم
الجيم وسكون الراء بزنة بد وفعل وفعل اخوان كرشد ورشد وعدم وعدم ليس له دعوة
معناه ان ما تدعونني اليه ليس له دعوة الى نفسه قط اي من حق المعبود بالحق ان يدعو العباد
الى طاعته ثم يدعو العباد اليها اظهارا لدعوة ربهم وما تدعون اليه والى عبادته لا يدعو هو الى ثم

ذلك

ذلك ولا يدعي الربوبية ولو كان حيوانا ناطقا لضج من دعائكم ٭ وقوله في الدنيا ولا في الآخرة يعني انه
في الدنيا جماد لا يستطيع شيئا من دعاء وغيره وفي الآخرة اذا انشاه الله حيوانا تبرأ من الدعاة
اليه ومن عبدته ٭ وقيل معناه ليس له استجابة دعوة تنفع في الدنيا وفي الآخرة او دعوة مستجابة
جعلت الدعوة التي لا استجابة لها ولا منفعة كلا دعوة او سميت الاستجابة باسم الدعوة
كما سمي الفعل المجازى عليه باسم الجزاء في قولهم كما تدين تدان قال الله تعالى له دعوة الحق والذين
تدعون من دونه لا يستجيبون لهم بشيء ٭ المسرفين عن قتادة المشركين وعن مجاهد السفاكين
للدماء بغير حلها ٭ وقيل الذين غلب شرهم خيرهم هم المسرفون فستذكرون ما اقول لكم
وافوض امري الى الله ان الله بصير بالعباد وقرئ فستذكرونه اي فسيذكر بعضكم بعضا
وافوض امري الى الله لانهم توعدوه فوقاه الله سيئات ما مكروا وحاق بآل فرعون سوء
العذاب النار يعرضون عليها غدوا وعشيا ويوم تقوم الساعة ادخلوا آل فرعون
اشد العذاب ٭ فوقاه الله سيئات ما مكروا شدائد مكرهم وما هموا به من الحاق انواع العذاب
بمن خالفهم ٭ وقيل نجا مع موسى ٭ وحاق بآل فرعون ما هموا به من تعذيب المسلمين ورجع عليهم كيدهم
النار بدل من سوء العذاب او خبر مبتدا محذوف كان قائلا قال ما سوء العذاب فقيل هو النار
او مبتدا خبره يعرضون عليها وفي هذا الوجه تعظيم للنار وتهويل من عذابها وعرضهم عليها احراقهم
بها يقال عرض الامام الاسارى على السيف اذا قتلهم به وقرئ النار بالنصب وهي تعضد
الوجه الاخير وتقديره يدخلون النار يعرضون عليها ٭ ويجوز ان ينتصب على الاختصاص غدوا
وعشيا في هذين الوقتين يعذبون بالنار وفيما بين ذلك الله اعلم بحالهم فاما ان يعذبوا بجنس
آخر من العذاب او ينفس عنهم ٭ ويجوز ان يكون غدوا وعشيا عبارة عن الدوام هذا ما دامت
الدنيا فاذا قامت الساعة قيل لهم ادخلوا يا آل فرعون اشد عذاب جهنم ٭ وقرئ ادخلوا آل
فرعون اي يقال لخزنة جهنم ادخلوهم فان قلت قوله وحاق بآل فرعون سوء العذاب معناه
انه رجع عليهم ما هموا به من المكر بالمسلمين كقول العرب من حفر لاخيه جبا وقع فيه منكبا فاذا فسر
سوء العذاب بنار جهنم لم يكن مكرهم راجعا عليهم لانهم لا يعذبون بجهنم يجوز ان يهم
الانسان بان يغرق قوما فيحرق بالنار ويسمى ذلك حيقا لانه هم بسوء فاصابه ما يقع عليه اسم
السوء ولا يشترط في الحيق ان يكون الحائق ذلك السوء بعينه ٭ ويجوز ان يهم فرعون لما سمع انذار
المسلمين بالنار وقول المؤمن وان المسرفين هم اصحاب النار فيفعل نحو ما فعل نمرود ويعذبهم
بالنار فحاق بهم مثل ما اضمره وهم بفعله ٭ ويستدل بهذه الآية على اثبات عذاب القبر واذ
يتحاجون في النار فيقول الضعفاء للذين استكبروا انا كنا لكم تبعا فهل انتم مغنون عنا
نصيبا من النار ٭ واذكر وقت يتحاجون ٭ تبعا تباعا كخدم في جمع خادم ٭ او ذوي تبع اي اتباع ٭
او وصفا بالمصدر قال الذين استكبروا انا كل فيها ان الله قد حكم بين العباد ٭ وقرئ
كلا على التاكيد لاسم ان وهو معرفة والتنوين عوض من المضاف اليه يريد انا كلنا او كلنا فيها
فان قلت هل يجوز ان يكون كلا حالا قد عمل فيها فيها قلت لا لان الظرف لا يعمل في الحال
متقدمة كما يعمل في الظرف متقدما تقول كل يوم لك ثوب ولا تقول قائما في الدار زيد ٭ قد حكم
بين العباد قضى بينهم وفصل بان ادخل اهل الجنة الجنة واهل النار النار وقال الذين في النار

لخزنة جهنم ادعوا ربكم يخفف عنا يوما من العذاب • لخزنة جهنم للقوام بتعذيب اهلها فان
قلت هلا قيل الذين في النار لخزنتها قلت لان في ذكر جهنم تهويلا وتفظيعا • ويحتمل ان جهنم هي ابعد
النار قعرا من قولهم بئر جهنام بعيدة القعر • وقولهم في النابغة جهنام تسمية لها لزعمهم انه يلقي الشعر
على لسان المنتسب اليه فهو بعيد الغور في علمه بالشعر كما قال ابو نواس في خلف الاحمر • قليذم من العيالم الخسف
وفيها اعتى الكفرة واطغاهم فلعل الملائكة الموكلين بعذاب اولئك اجوب دعوة لزيادة قربهم من الله
تعالى فلهذا تعمدهم اهل النار بطلب الدعوة منهم قالوا اولم تك تاتيكم رسلكم بالبينات قالوا
بلى قالوا فادعوا وما دعاء الكافرين الا في ضلال • اولم تك تاتيكم الزام للحجة وتوبيخ وانهم
خلفوا وراءهم اوقات الدعاء والتضرع وعطلوا الاسباب التي يستجيب الله لها الدعوات قالوا فادعوا
انتم فانا لا نجترئ على ذلك ولا نشفع الا بشرطين كون المشفوع له غير ظالم والاذن في الشفاعة مع
مراعاة وقتها وذلك قبل الحكم الفاصل بين الفريقين وليس قولهم فادعوا لرجاء المنفعة ولكن للدلالة
على الخيبة فان الملك المقرب اذا لم يسمع دعاؤه فكيف يسمع دعاء الكافر • انا لننصر رسلنا والذين
آمنوا في الحيوة الدنيا ويوم يقوم الاشهاد يوم لا ينفع الظالمين معذرتهم ولهم اللعنة
ولهم سوء الدار • في الحيوة الدنيا ويوم يقوم الاشهاد اي في الدنيا والآخرة يعني انه يغلبهم في الدارين
جميعا بالحجة والظفر على مخالفيهم وان غلبوا في الدنيا في بعض الاحايين امتحانا من الله فالعاقبة لهم
ويتيح الله من يقتص من اعدائهم ولو بعد حين • والاشهاد جمع شاهد كصاحب واصحاب يريد الحفظة
من الملائكة والانبياء والمؤمنين من امة محمد صلى الله عليه وسلم • لتكونوا شهداء على الناس •
واليوم الثاني بدل من الاول تحتمل انهم يعتذرون بمعذرة ولكنها لا تنفع لانها باطلة وانهم
لو جاؤا بمعذرة لم تكن مقبولة لقوله تعالى ولا يؤذن لهم فيعتذرون • ولهم اللعنة البعد
من رحمة الله ولهم سوء الدار اي سوء دار الآخرة وهو عذابها وقرئ تقوم ولا ينفع بالتا
والياء • ولقد آتينا موسى الهدى واورثنا بني اسرائيل الكتاب هدى وذكرى لاولي الالباب •
يريد بالهدى جميع ما آتاه في باب الدين من المعجزات والتورية والشرائع • واورثنا وتركنا على
بني اسرائيل من بعده الكتاب اي التورية هدى وذكرى اي ارشادا وتذكرة • وانتصابهما على
المفعول له او على الحال • واولوا الالباب المؤمنون به العاملون بما فيه فاصبر ان وعد الله
حق واستغفر لذنبك وسبح بحمد ربك بالعشي والابكار • فاصبر ان وعد الله يعني ان نصرة
الرسل في ضمان الله وضمان الله لا يخلف واستشهد بموسى عليه السلام وما آتاه من اسباب الهدى
والنصرة على فرعون وجنوده وابقاء آثار هداه في بني اسرائيل والله ناصرك كما نصرهم ومظهرك
على الدين كله ومبلغ ملك امتك مشارق الارض ومغاربها • فاصبر على ما يجرعك قومك من الغصص
فان العاقبة لك وما سبق به وعدي من نصرتك واعلاء كلمتك حق واقبل على التقوى واستدرك
الفرطات بالاستغفار ودم على عبادة ربك والثناء عليه بالعشي والابكار • وقيل هما صلوتا الفجر العصر و
ان الذين يجادلون في آيات الله بغير سلطان اتاهم ان في صدورهم الا كبر ما هم ببالغيه
فاستعذ بالله انه هو السميع البصير • ان في صدورهم الا كبر الا تكبر وتعظم وهو ارادة
التقدم والرياسة وان لا يكون احد فوقهم ولذلك عادوك ودفعوا آياتك خيفة ان تتقدمهم
ويكونوا تحت يدك وامرك ونهيك لان النبوة تحتها كل ملك ورياسة • او ارادة ان تكون

لهم

لهم النبوة دونك حسدا وبغيا ويدل عليه قوله تعالى لو كان خيرا ما سبقونا اليه • او ارادة دفع الآيات
بالجدال • ما هم ببالغيه اي ببالغي موجب الكبر ومقتضيه وهو متعلق ارادتهم من الرياسة او النبوة
او دفع الآيات • وقيل المجادلون هم اليهود وكانوا يقولون يخرج صاحبنا المسيح بن داود
يريدون الدجال ويبلغ سلطانه البر والبحر وتسير معه الانهار وهو آية من آيات الله فيرجع
الينا الملك فسمى الله تمنيهم ذلك كبرا ونفى ان يبلغوا متمناهم • فاستعذ بالله فالتجئ اليه من
كيد من يحسدك ويبغي عليك • انه هو السميع لما تقول ويقولون البصير بما تعمل ويعملون فهو
ناصرك عليهم وعاصمك من شرهم لخلق السموات والارض اكبر من خلق الناس ولكن اكثر
الناس لا يعلمون • فان قلت كيف اتصل قوله لخلق السموات والارض بما قبله
قلت ان مجادلتهم في آيات الله كانت مشتملة على انكار البعث وهو اصل المجادل له ومدارها فحجوا
بخلق السموات والارض لانهم كانوا مقرين بان الله خالقها بانها خلق عظيم لا يقادر قدره وخلق
الناس بالقياس اليه شيء قليل مهين فمن قدر على خلقها مع عظمها كان على خلق الانسان مع مهانته
اقدر وهو ابلغ من الاستشهاد بخلق مثله • لا يعلمون لانهم لا ينظرون ولا يتاملون لغلبة الغفلة
عليهم واتباعهم اهواءهم • وما يستوي الاعمى والبصير والذين آمنوا وعملوا الصالحات ولا المسيء
قليلا ما يتذكرون • ضرب الاعمى والبصير مثلا للمحسن والمسيء وقرئ تتذكرون بالتاء
والتاء اعم • ان الساعة لآتية لا ريب فيها ولكن اكثر الناس لا يؤمنون • لا ريب فيها لا بد
من مجيئها ولا محالة وليس مرتاب فيها لانه لا بد من جزاء • لا يؤمنون لا يصدقون بها وقال
ربكم ادعوني استجب لكم ان الذين يستكبرون عن عبادتي سيدخلون جهنم داخرين •
ادعوني اعبدوني والدعاء بمعنى العبادة كثير في القرآن ويدل عليه قوله تعالى ان الذين يستكبرون
عن عبادتي والاستجابة الاثابة • وفي تفسير مجاهد اعبدوني اثبكم • وعن الحسن رحمة الله عليه
وقد سئل عنها اعملوا وابشروا فانه حق على الله ان يستجيب للذين آمنوا ويزيدهم من فضله
وعن الثوري رحمة الله عليه انه قيل له ادع الله فقال ان ترك الذنوب هو الدعاء • وفي الحديث
اذا شغل عبدي طاعتي عن الدعاء اعطيته افضل ما اعطي السائلين • وروى النعمان بن بشير رضي
الله عنه عن رسول الله صلى الله عليه وسلم الدعاء هو العبادة وقرأ هذه الآية • ويجوز ان يريد
الدعاء والاستجابة على ظاهرهما • ويريد بعبادتي دعائي لان الدعاء باب من العبادة ومن افضل
ابوابها يصدقه قول ابن عباس رضي الله عنهما افضل العبادة الدعاء • وعن كعب اعطى الله هذه الامة
ثلاث خلال لم يعطهن الا نبيا مرسلا كان يقول لكل نبي انت شاهدي على خلقي وقال لهذه الامة
لتكونوا شهداء على الناس • وكان يقول ما عليك من حرج وقال لنا ما يريد الله ليجعل عليكم من
حرج • وكان يقول ادعني استجب لك وقال لنا ادعوني استجب لكم • وعن ابن عباس رضي الله عنهما
وحدوني اغفر لكم • وهذا تفسير للدعاء بالعبادة ثم للعبادة بالتوحيد • داخرين صاغرين
الله الذي جعل لكم الليل لتسكنوا فيه والنهار مبصرا ان الله لذو فضل على الناس ولكن
اكثر الناس لا يشكرون • مبصرا من الاسناد المجازي لان الابصار في الحقيقة لاهل النهار •
فان قلت لم قرن الليل بالمفعول له والنهار بالحال وهلا كانا حالين او مفعولا لهما فيراعى
حق المقابلة • قلت هما متقابلان من حيث المعنى لان كل واحد منهما يؤدي مؤدى الآخر ولانه

لو قيل لتبصروا فيه فاتت الفصاحة التي في الاسناد المجازي ولو قيل ساكنا والليل يجوز ان يوصف بالسكون على الحقيقة الا ترى الى قوله ليل ساج وساكن لا ريح فيه لم تتميز الحقيقة من المجاز فان قلت فهلا قيل لمفضل او لمتفضل قلت لان الغرض تنكير الفضل وان يجعل فضلا لا يوازيه فضل وذلك انما يستوي بالاضافة **فان قلت** فلو قيل ولكن اكثرهم فلا يشكرون ذكر الناس **قلت** في هذا التكرير تخصيص لكفران النعمة بهم وانهم هم الذين يكفرون فضل الله ولا يشكرونه كقوله تعالى ان الانسان لكفور ان الانسان لربه لكنود ان الانسان لظلوم كفار ذلكم الله ربكم خالق كل شيء لا اله الا هو فانى تؤفكون كذلك يؤفك الذين كانوا بآيات الله يجحدون ذلكم المعلوم المتميز بالافعال الخاصة التي لا يشاركه فيها احد هو الله ربكم خالق كل شيء لا اله الا هو اخبار مترادفة اي هو الجامع لهذه الاوصاف من الالهية والربوبية وخلق كل شيء وانشائه والوحدانية لا ثاني له فانى تؤفكون فكيف ومن اي وجه تصرفون عن عبادته الى عبادة الاوثان ثم ذكر ان كل من جحد بآيات الله ولم يتأملها ولم يكن فيه همة طلب الحق وخشية العاقبة افك كما افكوا **وقرئ** خالق كل شيء نصبا على الاختصاص ويؤفكون بالتاء والياء الله الذي جعل لكم الارض قرارا والسماء بناء وصوركم فاحسن صوركم ورزقكم من الطيبات ذلكم الله ربكم فتبارك الله رب العالمين هذه ايضا دلالة اخرى على تميزه بافعال خاصة وهي انه جعل الارض مستقرا والسماء بناء اي قبة ومنه ابنية العرب لمضاربهم لان السماء في منظر العين كقبة مضروبة على وجه الارض فاحسن صوركم وقرئ بكسر الصاد والمعنى واحد وقيل لم يخلق حيوانا احسن صورة من الانسان وقيل لم يخلقهم منكوسين كالبهائم كقوله تعالى في احسن تقويم هو الحي لا اله الا هو فادعوه مخلصين له الدين الحمد لله رب العالمين فادعوه فاعبدوه مخلصين له الدين اي الطاعة من الشرك والرياء قائلين الحمد لله رب العالمين وعن ابن عباس رضي الله عنهما من قال لا اله الا الله فليقل على اثرها الحمد لله رب العالمين قل اني نهيت ان اعبد الذين تدعون من دون الله لما جاءني البينات من ربي وامرت ان اسلم لرب العالمين **فان قلت** اما نهي رسول الله عليه السلام عن عبادة الاوثان بادلة العقل حتى جاءته البينات من ربه **قلت** بلى ولكن البينات لما كانت مقوية لادلة العقل ومؤكدة لها ومضمنة ذكرها نحو قوله اتعبدون ما تنحتون والله خلقكم وما تعملون واشباه ذلك من التنبيه على ادلة العقل كان ذكر البينات ذكرا لادلة العقل والسمع جميعا وانما ذكر ما يدل على الامرين جميعا لان ذكر تناصر الادلة ادلة العقل وادلة السمع اقوى في ابطال مذهبهم وان كانت ادلة العقل وحدها كافية هو الذي خلقكم من تراب ثم من نطفة ثم من علقة ثم يخرجكم طفلا ثم لتبلغوا اشدكم ثم لتكونوا شيوخا ومنكم من يتوفى من قبل ولتبلغوا اجلا مسمى ولعلكم تعقلون لتبلغوا اشدكم متعلق بفعل محذوف تقديره ثم يبقيكم لتبلغوا وكذلك لتكونوا واما ولتبلغوا اجلا مسمى فمعناه ونفعل ذلك لتبلغوا اجلا مسمى وهو وقت الموت وقيل يوم القيامة **وقرئ** شيوخا بكسر الشين وشيخا على التوحيد كقوله طفلا والمعنى كل واحد منكم او اقتصر على الواحد لان الغرض بيان الجنس من قبل من قبل الشيخوخة او من قبل هذه الاحوال اذا خرج سقطا ولعلكم تعقلون ما في ذلك من

العبر والحجج هو الذي يحيي ويميت فاذا قضى امرا فانما يقول له كن فيكون فاذا قضى امرا فانما يكونه من غير كلفة ولا معاناة جعل هذا نتيجة من قدرته على الاحياء والاماتة وسائر ما ذكر من افعاله الدالة على ان مقدورا لا يمتنع عليه كانه قال فلذلك من الاقتدار اذا قضى امرا كان اهون شيء واسرعه الم تر الى الذين يجادلون في آيات الله انى يصرفون الذين كذبوا بالكتاب وبما ارسلنا به رسلنا فسوف يعلمون اذ الاغلال في اعناقهم والسلاسل يسحبون في الحميم ثم في النار يسجرون بالكتاب بالقرآن وبما ارسلنا رسلنا من الكتب **فان قلت** وهل قوله تعالى سوف يعلمون اذ الاغلال في اعناقهم الا مثل قولك سوف اصوم امس المعنى على اذا الا ان الامور المستقبلة لما كانت في اخبار الله تعالى متيقنة مقطوعا بها عبر عنها بلفظ ما كان ووجد والمعنى على الاستقبال وعن ابن عباس رضي الله عنه والسلاسل يسحبون بالنصب وفتح الياء على عطف الجملة الفعلية على الاسمية وعنه رضي الله عنه والسلاسل يسحبون بجر السلاسل ووجهه انه لو قيل اذ اعناقهم في الاغلال مكان قوله تعالى اذ الاغلال في اعناقهم لكان صحيحا مستقيما فلما كانتا عبارتين معتقبتين حمل قوله والسلاسل على العبارة الاخرى ونظيره

مشائيم ليسوا مصلحين عشيرة ولا ناعب الا ببين غرابها

كانه قيل بمصلحين **وقرئ** وبالسلاسل يسحبون في النار يسجرون من سجر التنور اذا ملأه بالوقود ومنه السجير كانه سجر بالحب اي ملئ ومعناه انهم في النار فهي محيطة بهم وهم مسجورون بالنار مملوءة بها اجوافهم ومنه قوله تعالى نار الله الموقدة التي تطلع على الافئدة اللهم اجرنا من نارك فانا عائذون بجوارك ثم قيل لهم اين ما كنتم تشركون من دون الله قالوا ضلوا عنا بل لم نكن ندعوا من قبل شيئا كذلك يضل الله الكافرين ضلوا عنا غابوا عن عيوننا فلا نراهم ولا ننتفع بهم **فان قلت** اما ذكرت في تفسير قوله تعالى انكم وما تعبدون من دون الله حصب جهنم انهم مقرونون بآلهتهم فكيف يكونون معهم وقد ضلوا عنهم **قلت** يجوز ان يضلوا عنهم اذ وبخوا وقيل لهم اين ما كنتم تشركون من دون الله فيغيثوكم ويشفعوا لكم وان يكونوا معهم في سائر الاوقات وان يكونوا معهم في جميع اوقاتهم الا انهم لما لم ينفعوهم فكانهم ضالون عنهم بل لم نكن ندعوا من قبل شيئا اي تبين لنا انهم لم يكونوا شيئا وما كنا نعبد بعبادتهم شيئا كما تقول حسبت ان فلانا شيء فاذا هو ليس بشيء اذا خبرته فلم تر عنده خيرا كذلك يضل الله الكافرين مثل ضلال آلهتهم عنهم يضلهم عن آلهتهم حتى لو طلبوا الآلهة او طلبتهم الآلهة لم يتصادفوا ذلكم بما كنتم تفرحون في الارض بغير الحق وبما كنتم تمرحون ذلكم الاضلال بسبب ما كان لكم من الفرح والمرح بغير الحق وهو الشرك وعبادة الاوثان ادخلوا ابواب جهنم خالدين فيها فبئس مثوى المتكبرين ادخلوا ابواب جهنم السبعة المقسومة لكم قال الله سبحانه وتعالى لها سبعة ابواب لكل باب منهم جزء مقسوم خالدين مقدرين الخلود فبئس مثوى المتكبرين عن الحق المستخفين به مثواكم او جهنم **فان قلت** اليس قياس النظم ان يقال فبئس مدخل المتكبرين كما تقول زر بيت الله فنعم المزار وصل في المسجد الحرام فنعم المصلى **قلت** الدخول المؤقت بالخلود في معنى الثواء فاصبر ان وعد الله حق فاما نرينك بعض الذي نعدهم او نتوفينك فالينا يرجعون فاما نرينك اصله فان نرك وما مزيدة لتاكيد معنى الشرط ولذلك الحقت النون بالفعل الا تراك لا تقول ان تكرمني اكرمك ولكن اما

بكرمتى اكرمنك **فان قلت** لا يخلو اما ان تعطف او نتوفينك على نرينك وتشركهما فى جزاء واحد وهو
قوله فالينا يرجعون فقولك فاما نرينك بعض الذى نعدهم فالينا يرجعون غير صحيح وان جعلت فالينا
يرجعون مختصا بالمعطوف الذى هو نتوفينك بقى المعطوف عليه بغير جزاء **قلت** فالينا يرجعون
متعلق بنتوفينك وجزاء نرينك محذوف تقديره فاما نرينك بعض الذى نعدهم من العذاب
وهو القتل والاسر يوم بدر فذاك او ان نتوفينك قبل يوم بدر فالينا يرجعون يوم القيمة
فننتقم منهم اشد الانتقام ٭ ونحوه قوله تعالى فاما نذهبن بك فانا منهم منتقمون او نرينك الذى
وعدناهم فانا عليهم مقتدرون ولقد ارسلنا رسلا من قبلك منهم من قصصنا عليك ومنهم
من لم نقصص عليك وما كان لرسول ان يأتى باية الا باذن الله فاذا جاء امر الله قضى بالحق
وخسر هنالك المبطلون ٭ ومنهم من لم نقصص عليك ٭ قيل بعث الله ثمانية الاف نبى
اربعة الاف من بنى اسرائيل واربعة الاف من سائر الناس ٭ وعن على رضى الله عنه ان الله بعث
نبيا اسود فهو ممن لم نقصص عليه وهذا فى اقتراحهم الايات على رسول الله عنادا يعنى انا قد ارسلنا
كثيرا من الرسل وما كان لواحد منهم ان يأتى باية الا باذن الله فمن لى بان اتى باية مما تقترحونه
الا ان يشاء الله ويأذن فى الاتيان بها ٭ فاذا جاء امر الله وعيد ورد عقيب اقتراح الايات وامر
الله القيمة ٭ المبطلون المعاندون الذين اقترحوا الايات وقد اتتهم الايات فانكروها وسموها
سحرا الله الذى جعل لكم الانعام لتركبوا منها ومنها تأكلون ٭ ولكم فيها منافع ولتبلغوا
عليها حاجة فى صدوركم وعليها وعلى الفلك تحملون ٭ الانعام الابل خاصة **فان قلت** لم
قال لتركبوا منها ولتبلغوا عليها ولم يقل ولتأكلوا منها ولتصلوا الى المنافع او هلا قال منها تركبون
ومنها تأكلون وتبلغون عليها حاجة فى صدوركم **قلت** فى الركوب الركوب فى الحج والغزو وفى
بلوغ الحاجة الهجرة من بلد الى بلد لاقامة دين او طلب علم وهذه اغراض دينية اما واجبة او مندوب
اليها مما يتعلق به ارادة الحكيم ٭ واما الاكل واصابة المنافع فمن جنس المباح الذى لا يتعلق به
ارادته ومعنى قوله تعالى وعليها وعلى الفلك تحملون وعلى الانعام وحدها لا تحملون ولكن عليها
وعلى الفلك فى البر والبحر **فان قلت** هلا قيل وفى الفلك كما قال قلنا احمل فيها من كل زوجين
اثنين **قلت** معنى الايعاء ومعنى الاستعلاء كلاهما مستقيم لان الفلك وعاء لمن يكون فيها حمولة
له يستعلها فلما صح المعنيان صحت العبارتان وايضا فليطابق قوله وعليها ويزاوجه ويريكم
اياته فاى ايات الله تنكرون ٭ فاى ايات الله جاءت على اللغة المستفيضة وقولك فاية ايات
الله قليل لان التفرقة بين المذكر والمؤنث فى الاسماء غير الصفات نحو حمار وحمارة غريب وهى فى اى
اغرب لابهامه افلم يسيروا فى الارض فينظروا كيف كان عاقبة الذين من قبلهم كانوا اكثر منهم
واشد قوة واثارا فى الارض فما اغنى عنهم ما كانوا يكسبون ٭ واثارا قصورهم ومصانعهم
وقيل مشيهم بارجلهم لعظم اجرامهم ٭ فما اغنى عنهم ما نافية او مضمنة معنى الاستفهام ومحلها النصب
والثانية موصولة او مصدرية ومحلها الرفع يعنى اى شىء اغنى عنهم مكسوبهم او كسبهم فلما جاءتهم
رسلهم بالبينات فرحوا بما عندهم من العلم وحاق بهم ما كانوا به يستهزؤن ٭ فرحوا بما
عندهم من العلم ٭ فيه وجوه منها انه اراد العلم الوارد على طريق التهكم فى قوله تعالى بل ادرك
علمهم فى الاخرة وعلمهم فى الاخرة انهم كانوا يقولون لا نبعث ولا نعذب وما اظن الساعة قائمة ولئن

رجعت

رجعت الى ربى ان لى عنده للحسنى ٭ وما اظن الساعة قائمة ولئن رددت الى ربى لاجدن خيرا منها منقلبا
وكانوا يفرحون بذلك ويدفعون به البينات وعلم الانبياء كما قال عز وجل كل حزب بما لديهم فرحون
ومنها ان يريد علم الفلاسفة والدهريين من بنى يونان وكانوا اذا سمعوا بوحى الله دفعوه وصغروا
علم الانبياء الى علمهم ٭ وعن سقراط انه سمع بموسى عليه السلام وقيل له لو هاجرت اليه فقال نحن
قوم مهذبون فلا حاجة بنا الى من يهذبنا ٭ ومنها ان يوضع قوله فرحوا بما عندهم من العلم ولا علم
عندهم البتة موضع قوله لم يفرحوا بما جاءهم من العلم مبالغة فى نفى فرحهم بالوحى الموجب لاقصى
الفرح والمسرة مع تهكم بفرط جهلهم وخلوهم من العلم ٭ ومنها ان يراد فرحوا بما عند الرسل من
العلم فرح ضحك منه واستهزاء به كانه قال استهزؤا بالبينات وبما جاؤا به من علم الوحى فرحين مرحين
ويدل عليه قوله تعالى وحاق بهم ما كانوا به يستهزؤن ٭ ومنها ان يجعل الفرح للرسل ومعناه
ان الرسل لما راوا جهلهم المتمادى واستهزاءهم بالحق وعلموا سوء عاقبتهم وما يلحقهم من العقوبة
على جهلهم واستهزائهم فرحوا بما اوتوا من العلم وشكروا الله عليه وحاق بالكافرين جزاء جهلهم
واستهزائهم ٭ ويجوز ان يريد بما فرحوا به من العلم علمهم بامور الدنيا ومعرفتهم بتدبيرها كما
قال تعالى يعلمون ظاهرا من الحيوة الدنيا وهم عن الاخرة هم غافلون ٭ ذلك مبلغهم من العلم فلما جاءهم
الرسل بعلوم الديانات وهى ابعد شىء من علمهم لبعثها على رفض الدنيا والظلف عن الملاذ والشهوات
لم يلتفتوا اليها وصغروها واستهزؤا بها واعتقدوا انه لا علم انفع واجلب للفوائد من علمهم
ففرحوا به فلما راوا باسنا قالوا امنا بالله وحده وكفرنا بما كنا به مشركين ٭ فلم يك ينفعهم
ايمانهم لما راوا باسنا سنت الله التى قد خلت فى عباده وخسر هنالك الكافرون ٭
الباس شدة العذاب ٭ ومنه قوله تعالى بعذاب بئيس **فان قلت** اى فرق بين قوله فلم يك ينفعهم
ايمانهم وبينه لو قيل فلم ينفعهم ايمانهم **قلت** هو من كان فى نحو قوله تعالى ما كان لله ان يتخذ من ولد
والمعنى فلم يصح ولم يستقم ان ينفعهم ايمانهم ٭ فان قلت كيف ترادفت هذه الفاءات ٭ قلت اما قوله
فما اغنى عنهم فهو نتيجة قوله تعالى كانوا اكثر منهم ٭ واما قوله تعالى فلما جاءتهم رسلهم بالبينات فجار
مجرى البيان والتفسير لقوله فما اغنى عنهم كقولك رزق زيد المال فمنع المعروف فلم يحسن الى
الفقراء وقوله تعالى فلما راوا باسنا تابع لقوله فلما جاءتهم كانه قال فكفروا فلما راوا باسنا امنوا
وكذلك فلم يك ينفعهم ايمانهم تابع لايمانهم لما راوا باس الله ٭ سنت الله بمنزلة وعد الله وما اشبهه
من المصادر المؤكدة ٭ وهنالك مستعار للزمان اى وخسروا وقت روية الباس وكذلك قوله
تعالى وخسر هنالك المبطلون بعد قوله فاذا جاء امر الله قضى بالحق وخسر وقت مجئ امر الله او وقت
القضاء بالحق عن رسول الله عليه السلام من قرا سورة المؤمن لم يبق روح نبى ولا صديق ولا شهيد ولا مؤمن

امرء
الا صلى عليه واستغفر

[illegible]

وقيل ثلث وخمسون اية ٭ بسم الله الرحمن الرحيم حم تنزيل من الرحمن الرحيم ٭ ان جعلت حم اسما للسورة
كانت فى موضع المبتدا وتنزيل خبره ٭ وان جعلتها تعديدا للحروف كان تنزيل خبر المبتدا محذوف
كتاب فصلت اياته قرانا عربيا لقوم يعلمون ٭ وكتاب بدل من تنزيل او خبر بعد خبر او خبر مبتدا
محذوف ٭ وجوز الزجاج ان يكون تنزيل مبتدا وكتاب خبره ووجهه ان تنزيلا تخصص بالصفة فساغ وقوعه

مبتداء، فصلت اياته ميزت وجعلت تفاصيل في معان مختلفة من احكام وامثال ومواعظ ووعد ووعيد
وغير ذلك، وقرئ فصلت اي فرقت بين الحق والباطل او فصل بعضها من بعض باختلاف معانيها
من قولك فصل من البلد، قرانا عربيا نصب على الاختصاص والمدح اي اريد بهذا الكتاب المفصل
قرانا من صفته كيت وكيت، وقيل هو نصب على الحال اي فصلت اياته في حال كونه قرانا عربيا لقوم
يعلمون لقوم عرب يعلمون ما نزل عليهم من الايات المفصلة المبينة بلسانهم العربي المبين لا يلتبس
عليهم شئ منه فان قلت بم يتعلق قوله لقوم يعلمون قلت يجوز ان يتعلق بتنزيل او بفصلت
اي تنزيل من الله لاجلهم او فصلت اياته لهم، والاجود ان يكون صفة مثل ما قبله وما بعده اي قرانا
عربيا كائنا لقوم عرب لئلا يفرق بين الصلات والصفات بشيرا ونذيرا فاعرض اكثرهم
فهم لا يسمعون وقرئ بشير ونذير صفة للكتاب، او خبر مبتداء محذوف، فهم لا يسمعون
لا يقبلون ولا يطيعون من قولك تشفعت الى فلان فلم يسمع قولي ولقد سمعه ولكنه لما لم يقبله
ولم يعمل بمقتضاه فكانه لم يسمعه وقالوا قلوبنا في اكنة مما تدعونا اليه وفي اذاننا وقر ومن
بيننا وبينك حجاب فاعمل اننا عاملون، والاكنة جمع كنان وهو الغطاء، والوقر بالفتح الثقل
وقرئ بالكسر وهذه تمثيلات لنبو قلوبهم عن اعتقاد الحق واعتقاده كانها في غلف واغطية تمنع
من نفوذه فيها كقوله تعالى وقالوا قلوبنا غلف ومج اسماعهم له كان بها صمما عنه ولتباعد المذهبين
والدينين كان بينهم وما هم عليه وبين رسول الله صلى الله عليه وسلم وما هو عليه حجابا ساترا وحاجزا
منيعا من جبل ونحوه فلا تلاقي ولا ترائي فاعمل على دينك اننا عاملون على ديننا، او فاعمل في ابطال
امرنا اننا عاملون في ابطال امرك، وقرئ انا عاملون فان قلت هل لزيادة من في قوله ومن
بيننا وبينك حجاب فائدة قلت نعم لانه لو قيل وبيننا وبينك حجاب لكان المعنى ان حجابا
حاصل وسط الجهتين، واما بزيادة من فالمعنى ان الحجاب ابتدأ منا وابتدأ منك فالمسافة المتوسطة
لجهتنا وجهتك مستوعبة بالحجاب لا فراغ فيها فان قلت هلا قيل على قلوبنا اكنة كما قيل وفي
اذاننا وقر ليكون الكلام على نمط واحد هو على نمط واحد لانه لا فرق في المعنى بين قولك
قلوبنا في اكنة وعلى قلوبنا اكنة والدليل عليه قوله تعالى انا جعلنا على قلوبهم اكنة ولو قيل انا جعلنا
قلوبهم في اكنة لم يختلف المعنى وترى المطابيع منهم لا يراعون الطباق والملاحظة الا في المعاني قل انما
انا بشر مثلكم يوحى الي انما الهكم اله واحد فاستقيموا اليه واستغفروه فان قلت
من اين كان قوله تعالى انما انا بشر مثلكم يوحى الي جوابا لقولهم قلوبنا في اكنة قلت من حيث انه قال
لهم اني لست بملك وانما انا بشر مثلكم وقد اوحي الي دونكم فصحت بالوحي الي وانا بشر نبوتي واذا صحت
نبوتي وجب عليكم اتباعي وفيما اوحي الي ان الهكم اله واحد، فاستقيموا اليه فاستووا اليه بالتوحيد
واخلاص العبادة غير ذاهبين يمينا ولا شمالا ولا ملتفتين الى ما يسول لكم الشيطان من اتخاذ الاولياء
والشفعاء وتوبوا اليه مما سبق لكم من الشرك واستغفروه وقرئ قال انما انا بشر وويل
للمشركين الذين لا يؤتون الزكوة وهم بالاخرة هم كافرون فان قلت لم خص من بين
اوصاف المشركين منع الزكوة مقرونا بالكفر بالاخرة قلت لان احب شئ الى الانسان ماله وهو
شقيق روحه فاذا بذله في سبيل الله فذلك اقوى دليل على ثباته واستقامته وصدق نيته ونصوع
طويته، الا ترى الى قوله عز وجل مثل الذين ينفقون اموالهم ابتغاء مرضات الله وتثبيتا من انفسهم

اى

اي يثبتون انفسهم ويدلون على ثباتها بانفاق الاموال وما خدع المؤلفة قلوبهم الا بلمظة من الدنيا فقرت
عصبيتهم ولانت شكيمتهم واهل الردة بعد رسول الله صلى الله عليه وسلم ما تظاهروا الا بمنع الزكوة
فنصبت لهم الحرب وجوهدوا، وفيه بعث للمؤمنين على اداء الزكوة وتخويف شديد من منعها حيث جعل
المنع من اوصاف المشركين وقرن بالكفر بالاخرة، وقيل كانت قريش يطعمون الحاج ويحرمون من امن
منهم برسول الله صلى الله عليه وسلم، وقيل لا يفعلون ما يكونون به ازكياء وهو الايمان ان الذين
امنوا وعملوا الصالحات لهم اجر غير ممنون الممنون المقطوع، وقيل لا يمن عليهم لانه انما يمن
التفضل فاما الاجر فحق اداؤه، وقيل نزلت في المرضى والزمنى والهرمى اذا عجزوا عن الطاعة كتب لهم
الاجر كاصح ما كانوا يعملون قل ائنكم لتكفرون بالذي خلق الارض في يومين وتجعلون له
اندادا ذلك رب العالمين، ائنكم بهمزتين الثانية بين بين، وائنكم بالف بين همزتين ذلك
الذي خلق ما قدر على خلق الارض في مدة يومين هو رب العالمين وجعل فيها رواسي من فوقها
وبارك فيها وقدر فيها اقواتها في اربعة ايام سواء للسائلين، رواسي جبالا ثوابت،
فان قلت ما معنى قوله من فوقها وهلا اقتصر على قوله تعالى وجعل فيها رواسي كقوله تعالى
وجعلنا فيها رواسي شامخات، وجعلنا في الارض رواسي وجعل لها رواسي قلت لو كانت تحتها
كالاساطين لها تستقر عليها او مركوزة فيها كالمسامير لمنعت من الميدان وانما اختار ارساءها فوق
الارض لتكون المنافع في الجبال معرضة لطالبيها حاضرة لمحصليها وليبصر ان الارض والجبال اثقال
على اثقال كلها مفتقرة الى ممسك لا بد لها منه وهو ممسكها عز وعلا بقدرته، وبارك فيها واكثر
خيرها وانماه، وقدر فيها اقواتها ارزاق اهلها ومعايشهم وما يصلحهم، وفي قراءة ابن مسعود رضي
الله عنه وقسم فيها اقواتها في اربعة ايام سواء فذلكة لمدة خلق الله الارض وما فيها كانه قال
كل ذلك في اربعة ايام كاملة مستوية بلا زيادة ولا نقصان، قيل خلق الارض في يوم الاحد ويوم
الاثنين وما فيها يوم الثلثاء ويوم الاربعاء، وقال الزجاج في اربعة ايام في تتمة اربعة يريد بالتتمة
اليومين وقرئ سواء بالحركات الثلاث الجر على الوصف، والنصب على استوت سواء اي استواء
والرفع على هي سواء، فان قلت بم تعلق قوله تعالى للسائلين، قلت بمحذوف كانه قيل هذا الحصر لاجل
من سال في كم خلقت الارض وما فيها، او بقدر اي قدر فيها الاقوات لاجل الطالبين لها المحتا جين
اليها من المقتاتين وهذا الوجه الاخير لا يستقيم الا على تفسير الزجاج فان قلت هلا قيل في
يومين واي فائدة في هذه الفذلكة لما قال في اربعة ايام وقد ذكر ان الارض خلقت في يومين
فبقيت المخايرة بين ان تقول في يومين وبين ان تقول في اربعة ايام سواء فكانت في اربعة ايام سواء
فائدة ليست في يومين وهي الدلالة على انها كانت اياما كاملة بغير زيادة ولا نقصان ولو قال
في يومين وقد يطلق اليومان على اكثرهما لكان يجوز ان يريد باليومين الاولين والاخرين اكثرهما ثم
استوى الى السماء وهي دخان فقال لها وللارض ائتيا طوعا او كرها قالتا اتينا طائعين، ثم
استوى الى السماء من قولك استوى الى مكان كذا اذا توجه اليه توجها لا يلوي على شئ وهو من الاستواء
الذي هو ضد الاعوجاج، ونحوه قولهم استقام اليه وامتد اليه، ومنه قوله تعالى فاستقيموا اليه
والمعنى ثم دعاه داعي الحكمة الى خلق السماء بعد خلق الارض وما فيها من غير صارف يصرفه عن ذلك
قيل كان عرشه قبل خلق السموات والارض على الماء فاخرج من الماء دخانا فارتفع فوق الماء وعلا عليه

فأيبس الماء فجعله أرضا واحدة ثم فتقها فجعلها أرضين ثم خلق السماء من الدخان المرتفع. ومعنى أمر السماء والأرض بالإتيان وامتثالهما أنه أراد تكوينهما فلم يمتنعا عليه ووجدتا كما أرادهما وكانتا في ذلك كالمأمور المطيع إذا ورد عليه فعل الآمر المطاع وهو من المجاز الذي يسمى التمثيل. ويجوز أن يكون تخييلا ويبنى الأمر فيه على أن الله تعالى كلم السماء والأرض وقال لهما ائتيا شئتما ذلك أو أبيتما فقالتا أتينا على الطوع لا على الكره والغرض على الوجهين تصوير أثر قدرته في المقدورات لا غير من غير أن يحقق شيء من الخطاب والجواب. ونحوه قول القائل قال الجدار للوتد لم تشقني قال الوتد اسأل من يدقني فلم يتركني ورائي الحجر الذي ورائي. **فإن قلت** لم ذكر الأرض مع السماء وانتظمها في الأمر بالإتيان والأرض مخلوقة قبل السماء بيومين **قلت** قد خلق جرم الأرض أولا غير مدحوة ثم دحاها بعد خلق السماء كما قال تعالى والأرض بعد ذلك دحاها فالمعنى ائتيا على ما ينبغي أن تأتيا عليه من الشكل والوصف ائتي يا أرض مدحوة قرارا ومهادا لأهلك وائتي يا سماء مقببة سقفا لهم ومعنى الإتيان الحصول والوقوع كما تقول أتى عمله مرضيا وجاء مقبولا. ويجوز أن يكون المعنى لتأت كل واحدة منكما صاحبتها الإتيان الذي أريده وتقتضيه الحكمة والتدبير من كون الأرض قرارا للسماء وكون السماء سقفا للأرض. وتنصره قراءة من قرأ آتيا من المواتاة وهي الموافقة أي لتوات كل واحدة أختها ولتوافقها قالتا وافقنا وساعدنا. ويحتمل وافقا أمري ومشيئتي ولا تمتنعا. **فإن قلت** ما معنى طوعا أو كرها هو مثل للزوم تأثير قدرته فيهما وأن امتناعهما من تأثير قدرته محال كما يقول الجبار لمن تحت يده لتفعلن هذا شئت أو أبيت ولتفعلنه طوعا أو كرها وانتصابهما على الحال بمعنى طائعين أو مكرهين. **فإن قلت** هلا قيل طائعين على اللفظ أو طائعات على المعنى لأنها سموات وأرضون **قلت** لما جعلن مخاطبات ومجيبات ووصفن بالطوع والكره قيل طائعين في موضع طائعات نحو قوله تعالى ساجدين. **فقضاهن سبع سموات في يومين وأوحى في كل سماء أمرها وزينا السماء الدنيا بمصابيح وحفظا ذلك تقدير العزيز العليم.** فقضاهن يجوز أن يرجع الضمير فيه إلى السماء على المعنى كما قال طائعين ونحوه أعجاز نخل خاوية. ويجوز أن يكون ضميرا مبهما مفسرا بسبع سموات والفرق بين النصبين أن أحدهما على الحال والثاني على التمييز. قيل خلق السموات وما فيها في يومين في يوم الخميس والجمعة وفرغ في آخر ساعة من يوم الجمعة فخلق فيها آدم وهي الساعة التي تقوم فيها القيمة وفي هذا دليل على ما ذكرت من أنه لو قيل في يومين في موضع في أربعة أيام سواء لم يعلم أنهما يومان كاملان أم ناقصان. **فإن قلت** فلو قيل خلق الأرض في يومين كاملين وقدر فيها أقواتها في يومين كاملين أو قيل بعد ذكر اليومين تلك أربعة سواء **قلت** الذي أورده سبحانه أخصر وأفصح وأحسن طباقا لما عليه التنزيل من مغاصات القرائح ومصاك الركب ليتميز الفاضل من الناقص والمتقدم من الناكص وترتفع الدرجات ويتضاعف الثواب. أمرها ما أمر به فيها ودبره من خلق الملائكة والنيرات وغير ذلك أو شأنها وما يصلحها. وحفظا وحفظناها حفظا يعني من المسترقة بالثواقب. ويجوز أن يكون مفعولا له على المعنى كأنه قال وخلقنا المصابيح زينة وحفظا. **فإن أعرضوا فقل أنذرتكم صاعقة مثل صاعقة عاد وثمود إذ جاءتهم الرسل من بين أيديهم ومن خلفهم ألا تعبدوا إلا الله قالوا لو شاء ربنا لأنزل ملائكة فإنا بما أرسلتم به كافرون.** فإن أعرضوا بعد ما تتلو عليهم من هذه الحجج على وحدانيته وقدرته فحذرهم

أن تصيبهم صاعقة أي عذاب شديد الوقع كأنه صاعقة. **وقرئ** صعقة مثل صعقة عاد وثمود وهي المرة من الصعق أو الصعق يقال صعقته الصاعقة صعقا فصعق صعقا وهو من باب فعلته ففعل. من بين أيديهم ومن خلفهم أي أتوهم من كل جانب واجتهدوا بهم وأعملوا فيهم كل حيلة فلم يروا منهم إلا العتو والإعراض كما حكى الله عن الشيطان لآتينهم من بين أيديهم ومن خلفهم يعني لآتينهم من كل جهة ولأعملن فيهم كل حيلة وتقول استدرت بفلان من كل جانب فلم يكن لي فيه حيلة. وعن الحسن رحمة الله عليه أنذروهم من وقائع الله فيمن قبلهم من الأمم وعذاب الآخرة لأنهم إذا حذروهم ذلك فقد جاؤهم بالوعظ من جهة الزمن الماضي وما جرى فيه على الكفار ومن جهة المستقبل وما يجري عليهم. وقيل معناه إذ جاءتهم الرسل من قبلهم ومن بعدهم. **فإن قلت** الرسل الذين من قبلهم ومن بعدهم كيف يوصفون بأنهم جاؤهم وكيف يخاطبونهم بقولهم إنا بما أرسلتم به كافرون **قلت** قد جاءهم هود وصالح داعيين إلى الإيمان بهما وبجميع الرسل ممن جاء من بين أيديهم أي من قبلهم وممن يجيء من خلفهم أي من بعدهم فكأن الرسل جميعا قد جاؤهم وقولهم إنا بما أرسلتم به كافرون خطاب منهم لهود وصالح عليهما السلام ولسائر الأنبياء صلوات الله عليهم الذين دعوا إلى الإيمان بهم. أن في ألا تعبدوا بمعنى أي أو مخففة من الثقيلة أصله بأنه لا تعبدوا أي بأن الشأن والحديث قولنا لكم لا تعبدوا ومفعول شاء محذوف أي لو شاء ربنا إرسال الرسل لأنزل ملائكة فإنا بما أرسلتم به كافرون معناه فإذ أنتم بشر ولستم بملائكة فإنا لا نؤمن بكم وبما جئتم به وقولهم أرسلتم به ليس بإقرار بالإرسال وإنما هو على كلام الرسل وفيه تهكم كما قال فرعون إن رسولكم الذي أرسل إليكم لمجنون. **روي** أن أبا جهل قال في ملأ من قريش قد التبس علينا أمر محمد فلو التمستم لنا رجلا عالما بالشعر والكهانة والسحر فكلمه ثم أتانا ببيان عن أمره فقال عتبة بن ربيعة والله لقد سمعت الشعر والكهانة والسحر وعلمت من ذلك علما وما يخفى علي فأتاه فقال أنت يا محمد خير أم هاشم أنت خير أم عبد المطلب أنت خير أم عبد الله فبم تشتم آلهتنا وتضللنا فإن كنت تريد الرياسة عقدنا لك اللواء فكنت رئيسنا وإن تك بك الباءة زوجناك عشر نسوة تختارهن أي بنات قريش شئت وإن كان بك المال جمعنا لك ما تستغني به ورسول الله صلى الله عليه وسلم ساكت فلما فرغ قال بسم الله الرحمن الرحيم حم إلى قوله مثل صاعقة عاد وثمود فأمسك عتبة على فيه وناشده بالرحم ورجع إلى أهله ولم يخرج إلى قريش فلما احتبس عنهم قالوا ما نرى عتبة إلا قد صبا فانطلقوا إليه وقالوا يا عتبة ما حبسك عنا إلا أنك قد صبأت فغضب وأقسم لا يكلم محمدا أبدا ثم قال والله لقد كلمته فأجابني بشيء والله ما هو بشعر ولا كهانة ولا سحر ولما بلغ صاعقة عاد وثمود أمسكت بفيه وناشدته بالرحم أن يكف وقد علمتم أن محمدا إذا قال شيئا لم يكذب فخفت أن ينزل بكم العذاب. **فأما عاد فاستكبروا في الأرض بغير الحق وقالوا من أشد منا قوة أولم يروا أن الله الذي خلقهم هو أشد منهم قوة وكانوا بآياتنا يجحدون.** فاستكبروا في الأرض أي تعظموا فيها على أهلها بما لا يستحقون به التعظيم وهو القوة وعظم الأجرام أو استعلوا في الأرض واستولوا على أهلها بغير استحقاق للولاية. من أشد منا قوة كانوا ذوي أجسام طوال وخلق عظيم وبلغ من قوتهم أن الرجل كان ينزع الصخرة من الجبل فيقتلعها بيده. **فإن قلت** القوة هي الشدة والصلابة في البنية وهي نقيضة الضعف وأما القدرة فما لأجله يصح الفعل من الفاعل من تميز بذات أو بصحة بنية

وهي نقيضة العجز والله سبحانه لا يوصف بالقوة إلا على معنى القدرة فكيف صح قوله تعالى هو أشد منهم قوة وإنما يصح إذا أريد بالقوة في الموضعين شيء واحد **قلت** القدرة في الإنسان هي صحة البنية والاعتدال والقوة هي الشدة والصلابة في البنية وحقيقتها زيادة القدرة فكما صح أن يقال الله أقدر منهم جاز أن يقال أقوى منهم على معنى أنه يقدر لذاته على ما لا يقدرون عليه بازدياد قدرهم يجحدون كانوا يعرفون أنها حق ولكنهم جحدوها كما يجحد المودع الوديعة وهو معطوف على فاستكبروا أي كانوا كفرة فسقة فأرسلنا عليهم ريحا صرصرا في أيام نحسات لنذيقهم عذاب الخزي في الحياة الدنيا ولعذاب الآخرة أخزى وهم لا ينصرون الصرصر العاصفة التي تصرصر أي تصوت في هبوبها وقيل الباردة التي تحرق بشدة بردها تكرير لبناء الصر وهو البرد الذي يصر أي يجمع ويقبض نحسات قرئ بكسر الحاء وسكونها ونحس نحسا نقيض سعد سعدا وهو نحس وأما نحس فإما مخفف نحس أو صفة على فعل أو وصف بمصدر **وقرئ** لنذيقهم على أن الإذاقة للريح أو للأيام النحسات وأضاف العذاب إلى الخزي وهو الذل والاستكانة على أنه وصف للعذاب كأنه قال عذاب خزي كما تقول فعل السوء تريد الفعل السيء والدليل عليه قوله تعالى ولعذاب الآخرة أخزى وهو من الإسناد المجازي ووصف العذاب بالخزي أبلغ من وصفهم به ألا ترى إلى البون بين قوليك هو شاعر وله شعر شاعر وأما ثمود فهديناهم فاستحبوا العمى على الهدى فأخذتهم صاعقة العذاب الهون بما كانوا يكسبون ونجينا الذين آمنوا وكانوا يتقون **وقرئ** ثمود بالرفع والنصب منونا وغير منون والرفع أفصح لوقوعه بعد حرف الابتداء وقرئ بضم الثاء فهديناهم فدللناهم على طريقي الضلالة والرشد كقوله تعالى وهديناه النجدين فاستحبوا العمى على الهدى فاختاروا الدخول في الضلالة على الدخول في الرشد **فإن قلت** أليس معنى هديته حصلت فيه الهدى والدليل عليه قولك هديته فاهتدى بمعنى تحصيل البغية وحصولها كما تقول ردعته فارتدع فكيف ساغ استعماله في الدلالة المجردة **قلت** للدلالة على أنه مكنهم وأزاح عللهم ولم يبق لهم عذرا ولا علة فكأنه حصل البغية فيهم بتحصيل ما يوجبها ويقتضيها صاعقة العذاب داهية العذاب وقارعة العذاب والهون الهوان وصف به العذاب مبالغة أو أبدله منه ولو لم يكن في القرآن حجة على القدرية الذين هم مجوس هذه الأمة بشهادة نبيها صلى الله عليه وسلم وكفى به شاهدا إلا هذه لكفى بها حجة ويوم يحشر أعداء الله إلى النار فهم يوزعون **قرئ** يحشر على البناء للمفعول ونحشر بالنون وضم الشين وكسرها ويحشر على البناء للفاعل أي يحشر الله عز وجل أعداء الله الكفار من الأولين والآخرين يوزعون يحبس أولهم على آخرهم أي يستوقف سوابقهم حتى يلحق بهم تواليهم وهي عبارة عن كثرة أهل النار نسأل الله أن يجيرنا منها بسعة رحمته حتى إذا ما جاؤها شهد عليهم سمعهم وأبصارهم وجلودهم بما كانوا يعملون وقالوا لجلودهم لم شهدتم علينا قالوا أنطقنا الله الذي أنطق كل شيء وهو خلقكم أول مرة وإليه ترجعون **فإن قلت** ما في قوله تعالى حتى إذا ما جاؤها ما هي **قلت** مزيدة للتأكيد ومعنى التأكيد فيها أن وقت مجيئهم النار لا محالة أن يكون وقت الشهادة عليهم ولا وجه لأن يخلو منها ومثله قوله تعالى أثم إذا ما وقع آمنتم به أي لا بد لوقت وقوعه من أن يكون وقت إيمانهم به شهادة الجلود بالملامسة الحرام وما أشبه ذلك مما يفضي إليها من المحرمات **فإن قلت** كيف تشهد عليهم أعضاؤهم وكيف تنطق **قلت**

الله عز وجل ينطقها كما أنطق الشجرة بأن يخلق فيها كلاما وقيل المراد بالجلود الجوارح وقيل هي كناية عن الفروج أراد بكل شيء كل شيء من الحيوان كما أراد به في قوله تعالى والله على كل شيء قدير كل شيء من المقدورات والمعنى أن نطقنا ليس بعجب من قدرة الله الذي قدر على إنطاق كل حيوان وعلى خلقكم وإنشائكم أول مرة وعلى إعادتكم ورجعكم إلى جزائه وإنما قالوا لهم لم شهدتم علينا لما تعاظمهم من شهادتها وكبر عليهم من الافتضاح على ألسنة جوارحهم وما كنتم تستترون أن يشهد عليكم سمعكم ولا أبصاركم ولا جلودكم ولكن ظننتم أن الله لا يعلم كثيرا مما تعملون المعنى أنكم كنتم تستترون بالحيطان والحجب عند ارتكاب الفواحش وما كان استتاركم ذلك خيفة أن يشهد عليكم جوارحكم لأنكم كنتم غير عالمين بشهادتها عليكم بل كنتم جاحدين بالبعث والجزاء أصلا ولكنكم إنما استترتم لظنكم أن الله لا يعلم كثيرا مما تعملون وهو الخفيات من أعمالكم وذلكم ظنكم الذي ظننتم بربكم أرداكم فأصبحتم من الخاسرين وذلك الظن هو الذي أهلككم وفي هذا تنبيه على أن من حق المؤمن أن لا يذهب عنه ولا يزل عن ذهنه أن عليه من الله عينا كالئة ورقيبا مهيمنا حتى يكون في أوقات خلواته من ربه أهيب وأحسن احتشاما وأوفر تحفظا وتصونا منه مع الملأ ولا ينبسط في سره مراقبة من التشبه بهؤلاء الظانين **وقرئ** ولكن زعمتم وذلكم رفع بالابتداء وظنكم وأرداكم خبران ويجوز أن يكون ظنكم بدلا من ذلكم وأرداكم الخبر فإن يصبروا فالنار مثوى لهم وإن يستعتبوا فما هم من المعتبين فإن يصبروا لم ينفعهم الصبر ولم ينفكوا به من الثواء في النار وإن يستعتبوا وإن يسألوا العتبى وهي الرجوع إلى ما يحبون جزعا مما هم فيه لم يعتبوا لم يعطوا العتبى ولم يجابوا إليها ونحوه قوله تعالى أجزعنا أم صبرنا ما لنا من محيص وقرئ وإن يستعتبوا فما هم من المعتبين أي إن يسألوا أن يرضوا ربهم فما هم فاعلون أي لا سبيل لهم إلى ذلك وقيضنا لهم قرناء فزينوا لهم ما بين أيديهم وما خلفهم وحق عليهم القول في أمم قد خلت من قبلهم من الجن والإنس إنهم كانوا خاسرين وقيضنا لهم وقدرنا لهم يعني لمشركي مكة يقال هذان ثوبان قيضان إذا كانا متكافئين والمقايضة المعاوضة قرناء أخدانا من الشياطين جمع قرين كقوله عز وجل ومن يعش عن ذكر الرحمن نقيض له شيطانا فهو له قرين **فإن قلت** كيف جاز أن يقيض لهم القرناء من الشياطين وهو ينهاهم عن اتباع خطواتهم **قلت** معناه أنه خذلهم ومنعهم التوفيق لتصميمهم على الكفر فلم يبق لهم قرناء سوى الشياطين والدليل عليه ومن يعش نقيض ما بين أيديهم وما خلفهم ما تقدم من أعمالهم وما هم عازمون عليها أو ما بين أيديهم من أمر الدنيا واتباع الشهوات وما خلفهم من أمر العاقبة وأن لا بعث ولا حساب وحق عليهم القول يعني كلمة العذاب في أمم في جملة أمم ومثل في هذه ما في قوله

إن تك عن أحسن الصنيعة مأفوكا ففي آخرين قد أفكوا

يريد فأنت في جملة آخرين وأنت في عداد آخرين لست في ذلك بأوحد **فإن قلت** في أمم ما محله **قلت** محله النصب على الحال من الضمير في عليهم أي حق عليهم القول كائنين في جملة أمم إنهم كانوا خاسرين تعليل لاستحقاقهم العذاب والضمير لهم وللأمم وقال الذين كفروا لا تسمعوا لهذا القرآن والغوا فيه لعلكم تغلبون **وقرئ** والغوا فيه بفتح الغين وضمها يقال لغي يلغى ولغا يلغو واللغو الساقط من الكلام الذي لا طائل تحته **قال** من اللغا ورفث التكلم والمعنى لا تسمعوا له إذا قرئ وتشاغلوا عند قراءته برفع الأصوات بالخرافات والهذيان والزمل وما أشبه ذلك حتى تخلطوا على القارئ وتشوشوا عليه وتغلبوه على قراءته

كانت قريش يوصي بذلك بعضهم بعضا فلنذيقن الذين كفروا عذابا شديدا ولنجزينهم أسوأ الذي
كانوا يعملون فلنذيقن الذين كفروا يجوز أن يريد بالذين كفروا هؤلاء اللاغين والآمرين لهم
باللغو خاصة وأن يذكر الذين كفروا عامة لينطووا تحت ذكرهم وقد ذكرنا إضافة أسوأ بما أغنى
عن إعادته وعن ابن عباس رضي الله عنهما عذابا شديدا يوم بدر وأسوأ الذي كانوا يعملون في الآخرة
ذلك جزاء أعداء الله النار لهم فيها دار الخلد جزاء بما كانوا بآياتنا يجحدون ذلك إشارة إلى
الأسوأ ويجب أن يكون التقدير أسوأ جزاء الذي كانوا يعملون حتى تستقيم هذه الإشارة والنار
عطف بيان للجزاء أو خبر مبتدأ محذوف فإن قلت ما معنى قوله تعالى لهم فيها دار الخلد قلت
معناه أن النار في نفسها دار الخلد كقوله عز وجل لقد كان لكم في رسول الله أسوة حسنة والمعنى
أن رسول الله صلى الله عليه وسلم أسوة حسنة وتقول لك في هذه الدار دار سرور وأنت تعني
الدار بعينها جزاء بما كانوا بآياتنا يجحدون أي جزاء بما كانوا يلغون فيها فذكر الجحود الذي هو سبب اللغو
وقال الذين كفروا ربنا أرنا اللذين أضلانا من الجن والإنس نجعلهما تحت أقدامنا ليكونا
من الأسفلين اللذين أضلانا أي الشيطانين اللذين أضلانا من الجن والإنس لأن الشيطان على ضربين
جني وإنسي قال الله تعالى وكذلك جعلنا لكل نبي عدوا شياطين الإنس والجن وقال الذي يوسوس
في صدور الناس من الجنة والناس وقيل هما إبليس وقابيل لأنهما سنا الكفر والقتل بغير حق وقرئ
أرنا بسكون الراء لثقل الكسرة كما قالوا في فخذ فخذ وقيل معناه أعطنا اللذين أضلانا وحكوا عن
الخليل أنك إذا قلت أرني ثوبك بالكسر فالمعنى بصرنيه وإذا قلته بالسكون فهو استعطاء معناه أعطني
ثوبك ونظيره اشتهار الإيتاء في معنى الإعطاء وأصله الإحضار إن الذين قالوا ربنا الله ثم
استقاموا تتنزل عليهم الملائكة أن لا تخافوا ولا تحزنوا وأبشروا بالجنة التي كنتم
توعدون ثم لتراخي الاستقامة عن الإقرار في المرتبة وفضلها عليه لأن الاستقامة لها الشأن
كله ونحوه قوله عز وعلا إنما المؤمنون الذين آمنوا بالله ورسوله ثم لم يرتابوا والمعنى ثم ثبتوا
على الإقرار ومقتضياته وعن أبي بكر الصديق رضي الله عنه استقاموا فعلا كما استقاموا قولا وعنه
أنه تلاها ثم قال ما تقولون فيها قالوا لم يذنبوا قال حملتم الأمر على أشده قالوا فما تقول قال
لم يرجعوا إلى عبادة الأوثان وعن عمر رضي الله عنه استقاموا على الطريقة لم يروغوا روغان الثعالب
وعن عثمان رضي الله عنه أخلصوا العمل وعن علي رضي الله عنه أدوا الفرائض وقال سفيان بن عبد
الله الثقفي قلت يا رسول الله أخبرني بأمر أعتصم به قال قل ربي الله ثم استقم قال فقلت ما أخوف
ما تخاف علي فأخذ رسول الله عليه السلام بلسان نفسه فقال هذا تتنزل عليهم الملائكة عند
الموت بالبشرى وقيل البشرى في ثلاثة مواطن عند الموت وفي القبر وإذا قاموا من قبورهم
أن لا تخافوا أن بمعنى أي أو مخففة من الثقيلة وأصله بأنه لا تخافوا والهاء ضمير الشأن وفي قراءة
ابن مسعود رضي الله عنه لا تخافوا أي يقولون لا تخافوا والخوف غم يلحق لتوقع المكروه والحزن غم
يلحق لوقوعه من فوات نافع أو حصول ضار والمعنى أن الله كتب لكم الأمن من كل غم فلن تذوقوه أبدا
وقيل لا تخافوا ما تقدمون عليه ولا تحزنوا على ما خلفتم نحن أولياؤكم في الحياة الدنيا وفي الآخرة
ولكم فيها ما تشتهي أنفسكم ولكم فيها ما تدعون نزلا من غفور رحيم كما أن الشياطين
قرناء العصاة وإخوانهم فكذلك الملائكة أولياء المتقين وأحباؤهم في الدارين تدعون تتمنون

والنزل رزق النزيل وهو الضيف وانتصابه على الحال ومن أحسن قولا ممن دعا إلى الله وعمل صالحا
وقال إنني من المسلمين ممن دعا إلى الله عن ابن عباس رضي الله عنهما هو رسول الله صلى الله عليه
وسلم دعا إلى الإسلام وعمل صالحا فيما بينه وبين ربه وجعل الإسلام نحلة له وعنه أنهم أصحاب
رسول الله عليه السلام وعن عائشة رضي الله عنها ما كنا نشك أن هذه الآية نزلت في المؤذنين
وهي عامة في كل من جمع بين هذه الثلاث أن يكون موحدا معتقدا لدين الإسلام عاملا بالخير داعيا
إليه وما هم إلا طبقة العالمين العاملين من أهل العدل والتوحيد الدعاة إلى دين الله وقوله
تعالى وقال إنني من المسلمين ليس الغرض أنه تكلم بهذا الكلام ولكن جعل دين الإسلام مذهبه
ومعتقده كما تقول هذا قول أبي حنيفة تريد مذهبه ولا تستوي الحسنة ولا السيئة ادفع
بالتي هي أحسن فإذا الذي بينك وبينه عداوة كأنه ولي حميم وما يلقاها إلا الذين
صبروا وما يلقاها إلا ذو حظ عظيم يعني أن الحسنة والسيئة متفاوتتان في أنفسهما فخذ بالحسنة
التي هي أحسن من أختها إذا اعترضتك حسنتان فادفع بها السيئة التي ترد عليك من بعض أعدائك ومثال
ذلك رجل أساء إليك إساءة فالحسنة أن تعفو عنه والتي هي أحسن أن تحسن إليه مكان إساءته إليك
مثل أن يذمك فتمدحه ويقتل ولدك فتفتدي ولده من يد عدوه فإنك إذا فعلت
ذلك انقلب عدوك المشاق مثل الولي الحميم مصافاة لك ثم قال وما يلقى هذه الخليقة أو السجية
التي هي مقابلة الإساءة بالإحسان إلا أهل الصبر وإلا رجل خير وفق لحظ عظيم من الخير فإن
قلت فهلا قيل فادفع بالتي هي أحسن قلت هو على تقدير قائل قال فكيف أصنع فقيل
ادفع بالتي هي أحسن وقيل لا مزيدة والمعنى لا تستوي الحسنة والسيئة فإن قلت فكان القياس
على هذا التفسير أن يقال ادفع بالتي هي حسنة قلت أجل ولكن وضع التي هي أحسن موضع الحسنة
ليكون أبلغ في الدفع بالحسنة لأن من دفع بالحسنى هان عليه الدفع بما هو دونها وعن ابن
عباس رضي الله عنهما بالتي هي أحسن الصبر عند الغضب والحلم عند الجهل والعفو عند الإساءة
وفسر الحظ بالثواب العظيم وعن الحسن رحمة الله عليه والله ما عظم حظ دون الجنة وقيل نزلت
في أبي سفيان بن حرب وكان عدوا مؤذيا لرسول الله عليه السلام فصار وليا مصافيا وإما ينزغنك
من الشيطان نزغ فاستعذ بالله إنه هو السميع العليم النزغ والنسغ بمعنى وهو شبه
النخس والشيطان ينزغ الإنسان كأنه ينخسه يبعثه على ما لا ينبغي وجعل النزغ نازغا كما قيل
جد جده أو أريد وإما ينزغنك نازغ وصفا للشيطان بالمصدر أو لتسويله والمعنى وإن
صرفك الشيطان عما وصيت به من الدفع بالتي هي أحسن فاستعذ بالله من شره وامض على شأنك
ولا تطعه ومن آياته الليل والنهار والشمس والقمر لا تسجدوا للشمس ولا للقمر واسجدوا
لله الذي خلقهن إن كنتم إياه تعبدون الضمير في خلقهن لليل والنهار والشمس والقمر
لأن حكم جماعة ما لا يعقل حكم الأنثى أو الإناث يقال الأقلام بريتها وبريتهن أو لما قال ومن
آياته كن في معنى الآيات فقيل خلقهن فإن قلت أين موضع السجدة قلت عند الشافعي
رضي الله عنه تعبدون وهي رواية مسروق عن عبد الله لذكر لفظ السجدة قبلها وعند أبي حنيفة
رحمة الله عليه يسأمون لأنها تمام المعنى وهي عن ابن عباس وابن عمر وسعيد بن المسيب رضوان
الله عليهم أجمعين لعل ناسا منهم كانوا يسجدون للشمس والقمر كالصابئين في عبادتهم الكواكب

ويزعمون انهم يقصدون بالسجود لها السجود لله فنهوا عن هذه الواسطة وامروا ان يقصدوا بسجودهم
وجه الله خالصا ان كانوا اياه يعبدون وكانوا موحدين غير مشركين فان استكبروا فالذين
عند ربك يسبحون له بالليل والنهار وهم لا يسأمون فان استكبروا ولم يمتثلوا ما امروا
به وابوا الا الواسطة فدعهم وشأنهم فان الله عز سلطانه لا يعدم عابدا ولا ساجدا بالاخلاص
وله العباد المقربون الذين ينزهونه بالليل والنهار عن الانداد وقوله تعالى عند ربك عبارة
عن الزلفى والمكانة والكرامة وقرئ لا يسئمون بكسر الياء ومن آياته انك ترى الارض
خاشعة فاذا انزلنا عليها الماء اهتزت وربت ان الذي احياها لمحيي الموتى انه على كل
شيء قدير الخشوع التذلل والتقاصر فاستعير لحال الارض اذا كانت قحطة لا نبات فيها كما وصفها
بالهمود في قوله تعالى وترى الارض هامدة وهو خلاف وصفها بالاهتزاز والربو وهو الانتفاخ
اذا اخصبت وتزخرفت بالنبات كانها بمنزلة المختال في زيه وهي قبل ذلك كالذليل الكاسف
البال في الاطمار الرثة وقرئ وربأت اي ارتفعت لان النبت اذا اهم ان يظهر ارتفعت له
الارض ان الذين يلحدون في آياتنا لا يخفون علينا افمن يلقى في النار خير امن يأتي آمنا
يوم القيامة اعملوا ما شئتم انه بما تعملون بصير يقال الحد الحافر ولحد اذا امال عن الاستقامة
فحفر في شق فاستعير للانحراف في تأويل آيات القرآن عن جهة الصحة والاستقامة وقرئ
يلحدون ويلحدون على اللغتين وقوله تعالى لا يخفون علينا وعيد لهم على التحريف ان الذين
كفروا بالذكر لما جاءهم وانه لكتاب عزيز فان قلت بم اتصل قوله ان الذين كفروا بالذكر
قلت هو بدل من قوله ان الذين يلحدون في آياتنا والذكر القرآن لانهم لكفرهم به طعنوا فيه
وحرفوا تأويله وانه لكتاب عزيز اي منيع محمي بحماية الله تعالى لا يأتيه الباطل من بين يديه
ولا من خلفه تنزيل من حكيم حميد لا يأتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه مثل كان الباطل
لا يتطرق اليه ولا يجد اليه سبيلا من جهة من الجهات حتى يصل اليه ويتعلق به فان قلت
اما طعن فيه الطاعنون وتأوله المبطلون قلت بلى ولكن الله قد تقدم في حمايته عن تعلق الباطل
به بان قيض قوما عارضوهم بابطال تأويلهم وافساد اقاويلهم فلم يخلوا طعن طاعن الا ممحوقا
ولا قول مبطل الا مضمحلا ونحوه قوله تعالى انا نحن نزلنا الذكر وانا له لحافظون ما يقال لك الا
ما قد قيل للرسل من قبلك ان ربك لذو مغفرة وذو عقاب اليم ما يقال لك اي ما يقول لك
كفار قومك الا مثل ما قال للرسل كفار قومهم من الكلمات المؤذية والمطاعن في الكتب المنزلة ان
ربك لذو مغفرة ورحمة لانبيائه وذو عقاب لاعدائهم ويجوز ان يكون ما يقول لك الله الا مثل
ما قال للرسل من قبلك والمقول هو قوله تعالى ان ربك لذو مغفرة وذو عقاب اليم فمن حقه ان
يرجوه اهل طاعته ويخافه اهل معصيته والغرض تخويف العصاة ولو جعلناه قرآنا اعجميا
لقالوا لولا فصلت آياته أأعجمي وعربي قل هو للذين آمنوا هدى وشفاء والذين لا يؤمنون
في آذانهم وقر وهو عليهم عمى اولئك ينادون من مكان بعيد كانوا لتعنتهم يقولون هلا نزل القرآن
بلغة العجم فقيل لو كان كما يقترحون لم يتركوا الاعتراض والتعنت وقالوا لولا فصلت آياته
اي بينت ولخصت بلسان نفقهه أأعجمي وعربي الهمزة همزة الانكار يعني لانكروا وقالوا أقرآن اعجمي
ورسول عربي او مرسل اليه عربي وقرئ اعجمي والاعجمي هو الذي لا يفصح ولا يفهم كلامه من اي جنس

كان والعجمي منسوب الى امة العجم وفي قراءة الحسن رحمة الله عليه اعجمي بغير همزة الاستفهام على الاخبار بان
القرآن اعجمي والمرسل او المرسل اليه عربي والمعنى ان آيات الله على اي طريقة جاءتهم وجدوا فيها متعنتا لان
القوم غير طالبين للحق وانما يتبعون اهواءهم ويجوز في قراءة الحسن هلا فصلت آياته تفصيلا فجعل بعضها
بيانا للعجم وبعضها بيانا للعرب فان قلت كيف يصح ان يراد بالعربي المرسل اليهم وهم امة العرب
هو على ما يجب ان يقع في انكار المنكر لو رأى كتابا عجميا كتب الى قوم من العرب يقول أكتاب اعجمي ومكتوب
اليه عربي وذلك لان مبنى الانكار على تنافر حالتي الكتاب والمكتوب اليه لا على ان المكتوب اليه واحد
او جماعة فوجب ان يجرد لما سيق له من الغرض ولا يوصل به ما يخيل غرضا آخر الا تراك تقول وقد
رأيت لباسا طويلا على امرأة قصيرة اللباس طويل واللابس قصير ولو قلت واللابسة قصيرة جئت
بما هو لكنة وفضول قول لان الكلام لم يقع في ذكورة اللابس وانوثته انما وقع في غرض وراءهما
هو اي القرآن هدى وشفاء ارشاد الى الحق وشفاء لما في الصدور من الظن والشك فان قلت
والذين لا يؤمنون في آذانهم وقر منقطع عن ذكر القرآن فما وجه اتصاله به قلت لا يخلو اما ان يكون
الذين لا يؤمنون في موضع الجر معطوفا على قوله تعالى للذين آمنوا على معنى قولك هو للذين آمنوا هدى
وشفاء وهو للذين لا يؤمنون في آذانهم وقر الا ان فيه عطفا على عاملين وان كان الاخفش يجيزه
واما ان يكون مرفوعا على تقدير والذين لا يؤمنون هو في آذانهم وقر على حذف المبتدأ او في
آذانهم منه وقر وقرئ وهو عليهم عم وعمي كقوله فعميت عليكم الانباء ينادون من مكان بعيد
يعني انهم لا يقبلونه ولا يرعونه اسماعهم فمثلهم في ذلك مثل من يصيح به من مسافة شاطة لا يسمع
من مثلها الصوت فلا يسمع النداء ولقد آتينا موسى الكتاب فاختلف فيه ولولا كلمة سبقت
من ربك لقضي بينهم وانهم لفي شك منه مريب فاختلف فيه فقال بعضهم هو حق وقال
بعضهم هو باطل والكلمة السابقة هي العدة بالقيامة وان الخصومات تفصل في ذلك اليوم ولولا
ذلك لقضي بينهم في الدنيا قال الله تعالى بل الساعة موعدهم ولكن يؤخرهم الى اجل مسمى من عمل
صالحا فلنفسه ومن اساء فعليها وما ربك بظلام للعبيد فلنفسه فنفسه نفع فعليها فنفسه ضر
وما ربك بظلام فيعذب غير المسيء اليه يرد علم الساعة وما تخرج من ثمرة من اكمامها وما
تحمل من انثى ولا تضع الا بعلمه ويوم يناديهم اين شركائي قالوا آذناك ما منا من
شهيد وضل عنهم ما كانوا يدعون من قبل وظنوا ما لهم من محيص اليه يرد علم الساعة اي
اذا سئل عنها قيل الله يعلم او لا يعلمها الا الله وقرئ من ثمرات من اكمامهن والكم بكسر الكاف
وعاء الثمرة كجف الطلعة اي وما يحدث شيء من خروج ثمرة ولا حمل حامل ولا وضع واضع الا وهو
عالم به يعلم عدد ايام الحمل وساعاته واحواله من الخداج والتمام والذكورة والانوثة والحسن
والقبح وغير ذلك اين شركائي اضافهم اليه على زعمهم وبيانه في قوله تعالى اين شركائي الذين كنتم
تزعمون وفيه تهكم وتقريع آذناك اعلمناك ما منا من شهيد اي ما منا اليوم احد وقد
ابصرنا وسمعنا يشهد بانهم شركاؤك اي ما منا الا من هو موحد لك او ما منا من احد يشاهدهم
لانهم ضلوا عنهم وضلت عنهم آلهتهم لا يبصرونها في ساعة التوبيخ وقيل هو كلام الشركاء اي ما
منا من شهيد يشهد بما اضافوا الينا من الشركة ومعنى ضلالهم عنهم على هذا التفسير انهم لا ينفعونهم
فكأنهم ضلوا عنهم وظنوا وايقنوا والمحيص المهرب فان قلت آذناك اخبار بايذان كان منهم

فاذ قد آذنوا فلم يسألوا **قلت** يجوز ان يعاد عليهم اين شركاي اعادة للتوبيخ واعادته في القرآن
على سبيل الحكاية دليل على اعادة المحكي ويجوز ان يكون المعنى انك علمت من قلوبنا وعقائدنا الآن انا لا
نشهد تلك الشهادة الباطلة لانه اذا علمه من نفوسهم فكانهم اعلموه ويجوز ان يكون انشاء للايذان
ولا يكون اخبارا بايذان قد كان كما تقول اعلم الملك انه كان من الامر كيت وكيت لا يسأم الانسان من
دعاء الخير وان مسه الشر فيؤس قنوط من دعاء الخير من طلب السعة في المال والنعمة وقرأ ابن مسعود
من دعاء بالخير وان مسه الشر اي الضيقة والفقر فيؤس قنوط بولغ فيه من طريقين من طريق بناء فعول
ومن طريق التكرير والقنوط ان يظهر عليه اثر اليأس فيتضاءل وينكسر اي يقطع الرجاء من فضل الله
وروحه وهذه صفة الكافر بدليل قوله تعالى انه لا ييأس من روح الله الا القوم الكافرون ولئن اذقناه رحمة
منا من بعد ضراء مسته ليقولن هذا لي وما اظن الساعة قائمة ولئن رجعت الى ربي ان لي عنده
للحسنى واذا فرجنا عنه بصحة بعد مرض او سعة بعد ضيق قال هذا لي اي هذا حقي وصل الي لاني استوجبته
بما عندي من خير وفضل واعمال بر او هذا لي لا يزول عني ونحوه قوله تعالى فاذا جاءتهم الحسنة قالوا لنا
هذه ونحوه قوله تعالى وما اظن الساعة قائمة ان نظن الا ظنا وما نحن بمستيقنين يريد وما اظنها
تكون فان كانت على طريق التوهم ان لي عند الله الحالة الحسنى من الكرامة والنعمة قايسا امر الآخرة
على امر الدنيا وعن بعضهم للكافر امنيتان يقول في الدنيا ولئن رجعت الى ربي ان لي عنده للحسنى
ويقول في الآخرة يا ليتني كنت ترابا وقيل نزلت في الوليد بن المغيرة فلننبئن الذين كفروا بما
عملوا ولنذيقنهم من عذاب غليظ فلنخبرنهم بحقيقة ما عملوا من الاعمال الموجبة للعذاب ولنبصرنهم
عكس ما اعتقدوا فيها انهم يستوجبون عليها كرامة وقربة عند الله وقدمنا الى ما عملوا من عمل
فجعلناه هباء منثورا وذلك انهم كانوا ينفقون اموالهم رئاء الناس وطلبا للافتخار والاستكبار لا
غير وكانوا يحسبون ان ما هم عليه سبب الغنى والصحة وانهم محقوقون بذلك واذا انعمنا على الانسان
اعرض ونأى بجانبه واذا مسه الشر فذو دعاء عريض هذا ايضا ضرب آخر من طغيان الانسان
اذا اصابه الله بنعمة ابطرته النعمة وكانه لم يلق بؤسا قط فنسي المنعم واعرض عن شكره ونأى بجانبه
اي ذهب بنفسه وتكبر وتعظم وان مسه الضر والفقر اقبل على دوام الدعاء واخذ في الابتهال
والتضرع وقد استعير العرض لكثرة الدعاء ودوامه وهو من صفة الاجرام ويستعار له الطول
ايضا كما استعير الغلظ لشدة العذاب وقرئ وناء بجانبه بامالة الالف وكسر النون للاتباع وناء
على القلب كما قالوا راء في رأى **فان قلت** حقق لي معنى قوله تعالى ونأى بجانبه **قلت** فيه
وجهان ان يوضع جانبه موضع نفسه كما ذكرنا في قوله تعالى على ما فرطت في جنب الله ان مكان الشيء
وجهته ينزل منزلة الشيء نفسه **ومنه** قوله ونفيت عنه مقام الذئب يريد ونفيت عنه
الذئب ومنه قوله تعالى ولمن خاف مقام ربه ومنه قول الكتاب حضرة فلان ومجلسه وكتبت
الى جهته والى جانبه العزيز يريدون نفسه وذاته فكانه قال ونأى بنفسه كقولهم في المتكبر ذهب
بنفسه وذهبت به الخيلاء كل مذهب وعصفت به الخيلاء وان يراد بجانبه عطفه ويكون عبارة
عن الانحراف والازورار كما قالوا ثنى عطفه وتولى بركنه قل ارأيتم ان كان من عند الله ثم كفرتم به
من اضل ممن هو في شقاق بعيد ارأيتم اخبروني ان كان القرآن من عند الله يعني ما انتم عليه من
انكار القرآن وتكذيبه ليس بامر صادر عن حجة قاطعة حصل لكم منها على اليقين وثلج الصدور وانما

هو قبل النظر واتباع الدليل امر محتمل يجوز ان يكون من عند الله وان لا يكون من عنده وانتم لم تنظروا
ولم تفحصوا فما انكرتم ان يكون حقا وقد كفرتم به فاخبروني من اضل منكم وانتم ابعد من الشوط في
مشاقته ومناصبته ولعله حق فاهلكتم انفسكم وقوله تعالى ممن هو في شقاق بعيد موضوع موضع
صح
منكم بيانا لحالهم وصفتهم سنريهم آياتنا في الآفاق وفي انفسهم حتى يتبين لهم انه الحق او لم
يكف بربك انه على كل شيء شهيد سنريهم آياتنا في الآفاق وفي انفسهم يعني ما يسر الله عز وجل
لرسول الله صلى الله عليه وسلم وللخلفاء من بعده وانصار دينه في آفاق الدنيا وبلاد المشرق والمغرب
عموما وفي ناحية العرب خصوصا من الفتوح التي لم تتيسر امثالها لاحد من خلفاء الارض قبلهم ومن الاظهار
على الجبابرة والاكاسرة وتغليب قليلهم على كثيرهم وتسليط ضعافهم على اقويائهم واجرائه على ايديهم
امورا خارجة من المعهود خارقة للعادات ونشر دعوة الاسلام في اقطار المعمورة وبسط دولته
في اقاصيها والاستقراء يطلعك في التواريخ والكتب المدونة في مشاهد اهله وايامهم على عجائب لا
ترى وقعة من وقائعهم الا علما من اعلام الله وآية من آياته يقوى معها اليقين ويزداد بها الايمان
ويتبين ان دين الاسلام هو دين الحق الذي لا يحيد عنه الا مكابر حسه مغالط نفسه وما الثبات
ظل
والاستقامة الا صفة الحق والصدق كما ان الاضطراب والتزلزل صفة الفرية والزور وان للباطل
ريحا تخفق ثم تسكن ودولة تظهر ثم تضمحل بربك في موضع الرفع على انه فاعل كفى وانه على كل شيء شهيد
بدل منه تقديره اولم يكفهم ان ربك على كل شيء شهيد ومعناه ان هذا الموعود من اظهار آيات الله
في الآفاق وفي انفسهم سيرونه ويشاهدونه فيتبينونه عند ذلك ان القرآن تنزيل عالم الغيب
الذي هو على كل شيء شهيد اي مطلع مهيمن يستوي عنده غيبه وشهادته فيكفيهم ذلك دليلا على انه
حق وانه من عنده ولو لم يكن كذلك لما قوي هذه القوة ولما نصر حاملوه هذه النصرة الا انهم في مرية
ببيانها
من لقاء ربهم الا انه بكل شيء محيط **وقرئ** في مرية بالضم وهي الشك محيط عالم بجمل الاشياء وتفاصيلها
وظواهرها وبواطنها فلا تخفى عليه خافية منهم وهو مجازيهم على كفرهم ومريتهم في لقاء ربهم وعن
رسول الله صلى الله عليه وسلم من قرأ سورة السجدة اعطاه الله بكل حرف عشر حسنات والله اعلم

[illegible]

وهي ثلاث وخمسون آية بسم الله الرحمن الرحيم حم عسق كذلك يوحي اليك والى الذين من قبلك
الله العزيز الحكيم **قرأ** ابن عباس وابن مسعود رضي الله عنهما حم سق كذلك يوحي اليك اي مثل
ذلك الوحي او مثل ذلك الكتاب يوحي اليك والى الرسل من قبلك الله يعني ان ما تضمنته هذه السورة
من المعاني قد اوحى الله اليك مثله في غيرها من السور واوحاه من قبلك الى رسله على معنى ان الله كرر
هذه المعاني في القرآن وفي جميع الكتب السماوية لما فيها من التنبيه البليغ واللطف العظيم لعباده
من الاولين والآخرين ولم يقل اوحي اليك ولكن على لفظ المضارع ليدل على ان ايحاء مثله عادته
وقرئ يوحى اليك على البناء للمفعول **فان قلت** فما رافع اسم الله على هذه القراءة **قلت** ما دل
عليه يوحى كأن قائلا قال من الموحي فقيل الله كقراءة السلمي وكذلك زين لكثير من المشركين قتل
اولادهم شركاؤهم على البناء للمفعول ورفع شركاؤهم على معنى زينه لهم شركاؤهم **فان قلت** فما
رافعه فيمن قرأ نوحي بالنون **قلت** يرتفع بالابتداء والعزيز وما بعده اخبار او العزيز الحكيم

صفتان والظرف خبر له ما في السموات وما في الارض وهو العلي العظيم تكاد السموات يتفطرن من فوقهن والملائكة يسبحون [بحمد ربهم ويستغـ] لمن في الارض الا ان الله هو الغفور الرحيم قرئ تكاد بالتاء والياء وينفطرن ويتفطرن وروى يونس عن ابي عمرو قراءة غريبة تتفطرن بتاءين مع النون ونظيرها حرف نادر روى في نوادر ابن الاعرابي الابل تتشممن ومعناه يكدن ينفطرن من علو شان الله تعالى وعظمته يدل عليه مجيئه بعد العلي العظيم وقيل من دعائهم له ولدا كقوله تعالى تكاد السموات يتفطرن منه فان قلت لم قال من فوقهن لان اعظم الايات وادلها على الجلال والعظمة فوق السموات وهي العرش والكرسي وصفوف الملائكة المرتجة بالتسبيح والتقديس حول العرش وما لا يعلم كنهه الا الله من آثار ملكوته العظمى فلذلك قال يتفطرن من فوقهن اي يبتدئ الانفطار من جهتهن الفوقانية او لان كلمة الكفر جاءت من الذين تحت السموات فكان القياس ان يقال يتفطرن من تحتهن من الجهة التي منها جاءت الكلمة ولكنه بولغ في ذلك فجعلت مؤثرة في جهة الفوق كانه قيل يكدن يتفطرن من الجهة التي فوقهن دع الجهة التي تحتهن ونظيره في المبالغة قوله سبحانه وتعالى يصب من فوق رءوسهم الحميم يصهر به ما في بطونهم فجعل الحميم مؤثرا في اجزائهم الباطنة وقيل من فوقهن من فوق الارض فان قلت كيف صح ان يستغفروا لمن في الارض وفيهم الكفار اعداء الله وقد قال الله تعالى اولئك عليهم لعنة الله والملائكة فكيف يكونون لاعنين مستغفرين لهم قلت قوله لمن في الارض يدل على جنس اهل الارض وهذه الجنسية قائمة في كلهم وفي بعضهم فيجوز ان يراد به هذا وهذا وقد دل الدليل على ان الملائكة لا تستغفر الا لاولياء الله وهم المؤمنون فما اراد الله الا اياهم الا ترى الى قوله تعالى في سورة المؤمن ويستغفرون للذين آمنوا وحكايته عنهم فاغفر للذين تابوا واتبعوا سبيلك كيف وصفوا المستغفر لهم بما يستوجب به الاستغفار فما تركوا للذين لم يتوبوا من المصدقين طمعا في استغفارهم فكيف للكفرة ويحتمل ان يقصدوا بالاستغفار طلب الحلم والغفران في قوله عز وجل ان الله يمسك السموات والارض ان تزولا الى ان قال انه كان حليما غفورا وقوله تعالى ان ربك لذو مغفرة للناس على ظلمهم والمراد الحلم عنهم وان لا يعاجلهم بالانتقام فيكون عاما فان قلت قد فسرت قوله تعالى تكاد السموات يتفطرن بتفسيرين فما وجه طباق ما بعده لهما قلت اما على احدهما فكانه قيل تكاد السموات يتفطرن هيبة من جلاله واحتشاما من كبريائه والملائكة الذين هم ملء السبع الطباق وحافون حول العرش صفوفا بعد صفوف يداومون خضوعا لعظمته على عبادته وتسبيحه وتحميده ويستغفرون لمن في الارض خوفا عليهم من سطواته واما على الثاني فكانه قيل يكدن يتفطرن من اقدام اهل الشرك على تلك الكلمة الشنعاء والملائكة يوحدون الله وينزهونه عما لا يجوز عليه من الصفات التي يضيفها اليه الجاهلون به حامدين له على ما اولاهم من الطافه التي علم انهم عندها يستعصمون مختارين غير ملجئين ويستغفرون لمؤمني اهل الارض الذين تبرءوا من تلك الكلمة ومن اهلها او يطلبون الى ربهم ان يحلم عن اهل الارض ولا يعاجلهم بالعقاب مع وجود ذلك فيهم لما عرفوا في ذلك من المصالح وحرصا على نجاة الخلق وطمعا في توبة الكفار والفساق منهم والذين اتخذوا من دونه اولياء الله حفيظ عليهم وما انت عليهم بوكيل والذين اتخذوا من دونه اولياء جعلوا له شركاء واندادا الله حفيظ عليهم رقيب على احوالهم واعمالهم لا يفوته منها شيء وهو محاسبهم عليها ومعاقبهم لا رقيب عليهم الا هو وحده وما انت يا محمد بموكل بهم ولا مفوض اليك امرهم ولا قسرهم على الايمان انما انت منذر فحسب وكذلك اوحينا اليك قرآنا عربيا لتنذر

ام القرى ومن حولها وتنذر يوم الجمع لا ريب فيه فريق في الجنة وفريق في السعير ومثل ذلك اوحينا اليك وذلك اشارة الى معنى الاية قبلها من ان الله هو الرقيب عليهم وما انت برقيب عليهم ولكن نذير لهم لان هذا المعنى كرره الله في كتابه في مواضع جمة والكاف مفعول به لاوحينا وقرآنا عربيا حال من المفعول به اي اوحيناه اليك وهو قرآن عربي بين لا لبس فيه عليك لتفهم ما يقال لك ولا تتجاوز حد الانذار ويجوز ان يكون ذلك اشارة الى مصدر اوحينا اي ومثل ذلك الايحاء البين المفهم اوحينا اليك قرآنا عربيا بلسانك لتنذر يقال انذرته كذا وانذرته بكذا وقد عدي الاول اعني لتنذر ام القرى الى المفعول الاول والثاني وهو قوله تعالى وتنذر يوم الجمع الى المفعول الثاني ام القرى اهل ام القرى كقوله عز وجل واسال القرية ومن حولها من العرب وقرئ لينذر بالياء والفعل للقرآن يوم الجمع يوم القيامة لان الخلائق تجمع فيه قال الله تعالى يوم يجمعكم ليوم الجمع وقيل يجمع بين الارواح والاجساد وقيل يجمع بين كل عامل وعمله ولا ريب فيه اعتراض لا محل له قرئ فريق وفريق بالرفع والنصب فالرفع على منهم فريق ومنهم فريق والضمير للمجموعين لان المعنى يوم جمع الخلائق والنصب على الحال منهم اي متفرقين كقوله تعالى ويوم تقوم الساعة يومئذ يتفرقون فان قلت كيف يكونون مجموعين متفرقين في حالة واحدة قلت هم مجموعون في ذلك اليوم مع افتراقهم في داري البؤس والنعيم كما يجتمع الناس يوم الجمعة متفرقين في مسجدين وان اريد بالجمع جمعهم في الموقف فالتفرق على معنى مشارفتهم للتفرق ولو شاء الله لجعلهم امة واحدة ولكن يدخل من يشاء في رحمته والظالمون ما لهم من ولي ولا نصير لجعلهم امة واحدة اي مؤمنين كلهم على القسر والالجاء كقوله تعالى ولو شئنا لآتينا كل نفس هداها وقوله ولو شاء ربك لآمن من في الارض كلهم جميعا والدليل على ان المعنى هو الالجاء الى الايمان قوله عز وعلا افانت تكره الناس حتى يكونوا مؤمنين وقوله تعالى افانت تكره بادخال همزة الانكار على المكره دون فعله دليل على ان الله وحده هو القادر على هذا الاكراه دون غيره والمعنى ولو شاء ربك مشيئة قدرة لقسرهم جميعا على الايمان ولكنه شاء مشيئة حكمة فكلفهم وبنى امرهم على ما يختارون ليدخل المؤمنين في رحمته وهم المرادون بمن يشاء الا ترى الى وضعهم في مقابلة الظالمين ويترك الظالمين بغير ولي ولا نصير في عذابه ام اتخذوا من دونه اولياء فالله هو الولي وهو يحيي الموتى وهو على كل شيء قدير معنى الهمزة في ام الانكار فالله هو الولي هو الذي يجب ان يتولى وحده ويعتقد انه المولى والسيد والفاء في قوله تعالى فالله هو الولي جواب شرط مقدر كانه قيل بعد انكار كل ولي سواه ان ارادوا اولياء بحق فالله هو الولي بالحق لا ولي سواه وهو يحيي اي ومن شان هذا الولي انه يحيي الموتى وهو على كل شيء قدير فهو الحقيق بان يتخذ وليا دون من لا يقدر على شيء وما اختلفتم فيه من شيء فحكمه الى الله ذلكم الله ربي عليه توكلت واليه انيب وما اختلفتم فيه من شيء حكاية قول رسول الله عليه السلام للمؤمنين اي ما خالفكم فيه الكفار من اهل الكتاب والمشركين فاختلفتم انتم وهم فيه من امر من امور الدين فحكم ذلك المختلف فيه مفوض الى الله تعالى وهو اثابة المحقين فيه من المؤمنين ومعاقبة المبطلين ذلكم الحاكم بينكم هو الله ربي عليه توكلت في رد كيد اعداء الدين واليه ارجع في كفاية شرهم وقيل وما اختلفتم فيه وتنازعتم من شيء من الخصومات فتحاكموا فيه الى رسول الله عليه السلام ولا تؤثروا على حكومته حكومة غيره كقوله عز وجل فان تنازعتم في شيء فردوه

الى الله والرسول ۝ وقيل وما اختلفتم فيه من تأويل آية واشتبه عليكم فارجعوا في بيانه الى المحكم من كتاب الله والظاهر من سنة رسول الله عليه السلام ۝ وقيل وما وقع بينكم الخلاف فيه من العلوم التي لا تتصل بتكليفكم ولا طريق لكم الى علمه فقولوا الله اعلم كمعرفة الروح قال الله تعالى ويسألونك عن الروح قل الروح من امر ربي وان **قلت** هل يجوز حمله على اختلاف المجتهدين في احكام الشريعة **قلت** لا لان الاجتهاد لا يجوز بحضرة الرسول فاطر السموات والارض جعل لكم من انفسكم ازواجا ومن الانعام ازواجا يذرؤكم فيه ليس كمثله شيء وهو السميع البصير له مقاليد السموات والارض يبسط الرزق لمن يشاء ويقدر انه بكل شيء عليم ۝ فاطر السموات قرئ بالرفع والجر فالرفع على انه احد اخبار ذلكم او خبر مبتدأ محذوف ۝ والجر على قوله الى الله فاطر السموات وذلكم الى انيب اعتراض بين الصفة والموصوف ۝ جعل لكم خلق لكم ۝ من انفسكم من جنسكم من الناس ۝ ازواجا ومن الانعام ازواجا اي وخلق لكم من الانعام ازواجا ومعناه وخلق للانعام ايضا من انفسها ازواجا ۝ يذرؤكم يكثركم يقال ذرأ الله الخلق بثهم وكثرهم والذر والذرء والذرو اخوات ۝ فيه في هذا التدبير وهو ان جعل للناس والانعام ازواجا حتى كان بين ذكورهم واناثهم التوالد والتناسل والضمير في يذرؤكم يرجع الى المخاطبين والانعام مغلبا فيه المخاطبون العقلاء على الغيب مما لا يعقل وهي من الاحكام ذات العلتين **فان قلت** ما معنى يذرؤكم في هذا التدبير وهلا قيل يذرؤكم به جعل هذا التدبير كالمنبع والمعدن للبث والتكثير ۝ الا تراك تقول للحيوان في خلق الازواج تكثير كما قال تعالى ولكم في القصاص حيوة ۝ قالوا مثلك لا يبخل فنفوا البخل عن مثله وهم يريدون نفيه عن ذاته قصدوا المبالغة في ذلك فسلكوا به طريق الكناية لانهم اذا نفوه عمن يسد مسده وعمن هو على اخص اوصافه فقد نفوه عنه ۝ ونظيره قولك للعربي العرب لا تخفر الذمم كان ابلغ من قولك انت لا تخفر ۝ ومنه قولهم قد ايفعت لداته وبلغت اترابه يريدون ايفاعه وبلوغه ۝ وفي حديث رقيقة بنت صيفي في سقيا عبد المطلب الا وفيهم الطيب الطاهر لداته والقصد الى طهارته وطيبه فاذا علم انه من باب الكناية لم يقع فرق بين قوله ليس كالله شيء وبين قوله ليس كمثله شيء الا ما تعطيه الكناية من فائدتها وكأنهما عبارتان معتقبتان على معنى واحد وهو نفي المماثلة عن ذاته تعالى ونحوه قوله تعالى بل يداه مبسوطتان فان معناه بل هو جواد من غير تصور يد ولا بسط لها لانها وقعت عبارة عن الجود لا يقصدون شيئا آخر حتى انهم استعملوها فيمن لا يد له فكذلك استعمل هذا فيمن له مثل ولا مثل له ولك ان تزعم ان كلمة التشبيه كررت للتأكيد كما كررها من قال ۝ وصاليات ككما يؤثفين ۝ ومن قال ۝ فاصبحت مثل كعصف مأكول **وقرئ** ويقدر انه بكل شيء عليم فاذا علم ان الغنى خير للعبد اغناه والا افقره شرع لكم من الدين ما وصى به نوحا والذي اوحينا اليك وما وصينا به ابراهيم وموسى وعيسى ان اقيموا الدين ولا تتفرقوا فيه كبر على المشركين ما تدعوهم اليه الله يجتبي اليه من يشاء ويهدي اليه من ينيب ۝ شرع لكم من الدين دين نوح ومحمد عليهما السلام ومن بينهما من الانبياء ثم فسر المشروع الذي اشترك هؤلاء الاعلام من رسله فيه بقوله تعالى ان اقيموا الدين ولا تتفرقوا فيه والمراد اقامة دين الاسلام الذي هو توحيد الله وطاعته والايمان برسله وكتبه ويوم الجزاء وسائر ما يكون الرجل باقامته مسلما ولم يرد الشرائع التي هي مصالح الامم على حسب احوالها فانها مختلفة متفاوتة قال الله تعالى لكل جعلنا منكم شرعة ومنهاجا ۝ ومحل ان اقيموا اما نصب بدل من مفعول شرع والمعطوفين عليه واما رفع على الاستيناف كأنه قيل وما ذلك المشروع فقيل هو اقامة الدين

ونحوه قوله تعالى ان هذه امتكم امة واحدة ۝ كبر على المشركين عظم عليهم وشق عليهم ما تدعوهم اليه من اقامة دين الله والتوحيد ۝ يجتبي اليه يجتلب ويجمع والضمير للدين بالتوفيق والتسديد من يشاء من ينفع فيهم توفيقه ويجري عليهم لطفه وما تفرقوا الا من بعد ما جاءهم العلم بغيا بينهم ولولا كلمة سبقت من ربك الى اجل مسمى لقضي بينهم وان الذين اورثوا الكتاب من بعدهم لفي شك منه مريب وما تفرقوا يعني اهل الكتاب بعد انبيائهم الا من بعد ان علموا ان الفرقة ضلال وفساد وامر متوعد عليه على السنة الانبياء صلوات الله عليهم ۝ ولولا كلمة سبقت من ربك وهي عدة التأخير الى يوم القيمة لقضي بينهم حين افترقوا لعظم ما اقترفوا وان الذين اورثوا الكتاب من بعدهم وهم اهل الكتاب الذين كانوا في عهد رسول الله عليه السلام ۝ لفي شك من كتابهم لا يؤمنون به حق الايمان ۝ وقيل كان الناس امة واحدة مؤمنين بعد ان اهلك الله اهل الارض اجمعين بالطوفان فلما مات الآباء اختلف الابناء فيما بينهم وذلك حين بعث الله اليهم النبيين مبشرين ومنذرين وجاءهم العلم وانما اختلفوا للبغي بينهم ۝ وقيل ما تفرق اهل الكتاب الا من بعد ما جاءهم العلم يعني بعث رسول الله عليه السلام كقوله تعالى وما تفرق الذين اوتوا الكتاب الا من بعد ما جاءتهم البينة ۝ وان الذين اورثوا الكتاب من بعدهم هم المشركون اورثوا القرآن من بعد ما اورث اهل الكتاب التورية والانجيل **وقرئ** ورثوا وورثوا فلذلك فادع واستقم كما امرت ولا تتبع اهواءهم وقل آمنت بما انزل الله من كتاب وامرت لاعدل بينكم الله ربنا وربكم لنا اعمالنا ولكم اعمالكم لا حجة بيننا وبينكم الله يجمع بيننا واليه المصير ۝ فلذلك فلاجل ذلك التفرق ولما حدث بسببه من تشعب الكفر شعبا فادع الى الاتفاق والائتلاف على الملة الحنيفية القديمة واستقم عليها وعلى الدعوة اليها كما امرك الله ولا تتبع اهواءهم المختلفة الباطلة ۝ بما انزل الله من كتاب باي كتاب صح ان الله انزله يعني الايمان بجميع الكتب المنزلة لان المتفرقين آمنوا ببعض كقوله تعالى ويقولون نؤمن ببعض ونكفر ببعض الى قوله اولئك هم الكافرون حقا ۝ لاعدل بينكم في الحكم اذا تخاصمتم فتحاكمتم الي ۝ لا حجة بيننا وبينكم اي لا خصومة لان الحق قد ظهر وصرتم محجوجين به فلا حاجة الى المحاجة ومعناه لا ايراد حجة بيننا لان المتحاور يورد هذا حجته وهذا حجته ۝ الله يجمع بيننا يوم القيمة فيفصل بيننا وينتقم لنا منكم وهذه محاجزة ومتاركة بعد ظهور الحق وقيام الحجة والالزام **فان قلت** كيف حوجزوا وقد فعل بهم بعد ذلك ما فعل من القتل وتخريب البيوت وقطع النخيل والاجلاء **قلت** المراد محاجزتهم في مواقف المقاولة لا المقاتلة ۝ والذين يحاجون في الله من بعد ما استجيب له حجتهم داحضة عند ربهم وعليهم غضب ولهم عذاب شديد ۝ يحاجون في الله يخاصمون في دينه ۝ من بعد ما استجاب له الناس ودخلوا في الاسلام ليردوهم الى دين الجاهلية كقوله تعالى ود كثير من اهل الكتاب لو يردونكم من بعد ايمانكم كفارا وكان اليهود والنصارى يقولون للمؤمنين كتابنا قبل كتابكم ونبينا قبل نبيكم ونحن خير منكم واولى بالحق ۝ وقيل من بعد ما استجاب الله لرسوله ونصره يوم بدر واظهر دين الاسلام داحضة باطلة زالة ۝ الله الذي انزل الكتاب بالحق والميزان وما يدريك لعل الساعة قريب ۝ انزل الكتاب اي جنس الكتاب ۝ والميزان والعدل والتسوية ومعنى انزال العدل انه انزله في كتبه المنزلة ۝ وقيل الذي يوزن به ۝ بالحق ملتبسا بالحق مقترنا به بعيدا من الباطل او بالغرض الصحيح كما اقتضته الحكمة او بالواجب من التحليل والتحريم وغير ذلك ۝ الساعة في تأويل البعث فلذلك قيل قريب او لعل مجيء

الساعة قريب فإن قلت كيف يوفق ذكر اقتراب الساعة مع إنزال الكتاب والميزان قلت لأن الساعة
يوم الحساب ووضع الموازين للقسط فكأنه قيل أمركم الله بالعدل والتسوية والعمل بالشرائع قبل أن يفاجئكم
اليوم الذي يحاسبكم فيه ويزن أعمالكم ويوفي لمن أوفى ويطفف لمن طفف يستعجل بها الذين لا يؤمنون
بها والذين آمنوا مشفقون منها ويعلمون أنها الحق ألا إن الذين يمارون في الساعة
لفي ضلال بعيد المماراة الملاجة لأن كل واحد منهما يمري ما عند صاحبه لفي ضلال بعيد من الحق
لأن الساعة غير مستبعد من قدرة الله تعالى ولدلالة الكتاب المعجز على أنها آتية لا ريب فيها ولشهادة قيام
العقول على أنه لا بد من دار جزاء الله لطيف بعباده يرزق من يشاء وهو القوي العزيز لطيف بعباده
بر بليغ البر بهم قد توصل بره إلى جميعهم وتوصل من كل واحد منهم إلى حيث لا يبلغه وهم أحد من كلياته
وجزئياته فإن قلت فما معنى قوله يرزق من يشاء بعد توصل بره إلى جميعهم قلت كلهم مبرورون
لا يخلو أحد من بره إلا أن البر أصناف وله أوصاف والقسمة بين العباد تتفاوت على حسب تفاوت
قضايا الحكمة والتدبير فيطير لبعض العباد صنف من البر لم يطر مثله لآخر ويصيب هذا حظ له وصف
ليس ذلك الوصف لحظ صاحبه فمن قسم له منهم ما لا يقسم للآخر فقد رزقه وهو الذي أراد بقوله
يرزق من يشاء كما يرزق أحد الأخوين ولدا دون الآخر على أنه أصابه بنعمة أخرى لم يرزقها صاحب
الولد وهو القوي الباهر القدرة الغالب على كل شيء العزيز المنيع الذي لا يغلب من كان يريد
حرث الآخرة نزد له في حرثه ومن كان يريد حرث الدنيا نؤته منها وما له في الآخرة
من نصيب سمى ما يعمله العامل مما يبتغي به الفائدة والزكاء حرثا على المجاز وفرق بين عملي العاملين
بأن من عمل للآخرة وفق في عمله وضوعفت حسناته ومن كان عمله للدنيا أعطي شيئا منها لا ما يريده ويبتغيه
وهو رزقه الذي قسم له وفرغ منه وما له نصيب قط في الآخرة ولم يذكر في معنى عامل الآخرة وله في
الدنيا نصيب على أن رزقه المقسوم له واصل إليه لا محالة للاستهانة بذلك إلى جنب ما هو بصدده
من زكاء عمله وفوزه في المآب أم لهم شركاء شرعوا لهم من الدين ما لم يأذن به الله ولولا كلمة
الفصل لقضي بينهم وإن الظالمين لهم عذاب أليم معنى الهمزة في أم التقرير والتقريع
وشركاؤهم شياطينهم الذين زينوا لهم الشرك وإنكار البعث والعمل للدنيا لأنهم لا يعلمون غيرها
وهو الدين الذي شرعت لهم الشياطين وتعالى الله عن الإذن فيه والأمر به وقيل شركاؤهم أوثانهم
وإنما أضيفت إليهم لأنهم متخذوها شركاء لله فتارة تضاف إليهم لهذه الملابسة وتارة إلى الله ولما كانت
سببا لضلالتهم وافتتانهم جعلت شارعة لدين الكفر كما قال إبراهيم عليه السلام إنهن أضللن كثيرا
ولولا كلمة الفصل أي القضاء السابق بتأجيل الجزاء أو ولولا العدة بأن الفصل يكون يوم القيامة لقضي
بينهم أي بين الكافرين والمؤمنين أو بين المشركين وشركائهم وقرأ مسلم بن جندب وأن الظالمين
بالفتح عطفا له على كلمة الفصل يعني ولولا كلمة الفصل وتقدير تعذيب الظالمين في الآخرة لقضي بينهم في الدنيا
ترى الظالمين مشفقين مما كسبوا وهو واقع بهم والذين آمنوا وعملوا الصالحات في روضات
الجنات لهم ما يشاءون عند ربهم ذلك هو الفضل الكبير ترى الظالمين في الآخرة مشفقين
خائفين خوفا شديدا أرق قلوبهم مما كسبوا من السيئات وهو واقع بهم يريد ووباله واقع بهم وواصل
إليهم لا بد لهم منه أشفقوا أو لم يشفقوا كأن روضة جنة المؤمن أطيب بقعة فيها وأنزهها عنده
ربهم منصوب بالظرف لا بيشاءون ذلك الذي يبشر الله عباده الذين آمنوا وعملوا الصالحات قل

لا

لا أسألكم عليه أجرا إلا المودة في القربى ومن يقترف حسنة نزد له فيها حسنا إن الله غفور
شكور وقرئ يبشر من بشره ويبشر من أبشره ويبشر من بشره والأصل ذلك الثواب الذي يبشر
الله به عباده فحذف الجار كقوله عز وجل واختار موسى قومه ثم حذف الراجع إلى الموصول كقوله
تعالى أهذا الذي بعث الله رسولا أو ذلك التبشير الذي يبشره الله عباده وروي أنه اجتمع
دة المشركون في مجمع لهم فقال بعضهم لبعض أترون محمدا يسأل على ما يتعاطاه أجرا فنزلت الآية إلا المودة
في القربى يجوز أن يكون استثناء متصلا أي لا أسألكم أجرا إلا هذا وهو أن تودوا أهل قرابتي ولم
يكن هذا أجرا في الحقيقة لأن قرابته قرابتهم فكانت صلتهم لازمة لهم في المروءة ويجوز أن يكون
منقطعا أي لا أسألكم أجرا قط ولكنني أسألكم أن تودوا قرابتي الذين هم قرابتكم ولا تؤذوهم
فإن قلت هلا قيل إلا مودة القربى أو إلا المودة للقربى وما معنى قوله إلا المودة في القربى
قلت جعلوا مكانا للمودة ومقرا لها كقولك لي في آل فلان مودة ولي فيهم هوى وحب شديد تريد
أحبهم وهم مكان حبي ومحله وليست في بصلة للمودة كاللام إذا قلت إلا المودة للقربى إنما هي
متعلقة بمحذوف تعلق الظرف به في قولك المال في الكيس وتقديره إلا المودة ثابتة في القربى
ومتمكنة فيها والقربى مصدر كالزلفى والبشرى بمعنى القرابة والمراد في أهل القربى وروي
أنها لما نزلت قيل يا رسول الله من قرابتك هؤلاء الذين وجبت علينا مودتهم قال علي وفاطمة رضي الله
عنهما وابناهما ويدل عليه ما روي عن علي رضي الله عنه شكوت إلى رسول الله عليه السلام حسد
الناس لي فقال أما ترضى أن تكون رابع أربعة أول من يدخل الجنة أنا وأنت والحسن والحسين
وأزواجنا عن أيماننا وشمائلنا وذريتنا خلف أزواجنا وعن النبي صلى الله عليه وسلم حرمت الجنة
على من ظلم أهل بيتي وآذاني في عترتي ومن اصطنع صنيعة إلى أحد من ولد عبد المطلب ولم يجازه
عليها فأنا أجازيه عليها غدا إذا لقيني يوم القيامة وروي أن الأنصار قالوا فعلنا وفعلنا كأنهم
افتخروا فقال عباس أو ابن عباس رضي الله عنهما لنا الفضل عليكم فبلغ ذلك رسول الله عليه السلام
فأتاهم في مجالسهم فقال يا معشر الأنصار ألم تكونوا أذلة فأعزكم الله بي قالوا بلى يا رسول الله قال ألم
تكونوا ضلالا فهداكم الله بي قالوا بلى يا رسول الله قال أفلا تجيبونني قالوا ما نقول يا رسول الله
قال ألا تقولون ألم يخرجك قومك فآويناك أو لم يكذبوك فصدقناك أو لم يخذلوك فنصرناك
قال فما زال يقول حتى جثوا على الركب وقالوا أموالنا وما في أيدينا لله ولرسوله فنزلت الآية وقال
عليه السلام من مات على حب آل محمد مات شهيدا ألا ومن مات على حب آل محمد مات مغفورا له ألا ومن
مات على حب آل محمد مات تائبا ألا ومن مات على حب آل محمد مات مؤمنا مستكمل الإيمان ألا ومن مات
على حب آل محمد فتح له في قبره بابان إلى الجنة ألا ومن مات على حب آل محمد جعل الله قبره مزار ملائكة
الرحمة ألا ومن مات على حب آل محمد مات على السنة والجماعة ألا ومن مات على بغض آل محمد جاء يوم القيامة
مكتوب بين عينيه آيس من رحمة الله ألا ومن مات على بغض آل محمد مات كافرا ألا ومن مات على بغض آل
محمد لم يشم رائحة الجنة وقيل لم يكن بطن من بطون قريش إلا وبين رسول الله عليه السلام وبينهم
قربى فلما كذبوه وأبوا أن يبايعوه نزلت والمعنى إلا أن تودوني في القربى أي في حق القربى ومن أجلها
كما تقول الحب في الله والبغض في الله بمعنى في حقه ومن أجله يعني أنكم قومي وأحق من أجابني وأطاعني فإذ قد
أبيتم ذلك فاحفظوا حق القربى ولا تؤذوني ولا تهيجوا علي وقيل أتت الأنصار رسول الله عليه السلام

عال جمعوه وقالوا يا رسول الله قد هدانا الله بك وانت ابن اخينا وتعروك نوائب وحقوق وما لك سعة
فاستعن بهذا على ما ينوبك فنزلت ورده • وقيل القربى التقرب الى الله اى الا ان تحبوا الله ورسوله فى
تقربكم اليه بالطاعة والعمل الصالح **ومن يقترف حسنة** الا المودة فى القربى • ومن يقترف حسنة عن السدى
انها المودة فى آل رسول الله عليه السلام نزلت فى ابى بكر الصديق رضى الله عنه ومودته فيهم •
والظاهر العموم فى اى حسنة كانت الا انها لما ذكرت عقيب ذكر المودة فى القربى دل ذلك على انها
تناولت المودة تناولا اوليا كان سائر الحسنات لها توابع **وقرى** يزد اى يزد الله وزيادة حسنها
من جهة الله مضاعفتها كقوله تعالى من ذا الذى يقرض الله قرضا حسنا فيضاعفه له اضعافا كثيرة •
وقرى حسنى وهو مصدر كالبشرى • الشكور فى صفة الله مجاز للاعتداد بالطاعة وتوفية ثوابها والتفضل
على المثاب ام يقولون افترى على الله كذبا فان يشا الله يختم على قلبك ويمح الله الباطل ويحق الحق
بكلماته انه عليم بذات الصدور • ام منقطعة ومعنى الهمزة فيه التوبيخ كانه قيل أيتمالكون
ان ينسبوا مثله الى الافتراء ثم الى الافتراء على الله الذى هو اعظم الفرى وافحشها • فان يشا الله
يختم على قلبك فان يشا الله يجعلك من المختوم على قلوبهم حتى تفترى عليه الكذب فانه لا يجترى
على افتراء الكذب على الله الا من كان فى مثل حالهم وهذا الاسلوب مؤداه استبعاد الافتراء من مثله
وانه فى البعد مثل الشرك بالله والدخول فى جملة المختوم على قلوبهم • ومثال هذا ان يخون بعض
الامناء فيقول لعل الله خذلنى لعل الله اعمى قلبى وهو لا يريد اثبات الخذلان وعمى القلب وانما يريد
استبعاد ان يخون مثله والتنبيه على انه ركب من تخوينه امر عظيم • ثم قال ومن عادة الله ان يمحو
الباطل ويثبت الحق بكلماته بوحيه او بقضائه كقوله تعالى بل نقذف بالحق على الباطل فيدمغه يعنى
لو كان مفتريا كما تزعمون لكشف الله افتراءه ومحقه وقذف بالحق على باطله فدمغه • ويجوز ان
يكون عدة لرسول الله صلى الله عليه وسلم بانه يمحو الباطل الذى هم عليه من البهت والتكذيب
ويثبت الحق الذى انت عليه بالقرآن وبقضائه الذى لا مرد له من نصرتك عليهم ان الله عليم بما
فى صدرك وصدورهم فيجرى الامر على حسب ذلك • وعن قتادة يختم على قلبك ينسك القرآن ويقطع
عنك الوحى يعنى لو افترى على الله الكذب لفعل به ذلك • وقيل يختم على قلبك يربط عليه بالصبر
حتى لا يشق عليك اذاهم **فان قلت** ان كان قوله تعالى ويمح الله الباطل كلاما مبتدأ غير
معطوف على يختم فما بال الواو ساقطة فى الخط **قلت** كما سقطت فى قوله تعالى ويدع الانسان بالشر
وقوله سندع الزبانية على انها مثبتة فى بعض المصاحف وهو الذى يقبل التوبة عن عباده ويعفو
عن السيئات ويعلم ما تفعلون • يقال قبلت منه الشىء وقبلته عنه فمعنى قبلته منه اخذته
منه وجعلته مبدأه ومنشأه ومعنى قبلته عنه عزلته عنه وابنته عنه • والتوبة ان يرجع عن
القبيح والاخلال بالواجب بالندم عليهما والعزم على ان لا يعاودهما لان المرجوع عنه قبيح واخلال
بالواجب وان كان لعبد فيه حق لم يكن بد من التفصى على طريقه **وروى** جابر ان اعرابيا دخل مسجد
رسول الله صلى الله عليه وسلم وقال اللهم انى استغفرك واتوب اليك وكبر فلما فرغ من صلوته قال
له على رضى الله عنه يا هذا ان سرعة اللسان بالاستغفار توبة الكذابين وتوبتك تحتاج الى التوبة
فقال يا امير المؤمنين وما التوبة قال اسم يقع على ستة معان على الماضى من الذنوب الندامة ولتضييع
الفرائض الاعادة ورد المظالم واذابة النفس فى الطاعة كما ربيتها فى المعصية واذاقة النفس مرارة

الطاعة

بمحو

مبتدأ

الطاعة كما اذقتها حلاوة المعصية والبكاء بدل كل ضحك ضحكته • ويعفو عن السيئات عن الكبائر اذا تيب عنها وعن
الصغائر اذا اجتنبت الكبائر • ويعلم ما تفعلون قرى بالتاء والياء اى يعلمه فيثيب على حسناته ويعاقب على
سيئاته ويستجيب الذين آمنوا وعملوا الصالحات ويزيدهم من فضله والكافرون لهم عذاب
شديد • ويستجيب الذين آمنوا اى يستجيب لهم فحذف اللام كما حذف فى قوله عز وجل واذا كالوهم اى
يثيبهم على طاعتهم ويزيدهم على الثواب تفضلا • او اذا دعوه استجاب دعاءهم واعطاهم ما طلبوا وزادهم
على مطلوبهم • وقيل الاستجابة فعلهم اى يستجيبون له بالطاعة اذا دعاهم اليها ويزيدهم هو من فضله
على ثوابهم • وعن سعيد بن جبير رضى الله عنه هذا من فعلهم يجيبونه اذا دعاهم • وعن ابراهيم بن
ادهم رحمة الله عليه انه قيل له ما بالنا ندعو فلا نجاب قال لانه دعاكم فلم تجيبوه • ثم قرأ والله
يدعو الى دار السلام ويستجيب الذين آمنوا ولو بسط الله الرزق لعباده لبغوا فى الارض ولكن
ينزل بقدر ما يشاء انه بعباده خبير بصير • لبغوا من البغى وهو الظلم اى لبغى هذا على ذاك وذاك
على هذا لان الغنى مبطرة مأشرة وكفى بحال قارون عبرة • ومنه قوله عليه السلام ان اخوف ما اخاف
على امتى زهرة الدنيا وكثرتها **ولبعض** العرب • وقد جعل الوسمى ينبت بيننا • وبين بنى رومان نبعا وشوحطا •
يعنى انهم احيوا فحدثوا انفسهم بالبغى والتفابن • او من البغى وهو البذخ والكبر اى لتكبروا فى الارض
وفعلوا ما يتبع الكبر من العلو فيها والفساد • وقيل نزلت فى قوم من اهل الصفة تمنوا سعة الرزق
والغنى قال خباب بن الارت فينا نزلت وذلك انا نظرنا الى اموال بنى قريظة والنضير وبنى قينقاع
فتمنيناها • بقدر بتقدير يقال قدره قدرا وقدرا • خبير بصير يعرف ما يؤول اليه احوالهم فيقدر
لهم ما هو اصلح لهم واقرب الى جمع شملهم فيفقر ويغنى ويمنع ويعطى ويقبض ويبسط كما توجبه الحكمة الربانية
ولو اغناهم جميعا لبغوا ولو افقرهم لهلكوا **فان قلت** قد نرى الناس يبغى بعضهم على بعض ومنهم
مبسوط لهم ومنهم مقبوض عنهم فان كان المبسوط لهم يبغون فلم بسط لهم وان كان المقبوض عنهم
يبغون فقد يكون البغى بدون البسط فلم شرطه **قلت** لا شبهة فى ان البغى مع الفقر اقل ومع
البسط اكثر واغلب وكلاهما سبب ظاهر للاقدام على البغى والاحجام عنه فلو عم البسط لغلب البغى حتى
ينقلب الامر على عكس ما عليه الآن وهو الذى ينزل الغيث من بعد ما قنطوا وينشر رحمته وهو
الولى الحميد • قنطوا بفتح النون وكسرها • وينشر رحمته اى بركات الغيث ومنافعه وما يحصل به
من الخصب • وعن عمر بن الخطاب رضى الله عنه انه قيل له اشتد القحط وقنط الناس فقال مطروا اذن
اراد هذه الآية • ويجوز ان يريد رحمته فى كل شىء كانه قال ينزل الرحمة التى هى الغيث وينشر
غيرها من رحمته الواسعة • الولى الذى يتولى عباده باحسانه • الحميد المحمود على ذلك يحمده اهل
طاعته ومن آياته خلق السموات والارض وما بث فيهما من دابة وهو على جمعهم اذا يشاء قدير
وما بث يجوز ان يكون مجرورا ومرفوعا حملا على المضاف اليه او المضاف **فان قلت** لم جاز فيهما من
دابة والدواب فى الارض وحدها **قلت** يجوز ان ينسب الشىء الى جميع المذكور وان كان ملتبسا
ببعضه كما يقال بنو تميم فيهم شاعر مجيد او شجاع بطل وانما هو فى فخذ من افخاذهم او فصيلة من
فصائلهم • وبنو فلان فعلوا كذا وانما فعله نويس منهم • ومنه قوله تعالى يخرج منهما اللؤلؤ والمرجان وانما
يخرج من الملح • ويجوز ان يكون للملائكة مشى مع الطيران فيوصفوا بالدبيب كما يوصف به الاناسى ولا
يبعد ان يخلق فى السموات حيوانا يمشون فيها مشى الاناسى على الارض سبحان الذى خلق ما نعلم وما لا نعلم

خطاء

كذا ليكبروا

من اصناف الخلق * اذ ايدخل على المضارع كما يدخل على الماضي قال الله تعالى والليل اذا يغشى * ومنه اذا يشاء
وقال الشاعر * واذا ما اشاء ابعث منها * آخر الليل ناشطا مذعورا * وما اصابكم من مصيبة
فبما كسبت ايديكم ويعفو عن كثير * في مصاحف اهل العراق فبما كسبت باثبات الفاء على تضمين ما معنى
الشرط * وفي مصاحف اهل المدينة بما كسبت بغير فاء على ان ما مبتداء وبما كسبت خبرها من غير تضمين
معنى الشرط والاية مخصوصة بالمجرمين ولا يمتنع ان يستوفي الله بعض عقاب المجرم ويعفو عن بعض *
فاما من لا جرم له كالانبياء والاطفال والمجانين فهؤلاء اذا اصابهم شيء من الم او غيره فللعوض الموفي
والمصلحة * وعن النبي صلى الله عليه وسلم ما من اختلاج عرق ولا خدش عود ولا نكبة حجر الا بذنب ولما
يعفو الله عنه اكثر * وعن بعضهم من لم يعلم ان ما وصل اليه من الفتن والمصائب باكتسابه وان ما
عفا عنه مولاه اكثر كان قليل النظر في احسان ربه اليه * وعن آخر العبد ملازم للجنايات في كل اوان
وجناياته في طاعته اكثر من جناياته في معاصيه لان جناية المعصية من وجه وجناية الطاعة من
وجوه والله يطهر عبده من جناياته بانواع من المصائب ليخفف عنه اثقاله في القيمة ولولا عفوه
ورحمته لهلك في اول خطوة * وعن علي بن ابي طالب رضي الله عنه وقد رفعه من عفي عنه في الدنيا
عفي عنه في الاخرة ومن عوقب في الدنيا لم يثن عليه العقوبة في الاخرة * وعنه كرم الله وجهه
هذه ارجى اية للمؤمنين في القرآن وما انتم بمعجزين في الارض وما لكم من دون الله من ولي
ولا نصير بمعجزين بفائتين ما قضى عليكم من المصائب * ومن ولي من متول بالرحمة * ومن اياته
الجواري في البحر كالاعلام ان يشأ يسكن الريح فيظللن رواكد على ظهره ان في ذلك لآيات
لكل صبار شكور * الجواري السفن * وقرئ الجوار * كالاعلام كالجبال قالت الخنساء *
كانه علم في رأسه نار * وقرئ الرياح * فيظللن بفتح اللام وكسرها من ظل يظل ويظل نحو ضل يضل ويضل
رواكد ثوابت لا تجري * على ظهره على ظهر البحر * لكل صبار على بلاء الله * شكور لنعمائه وهما صفتا المؤمن
المخلص فجعلهما كناية عنه وهو الذي وكل همته بالنظر في آيات الله فهو يستملي منها العبر او يوبقهن بما
كسبوا ويعف عن كثير * يوبقهن يهلكهن والمعنى انه ان يشأ يبتل المسافرين في البحر باحدى
بليتين اما ان يسكن الريح فيركد الجواري على متن البحر ويمنعهن من الجري واما ان يرسل الريح عاصفة
فيهلكهن اغراقا بسبب ما كسبوا من الذنوب ويعفو عن كثير منها فان قلت علام عطف يوبقهن
قلت على يسكن لان المعنى ان يشأ يسكن الريح فيركدن او يعصفها فيغرقن بعصفها * فان قلت
فما معنى ادخال العفو في حكم الايباق حيث جزم جزمه * قلت معناه او ان يشأ يهلك ناسا وينج ناسا
على طريق العفو عنهم * فان قلت فمن قرأ ويعفو * قلت قد استأنف الكلام ويعلم الذين يجادلون
في آياتنا ما لهم من محيص فان قلت فما وجوه القراءات الثلث في ويعلم قلت اما الجزم فعلى
ظاهر العطف واما الرفع فعلى الاستئناف * واما النصب فللعطف على تعليل محذوف تقديره لينتقم
منهم ويعلم الذين يجادلون ونحوه في العطف على التعليل المحذوف غير عزيز في القرآن * منه قوله تعالى
ولنجعله آية للناس * وقوله وخلق الله السموات والارض بالحق ولتجزى كل نفس بما كسبت * واما قول
الزجاج النصب على اضمار ان لان قبلها جزاء تقول ما تصنع اصنع مثله واكرمك وان شئت واكرمك على
وانا اكرمك وان شئت واكرمك جزما ففيه نظر لما اورده سيبويه في كتابه قال واعلم ان النصب بالفاء
والواو في قوله ان تأتني آتك واعطيك ضعيف وهو نحو من قوله * والحق بالحجاز فاستريحا * فهذا

يجوز

لانه

يجوز وليس بحد الكلام ولا وجهه الا انه في الجزاء صار اقوى قليلا لانه ليس بواجب انه يفعل الا ان يكون من الاول
فعل فلما ضارع الذي لا يوجبه كالاستفهام ونحوه اجازوا فيه هذا على ضعفه ولا يجوز ان تحمل القراءة المستفيضة
على وجه ضعيف ليس بحد الكلام ولا وجهه ولو كانت من هذا الباب لما اخلى سيبويه منها كتابه وقد ذكر
نظائرها من الآيات المشكلة * فان قلت كيف يصح المعنى على جزم ويعلم قلت كانه قال ان يشأ
يجمع بين ثلاثة امور هلاك قوم ونجاة قوم وتحذير آخرين * من محيص من محيد عن عقابه فما اوتيتم
من شيء فمتاع الحيوة الدنيا وما عند الله خير وابقى للذين آمنوا وعلى ربهم يتوكلون ما الاولى
ضمنت معنى الشرط فجاءت الفاء في جوابها بخلاف الثانية * عن علي بن ابي طالب رضي الله عنه اجتمع لابي بكر
الصديق رضي الله عنه مال فتصدق به كله في سبيل الله والخير فلامه المسلمون وخطأه الكافرون
فنزلت والذين يجتنبون كبائر الاثم والفواحش واذا ما غضبوا هم يغفرون * والذين يجتنبون
عطف على للذين آمنوا وكذلك ما بعده * ومعنى كبائر الاثم الكبائر من هذا الجنس وقرئ كبير الاثم
وعن ابن عباس رضي الله عنهما كبير الاثم هو الشرك * هم يغفرون اي هم الاخصاء بالغفران في حال
الغضب لا يغول الغضب احلامهم كما يغول حلوم الناس والمجيء بهم وايقاعه مبتداء واسناد يغفرون
اليه لهذه الفائدة * ومثله هم ينتصرون والذين استجابوا لربهم واقاموا الصلوة وامرهم
شورى بينهم ومما رزقناهم ينفقون * والذين اذا اصابهم البغي هم ينتصرون * والذين
استجابوا لربهم نزلت في الانصار دعاهم الله تعالى للايمان به وطاعته فاستجابوا له بان آمنوا به
واطاعوه * واقاموا الصلوة واتموا الصلوات الخمس * وكانوا قبل الاسلام وقبل مقدم رسول الله عليه
السلام المدينة اذا كان بينهم امر اجتمعوا وتشاوروا فاثنى الله عليهم اي لا ينفردون برأي حتى يجتمعوا
عليه * وعن الحسن رحمة الله عليه ما تشاور قوم الا هدوا لارشد امرهم * والشورى مصدر كالفتيا
بمعنى التشاور ومعنى قوله تعالى وامرهم شورى بينهم اي ذو شورى وكذلك قولهم ترك رسول الله
عليه السلام وعمر بن الخطاب رضي الله عنه الخلافة شورى * هو ان يقتصروا في الانتصار على ما جعله
الله لهم ولا يعتدوا * وعن النخعي انه كان اذا قرأها قال كانوا يكرهون ان يذلوا انفسهم فيجترئ عليهم
الفساق فان قلت اهم محمودون على الانتصار قلت نعم لان من اخذ حقه غير متعد حد
الله وما امر به فلم يسرف في القتل ان كان ولي دم او رد على سفيه محاماة على عرضه او ردعا له فهو
مطيع وكل مطيع محمود وجزاء سيئة سيئة مثلها فمن عفا واصلح فاجره على الله انه لا يحب الظالمين *
كلتا الفعلتين الاولى وجزاؤها سيئة لانها تسوء من تنزل به قال الله تعالى وان تصبهم سيئة يقولوا هذه
من عندك يريد ما يسوؤهم من المصائب والبلايا والمعنى انه يجب اذا قوبلت الاساءة ان تقابل بمثلها
من غير زيادة فاذا قال اخزاك الله قال اخزاك الله فمن عفا واصلح بينه وبين خصمه بالعفو والاغضاء
كما قال تعالى فاذا الذي بينك وبينه عداوة كانه ولي حميم * فاجره على الله عدة مبهمة لا يقاس امرها
في العظم * وقوله تعالى انه لا يحب الظالمين دلالة على ان الانتصار لا يكاد يؤمن فيه تجاوز السوية والاعتداء
خصوصا في حال الحرد والتهاب الحمية فربما كان المجازي من الظالمين وهو لا يشعر * وعن النبي صلى الله عليه وسلم
اذا كان يوم القيمة نادى مناد من كان له على الله اجر فليقم قال فيقوم خلق فيقال لهم ما اجركم على الله فيقولون
نحن الذين عفونا عمن ظلمنا فيقال لهم ادخلوا الجنة باذن الله ولمن انتصر بعد ظلمه فاولئك ما عليهم
من سبيل * بعد ظلمه من اضافة المصدر الى المفعول وتفسره قراءة من قرأ بعد ما ظلم * فاولئك اشارة الى

متعمد

من دون لطفه. ما عليهم من سبيل للمعاقب ولا للعاتب والعائب. إنما السبيل على الذين يظلمون الناس ويبغون في الأرض بغير الحق أولئك لهم عذاب أليم. إنما السبيل على الذين يبتدئون الناس بالظلم ويبغون في الأرض يتكبرون فيها ويعلون ويفسدون. ولمن صبر وغفر إن ذلك لمن عزم الأمور. ولمن صبر على الظلم والأذى وغفر ولم ينتصر وفوض أمره إلى الله إن ذلك منه لمن عزم الأمور وحذف الراجع لأنه مفهوم كما حذف من قولهم السمن منوان بدرهم. ويحكى أن رجلا سب رجلا في مجلس الحسن رحمة الله عليه فكان المسبوب يكظم ويعرق فيمسح العرق ثم قام فتلا هذه الآية فقال الحسن عقلها والله وفهمها إذ ضيعها الجاهلون. وقالوا العفو مندوب إليه ثم قد ينعكس الأمر في بعض الأحوال فيرجع ترك العفو مندوبا إليه وذلك إذا احتيج إلى كف زيادة البغي وقطع مادة الأذى. وعن النبي صلى الله عليه وسلم ما يدل عليه وهو أن زينب أسمعت عائشة رضي الله عنها بحضرته وكان ينهاها فلا تنتهي فقال صلى الله عليه وسلم لعائشة دونك فانتصري. ومن يضلل الله فما له من ولي من بعده وترى الظالمين لما رأوا العذاب يقولون هل إلى مرد من سبيل. ومن يضلل الله ومن يخذل الله فما له من ولي من بعده فليس له من ناصر يتولاه من بعد خذلانه. وتراهم يعرضون عليها خاشعين من الذل ينظرون من طرف خفي وقال الذين آمنوا إن الخاسرين الذين خسروا أنفسهم وأهليهم يوم القيامة ألا إن الظالمين في عذاب مقيم. خاشعين متضائلين متقاصرين مما يلحقهم من الذل. وقد يعلق من الذل بينظرون ويوقف على خاشعين. من طرف خفي أي يبتدئ نظرهم من تحريك لأجفانهم ضعيف خفي بمسارقة كما ترى المصبور ينظر إلى السيف وهكذا نظر الناظر إلى المكاره لا يقدر أن يفتح أجفانه عليها ويملأ عينيه منها كما يفعل في نظره إلى المحاب. وقيل يحشرون عميا فلا ينظرون إلا بقلوبهم وذلك نظر من طرف خفي وفيه تعسف. يوم القيامة إما أن يتعلق بخسروا ويكون قول المؤمنين واقعا في الدنيا. وإما أن يتعلق بقال أي يقولون يوم القيامة إذا رأوهم على تلك الصفة. وما كان لهم من أولياء ينصرونهم من دون الله ومن يضلل الله فما له من سبيل. استجيبوا لربكم من قبل أن يأتي يوم لا مرد له من الله ما لكم من ملجإ يومئذ وما لكم من نكير. من الله من صلة لا مرد أي لا يرده الله بعدما حكم به. أو من صلة يأتي أي من قبل أن يأتي من الله يوم لا يقدر أحد على رده. والنكير الإنكار أي ما لكم من مخلص من العذاب ولا تقدرون أن تنكروا شيئا مما اقترفتموه ودوّن في صحائف أعمالكم. فإن أعرضوا فما أرسلناك عليهم حفيظا إن عليك إلا البلاغ وإنا إذا أذقنا الإنسان منا رحمة فرح بها وإن تصبهم سيئة بما قدمت أيديهم فإن الإنسان كفور. أراد بالإنسان الجمع لا الواحد لقوله تعالى وإن تصبهم سيئة ولم يرد إلا المجرمين لأن إصابة السيئة بما قدمت أيديهم إنما تستقيم فيهم. والرحمة النعمة من الصحة والغنى والأمن. والسيئة البلاء من المرض والفقر والمخاوف. والكفور البليغ الكفران ولم يقل فإنه كفور ليسجل على أن هذا الجنس موسوم بكفران النعم كما قال الله تعالى إن الإنسان لظلوم كفار وإن الإنسان لربه لكنود. والمعنى أنه يذكر البلاء وينسى النعم ويغمطها. لله ملك السماوات والأرض يخلق ما يشاء يهب لمن يشاء إناثا ويهب لمن يشاء الذكور أو يزوجهم ذكرانا وإناثا ويجعل من يشاء عقيما إنه عليم قدير. لما ذكر إذاقة الإنسان الرحمة وإصابته بضدها أتبع ذلك أن له الملك وأنه يقسم النعمة والبلاء كيف أراد ويهب لعباده من الأولاد ما تقتضيه مشيئته فيخص بعضا بالإناث وبعضا بالذكور وبعضا بالصنفين جميعا ويعقم آخرين فلا يهب لهم ولدا قط. فإن قلت لم قدم الإناث أولا

على

على الذكور مع تقدمهم عليهن ثم رجع فقدمهم ولم عرّف الذكور بعدما نكر الإناث. قلت لأنه ذكر البلاء في آخر الآية الأولى وكفران الإنسان بنسيانه الرحمة السابقة عنده ثم عقبه بذكر ملكه ومشيئته وذكر قسمة الأولاد فقدم الإناث لأن سياق الكلام أنه فاعل ما يشاؤه لا ما يشاؤه الإنسان فكان ذكر الإناث اللاتي من جملة ما لا يشاؤه الإنسان أهم والأهم واجب التقديم وليلي الجنس الذي كانت العرب تعده بلاء ذكر البلاء. وأخر الذكور فلما أخرهم لذلك تدارك تأخيرهم وهم أحقاء بالتقديم بتعريفهم لأن التعريف تنويه وتشهير كأنه قال ويهب لمن يشاء الفرسان الأعلام المذكورين الذين لا يخفون عليكم ثم أعطى بعد ذلك كلا الجنسين حقه من التقديم والتأخير وعرّف أن تقديمهن لم يكن لتقدمهن ولكن لمقتض آخر فقال ذكرانا وإناثا كما قال تعالى إنا خلقناكم من ذكر وأنثى فجعل منه الزوجين الذكر والأنثى. وقيل نزلت في الأنبياء عليهم السلام حيث وهب لشعيب ولوط عليهما السلام إناثا ولإبراهيم عليه السلام ذكورا ولمحمد صلى الله عليه وسلم ذكورا وإناثا. وجعل يحيى وعيسى عليهما السلام عقيمين. إنه عليم بمصالح العباد قدير على تكوين ما يصلحهم. وما كان لبشر أن يكلمه الله إلا وحيا أو من وراء حجاب أو يرسل رسولا فيوحي بإذنه ما يشاء إنه علي حكيم. وما كان لبشر وما صح لأحد من البشر أن يكلمه الله إلا على ثلاثة أوجه. إما على طريق الوحي وهو الإلهام والقذف في القلب أو المنام كما أوحى إلى أم موسى وإلى إبراهيم عليه السلام في ذبح ولده. وعن مجاهد أوحى الله الزبور إلى داود عليه السلام في صدره. قال عبيد بن الأبرص:

وأوحى إلي الله أن قد تأمروا … بإبل أبي أوفى فقمت على رجلي

أي ألهمني وقذف في قلبي. وإما على أن يسمعه كلامه الذي يخلقه في بعض الأجرام من غير أن يبصر السامع من يكلمه لأنه في ذاته غير مرئي. وقوله تعالى من وراء حجاب مثل أي كما يكلم الملك المحتجب بعض خواصه وهو من وراء الحجاب فيسمع صوته ولا يرى شخصه وذلك كما كلم موسى ويكلم الملائكة. وإما على أن يرسل إليه رسولا من الملائكة فيوحي الملك إليه كما كلم الأنبياء غير موسى. وقيل وحيا كما أوحى إلى الرسل بواسطة الملائكة أو يرسل رسولا أي نبيا كما كلم أمم الأنبياء على ألسنتهم. ووحيا وأن يرسل مصدران واقعان موقع الحال لأن أن يرسل في معنى إرسالا ومن وراء حجاب ظرف واقع موقع الحال أيضا كقوله تعالى وعلى جنوبهم. والتقدير وما صح أن يكلم أحدا إلا موحيا أو مسمعا من وراء حجاب أو مرسلا. ويجوز أن يكون وحيا موضوعا موضع كلاما لأن الوحي كلام خفي في سرعة كما تقول لا أكلمه إلا جهرا وإلا خفاتا لأن الجهر والخفات ضربان من الكلام وكذلك إرسالا جعل الكلام على لسان الرسول بمنزلة الكلام بغير واسطة تقول قلت لفلان كذا وإنما قاله وكيلك أو رسولك. وقوله أو من وراء حجاب معناه أو إسماعا من وراء حجاب. ومن جعل وحيا في معنى أن يوحي وعطف يرسل عليه على معنى وما كان لبشر أن يكلمه الله إلا بأن يوحي أو بأن يرسل فعليه أن يقدر قوله أو من وراء حجاب تقديرا يطابقهما عليه نحو أن يسمع من وراء حجاب. وقرئ أو يرسل رسولا فيوحي بالرفع على أو هو يرسل أو بمعنى مرسلا عطفا على وحيا في معنى موحيا. وروي أن اليهود قالت للنبي صلى الله عليه وسلم ألا تكلم الله وتنظر إليه إن كنت نبيا كما كلمه موسى ونظر إليه فإنا لن نؤمن لك حتى تفعل ذلك فقال لم ينظر موسى إلى الله فنزلت. وعن أم المؤمنين عائشة رضي الله عنها من زعم أن محمدا رأى ربه فقد أعظم على الله الفرية ثم قالت أو لم تسمعوا ربكم يقول فتلت هذه الآية. إنه علي عن صفات المخلوقين حكيم يجري أفعاله على موجب الحكمة فيكلم تارة بواسطة

وأخرى بغير واسطة اما الهاما واما خطابا ﴿وكذلك أوحينا إليك روحا من أمرنا ما كنت تدري ما الكتاب ولا الإيمان ولكن جعلناه نورا نهدي به من نشاء من عبادنا وإنك لتهدي إلى صراط مستقيم صراط الله الذي له ما في السموات وما في الأرض ألا إلى الله تصير الأمور﴾ روحا من أمرنا يريد ما أوحى إليه لان الخلق يحيون به في دينهم كما يحيى الجسد بالروح **فان قلت** قد علم ان رسول الله عليه السلام ما كان يدري ما القرآن قبل نزوله عليه فما معنى قوله ولا الايمان والانبياء لا يجوز عليهم اذا عقلوا وتمكنوا من النظر والاستدلال ان يخطئهم الايمان بالله وتوحيده ويجب ان يكونوا معصومين من ارتكاب الكبائر ومن الصغائر التي فيها تنفير قبل المبعث وبعده فكيف لا يعصمون من الكفر **قلت** الايمان اسم يتناول اشياء بعضها الطريق اليه العقل وبعضها الطريق اليه السمع فعنى به ما الطريق اليه السمع دون العقل وذاك ما كان له فيه علم حتى كسبه بالوحي الا ترى انه قد فسر الايمان في قوله سبحانه وتعالى وما كان الله ليضيع ايمانكم بالصلوة لانها بعض ما يتناوله الايمان من نشاء من عبادنا من له لطف ومن لا لطف له فلا هداية تجدي عليه صراط الله بدل وقرئ لتهدي اي يهديك الله وقرئ لتدعو عن رسول الله صلى الله عليه وسلم من قرأ حم عسق كان ممن يصلي عليه الملائكة ويستغفرون له ويسترحمون له والله اعلم بالصواب واليه المرجع والمآب

وقال مقاتل الا قوله وسئل من ارسلنا من قبلك من رسلنا وهي تسع وثمانون اية بسم الله الرحمن الرحيم

﴿حم والكتاب المبين﴾ اقسم بالكتاب المبين وهو القرآن وجعل قوله تعالى ﴿إنا جعلناه قرآنا عربيا﴾ جوابا للقسم وهو من الايمان الحسنة البديعة لتناسب القسم والمقسم عليه وكونهما من واد واحد ونظيره قول ابي تمام وثناياك انها اغريض المبين البين للذين انزل عليهم لانه بلغتهم واساليبهم وقيل الواضح للمتدبرين وقيل المبين الذي ابان طرق الهدى من طرق الضلالة وابان ما تحتاج اليه الامة في ابواب الديانة ﴿إنا جعلناه قرآنا عربيا لعلكم تعقلون﴾ جعلناه بمعنى صيرناه معدى الى مفعولين او بمعنى خلقناه معدى الى واحد كقوله عز وجل وجعل الظلمات والنور وقرآنا عربيا حال ولعل مستعار لمعنى الارادة لتلاحظ معناها ومعنى الترجي اي خلقناه قرآنا عربيا غير عجمي ارادة ان تعقله العرب ولئلا يقولوا لولا فصلت اياته ﴿وإنه في أم الكتاب لدينا لعلي حكيم﴾ وقرئ إم الكتاب بالكسر وهو اللوح كقوله تعالى بل هو قرآن مجيد في لوح محفوظ سمي بأم الكتاب لانه الاصل الذي اثبتت فيه الكتب منه تنقل وتستنسخ علي رفيع الشأن في الكتب لكونه معجزا من بينها حكيم ذو حكمة بالغة اي انه منزلته عندنا منزلة كتاب هما صفتاه وهو مثبت في ام الكتاب هكذا ﴿أفنضرب عنكم الذكر صفحا أن كنتم قوما مسرفين﴾ افنضرب عنكم الذكر صفحا بمعنى افننحي عنكم الذكر ونذوده عنكم على سبيل المجاز من قولهم ضرب الغرائب عن الحوض ومنه قول الحجاج ولاضربنكم ضرب غرائب الابل **وقال** طرفة اضرب عنك الهموم طارقها ضربك بالسيف قونس الفرس والفاء للعطف على محذوف تقديره انهملكم فنضرب عنكم الذكر انكارا لان يكون الامر على خلاف ما قدم من انزاله الكتاب وخلقه قرآنا عربيا ليعقلوه ويعملوا بمواجبه وصفحا على وجهين اما مصدر من صفح عنه اذا اعرض منتصب على انه مفعول له على معنى افنعزل عنكم انزال القرآن والزام الحجة به اعراضا عنكم واما بمعنى الجانب من قولهم نظروا اليه بصفح وجهه وصفح وجهه على معنى افننحيه عنكم جانبا فينتصب على الظرف كما تقول ضع جانبا وامش جانبا وتعضده قراءة من قرأ صفحا بالضم وفي هذه القراءة وجه اخر وهو ان يكون تخفيف صفح جمع صفوح وينتصب على الحال اي صافحين معرضين ان كنتم اي لان كنتم وقرئ ان كنتم وإذ كنتم **فان قلت** كيف استقام معنى ان الشرطية وقد كانوا مسرفين على البت هو من الشرط الذي ذكرت انه يصدر عن المدل بصحة الامر المتحقق لثبوته كما يقول الاجير ان كنت عملت لك فوفني حقي وهو عالم بذلك ولكنه يخيل في كلامه ان تفريطك في الخروج عن الحق فعل من له شك في الاستحقاق مع وضوحه استجهالا له ﴿وكم أرسلنا من نبي في الأولين وما يأتيهم من نبي إلا كانوا به يستهزءون﴾ وما يأتيهم حكاية حال ماضية مستمرة اي كانوا على ذلك وهذا تسلية لرسول الله عليه السلام عن استهزاء قومه ﴿فأهلكنا أشد منهم بطشا ومضى مثل الأولين﴾ الضمير في اشد منهم للقوم المسرفين لانه صرف الخطاب عنهم الى رسول الله صلى الله عليه وسلم يخبره عنهم ومضى مثل الاولين اي سلف في القرآن في غير موضع منه ذكر قصتهم وحالهم العجيبة التي حقها ان تسير مسير المثل وهذا وعد لرسول الله عليه السلام ووعيد لهم ﴿ولئن سألتهم من خلق السموات والأرض ليقولن خلقهن العزيز العليم الذي جعل لكم الأرض مهدا وجعل لكم فيها سبلا لعلكم تهتدون والذي نزل من السماء ماء بقدر فأنشرنا به بلدة ميتا كذلك تخرجون﴾ **فان قلت** قوله ليقولن خلقهن العزيز العليم وما سرد من الاوصاف عقيبه ان كان من قولهم فما تصنع بقوله فانشرنا به بلدة ميتا كذلك تخرجون وان كان من قول الله فما وجهه **قلت** هو من قول الله لا من قولهم ومعنى قوله ليقولن خلقهن العزيز العليم الذي من صفته كيت وكيت لينسبن خلقها الى الذي هذه اوصافه وليسندنه اليه بقدر بمقدار يسلم معه البلاد والعباد ولم يكن طوفانا ﴿والذي خلق الأزواج كلها وجعل لكم من الفلك والأنعام ما تركبون لتستووا على ظهوره ثم تذكروا نعمة ربكم إذا استويتم عليه وتقولوا سبحان الذي سخر لنا هذا وما كنا له مقرنين وإنا إلى ربنا لمنقلبون﴾ والازواج الاصناف ما تركبون اي ما تركبونه **فان قلت** يقال ركبوا الانعام وركبوا في الفلك وقد ذكر الجنسين فكيف قال تركبونه غلب المتعدي بغير واسطة لقوته على المتعدي بواسطة فقيل تركبونه على ظهوره على ظهور ما تركبون وهو الفلك والانعام ومعنى ذكر نعمة الله عليهم ان يذكروها في قلوبهم معترفين بها مستعظمين لها ثم يحمدوا عليها بالسنتهم وهو ما يروى عن النبي صلى الله عليه وسلم انه كان اذا وضع رجله في الركاب قال بسم الله فاذا استوى على الدابة قال الحمد لله على كل حال سبحان الذي سخر لنا هذا الى قوله لمنقلبون وكبر ثلاثا وهلل ثلاثا وقالوا اذا ركب في السفينة قال بسم الله مجريها ومرسيها ان ربي لغفور رحيم وعن الحسن بن علي رضي الله عنهما انه رأى رجلا ركب دابة فقال سبحان الذي سخر لنا هذا فقال ابهذا امرتم فقال وبم امرنا قال ان تذكروا نعمة ربكم كان قد اغفل التحميد فنبهه عليه وهذا من حسن مراعاتهم لاداب الله ومحافظتهم على دقيقها وجليلها جعلنا الله من المقتدين بهم والسائرين بسيرتهم فما احسن بالعاقل النظر في لطائف الصناعات فكيف بالنظر في لطائف الديانات مقرنين مطيقين يقال اقرن الشيء اذا اطاقه **قال** ابن هرمة

وأقرنت ما حملتني ولقلما يطاق احتمال الصد يا دعد والهجر

وحقيقة اقرنه وجده قرينته وما يقرن به لان الصعب لا يكون قرينة للضعيف الا ترى الى قولهم في الضعيف لا يقرن به

فيهما ج

الصعبة. وقرئ مقرنين. فإن قلت: كيف اتصل بذلك قوله تعالى: وإنا إلى ربنا لمنقلبون؟ قلت: كم من
راكب دابة عثرت به أو شمست أو تقحمت أو طاح من ظهرها فهلك، وكم من راكبين في سفينة انكسرت
بهم فغرقوا، فلما كان الركوب مباشرة أمر مخطر واتصالاً بسبب من أسباب التلف كان من حق الراكب وقد
اتصل بسبب من أسباب التلف أن لا ينسى عند اتصاله به يومه وأنه هالك لا محالة فمنقلب إلى الله غير منفلت من قضائه، ولا
يدع ذكر ذلك بقلبه ولسانه حتى يكون مستعداً للقاء الله بإصلاحه من نفسه، والحذر من أن يكون ركوبه
ذلك من أسباب موته في علم الله وهو غافل عنه. ويستعيذ بالله من مقام من يقول لقرنائه: تعالوا نتنزه
على الخيل أو في بعض الزوارق، فيركبون حاملين مع أنفسهم أواني الخمر والمعازف، فلا يزالون يسقون
حتى تميل طلاهم وهم على ظهور الدواب أو في بطون السفن وهي تجري بهم، لا يذكرون إلا الشيطان
ولا يمتثلون إلا أوامره. وقد بلغني أن بعض السلاطين ركب وهو يشرب من بلد إلى بلد بينهما مسيرة
شهر، فلم يصح إلا بعد ما اطمأنت به الدار، فلم يشعر بمسيره ولا أحس به، فكم بين فعل أولئك الراكبين
وبين ما أمر الله به في هذه الآية. وقيل: يذكرون عند الركوب ركوب الجنازة. وجعلوا له من عباده
جزءاً إن الإنسان لكفور مبين. وجعلوا له من عباده جزءاً متصل بقوله: ولئن سألتهم، أي ولئن سألتهم
عن خالق السموات والأرض ليعترفن به، وقد جعلوا له مع ذلك الاعتراف من عباده جزءاً، فوصفوه بصفات
المخلوقين. ومعنى من عباده جزءاً: أن قالوا الملائكة بنات الله، فجعلوهم جزءاً له وبعضاً منه، كما يكون الولد
بضعة من والده وجزءاً له. ومن بدع التفاسير تفسير الجزء بالإناث، وادعاء أن الجزء في لغة العرب اسم
للإناث، وما هو إلا كذب على العرب ووضع مستحدث منحول، ولم يقنعهم ذلك حتى اشتقوا منه أجزأت
المرأة، ثم صنعوا بيتاً وبيتاً: إن أجزأت حرة يوماً فلا عجب ... زوجتها من بنات الأوس مجزئة
وقرئ جزءاً بضمتين. لكفور مبين: لجحود للنعمة ظاهر جحوده، لأن نسبة الولد إليه كفر، والكفر
أصل الكفران كله. أم اتخذ مما يخلق بنات وأصفاكم بالبنين: أم اتخذ: بل اتخذ، والهمزة للإنكار
تجهيلاً لهم وتعجيباً من شأنهم حيث لم يرضوا بأن جعلوا لله من عباده جزءاً حتى جعلوا ذلك الجزء شر الجزأين
وهو الإناث دون الذكور، على أنهم أنفر خلق الله عن الإناث وأمقتهم لهن، ولقد بلغ بهم المقت إلى أن
وأدوهن، كأنه قيل: هبوا أن إضافة اتخاذ الولد إليه جائزة فرضاً وتمثيلاً، أما تستحيون من الشطط في
القسمة، ومن ادعائكم أنه آثركم على نفسه بخير الجزأين وأعلاهما، وترك له شرهما وأدناهما. وتنكير
بنات وتعريف البنين، وتقديمهن في الذكر عليهم لما ذكرت في قوله تعالى: يهب لمن يشاء إناثاً ويهب لمن
يشاء الذكور. وإذا بشر أحدهم بما ضرب للرحمن مثلاً ظل وجهه مسوداً وهو كظيم. أومن
ينشأ في الحلية وهو في الخصام غير مبين. بما ضرب للرحمن مثلاً: بالجنس الذي جعله له مثلاً، أي
شبهاً؛ لأنه إذا جعل الملائكة جزءاً لله وبعضاً منه فقد جعله من جنسه ومماثلاً له؛ لأن الولد لا يكون
إلا من جنس الوالد. يعني أنهم نسبوا إليه هذا الجنس، ومن حالهم أن أحدهم إذا قيل له: قد ولدت لك
بنت، اغتم واربد وجهه غيظاً وتأسفاً وهو مملوء من الكرب. وعن بعض العرب أن امرأته وضعت
أنثى، فهجر البيت الذي فيه المرأة، فقالت: ما لأبي حمزة لا يأتينا ... يظل في البيت الذي يلينا
غضبان أن لا نلد البنينا ... ليس لنا من أمرنا ما شينا ... وإنما نأخذ ما أعطينا ... والظلول
بمعنى الصيرورة، كما يستعمل أكثر الأفعال الناقصة بمعناها. وقرئ مسود ومسواد، على أن في
ظل ضمير المبشر، ووجهه مسود جملة واقعة موقع الخبر. ثم قال: أو يجعل للرحمن من الولد من هذه

الصفة

الصفة المذمومة صفته وهو أنه ينشأ، أي يتربى في الزينة والنعمة، وهو إذا احتاج إلى مجاثاة الخصوم ومجاراة
الرجال كان غير مبين، ليس عنده بيان، ولا يأتي ببرهان يحج به من يخاصمه، وذلك لضعف عقول النساء ونقصانهن
عن فطرة الرجال، يقال: قلما تكلمت امرأة فأرادت أن تتكلم بحجتها إلا تكلمت بالحجة عليها. وفيه أنه جعل
النشء في الزينة والنعومة من المعايب والمذام، وأنه من صفة ربات الحجال، فعلى الرجل أن يجتنب ذلك
ويأنف منه، ويربأ بنفسه عنه، ويعيش كما قال عمر رضي الله عنه: اخشوشنوا واخشوشبوا وتمعددوا،
وإن أراد أن يزين نفسه زينها من باطن بلباس التقوى. وقرئ ينشأ وينشأ ويناشأ، ونظير المناشاة
بمعنى الإنشاء المغالاة بمعنى الإغلاء. وجعلوا الملائكة الذين هم عباد الرحمن إناثاً أشهدوا
خلقهم ستكتب شهادتهم ويسألون. قد جمعوا في كفرة ثلاث كفرات، وذلك أنهم نسبوا إلى الله
الولد، ونسبوا إليه أخس النوعين، وجعلوه من الملائكة الذين هم أكرم عباد الله على الله، فاستخفوا بهم
واحتقروهم. وقرئ عباد الرحمن، وعبيد الرحمن، وعند الرحمن، وهو مثل لزلفاهم واختصاصهم.
وإناثاً وأنثا جمع الجمع. ومعنى جعلوا: سموا وقالوا إنهم إناث. وقرئ أشهدوا وأأشهدوا بهمزتين
مضمومة ومفتوحة، وآأشهدوا بألف بينهما، وهذا تهكم بهم، بمعنى أنهم يقولون ذلك من غير أن يستند
قولهم إلى علم، فإن الله لم يضطرهم إلى علم ذلك، ولا تطرقوا إليه باستدلال، ولا أحاطوا به عن خبر يوجب
العلم، فلم يبق إلا أن يشاهدوا خلقهم فأخبروا عن المشاهدة. ستكتب شهادتهم التي شهدوا بها على
الملائكة من أنوثتهم، ويسألون. وهذا وعيد. وقرئ سيكتب، وسنكتب بالياء والنون، وشهاداتهم.
وشهاداتهم. ويساءلون، على يفاعلون. وقالوا لو شاء الرحمن ما عبدناهم ما لهم بذلك من علم
إن هم إلا يخرصون. وقالوا لو شاء الرحمن ما عبدناهم: هما كفرتان أيضاً مضمومتان إلى الكفرات
الثلاث، وهما عبادتهم الملائكة من دون الله، وزعمهم أن عبادتهم بمشيئة الله، كما يقول إخوانهم المجبرة.
فإن قلت: ما أنكرت على من يقول: قالوا ذلك على وجه الاستهزاء، ولو قالوه جادين لكانوا مؤمنين؟
لا دليل على أنهم قالوه مستهزئين، وادعاء ما لا دليل عليه باطل، على أن الله تعالى قد حكى عنهم
على سبيل الذم والشهادة بالكفر أنهم جعلوا له من عباده جزءاً، وأنه اتخذ بنات وأصفاهم بالبنين،
وأنهم جعلوا الملائكة المكرمين إناثاً، وأنهم عبدوهم، وقالوا: لو شاء الرحمن ما عبدناهم، فلو كانوا
ناطقين بها على طريق الهزء لكان النطق بالمحكيات قبل هذا المحكي الذي هو إيمان عنده لو جدوا في
النطق به مدحاً لهم من قبل أنها كلمات كفر نطقوا بها على طريق الهزء، فبقي أن يكونوا جادين، وتشترك
كلها في أنها كلمات كفر، فإن قالوا: نجعل هذا الأخير وحده مقولاً على وجه الهزء دون ما قبله، فما
بهم إلا تعويج كتاب الله الذي لا يأتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه لتسوية مذاهبهم الباطلة، ولو
كانت هذه كلمة حق نطقوا بها هزءاً لم يكن لقوله تعالى: ما لهم بذلك من علم إن هم إلا يخرصون معنى؛
لأن من قال: لا إله إلا الله على طريق الهزء كان الواجب أن ينكر عليه استهزاؤه ولا يكذب؛ لأنه لا يجوز
تكذيب الناطق بالحق جاداً كان أو هازئاً. فإن قلت: ما قولك فيمن يفسر ما لهم بقولهم إن الملائكة
بنات الله من علم إن هم إلا يخرصون في ذلك القول، لا في تعليق عبادتهم بمشيئة الله؟ قلت: تمحل مبطل
وتحريف مكابر. ونحوه قوله تعالى: سيقول الذين أشركوا لو شاء الله ما أشركنا ولا آباؤنا ولا حرمنا من شيء
كذلك كذب الذين من قبلهم. أم آتيناهم كتاباً من قبله فهم به مستمسكون. بل قالوا إنا وجدنا
آباءنا على أمة وإنا على آثارهم مهتدون. وكذلك ما أرسلنا من قبلك في قرية من نذير إلا

قال مترفوها انا وجدنا آباءنا على امة وانا على آثارهم مقتدون ٭ الضمير في من قبله للقرآن او الرسول والمعنى انهم الصقوا عبادة غير الله بمشيئة الله قولا قالوه غير مستند الى علم ثم قال ام آتيناهم كتابا قبل هذا الكتاب نسبنا فيه الكفر والقبائح الينا فحصل لهم علم بذلك من جهة الوحي فاستمسكوا بذلك الكتاب واحتجوا به بل لا حجة لهم يستمسكون بها الا قولهم انا وجدنا آباءنا على امة على دين ٭ وقرئ على إمة بالكسر وكلتاهما من الأم وهو القصد فالأمة الطريقة التي تؤم اي تقصد كالرحلة للمرحول اليه والإمة الحالة التي يكون عليها الآم وهو القاصد ٭ وقيل على نعمة وحالة حسنة على آثارهم مهتدون خبران او الظرف صلة لمهتدون مترفوها الذين اترفتهم النعمة اي ابطرتهم فلا يحبون الا الشهوات والملاهي ويعافون مشاق الدين وتكاليفه قل أولو جئتكم بأهدى مما وجدتم عليه آباءكم قالوا انا بما ارسلتم به كافرون فانتقمنا منهم فانظر كيف كان عاقبة المكذبين قرئ قل وقال ٭ وجئتكم وجئناكم يعني أتتبعون آباءكم ولو جئتكم بدين أهدى من دين آبائكم قالوا انا ثابتون على دين آبائنا لا ننفك عنه وان جئتنا بما هو أهدى وأهدى ٭

واذ قال ابراهيم لأبيه وقومه انني براء مما تعبدون الا الذي فطرني فانه سيهدين قرئ براء بفتح الباء وضمها وبريء فبريء وبراء نحو كريم وكرام ٭ وبراء مصدر كظماء ولذلك استوى فيه الواحد والاثنان والجماعة والمذكر والمؤنث يقال نحن البراء منك والخلاء منك ٭ الذي فطرني فيه غير وجه ٭ ان يكون منصوبا على انه استثناء منقطع كأنه قال لكن الذي فطرني فانه سيهدين وان يكون مجرورا بدلا من المجرور بمن كأنه قال انني براء مما تعبدون الا من الذي فطرني فان قلت كيف تجعله بدلا وليس من جنس ما يعبدون من وجهين ٭ احدهما ان ذات الله مخالفة لجميع الذوات فكانت مخالفة لذوات ما يعبدون ٭ والثاني ان الله تعالى غير معبود بينهم والأوثان معبودة ٭ كانوا يعبدون الله مع اوثانهم ٭ وان تكون الا صفة بمعنى غير على ان ما في ما تعبدون موصوفة تقديره انني براء من آلهة تعبدونها غير الذي فطرني فهو نظير قوله تعالى لو كان فيهما آلهة الا الله لفسدتا ٭ فان قلت ما معنى قوله تعالى سيهدين على التسويف ٭ قلت قال مرة فهو يهدين ومرة فانه سيهدين فاجمع بينهما وقدر كأنه قال فهو يهدين وسيهدين فيدلان على استمرار الهداية في الحال والاستقبال وجعلها كلمة باقية في عقبه لعلهم يرجعون ٭ وجعلها وجعل ابراهيم عليه السلام كلمة التوحيد التي تكلم بها وهي قوله انني براء مما تعبدون الا الذي فطرني كلمة باقية في عقبه في ذريته فلا يزال فيهم من يوحد الله ويدعو الى توحيده لعل من اشرك منهم يرجع بدعاء من وحد منهم ٭ ونحوه ووصى بها ابراهيم بنيه ٭ وقيل وجعلها الله وقرئ كلمة على التخفيف وفي عقبه كذلك ٭ وفي عاقبه اي فيمن عقبه اي خلفه بل متعت هؤلاء وآباءهم حتى جاءهم الحق ورسول مبين بل متعت هؤلاء يعني اهل مكة وهم من عقب ابراهيم بالمد في العمر والنعمة فاغتروا بالمهلة وشغلوا بالتنعم واتباع الشهوات وطاعة الشيطان عن كلمة التوحيد حتى جاءهم الحق وهو القرآن ٭ ورسول مبين الرسالة واضحها بما معه من الآيات البينة فكذبوا به وسموه ساحرا وما جاء به سحرا ولم يوجد منهم ما رجاه ابراهيم عليه السلام ٭ وقرئ بل متعنا فان قلت فما وجه من قرأ متعت بفتح التاء قلت كأن الله تعالى اعترض على ذاته في قوله وجعلها كلمة باقية في عقبه لعلهم يرجعون فقال بل متعتهم بما متعتهم به من طول العمر والسعة في الرزق حتى شغلهم ذلك عن كلمة التوحيد ٭

واراد بذلك الاطناب في تعييرهم لأنه اذا متعهم بزيادة النعم وجب عليهم ان يجعلوا ذلك سببا في زيادة الشكر والثبات على التوحيد والايمان لا ان يشركوا به ويجعلوا له اندادا فمثاله ان يشكو الرجل اساءة من احسن اليه ثم يقبل على نفسه فيقول انت السبب في ذلك بمعروفك واحسانك وغرضه بهذا الكلام توبيخ المسيء لا تقبيح فعله فان قلت قد جعل مجيء الحق والرسول غاية التمتيع ثم اردفه قوله تعالى ولما جاءهم الحق قالوا هذا سحر فما طريقة هذا النظم ومؤداه … المراد بالتمتيع ما هو سبب له وهو اشتغالهم بالاستمتاع عن التوحيد ومقتضياته فقال عز وعلا بل اشتغلوا عن التوحيد حتى جاءهم الحق ورسول مبين فخيل بهذه الغاية انهم تنبهوا عندها عن غفلتهم لاقتضائها التنبه ٭ ولما جاءهم الحق قالوا هذا سحر وانا به كافرون ٭ وقالوا لولا نزل هذا القرآن على رجل من القريتين عظيم ٭ ثم ابتدأ قصتهم عند مجيء الحق فقال ولما جاءهم جاءوا بما هو شر من غفلتهم التي كانوا عليها وهو ان ضموا الى شركهم معاندة الحق ومكابرة الرسول ومعاداته والاستخفاف بكتاب الله وشرائعه والاصرار على افعال الكفرة والاحتكام على حكمة الله في تخير محمد من اهل زمانه بقوله تعالى لولا نزل هذا القرآن على رجل من القريتين عظيم وهي الغاية في تشويه صورة امرهم قرئ على رجل بسكون الجيم من القريتين من احدى القريتين ٭ كقوله تعالى يخرج منهما اللؤلؤ اي من احدهما ٭ والقريتين مكة والطائف وقيل من رجلي القريتين وهما الوليد بن المغيرة المخزومي ٭ وحبيب بن عمرو بن عمير الثقفي عن ابن عباس رضي الله عنهما ٭ وعن مجاهد عتبة بن ربيعة وكنانة بن عبد ياليل ٭ وعن قتادة الوليد بن المغيرة وعروة بن مسعود الثقفي ٭ وكان الوليد يقول لو كان حقا ما يقول محمد لنزل هذا القرآن علي او على ابي مسعود الثقفي وابو مسعود كنية عروة بن مسعود ما زالوا ينكرون ان يبعث الله بشرا رسولا فلما علموا بتكرير الله الحجج ان الرسل لم يكونوا الا رجالا من اهل القرى جاءوا بالانكار من وجه آخر وهو تحكمهم ان يكون احد هذين وقولهم هذا القرآن ذكر له على وجه الاستهانة وارادوا بعظم الرجل رياسته وتقدمه في الدنيا وعزب عن عقولهم ان العظيم من كان عند الله عظيما أهم يقسمون رحمة ربك نحن قسمنا بينهم معيشتهم في الحياة الدنيا ورفعنا بعضهم فوق بعض درجات ليتخذ بعضهم بعضا سخريا ورحمة ربك خير مما يجمعون ٭ أهم يقسمون رحمة ربك هذه الهمزة للانكار المستقل بالتجهيل والتعجيب من اعتراضهم وتحكمهم وان يكونوا هم المدبرين لأمر النبوة والتخير لها من يصلح لها ويقوم بها والمتولين لقسمة رحمة الله التي لا يتولاها الا هو بباهر قدرته وبالغ حكمته ثم ضرب لهم مثلا فاعلم انهم عاجزون عن تدبير خويصة امرهم وما يصلحهم في دنياهم وان الله عز وعلا هو الذي قسم بينهم معيشتهم وقدرها ودبر احوالهم تدبير العالم بها فلم يسو بينهم في اسباب العيش وغاير بين منازلهم فجعل منهم الأقوياء والضعفاء والأغنياء والمحاويج والموالي والخدم ليصرف بعضهم بعضا في حوائجهم ويستخدموهم في مهنهم ويتسخروهم في اشغالهم حتى يتعايشوا ويترافدوا ويصلوا الى منافعهم ويحصلوا على مرافقهم ولو وكلهم الى انفسهم وولاهم تدبير امرهم لضاعوا وهلكوا واذا كانوا في تدبير امر المعيشة الدنية في الحياة الدنيا على هذه الصفة فما ظنك بهم في تدبير امور الدين الذي هو رحمة الله الكبرى ورأفته العظمى وهو الطريق الى حيازة حظوظ الآخرة والسلم الى حلول دار السلام ٭ ثم قال ورحمة ربك يريد وهذه الرحمة وهي دين الله وما يتبعه من الفوز في المآب خير مما يجمع هؤلاء من حطام الدنيا فان قلت معيشتهم ما يعيشون به من المنافع ومنهم من يعيش بالحلال ومنهم من يعيش بالحرام

فاذن قد قسم الله الحرام كما قسم الحلال قلت الله تعالى قسم لكل عبد معيشته وهي مطاعمه ومشاربه وما
يصلحه من المنافع واذن له في تناولها ولكن شرط عليه وكلفه ان يسلك في تناولها الطرق التي شرعها الله
فاذا سلكها فقد تناول قسمته من المعيشة حلالا وسماها رزق الله واذا لم يسلكها تناولها حراما
وليس له ان يسميها رزق الله فالله تعالى قاسم المعايش والمنافع ولكن العباد هم الذين يكسبونها صفة
الحرمة بسوء تناولهم وهو عدولهم فيه عما شرعه الله الى ما لم يشرعه ولولا ان يكون الناس امة
واحدة لجعلنا لمن يكفر بالرحمن لبيوتهم سقفا من فضة ومعارج عليها يظهرون ولبيوتهم
ابوابا وسررا عليها يتكئون وزخرفا وان كل ذلك لما متاع الحيوة الدنيا والاخرة عند ربك
للمتقين لبيوتهم بدل اشتمال من قوله لمن يكفر ويجوز ان يكونا بمنزلة اللامين في قوله وهبت له ثوبا
لقميصه وقرئ سقفا بفتح السين وسكون القاف وبضمها وسكون القاف وبضمهما جمع سقف كرهن
ورهن وعن الفراء جمع سقيفة وسقفا بفتحتين كانه لغة في سقف وسقوفا ومعارج ومعاريج
والمعارج جمع معراج او اسم جمع لمعراج وهي المصاعد الى العلالي عليها يظهرون اي على المعارج يظهرون
السطوح يعلونها فما اسطاعوا ان يظهروه وسررا بفتح الراء لاستثقال الضمتين مع حرفي التضعيف
لما متاع الحيوة اللام هي الفارقة بين ان المخففة والنافية وقرئ بكسر اللام اي للذي هو
متاع الحيوة كقوله تعالى مثلا ما بعوضة ولما بالتشديد بمعنى الا وان نافية وقرئ الا وقرئ وما
كل ذلك الا لما قال خير مما يجمعون تقلل امر الدنيا وصغرها اردفه ما يقرر قلة الدنيا عنده من
قوله تعالى ولولا ان يكون الناس امة واحدة اي ولولا كراهة ان يجتمعوا على الكفر ويطبقوا عليه
لجعلنا لحقارة زهرة الدنيا عندنا للكفار سقوفا ومصاعد وابوابا وسررا كلها من فضة وجعلنا لهم
زخرفا اي زينة من كل شئ والزخرف الزينة والذهب ويجوز ان يكون الاصل سقفا من فضة وزخرف
يعني بعضها من فضة وبعضها من ذهب فنصب عطفا على محل من فضة وفي معناه قول رسول الله صلى
الله عليه وسلم لو وزنت عند الله جناح بعوضة ما سقى الكافر منها شربة ماء فان قلت فحين لم
يوسع على الكافرين للفتنة التي كان يؤدي اليها التوسعة عليهم من اطباق الناس على الكفر لحبهم الدنيا
وتهالكهم عليها فهلا وسع على المسلمين ليطبق الناس على الاسلام التوسعة عليهم مفسدة للاسلام
ايضا لما تؤدي اليه من الدخول في الاسلام لاجل الدنيا والدخول في الدين لاجل الدنيا من دين المنافقين
فكانت الحكمة فيما دبرت حيث جعل الفريقين اغنياء وفقراء وغلب الفقر على الغنى ومن يعش عن ذكر الرحمن
نقيض له شيطانا فهو له قرين قرئ ومن يعش بضم الشين وفتحها والفرق بينهما انه اذا حصلت
الافة في بصره قيل عشي واذا نظر نظر العشي ولا افة به قيل عشا ونظيره عرج لمن به الافة وعرج
لمن مشى مشية العرجان من غير عرج قال الحطيئة متى تاته تعشو الى ضوء ناره اي تنظر اليها
نظر العشي لما يضعف بصرك من عظم الوقود واتساع الضوء وهو بين في قول حاتم
اعشو اذا ما جارتي برزت حتى يواري جارتي الخدر وقرئ يعشو على ان من موصولة غير
مضمنة معنى الشرط وحق هذا القارئ ان يرفع نقيض ومعنى القراءة بالفتح ومن يعم عن ذكر الرحمن
وهو القرآن كقوله عز وجل صم بكم عمي واما القراءة بالضم فمعناها ومن يتعام عن ذكره اي يعرف
انه الحق وهو يتجاهل ويتغابى كقوله تعالى وجحدوا بها واستيقنتها انفسهم نقيض له شيطانا نخذله
ونخل بينه وبين الشياطين كقوله عز وعلا وقيضنا لهم قرناء الم تر انا ارسلنا الشياطين على الكافرين

وقرئ

وقرئ يقيض اي يقيض له الرحمن ويقيض له شيطان وانهم ليصدونهم عن السبيل ويحسبون انهم مهتدون
فان قلت لم جمع ضمير من وضمير الشيطان في قوله وانهم ليصدونهم قلت لان من مبهم في جنس
العاشي وقد قيض له شيطان مبهم في جنسه فلما جاز ان يتناولا لابهامهما غير واحدين جاز ان يرجع الضمير
اليهما مجموعا حتى اذا جاءنا قال يا ليت بيني وبينك بعد المشرقين فبئس القرين حتى اذا جاءنا العاشي
وقرئ جاءانا على ان الفعل له وللشيطان قال للشيطان يا ليت بيني وبينك بعد المشرقين يريد
عند المشرق والمغرب فغلب كما قيل العمران والقمران فان قلت فما بعد المشرقين قلت تباعدهما والاصل
بعد المشرق من المغرب والمغرب من المشرق فلما غلب وجمع المفترقين بالتثنية اضاف البعد اليهما
ولن ينفعكم اليوم اذ ظلمتم انكم في العذاب مشتركون انكم في محل الرفع على الفاعلية يعني
بهم ولن ينفعكم كونكم مشتركين في العذاب كما ينفع الواقعين في الامر الصعب اشتراكهم فيه لتعاونهم
في تحمل اعبائه وتقسمهم لشدته وعنائه وذلك ان كل واحد منكم به من العذاب ما لا تبلغه طاقته
ولك ان تجعل الفعل للتمني في قوله تعالى يا ليت بيني وبينك على معنى ولن ينفعكم اليوم ما انتم فيه
من تمني مباعدة القرين وقوله تعالى انكم في العذاب مشتركون تعليل اي لن ينفعكم تمنيكم لان
حقكم ان تشتركوا انتم وقرناؤكم في العذاب كما كنتم مشتركين في سببه وهو الكفر ويقويه قراءة
من قرأ انكم بالكسر وقيل اذا رأى الممنو بشدة من مني بمثلها روحه ذلك ونفس بعض كربه وهو التأسي
الذي ذكرته الخنساء اعزي النفس عنه بالتأسي فهؤلاء لا يؤسيهم اشتراكهم ولا يروحهم لعظم ما
هم فيه فان قلت ما معنى قوله اذ ظلمتم قلت معناه اذ صح ظلمكم وتبين ولم يبق لكم ولا
لاحد شبهة في انكم كنتم ظالمين وذلك يوم القيامة واذ بدل من اليوم ونظيره
اذا ما انتسبنا لم تلدني لئيمة اي تبين اني ولد كريمة افانت تسمع الصم او تهدي العمي ومن كان
في ضلال مبين كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يجتهد ويكد روحه في دعاء قومه وهم
لا يزيدون على دعائه الا تصميما على الكفر وتماديا في الغي فانكر عليه بقوله تعالى افانت تسمع انكار
تعجب من ان يكون هو الذي يقدر على هدايتهم واراد انه لا يقدر على ذلك منهم الا هو وحده على سبيل
الالجاء والقسر كقوله تعالى ان الله يسمع من يشاء وما انت بمسمع من في القبور فاما نذهبن بك فانا
منهم منتقمون او نرينك الذي وعدناهم فانا عليهم مقتدرون فاستمسك بالذي اوحي
اليك انك على صراط مستقيم ما في قوله تعالى فاما نذهبن بمنزلة لام القسم في انها اذا دخلت
دخلت معها النون المؤكدة والمعنى فان قبضناك قبل ان نبصرك عذابهم ونشفي صدور المؤمنين
منهم فانا منهم منتقمون اشد الانتقام في الاخرة كقوله تعالى او نتوفينك فالينا يرجعون وان اردنا
ان نجز في حيوتك ما وعدناهم من العذاب النازل بهم وهو يوم بدر فهم تحت ملكتنا وقدرتنا لا يفوتوننا
وصفهم بشدة الشكيمة في الكفر والضلال ثم اتبعه شدة الوعيد بعذاب الدنيا والاخرة وقرئ
نرينك بالنون الخفيفة وقرئ بالذي اوحي اليك على البناء للفاعل وهو الله عز وجل والمعنى
وسواء عجلنا لك الظفر والغلبة او اخرنا الى اليوم الآخر فكن مستمسكا بما اوحينا اليك وبالعمل
به فانه الصراط المستقيم الذي لا يحيد عنه الا ضال شقي وزد كل يوم صلابة في المحاماة على دين
الله ولا يخرجك الضجر بامرهم الى شئ من اللين والرخاوة في امرك ولكن كما يفعل الثابت الذي لا
ينشطه تعجيل ظفر ولا يثبطه تأخيره وانه لذكر لك ولقومك وسوف تسألون وانه وان الذي

أوحينا إليك لذكر لشرف لك ولقومك وسوف تسألون عنه يوم القيامة وعن قيامكم بحقه وعن تعظيمكم له وشكركم على أن رزقتموه وخصصتم به من بين العالمين **واسئل من أرسلنا من قبلك من رسلنا أجعلنا من دون الرحمن آلهة يعبدون** ليس المراد بسؤال الرسل حقيقة السؤال لإحالته ولكنه مجاز عن النظر في أديانهم والفحص عن مللهم هل جاءت عبادة الأوثان قط في ملة من ملل الأنبياء وكفاه نظرا وفحصا نظره في كتاب الله سبحانه وتعالى المعجز المصدق لما بين يديه وإخبار الله فيه بأنهم يعبدون من دون الله ما لم ينزل به سلطانا وهذه الآية في نفسها كافية لا حاجة إلى غيرها والسؤال الواقع مجازا عن النظر حيث لا يصح السؤال على الحقيقة كثير منه مسألة الشعراء الديار والرسوم والأطلال وقول من قال سل الأرض من شق أنهارك وغرس أشجارك وجنى ثمارك فإنها إن لم تجبك حوارا أجابتك اعتبارا وقيل إن النبي عليه السلام جمع له الأنبياء ليلة الإسراء في بيت المقدس فأمهم وقيل له سلهم فلم يشكك ولم يسأل وقيل معناه سل أممهم من أرسلنا وهم أهل الكتابين التوراة والإنجيل وعن الفراء هم إنما يخبرونه عن كتب الرسل فإذا سألهم فكأنه سأل الأنبياء **ولقد أرسلنا موسى بآياتنا إلى فرعون وملإيه فقال إني رسول رب العالمين فلما جاءهم بآياتنا إذا هم منها يضحكون** ما أجابوه به عند قوله إني رسول رب العالمين محذوف دل عليه قوله فلما جاءهم بآياتنا وهو مطالبتهم إياه بإحضار البينة على دعواه وإبراز الآية إذا هم منها يضحكون أي يسخرون منها ويهزؤون بها ويسمونها سحرا وإذا للمفاجأة **فإن قلت** كيف جاز أن يجاب لما بإذا المفاجأة **قلت** لأن فعل المفاجأة معها مقدر وهو عامل النصب في محلها كأنه قيل فلما جاءهم بآياتنا فاجؤوا وقت ضحكهم **وما نريهم من آية إلا هي أكبر من أختها وأخذناهم بالعذاب لعلهم يرجعون** فإن قلت إذا جاءتهم آية واحدة من جملة التسع فما أختها التي فضلت عليها في الكبر من بقية الآيات قلت أختها التي هي آية مثلها وهذه صفة كل واحدة فكان المعنى أنها أكبر من بقية الآيات على سبيل التفصيل والاستقراء واحدة بعد واحدة كما تقول هو أفضل رجل رأيته تريد تفضيله على أمة الرجال الذين رأيتهم إذا قرتهم رجلا رجلا **فإن قلت** هو كلام متناقض لأن معناه ما من آية من التسع إلا وهي أكبر من كل واحدة منها فتكون كل واحدة منها فاضلة ومفضولة في حالة واحدة **قلت** الغرض بهذا الكلام أنهن موصوفات بالكبر لا يكدن يتفاوتن فيه وكذلك العادة في الأشياء التي تتلاقى في الفضل وتتفاوت منازلها فيه التفاوت اليسير أن تختلف آراء الناس في تفضيلها فيفضل بعضهم هذا وبعضهم ذاك فعلى ذلك بنى الناس كلامهم فقالوا رأيت رجالا بعضهم أفضل من بعض وربما اختلفت آراء الرجل الواحد فيها فتارة يفضل هذا وتارة يفضل ذاك **ومنه** بيت الحماسة من تلق منهم تقل لاقيت سيدهم مثل النجوم التي يسري بها الساري وقد فاضلت الأنمارية بين الكملة من بنيها ثم قالت لما أبصرت مراتبهم متدانية قليلة التفاوت ثكلتهم إن كنت أعلم أيهم أفضل هم كالحلقة المفرغة لا يدرى أين طرفاها لعلهم يرجعون إرادة أن يرجعوا عن الكفر إلى الإيمان **فإن قلت** لو أراد رجوعهم لكان **[blank space]** أراده تعالى غير ليس إلا أن يأمر به ويطلب منهم إيجاده فإن كان ذلك على سبيل القسر وجد وإلا دار بين أن يوجد وبين أن لا يوجد على حسب اختيار المكلف وإنما لم يكن الرجوع لأن الإرادة لم تكن قسرا ولم يختاروه والمراد بالعذاب السنون والطوفان والجراد وغير ذلك **وقالوا يا أيه الساحر ادع لنا ربك بما**

عهد

عهد عندك إننا لمهتدون فلما كشفنا عنهم العذاب إذا هم ينكثون قرئ يا أيه الساحر بضم الهاء وقد سبق ذكر وجهه **فإن قلت** كيف سموه بالساحر مع قولهم إننا لمهتدون **قلت** قولهم إننا لمهتدون وعد منوي إخلافه وعهد معزوم على نكثه معلق بشرط أن يدعو لهم ويكشف عنهم العذاب ألا ترى إلى قوله فلما كشفنا عنهم العذاب إذا هم ينكثون فما كانت تسميتهم إياه بالساحر منافية لقولهم إننا لمهتدون وقيل كانوا يقولون للعالم الماهر ساحر لاستعظامهم علم السحر بما عهد عندك بعهده عندك من أن دعوتك مستجابة أو بعهده عندك وهو النبوة أو بما عهد عندك فوفيت به وهو الإيمان والطاعة أو بما عهد عندك من كشف العذاب عمن اهتدى **ونادى فرعون في قومه قال يا قوم أليس لي ملك مصر وهذه الأنهار تجري من تحتي أفلا تبصرون** ونادى فرعون في قومه جعلهم محلا لندائه وموقعا له والمعنى أنه أمر بالنداء في مجامعهم وأماكنهم من نادى فيها بذلك فأسند النداء إليه كقولك قطع الأمير اللص إذا أمر بقطعه ويجوز أن يكون عنده عظماء القبط فيرفع صوته بذلك فيما بينهم ثم ينشر عنه في جموع القبط فكأنه نودي به بينهم فقال أليس لي ملك مصر وهذه الأنهار يعني أنهار النيل ومعظمها أربعة نهر الملك ونهر طولون ونهر دمياط ونهر تنيس قيل كانت تجري تحت قصره وقيل تحت سريره لارتفاعه وقيل بين يدي في جناني وبساتيني ويجوز أن تكون الواو عاطفة للأنهار على ملك مصر وتجري نصب على الحال منها وأن تكون الواو للحال واسم الإشارة مبتدأ والأنهار صفة لاسم الإشارة وتجري خبر للمبتدأ وليت شعري كيف ارتقت إلى دعوة الربوبية همة من تعظم بملك مصر وعجب الناس من مدى عظمته وأمر فنودي بها في أسواق مصر وأزقتها لئلا تخفى تلك الأبهة والجلالة على صغير ولا كبير وحتى يتربع في صدور الدهماء مقدار عزته وملكوته وعن الرشيد لما قرأها قال لأولينها أخس عبيدي فولاها الخصيب وكان على وضوئه وعن عبد الله بن طاهر أنه وليها فخرج إليها فلما شارفها ووقع عليها بصره قال أهي القرية التي افتخر بها فرعون حتى قال أليس لي ملك مصر والله هي أقل عندي من أن أدخلها فثنى عنانه **أم أنا خير من هذا الذي هو مهين ولا يكاد يبين فلولا ألقي عليه أسورة من ذهب أو جاء معه الملائكة مقترنين** أم أنا خير أم هذه متصلة لأن المعنى أفلا تبصرون أم تبصرون إلا أنه وضع قوله أنا خير موضع تبصرون لأنهم إذا قالوا له أنت خير فهم عنده بصراء وهذا من إنزال السبب منزلة المسبب ويجوز أن تكون منقطعة بمعنى بل أنا خير والهمزة للتقرير وذلك أنه قدم تعديد أسباب الفضل والتقدم عليهم من ملك مصر وجري الأنهار تحته ونادى بذلك وملأ به مسامعهم ثم قال أنا خير كأنه يقول أثبت عندكم واستقر أني أنا خير وهذه حاله من هذا الذي هو مهين أي ضعيف حقير **وقرئ** أما أنا خير ولا يكاد يبين الكلام لما به من الرتة يريد أنه ليس معه من العدد وآلات الملك والسياسة ما يعتضد به وهو في نفسه مخل بما ينعت به الرجال من اللسن والفصاحة وكانت الأنبياء كلهم أبيناء بلغاء وأراد بإلقاء الأسورة عليه إلقاء مقاليد الملك إليه لأنهم كانوا إذا أرادوا تسويد الرجل سوروه بسوار وطوقوه بطوق من ذهب ومقترنين إما مقترنين به من قولك قرنته به فاقترن به وإما من اقترنوا بمعنى تقارنوا لما وصف نفسه بالملك والعزة ووازن بينه وبين موسى عليه السلام فوصفه بالضعف وقلة الأعضاد اعترض فقال هلا إن كان صادقا ملكه ربه وسوده وسوره وجعل الملائكة أعضاده

وانصاره وقرئ اساور جمع اسورة واساوير جمع اسوار وهو السوار واساورة على تعويض التاء
من ياء اساوير وقرئ القي عليه اسورة واساور على البناء للفاعل وهو الله سبحانه وتعالى فاستخف
قومه فاطاعوه انهم كانوا قوما فاسقين فاستخف قومه فاستفزهم وحقيقته حملهم على ان يخفوا
له ولما اراد منهم وكذلك استفزه من قولهم للخفيف فز فلما آسفونا انتقمنا منهم فاغرقناهم اجمعين
آسفونا منقول من اسف اسفا اذا اشتد غضبه ومنه الحديث في موت الفجاة رحمة للمؤمن واخذة اسف
للكافر ومعناه انهم افرطوا في المعاصي وعدوا طورهم فاستوجبوا ان نعجل لهم عذابنا وانتقامنا
وان لا نحلم عنهم فجعلناهم سلفا ومثلا للآخرين وقرئ سلفا جمع سالف كخادم وخدم وسلفا
بضمتين جمع سليف اي فريق قد سلف وسلفا جمع سلفة اي ثلة قد سلفت ومعناه فجعلناهم قدوة
للآخرين من الكفار يقتدون بهم في استحقاق مثل عقابهم ونزوله بهم لاتيانهم بمثل افعالهم وحديثا
عجيب الشان سائرا مسير المثل يحدثون به ويقال لهم مثلكم مثل قوم فرعون ولما ضرب ابن مريم
مثلا اذا قومك منه يصدون لما قرا رسول الله صلى الله عليه وسلم على قريش انكم وما تعبدون
من دون الله حصب جهنم امتعضوا من ذلك امتعاضا شديدا فقال عبد الله ابن الزبعرى يا محمد
اخاصة لنا ولآلهتنا ام لجميع الامم فقال صلى الله عليه وسلم هو لكم ولآلهتكم ولجميع الامم فقال
خصمتك ورب الكعبة الست تزعم ان عيسى بن مريم نبي وتثني عليه خيرا وعلى امه وقد علمت ان
النصارى يعبدونه وامه وعزير يعبد والملائكة يعبدون فان كان هؤلاء في النار فقد رضينا ان
نكون نحن وآلهتنا معهم ففرحوا وضحكوا وسكت النبي صلى الله عليه وسلم فانزل الله تعالى ان الذين
سبقت لهم منا الحسنى ونزلت هذه الآية والمعنى ولما ضرب عبد الله ابن الزبعرى عيسى بن مريم
مثلا وجادل رسول الله عليه السلام بعبادة النصارى اياه اذا قومك قريش منه من هذا المثل
يصدون يرتفع لهم جلبة وضجيج فرحا وجذلا وضحكا بما سمعوا منه من اسكات رسول الله صلى الله عليه
وسلم بجدله كما يرتفع لغط القوم ولجبهم اذا تعيوا بحجة ثم فتحت عليهم واما من قرا يصدون بالضم
فمن الصدود اي من اجل هذا المثل يصدون عن الحق ويعرضون عنه وقيل من الصديد وهو
الجلبة وانهما لغتان نحو يعكف ويعكف ونظائرهما وقالوا ءآلهتنا خير ام هو ما ضربوه لك الا
جدلا بل هم قوم خصمون ان هو الا عبد انعمنا عليه وجعلناه مثلا لبني اسرائيل ولو نشاء
لجعلنا منكم ملائكة في الارض يخلفون وقالوا ءآلهتنا خير ام هو يعنون ان آلهتنا عندك ليست
بخير من عيسى واذا كان عيسى من حصب النار كان امر آلهتنا هينا ما ضربوه اي ما ضربوا هذا المثل لك
الا جدلا الا لاجل الجدل والغلبة في القول لا لطلب المميز بين الحق والباطل بل هم قوم خصمون
لد شداد الخصومة دابهم اللجاج كقوله تعالى قوما لدا وذلك ان قوله تعالى انكم وما تعبدون
ما اريد به الا الاصنام وكذلك قوله عليه السلام هو لكم ولآلهتكم ولجميع الامم انما قصد به الاصنام
ومحال ان يقصد به الانبياء والملائكة الا ان ابن الزبعرى بخبثه وخداعه وخبث دخلته لما راى كلام
الله ورسوله محتملا لفظه وجه العموم مع علمه بان المراد به اصنامهم لا غير وجد للحيلة مساغا فصرف
معناه الى الشمول والاحاطة بكل معبود غير الله على طريقة المحك والجدال وحب المغالبة والمكابرة
وتوقح في ذلك فتوقر رسول الله عليه السلام حتى اجاب عنه ربه ان الذين سبقت لهم منا الحسنى فدل
به على ان الآية خاصة في الاصنام على ان ظاهرها قوله تعالى وما تعبدون لغير العقلاء وقيل لما سمعوا

موت الفجاة رحمة للمؤمن وغضبة للكافر

قوله

قوله تعالى ان مثل عيسى عند الله كمثل آدم قالوا نحن اهدى من النصارى لانهم عبدوا آدميا ونحن نعبد الملائكة
فنزلت وقوله ءآلهتنا خير ام هو على هذا القول تفضيل لآلهتهم على عيسى لان المراد بهم الملائكة وما ضربوه لك
الا جدلا معناه وما قالوا هذا القول يعني ءآلهتنا خير ام هو الا للجدال وقرئ آلهتنا خير باثبات
همزة الاستفهام وباسقاطها لدلالة ام العديلة عليها وفي حرف ابن مسعود رضي الله عنه خير ام هذا
ويجوز ان يكون جدلا حالا اي جدلين وقيل لما نزلت ان مثل عيسى عند الله قالوا ما يريد محمد بهذا الا ان
نعبده وانه يستاهل ان يعبد وان كان بشرا كما عبدت النصارى المسيح وهو بشر ومعنى يصدون يضجون
ويضجرون والضمير في ام هو لمحمد صلى الله عليه وسلم وغرضهم بالموازنة بينه وبين آلهتهم السخرية والا ستهزاء
ويجوز ان يقولوا لما انكر عليهم قولهم الملائكة بنات الله وعبدوهم ما قلنا بدعا من القول ولا فعلنا
نكرا من الفعل فان النصارى جعلوا المسيح ابن الله وعبدوه ونحن اشف منهم قولا وفعلا فانا نسبنا
اليه الملائكة وهم نسبوا اليه الاناسي فقيل لهم مذهب النصارى شرك بالله ومذهبكم شرك مثله
وما تنصلكم مما انتم عليه بما اوردتموه الا قياس باطل بباطل وما عيسى الا عبد كسائر العبيد انعمنا عليه
حيث جعلناه آية بان خلقناه من غير سبب كما خلقنا آدم وشرفناه بالنبوة وصيرناه عبرة عجيبة كالمثل
السائر لبني اسرائيل ولو نشاء لقدرتنا على عجائب الامور وبدائع الفطر لجعلنا منكم لولدنا منكم يا رجال
ملائكة يخلفونكم في الارض كما يخلفكم اولادكم كما ولدنا عيسى من انثى من غير فحل لتعرفوا تميزنا بالقدرة
الباهرة ولتعلموا ان الملائكة اجسام لا تتولد الا من اجسام وذات القديم متعالية عن ذلك وانه
لعلم للساعة فلا تمترن بها واتبعون هذا صراط مستقيم ولا يصدنكم الشيطان انه
لكم عدو مبين وانه وان عيسى عليه السلام لعلم للساعة اي شرط من اشراطها تعلم به فسمي الشرط
علما لحصول العلم به وقرا ابن عباس رضي الله عنهما لعلم وهو العلامة وقرئ للعلم وقرا ابي رضي
الله عنه لذكر على تسمية ما يذكر به ذكرا كما سمي ما يعلم به علما وفي الحديث ان عيسى عليه السلام ينزل على ثنية
بالارض المقدسة يقال لها افيق وعليه ممصرتان وشعر راسه دهين وبيده حربة وبها يقتل الدجال
فياتي بيت المقدس والناس في صلوة الصبح والامام يؤم بهم فيتاخر الامام فيقدمه عيسى عليه السلام
ويصلي خلفه على شريعة محمد صلى الله عليه وسلم ثم يقتل الخنازير ويكسر الصليب ويخرب البيع والكنائس
ويقتل النصارى الا من آمن به وعن الحسن رحمة الله عليه ان الضمير للقرآن وان القرآن به تعلم
الساعة لان فيه الاعلام فلا تمترن بها من المرية وهي الشك واتبعون واتبعوا هداي وشرعي او
رسولي وقيل هذا امر لرسول الله عليه السلام ان يقوله هذا صراط مستقيم اي هذا الذي ادعوكم
اليه او هذا القرآن ان جعل الضمير في وانه للقرآن عدو مبين قد ابانت عداوته لكم اذ اخرج
اباكم من الجنة ونزع عنه لباس النور ولما جاء عيسى بالبينات قال قد جئتكم بالحكمة ولابين لكم
بعض الذي تختلفون فيه فاتقوا الله واطيعون ان الله هو ربي وربكم فاعبدوه هذا صراط ط
مستقيم بالبينات بالمعجزات او بآيات الانجيل والشرائع البينات الواضحات بالحكمة يعني الانجيل
والشرائع فان قلت هلا بين لهم كل الذي يختلفون فيه ولكن بعضه قلت كانوا يختلفون
في الديانات وما يتعلق بالتكليف وفيما سوى ذلك مما لم يتعبدوا بمعرفته والسؤال عنه وانما بعث ليبين لهم
ما اختلفوا فيه مما يعنيهم من امر دينهم فاختلف الاحزاب من بينهم فويل للذين ظلموا من عذاب يوم
اليم الاحزاب الفرق المتحزبة بعد عيسى عليه السلام وقيل اليهود والنصارى فويل للذين ظلموا

وعيد للاحزاب فان قلت من بينهم الى من يرجع الضمير فيه قلت الى الذين خاطبهم عيسى عليه السلام
فى قوله قد جئتكم بالحكمة وهم قومه المبعوث اليهم هل ينظرون الا الساعة ان تاتيهم بغتة وهم
لا يشعرون ان تاتيهم بدل من الساعة والمعنى هل ينظرون الا اتيان الساعة فان قلت ما ادى
قوله بغتة مؤدى قوله تعالى وهم لا يشعرون فيستغنى عنه قلت لا لان معنى قوله تعالى وهم لا
يشعرون وهم غافلون لاشتغالهم بامور دنياهم كقوله تعالى تاخذهم وهم يخصمون ويجوز ان
تاتيهم بغتة وهم فطنون الاخلاء يومئذ بعضهم لبعض عدو الا المتقين يا عبادى لا خوف عليكم
اليوم ولا انتم تحزنون يومئذ منصوب بعدو اى ينقطع فى ذلك اليوم كل خلة بين المتخالين فى
غير ذات الله وتنقلب عداوة ومقتا الا خلة المتصادقين فى الله فانها الخلة الباقية المزدادة قوة
اذا راوا ثواب التحاب فى الله والتباغض فى الله وقيل الا المتقين الا المجتنبين اخلاء السوء وقيل
نزلت فى ابى بن خلف وعقبة بن ابى معيط يا عبادى حكاية لما ينادى به المتقون المتحابون فى الله الذين
امنوا باياتنا وكانوا مسلمين والذين امنوا منصوب المحل صفة لعبادى لانه منادى مضاف
اى الذين صدقوا باياتنا وكانوا مسلمين مخلصين وجوههم لنا جاعلين انفسهم سالمة لطاعتنا
وقيل اذا بعث الله الناس فزع كل احد فينادى مناد يا عبادى فيرجوها الناس كلهم ثم يتبعها الذين
امنوا فييأس الناس غير المسلمين ادخلوا الجنة انتم وازواجكم تحبرون تحبرون تسرون سرورا
يظهر حباره اى اثره على وجوهكم كقوله تعالى تعرف فى وجوههم نضرة النعيم وقال الزجاج
تكرمون اكراما يبالغ فيه والحبرة المبالغة فيما وصف بجميل يطاف عليهم بصحاف من ذهب
واكواب وفيها ما تشتهى الانفس وتلذ الاعين وانتم فيها خالدون والكوب الكوز لا عروة
له وفيها الضمير للجنة وقرئ تشتهى وتشتهيه وهذا حصر لانواع النعم لانها اما مشتهاة
فى القلوب واما مستلذة فى العيون وتلك الجنة التى اورثتموها بما كنتم تعملون وتلك اشارة
الى الجنة المذكورة وهى مبتدا والجنة خبر والتى اورثتموها صفة الجنة او الجنة صفة للمبتدا الذى
هو اسم الاشارة والتى اورثتموها خبر المبتدا او التى اورثتموها صفة وبما كنتم تعملون الخبر والباء
يتعلق بمحذوف كما فى الظروف التى تقع اخبارا وفى الوجه الاول يتعلق باورثتموها وشبهت فى بقائها
على اهلها بالميراث الباقى على الورثة وقرئ ورثتموها لكم فيها فاكهة كثيرة منها تاكلون
منها تاكلون من للتبعيض اى لا تاكلون الا بعضها واعقابها باقية فى شجرها فهى مزينة بالثمار ابدا
موقرة بها لا ترى شجرة عريانة من ثمرها كما فى الدنيا وعن النبى صلى الله عليه وسلم لا ينزع رجل فى الجنة
من ثمرها الا نبت مكانها مثلاها ان المجرمين فى عذاب جهنم خالدون لا يفتر عنهم وهم فيه
مبلسون وما ظلمناهم ولكن كانوا هم الظالمين لا يفتر عنهم لا يخفف عنهم ولا ينقص من قولهم
فترت عنه الحمى اذا سكنت عنه قليلا ونقص حرها والمبلس اليائس الساكت سكوت يأس من فرج
وعن الضحاك يجعل المجرم فى تابوت من نار ثم يردم عليه فيبقى فيه خالدا لا يرى ولا يرى هم فصل عند
البصريين عماد عند الكوفيين وقرئ وهم فيها اى فى النار ونادوا يا مالك ليقض علينا
ربك قال انكم ماكثون وقرأ على وابن مسعود رضى الله عنهما يا مال بحذف الكاف للترخيم
كقول القائل والحق يا مال غير ما تصف وقيل لابن عباس ان ابن مسعود قرأ ونادوا يا مال فقال
ما اشغل اهل النار عن الترخيم وعن بعضهم حسن الترخيم انهم يقتطعون بعض الاسم لضعفهم وعظم

ماهم

ماهم فيه وقرأ ابو السرار الغنوى يا مال بالرفع كما يقال يا حار ليقض علينا من قضى عليه اذا اماته
فوكزه موسى فقضى عليه والمعنى سل ربك ان يقضى علينا فان قلت كيف قال ونادوا يا
مالك بعد ما وصفهم بالابلاس تلك ازمنة متطاولة واحقاب ممتدة فتختلف بهم الاحوال
فيسكتون اوقاتا لغلبة الياس عليهم وعلمهم انه لا فرج ويغوثون اوقاتا لشدة ما بهم ماكثون
لابثون وفيه استهزاء والمراد خالدون عن ابن عباس رضى الله عنهما انما يجيبهم بعد الف سنة
وعن النبى صلى الله عليه وسلم يلقى على اهل النار الجوع حتى يعدل ما هم فيه من العذاب فيقولون ادعوا
مالكا فيدعون يا مالك ليقض علينا ربك لقد جئناكم بالحق ولكن اكثركم للحق كارهون لقد
جئناكم بالحق كلام الله عز وجل بدليل قراءة من قرأ لقد جئتكم ويجب ان يكون فى قال ضمير الله
عز وجل لما سألوا مالكا ان يسأل الله القضاء عليهم اجابهم الله بذلك كارهون لا تقبلونه وتنفرون
منه وتشمئزون منه لان مع الباطل الدعة ومع الحق التعب ام ابرموا امرا فانا مبرمون ام
ابرم مشركو مكة امرا من كيدهم ومكرهم برسول الله عليه السلام فانا مبرمون كيدنا كما ابرموا
كيدهم كقوله تعالى ام يريدون كيدا فالذين كفروا هم المكيدون وكانوا يتنادون فيتناجون
فى امر رسول الله عليه السلام ام يحسبون انا لا نسمع سرهم ونجويهم بلى ورسلنا لديهم يكتبون
فان قلت ما المراد بالسر والنجوى قلت السر ما حدث به الرجل نفسه او غيره فى مكان
خال والنجوى ما تكلموا به فيما بينهم بلى نسمعهما ونطلع عليهما ورسلنا يريد الحفظة عندهم يكتبون
ذلك وعن يحيى بن معاذ الرازى رحمة الله عليه من ستر من الناس ذنوبه وابداها للذى لا يخفى
عليه شئ فى السموات فقد جعله اهون الناظرين اليه وهو من علامات النفاق قل ان كان للرحمن
ولد فانا اول العابدين ان كان للرحمن ولد وصح ذلك وثبت ببرهان صحيح توردونه وحجة واضحة
تدلون بها فانا اول من يعظم ذلك الولد واسبقكم الى طاعته والانقياد له كما يعظم الرجل ولد
الملك لتعظيم ابيه وهذا كلام وارد على سبيل الفرض والتمثيل لغرض وهو المبالغة فى نفى الولد
والاطناب فيه وان لا يترك الناطق به شبهة الا مضمحلة مع الترجمة عن نفسه بثبات القدم فى باب
التوحيد وذلك انه علق العبادة بكينونة الولد وهى محال فى نفسها فكان المعلق بها محالا مثلها
فهو فى صورة اثبات الكينونة والعبادة وفى معنى نفيهما على ابلغ الوجوه واقواها ونظيره ان
يقول العدلى للمجبر ان كان الله خالقا للكفر فى القلوب ومعذبا عليه عذابا سرمدا فانا اول من
يقول هو شيطان وليس باله فمعنى هذا الكلام وما وضع له اسلوبه ونظمه نفى ان يكون الله خالقا
للكفر وتنزيهه عن ذلك وتقديسه ولكن على طريق المبالغة فيه من الوجه الذى ذكرنا مع الدلالة
على سماجة المذهب وضلالة الذاهب اليه والشهادة القاطعة باحالته والافصاح عن نفسه بالبراءة
منه وغاية النفار والاشمئزاز من ارتكابه ونحو هذه الطريقة قول سعيد بن جبير رضى الله عنه
للحجاج حين قال له اما والله لابدلنك بالدنيا نارا تلظى لو عرفت ان ذلك اليك ما عبدت الها
غيرك وقد تمحل الناس بما اخرجوه به من هذا الاسلوب الشريف الملئ بالنكت والفوائد المستقل
باثبات التوحيد على ابلغ وجوهه فقيل ان كان للرحمن ولد فى زعمكم فانا اول العابدين الموحدين
لله المكذبين قولكم باضافة الولد اليه وقيل ان كان للرحمن ولد فى زعمكم فانا اول الآنفين
من ان يكون له ولد من عبد يعبد اذا اشتد انفه فهو عبد وعابد وقرأ بعضهم العبدين وقيل هى

ان الشافية اى ما كان للرحمن ولد فانا اول من قال بذلك وعبد ووحد ۞ وروى ان النضر بن عبد الدار بن قصى
قال ان الملائكة بنات الله فنزلت فقال النضر الا ترون انه قد صدقنى فقال له الوليد بن المغيرة ما
صدقك ولكن قال ما كان للرحمن ولد فانا اول الموحدين من اهل مكة ان لا ولد له ۞ وقرئ ولد بضم
الواو سبحان رب السموات والارض رب العرش عما يصفون ۞ فذرهم يخوضوا ويلعبوا
حتى يلاقوا يومهم الذى يوعدون ۞ نزه ذاته موصوفة بربوبية السموات والارض والعرش
عن اتخاذ الولد ليدل على انه من صفة الاجسام ولو كان جسما لم يقدر على خلق هذا العالم وتدبير امره
فذرهم يخوضوا فى باطلهم ويلعبوا فى دنياهم حتى يلاقوا يومهم وهذا دليل على ان ما يقولونه من باب
الجهل والخوض واللعب واعلام لرسول الله صلى الله عليه وسلم انهم من المطبوع على قلوبهم الذين لا يرجون
البتة وان ركب فى دعوتهم كل صعب وذلول وخذلان وخيبة ۞ كقوله عز وجل اعملوا ما شئتم وايعاد
بالشقاء فى العاقبة وهو الذى فى السماء اله وفى الارض اله وهو الحكيم العليم ۞ ضمن اسمه تعالى
معنى وصف فلذلك علق به الظرف فى قوله فى السماء وفى الارض كما تقول هو حاتم فى طى حاتم فى تغلب على تضمين
معنى الجواد الذى شهر به كانك قلت هو جواد فى طى جواد فى تغلب وقرئ وهو الذى فى السماء الله
وفى الارض الله ۞ ومثله قوله عز وعلا وهو الله فى السموات وفى الارض كانه ضمن معنى المعبود او المالك
او نحو ذلك والراجع الى الموصول محذوف لطول الكلام كقولهم ما انا بالذى قائل لك شيئا وزاده
طولا ان المعطوف داخل فى حيز الصلة ۞ ويحتمل ان يكون فى السماء صلة الذى واله خبر مبتدأ محذوف
على ان الجملة بيان للصلة وان كونه فى السماء على سبيل الالهية والربوبية لا على معنى الاستقرار وفيه
نفى الآلهة التى كانت تعبد فى الارض ۞ وتبارك الذى له ملك السموات والارض وما بينهما
وعنده علم الساعة واليه ترجعون ۞ ترجعون قرئ بضم التاء وفتحها ۞ ويرجعون بياء مضمومة
وقرئ تحشرون بالتاء ولا يملك الذين يدعون من دونه الشفاعة الا من شهد بالحق وهم
يعلمون ۞ ولا يملك آلهتهم الذين يدعون من دون الله الشفاعة كما زعموا انهم شفعاؤهم عند الله
ولكن من شهد بالحق وهو توحيد الله وهو يعلم ما يشهد به عن بصيرة وايقان واخلاص هو الذى
يملك الشفاعة وهو استثناء منقطع ۞ ويجوز ان يكون متصلا لان فى جملة الذين يدعون من دون
الله الملائكة وقرئ تدعون بالتاء وتدعون بالتاء وتشديد الدال ولئن سألتهم من خلقهم
ليقولن الله فانى يؤفكون ۞ وقيله يا رب ان هؤلاء قوم لا يؤمنون ۞ فاصفح عنهم وقل سلام
فسوف يعلمون ۞ وقيله قرئ بالحركات الثلاث ۞ وذكر فى النصب عن الاخفش انه حمله على ام يحسبون
انا لا نسمع سرهم ونجواهم وقيله ۞ وعنه وقال قيله ۞ وعطفه الزجاج على محل الساعة كما تقول عجبت
من ضرب زيد وعمرا ۞ وحمل الجر على لفظ الساعة ۞ والرفع على الابتداء والخبر ما بعده ۞ وجوز عطفه
على علم الساعة على تقدير حذف المضاف معناه وعنده علم الساعة وعلم قيله والذى قالوه ليس بقوى
فى المعنى مع وقوع الفصل بين المعطوف والمعطوف عليه بما لا يحسن اعتراضا ومع تنافر النظم
واقوى من ذلك واوجه ان يكون الجر والنصب على اضمار حرف القسم وحذفه والرفع على قولهم ايمن
الله ويمين الله ولعمرك ويكون قوله تعالى ان هؤلاء قوم لا يؤمنون جواب القسم كانه قيل
واقسم بقيله يا رب او وقيله يا رب قسمى ان هؤلاء قوم لا يؤمنون ۞ فاصفح عنهم فاعرض عن دعوتهم
يائسا عن ايمانهم وودعهم وتاركهم ۞ وقل لهم سلام اى تسلم منكم ومتاركة ۞ فسوف يعلمون وعيد

من الله لهم وتسلية لرسوله ۞ والضمير فى وقيله لرسول الله واقسام الله بقيله رفع منه وتعظيم لدعائه
والتجائه اليه عن النبى عليه السلام من قرا سورة الزخرف كان ممن يقال له يوم القيامة يا عبادى
لا خوف عليكم اليوم ولا انتم تحزنون ادخلوا الجنة بغير حساب ۞ والله اعلم بالصواب ۞

الا قوله انا كاشفوا العذاب قليلا الآية وهى سبع وخمسون آية ۞ وقيل تسع وخمسون آية ۞
بسم الله الرحمن الرحيم ۞ حم والكتاب المبين ۞ انا انزلناه فى ليلة مباركة انا كنا منذرين
فيها يفرق كل امر حكيم ۞ الواو فى والكتاب واو القسم ان جعلت حم تعديدا للحروف او اسما للسورة
مرفوعا على خبر الابتداء المحذوف ۞ وواو العطف ان كانت حم مقسما بها ۞ وقوله تعالى انا انزلناه جواب
القسم ۞ والكتاب المبين القرآن والليلة المباركة ليلة القدر ۞ وقيل ليلة النصف من شعبان ولها
اربعة اسماء الليلة المباركة ۞ وليلة البراءة ۞ وليلة الصك ۞ وليلة الرحمة ۞ وقيل بينها وبين
ليلة القدر اربعون ليلة ۞ وقيل فى تسميتها ليلة البراءة والصك ان البندار اذا استوفى الخراج من
اهله كتب لهم البراءة كذلك الله عز وجل يكتب لعباده المؤمنين البراءة فى هذه الليلة ۞ وقيل هى
مختصة بخمس خصال تفريق كل امر حكيم ۞ وفضيلة العبادة فيها ۞ قال رسول الله صلى الله عليه وسلم من
صلى فى هذه الليلة مائة ركعة ارسل الله تعالى اليه مائة ملك يبشرونه بالجنة ۞ وثلاثون يؤمنونه من
عذاب النار ۞ وثلاثون يدفعون عنه آفات الدنيا ۞ وعشرة يدفعون عنه مكايد الشيطان ۞ ونزول
الرحمة قال صلى الله عليه وسلم ان الله يرحم امتى فى هذه الليلة بعدد شعر اغنام بنى كلب ۞ وحصول
المغفرة قال رسول الله عليه السلام ان الله يغفر لجميع المسلمين فى تلك الليلة الا لكاهن او ساحر او مشاحن
او مدمن خمر ۞ او عاق للوالدين ۞ او مصر على الزنا ۞ وما اعطى فيها رسول الله عليه السلام من تمام الشفاعة
وذلك انه سأل ليلة الثالث عشر من شعبان فى امته فاعطى الثلث منها ۞ ثم سأل ليلة الرابع عشر فاعطى
الثلثين ۞ ثم سأل ليلة الخامس عشر فاعطى الجميع الا من شرد على الله شراد البعير ۞ ومن عادة الله فى هذه
الليلة ان يزيد فيها ماء زمزم زيادة ظاهرة ۞ والقول الاكثر ان المراد بالليلة المباركة ليلة
القدر لقوله تعالى انا انزلناه فى ليلة القدر ۞ ولمطابقة قوله فيها يفرق كل امر حكيم لقوله تنزل
الملائكة والروح فيها باذن ربهم من كل امر ۞ وقوله شهر رمضان الذى انزل فيه القرآن ۞ وليلة
القدر فى اكثر الاقاويل فى شهر رمضان فان قلت ما معنى انزال القرآن فى هذه الليلة قلت
قالوا انزل جملة واحدة من السماء السابعة الى السماء الدنيا وامر السفرة الكرام بانتساخه فى ليلة
القدر وكان جبريل عليه السلام ينزله على رسول الله عليه السلام نجوما نجوما فان قلت انا كنا
منذرين فيها يفرق كل امر حكيم ما موقع هاتين الجملتين هما جملتان مستأنفتان ملفوفتان
فسر بهما جواب القسم الذى هو قوله انا انزلناه فى ليلة مباركة كانه قيل انزلناه لان من شأننا الانذار
والتحذير من العقاب وكان انزالنا اياه فى هذه الليلة خصوصا لان انزال القرآن من الامور الحكيمة وهذه
الليلة يفرق كل امر حكيم ۞ والمباركة الكثيرة الخير لما ينتج الله فيها من الامور التى يتعلق بها منافع العباد
فى دينهم ودنياهم ولو لم يوجد فيها الا انزال القرآن وحده لكفى بها بركة ۞ ومعنى يفرق يفصل ويكتب
كل امر حكيم من ارزاق العباد وآجالهم وجميع امرهم منها الى الاخرى القابلة ۞ وقيل يبدأ فى استنساخ

قوله ان البندار هو الذى بيده القانون وهو الخراج فارسى معرب [illegible]

ذلك من اللوح المحفوظ في ليلة البراءة ويقع الفراغ في ليلة القدر فتدفع نسخة الارزاق الى ميكائيل ونسخة
الحروب الى جبرئيل عليهما السلام وكذلك الصواعق والزلازل والخسف ونسخة الاعمال الى اسماعيل
صاحب سماء الدنيا وهو ملك عظيم ونسخة المصائب الى ملك الموت وعن بعضهم يعطى كل عامل بركات
اعماله فيلقى على السنة الخلق مدحه وعلى قلوبهم هيبته **وقرئ** يفرّق بالتشديد ويَفرُق كلَّ
على بنائه للفاعل ونصب كل والفارق الله عز وجل وقرأ زيد بن علي رضي الله عنهما نفرق بالنون
كل امر حكيم كل شأن ذي حكمة اي مفعول على ما تقتضيه الحكمة وهو من الاسناد المجازي لان الحكيم
صفة صاحب الامر على الحقيقة ووصف الامر به مجاز **أمرا من عندنا انا كنا مرسلين رحمة من ربك**
انه هو السميع العليم رب السموات والارض وما بينهما ان كنتم موقنين لا اله الا هو
يحيي ويميت ربكم ورب آبائكم الاولين بل هم في شك يلعبون امرا من عندنا نصب على الاختصاص
جعل كل امر جزلا فخما بان وصفه بالحكيم ثم زاده جزالة وكسبه فخامة بان قال اعني بهذا الامر امرا
حاصلا من عندنا كائنا من لدنا وكما اقتضاه علمنا وتدبيرنا ويجوز ان يراد به الامر الذي هو ضد النهي
ثم اما ان يوضع موضع فرقانا الذي هو مصدر يفرق لان معنى الامر والفرقان واحد من حيث انه اذا حكم
بالشيء وكتبه فقد امر به واوجبه او يكون حالا من احد الضميرين في انزلناه اما من ضمير الفاعل اي انزلناه
آمرين امرا او من ضمير المفعول اي انزلناه في حال كونه امرا من عندنا بما يجب ان يفعل **فان قلت**
انا كنا مرسلين رحمة من ربك بم يتعلق **قلت** يجوز ان يكون بدلا من قوله تعالى انا كنا منذرين
ورحمة من ربك مفعولا له على معنى انا انزلنا القرآن لان من شأننا ارسال الرسل بالكتب الى عبادنا
لاجل الرحمة عليهم وان يكون تعليلا ليفرق او لقوله امرا من عندنا ورحمة مفعولا به وقد وصف
الرحمة بالارسال كما وصفها به في قوله تعالى وما يمسك فلا مرسل له من بعده اي يفصّل في هذه الليلة
كل امر او تصدر الاوامر من عندنا لان من عادتنا ان نرسل رحمتنا وفصل كل امر من قسمة الارزاق
وغيرها من باب الرحمة وكذلك الاوامر الصادرة من جهته عز وعلا لان الغرض في تكليف العباد
تعريضهم للمنافع والاصل انا كنا مرسلين رحمة منا فوضع الظاهر موضع الضمير ايذانا بان الربوبية
تقتضي الرحمة على المربوبين وفي قراءة زيد بن علي رضي الله عنهما امر من عندنا على هو امر وهي تنصر
انتصابه على الاختصاص وقرأ الحسن رحمة الله عليه رحمة من ربك على تلك رحمة من ربك وهي تنصر
انتصابها بانها مفعول له انه هو السميع العليم وما بعده تحقيق لربوبيته وانها لا تحق الا لمن
هذه اوصافه وقرئ رب السموات ربكم ورب آبائكم بالجر بدلا من ربك **فان قلت** ما معنى الشرط
الذي هو قوله ان كنتم موقنين **قلت** كانوا يقرون بان للسموات والارض ربا وخالقا فقيل لهم ان
ارسال الرسل وانزال الكتب رحمة من ربك ثم قيل ان هذا الرب هو السميع العليم الذي انتم مقرون
به ومعترفون بانه رب السموات والارض وما بينهما ان كان اقراركم عن علم وايقان كما تقول هذا
انعام زيد الذي تسامع الناس بكرمه واشتهروا سخاوة ان بلغك حديثه وحدثت بقصته ثم رد ان شتهر سخاوته
يكونوا موقنين بقوله بل هم في شك يلعبون وان اقرارهم غير صادر عن علم وتيقن ولا عن جد
وحقيقة بل قول مخلوط بهزؤ ولعب **فارتقب يوم تأتي السماء بدخان مبين** يوم تأتي السماء
مفعول به مرتقب يقال رقبته وارتقبته نحو نظرته وانتظرته واختلف في الدخان فعن علي بن ابي
طالب رضي الله عنه وبه اخذ الحسن انه دخان يأتي من السماء قبل يوم القيامة يدخل في اسماع الكفرة

حتى

حتى يكون رأس الواحد كالرأس الحنيذ ويعتري المؤمن منه كهيئة الزكام وتكون الارض كلها كبيت اوقد فيه ليس
فيه خصاص وعن رسول الله صلى الله عليه وسلم اول الآيات الدخان ونزول عيسى بن مريم ونار تخرج
من قعر عدن ابين تسوق الناس الى المحشر قال حذيفة يا رسول الله وما الدخان فتلا رسول الله صلى
الله عليه وسلم الآية وقال يملأ ما بين المشرق والمغرب يمكث اربعين يوما وليلة اما المؤمن فيصيبه
كهيئة الزكمة واما الكافر فهو كالسكران يخرج من منخريه واذنيه ودبره وعن ابن مسعود رضي الله عنه
خمس قد مضت الروم والدخان والقمر والبطشة واللزام ويروى انه قيل لابن مسعود ان قاصا
عند ابواب كندة يقول انه دخان يأتي يوم القيامة فيأخذ بانفاس الخلق فقال من علم علما فليقل به ومن
لم يعلم فليقل الله اعلم فان من علم الرجل ان يقول لشيء لا يعلمه الله اعلم ثم قال الا وسأحدثكم ان قريشا
لما استعصت على رسول الله عليه السلام دعا عليهم فقال اللهم اشدد وطأتك على مضر واجعلها عليهم
سنين كسني يوسف فاصابهم الجهد حتى اكلوا الجيف والعلهز وكان الرجل يرى بين السماء والارض الدخان
وكان يحدث الرجل فيسمع كلامه ولا يراه من الدخان فمشى اليه ابو سفيان ونفر معه وناشدوه الله
والرحم وواعدوه ان دعا لهم وكشف عنهم ان يؤمنوا فلما كشف عنهم رجعوا الى شركهم بدخان مبين
ظاهر حاله لا يشك احد في انه دخان **يغشى الناس هذا عذاب اليم ربنا اكشف عنا العذاب**
انا مؤمنون يغشى الناس يشملهم ويلبسهم وهو في محل الجر صفة لدخان وهذا عذاب الى قوله مؤمنون
منصوب المحل بفعل مضمر وهو يقولون ويقولون منصوب على الحال اي قائلين ذلك انا مؤمنون موعدة
بالايمان ان كشف عنهم العذاب **انى لهم الذكرى وقد جاءهم رسول مبين ثم تولوا عنه وقالوا**
معلم مجنون انا كاشفوا العذاب قليلا انكم عائدون انى لهم الذكرى كيف يذكرون
ويتعظون ويفون بما وعدوه من الايمان عند كشف العذاب وقد جاءهم ما هو اعظم وادخل في
وجوب الادكار من كشف الدخان وهو ما ظهر على رسول الله عليه السلام من الآيات والبينات من
الكتاب المعجز وغيره من المعجزات فلم يذكروا وتولوا عنه وبهتوه بان عداسا غلاما اعجميا لبعض
ثقيف هو الذي علمه ونسبوه الى الجنون ثم قال انا كاشفوا العذاب قليلا انكم عائدون اي ريثما
نكشف عنكم العذاب تعودون الى شرككم لا تلبثون غب الكشف على ما انتم عليه من التضرع
والابتهال **فان قلت** كيف يستقيم على قول من جعل الدخان قبل يوم القيامة قوله انا كاشفوا
العذاب قليلا **قلت** اذا اتت السماء بالدخان تضور المعذبون به من الكفار والمنافقين وغوثوا
وقالوا ربنا اكشف عنا العذاب انا مؤمنون منيبون فيكشفه الله عنهم بعد اربعين يوما فريثما
يكشفه عنهم يرتدون لا يتمهلون **يوم نبطش البطشة الكبرى انا منتقمون** ثم قال يوم نبطش
البطشة الكبرى يريد يوم القيامة كقوله تعالى فاذا جاءت الطامة الكبرى انا منتقمون اي ننتقم
منهم في ذلك اليوم **فان قلت** بم انتصب يوم نبطش بما دل عليه انا منتقمون وهو ننتقم
ولا يصح ان ينتصب بمنتقمون لان ان تحجب عن ذلك وقرئ نبطش بضم الطاء وقرأ الحسن نُبطش بضم
النون كانه تعالى يحمل الملائكة على ان يبطشوا بهم البطشة الكبرى او يجعل البطشة الكبرى باطشة
بهم وقيل البطشة الكبرى يوم بدر **ولقد فتنا قبلهم قوم فرعون وجاءهم رسول كريم ان ادوا**
الي عباد الله اني لكم رسول امين **وقرئ** ولقد فتّنا بالتشديد للتأكيد او لوقوعه على القوم
ومعنى الفتنة انه امهلهم ووسع عليهم في الرزق فكان ذلك سببا في ارتكابهم المعاصي واقترافهم الآثام او

ابتلاهم بارسال موسى ليؤمنوا فاختاروا الكفر على الايمان او سلبهم ملكهم واغرقهم • كريم على الله وعلى عباده المؤمنين • او كريم في نفسه لان الله لم يبعث نبيا الا من سراة قومه وكرامهم • ان ادوا الي هي ان المفسرة لان مجيء الرسول من بعث اليهم متضمن لمعنى القول لانه لا يجيئهم الا مبشرا ونذيرا وداعيا الى الله او المخففة من الثقيلة ومعناه وجاءهم بان الشان والحديث ادوا الي وعباد الله مفعول به وهم بنو اسرائيل يقول ادوهم الي وارسلوهم معي كقوله تعالى ارسل معنا بني اسرائيل ولا تعذبهم ويجوز ان يكون نداء لهم على ادوا الي يا عباد الله ما هو واجب لي عليكم من الايمان لي وقبول دعوتي واتباع سبيلي وعلل ذلك بانه رسول امين غير ظنين قد ائتمنه الله على وحيه ورسالته **وان لا تعلوا على الله اني آتيكم بسلطان مبين • واني عذت بربي وربكم ان ترجمون • وان لم تؤمنوا لي فاعتزلون • فدعا ربه ان هؤلاء قوم مجرمون** • وان لا تعلوا ان هذه مثل الاولى في وجهيها اي لا تستكبروا على الله بالاستهانة برسوله ووحيه • او لا تستكبروا على نبي الله • بسلطان مبين بحجة واضحة • ان ترجمون ان تقتلون **وقرئ** عدت بالادغام ومعناه انه عائذ بربه متكل على انه يعصمه منهم ومن كيدهم فهو غير مبال بما كانوا يتوعدونه به من الرجم والقتل • فاعتزلون يريد ان لم تؤمنوا لي فلا موالاة بيني وبين من لا يؤمن فتنحوا عني واقطعوا اسباب الوصلة عني او فخلوني كفافا لا لي ولا علي ولا تتعرضوا الي بشركم واذاكم فليس جزاء من دعاكم الى ما فيه فلاحكم ذلك • ان هؤلاء بان هؤلاء اي تعاربه بذلك • قيل كان دعاؤه اللهم عجل لهم ما يستحقونه باجرامهم • وقيل هو قوله ربنا لا تجعلنا فتنة للقوم الظالمين • وانما ذكر الله تعالى السبب الذي استوجبوا به الهلاك وهو كونهم مجرمين • **وقرئ** ان هؤلاء بالكسر على اضمار القول اي فدعا ربه فقال ان هؤلاء **فاسر بعبادي ليلا انكم متبعون • واترك البحر رهوا انهم جند مغرقون • كم تركوا من جنات وعيون • وزروع ومقام كريم • ونعمة كانوا فيها فاكهين • كذلك واورثناها قوما آخرين** • فاسر قرئ بقطع الهمزة من اسرى ووصلها من سرى • وفيه وجهان اضمار القول بعد الفاء فقال اسر بعبادي • وان يكون جواب شرط محذوف كانه قيل قال ان كان الامر كما تقول فاسر بعبادي يعني فاسر ببني اسرائيل فقد دبر الله ان تتقدموا ويتبعكم فرعون وجنوده فينجي المتقدمين ويغرق التابعين • الرهو فيه وجهان • احدهما انه الساكن **قال** الاعشى • يمشين رهوا فلا الاعجاز خاذلة • ولا الصدور على الاعجاز تتكل • اي مشيا ساكنا على هينة • اراد موسى عليه السلام لما جاوز البحر ان يضربه بعصاه فينطبق كما ضربه فانفلق فامر بان يتركه ساكنا على هيئته قارا على حاله من انتصاب الماء وكون الطريق يبسا لا يضربه بعصاه ولا يغير منه شيئا ليدخله القبط فاذا حصلوا فيه اطبقه الله عليهم • والثاني ان الرهو الفجوة الواسعة وعن بعض العرب انه رأى جملا فالجا فقال سبحان الله رهو بين سنامين اي اتركه مفتوحا على حاله منفرجا انهم جند **وقرئ** بالفتح بمعنى لانهم • والمقام الكريم ما كان لهم من المجالس والمنازل الحسنة • وقيل المنابر • والنعمة بالفتح من التنعم وبالكسر من الانعام **وقرئ** فاكهين وفكهين • كذلك الكاف منصوبة على معنى مثل ذلك الاخراج اخرجناهم منها واورثناها او في موضع الرفع على الامر كذلك قوما آخرين ليسوا منهم في شيء من قرابة ولا دين ولا ولاء وهم بنو اسرائيل كانوا متسخرين مستعبدين في ايديهم فاهلكهم الله على ايديهم واورثهم ملكهم وديارهم **فما بكت عليهم السماء والارض وما كانوا منظرين** • اذا مات رجل خطير قالت العرب في تعظيم مهلكه بكت عليه السماء والارض وبكته الريح واظلمت له الشمس وفي

حديث

حديث رسول الله صلى الله عليه وسلم ما من مؤمن مات في غربة غابت فيها بواكيه الا بكت عليه السماء والارض **وقال** جرير • تبكي عليك نجوم الليل والقمرا **وقالت** الخارجية • ايا شجر الخابور مالك مورقا • كانك لم تجزع على ابن طريف • وذلك على سبيل التمثيل والتخييل مبالغة في وجوب الجزع والبكاء عليه وكذلك ما يروى عن ابن عباس رضي الله عنهما من بكاء مصلى المؤمن وآثاره في الارض ومصاعد عمله ومهابط رزقه في السماء تمثيل ونفى ذلك عنهم في قوله تعالى فما بكت عليهم السماء والارض فيه تهكم بهم وبحالهم المنافية لحال من يعظم فقده فيقال فيه بكت عليه السماء والارض • وعن الحسن رحمة الله عليه فما بكى عليهم الملائكة والمؤمنون بل كانوا بهلاكهم مسرورين يعني فما بكى عليهم اهل السماء والارض وما كانوا منظرين لما جاء وقت هلاكهم لم ينظروا الى وقت آخر ولم يمهلوا الى الآخرة بل عجل لهم في الدنيا **ولقد نجينا بني اسرائيل من العذاب المهين • من فرعون انه كان عاليا من المسرفين** • من فرعون بدل من العذاب المهين كانه في نفسه كان عذابا مهينا لافراطه في تعذيبهم واهانتهم • ويجوز ان يكون المعنى من العذاب المهين واقعا من جهة فرعون **وقرئ** من عذاب المهين ووجهه ان يكون تقدير قوله من فرعون من عذاب فرعون حتى يكون المهين هو فرعون • وفي قراءة ابن عباس رضي الله عنهما من فرعون لما وصف عذاب فرعون بالشدة والفظاعة قال من فرعون على هل تعرفونه من هو في عتوه وشيطنته ثم عرف حاله في ذلك بقوله تعالى انه كان عاليا من المسرفين اي كبيرا رفيع الطبقة من بينهم فائقا لهم بليغا في اسرافه او عاليا متكبرا كقوله تعالى ان فرعون علا في الارض ومن المسرفين خبر ثان كانه قيل انه كان متكبرا مسرفا **ولقد اخترناهم على علم على العالمين • وآتيناهم من الآيات ما فيه بلاء مبين** • الضمير في اخترناهم لبني اسرائيل وعلى علم في موضع الحال اي عالمين بمكان الخيرة وبانهم احقاء بان يختاروا • ويجوز ان يكون المعنى مع علم منا بانهم يزيغون ويفرط منهم الفرطات في بعض الاحوال • على العالمين على عالمي زمانهم • وقيل على الناس جميعا لكثرة الانبياء منهم • من الآيات من نحو فلق البحر وتظليل الغمام • وانزال المن والسلوى وغير ذلك من الآيات العظام التي لم يظهر الله في غيرهم مثلها • بلاء مبين نعمة ظاهرة لان الله تعالى يبلو بالنعمة كما يبلو بالمصيبة • او اختبار ظاهر لينظر كيف تعملون • كقوله تعالى وفي ذلكم بلاء من ربكم عظيم **ان هؤلاء ليقولون ان هي الا موتتنا الاولى وما نحن بمنشرين • فاتوا بآبائنا ان كنتم صادقين** • هؤلاء اشارة الى كفار قريش **فان قلت** كان الكلام واقعا في الحيوة الثانية لا في الموت فهلا قيل ان هي الا حيوتنا الاولى وما نحن بمنشرين كما قيل ان هي الا حيوتنا الدنيا وما نحن بمبعوثين وما معنى قوله ان هي الا موتتنا الاولى وما معنى ذكر الاولى كانهم وعدوا موتة اخرى حتى نفوها وجحدوها واثبتوا الاولى **قلت** معناه والله الموفق للصواب انه قيل لهم انكم تموتون موتة تتعقبها حيوة كما تقدمتكم موتة تعقبتها حيوة وذلك قوله عز وجل وكنتم امواتا فاحياكم ثم يميتكم ثم يحييكم فقالوا ان هي الا موتتنا الاولى يريدون ما الموتة التي من شانها ان تتعقبها حيوة الا الموتة الاولى دون الموتة الثانية وما هذه الصفة التي تصفون بها الموتة من تعقب الحيوة لها الا للموتة الاولى خاصة فلا فرق اذن بين هذا وبين قوله ان هي الا حيوتنا الدنيا في المعنى يقال انشر الله الموتى ونشرهم اذا بعثهم • فاتوا بآبائنا خطاب للذين كانوا يعدونهم النشور من رسول الله والمؤمنين اي ان صدقتم فيما تقولون فعجلوا لنا احياء من مات من آبائنا بسؤالكم ربكم ذلك حتى يكون دليلا

على ان ما تعدونه من قيام الساعة وبعث الموتى حق وقيل كانوا يطلبون اليهم ان يدعوا الله فينشر لهم
قصى بن كلاب ليشاوروه فانه كان كبيرهم ومشاورهم في النوازل ومعاظم الشؤون أهم خير
أم قوم تبع والذين من قبلهم أهلكناهم انهم كانوا مجرمين وما خلقنا السموات والارض
وما بينهما لاعبين ما خلقناهما الا بالحق ولكن اكثرهم لا يعلمون هو تبع الحميري كان مؤمنا
وقومه كافرين ولذلك ذم الله قومه ولم يذمه وهو الذي سار بالجيوش وحير الحيرة وبنى سمرقند
وقيل هدمها وكان اذا كتب قال بسم الله الذي ملك برا وبحرا وعن النبي صلى الله عليه وسلم لا تسبوا
تبعا فانه كان قد اسلم وعنه صلى الله عليه وسلم ما ادرى اكان تبع نبيا او غير نبي وعن ابن عباس رضي
الله عنهما كان نبيا وقيل نظر الى قبرين بناحية حمير قال هذا قبر رضوى وقبر حبى بنتي تبع لا تشركا
بالله شيئا وقيل هو الذي كسى البيت وقيل لملوك اليمن التبابعة لانهم يتبعون كما قيل الاقيال لانهم
يتقيلون وسمى الظل تبعا لانه يتبع الشمس **فان قلت** ما معنى قوله أهم خير ولا خير في الفريقين
معناه اهم خير في القوة والمنعة كقوله تعالى أكفاركم خير من اولئكم بعد ذكر آل فرعون
وفي تفسير ابن عباس رضي الله عنهما اهم اشد ام قوم تبع وما بينهما وما بين الجنسين وقرا عبيد بن
عمير وما بينهن ان يوم الفصل ميقاتهم اجمعين يوم لا يغني مولى عن مولى شيئا ولا هم ينصرون
الا من رحم الله انه هو العزيز الرحيم **وقرى** ميقاتهم بالنصب على انه اسم ان ويوم الفصل
خبرها اي ان ميعاد حسابهم وجزائهم في يوم الفصل لا يغني مولى اي مولى كان من قرابة او غيرها
عن مولى عن اي مولى كان شيئا من اغناء اي قليلا منه ولا هم ينصرون الضمير للموالي لانهم في المعنى
كثير لتناول اللفظ على الابهام والشياع كل مولى من رحم الله في محل الرفع على البدل من الواو في ينصرون
اي لا يمنع من العذاب الا من رحمه ويجوز ان ينتصب على الاستثناء انه هو العزيز لا ينصر منه من عصاه
الرحيم لمن اطاعه ان شجرة الزقوم طعام الاثيم كالمهل يغلي في البطون كغلي الحميم خذوه
فاعتلوه الى سواء الجحيم **فقرى** ان شجرة الزقوم بكسر الشين وفيها ثلاث لغات شجرة بفتح الشين
وكسرها وشيرة بالياء وروى انه لما نزل اذلك خير نزلا ام شجرة الزقوم قال ابن الزبعرى ان اهل
اليمن يدعون اكل الزبد والتمر التزقم فدعا ابو جهل بتمر وزبد فقال تزقموا فان هذا هو الذي
يخوفكم به محمد فنزل ان شجرة الزقوم طعام الاثيم وهو الفاجر الكثير الآثام وعن ابي الدرداء رضي
الله عنه انه كان يقرئ رجلا فكان يقول طعام اليتيم فقال قل طعام الفاجر يا هذا وبهذا يستدل
على ان ابدال كلمة مكان كلمة جائز اذا كانت مؤدية معناها ومنه اجاز ابو حنيفة رحمة الله عليه
القراءة بالفارسية على شريطة وهي ان يؤدي القارئ المعاني على كمالها من غير ان يخرم منها شيئا
قالوا وهذه الشريطة تشهد انها اجازة كلا اجازة لان في كلام العرب خصوصا في القرآن الذي هو
معجز بفصاحته وغرابة نظمه واساليبه من لطائف المعاني والاغراض ما لا يستقل باداته لسان من
فارسية وغيرها وما كان ابو حنيفة يحسن الفارسية فلم يكن ذلك منه عن تحقق وتبصر وروى
علي بن الجعد عن ابي يوسف عن ابي حنيفة مثل قول صاحبيه في انكار القراءة بالفارسية كالمهل
قرئ بضم الميم وفتحها وهو دردي الزيت ويدل عليه قوله تعالى يوم تكون السماء كالمهل مع قوله
فكانت وردة كالدهان وقيل هو ذائب الفضة والنحاس والكاف رفع خبر بعد خبر وكذلك تغلي وقرى بالتاء
للشجرة وبالياء للطعام والحميم الماء الحار الذي انتهى غليانه يقال للزبانية خذوه فاعتلوه فقودوه

بعنف

بعنف وغلظة وهو ان يؤخذ بتلبيب الرجل فيجر الى حبس او قتل ومنه العتل وهو الغليظ الجافي وقرئ بكسر
التاء وضمها الى سواء الجحيم الى وسطها ومعظمها ثم صبوا فوق راسه من عذاب الحميم ذق
انك انت العزيز الكريم ان هذا ما كنتم به تمترون **فان قلت** هلا قيل صبوا فوق
راسه من الحميم كقوله تعالى يصب من فوق رؤسهم الحميم لان الحميم هو المصبوب لا عذابه **قلت**
اذا صب عليه الحميم فقد صب عليه عذابه وشدته الا ان صب العذاب طريقة الاستعارة كقوله
صبت عليه صروف الدهر من صبب وكقوله تعالى افرغ علينا صبرا فذكر العذاب معلقا به الصب
مستعارا له ليكون اهول واهيب يقال ذق انك انت العزيز الكريم على سبيل الهزؤ والتهكم
بمن كان يتعزز ويتكرم على قومه **وروى** ان ابا جهل قال لرسول الله صلى الله عليه وسلم ما بين
جبليها اعز ولا اكرم مني فوالله ما تستطيع انت ولا ربك ان تفعلا بي شيئا وقرئ انك بمعنى لانك
وعن الحسن بن علي رضي الله عنهما انه قرا به على المنبر ان هذا العذاب او ان هذا الامر هو ما كنتم
به تمترون اي تشكون او تتمارون وتتلاجون ان المتقين في مقام امين في جنات وعيون
يلبسون من سندس واستبرق متقابلين وقرئ في مقام بالفتح وهو موضع القيام والمراد
المكان وهو من الخاص الذي وقع مستعملا في معنى العموم وبالضم وهو موضع الاقامة والامين
من قولك امن الرجل امانة فهو امين وهو ضد الخائن فوصف به المكان استعارة لان المكان
المخيف كانما يخون صاحبه بما يلقى فيه من المكاره قيل السندس ما رق من الديباج والاستبرق
ما غلظ منه وهو تعريب استبر **فان قلت** كيف ساغ ان يقع في القرآن العربي المبين لفظ اعجمي
قلت اذا عرب خرج من ان يكون عجميا لان معنى التعريب ان يجعل عربيا بالتصرف فيه وتغييره
عن منهاجه واجرائه على اوجه الاعراب كذلك وزوجناهم بحور عين يدعون فيها بكل فاكهة
آمنين لا يذوقون فيها الموت الا الموتة الاولى ووقاهم عذاب الجحيم كذلك الكاف
مرفوعة على الامر كذلك او منصوب على مثل ذلك اثبناهم وزوجناهم **وقرا** عكرمة بحور عين
على الاضافة والمعنى بالحور من العين لان العين اما ان تكون حورا او غير حور فهؤلاء من الحور العين
لا من شهلهن مثلا وفي قراءة عبد الله بعيس عين والعيساء البيضاء تعلوها حمرة وقرا عبيد بن عمير
لا يذاقون فيها الموت وقرا عبد الله لا يذوقون فيها طعم الموت **فان قلت** كيف استثنيت
الموتة الاولى المذوقة قبل دخول الجنة من الموت المنفي ذوقه فيها اريد ان يقال
لا يذوقون فيها الموت البتة فوضع قوله الا الموتة الاولى موضع ذلك لان الموتة الماضية
محال ذوقها في المستقبل فهو من باب التعليق بالمحال كانه قيل ان كانت الموتة الاولى يستقيم
ذوقها في المستقبل فانهم يذوقونها وقرئ ووقاهم بالتشديد فضلا من ربك ذلك هو
الفوز العظيم فضلا من ربك عطاء من ربك وثوابا يعني كل ما اعطى المتقين من نعيم الجنة والنجاة
من النار **وقرئ** فضل اي ذلك فضل فانما يسرناه بلسانك لعلهم يتذكرون فارتقب انهم
مرتقبون فانما يسرناه بلسانك فذلكة للسورة ومعناها ذكرهم بالكتاب المبين فانما يسرناه
اي سهلناه حيث انزلناه عربيا بلسانك بلغتك ارادة ان يفهمه قومك فيتذكروا فارتقب فانتظر
ما يحل بهم انهم مرتقبون ما يحل بك متربصون بك الدوائر عن رسول الله عليه السلام من قرا حم الدخان
في ليلة اصبح يستغفر له سبعون الف ملك وعنه عليه السلام من قرا حم التي يذكر فيها الدخان في ليلة جمعة
اصبح مغفورا له

وقيل ست **حم تنزيل الكتاب من الله العزيز الحكيم ان في السموات والارض لايات للمؤمنين وفي خلقكم وما يبث من دابة ايات لقوم يوقنون واختلاف الليل والنهار وما انزل الله من السماء من رزق فاحيا به الارض بعد موتها وتصريف الرياح ايات لقوم يعقلون** حم ان جعلتها اسما مبتدأ مخبرا عنه بتنزيل الكتاب لم يكن بد من حذف المضاف تقديره تنزيل حم تنزيل الكتاب ومن الله صلة للتنزيل وان جعلتها تعديدا للحروف كان تنزيل الكتاب مبتدأ والظرف خبرا ان في السموات والارض يجوز ان يكون على ظاهره وان يكون المعنى ان في خلق السموات لقوله تعالى وفي خلقكم **فان قلت** علام عطف وما يبث أعلى الخلق المضاف ام على الضمير المضاف اليه **قلت** بل على المضاف لان المضاف اليه ضمير متصل مجرور يقبح العطف عليه استقبحوا ان يقال مررت بك وزيد وهذا ابوك وعمرو وكذلك ان اكدوه كرهوا ان يقولوا مررت بك انت وزيد قرئ ايات لقوم يوقنون بالنصب والرفع على قولك ان زيدا في الدار وعمرا في السوق او وعمرو في السوق واما قوله ايات لقوم يعقلون فمن العطف على عاملين سواء نصبت او رفعت فالعاملان اذا نصبت هما ان وفي اقيمت الواو مقامهما فعملت الجر في اختلاف الليل والنهار والنصب في ايات واذا رفعت فالعاملان الابتداء وفي عملت الرفع في ايات والجر في واختلاف وقرأ ابن مسعود رضي الله عنه وفي اختلاف الليل والنهار **فان قلت** العطف على عاملين على مذهب الاخفش سديد لا مقال فيه وقد اباه سيبويه فما وجه تخريج الاية عنده قلت فيه وجهان احدهما ان يكون على اضمار في والذي حسنه تقدم ذكره في الايتين قبلها ويعضده قراءة ابن مسعود رضي الله عنه والثاني ان ينتصب ايات على الاختصاص بعد انقضاء المجرور معطوفا على ما قبله او على التكرير ورفعها باضمار هي **وقرئ** واختلاف الليل والنهار بالرفع وقرئ اية وكذلك وما يبث من دابة اية وقرئ وتصريف الريح والمعنى ان المنصفين من العباد اذا نظروا في السموات والارض النظر الصحيح علموا انها مصنوعة وانه لا بد لها من صانع فامنوا بالله واقروا فاذا نظروا في خلق انفسهم وتنقلها من حال الى حال وهيئة الى هيئة وفي خلق ما على ظهر الارض من صنوف الحيوان ازدادوا ايمانا وايقنوا وانتفى عنهم اللبس فاذا نظروا في سائر الحوادث التي تتجدد في كل وقت كاختلاف الليل والنهار ونزول الامطار وحياة الارض بعد موتها وتصريف الرياح جنوبا وشمالا وقبولا ودبورا عقلوا واستحكم علمهم وخلص يقينهم وسمى المطر رزقا لانه سبب الرزق **تلك ايات الله نتلوها عليك بالحق فباي حديث بعد الله واياته يؤمنون ويل لكل افاك اثيم يسمع ايات الله تتلى عليه ثم يصر مستكبرا كان لم يسمعها فبشره بعذاب اليم واذا علم من اياتنا شيئا اتخذها هزوا اولئك لهم عذاب مهين** تلك اشارة الى الايات المتقدمة اي تلك الايات ايات الله ونتلوها في محل الحال اي متلوة عليك بالحق والعامل ما دل عليه تلك من معنى الاشارة ونحوه هذا بعلي شيخا **وقرئ** يتلوها بالياء بعد الله واياته اي بعد ايات الله كقولهم اعجبني زيد وكرمه يريدون اعجبني كرم زيد ويجوز ان يراد بعد حديث الله وهو كتابه وقرآنه كقوله تعالى الله نزل احسن الحديث كتابا وقرئ يؤمنون بالياء والتاء والافاك الكذاب والاثيم المتبالغ في اقتراف الاثام يصر يقبل على كفره ويقيم عليه واصله من اصرار الحمار على العانة وهو ان ينحي عليها صارا اذنيه مستكبرا عن الايمان بالايات

والاذعان

والاذعان لما تنطق به من الحق مزدريا لها معجبا بما عنده وقيل نزلت في النضر بن الحارث وما كان يشتري من احاديث الاعاجم ويشغل بها الناس عن استماع القرآن والاية عامة في كل من كان مضارا لدين الله **فان قلت** ما معنى ثم في قوله تعالى ثم يصر مستكبرا **قلت** كمعناه في قول القائل

يرى غمرات الموت ثم يزورها

وذلك ان غمرات الموت حقيقة بان ينجو رائيها بنفسه ويطلب الفرار عنها واما زيارتها والاقدام على مزاولتها فامر مستبعد فمعنى ثم الايذان بان فعل المقدم عليها بعدما رآها وعاينها شيء يستبعد في العادات والطباع وكذلك ايات الله الواضحة الناطقة بالحق من تليت عليه وسمعها كان مستبعدا في العقول اصراره على الضلالة عندها واستكباره عن الايمان بها كان مخففة والاصل كانه لم يسمعها والضمير ضمير الشان كما في قوله

كان ظبية تعطو الى ناضر السلم

ومحل الجملة النصب على الحال اي يصر مثل غير السامع واذا بلغه شيء من اياتنا وعلم انه منها اتخذها اي اتخذ الايات هزوا ولم يقل اتخذه للاشعار بانه اذا احس بشيء من الكلام انه من جملة الايات التي انزلها الله على محمد صلى الله عليه وسلم خاض في الاستهزاء بجميع الايات ولم يقتصر على الاستهزاء بما بلغه واذا علم من اياتنا شيئا يمكن ان يتشبث به المعاند ويجد له محملا يتسلق به على الطعن والغميزة افترصه واتخذ ايات الله هزوا وذلك نحو افتراص ابن الزبعرى قوله عز وعلا انكم وما تعبدون من دون الله حصب جهنم ومغالطته رسول الله صلى الله عليه وسلم وقوله خصمتك ويجوز ان يرجع الضمير الى شيء لانه في معنى الاية **كقول** ابي العتاهية

نفسي بشيء من الدنيا معلقة ... الله والقائم المهدي يكفيها

حيث اراد عتبة

وقرئ علم اولئك اشارة الى كل افاك اثيم لشموله الافاكين **من ورائهم جهنم ولا يغني عنهم ما كسبوا شيئا ولا ما اتخذوا من دون الله اولياء ولهم عذاب عظيم هذا هدى والذين كفروا بايات ربهم لهم عذاب من رجز اليم** والوراء اسم للجهة التي يواريها الشخص من خلف او قدام **قال**

اليس ورائي ان تراخت منيتي ... ادب مع الولدان ازحف كالنسر

ومنه قوله عز وجل من ورائهم اي من قدامهم ما كسبوا من الاموال في رحلهم ومتاجرهم ولا ما اتخذوا من دون الله من الاوثان هذا اشارة الى القرآن يدل عليه قوله تعالى والذين كفروا بايات ربهم لان ايات ربهم هي القرآن اي هذا القرآن كامل في الهداية كما تقول زيد رجل تريد كامل في الرجولية وايما رجل والرجز اشد العذاب وقرئ اليم بالجر والرفع **الله الذي سخر لكم البحر لتجري الفلك فيه بامره ولتبتغوا من فضله ولعلكم تشكرون** ولتبتغوا من فضله بالتجارة او بالغوص على اللؤلؤ والمرجان واستخراج اللحم الطري وغير ذلك من منافع البحر **وسخر لكم ما في السموات وما في الارض جميعا منه ان في ذلك لايات لقوم يتفكرون فان قلت** ما معنى منه في قوله تعالى جميعا منه وما موقعها من الاعراب **قلت** هي واقعة موقع الحال والمعنى انه سخر هذه الاشياء كائنة منه وحاصلة من عنده يعني انه مكونها وموجدها بقدرته وحكمته ثم مسخرها لخلقه ويجوز ان يكون خبر مبتدأ محذوف تقديره هي جميعا منه وان يكون وسخر لكم تاكيدا لقوله سخر لكم ثم ابتدئ قوله ما في السموات وما في الارض جميعا منه وان يكون وما في الارض مبتدأ ومنه خبره **وقرأ** ابن عباس رضي الله عنهما منة وقرأ سلمة بن محارب منه على ان يكون منه فاعل سخر على الاسناد المجازي او على انه خبر مبتدأ محذوف اي ذلك او هو منه **قل للذين امنوا يغفروا للذين لا يرجون ايام الله ليجزي قوما بما كانوا**

يكسبون • من عمل صالحا فلنفسه ومن اساء فعليها ثم الى ربكم ترجعون • حذف المقول لان الجواب دال عليه والمعنى قل لهم اغفروا يغفروا • لا يرجون ايام الله لا يتوقعون وقائع الله باعدائه من قولهم لوقائع العرب ايام العرب • وقيل لا يأملون الاوقات التي وقتها الله لثواب المؤمنين ووعدهم الفوز فيها • وقيل نزلت قبل اية القتال ثم نسخ حكمها • وقيل نزلت في عمر بن الخطاب رضي الله عنه وقد شتمه رجل من غفار فهم ان يبطش به • وعن سعيد بن المسيب رضي الله عنه كنا بين يدي عمر بن الخطاب فقرأ قارئ هذه الاية فقال عمر ليجزي عمر بما صنع • ليجزي تعليل للامر بالمغفرة اي انما امروا بان يغفروا لما اراده الله من توفيتهم جزاء مغفرتهم يوم القيمة • فان قلت قوله قوما ما وجه تنكيره وانما اراد الذين امنوا وهم معارف قلت مدحهم والثناء عليهم كانه قيل ليجزي ايما قوم وقوما مخصوصين بصبرهم واغضائهم على اذى اعدائهم من الكفار وعلى ما كانوا يتجرعونه من الغصص بما كانوا يكسبون من الثواب العظيم بكظم الغيظ واحتمال المكروه ومعنى قول عمر رضي الله عنه ليجزي عمر بما صنع ليجزي بصبره واحتماله وقوله لرسول الله صلى الله عليه وسلم عند نزول الاية والذي بعثك بالحق لا ترى الغضب في وجهي • وقرئ لنجزي قوما اي الله عز وجل • وليجزى قوم وليجزى قوما على معنى وليجزى الجزاء قوما • ولقد اتينا بني اسرائيل الكتاب والحكم والنبوة ورزقناهم من الطيبات وفضلناهم على العالمين • الكتاب التورية والحكم الحكمة والفقه • او فصل الخصومات بين الناس لان الملك كان فيهم والنبوة • من الطيبات مما احل لهم واطاب من الارزاق وفضلناهم على العالمين حيث لم نؤت غيرهم مثل ما اتيناهم • واتيناهم بينات من الامر فما اختلفوا الا من بعد ما جاءهم العلم بغيا بينهم ان ربك يقضي بينهم يوم القيمة فيما كانوا فيه يختلفون • ثم جعلناك على شريعة من الامر فاتبعها ولا تتبع اهواء الذين لا يعلمون انهم لن يغنوا عنك من الله شيئا وان الظالمين بعضهم اولياء بعض والله ولي المتقين • بينات ايات ومعجزات • من الامر من امر الدين فما وقع بينهم الخلاف في الدين الا من بعد ما جاءهم ما هو موجب لزوال الخلاف وهو العلم وانما اختلفوا لبغي حدث بينهم اي لعداوة وحسد • على شريعة على طريقة ومنهاج من الامر من امر الدين فاتبع شريعتك الثابتة بالدلائل والحجج ولا تتبع ما لا حجة عليه من اهواء الجهال ودينهم المبني على هوى وبدعة وهم رؤساء قريش حين قالوا ارجع الى دين ابائك ولا توالهم انما يوالي الظالمين من هو ظالم مثلهم واما المتقون فوليهم الله وهم موالوه وما ابين الفضل بين الولايتين • هذا بصائر للناس وهدى ورحمة لقوم يوقنون • هذا القران بصائر للناس جعل ما فيه من معالم الدين والشرائع بمنزلة البصائر في القلوب كما جعل روحا وحيوة وهو هدى من الضلالة ورحمة من العذاب لمن امن وايقن • وقرئ هذه بصائر اي هذه الايات • ام حسب الذين اجترحوا السيئات ان نجعلهم كالذين امنوا وعملوا الصالحات سواء محياهم ومماتهم ساء ما يحكمون • ام منقطعة ومعنى الهمزة فيها انكار الحسبان • والاجتراح الاكتساب • ومنه الجوارح وفلان جارحة اهله اي كاسبهم • ان نجعلهم ان نصيرهم وهو من جعل المتعدي الى مفعولين فاولهما الضمير والثاني الكاف والجملة التي هي سواء محياهم ومماتهم بدل من الكاف لان الجملة تقع مفعولا ثانيا فكانت في حكم المفرد • الا تراك لو قلت ان نجعلهم سواء محياهم ومماتهم كان سديدا كما تقول ظننت زيدا ابوه منطلق ومن قرأ سواء بالنصب اجرى سواء مجرى مستويا وارتفع محياهم ومماتهم على الفاعلية وكان مفردا غير جملة ومن قرأ ومماتهم بالنصب جعل محياهم ومماتهم ظرفين كمقدم الحاج وخفوق النجم اي سواء في محياهم وفي مماتهم والمعنى انكار ان يستوي المسيئون

والمحسنون

والمحسنون محيا وان يستووا مماتا لافتراق احوالهم احياء حيث عاش هؤلاء على القيام بالطاعات واولئك على ركوب المعاصي ومماتا حيث مات هؤلاء على البشرى بالرحمة والوصول الى ثواب الله ورضوانه واولئك على الياس من رحمة الله والوصول الى هول ما اعد لهم • وقيل معناه انكار ان يستووا في الممات كما استووا في الحيوة لان المسيئين والمحسنين مستو محياهم في الرزق والصحة وانما يفترقون في الممات وقيل سواء محياهم ومماتهم كلام مستأنف على معنى ان محيا المسيئين ومماتهم سواء وكذلك محيا المحسنين ومماتهم كل يموت على حسب ما عاش عليه • وعن تميم الداري رضي الله عنه انه كان يصلي ذات ليلة عند المقام فبلغ هذه الاية فجعل يبكي ويردد الى الصباح ساء ما يحكمون • وعن الفضيل انه بلغها فجعل يرددها ويبكي ويقول يا فضيل ليت شعري من اي الفريقين انت • وخلق الله السموات والارض بالحق ولتجزى كل نفس بما كسبت وهم لا يظلمون • ولتجزى معطوف على بالحق لان فيه معنى التعليل او على معلل محذوف تقديره خلق السموات والارض ليدل بها على قدرته • ولتجزى كل نفس • افرأيت من اتخذ الهه هواه واضله الله على علم وختم على سمعه وقلبه وجعل على بصره غشاوة فمن يهديه من بعد الله افلا تذكرون • اي هو مطواع لهوى النفس يتبع ما تدعوه اليه فكانه يعبده كما يعبد الرجل الهه • وقرئ آلهة هواه لانه كان يستحسن الحجر فيعبده فاذا رأى ما هو احسن رفضه اليه فكانه اتخذ هواه الهة شتى يعبد كل وقت واحدا منها • واضله الله على علم وتركه عن الهداية واللطف وخذله على علم عالما بان ذلك لا يجدي عليه وانه ممن لا لطف له او مع علمه بوجوه الهداية واحاطته بانواع الالطاف المحصلة والمقربة • فمن يهديه من بعد اضلال الله • وقرئ غشاوة بالحركات الثلث • وغشوة بالكسر والفتح • وقرئ تتذكرون • وقالوا ما هي الا حيوتنا الدنيا نموت ونحيا وما يهلكنا الا الدهر وما لهم بذلك من علم ان هم الا يظنون • نموت ونحيا نموت نحن ويحيى اولادنا • او يموت بعض ويحيى بعض • او نكون مواتا نطفا في الاصلاب ونحيا بعد ذلك • او يصيبنا الامران الموت والحيوة يريدون الحيوة في الدنيا والموت بعدها وليس وراء ذلك حيوة • وقرئ نحيا بضم النون • وقرئ الا دهر يمر وما يقولون ذلك عن علم ولكن عن ظن وتخمين كانوا يزعمون ان مرور الايام والليالي هو المؤثر في هلاك الانفس وينكرون ملك الموت وقبضه الارواح بامر الله تعالى وكانوا يضيفون كل حادثة تحدث الى الدهر والزمان وترى اشعارهم ناطقة بشكوى الزمان • ومنه قوله صلى الله عليه وسلم لا تسبوا الدهر فان الله هو الدهر اي فان الله هو الاتي بالحوادث لا الدهر • واذا تتلى عليهم اياتنا بينات ما كان حجتهم الا ان قالوا ائتوا بابائنا ان كنتم صادقين • قرئ حجتهم بالنصب والرفع على تقديم خبر كان وتأخيره • فان قلت لم سمي قولهم حجة وليس بحجة • لانهم ادلوا به كما يدلي المحتج بحجته وساقوه مساقها فسميت حجة على سبيل التهكم او لانه في حسبانهم وتقديرهم حجة • او لانه في اسلوب قولهم تحية بينهم ضرب وجيع كانه قيل ما كان حجتهم الا ما ليس بحجة والمراد نفي ان تكون لهم حجة البتة • قل الله يحييكم ثم يميتكم ثم يجمعكم الى يوم القيمة لا ريب فيه ولكن اكثر الناس لا يعلمون • فان قلت كيف وقع قوله قل الله يحييكم جوابا لقولهم ائتوا بابائنا ان كنتم صادقين قلت لما انكروا البعث وكذبوا الرسل وحسبوا ان ما قالوه قول مبكت الزموا ما هم مقرون به من ان الله عز وجل هو الذي يحييهم ثم يميتهم وضم الى الالزام ذلك الزام ما هو واجب الاقرار به ان انصفوا واصغوا الى داعي الحق وهو جمعهم الى يوم القيمة

ومن كان قادرا على ذلك كان قادرا على الاتيان بآبائهم وكان اهون شيء عليه ولله ملك السموات والارض ويوم تقوم الساعة يومئذ يخسر المبطلون ○ وترى كل امة جاثية كل امة تدعى الى كتابها اليوم تجزون ما كنتم تعملون ○ عامل النصب في يوم تقوم يخسر ويومئذ بدل من يوم تقوم ○ جاثية باركة مستوفزة على الركب ○ وقرئ جاذية والجذو اشد استيفازا من الجثو لان الجاذي هو الذي يجلس على اطراف اصابعه ○ وعن ابن عباس رضي الله عنهما جاثية مجتمعة ○ وعن قتادة جماعات من الجثوة وهي الجماعة وجمعها جثى وفي الحديث من جثى جهنم ○ وقرئ كل امة على الابتداء وكل امة على الابدال من كل امة ○ الى كتابها الى صحائفها اعمالها فاكتفى باسم الجنس كقوله تعالى ووضع الكتاب فترى المجرمين مشفقين مما فيه ○ اليوم تجزون محمول على القول فان قلت كيف اضيف الكتاب اليهم والى الله عز وجل قلت الاضافة تكون للملابسة وقد لابسهم ولابسه تعالى اما ملابسته اياهم فلان اعمالهم مثبتة فيه واما ملابسته اياه فلانه مالكه والآمر ملائكته ان يكتبوا فيه اعمال عباده ○ هذا كتابنا ينطق عليكم بالحق انا كنا نستنسخ ما كنتم تعملون ○ فاما الذين آمنوا وعملوا الصالحات فيدخلهم ربهم في رحمته ذلك هو الفوز المبين ○ ينطق عليكم يشهد عليكم بما عملتم بالحق من غير زيادة ولا نقصان ○ انا كنا نستنسخ الملائكة ما كنتم تعملون اي نستكتبهم اعمالكم في رحمته في جنته ○ واما الذين كفروا افلم تكن آياتي تتلى عليكم فاستكبرتم وكنتم قوما مجرمين ○ وجواب اما محذوف تقديره واما الذين كفروا فيقال لهم افلم تكن آياتي تتلى عليكم والمعنى الم ياتكم رسلي فلم تكن آياتي تتلى عليكم فحذف المعطوف عليه ○ واذا قيل ان وعد الله حق والساعة لا ريب فيها قلتم ما ندري ما الساعة ان نظن الا ظنا وما نحن بمستيقنين ○ وقرئ والساعة بالنصب عطفا على الوعد ○ وبالرفع عطفا على محل ان واسمها ○ ما الساعة اي شيء الساعة فان قلت ما معنى ان نظن الا ظنا اصله نظن ظنا ومعناه اثبات الظن فحسب فادخل حرفا النفي والاستثناء ليفاد اثبات الظن مع نفي ما سواه وزيد نفي ما سوى الظن توكيدا بقوله وما نحن بمستيقنين ○ وبدا لهم سيئات ما عملوا وحاق بهم ما كانوا به يستهزؤن ○ سيئات ما عملوا اي قبائح اعمالهم او عقوبات اعمالهم السيئات كقوله تعالى وجزاء سيئة سيئة مثلها ○ وقيل اليوم ننساكم كما نسيتم لقاء يومكم هذا ومأواكم النار وما لكم من ناصرين ○ ذلكم بانكم اتخذتم آيات الله هزوا وغرتكم الحيوة الدنيا فاليوم لا يخرجون منها ولا هم يستعتبون ○ ننساكم نترككم في العذاب كما تركتم عدة لقاء يومكم هذا وهي الطاعة او نجعلكم بمنزلة الشيء المنسي غير المبالى به كما لم تبالوا انتم بلقاء يومكم ولم تخطروه ببال كالشيء الذي يطرح نسيا منسيا فان قلت ما معنى اضافة اللقاء الى اليوم قلت كمعنى اضافة المكر في قوله بل مكر الليل والنهار اي نسيتم لقاء الله في يومكم هذا ولقاء جزائه ○ وقرئ لا يخرجون بفتح الياء ○ ولا هم يستعتبون ولا يطلب منهم ان يعتبوا ربهم اي ان يرضوه ○ فلله الحمد رب السموات ورب الارض رب العالمين ○ وله الكبرياء في السموات والارض وهو العزيز الحكيم ○ فلله الحمد فاحمدوا الله الذي هو ربكم ورب كل شيء من السموات والارض والعالمين فان مثل هذه الربوبية العامة يوجب الحمد والثناء على كل مربوب ○ وكبروه فقد ظهرت آثار كبريائه وعظمته في السموات والارض وحق مثله ان يكبر ويعظم ○ عن رسول الله عليه السلام من قرا حم الجاثية ستر الله عورته وسكن روعته يوم الحساب ○ والله اعلم بالصواب واليه

ذيل خمس

بسم الله الرحمن الرحيم ○ حم تنزيل الكتاب من الله العزيز الحكيم ○ ما خلقنا السموات والارض وما بينهما الا بالحق واجل مسمى والذين كفروا عما انذروا معرضون ○ الا بالحق الا خلقا ملتبسا بالحكمة والغرض الصحيح وبتقدير اجل مسمى ينتهي اليه وهو يوم القيمة ○ والذين كفروا عما انذروه من هول ذلك اليوم الذي لا بد لكل خلق من انتهائه اليه ○ معرضون لا يؤمنون به ولا يهتمون بالاستعداد له ○ ويجوز ان تكون ما مصدرية عن انذارهم ذلك اليوم قل ارايتم ما تدعون من دون الله اروني ماذا خلقوا من الارض ام لهم شرك في السموات ائتوني بكتاب من قبل هذا او اثارة من علم ان كنتم صادقين ○ بكتاب من قبل هذا اي من قبل هذا الكتاب وهو القرآن يعني ان هذا الكتاب ناطق بالتوحيد وابطال الشرك وما من كتاب انزل من قبله من كتب الله الا وهو ناطق بمثل ذلك ○ فاتوا بكتاب واحد منزل من قبله شاهد بصحة ما انتم عليه من عبادة غير الله ○ او اثارة من علم او بقية من علم بقيت عليكم من علوم الاولين من قولهم سمنت الناقة على اثارة من شحم اي على بقية شحم كانت بها من شحم ذاهب ○ وقرئ على اثرة اي من شيء اوثرتم به وخصصتم من علم لا احاطة به لغيركم ○ وقرئ اثرة بالحركات الثلث في الهمزة مع سكون الثاء فالاثرة بالكسر بمعنى الاثرة ○ واما الاثرة فالمرة من مصدر اثر الحديث اذا رواه ○ واما الاثرة بالضم فاسم ما يؤثر كالخطبة اسم ما يخطب به ○ ومن اضل ممن يدعوا من دون الله من لا يستجيب له الى يوم القيمة وهم عن دعائهم غافلون ○ واذا حشر الناس كانوا لهم اعداء وكانوا بعبادتهم كافرين ○ ومن اضل معنى الاستفهام فيه انكار ان يكون في الضلال كلهم ابلغ ضلالا من عبدة الاصنام حيث يتركون دعاء السميع المجيب القادر على تحصيل كل بغية ومرام ويدعون من دونه جمادا لا يستجيب لهم ولا قدرة به على استجابة احد منهم مادامت الدنيا والى ان تقوم القيامة واذا قامت القيمة وحشر الناس كانوا لهم اعداء وكانوا عليهم ضدا فليسوا في الدارين الا على نكد ومضرة لا تتولاهم في الدنيا بالاستجابة وفي الآخرة تعاديهم وتجحد عبادتهم وانما قيل من وهم لانه اسند اليهم ما يسند الى اولي العلم من الاستجابة والغفلة ولانهم كانوا يصفونهم بالتمييز جهلا وغباوة ○ ويجوز ان يريد كل معبود من دون الله من الجن والانس والاوثان فغلب غير الاوثان عليها ○ وقرئ ما لا يستجيب ○ وقرئ يدعو غير الله من لا يستجيب ووصفهم بترك الاستجابة والغفلة طريقة التهكم بها وبعبدتها ○ ونحوه قوله عز وعلا ان تدعوهم لا يسمعوا دعاءكم ولو سمعوا ما استجابوا لكم ويوم القيمة يكفرون بشرككم ○ واذا تتلى عليهم آياتنا بينات قال الذين كفروا للحق لما جاءهم هذا سحر مبين ○ بينات جمع بينة وهي الحجة والشاهد او واضحات مبينات واللام في للحق مثلها في قوله تعالى للذين آمنوا لو كان خيرا اي لاجل الحق ولاجل الذين آمنوا والمراد بالحق الآيات وبالذين كفروا المتلو عليهم فوضع الظاهران موضع الضميرين للتسجيل عليهم بالكفر وللمتلو بالحق لما جاءهم اي بادهوه بالجحود ساعة اتاهم واول ما سمعوه من غير اجالة فكر ولا اعادة نظر ومن عنادهم وظلمهم انهم سموه سحرا مبينا ظاهرا امره في البطلان لا شبهة فيه ○ ام يقولون افتراه قل ان افتريته فلا تملكون لي من الله شيئا هو اعلم بما تفيضون فيه كفى به شهيدا بيني وبينكم وهو الغفور الرحيم ○ ام يقولون افتراه اضراب عن ذكر تسميتهم الآيات سحرا الى

ذكر توهم ان محمدا عليه السلام افتراه ومعنى الهمزة في ام الانكار والتعجب كأنه قيل دع هذا واسمع قولهم المستنكر المقضي منه العجب وذلك ان محمدا كان لا يقدر عليه حتى يقوله ويفتريه على الله ولو قدر عليه دون امة العرب لكانت قدرته عليه معجزة لخرقها العادة واذا كانت معجزة كانت تصديقا من الله له والحكيم لا يصدق الكاذب فلا يكون مفتريا والضمير للحق والمراد به الآيات ٭ قل ان افتريته على سبيل الفرض عاجلني الله لا محالة بعقوبة الافتراء عليه فلا تقدرون على كفه عن معاجلتي ولا تطيقون دفع شيء من عقابه عني فكيف افتريه واتعرض لعقابه ٭ يقال فلان لا يملك اذا غضب ولا يملك عنانه اذا صمم ومثله فمن يملك من الله شيئا ان اراد ان يهلك المسيح ابن مريم ٭ ومن يرد الله فتنته فلن تملك له من الله شيئا ومنه قوله صلى الله عليه وسلم لا املك لكم من الله شيئا ٭ ثم قال هو اعلم بما تفيضون فيه اي تندفعون فيه من القدح في وحي الله تعالى والطعن في آياته وتسميته سحرا تارة وفرية اخرى ٭ كفى به شهيدا بيني وبينكم يشهد لي بالصدق والبلاغ ويشهد عليكم بالكذب والجحود ومعنى ذكر العلم والشهادة وعيد بجزاء افاضتهم ٭ وهو الغفور الرحيم موعدة بالغفران والرحمة ان رجعوا عن الكفر وتابوا وآمنوا واشعار بحلم الله عنهم مع عظم ما ارتكبوا **فان قلت** فما معنى اسناد الفعل اليهم في قوله تعالى فلا تملكون لي **قلت** كان فيما اتاهم به النصيحة لهم والاشفاق عليهم من سوء العاقبة وارادة الخير بهم فكأنه قال لهم ان افتريته وانا اريد بذلك التنصح لكم وصدكم عن عبادة الآلهة الى عبادة الله فما تغنون عني ايها المنصوحون ان اخذني الله بعقوبة الافتراء عليه **قل ما كنت بدعا من الرسل وما ادري ما يفعل بي ولا بكم ان اتبع الا ما يوحى الي وما انا الا نذير مبين** ٭ البدع بمعنى البديع كالخف بمعنى الخفيف **وقرئ** بدعا بفتح الدال اي ذا بدع ٭ ويجوز ان يكون صفة على فعل كقولهم دين قيم ولحم زيم كانوا يقترحون عليه الآيات ويسألونه عما لم يوح به اليه من الغيوب فقيل له قل ما كنت بدعا من الرسل فآتيكم بكل ما تقترحونه واخبركم بكل ما تسألون عنه من المغيبات فان الرسل لم يكونوا يأتون الا بما آتاهم الله من آياته ولا يخبرون الا بما اوحي اليهم ولقد اجاب موسى عليه السلام عن قول فرعون فما بال القرون الاولى بقوله علمها عند ربي وما ادري لانه لا علم لي بالغيب ما يفعل الله بي وبكم فيما يستقبل من الزمان من افعاله ويقدر لي ولكم من قضاياه ان اتبع الا ما يوحى الي ٭ وعن الحسن رحمة الله عليه وما ادري ما يصير اليه امري وامركم في الدنيا ومن الغالب منا والمغلوب ٭ وعن الكلبي قال له اصحابه وقد ضجروا من اذى المشركين حتى متى نكون على هذا فقال ما ادري ما يفعل بي ولا بكم أأترك بمكة ام اومر بالخروج الى ارض قد رفعت لي ورأيتها يعني في منامه ذات نخيل وشجر ٭ وعن ابن عباس رضي الله عنهما ما يفعل بي ولا بكم في الآخرة وقال هي منسوخة بقوله تعالى ليغفر لك الله ما تقدم من ذنبك وما تأخر ٭ ويجوز ان يكون نفيا للدراية المفصلة ٭ وقرئ ما يفعل بفتح الياء اي يفعل الله عز وجل **فان قلت** ان يفعل مثبت غير منفي فكان وجه الكلام ما يفعل بي وبكم اجل ولكن النفي في ما ادري لما كان مشتملا عليه لتناوله ما وما في حيزه صح ذلك وحسن الا ترى الى قوله تعالى اولم يروا ان الله الذي خلق السموات والارض ولم يعي بخلقهن بقادر كيف دخلت الباء في خبر ان وذلك لتناول النفي اياها مع ما في حيزها وما في ما يفعل يجوز ان تكون موصولة منصوبة وان تكون استفهامية مرفوعة **وقرئ** يوحي اي الله عز وجل **قل ارأيتم ان كان من عند الله وكفرتم به وشهد شاهد من بني اسرائيل على مثله فآمن واستكبرتم ان الله لا يهدي القوم الظالمين** ٭ جواب الشرط محذوف تقديره ان كان القرآن من عند الله وكفرتم

به ألستم ظالمين ويدل على هذا المحذوف قوله تعالى ان الله لا يهدي القوم الظالمين والشاهد من بني اسرائيل عبد الله بن سلام رضي الله عنه لما قدم رسول الله عليه السلام المدينة نظر الى وجهه فعلم انه ليس بوجه كذاب وتأمله فتحقق انه هو النبي المنتظر وقال له اني سائلك عن ثلث لا يعلمهن الا نبي ٭ ما اول اشراط الساعة ٭ وما اول طعام يأكله اهل الجنة ٭ وما بال الولد ينزع الى ابيه او الى امه فقال صلى الله عليه وسلم اما اول اشراط الساعة فنار تحشرهم من المشرق الى المغرب ٭ واما اول طعام يأكله اهل الجنة فزيادة كبد حوت ٭ واما الولد فاذا سبق ماء الرجل نزعه وان سبق ماء المرأة نزعته فقال اشهد انك رسول الله حقا ٭ ثم قال يا رسول الله ان اليهود قوم بهت وان علموا باسلامي قبل ان تسألهم عني بهتوني عندك فجاءت اليهود فقال لهم النبي صلى الله عليه وسلم اي رجل عبد الله فيكم فقالوا خيرنا وابن خيرنا وسيدنا وابن سيدنا واعلمنا وابن اعلمنا قال ارأيتم ان اسلم قالوا اعاذه الله من ذلك فخرج اليهم عبد الله فقال اشهد ان لا اله الا الله واشهد ان محمدا رسول الله فقالوا شرنا وابن شرنا وانتقصوه قال هذا ما كنت اخاف يا رسول الله واحذر قال سعد بن ابي وقاص رضي الله عنه ما سمعت رسول الله يقول لاحد يمشي على وجه الارض انه من اهل الجنة الا لعبد الله بن سلام رضي الله عنه وفيه نزل وشهد شاهد من بني اسرائيل على مثله ٭ الضمير للقرآن اي على مثله في المعنى وهو ما في التوراة من المعاني المطابقة لمعاني القرآن من التوحيد والوعد والوعيد وغير ذلك ويدل عليه قوله عز وعلا وانه لفي زبر الاولين ٭ ان هذا لفي الصحف الاولى كذلك يوحي اليك والى الذين من قبلك ٭ ويجوز ان يكون المعنى ان كان من عند الله وكفرتم به وشهد شاهد على نحو ذلك يعني كونه من عند الله **فان قلت** اخبرني عن نظم هذا الكلام لاقف على معناه من جهة النظم **قلت** الواو الاولى عاطفة لكفرتم على فعل الشرط كما عطفته ثم في قوله تعالى قل ارأيتم ان كان من عند الله ثم كفرتم به وكذلك الواو الآخرة عاطفة لاستكبرتم على شهد شاهد واما الواو في وشهد شاهد فقد عطفت جملة قوله شهد شاهد من بني اسرائيل على مثله فآمن واستكبرتم على جملة قوله كان من عند الله وكفرتم به ونظيره قولك ان احسنت اليك واسأت واقبلت عليك واعرضت لم تتفق في انك اخذت ضميمين فعطفتهما على مثليهما والمعنى قل اخبروني ان اجتمع كون القرآن من عند الله مع كفركم به واجتمع شهادة اعلم بني اسرائيل على نزول مثله وايمانه به مع استكباركم عنه وعن الايمان به ألستم اضل الناس واظلمهم وقد جعل الايمان في قوله تعالى فآمن مسببا عن الشهادة على مثله لانه لما علم ان مثله انزل على موسى عليه السلام وانه من جنس الوحي وليس من كلام البشر وانصف من نفسه فشهد عليه واعترف كان الايمان نتيجة ذلك **وقال الذين كفروا للذين آمنوا لو كان خيرا ما سبقونا اليه واذ لم يهتدوا به فسيقولون هذا افك قديم** ٭ للذين آمنوا لاجلهم وهو كلام كفار مكة قالوا عامة من يتبع محمدا السقاط يعنون الفقراء مثل عمار وصهيب وابن مسعود رضوان الله عليهم فلو كان ما جاء به خيرا ما سبقنا اليه هؤلاء ٭ وقيل لما اسلمت جهينة ومزينة واسلم وغفار قالت بنو عامر وغطفان واسد واشجع لو كان خيرا ما سبقونا اليه رعاء البهم ٭ وقيل ان امة لعمر اسلمت فكان عمر رضي الله عنه يضربها حتى يفتر ثم يقول لولا اني فترت لزدتك ضربا وكان كفار قريش يقولون لو كان ما يدعو اليه محمد حقا ما سبقتنا اليه فلانة ٭ وقيل كان اليهود يقولونه عند اسلام عبد الله بن سلام واصحابه **فان قلت** لا بد من عامل في الظرف في قوله تعالى اذ لم يهتدوا به ومن متعلق لقوله فسيقولون وغير مستقيم ان يكون فسيقولون هو العامل في الظرف لتدافع

ولا لنفي المضي والاستقبال فما وجه هذا الكلام قلت العامل في اذ محذوف لدلالة الكلام عليه كما حذف من قوله تعالى فلما ذهبوا به وتقديره حينئذ لأن وتقديره واذ لم يهتدوا به ظهر عنادهم فسيقولون هذا افك قديم فهذا المضمر صح به الكلام حيث انتصب به الظرف وكان قوله تعالى فسيقولون مسببا عنه كما صح باضمار أن قوله حتى يقول الرسول لمصادفة حتى مجرورها والمضارع ناصبه وقولهم افك قديم كقولهم اساطير الاولين ومن قبله كتاب موسى اماما ورحمة وهذا كتاب مصدق لسانا عربيا لينذر الذين ظلموا وبشرى للمحسنين ان الذين قالوا ربنا الله ثم استقاموا فلا خوف عليهم ولا هم يحزنون اولئك اصحاب الجنة خالدين فيها جزاء بما كانوا يعملون كتاب موسى مبتدأ ومن قبله ظرف واقع خبرا مقدما عليه وهو ناصب اماما على الحال كقولك في الدار زيد قائما وقرئ ومن قبله كتاب موسى على وآتينا الذين قبله التوراة ومعنى اماما قدوة يؤتم به في دين الله وشرائعه كما يؤتم بالامام ورحمة لمن آمن به وعمل بما فيه وهذا القرآن كتاب مصدق لكتاب موسى او لما بين يديه وتقدمه من جميع الكتب وقرئ مصدق لما بين يديه ولسانا عربيا حال من ضمير الكتاب في مصدق والعامل فيه مصدق ويجوز ان ينتصب عن كتاب لتخصصه بالصفة ويعمل فيه معنى الاشارة ويجوز ان يكون مفعولا لمصدق اي يصدق ذا لسان عربي وهو الرسول وقرئ لينذر بالتاء والياء ولينذر من نذر ينذر اذا حذر وبشرى في محل النصب معطوف على محل لينذر لانه مفعول له ووصينا الانسان بوالديه احسانا حملته امه كرها ووضعته كرها وحمله وفصاله ثلاثون شهرا حتى اذا بلغ اشده وبلغ اربعين سنة قال رب اوزعني ان اشكر نعمتك التي انعمت علي وعلى والدي وان اعمل صالحا ترضاه واصلح لي في ذريتي اني تبت اليك واني من المسلمين وقرئ حسنا بضم الحاء وسكون السين وبضمهما وبفتحهما واحسانا وكرها بالفتح والضم وهما لغتان في معنى المشقة كالفقر والفقر وانتصابه على الحال اي ذات كره او على انه صفة للمصدر اي حملا ذا كره وحمله وفصاله ومدة حمله وفصاله ثلثون شهرا وهذا دليل على ان اقل الحمل ستة اشهر لان مدة الرضاع اذا كانت حولين لقوله عز وجل حولين كاملين لمن اراد ان يتم الرضاعة بقيت للحمل ستة اشهر وقرئ وفصله والفصل والفصال كالفطم والفطام بناء ومعنى فان قلت المراد بيان مدة الرضاع لا الفطام فكيف عبر عنه بالفصال لما كان الرضاع يليه الفصال ويلابسه لانه ينتهي به ويتم سمي فصالا كما سمي المدة بالأمد من قال كل حي مستكمل مدة العمر ومود اذا انتهى امده وفيه فائدة وهي الدلالة على الرضاع التام المنتهي بالفصال ووقته وقرئ حتى اذا استوى وبلغ اشده وبلوغ الاشد ان يكتهل ويستوفي السن التي تستحكم فيها قوته وعقله وتمييزه وذلك اذا اناف على الثلاثين وناطح الاربعين وعن قتادة ثلاث وثلاثون سنة ووجهه ان يكون ذلك اول الاشد وغايته الاربعين وقيل لم يبعث نبي قط الا بعد اربعين سنة والمراد بالنعمة التي استوزع الشكر عليها نعمة التوحيد والاسلام وجمع بين شكري النعمة عليه وعلى والديه لان النعمة عليهما نعمة عليه وقيل في العمل المرضي هو الصلوات الخمس فان قلت ما معنى في في قوله واصلح لي في ذريتي قلت معناه ان يجعل ذريته موقعا للصلاح ومظنة له كانه قال هب لي الصلاح في ذريتي واوقعه فيهم ونحوه يجرح في عراقيبها نصلي من المسلمين من المخلصين اولئك الذين يتقبل عنهم احسن ما عملوا ويتجاوز عن سيئاتهم في اصحاب الجنة وعد الصدق الذي كانوا يوعدون وقرئ يتقبل ويتجاوز بفتح الياء والضمير فيهما لله عز

وجل

وجل وقرئا بالنون فان قلت ما معنى قوله تعالى في اصحاب الجنة قلت هو نحو قولك اكرمني الامير في ناس من اصحابه تريد اكرمني في جملة من اكرم منهم ونظمني في عدادهم ومحله النصب على الحال على معنى كائنين في اصحاب الجنة ومعدودين فيهم وعد الصدق مصدر مؤكد لان قوله يتقبل ويتجاوز وعد من الله لهم بالتقبل والتجاوز وقيل نزلت في ابي بكر رضي الله عنه وفي ابيه ابي قحافة وامه ام الخير وفي اولاده واستجابة دعائه فيهم وقيل لم يكن احد من الصحابة من المهاجرين منهم والانصار رضوان الله عليهم اسلم هو ووالداه وبنوه وبناته غير ابي بكر رضي الله عنه والذي قال لوالديه اف لكما اتعدانني ان اخرج وقد خلت القرون من قبلي وهما يستغيثان الله ويلك آمن ان وعد الله حق فيقول ما هذا الا اساطير الاولين اولئك الذين حق عليهم القول في امم قد خلت من قبلهم من الجن والانس انهم كانوا خاسرين والذي قال لوالديه مبتدأ خبره اولئك الذين حق عليهم القول والمراد بالذي قال الجنس القائل ذلك القول ولذلك وقع الخبر مجموعا وعن الحسن هو في الكافر العاق لوالديه المكذب بالبعث وعن قتادة هو نعت عبد سوء عاق لوالديه فاجر لربه وقيل نزلت في عبد الرحمن ابن ابي بكر قبل اسلامه وقد دعاه ابوه ابو بكر وامه ام رومان الى الاسلام فافف بهما وقال ابعثوا لي جدعان بن عمرو وعثمان ابن عمرو وهما من اجداده حتى اسالهما عما يقول محمد ويشهد لبطلانه ان المراد بالذي قال جنس القائلين ذلك وان قوله تعالى الذين حق عليهم القول هم اصحاب النار وعبد الرحمن كان من افاضل المسلمين وسرواتهم وعن ام المؤمنين عائشة رضي الله عنها انكار نزولها فيه وحين كتب معاوية الى مروان بان يبايع الناس ليزيد قال عبد الرحمن لقد جئتم بها هرقلية اتبايعون لابنائكم فقال مروان يا ايها الناس هو الذي قال الله فيه والذي قال لوالديه اف لكما فسمعت عائشة رضي الله عنها فغضبت وقالت والله ما هو به ولو شئت ان اسميه لسميته ولكن الله لعن اباك وانت في صلبه فانت فضض من لعنة الله وقرئ اف بالكسر والفتح بغير تنوين وبالحركات الثلاث مع التنوين وهو صوت اذا صوت به الانسان علم انه متضجر كما اذا قال حس علم انه متوجع واللام للبيان معناه هذا التأفيف لكما خاصة ولاجلكما دون غيركما وقرئ اتعدانني بنونين واتعداني باحداهما واتعداني بالادغام وقد قرأ بعضهم اتعدانني بفتح النون كانه استثقل اجتماع النونين والكسرتين والياء ففتح الاولى تحريا للتخفيف كما تحراه من ادغم ومن اطرح احداهما ان اخرج ان ابعث واخرج من الارض وقرئ اخرج وقد خلت القرون من قبلي يعني ولم يبعث منهم احد يستغيثان الله يقولان الغياث بالله منك ومن قولك وهو استعظام لقوله ويلك دعاء عليه بالثبور والمراد به الحث والتحريض على الايمان لا حقيقة الهلاك في امم نحو قوله في اصحاب الجنة وقرئ ان بالفتح على معنى آمن بان وعد الله حق ولكل درجات مما عملوا وليوفيهم اعمالهم وهم لا يظلمون ويوم يعرض الذين كفروا على النار ولكل من الجنسين المذكورين درجات مما عملوا اي منازل ومراتب من جزاء ما عملوا من الخير والشر ومن اجل ما عملوا منهما فان قلت كيف قيل درجات وقد جاء الجنة درجات والنار دركات يجوز ان يقال ذلك على وجه التغليب لاشتمال كل على الفريقين وليوفيهم وقرئ بالنون تعليل معلله محذوف لدلالة الكلام عليه كانه قيل وليوفيهم اعمالهم ولا يظلمهم حقوقهم قدر جزاءهم على مقادير اعمالهم فجعل الثواب درجات والعقاب دركات ناصب الظرف هو القول المضمر قبل اذهبتم وعرضهم على النار تعذيبهم بها من قولهم عرض بنو فلان على السيف اذا قتلوا به ومنه قوله عز وجل النار يعرضون عليها ويجوز ان يراد عرض النار

عليهم من قولهم عرضت الناقة على الحوض يريدون عرض الحوض عليها فقلبوا ويدل عليه تفسير ابن عباس رضي الله عنهما يجاء بهم اليها فيكشف لهم عنها أذهبتم طيباتكم في حياتكم الدنيا واستمتعتم بها فاليوم تجزون عذاب الهون بما كنتم تستكبرون في الأرض بغير الحق وبما كنتم تفسقون أذهبتم طيباتكم أي ما كتب لكم حظ من الطيبات إلا ما قد أصبتموه في دنياكم وقد ذهبتم به وأخذتموه فلم يبق لكم بعد استيفاء حظكم شيء منها ۝ وعن عمر رضي الله عنه لو شئت لدعوت بصلائق وصناب وكراكر وأسنمة ولكني رأيت الله تعالى نعى على قوم طيباتهم فقال أذهبتم طيباتكم في حياتكم الدنيا ۝ وعنه لو شئت لكنت أطيبكم طعاما وأحسنكم لباسا ولكني أستبقي طيباتي ۝ وعن رسول الله صلى الله عليه وسلم أنه دخل على أهل الصفة وهم يرقعون ثيابهم بالأدم ما يجدون لها رقاعا فقال أنتم اليوم خير أم يوم يغدو أحدكم في حلة ويروح في أخرى ويغدى عليه بجفنة ويراح عليه بأخرى ويستر بيته كما تستر الكعبة قالوا نحن يومئذ خير قال بل أنتم اليوم خير وقرئ أأذهبتم بهمزة الاستفهام وآأذهبتم بألف بين همزتين الهون الهوان ۝ وقرئ عذاب الهوان ۝ وقرئ تفسقون بضم السين وكسرها واذكر أخا عاد إذ أنذر قومه بالأحقاف وقد خلت النذر من بين يديه ومن خلفه ألا تعبدوا إلا الله إني أخاف عليكم عذاب يوم عظيم ۝ الأحقاف جمع حقف وهو رمل مستطيل مرتفع فيه انحناء من احقوقف الشيء إذا اعوج وكانت عاد أصحاب عمد يسكنون بين رمال مشرفين على البحر بأرض يقال لها الشحر من بلاد اليمن ۝ وقيل بين عمان ومهرة ۝ والنذر جمع نذير بمعنى المنذر أو الإنذار ۝ من بين يديه من قبله ومن خلفه ومن بعده ۝ وقرئ من بين يديه ومن بعده والمعنى أن هودا عليه السلام قد أنذرهم فقال لهم لا تعبدوا إلا الله إني أخاف عليكم العذاب وأعلمهم أن الرسل الذين بعثوا قبله والذين سيبعثون بعده كلهم منذرون نحو إنذاره ۝ وعن ابن عباس رضي الله عنهما يعني الرسل الذين بعثوا قبله والذين بعثوا في زمانه ومعنى ومن خلفه على هذا التفسير ومن بعد إنذاره هذا إذا علقت وقد خلت النذر بقوله تعالى أنذر قومه ولك أن تجعل قوله تعالى وقد خلت النذر من بين يديه ومن خلفه اعتراضا بين قوله أنذر قومه وبين ألا تعبدوا ويكون المعنى واذكر إنذار هود قومه عاقبة الشرك والعذاب العظيم وقد أنذر من تقدمه من الرسل ومن تأخر عنه مثل ذلك فاذكرهم قالوا أجئتنا لتأفكنا عن آلهتنا فأتنا بما تعدنا إن كنت من الصادقين ۝ قال إنما العلم عند الله وأبلغكم ما أرسلت به ولكني أراكم قوما تجهلون ۝ الإفك الصرف يقال أفكه عن رأيه ۝ عن آلهتنا عن عبادتها ۝ بما تعدنا من معاجلة العذاب على الشرك ۝ إن كنت صادقا في وعدك فإن قلت من أين طابق قوله تعالى إنما العلم عند الله جوابا لقولهم فأتنا بما تعدنا من حيث أن قولهم هذا استعجال منهم بالعذاب ۝ ألا ترى إلى قوله بل هو ما استعجلتم به فقال لهم لا علم عندي بالوقت الذي يكون فيه تعذيبكم حكمة وصوابا إنما علم ذلك عند الله فكيف أدعوه بأن يأتيكم بعذابه في وقت عاجل تقترحونه أنتم ۝ ومعنى وأبلغكم ما أرسلت به وقرئ بالتخفيف أن الذي هو شأني وشرطي أن أبلغكم ما أرسلت به من الإنذار والتخويف والصرف عما يعرضكم لسخط الله بجهدي ولكنكم جاهلون لا تعلمون أن الرسل لم يبعثوا إلا منذرين لا مقترحين ولا سائلين غير ما أذن لهم فيه فلما رأوه عارضا مستقبل أوديتهم قالوا هذا عارض ممطرنا بل هو ما استعجلتم به ريح فيها عذاب أليم ۝ فلما رأوه في الضمير وجهان ۝ أن يرجع إلى ما تعدنا ۝ وأن يكون مبهما قد وضح أمره

بقوله عارضا إما تمييزا وإما حالا وهذا الوجه أعرب وأفصح والعارض السحاب الذي يعرض في أفق من السماء ومثله الحبي والعنان من حبا وعن إذا عرض وإضافة مستقبل وممطر مجازية غير معرفة بدليل وقوعهما وهما مضافان إلى معرفتين وصفا للنكرة بل هو القول قبله مضمر والقائل هود عليه السلام والدليل عليه قراءة من قرأ قال هود بل هو وقرئ قل بل ما استعجلتم به هي ريح أي قال الله قل تدمر كل شيء بأمر ربها فأصبحوا لا يرى إلا مساكنهم كذلك نجزي القوم المجرمين ۝ تدمر كل شيء تهلك من نفوس عاد وأموالهم الجم الكثير فعبر عن الكثرة بالكلية وقرئ يدمر كل شيء من دمر دمارا إذا هلك لا ترى الخطاب للرائي من كان ۝ وقرئ لا يرى على البناء للمفعول بالياء والتاء وتأويل القراءة بالتاء وهي عن الحسن لا ترى بقايا ولا أشياء إلا مساكنهم ومنه بيت ذي الرمة ۝ وما بقيت إلا الضلوع الجراشع ۝ وليست بالقوية ۝ وقرئ لا ترى إلا مسكنهم ۝ ولا يرى إلا مسكنهم ۝ وروي أن الريح كانت تحمل الفسطاط والظعينة فترفعها في الجو حتى ترى كأنها جرادة ۝ وقيل أول من أبصر العذاب امرأة منهم قالت رأيت ريحا فيها كشهب النار وروي أنه أول ما عرفوا به أنه عذاب أنهم رأوا ما كان في الصحراء من رجالهم ومواشيهم تطير بهم الريح بين السماء والأرض فدخلوا بيوتهم وغلقوا أبوابهم فقلعت الريح الأبواب وصرعتهم وأمال الله عليهم الأحقاف وكانوا تحتها سبع ليال وثمانية أيام لهم أنين ثم كشفت الريح عنهم فاحتملتهم فطرحتهم في البحر وروي أن هودا عليه السلام لما أحس بالريح خط على نفسه وعلى المؤمنين خطا إلى جنب عين تنبع ۝ وعن ابن عباس اعتزل هود ومن معه في حظيرة ما يصيبهم من الريح إلا ما يلين على الجلود وتلذه الأنفس وإنها لتمر من عاد بالظعن بين السماء والأرض وتدمغهم بالحجارة ۝ وعن النبي صلى الله عليه وسلم أنه كان إذا رأى الريح فزع وقال اللهم إني أسألك خيرها وخير ما أرسلت به وأعوذ بك من شرها وشر ما أرسلت به وإذا رأى مخيلة قام وقعد وجاء وذهب وتغير لونه فيقال له يا رسول الله ما تخاف فيقول إني أخاف أن يكون مثل قوم عاد حيث قالوا هذا عارض ممطرنا فإن قلت ما فائدة إضافة الرب إلى الريح قلت الدلالة على أن الريح وتصريفها مما يشهد لعظم قدرته لأنها من أعاجيب خلقه وأكابر جنوده وذكر الأمر وكونها مأمورة من جهته عز وعلا يعضده ذلك ويقويه ولقد مكناهم فيما إن مكناكم فيه وجعلنا لهم سمعا وأبصارا وأفئدة فما أغنى عنهم سمعهم ولا أبصارهم ولا أفئدتهم من شيء إذ كانوا يجحدون بآيات الله وحاق بهم ما كانوا به يستهزئون ۝ إن نافية أي فيما ما مكناكم فيه إلا أن إن أحسن في اللفظ لما في مجامعة ما مثلها من التكرير المستبشع ومثله مجتنب ألا ترى أن الأصل في مهما ماما فلبشاعة التكرير قلبوا الألف هاء ولقد أغث أبو الطيب في قوله لعمرك ما ما بان منك لضارب ۝ وما ضره لو اقتدى بعذوبة لفظ التنزيل فقال لعمرك ما إن بان منك لضارب ۝ وقد جعلت إن صلة مثلها فيما أنشده الأخفش ۝ يرجي المرء ما إن لا يراه ۝ ويعرض دون أدناه الخطوب ۝ ويؤول بأنا مكناكم في مثل ما مكناكم فيه ۝ والوجه هو الأول ولقد جاء عليه غير آية في القرآن هم أحسن أثاثا ورئيا كانوا أكثر منهم وأشد قوة وآثارا وهو أبلغ في التوبيخ وأدخل في الحث على الاعتبار من شيء أي من شيء من الإغناء وهو القليل منه فإن قلت بم انتصب إذ كانوا يجحدون بقوله فما أغنى ۝ فإن قلت لم جرى مجرى التعليل ۝ قلت لاستواء مؤدى التعليل والظرف في قولك ضربته لإساءته وضربته إذ أساء لأنك إذا ضربته في وقت إساءته فإنما ضربته فيه لوجود إساءته فيه إلا أن إذ وحيث غلبتا دون

سائر الظرف في ذلك ولقد اهلكنا ما حولكم من القرى وصرفنا الآيات لعلهم يرجعون ما حولكم
يا اهل مكة من القرى من حجر ثمود وقرية سدوم وغيرهما والمراد اهل القرى ولذلك قال لعلهم
يرجعون فلولا نصرهم الذين اتخذوا من دون الله قربانا آلهة بل ضلوا عنهم وذلك افكهم
وما كانوا يفترون القربان ما تقرب به الى الله تعالى اي اتخذوهم شفعاء متقربا بهم الى الله حيث
قالوا هؤلاء شفعاؤنا عند الله واحد مفعولي اتخذ الراجع الى الذين المحذوف والثاني آلهة وقربانا
حال ولا يصح ان يكون قربانا مفعولا ثانيا وآلهة بدل منه لفساد المعنى وقرئ قربانا بضم الراء
والمعنى فهلا منعهم من الهلاك آلهتهم بل ضلوا عنهم اي غابوا عن نصرتهم وذلك اشارة الى امتناع
نصرة آلهتهم لهم وضلالهم عنهم اي وذلك اثر افكهم الذي هو اتخاذهم اياها آلهة وثمرة شركهم
وافترائهم على الله الكذب من كونه ذا شركاء وقرئ افكهم والافك والافك كالحذر والحذر
وقرئ وذلك افكهم اي وذلك الاتخاذ الذي هذا اثره وثمرته صرفهم عن الحق وقرئ افكهم على التشديد
للمبالغة وآفكهم جعلهم آفكين وآفكهم اي قولهم الآفك ذو الافك كما تقول قول كاذب وذلك افك
مما كانوا يفترون اي بعض ما كانوا يفترون من الافك واذ صرفنا اليك نفرا من الجن يستمعون القرآن
فلما حضروه قالوا انصتوا فلما قضي ولوا الى قومهم منذرين صرفنا اليك نفرا املناهم اليك
واقبلنا بهم نحوك وقرئ صرّفنا بالتشديد لانهم جماعة والنفر دون العشرة ويجمع انفارا وفي
حديث ابي ذر رضي الله عنه لو كان ههنا احد من انفارنا فلما حضروه الضمير للقرآن اي فلما كان
بمسمع منهم او لرسول الله صلى الله عليه وسلم وتعضده قراءة من قرأ فلما قضى اي اتم قراءته وفرغ منها
قالوا قال بعضهم لبعض انصتوا اسكتوا مستمعين يقال انصت لكذا واستنصت له قالوا يا قومنا انا
سمعنا كتابا انزل من بعد موسى مصدقا لما بين يديه يهدي الى الحق والى طريق مستقيم
روي ان الجن كانت تسترق السمع فلما حرست السماء ورجموا بالشهب قالوا ما هذا الا نبأ حدث
فنهض سبعة نفر او تسعة من اشراف جن نصيبين او نينوى منهم زوبعة فضربوا حتى بلغوا تهامة ثم
اندفعوا الى وادي نخلة فوافقوا النبي صلى الله عليه وسلم وهو قائم في جوف الليل يصلي او في صلاة
الفجر فاستمعوا لقراءته وذلك عند منصرفه من الطائف حين خرج اليهم يستنصرهم فلم يجيبوه
الى طلبته واغروا به سفهاء ثقيف وعن سعيد بن جبير رضي الله عنه ما قرأ رسول الله صلى الله عليه
وسلم على الجن ولا رآهم وانما كان يتلو في صلاته فمروا به فوقفوا مستمعين وهو لا يشعر فانبأه الله
باستماعهم وقيل بل امر الله رسوله ان ينذر الجن ويقرأ عليهم فصرف اليه نفرا منهم جمعهم له فقال
اني امرت ان اقرأ على الجن الليلة فمن يتبعني قالها ثلاثا فاطرقوا الا عبد الله بن مسعود رضي الله
عنه قال لم يحضره ليلة الجن احد غيري فانطلقنا حتى اذا كنا باعلى مكة في شعب الحجون فخط لي خطا وقال
لا تخرج منه حتى اعود اليك ثم افتتح القرآن وسمعت لغطا شديدا حتى خفت على رسول الله عليه
السلام وغشيته اسودة كثيرة حالت بيني وبينه حتى ما اسمع صوته ثم انقطعوا كقطع السحاب
فقال لي رسول الله عليه السلام هل رأيت شيئا قلت نعم رجالا سودا مستثفري ثياب بيض فقال
اولئك جن نصيبين وكانوا اثني عشر الفا والسورة التي قرأها عليهم اقرأ باسم ربك فان قلت
كيف قالوا من بعد موسى عن عطا انهم كانوا على اليهودية وعن ابن عباس رضي الله عنهما ان
الجن لم تكن سمعت بامر عيسى فلذلك قالت من بعد موسى يا قومنا اجيبوا داعي الله وآمنوا به

يغفر

يغفر لكم من ذنوبكم ويجركم من عذاب اليم ومن لا يجب داعي الله فليس بمعجز في الارض وليس له
من دونه اولياء اولئك في ضلال مبين فان قلت لم بعض في قوله من ذنوبكم قلت
لان من الذنوب ما لا يغفر بالايمان كذنوب المظالم ونحوها ونحوه قوله تعالى ان اعبدوا الله
واتقوه واطيعون يغفر لكم من ذنوبكم فان قلت هل للجن ثواب كما للانس قلت اختلف فيه فقيل لا ثواب
لهم الا النجاة من النار لقوله تعالى ويجركم من عذاب اليم واليه كان يذهب ابو حنيفة رحمة الله عليه
والصحيح انهم في حكم بني آدم لانهم مكلفون مثلهم فليس بمعجز في الارض اي لا ينجي منه مهرب ولا يسبق قضاء
سابق ونحوه قوله تعالى وانا ظننا ان لن نعجز الله في الارض ولن نعجزه هربا اولم يروا ان الله الذي
خلق السموات والارض ولم يعي بخلقهن بقادر على ان يحيي الموتى بلى انه على كل شيء قدير
بقادر محله الرفع لانه خبر ان تدل عليه قراءة عبد الله قادر وانما دخلت الباء لاشتمال النفي في اول الآية
على ان وما في حيزها وقال الزجاج لو قلت ما ظننت ان زيدا بقائم جاز كانه قيل أليس الله بقادر والا ترى
الى وقوع بلى مقررة للقدرة على كل شيء من البعث وغيره لا لرؤيتهم وقرئ يقدر ويقال عييت بالامر
اذا لم تعرف وجهه ومنه افعيينا بالخلق الاول ويوم يعرض الذين كفروا على النار أليس هذا بالحق
قالوا بلى وربنا قال فذوقوا العذاب بما كنتم تكفرون أليس هذا بالحق محكي بعد قول مضمر وهذا المضمر
هو ناصب الظرف وهذا اشارة الى العذاب بدليل قوله تعالى فذوقوا العذاب والمعنى التهكم بهم والتوبيخ
لهم على استهزائهم بوعد الله ووعيده وقولهم وما نحن بمعذبين فاصبر كما صبر اولوا العزم من الرسل
ولا تستعجل لهم كانهم يوم يرون ما يوعدون لم يلبثوا الا ساعة من نهار بلاغ فهل يهلك
الا القوم الفاسقون اولوا العزم اولوا الجد والثبات والصبر ومن يجوز ان يكون للتبعيض
ويراد باولي العزم بعض الانبياء قيل هم نوح صبر على اذى قومه كانوا يضربونه حتى يغشى عليه وابراهيم
على النار وذبح ولده واسحق على الذبح ويعقوب على فقد ولده وذهاب بصره ويوسف على الجب والسجن
وايوب على الضر وموسى قال له قومه انا لمدركون قال كلا ان معي ربي سيهدين وداود بكى على خطيئته
اربعين سنة وعيسى لم يضع لبنة على لبنة صلوات الله عليهم وقال انها معبرة فاعبروها ولا تعمروها
قال الله سبحانه وتعالى في آدم ولم نجد له عزما وفي يونس ولا تكن كصاحب الحوت ويجوز ان تكون
للبيان فيكون اولوا العزم صفة الرسل كلهم ولا تستعجل لكفار قريش بالعذاب اي لا تدع لهم بتعجيله
فانه نازل بهم لا محالة وان تأخروا انهم مستقصرون حينئذ مدة لبثهم في الدنيا حتى يحسبونها ساعة
من نهار بلاغ هذا بلاغ اي هذا الذي وعظتم به كفاية في الموعظة او هذا تبليغ من الرسول فهل
يهلك الا الخارجون عن الاتعاظ به والعمل بموجبه ويدل على معنى التبليغ قراءة من قرأ بلغ فهل
يهلك وقرئ بلاغا اي بلغوا بلاغا وقرئ يهلك بفتح الياء وكسر اللام وفتحها من هلك وهلك
ونهلك بالنون الا القوم الفاسقين عن رسول الله صلى الله عليه وسلم من قرأ سورة الاحقاف
كتب له عشر حسنات بعدد كل رملة في الدنيا والله اعلم بالصواب واليه المرجع والمآب

[illegible]

وقال الضحاك وسعيد بن جبير مكية وهي سورة القتال وهي تسع وثلاثون آية وقيل ثمان
بسم الله الرحمن الرحيم الذين كفروا وصدوا عن سبيل الله اضل اعمالهم صدوا واعرضوا

وامتنعوا عن الدخول في الاسلام او صدّوا غيرهم عنه قال ابن عباس رضي الله عنهما هم المطعمون يوم بدر وعن مقاتل كانوا اثني عشر رجلا من اهل الشرك يصدّون الناس عن الاسلام ويأمرونهم بالكفر وقيل هم اهل الكتاب الذين كفروا وصدّوا من اراد منهم ومن غيرهم ان يدخل في الاسلام وقيل هو عام في كل من كفر وصدّ اضلّ اعمالهم ابطلها واحبطها وحقيقته جعلها ضالة ضائعة ليس لها من يتقبلها ويثيب عليها كالضالة من الابل التي هي بمضيعة لا رب لها يحفظها ويعتني بامرها او جعلها ضالة في كفرهم ومعاصيهم مغلوبة بها كما يضل الماء في اللبن واعمالهم ما عملوه في كفرهم بما كانوا يسمونه مكارم من صلة الارحام وفك الاسارى وقرى الاضياف وحفظ الجوار وقيل ابطل ما عملوه من الكيد لرسول الله عليه السلام والصدّ عن سبيل الله بان نصره عليهم واظهر دينه على الدين كله والذين آمنوا وعملوا الصالحات وآمنوا بما نزّل على محمد وهو الحق من ربهم كفّر عنهم سيئاتهم واصلح بالهم والذين آمنوا قال مقاتل هم ناس من قريش وقيل من الانصار وقيل هم مؤمنو اهل الكتاب وقيل هو عام وقوله تعالى وآمنوا بما نزّل على محمد اختصاص للايمان بالمنزل على رسول الله عليه السلام من بين ما يجب به الايمان تعظيما لشانه وتعليما لانه لا يصح الايمان ولا يتم الا به واكّد ذلك بالجملة الاعتراضية التي هي قوله وهو الحق من ربهم وقيل معناها ان دين محمد عليه السلام هو الحق اذ لا يرد عليه النسخ وهو ناسخ لغيره وقرئ نزّل وانزل على البناء للمفعول ونزّل على البناء للفاعل ونزل بالتخفيف كفّر عنهم سيئاتهم ستر بايمانهم وعملهم الصالح ما كان منهم من الكفر والمعاصي لرجوعهم عنها وتوبتهم واصلح بالهم اي حالهم وشانهم بالتوفيق في امور الدين وبالتسليط على الدنيا بما اعطاهم من النصرة والتاييد ذلك بان الذين كفروا اتبعوا الباطل وان الذين آمنوا اتبعوا الحق من ربهم كذلك يضرب الله للناس امثالهم ذلك مبتدأ وما بعده خبره اي ذلك الامر وهو اضلال اعمال احد الفريقين وتكفير سيئات الثاني كائن بسبب اتباع هؤلاء الباطل وهؤلاء الحق ويجوز ان يكون ذلك خبر مبتدأ محذوف اي الامر كما ذكر بهذا السبب فيكون محل الجار والمجرور منصوبا على هذا ومرفوعا على الاول والباطل ما لا ينتفع به وعن مجاهد الباطل الشيطان وهذا الكلام يسميه علماء البيان التفسير كذلك مثل ذلك الضرب يضرب الله للناس امثالهم والضمير راجع الى الناس او الى المذكورين من الفريقين على معنى انه يضرب امثالهم لاجل الناس ليعتبروا بهم فان قلت اين ضرب الامثال قلت في ان جعل اتباع الباطل مثلا لعمل الكفار واتباع الحق مثلا لعمل المؤمنين او في ان جعل الاضلال مثلا لخيبة الكفار وتكفير السيئات مثلا لفوز المؤمنين فاذا لقيتم الذين كفروا فضرب الرقاب حتى اذا اثخنتموهم فشدّوا الوثاق لقيتم من اللقاء وهو الحرب فضرب الرقاب اصله فاضربوا الرقاب ضربا فحذف الفعل وقدم المصدر فانيب منابه مضافا الى المفعول وفيه اختصار مع اعطاء معنى التوكيد لانك تذكر المصدر وتدل على الفعل بالنصبة التي فيه وضرب الرقاب عبارة عن القتل لا ان الواجب ان تضرب الرقاب خاصة دون غيرها من الاعضاء وذلك انهم كانوا يقولون ضرب الامير رقبة فلان وضرب عنقه وعلاوته وضرب ما فيه عيناه اذا قتله وذلك ان قتل الانسان اكثر ما يكون بضرب رقبته فوقع عبارة عن القتل وان ضرب غير رقبته من المقاتل كما ذكرنا في قوله بما كسبت ايديكم على ان في هذه العبارة من الغلظة والشدة ما ليس في لفظ القتل لما فيه من تصوير القتل باشنع صوره وهو حزّ العنق واطارة العضو الذي هو راس البدن وعلوه واوجه اعضائه ولقد زاد في هذه الغلظة في قوله تعالى

تا عنا لحويته في ضرب الرقاب

فاضربوا فوق الاعناق واضربوا منهم كل بنان اثخنتموهم اكثرتم قتلهم واغلظتموه من الشيء الثخين وهو الغليظ او اثقلتموهم بالقتل والجراح حتى اذهبتم عنهم النهوض فشدّوا الوثاق فأسروهم والوثاق بالفتح والكسر اسم ما يوثق به فاما منّا بعد واما فداء حتى تضع الحرب اوزارها ذلك ولو يشاء الله لانتصر منهم ولكن ليبلو بعضكم ببعض منّا وفداء منصوبان بفعليهما مضمرين اي فاما تمنّون منّا واما تفدون فداء والمعنى التخيير بعد الاسر بين ان يمنّوا عليهم فيطلقوهم وبين ان يفادوهم فان قلت كيف حكم اسارى المشركين قلت اما عند ابي حنيفة واصحابه فاحد امرين اما قتلهم واما استرقاقهم ايهما رأى الامام ويقولون في المنّ والفداء المذكورين في الآية نزل ذلك في يوم بدر ثم نسخ وعن مجاهد ليس اليوم منّ ولا فداء وانما هو الاسلام او ضرب العنق ويجوز ان يراد بالمنّ ان يمنّ عليهم بترك القتل ويسترقوا او يمنّ عليهم فيخلّوا لقبولهم الجزية وكونهم من اهل الذمة وبالفداء ان يفادى باساراهم اسارى المشركين فقد رواه الطحاوي مذهبا عن ابي حنيفة رحمة الله عليه والمشهور انه لا يرى فداءهم لا بمال ولا بغيره خيفة ان يعودوا حربا للمسلمين واما الشافعي رضي الله عنه فيقول للامام ان يختار احد اربعة على حسب ما اقتضاه نظره للمسلمين وهو القتل والاسترقاق والفداء باسارى المسلمين والمنّ ويحتج بان رسول الله عليه السلام منّ على ابي عزة الجمحي وعلى اثال الحنفي وفادى رجلا برجلين من المشركين وهذا كله منسوخ عند اصحاب الرأي وقرئ فدا بالقصر مع فتح الفاء اوزار الحرب آلاتها واثقالها التي لا تقوم الا بها كالسلاح والكراع قال الاعشى واعددت للحرب اوزارها رماحا طوالا وخيلا ذكورا وسميت اوزارها لانه لما لم يكن لها بد من جرّها فكأنها تحملها وتستقل بها فاذا انقضت فكأنها وضعتها وقيل اوزارها آثامها يعني حتى يترك اهل الحرب وهم المشركون شركهم ومعاصيهم بان يسلموا فان قلت حتى بم تعلقت قلت لا تخلو من ان تتعلق بالضرب والشدّ او بالمنّ والفداء فالمعنى على كلا المتعلقين عند الشافعي رضي الله عنه انهم لا يزالون على ذلك ابدا الى ان لا يكون حرب مع المشركين وذلك اذا لم يبق لهم شوكة وقيل اذا نزل عيسى عليه السلام وعند ابي حنيفة رحمة الله عليه اذا علّق بالضرب والشدّ فالمعنى انهم يقتلون ويؤسرون حتى يضع جنس الحرب الاوزار وذلك حين لا تبقى شوكة للمشركين واذا علّق بالمنّ والفداء فالمعنى انه يمنّ عليهم ويفادون حتى تضع حرب بدر اوزارها الا ان يتأول المنّ والفداء بما ذكرنا من التأويل ذلك اي الامر ذلك او افعلوا ذلك لانتصر منهم لانتقم منهم ببعض اسباب الهلاك من خسف او رجفة او حاصب او غرق او موت جارف ولكن امركم بالقتال ليبلو المؤمنين بالكافرين بان يجاهدوا ويصبروا حتى يستوجبوا الثواب العظيم والكافرين بالمؤمنين بان يعاجلهم على ايديهم ببعض ما وجب لهم من العذاب والذين قتلوا في سبيل الله فلن يضل اعمالهم سيهديهم ويصلح بالهم ويدخلهم الجنة عرّفها لهم وقرئ قتلوا بالتخفيف والتشديد وقاتلوا وقتلوا وقرئ فلن يضل اعمالهم وتضل اعمالهم على البناء للمفعول ويضل اعمالهم من ضلّ وعن قتادة انها نزلت في يوم احد عرّفها لهم اعلمها لهم وبيّنها بما يعلم به كل احد منزلته ودرجته من الجنة قال مجاهد يهتدي اهل الجنة الى مساكنهم منها لا يخطئون كانهم كانوا سكانها منذ خلقوا لا يستدلون عليها وعن مقاتل ان الملك الذي وكّل بحفظ عمله في الدنيا يمشي بين يديه فيعرّفه كل شيء اعطاه الله او طيّبها لهم من العرف وهو طيب الرائحة وفي كلام بعضهم عزف كنوح القماري وعرف كفوح القماري او حدّدها لهم فجنة كل احد محدودة مفرزة عن غيرها من عرّف الدار وارّفها والعرف والارف

الحدود يا أيها الذين آمنوا إن تنصروا الله ينصركم ويثبت أقدامكم والذين كفروا فتعسا لهم
وأضل أعمالهم إن تنصروا دين الله ورسوله ينصركم على عدوكم ويفتح لكم ويثبت أقدامكم
في مواطن الحرب أو على محجة الإسلام والذين كفروا يحتمل الرفع على الابتداء والنصب بما يفسره
فتعسا لهم كأنه قيل أتعس الذين كفروا فإن قلت علام عطف قوله وأضل أعمالهم قلت
على الفعل الذي نصب تعسا لأن المعنى فقال تعسا لهم أو فقضى تعسا لهم وتعسا له نقيض لعا له قال
الأعشى فالتعس أولى لها من أن أقول لعا يريد فالعثور والانحطاط أقرب لها من الانتعاش والثبوت
وعن ابن عباس رضي الله عنهما يريد في الدنيا القتل وفي الآخرة التردي في النار ذلك بأنهم كرهوا ما
أنزل الله فأحبط أعمالهم كرهوا القرآن وما أنزل الله فيه من التكاليف والأحكام لأنهم قد ألفوا
الإهمال وإطلاق العنان في الشهوات والملاذ فشق عليهم ذلك وتعاظمهم أفلم يسيروا في
الأرض فينظروا كيف كان عاقبة الذين من قبلهم دمر الله عليهم وللكافرين أمثالها دمره
أهلكه ودمر عليه أهلك عليه ما يختص به والمعنى دمر الله عليهم ما اختص بهم من أنفسهم وأولادهم
وأموالهم وكل ما كان لهم وللكافرين أمثالها الضمير للعاقبة المذكورة أو للهلكة لأن التدمير
يدل عليها أو للسنة لقوله تعالى سنة الله في الذين خلوا ذلك بأن الله مولى الذين آمنوا وأن
الكافرين لا مولى لهم مولى الذين آمنوا وليهم وناصرهم وفي قراءة ابن مسعود رضي الله عنه ولي
الذين آمنوا ويروى أن رسول الله صلى الله عليه وسلم كان في الشعب يوم أحد وقد فشت فيهم
الجراحات وفيه نزلت فنادى المشركون اعل هبل فنادى المسلمون الله أعلى وأجل فنادى المشركون
يوم بيوم والحرب سجال إن لنا عزى ولا عزى لكم فقال رسول الله عليه السلام قولوا الله مولانا ولا
مولى لكم إن القتلى مختلفة أما قتلانا فأحياء يرزقون وأما قتلاكم ففي النار يعذبون فإن قلت
قوله تعالى وردوا إلى الله مولاهم الحق مناقض لهذه الآية قلت لا تناقض بينهما لأن الله تعالى مولى
عباده جميعا على معنى أنه ربهم ومالك أمرهم وأما على معنى الناصر فهو مولى المؤمنين خاصة
إن الله يدخل الذين آمنوا وعملوا الصالحات جنات تجري من تحتها الأنهار والذين كفروا
يتمتعون ويأكلون كما تأكل الأنعام والنار مثوى لهم يتمتعون ينتفعون بمتاع الحياة
الدنيا أياما قلائل ويأكلون غافلين غير مفكرين في العاقبة كما تأكل الأنعام في مسارحها ومعالفها
غافلة عما هي بصدده من النحر والذبح مثوى لهم منزل ومقام وكأين من قرية هي أشد قوة من قريتك
التي أخرجتك أهلكناهم فلا ناصر لهم أفمن كان على بينة من ربه كمن زين له سوء عمله
واتبعوا أهواءهم وقرئ وكائن بوزن كاعن وأراد بالقرية أهلها ولذلك قال أهلكناهم
كأنه قال وكم من قوم هم أشد قوة من قومك الذين أخرجوك أهلكناهم ومعنى أخرجوك كانوا سبب
خروجك فإن قلت كيف قال فلا ناصر لهم وإنما هو أمر قد مضى قلت مجرى مجرى الحال المحكية
كقولك أهلكناهم فهم لا ينصرون من زين له هم أهل مكة الذين زين لهم الشيطان شركهم
وعداوتهم لله ورسوله ومن كان على بينة من ربه أي على حجة من عنده وبرهان وهو القرآن
المعجز وسائر المعجزات هو رسول الله صلى الله عليه وسلم وقرئ أمن كان على بينة من ربه أي على
حجة من عنده وقال عز وجل سوء عمله واتبعوا للحمل على لفظ من ومعناه مثل الجنة التي وعد
المتقون فيها أنهار من ماء غير آسن وأنهار من لبن لم يتغير طعمه وأنهار من خمر لذة

للشاربين وأنهار من عسل مصفى ولهم فيها من كل الثمرات ومغفرة من ربهم كمن هو خالد في النار
وسقوا ماء حميما فقطع أمعاءهم فإن قلت ما معنى قوله تعالى مثل الجنة التي وعد المتقون
فيها أنهار كمن هو خالد في النار هو كلام في صورة الإثبات ومعنى النفي والإنكار لانطوائه
تحت حكم كلام مصدر بحرف الإنكار ودخوله في حيزه وانخراطه في سلكه وهو قوله تعالى أفمن كان على
بينة من ربه كمن زين له سوء عمله فكأنه قيل أمثل الجنة كمن هو خالد في النار أي كمثل جزاء من هو
خالد في النار فإن قلت فلم عري من حرف الإنكار وما فائدة التعرية قلت تعريته من حرف الإنكار
فيها زيادة تصوير لمكابرة من يسوي بين المتمسك بالبينة والتابع لهواه وأنه بمنزلة من يثبت
التسوية بين الجنة التي تجري فيها تلك الأنهار وبين النار التي يسقى أهلها الحميم ونظيره
قول القائل أفرح أن أرزأ الكرام وأن أورث ذودا شصائصا نبلا هو كلام منكر للفرح
برزية الكرام ووراثة الذود مع تعريه من حرف الإنكار لانطوائه تحت حكم قول من قال أتفرح بموت
أخيك وبوراثة إبله والذي طرح لأجله حرف الإنكار إرادة أن يصور قبح ما أزن به فكأنه قال نعم
مثلي يفرح بمرزئة الكرام وبأن يستبدل منهم ذودا يقل طائله وهو من التسليم الذي تحته كل إنكار
ومثل الجنة صفة الجنة العجيبة الشأن وهو مبتدأ وخبره كمن هو خالد وقوله تعالى فيها أنهار
داخل في حكم الصلة كالتكرير لها ألا ترى إلى صحة قولك التي فيها أنهار ويجوز أن يكون خبر
مبتدأ محذوف هي فيها أنهار وكأن قائلا قال وما مثلها فقيل فيها أنهار وأن يكون في موضع
الحال أي مستقرة فيها أنهار وفي قراءة علي رضي الله عنه أمثال الجنة أي ما صفاتها كصفات النار
وقرئ أسن يقال أسن الماء وأجن إذا تغير طعمه وريحه وأنشد ليزيد بن معاوية
لقد سقتني رضابا غير ذي أسن كالمسك فت على ماء العناقيد من لبن لم يتغير
طعمه كما يتغير ألبان الدنيا فلا يعود قارصا ولا حازرا ولا ما يكره من الطعوم لذة تأنيث لذ
وهو اللذيذ أو وصف بمصدر وقرئ بالحركات الثلاث فالجر على صفة الخمر والرفع على صفة الأنهار
والنصب على العلة أي لأجل لذة الشاربين والمعنى ما هو إلا التلذذ الخالص ليس معه ذهاب
عقل ولا خمار ولا صداع ولا آفة من آفات الخمر مصفى لم يخرج من بطون النحل فيخالطه الشمع وغيره
ماء حميما قيل إذا دنا منهم شوى وجوههم وانمازت فروة رؤوسهم فإذا شربوه قطع أمعاءهم
ومنهم من يستمع إليك حتى إذا خرجوا من عندك قالوا للذين أوتوا العلم ماذا قال آنفا أولئك
الذين طبع الله على قلوبهم واتبعوا أهواءهم هم المنافقون كانوا يحضرون مجلس رسول الله
صلى الله عليه وسلم فيسمعون كلامه ولا يعونه ولا يلقون له بالا تهاونا منهم فإذا خرجوا
قالوا لأولي العلم من الصحابة ماذا قال الساعة على جهة الاستهزاء وقيل كان يخطب فإذا عاب
المنافقين خرجوا فقالوا ذلك للعلماء وقيل قالوه لعبد الله بن مسعود رضي الله عنه وعن
ابن عباس رضي الله عنهما أنا منهم وقد سميت فيمن سئل آنفا وقرئ أنفا على فعل نصب على
الظرف قال الزجاج هو من استأنفت الشيء إذا ابتدأته والمعنى ماذا قال في أول وقت يقرب
منا والذين اهتدوا زادهم هدى وآتاهم تقواهم زادهم الله هدى بالتوفيق وآتاهم تقواهم
أعانهم عليها أو آتاهم جزاء تقواهم وعن السدي بين لهم ما يتقون وقرئ وأعطاهم وقيل
الضمير في زادهم لقول الرسول أو لاستهزاء المنافقين فهل ينظرون إلا الساعة أن تأتيهم

بغتة فقد جاء اشراطها فانى لهم اذا جاءتهم ذكراهم ان تاتيهم بدل اشتمال من الساعة نحو ان تطاؤهم
من قوله تعالى رجال مؤمنون ونساء مؤمنات ● وقرئ ان تاتهم بالوقف على الساعة واستيناف الشرط
وهي في مصاحف اهل مكة كذلك ● فان قلت فما جزاء الشرط ● قلت قوله فانى لهم ومعناه ان تاتهم
الساعة فكيف لهم ذكراهم اي تذكرهم واتعاظهم اذا جاءتهم الساعة يعني لا تنفعهم الذكرى حينئذ
كقوله تعالى يومئذ يتذكر الانسان وانى له الذكرى فان قلت بم يتصل قوله فقد جاء اشراطها
على القرائتين باتيان الساعة اتصال العلة بالمعلول كقولك ان اكرمني زيد فانا حقيق بالاكرام
اكرمه ● والاشراط العلامات قال ابو الاسود ● فان كنت قد ازمعت بالصرم بيننا ● فقد جعلت اشراط
اوله تبدو ● وقيل مبعث محمد خاتم الانبياء صلى الله عليه وسلم منها ● وانشقاق القمر ● والدخان
وعن الكلبي كثرة المال والتجارة وشهادة الزور ● وقطع الارحام ● وقلة الكرام ● وكثرة اللئام
وقرئ بغتة بوزن جربة وهي غريبة لم ترد في المصادر اختها وهي مروية عن ابي عمرو وما اخوفني ان
تكون غلطة من الراوي على ابي عمرو وان يكون الصواب بغتة بفتح الغين من غير تشديد كقراءة الحسن
فيما تقدم فاعلم انه لا اله الا الله واستغفر لذنبك وللمؤمنين والمؤمنات والله يعلم متقلبكم
ومثويكم ● لما ذكر حال المؤمنين وحال الكافرين قال اذا علمت ان الامر كما ذكر من سعادة هؤلاء وشقاوة
هؤلاء فاثبت على ما انت عليه من العلم بوحدانية الله وعلى التواضع وهضم النفس باستغفار ذنبك
وذنوب من على دينك والله يعلم احوالكم ومتصرفاتكم ومتقلبكم في معايشكم ومتاجركم
ويعلم حيث تستقرون من منازلكم ● او متقلبكم في حيوتكم ومثواكم في القبور ● او متقلبكم في
اعمالكم ومثواكم من الجنة والنار ومثله حقيق بان يخشى ويتقى وان يستغفر ويسترحم ● وعن سفين
ابن عيينة انه سئل عن فضل العلم فقال الم تسمع قوله حين بدأ به فاعلم انه لا اله الا الله واستغفر
لذنبك فامر بالعمل بعد العلم ● وقال اعلموا انما الحيوة الدنيا لعب ولهو الى قوله سابقوا الى مغفرة
من ربكم ● وقال تعالى واعلموا انما اموالكم واولادكم فتنة ثم قال بعد فاحذروهم وقال
واعلموا انما غنمتم من شيء فان لله خمسه ثم امر بالعمل بعده ويقول الذين امنوا لولا نزلت سورة
فاذا انزلت سورة محكمة وذكر فيها القتال ● كانوا يدعون الحرص على الجهاد ويتمنونه بالسنتهم
ويقولون لولا انزلت سورة في معنى الجهاد فاذا انزلت وامروا فيها بما تمنوا وحرصوا عليه كاعوا
وشق عليهم وسقطوا في ايديهم كقوله تعالى فلما كتب عليهم القتال اذا فريق منهم يخشون الناس محكمة
مبينة غير متشابهة لا تحتمل وجها الا وجوب القتال ● وعن قتادة كل سورة فيها ذكر القتال
فهي محكمة وهي اشد القرآن على المنافقين ● وقيل لها محكمة لان النسخ لا يرد عليها من قبل ان القتال
قد نسخ ما كان من الصفح والمهادنة وهو غير منسوخ الى يوم القيمة ● وقيل هي المحدثة لانها حين يحدث
نزولها لا يتناولها النسخ ثم تنسخ بعد ذلك او تبقى غير منسوخة ● وفي قراءة عبد الله سورة محدثة
وقرئ فاذا نزلت سورة وذكر فيها القتال على البناء للفاعل ونصب القتال رايت الذين
في قلوبهم مرض ينظرون اليك نظر المغشي عليه من الموت فاولى لهم طاعة وقول معروف ●
الذين في قلوبهم مرض هم الذين كانوا على حرف غير ثابتي الاقدام ● نظر المغشي عليه من الموت
اي تشخص ابصارهم جبنا وهلعا كما ينظر من اصابته الغشية عند الموت ● فاولى لهم وعيد بمعنى
فويل لهم وهو افعل من الولي وهو القرب ومعناه الدعاء عليهم بان يليهم المكروه ● طاعة وقول

معروف

معروف كلام مستانف اي طاعة وقول معروف خير لهم ● وقيل هي حكاية قولهم اي قالوا طاعة وقول معروف
بمعنى امرنا طاعة وقول معروف وتشهد له قراءة ابي رضي الله عنه يقولون طاعة وقول معروف
فاذا عزم الامر فلو صدقوا الله لكان خيرا لهم فهل عسيتم ان توليتم ان تفسدوا في الارض
وتقطعوا ارحامكم ● اولئك الذين لعنهم الله فاصمهم واعمى ابصارهم ● فاذا عزم الامر
اي جد والعزم والجد لاصحاب الامر وانما يسندان الى الامر اسنادا مجازيا ● ومنه قوله تعالى ان
ذلك لمن عزم الامور ● فلو صدقوا الله فيما زعموا من الحرص على الجهاد ● او فلو صدقوا في ايمانهم
وواطأت قلوبهم فيه السنتهم ● عسيت وعسيتم لغة اهل الحجاز واما بنو تميم فيقولون عسى ان تفعل
وعسى ان تفعلوا ولا يلحقون الضمائر ● وقرأ نافع بكسر السين وهو غريب وقد نقل الكلام من الغيبة
الى الخطاب على طريقة الالتفات ليكون ابلغ في التوبيخ فان قلت ما معنى فهل عسيتم ان تفسدوا
في الارض قلت معناه هل يتوقع منكم الافساد ● فان قلت فكيف يصح هذا في كلام الله عز وعلا وهو
عالم بما كان وبما يكون ● قلت معناه انكم لما عهد منكم احقاء بان يقول لكم كل من ذاقكم وعرف
تمريضكم ورخاوة عقدكم في الايمان يا هؤلاء ما ترون هل يتوقع منكم ان توليتم امور الناس
وتامرتم عليهم لما تبين منكم من الشواهد ولاح من المخايل ان تفسدوا في الارض وتقطعوا ارحامكم
تناحرا على الملك وتهالكا على الدنيا ● وقيل ان اعرضتم وتوليتم عن دين رسول الله عليه السلام وسنته
ان ترجعوا الى ما كنتم عليه في الجاهلية من الافساد في الارض بالتغاور والتناهب وقطع الارحام
بمقاتلة بعض الاقارب بعضا ووأد البنات وقرئ وليتم ● وفي قراءة علي بن ابي طالب رضي الله
عنه توليتم اي ان تولاكم ولاة غشمة خرجتم معهم ومشيتم تحت لوائهم وافسدتم بافسادهم
وقرئ وتقطعوا وتقطعوا من التقطيع والتقطع ● اولئك اشارة الى المذكورين لعنهم الله لافسادهم
وقطعهم الارحام فمنعهم الطافه وخذلهم حتى صموا عن استماع الموعظة وعموا عن ابصار طريق
الهدى ● ويجوز ان يريد بالذين امنوا المؤمنين الخلص الثابتين وانهم يتشوقون الى الوحي
اذا ابطأ عليهم فاذا انزلت سورة في معنى الجهاد رايت المنافقين فيما بينهم يضجرون منها افلا
يتدبرون القرآن ام على قلوب اقفالها ● افلا يتدبرون القرآن ويتصفحونه وما فيه من المواعظ
والزواجر ووعيد العصاة حتى لا يجسروا على المعاصي ثم قال ام على قلوب اقفالها وام بمعنى بل وهمزة
التقرير للتسجيل عليهم بان قلوبهم مقفلة لا يتوصل اليها ذكر ● وعن قتادة اذن والله يجدوا
في القرآن زاجرا عن معصية الله لو تدبروه ولكنهم اخذوا بالمتشابه فهلكوا فان قلت لم
نكرت القلوب واضيفت الاقفال اليها قلت اما التنكير ففيه وجهان ● ان يراد على قلوب
قاسية مبهم امرها في ذلك ● او يراد على بعض القلوب وهي قلوب المنافقين ● واما اضافة الاقفال
فلانه يريد الاقفال المختصة بها وهي اقفال الكفر التي استغلقت فلا تنفتح ● وقرئ
اقفالها على المصدر ان الذين ارتدوا على ادبارهم من بعد ما تبين لهم الهدى الشيطان سول
لهم واملى لهم ● الشيطان سول لهم جملة من مبتدأ وخبر وقعت خبرا لان كقولك ان زيدا عمرو
مر به ● سول لهم سهل لهم ركوب العظائم من السول وهو الاسترخاء وقد اشتقه من السول من لا علم
له بالتصريف والاشتقاق جميعا ● واملى لهم ومد لهم في الامال والاماني وقرئ واملي لهم يعني
ان الشيطان يغويهم وانا انظرهم كقوله تعالى انما نملي لهم ● وقرئ واملي لهم على البناء للمفعول

اى امهلوا ومد فى عمرهم وقرئ سوّل لهم ومعناه كيد الشيطان زين لهم على تقدير حذف المضاف فان قلت من هولاء قلت اليهود كفروا بمحمد صلى الله عليه وسلم من بعد ما تبين لهم وهو نعته فى التورية وقيل هم المنافقون ذلك بانهم قالوا للذين كرهوا ما نزل الله سنطيعكم فى بعض الامر والله يعلم اسرارهم الذين قالوا القائلون اليهود والذين كرهوا ما نزل الله المنافقون وقيل عكسه وانه قول المنافقين لقريظة والنضير لئن اخرجتم لنخرجن معكم وقيل بعض الامر التكذيب برسول الله عليه السلام او بلا اله الا الله او ترك القتال معه وقيل هو احد الفريقين للمشركين سنطيعكم فى التظافر على عداوة رسول الله عليه السلام والقعود عن الجهاد معه ومعنى فى بعض الامر فى بعض ما تامرون به او فى بعض الامر الذى يهمكم والله يعلم اسرارهم وقرئ اسرارهم على المصدر قالوا ذلك سرا فيما بينهم فافشاه الله عليهم فكيف اذا توفتهم الملائكة يضربون وجوههم وادبارهم ذلك بانهم اتبعوا ما اسخط الله وكرهوا رضوانه فاحبط اعمالهم فكيف يعملون حينئذ وقرئ توفاهم ويحتمل ان يكون ماضيا ومضارعا وقد حذفت احدى تائيه كقوله تعالى ان الذين توفاهم الملائكة وعن ابن عباس رضى الله عنهما لا يتوفى احد على معصية الله الا يضرب من الملائكة فى وجهه ودبره ذلك اشارة الى التوفى الموصوف ما اسخط الله من كتمان نعت رسول الله عليه السلام ورضوانه الايمان برسول الله ام حسب الذين فى قلوبهم مرض ان لن يخرج الله اضغانهم اضغانهم احقادهم واخراجها ابرازها لرسول الله صلى الله وسلم عليه وللمؤمنين واظهارهم على نفاقهم وعداوتهم لهم وكانت صدورهم تغلى حنقا عليهم ولو نشاء لاريناكهم فلعرفتهم بسيماهم ولتعرفنهم فى لحن القول والله يعلم اعمالكم لاريناكهم لعرفناكهم ودللناك عليهم حتى تعرفهم باعيانهم لا يخفون عليك بسيماهم بعلامتهم وهو ان يسمهم الله بعلامة يعلمون بها وعن انس بن مالك رضى الله عنه ما خفى على رسول الله صلى الله عليه وسلم بعد هذه الاية شيء من المنافقين كان يعرفهم بسيماهم ولقد كنا فى بعض الغزوات وفيها تسعة من المنافقين يشكوهم الناس فناموا ذات ليلة واصبحوا وعلى جبهة كل واحد منهم مكتوب هذا منافق فان قلت اى فرق بين اللامين فى فلعرفتهم ولتعرفنهم قلت الاولى هى الداخلة فى جواب لو كالتى فى لاريناكهم كررت فى المعطوف واما اللام فى ولتعرفنهم فواقعة مع النون فى جواب قسم محذوف فى لحن القول فى نحوه واسلوبه وعن ابن عباس رضى الله عنهما هو قولهم ما لنا ان اطعنا من الثواب ولا يقولون ما علينا ان عصينا من العقاب وقيل اللحن ان تلحن بكلامك اى تميله الى نحو من الانحاء ليفطن له صاحبك كالتعريض والتورية قال ولقد لحنت لكم لكيما تفقهوا واللحن يعرفه ذوو الالباب وقيل للمخطئ لاحن لانه يعدل بالكلام عن الصواب ولنبلونكم حتى نعلم المجاهدين منكم والصابرين ونبلو اخباركم اخباركم ما يحكى عنكم وما يخبر به عن اعمالكم ليعلم حسنها من قبيحها لان الخبر على حسب المخبر عنه ان حسنا فحسن وان قبيحا فقبيح وقرأ يعقوب ونبلو بسكون الواو على معنى ونحن نبلو اخباركم وقرئ وليبلونكم ويعلم ويبلو بالياء وعن الفضيل انه كان اذا قرأها بكى وقال اللهم لا تبلنا فانك ان بلوتنا فضحتنا وهتكت استارنا وعذبتنا ان الذين كفروا وصدوا عن سبيل الله وشاقوا الرسول من بعد ما تبين لهم الهدى لن يضروا الله شيئا وسيحبط اعمالهم وسيحبط اعمالهم التى عملوها فى دينهم يرجون بها الثواب لانها مع كفرهم برسول الله باطلة وهم قريظة والنضير

التناصر بالضاد العجز التعاون

او

او سيحبط اعمالهم التى عملوها والمكايد التى نصبوها فى مشاقة الرسول اى سيبطلها فلا يصلون منها الى اغراضهم بل يستضرون بها ولا تثمر لهم الا القتل والجلاء عن اوطانهم وقيل هم رؤساء قريش والمطعمون يوم بدر يا ايها الذين امنوا اطيعوا الله واطيعوا الرسول ولا تبطلوا اعمالكم ولا تبطلوا اعمالكم اى لا تحبطوا الطاعات بالكبائر كقوله عز وجل لا ترفعوا اصواتكم فوق صوت النبى الى ان قال ان تحبط اعمالكم وعن ابى العالية كان اصحاب رسول الله عليه السلام يرون انه لا يضر مع الايمان ذنب كما لا ينفع مع الشرك عمل حتى نزلت ولا تبطلوا اعمالكم فكانوا يخافون الكبائر على اعمالهم وعن حذيفة فخافوا ان تحبط الكبائر اعمالهم وعن ابن عمر رضى الله عنهما كنا نرى انه ليس شيء من حسناتنا الا مقبولا حتى نزل ولا تبطلوا اعمالكم فقلنا ما هذا الذى يبطل اعمالنا فقلنا الكبائر الموجبات والفواحش حتى نزل ان الله لا يغفر ان يشرك به ويغفر ما دون ذلك لمن يشاء فكففنا عن القول فى ذلك فكنا نخاف على من اصاب الكبائر ونرجو لمن لم يصبها وعن قتادة رحم الله عبدا لم يحبط عمله الصالح بعمله السيء وقيل لا تبطلوها بمعصيتهما وعن ابن عباس رضى الله عنهما لا تبطلوها بالرياء والسمعة وعنه بالشك والنفاق وقيل بالعجب فان العجب يأكل الحسنات كما تأكل النار الحطب وقيل لا تبطلوا صدقاتكم بالمن والاذى ان الذين كفروا وصدوا عن سبيل الله ثم ماتوا وهم كفار فلن يغفر الله لهم فلا تهنوا وتدعوا الى السلم وانتم الاعلون والله معكم ولن يتركم اعمالكم ثم ماتوا وهم كفار قيل هم اصحاب القليب والظاهر العموم فلا تهنوا فلا تضعفوا ولا تذلوا للعدو ولا تدعوا الى السلم وقرئ السلم وهما المسالمة وانتم الاعلون اى الاغلبون الاقهرون والله معكم اى ناصركم وعن قتادة لا تكونوا اول الطائفتين ضرعت الى صاحبتها بالموادعة وقرئ ولا تدعوا من ادعى القوم وتداعوا اذا دعوا نحو قولك ارتموا الصيد وتراموه وتدعوا مجزوم لدخوله فى حكم النهى او منصوب لاضمار ان ونحو قوله تعالى وانتم الاعلون قوله تعالى انك انت الاعلى ولن يتركم من وترت الرجل اذا قتلت له قتيلا من ولد او اخ او حميم او حربته وحقيقته افردته من قريبه او ماله من الوتر وهو الفرد فشبه اضاعة عمل العامل وتعطيل ثوابه بوتر الواتر وهو من فصيح الكلام ومنه قوله صلى الله عليه وسلم من فاتته صلوة العصر فكانما وتر اهله وماله اى افرد عنهما قتلا ونهبا انما الحيوة الدنيا لعب ولهو وان تؤمنوا وتتقوا يؤتكم اجوركم ولا يسألكم اموالكم ان يسألكموها فيحفكم تبخلوا ويخرج اضغانكم يؤتكم اجوركم ثواب ايمانكم وتقواكم ولا يسألكم اموالكم اى ولا يسألكم جميعها انما يقتصر منكم على ربع العشر ثم قال ان يسألكموها فيحفكم اى يجهدكم ويطلبه كله والاحفاء المبالغة وبلوغ الغاية فى كل شيء يقال احفاه فى المسألة اذا لم يترك شيئا من الالحاح واحفى شاربه اذا استأصله تبخلوا ويخرج اضغانكم اى تضطغنون على رسول الله عليه السلام وتضيق صدوركم لذلك واظهر كراهتكم ومقتكم لدين يذهب باموالكم والضمير فى يخرج لله عز وجل اى يضغنكم بطلب اموالكم او للبخل لانه سبب الاضطغان وقرئ نخرج بالنون ويخرج بالياء والتاء مع فتحهما ورفع اضغانكم ها انتم هولاء تدعون لتنفقوا فى سبيل الله هولاء موصول بمعنى الذين صلته تدعون اى انتم الذين تدعون او انتم يا مخاطبون هولاء الموصوفون ثم استأنف وصفهم كانهم قالوا وما وصفنا فقيل تدعون لتنفقوا فى سبيل الله قيل هى النفقة فى الغزو وقيل الزكوة كانه قيل الدليل على انه لو احفاكم لبخلتم وكرهتم العطاء

واصطفيتم الكفر تدعون الى اداء ربع العشر فمنكم من يبخل ومن يبخل فانما يبخل عن نفسه والله
الغني وانتم الفقراء • فمنكم ناس يبخلون به • ثم قال ومن يبخل بالصدقة واداء الفريضة فلا
يتعداه ضرر بخله وانما يبخل على نفسه يقال بخلت عليه وعنه وكذلك ضننت عليه وعنه ثم اخبر
انه لا يأمر بذلك ولا يدعو اليه لحاجته اليه فهو الغني الذي تستحيل عليه الحاجات ولكن لحاجتكم
وفقركم الى الثواب وان تتولوا يستبدل قوما غيركم ثم لا يكونوا امثالكم • وان تتولوا معطوف
على وان تؤمنوا وتتقوا • يستبدل قوما غيركم يخلق قوما سواكم على خلاف صفتكم راغبين في
الايمان والتقوى غير متولين عنهما كقوله عز وعلا ويأت بخلق جديد • وقيل هم الملائكة وقيل
الانصار • وعن ابن عباس رضي الله عنهما كندة والنخع • وعن الحسن العجم • وعن عكرمة فارس والروم
وسئل رسول الله عليه السلام عن القوم وكان سلمان رضي الله عنه الى جنبه فضرب على فخذه
وقال هذا وقومه • والذي نفسي بيده لو كان الايمان منوطا بالثريا لتناوله رجال من فارس
عن رسول الله عليه السلام من قرأ سورة محمد كان حقا على الله ان يسقيه من انهار الجنة

بسم الله الرحمن الرحيم انا فتحنا لك فتحا مبينا ليغفر لك الله ما تقدم من ذنبك وما تأخر
ويتم نعمته عليك ويهديك صراطا مستقيما وينصرك الله نصرا عزيزا • هو فتح مكة وقد نزلت
مرجع رسول الله عليه السلام عن مكة عام الحديبية عدة له بالفتح وجيء به على لفظ الماضي
على عادة رب العزة سبحانه في اخباره لانها في تحققها وتيقنها بمنزلة الكائنة الموجودة وفي
ذلك من الفخامة والدلالة على علو شأن المخبر ما لا يخفى فان قلت كيف جعل فتح مكة علة
للمغفرة قلت لم يجعل علة للمغفرة ولكن لاجتماع ما عدد من الامور الاربعة وهي المغفرة واتمام
النعمة وهداية الصراط المستقيم والنصر العزيز كانه قيل يسرنا لك فتح مكة ونصرناك
على عدوك لنجمع لك بين عز الدارين واغراض العاجل والآجل • ويجوز ان يكون فتح مكة من
حيث انه جهاد للعدو سببا للغفران والثواب والفتح الظفر بالبلد عنوة او صلحا بحرب
او بغير حرب لانه منغلق ما لم يظفر به فاذا ظفر به وحصل في اليد فقد فتح • وقيل هو فتح الحديبية
ولم يكن فيه قتال شديد ولكن ترام بين القوم بسهام وحجارة • وعن ابن عباس رضي الله عنهما رموا
المشركين حتى ادخلوهم ديارهم • وعن الكلبي ظهروا عليهم حتى سألوا الصلح فان قلت كيف يكون
فتحا وقد احصروا فنحروا وحلقوا بالحديبية كان ذلك قبل الهدنة فلما طلبوها وتمت كان
فتحا مبينا • وعن موسى بن عقبة رضي الله عنه اقبل رسول الله صلى الله عليه وسلم من الحديبية راجعا
فقال رجل من اصحابه ما هذا بفتح لقد صدونا عن البيت وصد هدينا فبلغ النبي عليه السلام فقال رسول
الله صلى الله عليه وسلم بئس الكلام بل هذا هو اعظم الفتوح وقد رضي المشركون ان يدفعوكم عن بلادهم
بالراح ويسألوكم القضية ويرغبوا اليكم في الامان وقد رأوا منكم ما كرهوا • وعن الشعبي نزلت بالحديبية
واصاب رسول الله صلى الله عليه وسلم في تلك الغزوة ما لم يصب في غزوة اصاب ان بويع بيعة الرضوان
وغفر له ما تقدم من ذنبه وما تأخر وظهرت الروم على فارس وبلغ الهدى محله واطعموا نخل خيبر وكان
في فتح الحديبية آية عظيمة وذلك انه نزح ماؤها حتى لم يبق فيها قطرة فتمضمض رسول الله عليه السلام

ثم مجه فيها فدرت بالماء حتى شرب جميع من كان معه • وقيل فجاش الماء حتى امتلأت ولم ينفد ماؤها
بعد • وقيل هو فتح خيبر • وقيل فتح الروم • وقيل فتح الله له بالاسلام والنبوة والدعوة بالحجة
والسيف ولا فتح ابين منه واعظم وهو رأس الفتوح كلها اذ لا فتح من فتوح الاسلام الا وهو تحته
ومتشعب منه • وقيل معناه قضينا لك قضاء بينا على اهل مكة ان تدخلها انت واصحابك من
قابل لتطوفوا بالبيت من الفتاحة وهي الحكومة وكذا عن قتادة • ما تقدم من ذنبك وما
تأخر يريد جميع ما فرط منك • وعن مقاتل ما تقدم في الجاهلية وما بعدها • وقيل ما تقدم
من حديث مارية وما تأخر من امرأة زيد • نصرا عزيزا فيه عز ومنعة او وصف بصفة المنصور
اسنادا مجازيا او عزيزا صاحبه هو الذي انزل السكينة في قلوب المؤمنين ليزدادوا ايمانا
مع ايمانهم ولله جنود السموات والارض وكان الله عليما حكيما ليدخل المؤمنين والمؤمنات
جنات تجري من تحتها الانهار خالدين فيها ويكفر عنهم سيئاتهم وكان ذلك عند الله فوزا
عظيما ويعذب المنافقين والمنافقات والمشركين والمشركات الظانين بالله ظن
السوء عليهم دائرة السوء وغضب الله عليهم ولعنهم واعد لهم جهنم وساءت مصيرا ولله
جنود السموات والارض وكان الله عزيزا حكيما • السكينة للسكون كالبهيتة للبهتان
اي انزل الله في قلوبهم السكون والطمأنينة بسبب الصلح والامن ليعرفوا فضل الله عليهم بتيسير
الامن بعد الخوف والهدنة بعد القتال فيزدادوا يقينا الى يقينهم • او انزل فيها السكون الى
ما جاء به محمد صلى الله عليه وسلم من الشرائع ليزدادوا ايمانا بالشرائع مقرونا الى ايمانهم وهو
التوحيد • عن ابن عباس رضي الله عنهما ان اول ما اتاهم به النبي التوحيد فلما آمنوا بالله
وحده انزل الصلوة والزكوة ثم الحج ثم الجهاد فازدادوا ايمانا الى ايمانهم • او انزل فيها
الوقار والعظمة لله عز وجل ولرسوله ليزدادوا باعتقاد ذلك ايمانا الى ايمانهم • وقيل انزل
فيها الرحمة ليتراحموا فيزدادوا ايمانهم ولله جنود السموات والارض يسلط بعضها على بعض كما يقتضيه
علمه وحكمته ومن قضيته ان سكن قلوب المؤمنين بصلح الحديبية ووعدهم ان يفتح لهم وانما
قضى ذلك ليعرف المؤمنون نعمة الله فيه ويشكروها فيستحقوا الثواب فيثيبهم ويعذب الكافرين
والمنافقين لما غاظهم من ذلك وكرهوه • وقع السوء عبارة عن رداءة الشيء وفساده والصدق عن
جودته وصلاحه فقيل في المرضي الصالح من الافعال فعل صدق وفي المسخوط الفاسد منها فعل سوء
ومعنى ظن السوء ظنهم ان الله تعالى لا ينصر الرسول والمؤمنين ولا يرجعهم الى مكة ظافرين فاتحيها
عنوة وقهرا عليهم دائرة السوء اي ما يظنونه ويتربصونه بالمؤمنين فهو حائق بهم ودائر عليهم
والسوء الهلاك والدمار وقرئ دائرة السوء بالفتح اي الدائرة التي يذمونها ويسخطونها
فهي عندهم دائرة السوء وعند المؤمنين دائرة صدق فان قلت هل من فرق بين السوء
والسوء هما كالكره والكره والضعف والضعف من ساء الا ان المفتوح غلب في ان يضاف
اليه ما يراد ذمه من كل شيء واما السوء فجار مجرى الشر الذي هو نقيض الخير يقال اراد به السوء
واراد به الخير ولذلك اضيف الظن الى المفتوح لكونه مذموما وكانت الدائرة محمودة فكان حقها
ان لا تضاف اليه الا على التأويل الذي ذكرنا • واما دائرة السوء بالضم فلان الذي اصابهم مكروه
وشدة فصح ان يقع عليه اسم السوء كقوله عز وعلا ان اراد بكم سوءا او اراد بكم رحمة انا ارسلناك

شاهدا ومبشرا ونذيرا لتؤمنوا بالله ورسوله وتعزروه وتوقروه وتسبحوه بكرة واصيلا شاهدا تشهد على امتك كقوله تعالى ويكون الرسول عليكم شهيدا لتؤمنوا الضمير للناس وتعزروه وتقووه بالنصرة وتوقروه وتعظموه وتسبحوه من التسبيح او من السبحة والضمائر لله عز وجل والمراد بتعزير الله تعزير دينه ورسوله ومن فرق الضمائر فقد ابعد وقرئ لتؤمنوا وتعزروه وتوقروه بالتاء والخطاب لرسول الله عليه السلام ولامته وقرئ وتعزروه بضم الزاء وكسرها وتعزروه بضم التاء والتخفيف وتعززوه بالزائين وتوقروه من اوقره بمعنى وقره وتسبحوا الله بكرة واصيلا عن ابن عباس رضي الله عنهما صلوة الفجر وصلوة الظهر والعصر ان الذين يبايعونك انما يبايعون الله يد الله فوق ايديهم فمن نكث فانما ينكث على نفسه ومن اوفى بما عاهد عليه الله فسيؤتيه اجرا عظيما لما قال انما يبايعون الله اكده تاكيدا على طريقة التخييل فقال يد الله فوق ايديهم يريد ان يد رسول الله صلى الله عليه التي تعلو ايدي المبايعين هي يد الله والله تعالى منزه عن الجوارح وعن صفات الاجسام وانما المعنى تقرير ان عقد الميثاق مع الرسول كعقده مع الله من غير تفاوت بينهما كقوله عز وجل من يطع الرسول فقد اطاع الله والمراد بيعة الرضوان فانما ينكث على نفسه فلا يعود ضرر نكثه الا عليه قال جابر بن عبد الله رضي الله عنه بايعنا رسول الله صلى الله عليه وسلم تحت الشجرة على الموت وعلى ان لا نفر فما نكث احد منا البيعة الا جد بن قيس وكان منافقا اختبأ تحت ابط بعيره ولم يسر مع القوم وقرئ انما يبايعون لله اي لاجل الله ولوجهه وقرئ ينكث بضم الكاف وكسرها وبما عاهد وعهد فسيؤتيه بالنون والياء يقال وفيت بالعهد واوفيت به وهي لغة تهامة ومنها قوله تعالى اوفوا بالعقود والموفون بعهدهم سيقول لك المخلفون من الاعراب شغلتنا اموالنا واهلونا فاستغفر لنا يقولون بالسنتهم ما ليس في قلوبهم هم الذين خلفوا عن الحديبية وهم اعقاب غفار ومزينة وجهينة واشجع واسلم والديل وذلك انه صلى الله عليه وسلم حين اراد المسير الى مكة عام الحديبية معتمرا استنفر من حول المدينة من الاعراب واهل البوادي ليخرجوا معه حذرا من قريش ان يعرضوا له بحرب او يصدوه عن البيت واحرم هو صلى الله عليه وسلم وساق معه الهدي ليعلموا انه لا يريد حربا فتثاقل كثير من الاعراب وقالوا يذهب الى قوم قد غزوه في عقر داره بالمدينة وقتلوا اصحابه فيقاتلهم وظنوا انه يهلك فلا ينقلب الى المدينة واعتلوا بالشغل باهاليهم واموالهم وانه ليس لهم من يقوم باشغالهم وقرئ شغلتنا بالتشديد يقولون بالسنتهم ما ليس في قلوبهم تكذيب لهم في اعتذارهم وان الذي خلفهم ليس بما يقولون وانما هو الشك في الله والنفاق وطلبهم الاستغفار ايضا ليس بصادر عن حقيقة قل فمن يملك لكم من الله شيئا ان اراد بكم ضرا او اراد بكم نفعا بل كان الله بما تعملون خبيرا فمن يملك لكم فمن يمنعكم من مشية الله وقضائه ان اراد بكم ما يضركم من قتل او هزيمة او اراد بكم نفعا من ظفر او غنيمة وقرئ ضرا بالفتح والضم بل ظننتم ان لن ينقلب الرسول والمؤمنون الى اهليهم ابدا وزين ذلك في قلوبكم وظننتم ظن السوء وكنتم قوما بورا الاهلون جمع اهل ويقال اهلات على تقدير تاء التانيث كارض وارضات وقد جاء اهلة واما اهال فاسم جمع كليال وقرئ الى اهلهم وزين على البناء للفاعل وهو الشيطان او الله عز وجل وكلاهما في القران وزين لهم

الشيطان اعمالهم زينا لهم اعمالهم والبور من بار كالهلك من هلك بناء ومعنى ولذلك وصف به الواحد والجمع والمذكر والمؤنث ويجوز ان يكون جمع بائر كعائذ وعوذ والمعنى وكنتم قوما فاسدين في انفسكم وقلوبكم ونياتكم لا خير فيكم او هالكين عند الله مستوجبين لسخطه وعقابه ومن لم يؤمن بالله ورسوله فانا اعتدنا للكافرين سعيرا للكافرين مقام ضميرهم للايذان بان من لم يجمع بين الايمانين الايمان بالله وبرسوله فهو كافر ونكر سعيرا لانها نار مخصوصة كما نكر نارا تلظى ولله ملك السموات والارض يغفر لمن يشاء ويعذب من يشاء وكان الله غفورا رحيما ولله ملك السموات والارض يدبره تدبير قادر حكيم فيغفر ويعذب بمشيته ومشيته تابعة لحكمته وحكمته المغفرة للتائب وتعذيب المصر وكان الله غفورا رحيما رحمته سابقة لغضبه حيث يكفر السيئات باجتناب الكبائر ويغفر الكبائر بالتوبة سيقول المخلفون اذا انطلقتم الى مغانم لتاخذوها ذرونا نتبعكم يريدون ان يبدلوا كلام الله قل لن تتبعونا كذلكم قال الله من قبل فسيقولون بل تحسدوننا بل كانوا لا يفقهون الا قليلا سيقول المخلفون الذين تخلفوا عن الحديبية اذا انطلقتم الى مغانم الى مغانم خيبر ان يبدلوا كلام الله وقرئ كلم الله ان يغيروا موعد الله لاهل الحديبية وذلك انه وعدهم ان يعوضهم من مغانم مكة مغانم خيبر اذا قفلوا موادعين لا يصيبون منهم شيئا وقيل هو قوله تعالى لن تخرجوا معي ابدا تحسدوننا ان نصيب معكم من الغنائم قرئ بضم السين وكسرها لا يفقهون لا يفهمون الا فهما قليلا وهو فطنتهم لامور الدنيا دون امور الدين كقوله تعالى يعلمون ظاهرا من الحيوة الدنيا فان قلت ما الفرق بين حرفي الاضراب الاول والثاني قلت الاول اضراب معناه رد ان يكون حكم الله ان لا يتبعوهم واثبات الحسد والثاني اضراب عن وصفهم باضافة الحسد الى المؤمنين الى وصفهم بما هو اطم منه وهو الجهل وقلة الفقه قل للمخلفين من الاعراب ستدعون الى قوم اولي باس شديد تقاتلونهم او يسلمون فان تطيعوا يؤتكم الله اجرا حسنا قل للمخلفين هم الذين تخلفوا عن الحديبية الى قوم اولي باس شديد يعني بني حنيفة قوم مسيلمة واهل الردة الذين حاربهم ابو بكر الصديق رضي الله عنه لان مشركي العرب والمرتدين هم الذين لا يقبل منهم الا الاسلام او السيف عند ابي حنيفة رحمة الله عليه ومن عداهم من مشركي العجم واهل الكتاب والمجوس تقبل منهم الجزية وعند الشافعي رضي الله عنه لا تقبل الجزية الا من اهل الكتاب والمجوس دون مشركي العجم والعرب وهذا دليل على امامة ابي بكر الصديق رضي الله عنه فانهم لم يدعوا الى حرب في ايام رسول الله صلى الله عليه وسلم ولكن بعد وفاته وكيف يدعوهم رسول الله عليه السلام مع قوله تعالى فقل لن تخرجوا معي ابدا ولن تقاتلوا معي عدوا وقيل فارس والروم ومعنى يسلمون ينقادون لان الروم نصارى وفارس مجوس يقبل منهم اعطاء الجزية فان قلت عن قتادة انهم ثقيف وهوازن وكان ذلك في ايام رسول الله عليه السلام قلت ان صح ذلك فالمعنى لن تخرجوا معي ابدا ما دمتم على ما انتم عليه من مرض القلوب والاضطراب في الدين او على قول مجاهد كان الموعد انهم لا يتبعون رسول الله عليه السلام الا متطوعين لا نصيب لهم في المغنم فان تتولوا كما توليتم من قبل يعذبكم عذابا اليما كما توليتم من قبل يريد في غزوة الحديبية او يسلمون معطوف على تقاتلونهم اي يكون احد الامرين اما المقاتلة او الاسلام لا ثالث لهما وفي قراءة

أي رضي الله عنه او يسلموا بمعنى الى ان يسلموا ليس على الأعمى حرج ولا على الأعرج حرج ولا على المريض حرج ومن يطع الله ورسوله يدخله جنات تجري من تحتها الأنهار ومن يتول يعذبه عذابا أليما نفى الحرج عن هؤلاء من ذوي العاهات في التخلف عن الغزو وقرئ ندخله ونعذبه بالنون لقد رضي الله عن المؤمنين اذ يبايعونك تحت الشجرة فعلم ما في قلوبهم فأنزل السكينة عليهم وأثابهم فتحا قريبا هي بيعة الرضوان سميت بهذه الآية وقصتها ان النبي عليه السلام حين نزل بالحديبية بعث جواس بن امية الخزاعي رسولا الى اهل مكة فهموا به فمنعه الأحابيش فلما رجع دعا بعمر ليبعثه فقال اني اخافهم على نفسي لما عرف من عداوتي اياهم وما بمكة عدوي يمنعني ولكني ادلك على رجل هو اعز بها مني واحب اليهم عثمان بن عفان رضي الله عنه فبعثه فخبرهم انه لم يأت لحرب وانما جاء زائرا لهذا البيت معظما لحرمته فوقروه وقالوا ان شئت ان تطوف بالبيت فافعل فقال ما كنت لأطوف قبل ان يطوف رسول الله عليه السلام واحتبس عندهم فأرجف بانهم قتلوه فقال رسول الله عليه الصلوة والسلام لا نبرح حتى نناجز القوم ودعا الناس الى البيعة فبايعوه تحت الشجرة وكانت سمرة قال جابر بن عبد الله رضي الله عنه لو كنت ابصر لأريتكم مكانها وقيل كان رسول الله صلى الله عليه وسلم جالسا في اصل الشجرة وعلى ظهره غصن من اغصانها قال عبد الله بن المغفل رضي الله عنه وكنت قائما على رأسه وبيدي غصن من الشجرة اذب عنه فرفعت الغصن عن ظهره فبايعوه على الموت دونه وعلى ان لا يفروا فقال لهم نبي الله عليه السلام انتم اليوم خير اهل الارض وكان عدد المبايعين الفا وخمسمائة وخمسة وعشرين وقيل الفا واربعمائة وقيل الفا وثلثمائة فعلم ما في قلوبهم من الاخلاص وصدق الضمائر فيما بايعوه عليه فأنزل السكينة أي الطمأنينة والأمن بسبب الصلح على قلوبهم وأثابهم فتحا قريبا وقرئ وآتاهم وهو فتح خيبر غب انصرافهم من مكة وعن الحسن رحمة الله عليه فتح هجر وهو اجل فتح اتسعوا بثمرها زمانا ومغانم كثيرة يأخذونها وكان الله عزيزا حكيما ومغانم كثيرة يأخذونها هي مغانم خيبر وكانت ارضا ذات عقار واموال فقسمها عليهم ثم اتاه عثمان رضي الله عنه بالصلح فصالحهم فانصرف بعد ان نحر بالحديبية وحلق وعدكم الله مغانم كثيرة تأخذونها فعجل لكم هذه وكف ايدي الناس عنكم ولتكون آية للمؤمنين ويهديكم صراطا مستقيما وعدكم الله مغانم كثيرة وهي ما يفيء على المؤمنين الى يوم القيمة فعجل لكم هذه المغانم يعني مغانم خيبر وكف ايدي الناس عنكم يعني ايدي اهل خيبر وحلفائهم من اسد وغطفان حين جاؤا لنصرتهم فقذف الله في قلوبهم الرعب فنكصوا وقيل ايدي اهل مكة بالصلح ولتكون هذه الكفة آية للمؤمنين وعبرة يعرفون بها انهم من الله بمكان وانه ضامن نصرهم والفتح عليهم وقيل رأى رسول الله صلى الله عليه وسلم فتح مكة في منامه ورؤيا الانبيا وحي فتأخر ذلك الى السنة القابلة فجعل فتح خيبر علامة وعنوانا لفتح مكة ويهديكم صراطا مستقيما ويزيدكم بصيرة ويقينا وثقة بفضل الله وأخرى لم تقدروا عليها قد احاط الله بها وكان الله على كل شيء قديرا واخرى معطوفة على هذه اي فعجل لكم هذه المغانم ومغانم اخرى لم تقدروا عليها وهي مغانم هوازن في غزوة حنين وقال لم تقدروا عليها لما كان فيها من الجولة قد احاط الله بها اي قدر عليها واستولى واظهركم عليها وغنمكموها ويجوز في اخرى النصب بفعل مضمر يفسره قد احاط الله بها تقديره وقضى الله اخرى قد احاط بها واما لم تقدروا عليها فصفة لأخرى والرفع على الابتداء لكونها

موصوفة

موصوفة بلم تقدروا وقد احاط بها خبر المبتدأ والجر باضمار رب فان قلت قوله تعالى ولتكون آية للمؤمنين كيف موقعه قلت هو كلام معترض ومعناه ولتكون الكفة آية للمؤمنين فعل ذلك ويجوز ان يكون المعنى وعدكم الله مغانم فعجل هذه الغنيمة وكف الاعداء لينفعكم بها ولتكون آية للمؤمنين اذا وجدوا وعد الله بها صادقا لان صدق الاخبار عن الغيوب معجزة وآية للمؤمنين ويزيدكم بذلك هداية وايقانا ولو قاتلكم الذين كفروا لولوا الادبار ثم لا يجدون وليا ولا نصيرا سنة الله التي قد خلت من قبل ولن تجد لسنة الله تبديلا ولو قاتلكم الذين كفروا من اهل مكة ولم يصالحوا وقيل من حلفاء اهل خيبر لغلبوا وانهزموا سنة الله في موضع المصدر المؤكد اي سن الله غلبة انبيائه سنة وهو قوله سبحانه وتعالى لأغلبن انا ورسلي وهو الذي كف ايديهم عنكم وايديكم عنهم ببطن مكة من بعد ان اظفركم عليهم وكان الله بما تعملون بصيرا ايدي اهل مكة اي قضى بينهم وبينكم المكافة والمحاجزة بعدما خولكم الظفر عليهم والغلبة وذلك يوم الفتح وبه استشهد ابو حنيفة رحمة الله عليه على ان مكة فتحت عنوة لا صلحا وقيل كان ذلك في غزوة الحديبية لما روي ان عكرمة بن ابي جهل خرج في خمسمائة فبعث النبي صلى الله عليه وسلم من هزمه وادخله حيطان مكة وعن ابن عباس رضي الله عنهما اظهر الله المسلمين عليهم بالحجارة حتى ادخلوهم البيوت وقرئ تعملون بالياء والتاء هم الذين كفروا وصدوكم عن المسجد الحرام والهدي معكوفا ان يبلغ محله وقرئ والهدي بتخفيف الياء وتشديدها وهو ما يهدى الى الكعبة بالنصب عطفا على الضمير المنصوب في صدوكم اي صدوكم وصدوا الهدي وبالجر عطفا على المسجد الحرام بمعنى وصدوكم عن نحر الهدي معكوفا ان يبلغ محله محبوسا عن ان يبلغ وبالرفع على وصد الهدي ومحله مكانه الذي يحل فيه نحره اي يجب وهذا دليل لأبي حنيفة على ان المحصر محله هدي به الحرم فان قلت فكيف حل رسول الله صلى الله عليه وسلم ومن معه وانما نحر هديهم بالحديبية قلت بعض الحديبية من الحرم وروي ان مضارب رسول الله صلى الله عليه وسلم كانت في الحل ومصلاه في الحرم فان قلت فاذن قد نحر في الحرم فلم قيل معكوفا ان يبلغ محله قلت المراد المحل المعهود وهو منى ولولا رجال مؤمنون ونساء مؤمنات لم تعلموهم ان تطؤهم فتصيبكم منهم معرة بغير علم ليدخل الله في رحمته من يشاء لو تزيلوا لعذبنا الذين كفروا منهم عذابا اليما لم تعلموهم صفة الرجال والنساء جميعا ان تطؤهم بدل اشتمال منهم او من الضمير المنصوب في تعلموهم والمعرة مفعلة من عره بمعنى عراه اذا دهاه ما يكرهه ويشق عليه وبغير علم متعلق بان تطؤهم يعني ان تطؤهم غير عالمين بهم والوطء والدوس عبارة عن الايقاع والابادة قال

ووطئتنا وطأ على حنق ... وطء المقيد نابت الهرم

وقال رسول الله صلى الله عليه وسلم وان آخر وطأة وطئها الله بوج والمعنى انه كان بمكة قوم من المسلمين مختلطون بالمشركين غير متميزين منهم ولا معروفي الاماكن فقيل ولولا كراهة ان تهلكوا اناسا مؤمنين بين ظهراني مشركين وانتم غير عارفين بهم فيصيبكم باهلاكهم مكروه ومشقة لما كف ايديكم عنهم وحذف جواب لولا لدلالة الكلام عليه ويجوز ان يكون لو تزيلوا كالتكرير لولا رجال مؤمنون لمرجعهما الى معنى واحد ويكون لعذبنا هو الجواب فان قلت اي معرة تصيبهم اذا قتلوهم وهم لا يعلمون قلت يصيبهم وجوب الدية والكفارة وسوء قالة المشركين انهم فعلوا باهل دينهم مثل ما فعلوا بنا من غير

هم

تمييز والمأثم اذا جرى منهم بعض التقصير فان قلت قوله تعالى ليدخل الله في رحمته من يشاء تعليل لما
لما دلت عليه الاية وسيقت له من كف الايدي عن اهل مكة والمنع من قتلهم صونا لمن بين اظهرهم ذا
من المؤمنين كأنه قال كان الكف ومنع التعذيب ليدخل الله في رحمته اي في توفيقه لزيادة الخير والطاعة
مؤمنيهم او ليدخل في الاسلام من رغب فيه من مشركيهم • لو تزيلوا لو تفرقوا وتميز بعضهم من بعض
من زاله يزيله • وقرئ لو تزايلوا اذ جعل الذين كفروا في قلوبهم الحمية حمية الجاهلية فانزل الله
سكينته على رسوله وعلى المؤمنين والزمهم كلمة التقوى وكانوا احق بها واهلها وكان الله بكل
شيء عليما • اذ يجوز ان يعمل فيه ما قبله اي لعذبناهم او صدوهم عن المسجد الحرام في ذلك الوقت وان
ينتصب باضمار اذكر والمراد بحمية الذين كفروا وسكينة المؤمنين والحمية الانفة والسكينة الوقار
ما روي ان رسول الله صلى الله عليه وسلم لما نزل بالحديبية بعث قريش سهيل بن عمرو القرشي وحويطب
ابن عبد العزى ومكرز بن حفص بن الاخنف على ان يعرضوا على النبي صلى الله عليه وسلم ان يرجع من عامه
ذلك على ان تخلي له قريش مكة من العام القابل ثلاثة ايام ففعل ذلك وكتبوا بينهم كتابا فقال صلى الله
عليه وسلم لعلي بن ابي طالب رضي الله عنه اكتب بسم الله الرحمن الرحيم فقال سهيل واصحابه ما نعرف هذا
ولكن اكتب باسمك اللهم ثم قال اكتب هذا ما صالح عليه رسول الله عليه السلام اهل مكة فقالوا لو كنا
نعلم انك رسول الله ما صددناك عن البيت ولا قاتلناك ولكن اكتب هذا ما صالح عليه محمد بن عبد الله
اهل مكة فقال عليه السلام اكتب ما يريدون فانا اشهد اني رسول الله وانا محمد بن عبد الله فهم المسلمون
ان يأبوا ذلك ويشمئزوا منه فانزل الله تعالى على رسوله السكينة فتوقروا وحلموا وكلمة التقوى
بسم الله الرحمن الرحيم ومحمد رسول الله قد اختارها الله عز وجل لنبيه والذين معه اهل الخير ومستحقيه
ومن هو اولى بالهداية من غيرهم • وقيل هي كلمة الشهادة • وعن الحسن رحمة الله عليه كلمة التقوى
هي الوفاء بالعهد ومعنى اضافتها الى التقوى انها سبب التقوى واساسها • وقيل كلمة اهل التقوى •
وفي مصحف الحارث بن سويد صاحب عبد الله وكانوا اهلها واحق بها وهو الذي دفن مصحفه ايام
الحجاج لقد صدق الله رسوله الرؤيا بالحق لتدخلن المسجد الحرام ان شاء الله آمنين محلقين
رؤسكم ومقصرين لا تخافون فعلم ما لم تعلموا فجعل من دون ذلك فتحا قريبا • رأى رسول
الله صلى الله عليه وسلم قبل خروجه الى الحديبية كأنه واصحابه قد دخلوا مكة آمنين وقد حلقوا وقصروا
فقص الرؤيا على اصحابه ففرحوا واستبشروا وحسبوا انهم داخلوها في عامهم وقالوا ان رؤيا رسول
الله حق فلما تأخر ذلك قال عبد الله بن ابي • وعبد الله بن نفيل • ورفاعة بن الحارث والله ما حلقنا
ولا قصرنا ولا رأينا المسجد الحرام فنزلت ومعنى صدق الله رسوله الرؤيا صدقه في رؤياه ولم
يكذبه تعالى الله عن الكذب وعن كل قبيح علوا كبيرا فحذف الجار واوصل الفعل كقوله تعالى صدقوا
ما عاهدوا الله عليه فان قلت بم تعلق بالحق قلت اما بصدق اي صدقه فيما رأى وفي كونه
وحصوله صدقا ملتبسا بالحق اي بالغرض الصحيح والحكمة البالغة وذلك ما فيه من الابتلاء والتمييز
بين المؤمن المخلص وبين من في قلبه مرض • ويجوز ان يتعلق بالرؤيا حالا منها اي صدقه الرؤيا
ملتبسة بالحق على معنى انها لم تكن من اضغاث الاحلام • ويجوز ان يكون بالحق قسما اما بالحق الذي
هو نقيض الباطل او بالحق الذي هو من اسمائه ولتدخلن جوابه وعلى الاول هو جواب قسم محذوف
فان قلت ما وجه دخول ان شاء الله في اخبار الله عز وجل قلت فيه وجوه ان يعلق عدته بالمشيئة تعليما

لعباده

لعباده ان يقولوا في عداتهم مثل ذلك متأدبين بأدب الله ومقتدين بسنته • وان يريد لتدخلن جميعا
ان شاء الله ولم يمت منكم احد • او كان ذلك على لسان ملك فادخل الملك ان شاء الله او هي حكاية ما
قال رسول الله صلى الله عليه وسلم لاصحابه وقص عليهم • وقيل هي متعلق بآمنين • فعلم ما لم تعلموا من
الحكمة والصواب في تأخير فتح مكة الى العام القابل فجعل من دون ذلك اي من دون فتح مكة فتحا
قريبا وهو فتح خيبر ليستروح اليه قلوب المؤمنين الى ان يتيسر الفتح الموعود هو الذي ارسل
رسوله بالهدى ودين الحق ليظهره على الدين كله وكفى بالله شهيدا • محمد رسول الله • بالهدى
ودين الحق بدين الاسلام • ليظهره ليعليه على الدين كله على جنس الدين كله يريد الاديان المختلفة من
اديان المشركين والجاحدين واهل الكتاب ولقد حقق الله ذلك سبحانه وتعالى فانك لا ترى دينا
قط الا وللاسلام دونه العز والغلبة • وقيل هو عند نزول عيسى عليه السلام حين لا يبقى على وجه
الارض كافر • وقيل هو اظهاره بالحجج والآيات وفي هذه الآية تأكيد لما وعد من الفتح وتوطين لنفوس تأكيد
المؤمنين على ان الله سيفتح لهم من البلاد ويقيض لهم من الغلبة على الاقاليم ما يستقلون اليه فتح مكة
وكفى بالله شهيدا على ان ما وعده كائن • عن الحسن شاهد على نفسه انه سيظهر دينك • محمد اما خبر مبتدأ
اي هو محمد لتقدم قوله تعالى هو الذي ارسل رسوله • واما مبتدأ و رسول الله عطف بيان • وعن
ابن عامر رضي الله عنه انه قرأ رسول الله عليه السلام بالنصب على المدح والذين معه اشداء على
الكفار رحماء بينهم تراهم ركعا سجدا يبتغون فضلا من الله ورضوانا • والذين معه اصحابه
اشداء على الكفار رحماء بينهم جمع شديد ورحيم • ونحوه اذلة على المؤمنين اعزة على الكافرين واغلظ
عليهم • بالمؤمنين رؤف رحيم • وعن الحسن رحمه الله بلغ من تشددهم على الكفار انهم كانوا يتحرزون
من ثيابهم ان تلزق بثيابهم ومن ابدانهم ان تمس ابدانهم وبلغ من ترحمهم فيما بينهم انه كان لا يرى مؤمن
مؤمنا الا صافحه وعانقه والمصافحة لم تختلف فيها الفقهاء واما المعانقة فقد كرهها ابو حنيفة
رحمة الله عليه وكذلك التقبيل قال لا احب ان يقبل الرجل من الرجل وجهه ولا يده ولا شيئا من
جسده • وقد رخص ابو يوسف في المعانقة • ومن حق المسلمين في كل زمان ان يراعوا هذا التشدد
وهذا التعطف فيتشددوا على من ليس على ملتهم ودينهم ويتحاموه ويعاشروا اخوتهم في الاسلام متعطفين
بالبر والصلة وكف الاذى والمعونة والاحتمال والاخلاق السجيحة • ووجه من قرأ اشداء ورحماء
بالنصب ان ينصبهما على المدح او على الحال بالمقدر في معه ويجعل تراهم الخبر سيماهم في وجوههم
من اثر السجود ذلك مثلهم في التوراة ومثلهم في الانجيل • سيماهم علامتهم وقرئ سيمياؤهم
وفيها ثلث لغات هاتان والسيماء والمراد بها السمة التي تحدث في جبهة السجاد من كثرة السجود
وقوله تعالى من اثر السجود يفسرها اي من التأثير الذي يؤثره السجود وكان كل من العليين علي بن
الحسين زين العابدين وعلي بن عبد الله بن عباس رضوان الله عليهما وعليهم ابي الاملاك يقال له
ذو الثفنات لان كثرة سجودهما احدثت في مواقعه منهما اشباه ثفنات البعير • وقرئ من اثر السجود
ومن آثار السجود وكذا عن سعيد بن جبير رضي الله عنه هي السمة في الوجه فان قلت فقد جاء
عن النبي صلى الله عليه وسلم لا تعلبوا صوركم • وعن ابن عمر رضي الله عنهما انه رأى رجلا قد اثر
في وجهه السجود فقال ان صورة وجهك انفك فلا تعلب وجهك ولا تشن صورتك قلت
ذلك اذا اعتمد بجبهته على الارض لتحدث فيه تلك السمة وذلك رياء ونفاق يستعاذ بالله منه ونحن

بما حدث في جبهة السجاد الذي لا يسجد الا خالصا لوجه الله عز وجل • وعن بعض المتقدمين كنا نصلي
فلا يرى بين اعيننا شيء ونرى احدنا الآن يصلي فيرى بين عينيه ركبة البعير فما ندري اثقلت الارؤس
ام خشنت الارض وانما اراد بذلك من تعمد ذلك للنفاق • وقيل هو صفرة الوجه من خشية
الله • وعن الضحاك ليس بالندب في الوجوه ولكنه صفرة • وعن سعيد بن المسيب رضي الله عنه ندى
الطهور وتراب الارض • وعن عطاء استنارت وجوههم من طول ما صلوا بالليل • كقوله صلى الله عليه
وسلم من كثر صلوته بالليل حسن وجهه بالنهار • ذلك الوصف مثلهم اي وصفهم العجيب الشان
في الكتابين جميعا • ثم ابتدا فقال كزرع يريد هم كزرع • وقيل تم الكلام عند قوله ذلك مثلهم
في التورية ثم ابتدى ومثلهم في الانجيل كزرع • ويجوز ان يكون ذلك اشارة مبهمة اوضحت
بقوله كزرع اخرج شطأه • كقوله عز وجل وقضينا اليه ذلك الامر ان دابر هؤلاء مقطوع مصبحين
وفي الانجيل بفتح الهمزة • شطأه فراخه يقال اشطأ الزرع اذا فرخ • وقرئ شطاه بفتح الطاء
وشطاه بتخفيف الهمزة • وشطاءه بالمد • وشطه بحذف الهمزة ونقل حركتها الى ما قبلها • وشطوه
بقلبها واوا **فآزره فاستغلظ فاستوى على سوقه يعجب الزراع ليغيظ بهم الكفار وعد الله
الذين آمنوا وعملوا الصالحات منهم مغفرة واجرا عظيما** • فآزره من الموازرة وهي المعاونة
وعن الاخفش انه افعل **وقرئ** فأزره بالتخفيف والتشديد اي فشد ازره وقواه • ومن جعل
آزر افعل فهو في معنى القراءتين • فاستغلظ فصار من الدقة الى الغلظ فاستوى على سوقه فاستقام
على قصبه جمع ساق • وقيل مكتوب في الانجيل سيخرج قوم ينبتون نبات الزرع يأمرون بالمعروف
وينهون عن المنكر • وعن عكرمة اخرج شطأه بابي بكر فآزره بعمر فاستغلظ بعثمان • فاستوى
على سوقه بعلي رضوان الله عليهم اجمعين • وهذا مثل ضربه الله عز وجل لبدء امر الاسلام •
وترقيه في الزيادة الى ان قوي واستحكم لان النبي صلى الله عليه وسلم قام وحده ثم قواه الله
بمن آمن معه كما يقوي الطاقة الاولى من الزرع ما يحتف بها مما يتولد منها حتى يعجب الزراع
فان قلت قوله ليغيظ بهم الكفار تعليل لماذا **قلت** لما دل عليه تشبيههم بالزرع من نمائهم
وترقيهم في الزيادة والقوة • ويجوز ان يعلل به وعد الله الذين آمنوا لان الكفار اذا سمعوا
بما اعد لهم في الآخرة مع ما يعزهم به في الدنيا غاظهم ذلك ومعنى منهم البيان كقوله تعالى
فاجتنبوا الرجس من الاوثان • عن رسول الله صلى الله عليه وسلم من قرا سورة الفتح فكانما كان ممن
شهد مع محمد فتح مكة

بسم الله الرحمن الرحيم **يا ايها الذين آمنوا لا تقدموا بين يدي الله ورسوله واتقوا الله
ان الله سميع عليم** • قدمه واقدمه منقولان بتثقيل الحشو والهمزة من قدمه اذا تقدمه
في قوله تعالى يقدم قومه ونظيرهما معنى ونقلا سلفه واسلفه • وفي قوله تعالى لا تقدموا من غير
ذكر مفعول وجهان • احدهما ان يحذف ليتناول كل ما يقع في النفس مما يقدم • والثاني ان
لا يقصد قصد مفعول ولا حذفه ويتوجه بالنهي الى نفس التقدمة كانه قيل لا تقدموا على التلبس
بهذا الفعل ولا تجعلوه منكم بسبيل كقوله تعالى هو الذي يحيي ويميت • ويجوز ان يكون من
قدم بمعنى تقدم كوجه وبين ومنه مقدمة الجيش خلاف ساقته وهي الجماعة المتقدمة

منه وتعضده قراءة من قرا لا تقدموا بحذف احدى تائي تتقدموا الا ان الاول املأ بالحسن واوجه
واشد ملاءمة لبلاغة القرآن والعلماء له اقبل • وقرئ لا تقدموا من القدوم اي لا تقدموا الى امر
من امور الدين قبل قدومهما ولا تعجلوا عليهما • وحقيقة قولهم جلست بين يدي فلان ان تجلس بين
الجهتين المسامتتين ليمينه وشماله قريبا منه فسميت الجهتان يدين لكونهما على سمت اليدين مع القرب
منهما توسعا كما يسمى الشيء باسم غيره اذا جاوره وداناه في غير موضع وقد جرت هذه العبارة هاهنا
على سنن ضرب من المجاز وهو الذي يسميه اهل البيان تمثيلا • ولجريها هكذا فائدة جليلة ليست
في الكلام العريان وهي تصوير الهجنة والشناعة فيما نهوا عنه من الاقدام على امر من الامور دون
الاحتذاء على امثلة الكتاب والسنة • والمعنى لا تقطعوا امرا الا بعد ما يحكمان به ويأذنان فيه فتكونوا
اما عاملين بالوحي المنزل واما مقتدين برسول الله صلى الله عليه وسلم وعليه يدور تفسير ابن عباس
رضي الله عنهما • وعن مجاهد لا تفتاتوا على الله شيئا حتى يقصه على لسان رسوله عليه السلام • ويجوز
ان يجري مجرى قولك سرني زيد وحسن حاله واعجبت بعمرو وكرمه وفائدة هذا الاسلوب الدلالة
على قوة الاختصاص ولما كان رسول الله صلى الله عليه وسلم من الله تعالى بالمكان الذي لا يخفى سلك به
ذلك المسلك وفي هذا تمهيد وتوطئة لما نقم منهم فيما يتلوها من رفع اصواتهم فوق صوته لان من
احظاه الله بهذه الاثرة واختصه هذا الاختصاص القوي كان ادنى ما يجب من التهيب والاجلال
ان يخفض بين يديه الصوت ويخافت لديه بالكلام • وقيل بعث رسول الله صلى الله عليه وسلم
الى تهامة سرية سبعة وعشرين رجلا عليهم المنذر بن عمرو الساعدي فقتلهم بنو عامر وعليهم عامر
ابن الطفيل الا ثلاثة نفر نجوا فلقوا رجلين من بني سليم قرب المدينة فاعتزيا لهم الى بني عامر لانهم اعز
من بني سليم فقتلوهما وسلبوهما ثم اتوا رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال بئس ما صنعتم كانا من سليم
والسلب ما كسوتهما فوداهما رسول الله عليه السلام فنزلت اي لا تعملوا شيئا من ذات انفسكم حتى
تستأمروا رسول الله عليه السلام • وعن مسروق رضي الله عنه دخلت على ام المؤمنين عائشة رضي
الله عنها في اليوم الذي يشك فيه فقالت الجارية اسقيه عسلا فقلت اني صائم فقالت قد نهى الله تعالى
عن صوم هذا اليوم وفيه نزلت • وعن الحسن رحمة الله عليه ان ناسا ذبحوا يوم الاضحى قبل الصلوة
فنزلت وامرهم رسول الله عليه السلام ان يعيدوا ذبحا آخر وهذا مذهب ابي حنيفة رحمة الله
عليه الا ان تزول الشمس • وعند الشافعي رضي الله عنه يجوز الذبح اذا مضى من الوقت مقدار
الصلوة • وعن الحسن ايضا لما استقر رسول الله عليه السلام بالمدينة اتته الوفود من الآفاق فاكثروا
عليه بالمسائل فنهوا ان يبتدئوه بالمسألة حتى يكون هو المبتدئ • وعن قتادة ذكر لنا ان ناسا يقولون
لو انزل في كذا لكان كذا فكره الله ذلك منهم وانزلها • وقيل هي عامة في كل قول وفعل ويدخل فيه
انه اذا جرت مسألة في مجلس رسول الله عليه السلام لم يسبقوه بالجواب وان لا يمشي بين يديه الا
للحاجة وان يستأني في الافتتاح بالطعام • واتقوا الله فانكم ان اتقيتموه عاقتكم التقوى عن التقدمة
المنهي عنها وعن جميع ما يقتضي مراقبة الله عز وجل تجنبه فان التقي حذر لا يشافه امرا الا عن ارتفاع الريب
وانجلاء الشك في ان لا تبعة عليه فيه وهذا كما تقول لمن يقارف بعض الرذائل لا تفعل هذا وتحفظ مما
يلصق بك العار فتنهاه اولا عن عين ما قارفه ثم تعم وتشيع وتأمره بما لو امتثل فيه امرك لم يرتكب

تلك الفعلة وكل ما يضرب في طريقها ويتعلق ببسبابها ان الله سميع لما تقولون عليم بما تعملون وحق مثله ان يتقى ويراقب يا ايها الذين امنوا لا ترفعوا اصواتكم فوق صوت النبي ولا تجهروا له بالقول كجهر بعضكم لبعض ان تحبط اعمالكم وانتم لا تشعرون اعادة النداء عليهم استدعاء منهم لتجديد الاستبصار عند كل خطاب وارد وتطرية الانصات لكل حكم نازل وتحريك منهم لئلا يفتروا ويغفلوا عن تأملهم وما اخذوا به عند حضور مجلس رسول الله عليه السلام من الادب الذي المحافظة عليه تعود عليهم بعظيم الجدوى في دينهم وذلك لان في اعظام صاحب الشرع اعظام ما ورد به ومستعظم الحق لا يدعه استعظامه ان يألو عملا مما يعود عليه وان يتدافع عما يصده عنه وانتهاءه الى كل خير والمراد بقوله تعالى لا ترفعوا اصواتكم فوق صوت النبي انه اذا نطق ونطقتم فعليكم ان لا تبلغوا باصواتكم وراء الحد الذي يبلغه بصوته وان تغضوا منها بحيث يكون كلامه غالبا لكلامكم وجهره باهرا لجهركم حتى تكون مزيته عليكم لائحة وسابقته واضحة وامتيازه عن جمهوركم كشية الابلق غير خاف لا ان تغمروا صوته بلغطكم وتبهروا منطقه بصخبكم وبقوله ولا تجهروا له بالقول انكم اذا كلمتموه وهو صامت فاياكم والعدول عما نهيتم عنه من رفع الصوت بل عليكم ان لا تبلغوا به الجهر الدائر بينكم وان تتعمدوا في مخاطبته القول اللين المقرب من الهمس الذي يضاد الجهر كما تكون مخاطبة المهيب المعظم عاملين بقوله عز وجل وتعزروه وتوقروه وقيل معنى ولا تجهروا له بالقول كجهر بعضكم لبعض ولا تقولوا له يا محمد يا احمد وخاطبوه بالنبوة قال ابن عباس رضي الله عنهما لما نزلت هذه الاية قال ابو بكر يا رسول الله والله لا اكلمك الا السرار او اخا السرار حتى القى الله وعن عمر رضي الله عنه انه كان يكلم النبي عليه السلام كاخي السرار لا يسمعه حتى يستفهمه وكان ابو بكر رضي الله عنه اذا قدم على رسول الله صلى الله عليه وسلم وفد ارسل اليهم من يعلمهم كيف يسلمون ويأمرهم بالسكينة والوقار عند رسول الله عليه السلام وليس الغرض برفع الصوت ولا الجهر ما يقصد به الاستخفاف والاستهانة لان ذلك كفر والمخاطبون مؤمنون وانما الغرض صوت هو في نفسه والمسموع من جرسه غير مناسب لما يهاب به العظماء ويوقر الكبراء فيتكلف الغض منه ورده الى حد يميل به الى ما يستبين فيه المأمور به من التعزير والتوقير ولم يتناول النهي ايضا رفع الصوت الذي لا يتأذى به رسول الله صلى الله عليه وسلم وهو ما كان منهم في حرب او مجادلة معاند او ارهاب عدو وما اشبه ذلك ففي الحديث انه قال صلى الله عليه وسلم للعباس رضي الله عنه لما انهزم الناس يوم حنين اصرخ بالناس وكان العباس اجهر الناس صوتا يروى ان غارة اتتهم يوما فصاح العباس يا صباحاه فاسقطت الحوامل لشدة صوته وفيه يقول نابغة بني جعدة

زجر ابي عروة السباع اذا ... اشفق ان يختلطن بالغنم

زعمت الرواة انه كان يزجر السباع عن الغنم فيفتق مرارة السبع في جوفه وفي قراءة ابن مسعود رضي الله عنه لا ترفعوا باصواتكم والباء فيه مثلها في قوله

دعت عني بالجاذل اياس بالمناقب ... وليس المعنى في هذه القراءة انهم نهوا عن الرفع الشديد

تخيلا ان يكون ما دون الشديد مسوغا لهم ولكن المعنى نهيهم عما كانوا عليه من الجلبة واستخفاهم فيما كانوا يفعلون وعن ابن عباس رضي الله عنهما نزلت في ثابت بن قيس بن شماس رضي الله عنه وكان

في اذنه

في اذنه وقر وكان جهوري الصوت وكان اذا تكلم رفع صوته وربما كان يكلم رسول الله عليه السلام فيتأذى بصوته وعن انس رضي الله عنه ان هذه الاية لما نزلت فقد ثابت فتفقده رسول الله عليه السلام فاخبر بشأنه فدعاه فسأله فقال يا رسول الله لقد انزلت اليك هذه الاية واني رجل جهير الصوت فاخاف ان يكون عملي قد حبط فقال له رسول الله عليه السلام لست هناك انك تعيش بخير وتموت بخير وانك من اهل الجنة واما ما يروى عن الحسن انها نزلت فيمن كان يرفع صوته من المنافقين فوق صوت رسول الله عليه السلام فمحمله والخطاب للمؤمنين على ان ينهى المؤمنون ليندرج المنافقون تحت النهي ليكون الامر اغلظ عليهم واشق وقيل المنافقون يرفعون اصواتهم ليظهروا قلة مبالاتهم به فيقتدى بهم ضعفة وكاف التشبيه في محل النصب اي لا تجهروا له جهرا مثل جهر بعضكم لبعض وفي هذا انهم لم ينهوا عن الجهر مطلقا حتى لا يسوغ لهم الا ان يكلموه بالهمس والمخافتة وانما نهوا عن جهر مخصوص مقيد بصفة اعني الجهر المنعوت بمماثلة ما قد اعتادوه منه فيما بينهم وهو الخلو من مراعاة ابهة النبوة وجلالة مقدارها وانحطاط سائر الرتب وان جلت عن رتبتها ان تحبط اعمالكم منصوب الموضع على انه مفعول له وفي متعلقه وجهان احدهما ان يتعلق بمعنى النهي فيكون المعنى انتهوا عما نهيتم عنه لحبوط اعمالكم اي لخشية حبوطها على تقدير حذف المضاف كقوله تعالى يبين الله لكم ان تضلوا والثاني ان يتعلق بنفس الفعل ويكون المعنى انهم نهوا عن الفعل الذي فعلوه لاجل الحبوط لانه لما كان بصدد الاداء الى الحبوط جعل كانه فعل لاجله وكانه العلة والسبب في ايجاده على سبيل التمثيل كقوله تعالى ليكون لهم عدوا وحزنا **فان قلت** لخص الفرق بين الوجهين تلخيصه ان يقدر الفعل في الثاني مضموما اليه المفعول له كانهما شيء واحد ثم يصب النهي عليهما جميعا صبا وفي الاول يقدر النهي موجها على الفعل على حياله ثم يعلل له منهيا عنه فان قلت باي النهيين تعلق المفعول له قلت بالثاني عند البصريين مقدرا اضماره عند الاول كقوله تعالى آتوني افرغ عليه قطرا وبالعكس عند الكوفيين وايهما كان فمرجع المعنى الى ان الرفع والجهر كلاهما منصوص اداؤه الى حبوط العمل وقراءة ابن مسعود رضي الله عنه فتحبط اعمالكم اظهر نصا بذلك لان ما بعد الفاء لا يكون الا مسببا عما قبله فيتنزل الحبوط من الجهر منزلة الحلول من الطغيان في قوله تعالى ولا تطغوا فيه فيحل عليكم غضبي والحبوط من حبطت الابل اذا اكلت الخضر فنفخ بطونها وربما هلكت ومنه قوله صلى الله عليه وسلم وان مما ينبت الربيع لما يقتل حبطا او يلم ومن اخواته حبجت الابل اذا اكلت العرفج فاصابها ذلك واحبض عمله مثل حبطه وحبط الجرح وحبر اذا غفر وهو نكسه وتراميه الى الفساد جعل العمل السيء في اضراره بالعمل الصالح كالداء والحرض لمن يصاب به اعاذنا الله من حبط الاعمال وخيبة الامال وقد دلت الاية على امرين هائلين احدهما ان فيما يرتكب من يؤمن من الاثام ما يحبط عمله والثاني ان في آثامه ما لا يدري انه محبط ولعله عند الله كذلك فعلى المؤمن ان يكون في تقواه كالماشي في طريق شائك لا يزال يحترز ويتوقى ويتحفظ ان الذين يغضون اصواتهم عند رسول الله اولئك الذين امتحن الله قلوبهم للتقوى لهم مغفرة واجر عظيم امتحن الله قلوبهم للتقوى من قولك امتحن فلان لامر كذا وجرب له ودرب للنهوض به فهو مضطلع به غير وان عنه والمعنى انهم صبر على التقوى اقوياء على احتمال مشاقها او وضع الامتحان موضع المعرفة لان تحقق الشيء باختباره كما يوضع الخبر موضعها فكانه قيل عرف الله قلوبهم للتقوى وتكون اللام متعلقة بمحذوف واللام هي التي في قولك انت لهذا الامر اي كائن له ومختص به قال انت لها احمد من بين البشر

أعداءً من الهيلان على الوحي، وهي مع معمولها منصوبة على الحال، أو ضرب الله قلوبهم بأنواع المحن والتكاليف الصعبة لأجل التقوى أي لتثبت وتظهر تقواها ويعلم أنهم متقون لأن حقيقة التقوى لا تعلم إلا عند المحن والشدائد والاصطبار عليها، وقيل أخلصها للتقوى من قولهم امتحن الذهب وفتنه إذا أذابه فخلص إبريزه من خبثه ونقّاه، وعن عمر بن الخطاب رضي الله عنه أذهب الشهوات عنها، والامتحان افتعال من محنه وهو اختبار بليغ وبلاء جهيد، قال أبو عمرو كل شيء جهدته فقد محنته، **وأنشد**

أتت رذايا بادياً كلالها ... قد محنت واضطربت آطالها

قيل أنزلت في الشيخين رضي الله عنهما لما كان منهما من غض الصوت والبلوغ به أخا السرار، وهذه الآية بنظمها الذي رتبت عليه من إيقاع الغاضين أصواتهم اسماً لإن المؤكدة وتصيير خبرها جملة من مبتدأ وخبر معرفتين معاً والمبتدأ اسم الإشارة واستئناف الجملة المستودعة ما هو جزاؤهم على عملهم وإيراد الجزاء نكرة مبهماً أمره ناظرة في الدلالة على غاية الاعتداد والارتضاء لما فعل الذين وقّروا رسول الله صلى الله عليه وسلم من خفض أصواتهم وفي الإعلام ببلوغ عزة رسول الله عليه السلام وقدر شرف منزلته، وفيها تعريض بعظيم ما ارتكب الرافعون أصواتهم واستيجابهم ضد ما استوجب هؤلاء. **إن الذين ينادونك من وراء الحجرات أكثرهم لا يعقلون**، الوراء الجهة التي يواريها عنك الشخص بظله من خلف أو قدام، ومن لابتداء الغاية وأن المناداة نشأت من ذلك المكان. **فإن قلت** أفرق بين الكلامين بين ما تثبت فيه وما تسقط عنه. **قلت** الفرق بينهما أن المنادي والمنادى في أحدهما يجوز أن يجمعهما الوراء وفي الثاني لا يجوز لأن الوراء تصير بدخول من مبتدأ الغاية ولا يجتمع على الجهة الواحدة أن تكون مبتدأ ومنتهى لفعل واحد، والذي يقول ناداني فلان من وراء الدار لا يريد وجه الدار ولا دبرها ولكن أي قطر من أقطارها الظاهرة كان مطلقاً بغير تعيين واختصاص، والإنكار لم يتوجه عليهم من قبل أن النداء وقع منهم في أدبار الحجرات أو في وجوهها وإنما أنكر عليهم أنهم نادوه من البر والخارج مناداة الأجلاف بعضهم لبعض من غير قصد إلى جهة دون جهة، والحجرة الرقعة من الأرض المحجورة بحائط يحوط عليها، وحظيرة الإبل تسمى الحجرة، وهي فعلة بمعنى مفعولة كالغرفة والقبضة، وجمعها الحجرات بضمتين، والحجرات بفتح الجيم، والحجرات بتسكينها، وقرئ بهن جميعاً، والمراد حجرات نساء رسول الله عليه السلام وكانت لكل منهن حجرة، ومناداتهم من ورائها يحتمل أنهم قد تفرقوا على الحجرات متطلبين له فناداه بعض من وراء هذه وبعض من وراء تلك، وأنهم قد أتوها حجرة حجرة فنادوه من ورائها، وأنهم نادوه من وراء الحجرة التي كان فيها ولكنها جمعت إجلالاً لرسول الله عليه السلام ولمكان حرمته، والفعل وإن كان مسنداً إلى جميعهم فإنه يجوز أن يتولاه بعضهم وكان الباقون راضين فكأنهم تولوه جميعاً، فقد ذكر الأصم أن الذي ناداه عيينة بن حصن والأقرع بن حابس، والإخبار عن أكثرهم بأنهم لا يعقلون يحتمل أن يكون فيهم من قصد بالمحاشاة، ويحتمل أن يكون الحكم بقلة العقلاء فيهم قصداً إلى نفي أن يكون فيهم من يعقل فإن القلة تقع موقع النفي في كلامهم. **وروي** أن وفد بني تميم أتوا رسول الله صلى الله عليه وسلم وقت الظهيرة وهو راقد فجعلوا ينادونه يا محمد اخرج إلينا فاستيقظ وخرج فنزلت، وسئل رسول الله عليه السلام عنهم فقال هم جفاة بني تميم لولا أنهم من أشد الناس قتالاً للأعور الدجال لدعوت الله عليهم أن يهلكهم، وورود الآية على النمط الذي وردت عليه فيه ما لا يخفى على الناظر من بينات إكبار محل رسول الله عليه السلام وإجلاله منها مجيئها على النظم المسجل على الصائحين به بالسفه والجهل لما أقدموا عليه، ومنها لفظ الحجرات وإيقاعها كناية عن موضع خلوته ومقيله

مع بعض نسائه، ومنها المرور على لفظها بالاقتصار على القدر الذي تبين به ما استنكر عليهم، ومنها التعريف باللام دون الإضافة، ومنها أن شفع ذمهم باستجفائهم واستركاك عقولهم وقلة ضبطهم لمواضع التمييز في المخاطبات تهويناً للخطب على رسول الله صلى الله عليه وسلم وتسلية له وإماطة لما تداخله من إيحاش تعجرفهم وسوء أدبهم، وهلم جرا من أول السورة إلى آخر هذه الآية، فتأمل كيف ابتدئ بإيجاب أن تكون الأمور التي تنتمي إلى الله ورسوله متقدمة على الأمور كلها من غير حصر ولا تقييد، ثم أردف ذلك النهي عما هو من جنس التقديم من رفع الصوت والجهر كأن الأول بساط للثاني ووطاء لذكره، ثم ذكر ما هو ثناء على الذين تحاموا ذلك فغضوا أصواتهم دلالة على عظيم موقعه عند الله عز وجل، ثم جيء على عقب ذلك بما هو أطم وهجنته أتم من الصياح برسول الله عليه السلام في حال خلوته ببعض حرماته من وراء الجدر كما يصاح بأهون الناس قدراً لينبه على فظاعة ما أجروا إليه وجسروا عليه لأن من رفع الله عز وجل قدره أن يجهر له بالقول حتى خاطبه جلة المهاجرين والأنصار بأخي السرار كان صنيع هؤلاء من المنكر الذي بلغ في التفاحش مبلغاً، ومن هذا وأمثاله يقتطف ثمر الألباب وتقتبس محاسن الآداب، كما يحكى عن أبي عبيد ومكانه من العلم والزهد وثقة الرواية ما لا يخفى أنه قال ما دققت باباً على عالم قط حتى يخرج في وقت خروجه. **ولو أنهم صبروا حتى تخرج إليهم لكان خيراً لهم والله غفور رحيم**، أنهم صبروا في موضع الرفع على الفاعلية لأن المعنى ولو ثبت صبرهم، والصبر حبس النفس عن أن تنازع إلى هواها، قال الله عز وعلا واصبر نفسك مع الذين يدعون ربهم، وقولهم صبر عن كذا محذوف منه المفعول وهو النفس، وهو حبس فيه شدة ومشقة على المحبوس، ولهذا قيل للحبس على اليمين أو القتل صبر، وفي كلام بعضهم الصبر مر لا يتجرعه إلا حر. **فإن قلت** هل من فرق بين حتى تخرج وإلى أن تخرج. **قلت** إن حتى مختصة بالغاية المضروبة، تقول أكلت السمكة حتى رأسها، ولو قلت حتى نصفها أو صدرها لم يجز، وإلى عامة في كل غاية، فقد أفادت حتى بوضعها أن خروج رسول الله صلى الله عليه وسلم غاية قد ضربت لصبرهم فما كان لهم أن يقطعوا أمراً دون الانتهاء إليه. **فإن قلت** فأي فائدة في قوله تعالى إليهم. **قلت** فيه أنه لو خرج ولم يكن خروجه إليهم ولأجلهم للزمهم أن يصبروا إلى أن يعلموا أن خروجه إليهم، لكان خيراً لهم في كان إما ضمير فاعل الفعل المضمر بعد لو وإما ضمير مصدر صبروا، كقولهم من كذب كان شراً له، والله غفور رحيم بليغ الغفران والرحمة واسعهما فلن يضيق غفرانه ورحمته عن هؤلاء إن تابوا وأنابوا. **يا أيها الذين آمنوا إن جاءكم فاسق بنبأ فتبينوا أن تصيبوا قوماً بجهالة فتصبحوا على ما فعلتم نادمين**، بعث رسول الله عليه السلام الوليد بن عقبة أخا عثمان لأمه وهو الذي ولاه عثمان الكوفة بعد سعد بن أبي وقاص رضي الله عنه فصلى بالناس وهو سكران صلاة الفجر أربعاً ثم قال هل أزيدكم، فعزله عثمان عنهم، مصدقاً إلى بني المصطلق وكانت بينه وبينهم إحنة، فلما شارف ديارهم ركبوا مستقبلين له فحسبهم مقاتليه فرجع وقال لرسول الله عليه السلام قد ارتدوا ومنعوا الزكاة، فغضب فوردوا وقالوا نعوذ بالله من غضبه وغضب رسوله، فاتهمهم وقال لتنتهن أو لأبعثن إليكم رجلاً هو عندي كنفسي يقاتل مقاتلتكم ويسبي ذراريكم، ثم ضرب بيده على كتف علي رضي الله عنه، وقيل بعث إليهم خالد بن الوليد رضي الله عنه فوجدهم منادين بالصلوات متهجدين فسلموا إليه الصدقات فرجع، وفي تنكير الفاسق والنبإ شياع في الفساق والأنباء، كأنه قال أي فاسق جاءكم بأي نبإ فتوقفوا فيه وتطلبوا بيان الأمر وانكشاف الحقيقة ولا تعتمدوا قول الفاسق لأن من لا يتحامى جنس الفسوق لا يتحامى الكذب الذي هو نوع منه

والفسوق الخروج من الشيء والانسلاخ منه يقال فسقت الرطبة عن قشرها ومن مقلوبه فقست البيضة اذا
كسرتها واخرجت ما فيها ومن مقلوبه ايضا قفست الشيء اذا اخرجته من يد مالكه مغتصبا له عليه ثم استعمل
في الخروج عن القصد والانسلاخ من الحق **قال رؤبة** فواسقا عن قصدها جوائرا ○ وقرأ ابن مسعود
رضي الله عنه فتثبتوا والتثبت والتبين متقاربان وهما طلب الثبات والبيان والتعرف ولما كان رسول
الله صلى الله عليه وسلم والذين معه بالمنزلة التي لا يجسر احد ان يخبرهم بكذب وما كان يقع مثل ما
فرط من الوليد الا في الندرة قيل ان جاءكم بحرف الشك ○ وفيه ان على المؤمنين ان يكونوا على هذه الصفة
لئلا يطمع فاسق في مخاطبتهم بكلمة زور ○ ان تصيبوا مفعول له اي كراهة اصابتكم قوما بجهالة حال
كقوله تعالى ورد الله الذين كفروا بغيظهم يعني جاهلين بحقيقة الامر وكنه القصة ○ والاصباح
بمعنى الصيرورة ○ والندم ضرب من الغم وهو ان تغتم على ما وقع منك تتمنى انه لم يقع وهو غم
يصحب الانسان صحبة لها دوام ولزام لانه كلما تذكر المتندم عليه راجعه من الندام وهو لزام
الشريب ودوام صحبته ومن مقلوبه ادمن الامر ادامه ومدن بالمكان اقام به ○ ومنه المدينة
وقد تراهم يجعلون الهم صاحبا ونجيا وسميرا وضجيعا وموصوفا بانه لا يفارق صاحبه واعلموا ان فيكم
رسول الله لو يطيعكم في كثير من الامر لعنتم ولكن الله حبب اليكم الايمان وزينه في قلوبكم
وكره اليكم الكفر والفسوق والعصيان اولئك هم الراشدون ○ الجملة المصدرة بلو لا تكون
كلاما مستأنفا لادائه الى تنافر النظم ولكن متصلا بما قبله حالا من احد الضميرين في فيكم المستتر
المرفوع او البارز المجرور وكلاهما مذهب سديد والمعنى ان فيكم رسول الله على حالة يجب عليكم
تغييرها او انتم على حالة يجب عليكم تغييرها وهي انكم تحاولون منه ان يعمل في الحوادث على مقتضى
ما يعن لكم من رأي واستصواب فعل المطواع لغيره التابع له فيما يرتئيه المحتذي على امثلته ولو فعل
ذلك لعنتم اي لوقعتم في الجهد والهلاك يقال فلان يتعنت فلانا اي يطلب ما يؤديه الى الهلاك وقد
اعنت العظم اذا هيض بعد الجبر وهذا يدل على ان بعض المؤمنين زينوا لرسول الله عليه السلام
الايقاع ببني المصطلق وتصديق قول الوليد وان نظائر ذلك من الهنات كانت تفرط منهم وان
بعضهم كانوا يتصونون ويزعهم جدهم في التقوى عن الجسارة على ذلك وهم الذين استثناهم بقوله
تعالى ولكن الله حبب اليكم الايمان اي الى بعضكم ولكنه اغنت عن ذكر البعض صفتهم المفارقة لصفة
غيرهم وهذا من ايجازات القرآن ولمحاته اللطيفة التي لا يفطن لها الا الخواص ○ وعن بعض المفسرين
هم الذين امتحن الله قلوبهم للتقوى وقوله تعالى اولئك هم الراشدون والخطاب لرسول الله
صلى الله عليه وسلم اي اولئك المستثنون هم الراشدون يصدق ما قلته **فان قلت** ما فائدة
تقديم خبر ان على اسمها القصد الى توبيخ بعض المؤمنين على ما استهجن منهم من استتباع
رأي رسول الله عليه السلام لآرائهم فوجب تقديمه لانصباب الغرض اليه **فان قلت** فلم قيل
يطيعكم دون اطاعكم **قلت** للدلالة على انه كان في ارادتهم استمرار عمله على ما يستصوبونه وانه
كلما عن لهم رأي في امر كان معمولا عليه بدليل قوله تعالى في كثير من الامر كقولك فلان يقري الضيف
ويحمي الحريم تريد انه مما اعتاده ووجد منه مستمرا ○ فان قلت كيف موقع ولكن وشريطتها مفقودة
من مخالفة ما بعدها لما قبلها نفيا واثباتا ○ قلت هي مفقودة من حيث اللفظ حاصلة من حيث
المعنى لان الذين حبب اليهم الايمان قد غايرت صفتهم صفة المتقدم ذكرهم فوقعت لكن في حاق

موقعها

موقعها من الاستدراك ومعنى تحبيب الله تعالى وتكريهه اللطف والامداد بالتوفيق وسبيله الكناية كما سبق
وكل ذي لب وراجع الى بصيرة وذهن لا يغبى عليه ان الرجل لا يمدح بغير فعله وحمل الآية على ظاهرها
يؤدي الى ان يثني الله عليهم بفعل الله عز وجل وقد نعى الله هذا على الذين انزل فيهم ويحبون ان
يحمدوا بما لم يفعلوا **فان قلت** فان العرب تمدح بالجمال وحسن الوجوه وذلك فعل الله وهو
مدح مقبول عند الناس غير مردود الذي سوغ ذلك لهم انهم رأوا حسن الرواء ووسامة
المنظر في الغالب يسفر عن مخبر مرضي واخلاق محمودة ومن ثم قالوا احسن ما في الدميم وجهه فلم
يجعلوه من صفات المدح لذاته ولكن لدلالته على غيره على ان من محققة النقاد وعلماء المعاني من دفع
صحة ذلك وخطأ المادح به وقصر المدح على النعت بامهات الخير وهي الفصاحة والشجاعة والعدل
والعفة وما يتشعب منها ويرجع اليها وجعل الوصف بالجمال والثروة وكثرة الحفدة والاعضاد وغير
ذلك مما ليس للانسان فيه عمل غلطا ومخالفة عن المعقول ○ والكفر تغطية نعم الله تعالى وغمطها بالجحود
والفسوق الخروج عن قصد الايمان ومحجته بركوب الكبائر ○ والعصيان ترك الانقياد والمضي لما امر
به الشارع ○ والعرق العاصي العائد ○ واعتصت النواة اشتدت ○ والرشد الاستقامة على طريق الحق
مع تصلب فيه من الرشادة وهي الصخرة **قال** ابو الوازع كل صخرة رشادة **وانشد**
○ وغير مقلد وموشمات ○ صلين الضوء من صم الرشاد ○ فضلا من الله ونعمة والله
عليم حكيم ○ فضلا مفعول له او مصدر من غير فعله ○ فان قلت من اين جاز وقوعه مفعولا له
والرشد فعل القوم والفضل فعل الله والشرط ان يتحد الفاعل ○ قلت لما وقع الرشد عبارة عن التحبيب
والتزيين والتكريه مسندة الى اسمه تقدست اسماؤه صار الرشد كانه فعله فجاز ان ينتصب عنه
او لا ينتصب عن الراشدون ولكن عن الفعل المسند الى اسم الله تعالى والجملة التي هي اولئك هم الراشدون
اعتراض ○ او عن فعل مقدر كانه قيل جرى ذلك او كان ذلك فضلا من الله واما كونه مصدرا من غير
فعله فان يوضع موضع رشدا لان رشدهم فضل من الله عز وجل لكونهم موفقين فيه والفضل والنعمة
بمعنى الافضال والانعام والله عليم باحوال المؤمنين وما بينهم من التمايز والتفاضل حكيم حين يفضل
وينعم بالتوفيق على افاضلهم وان طائفتان من المؤمنين اقتتلوا فاصلحوا بينهما فان بغت احديهما
على الاخرى ○ عن ابن عباس رضي الله عنهما قال وقف رسول الله صلى الله عليه وسلم على مجلس بعض الانصار
وهو على حمار فبال الحمار فامسك عبد الله بن ابي بانفه وقال خل سبيل حمارك فقد آذانا نتنه فقال
عبد الله بن رواحة رضي الله عنه والله ان بول حمارك لاطيب من مسكك ○ وروي افضل منك وبول حماره
اطيب من مسكك ومضى رسول الله عليه السلام وطال الخوض بينهما حتى استبا وتجالدا وجاء قوماهما وهما
الاوس والخزرج فتجالدوا بالعصي ○ وقيل بالايدي والنعال والسعف فرجع اليهم رسول الله عليه السلام
فاصلح بينهم ونزلت ○ وعن مقاتل قرأها عليهم فاصطلحوا ○ والبغي الاستطالة والظلم واباء الصلح فقاتلوا
التي تبغي حتى تفيء الى امر الله فان فاءت فاصلحوا بينهما بالعدل ○ والفيء الرجوع وقد سمي به الظل
والغنيمة لان الظل يرجع بعد نسخ الشمس والغنيمة ما يرجع من اموال الكفار الى المسلمين ○ وعن ابي
عمرو حتى تفي بغير همز ووجهه ان ابا عمرو خفف الاولى من الهمزتين الملتقيتين فلطفت على الراوي تلك
الخلسة فظنه قد طرحها **فان قلت** ما وجه قوله اقتتلوا والقياس اقتتلتا كما قرأ ابن ابي عبلة
او اقتتلا كما قرأ عبيد بن عمير على تأويل الرهطين او النفرين **قلت** هو مما حمل على المعنى دون اللفظ

ابن سلول حين مر به النبي صلى الله عليه وسلم راكبا
على حمار متوجها الى زيارة سعد بن عبادة
في مرضه كذا في جواهر الحسان
للثعالبي
تولد منها ان قتل ابن رواحة حق رجلي وابن ابي
كشف

لان الطائفتين في معنى القوم والناس وفي قراءة عبد الله حتى تفيئوا الى امر الله فان فاؤا فخذوا بينهم بالقسط وحكم الفئة الباغية وجوب قتالها ما قاتلت وعن ابن عمر رضي الله عنهما ما وجدت في نفسي من شيء ما وجدت من امر هذه الاية ان لم اقاتل هذه الفئة الباغية كما امرني الله عز وجل قاله بعد ان اعتزل فاذا كفت وقبضت عن الحرب ايديها تركت واذا تولت عمل بما روي عن النبي صلى الله عليه وسلم انه قال يا ابن ام عبد هل تدري كيف حكم الله عز وجل فيمن بغى من هذه الامة قال الله ورسوله اعلم قال لا يجهز على جريحها ولا يقتل اسيرها ولا يطلب هاربها ولا يقسم فيئها ولا تخلوا الفئتان من المسلمين في اقتتالهما ان تقتتلا على سبيل البغي منهما جميعا فالواجب في ذلك ان يمشى بينهما بما يصلح ذات البين ويثمر المكافة والموادعة فان لم تتحاجزا ولم تصطلحا واقامتا على البغي صير الى مقاتلتهما واما ان يلتحم بينهما القتال لشبهة دخلت عليهما وكلتاهما عند انفسهما محقة فالواجب ازالة الشبهة بالحجج النيرة والبراهين القاطعة واطلاعهما على مراشد الحق فان ركبتا متن اللجاج ولم تعملا على شاكلة ما هديتا اليه ونصحتا به من اتباع الحق بعد وضوحه لهما فقد لحقتا بالفئتين الباغيتين واما ان تكون احديهما الباغية على الاخرى فالواجب ان تقاتل فئة البغي الى ان تكف وتتوب فان فعلت اصلح بينها وبين المبغي عليها بالقسط والعدل وفي ذلك تفاصيل ان كانت الباغية من قلة العدد بحيث لا منعة لها ضمنت بعد الفيئة ما جنت وان كانت كثيرة ذات منعة وشوكة لم تضمن الا عند محمد بن الحسن رحمة الله عليه فانه كان يفتي بان الضمان يلزمها اذا فاءت واما قبل التجمع والتجند او حين تتفرق عند وضع الحرب اوزارها فما جنته ضمنته عند الجميع فمحمل الاصلاح بالعدل في قوله تعالى فاصلحوا بينهما بالعدل على مذهب محمد واضح منطبق على لفظ التنزيل وعلى قول غيره وجهه ان يحمل على كون الفئة قليلة العدد والذي ذكروا ان الغرض اماتة الضغاين وسل الاحقاد دون ضمان الجنايات ليس بحسن الطباق للمامور به من اعمال العدل ومراعاة القسط **فان قلت** فلم قرن بالاصلاح الثاني العدل دون الاول **قلت** لان المراد بالاقتتال في اول الاية ان تقتتلا باغيتين معا او راكبتي شبهة وايتهما كانت فالذي يجب على المسلمين ان ياخذوا به في شانهما اصلاح ذات البين وتسكين الدهماء بارادة الحق والمواعظ الشافية ونفي الشبهة الا اذا اصرتا فحينئذ تجب المقاتلة واما الضمان فلا يتجه وليس كذا اذا بغت احديهما فان الضمان متجه على الوجهين المذكورين واقسطوا ان الله يحب المقسطين واقسطوا امر باستعمال القسط على طريق العموم بعد ما امر به في اصلاح ذات البين والقول فيه مثله في الامر باتقاء الله عز وجل على عقب النهي عن التقديم بين يديه والقسط بالفتح الجور من القسط وهو اعوجاج في الرجلين وعود قاسط يابس واقسطته الرياح واما القسط بمعنى العدل فالفعل منه اقسط وهمزته للسلب اي ازال القسط وهو الجور انما المؤمنون اخوة فاصلحوا بين اخويكم واتقوا الله لعلكم ترحمون هذا تقرير لما الزمه من تولي الاصلاح بين من وقعت بينهم من المؤمنين وبيان ان الايمان قد عقد بين اهله من السبب القريب والنسب اللاصق ما ان لم يفضل الاخوة ولم يبرز عليها لم ينقص عنها ولم يتقاصر عن غايتها ثم قد جرت عادة الناس على انه اذا نشب مثل ذلك بين اثنين من اخوة الولاد لزم السائرين ان يتناهضوا في رفعه وازاحته ويركبوا له الصعب والذلول مشيا بالصلح وبثا للسفراء بينهم الى ان يصادف ما وهى من الوفاق من يرقعه وما استشن من الوصال من يبله فالاخوة في الدين احق بذلك وباشد منه وعن النبي صلى الله عليه وسلم

قوله من الدهماء انها الفتنة المظلمة ومنه حديث حذيفة اتتكم الدهماء ترمي بالرضف اقول وفي الصحاح تصغير الدهيماء وهي الداهية سميت لاظلامها وفي بعض الحواشي هي الجماعة الكثيرة اي تسكين ما بينهم او تسكين الفتنة ولا باس عن انكار الفتنة وحمل الضمان على الوجهين المذكورين من مذهب الحسن وكونه انه قليل العدد في كشف

المسلم

المسلم اخو المسلم لا يظلمه ولا يخذله ولا يعيبه ولا يتطاول عليه في البنيان فيستر عنه الريح الا باذنه ولا يؤذيه بقتار قدره ثم قال احفظوا ولا يحفظ منكم الا قليل **فان قلت** فلم خص الاثنان بالذكر دون الجمع **قلت** لان اقل من يقع بينهما الشقاق اثنان فاذا لزمت المصالحة بين الاقل كانت بين الاكثر الزم لان الفساد في شقاق الجمع اكبر منه في شقاق الاثنين وقيل المراد بالاخوين الاوس والخزرج **وقرئ** بين اخوتكم واخوانكم والمعنى ليس المؤمنون الا اخوة وانهم خلص لذلك متمحضون قد انزاحت عنهم شبهات الاجنبية وابى لطف حالهم في التمازج والاتحاد ان يقدموا على ما يتولد منه التقاطع فبادروا قطع ما يقع من ذلك ان وقع واحسموه واتقوا الله فانكم ان فعلتم لم تحملكم التقوى الا على التواصل والايتلاف والمسارعة الى اماطة ما يفرط منه وكان عند فعلكم ذلك وصول رحمة الله اليكم واشتمال رافته عليكم حقيقا بان تعقدوا به رجاكم يا ايها الذين امنوا لا يسخر قوم من قوم عسى ان يكونوا خيرا منهم ولا نساء من نساء عسى ان يكن خيرا منهن القوم الرجال خاصة لانهم القوام بامور النساء قال الله تعالى الرجال قوامون على النساء وقال صلوات الله وسلامه عليه النساء لحم على وضم الا ما ذب عنه والذابون هم الرجال وهو في الاصل جمع قائم كصوم وزور في جمع صائم وزائر او تسمية بالمصدر وعن بعض العرب اذا اكلت طعاما احببت نوما وابغضت قوما اي قياما واختصاص القوم بالرجال صريح في الاية **وفي قول** زهير اقوم ال حصن ام نساء واما قولهم في قوم فرعون وقوم عاد الذكور والاناث فليس لفظ القوم بمتعاط للفريقين ولكن قصد ذكر الذكور وترك ذكر الاناث لانهن توابع لرجالهن وتنكير القوم والنساء يحتمل معنيين ان يراد لا يسخر بعض المؤمنين والمؤمنات من بعض وان يقصد افادة الشياع وان يصير كل جماعة منهم منهية عن السخرية وانما لم يقل رجل من رجل ولا امراة من امراة على التوحيد اعلاما باقدام غير واحد من رجالهم وغير واحدة من نسائهم على السخرية واستفظاعا للشان الذي كانوا عليه ولان مشهد الساخر لا يكاد يخلو ممن يتلهى ويستضحك على قوله ولا ياتي ما عليه من النهي والانكار فيكون شريك الساخر وتلوه في تحمل الوزر وكذلك كل من يطرق سمعه فيستطيبه ويضحك به فيؤدي ذلك وان اوجده واحد الى تكثر السخرة وانقلاب الواحد جماعة وقوما وقوله تعالى عسى ان يكونوا خيرا منهم كلام مستانف وقد ورد مورد جواب المستخبر عن العلة الموجبة لما جاء النهي عنه والا فقد كان حقه ان يوصل بما قبله بالفاء والمعنى وجوب ان يعتقد كل احد ان المسخور منه ربما يكون عند الله عز وجل خيرا من الساخر لان الناس لا يطلعون الا على ظواهر الاحوال ولا علم لهم بالخفيات وانما الذي يزن عند الله عز وجل خلوص الضمائر وتقوى القلوب وعلمهم من ذلك بمعزل فينبغي ان لا يجترئ احد على الاستهزاء بمن تقتحمه عينه اذا راه رث الحال او ذا عاهة في بدنه او غير لبيق في محادثته فلعله اخلص ضميرا واتقى قلبا ممن هو على ضد صفته فيظلم نفسه بتحقير من وقره الله تعالى والاستهانة بمن عظمه الله ولقد بلغ بالسلف افراط توقيهم وتصونهم من ذلك ان قال عمرو بن شرحبيل لو رايت رجلا يرضع عنزا فضحكت منه خشيت ان اصنع مثل الذي صنعه وعن عبد الله بن مسعود رضي الله عنه البلاء موكل بالقول لو سخرت من كلب لخشيت ان احول كلبا وفي قراءة عبد الله عسوا ان يكونوا وعسين ان يكن فعسى على هذه القراءة ذات الخبر كالتي في قوله تعالى فهل عسيتم وعلى الاولى التي لا خبر لها كقوله عز وعلا وعسى ان تكرهوا شيئا ولا تلمزوا انفسكم ولا تنابزوا بالالقاب

هزم

واللمز الطعن والضرب باللسان • وقرئ ولا تلمزوا بالضم والمعنى وخصوا ايها المؤمنون انفسكم بالانتهاء عن عيبها والطعن فيها ولا عليكم ان تعيبوا غيركم ممن لا يدين بدينكم ولا يسير بسيرتكم ففي الحديث عن رسول الله صلى الله عليه وسلم اذكروا الفاجر بما فيه كي يحذره الناس • وعن الحسن رحمة الله عليه في ذكر الحجاج اخرج الي بنانا قصيرة قلما عرقت فيها الاعنة في سبيل الله تعالى ثم جعل يطبطب شعيرات له ويقول يا ابا سعيد يا ابا سعيد وقال لما مات اللهم انت امته فاقطع سنته فانه اتانا اخيفش اعيمش يخطر في مشيته ويصعد المنبر حتى تفوته الصلوة لا من الله يتقي ولا من الناس يستحيي فوقه الله وتحته مائة الف او يزيدون لا يقول له قائل الصلوة ايها الرجل الصلوة ايها الرجل هيهات دون ذلك السيف والسوط • وقيل معناه لا يعب بعضكم بعضا لان المؤمنين كنفس واحدة فمتى عاب المؤمن المؤمن فكانما عاب نفسه • وقيل معناه لا تفعلوا ما تلمزون به لان من فعل ما استحق به اللمز فقد لمز نفسه حقيقة • والتنابز بالالقاب التداعي بها تفاعل من نبزه وبنو فلان يتنابزون ويتنازبون • ويقال النبز والنزب لقب السوء والتلقيب المنهي عنه وهو ما يتداخل المدعو به كراهة لكونه تقصيرا به وذما له وشينا فاما ما تحبه مما يزينه وينوه به فلا باس به روي عن النبي صلى الله عليه وسلم من حق المؤمن على اخيه ان يسميه باحب اسمائه اليه ولهذا كانت التكنية من السنة والادب الحسن قال عمر بن الخطاب رضي الله عنه اشيعوا الكنى فانها منبهة ولقد لقب ابو بكر رضي الله عنه بالعتيق والصديق وعمر رضي الله عنه بالفاروق • وحمزة رضي الله عنه باسد الله وخالد رضي الله عنه بسيف الله • وقل من المشاهير في الجاهلية والاسلام من ليس له لقب ولم تزل هذه الالقاب الحسنة في الامم كلها من العرب والعجم تجري في مخاطباتهم ومكاتباتهم من غير نكير روي عن الضحاك ان قوما من بني تميم استهزؤا ببلال وخباب وعمار • وصهيب • وابي ذر • وسالم مولى حذيفة رضوان الله عليهم اجمعين فنزلت وعن ام المؤمنين عائشة رضي الله عنها انها كانت تسخر من زينب بنت خزيمة الهلالية رضي الله عنها وكانت قصيرة • وعن ابن عباس ان ام سلمة ربطت حقويها بسبيبة وسدلت طرفها خلفها وكانت تجره فقالت عائشة لحفصة رضي الله عنها انظري ما تجر خلفها كانه لسان كلب • وعن انس رضي الله عنه عيرت نساء رسول الله صلى الله عليه وسلم ام سلمة رضي الله عنها بالقصر • وعن عكرمة عن ابن عباس رضي الله عنهما ان صفية بنت حيي اتت النبي عليه السلام فقالت ان النساء يعيرنني ويقلن يا يهودية بنت يهوديين فقال لها رسول الله صلى الله عليه وسلم هلا قلت ان ابي هرون وان عمي موسى وان زوجي محمد • وروي انها نزلت في ثابت بن قيس رضي الله عنه وكان به وقر وكانوا يوسعون له في مجلس النبي عليه السلام ليسمع فاتى يوما وهو يقول تفسحوا حتى انتهى الى رسول الله عليه السلام فقال لرجل تنح فلم يفعل فقال من هذا فقال الرجل انا فلان فقال بل انت ابن فلانة يريد اما كان يعير بها في الجاهلية فخجل الرجل فنزلت فقال ثابت لا افخر على احد في الحسب بعدها ابدا **بئس الاسم الفسوق بعد الايمان ومن لم يتب فاولئك هم الظالمون** • الاسم هاهنا بمعنى الذكر من قولهم طار اسمه في الناس بالكرم او باللؤم كما يقال طار ثناؤه وصيته وحقيقته ما سما من ذكره وارتفع بين الناس الا ترى الى قولهم اشاد بذكره كانه قيل بئس الذكر المرتفع للمؤمنين بسبب ارتكاب هذه الجرائر ان يذكروا بالفسق وفي قوله تعالى بعد الايمان ثلاثة اوجه • احدها استقباح الجمع بين الايمان وبين الفسق الذي يأباه الايمان ويحظره كما تقول بئس الشأن بعد الكبرة الصبوة • والثاني انه كان

ق

والثاني انه كان في شتائمهم لمن اسلم من اليهود يا يهودي يا فاسق فنهوا عنه وقيل لهم بئس الذكر ان تذكروا الرجل بالفسق واليهودية بعد ايمانه والجملة على هذا التفسير متعلقة بالنهي عن التنابز • والثالث ان يجعل من فسق غير مؤمن كما تقول للمتحول عن التجارة الى الفلاحة بئست الحرفة الفلاحة بعد التجارة **يا ايها الذين آمنوا اجتنبوا كثيرا من الظن ان بعض الظن اثم** • يقال جنبه الشر اذا ابعده عنه وحقيقته جعله منه في جانب فيعدى الى مفعولين قال الله عز وجل واجنبني وبني ان نعبد الاصنام ثم يقال في مطاوعه اجتنب الشر فينقص المطاوعة مفعولا والمامور باجتنابه هو بعض الظن وذلك البعض موصوف بالكثرة الا ترى الى قوله تعالى ان بعض الظن اثم **فان قلت** بين الفصل بين كثير حيث جاء نكرة وبينه لو جاء معرفة [gap] جيئه نكرة يفيد معنى البعضية وان في الظنون ما يجب ان يجتنب من غير تبيين لذلك ولا تعيين لئلا يجترئ احد على ظن الا بعد نظر وتأمل وتمييز بين حقه وباطله بامارة بينة مع استشعار التقوى والحذر ولو عرف لكان الامر باجتناب الظن منوطا بما يكثر منه دون ما يقل ووجب ان يكون كل ظن متصف بالكثرة مجتنبا وما اتصف منه بالقلة مرخصا في تظنيه والذي يميز الظنون التي يجب اجتنابها عما سواها ان كل ما لم تعرف له امارة صحيحة وسبب ظاهر كان حراما واجب الاجتناب وذلك اذا كان المظنون به ممن شوهد منه الستر والصلاح وأونست منه الامانة في الظاهر فظن الفساد والخيانة به محرم بخلاف من اشتهره الناس بتعاطي الريب والمجاهرة بالخبائث عن النبي صلى الله عليه وسلم ان الله حرم من المسلم دمه وعرضه وان يظن به ظن السوء • وعن الحسن رحمة الله عليه كنا في زمان الظن بالناس حرام وانت اليوم في زمان اعمل واسكت وظن بالناس ما شئت • وعنه لا حرمة لفاجر • وعنه ان الفاسق اذا اظهر فسقه وهتك ستره هتكه الله واذا استتر لم يظهر الله عليه لعله ان يتوب • وقد روي من القى جلباب الحياء فلا غيبة له • والاثم الذنب الذي يستحق صاحبه العقاب • ومنه قيل لعقوبته الأثام فعال منه كالنكال والعذاب والوبال **قال** •

• لقد فعلت هذي النوى بي فعلة • اصاب النوى قبل الممات اثامها •

• والهمزة فيه عوض عن الواو وكانه يثم الاعمال اي يكسرها باحباطه **ولا تجسسوا ولا يغتب بعضكم بعضا** وقرئ ولا تحسسوا بالحاء والمعنيان متقاربان يقال تجسس الامر اذا تطلبه وبحث عنه تفعل من الجس كما ان التلمس بمعنى التطلب من اللمس لما في اللمس من الطلب وقد جاء بمعنى الطلب في قوله تعالى وانا لمسنا السماء • والتحسس التعرف من الحس ولتقاربهما قيل لمشاعر الانسان الحواس بالحاء والجيم والمراد النهي عن تتبع عورات المسلمين ومعايبهم والاستكشاف عما ستروه • وعن مجاهد خذوا ما ظهر ودعوا ما ستره الله • وعن النبي صلى الله عليه وسلم انه خطب فرفع صوته حتى اسمع العواتق في خدورهن قال يا معشر من آمن بلسانه ولم يخلص الايمان الى قلبه لا تتبعوا عورات المسلمين فان من تتبع عورات المسلمين تتبع الله عورته حتى يفضحه ولو كان في جوف بيته وعن زيد بن وهب رضي الله عنه قلنا لابن مسعود رضي الله عنه هل لك في الوليد بن عقبة بن ابي معيط تقطر لحيته خمرا فقال ابن مسعود انا قد نهينا عن التجسس فان ظهر لنا شيء اخذنا به • غابه واغتابه كغاله واغتاله • والغيبة من الاغتياب كالغيلة من الاغتيال وهي ذكر السوء في الغيبة • وسئل رسول الله عليه السلام عن الغيبة فقال ان تذكر اخاك بما يكره فان كان فيه فقد اغتبته وان لم يكن فيه فقد بهته • وعن ابن عباس رضي الله عنهما الغيبة ادام كلاب الناس **ايحب احدكم ان ياكل** لك

لحم اخيه ميتا فكرهتموه واتقوا الله ان الله تواب رحيم ٥ ايحب احدكم تمثيل وتصوير لما يناله المغتاب
على افظع وجه وافحشه وفيه مبالغات شتى منها الاستفهام الذي معناه التقرير ومنها جعل ما هو
في الغاية من الكراهة موصولا بالمحبة ومنها اسناد الفعل الى احدكم والاشعار بان احدا من الاحد
لا يحب ذلك ومنها ان لم يقتصر على تمثيل الاغتياب باكل لحم الانسان حتى جعل الانسان اخا ومنها ان
لم يقتصر على اكل لحم الاخ حتى جعل ميتا وعن قتادة كما تكره ان وجدت جيفة مدودة ان تاكل منها
كذلك فاكره لحم اخيك وهو حي وانتصاب ميتا على الحال من اللحم ويجوز ان ينتصب عن الاخ وقرئ
ميتا ولما قررهم عز وجل بان احدا منهم لا يحب اكل جيفة اخيه عقب ذلك بقوله تعالى فكرهتموه
اي فتحققت بوجوب الاقرار عليكم وبانكم لا تقدرون على دفعه وانكاره لاباء البشرية عليكم ان تجحدوه
كراهتكم له وتقذركم منه فليتحقق ايضا ان تكرهوا ما هو نظيره من الغيبة والطعن في اعراض المسلمين
وقرئ فكرهتموه اي جبلتم على كراهته فان قلت ملا عدي بالى كما عدي في قوله وكره اليكم الكفر
وايهما القياس قلت القياس تعديه بنفسه لانه ذو مفعول واحد قبل تثقيل حشوه تقول كرهته
الشيء فاذا ثقل استدعى زيادة مفعول واما تعديته بالى فتاول واجراء لكره مجرى بغض لان بغض
منقول من بغض اليه الشيء فهو بغيض اليه كقولك حب اليه الشيء فهو حبيب اليه والمبالغة في
التواب للدلالة على كثرة من يتوب عليه من عباده او لانه ما من ذنب يقترفه المقترف الا كان معفوا
عنه بالتوبة او لانه بليغ في قبول التوبة منزل صاحبها منزلة من لم يذنب قط لسعة كرمه
والمعنى واتقوا الله بترك ما امرتم باجتنابه والندم على ما وجد منكم منه فانكم ان تتقيتم تقبل
الله توبتكم وانعم عليكم بثواب المتقين التائبين وعن ابن عباس رضي الله عنهما ان سلمان رضي
الله عنه كان يخدم رجلين من الصحابة ويسوي لهما طعامهما فنام عن شانه يوما فبعثاه الى رسول
الله صلى الله عليه وسلم يبغي لهما اداما وكان اسامة على طعام رسول الله عليه السلام فقال ما
عندي شيء فاخبرهما سلمان رضي الله عنه فعند ذلك قالا لو بعثناه الى بئر سميحة لغار ماؤها فلما
راحا الى رسول الله صلى الله عليه وسلم قال لهما ما لي ارى خضرة اللحم في افواهكما فقالا ما تناولنا لحما
فقال انكما قد اغتبتما فنزلت يا ايها الناس انا خلقناكم من ذكر وانثى وجعلناكم شعوبا وقبائل
لتعارفوا ٥ من ذكر وانثى من آدم وحواء وقيل خلقنا كل واحد منكم من اب وام فما منكم احد الا وهو
يدلي بمثل ما يدلي به الآخر سواء بسواء فلا وجه للتفاخر والتفاضل في النسب والشعب الطبقة
الاولى من الطبقات الست التي عليها العرب وهي الشعب والقبيلة والعمارة والبطن والفخذ والفصيلة
فالشعب يجمع القبائل والقبيلة تجمع العمائر والعمارة تجمع البطون والبطن تجمع الافخاذ والفخذ تجمع
الفصائل خزيمة شعب وكنانة قبيلة وقريش عمارة وقصي بطن وهاشم فخذ والعباس فصيلة وسميت
الشعوب لان القبائل تشعبت منها وقرئ لتعارفوا ولتعارفوا بالادغام ولتعرفوا اي لتعلموا
كيف تتناسبون ولتتعرفوا والمعنى ان الحكمة التي من اجلها رتبكم على شعوب وقبائل هي ان يعرف
بعضكم نسب بعض فلا يعتزي الى غير آبائه لا ان تتفاخروا بالآباء والاجداد وتدعوا التفاوت
والتفاضل في الانساب ان اكرمكم عند الله اتقاكم ان الله عليم خبير ٥ ثم بين الخصلة التي بها
يفضل الانسان غيره ويكتسب الشرف والكرم عند الله فقال ان اكرمكم عند الله اتقاكم وقرئ ان
بالفتح كانه قيل لم لا يتفاخر بالانساب فقيل لان اكرمكم عند الله اتقاكم لا انسبكم وعن النبي صلى

الله عليه وسلم انه طاف يوم فتح مكة فحمد الله واثنى عليه ثم قال الحمد لله الذي اذهب عنكم عبية الجاهلية وتكبرها
يا ايها الناس انما الناس رجلان مؤمن تقي كريم على الله وفاجر شقي هين على الله ثم قرا الآية وعنه صلى الله
عليه وسلم من سره ان يكون اكرم الناس فليتق الله وعن ابن عباس رضي الله عنهما كرم الدنيا الغنى وكرم
الآخرة التقوى وعن يزيد بن شجرة رضي الله عنه مر رسول الله صلى الله عليه وسلم في سوق المدينة
فرأى غلاما اسود يقول من اشتراني فعلى شرط لا يمنعني عن الصلوات الخمس خلف رسول الله عليه السلام
فاشتراه رجل وكان رسول الله عليه السلام يراه عند كل صلوة ففقده يوما فسال عنه صاحبه
فقال محموم فعاده ثم سال عنه بعد ثلاثة ايام فقال هو لما به فجاءه وهو في ذمائه فتولى غسله
ودفنه فدخل على المهاجرين والانصار رضوان الله عليهم امر عظيم قالت الاعراب آمنا قل لم تؤمنوا
ولكن قولوا اسلمنا ولما يدخل الايمان في قلوبكم ٥ الايمان هو التصديق بالله مع الثقة وطمانينة
النفس والاسلام الدخول في السلم والخروج من ان يكون حربا للمؤمنين باظهار الشهادتين الا ترى الى قوله
ولما يدخل الايمان في قلوبكم فاعلم ان كل ما يكون من الاقرار باللسان من غير مواطأة القلب فهو اسلام
وما واطا فيه القلب اللسان فهو ايمان فان قلت ما وجه قوله قل لم تؤمنوا ولكن قولوا اسلمنا
والذي يقتضيه نظم الكلام ان يقال قل لا تقولوا آمنا ولكن قولوا اسلمنا او قل لم تؤمنوا ولكن
اسلمتم قلت افاد هذا النظم تكذيب دعواهم اولا ودفع ما انتحلوه فقيل قل لم تؤمنوا وروعي
في هذا النوع من التكذيب ادب حسن حين لم يصرح بلفظه فلم يقل كذبتم ووضع لم تؤمنوا الذي
هو نفي ما ادعوا اثباته موضعه ثم نبه على ما فعل من وضعه موضع كذبتم في قوله في صفة المخلصين
اولئك هم الصادقون تعريضا بان هؤلاء هم الكاذبون ورب تعريض لا يقاومه التصريح واستغنى
بالجملة التي هي لم تؤمنوا عن ان يقال لا تقولوا آمنا لاستهجان ان يخاطبوا بلفظ مؤداه النهي
عن القول بالايمان ثم وصلت بها الجملة المصدرة بكلمة الاستدراك محمولة على المعنى ولم يقل ولكن اسلمتم
ليكون خارجا مخرج الزعم والدعوى كما كان قولهم آمنا كذلك ولو قيل ولكن اسلمتم لكان خروجه
في معرض التسليم لهم والاعتداد بقولهم وهو غير معتد به فان قلت قوله تعالى ولما يدخل
الايمان في قلوبكم بعد قوله قل لم تؤمنوا يشبه التكرير من غير استقلال بفائدة متجددة
ليس كذلك فان فائدة قوله تعالى لم تؤمنوا تكذيب دعواهم وقوله تعالى ولما يدخل
الايمان في قلوبكم توقيت لما امروا به ان يقولوه كانه قيل لهم ولكن قولوا اسلمنا حين لم تثبت
مواطاة قلوبكم لالسنتكم لانه كلام واقع موقع الحال من الضمير في قولوا وما في لما من معنى التوقع
دال على ان هؤلاء قد آمنوا فيما بعد وان تطيعوا الله ورسوله لا يلتكم من اعمالكم شيئا
ان الله غفور رحيم ٥ لا يلتكم لا ينقصكم ولا يظلمكم يقال لاته السلطان حقه اشد الليت وهي
لغة غطفان ولغة اسد واهل الحجاز لاته ليتا وحكى الاصمعي عن ام هشام السلولية انها قالت الحمد
لله الذي لا يفات ولا يلات ولا تصمه الاصوات وقرئ بالقلبين لا يالتكم ولا يلتكم ونحوه في المعنى
فلا تظلم نفس شيئا ومعنى طاعة الله ورسوله ان يتوبوا عما كانوا عليه من النفاق ويعقدوا قلوبهم
على الايمان ويعملوا بمقتضياته فان فعلوا ذلك تقبل الله توبتهم ووهب لهم مغفرته وانعم عليهم
بجزيل ثوابه وعن ابن عباس رضي الله عنهما ان نفرا من بني اسد قدموا المدينة في سنة جدبة فاظهروا
الشهادة وافسدوا طرق المدينة بالعذرات واغلوا اسعارها وهم يغدون ويروحون على رسول

الله عليه السلام ويقولون أتتك العرب بأنفسها على ظهور رواحلها وجئناك بالأثقال والذراري يريدون الصدقة ويمنون عليه فنزلت **إنما المؤمنون الذين آمنوا بالله ورسوله ثم لم يرتابوا وجاهدوا بأموالهم وأنفسهم في سبيل الله أولئك هم الصادقون** ارتاب مطاوع رابه إذا أوقعه في الشك مع التهمة والمعنى أنهم آمنوا ثم لم يقع في نفوسهم شك فيما آمنوا به ولا اتهام لمن صدقوه واعترفوا بأن الحق معه **فإن قلت** ما معنى ثم ههنا وهي للتراخي وعدم الارتياب يجب أن يكون مقارنا للإيمان لأنه وصف فيه لما بينت من إفادة الإيمان معنى الثقة والطمأنينة التي حقيقتها التيقن وانتفاء الريب الجواب على طريقين أحدهما أن من وجد منه الإيمان ربما اعترضه الشيطان أو بعض المضلين بعد ثلج الصدر فشككه وقذف في قلبه ما يثلم يقينه أو نظر هو نظرا غير سديد يسقط به على الشك ثم يستمر على ذلك راكبا رأسه لا يطلب له مخرجا فوصف المؤمنون حقا بالبعد عن هذه الموبقات ونظيره قوله تعالى ثم استقاموا والثاني أن الإيقان وزوال الريب لما كان ملاك الإيمان أفرد بالذكر بعد تقدم الإيمان تنبيها على مكانه وعطف على الإيمان بكلمة التراخي إشعارا باستقراره في الأزمنة المتراخية المتطاولة غضا جديدا وجاهدوا يجوز أن يكون المجاهد منويا وهو العدو والمحارب أو الشيطان أو الهوى وأن يكون جاهد مبالغة في جهد ويجوز أن يراد بالمجاهدة بالنفس الغزو وأن يتناول العبادات بأسرها وأجمعها وبالمجاهدة بالمال نحو ما صنع عثمان بن عفان رضي الله عنه في جيش العسرة وأن يتناول الزكوات وكل ما يتعلق بالمال من أعمال البر التي يتحامل فيها الرجل على ماله لوجه الله أولئك هم الصادقون الذين صدقوا في قولهم آمنا ولم يكذبوا كما كذب أعراب بني أسد أو هم الذين إيمانهم إيمان صدق وإيمان حق وجد وثبات **قل أتعلمون الله بدينكم والله يعلم ما في السموات وما في الأرض والله بكل شيء عليم يمنون عليك أن أسلموا قل لا تمنوا علي إسلامكم** يقال له ما علمت بقدومك أي ما شعرت به ولا أحطت به ومنه قوله تعالى أتعلمون الله بدينكم وفيه تجهيل لهم يقال من عليه بيد إذا أسداها إليه كقولك أنعم عليه وأفضل عليه والمنة النعمة التي لا يستثيب مسديها من يزلها إليه واشتقاقها من المن الذي هو القطع لأنه إنما يسديها إليه ليقطع بها حاجته لا غير من غير أن يعمد لطلب مثوبة ثم يقال من عليه صنعه إذا اعتده عليه منة وإنعاما وسياق هذه الآية فيه لطف ورشاقة وذلك أن الكائن من الأعراب قد سماه الله إسلاما ونفى أن يكون كما زعموا إيمانا فلما منوا على رسول الله صلى الله عليه وسلم ما كان منهم قال الله سبحانه لرسوله عليه السلام إن هؤلاء يعتدون عليك بما ليس جديرا بالاعتداد به من حدثهم الذي حق تسميته أن يقال له إسلام فقل لهم لا تعتدوا علي إسلامكم أي حدثكم المسمى إسلاما عندي لا إيمانا **بل الله يمن عليكم أن هداكم للإيمان إن كنتم صادقين** ثم قال بل الله يعتد عليكم أن أمدكم بتوفيقه حيث هداكم للإيمان على ما زعمتم وادعيتم أنكم أرشدتم إليه ووفقتم له إن صح زعمكم وصدقت دعواكم إلا أنكم تزعمون وتدعون ما الله عليم بخلافه وفي إضافة الإسلام إليهم وإيراد الإيمان غير مضاف ما لا يخفى على المتأمل وجواب الشرط محذوف لدلالة ما قبله عليه تقديره إن كنتم صادقين في ادعائكم الإيمان فلله المنة عليكم **وقرئ** أن هداكم بكسر الهمزة وفي قراءة ابن مسعود رضي الله عنه إذ هداكم **إن الله يعلم غيب السموات والأرض والله بصير بما تعملون وقرئ** يعملون بالتاء والياء وهذا بيان لكونهم غير صادقين في دعواهم يعني أنه

عز وجل يعلم كل مستتر في العالم ويبصر كل عمل تعملونه في سركم وعلانيتكم لا يخفى عليه منه شيء فكيف يخفى عليه ما في ضمائركم ولا يظهر على صدقكم وكذبكم وذلك أن حاله مع كل معلوم واحدة لا تختلف عن رسول عليه السلام من قرأ سورة الحجرات أعطي من الأجر بعدد من أطاع الله ومن عصاه والله أعلم بالصواب

بسم الله الرحمن الرحيم **ق والقرآن المجيد بل عجبوا أن جاءهم منذر منهم فقال الكافرون هذا شيء عجيب أإذا متنا وكنا ترابا ذلك رجع بعيد** الكلام في ق والقرآن المجيد بل عجبوا نحوه في ص والقرآن ذي الذكر بل الذين كفروا سواء بسواء لالتقائهما في أسلوب واحد والمجيد ذو المجد والشرف على غيره من الكتب ومن أحاط بمعانيه وعمل بما فيه مجد عند الله وعند الناس وهو بسبب من الله المجيد فجاز اتصافه بصفته قوله تعالى بل عجبوا أن جاءهم منذر منهم إنكار لتعجبهم مما ليس بعجب وهو أن ينذرهم بالمخوف رجل منهم قد عرفوا وساطته فيهم وعدالته وأمانته ومن كان على صفته لم يكن إلا ناصحا لقومه مترفرفا عليهم خائفا أن ينالهم سوء ويحل بهم مكروه وإذا علم أن مخوفا أظلهم لزمه أن ينذرهم ويحذرهم فكيف بما هو غاية المخاوف ونهاية المحاذير وإنكار لتعجبهم مما أنذرهم به من البعث مع علمهم بقدرة الله عز وجل على خلق السموات والأرض وما بينهما وعلى اختراع كل شيء وإبداعه وإقرارهم بالنشأة الأولى ومع شهادة العقل بأنه لا بد من الجزاء ثم عول على أحد الإنكارين بقوله تعالى فقال الكافرون هذا شيء عجيب أإذا متنا دلالة على أن تعجبهم من البعث أدخل في الاستبعاد وأحق بالإنكار ووضع الكافرون موضع الضمير للشهادة على أنهم في قولهم هذا مقدمون على الكفر العظيم وهذا إشارة إلى الرجع وإذا منصوب بمضمر معناه أحين نموت ونبلى نرجع ذلك رجع بعيد مستبعد مستنكر كقولك هذا قول بعيد وقد بعد فلان في قوله ومعناه بعيد من الوهم والعادة ويجوز أن يكون الرجع بمعنى المرجوع وهو الجواب ويكون من كلام الله تعالى استبعادا لإنكارهم ما أنذروا به من البعث والوقف قبله على هذا التفسير حسن وقرئ إذا متنا على لفظ الخبر ومعناه إذا متنا بعد أن نرجع والدال عليه ذلك رجع بعيد **فإن قلت** فما ناصب الظرف إذا كان الرجع بمعنى المرجوع **قلت** ما دل عليه المنذر من المنذر به وهو البعث **قد علمنا ما تنقص الأرض منهم وعندنا كتاب حفيظ** قد علمنا رد لاستبعادهم الرجع لأن من لطف علمه حتى تغلغل إلى ما تنقص الأرض من أجساد الموتى وتأكله من لحومهم وعظامهم كان قادرا على رجعهم أحياء كما كانوا عن النبي صلى الله عليه وسلم كل ابن آدم يبلى إلا عجب الذنب وعن السدي ما تنقص الأرض منهم ما يموت فيدفن في الأرض منهم كتاب حفيظ محفوظ من الشياطين ومن التغير وهو اللوح المحفوظ أو حافظ لما أودعه وكتب فيه **بل كذبوا بالحق لما جاءهم فهم في أمر مريج** بل كذبوا إضراب أتبع الإضراب الأول للدلالة على أنهم جاءوا بما هو أفظع من تعجبهم وهو التكذيب بالحق الذي هو النبوة الثابتة بالمعجزات في أول وهلة من غير تفكر ولا تدبر فهم في أمر مريج مضطرب يقال مرج الخاتم في إصبعه وجرج فيقولون تارة شاعر وتارة ساحر وتارة كاهن لا يثبتون على شيء واحد **وقرئ** لما جاءهم بكسر اللام وما المصدرية واللام هي التي في قولهم لخمس خلون أي عند مجيئه إياهم وقيل الحق القرآن وقيل الإخبار بالبعث **أفلم ينظروا إلى السماء فوقهم كيف بنيناها وزيناها وما لها من فروج** أفلم ينظروا حين كفروا بالبعث إلى آثار قدرة الله عز وجل في خلق العالم

بنيناها رفعناها بغير عمد ومالها من فروج من فتوق يعني انها ملساء سليمة من العيوب لا فتق فيها ولا صدع
ولا خلل كقوله عز وعلا هل ترى من فطور والارض مددناها والقينا فيها رواسي وانبتنا
فيها من كل زوج بهيج تبصرة وذكرى لكل عبد منيب مددناها دحوناها رواسي جبالا
ثوابت لولاها لتكفأت من كل زوج من كل صنف بهيج يبتهج به لحسنه تبصرة وذكرى لنبصر به ونذكر
كل عبد منيب راجع الى ربه متفكر في بدايع خلقه وقرئ تبصرة وذكرى بالرفع اى خلقها تبصرة
ونزلنا من السماء ماء مباركا فانبتنا به جنات وحب الحصيد والنخل باسقات لها طلع نضيد
رزقا للعباد واحيينا به بلدة ميتا كذلك الخروج ماء مباركا كثير المنافع وحب الحصيد وحب
الزرع الذي من شانه ان يحصد وهو ما يقتات به من نحو الحنطة والشعير وغيرهما باسقات طوالا او حوامل
وفي قراءة رسول الله عليه السلام باصقات بابدال السين صادا لاجل القاف نضيد منضود بعضه
فوق بعض اما ان يراد كثرة الطلع وتراكمه او كثرة ما فيه من الثمر رزقا علة انبتناها رزقا لان الانبات
في معنى الرزق او على انه مفعول له اى انبتناها لنرزقهم كذلك الخروج كما حييت هذه البلدة الميتة
كذلك تخرجون احياء بعد موتكم والكاف في محل الرفع على الابتداء كذبت قبلهم قوم نوح واصحاب
الرس وثمود وعاد وفرعون واخوان لوط واصحاب الايكة وقوم تبع كل كذب الرسل فحق
وعيد اراد بفرعون قومه كقوله تعالى من فرعون وملائهم لان المعطوف عليه قوم نوح والمعطوفات
جماعات كل يجوز ان يراد به كل واحد منهم وان يراد جميعهم الا انه وحد الضمير الراجع اليه على اللفظ
دون المعنى فحق وعيد فوجب وحل وعيدي وهو كلمة العذاب وفيه تسلية لرسول الله عليه السلام
وتهديد لهم افعيينا بالخلق الاول بل هم في لبس من خلق جديد عيي بالامر اذا لم يهتد لوجه
عمله والهمزة للانكار والمعنى انا لم نعجز كما علموا عن الخلق الاول حتى نعجز عن الثاني ثم قال هم لا ينكرون
قدرتنا على الخلق الاول واعترافهم بذلك في طيه الاعتراف بالقدرة على الاعادة بل هم في لبس اى في
خلط وشبهة قد لبس عليهم الشيطان وحيرهم ومنه قول علي رضي الله عنه يا حار انه لملبوس عليك اعرف
الحق تعرف اهله ولبس الشيطان عليهم تسويله اليهم ان احياء الموتى امر خارج عن العادة فتركوا
لذلك القياس الصحيح ان من قدر على الانشاء كان على الاعادة اقدر فان قلت لم نكر الخلق الجديد
وهلا عرف كما عرف الخلق الاول قصد في تنكير الخلق جديد له شان عظيم وحال شديدة
حق من سمع به ان يهتم به ويخاف ويبحث عنه ولا يقعد على لبس في مثله ولقد خلقنا الانسان
ونعلم ما توسوس به نفسه الوسوسة الصوت الخفي ومنها وسواس الحلي ووسوسة النفس ما
يخطر ببال الانسان ويهجس في ضميره من حديث النفس والباء مثلها في قولك صوت بكذا وهمس به
ويجوز ان يكون للتعدية والضمير للانسان اى ما تجعله موسوسا وما مصدرية لانهم يقولون حدث
نفسه بكذا كما يقولون حدثته به نفسه قال واكذب النفس اذا حدثتها ونحن اقرب اليه من حبل
الوريد ونحن اقرب اليه مجاز والمراد قرب علمه منه وانه يتعلق بمعلومه منه ومن احواله تعلقا لا يخفى
عليه شيء من خفياته فكان ذاته قريبة منه كما يقال الله تعالى في كل مكان وقد جل عن الامكنة وحبل الوريد
مثل في فرط القرب كقولهم هو مني مقعد القابلة ومعقد الازار قال والموت ادنى لي من الوريد — ذو الرمة
والحبل العرق شبه بواحد الحبال الا ترى الى قوله كان وريديه رشاءا خلب والوريدان عرقان مكتنفان
لصفحتي العنق في مقدمها متصلان بالوتين يردان من الراس اليه وقيل سمي وريدا لان الروح ترده

فان قلت

فان قلت ما وجه اضافة الحبل الى الوريد والشيء لا يضاف الى نفسه قلت فيه وجهان احدهما ان تكون
الاضافة للبيان كقولهم بعير سانية والثاني ان يراد حبل العاتق فيضاف الى الوريد كما يضاف الى العاتق — سانية
لاجتماعهما في عضو واحد كما لو قيل حبل العلباء مثلا اذ يتلقى المتلقيان عن اليمين وعن الشمال قعيد
اذ منصوب باقرب وساغ ذلك لان المعاني تعمل في الظرف متقدمة ومتاخرة والمعنى انه لطيف
يتوصل علمه الى خطرات النفس وما لا شيء اخفى منه وهو اقرب من الانسان من كل قريب حين يتلقى
الحفيظان ما يتلفظ به ايذانا بان استحفاظ الملكين امر هو غني عنه وكيف لا يستغني عنه وهو مطلع على
اخفى الخفيات وانما ذلك لحكمة اقتضت ذلك وهي ما في كتبة الملكين وحفظهما وعرض صحايف العمل يوم
يقوم الاشهاد وعلم العبد بذلك مع علمه باحاطة الله عز وجل بعلمه من زيادة لطف له في الانتهاء
عن السيئات والرغبة في الحسنات وعن النبي صلى الله عليه وسلم ان مقعد ملكيك على ثنيتيك
ولسانك قلمهما وريقك مدادهما وانت تجري فيما لا يعنيك لا تستحيي من الله ولا منهما ويجوز ان يكون
تلقي الملكين بيانا للقرب يعني ونحن قريبون منه مطلعون على احواله مهيمنون عليه اذ حفظتنا
وكتبتنا موكلون به والتلقي التلقن بالحفظ والكتبة والقعيد المقاعد كالجليس بمعنى المجالس
وتقديره عن اليمين قعيد وعن الشمال قعيد من المتلقيين فترك احدهما لدلالة الثاني عليه كقوله
كنت منه ووالدي بريا ما يلفظ من قول الا لديه رقيب عتيد رقيب ملك يرقب عمله عتيد
حاضر واختلف فيما يكتب الملكان فقيل يكتبان كل شيء حتى انينه في مرضه وقيل لا يكتبان الا ما
يؤجر عليه او يوزر به ويدل عليه قوله صلى الله عليه وسلم كاتب الحسنات على يمين الرجل وكاتب
السيئات على يسار الرجل وكاتب الحسنات امين على كاتب السيئات فاذا عمل حسنة كتبها ملك اليمين
عشرا واذا عمل سيئة قال صاحب اليمين لصاحب الشمال دعه سبع ساعات لعله ان يسبح او يستغفر
وقيل ان الملائكة يجتنبون الانسان عند غائطه وعند جماعه وقرئ ما يلفظ على البناء للمفعول وجاءت
سكرة الموت بالحق ذلك ما كنت منه تحيد لما ذكر انكارهم البعث واحتج عليهم بوصف قدرته
وعلمه اعلمهم ان ما انكروه وجحدوه لاقوه عن قريب عند موتهم وعند قيام الساعة ونبه على اقترابه
ذلك بان عبر عنه بلفظ الماضي وهو قوله تعالى وجاءت سكرة الموت ونفخ في الصور وسكرة الموت
شدته الذاهبة بالعقل والباء بالحق للتعدية يعني واحضرت سكرة الموت حقيقة الامر الذي انطق
الله به كتبه وبعث به رسله او حقيقة الامر وجلية الحال من سعادة الميت وشقاوته وقيل الحق — لذم
الذي خلق الانسان من ان كل نفس ذائقة الموت ويجوز ان يكون الباء مثلها في قوله عز وجل تنبت
بالدهن اى جاءت ملتبسة بالحق اى بحقيقة الامر او بالحكمة والغرض الصحيح كقوله تعالى خلق السموات
والارض بالحق وقرأ ابو بكر وابن مسعود رضي الله عنهما سكرة الحق بالموت على اضافة السكرة
الى الحق والدلالة على انها السكرة التي كتبت على الانسان واوجبت له وانها حكمة والباء للتعدية
لانها سبب زهوق الروح لشدتها او لان الموت يعقبها فكانها جاءت به ويجوز ان يكون المعنى
جاءت ومعها الموت وقيل سكرة الحق سكرة الله اضيفت اليه تفظيعا لشانها وتهويلا وقرئ
سكرات الموت ذلك اشارة الى الموت والخطاب للانسان في قوله تعالى ولقد خلقنا الانسان
على طريق الالتفات او الى الحق والخطاب للفاجر تحيد تنفر وتهرب وعن بعضهم انه سال زيد بن اسلم
عن ذلك فقال الخطاب لرسول الله عليه السلام فحكاه لصالح بن كيسان فقال والله ما سن عالية ولا شاب

نصيح ولا معرفة بكلام العرب هو للكافر ثم حكاهما للحسين بن عبد الله ابن عبيد الله ابن عباس رضوان الله عليهم فقال اخطأ لغتهما جميعا هو للبر والفاجر ونفخ في الصور ذلك يوم الوعيد وجاءت كل نفس معها سائق وشهيد ذلك يوم الوعيد على تقدير حذف المضاف اى وقت ذلك يوم الوعيد والاشارة الى مصدر نفخ سائق وشهيد ملكان احدهما يسوقه الى المحشر والآخر يشهد عليه بعمله او ملك واحد جامع بين الامرين كانه قيل معها ملك يسوقه ويشهد عليه ومحل معها سائق النصب على الحال من كل لتعرفه بالاضافة الى ما هو في حكم المعرفة لقد كنت في غفلة من هذا فكشفنا عنك غطاءك فبصرك اليوم حديد وقرئ لقد كنت عنك غطاءك فبصرك بالكسر على خطاب النفس اى يقال لها لقد كنت جعلت الغفلة كانها غطاء غطي به جسده كله او غشاوة غطى بها عينيه فهو لا يبصر شيئا فاذا كان يوم القيامة تيقظ وزالت عنه الغفلة وغطاؤها فيبصر ما لم يبصره من الحق ورجع بصره الكليل عن الابصار لغفلته حديدا لتيقظه وقال قرينه هذا ما لدي عتيد القيا في جهنم كل كفار عنيد مناع للخير معتد مريب وقال قرينه هو الشيطان الذي قيض له في قوله تعالى نقيض له شيطانا فهو له قرين يشهد له قوله قال قرينه ربنا ما اطغيته هذا ما لدي عتيد هذا شيء لدي وفي ملكتي عتيد لجهنم والمعنى ان ملكا يسوقه وآخر يشهد عليه وشيطانا مقرونا به يقول قد اعتدته لجهنم وهيأته لها باغوائي واضلالي فان قلت كيف اعراب هذا الكلام قلت ان جعلت ما موصوفة فعتيد صفة لها وان جعلتها موصولة فهو بدل او خبر بعد خبر او خبر مبتدإ محذوف القيا خطاب من الله للملكين السائقين السائق والشهيد ويجوز ان يكون خطابا للواحد على وجهين احدهما قول المبرد ان تثنية الفاعل نزلت منزلة تثنية الفعل لاتحادهما كانه قيل الق الق للتاكيد والثاني ان العرب اكثر ما يرافق الرجل منهم اثنين فكثر على السنتهم ان يقولوا خليلي وصاحبي وقفا واسعدا حتى خاطبوا الواحد خطاب الاثنين عن الحجاج انه كان يقول يا حرسي اضربا عنقه وقرأ الحسن القين بالنون الخفيفة ويجوز ان تكون الالف في القيا بدلا من النون اجراء للوصل مجرى الوقف عنيد معاند مجانب للحق معاند لاهله مناع للخير كثير المنع للمال عن حقوقه جعل ذلك عادة له لا يبذل منه شيئا قط او مناع لجنس الخير ان يصل الى اهله يحول بينه وبينهم وقيل نزلت في الوليد بن المغيرة كان يمنع بني اخيه من الاسلام وكان يقول من دخل منكم فيه لم انفعه بخير ما عشت معتد ظالم متخط للحق مريب شاك في الله وفي دينه الذي جعل مع الله الها آخر فالقياه في العذاب الشديد الذي جعل مبتدأ متضمن معنى الشرط ولذلك اجيب بالفاء ويجوز ان يكون الذي منصوبا بدلا من كل كفار ويكون فالقياه تكريرا للتاكيد قال قرينه ربنا ما اطغيته ولكن كان في ضلال بعيد فان قلت لم اخليت هذه الجملة من الواو وادخلت على الاولى قلت لانها استؤنفت كما تستانف الجمل الواقعة في حكاية التقاول كما رايت في حكاية المقاولة بين موسى وفرعون فان قلت فاين التقاول ههنا قلت لما قال قرينه هذا ما لدي عتيد وتبعه قوله قال قرينه ربنا ما اطغيته وتلاه لا تختصموا لدي علم ان ثم مقاولة من الكافر لكنها طرحت لما يدل عليها كانه قال رب هو اطغاني فقال قرينه ربنا ما اطغيته واما الجملة الاولى فواجب عطفها للدلالة على الجمع بين معناها ومعنى ما قبلها في الحصول اعني مجيء كل نفس مع الملكين وقول قرينه ما قال له ما اطغيته ما جعلته طاغيا وما اوقعته في الطغيان ولكنه طغى واختار الضلالة على الهدى كقوله تعالى وما كان لي عليكم من سلطان الا ان دعوتكم

فاستجبتم

فاستجبتم لي قال لا تختصموا لدي وقد قدمت اليكم بالوعيد ما يبدل القول لدي وما انا بظلام للعبيد قال لا تختصموا استئناف مثل قوله قال قرينه كان قائلا قال فماذا قال الله فقيل قال لا تختصموا والمعنى لا تختصموا في دار الجزاء وموقف الحساب فلا فائدة في اختصامكم ولا طائل تحته وقد اوعدتكم بعذابي على الطغيان في كتبي وعلى السنة رسلي فما تركت لكم حجة علي ثم قال لا تطمعوا ان ابدل قولي ووعيدي فاعفيكم عما اوعدتكم به وما انا بظلام للعبيد فاعذب من ليس بمستوجب للعذاب والباء في بالوعيد مزيدة مثلها في ولا تلقوا بايديكم الى التهلكة او معدية على ان قدم مطاوع بمعنى تقدم ويجوز ان يقع الفعل على جملة قوله تعالى ما يبدل القول لدي وما انا بظلام للعبيد ويكون بالوعيد حالا اي قدمت اليكم هذا ملتبسا بالوعيد مقترنا به او قدمته اليكم موعدا لكم به فان قلت ان قوله وقد قدمت واقع موقع الحال من لا تختصموا والتقديم بالوعيد في الدنيا والخصومة في الآخرة واجتماعهما في زمان واحد واجب قلت معناه لا تختصموا وقد صح عندكم اني قدمت اليكم بالوعيد وصحة ذلك عندهم في الآخرة فان قلت كيف قال بظلام على لفظ المبالغة قلت فيه وجهان ان يكون من قولك هو ظالم لعبده وظلام لعبيده وان يراد لو عذبت من لا يستحق العذاب لكنت ظلاما مفرط الظلم فنفى ذلك يوم نقول لجهنم هل امتلأت وتقول هل من مزيد وقرئ نقول بالنون والياء وعن سعيد بن جبير رضي الله عنه يوم يقول الله تعالى لجهنم وعن ابن مسعود والحسن رضي الله عنهما يقال وانتصاب اليوم بظلام او بمضمر نحو اذكر وانذر ويجوز ان ينتصب بنفخ كانه قيل ونفخ في الصور يوم نقول لجهنم وعلى هذا يشار بذلك الى يوم نقول ولا يقدر حذف المضاف وسؤال جهنم وجوابها من باب التخييل الذي يقصد به تصوير المعنى في القلب وتثبيته وفيه معنيان احدهما انها تمتلئ مع اتساعها وتباعد اطرافها حتى لا يسعها شيء ولا يزاد على امتلائها كقوله تعالى لاملأن جهنم والثاني انها من السعة بحيث يدخلها من يدخلها وفيها موضع للمزيد ويجوز ان يكون هل من مزيد استكثارا للداخلين فيها واستبعادا للزيادة عليهم لفرط كثرتهم او طلبا للزيادة غيظا على العصاة والمزيد اما مصدر كالمحيد والمميد واما اسم مفعول كالمبيع وازلفت الجنة للمتقين غير بعيد هذا ما توعدون لكل اواب حفيظ غير بعيد نصب على الظرف اي مكانا غير بعيد او على الحال وتذكيره لانه على زنة المصدر كالزئير والصليل والمصادر يستوي في الوصف بها المذكر والمؤنث او على حذف الموصوف اي شيئا غير بعيد ومعناه التوكيد كما تقول هو قريب غير بعيد وعزيز غير ذليل وقرئ يوعدون بالتاء والياء وهي جملة اعتراضية ولكل اواب بدل من قوله للمتقين بتكرير الجار كقوله تعالى للذين استضعفوا لمن آمن منهم وهذا اشارة الى الثواب او الى مصدر ازلفت والاواب الرجاع الى ذكر الله عز وجل والحفيظ الحافظ لحدوده من خشي الرحمن بالغيب وجاء بقلب منيب ادخلوها بسلام ذلك يوم الخلود ومن خشي بدل بعد بدل تابع لكل ويجوز ان يكون بدلا عن موصوف اواب وحفيظ ولا يجوز ان يكون في حكم اواب وحفيظ لان من لا يوصف به ولا يوصف من بين الموصولات الا بالذي وحده ويجوز ان يكون مبتدأ خبره يقال لهم ادخلوها بسلام لان من في معنى الجمع ويجوز ان يكون منادى كقولهم من لا يزال محسنا احسن الي وحذف حرف النداء للتقريب بالغيب حال من المفعول اي خشيه وهو غائب لم يعرفه وكونه معاقبا الا بطريق الاستدلال او صفة لمصدر خشي اي خشيه خشية ملتبسة

بالغيب حيث خشى عقابه وهو غايب • او خشيه بسبب الغيب الذى اوعده به من عذابه • وقيل فى الخلوة حيث لا
يراه احد **فان قلت** كيف قرن بالخشية اسمه الدال على سعة الرحمة للثناء البليغ على الخاشى
وهو خشيته مع علمه انه الواسع الرحمة كما اثنى عليه بانه خاش مع ان المخشى عنه غايب • وجاء بقلب منيب • اى راجع الى الله • وقيل مخلص • وحقيقة الانابة الرجوع الى الله • والذين
يوتون ما اتوا وقلوبهم وجلة فوصفهم بالوجل مع كثرة الطاعات • وصف القلب بالانابة وهى الرجوع
الى الله لان الاعتبار بما يثبت منها فى القلب • يقال لهم ادخلوها بسلام اى سالمين من العذاب وزوال
النعم • او مسلما عليكم يسلم الله عليكم وملايكته • يوم الخلود اى يوم تقدير الخلود كقوله تعالى
ادخلوها خالدين اى مقدرين الخلود **لهم ما يشاؤن فيها ولدينا مزيد** • ولدينا مزيد وهو ما
لم يخطر ببالهم ولم تبلغه امانيهم حتى يشاؤه • وقيل ان السحاب تمر باهل الجنة فتمطرهم الحور فتقول نحن
المزيد الذى قال الله تعالى ولدينا مزيد **وكم اهلكنا قبلهم من قرن هم اشد منهم بطشا فنقبوا**
فى البلاد هل من محيص • فنقبوا • وقرئ بالتخفيف فخرقوا فى البلاد ودوخوا • والتنقيب التنقير عن
الامور والبحث والطلب **قال** الحرث بن حلزة •
• نقبوا فى البلاد من حذر الموت وجالوا فى الارض كل مجال • • ودخلت الفاء للتسبيب عن قوله
هم اشد منهم بطشا اى شدة بطشهم ابطرتهم واقدرتهم على التنقيب وقوتهم عليه • ويجوز ان يراد فنقب
اهل مكة فى اسفارهم ومسايرهم فى بلاد القرون فهل راوا لهم محيصا حتى يوملوا مثله لانفسهم
والدليل على صحته قراءة من قرا فنقبوا على الامر كقوله تعالى فسيحوا فى الارض • وقرئ بكسر القاف
مخففة من النقب وهو ان ينتقب خف البعير **قال** ما مسها من نقب ولا دبر • والمعنى فنقبت
اخفاف ابلهم اوحفيت اقدامهم ونقبت كما تنقب اخفاف الابل لكثرة طوفهم فى البلاد • هل من محيص من
الله او من الموت **ان فى ذلك لذكرى لمن كان له قلب او القى السمع وهو شهيد** • لمن كان له قلب اى
قلب واع لان من لا يعى قلبه فكانه لا قلب له • والقا السمع الاصغاء • وهو شهيد اى حاضر بفطنته
لان من لا يحضر ذهنه فكانه غايب • وقد ملح الامام عبد القاهر رحمه الله فى قوله لبعض من ياخذ عنه
ما شئت من زهزهة والفتى • بمصقلاباذ لسقى الزروع • او وهو مومن شاهد على صحته وانه وحى من الله
تعالى • او وهو بعض الشهداء فى قوله جل سبحانه لتكونوا شهداء على الناس • وعن قتادة وهو شاهد
على صدقه من اهل الكتاب لوجود نعته عنده **وقرا** السدى وجماعة القى السمع على البناء للمفعول ومعناه
لمن القى غيره السمع وفتح له اذنه فحسب ولم يحضر ذهنه وهو حاضر الذهن متفطن • وقيل القى سمعه
او السمع منه **ولقد خلقنا السموات والارض وما بينهما فى ستة ايام وما مسنا من لغوب** •
اللغوب الاعياء • وقرئ بالفتح بزنة القبول والولوع • وقيل نزلت فى اليهود تكذيبا لقولهم خلق الله
السموات والارض فى ستة ايام اولها الاحد واخرها الجمعة واستراح يوم السبت واستلقى على العرش
وقالوا ان الذى وقع من التشبيه فى هذه الامة انما وقع من اليهود لعنهم الله ومنهم اخذ **فاصبر**
على ما يقولون وسبح بحمد ربك قبل طلوع الشمس وقبل الغروب ومن الليل فسبحه وادبار
السجود • فاصبر على ما يقول اليهود وياتون به من الكفر والتشبيه • وقيل فاصبر على ما يقول المشركون
من انكارهم البعث فان من قدر على خلق العالم قدر على بعثهم والانتقام منهم • وقيل هى منسوخة
باية السيف • وقيل الصبر مامور به فى كل حال • بحمد ربك حامدا ربك • والتسبيح محمول على ظاهره
او على الصلوة فالصلوة قبل طلوع الشمس الفجر • وقبل الغروب الظهر والعصر • ومن الليل العشاآن

وقيل التهجد • وادبار السجود التسبيح فى اثار الصلوات والسجود والركوع يعبر بهما عن الصلوة • وقيل النوافل بعد
المكتوبات • وعن على رضى الله عنه الركعتان بعد المغرب • وروى عن النبى صلى الله عليه وسلم من صلى بعد المغرب
قبل ان يتكلم كتبت صلوته فى عليين • وعن ابن عباس رضى الله عنهما الوتر بعد العشاء • والادبار جمع دبر
وقرئ وادبار من ادبرت الصلوة اذا انقضت وتمت ومعناه وقت انقضا السجود كقولهم اتيتك خفوق
النجم **واستمع يوم ينادى المنادى من مكان قريب • يوم يسمعون الصيحة بالحق ذلك يوم**
الخروج • انا نحن نحيى ونميت والينا المصير • واستمع يعنى واستمع لما اخبرك به من حال يوم القيمة
وفى ذلك تهويل وتعظيم لشان المخبر به والمحدث عنه كما يروى عن النبى صلى الله عليه وسلم انه قال
سبعة ايام لمعاذ بن جبل رضى الله عنه يا معاذ اسمع ما اقول لك ثم حدث بعد ذلك **فان قلت**
بم انتصب اليوم **قلت** بما دل عليه ذلك يوم الخروج اى يوم ينادى المنادى يخرجون من القبور ويوم
يسمعون بدل من يوم ينادى المنادى والمنادى اسرافيل ينفخ فى الصور وينادى ايتها العظام البالية
والاوصال المتقطعة واللحوم المتمزقة والشعور المتفرقة ان الله يامركن ان تجتمعن لفصل القضاء
وقيل اسرافيل ينفخ وجبريل ينادى بالحشر من مكان قريب من صخرة بيت المقدس وهى اقرب الارض
من السماء باثنى عشر ميلا وهى وسط الارض • وقيل من تحت اقدامهم • وقيل من منابت شعورهم
يسمع من كل شعرة ايتها العظام البالية • والصيحة النفخة الثانية • بالحق متعلق بالصيحة
والمراد به البعث والحشر للجزاء **يوم تشقق الارض عنهم سراعا ذلك حشر علينا يسير • نحن اعلم**
بما يقولون وما انت عليهم بجبار فذكر بالقران من يخاف وعيد **قرئ** تشقق وتشقق
بادغام التاء فى الشين • وتشقق على البناء للمفعول • وتنشق • سراعا حال من المجرور • علينا يسير تقديم
الظرف يدل على الاختصاص يعنى لا يتيسر مثل ذلك الامر العظيم الا على القادر الذات الذى لا يشغله
شان كما قال الله سبحانه وتعالى ما خلقكم ولا بعثكم الا كنفس واحدة • نحن اعلم بما يقولون تهديد لهم
وتسلية لرسول الله عليه السلام بجبار كقوله عز وعلا بمسيطر حتى تقسرهم على الايمان انما انت داع وباعث
وقيل اريد التحلم عنهم وترك الغلظة عليهم • ويجوز ان يكون من جبره على الامر بمعنى اجبره اى ما
انت بوال عليهم تجبرهم على الايمان وعلى بمنزلته فى قولك هو عليهم اذا كان واليهم ومالك امرهم
من يخاف وعيد كقوله تعالى انما انت منذر من يخشاها لانه لا ينفع الا فيه دون المصر على الكفر
عن النبى عليه السلام من قرا سورة ق هون الله عليه تارات الموت وسكراته • والله اعلم بالصواب

بسم الله الرحمن الرحيم **والذاريات ذروا فالحاملات وقرا فالجاريات يسرا فالمقسمات امرا انما**
توعدون لصادق وان الدين لواقع • الذاريات الرياح لانها تذروا التراب وغيره • قال الله عز
وجل تذروه الرياح **وقرئ** بادغام التاء فى الذال • والحاملات وقرا السحاب لانها تحمل المطر وقرئ
وقرا بفتح الواو على تسمية المحمول بالمصدر • او على ايقاعه موقع حملا • والجاريات يسرا الفلك ومعنى
يسرا جريا ذا يسر اى ذا سهولة • والمقسمات امرا الملايكة لانها تقسم الامور من الامطار والارزاق
وغيرها • او تفعل التقسيم مامورة بذلك • وعن مجاهد تتولى تقسيم امر العباد جبريل عليه السلام
للغلظة • وميكاييل عليه السلام للرحمة • وملك الموت لقبض الارواح • واسرافيل للنفخ • وعن على

رضي الله عنه انه قال وهو على المنبر سلوني قبل ان لا تسألوني ولن تسألوا بعدي مثلي فقام ابن الكواء فقال ما الذاريات قال الرياح قال فالحاملات وقرا قال السحاب قال فالجاريات يسرا قال الفلك قال فالمقسمات امرا قال الملائكة وكذا عن ابن عباس رضي الله عنهما • وعن الحسن رحمة الله عليه المقسمات السحاب يقسم الله بها ارزاق العباد وقد حملت على الكواكب السبعة • ويجوز ان يراد الرياح لا غير لانها تنشئ السحاب وتقله وتصرفه وتجري في الجو جريا سهلا وتقسم الامطار بتصريف السحاب **فان قلت** ما معنى الفاء على التفسيرين **قلت** اما على الاول فمعنى التعقيب فيها انه اقسم بالرياح فبالسحاب الذي تسوقه فبالفلك التي تجريها بهبوبها فبالملائكة التي تقسم الارزاق باذن الله من الامطار وتجارات البحر ومنافعه • واما على الثاني فلانها تبتدئ بالهبوب فتذرو التراب والحصباء فتقل السحاب فتجري في الجو باسطة له فتقسم المطر • انما توعدون جواب القسم وما موصولة او مصدرية • والموعود البعث ووعد صادق كعيشة راضية • والدين الجزاء • والواقع الحاصل **والسماء ذات الحبك انكم لفي قول مختلف يؤفك عنه من افك** • والحبك الطرائق مثل حبك الرمل والماء اذا ضربته الريح وكذلك حبك الشعر آثار تثنيه وتكسره **قال زهير** مكلل باصول النجم تنسجه • ريح خريق لضاحي مائه حبك • والدرع محبوكة لان حلقها مطرق وطرائق • ويقال ان خلقة السماء كذلك • وعن الحسن رحمة الله عليه حبكها نجومها والمعنى انها تزينها كما تزين الموشى طرائق الوشي • وقيل حبكها صفاقتها واحكامها من قولهم فرس محبوك المعاقم اي محكمها واذا اجاد الحائك الحياكة قالوا ما احسن حبكه وهو جمع حباك كمثال ومثل وحبيكة كطريقة وطرق **وقرئ** الحبك بوزن القفل • والحبك بوزن السلك • والحبك بوزن الجبل • والحبك بوزن البرق • والحبك بوزن النعم • والحباك بوزن الابل • لفي قول مختلف قولهم في الرسول ساحر • وشاعر ومجنون • وفي القران سحر وشعر واساطير الاولين • وعن الضحاك قول الكفرة لا يكون مستويا انما هو متناقض مختلف • وعن قتادة منكم مصدق ومكذب ومقر ومنكر • يؤفك عنه الضمير للقران او للرسول اي يصرف عنه من صرف الصرف الذي لا صرف اشد منه واعظم كقوله لا يهلك على الله الا هالك • وقيل يصرف عنه من صرف في سابق علم الله اي علم فيما لم يزل انه مأفوك عن الحق لا يرعوي • ويجوز ان يكون الضمير لما توعدون او للدين اقسم بالذاريات على ان وقوع امر القيامة حق • ثم اقسم بالسماء على انهم في قول مختلف في وقوعه فمنهم شاك ومنهم جاحد ثم قال يؤفك عن الاقرار بامر القيامة من هو المأفوك • ووجه اخر وهو ان يرجع الضمير الى قول مختلف • وعن مثله في قوله • ينهون عن اكل وعن شرب • اي يتناهون في السمن بسبب الاكل والشرب وحقيقته يصدر تناهيهم في السمن عنهما وكذلك يصدر افكهم عن القول المختلف **وقرا** سعيد بن جبير رضي الله عنه يؤفك عنه من افك على البناء للفاعل اي من افك الناس عنه وهم قريش وذلك ان الحي كانوا يبعثون الرجل ذا العقل والراي ليسال عن رسول الله عليه السلام فيقولون له احذره فيرجع فيخبرهم • وعن زيد ابن علي رضي الله عنهما يافك عنه من افك اي يصرف الناس عنه من هو مافوك في نفسه • وعنه ايضا يافك عنه من افك اي يصرف الناس عنه من هو افاك كذاب **وقرئ** يؤفن عنه من افن اي يحرمه من حرم من افن الضرع اذا انهكه حلبا **قتل الخراصون الذين هم في غمرة ساهون • يسألون ايان يوم الدين يوم هم على النار يفتنون** • قيل الخراصون دعاء عليهم كقوله تعالى قتل الانسان ما اكفره واصله الدعاء بالقتل والهلاك ثم جرى مجرى لعن وقبح • والخراصون الكذابون المقدرون ما لا يصح

وهم اصحاب القول المختلف واللام اشارة اليهم كانه قيل قتل هؤلاء الخراصون • وقرئ قتل الخراصين اي قتل الله • في غمرة في جهل يغمرهم • ساهون غافلون عما امروا به • يسألون فيقولون ايان يوم الدين اي متى يوم الجزاء • وقرئ بكسر الهمزة وهي لغة **فان قلت** كيف وقع ايان ظرفا لليوم وانما تقع الاحيان ظروفا للحدثان **قلت** معناه ايان وقوع يوم الدين • **فان قلت** فبم انتصب اليوم الواقع في الجواب • **قلت** بفعل مضمر دل عليه السؤال اي يقع يوم هم على النار يفتنون • ويجوز ان يكون مفتوحا لاضافته الى غير متمكن وهو الجملة **فان قلت** فما محله مفتوحا يجوز ان يكون محله نصبا بالمضمر الذي هو يقع ورفعا على هو يوم هم على النار يفتنون • وقراءة ابن ابي عبلة بالرفع • يفتنون يحرقون ويعذبون • ومنه الفتين وهو الحرة لان حجارتها كانها محرقة **ذوقوا فتنتكم هذا الذي كنتم به تستعجلون** • ذوقوا فتنتكم في محل الحال اي مقولا لهم هذا القول • هذا مبتدا والذي خبره اي هذا العذاب هو الذي كنتم به تستعجلون • ويجوز ان يكون هذا بدلا من فتنتكم اي ذوقوا هذا العذاب **ان المتقين في جنات وعيون آخذين ما آتاهم ربهم انهم كانوا قبل ذلك محسنين** • آخذين ما آتاهم ربهم قابلين لكل ما اعطاهم راضين به يعني انه ليس فيما آتاهم الا ما هو متلقى بالقبول مرضي غير مسخوط لان جميعه حسن طيب • ومنه قوله تعالى ويأخذ الصدقات اي يقبلها ويرضاها محسنين قد احسنوا اعمالهم وتفسير احسانهم ما بعده **كانوا قليلا من الليل ما يهجعون وبالاسحار هم يستغفرون • وفي اموالهم حق للسائل والمحروم** • ما مزيدة والمعنى كانوا يهجعون في طائفة قليلة من الليل ان جعلت قليلا ظرفا • ولك ان تجعله صفة للمصدر اي كانوا يهجعون هجوعا قليلا • ويجوز ان تكون ما مصدرية او موصولة على كانوا قليلا من الليل هجوعهم او ما يهجعون فيه وارتفاعه بقليلا على الفاعلية • وفيه مبالغات لفظ الهجوع وهو الغرار من النوم **قال** •

• قد حصت البيضة راسي فما • اطعم نوما غير تهجاع •

وقوله قليلا ومن الليل لان الليل وقت السبات والراحة وزيادة ما المؤكدة لذلك وصفهم بانهم يحيون الليل متهجدين فاذا اسحروا اخذوا في الاستغفار كانهم اسلفوا في ليلهم الجرائم • وقوله هم يستغفرون فيه انهم هم المستغفرون الاحقاء بالاستغفار دون المصرين فكانهم هم المختصون به لاستدامتهم له واطنابهم فيه **فان قلت** هل يجوز ان تكون ما نافية كما قال بعضهم وان يكون المعنى انهم لا يهجعون من الليل قليلا ويحيونه كله **قلت** لا لان ما النافية لا يعمل ما بعدها فيما قبلها تقول زيدا لم اضرب ولا تقول زيدا ما ضربت السائل الذي يستجدي • والمحروم الذي يحسب غنيا فيحرم الصدقة لتعففه • وعن النبي صلى الله عليه وسلم ليس المسكين الذي ترده الاكلة والاكلتان والتمرة والتمرتان قالوا فما هو قال الذي لا يجد ولا يتصدق عليه • وقيل الذي لا ينمى له مال • وقيل المحارف الذي لا يكاد يكسب **وفي الارض آيات للموقنين** وفي الارض آيات تدل على الصانع وقدرته وحكمته وتدبيره حيث هي مدحوة كالبساط لما فوقها كما قال الله تعالى الذي جعل لكم الارض مهادا وفيها المسالك والفجاج للمتقلبين فيها والماشين في مناكبها وهي مجزاة فمن سهل وجبل وبر وبحر وقطع متجاورات من صلبة ورخوة وعذاة وسبخة وهي كالطروقة تلقح بالوان النبات وانواع الاشجار بالثمار المختلفة الالوان والطعوم والروائح تسقى بماء واحد ونفضل بعضها على بعض في الاكل • وكلها موافقة لحوائج ساكنيها ومنافعهم ومصالحهم في صحتهم واعتلالهم وما فيها من العيون المتفجرة والمعادن المفتنة والدواب المبثوثة في برها وبحرها

المختلفة الصور والاشكال والافعال من الوحشي والانسي والهوام وغير ذلك للموقنين الموحدين
الذين سلكوا الطريق السوي البرهاني الموصل الى المعرفة فهم نظارون بعيون باصرة وافهام
نافذة كلما رأوا آية عرفوا وجه تأملها فازدادوا ايمانا مع ايمانهم وايقانا الى ايقانهم وفي انفسكم
افلا تبصرون وفي انفسكم في حال ابتدائها وتنقلها من حال الى حال وفي بواطنها وظواهرها من عجائب
الفطر وبدائع الخلق ما تتحير فيه الاذهان وحسبك بالقلوب وما ركز فيها من العقول وخصت به
من اصناف المعاني وبالألسن والنطق ومخارج الحروف وما في تركيبها وترتيبها ولطائفها من الآيات
الساطعة والبينات القاطعة على حكمة المدبر دع الاسماع والابصار والاطراف وسائر الجوارح
وتأتيها لما خلقت له وما سوى في الاعضاء من المفاصل للانعطاف والتثني فانه اذا جسا شيء منها
جاء العجز واذا استرخى اناخ الذل فتبارك الله احسن الخالقين وفي السماء رزقكم وما توعدون
رزقكم هو المطر لانه سبب الاقوات وعن سعيد بن جبير رضي الله عنه هو الثلج وكل عين دائمة
منه وعن الحسن رحمة الله عليه انه كان اذا رأى السحاب قال لاصحابه فيه والله رزقكم ولكنكم
تحرمونه بخطاياكم وما توعدون الجنة هي على ظهر السماء السابعة تحت العرش او اراد ان ما ترزقونه
في الدنيا وما توعدون به في العقبى كله مقدر مكتوب في السماء فورب السماء والارض انه لحق
مثل ما انكم تنطقون قرئ مثل بالرفع صفة للحق اي حق مثل نطقكم وبالنصب على انه لحق حقا
مثل نطقكم ويجوز ان يكون فتحا لاضافته الى غير متمكن وما مزيدة بنص الخليل وهذا كقول
الناس ان هذا لحق كما انك ترى وتسمع ومثل ما انك ههنا وهذا الضمير اشارة الى ما ذكر من امر الآيات
والرزق وامر النبي عليه السلام او الى ما توعدون وعن الاصمعي اقبلت من جامع البصرة فطلع اعرابي
على قعود فقال من الرجل قلت من بني اصمع قال من اين اقبلت قلت من موضع يتلى فيه كلام الرحمن
فقال اتل علي فتلوت والذاريات فلما بلغت قوله وفي السماء رزقكم قال حسبك فقام الى ناقته فنحرها
ووزعها على من اقبل وادبر وعمد الى سيفه وقوسه فكسرهما وولى فلما حججت مع الرشيد طفقت
اطوف فاذا انا بمن يهتف بي بصوت دقيق فالتفت فاذا انا بالاعرابي قد نحل واصفر فسلم
علي واستقرأ السورة فلما بلغت الآية صاح وقال قد وجدنا ما وعدنا ربنا حقا ثم قال وهل
غير هذا فقرأت فورب السماء والارض انه لحق فصاح وقال يا سبحان الله من ذا الذي اغضب الجليل
حتى حلف لم يصدقوه بقوله حتى الجأوه الى اليمين قالها ثلاثا وخرجت معها نفسه هل اتاك
حديث ضيف ابراهيم المكرمين اذ دخلوا عليه فقالوا سلاما قال سلام قوم منكرون
هل اتاك تفخيم للحديث وتنبيه على انه ليس من علم رسول الله عليه السلام وانما عرفه بالوحي والضيف
للواحد والجماعة كالصوم والزور لانه في الاصل مصدر ضافه وكانوا اثني عشر ملكا وقيل
تسعة عاشرهم جبريل عليه السلام وقيل ثلاثة جبريل وميكائيل عليهما السلام وملك معهما
وجعلهم ضيفا لانهم كانوا في صورة الضيف حيث اضافهم ابراهيم صلوات الله عليه او لانهم كانوا
في حسبانه كذلك واكرامهم ان ابراهيم عليه السلام خدمهم بنفسه واخدمهم امرأته وعجل لهم
القرى او انهم في انفسهم مكرمون قال الله تعالى بل عباد مكرمون اذ دخلوا نصب بالمكرمين
اذا فسر باكرام ابراهيم عليه السلام والا فبما في ضيف من معنى الفعل او باضمار اذكر سلاما مصدر
ساد مسد الفعل مستغنى عنه واصله نسلم عليكم سلاما واما سلام فمعدول به الى الرفع

على

على الابتداء وخبره محذوف معناه عليكم سلام للدلالة على ثبوت السلام كانه قصد ان يحييهم باحسن مما حيوه به
اخذا بادب الله عز وجل وهذا ايضا من اكرامه لهم وقرئا مرفوعين وقرئ سلاما قال سلما والسلم السلام
وقرئ سلاما قال سلم قوم منكرون انكرهم للسلام الذي هو علم الاسلام او اراد انهم ليسوا من معارفه
او من جنس الناس الذين عهدهم كما لو ابصر العرب قوما من الخزر او رأى لهم حالا وشكلا خلاف حال الناس
وشكلهم او كان هذا سؤالا لهم كانه قال انتم قوم منكرون فعرفوني من انتم فراغ الى اهله فجاء بعجل
سمين فقربه اليهم قال الا تأكلون فراغ الى اهله فذهب اليهم في خفية من ضيوفه ومن ادب
المضيف ان يخفي امره وان يبادره بالقرى من غير ان يشعر به الضيف حذرا من ان يكفه ويعذره قال
قتادة كان عامة مال نبي الله ابراهيم عليه السلام البقر فجاء بعجل سمين والهمزة في الا تأكلون للانكار انكر
عليهم ترك الاكل او حثهم عليه فأوجس منهم خيفة قالوا لا تخف وبشروه بغلام عليم فاوجس منهم خيفة
فاضمر وانما خافهم لانهم لم يتحرموا بطعامه فظن انهم يريدون به سوءا وعن ابن عباس رضي الله عنهما
وقع في نفسه انهم ملائكة ارسلوا للعذاب وعن عون بن شداد مسح جبريل عليه السلام العجل بجناحه
فقام يدرج حتى لحق بامه بغلام عليم اي يبلغ ويعلم وعن الحسن عليم نبي والمبشر به اسحق عليه
السلام واكثر الاقاويل واصحها لان الصفة صفة سارة لا هاجر وهي امرأة ابراهيم عليه السلام
وهو بعلها وعن مجاهد هو اسمعيل فاقبلت امرأته في صرة فصكت وجهها وقالت عجوز عقيم
في صرة في صيحة من صر الجندب وصر القلم والباب ومحله النصب على الحال اي فجاءت صارة قال
الحسن رحمة الله عليه اقبلت الى بيتها وكانت في زاوية تنظر اليهم لانها وجدت حرارة الدم فلطمت
وجهها من الحياء وقيل فاخذت في صرة كما تقول اقبل يشتمني وقيل صرتها قولها اوه وقيل يا ويلتا
وعن عكرمة رنتها فصكت فلطمت ببسط يديها وقيل فضربت باطراف اصابعها جبهتها فعل المتعجب
عجوز انا عجوز فكيف الد قالوا كذلك قال ربك انه هو الحكيم العليم كذلك مثل ذلك الذي قلنا واخبرنا
به قال ربك اي انما نخبرك عن الله عز وجل والله قادر على ما تستبعدين وروي ان جبريل عليه السلام قال
لها انظري الى سقف بيتك فنظرت فاذا جذوعه مورقة مثمرة قال فما خطبكم ايها المرسلون قالوا
انا ارسلنا الى قوم مجرمين لنرسل عليهم حجارة من طين مسومة عند ربك للمسرفين لما علم
انهم ملائكة وانهم لا ينزلون الا باذن الله رسلا في بعض الامور قال فما خطبكم اي فما شأنكم وما طلبكم الى
قوم مجرمين الى قوم لوط حجارة من طين يريد السجيل وهي طين طبخ كما يطبخ الآجر حتى صار في صلابة الحجارة
مسومة معلمة من السومة وهي العلامة على كل واحد منها اسم من يهلك به وقيل اعلمت بانها من حجارة
العذاب وقيل بعلامة تدل انها ليست من حجارة الدنيا سماهم مسرفين كما سماهم عادين لاسرافهم
وعدوانهم في عملهم حيث لم يقنعوا بما ابيح لهم فاخرجنا من كان فيها من المؤمنين فما وجدنا فيها
غير بيت من المسلمين وتركنا فيها آية للذين يخافون العذاب الاليم الضمير في فيها للقرية
ولم يجر لها ذكر لكونها معلومة وفيه دليل على ان الايمان والاسلام واحد وانهما صفتا مدح قيل
هم لوط عليه السلام وابنتاه وقيل كان لوط واهل بيته الذين نجوا ثلاثة عشر وعن قتادة لو
كان فيها اكثر من ذلك لانجاهم ليعلموا ان الايمان محفوظ لا ضيعة على اهله عند الله تعالى آية علامة
يعتبر بها الخائفون دون القاسية قلوبهم قال ابن جريج هي صخر منضود فيها وقيل ماء اسود منتن
وفي موسى اذ ارسلناه الى فرعون بسلطان مبين فتولى بركنه وقال ساحر او مجنون وفي موسى

عطف على وفي الأرض آيات أو على قوله تعالى وتركنا فيها آية على معنى وجعلنا في موسى آية كقوله
علفتها تبناً وماءً بارداً ﴿فتولى بركنه﴾ فازورّ وأعرض كقوله تعالى ونأى بجانبه وقيل فتولى بما كان يتقوّى به
من جنوده وملكه وقرئ بركنه بضم الكاف ﴿وقال ساحر﴾ أي هو ساحر ﴿فأخذناه وجنوده فنبذناهم
في اليم وهو مليم﴾ مليم آتٍ بما يلام عليه من كفره وعناده والجملة مع الواو حال من الضمير في فأخذناه
فإن قلت كيف وصف نبي الله يونس عليه السلام بما وصف به فرعون في قوله تعالى فالتقمه الحوت وهو
مليم قلت موجبات اللوم تختلف وعلى حسب اختلافها تختلف مقادير اللوم فراكب الكبيرة ملوم
على مقدارها وكذلك مقترف الصغيرة ألا ترى إلى قوله وعصوا رسله وعصى آدم ربه لأن الكبيرة والصغيرة
يجمعهما اسم العصيان كما يجمعهما اسم القبيح والسيئة ﴿وفي عاد إذ أرسلنا عليهم الريح العقيم ما تذر من شيء
أتت عليه إلا جعلته كالرميم﴾ العقيم التي لا خير فيها من إنشاء مطر أو إلقاح شجر وهي ريح الهلاك
واختلف فيها فعن علي رضي [illegible] النكباء وعن ابن عباس رضي الله عنهما الدبور وعن ابن المسيب رضي الله
عنه الجنوب الرميم كل ما رمّ أي بلي وتفتت من عظم أو نبات أو غير ذلك ﴿وفي ثمود إذ قيل لهم تمتعوا حتى حين
فعتوا عن أمر ربهم فأخذتهم الصاعقة وهم ينظرون فما استطاعوا من قيام وما كانوا منتصرين﴾
حتى حين تفسيره قوله تعالى تمتعوا في داركم ثلاثة أيام فعتوا عن أمر ربهم فاستكبروا عن امتثاله وقرئ
الصعقة وهي المرة من مصدر صعقتهم الصاعقة والصاعقة النازلة نفسها وهم ينظرون كانت
نهاراً يعاينونها وروي أن العمالقة كانوا معهم في الوادي ينظرون إليهم وما ضرتهم فما استطاعوا
من قيام كقوله تعالى فأصبحوا في دارهم جاثمين وقيل هو من قولهم ما يقوم به إذا عجز عن دفعه منتصرين
ممتنعين من العذاب ﴿وقوم نوح من قبل إنهم كانوا قوماً فاسقين﴾ وقوم قرئ بالجر على معنى وفي قوم نوح
وتقويه قراءة عبد الله وفي قوم نوح وبالنصب على معنى وأهلكنا قوم نوح لأن ما قبله يدل عليه
أو واذكر قوم نوح ﴿والسماء بنيناها بأيد وإنا لموسعون والأرض فرشناها فنعم الماهدون
ومن كل شيء خلقنا زوجين لعلكم تذكرون﴾ بأيد بقوة والأيد والآد القوة وقد آد يئيد وهو
أيد وإنا لموسعون لقادرون من الوسع وهو الطاقة والموسع القوي على الإنفاق وعن الحسن رحمة
الله عليه لموسعون الرزق بالمطر وقيل جعلنا بينها وبين الأرض سعة فنعم الماهدون فنعم الماهدون
نحن ومن كل شيء أي من كل شيء من الحيوان خلقنا زوجين ذكراً وأنثى وعن الحسن رحمة الله عليه السماء والأرض
والليل والنهار والشمس والقمر والبر والبحر والموت والحياة فعدد أشياء وقال كل اثنين منها زوج
والله تعالى فرد لا مثل له لعلكم تذكرون أي فعلنا ذلك كله من بناء السماء وفرش الأرض وخلق الأزواج
إرادة أن تتذكروا فتعرفوا الخالق وتعبدوه ﴿ففروا إلى الله إني لكم منه نذير مبين ولا تجعلوا مع
الله إلهاً آخر إني لكم منه نذير مبين﴾ ففروا إلى الله طاعته وثوابه من معصيته وعقابه ووحدوه
ولا تشركوا به وكرر قوله إني لكم منه نذير مبين عند الأمر بالطاعة والنهي عن الشرك ليعلم أن الإيمان
لا ينفع إلا مع العمل كما أن العمل لا ينفع إلا مع الإيمان وأنه لا يفوز عند الله إلا الجامع بينهما ألا ترى إلى قوله
تعالى لا ينفع نفساً إيمانها لم تكن آمنت من قبل أو كسبت في إيمانها خيراً والمعنى قل يا محمد ففروا إلى الله
﴿كذلك ما أتى الذين من قبلهم من رسول إلا قالوا ساحر أو مجنون أتواصوا به بل هم قوم طاغون﴾
كذلك الأمر مثل ذلك وذلك إشارة إلى تكذيبهم الرسول وتسميته ساحراً أو مجنوناً ثم فسر ما أجمل بقوله
ما أتى ولا يصح أن تكون الكاف منصوبة بأتى لأن ما النافية لا يعمل ما بعدها فيما قبلها ولو قيل لم يأت لكان

صحيحاً

صحيحاً على معنى مثل ذلك الإتيان لم يأت من قبلهم رسول إلا قالوا أتواصوا به الضمير للقول يعني أتواصى الأولون
والآخرون بهذا القول حتى قالوه جميعاً متفقين عليه بل هم قوم طاغون أي لم يتواصوا به لأنهم لم
يتلاقوا في زمان واحد بل جمعتهم العلة الواحدة وهي الطغيان والطغيان هو الحامل عليه ﴿فتول عنهم
فما أنت بملوم وذكر فإن الذكرى تنفع المؤمنين﴾ فتول عنهم فأعرض عن الذين كررت عليهم الدعوة
فلم يجيبوا وعرفت منهم العناد واللجاج فلا لوم عليك في إعراضك بعدما بلغت الرسالة وبذلت مجهودك
في البلاغ والدعوة ولا تدع التذكير والموعظة بأيام الله فإن الذكرى تنفع المؤمنين أي تؤثر في
الذين عرف الله تعالى منهم أنهم يدخلون في الإيمان أو يزيد الداخلين فيه إيماناً وروي أنه لما نزل فتول
عنهم حزن رسول الله صلى الله عليه وسلم واشتد ذلك على أصحابه رضوان الله عليهم أجمعين ورأوا أن الوحي قد
انقطع وأن العذاب قد حضر فأنزل الله عز وجل وذكر ﴿وما خلقت الجن والإنس إلا ليعبدون﴾ أي ما خلقت
الجن والإنس إلا لأجل العبادة ولم أرد من جميعهم إلا إياها فإن قلت لو كان مريداً للعبادة منهم لكانوا
كلهم عباداً إنما أراد منهم أن يعبدوه مختارين للعبادة لا مضطرين إليها لأنه خلقهم ممكنين
فاختار بعضهم ترك العبادة مع كونه مريداً لها ولو أرادها على القسر والإلجاء لوجدت من جميعهم
﴿ما أريد منهم من رزق وما أريد أن يطعمون﴾ يريد أن شأني مع عبادي ليس كشأن السادة مع عبيدهم
فإن ملاك العبيد إنما يملكونهم ليستعينوا بهم في تحصيل معايشهم وأرزاقهم فإما مجهز في تجارة ليفيء
ربحاً أو مرتب في فلاحة ليغل أرضاً أو مسلم في حرفة لينتفع بأجرته أو محتطب أو محتش أو مستق أو
طابخ أو خابز وما أشبه ذلك من الأعمال والمهن التي هي تصرف في أسباب المعيشة وأبواب الرزق ﴿إن الله
هو الرزاق ذو القوة المتين﴾ فأما مالك ملاك العبيد وقال لهم اشتغلوا بما يسعدكم في أنفسكم ولا أريد
أن أصرفكم في تحصيل رزقي ولا رزقكم وأنا غني عنكم وعن مرافقكم ومتفضل عليكم برزقكم وبما يصلحكم
ويعيشكم من عندي فما هو إلا أنا وحدي المتين الشديد القوة وقرئ بالرفع صفة لذو وبالجر صفة
للقوة على تأويل الاقتدار والمعنى في وصفه بالقوة والمتانة أنه القادر البليغ الاقتدار على كل شيء
وقرئ الرازق وفي قراءة رسول الله صلى الله عليه وسلم إني أنا الرزاق ﴿فإن للذين ظلموا ذنوباً
مثل ذنوب أصحابهم فلا يستعجلون﴾ الذنوب الدلو العظيمة وهذا تمثيل أصله في السقاة يقتسمون
الماء فيكون لهذا ذنوب ولهذا ذنوب قال لنا ذنوب ولكم ذنوب فإن أبيتم فلنا القليب
ولما قال عمرو بن شاس وفي كل حي قد خبطت بنعمة فحق لشاس من نداك ذنوب قال الملك نعم
وأذنبة والمعنى فإن للذين ظلموا رسول الله عليه السلام بالتكذيب من أهل مكة نصيباً من عذاب الله
مثل نصيب أصحابهم ونظرائهم من القرون وعن قتادة سجلاً من عذاب الله مثل سجل أصحابهم ﴿فويل
للذين كفروا من يومهم الذي يوعدون﴾ من يومهم من يوم القيامة وقيل من يوم بدر عن رسول
الله صلى الله عليه وسلم من قرأ سورة والذاريات أعطاه الله عشر حسنات بعدد كل ريح هبت وجرت في الدنيا

[illegible]

وقيل ثمان وأربعون آية بسم الله الرحمن الرحيم ﴿والطور وكتاب مسطور في رق منشور والبيت
المعمور والسقف المرفوع والبحر المسجور إن عذاب ربك لواقع ما له من دافع﴾ الطور الجبل الذي
كلّم الله تعالى عليه موسى عليه السلام وهو بمدين والكتاب المسطور في الرق المنشور والرق الصحيفة

وقيل الجلد الذي يكتب فيه الكتاب الذي يكتب فيه الاعمال قال الله تعالى ونخرج له يوم القيمة كتابا يلقاه منشورا
وقيل هو ما كتبه الله عز وجل لموسى عليه السلام وهو يسمع صرير القلم • وقيل اللوح المحفوظ • وقيل القرآن
ونكر لانه كتاب مخصوص من بين جنس الكتب كقوله عز وعلا ونفس وما سواها • والبيت المعمور الضراح
في السماء الرابعة وعمرانه كثرة غاشيته من الملائكة • وقيل الكعبة لكونها معمورة بالحجاج والعمار
والمجاورين • والسقف المرفوع السماء • والبحر المسجور المملو • وقيل الموقد من قوله تعالى واذا البحار
سجرت وروى ان الله يجعل يوم القيمة البحار كلها نارا تسجر بها نار جهنم • وعن علي رضي الله عنه انه
سال يهوديا اين موضع النار في كتابكم قال في البحر قال علي ما اراه الا صادقا لقوله تعالى والبحر
المسجور • لواقع لنازل قال جبير بن مطعم رضي الله عنه اتيت رسول الله صلى الله عليه وسلم اكلمه في
الاسارى فالفيته في صلوة الفجر يقرا سورة الطور فلما بلغ ان عذاب ربك لواقع اسلمت خوفا من ان
ينزل العذاب يوم تمور السماء مورا وتسير الجبال سيرا فويل يومئذ للمكذبين الذين هم في
خوض يلعبون • تمور تضطرب وتجيء وتذهب • وقيل المور تحرك في تموج وهو الشيء يتردد في عرض كالداغصة
في الركبة • وغلب الخوض في الاندفاع في الباطل والكذب • ومنه قوله عز وجل وكنا نخوض مع الخائضين •
وخضتم كالذي خاضوا يوم يدعون الى نار جهنم دعا هذه النار التي كنتم بها تكذبون الدع الدفع
العنيف وذلك ان خزنة النار يغلون ايديهم الى اعناقهم ويجمعون نواصيهم الى اقدامهم ويدفعونهم
الى النار دفعا على وجوههم وزخا في اقفيتهم • وقرا زيد بن علي رضي الله عنه يدعون من الدعاء اي يقال
لهم هلموا الى النار وادخلوا النار دعا مدعوعين يقال لهم هذه النار افسحر هذا ام انتم لا تبصرون
اصلوها فاصبروا او لا تصبروا • افسحر هذا يعني كنتم تقولون للوحي هذا سحر افسحر هذا ابريد هذا
المصداق ايضا سحر ودخلت الفاء لهذا المعنى ام انتم لا تبصرون كما كنتم لا تبصرون في الدنيا يعني ام
انتم عمي عن المخبر عنه كما كنتم عميا عن الخبر وهذا تقريع وتهكم سواء عليكم انما تجزون ما كنتم تعملون
سواء خبر محذوف اي سواء عليكم الامران الصبر وعدمه فان قلت لم علل استواء الصبر وعدمه بقوله
انما تجزون ما كنتم تعملون قلت لان الصبر انما يكون له مزية على الجزع لنفعه في العاقبة بان يجازى عليه
الصابر جزاء الخير فاما الصبر على العذاب الذي هو الجزاء ولا عاقبة له ولا منفعة فلا مزية له على الجزع
ان المتقين في جنات ونعيم فاكهين بما آتاهم ربهم ووقاهم ربهم عذاب الجحيم • في جنات ونعيم في اية جنات
واي نعيم بمعنى الكمال في الصفة او في جنات ونعيم مخصوصة بالمتقين خلقت لهم خاصة • وقرئ فاكهين
وفكهين • وفاكهين من نصبه حالا جعل الظرف مستقرا ومن رفعه خبرا جعل الظرف لغوا اي متلذذين
بما آتاهم ربهم فان قلت علام عطف قوله تعالى ووقاهم ربهم على قوله في جنات او على آتاهم
ربهم على ان تجعل ما مصدرية والمعنى فاكهين بايتائهم ربهم ووقايتهم عذاب الجحيم • ويجوز ان يكون
الواو للحال وقد بعدها مضمرة كلوا واشربوا هنيئا بما كنتم تعملون متكئين على سرر
مصفوفة وزوجناهم بحور عين • يقال لهم كلوا واشربوا اكلا وشربا هنيئا • او طعاما وشرابا
هنيئا وهو الذي لا تنغيص فيه • ويجوز ان يكون مثله في قوله •
• هنيئا مريئا غير داء مخامر • لعزة من اعراضنا ما استحلت • اعني صفة استعملت استعمال
المصدر القائم مقام الفعل مرتفعا به ما استحلت كما يرتفع بالفعل كانه قيل هنا عزة المستحل من
اعراضنا وكذلك معنى هنيئا هاهنا هناكم الاكل والشرب او هناكم ما كنتم تعملون اي جزاء ما كنتم تعملون

والباء مزيدة كما في كفى بالله والباء متعلقة بكلوا واشربوا اذا جعلت الفاعل الاكل والشرب • وقرئ بعيس
عين والذين آمنوا واتبعتهم ذريتهم بايمان الحقنا بهم ذريتهم وما التناهم من عملهم من شيء كل امرئ
بما كسب رهين • والذين آمنوا معطوف على حور عين اي قرناهم بالحور وبالذين آمنوا اي بالرفقاء
والجلساء منهم كقوله تعالى اخوانا على سرر متقابلين فيتمتعون تارة بملاعبة الحور وتارة بمؤانسة
الاخوان من المؤمنين واتبعناهم ذرياتهم • قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ان الله يرفع ذرية المؤمن
في درجته وان كانوا دونه لتقر بهم عينه ثم تلا هذه الاية فيجمع الله لهم انواع السرور بسعادتهم في
انفسهم وبمزاوجة الحور العين وبمؤانسة الاخوان المؤمنين وباجتماع اولادهم ونسلهم بهم ثم قال
الحقنا بهم ذرياتهم اي بسبب ايمان عظيم رفيع المحل وهو ايمان الآباء الحقنا بدرجاتهم ذريتهم وان كانوا
لا يستاهلونها تفضلا عليهم وعلى آبائهم لنتم سرورهم ونكمل نعيمهم فان قلت ما معنى تنكير
الايمان قلت معناه الدلالة على انه ايمان خاص عظيم المنزلة • ويجوز ان يراد ايمان الذرية
الداني المحل كانه قال بشيء من الايمان لا يؤهلهم لدرجة الآباء الحقناهم بهم وقرئ واتبعتهم
ذريتهم • واتبعناهم ذرياتهم • وذرياتهم • وقرئ ذرياتهم بكسر الذال • ووجه آخر وهو ان يكون والذين
آمنوا مبتدا خبره بايمان • الحقنا بهم ذرياتهم وما بينهما اعتراض • وما التناهم وما نقصناهم يعني
وفرنا عليهم جميع ما ذكرنا من الثواب والتفضل وما نقصناهم من ثواب عملهم من شيء • وقيل معناه وما
نقصناهم من ثوابهم شيئا بعطية الآباء حتى يلحقوا بهم انما الحقناهم بهم على سبيل التفضل • قرئ التناهم
وهو من بابين من الت يالت ومن الات يليت كاماته يميته • وآلتناهم من آلت يؤلت كآمن يؤمن ولتناهم
من لات يليت • وولتناهم من ولت يلت ومعناهن واحد • كل امرئ بما كسب رهين اي مرهون كان
نفس العبد رهن عند الله بالعمل الصالح الذي هو مطالب به كما يرهن الرجل عبده بدين عليه فان عمل
صالحا فكها وخلصها والا اوبقها وامددناهم بفاكهة ولحم مما يشتهون يتنازعون فيها كاسا لا
لغو فيها ولا تاثيم • وامددناهم وزدناهم في وقت بعد وقت • يتنازعون يتعاطون ويتعاورون
هم وجلساؤهم من اقربائهم واخوانهم كاسا خمرا لا لغو فيها في شربها ولا تاثيم اي لا يتكلمون في اثناء
الشرب بسقط الحديث وما لا طائل تحته كفعل المتنادمين في الدنيا على الشراب في سفههم وعربدتهم ولا
يفعلون ما يؤثم به فاعله اي ينسب الى الاثم لو فعله في دار التكليف من الكذب والشتم والفواحش وانما
يتكلمون بالحكم والكلام الحسن متلذذين بذلك لان عقولهم ثابتة غير زائلة وهم حكماء علماء •
وقرئ لا لغو فيها ولا تاثيم ويطوف عليهم غلمان لهم كانهم لؤلؤ مكنون واقبل بعضهم على بعض
يتساءلون • غلمان لهم اي مملوكون لهم مخصوصون بهم • مكنون في الصدف لانه رطبا احسن واصفى
او مخزون لانه لا يخزن الا الثمين الغالي القيمة • وقيل لقتادة هذا الخادم فكيف المخدوم فقال قال
رسول الله صلى الله عليه وسلم والذي نفسي بيده ان فضل المخدوم على الخادم كفضل القمر ليلة البدر
على سائر الكواكب • وعنه صلى الله عليه وسلم ان ادنى اهل الجنة منزلة من ينادي الخادم من خدامه فيجيبه
الف ببابه لبيك لبيك • يتساءلون يتحادثون ويسال بعضهم بعضا عن احواله واعماله وما استوجب به
نيل ما عند الله قالوا انا كنا قبل في اهلنا مشفقين فمن الله علينا ووقانا عذاب السموم انا كنا من
قبل ندعوه انه هو البر الرحيم • مشفقين ارقاء القلوب من خشية الله • وقرئ ووقانا بالتشديد
عذاب السموم عذاب النار ووهجها ولفحها والريح الحارة تدخل المسام فسميت بها نار جهنم لانها بهذه

من قبل من قبل لقاء الله والمصير اليه يعنون في الدنيا ٭ ندعوه نعبده ونسأله الوقاية ٭ انه هو البر المحسن الرحيم
العظيم الرحمة الذي اذا عبد اثاب واذا سئل اجاب وقرئ انه بالفتح بمعنى لانه ٭ فذكر فما انت بنعمة ربك
بكاهن ولا مجنون ٭ ام يقولون شاعر نتربص به ريب المنون ٭ قل تربصوا فاني معكم من المتربصين
فذكر فاثبت على تذكير الناس وموعظتهم ولا يثبطنك قولهم كاهن او مجنون ولا تبال به فانه قول باطل
متناقض لان الكاهن يحتاج في كهانته الى فطنة ودقة نظر والمجنون مغطى على عقله ٭ وما انت بحمد الله
وانعامه عليك بصدق النبوة ورجاحة العقل احد هذين وقرئ يتربص به ريب المنون على البناء
للمفعول ٭ وريب المنون ما يقلق النفوس ويشخص بها من حوادث الدهر قال ٭
أمن المنون وريبه تتوجع ٭ وقيل المنون الموت وهو في الاصل فعول من منه اذا قطعه لان الموت قطوع ولذلك
سميت شعوب قالوا ننتظر به نوائب الزمان فيهلك كما هلك من قبله من الشعراء زهير والنابغة
من المتربصين اتربص هلاككم كما تتربصون هلاكي ٭ ام تأمرهم احلامهم بهذا ام هم قوم طاغون
ام يقولون تقوله بل لا يؤمنون ٭ فليأتوا بحديث مثله ان كانوا صادقين ٭ احلامهم عقولهم
والبابهم ٭ ومنه قولهم احلام عاد ٭ والمعنى اتأمرهم احلامهم بهذا التناقض في القول وهو قولهم كاهن
وشاعر مع قولهم مجنون وكانت قريش يدعون اهل الاحلام والنهى ٭ ام هم قوم طاغون مجاوزون الحد
في العناد مع ظهور الحق لهم فان قلت ما معنى كون الاحلام امرة قلت هو مجاز لادائها الى ذلك
كقوله تعالى اصلواتك تأمرك ان نترك ما يعبد اباؤنا ٭ وقرئ بل هم قوم طاغون ٭ تقوله اختلقه من
تلقاء نفسه بل لا يؤمنون فلكفرهم وعنادهم يرمونه بهذه المطاعن مع علمهم ببطلان قولهم وانه ليس
بمتقول لعجز العرب عنه وما محمد الا واحد من العرب ٭ وقرئ بحديث مثله على الاضافة والضمير لرسول
الله عليه السلام ومعناه ان مثل محمد في فصاحته ليس بمعوز في العرب فان قدر محمد عليه السلام على
نظمه كان مثله قادرا عليه فليأتوا بحديث ذلك المثل ام خلقوا من غير شيء ام هم الخالقون ٭ ام خلقوا
السموات والارض بل لا يوقنون ٭ ام خلقوا امر احداث وقدروا التقدير الذي عليه فطرتهم من
غير شيء من غير مقدر ٭ ام هم الذين خلقوا انفسهم حيث لا يعبدون الخالق ٭ بل لا يوقنون اي اذا سئلوا
من خلقكم وخلق السموات والارض قالوا الله وهم شاكون فيما يقولون ٭ وقيل اخلقوا من اجل لا شيء
من جزاء ولا حساب ٭ وقيل اخلقوا من غير اب وام ام عندهم خزائن ربك ام هم المسيطرون ٭ ام لهم
سلم يستمعون فيه فليأت مستمعهم بسلطان مبين ٭ ام له البنات ولكم البنون ٭ ام عندهم
خزائن الرزق حتى يرزقوا النبوة من شاؤوا ٭ او اعندهم خزائن علمه حتى يختاروا لها من اختياره حكمة
ومصلحة ٭ ام هم المسيطرون الارباب الغالبون حتى يدبروا امر الربوبية ويبنوا الامور على ارادتهم
ومشيئتهم وقرئ المصيطرون بالصاد ٭ ام لهم سلم منصوب الى السماء يستمعون صاعدين فيه الى كلام
الملائكة وما يوحى اليهم من علم الغيب حتى يعلموا ما هو كائن من تقدم هلاكه على هلاكهم وظفرهم في العاقبة
دونه كما يزعمون ٭ بسلطان مبين بحجة واضحة تصدق استماع مستمعهم ام تسألهم اجرا فهم من مغرم
مثقلون ٭ ام عندهم الغيب فهم يكتبون ٭ ام يريدون كيدا فالذين كفروا هم المكيدون
المغرم ان يلزم الانسان ما ليس عليه اي لزمهم مغرم ثقيل فدحهم فزهدهم ذلك في اتباعك ام عندهم
الغيب اي اللوح المحفوظ فهم يكتبون ما فيه حتى يقولوا لا نبعث وان بعثنا لم نعذب ام يريدون كيدا وهو
كيدهم في دار الندوة برسول الله عليه السلام وبالمؤمنين فالذين كفروا اشارة اليهم او اريد بهم كل من

كفر

كفر بالله هم المكيدون هم الذين يعود عليهم وبال كيدهم ويحيق بهم مكرهم وذلك انهم قتلوا يوم بدر
او المغلوبون في الكيد من كايدته فكدته ام لهم اله غير الله سبحان الله عما يشركون ٭ وان يروا
كسفا من السماء ساقطا يقولوا سحاب مركوم ٭ فذرهم حتى يلاقوا يومهم الذي فيه يصعقون ٭ يوم
لا يغني عنهم كيدهم شيئا ولا هم ينصرون ٭ الكسف القطعة وهو جواب قولهم او تسقط السماء كما زعمت
علينا كسفا يريد انهم لشدة طغيانهم وعنادهم لو اسقطناه عليهم لقالوا هذا سحاب مركوم بعضه
فوق بعض يمطرنا ولم يصدقوا انه كسف ساقط للعذاب وقرئ حتى يلقوا ٭ ويلقوا ٭ يصعقون
يموتون ٭ وقرئ يصعقون يقال صعقه فصعق وذلك عند النفخة الاولى وان للذين ظلموا عذابا دون
ذلك ولكن اكثرهم لا يعلمون ٭ وان للذين ظلموا وان لهؤلاء الظلمة عذابا دون ذلك دون يوم
القيامة وهو القتل ببدر والقحط سبع سنين وعذاب القبر ٭ وفي مصحف عبد الله دون ذلك قريبا
واصبر لحكم ربك فانك باعيننا وسبح بحمد ربك حين تقوم ٭ ومن الليل فسبحه وادبار النجوم
لحكم ربك بامهالهم وبما يلحقك فيه من المشقة والكلفة فانك باعيننا مثل اي بحيث نراك ونكلؤك
وجمع العين لان الضمير بلفظ ضمير الجماعة ٭ الا ترى الى قوله تعالى ولتصنع على عيني وقرئ باعينا بالا دغام
حين تقوم من اي مقام قمت ٭ وقيل من منامك ٭ وادبار النجوم واذا ادبرت النجوم من اخر الليل ٭ وقرئ
وادبار بالفتح بمعنى في اعقاب النجوم واثارها اذا غربت والمراد الامر بقول سبحان الله وبحمده في
هذه الاوقات ٭ وقيل التسبيح الصلوة اذا قام من نومه ومن الليل صلوة العشائين وادبار النجوم
صلوة الفجر ٭ عن رسول الله عليه السلام من قرأ سورة الطور كان حقا على الله ان يؤمنه من عذابه وان
ينعمه في جنته

وقيل ثنتان وستون ٭ بسم الله الرحمن الرحيم ٭ والنجم اذا هوى ما ضل صاحبكم وما غوى ٭ وما ينطق
عن الهوى ان هو الا وحي يوحى ٭ النجم الثريا وهو اسم غالب لها قال ٭
٭ اذا طلع النجم عشاء ٭ ابتغى الراعي كساء ٭ او جنس النجوم قال فباتت تعد النجم في مستحيره
يريد النجوم ٭ اذا هوى اذا غرب ٭ او انتثر يوم القيامة ٭ او النجم الذي يرجم به اذا هوى اذا انقض ٭
او النجم من نجوم القرآن وقد نزل منجما في عشرين سنة ٭ اذا هوى اذا نزل ٭ او النبات اذا هوى اذا سقط
على الارض ٭ وعن عروة بن الزبير رضي الله عنه ان عتبة بن ابي لهب وكانت تحته بنت رسول الله عليه
السلام اراد الخروج الى الشام فقال لآتين محمدا فلأوذينه فاتاه فقال يا محمد هو كافر بالنجم اذا هوى
وبالذي دنى فتدلى ثم تفل في وجه النبي عليه السلام ورد عليه ابنته وطلقها فقال رسول الله صلى
الله عليه وسلم اللهم سلط عليه كلبا من كلابك وكان ابو طالب حاضرا فوجم لها وقال ما كان اغناك يا
ابن اخي عن هذه الدعوة فرجع عتبة الى ابيه فاخبره ثم خرجوا الى الشام فنزلوا منزلا فاشرف عليهم
راهب من الدير فقال لهم ان هذه ارض مسبعة فقال ابو لهب لاصحابه اغيثونا يا معشر قريش هذه
الليلة فاني اخاف على ابني دعوة محمد فجمعوا جمالهم واناخوها حولهم واحدقوا بعتبة فجاء الاسد يتشمم
وجوههم حتى ضرب عتبة فقتله وقال حسان من يرجع العام الى اهله ٭ فما اكيل السبع بالراجع ٭
ما ضل صاحبكم يعني محمدا عليه السلام والخطاب لقريش وهو جواب القسم ٭ والضلال نقيض
الهدى ٭ والغي نقيض الرشد اي هو مهتد راشد وليس كما تزعمون من نسبتكم اياه الى الضلال والغي

وما اتاكم به من القرآن ليس بمنطق يصدر عن هواه ورأيه وانما هو وحي من عند الله تعالى يوحى اليه ويحتج
بهذه الآية من لا يرى الاجتهاد للانبياء عليهم السلام ويجاب بان الله تعالى اذا سوغ لهم الاجتهاد
كان الاجتهاد وما يستند اليه كله وحيا لا نطقا عن الهوى **علمه شديد القوى ذو مرة فاستوى
وهو بالافق الاعلى ثم دنى فتدلى فكان قاب قوسين او ادنى** شديد القوى ملك شديد قواه
والاضافة غير حقيقية لانها اضافة الصفة المشبهة الى فاعلها وهو جبريل عليه السلام ومن قوته
انه اقتلع قرى قوم لوط عليه السلام من الماء الاسود وحملها على جناحه ورفعها الى السماء ثم قلبها
وصاح صيحة بثمود فاصبحوا جاثمين وكان هبوطه على الانبياء عليهم السلام وصعوده في اوحى من رجعة
الطرف ورأى ابليس يكلم عيسى عليه السلام على بعض عقاب الارض المقدسة فنفحه بجناحه نفحة فالقاه
في اقصى جبل بالهند ذو مرة ذو حصافة في عقله ورأيه ومتانة في دينه فاستوى فاستقام على
صورة نفسه الحقيقية دون الصورة التي كان يتمثل بها كلما هبط بالوحي وكان ينزل في صورة دحية
وذلك ان رسول الله عليه السلام احب ان يراه في صورته التي جبل عليها فاستوى له في الافق الاعلى
وهو افق الشمس فملا الافق وقيل ما رآه احد من الانبياء عليهم السلام في صورته الحقيقية غير محمد
عليه السلام مرتين مرة في الارض ومرة في السماء ثم دنا من رسول الله عليه السلام فتدلى فتعلق
عليه في الهواء ومنه تدلت الثمرة ودلى رجليه من السرير والدوالي الثمر المعلق **قال**
تدلى عليها بين سب وخيطة ويقال هو مثل القرلى ان رأى خيرا تدلى وان لم يره تولى قاب
قوسين عربيتين والقاب والقيب والقاد والقيد والقيس المقدار وقرأ زيد بن علي رضي الله
عنه قاد وقرئ قيد وقدر وقد جاء التقدير بالقوس والرمح والسوط والذراع والباع والخطوة
والشبر والفتر والاصبع ومنه لا صلوة الى ان ترتفع الشمس مقدار رمحين وفي الحديث لقاب قوس
احدكم من الجنة وموضع قده خير من الدنيا وما فيها والقد السوط ويقال بينهما خطوات يسيرة وقال
وقد جعلتني من حزيمة اصبعا **فان قلت** كيف تقدير قوله تعالى فكان قاب قوسين **قلت** تقديره
فكان مقدار مسافة قربه مثل قاب قوسين فحذفت هذه المضافات كما قال ابو علي في قوله
وقد جعلتني من حزيمة اصبعا اي ذا مقدار مسافة اصبع او ادنى اي على تقديركم كقوله تعالى او
يزيدون **فاوحى الى عبده ما اوحى** الى عبده الى عبد الله وان لم يجر لاسمه عز وجل ذكر لانه لا يلبس
كقوله تعالى على ظهرها ما اوحى تفخيم للوحي الذي اوحي اليه قيل اوحي اليه ان الجنة محرمة على الانبياء
حتى تدخلها وعلى الامم حتى تدخلها امتك **ما كذب الفؤاد ما رأى** ما كذب فؤاد محمد صلى الله عليه
وسلم ما رآه ببصره من صورة جبريل عليه السلام اي ما قال فؤاده لما رآه لم اعرفك ولو قال ذلك
لكان كاذبا يعني انه رآه بعينه وعرفه بقلبه ولم يشك في ان ما رآه حق **وقرئ** ما كذب اي صدقه لانه عرفه صح
ولم يشك انه جبريل عليه السلام بصورته **افتمارونه على ما يرى** افتمارونه من المراء وهو الملاحاة
والمجادلة واشتقاقه من مرى الناقة كان كل واحد من المتجادلين يمري ما عند صاحبه وقرئ افتمرونه افتغلبونه
في المراء من ماريته فمريته ولما فيه من معنى الغلبة عدي بعلى كما تقول غلبته على كذا وقيل افتمرونه
افتجحدونه **وانشدوا** لئن هجرت اخا صدق ومكرمة لقد مريت اخا ما كان يمريكا وقالوا
يقال مريته حقه اذا جحدته وتعديته بعلى لا تصح الا على مذهب التضمين **ولقد رآه نزلة اخرى
عند سدرة المنتهى** نزلة اخرى مرة اخرى من النزول نصبت النزلة نصب الظرف الذي هو مرة

لان الفعلة اسم للمرة من الفعل فكانت في حكمها اي نزل جبريل عليه السلام نزلة اخرى في صورة نفسه فرآه
عليها وذلك ليلة المعراج قيل في سدرة المنتهى هي شجرة نبق في السماء السابعة عن يمين العرش
ثمرها كقلال هجر وورقها كاذان الفيول تنبع من اصلها الانهار التي ذكرها الله عز وجل في كتابه
يسير الراكب في ظلها سبعين عاما لا يقطعها والمنتهى بمعنى موضع الانتهاء او الانتهاء كانها في منتهى الجنة
وآخرها وقيل لم يجاوزها احد واليها ينتهي علم الملائكة وغيرهم ولا يعلم احد ما وراءها وقيل ينتهي
اليها ارواح الشهداء **عندها جنة المأوى** جنة المأوى الجنة التي يصير اليها المتقون عن الحسن
رحمة الله عليه وقيل تأوي اليها ارواح الشهداء وقرأ علي رضي الله عنه وابن الزبير وجماعة جنه
المأوى اي ستره بظلاله ودخل فيه وعن عائشة رضي الله عنها انها انكرته وقالت من قرأ به فاجنه
الله **اذ يغشى السدرة ما يغشى** ما يغشى تعظيم وتكثير لما يغشاها فقد علم بهذه العبارة ان ما
يغشاها من الخلائق الدالة على عظمة الله وجلاله اشياء لا يكتنهها النعت ولا يحيط بها الوصف وقد
قيل يغشاها الجم الغفير من الملائكة يعبدون الله عز وجل عندها وعن رسول الله عليه السلام
رأيت على كل ورقة من ورقها ملكا قائما يسبح الله وعنه صلى الله عليه وسلم يغشاها رفرف من طير
خضر وعن ابن مسعود رضي الله عنه وغيره يغشاها فراش من ذهب **ما زاغ البصر وما طغى** ما زاغ بصر
رسول الله صلى الله عليه وسلم وما طغى اي اثبته ما رآه اثباتا مستيقنا صحيحا من غير ان يزيغ بصره عنه او
يتجاوزه او ما عدل عن رؤية العجائب التي امر برؤيتها ومكن منها وما طغى وما جاوز ما امر برؤيته
لقد رأى من آيات ربه الكبرى لقد رأى والله لقد رأى من آيات ربه الآيات التي هي كبراها وعظماها
يعني حين رقي به الى السماء فأري عجائب الملكوت **افرأيتم اللات والعزى ومناة الثالثة الاخرى**
اللات والعزى ومناة اصنام كانت لهم وهي مؤنثات فاللات كانت لثقيف بالطائف وقيل كانت
بنخلة تعبدها قريش وهي فعلة من لوى لانهم كانوا يلوون عليها ويعكفون للعبادة او يلتوون عليها
اي يطوفون **وقرئ** اللات بالتشديد وزعموا انه سمي برجل كان يلت عنده السمن بالزيت ويطعمه
الحاج وعن مجاهد كان رجل يلت السويق بالطائف وكانوا يعكفون على قبره فجعلوه وثنا والعزى
كانت لغطفان وهي سمرة واصلها تأنيث الاعز وبعث اليها رسول الله صلى الله عليه وسلم خالد بن الوليد
رضي الله عنه فقطعها فخرجت منها شيطانة ناشرة شعرها داعية ويلها واضعة يدها على رأسها فجعل
يضربها بالسيف حتى قتلها وهو يقول يا عز كفرانك لا سبحانك اني رأيت الله قد اهانك ورجع
فاخبر رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال عليه السلام تلك العزى ولن تعبد ابدا ومناة صخرة
كانت لهذيل وخزاعة وعن ابن عباس رضي الله عنهما لثقيف **وقرئ** ومناءة وكأنها سميت مناة
لان دماء النسائك كانت تمنى عندها اي تراق ومناءة مفعلة من النوء كانهم كانوا يستمطرون عندها
الانواء تبركا بها والاخرى ذم وهي المتأخرة الوضيعة المقدار كقوله عز وجل وقالت اخراهم
لاولاهم اي وضعاؤهم لرؤسائهم واشرافهم ويجوز ان تكون الاولية والتقدم عندهم للات
والعزى كانوا يقولون ان الملائكة وهذه الاصنام بنات الله وكانوا يعبدونهم ويزعمون انهم شفعاؤهم وهم
عند الله مع وأدهم البنات فقيل لهم **الكم الذكر وله الانثى تلك اذا قسمة ضيزى** ويجوز ان يراد
ان اللات والعزى ومناة اناث وقد جعلتموهن لله شركاء ومن شأنكم ان تحتقروا الاناث وتستنكفوا
من ان يولد لكم وينسب اليكم فكيف تجعلون هؤلاء الاناث اندادا لله تعالى وتسمونهن آلهة قسمة

ضيزى جائرة من ضازه يضيزه اذا ضامه والاصل ضوزى فُعلى فعل بها ما فعل ببيض لتسلم الياء • وقرئ ضئزى
من ضأزه بالهمز • وضيزى بفتح الضاد إن هي إلا أسماء سميتموها أنتم وآباؤكم ما أنزل الله بها من
سلطان إن يتبعون إلا الظن وما تهوى الأنفس ولقد جاءهم من ربهم الهدى • هي ضمير الاصنام
اى ما هي الا اسماء ليس تحتها في الحقيقة مسميات لانكم تدعون الالهية لما هو ابعد شيء منها واشده
منافاة لها • ونحوه قوله تعالى ما تعبدون من دونه الا اسماء سميتموها • او ضمير الاسماء وهي قولهم
اللات والعزى ومناة وهم يقصدون بهذه الاسماء الالهة يعني ما هذه الاسماء الا اسماء سميتموها
بهواكم وشهوتكم ليس لكم من الله تعالى على صحة تسميتها برهان تتعلقون به ومعنى سميتموها
سميتم بها يقال سميته زيدا وسميته بزيد • ان يتبعون وقرئ بالتاء • الا الظن الا توهم ان
ان ما هم عليه حق وان الهتهم شفعاؤهم وما تشتهيه انفسهم ويتركون ما جاءهم من الهدى والدليل
على ان دينهم باطل ام للانسان ما تمنى • هي ام المنقطعة ومعنى الهمزة فيها الانكار اى ليس للانسان ما تمنى
والمراد طمعهم في شفاعة الالهة وهو تمن على الله عز وجل في غاية البعد • وقيل هو قولهم ولئن رجعت الى
ربى ان لي عنده للحسنى • وقيل هو قول الوليد بن المغيرة لاوتين مالا وولدا • وقيل هو تمني بعضهم ان يكون
هو النبي فلله الآخرة والأولى وكم من ملك في السموات لا تغني شفاعتهم شيئا الا من بعد ان يأذن
الله لمن يشاء ويرضى • فلله الآخرة والاولى اى هو مالكهما فهو يعطي منهما من يشاء ويمنع من يشاء وليس
لاحد ان يتحكم عليه في شيء منهما يعني ان امر الشفاعة ضيق وذلك ان الملائكة مع قربتهم وزلفاهم وكثرتهم
واغتصاص السموات بجموعهم لو شفعوا باجمعهم لاحد لم تغن شفاعتهم عنه شيئا قط ولم تنفع الا اذا شفعوا
من بعد ان يأذن الله لهم في الشفاعة لمن يشاء الشفاعة له ويرضاه ويراه اهلا لان يشفع له فكيف تشفع
الاصنام اليه لعبدتهم ان الذين لا يؤمنون بالآخرة ليسمون الملائكة تسمية الأنثى وما لهم
به من علم ان يتبعون الا الظن وان الظن لا يغني من الحق شيئا • ليسمون الملائكة اى كل واحد
منهم تسمية الانثى لانهم اذا قالوا الملائكة بنات الله فقد سموا كل واحد منهم بنتا وهي تسمية الانثى • به
من علم اى بذلك وبما يقولون وفي قراءة ابى رضي الله عنه بها اى بالملائكة او التسمية • لا يغني من الحق شيئا
يعني انما يدرك الحق الذي هو حقيقة الشيء وما هو عليه بالعلم والتيقن لا بالظن والتوهم فاعرض عن
من تولى عن ذكرنا ولم يرد الا الحيوة الدنيا ذلك مبلغهم من العلم ان ربك هو اعلم بمن ضل
عن سبيله وهو اعلم بمن اهتدى • فاعرض عن دعوة من رأيته معرضا عن ذكر الله تعالى وعن الآخرة
ولم يرد الا الدنيا ولا تتهالك على اسلامه ثم قال ان ربك هو اعلم اى انما يعلم الله من يجيب ممن لا يجيب وانت
لا تعلم فخفض على نفسك ولا تتعبها فانك لا تهدي من احببت وما عليك الا البلاغ • وقوله تعالى ذلك مبلغهم
من العلم اعتراض او فاعرض عنه ولا تقابله ولله ما في السموات وما في الأرض ليجزي الذين اساؤوا بما
عملوا ويجزي الذين احسنوا بالحسنى • ان ربك هو اعلم بالضال والمهتدى وهو مجازيهما بما يستحقان
من الجزاء وقرئ لنجزي ونجزي بالنون فيهما ومعناه ان الله تعالى انما خلق العالم وسوى هذه الملكوت
لهذا الغرض وهو ان يجزي المحسن من المكلفين والمسيء منهم • ويجوز ان يتعلق بقوله هو اعلم بمن ضل عن
سبيله وهو اعلم بمن اهتدى لان نتيجة العلم بالضال والمهتدى جزاؤهما بما عملوا بعقاب ما عملوا من السوء
وبالحسنى بالمثوبة الحسنى وهي الجنة • او بسبب ما عملوا من السوء وبسبب الاعمال الحسنى الذين يجتنبون كبائر
الاثم والفواحش الا اللمم • كبائر الاثم الكبائر من الاثم لان الاثم جنس يشتمل على كبائر وصغائر والكبائر

الذنوب التي لا يسقط عقابها الا بالتوبة • وقيل التي يكبر عقابها بالاضافة الى ثواب صاحبها • والفواحش ما فحش
من الكبائر كانه قال والفواحش منها خاصة وقرئ كبير الاثم اى النوع الكبير منه • وقيل هو الشرك بالله
واللمم ما قل وصغر • ومنه اللمم المس من الجنون واللوثة منه والم بالمكان اذا قل فيه لبثه والم بالطعام قل
منه اكله ومنه لقاء اخلاء الصفاء لمام • والمراد الصغائر من الذنوب ولا يخلو قوله تعالى الا اللمم من ان يكون
استثناء منقطعا • او صفة كقوله عز وجل لو كان فيهما آلهة الا الله كانه قيل كبائر الاثم غير اللمم وآلهة غير
الله • وعن ابي سعيد الخدري اللمم هي النظرة والغمزة والقبلة • وعن السدي الخطرة من الذنب • وعن الكلبي
كل ذنب لم يذكر الله عليه حدا ولا عذابا • وعن عطاء عادة النفس الحين بعد الحين ان ربك واسع المغفرة
هو اعلم بكم اذ انشأكم من الأرض واذ انتم اجنة في بطون امهاتكم فلا تزكوا انفسكم هو اعلم بمن اتقى
ان ربك واسع المغفرة حيث يكفر الصغائر باجتناب الكبائر والكبائر بالتوبة • فلا تزكوا انفسكم فلا تنسبوها
الى زكاء العمل وزيادة الخير والطاعات او الى الزكاء والطهارة من المعاصي ولا تثنوا عليها واهضموها
فقد علم الله الزكي منكم والتقي اولا واخرا قبل ان يخرجكم من صلب آدم عليه السلام وقبل ان تخرجوا من
بطون امهاتكم • وقيل كان ناس يعملون اعمالا حسنة ثم يقولون صلاتنا وصيامنا وحجنا فنزلت
وهذا اذا كان على سبيل الاعجاب او الرياء فاما من اعتقد ان ما عمله من العمل الصالح من الله وبتوفيقه
وتأييده ولم يقصد به التمدح لم يكن من المزكين انفسهم لان المسرة بالطاعة طاعة وذكرها شكر
افرأيت الذي تولى واعطى قليلا واكدى اعنده علم الغيب فهو يرى • اكدى قطع عطيته وامسك واصله
اكداء الحافر وهو ان تلقاه كدية وهي صلابة كالصخرة فيمسك عن الحفر • ونحوه اجبل الحافر ثم استعير فقيل
اجبل الشاعر اذا افحم روى ان عثمان رضي الله عنه كان يعطي ماله في الخير فقال له عبد الله بن ابي
سعد بن ابي سرح وهو اخوه من الرضاعة يوشك ان لا يبقى لك شيء فقال عثمان ان لي ذنوبا وخطايا واني
اطلب بما اصنع رضا الله وارجو عفوه فقال له عبد الله اعطني ناقتك برحلها وانا اتحمل عنك ذنوبك
كلها فاعطاه واشهد عليه وامسك عن العطاء فنزلت ومعناه تولى ترك المركز يوم احد فعاد عثمان رضي
الله عنه الى احسن من ذلك واجمل • فهو يرى يعلم ان ما قال له اخوه من احتمال الاوزار حق ام لم ينبأ
بما في صحف موسى وابراهيم الذي وفى الا تزر وازرة وزر اخرى • وفى قرئ مخففا ومشددا والتشديد
مبالغة في الوفاء • او بمعنى وفر واتم كقوله تعالى فاتمهن والاطلاق ليتناول كل وفاء وتوفية من ذلك
تبليغه الرسالة واستقلاله باعباء النبوة والصبر على ذبح ولده وعلى نار نمرود وقيامه باضيافه
وخدمته اياهم بنفسه وانه كان يخرج كل يوم فيمشي فرسخا يرتاد ضيفا فان وافقه اكرمه والا نوى
الصوم • وعن الحسن رحمة الله عليه ما امره الله بشيء الا وفى به • وعن الهذيل بن شرحبيل كان بين نوح
وابراهيم عليهما السلام يؤخذ الرجل بجريرة غيره ويقتل بابيه وابنه وعمه وخاله والزوج بامرأته والعبد
بسيده فاول من خالفهم ابراهيم عليه السلام • وعن عطاء بن السائب عهد ان لا يسأل مخلوقا فلما قذف
في النار قال له جبرئيل وميكائيل عليهما السلام الك حاجة فقال اما اليكما فلا • وعن النبي صلى الله عليه
وسلم وفى عمله كل يوم باربع ركعات في صدر النهار وهي صلوة الضحى وروي الا اخبركم لم سمى الله
خليله الذي وفى كان يقول اذا اصبح وامسى فسبحان الله حين تمسون الى تظهرون • وقيل وفى سهام الاسلام
وهي ثلثون عشرة في التوبة التائبون وعشرة في الاحزاب ان المسلمين وعشرة في المؤمنين قد افلح
المؤمنون • وقرئ في صحف بالتخفيف • الا تزر ان مخففة من الثقيلة والمعنى انه لا تزر والضمير ضمير

الشأن ومحل أن وما بعدها الجر بدلا من ما في صحف موسى او الرفع على هو أن لا تزر كأن قائلا قال وما في صحف موسى وابراهيم فقيل أن لا تزر **وأن ليس للإنسان إلا ما سعى ۝ وأن سعيه سوف يرى ۝ ثم يجزاه الجزاء الأوفى ۝** إلا ما سعى إلا سعيه **فإن قلت** أما صح في الأخبار الصدقة عن الميت والحج عنه وله الأضعاف **قلت** فيه جوابان أحدهما أن سعي غيره لما لم ينفعه إلا مبنيا على سعي نفسه وهو أن يكون مؤمنا صالحا وكذلك الأضعاف كان سعي غيره كأنه سعي نفسه لكونه تابعا له وقائما بقيامه والثاني أن سعي غيره لا ينفعه إذا عمله لنفسه ولكن إذا نواه به فهو بحكم الشرع كالنائب عنه والوكيل القائم مقامه ۝ ثم يجزاه ثم يجزى العبد سعيه يقال جزاه الله عمله وجزاه على عمله بحذف الجار وإيصال الفعل ۝ ويجوز أن يكون الضمير للجزاء ثم فسره بقوله تعالى الجزاء الأوفى أو أبدله عنه كقوله تعالى وأسروا النجوى الذين ظلموا **وأن إلى ربك المنتهى ۝ وأنه هو أضحك وأبكى ۝ وأنه هو أمات وأحيا ۝ وأنه خلق الزوجين الذكر والأنثى ۝ من نطفة إذا تمنى ۝** وأن إلى ربك المنتهى قرئ بالفتح على معنى أن هذا كله في الصحف ۝ وبالكسر على الابتداء وكذلك ما بعده ۝ والمنتهى مصدر بمعنى الانتهاء أي ينتهي إليه الخلق ويرجعون إليه كقوله عز وعلا وإليه المصير ۝ أضحك وأبكى خلق قوتي الضحك والبكاء ۝ إذا تمنى إذا تدفق في الرحم يقال مني وأمنى ۝ وعن الأخفش تخلق من مني الماني أي قدر المقدر **وأن عليه النشأة الأخرى** **وقرئ** النشاءة والنشاء بالمد وقال عليه لأنها واجبة عليه في الحكمة ليجازي على الإحسان والإساءة **وأنه هو أغنى وأقنى ۝ وأنه هو رب الشعرى ۝ وأنه أهلك عادا الأولى ۝ وثمود فما أبقى ۝** وأقنى وأعطى القنية وهي المال الذي تأثلته وعزمت أن لا تخرجه من يدك ۝ الشعرى مرزم الجوزاء وهي التي تطلع وراءها وتسمى كلب الجبار وهما شعريان الغميصاء والعبور وأراد العبور وكانت خزاعة تعبدها سن لهم ذلك أبو كبشة رجل من أشرافهم وكانت قريش تقول لرسول الله عليه السلام أبو كبشة تشبيها له به لمخالفته إياهم في دينهم يريد أنه رب معبودهم هذا عادا الأولى قوم هود عليه السلام وعاد الأخرى إرم ۝ وقيل الأولى القدماء لأنهم أولى الأمم هلاكا بعد قوم نوح أو المتقدمون في الدنيا الأشراف **وقرئ** عادا لولى وعاد لولى بإدغام التنوين في اللام وطرح همزة أولى ونقل ضمتها إلى لام التعريف ۝ وثمودا ۝ وقرئ وثمود **وقوم نوح من قبل إنهم كانوا هم أظلم وأطغى ۝ والمؤتفكة أهوى ۝ فغشاها ما غشى ۝ فبأي آلاء ربك تتمارى ۝ هذا نذير من النذر الأولى ۝** أظلم وأطغى لأنهم كانوا يؤذونه ويضربونه حتى لا يكون به حراك وينفرون عنه حتى كانوا يحذرون صبيانهم أن يسمعوا منه وما أثر فيهم دعاؤه قريبا من ألف سنة ۝ والمؤتفكة والقرى التي ائتفكت بأهلها أي انقلبت وهم قوم لوط عليه السلام يقال الإفك فائتفك **وقرئ** والمؤتفكات أهوى رفعها إلى السماء على جناح جبريل عليه السلام ثم أهوى بها إلى الأرض أي أسقطها ما غشى تهويل وتعظيم لما صب عليهما من العذاب وأمطر عليهما من الحجر المنضود ۝ فبأي آلاء ربك تتمارى تتشكك والخطاب لرسول الله صلى الله عليه وسلم أو للإنسان على الإطلاق وقد عدد نعما ونقما وسماها كلها آلاء من قبل ما في نقمه من المزاجر والمواعظ للمعتبرين ۝ هذا القرآن نذير من النذر الأولى أي إنذار من جنس الإنذارات الأولى التي أنذر بها من قبلكم ۝ أو هذا الرسول منذر من المنذرين الأولين ۝ وقال الأولى على تأويل الجماعة **أزفت الآزفة ۝ ليس لها من دون الله كاشفة ۝ أفمن هذا الحديث تعجبون ۝ وتضحكون ولا تبكون ۝ وأنتم سامدون ۝ فاسجدوا لله واعبدوا ۝** أزفت

الآزفة قربت الموصوفة بالقرب في قوله عز وجل اقتربت الساعة ۝ ليس لها نفس كاشفة أي مبينة متى تقوم كقوله تعالى لا يجليها لوقتها إلا هو ۝ أو ليس لها نفس كاشفة أي قادرة على كشفها إذا وقعت إلا الله غير أنه لا يكشفها ۝ أو ليس لها الآن نفس كاشفة بالتأخير ۝ وقيل الكاشفة مصدر بمعنى الكشف كالعافية **وقرأ** طلحة ليس لها مما يدعون من دون الله كاشفة وهي على الظالمين ساءت الغاشية أفمن هذا الحديث وهو القرآن تعجبون إنكارا وتضحكون استهزاء ۝ ولا تبكون والبكاء والخشوع حق عليكم ۝ وعن رسول الله صلى الله عليه وسلم أنه لم ير ضاحكا بعد نزولها **وقرئ** تعجبون تضحكون بغير واو ۝ وأنتم سامدون شامخون مبرطمون ۝ وقيل لاهون لاعبون ۝ وقال بعضهم لجارية اسمدي لنا أي غني لنا ۝ فاسجدوا لله واعبدوه ولا تعبدوا الآلهة ۝ عن رسول الله صلى الله عليه وسلم أنه قال من قرأ سورة والنجم أعطاه الله عشر حسنات بعدد من صدق بمحمد عليه السلام وجحد به بمكة ۝ والله أعلم بالصواب

بسم الله الرحمن الرحيم **اقتربت الساعة وانشق القمر ۝ وإن يروا آية يعرضوا ويقولوا سحر مستمر ۝** انشقاق القمر من آيات رسول الله عليه السلام ومعجزاته النيرة ۝ عن أنس بن مالك رضي الله عنه أن الكفار سألوا رسول الله صلى الله عليه وسلم فانشق القمر مرتين وكذا عن ابن عباس وابن مسعود رضي الله عنهما قال ابن عباس انفلق فلقتين فلقة ذهبت وفلقة بقيت ۝ وقال ابن مسعود رضي الله عنه رأيت حراء بين فلقتي القمر ۝ وعن بعض الناس أن معناه ينشق يوم القيمة ۝ وقوله تعالى وإن يروا آية يعرضوا ويقولوا سحر مستمر يرده وكفى به رادا ۝ وفي قراءة حذيفة رضي الله عنه وقد انشق القمر أي اقتربت الساعة وقد حصل من آيات اقترابها أن القمر قد انشق كما تقول أقبل الأمير وقد جاء المبشر بقدومه ۝ وعن حذيفة أنه خطب بالمدائن ثم قال ألا إن الساعة قد اقتربت وإن القمر قد انشق على عهد نبيكم ۝ مستمر دائم مطرد وكل شيء قد انقادت طريقته ودامت حاله قيل فيه قد استمر لما رأوا تتابع المعجزات وترادف الآيات قالوا هذا سحر مستمر ۝ وقيل مستمر قوي محكم من قولهم استمر مريره ۝ وقيل هو من استمر الشيء إذا اشتدت مرارته أي مستبشع مر على لهواتنا لا نقدر أن نسيغه كما لا يساغ المر الممقر ۝ وقيل مستمر مار ذاهب يزول ولا يبقى تمنية لأنفسهم وتعليلا **وقرئ** وإن يروا **وكذبوا واتبعوا أهواءهم وكل أمر مستقر ۝** واتبعوا أهواءهم وما زين لهم الشيطان من دفع الحق بعد ظهوره ۝ وكل أمر مستقر أي كل أمر لا بد أن يصير إلى غاية يستقر عليها وإن أمر محمد عليه السلام سيصير إلى غاية يتبين عندها أنه حق أو باطل وسيظهر لهم عاقبته ۝ أو وكل أمر من أمورهم وأمره مستقر أي سيثبت ويستقر على حالة خذلان أو نصرة في الدنيا أو شقاوة أو سعادة في الأخرى ۝ **وقرئ** بفتح القاف يعني كل أمر ذو مستقر أي ذو استقرار أو ذو موضع استقرار أو زمان استقرار وعن أبي جعفر مستقر بكسر القاف والجر عطفا على الساعة أي اقتربت الساعة واقترب كل أمر مستقر يستقر ويتبين حاله **ولقد جاءهم من الأنباء ما فيه مزدجر ۝ حكمة بالغة فما تغن النذر ۝** من الأنباء من القرآن المودع أنباء القرون الخالية أو أنباء الآخرة وما وصف من عذاب الكفار ۝ مزدجر ازدجار أو موضع ازدجار والمعنى هو في نفسه موضع الازدجار ومظنة له كقوله تعالى لكم في رسول الله أسوة حسنة أي هو أسوة **وقرئ** مزجر بقلب تاء الافتعال زايا وإدغام الزاي فيها ۝ حكمة بالغة بدل من ما

او على هو حكمة وقرئ بالنصب حالا من ما فان قلت ان كانت ما موصولة ساغ لك ان تنصب حكمة
حالا فكيف تعمل ان كانت موصوفة وهو الظاهر تخصصها الصفة فيحسن نصب الحال عنها فما تغنى
النذر نفى او انكار وما منصوبة اى فاى غناء تغنى النذر فتول عنهم يوم يدع الداع الى شئ نكر
فتول عنهم لعلمك ان الانذار لا يغنى فيهم نصب يوم بيدع الداعى او بيخرجون او باضمار اذكر وقرئ
باسقاط الياء اكتفاء بالكسرة عنها والداعى اسرافيل او جبريل صلوات الله عليهما كقوله تعالى يوم
ينادى المنادى الى شئ نكر منكر فظيع تنكره النفوس لانها لم تعهد بمثله وهو هول يوم القيمة وقرئ
نكر بالتخفيف ونكر بمعنى انكر خشعا ابصارهم يخرجون من الاجداث كانهم جراد منتشر
خاشعا ابصارهم حال من الخارجين فعل للابصار وذكر كما تقول يخشع ابصارهم وقرئ خاشعة على تخشع
ابصارهم وخشعا على يخشعن ابصارهم وهى لغة من يقول اكلونى البراغيث وهم طى ويجوز ان يكون
فى خشعا ضميرهم ويقع ابصارهم بدلا عنه وقرئ خشع ابصارهم على الابتداء والخبر ومحل الجملة
النصب على الحال كقوله وجدته حاضراه الجود والكرم وخشوع الابصار كناية عن الذلة والخزى
لان ذلة الذليل وعزة العزيز تظهران فى عيونهما وقرئ يخرجون من الاجداث من القبور كانهم
جراد منتشر الجراد مثل فى الكثرة والتموج يقال فى الجيش الكثير المائج بعضه فى بعض جاؤا كالجراد
وكالدبا منتشر فى كل مكان لكثرته مهطعين الى الداع يقول الكافرون هذا يوم عسر
مهطعين الى الداع مسرعين مادى اعناقهم اليه وقيل ناظرين اليه لا يقلعون بابصارهم
قال تعبدنى نمر بن سعد وقد ارى ونمر بن سعد لى مطيع ومهطع كذبت قبلهم قوم
نوح فكذبوا عبدنا وقالوا مجنون وازدجر فدعا ربه انى مغلوب فانتصر قبلهم قبل اهل
مكة فكذبوا عبدنا يعنى نوحا عليه السلام فان قلت ما معنى قوله تعالى فكذبوا بعد قوله كذبت
قلت معناه كذبوا فكذبوا عبدنا اى كذبوه تكذيبا على عقب تكذيب كلما مضى منهم قرن مكذب
تبعه قرن مكذب او كذبت قوم نوح الرسل فكذبوا عبدنا اى لما كانوا مكذبين بالرسل جاحدين
للنبوة راسا كذبوا نوحا لانه كان من جملة الرسل مجنون هو مجنون وازدجر وانتهروه بالشتم
والضرب والوعيد بالرجم فى قولهم لتكونن من المرجومين وقيل هو من جملة قيلهم اى قالوا هو مجنون
وقد ازدجرته الجن وتخبطته وذهبت بلبه وطارت بقلبه قرئ انى بمعنى فدعا بانى وانى على
ارادة القول فدعا فقال انى مغلوب غلبنى قومى فلم يسمعوا منى واستحكم اليأس من اجابتهم لى فانتصر
فانتقم منهم بعذاب تبعثه عليهم وانما دعا بذلك بعد ما طم عليه الامر وبلغ السيل الزبى فقد روى ان
الواحد من امته كان يلقاه فيخنقه حتى يخر مغشيا عليه فيفيق وهو يقول اللهم اغفر لقومى فانهم لا يعلمون
ففتحنا ابواب السماء بماء منهمر وفجرنا الارض عيونا فالتقى الماء على امر قد قدر وقرئ ففتحنا
مخففا ومشددا وكذلك وفجرنا منهمر منصب فى كثرة وتتابع لم ينقطع اربعين يوما وفجرنا الارض
عيونا وجعلنا الارض كانها عيون تتفجر وهو ابلغ من قولك وفجرنا عيون الارض ونظيره فى النظم
واشتعل الرأس شيبا فالتقى الماء يعنى مياه الارض وقرئ الماآن اى النوعان من الماء السماوى والارضى
ونحوه قولك عندى تمران تريد ضربان من التمر برنى ومعقلى قال لنا ابلان فيهما ما علمتم
وقرأ الحسن رحمة الله عليه الماوان بقلب الهمزة واوا كقولهم علباوان على امر قد قدر على حال قد
قدرها الله عز وجل كيف شاء وقيل على حال جاءت مقدرة مستوية وهى ان قدر ما انزل

من السماء كقدر ما اخرج من الارض سواء بسواء وقيل على امر قد قدر فى اللوح انه يكون وهو هلاك قوم
نوح عليه السلام بالطوفان وحملناه على ذات الواح ودسر تجرى باعيننا جزاء لمن كان كفر على ذات
الواح ودسر اراد السفينة وهى من الصفات التى تقوم مقام الموصوفات فتنوب منابها وتؤدى
مؤداها بحيث لا يفصل بينها وبينها ونحوه ولكن قميصى مسرودة من حديد اراد ولكن قميصى
درع وكذلك ولو فى عيون النازيات باكرع اراد ولو فى عيون الجراد الا ترى انك لو جمعت بين السفينة
وبين هذه الصفة او بين الدرع والجراد وهاتين الصفتين لم يصح وهذا من فصيح الكلام وبديعه
والدسر جمع دسار وهو المسمار فعال من دسره اذا دفعه لانه يدسر به منفذه جزاء مفعول له
لما قدم من فتح ابواب السماء وما بعده اى فعلنا ذلك جزاء لمن كان كفر وهو نوح عليه السلام وجعله
مكفورا لان النبى نعمة من الله ورحمة قال الله سبحانه وتعالى وما ارسلناك الا رحمة للعالمين
وكان نوح عليه السلام نعمة مكفورة ومن هذا المعنى ما يحكى ان رجلا قال للرشيد رحمه الله الحمد لله عليك
فقال ما معنى هذا الكلام فقال انت نعمة حمدت الله عليها ويجوز ان يكون على تقدير حذف الجار
وايصال الفعل وقرأ قتادة كفر اى جزاء للكافرين وقرأ الحسن رحمة الله عليه جزاء بالكسر اى مجازاة
ولقد تركناها آية فهل من مدكر فكيف كان عذابى ونذر الضمير فى تركناها للسفينة او للفعلة
اى جعلناها آية يعتبر بها وعن قتادة ابقاها الله تعالى بارض الجزيرة وقيل على الجودى دهرا
طويلا حتى نظر اليها اوائل هذه الامة والمدكر المعتبر وقرئ مذتكر على الاصل ومذكر بقلب
التاء ذالا والادغام فيها وهذا نحو مذجر والنذر جمع نذير وهو الانذار ولقد يسرنا القرآن
للذكر فهل من مدكر ولقد يسرنا القرآن للذكر سهلناه للادكار والاتعاظ بان شحناه بالمواعظ
الشافية وصرفنا فيه من الوعد والوعيد فهل من متعظ وقيل ولقد سهلناه للحفظ واعنا عليه من اراد
حفظه فهل من طالب لحفظه ليعان عليه ويجوز ان يكون المعنى ولقد هيأناه للذكر من يسر ناقته للسفر
اذا رحلها ويسر فرسه للغزو اذا اسرجه والجمه قال
وقمت اليه باللجام ميسرا هنالك يجزينى الذى كنت اصنع ويروى ان كتب اهل الاديان
نحو التوراة والانجيل لا يتلوها اهلها الا نظرا ولا يحفظونها ظاهرا كالقرآن كذبت عاد فكيف
كان عذابى ونذر انا ارسلنا عليهم ريحا صرصرا فى يوم نحس مستمر تنزع الناس كانهم اعجاز نخل
منقعر فكيف كان عذابى ونذر ولقد يسرنا القرآن للذكر فهل من مدكر ونذر وانذارى
لهم بالعذاب قبل نزوله او وانذارى فى تعذيبهم لمن بعدهم فى يوم نحس فى يوم شوم وقرئ فى
يوم نحس كقوله عز وجل فى ايام نحسات قد استمر عليهم ودام حتى اهلكهم واستمر عليهم جميعا على
كبيرهم وصغيرهم حتى لم يبق منهم نسمة وكان فى اربعاء فى آخر الشهر لا تدور ويجوز ان يريد بالمستمر
الشديد المرارة والبشاعة تنزع الناس تقلعهم عن اماكنهم وكانوا يصطفون آخذين بعضهم بايدى بعض
ويتداخلون فى الشعاب ويحفرون الحفر فيندسون فيها فتنزعهم وتكبهم وتدق رقابهم كانهم اعجاز نخل
منقعر يعنى انهم كانوا يتساقطون على الارض امواتا وهم جثث طوال عظام كانهم اعجاز نخل وهى اصولها
بلا فروع منقعر منقلع عن مغارسه وقيل شبهوا باعجاز النخل لان الريح كانت تقطع رؤسهم فتبقى اجسادا
بلا رؤس وذكر صفة النخل على اللفظ ولو حملها على المعنى لانث كما قال تعالى اعجاز نخل خاوية كذبت ثمود
بالنذر فقالوا ابشرا منا واحدا نتبعه انا اذا لفى ضلال وسعر أءلقى الذكر عليه من بيننا

﴿بل هو كذاب أشر﴾ ﴿أبشرا منا واحدا﴾ نصب بفعل يفسره نتبعه. وقرئ أبشر منا واحد على الابتداء ونتبعه خبره والأول أوجه للاستفهام كأنهم يقولون إن لم تتبعوني كنتم في ضلال عن الحق وسعر ونيران جمع سعير فعكسوا عليه فقالوا إن اتبعناك كنا إذن كما تقول. وقيل الضلال الخطأ والبعد عن الصواب. والسعر الجنون يقال ناقة مسعورة قال:

كأن بها سعرا إذا العيس هزها ... ذميل وإرخاء من السير متعب

فإن قلت كيف أنكروا أن يتبعوا بشرا منهم واحدا قلت قالوا أبشرا إنكارا لأن يتبعوا مثلهم في الجنسية وطلبوا أن يكون من جنس أعلى من جنس البشر وهم الملائكة وقالوا منا لأنه إذا كان منهم كانت المماثلة أقوى وقالوا واحدا إنكارا لأن تتبع الأمة رجلا واحدا أو أرادوا واحدا من أفنائهم ليس بأشرفهم وأفضلهم ويدل عليه قولهم أألقي الذكر عليه من بيننا أي أنزل عليه الوحي من بيننا وفينا من هو أحق منه بالاختيار للنبوة. أشر بطر متكبر حمله بطره وشطارته وطلبه التعظم علينا على ادعاء ذلك ﴿سيعلمون غدا من الكذاب الأشر إنا مرسلو الناقة فتنة لهم فارتقبهم واصطبر﴾ سيعلمون غدا عند نزول العذاب بهم أو يوم القيامة من الكذاب الأشر أصالح أم من كذبه وقرئ ستعلمون بالتاء على حكاية ما قال لهم صالح عليه السلام مجيبا لهم أو هو كلام الله على سبيل الالتفات. وقرئ الأشر بضم الشين كقولهم حدث وحدث وحذر وحذر وأخوات لها. وقرئ الأشر وهو الأبلغ في الشرارة والأخير والأشر أصل قولهم هو خير منه وشر منه وهو أصل مرفوض. وقد حكى ابن الأنباري قول العرب هو أخير وأشر وما أخيره وما أشره. مرسلو الناقة باعثوها ومخرجوها من الهضبة كما سألوا. فتنة لهم امتحانا لهم وابتلاء. فارتقبهم فانتظرهم وتبصر ما هم صانعون واصطبر على أذاهم ولا تعجل حتى يأتيك أمري ﴿ونبئهم أن الماء قسمة بينهم كل شرب محتضر فنادوا صاحبهم فتعاطى فعقر فكيف كان عذابي ونذر﴾ قسمة بينهم مقسوم بينهم لها شرب يوم ولهم شرب يوم وإنما قال بينهم تغليبا للعقلاء محتضر محضور لهم أو للناقة. وقيل يحضرون الماء في نوبتهم واللبن في نوبتها. صاحبهم قدار بن سالف أحيمر ثمود. فتعاطى فاجترأ على تعاطي الأمر العظيم غير مكترث له فأحدث العقر بالناقة وقيل فتعاطى الناقة فعقرها أو فتعاطى السيف ﴿إنا أرسلنا عليهم صيحة واحدة فكانوا كهشيم المحتظر ولقد يسرنا القرآن للذكر فهل من مدكر﴾ صيحة واحدة صيحة جبريل عليه السلام. والهشيم الشجر اليابس المتكسر. [في الهامش: المتهشم] والمحتظر الذي يعمل الحظيرة وما يحتظر به ييبس بطول الزمان وتتوطؤه البهائم فيتحطم ويتهشم. وقرأ الحسن رحمة الله عليه بفتح الظاء وهو موضع الاحتظار أي الحظيرة ﴿كذبت قوم لوط بالنذر إنا أرسلنا عليهم حاصبا إلا آل لوط نجيناهم بسحر نعمة من كذلك نجزي من شكر﴾ [في الهامش: عندنا] حاصبا ريحا تحصبهم بالحجارة أي ترميهم. بسحر بقطع من الليل وهو السدس الأخير منه. وقيل هما سحران فالسحر الأعلى قبل انصداع الفجر والآخر عند انصداعه وأنشد:

مرت بأعلى السحرين تدأل [في الهامش: كما السحرين]

وصرف لأنه نكرة ويقال لقيته سحرا إذا لقيته في سحر يومه. نعمة إنعاما مفعول له. من شكر الله بإيمانه وطاعته ﴿ولقد أنذرهم بطشتنا فتماروا بالنذر ولقد راودوه عن ضيفه فطمسنا أعينهم فذوقوا عذابي ونذر﴾ ولقد أنذرهم لوط عليه السلام بطشتنا أخذتنا بالعذاب فتماروا فكذبوا بالنذر متشاكين فطمسنا أعينهم فمسحناها وجعلناها كسائر الوجه لا يرى لها شق. روي أنهم لما عالجوا باب لوط عليه السلام ليدخلوا قالت الملائكة خلهم يدخلوا إنا رسل ربك لن يصلوا إليك. فصفقهم جبريل عليه السلام بجناحه صفقة فتركهم يترددون لا يهتدون إلى الباب حتى أخرجهم

لوط

لوط عليه السلام. فذوقوا فقلت لهم ذوقوا على ألسنة الملائكة ﴿ولقد صبحهم بكرة عذاب مستقر فذوقوا عذابي ونذر ولقد يسرنا القرآن للذكر فهل من مدكر﴾ بكرة أول النهار وباكره كقوله تعالى مشرقين ومصبحين. وقرأ زيد بن علي رضي الله عنه بكرة غير مصروفة تقول أتيته بكرة وغدوة بالتنوين إذا أردت التنكير وبكرة وغدوة إذا عرفت وقصدت بكرة نهارك وغدوته. عذاب مستقر ثابت قد استقر عليهم إلى أن يفضي بهم إلى عذاب الآخرة فإن قلت ما فائدة تكرير قوله تعالى فذوقوا عذابي ونذر ولقد يسرنا القرآن للذكر فهل من مدكر قلت فائدته أن يجددوا عند استماع كل نبإ من أنباء الأولين ادكارا واتعاظا وأن يستأنفوا تنبها واستيقاظا إذا سمعوا الحث على ذلك والبعث عليه وأن يقرع لهم العصا مرات ويقعقع لهم الشن تارات لئلا يغلبهم السهو ولا يستولي عليهم الغفلة وهكذا حكم التكرير لقوله تعالى فبأي آلاء ربكما تكذبان عند كل نعمة عددها في سورة الرحمن وقوله تعالى ويل يومئذ للمكذبين عند كل آية أوردها في سورة والمرسلات وكذلك تكرير الأنباء والقصص في أنفسها لتكون تلك العبر حاضرة للقلوب مصورة للأذهان مذكورة غير منسية في كل أوان ﴿ولقد جاء آل فرعون النذر كذبوا بآياتنا كلها فأخذناهم أخذ عزيز مقتدر﴾ النذر موسى وهرون عليهما السلام وغيرهما من الأنبياء عليهم السلام لأنهما عرضا عليهم ما أنذر به المرسلون أو جمع نذير وهو الإنذار. بآياتنا كلها بالآيات التسع. أخذ عزيز لا يغالب. مقتدر لا يعجزه شيء ﴿أكفاركم خير من أولئكم أم لكم براءة في الزبر أم يقولون نحن جميع منتصر سيهزم الجمع ويولون الدبر﴾ أكفاركم يا أهل مكة خير من أولئكم الكفار المعدودين قوم نوح وهود وصالح ولوط عليهم السلام وآل فرعون أي أهم خير قوة وآلة ومكانة في الدنيا أو أقل كفرا وعنادا يعني أن كفاركم مثل أولئك بل شر منهم. أم أنزلت عليكم يا أهل مكة براءة في الكتب المتقدمة أن من كفر منكم وكذب الرسل كان آمنا من عذاب الله فأمنتم بتلك البراءة. نحن جميع جماعة أمرنا مجتمع. منتصر ممتنع لا نرام ولا نضام. وعن أبي جهل لعنه الله أنه ضرب فرسه يوم بدر فتقدم في الصف وقال نحن ننتصر اليوم من محمد وأصحابه فنزلت سيهزم الجمع. عن عكرمة لما نزلت هذه الآية قال عمر رضي الله عنه أي جمع يهزم فلما رأى النبي صلى الله عليه وسلم يثب في الدرع ويقول سيهزم الجمع عرفت تأويلها. ويولون الدبر أي الأدبار كما قال كلوا في بعض بطنكم. وقرئ الأدبار ﴿بل الساعة موعدهم والساعة أدهى وأمر إن المجرمين في ضلال وسعر﴾ أدهى أشد وأفظع. والداهية الأمر المنكر الذي لا يهتدى لدوائه وأمر من الهزيمة والقتل والأسر. وقرئ سنهزم الجمع. في ضلال وسعر في هلاك ونيران أو في ضلال عن الحق في الدنيا ونيران في الآخرة ﴿يوم يسحبون في النار على وجوههم ذوقوا مس سقر إنا كل شيء خلقناه بقدر وما أمرنا إلا واحدة كلمح بالبصر﴾ مس سقر كقولك وجد مس الحمى وذاق طعم الضرب لأن النار إذا أصابتهم بحرها ولحقتهم بإيلامها فكأنها تمسهم مسا بذلك كما يمس الحيوان ويباشر بما يؤذي ويؤلم. ذوقوا على إرادة القول. وسقر علم لجهنم من سقرته النار وصقرته إذا لوحته قال ذو الرمة:

إذا ذابت الشمس اتقى صقراتها ... بأفنان مربوع الصريمة معبل

وعدم صرفها للتعريف والتأنيث. كل شيء منصوب بفعل مضمر يفسره الظاهر وقرئ كل شيء بالرفع والقدر والقدر التقدير. وقرئ بهما أي خلقنا كل شيء مقدرا محكما مرتبا على حسب ما اقتضته الحكمة. أو مقدرا مكتوبا في اللوح معلوما قبل كونه قد علمنا حاله وزمانه. وما أمرنا إلا واحدة إلا كلمة واحدة

بسرعة التكوين كلمح بالبصر اراد قوله كن يعني انه اذا اراد تكوين شيء لم يلبث كونه ولقد اهلكنا اشياعكم فهل من مدكر وكل شيء فعلوه في الزبر وكل صغير وكبير مستطر ان المتقين في جنات ونهر في مقعد صدق عند مليك مقتدر اشياعكم اشباهكم في الكفر من الامم في الزبر في دواوين الحفظة وكل صغير وكبير من الاعمال ومن كل ما هو كائن مستطر مسطور في اللوح ونهر وانهار اكتفى باسم الجنس وقيل هو السعة والضياء من النهار وقرئ بسكون الهاء ونهر جمع نهر كاسد واسد في مقعد صدق في مكان مرضي وقرئ في مقاعد صدق عند مليك مقتدر مقربين عند مليك مبهم امره في الملك والاقتدار فلا شيء الا وهو تحت ملكه وقدرته فاي منزلة اكرم من تلك المنزلة واجمع للغبطة كلها والسعادة باسرها عن رسول الله عليه السلام من قرا سورة القمر في كل غب بعثه الله يوم القيامة ووجهه مثل القمر ليلة البدر والله اعلم بالصواب واليه المرجع والمآب

وقيل فيها مكية ومدنية وهي ست وسبعون آية بسم الله الرحمن الرحيم الرحمن علم القرآن خلق الانسان علمه البيان عدد الله عز وجل آلاءه فاراد ان يقدم اول شيء ما هو اسبق قدما من ضروب آلائه واصناف نعمائه وهي نعمة الدين فقدم من نعمة الدين ما هو في اعلى مراتبها واقصى مراقيها وهو انعامه بالقرآن وتنزيله وتعليمه لانه اعظم وحي الله رتبة واعلاه منزلة واحسنه في ابواب الدين اثرا وهو سنام الكتب السماوية ومصداقها والعيار عليها واخر خلق الانسان عن ذكره ثم اتبعه اياه ليعلم انه انما خلقه للدين وليحيط علما بوحيه وكتبه وما خلق الانسان من اجله وكان الغرض في انشائه كان مقدما عليه وسابقا له ثم ذكر ما تميز به من سائر الحيوان من البيان وهو المنطق الفصيح المعرب عما في الضمير والرحمن مبتدا وهذه الافعال مع ضمائرها اخبار مترادفة واخلاؤها عن العاطف لمجيئها على نمط التعديد كما تقول زيد اغناك بعد فقر اعزك بعد ذل كثرك بعد قلة فعل بك ما لم يفعل احد باحد فما تنكر من احسانه الشمس والقمر بحسبان والنجم والشجر يسجدان بحسبان بحساب معلوم وتقدير سوي يجريان في بروجهما ومنازلهما وفي ذلك منافع للناس عظيمة منها علم السنين والحساب والنجم النبات الذي ينجم من الارض لا ساق له كالبقول والشجر الذي له ساق وسجودهما انقيادهما لله عز وجل فيما خلقا له وانهما لا يمتنعان تشبيها بالساجد من المكلفين في انقياده فان قلت كيف اتصلت هاتان الجملتان بالرحمن قلت استغنى فيهما عن الوصل اللفظي بالوصل المعنوي لما علم ان الحسبان حسبانه والسجود له لا لغيره كانه قيل الشمس والقمر بحسبانه والنجم والشجر يسجدان له فان قلت كيف اخل بالعاطف في الجمل الاول ثم جيء به بعد قلت بكت بتلك الجمل الاول واردة على سنن التعديد ليكون كل واحدة من الجمل مستقلة في تقريع الذين انكروا الرحمن وآلاءه كما يبكت منكر ايادي المنعم عليه من الناس بتعديدها عليه في المثال الذي قدمته ثم رد الكلام الى منهاجه بعد التبكيت في وصل ما يجب وصله للتناسب والتقارب بالعاطف فان قلت اي تناسب بين هاتين الجملتين حتى وسط بينهما العاطف قلت ان الشمس والقمر سماويان والنجم والشجر ارضيان فبين القبيلين تناسب من حيث التقابل وان السماء والارض لا تزالان تذكران قرينتين وان جري الشمس والقمر بحسبان من جنس الانقياد لامر الله فهو مناسب لسجود النجم والشجر

ذكره

وقيل

وقيل علم القرآن جعله علامة وآية وعن ابن عباس رضي الله عنهما الانسان آدم عليه السلام وعنه محمد صلى الله عليه وسلم وعن مجاهد النجم نجوم السماء والسماء رفعها ووضع الميزان الا تطغوا في الميزان والسماء رفعها خلقها مرفوعة مسموكة حيث جعلها منشا احكامه ومصدر قضاياه ومتنزل اوامره ونواهيه ومسكن ملائكته الذين يهبطون بالوحي على انبيائه ونبه بذلك على كبرياء شانه وملكه وسلطانه ووضع الميزان وفي قراءة عبد الله وخفض الميزان واراد به كل ما يوزن به الاشياء وتعرف مقاديرها من ميزان وقرسطون ومكيال ومقياس اي خلقه موضوعا مخفوضا على الارض حيث علق به احكام عباده وقضاياهم وما تعبدهم به من التسوية والتعديل في اخذهم واعطائهم الا تطغوا لئلا تطغوا او هي ان المفسرة وقرا عبد الله لا تطغوا بغير ان على ارادة القول واقيموا الوزن بالقسط ولا تخسروا الميزان واقيموا الوزن بالقسط وقوموا وزنكم بالعدل ولا تخسروا الميزان ولا تنقصوه امر بالتسوية ونهى عن الطغيان الذي هو اعتداء وزيادة وعن الخسران الذي هو تطفيف ونقصان وكرر لفظ الميزان تشديدا للتوصية به وتقوية للامر باستعماله والحث عليه وقرئ والسماء بالرفع ولا تخسروا بفتح التاء وضم السين وكسرها وفتحها يقال خسر الميزان يخسره ويخسره واما الفتح فعلى ان الاصل ولا تخسروا في الميزان فحذف الجار واوصل الفعل والارض وضعها للانام فيها فاكهة والنخل ذات الاكمام والحب ذو العصف والريحان فباي آلاء ربكما تكذبان وضعها خفضها مدحوة على الماء للانام للخلق وهو كل ما على ظهر الارض من دابة وعن الحسن رحمه الله عليه الانس والجن فهي كالمهاد لهم يتصرفون فوقها فاكهة ضروب مما يتفكه به والاكمام كل ما يكم اي يغطي من ليفة وسعفة وكفراة وكله منتفع به كما ينتفع بالمكموم من ثمره وجماره وجذوعه وقيل الاكمام اوعية الثمر الواحد كم بكسر الكاف والعصف ورق الزرع وقيل التبن والريحان الرزق وهو اللب اراد فيها ما يتلذذ به من الفواكه والجامع بين التلذذ والتغذي وهو ثمر النخل وما يتغذى به وهو الحب وقرئ والريحان بالكسر ومعناه والحب ذو العصف الذي هو علف الانعام والريحان الذي هو مطعم الناس وبالضم على وذو الريحان فحذف المضاف واقيم المضاف اليه مقامه وقيل معناه وفيها الريحان الذي يشم وفي مصاحف اهل الشام والحب ذا العصف والريحان اي وخلق الحب والريحان او واخص الحب والريحان ويجوز ان يراد وذا الريحان فيحذف المضاف ويقام المضاف اليه مقامه والخطاب في ربكما تكذبان للثقلين بدلالة الانام عليهما وقوله سنفرغ لكم ايها الثقلان خلق الانسان من صلصال كالفخار وخلق الجان من مارج من نار فباي آلاء ربكما تكذبان الصلصال الطين اليابس له صلصلة والفخار الطين المطبوخ بالنار وهو الخزف فان قلت قد اختلف التنزيل في هذا وذلك قوله عز وجل من حما مسنون من طين لازب من تراب هو متفق في المعنى ومفيد انه خلقه من تراب جعله طينا ثم حما مسنونا ثم صلصالا والجان ابو الجن وقيل هو ابليس والمارج اللهب الصافي الذي لا دخان فيه وقيل المختلط بسواد النار من مرج الشيء اذا اضطرب واختلط فان قلت فما معنى قوله من نار قلت هو بيان لمارج كانه قيل من صاف من نار او مختلط من نار او اراد من نار مخصوصة كقوله تعالى فانذرتكم نارا تلظى رب المشرقين ورب المغربين فباي آلاء ربكما تكذبان قرئ رب المشرقين ورب المغربين بالجر بدلا من ربكما واراد مشرقي الصيف والشتاء ومغربيهما مرج البحرين يلتقيان بينهما برزخ لا يبغيان فباي آلاء ربكما تكذبان قرئ يخرج ويخرج من اخرج وخرج ويخرج اي الله عز وجل اللؤلؤ والمرجان بالنصب ويخرج

فيه

بالنون • واللؤلؤ الدر • والمرجان هذا الخرز الاحمر وهو البسذ • وقيل اللؤلؤ كبار الدر • والمرجان صغاره
فان قلت لم قال منهما وانما تخرجان من الملح **قلت** لما التقيا وصارا كالشئ الواحد جاز ان يقال
تخرجان منهما كما يقال تخرجان من البحر ولا تخرجان من جميع البحر ولكن من بعضه وتقول خرجت من البلد
وانما خرجت من محلة من محاله بل من دار واحدة من دوره • وقيل لا تخرجان الا من ملتقى الملح والعذب
ولة الجوار المنشآت في البحر كالاعلام فباى آلاء ربكما تكذبان • الجوارى السفن **وقرى** الجوار
بحذف الياء ورفع الراء • ونحوه • لها ثنايا اربع حسان • واربع فكلها ثمان • والمنشآت المرفوعات
الشرع • وقرى بكسر الشين وهى الرافعات الشرع او اللاتى ينشئن الامواج بجريهن • والاعلام جمع
علم وهو الجبل الطويل كل من عليها فان ويبقى وجه ربك ذو الجلال والاكرام فباى آلاء ربكما
تكذبان • عليها على الارض وجه ربك ذاته والوجه يعبر به عن الجملة والذات • ومساكين مكة يقولون
اى وجه عربى كريم ينقذنى من الهوان • وذو الجلال والاكرام صفة الوجه **وقرا** عبد الله ذى على صفة
ربك ومعناه الذى يجله الموحدون عن التشبيه بخلقه وعن افعالهم • او الذى يقال له ما اجلك
واكرمك • او من عنده الجلال والاكرام للمخلصين من عباده وهذه الصفة من عظيم صفات الله •
ولقد قال رسول الله صلى الله عليه وسلم الظوا بيا ذا الجلال والاكرام • وعنه عليه السلام انه
مر برجل وهو يصلى ويقول يا ذا الجلال والاكرام فقال قد استجيب لك **فان قلت** ما النعمة
فى ذلك اعظم النعمة وهو وقت الجزاء عقيب ذلك يسأله من فى السموات والارض كل يوم
هو فى شأن فباى آلاء ربكما تكذبان • كل من اهل السموات والارض مفتقرون اليه فيسأله اهل
السموات ما يتعلق بدينهم واهل الارض ما يتعلق بدينهم ودنياهم • كل يوم هو فى شأن اى كل وقت
وحين يحدث امورا ويجدد احوالا كما روى عن رسول الله عليه السلام انه تلاها فقيل له وما ذلك
الشأن فقال من شأنه ان يغفر ذنبا ويفرج كربا ويرفع قوما ويضع آخرين • وعن ابن عيينة رضى الله عنه
الدهر عند الله يومان • احدهما اليوم الذى هو مدة الدنيا فشأنه فيه الامر والنهى والاماتة والاحياء
والاعطاء والمنع • والآخر يوم القيمة فشأنه فيه الجزاء والحساب • وقيل نزلت فى اليهود لعنهم الله حين قالوا
ان الله لا يقضى يوم السبت شيئا • وسأل بعض الملوك وزيره عنها فاستمهله الى الغد وذهب كئيبا
يفكر فيها فقال غلام له اسود يا مولاى اخبرنى ما اصابك لعل الله يسهل لك على يدى فاخبره فقال
انا افسرها للملك فاعلمه فقال ايها الملك شأن الله انه يولج الليل فى النهار ويولج النهار فى الليل ويخرج
الحى من الميت ويخرج الميت من الحى ويشفى سقيما ويسقم سليما ويبتلى معافى ويعافى مبتلى • ويعز ذليلا ويذل
عزيزا • ويفقر غنيا ويغنى فقيرا فقال الامير احسنت وامر الوزير ان يخلع عليه ثياب الوزارة فقال يا
مولاى هذا من شأن الله • وعن عبد الله بن طاهر انه دعا الحسين بن الفضل وقال له اشكلت على ثلاث
آيات دعوتك لتكشفها لى قوله تعالى فاصبح من النادمين وقد صح ان الندم توبة • وقوله تعالى كل يوم
هو فى شأن وصح ان القلم جف بما هو كائن الى يوم القيمة • وقوله تعالى وان ليس للانسان الا ما سعى فما
بال الاضعاف فقال الحسين يجوز ان لا يكون الندم توبة فى تلك الامة ويكون توبة فى هذه الامة لان
الله عز وجل خص هذه الامة بخصائص لم يشاركهم فيها الامم • وقيل ان ندم قابيل لم يكن على قتل هابيل
عليه السلام ولكن على حمله • واما قوله تعالى وان ليس للانسان الا ما سعى فمعناه ليس له الا ما سعى عدلا
ولى ان اجزيه بواحدة الفا فضلا • واما قوله تعالى كل يوم هو فى شأن فانها شؤون يبديها لا شؤون

الوجه يعبر به عن الجملة والذات

يجئ م

يبتدئها فقام عبد الله وقبل رأسه وسوغ خراجه سنفرغ لكم ايها الثقلان فباى آلاء ربكما تكذبان •
سنفرغ لكم مستعار من قول الرجل لمن يتهدده سافرغ لك يريد ساتجرد للايقاع بك من كل ما يشغلنى عنه
حتى لا يكون لى شغل سواه والمراد التوفر على النكاية فيه والانتقام منه • ويجوز ان يراد ستنتهى الدنيا
وتبلغ آخرها وتنتهى عند ذلك شؤون الخلق التى ارادها بقوله تعالى كل يوم هو فى شأن فلا يبقى الا شأن
واحد وهو جزاؤكم فجعل ذلك فراغا لهم على طريق المثل **وقرى** سيفرغ لكم اى الله تعالى • وسافرغ لكم
وسنفرغ بالنون مفتوحا ومكسورا وبفتح الراء • وسيفرغ بالياء مفتوحا ومضموما مع فتح الراء • وفى
قراءة ابى رضى الله عنه سنفرغ اليكم بمعنى سنقصد اليكم • والثقلان الانس والجن سميا بذلك لانهما
ثقلا الارض يا معشر الجن والانس ان استطعتم ان تنفذوا من اقطار السموات والارض فانفذوا
لا تنفذون الا بسلطان فباى آلاء ربكما تكذبان • يا معشر الجن والانس كالترجمة لقوله ايها الثقلان
ان استطعتم ان تهربوا من قضائى وتخرجوا من ملكوتى ومن سمائى وارضى فافعلوا • ثم قال لا تقدرون على
النفوذ الا بسلطان يعنى بقوة وقهر وغلبة وانى لكم ذلك • ونحوه وما انتم بمعجزين فى الارض ولا فى السماء
وروى ان الملائكة تنزل فتحيط بجميع الخلائق فاذا رآهم الجن والانس هربوا فلا يأتون وجها
الا وجدوا الملائكة احاطت به يرسل عليكما شواظ من نار ونحاس فلا تنتصران فباى آلاء ربكما
تكذبان • شواظ ونحاس كلاهما بالضم والكسر • والشواظ اللهب الخالص • والنحاس الدخان
وانشد • تضئ كضوء سراج السليط لم يجعل الله فيه نحاسا • وقيل الصفر المذاب يصب على رؤسهم
وعن ابن عباس رضى الله عنهما اذا خرجوا من قبورهم ساقهم شواظ الى المحشر • وقرى ونحاس بالرفع
عطفا على شواظ وبالجر عطفا على نار • وقرى ونحس جمع نحاس وهو الدخان نحو لحاف ولحف • وقرى ونحس
اى ونقتل بالعذاب • وقرى نرسل عليكما شواظا من نار ونحاسا فلا تنتصران فلا تمتنعان فاذا
انشقت السماء فكانت وردة كالدهان فباى آلاء ربكما تكذبان • وردة حمراء كالدهان
كدهن الزيت كما قال كالمهل وهو دردى الزيت وهو جمع دهن او اسم ما يدهن به كالحزام والادام
قال الشاعر • كانهما مزادتا متعجل • فريان لما تدهنا بدهان • وقيل الدهان الاديم الاحمر
وقرا عمرو بن عبيد وردة بالرفع بمعنى فحصلت سماء وردة وهو من الكلام الذى يسمى التجريد **كقوله**
• فلئن بقيت لارحلن بغزوة • تحوى الغنائم او يموت كريم • فيومئذ لا يسأل عن ذنبه انس
ولا جان فباى آلاء ربكما تكذبان • انس بعض من الانس وجان اريد به ولا جان اى ولا بعض من
الجن فوضع الجان الذى هو ابو الجن موضع الجن كما يقال هاشم ويراد ولده وانما وحد ضمير الانس
فى قوله تعالى عن ذنبه لكونه فى معنى البعض لا يسألون لانهم يعرفون بسيما المجرمين وهى سواد الوجوه
وزرقة العيون **فان قلت** هذا خلاف قوله تعالى فوربك لنسألنهم اجمعين وقوله وقفوهم
انهم مسئولون ذلك يوم طويل وفيه مواطن يسألون فى مواطن ولا يسألون فى اخرى • قال
قتادة قد كانت مسئلة ثم ختم على افواه القوم وتكلمت ايديهم وارجلهم بما كانوا يعملون • وقيل لا يسأل عن ذنبه
ليعلم من جهته ولكن يسأل سؤال توبيخ • وقرا الحسن وعمرو بن عبيد رحمة الله عليهما ولا جأن فرارا من
التقاء الساكنين وان كان على حده يعرف المجرمون بسيماهم فيؤخذ بالنواصى والاقدام فباى آلاء
ربكما تكذبان • فيؤخذ بالنواصى والاقدام عن الضحاك يجمع بين ناصيته وقدمه فى سلسلة من
وراء ظهره • وقيل تسحبهم الملائكة تارة تأخذ بالنواصى وتارة بالاقدام هذه جهنم التى يكذب بها

المجرمون يطوفون بينها وبين حميم آن فبأي آلاء ربكما تكذبان • حميم آن ماء حار قد انتهى حره ونضجه اي يعاقب عليهم بين التصلية بالنار وبين شرب الحميم • وقيل اذا استغاثوا من النار جعل غياثهم الحميم وقيل ان واديا من اودية جهنم يجتمع فيه صديد اهل النار فينطلق بهم في الاغلال فيغمسون فيه حتى تنخلع اوصالهم ثم يخرجون منها وقد احدث الله تعالى لهم خلقا جديدا وقرئ يطوفون من التطويف • ويطّوّفون اي يتطوّفون ويطافون • وفي قراءة عبد الله هذه جهنم التي كنتما بها تكذبان تصليان لا تموتان فيها ولا تحييان يطوفون • ونعمة الله فيما ذكره من هول العذاب نجاة الناجي منه برحمته وفضله وما في الانذار به من اللطف • ولمن خاف مقام ربه جنتان فبأي آلاء ربكما تكذبان • مقام ربه موقفه الذي يقف فيه العباد للحساب يوم القيمة • يوم يقوم الناس لرب العالمين • ونحوه ذلك لمن خاف مقامي • ويجوز ان يراد بمقام ربه ان الله قائم عليه اي حافظ مهيمن من قوله عز وعلا افمن هو قائم على كل نفس بما كسبت فهو يراقب ذلك فلا يجسر على معصيته • وقيل هو مقحم كما تقول اخاف جانب فلان وفعلت هذا لمكانك وانشد ذعرت به القطا ونفيت عنه • مقام الذئب كالرجل اللعين • يريد نفيت عنه الذئب • فان قلت لم قال جنتان قلت الخطاب للثقلين فكانه قيل لكل خائفين منكما جنتان جنة للخائف الانسي وجنة للخائف الجني • ويجوز ان يقال جنة لفعل الطاعات وجنة لترك المعاصي لان التكليف دائر عليهما • وان يقال جنة يثاب بها واخرى تضم اليها على وجه التفضل كقوله تعالى وزيادة • ذواتا افنان فبأي آلاء ربكما تكذبان • فيهما عينان تجريان فبأي آلاء ربكما تكذبان • فيهما من كل فاكهة زوجان فبأي آلاء ربكما تكذبان • خص الافنان بالذكر وهي الغصنة التي تتشعب من فروع الشجرة لانها هي التي تورق وتثمر فمنها تمتد الظلال ومنها تجتنى الثمار • وقيل الافنان الوان النعم ما تشتهي الانفس وتلذ الاعين قال •

ومن كل افنان اللذاذة والصبا • لهوت به والعيش اخضر ناضر •

عينان تجريان حيث شاؤا في الاعالي والاسافل • وقيل تجريان من جبل من مسك • وعن الحسن رحمه الله تجريان بالماء الزلال احديهما التسنيم والاخرى السلسبيل • زوجان صنفان • قيل صنف معروف وصنف غريب • متكئين على فرش بطائنها من استبرق وجنى الجنتين دان فبأي آلاء ربكما تكذبان • فيهن قاصرات الطرف لم يطمثهن انس قبلهم ولا جان فبأي آلاء ربكما تكذبان • كانهن الياقوت والمرجان فبأي آلاء ربكما تكذبان • متكئين نصب على المدح للخائفين او حال منهم لان من خاف في معنى الجمع • بطائنها من استبرق من ديباج ثخين واذا كانت البطائن من استبرق فما ظنكم بالظهائر وقيل ظهائرها من سندس • وقيل من نور • دان قريب يناله القائم والقاعد والنائم وقرئ وجنى بكسر الجيم • فيهن في هذه الآلاء المعدودة من الجنتين والعينين والفاكهة والفرش والجنى • او في الجنتين لاشتمالهما على اماكن وقصور ومجالس قاصرات الطرف نساء قصرن ابصارهن على ازواجهن لا ينظرن الى غيرهم • لم يطمث الانسيات منهن احد من الانس ولا الجنيات احد من الجن وهذا دليل على ان الجن يطمثون كما يطمث الانس وقرئ لم يطمثهن بضم الميم • قيل هن في صفاء الياقوت وبياض المرجان وصغار الدر انصع بياضا • قيل ان الحوراء تلبس سبعين حلة فيرى مخ ساقها من ورائها كما يرى الشراب الاحمر في الزجاجة البيضاء • هل جزاء الاحسان الا الاحسان فبأي آلاء ربكما تكذبان ومن دونهما جنتان فبأي آلاء ربكما تكذبان • مدهامتان فبأي آلاء ربكما تكذبان • هل

جزاء

جزاء الاحسان في العمل الا الاحسان في الثواب • وعن محمد بن الحنفية رضي الله عنه هي مسجلة للبر والفاجر اي مرسلة يعني ان كل من احسن احسن اليه وكل من اساء اسيء اليه • ومن دونهما ومن دون تينك الجنتين الموعودتين للمقربين جنتان لمن دونهم من اصحاب اليمين • مدهامتان قد ادهامتا من شدة الخضرة فيهما عينان نضاختان فبأي آلاء ربكما تكذبان • فيهما فاكهة ونخل ورمان فبأي آلاء ربكما تكذبان • نضاختان فوارتان بالماء • والنضخ اكثر من النضح لان النضح غير معجمة مثل الرش فان قلت لم عطف النخل والرمان على الفاكهة وهما منها اختصاصا لهما وبيانا لفضلهما كانهما لما لهما من المزية جنسان آخران كقوله تعالى جبريل وميكال • او لان النخل ثمره فاكهة وطعام • والرمان فاكهة ودواء فلم يخلصا للتفكه • ومنه قال ابو حنيفة رحمة الله عليه اذا حلف لا يأكل فاكهة فاكل رمانا او رطبا لم يحنث وخالفه صاحباه • خيرات خيّرات فخففت كقوله صلى الله عليه وسلم هينون لينون • واما خير الذي هو بمعنى اخير فلا يقال فيه خيرون ولا خيرات وقرئ خيّرات على الاصل والمعنى فاضلات الاخلاق حسان الخلق حور مقصورات في الخيام فبأي آلاء ربكما تكذبان • لم يطمثهن انس قبلهم ولا جان فبأي آلاء ربكما تكذبان • مقصورات قصرن في خدورهن يقال امرأة قصيرة وقصورة ومقصورة مخدرة • وقيل ان الخيمة من درة مجوفة • قبلهم قبل اصحاب الجنتين دل عليهم ذكر الجنتين متكئين على رفرف خضر وعبقري حسان • فبأي آلاء ربكما تكذبان • تبارك اسم ربك ذي الجلال والاكرام • متكئين نصب على الاختصاص • والرفرف ضرب من البسط • وقيل البسط وقيل الوسائد • وقيل كل ثوب عريض رفرف • وقيل لاطراف البسط وفضول الفسطاط رفارف • ورفرف السحاب هيدبه • والعبقري منسوب الى عبقر تزعم العرب انه بلد الجن فينسبون اليه كل شيء عجيب وقرئ رفارف خضر بضمتين • وعباقري كمدائني نسبة الى عباقر في اسم البلد • وروى ابو حاتم عباقري بفتح القاف ومنع الصرف وهذا لا وجه لصحته فان قلت كيف تقاصرت صفات هاتين الجنتين عن الاوليين حتى قيل ومن دونهما مدهامتان دون ذواتا افنان ونضاختان دون تجريان • وفاكهة دون كل فاكهة وكذلك صفة الحور والمتكأ وقرئ ذو الجلال صفة للاسم عن رسول الله صلى الله عليه وسلم من قرأ سورة الرحمن ادى شكر ما انعم الله عليه

بسم الله الرحمن الرحيم اذا وقعت الواقعة ليس لوقعتها كاذبة خافضة رافعة • وقعت الواقعة كقولك كانت الكائنة وحدثت الحادثة والمراد القيمة وصفت بالوقوع لانها تقع لا محالة فكانه قيل اذا وقعت التي لا بد من وقوعها ووقوع الامر نزوله يقال وقع ما كنت اتوقعه اي نزل ما كنت اترقب نزوله فان قلت بم انتصب اذا قلت بليس كقولك يوم الجمعة ليس لي شغل او بمحذوف يعني اذا وقعت كان كيت وكيت • او باضمار اذكر • كاذبة نفس كاذبة اي لا تكون حين تقع نفس تكذب على الله وتكذب في تكذيب الغيب لان كل نفس حينئذ مؤمنة صادقة مصدقة واكثر النفوس اليوم كواذب مكذبات كقوله عز وجل فلما رأوا بأسنا قالوا آمنا بالله وحده • لا يؤمنون به حتى يروا العذاب الاليم • ولا يزال الذين كفروا في مرية منه حتى تأتيهم الساعة بغتة • واللام مثلها في قوله سبحانه وتعالى يا ليتني قدمت لحيوتي • او ليس لها نفس تكذبها وتقول لها لم تكوني كما لها اليوم نفوس كثيرة يكذبنها

يقلن لها لن تكوني، أو هي من قولهم كذبت فلانا نفسه في الخطب العظيم إذا شجعته على مباشرته وقالت له إنك
تطيقه وما فوقه فتعرض له ولا تبال به على معنى أنها وقعة لا تطاق شدة وفظاعة وأن لا نفس حينئذ تحدث
صاحبها بما تحدثه به عند عظائم الأمور وتزين له احتمالها وإطاقتها لأنهم يومئذ أضعف من ذلك وأذل
ألا ترى إلى قوله تعالى كالفراش المبثوث والفراش مثل في الضعف وقيل كاذبة مصدر كالعاقبة
بمعنى التكذيب من قولك حمل على قرنه فما كذب أي فما جبن وحقيقته فما كذب نفسه فيما حدثته به
من إطاقته له وإقدامه عليه **قال زهير** إذا ما الليث كذب عن أقرانه صدقا أي إذا وقعت
لم تكن لها رجعة ولا ارتداد خافضة رافعة على هي خافضة رافعة ترفع أقواما وتضع آخرين
إما وصفا لها بالشدة لأن الواقعات العظام كذلك يرتفع فيها ناس إلى مراتب ويتضع ناس وإما
لأن الأشقياء يحطون إلى الدركات والسعداء يرفعون إلى الدرجات وإما أنها تزلزل الأشياء
وتزيلها عن مقارها فتخفض بعضا وترفع بعضا حيث تسقط السماء كسفا وتنتثر الكواكب وتنكدر وتسير
الجبال فتمر في الجو مر السحاب **وقرئ** خافضة رافعة بالنصب على الحال إذا رجت الأرض رجا
وبست الجبال بسا فكانت هباء منبثا وكنتم أزواجا ثلاثة رجت حركت تحريكا شديدا حتى
ينهدم كل شيء فوقها من جبل وبناء وبست الجبال وفتت حتى تعود كالسويق أو سيقت من بس
الغنم إذا ساقها كقوله تعالى وسيرت الجبال منبثا متفرقا وقرئ بالتاء أي منقطعا وقرئ
رجت وبست أي ارتجت وذهبت وفي كلام بنت الخس عينها هاج وصلاها راج وهي تمشي
وتفاج **فإن قلت** بم انتصب إذا رجت **قلت** هو بدل من إذا وقعت ويجوز أن ينتصب
بخافضة رافعة أي تخفض وترفع وقت رج الأرض وبس الجبال لأنه عند ذلك ينخفض ما هو مرتفع
ويرتفع ما هو منخفض أزواجا أصنافا يقال للأصناف التي بعضها مع بعض أو يذكر بعضها مع بعض
أزواج فأصحاب الميمنة ما أصحاب الميمنة وأصحاب المشأمة ما أصحاب المشأمة فأصحاب الميمنة
الذين يؤتون صحائفهم بأيمانهم وأصحاب المشأمة الذين يؤتونها بشمائلهم أو أصحاب المنزلة السنية
وأصحاب المنزلة الدنية من قولك فلان مني باليمين وفلان مني بالشمال إذا وصفتهما بالرفعة
عندك والضعة وذلك لتيمنهم بالميامن وتشاؤمهم بالشمائل ولتفؤلهم بالسانح وتطيرهم من
البارح ولذلك اشتقوا لليمين الاسم من اليمن وسموا الشمال الشؤمى وقيل أصحاب الميمنة وأصحاب
المشأمة أصحاب اليمن والشؤم لأن السعداء ميامين على أنفسهم بطاعتهم والأشقياء مشائيم عليها
بمعصيتهم وقيل يؤخذ بأهل الجنة ذات اليمين وبأهل النار ذات الشمال والسابقون السابقون
أولئك المقربون في جنات النعيم ثلة من الأولين وقليل من الآخرين والسابقون المخلصون
الذين سبقوا إلى ما دعاهم الله إليه وشقوا الغبار في طلب مرضاة الله تعالى وقيل الناس ثلاثة فرجل
ابتكر الخير في حداثة سنه ثم داوم عليه حتى خرج من الدنيا فهذا السابق المقرب ورجل ابتكر عمره
بالذنب وطول الغفلة ثم تراجع بتوبة فهذا صاحب اليمين ورجل ابتكر الشر في حداثة سنه ثم لم يزل
عليه حتى خرج من الدنيا فهذا صاحب الشمال ما أصحاب الميمنة وما أصحاب المشأمة تعجيب من حال
الفريقين في السعادة والشقاوة والمعنى أي شيء هم والسابقون السابقون يريد والسابقون
من عرفت حالهم وبلغك وصفهم كقوله وعبد الله عبد الله **وقول** أبي النجم وشعري شعري
كأنه قال وشعري ما انتهى إليك وسمعت بفصاحته وبراعته وقد جعل السابقون تأكيدا وأولئك

المقربون

المقربون خبرا وليس بذاك ووقف بعضهم على والسابقون وابتدأ السابقون أولئك المقربون والصواب أن
يوقف على الثاني لأنه تمام الجملة وهو في مقابلة ما أصحاب الميمنة وما أصحاب المشأمة المقربون في جنات
النعيم الذين قربت درجاتهم في الجنة من العرش وأعليت مراتبهم وقرئ في جنة النعيم الثلة الأمة
من الناس الكثيرة **قال** وجاءت إليهم ثلة خندفية بجيش كتيار من السيل مزبد وقوله تعالى
وقليل من الآخرين كفى به دليلا على الكثرة وهي من الثل وهو الكسر كما أن الأمة من الأم وهو الشج كأنها
جماعة كسرت من الناس وقطعت منهم والمعنى أن السابقين كثير من الأولين وهم الأمم من لدن آدم إلى محمد
صلى الله عليه وسلم وقليل من الآخرين وهم أمة محمد صلى الله عليه وسلم وقيل من الأولين من متقدمي
هذه الأمة ومن الآخرين من متأخريها وعن النبي صلى الله عليه وسلم الثلتان جميعا من أمتي **فإن قلت**
كيف قال وقليل من الآخرين ثم قال وثلة من الآخرين **قلت** هذا في السابقين وذلك في أصحاب اليمين
وأنهم يتكاثرون من الأولين والآخرين جميعا فإن قلت فقد روي أنها لما نزلت شق ذلك على المسلمين
فما زال رسول الله عليه السلام يراجع ربه عز وجل حتى نزلت ثلة من الأولين وثلة من الآخرين قلت هذا
لا يصح لأمرين أحدهما أن هذه الآية واردة في السابقين ورودا ظاهرا وكذلك الثانية في أصحاب
اليمين ألا ترى كيف عطف أصحاب اليمين ووعدهم على السابقين ووعدهم والثاني أن النسخ في الأخبار
غير جائز وعن الحسن رحمة الله عليه سابقو الأمم أكثر من سابقي أمتنا وتابعو الأمم مثل تابعي هذه
الأمة وثلة خبر مبتدأ محذوف أي هم ثلة على سرر موضونة متكئين عليها متقابلين موضونة
مرمولة بالذهب مشبكة بالدر والياقوت قد دوخل بعضها في بعض كما توضن حلق الدرع **قال**
الأعشى ومن نسج داود موضونة وقيل متواصلة أدني بعضها من بعض متكئين حال من الضمير في
على وهو العامل فيها أي استقروا عليها متكئين متقابلين لا ينظر بعضهم في أقفاء بعض وصفوا بحسن
العشرة وتهذيب الأخلاق والآداب يطوف عليهم ولدان مخلدون بأكواب وأباريق وكأس من
معين لا يصدعون عنها ولا ينزفون مخلدون مبقون أبدا على شكل الولدان وحد الوصافة لا
يتحولون عنه وقيل مقرطون والخلدة القرط وقيل هم أولاد أهل الدنيا لم تكن لهم حسنات فيثابوا
عليها ولا سيئات فيعاقبوا عليها روي عن علي رضي الله عنه وعن الحسن رحمة الله عليه وفي الحديث
أولاد الكفار خدام أهل الجنة الأكواب أوان بلا عرى وخراطيم والأباريق ذوات الخراطيم
لا يصدعون عنها أي بسببها وحقيقته لا يصدر صداعهم عنها أو لا ينزفون عنها **وقرأ** مجاهد
لا يصدعون بمعنى لا يتصدعون لا يتفرقون كقوله عز وجل يومئذ يصدعون ويصدعون
أي لا يصدع بعضهم بعضا لا يفرقونهم وفاكهة مما يتخيرون ولحم طير مما يشتهون وحور
عين كأمثال اللؤلؤ المكنون جزاء بما كانوا يعملون يتخيرون يأخذون خيره وأفضله يشتهون
يتمنون **وقرئ** ولحوم طير وقرئ وحور عين بالرفع على وفيها حور عين كبيت الكتاب
إلا رواكد جمرهن هباء ومشجج أو للعطف على ولدان وبالجر عطفا على جنات النعيم كأنه قال هم في جنات
وفاكهة ولحم وحور أو على أكواب لأن معنى يطوف عليهم ولدان مخلدون بأكواب ينعمون بأكواب
وبالنصب على ويؤتون حورا جزاء مفعول له أي يفعل بهم ذلك كله جزاء بأعمالهم لا يسمعون فيها
لغوا ولا تأثيما إلا قيلا سلاما سلاما سلاما سلاما إما بدل من قيلا بدليل قوله تعالى لا يسمعون
فيها لغوا إلا سلاما وإما مفعول به لقيلا بمعنى لا يسمعون فيها إلا أن يقولوا سلاما سلاما

بادت وغير آيهن مع البلى إلا رواكد جمرهن هباء
ومشجج أما سواء قذاله فبدا وغيب ساره المعزاء
أراد بالرواكد الأثافي ... ومشجج وتد ...
معطوف على رواكد في المعنى

والمعنى انهم يفشون السلام بينهم فيسلمون سلاما بعد سلام • وقرئ سلام سلام على الحكاية • واصحاب اليمين ما اصحاب اليمين • في سدر مخضود • وطلح منضود • وظل ممدود • وماء مسكوب • السدر شجر النبق • والمخضود الذي لا شوك له كانما خضد شوكه • وعن مجاهد الموقر الذي تثني اغصانه كثرة حمله من خضد الغصن اذا ثناه وهو رطب • والطلح شجر الموز • وقيل هو شجر ام غيلان وله نور كثير طيب الرائحة وعن السدي شجر يشبه طلح الدنيا ولكن له ثمر احلى من العسل • وعن علي بن ابي طالب رضي الله عنه انه قرا وطلع وما شان الطلح وقرا قوله لها طلع نضيد فقيل او نحولها فقال اي القران لا تهاج اليوم ولا تحول • وعن ابن عباس رضي الله عنهما نحوه • والمنضود الذي نضد بالحمل من اسفله الى اعلاه فليست له ساق بارزة • وظل ممدود ممتد منبسط لا يتقلص كظل ما بين طلوع الفجر وطلوع الشمس مسكوب يسكب لهم اين شاءوا وكيف شاءوا لا يتعنون فيه • وقيل دائم الجرية لا ينقطع • وقيل مصبوب يجري على الارض في غير اخدود • وفاكهة كثيرة • لا مقطوعة ولا ممنوعة • لا مقطوعة هي دائمة لا تنقطع في بعض الاوقات كفواكه الدنيا • ولا ممنوعة لا تمنع عن متناولها بوجه ولا يحظر عليها كما يحظر على بساتين الدنيا وقرئ وفاكهة كثيرة بالرفع على وهناك فاكهة كقوله تعالى وحور عين • وفرش مرفوعة • انا انشاناهن انشاء • فجعلناهن ابكارا • عربا اترابا • لاصحاب اليمين • ثلة من الاولين • وثلة من الاخرين • وفرش جمع فراش وقرئ وفرش بالتخفيف • مرفوعة نضدت حتى ارتفعت • او مرفوعة على الاسرة • وقيل هي النساء لان المراة يكنى عنها بالفراش مرفوعة على الارائك قال الله سبحانه وتعالى هم وازواجهم في ظلال على الارائك متكئون ويدل عليه قوله انا انشاناهن انشاء • وعلى التفسير الاول اضمر لهن لان ذكر الفرش وهي المضاجع دل عليهن • انشاناهن انشاء ابتدانا خلقهن ابتداء جديدا من غير ولادة • واما ان يراد اللاتي ابتدئ انشاؤهن او اللاتي اعيد انشاؤهن • وعن رسول الله صلى الله عليه وسلم ان ام سلمة رضي الله عنها سالته عن قول الله عز وجل انا انشاناهن فقال يا ام سلمة هن اللواتي قبضن في دار الدنيا عجائز شمطا رمصا جعلهن الله بعد الكبر اترابا على ميلاد واحد في الاستواء كلما اتاهن ازواجهن وجدوهن ابكارا فلما سمعت ام المؤمنين عائشة رضي الله عنها ذلك قالت واوجعاه فقال رسول الله عليه السلام ليس هناك وجع • وقالت عجوز لرسول الله صلى الله عليه وسلم ادع الله ان يدخلني الجنة فقال ان الجنة لا تدخلها العجائز فولت وهي تبكي فقال عليه السلام اخبروها انها ليست يومئذ بعجوز وقرا الاية • عربا وعربا بالتخفيف جمع عروب وهي المتحببة الى زوجها الحسنة التبعل اترابا مستويات في السن بنات ثلث وثلاثين وازواجهن ايضا كذلك • عن رسول الله صلى الله عليه وسلم يدخل اهل الجنة الجنة جردا مردا بيضا جعادا مكحلين ابناء ثلاث وثلاثين • واللام في لاصحاب اليمين من صلة انشانا وجعلنا • واصحاب الشمال ما اصحاب الشمال • في سموم وحميم • وظل من يحموم • لا بارد ولا كريم • انهم كانوا قبل ذلك مترفين • وكانوا يصرون على الحنث العظيم • في سموم في حر نار ينفذ في المسام • وحميم وماء حار متناه في الحرارة • وظل من يحموم من دخان اسود بهيم • لا بارد ولا كريم نفي لصفتي الظل عنه يريد انه ظل ولكن لا كسائر الظلال سماه ظلا ثم نفى عنه برد الظل وروحه ونفعه لمن ياوي اليه من اذى الحر وذلك كرمه ليمحق ما في مدلول الظل من الاسترواح اليه والمعنى انه ظل حار ضار الا ان للنفي في نحو هذا شانا ليس للاثبات وفيه تهكم باصحاب المشامة وانهم لا يستاهلون الظل البارد الكريم الذي هو لاضدادهم في الجنة وقرئ لا بارد ولا كريم بالرفع اي

لاهو كذلك • والحنث الذنب العظيم • ومنه قولهم بلغ الغلام الحنث اي الحلم ووقت المؤاخذة بالماثم • ومنه حنث في يمينه خلاف بر فيها • ويقال تحنث اذا تاثم وتحرج • وكانوا يقولون ائذا متنا وكنا ترابا وعظاما ائنا لمبعوثون • اوآباؤنا الاولون • قل ان الاولين والاخرين • لمجموعون الى ميقات يوم معلوم • اوآباؤنا دخلت همزة الاستفهام على حرف العطف فان قلت كيف حسن العطف على المضمر في لمبعوثون من غير تاكيد بنحن قلت حسن للفاصل الذي هو الهمزة كما حسن في قوله تعالى ما اشركنا ولا آباؤنا لفصل لا المؤكدة للنفي • وقرئ او آباؤنا • وقرئ لمجمعون الى ميقات يوم معلوم الى ما وقتت به الدنيا من يوم معلوم والاضافة بمعنى من كخاتم فضة • والميقات ما وقت به الشيء اي حد • ومنه مواقيت الاحرام وهي الحدود التي لا يتجاوزها من يريد دخول مكة الا محرما • ثم انكم ايها الضالون المكذبون • لاكلون من شجر من زقوم • فمالئون منها البطون • فشاربون عليه من الحميم • فشاربون شرب الهيم • ايها الضالون عن الهدى المكذبون بالبعث وهم اهل مكة ومن في مثل حالهم • من شجر من زقوم من الاولى لابتداء الغاية والثانية لبيان الشجر وتفسيره وانث ضمير الشجر على المعنى وذكره على اللفظ في قوله منها وعليه • ومن قرا من شجرة من زقوم فقد جعل الضميرين للشجرة وانما ذكر الثاني على تاويل الزقوم لانه تفسيرها وهو في معناه • شرب الهيم قرئ بالحركات الثلاث فالفتح والضم مصدران وعن جعفر الصادق رضي الله عنه ايام اكل وشرب بفتح الشين • واما المكسور فبمعنى المشروب اي ما يشربه الهيم وهي الابل التي بها الهيام وهو داء تشرب منه فلا تروى جمع اهيم وهيماء قال ذو الرمة • فاصبحت كالهيماء لا الماء مبرد صداها ولا يقضي عليها هيامها • وقيل الهيم الرمال ووجهه ان يكون جمع الهيام بفتح الهاء وهو الرمل الذي لا يتماسك جمع على فعل كسحاب وسحب ثم خفف وفعل به ما فعل بجمع ابيض والمعنى انه يسلط عليهم من الجوع ما يضطرهم الى اكل الزقوم الذي هو كالمهل فاذا ملئوا منه البطون يسلط عليهم من العطش ما يضطرهم الى شرب الحميم الذي يقطع امعاءهم فيشربونه شرب الهيم فان قلت كيف صح عطف الشاربين على الشاربين وهما لذوات متفقة وصفتان متفقتان فكان عطفا للشيء على نفسه قلت ليستا بمتفقتين من حيث ان كونهم شاربين للحميم على ما هو عليه من تناهي الحرارة وقطع الامعاء امر عجيب وشربهم له على ذلك كما تشرب الهيم الماء امر عجيب ايضا فكانتا صفتين مختلفتين • هذا نزلهم يوم الدين • نحن خلقناكم فلولا تصدقون • النزل الرزق الذي يعد للنازل تكرمة له وفيه تهكم كما في قوله تعالى فبشرهم بعذاب اليم وكقول ابي الشعر الضبي • وكنا اذا الجبار بالجيش ضافنا • جعلنا القنا والمرهفات له نزلا • وقرئ نزلهم بالتخفيف • فلولا تصدقون تحضيض على التصديق اما بالخلق لانهم وان كانوا مصدقين به الا انهم لما كان مذهبهم خلاف ما يقتضيه التصديق فكانهم مكذبون به • واما بالبعث لان من خلق اولا لم يمتنع عليه ان يخلق ثانيا • افرايتم ما تمنون • ءانتم تخلقونه ام نحن الخالقون • نحن قدرنا بينكم الموت وما نحن بمسبوقين • على ان نبدل امثالكم وننشئكم في ما لا تعلمون • ما تمنون ما تمنونه اي تقذفونه في الارحام من النطف • وقرا ابو السمال بفتح التاء يقال امنى النطفة ومناها قال الله تعالى من نطفة اذا تمنى • تخلقونه تقدرونه وتصورونه • قدرنا بينكم الموت تقديرا وقسمناه عليكم قسمة الرزق على اختلاف وتفاوت كما تقتضيه مشيئتنا فاختلفت اعماركم من قصير وطويل ومتوسط وقرئ قدرنا بالتخفيف • سبقته على الشيء اذا اعجزته عنه وغلبته عليه ولم

تمكنه منه فمعنى قوله تعالى وما نحن بمسبوقين على ان نبدل امثالكم انا قادرون على ذلك لا تغلبوننى عليه
وامثالكم جمع مثل اى على ان نبدل بنكم ومكانكم اشباهكم من الخلق وعلى ان ننشاكم فى خلق لا تعلمونها
وما عهدتم بمثلها يعنى انا نقدر على الامرين جميعا على خلق ما يماثلكم وما لا يماثلكم فكيف نعجز عن اعادتكم
ويجوز ان يكون امثالكم جمع مثل اى على ان نبدل ونغير صفاتكم التى انتم عليها فى خلقكم واخلاقكم
وننشاكم فى صفات لا تعلمونها وقرئ النشئة والنشاءة وفى هذا دليل على صحة القياس حيث
جهلهم فى ترك قياس النشئة الاخرى على الاولى افرايتم ما تحرثون ءانتم تزرعونه ام نحن الزارعون
لو نشاء لجعلناه حطاما فظلتم تفكهون انا لمغرمون بل نحن محرومون افرايتم ما تحرثون من
الطعام اى تبذرون حبه وتعملون فى ارضه ءانتم تزرعونه تنبتونه وتردونه نباتا يرف وينمى
الى ان يبلغ الغاية وعن رسول الله صلى الله عليه وسلم لا يقولن احدكم زرعت وليقل حرثت قال ابو
هريرة رضى الله عنه ارايتم الى قوله تعالى فراءيتم الاية والحطام من حطم كالفتات والجذاذ من فت
وجذ وهو ما صار هشيما وحطم فظلتم وقرئ بالكسر وفظللتم على الاصل تفكهون تعجبون
وعن الحسن رحمة الله عليه تندمون على تعبكم فيه وانفاقكم عليه او على ما اقترفتم من المعاصى التى
اصبتم بذلك من اجلها وقرئ تفكنون ومنه الحديث مثل العالم كمثل الحمة ياتيها البعداء ويتركها
القرباء فبينا هم اذ غار ماؤها فانتفع بها قوم وبقى قوم يتفكنون اى يتندمون انا لمغرمون
لملزمون غرامة ما انفقنا او مهلكون لهلاك رزقنا من الغرام وهو الهلاك بل نحن محرومون
محارفون محدودون لا حظ لنا ولا بخت ولو كنا مجدودين لما جرى علينا هذا وقرئ انا افرايتم
الماء الذى تشربون ءانتم انزلتموه من المزن ام نحن المنزلون لو نشاء جعلناه اجاجا فلولا
تشكرون الماء الذى تشربون يريد الماء العذب الصالح للشرب والمزن السحاب الواحدة مزنة
وقيل هو السحاب الابيض خاصة وهو اعذب ماء اجاجا ملحا زعاقا لا يقدر على شربه فان قلت
لم ادخلت اللام على جواب لو فى قوله تعالى لجعلناه حطاما ونزعت منه ههنا ان لو لما كانت
داخلة على جملتين معلقة ثانيتهما بالاولى تعلق الجزاء بالشرط ولم تكن مخلصة للشرط كان ولا عاملة
مثلها وانما سرى فيها معنى الشرط اتفاقا من حيث افادة مضمون جملتيها ان الثانى امتنع لامتناع
الاول افتقرت فى جوابها الى ما ينصب علما على هذا التعلق فزيدت فيه هذه اللام لتكون علما على ذلك
فاذا حذفت بعد ما صارت علما مشهورا مكانه فلان الشئ اذا علم وشهر موقعه وصار مالوفا
ومانوسا به لم يبال باسقاطه عن اللفظ استغناء بمعرفة السامع الا ترى الى ما يحكى عن رؤبة انه
كان يقول خير لمن قال له كيف اصبحت فحذف الجار لعلم كل احد بمكانه وتساوى حالى حذفه واثباته
لشهرة امره وناهيك بقول اوس حتى اذا الكلاب قال لها كاليوم مطلوبا ولا طلبا وحذفه
لو ان فاذن حذفها اختصار لفظى وهى ثابتة فى المعنى فاستوى الموضعان لا فرق بينهما على ان تقدم
ذكرها والمسافة قصيرة مغن عن ذكرها ثانية ونائب عنه ويجوز ان يقال ان هذه اللام مفيدة
معنى التوكيد لا محالة فادخلت فى اية المطعوم دون اية المشروب للدلالة على ان امر المطعوم
مقدم على امر المشروب وان الوعيد بفقده اشد واصعب من قبل ان المشروب انما يحتاج اليه تبعا
للمطعوم الا ترى انك انما تسقى ضيفك بعد ان تطعمه ولو عكست قعدت تحت قول ابى العلاء
اذا سقيت ضيوف الناس محضا سقوا اضيافهم شبما زلالا وسقى بعض العرب فقال انا لا

اشرب الا على ثميلة ولهذا قدمت اية المطعوم على اية المشروب افرايتم النار التى تورون ءانتم انشاتم
شجرتها ام نحن المنشئون نحن جعلناها تذكرة ومتاعا للمقوين فسبح باسم ربك العظيم تورون
تقدحونها وتستخرجونها من الزناد والعرب تقدح بعودين تحك احدهما على الاخر ويسمون الاعلى الزند
والاسفل الزندة شبهوهما بالفحل والطروقة شجرتها التى منها الزناد تذكرة تذكيرا لنار جهنم
حيث علقنا بها اسباب المعايش كلها وعممنا بالحاجة اليها البلوى لتكون حاضرة للناس ينظرون اليها
ويذكرون ما اوعدوا به او جعلناها تذكرة وانموذجا من جهنم لما روى عن رسول الله صلى الله عليه وسلم
ناركم هذه التى يوقد بنو ادم جزء من سبعين جزءا من حر جهنم ومتاعا ومنفعة للمقوين الذين ينزلون
القواء وهى القفر او للذين خلت بطونهم او مزاودهم من الطعام يقال اقويت من ايام اى لم اكل شيئا
فسبح باسم ربك فاحدث التسبيح بذكر اسم ربك او اراد بالاسم الذكر اى بذكر ربك والعظيم صفة
للمضاف او المضاف اليه والمعنى انه لما ذكر ما دل على قدرته وانعامه على عباده قال فاحدث التسبيح
وهو ان يقول سبحان الله اما تنزيها له عما يقول الظالمون الذين يجحدون وحدانيته ويكفرون نعمته
واما تعجبا من امرهم فى غمط الايه واياديه الظاهرة واما شكرا لله على النعم التى عدها ونبه عليها
فلا اقسم بمواقع النجوم وانه لقسم لو تعلمون عظيم فلا اقسم معناه فاقسم ولا مزيدة موكدة
مثلها فى قوله عز وجل لئلا يعلم اهل الكتاب وقرا الحسن رحمة الله عليه فلاقسم ومعناه فلانا
اقسم اللام لام الابتداء دخلت على جملة من مبتدا وخبر وهى انا اقسم كقولك لزيد منطلق ثم حذف
المبتدا ولا يصح ان تكون اللام لام القسم لامرين احدهما ان حقها ان يقرن بها النون المؤكدة
والاخلال بها ضعيف قبيح والثانى ان لافعلن فى جواب القسم للاستقبال وفعل القسم يجب ان يكون
للحال بمواقع النجوم بمساقطها ومغاربها ولعل لله تعالى فى اخر الليل اذا انحطت النجوم الى المغرب
افعالا مخصوصة عظيمة او للملائكة عبادات موصوفة او لانه وقت قيام المتهجدين والمبتهلين
اليه من عباده الصالحين ونزول الرحمة والرضوان عليهم فلذلك اقسم بمواقعها واستعظم ذلك
بقوله تعالى وانه لقسم لو تعلمون عظيم او اراد بمواقعها منازلها ومسايرها وله تعالى فى ذلك من
الدليل على عظيم القدرة والحكمة ما لا يحيط به الوصف وقوله تعالى وانه لقسم لو تعلمون عظيم اعتراض
فى اعتراض لانه اعترض به بين القسم والمقسم عليه وهو قوله تعالى انه لقران كريم واعترض بلو
تعلمون بين الموصوف وصفته وقيل مواقع النجوم اوقات وقوع نجوم القران اى اوقات نزولها
انه لقران كريم فى كتاب مكنون لا يمسه الا المطهرون تنزيل من رب العالمين كريم
حسن مرضى فى جنسه من الكتب او نفاع جم المنافع او كريم على الله عز وجل فى كتاب مكنون مصون
من غير المقربين من الملائكة لا يطلع عليه من سواهم وهم المطهرون من جميع الادناس ادناس
الذنوب وما سواها ان جعلت الجملة صفة لكتاب مكنون وهو اللوح وان جعلتها صفة للقران
فالمعنى لا ينبغى ان يمسه الا من هو على الطهارة من الناس يعنى مس المكتوب منه ومن الناس من حمله
على القراءة ايضا وعن ابن عمر رضى الله عنهما احب الى ان لا يقرا الا وهو طاهر وعن ابن عباس رضى
الله عنهما فى رواية انه كان يبيح القراءة للجنب ونحوه قول رسول الله صلى الله عليه وسلم اخو المسلم لا
يظلمه ولا يسلمه اى لا ينبغى له ان يظلمه او يسلمه وقرئ المتطهرون والمطهرون بالادغام والمطهرون
من اطهره بمعنى طهره والمطهرون بمعنى يطهرون انفسهم او غيرهم بالاستغفار لهم والوحى الذى

يتزلونه ۝ تنزيل صفة رابعة للقرآن اى منزل من رب العالمين ۝ او وصف بالمصدر لانه نزل نجوما من
بين سائر كتب الله فكأنه فى نفسه تنزيل ولذلك جرى مجرى بعض اسمائه فقيل جاء فى التنزيل كذا ونطق
به التنزيل ۝ او هو تنزيل على حذف المبتدأ وقرئ تنزيلا على نزل تنزيلا أفبهذا الحديث انتم
مدهنون وتجعلون رزقكم انكم تكذبون ۝ افبهذا الحديث يعنى القرآن انتم مدهنون اى
متهاونون به كمن يدهن فى الامر اى يلين جانبه ولا يتصلب فيه تهاونا به ۝ وتجعلون رزقكم انكم
تكذبون على حذف المضاف يعنى وتجعلون شكر رزقكم التكذيب اى وضعتم التكذيب موضع الشكر
وقرأ على بن ابى طالب رضى الله عنه وتجعلون شكركم انكم تكذبون ۝ وقيل هى قراءة رسول الله صلى
الله عليه وسلم والمعنى وتجعلون شكركم لنعمة القرآن انكم تكذبون به ۝ وقيل نزلت فى الانواء
ونسبتهم السقيا اليها ۝ والرزق المطر يعنى وتجعلون شكر ما يرزقكم الله من الغيث انكم تكذبون
بكونه من الله تعالى حيث تنسبونه الى النجوم وقرئ تكذبون وهو قولهم فى القرآن سحر وشعر
وافتراء وفى المطر هو من الانواء ولان كل مكذب بالحق كاذب فلولا اذا بلغت الحلقوم وانتم
حينئذ تنظرون ۝ ونحن اقرب اليه منكم ولكن لا تبصرون ۝ فلولا ان كنتم غير مدينين ترجعونها
ان كنتم صادقين ۝ ترتيب الاية فلولا ترجعونها اذا بلغت الحلقوم ان كنتم غير مدينين ۝ وفلولا الثانية
مكررة للتوكيد والضمير فى ترجعونها للنفس وهى الروح ۝ وفى اقرب اليه للمحتضر ۝ غير مدينين غير مربوبين
من دان السلطان الرعية اذا ساسهم ۝ ونحن اقرب اليه منكم يا اهل الميت بقدرتنا وعلمنا ۝ او بملائكة الموت
والمعنى انكم فى جحودكم افعال الله واياته فى كل شئ ان انزل عليكم كتابا معجزا قلتم سحر وافتراء وان ارسل
اليكم رسولا قلتم ساحر كذاب ۝ وان رزقكم مطرا يحييكم به قلتم صدق نوء كذا على مذهب يؤدى
الى الاهمال والتعطيل فما لكم لا ترجعون الروح الى البدن بعد بلوغه الحلقوم ان لم يكن ثم قابض وكنتم
صادقين فى تعطيلكم وكفركم بالمحيى المميت المبدئ المعيد فاما ان كان من المقربين فروح وريحان
وجنة نعيم ۝ واما ان كان من اصحاب اليمين فسلام لك من اصحاب اليمين ۝ فاما ان كان المتوفى من
المقربين من السابقين من الازواج الثلثة المذكورة فى اول السورة فروح فله استراحة ۝ وروت
عائشة رضى الله عنها عن النبى صلى الله عليه وسلم فروح بالضم وقرأ ابو الحسن رحمة الله عليه وقال الروح
الرحمة لانها كالحيوة للمرحوم ۝ وقيل البقاء اى فهذان له معا وهو الخلود مع الرزق والنعيم ۝ والريحان
الرزق ۝ فسلام لك من اصحاب اليمين اى فسلام لك يا صاحب اليمين من اخوانك اصحاب اليمين اى يسلمون
عليك كقوله تعالى الا قيلا سلاما سلاما واما ان كان من المكذبين الضالين فنزل من حميم وتصلية
جحيم ۝ ان هذا لهو حق اليقين ۝ فسبح باسم ربك العظيم ۝ فنزل من حميم كقوله تعالى هذا نزلهم
يوم الدين وقرئ بالتخفيف ۝ وتصلية جحيم ترتيبه بالرفع والجر عطفا على نزل وحميم ۝ ان هذا الذى
انزل فى هذه السورة لهو حق اليقين اى الحق الثابت من اليقين ۝ عن رسول الله صلى الله عليه وسلم من قرأ سورة
الواقعة فى كل ليلة لم تصبه فاقة ابدا ۝ والله اعلم بالصواب واليه المرجع والمآب ۝

بسم الله الرحمن الرحيم سبح لله ما فى السموات والارض وهو العزيز الحكيم ۝ له ملك السموات
والارض يحيى ويميت وهو على كل شئ قدير ۝ جاء فى بعض الفواتح سبح على لفظ الماضى وفى بعضها على لفظ

المضارع وكل واحد منها معناه ان من شأن من اسند اليه التسبيح ان يسبحه وذلك هجيراه وديدنه وقد عدى
هذا الفعل باللام تارة وبنفسه اخرى فى قوله تعالى وسبحوه واصله التعدى بنفسه لان معنى سبحته
بعدته عن السوء منقول من سبح اذا ذهب وبعد فاللام لا تخلو اما ان تكون مثل اللام فى نصحته ونصحت
له ۝ واما ان يراد بسبح لله احدث التسبيح لاجل الله ولوجهه خالصا ۝ ما فى السموات والارض ما يتأتى منه
التسبيح ويصح فان قلت ما محل يحيى يجوز ان لا يكون له محل ويكون جملة برأسها كقوله
تعالى له ملك السموات ۝ وان يكون مرفوعا على هو يحيى ويميت ۝ ومنصوبا حالا من المجرور فى له والجار
عاملا فيها ومعناه يحيى النطف والبيض والموتى يوم القيمة ويميت الاحياء هو الاول والاخر والظاهر
والباطن وهو بكل شئ عليم ۝ هو الاول هو القديم الذى كان قبل كل شئ والاخر الذى يبقى بعد هلاك
كل شئ ۝ والظاهر بالادلة الدالة عليه ۝ والباطن لكونه غير مدرك بالحواس فان قلت فما
معنى الواو قلت الواو الاولى معناها الدلالة على انه الجامع بين الصفتين الاولية والاخرية ۝ والثالثة
على انه الجامع بين الظهور والخفاء ۝ واما الوسطى فعلى انه الجامع بين مجموع الصفتين الاوليين ومجموع
الصفتين الاخريين فهو المستمر الوجود فى جميع الاوقات الماضية والاتية وهو فى جميعها ظاهر وباطن
جامع للظهور بالادلة والخفاء فلا يدرك بالحواس وفى هذا حجة على من جوز ادراكه فى الاخرة بالحاسة
وقيل الظاهر العالى على كل شئ الغالب له من ظهر عليه اذا علاه وغلبه ۝ والباطن الذى بطن كل شئ اى علم
باطنه وليس بذاك مع العدول عن الظاهر المفهوم هو الذى خلق السموات والارض فى ستة ايام
ثم استوى على العرش يعلم ما يلج فى الارض وما يخرج منها وما ينزل من السماء وما يعرج فيها وهو
معكم اين ما كنتم والله بما تعملون بصير ۝ له ملك السموات والارض والى الله ترجع الامور ۝ يولج
الليل فى النهار ويولج النهار فى الليل وهو عليم بذات الصدور ۝ امنوا بالله ورسوله وانفقوا
مما جعلكم مستخلفين فيه فالذين امنوا منكم وانفقوا لهم اجر كبير ۝ مستخلفين فيه يعنى ان الاموال
التى فى ايديكم انما هى اموال الله تعالى بخلقه وانشائه لها وانما مولكم اياها وخولكم الاستمتاع بها
وجعلكم خلفاء فى التصرف فيها فليست هى باموالكم فى الحقيقة وما انتم فيها الا بمنزلة الوكلاء والنواب
فانفقوا منها فى حقوق الله عز وجل وليهن عليكم الانفاق منها كما يهون على الرجل النفقة من مال غيره اذا اذن
له فيه ۝ او جعلكم مستخلفين ممن كان قبلكم فيما فى ايديكم بتوريثه اياكم فاعتبروا بحالهم حيث انتقل
منهم اليكم وسينتقل منكم الى من بعدكم فلا تبخلوا به وانفعوا بالانفاق منها انفسكم وما لكم لا
تؤمنون بالله والرسول يدعوكم لتؤمنوا بربكم وقد اخذ ميثاقكم ان كنتم مؤمنين ۝ لا تؤمنون
حال من معنى الفعل فى ما لكم كما تقول ما لك قائما بمعنى ما تصنع قائما اى وما لكم كافرين بالله والواو
فى والرسول يدعوكم واو الحال فهما حالان متداخلان وقرئ وما لكم لا تؤمنون بالله ورسوله
والرسول يدعوكم والمعنى واى عذر لكم فى ترك الايمان والرسول يدعوكم اليه وينبهكم عليه ويتلو
عليكم الكتاب الناطق بالبراهين والحجج وقبل ذلك قد اخذ الله ميثاقكم بالايمان حيث ركب فيكم العقول
ونصب لكم الادلة ومكنكم من النظر وازاح عللكم فاذا لم تبق لكم علة بعد ادلة العقول وتنبيه
الرسول فما لكم لا تؤمنون ان كنتم مؤمنين لموجب ما فان هذا الموجب لا مزيد عليه وقرئ اخذ
ميثاقكم على البناء للفاعل وهو الله عز وجل هو الذى ينزل على عبده ايات بينات ليخرجكم من
الظلمات الى النور وان الله بكم لرؤف رحيم ۝ ليخرجكم الله باياته من ظلمات الكفر الى نور الايمان او

لم تجركم الرسول بدعوته لرؤف وقرئ لرؤف وما لكم ألا تنفقوا في سبيل الله ولله ميراث السموات
والأرض لا يستوي منكم من أنفق من قبل الفتح وقاتل أولئك أعظم درجة من الذين أنفقوا من بعد وقاتلوا
أن لا تنفقوا في أن لا تنفقوا ولله ميراث السموات والأرض يرث كل شيء فيهما لا يبقى منه باق لأحد من مال وغيره
يعني وأي غرض لكم في ترك الإنفاق في سبيل الله والجهاد مع رسوله والله مهلككم فوارث أموالكم وهو
من أبلغ البعث على الإنفاق في سبيل الله والجهاد مع رسوله ثم بين التفاوت بين المنفقين منهم فقال لا يستوي
منكم من أنفق من قبل الفتح قبل فتح مكة قبل عز الإسلام وقوة أهله ودخول الناس في دين الله أفواجا وقلة الحاجة
إلى القتال والنفقة فيه ومن أنفق من بعد الفتح فحذف لوضوح الدلالة أولئك الذين أنفقوا قبل الفتح
وهم السابقون الأولون من المهاجرين والأنصار رضوان الله عليهم أجمعين الذين قال فيهم رسول الله
صلى الله عليه وسلم لو أنفق أحدكم مثل أحد ذهبا ما بلغ مد أحدهم ولا نصيفه أعظم درجة وقرئ
قبل الفتح وكلا وعد الله الحسنى والله بما تعملون خبير وكلا وكل واحد من الفريقين وعد الله الحسنى
أي المثوبة الحسنى وهي الجنة مع تفاوت الدرجات وقرئ بالرفع على وكل وعده الله وقيل نزلت في أبي
بكر الصديق رضي الله عنه لأنه أول من أسلم وأول من أنفق في سبيل الله من ذا الذي يقرض الله قرضا
حسنا فيضاعفه له وله أجر كريم القرض الحسن الإنفاق في سبيل الله شبه ذلك بالقرض على سبيل المجاز
لأنه إذا أعطى ماله لوجهه فكأنه أقرضه إياه فيضاعفه له أي يعطيه أجره على إنفاقه مضاعفا أضعافا
من فضله وله أجر كريم يعني وذلك الأجر المضموم إليه الأضعاف كريم في نفسه وقرئ فيضعفه وقرئ منصوبا
على جواب الاستفهام والرفع عطف على يقرض أو على فيضاعفه يوم ترى المؤمنين والمؤمنات يسعى نورهم
بين أيديهم وبأيمانهم بشراكم اليوم جنات تجري من تحتها الأنهار خالدين فيها ذلك هو الفوز
العظيم يوم ترى ظرف لقوله تعالى وله أجر كريم أو منصوب بإضمار اذكر تعظيما لذلك اليوم وإنما قال
بين أيديهم وبأيمانهم لأن السعداء يؤتون صحائف أعمالهم من هاتين الجهتين كما أن الأشقياء يؤتونها من
شمائلهم ومن وراء ظهورهم فيجعل النور في الجهتين شعارا لهم وآية لأنهم هم الذين بحسناتهم سعدوا وبصحائفهم
البيض أفلحوا فإذا ذهب بهم إلى الجنة ومروا على الصراط يسعون يسعى بسعيهم ذلك النور
جنيبا لهم ومتقدما ويقول لهم الذين يتلقونهم من الملائكة بشراكم اليوم وقرئ ذلك الفوز يوم
يقول المنافقون والمنافقات للذين آمنوا انظرونا نقتبس من نوركم قيل ارجعوا وراءكم
فالتمسوا نورا يوم يقول بدل من يوم ترى انظرونا انتظرونا لأنهم يسرع بهم إلى الجنة كالبرق الخاطف
على ركاب تزف بهم وهؤلاء مشاة أو انظروا إلينا لأنهم إذا نظروا إليهم استقبلوهم بوجوههم والنور بين
أيديهم فيستضيئون به وقرئ أنظرونا من النظرة وهي الإمهال جعل اتئادهم في المضي إلى أن يلحقوا
بهم إنظارا لهم نقتبس من نوركم نصب منه وذلك أن يلحقوا بهم فيستنيروا به قيل ارجعوا وراءكم
فالتمسوا نورا طرد لهم وتهكم بهم أي ارجعوا إلى الموقف إلى حيث أعطينا هذا النور فالتمسوه هنالك
فمن ثم يقتبس أو ارجعوا إلى الدنيا فالتمسوا نورا بتحصيل سببه وهو الإيمان أو ارجعوا خائبين وتنحوا
عنا فالتمسوا نورا آخر فلا سبيل لكم إلى هذا النور وقد علموا أن لا نور وراءهم وإنما هو تخييب وإقناط
لهم فضرب بينهم بسور له باب باطنه فيه الرحمة وظاهره من قبله العذاب فضرب بينهم بسور
بين المؤمنين والمنافقين بحائط حائل بين شق الجنة وشق النار قيل هو الأعراف لذلك السور باب
لأهل الجنة يدخلون منه باطنه باطن السور أو الباب وهو الشق الذي يلي الجنة وظاهره ما ظهر

لأهل النار من قبله العذاب من عنده ومن جهته العذاب وهو الظلمة والنار وقرأ زيد بن علي رضي الله
عنه فضرب بينهم على البناء للفاعل ينادونهم ألم نكن معكم قالوا بلى ولكنكم فتنتم أنفسكم
وتربصتم وارتبتم وغرتكم الأماني حتى جاء أمر الله وغركم بالله الغرور ألم نكن معكم يريدون
موافقتهم في الظاهر فتنتم أنفسكم محنتموها بالنفاق وأهلكتموها وتربصتم بالمؤمنين الدوائر
وغرتكم الأماني طول الآمال والطمع في امتداد الأعمار حتى جاء أمر الله وهو الموت وغركم بالله
الغرور وغركم الشيطان بأن الله عفو غفور كريم لا يعذبكم وقرئ الغرور بالضم فاليوم لا يؤخذ
منكم فدية ولا من الذين كفروا مأواكم النار هي مولاكم وبئس المصير فدية ما يفتدى به
هي مولاكم هي أولى بكم وأنشد قول لبيد

فغدت كلا الفرجين تحسب أنه ... مولى المخافة خلفها وأمامها

وحقيقة مولاكم محراكم
ومقمنكم أي مكانكم الذي يقال فيه هو أولى بكم كما يقال هو مئنة للكرم أي مكان لقول القائل إنه
لكريم ويجوز أن يراد هي ناصركم أي لا ناصر لكم غيرها والمراد نفي الناصر على البتات ونحوه قولهم
أصيب فلان بكذا فاستنصر الجزع ومنه قوله عز وجل يغاثوا بماء كالمهل وقيل تتولاكم كما توليتم
في الدنيا أعمال أهل النار ألم يأن للذين آمنوا أن تخشع قلوبهم لذكر الله وما نزل من الحق ألم
يأن من أنى الأمر يأني إذا جاء أناه أي وقته وقرئ ألم يئن من آن يئين بمعنى أنى يأني ولما يأن
قيل كانوا مجدبين بمكة فلما هاجروا أصابوا الرزق والنعمة ففتروا عما كانوا عليه فنزلت وعن ابن
مسعود رضي الله عنه ما كان بين إسلامنا وبين أن عوتبنا بهذه الآية إلا أربع سنين وعن ابن
عباس رضي الله عنهما إن الله استبطأ قلوب المؤمنين فعاتبهم على رأس ثلث عشرة سنة من نزول
القرآن وعن الحسن رحمة الله عليه أما والله لقد استبطأهم وهم يقرؤون من القرآن أقل مما تقرؤون
فانظروا في طول ما قرأتم منه وما ظهر فيكم من الفسق وعن أبي بكر الصديق رضي الله عنه أن هذه
الآية قرئت بين يديه وعنده قوم من أهل اليمامة فبكوا بكاء شديدا فنظر إليهم فقال هكذا
كنا حتى قست القلوب وقرئ نزل ونزل وأنزل ولا يكونوا كالذين أوتوا الكتاب من قبل فطال
عليهم الأمد فقست قلوبهم وكثير منهم فاسقون ولا يكونوا عطف على تخشع وقرئ بالتاء على
الالتفات ويجوز أن يكون نهيا لهم عن مماثلة أهل الكتاب في قسوة القلوب بعد أن وبخوا وذلك
أن بني إسرائيل كان الحق يحول بينهم وبين شهواتهم وإذا سمعوا التوراة والإنجيل خشعوا لله ورقت
قلوبهم فلما طال عليهم الزمان غلبهم الجفاء والقسوة واختلفوا وأحدثوا ما أحدثوا من التحريف وغيره
فإن قلت ما معنى لذكر الله وما نزل من الحق يجوز أن يراد بالذكر وبما نزل من الحق القرآن
لأنه جامع للأمرين للذكر والموعظة وأنه حق نازل من السماء وأن يراد خشوعها إذا ذكر الله وإذا
تلي القرآن كقوله تعالى إذا ذكر الله وجلت قلوبهم وإذا تليت عليهم آياته زادتهم إيمانا أراد
بالأمد الأجل كقوله إذا انتهى أمده وقرئ الأمد أي الوقت الأطول وكثير منهم فاسقون
خارجون عن دينهم رافضون لما في الكتابين اعلموا أن الله يحيي الأرض بعد موتها قد بينا لكم
الآيات لعلكم تعقلون اعلموا أن الله يحيي الأرض بعد موتها قيل هذا تمثيل لأثر الذكر في
القلوب وأنه يحييها كما يحيي الغيث الأرض إن المصدقين والمصدقات وأقرضوا الله قرضا حسنا
يضاعف لهم ولهم أجر كريم المصدقين المتصدقين وقرئ على الأصل والمصدقين من صدق

وهم الذين صدقوا الله ورسوله يعني المؤمنين فان قلت علام عطف قوله تعالى واقرضوا قلت على معنى الفعل في المصدقين لان اللام بمعنى الذين واسم الفاعل بمعنى اصدقوا كانه قيل ان الذين اصدقوا واقرضوا القرض الحسن ان يتصدق من الطيب عن طيبة النفس وصحة النية على المستحق للصدقة وقرئ يضعف ويضاعف بكسر العين اي يضاعف الله والذين آمنوا بالله ورسله اولئك هم الصديقون والشهداء عند ربهم لهم اجرهم ونورهم والذين كفروا وكذبوا بآياتنا اولئك اصحاب الجحيم يريد ان المؤمنين بالله ورسله هم عند الله بمنزلة الصديقين والشهداء وهم الذين سبقوا الى التصديق واستشهدوا في سبيل الله لهم اجرهم ونورهم اي مثل اجر الصديقين والشهداء ومثل نورهم فان قلت كيف يسوى بينهم في الاجر ولا بد من التفاوت ان المعنى ان الله تعالى يعطي المؤمنين اجرهم ويضاعفه لهم بفضله حتى يساوي اجرهم مع اضعافه اجر اولئك ويجوز ان يكون والشهداء مبتدأ ولهم اجرهم خبره اعلموا انما الحيوة الدنيا لعب ولهو وزينة وتفاخر بينكم وتكاثر في الاموال والاولاد كمثل غيث اعجب الكفار نباته ثم يهيج فتراه مصفرا ثم يكون حطاما وفي الآخرة عذاب شديد ومغفرة من الله ورضوان وما الحيوة الدنيا الا متاع الغرور اراد ان الدنيا ليست الا محقرات من الامور وهي اللعب واللهو والزينة والتفاخر والتكاثر واما الآخرة فما هي الا امور عظام وهي العذاب الشديد والمغفرة ورضوان الله وشبه حال الدنيا وسرعة تقضيها مع قلة جدواها بنبات انبته الغيث فاستوى واكتهل واعجب به الكفار الجاحدون لنعمة الله فيما رزقهم من الغيث والنبات فبعث عليه العاهة فهاج واصفر وصار حطاما عقوبة لهم على جحودهم كما فعل باصحاب الجنة وصاحب الجنتين وقيل الكفار الزراع وقرئ مصفارا سابقوا الى مغفرة من ربكم وجنة عرضها كعرض السماء والارض اعدت للذين آمنوا بالله ورسله ذلك فضل الله يؤتيه من يشاء والله ذو الفضل العظيم سابقوا سارعوا مسارعة السابقين لاقرانهم في المضمار الى جنة عرضها كعرض السماء والارض قال السدي كعرض سبع سموات وسبع الارضين وذكر العرض دون الطول لان كل ما له عرض وطول فان عرضه اقل من طوله فاذا وصف عرضه بالبسطة عرف ان طوله ابسط وامد ويجوز ان يراد بالعرض البسطة كقوله تعالى فذو دعاء عريض لما حقر الدنيا وصغر امرها وعظم امر الآخرة بعث عباده على المسارعة الى نيل ما وعد من ذلك وهي المغفرة المنجية من العذاب الشديد والفوز بدخول الجنة ذلك الموعود من المغفرة والجنة فضل الله عطاؤه يؤتيه من يشاء وهم المؤمنون ما اصاب من مصيبة في الارض ولا في انفسكم الا في كتاب من قبل ان نبرأها ان ذلك على الله يسير لكيلا تأسوا على ما فاتكم ولا تفرحوا بما آتاكم والله لا يحب كل مختال فخور المصيبة في الارض نحو الجدب وآفات الزرع والثمار وفي الانفس نحو الادواء والموت في كتاب في اللوح من قبل ان نبرأها يعني الانفس او المصائب ان ذلك ان تقدير ذلك واثباته في كتاب على الله يسير وان كان عسيرا على العباد ثم علل ذلك وبين وجه الحكمة فيه فقال لكيلا تأسوا ولا تفرحوا يعني انكم اذا علمتم ان كل شيء مقدر مكتوب عند الله تعالى قل أساكم على الفائت وفرحكم على الآتي لان من علم ان ما عنده مفقود لا محالة لم يتفاقم جزعه عند فقده لانه وطن نفسه على ذلك وكذلك من علم ان بعض الخير واصل اليه وان وصوله لا يفوته بحال لم يعظم فرحه عند نيله والله لا يحب كل مختال فخور لان من فرح بحظ من الدنيا وعظم في نفسه اختال وافتخر به وتكبر على الناس قرئ بما آتاكم واتاكم من

الايتاء

الايتاء والاتيان وفي قراءة ابن مسعود رضي الله عنه بما اوتيتم فان قلت فلا احد يملك نفسه عند مضرة تنزل به ولا عند منفعة ينالها ان لا يحزن ولا يفرح قلت المراد الحزن المخرج الى ما يذهل صاحبه عن الصبر والتسليم لامر الله ورجاء ثواب الصابرين والفرح المطغي الملهي عن الشكر فاما الحزن الذي لا يكاد الانسان يخلو منه مع الاستسلام والسرور بنعمة الله والاعتداد بها مع الشكر فلا بأس بهما الذين يبخلون ويأمرون الناس بالبخل ومن يتول فان الله هو الغني الحميد الذين يبخلون بدل من قوله كل مختال فخور كانه قال لا يحب الذين يبخلون يريد الذين يفرحون الفرح المطغي اذا رزقوا مالا وحظا من الدنيا فلحبهم له وعزته عندهم وعظمه في عيونهم يزوونه عن حقوق الله تعالى ويبخلون به ولا يكفيهم انهم بخلوا حتى يحملوا الناس على البخل ويرغبوهم في الامساك ويزينوه لهم وذلك كله نتيجة فرحهم به وبطرهم عند اصابته ومن يتول عن اوامر الله تعالى ونواهيه ولم ينته عما نهي عنه من الاسى على الفائت والفرح بالآتي فان الله غني عنه وقرئ بالبخل وقرأ نافع فان الله الغني وهو في مصاحف اهل المدينة والشام كذلك لقد ارسلنا رسلنا بالبينات وانزلنا معهم الكتاب والميزان ليقوم الناس بالقسط وانزلنا الحديد فيه بأس شديد ومنافع للناس لقد ارسلنا رسلنا يعني الملائكة الى الانبياء عليهم السلام بالبينات بالحجج والمعجزات وانزلنا معهم الكتاب اي الوحي والميزان روي ان جبريل عليه السلام نزل بالميزان فدفعه الى نوح عليه السلام وقال مر قومك يزنوا به وانزلنا الحديد قيل نزل آدم عليه السلام من الجنة ومعه خمسة اشياء من حديد السندان والكلبتان والميقعة والمطرقة والابرة وروي ومعه المر والمسحاة وعن النبي صلى الله عليه وسلم ان الله تعالى انزل اربع بركات من السماء الى الارض انزل الحديد والنار والماء والملح وعن الحسن رحمة الله عليه وانزلنا الحديد خلقناه كقوله تعالى وانزل لكم من الانعام وذلك ان اوامره تنزل من السماء وقضاياه واحكامه فيه بأس شديد وهو القتال به ومنافع للناس في مصالحهم ومعايشهم وصنائعهم فما من صنعة الا والحديد آلة فيها او ما يعمل بالحديد وليعلم الله من ينصره ورسله بالغيب ان الله قوي عزيز وليعلم الله من ينصره ورسله باستعمال السيوف والرماح وسائر السلاح في مجاهدة اعداء الدين بالغيب غائبا عنهم قال ابن عباس رضي الله عنهما ينصرونه ولا يبصرونه ان الله قوي عزيز يغني بقدرته وعزته في اهلاك من يريد هلاكه عنهم وانما كلفهم الجهاد لينتفعوا به ويصلوا بامتثال الامر فيه الى الثواب ولقد ارسلنا نوحا وابراهيم وجعلنا في ذريتهما النبوة والكتاب فمنهم مهتد وكثير منهم فاسقون والكتاب والوحي وعن ابن عباس رضي الله عنهما الخط بالقلم يقال كتب كتابا وكتابة فمنهم من الذرية او من المرسل اليهم وقد دل عليهم ذكر الارسال والمرسلين وهذا تفصيل لحالهم اي فمنهم مهتد ومنهم فاسق والغلبة للفساق ثم قفينا على آثارهم برسلنا وقفينا بعيسى ابن مريم وآتيناه الانجيل وجعلنا في قلوب الذين اتبعوه رأفة ورحمة ورهبانية ابتدعوها قرأ الحسن الانجيل بفتح الهمزة وامره اهون من امر البرطيل والسكينة فيمن رواهما بفتح الفاء لان الكلمة اعجمية لا يلزم فيها حفظ ابنية العرب وقرئ رآفة على فعالة اي وفقناهم للتراحم والتعاطف بينهم ونحوه في صفة اصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم رحماء بينهم والرهبانية ترهبهم في الجبال فارين من الفتنة في الدين مخلصين انفسهم للعبادة وذلك ان الجبابرة ظهروا على المؤمنين بعد موت عيسى عليه السلام فقاتلوهم ثلاث مرات فقتلوا حتى لم يبق منهم الا القليل فخافوا ان يفتنوا في دينهم

ثم ابتدعوا الرهبانية ومعناها الفعلة المنسوبة الى الرهبان وهو الخائف فعلان من رهب كخشيان من خشي
وقرئ ورهبانية بالضم كانه نسبة الى الرهبان وهو جمع راهب كراكب وركبان وانتصابها بفعل مضمر
يفسره الظاهر تقديره وابتدعوا رهبانية ابتدعوها يعني واحدثوها من عند انفسهم ونذروها
ما كتبناها عليهم الا ابتغاء رضوان الله فما رعوها حق رعايتها فآتينا الذين آمنوا منهم اجرهم وكثير
منهم فاسقون ما كتبناها عليهم لم نفرضها نحن عليهم الا ابتغاء رضوان الله استثناء منقطع اي ولكنهم
ابتدعوها ابتغاء رضوان الله فما رعوها حق رعايتها كما يجب على الناذر رعاية نذره لانه عهد مع الله لا يحل
نكثه فآتينا الذين آمنوا يريد اهل الرحمة والرأفة الذين اتبعوا عيسى عليه السلام وكثير منهم
فاسقون الذين لم يحافظوا على نذرهم ويجوز ان يكون الرهبانية معطوفة على ما قبلها وابتدعوها
صفة لها في محل النصب اي وجعلنا في قلوبهم رأفة ورحمة ورهبانية مبتدعة من عندهم يعني وفقناهم
للتراحم بينهم ولابتداع الرهبانية واستحداثها ما كتبناها عليهم الا ليبتغوا بها رضوان الله ويستحقوا
بها الثواب على انه كتبها عليهم والزمها اياهم ليتخلصوا من الفتن ويبتغوا بذلك رضا الله وثوابه
فما رعوها جميعا حق رعايتها ولكن بعضهم فآتينا المؤمنين المراعين منهم للرهبانية اجرهم وكثير منهم
فاسقون وهم الذين لم يرعوها يا ايها الذين آمنوا اتقوا الله وآمنوا برسوله يؤتكم كفلين من
رحمته ويجعل لكم نورا تمشون به ويغفر لكم والله غفور رحيم يا ايها الذين آمنوا يجوز ان
يكون خطابا للذين آمنوا من اهل الكتاب والذين آمنوا من غيرهم فان كان خطابا لمؤمني اهل الكتاب
فالمعنى يا ايها الذين آمنوا بموسى وعيسى عليهما السلام آمنوا بمحمد يؤتكم كفلين اي نصيبين من رحمته
لايمانكم بمحمد وايمانكم بمن قبله ويجعل لكم يوم القيامة نورا تمشون به وهو النور المذكور في قوله
تعالى يسعى نورهم ويغفر لكم ما اسلفتم من الكفر والمعاصي لئلا يعلم اهل الكتاب الا يقدرون
على شيء من فضل الله وان الفضل بيد الله يؤتيه من يشاء والله ذو الفضل العظيم لئلا يعلم
ليعلم اهل الكتاب الذين لم يسلموا ولا مزيدة ان لا يقدرون ان مخففة من الثقيلة اصله انه لا
يقدرون يعني ان الشأن لا يقدرون على شيء من فضل الله اي لا ينالون شيئا مما ذكر من فضله من
الكفلين والنور والمغفرة لانهم لم يؤمنوا برسول الله فلم ينفعهم ايمانهم بمن قبله ولم يكسبهم فضلا
قط وان كان خطابا لغيرهم فالمعنى اتقوا الله واثبتوا على ايمانكم برسول الله يؤتكم ما وعد من آمن
من اهل الكتاب من الكفلين في قوله تعالى اولئك يؤتون اجرهم مرتين ولا ينقصكم من مثل اجرهم
لانكم مثلهم في الايمانين لا تفرقون بين احد من رسله روي ان رسول الله صلى الله عليه وسلم بعث جعفرا رضي
الله عنه في سبعين راكبا الى النجاشي يدعوه فقدم جعفر عليه فدعاه فاستجاب له فقال ناس ممن آمن من
اهل مملكته وهم اربعون رجلا ايذن لنا في الوفادة على رسول الله فاذن لهم فقدموا مع جعفر رضي الله
عنه وقد تهيأ لوقعة احد فلما رأوا ما بالمسلمين من خصاصة استاذنوا رسول الله صلى الله عليه وسلم
فرجعوا وقدموا باموال فآسوا بها المسلمين فانزل الله الذين آتيناهم الكتاب الى قوله تعالى ومما رزقناهم
فلما سمع من لم يؤمن من اهل الكتاب قوله تعالى يؤتون اجرهم مرتين فخروا على المسلمين وقالوا اما من
آمن بكتابكم وكتابنا فله اجره مرتين واما من لم يؤمن بكتابكم فله اجر كاجركم فما فضلكم علينا فنزلت
وروي ان مؤمني اهل الكتاب افتخروا على غيرهم من المؤمنين بانهم يؤتون اجرهم مرتين وادعوا الفضل
عليهم فنزلت وقرئ لكي يعلم ولكيلا يعلم وليعلم ولان يعلم بادغام النون في الياء وليتعلم بقلب

الهمزة ياء وادغام النون في الياء وعن الحسن رحمة الله عليه ليلا يعلم بفتح اللام وسكون الياء ورواه
قطرب بكسر اللام وقيل في وجهها حذف همزة ان وادغمت نونها في لام لا فصار للا ثم ابدلت من
اللام المدغمة ياء كقولهم ديوان وقيراط ومن فتح اللام فعلى ان اصل لام الجر الفتح كما انشد
اريد لانسى ذكرها وقرئ انهم لا يقدرون بيد الله في ملكه وتصرفه واليد مثل يؤتيه من يشاء ولا
يشاء الا ايتاءه من يستحقه عن رسول الله صلى الله عليه وسلم من قرأ سورة الحديد كتب من الذين آمنوا بالله (ورسله)

بسم الله الرحمن الرحيم قد سمع الله قول التي تجادلك في زوجها وتشتكي الى الله والله يسمع تحاوركما
ان الله سميع بصير قد سمع الله قالت ام المؤمنين عائشة رضي الله عنها الحمد لله الذي وسع سمعه
الاصوات لقد كلمت المجادلة رسول الله عليه السلام في جانب البيت وانا عنده لا اسمع وقد سمع لها وعن
عمر رضي الله عنه انه كان اذا دخلت عليه اكرمها وقال قد سمع الله لها وقرئ تحاورك اي تراجعك
الكلام وتحاولك اي تسائلك وهي خولة بنت ثعلبة امرأة اوس بن الصامت اخي عبادة رآها وهي
تصلي وكانت حسنة الجسم فلما سلمت راودها فابت فغضب وكان به خفة ولمم فظاهر منها فاتت
رسول الله صلى الله عليه وسلم فقالت ان اوسا تزوجني وانا شابة مرغوب في فلما خلا سني ونثرت
بطني اي كثر ولدي جعلني عليه كامه وروي انها قالت ان لي صبية صغارا ان ضممتهم اليه ضاعوا
وان ضممتهم الي جاعوا فقال ما عندي في امرك شيء وروي انه قال لها حرمت عليه فقالت يا رسول
الله ما ذكر طلاقا وانما هو ابو ولدي واحب الناس الي فقال حرمت عليه فقالت اشكو الى الله فاقتي
ووجدي كلما قال رسول الله عليه السلام حرمت عليه هتفت وشكت الى الله فنزلت في زوجها في شانه
ومعناه ان الله سميع بصير يصح ان يسمع كل مسموع ويبصر كل مبصر فان قلت ما معنى قد
في قوله تعالى قد سمع معناه التوقع لان رسول الله عليه السلام والمجادلة كانا يتوقعان
ان يسمع الله عز وجل مجادلتها وشكواها وينزل في ذلك ما يفرج عنها الذين يظهرون منكم من
نسائهم ما هن امهاتهم ان امهاتهم الا اللائي ولدنهم وانهم ليقولون منكرا من القول وزورا
وان الله لعفو غفور الذين يظاهرون منكم في منكم توبيخ للعرب وتهجين لعادتهم في الظهار لانه
كان في ايمان اهل جاهليتهم خاصة دون سائر الامم ما هن امهاتهم وقرئ بالرفع على اللغتين
الحجازية والتميمية وفي قراءة ابن مسعود رضي الله عنه بامهاتهم وزيادة الباء في لغة من ينصب
والمعنى ان من يقول لامرأته انت علي كظهر امي ملحق في كلامه هذا للزوج بالام وجاعلها مثلها وهذا
تشبيه باطل لتباين الحالين ان امهاتهم الا اللائي ولدنهم يريد ان الامهات على الحقيقة انما هن
الوالدات وغيرهن ملحقات بهن لدخولهن في حكمهن فالمرضعات امهات لانهن لما ارضعن دخلن
بالرضاع في حكم الامهات وكذلك ازواج رسول الله صلى الله عليه وسلم امهات المؤمنين لان الله
عز وجل حرم نكاحهن على الامة فدخلن بذلك في حكم الامهات واما الزوجات فابعد شيء من
الامومة لانهن لسن بامهات على الحقيقة ولا بداخلات في حكم الامهات فكان قول المظاهر منكرا
من القول تنكره الحقيقة وتنكره الاحكام الشرعية وزورا وكذبا باطلا منحرفا عن الحق وان الله
لعفو غفور لما سلف منه اذا تيب عنه ولم يعد اليه والذين يظاهرون من نسائهم ثم يعودون

لما قالوا فتحرير رقبة من قبل أن يتماسا ذلكم توعظون به والله بما تعملون خبير فمن لم يجد فصيام شهرين متتابعين من قبل أن يتماسا فمن لم يستطع فإطعام ستين مسكينا ذلك لتؤمنوا بالله ورسوله وتلك حدود الله وللكافرين عذاب أليم ثم قال والذين يظاهرون من نسائهم ثم يعودون لما قالوا يعني والذين كانت عادتهم أن يقولوا هذا القول المنكر فقطعوه بالإسلام ثم يعودون لمثله فكفارة من عاد أن يحرر رقبة ثم يماس المظاهر منها لا تحل له مماستها إلا بعد تقديم الكفارة ووجه آخر ثم يعودون لما قالوا ثم يتداركون ما قالوا لأن المتدارك للأمر عائد إليه ومنه المثل عاد غيث على ما أفسد أي تداركه بالإصلاح والمعنى أن تدارك هذا القول وتلافيه بأن يكفر حتى ترجع حالهما كما كانت قبل الظهار ووجه ثالث وهو أن يراد بما قالوا ما حرموه على أنفسهم بلفظ الظهار تنزيلا للقول منزلة المقول فيه نحو ما ذكرنا في قوله سبحانه وتعالى ونرثه ما يقول ويكون المعنى ثم يريدون العود للتماس والمماسة الاستمتاع بها من جماع أو لمس بشهوة أو نظر إلى فرجها لشهوة ذلكم الحكم توعظون به لأن الحكم بالكفارة دليل على ارتكاب الجناية فيجب أن تتعظوا بهذا الحكم حتى لا تعودوا إلى الظهار وتخافوا عقاب الله عز وجل عليه فإن قلت هل يصح الظهار بغير هذا اللفظ قلت نعم إذا وضع مكان أنت عضوا منها يعبر به عن الجملة كالرأس والوجه والرقبة والفرج أو مكان الظهر عضوا آخر يحرم النظر إليه من الأم كالبطن والفخذ أو مكان الأم ذات رحم محرم منه من نسب أو رضاع أو صهر أو جماع نحو أن يقول أنت علي كظهر أختي من الرضاع أو عمتي من النسب أو امرأة ابني أو أبي أو أم امرأتي أو بنتها فهو مظاهر وهو مذهب أبي حنيفة وأصحابه رحمة الله عليه وعليهم وعن الحسن والنخعي والزهري والأوزاعي والثوري رحمة الله عليهم أجمعين وغيرهم نحوه وقال الشافعي رضي الله عنه لا يكون الظهار إلا بالأم وحدها وهو قول قتادة رحمة الله عليه والشعبي وعن الشعبي رحمة الله عليه لم ينس الله عز وجل أن يذكر البنات والأخوات والعمات والخالات إذ أخبر أن الظهار إنما يكون بالأمهات الوالدات دون المرضعات وعن بعضهم لا بد من ذكر الظهر حتى يكون ظهارا فإن قلت فإذا امتنع المظاهر من الكفارة هل للمرأة أن ترافعه قلت لها ذلك وعلى القاضي أن يجبره على أن يكفر وأن يحبسه ولا شيء من الكفارات يجبر عليه ويحبس إلا كفارة الظهار وحدها لأنه يضر بها في ترك التكفير والامتناع من الاستمتاع فيلزم إيفاء حقها فإن قلت فإن مس قبل أن يكفر قلت عليه أن يستغفر ولا يعود حتى يكفر لما روي أن سلمة بن صخر البياضي قال لرسول الله صلى الله عليه وسلم ظاهرت من امرأتي ثم أبصرت خلخالها في ليلة قمراء فواقعتها فقال عليه السلام استغفر ربك ولا تعد حتى تكفر فإن قلت أي رقبة تجزئ في كفارة الظهار قلت المسلمة والكافرة جميعا لأنها في الآية مطلقة وعند الشافعي رضي الله عنه لا تجزئ إلا المؤمنة لقوله تعالى في كفارة القتل فتحرير رقبة مؤمنة ولا تجزئ أم الولد والمدبر والمكاتب الذي أدى شيئا فإن لم يؤد شيئا جاز وعند الشافعي رضي الله عنه لا يجوز فإن قلت فإن أعتق بعض الرقبة أو صام بعض الصيام ثم مس قلت عليه أن يستأنف نهارا مس أو ليلا ناسيا أو عامدا عند أبي حنيفة رحمة الله عليه وعند أبي يوسف ومحمد رحمة الله عليهما عتق بعض الرقبة عتق كلها فيجزيه وإن كان المس يفسد الصوم استقبل وإلا بنى فإن قلت كم يعطي المسكين في الإطعام قلت نصف صاع من بر أو صاعا من غيره عند أبي حنيفة وعند الشافعي رحمة الله عليهما مدا من طعام بلده الذي يقتات فيه فإن قلت ما بال التماس لم يذكر عند الكفارة بالإطعام

كما ذكر عند الكفارتين قلت اختلف في ذلك فعند أبي حنيفة رحمة الله عليه أنه لا فرق بين الكفارات الثلاث في وجوب تقديمها على المسيس وإنما ترك ذكره عند الإطعام دلالة على أنه إذا وجد في خلال الإطعام لم يستأنف كما يستأنف الصوم إذا وقع في خلاله وعند غيره لم يذكر للدلالة على أن التكفير قبله وبعده سواء فإن قلت الضمير في أن يتماسا إلام يرجع قلت إلى ما دل عليه الكلام من المظاهر والمظاهر منها ذلك البيان والتعليم للأحكام والتنبيه عليها لتصدقوا بالله ورسوله في العمل بشرائعه التي شرعها من الظهار وغيره ورفض ما كنتم عليه في جاهليتكم وتلك حدود الله التي لا يجوز تعديها وللكافرين الذين لا يتبعونها ولا يعملون عليها عذاب أليم إن الذين يحادون الله ورسوله كبتوا كما كبت الذين من قبلهم وقد أنزلنا آيات بينات وللكافرين عذاب مهين يحادون يعادون ويشاقون كبتوا أخزوا وأهلكوا كما كبت من قبلهم من أعداء الرسل قيل أريد كبتهم يوم الخندق وقد أنزلنا آيات بينات تدل على صدق الرسول وصحة ما جاء به وللكافرين بهذه الآيات عذاب مهين يذهب بعزهم وكبرهم يوم يبعثهم الله جميعا فينبئهم بما عملوا أحصاه الله ونسوه والله على كل شيء شهيد يوم يبعثهم منصوب بلهم أو بمهين أو بإضمار اذكر تعظيما لليوم جميعا كلهم لا يترك منهم أحد غير مبعوث أو مجتمعين في حال واحدة كما تقول حي جميع فينبئهم بما عملوا تخجيلا لهم وتوبيخا وتشهيرا بحالهم يتمنون عنده المسارعة بهم إلى النار لما يلحقهم من الخزي على رؤوس الأشهاد أحصاه الله أحاط به عددا لم يفته منه شيء ونسوه لأنهم تهاونوا به حين ارتكبوه لم يبالوا به لضراوتهم بالمعاصي وإنما تحفظ معظمات الأمور ألم تر أن الله يعلم ما في السموات وما في الأرض ما يكون من نجوى ثلاثة إلا هو رابعهم ولا خمسة إلا هو سادسهم ولا أدنى من ذلك ولا أكثر إلا هو معهم أين ما كانوا ثم ينبئهم بما عملوا يوم القيامة إن الله بكل شيء عليم ما يكون من كان التامة وقرئ بالياء والتاء والياء على أن النجوى تأنيثها غير حقيقي ومن فاصلة أو على أن المعنى ما يكون شيء من النجوى والنجوى التناجي فلا يخلو إما أن تكون مضافة إلى ثلاثة أي من نجوى ثلاثة نفر أو موصوفة بها أي من أهل نجوى ثلاثة فحذف الأهل أو جعلوا نجوى في أنفسهم مبالغة كقوله تعالى خلصوا نجيا وقرأ ابن أبي عبلة ثلاثة وخمسة بالنصب على الحال بإضمار يتناجون لأن نجوى يدل عليه أو على تأويل نجوى بمتناجين ونصبها من المستكن فيه فإن قلت ما الداعي إلى تخصيص الثلاثة والخمسة قلت فيه وجهان أحدهما أن قوما من المنافقين تحلقوا للتناجي مغايظة للمؤمنين على هذين العددين ثلاثة وخمسة فقيل ما يتناجى منهم ثلاثة ولا خمسة كما ترونهم يتناجون كذلك ولا أدنى من عدديهم ولا أكثر إلا والله معهم يسمع ما يقولون فقد روي عن ابن عباس رضي الله عنهما أنها نزلت في ربيعة وحبيب ابني عمرو وصفوان بن أمية كانوا يوما يتحدثون فقال أحدهم أترى أن الله يعلم ما نقول فقال الآخر يعلم بعضا ولا يعلم بعضا وقال الثالث إن كان يعلم بعضا فهو يعلم كله وصدق لأن من علم بعض الأشياء بغير سبب فقد علمها كلها لأن كونه عالما بغير سبب ثابت له مع كل معلوم والثاني أنه قصد أن يذكر ما جرت عليه العادة من أعداد أهل النجوى والمتخالين للشورى والمندوبين لذلك ليسوا بكل أحد وإنما هم طائفة مجتباة من أولي النهى والأحلام ورهط من أهل الرأي والتجارب وأول عددهم الاثنان فصاعدا إلى خمسة إلى ستة إلى ما اقتضته الحال وحكم به الاستصواب ألا ترى إلى عمر بن الخطاب رضي الله عنه كيف ترك الأمر شورى بين ستة ولم يتجاوز بها إلى سابع فذكر عز وعلا الثلاثة والخمسة وقال ولا أدنى من ذلك تدل على الاثنين والأربعة وقال ولا أكثر تدل على ما يلي هذا العدد ويقاربه وفي مصحف عبد الله

إلا الله رابعهم ولا أربعة إلا الله خامسهم ولا خمسة إلا الله سادسهم ولا أقل من ذلك ولا أكثر إلا الله معهم إذا انتجوا وقرئ ولا أدنى من ذلك ولا أكثر بالنصب على أن لا لنفي الجنس ويجوز أن يكون ولا أكثر بالرفع معطوفا على محل لا مع أدنى كقولك لا حول ولا قوة إلا بالله بفتح الحول ورفع القوة ويجوز أن يكونا مرفوعين على الابتداء كقولك لا حول ولا قوة إلا بالله وأن يكون ارتفاعهما عطفا على محل من نجوى كأنه قيل ما يكون أدنى ولا أكثر إلا هو معهم ويجوز أن يكونا مجرورين عطفا على نجوى كأنه قيل ما يكون من أدنى ولا أكثر إلا هو معهم وقرئ ولا أكبر بالباء ومعنى كونه معهم أنه يعلم ما يتناجون به ولا يخفى عليه ما هم فيه فكأنه مشاهدهم ومحاضرهم وقد تعالى عن المكان والمشاهدة وقرئ ثم ينبئهم على التخفيف ألم تر إلى الذين نهوا عن النجوى ثم يعودون لما نهوا عنه ويتناجون بالإثم والعدوان ومعصيت الرسول وإذا جاؤك حيوك بما لم يحيك به الله ويقولون في أنفسهم لولا يعذبنا الله بما نقول حسبهم جهنم يصلونها فبئس المصير كانت اليهود والمنافقون يتناجون فيما بينهم ويتغامزون بأعينهم إذا رأوا المؤمنين يريدون أن يغيظوهم فنهاهم رسول الله عليه السلام فعادوا لمثل فعلهم وكان تناجيهم بما هو إثم وعدوان للمؤمنين وتواص بمعصيت الرسول ومخالفته وقرئ ينتجون بالإثم والعدوان بكسر العين ومعصيات الرسول حيوك بما لم يحيك به الله يعني أنهم يقولون في تحيتك السام عليك يا محمد والسام الموت والله تعالى يقول وسلام على عباده الذين اصطفى ويا أيها الرسول ويا أيها النبي لولا يعذبنا الله بما نقول كانوا يقولون ما له إن كان نبيا لا يدعو علينا حتى يعذبنا الله بما نقول فقال الله تعالى حسبهم جهنم عذابا يا أيها الذين آمنوا إذا تناجيتم فلا تتناجوا بالإثم والعدوان ومعصيت الرسول وتناجوا بالبر والتقوى واتقوا الله الذي إليه تحشرون يا أيها الذين آمنوا خطاب للمنافقين الذين آمنوا بألسنتهم ويجوز أن يكون للمؤمنين أي إذا تناجيتم فلا تتشبهوا بأولئك في تناجيهم بالشر وتناجوا بالبر والتقوى وعن النبي صلى الله عليه وسلم إذا كنتم ثلاثة فلا يتناج اثنان دون صاحبهما فإن ذلك يحزنه وروي دون الثالث وقرئ فلا تنتجوا وعن ابن مسعود رضي الله عنه إذا انتجيتم فلا تنتجوا إنما النجوى من الشيطان ليحزن الذين آمنوا وليس بضارهم شيئا إلا بإذن الله وعلى الله فليتوكل المؤمنون إنما النجوى اللام إشارة إلى النجوى بالإثم والعدوان بدليل قوله ليحزن الذين آمنوا والمعنى أن الشيطان يزينها لهم فكأنها منه ليغيظ الذين آمنوا ويحزنهم وليس الشيطان أو الحزن بضارهم شيئا إلا بإذن الله فإن قلت كيف لا يضرهم الشيطان أو الحزن إلا بإذن الله كانوا يوهمون المؤمنين في نجواهم وتغامزهم أن غزاتهم غلبوا وأن أقاربهم قتلوا فقال لا يضرهم الشيطان أو الحزن بذلك الموهم إلا بإذن الله أي بمشيئته وهو أن يقضي الموت على أقاربهم أو الغلبة على الغزاة وقرئ ليحزن وليحزن يا أيها الذين آمنوا إذا قيل لكم تفسحوا في المجلس فافسحوا يفسح الله لكم وإذا قيل انشزوا فانشزوا يرفع الله الذين آمنوا منكم والذين أوتوا العلم درجات والله بما تعملون خبير تفسحوا في المجلس توسعوا فيه وليفسح بعضكم عن بعض من قولهم افسح عني أي تنح ولا تضاموا وقرئ تفاسحوا والمراد مجلس رسول الله عليه السلام وكانوا يتضامون فيه تنافسا على القرب منه وحرصا على استماع كلامه وقيل هو مجلس من مجالس القتال وهي مراكز الغزاة كقوله تعالى مقاعد للقتال وقرئ في المجالس قيل كان الرجل يأتي الصف فيقول تفسحوا فيأبون لحرصهم على الشهادة وقرئ في

المجلس

المجلس بفتح اللام وهو الجلوس أي توسعوا في جلوسكم ولا تتضايقوا فيه يفسح الله لكم مطلق في كل ما يبتغي الناس الفسحة فيه من المكان والرزق والصدر والقبر وغير ذلك انشزوا انهضوا للتوسعة على المقبلين أو انهضوا عن مجلس رسول الله صلى الله عليه وسلم إذا أمرتم بالنهوض عنه ولا تملوا رسول الله بالارتكاز فيه أو انهضوا إلى الصلوة والجهاد وأعمال الخير إذا استنهضتم ولا تثبطوا ولا تفرطوا يرفع الله المؤمنين بامتثال أوامره وأوامر رسوله والعالمين منهم خاصة درجات بما تعملون قرئ بالتاء والياء وعن عبد الله بن مسعود رضي الله عنه أنه كان إذا قرأها قال يا أيها الناس افهموا هذه الآية ولترغبكم في العلم وعن النبي صلى الله عليه وسلم بين العالم والعابد مائة درجة بين كل درجتين حضر الجواد المضمر سبعين سنة وعنه صلى الله عليه وسلم فضل العالم على العابد كفضل القمر ليلة البدر على سائر الكواكب وعنه أيضا صلى الله عليه وسلم يشفع يوم القيمة ثلاثة الأنبياء ثم العلماء ثم الشهداء فأعظم بمرتبة هي واسطة بين النبوة والشهادة بشهادة رسول الله صلى الله عليه وسلم وعن ابن عباس رضي الله عنهما خير سليمان عليه السلام بين العلم والمال والملك فاختار العلم فأعطي الملك والمال معه وقال صلى الله عليه وسلم أوحى الله تعالى إلى إبراهيم عليه السلام يا إبراهيم إني عليم أحب كل عليم وعن بعض الحكماء ليت شعري أي شيء أدرك من فاته العلم وأي شيء فات من أدرك العلم وعن الأحنف كاد العلماء يكونون أربابا وكل عز لم يوطد بعلم فإلى ذل ما يصير وعن الزهري العلم ذكر فلا يحبه إلا ذكورة الرجال يا أيها الذين آمنوا إذا ناجيتم الرسول فقدموا بين يدي نجواكم صدقة ذلك خير لكم وأطهر فإن لم تجدوا فإن الله غفور رحيم بين يدي نجويكم استعارة ممن له يدان والمعنى قبل نجواكم كقول عمر رضي الله عنه من أفضل ما أوتيت العرب الشعر يقدمه الرجل أمام حاجته فيستمطر به الكريم ويستنزل به اللئيم يريد قبل حاجته ذلك التقديم خير لكم في دينكم وأطهر لأن الصدقة طهرة وروي أن الناس أكثروا مناجاة رسول الله عليه السلام بما يريدون حتى أملوه وأبرموه فأريد أن يكفوا عن ذلك فأمروا بأن من أراد أن يناجيه قدم قبل مناجاته صدقة قال علي بن أبي طالب رضي الله عنه لما نزلت دعاني رسول الله عليه السلام فقال ما تقول في دينار قلت لا يطيقونه قال كم قلت حبة أو شعيرة قال إنك لزهيد فلما رأوا ذلك اشتد عليهم فارتدعوا وكفوا أما الفقير فلعسرته وأما الغني فلشحه وقيل كان ذلك عشر ليال وقيل ما كان إلا ساعة من نهار وعن أمير المؤمنين علي رضي الله عنه أن في كتاب الله لآية ما عمل بها أحد قبلي ولا يعمل بها أحد بعدي كان لي دينار فصرفته فكنت إذا ناجيته تصدقت بدرهم قال الكلبي تصدق به في كلمات ساءلهن رسول الله عليه السلام وعن ابن عمر رضي الله عنهما كان لعلي رضي الله عنه ثلث لو كانت لي واحدة منهن كانت أحب إلي من حمر النعم تزويجه فاطمة رضي الله عنها وإعطاؤه الراية يوم خيبر وآية النجوى قال ابن عباس رضي الله عنهما هي منسوخة بالآية التي بعدها وقيل هي منسوخة بالزكوة أأشفقتم أن تقدموا بين يدي نجويكم صدقات فإذ لم تفعلوا وتاب الله عليكم فأقيموا الصلوة وآتوا الزكوة وأطيعوا الله ورسوله والله خبير بما تعملون أأشفقتم أخفتم تقديم الصدقات لما فيه من الإنفاق الذي تكرهونه وأن الشيطان يعدكم الفقر ويأمركم بالفحشاء فإذ لم تفعلوا ما أمرتم به وشق عليكم وتاب الله عليكم وعذركم ورخص لكم في أن لا تفعلوه فلا تفرطوا في الصلوة والزكوة وسائر الطاعات بما يعملون قرئ بالياء والتاء ألم تر إلى الذين تولوا قوما غضب الله عليهم ما هم منكم ولا منهم ويحلفون على الكذب وهم يعلمون أعد الله لهم عذابا شديدا إنهم ساء

ما كانوا يعملون كان المنافقون يتولون اليهود لعنهم الله وهم الذين غضب الله عليهم في قوله عز وجل من
لعنه الله وغضب عليه وينا صحونهم وينقلون اليهم اسرار المؤمنين ما هم منكم يا مسلمون ولا منهم ولا
من اليهود كقوله عز وجل مذبذبين بين ذلك لا الى هؤلاء ولا الى هؤلاء ويحلفون على الكذب اي يقولون
والله انا لمسلمون فيحلفون على الكذب الذي هو ادعاء الاسلام وهم يعلمون ان المحلوف عليه كذب بحت فان
قلت فما فائدة قوله تعالى وهم يعلمون الكذب ان يكون الخبر لا على وفاق المخبر عنه سواء علم
المخبر او لم يعلم فالمعنى انهم الذين يخبرون وخبرهم خلاف ما يخبرون عنه وهم عالمون بذلك متعمدون
له كمن يحلف بالغموس وقيل كان عبد الله بن نبتل المنافق عليه اللعنة يجالس رسول الله عليه السلام
ثم يرفع حديثه الى اليهود عليهم اللعنة فبينا رسول الله عليه السلام في حجرة من حجره اذ قال لاصحابه يدخل
عليكم الآن رجل قلبه قلب جبار وينظر بعيني شيطان فدخل ابن نبتل وكان ازرق فقال له النبي علام
تشتمني انت واصحابك فحلف بالله ما فعل فقال صلى الله عليه وسلم فعلت فانطلق فجاء باصحابه فحلفوا بالله
ما سبوه فنزلت عذابا شديدا نوعا من العذاب متفاقما انهم ساء ما كانوا يعملون يعني انهم كانوا في الزمان
المتطاول على سوء العمل مصرين عليه او هي حكاية ما يقال لهم في الآخرة اتخذوا ايمانهم جنة فصدوا عن
سبيل الله فلهم عذاب مهين لن تغني عنهم اموالهم ولا اولادهم من الله شيئا اولئك اصحاب النار
هم فيها خالدون وقرئ ايمانهم بالكسر اي اتخذوا ايمانهم التي حلفوا بها او ايمانهم الذي
اظهروه جنة اي سترة يستترون بها من المؤمنين ومن قتلهم فصدوا الناس في خلال امنهم وسلامتهم
عن سبيل الله فكانوا يثبطون من لقوا عن الدخول في الاسلام ويضعفون امر المسلمين عندهم وانما وعدهم
الله العذاب المهين المخزي لكفرهم وصدهم كقوله تعالى الذين كفروا وصدوا عن سبيل الله زدناهم
عذابا فوق العذاب من الله من عذاب الله شيئا قليلا من الاغناء روي ان رجلا منهم قال لننصرن يوم القيامة
بانفسنا واموالنا واولادنا يوم يبعثهم الله جميعا فيحلفون له كما يحلفون لكم ويحسبون انهم
على شيء الا انهم هم الكاذبون فيحلفون لله تعالى على انهم مسلمون في الآخرة كما يحلفون لكم في الدنيا على ذلك
ويحسبون انهم على شيء من النفع يعني ليس العجب من حلفهم لكم فانكم بشر تخفى عليكم السرائر وان لهم نفعا في ذلك
دفعا عن ارواحهم واستجرار فوائد دنيوية وانهم يفعلونه في دار لا يضطرون فيها الى علم ما يوعدون
ولكن العجب من حلفهم لله تعالى عالم الغيب والشهادة مع عدم النفع والاضطرار الى علم ما انذرتهم الرسل
والمراد وصفهم بالتوغل في نفاقهم ومرودهم عليه وان ذلك بعد موتهم وبعثهم باق فيهم لا يضمحل
كما قال تعالى ولو ردوا لعادوا لما نهوا عنه وقد اختلف العلماء في كذبهم في الآخرة والقرآن ناطق بثباته
نطقا مكشوفا كما ترى في هذه الآية وفي قوله عز وعلا والله ربنا ما كنا مشركين انظر كيف كذبوا على انفسهم
وضل عنهم ما كانوا يفترون ونحو حسبانهم انهم على شيء من النفع اذا حلفوا استنظارهم المؤمنين ليقتبسوا
من نورهم لحسبانهم ان الايمان الظاهر مما ينفعهم وقيل عند ذلك يختم على افواههم الا انهم هم
الكاذبون يعني انهم الغاية التي لا مطمح وراءها في قول الكذب حيث استوت حالهم فيه في الدنيا والآخرة
استحوذ عليهم الشيطان فانساهم ذكر الله اولئك حزب الشيطان الا ان حزب الشيطان هم
الخاسرون ان الذين يحادون الله ورسوله اولئك في الاذلين كتب الله لاغلبن انا ورسلي ان الله
قوي عزيز استحوذ عليهم استولى عليهم من حاذ الحمار العانة اذا جمعها وساقها غالبا لها وهو مما جاء على الاصل نحو استصوب واستنوق اي ملكهم الشيطان لطاعتهم له في كل ما يريده

منهم حتى جعلهم رعيته وحزبه فانساهم ان يذكروا الله اصلا لا بقلوبهم ولا بالسنتهم قال ابو عبيد حزب الشيطان
جنده في الاذلين في جملة من هو اذل خلق الله لا ترى احدا اذل منهم كتب الله في اللوح لاغلبن انا ورسلي
لا تجد قوما يؤمنون بالله واليوم الآخر يوادون من حاد الله ورسوله ولو كانوا آباءهم او ابناءهم او اخوانهم
او عشيرتهم لا تجد قوما من باب التخييل خيل ان من الممتنع المحال ان تجد قوما مؤمنين يوالون المشركين
والغرض به انه لا ينبغي ان يكون ذلك وحقه ان يمتنع ولا يوجد بحال مبالغة في النهي عنه والزجر عن
ملابسته والتوصية بالتصلب في مجانبة اعداء الله ومباعدتهم والاحتراس من مخالطتهم ومعاشرتهم
وزاد ذلك تاكيدا وتشديدا بقوله تعالى ولو كانوا آباءهم وبقوله اولئك كتب في قلوبهم الايمان وبمقابلة
قوله تعالى اولئك حزب الشيطان بقوله اولئك حزب الله فلا تجد شيئا ادخل في الاخلاص من موالاة اولياء
الله تعالى ومعاداة اعدائه بل هو الاخلاص بعينه اولئك كتب في قلوبهم الايمان وايدهم بروح
منه ويدخلهم جنات تجري من تحتها الانهار خالدين فيها رضي الله عنهم ورضوا عنه اولئك
حزب الله الا ان حزب الله هم المفلحون كتب في قلوبهم الايمان اثبته فيها بما وفقهم فيه وشرح له
صدورهم وايدهم بروح منه بلطف من عنده حييت به قلوبهم ويجوز ان يكون الضمير للايمان اي بروح
من الايمان على انه في نفسه روح لحياة القلوب به وعن الثوري رحمة الله عليه انه قال كانوا يرون انها
نزلت فيمن يصحب السلطان وعن عبد العزيز رحمة الله عليه ابن رواد انه لقي المنصور رحمه الله في
الطواف فلما عرفه هرب منه وتلاها وعن النبي صلى الله عليه وسلم انه كان يقول اللهم لا تجعل لفاجر
ولا لفاسق عندي نعمة فاني وجدت فيما اوحيت لا تجد قوما وروي انها نزلت في ابي بكر رضي الله
عنه وذلك ان ابا قحافة سب رسول الله عليه السلام فصكه صكة سقط منها فقال له رسول الله عليه
السلام او فعلته قال نعم قال لا تعد قال والله لو كان السيف قريبا مني لقتلته وقيل في ابي عبيدة
ابن الجراح رضي الله عنه قتل اباه عبد الله الجراح يوم احد وفي ابي بكر رضي الله عنه دعا ابنه يوم
بدر الى البراز وقال لرسول الله عليه السلام دعني اكن في الرعلة الاولى قال متعنا بنفسك يا ابا بكر اما
تعلم انك عندي بمنزلة سمعي وبصري وفي مصعب بن عمير رضي الله عنه قتل اخاه عبيد بن عمير يوم احد
وفي عمر بن الخطاب رضي الله عنه قتل خاله العاص بن هشام يوم بدر وفي علي وحمزة وعبيدة بن الحارث
رضي الله عنهم قتلوا عتبة وشيبة ابني ربيعة والوليد بن عتبة عليهم اللعنة يوم بدر عن رسول
صلى الله عليه وسلم من قرا سورة المجادلة كتب من حزب الله يوم القيامة والله اعلم بالصواب

بسم الله الرحمن الرحيم سبح لله ما في السماوات وما في الارض وهو العزيز الحكيم هو الذي اخرج الذين
كفروا من اهل الكتاب من ديارهم لاول الحشر ما ظننتم ان يخرجوا وظنوا انهم مانعتهم حصونهم
من الله صالح بنو النضير رسول الله عليه السلام على ان لا يكونوا عليه ولا له فلما ظهر يوم بدر قالوا هو النبي
الذي نعته في التوراة لا ترد له راية فلما هزم المسلمون يوم احد ارتابوا ونكثوا فخرج كعب بن الاشرف في
اربعين راكبا الى مكة فحالفوا عليه قريشا عند الكعبة فامر رسول الله صلى الله عليه وسلم محمد بن مسلمة
الانصاري فقتل كعبا غيلة وكان اخاه من الرضاعة ثم صبحهم بالكتائب وهو على حمار مخطوم بليف
فقال لهم اخرجوا من المدينة فقالوا الموت احب الينا من ذلك فتنادوا بالحرب وقيل استمهلوا رسول

السمع والبصر صح

الله عليه السلام عشرة ايام ليتجهز والخروج فدس عبد الله بن ابي المنافق عليه اللعنة واصحابه اليهم لا تخرجوا
من الحصن فان قاتلوكم فنحن معكم لا نخذلكم ولئن خرجتم لنخرجن معكم فدربوا على الازقة وحصنوها فحاصرهم
احدى وعشرين ليلة فلما قذف الله الرعب في قلوبهم وايسوا من نصر المنافقين طلبوا الصلح فابى عليهم الا الجلاء
على ان يحمل كل ثلاثة ابيات على بعير ما شاؤا من متاعهم فجلوا الى الشام الى اريحا واذرعات الا اهل بيتين منهم
آل ابي الحقيق وآل حيي بن اخطب فانهم لحقوا بخيبر ولحقت طائفة بالحيرة ۝ اللام في لاول الحشر يتعلق باخرج
وهي اللام في قوله عز وجل يا ليتني قدمت لحياتي وقولك جئت لوقت كذا ۝ والمعنى اخرج الذين كفروا عند
اول الحشر ومعنى اول الحشر ان هذا اول حشرهم الى الشام وكانوا من سبط لم يصبهم جلاء قط وهم اول من
اخرج من اهل الكتاب من جزيرة العرب الى الشام او هذا اول حشرهم وآخر حشرهم اجلاء عمر اياهم من خيبر
الى الشام ۝ وقيل آخر حشرهم يوم القيمة لان المحشر يكون بالشام ۝ وعن عكرمة من شك ان المحشر ههنا
يعني الشام فليقرأ هذه الآية ۝ وقيل معناه اخرجهم من ديارهم لاول ما حشر لقتالهم لانه اول قتال قا تلهم
رسول الله عليه السلام ۝ ما ظننتم ان يخرجوا لشدة بأسهم ومنعتهم ووثاقة حصونهم وكثرة عددهم
وعدتهم ۝ وظنوا ان حصونهم تمنعهم من بأس الله فأتاهم الله من حيث لم يحتسبوا وقذف في قلوبهم
الرعب يخربون بيوتهم بايديهم وايدي المؤمنين فاعتبروا يا اولي الابصار ۝ فاتاهم امر الله
من حيث لم يحتسبوا من حيث لم يظنوا ولم يخطر ببالهم وهو قتل رئيسهم كعب بن الاشرف على يد اخيه وذلك
مما اضعف قوتهم وفل من شوكتهم وسلب قلوبهم الامن والطمأنينة بما قذف فيها من الرعب والهمهم ان
يوافقوا المؤمنين في تخريب بيوتهم ويعينوا على انفسهم وثبط المنافقين الذين كانوا يتولونهم عن مظاهرتهم
وهذا كله لم يكن في حسابهم ومنه اتاهم الهلاك ۝ فان قلت اي فرق بين قولك وظنوا ان حصونهم
تمنعهم او مانعتهم وبين النظم الذي جاء عليه قلت في تقديم الخبر على المبتدا دليل على فرط وثوقهم بحصانتها
ومنعها اياهم وفي تصيير ضميرهم اسما لان واسناد الجملة اليه دليل على اعتقادهم في انفسهم انهم في عزة
ومنعة لا يبالي معها باحد يتعرض لهم او يطمع في معازتهم وليس ذلك في قولك وظنوا ان حصونهم تمنعهم
وقرئ فآتاهم الله اي فآتاهم الهلاك ۝ والرعب الخوف الذي يرعب الصدر اي يملأه وقذفه اثباته
وركزه ۝ ومنه قالوا في صفة الاسد مقذف كانما قذف باللحم قذفا لاكتنازه وتداخل اجزائه ۝ وقرئ يخربون
ويخربون مثقلا ومخففا والتخريب والاخراب الافساد بالنقض والهدم ۝ والخربة الفساد كانوا يخربون
بواطنها والمسلمون ظواهرها لما اراد الله عز وجل من استيصال شأفتهم وان لا يبقى لهم بالمدينة دار ولا منهم
ديار والذي دعاهم الى التخريب حاجتهم الى الخشب والحجارة ليسدوا بها افواه الازقة وان لا يتحسروا بعد
جلائهم على بقائها مساكن للمسلمين وان ينقلوا معهم ما كان في ابنيتهم من جيد الخشب والساج المليح ۝ واما
المؤمنون فداعيهم ازالة متحصنهم ومتمنعهم وان يتسع لهم مجال الحرب فان قلت ما معنى تخريبهم لها
بايدي المؤمنين قلت لما عرضوهم لذلك وكانوا السبب فيه فكأنهم امروهم به وكلفوهم اياه ۝ فاعتبروا
بما دبر الله ويسر من امر اخراجهم وتسليط المسلمين عليهم من غير قتال ۝ وقيل وعد رسول الله صلى الله عليه وسلم
المسلمين ان يورثهم الله ارضهم واموالهم بغير قتال فكان كما قال يعني ان الله عز وجل قد عزم على تطهير
ارض المدينة منهم واراحة المسلمين من جوارهم وتوريثهم اموالهم ولولا ان كتب الله عليهم الجلاء
لعذبهم في الدنيا ولهم في الآخرة عذاب النار ذلك بانهم شاقوا الله ورسوله ومن يشاق الله فان
الله شديد العقاب ۝ ولولا انه تعالى كتب عليهم الجلاء واقتضته الحكمة ودعاه الى اختياره انه اشق

عليهم

عليهم من الموت ۝ لعذبهم في الدنيا بالقتل كما فعل باخوانهم بني قريظة ۝ ولهم سواء اجلوا او قتلوا عذاب النار يعني ان نجوا
من عذاب الدنيا لم ينجوا من عذاب الآخرة ۝ ما قطعتم من لينة او تركتموها قائمة على اصولها فباذن الله
وليخزي الفاسقين ۝ من لينة بيان لما قطعتم ومحل ما نصب بقطعتم كانه قال اي شيء قطعتم وانث الضمير
الراجع الى ما في قوله تعالى او تركتموها لانه في معنى اللينة واللينة النخلة من الالوان وهي ضروب النخل
ما خلا العجوة والبرنية وهما اجود النخل وياؤها عن واو قلبت لكسرة ما قبلها كالديمة ۝ وقيل اللينة
النخلة الكريمة كانهم اشتقوها من اللين قال ذو الرمة ۝
۝ كان قتودي فوقها عش طائر ۝ على لينة سوقاء تهفو جنوبها ۝ وجمعها ليان وقرئ قوما
على اصلها ۝ وفيه وجهان ۝ انه جمع اصل كرهن ورهن ۝ او اكتفى فيه بالضمة عن الواو ۝ وقرئ قائما على اصوله
ذهابا الى لفظ ما ۝ فباذن الله فقطعها باذن الله وامره ۝ وليخزي الفاسقين وليذل اليهود ويغيظهم
اذن في قطعها وذلك ان رسول الله صلى الله عليه وسلم حين امر ان يقطع نخلهم ويحرق قالوا يا محمد قد كنت
تنهى عن الفساد في الارض فما بال قطع النخل وتحريقها فكان في نفس المؤمنين من ذلك شيء فنزلت يعني ان الله
عز وجل اذن لهم في قطعها ليزيدكم غيظا ويضاعف لكم حسرة اذا رأيتموهم يتحكمون في اموالكم كيف
احبوا ويتصرفون فيها ما شاؤا ۝ واتفق العلماء على ان حصون الكفرة وديارهم لا بأس بان تهدم وتحرق وتغرق ق
وترمى بالمجانيق وكذلك اشجارهم لا بأس بقلعها مثمرة كانت او غير مثمرة ۝ وعن ابن مسعود رضي الله عنه قطعوا
منها ما كان موضعا للقتال ۝ فان قلت لم خصت اللينة بالقطع قلت ان كانت من الالوان فليستبقوا
لانفسهم العجوة والبرنية ۝ وان كانت من كرام النخل فليكون غيظ اليهود اشد واشق ۝ وروي ان رجلين كانا
يقطعان احدهما العجوة والآخر اللون فسألهما رسول الله عليه السلام فقال هذا تركتها لرسول الله وقال
هذا قطعتها غيظا للكفار وقد استدل به على جواز الاجتهاد وعلى جوازه بحضرة رسول الله عليه السلام
لانهما بالاجتهاد فعلا ذلك واحتج به من يقول كل مجتهد مصيب ۝ وما افاء الله على رسوله منهم فما اوجفتم
عليه من خيل ولا ركاب ولكن الله يسلط رسله على من يشاء والله على كل شيء قدير ما افاء الله على رسوله
جعله له فيئا خاصة ۝ والايجاف من الوجيف وهو السير السريع ۝ ومنه قوله صلى الله عليه وسلم في الافاضة
من عرفات ليس البر بايجاف الخيل ولا ايضاع الابل على هينتكم ۝ ومعنى فما اوجفتم عليه فما اوجفتم على
تحصيله وتغنمه خيلا ولا ركابا ولا تعبتم في القتال عليه وانما مشيتم اليه على ارجلكم والمعنى ان ما خول
الله عز وجل رسوله صلى الله عليه وسلم من اموال بني النضير شيء لم تحصلوه بالقتال ولكن سلطه الله
تعالى عليهم وعلى ما في ايديهم كما كان يسلط رسله على اعدائهم فالامر فيه مفوض اليه يضعه حيث يشاء
يعني انه لا يقسم قسمة الغنائم التي قوتل عليها واخذت عنوة وقهرا وذلك انهم طلبوا القسمة فنزلت
ما افاء الله على رسوله من اهل القرى فلله وللرسول ولذي القربى واليتامى والمساكين وابن
السبيل كي لا يكون دولة بين الاغنياء منكم وما آتاكم الرسول فخذوه وما نهاكم عنه فانتهوا
واتقوا الله ان الله شديد العقاب ۝ لم يدخل العاطف على هذه الجملة لانها بيان للاولى فهي منها غير
اجنبية عنها بين لرسول الله صلى الله عليه وسلم ما يصنع بما افاء الله عليه وامره ان يضعه حيث يضع الخمس
من الغنائم مقسوما على الاقسام الخمسة ۝ والدولة والدولة بالفتح والضم وقد قرئ بهما ما يدول
للانسان اي يدور من الجد يقال دالت له الدولة وادبل لفلان ومعنى قوله تعالى كي لا يكون دولة بين
الاغنياء منكم كي لا يكون الفيء الذي حقه ان يعطى الفقراء ليكون لهم بلغة يعيشون بها جاريا بين الاغنياء

يتكاثرون به. او كيلا يكون دولة جاهلية بينهم ومعنى الدولة الجاهلية ان الرؤساء كانوا يستأثرون بالغنيمة لانهم اهل الرياسة والدولة والغلبة وكانوا يقولون من عزّ بزّ. والمعنى كيلا يكون اخذه غلبة واثرة جاهلية. ومنه قول الحسن رحمة الله عليه اتخذوا عباد الله خولا ومال الله دولا يريد من غلب منهم اخذه واستأثر به. وقيل الدولة ما يتداول كالغرفة اسم ما يغترف يعني كيلا يكون الفيء شيئا يتداوله الاغنياء بينهم ويتعاورونه فلا يصيب الفقراء. والدولة بالفتح بمعنى التداول اي كيلا يكون ذا تداول بينهم. او كيلا يكون امساكه تداولا بينهم لا يخرجونه الى الفقراء. وقرئ دولة بالرفع على كان التامة كقوله تعالى وان كان ذو عسرة يعني كيلا يقع دولة جاهلية وليقطع اثرها. او كيلا يكون تداول له بينهم. او كيلا يكون شيء متعاور بينهم غير مخرج الى الفقراء. وما آتاكم الرسول من قسمة غنيمة او فيء فخذوه. وما نهاكم عن اخذه فانتهوا عنه ولا تتبعوه انفسكم. واتقوا الله ان تخالفوه وتتهاونوا باوامره ونواهيه. ان الله شديد العقاب لمن خالف رسوله. والاجود ان يكون عاما في كل ما اتى رسول الله ونهى عنه وامر الفيء داخل في عمومه. وعن ابن مسعود رضي الله عنه انه لقي رجلا محرما وعليه ثيابه فقال له انزع عنك هذا فقال له الرجل اقرأ علي في هذا آية من كتاب الله قال نعم فقرأها عليه للفقراء الذين اخرجوا من ديارهم واموالهم يبتغون فضلا من الله ورضوانا وينصرون الله ورسوله اولئك هم الصادقون. والذين تبوؤا الدار والايمان من قبلهم يحبون من هاجر اليهم. للفقراء بدل من قوله تعالى لذي القربى والمعطوف عليه والذي منع الابدال من لله وللرسول والمعطوف عليهما وان كان المعنى لرسول الله صلى الله عليه وسلم ان الله عز وجل اخرج رسوله من الفقراء في قوله تعالى وينصرون الله ورسوله وانه تعالى يترفع برسول الله عليه السلام عن التسمية بالفقير وان الابدال على ظاهر اللفظ من خلاف الواجب في تعظيم الله تعالى. اولئك هم الصادقون في ايمانهم وجهادهم. والذين تبوؤا معطوف على المهاجرين وهم الانصار. فان قلت ما معنى عطف الايمان على الدار ولا يقال تبوؤا الايمان. قلت معناه تبوؤا الدار واخلصوا الايمان كقوله علفتها تبنا وماء باردا. او وجعلوا الايمان مستقرا ومتوطنا لهم لتمكنهم منه واستقامتهم عليه كما جعلوا المدينة كذلك. او اراد دار الهجرة ودار الايمان فاقام لام التعريف في الدار مقام المضاف اليه وحذف المضاف من دار الايمان ووضع المضاف اليه مقامه. او سمى المدينة لانها دار الهجرة ومكان ظهور الايمان بالايمان. من قبلهم من قبل المهاجرين لانهم سبقوهم في تبوء دار الهجرة والايمان. وقيل من قبل هجرتهم. ولا يجدون في صدورهم حاجة مما اوتوا ويؤثرون على انفسهم ولو كان بهم خصاصة. ولا يجدون ولا يعلمون في انفسهم حاجة مما اوتوا اي طلب محتاج اليه مما اوتي المهاجرون من الفيء وغيره والمحتاج اليه يسمى حاجة يقال خذ منه حاجتك واعطاه من ماله حاجته يعني ان نفوسهم لم تتبع ما اعطوا ولم تطمح الى شيء يحتاج اليه. ولو كان بهم خصاصة اي خلة واصلها خصاص البيت وهي فروجه والجملة في موضع الحال اي مفروضة خصاصتهم. وكان رسول الله صلى الله عليه وسلم قسم اموال بني النضير على المهاجرين ولم يعط الانصار الا ثلاثة نفر محتاجين ابا دجانة سماك ابن خرشة وسهل بن حنيف والحارث بن الصمة. وقال لهم ان شئتم قسمتم للمهاجرين من اموالكم ودياركم وشاركتموهم في هذه الغنيمة وان شئتم كانت لكم دياركم واموالكم ولم يقسم لكم شيء من الغنيمة فقالت الانصار بل نقسم لهم من اموالنا وديارنا ونؤثرهم بالغنيمة ولا نشاركهم فيها فنزلت ومن يوق شح نفسه فاولئك هم المفلحون. والذين جاؤا من بعدهم يقولون ربنا اغفر لنا ولاخواننا الذين

سبقونا

سبقونا بالايمان ولا تجعل في قلوبنا غلا للذين آمنوا ربنا انك رؤف رحيم. الشح بالضم والكسر وقد قرئ بهما اللؤم وان يكون نفس الرجل كزة حريصة على المنع كما قال

يمارس نفسا بين جنبيه كزة. اذا هم بالمعروف قالت له مهلا. وقد اضيف الى النفس لانه غريزة فيها. واما البخل فهو المنع نفسه. ومنه قوله عز وعلا واحضرت الانفس الشح. ومن يوق شح نفسه ومن غلب ما امرته به نفسه وخالف هواها بمعونة الله وتوفيقه. فاولئك هم المفلحون الظافرون بما ارادوا. وقرئ ومن يوقّ شح نفسه. والذين جاؤا من بعدهم عطف ايضا على المهاجرين وهم الذين هاجروا من بعد. وقيل التابعون باحسان. غلا وقرئ غمرا وهما الحقد. الم تر الى الذين نافقوا يقولون لاخوانهم الذين كفروا من اهل الكتاب لئن اخرجتم لنخرجن معكم ولا نطيع فيكم احدا ابدا وان قوتلتم لننصرنكم والله يشهد انهم لكاذبون. لاخوانهم للذين بينهم وبينهم اخوة الكفر ولانهم كانوا يوالونهم ويواخونهم وكانوا معهم على المؤمنين في السر. ولا نطيع فيكم في قتالكم احدا من رسول الله عليه السلام والمسلمين ان حملنا عليه. او في خذلانكم واخلاف ما وعدناكم من النصرة. لكاذبون اي في مواعيدهم لليهود عليهم اللعنة. وفيه دليل على صحة النبوة لانه اخبار بالغيوب لئن اخرجوا لا يخرجون معهم ولئن قوتلوا لا ينصرونهم ولئن نصروهم ليولن الادبار ثم لا ينصرون. فان قلت كيف قيل ولئن نصروهم بعد الاخبار بانهم لا ينصرونهم. قلت معناه ولئن نصروهم على الفرض والتقدير كقوله تعالى لئن اشركت ليحبطن عملك. وكما يعلم ما يكون فهو يعلم ما لا يكون لو كان كيف يكون. والمعنى ولئن نصر المنافقون اليهود لينهزمن المنافقون ثم لا ينصرون بعد ذلك اي يهلكهم الله ولا ينفعهم نفاقهم لظهور كفرهم. او لينهزمن اليهود ثم لا ينفعهم نصرة المنافقين. لانتم اشد رهبة في صدورهم من الله ذلك بانهم قوم لا يفقهون. رهبة مصدر رهب المبني للمفعول كانه قيل اشد مرهوبية وقوله تعالى في صدورهم دلالة على نفاقهم يعني انهم يظهرون لكم في العلانية خوف الله وانتم اهيب في صدورهم من الله. فان قلت كانهم كانوا يرهبون من الله حتى تكون رهبتهم منهم اشد. معناه ان رهبتهم في السر منكم اشد من رهبتهم من الله التي يظهرونها لكم وكانوا يظهرون لهم رهبة شديدة من الله. ويجوز ان يريد ان اليهود عليهم اللعنة يخافونكم في صدورهم اشد من خوفهم من الله لانهم كانوا قوما اولي باس ونجدة فكانوا يتشجعون لهم مع اضمار الخيفة في صدورهم. لا يفقهون لا يعلمون الله وعظمته حتى يخشوه حق خشيته. لا يقاتلونكم جميعا الا في قرى محصنة او من وراء جدر باسهم بينهم شديد تحسبهم جميعا وقلوبهم شتى ذلك بانهم قوم لا يعقلون. لا يقاتلونكم لا يقدرون على مقاتلتكم جميعا مجتمعين متساندين يعني اليهود والمنافقين عليهم اللعنة الا كائنين في قرى محصنة بالخنادق والدروب او من وراء جدر دون ان يصحروا لكم ويبارزوكم لقذف الله الرعب في قلوبهم وان تأييد الله ونصرته معكم. وقرئ جدر بالتخفيف. وجدار. وجدر. وجدر وهما الجدار. باسهم بينهم شديد يعني ان الباس الشديد الذي يوصفون به انما هو بينهم اذا اقتتلوا ولو قاتلوكم لم يبق لهم ذلك الباس والشدة لان الشجاع يجبن والعزيز يذل عند محاربة الله تعالى ورسوله. تحسبهم جميعا مجتمعين ذوي الفة واتحاد. وقلوبهم شتى متفرقة لا الفة بينها يعني ان بينهم احنا وعداوات فلا يتعاضدون حق التعاضد ولا يرمون عن قوس واحدة. وهذا تجسير للمؤمنين وتشجيع لقلوبهم على قتالهم. قوم لا يعقلون ان تشتت القلوب مما يوهن قواهم ويعين على ارواحهم

كمثل الذين من قبلهم قريبا ذاقوا وبال امرهم ولهم عذاب اليم كمثل الشيطان اذ قال للانسان اكفر فلما كفر قال انى برئ منك انى اخاف الله رب العالمين كمثل الذين من قبلهم اى مثلهم كمثل اهل بدر فى زمان قريب فان قلت بم انتصب قريبا قلت بمثل على كوجود مثل اهل بدر قريبا ذاقوا وبال امرهم سوء عاقبة كفرهم وعداوتهم لرسول الله صلى الله عليه وسلم من قولهم كلاء وبيل وخيم سيئ العاقبة يعنى ذاقوا عذاب القتل فى الدنيا ولهم فى الاخرة عذاب النار مثل المنافقين فى اغرائهم اليهود عليهم اللعنة على القتال ووعدهم اياهم النصر ثم متاركتهم لهم واخلافهم كمثل الشيطان اذا استغوى الانسان بكيده ثم تبرا منه فى العاقبة والمراد استغواؤه قريشا يوم بدر وقوله تعالى لا غالب لكم اليوم من الناس وانى جار لكم الى قوله تعالى انى برئ منكم **فكان عاقبتهما انهما فى النار خالدين فيها وذلك جزاء الظالمين يا ايها الذين امنوا اتقوا الله ولتنظر نفس ما قدمت لغد واتقوا الله ان الله خبير بما تعملون** وقرا ابن مسعود رضى الله عنه خالدان فيها على انه خبر ان وفى النار لغو وعلى القراءة المشهورة الظرف مستقر وخالدين فيها حال وقرئ انا برئ وعاقبتهما بالرفع كرر الامر بالتقوى تاكيدا او اتقوا الله فى اداء الواجبات لانه قرن بما هو عمل واتقوا الله فى ترك المعاصى لانه قرن بما يجرى مجرى الوعيد والغد يوم القيمة سماه باليوم الذى يلى يومك تقريبا له وعن الحسن لم يزل يقربه حتى جعله كالغد ونحوه قوله تعالى كان لم تغن بالامس يريد تقريب الزمان الماضى وقيل عبر عن الاخرة بالغد كان الدنيا والاخرة نهاران يوم وغد فان قلت ما معنى تنكير النفس والغد قلت اما تنكير النفس فاستقلال للانفس النواظر فيما قدمن للاخرة كانه قال فلتنظر نفس واحدة فى ذلك واما تنكير الغد فلتعظيمه وابهام امره كانه قيل لغد لا يعرف كنهه لعظمه وعن مالك بن دينار رحمة الله عليه على باب الجنة وجدنا ما عملنا ربحنا ما قدمنا خسرنا ما خلفنا **ولا تكونوا كالذين نسوا الله فانساهم انفسهم اولئك هم الفاسقون** نسوا الله نسوا حقه فجعلهم ناسين حق انفسهم بالخذلان حتى لم يسعوا لها بما ينفعهم عنده او فاراهم يوم القيمة من الاهوال ما نسوا فيه انفسهم كقوله تعالى لا يرتد اليهم طرفهم **لا يستوى اصحاب النار واصحاب الجنة اصحاب الجنة هم الفائزون** هذا تنبيه للناس وايذان لهم بانهم لفرط غفلتهم وقلة فكرهم فى العاقبة وتهالكهم على ايثار العاجلة واتباع الشهوات كانهم لا يعرفون الفرق بين الجنة والنار والبون العظيم بين اصحابهما وان الفوز مع اصحاب الجنة فمن حقهم ان يعلموا ذلك وينبهوا عليه كما تقول لمن يعق اباه هو ابوك تجعله بمنزلة من لا يعرفه فتنبهه بذلك على حق الابوة الذى يقتضى البر والتعطف وقد استدل اصحاب الشافعى رحمهم الله بهذه الاية على ان المسلم لا يقتل بالكافر وان الكفار لا يملكون اموال المسلمين بالقهر **لو انزلنا هذا القران على جبل لرايته خاشعا متصدعا من خشية الله وتلك الامثال نضربها للناس لعلهم يتفكرون** هذا تمثيل وتخييل كما مر فى قوله جل وعلا انا عرضنا الامانة وقد دل عليه قوله تعالى وتلك الامثال نضربها للناس والغرض توبيخ الانسان على قسوة قلبه وقلة تخشعه عند تلاوة القران وتدبر قوارعه وزواجره وقرئ مصدعا على الادغام وتلك الامثال اشارة الى هذا المثل والى امثاله فى مواضع من التنزيل **هو الله الذى لا اله الا هو عالم الغيب والشهادة هو الرحمن الرحيم** الغيب المعدوم والشهادة الموجود المدرك كانه يشاهد وقيل ما غاب عن العباد وما شاهدوه وقيل السر والعلانية وقيل الدنيا والاخرة **هو الله الذى**

لا اله الا هو الملك القدوس السلام المؤمن المهيمن العزيز الجبار المتكبر سبحان الله عما يشركون القدوس بالضم والفتح وقد قرئ بهما البليغ فى النزاهة عما يستقبح ونظيره السبوح وفى تسبيح الملائكة سبوح قدوس رب الملائكة والروح والسلام بمعنى السلامة ومنه دار السلام وسلام عليكم وصف به مبالغة فى وصف كونه سليما من النقائص او فى اعطائه السلامة والمؤمن واهب الامن وقرئ بفتح الميم بمعنى المؤمن به على حذف الجار كما تقول فى قوم موسى من قوله تعالى واختار موسى قومه المختارون بلفظ صفة السبعين والمهيمن الرقيب على كل شئ الحافظ له مفيعل من الامن الا ان همزته قلبت هاء والجبار القاهر الذى جبر خلقه على ما اراد اى اجبر والمتكبر البليغ الكبرياء والعظمة وقيل المتكبر عن ظلم عباده **هو الله الخالق البارئ المصور له الاسماء الحسنى يسبح له ما فى السموات والارض وهو العزيز الحكيم** الخالق المقدر لما يوجده والبارئ المميز بعضه من بعض بالاشكال المختلفة والمصور الممثل وعن حاطب بن ابى بلتعة انه قرا البارئ المصور بفتح الواو ونصب الراء اى الذى يبرا المصور اى يميز ما يصوره بتفاوت الهيئات وقرا ابن مسعود رضى الله عنه وما فى الارض عن ابى هريرة رضى الله عنه سالت حبيبى رسول الله صلى الله عليه وسلم عن اسم الله الاعظم فقال عليك باخر الحشر فاكثر قراءته فاعدت عليه فاعاد على فاعدت عليه فاعاد على عن رسول الله صلى الله عليه وسلم من قرا سورة الحشر غفر الله له ما تقدم من ذنبه وما تاخر والله اعلم بالصواب واليه المرجع والماب

بسم الله الرحمن الرحيم **يا ايها الذين امنوا لا تتخذوا عدوى وعدوكم اولياء تلقون اليهم بالمودة وقد كفروا بما جاءكم من الحق يخرجون الرسول واياكم ان تؤمنوا بالله ربكم ان كنتم خرجتم جهادا فى سبيلى وابتغاء مرضاتى تسرون اليهم بالمودة وانا اعلم بما اخفيتم وما اعلنتم ومن يفعله منكم فقد ضل سواء السبيل** روى ان مولاة لابى عمرو بن صيفى بن هاشم يقال لها سارة اتت رسول الله صلى الله عليه وسلم بالمدينة وهو يتجهز للفتح فقال لها امسلمة جئت قالت لا قال افمهاجرة جئت قالت لا قال فما جاء بك قالت كنتم الاهل والموالى والعشيرة وقد ذهب الموالى تعنى قتلوا يوم بدر فاحتجت حاجة شديدة فحث عليها بنى عبد المطلب فكسوها وحملوها وزودوها فاتاها حاطب بن ابى بلتعة واعطاها عشرة دنانير وكساها بردا واستحملها كتابا الى اهل مكة نسخته من حاطب بن ابى بلتعة الى اهل مكة اعلموا ان رسول الله يريدكم فخذوا حذركم فخرجت سارة ونزل جبريل عليه السلام بالخبر فبعث رسول الله صلى الله عليه وسلم عليا وعمارا وعمر وطلحة والزبير والمقداد وابا مرثد رضوان الله عليهم اجمعين وكانوا فرسانا وقال انطلقوا حتى تاتوا روضة خاخ فان بها ظعينة معها كتاب من حاطب الى اهل مكة فخذوه منها وخلوها فان ابت فاضربوا عنقها فادركوها فجحدت وحلفت فهموا بالرجوع فقال على رضى الله عنه والله ما كذبنا ولا كذب رسول الله صلى الله عليه وسلم وسل سيفه وقال اخرجى الكتاب او تضعى راسك فاخرجته من عقاص شعرها وروى ان رسول الله صلى الله عليه وسلم امن جميع الناس يوم الفتح الا اربعة هى احدهم فاستحضر رسول الله صلى الله عليه وسلم حاطبا وقال ما حملك عليه فقال يا رسول الله ما كفرت منذ اسلمت ولا غششتك منذ نصحتك ولا احببتهم منذ فارقتهم ولكنى كنت امرا ملصقا فى قريش وروى عزيزا فيهم اى غريبا ولم اكن من انفسها وكل من معك

من المهاجرين لهم قرابات بمكة يحمون اهاليهم واموالهم غيري فخشيت على اهلي فاردت ان اتخذ عندهم يدا وقد علمت ان الله ينزل عليهم بأسه وان كتابي لا يغني عنهم شيئا فصدقه وقبل عذره فقال عمر بن الخطاب رضي الله عنه دعني يا رسول الله اضرب عنق هذا المنافق فقال وما يدريك يا عمر لعل الله قد اطلع على اهل بدر فقال لهم اعملوا ما شئتم فقد غفرت لكم ففاضت عينا عمر رضي الله عنه وقال الله ورسوله اعلم فنزلت عدوي اتخذ الى مفعوليه وهما عدوي واولياء والعدو فعول من عدا كعفو من عفا ولكونه على زنة المصدر اوقع على الجمع ايقاعه على الواحد **فان قلت** تلقون بم يتعلق **قلت** يجوز ان يتعلق بلا تتخذوا حالا من ضميره وباولياء صفة له ويجوز ان يكون استئنافا فان قلت اذا جعلته صفة لاولياء وقد جرى على غير من هو له فاين الضمير البارز وهو قولك تلقون اليهم انتم بالمودة قلت ذلك انما اشترطوه في الاسماء دون الافعال لو قيل اولياء ملقين اليهم بالمودة على الوصف لما كان بد من الضمير البارز والالقاء عبارة عن ايصال المودة والافضاء بها اليهم يقال القى اليه خراشي صدره وافضى اليه بشقوره والباء في بالمودة اما زائدة مؤكدة للتعدي مثلها في ولا تلقوا بايديكم الى التهلكة واما ثابتة على ان مفعول تلقون محذوف معناه تلقون اليهم اخبار رسول الله عليه السلام بسبب المودة **فان قلت** وقد كفروا حال مماذا اما من لا تتخذوا واما من تلقون اي لا تتولوهم او توادوهم وهذه حالهم ويخرجون استئناف كالتفسير لكفرهم وعتوهم او حال من كفروا وان تؤمنوا تعليل ليخرجون اي يخرجونكم لايمانكم وان كنتم خرجتم متعلق بلا تتخذوا يعني لا تتولوا اعدائي ان كنتم اوليائي وقول النحويين في مثله هو شرط جوابه محذوف لدلالة ما قبله عليه وتسرون استئناف ومعناه اي طائل لكم في اسراركم وقد علمتم ان الاخفاء والاعلان سيان في علمي لا تفاوت بينهما وانا مطلع رسولي على ما تسرون ومن يفعله ومن يفعل هذا الاسرار فقد اخطأ طريق الحق والصواب **وقرأ** الجحدري لما جاءكم اي كفروا لاجل ما جاءكم بمعنى ان ما كان يجب ان يكون سبب ايمانهم جعلوه سببا لكفرهم ان يثقفوكم يكونوا لكم اعداء ويبسطوا اليكم ايديهم والسنتهم بالسوء وودوا لو تكفرون ان يثقفوكم ان يظفروا بكم ويتمكنوا منكم يكونوا لكم اعداء خالصي العداوة ولا يكونوا لكم اولياء كما انتم ويبسطوا اليكم ايديهم بالسوء بالقتال والشتم وتمنوا لو ترتدون عن دينكم فاذن موادة امثالهم ومناصحتهم خطأ عظيم منكم ومغالطة لانفسكم ونحوه قوله عز وجل لا يالونكم خبالا **فان قلت** كيف اورد جواب الشرط مضارعا مثله ثم قال وودوا بلفظ الماضي **قلت** الماضي وان كان يجري في باب الشرط مجرى المضارع في علم الاعراب فان فيه نكتة كانه قيل وودوا قبل كل شيء كفركم وارتدادكم يعني انهم يريدون ان يلحقوا بكم مضار الدنيا والدين جميعا من قتل الانفس وتمزيق الاعراض وردكم كفارا وردكم كفارا اسبق المضار عندهم واولها لعلمهم ان الدين اعز عليكم من ارواحكم لانكم بذالون لها دونه والعدو اهم شيء عنده ان يقصد اعز شيء عند صاحبه لن تنفعكم ارحامكم ولا اولادكم يوم القيامة يفصل بينكم والله بما تعملون بصير لن تنفعكم ارحامكم اي قراباتكم ولا اولادكم الذين توالون الكفار من اجلهم وتتقربون اليهم محاماة عليهم ثم قال يوم القيامة يفصل بينكم وبين اقاربكم واولادكم يوم يفر المرء من اخيه الاية فما لكم ترفضون حق الله مراعاة لحق من يفر منكم غدا خطأ رأيهم في موالاة الكفار بما يرجع الى حال من والوه اولا ثم بما يرجع الى حال من اقتضى تلك الموالاة ثانيا ليريهم ان ما اقدموا عليه من اي جهة نظرت فيه وجدته باطلا قرئ يفصل

ويفصل

يفصل على البناء للمفعول ويفصل ويفصل على البناء للفاعل وهو الله عز وجل ونفصل ونفصل بالنون قد كانت لكم اسوة حسنة في ابراهيم والذين معه اذ قالوا لقومهم انا برءاؤا منكم ومما تعبدون من دون الله كفرنا بكم وبدا بيننا وبينكم العداوة والبغضاء ابدا حتى تؤمنوا بالله وحده الا قول ابراهيم لابيه لاستغفرن لك وما املك لك من الله من شيء ربنا عليك توكلنا واليك انبنا واليك المصير ربنا لا تجعلنا فتنة للذين كفروا واغفر لنا ربنا انك انت العزيز الحكيم **قرئ** اسوة واسوة وهو اسم المؤتسى به اي كان فيهم مذهب حسن مرضي بان يؤتسى به ويتبع اثره وهو قولهم لكفار قومهم ما قالوا حيث كاشفوهم بالعداوة وقشروا لهم العصا واظهروا البغضاء والمقت وصرحوا بان سبب عداوتهم وبغضائهم ليس الا كفرهم بالله وما دام هذا السبب قائما كانت العداوة قائمة حتى ان ازالوه وآمنوا بالله وحده انقلبت العداوة موالاة والبغضاء محبة والمقت مقة فافصحوا عن محض الاخلاص ومعنى كفرنا بكم وبما تعبدون من دون الله انا لا نعتد بشأنكم ولا بشأن آلهتكم وما انتم عندنا على شيء **فان قلت** مم استثنى قوله الا قول ابراهيم **قلت** من قوله اسوة حسنة لانه اراد بالاسوة الحسنة قولهم الذي حق عليهم ان يأتسوا به ويتخذوه سنة يستنون بها فان قلت فان كان قوله لاستغفرن لك مستثنى من القول الذي هو اسوة حسنة فما بال قوله تعالى وما املك لك من الله من شيء وهو غير حقيق بالاستثناء الا ترى الى قوله تعالى قل فمن يملك لكم من الله شيئا قلت اراد استثناء جملة قوله لابيه والقصد الى موعد الاستغفار له وما بعده مبني عليه وتابع له كانه قال انا استغفر لك وما في طاقتي الا الاستغفار **فان قلت** بم اتصل قوله تعالى ربنا عليك توكلنا قلت بما قبل الاستثناء وهو من جملة الاسوة الحسنة ويجوز ان يكون المعنى قولوا ربنا امرا من الله تعالى للمؤمنين بان يقولوه وتعليما منه لهم تتميما لما وصاهم به من قطع العلائق بينهم وبين الكفار والائتساء بابراهيم وقومه في البراءة منهم وتنبيها على الانابة الى الله تعالى والاستعاذة به من فتنة اهل الكفر والاستغفار مما فرط منهم وقرئ برآء كشركاء وبراء كظراف وبراء على ابدال الضم من الكسر كرخال ورباب وبراء على الوصف بالمصدر والبراء والبراءة كالظماء والظماءة لقد كان لكم فيهم اسوة حسنة لمن كان يرجو الله واليوم الآخر ومن يتول فان الله هو الغني الحميد ثم كرر الحث على الائتساء بابراهيم عليه السلام وقومه تقريرا وتأكيدا عليهم ولذلك جاء به مصدرا بالقسم لانه الغاية في التأكيد وابدل عن قوله لكم قوله تعالى لمن كان يرجو الله واليوم الآخر وعقبه بقوله تعالى ومن يتول فان الله هو الغني الحميد فلم يترك نوعا من التأكيد الا جاء به ولما نزلت هذه الآيات تشدد المؤمنون في عداوة آبائهم وابنائهم وجميع اقربائهم من المشركين ومقاطعتهم عسى الله ان يجعل بينكم وبين الذين عاديتم منهم مودة والله قدير والله غفور رحيم فلما رأى الله منهم الجد والصبر على الوجد الشديد وطول التمني للسبب الذي يبيح لهم الموالاة والمو اصلة رحمهم الله فوعدهم تيسير ما تمنوه فلما يسر فتح مكة اظفرهم الله بامنيتهم فاسلم قومهم وتم بينهم من التحاب والتصافي ما تم وقيل تزوج رسول الله صلى الله عليه وسلم ام حبيبة رضي الله عنها فلانت عند ذلك عريكة ابي سفيان واسترخت شكيمته في العداوة وكانت ام حبيبة قد اسلمت وهاجرت مع زوجها عبيد الله بن جحش الى الحبشة فتنصر واردها على النصرانية فأبت وصبرت على دينها ومات زوجها فبعث رسول الله عليه السلام الى النجاشي فخطبها عليه وساق عنه اليها اربعمائة دينار وبلغ ذلك اباها فقال ذلك الفحل لا يقدع انفه وعسى وعد من الله على عادات الملوك حيث يقولون في بعض الحوائج عسى او لعل

فلا تبقى للمحتاج شبهة في تمام ذلك او قصد به اطماع المؤمنين ۞ والله قدير على تقليب القلوب وتغيير الاحوال وتسهيل اسباب المودة ۞ والله غفور رحيم لمن اسلم من المشركين لا ينهاكم الله عن الذين لم يقاتلوكم في الدين ولم يخرجوكم من دياركم ان تبروهم وتقسطوا اليهم ان الله يحب المقسطين ۞ انما ينهاكم الله عن الذين قاتلوكم في الدين واخرجوكم من دياركم وظاهروا على اخراجكم ان تولوهم ومن يتولهم فاولئك هم الظالمون ۞ ان تبروهم بدل من الذين لم يقاتلوكم وكذلك ان تولوهم من الذين قاتلوكم والمعنى لا ينهاكم عن مبرة هولاء وانما ينهاكم عن تولي هولاء وهذا ايضا رحمة لهم لتشددهم وجدهم في العداوة متقدمة لرحمته بتيسير اسلام قومهم حيث رخص لهم في صلة من لم يجاهر منهم بقتال المؤمنين واخراجهم من ديارهم ۞ وقيل اراد بهم خزاعة وكانوا صالحوا رسول الله عليه السلام على ان لا يقاتلوه ولا يعينوا عليه ۞ وعن مجاهد هم الذين امنوا بمكة ولم يهاجروا ۞ وقيل هم النساء والصبيان وقيل قدمت على اسماء بنت ابي بكر امها قتيلة بنت عبد العزى وهي مشركة بهدايا فلم تقبلها ولم تاذن لها بالدخول فنزلت فامرها رسول الله صلى الله عليه وسلم ان تدخلها وتقبل منها وتكرمها وتحسن اليها ۞ وعن قتادة نسخها اية القتال ۞ وتقسطوا اليهم وتقضوا اليهم بالقسط ولا تظلموهم وناهيك بتوصية الله تعالى المؤمنين ان يستعملوا القسط مع المشركين به ويتحاموا ظلمهم منبهة على ما يجب ان يتحرى على ظلم اخيه المسلم يا ايها الذين امنوا اذا جاءكم المؤمنات مهاجرات فامتحنوهن الله اعلم بايمانهن فان علمتموهن مؤمنات فلا ترجعوهن الى الكفار لا هن حل لهم ولا هم يحلون لهن واتوهم ما انفقوا ۞ اذا جاءكم المؤمنات سماهن مؤمنات لتصديقهن بالسنتهن ونطقهن بكلمة الشهادة ولم يظهر منهن ما ينافي ذلك او لانهن مشارفات لثبات ايمانهن بالامتحان ۞ فامتحنوهن فابتلوهن بالحلف والنظر في الامارات ليغلب على ظنونكم صدق ايمانهن بالامتحان ۞ وكان رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول للممتحنة بالله الذي لا اله الا هو ما خرجت من بغض زوج بالله ما خرجت رغبة عن ارض الى ارض بالله ما خرجت التماس الدنيا ۞ بالله ما خرجت الا حبا لله ورسوله ۞ الله اعلم بايمانهن منكم لانكم لا تكسبون فيه علما تطمئن معه نفوسكم وان استحلفتموهن ورزتم احوالهن وعند الله حقيقة العلم به ۞ فان علمتموهن مؤمنات العلم الذي تبلغه طاقتكم وهو الظن الغالب بالحلف وظهور الامارات فلا ترجعوهن الى الكفار فلا تردوهن الى ازواجهن المشركين لانه لا حل بين المؤمنة والمشرك واتوهم ما انفقوا واعطوا ازواجهن مثل ما دفعوا اليهن من المهور وذلك ان صلح الحديبية كان على ان من اتاكم من اهل مكة ردوا اليهم ومن اتى منكم لم يردوا اليكم وكتبوا بذلك كتابا وختموه فجاءت سبيعة بنت الحارث الاسلمية مسلمة والنبي صلى الله عليه وسلم بالحديبية فاقبل زوجها مسافر المخزومي ۞ وقيل صيفي بن الراهب ۞ فقال يا محمد اردد علي امراتي فانك قد شرطت لنا ان ترد علينا من اتاك منا وهذه طينة الكتاب لم تجف فنزلت بيانا لان الشرط انما كان في الرجال دون النساء ۞ وعن الضحاك كان بين رسول الله عليه السلام وبين المشركين عهد ان لا تاتيك منا امراة ليست على دينك الا رددتها الينا فان دخلت في دينك ولها زوج ان ترد على زوجها الذي انفق عليها وللنبي عليه السلام من الشرط مثل ذلك ۞ وعن قتادة ثم نسخ هذا الحكم وهذا العهد براءة فاستحلفها رسول الله صلى الله عليه وسلم فحلفت فاعطى زوجها ما انفق ۞ وتزوجها عمر بن الخطاب رضي الله عنه فان قلت كيف سمي الظن علما في قوله تعالى فان علمتموهن ۞ قلت ايذانا بان الظن الغالب وما يفضي اليه الاجتهاد والقياس جار مجرى العلم وان صاحبه غير داخل

في قوله تعالى ولا تقف ما ليس لك به علم فان قلت فما فائدة قوله تعالى الله اعلم بايمانهن وذلك معلوم لا شبهة فيه قلت فائدته بيان ان لا سبيل لكم الى ما تطمئن به النفس ويثلج الصدر من الاحاطة بحقيقة ايمانهن فان ذلك مما استاثر به علام الغيوب وان ما يؤدي اليه الامتحان من العلم كاف في ذلك وان تكليفكم لا يعدوه ۞ ولا جناح عليكم ان تنكحوهن اذا اتيتموهن اجورهن ولا تمسكوا بعصم الكوافر واسألوا ما انفقتم وليسألوا ما انفقوا ذلكم حكم الله يحكم بينكم والله عليم حكيم ۞ ثم نفى عنهم الجناح في تزوج هولاء المهاجرات اذا اتوهن اجورهن اي مهورهن لان المهر اجر البضع ولا يخلو اما ان يراد بما كان يدفع اليهن ليدفعنه الى ازواجهن فيشترط في اباحة تزوجهن تقديم ادائه ۞ واما ان يراد ان ذلك اذا دفع اليهن على سبيل القرض ثم تزوجن على ذلك لم يكن به باس ۞ واما ان يبين لهم ان ما اعطي ازواجهن لا يقوم مقام المهر وانه لا بد من اصداق وبه احتج ابو حنيفة رحمة الله عليه على ان احد الزوجين اذا خرج من دار الحرب مسلما او بذمة وبقي الاخر حربيا وقعت الفرقة ولا يرى العدة على المهاجرة ويبيح نكاحها الا ان تكون حاملا ۞ ولا تمسكوا بعصم الكوافر والعصمة ما يعتصم به من عقد وسبب يعني اياكم واياهن ولا تكن بينكم وبينهن عصمة ولا علقة زوجية ۞ قال ابن عباس رضي الله عنهما من كانت له امراة كافرة بمكة فلا يعتدن بها من نسائه لان اختلاف الدارين قطع عصمتها ۞ وعن النخعي هي المسلمة تلحق بدار الحرب فتكفر ۞ وعن مجاهد امرهم بطلاق الباقيات مع الكفار ومفارقتهن ۞ واسألوا ما انفقتم من مهور نسائكم اللاحقات بالكفار ۞ وليسألوا ما انفقوا من مهور نسائهم المهاجرات ۞ وقرى ولا تمسكوا بالتخفيف ۞ ولا تمسكوا بالتثقيل ۞ ولا تمسكوا اي ولا تتمسكوا ۞ ذلكم حكم الله يعني جميع ما ذكر في هذه الاية ۞ يحكم بينكم كلام مستانف او حال من حكم الله على حذف الضمير اي يحكمه الله ۞ او جعل الحكم حاكما على المبالغة روي انه لما نزلت الاية ادى المؤمنون ما امروا به من اداء المهور للمهاجرات الى ازواجهن المشركين وابى المشركون ان يؤدوا شيئا من مهور الكوافر الى ازواجهن المسلمين فنزل قوله تعالى وان فاتكم شيء من ازواجكم الى الكفار فعاقبتم فاتوا الذين ذهبت ازواجهم مثل ما انفقوا واتقوا الله الذي انتم به مؤمنون ۞ وان فاتكم وان سبقكم وانفلت منكم شيء من ازواجكم احد منهن الى الكفار وهو في قراءة ابن مسعود رضي الله عنه احد فان قلت هل لايقاع شيء في هذا الموضع فائدة قلت نعم الفائدة فيه ان لا يغادر شيء من هذا الجنس وان قل وحقر غير معوض عنه تغليظا في هذا الحكم وتشديدا فيه ۞ فعاقبتم من العقبة وهي النوبة شبه ما حكم به على المسلمين والكافرين من اداء هولاء مهور نساء اولئك تارة واولئك مهور نساء هولاء اخرى بامر يتعاقبون فيه كما يتعاقب في الركوب وغيره ومعناه فجاءت عقبتكم من اداء المهر ۞ فاتوا من فاتته امراته الى الكفار مثل مهرها من مهر المهاجرة ولا تؤتوه زوجها الكافر وهكذا عن الزهري يعطى من صداق من لحق بهم وقرئ فاعقبتم ۞ فعقبتم بالتشديد ۞ فعقبتم بالتخفيف بفتح القاف وكسرها فمعنى اعقبتم دخلتم في العقبة ۞ وعقبتم من عقبه اذا قفاه لان كل واحد من المتعاقبين يقفي صاحبه ۞ وكذلك عقبتم بالتخفيف يقال عقبه يعقبه ۞ وعقبتم نحو تبعتم ۞ وقال الزجاج فعاقبتم فاصبتموهم في القتال بعقوبة حتى غنمتم والذي ذهبت زوجته كان يعطى من الغنيمة المهر وفسر غيرها من القراءات فكانت العقبى لكم اي كانت الغلبة لكم حتى غنمتم ۞ وقيل جميع من لحق بالمشركين من نساء المؤمنين المهاجرين راجعة عن الاسلام ست نسوة ۞ ام الحكم بنت ابي سفيان كانت تحت عياض بن شداد الفهري ۞ وفاطمة بنت ابي امية كانت

تحت عمر بن الخطاب رضي الله عنه وهي اخت ام سلمة • وبروع بنت عقبة كانت تحت شماس بن عثمان رضي الله عنه • وعبدة بنت عبد العزى بن نضلة وزوجها عمرو بن عبد ود • وهند بنت ابي جهل كانت تحت هشام ابن العاص رضي الله عنه • وكلثوم بنت جرول كانت تحت عمر رضي الله عنه • واعطاهم رسول الله صلى الله عليه وسلم مهور نسائهم من الغنيمة يا ايها النبي اذا جاءك المؤمنات يبايعنك على ان لا يشركن بالله شيئا ولا يسرقن ولا يزنين ولا يقتلن اولادهن ولا ياتين ببهتان يفترينه بين ايديهن وارجلهن ولا يعصينك في معروف فبايعهن واستغفر لهن الله ان الله غفور رحيم • ولا يقتلن اولادهن وقرئ يقتلن بالتشديد يريد واد البنات • ولا ياتين ببهتان يفترينه بين ايديهن وارجلهن كانت المراة تلتقط المولود فتقول لزوجها هو ولدي منك كنى بالبهتان المفترى بين يديها ورجليها عن الولد الذي تلصقه بزوجها كذبا لان بطنها الذي تحمله فيه بين اليدين وفرجها الذي تلده به بين الرجلين • ولا يعصينك في معروف فيما تامرهن به من المحسنات وتنهاهن عنه من المقبحات وكل ما وافق طاعة الله عز وجل فهو معروف فان قلت لو اقتصرت على قوله ولا يعصينك فقد علم ان رسول الله عليه السلام لا يامر الا بمعروف نبه بذلك على ان طاعة المخلوق في معصية الخالق جديرة بغاية التوقي والاجتناب وروى ان رسول الله عليه السلام لما فرغ يوم فتح مكة من بيعة الرجال اخذ في بيعة النساء وهو على الصفا وعمر بن الخطاب رضي الله عنه اسفل منه يبايعهن بامره ويبلغهن عنه • وهند بنت عتبة امراة ابي سفيان متقنعة متنكرة خوفا من رسول الله صلى الله عليه وسلم ان يعرفها فقال عليه السلام ابايعكن على ان لا تشركن بالله شيئا فرفعت هند راسها وقالت والله لقد عبدنا الاصنام وانك لتاخذ علينا امرا ما رايناك اخذته على الرجال تبايع الرجال على الاسلام والجهاد • فقال عليه السلام ولا يسرقن فقالت ان ابا سفيان رجل شحيح واني اصبت من ماله هنات فما ادري ايحل لي ام لا فقال ابو سفيان ما اصبت من شيء فيما مضى وفيما غبر فهو لك حلال فضحك النبي صلى الله عليه وسلم وعرفها فقال لها وانك لهند بنت عتبة قالت نعم فاعف عما سلف يا نبي الله عفا الله عنك فقال ولا يزنين فقالت او تزني الحرة وفي رواية ما زنت منهن امراة قط فقال عليه السلام ولا يقتلن اولادهن فقالت ربيناهم صغارا وقتلتهم كبارا فانتم وهم اعلم وكان ابنها حنظلة بن ابي سفيان قد قتل يوم بدر فضحك عمر حتى استلقى وتبسم رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال عمر رضي الله عنه ولا ياتين ببهتان فقالت والله ان البهتان لامر قبيح وما تامرنا الا بالرشد ومكارم الاخلاق فقال ولا يعصينك في معروف فقالت والله ما جلسنا مجلسنا هذا وفي انفسنا ان نعصيك في شيء • وقيل في كيفية المبايعة دعا بقدح من ماء فغمس فيه يده ثم غمس ايديهن • وقيل صافحهن وكان على يده ثوب قطري • وقيل كان عمر رضي الله عنه يصافحهن عنه يا ايها الذين امنوا لا تتولوا قوما غضب الله عليهم قد يئسوا من الاخرة كما يئس الكفار من اصحاب القبور روى ان بعض فقراء المسلمين كانوا يواصلون اليهود عليهم اللعنة ليصيبوا من ثمارهم فقيل لهم لا تتولوا قوما مغضوبا عليهم قد يئسوا من ان يكون لهم حظ في الاخرة لعنادهم رسول الله عليه السلام وهم يعلمون انه الرسول المنعوت في التوراة كما يئس الكفار من موتاهم ان يبعثوا ويرجعوا احياء • وقيل من اصحاب القبور بيان للكفار اي كما يئس الكفار الذين قبروا من خير الاخرة لانهم تبينوا قبح حالهم وسوء منقلبهم • عن رسول الله عليه السلام من قرا سورة الممتحنة كان له المؤمنون والمؤمنات شفعاء يوم القيامة • والله اعلم بالصواب واليه المرجع والماب •

بنت ام

هند هذه اتت مع زوجها فخمس عشر امراة تعزين بالدفوف تحرضن على ثار قتلى بدر ... الخليفة ... شوال ... صلى الله عليه وسلم قتالهم بالمدينة وكذلك عبد الله بن سلول وراى الصحابة الخروج اليهم فخرج صلى الله عليه وسلم في الف من الصحابة فلما صار بين المدينة واحد انخذل عبد الله بن سلول في ثلث من الناس وقال اطاعهم وعصاني علام نقتل انفسنا ورجع بمن معه من اهل النفاق فنزل رسول الله الشعب من احد وجعل ظهره الى ... الوقعة نهار السبت وكانت عدة المسلمين سبعمائة ... لرسول الله صلى الله عليه وسلم ... رضي الله عنه ولواء رسول الله صلى الله عليه وسلم مع مصعب بن عمير وكان على ميمنة المشركين خالد بن الوليد وعلى ميسرتهم عكرمة بن ابي جهل ولواؤهم مع عبد الدار ... وقاتل حمزة قتالا شديدا فقتل ارطاة حامل لواء المشركين وقتل سباع ... هو مشغول بقتلهم غدر وحشي بحربة فقتله وقتل مصعب بن عمير فاعطى رسول الله صلى الله عليه وسلم الراية لعلي بن ابي طالب وانهزم المشركون فطلبت الرماة الغنيمة وكانوا خمسين رجلا وراء النبي صلى الله عليه وسلم ففارقوا المكان الذي امرهم ان يحفظوه فانتهز خالد بن الوليد ... خيل المشركين ونادى الصارخ ان محمدا قد قتل فانكشفت المسلمون واصاب منهم

بسم الله الرحمن الرحيم سبح لله ما في السموات وما في الارض وهو العزيز الحكيم • يا ايها الذين امنوا لم تقولون ما لا تفعلون • كبر مقتا عند الله ان تقولوا ما لا تفعلون • لم هي لام الاضافة داخلة على ما الاستفهامية كما دخل عليها غيرها من حروف الجر في قولك بم وفيم ومم وعم ولام وعلام وحتام وانما حذفت الالف لان ما والحرف كشيء واحد ووقع استعمالها كثيرا في كلام المستفهم وقد جاء استعمال الاصل قليلا والوقف على زيادة هاء السكت او الاسكان ومن اسكن في الوصل فلاجرائه مجرى الوقف كما سمع ثلاثة اربعة بالهاء والقاء حركة الهمزة عليها محذوفة وهذا الكلام يتناول الكذب والخلاف الموعد وروى ان المؤمنين قالوا قبل ان يؤمروا بالقتال لو نعلم احب الاعمال الى الله تعالى لعملناه ولبذلنا فيه اموالنا وانفسنا فدلهم الله تعالى على الجهاد في سبيله فولوا يوم احد فعيرهم • وقيل لما اخبر الله عز وجل بثواب شهداء بدر قالوا لئن لقينا قتالا لنفرغن فيه وسعنا ففروا يوم احد ولم يفوا • وقيل كان الرجل يقول قتلت ولم يقتل وطعنت ولم يطعن وضربت ولم يضرب وصبرت ولم يصبر وقيل قد اذى المسلمين رجل ونكى فيهم فقتله صهيب وانتحل قتله اخر فقال عمر لصهيب رضي الله عنهما اخبر النبي عليه السلام انك قتلته فقال انما قتلته لله ولرسوله فقال عمر يا رسول الله قتله صهيب قال كذلك يا ابا يحيى قال نعم فنزلت في المنتحل • وعن الحسن رحمة الله عليه نزلت في المنافقين ونداؤهم بالايمان تهكم بهم وبايمانهم • هذا من افصح الكلام وابلغه في معناه قصد في كبر التعجب من غير لفظه كقوله غلت ناب كليب بواؤها • ومعنى التعجب تعظيم الامر في قلوب السامعين لان التعجب لا يكون الا من شيء خارج عن نظائره واشكاله واسند الى ان تقولوا ونصب مقتا على تفسيره دلالة على ان قولهم ما لا يفعلون مقت خالص لا شوب فيه لفرط تمكن المقت منه واختير لفظ المقت لانه اشد البغض وابلغه • ومنه قيل نكاح المقت للعقد على الرابة ولم يقتصر على ان جعل البغض كبيرا حتى جعل اشده وافحشه وعند الله ابلغ من ذلك لانه اذا ثبت كبر مقته عند الله فقد تم كبره وشدته وانزاحت عنه الشكوك • وعن بعض السلف انه قيل له حدثنا فسكت ثم قيل له حدثنا فقال اتامرونني ان اقول ما لا افعل فاستعجل مقت الله ان الله يحب الذين يقاتلون في سبيله صفا كانهم بنيان مرصوص • في قوله ان الله يحب الذين يقاتلون في سبيله عقيب ذكر مقت المخلف دليل على ان المقت قد تعلق بقول الذين وعدوا الثبات في قتال الكفار فلم يفوا وقرا زيد بن علي رضي الله عنه يقاتلون بفتح التاء • وقرئ يقتلون صفا صافين انفسهم • او مصفوفين كانهم في تراصهم من غير فرجة ولا خلل بنيان رص بعضه الى بعض ورصف وقيل يجوز ان يريد استواء نياتهم في الثبات حتى يكونوا في اجتماع الكلمة كالبنيان المرصوص • وعن بعضهم فيه دليل على فضل القتال راجلا لان الفرسان لا يصطفون على هذه الصفة وقوله تعالى صفا كانهم بنيان حالان متداخلان واذ قال موسى لقومه يا قوم لم تؤذونني وقد تعلمون اني رسول الله اليكم اذ منصوب باضمار اذكر • او وحين قال لهم ما قال كان كذا وكذا • تؤذونني كانوا يؤذونه بانواع الاذى من انتقاصه وعيبه في نفسه وجحود اياته وعصيانه فيما تعود اليهم منافعه وعبادتهم البقر وطلبهم رؤية الله جهرة والتكذيب الذي هو تضييع حق الله تعالى وحقه • وقد تعلمون في موضع الحال اي تؤذونني عالمين علما يقينيا اني رسول الله اليكم وقضية علمكم بذلك وموجبه تعظيمي وتوقيري لا ان تؤذوني •

وتشهيوا الى لان من عرف الله وعظمته عظم رسوله علما بان تعظيمه في تعظيم رسوله ولان من اذاه كان وعيد
الله لاحقا به **فلما زاغوا ازاغ الله قلوبهم والله لا يهدي القوم الفاسقين** ۞ فلما زاغوا عن الحق ازاغ
الله قلوبهم بان منع الطافه عنهم ۞ والله لا يهدي القوم الفاسقين لا يلطف بهم لانهم ليسوا من اهل اللطف
فان قلت ما معنى قد في قوله تعالى وقد تعلمون **قلت** معناه التوكيد كانه قال وتعلمون علما يقينا
لا شبهة لكم فيه **واذ قال عيسى ابن مريم يا بني اسرائيل اني رسول الله اليكم مصدقا لما بين
يدي من التورية ومبشرا برسول يأتي من بعدي اسمه احمد فلما جاءهم بالبينات قالوا هذا
سحر مبين** ۞ قيل انما قال يا بني اسرائيل ولم يقل يا قوم كما قال موسى لانه لا نسب له فيهم فيكونوا قومه
والمعنى ارسلت اليكم في حال تصديقي ما تقدمني من التورية وفي حال تبشيري برسول يأتي من بعدي اسمه احمد
يعني ان ديني التصديق بكتب الله وانبيائه جميعا ممن تقدم وتأخر **وقرئ** من بعدي بسكون الياء
وفتحها والخليل وسيبويه يختاران الفتح ۞ وعن كعب ان الحواريين قالوا لعيسى عليه السلام يا روح الله
هل بعدنا من امة قال نعم امة احمد حكماء علماء ابرار اتقياء كانهم من الفقه انبياء يرضون من الله باليسير
من الرزق ويرضى منهم باليسير من العمل **فان قلت** بم انتصب مصدقا ومبشرا اباما في الرسول من معنى
الارسال ام بالبكم بل بمعنى الارسال لان اليكم صلة للرسول فلا يجوز ان يعمل شيئا لان حروف الجر
لا تعمل بانفسها ولكن بما فيها من معنى الفعل فاذا وقعت صلات لم تتضمن معنى فعل فمن اين تعمل ۞ وقرئ
هذا ساحر مبين **ومن اظلم ممن افترى على الله الكذب وهو يدعى الى الاسلام والله لا يهدي
القوم الظالمين** ۞ واي الناس اشد ظلما ممن يدعوه ربه على لسان نبيه عليه السلام الى الاسلام
الذي له فيه سعادة الدارين فيجعل مكان اجابته اليه افتراء الكذب على الله بقوله لكلامه الذي هو
دعاء عباده الى الحق هذا سحر لان السحر كذب وتمويه **وقرا** طلحة بن مصرف وهو يدعي بمعنى يدعي دعاه
وادعاه نحو لمسه والتمسه ۞ وعنه يدعى بمعنى يدعو وهو الله عز وجل **يريدون ليطفئوا نور الله
بافواههم والله متم نوره ولو كره الكافرون** ۞ اصله يريدون ان يطفئوا كما جاء في سورة براءة
فكان هذه اللام زيدت مع فعل الارادة تاكيدا له لما فيها من معنى الارادة في قولك جئتك لاكرامك
كما زيدت اللام في لا اباك تاكيدا لمعنى الاضافة في اباك ۞ واطفاء نور الله بافواههم تهكم بهم في ارادتهم
ابطال الاسلام بقولهم في القرآن هذا سحر مثلت حالهم بحال من ينفخ في نور الشمس بفيه ليطفئه والله متم
نوره اي متم الحق ومبلغه غايته **وقرئ** بالاضافة **هو الذي ارسل رسوله بالهدى ودين الحق
ليظهره على الدين كله ولو كره المشركون** ۞ ودين الحق الملة الحنيفية ۞ ليظهره ليعليه على الدين كله
على جميع الاديان المخالفة له ولعمري لقد فعل فما بقي دين من الاديان الا وهو مغلوب مقهور بدين الاسلام
وعن مجاهد اذا نزل عيسى عليه السلام لم يكن في الارض الا دين الاسلام **وقرئ** ارسل نبيه **يا ايها
الذين امنوا هل ادلكم على تجارة تنجيكم من عذاب اليم ۞ تؤمنون بالله ورسوله وتجاهدون
في سبيل الله باموالكم وانفسكم ذلكم خير لكم ان كنتم تعلمون ۞ يغفر لكم ذنوبكم ويدخلكم
جنات تجري من تحتها الانهار ومساكن طيبة في جنات عدن ذلك الفوز العظيم** ۞ تنجيكم
وقرئ مخففا ومثقلا ۞ وتؤمنون استئناف كانهم قالوا كيف نعمل فقال تؤمنون وهو خبر في معنى الامر ولهذا
اجيب بقوله يغفر لكم وتدل عليه قراءة ابن مسعود رضي الله عنه امنوا بالله ورسوله وجاهدوا **فان
قلت** لم جيء به على لفظ الخبر **قلت** للايذان بوجوب الامتثال وكانه امتثل فهو يخبر عن ايمان وجهاد

موجودين

موجودين ۞ ونظيره قول الداعي غفر الله لك ويغفر الله لك جعلت المغفرة لقوة الرجاء كانها كانت ووجدت
فان قلت هل لقول الفراء انه جواب هل ادلكم وجه ۞ قلت وجهه ان متعلق الدلالة هو التجارة والتجارة
مفسرة بالايمان والجهاد فكانه قيل هل تتجرون بالايمان والجهاد يغفر لكم **فان قلت** فما وجه
قراءة زيد بن علي رضي الله عنهما تؤمنوا وتجاهدوا **قلت** وجهها ان تكون على اضمار لام الامر كقوله
محمد تفد نفسك كل نفس ۞ اذا ما خفت من امر تبالا ۞ وعن ابن عباس رضي الله عنهما انهم
قالوا لو نعلم احب الاعمال الى الله تعالى لعملناها فنزلت هذه الآية فمكثوا ما شاء الله يقولون ليتنا نعلم
ما هي فدلهم الله عليها بقوله تؤمنون وهذا دليل على ان تؤمنون كلام مستانف وعلى ان الامر الوارد
على النفوس بعد تشوف وتطلع منها اليه اوقع فيها واقرب من قبولها له مما فوجئت به ۞ ذلكم يعني ما
ذكر من الايمان والجهاد خير لكم من اموالكم وانفسكم **فان قلت** ما معنى قوله تعالى ان كنتم تعلمون
معناه ان كنتم تعلمون انه خير لكم كان خيرا لكم حينئذ لانكم اذا علمتم ذلك واعتقدتموه
احببتم الايمان والجهاد فوق ما تحبون انفسكم واموالكم فتخلصون وتفلحون **واخرى تحبونها نصر
من الله وفتح قريب ۞ وبشر المؤمنين** ۞ واخرى تحبونها ولكم الى هذه النعمة المذكورة من المغفرة
والثواب في الآجلة نعمة اخرى عاجلة محبوبة اليكم ثم فسرها بقوله تعالى نصر من الله وفتح قريب اي
عاجل وهو فتح مكة ۞ وقال الحسن فتح فارس والروم ۞ وفي تحبونها شيء من التوبيخ على محبة العاجل
فان قلت علام عطف قوله تعالى وبشر المؤمنين **قلت** على تؤمنون لانه في معنى الامر كانه قيل
امنوا وجاهدوا يثبكم الله وينصركم وبشر يا رسول الله المؤمنين بذلك ۞ فان قلت لم نصب من قرا
نصرا من الله وفتحا قريبا ۞ قلت يجوز ان ينصب على الاختصاص او على تنصرون نصرا ويفتح لكم فتحا او على يغفر
لكم ويدخلكم جنات ويؤتكم اخرى نصرا وفتحا **يا ايها الذين امنوا كونوا انصار الله كما قال عيسى
ابن مريم للحواريين من انصاري الى الله قال الحواريون نحن انصار الله** **قرئ** كونوا انصارا
لله وانصار الله ۞ وقرا ابن مسعود رضي الله عنه كونوا انتم انصار الله وفيه زيادة حث للنصرة عليهم
فان قلت ما وجه صحة التشبيه وظاهره تشبيه كونهم انصارا بقول عيسى عليه السلام من انصاري
الى الله التشبيه محمول على المعنى وعليه يصح والمراد كونوا انصار الله كما كان الحواريون انصار
عيسى حين قال لهم من انصاري الى الله ۞ فان قلت ما معنى قوله من انصاري الى الله ۞ قلت يجب ان يكون
معناه مطابقا لجواب الحواريين نحن انصار الله والذي يطابقه ان يكون المعنى من جندي متوجها الى
نصرة الله واضافة انصاري خلاف اضافة انصار الله فان معنى نحن انصار الله نحن الذين ينصرون
الله ومعنى من انصاري من الانصار الذين يختصون بي ويكونون معي في نصرة الله ولا يصح ان يكون معناه
من ينصرني مع الله لانه لا يطابق الجواب والدليل عليه قراءة من قرا من انصار الله والحواريون اصفياؤه
وهم اول من امن به وكانوا اثني عشر رجلا ۞ وحواري الرجل صفيه وخلصانه من الحور وهو البياض الخالص
والحواري الدرمك ۞ ومنه قوله صلى الله عليه وسلم الزبير ابن عمتي وحواريي من امتي ۞ وقيل كانوا قصارين
يحورون الثياب يبيضونها ۞ ونظير الحواري في زنته الحوالي الكثير الحيل **فامنت طائفة من بني اسرائيل
وكفرت طائفة فايدنا الذين امنوا على عدوهم فاصبحوا ظاهرين** ۞ فامنت طائفة منهم بعيسى عليه
السلام وكفرت به طائفة فايدنا مؤمنيهم على كفارهم فظهروا عليهم ۞ وعن زيد بن علي رضي الله عنهما كان ظهورهم
بالحجة ۞ عن رسول الله صلى الله عليه وسلم من قرا سورة الصف كان عيسى عليه السلام مصليا عليه مستغفرا

زيد بن ع

لذ ما دام في الدنيا وهو في القيامة رفيقه

بسم الله الرحمن الرحيم يسبح لله ما في السموات وما في الأرض الملك القدوس العزيز الحكيم ۝ هو الذي
بعث في الأميين رسولا منهم يتلوا عليهم آياته ويزكيهم ويعلمهم الكتاب والحكمة وإن كانوا من قبل
لفي ضلال مبين قرئت صفات الله عز وعلا بالرفع على المدح كأنه قيل هو الملك القدوس ولو
قرئت منصوبة لكان وجها كقول العرب الحمد لله أهل الحمد ۝ الأمي منسوب الى أمة العرب لأنهم كانوا لا
يكتبون ولا يقرؤن من بين الأمم ۝ وقيل بدأت الكتابة بالطائف أخذوها من أهل الحيرة وأهل الحيرة
من أهل الأنبار ۝ ومعنى بعث في الأميين رسولا منهم بعث رجلا أميا في قوم أميين كما جاء في حديث شعيا إني
أبعث أعمى في عميان وأميا في قوم أميين ۝ وقيل منهم كقوله تعالى من أنفسكم يعلمون نسبه وأحواله وقرئ
في الأمين بحذف ياء النسب ۝ يتلو عليهم آياته يقرؤها عليهم مع كونه أميا مثلهم لم يعهد منه قراءة
ولم يعرف بتعلم وقراءة أمي بغير تعلم آية بينة ۝ ويزكيهم ويطهرهم من الشرك وخبائث الجاهلية ويعلمهم
الكتاب والحكمة القرآن والسنة ۝ وإن في وإن كانوا هي المخففة من الثقيلة واللام دليل عليها أي كانوا في ضلال
لا ترى ضلالا أعظم منه وآخرين منهم لما يلحقوا بهم وهو العزيز الحكيم ۝ وآخرين مجرور عطف على
الأميين يعني أنه بعثه في الأميين الذين على عهده وفي آخرين من الأميين لم يلحقوا بهم بعد وسيلحقون بهم وهم الذين بعد الصحابة
رضي الله عنهم ۝ وقيل لما نزلت قيل من هم يا رسول الله فوضع يده على سلمان رضي الله عنه ثم قال لو كان
الإيمان عند الثريا لتناوله رجال من هؤلاء ۝ وقيل هم الذين يأتون من بعدهم الى يوم القيامة
ويجوز أن ينتصب عطفا على المنصوب في ويعلمهم أي يعلمهم ويعلم آخرين لأن التعليم إذا تناسق الى آخر
الزمان كان كله مستندا الى أوله فكأنه هو الذي تولى كل ما وجد منه ۝ وهو العزيز الحكيم في تمكينه
رجلا أميا من ذلك الأمر العظيم وتأييده عليه واختياره إياه من بين كافة البشر ذلك فضل
الله يؤتيه من يشاء والله ذو الفضل العظيم ۝ ذلك الفضل الذي أعطاه محمدا صلى الله عليه وسلم
وهو أن يكون نبي أبناء عصره ونبي أبناء العصور الغوابر ۝ هو فضل الله يؤتيه من يشاء إعطاءه وتقتضيه
حكمته مثل الذين حملوا التوراة ثم لم يحملوها كمثل الحمار يحمل أسفارا بئس مثل القوم الذين
كذبوا بآيات الله والله لا يهدي القوم الظالمين ۝ شبه اليهود عليهم اللعنة في أنهم حملة التوراة
وقراؤها وحفاظ ما فيها ثم إنهم غير عاملين بها ولا منتفعين بآياتها وذلك أن فيها نعت رسول الله صلى
الله عليه وسلم والبشارة به ولم يؤمنوا به بالحمار حمل أسفارا أي كتبا كبارا من كتب العلم فهو يمشي بها ولا
يدري منها إلا ما يمر بجنبيه وظهره من الكد والتعب وكل من علم ولم يعمل بعلمه فهذا مثله وبئس المثل
بئس مثلا مثل القوم الذين كذبوا بآيات الله وهم اليهود عليهم اللعنة الذين كذبوا بآيات الله الدالة
على صحة نبوة محمد عليه السلام ۝ ومعنى حملوا التوراة كلفوا علمها والعمل بها ۝ ثم لم يحملوها ثم لم يعملوا
بها فكأنهم لم يحملوها ۝ وقرئ حملوا التوراة أي حملوها ثم لم يحملوها في الحقيقة لفقد العمل ۝ وقرئ يحمل
الأسفار فإن قلت يحمل ما محله قلت النصب على الحال أو الجر على الوصف لأن الحمار كاللئيم في قوله
ولقد أمر على اللئيم يسبني قل يا أيها الذين هادوا إن زعمتم أنكم أولياء لله من دون الناس فتمنوا
الموت إن كنتم صادقين ۝ هاد يهود إذا تهود ۝ أولياء لله كانوا يقولون نحن أبناء الله وأحباؤه أي
إن كان قولكم حقا وكنتم على ثقة فتمنوا على الله أن يميتكم وينقلكم سريعا الى دار كرامته التي أعدها

يتلو عليهم ... في الاميين

لأوليائه ثم قال ولا يتمنونه أبدا بسبب ما قدموا من الكفر وقد قال لهم رسول الله صلى الله عليه وسلم
والذي نفسي بيده لا يقولها أحد منكم إلا غص بريقه فلولا أنهم كانوا موقنين بصدق رسول الله عليه
السلام لتمنوا ولكنهم علموا أنهم لو تمنوا لماتوا من ساعتهم ولحقهم الوعيد فما تمالك أحد أن يتمنى وهي إحدى
المعجزات ۝ وقرئ فتمنوا الموت بكسر الواو تشبيها بلو استطعنا ولا يتمنونه أبدا بما قدمت أيديهم والله
عليم بالظالمين ۝ ولا فرق بين لا ولن في أن كل واحدة منهما نفي للمستقبل إلا أن في لن تأكيدا وتشديدا
ليس في لا فأتى مرة بلفظ التأكيد ولن يتمنوه ومرة بغير لفظه ولا يتمنونه قل إن الموت الذي تفرون
منه فإنه ملاقيكم ثم تردون الى عالم الغيب والشهادة فينبئكم بما كنتم تعملون ۝ ثم قيل لهم
إن الموت الذي تفرون منه ولا تجسرون أن تتمنوه خيفة أن تؤخذوا بوبال كفركم لا تفوتونه وهو
ملاقيكم لا محالة ثم تردون الى الله فيجازيكم بما أنتم أهله من العقاب وقرأ زيد بن علي رضي الله عنهما إنه
ملاقيكم ۝ وفي قراءة ابن مسعود رضي الله عنه تفرون منه ملاقيكم وهي ظاهرة وأما التي بالفاء فلتضمن
الذي معنى الشرط وقد جعل إن الموت الذي تفرون منه كلاما برأسه في قراءة زيد أي إن الموت هو الشيء الذي
تفرون منه ثم استؤنف إنه ملاقيكم يا أيها الذين آمنوا إذا نودي للصلوة من يوم الجمعة فاسعوا
الى ذكر الله وذروا البيع ذلكم خير لكم إن كنتم تعلمون ۝ يوم الجمعة يوم الفوج المجموع كقولهم ضحكة
للمضحوك منه ۝ ويوم الجمعة بفتح الميم يوم الوقت الجامع كقولهم ضحكة ولعنة ولعبة ۝ ويوم الجمعة تثقيل
للجمعة كما قيل عسرة في عسرة ۝ وقرئ بهن جميعا فإن قلت من في قوله تعالى من يوم الجمعة ما هي قلت
هي بيان لإذا وتفسير له ۝ والنداء الأذان وقالوا المراد به الأذان عند قعود الإمام على المنبر وقد كان
لرسول الله صلى الله عليه وسلم مؤذن واحد فكان إذا جلس على المنبر أذن على باب المسجد فإذا نزل أقام للصلوة
ثم كان أبو بكر وعمر رضي الله عنهما على ذلك حتى إذا كان عثمان رضي الله عنه وكثر الناس وتباعدت المنازل
زاد مؤذنا آخر فأمر بالتأذين الأول على داره التي تسمى زوراء فإذا جلس على المنبر أذن المؤذن الثاني
فإذا نزل أقام للصلوة فلم يعب ذلك عليه ۝ وقيل أول من سماها جمعة كعب بن لؤي وكان يقال لها العروبة
وقيل إن الأنصار قالوا لليهود عليهم اللعنة يوم يجمعون فيه في كل سبعة أيام وللنصارى مثل ذلك
فهلموا نجعل لنا يوما نجتمع فيه فنذكر الله فيه ونصلي فقالوا يوم السبت لليهود عليهم اللعنة ويوم
الأحد للنصارى فاجعلوه يوم العروبة فاجتمعوا الى سعد بن زرارة فصلى بهم يومئذ ركعتين وذكرهم
فسموه يوم الجمعة لاجتماعهم فيه فأنزل الله تعالى آية الجمعة فهي أول جمعة كانت في الإسلام ۝ وأما أول
جمعة جمعها رسول الله صلى الله عليه وسلم فهي أنه لما قدم المدينة مهاجرا نزل قباء على بني عمرو بن عوف
وأقام بها يوم الإثنين والثلثاء والأربعاء والخميس وأسس مسجدهم ثم خرج يوم الجمعة عامدا المدينة
فأدركته صلوة الجمعة في بني سالم بن عوف في بطن واد لهم فخطب وصلى الجمعة ۝ وعن بعضهم قد أبطل
الله قول اليهود عليهم اللعنة في ثلاث افتخروا بأنهم أولياء الله وأحباؤه فكذبهم في قوله فتمنوا الموت
إن كنتم صادقين ۝ وبأنهم أهل الكتاب والعرب لا كتاب لهم فشبههم بالحمار يحمل أسفارا ۝ وبالسبت
وأنه ليس للمسلمين مثله فشرع الله تعالى لهم الجمعة ۝ وعن رسول الله صلى الله عليه وسلم خير يوم طلعت
فيه الشمس يوم الجمعة فيه خلق آدم ۝ وفيه أدخل الجنة ۝ وفيه أهبط الى الأرض ۝ وفيه تقوم الساعة
وهو عند الله يوم المزيد ۝ وعنه صلى الله عليه وسلم إن لله في كل جمعة ستمائة ألف عتيق من النار ۝ وعن
النبي عليه السلام أتاني جبريل وفي كفه مرآة بيضاء وقال هذه يوم الجمعة يعرضها عليك ربك لتكون

هم

قولهم

لك عيدا ولامتك من بعدك وهو سيد الايام عندنا ونحن ندعوه الى الاخرة يوم المزيد • وعن كعب ان الله فضل
من البلدان مكة • ومن الشهور رمضان • ومن الايام الجمعة • وقال صلى الله عليه وسلم من مات يوم الجمعة
كتب الله له اجر شهيد • ووقى فتنة القبر • وفي الحديث اذا كان يوم الجمعة قعدت الملائكة على ابواب
المسجد بايديهم صحف من فضة واقلام من ذهب يكتبون الاول فالاول على مراتبهم وكانت الطرقات
في ايام السلف وقت السحر وبعد الفجر مغتصة بالمبكرين الى الجمعة يمشون بالسرج • وقيل بدعة احدثت اول م
في الاسلام ترك البكور الى الجمعة • وعن ابن مسعود رضي الله عنه انه بكر فراى ثلاثة نفر سبقوه فاغتم
واخذ يعاتب نفسه يقول اراك رابع اربعة وما رابع اربعة بسعيد • ولا تقام الجمعة عند ابي حنيفة
رضي الله عنه الا في مصر جامع لقوله عليه السلام لا جمعة ولا تشريق ولا فطر ولا اضحى الا في مصر جامع
والمصر الجامع ما اقيمت فيه الحدود ونفذت فيه الاحكام • ومن شرطها الامام او من يقوم مقامه
لقوله صلى الله عليه وسلم فمن تركها وله امام عادل او جائر الحديث • وقوله صلى الله عليه وسلم اربع
الى الولاة الفيء والصدقات والحدود والجمعات فان ام رجل بغير اذن الامام او من ولاه من قاض
او صاحب شرطة لم يجز فان لم يمكن الاستيذان فاجتمعوا على واحد فصلى بهم جاز وهي تنعقد بثلاثة
سوى الامام • وعند الشافعي رضي الله عنه باربعين ولا جمعة على المسافرين والعبيد والنساء والمرضى
والزمنى ولا على الاعمى عند ابي حنيفة رحمة الله عليه ولا على الشيخ الذي لا يمشي الا بقائد **وقرا**
عمر وابن عباس وابن مسعود رضي الله عنهم وغيرهم فامضوا • وعن عمر بن الخطاب رضي الله عنه انه سمع
رجلا يقرا فاسعوا فقال من اقراك قال ابي بن كعب قال لا يزال يقرا بالمنسوخ لو كانت فاسعوا لسعيت
حتى يسقط ردائي • وقيل المراد بالسعي القصد دون العدو والسعي التصرف في كل عمل ومنه قوله
تعالى فلما بلغ معه السعي • وان ليس للانسان الا ما سعى • وعن الحسن رحمة الله عليه ليس السعي على الاقدام
ولكنه على النيات والقلوب • وذكر محمد بن الحسن رحمة الله عليه في موطاه ان ابن عمر رضي الله عنهما
سمع الاقامة وهو بالبقيع فاسرع المشي قال محمد وهذا لا باس به ما لم يجهد نفسه • الى ذكر الله الى
الخطبة والصلوة ولتسمية الله الخطبة ذكرا له قال ابو حنيفة رحمة الله عليه ان اقتصر الخطيب على مقدار
يسمى ذكر الله كقوله الحمد لله سبحان الله جاز • وعن عثمان بن عفان رضي الله عنه انه صعد المنبر فقال
الحمد لله وارتج عليه فقال ان ابا بكر وعمر رضي الله عنهما كانا يعدان لهذا المقام مقالا وانكم الى امام
فعال احوج منكم الى امام قوال وستاتيكم الخطب ثم نزل وكان ذلك بحضرة الصحابة رضي الله عنهم ولم
ينكر عليه احد • وعند صاحبيه والشافعي رحمهم الله لا بد من كلام يسمى خطبة **فان قلت** كيف يفسر
ذكر الله بالخطبة وفيها ذكر غير الله **قلت** ما كان من ذكر رسول الله والثناء عليه وعلى خلفائه الراشدين
وعلى اتقياء المؤمنين رضوان الله عليهم والموعظة والتذكير فهو في حكم ذكر الله فاما ما عدا ذلك من ذكر
الظلمة والقابهم والثناء عليهم والدعاء لهم وهم احقاء بعكس ذلك فمن ذكر الشيطان وهو من ذكر الله
على مراحل واذا قال المنصت للخطبة لصاحبه صه فقد لغا افلا يكون الخطيب الغالي في ذلك لاغيا
نعوذ بالله من غربة الاسلام ونكد الايام وذروا البيع اي اتركوا ما يذهل عن ذكر الله من شواغل الدنيا
وانما خص البيع من بينها لان يوم الجمعة يوم يهبط الناس فيه من قراهم وبواديهم وينصبون الى المصر
من كل اوب ووقت هبوطهم واجتماعهم واغتصاص الاسواق بهم اذا انتفخ النهار وتعالى الضحى ودنا وقت
الظهيرة وحينئذ تحر التجارة ويتكاثر البيع والشرى فلما كان ذلك الوقت مظنة الذهول بالبيع عن ذكر

الله والمضي الى المسجد قيل لهم بادروا تجارة الاخرة واتركوا تجارة الدنيا واسعوا الى ذكر الله الذي لا شيء
انفع منه واربح وذروا البيع الذي نفعه يسير وربحه مقارب **فان قلت** فاذا كان البيع في هذا الوقت
ماموراً بتركه محرماً فعله هو فاسد **قلت** عامة العلماء على ان ذلك لا يوجب فساد البيع قالوا لان البيع
لم يحرم لعينه ولكن لما فيه من الذهول عن الواجب فهو كالصلوة في الارض المغصوبة والثوب المغصوب
والوضوء بماء مغصوب • وعن بعض الناس انه فاسد فاذا قضيت الصلوة فانتشروا في الارض وابتغوا
من فضل الله واذكروا الله كثيرا لعلكم تفلحون • ثم اطلق لهم ما حظر عليهم بعد قضاء الصلوة من
الانتشار وابتغاء الربح مع التوصية باكثار الذكر وان لا يلهيهم شيء من تجارة ولا غيرها عنه وان تكون
همتهم في جميع احوالهم واوقاتهم موكلة به لا ينفضون عنه لان فلاحهم فيه وفوزهم منوط به • وعن ابن
عباس رضي الله عنهما لم يؤمروا بطلب شيء من الدنيا انما هو عيادة المرضى وحضور الجنائز وزيارة
اخ في الله • وعن الحسن وسعيد بن المسيب رحمهما الله طلب العلم • وقيل صلوة التطوع وعن بعض السلف
انه كان يشغل نفسه بعد الجمعة بشيء من امور الدنيا نظرا في هذه الاية واذا راوا تجارة او لهوا انفضوا
اليها وتركوك قائما قل ما عند الله خير من اللهو ومن التجارة والله خير الرازقين **روي** ان اهل
المدينة اصابهم جوع وغلاء شديد فقدم دحية بن خليفة بتجارة من زيت الشام والنبي صلى الله عليه
وسلم يخطب يوم الجمعة فقاموا اليه خشوا ان يسبقوا اليه فما بقي معه الا يسير • قيل ثمانية واحد عشر
واثنا عشر واربعون فقال النبي صلى الله عليه وسلم والذي نفس محمد بيده لو خرجوا جميعا لاضرم الله
عليهم الوادي نارا وكانوا اذا اقبلت العير استقبلوها بالطبل والتصفيق وهو المراد باللهو • وعن قتادة
فعلوا ذلك ثلاث مرات في كل مقدم عير **فان قلت** فان اتفق تفرق الناس عن الامام في صلوة الجمعة
كيف يصنع ان بقي وحده او مع اقل من ثلاثة فعند ابي حنيفة رحمة الله عليه يستانف
الظهر اذا نفروا عنه قبل الركوع • وعند صاحبيه اذا كبر وهم معه مضى فيها • وعند زفر اذا نفروا
قبل التشهد بطلت • فان قلت كيف قال اليها وقد ذكر شيئين قلت تقديره اذا راوا تجارة انفضوا اليها
او لهوا انفضوا اليه فحذف احدهما لدلالة المذكور عليه وكذلك قراءة من قرا انفضوا اليه وقراءة
من قرا لهوا او تجارة انفضوا اليها • وقرئ اليهما • عن النبي عليه السلام من قرا سورة الجمعة اعطي من الاجر
عشر حسنات بعدد كل من اتى الجمعة وبعدد من لم ياتها في امصار المسلمين • والله اعلم بالصواب

بسم الله الرحمن الرحيم اذا جاءك المنافقون قالوا نشهد انك لرسول الله والله يعلم انك لرسوله
والله يشهد ان المنافقين لكاذبون • ارادوا بقولهم نشهد انك لرسول الله شهادة واطات فيها
قلوبهم السنتهم فقال الله عز وجل قالوا ذلك والله يعلم ان الامر كما يدل عليه قولهم
انك لرسول الله والله يشهد انهم لكاذبون في قولهم نشهد وادعائهم فيه المواطاة او انهم لكاذبون
فيه لانه اذا خلا عن المواطاة لم يكن شهادة في الحقيقة فهم كاذبون في تسميته شهادة او اراد
والله يشهد انهم لكاذبون عند انفسهم لانهم كانوا يعتقدون ان قولهم انك لرسول الله كذب وخبر
على خلاف ما عليه حال المخبر عنه **فان قلت** اي فائدة في قوله تعالى والله يعلم انك لرسوله
قلت لو قال قالوا نشهد انك لرسول الله والله يشهد انهم لكاذبون لكان يوهم ان قولهم هذا كذب

قلت ويجوز عود الضمير على معنى [illegible] ان التجارة واللهو يعني فالرؤية تعمهما كيف
ورؤية التجارة سبب اللهو [illegible] في الرواية تتعذر [illegible] وعارة
[illegible] الرؤية [illegible]

توسط بينهما قوله والله يعلم انك لرسوله ليميط هذا الايهام اتخذوا ايمانهم جنة فصدوا عن سبيل
الله انهم ساء ما كانوا يعملون ذلك بانهم امنوا ثم كفروا فطبع على قلوبهم فهم لا يفقهون اتخذوا
ايمانهم جنة يجوز ان يراد ان قولهم نشهد انك لرسول الله يمين من ايمانهم الكاذبة لان الشهادة
تجري مجرى الحلف فيما يراد به من التوكيد يقول الرجل اشهد واشهد بالله واعزم واعزم بالله في موضع
اقسم واولي وبه استشهد ابو حنيفة رحمة الله عليه يمين ويجوز ان يكون وصفا للمنافقين في
استجنانهم بالايمان وقرا الحسن رحمة الله عليه ايمانهم اي ما اظهروه من الايمان بالسنتهم ويعضده
قوله تعالى ذلك بانهم امنوا ثم كفروا ساء ما كانوا يعملون من نفاقهم وصدهم الناس عن سبيل الله
وفي ساء معنى التعجب الذي هو تعظيم امرهم عند السامعين ذلك اشارة الى قوله تعالى ساء ما كانوا
يعملون اي ذلك القول الشاهد عليهم بانهم اسوأ الناس اعمالا بسبب انهم امنوا ثم كفروا او الى ما
وصف من حالهم في النفاق والكذب والاستجنان بالايمان اي ذلك كله بسبب انهم امنوا ثم كفروا
فطبع على قلوبهم فجسروا على كل عظيمة **فان قلت** المنافقون لم يكونوا الا على الكفر الثابت الدائم
فما معنى قوله امنوا ثم كفروا **قلت** فيه ثلاثة اوجه احدها امنوا اي نطقوا بكلمة الشهادة
وفعلوا كما يفعل من يدخل في الاسلام ثم كفروا ثم ظهر كفرهم بعد ذلك وتبين بما اطلع عليه من
قولهم ان كان ما يقوله محمد حقا فنحن حمير وقولهم في غزوة تبوك ايطمع هذا الرجل ان تفتح له قصور
كسرى وقيصر هيهات ونحوه قوله سبحانه وتعالى يحلفون بالله ما قالوا ولقد قالوا كلمة الكفر
وكفروا بعد اسلامهم اي وظهر كفرهم بعد ان اسلموا ونحوه قوله تعالى لا تعتذروا قد كفرتم
بعد ايمانكم والثاني امنوا اي نطقوا بالايمان عند المؤمنين ثم نطقوا بالكفر عند شياطينهم
استهزاء بالاسلام كقوله تعالى واذا لقوا الذين امنوا الى قوله انما نحن مستهزءون والثالث ان
يراد اهل الردة منهم **وقرئ** فطبع على قلوبهم وقرا زيد بن علي رضي الله عنهما فطبع الله واذا
رايتهم تعجبك اجسامهم وان يقولوا تسمع لقولهم كانهم خشب مسندة يحسبون كل صيحة عليهم
هم العدو فاحذرهم قاتلهم الله انى يؤفكون كان عبد الله بن ابي رجلا جسيما صبيحا فصيحا
ذلق اللسان وقوم من المنافقين في مثل صفته وهم رؤساء المدينة وكانوا يحضرون مجلس رسول
الله صلى الله عليه وسلم فيستندون فيه ولهم جهارة المناظر وفصاحة الالسن فكان النبي صلى الله
عليه وسلم ومن حضر يعجبون بهياكلهم ويسمعون الى كلامهم **فان قلت** ما معنى قوله كانهم خشب
مسندة **قلت** شبهوا في استنادهم وما هم الا اجرام خالية عن الايمان والخير بالخشب المسندة
الى الحائط ولان الخشب اذا انتفع به كان في سقف او جدار او غيرهما من مظان الانتفاع وما دام متروكا
فارغا غير منتفع به اسند الى الحائط فشبهوا به في عدم الانتفاع ويجوز ان يراد بالخشب المسندة
الاصنام المنحوتة من الخشب المسندة الى الحيطان شبهوا بها في حسن صورهم وقلة جدواهم والخطاب
في رايتهم تعجبك لرسول الله او لكل من يخاطب وقرئ يسمع على البناء للمفعول وموضع كانهم خشب رفع
على هم كانهم خشب او هو كلام مستانف لا محل له **وقرئ** خشب جمع خشبة كبدنة وبدن وخشب
كثمرة وثمر وخشب كمدرة ومدر وهي في قراءة ابن عباس رضي الله عنهما وعن اليزيدي انه قال
في خشب جمع خشباء والخشباء الخشبة التي دعر جوفها شبهوا بها في نفاقهم وفساد بواطنهم عليهم
ثاني مفعولي يحسبون اي يحسبون كل صيحة واقعة عليهم وضارة لهم لجبنهم وهلعهم وما في قلوبهم

من

من الرعب اذا نادى مناد في العسكر او انفلتت دابة او انشدت ضالة ظنوه ايقاعا بهم وقيل كانوا على
وجل من ان ينزل الله فيهم ما يهتك استارهم ويبيح دماءهم واموالهم ومنه اخذ الاخطل
ما زلت تحسب كل شيء بعدهم خيلا تكر عليهم ورجالا يوقف على عليهم ويبتدا
هم العدو اي هم الكاملون في العداوة لان اعدى الاعداء العدو المداجي الذي يكاشرك و
تحت ضلوعه الداء الدوي فاحذرهم ولا تغترر بظاهرهم ويجوز ان يكون هم العدو
المفعول الثاني كما لو طرحت الضمير **فان قلت** حقه ان يقال هي العدو **قلت** منظور فيه
الى الخبر كما ذكر في هذا ربي وان يقدر مضاف محذوف على يحسبون كل اهل صيحة قاتلهم الله دعاء
عليهم وطلب من ذاته ان يلعنهم ويخزيهم او تعليم للمؤمنين ان يدعوا عليهم بذلك انى يؤفكون
كيف يعدلون عن الحق تعجبا من جهلهم وضلالتهم واذا قيل لهم تعالوا يستغفر لكم رسول الله
لووا رءوسهم ورايتهم يصدون وهم مستكبرون لووا رءوسهم عطفوها وامالوها
اعراضا عن ذلك واستكبارا **قرئ** بالتخفيف والتشديد للتكثير **روي** ان رسول الله صلى الله
عليه وسلم حين لقي بني المصطلق على المريسيع وهو ماء لهم وهزمهم وقتل منهم ازدحم على الماء جهجاه
ابن سعيد اجير لعمر رضي الله عنه يقود فرسه وسنان الجهني حليف لعبد الله بن ابي واقتتلا فصرخ
جهجاه يا للمهاجرين وسنان يا للانصار فاعان جهجاها جعال من فقراء المهاجرين ولطم سنانا فقال عبد
الله لجعال وانت هناك وقال ما صحبنا محمدا الا لنلطم والله ما مثلنا ومثلهم الا كما قال سمن كلبك
ياكلك اما والله لئن رجعنا الى المدينة ليخرجن الاعز منها الاذل عنى بالاعز نفسه وبالاذل رسول
الله صلى الله عليه وسلم ثم قال لقومه ماذا فعلتم بانفسكم احللتموهم بلادكم وقاسمتموهم اموالكم
اما والله لو امسكتم عن جعال وذويه فضل الطعام لم يركبوا رقابكم ولاوشكوا ان يتحولوا عنكم
فلا تنفقوا عليهم حتى ينفضوا من حول محمد فسمع بذلك زيد بن ارقم رضي الله عنه وهو حدث فقال
انت والله الذليل القليل المبغض في قومك ومحمد في عز من الرحمن وقوة من المسلمين فقال عبد الله
اسكت فانما كنت العب فاخبر زيد رسول الله عليه السلام فقال عمر رضي الله عنه دعني اضرب عنق
هذا المنافق يا رسول الله قال اذن ترعد انف كثيرة بيثرب قال فان كرهت ان يقتله مهاجري
فامر به انصاريا فقال فكيف اذا تحدث الناس ان محمدا يقتل اصحابه وقال صلى الله عليه وسلم
لعبد الله انت صاحب الكلام الذي بلغني قال والله الذي انزل عليك الكتاب ما قلت شيئا من ذلك
وان زيدا لكاذب فهو قوله عز وجل اتخذوا ايمانهم جنة فقال الحاضرون يا رسول الله شيخنا وكبيرنا
لا تصدق عليه كلام غلام عسى ان يكون قد وهم **وروي** ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال
له لعلك غضبت عليه قال لا قال فلعله اخطا سمعك قال لا قال فلعله شبه عليك قال لا فلما نزلت
لحق رسول الله صلى الله عليه وسلم زيدا من خلفه فعرك اذنه وقال وفت اذنك يا غلام ان الله قد
صدقك وكذب المنافقين ولما اراد عبد الله ان يدخل المدينة اعترضه ابنه حباب وهو
عبد الله بن عبد الله غير رسول الله صلى الله عليه وسلم اسمه وقال ان حبابا اسم شيطان وكان مخلصا
وقال وراءك والله لا تدخلها حتى تقول رسول الله الاعز وانا الاذل فلم يزل في يده حتى امره
رسول الله عليه السلام بتخليته **وروي** انه قال له لئن لم تقر لله ولرسوله بالعز لاضربن عنقك
فقال ويحك افاعل انت قال نعم فلما راى منه الجد قال اشهد ان العزة لله ولرسوله وللمؤمنين

فقال عليه السلام لابنه جزاك الله عن رسوله وعن المؤمنين خيرا فلما بان كذب عبد الله قيل له قد نزلت فيك آي شداد فاذهب الى رسول الله يستغفر لك فلوى رأسه ثم قال امرتموني ان اؤمن فآمنت وامرتموني ان ازكي مالي فزكيت فما بقي الا ان اسجد لمحمد فنزلت واذا قيل لهم تعالوا يستغفر لكم رسول الله ولم يلبث الا ايامًا قلائل حتى اشتكى ومات **سواء عليهم أستغفرت لهم أم لم تستغفر لهم لن يغفر الله لهم إن الله لا يهدي القوم الفاسقين** ۝ سواء عليهم الاستغفار وعدمه لانهم لا يلتفتون اليه ولا يعتدون به لكفرهم او لان الله تعالى لا يغفر لهم **وقرئ** استغفرت على حذف حرف الاستفهام لان ام المعادلة تدل عليه ۝ وقرأ ابو جعفر آستغفرت اشباعا لهمزة الاستفهام للاظهار والبيان لا قلبا لهمزة الوصل الفا كما في آلسحر وآلله **هم الذين يقولون لا تنفقوا على من عند رسول الله حتى ينفضوا ولله خزائن السموات والأرض ولكن المنافقين لا يفقهون** ۝ ينفضوا يتفرقوا **وقرئ** ينفضوا من انفض القوم اذا فنيت ازوادهم وحقيقته حان لهم ان ينفضوا مزاودهم ۝ ولله خزائن السموات والارض وبيده الارزاق والقسم وهو رازقهم منها وان ابى اهل المدينة ان ينفقوا عليهم ولكن عبد الله واضرابه جاهلون لا يفقهون ذلك فيهذون بما يزين لهم الشيطان **يقولون لئن رجعنا الى المدينة ليخرجن الأعز منها الأذل ولله العزة ولرسوله وللمؤمنين ولكن المنافقين لا يعلمون** **وقرئ** ليخرجن الاعز منها الاذل ۝ وليخرجن على البناء للمفعول ۝ وقرأ الحسن وابن ابي عبلة لنخرجن بالنون ونصب الاعز والاذل ومعناه خروج الاذل او اخراج الاذل او مثل الاذل ولله العزة الغلبة والقوة ولمن اعزه الله وايده من رسوله ومن المؤمنين وهم الاخصاء بذلك كما ان المذلة والهوان للشيطان وذويه من الكافرين والمنافقين وعن بعض الصالحات رحمها الله وكانت في هيئة رثة الست على الاسلام وهو العز الذي لا ذل معه والغنى الذي لا فقر معه ۝ وعن الحسن بن علي رضي الله عنهما ان رجلا قال له ان فيك تيها قال ليس بتيه ولكنه عزة وتلا هذه الاية **يا أيها الذين آمنوا لا تلهكم أموالكم ولا أولادكم عن ذكر الله ومن يفعل ذلك فأولئك هم الخاسرون** لا تلهكم لا تشغلكم اموالكم والتصرف فيها والسعي في تدبير امرها والتهالك على طلب النماء فيها بالتجارة والاغتلال وابتغاء النتاج والتلذذ بها والاستمتاع بمنافعها ۝ ولا اولادكم وسروركم بهم وشفقتكم عليهم والقيام بمؤنهم وتسوية ما يصلحهم من معايشهم في حياتكم وبعد مماتكم وقد عرفتم قدر منفعة الاموال والاولاد وانه اهون شيء وادونه في جنب ما عند الله عن ذكر الله وايثاره عليها ومن يفعل ذلك يريد الشغل بالدنيا عن الدين فاولئك هم الخاسرون في تجارتهم حيث باعوا العظيم الباقي بالحقير الفاني ۝ وقيل ذكر الله الصلوات الخمس ۝ وعن الحسن رحمه الله جميع الفرائض كانه قال عن طاعة الله ۝ وقيل القرآن وعن الكلبي الجهاد مع رسول الله عليه السلام **وأنفقوا مما رزقناكم من قبل أن يأتي أحدكم الموت فيقول رب لولا أخرتني إلى أجل قريب فأصدق وأكن من الصالحين** ۝ من في مما رزقناكم للتبعيض والمراد الانفاق الواجب ۝ من قبل ان يأتي احدكم الموت من قبل ان يرى دلائل الموت ويعاين ما ييأس معه من الامهال ويضيق به الخناق ويتعذر به الانفاق ويفوت وقت القبول فيتحسر على المنع ويعض انامله على فقد ما كان متمكنا منه ۝ وعن ابن عباس رضي الله عنهما تصدقوا قبل ان ينزل عليكم سلطان الموت فلا يقبل توبة ولا ينفع عمل ۝ وعنه ما يمنع احدكم اذا كان له مال ان يزكي واذا اطاق الحج ان يحج من قبل ان يأتيه الموت فيسأل ربه الكرة فلا يعطاها ۝ وعنه رضي الله عنه انها نزلت في مانعي الزكوة ووالله لو رأى خيرا لما سأل الرجعة فقيل له اما تتقي الله يسأل المؤمنون الكرة قال نعم انا اقرأ عليكم به قرآنا يعني انها نزلت في المؤمنين وهم المخاطبون بها وكذلك عن الحسن رحمة الله عليه ما من احد لم يزك ولم يصم ولم يحج الا سأل الرجعة ۝ وعن عكرمة انها نزلت في اهل القبلة ۝ لولا اخرتني **وقرئ** اخرتني يريد هلا اخرت موتي الى اجل قريب الى زمان قليل ۝ فاصدق وقرأ ابي فاتصدق على الاصل ۝ **وقرئ** واكن عطفا على محل فاصدق كانه قيل ان اخرتني اصدق واكن ۝ ومن قرأ واكون على النصب فعلى اللفظ ۝ وقرأ عبيد بن عمير واكون على وانا اكون عدة منه بالصلاح **ولن يؤخر الله نفسا إذا جاء أجلها والله خبير بما تعملون** ۝ ولن يؤخر الله نفي للتأخير على وجه التأكيد الذي معناه منافاة المنفي الحكمة والمعنى انكم اذا علمتم ان تأخير الموت عن وقته مما لا سبيل اليه وانه هاجم لا محالة وان الله عليم باعمالكم فمجاز عليها من منع واجب وغيره لم يبق الا المسارعة الى الخروج عن عهدة الواجبات والاستعداد للقاء الله تعالى **وقرئ** يعملون بالياء والتاء ۝ عن رسول الله صلى الله عليه وسلم من قرأ سورة المنافقين برئ من النفاق والله اعلم ۝

بسم الله الرحمن الرحيم **يسبح لله ما في السموات وما في الأرض له الملك وله الحمد وهو على كل شيء قدير هو الذي خلقكم فمنكم كافر ومنكم مؤمن والله بما تعملون بصير** ۝ قدم الظرفان ليدل بتقديمهما على معنى اختصاص الملك والحمد بالله عز وجل وذلك لان الملك على الحقيقة له لانه مبدئ كل شيء ومبدعه والقائم به والمهيمن عليه وكذلك الحمد لان اصول النعم وفروعها منه واما ملك غيره فتسليط منه واسترعاء وحمده اعتداد بان نعمة الله جرت على يده ۝ هو الذي خلقكم فمنكم كافر ومنكم مؤمن يعني فمنكم آت بالكفر وفاعل له ومنكم آت بالايمان وفاعل له كقوله تعالى وجعلنا في ذريتهما النبوة والكتاب فمنهم مهتد وكثير منهم فاسقون والدليل عليه قوله تعالى والله بما تعملون بصير اي عالم بكفركم وايمانكم اللذين هما من عملكم والمعنى هو الذي تفضل عليكم باصل النعم الذي هو الخلق والايجاد عن العدم فكان يجب ان تنظروا النظر الصحيح وتكونوا باجمعكم عبادا شاكرين فما فعلتم مع تمكنكم بل تشعبتم شعبا وتفرقتم امما فمنكم كافر ومنكم مؤمن وقدم الكفر لانه الاغلب عليهم والاكثر فيهم ۝ وقيل هو الذي خلقكم فمنكم كافر بالخلق وهم الدهرية ومنكم مؤمن به **فان قلت** نعم ان العباد هم الفاعلون للكفر ولكن قد سبق في علم الحكيم انه اذا خلقهم لم يفعلوا الا الكفر ولم يختاروا غيره فما دعاه الى خلقهم مع علمه بما يكون منهم وهل خلق القبيح وخلق فاعل القبيح الا واحد وهل مثله الا مثل من وهب سيفا باترا لمن شهر بقطع السبيل وقتل النفس المحرمة فقتل به مؤمنا اما يطبق العقلاء على ذم الواهب وتعنيفه والدق في فروته كما يذمون القاتل بل انحاؤهم باللوائم على الواهب اشد **قلت** قد علمنا ان الله عز وجل حكيم عالم بقبح القبيح عالم بغناه عنه فقد علمنا ان افعاله كلها حسنة وخلق فاعل القبيح فعله فوجب ان يكون حسنا وان يكون له وجه حسن وخفاء وجه الحسن علينا لا يقدح في حسنه كما لا يقدح في حسن اكثر مخلوقاته جهلنا بداعي الحكمة الى خلقها **خلق السموات والأرض بالحق وصوركم فأحسن صوركم وإليه المصير يعلم ما في السموات والأرض ويعلم ما تسرون وما تعلنون والله عليم بذات الصدور** ۝ بالحق بالغرض الصحيح والحكمة البالغة وهو ان جعلها مقار المكلفين

ليعملوا الخيار منهم وصوركم فأحسن صوركم وقرئ صوركم بالكسر لتشكروا واليه المصير فيجازيكم على الشكر
والتفريط فيه فإن قلت كيف أحسن صورهم قلت جعلهم أحسن الحيوان كله وأبهاه بدليل أن الإنسان
لا يتمنى أن تكون صورته على خلاف ما يرى من سائر الصور ومن حسن صورته أنه خلق منتصبا غير منكب كما
قال الله عز وجل في أحسن تقويم فإن قلت كم من دميم مشوه الصورة سمج الخلقة تقتحمه العيون قلت
لا سماجة ثم ولكن الحسن كغيره من المعاني على طبقات ومراتب فلانحطاط بعض الصور عن مراتب ما فوقها
انحطاطا بينا وإضافتها إلى الموفي عليها لا تستملح وإلا فهي داخلة في حيز الحسن غير خارجة عن حده ألا ترى
أنك قد تعجب بصورة وتستملحها ولا ترى الدنيا بها ثم ترى أملح وأعلى في مراتب الحسن منها فينبو عن الأولى
طرفك وتستثقل النظر إليها بعد افتتانك بها وتلقيك عليها وقالت الحكماء شيئان لا غاية لهما
الجمال والبيان نبه بعلمه ما في السموات والأرض ثم بعلمه ما يسره العباد ويعلنونه ثم بعلمه ذات
الصدور أن شيئا من الكليات والجزئيات غير خاف عليه ولا عازب عنه فحقه أن يتقى ويحذر ولا يجترى
على شيء مما يخالف رضاه وتكرير العلم في معنى تكرير الوعيد وكل ما ذكره بعد قوله تعالى فمنكم كافر
ومنكم مؤمن كما ترى في معنى الوعيد على الكفر وإنكار أن يعصى الخالق ولا تشكر نعمته فما أجهل من يمزج
الكفر بالخلق ويجعله من جملته والخلق أعظم نعمة من الله تعالى على عباده والكفر أعظم كفران من العباد
لربهم ألم يأتكم نبؤا الذين كفروا من قبل فذاقوا وبال أمرهم ولهم عذاب أليم ذلك بأنه
كانت تأتيهم رسلهم بالبينات فقالوا أبشر يهدوننا فكفروا وتولوا واستغنى الله والله
غني حميد ألم يأتكم الخطاب لكفار مكة وذلك إشارة إلى ما ذكر من الوبال الذي ذاقوه في الدنيا
وما أعد لهم من العذاب في الآخرة بأنه بأن الشأن والحديث كانت تأتيهم رسلهم أبشر يهدوننا أنكروا
أن تكون الرسل بشرا ولم ينكروا أن يكون الله   واستغنى الله أطلق ليتناول كل شيء ومن جملته
إيمانهم وطاعتهم فإن قلت قوله وتولوا واستغنى الله يوهم وجود التولي والاستغناء معا والله تعالى
لم يزل غنيا   معناه وظهر استغناء الله حيث لم يلجئهم إلى الإيمان ولم يضطرهم إليه مع قدرته
على ذلك زعم الذين كفروا أن لن يبعثوا قل بلى وربي لتبعثن ثم لتنبؤن بما عملتم وذلك على
الله يسير فآمنوا بالله ورسوله والنور الذي أنزلنا والله بما تعملون خبير الزعم ادعاء العلم
ومنه قوله صلى الله عليه وسلم زعموا مطية الكذب وعن شريح لكل شيء كنية وكنية الكذب
زعموا ويتعدى إلى المفعولين تعدي علم قال ولم أزعمك عن ذاك معزلا وأن مع ما في حيزه قائم مقامهما
والذين كفروا أهل مكة وبلى إثبات لما بعد لن وهو البعث يوم يجمعكم ليوم الجمع ذلك يوم التغابن
ومن يؤمن بالله ويعمل صالحا يكفر عنه سيئاته ويدخله جنات تجري من تحتها الأنهار خالدين
فيها أبدا ذلك الفوز العظيم والذين كفروا وكذبوا بآياتنا أولئك أصحاب النار خالدين
فيها وبئس المصير وقرئ نجمعكم ونكفر وندخله بالياء والنون فإن قلت بم انتصب الظرف
قلت بقوله لتنبؤن أو بخبير لما فيه من معنى الوعيد كأنه قيل والله معاقبكم يوم يجمعكم أو بإضمار
اذكر ليوم الجمع ليوم يجمع فيه الأولون والآخرون التغابن مستعار من تغابن القوم في التجارة
وهو أن يغبن بعضهم بعضا لنزول السعداء منازل الأشقياء التي كانوا ينزلونها لو كانوا سعداء
ونزول الأشقياء منازل السعداء التي كانوا ينزلونها لو كانوا أشقياء وفيه تهكم بالأشقياء لأن نزولهم
ليس بغبن وفي حديث رسول الله صلى الله عليه وسلم ما من عبد يدخل الجنة إلا أري مقعده من

النار لو أساء ليزداد شكرا وما من عبد يدخل النار إلا أري مقعده من الجنة لو أحسن ليزداد حسرة ومعنى
ذلك يوم التغابن وقد يتغابن الناس في غير ذلك اليوم استعظام له وأن تغابنه هو التغابن في الحقيقة
لا التغابن في أمور الدنيا وإن جلت وعظمت صالحا صفة للمصدر أي عملا صالحا ما أصاب من مصيبة
إلا بإذن الله ومن يؤمن بالله يهد قلبه والله بكل شيء عليم وأطيعوا الله وأطيعوا الرسول
فإن توليتم فإنما على رسولنا البلاغ المبين إلا بإذن الله إلا بتقديره ومشيئته كأنه أذن للمصيبة
أن تصيبه يهد قلبه يلطف به ويشرحه للازدياد من الطاعة والخير وقيل هو الاسترجاع عند المصيبة
وعن الضحاك يهد قلبه حتى يعلم أن ما أصابه لم يكن ليخطئه وما أخطأه لم يكن ليصيبه وعن مجاهد
إن ابتلي صبر وإن أعطي شكر وإن ظلم غفر وقرئ يهد قلبه على البناء للمفعول والقلب مرفوع أو
منصوب ووجه النصب أن يكون مثل سفه نفسه أي يهد في قلبه ويجوز أن يكون المعنى أن الكافر
ضال عن قلبه بعيد منه والمؤمن واجد له مهتد إليه كقوله تعالى لمن كان له قلب وقرئ
نهد قلبه بالنون ويهدأ قلبه بمعنى يطمئن ويهدأ قلبه يطمئن ويهد ويهدا على التخفيف والله
بكل شيء عليم يعلم ما يؤثر فيه اللطف من القلوب مما لا يؤثر فيه فيمنحه ويمنعه فإن توليتم فلا عليه
إذا توليتم لأنه لم يكتب عليه طاعتكم إنما كتب عليه أن يبلغ ويبين فحسب الله لا إله إلا هو وعلى
الله فليتوكل المؤمنون وعلى الله فليتوكل المؤمنون بعث لرسول الله صلى الله عليه وسلم على
التوكل عليه والتقوي به في أمره حتى ينصره على من كذبه وتولى عنه يا أيها الذين آمنوا إن من
أزواجكم وأولادكم عدوا لكم فاحذروهم وإن تعفوا وتصفحوا وتغفروا فإن الله غفور
رحيم إن من الأزواج أزواجا يعادين بعولتهن ويخاصمنهم ويجلبن عليهم ومن الأولاد أولادا
يعادون آباءهم ويعقونهم ويجرعونهم الغصص والأذى فاحذروهم الضمير للعدو أو للأزواج
والأولاد جميعا أي لما علمتم أن هؤلاء لا يخلون من عدو فكونوا منهم على حذر ولا تأمنوا غوائلهم وشرهم
وإن تعفوا عنهم إذا اطلعتم منهم على عداوة ولم تقابلوهم بمثلها فإن الله يغفر لكم ذنوبكم ويكفر
عنكم وقيل إن ناسا أرادوا الهجرة عن مكة فثبطهم أزواجهم وأولادهم وقالوا تنطلقون وتضيعوننا
فرقوا لهم ووقفوا فلما هاجروا بعد ذلك ورأوا الذين سبقوهم قد فقهوا في الدين أرادوا أن يعاقبوا
أزواجهم وأولادهم فزين لهم العفو وقيل قالوا لهم أين تذهبون وتدعون بلدكم وعشيرتكم
وأموالكم فغضبوا عليهم وقالوا لئن جمعنا الله في دار الهجرة لم نصبكم بخير فلما هاجروا منعوهم الخير
فحثوا أن يعفوا عنهم ويردوا إليهم البر والصلة وقيل كان عوف بن مالك الأشجعي ذا أهل وولد
فإذا أراد أن يغزو تعلقوا به وبكوا إليه ورققوه فكأنه هم بأذاهم فنزلت إنما أموالكم وأولادكم
فتنة والله عنده أجر عظيم فاتقوا الله ما استطعتم واسمعوا وأطيعوا وأنفقوا خيرا
لأنفسكم ومن يوق شح نفسه فأولئك هم المفلحون فتنة بلاء ومحنة لأنهم يوقعون في الإثم
والعقوبة ولا بلاء أعظم منهما ألا ترى إلى قوله تعالى والله عنده أجر عظيم وفي الحديث يؤتى برجل
يوم القيامة فيقال أكل عياله حسناته وعن بعض السلف العيال سوس الطاعات وعن النبي صلى
الله عليه وسلم أنه كان يخطب فجاء الحسن والحسين رضي الله عنهما وعليهما قميصان أحمران يعثران
ويقومان فنزل إليهما فأخذهما ووضعهما في حجره على المنبر فقال صدق الله إنما أموالكم وأولادكم
فتنة رأيت هذين الصبيين فلم أصبر عنهما ثم أخذ في خطبته وقيل إذا أمكنكم الجهاد والهجرة فلا

يفتنكم الميل الى الاموال والاولاد عنهما ٥ ما استطعتم جهدكم ووسعكم اى ابذلوا فيها استطاعتكم واسمعوا ما توعظون به ٥ واطيعوا فيما تؤمرون به وتنهون عنه وانفقوا فى الوجوه التى وجبت عليكم النفقة فيها ٥ خيرا لانفسكم نصب بمحذوف تقديره ايتوا خيرا لانفسكم وافعلوا ما هو خير لها وانفع وهذا تاكيد للحث على امتثال هذه الاوامر وبيان لان هذه الامور خير لانفسكم من الاموال والاولاد وما انتم عاكفون عليه من حب الشهوات وزخارف الدنيا ان تقرضوا الله قرضا حسنا يضاعفه لكم ويغفر لكم والله شكور حليم عالم الغيب والشهادة العزيز الحكيم ٥ وذكر القرض تلطف فى الاستدعاء ٥ يضاعفه لكم يكتب لكم بالواحدة عشرة وسبعمائة الى ما شاء من الزيادة **وقرئ** يضعفه ٥ شكور مجاز اى يفعل بكم ما يفعل المبالغ فى الشكر من عظيم الثواب وكذلك حليم يفعل بكم ما يفعل من يحلم عن المسئ فلا يعاجلكم بالعقاب مع كثرة ذنوبكم ٥ عن النبى عليه السلام

من قرا سورة التغابن دفع عنه موت الفجاة

وهى احدى عشرة او اثنتا عشرة او ثلاث عشرة اية ٥ بسم الله الرحمن الرحيم يا ايها النبى اذا طلقتم النساء فطلقوهن لعدتهن واحصوا العدة واتقوا الله ربكم ٥ خص النبى عليه السلام بالنداء وعم بالخطاب لان النبى صلى الله عليه وسلم امام امته وقدوتهم كما يقال لرئيس القوم وكبيرهم يا فلان افعلوا كيت وكيت اظهارا لتقدمه واعتبارا لترؤسه وانه مدره قومه ولسانهم والذى يصدرون عن رايه ولا يستبدون بامر دونه فكان هو وحده فى حكم كلهم وسادا مسد جميعهم ٥ ومعنى اذا طلقتم النساء اذا اردتم تطليقهن وهممتم به على تنزيل المقبل على الامر المشارف له منزلة الشارع فيه كقوله صلى الله عليه وسلم من قتل قتيلا فله سلبه ٥ ومنه كان الماشى الى الصلوة والمنتظر لها فى حكم المصلى فطلقوهن لعدتهن فطلقوهن مستقبلات لعدتهن كقولك اتيته لليلة بقيت من المحرم اى مستقبلا لها ٥ وفى قراءة رسول الله صلى الله عليه وسلم فى قبل عدتهن واذا طلقت المراة فى الطهر المتقدم للقرء الاول من اقرائها فقد طلقت مستقبلة لعدتها والمراد ان يطلقن فى طهر لم يجامعن فيه ثم يخلين حتى تنقضى عدتهن وهذا احسن الطلاق وادخله فى السنة وابعده من الندم ويدل عليه ما روى عن ابراهيم النخعى ان اصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم كانوا يستحبون ان لا يطلقوا ازواجهم للسنة الا واحدة ثم لا يطلقوا غير ذلك حتى تنقضى العدة وكان احسن عندهم من ان يطلق الرجل ثلاثا فى ثلاثة اطهار ٥ وقال مالك بن انس رضى الله عنه لا اعرف طلاق السنة الا واحدة وكان يكره الثلاث مجموعة كانت او متفرقة ٥ واما ابو حنيفة واصحابه رحمهم الله فانما كرهوا ما زاد على الواحدة فى طهر واحد فاما مفرقا فى الاطهار فلا لما روى عن النبى صلى الله عليه وسلم انه قال لابن عمر رضى الله عنهما حين طلق امراته وهى حائض ما هكذا امرك الله انما السنة ان تستقبل الطهر استقبالا وتطلقها لكل قرء تطليقة **وروى** انه قال لعمر رضى الله عنه مر ابنك فليراجعها ثم ليدعها حتى تحيض ثم تطهر ثم ليطلقها ان شاء فتلك العدة التى امر الله ان تطلق لها النساء وعند الشافعى رضى الله عنه لا باس بارسال الثلاث وقال لا اعرف فى عدد الطلاق سنة ولا بدعة وهو مباح فمالك رحمه الله عليه يراعى فى طلاق السنة الوحدة والوقت وابو حنيفة رحمة الله عليه يراعى التفريق والوقت والشافعى رضى الله عنه يراعى الوقت وحده **فان قلت** هل يقع الطلاق المخالف

للسنة **قلت** نعم وهو اثم لما روى عن النبى عليه السلام ان رجلا طلق امراته ثلثا بين يديه فقال اتلعبون بكتاب الله وانا بين اظهركم ٥ وفى حديث ابن عمر رضى الله عنهما انه قال يا رسول الله ارايت لو طلقتها ثلاثا فقال له اذن عصيت وبانت منك امراتك ٥ وعن عمر رضى الله عنه انه كان لا يؤتى برجل طلق امراته ثلثا الا اوجعه ضربا واجاز ذلك عليه ٥ وعن سعيد بن المسيب رضى الله عنه وجماعة من التابعين رضوان الله عليهم ان من خالف السنة فى الطلاق فاوقعه فى حيض او ثلث لم يقع وشبهوه بمن وكل غيره بطلاق السنة فخالف ٥ فان قلت كيف تطلق للسنة التى لا تحيض لصغر او كبر او حمل وغير المدخول بها ٥ قلت الصغيرة والايسة والحامل كلهن عند ابى حنيفة وابى يوسف رحمة الله عليهما يفرق عليهن الثلث فى الاشهر وخالفهما محمد وزفر فى الحامل فقالا لا تطلق للسنة الا واحدة واما غير المدخول بها فلا تطلق للسنة الا واحدة ولا يراعى الوقت **فان قلت** هل يكره ان تطلق المدخول بها واحدة بائنة اختلف الرواية فيه عن اصحابنا والظاهر الكراهة ٥ فان قلت قوله تعالى اذا طلقتم النساء عام يتناول المدخول بهن وغير المدخول بهن من ذوات الاقراء والايسات والصغائر والحوامل فكيف صح تخصيصه بذوات الاقراء المدخول بهن ٥ قلت لا عموم ثم ولا خصوص ولكن النساء اسم جنس للاناث من الانس وهذه الجنسية معنى قائم فى كلهن وفى بعضهن فجاز ان يراد بالنساء هذا وذاك فلما قيل فطلقوهن لعدتهن علم انه اطلق على بعضهن وهن المدخول بهن من المعتدات بالحيض ٥ واحصوا العدة واضبطوها بالحفظ واكملوها ثلاثة اقراء مستقبلات كوامل لا نقصان فيهن لا تخرجوهن من بيوتهن ولا يخرجن الا ان ياتين بفاحشة مبينة وتلك حدود الله ومن يتعد حدود الله فقد ظلم نفسه ٥ ولا تخرجوهن حتى تنقضى عدتهن من بيوتهن من مساكنهن التى تسكنها قبل العدة وهى بيوت الازواج واضيفت اليهن لاختصاصها بهن من حيث السكنى **فان قلت** ما معنى الجمع بين اخراجهم وخروجهن **قلت** معنى الاخراج ان لا يخرجهن البعولة غضبا عليهن وكراهة لمساكنتهن او لحاجة لهم الى المساكن وان لا ياذنوا لهن فى الخروج اذا طلبن ذلك ايذانا بان اذنهم لا اثر له فى رفع الحظر ولا يخرجن بانفسهن ان اردن ذلك الا ان ياتين بفاحشة مبينة **قرئ** بفتح الياء وكسرها قيل هى الزنا يعنى الا ان يزنين فيخرجن لاقامة الحد عليهن ٥ وقيل الا ان يطلقن على النشوز والنشوز يسقط حقها فى السكنى ٥ وقيل الا ان يبذون فيحل اخراجهن لبذائهن وتؤكده قراءة ابى رضى الله عنه الا ان يفحشن عليكم ٥ وقيل خروجها قبل انقضاء العدة فاحشة فى نفسه لا تدرى لعل الله يحدث بعد ذلك امرا ٥ الامر الذى يحدثه الله ان يقلب قلبه من بغضها الى محبتها ومن الرغبة عنها الى الرغبة فيها ومن عزيمة الطلاق الى الندم عليه فيراجعها والمعنى فطلقوهن لعدتهن واحصوا العدة لعلكم ترغبون وتندمون فتراجعون فاذا بلغن اجلهن فامسكوهن بمعروف او فارقوهن بمعروف واشهدوا ذوى عدل منكم واقيموا الشهادة لله ذلكم يوعظ به من كان يؤمن بالله واليوم الاخر ٥ فاذا بلغن اجلهن وهو اخر العدة وشارفنه فانتم بالخيار ان شئتم فالرجعة والامساك بالمعروف والاحسان وان شئتم فترك الرجعة والمفارقة واتقاء الضرار وهو ان يراجعها فى اخر عدتها ثم يطلقها تطويلا للعدة عليها وتعذيبا لها ٥ واشهدوا يعنى عند الرجعة والفرقة جميعا وهذا الاشهاد مندوب اليه فى الرجعة عند ابى حنيفة رحمة الله عليه كقوله عز وجل واشهدوا اذا تبايعتم وعند الشافعى رضى الله هو واجب فى الرجعة مندوب اليه فى الفرقة ٥ وقيل فائدة الاشهاد ان لا يقع

كنهن اخراجهن

كذا بفحش

بينهما التجاحد وان لا يتهم في امساكها ولئلا يموت احدهما فيدعي الباقي ثبوت الزوجية ليرث منكم قال الحسن رحمة الله عليه من المسلمين ﴿ وعن قتادة من احرار كم ﴿ لله لوجهه خالصا وذلك ان تقيموها لا للمشهود له ولا للمشهود عليه ولا لغرض من الاغراض سوى اقامة الحق ودفع الظلم كقوله عز وجل كونوا قوامين بالقسط شهداء لله ولو على انفسكم ﴿ اي ذلكم الحث على اقامة الشهادة لوجه الله ولاجل القيام بالقسط يوعظ به ﴿ ومن يتق الله يجعل له مخرجا ويرزقه من حيث لا يحتسب ومن يتوكل على الله فهو حسبه ان الله بالغ امره قد جعل الله لكل شيء قدرا ﴿ ومن يتق الله يجوز ان تكون جملة اعتراضية مؤكدة لما سبق من اجراء امر الطلاق على السنة وطريقة الاحسن والابعد من الندم ويكون المعنى ومن يتق الله فطلق للسنة ولم يضار المعتدة ولم يخرجها من مسكنها واحتاط فاشهد يجعل له مخرجا مما في شان الازواج من الغموم والوقوع في المضايق ويفرج عنه وينفس ويعطه الخلاص ويرزقه من وجه لا يخطره بباله ولا يحتسبه ان اوفى المهر وادى الحقوق والنفقات وقل ماله ﴿ وعن النبي صلى الله عليه وسلم انه سئل عمن طلق ثلاثا او الفا هل له من مخرج فتلاها ﴿ وعن ابن عباس رضي الله عنهما انه سئل عن ذلك فقال لم تتق الله فلم يجعل لك مخرجا بانت منك بثلاث والزيادة اثم في عنقك ﴿ ويجوز ان يجاء بها على سبيل الاستطراد عند ذكر قوله تعالى ذلكم يوعظ به يعني ومن يتق الله يجعل له مخرجا ومخلصا من غموم الدنيا والاخرة وعن النبي صلى الله عليه وسلم انه قراها فقال مخرجا من شبهات الدنيا ومن غمرات الموت ومن شدائد يوم القيمة ﴿ وقال صلى الله عليه وسلم اني لاعلم اية لو اخذ الناس بها لكفتهم ومن يتق الله فما زال يقرؤها ويعيدها **وروي** ان عوف بن مالك الاشجعي رضي الله عنه اسر المشركون ابنا له يسمى سالما فاتى رسول الله عليه السلام فقال اسر ابني وشكا اليه الفاقة فقال ما امسى عند ال محمد الا مد فاتق الله واصبر واكثر من قول لا حول ولا قوة الا بالله ففعل فبينا هو في بيته اذ قرع ابنه الباب ومعه مائة من الابل تغفل عنها العدو فاستاقها فنزلت هذه الاية ﴿ بالغ امره اي يبلغ ما يريد لا يفوته مراد ولا يعجزه مطلوب **وقرئ** بالغ امره بالاضافة ﴿ وبالغ امره بالرفع اي نافذ امره ﴿ وقرا المفضل بالغا امره على ان قوله تعالى قد جعل الله خبر ان وبالغا حال ﴿ قدرا تقديرا وتوقيتا وهذا بيان لوجوب التوكل على الله وتفويض الامر اليه لانه اذا علم ان كل شيء من الرزق ونحوه لا يكون الا بتقديره وتوقيته لم يبق الا التسليم للقدر والتوكل واللائي يئسن من المحيض من نسائكم ان ارتبتم فعدتهن ثلاثة اشهر واللائي لم يحضن واولات الاحمال اجلهن ان يضعن حملهن **روي** ان ناسا قالوا قد عرفنا عدة ذوات الاقراء فما عدة اللائي لا يحضن فنزلت فمعنى ان ارتبتم ان اشكل عليكم حكمهن وجهلتم كيف يعتددن فهذا حكمهن ﴿ وقيل ان ارتبتم في دم البالغات مبلغ الياس وقد قدروه بستين سنة وبخمس وخمسين اهو دم حيض او استحاضة فعدتهن ثلاثة اشهر واذا كانت هذه عدة المرتاب بها فغير المرتاب بها اولى بذلك ﴿ واللائي لم يحضن هن الصغائر والمعنى فعدتهن ثلاثة اشهر فحذف لدلالة المذكور عليه ﴿ اللفظ مطلق في اولات الاحمال فاشتمل على المطلقات والمتوفى عنهن وكان ابن مسعود وابي وابو هريرة رضي الله عنهم وغيرهم لا يفرقون وعن علي وابن عباس رضي الله عنهما عدة الحامل المتوفى عنها ابعد الاجلين ﴿ وعن عبد الله من شاء لاعنته ان سورة النساء القصرى نزلت بعد التي في البقرة يعني ان هذا اللفظ مطلق في الحوامل ﴿ وروت ام

سلمة

سلمة رضي الله عنها ان سبيعة الاسلمية ولدت بعد وفات زوجها بليال فذكرت ذلك لرسول الله صلى الله عليه وسلم فقال لها قد حللت فانكحي ومن يتق الله يجعل له من امره يسرا ﴿ ذلك امر الله انزله اليكم ومن يتق الله يكفر عنه سيئاته ويعظم له اجرا ﴿ يجعل له من امره يسرا ييسر له من امره ويحلل له من عقده بسبب التقوى ﴿ ذلك امر الله يريد ما علم من حكم هؤلاء المعتدات والمعنى ومن يتق الله في العمل بما انزل الله من هذه الاحكام وحافظ على الحقوق الواجبة عليه مما ذكر من الاسكان وترك الضرار والنفقة على الحوامل وايتاء اجر المرضعات وغير ذلك استوجب تكفير السيئات والاجر العظيم اسكنوهن من حيث سكنتم من وجدكم ولا تضاروهن لتضيقوا عليهن وان كن اولات حمل فانفقوا عليهن حتى يضعن حملهن ﴿ اسكنوهن وما بعده بيان لما شرط من التقوى في قوله تعالى ومن يتق الله كانه قيل كيف نعمل بالتقوى في شان المعتدات فقيل اسكنوهن **فان قلت** من في من حيث سكنتم ما هي **قلت** هي من التبعيضية مبعضها محذوف معناه اسكنوهن مكانا من حيث سكنتم اي بعض مكان سكناكم كقوله تعالى يغضوا من ابصارهم اي بعض ابصارهم قال قتادة ان لم يكن الا بيت واحد فاسكنها في بعض جوانبه **فان قلت** فقوله من وجدكم **قلت** هو عطف بيان لقوله تعالى من حيث سكنتم وتفسير له كانه قيل اسكنوهن مكانا من مسكنكم مما تطيقونه ﴿ والوجد الوسع والطاقة ﴿ وقرئ بالحركات الثلاث والسكنى والنفقة واجبتان لكل مطلقة ﴿ وعند مالك والشافعي رحمة الله عليهما ليس للمبتوتة الا السكنى ولا نفقة لها ﴿ وعن الحسن رحمة الله عليه وحماد لا نفقة لها ولا سكنى لحديث فاطمة بنت قيس رضي الله عنها ان زوجها ابتّ طلاقها فقال لها رسول الله صلى الله عليه وسلم لا سكنى لك ولا نفقة ﴿ وعن عمر رضي الله عنه لا ندع كتاب ربنا وسنة نبينا لقول امراة لعلها نسيت او شبه لها سمعت النبي صلى الله عليه وسلم يقول لها السكنى والنفقة ﴿ ولا تضاروهن ولا تستعملوا معهن الضرار لتضيقوا عليهن في المسكن ببعض الاسباب من انزال من لا يوافقهن او يشغل مكانهن او غير ذلك حتى تضطروهن الى الخروج وقيل هو ان يراجعها اذا بقي من عدتها يومان ليضيق عليها امرها ﴿ وقيل هو ان يلجئها الى ان تفتدي منه **فان قلت** فاذا كانت كل مطلقة عندكم يجب لها النفقة فما فائدة الشرط في قوله تعالى وان كن اولات حمل فانفقوا عليهن **قلت** فائدته ان مدة الحمل ربما طالت فظن ظان ان النفقة تسقط اذا مضى مقدار عدة الحائل فنفى ذلك الوهم **فان قلت** فما تقول في الحامل المتوفى عنها **قلت** هي مختلف فيها فاكثرهم على انه لا نفقة لها لوقوع الاجماع على من اجبر الرجل على النفقة عليه من امراة او ولد صغير لا يجب ان ينفق عليه من ماله بعد موته فكذلك الحامل ﴿ وعن علي وعبد الله وجماعة رضوان الله عليهم انهم اوجبوا نفقتها فان ارضعن لكم فاتوهن اجورهن واتمروا بينكم بمعروف وان تعاسرتم فسترضع له اخرى ﴿ فان ارضعن لكم يعني هؤلاء المطلقات ان ارضعن لكم ولدا من غيرهن او منهن بعد انقطاع عصمة الزوجية ﴿ فاتوهن اجورهن حكمهن في ذلك حكم الاظآر ﴿ ولا يجوز عند ابي حنيفة واصحابه رحمة الله عليهم الاستيجار اذا كان الولد منهن ما لم يبن ﴿ ويجوز عند الشافعي رضي الله عنه الايتمار بمعنى التآمر كالاشتوار بمعنى التشاور يقال ايتمر القوم وتآمروا اذا امر بعضهم بعضا والمعنى وليأمر بعضكم بعضا والخطاب للاباء والامهات ﴿ بمعروف بجميل وهو المسامحة وان لا يماكس الاب ولا تعاسر الام لانه ولدهما معا وهما شريكان فيه وفي وجوب الاشفاق عليه ﴿ وان تعاسرتم فسترضع له اخرى

وقيل هو ان

بل

ابعد الاجلين

فستوجد ولا تعوز مرضعة غير الأم ترضعه وفيه طرف من معاتبة الأم على المعاسرة كما تقول لمن تستقضيه حاجة فيتوانى سيقضيها غيرك تريد لن تبقى غير مقضية وأنت ملوم وقوله له أي للأب أي يجد الأب غير معاسرة ترضع له ولده ان عاسرته أمه لينفق ذو سعة من سعته ومن قدر عليه رزقه فلينفق مما آتاه الله لا يكلف الله نفسا إلا ما آتاها سيجعل الله بعد عسر يسرا لينفق كل واحد من الموسر والمعسر ما بلغه وسعه يريد ما أمر به من الانفاق على المطلقات والمرضعات كما أمر الله عز وجل ومتعوهن على الموسع قدره وعلى المقتر قدره وقرئ لينفق بالنصب أي شرعنا ذلك لينفق وقرأ ابن أبي عبلة قدّر سيجعل الله موعد لفقراء ذلك الوقت بفتح أبواب الرزق عليهم أو لفقراء الأزواج ان أنفقوا ما قدروا عليه ولم يقصروا وكأين من قرية عتت عن أمر ربها ورسله فحاسبناها حسابا شديدا وعذبناها عذابا نكرا فذاقت وبال أمرها وكان عاقبة أمرها خسرا أعد الله لهم عذابا شديدا عتت عن أمر ربها أعرضت عنه على وجه العتو والعناد حسابا شديدا بالاستقصاء والمناقشة عذابا نكرا وقرئ نكرا منكرا عظيما والمراد حساب الآخرة وعذابها وما يذوقون فيها من الوبال ويلقون من الخسر وجيء به على لفظ الماضي كقوله تعالى ونادى أصحاب الجنة ونادى أصحاب النار ونحو ذلك لأن المنتظر من وعد الله ووعيده ملقى في الحقيقة وما هو كائن فكأن قد كان وقوله تعالى أعد الله لهم عذابا شديدا تكرير للوعيد وبيان لكونه مترقبا كأنه قال أعد الله لهم هذا العذاب فليكن لكم ذلك يا أولي الألباب من المؤمنين لطفا في تقوى الله وحذر عقابه ويجوز أن يراد احصاء السيئات واستقصا[ؤها] عليهم في الدنيا وإثباتها في صحائف الحفظة وما أصيبوا به من العذاب في العاجل وأن يكون عتت وما عطف عليه صفة للقرية وأعد لهم جوابا لكأين فاتقوا الله يا أولي الألباب الذين آمنوا قد أنزل الله إليكم ذكرا رسولا يتلو عليكم آيات الله مبينات ليخرج الذين آمنوا وعملوا الصالحات من الظلمات إلى النور ومن يؤمن بالله ويعمل صالحا يدخله جنات تجري من تحتها الأنهار خالدين فيها أبدا قد أحسن الله له رزقا رسولا هو جبريل عليه السلام أبدل من ذكرا لأنه وصف بتلاوة آيات الله فكان انزاله في معنى انزال الذكر فصح ابداله منه أو أريد بالذكر الشرف من قوله وانه لذكر لك ولقومك فأبدل منه كأنه في نفسه شرف إما لأنه شرف للمنزل عليه وإما لأنه ذو مجد وشرف عند الله كقوله سبحانه وتعالى عند ذي العرش مكين أو جعل لكثرة ذكره الله وعبادته كأنه ذكر أو أريد ذا ذكر أي ملكا مذكورا في السموات وفي الأمم كلها أو دل قوله أنزل الله إليكم ذكرا على أرسل فكأنه قيل أرسل رسولا أو أعمل ذكرا في رسولا إعمال المصدر في المفاعيل أي أنزل الله أن ذكر رسولا أو ذكره رسولا وقرئ رسول على هو رسول أنزله ليخرج الذين آمنوا بعد انزاله أي ليحصل لهم ما هم عليه الساعة من الإيمان والعمل الصالح لأنهم كانوا وقت انزاله غير مؤمنين وإنما آمنوا بعد الانزال والتبليغ أو ليخرج الذين عرف منهم أنهم يؤمنون قرئ يدخله بالياء والنون قد أحسن الله له رزقا فيه معنى التعجب والتعظيم لما رزق المؤمن من الثواب الله الذي خلق سبع سموات ومن الأرض مثلهن يتنزل الأمر بينهن لتعلموا أن الله على كل شيء قدير وأن الله قد أحاط بكل شيء علما الله الذي خلق مبتدأ وخبر وقرئ مثلهن بالنصب عطفا على سبع سموات وبالرفع على الابتداء وخبره من الأرض قيل ما في القرآن آية تدل

وما

عل

على أن الأرضين سبع إلا هذه وقيل بين كل سماءين مسيرة خمسمائة عام وغلظ كل سماء كذلك والأرضون مثل السموات يتنزل الأمر بينهن أي يجري أمر الله وحكمه بينهن وملكه ينفذ فيهن وعن قتادة في كل سماء وفي كل أرض خلق من خلقه وأمر من أمره وقضاء من قضائه وقيل هو ما يدبر فيهن من عجائب تدبيره وقرئ ينزل الأمر وعن ابن عباس رضي الله عنهما أن نافع بن الأزرق سأله هل تحت الأرضين خلق قال نعم قال فما الخلق قال إما ملائكة أو جن لتعلموا قرئ بالياء والتاء وعن رسول الله صلى الله عليه وسلم من قرأ سورة الطلاق مات على سنة رسول الله صلى الله عليه وسلم

وتسمى سورة النبي صلى الله عليه وسلم وهي ثنتا عشرة آية بسم الله الرحمن الرحيم يا أيها النبي لم تحرم ما أحل الله لك تبتغي مرضات أزواجك والله غفور رحيم روي أن رسول الله عليه السلام خلا بمارية في يوم عائشة رضي الله عنها وعلمت بذلك حفصة فقال لها اكتمي علي وقد حرمت مارية على نفسي وأبشرك أن أبا بكر وعمر يملكان بعدي أمر أمتي فأخبرت به عائشة رضي الله عنها وكانتا متصادقتين وقيل خلا بها في يوم حفصة فأرضاها بذلك واستكتمها فلم تكتم فطلقها واعتزل نساءه ومكث تسعا وعشرين ليلة في بيت مارية وروي أن عمر رضي الله عنه قال لها لو كان في آل الخطاب خير لما طلقك فنزل جبريل عليه السلام وقال راجعها فإنها صوامة قوامة وإنها لمن نسائك في الجنة وروي أن رسول الله صلى الله عليه وسلم شرب عسلا في بيت زينب بنت جحش فتواطأت عائشة وحفصة رضي الله عنهما فقالتا له إنا نشم منك ريح المغافير وكان يكره عليه السلام التفل فحرم العسل فمعناه لم تحرم ما أحل الله لك من ملك اليمين أو من العسل وتبتغي إما تفسير لتحرم أو حال أو استئناف وكان هذا زلة منه لأنه ليس لأحد أن يحرم ما أحل الله لأن الله عز وجل إنما أحل ما أحل لحكمة ومصلحة عرفها في إحلاله فإذا حرم كان ذلك قلب المصلحة مفسدة والله غفور قد غفر لك ما زللت فيه رحيم قد رحمك فلم يؤاخذك به قد فرض الله لكم تحلة أيمانكم والله مولاكم وهو العليم الحكيم قد فرض الله لكم تحلة أيمانكم فيه معنيان أحدهما قد شرع الله لكم الاستثناء في أيمانكم من قولك حلل فلان في يمينه إذا استثنى فيها ومنه حلا أبيت اللعن بمعنى استثن في يمينك إذا أطلقها وذلك أن يقول إن شاء الله عقيبها حتى لا يحنث والثاني قد شرع الله لكم تحليلها بالكفارة ومنه قوله صلى الله عليه وسلم لا يموت لرجل ثلاثة أولاد فتمسه النار إلا تحلة القسم وقول ذي الرمة
قليلا كتحليل الألى
فإن قلت ما حكم تحريم الحلال قد اختلف فيه فأبو حنيفة رحمه الله عليه يراه يمينا في كل شيء ويعتبر الانتفاع المقصود فيما يحرمه فإذا حرم طعاما فقد حلف على أكله أو أمة فعلى وطئها أو زوجة فعلى الإيلاء منها إذا لم يكن له نية وإن نوى الظهار فظهار وإن نوى الطلاق فطلاق بائن وكذلك إن نوى ثنتين وإن نوى ثلاثا فكما نوى وإن قال نويت الكذب دين فيما بينه وبين الله ولا يدين في القضاء بإبطال الإيلاء وإن قال كل حلال عليه حرام فعلى الطعام والشراب إذا لم ينو وإلا فعلى ما نوى ولا يراه الشافعي رضي الله عنه يمينا ولكن سببا في الكفارة في النساء وحدهن وإن نوى الطلاق فهو رجعي عنده وعن أبي بكر وعمر وابن عباس وابن مسعود وزيد رضوان الله عليهم أن الحرام يمين فهو رجعي وعن أبي بكر وعمر وابن عباس وابن مسعود وزيد رضي الله عنهم أن الحرام يمين وعن

رسول الله صلعم

مطلب انظر سورة ادب الكشاف

عمر رضي الله عنه اذا نوى الطلاق فرجعي • وعن علي رضي الله عنه ثلث • وعن زيد واحدة بائنة • وعن
عثمان رضي الله عنه ظهار • وكان مسروق لا يراه شيئا ويقول ما ابالي احرمتها ام قصعة من ثريد وكذلك
عن الشعبي قال ليس بشيء محتجا بقوله تعالى ولا تقولوا لما تصف السنتكم الكذب هذا حلال وهذا
حرام وقوله تعالى لا تحرموا طيبات ما احل الله لكم وما لم يحرمه الله فليس لاحد ان يحرمه ولا ان
يصير بتحريمه حراما ولم يثبت عن رسول الله عليه السلام انه قال لما احله الله هو حرام علي وانما
امتنع من مارية ليمين تقدمت منه وهو قوله عليه السلام والله لا اقربها بعد اليوم فقيل له
لم تحرم ما احل الله لك اي لم تمتنع منه بسبب اليمين يعني اقدم على ما حلفت عليه وكفر عن يمينك
ونحوه قوله تعالى وحرمنا عليه المراضع من قبل اي منعناه منها وظاهر قوله تعالى قد فرض الله
لكم تحلة ايمانكم انه كانت منه يمين فان قلت هل كفر رسول الله عليه السلام لذلك قلت
عن الحسن رحمة الله عليه انه لم يكفر لانه كان مغفورا له ما تقدم من ذنبه وما تاخر وانما هو تعليم
للمؤمنين • وعن مقاتل ان النبي عليه السلام اعتق رقبة في تحريم مارية • والله مولاكم سيدكم ومتولي
اموركم وهو العليم بما يصلحكم فيشرعه لكم • الحكيم فلا يامركم ولا ينهاكم الا بما توجبه الحكمة
وقيل مولاكم اولى بكم من انفسكم فكانت نصيحته انفع لكم من نصائحكم لانفسكم • واذ اسر النبي الى
بعض ازواجه حديثا فلما نبأت به واظهره الله عليه عرف بعضه واعرض عن بعض فلما
نبأها به قالت من انبأك هذا قال نبأني العليم الخبير • بعض ازواجه حفصة والحديث الذي
اسر اليها حديث مارية وامامة الشيخين • نبأت به افشته الى عائشة رضي الله عنها • وقرئ
انبأت به • واظهره واطلع النبي عليه السلام عليه على الحديث اي على افشائه على لسان جبريل عليه
السلام • وقيل اظهر الله الحديث على النبي من الظهور • عرف بعضه اعلم ببعض الحديث تكرما قال
سفين رحمة الله عليه ما زال التغافل من فعل الكرام • وقرئ عرف بعضه اي جازى عليه من قولك
للمسيء لاعرفن لك ذلك وقد عرفت ما صنعت • ومنه اولئك الذين يعلم الله ما في قلوبهم وهو كثير
في القران وكان جزاؤه تطليقه اياها • وقيل المعرف حديث الامامة والمعرض عنه حديث مارية وروي
انه قال لها الم اقل لك اكتمي علي قالت والذي بعثك بالحق ما ملكت نفسي فرحا بالكرامة التي خص الله
بها اباها فان قلت هلا قيل فلما نبأت به بعضهن وعرفها بعضه قلت ليس الغرض بيان
من المذاع اليه ومن المعرف وانما هو ذكر جناية حفصة في وجود الانباء به وافشائه من قبلها وان
رسول الله صلى الله عليه وسلم بكرمه وحلمه لم يوجد منه الا الاعلام ببعضه وهو حديث الامامة
الا ترى انه لما كان المقصود في قوله تعالى فلما نبأها به قالت من انبأك هذا ذكر المنبئ كيف اتى بضميره
ان تتوبا الى الله فقد صغت قلوبكما وان تظاهرا عليه فان الله هو مولاه وجبريل وصالح
المؤمنين والملائكة بعد ذلك ظهير • ان تتوبا خطاب لحفصة وعائشة رضي الله عنهما على طريقة
الالتفات ليكون ابلغ في معاتبتهما • وعن ابن عباس رضي الله عنهما لم ازل حريصا على ان اسال عمر
رضي الله عنه عنهما حتى حج وحججت معه فلما كان ببعض الطريق عدل وعدلت معه بالاداوة فسكبت
الماء على يده فتوضأ فقلت من هما فقال واعجبا يا ابن عباس كانه كره ما سالته عنه ثم قال هما حفصة
وعائشة رضي الله عنهما فقد صغت قلوبكما فقد وجد منكما ما يوجب التوبة وهو ميل قلوبكما عن
الواجب في مخالصة النبي عليه السلام من حب ما يحبه وكراهة ما يكرهه وقرا ابن مسعود رضي الله

عنه

عنه فقد زاغت • وان تظاهرا وان تعاونا عليه بما يسوؤه من الافراط في الغيرة وافشاء سره فلن يعدم هو من
يظاهره • وكيف يعدم المظاهر من الله مولاه اي وليه وناصره • وزيادة هو ايذان بان نصرته عزيمة من
عزائمه وانه يتولى ذلك بذاته • وجبريل راس الكروبيين • وقرن ذكره بذكره مفردا له من الملائكة تعظيما
له واظهارا لمكانته عنده • وصالح المؤمنين ومن صلح من المؤمنين يعني كل من امن وعمل صالحا • وعن
سعيد بن جبير رضي الله عنه من برئ منهم من النفاق • وقيل الانبياء عليهم السلام • وقيل الصحابة • وقيل
الخلفاء منهم فان قلت صالح المؤمنين واحد ام جمع قلت هو واحد اريد به الجمع كقولك لا يفعل
هذا الصالح من الناس تريد الجنس كقولك لا يفعله من صلح منهم • ومثله قولك كنت في السامر والحاضر
ويجوز ان يكون اصله صالحوا المؤمنين بالواو فكتب بغير واو على اللفظ لان لفظ الواحد والجمع واحد
فيه كما جاءت اشياء في المصحف متبوع فيها حكم اللفظ دون وضع الخط • والملائكة على تكاثر عددهم
وامتلاء السموات من جموعهم بعد ذلك بعد نصرة الله وناموسه وصالحي المؤمنين ظهير فوج
مظاهر له كانهم يد واحدة على من يعاديه فما يبلغ تظاهر امراتين على من هؤلاء ظهراؤه فان قلت
قوله بعد ذلك تعظيم للملائكة ومظاهرتهم وقد تقدمت نصرة الله وجبريل وصالح المؤمنين
ونصرة الله اعظم واعظم قلت مظاهرة الملائكة من جملة نصرة الله فكانه فضل نصرته
بهم وبمظاهرتهم على غيرها من وجوه نصرته لفضلهم على جميع خلقه • وقرئ تظاهرا وتتظاهرا وتظهرا
عسى ربه ان طلقكن ان يبدله ازواجا خيرا منكن مسلمات مؤمنات قانتات تائبات عابدات
سائحات ثيبات وابكارا قرئ يبدله بالتخفيف والتشديد للكثرة • مسلمات مؤمنات مقرات
مخلصات • سائحات صائمات • وقرئ سيحات وهي ابلغ وقيل للصائم سائح لان السائح لا زاد معه فلا يزال
ممسكا الى ان يجد ما يطعمه فشبه به الصائم في امساكه الى ان يجيء وقت افطاره • وقيل سائحات مهاجرات
وعن زيد بن اسلم لم تكن في هذه الامة سياحة الا الهجرة فان قلت كيف تكون المبدلات خيرا
منهن ولم يكن على وجه الارض نساء خير من امهات المؤمنين اذا طلقهن رسول الله صلى
الله عليه وسلم لعصيانهن له وايذائهن اياه لم يبقين على تلك الصفة وكان غيرهن من الموصوفات
بهذه الاوصاف مع الطاعة لرسول الله والنزول على هواه ورضاه خيرا منهن وقد عرض بذلك في قوله
تعالى قانتات لان القنوت هو القيام بطاعة الله وطاعة الله في طاعة رسوله فان قلت لم اخليت
الصفات كلها عن العاطف ووسط بين الثيبات والابكار قلت لانهما صفتان متنافيتان لا
يجتمعن فيهما اجتماعهن في سائر الصفات فلم يكن بد من الواو يا ايها الذين امنوا قوا انفسكم واهليكم
نارا وقودها الناس والحجارة عليها ملائكة غلاظ شداد لا يعصون الله ما امرهم ويفعلون
ما يؤمرون • قوا انفسكم بترك المعاصي وفعل الطاعات واهليكم بان تاخذوهم بما تاخذون به
انفسكم • وفي الحديث رحم الله رجلا قال يا اهلاه صلاتكم صيامكم زكاتكم مسكينكم يتيمكم
جيرانكم لعل الله يجمعكم معهم في الجنة • وقيل ان اشد الناس عذابا يوم القيامة من جهل اهله • وقرئ
واهلوكم عطفا على واو قوا وحسن العطف للفاصل فان قلت اليس التقدير قوا انفسكم وليق
اهلوكم انفسهم قلت لا ولكن المعطوف مقارن في التقدير للواو وانفسكم واقع بعده فكانه قيل
قوا انتم واهلوكم انفسكم لما جمعت مع المخاطب الغائب غلبته عليه فجعلت ضميرهما معا على لفظ المخاطب
نارا وقودها الناس والحجارة نوعا من النار لا يتقد الا بالناس والحجارة كما يتقد غيرها من النيران بالحطب

وعن ابن عباس رضي الله عنهما هي حجارة الكبريت وهي أشد الأشياء حرًّا إذا أوقد عليها • وقرئ وُقودها بالضم أي ذو وُقودها • عليها يلي أمرها وتعذيب أهلها ملائكة يعني الزبانية التسعة عشر وأعوانهم غلاظ شداد في أجرامهم غلظة وشدة أي جفاء وقوة أو في أفعالهم جفاء وخشونة لا تأخذهم رأفة في تنفيذ أوامر الله والغضب له والانتقام من أعدائه • ما أمرهم في محل النصب على البدل أي لا يعصون ما أمر الله أي أمره كقوله تعالى أفعصيت أمري • أو لا يعصونه فيما أمرهم • فإن قلت أليست الجملتان في معنى واحد • قلت لا فإن معنى الأولى أنهم يتقبلون أوامره ويلتزمونها ولا يأبونها ولا ينكرونها ومعنى الثانية أنهم يؤدون ما يؤمرون به لا يتثاقلون عنه ولا يتوانون فيه **فإن قلت** قد خاطب الله عز وجل المشركين المكذبين بالوحي بهذا بعينه في قوله تعالى فإن لم تفعلوا ولن تفعلوا فاتقوا النار التي وقودها الناس والحجارة وقال أعدت للكافرين فجعلها معدة للكافرين فما معنى مخاطبته به المؤمنين **قلت** الفساق وإن كانت دركاتهم فوق دركات الكفار فإنهم مساكنون الكفار في دار واحدة فقيل للذين آمنوا قوا أنفسكم باجتناب الفسوق مساكنة الذين أعدت لهم هذه النار الموصوفة • ويجوز أن يأمرهم بالتوقي من الارتداد والندم على الدخول في الإسلام • وأن يكون خطابا للذين آمنوا بألسنتهم وهم المنافقون ويعضد ذلك على أثره يا أيها الذين كفروا لا تعتذروا اليوم إنما تجزون ما كنتم تعملون **يا أيها الذين كفروا لا تعتذروا اليوم إنما تجزون ما كنتم تعملون** • أي يقال لهم ذلك عند دخولهم النار لا تعتذروا لأنه لا عذر لكم أو لأنه لا ينفعكم الاعتذار **يا أيها الذين آمنوا توبوا إلى الله توبة نصوحا عسى ربكم أن يكفر عنكم سيئاتكم ويدخلكم جنات تجري من تحتها الأنهار** • توبة نصوحا وصفت التوبة بالنصح على الإسناد المجازي والنصح صفة التائبين وهو أن ينصحوا بالتوبة أنفسهم فيأتوا بها على طريقها متداركة للفرطات ماحية للسيئات وذلك أن يتوبوا عن القبائح لقبحها نادمين عليها مغتمين أشد الاغتمام لارتكابها عازمين على أنهم لا يعودون في قبيح من القبائح إلى أن يعود اللبن في الضرع موطنين أنفسهم على ذلك • وعن علي رضي الله عنه أنه سمع أعرابيا يقول اللهم إني أستغفرك وأتوب إليك فقال يا هذا إن سرعة اللسان بالتوبة توبة الكذابين قال وما التوبة قال يجمعها ستة أشياء على الماضي من الذنوب الندامة • وللفرائض الإعادة ورد المظالم • واستحلال الخصوم • وأن تعزم على أن لا تعود وأن تذيب نفسك في طاعة الله كما ربيتها في المعصية وأن تذيقها مرارة الطاعات كما أذقتها حلاوة المعاصي • وعن حذيفة رضي الله عنه بحسب الرجل من الشر أن يتوب عن الذنب ثم يعود فيه • وعن شهر بن حوشب أن لا يعود ولو حز بالسيف وأحرق بالنار • وعن ابن السماك أن تنصب الذنب الذي أقللت فيه الحياء من الله أمام عينك وتستعد لمنتظرك وقيل توبة لا يتاب منها • وعن السدي لا تصح التوبة إلا بنصيحة النفس والمؤمنين لأن من صحت توبته أحب أن يكون الناس مثله • وقيل نصوحا من نصاحة الثوب أي توبة ترفو خروقك في دينك وترم خللك • وقيل خالصة من قولهم عسل ناصح إذا خلص من الشمع • ويجوز أن يراد توبة تنصح الناس أي تدعوهم إلى مثلها لظهور أثرها في صاحبها واستعماله الجد والعزيمة في العمل على مقتضياتها **وقرأ** زيد بن علي رضي الله عنهما توبا نصوحا • وقرئ نُصوحا بالضم وهو مصدر نصح والنصح والنصوح كالشكر والشكور والكفر والكفور أي ذات نصوح أو تنصح نصوحا أو توبوا لنصح أنفسكم على أنه مفعول له • عسى ربكم إطماع من الله تعالى لعباده • وفيه وجهان • أحدهما أن يكون على ما جرت

عليه عادة الجبابرة من الإجابة بعسى ولعل ووقوع ذلك منهم موقع القطع والبت • والثاني أن يجيء به تعليما للعباد وجوب الترجح بين الخوف والرجاء والذي يدل على المعنى الأول وأنه في معنى البت قراءة ابن أبي عبلة ويدخلكم بالجزم عطفا على محل عسى أن يكفر كأنه قيل توبوا يوجب تكفير سيئاتكم ويدخلكم **يوم لا يخزي الله النبي والذين آمنوا معه نورهم يسعى بين أيديهم وبأيمانهم يقولون ربنا أتمم لنا نورنا واغفر لنا إنك على كل شيء قدير** • يوم لا يخزي الله نصب بيدخلكم ولا يخزي تعريض بمن أخزاهم الله من أهل الكفر والفسوق واستحماد إلى المؤمنين على أنه عصمهم من مثل حالهم • يسعى نورهم على الصراط • أتمم لنا نورنا قال ابن عباس رضي الله عنهما يقولون ذلك إذا طفئ نور المنافقين إشفاقا وعن الحسن رحمه الله الله متممه لهم ولكنهم يدعون تقربا إلى الله كقوله تعالى واستغفر لذنبك وهو مغفور له • وقيل يقوله أدناهم منزلة لأنهم يعطون من النور قدر ما يبصرون به مواطئ أقدامهم لأن النور على قدر الأعمال فيسألون إتمامه تفضلا • وقيل السابقون إلى الجنة يمرون مثل البرق على الصراط وبعضهم كالريح • وبعضهم حبوا وزحفا فأولئك الذين يقولون ربنا أتمم لنا نورنا **فإن قلت** كيف يشفقون والمؤمنون آمنون أم من يأتي آمنا يوم القيامة • لا خوف عليهم لا يحزنهم الفزع الأكبر • أو كيف يتقربون وليست الدار دار التقرب **قلت** أما الإشفاق فيجوز أن يكون على عادة البشرية وإن كانوا معتقدين للأمن • وأما التقرب فلما كانت حالهم كحال المتقربين حيث يطلبون ما هو حاصل لهم من الرحمة تقربا **يا أيها النبي جاهد الكفار والمنافقين واغلظ عليهم ومأواهم جهنم وبئس المصير** • جاهد الكفار بالسيف • والمنافقين بالاحتجاج واستعمل الغلظة والخشونة على الفريقين فيما تجاهدهما به من القتال والمحاجة • وعن قتادة مجاهدة المنافقين بإقامة الحدود عليهم • وعن مجاهد بالوعيد • وقيل بإفشاء أسرارهم **ضرب الله مثلا للذين كفروا امرأة نوح وامرأة لوط كانتا تحت عبدين من عبادنا صالحين فخانتاهما فلم يغنيا عنهما من الله شيئا وقيل ادخلا النار مع الداخلين** • مثل الله عز وجل حال الكفار في أنهم يعاقبون على كفرهم وعداوتهم للمؤمنين معاقبة مثلهم من غير إبقاء ولا محاباة ولا ينفعهم مع عداوتهم لهم ما كان بينهم وبينهم من لحمة نسب أو وصلة صهر لأن عداوتهم لهم وكفرهم بالله ورسوله قطع العلائق وبت الوصل وجعلهم أبعد من الأجانب وأبعد وإن كان المؤمن الذي يتصل به الكافر نبيا من أنبياء الله بحال امرأة نوح وامرأة لوط لما نافقتا وخانتا الرسولين لم يغن الرسولان عنهما بحق ما بينهما وبينهما من وصلة الزواج إغناء ما من عذاب الله • وقيل لهما عند موتهما أو يوم القيامة ادخلا النار مع سائر الداخلين الذين لا وصلة بينهم وبين الأنبياء عليهم السلام • أو مع داخليها من إخوانكما من قوم نوح وقوم لوط عليهم السلام • ومثل حال المؤمنين في أن وصلة الكافرين لا تضرهم ولا تنقص شيئا من ثوابهم وزلفاهم عند الله بحال امرأة فرعون ومنزلتها عند الله مع كونها زوجة أعدى أعداء الله الناطق بالكلمة العظمى ومريم ابنة عمران وما أوتيت من كرامة الدنيا والآخرة والاصطفاء على نساء العالمين مع أن قومها كانوا كفارا • وفي طي هذين التمثيلين تعريض بأمي المؤمنين المذكورتين في أول السورة وما فرط منهما من التظاهر على رسول الله عليه السلام بما كرهه وتحذير لهما على أغلظ وجه وأشده لما في التمثيل من ذكر الكفر • ونحوه في التغليظ قوله تعالى ومن كفر فإن الله غني عن العالمين • وإشارة إلى أن من حقهما أن تكونا في الإخلاص والكمال فيه كمثل هاتين

المؤمنين وان لا تتكلا على انهما زوجا رسول الله عليه السلام فان ذلك الفضل لا ينفعهما الا مع كونهما مخلصين والتعريض بحفصة ارجح لان امراة لوط افشت عليه كما افشت حفصة على رسول الله عليه السلام واسرار التنزيل ورموزه في كل باب بالغة من اللطف والخفاء حدا تدق عن تفطن العالم وتزل عن تبصره فان قلت ما فائدة قوله من عبادنا قلت لما كان مبنى التمثيل على وجود الصلاح في الانسان كائنا من كان وانه وحده هو الذي يبلغ به الفوز وينال ما عند الله تعالى قال عبدين من عبادنا صالحين فذكر النبيين المشهورين العليين بانهما عبدان لم يكونا الا كسائر عباده من غير تفاوت بينهما وبينهم الا بالصلاح وحده اظهارا وابانة لان عبدا من العباد لا يرجح عنده الا بالصلاح لا غير وان ما سواه مما يرجح به الناس عند الناس ليس بسبب للرجحان عنده فان قلت ما كانت خيانتهما نفاقهما وابطانهما الكفر وتظاهرهما على الرسولين فامراة نوح عليه السلام قالت لقومه انه مجنون وامراة لوط عليه السلام دلت على ضيفانه ولا يجوز ان يراد بالخيانة الفجور لانه سمج في الطباع نقيصة عند كل احد بخلاف الكفر فان الكفار لا يستسمجونه ويسمونه حقا وعن ابن عباس رضي الله عنهما ما بغت امراة نبي قط وضرب الله مثلا للذين آمنوا امراة فرعون اذ قالت رب ابن لي عندك بيتا في الجنة ونجني من فرعون وعمله ونجني من القوم الظالمين وامراة فرعون آسية رضي الله عنها بنت مزاحم وقيل هي عمة موسى عليه السلام آمنت حين سمعت بتلقف عصى موسى الافك فعذبها فرعون عن ابي هريرة رضي الله عنه ان فرعون وتد امراته باربعة اوتاد واستقبل بها الشمس واضجعها على ظهرها ووضع رحى على صدرها وقيل امر بان تلقى عليها صخرة عظيمة فدعت الله فرقي بروحها فالقيت الصخرة على جسد لا روح فيه وعن الحسن رحمة الله عليه فنجاها الله اكرم نجاة فرفعها الى الجنة فهي تاكل وتشرب وتتنعم فيها وقيل لما قالت رب ابن لي عندك بيتا في الجنة اريت بيتها في الجنة يبنى وقيل انه من درة وقيل كانت تعذب في الشمس فتظلها الملائكة فان قلت ما معنى الجمع بين عندك وفي الجنة قلت طلبت القرب من رحمة الله والبعد من عذاب اعدائه ثم بينت مكان القرب بقولها في الجنة او ارادت ارتفاع الدرجة في الجنة وان تكون جنتها من الجنان التي هي اقرب الى العرش وهي جنات الماوى فعبرت عن القرب الى العرش بقولها عندك من فرعون وعمله من عمل فرعون او من نفس فرعون الخبيثة وسلطانه الغشوم وخصوصا من عمله وهو الكفر وعبادة الاصنام والظلم والتعذيب بغير جرم ونجني من القوم الظالمين من القبط كلهم وفيه دليل على ان الاستعاذة بالله والالتجاء اليه ومسالة الخلاص منه عند المحن والنوازل من سير الصالحين وسنن الانبياء والمرسلين عليهم السلام فافرق بيني وبينهم فتحا ونجني ومن معي من المؤمنين ربنا لا تجعلنا فتنة للقوم الظالمين ومريم ابنة عمران التي احصنت فرجها فنفخنا فيه من روحنا وصدقت بكلمات ربها وكتبه وكانت من القانتين فيه في الفرج وقرا ابن مسعود فيها كما قرئ في سورة الانبياء والضمير للجملة وقد مر لي في هذا الظرف كلام ومن بدع التفاسير ان الفرج هو جيب الدرع ومعنى احصنته منعته جبريل عليه السلام وانه جمع في التمثيل بين التي لها زوج والتي لا زوج لها تسلية للارامل وتطييبا لانفسهن وصدقت قرئ بالتشديد وبالتخفيف على انها جعلت الكلمات والكتب صادقة يعني وصفتها بالصدق وهو معنى التصديق بعينه فان قلت فما كلمات الله وكتبه

قلت يجوز ان يراد بكلماته صحفه التي انزلها على ادريس عليه السلام وغيره سماها كلمات لقصرها وبكتبه الكتب الاربعة وان يراد جميع ما كلم الله به ملائكته وغيرهم وجميع ما كتبه في اللوح وغيره وقرئ بكلمة الله وكتابه اي بعيسى عليه السلام وبالكتاب المنزل عليه وهو الانجيل فان قلت لم قيل من القانتين على التذكير قلت لان القنوت صفة تشمل من قنت من القبيلين فغلب ذكوره على اناثه ومن للتبعيض ويجوز ان يكون لابتداء الغاية على انها ولدت من القانتين لانها من اعقاب هرون اخي موسى عليه السلام وعن النبي صلى الله عليه وسلم كمل من الرجال كثير ولم يكمل من النساء الا اربع آسية بنت مزاحم رضي الله عنها امراة فرعون ومريم بنت عمران وخديجة بنت خويلد وفاطمة بنت محمد عليه السلام وفضل عائشة على النساء كفضل الثريد على سائر الطعام واما ما روي ان ام المؤمنين عائشة رضي الله عنها سالت رسول الله صلى الله عليه وسلم كيف سمى الله المسلمة يعني مريم ولم يسم الكافرة فقال بغضا لها قالت فما اسمها قال اسم امراة نوح واعلة واسم امراة لوط واهلة فحديث اثر الصنعة عليه ظاهر بين ولقد سمى الله عز وجل جماعة من الكفار باسمائهم وكناهم ولو كانت التسمية للحب وتركها للبغض لسمى آسية وقد قرن بينها وبين مريم عليهما السلام في التمثيل للمؤمنين وابى الله الا ان يجعل للمصنوع امارة تنم عليه وكلام النبي عليه السلام احكم واسلم من ذلك عن رسول الله صلى الله عليه وسلم من قرا سورة التحريم اتاه الله توبة نصوحا والله اعلم بالصواب

وتسمى الواقية والمنجية لانها تقي وتنجي قارئها من عذاب النار بسم الله الرحمن الرحيم تبارك الذي بيده الملك وهو على كل شيء قدير الذي خلق الموت والحياة ليبلوكم ايكم احسن عملا وهو العزيز الغفور تبارك تعالى وتعاظم عن صفات المخلوقين الذي بيده الملك على كل موجود وهو على كل ما لم يوجد مما يدخل تحت القدرة قدير وذكر اليد مجاز عن الاحاطة بالملك والاستيلاء عليه والحياة ما يصح بوجوده الاحساس وقيل ما يوجب كون الشيء حيا وهو الذي يصح منه ان يعلم ويقدر والموت عدم ذلك فيه ومعنى خلق الموت والحياة ايجاد ذلك المصحح واعدامه والمعنى خلق موتكم وحياتكم ايها المكلفون ليبلوكم وسمي علم الواقع منهم باختبارهم بلوى وهي الخبرة استعارة من فعل المختبر فان قلت من اين تعلق قوله ايكم احسن عملا بفعل البلوى قلت من حيث انه تضمن معنى العلم فكانه قيل ليعلمكم ايكم احسن عملا واذا قلت علمته ازيد احسن عملا ام هو كانت هذه الجملة واقعة موقع الثاني من مفعوليه كما تقول علمته هو احسن عملا فان قلت اتسمي هذا تعليقا مع عمله لفظا لا انما التعليق ان توقع بعده ما يسد مسد المفعولين جميعا كقولك علمت ايهما عمرو وعلمت ازيد منطلق الا ترى انه لا فصل بعد سبق احد المفعولين بين ان يقع ما بعده مصدرا بحرف الاستفهام وغير مصدر به ولو كانت تعليقا لافترقت الحالتان كما افترقتا في قولك علمت ازيد منطلق وعلمت زيدا منطلقا احسن عملا اخلصه واصوبه لانه اذا كان خالصا غير صواب لم يقبل وكذلك اذا كان صوابا غير خالص فالخالص ان يكون لوجه الله والصواب ان يكون على السنة وعن النبي صلى الله عليه وسلم انه تلاها فلما بلغ قوله تعالى ايكم احسن عملا قال ايكم احسن عقلا واورع عن محارم الله واسرع في طاعة الله يعني ايكم اتم عقلا عن الله وفهما لاغراضه والمراد

انه اعطاكم الحيوة التى تقدرون بها على العمل وتستمكنون منه وسلط عليكم الموت الذى هو داعيكم الى اختيار العمل الحسن على القبيح لان وراءه البعث والجزاء الذى لا بد منه وقدم الموت على الحيوة لان اقوى الناس داعيا الى العمل من نصب موته بين عينيه فقدم لانه فيما يرجع الى الغرض المسوق له الاية اهم • وهو العزيز الغالب الذى لا يعجزه من اساء العمل الغفور لمن تاب من اهل الاساءة • الذى خلق سبع سموات طباقا ما ترى فى خلق الرحمن من تفاوت • طباقا مطابقة بعضها فوق بعض من طابق النعل اذا خصفها طبقا على طبق وهذا وصف بالمصدر او على ذات طباق او على طوبقت طباقا من تفاوت وقرئ من تفوت ومعنى البنائين واحد كقولهم تظاهروا من نسائهم وتظهروا وتعاهده وتعهده اى من اختلاف واضطراب فى الخلقة ولا تناقض انما هى مستوية مستقيمة وحقيقة التفاوت عدم التناسب كان بعض الشئ يفوت بعضا ولا يلائمه ومنه قولهم خلق متفاوت وفى نقيضه متناصف فان قلت كيف موقع هذه الجملة مما قبلها قلت هى صفة مشايعة لقوله طباقا واصلها ما ترى فيهن من تفاوت فوضع مكان الضمير قوله خلق الرحمن تعظيما لخلقهن وتنبيها على سبب سلامتهن من التفاوت وهو خلق الرحمن وانه بباهر قدرته هو الذى يخلق مثل ذلك الخلق المتناسب والخطاب فى ما ترى للرسول صلى الله عليه وسلم او لكل مخاطب وقوله تعالى فارجع البصر متعلق به على معنى التسبيب اخبره بانه لا تفاوت فى خلقهن فارجع البصر هل ترى من فطور ثم ارجع البصر كرتين ينقلب اليك البصر خاسئا وهو حسير ثم قال فارجع البصر حتى يصح عندك ما اخبرت به بالمعاينة ولا تبقى معك شبهة فيه • هل ترى من فطور من صدوع وشقوق جمع فطر وهو الشق يقال فطره فانفطر • ومنه فطر ناب البعير كما يقال شق وبزل ومعناه شق اللحم فطلع وامره بتكرير البصر فيهن متصفحا ومتتبعا يلتمس عيبا وخللا ينقلب اليك اى ان رجعت البصر وكررت النظر لم يرجع اليك بصرك بما التمسته من رؤية الخلل وادراك العيب بل يرجع اليك بالخسوء والحسور اى بالبعد عن اصابة الملتمس كانه يطرد عن ذلك طردا بالصغار والقماءة وبالاعياء والكلال لطول الاجالة والترديد فان قلت كيف ينقلب البصر خاسئا حسيرا برجعه كرتين اثنتين قلت معنى التثنية التكرير بكثرة كقولهم لبيك وسعديك يريد اجابات كثيرة بعضها فى اثر بعض وقولهم فى المثل دهدرين سعد القين من ذلك اى باطلا بعد باطل فان قلت فما معنى ثم ارجع امره برجع البصر ثم امره بان لا يقتنع بالرجعة الاولى وبالنظرة الحمقاء وان يتوقف بعدها ويجم بصره ثم يعاود ويعاود الى ان يحسر بصره من طول المعاودة فانه لا يعثر على شئ من فطور • ولقد زينا السماء الدنيا بمصابيح وجعلناها رجوما للشياطين واعتدنا لهم عذاب السعير • الدنيا القربى لانها اقرب السموات الى الناس ومعناها السماء الدنيا منكم • والمصابيح السرج سميت بها الكواكب والناس يزينون مساجدهم ودورهم باثقاب المصابيح فقيل ولقد زينا سقف الدار التى اجتمعتم فيها بمصابيح اى باى مصابيح لا توازيها مصابيحكم اضاءة وضممنا الى ذلك منافع اخر انا جعلناها رجوما لاعدائكم الشياطين الذين يخرجونكم من النور الى الظلمات وتهتدون بها فى ظلمات البر والبحر • قال قتادة خلق الله تعالى النجوم لثلاث زينة للسماء ورجوما للشياطين وعلامات يهتدى بها فمن تاول فيها غير ذلك فقد تكلف ما لا علم له به • وعن محمد بن كعب والله ما لاحد من اهل الارض فى السماء نجم ولكنهم يتبعون الكهانة ويتخذون النجوم علة • والرجوم جمع رجم وهو

مصدر

مصدر سمى به ما يرجم به ومعنى كونها مراجم للشياطين ان الشهب التى تنقض لرمى المسترقة منهم منفصلة من نار الكواكب لا انهم يرجمون بالكواكب انفسها لانها قارة فى الفلك على حالها وما ذاك الا كقبس يؤخذ من نار والنار ثابتة كاملة لا تنقص • وقيل من الشياطين المرجومة من يقتله الشهاب ومنهم من يخبله وقيل معناه وجعلناها ظنونا ورجوما بالغيب لشياطين الانس وهم النجامون • واعتدنا لهم عذاب السعير فى الاخرة بعد عذاب الاحراق بالشهب فى الدنيا • وللذين كفروا بربهم عذاب جهنم وبئس المصير • اذا القوا فيها سمعوا لها شهيقا وهى تفور • وللذين كفروا بربهم اى ولكل من كفر بالله من الشياطين وغيرهم عذاب جهنم ليس الشياطين المرجومون مخصوصين بذلك وقرئ عذاب جهنم بالنصب عطفا على عذاب السعير • اذا القوا فيها اى طرحوا كما يطرح الحطب فى النار العظيمة ويرمى به • ومثله قوله عز وجل حصب جهنم • سمعوا لها شهيقا اما لاهلها ممن تقدم طرحهم فيها او من انفسهم كقوله تعالى لهم فيها زفير وشهيق • واما للنار تشبيها لحسيسها المنكر الفظيع بالشهيق • تفور تغلى بهم غليان المرجل بما فيه • تكاد تميز من الغيظ كلما القى فيها فوج سالهم خزنتها الم ياتكم نذير • وجعلت كالمغتاظة عليهم لشدة غليانها بهم ويقولون فلان يتميز غيظا ويتقصف غضبا وغضب فطارت منه شقة فى الارض وشقة فى السماء اذا وصفوه بالافراط فيه • ويجوز ان يراد غيظ الزبانية • الم ياتكم نذير توبيخ يزدادون به عذابا الى عذابهم وحسرة الى حسرتهم • وخزنتها مالك واعوانه من الزبانية قالوا بلى قد جاءنا نذير فكذبنا وقلنا ما نزل الله من شئ ان انتم الا فى ضلال كبير • قالوا بلى اعتراف منهم بعدل الله واقرار بان الله تعالى ازاح عللهم ببعثة الرسل وانذارهم ما وقعوا فيه وانهم لم يؤتوا من قدرة كما تزعم المجبرة وانما اتوا من قبل انفسهم واختيارهم خلاف ما اختار الله عز وجل وامر به واوعد على ضده • فان قلت ان انتم الا فى ضلال كبير من المخاطبون به قلت من جملة قول الكفار وخطابهم للمنذرين على ان النذير بمعنى الانذار والمعنى الم ياتكم اهل نذير او وصف منذروهم لغلوهم فى الانذار كانهم ليسوا الا انذارا وكذلك قد جاءنا نذير • ونظيره قوله عز وجل انا رسول رب العالمين اى حاملا رسالته • ويجوز ان يكون من كلام الخزنة للكفار على ارادة القول ارادوا حكوا ما كانوا عليه من ضلالهم فى الدنيا • او ارادوا بالضلال الهلاك • او سموا عقاب الضلال باسمه او من كلام الرسل لهم حكوه للخزنة اى قالوا لنا هذا فلم نقبله • وقالوا لو كنا نسمع او نعقل ما كنا فى اصحاب السعير • فاعترفوا بذنبهم فسحقا لاصحاب السعير • ان الذين يخشون ربهم بالغيب لهم مغفرة واجر كبير • لو كنا نسمع الانذار سماع طالبين للحق او نعقله عقل متاملين وقيل انما جمع بين السمع والعقل لان مدار التكليف على ادلة السمع والعقل • ومن بدع التفاسير ان المراد لو كنا على مذهب اصحاب الحديث او على مذهب اصحاب الراى كان هذه الاية نزلت بعد ظهور هذين المذهبين وكان سائر اصحاب المذاهب والمجتهدين قد انزل الله وعيدهم وكان من كان من هؤلاء فهو من الناجين لا محالة وعدة المبشرين من الصحابة عشرة لم يضم اليهم حادى عشر وكان من يجوز على الصراط اكثرهم لم يسمعوا باسم هذين الفريقين • بذنبهم بكفرهم فى تكذيبهم الرسل فسحقا قرئ بالتخفيف والتثقيل فبعدا لهم اعترفوا او جحدوا فان ذلك لا ينفعهم • واسروا قولكم او اجهروا به انه عليم بذات الصدور • الا يعلم من خلق وهو اللطيف الخبير • ظاهره الامر باحد الامرين الاسرار والاجهار ومعناه ليستوى عندكم اسراركم واجهاركم فى علم

انه بما اثره علمه بانه عليم بذات الصدور وراى بضمايرها قبل ان تترجم الالسنة عنها فكيف لا يعلم ما تكلم به
ثم انكر ان لا يحيط علما بالمضمر والمسر والمجهر من خلق الاشيا وحاله انه اللطيف الخبير المتوصل علمه الى ما ظهر
من خلقه وما بطن • ويجوز ان يكون من خلق منصوبا بمعنى الا يعلم مخلوقه وهذه حاله وروى ان
المشركين كانوا يتكلمون فيما بينهم باشياء فيظهر الله تعالى رسوله عليها فيقولون اسروا قولكم لئلا يسمعه
اله محمد فنبه الله على جهلهم فان قلت قدرت في الا يعلم مفعولا على معنى الا يعلم ذلك المذكور مما
اضمر في القلب واظهر باللسان من خلق فهلا جعلته مثل قولهم هو يعطي ويمنع وهلا كان المعنى الا
يكون عالما من هو خالق لان الخلق لا يصح الا مع العلم قلت ابت ذلك الحال التي هي قوله تعالى وهو
اللطيف الخبير لانك لو قلت الا يكون عالما من هو خالق وهو اللطيف الخبير لم يكن معنى صحيحا لان الا
يعلم معتمد على الحال والشي لا يوقت بنفسه فلا يقال الا يعلم وهو عالم ولكن الا يعلم كذا وهو عالم بكل
شي هو الذي جعل لكم الارض ذلولا فامشوا في مناكبها وكلوا من رزقه واليه النشور • المشي
في مناكبها مثل لفرط التذليل ومجاوزته الغاية لان المنكبين وملتقاهما من الغارب ارق شي من البعير وانبا
عن ان يطاه الراكب بقدمه ويعتمد عليه فاذا جعلها في الذل بحيث يمشي في مناكبها لم يترك • وقيل مناكبها
جبالها • قال الزجاج سهل لكم السلوك فيها فاذا امكنكم السلوك في جبالها فهو ابلغ التذليل وقيل
جوانبها والمعنى واليه نشوركم فهو مسايلكم عن شكر ما انعم به عليكم ءامنتم من في السما ان يخسف
بكم الارض فاذا هي تمور ام امنتم من في السما ان يرسل عليكم حاصبا فستعلمون كيف نذير
ولقد كذب الذين من قبلهم فكيف كان نكير • من في السماء فيه وجهان احدهما من ملكوته في
السماء لانها مسكن ملايكته وثم عرشه وكرسيه واللوح المحفوظ ومنها ينزل قضاياه وكتبه واوامره
ونواهيه • والثاني انهم كانوا يعتقدون التشبيه وانه في السماء وان الرحمة والعذاب ينزلان منه
وكانوا يدعونه من جهتها فقيل لهم على حسب اعتقادهم ءامنتم من تزعمون انه في السما وهو متعال
عن المكان ان يعذبكم بخسف او بحاصب كما تقول لبعض المشبهة اما تخاف من فوق العرش ان يعاقبك
بما تفعل اذا رايته يركب بعض المعاصي • فستعلمون قرئ بالتا والياء • كيف نذير اي اذا رايتم المنذر
به علمتم كيف انذاري حين لا ينفعكم العلم اولم يروا الى الطير فوقهم صافات ويقبضن ما
يمسكهن الا الرحمن انه بكل شي بصير • امن هذا الذي هو جند لكم ينصركم من دون
الرحمن ان الكافرون الا في غرور • صافات باسطات اجنحتهن في الجو عند طيرانها لانهن اذا بسطنها
صففن قوادمها صفا • ويقبضن ويضممنها اذا ضربن بها جنوبهن فان قلت لم قيل ويقبضن
ولم يقل وقابضات قلت لان اصل الطيران صف الاجنحة لان الطيران في الهوا كالسباحة في
الما والاصل في السباحة مد الاطراف وبسطها واما القبض فطارئ على البسط للاستظهار به على
التحرك فجي بما هو طارئ غير اصل بلفظ الفعل على معنى انهن صافات ويكون منهن القبض تارة بعد
تارة كما يكون من السابح ما يمسكهن الا الرحمن بقدرته وبما دبر لهن من القوادم والخوافي
وبنى الاجسام على شكل وخصايص قد تاتى منها الجري في الجو انه بكل شي بصير يعلم كيف يخلق وكيف
يدبر العجايب امن هذا الذي يرزقكم ان امسك رزقه بل لجوا في عتو ونفور • امن يشار اليه
من الجموع ويقال هذا الذي هو جند لكم ينصركم من دون الله ان ارسل عليكم عذابه امن يشار
اليه ويقال هذا الذي يرزقكم ان امسك رزقه وهذا على التقرير • ويجوز ان يكون اشارة الى

جميع

جميع الاوثان لاعتقادهم انهم يحفظون من النوايب ويرزقون ببركة الهتهم فكانهم الجند الناصر والرازق •
ونحوه قوله تعالى ام لهم الهة تمنعهم من دوننا • بل لجوا في عتو ونفور بل تمادوا في عناد وشراد عن الحق
لثقله عليهم فلم يتبعوه افمن يمشي مكبا على وجهه اهدى امن يمشي سويا على صراط مستقيم قل هو
الذي انشاكم وجعل لكم السمع والابصار والافيدة قليلا ما تشكرون • قل هو الذي ذراكم
في الارض واليه تحشرون • يجعل اكب مطاوع كبه ويقال كببته فاكب من الغرايب والشواذ • ونحوه
قشعت الريح السحاب فاقشع وما هو كذلك ولا شي من بنا افعل مطاوعا ولا يتقن نحو هذا الا حملة كتاب
سيبويه وانما اكب من باب انفض والام ومعناه دخل في الكب وصار ذا كب وكذلك اقشع السحاب دخل
في القشع ومطاوع كب وقشع انكب وانقشع فان قلت ما معنى يمشي مكبا على وجهه وكيف قابل يمشي
سويا على صراط مستقيم قلت معناه يمشي معتسفا في مكان معتاد غير مستو فيه انخفاض وارتفاع
فيعثر كل ساعة فيخر على وجهه منكبا فحاله نقيض حال من يمشي سويا اي قايما سالما من العثور والخرور •
او مستوي الجهة قليل الانحراف خلاف المعتسف الذي ينحرف هكذا وهكذا على طريق مستو • ويجوز
ان يريد الاعمى الذي لا يهتدي الى الطريق فيعتسف فلا يزال ينكب على وجهه وانه ليس كالرجل السوي
الصحيح البصير الماشي في الطريق المهتدي له وهو مثل للمومن والكافر • وعن قتادة الكافر اكب على معاصي الله
فحشره الله يوم القيمة على وجهه • وعن الكلبي عنى به ابو جهل بن هشام وبالسوي رسول الله صلى الله
عليه وسلم • وقيل حمزة بن عبد المطلب رضي الله عنه ويقولون متى هذا الوعد ان كنتم صادقين
قل انما العلم عند الله وانما انا نذير مبين • فلما راوه زلفة سيئت وجوه الذين كفروا وقيل
هذا الذي كنتم به تدعون • فلما راوه الضمير للوعد • والزلفة القرب وانتصابها على الحال او الظرف
اي راوه ذا زلفة او مكانا ذا زلفة سيئت وجوه الذين كفروا اي ساءت رؤية الوعد وجوههم بان علتها
الكابة وغشيها الكسوف والقترة وكلحوا وكما يكون وجه من يقاد الى القتل او يعرض على بعض العذاب
وقيل القايلون الزبانية • تدعون تفتعلون من الدعاء اي تطلبون وتستعجلون به • وقيل هو من
الدعوى اي كنتم بسببه تدعون انكم لا تبعثون وقرى تدعون • وعن بعض الزهاد انه تلاها
في اول الليل في صلوته فبقي يكررها وهو يبكي الى ان نودي لصلوة الفجر ولعمري انها لوقاذة لمن تصور
تلك الحالة وتاملها قل ارايتم ان اهلكني الله ومن معي او رحمنا فمن يجير الكافرين من عذاب
اليم • كان كفار مكة يدعون على رسول الله صلى الله عليه وسلم وعلى المومنين بالهلاك فامر بان يقول
لهم نحن مومنون متربصون لاحدى الحسنيين اما ان نهلك كما تتمنون فننقلب الى الجنة او نرحم بالنصرة
والادالة للاسلام كما نرجو فانتم ما تصنعون من يجيركم وانتم كافرون من عذاب النار لا بد لكم منه
يعني انكم تطلبون لنا الهلاك الذي هو استعجال للفوز والسعادة وانتم في امر هو الهلاك الذي لا هلاك
بعده وانتم غافلون لا تطلبون الخلاص منه او ان اهلكنا الله بالموت فمن يجيركم بعد موت هداتكم
والاخذين بحجزكم من النار وان رحمنا بالامهال والغلبة عليكم وقتلكم فمن يجيركم فان المقتول على يد نبيا
هالك • او ان اهلكنا الله في الاخرة بذنوبنا ونحن مسلمون فمن يجير الكافرين وهم اولى بالهلاك بكفرهم
وان رحمنا بالايمان فمن يجير من لا ايمان له قل هو الرحمن امنا به وعليه توكلنا فستعلمون من هو في ضلال
مبين فان قلت لم اخر مفعول امنا وقدم مفعول توكلنا قلت لوقوع امنا تعريضا بالكافرين
حين ورد عقيب ذكرهم كانه قيل امنا ولم نكفر كما كفرتم ثم قال وعليه توكلنا خصوصا لم نتكل على ما انتم

تتكلون عليه من رجالكم واموالكم قل ارايتم ان اصبح ماؤكم غورا فمن ياتيكم بماء معين غورا غائرا ذاهبا في الارض وعن الكلبي لا تناله الدلاء وهو وصف بالمصدر كعدل ورضا وعن بعض الشطار انها تليت عنده فقال تجي به الفؤوس والمعاول فذهب ماء عينيه نعوذ بالله من الجراءة على الله وعلى اياته عن رسول الله عليه السلام من قرا سورة الملك فكانما احيا ليلة القدر

بسم الله الرحمن الرحيم ن والقلم وما يسطرون ما انت بنعمة ربك بمجنون وان لك لاجرا غير ممنون وانك لعلى خلق عظيم قرئ نون والقلم بالبيان والادغام وبسكون النون وفتحها وكسرها كما في صاد والمراد هذا الحرف من حروف المعجم واما قولهم هو الدواة فما ادري اهو وضع لغوي ام شرعي ولا يخلو اذا كان اسما للدواة من ان يكون جنسا او علما فان كان جنسا فاين الاعراب والتنوين وان كان علما فاين الاعراب وايهما كان فلا بد له من موقع في تاليف الكلام فان قلت هو مقسم به قلت وجب ان كان جنسا ان تجره وتنونه ويكون القسم بدواة منكرة مجهولة كانه قيل ودواة والقلم وان كان علما ان تصرفه وتجره او لا تصرفه وتفتحه للعلمية والتانيث وكذلك التفسير بالحوت اما ان يراد نون من النينان او يجعل علما للبهموت الذي يزعمون والتفسير باللوح من نور او ذهب والنهر في الجنة نحو ذلك واقسم بالقلم تعظيما له لما في خلقه وتسويته من الدلالة على الحكمة العظيمة ولما فيه من الفوائد والمنافع التي لا يحيط بها الوصف وما يسطرون وما يكتب من كتب وقيل ما يسطره الحفظة وما موصولة او مصدرية ويجوز ان يراد بالقلم اصحابه فيكون الضمير في يسطرون لهم كانه قيل واصحاب القلم ومسطوراتهم او وسطرهم ويراد بهم كل من يسطر او الحفظة فان قلت بم يتعلق الباء في بنعمة ربك وما محله قلت يتعلق بمجنون منفيا كما يتعلق بعاقل مثبتا في قولك انت بنعمة الله عاقل مستويا في ذلك الاثبات والنفي استواءهما في قولك ضرب زيد عمرا وما ضرب زيد عمرا تعمل الفعل مثبتا ومنفيا اعمالا واحدا ومحله النصب على الحال كانه قال ما انت بمجنون منعما عليك بذلك ولم تمنع الباء ان يعمل مجنون فيما قبله لانها زائدة لتاكيد النفي والمعنى استبعاد ما كان ينسبه اليه كفار مكة لعنهم الله عداوة وحسدا وانه من انعام الله عليه بحصافة العقل والشهامة التي يقتضيها التاهيل للنبوة بمنزل وان لك على احتمال ذلك واساغة الغصة فيه والصبر عليه لاجرا لثوابا غير ممنون غير مقطوع كقوله تعالى عطاء غير مجذوذ او غير ممنون عليك لانه ثواب تستوجبه على عملك وليس بتفضل ابتداء وانما تمن الفواضل لا الاجور على الاعمال استعظم خلقه لفرط احتماله الممضات من قومه وحسن مخالقته ومداراته لهم وقيل هو الخلق الذي امره الله به في قوله تعالى خذ العفو وامر بالعرف واعرض عن الجاهلين وعن عائشة رضي الله عنها ان سعيد بن هشام سالها عن خلق رسول الله صلى الله عليه وسلم فقالت كان خلقه القران الست تقرا القران قد افلح المؤمنون فستبصر ويبصرون بايكم المفتون ان ربك هو اعلم بمن ضل عن سبيله وهو اعلم بالمهتدين المفتون المجنون لانه فتن اي محن بالجنون او لان العرب يزعمون انه من تخبيل الجن وهم الفتان للفتاك منهم والباء مزيدة او المفتون مصدر كالمعقول والمجلود اي بايكم الجنون او باي الفريقين منكم الجنون ابفريق المؤمنين ام بفريق الكافرين اي في ايهما يوجد من يستحق هذا الاسم وهو تعريض بابي جهل بن هشام والوليد بن المغيرة واضرابهما عليهم اللعنة وهذا كقوله تعالى سيعلمون غدا من الكذاب الاشر ان ربك هو اعلم بالمجانين على الحقيقة وهم الذين ضلوا عن سبيله وهو اعلم بالعقلاء وهم

المهتدون

المهتدون او يكون وعيدا ووعدا وانه اعلم بجزاء الفريقين فلا تطع المكذبين ودوا لو تدهن فيدهنون ولا تطع كل حلاف مهين هماز مشاء بنميم مناع للخير معتد اثيم عتل بعد ذلك زنيم فلا تطع المكذبين تهييج والهاب للتصميم على معاصاتهم وكانوا قد ارادوه على ان يعبد الله مدة والهتهم مدة ويكفوا عنه غوائلهم لو تدهن لو تلين وتصانع فيدهنون فان قلت لم رفع فيدهنون ولم ينصب باضمار ان وهو جواب التمني قلت قد عدل به الى طريق اخر وهو ان جعل خبر مبتدا محذوف اي فهم يدهنون كقوله عز وعلا فمن يؤمن بربه فلا يخاف على معنى ودوا لو تدهن فهم يدهنون حينئذ او ودوا ادهانك فهم الان يدهنون لطمعهم في ادهانك قال سيبويه وزعم هارون انها في بعض المصاحف ودوا لو تدهن فيدهنوا حلاف كثير الحلف في الحق والباطل وكفى به مزجرة لمن اعتاد الحلف ومثله قوله عز وجل ولا تجعلوا الله عرضة لايمانكم مهين من المهانة وهي القلة والحقارة يريد القلة في الراي والتمييز او اراد الكذاب لانه حقير عند الناس هماز عياب طعان وعن الحسن رحمة الله عليه يلوي شدقيه في اقفية الناس مشاء بنميم مضرب نقال للحديث من قوم الى قوم على وجه السعاية والافساد بينهم والنميم والنميمة السعاية وانشدني بعض العرب

تشبي تشب النميمه ... تمشي بها زهرا الى تميمه

مناع للخير بخيل والخير المال او مناع اهله الخير وهو الاسلام فذكر الممنوع منه دون الممنوع كانه قال مناع من الخير قيل هو الوليد بن المغيرة المخزومي كان موسرا وكان له عشرة من البنين فكان يقول لهم ولحمته من اسلم منكم منعته رفدي عن ابن عباس رضي الله عنهما وعنه انه ابو جهل وعن مجاهد الاسود ابن عبد يغوث وعن السدي الاخنس بن شريق اصله في ثقيف وعداده في زهرة ولذلك قيل زنيم معتد مجاوز في الظلم حده اثيم كثير الاثام عتل غليظ جاف من عتله اذا قاده بعنف وغلظة بعد ذلك بعد ما عد له من المثالب والنقائص زنيم دعي قال حسان

وانت زنيم نيط في ال هاشم ... كما نيط خلف الراكب القدح الفرد

وكان الوليد دعيا في قريش ليس من سنخهم ادعاه ابوه بعد ثماني عشرة من مولده وقيل بغت امه ولم يعرف حتى نزلت هذه الاية جعل جفاءه ودعوته اشد معايبه لانه اذا جفا وغلظ طبعه قسا قلبه واجترا على كل معصية ولان الغالب ان النطفة اذا خبثت خبث الناشئ منها ومن ثم قال رسول الله صلى الله عليه وسلم لا يدخل الجنة ولد الزنا ولا ولده ولا ولد ولده وبعد ذلك نظير ثم في قوله عز وعلا ثم كان من الذين امنوا وقرا الحسن رحمة الله عليه عتل رفعا على الذم وهذه القراءة تقوية لما يدل عليه بعد ذلك والزنيم من الزنمة وهي الهنة من جلد الماعزة تقطع فتخلى معلقة في حلقها لانه زيادة معلقة بغير اهله ان كان ذا مال وبنين اذا تتلى عليه اياتنا قال اساطير الاولين ان كان ذا مال متعلق بقوله ولا تطع يعني ولا تطعه مع هذه المثالب لان كان ذا مال اي ليساره وحظه من الدنيا ويجوز ان يتعلق بما بعده على معنى لكونه متمولا مستظهرا بالبنين كذب اياتنا ولا يعمل فيه قال الذي هو جواب اذا لان ما بعد الشرط لا يعمل فيما قبله ولكن ما دلت عليه الجملة من معنى التكذيب وقرئ اان كان على الاستفهام على لان كان ذا مال كذب او اتطيعه لان كان ذا مال وروى الزبيري عن نافع ان كان بالكسر والشرط للمخاطب اي لا تطع كل حلاف شارطا يساره لانه اذا اطاع الكافر لغناه فكانه اشترط في الطاعة الغنى ونحو صرف الشرط الى المخاطب صرف الترجي اليه في قوله تعالى لعله يتذكر سنسمه على الخرطوم الوجه اكرم موضع في الجسد والانف اكرم موضع من الوجه لتقدمه له ولذلك جعلوه مكان العز والحمية واشتقوا منه الانفة وقالوا الانف في

الانف وحمى انفه وفلان شامخ العرنين وقالوا في الذليل جدع انفه ورغم انفه فعبر بالوسم على الخرطوم عن غاية الاذلال والاهانة لان السمة على الوجه شين واذالة فكيف بها على اكرم موضع منه ولقد وسم العباس رضي الله عنه اباعر في وجوهها فقال له رسول الله صلى الله عليه وسلم اكرموا الوجوه فوسمها في جواعرها ه وفي لفظ الخرطوم استخفاف واستهانة ه وقيل معناه سنعلمه يوم القيمة بعلامة نسوده بين بها عن سائر الكفرة كما عادى رسول الله عليه السلام عداوة بان بها عنهم ه وقيل خطم يوم بدر بالسيف فبقيت سمة على خرطومه ه وقيل سنشهره بهذه الشتيمة في الدارين جميعا فلا تخفى كما لا تخفى السمة على الخرطوم ه وعن النضر بن شميل ان الخرطوم الخمر وان معناه سنحده على شربها وهو تعسف وقيل للخمر الخرطوم كما قيل لها السلافة وهي ما سلف من عصير العنب او لانها تطير في الخياشيم **انا بلوناهم كما بلونا اصحاب الجنة اذ اقسموا ليصرمنها مصبحين ه ولا يستثنون فطاف عليها طائف من ربك وهم نائمون** ه انا بلونا اهل مكة بالقحط والجوع بدعوة رسول الله عليه السلام عليهم كما بلونا اصحاب الجنة وهم قوم من اهل الصلوة كانت لابيهم هذه الجنة دون صنعاء بفرسخين فكان ياخذ منها قوت سنة ويتصدق بالباقي وكان يترك للمساكين ما اخطاه المنجل وما في اسفل الاكداس وما اخطاه القطاف من العنب وما بقي من البساط الذي يبسط تحت النخلة اذا صرمت فكان يجتمع لهم شيء كثير فلما مات قال بنوه ان فعلنا ما كان يفعل ابونا ضاق علينا الامر ونحن اولو عيال فحلفوا ليصرمنها مصبحين في السدف خفية عن المساكين ولم يستثنوا في يمينهم فاحرق الله عز وجل جنتهم ه وقيل كانوا من بني اسرائيل ه مصبحين داخلين في الصبح مبكرين ولا يستثنون ولا يقولون ان شاء الله **فان قلت** لم سمي استثناء وانما هو شرط **قلت** لانه يؤدي مؤدى الاستثناء من حيث ان معنى قولك لاخرجن ان شاء الله ولا اخرج الا ان يشاء الله واحد ه فطاف عليها بلاء او هلاك طائف كقوله تعالى واحيط بثمره ه وقرئ طيف **فاصبحت كالصريم فتنادوا مصبحين ان اغدوا على حرثكم ان كنتم صارمين** ه فاصبحت كالصريم كالمصروم لهلاك ثمرها ه وقيل الصريم الليل اي احترقت فاسودت ه وقيل النهار اي يبست وذهبت خضرتها ه او لم يبق فيها شيء من قولهم بيض الاناء اذا فرغه ه وقيل الصريم الرمال ه صارمين حاصدين **فان قلت** هلا قيل اغدوا الى حرثكم وما معنى على **قلت** لما كان الغدو اليه ليصرموه ويقطعوه كان غدوا عليه كما تقول غدا عليهم العدو ه ويجوز ان يضمن الغدو معنى الاقبال كقولهم يغدى عليهم بالجفنة ويراح اي فاقبلوا على حرثكم باكرين **فانطلقوا وهم يتخافتون ان لا يدخلنها اليوم عليكم مسكين وغدوا على حرد قادرين** ه يتخافتون يتسارون فيما بينهم وخفي وخفت وخفد ثلاثتها في معنى الكتم ومنه الخفدود للخفاش ه ان لا يدخلنها ان مفسرة **وقرا** ابن مسعود رضي الله عنه بطرحها باضمار القول اي يتخافتون يقولون لا يدخلنها والنهي عن الدخول للمسكين نهي لهم عن تمكينه منه اي لا تمكنوه من الدخول حتى يدخل كقولك لا اريتك ههنا ه الحرد من حاردت السنة اذا منعت خيرها وحاردت الابل اذا منعت درها والمعنى وغدوا قادرين على نكد لا غير عاجزين عن النفع يعني انهم عزموا ان يتنكدوا على المساكين ويحرموهم وهم قادرون على نفعهم فغدوا بحال فقر وذهاب مال لا يقدرون فيها الا على النكد والحرمان وذلك انهم طلبوا حرمان المساكين فتعجلوا الحرمان والمسكنة ه او وغدوا على محاردة جنتهم وذهاب خيرها قادرين بدل كونهم قادرين على اصابة خيرها ومنافعها اي غدوا حاصلين على الحرمان مكان الانتفاع او لما قالوا اغدوا على حرثكم وقد خبثت نيتهم عاقبهم الله عز وجل بان حاردت جنتهم

وحرموا خيرها فلم يغدوا الى حرث وانما غدوا الى حرد وقادرين منكس الكلام للتهكم اي قادرين على ما عزموا عليه من الصرام وحرمان المساكين وعلى حرد ليس بصلة قادرين وقيل الحرد بمعنى الحرد وقرئ على حرد اي لم يقدروا الا على حنق وغضب بعضهم على بعض كقوله تعالى يتلاومون ه وقيل الحرد القصد والسرعة يقال حردت حردك وقال اقبل سيل جاء من امر الله يحرد حرد الجنة المغلة ه وقطا حراد سراع يعني وغدوا قاصدين الى جنتهم بسرعة ونشاط قادرين عند انفسهم يقولون نحن نقدر على صرامها وزي منفعتها عن المساكين ه وقيل حرد علم للجنة اي غدوا على تلك الجنة قادرين على صرامها عند انفسهم او مقدرين ان يتم لهم مرادهم من الصرام والحرمان **فلما راوها قالوا انا لضالون بل نحن محرومون** قالوا في بديهة وصولهم انا لضالون اي ضللنا جنتنا وما هي بها لما راوا من هلاكها فلما تاملوا وعرفوا انها هي قالوا بل نحن محرومون حرمنا خيرها لجنايتنا على انفسنا **قال اوسطهم الم اقل لكم لولا تسبحون** ه اوسطهم اعدلهم وخيرهم من قولهم هو من سطة قومه واعطني من سطات مالك ومنه قوله عز وجل امة وسطا ه لولا تسبحون لولا تذكرون الله وتتوبون اليه من خبث نيتكم كان اوسطهم قال لهم حين عزموا على ذلك اذكروا الله وانتقامه من المجرمين وتوبوا عن هذه العزيمة الخبيثة من فوركم وسارعوا الى حسم شرها قبل حلول النقمة فعصوه فعيرهم والدليل عليه قولهم سبحان ربنا انا كنا ظالمين فتكلموا بما كان يدعوهم الى التكلم به على اثر مقارفة الخطيئة ولكن بعد خراب البصرة ه وقيل المراد بالتسبيح الاستثناء لالتقائهما في معنى التعظيم لله لان الاستثناء تفويض اليه والتسبيح تنزيه له وكل واحد من التفويض والتنزيه تعظيم ه وعن الحسن رحمة الله عليه هو الصلوة كانهم كانوا يتوانون في الصلوة والا لنهتهم عن الفحشاء والمنكر ولكانت لهم لطفا في ان يستثنوا ولا يحرموا **قالوا سبحان ربنا انا كنا ظالمين** سبحان ربنا سبحوا الله ونزهوه عن الظلم وعن كل قبيح ثم اعترفوا بظلمهم في منع المعروف وترك الاستثناء **فاقبل بعضهم على بعض يتلاومون ه قالوا يا ويلنا انا كنا طاغين** ه يتلاومون يلوم بعضهم بعضا لان منهم من زين ومنهم من قبل ومنهم من امر بالكف وعذر ومنهم من عصى الامر ومنهم من سكت وهو راض **عسى ربنا ان يبدلنا خيرا منها انا الى ربنا راغبون كذلك العذاب ولعذاب الاخرة اكبر لو كانوا يعلمون** ه ان يبدلنا خيرا **قرئ** بالتخفيف والتشديد ه انا الى ربنا راغبون طالبون منه الخير راجون لعفوه كذلك العذاب مثل ذلك العذاب الذي بلوناه به اهل مكة واصحاب الجنة عذاب الدنيا ولعذاب الاخرة اشد واعظم منه ه وسئل قتادة عن اصحاب الجنة اهم من اهل الجنة ام من اهل النار فقال لقد كلفتني تعبا ه وعن مجاهد تابوا فابدلوا خيرا منها **وروي** عن ابن مسعود رضي الله عنه بلغني انهم اخلصوا وعرف الله منهم الصدق فابدلهم بها جنة يقال لها الحيوان فيها عنب يحمل البغل منه عنقودا **ان للمتقين عند ربهم جنات النعيم ه افنجعل المسلمين كالمجرمين ما لكم كيف تحكمون ام لكم كتاب فيه تدرسون ه ان لكم فيه لما تخيرون** ه عند ربهم اي في الاخرة جنات النعيم جنات ليس فيها الا التنعم الخالص لا يشوبه ما ينغصه كما يشوب جنان الدنيا كان صناديد قريش يرون وفور حظهم من الدنيا وقلة حظوظ المسلمين منها فاذا سمعوا بحديث الاخرة وما وعد الله المسلمين قالوا ان صح انا نبعث كما يزعم محمد ومن معه لم تكن حالهم وحالنا الا مثل ما هي في الدنيا والا لم يزيدوا علينا ولم يفضلونا واقصى امرهم ان يساوونا فقيل اتحيف في الحكم فنجعل المسلمين كالكافرين ثم قيل لهم على طريقة الالتفات ما لكم كيف تحكمون هذا الحكم الاعوج كان امر الجزاء مفوض اليكم حتى تحكموا فيه بما شئتم ام لكم

كتاب من السماء تدرسون في ذلك الكتاب ان ما تختارونه وتشتهونه لكم كقوله تعالى ام لكم سلطان مبين فأتوا
بكتابكم والاصل تدرسون ان لكم ما تتخيرون بفتح أنّ لانه مدروس فلما جاءت اللام كسرت ويجوز ان
يكون حكاية للمدروس كما هو كقوله عز وجل وتركنا عليه في الآخرين سلام على نوح وتخيّر الشيء واختاره اخذ
خيره ونحوه تنخّله وانتخله اذا اخذ منخوله ام لكم ايمان علينا بالغة الى يوم القيمة ان لكم لما تحكمون ٥
سلهم ايهم بذلك زعيم ام لهم شركاء فليأتوا بشركائهم ان كانوا صادقين ٥ لفلان عليّ يمين بكذا
اذا ضمنته منه وحلفت له على الوفاء به يعني ام ضمنا منكم واقسمنا لكم بايمان مغلظة متناهية في التوكيد
فان قلت بم يتعلق الى يوم القيمة قلت بالمقدر في الظرف اي هي ثابتة لكم علينا الى يوم القيمة لا
تخرج عن عهدتها الا يومئذ اذا حكمناكم واعطيناكم ما تحكمون ويجوز ان يتعلق ببالغة على انها تبلغ
ذلك اليوم وتنتهي اليه وافرة لم تبطل منها يمين الى ان يحصل المقسم عليه من التحكيم وقرأ الحسن
رحمة الله عليه بالغة بالنصب على الحال من الضمير في الظرف ان لكم لما تحكمون جواب القسم لان معنى
ام لكم ايمان علينا ام اقسمنا لكم ايهم بذلك الحكم زعيم اي قائم به وبالاحتجاج لصحته كما يقوم الزعيم
المتكلم عن القوم المتكفل بامورهم ام لهم شركاء اي ناس يشاركونهم في هذا القول ويوافقونهم عليه
ويذهبون مذهبهم فيه فليأتوا بهم ان كانوا صادقين في دعواهم يعني ان احدا لا يسلّم لهم هذا ولا يساعدهم
عليه كما انه لا كتاب لهم ينطقون به ولا عهد لهم به عند الله ولا زعيم لهم يقوم به يوم يكشف عن ساق
ويدعون الى السجود فلا يستطيعون خاشعة ابصارهم ترهقهم ذلة وقد كانوا يدعون
الى السجود وهم سالمون ٥ الكشف عن الساق والابداء عن الخدام مثل في شدة الامر وصعوبة الخطب
واصله في الروع والهزيمة وتشمير المخدرات عن سوقهن في الهرب وابداء خدامهن عند ذلك قال حاتم
٥ اخو الحرب ان عضت به الحرب عضها ٥ وان شمرت عن ساقها الحرب شمرا ٥ وقال ابن الرقيات
تذهل الشيخ عن بنيه وتبدي ٥ عن خدام العقيلة العذراء ٥ فمعنى يوم يكشف عن ساق في معنى يوم
يشتد الامر ويتفاقم ولا كشف ثم ولا ساق كما تقول للاقطع الشحيح يده مغلولة ولا يد ثم ولا غل
وانما هو مثل في البخل واما من شبّه فلضيق عطنه وقلة نظره في علم البيان والذي غرّه منه حديث
ابن مسعود رضي الله عنه يكشف الرحمن عن ساقه فاما المؤمنون فيخرون سجدا واما المنافقون
فتكون ظهورهم طبقا طبقا كأن فيها السفافيد ومعناه يشتد امر الرحمن ويتفاقم هوله وهو الفزع
الاكبر يوم القيمة ثم كان من حق الساق ان تعرّف على ما ذهب اليه المشبّه لانها ساق مخصوصة معهودة
عنده وهي ساق الرحمن فان قلت فلم جاءت منكّرة في التمثيل قلت للدلالة على انه امر مبهم
في الشدة منكر خارج عن المألوف كقوله تعالى يوم يدع الداع الى شيء نكر كأنه قيل يوم يقع امر
فظيع هائل ويحكى هذا التشبيه عن مقاتل وعن ابي عبيدة خرج من خراسان رجلان احدهما
شبّه حتى مثّل وهو مقاتل بن سليمان والآخر نفى حتى عطّل وهو جهم بن صفوان ومن احسّ بعظم
مضارّ فقد هذا العلم علم مقدار عظم منافعه وقرئ يوم نكشف بالنون وتكشف بالتاء
على البناء للفاعل والمفعول جميعا والفعل للساعة او للحال اي يوم تشتد الحال او الساعة كما تقول
كشفت الحرب عن ساقها على المجاز وقرئ تكشف بالتاء المضمومة وكسر الشين من اكشف اذا دخل في
الكشف ومنه اكشف الرجل فهو مكشف اذا انقلبت شفته العليا وناصب الظرف فليأتوا او اضمار
اذكر او يوم يكشف عن ساق كان كيت وكيت فحذف للتهويل البليغ وان ثم من الكوائن ما لا يوصف

لعظمه ٥ عن ابن مسعود رضي الله عنه تعقم اصلابهم اي ترد عظاما بلا مفاصل لا تنثني عند الرفع والخفض
وفي الحديث وتبقى اصلابهم طبقا واحدا اي فقارة واحدة فان قلت لم يدعون الى السجود ولا
تكليف قلت لا يدعون اليه تعبدا وتكليفا ولكن توبيخا وتعنيفا على تركهم السجود في الدنيا مع اعقام
اصلابهم والحيلولة بينهم وبين الاستطاعة تحسيرا لهم وتنديما على ما فرطوا فيه حين دعوا الى السجود
وهم سالموا الاصلاب والمفاصل ممكنون مزاحوا العلل فيما تعبدوا به فذرني ومن يكذب بهذا
الحديث سنستدرجهم من حيث لا يعلمون ٥ يقال ذرني واياه يريدون كله اليّ فاني اكفيكه كانه
يقول حسبك ايقاعا به ان تكل امره اليّ وتخلي بيني وبينه فاني عالم بما يجب ان يفعل به مطيق له والمراد حسبي
مجازيا لمن يكذب بالقرآن فلا تشغل قلبك بشأنه وتوكل عليّ في الانتقام منه تسلية لرسول الله صلى الله
عليه وسلم وتهديد للمكذبين ٥ استدرجه الى كذا اذا استنزله اليه درجة فدرجة حتى يورطه فيه
واستدراج الله العصاة ان يرزقهم الصحة والنعمة فيجعلوا رزق الله ذريعة ومتسلقا الى ازدياد
الكفر والمعاصي ٥ من حيث لا يعلمون اي من الجهة التي لا يشعرون انه استدراج وهو الانعام عليهم
لانهم يحسبونه ايثارا لهم وتفضيلا على المؤمنين وهو سبب لهلاكهم واملي لهم ان كيدي متين ام تسئلهم
اجرا فهم من مغرم مثقلون ٥ واملي لهم وامهلهم كقوله تعالى انما نملي لهم ليزدادوا اثما والصحة
والرزق والمد في العمر احسان من الله تعالى وافضال يوجب عليهم الشكر والطاعة ولكنهم يجعلونه سببا
في الكفر باختيارهم فلما تدرجوا به الى الهلاك وصف المنعم بالاستدراج ٥ وقيل كم من مستدرج
بالاحسان اليه وكم من مفتون بالثناء عليه وكم من مغرور بالستر وسمى احسانه وتمكينه كيدا كما سماه
استدراجا لكونه في صورة الكيد حيث كان سببا للتورط في الهلكة ووصفه بالمتانة لقوة اثر
احسانه في التسبب للهلاك ٥ المغرم الغرامة اي لم تطلب منهم على الهداية والتعليم اجرا فيثقل عليهم
حمل الغرامات في اموالهم فيثبطهم ذلك عن الايمان ام عندهم الغيب فهم يكتبون ٥ فاصبر لحكم
ربك ولا تكن كصاحب الحوت اذ نادى وهو مكظوم ٥ ام عندهم الغيب اي اللوح فهم يكتبون
منه ما يحكمون به ٥ لحكم ربك وهو امهالهم وتأخير نصرتك عليهم ٥ ولا تكن كصاحب الحوت يعني يونس
عليه السلام ٥ اذ نادى في بطن الحوت وهو مكظوم مملوء غيظا من كظم السقاء اذا ملأه والمعنى لا يوجد
منك ما وجد منه من الضجر والمغاضبة فتبتلى ببلائه لولا ان تداركه نعمة من ربه لنبذ بالعراء
وهو مذموم ٥ حسن تذكير الفعل لفصل الضمير في تداركه وقرأ ابن عباس وابن مسعود رضي الله
عنهما تداركته ٥ وقرأ الحسن رحمة الله عليه تدّاركه اي تتداركه على حكاية الحال الماضية بمعنى لولا
ان كان يقال فيه تتداركه كما يقال كان زيد سيقوم فمنعه فلان اي كان يقال فيه سيقوم والمعنى كان
متوقعا منه القيام ٥ ونعمة ربه ان انعم عليه بالتوفيق للتوبة وتاب عليه وقد اعتمد في جواب لولا
على الحال اعني قوله وهو مذموم يعني ان حاله كانت على خلاف الذم حين نبذ بالعراء ولولا توبته لكانت
حاله على الذم روي انها نزلت باحد حين حلّ برسول الله عليه السلام ما حلّ به فاراد ان يدعو
على الذين انهزموا ٥ وقيل حين اراد ان يدعو على ثقيف وقرئ رحمة من ربه فاجتباه ربه
فجعله من الصالحين ٥ فاجتباه ربه فجمعه اليه وقربه بالتوبة عليه كما قال ثم اجتباه ربه فتاب
عليه وهدى فجعله من الصالحين اي من الانبياء عليهم السلام ٥ وعن ابن عباس رضي الله عنهما ردّ الله
اليه الوحي وشفّعه في نفسه وقومه وان يكاد الذين كفروا ليزلقونك بابصارهم لما سمعوا

يبني

هم

الذكر ويقولون انه لمجنون وما هو الا ذكر للعالمين ان مخففة من الثقيلة واللام علمها وقرئ
ليزلقونك بضم الياء وفتحها وزلقه وازلقه بمعنى ويقال زلق الراس وازلقه حلقه وقرئ ليزهقونك
من زهقت نفسه وازهقها يعنى انهم من شدة تحديقهم ونظرهم اليك شزرا بعيون العداوة
والبغضاء يكادون يزلون قدمك او يهلكونك من قولهم نظر الى نظرا يكاد يصرعنى ويكاد ياكلنى
اى لو امكنه بنظره الصرع او الاكل لفعله قال

يتقارضون اذا التقوا فى موطن نظرا يزل مواطئ الاقدام

وقيل كانت العين فى بنى
اسد فكان الرجل منهم يتجوع ثلاثة ايام فلا يمر به شئ فيقول فيه لم ار كاليوم مثله الا عانه فاريد
بعض العيانين على ان يقول فى رسول الله عليه السلام مثل ذلك فقال لم ار كاليوم رجلا فعصمه
الله تعالى وعن الحسن رحمة الله عليه دواء الاصابة بالعين ان يقرأ هذه الاية لما سمعوا الذكر
اى القران لم يملكوا انفسهم حسدا على ما اوتيت من النبوة ويقولون انه لمجنون حيرة فى امره
وتنفيرا عنه والا فقد علموا انه اعقلهم والمعنى انهم جننوه لاجل القران وما هو الا ذكر وموعظة
للعالمين فكيف يجنن من جاء بمثله عن رسول الله صلى الله عليه وسلم من قرأ سورة القلم اعطاه الله ثواب
الذين حسن الله اخلاقهم

بسم الله الرحمن الرحيم الحاقة ما الحاقة وما ادراك ما الحاقة كذبت ثمود وعاد بالقارعة
فاما ثمود فاهلكوا بالطاغية الحاقة الساعة الواجبة الوقوع الثابتة المجئ التى هى آتية
لا ريب فيها او التى فيها حواق الامور من الحساب والثواب والعقاب او التى تحق فيها الامور
اى تعرف على حقيقتها من قولك لا احق هذا اى لا اعرف حقيقته جعل الفعل لها وهو لاهلها وارتفاعها
على الابتداء وخبرها ما الحاقة والاصل الحاقة ما هى اى اى شئ هى تفخيما لشانها وتعظيما لهولها
فوضع الظاهر موضع المضمر لانه اهول لها وما ادراك واى شئ اعلمك ما الحاقة يعنى انك لا علم
لك بكنهها ومدى عظمها على انه من العظم والشدة بحيث لا تبلغه دراية احد ولا وهمه وكيف
ما قدرت حالها فهى اعظم من ذلك وما فى موضع الرفع على الابتداء وادراك معلق عنه لتضمنه معنى
الاستفهام القارعة التى تقرع الناس بالافزاع والاهوال والسماء بالانشقاق والانفطار
والارض والجبال بالدك والنسف والنجوم بالطمس والانكدار ووضعت موضع الضمير
لتدل على معنى القرع فى الحاقة زيادة فى وصف شدتها ولما ذكرها وفخمها اتبع ذكر ذلك ذكر من
كذب بها وما حل بهم بسبب التكذيب تذكيرا لاهل مكة وتخويفا لهم من عاقبة تكذيبهم بالطاغية
بالواقعة المجاوزة للحد فى الشدة واختلف فيها فقيل الرجفة وعن ابن عباس رضى الله عنهما
الصاعقة وعن قتادة بعث الله عليهم صيحة فاهمدتهم وقيل الطاغية مصدر كالعافية اى
بطغيانهم وليس بذاك لعدم الطباق بينها وبين قوله بريح صرصر واما عاد فاهلكوا بريح
صرصر سخرها عليهم سبع ليال وثمانية ايام حسوما فترى القوم فيها صرعى كانهم اعجاز
نخل خاوية فهل ترى لهم من باقية والصرصر الشديدة الصوت لها صرصرة وقيل الباردة
من الصر كانها التى كرر فيها البرد وكثر فهى تحرق لشدة بردها عاتية شديدة العصف والعتو
استعارة او عتت على عاد فما قدروا على ردها بحيلة من استتار ببناء او لياذ بجبل او اختفاء فى حفرة

عاتية

فانها

فانها كانت تنزعهم من مكامنهم وتهلكهم وقيل عتت على خزانها فخرجت بلا كيل ولا وزن وروى عن رسول
الله صلى الله عليه وسلم ما ارسل الله سفية من ريح الا بمكيال ولا قطرة من مطر الا بمكيال الا يوم عاد ويوم
نوح عليه السلام فان الماء يوم نوح طغى على الخزان فلم يكن لهم عليه سبيل ثم قرأ انا لما طغى الماء حملناكم فى
الجارية وان الريح يوم عاد عتت على الخزان فلم يكن لهم عليها سبيل ثم قرأ بريح صرصر عاتية ولعلها عبارة
عن الشدة والافراط فيها الحسوم لا يخلو من ان يكون جمع حاسم كشهود وقعود او مصدرا كالشكور
والكفور فان كان جمعا فمعنى قوله حسوما نحسات حسمت كل خير واستاصلت كل بركة او متتابعة
هبوب الرياح ما خفتت ساعة حتى اتت عليهم تمثيلا لتتابعها بتتابع فعل الحاسم فى اعادة الكى على الداء
كرة بعد اخرى حتى ينحسم وان كان مصدرا فاما ان ينتصب بفعله مضمرا اى تحسم حسوما بمعنى تستأصل
استئصالا او يكون صفة كقولك ذات حسوم او يكون مفعولا له اى سخرها عليهم للاستئصال
وقال عبد العزيز بن زرارة الكلابى تفرق بين بنيهم زمان تتابع فيه اعوام حسوم وقرأ السدى
حسوما بالفتح حالا من الريح اى سخرها عليهم مستأصلة وقيل هى ايام العجوز وذلك ان عجوزا من عاد
توارت فى سرب فانتزعتها الريح فى اليوم الثامن فاهلكتها وقيل هى ايام العجز وهى آخر الشتاء
واسماؤها الصن والصنبر والوبر والآمر والمؤتمر والمعلل ومطفئ الجمر وقيل مكفئ الظعن
ومعنى سخرها عليهم سلطها عليهم كما شاء فيها فى مهابها او فى الليالى والايام وقرئ اعجاز نخيل من
باقية من بقية او من نفس باقية او من بقاء كالطاغية بمعنى الطغيان وجاء فرعون ومن قبله والمؤتفكات
بالخاطئة فعصوا رسول ربهم فاخذهم اخذة رابية ومن قبله يريد ومن عنده من اتباعه
وقرئ ومن قبله اى ومن تقدمه ويعضد الاول قراءة عبد الله وابى ومن معه وقراءة ابى موسى
ومن تلقاءه والمؤتفكات قرى قوم لوط عليه السلام بالخاطئة بالخطأ او بالفعلة او الافعال
ذات الخطأ العظيم رابية شديدة زائدة فى الشدة كما زادت قبائحهم فى القبح يقال ربا الشئ
يربو اذا زاد ليربوا فى اموال الناس انا لما طغى الماء حملناكم فى الجارية لنجعلها لكم تذكرة وتعيها
اذن واعية حملناكم حملنا اباءكم فى الجارية فى سفينة نوح عليه السلام لانهم اذا كانوا من نسل
المحمولين الناجين كان حمل ابائهم منة عليهم وكانهم هم المحمولون لان نجاتهم سبب ولادتهم لنجعلها
الضمير للفعلة وهى نجاة المؤمنين واغراق الكفرة تذكرة عظة وعبرة اذن واعية من شانها ان
تعى وتحفظ ما سمعت ولا تضيعه بترك العمل وكل ما حفظته فى نفسك فقد وعيته وما حفظته فى
غير نفسك فقد اوعيته كقولك اوعيت الشئ فى الظرف وعن النبى صلى الله عليه وسلم انه قال لعلى
ابن ابى طالب رضى الله عنه عند نزول هذه الاية سالت الله ان يجعلها اذنك يا على قال على رضى
الله عنه فما نسيت شيئا بعد وما كان لى ان انسى فان قلت لم قيل اذن واعية على التوحيد
والتنكير قلت للايذان بان الوعاة فيهم قلة ولتوبيخ الناس بقلة من يعى منهم وللدلالة على
ان الاذن الواحدة اذا وعت وعقلت عن الله فهى السواد الاعظم عند الله وان ما سواها لا يبالى
بهم بالة وان ملؤا ما بين الخافقين وقرئ وتعيها بسكون العين للتخفيف شبه تعى بكبد فاذا
نفخ فى الصور نفخة واحدة اسند الفعل الى المصدر وحسن تذكيره للفصل وقرأ ابو السمال
نفخة واحدة بالنصب مسندا للفعل الى الجار والمجرور فان قلت هما نفختان فلم قيل واحدة
قلت معناها انها لا تثنى فى وقتها فان قلت فاى النفختين هى قلت الاولى لان عندها فساد العالم

وهكذا الرواية عن ابن عباس رضي الله عنهما وروي عنه أنها الثانية فإن قلت أما قال بعد يومئذ تعرضون والعرض إنما هو عند النفخة الثانية جعل اليوم اسما للحين الواسع الذي تقع فيه النفختان والصعقة والنشور والوقوف والحساب فلذلك قيل يومئذ تعرضون كما تقول جئته عام كذا وإنما كان مجيئك في وقت واحد من أوقاته وحملت الأرض والجبال فدكتا دكة واحدة وحملت ورفعت من جهاتها بريح بلغت من قوة عصفها أنها تحمل الأرض والجبال أو بخلق من الملائكة أو بقدرة الله من غير سبب وقرئ وحملت بحذف المحمل وهو أحد الثلاثة فدكتا فدكت الجملتان جملة الأرضين وجملة الجبال فضرب بعضها ببعض حتى تندق وترجع كثيبا مهيلا وهباء منبثا والدك أبلغ من الدق وقيل فبسطتا بسطة واحدة فصارتا أرضا لا ترى فيها عوجا ولا أمتا من قولك اندك السنام إذا انفرش وبعير أدك وناقة دكاء ومنه الدكان فيومئذ وقعت الواقعة وانشقت السماء فهي يومئذ واهية والملك على أرجائها فيومئذ وقعت الواقعة فحينئذ نزلت النازلة وهي القيامة واهية مسترخية ساقطة القوة جدا بعد ما كانت محكمة مستمسكة يريد والخلق الذي يقال له الملك ورد إليه الضمير مجموعا في قوله فوقهم على المعنى فإن قلت ما الفرق بين قوله والملك وبين أن يقال والملائكة قلت الملك أعم من الملائكة ألا ترى أن قولك ما من ملك إلا وهو شاهد أعم من قولك ما من ملائكة على أرجائها على جوانبها الواحد رجا مقصور يعني أنها تنشق وهي مسكن الملائكة فينضوون إلى أطرافها وما حولها من حافاتها ويحمل عرش ربك فوقهم يومئذ ثمانية يومئذ تعرضون لا تخفى منكم خافية ثمانية أي ثمانية منهم وعن رسول الله صلى الله عليه وسلم هم اليوم أربعة فإذا كان يوم القيمة أيدهم الله بأربعة آخرين فيكونون ثمانية وروي ثمانية أملاك أرجلهم في تخوم الأرض السابعة والعرش فوق رؤسهم وهم مطرقون مسبحون وقيل بعضهم على صورة الإنسان وبعضهم على صورة الأسد وبعضهم على صورة الثور وبعضهم على صورة النسر وروي ثمانية أملاك في خلق الأوعال ما بين أظلافها إلى ركبها مسيرة سبعين عاما وعن شهر بن حوشب أربعة منهم يقولون سبحانك اللهم وبحمدك لك الحمد على عفوك بعد قدرتك وأربعة يقولون سبحانك اللهم وبحمدك لك الحمد على حلمك بعد علمك وعن الحسن رحمة الله عليه الله أعلم كم هم أثمانية أم ثمانية آلاف وعن الضحاك ثمانية صفوف لا يعلم عددهم إلا الله ويجوز أن تكون الثمانية من الروح أو من خلق آخر فهو القادر على كل خلق سبحان الذي خلق الأزواج كلها مما تنبت الأرض ومن أنفسهم ومما لا يعلمون العرض عبارة عن المحاسبة والمساءلة شبه ذلك بعرض السلطان العسكر لتعرف أحواله وروي أن في القيمة ثلث عرضات فأما عرضتان فاعتذار واحتجاج وتوبيخ وأما الثالثة ففيها تنشر الكتب فيأخذ الفائز كتابه بيمينه والهالك كتابه بشماله خافية سريرة وحال كانت تخفى في الدنيا بستر الله عليكم فأما من أوتي كتابه بيمينه فيقول هاؤم اقرؤا كتابيه إني ظننت أني ملاق حسابيه فهو في عيشة راضية في جنة عالية قطوفها دانية فأما تفصيل العرض ها صوت يصوت به فيفهم منه معنى خذ كأف وحس وما أشبه ذلك وكتابيه منصوب بهاؤم عند الكوفيين وعند البصريين باقرؤا لأنه أقرب العاملين وأصله هاؤم كتابي اقرؤا كتابي فحذف الأول لدلالة الثاني عليه ونظيره آتوني أفرغ عليه قطرا قالوا ولو كان العامل الأول لقيل اقرؤه وأفرغه والهاء للسكت في كتابيه وكذلك في حسابيه وماليه وسلطانيه وحق هذه الهاءات أن تثبت في الوقف وتسقط

في الوصل وقد استحب إيثار الوقف إيثارا لثباتها في المصحف وقيل لا بأس بالوصل والإسقاط وعن ابن محيصن أنه قرأ بإسكان الياء بغير هاء وقرأ جماعة بإثبات الهاء في الوصل والوقف جميعا لاتباع المصحف ظننت علمت وإنما أجري الظن مجرى العلم لأن الظن الغالب يقام مقام العلم في العادات والأحكام ويقال أظن ظنا كاليقين أن الأمر كيت وكيت راضية منسوبة إلى الرضا كالدارع والنابل والنسبة نسبتان نسبة بالحرف ونسبة بالصيغة أو جعل الفعل لها مجازا وهو لصاحبها عالية مرتفعة المكان في السماء أو رفيعة الدرجات أو رفيعة المباني والقصور والأشجار دانية ينالها القاعد والنائم كلوا واشربوا هنيئا بما أسلفتم في الأيام الخالية يقال لهم كلوا واشربوا هنيئا أكلا وشربا هنيئا أو هنيتم هنيئا على المصدر بما أسلفتم بما قدمتم من الأعمال الصالحة في الأيام الخالية الماضية من أيام الدنيا وعن مجاهد أيام الصيام أي كلوا واشربوا بدل ما أمسكتم عن الأكل والشرب لوجه الله تعالى وروي يقول الله تعالى يا أوليائي طالما نظرت إليكم في الدنيا وقد قلصت شفاهكم عن الأشربة وغارت أعينكم وخمصت بطونكم فكونوا اليوم في نعيمكم وكلوا واشربوا هنيئا بما أسلفتم في الأيام الخالية وأما من أوتي كتابه بشماله فيقول يا ليتني لم أوت كتابيه ولم أدر ما حسابيه يا ليتها كانت القاضية ما أغنى عني ماليه هلك عني سلطانيه الضمير في يا ليتها للموتة يقول يا ليت الموتة التي متها كانت القاضية أي القاطعة لأمري فلم أبعث بعدها ولم ألق ما ألقى أو للحالة أي ليت هذه الحالة كانت الموتة التي قضت علي لأنه رأى تلك الحالة أبشع وأمر مما ذاقه من مرارة الموت وشدته فتمناه عندها ما أغنى نفي أو استفهام على وجه الإنكار أي أي شيء أغنى عني ما كان لي من اليسار هلك عني سلطانيه ملكي وتسلطي على الناس وبقيت فقيرا ذليلا وعن ابن عباس رضي الله عنهما أنها نزلت في الأسود بن عبد الأشد وعن فناخسرة الملقب بالعضد أنه لما قال عضد الدولة وابن ركنها ملك الأملاك غلاب القدر لم يفلح بعده وجن فكان لا يطلق لسانه إلا بهذه الآية وقال ابن عباس رضي الله عنهما ضلت عني حجتي يعني بطلت حجتي التي كنت أحتج بها في الدنيا خذوه فغلوه ثم الجحيم صلوه ثم في سلسلة ذرعها سبعون ذراعا فاسلكوه إنه كان لا يؤمن بالله العظيم ولا يحض على طعام المسكين فليس له اليوم ههنا حميم ولا طعام إلا من غسلين لا يأكله إلا الخاطئون ثم الجحيم صلوه ثم لا تصلوه إلا الجحيم وهي النار العظمى لأنه كان سلطانا يتعظم على الناس يقال صلي النار وصلاه النار سلكه في السلسلة أن تلوى على جسده حتى تلتف عليه أثناؤها وهو فيما بينها مرهق مضيق عليه لا يقدر على حركة وجعلها سبعين ذراعا إرادة الوصف بالطول كما قال الله تعالى إن تستغفر لهم سبعين مرة يريد مرات كثيرة لأنها إذا طالت كان الإرهاق أشد والمعنى في تقديم السلسلة على السلك مثله في تقديم الجحيم على التصلية أي لا تسلكوه إلا في هذه السلسلة كأنها أفظع من سائر مواضع الإرهاق في الجحيم ومعنى ثم الدلالة على تفاوت ما بين الغل والتصلية بالجحيم وما بينها وبين السلك في السلسلة لا على تراخي المدة إنه تعليل على طريق الاستئناف وهو أبلغ كأنه قيل ما له يعذب هذا العذاب الشديد فأجيب بذلك وفي قوله تعالى ولا يحض على طعام المسكين دليلان قويان على عظم الجرم في حرمان المسكين أحدهما عطفه على الكفر وجعله قرينة له والثاني ذكر الحض دون الفعل ليعلم أن تارك الحض بهذه المنزلة فكيف بتارك الفعل وما أحسن قول القائل

اذا نزل له الاضياف كان عذرا على الحي حتى تستغل ما اجله • بربي حضهم على القرى واستعجلهم وتشا
عليهم • وعن ابي الدرداء رضي الله عنه انه كان يحض امراته على تكثير المرق لاجل المساكين وكان يقول
خلعنا نصف السلسلة بالايمان افلا نخلع نصفها الاخر • وقيل هو منع الكفار وقولهم انطعم من لو يشاء
الله اطعمه والمعنى على بذل طعام المسكين • حميم قريب يدفع عنه ويحزن عليه لانهم يتحامونه ويفرون
منه • كقوله تعالى ولا يسال حميم حميما • والغسلين غسالة اهل النار وما يسيل من ابدانهم من الصديد
والدم فعلين من الغسل • الخاطئون الآثمون اصحاب الخطايا وخطئ الرجل اذا تعمد الذنب وهم المشركون
عن ابن عباس رضي الله عنه وقرئ الخاطيون بابدال الهمزة ياء • والخاطون بطرحها • وعن ابن عباس
رضي الله عنهما ما الخاطون كلنا نخطو • وروى عنه ابو الاسود الدؤلي ما الخاطون انما هو الخاطئون
ما الصابون انما هو الصابئون • ويجوز ان يراد الذين يتخطون الحق الى الباطل ويتعدون حدود
الله فلا اقسم بما تبصرون وما لا تبصرون • انه لقول رسول كريم • وما هو بقول شاعر قليلا
ما تؤمنون • ولا بقول كاهن قليلا ما تذكرون • تنزيل من رب العالمين • هو اقسام بالاشيا
كلها على الشمول والاحاطة لانها لا تخرج من قسمين مبصر وغير مبصر • وقيل الدنيا والاخرة والاجسام
والارواح والانس والجن والخلق والخالق والنعم الظاهرة والباطنة • ان هذا القران لقول رسول كريم
اي يقوله ويتكلم به على وجه الرسالة من عند الله عز وجل • وما هو بقول شاعر ولا كاهن كما تدعون •
والقلة في معنى العدم اي لا تؤمنون ولا تذكرون البتة والمعنى ما اكفركم وما اغفلكم تنزيل
هو تنزيل بيانا لانه قول رسول نزل عليه من رب العالمين وقرا ابو السمال تنزيلا اي نزل
تنزيلا • وقيل الرسول الكريم جبريل عليه السلام وقوله تعالى وما هو بقول شاعر دليل على انه محمد
عليه السلام لان المعنى على اثبات انه رسول لا شاعر ولا كاهن ولو تقول علينا بعض الاقاويل •
لاخذنا منه باليمين • ثم لقطعنا منه الوتين • فما منكم من احد عنه حاجزين • وانه لتذكرة
للمتقين • وانا لنعلم ان منكم مكذبين • التقول افتعال القول لان فيه تكلفا من المفتعل وسمى
الاقوال المتقولة اقاويل تصغيرا بها وتحقيرا كقولك الاعاجيب والاضاحيك كانها جمع افعولة من
القول والمعنى ولو ادعى علينا شيئا لم نقله لقتلناه صبرا كما يفعل الملوك بمن يتكذب عليهم معاجلة
بالسخط والانتقام فصور قتل الصبر بصورته ليكون اهول وهو ان يؤخذ بيده وتضرب رقبته
وخص اليمين عن اليسار لان القتال اذا اراد ان يوقع الضرب في قفاه اخذ بيساره واذا اراد ان
يوقعه في جيده وان يكفحه بالسيف وهو اشد على المصبور لنظره الى السيف اخذ بيمينه ومعنى
لاخذنا منه باليمين لاخذنا بيمينه كما ان قوله عز وجل لقطعنا منه الوتين لقطعنا وتينه وهذا
بين • والوتين نياط القلب وهو حبل الوريد اذا قطع مات صاحبه وقرئ ولو تقول علينا على
البناء للمفعول • قيل حاجزين في وصف احد لانه في معنى الجماعة وهو اسم يقع في النفي العام مستويا فيه
الواحد والجمع والمذكر والمؤنث • ومنه قوله تعالى لا نفرق بين احد من رسله • لستن كاحد من النساء
والضمير في عنه للقتل اي لا يقدر احد منكم ان يحجزه عن ذلك ويدفعه عنه • او لرسول الله صلى
الله عليه وسلم اي لا تقدرون ان تحجزوا عنه القاتل وتحولوا بينه وبينه والخطاب للناس وكذلك
في قوله وانا لنعلم ان منكم مكذبين وهو ايعاد على التكذيب • وقيل الخطاب للمسلمين والمعنى
ان منهم ناسا سيكفرون بالقران وانه لحسرة على الكافرين وانه لحق اليقين • فسبح باسم

ربك

ربك العظيم • وانه الضمير للقران لحسرة على الكافرين به المكذبين له اذا راوا ثواب المصدقين به او
للتكذيب وان القران لليقين حق اليقين • كقولك هو العالم حق العالم وجد العالم والمعنى لعين اليقين
ومحض اليقين • فسبح الله بذكر اسمه العظيم وهو قوله سبحان الله واعبده شكرا على ما اهلك له من
ايحائه اليك • عن رسول الله عليه السلام من قرا سورة الحاقة حاسبه الله حسابا يسيرا والله اعلم

بسم الله الرحمن الرحيم سال سائل بعذاب واقع للكافرين ليس له دافع من الله ذي المعارج تعرج
الملائكة والروح اليه في يوم كان مقداره خمسين الف سنة فاصبر صبرا جميلا • ضمن سال
معنى دعا فعدي تعديته كانه قيل دعا داع بعذاب واقع من قولك دعا بكذا اذا استدعاه وطلبه • ومنه
قوله تعالى يدعون فيها بكل فاكهة • وعن ابن عباس رضي الله عنهما هو النضر بن الحارث قال ان
كان هذا هو الحق من عندك فامطر علينا حجارة من السماء او ائتنا بعذاب اليم • وقيل هو رسول الله
صلى الله عليه وسلم استعجل بعذاب للكافرين وقرئ سال سائل وهو على وجهين • اما ان يكون
من السؤال وهي لغة قريش يقولون سلت تسال وهما يتسايلان • وان يكون من السيلان ويؤيده
قراءة ابن عباس رضي الله عنهما سال سيل والسيل مصدر في معنى السائل كالغور بمعنى الغائر والمعنى
اندفع عليهم وادي عذاب فذهب بهم واهلكهم • وعن قتادة سال سائل عن عذاب الله تعالى على من
ينزل وبمن يقع فنزلت وسال على هذا الوجه مضمن معنى عني واهتم فان قلت بم يتصل قوله
للكافرين قلت هو على القول الاول متصل بعذاب صفة له اي بعذاب واقع كائن للكافرين • او
بالفعل اي دعا للكافرين بعذاب واقع • او بواقع اي بعذاب نازل لاجلهم • وعلى الثاني هو كلام مبتدا
جواب للسائل اي هو للكافرين فان قلت فقوله من الله بم يتصل يتصل بواقع اي واقع
من عنده • او بدافع بمعنى ليس له دافع من جهته اذا جاء وقته واوجبت الحكمة وقوعه ذي المعارج
ذي المصاعد جمع معرج ثم وصف المصاعد وبعد مداها في العلو والارتفاع فقال تعرج الملائكة
والروح اليه الى عرشه وحيث تهبط منه اوامره في يوم كان مقداره كمقدار مدة خمسين الف سنة
مما يعد الناس والروح جبريل عليه السلام افرده لتميزه بفضله • وقيل الروح خلق هم حفظة
على الملائكة كما ان الملائكة حفظة على الناس فان قلت بم يتعلق قوله تعالى فاصبر قلت
بسال سائل لان استعجال النضر بالعذاب انما كان على وجه الاستهزاء برسول الله عليه السلام والتكذيب
بالوحي وكان ذلك مما يضجر رسول الله فامر بالصبر عليه وكذلك من سال عن العذاب لمن هو فانما
سال على طريق التعنت وكان من كفار مكة ومن قرا سال سائل او سيل فمعناه جاء العذاب لقرب
وقوعه فاصبر فقد شارفت الانتقام • وقد جعل في يوم من صلة واقع اي يقع في يوم طويل مقداره
خمسون الف سنة من سنيكم وهو يوم القيامة اما ان يكون استطالة له لشدته على الكفار
واما لانه على الحقيقة كذلك • قيل فيه خمسون موطنا كل موطن الف سنة وما قدر ذلك على
المؤمن الا كما بين الظهر والعصر انهم يرونه بعيدا ونراه قريبا يوم تكون السماء كالمهل
وتكون الجبال كالعهن ولا يسال حميم حميما يبصرونهم • الضمير في يرونه للعذاب الواقع او
ليوم القيامة فيمن علق في يوم بواقع اي يستبعدونه على جهة الاحالة ونحن نراه قريبا هينا في قدرتنا

غير بعيد علينا ولا متعذر فالمراد بالبعيد البعيد من الامكان وبالقريب القريب منه يوم تكون
قريبا اي يمكن ولا يتعذر في ذلك اليوم او باضمار يقع لدلالة واقع عليه او يوم تكون السماء كالمهل
كان كيت وكيت او هو بدل عن في يوم فيمن علقه بواقع كالمهل كدردي الزيت وعن ابن مسعود رضي
الله عنه كالفضة المذابة في تلونها كالعهن كالصوف المصبوغ الوانا لان الجبال جدد بيض وحمر
مختلف الوانها وغرابيب سود فاذا بست وطيرت في الجو اشبهت العهن المنفوش اذا طيرته الريح ولا يسأل
حميم حميما اي لا يسأله بكيف حالك ولا يكلمه لان بكل احد ما يشغله عن المسألة يبصرونهم اي يبصر
الاحماء الاحماء فلا يخفون عليهم فما يمنعهم من المسألة ان بعضهم لا يبصر بعضا وانما يمنعهم التشاغل
وقرئ يبصرونهم وقرئ ولا يسأل على البناء للمفعول اي لا يقال لحميم اين حميمك ولا يطلب منه
لانهم يبصرونهم فلا يحتاجون الى السؤال والطلب فان قلت ما موقع يبصرونهم قلت هو كلام
مستأنف كانه لما قال ولا يسأل حميم حميما قيل لعله لا يبصره فقيل يبصرونهم ولكنهم لتشاغلهم لم
يتمكنوا من تسائلهم فان قلت لم جمع الضميران في يبصرونهم وهما للحميمين قلت المعنى على العموم لكل
حميمين لا لحميمين اثنين ويجوز ان يكون يبصرونهم صفة اي حميما مبصرين معرفين اياهم يود المجرم
لو يفتدي من عذاب يومئذ ببنيه وصاحبته واخيه وفصيلته التي تؤويه ومن في الارض
جميعا ثم ينجيه وقرئ يومئذ بالجر والفتح على البناء للاضافة الى غير متمكن ومن عذاب يومئذ
بتنوين عذاب ونصب يومئذ وانتصابه بعذاب لانه في معنى تعذيب وفصيلته عشيرته الادنون
الذين فصل عنهم تؤويه تضمه انتماء اليها او لياذا بها في النوائب ينجيه عطف على يفتدي اي يود
لو يفتدي ثم لو ينجيه الافتداء او من في الارض وثم لاستبعاد الانجاء يعني يتمنى لو كان هؤلاء
جميعا تحت يده وبذلهم في فداء نفسه ثم ينجيه ذلك وهيهات ان ينجيه كلا انها لظى نزاعة للشوى
تدعو من ادبر وتولى وجمع فاوعى كلا ردع للمجرم عن الودادة وتنبيه على انه لا ينفعه الافتداء
ولا ينجيه من العذاب ثم قال انها والضمير للنار ولم يجر لها ذكر لان ذكر العذاب دل عليها
ويجوز ان يكون ضميرا مبهما ترجم عنه الخبر او ضمير القصة ولظى علم للنار منقول من اللظى بمعنى
اللهب ويجوز ان يراد اللهب ونزاعة خبر بعد خبر لان او خبر للظى ان كانت الهاء ضمير القصة
او صفة له ان اردت اللهب والتأنيث لانه في معنى النار او رفع على التهويل اي هي نزاعة وقرئ
نزاعة بالنصب على الحال المؤكدة او على انها متلظية نزاعة او على الاختصاص للتهويل والشوى
الاطراف او جمع شواة وهي جلدة الرأس تنزعها فتبتكها ثم تعاد تدعو مجاز عن احضارهم
كانها تدعوهم فتحضرهم ونحوه قول ذي الرمة تدعو انفه الريب وقوله
ليالي اللهو يطبيني فاتبعه وقول ابي النجم تقول للرائد اعشبت انزل وقيل تقول لهم الي
الي يا كافر يا منافق وقيل تدعو المنافقين والكافرين بلسان فصيح ثم تلتقطهم التقاط الحب
فيجوز ان يخلق الله فيها كلاما كما يخلقه في جلودهم وايديهم وارجلهم وكما خلقه في الشجرة
ويجوز ان يكون دعاء الزبانية وقيل تدعو تهلك من قول العرب دعاك الله اي اهلكك قال
دعاك الله من رجل بافعى من ادبر عن الحق وتولى عنه وجمع المال فجعله في وعاء وكنزه ولم يؤد
الزكوة والحقوق الواجبة فيه وتشاغل به عن الدين وزهى باقتنائه وتكبر ان الانسان خلق
هلوعا اذا مسه الشر جزوعا واذا مسه الخير منوعا الا المصلين الذين هم على صلوتهم

دائمون

دائمون والذين في اموالهم حق معلوم للسائل والمحروم والذين يصدقون بيوم الدين
والذين هم من عذاب ربهم مشفقون ان عذاب ربهم غير مامون والذين هم لفروجهم
حافظون الا على ازواجهم او ما ملكت ايمانهم فانهم غير ملومين فمن ابتغى وراء ذلك فاولئك
هم العادون والذين هم لاماناتهم وعهدهم راعون والذين هم بشهاداتهم قائمون
والذين هم على صلواتهم يحافظون اولئك في جنات مكرمون اريد بالانسان الناس فلذلك
استثنى منه الا المصلين والهلع سرعة الجزع عند مس المكروه وسرعة المنع عند مس الخير من قولهم
ناقة هلواع سريعة السير وعن احمد بن يحيى رحمه الله قال لي محمد بن عبد الله بن طاهر نور الله
قبره ما الهلع فقلت قد فسره الله ولا يكون تفسير ابين من تفسيره وهو الذي اذا ناله شر
اظهر شدة الجزع واذا ناله خير بخل به ومنعه الناس والخير المال والغنى والشر الفقر او الصحة
والمرض اذا صح الغني منع المعروف وشح بماله واذا مرض جزع واخذ يوصي والمعنى ان الانسان لايثاره
الجزع والمنع وتمكنهما منه ورسوخهما فيه كانه مجبول عليهما مطبوع وكانه امر خلقي وضروري غير
اختياري كقوله تعالى خلق الانسان من عجل والدليل عليه انه حين كان في البطن والمهد لم يكن به
هلع ولانه ذم والله تعالى لا يذم فعله والدليل عليه استثناء المؤمنين الذين جاهدوا انفسهم
وحملوها على المكاره وظلفوها عن الشهوات حتى لم يكونوا جازعين ولا مانعين وعن النبي صلى الله
عليه وسلم شر ما اعطي ابن ادم شح هالع وجبن خالع فان قلت كيف قال على صلواتهم دائمون ثم
على صلواتهم يحافظون معنى دوامهم عليها ان يواظبوا على ادائها لا يخلون بها ولا
يشتغلون عنها بشيء من الشواغل كما روي عن النبي صلى الله عليه وسلم افضل العمل ادومه وان قل
وقول عائشة رضي الله عنها كان عمله ديمة ومحافظتهم عليها ان يراعوا اسباغ الوضوء لها ومواقيتها
ويقيموا اركانها ويكملوها بسننها وادابها ويحفظوها من الاحباط باقتراف المآثم فالدوام
يرجع الى نفس الصلوات والمحافظة الى احوالها حق معلوم هو الزكوة لانها مقدرة معلومة او
صدقة يوظفها الرجل على نفسه يؤديها في اوقات معلومة السائل الذي يسأل والمحروم
الذي يتعفف عن السؤال فيحسب غنيا فيحرم يصدقون بيوم الدين تصديقا باعمالهم واستعدادهم
له ويشفقون من عذاب ربهم واعترض بقوله ان عذاب ربهم غير مامون اي لا ينبغي لاحد وان بالغ
في الطاعة والاجتهاد ان يأمنه وينبغي ان يكون مترجحا بين الخوف والرجاء وقرئ بشهادتهم
وبشهاداتهم والشهادة من جملة الامانات وخصها من بينها ابانة لفضلها لان في اقامتها احياء
الحقوق وتصحيحها وفي زيها تضييعها وابطالها فمال الذين كفروا قبلك مهطعين عن اليمين
وعن الشمال عزين ايطمع كل امرئ منهم ان يدخل جنة نعيم كان المشركون يحتفون حول
النبي صلى الله عليه وسلم حلقا حلقا وفرقا فرقا يستمعون ويستهزئون بكلامه ويقولون ان دخل
هؤلاء الجنة كما يقول محمد فلندخلنها قبلهم فنزلت مهطعين مسرعين نحوك مادي اعناقهم اليك
مقبلين بابصارهم عليك عزين فرقا شتى جمع عزة واصلها عزوة كان كل فرقة تعتزي الى غير من تعتزي
اليه الاخرى فهم مفترقون قال الكميت ونحن وجندل باغ تركنا كتائب جندل شتى عزينا
وقيل كان المستهزئون خمسة ارهط كلا انا خلقناهم مما يعلمون فلا اقسم برب المشارق
والمغارب انا لقادرون على ان نبدل خيرا منهم وما نحن بمسبوقين فذرهم يخوضوا

وَيَلْعَبُوا حَتَّى يُلَاقُوا يَوْمَهُمُ الَّذِي يُوعَدُونَ ۝ كلا ردع لهم عن طمعهم في دخول الجنة ثم علل ذلك
بقوله تعالى انا خلقناهم مما يعلمون الى اخر السورة وهو كلام دال على انكارهم البعث فكانه قال
كلا انهم منكرون للبعث والجزاء فمن اين يطمعون في دخول الجنة فان قلت من اي وجه دل
هذا الكلام على انكار البعث قلت من حيث انه احتجاج عليهم بالنشأة الاولى كالاحتجاج بها عليهم
في مواضع من التنزيل وذلك قوله تعالى خلقناهم مما يعلمون اي من النطف وبالقدرة على ان
نهلكهم ونبدل ناسا خيرا منهم وانه ليس بمسبوق على ما يريد تكوينه لا يعجزه شيء والغرض
ان من قدر على ذلك لم يعجزه الاعادة ۝ ويجوز ان يراد انا خلقناهم مما يعلمون اي من النطفة
المذرة وهي منصبهم الذي لا منصب اوضع منه ولذلك ابهم واخفي اشعارا بانه منصب يستحيى
من ذكره فمن اين يتشرفون ويدعون التقدم ويقولون لندخلن الجنة قبلهم ۝ وقيل معناه انا
خلقناهم من نطفة كما خلقنا بني آدم كلهم ومن حكمنا ان لا يدخل احد منهم الجنة الا بالايمان
والعمل الصالح فلم يطمع ان يدخلها من ليس له ايمان وعمل وقرئ برب المشرق والمغرب ۝
يَوْمَ يَخْرُجُونَ مِنَ الْأَجْدَاثِ سِرَاعًا كَأَنَّهُمْ إِلَى نُصُبٍ يُوفِضُونَ خَاشِعَةً أَبْصَارُهُمْ تَرْهَقُهُمْ
ذِلَّةٌ ذَلِكَ الْيَوْمُ الَّذِي كَانُوا يُوعَدُونَ ۝ يُخرجون ويَخرجون ۝ ومن الاجداث سراعا بالا ظهار
والادغام ۝ ونُصْب ونُصُب وهو كل ما نصب فعبد من دون الله ۝ يوفضون يسرعون الى الداعي
مستبقين كما كانوا يستبقون الى انصابهم ۝ عن رسول الله صلى الله عليه وسلم من قرأ سورة سأل
سائل اعطاه الله ثواب الذين هم لاماناتهم وعهدهم راعون ۝ والله اعلم بالصواب ۝

بسم الله الرحمن الرحيم إِنَّا أَرْسَلْنَا نُوحًا إِلَى قَوْمِهِ أَنْ أَنْذِرْ قَوْمَكَ مِنْ قَبْلِ أَنْ يَأْتِيَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ
قَالَ يَا قَوْمِ إِنِّي لَكُمْ نَذِيرٌ مُبِينٌ ۝ أَنِ اعْبُدُوا اللَّهَ وَاتَّقُوهُ وَأَطِيعُونِ يَغْفِرْ لَكُمْ مِنْ ذُنُوبِكُمْ
وَيُؤَخِّرْكُمْ إِلَى أَجَلٍ مُسَمًّى إِنَّ أَجَلَ اللَّهِ إِذَا جَاءَ لَا يُؤَخَّرُ لَوْ كُنْتُمْ تَعْلَمُونَ ۝ ان انذر اصله بان انذر
فحذف الجار واوصل الفعل وهي ان الناصبة للفعل والمعنى ارسلناه بان قلنا له انذر اي ارسلنا
بالامر بالانذار ۝ ويجوز ان تكون مفسرة لان الارسال فيه معنى القول وقرأ ابن مسعود رضي الله
عنه انذر بغير ان على ارادة القول ۝ وان اعبدوا الله نحو ان انذر في الوجهين فان قلت
كيف قال ويؤخركم مع اخباره بامتناع تاخير الاجل وهل هذا الا تناقض قضى الله مثلا
ان قوم نوح عليه السلام ان آمنوا عمرهم الف سنة وان بقوا على كفرهم اهلكهم على راس تسعمائة
فقيل لهم آمنوا يؤخركم الى اجل مسمى اي الى وقت سماه الله عز وجل وضربه امدا تنتهون اليه لا
تتجاوزونه وهو الوقت الاطول تمام الالف ثم اخبر انه اذا جاء ذلك الاجل الامد لا يؤخر
كما يؤخر هذا الوقت ولم تكن لكم حيلة فبادروا في اوقات الامهال والتاخير قَالَ رَبِّ إِنِّي دَعَوْتُ
قَوْمِي لَيْلًا وَنَهَارًا فَلَمْ يَزِدْهُمْ دُعَائِي إِلَّا فِرَارًا ۝ وَإِنِّي كُلَّمَا دَعَوْتُهُمْ لِتَغْفِرَ لَهُمْ جَعَلُوا أَصَابِعَهُمْ
فِي آذَانِهِمْ وَاسْتَغْشَوْا ثِيَابَهُمْ وَأَصَرُّوا وَاسْتَكْبَرُوا اسْتِكْبَارًا ۝ ثُمَّ إِنِّي دَعَوْتُهُمْ جِهَارًا ۝ ثُمَّ إِنِّي
أَعْلَنْتُ لَهُمْ وَأَسْرَرْتُ لَهُمْ إِسْرَارًا ۝ ليلا ونهارا دائبا من غير فتور مستغرقا به الاوقات كلها ۝
فلم يزدهم دعائي جعل الدعاء فاعل زيادة الفرار والمعنى على انهم ازدادوا عنده فرارا لانه سبب

الزيادة ۝ ونحوه فزادتهم رجسا الى رجسهم ۝ فزادتهم ايمانا ۝ لتغفر لهم ليتوبوا عن كفرهم فتغفر لهم
فذكر المسبب الذي هو حظهم خالصا ليكون اقبح لاعراضهم عنه سدوا مسامعهم عن استماع الدعوة
واستغشوا ثيابهم وتغطوا بها كانهم طلبوا ان تغشاهم ثيابهم او تغشيهم لئلا يبصروه كراهة النظر
الى وجه من ينصحهم في دين الله ۝ وقيل لئلا يعرفهم ۝ ويعضده قوله تعالى الا انهم يثنون صدو رهم
ليستخفوا منه الا حين يستغشون ثيابهم ۝ الاصرار من اصر الحمار على العانة اذا صر اذنيه واقبل عليها
يكدمها ويطردها استعير للاقبال على المعاصي والاكباب عليها ۝ واستكبروا واخذتهم العزة من اتباع
نوح عليه السلام وطاعته وذكر المصدر تاكيد ودلالة على فرط استكبارهم وعتوهم فان قلت
ذكر انه دعاهم ليلا ونهارا ثم دعاهم جهارا ثم دعاهم في السر والعلن فيجب ان تكون ثلاث دعوات
مختلفات حتى يصح العطف قلت قد فعل عليه السلام كما يفعل الذي يامر بالمعروف وينهى عن
المنكر في الابتداء بالاهون والترقي في الاشد فالاشد فافتتح بالمناصحة في السر فلما لم يقبلوا ثنى
بالمجاهرة فلما لم تؤثر ثلث بالجمع بين الاسرار والاعلان ومعنى ثم الدلالة على تباعد الاحوال لان
الجهار اغلظ من الاسرار والجمع بين الامرين اغلظ من افراد احدهما وجهارا منصوب بدعوتهم نصب
المصدر لان الدعاء احد نوعيه الجهار فنصب به نصب القرفصاء بقعد لكونها احد انواع القعود
او لانه اراد بدعوتهم جاهرتهم ۝ ويجوز ان يكون صفة لمصدر دعا بمعنى دعاء جهارا اي مجاهرا
به او مصدرا في موضع الحال اي مجاهرا فَقُلْتُ اسْتَغْفِرُوا رَبَّكُمْ إِنَّهُ كَانَ غَفَّارًا ۝ يُرْسِلِ السَّمَاءَ
عَلَيْكُمْ مِدْرَارًا ۝ وَيُمْدِدْكُمْ بِأَمْوَالٍ وَبَنِينَ وَيَجْعَلْ لَكُمْ جَنَّاتٍ وَيَجْعَلْ لَكُمْ أَنْهَارًا ۝ مَا لَكُمْ
لَا تَرْجُونَ لِلَّهِ وَقَارًا ۝ وَقَدْ خَلَقَكُمْ أَطْوَارًا ۝ امرهم بالاستغفار الذي هو التوبة عن الكفر والمعاصي
وقدم اليهم الموعد بما هو اوقع في نفوسهم واحب اليهم من المنافع الحاضرة والفوائد العاجلة ترغيبا
في الايمان وبركاته والطاعة ونتائجها من خير الدارين كما قال الله تعالى واخرى تحبونها نصر من
الله ۝ ولو ان اهل القرى آمنوا واتقوا لفتحنا عليهم بركات ۝ ولو انهم اقاموا التوراة والانجيل
وما انزل اليهم من ربهم لاكلوا من فوقهم ۝ وان لو استقاموا على الطريقة لاسقيناهم ۝ وقيل لما
كذبوه بعد طول تكرير الدعوة حبس الله عنهم القطر واعقم ارحام نسائهم اربعين سنة ۝ وروي
سبعين فوعدهم انهم ان آمنوا رزقهم الله الخصب ودفع عنهم ما كانوا فيه ۝ وعن عمر رضي الله عنه انه
خرج يستسقي فما زاد على الاستغفار فقيل له ما رايناك استسقيت فقال لقد استسقيت بمجاديح السماء
التي يستنزل بها المطر شبه الاستغفار بالانواء الصادقة التي لا تخطئ ۝ وعن الحسن رحمة الله عليه ان
رجلا شكا اليه الجدب فقال استغفر الله ۝ وشكا اليه آخر الفقر وآخر قلة النسل ۝ وآخر قلة ريع ار ضه
فامرهم كلهم بالاستغفار فقال له الربيع بن صبيح اتاك رجال يشكون ابوابا ويسألون انواعا فامرتهم
كلهم بالاستغفار فتلا له هذه الآية ۝ والسماء المظلة لان المطر منها ينزل الى السحاب ۝ ويجوز ان يراد
السحاب او المطر من قوله ۝ اذا نزل السماء بارض قوم ۝ والمدرار الكثير الدرور ومفعال مما يستوي
فيه المذكر والمؤنث كقولهم رجل او امراة معطار ومتفال ۝ جنات بساتين ۝ لا ترجون لله وقارا لا تأملون
له توقيرا اي تعظيما والمعنى ما لكم لا تكونون على حال تاملون فيها تعظيم الله اياكم في دار الثواب
ولله بيان للموقر ولو تاخر لكان صلة للوقار ۝ وقوله تعالى وقد خلقكم اطوارا في موضع الحال كانه قال ما لكم
لا تؤمنون بالله والحال هذه وهي حال موجبة للايمان به لانه خلقكم اطوارا اي تارات خلقكم اولا ۝

ترابا ثم خلقكم نطفا ثم خلقكم علقا ثم خلقكم مضغا ثم خلقكم عظاما ولحما ثم انشأكم خلقا اخر • او لا تخافون لله حلما وترك معاجلة بالعقاب فتؤمنوا • وقيل ما لكم لا تخافون لله عظمة • وعن ابن عباس رضي الله عنهما لا تخافون لله عاقبة لان العاقبة حال استقرار الامور وثبات الثواب والعقاب من وقر اذا ثبت واستقر • الم تروا كيف خلق الله سبع سموات طباقا وجعل القمر فيهن نورا وجعل الشمس سراجا • نبههم على النظر في انفسهم اولا لانها اقرب منظور فيه منهم ثم على النظر في العالم وما سوى فيه من العجائب الشاهدة على الصانع الباهر قدرته وعلمه من السموات والارض والشمس والقمر • فيهن في السموات وهو في السماء الدنيا لان بين السموات ملابسة من حيث انها طباق فجاز ان يقال فيهن كذا وان لم يكن في جميعهن كما يقال في المدينة كذا وهو في بعض نواحيها • وعن ابن عباس وابن عمر رضي الله عنهم ان الشمس والقمر وجوههما مما يلي السماء وظهورهما مما يلي الارض • وجعل الشمس سراجا يبصر اهل الدنيا في ضوئها كما يبصر اهل البيت في ضوء السراج ما يحتاجون الى ابصاره والقمر ليس كذلك انما هو نور لم يبلغ قوة ضياء الشمس ومثله قوله عز وجل هو الذي جعل الشمس ضياء والقمر نورا والضياء اقوى من النور • والله انبتكم من الارض نباتا ثم يعيدكم فيها ويخرجكم اخراجا • والله جعل لكم الارض بساطا لتسلكوا منها سبلا فجاجا • استعير الانبات للانشاء كما يقال زرعك الله للخير وكانت هذه الاستعارة ادل على الحدوث لانهم اذا كانوا نباتا كانوا محدثين لا محالة حدوث النبات • ومنه قيل للحشوية النابتة والنوابت لحدوث مذهبهم في الاسلام من غير اولية لهم فيه • ومنه قولهم نجم فلان لبعض المارقة • والمعنى انبتكم فنبتم نباتا • او نصب بانبتكم لتضمنه معنى نبتم • ثم يعيدكم فيها مقبورين ثم يخرجكم يوم القيمة واكده بالمصدر كانه قال يخرجكم حقا ولا محالة • جعلها بساطا مبسوطة تتقلبون عليها كما يتقلب الرجل على بساطه • فجاجا واسعة منفجة • قال نوح رب انهم عصوني واتبعوا من لم يزده ماله وولده الا خسارا • ومكروا مكرا كبارا • واتبعوا رؤسهم المقدمين اصحاب الاموال والاولاد وارتسموا ما رسموا لهم من التمسك بعبادة الاصنام وجعل اموالهم واولادهم التي لم تزدهم الا وجاهة ومنفعة في الدنيا زائدة خسارا في الاخرة واجرى ذلك مجرى صفة لازمة لهم وسمة يعرفون بها تحقيقا له وتثبيتا وابطالا لما سواه • وقرئ وولده وولده بضم الواو وكسرها • ومكروا معطوف على لم يزده وجمع الضمير وهو راجع الى من لانه في معنى الجمع والماكرون هم الرؤساء ومكرهم احتيالهم في الدين وكيدهم لنوح عليه السلام وتحريش الناس على اذاه وصدهم عن الميل اليه والاستماع منه وقولهم لهم لا تذرن الهتكم الى عبادة رب نوح • مكرا كبارا قرئ بالتخفيف والتثقيل والكبار اكبر من الكبير والكبار اكبر من الكبار ونحوه طوال وطوال • وقالوا لا تذرن الهتكم ولا تذرن ودا ولا سواعا ولا يغوث ويعوق ونسرا وقد اضلوا كثيرا ولا تزد الظالمين الا ضلالا • ولا تذرن ودا كان هذه المسماة كانت اكبر اصنامهم واعظمها عندهم فخصوها بعد قولهم لا تذرن الهتكم وقد انتقلت هذه الاصنام عن قوم نوح عليه السلام الى العرب فكان ود لكلب • وسواع لهمدان ويغوث لمذحج • ويعوق لمراد • ونسر لحمير ولذلك سمت العرب بعبد ود وعبد يغوث • وقيل اسماء رجال صالحين وقيل من اولاد ادم عليه السلام ماتوا فقال ابليس لمن بعدهم لو صورتم صورهم فكنتم تنظرون اليهم ففعلوا فلما مات اولئك قال لمن بعدهم انهم كانوا يعبدونهم فعبدوهم • وقيل كان ود على صورة رجل • وسواع على صورة امراة • ويغوث على صورة اسد • ويعوق على صورة فرس • ونسر على صورة نسر

وقرئ

وقرئ ودا بضم الواو • وقرأ الاعمش ولا يغوثا ويعوقا بالصرف وهذه قراءة مشكلة لانهما ان كانا عربيين او عجميين ففيهما سببا منع الصرف اما التعريف ووزن الفعل واما التعريف والعجمة ولعله قصد الازدواج فصرفهما لمصادفته اخواتهما منصرفات ودا وسواعا ونسرا كما قرئ وضحاها بالامالة لوقوعه مع الممالات للازدواج • وقد اضلوا الضمير للرؤساء ومعناه وقد اضلوا كثيرا قبل هؤلاء الموصين بان يتمسكوا بعبادة الاصنام ليسوا باول من اضلوهم • او وقد اضلوا باضلالهم كثيرا يعني ان هؤلاء المضلين فيهم كثرة ويجوز ان يكون للاصنام كقوله تعالى انهن اضللن كثيرا من الناس • فان قلت علام عطف قوله ولا تزد الظالمين • قلت على قوله تعالى رب انهم عصوني على حكاية كلام نوح عليه السلام بعد قال وبعد الواو النائبة عنه ومعناه قال رب انهم عصوني وقال ولا تزد الظالمين الا ضلالا اي قال هذين القولين وهما في محل النصب لانهما مفعولا قال كقولك قال زيد نودي للصلوة وصل في المسجد تحكي قوليه معطوفا احدهما على صاحبه • فان قلت كيف جاز ان يريد لهم الضلال ويدعو الله تعالى بزيادته • قلت المراد بالضلال ان يخذلوا ويمنعوا الالطاف لتصميمهم على الكفر ووقوع الياس من ايمانهم وذلك حسن جميل يجوز الدعاء به بل لا يحسن الدعاء بخلافه • ويجوز ان يريد بالضلال الضياع والهلاك كقوله تعالى ولا تزد الظالمين الا تبارا • مما خطيئاتهم اغرقوا فادخلوا نارا فلم يجدوا لهم من دون الله انصارا • تقديم مما خطيئاتهم لبيان ان لم يكن اغراقهم بالطوفان فادخالهم النار الا من اجل خطيئاتهم واكد هذا المعنى بزيادة ما • وفي قراءة ابن مسعود رضي الله عنه من خطيئاتهم ما اغرقوا وبالحري الصلة وكفى بها مزجرة لمرتكب الخطايا فان كفر قوم نوح عليه السلام كان واحدة من خطيئاتهم وان كانت كبراهن وقد نعيت عليهم سائر خطيئاتهم كما نعي عليهم كفرهم ولم يفرق بينه وبينهن في استيجاب العذاب لئلا يتكل المسلم الخاطئ على سلامته ويعلم ان معه ما يستوجب به العذاب وان خلا من خطيئة الكبرى • وقرئ خطيئاتهم بالهمز • وخطياتهم بقلبها ياء وادغامها • وخطاياهم • وخطيئتهم بالتوحيد على ارادة الجنس • ويجوز ان يراد الكفر • فادخلوا نارا جعل دخولهم النار في الاخرة كانه متعقب لاغراقهم لاقترابه ولانه كائن لا محالة فكانه قد كان • او اريد عذاب القبر • ومن مات في ماء او في نار او اكلته السباع والطير اصابه ما يصيب المقبور من العذاب • وعن الضحاك كانوا يغرقون من جانب ويحرقون من جانب • وتنكير النار اما لتعظيمها • او لان الله عز وجل اعد لهم على حسب خطيئاتهم نوعا من النار • فلم يجدوا لهم من دون الله انصارا تعريض باتخاذهم الهة من دون الله وانها غير قادرة على نصرهم وتهكم بهم كانه قال فلم يجدوا لهم من دون الله الهة ينصرونهم ويمنعونهم من عذاب الله كقوله تعالى ام لهم الهة تمنعهم من دوننا • وقال نوح رب لا تذر على الارض من الكافرين ديارا انك ان تذرهم يضلوا عبادك ولا يلدوا الا فاجرا كفارا • ديارا من الاسماء المستعملة في النفي العام يقال ما بالدار ديار وديور كقيام وقيوم وهو فيعال من الدور او من الدار اصله ديوار ففعل به ما فعل باصل سيد وميت ولو كان فعالا لكان دوارا • فان قلت بم علم ان اولادهم يكفرون وكيف وصفهم بالكفر عند الولادة • قلت لبث فيهم الف سنة الا خمسين عاما فذاقهم واكلهم وعرف طباعهم واحوالهم وكان الرجل منهم ينطلق بابنه اليه ويقول احذر هذا فانه كذاب وان ابي حذرنيه فيموت الكبير وينشأ الصغير على ذلك • وقد اخبره الله عز وجل انه لن يؤمن من قومك الا من قد امن • ومعنى لا يلدوا الا فاجرا كفارا لا يلدوا الا من سيفجر ويكفر فوصفهم بما يصيرون اليه كقوله صلى الله عليه وسلم من

قتل قتيلا فله سلبه ﴿رب اغفر لي ولوالديّ ولمن دخل بيتي مؤمنا وللمؤمنين والمؤمنات ولا تزد الظالمين إلا تبارا﴾ ولوالديّ أبو ملك بن متوشلخ وأمه شمخا بنت أنوش كانا مؤمنين وقيل هما آدم وحواء عليهما السلام وقرأ أمير المؤمنين الحسين بن علي رضي الله عنهما ولولديّ يريد ساما وحاما بيتي منزلي وقيل مسجدي وقيل سفينتي خص أولا من يتصل به لأنهم أولى وأحق بدعائه ثم عم المؤمنين والمؤمنات تبارا هلاكا فإن قلت ما فعل صبيانهم حين أغرقوا قلت غرقوا معهم لا على وجه العقاب ولكن كما يموتون بالأنواع من أسباب الهلاك وكم منهم من يموتون بالغرق والحرق وكان ذلك زيادة في عذاب الآباء والأمهات إذا أبصروا أطفالهم يغرقون ومنه قوله صلى الله عليه وسلم يهلكون مهلكا واحدا ويصدرون مصادر شتى وعن الحسن رحمة الله عليه أنه سئل عن ذلك فقال علم الله براءتهم فأهلكهم بغير عذاب وقيل أعقم الله تعالى أرحام نسائهم وأيبس أصلاب رجالهم قبل الطوفان بأربعين أو سبعين سنة فلم يكن معهم صبي حين أغرقوا عن رسول الله عليه السلام من قرأ سورة نوح عليه السلام كان من المؤمنين الذين تدركهم دعوة نوح عليه السلام

بسم الله الرحمن الرحيم ﴿قل أوحي إلي أنه استمع نفر من الجن فقالوا إنا سمعنا قرآنا عجبا يهدي إلى الرشد فآمنا به ولن نشرك بربنا أحدا وأنه تعالى جد ربنا ما اتخذ صاحبة ولا ولدا﴾ قرئ أحي وأصله وحي يقال أوحى إليه ووحى إليه فقلبت الواو همزة كما يقال أعد وأزن وإذا الرسل أقتت وهو من القلب المطلق جوازه في كل واو مضمومة وقد أطلقه المازني في المكسورة أيضا كإشاح وإسادة وإعاء أخيه وقرأ ابن أبي عبلة وحي على الأصل أنه استمع بالفتح لأنه فاعل أوحي وإنا سمعنا بالكسر لأنه مبتدأ محكي بعد القول ثم تحمل عليهما البواقي فما كان من الوحي فتح وما كان من قول الجن كسر وكلهن من قولهم إلا الثنتين الأخريين وأن المساجد لله وأنه لما قام ومن فتح كلهن فعطفا على محل الجار والمجرور في آمنا به كأنه قيل صدقناه وصدقنا أنه تعالى جد ربنا وأنه كان يقول سفيهنا وكذلك البواقي نفر من الجن جماعة منهم ما بين الثلاثة إلى العشرة وقيل كانوا من الشيصبان وهم أكثر الجن عددا وعامة جنود إبليس منهم قالوا إنا سمعنا أي قالوا لقومهم حين رجعوا إليهم كقوله تعالى فلما قضي ولوا إلى قومهم منذرين قالوا إنا سمعنا قرآنا كتابا عجبا بديعا مباينا لسائر الكتب في حسن نظمه وصحة معانيه قائمة فيه دلائل الإعجاز وعجب مصدر يوضع موضع العجيب وفيه مبالغة وهو ما خرج عن حد أشكاله ونظائره يهدي إلى الرشد يدعو إلى الصواب وقيل إلى التوحيد والإيمان الضمير في به للقرآن ولما كان الإيمان به إيمانا بالله عز وجل وبوحدانيته وبراءة من الشرك قالوا ولن نشرك بربنا أحدا أي ولن نعود إلى ما كنا عليه من الإشراك به في طاعة الشيطان ويجوز أن يكون الضمير لله عز وجل لأن قوله تعالى بربنا يفسره جد ربنا عظمته من قولك جد فلان في عيني أي عظم وفي حديث عمر رضي الله عنه كان الرجل منا إذا قرأ البقرة وآل عمران جد فينا وروي في أعيننا أو ملكه وسلطانه أو غناه استعارة من الجد الذي هو الدولة والبخت لأن الملوك والأغنياء هم المجدودون والمعنى وصفه بالتعالي عن الصاحبة والولد لعظمته أو لسلطانه وملكوته أو لغناه وقوله ما اتخذ صاحبة ولا ولدا بيان لذلك وقرئ جدا ربنا على التمييز وجد ربنا بالكسر أي صدق ربوبيته وحق إلهيته عن اتخاذ الصاحبة والولد وذلك

أنهم

أنهم لما سمعوا القرآن ووفقوا للتوحيد والإيمان تنبهوا على الخطأ فيما اعتقده كفرة الجن من تشبيه الله خلقه واتخاذه صاحبة وولدا فاستعظموه ونزهوه عنه ﴿وأنه كان يقول سفيهنا على الله شططا وأنا ظننا أن لن تقول الإنس والجن على الله كذبا وأنه كان رجال من الإنس يعوذون برجال من الجن فزادوهم رهقا﴾ سفيههم إبليس عليه اللعنة أو غيره من مردة الجن والشطط مجاوزة الحد في الظلم وغيره ومنه أشط في السوم إذا أبعد فيه أي يقول قولا هو في نفسه شطط لفرط ما شط فيه وهو نسبة الصاحبة والولد إلى الله تعالى وكان في ظننا أن أحدا من الثقلين لن يكذب على الله ولن يفتري عليه ما ليس بحق فكنا نصدقهم فيما أضافوا إليه من ذلك حتى تبين لنا بالقرآن كذبهم وافتراؤهم كذبا قولا كذبا أي مكذوبا أو نصب نصب المصدر لأن الكذب نوع من القول ومن قرأ أن لن تقوّل وضع كذبا موضع تقولا ولم يجعله صفة لأن التقول لا يكون إلا كذبا الرهق غشيان المحارم والمعنى أن الإنس باستعاذتهم بهم زادوهم كبرا وكفرا وذلك أن الرجل من العرب كان إذا أمسى في واد قفر في بعض مسايره وخاف على نفسه قال أعوذ بسيد هذا الوادي من سفهاء قومه يريد الجن وكبيرهم فإذا سمعوا بذلك استكبروا وقالوا سدنا الجن والإنس فذلك رهقهم أو فزاد الجن الإنس رهقا بإضلالهم (غوايتهم) وإضلالهم لاستعاذتهم بهم ﴿وأنهم ظنوا كما ظننتم أن لن يبعث الله أحدا وأنا لمسنا السماء فوجدناها ملئت حرسا شديدا وشهبا﴾ وأنهم وأن الإنس ظنوا كما ظننتم وهو من كلام الجن يقوله بعضهم لبعض وقيل الآيتان من جملة الوحي والضمير في وأنهم ظنوا للجن والخطاب في ظننتم لكفار قريش اللمس مستعار للطلب لأن الماس طالب متعرف قال

مسسنا من الآباء شيئا وكلنا ... إلى نسب في قومه غير واضع

يقال لمسه والتمسه وتلمسه كطلبه واطلبه وتطلبه ونحوه الجس وقولهم جسوه بأعينهم وتجسسوه والمعنى طلبنا بلوغ السماء واستماع كلام أهلها والحرس اسم مفرد في معنى الحراس كالخدم في معنى الخدام ولذلك وصف بشديد ولو ذهب إلى معناه لقيل شدادا ونحوه أخشى رجيلا أو ركيبا عاديا لأن الرجل والركب مفردان في معنى الرجال والركاب ﴿وأنا كنا نقعد منها مقاعد للسمع فمن يستمع الآن يجد له شهابا رصدا وأنا لا ندري أشر أريد بمن في الأرض أم أراد بهم ربهم رشدا﴾ والرصد مثل الحرس اسم جمع للراصد على معنى ذوي شهاب راصدين بالرجم وهم الملائكة الذين يرجمونهم بالشهب ويمنعونهم من الاستماع ويجوز أن يكون صفة للشهاب بمعنى الراصد أو كقوله ومعا جياعا يعني يجد شهابا راصدا له ولأجله فإن قلت كان الرجم لم يكن في الجاهلية وقد قال الله تعالى ولقد زينا السماء الدنيا بمصابيح وجعلناها رجوما للشياطين فذكر فائدتين في خلق الكواكب التزيين ورجم الشياطين قلت قال بعضهم حدث بعد مبعث رسول الله صلى الله عليه وسلم وهو إحدى آياته والصحيح أنه كان قبل المبعث وقد جاء ذكره في شعر أهل الجاهلية قال بشر بن أبي خازم

والعير يرهقها الغبار وجحشها ... ينقض خلفهما انقضاض الكوكب

وقال أوس بن حجر

فانقض كالدري يتبعه ... نقع يثور تخاله طنبا

وقال عوف بن الخرع

يرد علينا العير من دون إلفه ... أو الثور كالدري يتبعه الدم

ولكن الشياطين كانت تسترق في بعض الأحوال فلما بعث رسول الله صلى الله عليه وسلم كثر الرجم وزاد زيادة ظاهرة حتى تنبه لها الإنس والجن ومنع الاستراق أصلا وعن معمر قلت للزهري أكان يرمى بالنجوم في الجاهلية قال نعم

قلت ارأيت قوله تعالى وانا كنا نقعد فقال غلظت وشدد امرها حين بعث النبي صلى الله عليه وسلم • وروى
الزهري عن علي بن الحسين عن ابن عباس رضي الله عنهم بينا رسول الله عليه السلام جالس في نفر من الانصار
اذ رمي بنجم فاستنار فقال ما كنتم تقولون في مثل هذا في الجاهلية فقالوا كنا نقول يموت عظيم او يولد
عظيم • وفي قوله ملئت دليل على ان الحادث هو الملء والكثرة وكذلك قوله تعالى نقعد منها مقاعد اي
كنا نجد فيها بعض المقاعد خالية من الحرس والشهب والآن ملئت المقاعد كلها وهذا ذكر ما حملهم على الضرب
في البلاد حتى عثروا على رسول الله عليه السلام واستمعوا قراءته يقولون لما حدث هذا الحادث من كثرة
الرجم ومنع الاستراق قلنا ما هذا الا لامر اراده الله باهل الارض ولا يخلو من ان يكون شرا
او رشدا اي خيرا من عذاب او رحمة او من خذلان او توفيق وانا منا الصالحون ومنا دون ذلك كنا
طرائق قددا • وانا ظننا ان لن نعجز الله في الارض ولن نعجزه هربا • منا الصالحون الابرار
المتقون ومنا دون ذلك ومنا قوم دون ذلك فحذف الموصوف كقوله تعالى وما منا الا له مقام
معلوم وهم المقتصدون في الصلاح غير الكاملين فيه • او اراد غير الصالحين كنا طرائق قددا بيانا
للقسمة المذكورة اي كنا ذوي مذاهب متفرقة مختلفة او كنا في اختلاف احوالنا مثل الطرائق المختلفة
او كنا في طرائق مختلفة كقوله كما عسل الطريق الثعلب • او كانت طرائقنا طرائق قددا على حذف
المضاف الذي هو الطرائق واقامة الضمير المضاف اليه مقامه والقدة من قد كالقطعة من
قطع ووصفت الطرائق بالقدد لدلالتها على معنى التقطع والتفرق • في الارض وهربا حالان اي
لن نعجزه كائنين في الارض اينما كنا فيها ولن نعجزه هاربين منها الى السماء • وقيل لن نعجزه في الارض
ان اراد بنا امرا ولن نعجزه هربا ان طلبنا والظن بمعنى اليقين وهذه صفة احوال الجن وما هم
عليه من احوالهم وعقائدهم منهم اخيار واشرار ومقتصدون وانهم يعتقدون ان الله تعالى عزيز
غالب لا يفوته مطلب ولا ينجي عنه مهرب • وانا لما سمعنا الهدى آمنا به فمن يؤمن بربه فلا يخاف
بخسا ولا رهقا • لما سمعنا الهدى هو سماعهم القرآن وايمانهم به • فلا يخاف فهو لا يخاف اي فهو غير
خائف ولان الكلام في تقدير مبتدأ وخبر دخلت الفاء ولولا ذاك لقيل لا يخف • فان قلت
اي فائدة في رفع الفعل وتقدير مبتدأ قبله حتى يقع خبرا له ووجوب ادخال الفاء وكان ذلك كله
مستغنى عنه بان يقال لا يخف • قلت الفائدة فيه انه اذا فعل ذلك فكانه قيل فهو لا يخاف
فكان دالا على تحقيق ان المؤمن ناج لا محالة وانه هو المختص بذلك دون غيره • وقرأ الاعمش فلا
يخف على النهي بخسا ولا رهقا اي جزاء بخس ولا رهق لانه لم يبخس احدا حقا ولا رهق ظلم احد فلا
يخاف جزاءهما • وفيه دلالة على ان من حق من آمن بالله ان يجتنب المظالم • ومنه قوله صلى الله عليه
وسلم المؤمن من امنه الناس على انفسهم ودمائهم واموالهم • ويجوز ان يراد فلا يخاف ان يبخس بل
يجزى الجزاء الاوفى ولا ان ترهقه ذلة من قوله سبحانه وتعالى ترهقهم ذلة • وانا منا المسلمون
ومنا القاسطون فمن اسلم فاولئك تحروا رشدا • واما القاسطون فكانوا لجهنم حطبا •
القاسطون الكافرون الجائرون عن طريق الحق • وعن سعيد بن جبير رضي الله عنه ان الحجاج قال له حين
اراد قتله ما تقول في قال قاسط عادل فقال القوم ما احسن ما قال حسبوا انه يصفه بالقسط
والعدل فقال الحجاج يا جهلة انه سماني ظالما مشركا وتلا لهم قوله تعالى واما القاسطون وقوله
تعالى ثم الذين كفروا بربهم يعدلون وقد زعم من لا يرى للجن ثوابا ان الله تعالى اوعد قاسطيهم وما

وعد

وعد مسلميهم وكفى به وعدا ان قال فاولئك تحروا رشدا فذكر سبب الثواب وموجبه والله اعدل من ان يعاقب
القاسط ولا يثيب الراشد • وان لو استقاموا على الطريقة لاسقيناهم ماء غدقا لنفتنهم فيه ومن يعرض
عن ذكر ربه يسلكه عذابا صعدا • وان لو استقاموا ان مخففة من الثقيلة وهو من جملة الموحى والمعنى
واوحي الي ان الشأن والحديث لو استقام الجن على الطريقة المثلى اي لو ثبت ابوهم الجان على ما كان
عليه من عبادة الله والطاعة ولم يستكبر عن السجود لآدم عليه السلام ولم يكفر وتبعه ولده على الاسلام
لانعمنا عليهم ولوسعنا رزقهم وذكر الماء الغدق وهو الكثير بفتح الدال وكسرها وقرئ بهما لانه
اصل المعاش وسعة الرزق لنفتنهم فيه لنختبرهم فيه كيف يشكرون ما خولوا منه • ويجوز ان يكون
معناه وان لو استقام الجن الذين استمعوا على طريقتهم التي كانوا عليها قبل الاستماع ولم ينتقلوا عنها
الى الاسلام لوسعنا عليهم الرزق مستدرجين لهم لنفتنهم فيه لتكون النعمة سببا في اتباعهم شهواتهم
ووقوعهم في الفتنة وازديادهم اثما ولنعذبهم في كفران النعمة • عن ذكر ربه عن عبادته او عن موعظته
او عن وحيه • يسلكه وقرئ بالنون مفتوحة ومضمومة اي ندخله عذابا والاصل يسلكه في عذاب
كقوله تعالى ما سلككم في سقر فعدي الى مفعولين اما بحذف الجار وايصال الفعل كقوله تعالى واختار موسى
قومه • واما بتضمينه معنى ندخله يقال سلكه واسلكه قال حتى اذا اسلكوهم في قتائدة •
والصعد مصدر يقال صعد صعدا وصعودا فوصف به العذاب لانه يتصعد المعذب اي يعلوه ويغلبه
فلا يطيقه • ومنه قول عمر رضي الله عنه ما تصعدني شيء ما تصعدتني خطبة النكاح يريد ما شق علي ولا غلبني
وان المساجد لله فلا تدعوا مع الله احدا • وان المساجد من جملة الموحى • وقيل معناه ولان المساجد
لله فلا تدعوا على ان اللام متعلقة بلا تدعوا اي فلا تدعوا مع الله احدا في المساجد لانها لله خاصة
ولعبادته • وعن الحسن رحمه الله يعني الارض كلها لانها جعلت للنبي عليه السلام مسجدا • وقيل المراد
بها المسجد الحرام لانه قبلة المساجد • ومنه قوله عز وجل ومن اظلم ممن منع مساجد الله ان يذكر فيها
اسمه • وعن قتادة كان اليهود لعنهم الله والنصارى اذا دخلوا بيعهم وكنائسهم اشركوا بالله فامرنا
ان نخلص لله الدعوة اذا دخلنا المساجد • وقيل المساجد اعضاء السجود السبعة قال رسول الله عليه
السلام امرت ان اسجد على سبعة آراب وهي الجبهة والانف واليدان والركبتان والقدمان • وقيل
هي جمع مسجد وهو السجود وانه لما قام عبد الله يدعوه كادوا يكونون عليه لبدا • عبد الله النبي
صلى الله عليه وسلم • فان قلت هلا قيل رسول الله عليه السلام او النبي • قلت لان تقديره
واوحي الي انه لما قام عبد الله فلما كان واقعا في كلام رسول الله عليه السلام عن نفسه جيء به على ما يقتضيه
التواضع والتذلل • او لان المعنى ان عبادة عبد الله ليست بامر مستبعد عن العقل ولا مستنكر
حتى يكونوا عليه لبدا • ومعنى قام يدعوه قام يعبده يريد قيامه لصلاة الفجر بنخلة حين اتاه الجن
فاستمعوا القراءة • كادوا يكونون عليه لبدا اي يزدحمون عليه متراكبين تعجبا مما رأوا من عبادته
واقتداء اصحابه قائما وراكعا وساجدا واعجابا بما تلا من القرآن لانهم رأوا ما لم يروا مثله وسمعوا بما لم او
يسمعوا بنظيره • وقيل معناه لما قام رسولا يعبد الله وحده مخالفا المشركين في عبادتهم الآلهة من
دونه كاد المشركون لتظاهرهم عليه وتعاونهم على عداوته يزدحمون عليه متراكبين لبدا جمع لبدة وهي
ما تلبد بعضه على بعض ومنها لبدة الاسد وقرئ لبدا واللبدة في معنى اللبدة • ولبدا جمع لابد
كساجد وسجد • ولبدا بضمتين جمع لبود كصبور وصبر • وعن قتادة تلبدت الانس والجن على هذا الامر

ليطفئوه فأبى الله الا ان ينصره ويظهره على من ناواه ومن قرأ وانه بالكسر جعله من كلام الجن قالوه لقومهم حين
رجعوا اليهم حاكين ما رأوا من صلوته وازدحام اصحابه عليه في ائتمامهم به قال انما ادعو ربي ولا اشرك
به احدا قل اني لا املك لكم ضرا ولا رشدا قال للمتظاهرين عليه انما ادعو ربي يريد ما اتيتكم
بامر منكر انما اعبد ربي وحده ولا اشرك به احدا وليس ذلك مما يوجب اطباقكم على مقتي وعداوتي او قال
للجن عند ازدحامهم متعجبين ليس ما ترون من عبادتي الله ورفضي الاشراك به بامر يتعجب منه انما يتعجب ممن يدعو
غير الله ويجعل له شريكا او قال الجن لقومهم ذلك حكاية عن رسول الله صلى الله عليه وسلم ولا رشدا ولا
نفعا او اراد بالضر الغي ويدل عليه قراءة ابي رضي الله عنه غيا ولا رشدا والمعنى لا استطيع ان اضركم وان
انفعكم انما الضار والنافع الله او لا استطيع ان اقسركم على الغي والرشد انما القادر على ذلك الله عز وجل
الا بلاغا استثناء منه اي لا املك الا بلاغا من الله قل اني لن يجيرني من الله احد ولن اجد من دونه ملتحدا
الا بلاغا من الله ورسالاته ومن يعص الله ورسوله فان له نار جهنم خالدين فيها ابدا وقل
اني لن يجيرني جملة معترضة اعترض بها لتأكيد نفي الاستطاعة عن نفسه وبيان عجزه على معنى ان الله تعالى
ان اراد به سوءا من مرض او موت او غيرهما لم يصح ان يجيره منه احد او يجد من دونه ملاذا يأوي اليه والملتحد
الملتجأ واصله المفتعل من اللحد وقيل محيصا ومعدلا وقرئ قال لا املك اي قال عبد الله للمشركين او
للجن ويجوز ان يكون من حكاية الجن لقومهم وقيل بلاغا بدل من ملتحدا اي لن اجد من دونه منجا الا ان
ابلغ عنه ما ارسلني به وقيل الا هي ان لا ومعناه ان لا ابلغ بلاغا كقولك ان لا قياما فقعودا ورسالاته عطف
على بلاغا كانه قيل لا املك لكم الا التبليغ والرسالات والمعنى الا ان ابلغ عن الله فاقول قال الله كذا ناسبا
لقوله اليه وان ابلغ رسالاته التي ارسلني بها من غير زيادة ولا نقصان فان قلت الا يقال بلغ عنه
ومنه قوله عليه السلام بلغوا عني من ليست بصلة للتبليغ انما هي بمنزلة من في قوله براءة من الله بمعنى
بلاغا كائنا من الله وقرئ فان له نار جهنم على فجزاؤه ان له نار جهنم كقوله تعالى فان لله خمسه اي فحكمه
ان لله خمسه وقال خالدين حملا على معنى الجمع في من حتى اذا راوا ما يوعدون فسيعلمون من اضعف ناصرا
واقل عددا فان قلت بم تعلق حتى وجعل ما بعده غاية له قلت بقوله يكونون عليه لبدا
على انهم يتظاهرون عليه بالعداوة ويستضعفون انصاره ويستقلون عدده حتى اذا راوا ما يوعدون
من يوم بدر واظهار الله تعالى له عليهم او من يوم القيمة فسيعلمون حينئذ انهم اضعف ناصرا واقل عددا
ويجوز ان يتعلق بمحذوف دلت عليه الحال من استضعاف الكفار له واستقلالهم لعدده كانه قال لا
يزالون على ما هم عليه حتى اذا راوا ما يوعدون قل ان ادري اقريب ما توعدون ام يجعل له ربي
امدا عالم الغيب فلا يظهر على غيبه احدا الا من ارتضى من رسول قال المشركون متى يكون
هذا الموعود انكارا له فقيل قل انه كائن لا ريب فيه فلا تنكروه فان الله قد وعد ذلك وهو لا يخلف
الميعاد واما وقته فلا ادري متى يكون لان الله عز وجل لم يبينه لما راى في اخفاء وقته من المصلحة
فان قلت ما معنى قوله تعالى ام يجعل له ربي امدا والامد يكون قريبا وبعيدا الا ترى الى قوله
عز وعلا تود لو ان بينها وبينه امدا بعيدا قلت كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يستقرب
الموعد فكانه قال ما ادري اهو حال متوقع في كل ساعة ام مؤجل ضربت له غاية اي عالم الغيب
فلا يظهر فلا يطلع ومن رسول تبيين لمن ارتضى يعني انه لا يطلع على الغيب الا المرتضى الذي هو مصطفى
للنبوة خاصة لا كل مرتضى وفي هذا ابطال الكرامات لان الذين تضاف اليهم وان كانوا اولياء مرتضين

فليسوا

فليسوا برسل وقد خص الله تعالى الرسل من بين المرتضين بالاطلاع على الغيب وابطال الكهانة والتنجيم
لان اصحابهما ابعد شيء من الارتضاء وادخله في السخط فانه يسلك من بين يديه ومن خلفه رصدا ليعلم
ان قد ابلغوا رسالات ربهم واحاط بما لديهم واحصى كل شيء عددا فانه يسلك من بين يدي من
ارتضى للرسالة ومن خلفه رصدا حفظة من الملائكة يحفظونه من الشياطين يطردونهم عنه ويعصمونه
من وساوسهم وتخاليطهم حتى يبلغ ما اوحي به اليه وعن الضحاك ما بعث نبي الا ومعه ملائكة يحرسونه
من الشياطين ان يتشبهوا بصورة الملك ليعلم الله ان قد ابلغوا رسالات ربهم يعني الانبياء عليهم السلام
وحد اولا على اللفظ في قوله تعالى من بين يديه ومن خلفه ثم جمع على المعنى كقوله تعالى فان له نار جهنم
خالدين والمعنى ليبلغوا رسالات ربهم كما هي محروسة من الزيادة والنقصان وذكر العلم كذكره في قوله
تعالى حتى نعلم المجاهدين منكم وقرئ ليعلم على البناء للمفعول واحاط بما لديهم بما عند الرسل من
الحكم والشرائع لا يفوته منها شيء ولا ينسى منها حرفا فهو مهيمن عليها حافظ لها واحصى كل شيء عددا من
القطر والرمل وورق الاشجار وزبد البحار فكيف لا يحيط بما عند الرسل من وحيه وكلامه وعددا حال
اي وضبط كل شيء معدودا محصورا او مصدر في معنى احصاء عن رسول الله صلى الله عليه وسلم من قرأ
سورة الجن كان له بعدد كل جني صدق محمدا عليه السلام وكذب به عتق رقبة

بسم الله الرحمن الرحيم يا ايها المزمل قم الليل الا قليلا نصفه او انقص منه قليلا او زد عليه ورتل
القرآن ترتيلا المزمل المتزمل وهو الذي تزمل في ثيابه اي تلفف بها بادغام التاء في الزاي ونحوه
المدثر في المتدثر وقرئ المتزمل على الاصل والمزمل بتخفيف الزاي وفتح الميم وكسرها على انه اسم
فاعل او مفعول من زمله وهو الذي زمله غيره او زمل نفسه وكان رسول الله عليه السلام نائما بالليل
متزملا في قطيفة فنبه ونودي بما يهجن اليه الحالة التي كان عليها من التزمل في قطيفته واستعداده
للاستثقال في النوم كما يفعل من لا يهمه امر ولا يعنيه شان الا ترى الى قول ذي الرمة

وكائن تخطت ناقتي من مفازة ... ومن نائم عن ليلها متزمل

يريد الكسلان المتقاعس الذي لا ينهض في معاظم الامور وكفايات الخطوب ولا يحمل نفسه المشاق والمتاعب ونحوه

سهدا اذا ما نام ليل الهوجل

وفي امثالهم اوردها سعد وسعد مشتمل ما هكذا تورد يا سعد الابل
فذمه بالاشتمال بكسائه وجعل ذلك خلاف الجلد والكيس وامر بان يختار على الهجود التهجد وعلى التزمل
التشمر والتخفيف للعبادة والمجاهدة في الله تعالى لا جرم ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قد تشمر لذلك
مع اصحابه حق التشمر واقبلوا على احياء لياليهم ورفضوا له الرقاد والدعة وتجاهدوا فيه حتى انتفخت اقدامهم
واصفرت الوانهم وظهرت السيمى في وجوههم وتراقى امرهم الى حد رحمهم له ربهم فخفف عنهم وقيل كان
متزملا في مرط لعائشة رضي الله عنها يصلي فهو على هذا ليس بتهجين بل هو ثناء عليه وتحسين لحاله التي كان عليها
وامر بان يدوم على ذلك ويواظب عليه وعن عائشة رضي الله عنها انها سئلت ما كان تزميله قالت كان
مرطا طوله اربع عشرة ذراعا نصفه علي وانا نائمة ونصفه عليه وهو يصلي فسئلت ما كان قالت والله ما كان
خزا ولا قزا ولا مرعزى ولا ابريسما ولا صوفا كان سداه شعرا ولحمته وبرا وقيل دخل على خديجة رضي الله
عنها وقد جئث فرقا اول ما اتاه جبريل عليه السلام وبوادره ترعد فقال زملوني زملوني وحسب انه

عوض له ثبتا هو على ذلك اذ ناداه جبريل عليه السلام فقال يا ايها المزمل • وعن عكرمة ان المعنى يا ايها الذى
زمل امرا عظيما اى حمله والزمل الحمل وازدمله احتمله **وقرى** قم الليل بضم الميم وفتحها • قال عثمان بن
جنى رحمة الله عليه الغرض بهذه الحركة التبليغ بها هربا من لقاء الساكنين فباى الحركات تحرك فقد وقع
الغرض نصفه بدل من الليل والا قليلا استثناء من النصف كانه قيل قم اقل من نصف الليل • والضمير
فى منه وعليه للنصف والمعنى التخيير بين امرين بين ان يقوم اقل من نصف الليل على البت وبين ان يختار
احد الامرين وهما النقصان من النصف والزيادة عليه وان شئت جعلت نصفه بدلا من قليلا وكان تخييرا
بين ثلاث بين قيام النصف بتمامه • وبين قيام الناقص منه وبين قيام الزائد عليه وانما وصف النصف
بالقلة بالنسبة الى الكل • وان شئت قلت لما كان معنى قم الليل الا قليلا نصفه اذا ابدلت النصف من
الليل قم اقل من نصف الليل رجع الضمير فى منه وعليه الى الاقل من النصف فكانه قيل قم اقل من نصف
الليل او قم انقص من ذلك الاقل او ازيد منه قليلا فيكون التخيير فيما وراء النصف بينه وبين الثلث
ويجوز اذا ابدلت نصفه من قليلا وفسرته به ان تجعل قليلا الثانى بمعنى نصف النصف وهو الربع كانه
قيل او انقص منه قليلا نصفه وتجعل المزيد على هذا القليل اعنى الربع نصف الربع كانه قيل او زد عليه
قليلا نصفه • ويجوز ان تجعل الزيادة لكونها مطلقة تتمة الثلث فيكون تخييرا بين النصف والثلث
والربع **فان قلت** اكان القيام فرضا او نفلا **قلت** عن عائشة رضى الله عنها ان الله جعله
تطوعا بعد ان كان فريضة • وقيل كان فرضا قبل ان تفرض الصلوات الخمس ثم نسخ بهن الا ما تطوعوا
به • وعن الحسن رحمة الله عليه كان قيام ثلث الليل فريضة وكانوا على ذلك سنة • وقيل كان واجبا وانما وقع
التخيير فى المقدار ثم نسخ بعد عشر سنين • وعن الكلبى كان يقوم الرجل حتى يصبح مخافة ان لا يحفظ بين النصف
والثلث والثلثين ومنهم من قال كان نفلا بدليل التخيير فى المقدار ولقوله تعالى ومن الليل فتهجد به
نافلة لك • ترتيل القرآن قراءته على ترسل وتؤدة بتبيين الحروف واشباع الحركات حتى يجئ المتلو منه
شبيها بالثغر المرتل وهو المفلج المشبه بنور الاقحوان وان لا يهذه هذا ولا يسرده سردا كما قال عمر
ابن الخطاب رضى الله عنه شر السير الحقحقة وشر القراءة الهذرمة حتى يشبه المتلو فى تتابعه الثغر
الالص • وسئلت عائشة رضى الله عنها عن قراءة رسول الله صلى الله عليه وسلم فقالت لا كسردكم هذا لو
اراد السامع ان يعد حروفه لعدها • وترتيلا تاكيد فى ايجاب الامر به وانه ما لا بد منه للقارى انا سنلقى
عليك قولا ثقيلا • هذه الاية اعتراض ويعنى بالقول الثقيل القرآن وما فيه من الاوامر والنواهى
التى هى تكاليف شاقة ثقيلة على المكلفين خاصة على رسول الله عليه السلام لانه متحملها بنفسه ومحملها
امته فهى اثقل عليه وابهظ له واراد بهذا الاعتراض ان ما كلفه من قيام الليل من جملة التكاليف
الثقيلة الصعبة التى ورد بها القرآن لان الليل وقت السبات والراحة والهدو فلا بد لمن احياه
من مضادة لطبعه ومجاهدة لنفسه • وعن ابن عباس رضى الله عنهما كان اذا نزل عليه الوحى ثقل عليه
وتربد له جلده • وعن عائشة رضى الله عنها رايته ينزل عليه الوحى فى اليوم الشديد البرد فيفصم
عنه وان جبينه ليرفض عرقا • وعن الحسن رحمة الله عليه ثقيل فى الميزان • وقيل ثقيل على المنافقين
وقيل كلام له وزن ورجحان ليس بالسفساف ان ناشئة الليل هى اشد وطأ واقوم قيلا ناشئة
الليل النفس الناشئة بالليل التى تنشأ من مضجعها الى العبادة اى تنهض وترتفع من نشأت السحابة اذا
ارتفعت ونشأ من مكانه ونشز اذا نهض **قال** نشأنا الاخوص يرى بنيها السرى • والصوى منها مشرفات القماحد

او

او قيام الليل على ان الناشئة مصدر من نشأ اذا قام ونهض على فاعلة كالعاقبة ويدل عليه ما روى عن عبيد
ابن عمير قلت لعائشة رضى الله عنها رجل قام من اول الليل اتقولين له قام ناشئة قالت لا انما الناشئة
القيام بعد النوم ففسرت الناشئة بالقيام عن المضجع او العبادة التى تنشأ بالليل اى تحدث وترتفع وقيل
هى ساعات الليل كلها لانها تحدث واحدة بعد اخرى • وقيل الساعات الاول منه • وعن على بن الحسين رضى
الله عنهما انه كان يصلى بين المغرب والعشاء ويقول اما سمعتم قول الله تعالى ان ناشئة الليل هى اشد وطأ
هى خاصة دون ناشئة النهار اشد مواطأة يواطئ قلبها لسانها ان اردت النفس او يواطئ فيها
قلب القائم لسانه ان اردت القيام او العبادة او الساعات او اشد موافقة لما يراد من الخشوع والا خلاص
وعن الحسن رحمة الله عليه اشد موافقة بين السر والعلانية لانقطاع رؤية الخلائق **وقرئ** اشد
وطأ بالفتح والكسر اشد ثبات قدم وابعد من الزلل او اثقل واغلظ على المصلى من صلوة النهار من قوله
صلى الله عليه وسلم اللهم اشدد وطأتك على مضر واقوم قيلا واسد مقالا واثبت قراءة لهدو الاصوات
وعن انس رضى الله عنه انه قرأ واصوب قيلا فقيل له يا ابا حمزة انما هى اقوم فقال ان اقوم واصوب
واهيأ واحد • وروى ابو زيد الانصارى عن ابى سرار الغنوى انه كان يقرأ فحاسوا بالحاء مهملة فقيل له (اسم غير معجمة)
انما هو جاسوا بالجيم فقال جاسوا وحاسوا واحد ان لك فى النهار سبحا طويلا • سبحا تصرفا وتقلبا
فى مهماتك وشواغلك ولا تفرغ الا بالليل فعليك بمناجاة الله التى تقتضى فراغ البال وانتفاء الشوا غل
فاما القراءة بالخاء فاستعارة من سبخ الصوف وهو نفشه ونشر اجزائه لانتشار الهم وتفرق القلب بالشو اغل
كلفه قيام الليل ثم ذكر الحكمة فيما كلفه منه وهو ان الليل اعون على المواطاة واسد للقراءة لهدو
الرجل وخفوت الصوت وانه اجمع للقلب واضم لنشر الهم من النهار لانه وقت تفرق الهموم وتوزع
الخواطر والتقلب فى حوائج المعاش والمعاد • وقيل فراغا وسعة لنومك وتصرفك فى حوائجك وقيل
ان فاتك من الليل شئ فلك فى النهار فراغ تقدر على تداركه فيه واذكر اسم ربك وتبتل اليه تبتيلا
واذكر اسم ربك ودم على ذكره فى ليلك ونهارك واحرص عليه وذكر الله يتناول كل ما كان من ذكر طيب تسبيح
وتهليل وتكبير وتمجيد وتوحيد وصلوة وتلاوة قرآن ودراسة علم وغير ذلك مما كان رسول الله عليه
السلام يستغرق به ساعات ليله ونهاره • وتبتل اليه وانقطع اليه **فان قلت** كيف قيل تبتيلا
مكان تبتلا **قلت** لان معنى تبتل بتل نفسه فجئ به على معناه مراعاة لحق الفواصل رب المشرق
والمغرب لا اله الا هو فاتخذه وكيلا • واصبر على ما يقولون واهجرهم هجرا جميلا رب المشرق
والمغرب قرئ مرفوعا على المدح ومجرورا على البدل من ربك • وعن ابن عباس رضى الله عنهما على القسم
باضمار حرف القسم كقولك الله لافعلن وجوابه لا اله الا هو كما تقول والله لا احد فى الدار الا زيد
وقرأ ابن عباس رضى الله عنهما رب المشارق والمغارب فاتخذه وكيلا مسبب عن التهليل لانه هو وحده
هو الذى يجب لتوحده بالربوبية ان توكل اليه الامور • وقيل وكيلا كفيلا بما وعدك من النصر والا ظهار
الهجر الجميل ان يجانبهم بقلبه وهواه ويخالفهم مع حسن المخالقة والمداراة والاغضاء وترك المكافاة
وعن ابى الدرداء رضى الله عنه انا لنكشر فى وجوه قوم ونضحك اليهم وان قلوبنا لتقليهم • وقيل هو منسوخ
باية السيف وذرنى والمكذبين اولى النعمة ومهلهم قليلا • ان لدينا انكالا وجحيما وطعاما ذا
غصة وعذابا اليما • اذا عرف الرجل من صاحبه انه مستأهل يحب ان يعاقبه او يعذبه ويشتهى ان
ينتقم له منه وهو مضطلع بذلك مقتدر عليه قال ذرنى واياه اى لا تحتاج الى الظفر بمرادك وتشها له

الا ان علي بيني وبينه بان تكل امره الي وتستكفينيه فان لي ما يفرغ بالك ويجلي همك وليس ثم منع حتى يطلب اليه ان
يذره واياه الا ترك الاستكفاء والتفويض كانه اذا لم يكل اليه امره فكانه منعه منه فاذا وكله اليه فقد
ازال المنع وتركه واياه وفيه دليل على الوثوق بانه يتمكن من الوفاء بافضى ما تدور حوله امنية المخاطب وبما
يزيد عليه النعمة بالفتح التنعم وبالكسر الانعام وبالضم المسرة يقال نعم ونعمة عين وهم صناديد قريش
وكانوا اهل تنعم وترفه ان لدينا ما يضاد تنعمهم من انكال وهي القيود الثقال عن الشعبي اذا ارتفعوا
استفلت بهم الواحد نكل ونكل ومن جحيم وهي النار الشديدة الحر والاتقاد ومن طعام ذي غصة
وهو الذي ينشب في الحلوق فلا يساغ يعني الضريع وشجر الزقوم ومن عذاب اليم من سائر العذاب فلا ترى
موكولا اليه امرهم موذونا بينه وبينهم ينتقم منهم بمثل ذلك الانتقام وروي ان النبي صلى الله
عليه وسلم قرأ هذه الاية فصعق وعن الحسن رحمة الله عليه انه امسى صائما فاتي بطعام فعرضت له هذه
الاية فقال ارفعه ووضع عنده الليلة الثانية فعرضت له فقال ارفعه وكذلك الثالثة فاخبر ثابت
البناني ويزيد الضبي ويحيى البكاء فجاؤا فلم يزالوا به حتى شرب شربة من سويق يوم ترجف الارض
والجبال وكانت الجبال كثيبا مهيلا انا ارسلنا اليكم رسولا شاهدا عليكم كما ارسلنا الى فرعون
رسولا فعصى فرعون الرسول فاخذناه اخذا وبيلا يوم ترجف منصوب بما في لدينا والرجفة
الزلزلة والزعزعة الشديدة والكثيب الرمل المجتمع من كثب الشيء اذا جمعه كانه فعيل بمعنى مفعول
في اصله ومنه الكثبة من اللبن قالت الضائنة اجز جفالا واحلب كثبا عجالا اي كانت مثل رمل مجتمع
هيل هيلا اي نثر واسيل الخطاب لاهل مكة شاهدا عليكم يشهد عليكم يوم القيمة بكفركم وتكذيبكم ثبكم
فان قلت لم نكر الرسول ثم عرف قلت لانه اراد ارسلنا الى فرعون بعض الرسل فلما اعاده
وهو معهود بالذكر ادخل لام التعريف اشارة الى المذكور بعينه وبيلا ثقيلا غليظا من قولهم كلا
وبيل وخيم لا يستمرأ لثقله والوبيل العصا الضخمة ومنه الوابل للمطر العظيم فكيف تتقون ان كفرتم
يوما يجعل الولدان شيبا السماء منفطر به كان وعده مفعولا يوما مفعول به اي فكيف تتقون
انفسكم يوم القيمة وهوله ان بقيتم على الكفر ولم تؤمنوا وتعملوا صالحا ويجوز ان يكون ظرفا
اي فكيف لكم بالتقوى في يوم القيمة ان كفرتم في الدنيا ويجوز ان ينتصب بكفرتم على تاويل جحدتم
اي فكيف تتقون الله وتخشونه ان جحدتم يوم القيمة والجزاء لان تقوى الله خوف عقابه ويجعل
الولدان شيبا مثل في الشدة يقال في اليوم الشديد يوم يشيب نواصي الاطفال والاصل فيه
ان الهموم والاحزان اذا تفاقمت على الانسان اسرع فيه الشيب قال ابو الطيب
والهم يخترم الجسيم نحافة ويشيب ناصية الصبي ويهرم وقد مر بي في بعض الكتب
ان رجلا امسى فاحم الشعر كحنك الغراب واصبح وهو ابيض الرأس واللحية كالثغامة فقال اريت
القيامة والجنة والنار في المنام ورايت الناس يقادون في السلاسل الى النار فمن هول ذلك اصبحت
كما ترون ويجوز ان يوصف اليوم بالطول وان الاطفال يبلغون فيه اوان الشيخوخة والشيب
السماء منفطر به وصف لليوم بالشدة ايضا وان السماء على عظمها واحكامها تنفطر فيه فما ظنك بغيرها
من الخلائق وقرئ منفطر ومتفطر والمعنى ذات انفطار او على تاويل السماء بالسقف او السماء شيء منفطر
والباء في به مثلها في قولك فطرت العود بالقدوم فانفطر به يعني انها تنفطر بشدة ذلك اليوم وهوله
كما ينفطر الشيء بما يفطر به ويجوز ان يراد السماء مثقلة به اثقالا يؤدي الى انفطارها لعظمه عليها وخشيتها

من

من وقوعه كقوله تعالى ثقلت في السموات والارض وعده من اضافة المصدر الى المفعول والضمير لليوم ويجوز
ان يكون مضافا الى الفاعل وهو الله تعالى ولم يجر له ذكر لكونه معلوما ان هذه تذكرة فمن شاء اتخذ
الى ربه سبيلا ان ربك يعلم انك تقوم ادنى من ثلثي الليل ونصفه وثلثه وطائفة من الذين بن
معك ان هذه الايات الناطقة بالوعيد الشديد تذكرة موعظة فمن شاء اتعظ بها واتخذ سبيلا
الى الله عز وجل بالتقوى والخشية ومعنى اتخاذ السبيل اليه التقرب والتوسل بالطاعة ادنى من ثلثي
الليل اقل منهما وانما استعير الادنى وهو الاقرب للاقل لان المسافة بين الشيئين اذا دنت قل ما بينهما
من الاحياز واذا بعدت كثر ذلك وقرئ ونصفه وثلثه بالنصب على انك تقوم اقل من الثلثين
وتقوم النصف والثلث وهو مطابق لما مر في اول السورة من التخيير بين قيام النصف بتمامه وبين قيام
الناقص منه وهو الثلث وبين قيام الزائد عليه وهو الادنى من الثلثين وقرئ ونصفه وثلثه
بالجر اي تقوم اقل من الثلثين واقل من النصف والثلث وهو مطابق للتخيير بين النصف وهو
ادنى من الثلثين والثلث وهو ادنى من النصف والربع وهو ادنى من الثلث وهو الوجه الاخير وطائفة
من الذين معك ويقوم ذلك جماعة من اصحابك والله يقدر الليل والنهار علم ان لن تحصوه
فتاب عليكم فاقرؤا ما تيسر من القران علم ان سيكون منكم مرضى واخرون يضربون
في الارض يبتغون من فضل الله واخرون يقاتلون في سبيل الله فاقرؤا ما تيسر منه
والله يقدر الليل والنهار ولا يقدر على تقدير الليل والنهار ومعرفة مقادير ساعاتهما الا الله وحده
وتقديم اسمه عز وجل مبتدأ مبنيا عليه يقدر هو الدال على معنى الاختصاص بالتقدير والمعنى انكم
لا تقدرون عليه والضمير في لن تحصوه لمصدر يقدر اي علم انه لا يصح منكم ضبط الاوقات ولا يتأتى
حسابها بالتعديل والتسوية الا ان تأخذوا بالاوسع للاحتياط وذلك شاق عليكم بالغ منكم فتاب
عليكم عبارة عن الترخيص في ترك القيام المقدر كقوله تعالى فتاب عليكم وعفا عنكم فالان باشروهن
والمعنى انه رفع التبعة في تركه عنكم كما يرفع التبعة عن التائب وعبر عن الصلوة بالقراءة لانها بعض
اركانها كما عبر عنها بالقيام والركوع والسجود يريد فصلوا ما تيسر عليكم ولم يتعذر من صلوة الليل وهذا
ناسخ للاول ثم نسخا جميعا بالصلوات الخمس وقيل هي قراءة القران بعينها قيل يقرأ مائة اية ومن قرأ مائة
اية في ليلة لم يحاجه القران وقيل من قرأ مائة اية كتب من القانتين وقيل خمسين اية وقد بين
الحكمة في النسخ وهي تعذر القيام على المرضى والضاربين في الارض للتجارة والمجاهدين في سبيل الله وقيل
سوى الله عز وجل بين المجاهدين والمسافرين لكسب الحلال وعن عبد الله بن مسعود رضي الله عنه ايما رجل
جلب شيئا الى مدينة من مدائن المسلمين صابرا محتسبا فباعه بسعر يومه كان عند الله من الشهداء وعن
عبد الله بن عمر رضي الله عنهما ما خلق الله موتة اموتها بعد القتل في سبيل الله احب الي من الموت بين
شعبتي رحل اضرب في الارض ابتغي من فضل الله وعلم استئناف على تقدير السؤال عن وجه النسخ واقيموا
الصلوة واتوا الزكوة واقرضوا الله قرضا حسنا وما تقدموا لانفسكم من خير تجدوه عند
الله هو خيرا واعظم اجرا واستغفروا الله ان الله غفور رحيم واقيموا الصلوة يعني المفروضة
والزكوة الواجبة وقيل زكوة الفطر لانه لم يكن بمكة زكوة وانما وجبت بعد ذلك ومن فسرها بالزكوة
الواجبة جعل اخر السورة مدنيا واقرضوا الله قرضا حسنا يجوز ان يريد سائر الصدقات وان يريد
اداء الزكوة على احسن وجه من اخراج اطيب المال واعوده على الفقراء ومراعاة النية وابتغاء وجه الله

والصرف الى المستحق • وان يريد كل شي يفعل من الخير مما يتعلق بالنفس والمال • خيرا ثاني مفعولي وجد وهو
فصل وجاز وان لم يقع بين معرفتين لان افعل من اشبه في امتناعه من حرف التعريف المعرفة وقرا ابو السمال
هو خير واعظم اجرا بالرفع على الابتدا والخبر • عن رسول الله صلى الله عليه وسلم من قرا سورة المزمل دفع الله عنه
العسر في الدنيا والاخرة •

بسم الله الرحمن الرحيم يا ايها المدثر قم فانذر وربك فكبر وثيابك فطهر والرجز فاهجر ولا تمنن تستكثر
ولربك فاصبر • المدثر لابس الدثار وهو ما فوق الشعار وهو الثوب الذي يلي الجسد • ومنه قوله صلى الله
عليه وسلم الانصار شعار والناس دثار • وقيل هي اول سورة نزلت روى جابر بن عبد الله رضي الله عنه
عن رسول الله عليه السلام قال كنت على جبل حرا فنوديت يا محمد انك رسول الله فنظرت عن يميني ويساري
فلم ار شيا فنظرت فوقي فرايت شيا • وفي رواية عايشة رضي الله عنها فنظرت فوقي فاذا به قاعد على عرش
بين السما والارض يعني الملك الذي ناداه فرعبت ورجعت الى خديجة فقلت دثروني دثروني فنزل
جبريل عليه السلام وقال يا ايها المدثر • وعن الزهري اول ما نزل سورة اقرا باسم ربك الى قوله ما لم يعلم
فحزن رسول الله صلى الله عليه وسلم فجعل يعلو شواهق الجبال فاتاه جبريل انك نبي الله فرجع الى خديجة
رضي الله عنها فقال دثروني وصبوا علي ما باردا فنزل يا ايها المدثر • وقيل سمع من قريش ما كرهه فاغتم
فتغطى بثوبه متفكرا كما يفعل المغموم فامر ان لا يدع انذارهم وان اسمعوه واذوه • وعن عكرمة انه قرا على
لفظ اسم المفعول من دثره وقال دثرت هذا الامر وعصب بك كما قال في المزمل قم من مضجعك او قم قيام عزم
وتصميم • فانذر فحذر قومك من عذاب الله ان لم يومنوا والصحيح ان المعنى فافعل الانذار من غير تخصيص له باحد
وربك فكبر واختص ربك بالتكبير وهو الوصف بالكبريا وان يقال الله اكبر ويروى انه لما
نزل قال رسول الله صلى الله عليه وسلم الله اكبر فكبرت خديجة وفرحت وايقنت انه الوحي وقد يحمل
على تكبير الصلوة ودخلت الفا لمعنى الشرط كانه قيل وما كان فلا تدع تكبيره • وثيابك فطهر امر بان
يكون ثيابه طاهرة من النجاسات لان طهارة الثياب شرط في الصلوة لا تصح الا بها وهي الاولى والاحب
في غير الصلوة وقبيح بالمومن الطيب ان يحمل خبثا • وقيل هو امر بتقصيرها ومخالفة العرب في تطويلهم
الثياب وجرهم الذيول وذلك مما لا يومن معه اصابة النجاسة • وقيل هو امر بتطهير النفس مما يستقذر
من الافعال ويستهجن من العادات يقال فلان طاهر الثياب وطاهر الجيب والذيل والاردان اذا
وصفوه بالنقا من المعايب ومدانس الاخلاق وفلان دنس الثياب للغادر وذلك لان الثوب يلابس
الانسان ويشتمل عليه فكني به عنه الا ترى الى قولهم اعجبني زيد ثوبه كما يقولون اعجبني زيد عقله وخلقه
ويقولون المجد في ثوبه والكرم تحت حلته ولان الغالب ان من طهر باطنه ونقاه عني بتطهير الظاهر وتنقيته
وابى الا اجتناب الخبث وايثار الطهر في كل شي • والرجز بالكسر والضم وهو العذاب ومعناه اهجر
ما يودي اليه من عبادة الاوثان وغيرها من الماثم والمعنى الثبات على هجره لانه عليه السلام كان بريا
منه قرا الحسن رحمة الله عليه لا تمنن وتستكثر مرفوع منصوب المحل على الحال اي ولا تعط مستكثرا رائيا
لما تعطيه كثيرا او طالبا للكثير نهي عن الاستغزار وهو ان يهب شيا وهو يطمع ان يتعوض من الموهوب
له اكثر من الموهوب وهذا جايز • ومنه الحديث المستغزر يثاب من هبته وفيه وجهان احدهما ان
يكون نهيا خاصا برسول الله عليه السلام لان الله عز وجل اختار له اشرف الاداب واحسن الاخلاق •

والثاني ان يكون نهي تنزيه لا تحريم له ولامته وقرا الحسن رحمة الله عليه تستكثر بالسكون وفيه
ثلاثة اوجه الابدال من تمنن كانه قيل ولا تمنن لا تستكثر على انه من المن في قوله عز وعلا ثم لا يتبعون
ما انفقوا منا ولا اذى لان من شان المنان بما يعطي ان يستكثره اي يراه كثيرا ويعتد به وان يشبه
ثرو بعضد فيسكن تخفيفا • وان يعتبر حال الوقف • وقرا الاعمش بالنصب باضمار ان كقوله •
الا ايهذا الزاجري احضر الوغى • ويويده قراءة ابن مسعود رضي الله عنه ولا تمنن ان تستكثر
ويجوز في الرفع ان تحذف ان ويبطل عملها كما روي احضر الوغى بالرفع • ولربك فاصبر ولوجه الله
فاستعمل الصبر • وقيل على اذى المشركين • وقيل على اداء الفرايض • وعن النخعي على عطيتك كانه وصله بما
قبله وجعله صبرا على العطا من غير استكثار • والوجه ان يكون امرا بنفس الفعل • وان يتناول على العموم
كل مصبور عليه ومصبور عنه ويراد الصبر على اذى الكفار لانه احد ما يتناوله العام فاذا نقر في
الناقور فذلك يومئذ يوم عسير على الكافرين غير يسير • والفا في قوله تعالى فاذا نقر للتسبيب
كانه قال اصبر على اذاهم فبين ايديهم يوم عسير يلقون فيه عاقبة اذاهم وتلقى عاقبة صبرك عليه والفا
في ذلك للجزاء فان قلت بم انتصب اذا وكيف صح ان يقع يومئذ ظرفا ليوم عسير قلت انتصب
اذا بما دل عليه الجزا لان المعنى فاذا نقر في الناقور عسر الامر على الكافرين والذي اجاز وقوع يومئذ
ظرفا ليوم عسير ان المعنى فذلك وقت النقر وقوع يوم عسير لان يوم القيمة ياتي ويقع حين ينقر في النا
واختلف في انها النفخة الاولى ام الثانية • ويجوز ان يكون يومئذ مبنيا مرفوع المحل بدلا من ذلك
ويوم عسير خبر كانه قيل فيوم النقر يوم عسير فان قلت فما فايدة قوله تعالى غير يسير وعسير
مغن عنه قلت لما قال على الكافرين فقصر العسر عليهم قال غير يسير ليوذن بانه لا يكون
عليهم كما يكون على المومنين يسيرا هينا ليجمع بين وعيد الكافرين وزيادة غيظهم وبشارة المومنين
وتسليتهم • ويجوز ان يراد انه عسير لا يرجى ان يرجع يسيرا كما يرجى تيسير العسير من امور الدنيا
ذرني ومن خلقت وحيدا • وجعلت له مالا ممدودا وبنين شهودا • وحيدا حال من الله عز وجل
على معنيين احدهما ذرني وحدي معه فانا اجزيك في الانتقام منه عن كل منتقم • والثاني خلقته
وحدي لم يشركني في خلقه احد • او حال من المخلوق على معنى خلقته وهو وحيد فريد لا مال له
ولا ولد كقوله عز وجل ولقد جيتمونا فرادى كما خلقناكم اول مرة • وقيل نزلت في الوليد بن المغيرة
المخزومي وكان يلقب في قومه بالوحيد ولعله لقب بذلك بعد نزول الاية فان كان ملقبا به قبل
فهو تهكم به وبلقبه وتغيير له عن الغرض الذي كانوا يومونه من مدحه والثنا عليه بانه وحيد
قومه لرياسته ويساره وتقدمه في الدنيا الى وجه الذم والعيب وهو انه خلق وحيدا لا مال له
ولا ولد فاتاه الله ذلك فكفر بنعمة الله واشرك به واستهزا بدينه • ممدودا مبسوطا كثيرا او ممدا
بالنما من مد النهر ومده نهر اخر قيل كان له الزرع والضرع والتجارة • وعن ابن عباس رضي الله
عنهما هو ما كان له بين مكة والطايف من صنوف الاموال • وقيل كان له بستان بالطايف لا ينقطع
ثماره صيفا وشتا • وقيل كان له الف مثقال • وقيل اربعة الاف • وقيل تسعة الاف • وقيل الف الف
وعن ابن جريج غلة شهر بشهر وبنين شهودا حضورا معه بمكة لا يفارقونه للتصرف في عمل او تجارة لانهم
مكفيون لوفور نعمة ابيهم واستغنايهم عن التكسب وطلب المعاش بانفسهم فهو مستانس بهم لا يشتغل
قلبه بغيبتهم وخوف معاطب السفر عليهم ولا يحزن لفراقهم والاشتياق اليهم • ويجوز ان يكون معناه

انهم رجال يشهدون معه المجامع والمحافل او تسمع شهاداتهم فيما يتحاكم فيه • وعن مجاهد كان له عشرة بنين وقيل ثلاثة عشر • وقيل سبعة كلهم رجال الوليد بن الوليد • وخالد • وعمارة • وهشام • والعاص وقيس وعبد شمس اسلم منهم ثلاثة خالد وهشام وعمارة **ومهدت له تمهيدا ثم يطمع ان ازيد كلا انه كان لآياتنا عنيدا • سارهقه صعودا** • ومهدت له تمهيدا وبسطت له الجاه العريض والرياسة في قومه فأتممت عليه نعمتي الجاه والمال واجتماعهما هو الكمال عند اهل الدنيا • ومنه قول الناس ادام الله تاييدك وتمهيدك يريدون زيادة الجاه والحشمة وكان الوليد من وجهاء قريش وصناديدهم ولذلك لقب الوحيد وريحانة قريش ثم يطمع استبعاد واستنكار لطمعه وحرصه يعني انه لا مزيد على ما اوتي سعة وكثرة • وقيل انه كان يقول ان كان محمد صادقا فما خلقت الجنة الا لي • كلا ردع له وقطع لرجائه وطمعه انه كان لآياتنا عنيدا تعليل للردع على وجه الاستئناف كأن قائلا قال لم لا يزاد فقيل انه كان عاندا لآيات المنعم وكفر بذلك نعمته والكافر لا يستحق المزيد **ويروى** انه ما زال بعد نزول هذه الآية في نقصان من ماله حتى هلك • سارهقه صعودا ساغشيه عقبة شاقة المصعد وهو مثل لما يلقى من العذاب الشاق الصعب الذي لا يطاق • وعن النبي صلى الله عليه وسلم يكلف ان يصعد عقبة في النار كلما وضع عليها يده ذابت فاذا رفعها عادت واذا وضع رجله ذابت فاذا رفعها عادت وعنه صلى الله عليه وسلم الصعود جبل من نار يصعد فيه سبعين خريفا ثم يهوي فيه كذلك ابدا **انه فكر وقدر فقتل كيف قدر ثم قتل كيف قدر ثم نظر ثم عبس وبسر ثم ادبر واستكبر** • انه فكر تعليل للوعيد كأن الله تعالى عاجله بالفقر بعد الغنى والذل بعد العز في الدنيا لعناده ويعاقبه في الآخرة باشد العذاب وافظعه لبلوغه بالعناد غايته واقصاه في تفكيره وتسميته القرآن سحرا • ويجوز ان تكون كلمة الردع متبوعة بقوله سارهقه صعودا ردا لزعمه ان الجنة لم تخلق الا له واخبارا بانه من اشد اهل النار عذابا ويعلل ذلك بعناده ويكون قوله تعالى انه فكر بدلا من قوله انه كان لآياتنا عنيدا بيانا لكنه عناده ومعناه فكر ماذا يقول في القرآن وقدر في نفسه ما يقوله وهيأه فقتل كيف قدر تعجيب من تقديره واصابته فيه المحز ورميه الغرض الذي كان تنتحيه قريش او ثناء عليه على طريقة الاستهزاء به او هي حكاية لما كرروه من قولهم قتل كيف قدر تهكما بهم وباعجابهم بتقديره واستعظامهم لقوله ومعنى قول القائل قتله الله ما اشجعه واخزاه الله ما اشعره الاشعار بانه قد بلغ المبلغ الذي هو حقيق بان يحسد ويدعو عليه حاسده بذلك **روي** ان الوليد قال لبني مخزوم والله لقد سمعت من محمد آنفا كلاما ما هو من كلام الانس ولا من كلام الجن ان له لحلاوة وان عليه لطلاوة وان اعلاه لمثمر وان اسفله لمغدق وانه يعلو وما يعلى فقالت قريش صبأ والله الوليد والله لتصبأن قريش كلهم فقال ابو جهل لعنه الله انا اكفيكموه فقعد اليه حزينا وكلمه بما احماه فقام فاتاهم فقال تزعمون ان محمدا مجنون فهل رأيتموه يخنق وتقولون انه كاهن فهل رأيتموه قط يتكهن وتزعمون انه شاعر فهل رأيتموه يتعاطى شعرا قط وتزعمون انه كذاب فهل جربتم عليه شيئا من الكذب فقالوا في كل ذلك اللهم لا ثم قالوا فما هو ففكر **فقال ان هذا الا سحر يؤثر ان هذا الا قول البشر** فقال ما هو الا ساحر اما رأيتموه يفرق بين الرجل واهله وولده ومواليه وما الذي يقوله الا سحر يأثره عن مسيلمة وعن اهل بابل فارتج النادي فرحا وتفرقوا معجبين بقوله متعجبين منه ثم نظر في وجوه الناس ثم قطب وجهه ثم زحف مدبرا وتشاوس مستكبرا لما خطرت بباله الكلمة الشنعاء

وهم بان يرمي بها وصف اشكاله التي تشكل بها حتى استنبط ما استنبط استهزاء به • وقيل قدر ما يقوله ثم نظر فيه ثم عبس لما ضاقت عليه الحيل ولم يدر ما يقول • وقيل قطب في وجه رسول الله صلى الله عليه وسلم ثم ادبر عن الحق واستكبر عنه فقال ما قال وثم نظر عطف على فكر وقدر والدعاء اعتراض بينهما فان قلت ما معنى ثم الداخلة في تكرير الدعاء • قلت الدلالة على ان الكرة الثانية ابلغ من الاولى ونحوه قوله • الا يا اسلمي ثم اسلمي ثمت اسلمي • فان قلت ما معنى المتوسطة بين الافعال التي بعدها • قلت الدلالة على انه قد تأنى في التأمل وتمهل وكان بين الافعال المتناسقة تراخ وتباعد **فان قلت** فلم قيل فقال ان هذا بالفاء بعد عطف ما قبله بثم **قلت** لان الكلمة لما خطرت بباله بعد التطلب لم يتمالك ان نطق بها من غير تلبث **فان قلت** فلم لم يوسط حرف العطف بين الجملتين لان الاخرى جرت من الاولى مجرى التوكيد من المؤكد **سأصليه سقر وما ادراك ما سقر لا تبقي ولا تذر لواحة للبشر عليها تسعة عشر** • سأصليه سقر بدل من سارهقه صعودا • لا تبقي شيئا يلقى فيها الا اهلكته واذا اهلك لم تذره هالكا حتى يعاد • ولا تبقي على شيء ولا تدعه من الهلاك بل كل ما يطرح فيها هالك لا محالة لواحة من لوح الهجير **قال** تقول ما لاحك يا مسافر • يا ابنة عمي لاحني الهواجر • قيل تلفح الجلد لفحة فتدعه اشد سوادا من الليل • والبشر اعالي الجلود • وعن الحسن رحمه الله عليه تلوح للناس كقوله جل وعز ثم لترونها عين اليقين **وقرئ** لواحة نصبا على الاختصاص للتهويل • عليها تسعة عشر اي يلي امرها ويتسلط على اهلها تسعة عشر ملكا • وقيل صنفا من الملائكة • وقيل صفا وقيل نقيبا • وقرئ تسعة عشر بسكون العين لتوالي الحركات فيما هو في حكم اسم واحد • وقرئ تسعة اعشر جمع عشير مثل يمين وايمن جعلهم ملائكة لانهم خلاف جنس المعذبين من الجن والانس فلا يأخذهم ما يأخذ المجانس من الرأفة والرقة ولا يستروحون اليهم ولانهم اقوم خلق الله بحق الله وبالغضب له فتؤمن هوادتهم ولانهم اشد الخلق بأسا واقواهم بطشا • عن عمرو بن دينار رحمة الله عليه واحد منهم يدفع بالدفعة الواحدة في جهنم اكثر من ربيعة ومضر • وعن النبي صلى الله عليه وسلم كأن اعينهم البرق وكأن افواههم الصياصي يجرون اشعارهم لاحدهم مثل قوة الثقلين يسوق احدهم الامة وعلى رقبته جبل فيرمي بهم في النار ويرمي بالجبل عليهم **وروي** انه لما نزلت عليها تسعة عشر قال ابو جهل لعنه الله لقريش ثكلتكم امهاتكم اسمع ابن ابي كبشة يخبركم ان خزنة النار تسعة عشر وانتم الدهم افيعجز كل عشرة منكم ان يبطشوا برجل منهم فقال ابو الاشد بن اسيد بن كلدة الجمحي وكان شديد البطش انا اكفيكم سبعة عشر فاكفوني انتم اثنين فانزل الله عز وجل **وما جعلنا اصحاب النار الا ملائكة وما جعلنا عدتهم الا فتنة للذين كفروا ليستيقن الذين اوتوا الكتاب ويزداد الذين آمنوا ايمانا ولا يرتاب الذين اوتوا الكتاب والمؤمنون** • وما جعلنا اصحاب النار الا ملائكة اي ما جعلناهم رجالا من جنسكم يطاقون **فان قلت** قد جعل افتتان الكافرين بعدة الزبانية سببا لاستيقان اهل الكتاب وزيادة اهل المؤمنين واستهزاء الكافرين والمنافقين فما وجه صحة ذلك **قلت** ما جعل افتتانهم بالعدة سببا لذلك وانما العدة نفسها هي التي جعلت سببا وذلك ان المراد بقوله تعالى وما جعلنا عدتهم الا فتنة للذين كفروا وما جعلنا عدتهم الا تسعة عشر فوضع فتنة للذين كفروا موضع تسعة عشر لان حال هذه العدة الناقصة واحدا من عقد العشرين ان يفتتن بها من لا يؤمن بالله وبحكمته ويعترض ويستهزئ ولا يذعن اذعان المؤمن وان خفي عليه وجه الحكمة كأنه قيل ولقد جعلنا عدتهم

عدة من شأنها أن يتفق بها لأجل استيقان المؤمنين وحيرة الكافرين واستيقان أهل الكتاب لأن عدتهم
تسعة عشر في الكتابين فإذا سمعوا بمثلها في القرآن أيقنوا أنه منزل من الله تعالى وازدياد المؤمنين إيمانا
لتصديقهم بذلك كما صدقوا بسائر ما أنزل ولما رأوا من تسليم أهل الكتاب وتصديقهم أنه كذلك **فإن**
قلت لم قال ولا يرتاب الذين أوتوا الكتاب والمؤمنون والاستيقان وازدياد الإيمان دالا على انتفاء
الارتياب **قلت** لأنه إذا جمع لهم إثبات اليقين ونفي الشك كان أبلغ وآكد لوصفهم بسكون النفس
وثلج الصدر ولأن فيه تعريضا بحال من عداهم كأنه قال ولتخالف حالهم حال الشاكين المرتابين من
أهل النفاق والكفر **وليقول الذين في قلوبهم مرض والكافرون ماذا أراد الله بهذا مثلا** ٥
فإن قلت كيف ذكر الذين في قلوبهم مرض وهم المنافقون والسورة مكية ولم يكن بمكة
نفاق وإنما نجم بالمدينة   معناه وليقول المنافقون الذين يجيئون في مستقبل الزمان بالمدينة
بعد الهجرة والكافرون بمكة ماذا أراد الله بهذا مثلا وليس في ذلك إلا إخبار بما سيكون كسائر
الإخبارات بالغيوب وذلك لا يخالف كون السورة مكية ٥ ويجوز أن يراد بالمرض الشك والارتياب
لأن أهل مكة كان أكثرهم شاكين وبعضهم قاطعين بالكذب **فإن قلت** قد علل جعلهم تسعة عشر
بالاستيقان وانتفاء الارتياب وقول المنافقين والكافرين ما قالوا فهب أن الاستيقان وانتفاء
الارتياب يصح أن يكونا غرضين فكيف صح أن يكون قول المنافقين والكافرين غرضا **قلت** أفادت
اللام معنى العلة والسبب ولا يجب في العلة أن يكون غرضا ٥ ألا ترى إلى قولك خرجت من البلد مخافة
الشر فقد جعلت المخافة علة لخروجك وما هي بغرضك ٥ مثلا تمييز لهذا أو حال منه كقوله عز وعلا هذه
ناقة الله لكم آية ٥ فإن قلت لم سموه مثلا ٥ قلت هو استعارة من المثل المضروب لأنه مما غرب من الكلام
وبدع استغرابا منهم لهذا العدد واستبداعا له والمعنى أي شيء أراد الله بهذا العدد العجيب وأي
غرض قصد في أن جعل الملائكة تسعة عشر لا عشرين سواء ومرادهم إنكاره من أصله وأنه ليس من عند
الله وأنه لو كان من عند الله لما جاء بهذا العدد الناقص **كذلك يضل الله من يشاء ويهدي من يشاء**
وما يعلم جنود ربك إلا هو وما هي إلا ذكرى للبشر ٥ الكاف في كذلك نصب وذلك إشارة إلى
ما قبله من معنى الإضلال والهدى أي مثل ذلك المذكور من الإضلال والهدى يضل الكافرين ويهدي
المؤمنين يعني يفعل فعلا حسنا مبنيا على الحكمة والصواب فيراه المؤمنون حكمة ويذعنون له لاعتقادهم
أن أفعال الله عز وجل كلها حسنة وحكمة فيزيدهم إيمانا وينكره الكافرون ويشكون فيه فيزيدهم
كفرا وضلالا ٥ وما يعلم جنود ربك وما عليه كل جند من العدد الخاص من كون بعضها على عقد كامل و
بعضها على عدد ناقص وما في اختصاص كل جند بعدده من الحكمة إلا هو ولا سبيل لأحد إلى معرفة ذلك
كما لا يعرف الحكمة في أعداد السماوات والأرضين وأيام السنة والشهور والبروج والكواكب
وأعداد النصب والحدود والكفارات والصلوات في الشريعة ٥ أو وما يعلم جنود ربك لفرط كثرتها
إلا هو فلا يعز عليه تتميم الخزنة عشرين ولكن له في هذا العدد الخاص حكمة لا تعلمونها وهو يعلمها وقيل
هو جواب لقول أبي جهل لعنه الله أما لرب محمد أعوان إلا تسعة عشر وما جعلنا أصحاب النار إلى قوله
تعالى إلا هو اعتراض وقوله تعالى وما هي إلا ذكرى متصل بوصف سقر وهي ضميرها أي وما سقر وصفتها
إلا تذكرة للبشر ٥ أو ضمير الآيات التي ذكرت فيها **كلا والقمر والليل إذ أدبر والصبح إذا أسفر**
إنها لإحدى الكبر نذيرا للبشر ٥ كلا إنكار بعد أن جعلها ذكرى أن تكون لهم ذكرى لأنهم لا يتذكرون

أو ردع لمن ينكر أن تكون إحدى الكبر نذيرا ٥ ودبر بمعنى أدبر كقبل بمعنى أقبل ٥ ومنه صاروا كأمس الدابر وقيل
هو من دبر الليل النهار إذا خلفه **وقرئ** إذا أدبر ٥ إنها لإحدى الكبر جواب القسم أو تعليل لكلا والقسم
معترض للتوكيد ٥ والكبر جمع الكبرى جعلت ألف التأنيث كتائها فلما جمعت فعلة على فعل جمعت فعلى عليها
ونظير ذلك السوافي في جمع السافياء والقواصع في جمع القاصعاء كأنها جمع فاعلة أي لإحدى البلايا
والدواهي الكبر ومعنى كونها إحداهن أنها من بينهن واحدة في العظم لا نظيرة لها كما تقول هو أحد
الرجال وهي إحدى النساء ٥ ونذيرا تمييز من إحدى على معنى أنها لإحدى الدواهي إنذارا كما تقول هي إحدى
النساء عفافا ٥ وقيل هي حال وقيل هو متصل بأول السورة يعني قم نذيرا وهو من بدع التفاسير ٥ وفي قراءة
أبي رضي الله عنه نذير بالرفع خبر بعد خبر لأن أو بحذف المبتدأ **لمن شاء منكم أن يتقدم أو يتأخر**
كل نفس بما كسبت رهينة إلا أصحاب اليمين ٥ أن يتقدم في موضع الرفع بالابتداء ولمن شاء خبر مقدم
عليه كقولك لمن توضأ أن يصلي ومعناه مطلق لمن شاء التقدم أو التأخر أن يتقدم أو يتأخر والمراد
بالتقدم والتأخر السبق إلى الخير والتخلف عنه وهو كقوله تعالى فمن شاء فليؤمن ومن شاء فليكفر ويجوز
أن يكون لمن شاء بدلا من للبشر على أنها منذرة للمكلفين الممكنين الذين إن شاؤوا تقدموا ففازوا
وإن شاؤوا تأخروا فهلكوا ٥ رهينة ليست بتأنيث رهين في قوله تعالى كل امرئ بما كسب رهين ٥
لتأنيث النفس لأنه لو قصدت الصفة لقيل رهين لأن فعيلا بمعنى مفعول يستوي فيه المذكر والمؤ
وإنما هي اسم بمعنى الرهن كالشتيمة بمعنى الشتم كأنه قيل كل نفس بما كسبت رهن **ومنه** بيت
الحماسة ٥ أبعد الذي بالنعف نعف كويكب ٥ رهينة رمس ذي تراب وجندل ٥ ٥ كأنه قال رهن
رمس والمعنى كل نفس رهن بكسبها عند الله تعالى غير مفكوك ٥ إلا أصحاب اليمين فإنهم فكوا عنه
رقابهم بما أطابوه من كسبهم كما يخلص الراهن رهنه بأداء الحق ٥ وعن علي بن أبي طالب رضي الله عنه أنه فسر
أصحاب اليمين بالأطفال لأنه لا أعمال لهم يرتهنون بها ٥ وعن ابن عباس رضي الله عنهما هم الملائكة
في جنات يتساءلون عن المجرمين ٥ ما سلككم في سقر قالوا لم نك من المصلين ولم نك نطعم
المسكين ٥ وكنا نخوض مع الخائضين ٥ وكنا نكذب بيوم الدين حتى أتانا اليقين ٥ في جنات
أي هم في جنات لا يكتنه وصفها ٥ يتساءلون عن المجرمين يسأل بعضهم بعضا عنهم أو يتساءلون غيرهم هم
عنهم كقولك دعوته وتداعيناه ٥ **فإن قلت** كيف طابق قوله تعالى ما سلككم وهو سؤال للمجرمين
قوله يتساءلون عن المجرمين وهو سؤال عنهم وإنما كان يتطابق ذلك لو قيل يتساءلون المجرمين ما
سلككم **قلت** ما سلككم ليس ببيان للتساؤل عنهم وإنما هو حكاية قول المسؤولين عنهم لأن المسؤولين لبين
يلقون إلى السائلين ما جرى بينهم وبين المجرمين فيقولون قلنا لهم ما سلككم في سقر قالوا لم نك من
المصلين إلا أن الكلام جيء به على الحذف والاختصار كما هو نهج التنزيل في غرابة نظمه ٥ الخوض الشروع
في الباطل وما لا ينبغي **فإن قلت** لم يسألونهم وهم عالمون بذلك   قلت توبيخا لهم وتحسيرا
ولتكون حكاية الله ذلك في كتابه تذكرة للسامعين وقد عضد بعضهم تفسير أصحاب اليمين بالأطفال
أنهم إنما سألوهم لأنهم ولدان لا يعرفون موجب دخول النار ٥ فإن قلت أيريدون أن كل واحد منهم
بمجموع هذه الأربع دخل النار أم دخلها بعضهم بهذه وبعضهم بهذه ٥ قلت يحتمل الأمرين جميعا ٥ فإن
قلت لم أخر التكذيب وهو أعظمها ٥ قلت أرادوا أنهم بعد ذلك كله كانوا مكذبين بيوم الدين
تعظيما للتكذيب كقوله تعالى ثم كان من الذين آمنوا واليقين الموت ومقدماته **فما تنفعهم**

شفاعة الشافعين فما لهم عن التذكرة معرضين كأنهم حمر مستنفرة فرت من قسورة اى لو شفع لهم الشافعون جميعا من الملائكة والنبيين وغيرهم لم تنفعهم شفاعتهم لان الشفاعة لمن ارتضاه الله عز وجل وهم مسخوط عليهم وفيه دليل على ان الشفاعة تنفع يومئذ لانها تزيد فى درجات المرتضين عن التذكرة عن التذكير وهو العظة يريد القرآن وغيره من المواعظ ومعرضين نصب على الحال كقولك ما لك قائما والمستنفرة الشديدة النفار كانها تطلب النفار من نفوسها فى جمعها له وحملها عليه وقرى بالفتح وهى المنفرة المحمولة على النفار والقسورة جماعة من الرماة الذين يتصيدونها وقيل الاسد يقال ليوث قساور وهى فعولة من القسر وهو القهر والغلبة وفى وزنه الحيدرة من اسماء الاسد وعن ابن عباس رضى الله عنهما ركز الناس واصواتهم وعن عكرمة ظلمة الليل شبههم فى اعراضهم عن القرآن واستماع الذكر والموعظة وشرادهم عنه بحمر جدت فى نفارها مما افزعها وفى تشبيههم بالحمر مذمة ظاهرة وتهجين لحالهم بين كما فى قوله جل وعلا كمثل الحمار يحمل اسفارا وشهادة عليهم بالبله وقلة العقل ولا ترى مثل نفار حمير الوحش واطرادها فى العدو اذا رابها رائب ولذلك كان اكثر تشبيهات العرب فى وصف الابل وشدة سيرها بالحمر وعدوها اذا وردت ماء فاحست عليه بقانص بل يريد كل امرئ منهم ان يؤتى صحفا منشرة كلا بل لا يخافون الآخرة كلا انه تذكرة صحفا منشرة قراطيس تنشر وتقرأ كالكتب التى يتكاتب بها او كتبا كتبت فى السماء ونزلت بها الملائكة ساعة كتبت منشرة على ايديها غضة رطبة لم تطو بعد وذلك انهم قالوا لرسول الله صلى الله عليه وسلم لن نتبعك حتى تأتى كل واحد منا بكتب من السماء عنوانها من رب العالمين الى فلان بن فلان نؤمر فيها باتباعك ونحوه قوله تعالى لن نؤمن لرقيك حتى تنزل علينا كتابا نقرؤه وقال تعالى ولو نزلنا عليك كتابا فى قرطاس فلمسوه بايديهم الآية وقيل قالوا ان كان محمد صادقا فليصبح عند رأس كل رجل منا صحيفة فيها براءته وامنته من النار وقيل كانوا يقولون بلغنا ان الرجل من بنى اسرائيل كان يصبح مكتوبا على رأسه ذنبه وكفارته فأتنا بمثل ذلك وهذا من الصحف المنشرة بمعزل الا ان يراد بالصحف المنشرة الكتابات الظاهرة المكشوفة وقرأ سعيد بن جبير رضى الله عنه صحفا منشرة بتخفيفهما على ان انشر الصحف ونشرها واحد كانزله ونزله ردعهم بقوله كلا عن تلك الارادة وزجرهم عن اقتراح الآيات ثم قال بل لا يخافون الآخرة فلذلك اعرضوا عن التذكرة لا لامتناع ايتاء الصحف ثم ردعهم عن اعراضهم عن التذكرة وقال انه تذكرة يعنى تذكرة بليغة كافية مبهم امرها فى الكفاية فمن شاء ذكره وما يذكرون الا ان يشاء الله هو اهل التقوى واهل المغفرة فمن شاء ان يذكره ولا ينساه ويجعله نصب عينه فعل فان نفع ذلك راجع اليه والضمير فى انه وذكره للتذكرة فى قوله تعالى فما لهم عن التذكرة معرضين وانما ذكر لانها فى معنى الذكر او القرآن وما يذكرون الا ان يشاء الله يعنى الا ان يقسرهم على الذكر ويلجئهم اليه لانهم مطبوع على قلوبهم معلوم انهم لا يؤمنون اختيارا هو اهل التقوى واهل المغفرة هو حقيق بان يتقيه عباده ويخافوا عقابه فيؤمنوا ويطيعوا وحقيق بان يغفر لهم اذا آمنوا واطاعوا وروى انس رضى الله عنه عن النبى عليه السلام هو اهل ان يتقى واهل ان يغفر لمن اتقاه وقرئ تذكرون بالياء والتاء مخففا ومشددا عن رسول الله عليه السلام من قرأ سورة المدثر اعطاه الله عشر حسنات بعدد من صدق بمحمد وكذب به بمكة

فى المدنى واربعون فى الكوفى بسم الله الرحمن الرحيم لا اقسم بيوم القيامة ولا اقسم بالنفس اللوامة ايحسب الانسان ان لن نجمع عظامه بلى قادرين على ان نسوى بنانه ادخال لا النافية على فعل القسم مستفيض فى كلامهم واشعارهم قال امرؤ القيس لا وابيك ابنة العامرى لا يدعى القوم انى افر وقال غوية السلمى الا نادت امامة باحتمال لتحزننى فلا بك لا ابالى وفائدتها توكيد القسم وقالوا انها صلة مثلها فى لئلا يعلم اهل الكتاب وفى قوله فى بئر لا حور سرى وما شعر واعترضوا عليه بانها انما تزاد فى وسط الكلام لا فى اوله واجابوا بان القرآن فى حكم سورة واحدة متصل بعضه ببعض والاعتراض صحيح لانها لم تقع مزيدة الا فى وسط الكلام ولكن الجواب غير سديد الا ترى الى امرئ القيس كيف زادها فى مستهل قصيدته والوجه ان يقال هى للنفى والمعنى فى ذلك انه لا يقسم بالشئ الا اعظاما له يدلك عليه قوله تعالى فلا اقسم بمواقع النجوم وانه لقسم لو تعلمون عظيم فكأنه بادخال حرف النفى يقول ان اعظامى له باقسامى به كلا اعظام يعنى انه يستأهل فوق ذلك وقيل ان لا نفى لكلام ورد قبل القسم كأنهم انكروا البعث فقيل لا اى ليس الامر على ما ذكرتم ثم قيل اقسم بيوم القيامة فان قلت قوله تعالى فلا وربك لا يؤمنون والابيات التى انشدتها المقسم عليه فيها منفى فهلا زعمت ان لا التى قبل القسم زيدت موطئة للنفى بعده ومؤكدة له وقدرت المقسم عليه المحذوف ههنا منفيا كقولك لا اقسم بيوم القيامة لا تتركون سدى قلت لو قصر الامر على النفى دون الاثبات لكان لهذا القول مساغ ولكنه لم يقصر الا ترى انه كيف لقى لا اقسم بهذا البلد بقوله تعالى لقد خلقنا الانسان فى كبد وكذلك فلا اقسم بمواقع النجوم بقوله تعالى انه لقرآن كريم وقرى لاقسم على ان اللام للابتداء واقسم خبر مبتدا محذوف معناه لانا اقسم قالوا ويعضده انه فى الامام بغير الف بالنفس اللوامة بالنفس المتقية التى تلوم النفوس فيه اى فى يوم القيامة على تقصيرهن فى التقوى او بالتى لا تزال تلوم نفسها وان اجتهدت فى الاحسان وعن الحسن رحمة الله عليه ان المؤمن لا تراه الا لائما نفسه وان الكافر يمضى قدما لا يعاتب نفسه وقيل هى التى تتلوم يومئذ على ترك الازدياد ان كانت محسنة وعلى التفريط ان كانت مسيئة وقيل هى نفس آدم عليه السلام لم تزل تتلوم على فعلها الذى خرجت به من الجنة وجواب القسم ما دل عليه قوله ايحسب الانسان ان لن نجمع عظامه وهو لتبعثن وقرأ قتادة ان لن يجمع عظامه على البناء للمفعول والمعنى نجمعها بعد تفرقها ورجوعها رميما ورفاتا مختلطا بالتراب وبعد ما سفتها الرياح وطيرتها فى اباعد الارض وقيل ان عدى بن ابى ربيعة ختن الاخنس بن شريق وهما اللذان كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول فيهما اللهم اكفنى جارى السوء قال لرسول الله يا محمد حدثنى عن يوم القيامة متى يكون وكيف امره فاخبره رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال لو عاينت ذلك اليوم لم اصدقك يا محمد ولم اؤمن به او يجمع الله العظام فنزلت بلى اوجبت ما بعد النفى وهو الجمع فكأنه قيل بلى نجمعها وقادرين حال من الضمير فى نجمع اى نجمع العظام قادرين على تأليف جميعها واعادتها الى التركيب الاول الى ان نسوى بنانه اى اصابعه التى هى اطرافه وآخر ما يتم به خلقه او على ان نسوى بنانه ونضم سلامياته على صغرها ولطافتها بعضها الى بعض كما كانت اولا من غير نقصان ولا تفاوت فكيف بكبار العظام وقيل معناه بلى نجمعها ونحن قادرون على ان نسوى اصابع يديه ورجليه اى نجعلها مستوية شيئا واحدا كخف البعير وحافر الحمار لا تفرق بينها فلا يمكنه ان يعمل بها شيئا مما يعمل باصابعه المفرقة ذات المفاصل والانامل من فنون الاعمال والبسط والقبض والتأتى لما

يريد من الحوائج وقرئ قادرون اي نحن قادرون بل يريد الانسان ليفجر امامه يسئل ايان يوم القيمة
فاذا برق البصر وخسف القمر وجمع الشمس والقمر يقول الانسان يومئذ اين المفر بل يريد
عطف على ايحسب فيجوز ان يكون مثله استفهاما وان يكون ايجابا على انه اضرب عن مستفهم عنه الى
اخر او يضرب عن مستفهم عنه الى موجب ليفجر امامه ليدوم على فجوره فيما بين يديه من الاوقات
وفيما يستقبله من الزمان لا ينزع عنه وعن سعيد بن جبير رضي الله عنه يقدم الذنب ويؤخر التوبة
يقول سوف اتوب سوف اتوب حتى ياتيه الموت على شر احواله واسوء اعماله يسأل سؤال متعنت
مستبعد لقيام الساعة في قوله تعالى ايان يوم القيمة ونحوه ويقولون متى هذا الوعد برق البصر
تحير فزعا واصله من برق الرجل اذا نظر الى البرق فدهش بصره وقرئ برق من البريق اي لمع
من شدة شخوصه وقرا ابو السمال بلق اذا انفتح وانفرج يقال بلق الباب وابلقته وبلقته فتحته
وخسف القمر وذهب ضوءه او ذهب بنفسه وقرئ وخسف على البناء للمفعول وجمع الشمس والقمر
حيث يطلعهما الله من المغرب وقيل وجمعا في ذهاب الضوء وقيل يجمعان اسودين مكورين كانهما
ثوران عقيران في النار وقيل يجمعان ثم يقذفان في البحر فيكون نار الله الكبرى المفر بالفتح المصدر
وبالكسر المكان ويجوز ان يكون مصدرا كالمرجع وقرئ بهما كلا لا وزر الى ربك يومئذ المستقر
ينبؤا الانسان يومئذ بما قدم واخر كلا ردع عن طلب المفر لا وزر لا ملجأ وكل ما التجات اليه من جبل
او غيره وتخلصت به فهو وزرك الى ربك خاصة يومئذ مستقر العباد اي استقرارهم يعني انهم لا
يقدرون ان يستقروا الى غيره وينصبوا اليه او الى حكمه ترجع امور العباد لا يحكم فيها غيره كقوله تعالى
لمن الملك اليوم او الى ربك مستقرهم اي موضع قرارهم من جنة او نار اي مفوض ذلك الى مشيته
من شاء ادخله الجنة ومن شاء ادخله النار بما قدم من عمل عمله وبما اخر منه لم يعمله او بما قدم
من ماله فتصدق به وبما اخره فخلفه او بما قدم من عمل الخير والشر وبما اخر من سنة حسنة او سيئة
فعمل بها بعده وعن مجاهد باول عمله واخره ونحوه فينبئهم بما عملوا احصاه الله ونسوه بل
الانسان على نفسه بصيرة ولو القى معاذيره لا تحرك به لسانك لتعجل به ان علينا جمعه وقرانه
بصيرة حجة بينة وصفت بالبصارة على المجاز كما وصفت الايات بالابصار في قوله تعالى فلما جاءتهم اياتنا مبصرة
او عين بصيرة والمعنى انه ينبأ باعماله وان لم ينبأ ففيه ما يجزئ عن الانباء لانه شاهد عليها بما عملت
لان جوارحه تنطق بذلك يوم تشهد عليهم السنتهم وايديهم وارجلهم بما كانوا يعملون ولو القى
معاذيره ولو جاء بكل معذرة يعتذر بها ويجادل عنها وعن الضحاك ولو ارخى ستوره وقال المعاذير عن نفسه
الستور واحدها معذار فان صح فلانه يمنع رؤية المحتجب كما تمنع المعذرة عقوبة المذنب فان قلت
اليس قياس المعذرة ان تجمع معاذر لا معاذير المعاذير ليس بجمع معذرة انما هو اسم
جمع لها ونحوه المناكير في المنكر الضمير في به للقران وكان رسول الله صلى الله عليه وسلم اذا لقن
الوحي نازع جبريل عليه السلام القراءة ولم يصبر الى ان يتمها مسارعة الى الحفظ وخوفا من ان يتفلت
منه فامر بان يستنصت له ملقيا اليه بقلبه وسمعه حتى يقضى اليه وحيه ثم يعقبه بالدراسة الى ان
يرسخ فيه والمعنى لا تحرك لسانك بقراءة الوحي ما دام جبريل عليه السلام يقرأ لتاخذ به على عجلة ولئلا لتعجل به
يتفلت منك ثم علل النهي عن العجلة بقوله ان علينا جمعه في صدرك واثبات قراءته في لسانك فاذا قرانه
فاتبع قرانه ثم ان علينا بيانه فاذا قرأناه جعل قراءة جبريل عليه السلام قراءته والقران قراءة فاتبع

قرانه

قرانه فكن مقفيا له فيه ولا تراسله وطامن نفسك انه لا يبقى غير محفوظ فنحن في ضمان تحفيظه ثم ان علينا بيانه
اذا اشكل عليك شيء من معانيه كانه كان يعجل في الحفظ والسؤال عن المعنى جميعا كما ترى بعض الحراص على
العلم ونحوه ولا تعجل بالقران من قبل ان يقضى اليك وحيه كلا بل تحبون العاجلة وتذرون الاخرة
كلا ردع لرسول الله صلى الله عليه وسلم عن عادة العجلة وانكار لها عليه وحث على الاناة والتؤدة
وقد بالغ في ذلك باتباعه قوله بل تحبون العاجلة كانه قال بل انتم يا بني ادم لانكم خلقتم من عجل وطبعتم
عليه تعجلون في كل شيء ومن ثم تحبون العاجلة وتذرون الاخرة وقرئ بالياء وهو ابلغ فان قلت
كيف اتصل قوله لا تحرك به لسانك الى اخره بذكر القيمة قلت اتصاله به من جهة هذا التخلص منه
الى التوبيخ بحب العاجلة وترك الاهتمام بالاخرة وجوه يومئذ ناضرة الى ربها ناظرة ووجوه يومئذ
باسرة تظن ان يفعل بها فاقرة الوجه عبارة عن الجملة والناضرة من نضرة النعيم الى ربها
ناظرة تنظر الى ربها خاصة لا تنظر الى غيره وهذا معنى تقديم المفعول الا ترى الى قوله الى ربك يومئذ
المستقر الى ربك يومئذ المساق الى الله تصير الامور والى الله المصير واليه ترجعون عليه توكلت
واليه انيب كيف دل فيها التقديم على معنى الاختصاص ومعلوم انهم ينظرون الى اشياء لا يحيط بها الحصر
ولا تدخل تحت العدد في محشر يجتمع فيه الخلائق كلهم فان المؤمنين نظارة ذلك اليوم لانهم الامنون الذين
لا خوف عليهم ولا هم يحزنون فاختصاصه بنظرهم اليه لو كان منظورا اليه محال فوجب حمله على معنى
يصح معه الاختصاص والذي يصح معه ان يكون من قول الناس انا الى فلان ناظر ما يصنع بي تريد معنى التوقع
والرجاء ومنه قول القائل واذا نظرت اليك من ملك والبحر دونك زدتني نعما وسمعت سروية
مستجدية بمكة وقت الظهر حين يغلق الناس ابوابهم ويأوون الى مقائلهم تقول عيينتي نويظرة الى الله
واليكم والمعنى انهم لا يتوقعون النعمة والكرامة الا من ربهم كما كانوا في الدنيا لا يخشون ولا يرجون
الا اياه والباسر الشديد العبوس والباسل اشد منه ولكنه غلب في الشجاع اذا اشتد كلوحه تظن
تتوقع ان يفعل بها فعل هو في شدته وفظاعته فاقرة داهية تقصم فقار الظهر كما توقعت الوجوه
الناضرة ان يفعل بها كل خير كلا اذا بلغت التراقي وقيل من راق وظن انه الفراق والتفت
الساق بالساق الى ربك يومئذ المساق كلا ردع عن ايثار الدنيا على الاخرة كانه قيل ارتدعوا عن
ذلك وتنبهوا على ما بين ايديكم من الموت الذي عنده تنقطع العاجلة عنكم وتنتقلون الى الاجلة التي
تبقون فيها مخلدين والضمير في بلغت للنفس وان لم يجر لها ذكر لان الكلام الذي وقعت فيه يدل عليها
كما قال حاتم اماوي ما يغني الثراء عن الفتى اذا حشرجت يوما وضاق بها الصدر وتقول العرب
ارسلت يريدون جاء المطر ولا تكاد تسمعهم يذكرون السماء التراقي العظام المكتنفة لثغرة
النحر عن يمين وشمال ذكرهم صعوبة الموت الذي هو اول مراحل الاخرة حين تبلغ الروح التراقي
ودنا زهوقها وقال حاضروا صاحبها وهو المحتضر بعضهم لبعض من راق ايكم يرقيه مما به وقيل هو من
كلام ملائكة الموت ايكم يرقى بروحه ملائكة الرحمة ام ملائكة العذاب وظن المحتضر انه الفراق
ان هذا الذي نزل به هو فراق الدنيا المحبوبة والتفت ساقه بساقه والتوت عليها عند علز الموت
وعن قتادة ماتت رجلاه فلا تحملانه وقد كان عليهما جوالا وقيل شدة فراق الدنيا بشدة اقبال
الاخرة على ان الساق مثل في الشدة وعن سعيد بن المسيب رضي الله عنهما ساقاه حين تلفان في
الكفن المساق اي يساق الى الله والى حكمه فلا صدق ولا صلى ولكن كذب وتولى ثم ذهب الى اهله

يتمطى أولى لك فأولى ثم أولى لك فأولى • فلا صدق ولا صلى يعني الانسان في قوله أيحسب الانسان أن
لن نجمع عظامه • ألا ترى الى قوله أيحسب الانسان أن يترك سدى وهو معطوف على قوله تعالى يسأل أيان
يوم القيمة أي لا يؤمن بالبعث فلا صدق بالرسول والقرآن ولا صلى • ويجوز أن يراد فلا صدق
ماله بمعنى فلا زكاه • وقيل نزلت في ابي جهل عليه اللعنة يتمطى يتبختر واصله يتمطط أي يتمدد لان
المتبختر يمد خطاه • وقيل هو من المطا وهو الظهر لانه يلويه • وفي الحديث اذا مشت امتي المطيطا
وخدمتهم فارس والروم فقد جعل بأسهم بينهم يعني كذب برسول الله عليه السلام وتولى عنه واعرض
ثم ذهب الى قومه يتبختر افتخارا بذلك • أولى لك بمعنى ويل لك وهو دعاء عليه بأن يليه ما يكره • أيحسب
الانسان أن يترك سدى • ألم يك نطفة من مني يمنى ثم كان علقة فخلق فسوى • فجعل منه
الزوجين الذكر والانثى أليس ذلك بقادر على أن يحيي الموتى • فخلق فقدر فسوى فعدله منه
من الانسان • الزوجين الصنفين • أليس ذلك الذي انشأ هذا الانشاء بقادر على الاعادة • وروي أن
رسول الله عليه السلام كان اذا قرأها قال سبحانك بلى • عن رسول الله صلى الله عليه وسلم من قرأ سورة
القيامة شهدت انا وجبريل يوم القيمة انه كان مؤمنا بيوم القيمة • والله اعلم بالصواب

في المدني والكوفي • بسم الله الرحمن الرحيم هل أتى على الانسان حين من الدهر لم يكن شيئا مذكورا
إنا خلقنا الانسان من نطفة أمشاج نبتليه فجعلناه سميعا بصيرا • إنا هديناه السبيل
إما شاكرا وإما كفورا • هل بمعنى قد في الاستفهام خاصة والاصل أهل بدليل قوله •
أهل رأونا بسفح القاع ذي الأكم • فالمعنى أقد أتى على التقرير والتقريب جميعا اي أتى على الانسان قبل
زمان قريب حين من الدهر لم يكن فيه شيئا مذكورا اي كان شيئا منسيا غير مذكور نطفة في الاصلاب
والمراد بالانسان جنس بني آدم بدليل قوله تعالى إنا خلقنا الانسان من نطفة • حين من الدهر طائفة
من الزمان الطويل الممتد فان قلت ما محل لم يكن شيئا مذكورا محله النصب على الحال
من الانسان كانه قيل هل أتى عليه حين من الدهر غير مذكور • أو الرفع على الوصف لحين كقوله تعالى
يوما لا تجزي والد عن ولده • وعن بعضهم انها تليت عنده فقال ليتها تمت اراد ليت تلك الحالة تمت
وهي كونه شيئا غير مذكور ولم يخلق ولم يكلف • نطفة أمشاج كبرمة أعشار وبرد أكياش وهي
ألفاظ مفردة غير جموع ولذلك وقعت صفات للأفراد ويقال ايضا نطفة مشج وقال الشماخ •
طوت احشاء مرتجة لوقت • على مشج سلالته مهين • ولا يصح أمشاج ان يكون تكسيرا له بل
هما مثلان في الافراد لوصف المفرد بهما ومشجه ومزجه بمعنى والمعنى من نطفة قد امتزج فيها الماءان
وعن ابن مسعود رضي الله عنه هي عروق النطفة • وعن قتادة أمشاج ألوان واطوار يريد أنها تكون
نطفة ثم علقة ثم مضغة • نبتليه في موضع الحال اي خلقناه مبتلين له بمعنى مريدين ابتلاءه كقولك مررت
برجل معه صقر صائدا به غدا تريد قاصدا به الصيد غدا • ويجوز أن يراد ناقلين له من حال الى حال
فسمى ذلك ابتلاء على طريق الاستعارة • وعن ابن عباس رضي الله عنهما نصرفه في بطن امه نطفة ثم علقة
وقيل هو في تقدير التأخير يعني فجعلناه سميعا بصيرا لنبتليه وهو من التعسف • شاكرا وكفورا حالان
من الها في هديناه اي مكناه واقدرناه في حالتيه جميعا • او دعوناه الى الاسلام بأدلة العقل والسمع

كان

كان معلوما منه انه يؤمن او يكفر لالزام الحجة • ويجوز ان يكونا حالين من السبيل اي عرفناه السبيل
اما سبيلا شاكرا واما سبيلا كفورا كقوله تعالى وهديناه النجدين يوصف السبيل بالشكر والكفر مجاز وقرأ
ابو السمال بفتح الهمزة في اما وهي قراءة حسنة والمعنى اما شاكرا بتوفيقنا واما كفورا فبسوء اختياره
إنا أعتدنا للكافرين سلاسل وأغلالا وسعيرا • إن الأبرار يشربون من كأس كان مزاجها
كافورا • عينا يشرب بها عباد الله يفجرونها تفجيرا • ولما ذكر الفريقين اتبعهما الوعيد والوعد
وقرئ سلاسل غير منون • وسلاسلا بالتنوين • وفيه وجهان احدهما ان تكون هذه النون بدلا
من حرف الاطلاق ويجري الوصل مجرى الوقف • والثاني ان يكون صاحب القراءة به ممن ضري برواية
الشعر ومرن لسانه على صرف غير المنصرف • الابرار جمع بر او بار كرب وارباب وشاهد واشهاد •
وعن الحسن رحمة الله عليه هم الذين لا يؤذون الذر • والكأس الزجاجة اذا كانت فيها خمر وتسمى
الخمر نفسها كأسا • ومزاجها ما تمزج به كافورا ماء كافور وهو اسم عين في الجنة ماؤها في بياض
الكافور ورائحته وبرده • وعينا بدل منه • وعن قتادة تمزج لهم بالكافور وتختم لهم بالمسك •
وقيل تخلق فيها رائحة الكافور وبياضه وبرده فكأنها مزجت بالكافور وعينا على هذين القولين
بدل من محل من كأس على تقدير حذف مضاف كانه قيل يشربون خمرا خمر عين • او نصب على الاختصاص
فان قلت لم وصل فعل الشرب بحرف الابتداء اولا وبحرف الالصاق آخرا قلت لان الكأس
مبدأ شربهم واول غايته واما العين فبها يمزجون شرابهم فكان المعنى يشرب عباد الله بها
الخمر كما تقول شربت الماء بالعسل • يفجرونها يجرونها حيث شاؤوا من منازلهم تفجيرا سهلا لا يمتنع عليهم
يوفون بالنذر ويخافون يوما كان شره مستطيرا • ويطعمون الطعام على حبه مسكينا
ويتيما وأسيرا • يوفون جواب من عسى يقول ما لهم يرزقون ذلك والوفاء بالنذر مبالغة في وصفهم
بالتوفر على اداء الواجبات لان من وفى بما اوجبه هو على نفسه لوجه الله كان بما اوجبه الله عليه
اوفى مستطيرا فاشيا منتشرا بالغا اقصى المبالغ من استطار الحريق واستطار الفجر وهو من طار بمنزلة له
استفعل من نفر • على حبه الضمير للطعام اي مع اشتهائه والحاجة اليه • ونحوه وآتى المال على حبه
لن تنالوا البر حتى تنفقوا مما تحبون • وعن الفضيل بن عياض رحمة الله عليه على حب الله عز وجل
واسيرا عن الحسن رحمة الله عليه كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يؤتى بالاسير فيدفعه الى بعض
المسلمين فيقول احسن اليه فيكون عنده اليومين والثلاثة فيؤثره على نفسه • وعند عامة العلماء
يجوز الاحسان الى الكفار في دار الاسلام ولا يصرف اليهم الواجبات • وعن قتادة كان اسيرهم يومئذ
المشرك واخوك المسلم احق ان تطعمه • وعن سعيد بن جبير وعطاء هو الاسير من اهل القبلة وعن
ابي سعيد الخدري رضي الله عنه هو المملوك والمسجون وسمى رسول الله عليه السلام الغريم اسيرا فقال
غريمك اسيرك فاحسن الى اسيرك • إنما نطعمكم لوجه الله لا نريد منكم جزاء ولا شكورا • انما نطعمكم على
ارادة القول • ويجوز ان يكون قولا باللسان منعا لهم عن المجازاة بمثله او بالشكر لان احسانهم
مفعول لوجه الله عز وجل فلا معنى لمكافأة الخلق • وان يكون قولهم لهم لطفا وتفقيها وتنبيها على ما
ينبغي ان يكون عليه من اخلص لله • وعن عائشة رضي الله عنها انها كانت تبعث بالصدقة الى اهل
بيت ثم تسأل الرسول ما قالوا فاذا ذكر دعاء دعت لهم بمثله ليبقى ثواب الصدقة لها خالصا عند
الله تعالى • ويجوز ان يكون ذلك بيانا وكشفا عن اعتقادهم وصحة نيتهم وان لم يقولوا شيئا •

وعن مجاهد اما انهم ما تكلموا به ولكن علمه الله تعالى منهم فاثنى عليهم والشكور والكفور مصدران كالشكر
والكفر انا نخاف من ربنا يوما عبوسا قمطريرا فوقاهم الله شر ذلك اليوم ولقاهم نضرة
وسرورا انا نخاف يحتمل ان احساننا اليكم للخوف من شدة ذلك اليوم لا لارادة مكافاتكم وانا
لا نريد منكم المكافاة لخوف عقاب الله على طلب المكافاة بالصدقة ووصف اليوم بالعبوس مجاز على
طريقين ان يوصف بصفة اهله من الاشقياء كقولهم نهارك صائم روى ان الكافر يعبس يومئذ
حتى يسيل عرق مثل القطران وان يشبه في شدته وضرره بالاسد العبوس او بالشجاع الباسل من بين عينيه
والقمطرير الشديد العبوس الذي يجمع ما بين عينيه قال الزجاج يقال اقمطرت الناقة اذا رفعت
ذنبها وجمعت قطريها وزمت بانفها فاشتقه من القطر وجعل الميم مزيدة قال اسد بن ناعصة
واصطليت الحروب في كل يوم باسل الشر قمطرير الصباح ولقاهم نضرة وسرورا اى اعطاهم
بدل عبوس الفجار نضرة في الوجوه وسرورا في القلوب وهذا يدل على ان اليوم موصوف بعبوس
اهله وجزاهم بما صبروا جنة وحريرا بما صبروا بصبرهم على الايثار وعن ابن عباس رضي الله
عنهما ان الحسن والحسين رضي الله عنهما مرضا فعادهما رسول الله صلى الله عليه وسلم في ناس معه فقالوا
يا ابا الحسن لو نذرت على ولدك فنذر علي وفاطمة رضي الله عنهما وفضة جارية لهما ان برئا مما بهما ان
يصوموا ثلاثة ايام فشفيا وما معهم شيء فاستقرض علي رضي الله عنه من شمعون اليهودي الخيبري
ثلث اصوع من شعير فطحنت فاطمة رضي الله عنها صاعا واختبزت خمسة اقراص على عددهم فوضعوها
بين ايديهم ليفطروا فوقف عليهم سائل فقال السلام عليكم اهل بيت محمد مسكين من مساكين
المسلمين اطعموني اطعمكم الله من موائد الجنة فآثروه وباتوا لم يذوقوا الا الماء واصبحوا صياما فلما
امسوا ووضعوا الطعام بين ايديهم وقف عليهم يتيم فآثروه ووقف عليهم اسير في الثالثة ففعلوا
مثل ذلك فلما اصبحوا اخذ علي رضي الله عنه بيد الحسن والحسين رضوان الله عليهما واقبلوا الى رسول
الله صلى الله عليه وسلم فلما ابصرهم وهم يرتعشون كالفراخ من شدة الجوع قال ما اشد ما يسوءني
ما ارى بكم وقام فانطلق معهم فرأى فاطمة رضي الله عنها في محرابها قد التصق ظهرها ببطنها وغارت
عيناها فساءه ذلك فنزل جبريل عليه السلام وقال خذها يا محمد هناك الله في اهل بيتك فاقرأه
السورة فان قلت ما معنى ذكر الحرير مع الجنة المعنى وجزاهم بصبرهم على الايثار
وما يؤدي اليه من الجوع والعرى بستانا فيه مأكل هنيء وحريرا فيه ملبس بهي متكئين فيها على الارائك
لا يرون فيها شمسا ولا زمهريرا يعني ان هواءها معتدل لا حر شمس يحمي ولا شدة برد يؤذي
وفي الحديث هواء الجنة سجسج لا حر ولا قر وقيل الزمهرير القمر وعن ثعلب انه في لغة طي وانشد
وليلة ظلامها قد اعتكر قطعتها والزمهرير ما زهر والمعنى ان الجنة ضياء فلا يحتاج
فيها الى شمس وقمر ودانية عليهم ظلالها وذللت قطوفها تذليلا فان قلت ودانية
عليهم ظلالها علام عطف قلت على الجملة التي قبلها لانها في موضع الحال من المجزيين وهذه حال
مثلها عنهم لرجوع الضمير منها اليهم في عليهم الا انها اسم مفرد وتلك جملة في حكم مفرد تقديره
غير رائين فيها شمسا ولا زمهريرا ودانية عليهم ظلالها ودخلت الواو للدلالة على ان الامرين
مجتمعان لهم كانه قيل وجزاهم جنة جامعين فيها بين البعد عن الحر والقر ودنو الظلال عليهم
وقرئ ودانية بالرفع على ان ظلالها مبتدأ ودانية خبر والجملة في موضع الحال والمعنى لا يرون

فيها

فيها شمسا ولا زمهريرا والحال ان ظلالها دانية عليهم ويجوز ان تجعل متكئين ولا يرون ودانية كلها صفات
لجنة ويجوز ان يكون ودانية معطوفة على جنة اى وجنة اخرى دانية عليهم ظلالها على انهم وعدوا جنتين
كقوله تعالى ولمن خاف مقام ربه جنتان لانهم وصفوا بالخوف انا نخاف من ربنا فان قلت علام عطف
وذللت قلت هي اذا رفعت ودانية جملة فعلية معطوفة على جملة ابتدائية واذا نصبتها على الحال فهي
حال من دانية اى تدنو ظلالها عليهم في حال تذليل قطوفها لهم او معطوفة عليها على ودانية عليهم ظلالها
ومذللة قطوفها واذا نصبت ودانية على الوصف فهي صفة مثلها الا ترى انك لو قلت جنة ذللت قطوفها
كان صحيحا وتذليل القطوف ان تجعل ذللا لا تمتنع على قطافها كيف شاؤا او تجعل خاضعة متقاصرة من
قولهم حائط ذليل اذا كان قصيرا ويطاف عليهم بآنية من فضة واكواب كانت قواريرا قواريرا من فضة
قدروها تقديرا قواريرا قواريرا قرئا غير منونين وبتنوين الاول وبتنوينهما وهذا التنوين بدل من
الف الاطلاق لانه فاصلة وفي الثاني لاتباعه الاول ومعنى قوارير من فضة انها مخلوقة من فضة وهي مع
بياض الفضة وحسنها في صفاء القوارير وشفيفها فان قلت ما معنى كانت هو من يكون
في قوله كن فيكون اى تكونت قواريرا بتكوين الله تعالى تفخيما لتلك الخلقة العجيبة الشان الجامعة بين صفتي
الجوهرين المتباينين ومنه كان في قوله تعالى كان مزاجها كافورا وقرئ قوارير من فضة بالرفع على هي قوارير
قدروها صفة لقوارير من فضة ومعنى تقديرهم لها انهم قدروها في انفسهم ان تكون على مقادير
واشكال على حسب شهواتهم فجاءت كما قدروا وقيل الضمير للطائفين بها دل عليهم قوله ويطاف عليهم
على انهم قدروا شرابها على قدر الري وهو الذ للشارب لكونه على مقدار حاجته لا يفضل عنها ولا يعجز
وعن مجاهد لا تفيض ولا تغيض وقرئ قدروها على البناء للمفعول ووجهه ان يكون من قدر منقولا
من قدر تقول قدرت الشيء وقدرنيه فلان اذا جعلك قادرا له ومعناه جعلوا قادرين لها كما شاؤا واطلق
لهم ان يقدروا على حسب ما اشتهوا ويسقون فيها كأسا كان مزاجها زنجبيلا عينا فيها تسمى سلسبيلا
سميت العين زنجبيلا لطعم الزنجبيل فيها والعرب تستلذه وتستطيبه قال الاعشى
كان القرنفل والزنجبيل باتا بفيها وأريا مشورا وقال المسيب بن علس
وكان طعم الزنجبيل به اذ ذقته وسلافة الخمر وسلسبيلا لسلاسة انحدارها في
الحلق وسهولة مساغها يعني انها في طعم الزنجبيل وليس فيها لذعه ولكن نقيض اللذع وهو السلاسة
يقال شراب سلسل وسلسال وسلسبيل وقد زيدت الباء في التركيب حتى صارت الكلمة خماسية ودلت
على غاية السلاسة قال الزجاج السلسبيل في اللغة صفة لما كان في غاية السلاسة وقرئ سلسبيل
على منع الصرف لاجتماع العلمية والتأنيث وقد عزوا الى علي بن ابي طالب كرم الله وجهه ان معناه سل سبيلا
اليها وهذا غير مستقيم على ظاهره الا ان يراد ان جملة قول القائل سل سبيلا جعلت علما للعين كما قيل تأبط
شرا وذرى حبا وسميت بذلك لانه لا يشرب منها الا من سأل اليها سبيلا بالعمل الصالح وهو مع استقامته منه
في العربية تكلف وابتداع وعزوه الى مثل علي ابدع وفي شعر بعض المحدثين
سل سبيلا فيها الى راحة النفس براح كانها سلسبيل وعينا بدل من زنجبيلا وقيل تمزج
كأسهم بالزنجبيل بعينه او يخلق الله تعالى طعمه فيها وعينا على هذا القول مبدلة من كأسا كانه قيل ويسقون
فيها كأسا كأس عين او منصوبة على الاختصاص ويطوف عليهم ولدان مخلدون اذا رأيتهم حسبتهم لؤلؤا
منثورا شبهوا في حسنهم وصفاء الوانهم وانبثاثهم في مجالسهم ومنازلهم باللؤلؤ المنثور وعن المأمون

رحمة الله عليه انه ليلة زفت اليه بوران بنت الحسن بن سهل وهو على بساط منسوج من ذهب وقد نثر
عليه نساء دار الخلافة اللؤلؤ فنظر اليه منثورا على ذلك البساط فاستحسن المنظر وقال لله در ابى
نواس كانه ابصر هذا حيث يقول ٭ كان صغرى وكبرى من فواقعها ٭ حصباء در على ارض من الذهب ٭
وقيل شبهوا باللؤلؤ الرطب اذا نثر من صدفه لانه احسن واكثر ماء ٭ واذا رايت ثم رايت نعيما
وملكا كبيرا ٭ ورايت ليس له مفعول ظاهر ولا مقدر ليشيع ويعم كانه قيل واذا وجدت الرؤية
ثم ومعناه ان بصر الرائى اينما وقع لم يتعلق ادراكه الا بنعيم كثير وملك كبير ٭ وثم فى موضع النصب
على الظرف يعنى فى الجنة ومن قال معناه ما ثم فقد اخطا لان ثم صلة لما ولا يجوز اسقاط الموصول وترك
الصلة ٭ كبيرا واسعا وهنيئا ٭ ويروى ان ادنى اهل الجنة منزلة ينظر فى ملكه مسيرة الف عام يرى
اقصاه كما يرى ادناه ٭ وقيل لا زوال له ٭ وقيل اذا ارادوا شيئا كان ٭ وقيل يسلم عليهم الملائكة ويستاذنون
عليهم ٭ عاليهم ثياب سندس خضر واستبرق وحلوا اساور من فضة وسقاهم ربهم شرابا طهورا ٭
قرئ عاليهم بالسكون على انه مبتدا خبره ثياب سندس اى ما يعلوهم من لباسهم ثياب سندس
وعاليهم بالنصب على انه حال من الضمير فى يطوف عليهم او فى حسبتهم اى يطوف عليهم ولدان عاليا
للمطوف عليهم ثياب ٭ او حسبتهم لؤلؤا عاليا لهم ثياب ٭ ويجوز ان يراد رايت اهل نعيم وملك عاليهم
ثياب ٭ وعاليتهم بالرفع والنصب على ذلك وعليهم ٭ وخضر واستبرق بالرفع حملا على الثياب ٭ وبالجر على
السندس ٭ وقرئ واستبرق نصبا فى موضع الجر على منع الصرف لانه اعجمى وهو غلط لانه نكرة يدخله
حرف التعريف تقول الاستبرق الا ان يزعم ابن محيصن انه قد يجعل علما لهذا الضرب من الثياب ٭
وقرئ واستبرق بوصل الهمزة والفتح على انه مسمى باستفعل من البريق وليس بصحيح ايضا لانه معرب مشهور
تعريبه وان اصله استبره ٭ وحلوا عطف على ويطوف عليهم فان قلت ذكر ههنا ان اساورهم
من فضة وفى موضع اخر انها من ذهب هب انه قيل وحلوا اساور من ذهب ومن فضة وهذا
صحيح لا اشكال فيه على انهم يسورون بالجنسين اما على المعاقبة واما على الجمع كما تزاوج نساء الدنيا بين
انواع الحلى وتجمع بينها وما احسن بالمعصم ان يكون فيه سواران سوار من ذهب وسوار من فضة شرابا
طهورا ليس برجس كخمر الدنيا لان كونها رجسا بالشرع لا بالعقل وليست الدار دار تكليف او لانه
لم يعصر فتمسه الايدى الوضرة وتدوسه الاقدام الدنسة ولم يجعل فى الدنان والاباريق التى لم يعن
بتنظيفها ٭ او لانه لا يؤول الى النجاسة لانه يرشح عرقا من ابدانهم له ريح كريح المسك ٭ ان هذا كان لكم
جزاء وكان سعيكم مشكورا ٭ اى يقال لاهل الجنة ان هذا وهذا اشارة الى ما تقدم من عطاء الله لهم
ما جوزيتم به على اعمالكم وشكر به سعيكم والشكر مجاز ٭ انا نحن نزلنا عليك القرآن تنزيلا ٭ تكرير
الضمير بعد ايقاعه اسما لان تاكيد على تاكيد لمعنى اختصاص الله تعالى بالتنزيل ليتقرر فى نفس رسول
الله عليه السلام انه اذا كان هو المنزل لم يكن تنزيله على اى وجه نزل الا حكمة وصوابا كانه قيل ما نزل
عليك القرآن تنزيلا مفرقا منجما الا انا لا غيرى وقد عرفتنى حكيما فاعلا لكل ما افعله بدواعى
الحكمة ولقد دعتنى حكمة بالغة الى ان انزل عليك الامر بالمكافة والمصابرة وسانزل عليك الامر
بالقتال والانتقام بعد حين فاصبر لحكم ربك ولا تطع منهم آثما او كفورا ٭ فاصبر لحكم ربك الصادر
عن الحكمة وتعليقه الامور بالمصالح وتاخيره نصرتك على اعدائك من اهل مكة ولا تطع منهم احدا قلة
صبر منك على اذاهم وضجرا من تاخر الظفر وكانوا مع افراطهم فى العداوة والايذاء له ولمن معه يدعونه

الى

الى ان يرجع عن امره ويبذلون له اموالهم وتزويج اكرم بناتهم ان اجابهم ٭ فان قلت كانوا كلهم كفرة فما
معنى القسمة فى قوله تعالى آثما او كفورا قلت معناه ولا تطع منهم راكبا لما هو اثم داعيا لك اليه او فاعلا
لما هو كفر داعيا لك اليه لانهم اما ان يدعوه الى مساعدتهم على فعل هو اثم او كفر او غير اثم ولا كفر فنهى
ان يساعدهم على الاثنين دون الثالث ٭ وقيل الاثم عتبة والكفور الوليد لان عتبة كان ركابا للمآثم
متعاطيا لانواع الفسوق وكان الوليد غاليا فى الكفر شديد الشكيمة فى العتو ٭ فان قلت معنى
او ولا تطع احدهما فهلا جئ بالواو ليكون نهيا عن طاعتهما جميعا لو قيل ولا تطعهما لجاز ان
يطيع احدهما واذا قيل لا تطع احدهما علم ان الناهى عن طاعة احدهما عن طاعتهما جميعا انهى كما
اذا نهى ان يقول لابويه اف علم انه منهى عن ضربهما على طريق الاولى ٭ واذكر اسم ربك بكرة واصيلا
ومن الليل فاسجد له وسبحه ليلا طويلا ٭ ان هؤلاء يحبون العاجلة ويذرون وراءهم يوما ثقيلا ٭
نحن خلقناهم وشددنا اسرهم واذا شئنا بدلنا امثالهم تبديلا ٭ واذكر اسم ربك بكرة واصيلا
ودم على صلاة الفجر والعصر ٭ ومن الليل فاسجد له وبعض الليل فصل له يعنى صلاة المغرب والعشاء وادخل
من على الظرف للتبعيض كما دخل على المفعول فى قوله عز وجل يغفر لكم من ذنوبكم ٭ وسبحه ليلا طويلا وتهجد
له هزيعا طويلا من الليل ثلثيه او نصفه او ثلثه ٭ ان هؤلاء الكفرة يحبون العاجلة ويؤثرونها على الآخرة
كقوله تعالى بل تؤثرون الحيوة الدنيا ٭ ووراءهم قدامهم او خلف ظهورهم لا يعبؤن به ٭ يوما ثقيلا
استعير الثقل لشدته وهوله من الشئ الثقيل الباهظ لحامله ٭ ونحوه ثقلت فى السموات والارض
الاسر الربط والتوثيق ٭ ومنه اسر الرجل اذا اوثق بالقد وهو الاسار وفرس مأسور الخلق وترس
مأسور بالعقب والمعنى شددنا توصيل عظامهم بعضها ببعض وتوثيق مفاصلهم بالاعصاب ٭ ومثله
قولهم جارية معصوبة الخلق وجدولته ٭ واذا شئنا اهلكناهم وبدلنا امثالهم فى شدة الاسر
يعنى النشأة الاخرى ٭ وقيل معناه بدلنا غيرهم ممن يطيع وحقه ان يجئ بان لا باذا كقوله تعالى وان
تتولوا يستبدل قوما غيركم ٭ ان يشا يذهبكم ٭ ان هذه تذكرة فمن شاء اتخذ الى ربه سبيلا وما
تشاؤن الا ان يشاء الله ان الله كان عليما حكيما ٭ هذه اشارة الى السورة او الى الآيات القريبة
فمن شاء فمن اختار الخير لنفسه وحسن العاقبة واتخاذ السبيل الى الله تعالى عبارة عن التقرب اليه
والتوسل بالطاعة ٭ وما تشاؤن الطاعة الا ان يشاء الله بقسرهم عليها ٭ ان الله كان عليما باحوالهم
وما يكون منهم ٭ حكيما حيث خلقهم مع علمه بهم ٭ وقرئ تشاؤن بالتاء ٭ فان قلت ما محل ان يشاء
الله قلت النصب على الظرف واصله الا وقت مشيئة الله وكذلك قراءة ابن مسعود رضى الله عنه
الا ما يشاء الله لان ما مع الفعل كان معه ٭ يدخل من يشاء فى رحمته والظالمين اعد لهم عذابا
اليما ٭ يدخل من يشاء هم المؤمنون ونصب الظالمين بفعل يفسره اعد لهم نحو اوعد وكافأ وما اشبه
ذلك وقرأ ابن مسعود رضى الله عنه وللظالمين على واعد للظالمين ٭ وقرأ ابن الزبير رضى الله
عنه والظالمون على الابتداء وغيرها اولى لذهاب الطباق بين الجملة المعطوفة والمعطوف عليها
فيها مع مخالفتها للمصحف ٭ عن رسول الله عليه السلام من قرا سورة هل اتى كان جزاؤه على الله جنة وحريرا

بسم الله الرحمن الرحيم والمرسلات عرفا فالعاصفات عصفا والناشرات نشرا فالفارقات فرقا فالم

فالملقيات ذكرا عذرا او نذرا انما توعدون لواقع ۰ اقسم سبحانه وتعالى بطوايف من الملايكة
ارسلهن باوامره فعصفن فى مضيهن كما تعصف الرياح تخففا فى امتثال امره ۰ وبطوايف منهم نشرن
اجنحتهن فى الجو عند انحطاطهن بالوحى ۰ او نشرن الشرايع فى الارض ۰ او نشرن النفوس الموتى بالكفر
والجهل بما اوحين ۰ ففرقن بين الحق والباطل فالقين ذكرا الى الانبياء عذرا للمحقين او نذرا للمبطلين
او اقسم برياح عذاب ارسلهن فعصفن ۰ وبرياح رحمة نشرن السحاب فى الجو ففرقن بينه كقوله تعالى
ويجعله كسفا ۰ او بسحايب نشرن الموات ففرقن بين من يشكر الله وبين من يكفر كقوله عز وجل
لاسقيناهم ماء غدقا لنفتنهم فيه فالقين ذكرا اما عذرا للذين يعتذرون الى الله تعالى بتوبتهم
واستغفارهم اذا راوا نعمة الله تعالى فى الغيث ويشكرونها واما انذارا للذين يغفلون الشكر
لله تعالى وينسبون ذلك الى الانواء ۰ وجعلن ملقيات للذكر لكونهن سببا فى حصوله اذا شكرت
النعمة فيهن او كفرت ۰ فان قلت ما معنى عرفا متتابعة كشعر العرف يقال جاوا عرفا
واحدا وهم عليه كعرف الضبع اذا تالبوا عليه ۰ ويكون بمعنى العرف الذى هو نقيض النكر وانتصابه
على انه مفعول له اى ارسلن للاحسان والمعروف والاول على الحال ۰ وقرئ عرفا على التثقيل نحو
نكر فى نكر ۰ فان قلت قد فسرت المرسلات بملايكة العذاب فكيف يكون ارسالهم معروفا
قلت ان لم يكن معروفا للكفار فانه معروف للانبياء والمؤمنين الذين انتقم الله لهم منهم ۰ فان
قلت ما العذر والنذر وبم انتصبا ۰ قلت هما مصدران من عذر اذا محا الاساءة ومن انذر اذا
خوف على فعل كالكفر والشكر ۰ ويجوز ان يكون جمع عذير بمعنى المعذرة وجمع نذير بمعنى الانذار
او بمعنى العاذر والمنذر ۰ واما انتصابهما فعلى البدل من ذكرا على الوجهين الاولين او على المفعول له
واما على الوجه الثالث فعلى الحال بمعنى عاذرين او منذرين ۰ وقرئا مخففين ومثقلين ان الذى
توعدونه من مجئ يوم القيمة لكاين نازل لا ريب فيه وهو جواب القسم ۰ وعن بعضهم ان المعنى ورب
المرسلات فاذا النجوم طمست واذا السماء فرجت واذا الجبال نسفت واذا الرسل اقتت لاى يوم
اجلت ليوم الفصل وما ادراك ما يوم الفصل ويل يومئذ للمكذبين ۰ طمست محيت ومحقت
وقيل ذهب بنورها ومحق ذواتها موافق لقوله تعالى انتثرت وانكدرت ۰ ويجوز ان يمحق نورها
ثم تنتثر ممحوقة النور ۰ فرجت فتحت فكانت ابوابا قال الفارسى باب الامير المبهم ۰ نسفت كالحب اذا
نسف بالمنسف ۰ ونحوه وبست الجبال بسا وكانت الجبال كثيبا مهيلا ۰ وقيل اخذت بسرعة من
اماكنها من انتسفت الشئ اذا اختطفته ۰ وقرئ طمست وفرجت ونسفت مشددة ۰ قرئ اقتت
ووقتت بالتشديد والتخفيف فيهما والاصل الواو ومعنى توقيت الرسل تبيين وقتها الذى يحضرون
فيه للشهادة على اممهم ۰ والتاجيل من الاجل كالتوقيت من الوقت لاى يوم اجلت تعظيم لليوم
وتعجيب من هوله ليوم الفصل بيان ليوم التاجيل وهو اليوم الذى يفصل فيه بين الخلايق والوجه
ان يكون معنى وقتت بلغت ميقاتها الذى كانت تنتظره وهو يوم القيمة واجلت اخرت ۰ فان قلت
كيف وقع النكرة مبتدا فى قوله تعالى ويل يومئذ للمكذبين ۰ قلت هو فى اصله مصدر منصوب سا
مسد فعله ولكنه عدل به الى الرفع للدلالة على معنى ثبات الهلاك ودوامه للمدعو عليه ۰ ونحوه سلام
عليكم ۰ ويجوز ويلا بالنصب ولكن لم يقرا به يقال ويلا له وويلا كيلا ۰ الم نهلك الاولين ثم نتبعهم
الآخرين كذلك نفعل بالمجرمين ويل يومئذ للمكذبين ۰ قرا قتادة نهلك بفتح النون من هلكه

معنى

معنى اهلكه قال العجاج ومهمه هالك من تعرجا ۰ ثم نتبعهم بالرفع على الاستيناف وهو وعيد لاهل مكة
يريد ثم نفعل بامثالهم من الآخرين مثل ما فعلنا بالاولين ونسلك بهم سبيلهم لانهم كذبوا مثل تكذيبهم
ويقويها قراءة ابن مسعود رضى الله عنه ثم سنتبعهم ۰ وقرئ بالجزم للعطف على نهلك ومعناه انه
اهلك الاولين من قوم نوح وعاد وثمود ثم اتبعهم الآخرين من قوم شعيب ولوط وموسى عليهم السلام
كذلك مثل ذلك الفعل الشنيع نفعل بكل من اجرم انذارا وتحذيرا من عاقبة الجرم وسوء اثره الم نخلقكم
من ماء مهين فجعلناه فى قرار مكين الى قدر معلوم فقدرنا فنعم القادرون ۰ ويل يومئذ
للمكذبين ۰ الى قدر معلوم الى مقدار من الوقت معلوم قد علمه الله وحكم به وهو تسعة الاشهر او ما
دونها او ما فوقها فقدرنا فقدرنا ذلك تقديرا فنعم القادرون فنعم المقدرون له نحن او فقدرنا
على ذلك فنعم القادرون عليه نحن والاول اولى لقراءة من قرا فقدرنا بالتشديد ولقوله تعالى من
نطفة خلقه فقدره الم نجعل الارض كفاتا احياء وامواتا وجعلنا فيها رواسى شامخات واسقيناكم
ماء فراتا ويل يومئذ للمكذبين ۰ الكفات من كفت الشئ اذا ضمه وجمعه وهو اسم ما يكفت كقولهم
الضمام والجماع لما يضم ويجمع ويقال هذا الباب جماع الابواب وبه انتصب احياء وامواتا كانه قيل
كافتة احياء وامواتا ۰ او بفعل مضمر يدل عليه وهو تكفت والمعنى تكفت احياء على ظهرها وامواتا
فى بطنها وقد استدل بعض اصحاب الشافعى رضى الله عنه على قطع النباش بان الله تعالى جعل الارض كفاتا
للاموات فكان بطنها حرزا لهم فالنباش سارق من الحرز ۰ فان قلت لم قيل احياء وامواتا على التنكير وهى
كفات الاحياء والاموات جميعا ۰ قلت هو من تنكير التفخيم كانه قيل تكفت احياء لا يعدون وامواتا لا
يحصرون على ان احياء الانس وامواتهم ليس بجميع الاحياء والاموات ۰ ويجوز ان يكون المعنى تكفتكم
احياء وامواتا فينتصبا على الحال من الضمير لانه قد علم انها كفات الانس ۰ فان قلت فالتنكير فى رواسى
شامخات وماء فراتا ۰ قلت يحتمل افادة التبعيض لان فى السماء جبالا قال تعالى من جبال فيها من برد وفيها
ماء فرات ايضا بل هى معدنه ومصبه وان يكون للتفخيم انطلقوا الى ما كنتم به تكذبون انطلقوا
الى ظل ذى ثلث شعب لا ظليل ولا يغنى من اللهب انها ترمى بشرر كالقصر كانه جمالات صفر
ويل يومئذ للمكذبين ۰ اى يقال لهم انطلقوا الى ما كذبتم به من العذاب وانطلقوا الثانى تكرير ۰
وقرئ انطلقوا على لفظ الماضى اخبارا بعد الامر عن عملهم بموجبه لانهم مضطرون اليه لا يستطيعون
امتناعا منه ۰ الى ظل يعنى دخان جهنم كقوله تعالى وظل من يحموم ۰ ذى ثلاث شعب يتشعب لعظمه ثلث
شعب وهكذا الدخان العظيم تراه يتفرق ذوايب ۰ وقيل يخرج لسان من النار فيحيط بالكفار كالسرادق
ويتشعب من دخانها ثلث شعب فيظلهم حتى يفرغ من حسابهم والمؤمنون فى ظل العرش ۰ لا ظليل تهكم بهم
وتعريض بان ظلهم غير ظل المؤمنين ۰ ولا يغنى فى محل الجر اى وغير مغن عنهم من حر اللهب شيئا بشرر
وقرئ بشرار كالقصر اى كل شررة كالقصر من القصور فى عظمها ۰ وقيل هو الغليظ من الشجر الواحدة
قصرة نحو جمرة وجمر ۰ وقرئ كالقصر بفتحتين وهى اعناق الابل او اعناق النخل نحو شجرة وشجر ۰ وقرا ابن
مسعود رضى الله عنه كالقصر بمعنى القصور كرهن ورهن ۰ وقرا سعيد بن جبير رضى الله عنه كالقصر
فى جمع قصرة كحاجة وحوج ۰ جمالات جمع جمال او جمالة جمع جمل شبهت بالقصور ثم بالجمال لبيان
التشبيه ۰ الا تراهم يشبهون الابل بالافدان والمجادل ۰ وقرئ جمالات بالضم وهى قلوس الجسور
وقيل قلوس سفن البحر الواحدة جمالة ۰ وقرئ جمالة بالكسر بمعنى جمال وجمالة بالضم وهى القلس

عند الشافعي بطن الارض حرز

[illegible]

وقيل صفر لارادة الجنس وقيل صفر سود تضرب الى الصفرة وفي شعر عمران بن حطان الخارجي
دعتهم باعلى صوتها ورمتهم بمثل الجمال الصفر نزاعة الشوى وقال ابو العلا
حمراء ساطعة الذوائب في الدجى ترمي بكل شرارة كطراف فشبهها بالطراف وهو بيت
الادم في العظم والحمرة وكانه قصد بخبثه ان يزيد على تشبيه القرآن ولتبجحه بما سول له من توهم
الزيادة جاء في صدر بيته بقوله حمراء توطئة لها ومناداة عليها وتنبيها للسامعين على مكانها ولقد
عمي جمع الله له عمى الدارين عن قوله تعالى كانه جمالات صفر فانه بمنزلة قوله كبيت احمر وعلى ان في
التشبيه بالقصر وهو الحصن تشبيها من جهتين من جهة العظم ومن جهة الطول في الهواء وفي التشبيه
بالجمالات وهي القلوس تشبيها من ثلاث جهات من جهة العظم والطول والصفرة فابعد الله تعالى
اغرابه في طرافه وما نفخ شدقيه من استطرافه هذا يوم لا ينطقون ولا يؤذن لهم فيعتذرون ويل
يومئذ للمكذبين هذا يوم الفصل جمعناكم والاولين فان كان لكم كيد فكيدون ويل
يومئذ للمكذبين قرئ بنصب اليوم ونصبه الاعمش اي هذا الذي قص عليكم واقع يومئذ ويوم القيمة
طويل ذو مواطن ومواقيت ينطقون في وقت ولا ينطقون في وقت ولذلك ورد الامران في القرآن او
جعل نطقهم كلا نطق لانه لا ينفع ولا يسمع فيعتذرون عطف على يؤذن منخرط في سلك النفي والمعنى
ولا يكون لهم اذن واعتذار متعقب له من غير ان يجعل الاعتذار مسببا عن الاذن ولو نصب لكان
مسببا عنه لا محالة جمعناكم والاولين كلام موضح لقوله تعالى هذا يوم الفصل لانه اذا كان يوم
الفصل بين السعداء والاشقياء وبين الانبياء واممهم فلا بد من جمع الاولين والآخرين حتى يقع ذلك
الفصل بينهم فان كان لكم كيد فكيدون تقريع لهم على كيدهم لدين الله عز وجل وذويه وتسجيل عليهم
بالعجز والاستكانة ان المتقين في ظلال وعيون وفواكه مما يشتهون كلوا واشربوا هنيئا بما
كنتم تعملون انا كذلك نجزي المحسنين ويل يومئذ للمكذبين كلوا وتمتعوا قليلا انكم
مجرمون ويل يومئذ للمكذبين كلوا واشربوا في موضع الحال من ضمير المتقين في الظرف الذي
هو في ظلال اي هم مستقرون في ظلال مقولا لهم ذلك وكلوا وتمتعوا حال من ضمير المكذبين اي الويل
ثابت لهم في حال ما يقال لهم كلوا وتمتعوا **فان قلت** كيف يصح ان يقال لهم ذلك في الآخرة **قلت**
يقال لهم ذلك ايذانا بانهم كانوا في الدنيا احقاء بان يقال لهم وكانوا من اهله تذكيرا بحالهم السمجة وبما
جنوا على انفسهم من ايثار المتاع القليل على النعيم والملك الخالد وفي طريقته قوله
اخوتي لا تبعدوا ابدا وبلى والله قد بعدوا يريد كنتم احقاء في حياتكم بان يدعى لكم
بذلك وعلل ذلك بكونهم مجرمين دلالة على ان كل مجرم ماله الا الاكل والتمتع اياما قلائل ثم البقاء في
الهلاك ابدا ويجوز ان يكون كلوا وتمتعوا كلاما مستأنفا خطابا للمكذبين في الدنيا واذا قيل
لهم اركعوا لا يركعون ويل يومئذ للمكذبين فبأي حديث بعده يؤمنون اركعوا اخشعوا
لله وتواضعوا له بقبول وحيه واتباع دينه واطرحوا هذا الاستكبار والنخوة لا يخشعون ولا يقبلون
ذلك ويصرون على استكبارهم وقيل ما كان على العرب اشد من الركوع والسجود وقيل نزلت في ثقيف حين
امرهم رسول الله عليه السلام بالصلوة فقالوا لا نجبي فانها مسبة علينا فقال صلى الله عليه وسلم لا
خير في دين ليس فيه ركوع ولا سجود بعده بعد القرآن يعني ان القرآن من بين الكتب المنزلة آية مبصرة
ومعجزة باهرة فحين لم يؤمنوا به فباي كتاب بعده يؤمنون وقرئ تؤمنون بالتاء عن رسول

الله

الله عليه السلام من قرأ سورة والمرسلات كتب له انه ليس من المشركين والله اعلم بالصواب

وهي اربعون او احدى واربعون آية عم يتساءلون عن النبأ العظيم الذي هم فيه مختلفون كلا
سيعلمون ثم كلا سيعلمون عم اصله عما على انه حرف جر دخل على ما الاستفهامية وهو في قراءة
عكرمة وعيسى بن عمر وقال حسان على ما قام يشتمني لئيم كخنزير تمرغ في رماد
والاستعمال الكثير على الحذف والاصل قليل ومعنى هذا الاستفهام تفخيم الشان كانه قال عن اي
شيء يتساءلون ونحوه ما في قولك زيد ما زيد جعلته لانقطاع قرينه وعدم نظيره كانه شيء خفي عليك
جنسه فانت تسأل عن جنسه وتفحص عن جوهره كما تقول ما الغول وما العنقاء تريد اي شيء هو من الاشياء
هذا اصله ثم جرد للعبارة عن التفخيم حتى وقع في كلام من لا يخفى عليه خافية يتساءلون يسأل بعضهم
بعضا او يتساءلون غيرهم من رسول الله والمؤمنين نحو يتداعونهم ويترائونهم والضمير لاهل مكة كانوا
يتساءلون فيما بينهم عن البعث ويتساءلون غيرهم عنه على طريق الاستهزاء عن النبأ العظيم بيان للشان
المفخم وعن ابن كثير انه قرأ عمه بهاء السكت ولا يخلو اما ان يجري الوصل مجرى الوقف واما
ان يقف ويبتدئ يتساءلون عن النبأ العظيم على ان يضمر يتساءلون لان ما بعده يفسره كشيء يبهم ثم
يفسر **فان قلت** قد زعمت ان الضمير في يتساءلون للكفار فما تصنع بقوله هم فيه مختلفون **قلت**
كان فيهم من يقطع القول بانكار البعث ومنهم من يشك وقيل الضمير للمسلمين والكافرين جميعا
وكانوا جميعا يسألون عنه اما المسلم فليزداد خشية واستعدادا واما الكافر فليزداد استهزاء وقيل
المتساءل عنه القرآن وقيل نبوة محمد عليه السلام وقرئ يساءلون بالادغام وستعلمون بالتاء
كلا ردع للمتسائلين هزؤا وسيعلمون وعيد لهم بانهم سوف يعلمون ان ما يتساءلون عنه ويضحكون
منه حق لانه واقع لا ريب فيه وتكرير الردع مع الوعيد تشديد في ذلك ومعنى ثم الاشعار بان الوعيد
الثاني ابلغ من الاول واشد الم نجعل الارض مهادا والجبال اوتادا وخلقناكم ازواجا وجعلنا
نومكم سباتا وجعلنا الليل لباسا وجعلنا النهار معاشا وبنينا فوقكم سبعا شدادا
وجعلنا سراجا وهاجا **فان قلت** كيف اتصل به قوله الم نجعل الارض مهادا **قلت** لما
انكروا البعث قيل لهم الم يخلق من يضاف اليه البعث هذه الخلائق العجيبة الدالة على كمال القدرة
فما وجه انكار قدرته على البعث وما هو الا اختراع كهذه الاختراعات او قيل لهم الم يفعل هذه
الافعال المتكاثرة والحكيم لا يفعل فعلا عبثا وما تنكرونه من البعث والجزاء مؤد الى انه عابث في كل
ما فعل مهادا فراشا وقرئ مهدا ومعناه انها لهم كالمهد للصبي وهو ما يمهد له فينوم عليه
تسمية للممهود بالمصدر كضرب الامير او وصفت بالمصدر او بمعنى ذات مهد اي ارسيناها بالجبال
كما يرسي البيت بالاوتاد سباتا موتا والمسبوت الميت من السبت وهو القطع لانه مقطوع عن الحركة
والنوم احد التوفيين وهو على بناء الادواء ولما جعل النوم موتا جعل اليقظة معاشا اي حيوة في قوله
تعالى وجعلنا النهار معاشا اي وقت معاش تستيقظون فيه وتتقلبون في حوائجكم ومكاسبكم
وقيل السبات الراحة لباسا يستركم عن العيون اذا اردتم هربا من عدو او بياتا له او اخفاء ما لا تحبون
الاطلاع عليه من كثير من الامور وكم لظلام الليل عندك من يد تخبر ان المانوية تكذب سبعا سبع

عوان • شداد اجمع شديدة يعني محكمة قوية الخلق لا يؤثر فيها مرور الازمان • وهاجا متلألئا وقادا •
يعني الشمس ... اذا تلظت فتوهجت بضوئها وحرها • وانزلنا من المعصرات ماء ثجاجا لنخرج
به حبا ونباتا وجنات الفافا • المعصرات السحائب اذا اعصرت اي شارفت ان تعصرها الرياح فتمطر
كقولك اجز الزرع اذا حان له ان يجز • ومنه اعصرت الجارية اذا دنت ان تحيض • وقرأ عكرمة
بالمعصرات • وفيه وجهان ان يراد الرياح التي حان لها ان تعصر السحاب • وان يراد السحائب لانه
اذا كان الانزال منها فهو بها كما تقول اعطى من يده درهما واعطى بيده • وعن مجاهد المعصرات
الرياح ذوات الاعاصير • وعن الحسن رحمة الله عليه وقتادة هي السموات وتأويله ان الماء ينزل
من السماء الى السحاب فكأن السموات يعصرن اي يحملن على العصر ويمكن منه • فان قلت فما
وجه من قرأ من المعصرات وفسرها بالرياح ذوات الاعاصير والمطر لا ينزل من الرياح
قلت الرياح هي التي تنشئ السحاب • ويدر اخلافه فيصح ان يجعل مبتدأ للانزال وقد جاء ان الله تعالى يبعث
الرياح فتحمل الماء من السماء الى السحاب فان صح ذلك فالانزال منها ظاهر • فان قلت ذكر ابن كيسان
انه جعل المعصرات بمعنى المغيثات والعاصر هو المغيث لا المعصر يقال عصره فاعتصر • قلت وجهه
ان يريد اللاتي اعصرن اي حان لها ان تعصر اي تغيث • ثجاجا منصبا بكثرة يقال ثجه وثج بنفسه
وفي الحديث افضل الحج العج والثج اي رفع الصوت بالتلبية وصب دماء الهدي • وكان ابن عباس رضي
الله عنهما مثجا يسيل غربا يعني يثج الكلام ثجا في خطبته • وقرأ الاعرج ثجاحا ومثاجح الماء مصابه والماء
ينثجح في الوادي • حبا ونباتا يريد ما يتقوت به من نحو الحنطة والشعير وما يعتلف من التبن والحشيش كما قال
تعالى كلوا وارعوا انعامكم • والحب ذو العصف والريحان • الفافا ملتفة ولا واحد له كالاوزاع
والاخياف • وقيل الواحد لف • وقال صاحب الاقليد انشدني الحسن بن علي الطوسي •
• جنة لف وعيش مغدق • وندامى كلهم بيض زهر • وزعم ابن قتيبة انه لفاء ولف ثم الفاف
وما اظنه واجدا له نظيرا من نحو خضر واخضار وحمر واحمار ولو قيل هو جمع ملتفة بتقدير حذف الزوائد
لكان قولا وجيها • ان يوم الفصل كان ميقاتا • يوم ينفخ في الصور فتأتون افواجا • وفتحت السماء
فكانت ابوابا • وسيرت الجبال فكانت سرابا • كان ميقاتا كان في تقدير الله وحكمه حدا توقت
به الدنيا وتنتهي عنده او حدا للخلائق ينتهون اليه • يوم ينفخ في الصور بدل من يوم الفصل او عطف
بيان • فتأتون افواجا من القبور الى الموقف امما كل امة مع امامهم • وقيل جماعات مختلفة • وعن معاذ
رضي الله عنه انه سأل عنه رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال يا معاذ سألت عن امر عظيم من الامور
ثم ارسل عينيه وقال تحشر عشرة اصناف من امتي بعضهم على صورة القردة وبعضهم على صورة الخنازير وبعضهم
منكسون ارجلهم فوق وجوههم يسحبون عليها وبعضهم عميا وبعضهم صما بكما وبعضهم يمضغون السنتهم فهي
مدلاة على صدورهم يسيل القيح من افواههم يتقذرهم اهل الجمع وبعضهم مقطعة ايديهم وارجلهم
وبعضهم مصلبون على جذوع من نار • وبعضهم اشد نتنا من الجيف وبعضهم ملبسون جبابا سابغة من
قطران لازقة بجلودهم فاما الذين على صورة القردة فالقتات من الناس • واما الذين على صورة الخنازير
فاهل السحت • واما المنكسون على وجوههم فأكلة الربا • واما العمي فالذين يجورون في الحكم • واما الصم
والبكم فالمعجبون باعمالهم • واما الذين يمضغون السنتهم فالعلماء والقصاص الذين خالف قولهم اعمالهم •
واما الذين قطعت ايديهم وارجلهم فهم الذين يؤذون الجيران • واما المصلبون على جذوع من نار فالسعاة

بالناس

بالناس الى السلطان • واما الذين هم اشد نتنا من الجيف فالذين يتبعون الشهوات واللذات ومنعوا حق
الله في اموالهم • واما الذين يلبسون الجباب فاهل الكبر والفخر والخيلاء • وقرئ وفتحت بالتشديد
والتخفيف والمعنى كثرت ابوابها المفتحة لنزول الملائكة كأنها ليست الا ابوابا مفتحة كقوله تعالى
وفجرنا الارض عيونا كأن كلها عيون تتفجر • وقيل الابواب الطرق والمسالك اي تكشط فينفتح مكانها
وتصير طرقا لا يسدها شيء • فكانت سرابا كقوله تعالى فكانت هباء منبثا يعني انها تصير شيئا كلا
شيء لتفرق اجزائها وانبثاث جواهرها • ان جهنم كانت مرصادا للطاغين مآبا لابثين فيها
احقابا لا يذوقون فيها بردا ولا شرابا الا حميما وغساقا جزاء وفاقا • المرصاد الحد الذي يكون
فيه الرصد والمعنى ان جهنم هي حد الطاغين الذين يرصدون فيه للعذاب وهي مآبهم او هي مرصاد
لاهل الجنة ترصدهم الملائكة الذين يستقبلونهم عندها لان مجازهم عليها وهي مآب للطاغين
وعن الحسن وقتادة رحمة الله عليهما نحوه قالا طريقا وممرا لاهل الجنة • وقرأ ابن يعمر ان جهنم
بفتح الهمزة على تعليل قيام الساعة بان جهنم كانت مرصادا للطاغين كأنه قيل كان ذلك لاقامة الجزاء
قرئ لابثين ولبثين واللبث اقوى لان اللابث من وجد منه اللبث ولا يقال لبث الا لمن شأنه
اللبث كالذي يجثم بالمكان لا يكاد ينفك منه • احقابا حقبا بعد حقب كلما مضى حقب تبعه آخر الى غير نهاية
ولا يكاد يستعمل الحقب والحقبة الا حيث يراد تتابع الازمنة وتواليها والاشتقاق يشهد لذلك
الا ترى الى حقيبة الراكب والحقب الذي وراء التصدير • وقيل الحقب ثمانون سنة • ويجوز ان يراد لا
بثين فيها احقابا غير ذائقين بردا ولا شرابا الا حميما وغساقا ثم يبدلون بعد الاحقاب غير الحميم
والغساق من جنس آخر من العذاب • وفيه وجه آخر وهو ان يكون من حقب عامنا اذا قل مطره وخيره
وحقب فلان اذا اخطأه الرزق فهو حقب وجمعه احقاب فينتصب حالا عنهم يعني لابثين فيها حقبين
جحدين وقوله تعالى لا يذوقون فيها بردا ولا شرابا تفسير له والاستثناء منقطع يعني لا يذوقون
فيها بردا وروحا ينفس عنهم حر النار • ولا شرابا يسكن من عطشهم ولكن يذوقون فيها حميما وغساقا • وقيل
البرد النوم وانشد • فلو شئت حرمت النساء سواكم • وان شئت لم اطعم نقاخا ولا بردا •
وعن بعض العرب منع البرد البرد • وقرئ غساقا بالتخفيف والتشديد وهو ما يغسق اي يسيل من
صديدهم • وفاقا وصف بالمصدر او ذا وفاق • وقرأ ابو حيوة وفاقا فعال من وفقه كذا • انهم كانوا لا
يرجون حسابا • وكذبوا باياتنا كذابا • وكل شيء احصيناه كتابا • فذوقوا فلن نزيدكم الا عذابا
كذابا تكذيبا • وفعال في باب فعل كله فاش في كلام فصحاء العرب لا يقولون غيره وسمعني بعضهم افسر
آية فقال لقد فسرتها فسارا ما سمع بمثله • وقرئ بالتخفيف وهو مصدر كذب بدليل قوله •
• فصدقتها وكذبتها • والمرء ينفعه كذابه • وهو مثل قوله تعالى انبتكم من الارض نباتا يعني وكذبوا
باياتنا فكذبوا كذابا • او تنصبه بكذبوا لانه يتضمن معنى كذبوا لان كل مكذب بالحق كاذب • وان جعلته
بمعنى المكاذبة فمعناه وكذبوا باياتنا فكاذبوا مكاذبة او كذبوا بها مكاذبين لانهم اذا كانوا عند المسلمين
كاذبين وكان المسلمون عندهم كاذبين فبينهم مكاذبة • او لانهم يتكلمون بما هو افراط في الكذب فعل من
يغالب في امر فيبلغ فيه اقصى جهده • وقرئ كذابا وهو جمع كاذب اي كذبوا باياتنا كاذبين وقد يكون
الكذاب بمعنى الواحد البليغ في الكذب يقال رجل كذاب كقولك حسان وبخال فيجعل صفة لمصدر
كذبوا اي تكذيبا كذابا مفرطا كذبه • وقرأ ابو السمال وكل شيء احصيناه بالرفع على الابتداء • كتابا

مصدر في موضع احصاء او احصينا في معنى كتبنا لالتقاء الاحصاء والكتبة في معنى الضبط والتحصيل او يكون حالا في معنى مكتوبا في اللوح وفي صحف الحفظة والمعنى احصاء معاصيهم كقوله عز وجل احصاه الله ونسوه وهو اعتراض وقوله فذوقوا مسبب عن كفرهم بالحساب وتكذيبهم بالآيات وهي آية في غاية الشدة وناهيك بلن نزيدكم وبدلالته على ان ترك الزيادة كالمحال الذي لا يدخل تحت الصحة وبمجيئها على طريقة الالتفات شاهدا على ان الغضب قد تبالغ وعن النبي صلى الله عليه وسلم هذه الآية اشد ما في القرآن على اهل النار **ان للمتقين مفازا حدائق واعنابا وكواعب اترابا وكاسا دهاقا** مفازا فوزا وظفرا بالبغية او موضع فوز وقيل نجاة مما فيه اولئك او موضع نجاة وفسر المفاز بما بعده والحدائق البساتين فيها انواع الشجر المثمر والاعناب الكروم والكواعب اللاتي فلكت ثديهن والنواهد والاتراب اللدات والدهاق المترعة وادهق الحوض ملأه حتى قال قطني **لا يسمعون فيها لغوا ولا كذابا جزاء من ربك عطاء حسابا** وقرئ ولا كذابا بالتشديد والتخفيف اي لا يكذب بعضهم بعضا او لا يكذبه او لا يكاذبه وعن علي رضي الله عنه انه قرأ بتخفيف الاثنين جزاء مصدر مؤكد منصوب بمعنى قوله تعالى ان للمتقين مفازا كأنه قال جازى المتقين بمفاز وعطاء نصب بجزاء نصب المفعول به اي جزاهم عطاء وحسابا صفة بمعنى كافيا من احسبه الشيء اذا كفاه حتى قال حسبي وقيل على حسب اعمالهم وقرأ ابن قطيب حسابا بالتشديد على ان الحساب بمعنى المحسب كالدراك بمعنى المدرك **رب السموات والارض وما بينهما الرحمن لا يملكون منه خطابا** وقرئ رب السموات والرحمن بالرفع على هو رب السموات الرحمن او رب السموات مبتدأ والرحمن صفة ولا يملكون خبر او هما خبران وبالجر على البدل من ربك وبجر الاول ورفع الثاني على انه مبتدأ خبره لا يملكون او هو الرحمن لا يملكون والضمير في لا يملكون لاهل السموات والارض اي ليس في ايديهم مما يخاطب به الله تعالى ويأمر به في امر الثواب والعقاب خطاب واحد يتصرفون فيه تصرف الملاك فيزيدون فيه او ينقصون منه او لا يملكون ان يخاطبوه بشيء من نقص العذاب او زيادة في الثواب الا ان يهب لهم ذلك ويأذن فيه **يوم يقوم الروح والملائكة صفا لا يتكلمون الا من اذن له الرحمن وقال صوابا ذلك اليوم الحق فمن شاء اتخذ الى ربه مآبا** ويوم يقوم متعلق بلا يملكون او بلا يتكلمون والمعنى ان الذين هم افضل الخلائق واشرفهم واكثرهم طاعة واقربهم منه وهم الروح والملائكة لا يملكون التكلم بين يديه فما ظنك بمن عداهم من اهل السموات والارض والروح اعظم خلقا من الملائكة واشرف منهم واقرب من رب العالمين وقيل هو ملك عظيم ما خلق الله تعالى بعد العرش خلقا اعظم منه وقيل ليسوا بالملائكة وهم يأكلون وقيل هو جبريل عليه السلام ويحتمل ان يكون المتكلم منهم مأذونا له في الكلام وان يتكلم بالصواب فلا يشفع لغير مرتضى لقوله تعالى ولا يشفعون الا لمن ارتضى **انا انذرناكم عذابا قريبا يوم ينظر المرء ما قدمت يداه ويقول الكافر يا ليتني كنت ترابا** المرء هو الكافر لقوله تعالى انا انذرناكم عذابا قريبا والكافر ظاهر وضع موضع الضمير لزيادة الذم ويعني ما قدمت يداه من الشر كقوله تعالى وذوقوا عذاب الحريق ذلك بما قدمت ايديكم وتذييل يوم القيمة عذاب الحريق ذلك بما قدمت يداك بما قدمت ايديهم والله عليم بالظالمين وما يجوز ان تكون استفهامية منصوبة بقدمت اي ينظر اي شيء قدمت يداه وموصولة منصوبة بينظر يقال نظرته بمعنى نظرت اليه والراجع من الصلة محذوف وقيل

المرء عام وخصص منه الكافر وعن قتادة هو المؤمن يا ليتني كنت ترابا في الدنيا فلم اخلق ولم اكلف او ليتني كنت ترابا في هذا اليوم فلم ابعث وقيل يحشر الله تعالى الحيوان غير المكلف حتى يقتص للجماء من القرناء ثم يرده ترابا فيود الكافر حاله وقيل الكافر ابليس عليه اللعنة يرى آدم عليه السلام وولده وثوابهم فيتمنى ان يكون الشيء الذي احتقره حين قال خلقتني من نار وخلقته من طين عن رسول الله عليه السلام من قرأ سورة عم يتساءلون سقاه الله برد الشراب يوم القيمة والله اعلم بالصواب

بسم الله الرحمن الرحيم **والنازعات غرقا والناشطات نشطا والسابحات سبحا فالسابقات سبقا فالمدبرات امرا** اقسم سبحانه وتعالى بطوائف من الملائكة التي تنزع الارواح من الاجساد وبالطوائف التي تنشطها اي تخرجها من نشط الدلو من البئر اذا اخرجها وبالطوائف التي تسبح في مضيها اي تسرع فتسبق الى ما امروا به فتدبر امرا من امور العباد مما يصلحهم في دينهم او دنياهم كما رسم لهم غرقا اي اغراقا في النزع اي تنزعها من اقاصي الاجساد من اناملها واظفارها او اقسم بخيل الغزاة التي تنزع في اعنتها نزعا تغرق فيه الاعنة لطول اعناقها لانها عراب والتي تخرج من دار الاسلام الى دار الحرب من قولك ثور ناشط اذا خرج من بلد الى بلد والتي تسبح في جريها فتسبق الى الغاية فتدبر امر الغلبة والظفر واسناد التدبير اليها لانها من اسبابه او اقسم بالنجوم التي تنزع من المشرق الى المغرب واغراقها في النزع ان تقطع الفلك كله حتى تنحط في اقصى الغرب والتي تخرج من برج الى برج والتي تسبح في الفلك من السيارة فتسبق فتدبر امرا من علم الحساب وقيل النازعات ايدي الغزاة او انفسهم تنزع القسي باغراق السهام والتي تنشط الاوهاق والمقسم عليه محذوف وهو لتبعثن لدلالة ما بعده عليه من ذكر القيمة **يوم ترجف الراجفة تتبعها الرادفة قلوب يومئذ واجفة ابصارها خاشعة** ويوم ترجف منصوب بهذا المضمر والراجفة الواقعة التي ترجف عندها الارض والجبال وهي النفخة الاولى وصفت بما يحدث بحدوثها تتبعها الرادفة اي الواقعة التي تردف الاولى وهي النفخة الثانية ويجوز ان تكون الرادفة من قوله جل وعلا عسى ان يكون ردف لكم بعض الذي تستعجلون اي القيمة التي يستعجلها الكفرة استبعادا لها وهي رادفة لهم لاقتراب بها وقيل الراجفة الارض والجبال من قوله تعالى يوم ترجف الارض والجبال والرادفة السماء والكواكب لانها تنشق وتنتثر كواكبها على اثر ذلك فان قلت ما محل تتبعها قلت الحال اي ترجف تابعها الرادفة فان قلت كيف جعلت يوم ترجف ظرفا للمضمر الذي هو لتبعثن ولا يبعثون عند النفخة الاولى المعنى لتبعثن في الوقت الواسع الذي تقع فيه النفختان وهم يبعثون في بعض ذلك الوقت الواسع وهو وقت النفخة الاخرى ودل على ذلك ان قوله تعالى تتبعها الرادفة جعل حالا عن الراجفة ويجوز ان ينتصب يوم ترجف بما دل عليه قلوب يومئذ واجفة اي يوم ترجف وجفت القلوب واجفة شديدة الاضطراب والوجيب والوجيف اخوان خاشعة ذليلة فان قلت كيف جاز الابتداء بالنكرة قلت قلوب مرفوعة بالابتداء وواجفة صفتها وابصارها خاشعة خبرها فهو كقوله تعالى ولعبد مؤمن خير من مشرك فان قلت كيف صح اضافة الابصار الى القلوب قلت معناه ابصار اصحابها بدليل قوله يقولون **يقولون ائنا لمردودون في الحافرة ائذا كنا عظاما نخرة** في الحافرة في الحالة

الأولى يعنون الحياة بعد الموت **فان قلت** ما حقيقة هذه الكلمة **قلت** يقال رجع فلان في حافرته
اي في طريقه التي جاء فيها فحفرها اي اثر فيها بمشيه فيها جعل اثر قدميه حفرا كما قيل حفرت اسنانه حفرا اذا
اثر الاكال في اسناخها والخط المحفور في الصخر وقيل حافرة كما قيل عيشة راضية اي منسوبة الى الحفر والرضا
او كقولهم نهارك صائم ثم قيل لمن كان في امر فخرج منه ثم عاد اليه رجع الى حافرته اي الى طريقته وحالته
الاولى **قال** احافرة على صلع وشيب معاذ الله من سفه وعار يريد ارجوعا الى الحافرة وقيل
النقد عند الحافرة يريدون عند الحالة الاولى وهي الصفقة وقرأ ابو حيوة في الحفرة والحفرة
بمعنى المحفورة يقال حفرت اسنانه فحفرت حفرا وهي حفرة وهذه القراءة دليل على ان الحافرة في اصل
الكلمة بمعنى المحفورة يقال نخر العظم فهو نخر وناخر كقولك طمع فهو طامع وفعل ابلغ من فاعل وقد قرئ
بهما وهو البالي الاجوف الذي تمر فيه الريح فيسمع له نخير **قالوا تلك اذا كرة خاسرة فانما هي زجرة
واحدة فاذا هم بالساهرة** واذا منصوب بمحذوف تقديره ائذا كنا عظاما نردّ ونبعث كرة
خاسرة منسوبة الى الخسران او خاسر اصحابها والمعنى انها ان صحت فنحن اذا خاسرون لتكذيبنا بها وهذا
استهزاء منهم **فان قلت** بم تعلق قوله فانما هي زجرة واحدة **قلت** بمحذوف معناه لا تستصعبوها
فانما هي زجرة واحدة يعني لا تحسبوا تلك الكرة صعبة على الله فانها سهلة هينة في قدرته تعالى ما هي
الا صيحة واحدة يريد النفخة الثانية فاذا هم احياء على وجه الارض بعد ما كانوا امواتا في جوفها
من قولهم زجر البعير اذا صاح عليه والساهرة الارض البيضاء المستوية سميت بذلك لان السراب
يجري فيها من قولهم عين ساهرة جارية الماء وفي ضدها نائمة **قال** الاشعث بن قيس رضي الله عنهما
وساهرة يضحي السراب مجللا لاقطارها قد جبتها متلثما او لان سالكها لا ينام خوف
الهلكة وعن قتادة فاذا هم في جهنم **هل اتاك حديث موسى اذ ناداه ربه بالواد المقدس طوى
اذهب الى فرعون انه طغى فقل هل لك الى ان تزكى واهديك الى ربك فتخشى** اذهب على ارادة
القول وفي قراءة عبد الله ان اذهب لان في النداء معنى القول هل لك في كذا وهل لك الى كذا كما تقول
هل ترغب فيه وهل ترغب اليه الى ان تزكى الى ان تتطهر من الشرك **وقرأ** اهل المدينة تزكى بالادغام
واهديك الى ربك وارشدك الى معرفة الله وانبهك عليه فتعرفه فتخشى لان الخشية لا تكون الا
بالمعرفة قال الله تعالى انما يخشى الله من عباده العلماء اي العلماء به وذكر الخشية لانها ملاك الامر من
خشي الله اتى منه كل خير ومن امن اجترأ على كل شر ومنه قوله صلى الله عليه وسلم من خاف ادلج ومن ادلج
بلغ المنزل بدأ مخاطبته بالاستفهام الذي معناه العرض كما يقول الرجل لضيفه هل لك ان تنزل بنا
واردفه الكلام الرقيق ليستدعيه بالتلطف في القول ويستنزله بالمداراة من عتوه كما امر بذلك
في قوله تعالى فقولا له قولا لينا **فاراه الآية الكبرى فكذب وعصى ثم ادبر يسعى فحشر فنادى فقال
انا ربكم الاعلى** الآية الكبرى قلب العصا حية لانها كانت المقدمة والاصل والاخرى كالتبع لها لانه
كان يتقيها بيده فقيل له ادخل يدك في جيبك او ارادهما جميعا الا انه جعلهما واحدة لان الثانية
كانها من جملة الاولى لكونها تابعة لها فكذب بموسى عليه السلام والآية الكبرى وسماها ساحرا
وسحرا وعصى الله تعالى بعد ما علم صحة الامر وان الطاعة قد وجبت عليه ثم ادبر يسعى اي لما رأى
الثعبان ادبر مرعوبا يسعى يسرع في مشيته قال الحسن رحمة الله عليه كان رجلا طياشا خفيفا او تولى
عن موسى عليه السلام يسعى ويجتهد في مكايدته او اريد ثم اقبل يسعى كما تقولا اقبل فلان يفعل كذا بمعنى انشا

يفعل فوضع ادبر موضع اقبل لئلا يوصف بالاقبال فحشر فجمع السحرة كقوله تعالى فارسل فرعون في المدائن
حاشرين فنادى في المقام الذي اجتمعوا فيه معه او امر مناديا فنادى في الناس بذلك وقيل قام
فيهم خطيبا فقال تلك العظيمة وعن ابن عباس رضي الله عنهما كلمته الاولى ما علمت لكم من اله غيري والآخرة
انا ربكم الاعلى **فاخذه الله نكال الآخرة والاولى ان في ذلك لعبرة لمن يخشى** هو مصدر مؤكد
كوعد الله وصبغة الله كانه قيل نكل الله به نكال الآخرة والاولى والنكال بمعنى التنكيل كالسلام
بمعنى التسليم يعني الاغراق في الدنيا والاحراق في الآخرة وعن ابن عباس رضي الله عنهما نكال كلمتيه
الآخرة وهي قوله انا ربكم الاعلى والاولى وهي قوله ما علمت لكم من اله غيري وقيل كان بين الكلمتين
اربعون سنة وقيل عشرون **ءانتم اشد خلقا ام السماء بناها رفع سمكها فسواها واغطش
ليلها واخرج ضحاها** الخطاب لمنكري البعث يعني انتم اصعب خلقا وانشاء ام السماء ثم بين كيف
خلقها فقال بناها ثم بين البناء فقال رفع سمكها اي جعل مقدار ذهابها في سمت العلو مديدا
رفيعا مسيرة خمسمائة عام فسواها فعدلها مستوية ملساء ليس فيها تفاوت ولا فطور او فتممها
بما علم انها تتم به واصلحها من قولك سوى فلان امر فلان غطش الليل واغطشه الله كقولك ظلم
وظلمه ويقال ايضا اغطش الليل كما يقال اظلم واخرج ضحاها وابرز ضوء شمسها يدل عليه قوله
عز وجل والشمس وضحاها يريد وضوءها وقولهم وقت الضحى للوقت الذي تشرق فيه الشمس ويقوم
سلطانها واضيف الليل والشمس الى السماء لان الليل ظلها والشمس هي السراج المثقب في جوها
والارض بعد ذلك دحاها اخرج منها ماءها ومرعاها والجبال ارساها ماءها عيونها
المتفجرة بالماء ومرعاها رعيها وهو في الاصل موضع الرعي ونصب الارض والجبال باضمار دحا وارسى
وهو الاضمار على شريطة التفسير وقرأهما الحسن رحمة الله عليه على الابتداء **فان قلت** هلا
ادخل حرف العطف على اخرج **قلت** فيه وجهان احدهما ان يكون معنى دحاها بسطها ومهدها
للسكنى ثم فسر التمهيد بما لا بد منه في تاتي سكناها من تسوية امر المأكل والمشرب وامكان القرار عليها
والسكون باخراج الماء والمرعى وارساء الجبال واثباتها اوتادا لها حتى تستقر ويستقر عليها والثاني
ان يكون اخرج حالا باضمار قد كقوله تعالى او جاؤكم حصرت صدورهم واراد بمرعاها ما يأكل الناس
والانعام واستعير الرعي للانسان كما استعير الرتع في قوله تعالى نرتع ونلعب وقرئ نرتع من الرعي ولهذا
قيل دل الله سبحانه وتعالى بذكر الماء والمرعى على عامة ما يرتفق به ويتمتع مما يخرج من الارض حتى الملح
لانه من الماء **متاعا لكم ولانعامكم** متاعا لكم فعل ذلك تمتيعا لكم ولانعامكم لان منفعة ذلك التمهيد
واصلة اليهم والى انعامهم **فاذا جاءت الطامة الكبرى يوم يتذكر الانسان ما سعى وبرزت الجحيم لمن
يرى** الطامة الداهية التي تطم على الدواهي اي تعلو وتغلب وفي امثالهم جرى الوادي فطم على القرى
وهي القيامة لطمومها على كل هائلة وقيل هي النفخة الثانية وقيل الساعة التي يساق فيها اهل الجنة الى
الجنة واهل النار الى النار يوم يتذكر بدل من اذا جاءت يعني اذا رأى اعماله مدونة في كتابه
تذكرها وكان قد نسيها كقوله تعالى احصاه الله ونسوه وما في ما سعى موصولة او مصدرية وبرزت
واظهرت **وقرأ** ابو نهيك وبرزت لمن يرى للرائين جميعا اي لكل احد يعني انها تظهر اظهارا بينا
مكشوفا يراها اهل الساهرة كلهم كقولهم قد بين الصبح لذي عينين يريدون لكل من له بصر وهو
مثل في الامر المنكشف الذي لا يخفى على احد وقرأ ابن مسعود رضي الله عنه لمن رأى وقرأ عكرمة لمن ترى

والضمير للجحيم كقوله تعالى اذا رأتهم من مكان بعيد وقيل لمن ترى يا محمد فاما من طغى وآثر الحيوة الدنيا فان الجحيم هي المأوى واما من خاف مقام ربه ونهى النفس عن الهوى فان الجنة هي المأوى فاما جواب
لاذا اي فاذا جاءت الطامة فان الامر كذلك والمعنى فان الجحيم مأواه كما تقول للرجل غض الطرف تريد طرفك
وليس الالف واللام بدلا من الاضافة ولكن لما علم ان الطاغي هو صاحب المأوى وانه لا يغض الرجل طرف غيره
تركت الاضافة ودخول حرف التعريف في المأوى والطرف للتعريف لانهما معروفان وهي فصل او مبتدأ
ونهى النفس الامارة بالسوء عن الهوى المردي وهو اتباع الشهوات وزجرها عنه وضبطها بالصبر والتوطين
على ايثار الخير وقيل الآيتان نزلتا في ابي عزير بن عمير ومصعب بن عمير وقد قتل مصعب اخاه ابا عزير يوم
احد ووقى رسول الله عليه السلام بنفسه حتى نفذت المشاقص في جوفه يسئلونك عن الساعة ايان مرسيها
فيم انت من ذكريها الى ربك منتهيها ايان مرساها متى ارساؤها اي اقامتها اراد والمتى يقيمها
الله تعالى ويثبتها ويكونها وقيل ايان منتهاها ومستقرها كما ان مرسى السفينة مستقرها حيث تنتهي
اليه فيم انت في اي شئ انت من ان تذكر وقتها لهم وتعلمهم به يعني ما انت من ذكرها لهم وتبيين وقتها في شئ
وعن عائشة رضي الله عنها لم يزل رسول الله عليه السلام يذكر الساعة ويسأل عنها حتى نزلت فهو على
هذا تعجب من كثرة ذكره لها كانه قيل في اي شغل واهتمام انت من ذكرها والسؤال عنها والمعنى انهم
يسألونك عنها فلحرصك على جوابهم لا تزال تذكرها وتسأل عنها ثم قال الى ربك منتهاها اي منتهى
علمها لم يؤت علمها احدا من خلقه وقيل فيم انكار لسؤالهم اي فيم هذا السؤال ثم قيل انت من ذكراها
اي ارسالك وانت خاتم الانبياء وآخر الرسل المبعوث في نسم الساعة ذكر من ذكراها وعلامة من علاماتها
فكفاهم بذلك دليلا على دنوها ومشارفتها ووجوب الاستعداد لها ولا معنى لسؤالهم عنها انما
انت منذر من يخشيها كانهم يوم يرونها لم يلبثوا الا عشية او ضحيها انما انت منذر من يخشاها
اي لم تبعث لتعلمهم بوقت الساعة الذي لا فائدة لهم في علمه وانما بعثت لتنذر من اهوالها من يكون
انذارك لطفا له في الخشية منها وقرئ منذر بالتنوين وهو الاصل والاضافة تخفيف وكلاهما
يصلح للحال والاستقبال فاذا اريد الماضي فليس الا الاضافة كقولك هو منذر زيد امس اي كانهم لم
يلبثوا في الدنيا وقيل في القبور الا عشية او ضحاها فان قلت كيف صحت اضافة الضحى الى العشية
قلت لما بينهما من الملابسة لاجتماعهما في نهار واحد فان قلت فهلا قيل الا عشية او ضحى وما فائدة
الاضافة قلت الدلالة على ان مدة لبثهم كانها لم تبلغ يوما كاملا ولكن ساعة منه عشيته او ضحاه
فلما ترك اليوم اضافه الى عشيته فهو كقوله تعالى لم يلبثوا الا ساعة من نهار عن رسول الله عليه السلام
من قرأ سورة النازعات كان ممن حبسه الله في القبر والقيمة حتى يدخل الجنة قدر صلوة مكتوبة

بسم الله الرحمن الرحيم عبس وتولى ان جاءه الاعمى وما يدريك لعله يزكى او يذكر فتنفعه الذكرى اتى
رسول الله صلى الله عليه وسلم ابن ام مكتوم وام مكتوم ام ابيه واسمه عبد الله ابن شريح بن مالك بن
ربيعة الفهري رضي الله عنه من بني عامر بن لؤي وعنده صناديد قريش عتبة وشيبة ابنا ربيعة وابو جهل
ابن هشام والعباس بن عبد المطلب وامية بن خلف والوليد بن المغيرة يدعوهم الى الاسلام رجاء ان يسلم
باسلامهم غيرهم فقال يا رسول الله اقرئني وعلمني مما علمك الله وكرر ذلك وهو لا يعلم تشاغله بالقوم

فكره

فكره رسول الله صلى الله عليه وسلم قطعه لكلامه وعبس واعرض عنه فنزلت فكان رسول الله عليه السلام يكرمه
ويقول اذا رآه مرحبا بمن عاتبني فيه ربي ويقول له هل لك من حاجة واستخلفه على المدينة مرتين وقال
انس رضي الله عنه رأيته يوم القادسية وعليه درع وله راية سوداء وقرئ عبّس بالتشديد للمبالغة
ونحوه كلّح في كلح ان جاءه منصوب بتولى او بعبس على اختلاف المذهبين ومعناه عبس لان جاءه الاعمى واعرض
لذلك وقرئ أأن جاءه بهمزتين وبالف بينهما وقف على عبس وتولى ثم ابتدئ على معنى ألأن جاءه الاعمى
فعل ذلك انكارا عليه وروي انه ما عبس بعدها في وجه فقير قط ولا تصدى لغني وفي الاخبار عما
فرط منه ثم الاقبال عليه بالخطاب دليل على زيادة الانكار كمن يشكو الى الناس جانيا جنى عليه ثم يقبل
على الجاني اذا حمي في الشكاية مواجها بالتوبيخ والزام الحجة وفي ذكر الاعمى نحو من ذلك كانه يقول قد استحق
عنده العبوس والاعراض لانه اعمى وكان يجب ان يزيده لعماه تعطفا وترؤفا وتقريبا وترحيبا ولقد تأدب
الناس بادب الله تعالى في هذا تأدبا حسنا فقد روي عن سفيان الثوري رحمة الله عليه ان الفقراء كانوا في
مجلسه امراء وما يدريك واي شئ يجعلك داريا بحال هذا الاعمى لعله يزكى اي يتطهر بما يتلقن من الشرائع
من بعض اوضار الاثم او يذكر او يتعظ فتنفعه ذكراك اي موعظتك وتكون له لطفا في بعض الطاعات
والمعنى انك لا تدري ما هو مترقب منه من تزك او تذكر ولو دريت لما فرط ذلك منك وقيل الضمير في
لعله للكافر يعني انك طمعت في ان يتزكى بالاسلام او يتذكر فيقربه الذكرى الى قبول الحق وما يدريك ان ما
طمعت فيه كائن وقرئ فتنفعه بالرفع عطفا على يذكر وبالنصب جوابا للعل كقوله عز وجل فاطلع الى اله
موسى اما من استغنى فانت له تصدى وما عليك الا يزكى واما من جاءك يسعى وهو يخشى فانت عنه تلهى
كلا انها تذكرة تصدى تتعرض بالاقبال عليه والمصاداة المعارضة وقرئ تصّدى بالتشديد
بادغام التاء في الصاد وقرأ ابو جعفر تصدى بضم التاء اي تعرض ومعناه يدعوك داع الى التصدي له من
الحرص والتهالك على اسلامه وليس عليك بأس في ان لا يتزكى بالاسلام ان عليك الا البلاغ يسعى يسرع في
طلب الخير وهو يخشى الله او يخشى الكفار واذاهم في اتيانك وقيل جاء وليس معه قائد فهو يخشى الكبوة
تلهى تتشاغل عنه والتلهي والتلاهي وقرأ ابو جعفر تلهى اي يلهيك شأن الصناديد فان قلت قوله فانت
له تصدى فانت عنه تلهى كان فيه اختصاصا نعم ومعناه انكار التصدي والتلهي عليه اي مثلك
خصوصا لا ينبغي ان يتصدى للغني ويتلهى عن الفقير كلا ردع عن المعاتب عليه وعن معاودة مثله انها
تذكرة اي موعظة يجب الاتعاظ بها والعمل بموجبها فمن شاء ذكره في صحف مكرمة مرفوعة مطهرة
بايدي سفرة كرام بررة فمن شاء ذكره اي كان حافظا له غير ناس وذكر الضمير لان التذكرة في معنى
الذكر والوعظ في صحف صفة لتذكرة يعني انها مثبتة في صحف منتسخة من اللوح مكرمة عند الله عز
وجل مرفوعة في السماء او مرفوعة المقدار مطهرة منزهة عن ايدي الشياطين لا يمسها الا ايدي ملائكة
مطهرين سفرة كتبة ينتسخون الكتب من اللوح بررة اتقياء وقيل هي صحف الانبياء عليهم السلام
كقوله تعالى ان هذا لفي الصحف الاولى وقيل السفرة القراء وقيل اصحاب رسول الله عليه السلام قتل
الانسان ما اكفره من اي شئ خلقه من نطفة خلقه فقدره قتل الانسان دعاء عليه وهي من اشنع
دعواتهم لان القتل قصارى شدائد الدنيا وفظائعها وما اكفره تعجب من افراطه في كفران نعمة الله
تعالى ولا ترى اسلوبا اغلظ منه ولا اخشن مسا ولا ادل على سخط ولا ابعد شوطا في المذمة مع تقارب
طرفيه ولا اجمع للائمة على قصر متنه ثم اخذ في وصف حاله من ابتداء حدوثه الى ان انتهى وما هو مغمور فيه

منه تلهى
وقرأ طلحة بن مصرف تتلهى

من أصول النعم وفروعها وما هو غارز فيه رأسه من الكفر والغمط وقلة الالتفات إلى ما يتقلب فيه وإلى ما
يجب عليه من القيام بالشكر. من أي شيء خلقه من أي شيء حقير مهين خلقه ثم بين ذلك الشيء بقوله تعالى من
نطفة خلقه فقدره فهيأه لما يصلح له ويختص به ونحوه وخلق كل شيء فقدره تقديرا ثم السبيل يسره
ثم أماته فأقبره ثم إذا شاء أنشره كلا لما يقض ما أمره. نصب السبيل بإضمار يسر وفسر بيسره
والمعنى ثم سهل سبيله وهو مخرجه من بطن أمه أو السبيل الذي يختار سلوكه من طريقي الخير والشر
بإقداره وتمكينه كقوله عز وجل إنا هديناه السبيل وعن ابن عباس رضي الله عنهما بين له سبيل الخير
والشر. فأقبره فجعله ذا قبر يوارى فيه تكرمة له ولم يجعله مطروحا على وجه الأرض جزرا للسباع
والطير كسائر الحيوان يقال قبر الميت إذا دفنه وأقبره الميت إذا أمره أن يقبره ومكنه منه. ومنه قول
من قال للحجاج أقبرنا صالحا. أنشره أنشأه النشأة الأخرى وقرئ نشره. كلا ردع للإنسان عما
هو عليه. لما يقض لم يقض بعد مع تطاول الزمان وامتداده من لدن آدم عليه السلام إلى هذه الغاية
ما أمره الله تعالى حتى يخرج عن جميع أوامره يعني أن إنسانا لم يخل من تقصير قط. فلينظر الإنسان إلى
طعامه أنا صببنا الماء صبا ثم شققنا الأرض شقا فأنبتنا فيها حبا وعنبا وقضبا وزيتونا
ونخلا وحدائق غلبا وفاكهة وأبا متاعا لكم ولأنعامكم. ولما عدد النعم في نفسه أتبعه ذكر النعم
فيما يحتاج إليه فقال فلينظر الإنسان إلى مطعمه الذي يعيش به كيف دبرنا أمره إنا صببنا الماء يعني الغيث
قرئ بالكسر على الاستئناف وبالفتح على البدل من الطعام وقرأ الحسين بن علي رضي الله عنهما أنى صببنا
بالإمالة على معنى فلينظر الإنسان كيف صببنا الماء. شققنا من شق الأرض بالنبات ويجوز أن يكون من
شقها بالكراب على البقر وأسند الشق إلى نفسه إسناد الفعل إلى السبب. والحب كل ما حصد من نحو الحنطة
والشعير وغيرهما. والقضب الرطبة والمقضاب أرضه سمي بمصدر قضبه إذا قطعه لأنه يقضب مرة بعد
مرة. وحدائق غلبا يحتمل أن يجعل كل حديقة غلباء فيريد تكاثفها وكثرة أشجارها وعظمها كما تقول
حديقة ضخمة. وأن يجعل شجرها غلبا أي عظاما غلاظا والأصل في الوصف بالغلب الرقاب فاستعير قال
عمرو بن معدي كرب رضي الله عنه. يمشي بها غلب الرقاب كأنهم بزل كسين من الكحيل جلالا.
والأب المرعى لأنه يؤب أي يؤم وينتجع والأب والأم أخوان قال.
جذمنا قيس ونجد دارنا ولنا الأب به والمكرع. وعن أبي بكر رضي الله عنه أنه سئل عن الأب
فقال أي سماء تظلني وأي أرض تقلني إذا قلت في كتاب الله ما لا علم لي به. وعن عمر رضي الله عنه أنه قرأ
هذه الآية فقال كل هذا قد عرفنا فما الأب ثم رفض عصا كانت بيده وقال هذا لعمر الله التكلف
وما عليك يا ابن أم عمر أن لا تدري ما الأب ثم قال اتبعوا ما تبين لكم من هذا الكتاب وما لا فدعوه. فإن
قلت فهذا يشبه النهي عن تتبع معاني القرآن والبحث عن مشكلاته قلت لم يذهب إلى ذلك ولكن
القوم كانت أكبر همتهم عاكفة على العمل وكان التشاغل بشيء من العلم لا يعمل به تكلفا عندهم فأراد أن
الآية مسوقة في الامتنان على الإنسان بمطعمه واستدعاء شكره وقد علم من فحوى الآية أن الأب بعض
ما أنبته الله تعالى للإنسان متاعا له أو لأنعامه فعليك بما هو أهم من النهوض بالشكر لله عز وجل
على ما تبين لك ولم يشكل مما عدد من نعمه ولا تتشاغل عنه بطلب معنى الأب ومعرفة النبات الخاص
الذي هو اسم له واكتف بالمعرفة الجلية إلى أن يتبين لك في غير هذا الوقت ثم وصى الناس بأن يجروا
على هذا السنن فيما أشبه ذلك من مشكلات القرآن. فإذا جاءت الصاخة يوم يفر المرء من أخيه وأمه

وأبيه وصاحبته وبنيه لكل امرئ منهم يومئذ شأن يغنيه. يقال صخ لحديثه مثل أصاخ له فوصفت
النفخة بالصاخة مجازا لأن الناس يصخون لها. يفر منهم لاشتغاله بما هو مدفوع إليه ولعلمه أنهم لا يغنون عنه
شيئا وبدأ بالأخ ثم بالأبوين لأنهما أقرب منه ثم بالصاحبة والبنين لأنهم أقرب وأحب كأنه قيل يفر من أخيه
بل من أبويه بل من صاحبته وبنيه. وقيل يفر منهم حذرا من مطالبتهم بالتبعات يقول الأخ لم تواسني
بمالك والأبوان قصرت في برنا والصاحبة أطعمتني الحرام وفعلت وصنعت والبنون لم تعلمنا ولم ترشدنا
وقيل أول من يفر من أخيه هابيل ومن أبويه إبراهيم صلوات الله عليه ومن صاحبته نوح ولوط عليهما
السلام ومن ابنه نوح عليه السلام. يغنيه يكفيه في الاهتمام به وقرئ يعنيه أي يهمه. وجوه
يومئذ مسفرة ضاحكة مستبشرة ووجوه يومئذ عليها غبرة ترهقها قترة أولئك هم
الكفرة الفجرة. مسفرة مضيئة من أسفر الصبح إذا أضاء. وعن ابن عباس رضي الله عنهما من قيام
الليل لما روي في الحديث من كثر صلاته بالليل حسن وجهه بالنهار. وعن الضحاك رحمه الله عليه من
آثار الوضوء. وقيل من طول ما اغبرت في سبيل الله. غبرة غبار يعلوها قترة سواد كالدخان ولا ترى
أوحش من اجتماع الغبرة والسواد في الوجه كما ترى من وجوه الزنوج إذا اغبرت وكأن الله عز وجل يجمع
إلى سواد وجوههم الغبرة كما جمعوا الفجور إلى الكفر. عن رسول الله عليه السلام من قرأ سورة عبس جاء يوم القيامة

ذو وجه ضاحك مستبشر

بسم الله الرحمن الرحيم إذا الشمس كورت وإذا النجوم انكدرت وإذا الجبال سيرت وإذا العشار
عطلت وإذا الوحوش حشرت. في التكوير وجهان أن يكون من كورت العمامة إذا لففتها أي يلف ضوؤها
لفا فيذهب انبساطه وانتشاره في الآفاق وهو عبارة عن إزالتها والذهاب بها لأنها ما دامت باقية
كان ضياؤها منبسطا غير ملفوف. أو يكون لفها عبارة عن رفعها وسترها لأن الثوب إذا أريد رفعه
لف وطوي ونحوه قوله تعالى يوم نطوي السماء. وأن يكون من طعنه فجوره وكوره إذا ألقاه أي تلقى
وتطرح عن فلكها كما وصفت النجوم بالانكدار. فإن قلت ارتفاع الشمس على الابتداء أو على الفاعلية.
قلت بل على الفاعلية رافعها فعل مضمر يفسره كورت لأن إذا يطلب الفعل لما فيه من معنى الشرط
انكدرت انقضت قال. أبصر خربان فضاء فانكدر. ويروى في الشمس والنجوم أنها تطرح في جهنم ليراها
من عبدها كما قال عز اسمه إنكم وما تعبدون من دون الله حصب جهنم. سيرت أي عن وجه الأرض وأبعدت
أو سيرت في الجو تسيير السحاب كقوله تعالى وهي تمر مر السحاب. والعشار في جمع عشراء كالنفاس في
جمع نفساء وهي التي أتى على حملها عشرة أشهر ثم هو اسمها إلى أن تضع لتمام السنة وهي أنفس ما يكون
عند أهلها وأعزها عليهم. عطلت تركت مسيبة مهملة. وقيل عطلها أهلها عن الحلب والصر لاشتغالهم
بأنفسهم. وقرئ عطلت بالتخفيف. حشرت جمعت من كل ناحية. قال قتادة يحشر كل شيء حتى الذباب للقصاص
وقيل إذا قضى بينها ردت ترابا فلا يبقى منها إلا ما فيه سرور لبني آدم وإعجاب بصورته كالطاوس ونحوه
عن ابن عباس رضي الله عنهما حشرها موتها يقال إذا أجحفت السنة بالناس وأموالهم حشرتهم السنة
وقرئ حشرت بالتشديد. وإذا البحار سجرت وإذا النفوس زوجت وإذا الموؤدة سئلت
بأي ذنب قتلت. سجرت قرئ بالتخفيف والتشديد من سجر التنور إذا ملأه بالحطب أي ملئت وفجر
بعضها إلى بعض حتى تعود بحرا واحدا. وقيل ملئت نيرانا تضطرم لتعذيب أهل النار. وعن الحسن رحمه

الله عليه يذهب ماؤها فلا تبقى فيها قطرة • زوجت قرنت كل نفس بشكلها • وقيل قرنت الارواح بالاجساد وقيل بكتبها واعمالها • وعن الحسن هو كقوله سبحانه وتعالى وكنتم ازواجا ثلاثة • وقيل نفوس المؤمنين بالحور ونفوس الكافرين بالشياطين • وادت مقلوب من آد يؤود اذا اثقل قال الله جل وعلا ولا يؤده حفظهما لانه اثقال بالتراب • كان الرجل اذا ولدت له بنت واراد ان يستحييها البسها جبة من صوف او شعر ترعى له الابل والغنم في البادية وان اراد قتلها تركها حتى اذا كانت سداسية فيقول لامها طيبيها وزينيها حتى اذهب بها الى احمائها وقد حفر لها بئرا في الصحراء فيبلغ بها البئر فيقول لها انظري فيها ثم يدفعها من خلفها ويهيل عليها التراب حتى تستوي البئر بالارض • وقيل كانت الحامل اذا اقربت حفرت حفرة فتمخضت على رأس الحفرة فاذا ولدت بنتا رمت بها في الحفرة وان ولدت ابنا حبسته **فان قلت** ما حملهم على وأد البنات الخوف من لحوق العار بهم من اجلهن او الخوف من الاملاق كما قال الله تعالى ولا تقتلوا اولادكم خشية املاق • وكانوا يقولون ان الملائكة بنات الله فالحقوا البنات به فهو احق بهن • وصعصعة بن ناجية ممن منع الوأد فبه افتخر الفرزدق **في قوله** •

• ومنا الذي منع الوائدات فاحيا الوئيد فلم يوأد •

فان قلت فما معنى سؤال الموؤدة عن ذنبها الذي قتلت به وهلا سئل الوائد عن موجب قتله لها • قلت سؤالها وجوابها تبكيت لقاتلها نحو التبكيت في قوله تعالى لعيسى عليه السلام أأنت قلت للناس الى قوله تعالى سبحانك ما يكون لي ان اقول ما ليس لي بحق • وقرئ سألت اي خاصمت عن نفسها وسألت الله عز وجل او قاتلها وانما قيل قتلت بناء على ان الكلام اخبار عنها ولو حكي ما خوطبت به حين سئلت لقيل قتلت او كلامها حين سئلت لقيل قتلت وقرأ ابن عباس رضي الله عنهما قتلت على الحكاية • وقرئ قتلت بالتشديد وفيه دليل على ان اطفال المشركين لا يعذبون وعلى ان التعذيب لا يستحق الا بالذنب واذا بكت الله عز وجل الكافرين ببراءة الموؤدة من الذنب فما اقبح به وهو الذي لا يظلم مثقال ذرة ان يكر عليها بعد هذا التبكيت • فيفعل بها ما تنسى عنده فعل المبكت من العذاب الشديد • وعن ابن عباس رضي الله عنهما انه سئل عن ذلك فاحتج بهذه الاية واذا الصحف نشرت واذا السماء كشطت واذا الجحيم سعرت واذا الجنة ازلفت علمت نفس ما احضرت • نشرت قرئ بالتخفيف والتشديد يريد صحف الاعمال تطوى صحيفة الانسان عند موته ثم تنشر اذا حوسب • وعن قتادة صحيفتك يا ابن آدم تطوى على عملك ثم تنشر يوم القيامة فلينظر رجل ما يملي في صحيفته • وعن عمر رضي الله عنه انه كان اذا قرأها قال اليك يساق الامر يا ابن آدم • وعن النبي صلى الله عليه وسلم انه قال يحشر الناس عراة حفاة فقالت ام سلمة رضي الله عنها كيف بالنساء فقال شغل الناس يا ام سلمة قالت وما شغلهم قال نشر الصحف فيها مثاقيل الذر ومثاقيل الخردل • ويجوز ان يراد نشرت بين اصحابها اي فرقت بينهم • وعن مرثد بن وداعة اذا كان يوم القيامة تطايرت الصحف من تحت العرش فتقع صحيفة المؤمن في يده في جنة عالية وتقع صحيفة الكافر في يده في سموم وحميم اي مكتوب فيها ذلك وهي صحف غير صحف الاعمال • كشطت وازيلت كما يكشط الاهاب عن الذبيحة والغطاء عن الشيء • وقرأ ابن مسعود رضي الله عنه قشطت واعتقاب الكاف والقاف كثير يقال لبكت الثريد ولبقته والكافور والقافور • سعرت اوقدت ايقادا شديدا **وقرئ** سعرت بالتشديد للمبالغة • قيل سعرها غضب الله تعالى وخطايا بني آدم • ازلفت ادنيت من المتقين كقوله عز وجل وازلفت الجنة للمتقين غير بعيد • وقيل هذه اثنتا عشرة

خصلة

خصلة ست منها في الدنيا وست في الآخرة • وعلمت هو عامل النصب في اذا الشمس كورت وفيما عطف عليه **فان قلت** كل نفس تعلم ما احضرت كقوله تعالى يوم تجد كل نفس ما عملت من خير محضرا لا نفس واحدة فما معنى قوله علمت نفس هو من عكس كلامهم الذي يقصدون به الافراط فيما يعكس عنه ومنه قوله عز وجل ربما يود الذين كفروا لو كانوا مسلمين ومعناه معنى كم وابلغ منه **وقول** القائل •

قد اترك القرن مصفرا انامله •

وتقول لبعض قواد العساكر كم عندك من الفرسان فيقول رب فارس عندي او لا تعدم عندي فارسا وعنده المقانب وقصده بذلك التمادي في تكثير فرسانه ولكنه اراد اظهار براءته من التزيد وانه يقلل كثير ما عنده فضلا ان يتزيد فجاء بلفظ التقليل ففهم منه معنى الكثرة على الصحة واليقين • وعن ابن مسعود رضي الله عنه ان قارئا قرأها عنده فلما بلغ علمت نفس ما احضرت قال وانقطاع ظهرياه فلا اقسم بالخنس الجوار الكنس والليل اذا عسعس والصبح اذا تنفس الخنس الرواجع بينا ترى النجم في آخر البرج اذ كر راجعا الى اوله • والجواري السيارة • والكنس الغيب من كنس الوحشي اذا دخل كناسه • قيل هي الدراري الخمسة بهرام وزحل وعطارد والزهرة والمشتري تجري مع الشمس والقمر وترجع حتى تخفى تحت ضوء الشمس فخنوسها رجوعها وكنوسها اختفاؤها تحت ضوء الشمس • وقيل هي جميع الكواكب تخنس بالنهار فتغيب عن العيون وتكنس بالليل اي تطلع في اماكنها كالوحش في كنسها • عسعس الليل وسعسع اذا ادبر **قال** العجاج •

• حتى اذا الصبح لها تنفسا • وانجاب عنها ليلها وعسعسا •

وقيل عسعس اذا اقبل ظلامه •

فان قلت ما معنى تنفس الصبح **قلت** اذا اقبل الصبح اقبل باقباله روح ونسيم فجعل ذلك نفسا له على المجاز وقيل تنفس الصبح انه لقول رسول كريم ذي قوة عند ذي العرش مكين مطاع ثم امين وما صاحبكم بمجنون • انه الضمير للقرآن • رسول كريم هو جبريل عليه السلام • ذي قوة هو كقوله عز وجل شديد القوى ذو مرة لما كانت حال المكانة على حسب حال الممكن قال عند ذي العرش ليدل على عظم منزلته ومكانته • ثم اشارة الى الظرف المذكور اعني عند ذي العرش على انه عند الله عز وجل مطاع في ملائكته المقربين يصدرون عن امره ويرجعون الى رأيه **وقرئ** ثم تعظيما للامانة وبيانا لانها افضل صفاته المعدودة • وما صاحبكم يعني محمدا صلى الله عليه وسلم بمجنون كما تبهته الكفرة وناهيك بهذا دليلا على جلالة مكانة جبريل عليه السلام وفضله على الملائكة ومباينة منزلته لمنزلة افضل الانس محمد صلوات الله وسلامه عليه اذا وازنت بين الذكرين حين قرن بينهما وقايست بين قوله انه لقول رسول كريم ذي قوة عند ذي العرش مكين مطاع ثم امين وبين قوله وما صاحبكم بمجنون • ولقد رآه بالافق المبين • وما هو على الغيب بظنين • وما هو بقول شيطان رجيم • فاين تذهبون ان هو الا ذكر للعالمين • ولقد رآه ولقد رأى رسول الله صلى الله عليه وسلم جبريل عليه السلام بالافق المبين بمطلع الشمس الاعلى • وما هو وما محمد صلى الله عليه وسلم على ما يخبر به من الغيب من رؤية جبريل عليه السلام والوحي اليه وغير ذلك • بظنين بمتهم من الظنة وهي التهمة **وقرئ** بضنين من الضن وهو البخل اي لا يبخل بالوحي فيزوي بعضه غير مبلغه او يسأل تعليمه فلا يعلمه وهو في مصحف عبد الله بالظاء وفي مصحف ابي بالضاد وكان رسول الله صلى الله عليه وسلم يقرأ بهما واتقان الفصل بين الضاد والظاء واجب ومعرفة مخرجيهما مما لا بد منه للقارئ فان اكثر العجم لا يفرقون بين الحرفين وان فرقوا ففرقوا غير صواب وبينهما بون بعيد فان مخرج الضاد من اصل حافة اللسان

مطلب النظر الى اساات ادب الكشاف ومقايسته مع ان الله سبحانه اقسم بحياة محمد صلى الله عليه وسلم بقوله لعمرك انهم لفي سكرتهم يعمهون سعدية

ومثلهما من الاضراس من يمين اللسان او يساره وكان عمر بن الخطاب رضي الله عنه اضبط يعمل بكلتا يديه
وكان يخرج الضاد من جانبي لسانه وهو احد الاحرف الشجرية اخت الجيم والشين واما الظاء فمخرجها
من طرف اللسان واصول الثنايا العلى وهي احد الاحرف الذولقية اخت الذال والثاء ولو استوى
الحرفان لما ثبتت في هذه الكلمة قراءتان اثنتان واختلاف بين جبلين من جبال العلم والقراءة ولما اختلف
المعنى والاشتقاق والتركيب **فان قلت** فان وضع المصلي احد الحرفين مكان صاحبه
هو كواضع الذال مكان الجيم والثاء مكان الشين لان التفاوت بين الظاء والضاد كالتفاوت بين
اخواتهما وما هو وما القران بقول شيطان رجيم اي بقول بعض المسترقة للسمع وبوحيهم الى اوليائهم
من الكهنة فاين تذهبون استضلال لهم كما يقال لتارك الجادة اعتسافا او ذهابا في بنيات
الطريق اين تذهب مثلت حالهم بحاله في تركهم الحق وعدولهم عنه الى الباطل لمن شاء منكم ان يستقيم
وما تشاؤن الا ان يشاء الله رب العالمين لمن شاء منكم بدل من للعالمين وانما ابدلوا منهم لان
الذين شاؤا الاستقامة بالدخول في الاسلام هم المنتفعون بالذكر فكانه لم يوعظ به غيرهم
وان كانوا موعوظين جميعا وما تشاؤن الاستقامة يا من يشاؤها الا بتوفيق الله ولطفه او وما تشاؤنها ربنا
انتم يا من لا يشاؤها الا بقسر الله والجائه عن رسول الله عليه السلام من قرا سورة الكورت اعاذه
الله ان يفضحه حين تنشر صحيفته

بسم الله الرحمن الرحيم اذا السماء انفطرت واذا الكواكب انتثرت واذا البحار فجرت واذا القبور
بعثرت علمت نفس ما قدمت واخرت انفطرت انشقت فجرت فتح بعضها الى بعض فاختلط العذب
بالمالح وزال البرزخ الذي بينهما وصارت البحار بحرا واحدا **وروي** ان الارض تنشف الماء بعد امتلاء
البحار فتصير مستوية وهو معنى التسجير عند الحسن رحمة الله عليه وقرئ فجرت بالتخفيف وقرا
مجاهد فجرت على البناء للفاعل والتخفيف بمعنى بغت لزوال البرزخ نظرا الى قوله تعالى لا يبغيان لان
البغي والفجور اخوان بعثر وبحثر بمعنى وهما مركبان من البعث والبحث مع راء مضمومة اليهما والمعنى
بحثت واخرج موتاها وقيل لبراءة المبعثرة لانها بعثرت اسرار المنافقين يا ايها الانسان ما
غرك بربك الكريم الذي خلقك فسواك فعدلك في اي صورة ما شاء ركبك **فان قلت**
ما معنى قوله ما غرك بربك الكريم وكيف طابق الوصف بالكرم انكار الاغترار به وانما يغتر بالكريم
كما يروى عن علي رضي الله عنه انه صاح بغلام له كرات فلم يلبه فنظر اليه فاذا هو بالباب فقال علي رضي
الله عنه فقال له ما لك لم تجبني قال لثقتي بحلمك وامني من عقوبتك فاستحسن جوابه واعتقه وقالوا
من كرم الرجل سوء ادب غلمانه **قلت** معناه ان حق الانسان ان لا يغتر بتكرم الله تعالى عليه
حيث خلقه حيا لينفعه وبتفضله عليه بذلك حتى يطمع بعد ما مكنه وكلفه فعصى وكفر النعمة المتفضل
بها ان يتفضل عليه بالثواب وطرح العقاب اغترارا بالتفضل الاول فانه منكر خارج من حد الحكمة ولهذا
قال رسول الله صلى الله عليه وسلم لما تلاها غره جهله وقال عمر رضي الله عنه غره حمقه وجهله وقال
الحسن رحمة الله عليه غره والله شيطانه الخبيث اي زين له المعاصي وقال له افعل ما شئت فربك
الكريم الذي تفضل عليك بما تفضل به اولا وهو متفضل عليك اخرا حتى ورطه وقيل للفضيل بن
عياض رحمة الله عليه ان اقامك الله يوم القيامة وقال لك ما غرك بربك الكريم ماذا تقول قال

اقول

اقول غرتني ستورك المرخاة وهذا على سبيل الاعتراف بالخطا في الاغترار بالستر وليس باعتذار كما يظنه
الطماع ويظن به قصاص الحشوية ويروون عن ائمتهم انما قال بربك الكريم دون سائر صفاته ليلقن عبده الجواب
حتى يقول غرني كرم الكريم وقراءة سعيد بن جبير رضي الله عنه ما اغرك اما على التعجب واما على الاستفهام
من قولك غر الرجل فهو غار اذا غفل من قولك بيتهم العدو وهم غارون واغره غيره جعله غارا فسواك
فجعلك سويا سالم الاعضاء فعدلك فصيرك معتدلا متناسب الخلق من غير تفاوت فيه فلم يجعل احدى
اليدين اطول ولا احدى العينين اوسع ولا بعض الاعضاء ابيض وبعضها اسود ولا بعض الشعر فاحما وبعضه
اشقر او جعلك معتدل الخلق تمشي قائما لا كالبهائم **وقرئ** فعدلك بالتخفيف وفيه وجهان احدهما
ان يكون بمعنى المشدد اي عدل بعض اعضائك ببعض حتى اعتدلت والثاني فعدلك فصرفك يقال عدله
عن الطريق يعني فعدلك عن خلقة غيرك وخلقك خلقة حسنة مفارقة لسائر الخلق او فعدلك الى بعض
الاشكال والهيئات ما في ما شاء مزيدة اي ركبك في اي صورة اقتضتها مشيئته وحكمته من الصور المختلفة
في الحسن والقبح والطول والقصر والذكورة والانوثة والشبه ببعض الاقارب وخلاف الشبه **فان
قلت** هلا عطفت هذه الجملة كما عطف ما قبلها **قلت** لانها بيان لعدلك فان قلت بم يتعلق الجار
قلت يجوز ان يتعلق بركبك على معنى وضعك في بعض الصور ومكنك فيه وبمحذوف اي ركبك حاصلا في بعض
الصور ومحله النصب على الحال ان علق بمحذوف ويجوز ان يتعلق بعدلك ويكون في اي معنى التعجب اي فعدلك
في صورة عجيبة ثم قال ما شاء ركبك اي ركبك ما شاء من التراكيب يعني تركيبا حسنا كلا بل تكذبون بالدين
وان عليكم لحافظين كراما كاتبين يعلمون ما تفعلون ان الابرار لفي نعيم وان الفجار لفي جحيم
يصلونها يوم الدين وما هم عنها بغائبين كلا ارتدعوا عن الاغترار بكرم الله تعالى والتسلق به
وهو موجب الشكر والطاعة الى عكسها الذي هو الكفر والمعصية ثم قال بل تكذبون بالدين اصلا وهو
الجزاء او دين الاسلام فلا تصدقون ثوابا ولا عقابا وهو شر من الطمع المنكر وان عليكم لحافظين تحقيق
لما يكذبون به من الجزاء يعني انكم تكذبون بالجزاء والكاتبون يكتبون عليكم اعمالكم لتجازوا بها وفي تعظيم
الكتبة بالثناء عليهم تعظيم لامر الجزاء وانه عند الله تعالى من جلائل الامور ولولا ذلك لما وكل بضبط ما يحاسب
عليه ويجازى به الملائكة الكرام الحفظة الكتبة وفيه انذار وتهويل وتشوير للعصاة ولطف للمؤمنين
عن الفضيل انه كان اذا قراها قال ما اشدها من اية على الغافلين وما هم عنها بغائبين كقوله تعالى
وما هم بخارجين منها ويجوز ان يراد يصلون النار يوم الدين وما يغيبون عنها قبل ذلك يعني في قبورهم
وقيل اخبر الله تعالى في هذه السورة ان لابن ادم ثلث حالات حال الحيوة التي يحفظ فيها عمله وحال
الاخرة التي يجازى فيها وحال البرزخ وهو قوله وما هم عنها بغائبين وما ادريك ما يوم الدين ثم
ما ادريك ما يوم الدين يوم لا تملك نفس لنفس شيئا والامر يومئذ لله يعني ان امر يوم الدين
بحيث لا يدرك دراية دار كنهه في الهول والشدة وكيف ما تصورته فهو فوق ذلك وعلى اضعافه والتكرير بين
لزيادة التهويل ثم اجمل القول في وصفه فقال يوم لا تملك نفس لنفس شيئا اي لا تستطيع دفعا عنها ولا
نفعا لها بوجه ولا امر الا لله وحده من رفع فعلى البدل من يوم الدين او على هو يوم لا تملك ومن نصب
فباضمار يدانون لان الدين يدل عليه او باضمار اذكر ويجوز ان يفتح لاضافته الى غير متمكن وهو في
محل الرفع عن رسول الله عليه السلام من قرا سورة اذا السماء انفطرت كتب الله بعدد كل قطرة من السماء حسنة وبعدد كل قبر حسنة

بسم الله الرحمن الرحيم ويل للمطففين الذين اذا اكتالوا على الناس يستوفون واذا كالوهم او وزنوهم
يخسرون التطفيف البخس في الكيل والوزن لان ما يبخس شيء طفيف حقير وروي ان رسول الله صلى
الله عليه وسلم قدم المدينة وكانوا من اخبث الناس كيلا فنزلت فاحسنوا الكيل وقيل قدمها وبها رجل
يعرف بابي جهينة ومعه صاعان يكيل باحدهما ويكتال بالآخر وقيل كان اهل المدينة تجارا يطففون
وكانت بياعاتهم المنابذة والملامسة والمخاطرة فنزلت فخرج رسول الله صلى الله عليه وسلم فقرأها عليهم
وقال خمس بخمس قيل يا رسول الله وما خمس بخمس قال ما نقض قوم العهد الا سلط الله عليهم عدوهم وما
حكموا بغير ما انزل الله الا فشا فيهم الفقر وما ظهرت فيهم الفاحشة الا فشا فيهم الموت ولا طففوا
الكيل الا منعوا النبات واخذوا بالسنين ولا منعوا الزكوة الا حبس عنهم القطر وعن علي بن ابي طالب
رضي الله عنه انه مر برجل يزن الزعفران وقد ارجح فقال له اقم الوزن بالقسط ثم ارجح بعد ذلك
ما شئت كانه امره بالتسوية اولا ليعتادها ويفصل الواجب من النفل وعن ابن عباس رضي الله عنهما
انكم يا معشر الاعاجم وليتم امرين بهما هلك من كان قبلكم المكيال والميزان وخص الاعاجم لانهم يجمعون الكيل
والوزن جميعا وكانا مفرقين في الحرمين كان اهل مكة يزنون واهل المدينة يكيلون وعن ابن عمر رضي
الله عنهما انه كان يمر بالبائع فيقول اتق الله واوف الكيل فان المطففين يوقفون يوم القيمة لعظمة
الرحمن حتى ان العرق ليلجمهم وعن عكرمة اشهد ان كل كيال ووزان في النار فقيل له ان ابنك كيال او وزان
فقال اشهد انه في النار وعن ابي رضي الله عنه لا تلتمس الحوائج ممن رزقه في رؤس المكاييل والسن
الموازين لما كان اكتيالهم من الناس اكتيالا يضرهم ويتحامل فيه عليهم ابدل على مكان من للدلالة على
ذلك ويجوز ان يتعلق على بيستوفون ويقدم المفعول على الفعل لافادة الخصوصية اي يستوفون على
الناس خاصة فاما انفسهم فيستوفون لها وقال الفراء رحمة الله عليه من وعلى يعتقبان في هذا الموضع
لانه حق عليه فاذا قال اكتلت عليك فكانه قال اخذت ما عليك واذا قال اكتلت منك فكقوله استوفيت
منك والضمير في كالوهم او وزنوهم ضمير منصوب راجع الى الناس وفيه وجهان ان يراد كالوا لهم او
وزنوا لهم فحذف الجار واوصل الفعل كما قال ولقد جنيتك اكموا وعساقلا ولقد نهيتك عن بنات الاوبر
والحريص يصيدك لا الجواد بمعنى جنيت لك ويصيد لك وان يكون على حذف المضاف واقامة المضاف
اليه مقامه والمضاف هو المكيل او الموزون ولا يصح ان يكون ضميرا مرفوعا للمطففين لان الكلام
يخرج به الى نظم فاسد وذلك ان المعنى اذا اخذوا من الناس استوفوا واذا اعطوهم اخسروا وان
جعلت الضمير للمطففين انقلب الى قولك اذا اخذوا من الناس استوفوا واذا تولوا الكيل او الوزن
هم على الخصوص اخسروا وهو كلام متنافر لان الحديث واقع في الفعل لا في المباشر والتعلق في ابطاله
بخط المصحف وان الالف التي تكتب بعد واو الجمع غير ثابتة فيه ركيك لان خط المصحف لم يراع في كثير
منه حد المصطلح عليه في علم الخط على اني رأيت في الكتب المخطوطة بايدي ائمة المتقنين هذه الالف مرفوضة
لكونها غير ثابتة في اللفظ والمعنى جميعا لان الواو وحدها معطية معنى الجمع وانما كتبت هذه الالف
تفرقة بين واو الجمع وغيرها في نحو قولك هم لم يدعوا وهو يدعو فمن لم يثبتها قال المعنى كاف في
التفرقة بينهما وعن عيسى بن عمر وحمزة انهما كانا يرتكبان ذلك اي يجعلان الضميرين للمطففين ويقفان
عند الواوين وقيفة يبينان بها ما ارادا فان قلت هلا قيل او اتزنوا كما قيل او وزنوهم قلت
كأن المطففين كانوا لا يأخذون ما يكال ويوزن الا بالمكاييل دون الموازين لتمكنهم بالاكتيال من الاستيفا

والسرقة

والسرقة لانهم يدعدعون ويحتالون في الملء واذا اعطوا كالوا او وزنوا لتمكنهم من البخس في النوعين جميعا
يخسرون ينقصون يقال خسر الميزان واخسره الا يظن اولئك انهم مبعوثون ليوم عظيم يوم
يقوم الناس لرب العالمين الا يظن انكار وتعجيب عظيم من حالهم في الاجتراء على التطفيف كانهم لا يخطرون
ببالهم ولا يخمنون تخمينا انهم مبعوثون ومحاسبون على مقدار الذرة والخردلة وعن قتادة اوف يا ابن
ادم كما تحب ان يوفى لك واعدل كما تحب ان يعدل لك وعن الفضيل بخس الميزان سواد الوجه يوم
القيمة وعن عبد الملك بن مروان ان اعرابيا قال له لقد سمعت ما قال الله في المطففين اراد بذلك
ان المطفف قد توجه عليه الوعيد العظيم الذي سمعت به فما ظنك بنفسك وانت تاخذ اموال المسلمين
بلا كيل ولا وزن وفي هذا الانكار والتعجيب وكلمة الظن ووصف اليوم بالعظم وقيام الناس فيه لله عز وجل
خاضعين ووصفه ذاته برب العالمين بيان بليغ لعظم الذنب وتفاقم الاثم في التطفيف وفيما كان
في مثل حاله من الحيف وترك القيام بالقسط والعمل على التسوية والعدل في كل اخذ واعطاء بل في كل
قول وعمل وقيل الظن بمعنى اليقين والوجه ما ذكر ونصب يوم بمبعوثون وقرئ بالجر
بدلا من يوم عظيم وعن ابن عمر رضي الله عنهما انه قرأ هذه السورة فلما بلغ قوله يوم يقوم الناس لرب
العالمين بكى نحيبا وامتنع من قراءة ما بعده كلا ان كتاب الفجار لفي سجين وما ادراك ما سجين كتاب
مرقوم ويل يومئذ للمكذبين الذين يكذبون بيوم الدين وما يكذب به الا كل معتد اثيم
اذا تتلى عليه اياتنا قال اساطير الاولين كلا ردعهم عما كانوا عليه من التطفيف والغفلة عن ذكر
البعث والحساب ونبههم على انه مما يجب ان يتاب عنه ويندم عليه ثم اتبعه وعيد الفجار على العموم وكتاب
الفجار ما يكتب من اعمالهم فان قلت قد اخبر الله عز وجل عن كتاب الفجار بانه في سجين وفسر سجينا
بكتاب مرقوم فكانه قيل ان كتابهم في كتاب مرقوم فما معناه قلت سجين كتاب جامع هو ديوان الشر
دون الله عز وجل فيه اعمال الشياطين واعمال الكفرة والفسقة من الجن والانس وهو كتاب مرقوم
مسطور بين الكتابة او معلم يعلم من رآه انه لا خير فيه والمعنى ان ما كتب من اعمال الفجار مثبت في
ذلك الديوان وسمي سجينا فعيلا من السجن وهو الحبس والتضييق لانه سبب الحبس والتضييق في جهنم
او لانه مطروح كما روي تحت الارض السابعة في مكان وحش مظلم وهو مسكن ابليس وذريته استهانة به
واذالة وليشهده الشياطين المدحورون كما يشهد ديوان الخير الملائكة المقربون فان قلت
فما سجين اصفة هو ام اسم قلت بل هو اسم علم منقول من وصف كحاتم وهو منصرف لانه ليس فيه
الا سبب واحد وهو التعريف الذين يكذبون مما وصف به للذم لا للبيان كقولك فعل ذلك فلان
الفاسق الخبيث كلا بل ران على قلوبهم ما كانوا يكسبون كلا ردع للمعتدي الاثيم عن قوله ران على قلو بهم
ركبها كما يركب الصدأ وغلب عليها وهو ان يصر على الكبائر ويسوف التوبة حتى يطبع على قلبه فلا
يقبل الخير ولا يميل اليه وعن الحسن رحمه الله الذنب بعد الذنب حتى يسود القلب يقال ران عليه
الذنب وغان عليه رينا وغينا والغين الغيم ويقال ران فيه النوم رسخ فيه ورانت به الخمر ذهبت
به وقرئ بادغام اللام في الراء وبالاظهار والادغام اجود واميلت الالف وفخمت كلا انهم
عن ربهم يومئذ لمحجوبون ثم انهم لصالوا الجحيم ثم يقال هذا الذي كنتم به تكذبون
كلا ردع عن الكسب الرائن على قلوبهم وكونهم محجوبين عنه تمثيل للاستخفاف بهم واهانتهم لانه لا يؤذن
على الملوك الا للوجهاء المكرمين لديهم ولا يحجب عنهم الا الادنياء المهانون عندهم قال

إذا اعتروا باب ذي عُبِّيَّة رجبوا ٭ والناس من بين مرجوب ومحجوب ٭ وعن ابن عباس رضي الله عنهما وقتادة وابن ابي مليكة محجوبين عن رحمته ٭ وعن ابن كيسان عن كرامته كلا إن كتاب الأبرار لفي عليين وما أدراك ما عليون كتاب مرقوم يشهده المقربون ٭ كلا ردع عن التكذيب وكتاب الابرار ما كتب من اعمالهم ٭ وعليون علم لديوان الخير الذي دوّن فيه كل ما عملته الملائكة وصلحاء الثقلين منقول من جمع على فعيل من العلو كسجين من السجن سمي بذلك اما لانه سبب الارتفاع الى اعالي الدرجات في الجنة ٭ واما لانه مرفوع في السماء السابعة حيث يسكن الكروبيون تكريما له وتعظيما وروي ان الملائكة لتصعد بعمل العبد فيستقلونه فاذا انتهوا به الى ما شاء الله من سلطانه اوحى اليهم انكم الحفظة على عبدي وانا الرقيب على ما في قلبه وانه اخلص عمله فاجعلوه في عليين فقد غفرت له وانها لتصعد بعمل العبد فيزكونه فاذا انتهوا به الى ما شاء الله اوحى اليهم انتم الحفظة على عبدي وانا الرقيب على قلبه وانه لم يخلص لي عمله فاجعلوه في سجين إن الأبرار لفي نعيم على الأرائك ينظرون ٭ تعرف في وجوههم نضرة النعيم ٭ الارائك الاسرة في الحجال ٭ ينظرون الى ما شاءوا مد اعينهم اليه من مناظر الجنة والى ما اولاهم الله من النعمة والكرامة والى اعدائهم يعذبون في النار وما تحجب الحجال ابصارهم عن الادراك نضرة النعيم بهجة التنعم وماؤه ورونقه كما ترى في وجوه الاغنياء واهل الترفه وقرئ يعرف على البناء للمفعول ونضرة النعيم بالرفع يسقون من رحيق مختوم ختامه مسك وفي ذلك فليتنافس المتنافسون ٭ ومزاجه من تسنيم عينا يشرب بها المقربون ٭ الرحيق الشراب الخالص الذي لا غش فيه ٭ مختوم تختم اوانيه من الاكواب والاباريق بمسك مكان الطينة ٭ وقيل ختامه مسك مقطعه رائحة مسك اذا شرب ٭ وقيل يمزج بالكافور ويختم مزاجه بالمسك وقرئ خاتمه بفتح التاء وكسرها اي ما يختم به ويقطع ٭ فليتنافس المتنافسون فليرتغب المرتغبون ٭ تسنيم علم لعين بعينها سميت بالتسنيم الذي هو مصدر سنمه اذا رفعه اما لانها ارفع شراب في الجنة ٭ واما لانها تأتيهم من فوق على ما روي انها تجري في الهواء متسنمة فتنصب في اوانيهم ٭ وعينا نصب على المدح ٭ وقال الزجاج نصب على الحال وقيل هي للمقربين يشربونها صرفا وتمزج لسائر اهل الجنة إن الذين أجرموا كانوا من الذين آمنوا يضحكون ٭ وإذا مروا بهم يتغامزون ٭ وإذا انقلبوا إلى أهلهم انقلبوا فكهين ٭ وإذا رأوهم قالوا إن هؤلاء لضالون ٭ وما أرسلوا عليهم حافظين ٭ هم مشركو مكة ابو جهل والوليد بن المغيرة والعاص بن وائل عليهم اللعنة واشياعهم كانوا يضحكون من عمار وصهيب وخباب وبلال ٭ رضي الله عنهم وغيرهم من فقراء المؤمنين ويستهزءون بهم ٭ وقيل جاء علي بن ابي طالب كرم الله وجهه في نفر من المسلمين فسخر منهم المنافقون وضحكوا وتغامزوا ثم رجعوا الى اصحابهم فقالوا رأينا اليوم الاصلع فضحكوا منه فنزلت قبل ان يصل علي رضي الله عنه الى رسول الله صلى الله عليه وسلم يتغامزون يغمز بعضهم بعضا ويشيرون باعينهم ٭ فكهين ملتذين بذكرهم والسخرية منهم ٭ اي ينسبون المسلمين الى الضلال ٭ وما ارسلوا على المسلمين حافظين موكلين بهم يحفظون عليهم احوالهم ويهيمنون على اعمالهم ويشهدون برشدهم وضلالهم وهذا تهكم بهم ٭ او هو من جملة قول الكفار وانهم اذا رأوا المسلمين قالوا ان هؤلاء لضالون وانهم لم يرسلوا عليهم حافظين انكارا لصدهم اياهم عن الشرك ودعائهم الى الاسلام وجدهم في ذلك فاليوم الذين آمنوا من الكفار يضحكون على الأرائك ينظرون هل ثوب الكفار ما كانوا يفعلون ٭ على الارائك ينظرون حال من يضحكون اي يضحكون منهم

ناظرين

اليهم والى ما هم فيه من الهوان والصغار بعد العزة والكبر ومن الوان العذاب بعد النعيم والترفه وهم على الارائك آمنون ٭ وقيل يفتح للكفار باب الى الجنة فيقال لهم اخرجوا اليها فاذا وصلوا اليها اغلق دونهم يفعل ذلك بهم مرارا فيضحك المؤمنون منهم ٭ ثوّبه واثابه بمعنى اذا جازاه قال اوس ٭

٭ سأجزيك او يجزيك عني مثوب ٭ وحسبك ان يثنى عليك وتحمدي ٭

٭ وقرئ بادغام اللام في الثاء عن رسول الله صلى الله عليه وسلم من قرأ سورة المطففين سقاه الله من الرحيق المختوم يوم القيامة

بسم الله الرحمن الرحيم إذا السماء انشقت وأذنت لربها وحقت ٭ حذف جواب اذا ليذهب المقدر كل مذهب ٭ او اكتفاء بما علم في مثلها من سورتي التكوير والانفطار ٭ وقيل جوابها ما دل عليه فملاقيه اي اذا السماء انشقت لاقى الانسان كدحه ومعناه انشقت بالغمام كقوله جل وعلا ويوم تشقق السماء بالغمام وعن علي رضي الله عنه تنشق من المجرة ٭ اذن له استمع له ٭ ومنه قوله صلى الله عليه وسلم ما اذن الله لشيء كاذنه لنبي يتغنى بالقرآن وقول جحاف بن حكيم اذنت لكم لما سمعت هريركم ٭ والمعنى انها فعلت في انقيادها لله عز وجل حين اراد انشقاقها فعل المطواع الذي اذا ورد عليه الامر من جهة المطاع انصت له واذعن ولم يأب ولم يمتنع كقوله تعالى أتينا طائعين ٭ وحقت من قولك هو محقوق بكذا وحقيق به يعني وهي حقيقة بان تنقاد ولا تمتنع ومعناه الايذان بان القادر الذات يجب ان يتأتى له كل مقدور ويحق ذلك وإذا الأرض مدت وألقت ما فيها وتخلت وأذنت لربها وحقت ٭ مدت من مد الشيء فامتد وهو ان تزال جبالها وآكامها وكل امت فيها حتى تمتد وتنبسط ويستوي ظهرها كما قال الله تعالى قاعا صفصفا لا ترى فيها عوجا ولا امتا ٭ وعن ابن عباس رضي الله عنهما مدت مد الاديم العكاظي لان الاديم اذا مد زال كل انثناء فيه وامت واستوى ٭ او من مده بمعنى امده اي زيدت سعة وبسطة ٭ والقت ما فيها ورمت بما في جوفها مما دفن فيها من الموتى والكنوز ٭ وتخلت وخلت غاية الخلو حتى لم يبق شيء في باطنها كانها تكلفت اقصى جهدها في الخلو كما يقال تكرم الكريم وترحم الرحيم اذا بلغا جهدهما في الكرم والرحمة وتكلفا فوق ما في طبعهما ٭ واذنت لربها في القاء ما في بطنها وتخليها يا أيها الإنسان إنك كادح إلى ربك كدحا فملاقيه فأما من أوتي كتابه بيمينه فسوف يحاسب حسابا يسيرا وينقلب إلى أهله مسرورا الكدح جهد النفس في العمل والكد فيه حتى يؤثر فيها من كدح جلده اذا خدشه ومعنى كادح الى ربك جاهد الى لقاء ربك وهو الموت وما بعده من الحال الممثلة باللقاء ٭ فملاقيه فملاق له لا محالة لا مفر لك منه ٭ وقيل الضمير في ملاقيه للكدح ٭ يسيرا سهلا هينا لا يناقش فيه ولا يعترض بما يسوءه ويشق عليه كما يناقش اصحاب الشمال ٭ وعن عائشة رضي الله عنها هو ان يعرف ذنوبه ثم يتجاوز عنه ٭ وعن النبي صلى الله عليه وسلم انه قال من يحاسب يعذب فقيل يا رسول الله فسوف يحاسب حسابا يسيرا قال ذلكم العرض من نوقش في الحساب عذب ٭ الى اهله الى عشيرته ان كانوا مؤمنين او الى فريق المؤمنين او الى اهله في الجنة من الحور العين وأما من أوتي كتابه وراء ظهره فسوف يدعو ثبورا ويصلى سعيرا إنه كان في أهله مسرورا إنه ظن أن لن يحور بلى إن ربه كان به بصيرا ٭ وراء ظهره قيل تغل يمناه الى عنقه وتجعل شماله وراء ظهره فيؤتى كتابه بشماله من وراء ظهره ٭ وقيل تخلع يده اليسرى من وراء ظهره ٭ يدعو ثبورا يقول يا ثبوراه والثبور الهلاك ٭ وقرئ ويصلى سعيرا كقوله تعالى وتصلية جحيم ٭ ويصلى بضم الياء والتخفيف كقوله تعا

من عمله جهنم • في اهله فيما بين ظهرانيهم او معهم على انهم كانوا جميعا مسرورين يعني انه كان في الدنيا مترفا
بطرا مستبشرا كعادة الفجار الذين لا يهمهم امر الآخرة ولا يفكرون في العواقب ولم يكن كئيبا حزينا
متفكرا كعادة الصلحاء والمتقين وحكاية الله عز وجل انا كنا قبل في اهلنا مشفقين ظن ان لن يحور لن يرجع
الى الله تعالى تكذيبا بالمعاد يقال لا يحور ولا يحول اي لا يرجع ولا يتغير قال لبيد •
يحور رمادا بعد اذ هو ساطع • وعن ابن عباس رضي الله عنهما ما كنت ادري ما معنى يحور حتى سمعت اعرابية
تقول لبنية لها حوري اي ارجعي • بلى ايجاب لما بعد النفي في لن يحور اي بلى ليحورن • ان ربه كان به بصيرا
وباعماله لا ينساها ولا تخفى عليه فلا بد ان يرجعه ويجازيه عليها • وقيل نزلت الآيتان في ابي سلمة بن
عبد الاشد واخيه الاسود بن عبد الاشد فلا اقسم بالشفق والليل وما وسق والقمر اذا اتسق لتركبن
طبقا عن طبق فما لهم لا يؤمنون • الشفق الحمرة التي ترى في المغرب بعد سقوط الشمس وبسقوطه يخرج
وقت المغرب ويدخل وقت العتمة عند عامة العلماء الا ما روي عن ابي حنيفة رحمة الله عليه في احدى
الروايتين انه البياض • وروى اسد بن عمرو انه رجع عنه سمي لرقته • ومنه الشفقة على الانسان رقة القلب
عليه • وما وسق وما جمع وضم يقال وسقه فاتسق واستوسق قال مستوسقات لو يجدن سائقا •
ونظيره في وقوع افتعل واستفعل مطاوعين اتسع واستوسع ومعناه وما جمعه وستره واوى اليه من الدواب
وغيرها اذا اتسق اذا اجتمع واستوى ليلة اربع عشرة قرئ لتركبن على خطاب الانسان في يا ايها الانسان
ولتركبن بالضم على خطاب الجنس لان النداء للجنس • ولتركبن بالكسر على خطاب النفس • وليركبن بالياء على
ليركبن الانسان • والطبق ما طابق غيره يقال ما هذا بطبق لذا اي لا يطابقه • ومنه قيل للغطاء الطبق
واطباق الثرى ما تطابق منه ثم قيل للحال المطابقة لغيرها طبق ومنه قوله عز وجل طبقا عن طبق اي حالا
بعد حال كل واحدة مطابقة لاختها في الشدة والهول • ويجوز ان يكون جمع طبقة وهي المرتبة من قولهم
هو على طبقات • ومنه طبق الظهر لفقاره الواحدة طبقة على معنى لتركبن احوالا بعد احوال هي طبقات في
الشدة بعضها ارفع من بعض وهي الموت وما بعده من مواطن القيامة واهوالها فان قلت ما محل
عن طبق قلت النصب على انه صفة لطبقا اي طبقا مجاوزا لطبق او حال من الضمير في لتركبن اي لتركبن
طبقا مجاوزين لطبق او مجاوزا او مجاوزة على حسب القراءة • وعن مكحول كل عشرين عاما تجدون امرا لم تكونوا
عليه واذا قرئ عليهم القرآن لا يسجدون • بل الذين كفروا يكذبون • والله اعلم بما يوعون فبشرهم
بعذاب اليم • الا الذين آمنوا وعملوا الصالحات لهم اجر غير ممنون • لا يسجدون لا يستكينون ولا
يخضعون • وقيل قرأ رسول الله صلى الله عليه وسلم ذات يوم واسجد واقترب فسجد هو ومن معه من
المؤمنين وقريش تصفق فوق رؤوسهم وتصفر فنزلت وبه احتج ابو حنيفة رحمة الله عليه على وجوب السجدة
وعن ابن عباس رضي الله عنهما ليس في المفصل سجدة • وعن ابي هريرة رضي الله عنه انه سجد فيها وقال والله
ما سجدت فيها الا بعد ان رأيت رسول الله عليه السلام يسجد فيها • وعن انس بن مالك رضي الله عنه صليت
خلف ابي بكر وعمر وعثمان رضوان الله عليهم فسجدوا • وعن الحسن رحمة الله عليه هي غير واجبة • الذين كفروا
اشارة الى المذكورين بما يوعون بما يجمعون في صدورهم ويضمرون من الكفر والحسد والبغي والبغضاء
او بما يجمعون في صحفهم من اعمال السوء ويدخرون لانفسهم من انواع العذاب • الا الذين آمنوا استثناء منقطع
عن رسول الله صلى الله عليه وسلم من قرأ سورة اذا السماء انشقت اعاذه الله ان يعطيه كتابه وراء ظهره •

بسم الله

بسم الله الرحمن الرحيم والسماء ذات البروج واليوم الموعود وشاهد ومشهود قتل اصحاب الاخدود •
النار ذات الوقود • اذ هم عليها قعود • وهم على ما يفعلون بالمؤمنين شهود • هي البروج الاثنا عشر
وهي قصور السماء على التشبيه • وقيل البروج النجوم التي هي منازل القمر • وقيل عظام الكواكب سميت بروجا
لظهورها • وقيل ابواب السماء • واليوم الموعود يوم القيامة • وشاهد ومشهود يعني وشاهد في ذلك
اليوم ومشهود فيه والمراد بالشاهد من يشهد فيه من الخلائق كلهم وبالمشهود ما في ذلك اليوم من عجائبه
وطريق تنكيرهما اما ما ذكرته في قوله تعالى علمت نفس ما احضرت كانه قيل وما افرطت كثرته من شاهد ومشهود
واما الابهام في الوصف كانه قيل وشاهد ومشهود لا يكتنه وصفهما وقد اضطربت اقاويل المفسرين فيهما
فقيل الشاهد والمشهود محمد صلى الله عليه وسلم ويوم القيامة • وقيل عيسى عليه السلام وامته لقوله عز وعلا
وكنت عليهم شهيدا ما دمت فيهم • وقيل امة محمد عليه السلام وسائر الامم • وقيل يوم التروية ويوم
عرفة ويوم الجمعة • وقيل الحجر الاسود والحجيج • وقيل الايام والليالي وبنو آدم • وعن الحسن رحمة الله عليه ما
من يوم الا وينادي اني يوم جديد واني على ما يعمل في شهيد فاغتنمني فلو غابت شمسي لم تدركني الى يوم القيامة
وقيل الحفظة وبنو آدم • وقيل الانبياء ومحمد صلوات الله عليهم فان قلت اين جواب القسم قلت
محذوف يدل عليه قوله تعالى قتل اصحاب الاخدود وكانه قيل اقسم بهذه الاشياء انهم ملعونون يعني كفار
قريش كما لعن اصحاب الاخدود وذلك ان السورة وردت في تثبيت المؤمنين وتصبيرهم على اذى اهل مكة وتذ
كيرهم بما جرى على من تقدمهم من التعذيب على الايمان والحاق انواع الاذى وصبرهم وثباتهم حتى يأنسوا بهم
ويصبروا على ما كانوا يلقون من قومهم ويعلموا ان كفارهم عند الله بمنزلة اولئك المعذبين المحرقين بالنار
ملعونون احقاء بان يقال فيهم قتلت قريش كما قيل قتل اصحاب الاخدود • وقيل دعاء عليهم كقوله تعالى
قتل الانسان ما اكفره • وقرئ قتل بالتشديد • والاخدود الخد في الارض وهو الشق ونحوهما بناء ومعنى
الخق والاخقوق ومنه فساخت قوائمه في اخاقيق جرذان روي عن رسول الله صلى الله عليه وسلم انه
كان لبعض الملوك ساحر فلما كبر ضم اليه غلاما ليعلمه السحر وكان في طريق الغلام راهب فسمع منه فرأى في طريقه
ذات يوم دابة قد حبست الناس فاخذ حجرا فقال اللهم ان كان هذا الراهب احب اليك من الساحر فاقتلها
فقتلها فكان الغلام بعد ذلك يبرئ الاكمه والابرص ويشفي من الادواء وعمي جليس للملك فابراه فابصره
الملك فسأله من رد عليك بصرك فقال ربي فغضب فعذبه فدل على الغلام فعذبه فدل على الراهب
فلم يرجع الراهب عن دينه فقد بالمنشار وابى الغلام فذهب به الى جبل ليطرح من ذروته فدعا فرجف
بالقوم فطاحوا ونجا فذهب به الى قرقور فلججوا به ليغرقوه فدعا فانكفأت بهم السفينة فغرقوا ونجا فقال
للملك لست بقاتلي حتى تجمع الناس في صعيد وتصلبني على جذع وتاخذ سهما من كنانتي وتقول بسم الله رب الغلام
ثم ترميني به فرماه فوقع في صدغه فوضع يده عليه ومات فقال الناس آمنا برب الغلام فقيل للملك نزل
بك ما كنت تحذر فامر باخاديد في افواه السكك واوقدت فيها النيران فمن لم يرجع منهم طرحه فيها حتى جاءت
امرأة معها صبي فتقاعست ان تقع فيها فقال الصبي يا اماه اصبري فانك على الحق فاقتحمت • وقيل قال لها
قعي ولا تنافقي وقيل قال لها ما هي الا غميضة فصبرت • وعن علي بن ابي طالب رضي الله عنه انهم حين اختلفوا في احكام
المجوس قال هم اهل الكتاب وكانوا متمسكين بكتابهم وكانت الخمر قد احلت لهم فتناولها بعض ملوكهم
فسكر فوقع على اخته فلما صحا ندم وطلب المخرج فقالت له ان المخرج ان تخطب الناس فتقول يا ايها الناس ان
الله تعالى احل نكاح الاخوات ثم تخطبهم بعد ذلك ان الله حرمه فخطب فلم يقبلوا منه فقالت له ابسط فيهم

كبيرهم

الشوط فلم يقبلوا فقالت ابسط فيهم السيف فلم يقبلوا فأمرته بالأخاديد وإيقاد النيران وطرح من أبى
فيها فهم الذين أرادهم الله بقوله تعالى قتل أصحاب الأخدود وقيل وقع إلى نجران رجل ممن كان على دين
عيسى عليه السلام فدعاهم فأجابوه فسار إليهم ذو نواس اليهودي بجنود من حمير فخيرهم بين النار
واليهودية فأبوا فأحرق منهم اثني عشر ألفا في الأخاديد وقيل سبعين ألفا وذكر أن طول الأخدود
أربعون ذراعا وعرضه اثنا عشر ذراعا وعن النبي صلى الله عليه وسلم أنه كان إذا ذكر أصحاب الأخدود
تعوذ من جهد البلاء النار بدل اشتمال من الأخدود وذات الوقود وصف لها بأنها نار عظيمة لها
ما يرتفع به لهبها من الحطب الكثير وأبدان الناس وقرئ الوقود بالضم إذ ظرف لقتل أي لعنوا
حين أحدقوا بالنار قاعدين حولها ومعنى عليها ما يدنون منها من حافات الأخدود كقوله
وبات على النار الندى والمحلق وكما تقول مررت عليه تريد مستعليا بمكان يدنو منه ومعنى شهادتهم
على إحراق المؤمنين أنهم وكلوا بذلك وجعلوا شهودا يشهد بعضهم لبعض عند الملك أن أحدا منهم لم يفرط
فيما أمر به وفوض إليه من التعذيب ويجوز أن يراد أنهم شهود على ما يفعلون بالمؤمنين يؤدون
شهادتهم يوم القيامة يوم تشهد عليهم ألسنتهم وأيديهم وأرجلهم بما كانوا يعملون وما نقموا منهم إلا أن
يؤمنوا بالله العزيز الحميد الذي له ملك السموات والأرض والله على كل شيء شهيد وما نقموا منهم
وما عابوا وما أنكروا إلا الإيمان كقوله ولا عيب فيهم غير أن سيوفهم وكما قال ابن الرقيات
ما نقموا من بني أمية إلا أنهم يحلمون إن غضبوا وقرأ أبو حيوة نقموا بالكسر والفصيح هو الفتح وذكر
الأوصاف التي يستحق بها أن يؤمن به ويعبد وهو كونه عزيزا غالبا قادرا يخشى عقابه حميدا منعما يجب
الحمد على نعمته ويرجى ثوابه له ملك السموات والأرض فكل من فيهما تحق عليه عبادته والخشوع له تقريرا
لأن ما نقموا منهم هو الحق الذي لا ينقمه إلا مبطل منهمك في الغي وأن الناقمين أهل لانتقام الله تعالى منهم
بعذاب لا يعدله عذاب والله على كل شيء شهيد وعيد لهم يعني أنه علم ما فعلوا وهو مجازيهم عليه إن
الذين فتنوا المؤمنين والمؤمنات ثم لم يتوبوا فلهم عذاب جهنم ولهم عذاب الحريق يجوز أن
يريد بالذين فتنوا أصحاب الأخدود خاصة وبالذين آمنوا المطروحين في الأخدود ومعنى فتنوهم
عذبوهم بالنار وأحرقوهم فلهم في الآخرة عذاب جهنم بكفرهم ولهم عذاب الحريق وهي نار أخرى
عظيمة تتسع كما يتسع الحريق بإحراقهم المؤمنين أو لهم عذاب جهنم في الآخرة ولهم عذاب الحريق في الدنيا
لما روي أن النار انقلبت عليهم فأحرقتهم ويجوز أن يريد الذين فتنوا المؤمنين أي بلوهم بالأذى على العموم
والمؤمنين المفتونين وأن للفاتنين عذابين في الآخرة لكفرهم ولفتنتهم إن الذين آمنوا وعملوا الصالحات
لهم جنات تجري من تحتها الأنهار ذلك الفوز الكبير إن بطش ربك لشديد إنه هو يبدئ
ويعيد وهو الغفور الودود ذو العرش المجيد فعال لما يريد البطش الأخذ بالعنف فإذا
وصف بالشدة فقد تضاعف وتفاقم وهو بطشه بالجبابرة والظلمة وأخذهم بالعذاب والانتقام
إنه هو يبدئ ويعيد أي البطش ويعيده يعني يبطش بهم في الدنيا والآخرة أو دل باقتداره على الإبداء
والإعادة على شدة بطشه أو أوعد الكفرة بأنه يعيدهم كما أبدأهم ليبطش بهم إذ لم يشكروا نعمة
الإبداء وكذبوا بالإعادة وقرئ يبدأ الودود الفاعل بأهل طاعته ما يفعله الودود من إعطائهم
ما أرادوا وقرئ ذي العرش صفة لربك وقرئ المجيد بالجر صفة للعرش ومجد الله عظمته ومجد
العرش علوه وعظمه فعال خبر مبتدأ محذوف وإنما قيل فعال لأن ما يريد ويفعل في غاية الكثرة

تمامه
بهن فلول من قراع الكتائب

يبدى

هل أتاك حديث الجنود فرعون وثمود بل الذين كفروا في تكذيب والله من ورائهم محيط بل هو
قرآن مجيد في لوح محفوظ فرعون وثمود بدل من الجنود وأراد بفرعون إياه وآله كما في قوله عز وعلا
من فرعون وملئهم والمعنى قد عرفت تكذيب تلك الجنود للرسل وما نزل بهم لتكذيبهم بل الذين كفروا
من قومك في تكذيب أي تكذيب واستيجاب للعذاب والله عالم بأحوالهم وقادر عليهم وهم لا يعجزونه
والإحاطة بهم من ورائهم مثل لأنهم لا يفوتونه كما لا يفوت فائت الشيء المحيط به ومعنى الإضراب أن أمرهم
أعجب من أمر أولئك لأنهم سمعوا بقصصهم وبما جرى عليهم ورأوا آثار هلاكهم ولم يعتبروا وكذبوا
أشد من تكذيبهم بل هو أي بل هذا الذي كذبوا به قرآن مجيد شريف عالي الطبقة في الكتب وفي نظمه
وإعجازه وقرئ قرآن مجيد بالإضافة أي قرآن رب مجيد وقرأ يحيى بن يعمر في لوح واللوح الهواء
يعني اللوح فوق السماء السابعة الذي فيه اللوح محفوظ من وصول الشياطين إليه وقرئ محفوظ
بالرفع صفة للقرآن عن رسول الله صلى الله عليه وسلم من قرأ سورة البروج أعطاه الله بعدد كل يوم
جمعة ويوم عرفة يكون في الدنيا عشر حسنات والله أعلم بالصواب وإليه المرجع والمآب

بسم الله الرحمن الرحيم والسماء والطارق وما أدراك ما الطارق النجم الثاقب إن كل نفس لما عليها حافظ
النجم الثاقب المضيء كأنه يثقب الظلام بضوئه فينفذ فيه كما قيل دري لأنه يدرؤه أي يدفعه ووصف
بالطارق لأنه يبدو بالليل كما يقال للآتي ليلا طارق أو لأنه يطرق الجني أي يصكه والمراد جنس النجوم أو جنس
الشهب التي يرجم بها فإن قلت ما يشبه قوله وما أدراك ما الطارق النجم الثاقب إلا ترجمة
كلمة بأخرى فبين لي أي فائدة تحته أراد الله عز وجل أن يقسم بالنجم الثاقب تعظيما له لما عرف
فيه من عجيب القدرة ولطيف الحكمة وأن ينبه على ذلك فجاء بما هو صفة مشتركة بينه وبين غيره وهو الطارق
ثم قال وما أدراك ما الطارق ثم فسره بقوله تعالى النجم الثاقب كل هذا إظهار لفخامة شأنه كما قال
الله تعالى فلا أقسم بمواقع النجوم وإنه لقسم لو تعلمون عظيم وروي أن أبا طالب كان عند رسول الله
عليه السلام فانحط نجم فامتلأ ما ثم نورا ففزع أبو طالب وقال أي شيء هذا فقال عليه السلام هذا نجم رمي
به وهو آية من آيات الله فعجب أبو طالب فنزلت فإن قلت ما جواب القسم قلت إن كل نفس لما عليها حافظ
لأن إن لا تخلو فيمن قرأ لما مشددة بمعنى إلا أن تكون نافية وفيمن قرأها مخففة على أن ما صلة أن تكون
مخففة من الثقيلة وأيتهما كانت فهي مما يتلقى به القسم حافظ مهيمن عليها رقيب وهو الله عز وجل وكان
الله على كل شيء رقيبا وكان الله على كل شيء مقيتا وقيل ملك يحفظ عملها ويحصي عليها ما تكسب من خير وشر
وروي عن النبي صلى الله عليه وسلم وكل بالمؤمن مائة وستون ملكا يذبون عنه كما يذب عن قصعة العسل
الذباب ولو وكل العبد إلى نفسه طرفة عين لاختطفته الشياطين فلينظر الإنسان مم خلق خلق من
ماء دافق يخرج من بين الصلب والترائب فإن قلت ما وجه اتصال قوله فلينظر بما قبله قلت
وجه اتصاله به أنه لما ذكر أن على كل نفس حافظا أتبعه توصية الإنسان بالنظر في أول أمره ونشأته الأولى
حتى يعلم أن من أنشأه قادر على إعادته وجزائه فيعمل ليوم الإعادة والجزاء ولا يملي على حافظه إلا ما يسره في
عاقبته ومم خلق استفهام جوابه خلق من ماء دافق والدفق صب فيه دفع ومعنى دافق النسبة إلى الدفق
الذي هو مصدر دفق كاللابن والتامر أو الإسناد المجازي والدفق في الحقيقة لصاحبه ولم يقل ماءين

والطارق النجم الذي يقال له كوكب الصبح ومنه قول هند بنت عتبة نحن بنات طارق نمشي على النمارق
صحاح

لامتزاجهما في الرحم واتحادهما حين ابتدئ في خلقه • من بين الصلب والترائب من بين صلب الرجل وترائب المرأة وهي عظام الصدر حيث تكون القلادة • وقرئ الصلب بفتحتين والصلب بضمتين وفيه اربع لغات صلب وصلب وصالب وصلب قال العجاج في صلب مثل العنان المؤدم • وقيل العظم والعصب من الرجل واللحم والدم من المرأة • انه على رجعه لقادر يوم تبلى السرائر فما له من قوة ولا ناصر • انه الضمير للخالق لدلالة خلق عليه ومعناه ان ذلك الذي خلق الانسان ابتداء من نطفة على رجعه على اعادته خصوصا لقادر لبين القدرة لا يلتاث عليه ولا يعجز عنه كقوله انني لفقير • يوم تبلى منصوب برجعه • ومن جعل الضمير في رجعه للماء وفسره برجعه الى مخرجه من الصلب والترائب او الاحليل او الى الحالة الاولى نصب الظرف بمضمر • السرائر ما اسر في القلوب من العقائد والنيات وغيرها وما اخفي من الاعمال وبلاؤها تعرفها وتصفحها والتمييز بين ما طاب منها وما خبث • وعن الحسن انه سمع رجلا ينشد •

• سيبقى لها في مضمر القلب والحشا • سريرة ود يوم تبلى السرائر •

فقال ما اغفله عما في والسماء والطارق • فما له فما للانسان من قوة من منعة في نفسه يمتنع بها ولا ناصر ولا مانع يمنعه والسماء ذات الرجع والارض ذات الصدع • يسمى المطر رجعا كما يسمى اوبا قال •

• ربا شماء لا ياوي لقلتها • الا السحاب والا الاوب والسبل •

تسمية بمصدري رجع وآب وذلك ان العرب كانوا يزعمون ان السحاب يحمل الماء من بحار الارض • او ارادوا التفاؤل فسموه رجعا واوبا ليرجع ويؤوب • وقيل لان الله عز وجل يرجعه وقتا فوقتا قالت الخنساء • كالرجع في المدجنة السارية • والصدع ما يتصدع عنه الارض من النبات انه لقول فصل وما هو بالهزل • انه الضمير للقرآن فصل فاصل بين الحق والباطل كما قيل له فرقان • وما هو بالهزل يعني انه جد كله لا هوادة فيه ومن حقه وقد وصفه الله تعالى بذلك ان يكون مهيبا في الصدور معظما في القلوب يترفع به قارئه وسامعه ان يلم بهزل او يتفكه بمزاح وان يلقي ذهنه الى ان جبار السموات يخاطبه فيامره وينهاه ويعده ويوعده حتى ان لم يستفزه الخوف ولم يتبالغ فيه الخشية فادنى امره ان يكون جادا غير هازل فقد نعى الله تعالى على المشركين ذلك في قوله سبحانه وتعالى وتضحكون ولا تبكون وانتم سامدون انهم يكيدون كيدا واكيد كيدا فمهل الكافرين امهلهم رويدا • انهم يعني اهل مكة يعملون المكايد في ابطال امر الله تعالى واطفاء نور الحق وانا اقابلهم بكيدي من استدراجي لهم وانتظاري بهم الميقات الذي وقته للانتصار منهم • فمهل الكافرين يعني لا تدع بهلاكهم ولا تستعجل به • امهلهم رويدا اي امهالا يسيرا وكرر وخالف بين اللفظين لزيادة التسكين منه والتصبير • عن رسول الله صلى الله عليه وسلم من قرا سورة الطارق اعطاه الله تعالى بعدد كل نجم عشر حسنات

بسم الله الرحمن الرحيم سبح اسم ربك الاعلى الذي خلق فسوى والذي قدر فهدى والذي اخرج المرعى فجعله غثاء احوى • تسبيح اسمه عز وعلا تنزيهه عما لا يصح فيه من المعاني التي هي الحاد في اسمائه كالجبر والتشبيه ونحو ذلك مثل ان يفسر الاعلى بمعنى العلو الذي هو القهر والاقتدار لا بمعنى العلو في المكان والاستواء على العرش حقيقة وان يصان عن الابتذال والذكر لا على وجه الخشوع والتعظيم • ويجوز ان يكون الاعلى صفة للرب والاسم • وقراءة علي رضي الله عنه سبحان ربي الاعلى • وفي الحديث لما نزلت فسبح باسم ربك العظيم قال رسول الله عليه السلام اجعلوها في ركوعكم فلما نزل سبح اسم ربك الاعلى قال اجعلوها في سجودكم وكانوا يقولون في

الركوع اللهم لك ركعت وفي السجود اللهم لك سجدت • خلق فسوى اي خلق كل شيء فسوى خلقه تسوية ولم يات به متفاوتا غير ملتئم ولكن على احكام واتساق ودلالة على انه صادر عن عالم وانه صنعة حكيم • قدر فهدى قدر لكل حيوان ما يصلحه فهداه اليه وعرفه وجه الانتفاع به • يحكى ان الافعى اذا اتت عليها الف سنة عميت وقد الهمها الله تعالى ان مسح العين بورق الرازيانج الغض يرد اليها بصرها فربما كانت في برية بينها وبين الريف مسيرة ايام فتطوي تلك المسافة على طولها وعلى عماها حتى تهجم في بعض البساتين على شجرة الرازيانج لا تخطئها فتحك بها عينيها وترجع باصرة باذن الله تعالى وهدايات الله للانسان الى ما لا يحد من مصالحه وما لا يحصر من حوائجه في اغذيته وادويته وفي ابواب دنياه ودينه والهامات البهائم والطيور وهوام الارض باب واسع وشوط بطين لا يحيط به وصف واصف فسبحان ربي الاعلى وقرئ قدر بالتخفيف • احوى صفة لغثاء اي اخرج المرعى انبته فجعله بعد خضرته ورفيفه غثاء احوى دريا اسود • ويجوز ان يكون احوى حالا من المرعى اي اخرجه احوى اسود من شدة الخضرة والري فجعله غثاء بعد حوته سنقرئك فلا تنسى الا ما شاء الله انه يعلم الجهر وما يخفى • بشره الله تعالى باعطاء آية بينة وهي ان يقرا عليه جبريل صلوات الله عليه ما يقرا عليه من الوحي وهو امي لا يكتب ولا يقرا فيحفظه ولا ينساه • الا ما شاء الله فيذهب به عن حفظه برفع حكمه وتلاوته كقوله تعالى او ننسها • وقيل كان يعجل بالقراءة اذا لقنه جبريل عليه السلام فقيل لا تعجل فان جبريل مامور بان يقراه عليك قراءة مكررة الى ان تحفظه ثم لا تنساه الا ما شاء الله ثم تذكره بعد النسيان او قال الا ما شاء الله يعني القلة والندرة كما روي انه اسقط في قراءته آية في الصلاة فحسب ابي انها نسخت فسأله فقال نسيتها • او قال الا ما شاء الله والغرض نفي النسيان راسا كما يقول الرجل لصاحبه انت سهيمي فيما املك الا فيما شاء الله ولا يقصد استثناء شيء وهو من استعمال القلة في معنى النفي • وقيل قوله تعالى فلا تنسى على النهي والالف مزيدة للفاصلة كقوله تعالى السبيلا يعني فلا تغفل قراءته وتكريره فتنساه الا ما شاء الله اي ينسيكه برفع تلاوته للمصلحة • انه يعلم الجهر يعني انك تجهر بالقراءة مع قراءة جبريل عليه السلام مخافة التفلت والله يعلم جهرك معه وما في نفسك مما يدعوك الى الجهر فلا تفعل فانا اكفيك ما تخافه • او يعلم ما اسررتم وما اعلنتم من اقوالكم وافعالكم وما ظهر وما بطن من احوالكم وما هو مصلحة لكم في دينكم ومفسدة فينسي من الوحي ما يشاء ويترك محفوظا ما يشاء • ونيسرك لليسرى فذكر ان نفعت الذكرى سيذكر من يخشى ونيسرك لليسرى معطوف على سنقرئك وقوله تعالى انه يعلم الجهر وما يخفى اعتراض ومعناه ونوفقك للطريقة التي هي ايسر واسهل يعني حفظ الوحي • وقيل للشريعة السمحة التي هي ايسر الشرائع واسهلها ماخذا وقيل نوفقك لعمل الجنة • فان قلت كان رسول الله صلى الله عليه وسلم مامورا بالذكرى نفعت او لم تنفع فما معنى اشتراط النفع هو على وجهين احدهما ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قد استفرغ مجهوده في تذكيرهم وما كانوا يزيدون على زيادة الذكرى الا عتوا وطغيانا وكان النبي عليه السلام يتلظى حسرة وتلهفا ويزداد جدا في تذكيرهم وحرصا عليه فقيل له وما انت عليهم بجبار فذكر بالقرآن من يخاف وعيد • واعرض عنهم وقل سلام • وذكر ان نفعت الذكرى وذلك بعد الزام الحجة بتكرير التذكير • والثاني ان يكون ظاهره شرطا ومعناه ذما للمذكرين واخبارا عن حالهم واستبعادا لتاثير الذكرى فيهم وتسجيلا عليهم بالطبع على قلوبهم كما تقول للواعظ عظ المكاسين ان سمعوا منك قاصدا بهذا الشرط استبعاد ذلك وانه لن يكون سيذكر سيقبل التذكرة وينتفع بها من يخشى الله وسوء العاقبة فينظر ويفكر حتى يقوده النظر الى اتباع الحق فاما هؤلاء فغير خاشين ولا ناظرين فلا تامل ان يقبلوا منك • ويتجنبها الاشقى الذي يصلى النار الكبرى

ثم لا يموت فيها ولا يحيى قد افلح من تزكى وذكر اسم ربه فصلى ويتجنبها ويتجنب الذكرى ويتحاماها الاشقى الكافر لانه اشقى من الفاسق او الذى هو اشقى الكفرة لتوغله فى عداوة رسول الله صلى الله عليه وسلم وقيل نزلت فى الوليد بن المغيرة وعتبة بن ابى ربيعة عليهما اللعنة الكبرى السفلى من اطباق النار وقيل الكبرى نار جهنم والصغرى نار الدنيا وقيل ثم لان الترجح بين الحيوة والموت افظع من الصلى فهو متراخ عنه فى مراتب الشدة والمعنى لا يموت فيستريح ولا يحيى حيوة تنفعه تزكى تطهر من الشرك والمعاصى او تطهر للصلوة او تكثر من التقوى من الزكاء وهى النماء او تفعل من الزكوة كتصدق من الصدقة فصلى فصلى الصلوات الخمس نحو قوله تعالى واقام الصلوة واتى الزكوة وعن ابن مسعود رضى الله عنه رحم الله امرأ تصدق وصلى وعن على رضى الله عنه انه التصدق بصدقة الفطر وقال لا ابالى ان لا اجد فى كتابى غيرها لقوله تعالى قد افلح من تزكى اى اعطى زكوة الفطر فتوجه الى المصلى فصلى صلوة العيد وذكر اسم ربه فكبر تكبيرة الافتتاح وبه يحتج على وجوب تكبيرة الافتتاح وعلى انها ليست من الصلوة لان الصلوة معطوفة عليها وعلى ان الافتتاح جائز بكل اسم من اسمائه جل ذكره وعن ابن عباس رضى الله عنهما ذكر معاده وموقفه بين يدى ربه فصلى له وعن الضحاك وذكر اسم ربه فى طريق المصلى فصلى صلوة العيد بل تؤثرون الحيوة الدنيا والاخرة خير وابقى بل تؤثرون الحيوة الدنيا فلا تفعلون ما تفلحون به وقرى يؤثرون على الغيبة ويعضد الاولى قراءة ابن مسعود رضى الله بل انتم تؤثرون خير وابقى افضل فى نفسها وانعم وادوم وعن عمر بن الخطاب رضى الله عنه ما الدنيا فى الاخرة الا كنفجة ارنب ان هذا لفى الصحف الاولى صحف ابراهيم وموسى هذا اشارة الى قوله قد افلح الى ابقى يعنى ان معنى هذا الكلام وارد فى تلك الصحف وقيل الى ما فى السورة كلها وروى عن ابى ذر رضى الله عنه انه سال رسول الله عليه السلام كم انزل الله من كتاب فقال مائة واربعة كتب منها على آدم عليه السلام عشر صحائف وعلى شيث عليه السلام خمسون صحيفة وعلى اخنوخ وهو ادريس عليه السلام ثلثون صحيفة وعلى ابراهيم عليه السلام عشر صحائف والتورية والانجيل والزبور والفرقان وقيل ان فى صحف ابراهيم عليه السلام ينبغى للعاقل ان يكون حافظا للسانه عارفا بزمانه مقبلا على شانه عن رسول الله عليه الصلوة والسلام من قرا سورة الاعلى اعطاه الله عشر حسنات بعدد كل حرف انزله الله على ابراهيم وموسى ومحمد عليهم السلام وكان اذا قراها قال سبحان ربى الاعلى وكان على وابن عباس رضى الله عنهما يقولان ذلك وكان النبى عليه الصلاة والسلام يحبها وقال اول من قال سبحان ربى الاعلى ميكائيل عليه السلام

بسم الله الرحمن الرحيم هل اتاك حديث الغاشية وجوه يومئذ خاشعة عاملة ناصبة تصلى نارا حامية تسقى من عين آنية الغاشية الداهية التى تغشى الناس بشدائدها وتلبسهم اهوالها يعنى القيمة من قوله سبحانه وتعالى يوم يغشاهم العذاب من فوقهم وقيل النار من قوله تعالى وتغشى وجوههم النار ومن فوقهم غواش يومئذ يوم اذ غشيت خاشعة ذليلة عاملة ناصبة تعمل فى النار عملا تتعب فيه وهو جرها السلاسل والاغلال وخوضها فى النار كما تخوض الابل فى الوحل وارتقاؤها دائبة فى صعود من نار وهبوطها فى حدور منها وقيل عملت فى الدنيا اعمال السوء والتذت بها وتنعمت فهى فى نصب منها فى الاخرة وقيل عملت ونصبت فى اعمال لا تجدى عليها فى الاخرة من قوله جل وعلا وقدمنا الى ما

علوا

عملوا من عمل وهم يحسبون انهم يحسنون صنعا اولئك الذين حبطت اعمالهم وقيل هم اصحاب الصوامع ومعناه انها خشعت لله تعالى وعملت ونصبت فى اعمالها من الصوم الدائب والتهجد الواصب وقرى عاملة ناصبة على الشتم وقرى تصلى بفتح التاء وتصلى بضمها وتصلى بالتشديد وقيل المصلى عند العرب ان يحفروا حفيرا فيجمعوا فيه جمرا كثيرا ثم يعمدوا الى شاة فيدسوها وسطه فاما ما يشوى فوق الجمر او على المقلى او فى التنور فلا يسمى مصليا آنية متناهية فى الحر كقوله تعالى بين حميم آن ليس لهم طعام الا من ضريع لا يسمن ولا يغنى من جوع الضريع يبيس الشبرق وهو جنس من الشوك ترعاه الابل ما دام رطبا فاذا يبس تحامته وهو سم قاتل قال ابو ذؤيب رعى الشبرق الريان حتى اذا ذوى وعاد ضريعا بان عنه النحائص وقال وحبسن فى هزم الضريع فكلها حدباء دامية اليدين حرود فان قلت كيف قال ليس لهم طعام الا من ضريع وفى الحاقة ولا طعام الا من غسلين العذاب الوان والمعذبون طبقات فمنهم اكلة الزقوم ومنهم اكلة الغسلين ومنهم اكلة الضريع لكل باب منهم جزء مقسوم لا يسمن مرفوع المحل او مجروره على وصف طعام او ضريع يعنى ان طعامهم من شئ ليس من مطاعم الانس وانما هو شوك والشوك مما ترعاه الابل وتتولع به وهذا نوع منه تنفر عنه ولا تقربه ومنفعتا الغذاء منتفيتان عنه وهما اماطة الجوع وافادة القوة والسمن فى البدن او اريد ان لا طعام لهم اصلا لان الضريع ليس بطعام للبهائم فضلا عن الانس لان الطعام ما اشبع او اسمن وهو منهما بمعزل كما تقول ليس لفلان ظل الا الشمس تريد نفى الظل على التوكيد وقيل قال كفار قريش لعنهم الله ان الضريع لتسمن عليه ابلنا فنزلت لا يسمن فلا تخلو اما ان يتكذبوا ويتعنتوا بذلك وهو الظاهر فيرد قولهم بنفى السمن والشبع واما ان يصدقوا فيكون المعنى ان طعامهم ليس من جنس ضريعكم انما هو ضريع غير مسمن ولا مغن من جوع وجوه يومئذ ناعمة لسعيها راضية فى جنة عالية لا تسمع فيها لاغية فيها عين جارية فيها سرر مرفوعة واكواب موضوعة ونمارق مصفوفة وزرابى مبثوثة ناعمة ذات بهجة وحسن كقوله تعالى تعرف فى وجوههم نضرة النعيم او متنعمة لسعيها راضية رضيت بعملها لما رأت ما اداهم اليه من الكرامة والثواب عالية من علو المكان او المقدار لا تسمع يا مخاطب او الوجوه لاغية اى لغوا او كلمة ذات لغو او نفسا تلغو لا يتكلم اهل الجنة الا بالحكمة وحمد الله تعالى على ما رزقهم من النعيم الدائم وقرى لا يسمع على البناء للمفعول بالتاء والياء فيها عين جارية يريد عيونا فى غاية الكثرة كقوله تعالى علمت نفس مرفوعة من رفعة المقدار او السمك ليرى المؤمن بجلوسه عليه جميع ما خوله ربه من الملك والنعيم وقيل مخبوءة لهم من رفع الشئ اذا خباه موضوعة كلما ارادوها وجدوها موضوعة بين ايديهم عتيدة حاضرة لا يحتاجون الى ان يدعوا بها او موضوعة على حافات العيون معدة للشرب ويجوز ان يراد موضوعة عن حد الكبار اوساط بين الصغر والكبر كقوله تعالى قدروها تقديرا مصفوفة بعضها الى جنب بعض مساند ومطارح اينما اراد ان يجلس جلس على مسورة واستند الى اخرى وزرابى وبسط عراض فاخرة وقيل هى الطنافس التى لها خمل رقيق جمع زربية مبثوثة مبسوطة او مفرقة فى المجالس افلا ينظرون الى الابل كيف خلقت والى السماء كيف رفعت والى الجبال كيف نصبت والى الارض كيف سطحت فذكر انما انت مذكر لست عليهم بمصيطر الا من تولى وكفر فيعذبه الله العذاب الاكبر ان الينا ايابهم ثم ان علينا حسابهم افلا ينظرون الى الابل نظر اعتبار كيف خلقت خلقا عجيبا دالا على تقدير مقدر شاهدا بتدبير مدبر حيث خلقها للنهوض بالاثقال وجرها الى البلاد الشاسعة فجعلها تبرك حتى تحمل عن قرب ويسر ثم تنهض بما

من ع

تملت وسخرها منقادة لكل من اقتادها بازمتها لا تعاز ضعيفا ولا تمانع صغيرا وبراها طوال الاعناق لتنوء
بالاوقار وعن بعض الحكماء انه حدث عن البعير وبديع خلقه وقد نشا في بلاد لا ابل بها ففكر ثم قال يوشك
ان تكون طوال الاعناق وحين اراد بها ان تكون سفاين البر صبرها على احتمال العطش حتى ان اظماها
ليرتفع الى العشر فصاعدا وجعلها ترعى كل شيء نابت في البراري والمفاوز مما لا ترعاه سائر البهايم وعن سعيد
ابن جبير رضي الله عنه قال لقيت شريحا القاضي فقلت اين تريد قال اريد الكناسة قلت وما تصنع بها
قال انظر الى الابل كيف خلقت **فان قلت** كيف حسن ذكر الابل مع السماء والجبال والارض ولا مناسبة
قلت قد انتظم هذه الاشياء نظر العرب في اوديتهم وبواديهم فانتظمها الذكر على حسب ما انتظمها نظرهم
ولم يبدع من زعم ان الابل السحاب الى قوله الا طلب المناسبة ولعله لم يرد ان الابل من اسماء السحاب كالغمام
والمزن والرباب والغيم والغين وغير ذلك وانما راى السحاب مشبها بالابل كثيرا في اشعارهم فجوز ان يراد
بها السحاب على طريق التشبيه والمجاز كيف رفعت رفعا بعيد المدى بلا امساك وبغير عمد وكيف نصبت
نصبا ثابتا فهي راسخة لا تميل ولا تزول وكيف سطحت سطحا بتمهيد وتوطية فهي مهاد للمتقلب عليها
وقرا علي رضي الله عنه خلقت ورفعت ونصبت وسطحت على البناء للفاعل وتاء الضمير والتقدير فعلتها
فحذف المفعول وعن هرون الرشيد رحمه الله انه قرا سطحت بالتشديد والمعنى افلا ينظرون الى هذه
المخلوقات الشاهدة على قدرة الخالق حتى لا ينكروا اقتداره على البعث فيسمعوا انذار الرسول ويومنوا
به ويستعدوا للقائه اي لا ينظرون فذكرهم ولا تلح عليهم ولا يهمنك انهم لا ينظرون ولا يذكرون
انما انت مذكر كقوله تعالى ان عليك الا البلاغ لست عليهم بمسيطر بمتسلط كقوله تعالى وما انت عليهم
بجبار وقيل هو في لغة تميم مفتوح الطاء على ان سيطر متعد عندهم وقولهم تسيطر يدل عليه الا من
تولى استثناء منقطع اي لست بمستول عليهم ولكن من تولى وكفر منهم فان لله الولاية والقهر فهو يعذبه
العذاب الاكبر الذي هو عذاب جهنم وقيل هو استثناء من قوله فذكر اي فذكر الا من انقطع طمعك من
ايمانه وتولى فاستحق العذاب الاكبر وما بينهما اعتراض وقرئ الا من تولى على التنبيه وفي قراءة ابن مسعود
رضي الله عنه فانه يعذبه وقرا ابو جعفر المدني ايابهم بالتشديد ووجهه ان يكون فيعالا مصدر ايب
فيعل من الاياب او ان يكون اصله اوابا فعالا من اوب ثم قيل ايوابا كديوان في دوان ثم فعل به
ما فعل باصل سيد **فان قلت** ما معنى تقديم الظرف معناه التشديد في الوعيد وان
ايابهم ليس الا الى الجبار المقتدر على الانتقام وان حسابهم ليس بواجب الا عليه وهو الذي يحاسب على النقير
والقطمير ومعنى الوجوب الوجوب في الحكمة عن رسول الله عليه السلام من قرا سورة الغاشية حاسبه الله حسابا
يسيرا

بسم الله الرحمن الرحيم والفجر وليال عشر والشفع والوتر والليل اذا يسر هل في ذلك قسم لذي حجر
اقسم بالفجر كما اقسم بالصبح في قوله تعالى والصبح اذا اسفر والصبح اذا تنفس وقيل بصلوة الفجر واراد
بالليالي العشر عشر ذي الحجة **فان قلت** فما بالها منكرة من بين ما اقسم به **قلت** لانها ليال مخصوصة
من بين جنس الليالي العشر بعض منها او مخصوصة بفضيلة ليست لغيرها فان قلت فهلا عرفت بلام العهد
لانها ليال معلومة معهودة قلت لو فعل ذلك لم تستقل بمعنى الفضيلة الذي في التنكير ولان الاحسن
ان تكون اللامات متجانسة ليكون الكلام ابعد من الالغاز والتعمية وبالشفع والوتر اما الاشياء كلها

شفعها ووترها واما شفع هذه الليالي ووترها ويجوز ان يكون شفعها يوم النحر ووترها يوم عرفة
لانه تاسع ايامها وذلك عاشرها وقد روي عن النبي صلى الله عليه وسلم انه فسرهما بذلك وقد اكثروا في الشفع
والوتر حتى كادوا يستوعبون اجناس ما يقعان فيه وذلك قليل الطايل جدير بالتلهي عنه وبعد ما اقسم
بالليالي المخصوصة اقسم بالليل على العموم اذا يسري اذا يمضي كقوله تعالى والليل اذ ادبر والليل اذا
عسعس **وقرئ** والوتر بفتح الواو وهما لغتان كالحبر والحبر في العدد وفي الترة الكسر وحده وقرئ
الوتر بفتح الواو وكسر التاء رواها يونس عن ابي عمرو وقرئ والفجر والوتر ويسر بالتنوين وهو التنوين الذي
يقع بدلا من حرف الاطلاق وعن ابن عباس رضي الله عنهما وليال عشر بالاضافة يريد وليال ايام عشر وياء
يسري تحذف في الدرج اكتفاء عنها بالكسرة واما في الوقف فتحذف مع الكسرة وقيل معنى يسري يسرى
فيه هل في ذلك اي فيما اقسمت به من هذه الاشياء قسم اي مقسم به لذي حجر هل يحق عنده ان تعظم
بالاقسام بها او هل في اقسامي بها اقسام لذي حجر اي هل هو قسم عظيم يؤكد بمثله المقسم عليه والحجر
العقل لانه يحجر عن التهافت فيما لا ينبغي كما سمي عقلا ونهية لانه يعقل وينهى وحصاة من الاحصاء وهو الضبط
وقال الفراء يقال انه لذو حجر اذا كان قاهرا لنفسه ضابطا لها والمقسم عليه محذوف وهو ليعذبن يدل عليه
قوله عز وجل الم تر الى قوله فصب عليهم ربك سوط عذاب الم تر كيف فعل ربك بعاد ارم ذات العماد
التي لم يخلق مثلها في البلاد قيل لعقب عاد بن عوص بن ارم بن سام بن نوح عليه السلام عاد كما يقال
لبني هاشم هاشم ثم قيل للاولين منهم عاد الاولى وارم تسمية لهم باسم جدهم ولمن بعدهم عاد الاخرة
قال مجدا تليدا بناه اوله ادرك عادا وقبلها ارما فارم في قوله بعاد ارم عطف بيان لعاد وايذان
بانهم عاد الاولى القديمة وقيل ارم بلدتهم وارضهم التي كانوا فيها ويدل عليه قراءة ابن الزبير رضي الله
عنه بعاد ارم على الاضافة وتقديره بعاد اهل ارم كقوله تعالى واسأل القرية ولم تنصرف قبيلة كانت
او ارضا للتعريف والتانيث وقرا الحسن رحمة الله عليه بعاد ارم مفتوحتين **وقرئ** بعاد ارم
بسكون الراء على التخفيف كما قرئ بورقكم وقرئ بعاد ارم ذات العماد باضافة ارم الى ذات العماد والارم
العلم يعني بعاد اهل اعلام ذات العماد وذات العماد اسم المدينة **وقرئ** بعاد ارم ذات العماد
اي جعل الله ذات العماد رميما بدلا من فعل ربك وذات العماد اذا كانت صفة للقبيلة فالمعنى انهم كانوا
بدويين اهل عمد او طوال الاجسام على تشبيه قدودهم بالاعمدة ومنه قولهم رجل معمد وعمدان اذا
كان طويلا وقيل ذات البناء الرفيع وان كانت صفة للبلدة فالمعنى انها ذات اساطين **وروي** انه كان
لعاد ابنان شداد وشديد فملكا وقهرا ثم مات شديد وخلص الامر لشداد فملك الدنيا ودانت له ملوكها
فسمع بذكر الجنة فقال ابني مثلها فبنى ارم في بعض صحاري عدن في ثلثمائة سنة وكان عمره تسعمائة سنة وهي مدينة
عظيمة قصورها من الذهب والفضة واساطينها من الزبرجد والياقوت وفيها اصناف الاشجار والانهار
المطردة ولما تم بناؤها سار اليها باهل مملكته فلما كان منها على مسيرة يوم وليلة بعث الله عليهم صيحة من السماء
فهلكوا وعن عبد الله بن قلابة انه خرج في طلب ابل له فوقع عليها فحمل ما قدر عليه مما ثم وبلغ خبره معاوية
فاستحضره فقص عليه فبعث الى كعب فسأله فقال هي ارم ذات العماد وسيدخلها رجل من المسلمين في زمانك
احمر اشقر قصير على حاجبه خال وعلى عقبه خال يخرج في طلب ابل له ثم التفت فابصر ابن قلابة فقال هذا والله
ذلك الرجل لم يخلق مثلها مثل عاد في البلاد عظم اجرام وقوة كان طول الرجل منهم اربعمائة ذراع وكان
ياتي الصخرة العظيمة فيحملها فيلقيها على الحي فيهلكهم او لم يخلق مثل مدينة شداد في جميع بلاد الدنيا وقرا

ابن الرقيات م

ابن الزبير رضى الله عنه لم تخلق مثلها اى لم يخلق الله مثلها وثمود الذين جابوا الصخر بالواد وفرعون
ذى الاوتاد الذين طغوا فى البلاد فاكثروا فيها الفساد فصب عليهم ربك سوط عذاب ان ربك
لبالمرصاد جابوا الصخر قطعوا صخر الجبال واتخذوا فيها بيوتا كقوله عز وعلا وتنحتون من الجبال بيوتا قيل
اول من نحت الجبال والصخور والرخام ثمود وبنوا الفا وسبعمائة مدينة كلها من الحجارة قيل له ذو الاوتاد
لكثرة جنوده ومضاربهم التى كانوا يضربونها اذا نزلوا او لتعذيبه بالاوتاد كما فعل بماشطة بنته وباسية
رضى الله عنها الذين طغوا احسن الوجوه فيه ان يكون فى محل النصب على الذم ويجوز ان يكون مرفوعا على
هم الذين طغوا او مجرورا على وصف المذكورين عاد وثمود وفرعون يقال صب عليه السوط وغشاه
وقنعه وذكر السوط اشارة الى ان ما احله بهم فى الدنيا من العذاب العظيم بالقياس الى ما اعد لهم فى الاخرة
كالسوط اذا قيس الى سائر ما يعذب به وعن عمرو بن عبيد كان الحسن اذا اتى على هذه الاية قال ان عند الله اسواطا
كثيرة فاخذهم بسوط منها المرصاد المكان الذى يترقب فيه الرصد مفعال من رصده كالميقات من وقته
وهذا مثل لارصاده العصاة بالعقاب وانهم لا يفوتونه وعن بعض العرب انه قيل له اين ربك فقال بالمرصاد
وعن عمرو بن عبيد انه قرا هذه السورة عند المنصور حتى بلغ هذه الاية فقال ان ربك لبالمرصاد يا ابا جعفر
عرض له فى هذا النداء بانه بعض من توعد بذلك من الجبابرة فلله دره اى اسد فراس كان بين ثوبيه
يدق الظلمة بانكاره ويقطع اهل الاهواء والبدع باحتجاجه فاما الانسان اذا ما ابتلاه ربه فاكرمه
ونعمه فيقول ربى اكرمن واما اذا ما ابتلاه فقدر عليه رزقه فيقول ربى اهانن فان قلت
بم اتصل قوله فاما الانسان قلت بقوله ان ربك لبالمرصاد كانه قيل ان الله تعالى لا يريد من الانسان
الا الطاعة والسعى للعاقبة وهو مرصد بالعقوبة للعاصى فاما الانسان فلا يريد ذلك ولا يهمه الا
العاجلة وما يلذه وينعمه فيها فان قلت كيف توازن قوله فاما الانسان اذا ما ابتلاه ربه وقوله
واما اذا ما ابتليه ربه وحق التوازن ان يتقابل الواقعان بعد اما واما تقول اما الانسان فكفور
واما الملك فشكور اما اذا احسنت الى زيد فهو محسن اليك واما اذا اسات اليه فهو مسىء اليك قلت
هما متوازنان من حيث ان التقدير واما هو اذا ما ابتلاه ربه وذلك ان قوله تعالى فيقول ربى اكرمن خبر
المبتدا الذى هو الانسان ودخول الفاء لما فى اما من معنى الشرط والظرف المتوسط بين المبتدا والخبر
فى تقدير التاخير كانه قيل فاما الانسان فقائل ربى اكرمن وقت الابتلاء فوجب ان يكون فيقول الثانى
خبر المبتدا واجب تقديره فان قلت كيف سمى كلا الامرين من بسط الرزق وتقديره ابتلاء قلت
لان كل واحد منهما اختبار للعبد فاذا بسط له فقد اختبر حاله ايشكر ام يكفر واذا قدر عليه فقد اختبر
حاله ايصبر ام يجزع فالحكمة فيهما واحدة ونحوه قوله تعالى ونبلوكم بالشر والخير فتنة فان قلت
هلا قال فاهانه وقدر عليه رزقه كما قال فاكرمه ونعمه قلت لان البسط اكرام من الله لعبده بانعامه
عليه متفضلا من غير سابقة واما التقدير فليس باهانة له لان الاخلال بالتفضل لا يكون اهانة
ولكن تركا للكرامة وقد يكون المولى مكرما لعبده ومهينا وغير مكرم ولا مهين واذا اهدى لك زيد
هدية قلت اكرمنى بالهدية ولا تقول اهاننى ولا اكرمنى اذا لم يهد لك فان قلت فقد قال فاكرمه
فصحح اكرامه واثبته ثم انكر قوله ربى اكرمن وذمه عليه كما انكر قوله اهانن وذمه عليه
فيه جوابان احدهما انما انكر قوله ربى اكرمن وذمه عليه لانه قاله على قصد خلاف ما صححه الله عليه
واثبته وهو قصده الى ان الله تعالى اعطاه ما اعطاه اكراما له مستحقا مستوجبا على عادة افتخارهم وجلالة

اقدارهم

اقدارهم عندهم كقوله تعالى انما اوتيته على علم عندى وانما اعطاه الله تعالى على وجه التفضل من غير استيجاب
منه ولا سابقة مما لا يعتد الله الا به وهو التقوى دون الانساب والاحساب التى كانوا يفتخرون بها ويرون
استحقاق الكرامة من اجلها والثانى ان ينساق الانكار والذم الى قوله ربى اهانن يعنى انه اذا تفضل عليه
بالخير واكرم به اعترف بتفضل الله تعالى واكرامه واذا لم يتفضل عليه سمى ترك التفضل هوانا وليس بهوان
ويعضد هذا الوجه ذكر الاكرام فى قوله فاكرمه وقرى فقدر بالتخفيف والتشديد واكرمن واهانن
بسكون النون فى الوقف فيمن ترك الياء فى الدرج مكتفيا منها بالكسرة كلا بل لا تكرمون اليتيم ولا
تحضون على طعام المسكين وتاكلون التراث اكلا لما وتحبون المال حبا جما كلا ردع للانسان عن
قوله ثم قال بل هناك شر من هذا القول وهو ان الله تعالى يكرمهم بكثرة المال فلا يؤدون ما يلزمهم فيه
من اكرام اليتيم بالتفقد والمبرة وحض اهله على طعام المسكين وياكلونه اكل الانعام ويحبونه فيشحون به
وقرى يكرمون وما بعده بالياء والتاء وقرى تحاضون اى يحض بعضكم بعضا وفى قراءة ابن مسعود رضى
الله عنه ولا تحاضون بضم التاء من المحاضة اكلا لما ذا لم وهو الجمع بين الحلال والحرام قال الحطيئة
اذا كان لما يتبع الذم ربه فلا قدس الرحمن تلك الطواحنا يعنى انهم يجمعون فى اكلهم بين
نصيبهم من الميراث ونصيب غيرهم وقيل كانوا لا يورثون النساء ولا الصبيان وياكلون تراثهم مع
تراثهم وقيل ياكلون ما جمعه الميت من الظلمة وهو عالم بذلك فيلم فى الاكل بين حلاله وحرامه ويجوز ان
يذم الوارث الذى ظفر بالمال سهلا مهلا من غير ان يعرق فيه جبينه فيسرف فى انفاقه وياكله اكلا واسعا
جامعا بين الوان المشتهيات من الاطعمة والاشربة والفواكه كما يفعل الوراث البطالون حبا جما كثيرا
مع الحرص والشره ومنع الحقوق كلا اذا دكت الارض دكا دكا وجاء ربك والملك صفا صفا كلا ردع لهم
عن ذلك وانكار لفعلهم ثم اتى بالوعيد وذكر تحسرهم على ما فرطوا فيه حين لا تنفع الحسرة وجىء يومئذ بجهنم
يومئذ يتذكر الانسان وانى له الذكرى يومئذ بدل من اذا دكت الارض وعامل النصب فيهما يتذكر
دكا دكا اى دكا بعد دك كقولك حسبته بابا بابا اى كرر عليها الدك حتى عادت هباء منبثا فان قلت
ما معنى اسناد المجىء الى الله تعالى والحركة والانتقال انما تجوز على من كان فى جهة هو تمثيل لظهور
ايات اقتداره وتبيين اثار قهره وسلطانه مثلت حاله فى ذلك بحال الملك اذا حضر بنفسه ظهر بحضوره
من اثار الهيبة والسياسة ما لا يظهر بحضور عساكره كلها ووزرائه وخواصه عن بكرة ابيهم صفا صفا
تنزل ملائكة كل سماء فيصطفون صفا بعد صف محدقين بالجن والانس وجىء يومئذ بجهنم كقوله تعالى
وبرزت الجحيم لمن يرى وروى انها لما نزلت تغير وجه رسول الله صلى الله عليه وسلم وعرف فى وجهه حتى
اشتد على اصحابه فاخبروا عليا رضى الله عنه فجاء فاحتضنه من خلفه وقبل بين عاتقيه ثم قال يا نبى الله بابى انت
وامى ما الذى حدث اليوم وما الذى غيرك فتلا الاية فقال على كيف يجاء بها قال يجىء بها سبعون الف
الف ملك يقودونها بسبعين الف زمام فتشرد شردة لو تركت لاحرقت اهل الجمع اى يتذكر ما فرط فيه
او يتعظ وانى له الذكرى ومن اين له منفعة الذكرى لا بد من تقدير حذف المضاف والا فبين يومئذ يتذكر وبين
وانى له الذكرى تناف وتناقض يقول يا ليتنى قدمت لحياتى فيومئذ لا يعذب عذابه احد ولا يوثق
وثاقه احد قدمت لحياتى هذه وهى حياة الاخرة او وقت حياتى فى الدنيا كقولك جئته لعشر ليال خلون
من رجب وهذا ابين دليل على ان الاختيار كان فى ايديهم ومعلقا بقصدهم وارادتهم وانهم لم يكونوا
محجوبين عن الطاعات مجبرين على المعاصى كمذهب اهل الاهواء والبدع والا فما معنى التحسر قرئ بالفتح

يعذب ويوثق وهى قراءة رسول الله صلى الله عليه وسلم وعن ابى عمرو انه رجع اليها فى اخر عمره والضمير للانسان
الموصوف وقيل هو ابى بن خلف اى لا يعذب احد مثل عذابه ولا يوثق بالسلاسل والاغلال مثل وثاقه لتناهيه
فى كفره وعناده او لا يحمل عذاب الانسان احد كقوله تعالى ولا تزر وازرة وزر اخرى وقرئ بالكسر
والضمير لله تعالى اى لا يتولى عذاب الله احد لان الامر لله وحده فى ذلك اليوم او للانسان اى لا يعذب
احد من الزبانية مثل ما يعذبونه يا ايتها النفس المطمئنة ارجعى الى ربك راضية مرضية فادخلى
فى عبادى وادخلى جنتى يا ايتها النفس على ارادة القول اى يقول الله عز وجل للمؤمن يا ايتها النفس
اما ان يكلمه اكراما له كما كلم موسى عليه السلام او على لسان ملك والمطمئنة الآمنة التى لا يستفزها
خوف ولا حزن وهى النفس المؤمنة او المطمئنة الى الحق التى سكنها ثلج اليقين فلا يخالجها شك ويشهد
للتفسير الاول قراءة ابى بن كعب رضى الله عنه يا ايتها النفس الآمنة المطمئنة فان قلت متى يقال
لها ذلك قلت اما عند الموت واما عند البعث واما عند دخول الجنة على معنى ارجعى الى موعد ربك
راضية بما اوتيت مرضية عند الله تعالى فادخلى فى عبادى فى جملة عبادى الصالحين وانتظمى فى سلكهم
وادخلى جنتى معهم وقيل النفس الروح ومعناه فادخلى فى اجساد عبادى وقرا ابن عباس رضى الله عنهما
فادخلى فى عبدى وقرا ابن مسعود رضى الله عنه فى جسد عبدى وقرا ابى رضى الله عنه ائتى ربك راضية
مرضية ادخلى فى عبدى وقيل نزلت فى حمزة بن عبد المطلب رضى الله عنه وقيل فى خبيب بن عدى الذى صلبه
اهل مكة وجعلوا وجهه الى المدينة فقال اللهم ان كان لى عندك خير فحول وجهى نحو قبلتك فحول الله وجهه
نحوها فلم يستطع احد ان يحوله والظاهر العموم عن رسول الله عليه السلام من قرا سورة الفجر فى الليالى
العشر غفر له ومن قراها فى سائر ايامه كانت له نورا يوم القيمة والله اعلم بالصواب

بسم الله الرحمن الرحيم لا اقسم بهذا البلد وانت حل بهذا البلد ووالد وما ولد لقد خلقنا الانسان
فى كبد ايحسب ان لن يقدر عليه احد يقول اهلكت مالا لبدا ايحسب ان لم يره احد اقسم سبحانه
وتعالى بالبلد الحرام وبما بعده على ان الانسان خلق مغمورا فى مكابدة المشاق والشدائد واعترض
بين القسم والمقسم عليه بقوله تعالى وانت حل بهذا البلد يعنى ومن المكابدة ان مثلك على عظم حرمتك
يستحل بهذا البلد الحرام كما يستحل الصيد فى غير الحرم عن شرحبيل يحرمون ان يقتلوا بها صيدا ويعضدوا
بها شجرة ويستحلون اخراجك وقتلك وفيه تثبيت من رسول الله صلى الله عليه وسلم وبعث على احتمال ما
كان يكابد من اهل مكة وتعجيب من حالهم فى عداوته او سلى رسول الله صلى الله عليه وسلم بالقسم ببلده على ان
الانسان لا يخلو من مقاساة الشدائد واعترض بان وعده فتح مكة تتميما للتسلية والتنفيس عنه فقال
وانت حل بهذا البلد يعنى وانت حل به فى المستقبل تصنع فيه ما تريده من القتل والاسر وذلك ان الله عز وجل
فتح عليه مكة واحلها له وما فتحت على احد قبله ولا احلت له فاحل ما شاء وحرم ما شاء قتل ابن خطل وهو
متعلق باستار الكعبة ومقيس بن صبابة وغيرهما وحرم دار ابى سفيان ثم قال ان الله حرم مكة يوم خلق
السموات والارض فهى حرام الى ان تقوم الساعة لم تحل لاحد قبلى ولن تحل لاحد بعدى ولم تحل لى الا ساعة
من نهار فلا يعضد شجرها ولا يختلى خلاها ولا ينفر صيدها ولا تحل لقطتها الا لمنشد فقال العباس
رضى الله عنه يا رسول الله الا الاذخر فانه لقيوننا وقبورنا وبيوتنا فقال رسول الله عليه السلام

الا الاذخر فان قلت اين نظير قوله وانت حل فى معنى الاستقبال قلت قوله تعالى انك ميت وانهم ميتون ومثله
واسع فى كلام العباد تقول لمن تعده الاكرام والحباء انت مكرم محبو وهو فى كلام الله اوسع لان الاحوال
المستقبلة عنده كالحاضرة المشاهدة وكفاك دليلا قاطعا على انه للاستقبال وان تفسيره بالحال
محال ان السورة بالاتفاق مكية واين الهجرة عن وقت نزولها فما بال الفتح فان قلت ما المراد
بوالد وما ولد قلت رسول الله صلى الله عليه وسلم ومن ولده اقسم ببلده الذى هو مسقط راسه
وحرم ابيه ابراهيم ومنشا ابيه اسمعيل عليهما السلام وبمن ولده وبه فان قلت لم نكر قلت للابهام
المستقل بالمدح والتعجب فان قلت هلا قيل ومن ولد قلت فيه ما فى قوله تعالى والله اعلم
بما وضعت اى باى شى وضعت يعنى موضوعا عجيب الشان وقيل هما آدم عليهما السلام وولده وقيل
كل والد وولده والكبد اصله من قولك كبد الرجل كبدا فهو اكبد اذا وجعت كبده وانتفخت فاتسع
فيه حتى استعمل فى كل تعب ومشقة ومنه اشتقت المكابدة كما قيل كبته بمعنى اهلكه واصله كبده اذا اصاب
كبده قال لبيد يا عين هلا بكيت اربد اذ قمنا وقام الخصوم فى كبد اى فى شدة الامر وصعوبة
الخطب والضمير فى ايحسب لبعض صناديد قريش الذين كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يكابد منهم ما يكابد
والمعنى ايظن هذا الصنديد القوى فى قومه المتضعف للمؤمنين ان لن تقوم قيامة ولن يقدر على الانتقام
منه وعلى مكافاته بما هو عليه ثم ذكر ما يقوله فى ذلك اليوم وانه يقول اهلكت مالا لبدا يريد كثرة ما انفقه
فيما كان اهل الجاهلية يسمونها مكارم ويدعونها معالى ومفاخر ايحسب ان لم يره احد حين كان ينفق
ما ينفق رياء الناس وافتخارا بينهم يعنى ان الله تعالى كان يراه وكان عليه رقيبا ويجوز ان يكون الضمير
للانسان على ان يكون المعنى اقسم بهذا البلد الشريف ومن شرفه انك حل به مما يقترفه اهله من المآثم
متحرج برى فهو حقيق بان اعظمه بقسمى به لقد خلقنا الانسان فى كبد اى فى مرض وهو مرض القلب
وفساد الباطن يريد الذين علم الله منهم حين خلقهم انهم لا يؤمنون ولا يعملون الصالحات وقيل الذى
يحسب ان لن يقدر عليه احد هو ابو الاشدين وكان قويا يبسط له الاديم العكاظى فيقوم عليه ويقول
من ازالنى عنه فله كذا فلا ينزع الا قطعا ويبقى موضع قدميه وقيل الوليد بن المغيرة لبدا قرئ بالضم
والكسر جمع لبدة ولبدة وهو ما تلبد يريد الكثرة وقرئ لبدا بضمتين جمع لبود ولبدا بالتشديد
جمع لابد الم نجعل له عينين ولسانا وشفتين وهديناه النجدين فلا اقتحم العقبة وما ادريك
ما العقبة فك رقبة او اطعام فى يوم ذى مسغبة يتيما ذا مقربة او مسكينا ذا متربة الم نجعل
له عينين يبصر بهما المرئيات ولسانا يترجم به عن ضمائره وشفتين يطبقهما على فيه ويستعين بهما على النطق
والاكل والشرب والنفخ وغير ذلك وهديناه النجدين اى الخير والشر وقيل الثديين فلا اقتحم العقبة
يعنى فلم يشكر تلك الايادى والنعم بالاعمال الصالحة من فك الرقاب واطعام اليتامى والمساكين ثم
بالايمان الذى هو اصل كل طاعة واساس كل خير بل غمط النعم وكفر بالمنعم والمعنى ان الانفاق على هذا
الوجه هو الانفاق المرضى النافع عند الله تعالى لا ان يهلك مالا لبدا فى الرياء والفخار فيكون مثله كمثل
ريح فيها صر اصابت حرث قوم الاية فان قلت قلما تقع لا الداخلة على الماضى الا مكررة ونحو قوله
فاى امر سيئ لا فعله لا يكاد يقع فما لها لم تكرر فى الكلام الافصح قلت هى متكررة فى المعنى لان معنى
فلا اقتحم العقبة فلا فك رقبة ولا اطعم مسكينا الا ترى انه فسر اقتحام العقبة بذلك وقال الزجاج
قوله ثم كان من الذين آمنوا يدل على معنى فلا اقتحم العقبة ولا آمن والاقتحام الدخول والمجاوزة بشدة

ومشقة والنجدة الشدة، وجعل الصالحة عقبة وعملها اقتحاما لها لما في ذلك من معاناة المشقة ومجاهدة النفس، وعن الحسن رحمة الله عليه عقبة والله شديدة مجاهدة الانسان نفسه وهواه وعدوه الشيطان وفك الرقبة تخليصها من رق او غيره، وفي الحديث ان رجلا قال لرسول الله صلى الله عليه وسلم دلني على عمل يدخلني الجنة قال تعتق النسمة وتفك الرقبة قال او ليستا سواء قال لا اعتاقها ان تنفرد بعتقها وفكها ان تعين في تخليصها من قود او غرم والعتق والصدقة من افضل الاعمال، وعن ابي حنيفة رحمة الله عليه ان العتق افضل الصدقة، وعند صاحبيه الصدقة افضل والاية ادل على قول ابي حنيفة رحمة الله عليه لتقديم العتق على الصدقة، وعن الشعبي في رجل عنده فضل نفقة ايضعه في ذي قرابة او يعتق رقبة قال الرقبة افضل لان النبي صلى الله عليه وسلم قال من فك رقبة فك الله بكل عضو منها عضوا منه من النار **قرئ** فك رقبة او اطعام، وقرئ فك رقبة او اطعم على الابدال من اقتحم العقبة، وقوله عز وعلا وما ادراك ما العقبة اعتراض ومعناه انك لم تدر كنه صعوبتها على النفس وكنه ثوابها عند الله تعالى، والمسغبة والمقربة والمتربة مفعلات من سغب اذا جاع وقرب في النسب يقال فلان ذو قرابتي وذو مقربتي، وترب اذا افتقر ومعناه التصق بالتراب، واما اترب فاستغنى اي صار ذا مال كالتراب في الكثرة كما قيل اثرى، وعن النبي صلى الله عليه وسلم في قوله ذا متربة الذي مأواه المزابل، ووصف اليوم بذي مسغبة نحو ما يقول النحويون في قولهم هم ناصب ذو نصب **وقرا** الحسن رحمة الله عليه ذا مسغبة نصبه باطعام ومعناه او اطعام في يوم من الايام ذا مسغبة ثم كان من الذين آمنوا وتواصوا بالصبر وتواصوا بالمرحمة اولئك اصحاب الميمنة والذين كفروا بآياتنا هم اصحاب المشأمة عليهم نار موصدة، ثم كان من الذين آمنوا جاء بثم لتراخي الايمان وتباعده في الرتبة والفضيلة عن العتق والصدقة لا في الوقت لان الايمان هو السابق المقدم على غيره ولا يثبت عمل صالح الا به، والمرحمة الرحمة اي اوصى بعضهم بعضا بالصبر على الايمان والثبات عليه او بالصبر عن المعاصي وعلى الطاعات والمحن التي يبتلى بها المؤمن، وبان يكونوا متراحمين متعاطفين او بما يؤدي الى رحمة الله تعالى، الميمنة والمشأمة اليمين والشمال او اليمن والشؤم اي الميامين على انفسهم والمشائيم عليهن **قرئ** موصدة بالواو والهمزة من اوصدت الباب وآصدته اي اطبقته واغلقته، وعن ابي بكر بن عياش لنا امام يهمز موصدة فاشتهي ان اسد اذني اذا سمعته، عن رسول الله صلى الله عليه وسلم من قرأ لا اقسم بهذا البلد اعطاه الله الامان من غضبه يوم القيامة والله

بسم الله الرحمن الرحيم والشمس وضحاها والقمر اذا تلاها والنهار اذا جلاها والليل اذا يغشاها والسماء وما بناها والارض وما طحاها، ضحاها ضوؤها اذا اشرقت وقام سلطانها ولذلك قيل وقت الضحى وكان وجهه شمس الضحى، وقيل الضحوة ارتفاع النهار والضحى فوق ذلك، والضحاء بالفتح والمد اذا امتد النهار وكرب ان ينتصف، اذا تلاها طالعا عند غروبها آخذا من نورها وذلك في النصف الاول من الشهر وقيل اذا استدار فتلاها في الضياء والنور، اذا جلاها عند انتفاخ النهار وانبساطه لان الشمس تنجلي في ذلك الوقت تمام الانجلاء، وقيل الضمير للظلمة او للدنيا او للارض وان لم يجر لها ذكر كقولهم اصبحت باردة يريدون الغداة وارسلت يريدون السماء، اذا يغشاها فتغيب وتظلم الآفاق **فان قلت** الامر في نصب اذا معضل لانك لا تخلو اما ان تجعل الواوات عاطفة فتنصب بها وتجر فتقع في العطف على عاملين

في نحو

قلت الجواب انه واو القسم [illegible] يرد عليه انتقض بمثل قوله تعالى والليل اذا عسعس والصبح [illegible] لان الواو هنا ليست عاطفة وقد تقدم صريح فعل القسم كما ذكره الشيخ ابن الحاجب فالظاهر [illegible] والتحقيق انه ليس معمولا لفعل القسم لفساد المعنى اذ التقييد بالزمان غير مراد حالا كان او استقبالا وانما هو معمول لمضاف مقدر من [illegible] لان الاقسام بالشيء اعظام له كما نص عليه المحقق في قوله لا اقسم بيوم القيامة كانه قيل اقسم بعظمة زمان الهوى على نحو قولهم عجبت من قيام الليث اذا سطى [illegible] المعنى على تقييد التعجب بل العجب من هوله وعظمته في ذلك الزمان كشف وفي شهاب [illegible] والله اعلم

في نحو قولك مررت امس بزيد واليوم عمرو، واما ان تجعلهن للقسم فتقع فيما اتفق الخليل وسيبويه على استكراهه **قلت** الجواب فيه ان واو القسم مطرح معها ابراز الفعل اطراحا كليا فكان لها شان خلاف شان الباء حيث ابرز معها الفعل واضمر فكانت الواو قائمة مقام الفعل والباء سادة مسدهما معا والواوات العواطف نوائب عن هذه الواو فحققن ان يكن عوامل الفعل والجار جميعا كما تقول ضرب زيد عمرا وبكر خالدا فترفع بالواو وتنصب لقيامها مقام ضرب الذي هو عاملهما، جعلت ما مصدرية في قوله تعالى وما بناها وما طحاها وما سواها وليس بالوجه لقوله فالهمها وما يؤدي اليه من فساد النظم، والوجه ان تكون موصولة وانما اوثرت على من لارادة معنى الوصفية كانه قيل والسماء والقادر العظيم الذي بناها ونفس وما سواها، ونفس والحكيم الباهر الحكمة الذي سواها، وفي كلامهم سبحان ما سخركن لنا **فان قلت** لم نكرت النفس قلت فيه وجهان، احدهما ان يريد نفسا خاصة من بين النفوس وهي نفس آدم عليه السلام كانه قيل وواحدة من النفوس، والثاني ان يريد كل نفس وينكر للتكثير على الطريقة المذكورة في قوله تعالى علمت نفس، فالهمها فجورها وتقواها قد افلح من زكاها وقد خاب من دساها ومعنى الهام الفجور والتقوى افهامهما واعقالهما وان احدهما حسن والاخر قبيح وتمكينه من اختيار ما شاء منهما بدليل قوله تعالى قد افلح من زكاها وقد خاب من دساها فجعله فاعل التزكية والتدسية ومتوليهما والتزكية الانماء والاعلاء بالتقوى والتدسية النقص والاخفاء بالفجور، واصل دسى دسس كما قيل في تقضض تقضى، وسئل ابن عباس رضي الله عنهما عنه فقال اتقرأ قد افلح من زكى وقد خاب من حمل ظلما، واما قول من زعم ان الضمير في زكى ودسى لله تعالى وان تأنيث الراجع الى من لانه في معنى النفس فمن تعكيس القدرية الذين يوركون على الله تعالى قدرا هو بريء منه ومتعال عنه ويحيون لياليهم في تمحل فاحشة ينسبونها اليه **فان قلت** فاين جواب القسم **قلت** هو محذوف تقديره ليدمدمن الله عليهم اي على اهل مكة لتكذيبهم رسول الله صلى الله عليه وسلم كما دمدم على ثمود لانهم كذبوا صالحا عليه السلام واما قد افلح من زكاها فكلام تابع لقوله تعالى فالهمها فجورها وتقواها على سبيل الاستطراد وليس من جواب القسم في شيء كذبت ثمود بطغواها اذ انبعث اشقاها، الباء في بطغواها مثلها في كتبت بالقلم، والطغوى من الطغيان فصلوا بين الاسم والصفة في فعلى من بنات الياء بان قلبوا الياء واوا في الاسم وتركوا القلب في الصفة فقالوا امرأة خزيا وصديا يعني فعلت التكذيب بطغيانها كما تقول ظلمني بجرأته على الله، وقيل كذبت بما اوعدت به من عذابها ذي الطغوى كقوله تعالى فاهلكوا بالطاغية، وقرأ الحسن رحمة الله عليه بطغواها بضم الطاء كالحسنى والرجعى في المصادر، اذ انبعث منصوب بكذبت او بالطغوى، واشقاها قدار بن سالف، ويجوز ان يكونوا جماعة والتوحيد لتسويتك في افعل التفضيل اذا اضفته بين الواحد والجمع والمذكر والمؤنث وكان يجوز ان يقال اشقوها كما تقول افاضلهم فقال لهم رسول الله ناقة الله وسقياها فكذبوه فعقروها، والضمير في لهم يجوز ان يكون للاشقين والتفضيل في الشقاوة لان من تولى العقر وباشره كانت شقاوته اظهر وابلغ، وناقة الله نصب على التحذير كقولك الاسد الاسد والصبي الصبي باضمار ذروا او احذروا عقرها وسقياها فلا تزووها عنها ولا تستأثروا بها عليها، فكذبوه فيما حذرهم منه من نزول العذاب ان فعلوا فدمدم عليهم ربهم بذنبهم فسواها ولا يخاف عقباها، فدمدم عليهم فاطبق عليهم العذاب وهو من تكرير قولهم ناقة مدمومة اذا البسها الشحم، بذنبهم بسبب ذنبهم وفيه انذار عظيم بعاقبة الذنب فعلى كل مذنب

ان يعقر ولم يخف ❊ فسويها الضمير للدمدمة اى فسواها بينهم لم يفلت منها صغيرهم ولا كبيرهم ❊ ولا يخاف
عقباها اى عاقبتها وتبعتها كما يخاف كل معاقب من الملوك فيبقى بعض الابقاء ❊ ويجوز ان يكون الضمير لثمود
على معنى فسويها بالارض او فى الهلاك ولا يخاف عقبى هلاكها وفى مصاحف اهل المدينة والشام فلا يخاف
وفى قراءة النبى عليه السلام ولم يخف ❊ عن رسول الله عليه السلام من قرأ سورة الشمس فكانما تصدق بكل شئ طلعت عليه
الشمس والقمر

بسم الله الرحمن الرحيم **والليل اذا يغشى والنهار اذا تجلى ❊ وما خلق الذكر والانثى ان سعيكم لشتى** ❊ المغشى
اما الشمس من قوله تعالى والليل اذا يغشاها واما النهار من قوله يغشى الليل النهار ❊ واما كل شئ بواريه
بظلامه من قوله تعالى اذا وقب ❊ تجلى ظهر بزوال ظلمة الليل او تبين وتكشف بطلوع الشمس وما خلق
والقادر العظيم القدرة الذى قدر على خلق الذكر والانثى من ماء واحد ❊ وقيل هما آدم وحواء عليهما
السلام ❊ وفى قراءة النبى صلى الله عليه وسلم والذكر والانثى ❊ وقرأ ابن مسعود رضى الله عنه والذى
خلق الذكر والانثى ❊ وعن الكسائى وما خلق الذكر والانثى بالجر على انه بدل من محل ما خلق بمعنى وما خلق
الله اى ومخلوق الله الذكر والانثى وجاز اضمار اسم الله تعالى لانه معلوم لانفراده بالخلق اذ لا خالق
سواه ❊ وقيل ان الله تعالى لم يخلق خلقا من ذوى الازواج ليس بذكر ولا انثى والخنثى وان اشكل امره
عندنا فهو عند الله غير مشكل معلوم بالذكورة او الانوثة فلو حلف بالطلاق انه لم يلق يومه ذكرا
ولا انثى وقد لقى خنثى مشكلا كان حانثا لانه لقى فى الحقيقة اما ذكرا او انثى وان كان مشكلا عندنا
شتى جمع شتيت اى ان مساعيكم اشتات مختلفة وبيان اختلافها فيما فصل على اثره **فاما من اعطى
واتقى وصدق بالحسنى فسنيسره لليسرى** ❊ اعطى يعنى حقوق ماله واتقى الله فلم يعصه وصدق
بالحسنى بالخصلة الحسنى وهى الايمان او بالملة الحسنى وهى ملة الاسلام ❊ او بالمثوبة الحسنى وهى الجنة ❊
فسنيسره لليسرى فسنهيئه لها من يسر الفرس للركوب اذا اسرجها والجمها ❊ ومنه قوله صلى الله عليه وسلم
كل ميسر لما خلق له والمعنى فسنلطف به ونوفقه حتى تكون الطاعة ايسر الامور عليه واهونها من قوله
تعالى فمن يرد الله ان يهديه يشرح صدره للاسلام **واما من بخل واستغنى وكذب بالحسنى فسنيسره
للعسرى** ❊ واستغنى وزهد فيما عند الله كانه مستغن عنه فلم يتقه ❊ او استغنى بشهوات الدنيا عن نعيم
الجنة لانه فى مقابلة واتقى ❊ فسنيسره للعسرى فسنخذله ونمنعه الالطاف حتى تكون الطاعة اعسر شئ
عليه واشده من قوله تعالى يجعل صدره ضيقا حرجا كانما يصعد فى السماء ❊ او سمى طريقة الخير باليسرى
لان عاقبتها اليسر وطريقة الشر بالعسرى لان عاقبتها العسر او اراد بهما طريقى الجنة والنار اى فسنهديهما
فى الآخرة للطريقين ❊ وقيل نزلتا فى ابى بكر الصديق رضى الله عنه وفى ابى سفيان بن حرب **وما يغنى عنه
ماله اذا تردى** ❊ وما يغنى استفهام فى معنى الانكار او نفى ❊ تردى تفعل من الردى وهو الهلاك يريد الموت
او تردى فى الحفرة اذا قبر او تردى فى قعر جهنم **ان علينا للهدى وان لنا للآخرة والاولى** ❊ ان علينا
للهدى ان الارشاد الى الحق واجب علينا بنصب الدلائل وبيان الشرائع ❊ وان لنا للآخرة والاولى اى ثواب
الدارين للمهتدى كقوله تعالى وآتيناه اجره فى الدنيا وانه فى الآخرة لمن الصالحين **فانذرتكم نارا تلظى
لا يصليها الا الاشقى الذى كذب وتولى وسيجنبها الاتقى الذى يؤتى ماله يتزكى** ❊ وقرأ ابو الزبير
تتلظى **فان قلت** كيف قال لا يصليها الا الاشقى وسيجنبها الاتقى وقد علم ان كل شقى يصلاها وكل تقى

يجنبها لا يختص بالصلى اشقى الاشقياء ولا بالنجاة اتقى الاتقياء وان زعمت انه نكر النار فاراد نارا بعينها مخصوصة
بالاشقى فما تصنع بقوله تعالى وسيجنبها الاتقى فقد علم ان افسق المسلمين يجنب تلك النار المخصوصة لا الاتقى
منهم خاصة **قلت** الآية واردة فى الموازنة بين حالتى عظيم من المشركين وعظيم من المؤمنين فاريد ان
يبالغ فى صفتيهما المتناقضتين فقيل الاشقى وجعل مختصا بالصلى كان النار لم تخلق الا له وقيل الاتقى وجعل
مختصا بالنجاة كان الجنة لم تخلق الا له ❊ وقيل هما ابو جهل وامية بن خلف وابو بكر رضى الله عنه ❊ يتزكى
من الزكاء اى يطلب ان يكون عند الله زاكيا لا يريد به رياء ولا سمعة ❊ او يتفعل من الزكوة **فان قلت**
ما محل يتزكى **قلت** هو على وجهين ان جعلته بدلا من يؤتى فلا محل له لانه داخل فى حكم الصلة والصلات
لا محل لها ❊ وان جعلته حالا من الضمير فى يؤتى فمحله النصب **وما لاحد عنده من نعمة تجزى الا ابتغاء وجه
ربه الاعلى ولسوف يرضى** ❊ ابتغاء وجه ربه مستثنى من غير جنسه وهو النعمة اى ما لاحد عنده نعمة الا ابتغاء
وجه ربه كقولك ما فى الدار احد الا حمارا **وقرأ** يحيى بن وثاب الا ابتغاء وجه ربه بالرفع على لغة من
يقول ما فى الدار احد الا حمار ❊ وانشد فى اللغتين قول بشر بن ابى خازم ❊ ❊
❊ اضحت خلاء قفارا لا انيس بها ❊ الا الجآذر والظلمان تختلف ❊ **وقول القائل** ❊
❊ وبلدة ليس بها انيس ❊ الا اليعافير والا العيس ❊ ❊ ويجوز ان يكون ابتغاء وجه ربه
مفعولا له على المعنى لان معنى الكلام لا يؤتى ماله الا ابتغاء وجه ربه لا لمكافاة نعمة ❊ ولسوف يرضى موعد
بالثواب الذى يرضيه ويقر عينه ❊ عن رسول الله عليه السلام من قرأ سورة الليل اعطاه الله حتى يرضى وعافاه من العسر ويسر له
اليسر

بسم الله الرحمن الرحيم **والضحى والليل اذا سجى ما ودعك ربك وما قلى وللآخرة خير لك من الاولى ولسوف
يعطيك ربك فترضى** ❊ المراد بالضحى وقت الضحى وهو صدر النهار حين ترتفع الشمس وتلقى شعاعها وقيل انما
خص وقت الضحى بالقسم لانها الساعة التى كلم فيها موسى عليه السلام والقى فيها السحرة سجدا لقوله تعالى
وان يحشر الناس ضحى ❊ وقيل اريد بالضحى النهار بيانه قوله تعالى ان ياتيهم باسنا ضحى فى مقابلة بياتا سجى
سكن وركد ظلامه ❊ وقيل ليلة ساجية ساكنة الريح ❊ وقيل معناه سكون الناس والاصوات فيه ❊ وسجى
البحر سكنت امواجه ❊ وطرف ساج ساكن فاتر ❊ ما ودعك جواب القسم ومعناه ما قطعك قطع المودع
وقرئ بالتخفيف يعنى ما تركك **قال** ❊ وثم ودعنا آل عمرو وعامر ❊ فرائس اطراف المثقفة السمر ❊ ❊
والتوديع مبالغة فى الودع لان من ودعك مفارقا فقد بالغ فى تركك **روى** ان الوحى قد تاخر عن رسول
الله صلى الله عليه وسلم اياما فقال المشركون ان محمدا ودعه ربه وقلاه ❊ وقيل ان ام جميل امرأة ابى لهب قالت
له يا محمد ما ارى شيطانك الا قد تركك فنزلت ❊ حذف الضمير من قلى كحذفه من الذاكرات فى قوله تعالى والذاكرين
الله كثيرا والذاكرات يريد والذاكراته ❊ ونحوه فآوى فهدى فاغنى وهو اختصار لفظى لظهور المحذوف **فان
قلت** كيف اتصل قوله وللآخرة خير لك من الاولى بما قبله **قلت** لما كان فى ضمن نفى التوديع والقلى ان
الله تعالى مواصلك بالوحى اليك وانك حبيب الله ولا ترى كرامة اعظم من ذلك ولا نعمة اجل منه اخبره ان حاله
فى الآخرة اعظم من ذلك واجل وهو السبق والتقدم على جميع انبياء الله ورسله وشهادة امته على سائر الامم
ورفع درجات المؤمنين واعلاء مراتبهم بشفاعته وغير ذلك من الكرامات السنية ❊ ولسوف يعطيك ربك
فترضى موعد شامل لما اعطاه فى الدنيا من الفلج والظفر باعدائه يوم بدر ويوم فتح مكة ودخول الناس فى

الدين افواجا والغلبة على قريظة والنضير واجلائهم وبث عساكره وسراياه في بلاد العرب وما فتح على خلفائه
الراشدين في اقطار الارض من المدائن وهدم بايديهم من ممالك الجبابرة وانهبهم من كنوز الاكاسرة وما قذف
في قلوب اهل الشرق والغرب من الرعب وتهيب الاسلام وفشو الدعوة واستيلاء المسلمين ولما ادخر له من
الثواب الذي لا يعلم كنهه الا الله قال ابن عباس رضي الله عنهما له في الجنة الف قصر من لؤلؤ ابيض ترابه
المسك **فان قلت** ما هذه اللام الداخلة على سوف **قلت** هي لام الابتداء المؤكدة لمضمون الجملة
والمبتدا محذوف تقديره ولانت سوف يعطيك كما ذكرنا في لا اقسم ان المعنى لانا اقسم وذلك انها لا تخلو
من ان تكون لام قسم او ابتداء فلام القسم لا تدخل على المضارع الا مع نون التوكيد فبقي ان تكون لام
ابتداء ولام الابتداء لا تدخل الا على الجملة من المبتدا والخبر فلا بد من تقدير مبتدا وخبر وان يكون
اصله ولانت سوف يعطيك **فان قلت** ما معنى الجمع بين حرفي التوكيد والتاخير قلت معناه
ان العطاء كائن لا محالة وان تاخر لما في التاخير من المصلحة ثم عدد عليه نعمه واياديه وانه لم يخله
منها من اول تربيه وابتداء نشئه ترشيحا لما اراد به ليقيس المترقب من فضل الله تعالى على ما سلف منه
لئلا يتوقع الا الحسنى وزيادة الخير والكرامة ولا يضيق صدره ولا يقل صبره الم يجدك يتيما فاوى ووجدك
ضالا فهدى ووجدك عائلا فاغنى الم يجدك من الوجود الذي بمعنى العلم والمنصوبان مفعولا وجد
والمعنى الم تكن يتيما وذلك ان اباه مات وهو جنين قد اتت عليه ستة اشهر وماتت امه وهو ابن ثماني سنين
فكفله عمه ابو طالب وعطفه الله تعالى عليه فاحسن تربيته ومن بدع التفاسير انه من قولهم درة يتيمة
وان المعنى الم يجدك واحدا في قريش عديم النظير فآواك وقرئ فاوى وهو على معنيين اما من اواه بمعنى
آواه سمع بعض الرعاة يقول اين آوي هذه الموقسة واما من اوى له اذا رحمه ضالا معناه الضلال عن
علم الشرائع وما طريقه السمع كقوله تعالى ما كنت تدري ما الكتاب ولا الايمان وقيل ضل في صباه في بعض
شعاب مكة فرده ابو جهل الى عبد المطلب وقيل اضلته حليمة عند باب مكة حين فطمته وجاءت به لترده
على عبد المطلب وقيل ضل في طريق الشام حين خرج به ابو طالب فهداك فعرفك القرآن والشرائع
او فازال ضلالك عن جدك وعمك ومن قال كان على امر قومه اربعين سنة فان اراد انه كان على خلوهم
عن العلوم السمعية فنعم وان اراد انه كان على دينهم وكفرهم فمعاذ الله والانبياء يجب ان يكونوا معصومين
قبل النبوة وبعدها من الكبائر والصغائر الشائنة فما بال الكفر والجهل بالصانع ما كان لنا ان نشرك
بالله من شيء وكفى بالنبي نقيصة عند الكفار ان يسبق له كفر عائلا فقيرا **وقرئ** عيلا كما قرئ سيحات
وعن نعما فاغناك بمال خديجة رضي الله عنها او بما افاء عليك من الغنائم قال صلى الله عليه وسلم
جعل رزقي تحت ظل رمحي وقيل قنعك واغنى قلبك فاما اليتيم فلا تقهر واما السائل فلا تنهر واما بنعمة
ربك فحدث فلا تقهر فلا تغلبه على ماله وحقه لضعفه وفي قراءة ابن مسعود رضي الله عنه فلا تكهر
وهو ان يعبس في وجهه وفلان ذو كهرورة عابس الوجه ومنه الحديث فبابي وامي هو ما كهرني فلا تنهر
والنهر الزجر وعن النبي عليه السلام اذا رددت السائل ثلاثا فلم يرجع فلا عليك ان تزبره وقيل اما انه
ليس بالسائل المستجدي ولكن طالب العلم اذا جاءك فلا تنهره والتحديث بنعمة الله شكرها واشاعتها يريد
ما ذكره من نعمة الايواء والهداية والاغناء وما عدا ذلك وعن مجاهد رضي الله عنه بالقرآن فحدث
اقراه وبلغ ما ارسلت به وعن عبد الله بن غالب انه كان اذا اصبح يقول رزقني الله البارحة خيرا قرات
كذا وصليت كذا فاذا قيل له يا ابا فراس امثلك يقول مثل هذا قال يقول الله تعالى واما بنعمة ربك فحدث

وانتم

وانتم تقولون لا تحدث بنعمة الله وانما يجوز مثل هذا اذا قصد به اللطف وان يقتدي به غيره وامن على نفسه
الفتنة والستر افضل ولو لم يكن فيه الا التشبه باهل الرياء والسمعة لكفى به وفي قراءة علي رضي الله عنه
فخبر والمعنى انك كنت يتيما وضالا وعائلا فآواك الله وهداك واغناك فمهما يكن من شيء وعلى ما خيلت فلا تنس
نعمة الله عليك في هذه الثلاث واقتد بالله فتعطف على اليتيم وآوه فقد ذقت اليتم وهوانه ورايت كيف
فعل الله بك وترحم على السائل وتفقده بمعروفك ولا تزجره عن بابك كما رحمك ربك فاغناك بعد
الفقر وحدث بنعمة الله كلها ويدخل تحته هدايته الضلال وتعليمه الشرائع والقرآن مقتديا بالله في
ان هداه من الضلال عن رسول الله صلى الله عليه وسلم من قرا سورة والضحى جعله الله فيمن يرضى لمحمد عليه
السلام ان يشفع له وعشر حسنات يكتبها الله له بعدد كل يتيم وسائل والله اعلم بالصواب

بسم الله الرحمن الرحيم الم نشرح لك صدرك ووضعنا عنك وزرك الذي انقض ظهرك ورفعنا لك ذكرك
استفهم عن انتفاء الشرح على وجه الانكار فافاد اثبات الشرح وايجابه فكانه قيل شرحنا لك صدرك
ولذلك عطف عليه وضعنا اعتبارا للمعنى ومعنى شرحنا صدرك فسحناه حتى وسع هموم النبوة ودعوة
الثقلين جميعا او حتى احتمل المكاره التي يتعرض لك بها كفار قومك وغيرهم او فسحناه بما اودعناه
من العلوم والحكم وازلنا عنه الضيق والحرج الذي يكون مع العمى والجهل وعن الحسن رحمة الله عليه
ملئ حكمة وعلما وعن ابي جعفر المنصور انه قرا الم نشرح بفتح الحاء وقالوا لعله بين الحاء واشبعها في مخرجها
فظن السامع انه فتحها والوزر الذي انقض ظهرك اي حمله على النقيض وهو صوت الانتقاض والانفكاك
لثقله مثل لما كان يثقل على رسول الله صلى الله عليه وسلم ويغمه من فرطاته قبل النبوة او من جهله بالاحكام
والشرائع او من تهالكه على اسلام اولي العناد من قومه وتلهفه ووضعه عنه ان غفر له او علم الشرائع
او تمهيد عذره بعد ما بلغ وبالغ **وقرا** انس وحللنا وحططنا وقرا ابن مسعود رضي الله عنه وحللنا عنك
وقرك ورفع ذكره ان قرن بذكر الله في كلمة الشهادة والاذان والاقامة والتشهد والخطب وفي غير
موضع من القرآن والله ورسوله احق ان يرضوه ومن يطع الله ورسوله واطيعوا الله واطيعوا
الرسول وفي تسميته رسول الله ونبي الله ومنه ذكره في كتب الاولين والاخذ على الانبياء واممهم ان يؤمنوا
به **فان قلت** اي فائدة في زيادة لك والمعنى مستقل بدونه **قلت** في زيادة لك ما في طريقة
الابهام والايضاح كانه قيل الم نشرح لك ففهم ان ثم مشروحا ثم قيل صدرك فاوضح ما علم مبهما وكذلك
لك ذكرك وعنك وزرك فان مع العسر يسرا ان مع العسر يسرا فاذا فرغت فانصب والى ربك فارغب
فان قلت كيف تعلق قوله تعالى فان مع العسر يسرا بما قبله قلت كان المشركون يعيرون رسول
الله صلى الله عليه وسلم والمؤمنين بالفقر والضيقة حتى سبق الى وهمه انهم رغبوا عن الاسلام لافتقار
اهله واحتقارهم فذكره ما انعم به عليه من جلائل النعم ثم قال فان مع العسر يسرا كانه قال خولناك
ما خولناك فلا تياس من فضل الله فان قلت ان مع للصحبة فما معنى اصطحاب اليسر والعسر قلت اراد ان الله
تعالى يصيبهم بيسر بعد العسر الذي كانوا فيه بزمان قريب فقرب اليسر المترقب حتى جعله كالمقارن للعسر
زيادة في التسلية وتقوية القلوب **فان قلت** ما معنى قول ابن عباس وابن مسعود رضي الله عنهما لن يغلب
عسر يسرين وقد روي مرفوعا انه خرج صلى الله عليه وسلم ذات يوم وهو يضحك ويقول لن يغلب عسر يسرين

او ازلنا بابداع العلم الصحيح الجهل شرح

قلت هذا عمل على الظاهر وبناء على قوة الرجاء وأن موعد الله لا يحمل إلا على أوفى ما يحتمله اللفظ وأبلغه، والقول فيه أنه يحتمل أن تكون الجملة الثانية تكريرا للأولى كما كرر قوله تعالى ويل يومئذ للمكذبين لتقرير معناها في النفوس وتمكينها في القلوب وكما يكرر المفرد في قولك جاءني زيد زيد، وأن تكون الأولى عدة بأن العسر مردوف بيسر لا محالة، والثانية عدة مستأنفة بأن العسر متبوع بيسر فهما يسران على تقدير الاستئناف وإنما كان العسر واحدا لأنه لا يخلو إما أن يكون تعريفه للعهد وهو العسر الذي كانوا فيه فهو هو لأن حكمه حكم زيد في قولك إن مع زيد مالا إن مع زيد مالا، وإما أن يكون للجنس الذي يعلمه كل أحد فهو هو أيضا وأما اليسر فمنكر متناول لبعض الجنس فإذا كان الكلام الثاني مستأنفا غير مكرر فقد تناول بعضا غير البعض الأول بغير إشكال، فإن قلت فما المراد باليسرين قلت يجوز أن يراد بهما ما تيسر لهم من الفتوح في أيام رسول الله صلى الله عليه وسلم وما تيسر لهم في أيام الخلفاء رضوان الله عليهم، وأن يراد يسر الدنيا ويسر الآخرة كقوله تعالى قل هل تربصون بنا إلا إحدى الحسنيين وهما حسنى الظفر وحسنى الثواب، فإن قلت فما معنى هذا التنكير قلت التفخيم كأنه قيل إن مع العسر يسرا عظيما وأي يسر وهو في مصحف ابن مسعود رضي الله عنه مرة واحدة فإن قلت فإذا ثبت في قراءته غير مكرر فلم قال والذي نفسي بيده لو كان العسر في جحر لطلبه اليسر حتى يدخل عليه إنه لن يغلب عسر يسرين قلت كأنه قصد باليسرين ما في قوله يسرا من معنى التفخيم فتأوله بيسر الدارين وذلك يسران في الحقيقة، فإن قلت فكيف تعلق قوله فإذا فرغت فانصب بما قبله قلت لما عدد عليه نعمه السالفة ووعده الآنفة بعثه على الشكر والاجتهاد في العبادة والنصب فيها وأن يواصل بين بعضها وبعض ويتابع ويحرص على أن لا يخلي وقتا من أوقاته منها فإذا فرغ من عبادة ذنبها بأخرى، وعن ابن عباس رضي الله عنهما فإذا فرغت من صلواتك فاجتهد في الدعاء وعن الحسن رحمه الله فإذا فرغت من الغزو فاجتهد في العبادة، وعن مجاهد فإذا فرغت من دنياك فانصب في صلواتك، وعن الشعبي أنه رأى رجلا يشيل حجرا فقال ليس بهذا أمر الفارغ، وقعود الرجل فارغا من غير شغل أو اشتغاله بما لا يعنيه في دينه أو دنياه من سفه الرأي وسخافة العقل واستيلاء الغفلة ولقد قال عمر رضي الله عنه إني لأكره أن أرى أحدكم فارغا سبهللا لا في عمل دنياه ولا في عمل الآخرة، وقرأ أبو السمال فرغت بكسر الراء وليست بفصيحة، ومن البدع ما روي عن بعض الرافضة أنه قرأ فانصب بكسر الصاد أي فانصب عليا رضي الله عنه للإمامة ولو صح هذا للرافضي لصح للناصبي أن يقرأ هكذا ويجعله أمرا بالنصب الذي هو بغض علي وعداوته، وإلى ربك فارغب واجعل رغبتك إليه خصوصا ولا تسأل إلا فضله متوكلا عليه وقرئ فرغب أي رغب الناس إلى طلب ما عنده، عن رسول الله عليه السلام من قرأ ألم نشرح فكأنما جاءني وأنا مغتم ففرج عني

بسم الله الرحمن الرحيم والتين والزيتون وطور سينين وهذا البلد الأمين، أقسم بهما لأنهما عجيبان من بين أصناف الأشجار المثمرة روي أنه أهدي لرسول الله صلى الله عليه وسلم طبق من تين فأكل منه وقال لأصحابه كلوا فلو قلت إن فاكهة نزلت من الجنة لقلت هذه لأن فاكهة الجنة بلا عجم فكلوها فإنها تقطع البواسير وتنفع من النقرس، ومر معاذ بن جبل رضي الله عنه بشجرة الزيتون فأخذ منها قضيبا واستاك وقال سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول نعم السواك الزيتون من الشجرة المباركة يطيب الفم ويذهب بالحفر وسمعته يقول هي سواكي وسواك الأنبياء قبلي، وعن ابن عباس رضي الله عنهما هو تينكم هذا وزيتونكم، وقيل جبلان من الأرض المقدسة يقال لهما بالسريانية طور تينا وطور زيتا لأنهما منبتا التين والزيتون، وقيل التين جبال ما بين حلوان وهمذان والزيتون جبال الشام لأنهما منابتهما كأنه قيل ومنابت التين والزيتون وأضيف الطور وهو الجبل إلى سينين وهي البقعة ونحو سينون يبرون في جواز الإعراب بالواو والياء والإقرار على الياء وتحريك النون بحركات الإعراب، والبلد مكة حماها الله والأمين من أمن الرجل أمانة فهو أمين وقيل أمان كما قيل كرام في كريم وأمانته أنه يحفظ من دخله كما يحفظ الأمين ما يؤتمن عليه ويجوز أن يكون فعيلا بمعنى مفعول من أمنه لأنه مأمون الغوائل كما وصف بالأمن في قوله تعالى حرما آمنا بمعنى ذي أمن ومعنى القسم بهذه الأشياء الإبانة عن شرف البقاع المباركة وما ظهر فيها من الخير والبركة بسكنى الأنبياء والصالحين فمنبت التين والزيتون مهاجر إبراهيم ومولد عيسى عليهما السلام ومنشأه والطور المكان الذي نودي منه موسى ومكة مكان البيت الذي هو هدى للعالمين ومولد رسول الله صلوات الله عليه ومبعثه لقد خلقنا الإنسان في أحسن تقويم ثم رددناه أسفل سافلين إلا الذين آمنوا وعملوا الصالحات فلهم أجر غير ممنون، في أحسن تقويم في أحسن تعديل لشكله وصورته وتسوية لأعضائه ثم كان عاقبة أمره حين لم يشكر نعمة تلك الخلقة الحسنة القويمة السوية أن رددناه أسفل من سفل خلقا وتركيبا يعني أقبح من قبح صورة وأشوهه خلقة وهم أصحاب النار، أو أسفل من سفل من أهل الدركات، أو ثم رددناه بعد ذلك التقويم والتحسين أسفل من سفل في حسن الصورة والشكل حيث نكسناه في خلقه فقوس ظهره بعد اعتداله وابيض شعره بعد سواده وتشنن جلده وكان بضا وكل سمعه وبصره وكانا حديدين وتغير كل شيء منه فمشيه دليف وصوته خفات وقوته ضعف وشهامته خرف وقرأ عبد الله أسفل السافلين فإن قلت فكيف الاستثناء على المذهبين قلت هو على الأول متصل ظاهر الاتصال وعلى الثاني منقطع يعني ولكن الذين كانوا صالحين من الهرمى فلهم ثواب دائم غير منقطع على طاعتهم وصبرهم على ابتلاء الله بالشيخوخة والهرم وعلى مقاساة المشاق والقيام بالعبادة على تخاذل نهوضهم فما يكذبك بعد بالدين أليس الله بأحكم الحاكمين فإن قلت فما يكذبك من المخا طب هو خطاب للإنسان على طريقة الالتفات أي فما يجعلك كاذبا بسبب الدين وإنكاره بعد هذا الدليل يعني أنك تكذب إذا كذبت بالجزاء لأن كل مكذب بالحق فهو كاذب فأي شيء يضطرك إلى أن تكون كاذبا بسبب تكذيب الجزاء والباء مثلها في قوله تعالى الذين يتولونه والذين هم به مشركون والمعنى أن خلق الإنسان من نطفة وتقويمه بشرا سويا وتدريجه في مراتب الزيادة إلى أن يكمل ويستوي ثم تنكيسه إلى أن يبلغ أرذل العمر لا ترى دليلا أوضح منه على قدرة الخالق وأن من قدر من الإنسان على هذا كله لم يعجز عن إعادته فما سبب تكذيبك أيها الإنسان بالجزاء بعد هذا الدليل القاطع، وقيل الخطاب لرسول الله عليه السلام، أليس الله بأحكم الحاكمين وعيد للكفار وأنه يحكم عليهم بما هم أهله، وعن النبي صلى الله الله إذا قرأها قال بلى وأنا على ذلك من الشاهدين عن رسول الله عليه السلام من قرأ سورة التين أعطاه الله خصلتين العافية واليقين ما دام في دار الدنيا وإذا مات أعطاه الله من الأجر بعدد من قرأ هذه السورة

بسم الله الرحمن الرحيم اقرأ باسم ربك الذي خلق خلق الإنسان من علق اقرأ وربك الأكرم الذي علم بالقلم علم الإنسان ما لم يعلم، عن ابن عباس رضي الله عنهما ومجاهد هي أول سورة نزلت وأكثر المفسرين على أنه

الفاتحة اول ما نزل ثم سورة القلم • محل باسم ربك النصب على الحال اى اقرأ مفتتحا باسم ربك قل باسم الله ثم
اقرأ • فان قلت كيف قال خلق فلم يذكر له مفعولا ثم قال خلق الانسان • قلت هو على وجهين اما
ان لا يقدر له مفعول • وان يراد انه الذى حصل منه الخلق واستأثر به لا خالق سواه • واما ان يقدر ويراد
خلق كل شىء فيتناول كل مخلوق لانه مطلق فليس بعض المخلوقات اولى بتقديره من بعض • وقوله تعالى خلق
الانسان تخصيص للانسان بالذكر من بين ما يتناوله الخلق لان التنزيل اليه وهو اشرف ما على الارض ويجوز
ان يراد الذى خلق الانسان كما قال الله عز وجل الرحمن علم القرآن خلق الانسان فقيل الذى خلق مبهما ثم فسره
بقوله خلق الانسان تفخيما لخلق الانسان ودلالة على عجيب فطرته • فان قلت لم قال من علق على الجمع وانما
خلق من علقة كقوله تعالى من نطفة ثم من علقة • قلت لان الانسان فى معنى الجمع كقوله تعالى ان الانسان
لفى خسر • الاكرم الذى له الكمال فى زيادة كرمه على كل كرم ينعم على عباده النعم التى لا تحصى ويحلم
عنهم فلا يعاجلهم بالعقوبة مع كفرهم وجحودهم لنعمه وركوبهم المناهى واطراحهم الاوامر ويقبل توبتهم
ويتجاوز عنهم بعد اقتراف العظائم فما لكرمه غاية ولا امد وكأنه ليس وراء التكرم بافادة الفوائد
العلمية تكرم حيث قال الاكرم الذى علم بالقلم علم الانسان ما لم يعلم فدل على كمال كرمه بانه علم عباده
ما لم يعلموا ونقلهم من ظلمة الجهل الى نور العلم ونبه على فضل علم الكتابة لما فيه من المنافع العظيمة التى
لا يحيط بها الا هو وما دونت العلوم ولا قيدت الحكم ولا ضبطت اخبار الاولين ومقالاتهم ولا كتب
الله المنزلة الا بالكتابة ولولا هى لما استقامت امور الدين والدنيا ولو لم يكن على دقيق حكمة الله ولطيف
تدبيره دليل الا امر القلم والخط لكفى به • ولبعضهم فى صفة القلم •

ورواقم رقش كمثل اراقم • قطف الخطى نيالة اقصى المدى •

سود القوائم ما يجد مسيرها • الا اذا لعبت بها بيض المدى •

وقرأ ابن الزبير علم الخط بالقلم
كلا ان الانسان ليطغى ان رآه استغنى ان الى ربك الرجعى ارأيت الذى ينهى عبدا اذا صلى ارأيت ان
كان على الهدى او امر بالتقوى ارأيت ان كذب وتولى الم يعلم بان الله يرى • كلا ردع لمن كفر بنعمة
الله عليه بطغيانه وان لم يذكر لدلالة الكلام عليه • ان رآه ان رأى نفسه يقال فى افعال القلوب
رأيتنى وعلمتنى وذلك بعض خصائصها ومعنى الرؤية العلم ولو كانت بمعنى الابصار لامتنع فى فعلها الجمع بين
الضميرين واستغنى هو المفعول الثانى ان الى ربك الرجعى واقع على طريقة الالتفات الى الانسان تهديدا
له وتحذيرا من عاقبة الطغيان • والرجعى مصدر كالبشرى بمعنى الرجوع • وقيل نزلت فى ابى جهل وكذلك
ارأيت الذى ينهى وروى انه قال لرسول الله عليه السلام اتزعم ان من استغنى طغى فاجعل لنا جبال
مكة ذهبا وفضة لعلنا نأخذ منها فنطغى فندع ديننا ونتبع دينك فنزل جبريل عليه السلام فقال ان
شئت فعلنا ذلك ثم ان لم يؤمنوا فعلنا بهم ما فعلنا باصحاب المائدة فكف رسول الله عليه السلام
عن الدعاء ابقاء عليهم وروى عنه لعنه الله انه قال هل يعفر محمد وجهه بين اظهركم قالوا نعم
قال فوالذى يحلف به لئن رأيته توطأت عنقه فجاءه ثم نكص على عقبيه فقيل له ما لك يا ابا الحكم فقال
ان بينى وبينه لخندقا من نار وهولا واجنحة فنزلت ارأيت الذى ينهى ومعناه اخبرنى عمن ينهى بعض
عباد الله عن صلوته ان كان ذلك الناهى على طريقة سديدة فيما ينهى عنه من عبادة الله او كان آمرا
بالمعروف والتقوى فيما يأمر به من عبادة الاوثان كما يعتقد وكذلك ان كان على التكذيب للحق والتولى
عن الدين الصحيح كما نقول نحن الم يعلم بان الله يرى ويطلع على احواله من هدايته وضلالته فيجازيه على حسب

لوطيئة

ذلك وهذا وعيد • فان قلت ما متعلق ارأيت • قلت الذى ينهى مع الجملة الشرطية وهما فى موضع
المفعولين • فان قلت فاين جواب الشرط • قلت هو محذوف تقديره ان كان على الهدى او امر بالتقوى
الم يعلم بان الله يرى وانما حذف لدلالة ذكره فى جواب الشرط الثانى • فان قلت فكيف صح ان يكون
الم يعلم جوابا للشرط • قلت كما صح فى قولك ان اكرمتك اتكرمنى وان احسن اليك زيد هل تحسن اليه •
فان قلت فما ارأيت الثانية وتوسطها بين مفعولى ارأيت • قلت هى زائدة مكررة للتوكيد •
وعن الحسن رحمة الله عليه انه امية بن خلف كان ينهى سلمان عن الصلوة • كلا لئن لم ينته لنسفعا بالناصية
ناصية كاذبة خاطئة • كلا ردع لابى جهل وخسوء له عن نهيه عن عبادة الله تعالى وامره بعبادة
اللات والعزى ثم قال لئن لم ينته عما هو فيه لنسفعن بالناصية لنأخذن بناصيته ولنسحبنه بها
الى النار • والسفع القبض على الشىء وجذبه بشدة • قال عمرو بن معدى كرب رضى الله عنه •

• قوم اذا نقع الصريخ رأيتهم • من بين ملجم مهره او سافع •

وقرئ لنسفعن بالنون المشددة •
وقرأ ابن مسعود رضى الله عنه لاسفعن وكتبتها فى المصحف بالالف على حكم الوقف • ولما علم انها ناصية
المذكور اكتفى بلام العهد عن الاضافة • ناصية بدل من الناصية وجاز بدلها عن المعرفة وهى نكرة
لانها وصفت فاستقلت بفائدة • وقرئ ناصية على هى ناصية • وناصية بالنصب وكلاهما على الشتم ووصفها
بالكذب والخطأ على الاسناد المجازى وهما فى الحقيقة لصاحبها وفيه من الحسن والجزالة ما ليس فى قولك
ناصية كاذب خاطئ • فليدع ناديه سندع الزبانية كلا لا تطعه واسجد واقترب • والنادى المجلس الذى
ينتدى فيه القوم اى يجتمعون والمراد اهل النادى كما قال جرير لهم مجلس صهب السبال اذلة •
وقال زهير • وفيهم مقامات حسان وجوههم • والمقامة المجلس • روى ان ابا جهل مر برسول الله صلى
الله عليه وسلم وهو يصلى فقال الم انهك فاغلظ له رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال اتهددنى
وانا اكثر اهل الوادى ناديا فنزلت • وقرأ ابن ابى عبلة سيدعى الزبانية على البناء للمفعول • والزبانية
فى كلام العرب الشرط الواحد زبنية كعفرية من الزبن وهو الدفع • وقيل زبنى وكأنه نسب الى الزبن
ثم غير للنسب كقولهم امسى واصله زبانى فقيل زبانية على التعويض والمراد ملائكة العذاب • وعن النبى
صلى الله عليه وسلم لو دعا ناديه لاخذته الزبانية عيانا • كلا ردع لابى جهل لا تطعه اى اثبت على ما
انت عليه من عصيانه كقوله تعالى فلا تطع المكذبين • واسجد ودم على سجودك يريد الصلوة واقترب
وتقرب الى ربك • وفى الحديث اقرب ما يكون العبد الى ربه اذا سجد • عن رسول الله عليه السلام من
قرأ سورة العلق اعطى من الاجر كانما قرأ المفصل كله • والله اعلم بالصواب • واليه المرجع والمآب •

بسم الله الرحمن الرحيم انا انزلناه فى ليلة القدر وما ادريك ما ليلة القدر ليلة القدر خير من الف
شهر • عظم القرآن من ثلاثة اوجه • احدها ان اسند انزاله اليه وجعله مختصا به دون غيره • والثانى انه
جاء بضميره دون اسمه الظاهر شهادة له بالنباهة والاستغناء عن التنبيه عليه • والثالث الرفع من
مقدار الوقت الذى انزل فيه روى انه انزل جملة واحدة فى ليلة القدر من اللوح المحفوظ الى السماء الدنيا
واملاه جبريل عليه السلام على السفرة ثم كان ينزله على رسول الله صلى الله عليه وسلم نجوما فى ثلث وعشرين
سنة • وعن الشعبى المعنى انا ابتدأنا انزاله فى ليلة القدر واختلفوا فى وقتها فاكثرهم على انها فى شهر رمضان

في العشر الأواخر في أوتارها وأكثر القول أنها السابعة منها ولعل الداعي إلى إخفائها أن يحيي من يريدها الليالي الكثيرة طلباً لموافقتها فتكثر عبادته ويتضاعف ثوابه وأن لا يتكل الناس عند إظهارها على إصابة الفضل فيها فيفرطوا في غيرها. ومعنى ليلة القدر ليلة تقدير الأمور وقضائها لقوله تعالى فيها يفرق كل أمر حكيم. وقيل سميت بذلك لخطرها وشرفها على سائر الليالي. **وما أدراك ما ليلة القدر** يعني ولم تبلغ درايتك غاية فضلها ومنتهى علو قدرها **تنزل الملائكة والروح فيها بإذن ربهم من كل أمر سلام هي حتى مطلع الفجر**. ثم بين له ذلك بأنها خير من ألف شهر وسبب ارتقاء فضلها إلى هذه الغاية ما يوجد فيها من المصالح الدينية التي ذكرها من تنزل الملائكة والروح وفصل كل أمر حكيم. وذكر في تخصيص هذه المدة أن رسول الله عليه السلام ذكر رجلاً من بني إسرائيل لبس السلاح في سبيل الله ألف شهر فعجب المؤمنون من ذلك وتقاصرت إليهم أعمالهم فأعطوا ليلة هي خير من مدة ذلك الغازي. وقيل إن الرجل فيما مضى ما كان يقال له عابد حتى يعبد الله ألف شهر فأعطوا ليلة إن أحيوها كانوا أحق بأن يسموا عابدين من أولئك العباد. تنزل إلى السماء الدنيا وقيل إلى الأرض. والروح جبريل عليه السلام. وقيل خلق من الملائكة لا يراهم الملائكة إلا تلك الليلة. من كل أمر أي تتنزل من أجل كل أمر قضاه الله لتلك السنة إلى قابل. وقرئ من كل امرئ أي من أجل كل إنسان. قيل لا يلقون مؤمناً ولا مؤمنة إلا سلموا عليه في تلك الليلة. سلام هي ما هي إلا سلامة أي لا يقدر الله تعالى فيها إلا السلامة والخير ويقضي في غيرها بلاء وسلامة أو ما هي إلا سلام لكثرة ما يسلمون على المؤمنين. وقرئ مطلع بفتح اللام وكسرها. عن رسول الله صلى الله عليه وسلم من قرأ سورة القدر أعطي من الأجر كمن صام رمضان وأحيا ليلة القدر.

بسم الله الرحمن الرحيم **لم يكن الذين كفروا من أهل الكتاب والمشركين منفكين حتى تأتيهم البينة رسول من الله يتلو صحفاً مطهرة فيها كتب قيمة**. كان الكفار من الفريقين أهل الكتاب وعبدة الأصنام يقولون قبل مبعث النبي عليه السلام لا ننفك مما نحن عليه من ديننا ولا نتركه حتى يبعث النبي الموعود الذي هو مكتوب في التوراة والإنجيل وهو محمد عليه السلام فحكى الله تعالى ما كانوا يقولونه. ثم قال **وما تفرق الذين أوتوا الكتاب** يعني أنهم كانوا يعدون اجتماع الكلمة والاتفاق على الحق إذا جاءهم الرسول ثم ما فرقهم عن الحق ولا أقرهم على الكفر إلا مجيء الرسول. ونظيره في الكلام أن يقول الفقير الفاسق لمن يعظه لست بمنفك مما أنا فيه حتى يرزقني الله الغنى فيرزقه الله الغنى فيزداد فسقاً فيقول واعظه لم تكن منفكاً عن الفسق حتى توسر وما غمست رأسك في الفسق إلا بعد اليسار يذكره ما كان يقوله توبيخاً وإلزاماً. وانفكاك الشيء من الشيء أن يزايله بعد التحامه به كالعظم إذا انفك من مفصله. والمعنى أنهم متشبثون بدينهم لا يتركونه إلا عند مجيء البينة. والبينة الحجة الواضحة. ورسول بدل من البينة. وفي قراءة عبد الله رسولاً حال من البينة. صحفاً قراطيس. مطهرة من الباطل. فيها كتب مكتوبات. قيمة مستقيمة ناطقة بالحق والعدل. **وما تفرق الذين أوتوا الكتاب إلا من بعد ما جاءتهم البينة وما أمروا إلا ليعبدوا الله مخلصين له الدين حنفاء ويقيموا الصلوة ويؤتوا الزكوة وذلك دين القيمة**. والمراد بتفرقهم تفرقهم عن الحق وانقشاعهم عنه أو تفرقهم فرقاً فمنهم من آمن ومنهم من أنكر وقال ليس به ومنهم من عرف وعاند. **فإن قلت** لم جمع أهل الكتاب والمشركين أولاً ثم أفرد

أهل

أهل الكتاب في قوله وما تفرق الذين أوتوا الكتاب. **قلت** لأنهم كانوا على علم به لوجوده في كتبهم فإذا وصفوا بالتفرق عنه كان من لا كتاب له أدخل في هذا الوصف. وما أمروا يعني في التوراة والإنجيل إلا بالدين الحنيفي ولكنهم حرفوا وبدلوا. وذلك دين القيمة أي دين الملة القيمة. وقرئ وذلك الدين القيمة على تأويل الدين بالملة. **فإن قلت** ما وجه قوله تعالى وما أمروا إلا ليعبدوا الله. **قلت** معناه وما أمروا بما في الكتابين إلا لأجل أن يعبدوا الله على هذه الصفة. وقرأ ابن مسعود رضي الله عنه إلا أن يعبدوا بمعنى بأن يعبدوا. **إن الذين كفروا من أهل الكتاب والمشركين في نار جهنم خالدين فيها أولئك هم شر البرية. إن الذين آمنوا وعملوا الصالحات أولئك هم خير البرية جزاؤهم عند ربهم جنات عدن تجري من تحتها الأنهار خالدين فيها أبداً رضي الله عنهم ورضوا عنه ذلك لمن خشي ربه**. قرأ نافع البريئة بالهمز والقراء على التخفيف. والنبي والبرية مما استمر الاستعمال على تخفيفه ورفض الأصل. وقرئ خيار البرية جمع خير كجياد وطياب في جيد وطيب. عن رسول الله عليه السلام من قرأ لم يكن كان يوم القيامة مع خير البرية مساء ومقيلا.

بسم الله الرحمن الرحيم **إذا زلزلت الأرض زلزالها وأخرجت الأرض أثقالها وقال الإنسان ما لها يومئذ تحدث أخبارها بأن ربك أوحى لها**. زلزالها قرئ بكسر الزاي وفتحها فالمكسور مصدر والمفتوح اسم وليس في الأبنية فعلال بالفتح إلا في المضاعف. **فإن قلت** ما معنى زلزالها بالإضافة. **قلت** معناه زلزالها الذي تستوجبه في الحكمة ومشيئة الله وهو الزلزال الشديد الذي ليس بعده ونحوه قولك أكرم التقي إكرامه وأهن الفاسق إهانته تريد ما يستوجبانه من الإكرام والإهانة. أو زلزالها كله وجميع ما هو ممكن منه. الأثقال جمع ثقل وهو متاع البيت. وتحمل أثقالكم جعل ما في جوفها من الدفائن أثقالاً لها. وقال الإنسان ما لها زلزلت هذه الزلزلة الشديدة ولفظت ما في بطنها وذلك عند النفخة الثانية حين تزلزل وتلفظ أمواتها أحياء فيقولون ذلك لما يبهرهم من الأمر الفظيع كما يقولون من بعثنا من مرقدنا. وقيل هذا قول الكافر لأنه كان لا يؤمن بالبعث فأما المؤمن فيقول هذا ما وعد الرحمن وصدق المرسلون. **فإن قلت** ما معنى تحديث الأرض والإيحاء لها. **قلت** هو مجاز عن إحداث الله تعالى فيها من الأحوال ما يقوم مقام التحديث باللسان حتى ينظر من يقول ما لها إلى تلك الأحوال فيعلم لم زلزلت ولم لفظت الأموات وأن هذا ما كانت الأنبياء عليهم السلام ينذرونه ويحذرون منه. وقيل ينطقها الله على الحقيقة وتخبر بما عمل عليها من خير وشر. وروي عن رسول الله صلى الله عليه وسلم تشهد على كل أحد بما عمل على ظهرها. **فإن قلت** إذا ويومئذ ما ناصبهما. **قلت** يومئذ بدل من إذا وناصبهما تحدث. ويجوز أن ينتصب إذا بمضمر ويومئذ بتحدث. **فإن قلت** أين مفعولا تحدث. **قلت** قد حذف أولهما والثاني أخبارها وأصله تحدث الخلق أخبارها. **فإن قلت** بم تعلقت الباء في قوله بأن ربك. **قلت** بتحدث معناه تحدث أخبارها بسبب إيحاء ربك لها وأمره إياها بالتحديث. ويجوز أن يكون المعنى يومئذ تحدث بتحديث أن ربك أوحى لها أخبارها على أن تحديثها بأن ربك أوحى لها تحديث بأخبارها كما تقول نصحتني كل نصيحة بأن نصحتني في الدين. ويجوز أن يكون بأن ربك بدلاً من أخبارها كأنه قيل يومئذ تحدث بأخبارها بأن ربك أوحى لها لأنك تقول حدثته كذا وحدثته بكذا. وأوحى لها بمعنى أوحى إليها وهو مجاز كقوله تعالى أن يقول له كن فيكون أوحى لها القرار فاستقرت. وقرأ ابن مسعود رضي الله عنه تنبئ أخبارها. وسعيد بن جبير تنبي بالتخفيف

وجعل … سلام هي … [illegible]

يومئذ يصدر الناس أشتاتا ليروا أعمالهم فمن يعمل مثقال ذرة خيرا يره ومن يعمل مثقال ذرة شرا يره ٥ يصدرون عن مخارجهم من القبور الى الموقف . اشتاتا بيض الوجوه آمنين وسود الوجوه فزعين . او يصدرون عن الموقف اشتاتا يتفرق بهم طريقا الجنة والنار ليروا جزاء اعمالهم ٥ وفي قراءة النبي صلى الله عليه وسلم ليروا بالفتح ٥ وقرأ ابن عباس وزيد بن علي رضي الله عنهما يره بالضم ٥ ويحكى ان اعرابيا اخر خيرا يره فقيل له قدمت واخرت فقال خذا بطن هرشى او قفاها فانه كلا جانبي هرشى لهن طريق ٥ والذرة النملة الصغيرة ٥ وقيل الذر ما يرى في شعاع الشمس من الهباء فان قلت المعنى فمن يعمل مثقال ذرة خيرا من فريق السعداء ٥ ومن يعمل مثقال ذرة شرا من فريق الاشقياء . لانه جاء بعد قوله يصدر الناس اشتاتا ٥ عن رسول الله صلى الله عليه وسلم من قرأ اذا زلزلت اربع مرات كان كمن قرأ القرآن كله ٥

بسم الله الرحمن الرحيم والعاديات ضبحا فالموريات قدحا فالمغيرات صبحا فأثرن به نقعا فوسطن به جمعا إن الانسان لربه لكنود ٥ وانه على ذلك لشهيد ٥ وانه لحب الخير لشديد ٥ اقسم بخيل الغزاة تعدو فتضبح والضبح صوت انفاسها اذا عدون ٥ وعن ابن عباس رضي الله عنهما انه حكاه فقال اح اح ٥ قال عنترة والخيل تكدح حين تضبح في حياض الموت ضبحا ٥ وانتصابه ضبحا على يضبحن ضبحا او بالعاديات كانه قيل والضابحات لان الضبح يكون مع العدو ٥ او على الحال اي ضابحات فالموريات توري نار الحباحب وهي ما تنقدح من حوافرها . قدحا قادحات صاكات بحوافرها الحجارة والقدح الصك والايراء اخراج النار تقول قدح فاورى وقدح فاصلد ٥ وانتصب قدحا بما انتصب به ضبحا ٥ فالمغيرات تغير على العدو صبحا في وقت الصبح ٥ فأثرن به نقعا فهيجن بذلك الوقت غبارا ٥ فوسطن به بذلك الوقت او بالنقع اي وسطن النقع الجمع ٥ او فوسطن ملتبسات به جمعا من جموع الاعداء ووسطه بمعنى توسطه ٥ وقيل الضمير لمكان الغارة ٥ وقيل للعدو الذي دل عليه والعاديات ٥ ويجوز ان يراد بالنقع الصياح من قوله صلى الله عليه وسلم ما لم يكن نقع ولا لقلقة ٥ وقول لبيد ٥ فمتى ينقع صراخ صادق ٥ اي فهيجن في المغار صياحا وجلبة ٥ وقرأ ابو حيوة فأثرن بالتشديد بمعنى فاظهرن به غبارا لان التأثير فيه معنى الاظهار او قلب ثورن اي وثرن وقلب الواو همزة ٥ وقرئ فوسطن بالتشديد للتعدية والباء مزيدة للتوكيد كقوله تعالى وأتوا به او هي مبالغة في وسطن ٥ وعن ابن عباس رضي الله عنهما كنت جالسا في الحجر فجاء رجل فسألني عن العاديات ضبحا ففسرتها بالخيل فذهب الى علي رضي الله عنه وهو تحت سقاية زمزم فسأله وذكر له ما قلت فقال ادعه لي فلما وقفت على رأسه قال تفتي الناس بما لا علم لك به والله ان كانت لاول غزوة في الاسلام بدر وما كان معنا الا فرسان فرس للزبير وفرس للمقداد رضي الله عنهما والعاديات ضبحا الابل من عرفة الى المزدلفة ومن المزدلفة الى منى فان صحت الرواية فقد استعير الضبح للابل كما استعير المشافر والحافر للانسان والشفتان للمهر والثغر للثور وما اشبه ذلك ٥ وقيل لا يكون الا للفرس والكلب والثعلب ٥ وقيل الضبح بمعنى الضبع يقال ضبحت الابل وضبعت اذا مدت اضباعها في السير وليس بثبت وجمع هو المزدلفة فان قلت علام عطف فأثرن قلت على الفعل الذي وضع اسم الفاعل موضعه لان المعنى واللاتي عدون فاورين فاغرن فأثرن ٥ الكنود الكفور وكند النعمة كنودا ومنه سمي كندة لانه كند اباه ففارقه ٥ وعن الكلبي الكنود بلسان كندة

العاصي

العاصي ٥ وبلسان بني مالك البخيل ٥ وبلسان مضر وربيعة الكفور يعني انه لنعمة ربه خصوصا لشديد الكفران لان تفريطه في شكر نعمة غير الله تفريط قريب لمقاربة النعمة لان اجل ما انعم به على الانسان من مثله نعمة ابويه ثم ان عظماها في جنب ادنى نعمة الله قليلة ضئيلة ٥ وانه وان الانسان على ذلك على كنوده لشهيد يشهد على نفسه ولا يقدر ان يجحده لظهور امره ٥ وقيل وان الله تعالى على كنوده لشاهد على سبيل الوعيد لحب الخير المال من قوله تعالى ان ترك خيرا ٥ والشديد البخيل الممسك يقال فلان شديد ومتشدد قال طرفة ٥ ارى الموت يعتام الكرام ويصطفي عقيلة مال الفاحش المتشدد ٥ يعني وانه لاجل حب المال وان انفاقه يثقل عليه لبخيل ممسك ٥ او اراد بالشديد القوي وانه لحب المال وايثار الدنيا وطلبها قوي مطيق وهو لحب عبادة الله وشكر نعمته ضعيف متقاعس تقول هو شديد لهذا الامر وقوي له اذا كان مطيقا له ضابطا ٥ او اراد انه لحب الخيرات غير هش منبسط ولكنه شديد منقبض أفلا يعلم اذا بعثر ما في القبور وحصل ما في الصدور ان ربهم بهم يومئذ لخبير ٥ بعثر بعث وقرئ بحثر وبحث وبعثر وحصل على بنائهما للفاعل وحصل بالتخفيف ومعنى حصل جمع في الصحف اي اظهر محصلا مجموعا ٥ وقيل ميز بين خيره وشره ٥ وقيل للمحل المحصل ومعنى علمه بهم يوم القيامة مجازاته لهم على مقادير اعمالهم لان ذلك اثر خبيره بهم وقرأ ابو السمال ان ربهم يومئذ خبير ٥ عن رسول الله صلى الله عليه وسلم من قرأ والعاديات اعطي من الاجر عشر حسنات بعدد من بات بالمزدلفة وشهد جمعا والله اعلم بالصواب

بسم الله الرحمن الرحيم القارعة ما القارعة وما ادريك ما القارعة ٥ يوم يكون الناس كالفراش المبثوث ٥ وتكون الجبال كالعهن المنفوش ٥ فاما من ثقلت موازينه فهو في عيشة راضية ٥ الظرف نصب بمضمر دلت عليه القارعة اي تقرع يوم يكون الناس كالفراش المبثوث شبههم بالفراش في الكثرة والانتشار والضعف والذلة والتطاير الى الداعي من كل جانب كما يتطاير الفراش الى النار قال جرير ٥ ان الفرزدق ما علمت وقومه ٥ مثل الفراش غشين نار المصطلي ٥ وفي امثالهم اضعف من فراشة واذل واجهل وسمي فراشا لتفرشه وانتشاره وشبه الجبال بالعهن وهو الصوف المصبغ الوانا لانها الوان وبالمنفوش منه لتفرق اجزائها ٥ وقرأ ابن مسعود رضي الله عنه كالصوف الموازين جمع موزون وهو العمل الذي له وزن وخطر عند الله او جمع ميزان وثقلها رجحانها ومنه حديث ابي بكر رضي الله عنه لعمر في وصيته له وانما ثقلت موازين من ثقلت موازينهم يوم القيامة باتباعهم الحق وثقله في الدنيا وحق لميزان لا يوضع فيه الا الحسنات ان يثقل وانما خفت موازين من خفت موازينهم باتباعهم الباطل وخفته في الدنيا وحق لميزان لا يوضع فيه الا السيئات ان يخف واما من خفت موازينه فامه هاوية وما ادريك ما هيه نار حامية ٥ فامه هاوية من قولهم اذا دعوا على الرجل بالهلكة هوت امه لانه اذا هوى اي سقط وهلك فقد هوت امه ثكلا وحزنا قال ٥ هوت امه ما يبعث الصبح غاديا ٥ وماذا يؤدي الليل حين يؤوب ٥ فكانه قيل واما من خفت موازينه فقد هلك ٥ وقيل هاوية من اسماء النار وكانها النار العميقة لهوي اهل النار فيها مهوى بعيدا كما روي يهوي فيها سبعين خريفا اي فماويه النار ٥ وقيل للماوى ام على التشبيه لان الام ماوى الولد ومفزعه ٥ وعن قتادة رضي الله عنه فامه هاوية فام رأسه هاوية في قعر جهنم لانه يطرح فيها منكوسا هيه ضمير الداهية التي دل عليها قوله تعالى فامه هاوية في التفسير الاول او ضمير هاوية والهاء للسكت

شكر نعمته

التيه

والذا وصل القارى حذفهما وقيل حقه ان لا يندرج لئلا يسقطها الادراج لانها ثابتة في المصحف وقد اجيز اثباتها مع الوصل عن رسول الله عليه السلام من قرأ سورة القارعة ثقل الله بها ميزانه يوم القيامة

بسم الله الرحمن الرحيم الهاكم التكاثر حتى زرتم المقابر كلا سوف تعلمون ثم كلا سوف تعلمون كلا لو تعلمون علم اليقين لترون الجحيم ثم لترونها عين اليقين ثم لتسئلن يومئذ عن النعيم الهاه عن كذا واقهاه اذا شغله والتكاثر التبارى في الكثرة والتباهي بها وان يقول هؤلاء نحن اكثر وهؤلاء نحن اكثر روى ان بنى عبد مناف وبنى سهم تفاخروا ايهم اكثر عددا فكثرهم بنو عبد مناف فقالت بنو سهم ان البغى اهلكنا في الجاهلية فعادونا بالاحياء والاموات فكثرتهم بنو سهم والمعنى الهاكم التكاثر بالاحياء حتى اذا استوعبتم عددهم صرتم الى المقابر فتكاثرتم بالاموات عبر عن بلوغهم ذكر الموتى بزيارة المقابر تهكما بهم وقيل كانوا يزورون المقابر فيقولون هذا قبر فلان وهذا قبر فلان عند تفاخرهم والمعنى الهاكم ذلك وهو مما لا يعنيكم ولا يجدى عليكم في دنياكم واخرتكم عما يعنيكم من امر الدين الذى هو اهم واعنى من كل مهم او اراد الهاكم التكاثر بالاموال والاولاد الى ان متم وقبرتم منفقين اعماركم في طلب الدنيا والاستباق اليها والتهالك عليها الى ان اتيكم الموت لا همّ لكم غيرها عما هو اولى بكم من السعى لعاقبتكم والعمل لآخرتكم وزيارة القبر عبارة عن الموت **قال**

لن يخلص العام خليل عشرا ۞ ذاق الضماد او يزور القبرا ۞ **وقال الاخطل**

زار القبور ابو مالك ۞ فاصبح الأم زوارها ۞ وقرأ ابن عباس أألهاكم على الاستفهام الذى معناه التقرير كلا ردع وتنبيه على انه لا ينبغى للناظر لنفسه ان يكون الدنيا جميع همه ولا يهتم بدينه سوف تعلمون انذار ليخافوا فينتبهوا عن غفلتهم والتكرير تاكيد للردع والانذار عليهم وثم دلالة على ان الانذار الثانى ابلغ من الاول واشد كما تقول للمنصوح اقول لك ثم اقول لك لا تفعل والمعنى سوف تعلمون الخطاء فيما انتم عليه اذا عاينتم ما قدامكم من هول لقاء الله تعالى وان هذا التنبيه نصيحة لكم ورحمة عليكم ثم كرر التنبيه ايضا وقال لو تعلمون محذوف الجواب يعنى لو تعلمون ما بين ايديكم علم الامر اليقين اى كعلمكم ما تستيقنونه من الامور التى وكلتم بعلمها هممكم لفعلتم ما لا يوصف ولا يكتنه ولكنكم ضلال جهلة ثم قال لترون الجحيم فبين لهم ما انذرهم منه واوعدهم به وقد مر ما فى ايضاح الشئ بعد ابهامه من تفخيمه وتعظيمه وهو جواب قسم محذوف والقسم لتوكيد الوعيد وان ما اوعدوا به ما لا يدخل فيه الريب وكرره معطوفا بثم تغليظا فى التهديد وزيادة فى التهويل وقرئ لترؤن بالهمز وهى مستكرهة **فان قلت** لم استكرهت والواو المضمومة قلبها همزة قياس مطرد **قلت** ذاك فى الواو التى ضمتها لازمة وهذه عارضة لالتقاء الساكنين وقرئ لترون ولتردنها على البناء للمفعول عين اليقين اى الرؤية التى هى نفس اليقين وخالصته ويجوز ان يراد بالرؤية العلم والابصار عن النعيم عن اللهو والتنعم الذى شغلكم للالتذاذ به عن الدين وتكاليفه **فان قلت** ما النعيم الذى يسال عنه الانسان ويعاتب عليه فما من احد الا وله نعيم **قلت** هو نعيم من عكف همته على استيفاء اللذات ولم يعش الا لياكل الطيب ويلبس اللين ويقطع اوقاته باللهو والطرب لا يعبأ بالعلم والعمل ولا يحمل نفسه مشاقهما فاما من تمتع بنعمة الله وارزاقه التى لم يخلقها الا لعباده وتقوى بها على دراسة

العلم والقيام بالعمل وكان ناهضا بالشكر فهو من ذلك بمعزل واليه اشار رسول الله صلى الله عليه وسلم فيما يروى انه اكل هو واصحابه تمرا وشربوا عليه ماء فقال الحمد لله الذى اطعمنا وسقانا وجعلنا مسلمين عن رسول الله صلى الله عليه وسلم من قرأ الهاكم التكاثر لم يحاسبه الله بالنعيم الذى انعم به عليه فى دار الدنيا واعطى من الاجر كانما قرأ الف آية

بسم الله الرحمن الرحيم والعصر ان الانسان لفى خسر الا الذين امنوا وعملوا الصالحات وتواصوا بالحق وتواصوا بالصبر اقسم بصلوة العصر لفضلها بدليل قوله تعالى والصلوة الوسطى صلوة العصر فى مصحف حفصة رضى الله عنها وقوله صلى الله عليه وسلم من فاتته صلوة العصر فكانما وتر اهله وماله ولان التكليف فى ادائها اشق لتهافت الناس فى تجاراتهم ومكاسبهم اخر النهار واشتغالهم بمعايشهم او اقسم بالعشى كما اقسم بالضحى لما فيهما جميعا من دلائل القدرة او اقسم بالزمان لما فى مروره من اصناف العجائب والانسان للجنس والخسر الخسران كما قيل الكفر فى الكفران والمعنى ان الناس فى خسران من تجارتهم الا الصالحين وحدهم لانهم اشتروا الآخرة بالدنيا فربحوا وسعدوا ومن عداهم تجروا خلاف تجارتهم فوقعوا فى الخسارة والشقاوة وتواصوا بالحق بالامر الثابت الذى لا يسوغ انكاره وهو الخير كله من توحيد الله تعالى وطاعته واتباع كتبه ورسله والزهد فى الدنيا والرغبة فى الآخرة وتواصوا بالصبر عن المعاصى وعلى الطاعات وعلى ما يبلو الله عز وجل به عباده عن رسول الله صلى الله عليه وسلم من قرأ سورة والعصر غفر الله له وكان ممن تواصى بالحق وتواصى بالصبر والله اعلم بالصواب واليه المرجع

بسم الله الرحمن الرحيم ويل لكل همزة لمزة الذى جمع مالا وعدده يحسب ان ماله اخلده الهمز الكسر كالهزم واللمز الطعن يقال لمزه وهمزه طعنه والمراد الكسر من اعراض الناس والغض منهم واغتيابهم والطعن فيهم وبناء فعلة يدل على ان ذلك عادة منه قد ضرى بها ونحوهما اللعنة والضحكة **قال**

وان اغيب فانت الهامز اللمزة **وقرى** ويل للهمزة اللمزة وقرئ ويل لكل همزة لمزة بسكون الميم وهو المسخرة الذى ياتى بالاوابد والاضاحيك فيضحك منه ويشتم وقيل نزلت فى الاخنس بن شريق وكانت عادته الغيبة والوقيعة وقيل فى امية بن خلف وقيل فى الوليد بن المغيرة واغتيابه لرسول الله صلى الله عليه وسلم وغضه منه ويجوز ان يكون السبب خاصا والوعيد عاما ليتناول كل من باشر ذلك القبيح وليكون جاريا مجرى التعريض بالوارد فيه فان ذلك ازجر له وانكى فيه الذى بدل من كل او نصب على الذم **وقرى** جمع بالتشديد وهو مطابق لعدده وقيل عدده جعله عدة لحوادث الدهر وقرئ وعدده اى جمع المال وضبط عدده واحصاه او جمع ماله وقومه الذين ينصرونه من قولك فلان ذو عدد وعدد اذا كان له عدد وافر من الانصار وما يصلحهم وقيل وعدده معناه وعدده على فك الادغام نحو ضننوا اخلده وخلده بمعنى اى طول المال امله ومناه الامانى البعيدة حتى اصبح لفرط غفلته وطول امله يحسب ان المال تركه خالدا فى الدنيا لا يموت او يعمل من تشييد البنيان الموثق بالصخر والآجر وغرس الاشجار وعمارة الارض عمل من يظن ان ماله ابقاه حيا او هو تعريض بالعمل الصالح وانه هو الذى اخلد صاحبه فى النعيم فاما المال فما اخلد احدا فيه **وروى** انه كان للاخنس اربعة الاف دينار وقيل عشرة الاف وعن الحسن رحمه الله انه عاد موسرا فقال ما تقول فى الوف لم افتد بها من لئيم ولا تفضلت على كريم قال ولكن لماذا قال لنبوة الزمان وجفوة السلطان ونوائب الدهر ومخافة الفقر قال اذن تدعه لمن لا يحمدك وترد على من لا يعذرك

كلا لينبذن في الحطمة وما ادريك ما الحطمة نار الله الموقدة التي تطلع على الافئدة انها عليهم موصدة في عمد ممددة • كلا ردع له عن حسبانه **وقرئ** لينبذان اي هو وماله • لينبذن بضم الذال اي هو وانصاره لينبذنه • في الحطمة في النار التي من شانها ان تحطم كل ما يلقى فيها ويقال للرجل الاكول انه لحطمة • وقرئ الحاطمة يعني انها تدخل في اجوافهم حتى تصل الى صدورهم وتطلع على افئدتهم وهي اوساط القلوب ولا شيء في بدن الانسان الطف من الفؤاد ولا اشد تألما منه بادنى اذى يمسه فكيف اذا اطلعت عليه نار جهنم واستولت عليه ويجوز ان تخص الافئدة لانها مواطن الكفر والعقائد الفاسدة والنيات الخبيثة ومعنى اطلاع النار عليها انها تعلوها وتغلبها وتشتمل عليها • او تطالع على سبيل المجاز معادن موجبها • موصدة مطبقة **قال** •

• تحن الى اجبال مكة ناقتي • ومن دونها ابواب صنعاء موصده •

• وقرئ في عمد بضمتين وعمد بسكون الميم • وعمد بفتحتين والمعنى انه يؤكد ياسهم من الخروج وتيقنهم بحبس الابد فتؤصد عليهم الابواب وتمدد على الابواب العمد استيثاقا في استيثاق • ويجوز ان يكون المعنى انها عليهم موصدة موثقين في عمد ممددة مثل المقاطر التي تقطر فيها اللصوص اللهم اجرنا يا خير مستجار • عن النبي عليه السلام من قرا سورة الهمزة اعطاه الله تعالى عشر حسنات بعدد من استهزا بمحمد واصحابه رضوان الله عليهم اجمعين •

بسم الله الرحمن الرحيم الم تر كيف فعل ربك باصحاب الفيل الم يجعل كيدهم في تضليل وارسل عليهم طيرا ابابيل ترميهم بحجارة من سجيل فجعلهم كعصف ماكول **روي** ان ابرهة بن الصباح الاشرم ملك اليمن من قبل اصحمة النجاشي بنى كنيسة بصنعاء وسماها القليس واراد ان يصرف اليها الحاج فخرج رجل من كنانة فقعد فيها ليلا فاغضبه ذلك • وقيل اججت رفقة من العرب نارا فحملتها الريح فاحرقتها فحلف ليهدمن الكعبة فخرج بالحبشة ومعه فيل له اسمه محمود وكان قويا عظيما واثنا عشر فيلا غيره • وقيل ثمانية • وقيل كان الف فيل • وقيل كان وحده فلما بلغ المغمس خرج اليه عبد المطلب وعرض عليه ثلث اموال تهامة ليرجع فابى وعبا جيشه وقدم الفيل فكانوا كلما وجهوه الى الحرم برك ولم يبرح واذا وجهوه الى اليمن او الى غيره من الجهات هرول فارسل الله عز وجل طيرا سودا • وقيل خضرا وقيل بيضا مع كل طائر حجر في منقاره وحجران في رجليه اكبر من العدسة واصغر من الحمصة • وعن ابن عباس رضي الله عنهما انه راى منها عند ام هاني نحو قفيز مخططة بحمرة كالجزع الظفاري فكان الحجر يقع على راس الرجل فيخرج من دبره وعلى كل حجر اسم من يقع عليه ففروا فهلكوا في كل طريق ومنهل ودوي ابرهة فتساقطت انامله وارابه وما مات حتى انصدع صدره عن قلبه وانفلت وزيره ابو يكسوم وطائر يحلق فوقه حتى بلغ النجاشي فقص عليه القصة فلما اتمها وقع عليه الحجر فخر ميتا بين يديه • وقيل كان ابرهة جد النجاشي الذي كان في زمن رسول الله عليه السلام • باربعين سنة • وقيل بثلاث وعشرين سنة • وعن عائشة رضي الله عنها رايت قائد الفيل وسائسه اعميين مقعدين يستطعمان • وفيه ان ابرهة اخذ لعبد المطلب مائتي بعير فخرج اليه فيها فجهره وكان رجلا جسيما وسيما وقيل هذا سيد قريش وصاحب عير مكة الذي يطعم الناس في السهل والوحوش في رؤس الجبال فلما ذكر حاجته قال سقطت من عيني جئت لاهدم البيت الذي هو دينك ودين ابائك وعصمتكم وشرفكم في قديم الدهر فالهاك عنه ذود اخذ لك فقال انا رب الابل وللبيت رب سيمنعه ثم رجع واتى باب البيت فاخذ بحلقته وهو **يقول** لا هم ان المرء يمنع رحله فامنع حلالك • لا يغلبن صليبهم ومحالهم عدوا محالك

وبالك

ان كنت تاركهم وكعبتنا • فامر ما بدا لك • يا رب لا ارجو لهم سواكا • يا رب فامنع منهم حماكا • فالتفت وهو يدعو فاذا هو بطير من نحو اليمن فقال والله انها لطير غريبة ما هي بنجدية ولا تهامية • وفيه ان اهل مكة قد احتووا على اموالهم وجمع عبد المطلب من جواهرهم وذهبهم الجور وكان سبب يساره • وعن ابي سعيد الخدري رضي الله عنه انه سئل عن الطير فقال حمام مكة منها • وقيل جاءت عشية ثم صبحتهم • وعن عكرمة من اصابته جدرته وهو اول جدري ظهر **الم تر** بسكون الراء للجد في اظهار اثر الجازم والمعنى انك رايت اثار فعل الله تعالى بالحبشة وسمعت الاخبار به متواترة فقامت لك مقام المشاهدة • وكيف في موضع نصب بفعل ربك لا بالم تر لما في كيف من معنى الاستفهام • في تضليل في تضييع وابطال يقال ضلل كيده اذا جعله ضالا ضائعا • ونحوه قوله عز وجل وما كيد الكافرين الا في ضلال • وقيل لامرئ القيس الملك الضليل لانه ضلل ملك ابيه اي ضيعه يعني انهم كادوا البيت اولا ببناء القليس وارادوا ان ينسخوا امره بصرف وجوه الحاج اليه فضلل كيدهم بايقاع الحريق فيه وكادوه ثانيا بارادة هدمه فضلل بارسال الطير عليهم • ابابيل حزائق الواحدة ابالة • وفي امثالهم ضغث على ابالة وهي الحزمة الكبيرة شبهت الحزقة من الطير في تضامها بالابالة • وقيل ابابيل مثل عباديد وشماطيط لا واحد لها **وقرا** ابو حنيفة رحمة الله عليه يرميهم اي الله تعالى او الطير لانه اسم جمع مذكر وانما يؤنث على المعنى • وسجيل كانه علم للديوان الذي كتب فيه عذاب الكفار كما ان سجينا علم لديوان اعمالهم كانه قيل بحجارة من جملة العذاب المكتوب المدون واشتقاقه من الاسجال وهو الارسال لان العذاب موصوف بذلك وارسل عليهم طيرا فارسلنا عليهم الطوفان • وعن ابن عباس رضي الله عنهما من طين مطبوخ كما يطبخ الاجر • وقيل هو معرب من سنك كل • وقيل من شديد عذابه ورووا بيت ابن مقبل • ضربا تواصت به الابطال سجيلا • وانما هو سجينا والقصيدة نونية مشهورة في ديوانه وشبهوا بورق الزرع اذا اكل اي وقع فيه الاكال وهو ان ياكله الدود او بتبن اكلته الدواب وراثته ولكنه جاء على ما عليه اداب القران كقوله تعالى كانا ياكلان الطعام • او اريد اكل حبه فبقي صفرا منه • عن رسول الله صلى الله عليه وسلم من قرا سورة الفيل اعفاه الله ايام حيوته من الخسف والمسخ والله اعلم بالصواب

بسم الله الرحمن الرحيم لايلاف قريش ايلافهم رحلة الشتاء والصيف فليعبدوا رب هذا البيت الذي اطعمهم من جوع وامنهم من خوف • لايلاف قريش متعلق بقوله تعالى فليعبدوا امرهم ان يعبدوه لاجل ايلافهم الرحلتين **فان قلت** فلم دخلت الفاء **قلت** لما في الكلام من معنى الشرط لان المعنى اما لا فليعبدوه لايلافهم على معنى ان نعم الله تعالى عليهم لا تحصى فان لم يعبدوه لسائر نعمه فليعبدوه لهذه الواحدة التي هي نعمة ظاهرة • وقيل المعنى اعجبوا لايلاف قريش • وقيل هو متعلق بما قبله اي فجعلهم كعصف ماكول لايلاف قريش وهذا بمنزلة التضمين في الشعر وهو ان يتعلق معنى البيت بالذي قبله تعلقا لا يصح الا به • وهما في مصحف ابي رضي الله عنه سورة واحدة بلا فصل • وعن عمر بن الخطاب رضي الله عنه انه قراهما في الثانية من صلوة المغرب وقرا في الاولى والتين والمعنى انه اهلك الحبشة الذين قصدوهم ليتسامع الناس بذلك فيتهيبوهم زيادة تهيب ويحترموهم فضل احترام حتى ينتظم الامر في رحلتيهم فلا يجترئ احد عليهم وكانت لقريش رحلتان يرحلون في الشتاء الى اليمن وفي الصيف الى الشام فيمتارون ويتجرون وكانوا في رحلتيهم امنين لانهم اهل حرم الله تعالى وولاة بيته فلا يتعرض لهم والناس غيرهم يتخطفون ويغار عليهم

والايلاف من قولهم آلفت المكان اولفه ايلافا اذا الفته فانا مؤلف قال من المؤلفات الزهو غير الاوارك
وقرئ لالاف قريش اي لمؤالفة قريش وقيل يقال الفته الفا والافا وقرا ابو جعفر لالف قريش وقد
جمعهما من قال زعمتم ان اخوتكم قريش لهم الف وليس لكم الاف وقرا عكرمة ليالف قريش
الفهم رحلة الشتاء والصيف وقريش ولد النضر بن كنانة سموا بتصغير القرش وهو دابة عظيمة
في البحر تعبث بالسفن ولا تطاق الا بالنار وعن معاوية انه سال ابن عباس رضي الله عنه بم سميت
قريش قال بدابة في البحر تاكل ولا تؤكل وتعلو ولا تعلى وانشد
وقريش هي التي تسكن البحر بها سميت قريش قريشا والتصغير للتعظيم وقيل من القرش
وهو الكسب لانهم كانوا كسابين بتجاراتهم وضربهم في البلاد اطلق الايلاف ثم ابدل عنه المقيد
بالرحلتين تفخيما لامر الايلاف وتذكيرا بعظيم النعمة فيه ونصب الرحلة بايلافهم مفعولا به كما نصب
يتيما باطعام واراد رحلتي الشتاء والصيف فافرد لامن الالباس كقوله كلوا في بعض بطنكم
وقرئ رحلة بالضم وهي الجهة التي يرحل اليها والتنكير في جوع وخوف لشدتهما يعني اطعمهم بالرحلتين
من جوع شديد كانوا فيه قبلهما وآمنهم من خوف عظيم وهو خوف اصحاب الفيل او خوف التخطف في بلدهم
ومسايرهم وقيل كانوا قد اصابتهم شدة حتى اكلوا الجيف والعظام المحرقة وآمنهم من خوف الجذام فلا
يصيبهم ببلدهم وقيل ذلك كله بدعاء ابراهيم عليه السلام ومن بدع التفاسير وآمنهم من خوف
من ان تكون الخلافة في غيرهم وقرئ من خوف باخفاء النون عن رسول الله عليه السلام من قرا سورة
القريش اعطاه الله عشر حسنات بعدد من طاف بالكعبة واعتكف بها والله اعلم بالصواب

بسم الله الرحمن الرحيم ارايت الذي يكذب بالدين فذلك الذي يدع اليتيم ولا يحض على طعام المسكين
فويل للمصلين الذين هم عن صلاتهم ساهون الذين هم يراءون ويمنعون الماعون
قرئ اريت بحذف الهمزة وليس بالاختيار لان حذفها مختص بالمضارع ولم يصح عن العرب ريت ولكن
الذي سهل من امرها وقوع حرف الاستفهام في اول الكلام ونحوه
صاح هل ريت او سمعت براع رد في الضرع ما قرى في العلاب وقرا ابن مسعود رضي الله عنه
ارايتك بزيادة حرف الخطاب كقوله تعالى ارايتك هذا الذي كرمت علي والمعنى هل عرفت الذي يكذب
بالجزاء من هو ان لم تعرفه فذلك الذي يكذب بالجزاء هو الذي يدع اليتيم اي يدفعه دفعا عنيفا بجفوة
واذى ويرده ردا قبيحا بزجر وخشونة وقرئ يدع اي يتركه ويجفوه ولا يحض ولا يبعث اهله على بذل
طعام المسكين جعل علم التكذيب بالجزاء منع المعروف والاقدام على ايذاء الضعيف يعني انه لو آمن بالجزاء
وايقن بالوعيد لخشي الله وعقابه ولم يقدم على ذلك فحين اقدم عليه علم انه مكذب فما اشده من
كلام وما اخوفه من مقام وما ابلغه في التحذير من المعصية وانها جديرة بان يستدل بها على ضعف الايمان
ورخاوة عقد اليقين ثم وصل به قوله تعالى فويل للمصلين كانه قال فاذا كان الامر كذلك فويل
للمصلين الذين يسهون عن الصلاة قلة مبالاة بها حتى تفوتهم او يخرج وقتها او لا يصلونها كما صلاها
رسول الله صلى الله عليه وسلم والسلف ولكن ينقرونها نقرا من غير خشوع واخبات ولا اجتناب لما
يكره فيها من العبث باللحية والثياب وكثرة التثاؤب والالتفات لا يدري الواحد منهم عن كم انصرف

ولا ما قرا من السورة وكما ترى صلاة اكثر من ترى الذين عادتهم الرياء باعمالهم ومنع حقوق اموالهم والمعنى ان
هؤلاء احق بان يكون سهوهم عن الصلاة التي هي عماد الدين والفارق بين الايمان والكفر والرياء الذي هو
شعبة من الشرك ومنع الزكاة التي هي شقيقة الصلاة وقنطرة الاسلام علما على انهم يكذبون بالدين وكم
ترى من المتسمين بالاسلام بل من العلماء منهم من هو على هذه الصفة فيا مصيبتاه وطريقة اخرى ان يكون
فذلك عطفا على الذي يكذب اما عطف ذات على ذات او صفة على صفة ويكون جواب ارايت محذوفا لدلالة
ما بعده عليه كانه قيل اخبرني وما تقول فيمن يكذب بالجزاء وفيمن يؤذي اليتيم ولا يطعم المسكين انعم
ما يصنع ثم قال فويل للمصلين اي اذا علم انه مسيء فويل للمصلين على معنى فويل لهم الا انه وضع صفتهم موضع
ضميرهم لانهم كانوا مع التكذيب وما اضيف اليهم ساهين عن الصلاة مرائين غير مزكين اموالهم فان
قلت كيف جعلت المصلين قائما مقام ضمير الذي يكذب وهو واحد قلت معناه الجمع لان المراد
به الجنس فان قلت اي فرق بين قوله عن صلاتهم وبين قولك في صلاتهم قلت معنى عن انهم ساهون
عنها سهو ترك لها وقلة التفات اليها وذلك فعل المنافقين او الفسقة الشطار من المسلمين ومعنى
في ان السهو يعتريهم فيها بوسوسة شيطان او حديث نفس وذلك لا يكاد يخلو منه مسلم وكان رسول
الله صلى الله عليه وسلم يقع له السهو في صلاته فضلا عن غيره ومن ثم اثبت الفقهاء باب سجود السهو
في كتبهم وعن انس بن مالك رضي الله عنه الحمد لله على ان لم يقل في صلاتهم وقرا ابن مسعود رضي
الله عنه لاهون فان قلت ما معنى المراءاة قلت هي مفاعلة من الاراءة لان المرائي يري الناس
عمله وهم يرونه الثناء عليه والاعجاب به ولا يكون الرجل مرائيا باظهار العمل الصالح ان كان فريضة
فمن حق الفرائض الاعلان بها وتشهيرها لقوله صلى الله عليه وسلم ولا غمة في فرائض الله لانها اعلام
الاسلام وشعائر الدين ولان تاركها يستحق الذم والمقت فوجب اماطة التهمة بالاظهار وان كان تطوعا
فحقه ان يخفى لانه مما لا يلام بتركه ولا تهمة فيه فان اظهره قاصدا للاقتداء به كان جميلا وانما الرياء ان
يقصد بالاظهار ان تراه الاعين فيثنى عليه بالصلاح وعن بعضهم انه راى رجلا في المسجد قد سجد سجدة الشكر
فاطالها فقال ما احسن هذا لو كان في بيتك وانما قال هذا لانه توسم فيه الرياء والسمعة على ان اجتناب
الرياء صعب الا على المرتاضين بالاخلاص ومن ثم قال رسول الله صلى الله عليه وسلم الرياء اخفى من دبيب
النملة السوداء في الليلة المظلمة على المسح الاسود الماعون الزكاة قال الراعي
قوم على الاسلام لما يمنعوا ماعونهم ويضيعوا التهليلا وعن ابن مسعود رضي الله عنه ما يتعاور
في العادة من الفاس والقدر والدلو والمقدحة ونحوها وعن عائشة رضي الله عنها الماء والنار والملح
وقد يكون منع هذه الاشياء محظورا في الشريعة اذا استعيرت عن اضطرار وقبيحا في المروءة في غير حال
الضرورة عن رسول الله عليه السلام من قرا سورة ارايت غفر الله له ان كان للزكاة مؤديا

بسم الله الرحمن الرحيم انا اعطيناك الكوثر فصل لربك وانحر ان شانئك هو الابتر في قراءة النبي
صلى الله عليه وسلم انا انطيناك الكوثر بالنون وفي حديثه عليه السلام وانطوا الثبجة والكوثر فوعل
من الكثرة وهو المفرط الكثرة قيل لاعرابية رجع ابنها من السفر بم آب ابنك قالت آب بكوثر وقال
وانت كثير يا ابن مروان طيب وكان ابوك ابن العقائل كوثرا وقيل الكوثر نهر في الجنة وعن

النبي صلى الله عليه وسلم أنه قرأها حين أنزلت عليه فقال أتدرون ما الكوثر إنه نهر في الجنة وعدنيه ربي فيه خير كثير. وروي في صفته أحلى من العسل وأشد بياضا من اللبن وأبرد من الثلج وألين من الزبد حافتاه الزبرجد وأوانيه من فضة عدد نجوم السماء. وروي لا يظمأ من شرب منه أبدا أول وارديه فقراء المهاجرين رضوان الله عليهم الدنسو الثياب الشعث الرؤوس الذين لا يزوجون المنعمات ولا يفتح لهم أبواب السدد يموت أحدهم وحاجته تتلجلج في صدره لو أقسم على الله لأبره. وعن ابن عباس رضي الله عنهما أنه فسر الكوثر بالخير الكثير فقال له سعيد بن جبير رضي الله عنه إن ناسا يقولون هو نهر في الجنة فقال هو من الخير الكثير. والنحر نحر البدن. وعن عطية هي صلاة الفجر بجمع والنحر بمنى. وقيل هي صلاة العيد والتضحية. وقيل هي جنس الصلاة والنحر وضع اليمين على الشمال. والمعنى أعطيت ما لا غاية لكثرته من خير الدارين الذي لم يعطه أحد غيرك ومعطي ذلك كله أنا إله العالمين فاجتمعت لك الغبطتان السنيتان إصابة أشرف عطاء وأوفره من أكرم معط وأعظم منعم. فاعبد ربك الذي أعزك بإعطائه وشرفك وصانك من منن الخلق مراغما لقومك الذين يعبدون غير الله. وانحر لوجهه وباسمه إذا نحرت مخالفا لهم في النحر للأوثان. إن من أبغضك من قومك لمخالفتك لهم هو الأبتر لا أنت لأن كل من يولد إلى يوم القيامة من المؤمنين فهم أولادك وأعقابك وذكرك مرفوع على المنابر والمنار وعلى لسان كل عالم وذاكر إلى آخر الدهر يبدأ بذكر الله ويثنى بذكرك ولك في الآخرة ما لا يدخل تحت الوصف فمثلك لا يقال له الأبتر إنما الأبتر هو شانئك المنسي في الدنيا والآخرة وإن ذكر ذكر باللعن. وكانوا يقولون إن محمدا صنبور إذا مات مات ذكره. وقيل نزلت في العاص بن وائل وقد سماه الأبتر والأبتر الذي لا عقب له. ومنه الحمار الأبتر الذي لا ذنب له. عن رسول الله صلى الله عليه وسلم من قرأ سورة الكوثر سقاه الله من كل نهر في الجنة ويكتب له عشر حسنات بعدد كل قربان قربه العباد في يوم النحر أو يقربونه والله أعلم بالصواب.

يقال لها وللسورة الإخلاص المقشقشتان أي المبرئتان من النفاق. بسم الله الرحمن الرحيم **قل يا أيها الكافرون لا أعبد ما تعبدون ولا أنتم عابدون ما أعبد ولا أنا عابد ما عبدتم ولا أنتم عابدون ما أعبد لكم دينكم ولي دين** المخاطبون كفرة مخصوصون قد علم الله عز وجل منهم أنهم لا يؤمنون. روي أن رهطا من قريش قالوا يا محمد هلم فاتبع ديننا ونتبع دينك تعبد آلهتنا سنة ونعبد إلهك سنة فقال معاذ الله أن أشرك بالله غيره فقالوا فاستلم بعض آلهتنا نصدقك ونعبد إلهك فنزلت فغدا إلى المسجد الحرام وفيه الملأ من قريش فقام على رؤوسهم فقرأها عليهم فأيسوا. لا أعبد أريدت به العبادة فيما يستقبل لأن لا لا تدخل إلا على مضارع في معنى الاستقبال كما أن ما لا تدخل إلا على مضارع في معنى الحال ألا ترى أن لن تأكيد فيما ينفيه لا. وقال الخليل في لن أن أصله لا أن والمعنى لا أفعل في المستقبل ما تطلبونه مني من عبادة آلهتكم ولا أنتم فاعلون فيه ما أطلب منكم من عبادة إلهي. ولا أنا عابد ما عبدتم أي وما كنت قط عابدا فيما سلف ما عبدتم فيه يعني لم تعهد مني عبادة صنم في الجاهلية فكيف ترجى مني في الإسلام. ولا أنتم عابدون ما أعبد أي وما عبدتم في وقت ما أنا على عبادته. **فإن قلت** فهلا قيل ما عبدت كما قيل ما عبدتم. **قلت** لأنهم كانوا يعبدون الأصنام قبل المبعث وهو لم يكن يعبد الله تعالى في ذلك الوقت. فإن قلت فلم جاء على ما دون من. قلت لأن المراد الصفة كأنه قال لا أعبد الباطل ولا تعبدون الحق. وقيل إن ما

مصدرية

مصدرية أي لا أعبد عبادتكم ولا تعبدون عبادتي. لكم دينكم ولي دين لكم شرككم ولي توحيدي والمعنى أني نبي مبعوث إليكم لأدعوكم إلى الحق والنجاة فإذا لم تقبلوا مني ولم تتبعوني فدعوني كفافا ولا تدعوني إلى الشرك. عن رسول الله صلى الله عليه وسلم من قرأ سورة الكافرين فكأنما قرأ ربع القرآن وتباعدت منه مردة الشياطين ويبرئ من الشرك ويعافى من الفزع الأكبر

بسم الله الرحمن الرحيم **إذا جاء نصر الله والفتح ورأيت الناس يدخلون في دين الله أفواجا** إذا منصوب بسبح وهو لما يستقبل والإعلام بذلك قبل كونه من أعلام النبوة. وروي أنها نزلت في أيام التشريق بمنى في حجة الوداع. **فإن قلت** ما الفرق بين النصر والفتح حتى عطف عليه. **قلت** النصر الإغاثة والإظهار على العدو ومنه نصر الله الأرض غاثها. والفتح فتح البلاد والمعنى نصر رسول الله عليه السلام على العرب أو على قريش وفتح مكة. وقيل جنس نصر الله عز وجل للمؤمنين وفتح بلاد الشرك عليهم وكان فتح مكة لعشر مضين من شهر رمضان سنة ثمان ومع رسول الله عشرة آلاف من المهاجرين والأنصار وطوائف العرب وأقام بها خمس عشرة ليلة ثم خرج إلى هوازن وحين دخلها وقف على باب الكعبة ثم قال لا إله إلا الله وحده لا شريك له صدق وعده ونصر عبده وهزم الأحزاب وحده. ثم قال يا أهل مكة ما ترون أني فاعل بكم قالوا خيرا أخ كريم وابن أخ كريم ثم قال اذهبوا فأنتم الطلقاء فأعتقهم رسول الله عليه السلام وقد كان الله تعالى أمكنه من رقابهم عنوة وكانوا له فيئا فلذلك سمي أهل مكة الطلقاء ثم بايعوه على الإسلام. في دين الله في ملة الإسلام التي لا دين له يضاف إليه غيرها ومن يبتغ غير الإسلام دينا فلن يقبل منه. أفواجا جماعات كثيفة كانت تدخل فيه القبيلة بأسرها بعد ما كانوا يدخلون فيه واحدا واحدا واثنين اثنين. وعن جابر بن عبد الله رضي الله عنه أنه بكى ذات يوم فقيل له فقال سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول دخل الناس في دين الله أفواجا وسيخرجون منه أفواجا. وقيل أراد بالناس أهل اليمن قال أبو هريرة رضي الله عنه لما نزلت قال رسول الله صلى الله عليه وسلم الله أكبر جاء نصر الله والفتح وجاء أهل اليمن قوم رقيقة قلوبهم الإيمان يمان والفقه يمان والحكمة يمانية. وقال أجد نفس ربكم من قبل اليمن. وعن الحسن رحمة الله عليه لما فتح رسول الله مكة أقبلت العرب بعضها على بعض فقالوا أما إذ ظفر بأهل الحرم فليس به يدان وقد كان الله أجارهم من أصحاب الفيل وعن كل من أرادهم وكانوا يدخلون في الإسلام أفواجا من غير قتال. وقرأ ابن عباس رضي الله عنهما فتح الله والنصر. وقرئ يدخلون على البناء للمفعول. **فإن قلت** ما محل يدخلون. **قلت** النصب إما على الحال على أن رأيت بمعنى أبصرت أو عرفت أو هو مفعول ثان على أنه بمعنى علمت **فسبح بحمد ربك واستغفره إنه كان توابا** فسبح بحمد ربك فقل سبحان الله حامدا له أو فتعجب لتيسير الله تعالى ما لم يخطر ببالك وبال أحد من أن يغلب أحد على أهل الحرم واحمده على صنعه. أو فاذكره مسبحا حامدا زيادة في عبادته والثناء عليه لزيادة إنعامه عليك أو فصل له. روت أم هانئ رضي الله عنها أنه لما فتح باب الكعبة صلى صلاة الضحى ثماني ركعات. وعن عائشة رضي الله عنها كان يكثر قبل موته أن يقول سبحانك اللهم وبحمدك أستغفرك وأتوب إليك. والأمر بالاستغفار مع التسبيح تكميل للأمر بما هو قوام أمر الدين من الجمع بين الطاعة والاحتراس من المعصية وليكون أمره بذلك مع عصمته لطفا لأمته ولأن الاستغفار من التواضع لله وهضم النفس فهو عبادة في نفسه. وعن النبي صلى الله عليه وسلم إني لأستغفر في اليوم والليلة مائة مرة. وروي أنه لما قرأها رسول الله عليه السلام على أصحابه استبشروا وبكى العباس رضي الله عنه فقال عليه السلام ما يبكيك

حراس

يا عم قال نعيت اليك نفسك قال انها لكما تقول فعاش بعدها سنتين لم ير فيهما ضاحكا مستبشرا وقيل ان ابن عباس رضي الله عنهما هو الذي قال ذلك فقال صلى الله عليه وسلم لقد اوتي هذا الغلام علما كثيرا وروي انها لما نزلت خطب رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال ان عبدا خيره الله بين الدنيا وبين لقائه فاختار لقاء الله فعلم ابو بكر رضي الله عنه فقال فديناك بانفسنا واموالنا وآبائنا واولادنا وعن ابن عباس رضي الله عنهما ان عمر كان يدنيه ويأذن له مع اهل بدر فقال عبد الرحمن اتأذن لهذا الفتى معنا وفي ابنائنا من هو مثله فقال انه ممن قد علمتم قال ابن عباس رضي الله عنه فاذن لهم ذات يوم واذن لي معهم فسألهم عن قوله تعالى اذا جاء نصر الله ولا اراه سألهم الا من اجلي فقال بعضهم امر الله نبيه اذا فتح عليه ان يستغفره ويتوب اليه فقلت ليس كذلك ولكن نعيت اليه نفسه فقال عمر رضي الله عنه ما اعلم منها الا مثل ما تعلم ثم قال كيف تلومونني عليه بعد ما ترون وعن النبي صلى الله عليه وسلم انه دعا فاطمة رضي الله عنها فقال يا بنتاه انه نعيت الي نفسي فبكت فقال لا تبكي فانك اول اهلي لحوقا بي وعن ابن مسعود رضي الله عنه ان هذه السورة تسمى سورة التوديع كان توابا اي كان في الازمنة الماضية منذ خلق المكلفين توابا عليهم اذا استغفروه فعلى كل مستغفر ان يتوقع مثل ذلك عن رسول الله عليه السلام من قرأ سورة النصر اعطي من الاجر كمن شهد مع محمد عليه السلام يوم فتح مكة

بسم الله الرحمن الرحيم تبت يدا ابي لهب وتب ما اغنى عنه ماله وما كسب التباب الهلاك ومنه قولهم اشابة ام تابة اي هالكة من الهرم والتعجيز والمعنى هلكت يداه لانه فيما يروى اخذ حجرا ليرمي به رسول الله صلى الله عليه وسلم وتب وهلك كله او جعلت يداه هالكتين والمراد هلاك جملته كقوله تعالى بما قدمت يداك ومعنى وتب وكان ذلك وحصل كقوله جزاني جزاه الله شر جزائه جزاء الكلاب العاويات وقد فعل ويدل عليه قراءة ابن مسعود رضي الله عنه وقد تب وروي انه لما نزل وانذر عشيرتك الاقربين رقي الصفا وقال يا صباحاه فاستجمع اليه الناس من كل اوب فقال يا بني عبد المطلب يا بني فهر ان اخبرتكم ان بسفح هذا الجبل خيلا اكنتم مصدقي قالوا نعم قال فاني نذير لكم بين يدي الساعة فقال ابو لهب تبا لك الهذا دعوتنا فنزلت فان قلت لم كناه والتكنية تكرمة قلت فيه ثلاثة اوجه احدها ان يكون مشتهرا بالكنية دون الاسم فقد يكون الرجل معروفا باحدهما ولذلك تجري الكنية على الاسم او الاسم على الكنية عطف بيان فلما اريد تشهيره بدعوة السوء وان تبقى سمة له ذكر الاشهر من علميه ويؤيد ذلك قراءة من قرأ يدا ابو لهب كما قيل علي بن ابو طالب رضي الله عنه ومعاوية بن ابو سفيان لئلا يغير منه شيء فيشكل على السامع ولفليتة بن قاسم امير مكة ابنان احدهما عبد الله بالجر والآخر عبد الله بالنصب والثاني انه كان اسمه عبد العزى فعدل عنه الى كنيته والثالث انه لما كان من اهل النار ومآله الى نار ذات لهب وافقت حاله كنيته فكان جديرا بان يذكر بها ويقال ابو لهب كما يقال ابو الشر للشرير وابو الخير للخير وكما كنى رسول الله عليه السلام ابا المهلب ابا صفرة لصفرة في وجهه وقيل كني بذلك لتلهب وجنتيه واشراقهما ويجوز ان يذكر بذلك تهكما به وبافتخاره بذلك وقرئ ابي لهب بالسكون وهو من تغيير الاعلام كقولهم شمس بن مالك بالضم ما اغنى استفهام في معنى الانكار ومحله النصب او نفي وما كسب مرفوع وما موصولة او مصدرية بمعنى ومكسوبه او وكسبه والمعنى لم ينفعه ماله وما كسب بماله يعني رأس المال والارباح او ماشيته وما كسب من نسلها ومنافعها وكان ذا سابياء او ماله الذي

ورثه من ابيه والذي كسبه بنفسه او ماله التالد والطارف وعن ابن عباس رضي الله عنهما ما كسب ولده وحكي ان بني ابي لهب احتكموا اليه فاقتتلوا فقام يحجز بينهم فدفعه بعضهم فوقع فغضب فقال اخرجوا عني الكسب الخبيث ومنه قوله صلى الله عليه وسلم ان اطيب ما يأكل الرجل من كسبه وان ولده من كسبه وعن الضحاك ما ينفعه ماله وعمله الخبيث يعني كيده في عداوة رسول الله عليه السلام وعن قتادة رضي الله عنه عمله الذي ظن انه منه على شيء كقوله وقدمنا الى ما عملوا من عمل وروي انه كان يقول ان كان ما يقول ابن اخي حقا فانا افتدي منه نفسي بمالي وولدي سيصلى نارا ذات لهب وامرأته حمالة الحطب في جيدها حبل من مسد سيصلى قرئ بفتح الياء وبضمها مخففا ومشددا والسين للوعيد اي هو كائن لا محالة وان تراخى وقته وامرأته هي ام جميل بنت حرب اخت ابي سفيان وكانت تحمل حزمة من الشوك والحسك والسعدان فتنثرها بالليل في طريق رسول الله عليه السلام وقيل كانت تمشي بالنميمة ويقال للمشاء بالنمائم المفسد بين الناس يحمل الحطب بينهم اي يوقد بينهم النائرة ويورث الشر قال

من البيض لم تصطد على ظهر لأمة ... ولم تمش بين الحي بالحطب الرطب

جعله رطبا ليدل على التدخين الذي هو زيادة في الشر ورفعت عطفا على الضمير في سيصلى اي سيصلى هو وامرأته وفي جيدها في موضع الحال او على الابتداء وفي جيدها الخبر وقرئ حمالة الحطب بالنصب على الشتم وانا استحب هذه القراءة وقد توسل الى رسول الله عليه السلام بجميل من احب شتم ام جميل وقرئ حمالة للحطب وحمالة للحطب بالتنوين والرفع والنصب وقرئ ومريئته بالتصغير المسد الذي فتل من الحبال فتلا شديدا من ليف كان او جلد او غيرهما قال ومسد امر من ايانق ورجل ممسود الخلق مجدوله والمعنى في جيدها حبل مما مسد من الحبال وانها تحمل تلك الحزمة من الشوك وتربطها في جيدها كما يفعل الحطابون تخسيسا لحالها وتحقيرا لها وتصويرا لها بصورة بعض الحطابات من المواهن لتمتعض من ذلك ويمتعض بعلها وهما في بيت العز والشرف وفي منصب الثروة والجدة ولقد عير بعض الناس الفضل بن العباس بن عتبة بن ابي لهب بحمالة الحطب فقال

ماذا اردت الى شتمي ومنقصتي ... ام ما تعير من حمالة الحطب
غراء شادخة في المجد غرتها ... كانت سليلة شيخ ثاقب الحسب

ويحتمل ان يكون المعنى ان حالها تكون في نار جهنم على الصورة التي كانت عليها حين كانت تحمل حزمة الشوك فلا تزال على ظهرها حزمة من حطب النار من شجرة الزقوم او من الضريع وفي جيدها حبل مما مسد من سلاسل النار كما يعذب كل مجرم بما يجانس حاله في جرمه عن رسول الله عليه السلام من قرأ سورة تبت رجوت ان لا يجمع الله بينه وبين ابي لهب في دار واحدة

بسم الله الرحمن الرحيم قل هو الله احد الله الصمد لم يلد ولم يولد ولم يكن له كفوا احد هو ضمير الشان والله احد هو الشان كقولك هو زيد منطلق كأنه قيل الشان هذا وهو ان الله واحد لا ثاني له فان قلت ما محل هو قلت الرفع على الابتداء والخبر الجملة فان قلت فالجملة الواقعة خبرا لا بد فيها من راجع الى المبتدأ فاين الراجع قلت حكم هذه الجملة حكم المفرد في قولك زيد غلامك في انه هو المبتدأ في المعنى وذلك ان قوله الله احد هو الشان الذي هو عبارة عنه وليس كذلك زيد ابوه منطلق فان زيدا والجملة يدلان على معنيين مختلفين فلا بد مما يصل بينهما وعن ابن عباس رضي الله عنهما قالت قريش يا محمد صف لنا ربك الذي تدعونا اليه فنزلت يعني الذي سألتموني وصفه هو الله

واحد بدل من قوله الله او على هو الله احد وهو بمعنى واحد واصله وحد وقرأ عبد الله وابي رضي الله عنهما
هو الله احد بغير قل وفي قراءة النبي صلى الله عليه وسلم الله احد بغير قل هو وقال من قرأ الله احد كان بعدل
القرآن وقرأ الاعمش قل هو الله الواحد **وقرئ** احد الله بغير تنوين اسقط لملاقاته لام التعريف
ونحوه ولا ذاكر الله الا قليلا والجيد هو التنوين وكسره لالتقاء الساكنين والصمد فعل بمعنى مفعول
من صمد اليه اذا قصده وهو السيد المصمود اليه في الحوائج والمعنى هو الله الذي تعرفونه وتقرون
بانه خالق السموات والارض وخالقكم وهو واحد متوحد بالالهية لا يشارك فيها وهو الذي يصمد
اليه كل مخلوق لا يستغنون عنه وهو الغني عنهم لم يلد لانه لا يجانس حتى يكون له من جنسه صاحبة
فيتوالدا وقد دل على هذا المعنى بقوله انى يكون له ولد ولم تكن له صاحبة ولم يولد لان كل مولود
محدث وجسم وهو قديم لا اول لوجوده وليس بجسم ولم يكافئه احد اي لم يماثله ولم يشاكله ويجوز
ان يكون من الكفاءة في النكاح نفيا للصاحبة سألوه ان يصفه لهم فاوحى اليه ما يحتوي على صفاته فقوله
هو الله اشارة لهم الى من هو خالق الاشياء وفاطرها وفي طي ذلك وصفه بانه قادر عالم لان الخلق يستدعي
القدرة والعلم لكونه واقعا على غاية احكام واتساق وانتظام وفي ذلك وصفه بانه حي سميع بصير وقوله
احد وصف بالوحدانية ونفي الشركاء وقوله تعالى الصمد وصف بانه ليس الا محتاجا اليه واذا لم
يكن محتاجا اليه فهو غني وفي كونه غنيا مع كونه عالما انه عدل غير فاعل للقبائح لعلمه بقبح القبيح وعلمه بغناه عنه
وقوله تعالى لم يولد وصف بالقدم والاولية وقوله تعالى لم يلد نفي للشبه والمجانسة وقوله تعالى
ولم يكن له كفوا احد تقرير لذلك وبت للحكم به **فان قلت** الكلام العربي الفصيح ان يؤخر الظرف
الذي هو لغو غير مستقر ولا يقدم وقد نص سيبويه على ذلك في كتابه فما باله مقدما في افصح كلام واعربه
قلت هذا الكلام انما سيق لنفي المكافأة عن ذات الباري سبحانه وتعالى وهذا المعنى مصبه ومركزه هو هذا
الظرف فكان لذلك اهم شيء واعناه واحقه بالتقديم واحراه وقرئ كفوا بضم الكاف والفاء وبضم الكاف
وكسرها مع سكون الفاء **فان قلت** لم كانت هذه السورة عدل القرآن كله على قصر متنها وتقارب طرفيها
لامر ما يسود من يسود وما ذاك الا لاحتوائها على صفات الله تعالى وعدله وتوحيده وكفى
دليلا من اعترف بفضلها وصدق بقول رسول الله عليه السلام فيها ان علم التوحيد من الله تعالى بمكان
وكيف لا يكون كذلك والعلم تابع للمعلوم يشرف بشرفه ويتضع بضعته ومعلوم هذا العلم هو الله
عز وجل وصفاته وما يجوز عليه وما لا يجوز فما ظنك بشرف منزلته وجلالة محله وانافته على كل علم
واستيلائه على قصب السبق دونه ومن ازدراه فلضعف علمه بمعلومه وقلة تعظيمه له وخلوه من خشيته
وبعده من النظر لعاقبته اللهم احشرنا في زمرة العالمين بك العاملين لك القائلين بعدلك وتوحيدك
الخائفين من وعيدك وتسمى سورة الاساس لاشتمالها على اصول الدين **وروى** ابي وانس رضي الله عنهما
عن النبي صلى الله عليه وسلم اسست السموات السبع والارضون السبع على قل هو الله احد يعني ما خلقت الا لتكون
دلائل على توحيد الله تعالى ومعرفة صفاته التي نطقت بها هذه السورة وعن رسول الله صلى الله عليه وسلم انه
سمع رجلا يقرأ قل هو الله احد فقال وجبت قيل يا رسول الله وما وجبت قال وجبت له الجنة والله اعلم

بسم الله الرحمن الرحيم **قل اعوذ برب الفلق من شر ما خلق ومن شر غاسق اذا وقب ومن شر النفاثات**

في العقد ومن شر حاسد اذا حسد الفلق والفرق الصبح لان الليل يفلق عنه ويفرق فعل بمعنى مفعول
يقال في المثل هو ابين من فلق الصبح ومن فرق الصبح ومنه قولهم سطع الفرقان اذا طلع الفجر وقيل هو كل
ما يفلقه الله عز وجل كالارض عن النبات والجبال عن العيون والسحاب عن المطر والارحام عن الاولاد والحب
والنوى وغير ذلك وقيل هو واد في جهنم او جب فيها من قولهم لما اطمأن من الارض الفلق والجمع فلقان
وعن بعض الصحابة انه قدم الشام فرأى دور اهل الذمة وما هم فيه من خفض العيش وما وسع عليهم من
دنياهم فقال لا ابالي اليس من ورائهم الفلق فقيل وما الفلق قال بيت في جهنم اذا فتح صاح جميع اهل
النار من شدة حره من شر ما خلق من شر خلقه وشرهم ما يفعله المكلفون من الحيوان من المعاصي والمآثم
ومضارة بعضهم بعضا من ظلم وبغي وقتل وضرب وشتم وغير ذلك وما يفعله غير المكلفين منه من الاكل
والنهش واللدغ والعض كالسباع والحشرات وما وضعه الله تعالى في الموات من انواع الضرر كالاحراق في النار
والقتل في السم والغاسق الليل اذا اعتكر ظلامه من قوله عز وعلا الى غسق الليل ومنه غسقت العين
امتلأت دمعا وغسقت الجراحة امتلأت دما ووقوبه دخول ظلامه في كل شيء ويقال وقبت الشمس اذا
غابت وفي الحديث لما رأى الشمس قد وقبت قال هذا حين حلها يعني صلوة المغرب وقيل هو القمر اذا امتلأ
وعن عائشة رضي الله عنها اخذ رسول الله صلى الله عليه وسلم بيدي فاشار الى القمر فقال تعوذي بالله
من شر هذا فانه الغاسق اذا وقب ووقوبه دخوله في الكسوف واسوداده ويجوز ان يراد بالغاسق
الاسود من الحيات ووقبه ضربه ونقبه والوقب النقب ومنه وقبة الثريد والتعوذ من شر الليل لان
انبثاث الشر فيه اكثر والتحرز منه اصعب ومنه قولهم الليل اخفى للويل ومنه قولهم اغدر الليل لانه اذا
اظلم كثر فيه الغدر واسند الشر اليه لملابسته له من حدوثه فيه النفاثات النساء او النفوس او
الجماعات السواحر اللاتي يعقدن عقدا في خيوط وينفثن عليها ويرقين والنفث النفخ مع ريق ولا تأثير
لذلك اللهم الا اذا كان ثم اطعام شيء ضار او سقيه او اشمامه او مباشرة المسحور به على بعض الوجوه
ولكن الله عز وجل قد يفعل عند ذلك فعلا على سبيل الامتحان الذي يتميز به الثبت على الحق من الحشوية
والجهلة من العوام فينسبه الحشو والرعاع اليهن والى نفثهن والثابتون بالقول الثابت لا يلتفتون
الى ذلك ولا يعبؤون به **فان قلت** فما معنى الاستعاذة من شرهن **قلت** فيه ثلاثة اوجه احدها
ان يستعاذ من عملهن الذي هو صنعة السحر ومن اثمهن في ذلك والثاني ان يستعاذ من فتنتهن الناس بسحرهن
وما يخدعنهم به من باطلهن والثالث ان يستعاذ مما يصيب الله به من الشر عند نفثهن ويجوز
ان يراد بهن النساء الكيادات من قوله تعالى ان كيدكن عظيم تشبيها لكيدهن بالسحر والنفث في العقد
او اللاتي يفتن الرجال بتعرضهن لهم وعرضهن محاسنهن كأنهن يسحرنهم بذلك اذا حسد اي اذا اظهر
حسده وعمل بمقتضاه من بغي الغوائل للمحسود لانه اذا لم يظهر اثر ما اضمره فلا ضرر يعود منه على
من حسده بل هو الضار لنفسه لاغتمامه بسرور غيره وعن عمر بن عبد العزيز رحمة الله عليه لم ار ظالما
اشبه بالمظلوم من حاسد ويجوز ان يراد بشر الحاسد اثمه وسماجة حاله في وقت حسده واظهاره اثره
فان قلت قوله من شر ما خلق تعميم في كل ما يستعاذ منه فما معنى الاستعاذة بعده من الغاسق
والنفاثات والحاسد **قلت** قد خص شر هؤلاء من كل شر لخفاء امره وانه يلحق الانسان من حيث لا
يعلم كأنما يغتال به وقالوا شر العداة المداجي الذي يكيدك من حيث لا تشعر **فان قلت** فلم
عرف بعض المستعاذ منه ونكر بعضه عرفت النفاثات لان كل نفاثة شريرة ونكر غاسق لان كل

لان كل غاسق لا يكون فيه الشر انما يكون فى بعض دون بعض وكذلك كل حاسد لا يضر ورب حسد محمود وهو
الحسد فى الخيرات ومنه قوله صلى الله عليه وسلم لا حسد الا فى اثنين **وقال ابو تمام**
وما حاسد فى المكرمات بحاسد **وقال** ان العلى حسن فى مثلها الحسد عن رسول الله عليه السلام من
قرا المعوذتين فكانما قرا الكتب التى انزلها الله عز وجل كلها والله اعلم بالصواب واليه المرجع والمآب

بسم الله الرحمن الرحيم قل اعوذ برب الناس ملك الناس اله الناس من شر الوسواس الخناس الذى
يوسوس فى صدور الناس من الجنة والناس **قرى** قل اعوذ بحذف الهمزة ونقل حركتها الى اللام
ونحوه فخذ اربعة من الطير فان قلت لم قيل برب الناس مضافا اليهم خاصة قلت لان الاستعاذة وقعت
من شر الموسوس فى صدور الناس فكانه قيل اعوذ من شر الموسوس الى الناس بربهم الذى يملك عليهم امورهم
وهو الههم ومعبودهم كما يستغيث بعض الموالى اذا اعتراهم خطب بسيدهم ومخدومهم ووالى امرهم
فان قلت ملك الناس اله الناس ما هما من رب الناس **قلت** هما عطف بيان كقولك سيرة ابى
حفص عمر الفاروق رضى الله عنه بين بملك الناس ثم زيد بيانا باله الناس لانه قد يقال لغيره رب
الناس كقوله تعالى اتخذوا احبارهم ورهبانهم اربابا من دون الله وقد يقال ملك الناس واما اله
الناس فخاص لا شركة فيه فجعل غاية للبيان **فان قلت** فهلا اكتفى باظهار المضاف اليه الذى
هو الناس مرة واحدة لان عطف البيان للبيان فكان مظنة للاظهار دون الاضمار
الوسواس اسم بمعنى الوسوسة كالزلزال بمعنى الزلزلة واما المصدر فوسواس بالكسر كزلزال والمراد
به الشيطان سمى بالمصدر كانه وسوسة فى نفسه لانها صنعته وشغله الذى هو عاكف عليه او اريد
ذو الوسواس والوسوسة الصوت الخفى ومنه وسواس الحلى والخناس الذى عادته ان يخنس منسوب
الى الخنوس وهو التاخر كالعواج والبتات لما روى عن سعيد بن جبير اذا ذكر الانسان ربه خنس الشيطان
وولى واذا غفل وسوس اليه الذى يوسوس يجوز فى محله الحركات الثلاث فالجر على الصفة
والرفع والنصب على الشتم ويحسن ان يقف القارى على الخناس ويبتدى الذى يوسوس على احد
هذين الوجهين من الجنة والناس بيان للذى يوسوس على ان الشيطان ضربان جنى وانسى كما قال
الله تعالى شياطين الانس والجن وعن ابى ذر رضى الله عنه انه قال لرجل هل تعوذت بالله من شياطين
الانس ويجوز ان يكون من متعلقا بيوسوس ومعناه ابتداء الغاية اى يوسوس فى صدورهم من جهة
الجن ومن جهة الناس وقيل من الجنة والناس بيان للناس وان اسم الناس ينطلق على الجنة واستدلوا
برجال ونفر فى سورة الجن وما احقه لان الجن سموا جنا لاجتنانهم والناس ناسا لظهورهم من الايناس
وهو الابصار كما سموا بشرا ولو كان يقع الناس على القبيلين وصح ذلك وثبت لم يكن مناسبا لفصاحة
القرآن وبعده من التصنع واجود منه ان يراد بالناس الناسى كقوله عز وعلا يوم يدع الداع وكما قرى
من حيث افاض الناس ثم يبين بالجنة والناس لان الثقلين هما النوعان الموصوفان بنسيان حق الله تعالى عن رسول
الله عليه السلام لقد انزلت على سورتان ما انزل مثلهما وانك لن تقرا سورتين احب ولا ارضى عند الله
منهما ويقال للمعوذتين المقشقشتان **قال جار الله** العلامة وانا اعوذ بهما وبجميع كلمات الله
الكاملة التامة والوذ بكنف رحمته الشاملة العامة من كل ما يكلم الدين ويثلم اليقين او يعو

فى العاقبة بالندم اذ يقدح فى الايمان المنوط بالحزم والدم واساله خضوع العنق وخشوع البصر
وضع الخد لجلاله الاعظم الاكبر مستشفعا اليه بنوره الذى هو الشيبة فى الاسلام متوسلا بالتوبة
الممحصة للاثام وبما عنيت به من مهاجرتى اليه ومجاورتى ومرابطتى بمكة ومصابرتى على تواكل من القوى
وتخاذل من الخطى ثم اساله تحو صراطه المستقيم وقرانه المجيد الكريم وبما لقيت من كدح اليمين وعرق
الجبين فى عمل الكشاف عن حقايقه المخلص عن دقائق مضايقه المطلع على غوامضه المثبت فى مداحضه الملخص
لنكته ولطايف نظمه المنقر عن فقره وجواهر علمه المكتنز بالفوايد المفتنة التى لا توجد الا فيه المحيط
بما لا يكتنه من بدع الفاظه ومعانيه مع الايجاز الحاذف للفضول وتجنب المستكره المملول ولو لم
يكن فى مضمونه الا ايراد كل شىء على قانونه لكفى به ضالة ينشدها محققة الاحبار وجوهرة يتمنى العثور
عليها غاصة البحار وبما شرفنى به وبجدنى واختصنى بكرامته وتوحدنى من الزنفاعه على يدى فى مهبط
بشاراته ونذره ومتنزل اياته وسوره من البلد الامين بين ظهرانى الحرم وبين يدى البيت المحرم
حتى وقع التاويل حيث وجد التنزيل ان يهب لى خاتمة الخير ويقينى مصارع السوء ويتجاوز عن فرطاتى
يوم التناد ولا يفضحنى بها على رؤس الاشهاد ويحلنى دار المقامة من فضله بواسع طوله وسابغ نيله
انه هو الجواد الكريم الرؤف الرحيم. **تم** الكتاب بعون الملك الوهاب بحمد الله وحسن
تيسيره وشكر توفيقه والصلوة والسلام على سيدنا محمد نبيه وحبيبه وعلى اله وعترته الطيبين
الطاهرين وسلم تسليما كثيرا على يدى اضعف خلق الله واحوجهم الى رحمته العبد الحقير المذنب المبتلى
عمر بن خليل الشيرملسى غفر الله له ولوالديه ولكافة المسلمين والمسلمات فى يوم الثلاثا المبارك
حادى عشرى شهر ربيع الاخرى الثانى سنة سبع وثمانين وتسعمائة وحسبنا الله ونعم الوكيل ولا حول ولا
قوة الا بالله العلى العظيم وصلى الله على سيدنا محمد وعلى اله وصحبه وسلم ورضى الله تعالى عن كل الصحابة اجمعين

المفتى بقضا سا[illegible]
الحلبى معلم الله المصرى
الساقزى دار[illegible]